٢١٢
ل . خ

لباب التأويل في معاني التنزيل ، تأليف علي بن محمد بن ابراهيم الشيحي ، علاء الدين ، المعروف بالخازن (٦٧٨-٧٤١ هـ) . كتبت في القرن الثاني عشر الهجري تقديرا .

٧٢٤ ق ٣٣ س ٥ر٢٩×٥ر١٩ سم

٢٨٧٥ نسخة حسنة ، مجدولة بالحمرة والزرقة والآيات بالحمرة ، اوراقها منفرطة ، ناقصة الآخر ، طبع .

الأعلام ٥ : ١٥٦ ، الأزهرية ١ : ٢٨٦

١- التفسير ، القرآن الكريم وعلومه أ- الخازن ، علي بن محمد -٧٤١هـ بـ تاريخ النسخ .

Copyright © King Saud University

٣٨٧٥

جامعة الملك سعود
King Saud University
1957

Copyright © King Saud University

الحمد لله من فضل الله الواسع العليم
على عبده محمد الى الانوار التادا
عفى عنه

هذا كتاب لباب التاويل
في معاني التنزيل للشيخ
الامام العالم العلامة
الشيخ الخازن
رحمه الله
تعالى
امين

مكتبة جامعة الرياض
الرقم ٣٨٧٥ / ٢١٨
العنوان لباب التاويل في معاني التنزيل
المؤلف علي بن محمد البغدادي الخازن
تاريخ النسخ القرن الثاني عشر الهجري
عدد الاوراق ٧٤٤ ق ٢٩,٥×١٩,٥ سم
ل ٢ خ
Copyright © King Saud University

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه

الحمد لله الذي خلق الاشيا فقدرها تقديرا وصور شكل الانسان فاحسنه تصويرا [illegible]
وجعله سميعا بصيرا وشرفه بما عرفه [illegible] علم [illegible] قلبه تنويرا وهداه الى معرفته [illegible]
كبيرا واطلق لسانه فاذعن بشكره تحميدا وتهليلا وتكبيرا وارسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى كافة الخلق
بشيرا ونذيرا وانزل عليه كتابا [illegible] واودعه حكمة وحكما وترغيبا وتحذيرا والهم [illegible]
تلاوته وتحبيرا وعلم عباده [illegible] تفهيما وتبصيرا وضرب فيه الامثال [illegible]
وتخييرا وجعله برهانا واضحا [illegible]
وبالا [illegible]
[illegible] يهدي للتي هي اقوم ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات
ان لهم اجرا كبيرا وجعل [illegible] من الايات [illegible] حسيبا قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان
ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا احمده على تواتر انعامه
حمدا كثيرا واتوكل عليه [illegible] مستخيرا واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
شهادة يعد قلب قايلها مطمينا مستنيرا واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذي كساه من
فضله عزا ومهابة وتوقيرا صلى الله عليه وعلى اله واصحابه كما اذهب عنهم الرجس وطهرهم
تطهيرا وبعد فان الله جل ذكره وتقدس ارسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله رحمة للعالمين وبشيرا للمومنين ونذيرا للمخالفين اكمل به
بنيان النبوة وختم به ديوان الرسالة واتم به مكارم الاخلاق ونشر فضله في الافاق وانزل
عليه نورا واهدى به من الضلالة وانقذ به من الجهالة وحكم بالفوز والفلاح لمن اتبعه وبالخسار
لمن اعرض عنه بعد ما سمعه عجز الخلائق عن معارضته حين تحداهم على ان ياتوا بسورة من مثله
في مقابلته ثم سهل على عباده المومنين مع اعجازه تلاوته ويسر على الالسن قراءته امر فيه وزجر
وبشر وانذر وذكر المواعظ ليتذكر وضرب فيه الامثال ليتدبر وقص فيه من اخبار الماضين ليعتبر
ودل فيه على ايات التوحيد ليتفكر ثم لم يرض منا بسرد حروفه دون حفظ حدوده ولا

باقامة

باقامة كلماته دون العمل بمحكماته ولا بتلاوته دون تدبر اياته في قراته ولا بسرده دون علم
حقايقه وتفهم دقايقه ولا حصول لهذه المقاصد الا بدراية تفسيره واحكامه ومعرفة حلاله
وحرامه واسباب نزوله واقسامه والوقوف على ناسخه ومنسوخه في خاصه وعامه فانه ارسخ
العلوم اصلا واسبقها فرعا واصلا واكرمها نتاجا وانورها سراجا فلا شرف الا وهو السبيل
اليه ولا خير الا وهو الدال عليه وقد قيض الله تعالى له رجالا موفقين وبالحق ناطقين حتى
صنفوا في ساير علومه المصنفات وجمعوا ساير فنونها المتفرقات على قدر فهمه ومبلغ
علمه نظرا للخلق واقتدا بالسلف فشكر الله سعيهم ورحم كافتهم ولما كان كتاب معالم التنزيل
الذي صنفه الشيخ الجليل والحبر النبيل الامام العالم الكامل محيي السنة قدوة الامة وامام الايمة
مفتي الفرق ناصر الحديث ظهير الدين ابو محمد الحسين بن مسعود البغوي قدس الله روحه ونور ضريحه
من اجل المصنفات في علم التفسير واعلاها وانبلها واسناها جامعا للصحيح من الاقاويل عاريا عن
الشبه والتصحيف والتبديل محلا بالاحاديث النبوية مطرزا بالاحكام الشرعية مشوبا بالقصص
الغريبة واخبار الماضين العجيبة مرصعا باحسن الاشارات مخرجا باوضح العبارات مفرغا في قالب
الجمال بافصح مقال فرحم الله تعالى مصنفه واجزل ثوابه وجعل الجنة منقلبه ومابه ولما كان هذا
الكتاب كما وصفت احببت ان انتخب من غرر فوايده ودرر فرايده وزواهر نصوصه وجواهر
فصوصه مختصرا جامعا لمعاني التفسير ولباب التنزيل والتعبير حاويا للخلاصة منقوله متضمنا
لنكته واصوله مع فوايد نقلتها وفرايد لخصتها من كتب التفاسير المصنفة في ساير علومه المولفة
[illegible] التفسير [illegible] الى [illegible] والانتخاب مجتنبا حد التطويل والاسهاب وحذفت منه الاسناد
لانه اقرب الى تحصيل المراد فما اوردت فيه من الاحاديث النبوية والاخبار المصطفوية على تفسير
اية او بيان حكم فان الكتاب يطلب بيانه من السنة وعليها مدار الشرع واحكام الدين عزيته الى مخرجه
وبينت اسم ناقله وجعلت عوض كل اسم حرفا يعرف به ليهون على الطالب طلبه فما كان من صحيح ابي عبد الله
محمد بن اسماعيل البخاري فعلامته قبل ذكر اسم الصحابي الراوي للحديث خ وما كان من صحيح ابي الحسين مسلم
بن الحجاج النيسابوري فعلامته م وما كان مما اتفقا عليه فعلامته ق وما كان من كتب السنن كسنن
ابي داود والترمذي والنسائي فاني اذكر اسمه بغير علامة وما لم اجده في هذه الكتب ووجدت البغوي
قد اخرجه بسنده له انفرد به قلت روى البغوي بسنده وما رواه البغوي باسناد الثعلبي قلت روى
البغوي باسناد الثعلبي وما كان فيه من احاديث زايدة والفاظ متغيرة فاعتمادي في اجتهدت
في تصحيح ما اخرجته من الكتب المعتبرة عند العلما كالجمع بين الصحيحين للحميدي وكتاب جامع الاصول
لابن الاثير الجزري ثم اني عوضت عن حذف الاسناد شرح غريب الحديث وما يتعلق به ليكون اكمل فايدة
في هذا الكتاب واسهل على الطلاب ومتعته بابلغ ما قدرت عليه من الايجاز وحسن الترتيب مع التسهيل
والتقريب وينبغي لكل مولف كتابا في فن سبق اليه ان لا يخلو كتابه من خمس فوايد استنباط شي كان
معضلا او جمعه ان كان متفرقا او شرحه ان كان غامضا او حسن نظم وتاليف او اسقاط حشو وتطويل
وارجو ان لا يخلو هذا الكتاب عن هذه الخصال التي ذكرت وسميته لباب التاويل في معاني
التنزيل والله تعالى اسال التوفيق لاتمام ما قصدت والنية رغب في تيسير ما اردت وان
يجعله خالصا لوجهه الكريم وان يتقبله مني انه هو السميع العليم وهو حسبي ونعم الوكيل عليه

Copyright © King Saud University

توكلت واليه انيب وقبل ان اشرع في الكلام على التفسير اقدم مقدمة تتضمن ثلاثة فصول
الفصل الاول في فضل القران وتلاوته وتعليمه م عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال اما
بعد الا ايها الناس انما انا بشر يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيب واني تارك فيكم ثقلين
اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه
ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي زاد في رواية كتاب الله فيه الهدى
والنور من استمسك به واخذ به كان على الهدى ومن اخطاه ضل وفي رواية كتاب الله هو حبل الله
من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة وفي رواية الترمذي عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي احدهما اعظم من الاخر وهو كتاب
الله حبل ممدود من السما الى الارض وعترتي اهل بيتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف
تخلفوني فيهما م عن عمر بن الخطاب قال اما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يرفع بهذا الكتاب
اقواما ويضع به اخرين د عن الحارث الاعور قال مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون في الاحاديث
فدخلت على علي فقلت يا امير المومنين الا ترى الناس قد خاضوا في الاحاديث قال او قد فعلوها قلت
نعم قال اما اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا انها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها
يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبا ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه
من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط
المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاهوا ولا تلتبس به الالسنة ولا تشبع منه العلما ولا يخلق عن كثرة
الرد ولا تنقضي عجايبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا
به من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم خذها
اليك يا اعور اخرجه الترمذي وقال حديث غريب واسناده مجهول وفي الحارث مقال قوله هو الفصل
اي الفاصل بين الحق والباطل ليس بالهزل اي هو جد كله ليس فيه من الهزل والجبار في صفة الادمي هو المسلط
العاتي المتكبر على الناس قصمه الله اي اهلكه قوله هو حبل الله المتين الحبل يرد على وجوه منها العهد ومنها
الامان فاذا اعتصم به الانسان اداه الله تعالى الى جواره والذكر الشرف والحكيم المحكم العاري من الاختلاف
والاضطراب والصراط المستقيم الطريق الواضح ومعنى لا تزيغ به الاهواء اي لا يميل عن الحق عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل الذي ليس في جوفه شي من القران كالبيت الخراب
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح خ عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القران وعلمه ق عن
عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقران مع السفرة الكرام البررة والذي يقرا القران وهو
يتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران قوله الماهر يعني الحاذق الكامل الحفظ الجيد التلاوة مع السفرة جمع سافر
وهو الرسول من الملايكة سمي بذلك لانه يسفر برسالات الله الى انبيايه وقيل السفرة الكتبة من الملايكة والبررة
المطيعون لله تعالى جمع بار ومعنى كونه مع الملايكة ان له منازل في الجنة يكون فيها رفيقا لهم وقوله يتتعتع
اي يتردد في تلاوته لضعف حفظه له اجران يعني اجر بسبب القراة واجر بسبب تتعتعه والمشقة التي
تحصل له فيها وليس معناه ان له اجرا اكثر من الماهر بل الماهر افضل منه واكثر اجرا ق عن ابي موسى الاشعري
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المومن الذي يقرا القران كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المومن الذي

لا يقرا

لا يقرا القران كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذي يقرا القران كمثل الريحانة ريحها طيب
ولا طعم لها ومثل الفاجر الذي لا يقرا القران كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها فيه دليل على فضيلة
حفاظ القران واستحباب ضرب الامثال لايضاح المقاصد عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف ولكن الف حرف
ولام حرف وميم حرف اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب وقد رفعه بعضهم عن ابن مسعود ووقفه
بعضهم عليه عن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله اي الاعمال احب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قال
وما الحال المرتحل قال الذي يضرب القران من اوله الى اخره كلما حل ارتحل اخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص
(من اول)
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القران اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان
منزلك عند اخر اية تقرا بها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال يجي القران يوم القيامة فيقول يا رب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يا رب زده فيلبس
حلة الكرامة ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضى عنه فيقال اقرا وارق ويزداد بكل اية حسنة اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن عن سهل بن معاذ الجهني عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من قرا القران وعمل بما فيه البس والداه يوم القيامة تاجا ضووه احسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا
لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا اخرجه ابو داود عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا القران فاستظهره فاحل حلاله وحرم حرامه ادخله الله به الجنة
وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وليس له اسناد
صحيح ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشي كاذنه لنبي يتغنى بالقران
يجهر به معنى اذن في اللغة استمع ولا يجوز حمله على الاصغا فانه يستحيل على الله تعالى بل هو كناية عن
تقريبه قارئ القران واجزال ثوابه وذلك لان سماع الله لا يختلف فوجب تاويل الحديث وقوله
يتغنى بالقران اي يحسن صوته به ويكون ذلك مع تحزين وترقيق في القراءة وقيل معناه يستغني
به عن الناس والقول الاول اولى ويدل عليه سياق الحديث وهو قوله يجهر به عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقران الفصل الثاني في وعيد من قال في
(الفصل الثاني)
القران برايه بغير علم ووعيد من اوتي القران فنسيه ولم يتعاهده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قال في القران بغير علم فليتبوا مقعده من النار وفي رواية من قال في القران
برايه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله فليتبوا معناه فليتخذ له مباءة اي منزلا من النار عن جندب
ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في كتاب الله عز وجل برايه فاصاب فقد اخطا
اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب وسيل ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى
وفاكهة وابا فقال اي سما تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله بغير علم قال العلما النهي عن القول
في القران بالراي انما ورد في حق من يتاول القران على مراد نفسه وما هو تابع لهواه وهذا لا يخلو اما ان يكون
عن علم او لا فان كان عن علم كمن يحتج ببعض ايات القران على تصحيح بدعته وهو يعلم ان المراد من الاية غير
ذلك لكن غرضه ان يلبس على خصمه ما يقوي حجته على بدعته كما يستعمله الباطنية والخوارج وغيرهم
من اهل البدع في المقاصد الفاسدة ليغروا بذلك الناس وان كان القول في القران بغير علم لكن عن جهل وذلك
ان تكون الاية محتملة لوجوه فيفسرها بغيرها تحتمله من المعاني والوجوه فهذان القسمان مذمومان وكلاهما

Copyright King Saud University

داخل في النهي والوعيد الوارد في ذلك فاما التاويل وهو صرف الاية على طريق الاستنباط الى معنى يليق
بها محتمل لما قبلها وما بعدها وغير مخالف للكتاب والسنة فقد رخص فيه اهل العلم فان الصحابة رضي الله
عنهم قد فسروا القران واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم
ولكن على قدر ما فهموا من القران تكلموا في معانيه وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال اللهم
فقهه في الدين وعلمه التاويل فكان اكثر ما نقل عنه التفسير والله اعلم ق عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاهدوا القران فوالذي نفس محمد بيده لهو اشد تفلتا من الابل في عقلها
ق عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل صاحب القران كمثل صاحب الابل المعقلة
ان تعاهد عليها امسكها وان اطلقها ذهبت الابل المعقلة التي حبست بالعقال وهذا مثل ضربه لصاحب
القران فعنيه الحث على تعاهده بكثرة التلاوة والتكرار لئلا ينسى ق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بئس ما لاحدهم ان يقول نسيت اية كيت وكيت بل هو نسي استذكروا القران فانه اشد تفصيا
من صدور الرجال من النعم من عقلها وفي رواية لا يقول احدكم نسيت اية كذا وكذا بل هو نسي قوله بئس ما لاحدهم
اي بئست الحالة حالة من حفظ القران ثم غفل عنه حتى نسيه قوله لا يقول احدكم نسيت اية كذا وكذا
معناه انما كره نسبة النسيان الى النفس لاجل ان الله تعالى هو المقدر للاشياء كلها وهو الذي انساه اياه
وقيل اصل النسيان الترك فكره ان يقول تركت القران او قصدت الى نسيانه وقوله بل نسي هو بضم
النون وتشديد السين وفتح الياء اي عوقب بالنسيان على ذنب صدر منه او لسوء تعهده القران
وقوله اشد تفصيا اي خروجا من صدور الرجال وفي معناه تفلتا من الابل في عقلها اي تخلصا من العقال وهو
الحبل الذي يربط به عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ
يقرا القران ثم ينساه الا لقي الله يوم القيامة اجذم اخرجه ابو داود الاجذم قيل هو مقطوع اليد وقيل
هو مقطوع الحجة وقيل هو الذي به جذام عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال عرضت علي اجور امتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت علي ذنوب امتي فلم ار فيها ذنبا اعظم
من سورة في القران او اية اوتيها رجل ثم نسيها اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب ق عن عبد
الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسافروا بالقران الى ارض العدو مخافة
ان يناله العدو اراد بالقران المصحف ولا يجوز حمله الى ارض العدو وهي بلاد الكفار للنهي الوارد ولو كتب كتابا
اليهم فيه اية من القران فلا باس بذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى هرقل ملك الروم قل
يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم عن عمران بن حصين انه مر على رجل يقرا ثم سال فاسترجع
ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا القران فليسال الله به فانه سيجيء اقوام
يقرؤون القران يسالون به الناس اخرجه الترمذي وقال ليس اسناده بالقوي عن عقبة بن عامر قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الجاهر بالقران كالجاهر بالصدقة والمسر بالقران كالمسر بالصدقة
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب الفصل الثالث في جمع القران وترتيب نزوله وفي كون
نزوله على سبعة احرف عن زيد بن ثابت قال بعث الي ابو بكر لمقتل اهل اليمامة وعنده عمر فقال ابو بكر ان عمر
جاءني فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القران واني اخشى ان يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب من
القران كثير واني ارى ان تامر بجمع القران قال قلت لعمر كيف افعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عمر والله خير فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر ورايت في ذلك

الذى

الذي راى عمر فقال ابو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فتتبع القران فاجمعه قال زيد فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال كان اثقل علي مما امرني به من جمع القران
فقلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر هو والله خير فلم يزل ابو بكر
يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح صدر ابي بكر وعمر ورايت في ذلك رايا قال فتتبعت القران
اجمعه من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت اخر سورة التوبة مع خزيمة او مع
ابي خزيمة الانصاري فلم اجدها مع احد غيره لقد جاءكم رسول من انفسكم خاتمة براءة فالحقتها في سورتها
قال فكانت الصحف عند ابي بكر حياته حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله ثم عند حفصة
بنت عمر قال بعض الرواة اللخاف يعني الخزف خ عن انس ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي
اهل الشام في فتح ارمينية واذربيجان مع اهل العراق فافزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة
لعثمان يا امير المومنين ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فارسل عثمان
الى حفصة ان ارسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك فارسلت بها اليه فامر زيد بن ثابت
وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم فنسخوها في المصاحف
وقال عثمان للرهط القرشيين اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القران فاكتبوه بلسان قريش فانما
نزل بلسانهم ففعلوا حتى نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وارسل الى كل افق بمصحف
مما نسخوا وامر بما سوى ذلك من القران في كل صحيفة او مصحف ان يحرق قال ابن شهاب واخبرني خارجة بن زيد
انه سمع من زيد بن ثابت يقول فقدت اية من سورة الاحزاب حين نسخت المصحف قد كنت سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقرا بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصاري من المومنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه فالحقناها في سورتها في المصحف قال في رواية ابن اليمان مع خزيمة بن ثابت الذي
جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين زاد في رواية قال ابن شهاب اختلفوا يومئذ في
التابوت فقال زيد التابوه وقال عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص التابوت فرفع اختلافهم الى عثمان
فقال اكتبوه التابوت فانه بلسان قريش شرح غريب الفاظ الاحاديث وما يتعلق بها قوله بعث
الي ابو بكر لمقتل اهل اليمامة اي لاوان قتلهم واراد به الوقعة التي كانت باليمامة في زمن ابي بكر الصديق
وهي وقعة الردة مع اصحاب الردة فقتل فيها خلق كثير من قراء القران واليمامة مدينة باليمن على يومين
من الطائف وهي على اربعة ايام من مكة ولها اعمال وهي في عداد ارض نجد قوله استحر القتل اي كثر واشتد
المكروه الحر والمحبوب البرد وشرح الصدر سعته وقبول الخير قوله فتتبعت القران اجمعه من الرقاع
جمع رقعة وهي ما يكتب فيها والعسب بضم العين والسين المهملتين جمع عسيب وهو جريد النخل وسعفه
واللخاف حجارة بيض رقاق واحدتها لخفة قوله يغازي اهل الشام في فتح ارمينية بكسر الهمزة
وتخفيف الياء الاخيرة سميت بارمين بن لنطى بن لومين بن يافث بن نوح وهو اول من نزل بها فسميت باسمه
واذربيجان بفتح الهمزة وسكون الذال وغير ذلك في ضبطها وقال ابن جني فيها خمس موانع من الصرف التعريف
والتانيث والعجمة والتركيب والالف والنون وهو موضع من بلاد العجم يشتمل على بلاد كثيرة قوله حتى
وجدت اخر سورة التوبة مع خزيمة او ابي خزيمة بن ثابت الانصاري وفي الحديث الاخر فقدت اخر
سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصاري من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه الاية فاعلم ان المذكور في الحديث الاول غير المذكور في الحديث الثاني فهما قضيتان فاما المذكور في

Copyright © King Saud University

في الحديث الاول فهو ابو خزيمة بن اوس بن يزيد بن اصرم بن ثعلبة بن عمرو بن مالك بن النجار الانصاري شهد بدرا
وما بعدها وتوفي في خلافة عثمان وهو الذي وجدت عنده اخر سورة التوبة كذا ذكره ابن عبد البر واما المذكور
في الحديث الثاني فهو ابو عمارة خزيمة بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الخطمي الاوسي الانصاري يعرف بذي الشهادتين
شهد بدرا وما بعدها وقتل يوم صفين مع علي بن ابي طالب قوله فقدت اية من سورة الاحزاب الى قوله
فوجدناها مع خزيمة معناه انه كان يتطلب نسخ القران من الاصل الذي كتب بامر النبي صلى الله عليه وسلم
وبين يديه فلم يجد تلك الاية الا مع خزيمة وليس فيه اثبات القران بخبر الواحد بقول الواحد لان زيدا
كان قد سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم موضعها من سورة الاحزاب بتعليم رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما صرح به الحديث قد كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بها وتتبعه
الرجال كان للاستظهار لا للاستحداث علم بان القران العظيم كان محفوظا عند زيد وغيره من الصحابة
فقد ثبت في الصحيح عن انس قال جمع القران على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة كلهم من
الانصار ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وابو زيد وزيد يعني ابن ثابت قلت لانس من ابو زيد قال
احد عمومتي اخرجاه في الصحيحين اسم ابي زيد سعد بن عبيد واخرج الترمذي من حديث ابن عمر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا القران من اربعة من ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن
جبل وسالم مولى ابي حذيفة قال الحديث حسن صحيح وتقدم حديث زيد بن ثابت وفيه ان استحر
القتل بقراء القران فثبت بمجموع هذه الاحاديث ان القران كان على هذا التاليف والجمع في زمن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانما ترك جمعه في مصحف واحد لان النسخ كان يرد على بعضه ويرفع الشي
بعد الشي من التلاوة كما كان ينسخ بعض احكامه فلم يجمع في مصحف واحد ثم لو رفع بعض تلاوته ادى
ذلك الى الاختلاف واختلاط امر الدين فحفظ الله كتابه في القلوب الى انقضاء زمن النسخ ثم وفق
لجمعه الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم وثبت بالدليل الصحيح ان الصحابة انما جمعوا القران
بين الدفتين كما انزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من غير ان زادوا فيه او نقصوا منه شيا
والذي حملهم على جمعه ما جا بينا في الحديث وهو انه كان مفرقا في العسب واللخاف وصدور الرجال
فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته ففزعوا الى خليفة رسول رب العالمين صلى الله عليه
وسلم ابي بكر فدعوه الى جمعه فراى في ذلك رايهم فامر بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم
فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ان قدموا او اخروا شيا او وضعوا له
ترتيبا لم ياخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن
اصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القران على الترتيب الذي هو الان في مصاحفنا بتوقيف جبريل
عليه السلام اياه على ذلك واعلامه عند نزول كل اية ان هذه الاية تكتب عقيب اية كذا في سورة
كذا فثبت ان سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه فان القران مكتوب في اللوح المحفوظ
على النحو الذي هو في مصاحفنا الان وقد صح في حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض
القران على جبريل في كل عام مرة في رمضان وانه عرضه في العام الذي توفي فيه مرتين ويقال ان
زيد بن ثابت شهد العرضة الاخيرة التي عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل وهي العرضة
التي نسخ فيها ما نسخ وبقي ما بقي ولهذا اقام ابو بكر زيد بن ثابت في كتابة الصحف والزمه بها لانه قرا
على النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفي فيه مرتين وكان جمع القران سببا لبقائه في الامة

رحمة

رحمة من الله تعالى لعباده وتحقيقا لوعده في حفظه على ما قال تعالى انا نزلنا الذكر وانا له لحافظون
واعلم ان الله تعالى نزل القران المجيد في اللوح المحفوظ جملة واحدة الى سما الدنيا في شهر رمضان
في ليلة القدر ثم كان ينزله مفرقا على لسان جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم مدة
رسالته نجوما عند الحاجة وحدوث ما يحدث على ما يشا الله تعالى وترتيب نزول القران غير ترتيبه
في التلاوة والمصحف فاما ترتيب نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاول ما نزل من القران
بمكة اقرا باسم ربك الذي خلق • ثم ن والقلم • ثم يا ايها المزمل • ثم المدثر • ثم تبت يدي ابي لهب • ثم اذا الشمس كورت • ثم سبح اسم ربك الاعلى • ثم والليل اذا يغشى • ثم والفجر • ثم الم نشرح • ثم والعصر • ثم والعاديات • ثم انا اعطيناك الكوثر • ثم ارايت • ثم قل يا ايها الكافرون • ثم الفيل • ثم قل هو الله احد • ثم والنجم • ثم عبس • ثم سورة القدر • ثم سورة البروج • ثم التين • ثم لايلاف قريش • ثم القارعة • ثم القيمة • ثم الهمزة • ثم المرسلات • ثم ق • ثم سورة البلد • ثم الطارق • ثم اقتربت الساعة • ثم ص • ثم الاعراف • ثم الجن • ثم يس • ثم الفرقان • ثم فاطر • ثم مريم • ثم طه • ثم الواقعة • ثم الشعرا • ثم النمل • ثم القصص • ثم بني اسرائيل • ثم يونس • ثم هود • ثم يوسف • ثم الحجر • ثم الانعام • ثم والصافات • ثم لقمان • ثم سبا • ثم الزمر • ثم المومن • ثم السجدة • ثم حم عسق • ثم الزخرف • ثم الدخان • ثم الجاثية • ثم الاحقاف • ثم الذاريات • ثم الغاشية • ثم الكهف • ثم النحل • ثم نوح • ثم ابراهيم • ثم الانبيا • ثم المومنون • ثم تنزيل السجدة • ثم الطور • ثم الملك • ثم الحاقة • ثم سال سائل • ثم عم يتساءلون • ثم النازعات • ثم اذا السماء انفطرت • ثم اذا السما انشقت • ثم الروم • ثم العنكبوت • واختلفوا في اخر ما نزل بمكة فقال ابن عباس العنكبوت وقال الضحاك وعطا المومنون وقال مجاهد ويل للمطففين فهذا ترتيب ما نزل من القران بمكة فتلك ثلاثة وثمانون سورة على ما استقرت عليه روايات الثقات • واما ما نزل بالمدينة فاحد وثلاثون سورة فاول ما نزل بالمدينة سورة البقرة • ثم الانفال • ثم ال عمران • ثم الاحزاب • ثم الممتحنة • ثم النسا • ثم اذا زلزلت الارض • ثم الحديد • ثم سورة محمد صلى الله عليه وسلم • ثم الرعد • ثم سورة الرحمن • ثم هل اتى على الانسان • ثم الطلاق • ثم لم يكن • ثم الحشر • ثم الفلق • ثم الناس • ثم اذا جا نصر الله والفتح • ثم النور • ثم الحج • ثم المنافقون • ثم المجادلة • ثم الحجرات • ثم التحريم • ثم الصف • ثم الجمعة • ثم التغابن • ثم الفتح • ثم التوبة • ثم المائدة • ومنهم من يعد المائدة قبل التوبة فهذا ترتيب ما نزل من القران بالمدينة واختلفوا في سور فقيل نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة وسنذكر ذلك في مواضعها ان شا الله تعالى

فصل في كون القران نزل على سبعة احرف وما قيل في ذلك

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرا سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرا على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت اساوره في الصلاة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من اقراك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها قال اقرانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقرانيها على غير ما قرات فانطلقت به اقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني سمعت هذا يقرا سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرا يا هشام فقرا عليه القراءة التي سمعته يقروها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرا يا عمر فقرات القراءة التي اقراني فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ان القران نزل على سبعة احرف فاقروا ما تيسر منه قوله فكدت اساوره
في الصلاة اي اواثبه واقاتله وهو في الصلاة والتربص التثبت قوله فلببته بردايه هو بتشديد
الباء الاولى معناه اخذت بمجامع ردايه في عنقه وجذبته ماخوذ من اللبة وفيه بيان ما كانوا عليه
من الاعتنا بالقران والذب عنه والمحافظة على لفظه كما سمعوه من غير عدول الى ما تجوزه العربية
واما امر النبي صلى الله عليه وسلم عمر بارساله فلانه لم يثبت عنده ما يقتضي تعزيره ولان عمر
انما نسبه الى المخالفة في القراءة والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم من جواز القراءة ووجوهها
ما لا يعلمه عمر ولانه اذا قرا وهو ملبب لا يتمكن من حضور القلب وتحقيق القراءة تمام تمكن المطلق
قوله ان هذا القران انزل على سبعة احرف فاقروا ما تيسر منه قال العلما سبب نزاله على سبعة
احرف التخفيف والتسهيل واختلفوا في المراد بسبعة احرف فقيل هو توسعة وتسهيل ولم تقصد
به الحصر وقال الاكثرون هو حصر العدد في سبعة احرف ثم قيل هي في سبع من المعاني كالوعد
والوعيد والمحكم والمتشابه والحلال والحرام والقصص والامثال والامر والنهي وقيل
هي في صورة التلاوة وكيفية النطق بكلمات القران من ادغام واظهار وتفخيم وترقيق
ومد وقصر وامالة لان العرب كانت مختلفة اللغات في هذه الوجوه فيسر الله تعالى عليهم
ليقرا كل انسان بما يوافق لغته ويسهل على لسانه وقال ابو عبيدة هي سبع لغات من لغات العرب
غيها ومعرها وهي افصح لغات العرب واعلاها وقيل هي لغة قريش وهوازن وهذيل واهل
اليمن وقيل السبعة كلها لمضر وحدها وهي متفرقة في القران العزيز غير مجتمعة في كلمة واحدة
وقيل بل هي مجتمعة في بعض الكلمات كقوله تعالى وعبد الطاغوت ونرتع ونلعب وباعد بين
اسفارنا وبعذاب بيس وقيل سبع قرات وهو الصحيح الموافق للحديث لان هذه السبعة ظهرت
واستفاضت عن النبي صلى الله عليه وسلم وضبطها عنه الصحابة واثبتها عثمان والجماعة في
المصاحف واخبروا بصحتها وحذفوا عنها ما لم يثبت متواترا وان هذه الاحرف تختلف معانيها
تارة والفاظها اخرى وليست متضادة ولا متنافية واما من قال ان المراد بالاحرف سبعة
معان مختلفة كالاحكام والامثال والقصص فخطا محض لان النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى جواز القراءة
بكل واحد من الحروف وابدال حرف بحرف وقد تقرر اجماع المسلمين انه يحرم ابدال اية امثال باية احكام وقول
من قال ان المراد خواتيم الاي فيجعل مكان غفور رحيم سميع عليم ففاسد ايضا وخطا للاجماع على
انه لا يجوز تغيير نظم القران والله اعلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اقراني جبريل على حرف فراجعته فزادني فلم ازل استزيده ويزيدني حتى انتهى
الى سبعة احرف معنى الحديث لم ازل اطلب من جبريل ان يطلب من الله عز وجل فيزيده حتى انتهى الى السبعة
عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرا قراءة انكرتها عليه ثم دخل
اخر فقرا قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت ان هذا قرا قراءة انكرتها عليه فدخل اخر فقرا سوى قراءة صاحبه فامرهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقرا فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شانهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ
كنت في الجاهلية فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا
وكانما انظر الى الله عز وجل فرقا فقال لي يا ابي ارسل الي ان اقرا على حرف واحد فرددت اليه ان هون

على

على امتي فرد في الثانية ان اقروه على حرفين فرددت عليه ان هون على امتي فرد في الثالثة ان اقروه
على سبعة احرف ولك بكل ردة رددتكها مسالة تسالنيها فقلت اللهم اغفر لامتي اللهم اغفر لامتي واخرت الثالثة
ليوم يرغب الي الناس كلهم حتى ابراهيم قوله فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية معناه وسوس
لي الشيطان تكذيبا للنبوة اشد مما كنت عليه في الجاهلية لانه كان في الجاهلية غافلا ومتشككا فوسوس
له الشيطان الجزم بالتكذيب وقيل معناه انه اعترته حيرة ودهشة ونزغ الشيطان في قلبه تكذيبا
لم يعتقده وهذه الخواطر اذا لم يستمر عليها الانسان لا يواخذ بها قوله ضرب في صدري ففضت عرقا قال
القاضي عياض ضربه صلى الله عليه وسلم تثبيتا له حين راه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم قوله وكانما
انظر الى الله تعالى فرقا الفرق بالتحريك الخوف والخشية والمعنى انه غشيه من الهيبة والخوف والعظمة حين
ضرب ما زال عنه ذلك الخاطر قوله تعالى ولك بكل ردة رددتكها مسالة تسالنيها معناه مسالة مجابة قطعا
واما باقي الدعوات فمرجو الاجابة وليست قطعية الاجابة والله اعلم روى البغوي بسنده عن ابن مسعود عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان القران نزل على سبعة احرف لكل اية منه ويروى لكل حرف منه ظهر
وبطن ولكل حد مطلع وقيل معناه الظهر ما حدث عن قوام انهم عصوا فعوقبوا فهو في الظاهر خبر وفي
الباطن عظة وقيل الظهر التلاوة باللسان كما انزل والبطن التدبر والتفهم والتفكر بالقلب فالتلاوة باللسان
تكون بالتعظيم والتلقين والتدبر والتفهم يكون بصدق النية وتعظيم الحرمة واخلاص العمل وطيب
الطعم من الحلال المحض قوله ولكل حد مطلع معناه مصعد يصعد اليه من معرفة علمه وقيل المطلع الفهم
وقد يفتح الله تعالى على المتدبر والمتفكر في القران العزيز من التاويل والمعاني ما لا يفتح على غيره وفوق
كل ذي علم عليم والله اعلم فصل في معنى التفسير والتاويل فاما التفسير فاصله في اللغة
من الفسر وهو كشف ما غطي وهو بيان المعاني المعقولة فكل ما يعرف به الشي ومعناه فهو تفسير وقد
يقال فيما يختص بمفردات الالفاظ وغريبها تفسير وقيل هو من التفسرة وهو الدليل الذي ينظر فيه الطبيب
فيكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن معنى الاية وشانها وقصتها واما التاويل فاشتقاقه
من الاول وهو الرجوع الى الاصل يقال اوله فال اي صرفته فانصرف وهو رد الشي الى الغاية والمراد
منه بيان غايته المقصودة منه فالتاويل بيان المعاني والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ الاية
والفرق بين التفسير والتاويل ان التفسير يتوقف على النقل المسموع والتاويل يتوقف على الفهم
الصحيح والله اعلم القول في الاستعاذة ولفظها المختار اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لموافقة
قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومعنى اعوذ بالله التجي اليه وامتنع به
مما اخشاه من عاذ يعوذ والشيطان اصله من شطن اي تباعد من الرحمة وقيل من شاط يشيط اذا هلك
واحترق غضبا والشيطان اسم لكل عاد عات من الجن والانس وشيطان الجن مخلوق من قوة النار فلذلك
فيه القوة الغضبية الرجيم فعيل بمعنى فاعل اي يرجم بالوسوسة والشر وقيل بمعنى مفعول اي مرجوم
بالشهب عند استراق السمع وقيل مرجوم بالعذاب وقيل مرجوم بمعنى مطرود عن الرحمة وعن الخيرات
وعن منازل الملا الاعلى واما حكم الاستعاذة ففيه مسايل المسالة الاولى تقول الجمهور ان الاستعاذة
سنة في الصلاة فلو تركها لم تبطل صلاته سوا تركها عمدا او سهوا ويستحب لقاري القران خارج الصلاة
ان يتعوذ ايضا وحكي عن عطا وجوبها سوا كانت في الصلاة او غيرها وقال ابن سيرين اذا تعوذ الرجل في
عمره مرة واحدة كفى في اسقاط الوجوب دليل الوجوب ظاهر قوله تعالى فاستعذ والامر للوجوب وان النبي

Copyright © King Saud University

صلى الله عليه وسلم واظب على التعوذ فيكون واجبا واجاب الجمهور بان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم الاعرابي الاستعاذة في جملة اعمال الصلاة وتاخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز واجيب عن قوله تعالى فاستعذ بان معناه عند جماهير العلماء اذا اردت القراءة فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا معناه اذا اردتم القيام الى الصلاة واجيب عن مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم بانه صلى الله عليه وسلم واظب على اشيا كثيرة من افعال الصلاة ليست بواجبة كتكبيرات الانتقالات والتسبيحات في الصلاة فكان التعوذ مثلها

المسئلة الثانية وقت الاستعاذة قبل القراءة عند الجمهور سوا في الصلاة او خارجها وحكي عن النخعي انه بعد القراءة وهو قول داود واحد الروايتين عن ابن سيرين حجة الجمهور ما روي عن ابي سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة بالليل كبر ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يقول الله اكبر كبيرا ثم يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه اخرجه الترمذي وقال هذا الحديث اشهر حديث في الباب وقد تكلم في بعض رجاله وقال احمد لا يصح ولابي داود والنسائي عن ابي سعيد نحوه وعن جبير ابن مطعم انه راى النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة قال عمرو لا ادري اي صلاة هي قال الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا والحمد لله كثيرا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة اخرجه ابو داود وقيل الموتة الجنون لان من جن فقد مات وقيل همزه هو الذي يوسوسه في الصلاة ونفخه هو الذي يلقيه من الشبه في الصلاة ليقطع عليه صلاته واحتج مخالف الجمهور بظاهر قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ واجيب عنه بما قدم وقال مالك لا يتعوذ في المكتوبة ويتعوذ في قيام رمضان بعد القراءة لنا ما تقدم من الادلة

المسئلة الثالثة المختار من لفظ الاستعاذة عند الشافعي اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبه قال ابو حنيفة لموافقته قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولحديث جبير بن مطعم وقال احمد الاولى ان يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم جمعا بين هذه الاية وبين قوله تعالى فاستعذ بالله انه هو السميع العليم وقال الثوري والاوزاعي الاولى ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وبالجملة فالاستعاذة تطهر القلب عن كل شي يشغل عن الله تعالى ومن لطائف الاستعاذة ان قوله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اقرار من العبد بالعجز والضعف واعتراف من العبد بقدرة الباري عز وجل وانه هو الغني القادر عن دفع جميع المضرات والافات واعتراف العبد ايضا بان الشيطان عدو مبين ففي الاستعاذة الالتجا الى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان الغوي الفاجر وانه لا يقدر على دفعه عن العبد الا الله تعالى والله اعلم

تفسير سورة الفاتحة وهي سبع ايات بالاتفاق وسبع وعشرون كلمة ومائة واربعون حرفا واختلف العلما في نزولها فقيل نزلت بمكة وهو قول اكثر العلما وقيل نزلت بالمدينة وهو قول مجاهد وقيل نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وسبب ذلك التنبيه على شرفها وفضلها ولها عدة اسما وكثرة الاسما تدل على شرف المسمى وفضله فاول ذلك فاتحة الكتاب سميت بذلك لانه يفتتح القران وبها تفتتح كتابة المصاحف وبها تفتتح الصلاة الثاني سورة الحمد سميت بذلك لانه فتتحها بالحمد لله الثالث ام القران وام الكتاب سميت بذلك لانها اصل القران وام كل شي اصله وقيل هي امام لما يتلوها من السور الرابع السبع المثاني سميت بذلك لانها تثنى في الصلاة ويقرا بها في كل ركعة وقيل لان الله تعالى استثناها لهذه الامة وذخرها

لهم

لهم لم ينزلها على غيرهم وقيل لانها انزلت مرتين الخامس الوافية سميت بذلك لانها لا تنقسم في القراءة في الصلاة كما ينقسم غيرها من السور السادس الكافية سميت بذلك لانها تكفي عن غيرها في الصلاة ولا تكفي عنها غيرها

فصل في ذكر فضلها خ عن ابي سعيد بن المعلى قال كنت اصلي فقال الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم قال لي الا اعلمك سورة هي اعظم السور في القران قبل ان تخرج من المسجد ثم اخذ بيدي فلما اراد ان يخرج قلت له الم تقل لاعلمنك سورة هي اعظم سورة في القران قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته ورواه مالك في الموطا عنه وقيل فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم نادى ابي بن كعب وهو يصلي وذكر نحوه وفيه حتى تعلم سورة ما انزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور مثلها ورواه الترمذي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابي وهو يصلي وذكر نحو رواية الموطا وقال فيه حديث حسن صحيح عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله في التوراة ولا في الانجيل مثل ام القران وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال اخرجه الترمذي والنسائي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ام القران وام الكتاب والسبع المثاني اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح م عن ابن عباس قال بينما جبريل قاعد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع راسه فقال هذا باب من السما فتح اليوم ولم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرا بحرف منهما الا اعطيته قوله سمع نقيضا هو بالقاف والضاد المعجمة اي صوتا كصوت فتح الباب م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرا فيها بام القران فهي خداج هي خداج غير تمام قال فقلت يا ابا هريرة انا احيانا نكون وراء الامام فغمز ذراعي وقال اقرا بها في نفسك يا فارسي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سال فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي وقال مرة فوض الي عبدي فاذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سال قوله فهي خداج اي ناقصة فغمز ذراعي اي كبس ساعدي بيده قوله قسمت الصلاة اي اراد بالصلاة هنا القراءة لانه تتم بها ولان القراءة جزء من اجزائها قوله نصفين حقيقة هذه القسمة التي جعلها بينه وبين عبده راجعة الى المعنى لا الى اللفظ لان هذه السورة من جهة المعنى نصفها ثنا ونصفها مسئلة ودعا وقسم الثنا انتهى عند قوله تعالى اياك نعبد وقوله واياك نستعين من قسم الدعا ولهذا قال هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال قوله تعالى حمدني عبدي ومجدني اي اثنى علي لان الحمد هو الثنا بجميل الفعال والتمجيد الثنا بصفات الجلال وقيل التمجيد التعظيم قوله وربما قال فوض الي عبدي وجه مطابقة هذا لقوله مالك يوم الدين يقال فلان فوض امره الى فلان اذا رده اليه وعول فيه عليه وفي الحديث دليل على وجوب قراءة الفاتحة وانها متعينة وهو مذهب الشافعي وجماعة وستاتي هذه المسئلة ان شا الله تعالى بعد ذكر تفسير الفاتحة والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم الباء في بسم الله حرف خافض يخفض ما بعده مثل من وعن والمتعلق به مضمر محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره

Copyright © King Saud University

الباء بسم الله او ببسم الله ابدأ او اقرأ وانما طولت الباء في بسم الله واسقطت الالف طلبا للخفة وقيل لما اسقطوا
الالف ارادوا ان يطولوا الباء ليدل طولها على الالف المحذوفة واثبتت الالف في قوله تعالى فسبح باسم ربك
العظيم لقلة استعماله وقيل انما طولوا الباء لانهم ارادوا ان يستفتحوا كتاب الله بحرف معظم وقيل الباء
حرف منخفض الصورة فلما اتصلت ببسم الله ارتفعت واستعملت وقيل ان عمر بن عبد العزيز كان يقول
لكتابه طولوا الباء من بسم الله واظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله عز وجل والاسم هو المسمى
عينه وذاته قال الله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ثم نادى الاسم فقال يا يحيى وقال سبح اسم
ربك وتبارك اسم ربك وهذا القول ليس بقوي والصحيح المختار ان الاسم غير المسمى وغير التسمية فالاسم
ما تعرف به ذات الشيء وذلك لان الاسم هو الاصوات المقطعة والحروف المؤلفة الدالة على ذات ذلك
الشيء المسمى به فثبت بهذا ان الاسم غير المسمى وايضا قد تكون الاسماء كثيرة والمسمى واحد كقوله تعالى
ولله الاسماء الحسنى وقد يكون الاسم واحدا والمسميات به كثيرة كالاسماء المشتركة وذلك يوجب
المغايرة وايضا فقوله فادعوه بها امر ان يدعى الله تعالى باسمائه فالاسم آلة الدعاء والمدعو هو الله تعالى
فالمغايرة حاصلة بين ذات المدعو وبين اللفظ المدعو به واجيب عن قوله تعالى انا نبشرك
بغلام اسمه يحيى بان المراد ذات الشخص المعبر عنه بيحيى لا نفس الاسم واجيب عن قوله تعالى
فسبح باسم ربك وتبارك اسم ربك بان معنى هذه الالفاظ الاسم الى الله تعالى واضافة الشيء الى نفسه
محال وقيل كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى عن النقص فكذلك يجب تنزيه اسمائه وكون الاسم
غير التسمية هو ان التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف ذات الشيء فالاسم عبارة عن تلك
اللفظة المعينة والفرق ظاهر واختلفوا في اشتقاق الاسم فقال البصريون من السمو وهو العلو
فاسم الشيء ما علاه حتى ظهر به وعلا عليه فكانه علا على معناه وصار علما وقال الكوفيون من السمة
وهي العلامة فكان علامة المسماة وحجة البصريين لو كان اشتقاقه من السمة لكان تصغيره وسيم
وجمعه اوسام واجمعوا على ان تصغيره سمي وجمعه اسماء واسامي الله هو اسم علم خاص لله تعالى تفرد
به البارى سبحانه وتعالى ليس بمشتق ولا يشركه فيه احد وهو الصحيح المختار دليله قوله تعالى هل
تعلم له سميا يعني لا يقال لغير الله وقيل مشتق من اله يأله الاهة مثل عبد الرجل يعبد عبادة دليله
ويذرك والهتك اي وعبادتك ومعناه المستحق للعبادة دون غيره وقيل من الوله اي الفزع لان
الخلق يولهون اليه اي يفزعون اليه في حوائجهم قال بعضهم • ولهت اليكم في بلايا تنوبني • فالفيتكم
فيها كرايم محتد • وقيل اصله اله يقال الهت الى فلان اي سكنت اليه فكان الخلق يسكنون اليه ويطمئنون
بذكره وقيل اصله ولاه فابدلت الواو همزة سمي بذلك لان كل مخلوق واله نحوه اما بالتسخير او بالارادة
ومن هذا قيل الله محجوب كل الاشياء بل عليه وان من شيء الا يسبح بحمده ومن خصايص هذا الاسم
انك اذا حذفت منه شيئا بقي الباقي يدل عليه فان حذفت الالف بقي لله وان حذفت اللام واثبتت
الالف بقي اله وان حذفتهما بقي له وان حذفت الالف واللامين بقي هو والواو عوض عن الضمة
وذهب بعضهم الى ان هذا الاسم هو الاسم الاعظم لانه يدل على الذات وباقي الاسماء تدل على الصفات
الرحمن الرحيم قال ابن عباس هما اسمان رقيقان احدهما ارق من الآخر وقيل هما بمعنى مثل ندمان ونديم
ومعناهما ذو الرحمة وانما جمع بينهما للتأكيد وقيل ذكر احدهما بعد الآخر تطميعا لقلوب الراغبين اليه
وقيل الرحمن فيه معنى العموم والرحيم فيه الخصوص فالرحمن بمعنى الرزاق في الدنيا وهو على العموم

لكافة

لكافة الخلق المؤمن والكافر والرحيم بمعنى العفو والكافي للمؤمنين في الآخرة فهو على الخصوص ولذلك قيل رحمن
الدنيا ورحيم الآخرة ورحمة الله ارادة الخير والاحسان لاهله وقيل هي ترك عقوبة من يستحق العقاب واسداء
الخير والاحسان الى من لا يستحق فهو على الاول صفة ذات وعلى الثاني صفة فعل وقيل الرحمن بكشف
الكروب والرحيم بغفر الذنوب وقيل الرحمن بتبيين الطريق والرحيم بالعصمة والتوفيق **فصل**
في حكم البسملة وفيه مسئلتان الاولى في كون البسملة من الفاتحة وغيرها من السور سوى سورة براءة اختلف
العلماء في ذلك فذهب الشافعي وجماعة من العلماء الى انها آية من الفاتحة ومن كل سورة ذكرت في اولها سوى
سورة براءة وهو قول ابن عباس وابن عمر وابي هريرة وسعيد بن جبير وعطاء وابن المبارك واحمد في احد الروايتين
عنه واسحاق ونقل البيهقي هذا القول عن علي بن ابي طالب والزهري والثوري ومحمد بن كعب وذهب
الاوزاعي ومالك وابو حنيفة ان البسملة ليست آية من الفاتحة زاد ابو داود ولا من غيرها من السور وانما
هي بعض آية في سورة النمل وانما كتبت للفصل والتبرك قال مالك ولا يستفتح بها في الصلاة المفروضة
وللشافعي قول انها ليست من اوائل السور مع القطع بانها من الفاتحة فاما حجة من منع كون البسملة آية
من الفاتحة ومن غيرها فحديث انس المشهور المخرج في الصحيحين وحديث عائشة قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين ولان اول ما نزل به
جبريل اقرأ باسم ربك الذي خلق ولم يذكر البسملة اولها فدل على انها ليست منها قالوا ولان محل القرآن
لا يثبت الا بالتواتر والاستفاضة ولان الصحابة اجمعوا على عدد كثير من السور منها سورة الملك
ثلاثون آية وسورة الكوثر ثلاث آيات وسورة الاخلاص اربع آيات فلو كانت البسملة منها لكانت خمسا
واما حجة من ذهب الى اثباتها في اوائل السور من جهة النقل فقد صح عن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قرأ البسملة في اول الفاتحة في الصلاة وعدها آية منها وعن ابن عباس في قوله ولقد آتيناك سبعا
من المثاني والقرآن العظيم قال هي فاتحة الكتاب قال فاين السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم اخرجها
ابن خزيمة وروي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم فصل السورة وفي رواية انقضاء
السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم اخرجه ابو داود والحاكم ابو عبد الله في مستدركه وقال فيه انه صحيح
على شرط الشيخين وروى الدارقطني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأتم الحمد لله
فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم فانها ام القرآن وام الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها
قال الدارقطني رجال اسناده كلهم ثقات وروي موقوفا وروى الدارقطني عن ام سلمة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يقول بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى آخرها قطعها آية
آية وعدها عد الاعراب وعد بسم الله الرحمن الرحيم آية ولم يعد عليهم واخرج مسلم في افراده عن انس
قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك
يا رسول الله قال نزلت علي آنفا سورة فقرأ انا اعطيناك الكوثر الحديث فاما الشبهة التي احتج
ما احتج به اصحابنا في ان بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن وانها من فواتح السور سوى سورة براءة ما روينا ٢٠
في جمع الصحابة كتاب الله عز وجل في المصاحف وانهم كتبوا فيها بسم الله الرحمن الرحيم على راس كل سورة
سوى سورة براءة فكيف يتوهم متوهم انهم كتبوا فيها مائة وثلاثة عشر آية ليست من القرآن قال
وقد علمنا بالروايات الصحيحة عن ابن عباس انه كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة
وروى الشافعي بسنده عن ابن عمر انه كان لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم لام القرآن والسورة التي

بسم الله الرحمن الرحيم

Copyright © King Saud University

بعدها زاد غيره عنه انه كان يقول ما كتب في المصحف لم تقرا وروى الشافعي عن ابن عباس انه كان
يفعله ويقول انتزع الشيطان منهم خراية في القران وفي افراد البخاري من حديث انس انه سئل
كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم
يمد الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم فقد ثبت بهذه الادلة الصحيحة الواضحة ان البسملة من الفاتحة
ومن كل موضع ذكرت فيه وايضا فاجمعوا الصحابة على اثباتها في المصاحف وانهم طلبوا بكتابة
المصاحف تجريد كلام الله عز وجل المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قرانا وتدوينه من ان
يزيدوا فيها او ينقصوا منه ولهذا لم يكتبوا فيه لفظة امين وان كان قد ورد انه كان يقولها
بعد الفاتحة فلو لم تكن البسملة من القران في اول السور لما كتبوها وكان حكمها حكم امين **المسئلة**
الثانية في حكم الجهر بالبسملة والاسرار اذا ثبت بما تقدم من الادلة ان البسملة اية من الفاتحة
ومن غيرها من السور فيجهر بها مع الفاتحة في الصلاة الجهرية ويسر بها مع الفاتحة في الصلاة السرية
وممن قال بالجهر من الصحابة ابو هريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومن التابعين فمن بعدهم
سعيد بن جبير وابو قلابة والزهري وعكرمة وعطاء وطاوس ومجاهد وعلي بن الحسين وسالم بن
عبد الله ومحمد بن كعب القرظي وابن سيرين وابن المنكدر ونافع مولى ابن عمر وزيد بن اسلم ومكحول
وعمر بن عبد العزيز وعمرو بن دينار ومسلم بن خالد واليه ذهب الشافعي واحد قولي ابن وهب صاحب
مالك ويحكى ايضا عن ابن المبارك وابي ثور وممن ذهب الى الاسرار بها من الصحابة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي
وابن مسعود وعمار بن ياسر وابن معقل وغيرهم ومن التابعين فمن بعدهم الحسن والشعبي وابراهيم
النخعي وقتادة والاعمش والثوري واليه ذهب مالك وابو حنيفة واحمد وغيرهم احتجة من قال بالجهر
فقد روى جماعة من الصحابة منهم ابو هريرة وابن عباس وانس وعلي بن ابي طالب وسمرة بن جندب وام سلمة
ان النبي صلى الله عليه وسلم جهر بالبسملة فمنهم من صرح بذلك ومنهم من فهم ذلك من عبارته ولم يرد
في صريح الاسرار بها عن النبي صلى الله عليه وسلم الا روايتان احدهما ضعيفة وهي رواية عبد الله بن
معقل والاخرى عن انس وهي في الصحيح وهي معللة بما اوجب سقوط الاحتجاج بها وروى نعيم
ابن عبد الله المجمر قال صليت وراء ابي هريرة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرا بام القران وذكر الحديث
وفيه ثم يقول اذا سلم اني لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه النسائي
وابن خزيمة في صحيحه وقال اما الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فقد ثبت وصح عن النبي صلى الله عليه
وسلم وروى الدارقطني بسنده عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا وهو
يوم الناس افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجه الدارقطني ليس في روايته مجروح واخرجه الحاكم
ابو عبد الله وقال اسناده صحيح وليس له علة وفي رواية عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجه الدارقطني وقال صحيح ليس في
اسناده مجروح واخرجه الترمذي وقال ليس اسناده بذاك قال الشيخ ابو شامة في الحمائل
اسناده ما في الصحيح ولكن اذا انضم اليها ما تقدم من الادلة رجح على ما في الصحيح وعن انس قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجه الدارقطني
وقال اسناده صحيح وفيه عن محمد بن ابي السري العسقلاني قال صليت خلف المعتمر بن سليمان
ما لا احصي صلاة الصبح والمغرب فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها

وسمعت

وسمعت المعتمر يقول ما الوي ان اقتدي بصلاة انس بن مالك وقال انس بن مالك ما الوي ان اقتدي
بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الدارقطني وقال كلهم ثقات واخرجه الحاكم ابو عبد الله وقال
رواة هذا الحديث عن اخرهم كلهم ثقات قلت وفي الباب احاديث وادلة وايرادات واجوبة من الجانبين
يطول ذكرها وفي هذا القدر كفاية وبالله التوفيق قوله عز وجل **الحمد لله** لفظة خبر كانه سبحانه
وتعالى يخبر ان المستحق للحمد هو الله تعالى ومعناه الامر اي قولوا الحمد لله وفيه تعليم الخلق كيف يحمدونه
والحمد والمدح اخوان وقيل بينهما فرق وهو ان المدح قد يكون للاحسان وبعده والحمد لا يكون الا بعد
الاحسان وقيل المدح قد يكون منهيا عنه واما الحمد فمامور به والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون
بمعنى الثناء بجميل الافعال تقول حمدت الرجل على علمه وكرمه والشكر لا يكون الا على النعمة فالحمد اعم من
الشكر اذ لا تقول شكرت فلانا على علمه فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامدا وقيل الحمد باللسان قولا والشكر
بالاركان فعلا والحمد ضد الذم واللام في لله لام الاستحقاق كقولك الدار لزيد يعني انه المستحق للحمد
لانه المحسن المتفضل على كافة الخلق على الاطلاق **رب العالمين** بمعنى المالك كما يقال رب الدار ورب
الشيء اي مالكه ويكون بمعنى التربية والاصلاح يقال رب فلان الضيعة يربها اذا اصلحها فالله تعالى
مالك العالمين ومربيهم ومصلحهم ولا يقال الرب للمخلوق معرفا بل يقال رب الشيء مضافا والعالمين جمع
عالم لا واحد له من لفظه وهو اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه جميع الخلق وقال ابن عباس
هم الجن والانس لانهم المكلفون بالخطاب وقيل العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والجن والانس ولا يقال
للبهائم عالم لانها لا تعقل واختلف في مبلغ عددهم فقيل لله الف عالم ستمائة عالم في البحر واربعمائة في البر
وقيل ثمانون الف عالم اربعون الفا في البر ومثلهم في البحر وقيل ثمانية عشر الف عالم الدنيا منها عالم
واحد وما العمران في الخراب الا كفسطاط في صحراء الفسطاط الخيمة واشتقاق العالم من العلم وقيل من
العلامة وانما سمي بذلك لانه دال على الخالق سبحانه وتعالى **الرحمن الرحيم** فالرحمن هو المنعم بما لا يتصور
صدور تلك النعمة من العباد والرحيم هو المنعم بما يتصور صدور تلك النعمة من العباد فلا يقال لغير الله رحمن
ويقال لغيره من العباد رحيم **فان قلت** قد سمي مسيلمة الكذاب برحمن اليمامة
وهو قول شاعرهم فيه وانت غيث الورى ما زلت رحمانا **قلت** هو من باب تعنتهم في
كفرهم ومبالغتهم في مدح صاحبهم فلا يلتفت الى قولهم هذا **فان قلت** قد ذكر الرحمن
الرحيم في البسملة فما فائدة تكريره هنا مرة ثانية **قلت** ليعلم ان العناية بالرحمة اكثر
من غيرها من الامور وان الحاجة اليها اكثر فنبه سبحانه وتعالى بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها وانه هو
المتفضل على خلقه قوله تعالى **مالك يوم الدين** يعني انه تعالى صاحب ذلك اليوم الذي يكون فيه الجزاء
والملك هو المتصرف بالامر والنهي وقيل هو القادر على اختراع الاعيان من العدم الى الوجود ولا يقدر
على ذلك الا الله تعالى وقيل ملك اوسع من مالك لانه يقال مالك العبد والدابة ولا يقال ملك هذه
الاشياء ولانه لا يكون ملكا للشيء الا وهو يملكه وقد يكون مالكا للشيء ولا يملكه وقيل مالك اولى لان كل
ملك مالك وليس كل مالك ملكا وقيل هما بمعنى واحد كفرهين وفارهين قال ابن عباس مالك يوم
الدين قاضي يوم الحساب وقيل الدين الجزاء يقع على الخير والشر يقال كما تدين تدان وقيل هو يوم لا ينفع
فيه الا الدين وقيل الدين القهر يقال دنته فدان اي قهرته فذل **فان قلت**
لم خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للايام كلها **قلت** لان ملك الاملاك يومئذ

Copyright © King Saud University

زايلة فلا ملك ولا امر يوميذ الا لله تعالى كما قال تعالى الملك يوميذ الحق للرحمن وقال لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار وقد يسمى في دار الدنيا احاد الناس بالملك وذلك على المجاز لا على الحقيقة قوله تعالى اياك نعبد رجع
من الخبر الى الخطاب وفايدة ذلك من اول السورة الى هنا ثنا والثنا في الغيبة اولى من قوله اياك نعبد دعا والخطاب
في الدعا اولى وقيل فيه ضمير اي قولوا اياك نعبد والمعنى اياك نخص بالعبادة ونوحدك ونطيعك خاضعين
لك والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل وسمي العبد عبدا لذلته وانقياده وقيل العبادة عبارة عن الفعل
الذي يودى به الفرض لتعظيم الله تعالى فقول العبد اياك نعبد معناه لا اعبد احدا سواك والعبادة غاية
التذلل من العبد ونهاية التعظيم للرب سبحانه لانه العظيم المستحق للعبادة ولا تستعمل العبادة الا في
الخضوع لله تعالى لانه مولى اعظم النعم وهي ايجاد العبد من العدم الى الوجود ثم هداه الى دينه فكان العبد
حقيقا بالخضوع والتذلل له واياك نستعين اي منك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع امورنا
فان قلت الاستعانة على العمل انما تكون قبل الشروع فيه فلم اخر الاستعانة على
العبادة وما الحكمة فيه **قلت** ذكروا فيه وجوها احدها ان هذا يلزم من يجعل الاستطاعة
قبل الفعل ونحن بحمد الله نجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل فلا فرق بين التقديم والتاخير الثاني
ان الاستعانة نوع تعبد فكانه ذكر جملة العبادة اولا ثم ذكر ما هو من تفاصيلها ثانيا الثالث
كان العبد يقول شرعت في العبادة فانا استعين بك على تمامها فلا يمنعني من تمامها مانع الرابع
ان العبد اذا قال اياك نعبد حصل له العجب وذلك منزلة عظيمة فيحصل بسبب ذلك العجب فاردف
ذلك بقوله واياك نستعين ليزول ذلك العجب الحاصل بسبب تلك العبادة اهدنا الصراط
المستقيم اي ارشدنا وقيل ثبتنا وهو كما تقول للقايم قم حتى اعود اليك ومعناه دم على ما انت
عليه وهذا الدعا من المومنين مع كونهم على الهداية بمعنى سوال التثبت وطلب مزيد الهداية
لان الالطاف والهدايات من الله لا تتناهى وهذا مذهب اهل السنة والصراط الطريق قال جرير
امير المومنين على صراط اذا اعوج الموارد مستقيم اي على طريقة حسنة قال ابن عباس هو دين
الاسلام وقيل هو القران وروي ذلك مرفوعا وقيل السنة والجماعة وقيل معناه اهدنا صراط المستحقين
للجنة صراط الذين انعمت عليهم هذا بدل من الاول اي الذين مننت عليهم بالهداية والتوفيق وهم الانبيا
والمومنون الذين ذكرهم الله في قوله اوليك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا
والصالحين وقال ابن عباس هم قوم موسى وعيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا وقيل هم اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم واهل بيته غير المغضوب عليهم يعني غير صراط الذين غضبت عليهم والغضب في الاصل
هو فوران دم القلب ارادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الغضب فانه جمرة
توقد في قلب ابن ادم الم تر الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه واذا وصف الله به فالمراد منه الانتقام فقط
دون غيره وهو انتقامه من العصاة وغضب الله لا يلحق عصاة المومنين وانما يلحق الكافرين ولا الضالين
اي وغير الضالين عن الهدى واصل الضلال الغيبوبة والهلاك يقال ضل الما في اللبن اذا غاب فيه
وهلك وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى عن عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه
وسلم اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال اخرجه الترمذي وذلك لان الله تعالى حكم على اليهود بالغضب
فقال من لعنه الله وغضب عليه وحكم على النصارى بالضلال فقال ولا تتبعوا اهوا قوم قد ضلوا من
قبل وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة والله اعلم **فصل** في امين

وحكم

وحكم الفاتحة وفيه مسيلتان الاولى السنة للقاري بعد فراغه من الفاتحة ان يقول امين
مفصولا عنها بسكتة وهو مخفف وفيه لغتان المد والقصر قال في المد ويرحم الله عبدا قال امين
وقال في القصر امين وزاد الله ما بيننا بعدا ومعنى امين اللهم اسمع واستجب وقال ابن عباس
معناه كذلك يكون وقيل هو اسم من اسما الله وقيل هو خاتم الله على عباده يدفع به عنهم الاثام
(ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا امن الامام فامنوا فانه من وافق
تامينه تامين الملايكة غفر له ما تقدم من ذنبه قال ابن شهاب وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول امين وفي رواية للبخاري ان الامام اذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا امين
فان الملايكة تقول امين فمن وافق تامينه تامين الملايكة غفر له ما تقدم من ذنبه قوله فمن وافق
تامينه تامين الملايكة معناه وافقهم في وقت التامين فامن مع تامينهم وقيل وافقهم في الصفة
والخشوع والاخلاص والقول الاول هو الصحيح واختلفوا في هولا الملايكة فقيل هم الحفظة وقيل
غيرهم من الملايكة قوله غفر له ما تقدم من ذنبه يعني تغفر له الذنوب الصغاير دون الكباير وقول ابن
شهاب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول امين معناه صيغة تامينه صلى الله عليه وسلم
المسيلة الثانية في حكم الفاتحة اختلف العلما في وجوب قراة الفاتحة فذهب مالك والشافعي
واحمد وجمهور العلما الى وجوب الفاتحة وانها متعينة في الصلاة ولا تجزي الا بها واحتجوا بما روى عبادة
ابن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب اخرجاه
في الصحيحين وبحديث ابي هريرة من صلى صلاة لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج ثلاثا
غير تمام الحديث وقد تقدم في فضل سورة الفاتحة وذهب ابو حنيفة الى ان الفاتحة لا تتعين على
المصلي بل الواجب عليه قراة اية من القران طويلة او ثلاث ايات قصار واحتج بقوله تعالى فاقروا ما تيسر
منه وبقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابي المسي صلاته ثم اقرا ما تيسر معك من القران اخرجاه
في الصحيحين دليل الجمهور ما تقدم من الاحاديث فان قيل المراد من الحديث لا صلاة كاملة **قلت**
هذا خلاف ظاهر لفظ الحديث ومما يدل عليه حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تجزي صلاة لمن لا يقرا فيها بفاتحة الكتاب اخرجه الدارقطني وقال اسناده صحيح وعنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم امره ان يخرج فينادي لا صلاة الا بفاتحة الكتاب فما زاد اخرجه ابو داود واجيب
عن حديث الاعرابي بانه محمول على الفاتحة فانها متيسرة او على ما زاد على الفاتحة او على العاجز عن قراة
الفاتحة والله اعلم تفسير سورة البقرة قال ابن عباس هي اول ما نزل بالمدينة قيل سوى اية
وهي قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فانها نزلت يوم النحر بمكة في حجة الوداع وهي مايتان
وست وقيل سبع وثمانون اية وستة الاف ومية واحدى وعشرون كلمة وخمسة وعشرون الف حرف
فصل في فضلها (م) عن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقروا القران فانه ياتي
يوم القيامة شفيعا لاصحابه اقروا الزهراوين البقرة وال عمران فانهما ياتيان يوم القيامة كانهما غمامتان
او غيايتان او كانهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما اقروا البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة
ولا تستطيعها البطلة قال معاوية بن سلام بلغني ان البطلة السحرة قوله اقروا الزهراوين سميتا
بذلك لنورهما يقال لكل مستنير زاهر قوله كانهما غمامتان او غيايتان قال اهل اللغة الغمامة والغياية
كل شي اظل الانسان فوق راسه من سحابة وغيرها والمعنى ان ثوابهما ياتي كغمامتين قوله فرقان

Copyright © King Saud University

من طير صواف الفرق الجماعة من الطير والصواف جمع صافة وهي التي تصفح اجنحتها عند الطيران المحاجة المجادلة والمخاصمة والظاهر
الحجة والبطلة السحرة كما جا في الحديث مبينا يقال ابطل اذا جا بالباطل و في الحديث دليل على جواز قول سورة البقرة
وسورة ال عمران وكذا باقي السور ولانه لا كراهة في ذلك وكرهه بعض المتقدمين وقال انما يقال السورة التي يذكر
فيها البقرة وكذا باقي السور والصواب هو الاول وبه قال الجمهور لورود النص عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم مقابر ان الشيطان يفر من البيت الذي تقرا فيه سورة البقرة وعنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شي سنام وان سنام القران سورة البقرة وفيها اية هي سيدة اي
القران اية الكرسي اخرجه الترمذي وقال حديث غريب بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم قيل ان
حروف التهجي في اوايل السور من المتشابه الذي استاثر الله بعلمه وهي سر الله في القران فنحن نؤمن بظاهرها ونكل
العلم فيها الى الله تعالى وفايدة ذكرها طلب الايمان بها قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه في كل كتاب سر وسر
الله في القران اوايل السور وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة الله هذا
الكتاب حروف التهجي واورد على هذا القول بانه لا يجوز ان يخاطب الله عباده بما لا يعلمون واجيب
عنه بانه لا يجوز ان يكلف عباده بما لا يعقل معناه كرمي الجمار فانه مما لا يعقل معناه والحكمة فيه هو كمال الانقياد والطاعة
فكذلك هذه الحروف فيجب الايمان بها ولا يلزم البحث عنها وقال الاخرون من اهل العلم هي معروفة المعاني ثم
اختلفوا فيها فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من اسما الله تعالى فالالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف
والميم مفتاح اسمه مجيد وقيل الالف الا الله واللام لطفه والميم ملكه ويعيد هذا ان العرب تذكر حرفا من كلمة
تريد كلها قال الراجز • قلت لها قفي فقالت قاف • لا تحسبي انا نسينا الايجاف • قولها قاف اي وقفت
فاكتفت بحرف الكلمة عن كلها واراد لا تحسبي انا نسينا الاسراع في السير قال ابن عباس الم انا الله اعلم وقيل هي اسما الله
مقطعة لو علم الناس تاليفها لعلموا اسم الله الاعظم الا ترى انك تقول الر • وحم • ون • فيكون مجموعها
الرحمن وكذلك سايرها ولذلك من يحسن تاليفها جميعا وقيل اسما السور وبه قال جماعة من المحققين وقال
ابن عباس هي اقسام قيل اقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لانها مبادي كتبه المنزلة واسمايه الحسنى
وصفاته العليا وانما اقتصر على بعضها وان كان المراد كلها فهو كما تقول قرات الحمد لله وتريد
انك قرات السورة بكمالها فانه تعالى اقسم بهذه الحروف ان هذا الكتاب هو الكتاب المثبت في اللوح
المحفوظ وقيل ان الله تعالى لما تحداهم بقوله فاتوا بسورة من مثله بعشر سور مثله فعجزوا عنه
انزل هذه الاحرف ومعناه ان القران ليس هو الا من هذه الاحرف وانتم قادرون عليها وكان
يجب ان تاتوا بمثله فلما عجزتم عنه دل ذلك على انه من عند الله لا من عند البشر وقيل انهم اعرضوا عن
سماع القران فاراد الله صلاح بعضهم انزل هذه الاحرف فكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين
اسمعوا الى ما يجي به محمد صلى الله عليه وسلم فاذا اصغوا اليه وسمعوه رسخ في قلوبهم فكان ذلك
سببا لايمانهم وقيل ان الله تعالى حير عقول الخلق في ابتدا خطابه ليعلموا ان لا سبيل لاحد الى معرفة
خطابه الا باعترافهم بالعجز عن معرفة كنه حقيقة خطابه واعلم ان مجموع الاحرف المنزلة في اوايل
السور اربعة عشر حرفا في تسع وعشرين سورة وهي الالف • واللام • والميم • والصاد • والرا • والكاف •
والها • واليا • والعين • والطا • والسين • والحا • والقاف • والنون • وهي نصف حروف المعجم
وسياتي الكلام على باقيها في مواضعها ان شا الله تعالى وقوله تعالى ذلك الكتاب اي هذا الكتاب
هو القران وقيل فيه اضمار والمعنى هذا الكتاب الذي وعدتك به وكان الله قد وعد نبيه

صلى

صلى الله عليه وسلم ينزل عليه كتابا لا يمحوه الما ولا يخلق على كثرة الرد فلما انزل القران قال هذا ذلك الكتاب
الذي وعدتك به وقيل ان الله وعد بني اسرايل ان ينزل كتابا ويرسل رسولا من بني اسماعيل فلما هاجر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المدينة وبها من اليهود خلق كثير انزل الله هذه الاية الم ذلك الكتاب اي هذا الكتاب
الذي وعدت به على لسان موسى ان انزله على النبي الذي من ولد اسماعيل والكتاب مصدر بمعنى المكتوب
واصله الضم والجمع ومنه يقال للجند كتيبة لاجتماعها وسمي الكتاب كتابا لانه يجمع الحروف بعضها الى بعض
والكتاب اسم من اسما القران لا ريب فيه اي لا شك فيه انه من عند الله وانه الحق والصدق وقيل هو خبر بمعنى النهي
اي لا ترتابوا فيه **فان قلت** قد ارتاب به قوم فما معنى لا ريب فيه **قلت** معناه
انه في نفسه حق وصدق فمن حقق النظر عرف حقيقته ذلك هدى للمتقين الهدى عبارة عن الدلالة وقيل
هي دلالة تلطف وقيل الهداية الارشاد والمعنى هو هدى للمتقين وقيل هو هاد لا ريب في هدايته
والمتقي اسم فاعل من وقاه فاتقى والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف وقيل التقوى في عرف الشرع
حفظ النفس مما يوثم وذلك بترك المحظور وبعض المناجاة قال ابن عباس المتقي من يتقي الشرك والكباير
والفواحش وهو ماخوذ من الاتقا واصله الحجز بين الشيين يقال اتقى بترسه اذا جعله حاجزا بينه وبين
ما يقصده وفي الحديث كنا اذا اشتد الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم معناه انا كنا اذا اشتد
الحرب جعلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجزا بيننا وبين العدو فكان المتقي يجعل امتثال امر
الله واجتناب نواهيه حاجزا بينه وبين النار وقيل المتقي هو من لا يرى نفسه خيرا من احد وقيل المتقي ترك
ما حرم الله واداما افترض وقيل التقي ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وقيل التقوى
ان لا يراك مولاك حيث نهاك وقيل التقوى الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وفي الحديث جماع التقوى
في قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية وقيل المتقي هو الذي يترك ما لا باس به وخص المتقين
بالذكر تشريفا لهم لان مقام التقوى مقام شريف عزيز ولانهم هم المنتفعون بالهداية ولو لم يكن للمتقين فضل
الا قوله هدى للمتقين لكفاهم **فان قلت** كيف قال هدى للمتقين والمتقون
هم المهتدون **قلت** هو قولك للعزيز الكريم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة الى
ما هو ثابت فيه كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم الذين يؤمنون بالغيب اي يصدقون بالغيب واصل الايمان
في اللغة التصديق قال تعالى وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق فاذا فسر الايمان بهذا فانه لا يزيد
ولا ينقص لان التصديق لا يتجزى حتى يتصور كماله مرة ونقصانه اخرى والايمان في لسان الشرع
عبارة عن التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان واذا فسر بهذا فانه يزيد وينقص
وهو مذهب اهل السنة من اهل الحديث وغيرهم وفايدة هذا الخلاف تظهر في مسيلة وهو ان المصدق
بقلبه اذا لم يجمع الى التصديق العمل بموجب الايمان من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك من اركان الدين
هل يسمى مومنا ام لا فيه خلاف والمختار عند اهل السنة انه لا يسمى مومنا لقوله صلى الله عليه وسلم
لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن فنفى عنه اسم الايمان او كمال الايمان وانكر اكثر المتكلمين زيادة
الايمان ونقصانه وقالوا متى قبل الزيادة والنقص كان ذلك شكا وكفرا وقال المحققون من متكلمي اهل السنة
ان نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والايمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة الاعمال ونقصانها وبهذا امكن
الجمع بين ظواهر نصوص الكتاب والسنة وقد جات بزيادة الايمان ونقصانه وامثلة من اللغة وقال بعض
المحققين ان نفس التصديق قد يزيد وينقص بكثرة النظر في الادلة والبراهين وقلته امعان النظر في ذلك

Copyright © King Saud University

ولهذا يكون ايمان الصديقين اقوى واثبت من ايمان غيرهم لانهم لا تعتريهم شبهة في ايمانهم ولا تزلزل واما غيرهم
من احاد الناس فليس كذلك اذ لا يشك عاقل ان نفس تصديق ابي بكر رضي الله عنه لا يساويه تصديق غيره من احاد الامة
وقيل انما سمي الاقرار والعمل ايمانا لوجه المناسبة لانه من شرائعه والدليل على ان الاعمال من الايمان ما روي عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة افضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة
الاذى عن الطريق والحيا شعبة من الايمان اخرجاه في الصحيحين البضع بكسر البا ما بين الثلاثة الى العشرة والشعبة
القطعة من الشي واماطة الاذى عن الطريق هو ازالة الحجر والشوك ونحو ذلك عنه والحيا بالمد هو انقباض النفس عن فعل القبيح
وانما جعل من الايمان وهو اكتساب لان المستحيي ينزجر باستحيائه عن المعاصي فصار من الايمان وقيل الايمان ماخوذ من الامن
فسمي المومن مومنا لانه يومن نفسه من عذاب الله والاسلام هو الانقياد والخضوع فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمان
اذ لم يكن معه تصديق وذلك ان الرجل قد يكون مستسلما في الظاهر غير مصدق في الباطن ق عن ابي هريرة قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس فاتاه رجل فقال يا رسول الله ما الايمان قال ان تومن بالله وملايكته وكتابه
ولقايه ورسله وتومن بالبعث الاخر قال يا رسول الله ما الاسلام قال ان تعبد الله لا تشرك به شيا وتقيم الصلاة
المكتوبة وتودي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال يا رسول الله متى الساعة قال ما المسيول عنها باعلم من السايل
ولكن ساحدثك عن اشراطها اذا ولدت الامة ربها فذاك من اشراطها واذا كانت العراة الحفاة روس الناس فذاك من
اشراطها واذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذاك من اشراطها في خمس لا يعلمهن الا الله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام الى قوله عليم خبير قال ثم ادبر الرجل فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ردوا علي هذا الرجل فاخذوا ليردوه فلم يروا شيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا جبريل جا ليعلم الناس دينهم وفي افراد مسلم من حديث عمر بن الخطاب نحو هذا الحديث وسمعناه وقد
تقدم الكلام على معنى الايمان والاسلام وبقي اشيا تتعلق بمعنى الحديث فقوله كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوما بارزا اي ظاهرا وقوله وتومن بالله ولقايه وتومن بالبعث الاخر هو بكسر الخا وقيل في الجمع بين
قوله وتومن بلقا الله وبالبعث فان اللقا يحصل بمجرد الانتقال الى الدار الاخرة وهو الموت والبعث هو بعده
عند قيام الساعة وفي تقييده بالاخر وجه اخر وهو ان خروجه الى الدنيا بعث من الارحام وخروجه من
القبر الى الاخرة بعث اخر قوله ما الاحسان هو هنا الاخلاص في العمل وهو شرط في صحة الايمان والاسلام لان
من اتى بلفظ الشهادة واتى بالعمل من غير اخلاص لم يكن محسنا وقيل اراد بالاحسان المراقبة وحسن الطاعة فان
من راقب الله احسن عمله وهو المراد بقوله فان لم تكن تراه فانه يراك واشراط الساعة علاماتها التي تظهر
قبلها قوله اذا ولدت الامة ربها يعني سيدها والمعنى ان الرجل تكون له الامة فتلد له ولدا فيكون ذلك الولد
ابنها وسيدها ورعا البهم بكسر الرا وفتح البا واسكان الها من البهم وهي الصغار من اولاد الضان والمعنى انه
يبسط المال على اهل البادية واشباههم حتى يتباهون في البنا ويسودون الناس فذلك من اشراط الساعة
والله اعلم قوله تعالى بالغيب الغيب مصدر وضع موضع الاسم فقيل للغايب غيب وهو ما كان مغيبا عن العيون
قال ابن عباس الغيب كل ما امرت بالايمان به مما غاب عن بصرك من الملايكة والبعث والجنة والنار
والصراط والميزان وقيل الغيب ههنا هو الله تعالى وقيل القران وقيل بالاخرة وقيل بالوحي وقيل بالقدر
وقال عبد الرحمن بن يزيد كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا اصحاب محمد وما سبقونا به فقال عبد الله
ابن مسعود ان امر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن راه والذي لا اله غيره ما من احد افضل من ايمان
بغيب ثم قرا الم ذلك الكتاب لا ريب فيه الى قوله واولئك هم المفلحون ويقيمون الصلاة اي يديمو[illegible]

عليها

عليها في مواقيتها بحدودها واتمام اركانها وحفظها من ان يقع فيها خلل في فرايضها وسننها وادابها والمراد
بها الصلوات الخمس والصلاة في اللغة الدعا والرحمة ومنه وصل عليهم اي ادع لهم واصله من صليت العود
اذا لينته فكان المصلي يلين ويخشع وفي الشرع اسم لافعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود
ودعا مع النية ومما رزقناهم اي اعطيناهم من الرزق وهو اسم لما ينتفع به من مال وولد واصله الحظ والنصيب
ينفقون اي يخرجون ويتصدقون في طاعة الله تعالى وسبيله ويدخل فيه انفاق الواجب كالزكاة والنذر
والانفاق على النفس وعلى من تجب نفقته عليه والانفاق في الجهاد اذا وجب عليه الانفاق وفي المندوب
وهو صدقة التطوع ومواساة الاخوان وهذه كلها مما يمدح بها وادخل من التي هي للتبعيض صيانة لهم
وكفا عن السرف والتبذير فانهي عنهما في الانفاق والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك اي يصدقون بالقران
المنزل عليك وبالكتب المنزلة على الانبيا من قبلك كالتوراة والانجيل والزبور وصحف الانبيا كلها فيجب الايمان
بذلك كله وبالاخرة يعني وبالدار الاخرة سميت اخرة لتاخرها عن الدنيا وكونها بعدها هم يوقنون من الايقان وهو
العلم والمعنى يستيقنون ويعلمون انها كاينة اولئك اي الذين هذه صفتهم على هدى من ربهم اي على رشاد ونور
من ربهم وقيل على استقامة واولئك هم المفلحون اي الناجون الفايزون نجوا من النار وفازوا بالجنة والمفلح
الظافر بالمطلوب الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه ويكون الفلاح بمعنى البقا قال الشاعر
لو كان حي مدرك الفلاح ○ ادركه ملاعب الرماح ○ يريد البقا فيكون المعنى اولئك الباقون في النعيم
المقيم والفلاح والظفر وادراك البغية من السعادة والفوز والبقا والغنى واصل الفلاح الشق كما قيل ان
الحديد بالحديد يفلح اي ينقطع فعلى هذا يكون المعنى اولئك هم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والاخرة
واعلم ان الله عز وجل صدر هذه السورة باربع ايات انزلها في المومنين وباثنتين نزلتا في الكافرين ٧
وثلاث عشرة اية انزلها في المنافقين فاما التي في الكفار فقوله تعالى ان الذين كفروا اي جحدوا وانكروا
واصل الكفر في اللغة الستر والتغطية ومنه سمي الليل كافرا لانه يستر الاشيا بظلمته قال الشاعر ○
في ليلة كفر النجوم غمامها ○ اي سترها والكفر على اربعة اضرب كفر انكار وهو ان لا يعرف الله اصلا ككفر
فرعون وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري وكفر جحود وهو ان يعرف الله بقلبه ولا يعترف بلسانه ككفر
ابليس وكفر عناد وهو ان يعرف الله بقلبه ويقر بلسانه ولا يدين به ككفر امية بن ابي الصلت وابي طالب
حيث يقول في شعره ○ ولقد علمت بان دين محمد ○ من خير اديان البرية دينا ○ لولا الملامة او حذار مسبة
لوجدتني سمحا بذاك مبينا ○ وكفر نفاق وهو ان يقر بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه
فجميع هذه الانواع كفر وحاصله ان من جحد الله وانكر وحدانيته وانكر شيا مما انزله على رسوله
او انكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم او احدا من الرسل فهو كافر فان مات على ذلك فهو في النار
خالدا فيها ولا يغفر له نزلت في مشركي العرب وقيل في اليهود سوا عليهم اي متساو لديهم ءانذرتهم
اي خوفتهم وحذرتهم والانذار اعلام مع تخويف فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا ام لم
تنذرهم لا يومنون اي لا يصدقون وهذه الاية في اقوام حقت عليهم كلمة العذاب في سابق علم
الله الازلي انهم لا يومنون ثم ذكر سبب تركهم الايمان فقال تعالى ختم الله على قلوبهم
اي طبع الله عليها فلا تعي خيرا ولا تفهمه واصل الختم حقيقة الاستيثاق من الشي
كيلا يخرج منه ما حصل فيه ولا يدخل ما خرج منه ومنه ختم الكتاب قال اهل السنة
حكم الله على قلوبهم بالكفر لما سبق في علمه الازلي فيهم وانما خص القلب بالختم لانه محل الفهم

Copyright © King Saud University

والعلم **وعلى سمعهم** اى وختم على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به لانها تمجه وتنبوا عن الاصغا اليه كانها مستوثق منها بالختم ايضا وذكر السمع بلفظ التوحيد ومعناه الجمع فقيل انما وحده لانه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع **وعلى ابصارهم غشاوة** هذا ابتدا كلام والغشاوة الغطا ومنه غاشية السرج اى وجعل على ابصارهم غشاوة فلا يرون الحق وهى غطا التعامى عن ايات الله ودلايل توحيده **ولهم عذاب عظيم** يعنى فى الاخرة وقيل الاسر والقتل فى الدنيا والعذاب الدايم فى العقبى وحقيقة العذاب هو كل ما يولم الانسان ويشق عليه وقيل هو الايجاع الشديد وقيل هو ما يمنع الانسان عن مراده ومنه الما العذب لانه يمنع العطش والاليم والعظيم ضد الحقير قوله عز وجل **ومن الناس من يقول امنا بالله** نزلت فى المنافقين عبد الله ابن ابى بن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس واصحابهم وذلك انهم اظهروا كلمة الاسلام ليسلموا بها من النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه واسروا الكفر واعتقدوه واكثرهم من اليهود وصفة المنافق ان يعترف بلسانه بالايمان ويقر به وينكره بقلبه ويصبح على حال ويمسى على غيرها والناس جمع انسان سمى به لانه عهد اليه فنسى قال الشاعر ٭ وسميت انسانا لانك ناسى ٭ وقيل سمى انسانا لانه يستانس بمثله **وباليوم الاخر** اى وامنا باليوم الاخر وهو يوم القيامة سمى بذلك لانه ياتى بعد الدنيا وهو اخر الايام المحدودة المعدودة وما بعده فلا حد له ولا اخر قال الله تعالى ردا على المنافقين **وما هم بمومنين** نفى عنهم الايمان بالكلية **يخادعون الله والذين امنوا** اى يخالفون الله والخديعة الحيلة والمكر واصله فى الاخفا والمخادع يظهر ضد ما يضمر فهو بمنزلة النفاق وهو خادعهم اى يظهر لهم نعيم الدنيا ويعجله لهم بخلاف ما يغيب لهم من عذاب الاخرة

فان قلت المخادعة مفاعلة وانما تجى فى الفعل المشترك والله تعالى منزه عن المشاركة

قلت المفاعلة قد ترد على وجه المشاركة تقول عافاك الله وطارقت النعل وعاقبت اللص والمخادعة هنا عبارة عن فعل الواحد والله تعالى ان يكون منه خادع

فان قلت كيف يخادع الله والله يعلم الضماير والاسرار فمخادعة الله ممتنعة فكيف قال يخادعون الله

قلت ان الله تعالى ذكر نفسه واراد به رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك تفخيم لامره وتعظيم لشانه وقيل اراد به المنافقين اذا خادعوا المومنين فكانهم خادعوا الله تعالى وذلك انهم ظنوا ان النبى صلى الله عليه وسلم والمومنين لم يعلموا حالهم ولتجرى عليهم احكام المسلمين فى الظاهر وهم فى خلافه فى الباطن **وما يخادعون الا انفسهم** اى ان الله تعالى يجازيهم على ذلك ويعاقبهم عليه فلا يكونون فى الحقيقة الا خادعين انفسهم وقيل ان وبال ذلك الخداع راجع اليهم لان الله تعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون فى الدنيا ويستوجبون العقاب فى العقبى والنفس ذات الشى وحقيقته وقيل للدم نفس لانه قوام البدن **وما يشعرون** اى لا يعلمون ان وبال خداعهم راجع عليهم **فى قلوبهم مرض** اى شك ونفاق واصل المرض الضعف والخروج عن الاعتدال الخاص بالانسان وسمى الشك فى الدين والنفاق مرضا لانه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن **فزادهم الله مرضا** يعنى ان الايات كانت تنزل تترى اية بعد اية فكلما كفروا باية ازدادوا بذلك كفرا ونفاقا **ولهم عذاب اليم** اى مولم يخلص وجعه الى قلوبهم **بما كانوا يكذبون** اى بتكذيبهم الله ورسوله فى السر وقرى بالتخفيف اى بكذبهم اذ قالوا امنا وهم غير مومنين **واذا قيل لهم** يعنى المنافقين وقيل اليهود والمعنى اذا قال لهم المومنون **لا تفسدوا فى الارض** اى بالكفر وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران **قالوا انما نحن مصلحون** يعنى يقولون

كذبا

كذبا بكلمة تنبيه ينبه بها المخاطب **انهم هم المفسدون** يعنى فى الارض بالكفر وهو اشد الفساد **ولكن لا يشعرون** وذلك لانهم يظنون ان ما هم عليه من النفاق وابطان الكفر صلاح وهو عين الفساد وقيل لا يشعرون ما اعد الله لهم من العذاب **واذا قيل لهم** يعنى المنافقين وقيل اليهود **امنوا كما امن الناس** يعنى المهاجرين والانصار وقيل عبد الله بن سلام واصحابه من مومنى اهل الكتاب والمعنى اخلصوا فى ايمانكم كما اخلص هولا فى ايمانهم لان المنافقين كانوا يظهرون الايمان **قالوا انومن كما امن السفها** اى الجهال

فان قلت كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم انومن كما امن السفها

قلت كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المومنين فاخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين بذلك فرد الله ذلك عليهم بقوله **الا انهم هم السفها ولكن لا يعلمون واذا لقوا الذين امنوا** يعنى هولا المنافقين اذا لقوا المهاجرين والانصار **قالوا امنا** كايمانكم **واذا خلوا** اى رجعوا وقيل هو من الخلوة **الى** بمعنى مع **شياطينهم** وقيل بمعنى الباء اى بشياطينهم والمراد بشياطينهم روساهم وكهنتهم قال ابن عباس وهم خمسة نفر كعب بن الاشرف من اليهود بالمدينة وابو بردة فى بنى اسلم وعبد الدار فى جهينة وعوف بن عامر فى بنى اسد وعبد الله بن السود بالشام ولا يكون كاهن الا ومعه شيطان تابع له وقيل روسا وهم الذين شابهوا الشياطين فى تمردهم **قالوا انا معكم** اى على دينكم **انما نحن مستهزءون** اى بمحمد واصحابه بما يظهر لهم من الاسلام لنامن شرهم ونقف على سرهم وناخذ من غنايمهم وصدقاتهم قال ابن عباس نزلت هذه الاية فى عبد الله ابن ابى واصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن ابى لاصحابه انظروا كيف ارد هولا السفها عنكم فذهب فاخذ بيد ابى بكر الصديق فقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بنى عدى بن كعب الفاروق القوى فى دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد على فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بنى هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له على اتق الله يا عبد الله ولا تنافق فان المنافق شر خليقة الله تعالى فقال له مهلا يا ابا الحسن انى لا اقول هذا والله انا ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم تفرقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رايتمونى فعلت فاثنوا عليه خيرا **الله يستهزئ بهم** اى يجازيهم جزا استهزايهم بالمومنين فسمى الجزا باسمه لانه فى مقابلته قال ابن عباس يفتح لهم باب الجنة فاذا انتهوا اليه سد عنهم وردوا الى النار **ويمدهم** اى يتركهم ويمهلهم والمد والامداد واحد واصله الزيادة واكثر ما ياتى المد فى الشر والامداد فى الخير **فى طغيانهم** اى فى ضلالتهم واصل الطغيان مجاوزة الحد **يعمهون** اى يترددون فى الضلالة متحيرون **اوليك** يعنى المنافقين **الذين اشتروا الضلالة بالهدى** اى استبدلوا الكفر بالايمان وانما اخرجه بلفظ الشرا والتجارة توسعا على سبيل الاستعارة لان الشرا فيه بذل واخذ

فان قلت كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى

قلت جعلوا لتمكنهم منه كانه فى ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوه والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتدا **فما ربحت تجارتهم** اى ما ربحوا فى تجارتهم والربح الفضل عن راس المال واضاف الربح الى التجارة لان الربح فيها يكون **وما كانوا مهتدين** اى مصيبين فى تجارتهم لان راس المال هو الايمان فلما

Copyright © King Saud University

اضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى وقيل وما كانوا مهتدين في ضلالتهم قوله عز وجل
مثلهم كمثل الذي استوقد نارا المثل عبارة عن قول يشبه ذلك القول قولا اخر بينهما مشابهة ليبين
احدهما الاخر ويصوره ولهذا ضرب الله تعالى الامثال في كتابه وهو احد اقسام القران السبعة ولما ذكر
الله تعالى حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة في الكشف والبيان لانه يؤثر في
القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه ولان المثل تشبيه الشيء الخفي بالجلي فيتاكد الوقوف
على ماهيته وذلك هو النهاية في الايضاح وشرطه ان يكون قولا فيه غرابة من بعض الوجوه
كمثل الذي استوقد نارا ليستنفع بها فلما اضاءت يعني النار ما حوله يعني حول المستوقد ذهب الله بنورهم

فان قلت كيف وحد اولا ثم جمع ثانيا **قلت** يجوز وضع
الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا وقيل انما شبه قصتهم بقصة المستوقد
وقيل معناه ومثل الواحد منهم كمثل الذي استوقد نارا وتركهم في ظلمات لا يبصرون قال ابن عباس
نزلت في المنافقين يقول مثلهم في نفاقهم كمثل رجل اوقد نارا في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفأ ورأى
ما حوله فاتقى مما يخاف فبينا هو كذلك اذ طفئت ناره فبقي في ظلمة خائفا متحيرا فكذلك حال المنافقين
اظهروا كلمة الايمان فامنوا بها على انفسهم واموالهم واولادهم وناكحوا المسلمين وقاسموهم
في الغنائم فذلك نورهم فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وقيل ذهاب نورهم ظهور
عقيدتهم للمؤمنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ذهاب نورهم في القبر
او على الصراط **فان قلت** ما وجه تشبيه الايمان بالنور والكفر بالظلمة

قلت وجه تشبيه الايمان بالنور ان النور ابلغ الاشياء في الهداية الى المحجة
القصوى والى الصراط المستقيم وازالة الحيرة وكذلك الايمان هو الطريق الواضح الى الله تعالى
والى جنانه وشبه الكفر بالظلمة لان الضال عن الطريق المسلوكة في الظلمة لا يزداد الا حيرة
وكذلك الكفر لا يزداد صاحبه في الاخرة الا حيرة وفي ضرب المثل للمنافقين بالنار ثلاث حكم
احدها ان المستضيء بالنار مستضيء بنور غيره فاذا ذهب ذلك بقي في ظلمة فكانهم لما اقروا بالايمان
من غير اعتقاد قلوبهم فكان ايمانهم كالمستعار الثانية ان النار تحتاج في دوامها الى مادة الحطب
لتدوم فكذلك الايمان يحتاج الى مادة الاعتقاد الثالثة ان الظلمة الحادثة بعد الضوء اشد
على الانسان من ظلمة لم يجد قبلها ضياء فشبه حالهم بذلك ثم وصفهم الله تعالى فقال صم اي عن
سماع الحق لانهم لا يقبلونه واذا لم يقبلوه فكانهم لم يسمعوه بكم اي خرس عن الحق فهم لا يقولونه عمي
اي لا بصائر لهم يميزون بها بين الحق والباطل ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له فهو اعمى كانت حواسهم سليمة
ولكن لما سدوا عن سماع الحق اذانهم وابوا ان تنطق به السنتهم وان ينظروا اليه باعينهم جعلوا كمن تعطلت
حواسه وذهب ادراكه قال الشاعر * صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا *
فهم لا يرجعون اي عن ضلالتهم قوله تعالى او كصيب اي كاصحاب صيب وهو المطر وكلما نزل من الاعلى
الى الاسفل فهو صيب من السماء يعني من السحاب لان كل ما علاك فاظلك فهو سماء ومنه قيل لسقف
البيت سماء وقيل من السماء بعينها وانما ذكر الله تعالى السماء وان كان المطر لا ينزل الا منها ليرد على
من زعم ان المطر ينعقد من بخار الارض وابطل مذهب الحكماء بقوله من السماء ليعلم ان المطر ليس من
بخار الارض كما زعم الحكماء فيه اي الصيب ظلمات جمع ظلمة ورعد هو الصوت الذي يسمع من السحاب

وبرق

وبرق يعني النار التي تخرج منه قال ابن عباس الرعد اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان سوط من
نور يزجر به السحاب وقيل الرعد اسم ملك يزجر السحاب اذا تبددت جمعها وضمها فاذا اشتد غضبه
يخرج من فيه النار فهي البرق والصواعق وقيل الرعد تسبيح الملك وقيل اسمه يجعلون اصابعهم
في اذانهم من الصواعق جمع صاعقة وهي الصيحة التي يموت من يسمعها او يغشى عليه وقيل الصاعقة
قطعة من العذاب ينزلها الله على من يشاء عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت
الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب حذر الموت اي مخافة الهلاك والله محيط بالكافرين اي عالم بهم وقيل يجمعهم
ويعذبهم يكاد البرق اي يقرب يقال كاد يفعل ولم يفعل يخطف ابصارهم اي يختلسها والخطف استلاب
الشيء بسرعة كلما اي متى ما جاء اضاء لهم يعني البرق مشوا فيه اي في ضوئه ونوره واذا اظلم عليهم قاموا
اي وقفوا متحيرين وهذا مثل ضربه الله تعالى للمنافقين ووجه التمثيل ان الله عز وجل شبههم في كفرهم
ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة في ليلة مظلمة اصابهم مطر فيه ظلمات وهي ظلمة الليل وظلمة المطر وظلمة
السحاب من صفة تلك الظلمات ان السائر لا يمكنه المشي فيها ورعد من صفته ان يضم سامعوه اصابعهم
الى اذانهم من هوله وبرق من صفته ان يخطف ابصارهم ويعميها من شدته فهذا مثل ضربه الله تعالى للقران
وصنيع الكافرين والمنافقين معه فالمطر هو القران لانه حياة القلوب كما ان المطر حياة الارض والظلمات
ما في القران من ذكر الكفر والشرك والنفاق والرعد ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من
الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة والنار فالكافرون والمنافقون يسدون اذانهم عند قراءة القران
وسماعه مخافة ان تميل قلوبهم اليه لان الايمان عندهم كفر والكفر موت وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للاسلام
فالمطر هو الاسلام والظلمات ما فيه من البلاء والمحن والرعد ما فيه من ذكر الوعيد والمخاوف في الاخرة والبرق
ما فيه من الوعد يجعلون اصابعهم في اذانهم يعني المنافقين اذا راوا في الاسلام بلاء وشدة هربوا حذرا من
الهلاك والله محيط بالكافرين يعني لا ينفعهم الهرب لان الله من ورائهم يجمعهم ويعذبهم يكاد البرق
يعني دلائل الاسلام تزعجهم الى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة كلما اضاء لهم يعني المنافقين وامنانه
لهم هو تركهم بلا ابتلاء ولا امتحان مشوا فيه يعني على المسالمة باظهار كلمة الايمان وقيل كلما نالوا غنيمة وراحة
في الاسلام ثبتوا وقالوا انا معكم واذا اظلم عليهم قاموا يعني اذا راوا شدة وبلاء تاخروا ولو شاء الله لذهب بسمعهم
اي بصوت الرعد وابصارهم بوميض البرق وقيل لذهب باسماعهم وابصارهم الظاهرة كما ذهب اسماعهم وابصارهم
الباطنة ان الله على كل شيء قدير اي هو الفاعل لما يشاء لا منازع له فيه قوله عز وجل يا ايها الناس قال ابن عباس
يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ويا ايها الذين امنوا خطاب لاهل المدينة وهو هنا خطاب عام لسائر المكلفين
اعبدوا ربكم قال ابن عباس وحدوا ربكم وكلما ورد في القران من العبادة فمعناه التوحيد واصل العبودية
التذلل والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها الا من له غاية الافضال والانعام وهو الله تعالى الذي خلقكم
اي ابتدع خلقكم من غير مثال سبق والذين من قبلكم اي وخلق الذين من قبلكم لعلكم لعل وعسى حرف ترج
وهما من الله واجب تتقون اي لكي تنجوا من العذاب وقيل معناه تكونوا على رجاء التقوى بان تصيروا في ستر
ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الذي جعل لكم الارض فراشا اي خلق لكم الارض
فراشا بساطا ووطاء مذللة ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها والحزن ما غلظ من الارض والسماء بناء اي سقفا
مرفوعا وقيل اذا تامل الانسان المتفكر في العالم وجده كالبيت المعمور فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة

Copyright © King Saud University

كالسقف والارض مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح والانسان كمالك البيت وفيه ضروب النبات
المهياة لمنافعه واصناف الحيوان مصروفة في مصالحه فيجب على الانسان المسخر له هذه الاشيا شكر الله تعالى
عليها وانزل من السما ماء يعني السحاب ماء يعني المطر فاخرج به اي بذلك الما من الثمرات يعني من الوان الثمرات واصناف
النبات رزقا لكم اي وعلفا لدوابكم فلا تجعلوا لله اندادا يعني امثالا تعبدونهم كعبادته والند المثل وانتم
تعلمون يعني انكم بعقولكم تعلمون ان هذه الاشيا والامثال لا يصح جعلها اندادا لله وانه واحد خالق جميع
الاشيا وانه لا مثل له ولا ضد له قوله تعالى وان كنتم في ريب اي ان كنتم في شك لان الله علم انهم شاكون
مما نزلنا على عبدنا اي محمد صلى الله عليه وسلم لما تقرر اثبات الربوبية لله سبحانه وتعالى وانه الواحد الخالق
وانه لا ضد له ولا ند اتبعه باقامة الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة في كون
القران معجزة وانه من عند الله تعالى لا من عند نفسه كما يدعون فيه وقوله على عبدنا اضافة تشريف لمحمد
صلى الله عليه وسلم وان القران منزل عليه من عند الله سبحانه وتعالى فاتوا امر تعجيز بسورة والسورة
قطعة من القران معلومة الاول والاخر وقيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة ومنه سورة البلد لارتفاعه
سميت سورة لان القاري ينال بها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سورة القران من مثله اي مثل
هذا القران وقيل الضمير في مثله راجع الى عبدنا يعني من مثل محمد صلى الله عليه وسلم امي لم يحسن الكتابة
ولم يجالس العلما ولم ياخذ العلم من احد ورد الضمير الى القران اوجه واولى ويدل عليه ان ذلك مطابق لسائر
الايات الواردة في التحدي وانما وقع الكلام في المنزل الاترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القران منزل من عند
الله فاتوا انتم بسورة مما يماثله ويجانسه ولو كان الضمير مردودا الى محمد صلى الله عليه وسلم ويدل عليه
كون القران معجزا لما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة في طرفي الايجاز والاطالة فتارة ياتي
بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقصود الاول وانه فارق اساليبهم
اساليب الكلام واوزانه اوزان الاشعار والخطب والرسايل ولهذا تحدت العرب به فعجزوا عنه
وتحيروا فيه واعترفوا بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة ولهم النظم والنثر من الاشعار
والخطب والرسايل حتى قال الوليد بن المغيرة في وصف القران والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة
وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر وادعوا شهداكم من دون الله اي استعينوا بالهتكم التي تعبدونها
من دون الله والمعنى ان كان الامر كما تقولون انها تستحق العبادة فاجعلوا الاستعانة بها في دفع
ما نزل بكم من امر محمد صلى الله عليه وسلم والا فاعلموا انكم مبطلون في دعواكم انها الهة وقيل معناه
وادعوا ناسا يشهدون لكم ان كنتم صادقين ان محمدا صلى الله عليه وسلم يقوله من تلقا نفسه فان
لم تفعلوا اي فيما مضى ولن تفعلوا فيما بقي وهذه الاية دلت على عجزهم وانهم لم ياتوا بمثله ولا بمثل شي منه
وذلك ان النفوس الابية اذا قرعت بمثل هذا التقريع استفرغت الوسع بالاتيان بمثل القران وبمثل سورة
منه ولو قدروا على ذلك لاتوا به وحيث لم ياتوا بشي ظهرت المعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وبان عجزهم
وهم اهل الفصاحة والبلاغة والقران من جنس كلامهم وكانوا احرص شي على اطفا نوره وابطال امره ثم مع هذا
الحرص الشديد لم توجد المعارضة من احدهم ورضوا بسبي الذراري واخذ الاموال والقتل واذا ظهر عجزهم عن
المعارضة مع صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك وجب ترك العناد وهو قوله فاتقوا
النار اي فامنوا واتقوا بالايمان النار التي وقودها اي حطبها الناس والحجارة قال ابن عباس يعني حجارة الكبريت
لانها اكثر التهابا وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها وقيل اراد بها الاصنام لان

اكثر

اكثر اصنامهم كانت من حجارة وانما قرن الناس مع الحجارة لانهم كانوا يعبدونها معتقدين فيها انها تنفعهم
وتشفع لهم فجعلها الله عذابهم في نار جهنم اعدت اي هيئت للكافرين قوله عز وجل وبشر الذين امنوا اي اخبر
المومنين وهذا امر للنبي صلى الله عليه وسلم والبشارة ايراد الخبر السار على سامع ليستبشر به ويظهر
السرور في بشرة وجهه ثم كثر حتى وضع موضع الخير والشر ومنه قوله وبشرهم بعذاب اليم ولكن هو
في السرور والخير اغلب وعملوا الصالحات اي الفعلات الصالحات وهي الطاعات قيل العمل الصالح ما كان
فيه اربعة اشيا العلم والنية والصبر والاخلاص وقال عثمان بن عفان وعملوا الصالحات اي اخلصوا
الاعمال يعني من الريا ان لهم جنات جمع جنة وهي البستان الذي فيه اشجار مثمرة سميت جنة لاجتنانها
وتسترها بالاشجار والاوراق وقيل الجنة ما فيه نخل والفردوس ما فيه كرم تجري من تحتها
اي من تحت اشجارها ومساكنها الانهار اي تجري المياه في الانهار لان الانهار لا تجري وقيل معناه
تجري بامرهم وفي الحديث انها انهار تجري في غير اخدود وجاء في غير شق والخد الشق كلما رزقوا اي
اطعموا منها اي من الجنة من ثمرة رزقا اي طعاما قالوا هذا الذي رزقنا من قبل اي في الدنيا
وقيل ثمار الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم فاذا رزقوا ثمرة بعد اخرى ظنوا انها الاولى واتوا
به اي بالرزق متشابها قال ابن عباس مختلفا في المطعوم وقيل يشبه بعضه بعضا في الجودة لا رداءة
فيها وقيل يشبه ثمار الدنيا م عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة ياكلون
ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبزقون يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون
النفس طعامهم جشا ورشح كرشح المسك وفي رواية ورشحهم المسك قوله يلهمون التسبيح اي يجري على
السنتهم كما يجري النفس فلا يشغلهم عن شي كما ان النفس لا يشغل عن شي قوله طعامهم جشا يعني ان
فضول طعامهم يخرج في الجشا وهو تنفس المعدة والرشح العرق وقوله تعالى ولهم فيها اي في الجنان ازواج
من الحور العين مطهرة يعني من البول والغائط والحيض والولد وساير الاقذار وقيل هن عجايزكم
الغمص العمش طهرت من قذارات الدنيا وقيل طهرت من مساوي الاخلاق قيل في الجنة جماع ما شئت
ولا ولد وهم فيها خالدون اي لا يخرجون منها ولا يموتون والخلد البقا الدايم الذي لا انقطاع له
ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة يدخلون الجنة على صورة
القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على اشد كوكب دري في السما اضاءة لا يبزقون ولا يتمخطون ولا يبولون
امشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة الالنجوج عود الطيب ازواجهم الحور العين على خلق
رجل واحد على صورة ابيهم ادم ستون ذراعا في السما وفي رواية لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما
من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا
ق عن ابي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للمومن في الجنة لخيمة من لولوة واحدة
مجوفة طولها في السما ستون ميلا للمومن فيها اهلون يطوف عليهم المومن فلا يرى بعضهم بعضا عن ابي
هريرة قال قلت يا رسول الله مم خلق الله الخلق قال من الما قلت الجنة ما بناوها قال لبنة فضة
ولبنة ذهب وبلاطها المسك الاذفر وحصباوها اللولو والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها
ينعم ولا يباس ويخلد ولا يموت ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم اخرجه الترمذي وقال ليس
اسناده بذلك القوي عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة
درجة ما بين كل درجتين كما بين السما والارض والفردوس اعلاها درجة ومنها تفجر انهار الجنة الاربعة

Copyright © King Saud University

ومن فوقها يكون العرش فاذا سالتم الله فاسلوه الفردوس اخرجه الترمذي عن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لسوقا ياتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثوا في وجوههم
وثيابهم فيزداد واحسنا وجمالا فيرجعون الى اهليهم وقد ازداد واحسنا وجمالا فيقول لهم اهلوهم
والله لقد ازددتم بعدنا حسنا عن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لمجتمعا
للحور العين يرفعن باصوات لم تسمع الخلايق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا
نباس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له اخرجه الترمذي اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب قوله تعالى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة سبب نزول هذه الاية ان الله تعالى
لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت وذكر النحل والنمل قالت اليهود ما اراد الله بذكر هذه الاشيا
الخسيسة وقيل قال المشركون انا لا نعبد الها يذكر هذه الاشيا وذلك لان الكفار واليهود كانوا
متعقبين على ابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذلك فانزل الله تعالى ان الله لا يستحيي الحيا
تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به ويذم عليه وقيل هو انقباض النفس عن القبايح
هذا اصله في وصف الانسان والله تعالى منزه عن ذلك كله فاذا وصف الله تعالى به يكون معناه
الترك وذلك لان لكل فعل بداية ونهاية فبداية الحيا هو التغيير الذي يلحق الانسان من خوف ان
ينسب اليه ذلك الفعل القبيح ونهايته ترك ذلك الفعل القبيح فاذا ورد وصف الحيا في حق الله
تعالى فليس المراد منه بدايته وهو التغير والخوف بل المراد منه ترك الفعل الذي هو نهاية الحيا
في حق الله تعالى فليس المراد منه بداية فيكون معنى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا اي لا يترك
المثل بقول الكفار واليهود ما قيل ما صلة فيكون المعنى ان يضرب مثلا ما بعوضة وقيل ليس
هي بصلة بل هي للابهام وهي النكرة والبعوض صغار البق وهو من عجيب خلق الله تعالى فانه في
غاية الصغر وله خرطوم مجوف وهو مع صغره يغوص خرطومه في جلد الفيل والجاموس والجمل
فيبلغ منه الغاية حتى ان الجمل يموت من قرصته فما فوقها يعني الذباب والعنكبوت وما هو
اعظم منهما في الجثة وقيل معناه فما دونها واصغر منها وهذا القول اشبه بالاية لان الغرض بيان
ان الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشي الصغير الحقير وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم
مثلا الدنيا بجناح البعوضة وهو اصغر منها وقد ضربت العرب المثل بالمحقرات فقيل هو احقر
من ذرة واجمع من نملة واطيش من ذبابة والح من ذبابة فاما الذين امنوا يعني محمد والقران
فيعلمون انه يعني ضرب المثل الحق يعني الصدق من ربهم الثابت الذي لا يجوز انكاره لان
ضرب المثل من الامور المستحسنة في العقل وعند العرب واما الذين كفروا فيقولون ماذا
اراد الله بهذا مثلا اي بهذا المثل يضل به كثيرا اي من الكفار وذلك انهم يكذبونه فيزدادون به
ضلالا ويهدي به كثيرا يعني المومنين يصدقونه ويعلمون انه حق وما يضل به الا الفاسقين
يعني الكافرين وقيل المنافقين وقيل اليهود والفسق الخروج عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله
ثم وصفهم فقال تعالى الذين ينقضون اي يخالفون ويتركون واصل النقض النسخ وفك المركب
عهد الله اي امر الله واصل العهد حفظ الشي ومراعاته حالا بعد حال من بعد ميثاقه اي من بعد عقده وتوكيده
وفي معنى هذا العهد اقوال احدها انه الذي اخذه عليهم يوم الميثاق وهو قوله الست بربكم قالوا بلى الثاني
المراد به الذي اخذه على احبار اليهود في التوراة ان يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويبينوا نعته وصفته

فما فوقها

الثالث

الثالث المراد به الكفار والمنافقون الذين عهد اليهم الله تعالى واحكمه بما انزله في كتابه من الايات
الدالة على توحيده ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يعني الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وجميع الرسل
فامنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود وقيل المراد به قطع الارحام التي امر الله بوصلها ويفسدون
في الارض يعني بالمعاصي وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران اولئك هم
الخاسرون اي المغبونون واصل الخسار النقص ثم قال تعالى لمشركي العرب على وجه التعجب لكن فيه تبكيت
وتعنيف لهم كيف تكفرون بالله يعني بعد نصب الدلايل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته
ثم ذكر الدليل فقال تعالى وكنتم امواتا يعني نطفا في اصلاب ابايكم فاحياكم يعني في الارحام
والدنيا ثم يميتكم اي عند انقضا اجالكم ثم يحييكم يعني بعد الموت للبعث ثم اليه ترجعون اي تردون
في الاخرة فيجزيكم باعمالكم قوله عز وجل هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا يعني من المعادن والنبات
والحيوان والجبال والبحار والمعنى كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما في الارض جميعا لتنتفعوا به في مصالح الدين
والدنيا اما مصالح الدين فهو الاعتبار والتفكر في عجايب مخلوقات الله تعالى الدالة على وحدانيته
واما مصالح الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيها ثم استوى الى السما اي قصد واقبل على خلقها وقيل عمد وقال
ابن عباس ارتفع وفي رواية عنه صعد قال الازهري معناه صعد امره وكذا ذكره صاحب المحكم
وذلك ان الله تعالى خلق الارض ولا ثم عمد الى خلق السما **فان قلت** كيف الجمع بين هذا
وبين قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها **قلت** الدحو البسط فيحتمل ان الله تعالى خلق
جرم الارض ولم يبسطها ثم خلق السما وبسط جرم الارض بعد ذلك **فان قلت**
هذا مشكل ايضا لان قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا يقتضي ان ذلك لا يكون الا بعد الدحو
قلت يحتمل انه ليس هنا ترتيب وانما هو على سبيل تعديد النعم كقول الرجل لم
ينكره ما انعم الله عليه الم اعطك الم ارفع قدرك الم ادفع عنك ولعل بعض هذه النعم متقدمة على
بعض والله اعلم فسواهن سبع سموات خلقهن سبع سموات مستويات لا صدع فيها ولا فطور
وسياتي ذكر خلق الارض والسما عند قوله قل ايِنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين في سورة حم
السجدة ان شا الله تعالى وهو بكل شي عليم يعني يعلم الجزيات كما يعلم الكليات قوله تعالى واذ قال ربك
اي واذكر يا محمد اذ قال ربك وكلما ورد في القران من هذا النحو فهذا سبيله وقيل اذ زايدة والاول اوجه
للملايكة جمع ملك واصله مالك وهو الرسالة والمراد بالملايكة الذين كانوا في الارض وذلك ان الله تعالى
خلق الارض والسما وخلق الملايكة والجن فاسكن الملايكة السما واسكن الجن الارض فعبدوا دهرا طويلا ثم
ظهر فيهم الحسد والبغي فافسدوا واقتتلوا فبعث الله اليهم جندا من الملايكة يقال لهم الجان ورأسهم ابليس
وهم خزان الجنان فهبطوا الى الارض وطردوا الجن الى جزاير البحور وشعوب الجبال وسكنوا هم الارض
وخفف الله عنهم العبادة فاعطى الله ابليس ملك الارض وملك سما الدنيا وخزانة الجنة وكان ابليس يعبدهم
ورئيسهم واكثرهم علما وكان يعبد الله تارة في الارض وتارة في السما وتارة في الجنة فدخله العجب وقال
في نفسه ما اعطاني الله هذا الملك الا لاني اكرم الملايكة عليه فقال له ولجنده اني جاعل في الارض خليفة
اي خالق خليفة يعني بدلا منكم ورافعكم الي فكرهوا ذلك لانهم كانوا اهون الملايكة عبادة والمراد بالخليفة
هنا ادم عليه الصلاة والسلام لانه خلف الجن وجا بعدهم وقيل لانه يخلفه غيره والصحيح انه انما
سمي خليفة لانه خليفة الله في ارضه لاقامة حدوده وتنفيذ قضاياه قالوا اتجعل فيها من يفسد

Copyright © King Saud University

فيها اي بالمعاصي ويسفك الدما اي بغير حق كما فعل بنو الجان **فان قلت** من اين عرفوا ذلك حتى قالوا هذا القول **قلت** يحتمل ان يكون عرفوا ذلك باخبار الله اياه او قاسوا الشاهد على الغايب وقيل انهم لما راوا ان ادم خلق من اخلاط مركبة علموا انه يكون فيه الحقد والغضب ومنهما يتولد الفساد وسفك الدما فلهذا قالوا وقيل لما خلق الله النار خافت الملايكة وقالوا لمن خلقت هذه النار قال لمن عصاني فلما قال اني جاعل في الارض خليفة قالوا ذلك **فان قلت** الملايكة معصومون فكيف وقع منهم هذا الاعتراض **قلت** ذهب بعضهم الى انهم غير معصومين واستدلوا على ذلك بوجوه منها قوله اتجعل فيها من يفسد فيها ومن ذهب الى عصمتهم اجاب عنه بان هذا السوال انما وقع على سبيل التعجب لا على سبيل الانكار والاعتراض فانهم تعجبوا من كمال حكم الله تعالى واحاطة علمه بما خفي عليهم ولهذا اجابهم بقوله اني اعلم ما لا تعلمون وقيل ان العبد المخلص في حب سيده يكره ان يكون له عبد اخر يعصيه فكان سوالهم على وجه المبالغة في اعظام الله عز وجل ونحن نسبح بحمدك اي نقول سبحان الله وبحمده وهي صلاة الخلق وعليها يرزقون عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل اي الكلام افضل قال ما اصطفى الله لملايكته او لعباده سبحان الله وبحمده قال ابن عباس كل ما جاء في القران من التسبيح فالمراد منه الصلاة فيكون المعنى ونحن نصلي لك وقيل اصل التسبيح تنزيه الله عما لا يليق بجلاله فيكون المعنى ونحن ننزهك عن كل سوء ونقيصة ومعناه بحمدك حامدين لك ومتلبسين بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك ونقدس لك اصل التقديس التطهير اي نطهرك عن النقايص وكل سوء ونصفك بما يليق بعزك وجلالك من العلو والعظمة واللام صلة وقيل معناه نطهر انفسنا لطاعتك وعبادتك قال اني اعلم ما لا تعلمون قيل انه جواب لقول الملايكة اتجعل فيها فقال تعالى اعلم من وجوه المصلحة والحكمة ما لا تعلمون وقيل اعلم ان فيهم من يعبدني ويطيعني وهم الانبيا والاوليا والصالحون ومن يعصيني منكم وهو ابليس وقيل اعلم انهم يذنبون ويستغفرون فاغفر لهم

فصل في ماهية الملايكة وقصة خلق ادم عليه السلام قيل ان الملايكة اجسام لطيفة هوايية خلقوا من النور تقدر ان تتشكل باشكال مختلفة مسكنهم السموات عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السما وحق لها ان تط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا اخرجه الترمذي بزيادة وقال حديث حسن غريب واما صفة خلق ادم عليه الصلاة والسلام فقال وهب بن منبه لما اراد الله تعالى ان يخلق ادم اوحى الله تعالى الى الارض اني خالق منك خليفة منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن اطاعني ادخلته الجنة ومن عصاني ادخلته النار قالت الارض تخلق مني خلقا يكون للنار قال نعم فبكت الارض فانفجرت منها العيون الى يوم القيامة فبعث الله اليها جبريل ليأتيه بقبضة منها من احمرها واسودها وطيبها وخبيثها فلما اتاها ليقبض منها قالت اعوذ بعزة الله الذي ارسلك ان لا تاخذ مني شيا فرجع جبريل الى مكانه وقال يا رب استعاذت بك مني فكرهت ان اقدم عليها فقال الله تعالى لميكايل انطلق فاتني بقبضة منها فلما اتاها ليقبض منها قالت له مثل ما قالت لجبريل فرجع الى ربه فقال ما قالت فقال لعزرايل انطلق فاتني بقبضة من الارض فلما اتاها قالت له الارض اعوذ بعزة الله الذي ارسلك ان لا تاخذ مني شيا فقال وانا اعوذ بعزة الله ان اعصي له امرا وقبض منها قبضة من جميع بقاعها من عذبها ومالحها وحلوها ومرها وطيبها وخبيثها وصعد بها الى السما فساله ربه عز وجل وهو اعلم بما صنع فاخبره بما قالت له الارض وعاد

عليها

عليها فقال الله وعزتي وجلالي لاخلقن مما جيت به خلقا ولاسلطنك على قبض ارواحهم لقلة رحمتك ثم جعل الله تلك القبضة نصفها في الجنة ونصفها في النار ثم تركها ما شا الله ثم اخرجها فعجنها طينا لازبا مدة ثم حما مسنونا مدة ثم صلصالا ثم جعلها جسدا والقاه على باب الجنة فكانت الملايكة يعجبون من صفة صورته لانهم لم يكونوا راوا مثله وكان ابليس يمر عليه ويقول لامر ما خلق هذا ونظر اليه فاذا هو اجوف فقال هذا خلق لا يتمالك وقال يوما للملايكة ان فضل هذا عليكم ما تصنعون قالوا نطيع ربنا ولا نعصيه فقال ابليس في نفسه لين فضل علي لاعصينه ولين فضلت عليه لاهلكنه فلما اراد الله تعالى ان ينفخ فيه الروح امرها ان تدخل في جسد ادم فنظرت فرات مدخلا ضيقا فقالت يا رب كيف ادخل هذا الجسد قال ادخلي كرها وستخرجين منه كرها فدخلت في يافوخه فوصلت الى عينيه فجعل ينظر الى سائر جسده طينا فسارت الى ان وصلت منخريه فعطس فلما بلغت لسانه قال الحمد لله رب العالمين وهي اول كلمة قالها فناداه الله تعالى رحمك ربك يا ابا محمد ولقد خلقناك ولما بلغت الروح الى ركبتيه هم ليقوم فلم يقدر قال الله تعالى خلق الانسان من عجل فلما بلغت الى الساقين والقدمين استوى قائما بشرا سويا لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا وكسي لباسا من ظفر يزداد جسده جمالا وحسنا كل يوم وجعل في جسده تسعة ابواب في راسه وهي الاذنان يسمع بهما والعينان يبصر بهما والمنخران يشم بهما والفم فيه اللسان يتكلم به والاسنان يطحن بهما ما ياكل ويجد لذة المطعومات بها وبابين من اسفل جسده وهما القبل والدبر يخرج منهما ثقل طعامه وشرابه وجعل عقله في دماغه وفكره وصرامته في قلبه وشرهه في كليته وغضبه في كبده ورغبته في ريته وضحكه في طحاله وفرحه وحزنه في وجهه فسبحان من جعله يسمع بعظم ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف بدم وركب فيه الشهوة وحجزه بالحيا عن ابي هريرة قال خلق الله ادم عليه الصلاة والسلام وطوله ستون ذراعا ثم قال له اذهب فسلم على اوليك نفر من الملايكة فاستمع ما يجيبونك فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة ادم قال فلم يزل الخلق ينقص حتى الان عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صور الله ادم تركه ما شا الله ان يتركه فجعل ابليس يطيف به ينظر ما هو فلما راه اجوف علم انه لا يتمالك عن ابي موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى خلق ادم من قبضة قبضها من جميع الارض فجا بنو ادم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب اخرجه الترمذي وابو داود قوله عز وجل

سمي ادم لانه خلق من اديم الارض وقيل لانه كان ادم اللون وكنيته ابو محمد وقيل ابو البشر ولما خلق الله تعالى ادم ونفخ فيه الروح علمه اسما الاشيا وذلك ان الملايكة قالوا ليخلق ربنا ما يشا فلن يخلق خلقا اكرم عليه منا وان كان فنحن اعلم منه لانا خلقنا قبله وراينا ما لم يره فاظهر الله فضل ادم عليهم بالعلم وفيه دليل لمذهب اهل السنة ان الانبيا افضل من الملايكة وان كانوا رسلا ٧
قال ابن عباس علمه اسم كل شي حتى القصعة والقصيعة وقيل خلق كل شي من الحيوان والجماد وغير ذلك وعلم ادم اسماها كلها فقال يا ادم هذا بعير وهذا فرس وهذه شاة حتى اتى على اخرها وقيل علم ادم اسما الملايكة وقيل اسما ذريته وقيل علمه اللغات كلها يعني تلك الاشخاص وانما قال عرضهم ولم يقل عرضها لان المسميات فيها من يعقل ومن لا يعقل فعبر عنه بلفظ من يعقل لتغليب العقلا

لهم كما يعبر عن الذكور والاناث بلفظ الذكور على الملائكة فقال يعني تعجيزا لهم انبئوني اي اخبروني
باسماء هؤلاء يعني تلك الاشخاص ان كنتم صادقين اي اني لم اخلق خلقا الا كنتم افضل منهم واعلم قالوا
يعني الملائكة سبحانك تنزيها لك وذلك لما ظهر عجزهم لا علم لنا الا ما علمتنا اي انك اجل من ان نحيط بشي من
علمك الا ما علمتنا انك انت العليم اي بخلقك وهو من اسما الصفات التامة وهو المحيط بكل المعلومات
الحكيم في امرك وله معنيان احدهما انه القاضي العدل الثاني المحكم للامور كيلا يتطرق اليها الفساد
قال يعني الله تعالى يا ادم انبئهم باسمائهم وذلك لما ظهر عجز الملائكة فسمى كل شي باسمه وذكر وجه
الحكمة التي خلق لها فلما انباهم باسمائهم قال يعني الله تعالى الم اقل لكم يعني يا ملائكتي اني اعلم غيب السموات ٧
والارض يعني ما كان وما سيكون وذلك انه سبحانه وتعالى علم احوال ادم قبل ان يخلقه فلهذا
قال واعلم ما تبدون يعني قول الملائكة اتجعل فيها وما كنتم تكتمون يعني قولكم لن يخلق الله خلقا
اكرم عليه منا وقال ابن عباس اعلم ما تبدون من الطاعة وما تكتمون يعني ابليس من المعصية
قوله عز وجل واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم قيل هذا الخطاب للملائكة الذين كانوا سكان
الارض والاصح انه خطاب مع جميع الملائكة بدليل قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس
فسجدوا يعني الملائكة وفي هذا السجود قولان اصحهما انه كان لادم على الحقيقة ولم يكن فيه
وضع الجبهة على الارض وانما هو الانحنا وكان سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة كسجود اخوة يوسف
له في قوله وخروا له سجدا فلما جا الاسلام ابطل ذلك بالسلام وفي سجود الملائكة لادم معنى الطاعة
لله تعالى والامتثال لامره والقول الثاني ان ادم كان كالقبلة وكان السجود لله تعالى كما جعلت الكعبة
قبلة للصلاة والصلاة لله وفي هذه الاية دليل لمذهب اهل السنة في تفضيل الانبيا على الملائكة
الا ابليس سمي به لانه ابلس من رحمة الله اي ايس وكان اسمه عزازيل وبالعربية الحارث
فلما عصى غير اسمه فسمي ابليس وغيرت صورته قال ابن عباس كان ابليس من الملائكة بدليل انه
استثناه منهم وقيل انه من الجن لانه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور ولانه اصل الجن كما ان
ادم اصل البشر والاول اصح لان الخطاب مع الملائكة فهو داخل فيهم ثم استثناه منهم ابى اي امتنع
من السجود فلم يسجد واستكبر اي تكبر وتعظم عن السجود لادم وكان من الكافرين اي في علم الله تعالى
وانه وجبت له النار لسابق علم الله تعالى بشقاوته م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله وفي رواية يا ويلتا
امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار قوله عز وجل وقلنا
يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة اي اتخذاها ماوى ومنزلا وليس معناه الاستقرار لانه خلق لعمارة
الارض ولما اسكن الله ادم الجنة بقي وحده ليس معه من يستانس به فالقى الله عليه النوم
ثم اخذ ضلعا من اضلاع شقه الايسر وهو الاقصر فخلق منه زوجته حوى ووضع مكان
الضلع لحما من غير ان يحس ادم ولم يجد الما ولو وجد الما ما عطف رجل على امراة قط وسميت حوى
لانها خلقت من حي فلما استيقظ ادم من نومه راها جالسة كاحسن ما خلق الله فقال
لها من انت قالت انا زوجتك حوى قال ولماذا خلقت قالت لتسكن الي واسكن اليك واختلفوا
في الجنة التي امر ادم بسكناها فقيل انها جنة كانت في الارض بدليل انه لو كانت الجنة التي
هي دار الجزا والثواب لما اخرج منها واجاب صاحب هذا القول عن قوله تعالى اهبطا

بان

بان المراد من الهبوط التحول والانتقال فهو كقوله تعالى اهبطوا مصرا والقول الصحيح انها
الجنة التي هي دار الجزا والثواب وقيل كلا القولين ممكن فلا وجه للقطع وكلا منها رغدا اي واسعا
كثيرا حيث شئتما اي كيف شئتما ومتى شئتما واين شئتما والمقصود منه الاطلاق في الاكل من الجنة
بلا منع الا ما نهي عنه وهو قوله عز وجل ولا تقربا هذه الشجرة يعني بالاكل قيل انما وقع هذا النهي
على جنس من الشجر وقيل على شجرة مخصوصة قال ابن عباس هي السنبلة وقيل الكرمة وقيل هي شجرة
التين وقيل هي شجرة العلم وقيل الكافور وقيل ليس في ظاهر الكلام ما يدل على التعيين اذ لا حاجة
اليه لانه ليس المقصود تعرف عين تلك الشجرة وما لا يكون مقصودا لا يجب بيانه فتكونا من
الظالمين يعني ان اكلتما من هذه الشجرة ظلمتما انفسكما فمن جوز ارتكاب الذنوب على الانبيا قال
ظلم نفسه بالمعصية واصل الظلم وضع الشي في غير موضعه ومن لم يجوز ذلك على الانبيا حمل الظلم
على انه فعل ما كان الاولى ان لا يفعله وقيل حمل على انه فعل هذا قبل النبوة **فان قلت**
هل يجوز وصف الانبيا بالظلم وبظلم انفسهم **قلت** لا يجوز ان يطلق عليهم ذلك لما
فيه من الذم قوله عز وجل فازلهما الشيطان عنها اي استزل ادم وحوى ودعاهما الى الزلة وهي
الخطيئة وسياتي الكلام ان شا الله تعالى على عصمة الانبيا والجواب عما صدر منهم
عند قوله عز وجل وعصى ادم ربه فغوى في سورة طه فاخرجهما مما كانا فيه يعني من النعيم
وذلك ان ابليس اراد ان يدخل الجنة ليوسوس لادم وحوى فمنعه الخزنة فاتى الحية وكانت
صديقة لابليس وكانت من احسن الدواب لها اربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان
الجنة فسالها ان تدخله الجنة في فيها فادخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون وقيل
انما اتاهما على باب الجنة لانهما كانا يخرجان منها وكان ابليس بقرب الباب فوسوس لهما وذلك
ان ادم لما دخل الجنة وراى ما فيها من النعيم قال لو ان خلدا فاغتنم ذلك الشيطان منه واتاه
من قبل الخلد وقيل لما دخل الجنة وقف على ادم وحوى وهما لا يعلمان فبكى وناح نياحة احزنتهما
وهو اول من ناح فقالا له ما يبكيك قال ابكي عليكما لانكما تموتان فتفارقان ما انتما فيه من
النعمة فوقع ذلك في انفسهما واغتما ومضى ابليس ثم اتاهما بعد ذلك وقال يا ادم هل ادلك على
شجرة الخلد فابى ان يقبل منه فقاسمهما بالله انه لهما لمن الناصحين فاغترا وما ظنا ان احدا يحلف
بالله كاذبا فبادرت حوى الى اكل الشجرة ثم ناولت ادم فاكل منها قال ابراهيم بن ادهم اورثتنا
تلك الاكلة حزنا طويلا قال ابن عباس قال الله تعالى يا ادم الم يكن فيما اخبرتك من الجنة مندوحة
عن الشجرة قال بلى يا رب وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتي
لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش فيها الا نكدا فاهبط من الجنة وعلم صنعة الحديد
وامر بالحرث فحرث وزرع وسقى حتى اذا بلغ واشتد حصد ثم درسه ثم ذراه ثم طحنه ثم
عجنه وخبزه ثم اكله فلم يبلغه حتى بلغ منه الجهد وفي رواية عن ابن عباس ان ادم لما اكل من ٧
الشجرة التي نهي عنها قال الله تعالى يا ادم ما حملك على ما صنعت قال يا رب زينته لي حوى
قال فاني اعقبتها ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها وادميتها في الشهر مرتين فرنت حوى
عند ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك فلما اكلا من الشجرة تهافتت عنهما
ثيابهما وبدت سواتهما واخرجا من الجنة فذلك قوله عز وجل وقلنا اهبطوا اي انزلوا الى الارض

Copyright © King Saud University

يعني آدم وحوى وابليس والحية فهبط آدم بسرنديب من ارض الهند على جبل يقال له نود واهبطت
حوى بجدة وابليس بالابلة من اعمال البصرة والحية باصبهان **بعضكم لبعض عدو** يعني العداوة التي بين
المومنين من ذرية آدم وبين ابليس واليه الاشارة بقوله عز وجل ان الشيطان لكم عدو
فاتخذوه عدوا او العداوة التي بين ذرية آدم والحية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من ترك الحيات مخافة طلبهن فليس منا ما سالمناهن منذ حاربناهن اخرجه ابو داود
وله عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الحيات كلهن فمن خاف من
ثارهن فليس مني وفي رواية اقتلوا الكلاب كلها الا الجان الابيض الذي كانه قضيب فضة م عن
ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بالمدينة جنا قد اسلموا فاذا رايتم منهم
شيا فاذنوه ثلاثة ايام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانه شيطان وفي رواية ان لهذه البيوت
عوامر فاذا رايتم منها شيا فحرجوا عليها ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر **ولكم في الارض مستقر**
اي موضع قرار **ومتاع** وبلغة ومستمتع **الى حين** اي الى وقت انقضاء آجالكم قوله عز وجل **فتلقى**
آدم اي فتلقن والتلقي هو قبول عن فطنة وفهم وقيل هو التعليم **من ربه كلمات** اي كانت سبب
توبته وقيل ان تلك الكلمات هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل قال الحمد لله لا اله الا انت سبحانك
وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني انك انت ارحم الراحمين وقيل قال آدم يا رب ارايت
ما اتيت اشيء ابتدعته من تلقاء نفسي ام شيء قدرته علي قبل ان تخلقني قال بل شيء قدرته عليك قبل
ان اخلقك قال يا رب فكما قدرته علي فاغفر لي وقيل ان الله تعالى امر آدم بالحج وعلمه اركانه
فطاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ربوة حمراء ثم صلى ركعتين ثم استقبل البيت وقال اللهم انك
تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سولي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي
ذنوبي فاوحى الله اليه يا آدم قد غفرت لك ذنوبك وقيل ان آدم لما اهبط الى الارض مكث ثلثمائة
سنة لا يرفع راسه الى السماء حياء من الله تعالى وقيل هي ثلاثة اشيا الحياء والدعاء والبكاء قال ابن عباس
بكى آدم وحوى على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم ياكلا ولم يشربا اربعين يوما وقيل لو ان
دموع اهل الارض جمعت لكان دموع داود اكثر منها حيث اصاب الخطيئة ولو ان دموع داود ودموع
اهل الارض جمعت لكانت دموع آدم اكثر حيث اخرجه من الجنة **فتاب عليه** اي فتجاوز عنه وغفر له
واصل التوبة من تاب يتوب اذا رجع وكان التائب يرجع عن ذلك الذنب الذي كان عليه ولا
تتحقق التوبة منه الا بثلاثة امور علم وحال وعمل اما العلم فهو ان يعلم العبد ضرر الذنب وانه
حجاب عن الله تعالى فاذا حصل هذا العلم تالم القلب فعند ذلك يحصل الندم وهو الحال فيترك العبد
الذنب ويعزم في المستقبل ان لا يعود اليه وهو العمل فاذا تحققت هذه الثلاثة امور حصلت التوبة
وسياتي بسط هذا عند قوله توبوا الى الله توبة نصوحا في سورة التحريم ان شاء الله تعالى **انه**
هو التواب اي الرجاع على عباده بقبول التوبة والتواب في وصفه سبحانه وتعالى المبالغة في قبول توبة
عباده **الرحيم** اي بخلقه ووصف سبحانه وتعالى نفسه مع كونه توابا بانه رحيم **قلنا اهبطوا منها جميعا** يعني هولاء
الاربعة وقيل ان الهبوط الاول من الجنة الى سماء الدنيا والهبوط الثاني من سماء الدنيا الى الارض وفيه
ضعف لانه قال في الهبوط الاول ولكم في الارض مستقر فدل على انه كان من الجنة الى الارض والاصح
انه للتاكيد **فاما ياتينكم مني هدى** فيه تنبيه على عظم نعم الله على آدم وحوى كانه قال واني اهبطتكم

من

من الجنة الى الارض فقد انعمت عليكم بما يؤديكم الى الجنة مرة اخرى على الدوام الذي لا ينقطع وقيل
المخاطب هو ذرية آدم يعني يا ذرية آدم اما ياتينكم مني رشد وبيان وشريعة وقيل كتاب ورسول
فمن تبع هداي فلا خوف عليهم يعني فيما يستقبلهم **ولا هم يحزنون** اي على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم ولا
يحزنون في الآخرة **والذين كفروا** اي جحدوا **وكذبوا باياتنا** اي بالقرآن **اولئك اصحاب النار** اي يوم
القيامة **هم فيها خالدون** اي لا يخرجون منها ولا يموتون فيها قوله عز وجل **يا بني اسرائيل** اتفق المفسرون
على ان اسرائيل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم صلى الله عليهم وسلم اجمعين ومعنى اسرائيل عبد الله
وقيل صفوة الله والمعنى يا اولاد يعقوب **اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** اي اشكروا نعمتي وانما عبر عنه
بالذكر لان من ذكر النعمة فقد شكرها ومن جحدها فقد كفرها وقيل الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان
ووحد النعمة لانها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير ومعناه ان المضرة المحضة لا تكون
نعمة ولو فعل الانسان منفعة وقصد نفسه بها لا تسمى نعمة اذا لم يقصد بها الغير ثم ان النعم ثلاثة
نعمة تفرد بها الله تعالى وهي ايجاد الانسان ورزقه ونعمة وصلت الى الانسان بواسطة الغير
لكن الله مكنه من ذلك فالمنعم بها في الحقيقة هو الله تعالى ونعمة حصلت للانسان بسبب الطاعة
وهي ايضا من الله تعالى فالله هو المنعم المطلق في الحقيقة لان اصول النعم كلها منه واما النعم المختصة
ببني اسرائيل فكثيرة لان قوله اذكروا نعمتي لفظها واحد ومعناها الجمع فمن النعم ان الله انقذهم من فرعون
وفلق البحر لهم واغراق فرعون وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى في التيه عليهم وانزال التوراة
في نعم غير هذا كثيرة **فان قلت** اذا فسرت النعمة بهذا فما كانت على المخاطبين بها بل
كانت على ابائهم فكيف يكون نعمة عليهم حتى يذكروها **قلت** انما ذكر المخاطبين بها لان
فخر الاباء فخر الابناء ولان الابناء انما ينتفعوا ان الله انعم على ابائهم بهذه النعم فقد وجب عليهم ذكرها وشكرها
وقيل ان هذه النعم هي ادراك المخاطبين بها زمن محمد صلى الله عليه وسلم وذكرها الايمان به **واوفوا بعهدي**
اي امتثلوا امري **اوف بعهدكم** اي بالقبول والثواب واصل العهد حفظ الشي ومراعاته حالا بعد حال ومنه سمي
الموثق الذي يلزم مراعاته عهدا وقيل اراد بالعهد جميع ما امر الله به من غير تخصيص ببعض التكاليف دون بعض
وقيل اراد به ما ذكر في سورة المائدة وهو قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله
لاكفرن عنكم سياتكم فهذا قوله اوف بعهدكم وقيل هو قوله واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا
الله وقيل اراد بهذا العهد ما اثبته في كتب الانبياء المتقدمة من وصف محمد صلى الله عليه وسلم وانه
مبعوث في آخر الزمان وذلك ان الله عهد الى بني اسرائيل على لسان موسى عليه السلام اني باعث من
بني اسمعيل نبيا اميا فمن تبعه وصدق بالذي ياتي به غفرت له ذنبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين
اثنين وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس يعني امر محمد صلى الله عليه
وسلم وصفته **واياي فارهبون** اي فخافوني في نقضكم العهد **وآمنوا بما انزلت** يعني بالقرآن **مصدقا لما معكم** يعني
ان القرآن موافق لما في التوراة من التوحيد والنبوة والاخبار ونعت النبي صلى الله عليه وسلم فالايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن تصديقا للتوراة لان التوراة فيها الاشارة الى نعت النبي صلى الله
عليه وسلم وانه نبي مبعوث فمن آمن به فقد آمن بما في التوراة ومن كذبه وكفر به فقد كذب بالتوراة وكفر
بها **ولا تكونوا اول كافر به** الخطاب لليهود نزلت في كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود والمعنى فلا تكونوا يا معشر
اليهود اول من كفر به **فان قلت** كيف جعلوا اول من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به مشركوا

Copyright © King Saud University

العرب من اهل مكة وغيرهم قلت هذا تعريض بهم والمعنى كان يجب ان تكونوا اول من امن به
لانكم تعرفون صفته ونعته بخلاف غيركم وكنتم تستفتحون به على الكفار فلما بعث كان امر اليهود
بالعكس وقيل معناه ولا تكونوا اول كافر به من اليهود فيتبعكم غيركم على ذلك فتبوءوا باثمكم واثم غيركم ممن
تبعكم على ذلك ولا تشتروا اي ولا تستبدلوا بآياتي اي ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي في التوراة
ثمنا قليلا اي عوضا يسيرا من الدنيا لان الدنيا بالنسبة الى الاخرة كالشيء اليسير بالنسبة الى
جميعها فهو قليل القليل فلهذا قال الله تعالى ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وذلك ان كعب بن الاشرف
ورؤسا اليهود وعلماهم كانوا يصيبون الماكل من سفلتهم وجهالهم وكانوا ياخذون منهم في كل سنة شيئا
معلوما من زروعهم وثمارهم ونقودهم ونحوهم فخافوا ان يبينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وان يتبعوه
ان تفوتهم تلك الماكل فغيروا نعته وكتموا اسمه واختاروا الدنيا على الاخرة واثروا الكفر واياي فاتقون اي
فخافون في امر محمد صلى الله عليه وسلم والتقوى قريب من معنى الرهبة والفرق بينهما ان الرهبة خوف
مع حزن واضطراب والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف قوله عز وجل ولا تلبسوا الحق بالباطل اي ولا
تكتبوا في التوراة ما ليس فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم وقيل معناه ولا تخلطوا الحق الذي نزلت
عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة بالباطل الذي تكتبونه بايديكم من تغيير صفته وقيل
لا تخلطوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي الحق بالباطل اي بصفة الدجال وذلك لانه لما بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم حسده اليهود وقالوا ليس هو الذي ننتظره وانما هو المسيح بن داود يعني الدجال وكذبوا
فيما قالوا وتكتموا الحق وانتم تعلمون يعني ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبي مرسل وفيه تنبيه لسائر الخلق وتحذير من
مثله فصار هذا الخطاب وان كان خاصا في الصورة فانه عام في المعنى فعلى كل احد ان لا يلبس الحق بالباطل
ولا يكتم الحق لما فيه من الضرر والفساد وفيه دلالة ايضا على ان العالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم
عليه كتمانه واقيموا الصلاة يعني الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها وجميع اركانها وآتوا الزكاة اي ادوا
الزكاة المفروضة عليكم في اموالكم واركعوا مع الراكعين اي صلوا مع المصلين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
واصحابه وعبر عن الصلاة بالركوع لانه ركن من اركانها وهذا خطاب لليهود لان صلاتهم ليس فيها ركوع
فكانه قال لهم صلوا صلاة ذات ركوع فلهذا المعنى اعاده بقوله واقيموا الصلاة لان الاول خطاب لكافة
والثاني خطاب قوم مخصوصين وهم اليهود وقيل حث على اقامة الصلاة في الجماعة فكانه قال صلوا
مع المصلين في الجماعة قوله عز وجل اتأمرون الناس بالبر الاستفهام فيه للتقرير مع التقريع والتعجب
من حالهم والبر اسم جامع لجميع اعمال الخير والطاعات نزلت هذه الاية في علما اليهود وذلك ان الرجل منهم
كان يقول لقريبه وحليفه من المسلمين اذا ساله عن امر محمد صلى الله عليه وسلم اثبت على دينه فان امره
حق وقوله صدق وقيل ان جماعة من اليهود قالوا لمشركي العرب ان رسولا سيظهر منكم ويدعوكم الى الحق
كانوا يرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به فبكتهم الله ووبخهم
بذلك حيث انهم كانوا يامرون الناس باتباعه قبل ظهوره فلما ظهر تركوه واعرضوا عنه وقيل كانوا يامرون
الناس بالطاعة بالصلاة والزكاة وانواع البر ولا يفعلونه فوبخهم الله بذلك وتنسون انفسكم اي
وتعدلون عما لها فيه نفع والنسيان عبارة عن السهو الحادث بعد حصول العلم والمعنى انكم تتركون
انفسكم ولا تتبعون محمدا صلى الله عليه وسلم وانتم تتلون الكتاب يعني تقرؤون التوراة وتدرسونها
وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وفيها ايضا الحث على الافعال الحسنة والاعراض عن الافعال

القبيحة

القبيحة والاثم افلا تعقلون يعني انه الحق فتتبعونه والعقل قوة تتهيأ لقبول العلم ويقال للعلم الذي
يستفيده الانسان بتلك القوة عقل ومنه قول علي بن ابي طالب العقل عقلان مطبوع ومسموع
ولا ينفع مطبوع اذا لم يكن مسموع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع واصل العقل الامساك فانه
ماخوذ من عقال الدابة كعقال البعير بالعقال ليمنعه من الشرود فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود
والافعال القبيحة ومعنى الاية ان المقصود من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو ارشاد الغير لتحصيل
المصلحة وتحذيره عما يوقعه في المفسدة والاحسان الى النفس اولى من الاحسان الى الغير وذلك لان الانسان
اذا وعظ غيره ولم يتعظ هو فكانه اتى بفعل متناقض لا يقبله العقل فلهذا قال افلا تعقلون وقيل ان من
وعظ الناس يجتهد ان تنفذ موعظته الى القلوب فاذا خالف قوله فعله فكان ذلك سبب تنفير القلوب عن
قبول موعظته ق عن اسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل
يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع اليه اهل النار
فيقولون يا فلان ما لك الم تكن تامر الناس بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت امر بالمعروف ولا
اتيه وانهى عن المنكر واتيه قوله فتندلق اي تخرج اقتاب بطنه اي امعا بطنه واحدها قتب
وروى البغوي بسنده عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي رجالا
تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من هولا يا جبريل قال هولا خطبا من امتك يامرون الناس بالبر
وينسون انفسهم وهم يتلون الكتاب فلا يعقلون قيل مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضي للناس
ويحرق نفسه وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه وقال بعضهم
ابدا بنفسك فانهها عن غيها • فاذا انتهت عنه فانت حكيم • فهناك يسمع ما تقول ويقتدى
بالقول منك وينفع التعليم • قوله عز وجل واستعينوا بالصبر والصلاة قيل ان المخاطبين بهذا هم
المومنون لان من ينكر الصلاة والصبر على دين محمد صلى الله عليه وسلم لا يقال له استعن
بالصبر والصلاة فلا جرم وجب صرفه الى من صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وامن به
وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لبني اسرائيل لان صرف الخطاب الى غيرهم تفكيك لنظم القران ولان
اليهود لم ينكروا اصل الصلاة والصبر لكن صلاتهم غير صلاة المومنين فعلى هذا القول ان
الله تعالى لما امرهم بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتزام شريعته وترك الرياسة وحب
الجاه والمال فقال لهم استعينوا بالصبر اي بحبس النفس عن اللذات وان ضممتم الى ذلك الصلاة
هان عليكم ترك ما انتم فيه من حب الرياسة والجاه والمال وعلى القول الاول يكون معنى الاية
واستعينوا على حوائجكم الى الله وقيل على ما يشغلكم من انواع البلا وقيل على طلب الاخرة بالصبر
وهو حبس النفس عن اللذات وترك المعاصي وقيل بالصبر على اداء الفرائض وقيل الصبر هو
الصوم لان فيه حبس النفس عن المفطرات وعن سائر اللذات وفيه انكسار النفس والصلاة
اي اجمعوا بين الصبر والصلاة وقيل معناه واستعينوا بالصبر على الصلاة وعلى ما يجب فيها من
تصحيح النية واحضار القلب ومراعاة الاركان والاداب مع الخشوع والخشية فانه من اشتغل
بالصلاة ترك ما سواها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة
اي فاذا همه امر فزع الى الصلاة وعن ابن عباس انه نعي له اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم
تنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما السجود ثم قام الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر

Copyright King Saud University

والصلاة **وانها** يعني الصلاة وقيل الاستعانة **لكبيرة** اى ثقيلة **الا على الخاشعين** يعني المومنين وقيل
الخايفين وقيل المطيعين المتواضعين لله واصل الخشوع السكون فالخاشع ساكن الى الطاعة
وقيل الخشوع الضراعة واكثر ما يستعمل في الجوارح وانما كانت الصلاة ثقيلة على غير الخاشعين
لان من لم يرجو لها ثوابا ولا يخاف على تركها عقابا فهي ثقيلة عليه والخاشع الذي يرجو لها
ثوابا ويخاف على تركها العقاب فهي سهلة عليه **الذين يظنون** اى يستيقنون وقيل يعلمون **انهم**
ملاقوا ربهم يعني في الاخرة وفيه دليل على ثبوت روية الله تعالى في الاخرة **وانهم اليه راجعون**
يعني بعد الموت فيجزيهم باعمالهم قوله عز وجل **يا بني اسرايل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** انما اعاد هذا
الكلام مرة اخرى توكيدا للحجة عليهم وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم **واني فضلتكم على**
العالمين يعني على عالمي زمانكم وهذا التفضيل وان كان في حق الابا ولكن يحصل به الشرف للابنا
واتقوا يوما اى واخشوا عذاب يوم **لا تجزي** اى لا تقضي **نفس عن نفس شيا** يعني حقا لزمها وقيل معنا
لا تنوب نفس عن نفس يوم القيامة ولا تردع عنها شيا انما اصابها بل يفر المرء من اخيه وامه وابيه **ولا**
تقبل منها شفاعة اى في ذلك اليوم والمعنى لا تقبل الشفاعة اذا كانت النفس كافرة وذلك ان اليهود
قالوا يشفع لنا اباونا فرد الله عليهم ذلك بقوله ولا تقبل منها شفاعة وقيل ان طاعة المطيع
لا تقضي عن العاصي ما كان واجبا عليه وقيل معناه ان النفس الكافرة لو جاءت بشفيع لا يقبل
منها **ولا يوخذ منها عدل** اى فدية وهو مماثلة الشي بالشي **ولا هم ينصرون** اى لا يمنعون من العذاب
قوله عز وجل **واذ نجيناكم** اى اذكروا اذ خلصنا اسلافكم واجدادكم فاعدها نعمة ومنة عليهم لانهم
نجوا بنجاة اسلافهم **من ال فرعون** اى من اتباعه واهل دينه وفرعون اسم علم لمن كان يملك مصر من
القبط ومن العماليق وكان اسمه الوليد بن مصعب بن الريان وعمر اكثر من اربعماية سنة **يسومونكم**
اى يكلفونكم ويذيقونكم **سوء العذاب** اى اشد العذاب واسوءه وقيل يصرفونكم في العذاب مرة كذا
ومرة كذا وذلك ان فرعون جعل بني اسرايل خدما وخولا وصنفهم في الاعمال اصنافا فصنف يبنون
ويزرعون وصنف يخدمون ومن لم يكن في عمل وضع عليه الجزية وقال ابن وهب كانوا اصنافا
في اعمال فرعون فذو القوة يسلخون السواري من الجبال حتى تقرحت ايديهم واعناقهم ودبرت ظهورهم
من قطعها ونقلها وصنف ينقلون الحجارة والطين يبنون له القصور وطايفة نجارون وحدادون والضعفة
منهم يضرب عليهم الخراج يعني الجزية ضريبة يودونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل ان يودي ضريبته
غلت يده شهرا والنسا يغزلون الكتان وينسجونه وقيل تفسير يسومونكم سوء العذاب ما بعده وهو
قوله عز وجل **يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم** اى يتركونهن احيا وذلك ان فرعون راى في منامه كان نارا اقبلت
من بيت المقدس واحاطت بمصر واحرقت كل قبطي ولم تتعرض لبني اسرايل وهاله ذلك فسال الكهنة عن
روياه فقالوا يولد غلام يكون على يديه هلاكك وزوال ملكك فامر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني
اسرايل ووكل بالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى قتل في طلب موسى اثني عشر الفا واسرع الموت في مشيخة
بني اسرايل فدخل رؤسا القبط على فرعون وقالوا ان الموت قد وقع ببني اسرايل فتذبح صغارهم
ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر فرعون ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد
هارون في السنة التي لا يذبح فيها وولد موسى في السنة التي يذبح فيها **وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم**
اى اختبار وامتحان والبلا يطلق على النعمة العظيمة وعلى المحنة الشديدة ليختبر الله العبد على

النعمة

النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر فان حمل قوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم على صنع فرعون كان من البلا
والمحنة وان حمل على الانجا كان من النعمة قوله عز وجل **واذ فرقنا بكم البحر** اى فصلنا بعضه من بعض
وجعلنا فيه مسالك بسبب دخولكم البحر وسمي بحرا لاتساعه **ذكر سياق القصة** وذلك
لما دنى هلاك فرعون امر الله عز وجل موسى ان يسري ببني اسرايل من مصر بالليل فامر موسى قومه ان
يسرجوا في بيوتهم السرج الى الصبح وان يستعيروا حلي القبط ليبقى لهم او ليتبعوهم لاجل المال
واخرج الله كل ولد زنا من القبط من بني اسرايل الى بني اسرايل وكل ولد زنا من القبط الى القبط حتى
يرجع كل ولد الى ابيه والقى الله الموت على القبط فمات كل بكر لهم فاشتغلوا بدفنهم وقيل بلغ فرعون
فقال لا اخرج في طلبهم حتى يصيح الديك فما صاح تلك الليلة ديك وخرج موسى في بني اسرايل وهم ستماية
الف وعشرون الفا لا يعدون ابن عشرين سنة لصغره ولا ابن ستين سنة لكبره وكانوا يوم
دخلوا مصر مع يعقوب اثنان وسبعون انسانا ما بين رجل وامراة فلما ارادوا السير ضرب عليهم
التيه فلم يدروا اين ذهبوا فدعا موسى مشيخة بني اسرايل وسالهم عن ذلك فقالوا ان يوسف لما
حضره الموت اخذ على اخوته عهدا ان لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك استد علينا الطريق
فسالهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادي انشد الله كل من يعلم اين قبر يوسف الا اخبرني
به ومن لم يعلم صمت اذناه عن سماع قولي فكان يمر بالرجل وهو ينادي فلا يسمع صوته حتى سمعته
عجوز منهم فقالت له ارايتك ان دللتك على قبره اتعطيني كل ما سالتك فابى عليها وقال حتى
اسال ربي فامره ان يعطيها سولها فقالت اني عجوز لا استطيع المشي فاحملني معك واخرجني من
مصر هذا في الدنيا واما في الاخرة فاسالك ان لا تنزل غرفة من غرف الجنة الا نزلتها معك قال
نعم قالت انه في النيل في جوف الما فادع الله ان يحسر عنه الما فدعا الله فحسر عنه الما ودعا الله ان يوخر
طلوع الفجر حتى يفرغ من امر يوسف ثم حفر موسى ذلك الموضع فاستخرجه وهو في صندوق
من مرمر وحمله معه حتى دفنه بالشام فعند ذلك فتح لهم الطريق فسار موسى ببني اسرايل هو في ساقتهم
وهارون في مقدمتهم ثم خرج فرعون في طلبهم في الف الف وسبعماية الف وكان فيهم سبعون الفا
من دهم الخيل سوى ساير الشيات وقيل كان معهم ماية الف حصان وكان فرعون في الدهم وكان على
مقدمة عسكره هامان وكان فرعون في سبعة الاف الف وكان بين يديه ماية الف ناشب
وماية الف حراب وماية الف معهم الاعمدة وسار بنو اسرايل حتى وصلوا البحر والما في غاية
الزيادة ونظروا حتى اشرقت الشمس فاذا هم بفرعون في جنوده فبقوا متحيرين وقالوا يا موسى
اين ما وعدتنا به فكيف نصنع هذا فرعون خلفنا ان ادركنا قتلنا والبحر امامنا ان دخلناه
غرقنا فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فاوحى الله اليه ان كنه فضربه
وقال انفلق يا ابا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم فظهر فيه اثني عشر طريقا لكل سبط
منهم طريق وارتفع الما بين كل طريقين كالجبل وارسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا
وخاضت بنو اسرايل البحر كل سبط في طريق وعن جوانبهم الما كالجبال الضخم لا يرى بعضهم بعضا فخافوا
وقال كل سبط منهم قد هلك اخواننا فاوحى الله الى جبال الما ان تشبكي فصار الما كالشباك يرى
بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم
البحر **فانجيناكم** يعني من فرعون **واغرقنا ال فرعون** وذلك ان فرعون لما وصل الى البحر فراه منفلقا قال
لقومه انظروا الى البحر كيف انفلق من هيبتي حتى ادرك عبيدي الذين ابقوا مني ادخلوا البحر

Copyright © King Saud University

فهابت قومه ان يدخلوا وقيل قالوا له ان كنت ربا فادخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون على حصان ادهم
ولم يكن في خيل فرعون فرس انثى فجاء جبريل عليه السلام على فرس انثى وديق فتقدمه وخاض البحر فلما شم
ادهم فرعون ريحها اقتحم البحر في اثرها ولم يملك فرعون من امره شيئا واقتحمت الخيول خلفه في البحر وجاء ميكائيل
خلفهم يسوقهم وهو على فرس ويقول الحقوا باصحابكم حتى صاروا كلهم في البحر وخرج جبريل من البحر
وهم اولهم بالخروج امر الله البحران ياخذهم فالتطم عليهم وغرقهم اجمعين فكان عرض البحر اربع فراسخ
وهو بحر القلزم وهو على طرف من بحر فارس وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف وكان اغراق آل
فرعون بمراى من بني اسرائيل فذلك قوله وانتم تنظرون يعني الى هلاكهم وقيل الى مصارعهم وقيل ان البحر
قذفهم حتى نظروا اليهم ووافق ذلك يوم عاشورا فصام موسى ذلك اليوم شكرا لله تعالى قوله عز وجل
واذ وعدنا من المواعدة وهو من الله الامر ومن موسى القبول وذلك ان الله وعد النبي الميقات
موسى اسم عربي معرب يعني موسى بالعربية الماء وسى وهو الشجر سمي موسى لانه اخذ من الماء والشجر ثم قلبت
الشين سينا فسمي موسى اربعين ليلة اي انقضاء اربعين ليلة ثلاثين من ذي القعدة وعشر من ذي
الحجة وقرن التاريخ بالليل دون النهار لان اشهر العرب وضعت على سير القمر وقيل لان الظلمة اقدم
من الضوء **ذكر** القصة في ذلك قال العلما لما انجى الله بني اسرائيل من البحر واغرق عدوهم ولم يكن لهم
كتاب ولا شريعة ينتهون اليها وعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه اني ذاهب
الى الميقات اتيكم منه بكتاب فيه بيان ما تاتون وما تذرون ووعدهم اربعين ليلة
واستخلف عليهم اخاه هرون فلما جا الموعد اتاه جبريل عليه السلام على فرس يقال له فرس الحياة
لا يصيب شيا الا حيي ليذهب بموسى الى الميقات فراه السامري وكان صائغا اسمه ميخا وقال
ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وقيل كان من اهل باجرما وقيل كرمان وقيل من بني اسرائيل من قبيلة يقال
لها السامرة وكان منافقا يظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فلما راى جبريل على ذلك الفرس
وراى موضع قدم الفرس يخضر في الحال فقال في نفسه ان لهذا شانا وقيل راى جبريل حين دخل البحر قدام فرعون
فقبض قبضة من تراب فرسه والقي في روعه انه اذا القاه في شي حيي فلما ذهب موسى الى الطور ومكث على الطور
اربعين ليلة وانزل الله عليه التوراة في الالواح وكانت الالواح من زبرجد وفيه يحيا واسمع صرير
الاقلام وقيل انه بقي اربعين ليلة لم يحدث فيها حدثا حتى هبط من الطور وكانت بنوا اسرائيل قد استعاروا
حليا كثيرا من القبط حين ارادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم فلما اهلك فرعون وقومه بقي ذلك الحلي
في ايديهم فلما فصل موسى قال لهم السامري ان الحلي الذي استعرتموها من القبط غنيمة لا تحل لكم فاحفروا
حفيرة وادفنوها فيها حتى يرجع موسى ويرى فيها رايه وقيل ان هارون امرهم بذلك فلما اجتمعت الحلي
اخذها السامري وصاغها عجلا في ثلاثة ايام ثم القى القبضة التي اخذها من تراب فرس جبريل عليه
السلام فصار عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر وخار خورة وقيل كان يخور ويمشي فقال لهم السامري
هذا الهكم واله موسى فنسي اي فتركه ههنا وخرج يطلبه وكانت بنوا اسرائيل قد اخلفوا الوعد فعدوا اليوم
مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوما ولم يرجع موسى وقعوا في الفتنة وقيل كان موسى وعدهم ثلثين
ليلة ثم زيدت العشرة فكانت فتنتهم في تلك العشرة فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا انه قد
مات وراوا العجل وسمعوا قول السامري عكف عليه ثمانية الاف رجل يعبدونه وقيل عبده كلهم الا هرون
مع اثني عشر الف رجل وهذا اصح فذلك قوله عز وجل ثم اتخذتم العجل يعني الها من بعده اي من بعد موسى
وانتم ظالمون اي وانتم ضارون لانفسكم بالمعصية حين وضعتم العبادة في غير موضعها ثم عفونا عنكم

اى

اي محونا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم من بعد ذلك اي من بعد عبادتكم العجل لعلكم تشكرون اي لكي تشكروا عفوي عنكم
وحسن صنيعي اليكم واصل الشكر هو تصور النعمة واظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها والشكر على
ثلاثة اضرب شكر القلب وهو تصور النعمة وشكر اللسان وهو الثنا على النعمة وشكر سائر الجوارح وهو مكافاة
النعمة بقدر استحقاقها وقيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية وقيل حقيقة الشكر العجز عن
الشكر وحكي ان موسى عليه الصلاة والسلام قال الهي انعمت على النعم السوابغ وامرتني بالشكر وانما شكري اياك
نعمة منك فاوحى الله تعالى اليه يا موسى تعلمت العلم الذي لا فوقه علم حسبي من عبدي ان يعلم ان ما به من نعمة فهو مني
وقال داود عليه الصلاة والسلام سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا كما جعل اعترافه
بالعجز عن اعترافه معرفة قال الفضيل شكر كل نعمة ان لا يعصى الله بعدها بتلك النعمة وقيل شكر النعمة ذكرها
وقيل شكر النعمة ان لا يراها البتة ويرى المنعم وقيل الشكر لمن فوقك بالطاعة والثنا ولنظيرك بالمكافاة ولمن
دونك بالاحسان والافضال قوله عز وجل واذ اتينا موسى الكتاب يعني التوراة والفرقان قيل هو نعت الكتاب
والواو زايدة والمعنى الكتاب المفرق بين الحلال والحرام والكفر والايمان وقيل الفرقان هو النصر على الاعداء والواو
اصلية لعلكم تهتدون يعني بالتوراة واذ قال موسى لقومه يعني الذين عبدوا العجل يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم
العجل يعني الها تعبدونه فكانهم قالوا ايش نصنع قال فتوبوا الى بارئكم اي ارجعوا الى خالقكم بالتوبة قالوا كيف
نتوب قال فاقتلوا انفسكم يعني ليقتل البري منكم المجرم **فان قلت** التوبة عبارة عن الندم
على فعل القبيح والعزم على ان لا يعود اليه وهذا مغاير للقتل فكيف يجوز تفسير التوبة بالقتل **قلت**
ليس المراد تفسير التوبة بالقتل بل بيان ان توبتهم لا تتم الا بالقتل وانما كان ذلك لان الله اوحى الى
موسى عليه السلام ان توبة المرتد لا تتم الا بالقتل **فان قلت** التايب من الردة
لا يقتل فكيف استحقوا القتل وقد تابوا من الردة **قلت** ذلك مما تختلف فيه الشرايع فلعل
شرع موسى كان يقتضي ان يقتل التايب من الردة اما عاما في حق الكل او خاصا في حق الذين عبدوا
العجل ذلكم خير لكم عند بارئكم يعني القتل وتحمل هذه الشدة لان الموت لا بد منه فلما امرهم موسى بالقتل
قالوا نصبر لامر الله تعالى فجلسوا محتبين من الحياة وهو ضم الساق الى البطن بثوب وقيل لهم من حل
حبوته او مد طرفه الى قاتله او اتقاه بيد او رجل فهو ملعون مردودة توبته واصلت
القوم الخناجر والسيوف واقبل عليهم فكان الرجل يرى ابنه واباه واخاه وقريبه وصديقه وجاره
فيرق له فلا يمكنهم المضي لامر الله تعالى قالوا يا موسى كيف نفعل فارسل الله تعالى عليهم سحابة سودا
لا يبصر بعضهم بعضا فكانوا يقتلون الى المسا فلما كثر القتل دعا موسى وهارون الله وبكيا وتضرعا
اليه وقالا يا رب هلكت بنوا اسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة عنهم وامرهم ان يكفوا عن
القتل فتكشفت عن الوف من القتلى قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان عدد القتلى سبعين
الفا فاشتد ذلك على موسى فاوحى الله اليه اما يرضيك ان ادخل القاتل والمقتول الجنة فكان من
قتل منهم شهيدا ومن بقي مكفرا عنه ذنوبه فذلك قوله عز وجل فتاب عليكم اي فعلتم ما امرتم به
فتجاوز عنكم انه هو التواب اي الرجاع بالمغفرة القابل للتوبة الرحيم بخلقه قوله عز وجل واذ
قلتم يا موسى لن نؤمن لك اي لن نصدقك حتى نرى الله جهرة اي عيانا وذلك ان الله عز وجل امر موسى
ان ياتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى من قومه سبعين
رجلا من خيارهم وقال لهم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا وخرج بهم موسى الى طور سينا

Copyright © King Saud University

لميقات ربه فقالوا لموسى اطلب لنا ان نسمع كلام ربنا قال افعل فلما دنى من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى
الجبل كله فدخل موسى في الغمام وقال للقوم ادنوا حتى دخلوا تحت الغمام وخروا سجدا وكان موسى
اذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع احد ان ينظر اليه فضرب دونهم الحجاب وسمعوه
يكلم موسى يامره وينهاه واسمعهم الله تعالى اني انا الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم من ارض مصر
بيد شديدة فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى وانكشف الغمام اقبل اليهم فقالوا لن نؤمن
لك حتى نرى الله جهرة توكيد للرؤية ليلا يتوهم متوهم ان المراد بالرؤية العلم فاخذتكم الصاعقة قيل هي الموت
وقيل ضعف لان قوله وانتم تنظرون يرده اذ لو كان المراد منها لا امتنع كونهم ناظرين اليها وقيل
ان الصاعقة هي سبب الموت واختلفوا في ذلك السبب فقيل انه نار نزلت من السما فاحرقتهم
وقيل جاءت صيحة من السما وقيل ارسل جنودا من الملايكة فسمعوا بحسهم فخروا صاعقين وانتم
تنظرون اي ينظر بعضكم الى بعض كيف ياخذه الموت فلما هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرع
ويقول الهي ماذا اقول لبني اسرايل اذا اتيتهم وقد هلك خيارهم لو شيت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا
بما فعل السفهاء منا فلم يزل بها شدة حتى احياهم الله رجلا بعد رجل بعدما ماتوا يوما وليلة ينظر
بعضهم الى بعض كيف يحيون فذلك قوله تعالى ثم بعثناكم اي احييناكم من بعد موتكم اي لتستوفوا
بقية اجالكم وارزاقكم ولو ماتوا باجالهم لم يبعثوا الى يوم القيامة لعلكم
تشكرون قوله عز وجل وظللنا عليكم الغمام يعني في التيه يقيكم حر الشمس وذلك انهم لم يكن لهم في التيه
شي يسترهم ولا يستظلون به فشكوا الى موسى فارسل الله غماما ابيض رقيقا يسترهم من الشمس
وجعل لهم عمودا من نور يضي لهم بالليل اذا لم يكن قمر وانزلنا عليكم المن والسلوى في التيه والاكثرون
على ان المن هو الترنجبين وقيل هو شي كالصمغ يقع على الشجر طعمه كالشهد وقال وهب هو
الخبز الرقاق واصل المن هو ما يمن الله به من غير تعب ق عن سعيد بن زيد قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الكماة من المن وماوها شفا للعين ومعنى الحديث ان الكماة شي ينبته
الله من غير سعي احد ولا مونة وهو بمنزلة المن الذي كان ينزل على بني اسرايل وقوله وماوها
شفا للعين معناه ان يخلط مع الادوية فينتفع به لا انه يقطرها وحدها في العين وقيل
ان تقطره في العين ينفع لكن لوجع مخصوص وليس يوافق كل وجع في العين وكان هذا المن
ينزل على اشجارهم في التيه في كل ليلة من وقت السحر الى طلوع الشمس كالثلج لكل انسان صاع قالوا
يا موسى قد قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك ان يطعمنا اللحم فارسل الله عليهم السلوى
وهو طاير يشبه السماني وقيل هو السماني بعينه فكان الرجل ياخذ ما يكفيه يوما وليلة فاذا كان
يوم الجمعة ياخذ ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت شي كلوا اي وقلنا لهم كلوا من
طيبات اي حلالات ما رزقناكم ولا تدخروا لغد فخبوا لغد وادخروا فدود وفسد فقطع الله عنهم
ذلك وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرايل لم
يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حوا لم تخن انثى زوجها الدهر قوله لم يخنز اللحم لم ينتن ولم
يتغير وما ظلمونا اي وما بخسوا حقنا ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني باخذهم اكثر مما حد لهم فاستحقوا
بذلك عذابي وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مونة ولا تعب في الدنيا ولا حساب
في العقبى قوله عز وجل واذ قلنا ادخلوا هذه القرية سميت قرية لاجتماع الناس فيها قال ابن عباس

هي

هي اريحا قرية الجبارين وقيل كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة وراسهم عوج بن عنق
فعلى هذا يكون القايل يوشع بن نون لانه هو الذي فتح اريحا بعد موسى لان موسى مات في التيه
وقيل هي بيت المقدس وعلى هذا فيكون القايل موسى والمعنى اذا خرجتم بعد مضي الاربعين سنة
ادخلوا بيت المقدس فكلوا منها حيث شيتم رغدا اي موسعا عليكم وادخلوا الباب فمن قال ان القرية
اريحا قال ادخلوا من اي باب كان من ابوابها وكان لها سبعة ابواب ومن قال ان القرية هي
بيت المقدس قال هو باب حطة سجدا منحنين خضعا متواضعين كالراكع وقولوا حطة
اي حط عنا خطايانا امروا بالاستغفار وقال ابن عباس قولوا لا اله الا الله لانها تحط الذنوب
والخطايا على تقدير مسيلتنا حطة نغفر لكم خطاياكم اي نسترها عليكم من الغفر وهو الستر لان
المغفرة تستر الذنوب وسنزيد المحسنين يعني ثوابا فبدل اي فغير الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم
اي قالوا قولا غير ما قيل لهم وذلك انهم بدلوا قول الحطة بالحنطة فقالوا بلسانهم هطانا سمقاتا
اي حنطة حمرا وذلك استخفافا منهم بامر الله تعالى وقيل طوطي لهم الباب ليخفضوا روسهم فابوا
ذلك ودخلوا زحفا على استاههم فخالفوا في الفعل كما خالفوا في القول وبدلوه ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبني اسرايل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا
فدخلوا يزحفون على استاههم وقالوا حبة في شعرة فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السما يعني عذابا
من السما قيل ارسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون الفا بما كانوا يفسقون اي
يعصون ويخرجون عن امر الله تعالى قوله عز وجل واذ استسقى موسى لقومه اي طلب السقيا
لقومه وذلك انهم عطشوا في التيه فسالوا موسى ان يستسقي لهم ففعل فاوحى الله اليه كما قال
بينا فقلنا اضرب بعصاك الحجر وكان العصى من اس الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى عليه السلام
ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا واسمها عليق وقيل نبعة حملها ادم من الجنة فتوارثوها
الانبيا حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى الحجر قال وهب لم يكن حجرا معينا بل كان موسى يضرب
اي حجر كان فيتفجر عيونا لكل سبط عين وكانوا اثني عشر سبطا وقيل كان الحجر معينا بدليل انه عرفه
بالالف واللام قال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا قدر راس الرجل كان للحجر اربعة وجوه
في كل وجه ثلاثة اعين لكل سبط عين وقيل كان من الرخام وقيل كان من الكذان وهي الحجارة
اللينة وقيل هو الحجر الذي وضع عليه موسى ثوبه ليغتسل ففر به فاتاه جبريل وقال ان الله
يامرك ان ترفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه معجزة فرفعه في مخلاته فلما سالوا السقيا قيل اضرب
بعصاك الحجر فكان اذا احتاجوا الى الما وضعه وضربه بعصاه فتنفجر منه عيون لكل سبط عين
تسيل اليهم في جدول وكان اذا اراد حمله ضربه بعصاه فيذهب الما وييبس فذلك قوله تعالى
فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا يعني على عدد اسباط بني اسرايل والمعنى فضربه فانفجرت قال
المفسرون انفجرت وانبجست اي عرقت وانفجرت سالت قد علم كل اناس مشربهم اي موضع
شربهم لا يدخل سبط على غيره كلوا واشربوا اي وقلنا لهم كلوا واشربوا من رزق الله يعني المن والسلوى
والما فهذا كله من رزق الله كان ياتيهم بلا مشقة ولا كلفة ولا تعثوا في الارض مفسدين العيث اشد
الفساد في هذه الاية معجزة عظيمة لموسى عليه السلام حيث انفجر منه الحجر الصغير ما روي منه الجمع
الكثير ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اعظم من انفجاره من الحجر قوله عز وجل واذ قلتم

Copyright © King Saud University

يا موسى لن نصبر على طعام واحد وذلك انهم سئموا من المن والسلوى وملوه فاشتهوا غيره لان
المواظبة على الطعام الواحد يكون سببا لنقصان الشهوة **فان قلت** هما
طعامان فلم قالوا على طعام واحد **قلت** ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل
ولو كان في مائدة الرجل عدة الوان يداوم عليها كل يوم لا يبدلها كانت بمنزلة الطعام الواحد فادع
لنا ربك اي فاسئل لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها قال ابن عباس
الفوم الخبز وقيل هو الحنطة وقيل هو الثوم وعدسها وبصلها انما طلبوا هذه الانواع لانها تعين
على تقوية الشهوة او لانهم ملوا من البقاء في التيه فسألوا هذه الاطعمة التي لا توجد الا في البلاد وكان
غرضهم الوصول الى البلاد لا تلك الاطعمة قال يعني موسى اتستبدلون الذي هو ادنى اي الذي هو اخس واردى وهو
الذي طلبوه بالذي هو خير يعني بالذي هو اشرف وافضل وهو ما هم فيه اهبطوا مصرا يعني فان ابيتم الا ذلك
فانزلوا مصرا من الامصار وقيل بل هو مصر البلد الذي كانوا فيه ودخول التنوين عليه كدخوله على نوح
ولوط والقول هو الاول فان لكم ما سألتم يعني من نبات الارض وضربت عليهم الذلة اي جعلت الذلة
محيطة بهم مشتملة عليهم فالزموا الذل والهوان وقيل الذلة الجزية وزي اليهودية وفيه بعد لانه
لم يكن ضربت عليهم الجزية بعد والمسكنة اي الفقر والفاقة وسمي الفقير مسكينا لان الفقر اسكنه واقعده
عن الحركة فترى اليهود وان كانوا اغنياء مياسير كانهم فقراء فلا ترى احدا من اهل الملل اذل ولا احرص على
المال من اليهود وباءوا اي رجعوا ولا يقال باء الا بشر بغضب من الله وغضب الله ارادة الانتقام ممن عصاه
ذلك اي الغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله اي بصفة محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم التي في التوراة
ويكفرون بالانجيل والقران ويقتلون النبيين النبي معناه المخبر من انبأ ينبئ وقيل هو بمعنى الرفيع
ماخوذ من النبوة وهو المكان المرتفع بغير الحق اي بغير جرم **فان قلت** قتل الانبياء لا يكون
الا بغير حق فما فائدة ذكره **قلت** ذكره وصفا للقتل والقتل يوصف تارة بالحق وهو ما امر
الله به وتارة بغير الحق وهو قتل العدوان فهو كقوله قل رب احكم بالحق فالحق وصف للحكم لا ان
حكمه ينقسم الى حق وجور ويروى ان اليهود قتلت سبعين نبيا في اول النهار وقامت سوق بقلها
في اخره وقتلوا زكريا ويحيى وشعيا وغيرهم من الانبياء ذلك بما عصوا اي ذلك القتل والكفر بما
عصوا امري وكانوا يعتدون اي يتجاوزون امري ويرتكبون محارمي قوله عز وجل ان الذين امنوا
والذين هادوا يعني اليهود سموا بذلك لقولهم هدنا اليك اي ملنا اليك وقيل لانهم هادوا اي
تابوا عن عبادة العجل وقيل لانهم مالوا عن دين الاسلام ودين موسى عليه السلام والنصارى سموا بذلك
لقول الحواريين نحن انصار الله وقيل لاعتزائهم الى قرية يقال لها ناصرة وكان المسيح ينزلها والصابئين
اصله من صبا اذا خرج من دين الى دين اخر سموا بذلك لخروجهم من الدين قال عمر وابن عباس هم قوم
من اهل الكتاب قال عمر ذبائحهم ذبائح اهل الكتاب وقال ابن عباس لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم
وقيل هم قوم بين اليهود والنصارى يحلقون اوساط رؤوسهم وقيل هم قوم يقرون بالله ويقرؤون
الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون الى الكعبة اخذوا من كل دين شيئا والاقرب انهم قوم يعبدون
الكواكب وذلك انهم يعتقدون ان الله تعالى خلق هذا العالم وجعل الكواكب مدبرة له فيجب على البشر
عبادتها وتعظيمها وانها هي التي تقرب الى الله تعالى ولما ذكر هذه الطوائف قال من امن بالله واليوم
الاخر **فان قلت** كيف قال في اول الاية ان الذين امنوا وقال في اخرها من امن

بالله

بالله فما فائدة التعميم اولا ثم التخصيص اخرا **قلت** اختلف العلماء في حكم الاية فلهم فيه
طريقان احدهما انه اراد ان الذين امنوا على التحقيق ثم اختلفوا فيهم فقيل هم الذين امنوا في زمن الفترة
وهم طلاب الدين مثل حبيب النجار وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وبحيرا الراهب وابو ذر الغفاري
وسلمان الفارسي فمنهم من ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وتابعه ومنهم من لم يدركه فكانه تعالى قال
ان الذين امنوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل المبدل من اليهود والنصارى
والصابئين من امن منهم بالله واليوم الاخر وبمحمد صلى الله عليه وسلم فلهم اجرهم عند ربهم وقيل هم
المؤمنون من الامم الماضية وقيل هم المؤمنون من هذه الامة والذين هادوا يعني الذين كانوا على دين
موسى ولم يبدلوا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى ولم يغيروا والصابئين يعني في زمن استقامة
امرهم من امن منهم ومات وهو مؤمن لان حقيقة الايمان تكون بالوفاة واما الطريقة الثانية
فقالوا ان المذكورين بالايمان في اول الاية انما هو على طريق المجاز دون الحقيقة وهم الذين امنوا
بالانبياء الماضين ولم يؤمنوا به وقيل هم المنافقون الذين امنوا بالسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم واليهود
والنصارى والصابئين فكانه تعالى قال هؤلاء المبطلون كل من امن منهم الايمان الحقيقي صار
مؤمنا عند الله وقيل ان المراد من قوله ان الذين امنوا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة حين
الماضي وثبتوا على ذلك في المستقبل وهو المراد من قوله تعالى من امن بالله واليوم الاخر وعمل
صالحا اي في ايمانه فلهم اجرهم عند ربهم اي جزاء اعمالهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي في الاخرة قوله
عز وجل واذ اخذنا ميثاقكم اي عهدكم يا معشر اليهود ورفعنا فوقكم الطور يعني الجبل العظيم قال ابن
عباس امر الله تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقلع من اصله حتى قام على رؤوسهم وسبب ذلك ان الله
تعالى لما انزل التوراة على موسى وامرهم ان يعملوا باحكامها فابوا ان يقبلوها لما فيها من الاصار يعني
الاثقال والتكاليف الشاقة فامر الله تعالى جبريل عليه السلام ان يقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان
قدره فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤوسهم قدر قامة كالظلة وقيل لهم ان لم تقبلوا ما في التوراة والا
ارسلت هذا الجبل عليكم خذوا اي وقلنا لهم خذوا ما اتيناكم اي ما اعطيناكم بقوة اي بجد واجتهاد
واذكروا ما فيه اي ادرسوا ما فيه لعلكم تتقون اي لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى
والا رضخت رؤوسكم بهذا الجبل فلما راوا ذلك نازلا بهم قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم
سجود فصار ذلك سنة في سجود اليهود لا يسجدون الا على انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود
رفع عنا العذاب ثم توليتم اي اعرضتم من بعد ذلك اي من بعد ما قبلتم التوراة فلولا فضل الله
عليكم ورحمته اي بالامهال لكنتم من الخاسرين اي المغبونين بذهاب الدنيا والعذاب في العقبى
قوله عز وجل ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت اي جاوزوا الحد يقال سبتت اليهود لانهم يعظمونه
ويقطعون فيه اعمالهم واصل السبت القطع ذكر الاشارة الى القصة قال العلماء بالاخبار انهم كانوا
في زمن داود عليه السلام بقرية بارض ايلة وحرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان اذا
دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هناك حتى لا يرى الماء من كثرتها فاذا مضى السبت
تفرقت الحيتان ولزمن قعر البحر فذلك قوله تعالى اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم
لا يسبتون لا تاتيهم ثم ان الشيطان وسوس لهم وقال انما نهيتم عن اخذها يوم السبت ولم
تنهوا عن اخذها في غيره فعمد رجال منهم فحفروا حياضا كبارا حول البحر وشرعوا منه اليها الانهار

Copyright King Saud University

فاذا كان عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فيقبل الموج من البحر بالحيتان الى تلك الحياض فيتعين فيها ولا يقدرن
على الخروج منها لعمقها فاذا كان يوم الاحد اخذوها وقيل انهم كانوا ينصبون الشخوص والحبايل يوم الجمعة ويخرجونها
يوم الاحد ففعلوا ذلك زمانا ولم تنزل بهم عقوبة فتجرؤا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد احل لنا فاخذوا
وملحوا واكلوا وباعوا واشتروا فلما فعلوا ذلك صار اهل القرية ثلاثة اصناف وكانوا نحو سبعين الفا صنف امسك
عن الصيد ونهى عن الاصطياد وصنف امسك ولم ينهوا وصنف انتهكوا الذنب وهتكوا الحرمة وكان الصنف
الناهون اثني عشر الفا فلما ابى المجرمون قبول نصحهم قالوا والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بينهم
بجدار فعبر على ذلك سنين ثم لعنهم داود وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من
بابهم ولم يخرج من المجرمين احد ولم يفتحوا الباب فلما ابطا وا تسوروا عليهم الجدار فاذا هم جميعا قردة لهم اذناب وهم
يتعاوون وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير فمكثوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاث ولم
يتوالدوا قال الله عز وجل فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين امر تحويل وتكوين ومعنى خاسئين مبعدين مطرودين
وقيل فيه تقديم وتاخير معناه كونوا خاسئين قردة ولم يقل خاسيات فجعلناها يعني عقوبتهم بالمسخ نكالا اي
عقوبة وعبرة لما بين يديها وما خلفها قيل معناه عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم وقيل جعلنا
عقوبة اصحاب السبت عبرة لما بين يديها من القرى التي كانت عامرة في الحال وما خلفها اي ما يحدث بعدها من
القرى ليتعظوا بذلك وهو قوله عز وجل وموعظة للمتقين اي المؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم لئلا يفعلوا
مثل فعلهم قوله عز وجل واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة البقرة واحدة البقر وهي الانثى واصلها
البقر وهو الشق سميت بذلك لانها تشق الارض للحراثة **ذكر** الاشارة الى القصة في ذلك قال علماء السير
والاخبار انه كان في زمن بني اسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه
وحمله الى قرية اخرى والقاه على بابها ثم اصبح يطلب ثاره وجاء بناس الى موسى يدعي عليهم بالقتل فجحدوا
واشتبه امر القتيل على موسى صلى الله عليه وسلم فسالوا موسى ان يدعو الله ليبين لهم ما اشكل عليهم فسال
موسى ربه في ذلك فامره بذبح بقرة وامره ان يضربه ببعضها فقال لهم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا
اتتخذنا هزوا اي نحن نسالك عن امر القتيل وانت تستهزئ بنا وتامرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لبعد ما بين
الامرين في الظاهر ولم يعلموا ما وجه الحكمة فيه قال يعني موسى اعوذ بالله اي امتنع بالله ان اكون من الجاهلين
اي المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال فلما علموا ان ذبح البقرة عزم من
الله تعالى استوصفوها فلو انهم عمدوا الى ادنى بقرة فذبحوها لاجزات عنهم ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم وكان في ذلك حكمة لله عز وجل وذلك انه كان رجل صالح في بني
اسرائيل وله ابن طفل وله عجلة فاتى بها غيضة وقال اللهم اني استودعتك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات
ذلك الرجل وصارت العجلة في الغيضة عوانا وكانت تهرب من الناس فلما كبر ذلك الطفل وكان بارا بامه
وكان يقسم ليله ثلاثة اجزاء يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند راس امه ثلثا فاذا اصبح انطلق فيحتطب
وياتي به السوق فيبيعه بما شاء الله فيتصدق بثلثه وياكل ثلثه ويعطي امه ثلثه فقالت
له امه يوما يا بني ان اباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق وادع اله ابراهيم
واسماعيل ان يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع الشمس
يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فاتى الفتى الغيضة فراها
ترعى فصاح بها وقال اعزم عليك باله ابراهيم واسماعيل واسحاق فاقبلت البقرة حتى
وقفت بين يديه فقبض على قرنها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت ايها

الفتى

الفتى البار بامه اركبني فانه اهون عليك فقال الفتى ان امي لم تامرني بذلك فقالت البقرة
والله لو ركبتني لم تكن تقدر علي ابدا فانطلق فانك لو امرت الجبل ان ينقلع من اصله لانقلع
لبرك بامك فسار الفتى بها الى امه فقالت له امه انك رجل فقير ولا مال لك ويشق عليك
الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع البقرة فقال بكم ابيعها قالت بثلاثة
دنانير ولا تبع بغير مشورتي وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الفتى الى السوق
وبعث الله ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بامه وهو اعلم فقال له الملك
بكم هذه البقرة قال بثلاثة دنانير واشترط عليك رضا امي فقال له الملك ستة دنانير
ولا تستامر امك فقال له الفتى لو اعطيتني وزنها ذهبا لم اخذه الا برضى امي ورجع الفتى
الى امه فاخبرها بالثمن فقالت له ارجع فبعها بستة دنانير ولا تبعها الا برضاي فرجع بها
الى السوق واتى الملك فقال له استامرت امك فقال الفتى نعم انها امرتني ان لا انقصها من
ستة على رضاها فقال الملك فانا اعطيك اثني عشر دينارا ولا تستامرها فابى الفتى ورجع
الى امه فاخبرها بذلك فقالت له امه ان الذي ياتيك ملك في صورة ادمي ليجربك فاذا
اتاك فقل له اتامرنا ان نبيع هذه البقرة ام لا ففعل فقال له الملك اذهب الى امك فقل
لها امسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل في بني اسرائيل فلا تبيعها
الا بملء مسكها ذهبا والمسك الجلد فامسكها وقدر الله على بني اسرائيل ذبح البقرة بعينها مكافاة
لذلك الفتى على بره بامه فضلا من الله تعالى ورحمة فذلك قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
ما هي اي ما سنها قال يعني موسى انه يقول يعني الله عز وجل انها بقرة لا فارض ولا بكر اي لا كبيرة ولا
صغيرة والفارض المسنة التي لم تلد والبكر الفتية التي لم تلد عوان اي نصف بين ذلك اي بين السنين
فافعلوا ما تؤمرون اي من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال
انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها قال ابن عباس شديدة الصفرة وقيل لونها صاف وقيل
الصفراء السوداء والاول اصح لانه يقال اصفر فاقع واسود حالك تسر الناظرين اي يعجبهم حسنها
وصفاء لونها قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي سائمة ام عاملة ان البقر تشابه علينا اي التبس
واشتبه امرها علينا وانا ان شاء الله لمهتدون اي الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وايم الله لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الدهر قال انه يقول انها بقرة لا ذلول اي ليست مذللة
بالعمل تثير الارض اي تقلبها للزراعة ولا تسقي الحرث اي ليست بساقية والساقية هي التي تسقي للناس
البير لسقي الارض مسلمة اي برية من العيوب لا شية فيها اي لا لون فيها غير لونها قالوا الان جئت
بالحق اي بالبيان التام الذي لا اشكال فيه فطلبوها فلم يجدوا البقرة بكمال وصفها الا بقرة ذلك الفتى
فاشتروها منه بملء مسكها ذهبا فذبحوها وما كادوا يفعلون اي وما قاربوا ان يفعلوا ما امروا به
قيل لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة وقيل لعزة وجودها بهذه الاوصاف جميعا قوله عز وجل
واذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة بذلك لوجود القتل فيهم فادارءتم فيها قال ابن عباس اي اختلفتم
واختصمتم من الدرء وهو الدفع لان المتخاصمين يدفع بعضهم بعضا والله مخرج ما كنتم تكتمون
اي مظهر ما كنتم من امر القتيل لا محالة ولا يتركه مكتوما فقلنا اضربوه يعني القتيل ببعضها اي
ببعض البقرة قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل ضربوه

Copyright © King Saud University

بلسانهما وقيل بعجب الذنب وقيل بفخذها اليمنى والاقرب انهم كانوا مخيرين في ذلك البعض وانهم اذا ضربوه باي جزء منها اجزا وحصل المقصود وانه ليس في القران ما يدل على ذلك البعض ما هو وذلك يقتضي التخيير وفي الاية اضمار تقديره فضربوه فحيي وقام باذن الله تعالى واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان يعني ابن عمه ثم سقط ميتا مكانه فحرم قاتله الميراث وفي الخبر ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة **كذلك** اي كما احيى الله عاميل صاحب البقرة **يحيي الله الموتى** يعني يوم القيامة **ويريكم اياته لعلكم تعقلون** اي تمنعون نفسكم عن المعاصي **فان قلت** كان حق هذه القصة ان يقدم ذكر القتيل ولا ثم ذكر ذبح البقرة بعد ذلك فما وجه ترتيب هذه القصة على هذا الترتيب **قلت** وجهه ان الله تعالى لما ذكر من قصص بني اسرائيل وما وجد من خيانتهم تقريعا لهم على ذلك وما وجد فيهم من الايات العظيمة وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين في نفس الامر فالاولى لتقريعهم على ترك المسارعة الى امتثال الامر وما يتبعه والثانية لتقريعهم على قتل النفس المحرمة فلو قدم قصة القتيل على قصة الذبح لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض من تثنية التقريع فلهذا قدم ذكر الذبح اولا ثم عقبه بذكر القتل **فان قلت** ما فائدة ضرب القتيل ببعض البقرة والله تعالى قادر على ان يحييه ابتداء من غير ضرب بشيء **قلت** الفائدة فيه ان تكون الحجة اوكد وعن الحيلة ابعد لاحتمال ان يتوهم متوهم ان موسى انما احياه بضرب من السحر والحيلة فاذا احيي القتيل عند ما ضرب ببعض البقرة انتفت الشبهة وعلم انه ذلك من عند الله تعالى وبامره كان ذلك **فان قلت** هلا امروا بذبح غير البقرة **قلت** الكلام في غير البقرة لو امروا به كالكلام في البقرة ثم في ذبح البقرة فوائد منها التقرب بالقربان على ما كانت العادة جارية عندهم ومنها ان هذا القربان كان عندهم من اعظم القرابين ومنها تحمل المشقة العظيمة في تحصيلها بتلك الصفة ومنها حصول ذلك المال العظيم الذي اخذه صاحبها من ثمنها

فصل في حكم هذه المسئلة في شريعة الاسلام اذا وقعت وذلك انه اذا وجد قتيل في موضع ولا يعرف قاتله فان كان ثم لوث على انسان ادعى به واللوث ان يغلب على الظن صدق المدعي بان اجتمع جماعة في بيت او صحراء ثم تفرقوا على قتيل فيغلب على الظن ان القاتل فيهم او وجد قتيل في محلة او قرية وكلهم اعداء القتيل لا يخالطهم غيرهم فيغلب على الظن انهم قتلوه فان ادعى الولي على بعضهم حلف خمسين يمينا على من يدعي عليه وان كان الاولياء جماعة توزع الايمان عليهم فاذا فعلوا وحلفوا اخذوا الدية من عاقلة المدعى عليه ان ادعوا قتل خطا وان ادعوا قتل عمد فمن مال المدعى عليه ولا قود عليه في قول الاكثرين وذهب عمر بن عبد العزيز الى وجوب القود وبه قال مالك واحمد فان لم يكن ثم لوث فالقول قول المدعى عليه لان الاصل براءة ذمته من القتل وهل يحلف يمينا واحدة ام خمسين يمينا فيه قولان احدهما انه يحلف يمينا واحدة كما في ساير الدعاوى والثاني يحلف خمسين يمينا تغليظا لامر القتيل وعند ابي حنيفة لا حكم للوث ولا يبدا بيمين المدعي بل اذا وجد قتيل في محلة يختار الامام خمسين رجلا من صلحاء اهلها فيحلفهم انهم ما قتلوه ولا يعرفون له قاتلا فان حلفوا والا اخذ الدية من سكانها والدليل على ان البداية بيمين المدعي

عند

عند وجود اللوث ما روي عن سهل بن ابي حثمة قال انطلق عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود الى خيبر وهي يومئذ صلح فتفرقا فاتى محيصة الى عبد الله بن سهل وهو يتشحط في دمه قتيلا فدفنه ثم قدم المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة ابنا مسعود الى النبي صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن يتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر كبر وهو احدث القوم سنا فسكت فتكلما فقال اتحلفون وتستحقون قاتلكم او قال صاحبكم فقالوا وكيف نحلف ولم نشهد ولم نر قال فتبريكم يهود بايمان خمسين منهم قالوا وكيف ناخذ بايمان قوم كفار فعقله النبي صلى الله عليه وسلم من عنده وفي رواية يقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع برمته وذكر نحوه وزاد في رواية فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبطل دمه فوداه بمائة من ابل الصدقة اخرجاه في الصحيحين وجه الدليل من هذا الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا بايمان المدعيين لتقوي جانبهم باللوث لان اليمين ابدا تكون لمن تقوى جانبه وعند عدم اللوث يكون من جانب المدعى عليه من حيث ان الاصل براءة ذمته فكان القول قوله مع يمينه والله اعلم قوله عز وجل **ثم قست قلوبكم** اي يبست وجفت وقساوة القلب انتزاع الرحمة منه وقيل معناه غلظت واسودت **من بعد ذلك** اي من بعد ظهور الدلالات التي جاء بها موسى وقيل هو اشارة الى احياء القتيل بعد ضربه ببعض البقرة **فهي** يعني القلوب في الغلظ والشدة **كالحجارة** اي كالشيء الصلب الذي لا تخلخل فيه **او اشد قسوة** وقيل او بمعنى بل وقيل بمعنى الواو اي واشد قسوة **فان قلت** لم شبه قلوبهم بالحجارة ولم يشبهها بالحديد وهو اشد من الحجارة واصلب **قلت** لان الحديد قابل للين بالنار وقد لان لداود عليه السلام والحجارة ليست قابلة للين فلا تلين قط ثم فضل الحجارة على القلب القاسي فقال **وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار** قيل اراد به جميع الحجارة وقيل اراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى ليسقي الاسباط والتفجر التصدع بالسعة والكثرة **وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء** يعني العيون الصغار التي هي دون الانهار **وان منها لما يهبط من خشية الله** اي ينزل من اعلى الجبل الى اسفله وخشيتها عبارة عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع عما يريد منها وقلوبكم يا معشر اليهود لا تلين ولا تخشع **فان قلت** الحجر جماد لا يعقل ولا يفهم فكيف يخشى **قلت** ان الله تعالى قادر على افهام الحجر والجماد فيعقل ويخشى بالهامه لها ومذهب اهل السنة ان لله تعالى في الجمادات والحيوانات علما وحكمة لا يقف عليه غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية يدل عليه قوله وان من شيء الا يسبح بحمده وقال تعالى والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه فيجب على المرء الايمان به ويكل علمه الى الله تعالى (م) عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث واني لاعرفه الان عن علي قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا الى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب (خ) عن جابر بن عبد الله قال كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جذع في قبلته يقوم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته فلما وضع المنبر سمعنا للجذع مثل اصوات العشار حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وفي رواية صاحت النخلة صياح الصبي فنزل النبي صلى الله عليه وسلم حتى اخذها فضمها اليه فجعلت تان انين الصبي الذي يسكت حتى استقرت قال بكت على ما كانت تسمع من الذكر قال مجاهد ما تردى حجر من اعلا الى اسفل الا من خشية الله

Copyright © King Saud University

وذلك يشهد لما قلناه وما الله بغافل عما تعملون فيه وعيد وتهديد والمعنى ان الله بالمرصاد لهولاء القاسية
قلوبهم وحافظ لاعمالهم حتى يجازيهم بها في الآخرة قوله عز وجل افتطمعون خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لانه
هو الداعي الى الايمان وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لانهم كانوا
يدعونهم الى الايمان ايضا ومعنى افتطمعون افترجون ان يؤمنوا لكم اي يصدقكم اليهود بما تخبرونهم
وقيل معناه افتطمعون ان يؤمنوا لكم مع انهم لم يؤمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام وكان هو السبب
في خلاصهم من الذل وظهور المعجزات على يده وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله قيل المراد
بالفريق هم الذين كانوا مع موسى يوم الميقات وهم الذين سمعوا كلام الله تعالى وقيل المراد بهم
الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الاقرب لان الضمير راجع اليهم في افتطمعون
ان يؤمنوا لكم فعلى هذا يكون معنى يكون يسمعون كلام الله يعني التوراة لانه يصح ان يقال لمن سمع
التوراة يسمع كلام الله ثم يحرفونه اي يغيرون كلام الله ويبدلونه فمن فسر الفريق الذين يسمعون
كلام الله بالفريق الذين كانوا مع موسى صلى الله عليه وسلم استدل بقول ابن عباس انها نزلت
في السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه وذلك لانهم لما رجعوا الى قومهم بعد ان سمعوا
كلام الله اما الصادقون منهم فانهم ادوا كما سمعوا وقالت طايفة منهم سمعنا الله يقول في اخر
كلامه ان استطعتم ان تفعلوا فافعلوا وان شيتم فلا تفعلوا فكان هذا تحريفهم ومن فسر
الفريق الذين يسمعون كلام الله بالذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان تحريفهم
وتبديلهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم واية الرجم في التوراة من بعد ما عقلوه اي علموا صحة
كلام الله ومراده فيه ثم مع ذلك خالفوه وهم يعلمون اي فساد مخالفته ويعلمون ايضا انهم كاذبون
قوله عز وجل واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا نزلت في اليهود كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ابن عباس ان منافقي اليهود كانوا اذا لقوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا امنا بالذي
امنتم به وان صاحبكم صادق وقوله حق وانا نجد نعته وصفته في كتابنا واذا خلا بعضهم الى بعض
يعني كعب بن الاشرف وكعب بن اسد ووهب بن يهودا ورؤسا اليهود لاموا منافقي اليهود على ذلك
قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم يعني قضى الله عليكم في كتابكم من صفة النبي صلى الله عليه وسلم
وانه حق وقوله صدق ليحاجوكم به اي ليخاصمكم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحتجوا عليكم
بقولكم فيقولون لكم قد اقررتم انه نبي حق في كتابكم الا تتبعونه وذلك ان اليهود قالوا لاهل
المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم امنوا به فانه نبي حق ثم لام بعضهم
بعضا وقالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم لتكون لهم الحجة عليكم عند ربكم اي في الدنيا والاخرة
وقيل هو قول يهود بني قريظة بعضهم لبعض حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يا اخوان
القردة والخنازير فقالوا من اخبر محمدا بهذا ما اخرج هذا الا منكم وقيل ان اليهود اخبروا بما عذبهم الله
به من الجنايات فقال بعضهم لبعض اتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة
لانفسهم عليكم عند الله افلا تعقلون اي ان ذلك لا يليق بما انتم عليه اولا يعلمون يعني اليهود
ان الله يعلم ما يسرون اي ما يخفون وما يعلنون اي ما يبدون وما يظهرون قوله عز وجل ومنهم
اي من اليهود اميون اي لا يحسنون الكتابة ولا القراءة جمع امي وهو المنسوب الى امه كانه باق
على ما انفصل من الام لم يتعلم كتابة ولا قراءة لا يعلمون الكتاب الا اماني جمع امنية وهي التلاوة

ومنه

ومنه قول الشاعر: تمنى كتاب الله اول ليلة • تمني داود الزبور على رسل • اي تلا كتاب الله وقال
ابن عباس معناه غير عارفين بمعاني كتاب الله تعالى وقيل الا اماني الاحاديث الكاذبة المختلفة
وهي الاشياء التي كتبها علماؤهم من عند انفسهم واضافوها الى الله تعالى من تغيير نعت النبي صلى
الله عليه وسلم وصفته وغير ذلك وقيل هو من التمني وهو قولهم لن تمسنا النار الا اياما
معدودة وغير ذلك مما تمنوه فعلى هذا يكون المعنى لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اشيا لا تحصل
لهم وان هم الا يظنون اي ليسوا على يقين فويل الويل كلمة تقولها العرب لكل من وقع في هلكة
واصلها في اللغة العذاب والهلاك وقال ابن عباس الويل شدة العذاب وعن ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل
ان يبلغ قعره اخرجه الترمذي وقال حديث غريب الخريف سنة للذين يكتبون الكتاب بايديهم
تاكيدا للكتابة لانه يحتمل ان يامر غيره بان تكتب فقال بايديهم لنفي هذه الشبهة والمراد بالذين
يكتبون الكتاب اليهود وذلك ان رؤسا اليهود خافوا ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم حين قدم
النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق سفلتهم عن الايمان به فعمدوا الى صفته في التوراة
فغيروها وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العينين ربعة فغيروا ذلك وكتبوا مكانه
طوال ازرق العينين سبط الشعر فكان اذا سالهم سفلتهم عن ذلك قروا عليهم ما كتبوا ثم
يقولون هذا من عند الله يعني هذه الصفة التي كتبوها فاذا نظروا الى النبي صلى الله عليه
وسلم والى تلك الصفة فيجدونه مخالفا لها فيكذبونه ويقولون انه ليس به ليشتروا به اي
بما كتبوا ثمنا قليلا اي الماكل والرشى التي كانوا ياخذونها من سفلتهم قال الله تعالى فويل لهم
مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون قوله عز وجل وقالوا اي اليهود لن تمسنا النار اي لن تصيبنا
النار الا اياما معدودة اي قدرا مقدرا ثم يزول عنا العذاب قال ابن عباس قالت اليهود
مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانا نعذب بكل الف سنة يوما ثم ينقطع عنا العذاب بعد سبعة
ايام وقيل انهم عنوا بالايام الاربعين يوما التي عبدوا فيها العجل وقيل ان اليهود زعموا ان الله
تعالى عتب عليهم في امر فاقسم ليعذبنا اربعين يوما تحلة القسم فكذبهم الله ردا عليهم وتكذيبا لهم
قل اي يا محمد قل لليهود اتخذتم عند الله عهدا اي موثقا ان لا يعذبكم الا هذه المدة فلن يخلف
الله عهده اي وعده ام تقولون على الله ما لا تعلمون بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن
تمسنا النار والمعنى بل تمسكم النار ابدا من كسب سيئة السيئة اسم يتناول جميع المعاصي كبيرة كان
او صغيرة والسيئة هنا الشرك في قول ابن عباس واحاطت به خطيئته اي احدقت به من جميع جوانبه
قال ابن عباس هي الشرك يموت عليه صاحبه وقيل احاطت به اي اهلكته خطيئته واحبط ثواب
طاعته فعلى مذهب اهل السنة يتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الاية بالكفر والشرك
لقوله تعالى فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وان الخلود في النار هو للكفار والمشركين
والذين امنوا وعملوا الصالحات **فان قلت** العمل الصالح خارج عن اسم
الايمان لانه تعالى قال والذين امنوا وعملوا الصالحات فلو دل الايمان على العمل الصالح لكان ذكر
العمل الصالح بعد الايمان تكرارا **قلت** اجاب بعضهم بان الايمان وان كان يدخل
فيه جميع الاعمال الصالحة الا ان قوله امن لا يفيد الا انه فعل فعلا واحدا من افعال الايمان فلهذا

Copyright King Saud University

حسن ان يقول والذين امنوا وعملوا الصالحات وقيل ان قوله امنوا يفيد الماضي وعملوا الصالحات
يفيد المستقبل فكانه تعالى قال امنوا اولا ثم داوموا عليه اخرا ويدخل فيه جميع الاعمال
الصالحة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون قوله عز وجل واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل
يعني في التوراة والميثاق العهد الشديد لا تعبدون الا الله اي امرهم الله تعالى بعبادته فيدخل
تحته النهي عن عبادة غيره لان الله تعالى هو المستحق للعبادة لا غيره وبالوالدين احسانا اي برا
بهما ورحمة لهما ونزولا عند امرهما فيما لا يخالف امر الله تعالى ويوصل اليهما ما يحتاجان اليه ولا
يؤذيهما البتة وان كانا كافرين بل يجب علينا الاحسان اليهما ومن الاحسان اليهما ان يدعوهما الى الايمان
بالرفق واللين وكذا ان كانا فاسقين يامرهما بالمعروف بالرفق واللين من غير عنف وانما عطف بر الوالدين
على الامر بعبادته لان شكر المنعم واجب ولله على عبده اعظم النعم لانه هو الذي خلقه واوجده بعد العدم فيجب
تقديم شكره على شكر غيره ثم قال ان للوالدين على الولد نعمة عظيمة لانهما السبب في كون الولد ووجوده ثم ان
لهما عليه حق التربية ايضا فيجب شكرهما ثانيا وذي القربى اي القرابة لان حق القرابة تابع لحق
الوالدين والاحسان اليهم انما هو بواسطة الوالدين فلهذا احسن عطف القرابة على الوالدين واليتامى جمع
يتيم وهو الذي مات ابوه وهو طفل صغير فاذا بلغ الحلم زال عنه اليتم ويجب رعاية حقوق اليتيم لثلاثة
امور لصغره وتيتمه وخلوه عمن يقوم بمصلحته اذ لا يقدر هو ان ينتفع بنفسه ولا يقوم بحوائجه
والمساكين جمع مسكين وسياتي بيانه ان شاء الله تعالى وانما تاخرت درجة المساكين عن اليتامى لانه قد
يمكن ان ينتفع بنفسه وينتفع غيره بالخدمة وقولوا للناس حسنا فيه وجهان احدهما انه خطاب للحاضرين من
اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فلهذا عدل من الغيبة الى الحضور والمعنى قولوا حقا وصدقا في شان محمد
صلى الله عليه وسلم فمن سالكم عنه فاصدقوه وبينوا صفته ولا تكتموه قاله ابن عباس الوجه
الثاني ان المخاطبين به هم الذين كانوا في زمن موسى واخذ عليهم الميثاق وانما عدل من الغيبة
الى الحضور على طريق الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقيل فيه حذف تقديره
وقلنا لهم في الميثاق وقولوا للناس حسنا ومعناه مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وقيل هو اللين
في القول والعشرة وحسن العشرة والخلق واقيموا الصلاة واتوا الزكاة ولما امرهم الله تعالى بهذه التكاليف
الثمانية فتكون لهم المنزلة عنده بما التزموا به اخبر عنهم انهم ما وفوا بذلك بقوله تعالى ثم توليتم
اي اعرضتم عن العهد الا قليلا منكم يعني من الذين امنوا منهم كعبد الله بن سلام واصحابه فانهم
وفوا بالعهد وانتم معرضون اي كاعراض ابائكم قوله عز وجل واذ اخذنا ميثاقكم هو خطاب لمن كان في زمن
النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وقيل هو خطاب لابائهم وفيه تقريع لهم لا تسفكون اي
لا تريقون دماءكم اي لا يسفك بعضهم دم بعض وقيل معناه لا تسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم
فكانكم انتم سفكتم دماء انفسكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم اي لا يخرج بعضكم بعضا من داره وقيل لا تفعلوا
شيئا فتخرجوا بسببه من دياركم ثم اقررتم اي بهذا العهد انه حق وانتم تشهدون يعني انتم يا معشر اليهود
اليوم تشهدون على ذلك ثم انتم هؤلاء يعني يا هؤلاء اليهود تقتلون انفسكم اي يقتل بعضكم بعضا وتخرجون
فريقا منكم من ديارهم اي يخرج بعضكم بعضا من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان اي تتعاونون
عليهم بالمعصية والظلم وان ياتوكم اسارى جمع اسير تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم اي بالمال وهو
استنقاذهم بالشراء وقرئ تفادوهم اي تبادلوهم وهو مفاداة الاسير بالاسير ومعنى

الاية

الاية ان الله تعالى اخذ على بني اسرائيل في التوراة ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم
وايما عبد او امة من بني اسرائيل وجدتموه فاشتروه بما قام من ثمنه واعتقوه وكانت قريظة حلفاء
الاوس والنضير حلفاء الخزرج وكان بين الاوس والخزرج حروب فكانت بنو النضير تقاتل
مع حلفائهم فاذا غلبوا احد الفريقين اخرجوهم من ديارهم وخربوها وكان اذا اسر رجل من الفريقين
جمعوا له مالا يفدونه به فعيرتهم العرب وقالوا كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم قالوا انما امرنا ان
نفديهم فقالوا كيف تقاتلونهم فقالوا انا نستحي ان يذل حلفاؤنا فعيرهم الله تعالى فقال ثم انتم هؤلاء
تقتلون انفسكم وفي الاية تقديم وتاخير تقديره وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم
بالاثم والعدوان وهو محرم عليكم اخراجهم وان ياتوكم اسارى تفدوهم وكان الله تعالى اخذ عليهم
اربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة مع اعدائهم وفك اسراهم فاعرضوا عن
الكل الا الفدا قال الله عز وجل افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض معناه ان وجدتموهم في يد
غيركم فديتموهم وانتم تقتلونهم بايديكم فكان ايمانهم الفدا وكفرهم قتل بعضهم بعضا فذمهم على المناقضة
بين افعالهم لا على الفدا لانهم اتوا ببعض ما وجب عليهم وتركوا البعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم يعني يا معشر
اليهود الا خزي في الحياة الدنيا اي عذاب وهوان فكان خزي بني قريظة القتل والسبي وخزي بني النضير
الاجلاء والنفي من منازلهم الى اريحا واذرعات من ارض الشام ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب
يعني عذاب النار وما الله بغافل عما تعملون فيه وعيد وتهديد عظيم اولئك الذين اشتروا اي
استبدلوا الحياة الدنيا بالاخرة لان الجمع بين لذات الدنيا والاخرة غير ممكن فمن اشتغل بتحصيل لذات
الدنيا فاتته لذات الاخرة فلا يخفف عنهم العذاب اي فلا يهون عليهم ولا هم ينصرون اي ولا
يمنعون من عذاب الله تعالى قوله عز وجل ولقد اتينا اي اعطينا موسى الكتاب يعني التوراة جملة واحدة
وقفينا اي واتبعنا من التقفية وهو ان يتبع اثر الاخر من بعده اي من بعد موسى بالرسل
يعني رسولا بعد رسول وكانت الرسل من بعد موسى الى زمن عيسى عليهما السلام متواترة يظهر
بعضهم في اثر بعض والشريعة واحدة قيل ان الرسل بعد موسى يوشع بن نون واشمويل وداود
وسليمان وارميا وحزقيل والياس ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وكانوا يحكمون بشريعة موسى
الى ان بعث الله تعالى عيسى عليه السلام فجاءهم بشريعة جديدة وغير بعض احكام التوراة
فذلك قوله تعالى واتينا عيسى ابن مريم البينات اي الدلالات الواضحات وهي المعجزات من
احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وقيل هي الانجيل واسم عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى
الخادم وقيل علم لها كزيد من الرجال وايدناه اي وقويناه بروح القدس قيل اراد بالروح الذي نفخ
به والقدس هو الله تعالى واضاف روح عيسى اليه تشريفا وتكريما وتخصيصا له كما تقول عبد الله
وامة الله وبيت الله وناقة الله وقال ابن عباس هو اسم الله الاعظم الذي كان عيسى يحيي به الموتى
وقيل هو الانجيل لانه حياة القلوب سماه روحا كما سمى القران روحا وقيل هو جبريل ووصف
بالقدس وهو الطهارة لانه لم يقترف ذنبا قط وقيل القدس هو الله تعالى والروح
جبريل كما تقول عبد الله سمي جبريل روحا للطافته لانه روحاني خلق من النور وقيل سمي
روحا لمكانه من الوحي الذي هو سبب حياة القلوب وحمل روح القدس هنا على جبريل اولى
لانه تعالى قال وايدناه اي قويناه بجبريل وذلك انه امر ان يكون مع عيسى ويسير معه

حيث سار فلم يفارقه حتى صعد به الى السماء فلما سمعت اليهود بذكر عيسى قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم
عملت ولا كما تقص علينا من اخبار الانبياء فعلت فائتنا بما اتى به عيسى ان كنت صادقا قال الله تعالى افكلما
جاءكم يعني يا معشر اليهود رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم اي تعظمتم عن الايمان به ففريقا كذبتم
يعني مثل عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وفريقا تقتلون يعني مثل زكريا ويحيى وسائر من قتلوه وذلك ان اليهود
كانوا اذا جاءهم رسول بما لا يهوون كذبوه فان تهيأ لهم قتله قتلوه وانما كانوا كذلك لارادتهم الدنيا وطلب
الرياسة وقالوا يعني اليهود قلوبنا غلف جمع اغلف وهو الذي عليه غشاوة فلا يعي ولا يفقه قال ابن عباس
غلف بضم اللام جمع غلاف والمعنى ان قلوبنا اوعية للعلم فلا تحتاج الى علمك وقيل اوعية لكل علم فلا تسمع
حديثا الا وعته الا حديثك فانها لا تعيه ولا تعقله ولو كان فيه خير لفهمته ووعته قال الله تعالى
بل لعنهم الله بكفرهم اي طردهم وابعدهم من كل خير وسبب كفرهم انهم اعترفوا بنبوة محمد صلى الله عليه
وسلم ثم انهم انكروه وجحدوه قال الله تعالى فقليلا ما يؤمنون اي لم يؤمن منهم الا قليل لان من آمن من
المشركين كان اكثر منهم قوله عز وجل ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القرآن مصدق لما معهم يعني التوراة
وهذا التصديق في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان نبوته وصفته ثابتة في التوراة وكانوا يعني
اليهود من قبل اي من قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون اي يستنصرون به على الذين
كفروا يعني مشركي العرب وذلك انهم كانوا اذا حزبهم امر ودهمهم عدو يقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث
في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل
زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا اي الذي عرفوه يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم عرفوا نعته وصفته وانه من غير بني اسرائيل كفروا به اي جحدوه وانكروه
بغيا وحسدا فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به انفسهم اي بئس شيء اشتروا به انفسهم حين استبدلوا
الباطل بالحق واشتروا يعني باعوا والمعنى بئس ما باعوا به حظ انفسهم ان يكفروا بما انزل الله يعني
القرآن بغيا اي حسدا ان ينزل الله من فضله يعني الكتاب والنبوة على من يشاء من عباده يعني محمدا صلى الله عليه
وسلم فباؤا اي فرجعوا بغضب على غضب اي مع غضب قال ابن عباس الغضب الاول بتضييعهم التوراة
وتبديلها والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاول بكفرهم بعيسى والانجيل والثاني بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل الاول بعبادتهم العجل والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
وللكافرين يعني الجاحدين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم عذاب مهين اي يهانون فيه
واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله يعني بالقرآن وقيل بكل ما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا يعني التوراة
ويكفرون بما وراءه اي بما سواه من الكتب وقيل بما بعده يعني الانجيل والقرآن وهو
الحق يعني القرآن مصدقا لما معهم يعني التوراة قل يا محمد فلم تقتلون انبياء الله من قبل انما
اضاف القتل للمخاطبين من اليهود وان كان سلفهم قتلوا لانهم رضوا بفعلهم قيل اذا عملت المعصية
في الارض فمن كرهها وانكرها برئ منها ومن رضيها كان من اهلها ان كنتم مؤمنين اي بالتوراة وقد
نهيتم فيها عن قتل الانبياء قوله عز وجل ولقد جاءكم موسى بالبينات اي بالدلالات الواضحة والمعجزات
الباهرة ثم اتخذتم العجل من بعده اي من بعد موسى لما ذهب الى الميقات وانتم ظالمون انما كرره تبكيتا
لهم وتأكيدا للحجة عليهم واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اي استجيبوا
واطيعوا اي فيما امرتم به قالوا سمعنا يعني قولك وعصينا يعني امرك وقيل انهم لم يقولوا بالسنتهم

ولكن

ولكن لما سمعوه وتلقوه تلقوه بالعصيان فنسب اليهم ذلك واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم اي تداخل حبه في
قلوبهم والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ في الثوب وقيل ان موسى امر ان يبرد العجل ويذره في النهر
وامرهم ان يشربوا منه فمن بقي في قلبه شيء من حب العجل ظهرت سحالة الذهب على شاربه قل بئسما يأمركم
به ايمانكم اي بان تعبدوا العجل والمعنى بئس الايمان ايمان يأمر بعبادة العجل ان كنتم مؤمنين اي بزعمكم
وذلك انهم قالوا نؤمن بما انزل علينا فكذبهم الله تعالى بذلك في قوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند
الله خالصة من دون الناس وذلك ان اليهود ادعوا دعاوى باطلة منها قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا
وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه فكذبهم الله والزمهم الحجة فقال قل يا محمد لليهود ان كانت لكم الدار الآخرة
يعني الجنة خالصة اي خاصة لكم دون الناس فتمنوا الموت اي فاطلبوه واسألوه لان من علم ان الجنة
مأواه وانها له حن اليها ولا سبيل الى دخولها الا بعد الموت فاستعجلوه بالتمني ان كنتم صادقين اي في
قولكم ودعواكم وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه وما بقي
على وجه الارض يهودي الا مات قال الله تعالى ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم اي لعلمهم الى البد
لان اكثر جنايات الانسان تكون من يده والله عليم بالظالمين فيه تخويف وتهديد لهم
وانما خصهم بالظلم لانه اعم من الكفر لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافرا فلهذا كان اعم وكان اولى
به ولتجدنهم اللام للقسم والنون للتوكيد تقديره والله لتجدنهم يا محمد يعني اليهود احرص الناس
على حياة اي حياة متطاولة والحرص اشد الطلب ومن الذين اشركوا قيل هو متصل بما قبله ومعطوف
عليه والمعنى واحرص من الذين اشركوا **فان قلت** الذين اشركوا قد دخلوا تحت الناس
في قوله احرص الناس فلم افردهم بالذكر **قلت** افردهم بالذكر لشدة حرصهم وفيه توبيخ
عظيم لليهود لان الذين لا يؤمنون بالمعاد ولا يعرفون الا الحياة الدنيا لا يستبعد حرصهم عليها
فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالبعث والجزاء كان حقيقا بالتوبيخ العظيم وقيل
ان الواو واو استئناف تقديره ومن الذين اشركوا اناس يود احدهم وهم المجوس سموا بذلك لانهم
يقولون بالنور والظلمة يود اي يتمنى احدهم لو يعمر الف سنة اي تعمير الف سنة وانما خص الالف
لانها نهاية العقود ولانها تحية المجوس فيما بينهم يقولون زه هزار سال اي عش الف سنة او
الف نيروز والف مهرجان فهذه تحيتهم والمعنى ان اليهود احرص من المجوس الذين يقولون ذلك
وما هو بمزحزحه اي بمباعده من العذاب اي النار ان يعمر اي لو عمر طول عمره لا ينقذه من العذاب
والله بصير بما يعملون اي لا يخفى عليه خافية من احوالهم قوله عز وجل قل من كان عدوا لجبريل قال
ابن عباس سبب نزول هذه الآية ان عبد الله بن صوريا حبرا من احبار اليهود قال للنبي صلى الله
عليه وسلم اي ملك يأتيك من السماء قال جبريل قال ذاك عدونا ولو كان ميكائيل لآمنا بك ان جبريل
ينزل بالعذاب والشدة والخسف وانه عادانا مرارا واشد ذلك علينا ان الله انزل على نبينا
ان بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له بخت نصر فلما كان وقته بعثنا من يقتله فلقيه
ببابل غلاما مسكينا فاخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وقال ان كان الله امر بهلاككم فلن تسلط
عليه وان لم يكن هو فعلى اي حق تقتله فلما كبر ذلك الغلام وقوي غزانا وخرب بيت المقدس
فلهذا نتخذه عدوا فانزل الله هذه الآية وقيل قالوا ان الله امره ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا
فاتخذناه عدوا وقيل ان عمر بن الخطاب كان له ارض باعلى المدينة وكان ممره اليها على مدارس

Copyright © King Saud University

اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يوما ما في اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم احب الينا منك
وانا لنطمع فيك فقال عمر والله ما اتيكم لحبكم ولا اسئلكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة
في امر محمد صلى الله عليه وسلم وارى اثاره في كتابكم فقالوا من صاحب محمد الذي ياتيه من الملائكة قال
جبريل قالوا ذلك عدونا يطلع محمدا صلى الله عليه وسلم على سرنا وهو صاحب عذاب وخسف وشدة
وان ميكائيل يجي بالخصب والسلامة فقال لهم تعرفون جبريل وتنكرون محمدا قالوا نعم قال فاخبروني
عن منزلة جبريل وميكائيل من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل
فقال عمر اشهد انه من كان عدوا لاحدهما كان عدوا للاخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر الى
النبي صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
الايات وقال لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر والله لقد رايتني بعد ذلك في ديني اصلب من الحجر والاذرب
ان سبب هذه العداوة كون جبريل كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي لان قوله فانه نزله على
قلبك مشعر بذلك وقوله فانه نزله يعني جبريل نزل بالقران كناية عن غير مذكور على قلبك يا محمد وانما
خص القلب بالذكر لانه محل الحفظ باذن الله اي بامره مصدقا اي موافقا لما بين يديه اي لما قبله من
الكتب وهدى وبشرى للمؤمنين اي في القران هداية للمؤمنين الى الاعمال الصالحة التي يترتب عليها الثواب
وبشرى لهم بثوابها اذا اتوا بها من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال لما بين في الاية
الاولى ان من كان عدوا لجبريل لاجل انه نزل بالقران على قلب محمد صلى الله عليه وسلم فبين في هذه
الاية ان كل من كان عدوا لاحد من هؤلاء فانه عدو لجميعهم وبين ان الله عدو له بقوله فان الله
عدو للكافرين فاما عداوتهم لله فانها لا تضره ولا تؤثر وعداوته لهم تؤديهم الى العذاب الاليم
الذي لا ضرر اعظم منه وقيل المراد من عداوتهم لله عداوتهم لاوليائه واهل طاعته فهو كقوله انما
جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اولياء الله واهل طاعته وقوله وملائكته ورسله
يعني من عادى واحدا من هؤلاء فقد عادى جميعهم ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بجميعهم وجبرائيل وميكائيل
انما خصهما بالذكر وان كانا داخلين في جملة الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما وعلو منزلتهما وقدم
جبريل على ميكائيل لفضله عليه لان جبريل ينزل بالوحي الذي هو غذاء الارواح وميكائيل بالمطر الذي
هو سبب غذاء الابدان وجبرائيل وميكائيل اسمان اعجميان ومعناهما عبد الله وعبيد الله لان جبر
وميك بالسريانية هو العبد وايل هو الله ولقد انزلنا اليك ايات بينات قال ابن عباس هذا
جواب لابن صوريا حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه
وما انزل عليك من اية بينة فنتبعك بها فانزل الله هذه الايات ومعنى بينات واضحات
مفصلات بالحلال والحرام والحدود والاحكام وما يكفر بها اي وما يجحد بهذه الايات الا
الفاسقون اي الخارجون عن طاعتنا وما امروا به اوكلما عاهدوا عهدا قال ابن عباس لما ذكرهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما اخذ عليهم من العهود في محمد صلى الله عليه وسلم ان يؤمنوا به قال مالك
الصيف والله ما عهد الينا في محمد فانزل الله هذه الاية اوكلما الاستفهام للانكار عاهدوا عهدا هو قولهم
انه قد اظل زمان نبي مبعوث وانه في كتابنا وقيل انهم عاهدوا عهودا كثيرة ثم نقضوها نبذه
اي طرح العهد ونقضه فريق منهم يعني اليهود بل اكثرهم لا يؤمنون يعني كفر فريق منهم بنقض العهد
وكفر فريق منهم بالجحد للحق ولما جاءهم رسول من عند الله يعني محمد صلى الله عليه وسلم مصدق لما

معهم

معهم يعني يصدق بصحة التورية وبنبوة موسى عليه الصلاة والسلام كان محمدا مبعثه مصدق للتوراة
نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم قيل انه اراد بالكتاب القران وقيل التورية
وهو الاقرب لان النبذ لا يكون الا بعد التمسك ولم يتمسكوا بالقران اما نبذهم التوراة فانهم كانوا
يقرؤنها ولا يعملون بها وقيل انهم ادرجوها في الحرير وحلوها بالذهب ولم يعملوا بما فيها كانهم
لا يعلمون يعني انهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم به ومعرفة وانما حملهم على ذلك عداوة النبي
صلى الله عليه وسلم وهم علماء اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكتموا امره وكان
اولئك النفر قليلين فقوله عز وجل واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلو
الشياطين ومعنى تتلوا تقرا من التلاوة وقيل معناه تفتري وتكذب على ملك سليمان وهو قولهم
ان سليمان ملك الناس بالسحر وقيل على ملك سليمان اي عهده وزمانه وقصة ذلك ان الشياطين
كتبوا السحر والنيرنجات على لسان اصف هذا ما علم اصف بن برخيا سليمان الملك وكتبوا ودفنوه
تحت كرسيه وذلك حين نزع الله عنه الملك ولم يشعر بذلك وقيل ان بني اسرائيل اشتغلوا بتعلم السحر في
زمانه فمنعهم سليمان من ذلك واخذ كتبهم ودفنها تحت سريره فلما مات استخرجها الشيطان وقالوا للناس
انما ملككم سليمان بهذا فتعلموه فاما صلحاء بني اسرائيل وعلماؤهم فانكروا ذلك وقالوا معاذ الله
ان يكون هذا العلم من علم سليمان واما السفلة منهم فقالوا هذا هو علم سليمان واقبلوا على تعليمه
وتركوا كتب انبيائهم وفشت الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالهم الى ان بعث الله تعالى محمدا
صلى الله عليه وسلم وانزل عليه براءة سليمان عليه السلام فقال تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين
على ملك سليمان وما كفر سليمان يعني بالسحر ولم يعمل به وفيه تنزيه سليمان عن السحر وذلك ان اليهود
انكروا نبوة سليمان وقالوا انما حصل له هذا الملك وسخرت الانس والجن له بسبب السحر وقيل ان
السحرة من اليهود زعموا انهم اخذوا السحر عن سليمان فبراه الله عن ذلك وقيل ان بعض احبار اليهود قال الا
تعجبون من محمد يزعم ان سليمان كان نبيا وما كان الا ساحرا فانزل الله تعالى وما كفر سليمان يعني
ان سليمان نبيا في كونه ساحرا كافرا ثم بين تعالى ان الذي براه منه لاحق بغيره فقال
ولكن الشياطين كفروا يعني ان الذين اتخذوا السحر لانفسهم هم الذين كفروا ثم بين سبب كفرهم فقال
تعالى يعلمون الناس السحر يعني ما كتب لهم الشياطين من كتب السحر وقيل يحتمل ان يكون يعلمون يعني اليهود
الذين عنوا بقوله واتبعوا وسمي السحر سحرا لخفاء سببه ولا يفعل في خفية وقيل معنى السحر الازالة
وصرف الشيء عن وجهه تقول العرب ما سحرك عن كذا اي ما صرفك عنه فكان الساحر لما ارى الباطل
في صورة الحق فقد سحر الشيء عن وجهه اي صرفه هذا اصله من حيث اللغة واما حقيقته فقد
قيل انه عبارة عن التمويه والتخييل ومذهب اهل السنة ان له وجودا وحقيقة العمل به
كفر وذلك اذا اعتقد ان الكواكب هي المؤثرة في قلب الاعيان وروي عن الشافعي انه قال السحر
يخيل ويمرض وقد يقتل حتى اوجب القصاص على من قتل به وقيل ان السحر يؤثر في قلب
الاعيان فيجعل الانسان على صورة الحمار والحمار على صورة الكلب وقد يطير الساحر في الهوى وهذا
القول ضعيف عند اهل السنة لانهم قالوا ان الله تعالى هو الخالق الفاعل لهذه الاشياء عند عمل
الساحر لذلك لان الساحر هو الفاعل لها المؤثر فيها والاصح ان السحر تخييل ويؤثر في الابدان بالامراض
والجنون والموت ويدل على ذلك ان للكلام تاثيرا في الطباع فقد يسمع الانسان ما يكره فيحم وقد

Copyright © King Saud University

مات فوم بجوه فالسحر بمنزلة العلل في الابدان واما حكمه فانه من الكبائر التي نهى عنها ويحرم تعلمه لما روي
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن
قال الاشراك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم والربا والتولي يوم الزحف
وقذف المحصنات الغافلات المومنات اخرجاه في الصحيحين فعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
السحر من الكبائر وثناه بالشرك وامرنا باجتنابه وقوله الموبقات يعني المهلكات والسحر على قسمين احدهما
يكفر صاحبه وهو ان يعتقد ان القدرة لنفسه في ذلك وهو المؤثر او يعتقد ان الكواكب هي المؤثرة الفعالة
فاذا انتهى به السحر الى هذه الغاية صار كافرا بالله تعالى ويجب قتله لما روي عن جندب ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال حد الساحر ضربه بالسيف اخرجه الترمذي والقسم الثاني من السحر وهو التخييل الذي
يشبه الشعبذة والنيرنجات ولا يعتقد صاحبه لنفسه فيه قدرة ولا ان الكواكب هي المؤثرة ويعتقد
ان القدرة لله تعالى وانه هو المؤثر فهذا القدر لا يكفر صاحبه ولكنه معصية وهو من الكبائر ويحرم
فعله فان قتل بسحره قتل قصاصا لما روي عن مالك انه بلغه ان حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت
جارية لها سحرتها وقد كانت دبرتها فامرت بها فقتلت اخرجه في الموطا قوله عز وجل **وما انزل على الملكين**
اي ويعلمون الذي انزل على الملكين والانزال هنا بمعنى الالهام والتعليم اي ما الهما وعلما وقرئ في الشاذ الملكين
بكسر اللام قال هما رجلان ساحران كانا ببابل وقيل علجان ووجهه ان الملائكة لا يعلمون السحر والقراءة المشهورة
بفتح اللام **فان قلت** كيف يجوز ان يضيف الله تعالى ذلك على الملائكة وكيف يجوز للملائكة تعليم السحر
قلت قال ابن جرير الطبري ان الله تعالى عرف عباده جميع ما امرهم به وجميع ما نهاهم عنه
ثم امرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يامرون به وينهون عنه ولو كان الامر على ذلك لما كان للامر والنهي
معنى مفهوم والسحر مما نهى عباده من بني ادم عنه فغير منكر ان يكون الله تعالى علمه الملكين اللذين سماهما
في تنزيله وجعلهما فتنة لعباده من بني ادم كما اخبر عنهما انهما يقولان لمن جاء يتعلم ذلك منهما انما نحن فتنة
فلا تكفر ليجتنب بهما عباده الذين نهاهم عن السحر وعن التفريق بين المرء وزوجه فيمحص المؤمن بتركه
التعليم منهما ويخزي الكافر بتعلمه الكفر والسحر ويكون الملكين في تعليمهما ما علما من ذلك مطيعين لله تعالى
اذ كانا عن اذن الله تعالى لهما بتعليم ذلك وغير ضارهما سحر من سحر ممن تعلم ذلك بعد نهيهما اياه عنه بقولهما
انما نحن فتنة فلا تكفر اذ كانا قد اديا ما امرا به وقال غيره انهما لا يتعمدان ذلك بل يصفان السحر ويذكران
بطلانه ويامران باجتنابه فالشقي من ترك نصحهما وتعلم السحر من وصفهما به والسعيد من قبل
نصحهما وترك تعلم السحر منهما وقيل ان الله تعالى امتحن الناس بهما في ذلك الزمان فالشقي من
تعلم السحر منهما فيكفر به والسعيد من تركه فيبقى له ايمانه ولله تعالى ان يمتحن عباده بما شاء
كما امتحن بني اسرائيل بنهر طالوت بقوله فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني
ببابل قيل هي بابل العراق بارض الكوفة سميت بذلك لتبلبل الالسنة بها عند سقوط صرح
نمرود وقيل انها بابل دنباوند والاول اصح واشهر **هاروت وماروت** اسمان سريانيان وقصتهما
الاتية على ما ذكره ابن عباس وغيره قالوا ان الملائكة لما راوا ما يصعد الى السماء من اعمال بني ادم الخبيثة
في زمن ادريس عليه السلام فعيروهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم في الارض واخترتهم وهم يعصونك
فقال الله عز وجل لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتم مثل ما ركبوا قالوا سبحانك
ما كان ينبغي لنا ان نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم اهبطهما الى الارض فاختاروا

هاروت وماروت وكانا من اصلح الملائكة واعبدهم وكان اسم هاروت عزا وماروت عزايا
فغير اسمهما لما قارفا الذنب وركب الله فيهم الشهوة واهبطهما الى الارض وامرهما ان يحكما بين الناس بالحق
ونهاهما عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فكانا يقضيان بين الناس يومهما فاذا امسيا ذكرا
اسم الله الاعظم وصعدا الى السماء فما مر عليهما شهر حتى افتتنا وقيل افتتنا في اول يوم وذلك انه
اختصم اليهما امراة يقال لها الزهرة وكانت من اجمل اهل فارس وقيل كانت ملكة فلما راياها اخذت
بقلوبهما فقال احدهما لصاحبه هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي قال نعم فراوداها عن
نفسها فابت وانصرفت ثم عادت اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فابت وقالت لا الا ان تعبدا
هذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء فان الله تعالى قد نهانا عنها
فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح خمر وفي انفسهما من الميل اليها ما فيها فراوداها
عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم واهون
الثلاثة شرب الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمراة فزنيا بها فراهما انسان فقتلاه خوف الفضيحة
وقيل انهما سجدا للصنم وقيل جاءتهما امراة من احسن الناس تخاصم زوجها فقال احدهما للاخر
هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي قال نعم قال هل لك ان تقضي لها على زوجها فقال له
صاحبه اما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب قال اما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فقتلاه ثم سالاها نفسها فقالت لا الا ان تقتلاه
صنما نعبده ان انتما صليتما معي عنده فعلت فقال احدهما لصاحبه مثل القول الاول فرد
عليه مثله فصليا معها عنده فمسخت شهابا وقال علي بن ابي طالب قالت لهما لن تدركاني حتى
تخبراني بالذي تصعدان به الى السماء فقالا باسم الله الاكبر قالت فما انتما بمدركيني حتى تعلمانيه
فقال احدهما للاخر علمها فقال اني اخاف الله فقال الاخر فاين رحمة الله فعلماها ذلك فتكلمت به
وصعدت الى السماء فمسخها الله كوكبا فذهب بعضهم الى انها هي الزهرة بعينها وانكر الاخرون ذلك
وقالوا ان الزهرة من الكواكب السيارة التي اقسم الله بها فقال فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس
والذي فتنت هاروت وماروت كانت امراة تسمى الزهرة لجمالها وحسنها فلما بغت مسخها
الله تعالى شهابا قالوا فلما امسى هاروت وماروت بعدما قارفا الذنب هما بالصعود الى السماء
فلم تطاوعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا ادريس النبي عليه السلام واخبراه بامرهما وسالاه
ان يشفع لهما الى الله عز وجل وقالا له انا رايناك يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع اهل
الارض فاشفع لنا الى ربك ففعل ذلك ادريس فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة
فاختارا عذاب الدنيا اذ علما انه ينقطع فهما ببابل يعذبان قيل انهما معلقان بشعورهما
الى قيام الساعة وقيل انهما منكوسان يضربان بسياط الحديد وقيل ان رجلا قصدهما
ليتعلم السحر فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة عيونهما مسودة جلودهما ليس بين السنتهما
وبين الماء الا قدر اربع اصابع وهما يعذبان بالعطش فلما راى ذلك هاله فقال لا اله الا الله فلما
سمعا كلامه قالا لا اله الا الله من انت قال رجل من الناس فقالا من اي امة انت قال من امة
محمد صلى الله عليه وسلم قالا وقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فقالا الحمد لله واظهرا
الاستبشار فقال الرجل مم استبشاركما قالا انه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا **فصل**
في القول بعصمة الملائكة اجمع المسلمون على ان الملائكة مومنون فضلاء واتفق ائمة المسلمين

علي ان حكم الرسل من الملائكة حكم النبيين سوا في العصمة في باب البلاغ عن الله عز وجل وفي كل شي
ثبتت فيه عصمة الانبيا فكذلك الملائكة والخصم مع الانبيا في التبليغ اليهم كالانبيا مع اممهم
ثم اختلفوا في غير المرسلين من الملائكة فذهب طايفة من المحققين وجميع المعتزلة الى عصمة جميع
الملائكة عن جميع الذنوب والمعاصي واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية وذهب طايفة
الى ان غير المرسلين من الملائكة غير معصومين واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية منها
قصة هاروت وماروت وما نقله اهل الاخبار والسير ونقله ابن جرير الطبري في تفسيره
عن جماعة من الصحابة والتابعين فنقل قصة هاروت وماروت بالفاظ متقاربة عن علي بن
ابي طالب وابن مسعود وكعب الاحبار والسدي والربيع ومجاهد واجاب من ذهب الى عصمة
جميع الملائكة عن قصة هاروت وماروت بان ما نقله المفسرون واهل الاخبار في ذلك لم يصح
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك شي وهذه الاخبار انما اخذت من اليهود وقد علم افتراوهم
على الانبيا والملائكة وقد ذكر الله عز وجل في هذه الايات افترا اليهود على سليمان اولا ثم عطف على
ذلك قصة هاروت وماروت ثانيا قالوا ومعنى الاية وما كفر سليمان يعني بالسحر الذي افتعله
عليه الشياطين واتبعهم في ذلك اليهود فاخبر عن افترايهم وكذبهم وذكروا الجواب عن هذه القصة
وانها باطلة وجوها الاول ان في القصة ان الله تعالى قال للملائكة لو ابتليتم بما ابتلوت به بنو
ادم لعصيتموني قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نعصيك وفيه رد على الله وذلك كفر وقد ثبت
انهم كانوا معصومين قبل ذلك فلا يقع هذا منهم الوجه الثاني انهما خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة
وذلك فاسد لان الله تعالى لا يخير من اشرك وان كان قد صحت توبتهما فلا عقوبة عليهما الوجه
الثالث ان المراة لما فجرت كيف يعقل انها صعدت الى السما وصارت كوكبا وعظم الله قدرها بحيث
اقسم بها في قوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس فبان بهذه الوجوه ركة هذه القصة والله اعلم بصحة
ذلك وسقمه والاولى تنزيه الملائكة عن كل ما لا يليق بمنصبهم وقوله تعالى وما يعلمان من احد حتى
يقولا يعني احدا حتى ينصحاه اولا و يقولا انما نحن فتنة اي ابتلا ومحنة فلا تكفر اي لا تتعلم السحر
فتعمل به فتكفر قيل يقولان انما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات فان ابى قبول نصحهما وصمم على التعلم
يقولان له ايت هذا الرماد فبل عليه فاذا فعل ذلك خرج منه نور ساطع في السما فذلك الايمان والمعرفة
وينزل شي اسود مثل شبه الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله تعالى فيتعلمون منهما يعني
من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين
كالتمويه والتخييل والنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله تعالى عنده البغضا والنشوز والخلاف
بين الزوجين ابتلا من الله تعالى لان السحر له تاثير في نفسه بدليل قوله وما هم يعني السحرة بضارين
به اي بالسحر من احد الا باذن الله اي بعلمه وقضايه وتكوينه فالساحر يسحر والله تعالى يقدر ويكون
ذلك بقضا الله تعالى وقدرته ومشيته ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم يعني السحر لانهم يقصدون به
الشر ولقد علموا يعني اليهود لمن اشتراه يعني اختار السحر ما له في الاخرة من خلاق يعني ما له نصيب في الجنة
ولبيس ما شروا به انفسهم اي باعوا حظ انفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق لو كانوا يعلمون

فان قلت كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على التوكيد القسمي ثم
نفاه عنهم اخرا في قوله لو كانوا يعلمون **قلت** قد علموا ان من اشترى السحر ما له في الاخرة

من

من خلاق ثم مع هذا العلم خالفوا واشتغلوا بالسحر وتركوا العمل بما جا بكتاب الله وما جات به الرسل عنادا
منهم وبغيا وذلك على معرفة منهم بما لمن فعل ذلك من العقاب فجعلهم حين لم يعملوا بعلمهم كانهم منسلخين منه
ولو انهم امنوا يعني اليهود بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران واتقوا يعني اليهودية والسحر وما يوثمهم لمثوبة
من عند الله خير اي لكان ثواب الله اياهم خير لهم يعني هذا الثواب لو كانوا يعلمون يعني ذلك قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا سبب نزول هذه الاية ان المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول الله من المراعاة
اي ارعنا سمعك وفرغه لكلامنا وكانت هذه اللفظة سبا قبيحا بلغة اليهود ومعناها عندهم اسمع لا سمعت
وقيل من الرعونة اذا ارادوا ان يحمقوا انسانا قالوا راعنا يعني احمق فلما سمعت اليهود هذه الكلمة من المسلمين
قالوا فيما بينهم كنا نسب محمدا سرا فاعلنوا به الان فكانوا ياتونه ويقولون راعنا يا محمد ويضحكون فيما
بينهم فسمعها سعد بن معاذ رضي الله عنه ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود لين سمعتها من
احد منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فانزل الله
تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا اي كيلا يجد اليهود بذلك سبيلا الى شتم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقولوا انظرنا اي انظر الينا وقيل معناه انتظرنا وتان بنا وفهمنا واسمعوا اي ما تومرون به
واطيعوا فنهى الله تعالى عباده المومنين ان يقولوا للنبي محمد صلى الله عليه وسلم راعنا لئلا يتطرق احد
الى شتمه وامرهم بتوقيره وتعظيمه وان يتخيروا لخطابه صلى الله عليه وسلم من المعاني الالفاظ احسنها
ومن المعاني ارقها وان سالوه بتبجيل وتعظيم ولين ولا يخاطبوه بما يسر اليهود وللكافرين يعني اليهود
عذاب اليم ما يود اي ما يحب الذين كفروا من اهل الكتاب يعني اليهود ولا المشركين يعني عبدة الاوثان
لان الكفر اسم جنس تحته نوعان اهل كتاب وهم الذين بدلوا كتابهم وكذبوا الرسل وعبدة الاوثان
ومن عبد غير الله ان ينزل عليكم من خير من ربكم يعني ما انزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم من
الوحي والنبوة وانما كرهت اليهود وتباعهم من المشركين ذلك حسدا وبغيا منهم على المومنين وذلك
ان المسلمين قالوا لحلفايهم من اليهود امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا الذي تدعوننا
اليه بخير مما نحن فيه ولوددنا لو كان خيرا فانزل الله تعالى هذه الاية تكذيبا لهم والله يختص برحمته
من يشا يعني انه تعالى يختص بنبوته ورسالته من يشا من عباده ويتفضل بالايمان والهداية
على من احب من خلقه رحمة منه لهم والله ذو الفضل العظيم يعني ان كل خير ناله عباده في دينهم ودنياهم
فانه منه ابتدا وتفضلا عليهم من غير استحقاق منهم ذلك بل له الفضل والمنة على خلقه قوله عز وجل
ما ننسخ من اية او ننساها الاية وسبب نزولها ان المشركين قالوا ان محمدا يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم
عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع فيه غدا ما يقوله الا من تلقا نفسه كما اخبر الله
تعالى عنهم بقوله واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر وانزل ما ننسخ من
اية فبين بهذه الاية وجه الحكمة في النسخ وانه من عنده لا من عند محمد صلى الله عليه وسلم
واصل النسخ في اللغة يكون بمعنى النقل والتحويل ومنه نسخ الكتاب وهو ان ينقل من كتاب
الى كتاب اخر وذلك لا يقتضي ازالة الصورة الاولى بل يقتضي اثبات مثله في كتاب اخر فعلى
هذا المعنى يكون القران كله منسوخا وذلك انه نسخ من اللوح المحفوظ ونزل جملة واحدة الى سماء
الدنيا وقد يكون النسخ بمعنى الرفع والازالة وهو ازالة شي بشي يعقبه كنسخ الشمس الظل والشيب
الشباب فعلى هذا المعنى يكون بعض القران منسوخا وبعضه ناسخا وهو المراد من حكم هذه الاية

Copyright King Saud University

فصل في حكم النسخ

وهو ازالة الحكم بحكم يعقبه **فصل** في حكم النسخ في اصطلاح العلما عبارة عن رفع الحكم الشرعي
بدليل شرعي متاخر عنه والنسخ جائز عقلا وواقع سمعا خلافا لليهود فان منهم من لم ينكره عقلا
لكنه منعه سمعا وشذت طايفة قليلة من المسلمين فانكرت النسخ احتج الجمهور من المسلمين
على جواز النسخ ووقوعه بان الدلايل قد دلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لا تصح
الا مع القول بالنسخ وهو نسخ شرع من قبله فوجب القطع بالنسخ ولنا على اليهود الزامات منها ان الله
تعالى حرم عليهم العمل في السبت ولم يحرمه على من كان قبلهم ومنها انه جا في التوراة ان الله تعالى
قال لموسى لنوح عليه السلام عند خروجه من الفلك اني جعلت كل دابة ماكولا لك ولذريتك
واطلقت ذلك لكم ثم انه حرم على موسى عليه السلام كثيرا من الحيوانات ومنها ان ادم عليه
السلام كان يزوج الاخ للاخت وقد حرمه على من بعده وعلى موسى عليه السلام فثبت بهذا
جواز النسخ وحيث ثبت جواز النسخ فقد اختلفوا فيه على وجوه احدها ان القران نسخ جميع
الشرايع والكتب المتقدمة كالتوراة والانجيل وغيرها الوجه الثاني ان المراد من النسخ هو القران
ونقله من اللوح المحفوظ الى سما الدنيا الوجه الثالث وهو الصحيح لاول الذي عليه جمهور
العلما ان المراد من النسخ هو رفع بعض الايات بدليل اخر ياتي بعده وهو المراد بقوله تعالى
ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها لان الاية اذا اطلقت فالمراد بها ايات القران
لانه هو المعهود عندنا قال الشافعي رضي الله عنه الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة واستدل
بهذه الاية وهو انه تعالى قال ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها وذلك انه
يفيد انه هو الاتي والماتي به من جنس القران وما كان من جنس القران فهو قران وقوله نات
بخير منها يفيد انه هو المنفرد بالاتيان بذلك وهو القران الذي هو كلام الله دون السنة وان
السنة لا تكون خيرا من القران ولا مثله واحتج الجمهور على جواز نسخ الكتاب بالسنة لان اية
الوصية للاقربين منسوخة بقوله صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث اجاب الشافعي بان
هذا ضعيف لان كون الميراث حقا للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان اية الميراث
مانعة من الوصية وتقرير هذا وبسطه معروف في اصول الفقه ثم النسخ في القران على وجوه احدها
ما رفع حكمه وتلاوته كما روى عن ابي امامة بن سهل ان قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقروا سورة
فلم يذكروا فيها الا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تلك السورة رفعت تلاوتها وحكمها اخرجه البغوي بغير سند وقيل ان
سورة الاحزاب كانت مثل سورة البقرة فرفع بعضها تلاوة وحكما الوجه الثاني ما رفع
تلاوته وبقي حكمه مثل اية الرجم وروى عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعث محمدا بالحق وانزل عليه الكتاب فكان فيما انزل عليه
اية الرجم فقراناها ووعيناها وعقلناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده
فاخشى ان طال بالناس زمان ان يقول قايل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها
الله وان الرجم في كتاب الله حق على من زنا اذا احصن من الرجال والنسا اذا قامت البينة او كان الحبل
او الاعتراف اخرجه مسلم وللبخاري نحوه الوجه الثالث ما رفع حكمه وثبت خطه وتلاوته
وهو كثير في القران مثل اية الوصية للاقربين نسخت باية الميراث عند الشافعي وبالسنة عند غيره

وآية

وآية عدة الوفاة بالحول باية اربعة اشهر وعشرا واية القتال وهي قوله ان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مايتين الاية نسخت بقوله الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا الاية ومثل هذا كثير في
القران واما معنى الاية فقوله ما ننسخ من اية اي نرفعها ونرفع حكمها او ننسها قرا بضم النون
وكسر السين ومعناه نثبتها على قلبك قال ابن عباس نتركها لا ننسخها وقيل معناه نامر بتركها
فعلى هذا يكون النسخ الاول رفع الحكم واقامة غيره مقامه ولا ناسخ من غير اقامة غيره مقامه
وقرا ننساها بفتح النون والسين وبالهمزة ومعناها نوخرها فلا نتركها او نرفع تلاوتها ونوخر
حكمها كاية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الاول بمعنى رفع التلاوة والحكم قال سعيد بن المسيب
وعطا ما ننسخ من اية فهو ما نزل من القران جعله من نسخت الكتاب اذا نقلته الى كتاب اخر وننساها
اي نوخرها ونتركها في اللوح المحفوظ فلا نتركها **نات بخير منها** اي بما هو انفع لكم واسهل عليكم واكثر
لاجوركم وليس معناه ان اية خير من اية لان كلام الله تعالى كله واحد **او مثلها** اي في المنفعة
والثواب فما نسخ الى الايسر كان اسهل في العمل كالذي كان على المومنين من فرض قيام الليل ثم نسخ
ذلك فكان خيرا لهم في عاجلهم لسقوط التعب والمشقة عليهم وما نسخ الى الاشق كان اكمل في
الثواب كالذي كان عليهم من صيام ايام معدودات في البينة فنسخ ذلك وفرض صيام شهر
فكان صوم شهر كامل في سنة اثقل على الابدان واشق من صيام ايام معدودات فكان ثوابه اجل
واكثر اما المثل فكنسخ التوجه الى حيث امر الله تعالى **الم تعلم ان الله على كل شي قدير**
اي على النسخ والتبديل والمعنى الم تعلم يا محمد اني قادر على تفويضك بما نسخت من احكامي وغيره
من فرايضي التي كنت افترضتها عليك ما اشا مما هو خير لك ولعبادي المومنين وانفع لكم ولهم
عاجلا واجلا **الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض** يعني انه تعالى هو المتصرف في السموات
والارض وله سلطانهما دون غيره ويحكم فيهما وفيما فيهما بما يشا من امر ونهي ونسخ وتبديل
وهذا الخبر وان كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لكن فيه تكذيب لليهود الذين انكروا النسخ
وجحدوا نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فاخبرهم الله ان له ملك السموات والارض
وان الخلق كلهم عبيده وتحت تصرفه ويحكم فيهم بما يشا وعليهم السمع والطاعة **وما لكم** يعني
يا معشر الكفار عند نزول العذاب **من دون الله** اي مما سوى الله **من ولي** اي قريب وصديق
وقيل من وال وهو القيم بالامور **ولا نصير** اي ناصر يمنعكم من العذاب وقيل في معنى الاية
وليس لكم ايها المومنون بعد الله من قيم بامركم ولا نصير يودكم ويقويكم على اعدايكم قوله عز
وجل **ام تريدون ان تسالوا رسولكم** نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا يا محمد ايتنا بكتاب من
السما جملة كما اتى موسى بالتوراة وقيل انهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن
نومن لك حتى تاتي بالله والملايكة قبيلا كما سيل قوم موسى فقالوا ارنا الله جهرة فانزل الله
تعالى هذه الاية والمعنى تريدون ان تسالوا رسولكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **كما سيل
موسى من قبل** وذلك ان موسى سأله قومه فقالوا ارنا الله جهرة ففي الاية منعهم ونهيهم عن
السوالات المقترحة بعد ظهور الدلالات والمعجزات وثبوت الحجج والبراهين في صحة نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم **ومن يتبدل** اي يستبدل **الكفر بالايمان فقد ضل سوا السبيل**
اي اخطا قصد الطريق وقيل ان قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان خطاب للمومنين واعلمهم

Copyright © King Saud University

ان اليهود اهل غش وحسد وانهم يتمنون للمومنين المكاره فنهاهم الله تعالى ان يقبلوا من اليهود
شيا ينصحونهم به في الظاهر واخبرهم ان من ارتد عن دينه فقد اخطا قصد السبيل قوله عز وجل
ود كثير من اهل الكتاب نزلت هذه الاية في نفر من اليهود وذلك انهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار
ابن ياسر بعد وقعة احد لو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعا الى ديننا فنحن اهدى سبيلا منكم فقال عمار
كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال اني عاهدت ان لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت
قالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام
دينا وبالقران اماما وبالكعبة قبلة وبالمومنين اخوانا ثم انهما اتيا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخبراه بذلك فقال اصبتما الخير وافلحتما فانزل الله تعالى ود اى تمنى كثير من اهل الكتاب
يعني اليهود لو يردونكم اى يا معشر المومنين من بعد ايمانكم كفارا اى ترجعوا الى ما كنتم عليه من
الكفر حسدا اى يحسدونكم حسدا واصل الحسد تمنى زوال النعمة عن مستحقها وربما يكون مع
ذلك سعى في ازالتها والحسد مذموم لما روى عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اياكم
والحسد فان الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال المصنف اخرجه ابو داود فاذا
انعم الله على عبده نعمة فتمنى اخر زوالها فهذا هو الحسد وهو حرام فان استعان بتلك النعمة
على الكفر والمعاصي فتمنى اخر زوالها فليس بحسد ولا يحرم ذلك فانه لم يحسده على تلك النعمة
من حيث انها نعمة بل من حيث انه يتوصل بتلك النعمة الى الشر والفساد فكذلك وقوله من عند
انفسهم اى من تلقاء انفسهم لم يامرهم الله بذلك من بعد ما تبين لهم الحق يعني في التوراة ان قول
محمد صلى الله عليه وسلم ودينه حق لا يشكون فيه فكفروا به حسدا وبغيا فاعفوا واصفحوا اى
فتجاوزوا عما كان منهم من اساءة وحسد وكان هذا الامر بالعفو والصفح قبل ان يومر بالقتال حتى ياتي
الله بامره اى بعذابه وهو القتل والسبى لبنى قريظة والاجلاء والنفى لبنى النضير قال ابن عباس هو
امر الله لنبيه فيهم في قوله قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر الاية ان الله على كل شي قدير فيه
وعيد وتهديد لهم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة لما امر الله المومنين بالعفو والصفح عن اليهود امرهم بما فيه صلاح
انفسهم من اقام الصلاة وايتاء الزكاة الواجبتين ونبه بذلك على ساير الواجبات ثم قال تعالى وما تقدموا
لانفسكم من خير اى من طاعة وعمل صالح وقيل اراد بالخير المال يعني صدقة التطوع لان الزكاة تقدم
ذكرها تجدوه عند الله يعني ثوابه واجره حتى الثمرة واللقمة مثل احد ان الله بما تعملون بصير اى
لا يخفى عليه شي من قليل الاعمال وكثيرها ففيه ترغيب في الطاعات واعمال البر وزجر عن المعاصي
قوله عز وجل وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا اى يهوديا وقيل جمع هايد او نصارى وذلك ان اليهود
قالوا لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا ولا دين الا دين اليهودية وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ولا دين الا دين النصرانية قيل نزلت في وفد نجران وكانوا
نصارى اجتمعوا مع اليهود في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذب بعضهم بعضا في دعواهم
قال الله تلك امانيهم اى شهواتهم الباطلة التى تمنوها على الله بغير حق قل يعني يا محمد هاتوا
برهانكم اى حجتكم على دعواكم ان الجنة لا يدخلها الا من كان يهوديا او نصرانيا دون غيرهم ان كنتم صادقين
يعني فيما تدعون ثم قال تعالى ردا عليهم بلى اى ليس الامر كما تزعمون ولكن من اسلم وجهه لله وهو
محسن فانه الذي يدخل الجنة وينعم فيها ومعنى اسلم وجهه لله اخلص دينه لله وقيل اخلص عبادته لله
وقيل خضع وتواضع لله لان اصل الاسلام الاستسلام وهو الخضوع وانما خص الوجه بالذكر

لانه

لانه اشرف الاعضاء فاذا جاد الانسان بوضع وجهه على الارض بالسجود فقد جاد بجميع اعضايه
قال زيد بن عمرو بن نفيل واسلمت وجهي لمن اسلمت له الارض تحمل صخرا ثقالا واسلمت وجهي لمن
اسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا يعني بذلك استسلمت لطاعة من استسلم لطاعته الارض والمزن
وهو محسن اى في عمله لله فله اجره عند ربه اى ثواب عمله ولا خوف عليهم اى في الاخرة ولا هم يحزنون
اى على ما فاتهم من الدنيا قوله عز وجل وقالت اليهود ليست النصارى على شي وقالت النصارى
ليست اليهود على شي نزلت في يهود المدينة ونصارى نجران وذلك ان وفد نجران لما قدموا على
النبى صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار اليهود وتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود للنصارى
ما انتم على شي من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لليهود ما انتم على شي وكفروا
بموسى والتورية فانزل الله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شي وقالت النصارى ليست
اليهود على شي وهم يتلون الكتاب يعني كلا الفريقين يقرون الكتاب وليس في كتابهم هذا الاختلاف
فدل تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم ما فيه على كفرهم وكونهم على الباطل وقيل ان الانجيل الذى تدين بصحته
النصارى يحقق ما في التورية من نبوة موسى وما فرض الله فيها على بنى اسرايل من الفرايض وان
التوراة التى تدين بصحتها اليهود تحقق نبوة عيسى وما جاء به من عند ربه من احكام ثم كلا الفريقين
قالوا ما اخبر الله عنهم بقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شي وقالت النصارى ليست اليهود
ليست النصارى على شي مع علم كل من الفريقين ببطلان ما قاله كذلك قال الذين لا يعلمون يعني مشركي
العرب قالوا في نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ليسوا على شي مثل قولهم يعني مثل قول اليهود
للنصارى والنصارى لليهود وقيل امم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح
ولوط وشعيب قالوا في نبيهم ليسوا على شي فالله يحكم اى يقضي بينهم يوم القيامة يعني بين المحق
والمبطل فيما كانوا فيه يختلفون يعني من امر الدين قوله عز وجل ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه
نزلت في خراب بيت المقدس وذلك ان ططوس الرومي غزى بنى اسرايل فقتل مقاتلتهم وسبى
ذراريهم وحرق التوراة وخرب بيت المقدس فلم يزل خرابا حتى بناه المسلمون في زمن عمر بن الخطاب
فانزل الله تعالى ومن اظلم اى ومن اكفر واعتى ممن منع مساجد الله يعني بيت المقدس ومحاريبه
ان يذكر فيها اسمه اى يعبد ويصلى له فيها وسعى في خرابها وقيل ان بخت نصر المجوسي من اهل بابل هو
الذى غزا بنى اسرايل وخرب بيت المقدس واعانه على ذلك النصارى من اجل ان اليهود قتلوا يحيى
وزكريا اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خايفين وذلك ان بيت المقدس موضع حج النصارى
وزيارتهم قال ابن عباس لم يدخلها بعد عمارتها رومي ولا نصراني الا خايفا ان علم به قتل وقيل
اخيفوا بالجزية والقتل فالجزية على الذمي والقتل على الحربي وقيل خوفهم هو فتح مداينهم
الثلاث قسطنطينية ورومية وعمورية لهم في الدنيا خزي يعني الصغار والذل والقتل
والسبي ولهم في الاخرة عذاب عظيم يعني النار وقيل ان الاية نزلت في مشركي مكة واراد بالمساجد
المسجد الحرام وذلك انهم منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ان يصلوا فيه في ابتدا
الاسلام ومنعوهم من حجه والصلاة فيه عام الحديبية واذا منعوا من عمره بذكر الله تعالى
والصلاة فيه فقد سعوا في خرابه اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خايفين يعني مشركي مكة
يقول الله تعالى فتحتها عليكم ايها المسلمون حتى تدخلوها وتكونوا اولى بها منهم ففتحها عليهم

Copyright © King Saud University

وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان ينادي في الموسم لما نزلت سورة براءة الا لا يحجن هذا البيت بعد هذا العام مشرك فكان هذا خوفهم وثبت في الشرع ان لا يمكن مشرك من دخول الحرم **فان قلت** كيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو اما بيت المقدس او المسجد الحرام **قلت** يجوز ان يجي الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن آذى الصالحين **فان قلت** اي القولين ارجح **قلت** ارجح الطريقين القول الاول ويرجح وقالت النصارى هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس بدليل ان مشركي مكة لم يسعوا في خراب المسجد الحرام وان كانوا قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات من الصلاة فيه وايضا فان الاية التي قبل هذا وبعدها في ذم اهل الكتاب ولم يجر لمشركي مكة ذكر ولا للمسجد الحرام فتعين ان يكون المراد بقوله بيت المقدس ورجح غيره القول الثاني بدليل ان النصارى يعظمون بيت المقدس اكثر من اليهود فكيف يسعون في خرابه وهو موضع حجهم وذكر ابن العربي في احكام القران قولا ثالثا انه كل مسجد قال وهو الصحيح لان اللفظ عام ورد بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض المساجد او ببعض الازمنة محال قوله عز وجل ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله سبب نزول هذه الاية قال ابن عباس خرج نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قبل تحويل القبلة الى الكعبة فاصابهم الضباب وحضرت الصلاة فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم انهم لم يصيبوا فلما قدموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الاية وعن عامر بن ربيعة عن ابيه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر اين القبلة فصلى كل رجل منا على حياله فلما اصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فاينما تولوا فثم وجه الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال ابن عمر نزلت في المسافر يصلي التطوع حيث ما توجهت به راحلته ق عن ابن عمر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان وجهه يومي وكان ابن عمر يفعله وفي رواية لمسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي على دابته وهو مقبل من مكة الى المدينة حيث ما توجهت وفيه نزلت فاينما تولوا فثم وجه الله الاية وقيل نزلت في تحويل القبلة الى الكعبة وذلك ان اليهود عيرت المومنين وقالوا ليست لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة يستقبلون هكذا فانزل الله هذه الاية وقيل انها نزلت في تخيير النبي واصحابه ليصلوا حيث شاؤوا من النواحي ثم انها نسخت بقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام ومعنى الاية ان لله المشرق والمغرب وما بينهما خلقا وملكا وانما خص المشرق اكتفا عن جميع الجهات لان له كلها وما بينهما خلقه وعبيده وان على جميعهم طاعته فيما امرهم به ونهاهم عنه فما امرهم باستقباله فهو القبلة فان القبلة ليست قبلة لذاتها بل لان الله تعالى جعلها قبلة وامرنا بالتوجه اليها فاينما تولوا فثم وجه الله اي فهناك قبلة الله التي وجهكم اليها وقيل معناه فثم الله تعالى بعلمه وقدرته والوجه صفة ثابتة لله تعالى لا من حيث الصورة وقيل فثم رضا الله اي يريدون بالتوجه اليه رضاه ان الله واسع من السعة وهو الغنا اي يسع خلقه كلهم بالكفاية والافضال والجود والتدبير وقيل هو واسع المغفرة عليم اي باعمالكم ونياتكم حيث ما تصلوا وتدعوا لا يغيب عنه منها شي مسئلة تتعلق بحكم الاية

وهي ان المسافر اذا كان في مفازة او بلاد الشرك واشتبهت عليه القبلة فانه يجتهد في طلبها بنوع من الدلايل ويصلي الى الجهة التي ادى اليها اجتهاده ولا اعادة عليه وان لم يجد دليلا فالجهة التي ادى اليها اجتهاده قبلته وكذلك الغريق في البحر اذا بقي على اللوح فانه يصلي على حسب حاله وتصح صلاته وكذا المشدود الى جذع بحيث لا يمكنه الاستقبال قوله عز وجل وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت في يهود المدينة حيث قالوا عزير ابن الله وفي نصارى نجران حيث قالوا المسيح ابن الله وفي مشركي العرب حيث قالوا الملايكة بنات الله سبحانه اي تنزيها له فنزه الله نفسه عن اتخاذ الولد وعن قولهم وافترايهم عليه خ عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فزعم اني لا اقدر ان اعيده كما كان واما شتمه اياي فقوله لي ولد فسبحاني ان اتخذ صاحبة او ولدا بل له ما في السموات والارض يعني عبيدا وملكا فكيف ينسب اليه الولد وهو داخل فيهما وقيل ان الولد لا بد وان يكون من جنس الوالد والله تعالى منزه عن الشبه والنظير وقيل ان الولد انما يتخذ للحاجة اليه والانتفاع به عند عجز الوالد وكبره والله تعالى منزه عن ذلك كله فاضافة الولد اليه محال كل له قانتون يعني ان اهل السموات والارض مطيعون لله ومقرون له بالعبودية واصل القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع وقيل اصله القيام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة طول القنوت فعلى هذا يكون معنى الاية كل له قانتون بالشهادة ومقرون له بالوحدانية وقيل قانتون اي مذللون مسخرون لما خلقوا له واختلف العلما في حكم الاية فقال بعضهم هو خاص ثم سلكوا في تخصيصه طريقين احدهما ان ظلالهم تسجد لله وتطيعه والثاني ان هذه الطاعة تكون في يوم القيامة ومن ذهب الى تعميم حكم الاية اجاب عن لفظة كل بانها لا تقتضي الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى واوتيت من كل شي ولم تؤت ملك سليمان فدل على ان لفظة كل لا تقتضي ذلك قوله عز وجل بديع السموات والارض اي خالقها ومنشيها على غير مثال سبق وقيل البديع الذي يبدع الاشيا اي يحدثها مما لم يكن واذا قضى امرا اي قدره واراد خلقه وقيل اذا احكم امرا وحتمه فانما يقول له كن فيكون ذلك الامر على ما اراده الله تعالى وجوده **فان قلت** المعدوم لا يخاطب فكيف قال فانما يقول له كن فيكون **قلت** ان الله تعالى عالم بكل ما هو كاين قبل تكوينه واذا كان كذلك كانت الاشيا التي لم تكن كانها كاينة بعلمه بها فجاز ان يقول لها كوني ويامرها بالخروج من حال العدم الى حال الوجود وقيل اللام في قوله له لام اجل فيكون المعنى واذا قضى امرا فانما يقول لاجل تكوينه وارادته كن فيكون فعلى هذا يذهب معنى الخطاب قوله عز وجل وقال الذين لا يعلمون قال ابن عباس هم اليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هم النصارى وقيل هم مشركو العرب لولا يكلمنا الله اي عيانا بانك رسوله او تاتينا اية اي دلالة وعلامة على صدقك كذلك قال الذين من قبلهم اي كفار الامم الخالية مثل قولهم وذلك ان اليهود سالوا موسى ان يريهم الله جهرة وان يسمعهم كلام الله وسالوا من الايات ما ليس لهم مسئلته فاخبر عن الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا مثل من كان قبلهم تشابهت قلوبهم يعني ان المكذبين للرسل تشابهت اقوالهم وافعالهم وقيل تشابهت في الكفر والقسوة والتكذيب وطلب المحال قد بينا الايات اي الدلالات على نبوة محمد

Copyright © King Saud University

صلى الله عليه وسلم لقوم يوقنون يعني ان ايات القران وما جا به محمد صلى الله عليه وسلم من
المعجزات الباهرات كافية لمن كان طالب اليقين وانما خص اهل الايقان بالذكر لانهم هم اهل
التثبت في الامور ومعرفة الاشيا على يقين قوله عز وجل انا ارسلناك بالحق اي بالصدق
وقال ابن عباس بالقران وقيل بالاسلام وقيل معناه انا لم نرسلك عبثا بل ارسلناك بالحق بشيرا
اي مبشرا لاوليائي واهل طاعتي بالثواب العظيم ونذيرا اي منذرا ومخوفا لاعدائي واهل معصيتي
بالعذاب الاليم ولا تسال قري بفتح التا على النهي قال ابن عباس وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ذات يوم ليت شعري ما فعل ابواي فنزلت الاية والمعنى انا ارسلناك لتبليغ ما ارسلت به ولا تسال
عن اصحاب الجحيم وقري ولا تسال بضم التا ورفع اللام على الخبر وقيل على النفي والمعنى انا ارسلناك
بالحق لتبليغ ما ارسلت به فانما عليك البلاغ ولست مسولا عمن كفر من اصحاب الجحيم اي عن اهل النار سميت
النار جحيما لشدة تاججها وقيل الجحيم معظم النار وقوله عز وجل ولن ترضى عنك اليهود ولا
النصارى حتى تتبع ملتهم وذلك انهم كانوا يسالون النبي صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعونه انه
ان امهلهم تبعوه فانزل الله هذه الاية والمعنى انك وان هادنتهم فلا يرضون بها وانما يطلبون
ذلك تعللا ولا يرضون منك الا باتباع ملتهم وقال ابن عباس هذا في امر القبلة وذلك ان يهود
المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي الى بيت المقدس
فلما صرف الله القبلة الى الكعبة ايسوا منه ان يوافقهم على دينهم فانزل الله تعالى ولن ترضى عنك
اليهود يعني الا باليهودية ولا النصارى يعني الا بالنصرانية وهذا شي لا يتصور اذ لا يجتمع في رجل
واحد شيان في وقت واحد وهو قوله حتى تتبع ملتهم يعني دينهم وطريقتهم قل اي يا محمد ان هدى
الله يعني دين الله الذي هو الاسلام هو الهدى اي يصح ان يسمى هدى ولين اتبعت يا محمد اهواهم
يعني اليهود والنصارى فيما يرضيهم عنك وقيل الاهوا هي ما يوافق الهوى والبدع بعد الذي
جاك من العلم اي البيان بان دين الله هو الاسلام وان القبلة هي قبلة ابراهيم عليه السلام
وهي الكعبة ما لك من الله من ولي يعني يلي امرك ويقوم بك ولا نصير اي ينصرك ويمنعك من عقابه
وقيل في قوله ولين اتبعت اهواهم انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته والمعنى اياكم
اخاطب ولكم اردت وانما فقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد جاكم بالحق والصدق وقد
عصمته فلا تتبعوا انتم اهوا الكافرين ولين اتبعت اهواهم بعد الذي جاك من العلم والبيان
ما لكم من الله من ولي ولا نصير وقوله عز وجل الذين اتيناهم الكتاب قال ابن عباس نزلت في اهل
السفينة الذين قدموا مع جعفر بن ابي طالب وكانوا اربعين رجلا اثنان وثلاثون من الحبشة
وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا الراهب وقيل هم مومنوا اهل الكتاب مثل عبد الله بن
سلام واصحابه وقيل هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل هم المومنون
عامة يتلونه حق تلاوته اي يقرونه كما انزل لا يغيرونه ولا يحرفونه ولا يبدلون ما فيه
من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل معناه يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله
ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويومنون بمتشابهه ويقفون عنده ويكلون علمه الى الله تعالى
وقيل معناه تدبروه حق تدبره وتفكروا في معانيه وحقايقه واسراره اوليك يعني الذين
يتلونه حق تلاوته يومنون به اي يصدقون به فان قلنا ان الاية في اهل الكتاب فيكون

المعنى

المعنى بالتوراة الذي يتلونها حق تلاوتها هو المومن بمحمد صلى الله عليه وسلم لبين التوراة نعته
وصفته وان قلنا انها نزلت في المومنين عامة فظاهر ومن يكفر به اي يجحد بما فيه من فرايض
الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فاوليك هم الخاسرون اي خسروا انفسهم حيث استبدلوا
الكفر بالايمان قوله عز وجل يا بني اسرايل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اي ايادي لديكم وصنعي بكم واستنقاذ
ابايكم من ايادي عدوكم في نعم كثيرة انعمت بها عليكم واني فضلتكم على العالمين واذكروا تفضيلي
اياكم على عالمي زمانكم وفي هذه الاية عظة لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكررها في اول السورة وهنا للتوكيد وتذكير النعم واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس
شيا وفي هذه الاية ترهيب لهم والمعنى يا معشر بني اسرايل المبدلين كتابي المحرفين له خافوا عذاب
يوم لا يغني فيه نفس عن نفس شيا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة اي ولا يقبل منها فدية
ولا يشفع لها شفاعة شافع وهذا من العام الذي يراد به الخاص كقوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده
الا لمن اذن له ومعنى لا يقبل ولا تنفعها شفاعة اذا وجب عليها العذاب ولم يستحق سواه
وقيل انه رد على اليهود في قولهم انا ابانا يشفعون لنا ولا هم ينصرون اي ولا ناصر لهم ينصرهم من الله
اذا انتقم منهم قوله عز وجل واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن ابراهيم اسم عجمي ومعناه اب رحيم
وهو ابراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروع بن ارغوى بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد
ابن سام بن نوح عليه السلام وكان مولد ابراهيم بالسوس من ارض الاهواز وقيل بكوثى وهي قرية من
سواد الكوفة وقيل بحران ولكن اباه نقله الى ارض بابل وهي ارض نمرود الجبار وابراهيم عليه السلام
تعترف بفضله جميع الطوايف قديما وحديثا فاما اليهود والنصارى فانهم معترفون بفضله ويتشرفون
بالنسبة اليه وانهم من اولاده واما العرب في الجاهلية فانهم ايضا يعترفون بفضله ويتشرفون على غيرهم
به لانهم من اولاده ومن ساكني حرمه وخدام بيته ولما جا الاسلام زاده الله شرفا وفضلا فحكى الله
تعالى عن ابراهيم امورا توجب على المشركين واليهود والنصارى قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم
والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه لان ما اوجبه الله على ابراهيم عليه السلام هو من
خصايص دين محمد صلى الله عليه وسلم وفي ذلك حجة على اليهود والنصارى ومشركي العرب
في وجوب الانقياد لمحمد صلى الله عليه وسلم والايمان والتصديق واصل الابتلا الامتحان والا
ليعرف حال الانسان وسمي التكليف بلاء لانه يشق على الابدان وقيل ليختبر به حال الانسان
فاذا قيل ابتلى فلان بكذا يتضمن امرين احدهما تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من امره والثاني
ظهور جودته ورداته وابتلا الله العباد ليس ليعلم احوالهم والوقوف على ما يجهل منها لانه عالم بجميع
المعلومات التي لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد ولكن ليعلم العباد احوالهم من
ظهور جودة ورداة وعلى هذا ينزل قوله عز وجل واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات واختلفوا في تلك الكلمات
التي ابتلا الله بها ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس هي ثلاثون سهما من شرايع الاسلام لم يبتلى
بها احد فاقامها كلها الا ابراهيم فكتب له البراة فقال وابراهيم الذي وفى ومعنى هذا الكلام
انه لم يبتل احد قبل ابراهيم فاما بعده فقد ابتلي الانبيا بجميع ما امروا به من الدين خصوصا نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم فقد اتى بجميع ما امر به وهي عشرة مذكورة في سورة براة في قوله التايبون
العابدون الاية وعشرة في سورة الاحزاب في قوله ان المسلمين والمسلمات الاية وعشرة في سورة

Copyright © King Saud University

المومنين في قوله قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الايات وهي مذكورة ايضا في سورة
سال سايل وعن ابن عباس ايضا قال ابتلاه الله بعشرة اشيا هي الفطرة خمس في الراس قص
الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الراس وخمس في الجسد تقليم الاظفار
ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجا بالما ق عن ابي هريرة قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الفطرة خمس وفي رواية خمس من الفطرة الختان والاستحداد
وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط م عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب واعفا اللحية والسواك والاستنشاق بالما وقص
الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الما قال مصعب ونسيت العاشرة
الا ان تكون المضمضة قال وكيع انتقاص الما يعني الاستنجا قال العلما الفطرة السنة وقيل
الملة وقيل الطريقة وهذه الاشيا المذكورة في الحديث وانها من الفطرة قيل كانت على ابرهيم
عليه السلام فرضا ولنا سنة واتفقت الايمة على انها من الملة واما معانيها فقد قيل
قص الشارب واعفا اللحية فمخالفة للاعاجم فانهم كانوا يقصون لحاهم ويوفرون شواربهم
ويوفرونهما معا وذلك عكس الجمال والنظافة واما السواك والمضمضة والاستنشاق
فلتنظيف الفم والانف من الطعام والقلح والوسخ واما قص الاظفار فللجمال والزينة
فانها اذا طالت قبح منظرها واحتوى الوسخ فيها واما غسل البراجم وهي العقد التي في ظهور
الاصابع فانه يجتمع فيها الوسخ ويشين المنظر واما حلق العانة ونتف الابط فللتنظيف
عما يجتمع من الوسخ في الشعر واما الاستنجا فلتنظيف ذلك المحل عن الاذى واما الختان فلتنظيف
القلفة عما يجتمع فيها من البول واختلف العلما في وجوبه فذهب الشافعي الى ان الختان واجب
لانه تنكشف له العورة ولا يباح ذلك الا في الواجب وذهب غيره الى انه سنة واول من ختن ابراهيم
عليه السلام ولم يختتن احد قبله ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اختتن ابراهيم بالقدوم يروى القدوم بالتخفيف والتشديد فمن خففه ذهب الى انه اسم للالة
التي يقطع بها ومن شدد قال انه اسم موضع عن يحيى بن سعيد انه سمع سعيد بن المسيب
يقول كان ابراهيم خليل الرحمن اول الناس ضيف الضيف واول الناس قص شاربه واول الناس
راى الشيب فقال يا رب ما هذا قال الرب تبارك وتعالى وقار يا ابراهيم قال يا رب زدني وقارا
اخرجه مالك في الموطا وقيل الكلمات انها مناسك الحج وقيل ابتلاه الله بسبعة اشيا بالكوكب والقمر
والشمس فاحسن النظر فيهن وبالنار والهجرة وذبح ولده والختان فصبر عليها وقيل ان الله اختبر
ابراهيم بكلمات اوحاها اليه وامره ان يعمل بهن فاتمهن اي اداهن حق التادية وقام بموجبهن حق
القيام وعمل بهن من غير تفريط وتوان ولم ينتقص منهن شيا واختلفوا هل كان ذلك الابتلا
قبل النبوة او بعدها فقيل كان قبل النبوة بدليل قوله في سياق الاية اني جاعلك للناس اماما والسبب
يتقدم على المسبب وقيل بل كان هذا الابتلا بعد النبوة لان التكليف لا يعلم الا من جهة الوحي
الالهي وذلك بعد النبوة والصواب انه ان فسر الابتلا بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك
قبل النبوة وان فسر بما وجب عليه من شرايع الدين كان ذلك بعد النبوة وقوله تعالى قال
اني جاعلك للناس اماما اي يقتدى بك في الخير ويأتمون بسنتك وهديك والامام هو الذي يوتم

به قال ومن ذريتي اي قال ابراهيم واجعل من ذريتي واولادي ايمة يقتدى بهم قال الله لا ينال اي
لا يصيب عهدي اي نبوتي وقيل الامامة الظالمين يعني من ذريتك والمعنى لا ينال ما عهدت
اليك من النبوة والامامة من كان ظالما من ذريتك وقوله عز وجل واذ جعلنا البيت
يعني البيت الحرام وهو الكعبة ويدخل فيه الحرم فان الله تعالى وصفه بكونه امنا وهذا صفة
جميع الحرم مثابة للناس اي مرجعا من ثاب يثوب اذا رجع والمعنى يثوبون اليه من كل جانب
يحجونه وامنا اي موضعا ذا امن يامنون فيه من اذى المشركين فانهم كانوا لا يتعرضون لاهل
مكة ويقولون هم اهل الله وقال ابن عباس معاذا وملجا ق عن ابن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض
فهو حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته
الا من عرفها ولا يختلى خلاه فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقينهم وبيوتهم فقال
الا الاذخر معنى الحديث انه لا يحل لاحد ان ينصب القتال والحرب في الحرم وانما احل ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقط ولا يحل لاحد بعده قوله لا يعضد شوكه اي لا يقطع
شوك الحرم واراد به ما لا يوذي منه كالعوسج فلا باس بقطعه ولا ينفر صيده اي لا يتعرض له
بالاصطياد ولا يهاج قوله ولا يلتقط لقطته الا من عرفها اي ينشدها والنشيد رفع الصوت
بالتعريف واللقطة في جميع الارض لا تحل الا لمن يعرفها حولا فان جا صاحبها اخذها والا انتفع
بها الملتقط بشرط الضمان وحكم مكة في اللقطة ان يعرفها على الدوام بخلاف غيرها من البلاد
فانه محدود بسنة قوله ولا يختلى خلاه مقصور على الرطب من النبات والذي يرعى وقيل هو
اليابس من الحشيش وخلاه قطعه وقوله لقينهم القين الحداد وقوله تعالى واتخذوا من مقام
ابراهيم مصلى قيل الحرم كله مقام ابراهيم وقيل اراد بمقام ابراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة
والمزدلفة والرمي وساير المشاهد والصحيح ان مقام ابراهيم هو الحجر الذي يصلي فيه الايمة وذلك
الحجر هو الذي قام ابراهيم عليه عند بنا البيت وقيل كان اثر اصابع رجلي ابراهيم عليه السلام
فيه فاندرس بكثرة المسح بالايدي وقيل انما امروا بالصلاة عنده ولم يومروا بمسحه وتقبيله
عن انس بن مالك قال قال عمر وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذنا من
مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى الحديث وكان بدو قصة المقام
على ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس اول ما اتخذت النسا المنطق من قبل ام اسماعيل
اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جا بها ابراهيم وبابنها اسماعيل وهي ترضعه
حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس
بها ما فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقا فيه ما ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته
ام اسماعيل فقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شي
فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا
ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت
ثم دعا بهولا الدعوات فرفع يديه فقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ
يشكرون وجعلت ام اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الما حتى اذا نفد ما في السقا عطشت

Copyright © King Saud University

وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت
الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فلم
تر احدا فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادي رفعت طرف درعها سعت سعي الانسان المجهود
حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت
ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعي الناس بينهما فلما
اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت
قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه
حتى ظهر الما فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو
يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسماعيل لو تركت
زمزم او قال لو لم تغرف من الما لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها
فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله
لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول فتاخذ عن يمينه
وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم مقبلين من طريق كدا فنزلوا في اسفل
مكة فراوا طايرا عايفا فقالوا ان هذا الطاير ليدور على ما لعهدنا بهذا الوادي وما فيه
ما فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالما فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسماعيل عند الما فقالوا
اتاذنين لنا ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الما قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله
عليه وسلم فالفى ذلك ام اسماعيل وهي تحب الانس فارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا
بها اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه
امراة منهم وماتت ام اسمعيل فجا ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته فلم يجد اسمعيل
فسال امراته عنه فقالت خرج يبتغي لنا وفي رواية ذهب يصيد لنا ثم سالها عن عيشهم
وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة وشكت اليه فقال اذا جا زوجك اقرئي عليه السلام
وقولي له يغير عتبة بابه فلما جا اسماعيل كانه انس شيا فقال جاءكم من احد قالت نعم جانا شيخ كذا وكذا
فسالنا عنك فاخبرته فسالني كيف عيشتنا فاخبرته انا في جهد وشدة فقال هل اوصاك
بشي قالت نعم امرني ان اقرا عليك السلام ويقول لك غير عتبة بابك قال ذلك ابي وقد امرني ان افارقك
الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث عنهم ابراهيم ما شا الله ان يلبث ثم اتاهم بعد
فلم يجده فدخل على امراته فسال عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف انتم وسالها عن عيشهم وهيئتهم
فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل فقال ما طعامكم قالت اللحم فقال
ما شرابكم قالت الما قال اللهم بارك لهم في اللحم والما قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ
حب ولو كان لهم حب دعا لهم فيه قال فهما لا يخلو عليهما احد بغير مكة الا لم يوافقاه وفي رواية
فجا فقال اين اسماعيل فقالت امراته ذهب يصيد فقالت امراته الا تنزل فتطعم وتشرب
قال وما طعامكم وشرابكم قالت طعامنا اللحم وشرابنا الما قال اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم
قال فقال ابو القاسم بركة دعوة ابراهيم فاذا جا زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة
بابه فلما جا اسماعيل قال هل اتاكم من احد قالت نعم اتانا شيخ حسن الهيئة واثنت عليه

فسالني

فسالني عنك فاخبرته فسالني كيف عيشتنا فاخبرته انا بخير قال فاوصاك بشي قالت نعم يقرا عليك
السلام ويامرك ان تثبت عتبة بابك فقال ذلك ابي وانت العتبة امرني ان امسكك ثم لبث عنهم
ما شا الله ثم جا بعد ذلك واسماعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما راه قام اليه
فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يا اسماعيل ان الله امرني بامر قال فاصنع ما امرك
ربك قال وتعينني قال واعينك قال فان الله امرني ان ابني بيتا ههنا واشار الى اكمة
مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسماعيل ياتي بالحجارة وابراهيم
يبني حتى اذا ارتفع البنا جا ابراهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام ابراهيم عليه وهو يبني واسماعيل
يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وفي رواية حتى اذا ارتفع البنا
وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا انك
انت السميع العليم وقيل ان امراة اسماعيل قالت لابراهيم انزل اغسل راسك فلم ينزل فجاته
بالمقام فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق راسه الايمن ثم حولته
الى شقه الايسر فغسلت شق راسه الايسر فبقي اثر قدميه عليه عن عبد الله بن عمرو ابن العاص
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت
الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لاضاءا ما بين المشرق والمغرب اخرجه الترمذي وقال
هذا يروى عن عمرو موقوفا واختلفوا في قوله مصلى فقيل المقام جميع مشاهد الحج ومشاعره فقال مصلى مدعا
من الصلاة التي هي الدعا ومن فسر المقام بالحجر قال معناه واتخذوا من مقام ابراهيم قبلة امروا بالصلا
عنده وهذا القول هو الصحيح لان لفظ الصلاة اذا اطلق لا يعقل منه الا الصلاة المعهودة ذات
الركوع والسجود ولان مصلى الرجل هو الموضع الذي يصلي فيه وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل اي امرناهما
والزمناهما واوحينا اليهما قيل انما سمي اسماعيل لان ابراهيم كان يدعو الله ان يرزقه ولدا ويقول
في دعايه اسمع ايل وايل بلسان السريانية هو الله فلما رزق الولد سماه به ان طهرا بيتي يعني الكعبة
اضافه اليه تشريفا وتفضيلا وتخصيصا اي ابنياه على الطهارة والتوحيد وقيل طهراه من ساير
الاقذار والانجاس وقيل طهراه من الشرك والاوثان وقول الزور للطايفين يعني الزايرين حوله
والعاكفين يعني المقيمين به والمجاورين له والركع السجود جمع راكع وساجد وهم المصلون وقيل
الطايفين يعني الغربا الواردين الى مكة والعاكفين يعني اهل مكة المقيمين بها قيل ان الطواف
للغربا افضل والصلاة لاهل مكة بمكة افضل قوله عز وجل واذ قال ابراهيم رب [اجعل هذا] اشارة الى مكة
وقيل الى الحرم بلدا امنا اي ذا امن يومن فيه اهله وانما دعا ابراهيم لهم بالامن لانه بلد ليس
فيه زرع ولا ثمر فاذا لم يكن امنا لم يجلب اليه شي من النواحي فيتعذر المقام به فاجاب الله تعالى
دعا ابراهيم وجعله بلدا امنا فما قصده جبار الا قصمه الله تعالى كما فعل باصحاب الفيل وغيرهم
من الجبابرة **فان قلت** قد غزا مكة الحجاج وخرب الكعبة **قلت**
لم يكن قصده بذلك مكة ولا اهلها ولا خراب الكعبة وانما كان قصده خلع ابن الزبير من الخلافة
ولم يتمكن من ذلك الا بذلك فلما حصل قصده اعاد بنا الكعبة فبناها وشيدها وعظم حرمتها
واحسن الى اهلها واختلفوا هل كانت مكة محرمة قبل دعوة ابراهيم عليه السلام او حرمت بدعوته
على قولين احدهما انها كانت محرمة قبل دعوته بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم

مكة يوم خلق السموات والارض وقول ابراهيم عليه السلام ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك
المحرم فهذا يقتضي ان مكة كانت محرمة قبل دعوة ابراهيم والقول الثاني انها حرمت بدعوة ابراهيم
بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة وهذا يقتضي ان مكة كانت
قبل دعوة ابراهيم حلالا كغيرها من البلاد وانما حرمت بدعوة ابراهيم ووجه الجمع بين القولين
وهو الصواب ان الله تعالى حرم مكة يوم خلقها كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ان الله حرم مكة
يوم خلق السموات والارض ولكن لم يظهر ذلك التحريم على لسان احد من انبيائه ورسله وانما كان
تعالى يمنعها ممن ارادها بسوء ويدفع عنها وعن اهلها الافات والعقوبات فلم يزل ذلك من امرها
حتى بواها الله تعالى ابراهيم واسكن بها اهله فحينئذ سال ابراهيم ربه عز وجل ان يظهر تحريم
مكة لعباده على لسانه فاجاب الله تعالى دعوته والزم عباده تحريم مكة فصارت مكة حراما
بدعوة ابراهيم وافرض على الخلق تحريمها والامتناع من استحلالها واستحلال صيدها او شجرها
فهذا وجه الجمع بين القولين وهو الصواب والله اعلم وارزق اهله من الثمرات انما سال ابراهيم ذلك
لان مكة لم يكن بها زرع ولا ثمر فاستجاب الله تعالى له وجعل مكة حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شي
من امن منهم بالله واليوم الاخر يعني ارزق المومنين من اهله خاصة وسبب هذا التخصيص ان ابراهيم
عليه السلام لما سال ربه عز وجل ان يجعل النبوة والامامة في ذريته فاجابه الله تعالى بقوله لا ينال
عهدي الظالمين فصار ذلك تاديبا له في المسئلة فلا جرم خص هاهنا بدعائه المومنين دون الكافرين
ثم اعلمه ان الرزق في الدنيا يستوي فيه المومن والكافر بقوله قال ومن كفر فامتعه اي سارزق الكافر
ايضا قليلا اي في الدنيا الى منتهى اجله وذلك قليل لانه لا ينقطع ثم اضطره الى عذاب النار اي الجيه
واكرهه وادفعه الى عذاب النار والمضطر هو الذي لا يملك لنفسه الامتناع مما اضطر اليه وبيس
المصير اي وبيس المكان الذي يصير اليه الكافر وهو العذاب قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من
البيت واسماعيل وكانت قصة بنا البيت على ما ذكره العلما واصحاب السير ان الله خلق موضع البيت
قبل ان يخلق الارض بالفي عام وكانت زبدة بيضا على وجه الما فدحيت الارض من تحتها فلما اهبط
ادم الى الارض استوحش فشكى الى الله تعالى فانزل البيت المعمور وهو من ياقوتة من يواقيت الجنة
له بابان من زمرد اخضر شرقي وغربي فوضعه على موضع البيت وقال يا ادم اني اهبطت لك بيتا
تطوف به كما يطاف حول عرشي وانزل الله عليه الحجر الاسود وكان ابيض فاسود من مس الحيض في الجاهلية
فتوجه ادم من الهند ماشيا الى مكة وارسل الله اليه ملكا يدله على البيت فحج ادم البيت واقام
المناسك فلما فرغ تلقته الملايكة وقالوا له بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام
قال ابن عباس حج ادم اربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ايام الطوفان
فرفعه الله الى السما الرابعة وهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون
اليه وبعث الله جبريل حتى خبا الحجر الاسود في جبل ابي قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع
البيت خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى امر ابراهيم بعدما ولد له اسماعيل
واسحق ببنا بيت يذكر فيه ويعبد فسال الله ان يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله
على موضع البيت وهي ريح خجوج لها راسان تشبه الحية والخجوج من الرياح هي الشديدة السريعة
الهبوب وقيل هي المتلوية في هبوبها وامر ابراهيم ان يبني حيث تستقر السكينة فتبعها ابراهيم

حتى

حتى كانت موضع البيت فتطوقت عليه كتطوي الحجفة وقال ابن عباس بعث الله سبحانه وتعالى سحابة على
قدر الكعبة فجعلت تسير وابراهيم يمشي في ظلها الى ان وقفت على موضع البيت ونودي منها يا ابراهيم
ابن على قدر ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل ان الريح كنست له ما حول الكعبة حتى ظهر له اساس البيت
الاول فذلك قوله تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت فبنا ابراهيم واسماعيل البيت فكان ابراهيم
يبنيه واسماعيل يناوله الحجارة فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت جمع قاعدة وهي
اساس البيت وقيل جدره من البيت قال ابن عباس بنى ابراهيم البيت من خمسة اجبل من طور سينا
وطور زيتا ولبنان جبل بالشام والجودي جبل بالجزيرة وبنى قواعده من حرا جبل بمكة فلما انتهى
ابراهيم الى موضع الحجر الاسود قال لاسماعيل ايتني بحجر حسن يكون للناس علما فاتاه بحجر فقال ايتني
باحسن منه فمضى اسماعيل يطلب حجرا احسن منه فصاح ابو قبيس يا ابراهيم ان لك وديعة عندي
فخذها فقذف بالحجر الاسود فاخذه ابراهيم فوضعه مكانه وقيل ان الله تعالى امر ابراهيم واسماعيل
بسبعة املاك يعينونهما في بنا البيت فلما فرغا من بنايه قالا ربنا تقبل منا وفي الاية اضمار تقديره
ويقولان ربنا تقبل منا اي ما عملنا لك وتقبل طاعتنا اياك وعبادتنا لك انك انت السميع اي
لدعائنا العليم يعني بنياتنا قوله عز وجل ربنا واجعلنا مسلمين لك يعني موحدين مخلصين خاشعين
لك فان قيل الاسلام اما ان يكون به الدين والانقياد والاستسلام
والانقياد للاعرف في نفسك بالعمل الدعا فما فايدة هذا الطلب قلت فيه وجهان
احدهما ان الاسلام عرض قايم بالقلب وقد لا يبقى فقوله واجعلنا مسلمين لك يعني في المستقبل
بعد ذلك لا بقا في حصوله في الحال الوجه الثاني يحتمل ان يكون المراد منه طلب الزيادة في الايمان
فكانهما طلبا زيادة اليقين والتصديق وذلك لا ينافي حصوله في الحال ومن ذريتنا اي من
اولادنا امة اي جماعة مسلمة اي خاضعة منقادة لك وانما ادخل من التي هي للتبعيض لان الله تعالى
اعلمهما بقوله لا ينال عهدي الظالمين ان في ذريتهما الظالم فلهذا اخص بعض الذرية بالدعا فان
قلت لم خص ذريتهما بالدعا قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة
قال الله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبيا اذا صلحوا صلح الله بهم غيرهم الا ترى ان
المتقدمين من العلما والكبرا اذا كانوا على السداد فكيف يتسببون لسداد من ورايهم وقيل اراد بالامة
امة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله وابعث فيهم رسولا منهم وارنا اي علمنا وبصرنا مناسكنا اي
شرايع ديننا واعلام حجنا وقيل مناسكنا يعني مذابحنا والنسك الذبيحة وقيل متعبداتنا واصل
النسك العبادة فاجاب الله دعاهما وبعث جبريل فاراهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات
قال عرفت يا ابراهيم قال نعم فسمي ذلك الوقت عرفة والموضع عرفات وتب علينا اي تجاوز
عنا انك انت التواب اي المتجاوز عن عباده الرحيم بهم واحتجوا بقوله وتب علينا من جواز الذنوب
على الانبيا ووجهه ان التوبة لا تطلب الا بعد تقدم الذنب فلولا تقدم الذنب لم يكن لطلب التوبة
وجه واجيب عنه بان العبد وان اجتهد في طاعة ربه عز وجل لا ينفك عن تقصير في بعض
الاوقات اما على سبيل السهو او ترك الاولى والافضل فكان هذا الدعا لاجل ذلك وقيل يحتمل لما
ان الله تعالى اعلم ابراهيم ان في ذريته من هو ظالم فلا جرم سال ربه التوبة لاولئك الظلمة والمعنى وتب
على الظلمة من اولادنا حتى يرجعوا الى طاعتك فظاهر الكلام الدعا لانفسهما والمراد به ذريتهما وقيل

Copyright © King Saud University

يحتمل انهما لما رفعا قواعد البيت وكان ذلك المكان احرى الاماكن بالاجابة فدعوا بصيغة الدعا
ليجعلا ذلك سنة ويقتدي بهما من بعدهما في ذلك الدعا لان ذلك المكان هو موضع التنصل
من الذنوب وسوال التوبة والمغفرة من الله تعالى قوله عز وجل ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يعني
وابعث في الامة المسلمة من الذرية وهم العرب من ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقوله
رسولا منهم يعني ليدعوهم الى الاسلام ويكمل الدين والشرع واذا كان الرسول منهم يعرفون نسبه
ومولده ومنشاه كان اقرب الى القبول قوله ويكون اشفق عليهم من غيره واجمع المفسرون
على ان المراد بقوله رسولا منهم محمدا صلى الله عليه وسلم لان ابراهيم عليه السلام انما دعا لذريته
وهو بمكة ولم يبعث من ذريته بمكة غير محمد صلى الله عليه وسلم فدل على ان المراد به صلى الله عليه وسلم
وروى البغوي باسناده عن العرباض بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني عند الله
مكتوب خاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وساخبركم باول امري انا دعوة ابراهيم وبشارة
عيسى ورويا امي التي رات حين وضعتني وقد خرج لها نور ساطع اضاءت لها منه قصور الشام وقوله
لمنجدل في طينته معناه انه مطروح على وجه الارض صورة من طين لم تجر فيه الروح واراد بدعوة
ابراهيم قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاستجاب الله دعا ابراهيم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم
في اخر الزمان وانقذهم به من الكفر والظلم واراد ببشارة عيسى عليه السلام [illegible]
الصف ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد يتلوا عليهم [illegible] توجبه
البيضا القران وهو الذي انزل على محمد صلى الله عليه وسلم لان الذي كان يتلو عليهم هو القران
فوجب حمله عليه ويعلمهم الكتاب يعني معاني الكتاب وحقايقه لان المقصود الاعظم تعليم معاني
القران من دلايل التوحيد والنبوة والاحكام الشرعية فلما ذكر الله تعالى اولا امر التلاوة وهو حفظ
القران ودراسته ليبقى مصونا عن التحريف والتبديل ذكر بعده تعليم حقايقه واسراره والحكمة
اي ويعلمهم الحكمة وهي الاصابة في القول والعمل ولا يسمى الرجل حكيما الا اذا اجتمع فيه الامران وقيل
الحكمة التي ترد عن الجهل والخطا وذلك انما يكون بما ذكرناه من الاصابة في القول والعمل ووضع كل
شي موضعه وقيل الحكمة معرفة الاشيا بحقايقها واختلف المفسرون في المراد بالحكمة هنا فروى
ابن وهب قال قلت لمالك ما الحكمة قال المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له قال قتادة الحكمة
هي السنة وذلك لان الله تعالى ذكر تلاوة الكتاب وتعليمه ثم عطف عليه بالحكمة فوجب ان
يكون المراد بها شيا اخر وليس ذلك الا السنة وقيل الحكمة هي العلم باحكام الله التي لا يدرك علمها
الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم والمعرفة بها منه وقيل الحكمة هي الفصل بين الحق والباطل
وقيل هي معرفة الاحكام والقضا وقيل هي فهم القران والمعنى ويعلمهم ما في القران من الاحكام
والحكمة ما فيه من المصالح الدينية والاحكام الشرعية وقيل كل كلمة وعظتك او دعتك الى مكرمة
او نهتك عن قبيح فهي حكمة ويزكيهم اي ويطهرهم من الشرك وعبادة الاوثان وسائر الارجاس
والرذايل والنقايص وقيل يزكيهم من التزكية اي يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة اذا شهدوا للانبيا
بالبلاغ ثم ختم ابراهيم الدعا بالثنا على الله تعالى فقال انك انت العزيز الحكيم قال ابن عباس
العزيز الذي لا يوجد مثله وقيل هو الذي يقهر ولا يقهر وقيل هو المنيع الذي لا تناله الايدي
وقيل العزيز القوي والعزة القوة ومنه قولهم ارض عزاز اي صلبة قوية الحكيم اي العالم الذي لا يخفى

عليه

عليه خافية وقيل هو العالم بالاشيا واحوالها على غاياتها الاحكام قوله عز وجل ومن يرغب عن ملة
ابراهيم الا من سفه نفسه سبب نزول هذه الاية ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه الى الاسلام مهاجرا وسلمة
وقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به
فقد اهتدى ومن لم يومن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فانزل الله تعالى ومن
يرغب عن ملة ابراهيم اي يترك دينه وشريعته وفيه تعريض باليهود والنصارى ومشركي العرب لان
اليهود والنصارى يفتخرون بالانتساب الى ابراهيم والوصلة اليه لانهم من بني اسرايل وهو يعقوب
ابن اسحاق بن ابراهيم والعرب يفتخرون به لانهم من ولد اسماعيل بن ابراهيم واذا كان كذلك كان
ابراهيم هو الذي طلب بعثة هذا الرسول في اخر الزمان فمن رغب عن الايمان بهذا الرسول الذي
هو دعوة ابراهيم فقد رغب عن ملة ابراهيم ومعنى يرغب عن ملة ابراهيم اي يترك دينه وشريعته
يقال رغب في الشي اذا اراده ورغب عنه اذا تركه الا من سفه نفسه قال ابن عباس خسر نفسه وقيل
اهلك نفسه وقيل امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة وقيل الجهل وضعف الراي
فكل سفيه جاهل وكل من عبد غيره فقد جهل نفسه لانه لم يعرف بان الله خالقها وقد جا من
عرف نفسه فقد عرف ربه بالعز والقدرة والقوة والبقا ويدل على هذا ان الله تعالى
اوحى الى داود عليه السلام اعرف نفسك واعرفني فقال يا رب كيف اعرف نفسي وكيف
اعرفك قال اعرف نفسك بالعجز والضعف والفنا واعرفني بالقوة والقدرة والبقا
ولقد اصطفيناه اي اخترناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين يعني الفايزين وقيل مع الانبيا
في الجنة اذ قال له ربه اسلم اي استقم على الاسلام واثبت عليه لانه كان مسلما لان الانبيا
انما نشوا على الاسلام والتوحيد قال ابن عباس في قوله حين خرج من السرب وذلك عند استدلاله
بالكواكب والشمس والقمر واطلاعه على امارات الحدوث فيها وافتقارها الى محدث مدبر فلما عرف ذلك
قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين اي قال ابراهيم خضعت بالطاعة واخلصت
العبادة لمالك الخلايق ومدبرها ومحدثها وقيل معناه اسلم اخلص دينك وعبادتك لله تعالى
واجعلها سليمة وقيل الايمان من صفات القلب والاسلام من صفات الجوارح وان ابراهيم كان
مومنا بقلبه عارفا بالله فامره الله ان يعمل بجوارحه وقيل معناه اسلم نفسك الى الله تعالى
وفوض امرك اليه قال اسلمت اي فوضت امري لرب العالمين قال ابن عباس وقد حقق ذلك
حيث لم يستعن باحد من الملايكة حين القي في النار قوله عز وجل ووصى بها ابراهيم بنيه
يعني بكلمة الاخلاص وهي لا اله الا الله وقيل هي الملة الحنيفية وكان لابراهيم ثمانية اولاد اسمعيل
وامه هاجر القبطية واسحاق وامه سارة ومدين ومداين ونقشان وزمران ويشبق وشوح
وامهم قطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها ابراهيم حين وفاة سارة **فان قلت**
لم قال ووصى بها ابراهيم بنيه ولم يقل امرهم **قلت** لان لفظ الوصية اوكد
من لفظ الامر لان الوصية انما تكون عند الخوف من الموت وفي ذلك الوقت يكون احتياط الانسان
لدينه اشد واعظم وكان امر المقبول وصيته اقرب وانما خص بنيه بهذه الوصية لان شفقة الرجل
على بنيه اكثر من شفقته على غيرهم وقيل لانهم كانوا ايمة يقتدى بهم فكان صلاحهم صلاح لغيرهم
ويعقوب اي ووصى يعقوب بمثل ما وصى بها ابراهيم بنيه وسمي يعقوب لانه والعيص كانا توامين في بطن واحد

19

Copyright © King Saud University

تقدم العيص وقت الولادة في الخروج من بطن امه واخذ يعقوب على اثره واخذ بعقبه قال ابن عباس
وقيل سمي يعقوب لكثرة عقبه وكان له من الولد اثنا عشر وهم روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا
وريالون ويشجر وداني ونفتالي وجاد واشر ويوسف وبنيامين ثم خاطب يعقوب بنيه فقال
يا بني ان الله اصطفى لكم الدين اي اختار لكم دين الاسلام فلا تموتن الا وانتم مسلمون اي مؤمنون مخلصون
والمعنى دوموا على اسلامكم حتى ياتيكم الموت وانتم مسلمون اي محسنون الظن بالله عز وجل يدل عليه
ما روي عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة ايام يقول لا يموتن احدكم
الا وهو يحسن الظن بربه اخرجاه في الصحيحين قوله عز وجل ام كنتم شهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اي
ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت اي حين احتضر وقرب من الموت نزلت في اليهود وذلك لانهم لما
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه باليهودية فانزل الله هذه الاية
تكذيبا لهم والمعنى ان كنتم يا معشر اليهود شهودا على يعقوب اذ حضره الموت اي انكم لم تحضروا ذلك فلا
تدعوا على انبيائي ورسلي الاباطيل وتنسبوهم الى اليهودية فاني ما بعثت خليلي ابراهيم وولده
واولادهم الا بدين الاسلام وبذلك وصوا اولادهم وبه عهدوا اليهم ثم بين ما قال يعقوب لبنيه فقال
تعالى اذ قال يعني يعقوب لبنيه يعني اولاده الاثني عشر ما تعبدون اي اي شيء تعبدون من بعدي
قيل ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الموت والحياة فلما خير يعقوب وكان قد رأى اهل مصر
يعبدون الاوثان والنيران فقال لا انظر حتى اشاور ولدي واوصيهم فامهله فجمع ولده وولد ولده
وقال لهم قد حضر اجلي ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحاق
انما قدم اسماعيل لانه كان اكبر من اسحاق وادخله في جملة الاباء وان كان عما لهم لان العرب تسمي العم
ابا والخالة اما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه وقال في عمه العباس ردوا
علي ابي الها واحدا ونحن له مسلمون اي مخلصون العبودية تلك اشارة الى الامة المذكورة يعني
ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وولدهم امة قد خلت اي مضت لسبيلها والمعنى يا معشر
اليهود والنصارى دعوا ذكر ابراهيم واسماعيل واسحاق والمسلمين منا ولادهم ولا تقولوا فيهم
ما ليس فيهم لها ما كسبت يعني من العمل ولكم اي يا معشر اليهود والنصارى ما كسبتم اي من العمل
ولا تسألون عما كانوا يعملون يعني كل فريق يسأل عن عمله لا عن عمل غيره قوله عز وجل وقالوا
كونوا هودا او نصارى تهتدوا قال ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود كعب بن الاشرف ومالك
ابن الصيف ووهب بن يهوذا وابي ياسر بن اخطب وفي نصارى نجران السيد والعاقب واصحابهما
وذلك انهم خاصموا المؤمنين في الدين فكل فريق منهم يزعم انه احق بدين الله فقالت اليهود نبينا
موسى افضل الانبيا وكتابنا التورية افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد
والقران وقالت النصارى كذلك وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك
فانزل الله عز وجل قل يعني يا محمد بل ملة ابراهيم يعني اذا كان لا بد من الاتباع فنتبع ملة ابراهيم
لانه مجمع على فضله حنيفا اصله من الحنف وهو ميل واعوجاج يكون في القدم قال ابن عباس الحنيف
المائل عن الاديان كلها الى دين الاسلام قال الشاعر * ولكنا خلقنا اذ خلقنا * حنيفا ديننا عن كل دين
والعرب تسمي كل من حج او اختتن حنيفا على انه على دين ابراهيم وقيل الحنيفية الختان واقامة
المناسك مسلما بمعنى ان الحنيفية هي دين الاسلام وهو دين ابراهيم عليه السلام وما كان

من

من المشركين يعني ابراهيم وفيه تعريض باليهود والنصارى وغيرهم ممن يدعي اتباع ملة ابراهيم
وهو على الشرك ثم علم المؤمنين طريق الايمان فقال تعالى قولوا امنا بالله يعني قولوا ايها المؤمنون
لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم كونوا هودا او نصارى تهتدوا امنا بالله اي صدقنا
بالله وما انزل الينا يعني القران وما انزل الى ابراهيم اي وامنا بما انزل الى ابراهيم وهو عشر صحائف
واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وهم اولاد يعقوب الاثنا عشر واحدهم سبط
وكانوا انبيا وقيل السبط هو ولد الولد وهو الحافد ومنه قيل للحسن والحسين سبطا رسول
الله صلى الله عليه وسلم والاسباط في بني اسرائيل كالقبائل في العرب من بني اسماعيل وكان في
الاسباط انبيا وما اوتي موسى يعني التوراة وعيسى يعني الانجيل وما اوتي النبيون من ربهم
والمعنى امنا ايضا بالتوراة والانجيل والكتب التي اوتي جميع النبيين وصدقنا ان ذلك كله حق
وهدى ونور وان الجميع من عند الله وان جميع ما ذكره الله من انبيائه كانوا على هدى وحق لا نفرق
بين احد منهم اي لا نؤمن ببعض الانبيا ونكفر ببعض كما تبرأت اليهود من عيسى ومحمد صلى الله عليه
وسلم واقرت ببعض الانبيا وكما تبرأت النصارى من محمد صلى الله عليه وسلم واقرت ببعض
بل نؤمن بكل الانبيا وان جميعهم كانوا على هدى وحق ونحن له مسلمون اي ونحن لله تعالى خاضعين
اي بالطاعة مذعنون له بالعبودية خ عن ابي هريرة قال كان اهل الكتاب يقرؤون التوراة
بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا
اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وما انزل الينا الاية قوله عز وجل فان امنوا يعني
اليهود والنصارى بمثل ما امنتم به اي بما امنتم به ومثل صلة فهو كقوله ليس كمثله شيء وقيل
ان اتوا بايمان كايمانكم وتوحيد كتوحيدكم فقد اهتدوا والمعنى ان حصلوا دينا اخر يساوي
هذا الدين في الصحة والسداد استحال الاهتدا بغيره لان هذا الدين مبناه على التوحيد والاقرار
بكل الانبيا وما انزل اليهم وقيل معناه فان امنوا بكتابكم كما امنتم بكتابهم فقد اهتدوا وان تولوا
اي اعرضوا فانما هم في شقاق اي في خلاف ومنازعة وقيل في عداوة ومحاربة وقيل في ضلال
واصله من الشق كانه صار في شق غير شق صاحبه بسبب عداوته وقيل هو من المشقة لان كل
واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه فسيكفيكهم الله اي يكفيك الله يا محمد شر
اليهود والنصارى وهو ضمان من الله تعالى لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اذا تكفل بشيء
انجزه وهو اخبار بغيب ففيه معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وقد انجز الله وعده بقتل بني
قريظة وسبيهم واجلا بني النضير وضرب الجزية على اليهود والنصارى وهو السميع لاقوالهم
العليم باحوالهم يسمع جميع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون به من الحسد والغل وهو مجازيهم
ومعاقبهم عليه قوله عز وجل صبغة الله قال ابن عباس دين الله وانما سماه صبغة لان اثر
الدين يظهر على المتدين كما يظهر اثر الصبغ على الثوب وقيل فطرة الله وقيل سنة الله وقيل
اراد به الختان لانه يصبغ على المختتن بالدم قال ابن عباس ان النصارى اذا ولد لاحدهم مولود
واتت عليه سبعة ايام غمسوه في ماء لهم اصفر يسمونه المعمودية وصبغوه به ليطهروه به
مكان الختان فاذا فعلوا ذلك به قالوا الان صار نصرانيا حقا فاخبر الله ان دينه الاسلام
لا ما تفعله النصارى ومن احسن من الله صبغة اي دينا وقيل تطهيرا لانه يطهر من اوساخ الكفر ونحن

Copyright © King Saud University

له عابدون اى مطيعون قل يعني يا محمد لليهود والنصارى الذين قالوا ان دينهم خير من دينكم
وامروكم باتباعهم أتحاجوننا في الله اى تخاصموننا وتجادلوننا في دين الله الذي امرنا ان نتدين
به والمحاججة المجادلة لاظهار الحجة وذلك انهم قالوا ان ديننا اقدم من دينكم وان الانبياء منا وعلى
ديننا فنحن اولى بالله منكم فامر الله المؤمنين ان يقولوا لهم أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم
اى ونحن وانتم في الله تعالى فانه ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان لكل احد جزاء عمله ونحن
له مخلصون اى مخلصوا الطاعة والعبادة فيه وفيه توبيخ لليهود والنصارى والمعنى وانتم به
مشركون والاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله لله تعالى فلا يشرك في دينه ولا يرائي بعمله قال
الفضيل بن عياض ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله
منهما وهذه الاية منسوخة باية السيف قوله عز وجل ام تقولون يعني اليهود والنصارى ومعناه
التوبيخ ان ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى يعني
اتزعمون ان ابراهيم وبنيه كانوا على دينكم وملتكم وانما حدثت اليهودية والنصرانية بعدهم
فثبت يا معشر اليهود والنصارى على ابراهيم وبنيه قل يا محمد أأنتم اعلم يعني بدينهم ام الله اى الله اعلم
بذلك وقد اخبر ان ابراهيم وبنيه لم يكونوا على اليهودية والنصرانية ولكن كانوا مسلمين حنفاء
ومن اظلم ممن كتم يعني اخفى شهادة عنده من الله وهو علمهم بان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين وان محمدا
حق بنعته وصفته يجدونه ذلك فكتموه وكتموه وجحدوه والمعنى ومن اظلم ممن كتم شهادة
جائته من عند الله فكتمها واخفاها وما الله بغافل عما تعملون يعني من كتمانكم الحق فيما الزمكم به في كتابه
من ان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين حنفاء وان الدين هو الاسلام لا اليهودية والنصرانية والمعنى
وما الله بغافل عن عملكم بل هو محصيه عليكم ثم يعاقبكم عليه في الاخرة تلك امة قد خلت يعني
ابراهيم وبنيه لها ما كسبت اى جزاء ما كسبت ولكم ما كسبتم اى جزاء ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا
يعملون يعني ان كل انسان انما يسأل يوم القيامة عن كسبه وعمله لا عن كسب غيره وعمله وفيه وعظ
وزجر لليهود ولمن يتكل على فضل الآباء وشرفهم اى لا تتكلوا على شرف الآباء فكل يؤخذ بعمله وانما كررت
هذه الاية لانها اذا اختلف مواطن الحجاج والمجادلة تحسن تكرير التذكير به وتأكيده وقيل انما كرر
تنبيها لليهود لئلا يغتروا بشرف ابائهم قوله عز وجل سيقول السفهاء من الناس اى الجهال من الناس والسفه
خفة في النفس لنقصان العقل في الامور الدينية والدنيوية ولا شك ان ذلك في باب الدين
اعظم لان العادل في الاعراض الواضح في امر دنياه يعد سفيها فمن كان كذلك في امر دينه كان اولى
بهذا الاسم فلا كافر الا وهو سفيه ولهذا امكن حمل هذا اللفظ على اليهود والمشركين والمنافقين
فقيل نزلت هذه الاية في اليهود وذلك انهم طعنوا في تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة
لانهم لا يرون النسخ وقيل نزلت في مشركي مكة وذلك انهم قالوا قد تردد على محمد امره واشتاق
مولده وتوجه الى نحو بلدكم فلعله يرجع الى دينكم وقيل نزلت في المنافقين وانما قالوا ذلك
استهزاء بالاسلام وقيل يحتمل ان لفظ السفهاء للعموم فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهود
وقيل وقوع هذا الكلام من كلهم اذ لا فائدة في التخصيص ولان الاعداء يبالغون في الطعن
والقدح فاذا وجدوا مقالا قالوا ومجالا جالوا ما ولاهم يعني اى شيء صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها
يعني بيت المقدس والقبلة هي الجهة التي يستقبلها الانسان وانما سميت قبلة لان المصلي يقابلها

وتقابله

وتقابله ولما قال السفهاء ذلك رد الله عليهم بقوله قل يا محمد لله المشرق والمغرب يعني له قطرا المشرق والمغرب
وما بينهما ملكا فلا يستحق شيء ان يكون لذاته قبلة لان الجهات كلها شيء واحد وانما تصير قبلة لان
الله هو الذي جعلها قبلة وهو قوله يهدي من يشاء يعني من عباده الى صراط مستقيم يعني الى جهة الكعبة
وقيل قبلة ابراهيم عليه السلام قوله عز وجل وكذلك جعلناكم الكاف في قوله وكذلك كاف التشبيه
جاء المشبه به وفيه وجوه احدها انه معطوف على ما تقدم من قوله في حق ابراهيم ولقد اصطفيناه في الدنيا
وكذلك جعلناكم امة وسطا الثاني انه معطوف على قوله والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
وكذلك هديناكم وجعلناكم امة وسطا الثالث قيل معناه كما جعلنا قبلتكم وسطا بين المشرق والمغرب
كذلك جعلناكم امة وسطا يعني عدولا خيارا وخير الامور اوسطها قال زهير هم وسط يرضى الانام بحكمهم
اذا نزلت احدى الليالي بمعظم وقيل هم متوسطون والمعنى اهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهما مذمومان
في امر الدين لا كغلو النصارى في عيسى ولا كتقصير اليهود في الدين وهو تحريفهم وتبديلهم وسبب نزول هذه
الاية ان اليهود رؤساء قالوا لمعاذ بن جبل ما ترك محمد قبلتنا الا حسدا وان قبلتنا قبلة الانبياء ولقد علم
محمد انا اعدل الناس فقال معاذ انا على حق وعدل فانزل الله هذه الاية وروى ابو سعيد الخدري
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا وان هذه الامة توفي سبعين امة هي اخرها وخيرها واكرمها على الله
تعالى وقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس يعني يوم القيامة ان الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم وقيل ان
محمدا صلى الله عليه وسلم شهيد على من ترك الحق من الناس اجمعين ويكون الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
عليكم شهيدا يعني عدلا مزكيا لكم وذلك ان الله تعالى يجمع الاولين والاخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار الامم
الم يأتكم نذير فينكرون ويقولون ما جاءنا من نذير فيسأل الله الانبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم
فيسألهم البينة وهو اعلم بهم اقامة للحجة فيقولون امة محمد تشهد لنا فيؤتى بامة محمد عليه الصلاة والسلام
فيشهدون لهم انهم بلغوا فتقول الامم الماضية من اين علموا وانما كانوا بعدنا فيسأل هذه الامة فيقولون ارسلت
الينا رسولا وانزلت علينا كتابا اخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وانت صادق فيما اخبرت ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه
وسلم فيسأله عن حال امته فيزكيهم ويشهد بصدقهم خ عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يجاء بنوح وامته يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم اى رب فيسأل امته هل بلغكم فيقولون
ما جاءنا من نذير فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد وامته فيجاء بكم فتشهدون ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا زاد الترمذي وسطا
قال عدلا قوله عز وجل وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اى وما جعلنا صرفك عن القبلة التي كنت عليها
وهي بيت المقدس وانما حذف ذكر الصرف اكتفاء لدلالة اللفظ عليه وقيل معناه وما جعلنا القبلة
التي كنت عليها وهي الكعبة الا لنعلم من يتبع الرسول **فان قلت** ما معنى قوله الا لنعلم
وهو عالم بالاشياء كلها قبل كونها **قلت** اراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب فانه
لا يتعلق علمه وهو عالم به في الغيب انما يتعلق بما يوجد والمعنى لنعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب
وقيل لنعلم هنا بمعنى الرؤية اى لنرى ونميز من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقيل معناه الا لنعلم رسلي
وحزبي واوليائي من المؤمنين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وكان من شأن العرب اضافة فعله
الاتباع الى الكبير كقولهم فتح عمر العراق وجبى خراجها ولما فعل ذلك اتباعه عن امره وقيل انما قال الا لنعلم وهو بذلك
عالم قبل كونه على وجه الرفق بعباده ومعناه الا لتعلموا انتم اذ كنتم جهالا به قبل كونه فاضافة العلم الى نفسه

Copyright © King Saud University

رقتا بعبادة المخاطبين وقيل معناه لعلمنا كانه تعالى سبق في علمه ان تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة
اخرين ومعنى من يتبع الرسول اي يطيعه في امر القبلة وتحويلها ممن ينقلب على عقبيه اي يرجع الى ما كان عليه من
الكفر فيرتد وفي الحديث لما تحولت القبلة الى الكعبة ارتد قوم الى اليهودية وقالوا رجع محمد
الى دين ابايه وان كانت اي وقد كانت لكبيرة يعني تولية القبلة ثقيلة شاقة وقيل هي
التولية من بيت المقدس الى الكعبة وقيل الكبيرة هي القبلة التي وجه اليها قبل التحويل وهي
بيت المقدس وانث الكبيرة لتانيث القبلة وقيل لتانيث التولية الا على الذين هدى الله يعني
الصادقين في اتباع الرسول وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم الى بيت المقدس ان كانت
على هدى فقد تحولتم عنه وذلك ان حيي بن اخطب واصحابه من اليهود قالوا للمسلمين اخبرونا
عن صلاتكم الى بيت المقدس ان كانت على هدى فقد تحولتم عنه وان كانت على ضلالة فقد
دنتم الله بها مدة ومن مات عليها فقد مات على ضلالة فقال المسلمون انما الهدى فيما امر
الله به والضلالة فيما نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا وقد مات
قبل ان تحول القبلة الى الكعبة اسعد بن زرارة من بني النجار والبراء بن معرور من بني سلمة وكانوا من
النقبا ورجال اخرون فانطلق عشايرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله قد صرفك الله
الى ملة ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله تعالى وما
كان الله ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم الى بيت المقدس ان الله بالناس لرؤوف رحيم يعني لا يضيع اجورهم
والرافة اخص من الرحمة وارق وقيل الرافة اشد الرحمة وقيل الرافة الرحمة وقيل في الفرق بين الرافة
والرحمة ان الرافة مبالغة في رحمة خاصة وهي دفع المكروه وازالة الضرر واما الرحمة فانها اسم جامع
يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه ايضا جميع الافضال والانعام فذكر الله الرافة اولا بمعنى انه لا يضيع
اعمالهم ثم ذكر الرحمة ثانيا لانها اعم واشمل قوله عز وجل قد نرى تقلب وجهك في السما سبب نزول
هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة احب
ان يستقبل بيت المقدس تالفا لليهود وقيل ان الله تعالى امره بذلك ليكون اقرب الى
تصديق اليهود اياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدون من نعته وصفته في التوراة فصلى الى بيت
المقدس بعد الهجرة ستة عشر او سبعة عشر شهرا وكان يحب ان يتوجه الى الكعبة لانها قبلة ابيه
ابراهيم وقيل كان يحب ذلك من اجل ان اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل وددت لو حولني الله الى الكعبة فانها قبلة ابي ابراهيم فقال
جبريل عليه السلام انما انا عبد مثلك وانت كريم على ربك فسل انت ربك فانك عند الله بمكان
ثم عرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السما رجاء ان ينزل جبريل بما
يحب من امر القبلة فانزل الله عز وجل قد نرى تقلب وجهك في السما يعني تردد وجهك وتصرف
نظرك الى السما الى جهة السما وهذه الاية وان كانت متاخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى لانها
راس القصة واول ما نسخ من احكام الشرع امر القبلة فلنولينك اي فلنحولنك ولنصرفنك قبلة
اي ولنصرفنك عن بيت المقدس الى قبلة ترضاها اي تحبها وتميل اليها فول وجهك شطر المسجد الحرام اي نحوه
وتلقاه واراد به الكعبة ق عن ابن عباس قال لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا في
نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه ولما خرج ركع ركعتين قبل الكعبة وقال هذه القبلة

يعني

يعني ان امر القبلة قد استقر على هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم فصلوا الى الكعبة ابدا فهي قبلتكم
ق عن البراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول ما قدم المدينة نزل على اجداده او قال
اخواله وانه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر او سبعة عشر شهرا وكان يعجبه ان تكون قبلته قبل
البيت وانه صلى اول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على اهل
مسجد وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الكعبة
فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد اعجبهم اذ كان يصلي قبل بيت المقدس وهي قبلة اهل
الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت انكروا ذلك قال البراء في حديثه هذا وانه مات على القبلة
قبل ان تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم
واختلف العلماء في وقت تحويل القبلة فقال الاكثرون كان في يوم الاثنين نصف رجب لزوال النصف
من رجب على راس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقيل كان
يوم الثلاثاء الثامن عشر شهرا وقيل كانت لستة عشر شهرا وقيل لثلاثة عشر شهرا وقيل نزلت
ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر
فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النسا والنسا مكان الرجال فسمي ذلك
المسجد مسجد القبلتين ووصل الخبر الى اهل قبا في صلاة الصبح ق عن ابن عمر قال بينما الناس
بقبا في صلاة الصبح اذ جاءهم ات فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة
قران وقد امر ان يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى
الكعبة وقوله تعالى وحيث ما كنتم اي من بر او بحر مشرقا ومغربا فولوا وجوهكم شطره اي نحو البيت
وتلقاه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبلة اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح قيل اراد بالمشرق مشرق الشتا في اقصر يوم من السنة وبالمغرب مغرب الصيف
في اطول يوم من السنة فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت عن يمينه ومشرق الشتا عن يساره
كان مستقبلا للقبلة وهذا في حق اهل المشرق لان المشرق الشتوي جنوبي متباعد عن خط الاستوا
بمقدار الميل والمغرب الصيفي شمالي متباعد عن خط الاستوا والذي بينهما فهو سمت مكة والفرض
لمن بمكة في القبلة اصابة عين الكعبة ولمن بعد من مكة اصابة الجهة ويعرف ذلك بدلايل القبلة
وليس هذا موضع ذكرها ولما تحولت القبلة الى الكعبة قالت اليهود يا محمد ما هو الا شي ابتدعته
من تلقا نفسك فتارة تصلي الى بيت المقدس وتارة تصلي الى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكنا
نرجو ان تكون صاحبنا الذي ننتظره فانزل الله تعالى وان الذين اوتوا الكتاب يعني اليهود ليعلمون
انه الحق من ربهم يعني امر القبلة وتحويلها الى الكعبة ثم هددهم فقال تعالى وما الله بغافل عما تعملون
يعني وما انا بساه عما يفعل هولا اليهود فانا اجازيهم عليه في الدنيا والاخرة وقرى تعملون بالتا
قال ابن عباس يريد انكم يا معشر المومنين تطلبون مرضاتي وما انا بغافل عن ثوابكم وجزايكم فانا اثيبكم
على طاعتكم اجزل الثواب واجزيكم احسن الجزا قوله تعالى ولين اتيت الذين اوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى
بكل اية اي بكل معجزة وقيل بكل حجة وبرهان وذلك بانهم قالوا ايتنا باية على ما تقول فانزل الله
هذه الاية ما تبعوا قبلتك يعني الكعبة وما انت بتابع قبلتهم يعني ان اليهود تصلي الى بيت المقدس
والنصارى الى المشرق وانت يا محمد تصلي الى الكعبة فكيف يكون سبيل الى الاتباع احد هولاء مع اختلاف

Copyright © King Saud University

بجهاتها فالزم انتا قبلتك التي امرت بالصلاة اليها وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني وما اليهود بتابعة قبلة
النصارى ولا النصارى بتابعة قبلة اليهود لان اليهود والنصارى لا يجتمعون على قبلة واحدة
ولئن اتبعت اهواءهم يعني مرادهم ورضاهم لو رجعت الى قبلتهم من بعد ما جاءك من العلم اى في امر القبلة
وقيل معناه من العلم بان اليهود والنصارى مقيمون على باطل وعناد للحق انك اذا لمن الظالمين يعني انك
اذا فعلت ذلك لكنت بمنزلة من ظلم نفسه وضرها قيل هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به
الامة لانه صلى الله عليه وسلم لا يتبع اهواءهم ابدا وقيل هو خطاب له خاصة فيكون ذلك على
سبيل التذكير والتنبيه قوله عز وجل الذين آتيناهم الكتاب يعني علماء اليهود والنصارى وقيل المراد به
مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه يعرفونه اى يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم معرفة جلية
بالوصف المعين الذي يجدونه عندهم كما يعرفون ابناءهم اى لا يشكون فيه ولا يشتبه عليهم كما لا تشتبه
عليهم ابناؤهم من ابناء غيرهم وروي ان عمر بن الخطاب قال لعبد الله بن سلام ان الله انزل على نبيه محمد صلى
الله عليه وسلم الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد الله يا عمر
لقد عرفته حين رايته كما اعرف ابني ومعرفتي بمحمد صلى الله عليه وسلم اشد من معرفتي بابني فقال عمر
فكيف ذلك فقال اشهد انه رسول الله حق من الله وقد نعته الله في كتابنا ولا ادري ما تصنع النساء
فقبل عمر راس عبد الله بن سلام وقال وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت وقيل الضمير في يعرفونه يعود
الى امر القبلة والمعنى ان علماء اليهود والنصارى يعرفون ان القبلة التي صرفت اليها هي قبلة ابراهيم
وقبلة الانبياء قبلك كما يعرفون ابناءهم لا يشكون في ذلك وان فريقا منهم اى من علماء اهل الكتاب ليكتمون
الحق يعني صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل امر القبلة وهم يعلمون يعني ان كتمان الحق معصية وقيل
يعلمون ان صفة محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبة عندهم في التوراة والانجيل وهم مع ذلك يكتمونه
الحق اى الذي يكتمونه هو الحق من ربك فلا تكونن من الممترين اى من الشاكين في ان الذي تقدم ذكرهم علموا
صحة نبوتك وقيل يرجع الى امر القبلة والمعنى ان بعضهم عاند وكتم الحق فلا تشك في ذلك **فان**
قلت النبي صلى الله عليه وسلم لم يمتر ولم يشك فما معنى هذا النهي **قلت**
هذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد غيره والمعنى فلا تشكوا انتم ايها المؤمنون
وقد تقدم نظير هذا قوله عز وجل ولكل وجهة اى ولكل اهل ملة قبلة والوجهة اسم للمتوجه اليه وقيل
الوجهة الهيئة والحالة في التوجه الى القبلة وقيل في قوله ولكل وجهة ان المراد به جميع المسلمين
اى ولكل جهة اهل جهة من الافاق وجهة من الكعبة يصلون اليها وقيل المراد بالمنهاج المشروع والمعنى
ولكل قوم شريعة وطريقة لان الشرائع مصالح للعباد فلهذا اختلفت الشرائع بحسب اختلاف الزمان
والاشخاص هو موليها اى مستقبلها والمعنى ان لكل اهل ملة وجهة هو مولي وجهه اليها وقيل متوليها
اى مختارها وقيل ان هو عائد على اسم الله تعالى والمعنى ان الله موليها اياه وقرئ مولاها اى مصروف
اليها فاستبقوا الخيرات اى بادروا بالطاعات وقبول الاوامر وفيه حث على المبادرة الى الاولوية والافضلية
فعلى هذا تكون الاية دليلا لمذهب الشافعي في ان الصلاة في اول الوقت افضل فاستبقوا الخيرات
لان ظاهر الامر للوجوب فاذا لم يتحقق الوجوب فلا اقل من الندب اينما تكونوا يعني انتم واهل
الكتاب يأت بكم الله جميعا يعني يوم القيامة فهو وعد لاهل الطاعة بالثواب ووعيد لاهل المعصية بالعقاب
ان الله على كل شيء قدير اى على الاعادة بعد الموت والاثابة لاهل الطاعة والعقوبة لاهل المعصية

المستحق

المستحق العقوبة قوله عز وجل ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام اى من اى موضع خرجت
في سفر وغيره فول وجهك يا محمد قبل المسجد الحرام ونحوه وانه يعني التوجه اليه للحق من ربك اى للحق الذي
لا شك فيه فحافظوا عليه وما الله بغافل عما تعملون اى ليس هو بساه عن اعمالكم ولكنه محصيها لكم وعليكم
فيجازيكم بها يوم القيامة ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره **فان قلت** هل في هذا التكرار فائدة **قلت** فيه فائدة
عظيمة جليلة وهي ان هذه الواقعة اول الوقائع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا فدعت الحاجة الى التكرار
لاجل التاكيد والتقرير وازالة الشبهة وايضاح البيان فحسن التكرار فيه لنقلهم من جهة الى جهة
لئلا يكون للناس عليكم حجة قيل اراد بالناس اهل الكتاب وقيل هو على العموم وقيل هم قريش واليهود
فاما قريش فقال رجع محمد الى الكعبة لانه علم انها الحق وانها قبلة ابيه وسيرجع الى ديننا كما رجع الى
قبلتنا وقالت اليهود لم ينصرف محمد عن بيت المقدس مع علمه انه حق الا انه يعمل برأيه فعلى هذا
يكون الاستثناء في قوله الا الذين ظلموا متصلا صحيحا والمعنى لا حجة لاحد عليكم الا مشركو قريش واليهود
فانهم يجادلونك بالباطل والظلم وانما سمي الاحتجاج بالباطل حجة لان اشتقاقها من حج اذا غلبه
فكما يكون صحيحة فكذلك تسمى حجة وتكون باطلة قال الله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم وقيل هذا
الاستثناء منقطع عن الكلام الاول ومعناه لكن الذين ظلموا منهم يجادلونكم بالباطل قال النابغة
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب اى لكن سيوفهم بهن فلول وليس بعيب
وقيل في معنى الاية ان اليهود عرفوا ان الكعبة قبلة ابراهيم ووجدوا في التوراة ان محمدا سيحول اليها
فتكون حجتهم ان النبي الذي نجده في كتابنا سيحول الى الكعبة ولم تحول انت فلما حول الى الكعبة ذهبت حجتهم
الا الذين ظلموا منهم اى الا ان يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق فلا تخشوهم اى فلا تخافوهم في انصرافكم الى
الكعبة وفي تظاهرهم عليكم بالمجادلة الباطلة فاني وليكم وناصركم اظهركم عليهم بالحجة والنصرة واخشوني اى احذروا
عقابي ان انتم عدلتم عما الزمتكم به وفرضته عليكم ولاتم نعمتي عليكم اى ولكن اتم نعمتي عليكم بهدايتي اياكم
الى قبلة ابراهيم لتتم لكم الملة الحنيفية وقيل تمام النعمة الموت على الاسلام ثم دخول الجنة ولعلكم
تهتدون اى لكي تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب قوله عز وجل كما ارسلنا فيكم كاف التشبيه
يحتاج الى شيء ترجع اليه فقيل ترجع الى ما قبلها ومعناه ولاتم نعمتي عليكم كما ارسلنا فيكم وقيل ان
ابراهيم قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك
فبعث الله فيهم رسولا منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ووعده اجابة الدعوة الثانية بان يجعل
في ذريتهما امة مسلمة والمعنى كما اجبت دعوته ببعثة الرسول كذلك اجيب دعوته بان اهديكم
لدينه واجعلكم مسلمين واتم نعمتي عليكم ببيان شرائع الملة الحنيفية وقيل ان الكاف متعلقة بما
بعدها وهو قوله فاذكروني اذكركم والمعنى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني ووجه التشبيه
ان النعمة بالذكر جارية مجرى النعمة بارسال الرسول وان قلت انها متعلقة بما قبلها كان وجه التشبيه
ان النعمة في امر القبلة كالنعمة بالرسالة فيكم خطاب لاهل مكة والعرب وكذا قوله منكم وفي ارسال رسول
منهم نعمة عظيمة لما فيه من الشرف لهم ولان المعروف من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير
فكان بعثة الرسول منهم وفيهم اقرب الى قبول قوله والانقياد له والمعنى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يا معشر
العرب يتلو عليكم آياتنا يعني القرآن وذلك من اعظم النعم لانه معجزة باقية على الدهر ويزكيكم اى ويطهركم من

Copyright © King Saud University

دنس الشرك والذنوب وقيل يعلمكم ما ذا تعملون من امر الزكاة مثل محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ويعلمكم
الكتاب يعني احكام الكتاب وهو القرآن وقيل التعليم غير التلاوة فليس بتكرار والحكمة يعني السنة
والفقه في الدين ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون يعني يعلمكم من اخبار الامم الماضية والقرون الخالية وقصص الانبيا
والخبر عن الحوادث المستقبلة مما لم تكونوا تعلمون وذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذكروني
قيل الذكر يكون باللسان وهو ان يسبحه ويحمده ويمجده ونحو ذلك من الاذكار ويكون بالقلب وهو
ان يتفكر في عظمة الله وفي الدلائل على وحدانيته ويكون بالجوارح وهو ان تكون مستغرقة في الاعمال
التي امروا بها مثل الصلاة وسائر الطاعات التي للجوارح فيها فعل اذكركم اي بالثواب والرضى عنكم قال
ابن عباس اذكروني بطاعتي اذكركم بمعونتي وقيل اذكروني في النعمة والرخا اذكركم في الشدة والبلا وقال
اهل المعاني اذكروني بالتوحيد والايمان اذكركم بالجنان والرضوان وقيل اذكروني بالاخلاص اذكركم
بالخلاص اذكروني بالقلوب اذكركم بغفران الذنوب اذكروني بالدعا اذكركم بالعطا ق عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني
فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم وان تقرب الي شبرا
تقربت اليه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة
قوله عز وجل انا عند ظن عبدي بي قيل معناه بالغفران اذا استغفر وبالقبول والاجابة
اذا دعا وبالكفاية اذا طلب الكفاية وقيل المراد منه تحقيق الرجا وتاميل العفو وهذا اصح
قوله وانا معه حين يذكرني يعني بالرحمة والتوفيق والهداية والاعانة وقوله فان ذكرني في
نفسه ذكرته في نفسي النفس في اللغة لها معان ذات الشي والله تعالى ليس له ذات حقيقة
ومنها الغيب فعلى هذا يكون المعنى فان ذكرني خاليا ذكرته بالاثابة والمجازاة مما لا يطلع
عليها احد قوله فان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم الملا اشراف الناس ووجوههم الذين
يرجع الى رايهم وهذا مما استدل به المعتزلة ومن وافقهم على تفضيل الملائكة على الانبيا
واجيب عنه بان الذكر غالبا يكون في جماعة لا نبي فيهم قوله وان تقرب الي شبرا تقربت
اليه ذراعا الخ وهذا من احاديث الصفات ويستحيل ارادة ظاهره فلا بد من التاويل فعلى
هذا يكون ذلك الشبر والذراع والباع والمشي والهرولة استعارة ومجازا فيكون المراد بتقرب العبد
من الله تعالى القرب بالذكر والطاعة والعمل الصالح والمراد بتقرب الله من العبد قرب نعمته
والطافه وبره وكرمه واحسانه وفيض مواهبه ورحمته عليه والمعنى كلما زاد بالطاعة
والذكر زدت بالبر والاحسان وان اتاني يمشي في طاعتي اتيته هرولة اي صببت عليه الرحمة
صبا وسبقته بها ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه ق عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر كمثل الحي والميت م عن ابي هريرة رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون الذين ذهب القرن الذين كانوا فيه
وبقوا وهم يذكرون الله تعالى ويقال تفرد الرجل اذا تفقه واعتزل وقوله تعالى واشكروا
لي يعني بالطاعة ولا تكفرون اي بالمعصية فمن اطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره
قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة انما خصهما بذلك لما فيهما من المعونة على العبادات

اما

اما الصبر فهو حبس النفس على احتمال المكاره في ذات الله وتوطينها على تحمل المشاق في العبادات وسائر
الطاعات وتجنب الجزع وتجنب المحظورات ومن الناس من حمل الصبر على الصوم وفسر به ومنهم
من حمله على الجهاد واما الاستعانة بالصلاة فلانها يجب ان تفعل على طريق الخضوع والتذلل
للمعبود والاخلاص له وقيل استعينوا على طلب الاخرة بالصبر على الفرائض وبالصلوات الخمس
في مواقيتها على تمحيص الذنوب ان الله مع الصابرين اي بالعون والنصر ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله
اموات نزلت فيمن قتل ببدر من المسلمين وكانوا اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وهم عبيدة
ابن الحارث بن عبد المطلب وعمير بن ابي وقاص وذو الشمالين واسمه عمير بن عبد عمرو بن العاص
ابن نضلة بن عمرو من خزاعة ثم بني غبشان وعاقل بن البكير من بني سعد بن ليث بن كنانة ومهجع
مولى عمر بن الخطاب وصفوان بن بيضا من بني الحرث بن فهر ومن الانصار ثمانية وهم سعد بن
خيثمة ومبشر بن عبد المنذر ويزيد بن الحرث بن سحم وعمير بن الحمام ورافع بن المعلى وحارثة
ابن سراقة وعوف ومعوذ ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد وهما ابنا عفرا وهي امهما كان الناس
يقولون لمن قتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فانزل الله هذه الاية
وقيل ان الكفار والمنافقين قالوا ان الناس يقتلون انفسهم طلب مرضات محمد من غير فائدة فنزلت
هذه الاية واخبر ان من قتل في سبيل الله فانه حي بقوله تعالى بل احيا وانما احياهم الله عز وجل
في الوقت لايصال الثواب اليهم وعن الحسن ان الشهدا احيا عند الله تعالى تعرض ارزاقهم على ارواحهم
فيصل اليهم الروح والريحان والفرح كما تعرض النار على ارواح ال فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم
الالم والوجع ففيه دليل على ان المطيعين لله يصل اليهم ثوابهم وهم في قبورهم في البرزخ وكذا
العصاة يعذبون في قبورهم فان قلت نحن نراهم موتى فما معنى قوله بل
احيا وما وجه النهي في قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات قلت معناه
ان لا تقولوا اموات بمنزلة غيرهم من الاموات بل هم احيا تنتقل ارواحهم الى الجنان كما
ورد ان ارواح الشهدا في حواصل طير خضر تسرح في الجنة فهم احيا من هذه الجهة وان كانوا
امواتا من جهة خروج الروح من اجسادهم وجواب اخر وهو انهم احيا عند الله تعالى في عالم
الغيب لانهم صاروا الى الاخرة فنحن لا نشاهدهم كذلك ويدل على ذلك قوله تعالى
ولكن لا تشعرون اي لا ترونهم احيا فتعلموا ذلك حقيقة وانما تعلموا باخبار الله اياكم به فان
قلت اليس سائر المطيعين من المسلمين لله يصل اليهم من نعيم الجنة في قبورهم
فلم خص الشهدا بالذكر قلت انما خصهم لان الشهدا فضلوا على غيرهم
بمزايا النعيم وهو انهم يرزقون من مطاعم الجنة ومآكلها وغيرهم ينعمون بما دون ذلك وجواب
اخر وهو انه رد لقول من قال ان من قتل في سبيل الله فقد مات وذهب عنه نعيم الدنيا
ولذاتها فاخبر الله تعالى بقوله بل احيا انهم في نعيم دائم قوله عز وجل ولنبلونكم اي ولنختبرنكم
يا امة محمد واللام جواب القسم تقديره والله لنبلونكم والابتلا لاظهار الطائع من العاصي
لا ليعلم شيا لم يكن عالما به فانه سبحانه وتعالى عالم بجميع الاشيا قبل كونها وحدوثها بشي انما
قال بشي ولم يقل باشيا لانه لو جمع لاوهم ان الاشيا تشتمل على ضروب من الخوف وكذا الباقي فلما قال بشي
كان التقدير بشي من الخوف وبشي من الجوع وقيل معناه بشي قليل من هذه الاشيا من الخوف قال

Copyright © King Saud University

ابن عباس يعني خوف العدو والخوف توقع مكروه يحصل منه الم في القلب والجوع يعني القحط وتعذر حصول القوت ونقص من الاموال يعني بالهلاك والخراب والانفس ونقص من الانفس بالموت او القتل والثمرات يعني الجوائح في الثمار وقيل قد يكون بالجدب ايضا وبترك العمل والعمارة في الاشجار وحكي عن الشافعي في تفسير هذه الاية قال الخوف خوف الله تعالى والجوع صيام شهر رمضان ونقص من الاموال يعني اخراج الزكاة والصدقات والانفس يعني الامراض والثمرات يعني موت الاولاد ولان الولد ثمرة القلب عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته اقبضتم ولد عبدي قالوا نعم قال اقبضتم ثمرة فؤاده قالوا نعم قال فماذا قالوا حمدك واسترجع قال ابنوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن

فان قلت فما الحكمة في تقديم تعريف هذا الابتلاء في قوله ولنبلونكم **قلت** فيه حكم منها ان العبد اذا علم انه مبتلى بشي وطن نفسه على الصبر فاذا نزل به ذلك البلاء لم يجزع ومنها ان الكفار اذا شاهدوا المومنين مقيمين على دينهم ثابتين عند نزول البلا صابرين له علموا ان ذلك صحة الدين فيدعوهم الى متابعته والدخول فيه ومنها ان الله تعالى اخبر بهذا الابتلا قبل وقوعه فاذا وقع كان ذلك اخبارا عن غيب فيكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان المنافقين انما اظهروا الايمان طمعا في المال وسعة الرزق من الغنايم فلما اخبر الله انه مبتلي عباده فعند ذلك يتميز المومن من المنافق والصادق من الكاذب ومنها ان الانسان في حال الابتلا اشد اخلاصا لله في حال الرخا فاذا علم انه مبتلى داوم على التضرع والابتهال الى الله تعالى ليجنبه مما عسى ان ينزل به من البلا ثم قال تعالى وبشر الصابرين يعني عند نزول البلا والمعنى وبشر يا محمد الصابرين على امتحاني بما امتحنهم به من الشدايد والمكاره ثم وصفهم بقوله تعالى الذين اذا اصابتهم مصيبة اي نايبة وابتلا قالوا انا لله يعني عبيدا وملكا وانا اليه راجعون يعني في الاخرة م عن ام سلمة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها قيل ما اعطى الله احدا ما اعطيت هذه الامة يعني الاسترجاع عند المصيبة ولو اعطيتها احدا لاعطي يعقوب عليه السلام الا تسمع الى قوله عند فقد يوسف يا اسفا على يوسف وقيل في قول العبد انا لله وانا اليه راجعون تفويض منه الى الله وانه راض بكل ما نزل به من المصايب اولئك يعني هذه صفتهم عليهم صلوات من ربهم قال ابن عباس اي مغفرة من ربهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على ال ابي اوفى اي اغفر لهم وارحمهم وانما جمع الصلوات لانه عنى مغفرة بعد مغفرة ورحمة بعد رحمة ورحمة قال ابن عباس ونعمة والرحمة من الله انعام وافضال واحسان ومن الادميين رقة وتعطف وقيل انما ذكر الرحمة بعد الصلاة لان الصلاة من الله الرحمة لاتساع المعنى واتساع اللفظ وتفعل ذلك العرب كثيرا اذا اختلف واتفق المعنى وقيل كررهما للتاكيد اي عليهم رحمة بعد رحمة واولئك هم المهتدون يعني الاسترجاع وقيل الى الجنة الفايزون بالثواب وقيل المهتدون الى الحق والصواب وقال عمر بن الخطاب نعم العدلان ونعم العلاوة فالعدلان الصلاة والرحمة والعلاوة الهداية

فصل في ذكر احاديث وردت في ثواب اهل البلا واجر الصابرين خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه يعني يبتليه بالمصايب حتى ياجره على ذلك ق عن ابي سعيد وابي

هريرة

هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المومن من نصب ولا وصب ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله عنه خطاياه النصب التعب والاعيا والوصب المرض ق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصيبه اذى من مرض فما سواه الا حط الله عنه من سياته كما تحط الشجرة ورقها ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المومن كمثل الزرع لا تزال الريح تفيه ولا يزال المومن يصيبه البلا ومثل المنافق كمثل شجرة الارز لا تهتز حتى تحصد الارزة شجر معروف بالشام وتعرف في العراق بالصنوبر والصنوبر ثمرة الارزة وقيل الارزة الثابتة في الارض عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد بعبد الشر امسك عنه حتى يوافي يوم القيامة وبهذا الاسنا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عظم الجزاء مع عظم البلا وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط اخرجه الترمذي وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يود اهل العافية يوم القيامة حين يعطى اهل البلا الثواب لو ان جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض وله عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزال البلا بالمومن والمومنة في نفسه وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وقال حديث حسن صحيح خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ما لعبدي المومن عندي جزا اذا قبضت صفيه من اهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة عن سعد بن ابي وقاص قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلا قال الانبيا ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان دينه صلبا اشتد بلاوه وان كان في دينه رقة هون عليه فما يبرح البلا بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن قوله عز وجل ان الصفا والمروة من شعاير الله الصفا جمع صفاة وهي الصخرة الصلبة الملسا وقيل الحجارة الصافية والمروة الحجر الرخو وجمعها مرو ومروات وهذا اصلهما في اللغة وانما عنى الله بهما الجبلين المعروفين بمكة في طرفي المسعى ولذلك ادخل فيهما الالف واللام وشعاير الله اعلام دينه واصلها من الاشعار وهو الاعلام واحدتها شعيرة وكل ما كان معلما للقربات يتقرب به الى الله من صلاة ودعا وذبيحة فهو شعيرة من شعاير الله ومشاعر الحج معالمه الظاهرة للحواس ويقال شعاير الحج فالمطاف والموقف والمنحر كلها شعاير والمراد بالشعاير هنا المناسك التي جعلها الله اعلاما لطاعته فالصفا والمروة منها حيث يسعى بينهما فمن حج البيت اي قصد البيت هذا اصله في اللغة وفي الشرع عبارة عن افعال مخصوصة لاقامة المناسك او اعتمر اي زار البيت والعمرة الزيارة فمعنى الحج والعمرة المشروعين قصد وزيارة فلا جناح عليه اي فلا اثم عليه واصله من جنح اذا مال عن القصد المستقيم ان يطوف بهما اي يدور بهما ويسعى بينهما وسبب نزول هذه الاية انه كان على الصفا والمروة صنمان يقال لهما اساف ونايلة وكان اساف على الصفا ونايلة على المروة وكان اهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون عن السعي بين الصفا والمروة فانزل الله هذه الاية واذن في السعي بينهما واخبر انه من الشعاير ق عن عاصم بن سليمان الاحول قال قلت لانس كنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة من شعاير الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما وفي رواية كانت الانصار يكرهون ان يطوفوا بين الصفا والمروة فانزل الله هذه الاية واذن في السعي بينهما واخبر انه من الشعاير خ

Copyright © King Saud University

حتى نزلت ان الصفا والمروة من شعائر الله **فصل** اختلف العلماء في حكم السعي بين الصفا
والمروة في الحج والعمرة فذهب جماعة الى وجوبه وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة وبه قال الحسن
واليه ذهب مالك والشافعي وذهب قوم الى انه تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين
وذهب الثوري وابو حنيفة انه ليس بركن وعلى من تركه دم وروي عن ابن الزبير ومجاهد
وعطاء ان من تركه فلا شيء عليه واختلف الرواية عن احمد في ذلك فروي عنه ان من ترك السعي
بين الصفا والمروة لم يجزه حجه وروي عنه انه لا شيء في تركه عمدا ولا سهوا ولا ينبغي ان يتركه ونقل
الجمهور عنه انه تطوع وسبب هذا الاختلاف ان قوله تعالى فلا جناح عليه يصدق عليه
انه لا اثم في فعله فدخل تحته الواجب والمندوب والمباح فظاهر هذه الاية لا يدل على ان السعي
بين الصفا والمروة واجب او ليس بواجب لان اللفظ الدال على هذا القدر المشترك بين
الاقسام الثلاثة لا دلالة فيه على خصوصية احدها فاذا لا بد من دليل خارج يدل على ان
السعي واجب او غير واجب فحجة الشافعي ومن وافقه في ان السعي بين الصفا والمروة ركن من اركان
الحج والعمرة ما روى الشافعي بسنده عن صفية بنت شيبة قالت اخبرتني بنت ابي تجراة واسمها
حبيبة احدى نساء بني عبد الدار قالت دخلت مع نسوة من قريش دار ال ابي حسين ننظر الى النبي صلى
الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة فرايته يسعى وان مئزره ليدور من شدة السعي حتى
اقول اني لارى ركبتيه وسمعته يقول اسعوا فان الله قد كتب عليكم السعي (ق) عن عروة بن الزبير قال
قلت لعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ارايت قول الله ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن
حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما فما ارى على احد شيئا الا يطوف بهما فقالت عائشة
لو كان كما تقول كانت فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما انما نزلت هذه الاية في الانصار كانوا يهلون
لمناة وكانت مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون ان يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الاسلام سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الاية (م) عن جابر في حديثه
الطويل في صفة حجة الوداع قال ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرا ان الصفا والمروة
من شعائر الله ابدا بما بدا الله به فبدا بالصفا الحديث فاذا ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم سعى وجب
علينا السعي لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم خذوا عني مناسككم والامر للوجوب ومن
المعنى ان السعي اشواط شرعت في بقعة من بقاع الحرم ويؤتى به في احرام كامل فكان ركنا كطواف الزيارة
واحتج ابو حنيفة ومن لا يرى وجوب السعي بقوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما وهذا لا يقال
في الواجبات ثم انه تعالى اكد ذلك بقوله تعالى فلا جناح عليه ليس فيه الا انه لا اثم على فاعله وهذا
القدر مشترك بين الواجب وغيره كما تقدم بيانه فلا يكون فيه دلالة على نفي الوجوب وعن الثاني
وهو التمسك بقوله تعالى ومن تطوع خيرا فضعيف لان هذا لا يقتضي ان يكون المراد من هذا التطوع
هو الطواف المذكور اولا بل يجوز ان يكون المقصود منه شيئا اخر يدل على ذلك قول الحسن ان المراد بقوله ومن
تطوع خيرا جميع الطاعات في الدين يعني فعل فعلا زائدا على ما افترض عليه من صلاة وصدقة
وصيام وحج وعمرة وطواف وغير ذلك من انواع الطاعات وقال مجاهد ومن تطوع خيرا بالطواف بهما
وهذا على قول من لا يرى الطواف بهما فرضا وقيل معناه ومن تطوع خيرا فزاد في الطواف بعد الواجب
والقول الاول اولى لانه للعموم فان الله شاكر اي مجاز على الطاعة عليم اي بنيته وحقيقة الشاكر

في اللغة هو المظهر للانعام عليه والشكر هو تصور النعمة واظهارها والله تعالى لا يوصف بذلك لانه
لا يلحقه المنافع والمضار فالشاكر في صفة الله مجاز فاذا وصف به اريد به انه المجازي على الطاعة
بالثواب الا ان اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد مظاهرة في الاحسان اليهم قوله عز وجل ان الذين
يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى نزلت في اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم
وغيرها من الاحكام التي كانت في التوراة وقيل ان الاية على العموم فيمن كتم شيئا من امر الدين لان اللفظ
عام والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن قال بالقول الاول وانها في اليهود قال ان الكتم لا يصح الا
منهم لانهم كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الكتمان ترك اظهار الشيء مع الحاجة الى بيانه واظهاره
فمن كتم شيئا من امر الدين فقد عظمت مصيبته (ق) عن ابي هريرة قال لولا ايتان انزلهما الله في كتابه
ما حدثت شيئا ابدا ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى وقوله واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الى اخر الايتين وهل اظهار علوم الدين فرض
كفاية او فرض عين فيه خلاف والاصح انه اذا ظهر للبعض بحيث يتمكن كل واحد من الوصول اليه لم يبق
مكتوما وقيل اذا سئل العالم عن شيء يعلمه من امر الدين يجب عليه اظهاره والا فلا من بعد ما بيناه للناس
في الكتاب يعني في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المراد بالناس علماء بني اسرائيل
ومن قال ان المراد بالكتاب جميع ما انزل الله على انبيائه من الاحكام قال المراد بالناس العلماء كافة اولئك
يعني الذين يكتمون ما انزل الله من البينات والهدى يلعنهم الله اي يبعدهم من رحمته واصل اللعن في
اللغة الطرد والابعاد ويلعنهم اللاعنون قال ابن عباس جميع الخلائق الا الجن والانس وذلك ان البهائم تقول
انما منعنا القطر بمعاصي بني ادم وقيل اللاعنون هم الجن والانس لانه وصفهم بوصف من يعقل وقيل ما تلاعن
اثنان من المسلمين الا رجعت الى اليهود والنصارى الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم استثنى
فقال تعالى الا الذين تابوا اي ندموا على ما فعلوا ورجعوا من الكفر الى الاسلام واصلحوا يعني الاعمال فيما بينهم
وبين الله تعالى وبينوا يعني ما كتموا من العلم فاولئك اتوب عليهم اي اتجاوز عنهم واقبل توبتهم وانا التواب اي
المتجاوز عن عبادي الرجاع بقلوبهم المنصرفة عني الي الرحيم يعني بهم بعد قبولهم قوله عز وجل ان الذين
كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين قيل هذا الكفر يكون يوم القيامة
يؤتى بالكافر فيوقف فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس اجمعون **فان قلت**
الكافر لا يلعن نفسه ولا يلعنه اهل دينه وملته فما معنى قوله والناس اجمعين **قلت** فيه اوجه
احدها انه اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون الثاني ان الكفار يلعن بعضهم بعضا يوم القيامة
الثالث انهم يلعنون الظالمين والكافر من الظالمين فيكون قد لعن نفسه خالدين فيها اي مقيمين في اللعنة
وقيل في النار واضمرت لعظم شانها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اي لا يمهلون ولا يؤجلون وقيل
لا ينظرون ليعتذروا وقيل لا ينظر اليهم نظر رحمة **فصل** فيما يتعلق بهذه الاية من الحكم قال العلماء
لا يجوز لعن كافر معين لان حاله عند الوفاة لا يعلم فلعله يموت على الاسلام وقد شرط الله في هذه الاية
اطلاق اللعنة على من مات على الكفر ويجوز لعن الكفار بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود
حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وذهب بعضهم الى جواز لعن انسان معين من الكفار بدليل جواز
قتاله واما العصاة من المؤمنين فلا يجوز لعنة احد منهم على التعيين واما على الاطلاق فيجوز لما روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة والحبل فتقطع يده ولعن رسول الله صلى الله

Copyright © King Saud University

عليه وسلم الواشمة والمستوشمة واكل الربا وموكله ولعن من غير منار الارض ومن انتسب لغير ابيه وكل هذه في
الصحيح قوله عز وجل والهكم اله واحد سبب نزول هذه الاية ان كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه
فانزل الله هذه الاية وسورة الاخلاص ومعنى الواحد الانفراد وحقيقة الواحد هو الشي الذي لا يتبعض
ولا ينقسم والواحد في صفة الله انه واحد لا نظير له وليس كمثله شي وقيل واحد في الالهية وربوبيته ليس له
شريك لان المشركين اشركوا معه الالهة فكذبهم الله تعالى بقوله والهكم اله واحد لا شريك له في الالهية
ولا نظير له في الربوبية والتوحيد هو نفي الشرك والتقسيم والتشبيه فالله تعالى واحد في افعاله لا شريك
له يشاركه في مصنوعاته وواحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا يشبهه شي من خلقه لا اله الا هو
تقرير للوحدانية بنفي غيره من الالوهية واثباتها له سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم يعني انه المولى لجميع النعم
واصولها وفروعها فلا شي سواه اما نعمة واما منعم عليه وهو المنعم على خلقه الرحيم بهم عن اسما بنت يزيد
قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الاعظم في هاتين الايتين والهكم اله واحد لا اله
الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة ال عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث
صحيح وقيل لما نزلت هذه الاية قال المشركون ان محمدا يقول والهكم اله واحد فليأتنا باية ان كان صادقا
فانزل الله تعالى ان في خلق السموات والارض وعلمهم كيف الاستدلال على وحدانية الصانع وردهم الى التفكر
في اياته والنظر في عجايب مصنوعاته واتقان افعاله في ذلك دليل على وحدانيته اذ لو كان في الوجود
صانعان في هذه الافعال لاستحال اتفاقهما على امر واحد ولامتنع افعالهما على التساوي في صفة الكمال
فثبت بذلك ان خالق هذا العالم والمدبر له واحد قادر مختار فبين سبحانه وتعالى من عجايب مخلوقاته
ثمانية انواع اولها قوله ان في خلق السموات والارض وانما جمع السموات لانها اجناس مختلفة كل سما
من جنس غير جنس الاخرى ووحد الارض لانها جنس واحد وهو التراب والاية في السما هي سمكها وارتفاعها
بغير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والاية في الارض مدها وبسطها على الماء
وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والانهار والاشجار والثمار النوع الثاني في قوله تعالى
واختلاف الليل والنهار اي تعاقبهما في المجي والذهاب وقيل اختلافهما في الطول والقصر والزيادة والنقصان
والنور والظلمة وانما قدم الليل على النهار لان الظلمة اقدم والاية في الليل والنهار ان انتظام احوال
العباد بسبب طلب الكسب والمعيشة يكون في النهار وطلب النوم والراحة يكون في الليل واختلاف
الليل والنهار انما هو لتحصيل مصالح العباد النوع الثالث والفلك التي تجري في البحر اي السفن واحده
وجمعه سوا وسمي البحر بحرا لاتساعه وانبساطه والاية في الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهي موقرة
بالاثقال والرجال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة وتسخير البحر لحمل الفلك مع قوة سلطان
الماء وهيجان البحر فلا ينجي منه الا الله تعالى النوع الرابع قوله تعالى بما ينفع الناس يعني ركوبها والحمل
عليها في التجارة وحمل الارباح والاية في ذلك ان الله تعالى لو لم يقو قلوب من يركب هذه السفن لما تم
الغرض في تجاراتهم ومنافعهم وايضا فان الله تعالى خص كل قطر من اقطار العالم بشي معين واحوج الكل
الى الكل فصار ذلك سببا يدعوهم الى اقتحام الاخطار في الاسفار من ركوب السفن وخوف البحر وغير ذلك
فالحامل ينتفع لانه يربح والمحمول اليه ينتفع بما حمل اليه النوع الخامس قوله وما انزل الله من السماء من ماء يعني المطر
قيل اراد بالسما السحاب سمي سما لان كل ما علاك فاظلك فهو سما خلق الله الماء في السحاب ومنه ينزل الى الارض
واحيى به اي بالمطر الارض بعد موتها اي بعد يبسها وجدبها سماه موتا مجازا لانها اذا لم تنبت شيا ولم

يصبها

يصبها المطر فهي كالميتة والاية في انزال المطر واحيا الارض به لان الله تعالى جعله سببا لاحيا الجميع من
حيوان ونبات ونزوله عند الحاجة اليه بمقدار المنفعة وعند الاستسقا والدعا وانزاله بمكان دون مكان
النوع السادس قوله وبث اي فرق فيها اي في الارض من كل دابة قال ابن عباس يريد كل ما دب على وجه
الارض من جميع الخلق من جميع الناس وغيرهم والاية في ذلك ان جنس الانسان يرجع الى اصل واحد وهو
ادم ثم ما فيهم من الاختلاف في الصور والاشكال والالوان والالسنة والطبايع والاخلاق والاوصاف
الى غير ذلك ثم تقيس على بني ادم ساير الحيوان النوع السابع قوله وتصريف الرياح يعني في مهابها قبولا ودبورا
وشمالا وجنوبا ونكبا وهو الريح الذي ياتي من غير مهب صحيح فكل ريح تختلف مهابها تسمى نكبا وقيل تصريفها
في احوال مهابها لينة وعاصفة وحارة وباردة وسميت رياحا لانها تريح قال ابن عباس اعظم جنود الله
الريح وقيل ما هبت ريح الا لشفا سقيم او ضده وقيل البشارة في ثلاث رياح الصبا والشمال والجنوب
والدبور هي الريح العقيم التي اهلكت بها عاد فلا بشارة فيها والاية في الريح انها جسم لطيف لا يمسك ولا يرى
وهو مع ذلك في غاية القوة تقلع الشجر والصخر وتخرب البنيان العظيم وهي مع ذلك حياة الوجود فلو امسكت
طرفة عين لمات كل ذي روح ولانتن ما على وجه الارض النوع الثامن والسحاب المسخر بين السماء والارض
اي الغيم المذلل سمي سحابا لسرعة سيره كانه يسحب والاية في ذلك ان السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي
يسيل منها الاودية العظيمة يبقى معلقا بين السما والارض ففي هذه الانواع الثمانية المذكورة في هذه الاية
دلالة عظيمة على وجود الصانع القادر المختار وانه الواحد في ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المراد من
قوله والهكم اله واحد لا اله الا هو وقوله لايات اي فيما ذكر من دلايل مصنوعاته الدالة على وحدانيته
قيل انما جمع ايات لان في كل واحد مما ذكر من هذه الانواع ايات كثيرة تدل على ان لها خالقا مدبرا مختارا
لقوم يعقلون اي ينظرون بعيون عقولهم ويتفكرون بقلوبهم فيعلمون ان لهذه الاشيا خالقا ومدبرا
وصانعا قادرا على ما يريد قوله عز وجل ومن الناس يعني المشركين من يتخذ من دون الله اندادا يعني اصناما
يعبدونها والند المثل المنازع فعلى هذا الاصنام انداد بعضها لبعض وليست اندادا لله تعالى فتعالى
الله ان يكون له ند او يكون له منازع وقيل الانداد الاكفا من الرجال وهم روساوهم وكبراوهم الذين
يطيعونهم في معصية الله يحبونهم اي يودونهم ويميلون اليهم والحب نقيض البغض واحببت فلانا
اي جعلت معرضا بان تحبه والمحبة الارادة كحب الله اي كحب المومنين الله والمعنى يحبون الاصنام
كما يحب المومنون ربهم عز وجل وقيل معناه يحبونهم كحب الله فيكون المعنى انهم يسوون بين الاصنام
وبين الله في المحبة فمن قال بالقول الاول لم يثبت للكفار محبة لله تعالى ومن قال بالقول الثاني
اثبت للكفار محبة لله تعالى لكن جعلوا الاصنام شركا له في الحب والذين امنوا اشد حبا لله اي اثبت وادوم على
محبته لانهم لا يختارون مع الله سواه والمشركون اذا اتخذوا صنما ثم راوا احسن منه طرحوا
الاول واختاروا الثاني وقيل ان الكفار يعدلون عن اصنامهم في الشدايد ويقبلون على الله تعالى
كما اخبر عنهم فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والمومنون لا يعدلون عن الله تعالى
في السرا ولا في الضرا ولا في الشدة ولا في الرخا وقيل ان المومنين يوحدون ربهم والكفار يعبدون
اصناما كثيرة فتنقص المحبة لصنم واحد وقيل انما قال والذين امنوا اشد حبا لله لان الله احبهم
اولا فاحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته اتم وسياتي بسط الكلام في معنى المحبة عند
قوله يحبهم ويحبونه ولو يرى الذين ظلموا قري بالتا والمعنى ولو ترى يا محمد الذين ظلموا يعني اشركوا في شدة

Copyright © King Saud University

العذاب لرايت امرا عظيما وقرئ بالتاء ومعناه لو يرى الذين ظلموا انفسهم عند رؤيتهم العذاب حين
يقذف بهم في النار لعرفوا مضرة الكفر وان ما اتخذوه من الاصنام لا ينفعهم اذ يرون العذاب ان القوة
لله جميعا معناه لو راى الذين يشركون في الدنيا عذاب الاخرة لعلموا حين يرون العذاب ان القوة
ثابتة لله جميعا والمعنى انهم شاهدوا من قدرة الله تعالى ما تيقنوا ان القوة لله جميعا وان الامر ليس
ما كانوا عليه من الشرك والجحود وان الله شديد العذاب قوله عز وجل اذ تبرا اي تبرأ وتباعد الذين
اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب اي القادة من مشركي الانس من الاتباع وذلك يوم القيامة
حين يجمع القادة والاتباع فيتبرا بعضهم من بعض عند نزول العذاب بهم وعجزهم عن دفعه عن
انفسهم فكيف عن غيرهم وقيل ان الشياطين يتبرون من الانس والقول هو الاول وتقطعت بهم
الاسباب يعني التي كانت بينهم في الدنيا يتواصلون بها من قرابة وصداقة وقيل الاعمال التي كانت
بينهم يتوادون ويعملون بها في الدنيا وقيل العهود والحلف التي كانت بينهم يتوادون عليها واصل السبب
في اللغة الحبل الذي يصعد به النخل وسمي كل ما يتوصل به الى شيء من ذريعة او قرابة او مودة
سببا تشبيها بالحبل الذي يصعد به وقال الذين اتبعوا يعني الاتباع لو ان لنا كرة اي رجعة الى
الدنيا فنتبرا منهم اي من المتبوعين كما تبرؤوا منا اليوم كذلك يريهم الله اي كما اراهم العذاب يريهم الله
اعمالهم حسرات عليهم لانهم ايقنوا بالهلاك والحسرة الغم على ما فاته وشدة الندم عليه كانه انحسر
عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه والمعنى ان الله تعالى يريهم السيئات التي عملوها وارتكبوها في
الدنيا فيتحسرون لم عملوها وقيل يريهم ما تركوا من الحسنات فيتندمون على تضييعها وقيل يرفع
لهم منازلهم في الجنة فيقال لهم تلك مساكنكم لو اطعتم الله ثم تقسم بين المومنين فذلك حين يتحسرون
ويندمون على ما فاتهم ولا ينفعهم الندم وما هم بخارجين من النار قوله عز وجل يا ايها الناس كلوا
مما في الارض حلالا طيبا نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبني مدلج فيما حرموا على انفسهم
من الحرث والانعام والبحيرة والسايبة والحام والحلال المباح الذي احله الشرع وانحلت عقدة الحظر
عنه واصله من الحل الذي هو نقيض العقد والطيب ما يستلذ والمسلم لا يستطيب الا الحلال ويعاف
الحرام وقيل الطيب هو الطاهر لان النجس تكرهه النفس وتعافه ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي
لا تسلكوا سبيله وقيل معناه لا تاتموا به ولا تتبعوا اثاره وزلاته والمعنى احذروا ان تتعدوا ما احل
الله الى ما يدعوكم اليه وقيل هي النذور في المعاصي وقيل هي المحقرات من الذنوب ثم بين علة هذا التحذير
بقوله تعالى انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة وقد اظهر الله تعالى عداوته باباية السجود لادم
ثم بين عداوته ما هي فقال تعالى انما يامركم بالسوء يعني بالاثم والسوء ما يسوء صاحبه ويحزنه
والفحشاء يعني بها المعاصي وما قبح من قول وفعل قال ابن عباس السوء ما لا حد فيه والفحشاء
ما يجب فيه الحد وقيل الفحشاء الزنا وقيل هو البخل وان تقولوا على الله ما لا تعلمون يعني من
تحريم الحرث والانعام ويتناول ذلك جميع المذاهب الفاسدة التي لم ياذن فيها الله ولم ترد عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان امر الشيطان ووسوسته عبارة عن هذه الخواطر التي
يجدها الانسان في قلبه وماهية هذه الخواطر حروف واصوات منتظمة خفية تشبه الكلام
في الخارج ثم ان فاعل هذه الخواطر هو الله تعالى وهو المحدث لها في باطن الانسان واما
الشيطان كالمعرض والله هو المقدر له على ذلك وقد ورد في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم

ان

ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم وانما قدر على ذلك لايصال هذه الخواطر الى باطن الانسان قوله
عز وجل واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله هذه قصة مستانفة والضمير في لهم يعود الى غير مذكور
قال ابن عباس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام فقال رافع بن خارجة ومالك
ابن عوف بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم منا فانزل الله هذه الاية وقيل ان الاية
متصلة بما قبلها والضمير في لهم يعود على قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وهم
مشركو العرب قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا يعني من عبادة الاصنام وقيل بل الضمير في لهم
يعود على قوله يا ايها الناس كلوا والمعنى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله يعني في تحليل ما حرموا على انفسهم
قالوا بل نتبع ما الفينا يعني وجدنا عليه اباءنا من التحريم والتحليل قال الله تعالى اولو كان اباؤهم
يعني الذين يتبعونهم لا يعقلون شيئا يعني لا يعلمون شيئا من امر الدين لفظه عام ومعناه خاص وذلك
انهم يعقلون امر الدنيا ولا يهتدون اي الى الصواب ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى ومثل الذين
كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء النعيق صوت الراعي بالغنم ولا يقال النعق الا للراعي
بالغنم وحدها ومعنى الاية ومثلك يا محمد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم الى الله كمثل الراعي الذي
ينعق بالغنم وهي لا تسمع الا صوتا فصار الداعي الى الله هو الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة الراعي
وصار الكفار بمنزلة الغنم المنعوق بها ووجه المثل ان الغنم تسمع الصوت ولا تفقه المراد وكذلك
الكفار يسمعون صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن لا ينتفعون به وقيل معناه ومثل الذين
كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله ورسوله كمثل المنعوق به من الناعق وقيل معناه ومثل
الذين كفروا في دعائهم الاصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمثل الناعق بالغنم فهو لا ينتفع من نعيقه
بشيء غير انه عناء من الدعاء والنداء فكذلك الكافر ليس له من دعاء الاصنام وعبادتها الا العناء والبلاء
والفرق بين هذا القول والقول الذي قبله ان المحذوف هنا هو المدعو وهي الاصنام وفي القول
الاول المحذوف هو الراعي وهو الرسول صلى الله عليه وسلم صم بكم عمي لما شبههم بالبهايم زاد
في تبكيتهم فقال صم لانهم اذا سمعوا الحق ودعاء الرسول ولم ينتفعوا به صاروا بمنزلة الاصم الذي
لا يسمع بكم لا يسمع ولا يعقل كانهم اصم ابكم اي عن النطق بالحق عمي اي عن طريق الهدى فهم
لا يعقلون قيل المراد بالعقل الكسبي لان العقل الطبيعي كان حاصلا فيهم قوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم قيل ان الامر في قوله كلوا قد يكون للوجوب كالاكل لحفظ
النفس ودفع الضرر عنها وقد يكون للندب كالاكل مع الضيف وقد يكون للاباحة اذا خلا
من هذه العوارض والطيب هو الحلال م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب وان الله امر المومنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل
كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر
اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام
فانى يستجاب له قوله اشعث اغبر هو البعيد العهد بالدهن والغسل والنظافة وقيل الطيب المستلذ
من الطعام فلعل قوما تنزهوا عن كل المستلذ من المطاعم فاباح الله تعالى لهم ذلك واشكروا
لله يعني على نعمه ان كنتم اياه تعبدون اي اشكروا الله الذي رزقكم هذه النعم ان كنتم
تخصونه بالعبادة وتقرون انه الهكم لا غيره وقيل ان كنتم عارفين بالله وبنعمه فاشكروه عليها

Copyright © King Saud University

قوله عز وجل انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير لما امر الله تعالى في هذه الاية التي تقدمت باكل
الطيبات التي هي الحلال لان بين في هذه الاية انواع المحرمات اما الميتة فكل ما فارقته الروح
من غير ذكاة مما يذبح واما الدم فهو الجاري وكانت العرب تجعل الدم في المصارين ثم تشويه وتأكله
فحرم الله الدم واما الخنزير فانه اراد بلحمه جميع اجزائه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود لذاته
بالاكل وما اهل به لغير الله يعني وما ذبح للاصنام والطواغيت واصل الاهلال رفع الصوت وذلك
انهم كانوا يرفعون اصواتهم بذكر آلهتهم اذا ذبحوا لها فجرى ذلك من امرهم وحالهم حتى قيل لكل ذابح
مهل وان لم يجهر بالتسمية فمن اضطر يعني الى اكل الميتة واحوج اليها غير باغ اصل البغي الفساد ولا عاد اصله
من العدوان وهو الظلم ومجاوزة الحد فلا اثم عليه اي فاكله فلا اثم عليه اي فلا حرج في اكلها ان
الله غفور اي لمن اكل في حال الضرورة رحيم يعني حيث رخص لعباده في ذلك **فصل** في حكم
هذه الاية وفيه مسائل الاولى في حكم الميتة اجمعت الامة على تحريم اكل الميتة وانها نجسة
واستثنى الشرع منها السمك والجراد اما السمك فلقوله صلى الله عليه وسلم البحر هو الطهور ماؤه
الحل ميتته اخرجه الجماعة غير البخاري ومسلم قال الترمذي فيه حديث حسن صحيح واما الجراد
فلما روي عن ابي اوفى قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات او ستا وكنا نأكل
الجراد معه اخرجاه في الصحيحين واختلف في السمك الميت الطافي على الماء فقال مالك والشافعي
لا بأس به وقال ابو حنيفة واصحابه والحسن بن صالح بن حي انه مكروه وروي عن علي بن ابي
طالب انه قال ما طفا من صيد البحر فلا تأكله وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله مثله
وروي عن ابي بكر الصديق وابي ايوب اباحته واختلف في الجراد فقال الشافعي وابو حنيفة لا بأس
باكل الجراد كله ما اخذته وما وجدته ميتا وروي عن مالك ان ما وجد ميتا فلا يحل وما اخذ حيا يذكى
ذكاة مثله بان يقطع رأسه ويشوى فان غفل عنه حتى يموت فلا يحل المسألة الثانية في حكم الدم
اتفق العلماء على ان الدم حرام نجس لا يؤكل ولا ينتفع به قال الشافعي يحرم جميع الدماء سواء كان مسفوحا
او غير مسفوح وقال ابو حنيفة دم السمك ليس بحرام اذا يبس ابيض واستثنى الشارع من الدم الكبد
والطحال روى الدارقطني عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال احل لنا من الدم دمان ومن الميتة ميتتان الحوت والجراد ومن الدم الكبد والطحال وفي
لفظ احلت لنا ميتتان ودمان فاما الميتتان فالجراد والحوت واما الدمان فالطحال والكبد
اخرجه ابن ماجة واحمد وعلي بن المديني عبد الرحمن بن زيد ضعيف واخوه عبد الله بن زيد قوي
ثقة وقد اخرج الدارقطني هذا الحديث من رواية عبد الله بن زيد عن ابيه مرفوعا وضعفه ابو بكر بن
العربي هذا الحديث وقال يروى عن ابن عمر بما لا يصح سنده وقال البيهقي يروى هذا الحديث عن ابن
عمر موقوفا ومرفوعا والصحيح الموقوف واختلف في تخصيص هذا العموم في الكبد والطحال فقال مالك لا تخصيص
لان الكبد والطحال لحم ويشهد لذلك العيان الذي لا يفتقر الى برهان وقال الشافعي هما دمان ويشهد
لهما الحديث فهو تخصيص من العموم المسألة الثالثة في الخنزير اجمعت الامة على ان الخنزير بجميع
اجزائه محرم وانما ذكر الله تعالى اللحم لان معظم الانتفاع متعلق به ثم اختلفوا في نجاسته فقال جمهور
العلماء انه نجس وقال مالك انه طاهر وكذا كل حيوان عنده لان علة الطهارة هي الحياة وللشافعي قولان
في ولوغ الخنزير والجديد انه كالكلب والقديم يكفي في ولوغه غسلة واحدة والفرق بينهما ان

التغليظ

التغليظ في الكلب لان العرب كانت تألفه بخلاف الخنزير وقيل ان التغليظ في الكلب تعبدي لا يعقل معناه
فلا يتعدى الى غيره المسألة الرابعة في حكم قوله وما اهل به لغير الله من الناس من زعم ان المراد بذلك ذبائح
عبدة الاوثان الذين كانوا يذبحون لاصنامهم واجاز ذبيحة النصارى اذا سمي عليها باسم المسيح وهو مذهب
عطاء ومكحول والحسن والشعبي وسعيد بن المسيب لعموم قوله وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم
وقال مالك والشافعي وابو حنيفة لا يحل ذلك والحجة فيه انهم اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد اهلوا به
لغير الله فوجب تحريمه وروي عن علي بن ابي طالب انه قال اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله
فلا تأكلوا واذا لم تسمعوهم فكلوا فان الله قد احل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون المسألة الخامسة
في حكم المضطر المضطر هو المكلف بالشيء الملجأ اليه المكره عليه والمراد بالمضطر في قوله فمن اضطر يخاف
التلف حتى قيل من اضطر الى اكل الميتة فلم يأكل منها حتى مات دخل النار والمضطر على ثلاثة اقسام
اما باكراه او بجوع في مخمصة او بفقر لا يجد شيئا البتة فان التحريم يرتفع مع وجود هذه الاقسام
بحكم الاستثناء في قوله فلا اثم عليه وتباح له الميتة فاما الاكراه فيبيح ذلك الى زوال الاكراه واما المخمصة
فلا يخلو ان تكون دائمة فلا خلاف في جواز الشبع منها وان كانت نادرة فاختلف العلماء فيه وللشافعي
قولان احدهما انه يأكل ما يسد به الرمق وبه قال ابو حنيفة والثاني يأكل قدر الشبع وبه قال مالك
المسألة السادسة في قوله غير باغ ولا عاد قال ابن عباس يعني غير باغ غير خارج على السلطان ولا عاد
اي معتد يعني العاصي بسفره ان يأكل من الميتة اذا اضطر اليها ولا يترخص برخص المسافرين حتى يتوب
وبه قال الشافعي لان اباحة الميتة له اعانة له على فساده وذهب قوم الى ان البغي والعدوان يرجعان
الى الاكل وبه قال ابو حنيفة واباح اكل الميتة للمضطر وان كان عاصيا وقيل في معنى قوله غير باغ اي
غير طالب الميتة وهو يجد غيرها ولا عاد اي غير متعد ما حد له وقيل غير مستحل لها ولا متزود منها
قوله عز وجل ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم وذلك انهم كانوا يصيبون من
سفلتهم الهدايا والمآكل وكانوا يرجون ان النبي المبعوث منهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم من غيرهم
خافوا ذهاب مأكلهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتموها فانزل
الله تعالى ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب اي في الكتاب من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونعته ووقت نبوته هذا قول المفسرين قال الامام فخر الدين الرازي وعند المتكلمين هذا ممتنع
لان التوراة والانجيل قد بلغا من الشهرة والتواتر الى حيث يتعذر ذلك فيهما بل كانوا يكتمون التأويل
لانه قد كان فيهم من يعرف الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا يذكرون لها تأويلات
باطلة ويصرفونها عن محاملها الصحيحة الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم فهذا هو المراد بالكتمان فيصير
المعنى ان الذين يكتمون معاني ما انزل الله من الكتاب ويشترون به اي بالكتمان وقيل يعود الضمير
الى ما انزل الله من الكتاب ثمنا قليلا اي عوضا يسيرا وهي المآكل التي كانوا يأخذونها من سفلتهم اولئك
ما يأكلون في بطونهم الا النار يعني ما يؤديهم الى النار وهو الرشا والحرام فلما كان يفضي بهم ذلك الى النار
فكأنهم اكلوها ولا يكلمهم الله يوم القيامة اي كلام رحمة وما يسرهم بل يكلمهم بالتوبيخ وهو قوله اخسؤوا فيها وقيل
اراد به الغضب يقال فلان لا يكلم فلانا اذا غضب عليه ولا يزكيهم اي ولا يطهرهم من دنس الذنوب ولهم عذاب
اليم اي وجيع يصل ألمه الى قلوبهم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وصفهم بانهم
اختاروا الضلالة على الهدى واختاروا العذاب على المغفرة لانهم كانوا عالمين بالحق ولكن كتموه واخفوه

Copyright © King Saud University

وكان في اظهاره الهدى والمغفرة وفي كتمانه الضلالة والعذاب فلما اقدموا على اخفا الحق وكتمانه كانوا بايعين
الهدى بالضلالة والمغفرة بالعذاب فما اصبرهم على النار اى ما الذى صبرهم واى شي جرءهم على النار حتى
تركوا الحق واتبعوا الباطل فهو استفهام بمعنى التوبيخ وقيل انه بمعنى التعجب من حالهم في التباسهم بموجبات
النار من غير مبالاة منهم فلما اقدموا على ما يوجب النار مع علمهم بذلك صاروا كالراضيين بالعذاب
والصابرين عليه تعجب من حالهم بقوله فما اصبرهم على النار ذلك بان الله نزل الكتاب يعني ذلك العذاب
ان الله نزل الكتاب بالحق فكفروا به وانكروه وقيل معناه فعلنا بهم ذلك لان الله نزل الكتاب بالحق
فحرفوه فعلى هذا يكون المراد بالكتاب التورية وان الذين اختلفوا في الكتاب يعني اختلفوا في معانيه
وتاويله فحرفوها وبدلوها وقيل امنوا ببعض وكفروا ببعض لفي شقاق اى خلاف ومنازعة بعيد يعني
عن الحق قوله عز وجل ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب هذا خطاب لاهل الكتاب لان النصارى
تصلي قبل المشرق واليهود قبل المغرب الى بيت المقدس وزعم كل طايفة ان البر في ذلك فاخبر الله تعالى ان
البر ليس فيما هم عليه ولكن فيما بينه في هذه الاية قال ابن عباس هو خطاب للمومنين وذلك ان الرجل كان في ابتدا
الاسلام اذا اتى بالشهادتين وصلى الى اى جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرائض وصرفت القبلة الى الكعبة انزل الله هذه الاية فقال تعالى
ليس البر ان تولوا وجوهكم اى في صلاتكم قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا ذلك ولكن البر يعني ما بينه لكم والبر
اسم جامع لكل الطاعات واعمال الخير المقربة الى الله الموجبة للثواب والمودية الى الجنة ثم بين خصال البر
فقال تعالى من امن بالله اى ولكن البر بر من امن بالله فالمراد بالبر هنا الايمان بالله والتقوى من الله واليوم الاخر
وانما ذكر الايمان باليوم الاخر لان عبدة الاوثان كانوا ينكرون البعث بعد الموت والملئكة اى ومن البر الايمان
بالملايكة كلهم لان اليهود قالوا ان جبريل عدونا والكتاب قيل اراد به القران وقيل جميع الكتب المنزلة
لسياق ما بعده وهو قوله والنبيين يعني اجمع وانما خص الايمان بهذه الامور الخمسة لانه
يدخل تحت كل واحد منها اشيا كثيرة مما يلزم المومن ان يصدق بها واتى المال على حبه يعني من
اعمال البر اتى المال على حبه قيل الضمير راجع الى المال ق عن ابي هريرة قال جا رجل الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اى الصدقة اعظم اجرا قال ان تصدق وانت
صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل الغنا ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان
كذا وقد كان لفلان كذا قوله حتى اذا بلغت الحلقوم يعني الروح وان لم يتقدم لها ذكر
وقوله لفلان كذا هو كناية عن الموصى له وقوله وقد كان لفلان كناية عن الوارث وقيل
الضمير في حبه راجع الى الله تعالى اى واتى المال على حب الله وطلب مرضاته ذوي القربى يعني
اهل قرابة المعطي وانما قدمهم لانهم احق بالاعطا عن سلمان بن عامر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسلمين صدقة وعلى ذوي الرحم ثنتان صدقة وصلة
اخرجه النسايي ق ان ميمونة رضي الله عنها اعتقت وليدة ولم تستاذن النبي صلى الله عليه
وسلم فلما كان يومها الذي يدور عليها قالت اشعرت يا رسول الله اني اعتقت وليدتي قال
اوفعلت قالت نعم قال اما انك لو اعطيتها اخوالك كان اعظم لاجرك الوليدة الجارية واليتامى
اليتيم هو الذي لا اب له مع الصغر وقيل يقع على الصغير والبالغ اى واتى الفقرا من اليتامى
والمساكين جمع المسكين سمي بذلك لانه دايم السكون الى الناس لانه لا شي له وابن السبيل يعني

المسافر

المسافر المنقطع عن اهله سمي المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق وقيل هو الضيف ينزل
بالرجل لانه انما وصل اليه من السبيل وهو الطريق والاول اشبه لان ابن السبيل اسم جامع جعل
للمسافر والسايلين يعني الطالبين المستطعمين عن علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال للسايل حق ولو جا على فرس اخرجه ابو داود عن زيد بن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اعطوا السايل ولو جا على فرس اخرجه مالك في الموطا عن ام بجيد قالت قلت يا رسول
الله ان المسكين ليقوم على بابي فلم اجد شيا اعطيه اياه قال ان تجدي الا ظلفا محرقا فادفعيه
اليه في يده اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية مالك في الموطا
عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ردوا المسكين ولو بظلف محرق قوله ردوا
المسكين لم يرد به رد الحرمان وانما اراد به ردوه بشي تعطوه اياه ولو كان ظلفا وهو خف الشاة
وفي كونه محرقا مبالغة في قلة ما يعطى وفي الرقاب يعني المكاتبين وقيل هو فك النسمة
وعتق الرقبة وفك الاسارى واقام الصلوة يعني المفروضة في اوقاتها واتى الزكوة يعني
الواجبة والموفون بعهدهم يعني ما اخذه الله من العهود على عباده بالقيام بحقوقه بحدوده والعمل
بطاعته وقيل اراد بالعهد ما يجعله الانسان على نفسه ابتدا من نذر وغيره وقيل العهد الذي
بينه وبين الناس مثل الوفا بالمواعيد واداء الامانات اذا عاهدوا يعني اذا وعدوا انجزوا واوفوا
نذورهم واوفوا واذا حلفوا بروا في ايمانهم واذا قالوا صدقوا في قولهم واذا ائتمنوا ادوا والصابرين
في الباسا اى في الشدة والفقر والفاقة والضرا يعني المرض والزمانة وحين الباس يعني القتال
والحرب في سبيل الله وسمي الحرب باسا لما فيه من الشدة ق عن البرا قال كنا والله اذا احمر الباس
اى اشتد الحرب نتقي به اى بحمله وقاية لنا من العدو اولئك الذين صدقوا اى اهل هذه الاوصاف
هم الذين صدقوا في ايمانهم واولئك هم المتقون قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى
نزلت في حيين من احيا العرب وكان بينهم قتل وحروب وجراحات كثيرة ولم ياخذ
بعضهم من بعض حتى جا الاسلام وقيل نزلت في الاوس والخزرج وكان لاحد الحيين طول
على الاخر في الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساهم بغير مهر واقسموا ليقتلن بالعبد منا
الحر منهم وبالمراة منا الرجل منهم وبالرجل الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات
اولئك فرفعوا امرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وامره بالمساواة فرضوا
واسلموا وقيل انما نزلت هذه الاية لازالة الاحكام التي كانت قبل مبعث النبي صلى الله
عليه وسلم وذلك ان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط والنصارى يوجبون العفو
بلا قتل والعرب في الجاهلية كانوا يوجبون القتل تارة ويوجبون اخذ الدية تارة وكانوا
يعتدون في الحكمين فان وقع القتل على شريف قتلوا به عددا وياخذون دية الشريف اضعاف
دية الخسيس فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اوجب رعاية العدل وسوى بين عباده في
حكم القصاص فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب اى فرض عليكم القصاص في القتلى
فان قلت كيف يكون القصاص فرضا والولي مخير فيه بين العفو
والقصاص واخذ الدية قلت ان القصاص فرض على القاتل للولي وقيل
انما اراد تمام القصاص فقد فرض عليكم والقصاص المساواة والمماثلة في القتل والدية والجراح

Copyright © King Saud University

من قص الاثر اذا اتبعه فالمتبوع به يتبع ما فعل به فيفعل مثل ذلك فلو قتل رجل رجلا بعصا او
خنقه او شدخ راسه بحجر فمات فيقتل القاتل بمثل الذي قتل به وهو قول مالك والشافعي واحد
الروايتين عن احمد وقيل يقتل بالسيف وهو قول ابي حنيفة والرواية عن احمد الحر بالحر والعبد
بالعبد والانثى بالانثى ومعناه اذا تكافا الدمان من الاحرار المسلمين او الاحرار من المعاهدين
او العبيد منهم فيقتل كل صنف اذا قتل بمثله الذكر بالذكر والانثى بالانثى وبالذكر ولا يقتل مومن
بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولد ويقتل الذمي بالمسلم والعبد بالحر والولد بالوالد هذا مذهب
مالك والشافعي واحمد ويدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن ابي جحيفة قال سالت عليا
هل عندكم من النبي صلى الله عليه وسلم شيء سوى القران قال لا والذي فلق الحبة وبرا النسمة
الا ان يوتي الله عبدا فهما في القران وما في هذه الصحيفة قلت وما في الصحيفة قال العقل
وفك الاسير وان لا يقتل مومن بكافر وقد اخرج عن مسلم عن علي نحو هذا من غير رواية ابي جحيفة
العقل هنا هو الدية والعاقلة الجماعة من اولياء القاتل الذين يعقلون عن ابن عباس قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقام الحدود في المساجد ولا يقتل الولد بالوالد اخرجه الترمذي
وذهب اصحاب الراي الى ان المسلم يقتل بالذمي والحر بالعبد وهذه الاية مع الاحاديث حجة لمذهب
الشافعي ومن وافقه ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله النفس بالنفس وان تلك واردة لحكاية
ما كتب على بني اسرائيل في التوراة وهذه الاية خطاب للمسلمين وذهب اصحاب الراي ان هذه منسوخة
بقوله النفس بالنفس وتقتل الجماعة بالواحد ويدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر
ان غلاما قتل غيلة فقال عمر لو اشترك فيه اهل صنعا لقتلتهم وقال البخاري وقال مغيرة بن حكيم عن ابيه
ان اربعة قتلوا صبيا فقال عمر مثله وروى مالك في الموطا عن ابن المسيب ان عمر قتل نفرا خمسة او سبعة
برجل واحد قتلوه غيلة وقال لو تمالا عليه اهل صنعا لقتلتهم جميعا الغيلة ان يقتل الرجل خديعة
ومكرا من غير ان يعلم ما يراد به وقوله لو تمالا اي تعاونوا واجتمعوا عليه وقوله تعالى فمن عفي له من اخيه
شيء اي ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد ورضي بالدية او العفو عنها وقبول
الدية في قتل العمد من اخيه اي من دم اخيه واراد بالاخ ولي المقتول وانما قيل له اخ لانه لابسه
من قبل انه ولي الدم والمطالب به وقيل انما ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بما هو
ثابت بينهما من الجنسية والاخوة الاسلام وفي قوله شيء دليل على ان بعض الاولياء اذا عفى سقط
القود وثبتت الدية لان شيئا من الدم قد بطل فاتباع بالمعروف اي فليتبع الولي القاتل بالمعروف
فلا ياخذ اكثر من حقه ولا يعنفه واداء اليه باحسان اي على القاتل اداء الدية الى ولي الدم من غير مماطلة
امر كل واحد منهما بالاحسان فيما له وعليه وقيل في تقدير الاية واذا عفى ولي الدم عن شيء
يتعلق بالقاتل وهو وجوب القصاص فليتبع القاتل ذلك العفو بمعروف وليؤد ما وجب
عليه من الدية الى ولي الدم باحسان من غير مطل ولا مدافعة وفي الاية دليل على ان القاتل
لا يصير كافرا وان الفاسق مومن ووجه ذلك من وجوه الاول ان الله تعالى خاطبه بعد القتل
بالايمان وسماه مومنا بقوله يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص فسماه مومنا حال ما وجب
عليه القصاص وانما وجب عليه بعد صدور القتل منه وقتل العمد العدوان من الكبائر
بالاجماع فدل على ان صاحب الكبيرة مومن الوجه الثاني انه تعالى اثبت الاخوة بين القاتل وولي

الدم

الدم بقوله فمن عفي له من اخيه شيء واراد بالاخوة اخوة الايمان فلولا ان الايمان باق على القاتل لم يثبت
له الاخوة الوجه الثالث انه تعالى ندب الى العفو عن القاتل والعفو لا يليق الا عن المومن لا عن
الكافر وقوله تعالى ذلك تخفيف من ربكم ورحمة يعني الذي ذكر من الحكم بشرع القصاص والعفو عن القصاص
واخذ الدية تخفيف من ربكم يعني خفف عنكم ورحمة وذلك لان العفو واخذ الدية كان حراما على
اليهود وكان القصاص حتما في التوراة وكان في شرع النصارى اخذ الدية ولم يكتب عليهم القصاص
وقيل كان عليهم العفو دون القصاص واخذ الدية فخير الله هذه الامة بين القصاص والعفو
او اخذ الدية توسعة عليهم وتفضيلا لهم على غيرهم فمن اعتدى بعد ذلك يعني بعد هذا التخفيف
فقتل الجاني بعد العفو وقبول الدية فله عذاب اليم وهو ان يقتل قصاصا ولا يقبل منه دية
ولا يعفى عنه وقيل المراد بالعذاب الاليم عذاب الاخرة قوله عز وجل ولكم في القصاص حياة اي بقاء وذلك
ان القاصد للقتل اذا علم انه اذا قتل قتل ترك ذلك القتل وامتنع عنه فيكون فيه بقاؤه وبقاء من
هم بقتله وقيل ان نفس القصاص سبب الحياة وذلك ان القاتل اذا اقتص منه ارتدع غيره ممن كان يهم
بالقتل واعلم ان هذا الحكم ليس مختصا بالقصاص الذي هو القتل بل يدخل فيه جميع الجراح والشجاج وغير ذلك
وذلك لان الجارح اذا علم انه اذا جرح جرح لم يجرح فيصير ذلك سببا لبقاء الجارح والمجروح وربما افضت
الجراحة الى الموت فيقتص من الجارح وقيل في معنى الاية ان الحياة سلامته من قصاص الاخرة فانه اذا
اقتص منه في الدنيا لم يقتص منه في الاخرة وفي ذلك حياة له واذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الاخرة
يا اولي الالباب اي يا ذوي العقول الذين يعرفون العواقب لان العاقل لا يريد اتلاف نفسه باتلاف غيره
لعلكم تتقون يعني لعلكم تنتهون عن القتل خوف القصاص قوله عز وجل كتب عليكم اي فرض واوجب
عليكم اذا حضر احدكم الموت اي قرب ودنا منه وظهرت علامته من العلل والامراض المخوفة وليس المراد منه
معاينة الموت لان في ذلك الوقت يعجز عن الايصاء ان ترك خيرا يعني مالا وقيل يطلق على القليل والكثير
وهو قول الزهري فتجب الوصية في الكل وقيل ان لفظة الخير لا تطلق الا على المال الكثير وهو قول
الاكثرين واختلفوا في مقدار الكثير الذي تجب فيه الوصية فقيل الف درهم فما زاد عليها وقيل سبعمائة
فما فوقها وقيل ستون دينارا فما فوقها وقيل من خمسمائة الى الف وقيل انه المال الكثير الفاضل عن العيال
وروي ان رجلا قال لعائشة اني اريد ان اوصي قالت كم مالك قال ثلاثة الاف درهم قالت كم
عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وهذا شيء يسير فاتركه لعيالك الوصية اي الايصاء والوصية
التقدم الى الغير بما يعمل به وقيل هو القول المبين لما يستانف من العمل والقيام به بعد الموت للوالدين
والاقربين كانت الوصية في ابتداء الاسلام فريضة للوالدين والاقربين على من مات وله مال وسببه
ذلك ان اهل الجاهلية كانوا يوصون للابعدين طلبا للفخر والشرف والرياء ويتركون الاقربين فقراء
فاوجب الله تعالى الوصية للاقربين ثم نسخت هذه الاية باية المواريث وبما روي عن عمرو بن خارجة
قال كنت اخذ بزمام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فسمعته يقول ان الله اعطى كل ذي
حق حقه فلا وصية لوارث اخرجه الترمذي والنسائي بنحوه وذهب ابن عباس الى ان
وجوبها صار منسوخا في حق من يرث وبقي في حق من لا يرث من الوالدين والاقربين
وهو قول الحسن ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار وحجة هولاء ان الاية دالة
على وجوب الوصية للوالدين والاقربين ثم نسخ ذلك الوجوب في حق من يرث باية الميراث

Copyright © King Saud University

وبالحديث المتقدم فوجب ان تبقى الاية دالة على وجوب الوصية للقريب الذي لا يرث فعلى قول هؤلاء النسخ يتناول بعض احكام الاية وذهب الاكثرون من المفسرين والعلماء وفقهاء الحجاز والعراق الى ان وجوبها صار منسوخا في حق الكافة وهي مستحبة في حق من لا يرث ويدل على استحباب الوصية والحث عليها ما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه وفي رواية له شيء يريد ان يوصي فيه يبيت ليلتين وفي رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا ووصيتي مكتوبة عندي اخرجه الجماعة قوله ما حق امرئ الحق معناه على الوجوب والندب والحث فحمل هنا على الحث في الوصية لانه لا يدري متى يأتيه الموت فربما اتاه بغتة فيمنعه عن الوصية وقوله تعالى **بالمعروف** اي بالعدل الذي لا وكس فيه ولا شطط فيزيد على الثلث ولا يوصي للغني ويدع الفقير (ق) عن سعد بن ابي وقاص قال جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت يا رسول الله انه قد بلغ بي من الوجع ما ترى وانا ذو مال ولا يرثني الا ابنة لي افاتصدق بثلث مالي قال لا قلت فالشطر يا رسول الله قال لا قلت فالثلث قال والثلث كثير او قال كبير انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس العالة الفقراء وقوله يتكففون الناس اي يكففون المسئلة من الناس كانه من الطلب بالاكف (ق) عن ابن عباس قال في الوصية لو ان الناس غضوا من الثلث الى الربع فان النبي صلى الله عليه وسلم قال الثلث والثلث كثير وقال علي بن ابي طالب لان اوصي بالخمس احب الي من ان اوصي بالربع وان اوصي بالربع احب الي من ان اوصي بالثلث فمن اوصى بالثلث فلم يترك وقيل يوصي بالسدس او الخمس او الربع **حقا** اي ثابتا ثبوت ندب لا ثبوت فرض ووجوب **على المتقين** اي على المؤمنين الذين يتقون الشرك **فمن بدله** اي غير الوصية من الاولياء والاوصياء وذلك التغيير يكون اما في الكتابة او في قسمة الحقوق او الشهود بان يكتموا الشهادة او بغير وجهها وانما ذكر الكناية في بدله لان الوصية مؤنثات الوصية بمعنى الايصاء كقوله فمن جاءه موعظة من ربه اي وعظ والتقدير فمن بدل قول الميت او ما اوصى به **بعد ما سمعه** اي من الموصي وتحققه **فانما اثمه على الذين يبدلونه** اي ان اثم ذلك التبديل لا يعود الا على المبدل والموصي لم يبرأ منه **ان الله سميع** يعني لما اوصى به الموصي **عليم** يعني بتبديل المبدل **فمن خاف** اي علم وهو خطاب عام لجميع المسلمين **من موص جنفا** يعني جورا في الوصية وعدولا عن الحق والجنف الميل **او اثما فاصلح بينهم** اي ظلما وقيل الجنف الخطا في الوصية والاثم العمد وقيل في معنى الاية انه اذا حضر رجل مريضا وهو يوصي فرآه يميل اما بتقصير او اسراف او وضع الوصية في غير موضعها فلا حرج عليه ان يامره بالعدل في وصيته وينهاه عن الحيف والميل وقيل انه اذا اخطأ الميت في وصيته او حاف متعمدا فلا حرج على وليه او وصيه او ولي امور المسلمين ان يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم ويرد الوصية الى العدل والحق **فلا اثم عليه** اي فلا حرج عليه في التصليح **ان الله غفور رحيم** اي لمن اصلح وصيته بعد الحيف والميل عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل والمراة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ ابو هريرة من بعد وصية يوصى بها او دين الى قوله ذلك الفوز العظيم اخرجه ابو داود والترمذي قوله فيضاران المضارة ايصال الضرر الى شخص ومعنى المضارة في الوصية ان لا تمضى او ينقص بعضها او يوصي لغير اهلها او يحيف في الوصية ونحو ذلك قوله عز وجل **يا ايها الذين آمنوا كتب** اي فرض **عليكم الصيام** والصوم في اللغة الامساك

يقال

يقال صام النهار اذا اعتدل وقام قائم الظهيرة ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا لانه امساك عن الكلام والصوم في الشرع عبارة عن الامساك عن الاكل والشرب والجماع في وقت مخصوص وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع النية **كما كتب على الذين من قبلكم** يعني الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم والمعنى ان الصوم عبادة قديمة اي في الزمن الاول ما اخلى الله امة لم يفرضه عليهم كما فرضه عليكم وذلك لان الصوم عبادة شاقة والشيء الشاق اذا عم سهل عمله وقيل ان صيام شهر رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا فصاموا رمضان زمانا فربما وقع الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق ذلك عليهم في اسفارهم ويضرهم في معايشهم فاجتمع راي علمائهم ورؤسائهم ان يجعلوه في فصل من السنة معتدل بين الصيف والشتاء فجعلوه في فصل الربيع ثم زادوا فيه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصاموا اربعين يوما ثم بعد زمان اشتكى ملكهم فمه فجعل لله عليه ان برئ من وجعه ان يزيد في صومهم اسبوعا فبرئ فزاد فيه اسبوعا ثم مات ذلك الملك بعد زمان ووليهم ملك آخر فقال ما شان هذه الثلاثة ايام اتموها خمسين يوما فاتموه وقيل اصابهم موتان فقالوا زيدوا في صيامكم فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده وقيل ان النصارى فرض الله عليهم صوم رمضان فصاموا قبله يوما وبعده يوما ثم لم يزالوا يزيدون يوما قبله ويوما بعده حتى بلغ خمسين فلذلك نهي عن صوم يوم الشك **لعلكم تتقون** يعني ما حرم عليكم في صيامكم لان الصوم وصلة الى التقوى لما فيه من كسر النفس وترك الشهوات من الاكل والجماع وغيرهما وقيل معناه لعلكم تتقون ما فعله النصارى من تغير الصوم وقيل لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم من شعارهم **اياما معدودات** اي مقدرات وقيل قليلات قيل انه كان في ابتداء الاسلام صوم ثلاثة ايام من كل شهر واجبا وصوم يوم عاشوراء ثم نسخ ذلك بفرضية صوم شهر رمضان قال ابن عباس اول ما نسخ بعد الهجرة امر القبلة ثم الصوم (ق) عن عائشة قالت كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وامر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه وقيل ان المراد من قوله اياما معدودات ايام شهر رمضان ووجهه ان الله تعالى لما قال كتب عليكم الصيام وهذا يحتمل صوم يوم ويومين ثم بينه بقوله معدودات على انه اكثر من ذلك لكنها غير مخصصة بعدد ثم بين حصرها بقوله شهر رمضان فاذا امكن ذلك فلا وجه لحمل الايام المعدودات على غير رمضان فتكون الاية غير منسوخة يقال ان فرضية رمضان نزلت في السنة الثانية من الهجرة وذلك قبل غزوة بدر بشهر وايام وكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان على راس ثمانية عشر شهرا من الهجرة **فمن كان منكم مريضا او على سفر** اي فافطر فعليه عدة **فعدة من ايام اخر** يعني غير ايام مرضه وسفره **وعلى الذين يطيقونه** اي يطيقون الصوم واختلف العلماء في هذه الاية فذهب اكثرهم الى انها منسوخة وهو قول عمر بن الخطاب وسلمة بن الاكوع وغيرهما وذلك انهم كانوا في ابتداء الاسلام مخيرين بين ان يصوموا وبين ان يفطروا ويفدوا فخيرهم الله تعالى لئلا يشق عليهم لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فصارت هذه الاية ناسخة للتخيير (ق) عن سلمة بن الاكوع قال لما نزلت هذه الاية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من اراد ان يفطر ويفتدي حتى نزلت هذه الاية التي بعدها فنسختها وفي رواية حتى نزلت هذه الاية فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقال قتادة هي خاصة في حق الشيخ الكبير الذي لا يطيق الصوم ولكن يشق عليه رخص له ان يفطر ويفدي ثم نسخ ذلك وقال

الحسن هذا في المريض الذي يقع عليه اسم المرض وهو لا يستطيع الصوم خير بين الصيام وبين ان يفطر ويفدي
ثم نسخ وذهب جماعة منهم ابن عباس الى ان الآية محكمة غير منسوخة ومعناها وعلى الذين كانوا يطيقونه
في حال الشباب ثم عجزوا عنه عند الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم وقرا ابن عباس وعلى الذين يطيقونه بضم
الياء وفتح الطاء والواو المشددة المفتوحة عوض الياء ومعناه يكلفون الصوم خ عن عطاء انه سمع ابن عباس
يقرا وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين قال ابن عباس ليست بمنسوخة فهو الشيخ الكبير والمرأة
الكبيرة لا يستطيعان ان يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا فدية طعام مسكين الفدية الجزاء وهو القدر
الذي يبذله الانسان يقي به نفسه من تقصير وقع منه في عبادة ونحوها ويجب على من افطر في رمضان
ولم يقدر على القضاء للكبر ان يطعم مكان كل يوم مسكينا مدا من غالب قوت البلد وهذا قول فقهاء الحجاز وقال بعض
فقهاء العراق عليه لكل مسكين نصف صاع عن كل يوم وقال بعضهم نصف صاع من البر وصاعا من غيره وقال
ابن عباس يعطي كل مسكين عشاءه وسحوره فمن تطوع خيرا فهو خير له يعني زاد على مسكين واحد فاطعم عن
كل يوم مسكينين فاكثر وقيل فمن زاد على القدر الواجب عليه فاطعم صاعا وعليه مد المد نصف صاع
فهو خير له وان تصوموا خير لكم قيل هو خطاب مع الذين يطيقونه فيكون المعنى وان تصوموا ايها المطيقون
وتحملوا المشقة فهو خير لكم من الافطار والفدية وقيل هو خطاب مع الكافة وهو الاصح لان اللفظ
عام فرجوعه الى الكل اولى ان كنتم تعلمون يعني ان الصوم خير لكم وقيل معناه ان صمتم علمتم ما في الصوم من
المعاني المورثة للخير والتقوى واعلم انه لا رخصة لاحد من المسلمين المكلفين في افطار رمضان بغير
عذر والاعذار المبيحة للفطر ثلاثة احدها السفر والمرض والحيض والنفاس فهؤلاء اذا افطروا فعليهم
القضاء دون الكفارة الثاني الحامل والمرضع اذا خافتا على ولديهما افطرتا وعليهما القضاء والكفارة واليه
ذهب الشافعي وذهب اهل الراي الى انه لا فدية عليهما الثالث الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة والمريض
الذي لا يرجى برؤه فعليهم الكفارة دون القضاء قوله عز وجل شهر رمضان يعني وقت صيامكم شهر
رمضان سمي الشهر شهرا لشهرته يقال شهر الشيء اذا ظهر وسمي الهلال شهرا لشهرته وبيانه وقيل سمي
الشهر شهرا باسم الهلال واما رمضان فاشتقاقه من الرمضاء وهي الحجارة المحماة من حر الشمس وقيل انهم لما
نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض
الحر فسمي به وقيل ان رمضان اسم من اسماء الله تعالى فيكون معناه شهر الله والاصح ان رمضان اسم
لهذا الشهر كشهر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان الذي انزل فيه القرآن لما خص الله شهر رمضان
بهذه العبادة العظيمة بين سبب تخصيصه بانزال اعظم كتبه فيه والقرآن اسم لهذا الكتاب
المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم روي عن الشافعي انه كان يقول القرآن اسم وليس بمهموز
وليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والانجيل فعلى هذا القول انه ليس بمشتق
وذهب الاكثرون الى انه مشتق من القرء وهو الجمع فسمي قرآنا لانه يجمع السور والآيات بعضها
الى بعض ويجمع الاحكام والقصص والامثال والآيات الدالة على وحدانية الله تعالى قال
ابن عباس نزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ ليلة القدر من شهر رمضان
فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا ثم نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث
وعشرين سنة فذلك قوله فلا اقسم بمواقع النجوم وروى ابو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال نزلت صحف ابراهيم في ثلاث ليال مضين من رمضان وانزل زبور داود في ست

عشرة

عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم في الرابعة
والعشرين لست بقين بعدها فعلى هذا يكون ابتداء نزول القرآن على محمد صلى الله عليه
وسلم في شهر رمضان وهو قول ابن اسحاق وابي سليمان الدمشقي وقيل في معنى الآية
شهر رمضان الذي نزل بايجاب صيامه القرآن كما تقول نزلت هذه الآية في الصلاة والزكاة
ونحو ذلك من الفرائض يروى ذلك عن مجاهد والضحاك وهو اختيار الحسين بن الفضل هدى
للناس يعني من الضلالة وبينات من الهدى والفرقان **فان قلت** ما فيه اشكال
وهو انه قال اولا هدى للناس ثم قال وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس **قلت**
انه تعالى ذكر اولا انه هدى ثم الهدى على قسمين تارة يكون هديا جليا وتارة لا يكون
كذلك فكانه قال هو هدى في نفسه ثم قال وهو المبين من الهدى الفارق بين الحق
والباطل وقيل ان القرآن هدى في نفسه فكانه قال ان القرآن هدى للناس على الاجمال
وبينات من الهدى والفرقان على التفصيل لان البينات هي الدلالات الواضحات التي
يبين بها الحلال والحرام والحدود والاحكام ومعنى الفرقان الفارق بين الحق والباطل قوله
عز وجل فمن شهد منكم الشهر فليصمه اي من كان حاضرا مقيما غير مسافر فادركه الشهر فليصمه
والشهود الحضور وقيل هو محمول على العادة يعني مشاهدة الشهر وهي رؤية الهلال وذلك لانه
قال النبي صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته اخرجاه في الصحيحين
ولا خلاف انه يصوم رمضان من رأى الهلال ومن اخبر به واختلف العلماء في صفة الخبر
فمنهم من يرى قبول خبر الواحد قاله ابو ثور ومنهم من اجراه مجرى الشهادات في سائر
الحقوق قاله مالك ومنهم من اجراه مجرى الاخبار فقبل فيه خبر الواحد العدل ومنهم من
اجراه مجرى الشهادة فلا يقبل فيه اقل من اثنين قاله الشافعي وهذا
للاحتياط في امر العبادة في دخولها وخروجها ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر انما كرره
لان الله تعالى ذكر في الآية الاولى تخيير المريض والمسافر والمقيم الصحيح ثم نسخ تخيير المقيم
الصحيح بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فلو اقتصر على هذا لاحتمل ان يشمل النسخ الجميع فاعاد
بعد ذكر الناسخ الرخصة للمريض والمسافر ليعلم ان الحكم باق على ما كان عليه **فصل**
في حكم الآية وفيه مسائل الاولى اختلفوا في المرض المبيح للفطر على ثلاثة اقوال احدها وهو قول
اهل الظاهر اي مرض كان وهو ما يطلق عليه اسم المرض فله ان يفطر تنزيلا للفظ المطلق على
اقل احواله واليه ذهب الحسن وابن سيرين القول الثاني وهو قول الاصم ان هذه الرخصة
مختصة بالمريض الذي لو صام لوقع في مشقة عظيمة تنزيلا للفظ المطلق على اكمل احواله القول
الثالث وهو قول اكثر الفقهاء ان المرض المبيح للفطر هو الذي يؤدي الى ضرر في النفس او زيادة
علة غير محتملة كالمحموم اذا خاف انه لو صام اشتدت حماه وصاحب وجع العين يخاف لو صام ان
وجع عينيه قال المراد بالمرض ما يؤثر في تعويضه قال الشافعي اذا اجهده الصوم افطر والا
فهو كالصحيح المسئلة الثانية الفطر في السفر مباح والصوم جائز وبه قال عامة العلماء وقال
ابن عباس وابو هريرة وبعض اهل الظاهر لا يجوز الصوم في السفر ومن صام فعليه القضاء واحتجوا
بقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر وحمله عامة العلماء على من اجهده الصوم

Copyright © King Saud University

في السفر فالاولى له الفطر ويدل على ذلك ما روى عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فراى زحاما ورجلا قد ظلل عليه فقال ما هذا قالوا صايم فقال ليس من البر الصيام في السفر اخرجه البخاري ومسلم وحجة الجمهور على جواز الصوم والفطر في السفر ما روى عن انس قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فلم يعب الصايم على المفطر ولا المفطر على الصايم اخرجاه في الصحيحين المسيلة الثالثة اختلف العلما في قدر السفر المبيح للفطر فقيل مسيرة يوم واحد وقال الشافعي واحمد ومالك اقله مسيرة ستة عشر فرسخا يومان وقال ابو حنيفة واصحابه اقله مسيرة ثلاثة ايام المسيلة الرابعة اذا استهل الشهر وهو مقيم ثم انشا السفر في اثنايه جاز له ان يفطر حالة السفر ويجوز له ان يصوم في بعض السفر وان يفطر في بعضه ان احب يدل عليه ما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم افطر وافطر الناس معه وكانوا ياخذون بالاحدث فالاحدث من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين الكديد اسم موضع وهو على ثمانية واربعين ميلا من مكة المسيلة الخامسة اختلفوا في الافضل فذهب الشافعي الى ان الصوم افضل من الفطر في السفر وبه قال مالك وابو حنيفة وقال احمد الفطر افضل من الصوم في السفر وقالت طايفة من العلما هما سوا وافضل الامرين ايسرهما لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر المسيلة السادسة يبيح الفطر كل سفر مباح ليس بمعصية ولا يجوز للعاصي ان يترخص برخص الشرع وقوله تعالى فعدة من ايام اخر معناه فافطر فعليه عدة من ايام اخر فظاهر هذا انه يجوز قضا الصوم متفرقا وان كان التتابع اولى وفيه ايضا وجوب القضا من غير تعيين لزمن القضا فيدل على جواز التراخي في القضا ويدل عليه ما روى عن عايشة قالت كان يكون علي الصوم من رمضان فما استطيع ان اقضي الا في شعبان وذلك من الشغل بالنبي صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين يريد الله بكم اليسر اي التسهيل في هذه العبادة وهو اباحة الفطر للمسافر والمريض ولا يريد بكم العسر اي وقد نفى عنكم الحرج في امر الدين قيل ما خير رجل بين امرين الا اختار ايسرهما الا كان ذلك احب الى الله تعالى ولتكملوا العدة اي عدد الايام التي افطر فيها لعذر السفر والمرض والحيض لتقضوها ولتعددوها وقيل اراد عدد ايام الشهر عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاقدروا له وفي رواية فاكملوا العدة ثلاثين ولتكبروا الله فيه قولان احدهما انه التكبير ليلة العيد قال ابن عباس حق على المسلمين اذا راوا هلال شوال ان يكبروا وقال الشافعي واحب اظهار التكبير في العيدين وبه قال مالك واحمد وابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة لا يكبر في عيد الفطر ويكبر في عيد الاضحى حجة الشافعي ومن تبعه قوله تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم قال معناه ولتكملوا عدة صوم رمضان ولتكبروا الله على ما هداكم الى هذه العبادة القول الثاني في معنى قوله على ما هداكم اي ولتعظموا الله تعالى شكرا على ما انعم عليكم ووفقكم لهذه العبادة ولعلكم تشكرون الله على نعمه

فصل في فضل شهر رمضان وفضل صيامه

ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل رمضان صفدت الشياطين وفتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار والصفد الغل اي شدوه بالاغلال ق عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له

ما تقدم

ما تقدم من ذنبه قوله ايمانا واحتسابا اي طلبا لوجه الله تعالى وثوابه وقيل ايمانا بانه فرض عليه واحتسابا ثوابه عند الله وقيل معناه نية وعزيمة وهو ان يصوم على التصديق والرغبة في ثوابه طيبة بها نفسه غير كاره ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل عمل ابن ادم يضاعف الحسنة عشر امثالها الى سبعماية ضعف قال الله تعالى الا الصوم فانه لي وانا اجزي به يدع شهوته وطعامه من اجلي للصايم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقا ربه ولخلوف فم الصايم اطيب عند الله من ريح المسك زاد في رواية والصوم جنة فاذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث يوميذ ولا يصخب فان شاتمه احد او قاتله فليقل اني صايم قوله كل عمل ابن ادم له معناه ان له فيه حظا لاطلاع الخلق عليه الا الصوم فانه لا يطلع عليه احد وانما خص الصوم بقوله تعالى لي وان كانت جميع الاعمال الصالحة له وهو يجزي عليها لان الصوم لا يظهر من ابن ادم بقول ولا فعل حتى تكتبه الحفظة وهو من اعمال القلوب بالنية ولا يطلع عليه الا الله تعالى فقوله تعالى انا اتولى جزاه على ما احب لا على حساب ولا كتاب له وقوله وللصايم فرحتان فرحة عند فطره اي بالطعام لما بلغ به الجوع لتاخذ النفس حاجتها منه وقيل فرحته بما وفق له من اتمام الصوم الموعود عليه بالثواب وهو قوله وفرحة عند لقا ربه لما يرى من جزيل ثوابه ولخلوف بضم الخا وفتحها لغتان وهو تغير طعم الفم وريحه لتاخر الطعام ومعنى قوله اطيب عند الله من ريح المسك هو الثنا على الصايم والرضى بفعله لييلا يمتنع من المواظبة على الصوم الجالب للخلوف والمعنى ان خلوف فم الصايم ابلغ عند الله في القبول من ريح المسك عند احدكم قوله الصيام جنة اي حصن من المعاصي لان الصوم يكسر الشهوة فلا يواقع المعاصي قوله فلا يرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الانسان من المراة وقيل هو التصريح بذكر الجماع والصخب الضجر والجلبة والصياح ق عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصايمون يوم القيامة يقال اين الصايمون فيقومون لا يدخل منه احد غيرهم فاذا دخلوا اغلق فلم يدخل منه احد وفي رواية ان في الجنة ثمانية ابواب منها باب يسمى الريان لا يدخله الا الصايمون عن ابي امامة قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله مرني بامر ينفعني الله به قال عليك بالصوم فانه لا مثل له وفي رواية اي العمل افضل قال عليك بالصوم فانه لا عدل له اخرجه النساي قوله عز وجل واذا سالك عبادي عني فاني قريب قال ابن عباس قال يهود المدينة يا محمد كيف يسمع ربنا دعانا وانت تزعم ان بيننا وبين السما خمسماية عام وان غلظ كل سما مثل ذلك فنزلت هذه الاية وقيل سال بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه وقيل انهم سالوه في اي ساعة ندعو ربنا فنزلت وقيل انهم قالوا اين ربنا فنزلت هذه الاية وهذا السوال لا يخلو اما ان يكون عن ذات الله او عن صفاته او عن افعاله اما السوال عن ذات الله فهو سوال عن القرب والبعد بحسب الذات واما السوال عن صفاته تعالى فهو ان يكون السايل قال هل يسمع ربنا دعانا اذا دعوناه فقوله تعالى واذا سالك عبادي عني فيحتمل هذه الوجوه كلها وقوله تعالى فاني قريب فمعناه قريب بالعلم والحفظ لا يخفى علي شي وفيه اشارة الى سهولة اجابته لمن دعاه وانجاح حاجة من ساله ق عن ابي موسى الاشعري قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University

خيرا وقال توجه الى خيبر اشرف الناس على واد فرفعوا اصواتهم بالتكبير الله اكبر لا اله الا الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس اربعوا على انفسكم اى ارفقوا بها وقيل معناه امسكوا
عن الجهر فانه قريب سميع دعاكم قوله تعالى اجيب دعوة الداع اذا دعان اى اسمع دعا عبدى الداعى اذا
دعان وقيل الدعا عبارة عن التوحيد والثنا على الله تعالى كقول العبد يا الله لا اله الا انت فقولك
يا الله فيه دعا وقوله لا اله الا انت فيه توحيد وثنا على الله تعالى فسمى هذا دعا بهذا الاعتبار
وسمى قبوله اجابة لتجانس اللفظ وفيه اشارة الى ان العبد يعلم ان له ربا باخلاص وتفرع
اجاب الله دعوته **فان قلت** انا نرى الداعى يبالغ فى الدعا والتضرع فلا يجاب
له فما وجه قوله اجيب دعوة الداعى وقوله تعالى ادعونى استجب لكم **قلت** ذكر
العلما فيه اجوبة احدها ان الاية مطلقة وقد وردت اخرى مقيدة وهى قوله بل اياه تدعون
فيكشف ما تدعون اليه ان شا والمطلق يحمل على المقيد وثانيها ان معنى الدعا هو الطاعة
ومعنى الاجابة هو الثواب وذلك فى الاخرة وثالثها ان معنى الايتين خاص وان كان
لفظهما عاما فيكون المعنى اجيب دعوة الداعى اذا وافق القضا او اجيبه ان كانت الاجابة
خيرا له او اجيبه اذا لم يسال اثما او محالا ورابعها ان معناها عام اى اسمع وهو معنى الاية المذكورة
فى الاية واما اعطا الامنية فليس بمذكور فالاجابة حاصلة عند وجود الدعوة وقد يجيب السيد
عبده ولا يعطيه سوله وخامسها ان للدعا ادابا وشروطا وهى اسباب الاجابة فمن استعملها واتى بها كان من
اهل الاجابة ومن اخطاها فهو من اهل الاعتدا فى الدعا فلا يستحق الجواب والله اعلم وقوله تعالى فليستجيبوا
لى يعنى اذا دعوتهم الى الايمان والطاعة كما انى اجيبهم اذا دعونى لحوائجهم والاجابة فى اللغة الطاعة
فالاجابة من العبد الطاعة ومن الله الاثابة والعطا وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون اى لكى يهتدوا
الى مصالح دينهم ودنياهم **فصل** فى الدعا وادابه خ م عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سما الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخر فيقول من يدعونى فاستجيب
له من يسالنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له هذا الحديث من احاديث الصفات وفيه مذهبان
مشهوران للعلما احدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين انه يجب الايمان به وبانه حق
على ما يليق به ويكل علمه الى الله تعالى ورسوله وان ظاهره المتعارف فى حقنا غير مراد ولا تتكلم فى تاويله مع
اعتقادنا تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات والمذهب الثانى مذهب اكثر
المتكلمين وجماعة من السلف انها تاول على ما يليق به فعلى هذا نقل عن مالك وغيره ان معناه تنزل رحمته
وامره وملائكته وقيل انه على الاستعارة ومعناه الاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وفى الحث
على الدعا والترغيب فيه عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم حى كريم يستحيى
من عبده اذا رفع اليه يديه ان يردهما صفرا خائبتين اخرجه ابو داود والترمذى وقال حديث حسن
غريب الصفر الخالى يقال بيت صفر ليس فيه متاع عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما على الارض مسلم يدعو الله بدعوة الا اتاه الله اياها او صرف عنه من السو مثلها ما لم يدع باثم او
قطيعة رحم فقال رجل من القوم اذا نكثر قال الله اكثر اخرجه الترمذى قوله الله اكثر معناه الله اكثر اجابة
عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان
الله لا يستجيب دعا من قلب غافل لاه اخرجه الترمذى وقال حديث غريب عن ابى هريرة ان رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم قال الدعا مخ العبادة وله عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
فتح له باب الدعا فتحت له ابواب الرحمة وما يسال الله شيا احب اليه من ان يسال العافية وان الدعا ينفع
مما نزل ومما لم ينزل وله عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرد القضا الا الدعا ولا يزيد فى
العمر الا البر وله عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يسال الله يغضب عليه م ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول قد دعوت فلم يستجب لى ولمسلم قال لا
يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم او قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال
يقول قد دعوت وقد دعوت فلم يستجيب لى فيستحسر عند ذلك ويدع الدعا قوله يستحسر اى يستنكف
عن السوال واصله من حسر الطرف اذا كل وضعف ق عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا دعا احدكم فلا يقول اللهم اغفر لى ان شئت اللهم ارحمنى ان شئت ولكن ليعزم مسالته فان الله لا مكره
له زاد البخارى ارزقنى ان شئت ليعزم مسالته فانه يفعل ما يشا لا مكره له ليعزم المسالة اى
لا تكن فى دعائك ربك مترددا بل اعزم وجد فى المسالة عن فضالة بن عبيد قال سمع النبى
صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو فى صلاته فلم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى عجل هذا
ثم دعاه فقال له او لغيره اذا صلى احدكم فليبدا بحمد الله والثنا عليه ثم ليصل على النبى صلى الله عليه
وسلم ثم ليدعو بما شا اخرجه الترمذى وقال حديث صحيح قوله عز وجل احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم
سبب نزول هذه الاية انه كان فى ابتدا الامر بالصوم اذا افطر الرجل حل له الطعام والشراب
والجماع الى ان يصلى العشا الاخرة او يرقد قبلها فاذا صلى او رقد حرم عليه ذلك كله الى الليلة القابلة
ثم ان عمر بن الخطاب واقع اهله بعد ما صلى العشا فلما اغتسل اخذ يبكى ويلوم نفسه ثم اتى النبى
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اعتذر الى الله واليك من هذه الخطية انى رجعت الى اهلى
بعد ما صليت العشا فوجدت رائحة طيبة فسولت لى نفسى فجامعت اهلى فقال النبى صلى الله
عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بمثل ذلك فنزلت فى عمر واصحابه
احل لكم اى ابيح لكم ليلة الصيام اراد بالليلة ليالى الصيام الرفث الى نسائكم الرفث كلام يستقبح ذكره من ذكر
الجماع ودواعيه وهو هنا كناية عن الجماع قال ابن عباس ان الله تعالى حيى كريم يكنى فما ذكره من المباشرة
والملامسة وغير ذلك انما هو الجماع هن لباس لكم اى سكن لكم وانتم لباس لهن اى سكن لهن قيل لا يسكن
شى الى شى كسكون احد الزوجين الى الاخر وسمى كل واحد من الزوجين لباسا لتجردهما عند النوم واجتماعهما
فى ثوب واحد عند النوم وقيل اللباس اسم لما يوارى فيكون كل واحد منهما سترا لصاحبه عما
لا يحل كما فى الحديث من تزوج فقد احرز ثلثى دينه علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم قال ابن عباس
يريد فيما ائتمنكم عليه وخيانتهم انهم كانوا يباشرون ليالى الصوم والمعنى يظلمونها بالمجامعة بعد
العشا وهو من الخيانة واصل الخيانة ان يؤتمن الرجل على شى فلا يؤدى فيه الامانة ويقال للعاصى
خائن لانه مؤتمن على دينه فتاب عليكم اى فتبتم فتاب عليكم وتجاوز عنكم وعفا عنكم اى محا ذنوبكم
خ عن البرا قال لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النسا رمضان كله فكان رجال يخونون انفسهم
فانزل الله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم الاية قال ابن عباس فكان ذلك
مما نفع الله به الناس ورخص لهم ويسر فالان باشروهن اى جامعوهن فهو حلال لكم فى ليالى الصوم
وسميت المجامعة مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد بصاحبه وابتغوا ما كتب الله لكم اى ما قضى فى اللوح

Copyright © King Saud University

المحفوظ يعني الولد وقيل وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم باباحة الاكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ
وقيل اطلبوا ليلة القدر وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود نزلت في صرمة بن
قيس بن صرمة الانصاري ويقال قيس بن صرمة وذلك انه ظل يعمل في ارضه وهو صائم فلما
امسى رجع الى اهله بتمر وقال لاهله قدمي الطعام فارادت المراة ان تطعمه شيئا سخنا فاخذت
المراة تعمل له ذلك فلما فرغ فاذا هو قد نام وقد اعيى من التعب فايقظته فكره ان يعصي الله ورسوله
وابى ان ياكل واصبح صائما مجهودا فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه فلما افاق اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فلما راه قال يا ابا قيس ما لك امسيت طليحا اي مهزولا مجهودا خ عن البراء قال كان اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار فنام قبل ان يفطر لم ياكل ليلته ولا يومه
حتى يمسي وان قيس بن صرمة الانصاري كان صائما فلما حضر الافطار اتى امراته فقال اعندك طعام
قالت لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عيناه فجاءته امراته فلما راته قالت خيبة لك
فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية احل لكم ليلة
الصيام الرفث الى نسائكم ففرحوا بها فرحا شديدا ونزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض
من الخيط الاسود بياض النهار من سواد الليل وسميا خيطا لان كل واحد منهما يبدو ممتدا في الافق
كالخيط قال الشاعر ۞ فلما اضاءت لنا سدفة ۞ ولاح من الصبح خيط انارا ۞ السدفة اختلاط
الظلام واسدف الفجر اضاء ۞ ق عن سهل بن سعد قال لما نزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط
الابيض من الخيط الاسود ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط
الابيض والخيط الاسود ولا يزال ياكل حتى يتبين له رؤيتهما فانزل الله بعد من الفجر فعلموا انه
انما يعني الليل والنهار ق عن عدي بن حاتم قال لما نزلت حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط
الاسود عمدت الى عقال اسود وعقال ابيض فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت انظر في الليل فلا
يستبين لي فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال انما ذلك سواد
الليل وبياض النهار ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بلالا يؤذن بليل
فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن ام مكتوم قال وكان ابن ام مكتوم رجلا اعمى لا ينادي حتى يقال له اصبحت
اصبحت واعلم ان الفجر الذي يحرم به على الصائم الطعام والشراب والجماع هو الفجر الصادق
المستطير المنتشر في الافق سريعا لا الفجر الكاذب المستطيل **فان قلت**
كيف شبه الصبح الصادق بالخيط والخيط مستطيل والصبح الصادق ليس بمستطيل
قلت ان القدر الذي يبدو من البياض هو اول الصبح يكون دقيقا صغيرا
ثم ينتشر فلهذا شبه بالخيط والفرق بين الفجر الصادق والفجر الكاذب ان الفجر الكاذب يبدو في
الافق فيرتفع مستطيلا ثم يضمحل ويذهب ثم يبدو الفجر الصادق بعده منتشرا في الافق مستطيرا
م عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغرنكم من سحوركم اذان بلال ولا
ولا بياض الافق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا وحكاه حماد بيديه قال يعني معترضا
وفي رواية الترمذي لا يمنعكم من سحوركم اذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير
في الافق فاذا تحقق طلوع الفجر الثاني فهو الصادق فحرم على الصائم الطعام والشراب والجماع
الى غروب الشمس وهو قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل يعني ينتهي الصيام الى الليل فاذا دخل

الليل حصل الفطر ق عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل من هاهنا
وادبر النهار من هاهنا وغربت الشمس فقد افطر الصائم وهل يلزم الصائم ان يتناول عند غروب الشمس
شيئا فيه وجهان احدهما نعم يلزم ذلك لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الوصال والثاني لا لانه قد حصل
الفطر بمجرد دخول الليل سواء اكل او لم ياكل وتمسكت الحنفية بهذه الاية في ان صوم النفل يجب
اتمامه وقالوا لان قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل امر وهو للوجوب وهو يتناول كل الصيام واجاب
اصحاب الشافعي عنه بان هذا انما ورد في احكام صوم الفرض فكان المراد منه صوم الفرض ويدل
على اباحة الفطر من النفل ما روي عن عائشة قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال
هل عندكم شيء قلنا لا قال فاني اذا صائم ثم اتانا يوما اخر فقلنا يا رسول الله اهدي لنا حيس
قال ارينيه فلقد اصبحت صائما فاكل اخرجه مسلم الحيس هو خلط الاقط والتمر والسمن وقد
يجعل عوض الاقط دقيق او فتيت وقيل هو التمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والاول اعرف قوله
عز وجل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد الاعتكاف هو الاقبال على الشيء والملازمة على سبيل التعظيم
وهو في الشرع عبارة عن الاقامة في المسجد على عبادة الله تعالى وسبب نزول هذه الاية ان
نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعتكفون في المسجد فاذا عرض لرجل منهم حاجة
الى اهله خرج اليها وخلا بها ثم اغتسل ورجع الى المسجد فنهوا عن ذلك حتى يفرغوا من اعتكافهم واعلم ان
الله تعالى بين ان الجماع يحرم على الصائم بالنهار ويباح له بالليل فكان يحتمل ان يكون حكم الاعتكاف
كحكم الصوم فبين الله تعالى في هذه الاية ان الجماع يحرم على المعتكف في النهار والليل حتى يخرج من اعتكافه
فصل في حكم الاعتكاف والاعتكاف سنة ولا يجوز في غير المسجد وذلك لان المسجد يتميز عن
سائر البقاع بالفضل لانه بني لاقامة الطاعات والعبادات ثم اختلفوا فنقل عن علي انه لا يجوز
الا في المسجد الحرام لقوله وطهر بيتي للطائفين والعاكفين فخصه به وقال عطاء لا يجوز الا في المسجد
الحرام ومسجد المدينة وقال حذيفة يجوز في هذين المسجدين ومسجد بيت المقدس وقال الزهري
لا يصح الا في الجامع وقال ابو حنيفة لا يجوز الا في مسجد له امام ومؤذن وقال الشافعي ومالك واحمد
يجوز في سائر المساجد لعموم قوله وانتم عاكفون في المساجد الا ان المسجد الجامع افضل حتى لا يحتاج
الى الخروج من معتكفه لصلاة الجمعة ق عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف
العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف ازواجه بعده ق عن ابن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان **فروع** الاول يجوز
الاعتكاف بغير صوم والافضل ان يصوم معه وقال ابو حنيفة الصوم شرط في الاعتكاف ولا يصح الا
به وحجة الشافعي ما روي عن ابن عمر قال يا رسول الله اني نذرت في الجاهلية ان اعتكف ليلة في المسجد
الحرام قال فاوف بنذرك اخرجاه في الصحيحين ومعلوم انه لا يصح الصوم في الليل **الفرع الثاني**
لا يتقدر الاعتكاف بزمان عند الشافعي واقله لحظة ولا حد لاكثره فلو نذر اعتكاف ساعة صح نذره
ولو نذر ان يعتكف مطلقا يخرج من نذره باعتكاف ساعة قال الشافعي واحب ان يعتكف يوما
وانما قال ذلك للخروج عن الخلاف فان اقل مدة الاعتكاف عند مالك وابي حنيفة يوم وشرطه ان يدخل
فيه قبل طلوع الفجر ويخرج منه بعد غروب الشمس **الفرع الثالث** الجماع حرام في حال الاعتكاف
ويفسد به واما ما دون الجماع كالقبلة ونحوها فمكروه ولا يفسد به عند اكثر العلماء وهو اظهر قولي الشافعي

Copyright © King Saud University

يبطل به وهو قول مالك وقيل ان انزل بطل اعتكافه وان لم ينزل فلا وهو قول ابى حنيفة واما
الملامسة بغير شهوة فجايز ولا يفسد به الاعتكاف فلما روى عن عايشة انها كانت ترجل النبى صلى
الله عليه وسلم وهى حايض وهو معتكف فى المسجد وهى فى حجرتها يناولها راسه زاد فى رواية وكان
لا يدخل البيت الا لحاجة اذا كان معتكفا وفى رواية وكان لا يدخل الا لحاجة الانسان اخرجاه
فى الصحيحين الترجيل تسريح الشعر وقولها الا لحاجة فحوايج الانسان كثيرة والمراد منها هنا كل
ما يضطر الانسان اليه مما لا يجوز له فعله فى المسجد وموضع معتكفه وقوله تعالى تلك حدود
الله يعنى تلك الاحكام التى ذكر فى الصيام والاعتكاف من تحريم الاكل والشرب والجماع حدود الله
وقيل حدود الله فرايض الله واصل الحد فى اللغة المنع والحد الحاجز بين الشيئين الذى يمنع اختلاط
احدهما بالاخر وحد الشى الوصف المحيط بمعناه المميز له عن غيره وقيل معنى حدود الله المقادير
التى قدرها ومنع من مخالفتها فلا تقربوها اى فلا تاتوها ولا تغشوها **فان قلت**
فى الاية اشكالان اما الاول فانه قال تلك حدود الله وهو اشارة الى ما تقدم من الاحكام وبعضها
فيه اباحة وبعضها فيه حظر فكيف قال فى الجميع فلا تقربوها الاشكال الثانى وهو انه تعالى
قال فى هذه الاية تلك حدود الله فلا تقربوها وقال فى اية اخرى تلك حدود الله فلا تعتدوها
وفى اية اخرى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده فكيف الجمع بين هذه الايات **قلت**
الجواب عن السؤالين من وجهين اما الاشكال الاول فالجواب ان الاحكام التى تقدمت فيما قبل وان
كانت كثيرة الا ان اقربها الى هذه الاية قوله تعالى ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد وذلك يوجب
تحريم الجماع فى حال الاعتكاف وقال قبلها ثم اتموا الصيام الى الليل وذلك يوجب تحريم الاكل والشرب
فى النهار فلما كان اقرب الى هذه الاية جانب التحريم قال تلك حدود الله فلا تقربوها والجواب عن
الاشكال الثانى ان من كان فى طاعة الله تعالى والعمل بفرايضه فهو متصرف فى حيز الحق فنهى ان
يتعداه فيقع فى حيز الباطل ثم بولغ فى ذلك فنهى ان يقرب الحد الذى هو الحاجز بين حيزى الحق
والباطل لئلا يدنى الى الباطل فيقع فيه وقيل اراد بحقوقه هنا محارمه ومناهيه لقوله ولا
تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد ونحو هذا من التحريم فهى حدود فلا تقرب كذلك اى كما بين
لكم ما امركم به ونهاكم عنه كذلك يبين الله اياته اى معالم دينه واحكام شريعته للناس مثل هذا البيان
الشافى الوافى لعلهم يتقون اى لكى يتقوا ما حرم عليهم فينجوا من العذاب قوله عز وجل ولا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل نزلت فى امرى القيس بن عابس الكندى ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمى عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ارض فقال النبى صلى الله عليه وسلم للحضرمى الك بينة قال لا
قال لك يمينه فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان حلف على ماله لياكله
ظلما ليلقين الله وهو عنه معرض فانزل الله هذه الاية والمعنى لا ياكل بعضكم مال بعض بالباطل
اى من غير الوجه الذى اباحه الله له واصل الباطل الشى الذاهب **فصل** اما حكم الاية فاكل المال
بالباطل على وجوه الاول ان ياكله بطريق التعدى والنهب والغصب الثانى ان ياكله بطريق اللهو كالقمار
واجرة المغنى وثمن الخمر والملاهى ونحو ذلك الثالث ان ياكله بطريق الرشوة فى الحكم وشهادة الزور الرابع الخيانة
وذلك فى الوديعة والامانة ونحو ذلك وانما عبر عن اخذ المال بالاكل لانه المقصود الاعظم ولهذا وقع
فى التعارف فلان ياكل اموال الناس بمعنى ياخذها بغير حلها وتدلوا بها الى الحكام اى وتلقوا امور تلك

الاموال

الاموال التى بها الحكومة الى الحكام قال ابن عباس هذا الرجل يكون عليه مال وليس عليه بينة فيجحد
ويخاصم الى الحكام وهو يعلم ان الحق عليه وانه اثم بمنعه وقيل هو ان يقيم شهادة الزور عند الحاكم
وهو يعلم ذلك وقيل معناه ولا تاكلوا المال بالباطل وتنسبوه الى الحكام وقيل لا تدل بمال اخيك الى
الحاكم وانت تعلم انك ظالم فان قضاه لا يحل حراما وكان شريح القاضى يقول انى لا قضى لك
وانى لاظنك ظالما ولكن لا يسعنى ان اقضى بما يحضرنى من البينة وان قضاى لا يحل لك حراما
عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج اليهم فقال
انما انا بشر وانه ياتينى الخصم فلعل بعضهم ان يكون ابلغ من بعض وفى رواية الحن بحجته من بعض
فاحسب انه صادق فاقضى له فمن قضيت له بحق مسلم فانما هى قطعة من النار فليحملها او يذرها
قولها سمع جلبة خصم يعنى اصوات خصم قوله الحن بحجته يقال فلان الحن بحجته من فلان اى
اقوم بها منه واقدر عليها من اللحن بفتح الحا وهو الفطنة لتاكلوا فريقا اى طايفة وقطعة
من اموال الناس بالاثم يعنى الظلم وقال ابن عباس باليمين الكاذبة وقيل بشهادة الزور وانتم تعلمون
بطلانكم على الباطل قوله عز وجل يسالونك اى يا محمد عن الاهلة نزلت فى معاذ بن جبل وثعلبة بن
غنم الانصاريين قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يمتلى نورا ثم لا يزال
ينقص حتى يعود دقيقا كما بدا ولا يكون على حال واحدة فانزل الله يسالونك عن الاهلة وكان
هذا سوال منهم على وجه الفايدة عن وجه الحكمة فى تبيين القمر حتى يراه الناس ولهيلة من الشهر
قل هى مواقيت للناس جمع ميقات والمعنى انا فعلنا ذلك لمصالح دينية ودنيوية ليعلم الناس
اوقات حجهم وصومهم وافطارهم ومحل دينهم واجارتهم وعدد النسا واوقات الحيض وغير
ذلك من الاحكام المتعلقة بالاهلة ولهذا فالفرق بينه وبين الشمس التى هى دايمة على حالة واحدة
والحج اى وللحج وانما افرد الحج بالذكر وان كان داخلا فى جملة العبادات لفايدة عظيمة وهى ان العرب
فى الجاهلية كانت تحج بالعدد وتبدل الشهور فابطل الله ذلك من فعلهم واخبر ان الحج مقصور
على الاشهر التى عينها الله تعالى لفرض الحج بالاهلة وانه لا يجوز نقل الحج عن تلك الاشهر التى
عينها الله تعالى له كما كانت العرب تفعل بالنسى وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها عن البرا
قال نزلت هذه الاية فينا فكانت الانصار اذا حجوا فجاوا لم يدخلوا من قبل ابواب البيوت
فجا رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكانه عير بذلك فنزلت وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها
ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها وفى رواية كانوا اذا احرموا فى الجاهلية اتوا البيت من ظهره فانزل
الله هذه الاية وقيل كان الناس فى الجاهلية وفى اول الاسلام اذا احرم الرجل منهم لم يدخل حايطا
ولا دارا ولا فسطاطا وان كان من اهل المدر نقب نقبا فى ظهر بيته منه يدخل ويخرج منه سلما
ليصعد منه وان كان من اهل الوبر دخل وخرج من خلف الخبا ولا يدخل ولا يخرج من الباب ويرون ذلك
برا وكانت الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة ومن دان بدينهم سموا حمسا لتشددهم فى دينهم والحماسة
الشدة وكانوا اذا احرموا لم يدخلوا بيتا البتة ولم يستظلوا بظل فاتفق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخل حايطا فدخل رجل من الانصار معه وقيل كانت الحمس لا يبالون بذلك فاتفق ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم دخل ذات يوم بيتا فدخل على اثره رجل من الانصار يقال له رفاعة بن التابوت من الباب
وهو محرم فانكروا عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت من الباب وانت محرم فقال

Copyright King Saud University

رائتك دخلت فدخلت على اثرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني احمسي فقال الرجل ان كنت
احمسيا فانا احمسي رضيت بهديك وسمتك ودينك فانزل الله تعالى هذه الاية وقال الزهري
كان ناس من الانصار اذا اهلوا بالعمرة لم يحل بينهم وبين السماء شي وكان الرجل يخرج مهلا بالعمرة فتبدو
له الحاجة بعد ما خرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من اجل سقف الباب ان يحول بينه وبين
السماء فيفتح الجدار من ورائه ثم يقوم في حجرته فيامر بحاجته حتى بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل من الانصار من بني سلمة على اثره فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لم فعلت ذلك قال لاني رائتك دخلت فقال عليه الصلاة والسلام اني احمسي
فقال الانصاري وانا احمسي يقول انا على دينك فانزل الله تعالى وليس البر بان تاتوا البيوت من
ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها يعني في حال الاحرام وغيره واتقوا الله لعلكم تفلحون قوله عز وجل وقاتلوا
في سبيل الله اي في طاعة الله وطلب رضوانه ق عن ابي موسى قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء اي في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله الذين يقاتلونكم كان في ابتدا الاسلام امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكف عن قتال المشركين ثم لما هاجر الى المدينة امر بقتال من قاتله
منهم بهذه الاية قال الربيع بن انس هذه اول اية نزلت في القتال ثم امر الله بقتال المشركين كافة
قاتلوا او لم يقاتلوا بقوله تعالى فاقتلوا المشركين كافة وبقوله اقتلوهم حيث ثقفتموهم فصارت
اية السيف ناسخة لهذه الاية وقيل انها محكمة ومعناها على هذا القول وقاتلوا في سبيل الله الذين يعدوا
نفسهم للقتال فاما من لم يعد نفسه للقتال كالرهبان والشيوخ والزمنى والمكافيف والمجانين
فلا تقاتلوهم لانهم لم يقاتلونكم وهو قوله تعالى ولا تعتدوا وقال ابن عباس ولا تقتلوا النسا
والصبيان والشيوخ والرهبان ولا من القى اليكم السلام م عن بريدة قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا امر اميرا على جيش او سرية اوصاه على خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين
خيرا ثم قال اغزوا بسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا
وليدا قوله ولا تغلوا الغلول الخيانة وهو ما يخفيه احد الغزاة من الغنيمة وقوله ولا تغدروا
اي ولا تنقضوا العهد وقيل في معنى الاية لا تعتدوا اي لا تبدوهم بالقتال فعلى هذا
القول تكون الاية منسوخة باية القتال قال ابن عباس لما صد المشركون رسول الله صلى
الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع في قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام
يطوف بالبيت فلما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه لعمرة القضا خافوا ان لا تفي
قريش بما قالوا ويصدوهم عن البيت وكره المسلمون قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم ورفع
عنهم الحرج والجناح في ذلك وقال ولا تعتدوا وابتدا القتال ان الله لا يحب المعتدين قوله عز وجل
واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي حيث وجدتموهم في الحل والحرم وتحقيق القول فيه ان الله تعالى امر
بالجهاد في الاية الاولى بشرط اقدام الكفار على القتال وفي هذه الاية امر بالجهاد معهم سوا
قاتلوا او لم يقاتلوا واستثنى منه المقاتلة عند المسجد الحرام واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي واخرجوهم
من ديارهم كما اخرجوكم من دياركم والفتنة اشد من القتل يعني ان شركهم بالله اشد واعظم من
قتلكم اياهم في الحرم والاحرام وانما سمي الشرك بالله فتنة لانه فساد في الارض يودي الى الظلم

ابوالهام

وانما جعل اعظم من القتل لان الشرك بالله ذنب يستحق صاحبه الخلود في النار وليس القتل كذلك
والكفر يخرج صاحبه من الامة وليس القتل كذلك فثبت ان الفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه اختلف العلما في هذه الاية فذهب مجاهد وجماعة من العلما الى انها محكمة
وانه لا يحل ان يقاتل في المسجد الحرام الا من قاتل فيه وهو قوله فان قاتلوكم فاقتلوهم اي فقاتلوهم
وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان مكة لا تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي
وانما احلت لي ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيامة فثبت بهذا تحريم القتال
في الحرم الا ان يقاتلوا فيقاتلوا ويكون دفعا لهم وذهب قتادة الى ان هذه الاية منسوخة
بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فامر بقتالهم في الحل والحرم وقيل انها منسوخة بقوله
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة كذلك جزا الكافرين فان انتهوا يعني عن القتال وقيل عن الشرك والكفر
فان الله غفور يعني لما سلف رحيم يعني بعباده حيث لم يعاجلهم بالعقوبة وقاتلوهم اي وقاتلوا
المشركين حتى لا تكون فتنة اي شرك والمعنى وقاتلوهم حتى يسلموا فلا يقبل من الوثني الا الاسلام
او القتل بخلاف الكتابي والفرق بينهما ان اهل الكتاب معهم كتب منزلة وفيها شرائع واحكام
يرجعون اليها وان كانوا قد حرفوا وبدلوا فامهلهم الله تعالى بحرمة تلك الكتب من القتل وامر
باصغارهم واخذ الجزية منهم لينظروا في كتبهم ويتدبروها فيقفوا على الحق منها فيتبعوه كفعل
مومني اهل الكتاب الذين عرفوا فاسلموا واما عبدة الاصنام فلم يكن لهم كتاب يرجعون اليه
ويرشدهم الى الحق فكان امهالهم زيادة في شركهم وكفرهم فابى الله عز وجل ان يرضى منهم الا بالاسلام
او القتل ويكون الدين لله اي الطاعة والعبادة لله وحده فلا يعبد من دونه شي فان انتهوا يعني عن
القتال وقيل عن الشرك والكفر فلا عدوان اي فلا سبيل الا على الظالمين قاله ابن عباس فعلى القول
الاول تكون الاية منسوخة باية السيف وعلى القول الاخر الاية محكمة وقيل معناه فلا تظلموا الا
الظالمين سمي جزا الظالمين ظلما في سبيل المشاكلة وقيل سمي الكافر ظالما لوضعه العبادة في غير
موضعها قوله عز وجل الشهر الحرام بالشهر الحرام نزلت في عمرة القضا وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
خرج معتمرا في ذي القعدة سنة ست من الهجرة فصده المشركون عن البيت بالحديبية فصالح اهل
مكة على ان ينصرف عامه ذلك ويرجع من قابل فيقضي عمرته فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم رجع في ذي القعدة سنة سبع فقضى عمرته فذلك قوله تعالى الشهر الحرام يعني ذا القعدة الذي
دخلتم فيه مكة وقضيتم عمرتكم بالشهر الحرام الذي صددتم فيه عن البيت والحرمات جمع حرمة وانما
جمعت لانه اراد حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الاحرام قصاص والقصاص المساواة
والمماثلة وهو ان يفعل بالفاعل مثل ما فعل والمعنى انهم لما منعوكم عن العمرة واضاعوا هذه الحرمات
سنة ست فقد وفقهم حتى قضيتموها على رغمهم في سنة سبع وقيل هذا في القتال ومعناه فان بدؤوكم
بالقتال في الشهر الحرام فاقتلوهم فيه فانه قصاص فمن اعتدى عليكم اي بالقتال فاعتدوا عليه اي فقاتلوه
بمثل ما اعتدى عليكم سمي الجزا باعتدا على سبيل المشاكلة واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين قوله عز وجل
وانفقوا في سبيل الله يعني به الجهاد وذلك ان الله تعالى لما امر بالجهاد والاشتغال يحتاج الى الانفاق
فامر به والانفاق هو صرف المال في وجوه المصالح الدينية كالانفاق في الحج والعمرة وصلة الرحم
والصدقة وفي الجهاد وتجهيز الغزاة وعلى النفس والعيال وغير ذلك مما فيه قربة الى الله تعالى لانه

Copyright … University

كل ذلك مما هو في سبيل الله لكن اطلاق هذه اللفظة ينصرف الى الجهاد (خ) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه
وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه
من انفق نفقة في سبيل الله كتب الله له سبعمائة ضعف اخرجه الترمذي والنسائي ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة قيل الباء زائدة ومعناه لا تلقوا ايديكم الى التهلكة والمراد بالايدي الانفس والمعنى ولا
تلقوا انفسكم الى التهلكة عبر بالايدي عن الانفس وقيل الباء على اصلها وفي الكلام حذف تقديره ولا تلقوا
انفسكم بايديكم الى التهلكة كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب في هلاكها وقيل التهلكة كل
شيء تصير عاقبته الى الهلاك وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه ومعنى
الاية النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك قال ابن عباس انفق في سبيل الله وان لم
يكن لك الا سهم او مشقص ولا يقول احدكم لا اجد شيئا السهم هنا ما يرمى به والمشقص سهم فيه نصل
عريض وقيل كان رجال يخرجون في البعوث بغير نفقة فاما ان ينقطع بهم واما ان يكونوا عالة فامرهم
الله تعالى بالانفاق على انفسهم في سبيل الله ومن لم يكن عنده شيء ينفق عليه في الغزو فلا يخرج لئلا يلقي
نفسه في التهلكة وهو ان يهلك من الجوع والعطش والمشي وقيل نزلت الاية في ترك الجهاد (د) عن ابي عمران
واسمه اسلم قال كنا بمدينة الروم فاخرجوا الينا صفا عظيما من الروم فخرج اليهم من المسلمين مثلهم
او اكثر وعلى اهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم
حتى دخل فيهم فصاح الناس سبحان الله يلقي بيده الى التهلكة فقام ابو ايوب الانصاري فقال
ايها الناس انكم لتتاولون هذه الاية هذا التاويل وانما نزلت هذه الاية فينا معشر الانصار لما اعز
الله الاسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اموالنا
قد ضاعت وان الله قد اعز الاسلام وكثر ناصروه فلو اقمنا في اموالنا فاصلحنا ما ضاع منها فانزل الله
تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم يرد علينا ما قلنا وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى
التهلكة وكانت التهلكة الاقامة على الاموال واصلاحها وتركنا الغزو فما زال ابو ايوب شاخصا
في سبيل الله حتى دفن بارض الروم وقيل حديث غريب صحيح مات ابو ايوب في اخر غزوة غزاها بارض
قسطنطينية ودفن في اصل سورها فهم يتبركون بقبره ويستسقون به (م) عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من النفاق
قال ابن المبارك فنرى ان ذلك كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقيل الالقاء الى التهلكة
هو ان يقنط من رحمة الله وهو ان الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت ليس لي توبة فييأس
من رحمة الله وينهمك على المعاصي فهو القنوط فنهى الله عن ذلك وقيل في معنى الاية انفقوا
في سبيل الله ولا تقولوا انا نخاف الفقر ان انفقنا فنهلك فهو ان تجعلوا انفسهم هالكين بالانفاق
(خ) عن حذيفة قال انفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قال نزلت في النفقة
واحسنوا اي بالانفاق على من تلزمكم مؤنته ونفقته وقيل واحسنوا في الانفاق ولا
تسرفوا ولا تقتروا نهوا عن الاسراف والاقتار في الانفاق وقيل معناه واحسنوا في ادا
فرائض الله تعالى ان الله يحب المحسنين اي يثيبهم على احسانهم قوله عز وجل واتموا الحج والعمرة لله
قال ابن عباس هو ان يتمهما بمناسكهما وحدودهما وقيل سنتهما وقيل اتمامهما ان تكون

النفقة

النفقة حلالا وينتهي عما نهى الله عنه وقيل اتمامهما ان تخرج من اهلك لهما لا لتجارة ولا لحاجة وقيل اذا
شرع فيهما وجب عليه الاتمام **فصل** واتفقت الامة على وجوب الحج من استطاع اليه سبيلا
عن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا
فقال رجل في كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وفي وجوب العمرة قولان للشافعي اصحهما انها واجبة وهو قول
ابن عمر وابن عباس والحسن وابن سيرين وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومجاهد واليه ذهب احمد
ابن حنبل والقول الثاني انها سنة ويروى ذلك عن ابن مسعود وجابر وابراهيم والشعبي واليه ذهب مالك
وابو حنيفة حجة من اوجب العمرة ما روي في حديث الضبي بن معبد انه قال لعمر بن الخطاب اني وجدت
الحج والعمرة مكتوبين علي واني اهللت بهما فقال هديت لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو
داود والنسائي باطول من هذا ووجه الدليل انه اخبر عن وجوبهما عليه وصوبه عمر وبين له انه مهتد بما
راه في وجوبهما عليه لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس انه قال انها لقرينتها في كتاب الله واتموا
الحج والعمرة لله وعن ابن عمر قال الحج والعمرة فريضتان وعنه ليس احد من خلق الله الا وعليه حجة وعمرة
واجبتان من استطاع اليه سبيلا وعن ابن عباس قال العمرة واجبة كوجوب الحج وعن ابن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير
خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة اخرجه النسائي والترمذي وزاد
وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه وقال حديث حسن صحيح ووجه الدليل انه امر بالمتابعة
بين الحج والعمرة والامر للوجوب ولانها تتضمن مع الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة كالحج وحجة من قال
بانها سنة ما روي عن جابر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة واجبة هي قال لا وان
تعتمروا خير لكم اخرجه الترمذي واجيب عنه بان هذا الحديث يرويه حجاج بن ارطاة وحجاج
ليس ممن يقبل منه ما تفرد به لسوء حفظه وقلة مراعاته لما يحدث به واجمعت الامة على
جواز الحج والعمرة على ثلاثة انواع افراد وتمتع وقران فصورة الافراد ان يحج ثم بعد فراغه منه يعتمر
من ادنى الحل ويعتمر قبل اشهر الحج ويأتي باعمالها فاذا فرغ من اعمالها احرم بالحج من مكة في تلك السنة
وانما سمي تمتعا لانه يستمتع بمحظورات الاحرام بعد التحلل من العمرة الى ان يحرم بالحج وصورة القران
ان يحرم بالحج والعمرة معا في اشهر الحج فينويهما بقلبه وكذلك لو احرم بالعمرة في اشهر الحج ثم ادخل عليها
الحج قبل ان يفتتح الطواف فيصير قارنا واختلفوا في الافضل فذهب مالك والشافعي الى ان
الافراد افضل ثم التمتع ثم القران يدل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم افرد بالحج اخرجه مسلم وله عن ابن عمر قال اهللنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالحج مفردا وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل بالحج مفردا وله عن جابر قال قدمنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصرخ بالحج صراخا وعن ابن عمر قال افصلوا بين حجكم وعمرتكم
فان ذلك اتم لحج احدكم واتم لعمرته ان يعتمر في غير اشهر الحج اخرجه مالك في الموطا وذهب الثوري
وابو حنيفة الى ان القران افضل يدل عليه ما روي عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعا وفي رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك
عمرة وحجا اخرجاه في الصحيحين وذهب احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه الى ان التمتع افضل

Copyright King Saud University

يدل عليه ما روي عن ابن عباس قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان فاول
من نهى عنها معاوية اخرجه الترمذي ق عن ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع
بالعمرة الى الحج واهدى فساق معه الهدي من ذي الحليفة وبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهل
بالعمرة ثم اهل بالحج وتمتع الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة الى الحج وكان من الناس من
اهدى ومنهم من لم يهد فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قال للناس من كان منكم اهدى
فانه لا يحل من شيء حرم منه حتى يقضي حجه ومن لم يكن منكم اهدى فليطف بالبيت والصفا والمروة
وليقصر وليحلل ثم ليهل بالحج وليهد فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجع الى اهله
وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة فاستلم الركن اول شيء ثم خب ثلاثة اطواف
من السبع ومشى اربعة اطواف ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت ركعتين عند المقام ركعتين
ثم سلم فانصرف فاتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبعة اشواط ثم لم يحلل من شيء حرم منه
حتى قضى حجه ونحر هديه يوم النحر وافاض وطاف بالبيت ثم حل من شيء حرم منه وفعل مثل ما فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهدى فساق الهدي من الناس ثم اختلفت الروايات في حجة النبي
صلى الله عليه وسلم هل كان مفردا او متمتعا او قارنا وهي ثلاثة اقوال للعلماء بحسب مذاهبهم
السابقة ورجحت كل طائفة نوعا وادعت ان حجة النبي صلى الله عليه وسلم كذلك وطريق الجمع
بين روايات الصحابة واختلافهم في حجته صلى الله عليه وسلم انه كان اولا مفردا ثم انه صلى الله عليه
وسلم احرم بالعمرة بعد ذلك وادخلها على الحج فصار قارنا فمن روى انه كان مفردا فهو الاصل ومن
روى القران اعتمد اخر الامر ومن روى التمتع اراد التمتع اللغوي وهو الانتفاع والارتفاق
وقد ارتفق بالقران كارتفاق التمتع وزيادة وهو الاقتصار على فعل واحد وبهذا امكن
الجمع بين الاحاديث المختلفة في صفة حجة الوداع وهو الصحيح وذكر الشافعي في كتاب اختلاف
الحديث كلاما موجزا في ذلك فقال ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن
والمتمتع وكل كان ياخذ منه امر نسكه ويصدر عن تعليمه فاضيف الكل اليه على معنى انه امر به
واذن فيه ويجوز في لغة العرب اضافة الفعل الى الامر كما يجوز اضافته الى فاعله كما يقال
بنى فلان داره واريد به انه امر ببنائها وكما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وانما امر
برجمه واختار الشافعي الافراد وله حجج في ترجيحه انه صح ذلك من رواية جابر وابن عمر وابن عباس
وعائشة وهؤلاء لهم مزية في حجة الوداع على غيرهم فاما جابر فهو احسن الصحابة سياقة لرواية
حديث حجة الوداع فانه ذكرها من حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى اخرها فهو اضبط
لها من غيره واما ابن عمر فصح عنه انه كان اخذا بخطام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وانما
سمعه يلبي بالحج واما ابن عباس فمحله من العلم والفقه في الدين معروف مع كثرة بحثه عن احوال رسول الله
صلى الله عليه وسلم واما عائشة فقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف واطلاعها على
باطن امره وظاهره مع كثرة فقهها وعلمها ومنها دليل ترجيح الافراد ان الخلفاء الراشدين افردوا
الحج بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وواظبوا عليه واركان الحج خمسة الاحرام والوقوف بعرفة
والطواف والسعي بين الصفا والمروة وحلق الراس او التقصير في اصح القولين واركان العمرة اربعة الاحرام
والطواف والسعي والحلق او التقصير وبهذه الاركان تمام الحج والعمرة قوله تعالى فان احصرتم اصل

الحصر

الحصر في اللغة الحبس والتضييق ثم اختلف اهل اللغة في الحصر والاحصار فقيل اذا رد الرجل عن وجه
يريده فقد احصر واذا حبس فقد حصر وقال ابن السكيت احصره المرض اذا منعه من السفر او حاجة يريدها
وحصره العدو اذا ضيق عليه وقال الزجاج الرواية عن اهل اللغة يقال للذي يمنعه الخوف والمرض احصر
والمحبوس حصر وقال ابن قتيبة في قوله فان احصرتم هو ان يعرض للرجل ما يحول بينه وبين الحج من
مرض او كسر او عدو يقال له احصر فهو محصر فان حبس في دار او سجن قيل حصر فهو محصور
وذهب قوم الى انهما بمعنى واحد قال الزجاج يقال للرجل من حصرك هنا ومن احصرك
وقال احمد بن يحيى اصل الحصر والاحصار الحبس وحصر في الحبس اقوى من احصر وقيل
الاحصار يقال في المنع الظاهر كالعدو والمنع الباطن كالمرض والحصر لا يقال الا في
المنع الباطن وقوله فان احصرتم فمحمول على الامرين وبحسب اختلاف اهل اللغة في معناها
اختلف الفقهاء في حكمها فذهب قوم الى ان كل مانع من عدو او مرض او ذهاب نفقة فانه
يبيح له التحلل من احرامه وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب ابي حنيفة
ويدل عليه ما روي عن عكرمة قال حدثني الحجاج بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه حجة اخرى قال عكرمة فذكرت ذلك لابي
هريرة وابن عباس فقالا صدق اخرجه ابو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن
وذهب قوم الى انه لا يباح له التحلل الا بحبس العدو وهو قول ابن عمر وابن عباس وانس وبه قال
مالك والليث والشافعي واحمد وقالوا الحصر والاحصار بمعنى واحد واحتجوا بان نزول الاية كان
في قصة الحديبية في سنة ست وكان ذلك حبسا من جهة العدو ولان كفار مكة منعوا النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه من الطواف بالبيت فنزلت هذه الاية فحل النبي صلى الله عليه وسلم
من عمرته ونحر هديه وقضاها من قابل ويدل عليه ايضا سياق الاية وهو قوله فاذا امنتم
والامن لا يكون الا من خوف وثبت عن ابن عباس انه قال لا حصر الا حصر العدو فثبت بذلك ان
المراد بالاحصار هو حصر العدو دون المرض وغيره واجيب عن حديث الحجاج بن عمرو
بانه محمول على من شرط التحلل بالمرض ونحوه حال احرامه ويدل على جواز الاشتراط في الاحرام
ما روي عن ابن عباس ان ضباعة بنت الزبير اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول
الله اني اريد الحج افاشترط قال نعم قالت كيف اقول قال قولي لبيك اللهم لبيك محلي من الارض
حيث تحبسني اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ولغيرهما ان ضباعة بنت الزبير كانت
وجعة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني وذهب
الشافعي واحمد واسحاق الى انه اذا اشترط في الحج فعرض له مرض او عذر ان يتحلل ويخرج من احرامه
ثم المحصر يتحلل بذبح الهدي وحلق الراس وهو المراد من قوله تعالى فما استيسر من الهدي ومعنى
الهدي فان احصرتم دون تمام الحج او العمرة فعليكم ما استيسر من الهدي والهدي ما يهدى
الى البيت واعلاه بدنة واوسطه بقرة وادناه شاة قال ابن عباس عناه لانه اقرب الى
اليسر ومحل ذبح الهدي للمحصر حيث احصر واليه ذهب الشافعي لان النبي صلى الله عليه وسلم
ذبح الهدي عام الحديبية بها وذهب ابو حنيفة الى انه يقيم على احرامه ويبعث بهديه الى الحرم
ويواعد من يذبحه هناك ثم يحل في ذلك الوقت ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله اي مكانه الذي

Copyright © King Saud University

يجب ان يذبح فيه وفيه قولان احدهما انه الحرم وهو قول ابي حنيفة والقول الثاني محل ذبحه
حيث احصر سوا كان في الحل او في الحرم ومعنى محله حيث يحل ذبحه واكله وهو قول مالك والشافعي
واحمد ويدل عليه ما روي عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرين فحال
كفار قريش دون البيت فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلق راسه اخرجه البخاري قوله
عز وجل فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه معناه ولا تحلقوا روسكم في حال الاحرام الا ان تضطروا الى
حلقه لمرض واذى وهو القمل والصداع ففدية فيه اضمار تقديره فحلق راسه فعليه فدية
نزلت هذه الاية في كعب بن عجرة ق عن كعب بن عجرة قال اتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا اوقد تحت قدر والقمل يتناثر على وجهي فقال ايوذيك هوام راسك قال قلت نعم
قال فاحلق وصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك نسيكة لا ادري باي ذلك بدا وفي
رواية قال فيّ نزلت هذه الاية فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او
صدقة او نسك وذكر نحوه وفي اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو بالحديبية
قبل ان يدخل مكة وهو محرم وذكره وفي اخرى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما كنت
ارى ان الوجع بلغ منك ما ارى اتجد شاة قلت لا قال فصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين
لكل مسكين نصف صاع قال كعب فنزلت فيّ خاصة وهي عامة ومعنى قوله تعالى ففدية
من صيام اي صوم ثلاثة ايام او صدقة يعني اطعام ثلاثة اصوع ستة مساكين لكل مسكين نصف
صاع او نسك واحدتها نسيكة اي ذبيحة واعلاها بدنة واوسطها بقرة وادناها شاة وهذه
الفدية على التخيير ان شا ذبح او صام او تصدق وكل هدي وطعام يلزم المحرم فانه لمساكين
الحرم الا هدي المحصر فانه يذبحه حيث احصر واما الصوم فله ان يصوم حيث شا قوله تعالى
فاذا امنتم يعني من خوفكم وبرأتم من مرضكم وقيل اذا امنتم من الاحصار فمن تمتع بالعمرة الى الحج قال
ابن عباس وابن الزبير معناه فمن احصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة يخرج من احرامه بعمل عمرة
فاستمتع باحلاله ذلك بتلك العمرة الى السنة المستقبلة ثم حج فيكون متمتعا بذلك الاحلال
الى احرامه الثاني في العام المقبل وقيل معناه فاذا امنتم وقد حللتم من احرامكم بعد الاحصار
ولم تقضوا عمرتكم واخرتم العمرة الى السنة القابلة في اشهر الحج فاستمتعتم باهلالكم الى
الحج ثم احرمتم بالحج فعليكم ما استيسر من الهدي وقال ابن عباس هو الرجل يقدم معتمرا من
افق من الافاق في اشهر الحج فيقضي عمرته واقام بمكة حلالا حتى انشا منها الحج فحج من عامه
ذلك فيكون مستمتعا بالاحلال من العمرة الى احرامه بالحج ومعنى التمتع في اللغة هو الاستمتاع
بعد الخروج من العمرة والتلذذ بما كان محظورا عليه في حال الاحرام الى احرامه بالحج فما استيسر
من الهدي يعني فعليه ما استيسر من الهدي وهو شاة يذبحها يوم النحر فلو ذبح قبله
بعدما احرم بالحج اجزاه عند الشافعي كدم الجبرانات ولا يجزيه ذبحه عند ابي حنيفة قبل
يوم النحر كدم الاضحية ولوجوب دم التمتع خمس شرائط احدها ان يقدم العمرة على الحج الثاني
ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج الثالث ان يحج بعد الفراغ من العمرة في هذه السنة الرابع ان يحرم بالحج
من مكة ولا يعود الى ميقات بلده فان رجع الى الميقات واحرم منه لم يكن متمتعا الخامس
ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام فهذه الشروط معتبرة في وجوب دم التمتع ومتى فقد شي

منها

منها لم يكن متمتعا ودم التمتع دم جبران عند الشافعي فلا يجوز ان ياكل منه وقال ابو حنيفة هو دم
نسك فيجوز ان ياكل منه وقوله فمن لم يجد يعني الهدي فصيام ثلاثة ايام في الحج اي فعليه صيام
ثلاثة ايام في وقت اشتغاله بالحج قبل يصوم يوما قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة وقيل بل المستحب
ان يصوم في ايام الحج بحيث يكون يوم عرفة مفطرا فان لم يصم قبل يوم النحر فقيل يصوم ايام التشريق
وبه قال مالك واحمد وهو احد قولي الشافعي وقيل بل يصوم بعد ايام التشريق وهو رواية عن احمد
والقول الاخر للشافعي وسبعة اذا رجعتم يعني وصوموا سبعة اذا رجعتم الى اوطانكم واهليكم قاله
ابن عباس وبه قال الشافعي فلو صام قبل الرجوع الى اهله لم يجزه عنده وقيل المراد من الرجوع هو الفراغ
من اعمال الحج والاخذ في الرجوع فعلى هذا يجزه ان يصوم سبعة ايام بعد الفراغ من اعمال الحج وقبل الرجوع
الى اهله وبه قال ابو حنيفة تلك عشرة كاملة يعني في الثواب والاجر وقيل كاملة في قيامها مقام
الهدي لانه قد يحتمل ان يظن ظان ان الثلاثة قد قامت مقام الهدي فاعلم الله ان العشر
بكمالها هي القائمة مقام الهدي وقيل فائدة التكرار التوكيد كقول الفرزدق ثلاث واثنان فهن خمس
وسادسة تميل الى شمام لان القران انزل بلغة العرب والعرب تكرر الشي تريد به التوكيد وقيل
فائدة ذلك ان الملكة في علم الحساب وهو ان يعلم العدد مفصلا ثم يعلمه جملة ليحتاط به من جهتين
فكذلك قوله تعالى فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة وقيل ان العرب لما كانوا
لا يعلمون الحساب وكانوا يحتاجون الى زيادة بيان وايضاح فلذلك قال تلك عشرة كاملة وقيل لفظه
خبر ومعناه امر اي فاكملوها ولا تنقصوها ذلك اي هذا الحكم الذي تقدم لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام
قيل حاضروا المسجد الحرام هم اهل مكة وهو قول مالك وقيل هم اهل الحرم وبه قال طاووس وقال ابن جريج
هم اهل عرفة والرجيع وضجنان ونخلة وقال الشافعي كل من كان وطنه من مكة على اقل من مسافة القصر
فهو من حاضري المسجد الحرام وقيل هم من دون الميقات وقال ابو حنيفة حاضروا المسجد الحرام اهل الميقات
والمواقيت ذو الحليفة والجحفة وقرن ويلملم وذات عرق فمن كان من اهل هذه المواضع فما دونها الى مكة
فهو من حاضري المسجد الحرام وقيل حاضري المسجد الحرام من تلزمه الجمعة فيه ومعنى الاية ان المشار اليه
في قوله ذلك يرجع عليه ولا بد له لانه لا يجب عليها ان يحرم من الميقات فاقدامه على التمتع لا يوجب خللا
في حجه فلا يجب عليه الهدي ويدل على ذلك ما اخرجه البخاري تعليقا من حديث عكرمة قال سيل ابن عباس
عن متعة الحج فقال اهل المهاجرون والانصار وازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع
واهللنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدي
طفنا بالبيت وبالصفا والمروة واتينا النسا ولبسنا الثياب وقال من قلد الهدي فانه لا يحل من شي
حتى يبلغ الهدي محله ثم امرنا عشية التروية ان نهل بالحج فاذا فرغنا من المناسك جينا فطفنا بالبيت
وبالصفا والمروة وقد تم حجنا وعلينا الهدي كما قال الله تعالى فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام
ثلاثة ايام وسبعة اذا رجعتم الى امصاركم والشاة تجزي فجمعوا بين النسكين في عام بين الحج والعمرة فان
الله انزله في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واباحه للناس غير اهل مكة قال الله تعالى ذلك
لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وفي الحديث زيادة قال الحميدي قال ابو مسعود الدمشقي هذا حديث
عن ابن حديث ابي الاعند مسلم بن الحجاج ولم يخرجه في صحيحه من اجل عكرمة فانه لم يرو عنه في صحيحه وعندي
وعندي ان البخاري انما اخذه من مسلم وقوله تعالى واتقوا الله اي فيما فرضه عليكم ونهاكم عنه في الحج

الى اقرب مذكور وهو لزوم الهدي
او بدله على المتمتع وهو الافاقي
فاما المكي اذا تمتع او قرن
فلا هدي ح

Copyright © King Saud University

دفع عنه **ولعليكم تتقون** بعني لعلكم تتقون المحظورات بعني من خالف امره ونهاه ويخاف وعده وعيده وارتكب مناهيه قوله عز وجل
الحج اشهر معلومات بعني اشهر الحج اشهر معلومات وهي شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة الى طلوع الفجر
من يوم النحر وبه قال عبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله وعبد الله بن الزبير ومن التابعين الحسن
وابن سيرين والشعبي وهو قول الشافعي والثوري وابي ثور ووجه الشافعي ومن وافقه ان الحج يفوت
بطلوع الفجر الثاني من يوم النحر والعبادة لا تفوت مع بقاء وقتها فدل على ان يوم النحر ليس من اشهر الحج وايضا
فان الاحرام بالحج فيه لا يجوز فدل على انه وما بعده ليس من اشهر الحج وقال ابن عباس اشهر الحج شوال
وذو القعدة وعشر ايام من ذي الحجة اخرها يوم النحر وبه قال ابن عمر وعروة بن الزبير وعطا وطاوس
والنخعي وقتادة ومكحول والضحاك والسدي وابو حنيفة واحمد بن حنبل وهو احد الروايتين عن مالك
ووجه هذا القول ان يوم النحر هو يوم الحج الاكبر ولانه فيه يقع طواف الافاضة وهو تمام اركان الحج
وقيل ان اشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله وهو رواية عن ابن عمر وبه قال الزهري وهي الرواية
الاخرى عن مالك ووجه هذا القول ان الله تعالى ذكر اشهر الحج بلفظ الجمع واقل الجمع المطلق ثلاث ولانه اول
شهر كان تناوله من اشهر الحج كان اخره كذلك **فان قلت** هنا اشكال وهو ان
الله تعالى قال قبل هذه الاية يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج فجعل الاهلة كلها
مواقيت للحج **قلت** قوله هي مواقيت للناس والحج عام وهذه الاية وهي قوله تعالى الحج اشهر
معلومات خاص والخاص مقدم على العام وقيل ان الاية الاولى مجملة وهذه الاية مفسرة لها
فان قلت انما قال اشهر الحج بلفظ الجمع وعند الشافعي اشهر الحج شهران وعشر
ليال وعند ابي حنيفة وعشرة ايام فما وجهه **قلت** ان لفظ الجمع يشترك فيه ما وراء
الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما وقيل انه نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة
كذا وانما راه في ساعة منها ولا اشكال فيه على القول الثالث وهو قول من قال ان اشهر الحج ثلاث شوال
وذو القعدة وذو الحجة بكماله **فمن فرض فيهن الحج** بعني فمن الزم نفسه واوجب عليها فيهن الحج والمراد بهذا
الفرض ما به يصير حاجا وهو فعل يفعله ثم اختلفوا في ذلك الفعل فقال الشافعي ينعقد الاحرام
بمجرد النية من غير حاجة الى التلبية ووجهه ان فرض الحج عبارة عن النية فوجب ان تكون النية كافية
في انعقاد الحج وقال ابو حنيفة لا يصح الشروع في الاحرام بمجرد النية حتى ينضم اليه التلبية او سوق
الهدي ووجهه ان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا بد من انضمام شي الى النية كالصلاة وفي الاية دليل
على ان الاحرام بالحج لا ينعقد الا في اشهره وهو قول ابن عباس واليه ذهب الشافعي واحمد واسحق لان
الله تعالى خصص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص وجه ولا
فائدة وقال مالك والثوري وابو حنيفة ينعقد احرامه بالحج في جميع شهور السنة ووجهه ان الاحرام
التزام الحج فجاز تقديمه على الوقت كالنذر ولان الله تعالى جعل الاهلة كلها مواقيت للحج بقوله
هي مواقيت للناس والحج وقد تقدم الجواب عنه وقوله تعالى **فلا رفث** قال ابن عباس الرفث الجماع
وفي رواية عنه ان الرفث غشيان النسا لا يكون رفثا قال حصين بن قيس اخذ ابن عباس
اخذ بذنب بعير يلويه وهو يحدو ويقول • وهن يمشين بنا هميسا • ان يصدق الطير ننك لميسا
فقلت اترفث وانت محرم فقال الرفث ما قيل عند النسا وقوله لميسا هو اسم امراة وقيل الرفث
كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وقوله فلا رفث يحتمل ان يكون نهيا عن تعاطي

الجماع

الجماع وان يكون نهيا عن الحديث في ذلك لانه من دواعيه وقيل الرفث هو الفحش والخنا والقول القبيح
وقيل الرفث اللغو من الكلام ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يجهل
ولا يصخب **ولا فسوق** اصله الخروج عن الطاعة قال ابن عباس هو المعاصي كلها وهو قول طاوس والحسن
وسعيد بن جبير وقتادة والزهري والربيع والقرظي وقال ابن عمر هو ما نهي عنه المحرم في حال الاحرام
من قتل الصيد وتقليم الاظفار واخذ الشعر وما اشبه ذلك وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب
ق عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم
ولدته امه **ولا جدال في الحج** قال ابن عباس الجدال هو المرا وهو ان يماري الرجل صاحبه ويخاصمه حتى
يغضبه وقيل هو قول الرجل هو الحج اليوم ويقول الاخر الحج غدا وقيل هو ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال في حجة الوداع وقد احرموا بالحج اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدي قالوا كيف نجعلها عمرة
وقد سمينا الحج فهذا كان جدالهم وقيل هو ما كان عليه اهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم
بمزدلفة وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وبعضهم في ذي الحجة وكل يقول الصواب فيما فعلته فانزل الله
ولا جدال في الحج واخبر ان امر الحج قد استقر على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا اختلاف
فيه بعده وذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق
السموات والارض وقيل معناه ولا شك في الحج انه في ذي الحجة فابطل النسي وقيل ظاهر الاية خبر
ومعناه نهي اي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الحج وانما نهي عن ذلك وامر باجتنابه بالحج وان كان
اجتناب ذلك في كل الاحوال والازمان واجب لان الرفث والفسوق والجدال في الحج اسمج واقبح
من غيره **وما تفعلوا من خير يعلمه الله** اي لا يخفى عليه شي من اعمالكم وهو الذي يجازيكم عليها حث الله على فعل الخير عقيب
النهي عن الشر وهو ان يستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان
الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة وقيل جعل فعل الخير عبارة عن ربط الانفس عن الشر حتى لا يوجد
منهم ما نهوا عنه وقيل انما ذكر الخير وان كان عالما بجميع افعال العباد من الخير والشر لفائدة وهو انه
تعالى اذا علم من العبد الخير ذكره واشهره واذا علم منه الشر ستره واخفاه فاذا كان هذا فعله مع عبده
في الدنيا فكيف يكون في العقبى وهو ارحم الراحمين واكرم الاكرمين **وتزودوا فان خير الزاد التقوى**
نزلت في ناس من اهل اليمن كانوا يخرجون الى الحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحج بيت ربنا
افلا يطعمنا فاذا قدموا مكة سالوا الناس وربما افضى بهم الحال الى النهب والغصب فانزل الله وتزودوا
اي ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم عن الناس واتقوا ابرامهم والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى
وقيل في معنى الاية وتزودوا من التقوى فان الانسان لا بد له من سفر الدنيا ولا بد فيه من زاد
ويحتاج فيه الى الطعام والشراب والمركب وسفر من الدنيا الى الاخرة لا بد فيه من زاد ايضا وهو تقوى
الله والعمل بطاعته وهذا الزاد افضل من الزاد الاول فان زاد الدنيا يوصل الى مراد النفس
وشهواتها وزاد الاخرة يوصل الى النعيم المقيم في الاخرة وفي هذا المعنى قال الاعشى

• اذا انت لم ترحل بزاد من التقى • ولاقيت بعد الموت من قد تزودا •
• ندمت على ان لا تكون كمثله • وانك لم ترصد لما كان ارصدا •

واتقون اي وخافوا عقابي وقيل معناه واشتغلوا بتقواي وفيه تنبيه على كمال عظمة الله جل
جلاله **يا اولي الالباب** اي يا ذوي العقول الذين يعلمون حقائق الامور قوله عز وجل **ليس عليكم جناح**

Copyright © King Saud University

اى حرج ان تبتغوا فضلا من ربكم يعنى رزقا ونفعا وهو الربح فى التجارة خ عن ابن عباس قال كانت عكاظ
ومجنة وذو المجاز اسواقا فى الجاهلية فلما كان الاسلام فكانهم تأثموا ان يتجروا فى المواسم فنزلت ليس
عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج وقراها ابن عباس هكذا وفى رواية ان تبتغوا فى مواسم
الحج فضلا من ربكم وعكاظ سوق معروف بقرب مكة ومجنة بفتح الجيم وكسرها سوق بقرب مكة ايضا
قال الازرقى هو باسفل مكة على بريد منها وذو المجاز سوق عند عرفة كانت العرب فى الجاهلية يتجرون
فى هذه الاسواق ولها مواسم فكانوا يقيمون بعكاظ عشرين يوما من ذى القعدة ثم ينتقلون الى مجنة
فيقيمون بها ثمانية عشر يوما عشرة ايام من اخر ذى القعدة وثمانية ايام من اول ذى الحجة ثم يخرجون الى عرفة
يوم التروية وقال الداودى مجنة عند عرفة وعن ابى امامة التيمى قال كنت رجلا اكرى فى هذا الوجه
وكان الناس يقولون لى انه ليس لك حج فلقيت ابن عمر فقلت له يا ابا عبد الرحمن انى رجل اكرى فى هذا الوجه
وان اناسا يقولون انه ليس لك حج فقال ابن عمر اليس تحرم وتلبى وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات
وترمى الجمار قلت بلى قال فان لك حجا جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله عن مثل ما سالتنى عنه
فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه حتى نزلت هذه الاية ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من
ربكم فارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراها عليه وقال لك حج اخرجه ابو داود والترمذى
وقال بعض العلماء ان التجارة ان اوقعت نقصا فيه كانت التجارة من المباحات التى الاولى تركها لتجريد
العبادة عن غيرها لان الحج بدون التجارة اكمل وافضل وقوله تعالى فاذا افضتم اى دفعتم والافاضة دفع
بكثرة من عرفات جمع عرفة سميت بذلك وان كانت بقعة واحدة لان كل موضع من تلك المواضع عرفة
فسمى مجموع تلك المواضع عرفات وقيل ان اسم الموضع عرفات واسم اليوم عرفة قال عطا كان جبريل يرى
ابراهيم المناسك ويقول له عرفت فسمى ذلك المكان عرفات واليوم عرفة وقال الضحاك ان ادم لما اهبط
وقع بالهند وحوى بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات فى يوم عرفة فتعارفا فسمى
اليوم عرفة والموضع عرفات قال السدى ان ابراهيم لما اذن فى الناس بالحج واجابوه بالتلبية ولبى
من لبى امره الله ان يخرج الى عرفات ونعتها له فخرج فلما بلغ الجمرة استقبله الشيطان يرده فرماه
بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوقع على الجمرة الثانية فرماه وكبر فطار فوقع على الجمرة الثالثة
فرماه وكبر فطار فلما راى الشيطان انه لا يطيعه ذهب فانطلق ابراهيم حتى اتى ذا المجاز فنظر اليه فلم
يعرفه فجاز فسمى ذا المجاز ثم انطلق ابراهيم حتى وقع بعرفات فعرفها بالنعت فسمى الوقت عرفة والموضع
عرفات حتى اذا امسى ازدلف الى جمع فسمى ذلك الموضع المزدلفة وفى رواية عن ابن عباس ان ابراهيم راى
ليلة التروية فى منامه انه يؤمر بذبح ابنه فلما اصبح تروى يومه اجمع اى تفكر هل هذه الرؤيا من الله
ام من الشيطان فسمى يوم التروية ثم راى ذلك فى ليلة عرفة ثانيا فلما اصبح عرف ان ذلك من الله
فسمى اليوم عرفة وقيل سمى بذلك لان الناس يعترفون فى ذلك بذنوبهم وقيل سمى عرفة من العرف وهو
الطيب وسمى منى لما يمنى فيها من الدماء اى يصب فيكون فيه الفروث والدما فلا يكون الموضع طيبا
وعرفات طاهرة عن مثل هذا فتكون طيبة فاعلم ان الوقوف بعرفة ركن من اركان الحج ولا يتم الحج الا به
ومن فاته الوقوف فى وقته فقد فاته الحج ويدخل وقت الوقوف بعرفة بزوال الشمس من يوم عرفة
ويمتد الى طلوع الفجر الثانى من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة فمن وقف بعرفات فى هذا الوقت
ولو لحظة واحدة من ليل ونهار فقد حصل له الوقوف وتم حجه وقال احمد وقت الوقوف من طلوع الفجر

يوم

يوم عرفة الى طلوع الفجر من يوم النحر ووقت الافاضة من عرفات بعد غروب الشمس اذا غربت الشمس دفع من
عرفات واخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بمزدلفة ق عن اسامة بن زيد قال دفع رسول الله
صلى الله عليه وسلم من عرفة حتى اذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضأ ولم يسبغ الوضوء فقلت الصلاة يا رسول
الله فقال الصلاة امامك ثم ركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ فاسبغ الوضوء ثم اقيمت الصلاة فصلى المغرب
ثم اناخ كل انسان بعيره فى منزله ثم اقيمت العشاء فصلى ولم يصل بينهما شيئا وقوله تعالى فاذكروا الله عند
المشعر الحرام سمى مشعرا من الشعار وهى العلامة لانه من معالم الحج واصل الحرام المنع فهو ممنوع من ان يفعل فيه ما لم
يؤذن فيه والمشعر الحرام هو ما بين جبلى المزدلفة من مازمى عرفات الى وادى محسر من المشعر الحرام وقيل
المشعر الحرام هو المزدلفة وسماه الله بذلك لان الصلاة والمبيت به والدعا عنده من معالم الحج وقيل المشعر
الحرام هو قزح وهو اخر حد المزدلفة والاول اصح وسميت المزدلفة من الازدلاف وهو الاقتراب لانها منزلة
من الله وقربة وقيل لنزول الناس بها زلف الليل وقيل لاجتماع الناس بها وتسمى المزدلفة جمعا لانه يجمع فيها
بين المغرب والعشا قيل المراد بالذكر عند المشعر الحرام هو الجمع بين صلاتى المغرب والعشا هناك ويدل عليه
ان قوله فاذكروا الله امر وهو للوجوب ولا يجب هناك الا الصلاة والذى عليه جمهور العلما ان المراد بالذكر هو
الدعا والتلبية والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير عن ابن عباس ان اسامة بن زيد كان ردف النبى صلى
الله عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة ثم اردف الفضل من المزدلفة الى منى فكلاهما قال لم يزل النبى صلى الله عليه
وسلم يلبى حتى رمى جمرة العقبة عن جابر قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتى المزدلفة
فصلى بها المغرب والعشا باذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما شيئا ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين
تبين له باذان واقامة ثم ركب القصوى حتى اتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده
ولم يزل واقفا حتى اسفر جدا ودفع قبل ان يطلع الشمس هذا الحديث ذكره البغوى بغير سند ولم اجده فى الاصول
قال طاوس كان اهل الجاهلية يدفعون من عرفة قبل ان تغيب الشمس ومن المزدلفة بعد طلوعها وكانوا
يقولون اشرق ثبير كيما نغير فنسخ الله تعالى احكام الجاهلية فاخر الافاضة من عرفة الى بعد غروب
الشمس وقدم الافاضة من المزدلفة قبل طلوعها وثبير جبل بمكة ومعنى قولهم اشرق ثبير ادخل
ايها الجبل فى الشروق وقولهم كيما نغير اى ندفع للنحر يقال اغار اذا اسرع ودفع فى عدوه خ عن عمرو بن ميمون
قال قال عمر كان اهل الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس وكانوا يقولون اشرق ثبير فخالفهم
النبى صلى الله عليه وسلم فافاض قبل طلوع الشمس وقوله تعالى واذكروه كما هداكم اى اذكروه بالتوحيد
والتعظيم كما ذكركم بالهداية فهداكم لدينه ومناسك حجه وان كنتم من قبله لمن الضالين اى لا تعرفون كيف
تذكرونه وتعبدونه والهاء فى من قبله راجعة الى الهدى وقيل الى الرسول اى من قبل ارسال الرسول لمن
الضالين وهو كناية عن غير مذكور وقيل يرجع الى القران والمعنى واذكروه كما هداكم بكتابه الذى انزل
عليكم وان كنتم من قبل انزاله لمن الضالين قوله عز وجل ثم افيضوا من حيث افاض الناس اى لتكن افاضتكم
من حيث افاض الناس وفى المخاطبين بهذا قولان احدهما انه خطاب لقريش قال اهل التفسير كانت قريش
ومن دان بدينها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخلف الحرم ولا نخرج
منه ويتعاظمون ان يقفوا مع سائر الناس بعرفات فاذا افاض الناس من عرفات افاض الحمس من المزدلفة
فامرهم الله ان يقفوا بعرفات مع سائر الناس ثم يفيضوا منها الى جمع واخبرهم انه سنة ابراهيم واسماعيل
عليهما السلام ق عن عائشة رضى الله عنها قالت كان قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون

Copyright © King Saud University

الحمس وكانت ساير العرب يقفون بعرفة فلما جا الاسلام امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياتي عرفات فيقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله ثم افيضوا من حيث افاض الناس قوله كانوا يسمون الحمس جمع احمس واصله من الشدة والشجاعة وانما سميت قريش وكنانة حمسا لتشددهم في دينهم فعلى هذا القول الناس معناه جميع العرب سوى الحمس والقول الثاني انه خطاب لساير المسلمين امرهم الله ان يفيضوا من حيث افاض ابراهيم وهو المراد بقوله من حيث افاض الناس وقيل الناس هنا ادم وحده بدليل قراءة سعيد بن جبير ثم افيضوا من حيث افاض الناسي بالياء وقيل هو ادم عهد اليه فنسي ووجه هذا ان الوقوف بعرفات والافاضة منها شرع قديم وما سواه مبتدع محدث وقيل المراد من هذه الاية الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر واراد بالناس ابراهيم واسمعيل واتباعهما لانه كانت افاضتهم من المزدلفة قبل طلوع الشمس ووجه هذا القول ان الافاضة بعرفات قد تقدم ذكرها في قوله فاذا افضتم من عرفات ثم قال بعد ذلك ثم افيضوا من حيث افاض الناس فدل على ان هذه الافاضة من المزدلفة الى منى لكن القول الاول هو الاصح الذي عليه جمهور المفسرين **فان قلت** على القول الاول الذي هو قول جمهور المفسرين اشكال وهو ظاهر الكلام لا يقتضي ذلك لان قوله فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله والافاضة من عرفات قبل الافاضة من جمع فكيف قال ثم افيضوا من حيث افاض الناس فكانه قال فاذا افضتم من عرفات فافيضوا من عرفات وذلك غير جايز **قلت** اجيب عن هذا الاشكال بان فيه تقديما وتاخيرا وتقديره ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله فعلى هذا الترتيب يصح ان تكون هذه الافاضة تلك الافاضة بعينها وقيل ان ثم في قوله ثم افيضوا بمعنى الواو اي وافيضوا كقوله ثم كان من الذين امنوا والافاضة الدفع ق عن هشام بن عروة عن ابيه قال سئل اسامة بن زيد وانا جالس كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في حجة الوداع قال كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق العنق العنق بفتح العين ضرب من السير سريع وهو اشد من المشي والفجوة الفرجة وهي المتسع من الارض والنص السير السريع حتى يستخرج من الناقة اقصى وسعها خ عن ابن عباس انه دفع مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فسمع النبي صلى الله عليه وسلم وراءه زجرا شديدا وضربا للابل فاشار بسوطه اليهم وقال يا ايها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع الايضاع السير السريع وقوله تعالى واستغفروا الله اي من مخالفتكم في الموقف ولجميع ذنوبكم ان الله غفور رحيم يعني ان الله هو الستار لذنوب عباده برحمته والغفور فيه المبالغة في الغفر وكذا الرحيم وفيه دليل على انه تعالى يقبل التوبة عن عباده التايبين ويغفر لهم لانه تعالى امر المذنب بالاستغفار ثم وصف نفسه تعالى بانه كثير الغفران كثير الرحمة فدل على انه تعالى يغفر للمستغفرين ويرحم المذنبين بمنه وكرمه قوله عز وجل فاذا قضيتم مناسككم اي فرغتم من حجكم وعبادتكم وذبحتم نسايككم اي ذبايحكم وذلك بعد رمي جمرة العقبة والاستقرار بمنى فاذكروا الله يعني بالتحميد والتمجيد والتهليل والتكبير والثنا عليه كذكركم اباكم قال اهل التفسير كانت

العرب

العرب في الجاهلية اذا فرغوا من حجهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل وقيل عند البيت فيذكرون مفاخر ابايهم ومآثرهم وفضايلهم ومحاسنهم ومناقبهم فيقول احدهم كان ابي كبير الجفنة رحب الفنا يقري الضيف وكان كذا وكذا يعد مفاخره ومناقبه ويتناشدون الاشعار في ذلك ويتكلمون بالمنثور والمنظوم من الكلام الفصيح وغرضهم بذلك الشهرة والسمعة والرفعة يذكرون مناقب سلفهم وابايهم فلما من الله عليهم بالاسلام امرهم ان يكون ذكرهم لله لا لابايهم وقال اذكروني فانا الذي فعلت ذلك بكم وبهم واحسنت اليكم واليهم قال ابن عباس معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الابا وذلك لان الصبي اول ما يفصح بالكلام يقول ابه امه لا يعرف غير ذلك فامرهم ان يذكروه كذكر الصبيان الصغار الابا او اشد ذكرا اي بل اشد ذكرا وقيل او بمعنى الواو اي واشد ذكرا اي واكثر للابا لانه المنعم عليهم وعلى الابا فهو المستحق للذكر والحمد مطلقا وسئل ابن عباس عن هذه الاية وقيل له قد ياتي على الرجل اليوم ولا يذكر اباه فقال ليس كذلك ولكن ان تغضب لله عز وجل اذا عصي اشد من غضبك لوالديك اذا شتما فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا يعني ان المشركين كانوا يسالون الله في حجهم الدنيا ونعيمها كانوا يقولون اللهم اعطنا ابلا وغنما وبقرا وعبيدا واماء وكان احدهم يقول فيقول اللهم ان ابي كان عظيم القبة كبير الجفنة كثير المال فاعطني مثل ما اعطيته قال قتادة هذا عبد نيته الدنيا لها انفق ولها عمل ونصب خ عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ان اعطي منها رضي وان لم يعط سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش قوله تعس عبد الدينار هذا دعا عليه بالهلاك وهو الوقوع على الوجه من العثار والخميصة ثوب من خز او صوف معلم قوله وانتكس هذا دعاء عليه ايضا لان من انتكس على راسه او في امره فقد خاب وخسر قوله واذا شيك فلا انتقش فعل ما لم يسم فاعله يقال شاكته الشوكة اذا دخلت في جسمه والانتقاش اخراج الشوكة من الجسم وانما كان سوال المشركين الدنيا ولم يطلبوا التوبة والمغفرة ونعيم الاخرة لانهم كانوا ينكرون البعث وما له في الاخرة من خلاق اي وما له في الاخرة من حظ ولا نصيب ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار يعني المومنين واعلم ان الله تعالى قسم الداعين فريقين فريقا يقتصر على الدعا على طلب الدنيا فهم الكفار لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والاخرة والفريق الثاني وهم المومنون الذين اجمعوا في الدعا على طلب الدنيا والاخرة وذلك لان الانسان خلق ضعيفا محتاجا لا طاقة له بالام الدنيا ومتاعبها فالاولى له ان يستعيذ بالله من شرها والامها لانه لو اضطرب على الانسان عرق من عروقه لتشوش عليه حياته في الدنيا وتعطل عن الاشتغال بطاعة الله تعالى فثبت بذلك ان طلب الدنيا في الدعا من امر الدين فلذلك قال الله تعالى اخبارا عن المومنين ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة قيل ان الحسنة في الدنيا عبارة عن الصحة والامن والكفاية والتوفيق الى الخير والنصر على الاعدا والولد الصالح والزوجة الصالحة م عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المراة الصالحة وقيل الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة وقيل الحسنة في الدنيا الرزق الحلال والعمل الصالح وفي الاخرة المغفرة والثواب وقيل من اتاه الله الاسلام والقران واهلا ومالا فقد اوتي في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة يعني في الدنيا عافية وفي الاخرة عافية م عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد

Copyright King Saud University

رجلا من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل
كنت تدعو الله بشيء او تسأله اياه قال نعم كنت اقول اللهم ما كنت معاقبني به في الاخرة فعجله
لي في الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه
افلا قلت اللهم اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار قال فدعا الله به
فشفاه ق عن انس بن مالك قال كان اكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اتنا في الدنيا
حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار عن عبد الله بن السايب قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول بين الركنين ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة
وقنا عذاب النار اخرجه ابو داود اولئك اشارة الى المومنين الداعين بالحسنتين ووجه
هذا القول ان الله ذكر حكم الفريقين بكماله فقال وما له في الاخرة من نصيبه خلاف وقيل
يرجع الى الفريقين جميعا اي لكل فريق من هولاء لهم نصيب اي حظ مما كسبوا يعني من الخير
والدعاء للثواب والجزاء على الدعاء بالدنيا من جنس ما كسب ودعا والله سريع الحساب ذكروا في معنى
الحساب ان الله تعالى يعلم العباد بما لهم وعليهم يعني انه تعالى يخلق العلوم الضرورية
في قلوبهم بمقادير اعمالهم وكمياتها وكيفياتها وبمقادير ما لهم من الثواب وعليهم من
العقاب وقيل ان المحاسبة عبارة عن المجازاة ويدل عليه قوله تعالى وكاين من قرية
عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وقيل ان الله تعالى يكلم عباده
يوم القيامة ويعرفهم احوال اعمالهم وما لهم من الثواب والعقاب وقيل انه تعالى اذا
حاسب عباده فحسابه سريع لانه تعالى لا يحتاج الى عقد يد ولا روية فكر ووصف نفسه
تعالى بسرعة الحساب مع كثرة الخلايق وكثرة اعمالهم ليدل بذلك على كمال قدرته لانه
تعالى لا يشغله شان عن شان ولا يحتاج الى الة ولا اعادة ولا مساعد لا جرم كان قادر
على ان يحاسب جميع الخلايق في اقل من لمح البصر وروي ان الله تعالى يحاسب الخلايق
في قدر حلب شاة او ناقة وقيل في معنى كونه تعالى سريع الحساب اي سريع القبول لدعاء
عباده والاجابة لهم وذلك انه تعالى يسأله السايلون في الوقت الواحد كل واحد منهم
اشيا مختلفة من امور الدنيا والاخرة فيعطي كل واحد مطلوبه من غير ان يشتبه عليه شي
ذلك لانه تعالى عالم بجميع احوال العباد واعمالهم وقيل في معنى الاية ان اتيان القيامة
قريب لان كل ما هو كاين وات قريب لا محالة وفيه اشارة الى المبادرة في الذكر
وسائر الطاعات وطلب الاخرة قوله عز وجل واذكروا الله يعني بالتوحيد والتعظيم والتكبير في ادبار
الصلوات وعند رمي الجمرات وذلك انه يكبر مع كل حصاة من حصى الجمار فقد ورد في الصحيح ان النبي صلى
الله عليه وسلم كبر مع كل حصاة في ايام معدودات يعني ايام التشريق وهي ايام منى ورمي الجمار سميت معدودات
وهي ثلاثة ايام بعد يوم النحر اولها اليوم الحادي عشر من ذي الحجة وهو قول ابن عمر وابن عباس والحسن
وعطا ومجاهد وقتادة وهو مذهب الشافعي وقيل ان الايام المعدودات يوم النحر ويومان بعده
وهو قول علي بن ابي طالب ويروى عن ابن عمر ايضا وهو مذهب ابي حنيفة م عن نبيشة الهذلي قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايام التشريق ايام اكل وشرب وذكر الله ومن الذكر في هذه الاية
التكبير خ عن ابن عمر انه كان يكبر بمنى تلك الايام وخلف الصلوات وعلى فراشه وفي فسطاطه وفي

مجلسه

مجلسه وممشاه في تلك الايام جميعا وفي رواية انه كان يكبر في قبته فيسمعه اهل المسجد فيكبرون ويكبر
اهل الاسواق حتى ترتج منى تكبيرا اخرجه البخاري بغير اسناد اجمع العلماء على ان المراد بهذا هو التكبير عند رمي الجمار
وهو ان يكبر مع كل حصاة يرمي بها في جميع ايام التشريق واجمعوا ايضا على ان التكبير في عيد الاضحى وفي هذه
الايام في ادبار الصلوات سنة واختلفوا في وقت التكبير فقيل يبتدى به من صلاة الظهر يوم النحر
الى صلاة الصبح من اخر ايام التشريق فيكون التكبير على هذا القول في خمسة عشر صلاة وهو قول ابن عباس
وابن عمر وبه قال الشافعي في اصح اقواله قال الشافعي لان الناس فيه تبع للحاج وذكر الحاج قبل هذا الوقت
هو التلبية ويأخذون في التكبير يوم النحر من صلاة الظهر وقيل انه يبتدى به من صلاة المغرب ليلة
النحر ويختم بصلاة الصبح من اخر ايام التشريق وهذا القول الثاني للشافعي فيكون التكبير على هذا القول
في ثمانية عشر صلاة والقول الثالث للشافعي انه يبتدى بالتكبير من صلاة الصبح يوم عرفة ويختم
به بعد صلاة العصر من اخر ايام التشريق فيكون التكبير على هذا القول في ثلاث وعشرين صلاة وهو
قول علي بن ابي طالب ومكحول وبه قال ابو يوسف ومحمد وقال ابن مسعود يبتدى به من صبح يوم عرفة
ويختم بصلاة العصر من يوم النحر فعلى هذا القول يكون التكبير في ثمان صلوات وبه قال ابو حنيفة
وقال احمد بن حنبل ان كان محلا لا كبر عقيب ثلاث وعشرين صلاة اولها الصبح من يوم عرفة واخرها
صلاة العصر من اخر ايام التشريق وان كان محرما كبر عقب سبعة عشر صلاة اولها الظهر من يوم النحر
واخرها عصر اخر ايام التشريق ولفظ التكبير عند الشافعي ثلاث نسقا الله اكبر الله اكبر الله اكبر وهو
قول سعيد بن جبير والحسن وهو قول اهل المدينة قال الشافعي وما زاد من ذكر الله فحسن ويروى
عن ابن مسعود انه يكبر مرتين فيقول الله اكبر الله اكبر وهو قول اهل العراق وقوله تعالى فمن تعجل
في يومين اي فمن تعجل النفر الاول وهو في الثاني من ايام التشريق فلا اثم عليه اي فلا حرج عليه وذلك
انه يجب على الحاج المبيت بمنى الليلة الاولى والثانية من ليالي ايام التشريق ليرمي كل يوم بعد الزوال
احدى وعشرين حصاة يرمي عند كل جمرة سبع حصيات ثم من رمى في اليوم الثاني واراد ان ينفر ويدع
البيتوتة الليلة الثالثة ورمي يومها فذلك واسع له لقوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه
يعني فلا اثم على من تعجل فنفر في اليوم الثاني في تعجيله ومن تاخر فلا اثم عليه يعني ومن تاخر الى
النفر الثاني وهو اليوم الثالث من ايام التشريق فلا اثم عليه في تاخره واعلم انه انما يجوز التعجيل
لمن نفر بعد الزوال من اليوم الثاني من ايام التشريق وقبل غروب الشمس من ليلة اليوم وان غربت
عليه الشمس وهو بمنى لزمه المبيت بها لرمي اليوم الثالث هذا مذهب الشافعي واكثر الفقها
وقال ابو حنيفة يجوز له ان ينفر ما لم يطلع الفجر لانه لم يدخل وقت الرمي بعد ورخص لرعاة
الابل واهل سقاية الحاج ترك المبيت بمنى ليالي منى **فان قلت**
قوله ومن تاخر فلا اثم عليه فيه اشكال وهو ان الذي اتى بافعال الحج كاملة تامة فقد اتى بما
يلزمه فما معنى قوله فلا اثم عليه انما يخاف من الاثم من قصر فيما يلزمه **قلت**
فيه اجوبة احدها انه تعالى لما اذن في التعجل على سبيل الرخصة احتمل ان يخطر ببال قوم ان
من لم يجر على موجب هذه الرخصة فانه يأثم فازال الله تعالى هذه الشبهة وبين انه لا اثم
عليه في الامرين فان شاء عجل وان شاء اخر **الجواب** الثاني ان من الناس من كان
يتعجل ومنهم من كان يتاخر وكل فريق يصوب فعله على فعل الفريق الاخر فبين الله تعالى ان

Copyright © King Saud University

كل واحد من الفريقين مصيب في فعله وانه لا اثم عليه الجواب الثالث انما قال ومن تاخر فلا اثم عليه لمشاكلة اللفظة الاولى فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ومعلوم ان جزاء السيئة ليس بسيئة الجواب الرابع ان فيه دلالة على جواز الامرين فكانه تعالى قال فتعجلوا او تاخروا فلا اثم في التعجيل ولا في التاخير لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم للحاج المتقي وقيل لمن اتقى اي يصيب في حجه شيئا مما نهاه الله عنه من قتل صيد وغيره مما هو محظور في الحج وقيل معناه انه ذهب اثمه ان اتقى فيما بقي من عمره وذلك ان الحاج يرجع مغفورا له بشرط ان لا يرتكب ما نهي عنه فيما بقي من عمره وهو قوله واتقوا الله اي في المستقبل والتقوى عبارة عن فعل الواجبات وترك المحظورات واعلموا انكم اليه تحشرون اي فيجازيكم باعمالكم وفيه حث على التقوى قوله عز وجل ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة واسمه ابي وانما سمي الاخنس لانه خنس يوم بدر بثلثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه اشار على بني زهرة بالرجوع يوم بدر وقال لهم ان محمدا ابن اختكم فان يك كاذبا كفاكموه الناس وان يك صادقا كنتم اسعد الناس به قالوا نعم ما رايت قال اني ساخنس بكم فاتبعوني فخنس فسمي الاخنس بذلك وكان الاخنس حلو الكلام حلو المنظر وكان ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجالسه ويظهر الاسلام ويقول اني لاحبك ويحلف على ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدني مجلسه وكان الاخنس منافقا فنزل فيه ومن الناس من يعجبك قوله اي يروقك وتستحسنه ويعظم في قلبك في الحياة الدنيا يعني ان حلاوة كلامه فيما يتعلق بامر الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه يعني قوله والله اني بك مؤمن ولك محب وهو الد الخصام اي شديد الجدال في الباطل وقيل هو شديد القسوة في المعصية جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة ق عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم يعني الشديد في الخصومة واذا تولى اي ادبر واعرض عنك بعد لين القول وحلاوة المنطق سعى في الارض اي سار ومشى في الارض ليفسد فيها يعني بقطع الارحام وسفك دماء المسلمين ويهلك الحرث والنسل وذلك ان الاخنس بن شريق كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا فاحرق زرعهم واهلك مواشيهم وقيل خرج الى الطائف مقتضيا دينا كان له على غريم فاحرق كرمه وعقر اتانا وقيل معناه اذا تولى اي صار واليا وملك الامر سعى في الارض ليفسد فيها يعني بالظلم والعدوان كما يفعله ولاة السوء والظلمة وقيل يظهر ظلمه حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل بسبب منع القطر وقيل ان الاية عامة في حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات والله لا يحب الفساد قال ابن عباس لا يرضى بالمعاصي واحتجت المعتزلة بهذه الاية على ان المحبة عبارة عن الارادة واجيب عنه بان الارادة معنى غير المحبة فان الانسان قد يريد شيئا ولا يحبه وذلك بان يتناول الدواء المر ولا يحبه فبان الفرق بين الارادة والمحبة وقيل ان المحبة مدح الشيء وتعظيمه والارادة بخلاف ذلك واذا قيل له اتق الله اي خف الله في سرك وعلانيتك اخذته العزة بالاثم اي حملته العزة وحمية الجاهلية على فعل الاثم وقيل بان يعمل الاثم وهو الظلم وترك الالتفات الى الوعظ وعدم الاصغاء اليه وهو من العزة المنفية والتكبر فحسبه جهنم اي كافيه له جهنم جزاء وعذابا وجهنم اسم من اسماء النار التي يعذب بها الكفار في الاخرة وقيل هو اسم عجمي وقيل بل هو عربي سميت النار بذلك

لبعد

لبعد قعرها ولبئس المهاد اي الفراش والمهاد التوطية ايضا والمعنى ان المعذب بالنار يجعل تحته وفوقه قال ابن مسعود ان اكبر الذنوب عند الله ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك وروي انه قيل لعمر اتق الله فوضع خده على الارض تواضعا لله تعالى قوله عز وجل ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله قال ابن عباس نزلت هذه الاية في سرية الرجيع وكانت بعد احد خ عن ابي هريرة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية عينا وامر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى اذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا اثارهم حتى اتوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا اثرهم حتى لحقوهم فلما احس بهم عاصم واصحابه لجاوا الى فدفد وجاء القوم فاحاطوا بهم فقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا ان لا نقتل منكم رجلا فقال عاصم اما انا فلا انزل في ذمة كافر اللهم اخبر عنا رسولك فقاتلوهم فرموهم حتى قتلوا عاصما في سبعة نفر بالنبل وبقي خبيب وزيد ورجل اخر فاعطوهم العهد والميثاق فلما اعطوهم العهد والميثاق نزلوا اليهم فلما استمكنوا منهم حلوا اوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذي معهم هذا اول الغدر فابى ان يصحبهم فجروه وعالجوه ان يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو الذي قتل الحارث يوم بدر فمكث عندهم اسيرا حتى اذا اجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحد بها فاعارته قالت فغفلت عن صبي لي فدرج اليه حتى اتاه فوضعه على فخذه فلما رايته فزعت فزعة عرف ذلك مني وفي يده الموسى فقال اتخشين مني ان اقتله ما كنت لافعل ذلك ان شاء الله وكانت تقول ما رايت اسيرا قط خيرا من خبيب لقد رايته ياكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وانه لموثق في الحديد وما كان الا رزق رزقه الله خبيبا فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه قال دعوني اصلي ركعتين ثم انصرف اليهم فقال لولا ان تروا ان ما بي جزع من الموت لزدت فكان اول من سن ركعتين عند القتل ثم قال اللهم احصهم عددا وقال • فلست ابالي حين اقتل مسلما • على اي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشا • يبارك على اوصال شلو ممزع • ثم قام اليه عقبة بن الحارث فقتله وبعثت قريش الى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه وكان قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شيء زاد في رواية واخبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه يوم اصيبوا خبرهم الفدفد الموضع الذي فيه غلظ وارتفاع وقوله عالجوه اي مارسوه وارادوا انهم خدعوه ليتبعهم فابى وقوله ليستحد الاستحداد حلق العانة والقطف العنقود من العنب قوله على اوصال شلو الشلو العضو من اعضاء الانسان والممزع المفرق والظلة التي الذي يظلل من فوق الانسان والدبر جماعة من النحل والزنابير قال اهل التفسير ان كفار قريش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة انا قد اسلمنا فابعث الينا نفرا من علماء اصحابك يعلمونا دينك وكان ذلك مكرا منهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب بن عدي الانصاري ومرثد بن ابي مرثد الغنوي وخالد بن بكير وعبد الله بن طارق بن شهاب البلوي وزيد بن الدثنة وامر عليهم عاصم بن ثابت بن ابي الافلح الانصاري وذكروا نحو حديث البخاري وزاد عليه فقالوا افضلوا خبيبا حيا فقال اللهم

Copyright © King Saud University

انك تعلم انه ليس لي احد حولي يبلغ سلامي رسولك فابلغه سلامي فقام اليه ابو سروعة عقبة
ابن الحارث فقتله ويقال كان رجل من المشركين يقال له ابو ميسرة سلامان معه رمح فوضعه بين
ثديي خبيب فقال له خبيب اتق الله فما زاده ذلك الا عتوا فطعنه فانفذه فذلك قوله تعالى واذا
قيل له اتق الله اخذته العزة نعني سلامان واما زيد بن الدثنة وابتاعه صفوان بن امية ليقتله
بابيه امية بن خلف فبعثه مع مولى له يسمى نسطاس الى التنعيم ليقتله في الحل واجتمع رهط من
قريش فيهم ابو سفيان بن حرب فقال له ابو سفيان حين قدم ليقتل انشدك الله يا زيد اتحب محمدا
عندنا الان مكانك نضرب عنقه وانت في اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان في
مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وانا جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت
احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم
هذا الخبر قال لاصحابه ايكم ينزل خبيبا عن خشبته وله الجنة فقال له الزبير انا يا رسول الله
وصاحبي المقداد بن الاسود فخرجا يمشيان الليل ويكمنان النهار حتى اتيا التنعيم ليلا فاذا
حول الخشبة اربعون من المشركين نشاوى وهم نيام فانزلاه عن خشبته فاذا هو رطب لم
يتغير منه شيء بعد اربعين يوما ويده على جراحته وهي تبض دما اللون لون الدم والريح
ريح المسك فحمله الزبير على فرسه وسار فانتبه الكفار وقد فقدوا خبيبا فابتلعته الارض
فسمي بليع الارض وقال الزبير ما جراكم علينا يا معشر قريش ثم رفع العمامة عن راسه
وقال انا الزبير بن العوام وامي صفية بنت عبد المطلب وصاحبي المقداد بن الاسود اسدان
ضاريان يذبان عن اشبالهما فان شئتم ناضلتكم وان شئتم نازلتكم وان شئتم انصرفتم
فانصرفوا الى مكة وقدم الزبير وصاحبه المقداد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل
عنده فقال يا محمد ان الملائكة لتباهي بهذين من اصحابك ونزل في الزبير والمقداد ومن
الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله حين شريا انفسهما بانزال خبيب عن خشبته وقال
اكثر المفسرين نزلت في صهيب بن سنان الرومي وانما نسب الى الروم لان ابنا لهم كانت
بارض الموصل فاغارت الروم على تلك الناحية فسبته وهو غلام صغير فنشا بالروم وانما كان
من العرب من النمر بن قاسط قال سعيد بن المسيب وعطا اقبل صهيب مهاجرا الى النبي صلى
الله عليه وسلم فاتبعه نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته ونثل ما كان في كنانته وقال
والله لا تصلوا الي او ارمي بكل سهم معي ثم اضرب بسيفي ما بقي في يدي وان شئتم دللتكم على
مالي بمكة وخليتم سبيلي ففعلوا فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
نزلت ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله الاية فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ربح البيع ابا يحيى وتلا عليه هذه الاية وقال الحسن اتدرون فيم نزلت هذه الاية
نزلت في المسلم يلقى الكافر فيقول له قل لا اله الا الله فيابى ان يقولها فيقول المسلم والله
لاشرين نفسي لله فيتقدم فيقاتل وحده حتى يقتل وقيل نزلت هذه الاية في الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وقال ابن عباس ارى من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله يقوم فيامر هذا بتقوى
الله فاذا لم يقبل واخذته العزة بالاثم قال هذا وانا اشتري نفسي لله فقاتله فكان علي رضي
الله عنه اذا قرا هذه الاية يقول اقتتلا ورب الكعبة وسمع عمر رجلا يقرا هذه الاية ومن

الناس

الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يامر بالمعروف
وينهى عن المنكر فقتل عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعظم الجهاد كلمة عدل
عند سلطان جائر اخرجه الترمذي وقال الحديث غريب واما تفسير الاية فذكر المفسرون
ان المراد بهذا الشري البيع ومنه قوله وشروه اي باعوه والمعنى ان المسلم باع نفسه بثواب الله
تعالى في الدار الاخرة وهذا البيع هو ان يبذل نفسه في طاعة الله من صلاة وصيام وحج
وجهاد وامر بمعروف ونهي عن منكر فكان ما يبذله من نفسه كالسلعة فصار كالبائع والله
تعالى المشتري والثمن هو ثواب الله تعالى في الاخرة ابتغاء مرضات الله اي طلب رضا الله
والله رؤوف بالعباد ومن رافة الله بعباده ان جعل النعيم الدائم في الجنة جزاء على العمل القليل
المنقطع ومن رافته انه يقبل توبة عبده ومن رافته ان نفس العباد واموالهم له ثم انه تعالى
يشتري ملكه بملكه فضلا منه ورحمة واحسانا قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة نزلت في
مؤمني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وذلك لما اسلموا اقاموا على تعظيم شرائع
موسى فعظموا السبت وكرهوا لحوم الابل والبانها وقالوا ان ترك هذه الاشياء مباح في
الاسلام وواجب في التوراة وقالوا ايضا يا رسول الله ان التوراة كتاب الله دعنا فلنقم
به في صلاتنا بالليل فانزل الله هذه الاية وامرهم ان يدخلوا في السلم اي في شرائع الاسلام
ولا يتمسكوا بالتوراة فانها منسوخة والمعنى استسلموا لله واطيعوه فيما امركم به وقيل
هو خطاب لمن لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين امنوا بموسى
وعيسى ادخلوا في السلم كافة اي الاسلام وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم حين
اتاه عمر فقال انا نسمع احاديث من يهود تعجبنا فترى ان نكتب بعضها فقال النبي صلى الله عليه
وسلم امتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حيا
ما وسعه الا اتباعي قوله امتهوكون اي متحيرون انتم في دينكم حتى تاخذوه من اليهود
والنصارى وقوله لقد جئتكم بها يعني الملة الحنيفية بيضاء نقية اي لا تحتاج الى شيء وقيل
يحتمل ان يكون خطابا للمنافقين من المؤمنين والمعنى يا ايها الذين امنوا بالسنتهم ادخلوا
في السلم اي الانقياد والطاعة لان اصل السلم الاستسلام وهو الانقياد كافة اي باجمعكم
ولا تتفرقوا وقيل يحتمل ان يرجع الى الاسلام والمعنى ادخلوا في احكام الاسلام وشرائعه
كافة وهذا المعنى اليق بظاهر التفسير لانهم امروا بالقيام بها كلها قال حذيفة بن
اليمان في هذه الاية الاسلام ثمانية اسهم فعل الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة
والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد خاب من لا سهم له ولا تتبعوا خطوات الشيطان يعني اثاره
فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الابل وغير ذلك وقيل ولا تلتفتوا الى الشبهات التي
يلقيها اليكم اصحاب الضلالة والغواية والاهواء المضلة لان من اتبع سنة انسان فقد
تبع اثره انه لكم عدو مبين يعني الشيطان **فان قلت** عداوته باحتيال
الضرر والقاء الوسوسة فكيف يصح ذلك الاعتقاد فان الله هو الفاعل لجميع الاشياء
قلت انه يحاول ايصال الضرر والبلاء اليه ولكن الله منعه عن ذلك ومعنى
الوسوسة فمعلوم انه يزين المعاصي والقاء الشبهات وكل سبب لوقوع الانسان في مخالفة

الله تعالى قصده بذلك عن الطالب فهذا من اعظم جهات العداوة **فان قلت** كيف
وصف الشيطان بانه مبين مع انا لا نراه **قلت** ان الله تعالى بين عداوته ما هي
فكانه بين وان لم يشاهد فان زللتم اى عدلتم وضللتم وقال ابن عباس اشركتم من بعد ما جاءتكم البينات
اى الدلالات الواضحات فاعلموا ان الله عزيز اى فى نقمته ممن خالفه غالب لا يعجزه شئ حكيم
يعنى انه لا ينتقم الا بحق والحكم هو الاصابة فى الامور بطلها وفى الاية وعيد وتهديد لمن فى
قلبه شك ونفاق او عنده شبهة فى الدين قوله عز وجل هل ينظرون اى ينتظرون التاركون
الدخول فى السلم والمتبعون خطوات الشيطان الا ان ياتيهم الله فى ظلل جمع ظلة من الغمام يعنى السحاب
الابيض الرقيق سمى غماما لانه يغم ويستر وقيل هو شئ غير السحاب ولم يكن الا لبنى اسرائيل
فى تيههم وهو كهيئة الضباب الابيض اى وتاتيهم الملائكة وروى الطبرى فى تفسيره بسند
متصل عن عكرمة عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان من الغمام طاقات ياتى
الله عز وجل فيها محفوفا وذلك قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى
والملائكة خ
الامر قال عكرمة والملائكة حوله وقيل معناه حول الغمام وقيل حول الرب تبارك وتعالى
واعلم ان هذه الاية من ايات الصفات وللعلماء فى ايات الصفات واحاديث الصفات مذهبان
احدهما وهو مذهب سلف هذه الامة واعلام اهل السنة الايمان والتسليم لما جاء فى ايات الصفات
واحاديث الصفات وانه يجب علينا الايمان بظاهرها ونؤمن بها كما جاءت ونكل علمها الى الله
تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم مع الايمان والاعتقاد بان الله تعالى منزه عن الحدث
سمات الحدث وعن الحركة والسكون قال الكلبى هذا من الذى لا يفسر وقال سفيان بن عيينة
كلما وصف الله به نفسه فى كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عليه ليس لاحد ان يفسره الا
الله ورسوله وكان الزهرى والاوزاعى ومالك وابن المبارك وسفيان الثورى والليث
بن سعد واحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه يقولون فى هذه الاية وامثالها امروها
كما جاءت بلا كيف ولا تشبيه ولا تاويل هذا مذهب اهل السنة ومعتقد سلف الامة
وانشد بعضهم فى المعنى * عقيدتنا انه ليس مثل صفاته * ولا ذاته شئ عقيدة صائب
نسلم ايات الصفات باسرها * واخبارها الظاهر المتقارب * ونؤيس عنها كنه فهم
عقولنا * وتاويلها فعل اللبيب المغالب * ونركب للتسليم سفنا فانها * لتسليم
دين المرء خير المراكب * المذهب الثانى وهو قول جمهور المتكلمين وذلك انه اجمع جميع
المتكلمين من العقلاء والمعتبرين من اصحاب النظر انه تعالى منزه عن المجئ والذهاب ويدل
على ذلك ان كل ما يصح عليه المجئ والذهاب لا ينفك عن الحركة والسكون وهما محدثان
وما لا ينفك عن المحدث فهو محدث والله تعالى منزه عن ذلك فيستحيل ذلك فى حقه
تعالى فثبت بذلك ان ظاهر الاية ليس مرادا فلا بد من التاويل على سبيل التفصيل
فعلى هذا قيل فى معنى الاية هل ينظرون الا ان ياتيهم الله بالايات فيكون مجئ الايات مجيا
له على سبيل التفخيم لشان الايات وقيل معناه الا ان ياتيهم امر الله وحجة (?)
هذا التاويل ان الله تعالى قال فى اية اخرى فقال هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او
ياتى امر ربك فصار هذا المحكم مفسرا لهذا المجمل فى هذه الاية وقيل معناه ياتيهم الله بما

وعد

وعد من الحسنات والعقاب فحذف ما ياتى به تهويلا عليهم ان لو ذكر ما ياتى به كان
اسهل عليهم فى باب الوعيد واذا لم يذكر كان ابلغ وقيل يحتمل ان تكون فى بمعنى الباء لان بعض
الحروف يقوم مقام بعض فيكون المعنى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله بظلل من الغمام
والملائكة والمراد العقاب الذى ياتى من الغمام مع الملائكة وقيل معناه ما ينظرون الا ان
ياتيهم قهر الله وعذابه فى ظلل من الغمام **فان قلت** لم كان اتيان العذاب فى الغمام
قلت لان الغمام مظنة الرحمة ومنه ينزل المطر فاذا نزل منه العذاب كان اعظم
وافظع وقيل ان نزول الغمام علامة لظهور القيامة واهوالها وقضى الامر اى وجب العذاب
وفرغ من الحساب وذلك فصل الله القضاء بين العباد يوم القيامة والى الله ترجع الامور
اى الى الله تفصيل امور العباد فى الاخرة **فان قلت** هل كانت ترجع الى غيره **قلت**
ان امور جميع العباد ترجع اليه فى الدنيا والاخرة ولكن المراد من هذا اعلام الخلق انه المجازى
على الاعمال بالثواب والعقاب وجواب اخر وهو انه لما عبد قوم غيره فى الدنيا واضافوا
افعاله الى سواه ثم اذا كان يوم القيامة انكشف الغطا ردوا الى الله ما اضافوا الى غيره قوله
تعالى عز وجل سل بنى اسرائيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم امره ان يسال اليهود المدينة (?)
وليس المراد بهذا السؤال العلم بالايات لانه صلى الله عليه وسلم قد علمها باعلام الله اياه
ولكن المراد بهذا السؤال التوبيخ والتقريع والمبالغة فى الزجر عن الاعراض عن دلائل الله وترك
الشكر وقيل المراد بهذا السؤال التقرير وتذكيرهم النعم التى انعم بها على سلفهم كم اتيناهم من اية بينة
اى من دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام مثل العصا واليد البيضا وفلق البحر وانزال
المن والسلوى ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته يعنى يغير الايات التى جاءته من الله لانها سبب
الهدى والنجاة من الضلالة وقيل هى حجج الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك
انهم انكروها وبدلوها وقيل المراد بنعم الله عهده الذى عهد اليهم فلم يفوا به فان الله شديد
العقاب يعنى لمن بدل نعمة الله قوله عز وجل زين للذين كفروا الحياة الدنيا نزلت فى مشركى العرب
ابى جهل واصحابه لانهم كانوا يتنعمون بما بسط لهم فى الدنيا ويكذبون بالمعاد وقيل نزلت
فى المنافقين عبد الله بن ابى واصحابه وقيل نزلت فى رؤسا اليهود ويحتمل انها نزلت فى
الكل والمزين هو الله تعالى يدل ليل قراة من قرا زين بفتح الزاى وذلك لا يمتنع ان يكون
الله تعالى هو المزين لهم بما اظهر فى الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب واللذة وخلق الاشيا
العجيبة والمناظر الحسنة وانما فعل ذلك ابتلا لعباده وذلك انه جعل الدنيا دار ابتلا وامتحان
وركب فى الطباع الميل الى اللذات وحب الشهوات لا على سبيل الالجاء والقسر الذى لا يمكن تركه
بل على سبيل التحبيب الذى تميل النفس اليه مع امكان ردها عنه فنظر الخلق الى الدنيا اكثر من
قدرها فاعجبهم حسنها وزهرتها وزينتها فاحبوها وفتنوا بها وقيل ان المراد من التزيين
ان الله تعالى امهلهم فى الدنيا حتى اقبلوا عليها واحبوها فكان هذا الامهال هو التزيين وقيل ان
المزين هو الشيطان وغواة الجن والانس وذلك انهم زينوا للكفار الحرص على الدنيا وطلبها وقبحوا
لهم امر الاخرة وخوفوهم ان لا اخرة ليقبلوا على لذات الدنيا والحرص عليها وهذا التاويل
ضعيف لان قوله تعالى زين للذين كفروا يتناول جميع الكفار فيدخل فيه الشيطان وغواة

Copyright © King Saud University

الحق والاخرى وان لكلهم مزين يزين لهم وهذا المزين لابد وان يكون مغايرا لهم فثبت بهذا ضعف قول المعتزلة
ويسخرون من الذين امنوا يعني ان الكفار يستهزئون بفقرا المومنين قال ابن عباس مثل عبد الله بن مسعود
وعمار بن ياسر وصهيب وبلال ونظرايهم وقيل كانوا يقولون انظروا الى هولا الذين يزعم محمد انه يغلب بهم
والذين اتقوا يعني الفقرا من المومنين فوقهم اى فوق الكفار يوم القيمة لان الفقرا في عليين والكفار والمنافقين
في اسفل السافلين ق عن حارثة بن وهب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا اخبركم
باهل الجنة كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل جواظ جعظري مستكبر العتل
الفظ الغليظ الشديد في الخصومة الذى لا ينقاد لخير والجواظ الفاجر المختال في مشيه وقيل هو القصير البطين
والجعظري الفظ الغليظ وقيل هو الذى يتمدح بما ليس فيه او عنده ق عن اسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين واصحاب الجد محبوسون غير ان اصحاب النار قد امر بهم الى النار
وقمت على باب النار فاذا عامة من دخلها النسا الجد بفتح الجيم هو الحظ والغنا وكثرة المال والله يرزق من يشا بغير حساب
قال ابن عباس يعني كثيرا بغير مقدار لان كل ما يدخل عليه الحساب فهو قليل والمعنى انه يوسع لمن يشا من عباده وقيل
يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الاخرة وقيل معناه انه يرزق من يشا من حيث لا يحتسب وقيل معناه ان
يرزقه بغير استحقاق وقيل معناه ان الله تعالى لا يخاف نفاد ما في خزاينه حتى يحتاج الى حساب ما يخرج
منها لان الحساب انما يكون ليعلم قدر ما يعطي وما يبقى عالم بما يعطي ولا يخاف نفاد خزاينه لانها بين
الكاف والنون وقيل معناه ان الله تعالى يقتر الرزق على من يشا ويبسط الرزق لمن يشا ولا يعطي كل احد على
قدر حاجته بل يعطي الكثير لمن لا يحتاج اليه ولا معارض له في حكمه ولا يحاسب فيما رزق ولا يسال لمن في ملكه ... عنه
ولا يسال عما يفعل ويحتمل ان يكون المراد منه ما يعطي الله المتقين في الاخرة من الثواب والكرامة بغير محاسبة منه
لهم على ما من به عليهم وذلك ان نعيم الجنة لا نفاد له ولا انقطاع وقيل انه تعالى يعطي اهل الجنة الثواب والاجر
بقدر اعمالهم ثم يتفضل عليهم فذلك الفضل منه اليهم بغير حساب قوله عز وجل كان الناس امة واحدة اى على
دين واحد قيل هو ادم وذريته كانوا مسلمين على دين واحد الى ان قتل قابيل هابيل فاختلفوا وقيل كان
الناس على شريعة واحدة من الحق والهدى من وقت ادم الى مبعث نوح وكانوا مومنين ثم اختلفوا بعد
وفاته وقيل ان العرب كانت على دين ابراهيم عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحي وقيل كان الناس امة
واحدة حين اخرجوا من ظهر ادم لاخذ الميثاق فقال الست بربكم قالوا بلى فاعترفوا بالعبودية ولم يكونوا
امة واحدة غير ذلك اليوم ثم لما ظهروا الى الوجود اختلفوا بسبب البغي والحسد وقيل ان ادم وحده
كان امة واحدة يعني اماما وقدوة يقتدى به وانما ظهر الاختلاف بعده وقيل كان الناس امة واحدة
على الكفر والباطل بدليل قوله فبعث الله النبيين فان قيل اليس قد كان فيهم من هو مسلم نحو هابيل وشيث
وادريس ونحوهم فالجواب ان الغالب في ذلك الزمان كان الكفر والحكم للغالب وقيل ان الاية دالة
على ان الناس كانوا امة واحدة وليس فيها ما يدل على انهم كانوا على ايمان او كفر فهو موقوف على دليل
من خارج فبعث الله النبيين وجملتهم مائة الف واربعة وعشرون الفا والرسل منهم ثلثمائة وثلاثة
عشر المذكور منهم باسم الاعلام ثمانية وعشرون نبيا مبشرين يعني بالثواب لمن امن واطاع ومنذرين
يعني مخوفين بالعقاب لمن كفر وعصى وانما قدم البشارة على الانذار لان البشارة تجري مجرى حفظ
الصحة للابدان والانذار يجري مجرى ازالة المرض ولا شك ان المقصود هو الاول فكان اولى بالتقديم
وانزل معهم الكتاب اى الكتب ويكون التقدير وانزل مع كل واحد الكتاب بالحق اى بالعدل والصدق

وحمل

وجملة الكتب المنزلة من السما مائة واربعة كتب نزل على ادم عشر صحايف وعلى شيث ثلاثون وعلى ادريس خمسون
وعلى موسى عشر صحايف والتوراة وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم القران
ليحكم بين الناس يعني الكتاب وانما اضيف الحكم الى الكتاب وان كان الحاكم هو الله تعالى لانه انزله والمعنى
ليحكم الله بالكتاب الذى انزله وقيل معناه ليحكم بين الناس كل نبي بكتابه المنزل عليه فاسند الحكم الى الكتاب
او النبي مجازا والله هو الحاكم في الحقيقة فيما اختلفوا فيه اى في الحق الذى اختلفوا فيه من بعد ما كانوا متفقين
عليه وما اختلف فيه اى في الحق الا الذين اوتوه اى اعطوا الكتاب والمراد به التوراة والانجيل والذين اوتوه
اليهود والنصارى واختلافهم هو تكفير بعضهم بعضا بغيا وحسدا وقيل اختلافهم هو تحريفهم وتبديلهم
وقيل الكناية فيه راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اختلف في امر محمد صلى الله عليه وسلم
بعد وضوح الدلالات في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا اليهود الذين اوتوا الكتاب بغيا منهم
وحسدا من بعد ما جاتهم البينات اى الدلالات الواضحات على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
بغيا بينهم يعني انهم لم يبق لهم عذر في العدول عنه وترك ما جا به وانما تركوا اتباعه بغيا وحسدا وحب
الدنيا وطلب الرياسة فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه اى لما اختلفوا فيه من الحق وكان اختلافهم
الذين اختلفوا فيه الجمعة فهدى الله تعالى هذه الامة الاسلامية اليها ق عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون السابقون يوم القيامة اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من
بعدهم فهذا اليوم الذى اختلفوا فيه فهدانا الله فغدا لليهود وبعد غد للنصارى وفي رواية قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن الاخرون السابقون بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتينا الكتاب
من بعدهم ثم هذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له والناس لنا فيه تبع يعني يوم الجمعة ثم اتفقا فالناس لنا
تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد م عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اضل الله عن الجمعة
من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجا الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة
والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الاخرون من اهل الدنيا الاولون يوم القيامة
المقضي لهم يوم القيامة قبل الخلايق وقيل اختلفوا في شان القبلة فصلت اليهود نحو القبلة الى بيت
المقدس وصلت النصارى الى المشرق وهدانا الله الى الكعبة وقيل اختلفوا في الصيام فهدانا الله لشهر
رمضان واختلفوا في ابراهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فهدانا
الله الى الحق فقلنا كان حنيفا مسلما واختلفوا في عيسى بن مريم فاليهود فرطوا فيه والنصارى افرطوا
فيه فهدانا الله في ذلك كله للحق والمعنى فهدى الله الذين امنوا الى الحق الذى اختلف فيه من اختلف باذنه
يعني بعلمه وامره وارادته والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم قوله عز وجل ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
نزلت في غزوة الاحزاب وهي غزوة الخندق وذلك ان المسلمين اصابهم ما اصابهم من الجهد والشدة والخوف
والبرد وضيق العيش الذى كانوا فيه يوميذ وقيل نزلت في غزوة احد وقيل لما دخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه المدينة في اول الهجرة اشتد عليهم الضر لانهم خرجوا بلا مال وتركوا اموالهم وديارهم بايدي
المشركين واثروا رضى الله ورسوله واظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسر
قوم النفاق فانزل الله هذه الاية تطييبا لقلوبهم ومعنى الاية احسبتم والميم صلة وقيل هل
حسبتم والمعنى اظننتم ايها المومنون ان تدخلوا الجنة بمجرد الايمان ولم يصبكم مثل ما اصاب من
كان قبلكم من اتباع الانبيا والرسل من الشدايد والمحن والابتلا والاختبار وهو قوله ولما ياتكم

Copyright © King Saud University

مثل الذين خلوا من قبلكم اى شبه الذين مضوا قبلكم من النبيين واتباعهم من المومنين مستهم البأساء اى اصابتهم
الفقر والشدة والمسكنة وهو اسم من البوس والضراء يعني المرض والزمانة وضروب الخوف وزلزلوا اى
وحركوا بانواع البلايا والرزايا واصل الزلزلة الحركة وذلك لان الخائف لا يستقر بل لا يزال يضطرب
ويتحرك لقلقه حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله وذلك لان الرسل اثبت من غيرهم
واصبر واضبط للنفس عند نزول البلا وكذا اتباعهم من المومنين والمعنى انه بلغ بهم الجهد والشدة
والبلا ولم يبق لهم صبر وذلك هو الغاية القصوى في الشدة فلما بلغ بهم الحال في الشدة الى
هذه الغاية واستبطوا النصر قيل لهم الا ان نصر الله قريب اجاب لهم الى طلبتهم والمعنى هكذا
كان حالهم لم يغيرهم طول البلا والشدة عن دينهم الى ان اتاهم نصر الله فكونوا يا معشر المومنين كذلك
وتحملوا الاذى والشدة والمشقة في طلب الحق فان نصر الله قريب خ عن خباب بن الارت قال
شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تنتصر لنا
الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يوخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يوتى بالمنشار فيوضع
على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله
ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعا الى حضرموت لا يخاف الا الله والذيب على غنمه ولكنكم تستعجلون قوله
عز وجل يسألونك ماذا ينفقون نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال فقال يا رسول الله بماذا
نتصدق وعلى من ننفق فانزل الله تعالى يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير اى مال والمعنى وما
تفعلوا من انفاق شي من المال قل او كثر فللوالدين وانما قدم الانفاق على الوالدين لوجوب حقهما على الولد
لانهما كانا السبب في اخراجه من العدم الى الوجود والاقربين وانما ذكر بعد الوالدين الاقربين لان
الانسان لا يقدر ان يقوم بمصالح جميع الفقرا فتقديم القرابة اولى من غيرهم واليتامى وانما ذكر
بعد الاقربين اليتامى لصغرهم ولانهم لا يقدرون على الاكتساب ولا لهم احد ينفق عليهم
والمساكين وانما اخرهم لان حاجتهم اقل من حاجة غيرهم وابن السبيل يعني المسافر فانه بسبب
انقطاعه عن بلده قد يقع في الحاجة والفقر فانظر لهذا الترتيب بحسن الكامل انفعه بالاجمال
فقال تعالى وما تفعلوا من خير فان الله به عليم وما تفعلوا من خير مع هولا او غيرهم طلبا لوجه الله تعالى
ورضوانه فان الله به عليم قال ابن مسعود نسختها اية الزكاة وقال الحسن انها محكمة ووجه احكامها
ان الله ذكر فيها من تجب النفقة عليه من فقره وهما الوالدان وقال ابن زيد هذا في النفل وهو ظاهر الاية
فمن احب التقرب الى الله تعالى بالانفاق فالاولى به ان ينفق على الوجوه المذكورة في الاية فيقدم الاولى
فالاولى بقي في الاية سوال وهو انه كيف طابق السوال الجواب وهو انهم سالوا عن بيان ما ينفقون فاجيبوا
ببيان المصرف واجيب عن هذا السوال بانه قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو المال
ثم ضم الى جواب السوال ما يكمل به المقصود وهو بيان المصرف لان النفقة لا تعتد نفقة الا ان تقع موقعها قال الشاعر
ان الصنيعة لا تعد صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع قوله عز وجل كتب عليكم القتال اى فرض عليكم الجهاد
واختلف العلما في حكم الاية فقال عطا الجهاد تطوع والمراد من الاية اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
دون غيرهم واليه ذهب الثوري وحكي عن الاوزاعي نحوه وحجة هذا القول ان قوله كتب يقتضي الايجاب ويكفي العمل
به مرة واحدة وحجتهم وجه على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوله عليكم يقتضي تخصيص هذا الخطاب بالموجودين
في ذلك الوقت وقيل ان الاية على ظاهرها وان الجهاد فرض على كل مسلم ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله

عبدالله

صلى الله عليه وسلم الجهاد واجب عليكم مع كل امير برا كان او فاجرا اخرجه ابو داود بزيادة فيه ق عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا
وعلى ان الجهاد فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط الفرض عن الباقين وهذا القول هو المختار الذي
عليه جمهور العلما قال الزهري كتب الله القتال على الناس جاهدوا او لم يجاهدوا فمن غزا فيها ونعمت
ومن قعد فهو عدة ان استعين به اعان وان استنفر نفر وان استغني عنه قعد قال الله تعالى
فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ولو كان القاعد
تاركا فرضا لما وعده بالحسنى واختلف علما الناسخ والمنسوخ في هذه الاية على ثلاثة اقوال احدها انها
محكمة ناسخة للعفو عن المشركين القول الثاني انها منسوخة لان فيها وجوب الجهاد على الكافة ثم
نسخ بقوله تعالى وما كان المومنون لينفروا كافة القول الثالث انها ناسخة من وجه ومنسوخة
من وجه فالناسخ منها ايجاب الجهاد مع المشركين بعد المنع منه والمنسوخ ايجاب الجهاد على الكافة
وقوله تعالى وهو كره لكم اى القتال شاق عليكم وهذا الكره انما حصل من حيث نفور الطبع عن القتال لما
فيه من مونة المال ومشقة النفس وخطر الروح والخوف لانهم كرهوا امر الله وقيل نسخ الكره بقوله تعالى
اخبارا عنهم وقالوا سمعنا واطعنا وقيل انما كان كراهتهم القتال قبل ان يفرض عليهم لما فيه من الخوف والشدة
وكثرة الاعدا فبين الله تعالى ان الذي تكرهونه من القتال هو خير لكم من تركه لئلا يكرهونه بعد ان فرض عليهم
وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم لفظة عسى توهم الشك مثل لعل وهي من الله يقين وقيل انها كلمة مطمعة فهي لا تدل
على حصول الشك للقائل وتدل على حصول الشك للمستمع والمعنى ان الغزو فيه احدى الحسنيين
اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة وقيل ربما كان الشي شاقا في الحال وهو سبب للمنافع الجليلة في
المستقبل ومثله شرب الدوا المر فانه ينفر عنه الطبع في الحال لكن يتحمل هذه الكراهة والمشقة لتوقع حصول
الصحة في المستقبل وعسى ان تحبوا شيئا يعني القعود عن الغزو وهو شر لكم يعني لما فيه من فوت الغنيمة والاجر
وطمع العدو فيكم لانه اذا علم ميلكم الى الراحة والدعة والسكون قصد بلادكم وحاول قتالكم واذا علم انكم
شجعان وجلادة على القتال كف عنكم والله يعلم يعني ما في الغنيمة من الجهاد والاجر والخير وانتم لا تعلمون يعني
ذلك والمقصود ان العبد اذا علم قصور علمه وكمال علم الله ثم ان الله تعالى امره بامر كان في ذلك الامر فيه مصلحة عظيمة
فيجب على العبد امتثال امر الله تعالى وان كان يشق على النفس في الحال قوله عز وجل يسألونك عن الشهر الحرام
قتال فيه سبب نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن
عمته في سرية في جمادى الاخر قبل قتال بدر بشهرين وامره على السرية وكتب له كتابا وقال سر على اسم الله
ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب فاقراه على اصحابك ثم امض لما امرتك
ولا تستكرهن احدا منهم على السير فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم
اما بعد فسر على بركة الله بمن معك من اصحابك حتى تنزل بطن نخلة فارصد بها عير قريش لعلك تاتينا منه
بخبر فقال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه بذلك وقال انه نهاني ان استكره احدا منكم فمن كان يريد الشهادة
فلينطلق ومن يكره فليرجع ثم مضى ومضى اصحابه معه وكانوا ثمانية رهط لم يتخلف عنه احد منهم
حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له بحران اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان
بعيرا لهما كانا يعتقبانه فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله ببقية اصحابه حتى نزل في بطن نخلة بين مكة
والطائف فبينما هم كذلك مرت بهم عير لقريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة الطائف وفي العير

Copyright © King Saud University

عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما راوا
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد
ذعروا منكم فاحلقوا راس رجل منكم وليتعرض لهم فاذا راوه محلوقا امنوا فحلقوا راس عكاشة بن محصن ثم
اشرف عليهم فلما راوه امنوا وقالوا قوم عمار فلا باس علينا وكان ذلك في اخر يوم من جمادى الاخرة وكانوا يرون
انه من رجب فتشاور القوم فيهم وقالوا لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم وليمتنعن منكم فاجمعوا امرهم
في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله فكان اول قتيل من المشركين
واسر الحكم وعثمان وكانا اول اسيرين في الاسلام وافلت نوفل فاعجزهم واستاق المسلمون العير
والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام
وسفك فيه الدما واخذ الحرايب يعني المال وعير بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر
الصباة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعبد الله
ابن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين وابى ان ياخذ شيا من
ذلك وعنف المسلمون اصحاب السرية فيما صنعوا وقال لهم صنعتم ما لم تومروا به فعظم
ذلك على اصحاب السرية وظنوا ان قد هلكوا وسقط في ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن
الحضرمي ثم امسينا فراينا هلال رجب فلا ندري افي رجب اصبناه ام في جمادى واكثر الناس
في ذلك فانزل الله هذه الاية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس
وكان اول خمس في الاسلام والغنيمة وقسمت فقسم الباقي على اصحاب السرية وبعث اهل
مكة في فدا اسيريهم فقال بل نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما
قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة
فقتل يوم بير معونة شهيدا واما عثمان بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا واما نوفل فضرب
بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله
فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة
خبيث الدية فاما تفسير الاية فقوله تعالى يسئلونك يعني يا محمد عن الشهر الحرام يعني جافيهم
بذلك لتحريم القتال وفي السايلين رسول الله صلى الله عليه وسلم قولان احدهما انهم المسلمون
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل اخطاوا ام اصابوا وقيل ان المسلمين كانوا يعلمون ان القتال
في الحرم وفي الاشهر الحرام لا يحل فلما كتب عليهم القتال سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال
في الشهر الحرام فنزلت هذه الاية والقول الثاني ان السايلين هم المشركون وانما سالوا على وجه
العيب على المسلمين فنزلت هذه الاية يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل يا محمد قتال فيه كبير
اي عظيم مستنكر واختلف العلما في حكم هذه الاية على قولين احدهما انها محكمة وانه لا يجوز
الغزو في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه فيقاتلوا على سبيل الدفع روي عن عطا انه كان يحلف
بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الشهر الحرام ولا ان يقاتلوا فيه وما نسخت والقول الثاني
الذي عليه جمهور العلما وهو الصحيح انها منسوخة قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار
القتال جايز في الشهر الحرام وهذه الاية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله
وقاتلوا المشركين كافة يعني في الاشهر الحرم وغيرها وصد عن سبيل الله هذا ابتدا كلام والمعنى

وصدكم

وصدكم المسلمين عن الحج او وصدكم عن الاسلام من يريده وكفر به اي بالله والمسجد الحرام اي وصدكم
عن المسجد الحرام واخراج اهله منه يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين حين اذوهم حتى هاجروا
وتركوا مكة وانما جعلهم اهله لانهم كانوا هم القايمين بحقوق المسجد الحرام دون المشركين اكبر عند الله اي
اعظم وزرا عند الله من القتال في الشهر الحرام والفتنة اي الشرك الذي انتم عليه اكبر من القتل يعني قتل
ابن الحضرمي في الشهر الحرام فلما نزلت هذه الاية كتب عبد الله بن انيس وقيل عبد الله بن جحش
الى مومني مكة ان عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم بالكفر وباخراج رسول الله صلى
الله عليه وسلم من مكة والمسلمين ومنعهم اياهم من البيت ولا يزالون يعني مشركي مكة يقاتلونكم
يعني يا معشر المومنين حتى يردوكم عن دينكم يعني الى دينهم وهو الكفر ان استطاعوا يعني ان قدروا على ذلك
وفيه استبعاد لاستطاعتهم فهو كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق انه
لا يظفر به ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر يعني ومن يطاوعهم منكم فيرجع الى دينهم فيمت على ردته
قبل ان يتوب فاولئك حبطت اعمالهم اي بطلت اعمالهم في الدنيا والاخرة وهو ان المرتد يقتل وتبين
زوجته منه ولا يستحق الميراث من اقاربه المومنين ولا ينصر ان استنصر ولا يمدح ولا يثنى
عليه ويكون ماله فيا للمسلمين هذا في الدنيا ولا يستحق الثواب على اعماله ويحبط اجرها في الاخرة
وظاهر الاية يقتضي ان الارتداد انما تتفرع عليه الاحكام اذا مات المرتد على الكفر اما اذا اسلم
بعد الردة لم يثبت عليه شي من احكام الردة وفيه دليل للشافعي ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت
المرتد على ردته وعند ابي حنيفة ان الردة تحبط العمل وان اسلم واولئك اصحاب النار يعني الذين ماتوا
على الكفر والردة هم اصحاب النار هم فيها خالدون اي لا يخرجون منها ابدا ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا
في سبيل الله نزلت في عبد الله بن جحش واصحابه وذلك ان اصحاب السرية قالوا يا رسول الله
هل نوجر على وجهنا هذا ونطمع ان يكون لنا غزو فانزل الله هذه الاية وعن جندب بن عبد الله
قال لما كان من امر عبد الله بن جحش واصحابه وامر ابن الحضرمي ما كان قال بعض المسلمين ان لم
يكونوا اصابوا في سفرهم وزرا فليس لهم فيه اجر فانزل الله هذه الاية ان الذين امنوا والذين هاجروا
اي فارقوا مساكنهم وعشايرهم واموالهم وفارقوا مساكنة المشركين في امصارهم ومجاورتهم في ديارهم
فتحولوا عن المشركين وعن بلادهم الى غيرها وجاهدوا يعني المشركين في سبيل الله اي في طاعة الله فجعل
الله لاصحاب هذه السرية جهادا اولئك يرجون رحمة الله اي يطمعون في نيل رحمة الله على رجا الرحمة
وقيل المراد من الرجا هنا القطع مع اصل الثواب وانما دخل الظن في كيفيته ووقته قال قتادة
اثنى الله تعالى على اصحاب محمد احسن الثنا فقال تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا
وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله هولاء هم خيار الامة هذه ثم جعلهم الله اهل رجا
كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب والله غفور اي لذنوب عباده رحيم بهم والمعنى
ان الله تعالى غفر لعبد الله بن جحش واصحابه ما لم يعلموا به قوله عز وجل يسئلونك عن الخمر والميسر الاية نزلت
في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وجماعة من الانصار اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
يا رسول الله افتنا في الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل مسلبة للمال فانزل الله هذه الاية واصل
الخمر في اللغة الستر والتغطية وسميت الخمر خمرا لانها تخامر العقل اي تخالطه وقيل لانها تستره
وتغطيه وجملة القول في تحريم الخمر ان الله عز وجل انزل في الخمر اربع ايات نزل بمكة ومن ثمرات النخيل

والاعناب تتخذون منه سكرا وكان المسلمون يشربونها في اول الاسلام وهي لهم حلال ثم نزلت
بالمدينة في جواب سؤال عمر ومعاذ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير فتركها قوم لقوله اثم
كبير وشربها قوم لقوله ومنافع للناس ثم ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما ودعا اليه ناسا
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطعمهم وسقاهم الخمر وحضرت صلاة المغرب فقدموا
احدهم ليصلي بهم فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون بحذف حرف لا الى اخر السورة
فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
فحرم السكر في اوقات الصلاة فكان الرجل يشربها بعد صلاة العشا فيصبح وقد زال سكره
فيصلي الصبح ويشربها بعد صلاة الصبح فيصحو وقت صلاة الظهر ثم ان عتبان بن مالك
اتخذ صنيعا يعني وليمة ودعا رجالا من المسلمين فيهم سعد بن ابي وقاص وكان قد شوى لهم
راس بعير فاكلوا وشربوا الخمر حتى اخذت منهم فافتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الاشعار
فانشد سعد قصيدة فيها فخر قومه وهجا الانصار فاخذ رجل من الانصار لحي البعير
فضرب به راس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى
اليه الانصاري فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا ويروى ان حمزة بن عبد المطلب
شرب الخمر يوما وخرج فلقي رجلا من الانصار وبيده ناضح له والانصاري يتمثل ببيتين لكعب
ابن مالك يمدح قومه وهي • جمعنا مع الايواء نصرا وهجرة • فلم ير حي مثلنا في المعاشر •
فاحياؤنا من خير احيا من مضى • وامواتنا من خير اهل المقابر • فقال حمزة اولئك المهاجرون
وقال الانصاري بل نحن الانصار فتنازعا فجرد حمزة سيفه وعدا على الانصاري فهرب
الانصاري وترك ناضحه فقطعه حمزة وجا الانصاري مستعديا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم واخبره بفعل حمزة فقدم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ناضحا فقال عمر
اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فانزل الله تعالى الاية التي في المائدة الى قوله فهل انتم منتهون
فقال عمر انتهينا يا رب وذلك بعد غزوة الاحزاب بايام والحكمة في وقوع التحريم على هذا
الترتيب ان الله تعالى علم ان القوم قد الفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فعلم انه لو
منعهم من الخمر دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فلا جرم استعمل هذا التدريج وهذا الرفق
قال انس حرمت الخمر ولم يكن للعرب يومئذ عيش اعجب منها وما حرم عليهم شي اشد من الخمر ق
عن انس قال ما كان لنا خمر غير فضيخكم واني لقائم اسقي ابا طلحة وابا ايوب وفلانا وفلانا اذ
جا رجل فقال حرمت الخمر فقالوا اهرق هذه القلال يا انس ثم ما سالوا عنها ولا راجعوها بعد
خبر الرجل الفضيخ بالضاد والخا المعجمتين شراب يتخذ من بسر مطبوخ والمفضوخ المشدوخ
والمكسور والاهراق الصب والقلال جمع قلة وهي الجرة الكبيرة

فصل في تحريم الخمر

ووعيد من شربها اجتمعت الامة على تحريم الخمر وانه يحد من شربها ويفسق بذلك مع اعتقاد تحريمها
فان استحلها كفر بذلك ويجب قتله ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل
مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو يدمنها لم يتب منها لم يشربها في
الاخرة لفظ مسلم م عن جابر ان رجلا قدم من جيشان وجيشان من اليمن فسال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بارضهم من الذرة يقال له المزر فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم او مسكر هو قال نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وان
على الله عهدا لمن يشرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال قالوا يا رسول الله وما طينة الخبال قال عرق
اهل النار او عصارة اهل النار د عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل
مسكر حرام ومن شرب مسكرا بخست صلاته اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان
عاد الرابعة كان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال يا رسول
الله قال صديد اهل النار اخرجه ابو داود وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من شرب الخمر فجعلها في بطنه لم يقبل منه صلاة سبعا وان مات فيها مات
كافرا فان اذهبت عقله عن شي من الفرائض وفي رواية عن القران لم تقبل صلاته اربعين يوما
وان مات فيها مات كافرا اخرجه النسائي عن عثمان بن عفان قال اجتنبوا الخمر فانها ام الخبائث
فانها والله لا يجتمع الايمان وادمان الخمر الا يوشك ان يخرج احدهما صاحبه اخرجه النسائي
موقوفا عليه وفيه قصة عن انس قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة عاصرها
ومعتصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة اليه وبائعها ومبتاعها وواهبها واكل ثمنها اخرجه
الترمذي

فصل في احكام تتعلق بالخمر

وفيه مسائل الاولى في ماهيتها قال الشافعي الخمر
عبارة عن عصير العنب النيء الشديد الذي قذف بالزبد وكذلك نقيع الزبيب والتمر والمتخذ من العسل
والحنطة والشعير والارز والذرة وكل ما اسكر فهو خمر وقال ابو حنيفة الخمر من العنب والرطب
ونقيع التمر والزبيب فان طبخ حتى ذهب ثلثاه حل شربه والمسكر منه حرام واحتج على ذلك بما روي
عن عمر بن الخطاب انه كتب الى بعض عماله ان ارزق المسلمين من الطلا ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه
وفي رواية اما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحد اخرجه
النسائي الطلا بكسر الطا والمد الشراب المطبوخ من عصير العنب الذي ذهب ثلثاه وبقي ثلثه واحتج ايضا
بما روي عن ابن عباس قال حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها والمسكر من كل شراب اخرجه النسائي واستدل
ايضا على ان المسكر حلال بما روي عن ابي الاحوص عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي بردة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال اشربوا ولا تسكروا وعن عائشة نحوه اخرجه النسائي وقال هذا حديث غير
ثابت واستدل الشافعي على ان الخمر من عدة اشيا بما روي عن ابن عمر قال على منبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم اما بعد ايها الناس انه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير
والخمر ما خامر العقل ثلاث وددنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهي
اليه الجد والكلالة وابواب من ابواب الربا اخرجه البخاري ومسلم ق عن عائشة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سئل عن البتع فقال كل شراب اسكر فهو حرام البتع شراب يتخذ من العسل كان اهل اليمن يشربونه
عن النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من العنب خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير
خمرا وان من التمر خمرا اخرجه ابو داود وزاد في رواية وان من الذرة وانا انهاكم عن كل مسكر وللترمذي نحوه وزاد
وان من العسل خمرا خ عن ابن عباس انه سئل عن الباذق فقال سبق محمد الباذق فما اسكر فهو حرام
قيل الشراب الحلال الطيب قال ليس بعد الحلال الطيب الا الحرام الخبيث قال صاحب المطالع الباذق بفتح الذال
المعجمة وهو الطلا المطبوخ من عصير العنب كان اول من صنعه وسماه بنو امية لينقلوه عن اسم
الخمر وكل ما اسكر فهو خمر لان الاسم لا ينتقل عن معناه الموجود فيه وقال ابن الاثير في النهاية الباذق

Copyright King Saud University

الخمر تغريب باخذه وهو الاسم للخمر بالفارسية اى لم يكن فى زمانه او سبق قوله فيها او فى غيرها من جنسها وفضل
معناه سبق حكم محمد صلى الله عليه وسلم ان ما اسكر فهو حرام عن ام سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر اخرجه ابو داود والمفتر كل شراب يحمى الجسد ويصير فيه فتور وضعف
وانكسار واستدل الشافعى على ان ما اسكر كثيره فقليله حرام بما روى عن جابر بن عبد الله ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما اسكر كثيره فقليله حرام اخرجه الترمذى وابو داود وعن عائشة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وما اسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام اخرجه
ابو داود والنسائى وفى رواية له والحسوة منه حرام الفرق بالتحريك مكيال يسع ستة عشر
رطلا بالبغدادى واجيب عن حديث عمر فى الطلا بانه معارض لما روى عن السائب
ابن يزيد ان عمر قال وجدت من فلان ريح شراب وزعم انه شرب الطلا وانا سائل عنه فان كان
يسكر جلدته فسال فقيل انه يسكر فجلده عمر الحد تاما اخرجه مالك فى الموطا واما حديث ابن عباس
فموقوف عليه ومعارض بما روى عنه فى الباذق وقوله والسكر من كل شراب فقد رواه الحفاظ السكر
بفتح السين قال صاحب الغريبين السكر خمر الاعاجم ويقال لما يسكر السكر وروى هذا الحديث ابن
حنبل وقال فيه والمسكر من كل شراب وقال موسى بن هارون وهم ... ابى
الاحوص فيه وهمان احدهما فى سنده حيث قال عن ابى بردة وانما يرويه سماك عن القسم عن ابن بريدة عن
ابيه والوهم الثانى فى متنه حيث قال اشربوا ولا تسكروا وانما يرويه الناس ولا تشربوا مسكرا ويدل على
صحة قولنا ما روى مسلم فى صحيحه عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن الاشربة فى ظروف الادم فاشربوا فى كل وعاء غير ان لا تشربوا مسكرا وقال
النسائى فى حديث ابى الاحوص هذا حديث منكر غلط فيه ابو الاحوص سلام بن سليم لا نعلم ان احدا
تابعه عليه من اصحاب سماك واما حديث عائشة فيه فهو غير ثابت كما تقدم من قول النسائى المسئلة
الثانية فى الحكم بنجاسة الخمر وما يلحق بها نجسة العين ويدل على نجاستها قوله تعالى انما
الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه والرجس فى اللغة النجس
والشى المستقذر وبقوله تعالى فاجتنبوه فامر باجتنابها فكانت نجسة العين ويدل على نجاستها
ايضا انها محرمة التناول لا للاحترام ولان الناس مشغوفون بها فينبغى ان نحكم بنجاستها تاكيدا
للزجر عنها المسئلة الثالثة فى تحريم بيعها والانتفاع بها اجمعت الامة على تحريم بيع الخمر
والانتفاع بها وتحريم ثمنها ويدل على ذلك ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول عام فتح مكة ان الله تعالى حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام اخرجاه فى الصحيحين مع
زيادة اللفظ (ق) عن عائشة قالت لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت التجارة فى
الخمر (ق) عن ابن عباس قال بلغ عمر بن الخطاب ان فلانا باع خمرا فقال قاتل الله فلانا الم يعلم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها عن المغيرة بن شعبة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من باع الخمر فليشقص الخنازير اخرجه ابو داود وقوله فليشقص
الخنازير اى فليقطعها قطعا كما يقطع الشاة للبيع والمعنى من استحل بيع الخمر فليستحل بيع
الخنزير فانهما فى التحريم سواء عن ابى طلحة قال يا نبى الله انى اشتريت خمرا لايتام فى حجرى فقال اهرق
الخمر واكسر الدنان اخرجه الترمذى وقال وقد روى عن انس ان ابا طلحة كان عنده خمر الايتام وهو

اصح

صح فان قلت فما وجه قوله تعالى ومنافع للناس قلت منافعها
اللذة التى توجد عند شربها والفرح والطرب معها وما كانوا يصيبون من الربح من ثمنها وكان ذلك قبل
التحريم فلما حرمت الخمر حرم ذلك كله

فصل

واما الميسر فهو القمار واشتقاقه من اليسر لانه
اخذ مال بسهولة من غير تعب وكد قال ابن عباس كان الرجل فى الجاهلية يخاطر الرجل على اهله وماله فايهما قمر
صاحبه ذهب باهله وماله فانزل الله هذه الاية واصل الميسر ان اهل الثروة من العرب فى الجاهلية كانوا يشترون
جزورا فينحرونها ويجزئونها ثمانية وعشرين جزءا ثم يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لها الازلام والاقلام
واسماؤها الفذ والتوام والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد
وكانوا يسهمون لسبعة منهم انصباء فللفذ سهم وللتوام سهمين وللرقيب ثلاثة اسهم وللحلس اربعة
وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة وثلاثة من القداح لا انصباء لها وهى المنيح والسفيح
والوغد قال بعضهم لى فى الدنيا سهام ليس فيهن ربيح سهم وغد ومنيح وسفيح ثم يجعلون القداح
فى خريطة فيسمونها الربابة ويضعونها على يد رجل عدل عندهم يسمونه المجيل والمفيض فيجيلها
فى الخريطة ويخرج منها قدحا باسم رجل منهم فايهم خرج اسمه اخذ نصيبه على قدر ما يخرج من القداح
وان خرج له قدح من الثلاثة التى لا انصباء لها لم ياخذ منه شيئا وغرم ثمن الجزور كله وقيل لا ياخذ ولا
يغرم ويسمون ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور الى الفقراء ولا ياكلون منه شيئا وكانوا يفتخرون
بذلك ويذمون من لا يفعله ويسمونه البرم يعنى البخيل الذى لا يخرج شيئا بين الاصحاب لبخله واما
حكم الاية فالمراد به جميع انواع القمار فكل شى فيه قمار فهو من الميسر وروى عن ابن سيرين ومجاهد وعطا
كل شى فيه خطر فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب واما النرد فيحرم اللعب به سواء كان
بخطر او لا ويدل على تحريمه ما روى عن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لعب بالنرد
شير فكانما صبغ يده فى دم خنزير اخرجه مسلم وعن ابى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من لعب بالنرد او بالنردشير فقد عصى الله ورسوله اخرجه ابو داود وعن على بن ابى طالب قال النرد والشطرنج
من الميسر واختلفوا فى الشطرنج فذهب ابو حنيفة الى تحريم اللعب به سواء كان برهن او بغير رهن
ومذهب الشافعى انه مباح بشروط ذكرها الشافعى فقال اذا خلا الشطرنج عن الرهان واللسان
عن الطغيان ويروى عن الهذيان والصلاة عن النسيان لم يكن حراما وهو خارج عن الميسر لان
الميسر ما يوجب دفع مال واخذ مال وهذا ليس كذلك وقوله تعالى قل فيهما يعنى فى الخمر والميسر
اثم كبير اى وزر عظيم وقيل ان الخمر عدو للعقل فاذا غلبت على عقل الانسان ارتكب كل قبيح ففى
ذلك اثم كبير ومنها الاقدام على شرب المحرم ومنها فعل ما لا يحل فعله واما الاثم الكبير فى الميسر فهو اكل
المال الحرام بالباطل وما يجرى بينهما من المخاصمة والشتم والمعاداة وكل ذلك فيه اثم كبير ومنافع للناس
يعنى انهم كانوا يربحون فى بيع الخمر قبل تحريمها واما منافع الميسر فهو اخذ مال بغير كد ولا تعب فقيل
ربما ان الواحد منهم كان يقمر فى المجلس الواحد مائة بعير فيحصل له المال الكثير وربما كان يصرفه الى المحتاجين
فيكسب بذلك الثناء والمدح وهو المنفعة واثمهما اكبر من نفعهما يعنى اثمهما بعد التحريم اكبر من
نفعهما قبل التحريم وقيل اثمهما قوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء
فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهذه ذنوب يترتب عليها اثام كثيرة بسبب
الخمر والميسر قوله تعالى ويسالونك ماذا ينفقون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حضهم

جين

على الصدقة فقالوا ماذا ننفق فقال الله تعالى قل العفو يعني الفضل والعفو ما فضل عن قدر
الحاجة وكانت الصحابة يكسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفاضل بحكم هذه
الآية ثم نسخ ذلك بآية الزكاة وقيل هو المتصدق عن ظهر غنى (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن
تعول وقيل هو الوسط في الإنفاق من غير إسراف ولا إقتار وقيل هو في صدقة التطوع إذ لو كان
المراد بهذا الإنفاق الواجب لبين الله قدره فلما لم يبينه دل ذلك على أن المراد به صدقة التطوع
كذلك يبين الله لكم الآيات أي يبين لكم الأمور التي سألتم عنها من وجوه الإنفاق ومصارفه لعلكم تتفكرون
في الدنيا والآخرة يعني فتأخذون بما يصلحكم في الدنيا وتنفقون الباقي فيما ينفعكم في الآخرة وقيل لعلكم
تتفكرون في زوال الدنيا فتزهدوا فيها وفي إقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها قوله عز وجل ويسألونك
عن اليتامى قال ابن عباس لما نزلت إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما تحرج المسلمون من أموال
اليتامى تحرجا شديدا حتى عزلوا أموال اليتامى عن أموالهم وتركوا مخالطتهم وعاء يصنع اليتيم من الطعام فيفضل
منه فيتركوه ولا يأكلوه فاشتد ذلك عليهم فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ويسألونك
عن اليتامى قل إصلاح لهم خير أي إصلاح اليتامى من غير أخذ أجرة ولا عوض خير لكم أي أعظم أجرا وقيل هو أن يوسع
على اليتيم من طعام نفسه ولا يتوسع من طعام اليتيم وإن تخالطوهم يعني في الطعام والخدمة والسكنى وهذا
فيه إباحة المخالطة أي شاركوهم في أموالهم واخلطوها بأموالكم ونفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم
فتصيبوا في أموالهم عوضا من قيامكم بأمورهم وتكافئوهم على ما تصيبون من أموالهم فإخوانكم أي فهم
إخوانكم والإخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال بعض على وجه الإصلاح والرضى والله يعلم
المفسد من المصلح يعني المفسد لمال اليتيم من المصلح له ويعلم الذي يقصد بالمخالطة الخيانة وأكل مال
اليتيم بغير حق والذي يقصد الإصلاح ولو شاء الله لأعنتكم أي لضيق عليكم وما أباح لكم مخالطتهم وأصل
العنت الشدة والمشقة والمعنى لكلفكم في كل شيء ما يشق عليكم إن الله عزيز حكيم أي غالب يقدر أن يشق
على عباده ويعنتهم ولكنه حكيم لا يكلف عباده إلا ما تتسع فيه طاقتهم قوله عز وجل ولا تنكحوا المشركات حتى
يؤمن نزلت في أبي مرثد بن أبي مرثد الغنوي واسم أبي مرثد كناز بن حصين بعثه رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق وكانت
خليلته في الجاهلية فأتته فقالت ألا تخلو فقال ويحك يا عناق إن الإسلام حال بيني وبين ذلك فقالت
هل لك أن تتزوج بي قال نعم ولكن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أستأمره فقالت أبي تتبرم
واستغاثت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضى حاجته بمكة وانصرف إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أعلمه بما كان من أمره وأمر عناق وما لقي بسببها وقال يا رسول الله أيحل لي أن أتزوجها
فأنزل الله هذه الآية وأصل النكاح في اللغة الوطء ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح ومعنى الآية ولا تنكحوا
أيها المؤمنون المشركات حتى يؤمن أي يصدقن بالله ورسوله وهو الإقرار بالشهادة والتزام أحكام
المسلمين واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقيل إنها على كل مشركة يحرم نكاحها على كل مسلم من أي أجناس
الشرك كانت كالوثنية والمجوسية والنصرانية أو غيرهم من أصناف المشركات ثم استثنى الله تعالى من ذلك
نكاح الحرائر الكتابيات بقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم فأباح الله تعالى نكاحهن
بهذه الآية قال ابن عباس في قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ثم استثنى نساء أهل الكتاب فقال

والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وقيل إن حكم الآية نزل في مشركات العرب الوثنيات خاصة ولم
ينسخ منها شيء ولم يستثن وإنما حكمها عام مخصوص قال قتادة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن يعني مشركات العرب
اللاتي ليس فيهن كتاب يقرأنه وبيان هذا في مسألة وهي أن لفظ الشرك على من يطلق فالأكثرون من
العلماء وهو القول الصحيح المختار أن لفظ الشرك يندرج فيه أهل الكتاب من اليهود والنصارى ويطلق
عليهم اسم الشرك قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم قال تعالى اتخذوا
أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون
فهذه الآية صريحة في شرك اليهود والنصارى وقيل كل من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم وإن زعم أن الله
تعالى واحد فهو مشرك وذلك أن من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم مع صحة نبوته وظهور معجزاته فقد
زعم أن ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم هو من عند غير الله فقد أشرك مع الله غيره فعلى هذا القول أيضا
يدخل فيه اليهود والنصارى لإنكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل إن اسم الشرك لا يتناول إلا
عبدة الأوثان فقط والأول الراجح لما تقدم من الأدلة فعلى قول من قال اسم الشرك لا يتناول إلا الوثنيات
تكون الآية محكمة في حق الوثنيات منسوخة في حق الكتابيات قوله تعالى ولأمة مؤمنة خير أي أنفع وأصلح
وأفضل من مشركة يعني حرة ولو أعجبتكم يعني بجمالها ومالها ونسبها فالأمة المؤمنة خير وأفضل عند الله
من الحرة المشركة نزلت في خنساء وليدة كانت لحذيفة بن اليمان قال يا خنساء قد ذكرت في الملأ الأعلى على سوادك
ودمامتك ثم أعتقها وتزوجها وقيل نزلت في عبد الله بن رواحة قد كانت عنده أمة سوداء فغضب
عليها يوما فلطمها ثم فزع فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال وما هي يا عبد الله قال هي تشهد
أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلي قال هذه مؤمنة قال عبد الله
فوالذي بعثك بالحق لأعتقنها ولأتزوجنها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا أنكح أمة وعرضوا
عليه حرة مشركة فأنزل الله هذه الآية ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا هذا خطاب لأولياء المرأة أي لا تزوجوا
المسلمة من المشركين حرم على المؤمنات أن ينكحن مشركا من أي أصناف الشرك كان وانعقد الإجماع على أنه
لا يجوز للمسلمة أن تتزوج بالمشرك ولعبد مؤمن خير من مشرك يعني حر ولو أعجبكم يعني بحسنه وماله
وجماله أولئك يدعون إلى النار يعني يدعون إلى الشرك الذي يؤدي إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة
يعني أنه تعالى لما بين هذه الأحكام وأباح بعضها وحرم بعضها فاعملوا بما أمركم به وانتهوا عما نهاكم عنه
فإنه من عمل بها استحق الجنة والمغفرة بإذنه أي بتيسير الله وإرادته وتوفيقه ويبين آياته للناس
أي يوضح أدلته وحججه في أوامره ونواهيه وأحكامه لعلهم يتذكرون أي فيتعظون قوله عز وجل
ويسألونك عن المحيض عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت
فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل ويسألونك عن المحيض
قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض إلى آخر الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شيء إلا
النكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير
وعباد بن بشر فقالا يا رسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا فلا نجامعهن فتغير وجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى ظننا أنه قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلتهما هدية من لبن إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأرسل في آثارهما فسقاهما فعرفنا أنه لم يجد عليهما الوجد الغضب وأصل الحيض السيلان
والانفجار يقال حاض الوادي إذا سال وفاض ماؤه قل هو أذى أي هو شيء قذر والأذى في اللغة ما يكره من

كل شي فاعتزلوا النساء في المحيض اي فاجتنبوا مجامعتهن ولا تقربوهن يعني بالوطي والمجامعة فهو كالتوكيد لقوله
فاعتزلوا النساء في المحيض حتى يطهرن يعني من الحيض والمعنى ولا تقربوهن حتى يزول عنهن الدم وقرى
يطهرن بتشديد الطا ومعناه حتى يغتسلن فاذا تطهرن اي اغتسلن من حيضهن فاتوهن من حيث امركم
الله قال ابن عباس وطوهن في الفرج ولا تعدوا الى غيره فانه هو الذي امر الله به ولا تاتوهن في غير المأتى
وقيل فاتوهن من الوجه الذي امركم الله به وهو الطهر وقيل معناه واتوهن من حيث يحل لكم غشيانهن
وذلك بان لا يكن صايمات ولا معتكفات ولا محرمات فصل في حكم الاية وفيه مسايل
المسيلة الاولى اجمع المسلمون على تحريم الجماع في زمن الحيض ومستحله كافر عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من اتى حايضا او امراة في دبرها او كاهنا فقد كفر بما انزل على محمد اخرجه الترمذي وقال
انما معنى هذا عند اهل العلم على التغليظ ومن فعله وهو عالم بالتحريم عزره الامام وفي وجوب الكفارة
قولان احدهما انه يستغفر الله ويتوب الله ولا كفارة عليه وهو قول ابي حنيفة والشافعي في الجديد
والقول الثاني انه يجب عليه الكفارة وهو القول القديم للشافعي وبه قال احمد ابن حنبل لما روي عن
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل يقع على امراته وهي حايض قال يتصدق بنصف
دينار وفي رواية قال اذا كان دما احمر فدينار وان كان دما اصفر فنصف دينار اخرجه الترمذي وقال
رفعه بعضهم عن ابن عباس ووقفه بعضهم المسيلة الثانية اجمع العلما على جواز الاستمتاع بالمراة
الحايض بما فوق السرة ودون الركبة وعدم جواز مضاجعتها وملامستها ويدل على ذلك ما روي عن
عايشة قالت كانت احدانا اذا كانت حايضا واراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يباشرها امرها
ان تاتزر بازار في فور حيضها ثم يباشرها وايكم يملك اربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك
اربه وفي رواية قالت كنت اغتسل انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من انا واحد وكلانا جنب وكان
يامرني فاتزر فيباشرني وانا حايض اخرجاه في الصحيحين المراد بالمباشرة الاستمتاع بما دون الفرج
وفور كل شي اوله وابتداوه وقولها يملك اربه يروى بسكون الرا وهو العضو وبفتحها وهو الحاجة
عن عايشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ناوليني الخمرة من المسجد قلت اني حايض قال
ان حيضتك ليست في يدك الخمرة حصير صغير مظفور من سعف النخل وغيره بقدر الكف وقوله من
المسجد يعني ناولينيها من المسجد لانه صلى الله عليه وسلم كان معتكفا في المسجد وعايشة في حجرتها
فطلبها منها الخمرة وهي حايض المسيلة الثالثة يحرم على الحايض الصلاة والصوم ودخول المسجد وقراة
القران ومس المصحف وحمله فلو امنت الحايض من التلويث في عبور المسجد جاز في احد الوجهين
قياسا على الجنب والثاني لا لان حدثها اغلظ ويجب على الحايض قضا الصوم دون الصلاة لما
روي عن معاذة العدوية قالت سالت عايشة فقلت ما بال الحايض تقضي الصوم ولا تقضي
الصلاة قالت احرورية انت قلت لست بحرورية ولكني اسال قالت كان يصيبنا ذلك فنوم
بقضا الصوم ولا نومر بقضا الصلاة اخرجاه في الصحيحين المسيلة الرابعة لا يرتفع شي مما منع
الحايض بانقطاع الدم ما لم تغتسل او تتيمم عند عدم الما الا الصوم فانها اذا انقطع دمها بالليل
ونوت الصوم فانه يصح وان اغتسلت في النهار وذهب ابو حنيفة انه يجوز للزوج غشيانها اذا
انقطع الدم لاكثر الحيض وهو عشرة ايام عنده قبل الغسل ومذهب الشافعي وغيره من العلما
انه لا يجوز للزوج غشيانها ما لم تغتسل من الحيض او تتيمم عند عدم الما لان الله تعالى علق جواز

وطي الحايض بشرطين احدهما انقطاع الدم والثاني الغسل فقال ولا تقربوهن حتى يطهرن يعني من الحيض
فاذا تطهرن يعني اغتسلن فاتوهن من حيث امركم الله فدل ذلك على ان الوطي لا يحل قبل الغسل وقوله تعالى
ان الله يحب التوابين يعني من الذنوب والتواب الذي كلما اذنب ذنبا جدد توبة وقيل التواب هو الذي
لا يعود الى الذنب ويحب المتطهرين يعني من الاحداث وسائر النجاسات بالما وقيل المتطهرين من الشرك
وقيل هم الذين لم يصيبوا الذنوب قوله عز وجل نساؤكم حرث لكم عن جابر قال كانت اليهود تقول
اذا جامعها من ورايها جا الولد احول فنزلت نساوكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شيتم وفي رواية للترمذي
كانت اليهود تقول من اتى المراة في قبلها من دبرها وذكر الحديث وعن ابن عباس قال جا عمر الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما اهلكك قال حولت رحلي الليلة قال فلم يرد عليه شيا فاوحى
الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية نساوكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شيتم اقبل وادبر واتق الدبر
والحيضة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله حولت رحلي هو كناية عن الاتيان في غير المحل
المعتاد هذا ظاهره ويجوز ان يريد به انه اتاها في المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها وعن ابن عباس قال كان هذا
الحي من الانصار وهم اهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم اهل كتاب فكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم
فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من شان اهل الكتاب ان لا ياتوا النسا الا على حرف وذلك استر ما تكون
المراة وكان هذا الحي من الانصار قد اخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحي من قريش يشرحون النسا شرحا منكرا
ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم
امراة من الانصار فذهب يصنع بها ذلك فانكرته عليه وقالت انما كنا نوتى على حرف فاصنع ذلك
والا فاجتنبني حتى سري امرهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل نساوكم حرث
لكم فاتوا حرثكم انى شيتم اي مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعني بذلك موضع الولد اخرجه ابو داود
والوثن الصنم وقيل الصورة لا جثة لها وقوله على حرف الحرف الجانب وحرف كل شي جانبه وقوله يشرحون
النسا يقال شرح فلان جاريته اذا وطيها على قفاها واصل الشرح البسط وقوله شري امرهما اي ارتفع وعظم
وتفاخر واصله من شري البرق اذا لاح في السحاب عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى
نساوكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شيتم يعني صماما واحدا ويروى سماما بالسين اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن وقوله تعالى حرث لكم معناه مزرع لكم ومنبت للولد وهذا على سبيل التشبيه فجعل فرج المراة كالارض
والنطفة كالبذر فاتوا حرثكم انى شيتم يعني كيف شيتم وحيث شيتم اذا كان في القبل والمعنى كيف شيتم
مقبلة ومدبرة على كل حال اذا كان في الفرج وفي الاية دليل على تحريم اتيان النسا في ادبارهن لان محل
الحرث والزرع هو القبل لا الدبر ويويد ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ملعون من اتى النسا في دبرها اخرجه ابو داود وقال سعيد بن المسيب هذا في العزل يعني ان شيتم
فاعزلوا وان شيتم لا تعزلوا وسيل ابن عباس عن العزل فقال حرثك فعطش وان شيت فارو ويروى
عنه انه قال تستامر الحرة في العزل ولا تستامر الجارية وبه قال احمد وكره جماعة العزل وقالوا هو الواد
الخفي وروي نافع قال كنت امسك على ابن عمر المصحف فقرا هذه الاية نساوكم حرث لكم فقال تدري
فيما انزلت هذه الاية قلت لا قال نزلت في رجل اتى امراته في دبرها فشق ذلك عليه فنزلت هذه الاية
وروي عبد الله بن الحسن انه لقي سالم بن عبد الله بن عمر فقال له يا عم ما حديث يحدث نافع عن عبد الله
انه لم يكن يرى باسا باتيان النسا في ادبارهن فقال كذب العبد واخطا انما قال عبد الله يوتون في فروجهن

Copyright King Saud University

من ادبارهن ويحكى عن مالك اباحة ذلك وانكره اصحابه واجمع جمهور العلماء على تحريم اتيان النساء في
ادبارهن وقالوا لان الله حرم الفرج في حال الحيض لاجل النجاسة العارضة وهو الدم فاولى
ان يحرم الدبر لاجل النجاسة اللازمة ولان الله تعالى نص على ذكر الحرث والحرث يكون
نبات الولد فلا يحل العدول عنه الى غيره وقوله تعالى وقدموا لانفسكم يعني الولد وقيل هو
التسمية والدعاء عند الجماع (ق) عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لو ان احدهم
اذا اراد ان ياتي اهله قال باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا
فانه ان يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان ابدا وقيل اراد به تقديم الافراط
(ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين
ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم قوله الا تحلة القسم يعني قدر ما يبر الله قسمه
فيه وهو قوله تعالى وان منكم الا واردها فاذا وردها جاوزها فقد ابر قسمه وقيل
قدموا لانفسكم الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية واتقوا الله اي احذروا ان تاتوا شيئا مما
نهاكم عنه واعلموا انكم ملاقوه اي صائرون اليه في الآخرة فيجزيكم باعمالكم وبشر المؤمنين يعني
بالكرامة من الله تعالى قوله عز وجل ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم نزلت في عبد الله بن رواحة كان
بينه وبين ختنه بشير بن النعمان شيء فحلف عبد الله لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه
وبين خصم له فكان اذا قيل له فيه يقول قد حلفت بالله ان لا افعل فلا يحل لي الا ان تبر يميني
فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت في ابي بكر الصديق حين حلف ان لا ينفق على مسطح حين
خاض في حديث الافك والعرضة ما يجعل معرضا للشيء وقيل العرضة القوة والشدة وكل
ما يعترض فيمنع عن الشيء فهو عرضة والمعنى ولا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر
والتقوى يدعى احدكم الى بر وصلة رحم فيقول قد حلفت بالله لا افعله فيعتل بيمينه في
ترك البر والاصلاح ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس قيل معناه لا تحلفوا بالله ان لا تبروا ولا
تتقوا ولا تصلحوا بين الناس (م) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليأتها وليكفر عن يمينه وقيل معناه لا تكثروا الحلف
بالله وان كنتم بارين متقين مصلحين فان الحلف بالله ضرب من الجراءة عليه والله سميع
اي لحلفكم عليم يعني بنياتكم قوله عز وجل لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو كل ساقط يطرح من الكلام
وما لا يعتد به وهو الذي يورد لا عن روية وفكر واللغو في اليمين هو الذي لا عقد معه
كقول القائل لا والله وبلى والله على سبق اللسان من غير قصد ونية وبه قال الشافعي ويحتج
بما روي عن عائشة قالت نزل قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم في قول الرجل لا والله
وبلى والله اخرجه البخاري موقوفا ورفعه ابو داود قال قالت عائشة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هو قول الرجل في بيته كلا والله وبلى والله ورواه عنها ايضا موقوفا وقيل
في معنى اللغو هو ان يحلف الرجل على شيء يراه انه صادق ثم يتبين له خلاف ذلك وبه قال
ابو حنيفة ولا كفارة فيه ولا اثم عليه عنده قال مالك في الموطأ احسن ما سمعت في ذلك
ان اللغو حلف الانسان على الشيء يستيقن انه كذلك ثم يوجد بخلافه فلا كفارة فيه
قال والذي يحلف على الشيء وهو يعلم انه فيه آثم كاذب ليرضي به احدا او يعتذر لمخلوق او

يقتطع

او يقتطع به مالا فهذا اعظم من ان تكون فيه كفارة وانما الكفارة على من حلف ان لا يفعل الشيء
المباح له فعله ثم يفعله او ان يفعله ثم لا يفعله مثل ان يحلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم
ثم يبيعه بذلك او حلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه وفائدة الخلاف الذي بين الشافعي
وابي حنيفة في لغو اليمين ان الشافعي لا يوجب الكفارة في قول الرجل لا والله وبلى والله
ويوجبها فيما اذا حلف على شيء انه كان ثم بان انه لم يكن وابو حنيفة يحكم بضد ذلك ومذهب
الشافعي هو قول عائشة والشعبي وعكرمة ومذهب ابي حنيفة هو قول ابن عباس والحسن
ومجاهد والنخعي والزهري وسليمان بن يسار وقتادة ومكحول وقيل في معنى اللغو انه
اليمين في الغضب وقيل هو ما يقع سهوا من غير قصد البتة ومعنى لا يؤاخذكم اي
لا يعاقبكم بلغو اليمين ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم يعني لكن يؤاخذكم بما عزمتم عليه وقصدتم له
وكسب القلب هو العقد والنية **فصل** في بيان حكم الآية وفيه مسائل المسألة
الاولى لا ينعقد اليمين الا بالله وباسمائه وصفاته فاما اليمين بالله فهو قول الرجل
والذي نفسي بيده والذي اعبده ونحو ذلك والحلف باسمائه كقوله والله والرحمن
والرحيم والمهيمن ونحو ذلك فاذا حلف بشيء من ذلك ثم حنث فعليه الكفارة المسألة
الثانية لا يجوز الحلف بغير الله كقوله والكعبة والنبي وابي ونحو ذلك فان
حلف بشيء من ذلك لا ينعقد يمينه ولا كفارة عليه ويكره الحلف به لما روي عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ادرك عمر وهو يسير في ركب وهو يحلف بابيه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف
بالله او ليصمت اخرجاه في الصحيحين المسألة الثالثة اذا حلف على امر في المستقبل فحنث
فعليه الكفارة وان كان على امر ماض ولم يكن او على انه لم يكن فكان فان كان عالما به حال
حلفه بان يقول والله ما فعلت وقد فعل ولقد فعلت وما فعل فهذه اليمين الغموس
وهي من الكبائر لانها تغمس صاحبها في الاثم وتجب فيها الكفارة عند الشافعي سواء
كان عالما او جاهلا وذهب ابو حنيفة الى انه لا كفارة عليه فان كان عالما فهي كبيرة
وان كان جاهلا فهي من لغو اليمين والله غفور يعني لعباده فيما لغوا من ايمانهم التي اخبر
انه لا يؤاخذهم عليها ولو شاء واخذهم والزمهم الكفارة في العاجل والعقوبة عليها في
الآجل حليم يعني في تركه معاجلته العصاة بالعقوبة قال الحليمي في معنى الحليم
الذي لا يحبس انعامه وافضاله عن عباده لاجل ذنوبهم ولكنه يرزق العاصي كما يرزق
المطيع ويبقيه وهو منهمك في معاصيه كما يبقي البر المتقي وقد يقيه الآفات والبلايا
وهو غافل لا يذكره فضلا عن ان يدعوه كما يقي الناسك الذي يدعوه ويسأله وقال ابو سليمان
الخطابي الحليم ذو الصفح والاناة الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل ولا عصيان
عاص ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحليم انما هو الصفوح مع القدرة على الانتقام المتأني
الذي لا يعجل بالعقوبة قوله عز وجل للذين يؤلون من نسائهم يؤلون اي يحلفون والالية اليمين
قال كثير قليل الالايا حافظ ليمينه وان سبقت منه الالية برت والايلاء في عرف الشرع
هو اليمين على ترك الوطء كما اذا قال والله لا اجامعك ولا اباضعك ولا اقربك فقال ابن

Copyright © King Saud University

عباس كان اهل الجاهلية اذا طلب الرجل من امراته شيئا فابت ان تعطيه حلف لا يقربها السنة
والسنتين والثلاث فيدعها لا ايما ولا ذات بعل فلما كان الاسلام جعل الله ذلك للمسلمين
اربعة اشهر وانزل هذه الاية وقال سعيد بن المسيب كان الايلاء ضرار اهل الجاهلية فكان
الرجل لا يريد امراته ولا يحب ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها ابدا فيتركها لا ايما ولا ذات
بعل وكانوا عليه في ابتداء الاسلام فجعل الله تعالى له الاجل الذي يعلم به ما عند الرجل في المراة
اربعة اشهر وانزل هذه الاية للذين يؤلون من نسائهم تربص انتظار اربعة اشهر والتربص والتثبت
والانتظار فان فاؤا اي رجعوا عن اليمين بالوطي والمعنى فان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها
فان الله غفور رحيم للزوج اذا تاب من اضراره بامراته فان الله غفور رحيم لكل التائبين **فروع**
تتعلق بحكم الاية **الفرع الاول** اذا حلف انه لا يقرب زوجته ابدا او مدة هي اكثر من اربعة اشهر
يوقف الزوج ويؤمر بالفي وهو الرجوع او الطلاق وذلك بعد مطالبة الزوجة فان رجع عما قال بالوطي
او بالقول مع العجز عنه فان لم يف ولم يطلق طلق عليه الحاكم واحدة وهو قول عمر وعثمان وعلي وابي الدردا
وابن عمر قال سليمان بن يسار ادركت بضعة عشر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يقول يوقف المولي
وذهب اليه سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال مالك والشافعي واحمد واسحاق وقال ابن
عباس وابن مسعود اذا مضت اربعة اشهر يقع عليها طلقة باينة وبه قال سفيان الثوري وابو حنيفة
وقال سعيد بن المسيب والزهري يقع عليها طلقة رجعية **الفرع الثاني** لو حلف ان لا
يطاها اقل من اربعة اشهر فليس بمول بل هو حالف فان وطيها قبل مضي المدة لزمه كفارة يمين
الفرع الثالث لو حلف لا يطاها اربعة اشهر فليس بمول بل هو حالف فان وطيها
قبل مضي المدة بعد مضي المدة عند الشافعي لان بقا المدة شرط للوقوف وثبوت المطالبة بالفي او الطلاق
وقد مضت المدة وعند ابي حنيفة يكون موليا ويقع الطلاق بمضي المدة **الفرع الرابع**
مدة الايلا اربعة اشهر في حق الحر والعبد عند الشافعي لانها مدة ضربت لمعنى يرجع الى الطبع كمدة
العنة وعند مالك وابي حنيفة تتنصف مدة الايلا بالرق غير ان عند ابي حنيفة تتنصف المدة
برق المراة وعند مالك برق الزوج كما قالا في الطلاق **الفرع الخامس** اذا وطي خرج من الايلا
ويجب عليه كفارة يمين وهذا قول اكثر العلما وقيل لا كفارة عليه لان الله وعده المغفرة فقال فان
فاؤا فان الله غفور رحيم ومن قال بوجوب الكفارة عليه قال ذلك في اسقاط العقوبة عنه لا في
الكفارة وقوله تعالى وان عزموا الطلاق اي حققوه بالايقاع فان الله سميع يعني لاقوالهم عليم
يعني بنياتهم وفيه دليل على انها لا تطلق ما لم يطلقها زوجها لانه تعالى شرط فيه العزم قوله
عز وجل والمطلقات اي المخليات من حبال ازواجهن والمطلقة هي التي يوقع الزوج عليها الطلاق
يتربصن بانفسهن اي ينتظرن فلا يتزوجن ثلاثة قروء جمع قرء والقرء اسم يقع على الحيض والطهر قال
ابو عبيدة الاقرا من الاضداد كالشفق اسم للحمرة والبياض وقيل انه حقيقة في الحيض مجاز في الطهر
وقيل بالعكس واختلف العلما في اصله فقيل اصل القرء من قرا اي جمع لان في وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم
وفي وقت الطهر يجتمع في البدن وقيل اصله الوقت يقال رجع فلان لقرئه اي لوقته الذي كان فيه
لان الحيض ياتي لوقت والطهر ياتي لوقت وبحسب اختلاف اهل اللغة في الاقرا اختلف الفقها على
قولين احدهما ان الاقرا هي الحيض وروي ذلك عن عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس وابي موسى

وعبادة ابن

وعبادة بن الصامت وابي الدردا وبه قال عكرمة والضحاك والسدي والاوزاعي وسفيان الثوري وابو حنيفة
واصحابه وقال احمد بن حنبل كنت اقول ان الاقرا الاطهار وانا اليوم اذهب الى انها الحيض القول الثاني انها
الاطهار يروى ذلك عن زيد بن ثابت وابن عمر وعايشة وبه قال الزهري وابان بن عثمان ومالك
والشافعي وحجة من يقول ان الاقرا هي الحيض قوله صلى الله عليه وسلم للمستحاضة دعي الصلاة ايام
اقرائك يعني ايام حيضك لان المراة لا تدع الصلاة الا ايام حيضها وحجة من يقول انها الاطهار ان ابن
عمر لما طلق امراته وهي حايض قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم ان شا امسك
وان شا طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها فاخبر ان زمان العدة هو الطهر
لا الحيض ويعضده من اللغة قول الاعشى * ففي كل عام انت جاشم غزوة * تشد لاقصاها عزيم عزايكا *
مورثة مالا وفي الحي رفعة * لما ضاع فيها من قروء نسايكا * اراد انه كان يخرج للغزو ولم يغش نساءه
فيضيع اقراوهن وانما يضيع بالسفر زمان الطهر لا زمان الحيض وفايدة الخلاف ان مدة
العدة عند الشافعي اقصر وعند غيره اطول وذلك ان المعتدة اذا شرعت في الحيضة الثالثة فقد انقضت
عدتها وحلت للازواج ويحسب بقية الطهر الذي وقع فيها الطلاق قرءا على قول من يجعل الاقرا
الاطهار قالت عايشة اذا دخلت المطلقة في الحيضة الثالثة فقد بانت من زوجها وحلت للازواج
وروي عنها انها قالت الطهر القرء ليست بالحيضة قال الشافعي والنسا بهذا اعلم لان هذا
اعلم لان هذا مما يبتلى به النسا فان طلقها في حال الحيض فاذا شرعت في الحيضة الرابعة انقضت عدتها
وعلى قول من يجعل الاقرا حيضا وهو مذهب ابي حنيفة لا تنقضي عدتها ما لم تطهر من الحيضة
الثالثة ان كان وقع الطلاق في حال الطهر او من الحيضة الرابعة ان وقع في حال الحيض **فان
قلت** ما معنى الاخبار عنهن بالتربص في قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن
قلت هو خبر في صورة معنى الامر واصل الكلام ولتتربص المطلقات واخراج الامر
في صورة الخبر تاكيد للخبر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص
فهو يخبر عنه موجودا ونظيره قولهم في الدعا رحمك الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاجابة فكانه قال وجدت
الرحمة فهو يخبر عنها **فصل** في احكام العدد وفيه مسايل المسيلة الاولى عدة الحامل تنقضي بوضع
الحمل سوا المطلقة والمتوفى عنها زوجها وسوا في ذلك الحرة والامة المسيلة الثانية عدة المتوفى عنها
سوى الحامل اربعة اشهر وعشرة ايام سوا مات عنها زوجها قبل الدخول او بعده وسوا في ذلك الحايض
والامة واليايسة المسيلة الثالثة عدة المطلقة المدخول بها وهن ضربان احدهما الحيض فعدتها
بالاقرا وهي ثلاثة اقرا والضرب الثاني الايسات من الحيض اما الكبر او لم تحض قط فعدتها ثلاثة
اشهر واما المطلقة قبل الدخول فلا عدة عليها المسيلة الرابعة عدة الامة نصف عدة الحرة فيما له
نصف وفي الاقرا قرءان لانه لا يتنصف قال عمر بن الخطاب ينكح العبد اثنتين ويطلق تطليقتين وتعتد
الامة بحيضتين وقوله تعالى ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن قال ابن عباس يعني الولد وقيل الحيض والمعنى
انه لا يحل للمراة كتمان ما خلق الله في رحمها من الحيض او الحمل ليبطل بذلك الكتمان حق الزوج من الرجعة
والولد ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر هذا وعيد شديد لتاكيد تحريم الكتمان وايجاب ادا الامانة في الاخبار
عما في الرحم من الحيض او الولد والمعنى ان هذا من فعل المؤمنات وان كانت المؤمنة والكافرة فيه سوا فهو كقولك
اد حقي ان كنت مؤمنا يعني ادا الحقوق من فعال المؤمنين وتقول للذي يظلم ان كنت مؤمنا فلا تظلم والمعنى

ان يمنعك ايمانك من الظلم وفي سبب وعيد النسا بهذا قولان احدهما انه لاجل ما يستحقه الزوج من الرجعة
قاله ابن عباس والثاني لاجل الحاق الولد بغير ابيه قاله قتادة وقيل هذا في المراة اذا رغبت في زوجها تقول
اني حائض وان كانت قد طهرت ليراجعها وان كانت زاهدة فيه كتمت حيضها وتقول قد طهرت لتفوته
فنهاهن الله عن ذلك وامرهن باداء الامانة **وبعولتهن احق بردهن في ذلك** يعني ازواجهن سمي الزوج بعلا للقيام
بامر زوجته واصل البعل السيد والمالك والمعنى وازواجهن اولى برجعتهن وردهن اليهم في ذلك اي
في حال العدة فاذا انقضى وقت العدة فقد بطل حق الرد والرجعة **ان ارادوا اصلاحا** يعني ان اراد الزوج بالرجعة
الاصلاح وحسن العشرة لا الاضرار بهن وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يراجعون ويريدون الاضرار
فنهى الله المومنين عن مثل ذلك وامرهم بالاصلاح وحسن العشرة بعد الرجعة **ولهن** يعني وللنسا على
الازواج **مثل الذي عليهن** يعني للازواج **بالمعروف** وذلك ان حق الزوجية لا يتم الا اذا كان كل واحد منهما
يراعي حق الاخر فيما له وعليه فيجب على الزوج ان يقوم بجميع حقها ومصالحها ويجب على الزوجة الانقياد
والطاعة له قال ابن عباس في معنى الاية اني احب ان اتزين للمراة كما احب ان تتزين لي لان الله
تعالى قال ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف م عن جابر انه ذكر خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة
الوداع وقال فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله في النسا فانكم اخذتموهن بامانة
الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ان لا يوطين فرشكم احدا تكرهونه فان فعلن ذلك
فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف قوله فاتقوا الله في النسا فيه الحث
على الوصية بهن ومراعات حقوقهن ومعاشرتهن بالمعروف قوله فانكم اخذتموهن بامان الله ويروى
بامانة الله قوله واستحللتم فروجهن بكلمة الله معناه باباحة الله والكلمة هي قوله فانكحوا ما طاب لكم من النسا وقيل
الكلمة هي قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان وقيل الكلمة هي كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله محمد رسول الله اذ لا تحل
مسلمة لغير مسلم قوله ولا يوطين فرشكم احدا تكرهونه معناه ولا ياذن لاحد يتحدث اليهن وكان من عادة العرب
ان يتحدث الرجال مع النسا ولا يرون ذلك ولا يعدونه ريبة الى ان نزلت اية الحجاب فنهوا عن ذلك وليس
المراد بوطي الفراش نفس الزنا فان ذلك محرم على كل الوجوه فلا معنى لاشتراط الكراهة فيه ولو كان المراد ذلك لم يكن
الضرب فيه ضربا غير مبرح انما كان فيه الحد والضرب المبرح وهو الشديد وقوله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن
بالمعروف فيه دليل على وجوب نفقة الزوجة وكسوتها وذلك ثابت بالاجماع وقوله تعالى **وللرجال عليهن**
درجة اي منزلة ورفعة قال ابن عباس بما ساق اليها من المهر وانفق عليها من المال وقيل ان فضيلة الرجال على النسا
بامور منها العقل والشهادة والميراث والدية وصلاحية الامامة والقضا وللرجل ان يتزوج عليها ويتسرى وليس لها
ذلك وبيد الرجل الطلاق فهو قادر على تطليقها واذا طلقها رجعية فهو قادر على رجعتها وليس شي من ذلك بيدها
والله عزيز اي غالب اي لا يمتنع عليه شي **حكيم** اي في جميع افعاله واحكامه روى البغوي بسنده عن ابي ظبيان
ان معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ثم رجع فراى رجالا يسجد بعضهم
لبعض فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد
لزوجها قوله عز وجل **الطلاق مرتان** عن عروة بن الزبير قال كان الرجل اذا طلق زوجته ثم ارتجعها قبل ان تنقضي
عدتها كان له ذلك وان طلقها الف مرة فعمد رجل الى امراته فطلقها حتى اذا شارفت انقضاء عدتها ارتجعها ثم قال
والله لا اويك الي ولا تحلين ابدا فانزل الله الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان فاستقبل الناس
الطلاق جديدا من ذلك اليوم من كان طلق ومن لم يطلق اخرجه الترمذي وله عن عايشة قالت كان الناس

والرجل

والرجل يطلق امراته ما شا الله ان يطلقها وهي امراته اذا ارتجعها وهي في العدة وان طلقها مائة او اكثر حتى قال
رجل لامراته والله لا اطلقك فتبينين مني ولا اويك ابدا قالت وكيف ذلك قال اطلقك فكلما همت عدتك
ان تنقضي راجعتك فذهبت المراة حتى دخلت على عايشة فاخبرتها فسكتت عايشة حتى جا النبي صلى الله عليه
وسلم فاخبرته فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل القران الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح
باحسان قالت عايشة فاستانف الناس الطلاق مستقبلا من كان طلق ومن لم يطلق ومعنى الاية الطلاق
الرجعي مرتان ولا رجعة بعد الثالثة الا ان تنكح زوجا اخر وهذا التفسير هو قول من جوز الجمع
بين الطلاق الثلاث في دفعة واحدة وهو الشافعي وقيل في معنى الاية ان التطليق الشرعي يجب ان يكون
تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة وهذا التفسير هو قول من قال
ان الجمع بين الثلاث حرام الا ان ابا حنيفة قال يقع الثلاث وان كان حراما وقيل ان الاية دالة على
عدد الطلاق الذي يكون للرجل فيه رجعة على زوجته والعدد الذي تبين به زوجته منه والمعنى
ان عدد الطلاق الذي لكم فيه رجعة على ازواجكم اذا كن مدخولا بهن تطليقتان وانه لا رجعة له
بعد التطليقتين ان سرحها فطلقها الثالثة **فامساك بمعروف** يعني بعد الرجعة وذلك انه
اذا راجعها بعد التطليقة الثانية فعليه ان يمسكها بالمعروف وهو كل ما عرف في الشرع من ادا
حقوق النكاح وحسن الصحبة **او تسريح باحسان** يعني انه يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها من غير
مضارة وقيل انه اذا طلقها ادى لها جميع حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسو ولا
ينفر الناس عنها **فروع** تتعلق باحكام الطلاق الفرع الاول صريح اللفظ الذي يقع
به الطلاق من غير نية ثلاث الطلاق والفراق والسراح وعند ابي حنيفة الصريح
هو لفظ الطلاق فقط **الفرع الثاني** الحر اذا طلق زوجته طلقة او طلقتين
بعد الدخول بها فله مراجعتها من غير رضاها في العدة فاذا لم يراجعها حتى انقضت
عدتها او طلقها قبل الدخول بها او خالعها فلا تحل له الا بنكاح جديد باذنها واذن
وليها **الفرع الثالث** يملك العبد على زوجته الامة تطليقتين واختلف فيما اذا كان
حرا فالحر يملك على زوجته الامة ثلاث تطليقات والعبد يملك على زوجته الحرة
تطليقتين فالاعتبار بحال الزوج في عدد الطلاق وبه قال الشافعي ومالك واحمد
وذهب ابو حنيفة الى ان الاعتبار بالمراة فالعبد يملك على زوجته الحرة ثلاث تطليقات
والحر يملك على زوجته الامة تطليقتين **ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيا** يعني اعطيتموهن
شيا يعني من مهر او غيره ثم استثنى الخلع فقال تعالى **الا ان يخافا الا يقيما**
حدود الله نزلت في جميلة بنت عبد الله بن ابي ويقال حبيبة بنت سهل الانصاري
كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها وكان بينهما كلام فاتت
اباها تشكو اليه زوجها وقالت انه يسيئني ويضربني فقال ارجعي الى زوجك فاني اكره
للمراة ان لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها قال فرجعت اليه الثانية وبها اثر الضرب
فقال لها ارجعي الى زوجك فلما رات اباها لا يشكيها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فشكت اليه زوجها وارته اثارا بها من ضربه وقالت يا رسول الله لا انا ولا هو فارسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت فقال ما لك ولاهلك فقال والذي بعثك

Copyright King Saud University

بالحق نبيا ما على وجه الارض احب الي منه غيرك فقال لها ما تقولين فكرهت ان تكذب
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سالها فقال لها صدق يا رسول الله ولكن خشيت ان
يهلكني فاخرجني منه وقالت يا رسول الله ما كنت احدثك حديثا ينزل عليك خلافه هو
اكرم الناس حبا لزوجته ولكني ابغضه فلا انا ولا هو قال ثابت اعطيتها حديقة نخل فقل لها
فلترد ما علي واخلي سبيلها فقال لها تردين عليه حديقته وتملكين امرك قالت نعم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل خ
عن ابن عباس ان امراة ثابت بن قيس اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله
ان ثابت بن قيس ما اعتب عليه في خلق ولا دين ولكني اكره الكفر في الاسلام قال ابو عبد
الله يعني تبغضه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تردين عليه حديقته قالت نعم
قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل الحديقة وطلقها تطليقة قوله ما اعتب عليه
يعني ما اجد عليه والعتبى الموجدة والحديقة البستان من النخل اذا كانت عليه الحايط وتغني
قوله تعالى الا ان يخافا اي يعلما الزوجان من انفسهما ان لا يقيما حدود الله والمعنى تخاف
المراة ان تعصي الله في امر زوجها انه اذا لم تطعه ان تتعدى عليها فنهى الله الرجل ان ياخذ من
امراته شيا مما اعطاها الا ان يكون النشوز من قبلها وذلك ان تقول لا اطيع لك امرا ولا
اطا لك مضجعا ونحو ذلك وقرى يخافا بضم اليا ومعناه الا ان يعلم ذلك من حالهما يعني يعلم
القاضي والولي فان خفتم يعني فان خشيتم وا شفقتم وقيل معناه وان ظننتم ان لا يقيما حدود
الله يعني ما اوجب الله على كل واحد منهما من طاعته فيما امر به من حسن الصحبة والمعاشرة
بالمعروف وقيل هو يرجع الى المراة وهو سوء خلقها او استخفافها بحق زوجها فلا جناح
عليهما فيما افتدت به اي لا جناح على المراة في النشوز ان خشيت الهلاك والمعصية فيما افتدت
به نفسها او اعطته من المال لانها ممنوعة من اتلاف المال بغير حق ولا على الزوج فيما اخذ
من المال اذا اعطته المراة طايعة راضية **فصل** في حكم الخلع وفيه مسايل الاولى
قال الزهري والنخعي وداود لا يباح الخلع الا عند الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود
الله فان وقع الخلع في غير هذه الحالة فهو فاسد وحجة هذا القول ان الاية صريحة في انه
لا يجوز ان ياخذ من المراة شيا عند طلاقها ثم استثنى الله تعالى حالة مخصوصة فقال
الا ان يخافا ان لا يقيما حدود الله فكانت هذه صريحة في انه لا يجوز الاخذ في غير حالة
الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله وذهب جمهور العلما الى انه يجوز الخلع من غير
نشوز ولا غضب غير انه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب عن ثوبان ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ايما امراة سالت زوجها الطلاق من غير ما باس فحرام عليها رايحة الجنة
اخرجه ابو داود والترمذي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابغض الحلال الى الله
الطلاق اخرجه ابو داود ودليل الجمهور على جواز الخلع من غير نشوز قوله تعالى فان طبن لكم عن
شي منه نفسا فكلوه هنيا مريا فاذا جاز لها ان تهب مهرها من غير ان يحصل لها شي فاذا بذلت
كان ذلك في الخلع الذي يصير بسببه مالكة نفسها اولى واجيب عن الاستثنا المذكور في
هذه الاية انه محمول على الاستثنا المنقطع المسيلة الثانية الخلع جايز على اكثر مما اعطاها

وبه قال اكثر العلما وقال بعضهم لا يجوز ان ياخذ اكثر مما اعطاها وهو قول علي وبه قال الزهري
والشعبي والحسن وعطا وطاوس وقال سعيد بن المسيب بل ياخذ دون ما اعطاها حتى يكون
الفضل له وحجة الجمهور ان الخلع عقد على معاوضة فوجب ان لا يتقيد بمقدار معين كما ان للمراة ان لا
ترضى عند عقد النكاح الا بالكثير وكذلك الزوج ان لا يرضى عند المخالعة الا بالبذل الكثير لا سيما
وقد اظهرت الاستخفاف بالزوج حيث اظهرت بغضه وكراهته المسيلة الثالثة اختلف
العلما في الخلع هل هو فسخ او طلاق فقال الشافعي في القديم انه فسخ وهو قول ابن عباس
وطاوس وعكرمة وبه قال احمد واسحاق وابو ثور وقال الشافعي في الجديد انه طلاق وهو
الاظهر وهو قول عمر وعلي وابن مسعود والحسن والشعبي والنخعي وعطا وابن المسيب ومجاهد
ومكحول والزهري وبه قال ابو حنيفة ومالك وسفيان الثوري وحجة القول القديم ان الله
تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة فقال فان طلقها فلا تحل له من
بعد حتى تنكح زوجا غيره ولو كان الخلع طلاقا لكان الطلاق اربعا وحجة القول الجديد انه لو كان
فسخا لما صح بالزيادة على المهر المسمى كالاقالة في البيع وايضا لو كان الخلع فسخا فاذا خالعها ولم يذكر
وجوب المهر عليها فالا قالوا ان الثمن يجب رده وان لم يذكره فثبت ان الخلع ليس بفسخ واذا
بطل ذلك ثبت انه طلاق وايضا فان الطلقة الثالثة قوله او تسريح باحسان وفايدة الخلاف
انا اذا جعلناه طلاقا ينقضي به عدة الطلاق فان تزوجها بعد كانت معه على طلقتين وان جعلناه
فسخا بانت منه بثلاث قوله تعالى تلك حدود الله يعني هذه اوامر الله ونواهيه وهو ما تقدم
من احكام الطلاق والرجعة والخلع وحدود الله ما منع من مجاوزتها وهو قوله فلا تعتدوها اي لا تجاوزوها
ومن يتعد حدود الله اي يتجاوزها فاولئك هم الظالمون قوله عز وجل فان طلقها يعني الطلقة الثالثة فلا تحل
له من بعد اي لا يحل له رجعتها بعد الثلاث حتى تنكح زوجا غيره يعني حتى تتزوج زوجا اخر غير
المطلق فيجامعها والنكاح يتناول العقد والوطي جميعا والمراد هنا الوطي نزلت في تميمة وقيل عايشة
بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي وكانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظي فطلقها ثلاثا
عن عايشة قالت جات امراة رفاعة القرظي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
اني كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وانما معه كهدبة الثوب
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته
ويذوق عسيلتك قولها فبت طلاقي اي قطعه والبت القطع وقولها مثل هدبة الثوب اي طرفه
وهو كناية عن استرخا الذكر قوله حتى تذوقي عسيلته بضم العين تصغير عسل شبه لذة الجماع
بالعسل وهو كناية عنه وانما انث العسل لان من العرب من يونثه وقيل انثه حملا له على المعنى
لان المراد منه النطفة وعبد الرحمن المذكور هو عبد الرحمن بن الزبير بفتح الزاي وكسر البا المشددة
وروي انها لبثت ما شا الله ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي قد مسني
فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الاول فلن اصدقك في الاخر فلبثت حتى قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاتت ابا بكر فقالت يا خليفة رسول الله ارجع الى زوجي الاول فان زوجي الاخر قد مسني
وطلقني فقال لها ابو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اتيتيه وقال لك ما قال فلا ترجعي
اليه فلما قبض ابو بكر اتت عمر وقالت له مثل ما قالت لابي بكر فقال لها لان رجعت اليه لارجمنك فلم

Copyright © King Saud University

تعالى فان طلقها يعني الزوج الثاني بعد وطيها فلا جناح عليهما يعني على المرأة والزوج الاول ان
يتراجعا يعني بنكاح جديد ان ظنا اي علما وايقنا وقيل ان رجوا لان احدا لا يعلم ما هو كائن الا الله
تعالى ان يقيما حدود الله يعني يقيما بينهما الصلاح وحسن العشرة والصحبة وقيل معناه ان
علما ان نكاحهما على غير دلسة والمراد بالدلسة التحليل **فرعان** الاول لمذهب جمهور العلما
ان المطلقة الثلاث لا تحل للزوج المطلق منه بالثلاث الا بشرائط وهي ان تعتد منه ثم
تتزوج بزوج اخر ويطاها ثم يطلقها ثم تعتد منه فاذا حصلت هذه الشرائط فقد حلت للاول
والا فلا وقال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب تحل بمجرد العقد والمذهب الاول هو الاصح
واختلف العلما في اشتراط الوطي هل ثبت بالكتاب والسنة على ثلاثة اقوال الثالث وهو المختار
انه ثبت بهما الثاني اذا تزوج بالمطلقة ثلاثا ليحلها للاول فهذا نكاح باطل وعقد باطل فاسد
وبه قال مالك واحمد لما روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل والمحلل
له اخرجه الترمذي و قال حديث صحيح وروي انه قال هو التيس المستعار ولو تزوجها لم
يشترط في النكاح انه يفارقها فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل اذا طلقها وانقضت العدة غير
انه يكره اذا كان في عزمهما ذلك وبه قال الشافعي وابو حنيفة والدليل على ذلك ان الاية دلت على ان الحرمة
تنتهي بالوطي مسبوق بعقد وقد وجد ذلك فوجب القول بانتها الحرمة وقال نافع اتى رجل الى ابن عمر
فقال ان رجلا طلق امراته ثلاثا فانطلق اخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحلها للاول فقال لا الا نكاح
رغبة كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وتلك حدود الله
يبينها لقوم يعلمون يعني يعلمون ما امرهم به ونهاهم عنه وانما خص العلما لانهم هم الذين ينتفعون
بذلك البيان قوله عز وجل واذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن نزلت في ثابت بن يسار رجل من الانصار
طلق امراته حتى اذا قرب انقضا عدتها راجعها ثم طلقها يقصد بذلك مضارتها فبلغن اجلهن اي
قاربن انقضا عدتهن وشارفن منتهاها ولم يرد انقضا العدة لانه لو انقضت عدتها لم يكن للزوج
فالبلوغ هنا بلوغ مقاربة كما يقال بلغ فلان البلد اذا قاربه وشارفه فهذا من باب المجاز الذي يطلق
على اسم الكل فيه على الاكثر وقيل ان الاجل اسم الزمان فيحمل على الزمان الذي هو اخر زمان يمكن ايقاع
الرجعة فيه بحيث اذا فات لا يبقى بعده مكنة الرجعة وعلى هذا التاويل فلا حاجة بنا الى المجاز
فامسكوهن اي راجعوهن بمعروف وهو ان يشهد على رجعتها وان يراجعها بالقول لا بالوطي او
سرحوهن بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن انفسهن ولا تمسكوهن ضرارا اي
لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس وقيل كانوا يضارونهن لتفتدي المرأة منه بمالها
لتعتدوا اي لتظلموهن بمجاوزتكم في امورهن حدود الله التي بينها لكم وقيل معناه لا تضاروهن على
قصد الاعتدا عليهن ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه اي ضر نفسه بمخالفة امر الله وتعريضها
عذاب الله ولا تتخذوا ايات الله هزوا يعني بذلك ما بين من حلاله وحرامه وامره ونهيه في
وحيه وتنزيله فلا تتخذوا ذلك استهزا ولعبا فمن وجب عليه طاعة الله وطاعة رسوله ثم
وصل هذه الاحكام التي تقدم ذكرها في العدة والرجعة والخلع وترك المضادة فلا تتخذها هزوا
تنبيه تهديد بعظيم ووعيد شديد وقيل هو راجع الى قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان
فكل من خالف امرا من امور الشرع فهو متخذ ايات الله هزوا وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج

ويقول

ويقول كنت لاعبا فنهوا عن ذلك عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث
جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة اخرجه ابو داود والترمذي وقوله تعالى
واذكروا نعمة الله عليكم يعني بالايمان الذي انعم به الله عليكم فهداكم له وساير نعمه التي انعم بها عليكم وما
انزل عليكم اي واذكروا نعمه فيما انزل عليكم من الكتاب يعني القران والحكمة يعني السنة التي علمها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وسنها لكم وقيل المراد بالحكمة مواعظ القران يعظكم به اي بالكتاب الذي انزله
على نبيه صلى الله عليه وسلم واتقوا الله يعني خافوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه واعلموا ان الله بكل شي عليم يعني
انه تعالى يعلم ما اخفيتم من طاعة ومعصية في سر وعلن لا يخفى عليه شي من ذلك قوله عز وجل واذا
طلقتم النسا فبلغن اجلهن نزلت في معقل بن يسار المزني عضل اخته جميلة وكانت تحت ابي البداح عاصم
ابن عدي فطلقها عن معقل بن يسار قال كانت لي اخت تخطب الي وامنعها من الناس فاتى ابن عم لي فانكحتها
اياه فاصطحبا ما شا الله ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الي اتاني
يخطبها مع الخطاب والله لا انكحها ابدا ففي نزلت هذه الاية واذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن فلا
تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن الاية فكفرت عن يميني وانكحتها اياه اخرجه البخاري وقيل ان جابر بن
عبد الله كانت له ابنة عم فطلقها زوجها تطليقة فلما انقضت عدتها اراد ان يرتجعها فابى وقال جابر
طلقت ابنة عمنا ثم تريد ان تنكحها الثانية وكانت المراة تريد زوجها قد رضيته فنزلت هذه
الاية واراد ببلوغ الاجل في قوله فبلغن اجلهن انقضا العدة بخلاف الاية التي قبل هذه قال الشافعي
دل اختلاف الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن خطاب للاوليا والمعنى لا تضيقوا
عليهن ايها الاوليا فتمنعوهن من مراجعة ازواجهن بنكاح جديد تبتغون بذلك مضارتهن فهو
خطاب عام لجميع الاوليا وان كان سبب الاية خاصا واصل العضل المنع والتضييق ومنه قول
اوس بن حجر ۝ وليس اخوك الدائم العهد بالذي ۝ يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا ۝
ولكنه النائي اذا كنت امنا ۝ وصاحبه الادنى اذا الامر اعضلا ۝ يعني اذا ضاق الامر وفي الاية
دليل للشافعي ومن وافقه في ان المراة لا تلي عقد النكاح ولا تاذن فيه اذ لو كانت تملك ذلك
لم يكن عضل ولا لنهي الولي عن العضل معنى وقوله اذا تراضوا بينهم بالمعروف يعني اذا تراضى الخطاب والنسا
والمعروف هنا ما وافق الشرع من عقد حلال ومهر جائز وقيل هو ان يرضى كل واحد منهما بما
التزمه لصاحبه بحق العقد حتى تحصل الصحبة الحسنة والعشرة الجميلة ذلك اي ذلك الذي
ذكرت من النهي يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر يعني ان المؤمن هو الذي ينتفع بالوعظ دون
غيره ذلكم ازكى لكم واطهر يعني انه خير لكم واطهر لقلوبكم واطيب عند الله والله يعلم يعني ما في ذلك من
الزكو والتطهير وانتم لا تعلمون يعني ذلك قوله عز وجل والوالدات يعني المطلقات اللاتي
لهن اولاد من ازواجهن وقيل المراد بهن جميع الوالدات سوا كن مطلقات او مزوجات
ويدل عليه ان اللفظ عام وما قام دليل التخصيص فوجب تركه على عمومه ولانه ظاهر اللفظ
فوجب حمله عليه يرضعن اولادهن هذا خبر بمعنى الامر والتقدير والوالدات يرضعن في حكم
الله الذي اوجبه وهذا الامر ليس امر ايجاب وانما هو امر ندب واستحباب لان تربية الطفل
بلبن الام اصلح له من لبن غيرها ولكمال شفقتها عليه وبدليل انه لا يجب على الوالدة ارضاع الولد
قوله فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن ولو وجب عليها الرضاع لما استحقت الاجرة وقال

Copyright © King Saud University

تعاسرتم فسترضع له اخرى هذا نص صريح في ذلك فان لم يوجد من يرضع الطفل او لم يقبل غير
لبن امه وجب عليها ارضاعه كما يجب على احد مواساة المضطر وان رغبت الام في ارضاع ولدها
فهي اولى به من غيرها حولين كاملين الحول السنة واصله من حال يحول اذا انقلب وانما قال
حولين كاملين للتوكيد لانه مما يتسامح فيه تقول اقمت عند فلان حولا وان لم تستكمله فبين الله
انهما حولان كاملان اربعة وعشرون شهرا وهذا التحديد بالحولين ليس تحديدا بايجاب ويدل على
ذلك قوله بعد لمن اراد ان يتم الرضاعة فلما علق الاتمام بارادتنا علمنا ان هذا الاتمام غير واجب فثبت
ان هذا المقصود من هذا التحديد قطع التنازع بين الزوجين في مقدار زمن الرضاعة فقدر الله
تعالى بالحولين حتى يرجعا اليه عند التنازع قال ابن عباس في رواية عكرمة اذا وضعت الولد
لستة اشهر ارضعته حولين وان وضعته لسبعة اشهر ارضعته ثلاثا وعشرين شهرا
وان وضعته لتسعة اشهر ارضعته احدا وعشرين شهرا كل ذلك ثلاثون شهرا لقوله تعالى
وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال في رواية للوالبي عنه هو حد لكل مولود في اي وقت ولد
لا ينقص رضاعه من حولين الا باتفاق من الابوين فايهما اراد فطام الولد قبل الحولين
فليس له ذلك الا اذا اتفقا عليه يدل على ذلك قوله فان ارادا فصالا عن تراض منهما وقيل
فرض الله على الوالدات ارضاع الولد حولين ثم انزل التخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة
اي هذا منتهى الرضاع لمن اراد تمام الرضاعة وليس فيما دون ذلك حد محدود وانما هو على
مقدار اصلاح الطفل وما يعيش به وعلى المولود له يعني الاب وانما عبر عنه بهذا لان الوالدات
انما ولدن للاباء ولذلك ينسب الولد الى الاب دون الام قال بعضهم ◦

◦ وانما امهات الناس اوعية ◦ مستودعات وللاباء ابناء ◦

وقيل ان هذا تنبيه على ان الولد انما يلتحق بالوالد لكونه مولودا على فراشه فكانه قال
اذا ولدت المراة الولد لاجل الرجل وعلى فراشه وجبت عليه رعاية مصالحه رزقهن اي
طعامهن وكسوتهن اي لباسهن بالمعروف اي على قدر الميسرة لا تكلف نفس الا وسعها يعني طاقتها
والمعنى ان ابا الولد لا يكلف في الانفاق عليه وعلى امه الا قدر ما تتسع به مقدرته ولا
يبلغ استغراق القدرة لا تضار والدة بولدها يعني لا ينزع الولد من امه بعد ان رضيت بارضاعه
ولا يدفع الى غيرها وقيل معناه لا تكره الام على رضاع الولد وقبل الصبي لبن غيرها لان ذلك
ليس بواجب عليها ولا مولود له بولده يعني لا تلقي المراة الولد الى ابيه وقد الفها تضاره بذلك وقيل
معناه لا يلزم الاب ان يعطي ام الولد اكثر مما يجب عليه لها اذا لم يرضع الولد من غير امه فعلى هذا
يرجع الاضرار الى الوالدين فيكون المعنى لا يضار كل منهم صاحبه بسبب الولد وقيل يحتمل
ان يكون الضرار راجعا الى الولد والمعنى لا يضار كل واحد من الابوين الولد فلا ترضعه
حتى يموت فيتضرر بذلك ولا ينفق عليه الاب او ينزعه من امه فيضرع بذلك فعلى هذا
تكون الباء صلة والمعنى لا تضار والدة ولدها ولا اب ولده وعلى الوارث مثل ذلك يعني وعلى وارث
ابي الولد اذا مات مثل ما كان يجب عليه من النفقة والكسوة فيلزم وارث الاب ان يقوم
مقامه في القيام بحق الولد وقيل المراد بالوارث وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه
فعلى هذا الوارث مثل ما كان على ابي الصبي في حال الحياة ثم الوارث هو فقيل هو عصبة الصبي

كالجد

كالجد والاخ وابنه والعم وابنه وقيل هو كل وارث له من الرجال والنساء وبه قال احمد فيجبرون
على نفقة الصبي كل على قدر سهمه منه وقيل هو من كان ذا رحم محرم منه وبه قال ابو حنيفة
وقيل المراد بالوارث الصبي نفسه فعلى هذا تكون اجرة رضاع الصبي في ماله فان لم يكن له
مال فعلى الام ولا يجبر على نفقة الصبي غير الابوين وبه قال مالك والشافعي وقيل معناه وعلى
الوارث ترك المضارة فان ارادا يعني الوالدين فصالا يعني فطام الولد قبل الحولين عن تراض
منهما اي على اتفاق من الوالدين في ذلك وتشاور اي بينهما ويروا اهل العلم بذلك حتى يخبروا ان الفطام
قبل الحولين لا يضر بالولد والمشاورة استخراج الراي بما فيه مصلحة فلا جناح عليهما اي فلا حرج ولا اثم
على الوالدين في الفطام قبل الحولين اذا لم يضر بالولد وان اردتم ان تسترضعوا اي لاولادكم مراضع غير امهاتهم (اولادكم)
اذا ابت امهاتهم ارضاعهم او تعذر ذلك لعلة بهن من انقطاع لبن وغير ذلك او اردن التزويج فلا جناح
عليكم اذا سلمتم يعني الى المراضع ما اتيتم يعني ما سميتم لهن من اجرة الرضاع وقيل اذا سلمتم الى امهاتهم من اجرة
الرضاع بقدر ما ارضعن بالمعروف يعني بالاحسان والاجمال امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة
مستبشرين الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن من تفريطهن
لقطع معاذيرهن واتقوا الله اي وخافوا الله فيما فرض عليكم من الحقوق وفيما اوجب عليكم لاولادكم
واعلموا ان الله بما تعملون بصير يعني لا يخفى عليه خافية من جميع اعمالكم سرها وعلانيتها فانه تعالى يعلمها و[illegible]
قوله عز وجل والذين يتوفون يعني يموتون منكم واصل التوفي اخذ الشيء وافيا فمن مات فقد استوفى
عمره كاملا ويقال توفي فلان يعني قبض واخذ ويذرون اي ويتركون ازواجا والمراد بالازواج هنا النساء
لان العرب تطلق اسم الزوج على الرجل والمراة يتربصن اي ينتظرن بانفسهن اربعة يعني قدر هذه المدة وانما قال (اشهر وعشرا)
عشرا بلفظ التانيث لان العرب اذا ابهمت العدد من الليالي والايام غلبوا الليالي على الايام حتى ان احدهم ليقول
صمت عشرا من الشهر لكثرة تغليبهم الليالي على الايام فاذا اظهروا الايام قالوا صمنا عشرة ايام وقيل
ان هذه الايام ايام حزن وليس احداد فشبهها بالليالي على سبيل الاستعارة ووجه الحكمة
في ان الله تعالى جعل العدة بهذا القدر لان الولد يركض في بطن امه لنصف مدة الحمل يعني يتحرك
وقيل ان الروح تنفخ في الولد في هذه العشرة ايام ويدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود قال حدثنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين
يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا بكتب رزقه
واجله وعمله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح اخرجاه في الصحيحين بزيادة فدل هذا الحديث
على ان خلق الولد يجتمع في مدة اربعة اشهر ويتكامل خلقه بنفخ الروح فيه في هذه الايام الزائدة

فصل في حكم عدة المتوفى عنها زوجها والاحداد وفيه مسائل المسئلة الاولى عدة
المتوفى عنها زوجها الحرة اربعة اشهر وعشر وعدة الامة على نصف عدة الحرة شهران وخمسة ايام وبه
قال جمهور العلماء وقال ابو بكر الاصم عدة الامة كعدة الحرة وتمسك بظاهر هذه الاية وعدة الحامل
بوضع الحمل يستوي فيه الحرة والامة ولو وضعت بعد وفاة زوجها بلحظة حل لها ان تتزوج ويدل على
ذلك ما روي عن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لؤي وكان
ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب ان وضعت حملها فلما تعلت من نفاسها
تجملت للخطاب فدخل عليها ابو السنابل بن بعكك رجل من بني عبد الدار فقال ما لي اراك تجملت

Copyright © King Saud University

الخطاب لعلك ترجين النكاح وانك والله ما انت بناكح حتى تمر عليك اربعة اشهر وعشر قالت سبيعة
فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين امسيت واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته
عن ذلك فافتاني باني قد حللت حين وضعت حملي وامرني بالتزويج ان بدا لي اخرجاه في الصحيحين
وفيه قال ابن شهاب ولا ارى باسا ان تتزوج حين وضعت وان كانت في دمها غير انها لا يقربها
حتى تطهر فعلى هذا حكم الاية عام في كل من توفي عنها زوجها بان تعتد اربعة اشهر وعشرا ثم خصص
من هذا العموم اولات الاحمال بهذا الحديث وبقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن
المسئلة الثانية يجب على من توفي عنها زوجها الاحداد وهو ترك الزينة والطيب ودهن
الراس بكل دهن والكحل المطيب فان اضطرت الى كحل فيه زينة فرخص لها وبه قال مالك وابو حنيفة
وقال الشافعي تكتحل بالليل وتمسحه بالنهار عن ام سلمة قالت دخلت علي رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين توفي ابو سلمة وقد جعلت على صبرا فقال ما هذا يا ام سلمة فقلت انما هو صبر يا رسول الله
ليس فيه طيب فقال انه يشب الوجه فلا تجعليه الا بالليل وتنزعيه بالنهار ولا تمتشطي بالطيب
ولا بالحناء فانه خضاب قلت باي شي امتشط يا رسول الله قال بالسدر تغلفين به راسك اخرجه
ابو داود والنسائي بنحوه قوله فانه يشب الوجه اي يوقده ويحسنه وينوره من شب النار اذا اوقدها
قوله تغلفين به راسك اي تلطخين به راسك والتغلف هو التمرغ على وجه المراة وكذا راسها اذا لطخته
بشي فاكثرت منه ولا يجوز لها لبس الديباج والحرير والحلي والمصبوغ للزينة كالاحمر والاصفر ويجوز
لها ما صبغ لغير الزينة كالاسود والازرق ويجوز ان يلبس البيض من الثياب والصوف والوبر
عن زينب بنت ابي سلمة قالت دخلت على ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي ابوها
ابو سفيان بن حرب بطيب فيه صفرة خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم
قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر
لا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا
قالت زينب ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفي اخوها فدعت بطيب فمست
ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل
لامراة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا
م عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تحد على
ميت فوق ثلاث الا على زوجها ق عن ام عطية قالت كنا ننهى ان نحد على ميت فوق ثلاث الا
على زوج اربعة اشهر وعشرا ولا نكتحل ولا نتطيب ولا نلبس ثوبا مصبوغا الا ثوب عصب
وقد رخص لنا عند الطهر اذا اغتسلت احدانا من حيضتها في نبذة من كست اظفار قولها الا
ثوب عصب العصب بالعين والصاد المهملتين هي البرود الذي صبغ غزله قبل النسيج قوله
نبذة من كست النبذة الشي اليسير والكست لغة في القسط وهو شي معروف يتبخر به عن ام سلمة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلبس المتوفى عنها زوجها المعصفر من الثياب
ولا الممشقة ولا الحلي ولا تختضب ولا تكتحل اخرجه ابو داود قولها ولا الممشقة الثياب الممشقة
هي المصبوغة بالمشق وهي المغرة عن نافع ان صفية بنت عبد الله اشتكت عينها وهي حاد على
زوجها ابن عمر فلم تكتحل حتى كادت عيناها ترمصان اخرجه مالك في الموطا المسئلة الثالثة

اختلفوا

اختلفوا في ان هذه العدة وجبت بالوفاة او بالعلم بالوفاة فقال بعضهم اذا لم تعلم بوفاة زوجها الا بعد انقضائها
[illegible] فقد انقضت [illegible] لان الله تعالى قال يتربصن بانفسهن وكذلك لا يحل [illegible]
[illegible] والطيب [illegible]
[illegible]
[illegible] هذه المدة [illegible]
[illegible] الاية [illegible] وسيذكر تمام الكلام
عليه [illegible] قوله تعالى فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن
فلا جناح عليكم [illegible] فيما فعلن في انفسهن بالمعروف يعني من التزين والتطيب
[illegible] نكاح من يريد نكاحها [illegible]
خاصة وقيل معنى قوله بالمعروف هو النكاح الحلال الطيب واحتج اصحاب ابي حنيفة على جواز النكاح
بغير ولي بهذه الاية لان اضافة الفعل الى الفاعل محمول على المباشرة واجاب اصحاب الشافعي
ان قوله تعالى فلا جناح عليكم خطاب للاولياء ولو صح العقد بغير ولي لما كان الخطاب للاولياء وقيل
[illegible] فيما فعلن في انفسهن [illegible] هو التزين والتطيب بعد انقضاء العدة لا انها تزوج نفسها
والله بما تعملون خبير يعني ان الله تعالى لا يخفى عليه خافية والخبير في صفة الله تعالى هو العالم بكنه
الشي [illegible] المخلوقين [illegible]
[illegible] قوله عز وجل ولا جناح عليكم اي لا حرج عليكم
فيما عرضتم به [illegible] التعريض [illegible] التصريح [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
ما روي عن ابن عباس في قوله تعالى [illegible]
[illegible] اخرجه البخاري [illegible] سكينة بنت
[illegible]
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي وقدمي في الاسلام [illegible]
[illegible]
قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة وهي [illegible]
[illegible]
او اكننتم في انفسكم يعني [illegible]
بشي والمقصود انه لا حرج عليكم في التعريض للمراة في عدة الوفاة ولا فيما يضمر الرجل في نفسه

تعالى بقضيتها انهم عند ما كرم العقيد احمد [illegible] بحكم لاانه شرحه المفصل والتمني لا يلوى حد لما كان يحمل الكاظر
على المحر الشافعي [illegible] عقد النكاح [illegible] اختلفوا في معنى التعريض [illegible] الرجل
الرجل بدخل على المراة يعرض بالنكاح ويريد به الزنا ويقول لها ادعيني [illegible] تكليظهر [illegible]
منه جاعن حنيك [illegible] وقيل هو قول الرجل للمراة لا انتم [illegible] بالكرك [illegible]
المشاق [illegible] تتزوج غيره وقيل هو ان [illegible] في العدة وقال الشافعي [illegible]
على ابن عباس [illegible] كثرة الجماع [illegible] عن الجماع [illegible]
الا ان [illegible] كبرت [illegible] الا يحل [illegible] الكناية
على الجماع بالسر [illegible] والله تعالى حي كريم فكنى به عن لفظ الجماع الصريح [illegible] الاية لانواعدوهن
[illegible] بالشي الموصوف بالسر وقيل في معنى الاية [illegible] تعالى [illegible]
[illegible] التعريض بالخطبة [illegible] على التصريح بالخطبة الا ان تقولوا قولا معروفا [illegible]
التعريض بالخطبة [illegible] ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله اي
لا تحققوا العزم على عقد النكاح في العدة حتى تنقضي [illegible] الله تعالى الكتاب [illegible] واعلموا ان
الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه [illegible] واعلموا ان الله غفور حليم لا يعجل بالعقوبة [illegible] لا جناح عليكم
ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة [illegible] ولم تفرضوا لهن
صداقا [illegible] نزلت في رجل من الانصار تزوج امراة من بني حنيفة [illegible] ثم طلقها قبل
ان يمسها فنزلت هذه الاية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] فان قلت
[illegible] من طلق امراته [illegible] حتى يوضع عنه الجناح قبل المسيس [illegible] والجناح عنه
قلت [illegible] في الحديث ابغض الحلال الى الله الطلاق [illegible]
الجناح عنه [illegible] وقيل معناه لا جناح عليكم في تطليقهن قبل المسيس [illegible]
[illegible] قبل الدخول ومتعوهن اي اعطوهن من مالكم ما يتمتعن به
والمتعة [illegible] على الموسع اي الغني الذي يكون في سعة من [illegible] قدره اي قدر امكانه
وطاقته وعلى المقتر قدره [illegible] متاعا بالمعروف [illegible] من غير ظلم ولا حيف حقا اي ذلك [illegible]
واجبا لازما على المحسنين يعني المطلقات بالتمتيع وانما خص المحسنين بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون
[illegible] الحسنين [illegible] هو [illegible]
فصل [illegible] الفرع الاول اذا تزوج امراة ولم يفرض لها مهرا
ثم طلقها قبل المسيس [illegible] وبه قال الشافعي وابو حنيفة [illegible] مالك المتعة
مستحبة ولو طلقها قبل الدخول وقد فرض لها مهرا وجب عليه نصف المهر المفروض ولا متعة لها
لانها تستحق المهر كاملا [illegible] ابو حنيفة [illegible] وقال في الجديد لها المتعة
[illegible] في الرواية الاخرى [illegible] لكل مطلقة متعة
الا التي فرض لها [illegible] نصف المهر الفرع الثالث في قدر المتعة
قال ابن عباس [illegible] ابو حنيفة [illegible] ذكر [illegible]
او [illegible] على الموسع خادم ولو سطها ثوب واقل
ماله ثمن [illegible] وروي ان عبد الرحمن بن عوف طلق امراته [illegible] جارية سوداء متع

الحسن

الحسن

الحسن بن علي رضي وجته بعشرة الاف درهم فقالت متاع قليل من حبيب مفارق وقال ابو حنيفة
مبلغها اذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوز وقال احمد في احدى الروايتين عنه تتقدر
بما تجزئ فيه الصلاة وقال في الرواية الاخرى تتقدر بتقدير الحاكم والاية تدل على ان المتعة تعتبر
حال الزوج في اليسر والعسر وانه مفوض الى الاجتهاد لانها كالنفقة التي اوجبها الله تعالى للزوجات
وبين حال الموسر مخالف حال المعسر في ذلك الفرع الرابع ومن حكم الاية ان من تزوج امراة بالغة
برضاها على غير مهر صح النكاح ولها مطالبته بان يفرض لها صداقا فان دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر
مثلها وان طلقها قبل الدخول والفرض فلها المتعة قوله عز وجل وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن يعني تجامعوهن وهذا
في المطلقة بعد تسمية المهر وقبل الدخول حكم الله لها بنصف المهر ولا عدة عليها وهو قوله تعالى وقد فرضتم
لهن فريضة اي سميتم لهن مهرا فنصف ما فرضتم اي فلهن نصف المهر المسمى ومذهب الشافعي ان الخلوة من غير
مسيس لا توجب الا نصف المهر المسمى لان المسيس اما حقيقة في المس باليد وجعل كناية عن الجماع وايهما كان فقد
وجب الطلاق قبله وقال ابو حنيفة الخلوة الصحيحة تقرر المهر ومعنى الخلوة الصحيحة ان يخلو بها وليس
هناك مانع حسي ولا شرعي فالحسي نحو الرتق والقرن او يكون معهما ثالث والشرعي نحو الحيض والنفاس
وصوم الفرض وصلاة الفرض والاحرام وسواء كان فرضا او نفلا والاية حجة لمذهب الشافعي
قال شريح لم اسمع الله ذكر في كتاب بابا ولا سترا ان زعم انه لم يمسها فلها نصف الصداق وقال ابن
عباس اذا خلا بها ولم يمسها فلها نصف المهر فرع لو مات احد الزوجين بعد التسمية وقبل المسيس
فلها المهر كاملا وعليها العدة ان كان الزوج هو الميت وقوله تعالى الا ان يعفون يعني النساء المطلقات والمعنى
الا ان تترك المراة نصيبها من الصداق فتهبه للزوج وجميع الصداق الى الزوج او يعفو الذي بيده عقدة
النكاح فيه قولان احدهما انه الولي وهو قول ابن عباس في رواية عنه والحسن وعلقمة وطاوس
والشعبي والنخعي والزهري والسدي وبه قال الشافعي في القديم ومالك والقول الثاني انه الزوج
وهو قول علي وابن عباس في الرواية الاخرى وجبير بن مطعم وسعيد بن المسيب وابن جبير
ومجاهد والربيع وقتادة ومقاتل والضحاك ومحمد بن كعب القرظي وهو قول ابي حنيفة والشافعي
في الجديد واحمد وجمهور الفقهاء فعلى القول الاول يكون معنى الاية الا ان تعفو المراة اذا كانت
ثيبا بالغة من اهل العفو عن نصيبها للزوج او يعفو وليها اذا كانت المراة بكرا صغيرة او غير جائزة
التصرف فيجوز عفو وليها فيترك نصيبها للزوج وانما يجوز عفو الولي بشروط وهي ان تكون بكرا
صغيرة ويكون الولي ابا او جدا لان غيرهما لا يجوز الصغيرة وعلى القول الثاني ان الذي بيده
عقدة النكاح هو الزوج وصحح هذا القول الطبري والواحدي فيكون معنى الاية او يعفو الذي بيده
عقدة النكاح يعني الزوج فيعطي المراة الصداق كاملا لان الله تعالى لما ذكر عفو المراة عن
النصف الساقط عنه فحسن للمراة ان تعفو ولا تطالب بشي من الصداق وللرجل ان يعفو فيوفي
لها المهر كاملا وروي ان جبير بن مطعم تزوج امراة ثم طلقها قبل الدخول بها فاكمل لها الصداق
وقال انا احق بالعفو وان المهر حق المراة وليس لوليها ان يهب من مالها شيا وكذلك المهر لانه
مال لها وان تعفوا اقرب للتقوى هذا خطاب للرجال والنساء جميعا وانما غلب جانب التذكير لان
الذكورة هي الاصل والتانيث فرع عليه والمعنى وعفو بعضكم عن بعض ايها الرجال والنساء اقرب
الى حصول التقوى وقيل هو خطاب للزوج فيترك حقها الذي ساق من المهر اليها قبل الطلاق

Copyright © King Saud University

فهو اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم يعني ليتفضل بعضكم على بعض فيعطي الرجل الصداق كاملا
او تترك المراة نصيبها من الصداق فحثهما جميعا على الاحسان ومكارم الاخلاق ان الله بما تعملون يعني
من عفو بعضكم لبعض كما وجب عليه من حق بصير اى لا يخفى عليه شيء من ذلك قوله عز وجل حافظوا اى
داوموا وواظبوا على الصلوات يعني الخمس المكتوبات امر الله عز وجل عباده بالمحافظة على الصلوات الخمس بجميع
شروطها وحدودها واتمام اركانها وفعلها في اوقاتها المختصة بها والصلاة الوسطى تانيث الاوسط
ووسط كل شيء خيره واعدله وقيل الوسطى بمعنى الفضلى من قولهم للافضل وسط وانما افردت وعطفت
على الصلوات لانفرادها بالفضل وقيل سميت وسطى لانها اوسط الصلوات محلا

فصل

في ذكر اختلاف العلماء في الصلاة الوسطى وقد اختلف العلماء من الصحابة فمن بعدهم في الصلاة الوسطى على مذاهب
الاول ان الصلاة الوسطى هي صلاة الفجر وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ وجابر وعطا وعكرمة
ومجاهد والربيع بن انس وبه قال مالك والشافعي ويدل على ذلك ان مالكا بلغه ان علي بن ابي طالب وابن
عباس كانا يقولان الصلاة الوسطى صلاة الفجر اخرجه مالك في الموطا واخرجه الترمذي عن ابن عباس وابن عمر
تعليقا ولانها بين صلاتي جمع فالظهر والعصر يجمعان وهما صلاتا نهار والمغرب والعشا يجمعان
وهما صلاتا ليل وصلاة الفجر لا تقصر ولا تجمع الى غيرها ولانها تاتي في وقت مشقة بسبب برد الشتا
وطيب النوم في الصيف وفتور الاعضا وكثرة النعاس وغفلة الناس عنها فخصت بالمحافظة عليها
لكونها معرضة للضياع ولان الله تعالى خصها بالقنوت وهو قوله وقوموا لله قانتين والقنوت هو
طول القيام وصلاة الفجر مخصوصة بطول القيام ولان الله تعالى خصها بالذكر في قوله وقران
الفجر ان قران الفجر كان مشهودا يعني تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار فهي مكتوبة في ديوان
حفظة الليل وديوان حفظة النهار فدل ذلك على مزيد فضلها المذهب الثاني انها صلاة
الظهر وهو قول زيد بن ثابت واسامة بن زيد وابي سعيد الخدري ورواية عن عايشة وبه قال
عبد الله بن شداد وهو رواية عن ابي حنيفة ويدل على ذلك ما روي عن زيد بن ثابت وعايشة قالا
الصلاة الوسطى صلاة الظهر اخرجه مالك في الموطا عن زيد والترمذي عنهما تعليقا واخرجه ابو
داود عن زيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلي صلاة اشد
على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فنزلت حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى
وقال ان قبلها صلاتين وبعدها صلاتين ولان صلاة الظهر تاتي وسط النهار وفي شدة الحر
ولانها تاتي بعد البردين يعني صلاة الفجر وصلاة العصر المذهب الثالث انها صلاة العصر
وهو قول علي وابن مسعود وابي ايوب وابي هريرة وابن عمر وابن عباس وابي سعيد الخدري
وعايشة وهو قول عبيدة السلماني والحسن البصري وابراهيم النخعي وقتادة والضحاك والكلبي
ومقاتل وبه قال ابو حنيفة واحمد وداود وابن المنذر وقال الترمذي وهو قول اكثر الصحابة فمن
بعدهم وقال الماوردي من اصحابنا هذا مذهب الشافعي لصحة الاحاديث فيه قال وانما نص على
انها الصبح لانه لم تبلغه الاحاديث الصحيحة في العصر ومذهبه اتباع الحديث ويدل على صحة هذا المذهب
ما روي عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب وفي رواية قال يوم الخندق ملا الله
قلوبهم وبيوتهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس وفي رواية قال شغلونا عن
الصلاة الوسطى صلاة العصر وذكر نحوه وزاد في اخرى ثم صلاها بين المغرب والعشا اخرجاه في الصحيحين

م

(م) عن ابن مسعود قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس
او اصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملا الله اجوافهم
وقبورهم نارا او حشا الله اجوافهم وقبورهم نارا عن سمرة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلاة
الوسطى صلاة العصر اخرجه الترمذي وله عن ابن مسعود مثله وقال في كل واحد منهما حسن صحيح (م) عن
ابي يونس مولى عايشة قال امرتني عايشة ان اكتب لها مصحفا وقالت اذا بلغت هذه الاية فاذني حافظوا
على الصلوات والصلاة الوسطى فلما بلغتها اذنتها فاملت علي حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر
وقوموا لله قانتين قالت عايشة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي عن حفصة نحو ذلك
ولان صلاة العصر تاتي وقت اشتغال الناس بمعايشهم فكان الامر بالمحافظة عليها اولى ولانها
تاتي بين صلاتي نهار وهي الفجر والظهر وصلاتي ليل وهي المغرب والعشا وقد خصت بمزيد التاكيد
والامر بالمحافظة والتغليظ لمن ضيعها ويدل على ذلك ما روي عن ابي المليح قال كنا مع بريدة في غزوة
فقال في يوم ذي غيم بكروا بصلاة العصر فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ترك صلاة العصر فقد
حبط عمله اخرجه البخاري قوله بكروا بصلاة العصر اي قدموها في اول وقتها (ق) عن ابن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الذي تفوته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله فبقي فردا بلا اهل
ولا مال ومعنى الحديث ليكن حذره من فوتها كحذره من ذهاب اهله وماله المذهب الرابع انها
صلاة المغرب قاله قبيصة بن ذويب ووجه هذا المذهب ان صلاة المغرب تاتي بين بياض
النهار وسواد الليل ولانها ازيد من ركعتين كما في الصبح واقل من اربع ولا تقصر في السفر وهي وتر
النهار ولان صلاة الظهر تسمى الاولى لان ابتدا جبريل كان بها واذا كانت الظهر اول الصلوات كانت
المغرب هي الوسطى المذهب الخامس انها صلاة العشا ولم ينقل عن احد من السلف فيها شيء وانما ذكرها
بعض المتاخرين ووجه هذا المذهب انها متوسطة بين صلاتين لا تقصران وهما المغرب والصبح ولانها
اثقل صلاة على المنافقين المذهب السادس ان الصلاة الوسطى هي احدى الصلوات الخمس لا بعينها
لان الله امر بالمحافظة على الصلوات الخمس ثم عطف بالصلاة الوسطى وليس في الاية ذكر بيانها واذا
كان كذلك لم يمكن ان يقال في كل واحدة من الصلوات الخمس انها هي الوسطى ابهمها الله على عباده مع ما خصها
بمزيد التاكيد تحريضا لهم في المحافظة على اداء جميع الصلوات على صفة الكمال والتمام ولهذا السبب
اخفى الله تعالى ليلة القدر في شهر رمضان واخفى ساعة الاجابة في ليلة الجمعة واخفى
اسمه الاعظم في جميع اسمائه ليحافظوا على ذلك كله وهذا المذهب اختاره جماعة من العلما قال
محمد بن سيرين ان رجلا سال زيد بن ثابت عن الصلاة الوسطى فقال حافظ على الصلوات
كلها تصبها وسيل الربيع بن خثيم عن الصلاة الوسطى فقال للسائل الوسطى واحدة منهن فحافظ
على الكل تكن محافظا على الوسطى ثم قال للسائل ارايت لو علمتها بعينها اكنت محافظا عليها ومضيعا سايرهن
قال السائل لا فقال الربيع انك ان حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى والصحيح من هذه
الاقوال قولان قول من قال انها الصبح وقول من قال انها العصر واصح الاقوال كلها انها العصر
للاحاديث الصحيحة الواردة فيه والله تعالى اعلم وقوله تعالى وقوموا لله قانتين اي طايعين
فهو عبارة عن اكمال الطاعة واتمامها والاحتراز عن ايقاع الخلل في اركانها وسننها وقيل لاهل
كل دين صلاة يقومون فيها عاصين فقوموا انتم في صلاتكم طايعين وقيل القنوت هو الدعا

Copyright King Saud University

والذكر بدليل امن بعد فانت وما امر المحافظة على الصلوات فوجب ان يحمل هذا القنوت على ما فيه من
الذكر والدعاء بمعنى الاية وقوموا لله داعين ذاكرين وقيل انما خص القنوت بصلاة الصبح والوتر
لهذا المعنى وقيل القنوت هو السكوت عما لا يجوز التكلم به في الصلاة ويدل على ذلك ما روي عن زيد
ابن ارقم قال كنا نتكلم في الصلاة يكلم الرجل صاحبه وهو الى جنبه في الصلاة حتى نزلت وقوموا
لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام اخرجاه في الصحيحين وقيل القنوت هو طول
القيام في الصلاة ويدل عليه ما روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل
الصلاة طول القنوت اخرجه مسلم ومن القنوت ايضا طول الركوع والسجود وغض البصر
والهدو في الصلاة وخفض الجناح والخشوع فيها وكان العلماء اذا قام احدهم يصلي يهاب
الرحمن ان يلتفت او يقلب الحصى او يعبث بشيء من امور الدنيا الا ناسيا قوله عز وجل فان خفتم
فرجالا او ركبانا اي رجالة فاذا امنتم يعني على الدواب جمع راكب والمعنى ان لم يمكنكم ان تصلوا
قانتين موفين حدود الصلاة من اتمام الركوع والسجود والخضوع والخشوع لخوف عدو
او غيره فصلوا مشاة على ارجلكم او ركبانا على دوابكم مستقبلي القبلة وغير مستقبليها
وهذا في حال المقاتلة والمسايفة في وقت الحرب وصلاة الخوف قسمان احدهما ان
يكون في حال القتال وهو المراد بهذه الاية وقسم في غير حال القتال وهو المذكور في سورة
النساء في قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة وسياتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى
في موضعه واذا التحم القتال فلم يمكن تركه لاحد فمذهب الشافعي انهم يصلون ركبانا على
الدواب ومشاة على الارض الى القبلة والى غير القبلة يومون بالركوع والسجود ويكون
السجود اخفض من الركوع ويحترزون عن الصياح فانه لا حاجة اليه وقال ابو حنيفة
لا يصلي الماشي بل يوخر الصلاة ويقضيها لان النبي صلى الله عليه وسلم اخر الصلاة يوم
الخندق فصلى الظهر والعصر والمغرب بعد ما غربت الشمس فيجب علينا الاقتدا به واحتج
الشافعي لمذهبه بهذه الاية واجيب عن تاخير النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة
يوم الخندق بانه لم يكن نزل حكم صلاة الخوف انما نزلت بعد فلما نزلت صلاة الخوف لم يوخر
النبي صلى الله عليه وسلم صلاة قط اما الخوف الحاصل لا في القتال بل بسبب اخر كالهارب
من العدو او قصده سبع هائل او غشيه سيل يخاف على نفسه الهلاك لو صلى صلاة
امن فله ان يصلي صلاة شدة الخوف بالايماء في حال العدو ولان قوله تعالى فان خفتم مطلقا
فان قلت قوله تعالى فرجالا او ركبانا يدل على ان المراد منه خوف العدو
حال القتال **قلت** هو وان كان كذلك الا انه لما كان هناك ثابتا لدفع الضرر وهذا المعنى
موجود هنا فوجب ان يكون الحكم كذلك هاهنا وروي عن ابن عباس قال فرض الله الصلاة
على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة اخرجه
مسلم وقد عمل بظاهر هذا جماعة من السلف منهم الحسن البصري وعطاء وطاوس ومجاهد وقتادة
والضحاك وابراهيم واسحاق بن راهويه قالوا تصلى في حال شدة الخوف ركعة وقال الشافعي
ومالك وجمهور العلماء صلاة الخوف كصلاة الامن في عدد الركعات فان كان الخوف في الحضر
وجب عليه ان يصلي اربع ركعات وان كان في السفر صلى ركعتين ولا يجوز الاقتصار على

ركعة

ركعة واحدة في حال من الاحوال وتاولوا حديث ابن عباس على ان المراد به ركعة مع الامام وركعة اخرى ياتي بها
منفردا كما جاءت الاحاديث الصحيحة في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في صلاة الخوف وهذا
التاويل لا بد منه للجمع بين الاحاديث وقوله تعالى فاذا امنتم يعني من خوفكم فاذكروا الله اي فصلوا الصلوات
الخمس تامة باركانها وسننها كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون فيه اشارة الى انعام الله تعالى علينا بالعلم ولولا هدايته
وتعليمه ايانا لم نعلم شيئا ولم نصل الى معرفة شيء فله الحمد على ذلك قوله عز وجل والذين يتوفون منكم يعني يا معشر
الرجال ويذرون ازواجا يعني زوجات وصية لازواجهم قرئ بالنصب على معنى فليوصوا وصية وبالرفع على
معنى كتب عليكم الوصية متاعا الى الحول اي متعوهن متاعا وقيل جعل الله ذلك لهن متاعا والمتاع
نفقة سنة لطعامها وكسوتها وسكنها وما تحتاج اليه غير اخراج اي غير مخرجات من بيوتهن نزلت هذه الاية
في رجل من اهل الطائف يقال له حكيم بن الحارث هاجر الى المدينة ومعه ابوه وامراته وله اولاد
فمات فرفع ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية فاعطى النبي صلى الله عليه
وسلم الحكيم والوالدين الميراث ولم يعط امراته شيئا وامرهم ان ينفقوا عليها من تركة زوجها حولا
وكان الحكم في ابتداء الاسلام انه اذا مات الرجل اعتدت امراته حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها
من البيت قبل تمام الحول وكان نفقتها وسكناها واجبة في مال زوجها تلك السنة ولم يكن لها من الميراث
شيء ولكنها تكون مخيرة فان شاءت اعتدت في بيت زوجها ولها النفقة والسكنى وان شاءت خرجت قبل تمام الحول
وليس لها سكنى ولا نفقة وكان يجب على الرجل ان يوصي بذلك فدلت هذه الاية على مجموع امرين احدهما
ان لها النفقة والسكنى من مال زوجها سنة والثاني ان عليها عدة سنة ثم ان الله تعالى نسخ هذين
الحكمين اما الوصية بالنفقة والسكنى فنسخت باية الميراث فجعل لها الربع او الثمن عوضا عن النفقة والسكنى
ونسخ عدة الحول باربعة اشهر وعشر **فان قلت** كيف نسخت الاية المتقدمة
المتاخرة **قلت** قد تكون الاية المتقدمة متقدمة في التلاوة ومتاخرة
في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء من الناس مع قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء
وقوله تعالى فان خرجن فلا جناح عليكم يعني يا معشر اولياء الميت فيما فعلن في انفسهن من معروف يعني التزين
للنكاح ورفع الحرج عن الورثة وجهان احدهما انه لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن اذا خرجن
بعد انقضاء الحول والوجه الثاني لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لان مقامها في بيت
زوجها حولا غير واجب عليها خيرها الله تعالى بين ان تقيم في بيت زوجها حولا ولها النفقة والسكنى
وبين ان تخرج ولا نفقة لها ولا سكنى ثم نسخ الله تعالى ذلك بالعدة اربعة اشهر وعشر والله عزيز اي غالب
قوي في انتقامه ممن خالف امره ونهيه وتعدى حدوده حكيم يعني فيما شرع من الشرائع وبين من
الاحكام قوله عز وجل وللمطلقات متاع بالمعروف انما اعاد تعالى ذكر المتعة هنا لزيادة
معنى وذلك ان في تلك الاية بيان حكم المدخول بها وفي هذه الاية بيان حكم جميع المطلقات وقيل
لانه لما نزل ومتعوهن على الموسع قدره الى قوله حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين
ان احسنت فعلت وان لم ارد ذلك لم افعل فانزل الله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف فجعل المتعة
لهن بلام التمليك فقال تعالى حقا على المتقين يعني المومنين الذين يتقون الشرك وقد
تقدم احكام المتعة كذلك يبين الله لكم اياته يعني يبين لكم ما يلزمكم ويلزم ازواجكم ايها المومنون
معرفته احكامي والحق الذي يجب لبعضكم على بعض في هذه الايات كذلك ابين لكم سائر احكامي

[illegible] الذين خرجوا من ديارهم [illegible] عليه وسلم [illegible]
فيما [illegible] الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف [illegible] قال اكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان
قبل واسط وقع فيها الطاعون فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فهلك اكثر من بقي [illegible]
ثم [illegible] فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا اصحابنا كانوا احزم
منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى ارض لا وباء بها
فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة اهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا افيح فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه
النجاة ناداهم ملك من اسفل الوادي وملك اخر من اعلاه ان موتوا فماتوا جميعا [illegible]
[illegible] عبد الرحمن بن عوف [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه [illegible]
[illegible]
[illegible]
عليهم الموت [illegible]
[illegible]
خرجوا قال لهم الله موتوا عقوبة لهم [illegible]
عليهم ثمانية ايام حتى انتفخوا واروحت اجسادهم فخرج الناس اليهم فعجزوا عن دفنهم
فحظروا عليهم حظيرة دون السباع فذلك قوله تعالى الم تر يعني الم تعلم يا محمد بالاعلام
اياك وهو من روية القلب قال اهل المعاني هو تعجيب له يقول هل رايت مثل
هؤلاء كما تقول الم تر الى [illegible] الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف قيل
[illegible] عليه وسلم [illegible] الى الذين خرجوا من ديارهم [illegible] وهم الوف قيل
هو من العدد واختلفوا في مبلغ عددهم فقيل ثلاثة الاف وقيل عشرة الاف
وقيل بضع وثلاثون الفا وقيل اربعون الفا وقيل سبعون الفا واصح الاقوال قول
من قال انهم كانوا زيادة على عشرة الاف لان الله تعالى قال وهم الوف والالوف جمع
الكثير وجمع القليل الاف وقيل معنى وهم الوف مؤتلفون جمع ائتلاف والاول اصح قالوا
فمر عليهم حزقيل فبليت اجسادهم وعريت عظامهم فمر عليهم حزقيل بن بوذي وهو ثالث
خلفاء بني اسرائيل بعد موسى وذلك ان القيم بامر بني اسرائيل بعد موسى كان يوشع بن نون
ثم من بعده كالب بن يوفنا ثم قام من بعده حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لان امه
كانت عجوزا فسالت الله تعالى الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهبه الله لها حزقيل ويقال له
ذو الكفل سمي به لانه تكفل بسبعين نبيا وانجاهم من القتل فلما مر حزقيل على اولئك
الموتى وقف عليهم وجعل يتفكر فيهم فاوحى الله تعالى اليه اتريد ان اريك اية قال نعم فاحياهم
فاحياهم الله تعالى وقيل انهم كانوا قوم حزقيل احياهم الله بعد ثمانية ايام وذلك انه لما اصابهم
ذلك خرج في طلبهم فوجدهم موتى فبكى وقال يا رب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك
فبقيت وحيدا لا قوم لي فاوحى الله اليه اني جعلت حياتهم اليك فقال حزقيل احيوا
باذن الله فعاشوا وقيل انهم قالوا حين احيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا اله الا انت

ثم رجعوا

رجعوا الى قومهم وعاشوا دهرا طويلا وسحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد
دنسا مثل الكفن حتى ماتوا لاجالهم التي كتبت لهم قال ابن عباس وانها لتوجد اليوم
تلك الريح في ذلك السبط من اليهود قال قتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت فاماتهم
عقوبة لهم ثم بعثهم ليستوفوا بقية اجالهم ولو جاءت اجالهم لما بعثوا **فان قلت**
كيف اميت هؤلاء مرتين في الدنيا وقد قال تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى
قلت ان موتهم كان عقوبة لهم كما قال قتادة وقيل ان موتهم واحياهم
كان معجزة من معجزات ذلك النبي ومعجزات الانبيا خوارق للعادات ونوادر فلا
يقاس عليها فيكون تقدير قوله الا الموتة الاولى عام مخصوص بمعجزات الانبيا فيكون تقدير
قوله الا الموتة الاولى التي ليست من معجزات الانبيا ولا من خوارق العادات وفي هذه
الاية احتجاج على اليهود ومعجزة عظيمة لنبينا صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بامر لم
يشاهده وهم يعلمون صحة ذلك وفيه احتجاج على منكري البعث ايضا اذ قد اخبر الله تعالى
وهو الصادق في خبره انه اماتهم ثم احياهم في الدنيا فهو تعالى قادر على ان يحييهم يوم
القيامة وقوله تعالى حذر الموت اي مخافة الطاعون وكان قد نزل بهم وقيل انهم
امروا بالجهاد ففروا منه حذر الموت فقال لهم الله موتوا يحتمل انهم ماتوا عند قوله تعالى
موتوا ويحتمل ان يكون ذلك امر تحويل فهو كقوله كونوا قردة خاسئين ثم احياهم يعني
بعد موتهم ان الله لذو فضل على الناس يعني ان الله تعالى تفضل على اولئك الذين اماتهم باحيائهم
لانهم ماتوا على معصية فتفضل عليهم باعادتهم الى الدنيا ليتوبوا وقيل هو العموم فهو تعالى
يتفضل على كافة الخلق في الدنيا ويخص المؤمنين بفضله يوم القيامة ولكن اكثر الناس لا يشكرون
يعني اكثر من انعم الله عليه لا يشكره اما الكافر فانه لا يشكره اصلا واما المؤمنون فلم يبلغوا
غاية شكره قوله عز وجل وقاتلوا في سبيل الله قيل هو خطاب للذين احياهم الله ثم
امرهم بالجهاد فعلى هذا القول فيه اضمار تقديره وقيل لهم قاتلوا في سبيل الله وقيل هو
خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم ومعناه لا تهربوا من الموت كما هرب هؤلاء فلم ينفعهم
ذلك ففيه تحريض للمؤمنين على الجهاد واعلموا ان الله سميع يعني لما يقوله المتعلل عن القتال
عليم بما يضمره قوله عز وجل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا القرض اسم لكل ما يعطيه الانسان
ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المؤمنين قرضا على رجاء ما اعدهم من الثواب لانهم يعملون
لطلب الثواب وقيل القرض ما اسلفت من عمل صالح او سيء قال امية بن ابي الصلت
كل امرئ سوف يجزى قرضه حسنا • او سيئا او مدينا كالذي دانا • واصل القرض
في اللغة القطع سمي به لان المقرض يقطع من ماله شيئا فيعطيه ليرجع اليه مثله ومعنى
الاية من ذا الذي يقدم لنفسه الى الله ما يرجو ثوابه عنده وهذا تلطف من الله تعالى
في استدعاء عباده الى اعمال البر والطاعة وقيل في الاية اختصار تقديره من ذا الذي يقرض
عباده والمحتاجين من خلقه فهو كقوله ان الذين يؤذون الله اي يؤذون عباد الله ولما
جاء في الحديث الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك
وتعالى يوم القيامة يا ابن ادم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف اطعمك وانت

Copyright King Saud University

رب العالمين قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي
الحديث واختلفوا في المراد بهذا القرض فقيل هو الانفاق في سبيل الله وقيل هو الصدقة الواجبة
وقيل هو صدقة التطوع لان الله تعالى سماه قرضا والقرض لا يكون الا تبرعا ولما روى الطبري
بسنده عن ابن مسعود قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال ابو الدحداح وان الله
يريد منا القرض قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم يا ابا الدحداح قال ناولني يدك فناوله يده قال
فاني قد اقرضت ربي حائطي حائطا فيه ستمائة نخلة ثم جاء يمشي حتى اتى الحائط وام الدحداح فيه
في عيالها فناداها يا ام الدحداح قالت لبيك قال اخرجي من الحائط فاني قد اقرضته ربي فقال
النبي صلى الله عليه وسلم كم من عذق رداح لابي الدحداح وقيل في معنى يقرض الله ينفق في طاعته
فيدخل فيه الواجب والتطوع وهو الاقرب حسنا يعني محتسبا طيبة بها نفسه وقيل هو الانفاق
من المال الحلال على وجوه البر وقيل هو ان لا يمن بالقرض ولا يؤذي وقيل هو الخالص لله تعالى ولا
يكون فيه رياء ولا سمعة فيضاعفه له يعني ثواب ما انفق اضعافا كثيرة قيل هو بعينا عفه الى
سبعمائة ضعف ولا السدي هذا التضعيف لا يعلمه الا الله تعالى وهذا هو الاصح وانما ابهم الله ذلك
لان ذكر المبهم في هذا الترغيب في باب اقوى من ذكر المحدود والله يقبض ويبسط قيل يقبض بامساك الرزق
والتقتير على من يشاء ويبسط يعني يوسع على من يشاء وقيل يقبض بقبول الصدقة ويبسط بالخلف
والثواب وقيل انه تعالى لما امرهم بالصدقة وحثهم على الانفاق اخبر انه لا يمكنهم ذلك الا بتوفيقه
وارادته واعانته والمعنى والله يقبض بعض القلوب عن الانفاق في الطاعة وعمل
الخير ويبسط بعض القلوب حتى تقدر على فعل الطاعات والانفاق في البر كما روي عن عبد الله بن
عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قلوب بني ادم بين اصبعين من اصابع
الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب
ثبت قلوبنا على طاعتك اخرجه مسلم وهذا الحديث من احاديث الصفات التي يجب الايمان بها
والسكوت عنها وامرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا اثبات جارحة هذا مذهب اهل
السنة وسلف هذه الامة واليه ترجعون يعني في الاخرة فيجزيهم باعمالهم قوله عز وجل الم تر الى الملا من
بني اسرائيل الملا اشراف القوم ووجوههم واصله الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه كالقوم
والرهط من بعد موسى يعني من بعد موت موسى او من بعد هلاكه اذ قالوا يعني اولئك الملا لنبي لهم
اختلفوا في ذلك النبي فقيل هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف وقيل هو شمعون بن صفية بن
علقمة من ولد لاوي بن يعقوب وانما سمي شمعون لان امه دعت الله ان يرزقها غلاما فاستجاب
الله لها فولدت غلاما فسمته شمعون ومعناه سمع الله دعائي وتبدل السين بالعبرانية شينا
وقال اكثر المفسرين هو اشمويل بن بال وقيل هو ابن هلقانا قيل انه من ولد هارون ومعرفة حقيقة
ذلك النبي بعينه ليست مرادة من القصة انما المراد منها الترغيب في الجهاد وذلك حاصل ذكر
الاشارة الى القصة كان سبب مسئلة اولئك الملا لذلك النبي انه لما مات موسى عليه السلام وخلف
من بعده في بني اسرائيل يوشع بن نون يقيم فيهم امر الله تعالى ويحكم بالتوراة حتى قبضه الله تعالى ثم
خلف من بعده كالب بن يوفنا كذلك ثم حزقيل كذلك حتى قبضه الله فعظمت الاحداث بعده في بني
اسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاصنام فبعث الله اليهم الياس نبيا فدعاهم الى الله تعالى وكانت

الانبيا

الانبيا من بني اسرائيل من بعد موسى يبعثون اليهم ليجددوا ما انسوا من التوراة ويامرونهم بالعمل باحكامها
ثم خلفه من بعد الياس اليسع فكان فيهم ما شاء الله ثم قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده خلوف وعظمت
فيهم الخطايا وظهر لهم عدو يقال له البلشاثا وهم قوم جالوت يسكنون ساحل الروم بين مصر
وفلسطين وهم العمالقة فظهروا على بني اسرائيل وغلبوا على كثير من ارضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم
وسبوا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين غلاما فضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم ولقي بنو اسرائيل
منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر امرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا كلهم الا امراة حبلى فحبسوها
في بيت رهبة ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها وجعلت المراة
تدعو الله ان يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشمويل ومعناه بالعبرانية اسماعيل تقول سمع
الله دعائي فلما كبر الغلام اسلمته لتعليم التوراة في بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه
فلما بلغ الغلام اتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جنب الشيخ وكان الشيخ لا يامن عليه احدا فدعاه جبريل
بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام فزعا الى الشيخ وقال يا ابتاه رايتك دعوتني فكره الشيخ ان يقول لا فيفزع
الغلام فقال يا بني ارجع فنم فرجع فنام ثم دعاه الثانية فقال الغلام دعوتني فقال ارجع فان دعوتك
فلا تجيبني فلما كان الثالثة ظهر له جبريل عليه السلام فقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك
فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما اتاهم كذبوه وقالوا له استعجلت بالنبوة ولم تنلك وقالوا له ان كنت
صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اية على نبوتك وانما كان قوام امر بني اسرائيل بالاجتماع
على الملوك وطاعة الملوك انبياءهم وكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبي هو الذي يقيم له امره
ويشير عليه ويرشده وياتيه بالخبر من ربه قال وهب فبعث الله اشمويل نبيا فلبثوا اربعين سنة
باحسن حال ثم كان من امر جالوت والعمالقة ما كان فذلك قوله تعالى اذ قالوا لنبي لهم ابعث
لنا ملكا نقاتل في سبيل الله جزم على جواب الامر فلما قالوا له ذلك قال يعني قال النبي هل عسيتم
هذا استفهام شك يقول لعلكم ان كتب اي فرض عليكم القتال يعني مع ذلك الملك ان لا تقاتلوا
يعني لا تفوا بما قلتم وتجبنوا عن القتال معه قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله **فان**
قلت ما وجه دخول ان والعرب لا تقول ما لك ان لا تفعل كذا ولكن تقول
ما لك لا تفعل كذا **قلت** دخول ان وحذفها لغتان صحيحتان فالاثبات
كقوله ما لك ان لا تكون مع الساجدين والحذف كقوله ما لكم لا تؤمنون وقيل معناه وما لنا
في ان لا نقاتل فحذف حرف الجر وقيل ان هنا زائدة وقيل معناه
وما لنا لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي اخرج من غلب عليهم من ديارهم
وظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص لان الذين قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكا كانوا في ديارهم واوطانهم
وانما اخرج من اسر منهم ومعنى الاية انهم قالوا لنبيهم انا انما تركنا الجهاد لانا كنا ممنوعين من بلادنا
لا يظهر علينا عدونا فاما اذا بلغ ذلك منا فنطيع ربنا في جهاد عدونا ونمنع نساءنا واولادنا قال الله تعالى
فلما كتب عليهم القتال في الكلام حذف تقديره فسال الله ذلك النبي فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما
كتب عليهم القتال تولوا يعني اعرضوا عن الجهاد وضيعوا امر الله الا قليلا منهم يعني لم يتولوا عن الجهاد وهم
الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة على ما سياتي في قصتهم ان شاء الله تعالى والله عليم
بالظالمين يعني هو عالم بمن ظلم نفسه حين خالف امر ربه ولم يف بما قال قوله عز وجل وقال لهم نبيهم

Copyright King Saud University

ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وذلك ان اشمويل سال الله عز وجل ان يبعث لهم ملكا فاتي بعصي وقرن
فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذي يكون ملكا يكون طوله طول هذه العصي وانظر القرن الذي
فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن راسه بالدهن
وملكه عليهم واسم طالوت بالعبرانية وهو شاول بن قيس من سبط بنيامين بن يعقوب وانما سمي
طالوت لطوله وكان اطول من جميع الناس براسه ومنكبيه وكان طالوت رجلا دباغا يدبغ الادم
قاله وهب وقيل كان سقا يستقي الماء على حمار فضل حماره فخرج يطلبه وقال وهب ضلت حمر الغلام
لطالوت لو دخلنا على هذا النبي فسالناه عن امر الحمر ليرشدنا ويدعو لنا فدخلا عليه فبينما
هما عنده يذكران له حاجتهما اذ نش الدهن في القرن فقام اشمويل فقاس طالوت بالعصي فكانت
على طوله فقال لطالوت قرب راسك فقربها اليه فدهنه بدهن القدس وقال له انت ملك
بني اسرائيل الذي امرني الله تعالى ان املكك عليهم فقال طالوت اوما علمت ان سبطي من ادنى اسباط
بني اسرائيل قال بلى قال فباي اية قال باية انك ترجع وقد وجد ابوك حمره فكان كذلك ثم قال لبني
اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وقيل انه جلس عندهم وقال ايها الناس ان الله ملك طالوت
فاتت عظماء بني اسرائيل الى نبيهم اشمويل وقالوا له ما شان طالوت تملك علينا وليس هو من بيت
النبوة ولا المملكة وقد عرفت ان النبوة في سبط لاوي بن يعقوب والمملكة في سبط يهوذا بن
يعقوب فقال لهم نبيهم اشمويل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا اي من
اين يكون له الملك وكيف يستحقه ونحن احق بالملك منه انما قالوا ذلك لانه كان في بني اسرائيل سبطان
سبط نبوة وسبط مملكة فسبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنه داود وسليمان عليهما السلام
ولم يكن طالوت من احدهما وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب فلهذا السبب انكروا كونه ملكا
وزعموا انهم احق بالملك منه ثم اكدوا ذلك بقولهم ولم يؤت سعة من المال يعني انه فقير والملك
يحتاج الى المال قال يعني اشمويل النبي ان الله اصطفاه عليكم اي اختاره عليكم وخصه بالملك وفي
هذه الاية دليل على بطلان قول من زعم من الشيعة ان الامامة موروثة وذلك لان بني
اسرائيل انكروا ان يكون ملكهم من لا يكون من بيت المملكة فرد الله عليهم واعلمهم ان هذا شرط فاسد
والمستحق للملك من خصه الله به وزاده بسطة اي فضيلة وسعة في العلم وذلك انه كان اعلم
بني اسرائيل وقيل انه اوحي اليه حين اوتي الملك وقيل هو العلم في الحرب والجسم يعني بالطول وذلك لانه
كان اطول براسه ومنكبيه وقيل بالجمال وكان طالوت من اجمل بني اسرائيل وقيل المراد به القوة لان
العلم بالحروب والقوة على الاعداء مما فيه حفظ الملك والله يؤتي ملكه من يشاء يعني ان الله تعالى لا اعتراض عليه
لاحد في فعله فيخص بملكه من يشاء من عباده والله واسع يعني انه تعالى واسع الفضل والرزق والرحمة وسعت
رحمته كل شيء ووسع فضله ورزقه كل خلقه والمعنى انكم طعنتم في طالوت بكونه فقيرا والله واسع الفضل
والرزق فاذا فوض اليه الملك فتح الله عليه ابواب الرزق والمال من فضله وسعته وقيل الواسع ذو
السعة وهو الذي يعطي عن غنى عليم يعني انه تعالى مع قدرته على اغناء الفقير عالم بما يحتاج اليه
في تدبير نفسه وملكه والعالم هو العالم بما يكون وبما كان قوله عز وجل وقال لهم نبيهم ان اية
ملكه ان ياتيكم التابوت وذلك انهم سالوا اشمويل النبي فقالوا له ما اية ملكه فقال ان اية ملكه
ان ياتيكم التابوت وكانت قصة التابوت على ما ذكره علماء السير والاخبار ان الله تعالى انزل على

ادم

ادم عليه السلام تابوتا فيه صورة الانبياء عليهم السلام وكان التابوت من خشب الشمشار طوله ثلاثة اذرع
في عرض ذراعين فكان عند ادم ثم صار الى شيث ثم توارثه اولاد ادم الى ان بلغ ابراهيم عليه السلام ثم كان
عند اسماعيل لانه كان اكبر ولده ثم صار الى يعقوب ثم كان في بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى عليه السلام
فكان يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه فكان عنده الى ان مات ثم تداوله انبياء بني اسرائيل الى وقت
اشمويل وكان في التابوت ما ذكر الله تعالى فيه سكينة من ربكم واختلفوا في تلك السكينة ما هي فقال علي
ابن ابي طالب هي ريح خجوج هفافة لها راسان ووجه كوجه الانسان وقال مجاهد هي شيء يشبه الهر
له راس كراس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان من زمرد
وزبرجد وكانوا اذا سمعوا صوته تيقنوا النصر فكانوا اذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم فاذا سار ساروا
واذا وقف وقفوا وقال ابن عباس هي طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبياء وقال
وهب هي روح من الله تعالى تتكلم اذا اختلفوا في شيء فتخبرهم ببيان ما يريدون وقال عطاء بن ابي
رباح هي ما يعرفون من الايات التي يسكنون اليها وقال قتادة والكلبي هي فعيلة من السكون اي طمانينة
من ربكم ففي اي مكان كان التابوت اطمانوا وسكنوا اليه وهذا القول اولى بالصحة فعلى هذا كل شيء كانوا
يسكنون اليه فهو سكينة فيحمل على جميع ما كان فيه لان كل شيء يسكن اليه القلب فهو سكينة ولم يرد فيه
نص صريح فلا يجوز تصويب قول وتضعيف اخر وقوله تعالى وبقية مما ترك ال موسى وال هارون
تحمله الملائكة يعني موسى وهارون نفسهما بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لابي موسى
الاشعري لقد اوتيت مزمارا من مزامير ال داود فالمراد به داود نفسه واختلفوا في تلك البقية
التي تركها ال موسى وال هارون فقيل هي رضاض من الالواح وعصى موسى قاله ابن عباس وقيل
عصى موسى وعصا هارون وشيء من الواح التوراة وقيل كانت العلم والتوراة وقيل كان فيه عصا
موسى ونعلاه وعصا هارون وعمامته وقفيز من المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل فكان التابوت
عند بني اسرائيل يتوارثونه قرنا بعد قرن وكانوا اذا اختلفوا في شيء تحاكموا اليه فيتكلم ويحكم بينهم وكانوا
اذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم فيستفتحون به على عدوهم فينصرون فلما عصوا وافسدوا
سلط الله عز وجل عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت واخذوه منهم وكان السبب في ذلك انه كان
لعيلي وهو الشيخ الذي ربى اشمويل ابنان شابان وكان عيلي حبر بني اسرائيل وصاحب قربانهم في زمنه
فاحدث ابناه في القربان شيئا لم يكن فيه وذلك انه كان لسوط القربان الذي كان يسوطونه به كلابين
فلما اخرجا كان للكاهن الذي يسوطه فجعل ابناه كلاليب وكان النساء يصلين في بيت المقدس فيتشبثان
بهن فاوحى الله الى اشمويل ان انطلق الى عيلي فقل له منعك حب الولد ان تزجر ابنيك ان يحدثا في قرباني
وقدسي شيئا وان يعصياني فلانزعن الكهانة منك ومن ولدك ولاهلكنك واياهما فاخبر اشمويل بذلك
ففزع وسار اليهم عدوهم من حولهم فامر عيلي ابنيه ان يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا واخرجا
معهما التابوت فلما تهيؤوا للقتال جعل عيلي يتوقع الخبر فجاءه رجل فاخبره ان الناس قد انهزموا وقد قتل
ابناه قال فما فعل التابوت قال ذهب به العدو وكان عيلي قاعدا على كرسيه فشهق ووقع على قفاه
فمات فمرج امر بني اسرائيل وتفرقوا الى ان بعث الله طالوت ملكا فسالوا اشمويل البينة على صحة ملك
طالوت فقال لهم نبيهم يعني اشمويل ان اية ملكه يعني علامة ملكه التي تدل على صحته ان ياتيكم
التابوت وكانت قصة رجوع التابوت على ما ذكره اصحاب الاخبار ان الذين اخذوا التابوت من بني

Copyright King Saud University

اسرايل نوابه قرية من قرى فلسطين يقال لها ازدود فجعلوه في بيت اصنام لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم
فاصبحوا من الغد والصنم تحته فاخذوه ووضعوه فوقه وسمروا قدمي الصنم على التابوت فاصبحوا وقد
قطعت يدا الصنم ورجلاه فاصبح الصنم ملقى تحت التابوت واصبحت اصنامهم منكسة فاخرجوا التابوت
من بيت الاصنام ووضعوه في ناحية من مدينتهم فاخذ اهل تلك الناحية التولنج في اعناقهم حتى
هلك اكثرهم فقال بعضهم لبعض اليس قد علمتم ان اله بني اسرايل لا يقوم له شي فاخرجوه الى قرية اخرى
فبعث الله على اهل تلك الناحية فارا فكانت الفارة تبيت مع الرجل فيصبح ميتا قد اكلت ما في جوفه
فاخرجوه الى الصحرا ودفنوه في مخراة لهم وكان كل من تبرز هناك اخذه الباسور والتولنج فتحيروا فيه
فقالت لهم امراة من بني اسرايل كانت عندهم وهي من بنات الانبيا لا تزالون ترون ما تكرهون
مادام هذا التابوت فيكم فاخرجوه عنكم فاتوا بعجلة باشارة تلك المراة وحملوا عليها التابوت ثم
علقوها في ثورين وضربوا جنوبهما فاقبلا الثوران يسيران ووكل الله بالثورين اربعة املاك
يسوقونهما فاقبلا حتى وقفا على ارض بني اسرايل فكسرا نيريهما وقطعا حبالهما ووضعا التابوت في ارض
فيها حصاد لبني اسرايل ورجعا الى ارضهما فلم يرع بني اسرايل الا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى
وقال ابن عباس جات الملايكة بالتابوت تحمله بين السما والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته
عند طالوت وقال الحسن كان التابوت مع الملايكة في السما فلما ولي طالوت الملك حملته الملايكة
ووضعته بينهم وقال قتادة بل كان التابوت في التيه خلفه موسى عند يوشع بن نون فبقي
هناك فاقبلت الملايكة تحمله حتى وضعته في دار طالوت فاصبح في داره فاقروا بملكه ان في ذلك لاية لكم
يعني قال لهم نبيهم اشمويل ان مجي التابوت تحمله الملايكة لاية لكم يعني علامة ودلالة على صدقي فيما
اخبرتكم به ان الله بعث لكم طالوت ملكا ان كنتم مومنين يعني مصدقين بذلك قال المفسرون فلما
جاهم التابوت واقروا بالملك لطالوت تاهبوا للخروج الى الجهاد فاسرعوا الطاعته وخرجوا معه وذلك
قوله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود اي خرج واصل الفصل القطع يعني قطع مستقره شاخصا الى غيره
فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم سبعون الفا مقاتل وقيل ثمانون وقيل مائة وعشرون
الفا ولم يتخلف عنه الا كبير لكبره او مريض لمرضه او معذور لعذره وذلك انهم لما راوا التابوت لم يشكوا
في النصر فسارعوا الى الخروج في الجهاد وكان مسيرهم في شدة حر شديد فشكوا الى طالوت قلة الما بينهم
وبين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملنا فادع الله ان يجري لنا نهرا فقال طالوت قال ان الله مبتليكم
بنهر اي مختبركم به ليبين طاعتكم وهو اعلم بذلك قال ابن عباس هو نهر فلسطين وقيل نهر عذب
بين الاردن وفلسطين فمن شرب منه فليس مني اي فليس من اهل ديني وطاعتي ومن لم يطعمه اي لم يذقه
يعني الما فانه مني يعني من اهل طاعتي الا من اغترف غرفة بيده قرى بفتح الغين وضمها لغتان وقيل
الغرفة بالضم التي تحصل في الكف من الما والغرفة بالفتح الاغتراف فالضم اسم والفتح مصدر فشربوا
منه يعني من النهر الا قليلا منهم قيل هم اربعة الاف لم يشربوا منه وقيل ثلاث مائة وبضعة عشر رجلا
وهو الصحيح ويدل على ذلك ما روي عن البرا بن عازب قال كنا اصحاب محمد نتحدث ان عدة اصحاب
بدر على عدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه الا مومن بضعة عشر
وثلاث مائة اخرجه البخاري قيل البضع هنا ثلاثة عشر فلما وصلوا الى النهر القى عليهم العطش فشرب
منه الكل الا هذا العدد القليل وكان من اغترف منه غرفة كما امره الله تعالى كفته لشربه وشرب دوابه

وقوي

وقوي قلبه وصح ايمانه وعبر النهر سالما والذين شربوا منه وخالفوا امر الله تعالى اسودت شفاههم
وغلبهم العطش فلم يرووا وجبنوا وبقوا على شط النهر ولم يجاوزوه وقيل جاوزه كلهم ولكن الذين شربوا
لم يحضروا القتال وانما قاتل اولئك القليل الذين لم يشربوا وهو قوله تعالى فلما جاوزه هو يعني
جاوز النهر طالوت والذين امنوا معه يعني اولئك القليل قالوا يعني الذين شربوا من النهر وخالفوا امر الله
وكانوا اهل شك ونفاق فعلى هذا يكون قد جاوز النهر مع طالوت المومن والمنافق والطايع والعاصي
فلما راوا العدو قال المنافقون لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فاجابهم المومنون بقولهم كم من فية قليلة
غلبت فية كثيرة وقيل لم يجاوز النهر مع طالوت الا المومنون خاصة لقوله فلما جاوزه هو والذين
امنوا معه **فان قلت** فعلى هذا القول من القايل لا طاقة لنا اليوم بجالوت
وجنوده **قلت** يحتمل ان يكونوا اهل الايمان وهم الثلاثمائة وبضعة عشر انقسموا
على قسمين قسم جبن لما را العدو وكثرته وقلة المومنين قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده
فاجابهم القسم الاخر بقولهم كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ومعنى
لا طاقة لنا لا قوة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون اي يستيقنون ويعلمون
انهم ملاقوا الله اي ملاقوا ثواب الله ورضوانه في الدار الاخرة كم من فية قليلة الفية الجماعة ولا واحد
لها من لفظه كالرهط غلبت فية كثيرة باذن الله اي بقضا الله وارادته والله مع الصابرين يعني بالنصر والمعونة
قوله عز وجل ولما برزوا يعني طالوت وجنوده المومنين لجالوت وجنوده يعني الكافرين ومعنى
برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو ما ظهر واستوى منها قالوا يعني المومنين اصحاب طالوت
ربنا افرغ اي اصبب علينا صبرا وثبت اقدامنا اي قو قلوبنا لتثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين وذلك
ان جالوت وقومه كانوا يعبدون الاصنام فسال المومنون الله ان ينصرهم على القوم الكافرين
فهزموهم باذن الله يعني ان الله تعالى استجاب دعا المومنين فافرغ عليهم الصبر وثبت اقدامهم ونصرهم
على القوم الكافرين حتى انتقموا فهزموهم باذن الله يعني بقضايه وقدره وارادته واصل الهزم في اللغة
الكسر اي كسروهم وردوهم وقتل داود جالوت **وكانت** قصة قتله على ما ذكره اهل التفسير
واصحاب الاخبار انه عبر النهر فيمن عبر مع طالوت ايشا ابو داود في ثلاثة عشر ابنا له وكان داود اصغرهم
وكان يرمي بالقذافة فقال داود لابيه يوما يا ابتاه ما ارمي بقذافتي شيا الا صرعته فقال له
ابوه ابشر يا بني فان الله تعالى قد جعل رزقك في قذافتك ثم اتاه مرة اخرى فقال يا ابت
لقد دخلت بين الجبال فوجدت اسدا رابضا فركبته واخذت باذنه فلم يهجني فقال له ابوه
ابشر يا بني فان هذا خير يعطيه الله لك ثم اتاه يوما اخر فقال يا ابتاه اني لامشي بين الجبال
فاسبح فلا يبقى جبل الا سبح معي فقال يا بني ابشر فان هذا خير اعطاكه الله تعالى قال فارسل
جالوت الجبار الى طالوت ملك بني اسرايل ان ابرز لي او ابرز لي من يقاتلني فان قتلني
فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت ونادى في عسكره من قتل جالوت زوجته
ابنتي وناصفته ملكي فهاب الناس جالوت فلم يجبه احد فسال طالوت نبيهم ان يدعو الله في ذلك
فدعا الله في ذلك فاتي بقرن فيه دهن القدس وتنور من حديد وقيل له ان صاحبكم الذي يقتل جالوت
هو الذي اذا وضع هذا القرن على راسه سال على راسه حتى يدهن منه راسه ولا يسيل على
وجهه بل يكون على راسه كهيئة الاكليل ويدخل في هذا التنور فيملاه ولا يتقلقل فيه فدعي

طالوت بني اسرائيل وجربهم فلم يوافقه احد منهم فاوحى الله الى نبيهم ان في ولد ايشا من يقتل جالوت
فدعا طالوت ايشا وقال له اعرض علي بنيك فاخرج له اثني عشر رجلا امثال السواري فجعل يعرضهم واحدا
واحدا على القرن فلا يرى شيا فقال لايشا هل بقي لك ولد غيرهم قال لا فقال النبي عليه السلام
فقال يا رب انه زعم ان لا ولد له غيرهم فقال له كذب فقال النبي ان ربي قد كذبك فقال ايشا
صدق ربي يا نبي الله ان لي ولدا صغيرا مسقاما اسمه داود واستحييت ان يراه الناس لقصر قامته
وحقارته فجعلته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكان داود عليه السلام رجلا قصيرا مسقاما
ازرق امعر مصفرا فدعا به طالوت ويقال انه خرج اليه فوجده في الوادي وقد سال الوادي ماء
وهو يحمل شاتين شاتين يعبر بهما السيل الى الزريبة التي يريح فيها غنمه فلما راه طالوت قال هذا
هو الرجل المطلوب لا شك فيه فهذا يريح البهايم فهو بالناس ارحم فدعا طالوت ووضع القرن
على راسه ففاض فقال له طالوت هل لك ان تقتل جالوت وازوجك ابنتي واجري خاتمك
في ملكي قال نعم فقال له هل انست من نفسك شيا تتقوى به على قتله قال نعم انا ارعى الغنم
فيجي الاسد او النمر او الذيب فياخذ شاة من الغنم فاقوم فافتح لحييه عنها واخرجها الى قفاه
فاخذ طالوت داود ورده الى العسكر فمر داود عليه السلام في طريقه بحجر فناداه يا داود احملني
فاني حجر هارون فحمله ثم مر بحجر اخر فقال يا داود احملني فاني حجر موسى فحمله ثم مر بحجر اخر فقال له يا داود
احملني فاني حجرك الذي تقتل به جالوت فحمله فوضع الثلاثة في مخلاة فلما رجع طالوت الى العسكر ومعه
داود وتصافوا للقتال برز جالوت يطلب المبارزة فانتدب له داود عليه السلام فاعطاه طالوت
فرسا وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس وسار قريبا ثم رجع الى طالوت فقال من حوله جبن الغلام
فجا فوقف على طالوت فقال له ما شانك فقال داود عليه السلام ان لم ينصرني ربي لم يغن عني
هذا السلاح شيا وان ينصرني فلا حاجة لي به فدعني اقاتل كما اريد قال نعم فاخذ داود مخلاته
فتقلدها واخذ المقلاع بيده ومضى نحو جالوت وكان جالوت من اشد الناس واقواهم وكان
يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة حديد وزنها ثلثمائة رطل فلما نظر الى داود وهو يريده
وقع الرعب في قلبه فقال له جالوت انت تبرز لي قال نعم وكان جالوت على فرس ابلق عليه
السلاح التام فقال اتيتني بالمقلاع والحجر كما يوتى الكلب فقال نعم انت شر من الكلب قال جالوت
لا جرم لاقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السما فقال داود عليه السلام او يقسم الله لحمك ثم قال
داود باسم اله ابراهيم واخرج حجرا ثم قال باسم اله اسحاق واخرج حجرا ثم قال باسم اله يعقوب واخرج
حجرا ووضعها في مقلاعه فصارت الثلاثة حجرا واحدا وادار داود المقلاع ورمى به جالوت
فسخر الله له الريح فحملت الحجر حتى صابت انف البيضة فخالط دماغ جالوت وخرج من قفاه وقتل من
من وراه ثلاثين رجلا وخر جالوت صريعا قتيلا فاخذه داود وجره اليه حتى القاه بين يدي
طالوت ففرح بنو اسرائيل بذلك فرحا شديدا وهزم الله الجيش فرجع طالوت بالناس الى
المدينة سالمين غانمين وجعل الناس يذكرون داود فجا داود الى طالوت وقال له انجز ما وعدتني
به فقال اتريد ابنة الملك بغير صداق فقال له داود ما شرطت علي صداقا وليس لي شي فقال
ما اكلفك الا ما تطيق انت رجل جري وفي جبالنا اعدا لنا غلف فان قتلت منهم مائتي رجل
وجيتني بغلفهم زوجتك ابنتي فاتاهم فجعل كلما قتل واحدا منهم نظم غلفته في خيط حتى نظم

مائتي غلفة فجا بها الى طالوت والقاها بين يديه وقال ادفع لي امراتي فزوجها ابنته واجرى خاتمه في ملكه
فمال الناس الى داود عليه السلام واحبوه واكثروا ذكره فحسده طالوت واراد قتله فاخبر بذلك ابنة طالوت
رجل يقال له ذو العينين فاخبرت بذلك داود وقالت انك مقتول الليلة قال ومن يقتلني قالت ابي قال
وهل اجرمت جرما يوجب لقتلي قالت حدثني بذلك من لا يكذب ولا عليك ان تتغيب الليلة حتى تنظر مصداق
ذلك فقال ان كان يريد ذلك فلا استطيع خروجا ولكن ايتيني بزق خمر فاتته به فوضعه في مضجعه على
سريره وسجاه ودخل داود تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لابنته اين بعلك قالت هو نايم على سريره
فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال يرحم الله داود ما كان اكثر شربه للخمر وخرج فلما اصبح علم انه لم
يفعل شيا فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لحقيق ان لا يدعني حتى يدرك ثاره مني فاستد حجابه وحراسته واغلق
دونه ابوابه ثم ان داود اتاه ليلة وقد هدات العيون واعمى الله عنه الحجبة ودخل عليه وهو نايم على فراشه فوضع سهما عند
راسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله وخرج فاستيقظ طالوت فبصر بالسهام فعرفها فقال
يرحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني ولو شا لوضع السهم في حلقي وما انا بالذي امنه
فلما كان من القابلة اتاه ثانيا فاعمى الله عنه الحجاب فدخل وهو نايم فاخذ ابريقه ووضوءه وكوزه الذي يشرب منه
وقطع شعرات من لحيته وشيا من طرف ثوبه ثم خرج وتوارى فلما اصبح طالوت وراى ذلك سلط على داود العيون
وطلبه اشد الطلب فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوما فوجد داود يمشي في البرية فقال اليوم اقتله وركض
في اثره فاشتد داود في عدوه وكان اذا فزع لم يدرك فدخل غارا فاوحى الله تعالى الى العنكبوت فنسجت عليه فلما
انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بنا العنكبوت قال لو كان دخل هنا لخرق هذا النسج وانطلق طالوت
وتركه فخرج داود حتى اتى جبل المتعبدين وطعن العلما والعباد على طالوت في شان داود فجعل طالوت
لا ينهاه احد عن قتل داود الا قتله فقتل خلقا كثيرا من العلما حتى اتي بامراة تعلم الاسم الاعظم فامر
خبازه بقتلها فرحمها الخباز فلم يقتلها وقال لعلنا نحتاج الى عالم فتركها ثم وقع في قلب طالوت التوبة والندم
على ما فعل واقبل على البكا حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى البرية يبكي وينادي انشد الله عبدا يعلم لي توبة
الا اخبرني بها فلما اكثر ذلك سمعه ناداه مناد من القبور يا طالوت اما ترضى ان قتلتنا حتى تؤذينا امواتا فازداد
حزنا وبكا فرحمه الخباز الى طالوت لما راى من حاله فقال ما لك ايها الملك فاخبره فقال هل تعلم لي توبة او تعلم في
الارض عالما اساله عن توبتي فقال له الخباز ايها الملك انه لا يتكل على عالم يوشك ان تقتله قال لا
فتوثق منه باليمين فاخبره ان تلك المراة العالمة عنده فقال انطلق بي اليها لاسالها عن توبتي قال نعم
فانطلق به فلما قربا من الباب قال له الخباز ايها الملك انها اذا راتك فزعت ولكن ايت خلفي فلما دخلا
عليها قال لها الخباز يا هذه الست تعلمين حقي عليك قالت بلى قال فان لي اليك حاجة فتقضيها قالت نعم
قال هذا طالوت قد جاك يسال هل له من توبة فلما سمعت بذكر طالوت غشي عليها فلما افاقت قالت
والله لا اعلم له توبة ولكن دلوني على قبر نبي فانطلقوا بها الى قبر اشمويل فوقفت عليه ودعت وكانت تعلم الاسم
الاعظم ثم قالت يا صاحب القبر فخرج ينفض التراب عن راسه فلما نظر اليهم ثلاثتهم قال ما لكم اقامت
القيامة قالت المراة لا ولكن هذا طالوت قد جا يسالك هل له من توبة فقال اشمويل يا طالوت ما فعلت
بعدي قال لم ادع من الشر شيا الا فعلته وجيت اطلب التوبة فقال اشمويل يا طالوت كم لك من الولد قال
عشرة رجال قال ما اعلم لك من توبة الا ان تتخلى عن ملكك وتخرج انت وولدك في سبيل الله ثم تقدم
ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل انت حتى تقتل اخرهم ثم ان اشمويل سقط ميتا ورجع طالوت

Copyright © King Saud University

اخوف ما كان رهبة ان لا ينبا بمعنى على ما بينه وكان قد بكى حتى سقطت اشفار عينيه ونحل جسمه فجمع اولاده
وقال لهم ارايتم لو رفعت الى النار هل تتقدمون منها فقالوا بل نتقدمك بما نقدر عليه قال فانها النار
ان لم تفعلوا ما امرتكم به قالوا اعرض علينا ما اردت فذكر لهم القصة قالوا وانك لمقتول قال نعم قالوا فلا
خير لنا في الحياة بعدك قد طابت انفسنا بالذي سالت فتجهز هو وولده وخرج طالوت مجاهدا في سبيل
الله فتقدم اولاده فقاتلوا حتى قتلوا ثم شد هو من بعدهم فقاتل حتى قتل وجا قاتل طالوت الى
داود فبشره بقتله وقال قتلت عدوك فقال داود ما انت بباق بعده وقتله وكان ملك طالوت الى ان قتل
من اربعين سنة فاتى بنو اسرايل الى داود فملكوه عليهم واعطوه خزاين طالوت قال الكلبي والضحاك ملك داود
بعد قتل جالوت لسبع سنين ولم تجتمع بنو اسرايل على ملك واحد الا على داود فذلك قوله تعالى وآتاه الله الملك
والحكمة يعني النبوة جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك من قبل بل كانت النبوة في سبط والملك
في سبط وقيل الحكمة هي العلم مع العمل به وعلمه مما يشا اى وعلم داود صنعة الدروع فكان يصنعها ويبيعها وكان
لا ياكل الا من عمل يده وقيل علمه منطق الطير وقيل علمه الزبور وقيل هو الصوت الطيب والالحان ولم يعط احدا
من خلقه مثل صوت داود فكان اذا قرا الزبور تدنو منه الوحوش حتى يوخذ باعناقها وتظلله الطير
مصيخة له ويركد الما الجاري وتسكن الريح عند قراته وقيل علمه سياسة الملك وضبطه وذلك انه لم
يكن من بيت الملك حتى يتعلمه من ابايه وقال ابن عباس هو ان الله اعطاه سلسلة موصولة بالمجرة وراسها
عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النور وحلقها مستديرة مفصلة بالجوهر مدسرة بقضبان
اللولو الرطب فكان لا يحدث في الهوى حدوث الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحدث ولا
يمسها ذو عاهة الا برى وكانوا يتحاكمون اليها بعد داود الى ان رفعت فمن تعدى على صاحبه وانكره
حقا اتى السلسلة فمن كان صادقا مد يده الى السلسلة فنالها ومن كان كاذبا لم ينلها فكانت كذلك
الى ان ظهر فيهم المكر والخبث فبلغنا ان بعض ملوكهم اودع رجلا جوهرة ثمينة فلما طلبه بالوديعة
انكره اياها فتحاكما الى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهرة الى عكازه فنقرها وجعل الجوهرة فيها واعتمد
عليها حتى اتيا السلسلة فقال صاحب الجوهرة رد على الوديعة فقال صاحبه ما اعرف لك عندي
وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده وقيل للمنكر قم انت ايضا فتناولها فقال
لصاحب الجوهرة امسك عكازي فاخذها الرجل منه وقام المنكر الى السلسلة وقال اللهم ان كنت تعلم
ان الوديعة التي يدعيها قد وصلت اليه فقرب السلسلة مني ومد يده فتناولها فتعجب القوم من ذلك وشكوا
فيها فاصبحوا وقد رفع الله السلسلة قوله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض يعني ولولا ان الله
يدفع ببعض الناس وهم اهل الايمان والطاعة بعضا وهم اهل الكفر والمعاصي قال ابن عباس ولولا
دفع الله بجنود المسلمين لغلب المشركون على الارض فقتلوا المومنين وخربوا المساجد والبلاد
وقيل معناه ولولا دفع الله بالمومنين والابرار عن الكفار والفجار لفسدت الارض يعني لهلكت بمن فيها
ولكن الله يدفع بالمومن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر عن احمد بن حنبل عن ابن عمر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن ماية اهل بيت من جيرانه البلا ثم قرا ولولا دفع
الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين يعني اذ دفع الفساد بهذا الطريق
انعام وافضال على الناس كلهم تلك ايات الله يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيايهم
وتمليك طالوت واظهاره بالاية وهي التابوت واهلاك الجبابرة على يد صبي نتلوها عليك بالحق الذي لا يتقين

الذي

الذي لا يشك اهل الكتاب فيه لانه في كتبهم وانك لمن المرسلين يعني حيث تخبر بهذه الاخبار العجيبة والقصص
القديمة من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار فدل ذلك على انك من المرسلين وان الذي تخبر
به وحي من الله تعالى قوله عز وجل تلك الرسل يعني جماعة الرسل الذي تقدم ذكرهم في هذه السورة
فضلنا بعضهم على بعض فيه دليل على زوال الشبهة لمن وجب التسوية بين الانبيا في الفضيلة لاستوايهم في
القيام بالرسالة واجمعت الامة على ان الانبيا بعضهم افضل من بعض وان نبينا محمدا صلى الله عليه
وسلم افضلهم لعموم رسالته وهو قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا منهم اى
من الرسل من كلم الله اى كلمه الله وهو موسى عليه السلام ورفع بعضهم درجات يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
رفع الله منصبه ومرتبته على ساير الانبيا بما فضله عليهم من الايات البينات والمعجزات
الباهرات فما اوتي نبي من الانبيا اية او معجزة الا اوتي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وفضل
محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبيا بايات ومعجزات اخر مثل انشقاق القمر باشارته وحنين
الجذع اليه حين عند مفارقته وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهايم له شاهدة برسالته ونبع الما من بين
اصابعه وغير ذلك من الايات والمعجزات التي لا تحصى كثرة واعظمها واظهرها معجزة واية القران العظيم الذي
عجز اهل الارض عن معارضته والاتيان بمثله فهو معجزة باقية الى يوم القيامة ق عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبيا الا وقد اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر
وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة ق عن جابر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبيا نصرت بالرعب مسيرة
شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنايم ولم
تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة م عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبيا بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت
بالرعب واحلت لي الغنايم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون
فان قلت لم ذكره على سبيل الرمز والاشارة ولم يصرح باسمه صلى الله عليه وسلم
قلت في هذا الابهام والرمز من تفخيم فضله واعلا قدره صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى
لما فيه من الشهادة بانه العلم الذي لا يشتبه ولا يلتبس فهو كما يقول الرجل وقد فعل شيا فعله
بعضكم او احدكم ويريد نفسه فيكون افخم من التصريح به كما سيل الحطيية من اشعر الناس فقال زهير او
النابغة ثم قال ولو شيت لذكرت الثالث اراد نفسه وهو قوله تعالى وآتينا عيسى بن مريم البينات يعني الحجج
والادلة الباهرة والمعجزات الظاهرة على نبوته مثل ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى وايدناه بروح
القدس اى وقويناه بجبريل عليه السلام فكان معه الى ان رفعه الى السما **فان قلت**
لم خص موسى وعيسى بالذكر من بين ساير الانبيا **قلت** لما اوتيا من الايات العظيمة
والمعجزات الباهرة ولقد بين الله تعالى وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو اية عظيمة
وتاييد عيسى بروح القدس اية عظيمة ايضا فلما اوتي موسى وعيسى من الايات العظيمة خصا بالذكر
في باب التفضيل فعلى هذا كل من كان من الانبيا اعظم ايات واكثر معجزات كان افضل ولهذا اخر نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم قصبات السبق في الفضل لانه اعظم الانبيا ايات واكثرهم معجزات فهو افضلهم
صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين ولو شا الله اى ولو اراد الله والمثل المشية الارادة ما اقتتل الذين

Copyright © King Saud University

من بعدهم يعني بعد الرسل الذين وصفهم الله من بعد ما جاءتهم البينات أي الدلالات الواضحات من الله فيه
من زجر لمن هداه الله تعالى ووفقه ولكن اختلفوا يعني اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل فمنهم من آمن أي
ثبت على إيمانه بالله ورسوله بفضل الله ومنهم من كفر أي ومنهم من تعمد الكفر بعد قيام الحجة وبعثة الرسل
ولو شاء الله ما اقتتلوا يعني ولو أراد الله أن يحجزهم عن الاقتتال لحجزهم عن ذلك ولكن الله يفعل ما يريد يعني أنه تعالى يوفق
من يشاء لطاعته والإيمان به فضلا منه ورحمة ويخذل من يشاء عدلا منه لا اعتراض عليه في ملكه وفعله
سأل علي رجل ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه عن القدر فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر فقال طريق
مظلم فلا تسلكه فأعاد السؤال فقال بحر عميق فلا تلجه فأعاد السؤال فقال سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه
قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم قيل أراد به الزكاة الواجبة وقيل أراد به صدقة التطوع والإنفاق
في وجوه الخير من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه أي لا فدية فيه وإنما سماه بيعا لأن شراء النفس من الهلاك والمعنى قدموا
لأنفسكم اليوم من أموالكم من قبل أن يأتي يوم لا تجارة فيه فيكسب الإنسان ما يفتدي به من العذاب ولا خلة
أي ولا مودة ولا صداقة ولا شفاعة وظاهر هذا ينتفي نفي الخلة والشفاعة وقد دلت النصوص على ثبوت
المودة والشفاعة بين المؤمنين فيكون هذا عام مخصوص والكافرون هم الظالمون لأنهم وضعوا العبادة في غير
موضعها قوله عز وجل الله لا إله إلا هو الحي القيوم

فصل في فضل هذه الآية الكريمة عن أبي هريرة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء سنام وإن سنام القرآن البقرة وفيها آية هي سيدة آي
القرآن آية الكرسي أخرجه الترمذي قوله إن لكل شيء سناما وسنام كل شيء أعلاه تشبيها بسنام البعير
والمراد منه تعظيم هذه السورة والسيد الفاضل والشريف والكريم وأصله من ساد يسود وقوله هي سيدة
آي القرآن أي أفضله م عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا المنذر أتدري أي آية
من كتاب الله معك أعظم قلت الله لا إله إلا هو الحي القيوم فضرب في صدري وقال ليهنك العلم أبا المنذر
عن واثلة بن الأسقع أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم في صفة المهاجرين فسأله إنسان أي آية في القرآن
أعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله لا إله إلا هو الحي القيوم أخرجه أبو داود قال العلماء إنما
تميزت آية الكرسي بكونها أعظم آية في القرآن لما جمعت من أصول الأسماء والصفات وذلك لأن الله تعالى
أعظم مذكور فما كان ذكرا له من توحيد وتعظيم كان أعظم الأذكار وفي الحديث حجة لمن يقول بجواز تفضيل
بعض القرآن على بعض منهم أبو الحسن الأشعري وأبو بكر الباقلاني قالا لأن تفضيل بعضه على بعض يقتضي
نقص المفضول وليس في كلام الله عز وجل نقص وتأول هؤلاء ما ورد من إطلاق لفظ أعظم وأفضل على
بعض الآيات أو السور بمعنى عظيم وفاضل ومن أجاز تفضيل بعض القرآن على بعض من العلماء والمتكلمين
قالوا هذا التفضيل هو راجع إلى عظم أجر القارئ وجزيل ثوابه وقوله إن هذه الآية أو هذه السورة أعظم
أو أفضل يعني أن الثواب المتعلق بها أكثر وهذا هو المختار وهو معنى الحديث والله أعلم عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حين يصبح آية الكرسي وآيتين من أول حم تنزيل
الكتاب من الله العزيز العليم حفظ يومه ذلك حتى يمسي ومن قرأها حين يمسي حفظ ليلته تلك حتى
يصبح أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وأما التفسير فقوله عز وجل الله لا إله إلا هو نفى الإلهية
كل ما سواه وأثبت الإلهية له سبحانه وتعالى فهو كقولك لا كريم إلا زيد فإنه أبلغ من قولك زيد كريم
الحي يعني الباقي على الأبد الدائم بلا زوال والحي في صفة الله هو الذي لم يزل موجودا وبالحياة موصوفا لم
تحدث له الحياة بعد موت ولا يعتريه الموت بعد حياة وسائر الأحياء سواه يعتريهم الموت والعدم فكل

سى

شيء هالك إلا وجهه سبحانه وتعالى القيوم قال مجاهد القيوم القائم على كل شيء وتأويله أنه تعالى قائم
بتدبير خلقه في إيجادهم وأرزاقهم وجميع ما يحتاجون إليه وقيل هو القائم الدائم بلا زوال الموجود الذي يمتنع
عليه التغير وقيل هو القائم على كل نفس بما كسبت والقيوم فيعول من القيام وهو نعت للمبالغة في القيام
على الشيء لا تأخذه سنة ولا نوم السنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى نعاسا وهو النوم الخفيف
والوسنان بين النائم واليقظان والنوم هو الثقيل المزيل للعقل والقوة وقيل السنة في الرأس والنعاس
في العين والنوم في القلب فالسنة أول النوم والنوم غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالأشياء
والمعنى لا تأخذه سنة فضلا عن أن يأخذه نوم لأن النوم والسهو والغفلة محال على الله تعالى لأن هذه
الأشياء عبارة عن عدم العلم وذلك نقص وآفة والله تعالى منزه عن النقص والآفات وإن ذلك تغير
والله تعالى منزه عن التغير م عن أبي موسى الأشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بخمس كلمات فقال إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه
عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور وفي رواية النار لو كشفه لأحرقت
سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه

شرح ما يتعلق بلفظ هذا الحديث منقول من
شرح الشيخ محيي الدين النووي قوله صلى الله عليه وسلم إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام فمعناه
الإخبار أنه سبحانه وتعالى لا ينام وأنه مستحيل في حقه لأن النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط به
الإحساس والله تعالى منزه عن ذلك وقوله يخفض القسط ويرفعه أراد بالقسط الميزان الذي يقع
به العدل ومعناه أن الله تعالى يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن فيه من أعمال العباد المرتفعة إليه
وقيل أراد بالقسط الرزق الذي هو قسط كل مخلوق ومعنى يخفضه ويضيق على من يشاء ويرفعه أي يوسعه
على من يشاء وقوله يرفع إليه عمل الليل قبل النهار يعني أن الحفظة من الملائكة يصعدون بأعمال العباد
في الليل بعد انقضائه في أول النهار ويصعدون بأعمال النهار بعد انقضائه في أول الليل قوله حجابه النور
لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه سبحات بضم السين المهملة والباء الموحدة
تحت وبضم الثاني آخره جمع سبحة ومعنى سبحات وجهه نوره وجلاله وبهاؤه والحجاب أصله في اللغة
المنع وحقيقة الحجاب إنما تكون للأجسام المحدودة والله تعالى منزه عن الجسم والحد والمراد به هنا
الشيء المانع من الرؤية وسمي ذلك الشيء المانع نورا أو نارا لأنهما يمنعان من الإدراك في العادة والمراد
بالوجه الذات والمراد بما انتهى إليه بصره من خلقه جميع المخلوقات لأن بصره سبحانه وتعالى محيط
بجميع الكائنات ولفظة من في قوله من خلقه لبيان الجنس لا للتبعيض ومعنى الحديث لو زال المانع
وهو الحجاب المسمى نورا أو نارا وتجلى لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته هذا آخر كلام الشيخ على
هذا الحديث والله أعلم وروى الطبري بسنده عن ابن عباس في قوله لا تأخذه سنة ولا نوم أن موسى
عليه السلام سأل الملائكة هل ينام الله فأوحى الله تعالى إلى الملائكة وأمرهم أن يؤرقوه ثلاثا
فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم أعطوه قارورتين فأمسكهما ثم تركوه وحذروه أن يكسرهما فجعل
ينعس وهما في يديه في كل يد واحدة قال فجعل ينعس وينتبه حتى نعس نعسة فضرب إحداهما بالأخرى
فكسرهما قال معمر إنما هو مثل ضربه الله تعالى له يقول فكذلك السماوات والأرض وروى عن أبي هريرة مرفوعا
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام الله وذكر
نحو حديث ابن عباس قال بعض العلماء إن صح هذا الحديث فيحمل على أن هذا السؤال كان من جهال قوم موسى

Copyright © King Saud University

كطلب الرؤية من موسى لان الانبياء عليهم السلام هم اعلم بالله من غيرهم فلا يجوز ان ينسب اليهم مثل هذا السؤال والله اعلم قوله تعالى **له ما في السموات وما في الارض** يعني ان الله تعالى يملك جميع ذلك بغير شريك ولا منازع وهو خالقهم وهم عبيده وفي ملكه **فان قلت** لم قال له ما في السموات ولم يقل من في السموات **قلت** لما كان المراد اضافة كل ما سواه اليه من الخلق والملك وكان الغالب فيهم من لا يعقل اجرى الغالب مجرى الكل فعبر عنه بلفظ ما **من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه** اي بامره وهذا استفهام انكار والمعنى لا يشفع عنده احد الا بامره وارادته وذلك لان المشركين زعموا ان الاصنام تشفع لهم فاخبر انه لا شفاعة لاحد عنده الا ما استثناه بقوله الا باذنه يريد بذلك شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعة بعض الانبياء والملائكة وشفاعة المؤمنين بعضهم لبعض **يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم** يعني ما بين ايديهم من الدنيا وما خلفهم من الاخرة وقيل بعكسه لانهم يقدمون على الاخرة ويخلفون الدنيا وراء ظهورهم وقيل يعلم ما كان قبلهم وما كان بعدهم وقيل العلم ما قدموه بين ايديهم من خير او شر وما خلفهم مما هم فاعلوه والمقصود من هذا انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء من احوال جميع خلقه **ولا يحيطون بشيء من علمه** يقال احاط الشيء اذا علمه وهو ان يعلم وجوده وجنسه وقدره وحقيقته فاذا علمه ووقف عليه وجمعه في قلبه فقد احاط به والمراد بالعلم المعلوم والمعنى ان احدا لا يحيط بمعلومات الله تعالى **الا بما شاء** يعني ان يطلعهم عليه وهم الانبياء والرسل ليكون ما يطلعهم عليه من علم غيبه دليلا على نبوتهم كما قال تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول **وسع كرسيه السموات والارض** يقال وسع الشيء سعة اذا احتمله واطاقه وامكنه القيام به واصل الكرسي في اللغة من تركب الشيء بعضه على بعض ومنه الكراسة لتركب بعضها وراقها على بعض والكرسي في العرف اسم لما يقعد عليه سمي به لتركب خشباته بعضها على بعض واختلفوا في المراد بالكرسي هنا على اربعة اقوال احدها ان الكرسي هو العرش نفسه قال الحسن لان العرش والكرسي اسم للسرير الذي يصح التمكن عليه القول الثاني الكرسي غير العرش وهو امامه وهو فوق السبع سموات دون العرش قال السدي ان السموات والارض في جوف الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في جنب العرش كحلقة في فلاة وعن ابن عباس ان السموات السبع في الكرسي كدراهم سبعة القيت في ترس وقيل ان كل قائمة من قوائم الكرسي طولها مثل السموات والارض وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي اربعة املاك لكل ملك اربعة وجوه واقدامهم على الصخرة التي تحت الارض السابعة ملك منهم على صورة ابي البشر ادم وهو يسال الرزق والمطر لبني ادم من السنة الى السنة وملك على صورة الثور وهو يسال الرزق للانعام من السنة الى السنة وملك على صورة النسر وهو يسال الرزق للطير من السنة الى السنة وفي بعض الاخبار بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام لولا ذلك لاحترقت حملة الكرسي من نور حملة العرش القول الثالث ان الكرسي هو الاسم الاعظم لان العلم يعتمد عليه كما ان الكرسي يعتمد عليه قال ابن عباس كرسيه علمه القول الرابع المراد بالكرسي الملك والسلطان والقدرة لان الكرسي موضع الملك والسلطان فلا يبعد ان يكنى عن الملك بالكرسي على سبيل المجاز **ولا يؤده** اي لا يثقله ولا

بجهده

يجهده ولا يشق عليه **حفظهما** اي حفظ السموات والارض **وهو العلي** اي الرفيع فوق خلقه الذي ليس فوقه شيء فيما يجب له ان يوصف به من معاني الجلال والكمال فهو العلي بالاطلاق المتعالي عن الاشباه والانداد والاضداد وقيل العلي بالملك والسلطنة والقهر فلا اعلا منه احد وقيل معنى العلو في صفة الله تعالى منقول الى اقتداره وقهره واستحقاقه صفات المدح جميعها على كل وجه وقيل معناه انه يعلو ان يحيط به وصف الواصفين **العظيم** يعني ذو العظمة والكبرياء الذي لا شيء اعظم منه وقال ابن عباس العظيم الذي قد كمل في عظمته وقيل العظيم هو ذو العظمة والجلال والكمال وهو في صفة الله تعالى ينصرف الى عظم الشان وجلالة القدر دون العظم الذي هو من نعوت الاجسام قوله عز وجل **لا اكراه في الدين** وسبب نزول هذه الاية فيما روي عن ابن عباس قال كانت المراة من الانصار تكون مقلاة وهي التي لا يعيش لها ولد فكانت تنذر لئن عاش لها ولد لتهودنه فاذا عاش جعلته في اليهود فجاء الاسلام وفيهم منهم فلما اجليت بنو النضير كان فيهم عدد من اولاد الانصار فارادت الانصار استردادهم وقالوا هم ابناؤنا واخواننا فنزلت الاية لا اكراه في الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خير اصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فاجلوهم معهم وقيل كان لرجل من الانصار من بني سالم بن عوف يقال له ابو الحصين له ابنان فتنصرا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الزيت فلزمهما ابوهما وقال لا ادعكما حتى تسلما فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فانزل الله تعالى لا اكراه في الدين فخلى سبيلهما وقيل نزلت في اهل الكتاب اذا قبلوا بذل الجزية لم يكرهوا على الاسلام وذلك ان العرب كانت امة امية ولم يكن لهم كتاب يرجعون اليه فلم يقبل منهم الا الاسلام او القتل ونزل في اهل الكتاب لا اكراه في الدين يعني اذا قبلوا الجزية واعطوا الجزية منهم لم يكرهوا على الاسلام فعلى هذا القول تكون الاية محكمة ليست بمنسوخة وقيل بل الاية منسوخة وذلك في ابتداء الاسلام قبل ان يومروا بالقتال ثم نسخت باية القتال وهو قول ابن مسعود وقال الزهري سالت زيد بن اسلم عن قول الله تعالى لا اكراه في الدين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين لا يكره احدا في الدين فابى المشركون الا ان يقاتلوهم فاستاذن الله في قتالهم فاذن له ومعنى لا اكراه في الدين اي دين الاسلام ليس فيه اكراه عليه **قد تبين الرشد من الغي** يعني ظهر ووضح وتميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الايات والبراهين الدالة على صحته **فمن يكفر بالطاغوت** يعني الشيطان وقيل هو الساحر والكاهن وقيل هو ما عبد من دون الله تعالى وقيل كل ما يطغي الانسان فهو طاغوت فاعول من الطغيان **ويؤمن بالله** اي ويصدق بالله انه ربه ومعبوده من دون كل شيء كان يعبده وفيه اشارة الى انه لا بد للكافر ان يتوب اولا عن الكفر ويتبرأ منه ثم يؤمن بعد ذلك بالله فمن فعل ذلك صح ايمانه وهو قوله تعالى **فقد استمسك بالعروة الوثقى** اي فقد تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين والوثقى تانيث الاوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذي يتوصل به الى رضى الله تعالى وهو دين الاسلام **لا انفصام لها** اي لا انقطاع لها حتى تؤديه الى الجنة والمعنى ان المتمسك بالدين الصحيح الذي هو دين الاسلام كالمتمسك بالشيء الوثيق الذي لا يمكن كسره ولا انقطاعه **والله سميع** يعني انه تعالى يسمع قول من

Copyright King Saud University

كفر بالطاغوت واتى بالشهادتين عليم بما في قلبه من الايمان وقيل معناه سميع لدعائك اياهم
الى الاسلام عليم بحرصك على اسلامهم قوله عز وجل الله ولي الذين امنوا اي ناصرهم ومعينهم
وقيل محبهم ومتولي امورهم فلا يكلهم الى غيره وقيل هو متولي هدايتهم يخرجهم من الظلمات الى النور اي من
الكفر الى الايمان وقيل كل ما في القران من الظلمات الى النور فالمراد به الكفر والايمان غير الذي في سورة
الانعام وهو قوله تعالى وجعل الظلمات والنور فالمراد به الليل والنهار وانما سمي الكفر ظلمة لالتباس
طريقه ولان الظلمة تحجب عن ادراك الحقايق فكذلك الكفر يحجب عن ادراك حقايق الايمان وسمي
الاسلام نورا لوضوح طريقه وبيان ادلته والذين كفروا اولياوهم الطاغوت يعني كعب بن الاشرف وحيي
الغلوب م
بن اخطب وساير روس الضلالة يخرجونهم من النور الى الظلمات اي يدعونهم الى الضلالة فان
قلت كيف قال يخرجونهم من النور الى الظلمات وهم كفار لم يكونوا في نور قط قلت
هم اليهود كانوا مومنين بمحمد صلى الله عليه وسلم ومصدقين بنبوته قبل ان يبعث لما يجدون في
كتبهم من نعته وصفته فلما بعث كفروا به وجحدوا نبوته وقيل هو على العموم في حق جميع
الكفار وسمي منع الطاغوت اياهم عن الدخول فيه اخراجا من الايمان بمعنى صدهم الطاغوت
عنه وحرمانهم خيره وان لم يكونوا دخلوا فيه قط فهو كقول الرجل لابيه اخرجتني عن ملك
اذا اوصى به لغيره في حياته وحرمه منه وكقول الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام
اني تركت ملة قوم لا يومنون بالله فلم يكن قط في ملتهم اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يعني
الكفار ومن الطاغوت اهل النار الذين يخلدون فيها دون غيرهم قوله عز وجل الم تر الى الذي حاج ابراهيم
في ربه يعني هل انتهى اليك يا محمد خبر الذي خاصم ابراهيم وجادله لان الم تر كلمة يوقف بها
المخاطب على تعجب منها ولفظها استفهام فهو كما يقال الم تر الى فلان كيف يصنع معناه هل رايت
فلانا في صنعه والذي حاج ابراهيم هو نمرود بن كنعان الجبار وهو اول من وضع التاج على
راسه وتجبر في الارض وادعى الربوبية ان اتاه الله الملك اي لان اتاه الله الملك فطغى وتجبر
بسببه وكانت تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه قال مجاهد ملك الارض اربعة مومنان
وكافران فاما المومنان فسليمان بن داود وذو القرنين واما الكافران فنمرود وبخت نصر
واختلفوا في وقت هذه المحاجة فقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه نمرود ثم اخرجه ليحرقه
فقال له من ربك الذي تدعونا اليه قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت وقيل كان هذا
بعد القايه في النار وذلك ان الناس قحطوا على عهد نمرود وكان الناس يمتارون من عنده
الطعام وكان اذا اتاه احد يمتار سأله من ربك فيقول انت فيميره فخرج ابراهيم عليه السلام
اليه يمتار لاهله الطعام فاتاه فقال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت قال انا
احيي واميت قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت
الذي كفر فرده بغير طعام فرجع ابراهيم الى اهله فمر على كثيب اعفر رمل فاخذ منه تطييبا
لقلوب اهله اذا دخل عليهم فلما اتى اهله وضع متاعه ثم نام فقامت زوجته سارة
الى رحله ففتحته فاذا هو طعام اجود ما راه احد فصنعت منه خبزا فلما اتته قربته
اليه فقال ابراهيم من اين هذا وكان قد علم ان اهله ليس عندهم طعام فقالت من الطعام
الذي جيت به فعلم ابراهيم ان الله قد رزقهم فحمد الله تعالى ثم ان الله تعالى بعث الى نمرود

الجبار ملكا فقال له ان ربك يقول لك امن بي واتركك في ملكك قال وهل رب غيري
فجاءه الثانية فقال له مثل ذلك ثم اتاه الثالثة فرد عليه مثل ذلك فقال له الملك اجمع جموعك
فجمع الجبار جموعه فامر الله الملك ففتح عليه بابا من البعوض حتى سترت الشمس فلم يروها فبعثها
الله عليهم فاكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق الا العظام ونمرود ينظر ولم يصبه شي من ذلك
ثم بعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره فمكثت في راسه اربعماية سنة يضرب راسه بالمطارق
وكان ارحم الناس به من يجمع له يديه ثم يضرب بهما راسه وكان ذلك يعذب اربعماية سنة
مدة ملكه حتى اماته الله عز وجل اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت هذا جواب سوال غير مذكور قال له
نمرود من ربك قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال يعني نمرود انا احيي واميت قال اكثر
المفسرين دعا نمرود برجلين فقتل احدهما واستحيا الاخر فجعل ترك القتل احياء فانتقل ابراهيم
صلى الله عليه وسلم الى حجة اخرى لا عجزا عن نصرة حجته الاولى فانه كانت لازمة لانه اراد بالاحيا
احيا الميت فكان لابراهيم ان يقول لنمرود فاحي من امت ان كنت صادقا ولكن انتقل الى حجة
اخرى اوضح من الاولى لما راى من قصور فهم نمرود وضعف رايه فانه عارض اللفظ بمثله ونسي
اختلاف الفعلين قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت
الذي كفر يعني تحير نمرود ودهش وانقطعت حجته ولم يرجع اليه شيا وعرف انه لا يطيق
ذلك فان قلت كيف بهت الذي كفر وكان يمكنه ان يقول لابراهيم سل
انت ربك ان ياتي بها من المغرب قلت انما لم يقله لانه خاف لو سال ذلك دعا
ابراهيم ربه فكان ذلك زيادة في فضيحة نمرود وانقطاعه وقيل ان الله تعالى صرفه عن تلك
المعارضة اظهارا للحجة عليه ومعجزة لابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح والله لا يهدي
القوم الظالمين يعني لا يرشدهم الى حجة يدحضون بها حجج اهل الحق عند المحاجة والمخاصمة
وعنى بالظالمين نمرود قوله عز وجل او كالذي مر على قرية هذه على الاية التي قبلها والمعنى الم تر
الى الذي حاج ابراهيم او كالذي مر على قرية فيكون هذا عطفا على المعنى وقيل تقديره هل
رايت كالذي حاج ابراهيم وهل رايت كالذي مر على قرية واختلفوا في ذلك المار فروي عن
مجاهد انه كان كافرا شاكا في البعث وهذا قول ضعيف لقوله تعالى كم لبثت والله تعالى
لا يخاطب الكافر ولقوله تعالى ولنجعلك اية للناس وهذا اللفظ لا يستعمل في حق الكافر انما يستعمل
في حق الانبيا وقال قتادة وعكرمة والضحاك والسدي هو عزير بن شرخيا وقال وهب بن منبه
هو ارميا بن حلقيا من سبط هارون وهو الخضر ومقصود القصة تعريف منكري البعث قدرة
الله تعالى على خلقهم بعد ماتهم لا تعريف اسم ذلك المار على التعيين فيجوز ان يكون ذلك المار
هو عزير ويجوز ان يكون ارميا وفي هذه القصة دلالة عظيمة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم لانه اخبر اليهود بما يجدونه في كتبهم ويعرفونه وهو نبي لم يقرا الكتب المتقدمة واختلفوا في
تلك القرية فقيل هي بيت المقدس وذلك لما خربها بخت نصر والمراد بالاحيا هنا عمارتها وقيل
هي القرية التي اهلك الله اهلها الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وقيل دير سابراباذ وقيل
سلماباذ وقيل هي دير هرقل وقيل هي قرية العنب وقيل هي على فرسخين من بيت المقدس وقوله
سابراباد موضع كانه بفارس وسلماباد محلة او قرية من نواحي جرجان وهي ايضا من نواحي همذان

Copyright © King Saud University

ودير هرقل بكسر اوله وزاى ساكنة وقاف مكسورة دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم وقيل هو موضع
الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف فاماتهم الله تعالى ثم احياهم لحزقيل كما تقدم وقيل ان المراد بقوله تعالى
او كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها انى يحيى عند ها احيا الله حمار عزير وهى خاوية على عروشها اى
ساقطة على سقوفها وذلك ان السقوف سقطت اولا ثم وقعت الحيطان عليها بعد ذلك قال يعنى
ذلك المار انى يحيى هذه الله بعد موتها قال ذلك لان المار كان كافرا وهو ضعيف او انما حمله على الشك فى قدرة
الله ومن قال كان نبيا حمله على سبيل الاستبعاد بحسب مجارى العرف والعادة لا على سبيل الانكار
لقدرة الله تعالى او كان المقصود منه طلب زيادة الدلايل لاجل التاكيد كما قال ابراهيم عليه
السلام رب ارنى كيف تحيى الموتى ومعنى انى يحيى هذه الله متى يحيى هذه القرية والمراد بالاحيا عمارتها
فاحب الله ان يريه اية فى نفسه وفى احيا تلك القرية **وكان** سبب القصة فى ذلك ما روى عن
وهب بن منبه ان الله تعالى بعث ارميا الى ناشية بن اموص ملك بنى اسرائيل ليسدده ويانيه
بالخبر من الله تعالى فعظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وركبوا المعاصى فاوحى الله تعالى الى ارميا ان ذكر
قومك نعمى عليهم وعرفهم احداثهم وادعهم الى فقال ارميا يا رب انى ضعيف ان لم تقونى عاجز ان
لم تبلغنى مخذول ان لم تنصرنى فقال الله تعالى انا الهمك فقام ارميا فيهم ولم يدر ما يقول فالهمه
الله تعالى فى الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال فى
اخرها انى حلفت بعزتى لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا البسه
الهيبة وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله تعالى اليه انى مهلك
بنى اسرائيل بيافث ويافث اهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارميا ذلك صاح وبكى
وشق ثيابه ونبذ الرماد على راسه فلما راى الله تضرعه وبكاه ناداه يا ارميا اشق عليك ما
اوحيت اليك قال نعم يا رب اهلكنى قبل ان ارى فى بنى اسرائيل ما لا اسر به فقال الله وعزتى
وجلالى لا اهلك بنى اسرائيل حتى يكون الامر فى ذلك من قبلك ففرح ارميا بذلك وطابت نفسه
وقال لا والذى بعث موسى بالحق لا ارضى بهلاك بنى اسرائيل ثم اتى الملك فاخبره بذلك وكان
ملكا صالحا فاستبشر وفرح وقال ان يعذبنا ربنا فبذنوبنا وان يعف عنا فبرحمته ثم انهم
مكثوا بعد ذلك الوحى ثلاث سنين لم يزدادوا الا معصية وتماديا فى الشر فقل الوحى وذلك
حين اقترب هلاكهم فدعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بخت نصر البابلى
فخرج فى ستماية الف راية يريد اهل المقدس فلما فصل سايرا اتى الخبر الى ملك بنى اسرائيل فقال لارميا اين ما
زعمت ان الله تعالى اوحى اليك فقال ارميا ان الله لا يخلف الميعاد وانا به واثق فلما قرب الاجل بعث الله تعالى
الى ارميا ملكا تمثل فى صورة رجل من بنى اسرائيل فقال له ارميا من انت قال انا رجل من بنى اسرائيل اتيتك
استفتيك فى اهل رحمى وصلت ارحامهم ولم ات اليهم الا حسنا ولا يزيدهم اكرامى اياهم الا اسخاطا
فافتنى فيهم فقال ارميا احسن فيما بينك وبين الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فمكث اياما ثم اقبل
اليه فى صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له ارميا من انت قال انا الذى اتيتك استفتيك
فى شان اهلى فقال له ارميا اما طهرت اخلاقهم بعد لك فيهم فقال يا نبى الله والذى بعثك بالحق نبيا ما اعلم
كرامة ياتيها احد من الناس الا قدمتها اليهم وافضل فقال له ارميا ارجع اليهم فاحسن اليهم فاسال الله
الذى يصلح عباده الصالحين ان يصلحهم فقام الملك فمكث اياما ثم ان بخت نصر نزل بجنوده بيت المقدس

فنزع

فنزع منهم بنو اسرائيل فقال الملك لارميا يا نبى الله اين ما وعدك الله تعالى فقال انى بربى واثق ثم اقبل ذلك
الملك الى ارميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذى وعده فقعد بين يديه
فقال له ارميا من انت قال انا الذى جيتك فى شان اهلى مرتين فقال ارميا اما ان لهم ان ينتهوا من
الذى هم فيه فقال الملك يا نبى الله ان كل شى كان يصيبنى منهم قبل اليوم على عمل لا يرضى الله تعالى فقال له
ارميا على اى عمل رايتهم فقال على عمل عظيم يسخط الله تعالى فغضبت لله عز وجل فاتيتك لاخبرك وانا اسالك
بالله الذى بعثك بالحق ان تدعو الله عليهم ليهلكوا فقال ارميا يا مالك السموات والارض ان كانوا على حق
وصواب فابقهم وان كانوا على عمل لا ترضاه فاهلكهم فلما خرجت الكلمة من فيه حتى ارسل الله عز وجل صاعقة
من السما على بيت المقدس فالتهب مكان القربان واحرقت سبعة ابواب من ابوابه فلما راى ارميا ذلك
صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على راسه وقال يا مالك السموات والارض اين ميعادك الذى وعدتنى به
فنودى انه لم يصبهم ما اصابهم الا بفتياك ودعايك عليهم فاستيقظ ارميا انها فتياه وان ذلك السايل
كان رسولا من الله تعالى اليه فخرج ارميا حتى خالط الوحوش ودخل بخت نصر وجنوده بيت المقدس ووطى
الشام وقتل بنى اسرائيل حتى افناهم وخرب بيت المقدس وامر جنوده ان يملا كل رجل منهم ترسه ترابا
ويقذفه فى بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملوه ثم امرهم ان يجمعوا من كان فى بلدان بيت المقدس فاجتمع
عنده من كان بقى من بنى اسرائيل من صغير وكبير فاختار منهم سبعين الف صبى فقسمهم بين الملوك الذين كانوا
معه فاصاب كل رجل منهم اربعة اغلمة وكان فى اوليك الغلمان دانيال عليه السلام وحنانيا وعزير وفرق
من بقى من بنى اسرائيل ثلاث فرق ثلثا قتلهم وثلثا سباهم وثلثا اقرهم بالشام فكانت هذه الوقعة الاولى
التى انزلها الله ببنى اسرائيل بظلمهم فلما ولى بخت نصر راجعا الى بابل ومعه سبايا بنى اسرائيل اقبل ارميا على
حمار له ومعه عصير عنب فى ركوة وسلة تين حتى غشى ايليا وهى ارض بيت المقدس فلما راى خرابها قال انى
يحيى هذه الله بعد موتها ومن قال ان المار كان عزير قال ان بخت نصر لما خرب بيت المقدس واقدم
بسبى بنى اسرائيل وكان فيهم عزير ودانيال وسبعة الاف من اهل بيت داود دفعا الجماعة وعزير بابل ارتحل على
حمار حتى دخل دير هرقل على شط دجلة وطاف القرية فلم ير فيها احدا وعامة شجرها حامل فاكل من الفاكهة
واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة فى سلة وفضل العصير فى زق ولما راى خراب القرية
وهلاك اهلها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها وانما قال ذلك تعجبا لا شكا فى البعث **ورجعنا**
الى حديث وهب ثم ان ارميا ربط حماره بحبل جديد والقى الله عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح
مائة عام وامات حماره وبقى عصيره وتينه عنده واعمى الله عنه العيون فلم يره احد وذلك ضحى ومنع
لحمه من السباع والطير فلما مضى من وفاته سبعون سنة ارسل الله ملكا من ملوك فارس يقال له
نوشك وقال له ان الله يامرك ان تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وايليا حتى يعود اعمر ما كان فانتدب
الملك بالف قهرمان مع كل قهرمان ثلثماية الف عامل وجعلوا يعمرونها واهلك الله بخت نصر ببعوضة
دخلت فى دماغه ونجى من بقى من بنى اسرائيل وردهم جميعا الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة
وكثروا احسن ما كانوا فلما مضت المائة احيا الله منه عينيه وساير جسده ميت ثم احيا الله جسده وهو ينظر
ثم نظر الى حماره فاذا عظامه تلوح بيض متفرقة فسمع صوتا من السما ايتها العظام البالية ان الله يامرك
ان تجتمعى فاجتمع بعضها الى بعض ثم نودى ان الله يامرك ان تكتسى لحما وجلدا فكان كذلك ثم نودى ان
الله يامرك ان تحيى فقام الحمار باذن الله ثم نهق وعمر الله ارميا فهو الذى يرد فى الفلوات فذلك قوله تعالى

Copyright © King Saud University

فاماته الله مائة عام اصل العام من العوم وهو السباحة سميت السنة عاما لان الشمس تعوم في جميع بروجها
ثم بعثه اي احياه واصله من بعثت الناقة اذا اقمتها من مكانها قال كم لبثت يعني قال الله له كم قدر
الزمان الذي مكثت فيه ميتا فقيل ان البعث من مكانك حيا ويقال ان الله تعالى لما احياه بعث اليه
ملكا فساله كم لبثت قال يعني ذلك المبعوث بعد مماته لبثت يوما وذلك ان الله اماته ضحى في اول النهار
واحياه بعد مائة سنة في اخر النهار قبل ان تغيب الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غابت
ثم التفت فراى بقية من الشمس فقال او بعض يوم قال بل يعني قال الله له وقيل قال الملك له بل لبثت
مائة عام فانظر الى طعامك يعني التين الذي كان معه قبل موته وشرابك يعني العصير لم يتسنه يعني لم
تغيره السنون التي اتت عليه فكان التين كانه قد قطف من ساعته والعصير كانه قد عصر من
ساعته لم يتغير ولم ينتن وانظر الى حمارك اي وانظر الى حمارك فنظر فاذا هو عظام بيض فركب الله
تعالى العظام بعضها على بعض ثم كساه اللحم والجلد واحياه وهو ينظر ولنجعلك اية للناس قيل الواو
زائدة مقحمة وقيل دخول الواو وفيه دلالة على انها شرط لفعل بعدها والمعنى وفعلنا ما فعلنا من
الاماتة والاحيا لنجعلك اية للناس يعني عبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله اكثر المفسرين
وقيل انه عاد الى قريته وهو اسود الراس واللحية واولاده واولاد اولاده شيوخ وعجائز شمط فكان ذلك
اية للناس وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما قرى بالراء ومعناه كيف نحييها يقال انشر الله الميت
انشارا يعني احياه وقرى بالزاي ومعناه كيف نرفعها من الارض ونردها الى مكانها من الجسد ونركب بعضها على
بعض وانشاز الشي رفعه وازعاجه يقال انشزته نشزا اي رفعته فارتفع واختلفوا في معنى الاية فقال
الاكثرون انه اراد عظام الحمار قيل ان الله تعالى لما احيا عزيرا واراه على اختلاف القولين فيه ثم قال انظر الى
حمارك قد هلك وبليت عظامه فنظر وبعث الله ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل فاجتمعت فركب بعضها
على بعض حتى الكسرة من العظم رجعت الى موضعها فصار حمارا من عظام ليس عليه لحم ولا دم ثم كسا الله تلك
العظام اللحم والعروق والدم فصار حمارا ذا لحم ودم ولا روح فيه ثم بعث الله ملكا فاقبل يمشي حتى اخذ بمنخر
الحمار فنفخ فيه الروح فقام الحمار حيا باذن الله تعالى ثم نهق وقيل اراد بالعظام عظام هذا الرجل نفسه وذلك ان
الله اماته ثم بعثه ولم يمت حماره ثم قيل له انظر الى حمارك فنظر الى حماره حيا قائما كهيئته يوم ربطه لم يطعم
ولم يشرب مائة عام ونظر الى الرمة في عنقه جديدة لم تتغير ثم قيل له انظر الى العظام وذلك ان الله اول ما احيى
منه عينيه فنظر بهما الى جسده ميتا وفي الاية تقديم وتاخير تقديره وانظر الى حمارك وانظر الى العظام
كيف ننشرها ولنجعلك اية للناس وعن ابن عباس وغيره من المفسرين لما احيى الله عزيرا بعدما اماته مائة سنة
ركب حماره حتى اتى محلته فانكره الناس وانكر هو الناس وانكر منازله فانطلق على وهم حتى اتى منزله
فاذا بعجوز عمياء مقعدة قد اتى عليها مائة وعشرون سنة وكانت امة لهم وقد خرج عزير عنهم وهي
بنت عشرين سنة وكانت قد عرفته وعقلته فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير فقالت نعم وبكت
وقالت ما رايت احدا يذكر عزيرا منذ كذا وكذا فقال انا عزير قالت سبحان الله فان عزيرا قد فقدناه
منذ مائة سنة فلم نسمع له بذكر فقال لها عزير ان الله تعالى اماتني مائة سنة ثم احياني فقالت ان
عزيرا كان رجلا مجاب الدعوة وكان يدعو للمريض وصاحب البلايا بالعافية فادع الله ان يرد علي
بصري حتى اراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح بيده على عينيها فصحتا واخذ بيدها وقال
لها قومي باذن الله تعالى فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة فنظرت اليه وقالت اشهد انك عزير

وانطلقت

وانطلقت الى بني اسرائيل وهم في انديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثمانية عشر سنة وبنو
بنيه شيوخ فقالت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انا فلانة مولاتكم فدعا لي عزير ربه فرد علي
بصري واطلق رجلي وزعم ان الله قد اماته مائة سنة ثم بعثه فنهض اهله اليه وقال ابنه كان لابي
شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فنظر اليها فعرفوا انه عزير وقيل لما
رجع عزير الى قريته وقد احرق بخت نصر التوراة ولم يكن من الله عهد بين الخلائق بكى عزير على
التوراة فاتاه ملك باناء فيه ما فسقاه من ذلك الما فمثلت التوراة في صدره فرجع الى بني اسرائيل
وقد علمه الله التوراة وبعثه نبيا فقال انا عزير فلم يصدقوه فقال اني عزير وقد بعثني الله اليكم
لاجدد لكم توراتكم قالوا فاملها علينا فاملاها عليهم من ظهر قلبه فقالوا ما جعل الله التوراة في قلب
رجل بعد ما ذهبت الا انه ابنه فقالوا عزير ابن الله وستاتي القصة في سورة التوبة ان شا الله
تعالى وقوله تعالى فلما تبين له يعني فلما اتضح له عيانا ما كان ينكره من احيا القرية وراه عيانا
في نفسه قال اعلم قرى مجزوما موصولا على الامر يعني قال الله له اعلم وقرى اعلم على قطع الالف
ورفع الميم على الخبر عن الغير قال [illegible] الله والمعنى فلما تبين له وراى ذلك عيانا قال اعلم
ان الله على كل شي قدير يعني الاماتة والاحيا قوله عز وجل واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى اختلفوا
في سبب هذا السوال من ابراهيم عليه السلام فقيل انه مر على دابة ميتة وهي جيفة حمار وقيل كانت
حوتا ميتة وقيل كان رجلا ميتا بساحل البحر وقيل مر بطريق فراها وقد توزعتها دواب البحر والبر فاذا
مد البحر جات الحيتان فاكلت منها واذا جزر البحر جات السباع فاكلت منها فاذا ذهبت السباع جات
الطير فاكلت منها فلما راى ابراهيم ذلك تعجب منها وقال يا رب اني قد علمت انك لتجمعها من بطون السباع
وحواصل الطير واجواف الدواب فارني كيف تحييها لاعاين ذلك فازداد يقينا فعاتبه الله تعالى
قال اولم تؤمن يعني اولم تصدق قال بلى يا رب قد علمت وامنت ولكن ليطمئن قلبي اي ليسكن
قلبي عند المعاينة اراد ابراهيم عليه السلام ان يصير له علم اليقين عين اليقين لان الخبر ليس كالمعاينة
وقيل لما راى الجيفة على البحر وقد تناولتها السباع والطير ودواب البحر تفكر كيف يجتمع ما تفرق من تلك
الجيفة وتطلعت نفسه الى مشاهدة ميت يحييه ربه ولم يكن ابراهيم عليه السلام شاكا في احيا الله
الموتى ولا دافعا له ولكنه احب ان يرى ذلك عيانا كما ان المومنين يحبون ان يروا نبيهم محمدا صلى الله عليه
وسلم ويحبون روية الله تعالى في الجنة ويطلبونه ويسالونه في دعائهم مع الايمان بصحة ذلك وزوال الشك
عنهم فكذلك احب ابراهيم ان يصير الخبر له عيانا وقيل كان سبب هذا السوال من ابراهيم انه لما احتج على نمرود
فقال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت فقال نمرود انا احيي واميت فقتل احد الرجلين واطلق الاخر فقال
ابراهيم ان الله تعالى يقصد الى جسد ميت فيحييه فقال له نمرود انت عاينته فلم يقدر ابراهيم ان يقول
نعم فانتقل الى حجة اخرى ثم سال ابراهيم ربه ان يريه كيف يحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي
بقوة حجتي فاذا قيل انت عاينته فاقول نعم وقال سعيد بن جبير لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سال ملك الموت
ربه ان ياذن له فيبشر ابراهيم بذلك فاذن له فاتى ابراهيم ولم يكن في الدار فدخل داره وكان ابراهيم
من اغير الناس وكان اذا خرج اغلق بابه فلما جا وجد في داره رجلا فثار اليه لياخذه وقال له من اذن لك
ان تدخل داري فقال اذن لي رب الدار فقال ابراهيم صدقت وعرف انه ملك فقال له من انت
قال انا ملك الموت جئت ابشرك بان الله قد اتخذك خليلا فحمد الله عز وجل وقال ما علامة ذلك

Copyright © King Saud University

الا ان يجيب الله دعاءك ويحيي الموتى بسؤالك ثم قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال
بلى ولكن ليطمئن قلبي بانك اتخذتني خليلا وتجيبني اذا دعوتك وتعطيني اذا سألتك ق عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن احق بالشك من ابراهيم اذ قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن
قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ويرحم الله لوطا لقد كان ياوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف
لاجبت الداعي القول على معنى الحديث وما يتعلق به اختلف العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم نحن احق
بالشك من ابراهيم على اقوال كثيرة واحسنها واوضحها ما نقل المزني وغيره من العلماء ان الشك مستحيل في حق ابراهيم
فان الشك في احياء الموتى لو كان متطرقا الى الانبياء لكنت انا احق به من ابراهيم وقد علمتم اني ما شككت فاعلموا ان
ابراهيم لم يشك وانما خص ابراهيم بالذكر لكون الاية قد يسبق الى بعض الاذهان الفاسدة منها احتمال الشك
فنفى ذلك عنه وقال الخطابي ليس في قوله نحن احق بالشك من ابراهيم اعتراف بالشك في نفسه ولا على ابراهيم
لكن فيه نفي الشك عنهما يقول اذا لم اشك انا في قدرة الله على احياء الموتى فابراهيم اولى ان لا يشك قال ذلك على
سبيل التواضع والهضم من النفس وكذلك قوله لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لاجبت الداعي وفيه الاعلام
بان المسئلة من ابراهيم لم تعرض على جهة الشك لكن من قبل زيادة العلم بالعيان والعيان يفيد من المعرفة والطمانينة
ما لا يفيد بالاستدلال وقيل لما نزلت هذه الاية قال قوم شك ابراهيم ولم يشك نبينا صلى الله عليه وسلم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم ومعناه ان هذا الذي تظنونه شكا انا اولى به فانه ليس بشك
وانما طلب لمزيد اليقين وانما رجح ابراهيم صلى الله عليه وسلم على نفسه صلى الله عليه وسلم تواضعا منه وادبا
او قبل ان يعلم انه صلى الله عليه وسلم خير من ولد ادم واما تفسير الاية فقوله تعالى واذ قال ابراهيم اي
واذكر يا محمد اذ قال ابراهيم وقيل انه معطوف على قوله الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه والتقدير
الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الم تر اذ قال ابراهيم ارني كيف تحيي الموتى قال يعني قال الله لابراهيم
اولم تؤمن الالف في اولم تؤمن الف اثبات وايجاب كقول جرير • الستم خير من ركب المطايا •
اي الستم كذلك في المعنى ولست قد امنت وصدقت باني احيي الموتى قال بلى قد امنت وصدقت
ولكن ليطمئن قلبي يعني بما سالتك وذلك لارادة طمانينة القلب وزيادة اليقين وقوة الحجة وقال ابن عباس
معناه ولكن لارى من اياتك واعلم انك اجبتني قال فخذ اربعة من الطير قيل اخذ طاوسا ونسرا وديكا
وحمامة وغرابا وقيل نسرا بدل الحمامة **فان قلت** لم خص الطير من جملة
الحيوانات بهذه الحالة **قلت** لان الطير صفته الطيران في السماء والارتفاع في
الهوى وكانت همة ابراهيم عليه السلام كذلك في العلو وهو الوصول الى الملكوت فكانت معجزته
مشاكلة لهمته **فان قلت** لم خص هذه الاربعة اجناس من الطير بالاخذ
قلت فيه اشارة في الطاوس اشارة الى ما في الانسان من حب الزينة والجاه
وفي النسر اشارة الى شدة الشغف بالاكل وفي الديك اشارة الى شدة الشغف بحب النكاح
وفي الغراب اشارة الى شدة الحرص ففي هذه الطيور مشابهة لما في الانسان من حب هذه
الاوصاف وفيه اشارة الى ان الانسان اذا ترك هذه الشهوات الذميمة تحول علا الدرجات
وفاز بنيل السعادات فصرهن قرئ بكسر الصاد ومعناه قطعهن ومزقهن وقرئ بضم
الصاد ومعناه املهن اليك ووجههن وقيل معناه اجمعهن واضممهن اليك فمن قرأ
بالامالة والضم قال فيه اضمار ومعناه فصرهن اليك ثم قطعهن فحذف اكتفاء بقوله

ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا لانه يدل عليه قال المفسرون امر الله تعالى ابراهيم صلى الله عليه وسلم ان يذبح
تلك الطيور وينتف ريشها وان يخلط ريشها ولحمها ودمها بعضه ببعض ففعل ثم امره ان يجعل
على كل جبل منهن جزءا واختلفوا في عدد الاجزاء والاجبال فقال ابن عباس امره ان يجعل كل طائر
اربعة اجزاء وان يجعلها على اربعة اجبل على كل جبل ربعا من كل طائر فقيل جبل على جهة المشرق
وجبل على جهة المغرب وجبل على جهة الشمال وجبل على جهة الجنوب وقيل جزاه على سبعة اجزاء
ووضعها على سبعة اجبل وامسك رؤوسهن بيده ثم دعاهن فقال تعالين باذن الله تعالى
فجعل كل قطرة من دم طائر تطير الى القطرة الاخرى وكل ريشة تطير الى الريشة الاخرى وكل
عظم يطير الى العظم الاخرى وكل بضعة تطير الى البضعة الاخرى وابراهيم ينظر حتى لقيت كل
جثة بعضها ببعض في السماء بغير رؤوس ثم اقبلن سعيا الى رؤوسهن فلما جاء طائر يقال برأسه فان
كان راسه دنا منه وان لم يكن تاخر عنه حتى التقى كل طائر براسه فذلك قوله تعالى ثم ادعهن
ياتينك سعيا قيل المراد بالسعي الاسراع والعدو وقيل المشي والحكمة في سعي الطيور اليه دون الطيران
لان ذلك ابعد من الشبهة لانه لو طارت لتوهم متوهم انها غير تلك الطير وان ارجلها غير سليمة
فنفى الله تعالى هذه الشبهة بقوله ياتينك سعيا وقيل المراد بالسعي الطيران وفيه ضعف لانه
لا يقال للطائر اذا طار سعى وقيل السعي هو الحركة الشديدة واعلم ان الله عزيز يعني انه تعالى غالب
على جميع الاشياء لا يعجزه شيء حكيم يعني في جميع اموره قوله عز وجل مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل
الله قيل اراد به الانفاق في الجهاد وقيل هو الانفاق في جميع ابواب الخير ووجوه البر فيدخل فيه الواجب
والتطوع وفيه اضمار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون اموالهم كمثل حبة اي كمثل زارع حبة وزرع
حبة انبتت يعني اخرجت تلك الحبة سبع سنابل جمع سنبلة في كل سنبلة مائة حبة **فان قلت**
فهل رايت سنبلة فيها مائة حبة حتى يضرب المثل بها **قلت** ذلك غير مستحيل وما لا يكون
مستحيل فضرب المثل به جائز وان لم يوجد والمعنى في كل سنبلة مائة حبة ان جعل الله ذلك فيها
وقيل هو موجود في الدخن وقيل المقصود من الاية انه اذا علم الانسان الطالب للزيادة والربح
انه اذا بذر حبة واحدة اخرجت له سبعمائة حبة ما كان ينبغي له ترك ذلك ولا التقصير فيه
فكذلك ينبغي لمن طلب الاجر عند الله في الاخرة ان لا يترك الانفاق في سبيل الله اذا علم
انه يحصل له بالواحد عشرة ومائة وسبعمائة والله يضاعف لمن يشاء يعني انه تعالى يضاعف هذه
المضاعفة لمن يشاء وقيل معناه يضاعف هذا ويزيد لمن يشاء من سبع الى سبعين الى سبعمائة
الى ما يشاء من الاضعاف مما لا يعلمه الا الله والله واسع اي غني يعطي الغني عن سعة وقيل واسع
القدرة على المجازاة وعلى الجود والافضال عليم يعني بنية من ينفق في سبيله وقيل عليم بمقادير
الانفاق وبما يستحق المنفق من الجزاء والثواب عليه قوله عز وجل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله قيل نزلت
في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف اما عثمان فجهز المسلمين في غزوة تبوك بالف بعير
باقتابها واحلاسها فنزلت هذه الاية وقال عبد الرحمن بن سمرة جاء عثمان بالف دينار في
جيش العسرة فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فرايته يدخل يده فيها ويقلبها ويقول ما ضر
عثمان ما عمل بعد اليوم فانزل الله الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله واما عبد الرحمن فجاء
باربعة الاف درهم صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كان عندي ثمانية الاف

Copyright © King Saud University

فأمسكت لنفسي ولعيالي أربعة آلاف وأربعة آلاف أخرجتها لربي عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت والمعنى الذين يعينون المجاهدين في سبيل الله بالإنفاق عليهم في حوائجهم ومؤنتهم (ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى) أي لا يتبع نفقته التي أنفقها عليهم المن والأذى وهو أن يمن عليه بعطائه فيقول قد أعطيتك كذا وكذا فيعدد نعمه عليه فيكدرها عليه والأذى هو أن يعيره فيقول كم تسأل أنت فقير أبدا وقد بليت بك وأراحني الله منك ونحو ذلك والمن في اللغة الإنعام والمنة النعمة الثقيلة يقال من فلان على فلان إذا أثقله بالنعمة ويكون ذلك بالقول أيضا ومنه قول الشاعر * فمن علينا بالسلام فإنما * كلامك ياقوت ودر منظم * ومن المن بالقول ما هو مستقبح بين الناس مثل أن يمن على الإنسان بما أعطاه قال عبد الرحمن بن زيد كان أبي يقول إذا أعطيت رجلا شيئا ورأيت أن سلامك يثقل عليه فلا تسلم عليه والعرب تمدح بترك المن وكتم النعمة وتذم على إظهاره والمن به قال قائلهم في المدح بترك المن * زاد معروفك عندي عظما * أنه عندك مستور حقير * تتناساه كأن لم تأته * وهو في العالم مشهور كبير * وقال قائلهم يذم المنان بالعطا * أتيت قليلا ثم أسرعت منه * فنيلك ممنون لذاك قليل * وأما الأذى فهو ما يصل إلى الإنسان من ضرر بقول وفعل إذا عرفت هذا فنقول المن هو إظهار المعروف إلى الناس والمن عليهم به والأذى هو أن يشكو منهم بسبب ما أعطاهم فحرم الله تعالى عز وجل على عباده المن بالمعروف والأذى فيه وذم فاعله **فإن قلت** كيف وصف نفسه تعالى بالمنان فما الفرق **قلت** المنان في صفة الله تعالى معناه المتفضل بجميع النعم فضل على عباده ومن العباد تعيير وتكدير فظهر الفرق بينهما وقوله تعالى (لهم أجرهم) يعني ثوابهم (عند ربهم) يعني في الآخرة (ولا خوف عليهم) يعني يوم القيامة (ولا هم يحزنون) يعني على ما خلفوا من الدنيا (قول معروف) أي كلام حسن ورد جميل على الفقير السائل وقيل عدة حسنة يعده بها وقيل دعاء صالح يدعو له بظاهر الغيب (ومغفرة) أي يستر عليه خلته وفقره ولا يهتك ستره وقيل هو أن يتجاوز عن الفقير إذا استطال عليه حالة رده (خير من صدقة) يعني هذا القول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التي يدفعها إلى الفقير (يتبعها أذى) وهو أن يعطي الفقير الصدقة ويمن عليه بها ويعيره بقوله ويؤذيه بفعله (والله غني) أي مستغن عن صدقة العباد والغني الكامل الغنى الذي لا يحتاج إلى أحد وليس كذلك إلا الله تعالى (حليم) يعني أنه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة على من يمن على عباده ويؤذي بصدقته قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم) يعني أجور صدقاتكم (بالمن والأذى) يعني على السائل الفقير وقال ابن عباس بالمن على الله والأذى لصاحبها ثم ضرب الله لذلك مثلا فقال (كالذي) أي كإبطال الذي (ينفق ماله رئاء الناس) أي مراءاة لهم وسمعة ليروا نفقته ويقولوا إنه سخي كريم (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) يعني أن الرياء يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل المؤمنين لكن من فعل المنافقين لأن الكافر معلن بكفره غير مراء (فمثله) أي مثل هذا المرائي بصدقته وسائر أعماله (كمثل صفوان) هو الحجر الأملس الصلب وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا قال واحده صفوانة ومن جعله واحدا قال جمعه صفي (عليه تراب) أي على ذلك الصفوان تراب (فأصابه وابل) يعني المطر الشديد القطر العظيم (فتركه صلدا) يعني ترك المطر ذلك الصفوان صلدا أملس لا شيء

عليه

عليه من ذلك التراب فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرائي والمؤمن المنان المؤذي بصدقته يرى الناس أن لهؤلاء أعمالا في الظاهر كما يرى التراب على هذا الصفوان فإذا جاء المطر أذهبه وأزاله وكذلك حال هؤلاء يوم القيامة تبطل أعمالهم وتضمحل لأنها لم تكن لله تعالى كما ذهب ما على الصفوان من التراب (لا يقدرون على شيء مما كسبوا) أي لا يقدرون على ثواب شيء مما عملوا في الدنيا (والله لا يهدي القوم الكافرين) يعني الذين سبق في علمه أنهم يموتون على الكفر روى البغوي بسنده عن محمود ابن لبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء يقال لهم يوم تجازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فانظروا هل تجدون عندهم جزاء (م) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه قوله عز وجل (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله) أي طلب رضا الله (وتثبيتا من أنفسهم) يعني على الإنفاق في طاعة الله تعالى وتصديقا بثوابه وقيل معناه أن أنفسهم موقنة مصدقة بوعد الله إياها فيما أنفقت وقيل احتسابا وقيل تصديقا والمعنى أنهم يخرجون زكاة أموالهم وينفقون أموالهم في سائر البر والطاعات طيبة أنفسهم بما أنفقوا على يقين بثواب الله وتصديق بوعده يعلمون أن ما أنفقوا خير لهم مما تركوا وقيل معناه بإخلاف الله عليهم وقيل معناه أنهم يتثبتون في الموضع الذي يضعون فيه صدقاتهم قيل كان الرجل إذا هم بصدقة تثبت فإن كان لله خالصة أمضاها وإن كان خالطه شك أو رياء أمسك (كمثل جنة) أي بستان قال الفراء إذا كان في البستان نخل فهو جنة وإن كان فيه كرم فهو فردوس (بربوة) أي المكان المرتفع عن الأرض المستوي وإنما خص ما ارتفع من الأرض عن مسيل الماء والأودية لأن ثمرها أحسن وأزكى إذا كان لها من الماء ما يرويها وقيل هي الأرض المستوية الطيبة الجيدة إذا أصابها المطر انتفخت وربت فإذا كانت الأرض بهذه الصفة كثر ريعها وحملت أشجارها (أصابها وابل) وهو المطر الكثير الشديد قال بعضهم * ما روضة من رياض الحزن معشبة * خضراء جاد عليها وابل هطل * أراد بالحزن ما غلظ وارتفع من الأرض (فآتت أكلها ضعفين) أي فأعطت ثمرها مثلين قيل إنها حملت في سنة من الريع ما يحمل غيرها في سنتين وقيل أضعفت فحملت في السنة مرتين (فإن لم يصبها وابل فطل) أي طش وهو المطر الخفيف الضعيف والمعنى إن لم يكن أصابها وابل أصابها طل فتلك حال هذه الجنة في تضاعف ثمرها فإنها لا تنتقص بالطل عن مقدار ثمرها بالوابل وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن المخلص في إنفاقه وسائر أعماله يقول الله تعالى كما أن هذه الجنة تريع وتزكو في كل حال ولا تخلف سواء كان المطر قليلا أو كثيرا فكذلك يضعف الله صدقة المؤمن المخلص في صدقته وإنفاقه الذي لا يمن ولا يؤذي سواء قلت نفقته أو كثرت (والله بما تعملون بصير) يعني أنه تعالى لا يخفى عليه نفقة المخلص في صدقته الذي لا يمن بها ولا يؤذي والذي يمن بصدقته ويؤذي قوله عز وجل (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب) هذه متصلة بما قبلها وهو قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى يعني أيحب أحدكم أن تكون له جنة أي بستان من نخيل وأعناب إنما خصهما بالذكر لأنهما أشرف الفواكه وأحسنها ولما فيهما من الغذاء والتفكه (تجري من تحتها الأنهار) يعني تجري الأنهار فيها من تمام حسنها وسببا لزيادة ثمرها (له فيها من كل الثمرات)

لان ذلك من تمام كمال البستان وحسنه واصابه الكبر يعني صاحب هذه الجنة كثرت جهات حاجاته ولم يكن له كسب غيرها فحينئذ يكون في غاية الاحتياج الى تلك الجنة **فان قلت** كيف عطف على واصابه الكبر على ايود وكيف يجوز عطف الماضي على المستقبل **قلت** فيه وجهان احدهما ان يكون له جنة حال كما اصابه الكبر والوجه الثاني انه عطف على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء يعني له اولاد صغار عجزة عن الحركة بسبب الضعف والصغر فاصابها يعني اصاب تلك الجنة اعصار فيه نار فاحترقت الاعصار الريح ترتفع الى السما وتستدير كانها عمود وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المنافق والمرائي يقول مثل عمل المنافق والمرائي في حسنه كحسن جنة ينتفع بها صاحبها فلما كبر وضعف وصار له اولاد ضعاف اصاب جنته اعصار فيه نار فاحرقها وهو احوج ما يكون اليها فحصل في قلبه من الغم والحسرة ما لا يعلمه الا الله تعالى لكبره وضعف اولاده فهو لا يجد ما يعود به على اولاده وهم لا يجدون ما يعودون به عليه فبقوا جميعا متحيرين عجزة لا حيلة بايديهم فكذلك حال من اتى يوم القيامة باعمال حسنة لم يقصد بها وجه الله تعالى فيبطلها الله تعالى وهو في غاية الحاجة اليها حين لا يستعتب له ولا توبة وقال عبيد بن عمير قال عمر يوما لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترون نزلت هذه الاية ايود احدكم قالوا الله اعلم فغضب عمر وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شي يا امير المومنين فقال عمر قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك فقال ضرب الله مثلا لعمل قال لاي عمل قال لرجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها كذلك يبين الله لكم الايات يعني كما بين الله تعالى لكم امر النفقة المقبولة وغير المقبولة كذلك يبين الله لكم من الايات سوى ذلك لعلكم تتفكرون اي فتتعظون وقال ابن عباس لعلكم تتفكرون يعني في زوال الدنيا واقبال الاخرة قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم اي من خيار ما كسبتم وجيده وقيل من حلالات ما كسبتم بالتجارة والصناعة وفيه دليل على اباحة الكسب وانه ينقسم الى طيب وخبيث عن خولة الانصارية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا المال خضر حلو من اصابه بحقه بورك له فيه ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة الا النار اخرجه الترمذي المتخوض الذي ياخذ المال من غير وجهه كما يخوض الانسان في الما يمينا وشمالا خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان لا يبالي المرء بما اخذ منه امن حلال ام من حرام خ عن المقدام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اكل احد طعاما قط خيرا من ان ياكل من عمل يده وان نبي الله داود كان ياكل من عمل يده عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اطيب ما اكلتم من كسبكم وان اولادكم من كسبكم اخرجه الترمذي والنسائي واختلفوا في المراد بقوله تعالى انفقوا فقيل المراد به الزكوة المفروضة لان الامر للوجوب والزكاة واجبة فوجب صرف الاية اليها وقيل المراد به صدقة التطوع وقيل انه يتناول الفرض والنفل جميعا لان المفهوم من هذا الامر ترجيح جانب الفعل على الترك وهذا المفهوم قدر مشترك بين الفرض والنفل فوجب ان يدخل تحت هذا الامر فعلى القول الاول ان المراد من هذا الانفاق هو الزكاة فيتفرع عليه مسائل المسئلة الاولى ظاهر الاية يدل على وجوب الزكاة في كل مال يكتسبه الانسان فيدخل فيه زكاة الذهب والفضة والنعم وعروض التجارة وقال داود الظاهري لا تجب الزكاة بحكم التجارة في العروض الا ان ينوي به

التجارة في حال تملكه ودليل الجمهور ما روي عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرنا باخراج الصدقة من الذي نعد للبيع اخرجه ابو داود وعن ابي عمرو بن حماس ان اباه قال مررت بعمر بن الخطاب وعلى عنقي ادم احملها فقال عمر الا تؤدي زكاتك يا حماس فقلت مالي غير هذا واهب في القرظ قال ذاك مال فضع فوضعتها بين يديه فحسبها فاخذ منها الزكاة فاذا حال الحول على عروض التجارة قومت فان بلغ قيمتها عشرين دينارا او مائتي درهم اخرج منه ربع العشر المسئلة الثانية في قوله تعالى ومما اخرجنا لكم من الارض وظاهر الاية يدل على وجوب الزكاة في كل ما خرج من الارض من النبات مما يزرع الادميون لكن جمهور العلما خصصوا هذا العموم فاوجبوا الزكاة في النخيل والكروم وفيما يقتات ويدخر من الحبوب واوجب ابو حنيفة الزكاة في كل ما يقصد من نبات الارض كالفواكه والبقول والخضراوات كالبطيخ والقثا والخيار ونحو ذلك دليل الجمهور ما روي عن معاذ انه كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم يساله عن الخضراوات وهي البقول فقال ليس فيها شي اخرجه الترمذي وقال هذا الحديث ليس بصحيح وليس يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم شي والعمل على هذا عند اهل العلم ان ليس في الخضراوات صدقة قلت وحديث موسى بن طلحة اخرجه الشيخ مجد الدين ابو البركات عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني في احكامه عن عطا بن السايب قال اراد عبد الله بن المغيرة ان ياخذ من ارض موسى بن طلحة من الخضراوات صدقة فقال له موسى بن طلحة ليس لك ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ليس في ذلك صدقة رواه الاثرم في سننه وهو اقوى المراسيل لاحتجاج من ارسله به وقال الزهري والاوزاعي ومالك تجب الزكاة في الزيتون وتجب الزكاة في الثمار عند بدو الصلاح وهو ان يحمر البسر ويصفر ووقت الاخراج بعد الاجتنا والجفاف وفي الحبوب عند الاشتداد ووقت الاخراج بعد الدياس والتصفية المسئلة الثالثة يجب اخراج العشر فيما سقي بنضح او سانية ويدل على ذلك ما روي عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما سقت السما والعيون او كان عثريا العشر وما سقي بالنضح نصف العشر اخرجه البخاري ولابي داود والنسائي قال فيما سقت السما والانهار والعيون او كان بعلا العشر وما سقي بالسواني والنضح نصف العشر قال ابو داود البعل ما شرب بعروقه ولم يتعن في سقيه قال وقال وكيع هو الذي ينبت من ما السما قوله او كان عثريا اراد به النوع من الزرع وهو البعل وقد فسر في لفظ الحديث والنضح هو الاستسقا وكذلك السانية وهي الدابة التي يستقى عليها سوا كانت من الابل او البقر ولا يجب العشر في الثمار والزروع حتى تبلغ خمسة اوسق والوسق ستون صاعا وقال ابو حنيفة يجب العشر في كل قليل او كثير من الثمار والزروع واحتج الجمهور في ايجاب النصاب بما روي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة وليس فيما دون خمس اواق صدقة وليس فيما دون خمس ذود صدقة وفي رواية ليس فيما دون خمسة اوساق من تمر او حب صدقة اخرجاه في الصحيحين ومن قال ان المراد بقوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض صدقة التطوع احتج بما روي عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يغرس غرسا او يزرع زرعا فياكل منه طير او انسان او بهيمة الا كان له به صدقة اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى ولا تيمموا الخبيث اي ولا تقصدوا الخبيث يعني الردي من اموالكم منه تنفقون اي من الخبيث عن البرا بن عازب في قوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال نزلت فينا معشر الانصار كنا اصحاب نخل وكان الرجل ياتي من نخله على قدر كثرته وقلته وكان الرجل ياتي بالقنو والقنوين فيعلقه في المسجد وكان اهل الصفة ليس لهم طعام فكان احدهم اذا جاع اتى القنو فضربه بعصاه فسقط البسر والتمر فياكل وكان ناس ممن لا يرغب في الخير ياتي بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو قد انكسر فيعلقه فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان

Copyright © King Saud University

تغمضوا فيه قال لو ان احدكم اهدى اليه مثل ما اعطيتم ما اخذه الا على اغماض وحيا قال كنا بعد ذلك يأتي احدنا
بصالح ما عنده اخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب وقيل كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة اموالهم
ويعزلون الجيد لانفسهم فانزل الله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون يعني تتصدقون ولستم باخذيه
يعني ذلك الشي الخبيث الردي الا ان تغمضوا فيه لا اغماض في اللغة غض البصر واطباق الجفن والمراد به هنا التجوز
والمساهلة وذلك ان الانسان اذا راى ما يكره اغمض عينيه لئلا يرى ذلك قال ابن عباس معناه لو ان لاحدكم
على رجل حقا فجاءه بمال لم ياخذه الا وهو يرى انه قد اغمض عن حقه وتركه وقال البراء لو اهدي لكم ما اخذتموه
الا على استحياء من صاحبه وغيظ فكيف ترضون لي ما لا ترضون لانفسكم اذا كان المال كله جيدا فليس له اعطا
الردي لان اهل السهمان شركا له فيما عنده وان كان كله رديا فلا باس باعطا الردي واعلموا ان الله غني يعني عن
صدقاتكم لم يامركم بالتصدق لعوز واحتياج اليها حميد اي محمود في افعاله وقيل حميد بمعنى حامد اي
اجركم على ما تفعلون من الخير والشر قوله عز وجل الشيطان يعدكم الفقر اي يخوفكم الفقر يقال وعدته خيرا
ووعدته شرا واذا لم يذكر الخير والشر يقال في الخير وعدته وفي الشر اوعدته والفقر سوء الحال وقلة ذات
اليد واصله من كسر فقار الظهر ومعنى الاية ان الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل امسك عليك
مالك فانك اذا تصدقت افتقرت ويامركم بالفحشا يعني يوسوس لكم ويحسن لكم البخل ومنع الزكاة والصدقة
قال الكلبي كل فحشا في القران فهو الزنا الا هذا الموضع وفي هذه الاية لطيفة وهي ان الشيطان يخوف الرجل
اولا بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف الى ان يامره بالفحشا وهو البخل وذلك لان البخل صفة مذمومة
عند كل احد فلا يستطيع الشيطان ان يحسن له البخل الا بتلك المقدمة وهي التخويف من الفقر فلهذا قال
تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشا والله يعدكم مغفرة منه يعني مغفرة لذنوبكم وفضلا يعني رزقا
وخلفا فالمغفرة اشارة الى منافع الاخرة والفضل اشارة الى منافع الدنيا وما يحصل من الرزق
والخلف عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة
فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد
ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرا الشيطان يعدكم الفقر
ويامركم بالفحشا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله ان للشيطان لمة بابن ادم اي
اللمة الخطرة الواحدة من الالمام وهو القرب من الشي والمراد بهذه اللمة التي تقع في القلب
من فعل خير او شر والعزم فاما لمة الشيطان فوسوسة واما لمة الملك فالهام من الله تعالى والله
واسع اي غني قادر على اغنائكم واخلاف ما تنفقونه عليم بما تنفقونه لا يخفى عليه خافية ق
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح فيه العباد الا وملكان
ينزلان يقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا ق عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى انفق ينفق عليك وفي رواية يد الله ملا
لا تغيضها نفقة سحا الليل والنهار وقال ارايتم ما انفق منذ خلق السموات والارض وفي رواية
فانه لم يغض ما في يمينه وفي رواية لم يغض ما في يده وكان عرشه على الما وبيده الميزان يخفض ويرفع
وفي رواية وبيده الاخرى الفيض والقبض يرفع ويخفض ق عن اسما بنت ابي بكر قالت قال
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انفقي ولا تحصي فيحصي عليك ولا توعي فيوعي عليك وفي رواية ولا توعي
اي لا تشحي فيشح عليك اي فيجازيكي بالتقتير في رزقك ولا يخلف عليك ولا يبارك لكي والمعنى

لا تحصي

لا تحصي ما تنفقي بل انفقي ولا تعدي ولا تشحي قوله عز وجل يؤتي الحكمة من يشا قال ابن عباس يعني علم القران ناسخه
ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وقال الضحاك القران والفهم فيه
وانما قال ذلك لتضمن القران الحكمة وقال في القران مائة وتسع ايات ناسخة ومنسوخة والف اية حلال
وحرام لا يسع المومن تركهن حتى يتعلمهن ولا تكونوا كاهل النهروان يعني الخوارج تاولوا ايات من
القران في اهل القبلة وانما نزلت في اهل الكتاب جهلوا علمها فسفكوا بها الدما وانتهبوا الاموال
وشهدوا على اهل السنة بالضلالة فعليكم بعلم القران فانه من علم فيما نزل لم يختلف في شي منه وقيل
هي القران والعلم والفقه وقيل هي الاصابة في القول والفعل وحاصل هذه الاقوال الى
شيئين العلم والاصابة فيه ومعرفة الاشيا بذواتها واصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لانها
تمنعها قال الشاعر ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اي امنعوا سفهاءكم وقال السدي الحكمة النبوة لان النبي
يحكم بين الناس فهو حاكم وقيل الحكمة الورع في دين الله لان الورع يمنع صاحبه ان يقع في الحرام وما لا يجوز
له فعله ومن يؤت الحكمة يعني ومن يؤته الله الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا تنكير تعظيم معناه فقد اوتي اي
خير كثير وما يذكر الا اولوا الالباب اي وما يتعظ بما وعظه الله الا ذوو العقول الذين عقلوا عن الله امره
ونهيه قوله عز وجل وما انفقتم من نفقة يعني فيما فرضه الله عليكم من اعطا زكاة وغيرها او نذرتم من
نذر يعني به ما اوجبتموه على انفسكم في طاعة الله فوفيتم به والنذر ان يوجب الانسان على نفسه
شيا ليس بواجب يقال نذرت لله نذرا واصله من الخوف لان الانسان انما يعقد على نفسه النذر من
خوف التقصير في الامر المهم والنذر في الشرع على ضربين مفسر وغير مفسر فالمفسر ان يقول لله علي صوم
او حج او عتق او صدقة فيلزمه الوفا به ولا يجزيه غيره وغير المفسر هو ان يقول نذرت لله لا افعل كذا ثم
يفعله او يقول لله علي نذر من غير تسمية شي فيلزمه فيه كفارة يمين خ عن عايشة قالت سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه عن ابن
عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نذر نذرا لم يسمه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا
في معصية فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا اطاقه فليف به اخرجه ابو داود وعن عمران بن حصين
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذر في معصية ولا فيما لا يملك ابن ادم اخرجه النسائي ق
عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال انه لا ياتي بخير وانما يستخرج
به من البخيل م عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان النذر لا يقرب من ابن ادم شيا لم يكن
الله قدره له ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد ان يخرج قال بعض
العلما يحتمل ان يكون سبب النهي عن النذر كون الناذر يصير ملتزما له فياتي به تكلفا من غير نشاط او
يكون سبب كونه ياتي به على سبيل المعارضة عن الامر الذي طلبه فينقص اجره وشان العبادة ان تكون
متمحضة لله تعالى وقال بعضهم يحتمل ان يكون النهي لكونه قد يظن بعض الجهلة ان النذر يرد القدر او
يمنع من حصول المقدور فنهى عنه خوفا من اعتقاد ذلك وسياق الحديث يؤكد هذا وقوله في بعض روايات
الحديث انه لا ياتي بخير فمعناه انه لا يرد شيا من القدر وقوله فيخرج ذلك من البخيل ما لم يكن البخيل
يريد ان يخرج معناه انه لا ياتي بهذه القربة تطوعا محضا مبتدا وانما ياتي بها في مقابلة شي يريده
كقوله ان شفى الله مريضي فعلي كذا ونحو ذلك مما يحصل به بالقدر والله اعلم وقوله تعالى فان الله يعلمه اي
يعلم ما انفقتم ونذرتم فيجازيكم به وانما قال يعلمه ولم يقل يعلمهما لانه رد الضمير على الاخير منهما فهو كقوله

Copyright © King Saud University

ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريا وقيل ان الكناية عادت على ما في قوله وما انفقتم لانها اسم فهو كقوله وما
انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ولم يقل بهما وما للظالمين يعني الواضعين الصدقة في غير موضعها وقيل
الذين يريدون بصدقاتهم الريا والسمعة وقيل هم الذين يتصدقون بالمال الحرام من انصار اي اعوان
يدفعون عنهم عذاب الله تعالى فيه وعيد عظيم لكل ظالم قوله عز وجل ان تبدوا الصدقات اي تظهروا الصدقات
والصدقة ما يخرجه الانسان من ماله على وجه القربة فيدخل فيها الزكاة الواجبة وصدقة التطوع
فنعما هي اي فنعمت الخصلة هي وقيل فنعم الشي وقيل معناه فنعم شيا ابدا الصدقات وان تخفوها اي تسروا
الصدقة وتؤتوها الفقرا اي تعطوها الفقرا في السر فهو خير لكم يعني اخفا الصدقة افضل من العلانية
وكل مقبول اذا كانت النية صادقة واختلفوا في المراد بالصدقة المذكورة في الاية فقال الاكثرون
المراد بها صدقة التطوع افضل واخفاها خير من اظهارها لان ذلك ابعد من الريا واقرب الى الاخلاص
ولان فيه بعدا عما تامر النفس من اظهار الصدقة وفي صدقة السر ايضا فايدة ترجع الى الفقير الاخذ
وهو انه اذا اعطي السر زال عنه الذل والانكسار واذا اعطي في العلانية يحصل له الذل والانكسار
ويدل على ان صدقة السر افضل ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشا في طاعة الله تعالى ورجل قلبه
معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله تعالى اجتمعا على ذلك وافترقا
عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امراة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف
الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه اخرجاه في الصحيحين ووجه
جواز اظهار الصدقة تكون ذلك ممن قد امن على نفسه من مداخلة الريا في عمله او يكون ممن يقتدي به
في افعاله فاذا اظهر الصدقة تابعه غيره على ذلك واما الزكاة فاظهار اخراجها افضل من كتمانها
كالصلاة المكتوبة في الجماعة افضل وصلاة التطوع في البيت افضل وليتق في اظهار الزكاة نفي التهمة
عن المزكي وقيل ان الاية واردة في زكوة الفرض وكان اخفاؤها خيرا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لانهم
كانوا لا يظنون باحد انه يمنع الزكاة فاما اليوم في زماننا فاظهار الزكاة افضل حتى لا يسيا الظن وقيل
ان الاية عامة في جميع الصدقات الواجبة والتطوع والاخفا الافضل في كل صدقة من زكاة وغيرها
وقوله تعالى ونكفر عنكم من سياتكم قيل ان من صلة زايدة تقديره ونكفر عنكم سياتكم قال ابن عباس
جميع سياتكم وقيل ادخل من للتبعيض لكون العباد على وجل ولا يتكلموا والمعنى ونكفر عنكم الصغاير
من سياتكم واصل التكفير في اللغة التوطية والستر والله بما تعملون خبير يعني من اظهار الصدقات واخفائها
قوله عز وجل ليس عليك هداهم قيل سبب نزول هذه الاية ان ناسا من المسلمين كان لهم قرابات
واصهار في اليهود وكانوا ينفعونهم وينفقون عليهم قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم
وارادوا بذلك ان يسلموا وقيل كانوا يتصدقون على فقرا اهل المدينة فلما كثر المسلمون نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة الى الدخول في الاسلام
لحرصه صلى الله عليه وسلم على اسلامهم فنزل ليس عليك هداهم ومعناه ليس عليك هداية من
خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل ان يدخلوا في الاسلام فحينيذ تتصدق عليهم فاعلمه الله
تعالى انه انما بعث بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه فاما كونهم مهتدين فليس ذلك اليك
ولكن الله يهدي من يشا يعني ان الله يوفق من يشا فيهديه الى الاسلام واراد بالهداية هنا هداية

التوفيق

التوفيق واما هداية البيان والدعوة فكانت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت
هذه الاية فاعطوهم وتصدقوا عليهم وما تنفقوا من خير اي من مال فلانفسكم اي ما تفعلون تنفقون
به انفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله ظاهره خبر ومعناه نهي اي ولا تنفقوا الا ابتغا وجه الله وقال
الزجاج هذا خاص للمومنين اعلمهم الله انه قد علم مرادهم بنفقتهم ما عنده وقيل معناه ولستم
في صدقتكم على اقاربكم من المشركين تقصدون الا وجه الله وقد علم الله هذا من قلوبكم فانفقوا
عليهم اذا كنتم تبتغون بذلك وجه الله في صلة الرحم وسد خلة مضطر قال بعض العلما
لو انفقت على شر خلق الله كان لك ثواب نفقتك واجمع العلما على انه لا يجوز صرف الزكاة الا
الى المسلمين وهم اهل السهمان المذكوران في سورة التوبة وجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى
اهل الذمة وخالفه سائر العلما في ذلك فعلى هذا تكون الاية مختصة بصدقة التطوع اباح الله
تعالى ان تصرف الى فقرا المسلمين وفقرا اهل الذمة وما تنفقوا من خير يوف اليكم اي يوفر لكم جزاوه
وقال ابن عباس يجازيكم به يوم القيمة ومعناه تودى اليكم يوم القيامة ولهذا حسن دخال الى
مع التوفية لانها تضمنت معنى التادية وانتم لا تظلمون اي ولا تنقصون شيا من ثواب اعمالكم
قوله عز وجل للفقرا الذين احصروا اختلفوا في موضع اللام في قوله للفقرا فقيل هو مردود
على موضع اللام من قوله فلانفسكم كانه قال وما تنفقوا من خير فللفقرا وانما تنفقوا لانفسكم
وقيل معناه الصدقات التي سبق ذكرها للفقرا وقيل خبره محذوف تقديره للفقرا الذين
من صفتهم كذا وكذا حق واجب وهم فقرا المهاجرين كانوا نحوا من اربعماية رجل لم يكن لهم بالمدينة
مساكن ولا عشاير وكانوا ياوون الى صفة في المسجد يتعلمون القران بالليل ويرضخون النوى
بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم اصحاب الصفة
فحث الله تعالى الناس على مواساتهم فكان من عنده فضل اتاهم به اذا امسى وقوله الذين احصروا
في سبيل الله يعني هم الذين حبسوا انفسهم على الجهاد في سبيل الله وقيل حبسوا انفسهم على طاعة الله
لا يستطيعون ضربا في الارض يعني لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش والكسب وهم اهل الصفة الذين تقدم
ذكرهم وقيل حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله وقيل هم قوم اصابتهم جراحات في الجهاد مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاروا زمنى حصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله
يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف اي يظن من لم يختبر حالهم انهم اغنيا من التعفف وهو تفعل من العفة وهي ترك
الشي والكف عنه يقال تعفف اذا ترك السوال ولزم القناعة والمعنى يظنهم من لم يعرف حالهم
اغنيا لاظهارهم التجمل وتركهم المسالة السيميا والسيما والسمة العلامة التي يعرف بها الشي
تعرفهم بسيماهم
واختلفوا في معناها فقيل هي الخشوع والتواضع وقيل هي اثر الجهد من الحاجة والفقر وقيل هي صفرة
الوانهم من الجوع ورثاثة ثيابهم من الضر لا يسالون الناس الحافا يعني الحاحا قيل اذا كان عنده غدا
لا يسال عشا واذا كان عنده عشا لا يسال غدا وقيل لا يسالون الناس اصلا لانه تعالى قال يحسبهم
الجاهل اغنيا من التعفف وهو ترك المسالة فعلم بذلك انهم لا يسالون البتة ولانه قال تعرفهم
بسيماهم ولو كانت المسالة من شانهم لما كانت الى معرفتهم بالعلامة حاجة فمعنى الاية ليس
يصدر منهم سوال حتى يقع فيه الحاف فهم لا يسالون الناس الحافا ولا غير الحاف ق عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس ق

Copyright © King Saud University

عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة
والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنا يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسال
الناس لفظ البخاري خ عن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان ياخذ احدكم
احبله ثم ياتي الجبل فياتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها خير له من ان يسال الناس اعطوه
او منعوه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال الناس وله ما يغنيه
جا يوم القيامة ومسئلته في وجهه خموش او خدوش او كدوح وقيل يا رسول الله ما يغنيه
قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي عن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال وله قيمة اوقية فقد الحف اخرجه
ابو داود وقيل زاد هشام في حديثه وكانت الاوقية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
اربعين درهما وفي رواية عطا بن يسار من سال منكم وله اوقية او عدلها فقد سال الحافا
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال الناس
وله اربعون درهما فهو ملحف اخرجه النسائي عن ابي هريرة رضي قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سال الناس تكثرا فانما يسال جمرا فليستقل او ليستكثر وقوله تعالى وما تنفقوا من خير
فان الله به عليم يعني ان الله تعالى يعلم مقادير الانفاق ويجازي عليه ففيه حث على الصدقة
والانفاق في الطاعة قوله عز وجل الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية قال ابن عباس في رواية
عنه نزلت هذه الاية في علي بن ابي طالب كانت عنده اربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق
بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وفي رواية عنه قال لما نزل للفقرا
الذين احصروا في سبيل الله بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة الى اهل الصفة وبعث علي بن
ابي طالب في الليل بوسق من تمر فانزل الله فيهما الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار يعني
بنفقة الليل نفقة علي وبالنهار نفقة عبد الرحمن وفي الاية اشارة الى ان نفقة السر صدقة
افضل من صدقة العلانية وقيل نزلت الاية في الذين يربطون الخيل للجهاد في سبيل
الله لانهم يعلفونها بالليل والنهار وفي السر والعلانية خ عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده فان
شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات وقيل ان الاية عامة
في الذين ينفقون اموالهم في جميع الاوقات ويعمون بها اصحاب الحاجات والفاقات فلهم اجرهم
عند ربهم اي جزا اعمالهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعني في الاخرة قوله عز وجل الذين ياكلون الربا اي
يعاملون به وانما خص الاكل لانه معظم الامر المقصود من المال لان المال لا يوكل انما يصرف في
الماكول ثم يوكل فنهى الله المتصرف في الربا بما ذكر فيه من الوعيد م عن جابر قال لعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم اكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سوا واصل الربا في اللغة الزيادة
ويقال ربا الشي يربو اذا زاد وكثر فالزيادة في المال لا يقومون من قبورهم يوم القيمة الا كما يقوم
الذي يتخبطه الشيطان اي يصرعه واصل الخبط الضرب والوطي وهو ضرب على غير استوا يقال ناقة
خبوط للتي تضرب الارض بقوائمها وتطا الناس باخفافها ومنه قولهم يخبط خبط عشوا
للرجل الذي يتصرف في الامور على غير اهتدا ويخبطه الشيطان اذا مسه بخبل

وجنون

وجنون من المس يعني من الجنون يقال مس الرجل فهو ممسوس اذا كان به جنون ومعنى الاية
ان اكل الربا يبعث يوم القيمة مثل المصروع الذي لا يستطيع الحركة الصحيحة لان الربا ربا في
بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الاسراع قال سعيد بن جبير تلك علامة لاكل الربا اذا استحله
يوم القيامة وروى البغوي بسند الثعلبي عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في قصة الاسرا قال فانطلق بي جبريل الى رجال كثير كل رجل بطنه مثل البيت الضخم
منضدين على سابلة ال فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا قال فيقبلون مثل الابل
المنهومة يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون فاذا احس بهم اصحاب تلك البطون
قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم احدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون
ان يبرحوا حتى يغشاهم ال فرعون فيردونهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين
الدنيا والاخرة قال وال فرعون يقولون اللهم لا تقم الساعة ابدا قال ويوم القيامة يقول
ادخلوا ال فرعون اشد العذاب قلت يا جبريل من هولا قال هولا الذين ياكلون الربا لا يقومون
الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قوله بطنه مثل البيت الضخم اي العظيم الكبير
الغليظ وقوله منضدين اي موضوعين بعضهم على بعض والسابلة الطريق وقوله مثل
الابل المنهومة المنهوم بالتحريك افراط في الشهوة بالطعام من الجوع قوله عز وجل ذلك بانهم قالوا انما
البيع مثل الربا اي ذلك الذي نزل بهم من العذاب بقولهم هذا واستحلالهم اياه وذلك ان اهل
الجاهلية كان احدهم اذا حل ماله على غريمه فيطالبه فيقول الغريم لصاحب الحق زدني في الاجل
حتى ازيدك في المال فيفعلان ذلك وكانوا يقولون سوا علينا الزيادة في اول البيع بالربح او
عند محل الاجل للتاخير فكذبهم الله تعالى ورد عليهم ذلك بقوله واحل الله البيع وحرم الربا يعني واحل
الله لكم الارباح في التجارة بالبيع والشرا وحرم الربا الذي هو زيادة في المال لاجل تاخير الاجل
وذلك لان الله تعالى خلق الخلق وهم عبيده وهو مالكهم يحكم فيهم بما يشا ويستعبدهم بما يريد
ليس لاحد ان يعترض عليه في شي مما احل وحرم وانما على كافة الخلق الطاعة والتسليم لحكمه وامره
ونهيه وذكر بعض العلما الفرق بين البيع والربا فقال اذا باع ثوبا يساوي عشرة بعشرين فقد
جعل ذات الثوب مقابلا للعشرين فلما حصل التراضي على هذا التقابل صار كل واحد منهما
مقابلا للاخر في المالية عندهما فلم يكن اخذ من صاحبه شيا بغير عوض اما اذا باع عشرة دراهم
بعشرين فقد اخذ العشرة الزايدة بغير عوض ولا يمكن ان يقال ان العوض هو الامهال في
مدة الاجل لان الامهال ليس مالا او شيا يشار اليه حتى يجعله عوضا عن العشرة الزايدة
فقد ظهر الفرق بين الصورتين **فصل** في حكم الربا وفيه مسايل المسئلة الاولى
ذكر في سبب تحريم الربا وجوها احدها ان الربا يقتضي اخذ مال الغير بغير عوض لان من
يبيع درهما بدرهمين نقدا كان او نسيئة فقد حصل له زيادة درهم من غير عوض فهو حرام
الوجه الثاني انما حرم عقد الربا لانه يمنع الناس من الاشتغال بالتجارة لان صاحب الدراهم
اذا تمكن من عقد الربا خف عليه تحصيل الزيادة من غير تعب ولا مشقة فيفضي ذلك الى
انقطاع منافع الناس بالتجارات وطلب الارباح الوجه الثالث ان الربا هو سبب الى
انقطاع المعروف بين الناس من القرض فلما حرم الربا طابت النفوس بقرض الدراهم للمحتاج

Copyright © King Saud University

واسترجاع مثله لطلب الاجر من الله تعالى الوجه الرابع ان تحريم الربا قد ثبت بالنص فلا يجب ان
يكون حكم جميع التكليف معلومة للخلق فوجب القطع بتحريم الربا وان كنا لا نعلم وجه الحكمة في ذلك
المسئلة الثانية اعلم ان الربا في اللغة هو الزيادة والزيادة بطريق التجارة غير حرام فثبت ان
الزيادة المحرمة هو الربا وهو على صفة مخصوصة في مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله
عليه وسلم (ق) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالورق
ربا الا هاء وهاء والتمر بالتمر ربا الا هاء وهاء وفي رواية الورق بالورق ربا الا هاء وهاء والذهب
بالذهب ربا الا هاء وهاء (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب
وزنا بوزن مثلا بمثل والفضة بالفضة وزنا بوزن مثلا بمثل فمن زاد او استزاد فهو ربا وفي
رواية التمر بالتمر والحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فقد اربى الا
ما اختلفت الوانه (م) عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب والفضة
بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد فاذا اختلفت هذه
الاصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد فنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على جريان الربا في هذه
الستة اشيا وهي النقدين واربعة اصناف من المطعومات وهي البر والشعير والتمر والملح فذهب عامة اهل
العلم الى ان حكم الربا ثبت في هذه الاشيا لاوصاف فيها فيتعدى الى كل ما وجد تلك الاوصاف فيه ثم
اختلفوا في تلك الاوصاف فذهب قوم الى ان المعنى في جميعها هو واحد وهو النفع فاثبتوا الربا في جميع
الاموال وذهب الاكثرون الى ان الربا ثبت في الدراهم والدنانير بوصف وفي الاشيا المطعومة بوصف
اخر واختلفوا في ذلك الوصف فذهب الشافعي ومالك الى انه ثبت في الدراهم والدنانير بوصف النقدية
وذهب اصحاب الراي الى انه ثبت بعلة الوزن فاثبتوا الربا في جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس
والقطن ونحو ذلك واما الاربعة الاشيا المطعومة فذهب اصحاب الراي الى ان الربا ثبت فيها بعلة الوزن والكيل
فاثبتوا الربا في جميع المكيلات والموزونات مطعوما كان او غير مطعوم كالجص والنورة ونحوهما وذهب جماعة الى
ان العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن فكل مطعوم مكيل او موزون يثبت به الربا ولا يثبت فيما سوى ذلك
مما ليس بمكيل او موزون وهو قول سعيد بن المسيب والشافعي في القديم وقال في الجديد يثبت الربا
فيها بوصف الطعم فاثبت الربا في جميع الاشيا المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والادوية مكيلة
كانت او موزونة لما روي عن معمر بن عبد الله ارسل غلامه بصاع قمح فقال بعه ثم اشتر به شعيرا فذهب الغلام
فاخذ صاعا وزيادة بعض صاع فلما جاء معمرا اخبره بذلك فقال له معمر لم فعلت ذلك انطلق فرده ولا تاخذن
الا مثلا بمثل وكان طعامنا الشعير قيل له فانه ليس بمثله فقال اني اخاف ان يضارع اخرجه مسلم فجملة
مال الربا عند الشافعي ما كان ثمنا او مطعوما المسئلة الثالثة الربا نوعان ربا فضل وهو الزيادة
وربا نسيئة وهو الاجل فان باع مالا يدخل فيه الربا بجنسه مثل ان باع احد النقدين بجنسه كالذهب
بالذهب والمطعوم بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحو ذلك فيشترط فيه التماثل والمساواة في الوزن وان
كان مكيلا كالحنطة والشعير يشترط في بيعه بجنسه المساواة في الكيل ويشترط التقابض في مجلس العقد
وان باع مالا يدخل فيه الربا بغير جنسه نظر فان باع بما لا يوافقه في وصف الربا مثل ان باع مطعوما باحد
النقدين فلا ربا فيه كما لو باعه بغير مال الربا وان باعه بما يوافقه في الوصف لا في الجنس مثل ان باع الدراهم
بالدنانير او باع الحنطة بالشعير او كان مطعوما بمطعوم اخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا التفاضل

فلا يجوز بيعه متفاضلا ويثبت فيه ربا النسيئة فيشترط في بيعه التقابض في المجلس لقوله صلى الله عليه وسلم
الا يدا بيد وقوله هاء وهاء فمعناه اشتراط التقابض في المجلس وتحريم النسيئة وقوله صلى الله عليه وسلم الا سواء بسواء
مثلا بمثل فمعناه ايجاب المماثلة وتحريم التفاضل عند اتفاق الجنس وقوله صلى الله عليه وسلم فاذا اختلفت هذه
الاصناف فبيعوا كيف شئتم فمعناه اطلاق التبايع مع التفاضل عند اختلاف الجنس مع اشتراط التقابض
في المجلس وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يدا بيد والله اعلم المسئلة الرابعة في القرض وهو من اقرض
شيا وشرط عليه ان يرد افضل منه فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا يدل عليه ما روي عن مالك
قال بلغني ان رجلا اتى ابن عمر فقال اني اسلفت رجلا سلفا واشترطت عليه افضل مما اسلفته فقال عبد الله
ابن عمر فذلك الربا اخرجه مالك في الموطا فان لم يشترط فضلا في وقت القرض فرد المستقرض افضل مما
اخذ جاز ويدل على ذلك ما روي عن مجاهد ان ابن عمر استسلف دراهم فقضى صاحبها خيرا منها فابى ان ياخذها
وقال هذه خير من دراهمي فقال ابن عمر قد علمت ولكن نفسي بذلك طيبة اخرجه مالك في الموطا وقوله تعالى
فمن جاءه موعظة من ربه اي تذكير وتخويف وانما ذكر الفعل لان تانيثه غير حقيقي فجاز تذكيره وذلك لان
الوعظ والموعظة كلاهما شي واحد فانتهى اي عن اكل الربا فله ما سلف اي ما مضى من ذنبه قبل النهي مغفور له
وامره الى الله يعني بعد النهي ان شا عصمه حتى يثبت على الانتهاء وان شا خذله حتى يعود الى اكل الربا وقيل
معناه وامره الى الله فيما يامره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس اليه من امر نفسه شي وقيل ان الاية فيمن
يعتقد تحريم اكل الربا ثم ياكله فامره الى الله تعالى ان شا عفى عنه وان شا ومن عاد يعني الى اكل الربا بعد
التحريم مستحلا له فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قوله عز وجل يمحق الله الربا اي ينقصه ويهلكه ويذهب
بركته قال ابن عباس لا يقبل الله منه صدقة ولا حجا ولا جهادا ولا صلة ويربي الصدقات اي يزيدها وينميها ويبارك
فيها في الدنيا ويضاعف اجرها في الاخرة (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق
احد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا اخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة فتربو في
كف الرحمن حتى تكون اعظم من الجبل كما يربي احدكم فلوه او فصيله لفظ مسلم وللبخاري من تصدق بعدل تمرة
من كسب طيب ولا يصعد الى الله الا الطيب وفي رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها
لصاحبها كما يربي احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل والله لا يحب كل كفار يعني كل مصر على كفره مقيم عليه مستحل
لاكل الربا اثيم يعني متماديا في الاثم وفيه نهي عنه وان من اكل الربا لا ينزجر عنه ولا يتركه وقيل يحتمل
ان يكون الكفار راجعا الى مستحل الربا والاثيم راجعا الى من يفعله مع اعتقاد التحريم فتكون الاية جامعة
للفريقين قوله عز وجل ان الذين امنوا يعني صدقوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات يعني التي امرهم الله
بها واقاموا الصلاة على المفروضة باركانها وحدودها في اوقاتها واتوا الزكاة يعني المفروضة عليهم
في اموالهم لهم اجرهم عند ربهم اي لهم ثواب اعمالهم في الاخرة ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي يوم القيامة قوله
عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا قيل نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان
وكانا قد اسلفا في التمر فلما كان وقت الجذاذ قال صاحب التمر لهما ان انتما اخذتما حقكما لم يبق لي
ما يكفي عيالي فهل لكما ان تاخذا النصف وتؤخرا النصف واضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا منه
الزيادة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فنهاهما وانزل الله هذه الاية فسمعا واطاعا واخذا رءوس
اموالهما وقيل نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا الى بني عمرو بن
عمير ناس من ثقيف فجا الاسلام ولهما اموال عظيمة في الربا فانزل الله تعالى هذه الاية وقال النبي صلى الله

Copyright © King Saud University

عليه وسلم في حجة الوداع فيما رواه جابر من افراد مسلم الا كل شيء من امر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وان اول دم اضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوع واول ربا اضع ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله وقيل نزلت في اربعة اخوة من ثقيف وهم مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي كانوا يداينون بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانوا يربون فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على الطائف اسلم هؤلاء الاخوة بنو عمرو الثقفي وطلبوا رباهم من بني المغيرة فقال بنو المغيرة والله ما نعطي الربا في الاسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين فاختصموا الى عتاب بن اسيد وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فكتب عتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم بقصة الفريقين وكان ذلك مالا عظيما فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اي خافوا الله فيما امركم به وانتهوا عما نهاكم عنه وذروا اي واتركوا ما بقي من الربا والمعنى واتركوا طلب ما بقي لكم من فضل على رؤوس اموالكم ان كنتم مؤمنين يعني ان كنتم محققين لايمانكم قولا وفعلا فان لم تفعلوا اي لم تتركوا ما بقي من الربا بعد نزول هذه فأذنوا قرئ بكسر الذال والمد على وزن امنوا ومعناه فاعلموا غيركم انه حرب لله ورسوله وقرئ فأذنوا بفتح الذال مع القصر ومعناه فاعلموا انتم واليقنوا بحرب من الله ورسوله قال ابن عباس يقال لآكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال اهل المعاني حرب الله النار وحرب رسوله السيف واختلفوا في معنى هذه المحاربة فقيل المراد بها المبالغة في الوعيد والتهديد دون نفس الحرب وقيل بل المراد منه نفس الحرب وذلك ان من اصر على اكل الربا وعلم به الامام قبض عليه واجرى فيه حكم الله من التعزير والحبس الى ان تظهر منه التوبة وان كان آكل الربا ذا شوكة وصاحب عسكر حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية قال ابن عباس من كان مقيما على اكل الربا لا ينزع عنه فحق على امام المسلمين ان يستتيبه فان نزع والا ضرب عنقه وان تبتم اي فان تركتم اكل الربا ورجعتم عنه فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون يعني لا تظلمون انتم الغريم بطلب زيادة على رأس المال ولا تظلمون انتم بنقصان رأس المال فلما نزلت هذه الاية قال بنو عمرو الثقفي ومن كان يعامل بالربا من غيرهم بل نتوب الى الله فانه لا يدان لنا يعني لا قوة لنا بحرب الله ورسوله ورضوا برؤوس اموالهم فشكى بنو المغيرة العسرة ومن كان عليه دين وقالوا اخرونا الى ان ندرك الغلات فابوا ان يؤخروهم فانزل الله عز وجل وان كان ذو عسرة يعني وان كان الذي عليه الحق من غرمائكم معسرا والعسر نقيض اليسر وهو تعذر وجدان المال والاعسار الرجل اذا ضاق فلم يجد ما يؤديه في دينه فنظرة اي فامهال وتأخير الى ميسرة اي الى زمن اليسار وهو ضد الاعسار وهو وجدان المال الذي يؤديه في دينه واختلفوا في حكم الاية وهل الانظار يختص بالربا ام هو عام في كل دين على قولين القول الاول وهو ان ابن عباس وشريح والضحاك والسدي الاية في الربا وذكر عن شريح ان رجلا خاصم رجلا اليه فقضى عليه وامر بحبسه فقال رجل كان عند شريح انه معسر والله تعالى يقول في كتابه وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة فقال شريح انما ذلك في الربا وان الله تعالى قال في كتابه ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ولا يأمرنا الله بشيء ثم يعذبنا عليه والقول الثاني وهو قول مجاهد وجماعة من المفسرين ان حكم الاية عام في جميع المفسرين وان تصدقوا خير لكم يعني وان

تصدقوا

تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين فتتركوا رؤوس اموالكم للمعسر خير لكم وذكر رأس المال فعلم ان التصرف راجع اليها ان كنتم تعلمون يعني ان التصدق خير لكم وافضل لان فيه الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى **فصل** في ثواب انظار المعسر والوضع عنه وتشديد امر الدين والامر بقضائه

م عن قتادة انه طلب غريما له فتوارى عنه ثم وجده فقال اني معسر قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر او يضع عنه م عن ابي اليسر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله في ظل يوم لا ظل الا ظله ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم تاجر يداين الناس فان رأى معسرا قال لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله ان يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اعظم الذنوب عند الله ان يلقاه عبد بعد الكبائر التي نهى الله عنها ان يموت رجل وعليه دين لا يدع له قضاء اخرجه ابو داود خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ اموال الناس يريد اداءها ادى الله عز وجل عنه ومن اخذ اموال الناس يريد اتلافها اتلفه الله ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطل الغني ظلم زاد في رواية واذا اتبع احدكم على ملي فليتبع ق عن كعب بن مالك انه تقاضى ابن ابي حدرد دينا كان له في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فارتفعت اصواتهما حتى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته فخرج اليهما حتى كشف سجف حجرته فنادى فقال يا كعب قلت لبيك يا رسول الله فاشار بيده ان ضع الشطر من دينك قال كعب قد فعلت يا رسول الله قال قم فاقضه ق عن ابي هريرة قال كان لرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم سن من الابل فجاءه يتقاضاه فقال اعطوه فطلبوا سنه فلم يجدوا الا سنا فوقها فقال اعطوه فقال اوفيتني وفاك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان خيركم احسنكم قضاء وفي رواية انه اغلظ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين استقضاه حتى هم به بعض اصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا ثم امر له بافضل سنه م عن ابي قتادة الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام فيهم فذكر لهم ان الجهاد في سبيل الله والايمان بالله افضل الاعمال فقام رجل فقال يا رسول الله ارأيت ان قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر الا الدين فان جبريل قال لي ذلك عن محمد بن جحش قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه الى السماء ثم وضع يده على جبهته ثم قال سبحان الله ماذا نزل من التشديد فسكتنا وفزعنا فلما كان من الغد سألته يا رسول الله ما هذا التشديد الذي نزل فقال والذي نفسي بيده لو ان رجلا قتل في سبيل الله ثم احيي ثم قتل ثم احيي وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى عنه دينه اخرجه النسائي قوله عز وجل واتقوا اي وخافوا يوما ترجعون فيه الى الله قرئ بفتح التاء اي تصيرون فيه الى الله وقرئ بضم التاء وفتح الجيم اي تردون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت يعني من خير او شر وهم لا يظلمون اي في ذلك اليوم وفي هذه الاية وعيد شديد وزجر عظيم قال ابن عباس هذه اخر اية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل ضعها على رأس مائتين وثمانين من سورة البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل تسع ليال وقيل سبعا ومات صلى الله عليه وسلم لليلتين خلتا

من ربيع الاول في يوم الاثنين سنة احدى عشرة من الهجرة وروى الشعبي عن ابن عباس ان اخر اية نزلت
اية الربا قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين قال ابن عباس لما حرم الربا اباح السلم وقال اشهد ان
السلف المضمون الى اجل مسمى احله الله في كتابه واذن فيه وقوله اذا تداينتم اي تعاملتم بالدين او باع
بعضكم بعضا والتداين تفاعل من الدين يقال داينته اذا عاملته بالدين وانما قال بدين بعد قوله تداينتم
لان المداينة قد تطلق على المجازاة وعلى المعاطاة فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ ويخلص احد المعنيين
من الاخر وقيل انما قال بدين ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر ذلك لوجب ان يقال
فاكتبوا الدين ولا يحسن النظم بذلك وقيل انما ذكره تاكيدا الى اجل مسمى يعني المدة معلومة
الاول والاخر مثل السنة والشهر ولا يجوز الى غير مدة معلومة كما لو قال الى الحصاد ونحوه
والاجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محل الاجل بخلاف القرض
فانه لا يلزم فيه الاجل عند اكثر اهل العلم ق عن ابن عباس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة وهم يسلفون في الثمار العام والعامين فقال لهم من اسلف في تمر ففي كيل معلوم او وزن
معلوم الى اجل معلوم وقوله تعالى فاكتبوه اي اكتبوا الدين الذي تداينتم به بيعا كان ذلك او سلما
او قرضا واختلفوا في هذه الكتابة فقيل هي واجبة وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعي
واختاره محمد بن جرير الطبري وقيل الامر محمول على الندب والاستحباب فان تركه فلا باس
وهو قول جمهور العلماء وقيل بل كانت الكتابة والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ بقوله تعالى
فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وهو قول الحسن والشعبي والحكم بن عتيبة ثم
بين الله تعالى كيفية الكتابة فقال وليكتب بينكم كاتب اي ليكتب الدين بين الطالب والمطلوب
كاتب بالعدل اي بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم اجل ولا تاخيره وقيل ان فائدة
الكتابة هي حفظ المال من الجانبين لان صاحب الدين اذا علم ان حقه مقيد بالكتابة تعذر عليه
طلب زيادة او تقديم المطالبة قبل حلول الاجل ومن عليه الدين اذا عرف ذلك تعذر عليه الجحود
او النقص من اصل الدين الذي عليه فلما كانت هذه الفائدة من الكتابة امر الله تعالى بها ولا
ياب اي ولا يمتنع كاتب ان يكتب واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد
فقيل بوجوبها لان ظاهر الكلام نهي عن الامتناع عن الكتابة وايجابها على كل كاتب فاذا طولب الكتابة
وتحمل الشهادة من هو من اهلها وجب عليه ذلك وقيل هو على الندب والاستحباب وذلك لان
الله تعالى لما علمه الكتابة وشرفه بها استحب له ان يكتب ليقضي حاجة اخيه المسلم ويشكر تلك
النعمة التي انعم الله بها عليه وقيل كانت الكتابة وتحمل الشهادة واجبين على الكاتب والشاهد
ثم نسخهما الله تعالى بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد كما علمه الله اي كما شرعه الله وامر به فليكتب
وذلك ان يكتب بحيث لا يزيد ولا ينقص ويكتب ما يصلح ان يكون حجة عند الحاجة ولا يخص احد
الخصمين بالاحتياط له دون الاخر وان يكون كل واحد منهما امنا من ابطال حقه وان يكون ما يكتبه
متفقا عليه عند العلماء وان يحترز من الالفاظ التي يقع النزاع فيها وهذه الامور لا تحصل الا لمن
هو فقيه عالم باللغة ومذاهب العلماء وليملل الذي عليه الحق يعني ان المطلوب الذي عليه الحق يقر على
نفسه بلسانه ليعلم ما عليه من الحق فيذكر قدره وجنسه وصفة الاجل ونحو ذلك والاملاء والاملال
لغتان فصيحتان معناهما واحد وليتق الله ربه يعني المملي ولا يبخس ولا ينقص منه اي من الحق الذي

وجب

وجب شيا فان كان الذي عليه الحق سفيها اي جاهلا بالاملاء وقيل هو الطفل الصغير وقال الشافعي السفيه هو
المبذر المفسد لماله ودينه او ضعيفا يعني شيخا كبيرا وقيل هو ضعيف العقل لعته او جنون او لا يستطيع
ان يمل هو يعني لخرس او عمى او عجمة في كلامه او حبس او غيبة لا يمكنه الحضور عند الكاتب او يجهل ما له وعليه
فهؤلاء كلهم لا يصح اقرارهم فلا بد ان يقوم غيرهم مقامهم وهو قوله تعالى فليملل وليه يعني ولي كل واحد
من هؤلاء الثلاثة المحجور عليهم لانه مقامه في صحة الاقرار وقال ابن عباس اراد بالولي صاحب الدين يعني
ان عجز الذي عليه الحق عن الاملا فليملل صاحب الحق لانه اعلم بحقه بالعدل اي بالصدق واستشهدوا شهيدين من رجالكم
يعني واستشهدوا على حقوقكم شهيدين لان المقصود من الكتابة هو الاشهاد من رجالكم يعني اهل ملتكم يعني
من المسلمين الاحرار دون العبيد والصبيان وهذا قول اكثر اهل العلم واجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد
ووجه هذا القول ان قوله من رجالكم عام يتناول العبيد وغيرهم وذلك لان عقل الانسان ودينه وعدالته
تمنعه من الكذب فاذا اجتمعت هذه الشرائط فيه كانت شهادته معتبرة وحجة جمهور العلما ولا ياب الشهداء
اذا ما دعوا فهذا نص يقتضي ان من تحمل شهادة وجب عليه الاداء اذا طولب بها والعبد ليس كذلك فان السيد
اذا لم ياذن له في ذلك حرم عليه الذهاب الى اداء الشهادة فوجب ان لا يكون العبد من اهل الشهادة فان لم يكونا
رجلين اي فان لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامراتان اي فليشهد رجل وامراتان واجمع الفقهاء ان شهادة
النساء مع الرجال جائزة في الاموال فيثبت الحق بشهادة رجل وامراتين واختلفوا في غير الاموال فذهب سفيان
الثوري واصحاب الراي الى انه يجوز شهادة النساء مع الرجال في سائر الحقوق غير العقوبات وذهب جماعة
الى ان غير المال لا يثبت الا برجلين عدلين وذهب الشافعي الى ان ما يطلع عليه النساء غالبا كالولادة
والرضاع والبكارة والثيوبة ونحوها تجوز شهادة رجل وامراتين وشهادة اربع نسوة واتفقوا على ان شهادة
النساء غير جائزة ولا مقبولة في العقوبات والحدود وقوله تعالى ممن ترضون من الشهداء يعني من كان مرضيا عندكم
في دينه وامانته والشرائط المعتبرة في العدالة وقبول الشهادة عشرة وهي الاسلام والحرية والعقل
والبلوغ والعدالة والمروءة وان لا يجر بتلك الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع عنه بها مضرة ولا يكون
معروفا بكثرة الغلط والسهو وان لا يكون بينه وبين من شهد عليه عداوة فشهادة الكافر مردودة لان
الكذاب لا تقبل شهادته فالذي يكذب على الله اولى ان ترد شهادته وجوز بعض اهل الراي شهادة اهل
الذمة بعضهم على بعض ولا تقبل شهادة العبيد واجازها ابن شريح وابن سيرين وهو قول انس ولا
قول للمجنون معتبر حتى تسمع شهادته ولا تجوز شهادة الصبيان وسئل ابن عباس عن ذلك فقال لا تجوز
لان الله تعالى قال ممن ترضون من الشهداء والعدالة شرط وهو ان لا يكون الشاهد مقيما على الكبائر مصرا
على الصغائر والمروءة شرط وهي ما تتصل بآداب النفس مما يعلم ان تاركه قليل الحياء وهي حسن الهيئة والسيرة
والعشرة والصناعة فان كان الرجل يظهر من نفسه شيئا مما يستحي امثاله من اظهاره في الاغلب علم بذلك
قلة مروءته وترد شهادته وانتفاء التهمة شرط فلا تقبل شهادة العدو على عدوه وان كان مقبول الشهادة
على غيره لانه متهم في حق عدوه لا في حق غيره ولا تقبل شهادة الرجل لولده ووالده وتقبل شهادته عليهما
ولا تقبل شهادة من يجر بشهادته الى نفسه نفعا عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا ولا ذي غمر على اخيه ولا مجرب شهادة ولا القانع اهل البيت
لهم ولا ظنين في ولاء ولا قرابة قال الفزاري القانع التابع اخرجه الترمذي قوله لا تجوز شهادة خائن
اراد بالخيانة الخيانة في الدين والامانة فان من ضيع شيئا من اوامر الله او ارتكب شيئا مما نهى الله عنه

Copyright © King Saud University

لا يكون عدلا او الغمر بكسر الغين الحقد والقانع هو السائل المستطعم وقيل المنقطع الى قوم يخدمهم فترد شهادته
للتهمة في جر النفع الى نفسه لان التابع لاهل البيت ينتفع بما يصير اليهم والظنين بكسر الظا المتهم وقوله تعالى
ان تضل احداهما اي تنسى احد المراتين فتذكر احداهما الاخرى لان الغالب على طباع النسا النسيان فاقيمت
المراتان مقام الرجل الواحد حتى لو نسيت احداهما فتذكرها الاخرى فتقول حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا فيحصل
بذلك التذكير وحكي عن سفيان بن عيينة انه قال هو من الذكر اي تجعل احداهما الاخرى ذكرا والمعنى ان
شهادتهما تصير كشهادة ذكر والقول الاول اصح لانه معطوف على تضل وهو النسيان وقوله تعالى ولا يأب
الشهدا اذا ما دعوا يعني اذا دعوا لتحمل الشهادة وسماهم شهدا لانهم يكونون شهدا وهذا امر ايجاب عند بعضهم
وقال قوم يجب اذا لم يكن غيره فان كان غيره فهو مخير وقيل هو امر ندب فهو مخير في جميع الاحوال وقال بعضهم
هذا في اقامة الشهادة وادائها ومعنى الاية ولا يأب الشهدا اذا ما دعوا لادا الشهادة التي تحملوها
وقيل الاية في الامرين جميعا يعني في التحمل والادا والاقامة اذا كان فارغا وقيل الشاهد بالخيار ما لم
يشهد فاذا شهد وجب عليه الادا ولا تسأموا اي ولا تملوا ولا تضجروا ان تكتبوه الضمير راجع الى الحق والدين
صغيرا او كبيرا يعني قليلا كان الحق او كثيرا الى اجله يعني الى محل الحق والدين ذلكم يعني ذلك الكتاب اقسط
عند الله يعني اعدل عند الله لانه امر به واتباع امره اعدل من تركه واقوم للشهادة يعني ان الكتابة تذكر
الشهود وادنى الا ترتابوا يعني واحرى واقرب ان لا تشكوا في الشهادة الا ان تكون تجارة حاضرة اي الا ان تقع
تجارة حاضرة يدا بيد تديرونها بينكم اي فيما بينكم ليس فيها اجل فليس عليكم جناح اي لا حرج عليكم الا تكتبوها
يعني التجارة الحاضرة والتجارة تقليب الاموال وتصريفها لطلب النما والزيادة بالارباح وانما خص الله
تعالى في الكتابة والاشهاد في هذا النوع من التجارة لكثرة ما يجري بين الناس فلو كلفوا فيها الكتابة والاشهاد
لشق ذلك عليهم ولانه اذا اخذ احد المتبايعين حقه من صاحبه في ذلك المجلس لم يكن هناك خوف
التجاحد فلا حاجة الى الكتابة والاشهاد واشهدوا اذا تبايعتم يعني فيما جرت العادة بالاشهاد فيه واختلفوا
في هذا الامر فقيل هو للوجوب فيجب ان يشهد في صغير الحق وكبيره ونقده ونسيئه وقيل هو امر ندب
واستحباب وهو قول الجمهور وقيل انه منسوخ بقوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي
اؤتمن امانته وقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد هذا نهي عن المضارة واصله يضارر بكسر الرا
الاولى ومعناه لا يضار الكاتب فيأبى ان يكتب او الشاهد فيأبى ان يشهد او يضار الكاتب
فيزيد او ينقص او يحرف فيما املي عليه فيضر صاحب الحق او من عليه الحق وكذا الشاهد وقيل اصله
يضارر بفتح الرا الاولى ومعناه ان يدعو الرجل الكاتب والشاهد وهما مشغولان فيقولان نحن
على شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعي ان الله امركما ان تجيبا اذا دعيتما ويلح عليهما فيشغلهما
عن حاجتهما فنهي عن مضارتهما وامر بطلب غيرهما وان تفعلوا يعني ما نهيتم عنه من الضرر فانه
فسوق بكم اي معصية وخروج عن الامر واتقوا الله اي خافوا الله واحذروه فيما نهاكم عنه
من المضارة وغيرها ويعلمكم الله يعني ما يكون ارشادا لكم في امر الدنيا كما يعلمكم ما يكون ارشادا
لكم في امر الدين والله بكل شي عليم يعني ان الله تعالى عليم بجميع مصالح عباده لا يخفى عليه شي من
ذلك قوله عز وجل وان كنتم على سفر اي في سفر ولم تجدوا كاتبا يعني ولم تجدوا الات الكتابة فرهن
جمع رهن وقرئ فرهان مقبوضة يعني فارتهنوا ممن تداينونه رهونا مقبوضة لتكون وثيقة
لكم باموالكم واصل الرهن من الدوام يقال رهن الشي اذا دام وثبت والرهن ما وضع عند

الانسان

الانسان مما ينوب مناب ما اخذ منه دينا **فان قلت** لم شرط الارتهان
في السفر مع عدم الكاتب ولا يختص به سفر دون حضر وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
رهن درعه عند ابي الشحم اليهودي على طعام اخذه الى اجل ولم يكن ذلك في سفر ولا عند عدم كاتب
قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة دون الحضر ولكن لما كان السفر
مظنة الاعواز للكاتب والاشهاد امر الله تعالى به على سبيل الارشاد الى حفظ الاموال لمن كان
على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام الكتابة والاشهاد واتفق العلما على جواز الرهن في الحضر
والسفر جميعا مع وجود الكاتب وعدمه وقال مجاهد لا يجوز الا في السفر عند عدم الكاتب
لظاهر الاية واجاب الجمهور عن ظاهر الاية ان الكلام انما خرج على الاعم الاغلب لا على سبيل الشرط
واتفق العلما على ان الرهن لا يتم الا بالقبض وهو قوله تعالى فرهان مقبوضة يعني ارتهنوا واقبضوا
لان المقصود من الرهن هو استيثاق جانب صاحب الحق ولا يتم الا بالقبض فلو رهن ولم يسلم لم
يجبر الراهن على التسليم فاذا سلم الرهن لزم من جهته حتى لا يجوز له ان يسترجعه ما دام شي من الحق باقيا
وقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا يعني فان كان الذي عليه الحق امينا عند صاحب الحق ولم يرتهن منه
شيا لحسن ظنه به فليؤد الذي اؤتمن امانته يعني فليؤد المديون الذي عليه الحق الذي كان امينا في ظن الداين
الذي هو صاحب الحق امانته يعني حقه سمي الدين امانة وان كان مضمونا لائتمانه عليه حيث لم
يجحده فلم يكتب ولم يشهد عليه ولم ياخذ منه رهنا حث المديون على ان يكون عند ظن الداين
الذي ائتمنه والنهوض الى حقه الذي ائتمنه عليه ولم يرتهن منه عليه شيا ثم زاد ذلك توكيدا بقوله
وليتق الله ربه يعني المديون في ادا الحق عند حلول الاجل من غير مماطلة ولا جحود بل يعامله المعاملة الحسنة
كما احسن ظنه فيه ثم رجع الى خطاب الشهود فقال تعالى ولا تكتموا الشهادة يعني اذا دعيتم الى اقامتها
وادائها وذلك لان الشاهد متى امتنع من اقامة الشهادة وكتمها فقد ابطل بذلك حق صاحب الحق
فلهذا نهى عن كتمان الشهادة وبالغ في الوعيد فقال تعالى ومن يكتمها يعني الشهادة فانه اثم قلبه
اي فاجر قلبه والاثم الفاجر وانما اضيف الاثم الى القلب لان الافعال من الدواعي والصوارف
انما تحدث في القلب فلما كان الامر كذلك اضيف الاثم الى القلب قيل ما اوعد الله على شي كايعاده
على كتمان الشهادة فانه تعالى قال فانه اثم قلبه واراد به مسخ القلب نعوذ بالله من ذلك والله
بما تعملون عليم يعني من بيان الشهادة وكتمانها فيجزيه وعيده ويجازي من كتم الشهادة ولم يظهرها قوله عز وجل
لله ما في السموات وما ملكا وملكا واهلها له عبيد وما لكم وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وهذا ابينا ول في الارض
حديث النفس والخواطر الفاسدة التي ترد على القلب ولا يتمكن من دفعها والمواخذة بها تجري مجرى
تكليف ما لا يطاق **واجيب** عن هذا بان الخواطر الحاصلة في القلب على قسمين فمنها ما يوطن
الانسان نفسه عليه والعزم على اظهاره الى الوجود فهذا معفو عنه بدليل قوله تعالى لها ما كسبت
وعليها ما اكتسبت وقال قوم ان هذه الاية خاصة ثم اختلفوا في وجه تخصيصها فقال بعضهم
هي متصلة بالاية التي قبلها وانها نزلت في كتمان الشهادة ومعنى الاية وان تبدوا ما في انفسكم ايها
الشهود من كتمان الشهادة او تخفوه اي تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله وهذا ضعيف لان اللفظ عام
وان كان وارد عقيب قضية فلم يلزم صرفه اليه وقال بعضهم ان الاية نزلت فيمن يتولى الكافرين
من المومنين والمعنى ان تبدوا اي تظهروا ما في انفسكم يعني من ولاية الكفار او تخفوه فلا تظهروه

Copyright © King Saud University

يحاسبكم به الله وذهب اكثر العلما الى ان الاية عامة ثم اختلفوا فقال قوم هي منسوخة بالاية
التي بعدها ويدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الاية
اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام
والجهاد والصدقة وقد نزلت عليك هذه الاية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتاب من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا
سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقترأها القوم وذلت بها السنتهم
انزل الله تعالى في اثرها امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون كل امن بالله وملائكته
وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك
المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله عز وجل فانزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا
اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا
وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم اخرجه مسلم وله عن ابن عباس
نحوه وفيه قد فعلت بدل نعم ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
الله تعالى تجاوز لامتي ما حدثت به انفسها ما لم يعملوا به او يتكلموا وفي رواية ما وسوست
به صدورها وقال قوم ان الاية غير منسوخة لان النسخ لا يرد الا على الامر والنهي ولا
يرد على الاخبار وقول الله تعالى يحاسبكم به الله خبر فلا يرد عليه النسخ ثم اختلفوا في تاويلها
فقال قوم قد اثبت الله تعالى للقلب كسبا فقال بما كسبت قلوبكم وليس لله عبد اسر عملا
او اعلنه من حركة جارحة او همة قلب الا يعلمه الله ثم يخبره به ويحاسبه عليه ثم يغفر ما يشا
ويعذب بما يشا وقال الاخرون معنى الاية ان الله تعالى يحاسب خلقه بجميع ما ابدوا من
اعمالهم او اخفوه ويعاقبهم عليه غير ان معاقبتهم على ما اخفوه مما لم يعملوا به وهو ما يحدث
لهم في الدنيا من النوائب والمصائب والامور التي يحزنون لها وهذا قول عايشة عن اميمة
انها سالت عايشة عن قول الله عز وجل وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله
وعن قوله من يعمل سوءا يجز به فقالت ما سالني عنها احد منذ سالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى البضاعة يضعها في
يد قميصه فيفقدها فيفزع لها حتى ان العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن انس بن مالك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبده
الشر امسك عليه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة وقال قوم معنى الاية وان تبدوا
ما في انفسكم يعني مما عزمتم عليه او تخفوه ولا تبدوه وانتم عازمون عليه يحاسبكم به
الله فاما ما حدثت به النفس مما لم يعزموا عليه فان ذلك مما لا يكلف الله نفسا الا وسعها
ولا يواخذه به قال عبد الله بن المبارك قلت لسفيان ايواخذ العبد بالهمة فقال اذا

كانت

كانت عزما اخذ بها وقيل معنى المحاسبة الاخبار والتعريف فيرجع معنى هذه المحاسبة الى كونه
تعالى عالما بكل ما في الضمائر والسرائر مما ظهر او خفي ومعنى الاية وان تبدوا ما في انفسكم فتعملوا
به او تخفوه مما اضمرتم ونويتم يحاسبكم به الله ويخبركم ويعرفكم اياه ثم يغفر للمومنين اظهارا لفضله
ويعذب الكافرين اظهارا لعدله يروى عن ابن عباس ويدل عليه انه قال يحاسبكم به الله ولم
يقل يواخذكم به لان المحاسبة غير المواخذة ويدل عليه ايضا ما روي عن صفوان بن محرز المازني
قال بينا ابن عمر يطوف اذ عرض له رجل فقال يا ابا عبد الرحمن اخبرني ما سمعت من رسول الله
صلى الله عليه وسلم في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنى المومن من
ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول اعرف رب اعرف مرتين
فيقول سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم ثم تطوى صحيفة حسناته واما الاخرون
او الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤس الخلائق هولاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله
على الظالمين اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى فيغفر لمن يشا ويعذب من يشا قال ابن عباس يغفر لمن
يشا الذنب العظيم ويعذب من يشا على الذنب الصغير لا يسال عما يفعل وهم يسالون والله على كل شي
قدير يعني انه تعالى قادر على كل شي كامل القدرة فيغفر للمومنين فضلا ويعذب الكافرين
عدلا قوله عز وجل امن الرسول بما انزل اليه من ربه عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية وان تبدوا
ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله دخل قلوبهم منه شي لم يدخلها من شي فقالوا للنبي صلى الله
عليه وسلم فانزل الله امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون الاية لا يكلف الله نفسا الا
وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا
اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال قد فعلت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر
لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن قال الزجاج لما ذكر الله في هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق
والايلا والحيض والجهاد واقاصيص الانبيا وما ذكر من كلام الحكما ختم السورة بذكر تصديق نبيه
صلى الله عليه وسلم والمومنين بجميع ذلك ومعنى امن الرسول صدق الرسول يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم والمعنى صدق الرسول بان هذا القران وجملة ما فيه من الشرائع والاحكام منزل من عند
الله عز وجل والمومنون اي وصدق المومنون بذلك ايضا كل اي كل واحد من المومنين امن بالله وملائكته
وكتبه ورسله فهذه اربع مراتب من اصول الايمان وضرورياته فاما الايمان بالله فهو ان يومن بانه
واحد احد لا شريك له ولا نظير له ويومن بجميع اسمائه الحسنى وصفاته العليا وانه حي عالم قادر
على كل شي واما الايمان بالملائكة فهو ان يومن بوجودهم وانهم معصومون مطهرون وانهم
السفرة الكرام البررة وانهم الوسائط بين الله تعالى وبين رسله واما الايمان بكتبه فهو ان
يومن بالكتب المنزلة من عند الله هي وحي الله الى رسله وانها حق وصدق من عند الله بغير شك ولا
ارتياب وان القران لم يحرف ولم يبدل ولم يغير وانه مشتمل على المحكم والمتشابه وان محكمه يكشف
متشابهه واما الايمان بالرسل فهو ان يومن بانهم رسل الله الى عباده وامناوه على وحيه
وانهم معصومون وانهم افضل الخلق وان بعضهم افضل من بعض وقد انكر بعضهم ذلك وتمسك
بقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله واجيب عنه بان المقصود من هذا الكلام شي اخر

Copyright © King Saud University

وهو اثبات نبوة الانبيا والرد على اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى وينكرون نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم وقد ثبت بالنص الصريح تفضيل بعض الانبيا على بعض بقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
ومعنى قوله لا نفرق بين احد من رسله فنومن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى بل نومن بجميع رسله
وفي الاية اضمار تقديره ويقولوا يعني المومنين لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا يعني سمعنا قولك
واطعنا امرك والمعنى قال المومنون سمعنا قول ربنا فيما امرنا به واطعناه فيما الزمنا من فرايضه واستعبدنا
به من طاعته وسلمنا له فيما امرنا به ونهانا عنه غفرانك ربنا اي فنسالك غفرانك ربنا او يكون المعنى اغفر لنا
ربنا غفرانك ربنا واليك المصير يعني قالوا واليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا فاغفر لنا ذنوبنا روى البغوي
بغير سند عن حكيم بن جابر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد اثنى عليك
وعلى امتك فسل تعطه فسال بتلقين الله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير قوله عز وجل لا يكلف الله نفسا
الا وسعها قيل يحتمل ان يكون ابتدا خبر من الله تعالى ويحتمل ان يكون حكاية عن المومنين وفيه اضمار
كانه قال تعالى عنهم وقالوا لا يكلف الله نفسا الا وسعها يعني طاقتها والوسع اسم لما يسع الانسان
ولا يضيق عليه قال ابن عباس واكثر المفسرين ان هذه الاية نسخت حديث النفس والوسوسة
وذلك انه لما نزل وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه ضج المومنون منها وقالوا يا رسول الله نتوب من
عمل اليد والرجل واللسان فكيف نتوب من الوسوسة وحديث النفس كان ذلك مما لا نطيقه وقيل
فنزلت هذه الاية والمعنى انكم لا تستطيعون ان تمتنعوا من الوسوسة وحديث النفس فلا تحملكم
ما لم تطيقوه وقال ابن عباس في رواية عنه هم المومنون خاصة وسع الله عليهم امر دينهم
ولم يكلفهم ما لا يستطيعون كما قال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وما
جعل عليكم في الدين من حرج وسيل سفيان بن عيينة عن قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها قال
الا يسرها ولم يكلفها طاقتها وهذا قول حسن لان الوسع ما دون الطاقة وقيل معناه ان الله
تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها فلا يتعبدها بما لا تطيق لها ما كسبت يعني النفس ما عملت من الخير
فلها اجره وثوابه وعليها ما اكتسبت يعني من الشر وعليها وزره وعقابه وقيل في معنى الاية ان الله
تعالى لا يواخذ احدا بذنب غيره قوله عز وجل ربنا لا تواخذنا وهذا تعليم من الله تعالى على عباده المومنين
كيف يدعونه ومعناه قولوا ربنا لا تواخذنا اي لا تعاقبنا وانما جا بلفظ المفاعلة وهو فعل واحد
لان المسي قد امكن من نفسه وطرق السبيل اليها بفعله فكانه اعان عليه من يعاقبه بذنبه ولا يواخذ
به ان نسينا او اخطانا فيه وجهان احدهما انه من النسيان وهو السهو وهو ضد التذكر قيل بنو
اسرايل اذا نسوا شيا مما امروا به او اخطاوا عجلت لهم فحرم عليهم شيا مما كان حلالا لهم من مطعم او مشرب
على حسب ذلك الذنب فامر الله المومنين ان يسالوه ترك مواخذتهم بذلك **فان قلت**
اليس فعل الناسي في محل العفو قطعا فما معنى طلب العفو عنه بالدعا **قلت** الجواب عنه من
وجوه الاول ان النسيان على ضربين اما الاول فهو ما كان من العبد على وجه التضييع والتفريط
وهو ترك ما امر بفعله كمن راى على ثوبه دما فاخر ازالته عنه ثم نسي فصلى فيه وهو على ثوبه فيعد
مقصرا ان كان يلزمه المبادرة الى ازالته اما اذا لم يره فيعذر فيه وكذا لو ترك ما امر بفعله على وجه السهو
او ارتكب منهيا عنه من غير قصد اليه كاكل ادم عليه السلام من الشجرة التي نهي عنها على وجه النسيان
من غير عزم على المخالفة كما قال تعالى ولقد عهدنا الى ادم فنسي ولم نجد له عزما فمثل هذا يجب

ان

ان يسال الله تعالى ان يعفو عنه ذلك واما الضرب الثاني فهو كمن ترك صلاة ثم نسيها او ترك درس استماعه
بعد ان حفظه حتى نسيه فهذا لا يعذر بنسيانه وجهله لانه فرط فثبت ان النسيان على قسمين واذا كان
كذلك صح طلب العفو والغفران عن النسيان الوجه الثاني من الجواب ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا اهل التقوى
لله حق تقاته فان صدر منهم ما لا ينبغي فلا يكون الا على سبيل السهو والنسيان انما هو لشدة خوفهم
وتقواهم الوجه الثالث ان المقصود من هذا الدعا هو التضرع والتذلل له تعالى واما الخطا في قوله او اخطانا
فعلى وجهين ايضا احدهما ان ياتي العبد ما نهي عنه بقصد وارادة فذلك خطا منه وهو به ماخوذ
فيحسن طلب العفو والغفران لذلك الفعل الذي ارتكبه الوجه الثاني ان يكون الخطا على سبيل الجهل
والظن بان له فعله كمن ظن ان وقت الصلاة لم يدخل وهو في يوم غيم فاخرها حتى خرج وقتها فهذا من الخطا
الموضوع عن العبد لكن طلب العفو والغفران بسبب تقصيره وقوله ربنا ولا تحمل علينا اصرا يعني عهدا ثقيلا وميثاقا
غليظا فلا نستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه كما حملته على الذين من قبلنا يعني اليهود لم يقوموا به
فعذبتهم عليه وقيل معناه ولا تشدد علينا كما شددت على اليهود من قبلنا وذلك ان الله تعالى فرض
عليهم خمسين صلاة وامرهم باداء ربع اموالهم زكاة ومن اصاب منهم ثوبه نجاسة قطعها ومن اصاب ذنبا
اصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحو هذا من الاثقال والاغلال التي كانت عليهم فسال المسلمون ربهم ان
يضع عنهم امثال هذه التغليظات والعهود الثقيلة وقد اجاب الله تعالى دعاهم بفضله وخفف عنهم
بفضله وكرمه فقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وقيل الاصر ذنبا ولا توبة له فسال المومنون
ربهم ان يعصمهم من مثله ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به يعني لا تكلفنا من الاعمال ما لا نطيق القيام
به لثقل حمله علينا وتكليف ما لا يطاق على وجهين احدهما ما ليس في قدرة العبد احتماله كتكليف
الاعمى النظر والزمن العدو فهذا النوع من التكليف الذي لا يكلف الله به عبده بحال الوجه الثاني من
تكليف ما لا يطاق وهو ما في قدرة العبد احتماله مع المشقة الشديدة والكلفة العظيمة كتكليف
الاعمال الشاقة والفرايض الثقيلة كما كان في ابتدا الاسلام صلاة الليل واجبة ونحو ذلك فهذا الذي
سال المومنون ربهم ان لا يحملهم ما لا طاقة لهم به واستدل بهذه الاية من يقول ان تكليف ما لا
يطاق جايز اذ لو لم يكن جايزا لما حسن طلب تخفيفه بالدعا من الله تعالى وقيل في قوله ولا
تحملنا ما لا طاقة لنا به هو حديث النفس والوسوسة وقيل هو هيجان الغلمة وقيل هو
الحب وقيل هو شماتة الاعدا وقيل هو الفرقة والقطيعة وقيل هو مسخ القردة
والخنازير نعوذ بالله من ذلك كله واعف عنا اي تجاوز عن ذنوبنا وامحها عنا واغفر لنا اي استر
علينا ذنوبنا ولا تفضحنا وارحمنا اي تغمدنا برحمة ننجو بها من عقابك فانه ليس بناج
من عقابك الا من رحمته وقيل انا لا ننال العمل الا بطاعتك ولا نترك معصيتك الا
برحمتك واصل الرحمة رقة تقتضي الاحسان الى المرحوم واذا وصف بها الله تعالى فليس
يراد بها الا الاحسان المجرد والتفضيل على العباد دون الرقة وقيل ان طلب العفو هو ان
يسقط عنه عقاب ذنوبه وطلب المغفرة وهو ان يستر عليه صونا له من الفضيحة كان
العبد يقول اطلب منك العفو واذا عفوت عني فاستره علي فاذا عفى الله تعالى عن العبد
وستره طلب الرحمة التي هي الانعام والاحسان ليفوز بالنعيم والثواب انت مولانا اي ناصرنا
وحافظنا ووليّنا فانصرنا على القوم الكافرين يعني الجاحدين الذين عبدوا غيرك وجحدوا وحدانيتك

Copyright © King Saud University

قال ابن عباس في قوله تعالى غفرانك ربنا قال قد غفرت لكم وفي قوله لا تؤاخذنا ان نسينا
او اخطأنا قال لا اؤاخذكم ربنا ولا تحمل علينا اصرا قال لا احمل عليكم ولا تحملنا ما لا طاقة
لنا به قال ولا احمل عليكم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين
كان معاذ اذا ختم سورة البقرة قال امين م عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم عنده جبريل عليه السلام اذ سمع نقيضا من فوقه فرفع جبريل بصره الى السما فقال هذا باب
من السما فتح اليوم لم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل من السما لم ينزل قط
الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة
البقرة لن تقرا بحرف منهما الا اعطيته عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
الله كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام انزل فيه ايتين ختم بهما سورة البقرة
ولا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربه شيطان اخرجه الترمذي وقال حديث غريب اخر تفسير
سورة البقرة والله اعلم باسرار كتابه **تفسير سورة ال عمران** مدنيه وهي مايتا اية
وثلاثة الاف واربعماية وثمانون كلمة واربعة عشر الفا وخمسماية وعشرون حرفا بسم الله الرحمن
الرحيم قوله عز وجل الم الله لا اله الا هو الحي القيوم قال المفسرون نزلت هذه الاية في وفد نجران
وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم
منهم ثلاثة نفر اليهم يؤول امرهم وهم العاقب واسمه عبد المسيح وهو امير القوم وصاحب مشورتهم
الذي لا يصدرون الا عن رايه والسيد واسمه الايهم وهو القايم بما لهم وصاحب رحلهم الذي
يقوم بامر طعامهم وشرابهم وابو حارثة بن علقمة وهو اسقفهم وحبرهم وكان ملوك الروم يكرمونه
لما بلغهم عن علمه واجتهاده في دينه فدخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يصلي
العصر وعليهم ثياب الحبرات جبب واردية في جمال رجال بالحارث بن كعب يقول من راهم ما راينا
وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى الشرق فلما فرغوا كلم السيد والعاقب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلما قالا قد اسلمنا قبلك قال
كذبتما منعكما من الاسلام دعواكما لله ولدا وعبادتكما الصليب واكلكما الخنزير قالا ان لم يكن عيسى
ولد الله فمن ابوه وخاصموه جميعا في عيسى فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون انه
لا يكون ولد الا وهو يشبه اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى
يأتي عليه الموت قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شي يحفظه ويرزقه قالوا بلى
قال فهل يملك عيسى من ذلك شيا قالوا لا قال الستم تعلمون ان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شا
وربنا لا ياكل ولا يشرب قالوا بلى قال الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المراة ثم وضعته
كما تضع المراة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف
يكون الها كما زعمتم فسكتوا فانزل الله صدر سورة ال عمران الى بضع وثمانين اية منها ثم دعاهم
فقالوا يا محمد الست تزعم ان عيسى كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا فحسبنا ثم ابوا الا الجحود
فانزل الله ردا عليهم الم الله لا اله الا هو يعني ان كان عندكم يا معشر النصارى معرفة الاله
فهو الله لا اله الا هو فكيف تثبتون له ولدا فبين تعالى انه احد لا يستحق العبادة سواه

لانه

لانه الواحد الاحد ليس معه اله ولا له ولد ثم اتبع ذلك بما يجري مجرى الدلالة عليه تعالى فقال
الحي القيوم اما الحي في صفة الله تعالى فهو الدايم الباقي الذي لا يصح عليه الموت واما القيوم فهو
القايم بذاته والقايم بتدبير الخلق ومصالحهم فيما يحتاجون اليه في معايشهم ومعادهم نزل عليك
الكتاب يعني القران بالحق اي بالصدق والعدل مصدقا لما بين يديه يعني لما قبله من الكتب
في التوحيد والنبوات والاخبار وبعض الشرايع وقوله لما بين يديه من مجاز الكلام وذلك ان
ما بين يديه فهو امامه فقيل لكل شي تقدم على الشي هو بين يديه لغاية ظهوره واشتهاره وانزل
التوراة والانجيل من قبل اي من قبل القران **فان قلت** لم قيل نزل الكتاب
وانزل التوراة والانجيل جملة واحدة **قلت** لان القران نزل منجما مفصلا في اوقات
كثيرة ونزل هو للتكثير وانزل التوراة والانجيل جملة واحدة هدى للناس يعني ان انزال التوراة
والانجيل قبل القران كان هدى للناس **فان قلت** كيف وصف القران
في اول البقرة لانه هدى للمتقين ووصف هنا التوراة والانجيل بانهما هدى للناس
قلت انما وصف القران بانه هدى للمتقين بانهم هم الذين انتفعوا به واتبعوه
ووصف هنا التوراة والانجيل بانهما هدى للناس يعود الى الكتب الثلاثة يعني القران
المتقدم ذكره والتوراة والانجيل وانما وصف هذه الكتب بانها هدى للناس لما فيها من
الشرايع والاحكام وانزل الفرقان يعني الفارق بين الحق والباطل قيل اراد به القران وانما
اعاد ذكره ليبين انه تعالى انزله بعد التوراة والانجيل ليجعله فارقا بين ما اختلف فيه
اليهود والنصارى في امر عيسى عليه السلام وقيل المراد به الكتب الثلاثة لان كلها هدى للناس
ومفرقة بين الحلال والحرام والحق والباطل وقال السدي في الاية تقديم وتاخير تقديره
وانزل التوراة والانجيل والفرقان هدى للناس ان الذين كفروا بايات الله يعني الكتب المنزلة
وغيرها قيل اراد بهم نصارى وفد نجران كفروا بالقران وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان
خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ فهو يتناول كل من كفر بشي من ايات الله تعالى لهم عذاب شديد
والله عزيز اي غالب لا يغلب ذو انتقام يعني ممن كفر به والانتقام المبالغة في العقوبة
قوله عز وجل ان الله لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السما اي لا يخفى عليه شي من العالم وهو المطلع على احوالهم
فقوله ان الله لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السما اشارة الى كمال علمه المتعلق بجميع المعلومات
هو الذي يصوركم في الارحام التصوير جعل الشي على صورة والصورة هيية يكون عليها الشي بالتاليف
والارحام جمع رحم كيف يشا يعني الصور المختلفة ذكرا وانثى ابيض او اسود حسنا او قبيحا
كاملا او ناقصا والمعنى انه الذي يصوركم في ظلمات الارحام مختلفة في الشكل والطبع واللون
وذلك من نطفة وعن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
الصادق المصدوق ان احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم
يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث اليه ملكا باربع كلمات يكتب رزقه واجله وعمله وشقي او
سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه
وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل
اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها

Copyright © King Saud University

ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول اى رب نطفة اى رب علقة
اى رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضي خلقها قال يا رب اذكر ام انثى اشقي ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب
له ذلك في بطن امه وقيل ان الاية واردة على الرد على النصارى وذلك ان عيسى عليه السلام كان يخبر ببعض
الغيب فيقول اكلت في دارك كذا وصنعت كذا وانه احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص وخلق من الطين طيرا فادعت
النصارى فيه الالهية وقالوا ما قدر على ذلك الا انه اله فرد الله تعالى عليهم بذلك واخبر ان الاله المستحق
لهذا الاسم هو الذي لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السما وانه المصور في الارحام كيف يشا وان عيسى عليه السلام
ممن صور في الرحم فنبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد مخلوق كغيره وانه يخفى عليه ما لا يخفى على الله عز وجل
لا اله الا هو العزيز الحكيم وهذا ايضا في الرد على النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله كانه قال كيف يكون ولد الله
وقد صوره الله في الرحم قوله عز وجل هو الذي انزل عليك الكتاب يعني القران منه ايات محكمات يعني مبينات
مفصلات احكمت عباراتها من احتمال التاويل والاشتباه سميت محكمة من الاحكام كانه تعالى احكمها
فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها هن ام الكتاب يعني هن اصل الكتاب الذي يعول
عليه في الاحكام ويعمل بها في الحلال والحرام **فان قلت** كيف قال هن ام الكتاب ولم
يقل امهات الكتاب **قلت** لان الايات في اجتماعها وتكاملها كالاية الواحدة وكلام
الله كله شي واحد وقيل كل اية منهن ام الكتاب كما قال وجعلنا ابن مريم وامه اية يعني كل واحد منهما
اية واخر جمع اخرى متشابهات يعني ان لفظه يشبه لفظ غيره ومعناه يخالف معناه **فان قلت**
قد جعله هنا محكما ومتشابها فكيف الجمع بين هذه الايات وهو جعله كله متشابها فقال تعالى الله نزل احسن
الحديث كتابا متشابها وجعل كله محكما في قوله كتاب احكمت اياته فكيف الجمع بين هذه الايات
قلت حيث جعله كله محكما اراد ان كله حق وصدق ليس فيه عبث ولا هزل وحيث جعله كله
متشابها اراد ان بعضه يشبه بعضا في الحسن والصدق وحيث جعله هنا بعضه محكما وبعضه
متشابها فقد اختلفت عبارات العلما فيه فقال ابن عباس المحكمات الثلاث ايات التي في اخر سورة
الانعام وهي قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ونظيرها في بني اسرايل وقضى ربك الا تعبدوا
الا اياه الايات وعنه ان الايات المحكمة هي الناسخ والمتشابهات هي الايات المنسوخة
وبه قال ابن مسعود وقتادة والسدي وقيل ان المحكمات ما فيه احكام الحلال والحرام والمتشابهات
ما سوى ذلك يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا وقيل ان المحكمات ما اطلع الله عباده على
معناه والمتشابه ما استاثر الله بعلمه فلا سبيل لاحد الى معرفته نحو الخبر عن اشراط الساعة
مثل الدجال وياجوج وماجوج ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وفنا الدنيا
وقيام الساعة فجميع هذا مما استاثر الله بعلمه وقيل ان المحكم ما لا يحتمل من التاويل الا وجها واحدا
والمتشابه ما يحتمل اوجها وروي ذلك عن الشافعي وقيل ان المحكم سائر القران والمتشابه هي الحروف
المقطعة في اوائل السور قال ابن عباس ان رهطا من اليهود منهم حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف
ونظراوهما اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له حيي بلغنا انك انزل عليك الم فانشدك الله
انزل عليك قال نعم قال ان كان ذلك حقا فاني اعلم مدة ملك امتك هي احدى وسبعون سنة فهل
انزل عليك غيرها قال نعم المص فقال هذه اكثر هي احدى وستون ومائة فهل انزل عليك غيرها قال نعم
الر فقال هذه اكثر هي مائتان واحدى وثلاثون سنة فهل من غيرها قال نعم المر قال هذه اكثر هي مائتان

واحد

واحد وسبعون سنة ولقد خلط فلا ندري ابكثيره ناخذ ام بقليله ونحن ممن لا يومن بهذا فانزل الله
هذه الاية قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه وقيل ان المحكم ما لم يتكرر
لفظه والمتشابه ما تكررت الفاظه وقيل ان المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج الى بيان والمتشابه
ما احتاج الى بيان وقيل ان المحكم هو الامر والنهي والوعد والوعيد والمتشابه هو القصص
والامثال **فان قلت** انما نزل القران لبيان الدين وارشاد العباد وهدايتهم
فما فايدة المتشابه وهلا كان كله محكما **قلت** ذكر العلما عن هذا السوال اجوبة
احدها ان القران نزل بالفاظ العرب ولغاتهم وكلام العرب على ضربين الايجاز للاختصار والموجز الذي
لا يخفى على سامعه ولا يحتمل غير ظاهره ولا اطالة لبيان المراد والتوكيد الضرب الثاني المجاز
والكنايات والاشارات والتلويحات واغماض بعض المعاني وهذا الضرب هو المستحسن عند العرب
والبديع في كلامهم فانزل الله تعالى القران على هذين الضربين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله
فكانه قال عارضوه باي الضربين شيتم ولو نزل كله محكما واضحا لقالوا هلا انزل بما نستحسن
المستحسن عندنا الجواب الثاني ان الله تعالى انزل المتشابه لفايدة عظيمة وهي ان يشتغل
اهل العلم والنظر برده الى المحكم فيطول بذلك فكرهم ويتصل بالبحث عن معانيه اهتمامهم
فيثابون على تعبهم كما اثيبوا على عباداتهم ولو انزل القران كله محكما لاستوى في معرفته العالم
والجاهل ولم يفضل العالم على غيره ولماتت الخواطر وخمدت الفكرة ومع الغموض تقع الحاجة الى الفكرة
والحيلة الى استخراج المعاني وقد قيل في عيب الغني انه يورث البلادة وفي فضيلة الفقر انه يبعث
الى الحيلة لانه اذا احتاج احتال الجواب الثالث ان اهل كل علم يجعلون في علومهم معاني غامضة
ومسايل دقيقة ليختبروا بذلك اذهان المتعلمين منهم على انتزاع الجواب لانهم اذا قدروا على
انتزاع المعاني الغامضة كانوا على الواضح اقدر فلما كان ذلك حسنا عند العلما جاز ان يكون ما انزل
الله تعالى من المتشابه على هذا النحو الجواب الرابع ان الله تعالى انزل المتشابه في كتابه ليختبر
به عباده ليقف المومن عنده ويرد علمه الى عالمه فيعظم بذلك ثوابه ويرتاب به المنافق فيداخله
الزيغ فيستحق بذلك العقوبة كما ابتلى بني اسرايل بالنهر والله اعلم بمراده وقوله تعالى فاما الذين في
قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق وقيل الزيغ الشك واختلفوا في المعني بهم والمشار اليهم فقيل هم وفد
نجران الذين خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام وقالوا الست تزعم ان
عيسى روح الله وكلمته قال بلى قالوا حسبنا فانزل الله هذه الاية وقيل هم اليهود لانهم طلبوا
معرفة مدة بقا هذه الامة واستخراجه بحساب الجمل من الحروف المقطعة في اوايل السور
وقيل هم المنافقون وقيل هم الخوارج وكان قتادة يقول ان لم يكونوا الحرورية والسبايية
فلا ادري من هم وقيل هم جميع المبتدعة فيتبعون ما تشابه منه يعني يحيلون المحكم على المتشابه
والمحكم على المتشابه ويقولون ما بال هذه الاية عمل بها كذا وكذا ثم نسخت وقيل كل من احتج بالباطل
بالمتشابه فهو المعني بهذه الاية ق عن عايشة رضي الله عنها قالت تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات الى قوله وما يذكر الا اولوا الالباب فقال اذا رايتم
الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سماهم الله فاحذروهم وقوله تعالى ابتغا الفتنة اي
طلب الشرك والكفر وقيل طلب الشبهات واللبس حتى يضلوا اتباعهم وقيل طلب فساد ذات البين

Copyright © King Saud University

وابتغاء تأويله اي تفسيره واصل التأويل في اللغة المرجع والمصير تقول آل الامر الى كذا اذا رجع اليه
وتسمى العاقبة تأويلا لان الامر يصير اليه قال ابن عباس في قوله وابتغاء تأويله اي طلب بقاء ملك محمد
صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بهم الكفار طلبوا متى يبعثون وكيف احياهم بعد الموت وقيل هو طلب
تفسير المتشابه وعلمه وما يعلم تأويله الا الله يعني تأويل المتشابه وقيل لا يعلم انقضاء ملك هذه الامة الا
الله لان انقضاء ملكها مع قيام الساعة ولا يعلم ذلك الا الله وقيل يجوز ان يكون للقرآن تأويل استأثر
الله بعلمه لم يطلع عليه احدا من خلقه كعلم قيام الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال
ونزول عيسى بن مريم وعلم الحروف المقطعة واشباه ذلك مما استأثر الله بعلمه فالايمان به واجب
وحقائق علومه مفوضة الى الله تعالى وهذا قول اكثر المفسرين وهو مذهب ابن مسعود وابن
عباس في رواية عنه وابي بن كعب وعائشة واكثر التابعين فعلى هذا القول تم الكلام عند
عند قوله الا الله فيوقف عليه ثم ابتدأ فقال عز من قائل والراسخون في العلم يعني الثابتون في العلم
وهم الذين اتقنوا علمهم بحيث لا يدخل في علمهم شك يقولون آمنا به قال ابن عباس سماهم الله راسخين في العلم
بقولهم آمنا به فرسوخهم في العلم هو الايمان به وقال عمر بن عبد العزيز في هذه الآية انتهى علم الراسخين
في العلم بتأويل القرآن الى ان قالوا آمنا به كل من عند ربنا يعني المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما
علمنا به وما لم نعلم نحن معتقدون في المتشابه بالايمان به ونكل معرفته الى الله تعالى وفي المحكم يجب
علينا الايمان به والعمل بمقتضاه وروي عن ابن عباس انه قال تفسير القرآن على اربعة اوجه تفسير
لا يسع احدا جهله وتفسير تعرفه العرب بالسنتها وتفسير تعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله
وقيل ان الواو في قوله والراسخون في العلم واو عطف يعني ان تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه
الراسخون في العلم وهم مع علمهم يقولون آمنا به وروي عن ابن عباس انه كان يقول انا من الراسخين
في العلم وعن مجاهد عنه انا ممن يعلم تأويله ووجه هذا القول ان الله تعالى انزل كتابه لينتفع
به عباده ولا يجوز ان يكون في القرآن شيء لا يعرفه احد من الامة وفي المراد بالراسخين في العلم هنا قولان
احدهما انهم مؤمنوا اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه بدليل قوله تعالى لكن الراسخون في
العلم منهم والقول الثاني ان الراسخين هم العلماء العاملون بعلمهم سئل انس بن مالك عن الراسخين
في العلم فقال العالم العامل بما علم المتبع له وقيل الراسخ في العلم من وجد في علمه اربعة اشياء التقوى
فيما بينه وبين الله والتواضع فيما بينه وبين الناس والزهد فيما بينه وبين الدنيا والمجاهدة فيما
بينه وبين النفس وما يذكر الا اولوا الالباب اي وما يتعظ بما في القرآن الا ذووا العقول وهذا ثناء من
الله عز وجل على الذين قالوا آمنا به كل من عند ربنا قوله عز وجل ربنا لا تزغ قلوبنا اي ويقول
الراسخون في العلم ربنا لا تزغ قلوبنا اي لا تملها عن الحق والهدى كما ازغت قلوب الذين في قلوبهم
زيغ بعد اذ هديتنا اي وفقتنا لدينك والايمان بالمحكم والمتشابه من كتابك وهب لنا من لدنك رحمة
اي اعطنا توفيقا وتثبيتا للذي نحن عليه من الايمان وقيل هب لنا تجاوزا ومغفرة انك انت
الوهاب الهبة العطية الخالية عن الاعواض والاغراض والوهاب في صفة الله تعالى انه يعطي
كل احد على قدر استحقاقه م عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قلوب بني آدم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك هذا من احاديث

الصفات

الصفات وللعلماء فيه قولان احدهما الايمان به وامراره كما جاء من غير تعرض لتأويل ولا تكييف ولا
لمعرفة معناه بل نؤمن به وانه حق ونكل علمه الى مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هذا القول هو مذهب
اهل السنة من سلف الامة وخلفها من اهل الحديث وغيرهم والقول الثاني انه يتأول بحسب ما يليق به
وان ظاهره غير مراد فان الله تعالى ليس كمثله شيء فعلى هذا المراد هو المجاز كما يقال فلان في قبضتي وفي كفي
يعني انه تحت قدرته وفي تصرفه لا انه حال في كفه فمعنى الحديث انه سبحانه وتعالى متصرف في قلوب
عباده وغيرها كيف شاء لا يمتنع عليه منها شيء ولا يفوته ما اراده منها كما لا يمتنع على الانسان ما بين
اصبعيه فخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بما يفهمونه ويعلمونه من انفسهم وانما ثنى
لفظ الاصبعين والقدرة واحدة لانه جرى على المعهود من التمثيل بحسب ما اعتادوه وان كان
غير مقصود به التثنية او الجمع وهذا مذهب جمهور المتكلمين وغيرهم من المتأخرين وانما خص القلوب
بالذكر لغاية وهي ان الله تعالى جعل القلوب محلا للخواطر والارادات والنيات وهي مقدمات
الافعال ثم جعل سائر الجوارح تابعة للقلوب في الحركات والسكنات والله اعلم قوله عز وجل ربنا انك
جامع الناس ليوم لا ريب فيه اي تجمعهم للقضاء وقيل اللام بمعنى في اي في يوم لا ريب فيه اي لا شك فيه انه
كائن وهو يوم القيامة ان الله لا يخلف الميعاد هذا من بقية دعاء الراسخين في العلم وذلك لانهم لما طلبوا
من الله تعالى ان يصرف قلوبهم عن الزيغ وان يخصهم بالهداية والرحمة وذلك من مصالح الدين والدنيا
ثم انهم استعاذوا لك بقولهم ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ومعناه انا نعلم انك جامع الناس
للجزاء في يوم القيامة ونعلم ان وعدك حق وانك لا تخلف الميعاد فمن زاغ قلبه فهو هالك ومن مننت
عليه بالهداية والرحمة فهو ناج من العقاب سعيد قوله عز وجل ان الذين كفروا يعني برسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم قريظة والنضير لن تغني اي لن تدفع ولن تنفع عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله شيئا اي من عذاب الله شيئا وقيل من بمعنى عند اي عند الله شيئا واولئك هم وقود
النار كدأب آل فرعون قال ابن عباس كفعل آل فرعون وصنيعهم في الكفر وقيل كسنة آل فرعون وقيل
كعادة آل فرعون والمعنى ان عادة هؤلاء الكفار كعادتهم في تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجحود الحق كعادة آل فرعون فانهم كذبوا موسى وصدقوا فرعون والذين من قبلهم يعني كفار الامم
الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم كذبوا بآياتنا لما جاءتهم بها الرسل فاخذهم الله بذنوبهم اي فعاقبهم الله
بسبب تكذيبهم والله شديد العقاب وقيل في معنى الآية ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا
اولادهم عند حلول النقمة والعقوبة مثل آل فرعون وكفار الامم الخالية فاخذناهم فلم تغن عنهم اموالهم
ولا اولادهم قوله عز وجل قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون قرئ بالتاء والياء فمن قرأ بالياء المنقوطة تحت
فمعناه بلغهم يا محمد انهم سيغلبون ويحشرون ومن قرأ بالتاء المنقوطة فوق فقل لهم ستغلبون
وتحشرون الى جهنم قيل اراد بالذين كفروا مشركي قريش والمعنى قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر
وتحشرون في الآخرة الى جهنم لما نزلت هذه الآية قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله
غالبكم وحاشركم الى جهنم وقيل ان ابا سفيان جمع جماعة من قومه بعد وقعة بدر فانزل الله هذه
الآية وقيل ان هذه الآية نزلت في اليهود قال ابن عباس ان يهود المدينة قالوا لما هزم رسول الله صلى
الله عليه وسلم المشركين يوم بدر هذا والله النبي الذي بشرنا به موسى لا ترد له راية وارادوا اتباعه
ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى ننظر وقعة اخرى فلما كان يوم احد ونكب اصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم شكوا وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه
وسلم عهد الى مدة فنقضوا العهد وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى مكة ليستنفرهم فاجمعوا
امرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وقال ابن عباس وغيره لما اصاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال يا معشر
اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل تجدون
ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة وانا والله لو
قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فانزل الله عز وجل قل للذين كفروا ستغلبون اي تهزمون وتحشرون يعني
في الاخرة الى جهنم **وبئس المهاد** اي الفراش والمهد والمعنى بئس ما مهد لكم في النار قوله عز وجل **قد كان لكم اية
في فئتين التقتا** قيل الخطاب للمؤمنين يروى ذلك عن ابن مسعود والحسن وقيل هو خطاب لاهل
لكفار مكة فيكون عطفا على الذي قبله فيخرج على قول ابن عباس وقيل هو خطاب لليهود وقاله ابن
جرير **فان قلت** لم قال قد كان لكم اية ولم يقل قد كانت لان الاية مؤنثة
قلت كما ليس بمؤنث حقيقي يجوز تذكيره وقيل انه رد المعنى الى البيان فمعناه
قد كان لكم بيان فذهب الى المعنى وترك اللفظ وقال الفراء انما ذكر لانه حالت الصفة بين الفعل والاسم
المؤنث فذكر الفعل وكل ما جاء من هذا فهذا وجهه ومعنى الاية قد كان لكم اية اي عبرة ودلالة على صدق
ما اقول لكم ستغلبون في فئتين اي فرقتين واصلها في الحرب لان بعضهم يفيء الى بعض اي يرجع التقتا يعني
يوم بدر **فئة تقاتل في سبيل الله** اي في طاعة الله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وكانوا ثلثمائة
وثلاثة عشر رجلا من الانصار والمهاجرين وكان صاحب راية المهاجرين علي بن ابي طالب وصاحب راية
الانصار سعد بن عبادة وكان فيهم سبعون بعيرا وفرسان وكان معهم من السلاح ستة ادرع وثمانية
سيوف وقوله تعالى **واخرى كافرة** اي وفرقة اخرى كافرة وهم مشركوا مكة وكانوا تسعمائة وخمسون
رجلا من المقاتلة وكان رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان فيهم مائة فرس وكانت وقعة بدر
اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقوله تعالى **يرونهم مثليهم** قرئ بالتاء
يعني ترون يا اهل مكة ضعفي المسلمين وقيل الخطاب لليهود وذلك ان جماعة من اليهود كانوا قد حضروا قتال بدر لينظروا
على من تكون الدبرة ولمن النصر فراوا المشركين مثلي عدد المسلمين وراوا النصر للمسلمين فكان ذلك معجزة وقرئ يرونهم
بالياء واختلفوا في وجه قراءة الياء فجعل بعضهم الرؤية للمسلمين وراوا مثليهم وانما كانوا ثلاثة امثالهم قلت هذا مثل
قول الرجل وعنده درهم انا محتاج الى مثلي هذا الدرهم يعني الى مثليه سواه فيكون ثلاثة دراهم ووجه اخر وهو
ان الله تعالى اظهر للمسلمين من عدد المشركين القدر الذي يعلم المؤمنون انهم يغلبونهم لازالة الخوف من قلوبهم وهذا
التاويل الثاني هو الاصح فقلل الله المشركين في اعين المسلمين حتى راوهم مثليهم **فان قلت**
كيف الجمع بين قوله تعالى يرونهم مثليهم وبين قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في
اعينهم وكيف يقال ان المشركين استكثروا المسلمين وان المسلمين استكثروا المشركين وان الفئتين
تساويا فما استقلال احدهما الاخرى **قلت** ان التقليل والتكثير في حالتين مختلفتين
فان قيل ان الفئة الرائية هم المسلمون فانهم راوا عدد المسلمين عند ابتداء القتال على ما هم
عليه ثم قلل الله المشركين في اعين المسلمين حتى اجترؤا عليهم فصبروا على قتالهم بذلك السبب قال ابن
مسعود نظرنا الى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم رأيناهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا

وفي

وفي رواية اخرى عنه قال لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا
منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال الفا وان قلنا ان الفئة الرائية هم المشركون على قول بعضهم ان الرؤية راجعة الى المشركين
يعني يرى المشركون المسلمين مثليهم فقلل الله المسلمين في اعين المشركين في اول القتال ليجترؤا عليهم ولا ينصرفوا فلما
اخذوا في القتال كثر الله المسلمين في اعين المشركين ليجبنوا فيكون ذلك سبب خذلانهم وقد روي ان المشركين
لما اسروا يوم بدر قالوا للمسلمين كم كنتم قالوا كنا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا قالوا يعني المشركين ما كنا نراكم الا
تضعفون علينا فكان في وقعة بدر احوال في التكثير والتقليل وما ذلك الا اظهارا للقدرة التامة
وقوله تعالى **راي العين** اي في راي العين **والله يؤيد** اي يقوي **بنصره من يشاء ان في ذلك** يعني الذي ذكر من
النصر وقيل رؤية الجيش مثليهم **لعبرة** اي لاية والعبرة الدلالة الموصلة الى اليقين المؤدية
الى العلم واصلها من العبور كانه طريق يعبر به فيوصلهم الى مرادهم وقيل العبرة هي التي يعبر منها
من منزلة الجهل الى منزلة العلم **لاولي الابصار** لذوي العقول والبصائر قوله عز وجل **زين للناس**
قال اهل السنة المزين هو الله تعالى لانه تعالى خالق جميع افعال العباد ولان الله تعالى خلق
جميع ملاذ الدنيا واباحها العبيد واباحتها للعبد تزيين لها قال الله تعالى هو الذي خلق لكم ما في
الارض جميعا وقال تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق وقال
تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها وقال تعالى كلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا فكل ذلك
يدل على ان المزين هو الله تعالى ومما يؤكد ذلك قراءة مجاهد زين بفتح الزاي على تسمية الفاعل
وقال الحسن المزين هو الشيطان وهو قول طائفة من المعتزلة ويدل على ذلك ان الله تعالى
زهد في هذه الاشياء بان اعلم عباده زوالها ولان الله تعالى اطلق حب الشهوات فيدخل فيه
الشهوات المحرمة والمزين لذلك هو الشيطان ولان الله تعالى ذكر هذه الاشياء في معرض
الذم للدنيا ويدل عليه اخر الاية وهو قوله تعالى والله عنده حسن الماب ونقل عن
ابي علي الجبائي من المعتزلة انه قال ما كان من هذه الاشياء حراما كان المزين له هو الشيطان وكل ما كان مباحا من ذلك
كان المزين له هو الله تعالى والصحيح ما ذهب اليه اهل السنة لان الله خالق كل شيء ولا
شريك له في ملكه وقوله تعالى **حب الشهوات** يعني المشتهيات لان الشهوة توقان النفس الى
الشيء المشتهى **من النساء** انما بدا بذكر النساء لان الالتذاذ بهن اكثر والاستيناس بهن اتم
ولانهن حبائل الشيطان واقرب الى الافتتان **والبنين** انما خص البنين بالذكر لان حب
الولد الذكر اكثر من حب الانثى ووجه ذلك ظاهر لانه يتكثر به ويعضده ويقوم مقامه
وقد جعل الله تعالى في قلب الانسان حب الزوجة والولد لحكمة بالغة وهي بقاء التوالد
ولولا تلك المحبة لما حصل ذلك **والقناطير المقنطرة** جمع قنطار وسمي قنطارا من الاحكام والعقد
يقال قنطرت الشيء اذا احكمته ومنه القنطرة اي المحكمة الطاق واختلفوا في القنطار هل هو
محدود او غير محدود على قولين احدهما انه محدود ثم اختلفوا في حده فروي عن معاذ بن جبل
ان القنطار الف ومائتا اوقية وقال ابن عباس الف ومائتا مثقال وعنه اثنا عشر الف درهم
او الف دينار دية احدكم وبه قال الحسن وقال سعيد بن جبير هو مائة الف ومائة من ومائة
رطل ومائة مثقال ومائة درهم ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا وقال
سعيد بن المسيب وقتادة هو ثمانون الفا وقال مجاهد سبعون الفا وقال السدي

Copyright © King Saud University

هو اربعة آلاف مثقال والقول الثاني ان القنطار ليس بمحدود قال الربيع بن انس القنطار المال الكثير
بعضه على بعض وروي عن ابي عبيدة انه حكى عن العرب ان القنطار وزن لا يحد وهو اختيار
ابن جرير الطبري وغيره وقال الحاكم القنطار ما بين السماء والارض من مال وقال ابو نضرة القنطار
ملء مسك ثور ذهبا او فضة وقال القنطار من المال ما فيه عبور الحياة تشبيها بعبور القنطرة
المقنطرة اي المجموعة وقيل المضاعفة لان القناطير جمع واقله ثلاثة والمقنطرة المضاعفة
فيحتمل ان يكون ستة او تسعة وقيل المقنطرة المسكوكة المنقوشة من الذهب والفضة انما بدا بهما
من بين سائر اصناف الاموال لانهما قيم الاشياء فانما كانا محبوبين لان المالك لهما مالك
قادر على ما يريده وهي صفة كمال وهي محبوبة وقيل سمي الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى والفضة
لانها تنفض اي تتفرق والخيل المسومة الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط سميت
الافراس خيلا لاختيالها في مشيها وقيل لان الخيل لا يركبها احد الا وجد في نفسه مخيلة يعني عجبا
واختلفوا في معنى المسومة على ثلاثة اقوال القول الاول انها الراعية يقال اسمت الدابة
وسومتها اذا ارسلتها في المرعى والمقصود انها اذا رعيت ازداد حسنها والقول الثاني انها من السمة
وهي العلامة ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في تلك العلامة فقيل هي الغرة والتحجيل التي تكون
في الخيل وقيل هي الخيل البلق وقيل هي المعلمة بالكي والقول الثالث انها المضمرة الحسان وتسويمها
حسنها والانعام جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم الا للابل خاصة فانه
غلب عليها والحرث يعني الزرع ذلك يعني ذلك الذي ذكر من هذه الاصناف متاع الحياة الدنيا يعني الذي
يستمتع به في الحياة الدنيا وهي زائلة فانية تشبيها الى ان الحياة الدنيا متاع يفنى والله عنده
حسن المآب اي المرجع فيه اشارة الى التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة وقيل فيه اشارة
الى ان من آتاه الله الدنيا كان الواجب عليه ان يصرفها فيما يكون فيه صلاحه في الآخرة لانها السعادة
القصوى قوله عز وجل قل اؤنبئكم اي اخبركم بخير من ذلكم يعني الذي ذكر من متاع الدنيا للذين اتقوا قال
ابن عباس في رواية عنه يريد المهاجرين والانصار والتابعين بعدهم ويشوقهم الى الآخرة قال العلماء
ويدخل في هذا الخطاب كل من اتقى الشرك عند ربهم معناه انه تعالى اخبر ان ما عنده خير مما كان في الدنيا
وان كان محبوبا فحثهم على ترك ما يحبون لما يرجون ثم فسر ذلك الخير فقال تعالى جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله ق عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله في يديك
فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم
افضل من ذلك فيقولون واي شيء افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده
ابدا وقيل ان العبد اذا علم ان الله قد رضي عنه كان انفس لسروره واعظم لفرحه والله بصير بالعباد
يعني ان الله تعالى عالم بمن يؤثر ما عنده ممن يؤثر شهوات الدنيا فيجازي كلا على عمله فيثيب ويعاقب
على قدر الاعمال وقيل ان الله تعالى بصير بالذين اتقوا فاعد لهم الجنات قوله عز وجل الذين يقولون
ربنا اننا آمنا اي صدقنا فاغفر لنا ذنوبنا اي استر علينا وتجاوز عنا وقنا عذاب النار قوله عز وجل
الصابرين يعني على اداء الواجبات وعن المحرمات والمنهيات وفي البأساء والضراء وحين البأس وقيل الصابرين
على دينهم وعلى ما اصابهم والصادقين يعني في ايمانهم وقال قتادة هم قوم صدقت نياتهم واستقامت

السنتهم

السنتهم وقلوبهم في السر والعلانية فالصدق يكون في القول والافعال والنية فاما الصدق في القول فهو
مجانبة الكذب واما الصدق في الفعل فهو عدم الانصراف عنه قبل اتمامه والصدق في النية العزم على
الفعل حتى يبلغه والقانتين يعني المطيعين لله وقيل هم المصلون وهو عبارة عن دوام الطاعة والمواظبة
عليها والمنفقين يعني اموالهم في طاعة الله تعالى ويدخل فيه نفقة الرجل على نفسه وعلى اهله واقاربه
وصلة رحمه وفي الزكاة والنفقة في جميع القربات والمستغفرين بالاسحار يعني المصلين بالسحر وهو
الوقت بعد ثلثي الليل الى طلوع الفجر وقيل [illegible] الليل حتى اذا كان وقت السحر اخذوا في الدعاء
والاستغفار فكان هذا دابهم في ليلهم قال نافع كان ابن عمر يحيي الليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فيقول لا
فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم قعد يستغفر ويدعو حتى يصبح ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له
من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له [illegible] انا الملك انا الملك [illegible] الذي يدعوني [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] والسنة [illegible] بالاسحار [illegible]
[illegible] انهم يستغفرون بالاسحار وروي عن لقمان انه قال لابنه
يا بني لا تكن اعجز من هذا الديك يصوت بالاسحار وانت نائم على فراشك وقيل هم الذين يصلون صلاة
الصبح في جماعة فعلى هذا القول انما سميت الصلاة استغفارا لانهم طلبوا بفعلها المغفرة قوله
عز وجل شهد الله انه لا اله الا هو سبب نزول هذه الآية ان حبرين من احبار الشام قدما على النبي
صلى الله عليه وسلم فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي
الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة فقالا له انت محمد قال
نعم قالا وانت احمد قال نعم قالا انا نسالك عن شيء فان انت اخبرتنا به آمنا بك وصدقناك قال سلاني
قالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فانزل الله هذه الآية فاسلما الحبران وقيل ان هذه الآية
نزلت في نصارى نجران فيما ادعوا في عيسى عليه السلام فقوله تعالى شهد الله يعني بين واظهر لان معنى
الشهادة تبيين واظهار وقيل معنى شهد الله حكم الله وقضى وقيل معناه اعلم الله انه لا اله الا هو وذلك
بيان الدلائل لما امكن التوصل الى معرفة الوحدانية فهو تعالى ارشد عباده الى معرفة توحيده بما بين من
عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته سئل بعض الاعراب ما الدليل على وجود الصانع فقال ان البعرة تدل
على البعير وآثار القدم تدل على المسير فهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة اما يدلان
على وجود الصانع الخبير قال ابن عباس خلق الله تعالى الارواح قبل الاجساد باربعة آلاف سنة وخلق
الارزاق قبل الارواح باربعة آلاف سنة فشهد لنفسه بنفسه قبل خلق الخلق حين كان ولم تكن

سماوات والارض والبحر فقال الله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة اى وتشهد الملائكة تعني شهادة الله الاخبار
والاعلام ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الاقرار والاعتراف بانه لا اله الا هو [illegible] واحد من هذين الامرين
[illegible] الشهادة [illegible] واولوا العلم اى وشهد اولوا العلم بانه لا اله الا هو واختلفوا في اولي العلم فقيل هم الانبيا
عليهم السلام لانهم اعلم الخلق بالله تعالى وقيل هم علما اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين
والانصار وقيل هم علما مؤمني اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم علما جميع المؤمنين
قائما بالقسط اى بالعدل نصب على الحال والقطع او المدح ومعناه انه تعالى قائم بتدبير خلقه كما يقال
فلان قائم بامر فلان يعني انه مدبر له ومتعهد لاسبابه وفلان قائم بحق فلان اى [illegible]
[illegible] لا اله الا هو [illegible] وقيل ان الاول وصف وتوحيد والثاني [illegible]
[illegible] العزيز [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم وانا
اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام
قالها مرارا فقلت سمع فيها شيئا فصليت الصبح معه وودعته فقلت له اني سمعتك ترددها
فما بلغك فيها قال والله لا احدثك بها الى سنة فكتبت على بابه ذلك اليوم واقمت سنة فلما مضت
السنة قلت يا ابا محمد قد مضت السنة فقال حدثني ابو وائل عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل ان لعبدي هذا عندي
عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة قوله عز وجل ان الدين عند الله الاسلام قال الكلبي
نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام [illegible] وما اختلف الذين اوتوا الكتاب [illegible]
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما جاءهم العلم يعني بيان نعته وصفته في كتبهم وقال الربيع
ان موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلا من احبار بني اسرائيل فاودعهم التوراة
واستخلف يوشع بن نون فلما مضى القرن الاول [illegible] وقع الفرقة والاختلاف
بينهم وهم الذين اوتوا الكتاب [illegible] حتى اهرقوا الدماء ووقع الشر
والاختلاف وذلك من بعد ما جاءهم العلم يعني بيان ما في التوراة من الاحكام بغيا بينهم اى طلبا
للملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة وقيل نزلت في نصارى نجران ومعناه وما اختلف

الذين

الذين اوتوا الكتاب يعني الانجيل واختلافهم كان في امر عيسى عليه السلام وما ادعوا فيه من الالهية الا
من بعد ما جاءهم العلم يعني بان الله تعالى واحد احد وان عيسى عبده ورسوله بغيا بينهم يعني المعاداة
والمخالفة ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب [illegible] عيسى عبده [illegible] على الكفر من اليهود
والنصارى الذين جحدوا [illegible] محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل فان حاجوك اى خاصموك يا محمد
في الدين وذلك ان اليهود والنصارى قالوا [illegible] يا محمد انما اليهودية والنصرانية
نسب والدين هو الاسلام ونحن عليه فقال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان يحتج عليهم بانه
لمتبع امر الله الذي هم مقرون به بقوله فقل اسلمت وجهي لله اى انقدت لله وحده بقلبي ولساني وجميع جوارحي وانما
خص الوجه بالذكر لانه اشرف جوارح الانسان [illegible]
[illegible]
[illegible] وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين يعني مشركي العرب
ءاسلمتم [illegible] فان اسلموا فقد اهتدوا [illegible]
[illegible] هذه الاية قال اهل الكتاب [illegible]
[illegible] فانما عليك البلاغ
[illegible]
[illegible]
[illegible] وهذا منسوخ باية السيف
والله بصير بالعباد [illegible] قوله عز وجل ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق يعني
[illegible] ويقتلون الذين يامرون
بالقسط من الناس [illegible] بني اسرائيل [illegible] باحكام التوراة
فكانوا يذكرون قومهم فيقتلون انبيائهم فيقوم رجال ممن تبعهم وصدقهم فيذكرونهم ويامرونهم
بالمعروف وينهونهم عن المنكر فيقتلونهم ايضا فهم الذين يامرون بالقسط يعني بالعدل من الناس وروى البغوي
بسنده الثعلبي عن ابي عبيدة بن الجراح قال قلت يا رسول الله اى الناس اشد عذابا يوم القيامة قال رجل
قتل نبيا او رجلا امر بالمنكر ونهى عن المعروف ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون النبيين
بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس الى ان انتهى الى قوله وما لهم من ناصرين ثم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من
اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا من قتلهم بالمعروف
ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعا من اخر النهار في ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله في كتابه وانزل الاية
فيهم فبشرهم بعذاب اليم انما دخلت الفا في قوله فبشرهم مع انه خبر ان لانه في معنى الجزاء تقديره
من كفر فبشرهم بعذاب اليم يوم القيامة وهذا محمول على الاستعارة وهو ان انذار الكفار بالعذاب
قام مقام بشرى المحسنين بالثواب وفي هذه الاية توبيخ لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وان كان اسلافهم الذين قتلوا الانبيا لانهم رضوا بفعلهم اولئك الذين حبطت اى
بطلت اعمالهم في الدنيا والاخرة وبطلان العمل هو انه لا ينتفع به في الدنيا ولا يجازى عليه في الاخرة وما
لهم من ناصرين يعني يمنعونهم من العذاب قوله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب نزلت في اليهود

يدعون الى كتاب الله يعني القرآن وذلك ان اليهود دعوا الى حكم القرآن فاعرضوا عنه قال ابن عباس ان الله جعل
القرآن حكما فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم القرآن على اليهود والنصارى انهم على غير الهدى
فاعرضوا عنه وروى عن ابن عباس ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدارس على جماعة من اليهود
فدعاهم الى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت يا محمد فقال على ملة ابراهيم
قالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا الى التوراة فهي بيننا وبينكم فابيا عليه
فانزل الله هذه الاية فعلى هذا القول يكون المراد بكتاب الله التوراة وروى عنه ايضا ان رجلا وامراة من
اهل خيبر زنيا وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا امرهما الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورجوا ان تكون عنده رخصة فحكم عليهما بالرجم فقال له النعمان بن اوفى وبحري بن عمرو جرت عليهما يا محمد
وليس عليهما الرجم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التوراة فقالوا قد انصفت فقال
من اعلمكم بالتوراة فقالوا رجل اعور يقال له عبد الله بن صوريا يسكن فدك فارسلوا اليه فقدم المدينة
وكان جبريل قد وصفه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا
قال نعم قال انت اعلم اليهود بالتوراة قال كذلك يزعمون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة
وقال له اقرأ فلما اتى على اية الرجم وضع يده عليها وقرأ ما بعدها فقال عبد الله بن سلام يا رسول
الله قد جاوزها فقام فرفع كفه عنها وقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود وفيها ان المحصن
والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت المراة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك فانزل الله عز وجل الم
تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني علما من التوراة يدعون الى كتاب الله يعني القرآن او
التوراة على اختلاف الروايتين ليحكم بينهم اي ليقضي بينهم وانما قال الحكم الى الكتاب هو على سبيل المجاز
ثم يتولى فريق منهم يعني الرؤساء والعلماء وهم معرضون يعني عن الحق وقيل الذين تولوا هم العلماء والذين اعرضوا هم
الاتباع ذلك بانهم يعني ذلك التولي والاعراض انما حصل بسبب انهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما
معدودات تقدم تفسيره في سورة البقرة وغرهم اي واطمعهم في دينهم ما كانوا يفترون اي
يختلقون ويكذبون قيل هو قولهم نحن على الحق وانتم على الباطل فكيف اذا جمعناهم اي فكيف يكون
حالهم اذا جمعناهم ليوم اي في يوم لا ريب فيه اي لا شك فيه انه كائن وواقع وهو يوم القيامة
وفيه تهديد لهم واستعظام لما اعد لهم في ذلك اليوم وانهم يقعون فيما لا حيلة لهم فيه وان ما حدثوا به
انفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وطمع فيما لا يكون ولا يحصل لهم قيل اول راية ترفع لاهل الموقف
من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم على رؤوس الاشهاد ثم يؤمر بهم الى النار ووفيت كل نفس
ما كسبت وهم لا يظلمون اي لا ينقص من حسناتهم ان كانت لهم حسنة ولا يزاد على سيئاتهم قوله عز
وجل قل اللهم مالك الملك قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم سال ربه عز وجل ان يجعل
ملك فارس والروم في امته فانزل الله هذه الاية وقال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه
وسلم مكة ووعد امته ملك فارس والروم قالت المنافقون واليهود هيهات هيهات من
اين لمحمد ملك فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك الم يكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع في ملك
فارس فانزل الله هذه الاية وقيل ان اليهود قالوا والله لا نطيع رجلا جاء بنقل النبوة من بني اسرائيل
الى غيرهم فنزلت هذه الاية قل اللهم معناه يا الله فلما حذف حرف النداء زيد الميم في اخره وقيل ان الميم

يختلقونه واحاديث وقيل هو قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات وقيل غرهم هو قولهم ح

فيه

فيه معنى اخر وهو يا الله امنا بخير اي اقصدنا يا مالك الملك اي ملك العباد وما ملكوا وقيل مالك ملك السموات
والارض وقيل معناه بيده الملك يؤتيه من يشا وقيل معناه ملك الملوك ووارثهم يوم لا يملك الملك
احد غيره وفي بعض كتب الله المنزلة ان الله ملك الملوك ومالك الملك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان
العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان هم عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك
ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وقيل المالك هو القادر التام والملك هو القادر والمعنى انه تعالى قادر على
كل شي ومالك على كل مالك ومملوك وقادر وقيل معناه مالك الملك اي جنس الملك يتصرف فيه كيف يشا
تؤتي الملك من تشا يعني النبوة لانها اعظم مراتب الملك وذلك لان النبي له الامر على بواطنهم وظواهرهم
والملك ليس له الامر الا على ظواهرهم بعض الخلق وهو من يطيعه منهم وطاعة النبي واجبة على الكافر
وتنزع الملك ممن تشا يعني بذلك نزع النبوة من بني اسرائيل واتيانها محمدا صلى الله عليه وسلم فانه لا نبي بعده
ولم يشركه في نبوته ورسالته احد وقيل تؤتي الملك من تشا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه
وتنزع الملك ممن تشا يعني فارس والروم وقيل تؤتي الملك يعني ادم وذريته وتنزع الملك ممن تشا
يعني ابليس وجنوده الذين كانوا في الارض قبل ادم وتعز من تشا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة
والرسالة وتذل من تشا يعني اليهود باخذ الجزية منهم ونزع النبوة عنهم وقيل تعز المهاجرين والانصار
وتذل فارس والروم وقيل تعز من تشا يعني محمدا واصحابه دخلوا مكة في عشرة الاف ظاهرين عليها
وتذل من تشا يعني ابا جهل واصحابه حين قتلوا والقوا في قليب بدر يوم بدر وقيل تعز من تشا بالطاعة
وتذل من تشا بالمعصية وقيل تعز من تشا بالغنى وتذل من تشا بالفقر وقيل تعز من تشا بالقناعة
والرضا وتذل من تشا بالحرص والطمع بيدك الخير يعني النصر والغنيمة وقيل الالف واللام تفيد
العموم والمعنى بيدك كل الخيرات **فان قلت** كيف قال بيدك الخير دون الشر
قلت لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الله تعالى الى عباده المؤمنين وهو الذي انكرته
اليهود والمنافقون فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم اعدائك وقيل ان قوله بيدك الخير لا ينافي
ان يكون بيده غيره فيكون المعنى بيدك الخير وبيدك ما سواه الا انه خص الخير بالذكر لانه المنتفع به
والمرغوب فيه انك على كل شي قدير يعني من ايتاء الملك على من تشا واعزاز من تشا قوله عز وجل تولج
الليل في النهار الاية لما ذكر الله تعالى انه مالك الملك اردفه بذكر قدرته الباهرة في حال الليل والنهار في
المعاقبة بينهما وحال اخراج الحي من الميت ثم عطف عليه انه يرزق من يشا بغير حساب وفي ذلك
دلالة على انه من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة لذوي الافهام والعقول فقادر ان ينزع الملك من
فارس والروم واليهود ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم فقوله تعالى تولج الليل في النهار يعني تدخل
الليل في النهار وهو ان تجعل الليل قصيرا وما نقص منه زائدا في النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة
وذلك غاية طول النهار ويكون الليل تسع ساعات وذلك غاية قصر الليل وتولج النهار في الليل
حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة وذلك غاية طوله ويكون النهار تسع ساعات وذلك غاية قصره
وقيل المراد انه تعالى ياتي بسواد الليل عقيب ضوء النهار ويأتي بضوء النهار عقيب ظلمة الليل والقول
الاول هو اقرب لمعنى الاية لانه اذا نقص الليل كان ذلك القدر زيادة في النهار وبالعكس وهو
معنى الولوج وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي يعني انه تعالى يخرج الانسان الحي من النطفة
وهي ميتة ويخرج النطفة من الانسان ويخرج الفرخ وهو حي من البيضة وهي ميتة وبالعكس وكذلك

Copyright © King Saud University

سائر الحيوان وقيل يخرج النبات الغض الاخضر من الحب اليابس ويخرج النخلة من النواة وبالعكس وقيل
انه تعالى يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن لان المؤمن حي الفؤاد والكافر ميتة **وترزق من تشاء**
بغير حساب يعني من غير تضييق ولا تقتير بل يبسط الرزق لمن يشاء ويوسعه عليه قوله عز وجل **لا يتخذ**
المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين قال ابن عباس كان الحجاج بن عمرو وابن ابي الحقيق وقيس
ابن زيد يبطنون بنفر من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير
وسعيد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود لا يفتنونكم عن دينكم فابى اولئك النفر الا
مباطنتهم فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وغيره ممن كان يظهر المودة
لكفار مكة وقيل نزلت في عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتولون المشركين واليهود ويأتونهم بالاخبار
ويرجون ان يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية ونهى المؤمنين
عن مثل ذلك وقيل ان عبادة بن الصامت كان له حلفاء من اليهود فقال يوم الاحزاب يا رسول الله
ان معي خمسمائة من اليهود وقد رأيت ان استظهر بهم على العدو فنزلت هذه الاية وقوله لا يتخذ المؤمنون
الكافرين اولياء يعني انصارا واعوانا من دون المؤمنين يعني من غير المؤمنين والمعنى لا يجعل المؤمن
من ولايته لمن هو غير مؤمن نهى الله المؤمنين ان يوالوا الكفار او يلاطفوهم لقرابة بينهم او محبة او
معاشرة والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم واصل من اصول الايمان **ومن يفعل ذلك** يعني موالاة
الكفار من نقل الاخبار اليهم واظهار عورة المسلمين او يودهم ويحبهم **فليس من الله في شيء** اي فليس من دين الله
في شيء وقيل معناه فليس في ولاية الله في شيء وهذا امر معقول فان موالاة الولي معاداة اعدائه وموالاة الله وموالاة
الكفار ضدان لا يجتمعان **الا ان تتقوا منهم تقاة** اي الا ان تخافوا منهم مخافة ومعنى الاية ان الله نهى المؤمنين عن
موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم الا ان يكون الكفار غالبين ظاهرين او يكون المؤمن في قوم كفار
فيداهنهم بلسانه مطمئن بالايمان دفعا عن نفسه من غير ان يستحل دما حراما او مالا حراما او غير ذلك من
المحرمات او يظهر الكفار على عورة المسلمين والتقية لا تكون الا مع خوف القتل مع سلامة النية قال الله
تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ثم هذه التقية رخصة فلو صبر على اظهار ايمانه حتى قتل كان له
بذلك اجر عظيم وانكر قوم التقية اليوم وقالوا انما كانت التقية في جدة الاسلام قبل استحكام الدين وقوة
المسلمين فاما اليوم فقد اعز الله الاسلام والمسلمين فليس لاهل الاسلام ان يتقوا من عدوهم قال يحيى البكاء
قلت لسعيد بن جبير في ايام الحجاج ان الحسن يقول التقية باللسان والقلب مطمئن بالايمان فقال سعيد ليس
في الاسلام تقية انما التقية في الحرب وقيل انما تجوز التقية لصون النفس عن الضرر لان دفع الضرر عن النفس واجب
بقدر الامكان **ويحذركم الله نفسه** اي ويخوفكم الله ان تعصوه بان ترتكبوا المنهي او تخالفوا المامور او توالوا الكفار
فتستحقوا عقابه على ذلك كله **والى الله المصير** يعني ان مصيركم عقابه اذا صرتم اليه في الاخرة قوله عز وجل
قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعني تبدوا مودة الكفار قولا وفعلا وقيل معناه ان تخفوا ما في قلوبكم من
تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم او تبدوه اي تظهروه بالحرب والمقاتلة له **يعلمه الله** اي يحفظه
عليكم ويجازيكم به **ويعلم ما في السموات وما في الارض** يعني انه تعالى اذا كان لا يخفى عليه شيء في السموات ولا في الارض فكيف
يخفى عليه حالكم وموالاتكم الكفار وميلكم اليهم **والله على كل شيء قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من**
خير محضرا اي تجد كل نفس جزاء ما عملت محضرا الى يوم القيمة ولم ينقص ولم يبخس منه شيء **وما عملت من**
سوء اي تجد ما عملت من الخير محضرا فتسر به وما عملت من سوء **تود** اي تتمنى **لو ان بينها وبينه** اي بين ما عملت من

امدا بعيدا اي مكانا بعيدا كما بين السماء والارض او المشرق والمغرب والامد الاجل والغاية وقيل
معناه تود انها لم تعمله ويكون بينها وبينه امدا بعيدا **ويحذركم الله نفسه** اعاده للتاكيد **والله رؤوف بالعباد** قيل
معناه انه رؤوف بهم حيث حذرهم نفسه وعرفهم كمال قدرته وعلمهم انه يمهل ولا يهمل وقيل معناه
انه رؤوف بالعباد حيث امهلهم للتوبة والتدارك بالعمل الصالح وقيل انه تعالى لما قال ويحذركم الله نفسه
وهو وعيد اتبعه بقوله والله رؤوف بالعباد وهو وعد ليعلم العبد المؤمن ان رحمته وعفوه غلبت
وعيده وسخطه قوله عز وجل **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا
نحن ابناء الله واحباؤه فنزلت هذه الاية فعرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقبلوها وقال
ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم
وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في اذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش والله لقد
خالفتم ملة ابيكم ابراهيم واسماعيل فقالت قريش انما نعبدها حبا لله ليقربونا الى الله زلفى فنزلت هذه
الاية وقيل ان نصارى نجران قالوا انما نقول هذا القول في عيسى حبا لله وتعظيما له فانزل الله قل
يا محمد ان كنتم تحبون الله فيما تزعمون فاتبعوني يحببكم الله لانه قد ثبتت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالدلائل
الظاهرة والمعجزات الباهرة فوجبت على كافة الخلق متابعته والمعنى قل ان كنتم صادقين في دعوى محبة الله
فكونوا منقادين لاوامره مطيعين له فاتبعوني فان اتباعي من محبة الله تعالى وطاعته قال العلماء محبة العبد
لله عبارة عن اعظامه واجلاله وايثار طاعته واتباع امره ومجانبة نهيه ومحبة الله للعبد ثناؤه عليه ورضاه
عنه وثوابه له وعفوه عنه فذلك قوله تعالى **ويغفر لكم ذنوبكم** يعني ان من غفر له فقد ازال عنه العذاب
والله غفور رحيم يعني انه تعالى يغفر ذنوب من احبه ويرحمه بفضله وكرمه ولما نزلت هذه الاية قال عبد
الله بن ابي بن سلول راس المنافقين لاصحابه ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويامرنا ان نحبه كما احبت النصارى
عيسى بن مريم فانزل الله عز وجل **قل اطيعوا الله والرسول** يعني ان طاعة الله متعلقة بطاعة رسوله صلى الله عليه
وسلم فان طاعته لا تتم مع عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الشافعي رحمه الله كل امر
او نهي ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى ذلك في الفرضية واللزوم مجرى ما امر الله به في كتابه
او نهى عنه وقال ابن عباس فان طاعتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم طاعتكم لي فاما ان تطيعوني وتعصوا
محمدا فلن اقبل منكم **فان تولوا** اي اعرضوا عن طاعة الله ورسوله **فان الله لا يحب الكافرين** اي لا يرضى فعلهم ولا يغفر
لهم **خ** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن
يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى **ق** عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعص الامير فقد
عصاني قوله عز وجل **ان الله اصطفى ادم ونوحا** قال ابن عباس قالت اليهود نحن من ابناء ابراهيم واسحاق
ويعقوب ونحن على دينهم فانزل الله هذه الاية والمعنى ان الله اصطفى هؤلاء بالاسلام وانتم يا معشر
اليهود على غير دين الاسلام ومعنى اصطفى اختار من الصفوة وهي الخالص من كل شيء ادم هو ابو البشر
ادم عليه السلام ونوح هو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام وحكى ابن الجوزي
في تفسيره عن ابي سليمان الدمشقي ان اسم نوح السكن وانما سمي نوحا لكثرة نوحه على نفسه **وال ابراهيم** قيل
اراد بال ابراهيم نفسه وقيل ال ابراهيم اسماعيل واسحاق ويعقوب وذلك ان الله تعالى جعل ابراهيم
عليه السلام اصلا لشعبين فجعل اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام اصلا للعرب ومحمد صلى الله عليه

Copyright © King Saud University

وسلم منهم فهو داخل في الاصطفا وجعل اسحاق اصلا لنبي اسرايل ثم جمع له ولامته النبوة والملك الى يوم القيمة
وقيل ال ابراهيم من كان على دينه وال عمران واختلفوا في عمران هذا فقيل هو عمران بن يصهر بن فاهث
ابن لاوي بن يعقوب وهو والد موسى وهرون فيكون ال عمران هو موسى وهرون اوتفسه وقيل هو عمران
ابن اشيم بن امون وقيل ماثان وهو من ولد سليمان بن داود عليهما السلام وعمران هذا هو والد مريم وابنها
عيسى فعلى هذا يكون المراد بال عمران مريم وابنها عيسى عليه السلام وانما خص هولا بالذكر لان الانبيا والرسل من
نسلهم على العالمين اي اختارهم واصطفاهم على العالمين بما خصهم من النبوة والرسالة ذرية اي اصطفا
ذرية واصلها من ذرا بمعنى خلق وقيل الذرية لان الله استخرجهم من ظهر ادم كالذر وانما سمي الابا والابنا
ذرية لان الله خلق بعضهم من بعض فالابنا من ذرية الابا والابا من ذرية ادم وهو ممن ذراه الله تعالى
اي خلقه بعضها من بعض اي بعضها من ولد بعض في التناصر والتعاضد وقيل بعضها على دين بعض والله
سميع عليم يعني ان الله تعالى سميع لاقوال العباد عليم بنياتهم وانما يصطفي لنبوته ورسالته من يعلم استقامته
قولا وفعلا قوله عز وجل اذ قالت امرات عمران هي حنة بنت فاقود ام مريم وعمران هو عمران بن ماثان وقيل
ابن اشيم وليس بعمران ابو موسى لان بينهما الف وثمان مائة سنة وكان بنو ماثان روس بني اسرايل في ذلك
الزمن واحبارهم وملوكهم رب اني نذرت لك ما في بطني محررا اي جعلت الحمل الذي في بطني نذرا محررا مني لك والنذر
والنذر ما يوجبه الانسان على نفسه والمعنى محررا اي عتيقا خالصا مفرغا لعبادة الله وخدمة الكنيسة لا
اشغله بشي من امور الدنيا قيل كان المحرر عندهم اذا حرر جعل في الكنيسة فيقوم عليها ويكنسها ولا
يبرح مقيما فيها حتى يبلغ الحلم ثم يخير فان احب ذهب حيث شا فان اختار الخروج بعد ان اختار الاقامة
في الكنيسة لم يكن له ذلك ولم يكن احد من انبيا بني اسرايل وعلمايهم الا ومن اولاده محرر لخدمة بيت
المقدس ولم يكن يحرر الا الغلمان لان الانثى لا تصلح للخدمة ببيت المقدس لما يصيبها من الحيض والاذى
فحررت ام مريم ما في بطنها وكانت القصة في ذلك على ما ذكره اصحاب السير واهل الاخبار ان زكريا
وعمران تزوجا اختين فكانت اشاع بنت فاقود وهي ام يحيى عند زكريا وكانت حنة بنت فاقود
اخت اشاع عند عمران وهي ام مريم وكان قد امسك عن حنة الولد حتى ايست وكبرت وكانوا اهل بيت
صالحين وهم من الله بمكان فبينما هي في ظل شجرة اذ بصرت بطاير يطعم فرخا فتحركت نفسها لذلك
للولد فدعت الله ان يهب لها ولدا وقالت اللهم لك علي ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت
المقدس فيكون من سدنته وخدمه فلما حملت بمريم حررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها زوجها
ويحك ما صنعت ارايت ان كان ما في بطنك انثى فلا يصلح لذلك فوقعا جميعا في هم شديد من اجل
ذلك فمات عمران قبل ان تضع حنة حملها ثم قال تعالى حاكيا عنها فتقبل مني يعني نذري والتقبل
اخذ الشي على الرضا واصله من المقابلة لانه يقابل بالجزا وهذا سوال من لا يريد بما فعله الا الطلب
لرضا الله تعالى والاخلاص في دعايه وعبادته انك انت السميع يعني لتضرعي ودعاي العليم يعني بنيتي
وما في ضميري قوله عز وجل فلما وضعتها اي ولدت حملها وانما قال وضعتها لانه في علم الله انها جارية
وكانت حنة ترجو ان يكون غلاما قالت يعني حنة رب اني وضعتها انثى تريد بذلك اعتذارا الى الله من
اطلاقها النذر المتقدم فذكرت ذلك على سبيل الاعتذار لا على سبيل الاعلام لان الله تعالى
عالم بما في بطنها قبل ان تضعه والله اعلم بما وضعت قرى بجزم التا اخبارا عن الله تعالى في المعنى انه تعالى
قال والله اعلم بالشي الذي وضعت وقرى وضعت برفع التا وهو من كلام ام مريم على تقدير

انها

انها لما قالت رب اني وضعتها انثى خافت ان تكون اخبرت الله بما لا يعلم فازالت هذه الشبهة بقولها
والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى يعني في خدمة الكنيسة والعبادة التي فيها وفي الكلام تقديم وتاخير
تقديره وليس الانثى كالذكر والمراد منه تفضيل الذكر على الانثى لان الذكر يصلح للخدمة في الكنيسة ولا يصلح
الانثى لذلك لضعفها وما يحصل لها من الحيض ولانها عورة ولا يجوز لها الحضور مع الرجال وقيل
في معنى الاية ان المراد منها تفضيل هذه الانثى على الذكر كانها قالت كان الذكر مطلوبي لخدمة المسجد
وهذه الانثى هي موهبة لله تعالى وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي هي موهبة الله تعالى وكانت
مريم اجمل النسا وافضلهن في وقتها واني سميتها مريم يعني العابدة والخادمة وهو بلغتهم واردت
بهذه التسمية ان يفضلها الله على نسا الدنيا واني اعيذها بك وذريتها اي امنعها واجيرها بك وذريتها
من الشيطان الرجيم يعني اللعين الطريد وذلك ان حنة ام مريم لما فاتها ما كانت تطلب من ان يكون ولدها ذكرا
فاذا هي انثى تضرعت الى الله تعالى ان يحفظها ويعصمها من الشيطان الرجيم وان يجعلها من الصالحات
العابدات ق عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من بني ادم من مولود
الا نخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من نخسه اياه الا مريم وابنها ثم يقول ابو هريرة اقروا ان
شيتم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وللبخاري عنه قال كل ابن ادم يطعن الشيطان
في جنبيه باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب ليطعن فطعن في الحجاب قوله عز وجل فتقبلها ربها بقبول
حسن يعني تقبل الله مريم من حنة مكان الذكر المحرر يعني قبله ورضيها قال الزجاج الاصل في العربية
تقبلها بتقبل ولكن قبول محمول على قبلها قبولا كما يقال قبلت الشي قبولا ويجوز قبولا اذا رضيته قال
ابو عمرو وليس في المصادر فعول بفتح الفا الا هذا ولم اسمع فيه الضم وقيل معنى التقبل والقبول
واحد وهما سوا وهو ان يرعى الشي وياخذه وقيل معنى التقبل التكفل في التربية والقيام
بشانها وانما قال بقبول ليجمع بين الامرين يعني التقبل الذي بمعنى التكفل والقبول الذي هو بمعنى
الرضا وانبتها نباتا حسنا معناه وانبتها فنبتت هي نباتا حسنا قال ابن عباس في قوله فتقبلها
ربها بقبول حسن اي سلك بها طريق السعدا وانبتها نباتا حسنا يعني سوى خلقها من غير
زيادة ولا نقصان فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام وكفلها زكريا قال اهل الاخبار
لما ولدت حنة مريم اخذتها فلفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابنا
هارون وهم يوميذ يلون بيت المقدس كما تلي الحجبة من الكعبة وقالت دونكم النذيرة فتنافس
فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا انا احق بها لان خالتها عندي
فقال له الاحبار لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها التي ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون
عند من خرج سهمه بها فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا الى نهر جار قيل هو الاردن فالقوا
اقلامهم في الما على ان من ثبت قلمه في الما وصعد فهو اولى بها من غيره وكان على كل قلم مكتوب اسم كل واحد
منهم وقيل بل كانوا يكتبون التوراة فالقوا اقلامهم التي كانت بايديهم فارتفع قلم زكريا فصعد
الى العلا وجرت اقلامهم مع جرية الما الى اسفل فسهمهم زكريا وقرعهم وكان زكريا راس الاحبار ونبيهم
فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا قرى بتشديد الفا ومعناه وضمها الله زكريا وضمها اليه بالقرعة
وقرى بتخفيف الفا ومعناه وضمها زكريا الى نفسه بالقرعة وقام بامرها وهو زكريا بن اذن بن
مسلم بن صدوق من اولاد سليمان بن داود عليهما السلام فلما ضم زكريا مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع

Copyright © King Saud University

لها المراضع وقيل ضمها الى خالتها ام يحيى حتى اذا نشئت وبلغت مبالغ النساء بنى لها محرابا في المسجد وجعل بابه في
وسطه ولا يرقى اليه الا بسلم ولا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها كل يوم فذلك قوله تعالى كلما
دخل عليها زكريا المحراب يعني الغرفة والمحراب اشرف المجالس ومقدمها وكذلك من المسجد وقيل المحراب ما يرقى اليه
بدرج وقيل كان زكريا يغلق عليها سبعة ابواب فاذا دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا يعني فاكهة في غير
وقتها فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء قال يعني زكريا يا مريم انى لك
هذا اي من اين لك هذه الفاكهة قالت يعني مريم مجيبة لزكريا هو من عند الله يعني من الجنة وقيل ان
مريم حين ولدت لم تلقم ثديا قط كان يأتيها رزقها من الجنة فيقول لها زكريا يا مريم انى لك هذا قالت هو
من عند الله تكلمت وهي صغيرة في المهد كما تكلم ولدها عيسى عليه السلام وهو صغير في المهد وقال محمد
ابن اسحاق اصابت بني اسرائيل ازمة وهي على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها وكفالتها فخرج على
بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل تعلمون والله لقد كبرت سني وضعفت عن حمل بنت عمران فايكم يكفلها بعدي
فقالوا والله لقد جهدنا واصابنا من السنة ما ترى فتدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدا فتقارعوا
عليها بالاقلام فخرج السهم لرجل نجار يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم لمريم فحملها فعرفت مريم
في وجهه شدة ذلك عليه فقالت له يا يوسف احسن بالله الظن فان الله سيرزقنا فصار يوسف
يرزق لمكانتها منه فكان يأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا ادخله عليها في المحراب نماه الله وزاده
فيدخل زكريا عليها فيقول يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب وهذا يحتمل
ان يكون من تمام كلام مريم وابتداء كلام من الله عز وجل ومعناه ان الله تعالى يرزق من يشاء بغير
تقدير لكثرته او من غير سبب وفي هذه الآية دليل على جواز كرامات الاولياء وظهور خوارق العادات
على ايديهم قال اهل الاخبار فلما راى زكريا ذلك قال ان الذي قدر على ان يأتي مريم بالفاكهة في غير وقتها
وحينها من غير سبب لقادر ان يصلح لي زوجي ويهب لي ولدا في غير حينه مع الكبر وطمع في الولد وذلك ان
اهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان زكريا قد كبر وشاخ وايس من الولد فذلك قوله عز وجل هنالك دعا
زكريا ربه يعني انه عليه السلام دخل محرابه واغلق الابواب وسأل ربه الولد قال رب هب لي من
لدنك ذرية طيبة يعني انه قال يا رب اعطني من عندك ولدا مباركا تقيا رضيا والذرية تطلق على الواحد
والجمع والذكر والانثى والمراد بها هنا الواحد وانما قال طيبة لتأنيث لفظ الذرية انك سميع الدعاء اي سامعه
ومجيبه قوله عز وجل فنادته الملائكة يعني جبريل عليه السلام وانما اخبر عنه بلفظ الجمع تعظيما لشأنه
ولانه رئيس الملائكة وقيل انه لم يبعث الا ومعه جمع من الملائكة فجرى ذلك مجرى العادة وهو قائم يصلي
في المحراب اي في المسجد وذلك ان زكريا عليه السلام كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان ويفتح لهم الباب فلا
يدخلون حتى يأذن لهم في الدخول فبينما هو قائم يصلي في محرابه عند المذبح والناس ينتظرون ان يأذن في
الدخول اذا هو برجل شاب عليه ثياب بياض ففزع زكريا منه فناداه جبريل عليه السلام يا زكريا ان الله
يبشرك بيحيى اي بولد اسمه يحيى قال ابن عباس سمي يحيى لان الله تعالى احيى به عقر امه وقيل لان الله تعالى
احيى قلبه بالايمان وقيل لان الله تعالى احياه بالطاعة حتى لم يهم بمعصية مصدقا بكلمة من الله يعني عيسى
ابن مريم وانما سمي عيسى عليه السلام كلمة لان الله تعالى قال له كن فكان من غير اب ولاله على كمال قدرته
فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها كان وقيل سمي كلمة لان الله تعالى بشر مريم به عيسى عليه السلام كان يرشد
الخلق الى الحقائق والاسرار الالهية ويهدى به كما يهتدى بكلام الله تعالى فسمي كلمة بهذا الاعتبار وقيل سمي

كلمة

كلمة لان الله تعالى بشر به مريم على لسان جبريل وقيل لان الله تعالى اخبر الانبياء قبله الذين في كتبه المنزلة عليهم
انه يخلق نبيا من غير اب فلما جاء قيل هذا هو تلك الكلمة يعني الوعد الذي وعد انه يخلقه كذلك وكان
يحيى اول من آمن بعيسى وصدقه وكان يحيى اكبر من عيسى بستة اشهر وكانا ابني خالة وقتل يحيى قبل ان يرفع
عيسى عليه السلام وقيل ان ام يحيى لقيت ام عيسى وهما حاملتان فقالت ام يحيى لام عيسى يا مريم اشعرت اني
حامل فقالت مريم وانا ايضا حامل فقالت ام يحيى اني لاجد ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله مصدقا
بكلمة من الله يعني ان يحيى امن بعيسى وصدقه وسيدا من ساد يسود والسيد هو الرئيس الذي يتبع وكان يحيى
عليه السلام سيد المؤمنين ورئيسهم في الدين والعلم والحلم وقيل السيد هو الحسن الخلق وقيل هو الذي يطيع ربه
وقيل هو الفقيه العالم وقيل سيدا في العلم والعبادة والورع وقيل السيد هو الحليم الذي لا يغضبه شيء وقيل
السيد هو الذي يفوق قومه في جميع خصال الخير وقيل هو السخي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم
يا بني سلمة قالوا الجد بن قيس قال انا نبخله قال واي داء ادوى من البخل لكن سيدكم عمرو بن الجموح وحصورا قال
ابن عباس وغيره من المفسرين الحصور الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن فعلى هذا هو فعول بمعنى فاعل يعني انه
حصر نفسه عن الشهوات واصله من الحصر وهو الحبس وقيل هو العنين وقيل هو العقيم الذي لا ماء له
فيكون الحصور بمعنى المحصور يعني الممنوع من النساء قال سعيد بن المسيب كان له مثل هدبة الثوب وقد
تزوج مع ذلك ليغض بصره وفيه قول اخر وهو ان الحصور الممتنع من الوطء مع القدرة عليه وانما تركه للعفة
والزهد فيه وهذا القول هو الصحيح وهو قول جماعة من المحققين وهو اللائق بمنصب الانبياء لان الكلام
انما خرج مخرج المدح والثناء وذكر صفة النقص في معرض المدح لا يجوز وايضا فان منصب النبوة يجل [illegible]
الى احد منهم لنقص فيحمل الكلام على منع النفس من الوطء مع عدم العجز عنه ونبيا من الصالحين يعني انه من
اولاد الانبياء الصالحين قوله عز وجل قال يعني زكريا رب اي يا رب قيل هو خطاب مع جبريل لان الآية المتقدمة
دلت على ان الذين نادوه هم الملائكة فعلى هذا يكون الرب هنا بمعنى السيد والمربي اي يا سيد وقيل انه
خطاب مع الله تعالى فيكون الرب بمعنى المالك وذلك ان الملائكة لما بشروه بالولد تعجب ورجع في ازالة ذلك
التعجب الى الله تعالى فقال رب انى يكون لي غلام يعني من اين يكون وكيف يكون لي غلام وقد بلغني الكبر قيل
هو من المقلوب ومعناه وقد بلغت الكبر وشخت وقيل معناه وقد نالني الكبر وادركني الضعف **فان**
قلت كيف انكر زكريا الولد مع تبشير الملائكة اياه به وما معنى هذه المراجعة ولم تعجب من ذلك
بعد وعد الله اياه به الا انه شاك في وعد الله وفي قدرته **قلت** لم يشك زكريا عليه
السلام في وعد الله وفي قدرته وانما قال ذلك على سبيل الاستفهام والاستعلام والمعنى من اي جهة يكون لي
الولد ايكون بازالة العقر عن زوجتي ورد شبابي علي او يكون ونحن على حالنا من الكبر والضعف فاجابه بقوله
كذلك الله يفعل ما يشاء وقال عكرمة والسدي لما سمع زكريا نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا ان الصوت
الذي سمعت ليس هو من الله تعالى وانما هو من الشيطان ولو كان من الله تعالى لاوحاه اليك كما يوحي اليك في سائر
الامور فقال ذلك زكريا دفعا للوسوسة واعترض على هذا الجواب بانه لا يجوز ان يشتبه على الانبياء كلام
الملائكة بكلام الشيطان اذ لو جوزنا ذلك لارتفع الوثوق باخبارهم عن الوحي السماوي **واجيب**
عن هذا الاعتراض بانه لما دلت الدلائل على صدق الانبياء فيما يخبرون به عن الله تعالى بواسطة الملك فلا مدخل
للشيطان فيه وذلك فيما يتعلق بالدين والشرائع واما ما يتعلق بمصالح الدنيا والولد فقد يحتمل دخول
الوسوسة فسأل زكريا ذلك لتزول عنه الوسوسة من خاطره قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنتين

Copyright © King Saud University

وتسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعين سنة وقال ابن عباس في رواية الضحاك كان ابن مائة وعشرين سنة
وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله تعالى وامرأتي عاقر اي عقيم لا تلد قال كذلك الله يفعل
ما يشاء يعني انه تعالى قادر على هبة الولد على الكبر يفعل ما يشاء لا يعجزه شيء قوله عز وجل قال يعني زكريا رب
اجعل لي آية اي علامة اعلم بها وقت حمل امرأتي فازيد في العبادة والشكر لك قال آيتك اي علامتك على الذي
طلبت معرفته علمه الا تكلم الناس اي لا تقدر على تكليم الناس ثلاثة ايام اي مدة ثلاثة ايام بلياليها فالجمهور
المفسرين عقل لسانه عن تكليم الناس ثلاثة ايام مع ابقائه على قدرة التسبيح والذكر ولذلك قال في آخر
الآية واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام منعك عن تكليم الناس وهذه من الآيات الباهرة
والمعجزات الظاهرة لان قدرته على التسبيح والذكر مع عجزه عن تكليم الناس بامور الدنيا وذلك مع صحة الجسم
وسلامة الجوارح من اعظم المعجزات وانما منع من الكلام مع الناس ليخلص في هذه الايام لعبادة الله وذكره ولا
يشغل لسانه بشيء آخر توقيرا منه على قضاء حق هذه النعمة الجسيمة ويشكر الله على اجابته فيما طلب
الآية من اجله وان يكون ذلك دليلا على وجود الحمل ليتم سروره بذلك وقال قتادة انما امسك
لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة اياه ببشارة الولد فلم يقدر على الكلام
ثلاثة ايام الا رمزا يعني الاشارة والاشارة قد تكون باليد وبالعين وبالايماء بالرأس وكانت
اشارته بالاصبع المسبحة وقيل الرمز قد يكون باللسان من غير تبيين كلام وهو الصوت الخفي
شبه الهمس وقيل اراد به صوم ثلاثة ايام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا والقول الاول اولى لموافقة
اهل اللغة عليه واذكر ربك كثيرا وذلك لما منعه الله من الكلام في تلك المدة امره بالذكر فقال واذكر
ربك كثيرا فانك لا تمنع من ذلك ولا يحال بينك وبينه وسبح اي وعظم ربك ونزهه عن النقائص وقيل
وصل لربك وسميت الصلاة سبحة لان فيها تنزيها للرب سبحانه وتعالى بالعشي والابكار فاما العشي فهو
ما بين زوال الشمس الى غروبها ومنه سمي صلاة الظهر والعصر صلاتي العشي والابكار هو ما بين طلوع الفجر
الى الضحى قوله عز وجل واذ قالت الملائكة يعني جبريل عليه السلام يا مريم ان الله اصطفاك اي اختارك وطهرك يعني
من مسيس الرجال وقيل من الحيض والنفاس وكانت مريم لا تحيض وقيل من الذنوب واصطفاك اي اختارك
على نساء العالمين اي على عالمي زمانها وقيل على جميع نساء العالمين **فان قلت**
هل فرق بين الاصطفاء الاول والثاني **قلت** ذكر العلماء في معناهما وجوها يتحصل
منها الفرق فقيل في معنى الاصطفاء الاول ان الله تعالى اختارها وقبلها منذورة محررة ولم يحرر
قبلها انثى ولم يجعل ذلك لغيرها من النساء وان الله بعث اليها رزقها من عنده وكفلها زكريا ومعنى الاصطفاء
الثاني ان الله تعالى وهب لها عيسى من غير اب واسمعها كلام الملائكة ولم يجعل ذلك لغيرها من النساء ق
عن علي بن ابي طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها
خديجة بنت خويلد قال ابو كريب واشار وكيع الى السماء والارض قيل اراد وكيع بهذه الاشارة تفسير
الضمير في قوله خير نسائها ومعناه انهما خير كل نساء بين السماء والارض قال الشيخ محيي الدين النواوي والاظهر
ان معناه ان كل واحدة منهما خير نساء الارض في عصرها واما التفضيل بينهما فمسكوت عنه ق عن ابي موسى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية امرأة
فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام قال العلماء معناه ان الثريد من كل طعام
افضل من مرقه بغير ثريد وفضل عائشة على النساء زيادة كفضل الثريد على غيره وليس في هذا تصريح

لتفضيلها

بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال ان المراد تفضيلها على نساء هذه الامة عن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد
وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون اخرجه الترمذي قوله عز وجل يا مريم اقنتي لربك اي قالت
الملائكة لها شفاها اطيعي ربك وقيل معناه اطيلي القيام في الصلاة لربك قال الاوزاعي
لما قالت الملائكة لها ذلك قامت حتى تورمت قدماها وسالت دما وقيحا وحكي عن مجاهد
نحوه واسجدي واركعي مع الراكعين انما قدم السجود على الركوع لان الواو لا تقتضي الترتيب يعني ما يجمع كانه
قيل لها افعلي الركوع والسجود وقيل انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك في شرعهم
وقال ابن الانباري امرها اولا امرها وحضها على فعل الخير فكانه قال استعملي السجود في حال والركوع
في حال ولم يرد تقديم الركوع على السجود بل اراد العموم بالامر على اختلاف الحالين وانما قال اركعي مع
الراكعين ولم يقل مع الراكعات لان الراكعين اعم فيدخل فيه الرجال والنساء والصلاة مع الرجال
افضل واتم وقيل معناه افعلي كفعل الراكعين وقيل المراد به الصلاة في جماعة اي صلي مع المصلين في
جماعة قوله عز وجل ذلك من انباء الغيب يقول الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك الذي ذكرت لك
من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام من اخبار الغيب نوحيه اليك اي نلقيه اليك يا محمد
لانه لا يمكنك ان تعلم اخبار الامم الماضين الا بوحي منا اليك وانما قال نوحيه لانه رد الضمير الى ذلك
فلذلك ذكر اللفظ وما كنت يعني يا محمد لديهم هنالك عندهم اذ يلقون اقلامهم يعني التي كانوا يكتبون
بها في الماء لاجل الاقتراع ايهم يكفل مريم يعني يربيها ويقوم بمصالحها قيل سبب منازعتهم في
كفالتها مريم حتى اقترعوا عليها ان لكفالتها كانت بنت عمران وكان رئيسهم وكبيرهم فلاجل ذلك رغبوا في
كفالتها وقيل لان امها حررتها لعبادة الله وخدمة المسجد وكان ابوها قد مات فلاجل ذلك رغبوا
في كفالتها وما كنت لديهم اذ يختصمون يعني في كفالتها وتربيتها قوله عز وجل اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك
معناه وما كنت لديهم يا محمد اذ يختصمون وما كنت لديهم اذ قالت الملائكة يعني جبريل عليه السلام
يا مريم ان الله يبشرك والبشارة اخبار المرء بما يسره من خير بكلمة منه يعني برسالة من الله وخبر من
عنده فهو كقول القائل القى الي فلان كلمة سرني بها واخبرني بخبر فرحت به ومعنى الآية اذ قالت الملائكة
لمريم يا مريم ان الله يبشرك بعيسى من عنده وهو ولد يولد لك من غير بعل ولا فحل وذلك الولد اسمه
المسيح عيسى ابن مريم قال قتادة في قوله تعالى بكلمة منه هو قوله كن فسماه الله كلمة لانه كان عن الكلمة
التي هي كن كما يقال لما قدر الله من شيء هذا قدر الله وقضاؤه يعني ان هذا الامر عن قدره وقضائه
حدث وقال ابن عباس الكلمة هي عيسى عليه السلام وانما سماه كلمة لانه وجد عن الكلمة التي هي كن
فان قلت كل مخلوق انما يوجد بواسطة الكلمة التي هي كن فلم خص عيسى عليه السلام
بهذا الاسم وسماه كلمة دون غيره **قلت** ان كل مخلوق وان وجد حدوثه وخلقه بواسطة
الكلمة الا ان هذا السبب ما هو المتعارف ولما كان حدوث عيسى عليه السلام بوجود الكلمة من
غير واسطة اخرى فلا جرم كان اضافة حدوثه الى الكلمة اتم واكمل وبهذا التأويل حسن ان يسمى
عيسى عليه السلام نفس الكلمة لانه حدث عنها **فان قلت** الضمير في قوله اسمه عائد
الى الكلمة وهي مؤنثة فلم ذكر الضمير **قلت** لان المسمى بها مذكر فلهذا ذكر الضمير **فان**
قلت لم قال المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلاثة والاسم منها واحد وهو عيسى واما المسيح فلقب

بكلمة منه

Copyright © King Saud University

وابن مريم صفة **قلت** الضمير في قوله اسمه يرجع الى عيسى والمسمى علامة يعرف بها
ويتميز عن غيره فكانه قال الذي يعرف ويتميز به عن سواه وهو مجموع هذه الثلاثة واختلفوا لم سمي
عيسى عليه السلام مسيحا وهل هو اسم مشتق او موضوع فقيل انه موضوع واصله بالعبرانية
مشيحا فغيرته العرب واصل عيسى ايشوع كما قالوا موسى واصله موشى وميشى وقال الاكثرون
انه اسم مشتق ثم ذكروا فيه وجوها قال ابن عباس سمي عيسى مسيحا لانه ما مسح ذا عاهة الا برئ
منها وقيل لانه مسح بالبركة وقيل لانه مسح من الاقذار وطهر من الذنوب وقيل لانه خرج من بطن امه
ممسوحا بالدهن وقيل لان جبريل عليه الصلاة والسلام مسحه بجناحه حتى لا يكون للشيطان عليه
سبيل وقيل لانه كان يسيح في الارض ولا يقيم بمكان فكان يمسح الارض اي يقطعها مساحة فعلى
هذا القول تكون الميم زائدة وقيل سمي مسيحا لانه كان مسيح القدمين لا اخمص له وسمي الدجال مسيحا
لانه ممسوح احدى العينين وقيل المسيح هو الصديق وبه سمي عيسى عليه السلام وقد يكون المسيح
بمعنى الكذاب وبه سمي الدجال فعلى هذا تكون هذه الكلمة من الاضداد وقوله تعالى **وجيها** اي شريفا
رفيعا ذا جاه وقدر **في الدنيا والآخرة** اما وجاهته في الدنيا فبسبب النبوة وانه كان يبرئ الاكمه والابرص
ويحيي الموتى واما وجاهته في الآخرة فبسبب علو منزلته عند الله وهو قوله تعالى **ومن المقربين** يعني
عند الله يوم القيامة لان لاهل الجنة منازل ودرجات ومنازل الانبياء ودرجاتهم اعلا
من سواهم وقيل فيه تنبيه على علو منزلته وانه رفع الى السماء **ويكلم الناس في المهد** يعني ويكلم الناس صغيرا
وهو في المهد وذلك قبل اوان الكلام وحقيقته والكلام الذي تكلم به هو ما ذكره الله عنه في
سورة مريم وهو قوله اني عبد الله آتاني الكتاب الآية وتكلم ببراءة امه لما رموها به اهل القرية
من القذف ويحكى ان مريم قالت كنت اذا خلوت انا وعيسى حدثني وحدثته فاذا شغلني عنه
انسان سبح وهو في بطني وانا اسمع ولما تكلم ببراءة امه سكت بعد ذلك فلم يتكلم الا في الوقت الذي
يتكلم فيه الصغير قال ابن عباس تكلم عيسى ساعة ثم سكت اثر لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق **وكهلا** يعني
ويكلم الناس في حال الكهولة والكهل في اللغة هو الذي اجتمع قوته وكمل شبابه والكهل عند العرب
هو الذي جاوز الثلاثين وقيل هو الذي وخطه الشيب وهو السن الذي يحكم فيه العقل
ويستنبأ فيه الانبياء قال ابن قتيبة لما كان لعيسى ثلاثون سنة ارسله الله تعالى فمكث في
رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى وقال وهب بن منبه جاءه الوحي على راس ثلاثين سنة
فمكث في نبوته ثلاث سنين ثم رفعه اليه ثم رفعه الله فمعنى الآية انه يكلم الناس وهو في المهد
ببراءة امه وهي معجزة عظيمة ويكلم الناس في حال الكهولة بالدعوة والرسالة وقيل فيه بشارة لمريم
اخبرها بانه يبقى حتى يكتهل وقيل فيه اخبار بانه يتغير من حال الى حال ولو كان الها كما زعمت
النصارى لم يدخل عليه التغيير ففيه رد على النصارى الذين يقولون فيه الالهية وقال الحسين
بن الفضل وكهلا يعني ويكلم الناس كهلا بعد نزوله من السماء وفي هذه نص على انه سينزل من
السماء الى الارض ويقتل الدجال وقال مجاهد الكهل الحليم والعرب تمدح الكهولة لانها الحالة الوسطى
في احتناك السن واستحكام العقل وجودة الرأي والتجربة **ومن الصالحين** يعني انه من العباد الصالحين
مثل ابراهيم واسحاق ويعقوب وموسى وغيرهم من الانبياء وانما ختم اوصاف عيسى عليه السلام
بكونه من الصالحين بعدما وصفه بالاوصاف العظيمة لان الصلاح من اعظم المراتب واشرف المقامات

لانه

لانه لا يسمى المرء صالحا حتى يكون مواظبا على النهج الاصلح والطريق الاكمل في جميع اقواله وافعاله
فلما وصفه الله تعالى بكونه وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين وانه يكلم الناس في المهد وكهلا
اردفه بقوله ومن الصالحين ليكمل له اعلا الدرجات واشرف المقامات قوله عز وجل **قالت** يعني
مريم **رب** يعني يا سيدي تقوله لجبريل لما بشرها بالولد وقيل تقوله لله عز وجل **انى يكون لي ولد**
اي من اين يكون لي ولد **ولم يمسسني بشر** اي ولم يصبني رجل وانما قالت ذلك تعجبا لا شكا في قدرة
الله تعالى اذ لم تكن العادة جرت ان يولد ولد من غير اب **قال كذلك الله يخلق ما يشاء** يعني هكذا يخلق الله
منك ولدا من غير ان يمسك بشر فيجعله آية للناس وعبرة فانه يخلق ما يشاء ويصنع ما يريد وهو
قوله **اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون** يعني كما يريد **ويعلمه الكتاب** يعني الكتابة والخط باليد **والحكمة** يعني
العلم والسنة واحكام الشرائع **والتوراة** يعني التي انزلت على موسى **والانجيل** يعني الذي انزل عليه وهذا
اخبار من الله تعالى لمريم بما هو فاعل بالولد الذي بشرها به من الكرامة وعلو المنزلة **ورسولا الى
بني اسرائيل** ويجعله رسولا الى بني اسرائيل وكان اول انبياء بني اسرائيل يوسف بن يعقوب وآخرهم عيسى بن
مريم عليه السلام فلما بعث اليهم قال **اني قد جئتكم بآية من ربكم** اي بعلامة من ربكم على صدق قولي
وانما قال بآية وقد جاء بآيات كثيرة لان الكل دل على شيء واحد وهو صدقه في الرسالة فلما قال ذلك عيسى
لبني اسرائيل قالوا وما هذه الآية قال **اني اخلق** اي اصور واقدر **لكم من الطين كهيئة الطير** والهيئة الصورة المهيأة
من قولهم هيأت الشيء اذا قدرته واصلحته **فانفخ فيه** اي في الطين المهيأ المصور **فيكون طيرا** قرئ بلفظ
الجمع لان الطير اسم جنس يقع على الواحد والاثنين والجمع وقرئ فيكون طائرا على التوحيد على معنى يكون
ما انفخ فيه طائرا وما خلقه يكون طائرا وقيل انه لم يخلق غير الخفاش وهو الذي يطير في الليل وانما خص
الخفاش لانه من اكمل الطير خلقا وذلك لانه يطير بلا ريش وله اسنان ويقال ان الانثى منه لها ثدي وتحيض
ذكروا ان عيسى عليه السلام لما ادعى النبوة واظهر المعجزات اخذوا يتعنتون عليه وطلبوا منه ان
يخلق لهم خفاشا فاخذ طينا وصوره كهيئة الخفاش ثم نفخ فيه فاذا هو طير يطير بين السماء والارض قال
وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق
وهو الله تعالى وليعلم ان الكمال لله تعالى **باذن الله** معناه بتكوين الله وتخليقه والمعنى اني اعمل هذا التصوير
انا فاما خلق الحياة فيه فهو من الله تعالى على سبيل اظهار المعجزة على يد عيسى عليه السلام **وابرئ الاكمه
والابرص** اي واشفي الاكمه والابرص واصححهما واختلفوا في الاكمه فقال ابن عباس هو الذي ولد اعمى وقيل
هو الاعمى وان كان بصيرا وقيل هو الاعمش وهو الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل والابرص هو الذي
به وضح وكان الغالب على زمان عيسى عليه السلام الطب فاراهم المعجزة من جنس ذلك لانه ليس في
علم الطب ابراء الاكمه والابرص فكان ذلك معجزة له ودليلا على صدقه وقال وهب ربما اجتمع على عيسى عليه
السلام في اليوم الواحد خمسون الفا من اطاق منهم ان يبلغ اليه مشى ومن لم يطق مشى عيسى عليه السلام
اليه وكان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان برسالته **واحيي الموتى باذن الله** قال ابن عباس قد احيا اربعة
انفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح وكلهم بقي وولد له الا سام بن نوح فاما عازر فكان
صديقا لعيسى عليه السلام فارسلت اليه اخت عازر ان اخاك عازر يموت وكان بينهما مسيرة ثلاثة
ايام فاتاه عيسى واصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة ايام فقال لاخته انطلقي بنا الى قبره فانطلقت
بهم الى قبره فدعا الله عيسى فقام عازر حيا باذن الله تعالى فخرج من قبره وعاش وولد له واما ابن العجوز

من المرجحي

Copyright © King Saud University

فانه مر به وهو ميت على عيسى عليه السلام يحمل على سرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن اعناق الرجال ولبس ثيابه واتى اهله وعاش وولد له واما ابنة العاشر فكان ياخذ العشور من الناس ماتت بالامس فدعا الله عيسى فاحياها بدعوته فعاشت وولد لها واما سام بن نوح فان عيسى جاء الى قبره ودعا الله باسمه الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف راسه خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان فقال قد قامت الساعة فقال له عيسى عليه السلام لا ولكن دعوتك باسم الله الاعظم ثم قال له مت فقال بشرط ان يعيذني الله من سكرات الموت مرة اخرى فدعا الله عيسى ففعل **وانبئكم** يعني واخبركم **بما تاكلون** اي مما لم اعاينه **وما تدخرون في بيوتكم** اي مما ترفعونه فتخبئونه في بيوتكم لتاكلوه فيما بعد ذلك قيل كان عيسى عليه السلام يخبر الرجل بما اكل البارحة وبما ياكله اليوم وبما يدخره للعشاء وقيل كان في الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع اباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد اكل اهلك كذا وكذا وقد رفعوا لك كذا فينطلق الصبي فيبكي على اهله حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون من اخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر وجمعوهم في بيت وجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا هنا فقال لهم فما في البيت قالوا خنازير قال كذلك يكونون ففتحوا عليهم الباب فاذا هم خنازير ففشا ذلك في بني اسرائيل وظهر فهموا به فخافت عليه امه فحملته على حمير لها وخرجت هاربة الى مصر وقال قتادة انما كان هذا في نزول المائدة وكان خوانا ينزل عليهم اينما كانوا فيه من طعام الجنة وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا فكان عيسى يخبرهم بما اكلوا من المائدة وبما ادخروا منها فمسخهم الله خنازير وفي هذا دليل قاطع على صحة نبوة عيسى عليه السلام ومعجزة عظيمة له وهذا اخبار عن المغيبات مع ما تقدم له من الايات الباهرات من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله تعالى واخباره عن الغيوب باعلام الله اياه ذلك وهذا مما لا سبيل لاحد من البشر الا الانبياء عليهم السلام **فان قلت** قد يخبر المنجم والكاهن عن مثل ذلك فما الفرق **قلت** ان المنجم والكاهن لا بد لكل واحد منهما من مقدمات يرجع اليها ويعتمد في اخباره عليها اما المنجم فانه يستعين على ذلك بواسطة معرفة الكواكب ومنازلها وبواسطة حساب الرمل ونحو ذلك وقد يخطئ في كثير مما يخبر به واما الكاهن فانه يستعين بريئه من الجن وقد يخطئ ايضا في كثير مما يخبر به واما اخبار الانبياء عليهم السلام عن المغيبات فليس الا بالوحي السماوي وهو من الله تعالى وليس ذلك باستعانة بواسطة حساب ولا غيره فحصل الفرق **ان في ذلك** يعني الذي تقدم ذكره من خلق الطير من الطين باذن الله تعالى وابراء الاكمه والابرص والاخبار عن المغيبات **لاية لكم** اي لعبرة ودلالة على صدقي في اني رسول من الله اليكم **ان كنتم مؤمنين** يعني مصدقين بذلك **ومصدقا** قيل انه عطف على قوله ورسولا وقيل انه عطف على اني قد جئتكم باية من ربكم والمعنى وجئتكم مصدقا **لما بين يدي من التوراة** وذلك لان الانبياء عليهم السلام يصدق بعضهم بعضا فكل واحد منهم يصدق الذي قبله ويصدق بما انزل الله من الكتب والشرائع والاحكام فلهذا قال عيسى عليه السلام ومصدقا لما بين يدي من التوراة **ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم** قال وهب بن منبه ان عيسى كان على شريعة موسى عليهما السلام وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس وقال لبني اسرائيل اني لم ادعكم الى خلاف حرف مما في التوراة الا لاحل لكم بعض الذي حرم عليكم واضع عنكم الاصار وذلك ان الله تعالى حرم على اليهود بعض الاشياء عقوبة لهم على بعض ما صدر منهم من الخطايا كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم فبقي ذلك التحريم مستمرا على اليهود الى ان جاء عيسى

عليه

عليه السلام فرفع عنهم تلك التشديدات التي كانت عليهم وقال قتادة كان الذي جاء به عيسى الين من الذي جاء به موسى وكان قد حرم عليهم فيما جاء به موسى لحوم الابل والثروب والشحوم واشياء من الطير والحيتان فجاء عيسى بالتخفيف واحلها لهم وقال الاخرون ان عيسى عليه السلام رفع كثيرا من احكام التوراة ورفع السبت ووضع الاحد وكان ذلك كله بامر الله فكان ناسخا لتلك الاحكام والشرائع والناسخ والمنسوخ حق وصدق **وجئتكم باية من ربكم** اي بحجة بالغة شاهدة على صحة رسالتي ثم خوفهم بقوله **فاتقوا الله** يعني يا معشر بني اسرائيل فيما امركم به ونهاكم عنه **واطيعون** يعني فيما ادعوكم اليه لان طاعة الرسول لله من توابع تقوى الله وما ادعوكم اليه هو قولي **ان الله ربي وربكم فاعبدوه** لان جميع الرسل كانوا على دين واحد وهو التوحيد ولم يختلفوا في الله تعالى وفي هذه الاية حجة بالغة على نصارى وفد نجران ومن قال بقولهم من سائر النصارى باخبار المسيح عيسى عليه السلام انه كان بريئا مما نسبه اليه النصارى وانه كان عبد الله وختم بنبوته ورسالته ثم ختم ذلك بقوله **هذا صراط مستقيم** يعني التوحيد قوله عز وجل **فلما احس عيسى منهم الكفر** اي وجد وعرف وقيل راى والاحساس عبارة عن وجدان الشيء بالحاسة والمعنى انهم تكلموا بكلمة الكفر فحس ذلك عيسى منهم وعرف اصرارهم عليه وعزمهم على قتله

ذكر سبب القصة

قال اهل الاخبار والسير لما بعث الله عيسى الى بني اسرائيل وامره باظهار رسالته والدعاء اليه نفوه واخرجوه من بينهم فخرج هو وامه يسيحان في الارض فنزلا في قرية على رجل فاضافهم واحسن اليهم وكان لتلك القرية ملك جبار متعد فجاء ذلك الرجل في بعض الايام وهو مهموم حزين فدخل منزله ومريم عند امراته فقالت مريم ما شان زوجك اراه كئيبا حزينا فقالت لا تسالي قالت مريم اخبريني لعل الله ان يفرج كربته قالت المراة ان لنا ملكا جبارا وقد جعل على كل رجل منا يوما يطعمه فيه هو وجنوده ويسقيهم الخمر وان لم يفعل ذلك عاقبه واليوم نوبتنا وليس عندنا سعة لذلك فقالت لها قولي له لا يهتم لذلك فاني امر ابني ان يدعو له فيكفي ذلك ثم قالت مريم لعيسى في ذلك فقال عيسى ان فعلت ذلك وقع شر قالت مريم لا تبالي فانه قد احسن الينا واكرمنا قال عيسى قولي له اذا قرب ذلك الوقت فاملا قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمني ففعل الرجل ذلك ثم دعا الله عيسى عليه السلام فتحول ما في القدور مرقا ولحما وما في الخوابي خمرا لم ير الناس مثله فلما جاء الملك واكل من ذلك الطعام وشرب من ذلك الخمر قال من اين لكم هذا الخمر فقال الرجل هو من ارض كذا فقال الملك ان خمري من تلك الارض وليست مثل هذه فقال هي من ارض اخرى فلما راه الملك قد اختلط شدد عليه فقال الرجل انا اخبرك ان عندي غلاما لا يسال الله شيئا الا اعطاه اياه وانه دعا الله لما فجعل الماء خمرا وكان للملك ابن يريد ان يستخلفه في ملكه وقد مات قبل ذلك بايام وكان يحبه حبا شديدا فقال الملك ان رجلا دعا الله حتى صار الماء خمرا ليدعونه ليستجيبن له حتى يحيي ابني فطلب عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى لا تفعل فانه ان عاش وقع شر فقال الملك لا ابالي اليس اراه فقال عيسى ان انا احييته تتركني انا وامي نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله عيسى فعاش الغلام فلما راه اهل مملكته قد عاش تنادوا الى السلاح وقالوا قد اكلنا هذا الملك حتى اذا دنا اجله يريد ان يستخلف علينا ابنه فياكلنا كما اكلنا ابوه فاقتتلوا وظهر امر عيسى وقصدوا قتله وكفروا به وقيل ان اليهود كانوا عارفين بان المسيح المبشر به في التوراة وانه ينسخ دينهم فلما اظهر عيسى الدعوة اشتد ذلك عليهم واخذوا في اذاه وطلبوا قتله وكفروا به فاستنصر عليهم كما اخبر الله عز وجل عنه بقوله **قال** يعني عيسى عليه السلام **من انصاري الى الله** اي مع الله وقيل معناه الى ان ابين امر الله واظهر دينه وقيل الى بمعنى في اي في ذات الله وسبيله وقيل الى بمعنى

Copyright © King Saud University

موضعها او المعنى من يضم نصرته الى نصرة الله لي قال الحواريون نحن انصار الله وذلك ان عيسى عليه السلام
لما دعى بني اسرائيل الى الله تعالى تمردوا عليه وكفروا به فخرج يسير في الارض فمر بجماعة يصطادون السمك
وكانوا اثني عشر ورئيسهم شمعون ويعقوب فقال عيسى عليه السلام ما تصنعون قالوا نصيد السمك
قال افلا تمشون حتى نصيد الناس قالوا ومن انت قال انا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فسالوه اية تدل
على صدقه وكان شمعون قد رمى شبكته في الما فدعا الله عيسى من السمك فما كادت تتمزق من كثرته فاستعانوا
باهل سفينة اخرى وملؤا السفينتين من السمك فعند ذلك امنوا به وانطلقوا معه واختلفوا في الحواريين فقيل
كانوا يصطادون السمك فلما امنوا بعيسى صاروا يصطادون الناس وبعده وهم الذين سموا حواريين
لبياض ثيابهم بيان لحورت الثي يعني بيضته وقيل كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب
اي يبيضونها وقيل ان مريم سلمت عيسى الى اعمال شتى فكان اخر من سلمته اليه الحواريين وكانوا قصارين وصباغين
فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه واجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الصنعة وانا
خارج الى سفر ولا ارجع الى عشرة ايام وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد علمت كل واحدة منها بخيط على اللون
الذي يصبغ به فاريد ان تفرغ منها وقت قدومي وخرج المعلم الى سفره وطبخ عيسى حبا واحدا على لون واحد
وادخل فيه جميع الثياب وقال كوني باذن الله على ما اريد منك ثم قدم الحواري والثياب كلها في الحب فقال لعيسى ما فعلت
قال قد فرغت منها قال واين هي قال في الحب قال كلها قال نعم قال لقد افسدت علي تلك الثياب قال عيسى لا
ولكن قم فانظر وقام عيسى واخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر وثوبا اسود حتى اخرجها كلها على الالوان
التي يريد الحواري فجعل الحواري يتعجب من ذلك وعلم ان ذلك من الله تعالى فقال للناس تعالوا فانظروا فامن به
هو واصحابه وهم الحواريون وقيل سموا حواريين لصفا قلوبهم ولما ظهر عليهم من اثر العبادة ونورها وقيل الحواريون
الاصفيا وكانوا اصفيا عيسى وخاصته وقيل الحواريون هم الخلفا وقيل هم الوزرا وكانوا خلفا عيسى ووزراه
وقيل الحواريون هم الانصار والحواري الناصر والحواري الرجل الذي يستعان به ق عن جابر بن عبد الله
قال ندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان لكل نبي حواريا وحواري الزبير قال الحواريون نحن انصار الله يعني انصار دين الله ورسوله واعوانه امنا بالله
اي صدقنا بان الله ربنا ورب كل شي واشهد يعني انت يا عيسى بانا مسلمون قيل معناه واشهد بانا منقادون
لما تريد منا من نصرتك والذب عنك ومستسلمون لامر الله عز وجل وقيل هو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وانه دين
عيسى وكل الانبيا قبله لا اليهودية والنصرانية ربنا امنا بما انزلت يعني قال الحواريون بعد اشهادهم عيسى على انهم
مسلمون ربنا امنا بما انزلت يعني بكتابك الذي انزلته على عيسى عليه السلام واتبعنا الرسول يعني عيسى فاكتبنا
مع الشاهدين يعني الذين شهدوا لانبيائك بالصدق وامنوا امرك ونهيك فاثبت اسمانا مع اسمائهم
واجعلنا في عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به وهذا يقتضي ان يكون الشاهدين الذين سالوا الحواريون ان يكونوا
معهم مزيد فضل عليهم فلهذا قال ابن عباس في قوله فاكتبنا مع الشاهدين اي مع محمد صلى الله عليه وسلم
وامته لانهم المخصوصون بتلك الفضيلة فانهم يشهدون للرسل بالبلاغ وقيل هم الشاهدين يعني
النبيين لان لكل نبي شاهد على امته قوله عز وجل ومكروا يعني كفار بني اسرائيل الذين احس عيسى منهم
الكفر واصل المكر صرف الغير عما يقصده بضرب الحيلة وقيل هو السعي بالفساد في الخفية فاما مكرهم بعيسى
فانهم دبروا في قتله وقتلوا به وذلك ان عيسى عليه السلام بعد ان اخرجه قومه هو وامه رجع مع
الحواريين وصاح فيهم بالدعوة واظهر رسالته اليهم فهموا بقتله والفتك فيه فذلك مكرهم والمكر

من

من الخلق الخبث والخدع بعينه في الحيلة ومكر الله اي جازاهم على مكرهم فسمى الجزاء باسم الابتداء لانه في مقابلته وقيل
مكر الله استدراج العبد واخذه بغتة من حيث لا يحتسب ومكر الله في هذه الاية خاصة هو القا الشبه
على صاحبهم الذي دلهم على عيسى حين ارادوا قتله حتى قتل قال ابن عباس ان عيسى عليه السلام استقبل
رهطا من اليهود فلما راوه قالوا قد جا الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وامه فلما
سمع عيسى ذلك دعا عليهم ولعنهم فمسخوا خنازير فلما راى ذلك يهوذا راس اليهود ومليكهم فزع لذلك وخاف
دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى [illegible]
في سقفها روزنة فرفعه الله [illegible] رجلا من اصحابه يقال له ططيانوس
ان يدخل الخوخة [illegible] فالقى الله عليه
شبه عيسى [illegible]
[illegible]
فخالف بينهم وبين عيسى عليه السلام الحواريين تلك الليلة [illegible]
ليلتهم يبكي [illegible] وكانت اليهود تطلبه فاتى احد الحواريين
الى اليهود وقال لهم ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه فلما
دخل البيت القي عليه شبه المسيح الذي القي الله شبه عيسى عليه السلام ورفع الله عيسى واخذوا الذي دلهم عليه
فقال انا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا الى قوله فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما صلب
الذي القي عليه شبه عيسى جاءت مريم وامراة اخرى كان عيسى دعا لها فابراها الله من الجنون
يبكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى عليه السلام وقال علام تبكيان ان الله تعالى
رفعني ولم يصبني الا خير وهذا شي شبه لهم فلما كان بعد سبعة ايام قال الله تعالى لعيسى
اهبط الى مريم المجدلانية وهو اسم موضع وهي نسبة اليه فانه لم يبك عليك احد بكاءها ولم يحزن عليك
احد حزنها ثم لتجمع لك الحواريين فبثهم في الارض دعاة الى الله عز وجل فاهبطه الله عز وجل عليها
فاشتعل الجبل حين اهبط نورا فجمعت له الحواريين فبثهم في الارض دعاة فتلك الليلة التي تدخن
فيها النصارى فلما اصبح الحواريون تكلم كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى اليهم فذلك قوله تعالى
ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين يعني وهو افضل المجازين بالسيئة العقوبة وقال السدي ان
اليهود حبست عيسى عليه السلام في بيت ومعه عشرة من الحواريين فدخل عليهم رجل منهم وكان
منافقا فالقي عليه شبه عيسى فاخذ وقتل وصلب [illegible] قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله عيسى عليه
السلام قال لاصحابه ايكم يقذف عليه شبهي فانه مقتول فقال رجل منهم انا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل
ومنع الله عيسى ورفعه اليه وكساه الريش والبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع
الملائكة فهو معهم حول العرش وصار انسيا ملكيا ارضيا سماويا قال اهل التاريخ حملت مريم بعيسى
ولها ثلاث عشرة سنة وولدته ببيت لحم من ارض اورشليم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر
على ارض بابل واوحى الله الى عيسى على راس ثلاثين سنة ورفعه الله من بيت المقدس ليلة القدر
من رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت امه مريم بعد
رفعه ست سنين قوله عز وجل اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي [illegible] اختلفوا في معنى التوفي
هنا على طريقين فالطريق الاول ان الاية على ظاهرها من غير تقديم ولا تاخير وذكروا في معناها وجوه

Copyright © King Saud University

الاول معناه انى قابضك ورافعك الى من غير موت من قولهم توفيت الشيء واستوفيته اذا اخذته
وقبضته تاما والمقصود منه ان لا يصل اعداوه من اليهود اليه بقتل ولا غيره الوجه الثاني ان المراد
بالتوفي النوم ومنه قوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فجعل النوم
وفاة وكان عيسى قد نام فرفعه الله وهو نائم لئلا يلحقه خوف فمعنى الاية انى منيمك ورافعك
الى الوجه الثالث ان المراد بالتوفي حقيقة الموت قال ابن عباس معناه انى مميتك قال وهب بن
منبه توفى الله عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم رفعه اليه وقيل ان النصارى يزعمون ان
الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم احياه ورفعه اليه الوجه الرابع ان الواو في قوله ورافعك الى
لا تفيد الترتيب والاية تدل على ان الله تعالى يفعل به ما ذكر فاما كيف يفعل ومتى يفعل فالامر فيه
موقوف على الدليل وقد ثبت في الحديث انه سينزل ويقتل الدجال ثم يتوفاه الله تعالى الوجه
الخامس قال ابو بكر الواسطي معناه انى متوفيك عن شهواتك وحظوظ نفسك ورافعك الى وذلك ان عيسى
عليه السلام لما رفع الى السماء صار حاله كحال الملائكة في زوال الشهوة الوجه السادس ان معنى التوفي اخذ
الشيء وافيا ولما علم الله تعالى ان من الناس من يخطر بباله ان الذي رفعه الله اليه هو روحه دون جسده كما زعمت
النصارى ان المسيح رفع لاهوته يعني روحه وبقي في الارض ناسوته يعني جسده فرد الله تعالى عليهم بقوله اني
متوفيك ورافعك الى فاخبر الله انه رفعه بتمامه الى السماء بروحه وجسده جميعا الطريق الثاني ان في الاية
تقديما وتاخيرا تقديره اني رافعك الى ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالك الى الارض
وقيل لبعضهم هل تجد نزول عيسى في الارض في القران قال نعم قوله تعالى وكهلا وذلك انه لم يكتهل
في الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال
حتى لا يقبله احد زاد في رواية حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول ابو هريرة
اقرؤوا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وفي رواية كيف انتم اذا نزل ابن مريم
فيكم وامامكم منكم وفي رواية فامكم منكم قال ابن ابي ذيب تدري ما امكم منكم قلت تخبرني قال فامكم بكتاب
ربكم عز وجل وبسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وفي افراد مسلم من حديث النواس بن سمعان قال بينما هو
كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بيني وبينه يعني عيسى نبي وانه نازل فاذا رايتموه فاعرفوه
فانه مربوع الى الحمرة والبياض بين ممصرتين كان راسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس
على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله في زمانه الملل كلها الا الاسلام
ويهلك المسيح الدجال ثم يمكث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون اخرجه ابو داود
ونقل بعضهم ان عيسى عليه السلام يدفن في حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقوم ابو بكر وعمر يوم
القيامة بين نبيين محمد وعيسى عليهما السلام وقوله تعالى ومطهرك من الذين كفروا اي مخرجك من بينهم
ومنجيك منهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة يعني وجاعل الذين اتبعوك في
التوحيد وصدقوا قولك وهم اهل الاسلام من امة محمد صلى الله عليه وسلم فوق الذين كفروا بالعز والظفر
والغلبة بالحجة الظاهرة وقيل هم الحواريون الذين اتبعوا عيسى على دينه وقيل هم النصارى فهم فوق
اليهود وذلك لان ملك اليهود قد ذهب فلم يبق لهم مملكة وملك النصارى باق فعلى هذا القول يكون

الاتباع

الاتباع بمعنى المحبة والادعاء لا اتباع الدين لان النصارى وان اظهروا متابعة عيسى عليه السلام فهم
اشد مخالفة له وذلك ان عيسى عليه السلام لم يرض بما هم عليه من الشرك فعلى القول الاول هو الاصح لان
الذين اتبعوه هم الذين شهدوا له انه عبد الله ورسوله وكلمته وهم المسلمون وملكهم باق الى يوم القيامة
ثم الي مرجعكم يعني يقول الله عز وجل الي مرجع الفريقين في الاخرة الذين اتبعوا عيسى وصدقوا به
والذين كفروا به فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون يعني من الحق في امر عيسى وخالفوا الله وقالوا فيه ما قالوا
من الباطل ووصفوه بما لا ينبغي فاما الذين كفروا من سائر اليهود والنصارى فاعذبهم عذابا شديدا
في الدنيا يعني بالقتل والسبي والذلة واخذ الجزية منهم والاخرة اي واعذبهم في الاخرة بالنار وما
لهم من ناصرين يعني ما نعين يمنعونهم من عذابنا واما الذين امنوا يعني بعيسى عليه السلام وصدقوا
بنبوته وانه عبد الله ورسوله وكلمته وعملوا الصالحات يعني عملوا بما فرضت عليهم وشرعت لهم فيوفيهم
اجورهم يعني جزاء اعمالهم لا ينقص منه شيء والله لا يحب الظالمين اي لا يحب من ظلم غيره حقا له او وضع شيئا
في غير موضعه والمعنى انه تعالى لا يرحمهم ولا يثني عليهم بجميل ثم قال تعالى ذلك يعني الذي ذكرت لك
من اخبار عيسى وامه مريم والحواريين وغير ذلك من القصص نتلوه عليك اي نخبرك به يا محمد على لسان
جبريل عليه السلام وانما اضاف ما يتلوه جبريل الى نفسه سبحانه وتعالى لانه من عنده وبامره من غير تفاوت اصلا
فاضافه اليه من الايات يعني من القران وقيل الايات يعني العلامات الدالة على نبوتك يا محمد لانها
اخبار لا يعلمها الا من يقرا او يكتب او نبي يوحى اليه وانت امي لا تقرا ولا تكتب فثبت ان ذلك من الوحي
السماوي الذي نزل عليك والذكر الحكيم اي المحكم الممنوع من الباطل قيل المراد من الذكر الحكيم القران لانه محكم
يستفاد منه جميع الاحكام وقيل الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ الذي منه نزلت جميع كتب الله على رسله
وهو لوح من درة بيضاء معلقة بالعرش قوله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب الاية اجمع اهل
التفسير ان هذه الاية نزلت في محاجة نصارى وفد نجران قال ابن عباس ان رهطا من اهل نجران قدموا
على النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما شانك تذكر صاحبنا
فقال من هو قالوا عيسى تزعم انه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجل انه عبد الله فقالوا له
هل رايت له مثلا او انبئت به ثم خرجوا من عنده فجاء جبريل عليه السلام فقال قل لهم ان مثل عيسى عند
الله كمثل ادم خلقه من تراب وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه عبد الله ورسوله وكلمته
القاها الى مريم العذراء البتول فغضبوا وقالوا يا محمد هل رايت انسانا قط من غير اب فانزل الله
ان مثل عيسى عند الله اي في الخلق والانشاء في كونه خلقه من غير اب كمثل ادم في كونه خلقه من تراب
من غير اب وام ومعنى الاية ان صفة خلق عيسى من غير اب كصفة ادم في كونه خلقه من تراب
لا من اب وام فان انكرتم ان الله خلق ادم من التراب اليابس وهو ابلغ في القدرة فلم لا تقرون ان الله
خلق عيسى ابن مريم من غير اب بل الشان في خلق ادم اعجب واغرب وتم الكلام عند قوله كمثل
ادم لانه تشبيه كامل ثم قال تعالى خلقه من تراب فهو خبر مستانف على جهة التفسير لحال خلق
ادم في كونه خلقه من تراب اي قدره جسدا من طين ثم قال له كن اي انشاه خلقا بالكلمة وكذلك عيسى
انشاه خلقا بالكلمة فعلى هذا القول ذكروا في الاية اشكالا وهو انه تعالى قال خلقه من تراب ثم قال له
كن فهذا يقتضي ان يكون خلق ادم متقدما على قوله كن ولا تكوين بعد الخلق واجيب عن
هذا الاشكال بان الله تعالى اخبر انه خلقه من تراب لا من ذكر وانثى ثم ابتدا خبرا اخر فقال اني اخبركم

Copyright © King Saud University

ايضا الى قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة ويحتمل ان يكون المراد انه تعالى خلقه جسدا من تراب ثم قال له كن بشرا فكان فصح النظم وقيل الضمير في قوله كن يرجع الى عيسى عليه السلام بادم عليه السلام وقد وجد عيسى من غير اب ووجد ادم من غير اب ولا ام قلت هو مثله في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الاخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في الاوصاف ولانه شبهه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران لان الوجود من غير اب وام اغرب في العادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وحكي ان بعض العلماء اسر في بعض بلاد الروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فادم اولى لانه لا اب له ولا ام قالوا وكان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة نفر واحيا حزقيل ثمانية الاف قالوا وكان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سليما وقوله كن فيكون قال ابن عباس معناه كن فكان فاريد بالمستقبل الماضي وقيل معناه ثم قال له كن فانه يكون لا محالة الحق من ربك الذي اخبرتك به من تمثيل عيسى بادم هو الحق من ربك فلا تكن من الممترين اي من الشاكين انه كذلك وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك فهو كقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء والمعنى فلا تكن من الممترين ايها السامع كائنا من كان لهذا التمثيل والبرهان الذي ذكر فهو من باب التهييج لزيادة الثبات والطمانينة قوله عز وجل فمن حاجك فيه اي فمن جادلك في عيسى وقيل في الحق من بعد ما جاءك من العلم بان عيسى عبد الله ورسوله فقل تعالوا اي هلموا والمراد منه المجيء واصله من العلو بالراي والعزم كما تقول تعالى نتفكر في هذه المسئلة ندع ابناءنا وابناءكم اي يدع كل منا ومنكم ابناءه ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم قيل اراد بالابناء الحسن والحسين وبالنساء فاطمة وبالنفس نفسه صلى الله عليه وسلم وعليا رضي الله عنه وقيل هو على العموم لجماعة اهل الدين ثم نبتهل قال ابن عباس نتضرع في الدعاء وقيل معناه نجتهد ونبالغ في الدعاء وقيل معناه نلتعن والابتهال الالتعان يقال عليه بهلة الله اي لعنة الله فنجعل لعنة الله على الكاذبين يعني منا ومنكم في امر عيسى قال المفسرون لما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية على وفد نجران ودعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر في امرنا ثم ناتيك غدا فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان كبيرهم وصاحب رايهم ما ترى يا عبد المسيح قال لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولئن فعلتم ذلك لتهلكن فان ابيتم الا الاقامة على ما انتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد احتضن الحسين واخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم اذا دعوت فامنوا فلما راهم اسقف نجران قال يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا لازاله من مكانه فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القاسم قد راينا ان لا نباهلك وان نتركك على دينك وتتركنا على ديننا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا ذلك فقال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكنا نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا وان نؤدي اليك في كل سنة الفي حلة الف في صفر والف في رجب زاد في رواية وثلاثين درعا عادية وثلاثا

وثلاثين بعيرا واربعا وثلاثين فرسا غازية فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان العذاب تدلى على اهل نجران ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا فان

قلت كيف كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الصادق من الكاذب منه ومن خصمه وذلك يختص به وبمن يباهله فما معنى ضم الابناء والنساء في المباهلة **قلت** ذلك اكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرا على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه فلذلك ضمهم في المباهلة ولم يقتصر على تعريض نفسه لذلك وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك استيصال ان تمت المباهلة وانما خص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل وانما قدمهم في الذكر على النفس لينبه بذلك على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وفيه دليل قاطع وبرهان واضح على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد موافق ولا مخالف انهم اجابوا الى المباهلة لانهم عرفوا صحة نبوته وما يدل عليها في كتبهم وقوله تعالى ان هذا يعني الذي قص عليك يا محمد من خبر عيسى وانه عبد الله ورسوله لهو القصص الحق واصله من القص وهو تتبع الاثر والقصص الخبر الذي تتابع فيه المعاني وما من اله الا الله انما دخلت من لتوكيد النفي والمعنى ان عيسى ليس باله كما زعمت النصارى ففيه رد عليهم ونفي جميع من ادعى من المشركين انهم الهة واثبات الالهية لله تعالى وحده لا شريك له في الالهية وان الله لهو العزيز اي الغالب المنتقم ممن عصاه وخالف امره وادعى معه الها اخر الحكيم يعني في تدبيره وفيه رد على النصارى لان عيسى لم يكن كذلك فان تولوا يعني فان اعرضوا عن الايمان ولم يقبلوه فان الله عليم بالمفسدين اي الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس الى عبادة غيره وفيه وعيد وتهديد لهم قوله عز وجل قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم قال المفسرون لما قدم وفد نجران المدينة اجتمعوا باليهود فاختصموا في ابراهيم صلى الله عليه وسلم فزعمت النصارى انه كان نصرانيا وهم على دينه واولى الناس به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من ابراهيم ودينه بل كان حنيفا مسلما وانا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فقالت اليهود يا محمد ما تريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فانزل الله عز وجل قل يا اهل الكتاب تعالوا اي هلموا الى كلمة يعني فيها انصاف ولا ميل فيها لاحد على صاحبه والعرب تسمي كل قصة او خطبة لها اول واخر شرح كلمة سواء اي عدل لا تختلف فيها التوراة والانجيل والقران وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله وذلك ان النصارى عبدوا غير الله وهو المسيح واشركوا به وهو قولهم اب وابن وروح القدس فجعلوا الواحد ثلاثة واتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وذلك انهم لما يطيعونهم فيما يامرونهم به من الشرك ويسجدون لهم فهذا معنى اتخاذ بعضهم بعضا اربابا من دون الله فثبت ان النصارى قد جمعوا بين هذه الثلاثة اشياء ومعنى الاية قل يا محمد لليهود والنصارى هلموا الى امر عدل نصف وهو ان لا نقول عزير ابن الله ولا نقول المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بشر مخلوق مثلنا ولا نطيع احبارنا ورهباننا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع ولا يسجد بعضنا لبعض

لان السجود لغير الله حرام فلا يسجد لغير الله وقيل معناه ولا نطيع احدا في معصية الله فان تولوا يعني
فان اعرضوا عن ما امرتهم به فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي مخلصون بالتوحيد والعبادة له
ق عن ابن عباس ان ابا سفيان اخبره ان هرقل ارسل اليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام في المدة
التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها ابا سفيان وكفار قريش فاتوه وهو بايليا فدعاهم
في مجلسه وحوله عظما الروم ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به مع دحية الكلبي
الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقراه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله الى
هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يوتك
الله اجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم اليريسيين ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا
وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا
فقولوا اشهدوا بانا مسلمون لفظ الحديث احمد ولابي ذر البخاري وقد اخرجه باطول من هذا
وفيه زيادة قوله اليريسيين وفي رواية الاريسيين والاريس الاكار وهو الزراع والفلاح
وقيل هم اتباع عبد الله بن اريس رجل كان في الزمن الاول بعث الله نبيا فخالفه قومه وقيل هم
الاروسيون وهم النصارى اتباع عبد الله بن اريس وهم الاروسية وقيل هم الاريسون نعتهم
الهمزة وهم الملوك الذين خالفوا نبيا هم وقيل هم المتجبرون وقيل هم اليهود والنصارى
الذين صدوهم عن الاسلام واتبعوك على كفرك قوله عز وجل يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم قال
ابن عباس اجتمع عند النبي صلى الله عليه وسلم نصارى نجران واحبار اليهود فتنازعوا عنده
فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا فانزل
الله فيهم يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده ومعنى الاية ان اليهود
والنصارى لما اختصموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في شان ابراهيم عليه السلام
وادعت كل طايفة انه كان منهم وعلى دينهم فبرا الله عز وجل ابراهيم مما ادعوا فيه واخبر ان اليهودية
والنصرانية انما حدثتا بعد نزول التوراة والانجيل وانما نزل بعد ابراهيم بزمان طويل فكان بين
ابراهيم وبين موسى ونزول التوراة عليه خمسماية سنة وخمس وسبعون سنة وبين موسى وعيسى
الف سنة وستماية سنة واثنان وثلاثون سنة وقال ابن اسحاق كان بين ابراهيم وموسى
خمسماية سنة وخمسة وستون سنة وبين موسى وعيسى الف سنة وتسعماية وعشرون سنة
واورد على هذا التاويل بان الاسلام ايضا انما حدث بعد ابراهيم وموسى وعيسى بزمان
طويل وكذلك انزل القران انما نزل بعد التوراة والانجيل فكيف صح ما ادعيتم في ابراهيم انه
كان حنيفا مسلما واجيب عنه بان الله عز وجل اخبر في القران بان ابراهيم كان حنيفا مسلما
وليس في التوراة والانجيل ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا فصح وثبت ما ادعاه المسلمون
وبطل ما ادعاه اليهود والنصارى وهو قوله تعالى افلا تعقلون يعني بطلان قولكم يا معشر
اليهود والنصارى حتى تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم هولا ها للتنبيه وهو موضع الندا
يعني هولاء والمراد بهم اهل الكتاب يعني يا معشر اليهود والنصارى حاججتم اي جادلتم وخاصمتم
فيما لكم به علم يعني فيما وجدتم في كتبكم وانزل عليكم بيانه في امر موسى وعيسى وادعيتم انكم على دينهما وقد
انزلت التوراة والانجيل عليكم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم يعني انه ليس في كتابكم ان ابراهيم كان يهوديا

او نصرانيا والله يعلم وانتم لا تعلمون يعني ما كان ابراهيم عليه من الدين ثم برا الله تعالى ابراهيم مما قالوا فقال تعالى
ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما يعني مايلا عن الاديان كلها الا الدين المستقيم وهو الاسلام
وقيل الحنيف الذي يوحد ويختتن ويضحي ويستقبل الكعبة في صلاته وهو احسن الاديان واسهلها واحبها
الى الله عز وجل وما كان من المشركين يعني الذين يعبدون الاصنام وقيل فيه تعريض بكون النصارى مشركين
لقولهم بالهية المسيح وعبادتهم له قوله عز وجل ان اولى الناس بابراهيم يعني احقهم به واقربهم منه للذين
اتبعوه يعني الذين كانوا في زمانه وامنوا به واتبعوا شريعته وهذا النبي يعني محمد صلى الله عليه وسلم
والذين امنوا يعني من هذه الامة الاسلامية والله ولي المومنين يعني بالنصر والمعونة عن ابن مسعود قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي ولاة من النبيين وان وليي وخليل ربي ابراهيم ثم قرا ان اولى الناس
بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المومنين اخرجه الترمذي وروى الكلبي عن ابي صالح
عن ابن عباس ورواه محمد بن اسحاق عن ابن شهاب باسناده حديث هجرة الحبشة قال لما هاجر جعفر بن ابي
طالب واناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ارض الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر النبي صلى الله عليه
وسلم الى المدينة وكان من امر بدر ما كان اجتمعت قريش في دار الندوة قالوا ان لنا في الذين عند النجاشي
من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثارا ممن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالا واهدوه الى النجاشي لعله يدفع
اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوي رايكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن ابي معيط معهما
الهدايا الادم وغيره فركبا البحر حتى اتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا له ان قومنا
لك ناصحون شاكرون ولاصحابك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هولاء الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل
كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتابعه احد منا الا السفهاء وانا كنا قد ضيقنا عليهم الامور والجاناهم الى
شعب بارضنا لا يدخل عليهم احد ولا يخرج منهم احد فقتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليه الامر بعث اليك
ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالا وايه ذلك انهم اذا
دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم
النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستاذن عليك حزب الله فقال النجاشي مروا هذا الصايح فليعد
كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو الى صاحبه وقال الا تسمع
كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم به الملك فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص
الا ترى انهم يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما منعكم ان تسجدوا لي وتحيوني بالتحية التي
يحييني بها من اتاني من الافاق قالوا نسجد لله الذي خلقك وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن
نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا امرنا بالتحية التي رضيها الله وهي السلام تحية اهل الجنة
فعرف النجاشي ان ذلك حق وانه في التوراة والانجيل قال ايكم الهاتف يستاذن عليك حزب الله قال جعفر
انا قال فتكلم قال انك ملك من ملوك الارض من اهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم
وانا احب ان اجيب عن اصحابي فمر هذين الرجلين فليتكلم احدهما ولينصت الاخر فتسمع محاورتنا
فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذين الرجلين اعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا قد ابقنا
من اربابنا فردنا عليهم قال النجاشي اعبيد هم ام احرار فقال بل احرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية
فقال جعفر سلهما هل اهرقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال النجاشي ان كان قنطار فعلي
قضاوه فقال عمرو ولا قيراط فقال النجاشي فما تطلبون منهم فقال كنا وهم على دين واحد وامر واحد

Copyright © King Saud University

علي دين ابائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره فبعثنا قومنا لتردهم الينا فقال النجاشي وما هذا الدين الذي
كنتم عليه والدين الذي اتبعتموه فقال جعفر اما الدين الذي كنا عليه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله
ونعبد الحجارة واما الذي تحولنا اليه فهو دين الاسلام جاءنا به من عند الله رسول وكتاب مثل كتاب
ابن مريم موافقا له فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بامر عظيم على رسلك ثم امر النجاشي بضرب الناقوس
فضرب فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي انشدكم الله الذي انزل الانجيل
على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى فقال من
امن به فقد امن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يامركم
به وما ينهاكم عنه فقال يقرا علينا كتاب الله ويامرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر ويامرنا بحسن الجوار
وصلة الرحم وبر اليتيم ويامرنا ان نعبد الله وحده لا شريك له فقال اقرا علي مما يقرا عليكم
فقرا عليهم سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشي من الدمع وقال زدنا من هذا الحديث الطيب فقرا
عليهم سورة الكهف فاراد عمرو ان يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وامه فقال النجاشي ما تقولون
في عيسى وامه فقرا عليهم سورة مريم فلما اتى ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي من سواكه قدر ما يقذي
العين فقال والله ما زاد المسيح على ما تقولون هذا ثم اقبل على جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانتم
سيوم بارضي يقول امنون من سبكم او اذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب
ابراهيم فقال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاءوا من عنده ومن اتبعهم
فانكر ذلك المشركون وادعوا دين ابراهيم ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم
الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم ياخذ مني رشوة قال جعفر فانصرفنا وكنا في خير جوار
وانزل الله عز وجل في ذلك اليوم على رسوله صلى الله عليه وسلم في خصومتهم في ابراهيم وهو بالمدينة
ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين قوله تعالى ودت
طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر حين دعاهم
اليهود الى دينهم فنزلت فيهم ودت طائفة اي تمنت طائفة جماعة من اهل الكتاب يعني اليهود لو
يضلونكم يعني عن دينكم ويردونكم الى الكفر وما يضلون الا انفسهم لان المؤمنين لا يقبلون قولهم فيحصل
عليهم الاثم بتمنيهم اضلال المؤمنين وما يشعرون يعني ان وبال الاضلال يعود عليهم لان العذاب
يضاعف لهم بسبب ضلالهم وبتمني اضلال المسلمين وما يقدرون على ذلك انما يضلون امثالهم
واتباعهم واشباههم يا اهل الكتاب الخطاب لليهود لم تكفرون بايات الله يعني القران وقيل المراد بايات
الله ما في التوراة والانجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وسبب كفرهم بالتوراة
والانجيل على هذا القول هو تحريفهم وتبديلهم ما فيهما من بيان نعت محمد صلى الله عليه
وسلم وصفته والبشارة بنبوته لانهم ينكرون ذلك وانتم تشهدون يعني ان نعته موجود مذكور
في التوراة والانجيل وذلك ان احبار اليهود كانوا يكتمون ما في التوراة من نعته وصفته فاذا خلا بعضهم
ببعض اظهروا ذلك فيما بينهم وشهدوا بانه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وذلك ان علماء اليهود
والنصارى كانوا يعلمون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويعلمون انه من عند الله وانه نبي حق وكانوا
ينكرون ذلك بالسنتهم وكانوا يخلطون [illegible] المتشابهات والمحكمات وذلك [illegible]
فاختلط الحق لا يقدرون على ذلك لانهم [illegible] الامور بقوله تعالى لم تلبسون الحق بالباطل معناه تحرفون

التوراة

التوراة وتبديلها فيخلطون المحرف الذي كتبوه بايديهم بالحق المنزل وقيل هو خلط الاسلام باليهودية
والنصرانية وذلك انهم تواطئوا على اظهار الاسلام في اول النهار والرجوع عنه في اخره والمراد بذلك تشكيك
الناس وذلك انهم كانوا يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم معترف بصحة نبوة موسى وانه حق ثم ان التوراة
دالة على ان شرع موسى لا ينسخ فهذا من تلبيساتهم على الناس وتكتمون الحق يعني نعت محمد صلى الله عليه وسلم
وصفته في التوراة وانتم تعلمون يعني انه رسول من عند الله وان دينه حق وانما كتمتم الحق عنادا وحسدا
وانتم تعلمون بما تستحقون على كتمان الحق من العقاب قوله عز وجل وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا
بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره وهذا نوع اخر من تلبيسات اليهود وقيل تواطأ اثنا عشر
حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة فقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار باللسان دون اعتقاد
القلب ثم اكفروا اخر النهار وقالوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا ان محمدا ليس هو بذلك المنعوت
وظهر لنا كذبه فاذا فعلتم ذلك شك اصحاب محمد في دينه فاتهموه وقالوا انهم اهل الكتاب واعلم به منا فيرجعون
عن دينهم وقيل هذا في شان القبلة وذلك انه لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف
لاصحابه امنوا بما انزل على محمد في امر الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم اكفروا وارجعوا الى قبلتكم
اخر النهار لعلهم يرجعون فيقولون هؤلاء اهل الكتاب وهم اعلم فيرجعون الى قبلتنا فاطلع الله رسوله
صلى الله عليه وسلم على سرهم وانزل هذه الاية ووجه النهار اوله والوجه مستقبل كل شيء لانه اول
ما يواجه منه وانشدوا في معناه • من كان مسرورا بمقتل مالك • فليات نسوتنا بوجه نهار • قوله لعلهم
يرجعون يعني عنه انا التبسنا هذه الشبهة لعلهم يشكون في دينهم فيرجعون عنه ولما دبروا هذه الحيلة
اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بها فلم تتم لهم ولم يحصل لها اثر في قلوب المؤمنين ولولا هذا الاعلام
من الله تعالى لكان ربما اثر ذلك في قلوب بعض من كان في ايمانه ضعف قوله تعالى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
هذا متصل بالاول وهو من قول اليهود يقول بعضهم لبعض ولا تؤمنوا اي لا تصدقوا الا لمن تبع دينكم
اي وافق ملتكم التي انتم عليها وهي اليهودية واللام في لمن صلة كقوله ردف لكم اي ردفكم قل ان الهدى هدى الله اي
ان الدين دين الله والبيان بيانه وهذا خبر من الله تعالى ثم اختلفوا فيه فمنهم من قال هذا كلام معترض
بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الاول وهو اخبار عن قول اليهود بعضهم لبعض ومعنى الاية
ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من العلم والحكمة والكتاب والايات
من فلق البحر وانزال المن والسلوى عليكم وغير ذلك من الكرامات ولا تؤمنوا ان يحاجوكم عند ربكم لانكم
اصح دينا منهم فلما اخبر الله تعالى عن اليهود بذلك قال وانما ذلك قل ان الهدى هدى الله والمعنى ان الذي
انتم عليه انما صار دينا بحكم الله وامره فاذا امر بدين اخر وجب اتباعه والانقياد لحكمه لانه هو الذي هدى اليه
وامر به وقيل معناه قل لهم يا محمد ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به ولن ينفعكم في دفعه هذا الكيد الضعيف
وقرا الحسن والاعمش ان يؤتى بكسر الالف فيكون قول اليهود تاما عند قوله الا لمن تبع دينكم من قول الله تعالى
والمعنى قل يا محمد ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم وتكون ان بمعنى الجحد اي ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم
يا امة محمد من الدين والهدى او يحاجوكم عند ربكم يعني الا ان يحاجوكم يعني حتى ومعنى الاية ما اعطى الله احدا مثل
ما اعطيتم يا امة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرا ابن كثير ان لا يؤتى بالمد على الاستفهام وحينئذ
يكون في الكلام اختصار تقديره ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة تحسدونه ولا
تؤمنون به هذا قول قتادة والربيع قالا هذا من قول الله تعالى يقول قل يا محمد ان الهدى هدى الله بان انزل

Copyright © King Saud University

كتاب مثل كتابكم وبعث نبيا مثل نبيكم حسدتموه وكفرتم به قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وقوله او يحاجوكم
على هذه القراءة رجوع الى خطاب المؤمنين وتكون او بمعنى ان لانهما حرفا شرط وجزاء يوضع احدهما موضع الاخر
والمعنى وان يحاجوكم يا معشر المؤمنين عند ربكم قل يا محمد ان الهدى هدى الله ونحن عليه ويحتمل ان يكون الجميع خطابا
للمؤمنين ويكون نظم الاية ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم يا معشر المؤمنين فانه حسدوكم فقل ان الفضل بيد الله
فان حاجوكم فقل ان الهدى هدى الله ويحتمل ان يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله لعلهم يرجعون وقوله ولا تؤمنوا
من كلام الله تعالى يثبت به قلوب المؤمنين لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم في دينهم يقول الله عز وجل
لا تصدقوا يا معشر المؤمنين الا من تبع دينكم ولا تصدقوا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من الدين والفضل ولا تصدقوا
ان يحاجوكم عند ربكم او يقدروا على ذلك فان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم
فتكون الاية كلها خطابا للمؤمنين عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا ولا يشكوا وقوله تعالى قل ان الفضل يعني قل لهم
يا محمد ان التوفيق للايمان والهداية للاسلام بيد الله اي انه مالك له وقادر عليه دونكم ودون سائر خلقه يؤتيه من
يشاء يعني الفضل الذي هو دين الاسلام يعطيه من يشاء من عباده ويوفق له من اراد من خلقه وفيه تكذيب
لليهود في قولهم ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم فقال الله تعالى ردا عليهم قل لهم ليس ذلك اليهم وانما الفضل بيد الله
يؤتيه من يشاء وان الفضل في اللغة الزيادة واكثر ما يستعمل في زيادة الاحسان والفاضل الزائد على غيره
في خصال الخير والله واسع اي ذو سعة يتفضل على من يشاء عليم اي بمن يتفضل عليه وهو للفضل اهل يختص برحمته
يعني بنبوته ورسالته وقيل بدينه الذي هو الاسلام وقيل بالقرآن من يشاء يعني من خلقه وفيه دليل على ان
النبوة لا تحصل الا بالاختصاص والتفضل الا بالاستحقاق لانه تعالى جعلها من باب الاختصاص والفاعل ان
يفعل ما يشاء الى من يشاء بغير استحقاق والله ذو الفضل العظيم قوله عز وجل ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده
اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الاية نزلت في اليهود اخبر عز وجل ان فيهم امانة وخيانة وقسمهم
قسمين والقنطار عبارة عن المال الكثير والدينار عبارة عن المال القليل يقول منهم من يؤدي الامانة وان كثرت
مثل عبد الله بن سلام واصحابه ومنهم من لا يؤديها وان قلت وهم كفار اهل الكتاب مثل كعب بن الاشرف
واصحابه قال ابن عباس في هذه الاية اودع رجل من قريش عبد الله بن سلام الفا ومائتي اوقية من ذهب فاداها
اليه فذلك قوله تعالى ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده
اليك يعني فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فخانه وجحده ولم يؤده اليه وقيل اهل الامانة
هم النصارى واهل الخيانة هم اليهود لان مذهبهم انه يحل قتل من خالفهم في الدين واخذ ماله باي طريق كان
الا ما دمت عليه قائما قال ابن عباس يريد يقوم عليه ويطالبه بالالحاح والخصومة والملازمة وقيل معناه
الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على راسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف بالرفع الى الحاكم واقامة
البينة عليه وقيل اراد انه اذا اودعته شيئا ثم استرجعته منه في الحال وانت قائم على راسه لم تفارقه
رده عليك وان اخرت استرجاعه منه وادعته انكره ولم يرده عليك ذلك اي سبب ذلك الاستحلال والخيانة
بانهم قالوا يعني اليهود ليس علينا في الاميين سبيل يعني انهم يقولون ليس علينا اثم ولا حرج في اخذ مال العرب وذلك
ان اليهود قالوا اموال العرب حلال لنا لانهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم في كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من
خالفهم في دينهم وقيل ان اليهود قالوا نحن ابناء الله واحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل علينا اذا اكلنا اموال عبيدنا
وقيل انهم قالوا ان الاموال كلها كانت لنا فما في يد العرب فهو لنا وانهم ظلمونا وغصبوها منا فلا سبيل علينا
في اخذها منهم باي طريق كان وقيل ان اليهود كانوا يبايعون رجالا من المسلمين في الجاهلية فلما اسلموا تقاضوهم

بقية

بقية اموالهم فقالوا ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضاء لانكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم وادعوا انهم وجدوا
ذلك في كتابهم فاكذبهم الله تعالى فقال ويقولون على الله الكذب يعني اليهود وهم يعلمون يعني انهم كاذبون ثم انه تعالى
رد على اليهود قولهم فقال بلى اي ليس الامر كما قالوا بل عليهم سبيل ولفظ بلى لاثبات نفي ما قبلها فعلى هذا يحسن الوقوف
عليها ثم يبتدئ بما بعدها ولكن من اوفى بعهده اي بعهد الله الذي عهد اليه في التوراة من الايمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم وبالقرآن الذي انزل عليه وباداء الامانة الى من ائتمنه عليها وقيل الهاء في قوله بعهده راجعة الى الموفي واتقى
يعني الكفر والخيانة ونقض العهد فان الله يحب المتقين يعني الذين يتقون الشرك ق عن عبد الله بن عمرو قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه
خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم
فجر قوله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا قال عكرمة نزلت هذه الاية في احبار
اليهود ورؤسائهم في ابي رافع وكنانة بن ابي الحقيق وكعب بن الاشرف وحيي بن اخطب الذين كتموا ما
عهد الله اليهم في التوراة في شان محمد صلى الله عليه وسلم فبدلوه وكتبوا بايديهم غيره وحلفوا انه من عند
الله لئلا تفوتهم الرشا والماكل التي كانوا ياخذونها من اتباعهم وسفلتهم وقيل نزلت في ادعاء الذين قالوا
انه ليس علينا في الاميين سبيل وكتبوا ذلك بايديهم وحلفوا انه من عند الله وقيل نزلت في الاشعث بن قيس
وخصم له ق عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على مال امرئ مسلم
بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان قال عبد الله ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه
من كتاب الله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى اخر الاية وفي رواية قال من حلف على
يمين صبر ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فانزل الله تصديق ذلك ان الذين يشترون
بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الاية فدخل الاشعث بن قيس الكندي فقال ما يحدثكم ابو عبد الرحمن قلنا كذا وكذا
فقال صدق في نزلت كان بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهداك او يمينه قلت انه اذا يحلف ولا يبالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان ونزلت ان الذين
يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى اخر الاية واخرجه الترمذي وابو داود وقالا ان الحكومة كانت بين
الاشعث كانت بين الاشعث وبين رجل يهودي وقيل نزلت هذه الاية في رجل اقام سلعته في السوق فحلف
بالله لقد اعطي بها ما لم يعطه ليوقع فيها رجلا من المسلمين فنزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا
الى اخر الاية وقيل الاقرب حمل الاية على الكل فقوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله يدخل فيه العهود
والمواثيق الماخوذة من جهة الرسل ويدخل فيه ما يلزم الرجل نفسه من عهد الله الذي يحلف به ومعنى ان الذين
يشترون يستبدلون بعهد الله يعني الامانة وايمانهم يعني الكاذبة ثمنا قليلا يعني شيئا يسيرا من حطام
الدنيا وذلك لان المشتري ياخذ شيئا ويعطي شيئا فكل واحد من المعطى والماخوذ ثمن للاخر فهذا معنى الشراء
اولئك يعني من هذه صفته لا خلاق لهم في الاخرة يعني لا نصيب لهم في الاخرة ونعيمها وجميع منافعها ولا يكلمهم
الله يعني كلاما يسرهم به او ينفعهم وقيل هو بمعنى الغضب ولا ينظر اليهم يوم القيامة اي لا يرحمهم ولا ينظر اليهم
ولا ينيلهم خيرا ولا يزكيهم اي لا يطهرهم من الذنوب ولا يثني عليهم بجميل ولهم عذاب اليم يعني في الاخرة
ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم
ولهم عذاب اليم رجل حلف على سلعة لقد اعطي بها اكثر مما اعطي وهو كاذب ورجل حلف على يمين كاذبة

Copyright © King Saud University

كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم ورجل منع فضل ماء فيقول الله اليوم امنعك فضلي كما منعت
فضل ما لم تعمل يداك (م) عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يكلمهم الله يوم
القيمة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم قال فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث
مرات فقلت خابوا وخسروا من هم يا رسول الله قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف
الكاذب وللنسائي المنان بما اعطى والمسبل ازاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب (م) عن ابي امامة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة واوجب عليه
النار فقالوا يا رسول الله وان كان شيا يسيرا قال وان كان قضيبا من اراك قوله عز وجل وان
منهم يعني من اليهود لفريقا يعني طائفة وجماعة وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن
اخطب وابو ياسر وشعبة بن عمرو الشاعر يلوون اي يعطفون ويميلون واصل اللي الفتل من قولك
لويت يده اذا فتلتها السنتهم بالكتاب يعني بالتحريف والتغيير والتبديل وتحريف الكلام تقليبه
عن وجهه لان المحرف يلوي لسانه عن سنن الصواب بما يأتي به من عند نفسه قال الواحدي ويحتمل
ان يكون المعنى يلوون السنتهم بالكتاب معناه ان يعمدوا الى اللفظة فيحرفونها في حركات الاعراب تحريفا
يتغير به المعنى وهذا كثير في لسان العرب فلا يبعد مثله في العبرانية فلما فعلوا ذلك في الايات
الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة كان ذلك هو المراد من قوله يلوون السنتهم
بالكتاب وقيل انهم غيروا صفة النبي صلى الله عليه وسلم من التوراة وبدلوها واية الرجم وغير ذلك
مما بدلوا وغيروا لتحسبوه من الكتاب يعني لتظنوا ان الذي حرفوه وبدلوه من الكتاب الذي انزله الله على
انبيائه وما هو من الكتاب يعني ذلك الذي يزعمون انه من الكتاب ما هو منه ويقولون هو من عند الله وما
هو من عند الله يعني الذي يقولونه ويغيرونه وانما كرر هذا بلفظين مختلفين مع اتحاد المعنى لاجل التاكيد
ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون يعني انهم كاذبين وقال ابن عباس الاية نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك
انهم حرفوا التوراة والانجيل والحقوا في كتاب الله ما ليس فيه قوله عز وجل ما كان لبشر ان يؤتيه الله
الكتاب والحكم والنبوة قيل ان نصارى نجران قالوا ان عيسى امرهم ان يتخذوه ربا فقال الله تعالى ردا ما كان لبشر
يعني عيسى عليه السلام ان يؤتيه الله الكتاب يعني الانجيل وقال ابن عباس في قوله تعالى ما كان
لبشر يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ان يؤتيه الله الكتاب يعني القران وذلك ان ابا رافع من اليهود
والسيد من نصارى نجران قالا يا محمد تريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان امر بعبادة
غير الله وما بذلك امرني الله وما بذلك بعثني فانزل الله تعالى هذه الاية ما كان لبشر اي ما ينبغي لبشر
وهو جميع بني ادم لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط ويوضع الواحد والجمع ان يؤتيه الله الكتاب
والحكم والنبوة يعني الفهم والعلم وقيل هو امضاء الحكم من الله تعالى والنبوة يعني المنزلة الرفيعة ثم
يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ومعنى الاية انه لا يجتمع لرجل نبوة مع القول للناس كونوا عبادا لي من دون الله
وكيف يدعو الناس الى عبادة نفسه دون الله وقد اتاه الله ما اتى من الكتاب والحكم والنبوة وذلك
ان الانبياء موصوفون بصفات لا يحصل معها ادعاء الالهية والربوبية منها ان الله تعالى اتاهم الكتب
السماوية ومنها اتيان الكتب والنبوة ولا يكون الا بعد كمال العلم وكل من هو كذلك يمتنع من هذه الدعوى ولكن كونوا
ربانيين يعني ولكن يقول لهم كونوا ربانيين فاضمر القول على حسب مذهب العرب في جواز الاضمار
اذا كان في الكلام ما يدل عليه واختلفوا في معنى الرباني فقال ابن عباس معناه كونوا فقهاء علماء وعنه

كونوا

كونوا فقهاء معلمين وقيل معناه حكماء وعلماء وقيل الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم وكباره
وقيل الرباني العالم الذي يعمل بعلمه وقيل الرباني العالم بالحلال والحرام والامر والنهي وقيل
الرباني الذي جمع علم البصيرة والعلم بسياسة الناس ولما مات ابن عباس رضي الله عنهما قال محمد
ابن الحنفية اليوم مات رباني هذه الامة قال سيبويه الرباني المنسوب الى الرب بمعنى كونه عالما
به ومواظبا على طاعته وزيادة الالف والنون فيه للدلالة على كمال هذه الصفة وقال المبرد
الربانيون ارباب العلم واحدهم رباني وهو الذي يرب العلم ويربي الناس اي يعلمهم ويصلحهم والالف
والنون للمبالغة فعلى قول سيبويه الرباني منسوب الى الرب على معنى التخصيص بمعرفة الرب
وطاعته وعلى قول المبرد الرباني ماخوذ من التربية وقيل الربانيون هم ولاة الامر والعلماء وهما
الفريقان اللذان يطاعان ومعنى الاية على هذا التاويل لا ادعوكم الى ان تكونوا عبادا لي
ولكن ادعوكم الى ان تكونوا ملوكا وعلماء ومعلمين الناس الخير ومواظبين على طاعة الله وعبادته
وقال ابو عبيدة احسب ان هذه الكلمة ليست عربية انما هي عبرانية او سريانية وسواء
كانت عربية او عبرانية فهي تدل على الذي علم وعمل بما علم وعلم الناس طريق الخير وقوله تعالى
بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون اي كونوا ربانيين بسبب كونكم عالمين ومعلمين وبسبب دراستكم
الكتاب فدلت الاية على ان العلم والتعليم والمدارسة توجب كون الانسان ربانيا فمن اشتغل
بالعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع علمه وخاب سعيه قوله عز وجل ولا يامركم قرئ بنصب
الراء عطفا على قوله ثم يقول فيكون مردودا على البشر وقيل على اضمار ان اي ولا ان يامركم
وقرئ برفع الراء على الاستئناف وهو ظاهر ومعناه ولا يامركم الله وقيل ولا يامركم محمد صلى الله
عليه وسلم وقيل ولا يامركم عيسى وقيل ولا يامركم الانبياء ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا يعني كفعل
قريش والصابئين حين قالوا الملائكة بنات الله وكفعل اليهود والنصارى حين قالوا في المسيح
والعزير ما قالوا وانما خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا بالعبادة لغير الله عز وجل
من اهل الكتاب لم يحك عنهم الا عبادة الملائكة وعبادة المسيح وعبادة عزير فلهذا خصهم بالذكر
ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون انما قاله على طريق التعجب والانكار يعني لا يقول هذا ولا يفعله قوله عز
وجل واذ اخذ الله ميثاق النبيين قال الزجاج موضع اذ نصب المعنى واذكر في اقاصيصك اذ اخذ الله وقال
الطبري معناه واذكروا يا اهل الكتاب اذ اخذ الله يعني حين اخذ الله ميثاق النبيين واصل
الميثاق في اللغة عقد يؤكد بيمين ومعنى ميثاق النبيين ما وثقوا به على انفسهم من
طاعة الله فيما امرهم به ونهاهم عنه وذكروا في معنى الميثاق وجهين احدهما انه ماخوذ من
الانبياء والثاني انه ماخوذ لهم من غيرهم فلهذا السبب اختلفوا في المعنى بهذه الاية فذهب
قوم الى ان الله تعالى اخذ الميثاق من النبيين خاصة قبل ان يبلغوا كتاب الله ورسالاته
الى عباده ان يصدق بعضهم بعضا واخذ العهد على كل نبي ان يؤمن بمن ياتي بعده من الانبياء
وينصره ان ادركه وان لم يدركه ان يامر قومه بنصرته ان ادركوه فاخذ الميثاق من
موسى ان يؤمن بعيسى ومن عيسى ان يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم اجمعين وهذا قول سعيد
ابن جبير والحسن وطاووس وقيل انما اخذ الميثاق من النبيين في امر محمد صلى الله عليه وسلم
خاصة وهو قول علي وابن عباس وقتادة والسدي فعلى هذا القول اختلفوا فقيل انما

يلوون

Copyright © King Saud University

اخذ الله الميثاق على اهل الكتاب الذين ارسل فيهم النبيين ويدل عليه قوله ثم جاءكم رسول
مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وانما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى اهل الكتاب
دون النبيين وانما اطلق هذا اللفظ عليهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل
الكتاب والنبيون منا وقيل اخذ الله الميثاق على النبيين واممهم جميعا في امر محمد صلى الله عليه وسلم
فاكتفى بذكر الانبياء لان العهد مع المتبوع عهد مع الاتباع وهو قول ابن عباس قال علي بن
ابي طالب ما بعث الله نبيا احدا فمن بعده الا اخذ عليه العهد في امر محمد صلى الله عليه وسلم
واخذ هو العهد على قومه ليؤمنن به ولئن بعث وهم احياء لينصرنه وقيل ان المراد من الاية
ان الانبياء كانوا ياخذون العهد والميثاق على اممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم
ان يومنوا به وينصروه وهذا قول كثير من المفسرين وقوله لما آتيتكم من كتاب وحكمة قرئ بفتح اللام
من لما وبكسرها مع التخفيف في القراتين فمن قرا بفتح اللام قال معنى الاية واذ اخذ الله ميثاق
النبيين من اجل الذي اتاهم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول يعني ذكر محمد صلى الله عليه وسلم
في التوراة لتؤمنن به للذي عندكم في التوراة من ذكره ومن قرا بكسر اللام جعل قوله لتؤمنن
به من اخذ الميثاق كما تقول اخذت ميثاقك لتفعلن لان اخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف
فكان معنى الاية واذ استحلف الله النبيين للذي اتاهم من كتاب وحكمة متى جاءهم رسول مصدق
لما معهم ليؤمنن به ولينصرنه وقوله ثم جاءكم رسول يعني محمد صلى الله عليه وسلم مصدق لما معكم
وذلك ان الله وصفه في كتب الانبياء المتقدمة وشرح فيها احواله فاذا جاءت صفاته واحواله
مطابقة لما في كتبهم المنزلة تحولت فصار مصدقا لها فيجب الايمان به والانقياد لقوله
ولام قوله لتؤمنن به لام القسم تقديره والله لتؤمنن به ولتنصرنه قال البغوي قال الله عز
وجل للانبياء حين استخرج الذرية من صلب آدم والانبياء فيهم كالمصابيح اخذ عليهم الميثاق
في امر محمد صلى الله عليه وسلم أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري الاية وقال الامام فخر الدين
الرازي يحتمل ان يكون هذا الميثاق ما قرر في عقولهم من الدلائل الدالة على صدقه فاذا
اخبرهم بعد ذلك ان الله امر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه فتقدير هذا الدليل
في عقولهم فهذا هو المراد من الميثاق قال أأقررتم يعني قال الله تعالى أأقررتم فان فسرنا ان اخذ
الميثاق كان مختصا بالنبيين كان معناه قال الله تعالى للنبيين أأقررتم بالايمان به والنصرة وان
فسرنا بان اخذ الميثاق كان على الامم كان معناه قال كل نبي لامته أأقررتم وذلك لانه تعالى اخذ
الميثاق الى نفسه وان كان النبيون اخذوا على الامم فلذلك طلب هذا الاقرار واضافه الى
نفسه وان وقع من الانبياء والمقصود ان الانبياء بالغوا في اثبات هذا الميثاق وتاكيده على
الامم وطالبوهم بالقبول واكدوا ذلك بالاشهاد واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي والاصل العهد
الثقيل وقيل سمي العهد اصرا لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد قالوا اقررنا اي قال النبيون
اقررنا بما الزمتنا من الايمان برسلك الذين ترسلهم مصدقين لما معنا من كتبك قال فاشهدوا
يعني قال الله عز وجل للنبيين فاشهدوا انتم على انفسكم وقيل على اممكم واتباعكم الذين
اخذتم عليهم الميثاق وقيل قال الله للملائكة فاشهدوا فهو كناية عن غير مذكور وقيل معناه
فاعلموا وبينوا لان اصل الشهادة العلم والبيان وانا معكم من الشاهدين يعني قال الله يا معشر الانبياء

وانا

وانا معكم من الشاهدين عليكم وعلى اتباعكم او قال للملائكة وانا معكم من الشاهدين عليهم فمن تولى اي اعرض عن الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصرته بعد ذلك الاقرار فاولئك هم الفاسقون اي الخارجون عن الايمان والطاعة قوله عز وجل
افغير دين الله يبغون وذلك ان اهل الكتاب اختلفوا فادعى كل فريق منهم انه على دين ابراهيم عليه السلام فاختصموا الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من دين ابراهيم الهمزة للاستفهام
والمراد منه الانكار والتوبيخ يعني افبعد اخذ الميثاق عليهم ووضوح الدلائل لهم ان دين ابراهيم
هو دين الله الاسلام تبغون قرا بالتاء على خطاب الحاضر فغير دين الله تطلبون يا معشر اليهود والنصارى
وقرا بالياء على الغيبة ردا على قوله فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون وله اسلم اي خضع وانقاد
من في السموات والارض طوعا وكرها فالطوع الانقياد والاتباع بسهولة والكره ما كان من ذلك بمشقة واباء من
النفس واختلفوا في معنى قوله طوعا وكرها فقيل اسلم اهل السموات طوعا واسلم بعض اهل الارض طوعا و
بعضهم كرها من خوف القتل والسبي وقيل اسلم المومن طوعا وانقاد الكافر كرها وقيل هذا يوم اخذ
الميثاق حين قال الست بربكم قالوا بلى فمن سبقت له السعادة قال ذلك طوعا ومن سبقت له الشقاوة
قال ذلك كرها وقيل اسلم المومن طوعا فنفعه اسلامه يوم القيامة والكافر يسلم كرها عند الموت
في وقت الياس فلم ينفعه ذلك في القيمة وقيل [illegible] لاحد من الخلق الى الامتناع على الله فيما اراده
فاما المسلم فينقاد له فيما امره او نهاه عنه طوعا واما الكافر فينقاد له كرها في جميع ما يقضي عليه
ولا يمكنه دفع قضائه وقدره عنه واليه ترجعون قرا بالتاء والياء والمعنى ان مرجع الخلق كلهم الى الله
يوم القيمة فيجزيه وعيد عظيم لمن خالفه في الدنيا قوله عز وجل قل آمنا بالله لما ذكر الله عز وجل في الاية
المتقدمة اخذ الميثاق على الانبياء في تصديق الرسول الذي ياتي مصدقا لما معهم قال تعالى
قل آمنا بالله فافرد وحد الضمير في قوله قل وجمع في قوله آمنا لانه لما خاطبه بلفظ الوحدان ليدل
هذا الكلام على انه لا يبلغ هذا التكليف عن الله تعالى الى الخلق الا هو ثم قال آمنا تنبيها على انه حين
قال هذا القول وافقه اصحابه فحسن الحق بلفظ الجمع في قوله آمنا ومعنى الاية قل يا محمد صدقنا بالله انه
ربنا والهنا لا اله لنا غيره ولا رب سواه وانما قدم الايمان بالله على غيره لانه الاصل وما انزل علينا
يعني وقل يا محمد وصدقنا ايضا بما انزل علينا من وحيه وتنزيله وانما قدم ذكر القرآن لانه اشرف
الكتب ولانه لم يحرف ولم يبدل وغيره حرف وبدل وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب
والاسباط وما اوتي موسى وعيسى انما خص هؤلاء الانبياء بالذكر لان اهل الكتاب يعترفون بوجودهم
ولم يختلفوا في نبوتهم والاسباط هم اولاد يعقوب الاثنا عشر وكانوا انبياء ثم جمع جميع الانبياء
فقال والنبيون اي وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم وذلك ان اهل الكتاب يومنون ببعض
النبيين ويكفرون ببعض فامر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يخبر عن نفسه وعن
امته ان يؤمن بجميع الانبياء **فان قلت** لم عدى انزل في هذه الاية بحرف
الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها في البقرة بحرف الانتهاء **قلت** لوجود المعنيين
وتارة بالمعنى الاخر ونحن له مسلمون اي موحدون مخلصون انفسنا لله لا نجعل له شريكا في عبادتنا قوله عز
وجل ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه يعني ان الدين المقبول عند الله هو دين الاسلام وان كل دين سواه
غير مقبول عنده لان الدين الصحيح ما يامر به ويرضى عن فاعله ويثيبه عليه وهو في الاخرة من الخاسرين
يعني الذين وقعوا في الخسار وهو حرمان الثواب وحصول العقاب وروى ابن جرير الطبري عن عكرمة

Copyright © King Saud University

في قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود فنحن مسلمون فقال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا قوله عز وجل كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم نزلت في اثني عشر رجلا ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة واتوا مكة كفارا منهم الحرث بن سويد الانصاري وطعمة بن ابيرق وحجوج بن الاسلت وقال ابن عباس نزلت في اليهود والنصارى وذلك ان اليهود كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون به على الكفار ويقرون ويقولون اظل زمان نبي مبعوث فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به بغيا وحسدا ومعنى كيف يهدي الله كيف يرشد الله للصواب ويوفق للايمان قوما كفروا اي جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم اي تصديقهم اياه واقرارهم به وبما جاء به من عند ربه وشهدوا ان الرسول حق يعني وبعد ان اقروا وشهدوا ان محمدا رسول الله الى خلقه وانه حق وصدق وجاءهم البينات يعني بالحجج والبراهين والمعجزات الدالة على صحة نبوته التي بمثلها تثبت النبوة والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يوفقهم الى الحق والصواب لما سبق في علمه تعالى انهم ظالمون وقيل لا يهديهم في الاخرة الى الجنة والثواب فان قلت كيف قال في اول الاية كيف يهدي الله قوما كفروا وقال في اخرها والله لا يهدي القوم الظالمين وهذا تكرار قلت ليس فيه تكرار لان قوله كيف يهدي الله قوما كفروا انما هو مختص باولئك المرتدين عن الاسلام ثم قال انه تعالى عم ذلك الحكم في اخر الاية فقال والله لا يهدي القوم الظالمين يعني جميع الكفار المرتدين عن الاسلام والكافر الاصلي فالفاسق الكافر ظالما لانه وضع العبادة في غير موضعها اولئك جزاؤهم يعني الذين كفروا بعد ايمانهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها اي في عذاب اللعنة وقد تقدم تفسير هذه الاية في سورة البقرة لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اي لا يؤخرون عن وقت العذاب ولا يؤخر عنهم من وقت الى وقت ثم استثنى سبحانه وتعالى فقال الا الذين تابوا من بعد ذلك يعني من بعد ارتدادهم وكفرهم وذلك ان الحرث بن سويد الانصاري لما لحق بالكفار ندم على ذلك فارسل الى قومه ان سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة ففعلوا فانزل الله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا الاية فبعث بها اليه اخوه الجلاس مع رجل من قومه فاقبل الى المدينة تائبا وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته وحسن اسلامه واصلحوا اي وضموا الى التوبة الاعمال الصالحة فبين ان التوبة وحدها لا تكفي حتى ينضاف اليها العمل الصالح وقيل واصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات والطاعات فان الله غفور رحيم اي غفور لقبائحهم في الدنيا بالستر رحيم في الاخرة بالعفو وقيل غفور بازالة العذاب رحيم باعطاء الثواب قوله عز وجل ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا نزلت في اليهود وذلك انهم كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى وغيره من انبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت في اليهود والنصارى وذلك انهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما راوه بعد ايمانهم به قبل مبعثه لما ثبت عندهم من نعته وصفته في كتبهم ثم ازدادوا كفرا يعني ذنوبا في حال كفرهم وقيل نزلت في جميع الكفار وذلك انهم اشركوا بالله بعد اقرارهم بان الله خالقهم ثم ازدادوا كفرا يعني باقامتهم على كفرهم حتى هلكوا عليه وقيل زيادة كفرهم هو قولهم نتربص بمحمد ريب المنون وقيل نزلت في الاحد عشر رجلا من اصحاب الحرث بن سويد الذين ارتدوا عن الاسلام فلما رجع الحرث الى الاسلام

اقاموا

اقاموا على كفرهم بمكة وقالوا نقيم على الكفر ما بدا لنا ومتى اردنا الرجعة نزل فينا مثل ما نزل في الحرث فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فمن دخل منهم في الاسلام قبلت توبته ونزل فيمن مات منهم على كفره ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الاية **فان قلت** قد وعد الله قبول التوبة ممن تاب فما معنى قوله لن تقبل توبتهم **قلت** اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى لن تقبل توبتهم فقال الحسن وعطاء وقتادة والسدي لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت وهو وقت الحشرجة لان الله تعالى قال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان فان الذي يموت على الكفر لا تقبل توبته كانه قال لليهود والكفار والمرتدين الذين فعلوا ما فعلوا ثم ماتوا على ذلك واولئك هم الضالون وقال ابن عباس انهم الذين ارتدوا وعزموا على اظهار التوبة لستر احوالهم والكفر في ضمائرهم وقال ابو العالية هم قوم تابوا من ذنوب عملوها في حال الشرك ولم يتوبوا من الشرك فان توبتهم في حال الشرك غير مقبولة وقال مجاهد لن تقبل توبتهم اذا ماتوا على الكفر وقال ابن جرير معناه لن تقبل توبتهم مما ازدادوا من الكفر على كفرهم لان الله تعالى وعد ان يقبل التوبة عن عباده وانه قابل توبة كل تائب من ذنب لقوله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم علمنا ان المعنى الذي لا تقبل التوبة منه غير المعنى الذي تقبل التوبة منه فعلى هذا الذي لا تقبل توبته هو الازدياد على الكفر بعد الكفر لا يقبل الله منه توبته ما اقام على كفره لان الله تعالى لا يقبل عمل مشرك ما اقام على شركه فاذا تاب من شركه وكفره واصلح فان الله كما وصف نفسه غفور رحيم وقوله تعالى واولئك هم الضالون يعني هؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا هم الذين ضلوا عن سبيل الحق واخطؤوا منهاجه قوله عز وجل ان الذين كفروا وماتوا قال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دخل من كان من اصحاب الحرث بن سويد حيا في الاسلام فنزلت هذه الاية فيمن مات منهم على الكفر وقيل نزلت فيمن مات كافرا من جميع اصناف الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام فالاية عامة في جميع من مات على الكفر فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا اي قدر ما يملأ الارض من شرقها الى غربها ولو افتدى به قيل معناه لو افتدى به فالواو زائدة مقحمة وقيل الواو على حالها وفائدتها انها للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض ذهبا وقد مات على كفره لم ينفعه ولو افتدى من العذاب بملء الارض ذهبا لن يقبل منه وهذا اكد في التغليظ لانه تصريح بنفي القبول من جميع الوجوه **فان قلت** الكافر لا يملك شيئا في الاخرة فما وجه قوله فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا **قلت** الكلام ورد على سبيل الفرض والتقدير والمعنى لو ان الكافر قدر على ملء الارض ذهبا يوم القيامة لبذله في تخليص نفسه من العذاب ولكن لا يقدر على شيء من ذلك وقيل معناه لو ان الكافر انفق في الدنيا ملء الارض ذهبا ثم مات على كفره لم ينفعه ذلك لان الطاعة مع الكفر غير مقبولة اولئك اشارة الى من مات على الكفر لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين يعني مانعين يمنعونهم من العذاب (ق) عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل لاهون اهل النار عذابا يوم القيامة لو ان لك ما في الارض من شيء اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقول اردت منك اهون من هذا وانت في صلب ادم ان لا تشرك بي شيئا فابيت الا الشرك لفظ مسلم قوله عز وجل لن تنالوا البر قال ابن عباس يعني الجنة وقيل البر هو التقوى وقيل

لون

وهم كفار

Copyright © King Saud University

هو الطاعة وقيل معناه لن تنالوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا حتى تنفقوا مما تحبون وقيل معناه
لن تنالوا بر الله وهو ثوابه واصل البر التوسع في فعل الخير يقال بر العبد ربه اي توسع في طاعته فالبر
من الله الثواب ومن العبد الطاعة وقد يستعمل في الصدق وحسن الخلق لانهما من الخير المتوسع فيه
ق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر وان
البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور وان
الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا م عن النواس بن سمعان قال
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم قال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في
صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس م فعلى هذا يكون المعنى عليكم بالاعمال الصالحة حتى تكونوا
ابرارا وتدخلوا في زمرة الابرار ومن قال ان لفظ البر هو الجنة فقال معنى الآية لن تنالوا ابواب
البر المؤدي الى الجنة حتى تنفقوا مما تحبون يعني خيار اموالكم وانفسها عندكم كما قال الله تعالى ولا تيمموا
الخبيث منه تنفقون وقيل هو ان تنفق من مالك ما انت محتاج اليه قال الله تعالى ويؤثرون
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ق عن ابي هريرة قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل
فقال يا رسول الله اي الصدقة افضل قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل الغنى
ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان واختلفوا في هذا الانفاق فقال
ابن عباس هي الزكاة المفروضة والمعنى لن تنالوا البر حتى تخرجوا زكاة اموالكم فعلى هذا القول قيل ان الآية
منسوخة باية الزكاة وضعف بعد لانه ترغيب في اخراج الزكاة وقال ابن عمر المراد بها سائر الصدقات
وقال الحسن كل شيء انفقه المسلم من ماله يبتغي به وجه الله ويطلب ثوابه حتى التمرة فانه يدخل في قوله لن تنالوا البر
حتى تنفقوا مما تحبون ق عن انس بن مالك قال كان ابو طلحة اكثر الانصار بالمدينة مالا وكان احب ماله اليه بيرحاء مستقبلة
المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال انس فلما نزلت هذه الآية
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام ابو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الله تعالى
يقول في كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان احب اموالي الي بيرحاء وانها صدقة لله عز وجل
ارجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ
ذلك مال رابح او قال ذلك مال رايح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها
ابو طلحة في اقاربه وبني عمه قوله بخ بخ هي كلمة تقال عند المدح والرضى وتكريرها للمبالغة وهي مبنية
على السكون فاذا وصلت جرت ونونت فقلت بخ بخ قوله مال رابح اي ذو ربح وفي الرواية الاخرى ذاك
مال رايح بالياء معناه يروح عليك نفعه وثوابه وبيرحاء اسم موضع في المدينة وهو حائط كان لابي طلحة
وروي عن مجاهد قال كتب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت
فلما جاءت اعجبته فقال عمر ان الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها عمر وعن حمزة
ابن عبيد الله بن عمر ان عبد الله بن عمر خطرت على قلبه هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فجاء زيد
ابن حارثة بفرس يقال لها سبل كان يحبها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق بهذه يا رسول
الله فاعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد بن حارثة فقال يا رسول الله انما اردت ان
اتصدق بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبلت صدقتك وفي رواية كان زيدا وجد في
نفسه فلما راى ذلك منه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اما ان الله قد قبلها وروي ان ابا ذر نزل به

ضيف

ضيف فقال للراعي ايتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال للراعي خنتني فقال الراعي وجدت خير الابل فحلها فذكرت
يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وقوله تعالى وما تنفقوا من شيء يعني من اي شيء
كان من طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله به عليم اي يعلمه ويجازيكم به قوله عز وجل كل الطعام كان حلا لبني
اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة سبب نزول هذه الآية ان اليهود قالوا للنبي صلى
الله عليه وسلم انك تزعم انك على ملة ابراهيم وكان ابراهيم لا ياكل لحوم الابل والبانها وانت تاكل ذلك كله
فلست على ملته فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا على ابراهيم قالوا كلما نحرمه اليوم كان ذلك حراما
على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فانزل الله عز وجل كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على
نفسه وهو يعقوب من قبل ان تنزل التوراة يعني ليس الامر على ما ادعيه اليهود من تحريم لحوم الابل
على ابراهيم بل كان ذلك حلالا على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وانما حرمه يعقوب بسبب
من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في اولاده فانكر اليهود ذلك فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
باحضار التوراة وطلب ان يستخرجوا منها ان ذلك حراما على ابراهيم فعجزوا عن ذلك وافتضحوا وبان
كذبهم فيما ادعوا من حرمة هذه الاشياء على ابراهيم وقيل ان اليهود انكروا شرع محمد صلى الله عليه وسلم وادعوا ان
النسخ غير جائز فابطل الله ذلك عليهم واخبر ان كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه فذلك الذي حرمه
على نفسه كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى اولاده فقد حصل النسخ وبطل قول اليهود بان النسخ غير جائز فانكر اليهود
ذلك وقالوا بل كان ذلك حراما من زمن ادم الى هذا الوقت فالزمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار
التوراة وقال ان التوراة ناطقة بان بعض انواع الطعام انما حرم بسبب ان اسرائيل حرمه على نفسه
فخاف اليهود من الفضيحة وامتنعوا من احضار التوراة فحصل بذلك كذبهم وانهم ينسبون الى التوراة
ما ليس فيها وبطل قولهم بان النسخ غير جائز وفي هذا دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك
انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رجلا اميا لم يقرا الكتب ولم يعرف ما في التوراة فلما اخبر ان ذلك
ليس في التوراة علم ان الذي اخبر به صلى الله عليه وسلم انه وحي من الله تعالى وقوله كل الطعام يعني كل
انواع الطعام وسائر المطعومات كان حلا اي حلالا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه اسرائيل
هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام واختلفوا في الذي حرم يعقوب على نفسه فقيل
حرم لحوم الابل والبانها وروى الطبري بسنده عن ابن عباس ان عصابة من اليهود حضرت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله اخبرنا اي الطعام حرم بنو اسرائيل على نفسه من قبل
ان تنزل التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم بالله الذي انزل التوراة على موسى
هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا وطال سقمه منه فنذر لله نذرا لئن عافاه الله
من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام اليه لحمان الابل واحب الشراب اليه البانها
فقالوا اللهم نعم وقال ابن عباس هي العروق وكان سبب ذلك انه اشتكى عرق النسا وكان اصل وجعه
فيما روي عن الضحاك ان يعقوب كان نذر لئن وهب الله له اثني عشر ولدا واتى بيت المقدس صحيحا
ان يذبح احدهم وفي رواية اخرى فتلقاه ملك من الملائكة فقال يا يعقوب انك رجل قوي فهل
لك في الصراع فعالجه فلم يصرع احدهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك
ثم قال اما اني لو شئت ان اصرعك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لانك قد كنت نذرت ان اتيت بيت
المقدس صحيحا ذبحت اخر ولدك فجعل الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجا فلما قدم يعقوب بيت المقدس اراد

Copyright © King Saud University

ذبح ولده وبنى ما قال له الملك فاتاه الملك وقال انما غمزتك للمخرج وقد وفي نذرك فلا سبيل لك الى ذبح ولدك وقال ابن عباس في اخرين اقبل يعقوب من حران يريد بيت المقدس حين هرب من اخيه العيص وكان يعقوب رجلا بطشا قويا فلقيه ملك في صورة رجل فظن يعقوب انه لص فعالجه ان يصرعه فغمز الملك فخذ يعقوب وصعد الى السما ويعقوب ينظر فهاج به عرق النسا ولقي يعقوب منه شدة فكان لا ينام الليل من الوجع ويبيت وله زقا اي صياح فحلف يعقوب لئن شفاه الله لا ياكل عرقا ولا طعاما فيه عرق فحرمه على نفسه فكان بنوه بعد ذلك يتتبعون العروق ويخرجونها من اللحم ولا ياكلونها وقيل لما اصاب يعقوب ذلك وصف له الاطبا ان يجتنب لحمان الابل فحرمها يعقوب على نفسه وقيل انما حرم يعقوب لحوم الجزور تعبدا لله تعالى وسال ربه ان يجيز ذلك فحرمه الله على ولده وهو ظاهر الاية لان الله تعالى جعل كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل ثم استثنى ما حرمه اسرائيل على نفسه فوجب بحكم الاستثنا ان يكون ذلك حراما على بني اسرائيل اما قوله من قبل ان تنزل التوراة فمعناه ان قبل انزال التوراة كان كل انواع الطعام كان حلا لبني اسرائيل سوى ما حرمه اسرائيل على نفسه اما بعد نزول التوراة فقد حرم الله تعالى عليهم اشيا كثيرة من انواع الطعام ثم اختلفوا في حال هذا الطعام المحرم على بني اسرائيل بعد نزول التوراة فقال السدي حرم عليهم في التوراة ما كانوا حرموه على انفسهم قبل نزولها وقال عطية انما كان محرما عليهم بتحريم اسرائيل فانه قال ان عافاني الله لا ياكله ولدي ولم يكن ذلك محرما عليهم في التوراة وقال الكلبي لم يحرمه الله في التوراة وانما حرم عليهم بعد نزول التوراة بظلمهم كما قال تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الى ان قال ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فكانت بنو اسرائيل اذا اصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا او صب عليهم رجزا وهو الموت وقال الضحاك لم يكن شي من ذلك محرما عليهم ولا حرمه الله في التوراة وانما حرموه على انفسهم اتباعا لابيهم ثم اضافوا تحريمه الى الله عز وجل فكذبهم الله تعالى فقال تعالى قل فاتوا بالتوراة يعني قل لهم يا محمد فاتوا بالتوراة فاتلوها اي فاقروها وما فيها حتى يتبين ان الامر كما قلتم ان كنتم صادقين يعني فيما ادعيتم فلم ياتوا بها وخافوا الفضيحة فقال تعالى فمن افترى على الله الكذب الافترا اختلاق الكذب والافترا الكذب والقذف والافتعال واصله من فري الاديم اذا قطعه لان الكاذب يقطع القول من غير حقيقة له في الوجود من بعد ذلك اي من بعد ظهور الحجة بان التحريم انما كان من جهة يعقوب ولم يكن محرما قبله فاولئك هم الظالمون اي المستحقون العذاب لان كفرهم ظلم منهم لانفسهم ولمن اضلوه من الذين من بعدهم وهذا رد على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم فيما يحكي عليهم مما نطق به القران من تحريم الطيبات عليهم ببغيهم التي كانوا يكذبون بها قل صدق الله يعني قل صدق الله يا محمد فيما اخبر ان ذلك النوع من الطعام صار حراما على اسرائيل وعلى اولاده بعد ان كان حلالا لهم فصح القول بالنسخ وبطل قول اليهود وقيل صدق الله في قوله ان لحوم الابل والبانها كانت محللة لابراهيم عليه السلام وانما حرمت على بني اسرائيل بسبب تحريمها اسرائيل على نفسه وقيل صدق الله في ان ساير الاطعمة كانت محللة على بني اسرائيل وانها انما حرمت على اليهود جزا على قبايح افعالهم ففيه تعريض بكذب اليهود والمعنى ثبت ان الله تعالى صادق فيما انزل واخبر وانتم كاذبون يا معشر اليهود فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا اي اتبعوا ما يدعوكم اليه محمد صلى الله عليه وسلم من ملة ابراهيم وهي الاسلام وهو الدين الصحيح وهو الذي عليه محمد ومن امن معه وانما دعاهم الى ملة ابراهيم لانها ملة محمد صلى الله عليه وسلم وما كان من المشركين اي لم يدع مع الله الها اخر ولا عبد سواه قوله عز وجل ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة سبب نزول هذه الاية ان اليهود قالوا للمسلمين بيت المقدس قبلتنا وهو افضل من الكعبة واقدم وهو مهاجر الانبيا وقبلتهم وارض

المحشر

المحشر وقال المسلمون بل الكعبة افضل فانزل الله هذه الاية وقيل لما ادعت اليهود والنصارى انهم على ملة ابراهيم فاكذبهم الله تعالى فاخبر ان ابراهيم كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وامرهم باتباعه فقال تعالى في الاية المتقدمة واتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وكان من اعظم شعاير ملة ابراهيم الحج الى الكعبة ذكر في هذه الاية فضيلة البيت ليفرع عليه ايجاب الحج وقوله ان اول بيت وضع للناس الاول هو الفرد السابق المتقدم على ما سواه وقيل هو اسم للشي الذي يوجد ابتدا سوا حصل عقيبه شي اخر او لم يحصل والمعنى ان اول بيت وضع اي وضعه الله موضعا للطاعات والعبادات وقبلة للصلوات وموضعا للحج وموضعا للطواف ويزداد فيه الخيرات وثواب الطاعات وكونه وضع للناس ليشترك فيه جميع الناس كما قال تعالى سوا العاكف فيه والباد **فان قلت** كيف اضافه الى نفسه مرة في قوله وطهر بيتي واضافه الى الناس اخرى بقوله وضع للناس **قلت** اما اضافته الى نفسه فعلى سبيل التشريف والتعظيم له كقوله ناقة الله واما اضافته الى الناس فلانه يشترك فيه جميع الناس لانه موضع حجهم وقبلة صلاتهم للذي ببكة قيل هي مكة نفسها والعرب تعاقب بين البا والميم فيقولون ضربة لازب ولازم وقيل بكة اسم لموضع البيت ومكة اسم للبلد وفي اشتقاق بكة وجهان احدهما انه من البك الذي هو عبارة عن الدفع يقال بكه يبكه اذا دفعه وزاحمه فلهذا قال سعيد بن جبير سميت بكة لان الناس يتباكون فيها اي يزدحمون في الطواف وهو قول محمد بن علي الباقر ومجاهد وقتادة والوجه الثاني سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها ولم يقصدها جبار بسوء الا قصمه الله تعالى وهذا قول عبد الله بن الزبير واما مكة فسميت بذلك لقلة مايها تقول العرب مك الفصيل ضرع امه وامتكه اذا مص كل ما فيه من اللبن وقيل لانها تمك الذنوب اي تزيلها وسميت مكة ام رحم لان الرحمة تنزل بها والحاطمة لانها تحطم من استخف بحرمتها ولان الناس يحطم بعضهم بعضا في الزحمة وسميت ام القرى لانها اصل كل بلدة ومن تحتها دحيت الارض واختلف العلما في كون البيت اول بيت وضع للناس على قولين احدهما انه اول في الوضع والبنا قال مجاهد خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق شيا من الارضين وفي رواية عنه ان الله خلق البيت قبل ان يخلق شيا من الارض بالفي عام وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الما عند خلق السموات والارض خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضا على وجه الما فدحيت الارض من تحته وهذا قول عمر ومجاهد وقتادة والسدي وقيل هو اول بيت بني على الارض وروي عن علي بن الحسين بن علي ان الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وامر الملايكة ان يطوفوا به ثم امر الملايكة الذين في الارض ان يبنوا بيتا في الارض على مثاله وقدره فبنوا هذا البيت واسمه الضراح وامر من في الارض ان يطوفوا به كما يطوف اهل السما بالبيت المعمور وروي ان الملايكة بنوه قبل خلق ادم بالفي عام وكانوا يحجونه فلما حجه ادم قالت الملايكة بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وقال ابن عباس هو اول بيت بناه ادم في الارض وقيل ان ادم لما اهبط الى الارض استوحش وشكى الوحشة فامره الله تعالى ببنا الكعبة فبناها وطاف بها وبقي ذلك البنا الى زمان نوح عليه السلام فلما كان الطوفان رفع الله البيت الى السما وبقي موضع البيت اكمة بيضا الى ان بعث الله ابراهيم عليه السلام فامره ببنايه القول الثاني ان المراد من الاولية كون هذا اول بيت وضع للناس مباركا ويدل عليه سياق الاية وهو قوله تعالى للذي ببكة مباركا وروي ان رجلا قام الى علي بن ابي طالب فقال الا تخبرني عن البيت اهو اول بيت وضع في الارض قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا وهدى وفيه مقام ابراهيم ومن دخله كان امنا وقال الحسن هو اول مسجد عبد الله

Copyright © King Saud University

فيه وقال مطرف هو اول بيت وضع للعباد وقال الضحاك هو اول بيت وضع فيه البركة واول بيت وضع للناس يحج اليه واول بيت جعل قبلة للناس ق عن ابي ذر قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اول مسجد وضع في الارض قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون عاما ثم لك الارض مسجد فحيث ما ادركتك الصلاة فصل زاد البخاري فان الفضل فيه وقوله مباركا يعني ذا بركة واصل البركة النمو والزيادة وقيل هو ثبوت الخير الالهي فيه وقيل هو اول بيت خص بالبركة وزيادة الخير وقيل لان الطاعات وسائر العبادات يتضاعف ويزداد ثوابها عنده ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وهدى للعالمين يعني انه قبلة للمؤمنين يهتدون به الى جهة صلاتهم وقيل لان فيه دلالة على وجود الصانع المختار لما فيه من الايات التي لا يقدر عليها غيره وقيل هو هدى للعالمين الى الجنة لان من قصده بان صلى اليه او حجه فقد اوجب الله تعالى له الجنة برحمته قوله تعالى فيه ايات بينات اي فيه دلالات واضحات على حرمته ومزيد فضله ثم اختلفوا في تفسير تلك الايات فقيل هو قوله مقام ابرهيم ومن دخله كان امنا وقيل الايات غير مذكورة وهي ما نزل على فضل هذا البيت منها ان الطير لا يطير فوق الكعبة في الهواء بل تتحرف عنه اذا وصلت اليه يمينا وشمالا ومنها ان الوحش لا تؤذي بعضها في الحرم حتى الكلاب لا تهيج الظباء ولا تصطادها ومنها ان الطير اذا مرض منها شيء ستشفى بالكعبة ومنها تعجيل العقوبة لمن انتهك حرمة البيت وما قصده جبار بسوء الا قصمه الله كما اهلك اصحاب الفيل وغيرهم ومن الايات التي فيه الحجر الاسود والملتزم والحطيم وزمزم ومشاعر الحج التي فيه كلها من الايات ومنها ان الامر ببناء هذا البيت هو الجليل والمهندس له جبريل والباني هو ابرهيم الخليل والمساعد في بنائه هو اسماعيل فهذه فضيلة عظيمة لهذا البيت قوله تعالى مقام ابرهيم يعني الحجر الذي كان يقوم عليه عند بناء البيت وكان فيه اثر قدمي ابرهيم فاندرس من كثرة المسح بالايدي ومن دخله كان امنا قيل لما كانت الايات المذكورة عقيب قوله ان اول بيت وضع للناس موجودة في الحرم علم ان المراد بقوله ومن دخله كان امنا جميع الحرم ويدل عليه ايضا دعوة ابرهيم حيث قال رب اجعل هذا البلد امنا يعني من ان يهاج فيه وكانت العرب يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكان من الحرم امنا من القتل والغارة وهو المراد من حكم الاية على قول اكثر المفسرين قال الله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم وقيل معنى الاية ومن دخله عام عمرة القضا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان امنا وقيل هو خبر بمعنى الامر تقديره ومن دخله فامنوه وهو قول ابن عباس حتى ذهب ابو حنيفة الى ان من وجب عليه القتل قصاصا كان او حدا فالتجى الى الحرم فانه لا يستوفى منه القصاص والحد في الحرم لكنه لا يطعم ولا يبايع ولا يشارى ولا يكلم ويضيق عليه حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد خارج الحرم وقال الشافعي اذا وجب عليه القصاص خارج الحرم ثم لجا الى الحرم استوفي منه في الحرم واجمعوا على انه لو قتل في الحرم او سرق او زنى فانه يستوفى منه الحد في الحرم عقوبة له وقيل في معنى الاية ومن دخله معظما له متقربا بذلك الى الله كان امنا من العذاب يوم القيامة وقيل من دخله كان امنا من الذنوب التي اكتسبها قبل ذلك قوله عز وجل ولله على الناس حج البيت اي ولله على الناس فرض حج

البيت

عمد ٦١

البيت والحج احد اركان الاسلام ق عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان فجعل النبي صلى الله عليه وسلم الحج من اركان الاسلام الخمسة من استطاع اليه سبيلا يعني فرض الحج واجب على من استطاع من اهل التكليف ووجد السبيل الى حج البيت الحرام

فصل في فضل البيت والحج والعمرة ق عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول بيت وضع للناس مباركا يصلى فيه الكعبة قلت ثم اي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون عاما عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الحجر الاسود من الجنة وهو اشد بياضا من اللبن وانما سودته خطايا بني ادم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر والله ليبعثنه الله يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق وله عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لاضاءا ما بين المشرق والمغرب قال الترمذي وهذا يروى عن ابن عمر موقوفا ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الاقصى ق عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى م عن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم عن ابن عمر قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما يوجب الحج قال الزاد والراحلة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وابراهيم بن يزيد الخوزي المكي قد تكلم فيه اهل العلم من قبل حفظه ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وفي رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج لله عز وجل وفي لفظ من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه اخرجه الترمذي وقال غفر له ما تقدم من ذنبه عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الذنوب والفقر كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب وله عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يلبي الا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر او شجر او مدر حتى تنقطع الارض من ههنا وههنا قال الترمذي هذا حديث غريب وله عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه قال الترمذي هذا حديث غريب

فصل في احكام تتعلق بالحج قال العلماء الحج واجب على كل مسلم وهو احد اركان الاسلام الخمسة ولوجوب الحج خمس شرائط الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة ولا يجب على الكافر والمجنون ولو حجا لم يصح لان الكافر ليس من اهل القربة ولا حكم لقول المجنون ولا يجب على الصبي والعبد ولو حج صبي يعقل او عبد صح حجهما تطوعا ولا يسقط الفرض فاذا بلغ الصبي وعتق العبد واجتمع فيهما شرائط الحج وجب عليهما الحج ثانيا ولا يجب على غير المستطيع لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فلو تكلف غير المستطيع الحج وحج صح حجه وسقط عنه فرض حجة الاسلام والاستطاعة

Copyright © King Saud University

نوعان احدهما ان يكون مستطيعا بنفسه فهو ان يكون قويا قادرا على الذهاب ووجد الزاد والراحلة لما تقدم من
حديث ابن عمر في الزاد والراحلة لا يثبت لانه ليس بمتصل وانما المرفوع انما رواه ابراهيم بن يزيد عن محمد بن
عباد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وابراهيم متروك الحديث قال يحيى بن معين ابراهيم ليس بثقة قال ابن
المنذر واختلف العلماء في قوله تعالى من استطاع اليه سبيلا فقالت طايفة الاية على العموم اذ لا نعلم خبرا ثابتا
عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا اجماعا لاهل العلم فوجب ان يستثنى من ظاهر الاية بعضا فعلى كل مستطيع الحج
يجد اليه السبيل باي وجه كانت الاستطاعة للحج على ظاهر الاية قال وروينا عن عكرمة انه قال الاستطاعة
الصحة وقال الضحاك اذا كان شابا صحيحا فليوجر نفسه باكله وعقبه حتى يقضي نسكه وقال مالك الاستطاعة
على طاقة الناس الرجل يجد الزاد والراحلة ولا يقدر على المشي على رجليه والاخر يقدر على المشي على رجليه وقالت
طايفة الاستطاعة الزاد والراحلة كذلك قال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد واحمد بن حنبل واحتجوا
بحديث ابن عمر المتقدم وقال الشافعي الاستطاعة وجهان احدهما ان يكون الرجل مستطيعا ببدنه واجدا من
ماله ما يبلغه الحج فتكون استطاعته تامة فعليه فرض الحج والثاني لا يقدر ان يثبت على الراحلة وهو
قادر على من يطيعه اذا امره ان يحج عنه او قادر على مال يجد من يستاجره فيحج عنه فيكون هذا ممن لزمه فرض
الحج اما حكم الزاد والراحلة فهو ان يجد راحلة تصلح لمثله ووجد من الزاد ما يكفيه لذهابه ورجوعه فاضلا عن نفقته
ونفقة من تلزمه نفقتهم وكسوتهم وعن دين ان كان عليه ووجد رفقة يخرجون في وقت جرت العادة بخروج
اهل البلد في ذلك الوقت فان خرجوا قبله او اخروا الخروج الى وقت لا يصلون الا بقطع اكثر من مرحلة لا يلزمه
الخروج معهم ويشترط ان يكون الطريق امنا فان كان فيه خوف من عدو مسلم او كافر او رصدي يطلب الخفارة لا
يلزمه ويشترط ان تكون منازل الطريق معمورة يجد فيها ما جرت العادة بوجوده من الماء والزاد فان تفرق
اهلها الجدب او غارت مياهها فلا يلزمه الخروج ولو لم يجد الراحلة وهو قادر على المشي او لم يجد الزاد وهو قادر
على الاكتساب لا يلزمه الحج عند من جعل وجدان الزاد والراحلة شرطا لوجوب الحج ويستحب لهما ان يفعل
ذلك ويلزمه الحج عند مالك واما المستطيع بغيره فهو ان يكون الرجل عاجزا بنفسه بان كان زمنا او به مرض
لا يرجى برؤه وله مال يمكنه ان يوجر من يحج عنه فيجب عليه ان يوجر من يحج عنه وان لم يكن له مال
وبذل له ولده او اجنبي الطاعة ان يحج عنه لزمه الحج ان كان يعتمد على صدقه لان وجوب الحج متعلق
بالاستطاعة وعند ابي حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة وعند مالك لا يجب على من غصب ماله ويحتج
من اوجب الحج ببذل الطاعة بما روي عن ابن عباس قال كان الفضل بن عباس رديف رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجاءته امراة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصرف وجه الفضل الى الشق الاخر فقالت يا رسول الله ان فريضة الله على عباده في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع
ان يثبت على الراحلة افاحج عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع اخرجاه في الصحيحين قوله تعالى ومن كفر فان الله
غني عن العالمين يعني ومن جحد ما الزمه الله من فرض حج بيته وكفر به فان الله غني عنه وعن حجه وعمله وعن
جميع خلقه وقيل نزلت فيمن وجد ما يحج به ثم مات ولم يحج فهو كفر به لما روي عن علي بن ابي طالب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا
وذلك ان الله تعالى يقول ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا اخرجه الترمذي وقال هذا
حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وفي اسناده مقال وهلال بن عبد الله مجهول والحرث يضعف في
الحديث وقيل هو الذي ان حج لم يره برا وان قعد لم يره اثما وقيل نزلت في اليهود وغيرهم من اصحاب الملل

حيث

حيث قالوا انا مسلمون فنزلت ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا وقالوا الحج الى مكة غير واجب وكفروا به فنزلت ومن
كفر فان الله غني عن العالمين فعلى هذه الاقوال تكون هذه متعلقة بما قبلها وقيل انها كلام مستانف ومعناه
ومن كفر بالله واليوم الاخر فان الله غني عن العالمين قوله عز وجل قل يا اهل الكتاب قيل الخطاب لجميع اهل الكتاب
الذين علموا صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب لجميع اهل الكتاب اليهود والنصارى الذين انكروا
نبوته لم تكفرون بايات الله يعني الايات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وصدق والمعنى
لم تكفرون بايات الله التي تدلكم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بايات الله القران ومحمد صلى
الله عليه وسلم والله شهيد على ما تعملون اي والله شهيد على اعمالكم فيجازيكم عليها قل يا اهل الكتاب لم تصدون
عن سبيل الله من امن يعني لم تصرفون عن دين الله من امن وكان صدهم عن سبيل الله بالقاء الشبهة والشكوك
وذلك بانكارهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم تبغونها عوجا يعني زيغا وميلا عن الحق والعوج
بالكسر الزيغ والميل عن الاستواء في الدين والقول والعمل وكل ما لا يرى فاما الشي الذي يرى كالحايط والقناة
ونحو ذلك فيقال فيه عوج بفتح العين والهاء في قوله تبغونها عايدة على السبيل والمعنى لم تطلبون الزيغ
والميل في سبيل الله بالقاء الشبه في قلوب ضعفته وانتم شهداء قال ابن عباس يعني وانتم شهداء ان في
التوراة مكتوبا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وان دين الله الذي لا يقبل غيره هو الاسلام وقيل
معناه وانتم تشهدون المعجزات التي تظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته وما الله بغافل
عما تعملون فيه وعيد وتهديد لهم وذلك انهم كانوا يجتهدون ويحتالون بالقاء الشبهة في قلوب الناس
ليصدوهم عن سبيل الله والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم فلذلك قال الله تعالى وما الله بغافل عما تعملون
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب الاية قال زيد بن اسلم مر شاس
ابن قيس اليهودي وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين فمر بنفر من الاوس والخزرج وهم في مجلس
يتحدثون فيه فغاظه ما راى من الفتهم وصلاح ذات بينهم في الاسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية
وقال قد اجتمع ملا بني قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود كان معه فقال
اعمد اليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وانشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار
وكان يوم بعاث اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند
ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب وهما اوس بن قيظي احد بني حارثة من
الاوس وجبار بن صخر احد بني سلمة فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها الان جذعة
وغضب الفريقان جميعا وقالوا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهر وهو الحرة فخرجوا اليها وانضمت
الاوس والخزرج بعضهم على بعض على دعواهم في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن
معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام
وقطع عنكم امر الجاهلية والف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها نزغة من الشيطان
وكيد من عدوهم فالقوا السلاح من ايديهم وبكوا واعتنق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم سامعين مطيعين قال جابر فما رايت يوما اقبح ولا احسن اخرا من ذلك اليوم فانزل الله عز وجل يا ايها
الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يعني شاسا اليهودي واصحابه يردوكم بعد ايمانكم كافرين والكفر
يوجب الهلاك في الدنيا بوقوع العداوة والبغضاء وهيجان الفتنة والحرب وسفك الدماء وفي الاخرة النار
قال الله تعالى وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله وكلمة كيف كلمة تعجب والتعجب انما يليق بمن لا يعلم

Copyright © King Saud University

السيف وذلك على الله محال فالمراد منه المنع والتغليظ وذلك لان تلاوة ايات الله هي النقل الذي لا يبعد حال وكون
رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشدكم الى مصالحكم وذلك يمنع وقوع الكفر فكان وقوع الكفر منهم بعيدا على هذا الوجه
قال قتادة في هذه الاية علمان بينان كتاب الله تعالى ونبي الله صلى الله عليه وسلم اما نبي الله فقد مضى واما
كتاب الله فقد ابقاه الله بين اظهركم رحمة منه ونعمة م عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما
فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه ووعظ الناس وذكر ثم قال اما بعد الا ايها الناس
انما انا بشر يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيب وانا تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور
فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي
وقوله تعالى ومن يعتصم بالله اي يمتنع بالله ويستمسك بدينه وطاعته واصل العصمة الامتناع من الوقوع في افة
وخبث فالالتجا الى الله تعالى في دفع شر الكفار عنهم فقد هدي الى صراط مستقيم اي الى طريق واضح وهو الحق المؤدي
الى الجنة قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال مقاتل بن حيان كان بين الاوس والخزرج عداوة في الجاهلية
وقتال فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اصلح بينهم فافتخر بعد ذلك منهم رجلان وهما ثعلبة
ابن غنم من الاوس واسعد بن زرارة من الخزرج فقال الاوسي منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت حمي الدبر ومنا
سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريظة وقال الخزرجي منا اربعة احكموا القران ابي
ابن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الانصار ورئيسهم فجرى الحديث
بينهما فغضبا وانشدا الاشعار وتفاخرا فجاء الاوس والخزرج ومعهم السلاح فاتاهم النبي صلى الله عليه وسلم
فاصلح بينهم فانزل الله عز وجل هذه الاية يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس هو ان يطاع
فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقال مجاهد هو ان تجاهدوا في الله حق جهاده ولا تاخذكم في الله لومة
لائم وتقوموا لله بالقسط ولو على انفسكم وابائكم وابنائكم وعن انس قال لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن
لسانه وقيل حق تقاته يعني واجب تقواه وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم واختلف العلماء في هذا القدر
من هذه الاية هل هو منسوخ ام لا على قولين احدهما انه منسوخ وذلك انه لما نزلت هذه الاية شق ذلك على
المسلمين وقالوا يا رسول الله ومن يقوى على هذا فانزل الله تعالى الناسخ وهو قوله تعالى في سورة التغابن
فاتقوا الله ما استطعتم وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد والسدي والقول الثاني
انها محكمة غير منسوخة وهو رواية عن ابن عباس ايضا وبه قال طاوس وموجب هذا الاختلاف يرجع الى
معنى هذه الاية فمن قال انها منسوخة قال حق تقاته هو ان ياتي العبد بكل ما يجب لله ويستحقه فهذا يعجز
العبد عن الوفاء به فتحصيله ممتنع ومن قال بانها محكمة قال ان حق تقاته ما يلزم العبد على قدر طاقته
فكان قوله اتقوا الله ما استطعتم مفسرا لحق تقواه لا ناسخا ولا مخصصا فمن اتقى الله ما استطاع فقد اتقى الله حق
تقواه وقيل معنى حق تقاته كما يجب ان يتقى وذلك بان يجتنب جميع معاصيه وقيل في معنى قول ابن عباس
هو ان يطاع فلا يعصى هذا صحيح والذي يصدر عن العبد على سبيل السهو والنسيان غير قادح فيه لان التكليف
في تلك الحال مرفوع عنه وكذلك قوله وان يشكر فلا يكفر وذلك واجب على العبد حضوره ما انعم الله عليه بالبال
فاما عند السهو فلا يجب عليه وكذلك قوله وان يذكر فلا ينسى فان هذا انما يجب عند الدعاء والعبادة فلا يجب عند
السهو والنسيان وقوله تعالى ولا تموتن الا وانتم مسلمون لفظ النهي واقع على الموت والمعنى واقع على الامر
بالاقامة على الاسلام المعنى كونوا على الاسلام فاذا ورد عليكم الموت صادفكم على ذلك وقيل هذا في
الحقيقة نهي عن ترك الاسلام المعنى لا تتركوا الاسلام فان الموت لا بد منه فمتى جاءكم صادفكم وانتم

على

على الاسلام لانه لما كان يمكنهم الثبات على الاسلام حتى اذا اتاهم الموت اتاهم وهم على الاسلام صار الموت على
الاسلام بمنزلة ما قد دخل في امكانهم وقيل معناه ولا تموتن الا وانتم مسلمون مخلصون مفوضون الى الله امركم
محسنون الظن به عز وجل عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية اتقوا الله حق
تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون فقال لو ان قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت على اهل
الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله عز وجل
واعتصموا بحبل الله جميعا اي تمسكوا بحبل الله والحبل هو السبب الذي يتوصل به الى البغية وسمي الايمان حبلا لانه
سبب يتوصل به الى زوال الخوف وقيل حبل الله هو السبب الذي يتوصل به اليه فعلى هذا اختلفوا
في معنى الاية فقال ابن عباس معناه تمسكوا بدين الله لانه سبب يوصل اليه وقيل حبل الله هو القران
لانه ايضا سبب يوصل اليه وقد ورد في صحيح مسلم من حديث زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الا واني تارك فيكم ثقلين احدهما كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه
كان على ضلالة الحديث عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القران هو حبل
الله المتين وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ذكره البغوي بغير سند وقال ابن
مسعود هو الجماعة وقال عليكم بالجماعة فانها حبل الله الذي امر به وان ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير
مما تحبون في الفرقة وقيل بحبل الله يعني بامر الله وطاعته ولا تفرقوا يعني كما تفرقت اليهود والنصارى
وقيل ولا تفرقوا يعني كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا وقيل معناه لا تحدثوا
ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التي انتم عليها ففيه النهي عن التفرق والاختلاف
والامر بالاتفاق والاجتماع لان الحق لا يكون الا واحدا وما عداه يكون جهلا وضلالا واذا كان كذلك
وجب النهي عن الاختلاف في الدين وعن التفرقة لان كل ذلك كان عادة اهل الجاهلية فنهوا عنه وروى البغوي
بسنده عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا يرضى لكم
ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا وان تناصحوا من ولى الله امركم ويسخط لكم
قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين
قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا قال محمد بن اسحاق وغيره من اهل الاخبار كان الاوس والخزرج اخوين لاب
وام فوقعت بينهما عداوة وقتال ثم تطاولت تلك العداوة والحروب بينهم مائة وعشرين سنة الى ان اطفا
الله ذلك بالاسلام والف بينهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك ان سويد بن الصامت اخا
بني عمرو بن عوف وكان شريفا يسميه قومه الكامل لجلده ونسبه فقدم مكة حاجا او معتمرا وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد بعث وامر بالدعوة فتصدى له حين سمع به ودعاه الى الله عز وجل والى الاسلام
فقال له سويد فلعل الذي معك مثل الذي معي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذي
معك قال مجلة لقمان يعني حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها علي فعرضها عليه
فقال ان هذا الكلام حسن والذي معي افضل من هذا قران انزله الله عز وجل علي نورا وهدى فتلا عليه
القران ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف الى المدينة فلم يلبث
ان قتله الخزرج يوم بعاث وان قومه يقولون قد قتل وهو مسلم ثم قدم ابو الحيسر انس بن رافع
ومعه فتية من بني عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج
فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم وجلس اليهم وقال لهم هل لكم الى خير مما جئتم له

قالوا وما هو قال انا رسول الله بعثني الله الى العباد ادعوهم الى ان لا تشركوا بالله شيا وانزل على الكتاب ثم ذكر
الاسلام وتلى عليهم القران فقال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا اى قوم هذا والله خير مما جيتم له فاخذ
ابو الحيسر حفنة من البطحا فضرب بها وجه اياس وقال دعنا منك لعمري لقد جينا بغير هذا فصمت اياس
وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة وكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج فلم
يلبث اياس بن معاذ ان هلك فلما اراد الله عز وجل اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم الذى لقى فيه النفر من الانصار فعرض نفسه على القبايل من العرب كما كان
يصنع فى كل موسم فلقى عند العقبة رهطا من الخزرج اراد الله بهم خيرا وهم ستة نفر سعد بن زرارة وعوف
ابن الحرث وهو ابن عفرا ورافع بن مالك العجلانى وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابى وجابر
ابن عبد الله رضى الله عنهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من انتم قالوا نفر من الخزرج قال امن موالى
يهود قالوا نعم قال افلا تجلسون حتى اكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا
عليهم القران قال وكان مما صنع الله لهم به فى الاسلام ان يهودا كانوا معهم ببلادهم وكانوا اهل كتاب وعلم
وهم اهل اوثان وشرك وكانوا اذا كان بينهم شى قالوا ان نبيا الان مبعوث قد اظل زمانه نتبعه ونقتلكم معه
قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اوليك النفر ودعاهم الى الله عز وجل قال بعضهم لبعض يا قوم
تعلمون والله انه النبى الذى توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فاجابوه وصدقوه واسلموا وقالوا انا تركنا قومنا
ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى الله ان يجمعهم بك وسنقدم عليهم وندعوهم الى امرك فان يجمعهم
الله عليك فلا رجل اعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم فلما قدموا المدينة
ذكروا لقومهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الانصار الا
وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا وهم اسعد
ابن زرارة وعوف ومعاذ ابنا عفرا ورافع بن مالك العجلانى وذكوان بن عبد القيس وعبادة بن الصامت
وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر فهولا خزرجيون وابو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة من الاوس
فلقوه بالعقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النسا على ان لا يشركوا بالله شيا
ولا يسرقوا ولا يزنوا الاية قال وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم شيا من ذلك فاخذتم بحد فى الدنيا
فهو كفارة وان ستر عليكم فامركم الى الله عز وجل ان شا عذبكم وان شا غفر لكم قال وذلك قبل ان
يفرض الحرب قال فلما انصرف القوم بعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد المطلب بن مناف
وامره ان يقرأهم القران ويعلمهم الاسلام ويفقههم فى الدين وكان يسمى مصعب بالمدينة المقرى
وكان منزله على اسعد بن زرارة ثم ان اسعد بن زرارة خرج ومصعب فدخل به حايطا من حوايط
بنى ظفر فجلسا فى الحايط واجتمع اليهما رجال ممن اسلم فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى
هذين الرجلين اللذين اتيا دارنا ليسفها ضعفانا فازجرهما فان اسعد بن خالتى ولولا ذلك لكفيتك
وكان سعد بن معاذ واسيد بن حضير سيدى قومهما من بنى عبد الاشهل وهما يومئذ مشركان فاخذ اسيد
ابن حضير حربته ثم اقبل الى مصعب واسعد وهما جالسان فى الحايط فلما راه اسعد بن زرارة
قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس اكلمه فلما وقف
عليهما متشتما وقال ما جا بكما الينا تسفها ضعفانا اعتزلانا ان كانت لكما بانفسكما حاجة فقال له مصعب
او تجلس فتسمع فان رضيت امرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره قال انصفت ثم ركز حربته وجلس

الهما

اليها فكلمه مصعب بالاسلام وقرا عليه القران قالا والله لعرفنا الاسلام فى وجهه قبل ان يتكلم فى
اشراقه وتسهله ثم قال ما احسن هذا واجمله كيف تصنعون اذا اردتم ان تدخلوا فى هذا الدين قالا تغتسل
وتطهر ثوبك وتشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين فقام فاغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم صلى ركعتين
ثم قال لهما ان ورائى رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد من قومه وسارسله اليكما الان سعد بن معاذ
ثم اخذ حربته وانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم فلما نظر اليه سعد مقبلا قال احلف
بالله لقد جاكم اسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف اسيد على النادى فقال له سعد ما فعلت
قال كلمت الرجلين فوالله ما رايت بهما باسا وقد نهيتهما فقالا لا نفعل الا ما احببت وقد حدثت ان
بنى حارثة خرجوا الى اسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم عرفوا انه ابن خالتك ليخفروك فقام سعد مغضبا
للذى ذكره من بنى حارثة فاخذ الحربة ثم قال والله ما اراك اغنيت شيا فانصرف اليهما فلما راهما مطمينين
عرف ان اسيدا انما اراد ان يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة لولا ما بينى
وبينك من القرابة ما رمت هذا منى تغشانا فى دارنا بما نكره وقد كان قال اسعد لمصعب جاءك والله
سيد قومه ان يتبعك لم يتخلف عنك احد منهم فقال له مصعب او تقعد فتسمع فان رضيت امرا
ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره فقال سعد انصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض
عليه مصعب الاسلام وقرا عليه القران قالا فعرفنا والله الاسلام فى وجهه قبل ان يتكلم به
فى اشراق وجهه وتسهله ثم قال كيف تصنعون اذا اسلمتم ودخلتم فى هذا الدين قالا تغتسل
وتطهر ثيابك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه واغتسل وشهد
شهادة الحق وركع ركعتين ثم اخذ حربته واقبل عامدا الى نادى قومه ومعه اسيد بن حضير
فلما راه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع سعد اليكم بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف
عليهم فقال يا بنى عبد الاشهل كيف تعلمون امرى فيكم قالوا سيدنا وافضلنا رايا وايمننا نقيبة
قال فان كلام رجالكم ونسايكم على حرام حتى تومنوا بالله ورسوله قال فما امسى فى دار بنى عبد
الاشهل رجل ولا امراة الا مسلم ومسلمة ورجع سعد بن زرارة ومصعب بن عمير الى منزل اسعد
فاقام عنده يدعوا الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونسا مسلمون
ومسلمات الا ما كان من دار امية بن زيد وخطمة ووايل وواقف وذلك انه كان فيهم
ابو قيس بن الاسلت الشاعر وكانوا يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الاسلام حتى هاجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر واحد والخندق قالوا ثم ان مصعب بن عمير
رجع الى مكة وخرج معه من الانصار من المسلمين سبعون رجلا مع حجاج قومهم من اهل الشرك حتى
قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من اوسط ايام التشريق وهى بيعة
العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان قد شهد ذلك فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى
واعدنا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبد الرحمن بن عمرو بن ابو جابر اخبرناه وكنا
نكتم من معنا من المشركين من قومنا امرنا فكلمناه وقلنا يا ابا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف
من اشرافنا وانا نرغب بك عما انت فيه ان تكون حطبا للنار غدا ودعوناه الى الاسلام فاسلم واخبرناه
بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة وكان نقيبا فيها فنمنا تلك الليلة مع قومنا
فى رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل مستخفين

Copyright © King Saud University

تسلل القطا حتى اذا اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة
بنت كعب ام عمارة احدى نساء بني النجار واسما بنت عمرو بن عدي ام منيع احدى نساء بني سلمة فاجتمعنا بالشعب
ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه
الا انه احب ان يحضر امر ابن اخيه ويتوثق له فلما جلسنا اول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج
وكانت العرب تسمعون هذا الحي من الانصار الخزرج خزرجها واوسها ان محمدا منا حيث علمتم وقد منعناه
من قومنا ممن هو على مثل رأينا وهو في عز من قومه ومنعة في بلده وانه قد ابى الا الانقطاع اليكم واللحوق بكم
فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون
انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الان فدعوه فانه في عز ومنعة قال فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم
يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما شئت فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل
ورغب في الاسلام ثم قال ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون عنه انفسكم ونساءكم وابناءكم قال فاخذ البراء بن معرور
بيده ثم قال والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه ازرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن اهل الحرب واهل الحلقة
ورثناها كابرا عن كابر فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو الهيثم بن التيهان فقال
يا رسول الله ان بيننا وبين الناس حبالا يعني عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم اظهرك
الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم
انتم مني وانا منكم احارب من حاربتم واسالم من سالمتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجوا الي منكم
اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج كفلا على قومهم بما فيهم ككفالة الحواريين بعيسى بن مريم فاخرجوا اثني عشر
نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس قال عاصم بن عمرو بن قتادة بن نضلة الانصاري يا معشر
الخزرج هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون
انكم اذا نهكت اموالكم مصيبة واشرافكم قتلا اسلمتموه فمن الان فهو والله مخزي في الدنيا والاخرة وان كنتم
ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والاخرة
قالوا فانا نأخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فما لنا بذلك يا رسول الله ان نحن وفينا قال الجنة
قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه واول من ضرب على يده البراء بن معرور ثم تتابع القوم قال فلما بايعنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بابعد صوت سمعته يا اهل الجباجب هل
لكم في مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عدو الله هذا ازب
العقبة يعني شيطان العقبة اسمع اي عدو الله اما والله لا فرغن لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انفضوا الى رحالكم فقال العباس بن عبادة بن نضلة والذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلن
على اهل منى باسيافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم قال فرجعنا
الى مضاجعنا فنمنا عليها حتى اصبحنا فلما اصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاءونا في منازلنا فقالوا
يا معشر الخزرج بلغنا انكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه من بين اظهرنا وتبايعونه على حربنا وانه والله
ما حي من العرب ابغض الينا ان تنشب الحرب بيننا وبينه منكم قال فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون
بالله ما كان هذا شيء وما علمناه وصدقوا لم يعلموا به وبعضنا ينظر الى بعض وقام القوم وفيهم الحرث بن هشام
ابن المغيرة المخزومي وعليه نعلان جديدتان قال فقلت له كلمة كاني اريد ان اشركه القوم بها فيما
قالوا يا جابر اما تستطيع ان تتخذ وانت سيد من سادتنا مثل هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحرث

فخلعها

فخلعهما من رجليه ورمى بهما الي وقال والله لتنعلنهما قال ابو جابر مه والله احفظت الفتى فاردد اليه
نعليه قال فقلت لا اردهما قال والله صالح لان صدق الفال لاسلبنه قال ثم انصرف الانصار الى المدينة
وقد شدوا العقد فلما قدموها اظهروا الاسلام بها وبلغ ذلك قريشا فاذوا اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد جعل لكم اخوانا ودارا تامنون بها فامرهم
بالهجرة الى المدينة واللحوق باخوانهم من الانصار فاول من هاجر الى المدينة ابو سلمة بن عبد الاسد
المخزومي ثم عامر بن ربيعة ثم عبد الله بن جحش ثم تتابع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المدينة ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجمع الله عز وجل اهل المدينة اوسها
وخزرجها بالاسلام واصلح ذات بينهم بنبيه عليه الصلاة والسلام وانزل الله عز وجل واذكروا
يعني يا معشر الانصار نعمة الله عليكم يعني بالاسلام اذ كنتم اعداء يعني قبل الاسلام فالف بين قلوبكم
يعني بالاسلام وبنبيه عليه الصلاة والسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا يعني فصرتم برحمته وبدينه الاسلام
اخوانا في الدين والولاية بعد العداوة وكنتم يا معشر الاوس والخزرج على شفا حفرة من النار الا ان تموتوا على كفركم
فانقذكم منها اي خلصكم بالايمان من الوقوع في النار كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون قوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون
الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر اللام في قوله ولتكن لام الامر اي لتكن منكم امة دعاة الى الخير منكم وقيل
ان كلمة من في قوله منكم للتبيين لا للتبعيض وذلك لان الله عز وجل اوجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
على كل امة في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فيجب على كل مكلف الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر اما بيده او بلسانه او بقلبه م عن ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من
راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان فعلى هذا يكون معنى
الاية كونوا امة دعاة الى الخير امرين بالمعروف ناهين عن المنكر ومن قال بهذا القول يقول الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر فرض كفاية اذا قام به البعض واحد سقط الفرض عن الباقين وقيل ان من هنا للتبعيض وذلك لان في الامة
من لا يقدر على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعجز او ضعف فحسن ادخال لفظة من في قوله ولتكن منكم امة يدعون وقيل
ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انما يختص بالعلماء وولاة الامر فعلى هذا يكون المعنى ليكن بعضكم امرا بالمعروف
ناهيا عن المنكر خ عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل
قوم استهموا على سفينة فاصاب بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها فكان الذين في اسفلها اذا استقوا من
الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما ارادوا
هلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا والخير المذكور في الاية هو على كل شيء يرغب فيه من الافعال
الحسنة وقيل هو هنا كناية عن الاسلام والمعنى لتكن امة اي جماعة دعاة الى الاسلام والى كل فعل
حسن يستحسن في الشرع والعقل وقيل الدعوة الى فعل الخير يندرج تحتها نوعان احدهما الترغيب
في فعل ما ينبغي وهو الامر بالمعروف والثاني الترغيب في ترك ما لا ينبغي وهو النهي عن المنكر فذكر
الجنس اولا وهو الخير ثم اتبعه بنوعيه مبالغة في البيان والمعروف اسم لكل ما يعرف بالعقل والشرع
حسنه والمنكر ضد ذلك وهو ما عرف بالعقل والشرع قبحه قوله تعالى واولئك هم المفلحون ولا تكونوا
كالذين تفرقوا واختلفوا يعني ولا تكونوا يا معشر المؤمنين كالذين تفرقوا يعني اهل الكتاب وهم
اليهود والنصارى في قول اكثر المفسرين واختلفوا اي في دين الله وامره ونهيه وقيل تفرقوا واختلفوا بمعنى
واحد وانما ذكرهما للتاكيد وقيل تفرقوا بسبب العداوة واتباع الهوى واختلفوا في دين الله فصاروا فرقا

Copyright © King Saud University

مختلفين قال الربيع في هذه الآية هم أهل الكتاب نهى الله أهل الإسلام أن يتفرقوا ويختلفوا كما تفرق
واختلف أهل الكتاب وقال ابن عباس أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم
إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في الدين وقال بعضهم هم المبتدعة من هذه الأمة وقال أبو
أمامة هم الحرورية (ق) عن عبد الله بن شداد وقف أبو أمامة وأنا معه على رؤوس الحرورية على درج
جامع دمشق وقد ذرفت عيناه ثم قال كلاب أهل النار وكانوا مؤمنين فكفروا بعد إيمانهم شر قتيل
تحت أديم السماء وخير قتيل تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء قلت فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم
كانوا من أهل الإسلام فكفروا بعد إيمانهم ثم أخذ بيدي وقال إن بأرضك منهم كثير وفي رواية ثم قرأ بعد قوله
فكفروا والحديث إيمانهم ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا إلى قوله أكفرتم بعد إيمانكم وروى الترمذي عن أبي غالب
قال رأى أبو أمامة رؤوسا منصوبة على درج دمشق فقال أبو أمامة كلاب أهل النار شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى
من قتلوه ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه إلى آخر الآية قلت لأبي أمامة أنت سمعته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاث مرات أو أربع حتى عد سبعا ما حدثتكموه وقال فيه هذا حسن
وقوله تعالى من بعد ما جاءهم البينات يعني الحجج الواضحات فخالفوها وإنما قال جاءهم ولم يقل جاءتهم لجواز حذف علامة التأنيث
من الفعل في التقديم تشبيها بعلامة التثنية والجمع وأولئك لهم عذاب عظيم يعني هؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا عذاب
عظيم في الآخرة وفيه زجر عظيم للمؤمنين عن التفرق والاختلاف عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
خالف الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه أخرجه أبو داود الربقة الإسلام عقد الإسلام
وأصله أن الربق حبل فيه عدة عرى تربط بها الغنم وروى البغوي بسنده عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة فإن الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين
أبعد بحبوحة الجنة وسطها والفذ هو الواحد قوله عز وجل يوم تبيض وجوه وتسود وجوه يعني اذكروا يوم تبيض
وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين وقيل تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة وقيل تبيض
وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين وفي بياض الوجوه وسوادها قولان أحدهما أن البياض كناية عن
الفرح والسرور والسواد كناية عن الغم والحزن وهذا مجاز مستعمل يقال لمن نال بغيته وظفر بمطلوبه ابيض
وجهه يعني من السرور والفرح ولمن ناله مكروه اسود وجهه واربد لونه يعني من الحزن والغم قال الله تعالى وإذا بشر
أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا يعني من الحزن فعلى هذا بياض الوجوه إشراقها وسرورها واستبشارها بعملها وذلك
أن المؤمن إذا ورد القيامة على ما قدم من خير وعمل صالح استبشر بثواب الله ونعمه عليه فإذا كان كذلك وسم وجهه
ببياض اللون وإشراقه واستنارته وابيضت صحيفته وأشرقت وسعى النور بين يديه وعن يمينه وشماله
وأما الكافر والظالم إذا ورد القيامة على ما قدم من قبيح عمل وسيئ تحزن واغتم لعلمه بعذاب الله فإذا كان
كذلك وسم وجهه بسواد اللون وكمودته واسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ
بفضل الله وسعة رحمته من الظلمات يوم القيامة والقول الثاني أن بياض الوجوه وسوادها حقيقة فيحصل في
الوجه تبييض وجه المؤمن ويكسى نورا ويسود وجه الكافر ويكسى ظلمة لأن لفظ البياض والسواد حقيقة
فيهما والحكمة في بياض الوجوه وسوادها أن أهل الموقف إذا رأوا بياض وجه المؤمن عرفوا أنه من أهل السعادة وإذا
رأوا سواد وجه الكافر عرفوا أنه من أهل الشقاوة فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون أي فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتقريع **فإن قلت**
كيف قال أكفرتم بعد إيمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين فمن المراد بهؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم **قلت**

اختلف

اختلف العلماء في ذلك فروي عن أبي بن كعب أنه قال أراد به الإيمان يوم الميثاق حين قال لهم ألست بربكم قالوا بلى فآمن
الكل فكل من كفر في الدنيا فقد كفر بعد الإيمان وقال الحسن هم المنافقون وذلك أنهم تكلموا بالإيمان بألسنتهم وأنكروه
بقلوبهم وقال عكرمة هم أهل الكتاب وذلك أنهم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث أنكروه وكفروا به
وقيل هم الذين ارتدوا زمن أبي بكر الصديق وهم أهل الردة (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رفعوا إلي اختلجوا دوني فلأقولن أي رب أصحابي فيقال
إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك زاد في رواية فأقول سحقا لمن بدل بعدي (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي أو قال من أمتي فيحلؤون عن الحوض فأقول يا رب أصحابي
فيقول إنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى وقيل هم الخوارج الذين خرجوا على علي بن
أبي طالب وقتلهم وهم الحرورية (ق) عن زيد بن وهب أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي الذين ساروا إلى الخوارج
فقال علي أيها الناس إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس
قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم
ولا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية زاد في رواية سويد بن غفلة يقرؤون القرآن
لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن
قتلهم عند الله يوم القيامة (ق) عن يسير بن عمرو قلت لسهل بن حنيف هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول في الخوارج شيئا قال سمعته يقول وأهوى بيده إلى العراق يخرج منهم قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم
يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية وقيل هم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة كالقدرية ونحوهم
ومن قال بهذا القول يقول كفرهم بعد إيمانهم هو خروجهم من الجماعة ومفارقتهم في الاعتقاد (م) عن أبي هريرة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي
مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا وقال الحارث الأعور سمعت علي بن أبي طالب يقول على المنبر إن الرجل
ليخرج من أهله فما يؤوب حتى يعمل عملا يستوجب به النار ثم قرأ يوم تبيض وجوه الآية ثم نادى هم الذين
كفروا بعد الإيمان ورب الكعبة وقوله تعالى وأما الذين ابيضت وجوههم يعني من المؤمنين المطيعين لله عز
وجل ففي رحمة الله يعني ففي جنة الله وإنما سميت الجنة رحمة لأنها دار رحمة وفيها إشارة إلى أن العبد
وإن عمل بالطاعات لا يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى هم فيها خالدون قيل إنما كرر كلمة في لأن في كل واحد منهما معنى
غير الآخر والمعنى أنهم في رحمة الله وأنهم في الرحمة خالدون تلك آيات الله يعني القرآن وقيل هذه الآيات التي تقدمت
نتلوها عليك بالحق أي بالمعنى الحق لأن المتلو حق وما الله يريد ظلما للعالمين يعني لا يعاقب أحدا بغير جرم واستحقاق
للعقوبة وإنما ذكر الظلم هنا لأنه قد تقدم ذكر العقوبة في قوله فأما الذين اسودت وجوههم إلى قوله فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون فأخبر أنهم وقعوا فيها بسبب أفعالهم المنكرة وأنه لا يظلم أحدا من خلقه ولله
ما في السموات وما في الأرض لما ذكر الله أنه لا يريد ظلما للعالمين لأنه لا حاجة به إلى الظلم وذلك أنا نعلم إنما يظلم
غيره ليزداد مالا أو عزا وسلطانا أو يتمم نقصا فيه بما يظلم غيره ولما كان الله عز وجل مستغنيا عن ذلك
وله صفة الكمال أخبر أن له ما في السموات وما في الأرض وأن جميع ما فيهما ملكه وأهلهما عبيده وإذا كان كذلك
يستحيل في حقه سبحانه وتعالى أن يظلم أحدا من خلقه لأنهم عبيده وفي قبضته ثم قال وإلى الله ترجع
الأمور يعني وإلى الله مصير جميع الخلائق المؤمن والكافر والطائع والعاصي فيجازي الكل على قدر استحقاقهم
ولا يظلم أحدا منهم قوله عز وجل كنتم خير أمة سبب نزول هذه الآية أن مالك بن الصيف ووهب بن

Copyright King Saud University

يهود اليهود بين قالا لعبد الله بن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة نحن افضل منكم وديننا خير
من دينكم الذي تدعوننا اليه فانزل الله هذه الاية واختلف في لفظة كان فقيل هي بمعنى الحدوث والوقوع
والمعنى حدثتم ووجدتم وخلقتم خير امة وقيل كان ههنا ناقصة وهي عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض
ولا تدل على انقطاع طارئ بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما فعلى هذا التقدير يكون المعنى كنتم في علم الله
خير امة وقيل كنتم مذكورين في الامم الماضية بانكم خير امة وقيل كنتم في اللوح المحفوظ موصوفين بانكم خير
امة وقيل معناه كنتم مذ انتم خير امة وقيل قوله خير امة تابع لقوله فاما الذين ابيضت وجوههم والتقدير
انه يقال لهم عند دخول الجنة كنتم في دنياكم خير امة فلهذا استحققتم ما انتم فيه من بياض الوجوه والنعيم
المقيم وقيل كنتم بمعنى انتم وقيل يحتمل ان يكون كان بمعنى صار فمعنى قوله كنتم اي صرتم خير امة فاما المخاطبون
بهذا فهم على خلاف قال ابن عباس في قوله كنتم خير امة هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروى ابن جرير عن عمر بن الخطاب قال لو شاء الله لقال انتم فكنا كلنا ولكن في خاصة من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومن صنع مثل ما صنعتم كانوا خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن
المنكر وقال الضحاك هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني به كانوا هم الرواة الدعاة الذين امر الله
وجل المسلمين باتباعهم وطاعتهم ق عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس
قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثة ثم ان بعدهم قوم
يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن زاد في
رواية ويحلفون ولا يستحلفون ق عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني
ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم حتى يجيء قوم تسبق شهادة احدهم يمينه ويمينه شهادته قوله خير الناس قرني
يعني اصحابي والقرن اهل كل زمان ماخوذ من الاقتران وكانه الزمان الذي يقترن فيه اهل ذلك الزمان
في اعمارهم واحوالهم وقيل القرن اربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة ق عن ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدا انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم
ولا نصيفه النصيف النصف وقال ابن عباس في رواية عطاء في قوله كنتم خير امة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم
قال الزجاج قوله كنتم خير امة الخطاب فيه مع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه عام في كل الامة
ونظيره قوله كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص وان كان ذلك خطابا مع الحاضرين بحسب اللفظ ولكنه عام
في حق الكل كذا ههنا عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى
كنتم خير امة اخرجت للناس قال انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله تعالى اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن واصل الامة الجماعة المجتمعة على الشيء وامة محمد صلى الله عليه وسلم هم الجماعة الموصوفون
بالايمان بالله عز وجل وبمحمد صلى الله عليه وسلم خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون
الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى عن ابن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يجمع امتي او قال امة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة ويد الله على
الجماعة ومن شذ شذ في النار اخرجه الترمذي عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امتي
امة مرحومة ليس عليها عذاب في الاخرة عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل اخرجه ابو داود وعن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل امتي كمثل المطر لا يدرى اوله خير ام اخره اخرجه الترمذي وله عن بريدة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون

من

من سائر الامم وله عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب امتي الذي يدخلون منه الجنة عرضه
مسيرة الراكب المجود ثلاثا ثم انهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول قال الترمذي سالت
محمدا يعني البخاري عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال لخالد بن ابي بكر مناكير عن سالم بن عبد الله زاد غيره في الحديث
وهم شركاء الناس في سائر الابواب عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان من امتي من يشفع في الفئام من الناس ومنهم من يشفع في القبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم
من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة اخرجه الترمذي خ عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليدخلن الجنة من امتي سبعون الفا او سبعمائة الف متماسكين اخذ بعضهم ببعض
حتى يدخل اولهم واخرهم الجنة ووجوههم على صورة القمر ليلة البدر عن ابي امامة قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدني ربي ان يدخل من امتي الجنة سبعين الفا لا حساب عليهم ولا
عذاب مع كل الف سبعون الفا وثلاث حثيات من حثيات ربي اخرجه الترمذي وروى البغوي
باسناد الثعلبي عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة حرمت على
الانبياء كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي وقوله تعالى اخرجت للناس معناه كنتم خير
الامم المخرجة للناس في جميع الاعصار ومعنى اخرجت اظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وقيل
معناه كنتم للناس خير امة اخرجت خ عن ابي هريرة قال كنتم خير امة اخرجت للناس قال خير الناس للناس
تاتون بهم في السلاسل في اعناقهم حتى يدخلوا في الاسلام وقيل اخرجت صلة والتقدير كنتم خير امة للناس
وقيل معناه ما اخرج للناس امة خير من امة محمد صلى الله عليه وسلم تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر كلام مستانف
والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية وكونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم
بمصالحهم والمعروف هو التوحيد والمنكر هو الشرك والمعنى تامرون الناس بقول لا اله الا الله
وتنهونهم عن الشرك وتؤمنون بالله اي وتصدقون بالله وتخلصون له التوحيد والعبادة فان قيل
لم قدم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الايمان بالله في الذكر مع ان الايمان لا بد ان يكون
مقدما على كل الطاعات والعبادات قلت الايمان بالله امر مشترك فيه جميع الامم
المؤمنة وانما فضلت هذه الامة الاسلامية بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر على سائر الامم واذا كان كذلك
كان المؤثر في حصول الخيرية هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واما الايمان بالله فهو شرط في هذا الحكم لانه ما لم
يوجد الايمان لم يصر شيء من الطاعات مقبولا فثبت ان الموجب لهذه الخيرية لهذه الامة هو كونهم امرين بالمعروف
ناهين عن المنكر فلهذا السبب حسن تقديم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على ذكر الايمان قوله تعالى
ولو امن اهل الكتاب يعني ولو امن اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالدين الذي جاء به لكان خيرا
لهم يعني مما هم عليه من اليهودية والنصرانية وانما حملهم على ذلك حب الرياسة واستتباع العوام ولو انهم
امنوا لحصلت لهم الرياسة في الدنيا والثواب العظيم في الاخرة وهو دخول الجنة منهم يعني من اهل الكتاب
المؤمنون يعني عبد الله بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اليهود والنجاشي واصحابه الذين اسلموا من النصارى
واكثرهم الفاسقون اي المتمردون في الكفر وقيل ان الكافر قد يكون عدلا في دينه وهؤلاء كفرهم فاسقون
قوله عز وجل لن يضروكم الا اذى سبب نزول هذه الاية ان رؤساء اليهود عمدوا الى من امن منهم مثل عبد
الله بن سلام واصحابه فاذوهم لاسلامهم فانزل الله لن يضروكم الا اذى يعني لن يضركم ايها المؤمنون
هؤلاء اليهود الا اذى يعني باللسان من طعن في دينكم او تهديد او القاء شبه وتشكيك في القلوب

Copyright © King Saud University

وكل ذلك يوجب الاذى والغم **وان يقاتلوكم يولوكم الادبار** يعني منهزمين من غير ظفر ولا نيل **ثم لا ينصرون** يعني لا يكون
لهم النصر عليكم بل تنصرون عليهم وفيه تثبيت لمن اسلم من اهل الكتاب لانهم كانوا يؤذونهم بالقول ويهددونهم
ويوبخونهم فاعلمهم الله تعالى انهم لا يقدرون ان يجاوزوا الاذى بالقول الى غيره من الضرر بقهر وغيرهم
الغلبة والانتقام منهم وان عاقبتهم الخذلان والذل فقال تعالى **ضربت عليهم الذلة** يعني جعلت الذلة
ملصقة بهم كالشيء يضرب على الشيء فيلتصق به والمراد بالذلة قتلهم وسبيهم وغنيمة اموالهم وقيل الذلة ضرب
الجزية عليهم لانها ذلة وصغار وقيل ذلتهم انك لا ترى ملكا قاهرا ولا رئيسا معتبرا الا وهم مستضعفين في جميع
البلاد **اينما ثقفوا** اي حيث ما وجدوا وصودفوا **الا بحبل من الله** يعني العهد من الله وهو ان يسلموا
فتزول عنهم الذلة **وحبل من الناس** يعني المؤمنين ببذل الجزية والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة
الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس وذمة الله وعهده وذمة المسلمين وعهدهم
لا عز لهم الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من بذل الجزية وانما سمي العهد حبلا لانه سبب
يوصل الامن وزوال الخوف **وباءوا بغضب من الله** اي رجعوا بغضب من الله واستوجبوه وقيل اصله من البواء
وهو المكان والمعنى انهم مكثوا في غضب من الله وحلوا فيه **وضربت عليهم المسكنة** يعني كما يضرب البيت على
اهله فهم ساكنون في المسكنة غير خارجين منها قال الحسن المسكنة هي الجزية وذلك ان الله تعالى اخرج المسكنة
عن الاستثناء وذلك يدل على انها باقية عليهم والباقي عليهم هو الجزية فدل على ان المسكنة هي الجزية وقيل
المراد بالمسكنة هو ان اليهودي يظهر من نفسه الفقر وان كان غنيا موسرا **ذلك** اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة
والمسكنة والبوا بالغضب **بانهم** اي بسبب انهم **كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما
عصوا وكانوا يعتدون** اي ذلك الذي نزل بهم بسبب عصيانهم لله عز وجل واعتدائهم لحدوده فنزل بهم
ما نزل قوله عز وجل **ليسوا سواء** قال ابن عباس لما اسلم عبد الله بن سلام واصحابه قالت اليهود ما امن
بمحمد الا شرارنا ولولا ذلك لما تركوا دين ابائهم فانزل الله تعالى هذه الاية وفي قوله ليسوا سواء قولان
احدهما انه كلام تام يتوقف عليه والمعنى ان اهل الكتاب الذين سبق ذكرهم منهم
فاستوى ليسوا سواء وقيل لا يستوي اليهود وامة محمد صلى الله عليه وسلم القائمة بامر الله الثابتة
على الحق [illegible] الثاني ان قوله ليسوا سواء متعلق بما بعده ولا يوقف عليه وقوله **من اهل الكتاب
امة قائمة** فيه اختصار واضمار والتقدير ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة ومنهم امة مذمومة
غير قائمة فترك ذكر الامة الاخرى اكتفاء بذكر احد الفريقين وهذا على مذهب العرب ان ذكر احد
الضدين يغني عن ذكر الاخر قال ابو ذؤيب * دعاني اليها القلب اني لامرها سميع فلا ادري ارشد طلابها
ام الامر غير رشد فاكتفى بذكر احد الرشدين دون الاخر وقال الزجاج لا حاجة الى اضمار الامة المذمومة
لانه قد جرى ذكر اهل الكتاب بقوله كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق فاعلم الله ان منهم
امة قائمة فلا حاجة بنا الى ان نقول وامة غير قائمة وانما ابتدا بذكر فعل الاكثر منهم وهو الكفر والمشاقة ثم
ذكر من كان مباينا لهم في فعلهم فقال ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة قال ابن عباس قائمة اي مهتدية
قائمة على امر الله لم يضيعوه ولم يتركوه وقيل قائمة اي عادلة وقيل قائمة على كتاب الله وحدوده
وقيل قائمة في الصلاة **يتلون آيات الله** اي يقرؤون كتاب الله عز وجل **آناء الليل** يعني ساعاته **وهم يسجدون**
يعني يصلون عبر بالسجود عن الصلاة لان التلاوة لا تكون في السجود وقيل هي صلاة التهجد بالليل وقيل هي
صلاة العشاء لان اليهود لا يصلونها وقيل يحتمل ان المراد بالسجود الخضوع والخشوع لان العرب تسمي الخشوع

سجودا وقال عطا في قوله ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يريد اربعين رجلا من اهل نجران من العرب واثنين
وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وامنوا
به وكانوا عدة نفر من الانصار منهم اسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة ومحمود بن مسلمة وابو قيس
صرمة بن انس كانوا قبل الاسلام موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرائع الحنيفية حتى
جاءهم الله عز وجل بالنبي صلى الله عليه وسلم فامنوا به وصدقوه ثم وصفهم الله تعالى بصفات ما كانت
في اليهود فقال **يؤمنون بالله واليوم الآخر** وذلك لان ايمان اهل الكتاب فيه شرك ويصفون اليوم الاخر
بغير ما يصفه المؤمنون وقيل ان الايمان بالله يلزم الايمان بجميع انبيائه ورسله واليهود يؤمنون
ببعض الانبياء ويكفرون ببعض والايمان بالله واليوم الاخر يلزم الحذر من فعل المعاصي واليهود لا يحترزون
منها فلم يحصل الايمان الخالص بالله واليوم الاخر **ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** يعني غير مداهنين
كما يداهن اليهود بعضهم بعضا وقيل يامرون بالمعروف يعني بتوحيد الله والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
وينهون عن المنكر يعني عن الشرك وعن كتم صفة محمد صلى الله عليه وسلم **ويسارعون في الخيرات** اي يبادرون
اليها خوف الفوات وذلك ان من رغب في امر سارع اليه وقام به غير متوان عنه وقيل يسارعون في الخيرات
غير متثاقلين ولا كسالى **واولئك** اشارة الى الموصوفين بما وصفوا به **من الصالحين** اي من جملة الصالحين الذين
صلحت احوالهم عند الله عز وجل ورضي عنهم واستحقوا ثناءه عليهم وذلك ان الصلاح ضد الفساد فاذا حصل
الصلاح للانسان فقد حصل له اعلى الدرجات واكمل المقامات وقيل يحتمل ان يريد بالصالحين المسلمين
والمعنى واولئك الذين تقدم وصفهم من جملة المسلمين قوله عز وجل **وما تفعلوا من خير فلن تكفروه** قرئ
بالياء لان الكلام متصل بما قبله من ذكر مؤمني اهل الكتاب وذلك ان اليهود لما قالوا لعبد الله بن سلام
واصحابه انكم خسرتم بسبب هذا الدين الذي دخلتم فيه فاخبرهم انهم فازوا بالدرجات العلى وما فعلوه من
خير يجازيهم به ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل فيه كل فاعل الخير وقرئ بالتاء على انه ابتداء كلام
وهو خطاب لجميع المؤمنين ويدخل فيه مؤمنو اهل الكتاب ايضا ومعنى الاية وما تفعلوا من خير ايها المؤمنون
فلن تكفروه اي فلن تعدموا ثوابه ولن تحرموه وتمنعوه بل يشكره لكم ويجازيكم به **والله عليم بالمتقين** فيه بشارة
للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل الايمان والتقوى قوله عز وجل **ان الذين كفروا
لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا** قال ابن عباس يريد بني قريظة والنضير وذلك ان رؤساء اليهود
مالوا الى تحصيل الاموال في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان مقصودهم بمعاداته تحصيل
الرياسة والاموال فقال عز وجل لن تغني عنهم اموالهم وقيل نزلت في مشركي قريش فان ابا جهل كان كثير
الافتخار بالاموال وانفق ابو سفيان مالا كثيرا في يومي بدر واحد على المشركين وقيل الاية عامة في جميع
الكفار لان اللفظ عام ولا دليل يوجب التخصيص فوجب اجراء اللفظ على عمومه ومعنى الاية ان الذين
كفروا لن تغني اي لن تدفع عنهم اموالهم بالفدية لو افتدوا بها من عذاب الله ولا اولادهم بالنصرة وانما
خص الاموال والاولاد بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالاولاد
فاعلم الله تعالى ان الكافر لا ينفعه شيء من ذلك في الاخرة ولا يخلصه من عذاب الله وهو قوله **واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون** لا يخرجون منها ولا يفارقونها قوله عز وجل **مثل ما ينفقون في هذه
الحياة الدنيا** قيل اراد نفقة ابي سفيان واصحابه ببدر واحد في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل اراد نفقة اليهود على علمائهم ورؤسائهم وقيل اراد نفقات جميع الكفار وصدقاتهم في الدنيا وقيل

Copyright © King Saud University

اراد نفقة المرائي الذي لا يريد بما ينفق وجه الله وذلك لان انفاقهم المال اما ان يكون لمنافع الدنيا او لمنافع
الآخرة فان كان لمنافع الدنيا لم يبق له اثر في الآخرة في حق المسلم فضلا عن الكافر وان كان لمنافع الآخرة كمن تصدق
وعمل اعمال البر فهو لا ينتفع بما انفق في الدنيا لاجل الآخرة وكذلك المرائي الذي لا يريد بما انفق وجه الله فانه لا ينتفع بنفقته
في الآخرة ثم ضرب لذلك الانفاق مثلا فقال تعالى كمثل ريح فيها صر فيه وجهان احدهما وهو قول اكثر المفسرين
واهل اللغة ان الصر البرد الشديد وبه قال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد والوجه الثاني الصر هو السموم
الحارة التي تقتل وهو رواية عن ابن عباس وبه قال ابن الانباري من اهل اللغة وعلى الوجهين فالتشبيه
صحيح والمقصود منه حاصل لانه سوا كان فيها برد فهو مهلك او حر فهو مهلك اصابت يعني الريح التي فيها صر حرث قوم
اي زرع قوم ظلموا انفسهم يعني بالكفر والمعاصي ومنع حق الله منه فاهلكته يعني فاهلكت الريح الزرع ومعنى الآية
مثل نفقات الكفار في ذهابها وقت الحاجة اليها كمثل زرع اصابته ريح باردة فاهلكته او نار فاحرقته فلم ينتفع به
اصحابه **فان قلت** الغرض من التشبيه ما انفقوا وابطال ثوابه وعدم الانتفاع به بالحرث
الذي هلكت بالريح فكيف شبه بالريح المهلكة للحرث **قلت** هو التشبيه المركب ووجه ما حصلت به
المشابهة بين ما هو المقصود من الجملتين وان لم تحصل المشابهة بين اجزاء الجملتين فعلى هذا لا اشكال ومن
التشبيه ما حصلت المشابهة بين المقصود من الجملتين وبين اجزاء كل واحدة منهما فان جعلنا هذا المثل من هذا
القسم ففيه وجهان احدهما ان يكون التقدير مثل الكفر في اهلاك ما ينفقون كمثل مهلك الريح وهو الحرث والمقصود
من ضرب هذا المثل فيه تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب بالكلية ولا يبقى منه شيء وقوله تعالى وما ظلمهم الله
يعني بان لم يقبل نفقاتهم ولكن انفسهم يظلمون يعني لانهم عصوا الله واستحقوا عقابه فابطل نفقاتهم واهلكهم
وقيل ظلموا انفسهم حيث لم يأتوا بنفقاتهم مستحقة للقبول قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم
الآية قال ابن عباس كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار
والرضاع فانزل الله عز وجل هذه الآية ونهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم ويدل على صحة هذا القول
ان الآيات المتقدمة فيها ذكر اليهود فتكون هذه الآية كذلك وقيل كان قوم من المؤمنين يصافون المنافقين
ويفشون اليهم الاسرار ويطلعونهم على الاحوال الخفية فنهاهم الله عن ذلك ووجه هذا القول ان الله ذكر في
سياق هذه الآية قوله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وهذه صفة المنافقين
لا صفة اليهود وقيل المراد بهذا جميع اصناف الكفار ويدل على صحة هذا القول عموم الآية لان الله تعالى قال
لا تتخذوا بطانة من دونكم فمنع المؤمنين ان يتخذوا بطانة غير المؤمنين فيكون ذلك نهيا عن جميع الكفار والبطانة
خاصة الرجل المطلع على سره واشتقاقه من بطانة الثوب بدلالة قولهم لبست فلانا اذا اختصصته ويقال
فلان شعاري ودثاري والشعار الذي يلي الجسد وكذلك البطانة والحاصل ان الذي يخصه الانسان بمزيد
التقريب يسمى بطانة لانه يستبطن امره ويطلع منه على ما لا يطلع عليه غيره من دونكم قيل من صلة زائدة والتقدير
لا تتخذوا بطانة دونكم وقيل من للتبيين اي لا تتخذوا بطانة من دون اهل ملتكم والمعنى لا تتخذوا اولياء
واصفياء من غير اهل ملتكم ثم بين سبحانه وتعالى علة النهي عن مباطنتهم فقال تعالى لا يألونكم خبالا يعني
لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد وهو الخبال لان اصل الخبال الفساد والضرر الذي
يلحق الانسان فيورثه نقصان العقل ودوا ما عنتم اي يودون ما عنتكم وهو ما يشق عليكم من الضر والشر
والهلاك والعنت المشقة قد بدت البغضاء من افواههم اي ظهرت امارة العداوة من افواههم بالشتيمة والوقيعة في
المسلمين وقيل باطلاع المشركين على اسرار المؤمنين وما تخفي صدورهم يعني من العداوة والغيظ اكبر اي اعظم

مما يظهرونه قد بينا لكم الآيات يعني الدالة على وجوب الاخلاص في الدين عن موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين
ان كنتم تعقلون يعني ما تبينه ها انتم كناية للمخاطبين من الذكور اولاء اسم للمشار اليهم نحو قوله تحبونهم والمعنى
انتم ايها المؤمنون تحبون هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم للاسباب التي بينكم وبينهم من القرابة
والرضاع والمصاهرة والحلف ولا يحبونكم يعني اليهود لما بينكم وبينهم من المخالفة في الدين وقيل تحبونهم يعني تريدون
لهم الاسلام وهو خير الاشياء ولا يحبونكم لانهم يريدون لكم الكفر وهو شر الاشياء لان فيه هلاك الابد وقيل هم
المنافقون تحبونهم لما اظهروا من الايمان وانتم لا تعلمون ما في قلوبهم وقيل تحبونهم وذلك بان تفشوا اليهم اسراركم
ولا يحبونكم اي لا يفعلون ذلك معكم وتؤمنون بالكتاب كله يعني وهم لا يؤمنون وانما ذكر الكتاب بلفظ الواحد
والمراد به الجمع لانه ذهب به الى الجنس كقولهم كثر الدرهم في ايدي الناس والمعنى انكم تؤمنون بالكتب كلها
وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم واذا لقوكم قالوا آمنا يعني الذين وصفهم في هذه الآية بهذه الصفات اذا
لقوا المؤمنين قالوا آمنا كايمانكم وصدقنا كتصديقكم وهذه صفة المنافقين وقيل هم اليهود واذا
خلوا اي خلا بعضهم الى بعض عضوا عليكم الانامل من الغيظ الانامل جمع انملة وهي طرف الاصبع والمعنى انه اذا
خلا بعضهم ببعض اظهروا العداوة وشدة الغيظ على المؤمنين لما يرون من ائتلافهم واجتماع كلمتهم وصلاح
ذات بينهم وعض الانامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز الامثال وان لم يكن هناك عض كما يقال
عض يده من الغيظ والغضب قل موتوا بغيظكم هذا دعاء عليهم ان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به وذلك لما يرون
من قوة الاسلام وعزة اهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والمعنى ابقوا الى الممات بغيظكم ان الله عليم
بذات الصدور يعني بما في الخواطر القائمة بالقلب والدواعي والصوارف الموجودة فيه وهي لكونها حالة
في القلب منتسبة اليه كني عنها بذات الصدور والمعنى انه تعالى عالم بكل ما يحصل في قلوبكم من
الخواطر فاخبرهم انه عليم بما يسرون به من عض الانامل غيظا اذا خلوا وانه عليم بما هو اخفى منه وهو
ما يسرونه في قلوبهم قوله عز وجل ان تمسسكم اي تصبكم ايها المؤمنون واصل المس باليد ثم يسمى كل ما يصل
الى الشيء ماسا له على سبيل التشبيه كما يقال مسته نصب وتعب اي اصابه حسنة والمراد بالحسنة هنا
منافع الدنيا مثل ظهور على عدو واصابة غنيمة منهم وتتابع الناس في الدخول في دينكم وخصب في
معايشكم تسؤهم اي تحزنهم وتغمهم والسوء ضد الحسن وان تصبكم سيئة اي مساءة من اخفاق سرية لكم او اصابة
عدو منكم او اختلاف يقع بينكم او جدب او نكبة ومكروه يصيبكم يفرحوا بها اي بما اصابكم من ذلك المكروه
وان تصبروا يعني على اذاهم وقيل ان تصبروا على طاعة الله وما ينالكم فيها من شدة وتتقوا اي تخافوا ربكم وقيل
وتتقوا ما نهاكم عنه وتتوكلوا عليه لا يضركم اي لا ينقصكم كيدهم اي عداوتهم ومكرهم شيئا اي لانكم
في عناية الله وحفظه ان الله بما يعملون قرئ بالياء على الغيبة والمعنى انه عالم بما يعملون من عداوتكم واذاكم
فيعاقبهم عليه وقرئ بالتاء على خطاب الحاضر والمعنى انه عالم بما تعملون ايها المؤمنون من الصبر والتقوى
فيجازيكم عليه محيط اي عالم بجميع ذلك حافظ له لا يعزب عنه شيء منه قوله عز وجل واذ غدوت من
اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال قال جمهور المفسرين ان هذا كان في يوم احد وهو قول عبد الرحمن بن
عوف وابن مسعود وابن عباس والزهري وقتادة والسدي والربيع وابن اسحاق وقال الحسن ومجاهد
ومقاتل انه يوم الاحزاب ونقل عن الحسن ايضا انه يوم بدر قال ابن جرير الطبري الاول اصح لقوله تعالى
اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا وقد اتفق العلماء ان ذلك كان يوم احد قال مجاهد والكلبي والواقدي
غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة فمشى على رجليه الى احد فجعل يصف اصحابه للقتال كما يقوم

Copyright © King Saud University

التنح قال محمد بن اسحاق والسدي عن رجالهما ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعا فلما سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم نزولهم استشار اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره
فقال عبد الله بن ابي واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو
قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم يا رسول الله فان اقاموا اقاموا بشر
محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النسا والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا
خائبين فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الراي وقال بعض اصحابه يا رسول الله اخرج بنا الى هذه
الاكلب لئلا يرون انا جبنا عنهم وضعفنا وخفناهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد رايت في منامي
بقرا فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولتها هزيمة ورايت اني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها
المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فان اقاموا اقاموا بشر وان دخلوا علينا المدينة قاتلناهم
فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه ان يدخلوا عليه المدينة فيقاتلهم في الازقة فقال رجال
من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا برسول الله صلى
الله عليه وسلم من حبهم للقاء العدو حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله ولبس لامته فلما راوه
قد لبس السلاح ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي ياتيه
فقاموا واعتذروا اليه وقالوا يا رسول الله اصنع ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي
لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل وكان قد اقام المشركون باحد يوم الاربعا والخميس وخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة بعد ما صلى باصحابه الجمعة وكان قد مات في ذلك اليوم رجل من
الانصار فصلى عليه ثم خرج اليهم فاصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من
الهجرة وقيل كان نزوله في جانب الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة
وقال ادفعوا عنا بالنبل حتى لا ياتونا من ورائنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبتوا في هذا المقام
فاذا عاينوكم وولوا الادبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام ولما خالف رسول الله صلى الله عليه
وسلم راي عبد الله بن ابي بن سلول شق عليه ذلك وقال اطاع الولدان وعصاني ثم قال لاصحابه ان
محمدا انما يظفر بعدوه بكم وقد وعد اصحابه ان اعداءه اذا عاينوهم انهزموا فاذا رايتم اعداءهم فانهزموا انتم
يتبعوكم فيصير الامر على خلاف ما قاله محمد لاصحابه فلما التقى الجمعان وكان عسكر المسلمين الفا
وكان المشركون ثلاثة الاف فانخزل عبد الله بن ابي بن سلول بثلثمائة من اصحابه من المنافقين وبقي
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو سبعمائة من اصحابه فقواهم الله وثبتهم حتى انهزم المشركين
فلما راى المومنون انهزام المشركين طمعوا ان تكون هذه الوقعة كوقعة بدر فطلبوا المدبرين وخالفوا
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد الله ان يفطمهم عن هذا الفعل لئلا يقدموا على مثله في مخالفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلموا ان ظفرهم يوم بدر انما كان ببركة طاعة الله وطاعة رسوله
ثم ان الله نزع الرعب من قلوب المشركين فكروا راجعين على المسلمين فانهزم المسلمون وبقي رسول الله صلى
الله عليه وسلم في جماعة من اصحابه منهم ابو بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد وكسرت رباعية رسول الله
صلى الله عليه وسلم وشج وجهه يومئذ وكان من غزوة احد ما كان فذلك قوله تعالى واذ غدوت اي واذكر
اذ غدوت من اهلك يعني من منزل عائشة وفيه منقبة عظيمة لعائشة رضي الله عنها لقوله من اهلك فنص
الله تعالى على انها من اهله تبوئ المومنين اي تنزل المومنين مقاعد للقتال اي مواضع ومواطن للقتال وقيل

تتخذ

تتخذ عسكرا للقتال والله سميع يعني لاقوالكم عليم يعني بنياتكم وما في ضمائركم قوله عز وجل اذ همت طائفتان
منكم ان تفشلا اي تجبنا وتضعفا عن القتال والطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من
الاوس وكانا جناحي العسكر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى احد في الف رجل وقيل في
تسعمائة وخمسين رجلا وكان المشركون ثلاثة الاف رجل فلما بلغوا الشوط انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس
ورجع في ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم ابو جابر السلمي وقال انشدكم الله في نبيكم
وانفسكم فقال عبد الله بن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم وهمت الطائفتان بالانصراف مع عبد الله بن ابي
فعصمهم الله فثبتوا ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس اضمروا ان يرجعوا فعزم
الله لهم على الرشد فثبتوا فذكرهم الله عظيم نعمته عليهم فقال اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله
وليهما اي ناصرهما وحافظهما ومتولي امرهما بالتوفيق والعصمة **فان قلت** الهم
العزم على فعل الشي والاية تدل على ان الطائفتين قد عزما على الفشل وترك القتال وذلك معصية
فكيف مدحهما الله تعالى بقوله والله وليهما **قلت** الهم قد يراد به العزم وقد يراد به
حديث النفس واذا كان كذلك فحمل الهم على حديث النفس اولى والله تعالى لا يواخذ بحديث النفس
ويعضده قول ابن عباس اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد وثبتوا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فمدحهم الله بقوله والله وليهما ق عن جابر قال فينا نزلت اذ همت طائفتان منكم ان
تفشلا والله وليهما قال نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرني انها لم تنزل لقول الله
والله وليهما قيل فيه الاستبشار بما حصل لهم من الشرف العظيم وانزل الله فيهم اية ناطقة مفصحة
بان الله وليهم وان تلك الهمة التي هموا بها ما اخرجتهم عن ولاية الله تعالى وقوله تعالى وعلى الله
فليتوكل المومنون التوكل تفعل من وكل امره الى غيره اذا اعتمد عليه في كفايته والقيام به وقيل
التوكل هو العجز والاعتماد على الغير وقيل هو تفويض الامر الى الله تعالى ثقة بحسن تدبيره
فامر عباده المومنين ان لا يتوكلوا الا عليه وان لا يفوضوا امرهم الا اليه قوله عز وجل
ولقد نصركم الله ببدر بدر اسم موضع بين مكة والمدينة معروف وقيل هو اسم لبير هناك وكان
البير لرجل يقال له بدر فسميت به ذكر الله المومنين منته عليهم يوم بدر وانتم اذلة جمع ذليل وهو
جمع قلة واراد به قلة العدد فان المسلمين كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وفي رواية وثلاثة عشر
رجلا والمراد بذلتهم ضعف الحال وقلة السلاح والمركوب وقلة المال وعدم القدرة على مقاومة
العدو وذلك انهم خرجوا على نواضح وكان النفر منهم يتعقب على البعير الواحد وكان اكثرهم رجالة
ولم يكن معهم الا فرس وكان عدوهم من كفار قريش في حال الكثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة
فرس وكان معهم الشوكة والسلاح فنصر الله المومنين مع قلتهم على عدوهم مع كثرتهم فاتقوا الله يعني
في الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلكم تشكرون يعني بتقواكم ما انعم به عليكم من
نصرته قوله عز وجل اذ تقول للمومنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين
اختلف المفسرون في ان هذا الوعد بانزال الملائكة هل حصل يوم بدر ام يوم احد على قولين احدهما
انه كان يوم بدر قال قتادة كان هذا يوم بدر امدهم الله بالف من الملائكة مردفين ثم
صاروا ثلاثة الاف ثم صاروا خمسة الاف كما ذكر ههنا بلى ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم
هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة فصبروا يوم بدر واتقوا فامدهم الله بخمسة الاف كما وعد

Copyright © King Saud University

قال ابن عباس لم تقاتل الملائكة في المعركة الا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون
انما يكونون عددا ومددا وقال الحسن هؤلاء الخمسة الالاف ردا للمؤمنين الى يوم القيامة وقال الشعبي
بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين يوم بدر ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد المشركين
فشق ذلك عليهم فانزل الله الن يكفيكم الى قوله مسومين فبلغ كرز الهزيمة فرجع ولم ياتهم ولم
يمدهم فلم يمدهم الله ايضا بالخمسة الالاف وكانوا قد امدوا بالالف من الملائكة وفي صحيح البخاري من حديث
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل اخذ براس فرسه عليه اداة
الحرب واحتج لصحة هذا القول ايضا بان الله تعالى قال قبل هذه الاية ولقد نصركم الله ببدر
وانتم اذلة وظاهر هذا يقتضي ان الله نصرهم حين قال النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين
الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف ولان العدد والعدد كانت يوم بدر قليلة فكان
الاحتياج الى الامداد اكثر القول الثاني ان هذا الوعد بامداد الملائكة كان يوم احد وهو قول
عكرمة والضحاك ومقاتل قال عمير بن اسحاق لما كان يوم احد انجلى القوم عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبقي سعد بن مالك يرمي وفتى شاب ينبل له فلما فني النبل اتاه به فنثره وقال
ارم ابا اسحاق ارم ابا اسحاق مرتين فلما انجلت المعركة سئل عن ذلك الرجل فلم يعرف خ عن
سعد بن ابي وقاص قال رايت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد
رجلين عليهما ثياب بياض يقاتلان عنه كاشد القتال ما رايتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل
واحتج لصحة هذا القول بان المدد كان يوم بدر بالف من الملائكة كما تقدم عليه في سورة الانفال
ولم يكن بثلاثة الاف وبخمسة الاف كما هنا فان قيل ان الكفار كانوا يوم بدر الفا او ما يقرب منه
وكان المسلمون على الثلث من ذلك فانهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر فانزل الله يوم بدر الفا من
الملائكة في مقابلة عدد الكفار فوقع النصر يومئذ للمسلمين والهزيمة للكفار وكان عدد المسلمين
يوم احد الفا وعدد الكفار ثلاثة الاف فناسب ان يكون المدد يومئذ للمسلمين ثلاثة الاف
من الملائكة ليكون ذلك مقابلا لعدد الكفار كما في يوم بدر واجيب عن الاحتجاج الاول لهذا
القول بانه تعالى لما امدهم يوم بدر بالف كما ذكره في سورة الانفال ثم قال لما سمع اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم بامداد كرز لكفار قريش شق عليهم ووعدوا بان يمدوا بثلاثة الاف وخمسة
الاف لتقوى قلوبهم بذلك واجيب عن الثاني وهو ان الكفار كانوا يوم بدر الفا فانزل
الله الفا وفي يوم احد كانوا ثلاثة الاف بانه هذا تقريب حسن ولله ان يزيد ما يشاء في اي وقت
شاء ولهذا قال عكرمة في قوله بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا قال يوم بدر قال
فلم يصبروا ولم يتقوا الا في يوم الاحزاب فامدهم الله حين حاصروا قريظة خ عن عائشة [بالملائكة]
قالت لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل اتاه جبريل
فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم فقال فالى اين قال ههنا واشار الى
بني قريظة فخرج النبي صلى الله عليه وسلم اليهم خ عن انس قال كاني انظر الى الغبار ساطعا في زقاق
بني غنم موكب جبريل حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة وقال عبد الله بن ابي
اوفى كنا محاصرين قريظة والنضير ما شاء الله فلم يفتح علينا فرجعنا فدعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بغسل وهو يغسل راسه اذ جاءه جبريل عليه السلام فقال وضعتم سلاحكم ولم تضع الملائكة

اوزارها

اوزارها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقة فلف فيها راسه ولم يغسله ثم نادى فينا
فقمنا حتى اتينا قريظة والنضير فيومئذ امدنا الله بثلاثة الاف من الملائكة ففتح لنا فتحا يسيرا
قال ابن جرير الطبري واولى الاقوال بالصواب ان الله تعالى اخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم قال
للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة فوعدهم بثلاثة الاف من الملائكة مددا
لهم ثم وعدهم بخمسة الاف ان صبروا لاعدائهم واتقوا ولا دلالة في الاية على انهم امدوا بهم فقد
يجوز ان الله امدهم وقد يجوز ان لا يكون امدهم ولا يثبت ذلك الا بنص تقوم به الحجة في ذلك وقد
ثبت بنص القرآن انهم امدوا يوم بدر بالف من الملائكة كما في سورة الانفال فاما يوم احد فالدلالة
على انهم لم يمدوا ابين منها بانهم امدوا وذلك انهم لو امدوا لم يهزموا ولم ينل منهم ما نيل منهم **فان**
قلت فما تصنع بحديث سعد بن ابي وقاص المتقدم في يوم احد وانه راى ملكين عن يمين النبي
صلى الله عليه وسلم وشماله **قلت** انما كان ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة
لانه صبر ولم ينهزم كما انهزم اصحابه يوم احد واما التفسير فقوله تعالى اذ تقول للمؤمنين
فعلى قول من قال ان هذا كان يوم بدر قال نظم الاية ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فكذلك
هو قادر ان ينصركم في سائر المواطن ثم رجع الى قصة احد فقال تعالى اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم
ومعنى الكفاية هو سد الخلة والقيام بالامر يعني بلوغ المراد اي يمدكم ربكم والامداد اعانة الجيش
فما كان على جهة التقوية والاعانة يقال له امده امدادا وما كان على جهة الزيادة يقال فيه
مده مدا وقيل المد هو في الشر والامداد في الخير بثلاثة الاف من الملائكة منزلين لتمام وعدهم ونزول
الملائكة لتقوى قلوبهم وليثقوا بنصر الله وليجزموا على الثبات على تصديق وعد الله اي بلى يمدكم
وقيل بلى ايجاب لما بعد الن يعني يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ان تصبروا اي على
لقاء عدوكم وتتقوا يعني معصية الله ومخالفة نبيه صلى الله عليه وسلم ويأتوكم يعني المشركين
من فورهم هذا قال ابن عباس لابتداء الامر يوجد فيه ثم يوصل باخر فمن قال الحسن يعني فورهم
من وجههم هذا اراد انهم يخرجون يوم بدر ومن قال معناه من غضبهم ليوم بدر يمددكم ربكم
بخمسة الاف من الملائكة لم يرد خمسة الاف سوى الثلاثة المتقدمة بل اراد معهم فمن قال ان هذا
الامداد كان يوم بدر قال ان الله تعالى امدهم بالف فلما سمعوا ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد
المشركين فشق على المسلمين ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين الن يكفيكم ان يمدكم
ربكم الاية على تقدير ان يجيء المشركين المدد فلم يمدوا لم يمد الله المسلمين بغير الالف وذكر ابن
الجوزي في تفسيره عن جبير بن مطعم عن علي بن ابي طالب قال بينا انا امتح من قليب بدر جاءت
ريح شديدة لم ار اشد منها ثم جاءت ريح شديدة لم ار اشد منها الا التي قبلها وكانت الريح الاولى
جبريل نزل في الف من الملائكة وكان بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وكانت الريح الثانية
ميكائيل نزل في الف من الملائكة وكانوا عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم والريح الثالثة
اسرافيل نزل في الف من الملائكة عن يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت عن يساره وهزم
الله اعداءه ومن الناس من ضم العدد القليل الى الكثير فقال لان الله تعالى ذكر الالف في سورة
الانفال وذكر هنا ثلاثة الاف وخمسة الاف فيكون المجموع تسعة الاف وان حملناه على غزوة
احد فيكون المجموع ثمانية الاف لانه ليس فيها ذكر الالف المردفة مسومين قرئ بفتح الواو وبكسرها

Copyright © King Saud University

فمن فتح الواو اراد ان الله سومهم ومعناه معلمين قد سوموا انهم مسومون والسومة السيما العلامة
وهذه العلامة يعلمها الفارس يوم اللقا ليعرف بها في الحرب • فتعرفوني انني انا ذاكم •
شاكي سلاحي في الحوادث معلم • ومن كسر الواو نسب الفعل الى الملائكة والمعنى انهم علموا انفسهم بعلامات
مخصوصة او اعلموا خيلهم واختلفوا في تلك العلامة فقال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل
بلق وعليهم عمايم صفر وقال علي وابن عباس كانت عليهم عمايم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال قتادة
والضحاك كانوا قد اعلموا بالعهن يعني بالصوف المصبوغ في نواصي خيلهم واذنابها وروي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت بالصوف الابيض
في قلانسهم ومغافرهم ذكره البغوي بغير سند وقيل كانت عمامة الزبير يوم بدر صفرا فنزلت الملائكة
كذلك وقيل كانوا قد سوموا انفسهم بسيما القتال قوله تعالى وما جعله الله يعني هذا الوعد والمدد
الا بشرى لكم يعني بشارة بانكم تنصرون وتستبشرون به ولتطمئن اي ولتسكن قلوبكم به اي فلا
تجزع من كثرة عدوكم وقلة عددكم وما النصر الا من عند الله يعني لا تحيلوا النصر على الجنود وكثرة العدد فان النصر
من الله لا من غيره والغرض ان يكون توكلهم على الله لا على الملائكة الذين امدوا بهم وفيه تنبيه على
الاعراض عن الاسباب والاقبال على مسبب الاسباب العزيز الحكيم يعني فاستعينوا به وتوكلوا عليه
لان العز هو كمال القدرة والقوة والحكم وهو كمال العلم له فلا يخفى عليه مصالح عباده ليقطع طرفا
من الذين كفروا هذا متعلق بقوله ولقد نصركم الله ببدر والمعنى ان المقصود من نصركم ببدر ليقطع
طرفا اي ليهلك طايفة من الذين كفروا وقيل معناه ليهدم ركنا من اركان الشرك بالاسر والقتل
فقتل يوم بدر من قادتهم ورؤسائهم سبعون واسر سبعون ومن حمل الاية على غزوة احد قال قد
قتل منهم ستة عشر وكان النصر فيه للمسلمين حتى خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم او يكبتهم
اصل الكبت في اللغة صرع الشيء على وجهه والمعنى انه يصرعهم على وجوههم والمراد منه القتل والهزيمة
او الاهلاك واللعن والخزي فينقلبوا خائبين اي بالخيبة لم ينالوا شيئا من الذي املوه من الظفر بكم
قوله عز وجل ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم اختلفوا في سبب نزول هذه الاية فقيل
انها نزلت في اهل بير معونة وهم سبعون رجلا من القرا بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بير
معونة وهي بين مكة وعسفان وارض هذيل وذلك في صفر سنة اربع من الهجرة على راس اربعة اشهر
من احد بعثهم ليعلموا الناس القران والعلم وامر عليهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقنت شهرا في الصلوات كلها يدعو على جماعة
من تلك القبايل باللعن خ عن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من
الركوع في الركعة الاخرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعدما يقول سمع الله لمن
حمده ربنا لك الحمد فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء الى قوله فانهم ظالمون ق عن ابي هريرة قال
لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من الركعة قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن
هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها سنين
كسني يوسف زاد في رواية اللهم العن فلانا وفلانا لاحياء من العرب حتى انزل الله ليس لك من الامر
شيء الاية سماهم في رواية يونس اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله قال
ثم بلغنا انه ترك ذلك لما انزل الله ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون

ق

وقيل انها نزلت يوم احد ثم اختلفوا في سببها فقيل ان عتبة بن ابي وقاص شج وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكسر رباعيته م عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته وشج في راسه
فجعل يسلت الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم الى الله تعالى فانزل
الله تعالى ليس لك من الامر شيء وقيل اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو عليهم بالاستيصال فنزلت
هذه الاية وذلك لعلمه ان اكثرهم يسلمون وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وقف على عمه حمزة وراى
ما صنع به من المثلة قال اراد ان يدعو عليهم فنزلت هذه الاية قال العلما وهذه الاشيا كلها محتملة فلا
يبعد حمل الاية في النزول على كلها ومعنى الاية ليس لك من امر مصالح عبادي شيء الا ما اوحي اليك وان الله
تعالى هو مالك امرهم فاما ان يتوب عليهم ويهديهم فيسلموا او يهلكهم ويعذبهم ان اصروا على الكفر وقيل ليس
لك مسيلة هلاكهم والدعا عليهم لانه تعالى اعلم بمصالحهم فربما تاب على من يشا منهم وقيل معناه ليس لك من امر
خلقي شيء الا ما وافق امري انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان قوله او يتوب عليهم معطوف
على قوله ليقطع طرفا وقوله ليس لك من الامر شيء كلام معترض بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير ليقطع
طرفا من الذين كفروا او يكبتهم او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الامر شيء بل الامر امري
في ذلك كله قال بعض العلما والحكمة في منعه صلى الله عليه وسلم من الدعا عليهم ولعنهم ان الله تعالى علم من حال
بعض الكفار انه سيسلم فيتوب عليه او سيولد منه ولد يكون مسلما برا تقيا فلاجل هذا المعنى منعه الله تعالى
من الدعا عليهم لان دعوته صلى الله عليه وسلم مجابة فلو دعى عليهم بالهلاك لهلكوا جميعا لكن اقتضت حكمة الله
وما سبق في علمه بقاهم ليتوب على بعضهم ويستخرج من بعضهم ذرية صالحة مومنة ويهلك بعضهم بالقتل
والموت وهو قوله او يعذبهم فيحتمل ان يكون المراد بعذابهم في الدنيا وهو القتل والاسر وفي الاخرة وهو
عذاب النار فانهم ظالمون هو كالتعليل لعذابهم والمعنى انما يعذبهم لانهم ظالمون ثم قال تعالى ولله ما في السموات
وما في الارض وهذا تاكيد لما قبله من قوله ليس لك من الامر شيء والمعنى انما يكون لمن له ما في السموات وما في
الارض وليس ذلك الا الله تعالى وليس لاحد معه امر يغفر لمن يشا بفضله ورحمته ويعذب من يشا بعدله يحكم
فيهم بما يشا لا منازع له في حكمه لا اعتراض عليه في فعله والله غفور رحيم يعني انه تعالى يستر ذنوب عباده ويغفرها
لهم ويرحمهم بترك العقوبة عنهم عاجلا وانما يفعل ذلك على سبيل التفضل والاحسان الى عباده لا على سبيل
الوجوب عليه لانه تعالى لو ادخل جميع خلقه الجنة كان ذلك برحمته ولو ادخل جميع خلقه النار كان ذلك بعدله
لكن جانب المغفرة والرحمة غالب قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة اراد به ما كانوا
يفعلونه في الجاهلية اذا كان له على انسان دين فاذا جا الاجل ولم يكن للمديون ما يودي قال له صاحب الدين زدني
في المال حتى ازيدك في الاجل فربما فعلوا ذلك مرارا فيصير الدين اضعافا مضاعفة فنهى الله عز وجل عن ذلك وحرم اصل
الربا ومضاعفته واتقوا الله يعني في اكل الربا فلا تاكلوه لعلكم تفلحون اي لكي تسعدوا بثوابه في الاخرة لان
الفلاح يتوقف على التقوى فلو اكل ولم يتق لم يحصل الفلاح وفيه دليل على ان اكل الربا من الكباير ولهذا اعقبه بقوله
تعالى واتقوا النار التي اعدت للكافرين يعني واتقوا ايها المومنون ان تستحلوا شيئا مما حرم الله فان
من استحل شيئا مما حرم الله فهو كافر بالاجماع ويستحق النار بذلك قال ابن عباس هذا تهديد للمومنين ان
يستحلوا ما حرم الله عليهم من الربا وغيره مما وجب لله فيه النار وقال بعضهم ان هذه الاية اخوف اية في القران
حيث اوعد الله المومنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه ويجتنبوا محارمه وقال الواحدي في هذه
الاية تقوية لرجا المومنين رحمة من الله تعالى لانه قال اعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين

Copyright © King Saud University

دون المؤمنين واطيعوا الله يعني فيما امركم به ونهاكم عنه من اكل الربا وغيره والرسول اي واطيعوا الرسول ايضا
فان طاعته طاعة الله قال محمد بن اسحاق هذه الاية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم احد لعلكم ترحمون اي لكي ترحموا ولا تعذبوا اذا اطعتم الله ورسوله فان طاعته مع معصية رسوله
ليست بطاعة قوله عز وجل وسارعوا الى مغفرة من ربكم يعني وبادروا وسابقوا الى ما يوجب المغفرة من ربكم
وهي الاعمال الصالحة المامور بفعلها قال ابن عباس الى الاسلام ووجهه ان الله تعالى ذكر على سبيل التنكير
والمراد منه المغفرة العظيمة وذلك لا يحصل الا بسبب الاسلام لانه يجب ما قبله وعن ابن عباس ايضا
الى التوبة لان التوبة من الذنوب يوجب المغفرة وقال علي بن ابي طالب الى اداء الفرائض لان اللفظ مطلق
فيعم الكل وعنه وعن عثمان قال الى جميع الطاعات وروي عن انس بن مالك وسعيد بن جبير انها التكبيرة
الاولى يعني تكبيرة الاحرام وقيل الى الاخلاص في الاعمال لان المقصود من جميع العبادات هو الاخلاص وقيل
الى الهجرة وقيل الى الجهاد وجنة اي وسارعوا الى جنة وانما فصل بين المغفرة والجنة لان المغفرة هي ازالة العقاب
والجنة هي حصول الثواب وقيل اشعارا بانه لا بد من المسارعة الى التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك المنهيات
والمسارعة الى الاعمال الصالحة الجنة عرضها السموات والارض اي عرض الجنة السموات والارض يعني كعرض السموات والارض ان تقرن السموات
والارض ليس عرضها الجنة والمراد سعتها وانما خص العرض للمبالغة لان الطول في العادة يكون اكثر من العرض
يقول هذه صفة عرضها فكيف بطولها والمراد وصف الجنة بالسعة والبسطة فشبهت باوسع شيء علمه الناس
وذلك انه لو جعلت السموات والارض طبقا طبقا ثم وصل البعض بالبعض حتى يكون طبقا واحدا لكان
ذلك مثل عرض الجنة فاما طولها فلا يعلمه الا الله تعالى وقيل المراد بالعرض السعة كما تقول العرب بلاد
عريضة اي واسعة عظيمة قال الشاعر * كان بلاد الله وهي عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل *
والاصل فيه ان ما اتسع عرضه لم يضق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة وروي
ان هرقل كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم انك كتبت تدعوني الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار قيل معناه والله اعلم بذلك انه
اذا دار الفلك حصل النهار في جانب والليل في ضد ذلك الجانب وكذلك الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل
وروى طارق بن شهاب ان ناسا من اليهود سالوا عمر بن الخطاب وعنده اصحابه فقالوا ارايتم قولكم وجنة عرضها
السموات والارض فاين النار فقال عمر بن الخطاب ارايتم اذا جاء الليل فاين يكون النهار واذا جاء النهار
فاين يكون الليل فقالوا ان مثلها في التوراة ومعناه حيث يشاء الله تعالى **فان قلت**
قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون واراد بالذي وعدنا به الجنة ومذهب اهل السنة انها في
السموات واذا كانت الجنة في السماء فكيف يكون عرضها السموات والارض **قلت** المراد من
قولنا انها في السموات انها فوق السموات وتحت العرش كما سئل انس بن مالك عن الجنة افي السماء هي ام في الارض
فقال اي ارض وسماء تسع الجنة قيل له فاين هي قال فوق السموات تحت العرش وقد وصفه رسول الله صلى
الله عليه وسلم الفردوس وسقفها عرش الرحمن وقال قتادة كانوا يرون الجنة فوق السموات السبع
وان جهنم تحت الارضين السبع وقيل ان باب الجنة في السماء وعرضها عرض السموات والارض اعدت
للمتقين اي هيئت للمتقين وفيه دليل على ان الجنة والنار مخلوقتان الان قوله عز وجل الذين
ينفقون في السراء والضراء يعني في اليسر والعسر لانهم لا يتركون الانفاق في كلتا الحالتين في الغنى والفقر والرخاء والشدة
ولا في حالة فرح وسرور ولا في حالة محنة وبلاء وسواء كان الواحد منهم في عرس او حبس فانهم لا يدعون الاحسان

الى

الى الناس فاول ما ذكر الله من اخلاقهم الموجبة للجنة السخاء لانه اشق على النفس وكانت الحاجة الى اخراج المال في ذلك الوقت
اعظم الاحوال للحاجة اليه في مجاهدة الاعداء ومواساة الفقراء من المسلمين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد
من الجنة قريب من النار والجاهل السخي احب الى الله تعالى من عابد بخيل اخرجه الترمذي ق عن ابي هريرة انه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما
الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق الا سبغت او وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وتعفو اثره واما البخيل فلا
يريد ان ينفق شيئا الا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع في الجنة الدرع من الحديد ق عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا
خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا ق وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى
انفق ينفق عليك ق وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة
الجنة كل خزنة باب اي فل هلم فقال ابو بكر يا رسول الله ذاك الذي لا توى عليه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اني لارجو ان تكون منهم قوله اي فل يعني يا فلان وليس بترخيم والتوى الهلاك يعني ذاك الذي لا هلاك
فيه وقوله تعالى والكاظمين الغيظ يعني والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه والكظم حبس الشيء عند
امتلائه وكظم الغيظ هو ان يمتلئ غيظا فيرده في جوفه ولا يظهره بقول ولا فعل ويصبر عليه ويسكت عنه
ومعنى الاية انهم يكفون غيظهم عن الامضاء ويردون غيظهم في اجوافهم وهو اوصف من اقسام الصبر
والحلم عن سهل بن معاذ بن انس الجهني عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يستطيع
ان ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره في اي الحور شاء اخرجه الترمذي وابو داود ق عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وروي عن
عائشة ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفا والعافين عن الناس يعني اذا جنى عليهم
احد لم يؤاخذوه فيكون الاية على العموم وقيل اراد بالناس المماليك لسوء ادب يقع منهم فيكون على الخصوص وقيل
يعفون عمن ظلمهم واساء اليهم وهو قريب من القول الاول والله يحب المحسنين يحتمل ان تكون الالف واللام للجنس فيتناول
كل محسن ويحتمل ان تكون للعهد فتكون اشارة الى المذكورين في الاية والاحسان الى الغير اما بان يكون بايصال
النفع اليه او بدفع الضرر عنه وقيل الاحسان ان تحسن لمن اساء اليك فان الاحسان الى المحسن متاجرة
وقيل المحسن هو الذي يعم باحسانه كل احد كالشمس والمطر والريح وقيل الاحسان وقت الامكان وليس
عليك في كل وقت احسان وقيل الاحسان هذه الخصال المذكورة في هذه الاية فمن فعلها فهو محسن ولما
كانت هذه الخصال احسانا الى الغير ذكر الله ثوابها بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله تعالى للعبد
اعظم درجات الثواب قوله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة قال ابن مسعود قال المؤمنون للنبي صلى
الله عليه وسلم يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب ذنبا اصبحت كفارة
ذنبه مكتوبة على عتبة بابه اجدع انفك او اذنك افعل كذا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل
الله هذه الاية وروى عطاء عن ابن عباس انها نزلت في نبهان التمار اتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا
فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها
فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه
الاية وفي رواية ابي صالح عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اخا بين رجلين احدهما انصاري

ولاخر ثقفي فخرج الثقفي في غزوة واستخلف الاخاه الانصاري على اهله فاشترى لهم ذات يوم لحما فلما ارادت المراة
ان تاخذ منه دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على راسه وهام على وجهه فلما رجع
الثقفي لم يستقبله الانصاري فسال امراته عن حاله فقالت لا اكثر الله في الاخوان مثله وذكرت له الحال
والانصاري يسيح في الجبال تائبا مستغفرا فطلبه الثقفي حتى وجده فاتى به الى ابي بكر رجاء ان يجد عنده راحة
وفرجا فقال الانصاري هلكت وذكر القصة فقال ابو بكر ويحك اما علمت ان الله تعالى يغار للغازي ما لا
يغار للمقيم ثم لقيا عمر فقال لهما مثل ذلك فاتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهما مثل مقالتهما فانزل
الله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة يعني فعلة فاحشة خارجة عما اذن الله فيه والفاحشة ما عظم
قبحه من الافعال واصل الفحش القبح والخروج عن الحد قال جابر الفاحشة الزنا وقوله تعالى **او ظلموا**
انفسهم وظلم النفس هو ما دون الزنا مثل القبلة والمعانقة واللمس والنظر وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم
النفس هي الصغيرة وقيل الفاحشة ما يكون فعله كاملا في القبح وظلم النفس هو اي ذنب كان **ذكروا الله** يعني
ذكروا وعيد الله وعقابه وان الله يسالهم عن ذلك يوم العرض الاكبر وقيل ذكروا جلال الله الموجب للحيا منه
وقيل ذكروا الله باللسان عند الذنوب وهو قوله تعالى **فاستغفروا لذنوبهم** يعني لاجل ذنوبهم فتابوا منها
واقلعوا عنها نادمين على فعلها عازمين على ان لا يعودوا اليها وهو شروط صحة التوبة المقبولة
ومن يغفر الذنوب الا الله وصف نفسه بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التايب من الذنب عنده كمن لا ذنب له
وانه لا مفزع للمذنبين الا الى فضله وكرمه واحسانه وعفوه ورحمته وفيه تنبيه على ان العبد لا يطلب
المغفرة الا منه انما القادر على عقاب المذنب وكذلك القادر على ازالة ذلك العقاب عنه فثبت انه
لا يجوز طلب المغفرة الا منه **ولم يصروا على ما فعلوا** يعني ولم يقيموا على الذنوب ولم يثبتوا عليها ولكن تابوا منها
واستغفروا وقيل الاصرار هو ترك الاستغفار عن ابي بكر الصديق ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة اخرجه ابو داود وقال الحديث غريب وعنده عوض
ولو عاد ولو فعل **وهم يعلمون** قال ابن عباس وهم يعلمون انها معصية وقيل وهم يعلمون ان الاصرار
ضار وقيل وهم يعلمون ان الله يملك مغفرة الذنب وما لهم رب يغفرها وقيل وهم يعلمون ان الله
لا يتعاظمه العفو عن الذنوب وان كثرت وقيل معناه وهم يعلمون انهم ان استغفروا غفر لهم قال ثابت
البناني بلغني ان ابليس بكى حين نزلت هذه الاية والذين اذا فعلوا فاحشة الى اخرها

فصل

في فضل الاستغفار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال اني كنت اذا سمعت حديثا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم نفعني الله منه بما شاء ان ينفعني واذا حدثني احد من اصحابه استحلفته فاذا حلف لي
صدقته وانه حدثني ابو بكر وصدق ابو بكر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد
مومن او قال ما من رجل يذنب ذنبا فيقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله الا غفر له ثم قرا هذه الاية
والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله الى اخر الاية اخرجه ابو داود والترمذي وقال
هذا حديث قد رواه غير واحد عن عثمان بن المغيرة فرفعوه ورواه مسعر وسفيان عن عثمان بن
المغيرة فوقفاه ولم يرفعاه ولا يعرف لاسما الا هذا الحديث عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب
اخرجه ابو داود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم
تذنبوا لذهب الله بكم ولجا بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

فيما

فيما حكى عن ربه تبارك وتعالى قال اذا اذنب عبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي ذنبي فقال تبارك
وتعالى اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويا خذ بالذنب ثم عاد فاذنب فقال اي
رب اغفر ذنبي فقال تبارك وتعالى عبدي اذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويا خذ بالذنب
ثم عاد فاذنب فقال اي رب اغفر ذنبي فقال تبارك وتعالى ان عبدي اذنب ذنبا فعلم ان
له ربا يغفر الذنب ويا خذ بالذنب وقد قال بقي اعمل ما شيت فقد غفرت لك قال عبد الاعلى
لا ادري قال في الثالثة او الرابعة اعمل ما شيت عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى يا ابن ادم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على
ما كان منك ولا ابالي يا ابن ادم لو بلغت ذنوبك عنان السما ثم استغفرتني غفرت لك ولا
ابالي يا ابن ادم لو اتيتني بقراب الارض خطايا ثم اتيتني لا تشرك بي شيا لاتيتك بقرابها
مغفرة اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن عنان السما بفتح العين قيل هو السحاب وقيل
هو ما عن لك منها اي ما ظهر لك منها وقراب الارض بضم القاف وروي بكسرها والضم اشهر
وهو ما يقارب ملوها عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال
استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه غفرت ذنوبه وان كان قد فر
من الزحف اخرجه ابو داود والترمذي والحاكم وقال الحديث صحيح على شرط البخاري ومسلم
عن ابي الدردا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ذنب عسى الله ان يغفره وقال
عسى ان يغفره الله الا من مات مشركا او مومن قتل مومنا متعمدا اخرجه ابو داود قوله عز وجل
اولئك اشارة الى من تقدم ذكره في قوله والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم الاية جزاوهم
مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار ومعنى الاية ان المطلوب بالتوبة امران احدهما
الامن من العقاب واليها الاشارة بقوله مغفرة من ربهم والثاني ايصال الثواب واليه الاشارة
بقوله وجنات تجري من تحتها الانهار اي فلكم لهم ذخر لا يبض واجر لا يوكس **خالدين فيها** اي
في الجنات **ونعم اجر العاملين** اي ونعم ثواب المطيعين يعني الجنة قوله عز وجل **قد خلت من قبلكم سنن**
يعني قد مضت من قبلكم سنة الله في الامم الماضية بالهلاك والاستيصال لانهم خالفوا
الانبيا والرسل للحرص على الدنيا وطلب لذاتها فانقرضوا ولم يبق منهم احد وقيل
في معنى السنن الطريقة المستقيمة والمثال المتبع لكل امة سنة ومنهاج اذا اتبعوه رضي الله
عنهم بذلك وقيل سنن اي شرايع وقيل سنن اي اهم والسنة الامة ومعنى الاية قد مضت
وسلفت مني سنن فيمن كان قبلكم من الامم الماضية الكافرة بامهالي واستدراجي اياهم حتى يبلغ
الكتاب اجله فيهم الذي اجلته لاهلاكهم **فسيروا في الارض** امر ندب لا على سبيل الوجوب بل المقصود
تعرف احوال الماضين بقوله فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فرغب امة محمد صلى الله عليه
وسلم في تامل احوال الامم الماضية ليصير ذلك داعيا لهم الى الايمان بالله ورسوله والاعراض
عن الدنيا ولذاتها وفيه ايضا زجر لكافر عن كفره لانه اذا تامل احوال الكفار واهلاكهم
صار ذلك داعيا لهم الى الايمان لان النظر الى اثار المتقدمين له اثر في النفس كما قيل ان اثارنا
تدل علينا فانظروا بعدنا الى الاثار وفي هذه الاية تسلية لاصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما جرى عليهم في غزوة احد يقول فاني قد امهلت الكفار حتى يبلغ الكتاب اجله فيهم الذي

Copyright © King Saud University

الذي اجلته لهم في هلاككم ونصر محمد صلى الله عليه وسلم واوليائه وهلاك اعدائه قوله تعالى هذا يعني بهذا القرآن وقيل هو اسم اشارة الى ما تقدم من امره ونهيه ووعده ووعيده بيان للناس يعني عامة وهدى يعني من الضلالة وموعظة للمتقين يعني خاصة وقيل في الفرق بين البيان والهدى والموعظة لان العطف يقتضي المغايرة والبيان هو الدلالة التي تفيد ازالة الشبهة بعد ان كانت حاصلة والهدى هو طريق الرشد المامور بسلوكه دون طريق الغي والموعظة هي الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين فالحاصل ان البيان جنس تحته نوعان احدهما الكلام الهادي الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى والثاني الكلام الزاجر عما لا ينبغي في الدين وهو الموعظة وانما خص المتقين بالهدى والموعظة لانهم المنتفعون بهما دون غيرهم قوله عز وجل ولا تهنوا ولا تحزنوا نزلت يوم احد حين امر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بطلب القوم مع ما اصابهم من الجراح فاشتد ذلك على المسلمين فانزل الله تعالى هذه الآية وحث فيها اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على الجهاد وعلى ما اصابهم من الجراح والقتل وكان قد قتل يوم احد من الانصار سبعون رجلا ومن المهاجرين خمسة رجال منهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصعب بن عمير ومعنى الآية ولا تهنوا اي ولا تضعفوا عن الجهاد ولا تحزنوا يعني على من قتل منكم لانهم في الجنة وانتم الاعلون يعني بالنصر والغلبة عليهم وان العاقبة لكم وقال ابن عباس انهزم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب فاقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد ان يعلو عليهم الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلون علينا اللهم لا قوة لنا الا بك وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى انهزموا وعلا المسلمون الجبل فذلك قوله وانتم الاعلون وقيل وانتم الاعلون لان حالكم خير من حالهم لان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار وانتم تقاتلون على الحق وهم يقاتلون على الباطل وقيل وانتم الاعلون في العاقبة لانكم تظفرون بهم وتستولون عليهم ان كنتم مومنين اي اذ كنتم مومنين وقيل معناه ان كنتم مصدقين بان امركم هو الله تعالى فصدقوا بذلك فانه حق وصدق قوله تعالى ان يمسسكم قرح قرئ بضم القاف وبفتحها وهما لغتان ومعناهما واحد وقيل انه بالفتح مصدر وبالضم اسم وقيل انه بالفتح الجراحة وبالضم الم الجراحة والآية خطاب للمسلمين حين انصرفوا من احد مع الحزن والكآبة يقول ان يمسسكم ايها المسلمون قرح فقد مس القوم يعني الكفار قرح مثله يعني في يوم بدر وقيل ان الكفار قد نالهم يوم احد مثل ما نالكم من الجراح والقتل فقد قتل منهم نيف وعشرون رجلا وكثرت الجراحات فيهم وتلك الايام نداولها بين الناس المداولة نقل الشيء من واحد الى آخر يقال تداولته الايدي اذا انتقل من واحد الى آخر ويقال الدنيا دول اي تنتقل من قوم الى آخرين ثم منهم الى غيرهم والمعنى ان ايام الدنيا هي دول بين الناس فيوم لهؤلاء ويوم لهؤلاء فكانت الدولة للمسلمين على المشركين في يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين رجلا واسروا سبعين وادبل المشركون من المسلمين يوم احد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسا وسبعين خ عن البراء بن عازب قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم احد وكانوا خمسين رجلا وهم الرماة عبد الله بن جبير فقال ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى ارسل اليكم وان رأيتمونا هزمنا القوم واوطأناهم فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم فهزمهم الله قال فانا والله رأيت النساء يشتددن وقد بدت خلاخلهن واسوقهن رافعات

ثيابهن

ثيابهن فقال اصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما اتوهم صرفت وجوههم فاقبلوا منهزمين فذلك قوله والرسول يدعوكم في اخراكم فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلا فاصابوا منا سبعين رجلا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اصاب من المشركين يوم بدر اربعين ومائة سبعين اسيرا وسبعين قتيلا فقال ابو سفيان أفي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يجيبوه ثم قال أفي القوم ابن ابي قحافة ثلاث مرات ثم قال أفي القوم عمر بن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع الى اصحابه فقال اما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت والله يا عدو الله ان الذين عددت لاحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك قال يوم بيوم بدر والحرب سجال انكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني ثم اخذ يرتجز اعل هبل اعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا تجيبوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله اعلى واجل قال ان لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا تجيبوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم قال البخاري وقد روي هذا المعنى عن ابن عباس وفي حديثه قال ابو سفيان يوم بيوم وان الايام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار قال الزجاج الدولة تكون للمسلمين على الكفار لقوله تعالى وان جندنا لهم الغالبون وكانت يوم احد للكفار على المسلمين لمخالفتهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا يعني انما جعل الدولة للكفار على المسلمين ليميز المومن المخلص ممن يرتد عن الدين اذا اصابته نكبة وشدة وقيل معناه وليعلم الله الذين آمنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم اي ليعرفهم باعيانهم لان سبب العلم وهو ظهور الصبر حصل هنا وقيل معناه ليعلم الله ذلك واقعا منهم لان الله تعالى يعلم الشيء قبل وجوده ولا يحتاج الى سبب حتى يعلم والمعنى ليقع ما علم عيانا ومشاهدة للناس لان المجازاة انما تقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل معناه ليحكم الله بالامتياز بين المومن والمنافق فوضع العلم موضع الحكم لان الحكم لا يحصل الا بعد العلم ويتخذ منكم شهداء اي وليكرم قوما منكم بالشهادة من اراد ان يكرمه بها وذلك لان قوما من المسلمين فاتهم يوم بدر وكانوا يتمنون لقاء العدو ويلتمسون فيه الشهادة والشهداء جمع شهيد وهو من قتل من المسلمين بسيف الكفار في المعركة واختلفوا في معنى الشهيد فقيل الشهيد الحي لقوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون فارواحهم حية حضرت دار السلام وشهدتها وارواح غيرهم لا تشهدها وقيل سمي شهيدا لان الله شهد له بالجنة وقيل سموا شهداء لانهم يشهدون يوم القيامة مع الانبياء والصديقين على الامم لان الشهادة تكون للافضل فالافضل من الامة ولان منصب الشهادة منصب عظيم ودرجة عالية والله لا يحب الظالمين يعني المشركين وقيل هم الذين ظلموا انفسهم بالمعاصي وقيل هم المنافقون الذين يظهرون الايمان بالسنتهم ويسرون الكفر والمعنى ان الله لا يحب من لا يكون ثابتا على الايمان صابرا على الجهاد وليمحص الله الذين آمنوا اي وليطهرهم من ذنوبهم ويزيلها عنهم واصل المحص في اللغة التنقية والازالة ويمحق الكافرين اي يفنيهم ويهلكهم ومعنى الآية ان قتلكم الكافرون فهو شهادة وتطهير لكم وان قتلتموهم فهو محقهم واستئصالهم قوله عز وجل ام حسبتم اي بل حسبتم فظننتم والمعنى والمراد به الانكار

والمعنى لا تحسبوا ايها المؤمنون ان تدخلوا الجنة ولما تبلوا [illegible] ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم قال الامام
فخر الدين الرازي ظاهر الاية يدل على وقوع النفي على العلم والمراد وقوعه على نفي المعلوم والتقدير ام
حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يصدر الجهاد عنكم وتقريره ان العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما
حصلت هذه المطابقة لاجرم حسن اقامة كل واحد منهما مقام الاخر وقال الواحدي النفي في
الاية واقع على العلم والمعنى على الجهاد دون العلم وذلك لما فيه من الايجاز في انتفاء جهاد لو كان
العلم للايجاز على سبيل التوسع في الكلام اذ المعنى مفهوم من غير اخلال وقال الزجاج المعنى ولما
يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين اي ولما يعلم الله ذلك واقعا منكم لانه يعلمه غيبا وانما
يجازيهم على عملهم وقال الطبري يقول ولما يتبين لعبادي المؤمنين المجاهد منكم على ما امرته به
ويعلم الصابرين يعني في الحرب وعلى ما نالهم في ذات الله من جرح والم ومكروه وفي هذه
الاية معاتبة لمن انهزم يوم احد والمعنى ام حسبتم ايها المنهزمون ان تدخلوا الجنة كما
دخلها الذين قتلوا وبذلوا مهجهم لربهم عز وجل وصبروا على الم الجراح والضرب وثبتوا للعدو وهم
من غير ان تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم قوله تعالى ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه
قال ابن عباس لما اخبر الله المؤمنين على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بما فعل بشهدائهم يوم
بدر من الكرامة رغبوا في ذلك فتمنوا قتالا لا يستشهدون فيه فيلحقون باخوانهم فاراهم الله
يوم احد فلم يلبثوا ان انهزموا الا من شاء الله منهم فانزل الله هذه الاية وقيل ان قوما من المسلمين
تمنوا يوما كيوم بدر ليقاتلوا فيه ويستشهدوا فاراهم الله يوم احد ومعنى قوله تمنون
الموت اي تطلبون اسباب الموت وهو القتال والجهاد من قبل ان تلقوه اي من قبل ان تلقوا
يوم احد فقد رايتموه يعني رايتم ما كنتم تمنون والهاء في رايتموه عائدة على الموت اي رايتم
اسبابه اي معاينين له شاهدين قتل من قتل من اخوانكم بين ايديكم وانتم تنظرون قيل ذكره
تاكيدا وقال الزجاج معناه فقد رايتموه وانتم بصراء كما تقول رايت كذا وكذا وليس في عينك
علة اي رايته رؤية حقيقة وقيل معناه وانتم تنظرون ما تمنيتم فلم انهزمتم قوله عز وجل
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل قال اهل المغازي خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالشعب من احد في سبعمائة رجل وجعل عبد الله بن جبير على الرجالة وكانوا خمسين
رجلا وقال اقيموا باصل الجبل وانضحوا عنا بالنبل حتى لا ياتونا من خلفنا فان كانت لنا او علينا
لا تبرحوا من مكانكم حتى ارسل اليكم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وكانت قريش وعلى
ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن ابي جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف
وينشدن الاشعار فقاتلوا حتى حميت الحرب وحمل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه على المشركين
فهزموهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ سيفا وقال من ياخذ هذا السيف بحقه ويضرب
به العدو حتى ينحني فاخذه ابو دجانة سماك بن خرشة الانصاري فلما اخذه اعتم بعمامة حمراء
وجعل يتبختر في مشيته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لمشية يبغضها الله ورسوله
الا في هذا الموضع فلما نظرت الرماة الى المشركين وقد انكشفوا وراوا اصحابهم ينتهبون الغنيمة
اقبلوا يريدون النهب فلما راى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة
وراى ظهورهم خالية صاح في خيله وحمل على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهزموهم

ورمى

ورمى عبد الله بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر انفه ورباعيته وشجه في وجهه
فاثقله وتفرق عنه اصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة ليعلو عليها فلم يستطع
وكان قد ظاهر بين درعين فجلس تحته طلحة فنهض حتى استوى على الصخرة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة ووقعت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى من اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم يجدعن الاذان والانوف حتى اتخذت هند من ذلك قلائد واعطتها وحشيا وبقرت
عن كبد حمزة رضي الله عنه وكان قد قتله وحشي فاخذت منها قطعة فلاكتها فلم تسغها فلفظتها
واقبل عبد الله بن قمئة يريد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذب عنه مصعب بن عمير
وهو صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرجع وقال اني قتلت محمدا وصاح صارخ الا ان محمدا قد قتل ويقال
ان الصارخ ابليس اللعين فانكفأ الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الي عباد
الله الي عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن ابي وقاص
حتى اندقت سية قوسه ونثل له رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته وقال ارم فداك ابي وامي
وكان ابو طلحة رجلا راميا شديد النزع كسر يومئذ قوسين او ثلاثا وكان الرجل يمر معه بجعبة
النبل فيقول انثرها لابي طلحة فكان اذا رمى اشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى موضع نبله واصيبت
يد طلحة بن عبيد الله فيبست حين وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم واصيبت عين قتادة بن النعمان حتى وقعت
على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادت احسن ما كانت فلما انصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم ادركه ابي بن خلف الجمحي وهو يقول لا نجوت ان نجوت فقال القوم يا رسول الله الا يعطف عليه
رجل منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه حتى اذا دنا منه وكان ابي قبل ذلك يلقى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيقول عندي رمكة اعلفها كل يوم فرق ذرة اقتلك عليها فيقول النبي صلى الله عليه وسلم بل انا
اقتلك ان شاء الله فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ثم استقبله
وطعنه في عنقه وخدشه خدشة فتدهده عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور ويقول قتلني محمد فحمله اصحابه
وقالوا ليس عليك باس فقال بل لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم اليس قال لي انا اقتلك فلو
بزق علي بعد تلك لقتلني فلم يلبث الا يوما حتى مات بموضع يقال له سرف عن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من قتله نبي في سبيل الله اشتد
غضب الله على قوم ادموا وجه نبي الله قالوا وفشى في الناس ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال
بعض المسلمين ليت لنا رسولا الى عبد الله بن ابي فياخذ لنا امانا من ابي سفيان وجلس بعض الصحابة
والقوا بايديهم وقال اناس من اهل النفاق ان كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الاول وقال انس بن النضر
عم انس بن مالك يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما
يقول هؤلاء يعني المسلمين وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس فاول من عرف رسول الله صلى الله عليه
وسلم كعب بن مالك قال عرفت عينيه تزهران تحت المغفر فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين ابشروا هذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار الي ان اسكت فانحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم النبي صلى الله

Copyright King Saud University

عليه وسلم على الفرار فنزل الوحي وقول اسعد يا كعبا بابينا وامهاتنا انا فالخبر بذلك فلما ثلت فرعت حلوبنا
نو لينا ... وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ومعنى الآية ...
خلت الرسل من قبله فكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلو انبيائهم فعليكم انتم ان تتمسكوا بدينه
بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين قومه ابدا قوله محمد
علم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى وصفه بذلك وتخصيصه بمعناه وهو الذي
كثرت خصاله المحمودة والمستحق لجميع المحامد لانه الكامل في نفسه صلى الله عليه وسلم اكرم الله
عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وسماه باسمين مشتقين من اسمه المحمود سبحانه وتعالى فسماه محمدا
واحمد وفي ذلك يقول حسان بن ثابت الم تران الله ارسل عبده * ببرهانه والله اعلى وامجد
اغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهور يلوح ويشهد * وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد
(ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسما انا محمد وانا احمد وانا
الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب الذي ليس بعده نبي
وسماه الله رؤوفا رحيما (م) عن ابي موسى الاشعري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا
نفسه اسما فقال انا محمد وانا احمد وانا المقفى ونبي التوبة ونبي الرحمة قيل المقفى هو اخر الانبيا
المتبع لانبيائهم والرسول هو المرسل بتبليغ قوله تعالى وانك لمن المرسلين افاين مات او قتل
انقلبتم على اعقابكم يعني انقلبتم ترجعون الى ما كنتم عليه ... رجعتم الى دينكم الاول ...
لكل من رجع الى ما كان عليه رجع وراءه ونكص على عقبيه وحاصل الكلام انه الله تعالى بين ان
محمدا او قتله لا يوجب ضعفا في دينه ولا الرجوع عنه بدليل موت سائر الانبيا قبله وان اتباعهم
ثبتوا على دين انبيائهم بعد موتهم ومن ينقلب على عقبيه يعني فيرتد عن دينه ويرجع الى الكفر فلن يضر
الله شيئا يعني بارتداده لان الله تعالى لا يضره كفر الكافرين ... على ... الغني عن العالمين
وانما يضر المرتد والكافر نفسه وسيجزي الله الشاكرين يعني الثابتين على دينهم الذين لم ينقلبوا عنه لانهم شكروا
نعمة الله عليهم بالاسلام وثباتهم عليه فسماهم الله شاكرين لما فعلوا والمعنى ويثيب الله من شكر
على نعمته وهذا الثناء ... عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه في قوله وسيجزي الله الشاكرين
قال الثابتين على دينهم ابا بكر واصحابه وكان علي يقول ابو بكر امين الشاكرين وامين احباء الله وكان
اشكرهم واحبهم الى الله تعالى قوله عز وجل وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله اي بامر الله وبقضائه
وقدره وعلمه وذلك ان الله يامر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت احد الا باذن الله تعالى والمراد من
الاية تحريض المؤمنين على الجهاد وتشجيعهم على قتال العدو واعلامهم بان الجبن لا ينفع وان الحذر لا يدفع المقدر
وان العبد لا يموت قبل اجله وان خاض المهالك واقتحم المعارك فاذا جاء الاجل لم يدفع الموت بحيلة ففي الاية
الخوف والجبن وفي الاية ... حفظ الله رسوله صلى الله عليه وسلم من غلبة العدو وتخليصه منهم
عند التفافهم عليه واسلام ... الله تعالى من عدوه ... لم يضره شيء كتابا مؤجلا
يعني وقت الاجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر والمعنى ان الله تعالى كتب لكل نفس اجلا لا يقدر احد على
تغييره او تقديمه او تاخيره وقيل الكتاب هو اللوح المحفوظ لان فيه اجال جميع الخلق ومن يرد ثواب
الدنيا نؤته منها يعني من يريد بعمله وطاعته الدنيا ويعمل لها نؤته منها ما يكون جزاء لعمله والمعنى نؤته
منها ما نشا على ما قدرناه له نزلت في الذين تركوا المركز يوم احد وطلبوا الغنيمة ومن يرد ثواب

الاخرة

الاخرة نؤته منها يعني من اراد بعمله الاخرة نؤته ثوابها نزلت في الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم احد واعلم ان هذه الآية وان نزلت في الجهاد خاصة لكنها عامة في جميع الاعمال وذلك لان الاصل في
ذلك كله يرجع الى نية العبد فان كان يريد بعمله الدنيا فليس له جزا الا فيها وكذلك من اراد بعمله الدار
الاخرة فجزاؤه ايضا فيها (ق) عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال
بالنيات وفي رواية بالنية وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله
ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها وفي رواية ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه وروى
البغوي بسنده عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت نيته طلب الاخرة
جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله واتته الدنيا راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر
بين عينيه وشتت عليه امره ولا ياتيه منها الا ما كتب له وقوله تعالى وسنجزي الشاكرين يعني المؤمنين
المطيعين الذين لم يشغلهم شي عن الجهاد ولم يريدوا باعمالهم الا الله تعالى والدار الاخرة قوله
عز وجل وكاين من نبي اي وكم من نبي قتل معه وقرئ قاتل معه فمن قرا قتل بضم القاف ففيه وجه
احدها ان يكون القتل راجعا على النبي صلى الله عليه وسلم وحده فعلى هذا يكون الوقف على قتل
لانه كلام تام وفيه اضمار تقديره قتل ومعه ربيون كثير والمعنى ان كثيرا من الانبيا قتلوا والذين بقوا
بعدهم فما وهنوا في دينهم وما استكانوا بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغي لكم ان
تكونوا مثلهم الوجه الثاني ان القتل نال النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من الربيون ويكون المراد
البعض ويكون قوله فما وهنوا راجعا الى الباقين والمعنى وكاين من نبي قتل وبعض من كان معه
فما ضعف الباقون لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم فكان ينبغي لكم ان تكونوا كذلك الوجه
الثالث ان يكون القتل نال الربيون لا النبي والمعنى وكاين من نبي قتل من كان معه وعلى دينه ربيون
كثير ومن قرا قاتل معه ربيون كثير فالمعنى وكاين من نبي قاتل معه العدد الكثير من اصحابه فاصابهم
من عدوهم قروح وجراحات فما وهنوا لما اصابهم بل استمروا على جهاد عدوهم لان الذي اصابهم انما
هو في سبيل الله وطاعته واقامة دينه ونصرة نبيه فكان ينبغي لكم ان تفعلوا مثل ذلك يا امة محمد وحجة
هذه القراءة ما روي عن سعيد بن جبير انه قال ما سمعنا ان نبيا قتل في القتال وقوله ربيون قال
ابن عباس جموع كثيرة من الربيون الالوف وقيل الربية الواحدة عشرة الاف وقيل ربيون يعني فقها
علما وقيل الربيون هم الاتباع فما وهنوا اي فما جبنوا عن الجهاد في سبيل الله لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا
يعني عن مجاهدة عدوهم بما نالهم من الم الجراح وقتل الاصحاب وما استكانوا يعني وما استسلموا
وما خضعوا لعدوهم ولكن صبروا على امر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم وهذا تعريض بما اصابهم
يوم احد من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعفهم
عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في
طلب الامان من ابي سفيان والمقصود من الآية حكاية ما جرى لسائر الانبيا واتباعهم لتقتدي
هذه الامة بهم وترغيب للذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد والله يحب
الصابرين يعني في الجهاد لان من صبر على تحمل الشدائد في طلب الاخرة ولم يظهر الجزع والعجز فان الله
يحبه ومحبة الله للعبد عبارة عن ارادة اكرامه واعزازه وايصال الثواب له وادخاله الجنة مع
اوليائه واصفيائه ثم قال تعالى وما كان قولهم يعني قول الربيون الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا

Copyright © King Saud University

فيدخل فيه جميع الصغائر والكبائر وإسرافنا في أمرنا يعني ما أسرفنا فيه فتخطينا إلى العظام من الذنوب
لأن الإسراف الإفراط في الشيء ومجاوزة الحد فيه فيكون المعنى اغفر لنا ذنوبنا الصغائر منها والكبائر وثبت
أقدامنا لكي لا تزول عند لقاء العدو وذلك يكون بإزالة الخوف والرعب من قلوبهم وانصرنا على القوم الكافرين
لأن النصر على الأعداء لا يكون إلا من عند الله يبين الله تعالى أنهم كانوا مستنصرين عند لقاء العدو بالدعاء
والتضرع وطلب الإعانة والنصر من الله تعالى والغرض منه أن يقتدى بهم في هذه الطريقة الحسنة أمة محمد
صلى الله عليه وسلم يقول هلا فعلتم مثل ما فعلوا وقلتم مثل ما قالوا فآتاهم الله ثواب الدنيا يعني النصر
والغنيمة وقهر الأعداء والثناء الجميل وغفران الذنوب والخطايا وحسن ثواب الآخرة يعني الجنة وما فيها
من النعيم المقيم وإنما خص ثواب الآخرة بالحسن تنبيها على جلالة موعظته لأنه غير زائل ولم يشب
بتنغيص ولم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلته ولأنه سريع الزوال مع ما يشوبه من التنغيص والله يحب
المحسنين يعني الذين يفعلون مثل الذي فعل هؤلاء وهذا تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يقولوا
مثل هذا عند لقاء العدو وفيه دقيقة لطيفة وهي أنهم لما اعترفوا بذنوبهم وكونهم مسيئين سماهم
محسنين قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يعني اليهود والنصارى وقيل المنافقين وذلك قولهم
للمؤمنين عند الهزيمة يوم أحد ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم وقيل معناه إن تطيعوهم فيما يأمرونكم
به من ترك الجهاد يردوكم على أعقابكم يعني يرجعوكم إلى أمركم الأول وهو الكفر والشرك بالله بعد الإيمان به لأن
قبول قولهم في الدعوة إلى الكفر كفر فتنقلبوا خاسرين يعني مغبونين في الدنيا والآخرة أما خسار الدنيا
فهو طاعة الكفار والتذلل للأعداء وأما خسار الآخرة فهو دخول النار وحرمان دار القرار بل الله
مولاكم أي وليكم وناصركم وحافظكم فاستغنوا به وهو خير الناصرين يعني أنه تعالى قادر على نصركم
والمعنى أنكم إنما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم وهم عاجزون عن نصر أنفسهم فضلا عن غيرهم فاطلبوا
النصر من الله تعالى فإنه خير الناصرين قوله عز وجل سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب وذلك أن أبا سفيان ومن معه
لما ارتحلوا يوم أحد متوجهين إلى مكة فلما بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم
حتى لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم ارجعوا إليهم فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله في قلوبهم
الرعب يعني الخوف الشديد حتى رجعوا عما هموا به فعلى هذا القول يكون الوعد بإلقاء الرعب في قلوب
الكفار مخصوصا بيوم أحد وقيل إنه عام وإن كان السبب خاصا لقوله صلى الله عليه وسلم
نصرت بالرعب مسيرة شهر فكأنه قال سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب منكم حتى تقهروهم
ونظهر دينكم على سائر الأديان وقد فعل الله ذلك بفضله وكرمه حتى صار دين الإسلام ظاهرا على
جميع الأديان والملل كما قال تعالى ليظهره على الدين كله بما أشركوا بالله يعني إنما كان إلقاء الرعب
في قلوبهم بسبب إشراكهم بالله ما لم ينزل به سلطانا يعني حجة وبرهانا وسميت الحجة سلطانا لقوتها
على دفع الباطل لأن السلطان مشتق من التسليط وهو ما يستعين به وقيل السلطان القوة
والقدرة وسميت الحجة سلطانا لقوتها على دفع الباطل ومأواهم النار أي لما بين الله تعالى حال
الكفار في الدنيا وهو إلقاء الرعب والخوف في قلوبهم بين حالهم في الآخرة فقال تعالى ومأواهم
النار أي مسكنهم وبئس مثوى الظالمين أي المسكن الذي يستقرون به ويقيمون فيه وكلمة بئس
تستعمل في جميع المذام والمعنى وبئس مقام الظالمين الذين ظلموا أنفسهم باكتساب ما أوجب
لهم عذاب النار والإقامة فيها قوله عز وجل ولقد صدقكم الله وعده قال محمد بن كعب القرظي لما رجع رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أحد إلى المدينة وقد أصابهم ما أصابهم قال ناس من الصحابة
من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فأنزل الله ولقد صدقكم الله وعده يعني بالنصر
والظفر وذلك أن الظفر كان للمسلمين في الابتداء وقيل إن الله وعد المؤمنين النصر بأحد
فنصرهم فلما خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا الغنيمة هزموا إذ تحسونهم يعني
إذ تقتلون الكفار قتلا ذريعا وقيل معنى تحسونهم يعني تستأصلونهم بالقتل بإذنه يعني
بعلم الله وأمره وقيل بقضائه وقدره حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم قال الفراء فيه تقديم
وتأخير تقديره حتى إذا تنازعتم في الأمر وعصيتم فشلتم وقيل معناه لقد صدقكم
الله وعده بالنصر إلى أن كان منكم الفشل والتنازع والمعصية وقيل فيه معنى الشرط وجوابه
محذوف تقديره إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم منعكم الله النصر ومعنى فشلتم ضعفتم
والفشل الضعف مع جبن ومع التنازع الاختلاف وكان اختلافهم وتنازعهم أن الرماة
الذين كانوا مع عبد الله بن جبير لما انهزم المشركون قال بعضهم لبعض ما نصنع بمقامنا
ها هنا وقد انهزم المشركون ثم أقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم لبعض لا نجاوز أمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وثبت عبد الله بن جبير أمير القوم في نفر يسير دون العشرة ممن
كان معه فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ذلك حملوا على الرماة الذين ثبتوا مع
عبد الله بن جبير وأقبلوا على المسلمين وتحولت الريح دبورا بعد ما كانت صبا وانتقضت
صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضا وما
يشعرون بذلك من الدهش ونادى إبليس أن محمدا قد قتل فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين
وقوله وعصيتم يعني أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أمركم به من لزوم المركز من
بعد ما أراكم ما تحبون يعني من النصر والظفر والغنيمة يا معشر المسلمين منكم من يريد الدنيا يعني الذين
تركوا المركز وأقبلوا على النهب ومنكم من يريد الآخرة يعني الذين ثبتوا مع أميرهم عبد الله بن جبير
حتى قتلوا قال عبد الله بن مسعود ما شعرت أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم أحد ونزلت هذه الآية ثم صرفكم عنهم يعني يا معشر المسلمين
يعني عن المشركين بالهزيمة ليبتليكم يعني ليمتحنكم وقيل لينزل عليكم البلاء لتتوبوا إليه
وتستغفروه وقيل معناه ليختبركم وهو أعلم ليميز المؤمن من المنافق ومن يريد الدنيا
ممن يريد الآخرة ولقد عفا عنكم يعني ولقد عفا الله عنكم أيها المخالفون أمر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلم يستأصلكم بعد المخالفة والمعصية وقيل عفا عن عقوبتكم أيها المخالفون
والله ذو فضل على المؤمنين وهذا من تمام نعمه على عباده المؤمنين لأنه نصرهم ولأنه عفا عن
المذنبين منهم ثانيا لأنه ذو الفضل والطول والإحسان وفي الآية دليل على أن
صاحب الكبيرة مؤمن وأن الله تعالى يعفو بفضله وكرمه إن شاء لأنه سماهم مؤمنين مع
ما ارتكبوه من مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي كبيرة وعفا عنهم بعد ذلك
قوله عز وجل إذ تصعدون قيل هو متعلق بما قبله والتقدير ولقد عفا عنكم إذ تصعدون
لأن عفوه عنهم لا بد وأن يتعلق بأمر اقترفوه وذلك الأمر هو ما بينه بقوله إذ تصعدون
يعني هاربين في الجبل وقيل هو ابتداء كلام لا تعلق له بما قبله والمعنى اذكروا إذ تصعدون

قرائة الجمهور بضم التاء وكسر العين من الاصعاد وهو الذهاب في الارض والابعاد فيها وقرا
الحسن تصعدون بفتح التاء من الصعود وهو الارتقاء من اسفل الى اعلا كالصعود على الجبل
وفي السلم ونحوه وللمفسرين في معنى الاية قولان احدهما انه صعودهم في الجبل عند الهزيمة
والثاني انه الابعاد في الارض في حال الهزيمة ووقت الهرب ولا تلوون على احد اي لا يرجعون ولا
يقيمون على احد ولا يلتفت بعضكم الى بعض من شدة الهرب والرسول يدعوكم في اخراكم اي في اخركم ومن
ورائكم يقول الي عباد الله انا رسول الله من كر اي رجع فله الجنة فاثابكم غما بغم يعني فجازاكم
بفراركم عن نبيكم صلى الله عليه وسلم وفشلكم عن عدوكم غما بغم فسمى العقوبة التي عاقبهم بها ثوابا
على سبيل المجاز لان لفظ الثواب لا يستعمل في الاغلب الا في الخير وقد يجوز استعماله في الشر لانه
ماخوذ من ثاب اذا رجع فاصل الثواب كل ما يعود الى الفاعل من جزا فعله سوا كان خيرا وشرا
فمتى حملنا لفظ الثواب على اصل اللغة كان الكلام صحيحا ومتى حملناه على الاغلب كان على سبيل
المجاز فهو كقول الشاعر ٭ اخاف زيادا ان يكون عطاوه ٭ اداهم سودا او محدرجة سمرا ٭ فجعل
العطا مكان العقاب لان الاداهم السود هي القيود الثقال والمحدرجة هي السياط والبا في
قوله غما بغم بمعنى مع او بمعنى على لان حروف الجر تنوب بعضها عن بعض وقيل البا على بابها والمعنى
غما متصلا بغم واختلفوا في معنى الغمين فقيل الغم الاول هو ما فاتهم من الظفر والغنيمة والغم
الثاني هو ما نالهم من القتل والهزيمة وقيل الغم الاول ما اصابهم من القتل والجراح والغم
الثاني هو ما سمعوا بان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فانساهم غمهم الاول وقيل الغم
الاول هو انهم غموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخالفة امره فجازاهم الله بذلك الغم القتل
والهزيمة وقيل ان غمهم الاول بسبب اشراف خالد بن الوليد بخيل المشركين عليهم والغم
الثاني حين اشرف ابو سفيان عليهم وذلك ان ابا سفيان واصحابه وقفوا بباب الشعب فلما
نظر المسلمون اليهم غمهم ذلك وظنوا انهم يميلون عليهم فيقتلونهم فاهمهم ذلك وقوله تعالى
لكي لا في لفظة لا قولان احدهما انها باقية على اصلها ومعناها النفي فعلى هذا يكون الكلام
متصلا بقوله ولقد عفا عنكم والمعنى ولقد عفا عنكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم لان عفوه
يذهب كل هم وحزن وقيل معناه فاثابكم غما انساكم الحزن على ما فاتكم ولا ما اصابكم وقد روي
انهم لما سمعوا بان النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل نسوا ما اصابهم وما فاتهم والقول الثاني
ان لفظة لا صلة ومعنى الكلام لكي تحزنوا على ما فاتكم واصابكم عقوبة لكم على مخالفتكم قال ابن
عباس الذي فاتهم الغنيمة والذي اصابهم القتل والهزيمة والله خبير بما تعملون اي هو عالم بجميع
اعمالكم خيرها وشرها فيجازيكم عليها قوله عز وجل ثم انزل عليكم يا معشر المسلمين من بعد الغم الذي
اصابكم امنة نعاسا يعني امنا والامنة والامن واحد وقيل الامن يكون مع زوال الخوف والامنة
مع بقا سبب الخوف وكان سبب الخوف بعد باقيا والنعاس اخف النوم والمعنى اعقبكم بما نالكم من
الخوف والرعب ان امنكم امنا تنامون معه لان الخائف لا يكاد ينام فامنهم بعد خوفهم يغشى
طائفة منكم قال ابن عباس امنهم يومئذ بنعاس يغشاهم وانما ينعس من يامن والخائف
لا ينام خ عن انس عن ابي طلحة قال كنت فيمن تغشاهم النعاس يوم احد حتى سقط سيفي من يدي
مرارا يسقط واخذه ويسقط واخذه اخرجه الترمذي عنه قال غشينا النعاس ونحن في مصافنا

يوم

يوم احد وذكر نحو رواية البخاري وزاد والطائفة الاخرى المنافقين ليس لهم هم الا انفسهم اجبن
قوم وارعبه واخذله للحق وفي رواية اخرى له قال رفعت راسي يوم احد فجعلت انظر وما منهم
يومئذ احد الا يميد تحت حجفته من النعاس فذلك قوله ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا
وقال الزبير بن العوام لقد رايتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف
ارسل الله تعالى علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما اسمعه
الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شي ما قتلنا ههنا فقوله تعالى يغشى طائفة منكم يعني المومنين
وطائفة قد اهمتهم انفسهم يعني المنافقين اراد الله ان يميز المومنين من المنافقين فاوقع النعاس
على المومنين حتى امنوا ولم يوقع النعاس على المنافقين فبقوا في الخوف وفي القا النعاس على
المومنين دون المنافقين اية عظيمة ومعجزة باهرة لان النعاس كان سببه امن المومنين وعدم
النعاس عن المنافقين كان سبب خوفهم وهو قوله تعالى وطائفة قد اهمتهم انفسهم يعني حملتهم
انفسهم على الهم لان اسباب الخوف وهي قصد الاعدا كانت حاصلة عندهم يظنون بالله غير الحق يعني
يظنون ان الله لا ينصر محمدا واصحابه وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل وامره يضمحل
والمعنى يظنون بالله غير الظن الحق الذي لا يجب ان يظن به ظن الجاهلية اي كظن اهل الجاهلية يقولون
يعني المنافقين هل لنا اي ما لنا من الامر من شي وذلك انه لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله
ابن ابي بن سلول راس المنافقين في الواقعة فاشار اليه ان لا يخرج من المدينة فلما خالفه النبي
صلى الله عليه وسلم وخرج وقتل من قتل قيل لعبد الله بن ابي قد قتل بنو الخزرج فقال هل لنا
من الامر من شي وهو استفهام على سبيل الانكار اي ما لنا امر يطاع وقيل المراد بالامر النصر
والظفر يعني ما لنا من هذا الذي يعدنا محمد به من النصر والظفر من شي انما هو للمشركين قل يا محمد
لهولا المنافقين ان الامر كله لله يعني النصر والظفر والقضا والقدر كله لله وبيده يصرفه كيف يشا
ويدبره كيف احب يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك يعني من الكفر والشك في وعد الله عز وجل وقيل يخفون الندم
على خروجهم مع المسلمين وقيل الذي اخفوه هو قوله تعالى حكاية عنهم يقولون لو كان لنا من الامر شي
ما قتلنا ههنا وذلك ان المنافقين قال بعضهم لبعض لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد الى قتال
اهل مكة ولم تقتل روساونا وقيل كانوا يقولون لو كنا على الحق ما قتلنا ههنا وعن ابن عباس في قوله
تعالى يظنون بالله غير الحق يعني التكذيب بالقدر وهو قولهم لو كان لنا من الامر شي ما قتلنا
ههنا قيل ان الذي قال ليس لنا من الامر شي هو عبد الله بن ابي بن سلول المنافق والذي قال
لو كان لنا من الامر شي هو معتب بن قشير قل اي قل يا محمد لهولا المنافقين لو كنتم في بيوتكم
لبرز الذين كتب عليهم القتل اي قضي عليهم القتل وقدر عليهم الى مضاجعهم يعني الى مصارعهم التي
يصرعون بها في فتنة القتل ومعنى الاية ان الحذر لا ينفع مع القدر والتدبير لا يقاوم التقدير فالذين
قدر عليهم القتل وقضاه وحكم به عليهم لا بد وان يقتلوا والمعنى لو جلستم في بيوتكم لخرج منها ولظهر
الذين قضى الله عليهم بالقتل وقضاه الى حيث يقتلوا فيه وليبتلي الله ما في صدوركم يعني وليختبر ما في صدوركم
ليعلمه مشاهدة كما علمه غيبا لان المجازاة انما تقع على ما علمه مشاهدة وقيل معناه ليعاملكم معاملة المبتلي
المختبر لكم وقيل معناه ليبتلي اولياء الله ما في صدوركم فاضاف الابتلا اليه تعظيما لشان اوليائه المبتلى وليمحص
ما في قلوبكم قال قتادة اي ليطهرها من الشك والارتياب بما يريكم من عجائب صنعه في القا الامنة وصرف

Copyright © King Saud University

العدو واظهار اسرار المنافقين فعلى هذا يكون الخطاب للمؤمنين خاصة وقيل معناه وليبين وليظهر ما في
قلوبكم يعني من الاعتقاد لله ولرسوله وللمؤمنين من العداوة فعلى هذا يكون الخطاب للمنافقين خاصة
والله عليم بذات الصدور يعني بالاشياء الموجودة في الصدور وهي الاسرار والضماير لانه عالم بجميع المعلومات قوله
عز وجل ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان اي انهزموا وهربوا يا معشر المسلمين فهو خطاب لمن كان مع النبي صلى
الله عليه وسلم من المؤمنين يوم احد باحد وكان قد انهزم اكثر المسلمين ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم
الا ثلاثة عشر رجلا وقيل اربعة عشر من المهاجرين سبعة ومن الانصار سبعة فمن المهاجرين ابو بكر
وعمر وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنهم
انما استزلهم الشيطان اي طلب زلتهم كما يقال استعجله اي طلب عجلته وقيل حملهم على الزلة وهي الخطيئة وذلك
بالقاء الوسوسة في قلوبهم لا انه امرهم بها ببعض ما كسبوا يعني بمعصيتهم النبي صلى الله عليه وسلم وتركهم
المركز وقيل استزلهم الشيطان بتذكير خطايا سبقت لهم فكرهوا ان يقتلوا قبل اخلاص التوبة منها وهذا
اختيار الزجاج لانه قال لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على الفرار من الزحف رغبة في الدنيا وانما ذكرهم
الشيطان خطايا سلفت لهم فكرهوا لقاء الله الا على حالة يرضاها ولقد عفا الله عنهم يعني ولقد تجاوز الله
عن الذين تولوا يوم التقى الجمعان فلم يعاقبهم بذلك وغفر لهم قيل ان عثمان عوتب في هزيمته يوم احد
فقال ان ذلك وان كان خطا لكن الله قد عفى عنه وقرا هذه الاية ان الله غفور يعني لمن تاب واناب
حليم لا يعجل بالعقوبة بقولهم بينا سليم بالقتل قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين
عبد الله بن ابي واصحابه وقالوا لاخوانهم يعني في النفاق والكفر وقيل لاخوانهم في النسب وكانوا مسلمين
اذا ضربوا في الارض يعني اذا سافروا في الارض لتجارة وغيرها او كانوا غزا جمع غاز اي غزاة في الكلام حذف
دل المعنى عليه تقدير الحذف وهو اذا ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزا فقتلوا لو كانوا عندنا يعني
مقيمين ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك يعني قولهم وظنهم حسرة في قلوبهم يعني غما واسفا
والله يحيي ويميت هذا رد لقول المنافقين لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا والمعنى ان الامر
بيد الله وان المحيي والمميت هو الله فقد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد عن الغزو كما يشا
فكيف ينفع الجلوس في البيت وهل ينجي احدا من الموت والله بما تعملون بصير يعني انه تعالى مطلع على ما تعملون
من خير او شر فيجازيكم به فاتقوه ولا تكونوا مثل المنافقين لان مقصودهم تنفير المؤمنين عن الجهاد
بقولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فان الله هو المحيي المميت فمن قدر له البقاء لم يقتل في الجهاد ومن
قدر له الموت لم يبق وان اقام بينه عند اهله فلا تقولوا انتم ايها المؤمنون لمن يريد الخروج الى الجهاد
لا تخرج فتقتل فلان يموت في الجهاد فيستوجب الثواب فان ذلك خير له من ان يموت في بيته بلا
فائدة واليه الاشارة بقوله تعالى ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير
يعني في العاقبة خير مما يجمعون يعني من الغنايم والمتاع ولئن تم عليكم ما تخافونه من القتل في سبيل
الله والهلاك بالموت فان ما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت والقتل في سبيل الله خير مما
تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون يعني لالى الله الرحيم الواسع
الرحمة والمغفرة المثيب العظيم الثواب تحشرون في الاخرة فيجازيكم باعمالكم وقد قسم بعض مقامات
العبودية الى ثلاثة اقسام فمن عبد الله خوفا من ناره امنه مما يخاف واليه الاشارة بقوله تعالى لمغفرة
من الله ورحمة ومن عبد الله شوقا الى جنته اناله ما يرجو واليه الاشارة بقوله تعالى ورحمة لان الرحمة

من

١٥٢

من اسما الجنة ومن عبد الله شوقا الى وجهه الكريم لا يريد غيره فهو العبد المخلص الذي يتجلى له الحق
سبحانه وتعالى في دار كرامته واليه الاشارة بقوله لالى الله تحشرون قوله عز وجل فبما رحمة من الله لنت
لهم اي فبرحمة من الله وما صلة لنت لهم اي سهلت لهم اخلاقك وكثرت احتمالك ولم تسرع اليهم
بالتعنيف على ما كان يوم احد منهم ومعنى فبما رحمة من الله وهو توفيق الله عز وجل نبيه صلى الله عليه
وسلم للرفق والتلطف بهم وان الله تعالى القى في قلب نبيه صلى الله عليه وسلم داعية الرحمة واللطف حتى
فعل ذلك معهم ولو كنت فظا يعني جافيا غليظ القلب يعني قاسي القلب سيء الخلق قليل الاحتمال لانفضوا
من حولك اي لتفرقوا عنك ونفروا حتى لا يبقى منهم احد عندك فاعف عنهم اي تجاوز عنهم لانهم
ما اتوا يوم احد واستغفر لهم اي واسال الله المغفرة لهم حتى يشفعك فيهم وقيل فاعف عنهم فيما يختص بك
واستغفر لهم فيما يختص بحقوق الله وذلك من تمام الشفقة عليهم وشاورهم في الامر اي استخرج اراءهم واعلم
ما عندهم واختلف العلما في المعنى الذي من اجله امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لهم مع كمال
عقله وجزالة رايه ونزول الوحي عليه ووجوب طاعته على كافة الخلق فيما احبوا او كرهوا فقيل هو
عام مخصوص والمعنى وشاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهد وذلك في امر الحرب ونحوه من امور الدنيا
لتستظهر برايهم فيما تشاورهم فيه وقيل امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورتهم تطييبا
لقلوبهم فان ذلك اعطف لهم عليه واذهب لاضغانهم فان سادات العرب كانوا اذا لم يشاوروا في الامور
شق ذلك عليهم وقال الحسن قد علم الله تعالى انه ما به الى مشاورتهم حاجة ولكن اراد ان يستن به
من بعده من امته وقيل انما امر بمشاورتهم ليعلم مقادير عقولهم وافهامهم لا ليستفيد منهم رايا وروى ٧١
البغوي بسنده عن عايشة انها قالت ما رايت رجلا اكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتفق العلما على ان كل ما نزل فيه وحي من الله عز وجل لم يجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشاور
فيه الامة وانما امر ان يشاور فيما سوى ذلك من امر الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك وقيل ان يشاورهم
في امر الدين والدنيا فيما لم ينزل عليه فيه شي لان النبي صلى الله عليه وسلم شاورهم في اسارى بدر وهو
من امر الدين قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برايه
والتدبر قبل العمل يومنك من الندم وقال بعض الحكما ما استنبط الثواب بمثل المشاورة انه يعزم
الانسان على امر فيشاور فيه فيتبين له الصواب في قول غيره فيعلم بذلك عجز نفسه عن الاحاطة بفنون
المصالح ومنها انه اذا لم ينجح امره علم ان امتناع النجاح محض قدر فلم يلم نفسه وقال بعضهم في مدح المشاورة
* وشاور اذا شاورت كل مهذب * لبيب اخا حزم لترشد في الامر * ولا تك ممن يستبد برايه *
* فتعجز او لا تستريح من الفكر * الم تر ان الله قال لعبده * وشاورهم في الامر حتما بلا نكر *
وقوله تعالى فاذا عزمت يعني على المشاورة فتوكل على الله اي فاستعن بالله في امورك كلها وثق به ولا تعتمد
الا عليه فانه ولي الاعانة والعصمة والتسديد والمقصود ان لا يكون للعبد اعتماد على شي الا على
الله تعالى في جميع اموره وان المشاورة لا تنافي التوكل ان الله يحب المتوكلين يعني المتوكلين عليه في جميع
امورهم قوله عز وجل ان ينصركم الله يعني ان يعنكم الله بنصره ويمنعكم من عدوكم كما فعل يوم بدر فلا
غالب لكم يعني من الناس لان الله هو المتولي نصركم وان يخذلكم كما فعل يوم احد فلم ينصركم ويكلكم
الى انفسكم لمخالفتكم امره وامر رسوله صلى الله عليه وسلم فمن ذا الذي ينصركم من بعده اي من بعد خذلانه
وعلى الله فليتوكل المؤمنون لا على غيره لان الامر كله لله ولا راد لقضائه ولا دافع لحكمه فيجب ان يتوكل العبد

Copyright © King Saud University

فوكل الامور على الله تعالى لا على غيره وقيل التوكل ان لا تعصي الله من اجل رزقك ولا تطلب لنفسك ناصرا غيره
ولا لعملك شاهدا سواه (م) عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من
امتي سبعون الفا بغير حساب قالوا ومن هم يا رسول الله قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون
وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم
فقام اخر فقال يا نبي الله ادع الله لي ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة عن عمر بن الخطاب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا
وتروح بطانا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل وما كان لنبي ان يغل الاية قال ابن عباس
نزلت هذه الاية وما كان لنبي ان يغل في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض القوم لعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخذها فانزل الله هذه الاية الى اخرها اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب
وروي عن الضحاك قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلايع فغنم النبي صلى الله عليه وسلم
فلم يقسم للطلايع فانزل الله تعالى وما كان لنبي ان يغل وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس في قوله
وما كان لنبي ان يغل يقول ما كان لنبي ان يقسم لطايفة من المومنين ويترك طايفة ويجور في القسم ولكن
يقسم بالعدل ويأخذ فيه بامر الله ويحكم فيه بما انزل الله يقول ما كان الله ليجعل نبيا يغل من اصحابه فاذا
فعل ذلك النبي استنوا به وقال مقاتل والكلبي نزلت في غنايم احد حين تركت الرماة المركز للغنيمة وقالوا نخشى
ان يقول النبي صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنايم كما لم تقسم يوم بدر فتركوا المركز ووقعوا
في الغنايم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري قالوا تركنا
بقية اخواننا وقوفا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ظننتم انا نغل فلا نقسم فانزل الله هذه الاية
وقال قتادة ذكر لنا انها نزلت في طايفة غلت من اصحابه وقيل ان الاقوياء الحوا عليه يسالونه من المغنم
فانزل الله ما كان لنبي ان يغل يعني فيعطي قوما ويمنع اخرين بل عليه ان يقسم بينهم بالسوية وقال محمد
ابن كعب القرظي ومحمد بن اسحاق بن يسار كان في شأن الوحي يقول وما كان لنبي ان يكتم شيئا من الوحي رغبة
او رهبة او مداهنة والغلول هو الخيانة واصله اخذ الشيء في خفية يقال غل فلان يغل بفتح الياء وضم
الغين اي وما كان لنبي ان يخون لان النبوة والخيانة لا يجتمعان لان منصب النبوة اعظم المناصب
واشرفها واعلاها فلا يليق به الخيانة لانها في نهاية الدناءة والخسة والجمع بين الضدين محال فثبت
بذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخن امته في شيء لا من الغنايم ولا من الوحي وقيل المراد به الامة لانه
قد ثبتت براءة ساحة النبي صلى الله عليه وسلم من الغلول والخيانة فدل ذلك على ان المراد بالغلول
غيره وقيل اللام فيه منقولة معناه ما كان النبي ليغل على نفي الغلول عن الانبياء وقيل معناه ما كان
لنبي الغلول اي ما غل نبي قط فنفى عن الانبياء الغل وقيل معناه وما كان يحل لنبي الغلول وان لم يحل لم
يفعله ووجه هذه القراءة انهم نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم الى الغلول في بعض الروايات فبين الله
تعالى بهذه الاية ان هذه الخصلة لا تليق به ونفى عنه ذلك بقوله وما كان لنبي ان يغل وقرئ يغل
بضم الياء وفتح الغين ولها معنيان احدهما ان يكون من الغلول ايضا ومعناه وما كان لنبي ان يخان
اي يخونه امته والثاني ان يكون من الاغلال ومعناه وما كان لنبي ان يخون اي ينسب الى الخيانة ومن يغلل
يات بما غل يوم القيمة يعني يات بالشيء الذي غله بعينه يحمله على ظهره يوم القيامة ليزداد فضيحة بما يحمله يوم
القيمة وقيل يمثل له ذلك الشيء في النار ثم يقال له انزل فخذه فينزل فيحمله على ظهره فاذا بلغ موضعه وقع في

ذلك

ذلك الشيء في النار فيكلف ان ينزل اليه فيخرجه فيفعل به ذلك ما شاء الله وقيل معناه انه ياتي باثم ما غله فيجازى
به يوم القيامة وهو قوله تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت يعني من خير او شر والمعنى ان كل كاسب خيرا كان ذلك الكسب او شرا
فهو مجزي به يوم القيمة ويوفى جزا عمله وهم لا يظلمون يعني بل يعدل بينهم يوم القيامة في الجزا فيجازى كل على عمله

فصل في ذكر احاديث وردت في الغلول ووعيد الغال وقد تقدم ان اصل الغلول هو اخذ
الشيء في خفية وانه الخيانة الا انه قد صار في العرف مخصوصا بالخيانة في الغنيمة وبه قد وردت الاحاديث
(ق) عن ابي هريرة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم
امره حتى قال لا الفين احدكم يجي يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله اغثني فاقول
لا املك لك من الله شيئا قد بلغتك لا الفين احدكم يجي يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يا رسول
الله اغثني فاقول لا املك لك من الله شيئا قد بلغتك لا الفين يجي يوم القيمة على رقبته شاة لها ثغاء يقول
يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك من الله شيئا قد بلغتك لا الفين احدكم يجي يوم القيمة على رقبته نفس
لها صياح فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك من الله شيئا قد بلغتك لا الفين احدكم يجي يوم القيمة
على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك من الله شيئا قد بلغتك لفظ
الرغاء صوت البعير والثغاء صوت الشاة والرقاع الثياب والصامت الذهب والفضة (ق) عن ابي هريرة
قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم ذهبا ولا ورقا غنمنا المتاع
والطعام والثياب ثم انطلقنا الى الوادي يعني وادي القرى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد له
وهبه له رجل من جذام يدعى رفاعة بن زيد من بني الضبيب فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحل رحله فرمي بسهم فكان فيه حتفه فقلنا هنيئا له يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلا والذي نفس محمد بيده ان الشملة لتلتهب عليه نارا اخذها من الغنايم يوم خيبر لم تصبها المقاسم
قال ففزع الناس فجاء رجل بشراك او شراكين فقال اصبتها يوم خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
شراك من نار او شراكان من نار وفي رواية نحوه وفيه ومعه عبد يقال له مدعم اهداه له احد بني الضباب
وفيه اذ جاءه سهم عاير الشراك سير النعل الذي يكون على ظهر القدم ومثله شسع النعل والسهم العاير
هو السهم الذي لا يدرى من رماه (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كان على ثقل رسول الله صلى الله عليه
وسلم رجل يقال له كركرة فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في النار فذهبوا ينظرون اليه
فوجدوا عباءة قد غلها عن زيد بن خالد الجهني ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم توفي فذكروا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم
غل في سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز يهود لا يساوي درهمين اخرجه ابو داود
والنسائي عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غل فاحرقوا متاعه واضربوه
اخرجه ابو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر وعمر حرقوا متاع الغال وضربوه زاد في رواية ومنعوه سهمه اخرجه ابو داود قوله تعالى
افمن اتبع رضوان الله يعني فترك الغلول فلم يغل كمن باء اي رجع بسخط من الله يعني بغضب من الله يعني
فغل والسخط الغضب الشديد المفضي للعقوبة وهو من الله انزال العقوبة بمن سخط عليه وقيل في معنى
الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر المسلمين باتباعه والخروج معه يوم احد اتبعه المومنون وتخلف
عنه جماعة من المنافقين فاخبر الله تعالى بحال من اتبعه بقوله افمن اتبع رضوان الله وبحال من تخلف عنه

Copyright © King Saud University

المصير

بقوله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير يعني الغال والمتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم هم درجات عند الله
والله بصير بما يعملون يعني هم درجات عند الله قال ابن عباس يعني من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفوا
المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم ولمن باء بسخط من الله العذاب الاليم والمعنى افمن اتبع رضوان الله
كمن باء بسخط من الله ليسوا سواء بل هم درجات عند الله على حسب اعمالهم وقيل الضمير في قوله هم درجات عائد على
قوله افمن اتبع رضوان الله فقط لان الغالب في العرف استعمال الدرجات لاهل الثواب والدركات لاهل النار
ولان الله وصف من باء بسخط من الله ان مأواه جهنم وبئس المصير فدل على ان الضمير في قوله هم درجات
عند الله وفيه تحريض على العمل بطاعته وتحذير من العمل بمعاصيه قوله عز وجل لقد من الله على
المؤمنين يعني احسن اليهم وتفضل عليهم والمنة النعمة العظيمة وذلك لا يكون في الحقيقة الا من الله
قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يعني من جنسهم عربيا مثلهم ولد ببلدهم
ونشأ بينهم يعرفون نسبه وليس حي من احياء العرب الا وقد ولده وله فيهم نسب الا بني تغلب فانهم كانوا
نصارى وقد ثبتوا على النصرانية فطهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم من ان يكون له فيهم نسب وقيل
اراد بالمؤمنين جميع المؤمنين ومعنى قوله تعالى من انفسهم اي بالايمان والشفقة لا بالنسب ومن جنسهم
ليس بملك ولا احد من غير بني آدم ومن انفسهم يعني انه من ولد اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام
ووجه المنة في الانعام على المؤمنين ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه داعيا لهم الى ما يخلصهم من
العذاب الاليم ويوصلهم الى الثواب في جنات النعيم وكونه من انفسهم ومن جنسهم لانه اذا كان اللسان واحد
سهل الاخذ عنه فيما يجب عليهم وكانوا واقفين على جميع احواله وافعاله يعرفون صدقه وامانته فكان ذلك
اقرب الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم وكان فيما خطب به ابو طالب حين زوج رسول
الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها وقد حضره بنو هاشم ورؤساء مضر
فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية اسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا سدنة بيته وسواس
حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا الحكام على الناس وان ابني هذا محمد بن عبد الله لا يوزن
به فتى الا رجح وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطب جليل وقيل في وجه المنة ببعثة الرسول صلى الله
عليه وسلم ان الخلق جبلوا على الجهل ونقصان العقل وقلة الفهم وعدم الدراية فمن الله على خلقه وانعم
عليهم واحسن اليهم بان بعث فيهم رسولا من انفسهم انقذهم به من الضلالة ونجاهم به من الجهالة وهداهم
به الى صراط مستقيم وانما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم المنتفعون بمجيئه دون غيرهم يتلو عليهم آياته
يعني يقرأ عليهم كتابه الذي انزل عليه بعدما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي السماوي
ويزكيهم اي ويطهرهم من دنس الكفر ونجاسة المحرمات والخبائث ويعلمهم الكتاب والحكمة يعني القرآن والسنة
التي سنها لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وان كانوا من قبل اي من قبل بعثة الرسول صلى
الله عليه وسلم لفي ضلال مبين يعني في جهالة وحيرة عن الهدى عميا لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا
فهداهم الله بنبيه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى اولما اصابتكم مصيبة يعني ما اصابهم يوم احد قد اصبتم مثليها
يعني يوم بدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين يوم احد سبعين وقتل المسلمون من المشركين يوم
بدر سبعين واسروا سبعين وقيل ان المسلمين هزموا المشركين يوم بدر وهزموهم في اول الامر
يوم احد فلما عصوا الله ورسوله هزمهم المشركون فحصل انهزام المشركين مرتين وانهزام المسلمين مرة
واحدة قلتم انى هذا اي من اين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا وهو [illegible]

انكار

انكار قل هو من عند انفسكم يعني انما وقعتم فيما وقعتم فيه بشؤم ذنوبكم وهو مخالفتكم امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم اختار الاقامة في المدينة على الخروج الى العدو واختاروا
هم الخروج اليه وايضا امر الرماة بالاقامة في الموضع الذي عينه لهم فخالفوه وتركوا المركز لاجل الغنيمة
فكان ذلك سبب القتل والهزيمة وروى عبيدة السلماني عن علي بن ابي طالب قال جاء جبريل الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد كره ما صنع قومك في اخذهم الفداء من الاسارى وقد امرك ان
تخيرهم بين ان يضربوا اعناق الاسارى وبين ان يأخذوا الفداء على ان يقتل عدتهم فذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم للناس فقالوا يا رسول الله عشائرنا واخواننا بل نأخذ فداءهم فنتقوى به على
قتال عدونا ونستشهد منا عدتهم فقتل منهم يوم احد سبعون عدد اسارى بدر لم يسنده
البغوي واسنده ابن جرير الطبري فذلك معنى قوله قل هو من عند انفسكم يعني باخذكم الفداء واختياركم
القتل لانفسكم ان الله على كل شيء قدير يعني من نصركم مع الطاعة وترك نصركم مع المخالفة قوله عز وجل وما
اصابكم يعني من القتل والجراح والهزيمة يوم التقى الجمعان يعني جمع المؤمنين وجمع المشركين وذلك
باحد يوم احد فباذن الله يعني فبعلمه وقضائه وقدره وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين عما حصل لهم
يوم احد من القتل والهزيمة ولا تقع التسلية الا اذا علموا ان ذلك كان واقعا بقضاء الله
وقدره فحينئذ يرضون بما قضى الله عليهم وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا اي ليظهر ايمان
المؤمنين بثبوتهم على ما نالهم ويظهر نفاق المنافقين بقلة صبرهم على ما نزل بهم فالمراد من
العلم المعلوم والتقدير ليتبين المؤمن من المنافق وليتميز احدهما عن الاخر والمنافق هو الذي
اظهر الايمان بلسانه واضمر خلافه واشتقاقه من النفق وهو السرب في الارض للنافقاء ومنه
نافقاء اليربوع لانه لم جحره في الارض له بابان اذا طلب من احدهما خرج من الاخر فكذلك المنافق
صنع لنفسه طريقان احدهما اظهار الايمان بلسانه والاخر اضمار الكفر بقلبه فمن ايهما طلب خرج من الاخر
وقيل لانه دخل في الايمان من باب وخرج من باب اخر والنفاق اسم اسلامي لم تكن العرب تعرفه
قبل الاسلام وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا المقول له عبد الله بن ابي بن سلول
كان يثبط الناس وقال ما ندري على ما نقتل انفسنا فرجع بمن معه من المنافقين فتبعهم جابر بن
عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري اخو بني سلمة وهو يقول يا قوم اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم عند حضور
عدوكم فذلك قوله تعالى وقيل لهم يعني المنافقين عبد الله بن ابي بن سلول واصحابه تعالوا قاتلوا في
سبيل الله اي لاجل دين الله وطاعته او ادفعوا يعني عن اموالكم واهليكم وقيل معناه تعالوا كثروا
سواد المسلمين ان لم تقاتلوا ليكون ذلك دفعا وقمعا للعدو قالوا يعني المنافقين لو نعلم قتالا
لاتبعناكم يعني لو نعلم ان اليوم يجري فيه قتال لاتبعناكم ولم نرجع ولو علموا لما تبعوهم وقيل معناه
لو نحسن قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يعني المنافقين الى الكفر اي الى الايمان وانما
قال تعالى يومئذ لانهم قبل ذلك لم يظهر منهم ما اظهروه من المعاندة والرجوع عن المسلمين وقولهم لو نعلم
قتالا لاتبعناكم وانما كانوا قبل ذلك يظهرون كلمة الاسلام ويخفون الكفر يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
يعني يظهرون بالسنتهم الايمان وليس هو في قلوبهم انما في قلوبهم الكفر والنفاق وهذه صفة
المنافقين لا صفة المؤمنين لان صفة المؤمن المخلص موافقة القلب للسان على ما هو واجب وهو
التوحيد والله اعلم بما يكتمون يعني من النفاق الذين قالوا لاخوانهم نزلت في عبد الله بن ابي المنافق

Copyright King Saud University

وأصحابه وفي المراد بإخوانهم قولان أحدهما أن المراد بإخوانهم الذين استشهدوا بأحد فيكون إخوانهم
في النسب لا في الدين والقول الثاني أن المراد بإخوانهم المنافقين فعلى القول الأول يكون معنى الآية
الذين قالوا في إخوانهم وعن إخوانهم الذين قتلوا بأحد لو أطاعونا ما قتلوا لأنهم بعد أن قتلوا
لا يخاطبون وعلى القول الثاني يكون معنى الآية الذين قالوا وهم عبد الله بن أبي وأصحابه
لإخوانهم يعني في النفاق وقعدوا يعني عن الجهاد لو أطاعونا يعني هؤلاء الذين خرجوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو أطاعونا في القعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والانصراف عنه ما قتلوا
يوم أحد فقال الله تعالى ردا عليهم بقوله قل يعني قل لهم يا محمد فادرءوا أي فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين
يعني أن الحذر لا يغني من القدر وفي الآية دليل على أن المقتول يموت بأجله خلافا لمن يزعم أن القتل
قطع على المقتول أجله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا قيل نزلت في شهداء بدر وكانوا
أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار وقال أكثر المفسرين إنها نزلت في شهداء أحد
ويدل على ذلك ما روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه إنه لما أصيب
إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل
من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ إخواننا عنا
أننا أحياء في الجنة لئلا يزهدوا في الجنة ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله تعالى أنا أبلغهم عنكم وأنزل
الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون إلى آخر الآيات أخرجه
أبو داود م عن مسروق قال سألنا عبد الله عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فقال أما إنا قد سألنا عن ذلك النبي فقال أرواحهم في أجواف
طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع
إليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيئا قالوا أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا
ففعل بهم ذلك ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لم يتركوا من أن يسألوا قالوا يا رب نريد أن ترد أرواحنا
في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا ذكر ما يتعلق بهذا الحديث
قول مسروق سألنا عبد الله كذا جاء عبد الله غير منسوب وقد نسبه بعض الناس فقال عبد الله بن
عمرو وقد ذكره أبو مسعود الدمشقي والحميدي في مسند عبد الله بن مسعود وهو الصحيح وهذا الحديث
مرفوع لقوله أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث دليل على
أن الجنة مخلوقة الآن خلافا للمعتزلة لقوله صلى الله عليه وسلم تسرح من الجنة حيث شاءت
وهو مذهب أهل السنة وفيه دليل على أن الأرواح باقية لا تفنى بفناء الجسد وأن المحسن
ينعم ويجازى بالثواب وأن المسيء يعذب ويجازى بالعقاب قبل يوم القيامة وهو مذهب أهل
السنة أيضا قوله أرواحهم في جوف طير خضر أي يجعل الله أرواح الشهداء في أجواف طير خضر وهذا
ليس بعجيب ولا مستبعد القول بأن الأرواح أجسام لطيفة وقيل إن المنعم والمعذب من الأرواح والأجساد
جزء من الجسد تبقى فيه الروح وهو الذي يتلذذ بالنعيم ويتألم بالعقاب فغير مستحيل أن يصور
الله تعالى ذلك الجزء طائرا ويجعل في جوف طير فيسرح في الجنة ويأوي إلى تلك القناديل وقد تعلق
بهذا الحديث من يقول بالتناسخ من المبتدعة ويقول بانتقال الأرواح وتنعيمها في الصور الحسان
المرفهة وتعذيبها في الصور القبيحة المسخرة ويزعمون أن هذا هو الثواب والعقاب وهذا ضلال

بين

بين وقول سخيف وبدعة باطلة لما في هذا القول من إبطال ما جاءت به الشرائع من الحشر والنشر
والمعاد والجنة والنار وقدحا في بعضهم ولما في الحديث ما يرد عليهم وهو قوله حتى يرجعه الله إلى
جسده يوم يبعثه يعني يحيي جميع جسده يوم يبعثه وهو يوم القيامة والله أعلم عن جابر قال
لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مهتم فقال ما لي أراك منكسرا قلت يا رسول الله
استشهد أبي يوم أحد وترك عيالا ودينا فقال ألا أبشرك بما لقي الله به أباك قلت بلى قال
ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب وإنه أحيا أباك وكلمه كفاحا وقال يا عبدي تمن علي أعطك
قال يا رب تحييني فأقتل ثانية فقال سبحانه إنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون فنزلت ولا
تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل إن
الآية نزلت في شهداء بئر معونة وهو بئر بين مكة وعسفان وأرض هذيل قال محمد بن إسحاق عن
أشياخه من أهل العلم قالوا قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة وكان سيد بني
عامر بن صعصعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى له هدية فأبى رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن يقبلها وقال إني لا أقبل هدية مشرك ثم عرض عليه الإسلام وأخبره بما له
فيه وما أعد الله للمؤمنين وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد وقال يا محمد إن الذي تدعو إليه
حسن جميل فلو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد يدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أخشى عليهم أهل نجد فقال أبو براء أنا لهم جار فابعثهم
فليدعوا الناس إلى أمرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة في
سبعين رجلا من خيار المسلمين وكان يقال لهم القراء منهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة
ابن أسماء بن الصلت ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وذلك في صفر سنة
أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي أرض بين أرض بني عامر
وحرة بني سليم فلما نزلوها قال بعضهم لبعض أيكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم
أهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان أنا فخرج بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن
الطفيل وكان على ذلك الماء فلما أتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل في كتاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال حرام بن ملحان يا أهل بئر معونة إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم
إليكم وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله فخرج إليه رجل
من كسر البيت برمح فضربه به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة
ثم استصرخ عامر بن الطفيل بني عامر على المسلمين فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه وقالوا
لا نخفر أبا براء فقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل بني سليم عصية ورعلا
وذكوان فأجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم فلما رأوهم أخذوا
السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد فإنهم تركوه وبه رمق فارتث بين
القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ورجل من
الأنصار أحد بني عمرو بن عوف فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر فقالا والله
إن لهذا الطير لشأنا فأقبلا لينظرا فإذا القوم في دمائهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة فقال
الأنصاري لعمرو بن أمية ماذا ترى قال أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره فقال

القوم

الانصاري لكني لا ارغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو فقاتل حتى قتل واخذ عمرو بن امية الضمري
اسيرا فلما اخبرهم انه من مضر اطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رقبة زعم انها كانت
على امه فقدم عمرو بن امية على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا عمل ابي براء قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك ابا براء فشق عليه اخفار عامر
ابن الطفيل اياه وما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره وكان فيهم اصيب
عامر بن فهيرة مولى ابي بكر الصديق فروى محمد بن اسحاق عن هشام بن عروة عن ابيه ان عامر بن
الطفيل كان يقول من الرجل منهم لما قتل رايته رفع بين السما والارض حتى رايت السما من دونه
قالوا عامر بن فهيرة قالوا وبلغ ربيعة بن ابي براء ان عامر بن الطفيل اخفر ذمة ابيه فحمل على عامر
ابن الطفيل فطعنه فخر عن فرسه قلت وذكر ابن الاثير الجزري في كتابه جامع الاصول له في قسم الاسما
في ترجمة عامر بن الطفيل ان عامر بن الطفيل قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن بضع
وثمانين سنة ولم يسلم وعاد من عنده فخرج له خراج في اصل اذنه اخذته منه مثل النار فاشتد
عليه ومات منه ق وعن انس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اقواما من بني سليم الى
بني عامر في سبعين وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خاله اخا لام سليم واسمه
حرام في سبعين راكبا فلما قدموا قال لهم خالي اتقدمكم فان امنوني حتى ابلغهم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم والا كنتم مني قريبا فتقدم فامنوه فبينما هو يحدثهم عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذ اومؤا الى رجل منهم فطعنه فانفذه فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم مالوا
على بقية اصحابه فقتلوهم الا رجلا اعرج صعد الجبل قال همام واراه اخر معه فاخبر جبريل عليه
السلام النبي صلى الله عليه وسلم انهم لقوا ربهم فرضي عنهم وارضاهم قال فكنا نقرا ان بلغوا قومنا
ان قد لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ثم نسخ بعد فدعا عليهم اربعين صباحا على رعل وذكوان وبني
عصية الذين عصوا الله ورسوله وفي رواية ان رعلا وذكوان وبني لحيان استمدوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فامدهم بسبعين رجلا من الانصار كنا نسميهم القرا في زمانهم كانوا يحتطبون
بالنهار ويصلون بالليل حتى اذا كانوا ببير معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه
وسلم فقنت عليهم شهرا يدعو في الصبح على احيا من احيا العرب على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان
قال انس فقرانا فيهم قرانا ثم ان ذلك رفع بلغوا قومنا انا قد لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ولمسلم
قال جا ناس الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ان ابعث معنا رجالا يعلمونا القران والسنة فبعث
اليهم سبعين رجلا من الانصار وذكر نحو ما تقدم وقيل ان اوليا الشهدا لما اصابتهم
نعمة وخير تحسروا على الشهدا وقالوا نحن في النعمة والرخا واباونا واخواننا في القبور فانزل
الله هذه الاية تطييبا لقلوبهم وتنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم فقال تعالى ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله اي ولا تظنن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل احد من
امته والمعنى لا يظن ظان ان الذين قتلوا في سبيل الله امواتا كاموات غيرهم ممن لم يقتل في
سبيل الله بل احيا اي بل هم احيا وظاهر الاية تدل على كون من قتل في سبيل الله حيا فاما ان يكون
المراد انهم سيصيرون احيا في الاخرة او يكون المراد انهم احيا في الحال وعلى تقدير انهم احيا في الحال
هل يكون المراد اثبات الحياة الروحانية او اثبات الحياة الجسمانية فهذه ثلاثة اوجه في معنى

احتمال الحياة فمن قال بالوجه الاول هو انهم سيصيرون احيا في الاخرة قال معنى الاية بل هم احيا في الذكر وانهم
يذكرون بخير اعمالهم وانهم استشهدوا في سبيل الله وقيل هم احيا في الدين وهذا القول ليس بصواب
لان الله اثبت لهم الحياة في الحال بقوله بل احيا في حال ما قتلوا انهم يحيون وهو الاحتمال الثاني واختلفوا
في معنى هذه الحياة هل هي للروح او للجسم والروح معا فمن اثبت الروح الحياة دون الجسم فاستدل على ذلك بقوله
صلى الله عليه وسلم ارواح الشهدا في حواصل طير خضر فخص الارواح دون الاجسام وقال بعض المفسرين
ان ارواح الشهدا تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيامة ومن اثبت الحياة للروح والجسم معا قال
يدل عليه سياق الاية وهو قوله عند ربهم يرزقون فاخبر الله سبحانه وتعالى انهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون
كالاحيا وقيل ان الشهيد لا يبلى في قبره ولا تاكله الارض كغيره وروي انه لما اراد معاوية ان يجري الما على
قبور الشهدا امر من كان له قتيل فليخرجه وليحوله من الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم رطاب الابدان
فاصاب المسحاة اصبع رجل منهم فانبعث دما وذكر البغوي بغير سند عن عبيد بن عمير قال مر رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين انصرف من احد على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرا من المومنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم قال اشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هولا شهدا عند
الله يوم القيامة فاتوهم وزوروهم وسلموا عليهم فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيامة الا ردوا
عليه وقوله تعالى عند ربهم يعني في محل كرامته وفضله يرزقون يعني من ثمار الجنة وتحفها فرحين
بما اتاهم الله من فضله يعني بما اعطاهم من الثواب والكرامة والاحسان والافضال في دار النعيم و
ويستبشرون اي يفرحون والاستبشار هو الفرح والسرور الذي يحصل للانسان عند البشارة
بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم يعني من اخوانهم الذين تركوهم احيا في الدنيا على منهج الايمان والجهاد لعلمهم
بانهم اذا استشهدوا ولحقوا بهم ونالوا من الكرامة مثل ما نالوا فهم بذلك مستبشرون وقيل
ان الشهدا سالوا الله عز وجل ان يخبر اخوانهم بما نالوا من الخير والكرامة ليرغبوا في الجهاد فاخبرهم الله
عز وجل اني قد انزلت على نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم واخبرته بحالكم وما صرتم اليه من الكرامة
وان محمدا صلى الله عليه وسلم قد اخبر اخوانكم بذلك ففرحوا بذلك واستبشروا الا خوف
عليهم يعني في الاخرة ولا هم يحزنون يعني على ما فاتهم من نعيم الدنيا يستبشرون بنعمة من الله وفضل
لما بين الله ان الشهدا يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم فهم ايضا يستبشرون
لانفسهم بما رزقوا من النعيم والفضل فالاستبشار الاول كان لغيرهم والاستبشار
الثاني لانفسهم خاصة وان الله لا يضيع اجر المومنين يعني كما انه تعالى لا يضيع اجر المجاهدين والشهدا
لا يضيع اجر المومنين

فصل في فضل الجهاد والشهادة في سبيل الله ق وعن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيلي وايمان
بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال
من اجر او غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله الا جا يوم القيمة كهيئته حين كلم
لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا ان اشق على المسلمين ما قعدت خلاف
سرية تغزو في سبيل الله ولكن لا اجد سعة فاحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا
عني والذي نفس محمد بيده لوددت اني اغزو في سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل ثم اغزو فاقتل
ثم اغزو ولفظ مسلم ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لغدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا

Copyright © King Saud University

وما فيها ق عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع
سوط احدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها عن فضالة بن عبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على
عمله الا المرابط في سبيل الله فانه ينمى له عمله يوم القيامة ويومن فتنة القبر اخرجه ابو داود والترمذي عن
معاذ بن جبل انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة
ومن سال الله القتل في سبيله صادقا من نفسه ثم مات او قتل كان له اجر شهيد ومن جرح جرحا في سبيل
الله او نكب نكبة فانها تجي يوم القيامة كاغزر ما كانت لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك ومن خرج
به خراج في سبيل الله فان عليه طابع الشهدا اخرجه ابو داود والنساي واخرجه مفرقا في موضعين
ق عن ابي سعيد قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي الناس افضل قال مومن مجاهد بنفسه
وماله في سبيل الله قال ثم من قال رجل في شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية يتقي الله ويدع الناس
من شره خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا واحتسابا
وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات ق عن انس
ابن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما احد يدخل الجنة فيحب ان يرجع الى الدنيا وله ما على
الارض من شي الا الشهيد يتمنى ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وفي رواية لما
يرى من فضل الشهادة م عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغفر للشهيد
كل ذنب الا الدين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما يجد الشهيد من مس القتل
الا كما يجد احدكم من القرصة اخرجه الترمذي والنساي بنحوه عن ابي الدردا قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يشفع الشهيد في سبعين من اهل بيته اخرجه ابو داود قوله عز وجل الذين استجابوا لله
والرسول من بعد ما اصابهم القرح الاية قال اكثر المفسرين ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا عن احد
الروحا ندموا على انصرافهم وتلاوموا فقالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب اردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا
الشريد تركتموهم ارجعوا فاستاصلوهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهب العدو
ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من
الم الجراح والقرح الذي اصابهم يوم احد ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يخرجن معنا احد
الا من حضر يومنا بالامس فكلمه جابر بن عبد الله قال يا رسول الله ان ابي كان خلفني على اخوات لي سبع وقال لي
يا بني انه لا ينبغي لي ولك ان نترك هولا النسوة ولا رجل فيهن ولست بالذي اوثرك على بالجهاد مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتخلف على اخواتك فتخلفت عليهن فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه
وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم انه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة وان الذي
اصابهم لم يوهنهم فينصرفوا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير
وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن مسعود وحذيفة بن اليمان
في سبعين رجلا من اصحابه حتى بلغوا حمرا الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال ق عن عايشة في قوله الذين
استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم قالت لعروة يا ابن اختي
كان ابواك منهم الزبير وابو بكر لما اصاب نبي الله صلى الله عليه وسلم ما اصاب يوم احد انصرف المشركون خاف
ان يرجعوا فقال من يذهب في اثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا كان فيهم ابو بكر والزبير قالوا فمر برسول الله
صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعي بحمرا الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم

بتهامة

بتهامة معه صفقتهم معه لا يخفون عنه شيا كان بها ومعبد يوميذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا
ما اصابك في اصحابك ولوددنا ان الله كان قد اعفاك فيهم ثم خرج معبد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى لقي ابا سفيان ومن معه بالروحا وقد اجمعوا على الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد اصبنا جل
اصحابنا وقادتهم لنكرن على بقيتهم ولنفرغن منهم فلما راى ابو سفيان معبدا قال له ما وراك يا معبد
قال محمد قد خرج في اصحابه يطلبكم في جمع لم ار مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا وقد اجتمع معه من كان تخلف
عنه في يومكم وندموا على صنيعهم وبهم من الحنق عليكم شي لم ار مثله قط قال ابو سفيان ويلك ما تقول قال
والله ما اراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد اجمعنا الكرة عليهم لنستاصل بقيتهم فقال والله
اني انهاك عن ذلك لقد حملني ما رايت على ان قلت ابياتا قال وما قلت قال قلت

كادت تهد من الاصوات راحلتي • اذ سالت الارض بالجرد الابابيل
تردي باسد كرام لا تنابلة • عند اللقا ولا ميل معازيل
فقلت ويل ابن حرب من لقايكم • اذا تغطمطت البطحا بالجيل
اني نذير لاهل السيل ضاحية • لكل ذي اربة منهم ومعقول
من جيش احمد لا وخش تنابلة • وليس يوصف ما انذرت بالقيل

قالوا فثنى ذلك ابا سفيان ومن معه ومر ركب من عبد القيس فقال اين تريدون قالوا نريد المدينة
لاجل الميرة قال فهل انتم مبلغون عنا محمدا رسالة واحمل لكم زبيبا بعكاظ اذا وافيتموها قالوا نعم قال
اذا وافيتموه فاخبروه انا قد اجمعنا المسير اليه والى اصحابه لنستاصل بقيتهم وانصرف ابو سفيان الى
مكة ومر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمرا الاسد فاخبروه بالذي قال ابو سفيان فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا
الى المدينة بعد ثالثة وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه الاية في غزوة بدر الصغرى وذلك ان ابا
سفيان يوم احد حين اراد ان ينصرف قال يا محمد موعد ما بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل
ان شيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا وبينك ان شا الله فلما كان من العام المقبل خرج
ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية مر الظهران ثم القى الله الرعب في قلبه فبدا له الرجوع فلقي
نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال له ابو سفيان يا نعيم اني قد واعدت محمدا واصحابه ان نلتقي
بموسم بدر الصغرى وهذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب اللبن وقد بدا لي ان لا
اخرج اليها واكره ان يخرج محمد ولا اخرج انا فيزيدهم ذلك جراة فلان يكون الخلف من قبلهم احب
الي من ان يكون من قبلي فالحق بالمدينة فثبطهم واعلمهم انا في جمع كثير لا طاقة لهم بنا ولك عندي عشرة
من الابل اضعها لك على يد سهيل بن عمرو ويضمنها لك قال وجا سهيل فقال له نعيم يا ابا يزيد تضمن
لي هذه القلايص وانطلق الى محمد واثبطه قال نعم فخرج نعيم حتى اتى المدينة فوجد الناس يتجهزون
لميعاد ابي سفيان فقال نعيم اين تريدون قالوا واعدنا ابا سفيان ان نلتقي بموسم بدر الصغرى
فقال نعيم بيس الراي رايتم اتوكم في داركم وقراركم فلم يفلت منكم الا الشريد افتريدون ان تخرجوا
اليهم وقد جمعوا لكم عند الموسم والله لا يفلت منكم احد فكره اصحاب رسول الله الخروج فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والله لاخرجن اليهم ولو وحدي فاما الجبان فانه رجع واما الشجاع فانه تاهب للقتال
وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه حتى وافوا بدر الصغرى فجعلوا

Copyright © King Saud University

يلقون المشركين فيسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يريدون بذلك أن يرعبوا المسلمين فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى بلغوا بدر الصغرى وكانت سوق لهم في الجاهلية يجتمعون إليها كل عام ثمانية أيام فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ينتظر أبا سفيان وقد انصرف أبو سفيان من مجنة إلى مكة فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من المشركين ووافوا السوق وكانت معهم تجارات ونفقات فباعوا فأصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين فذلك قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول أي أجابوا الله وأطاعوه في جميع أوامره وأطاعوا الرسول أيضا من بعد ما أصابهم القرح يعني من بعد ما نالهم من ألم الجراح للذين أحسنوا منهم واتقوا يعني أحسنوا بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجابوه في الغزو واتقوا معصيته والتخلف عنه أجر عظيم يعني لهم ثواب جزيل وهو الجنة قوله عز وجل الذين قال لهم الناس هذه الآية متعلقة بالآية التي قبلها لأن المراد بالذين من تقدم ذكره وهم الذين استجابوا لله والرسول وفي المراد بالناس وجوه أحدها أبو نعيم بن مسعود الأشجعي فيكون اللفظ عاما أريد به الخاص وإنما جاز إطلاق لفظ الناس على الإنسان الواحد لأن ذلك الواحد إذا فعل فعلا أو قال قولا ورضي به غيره حسن إضافة ذلك الفعل والقول إلى الجماعة وإن كان الفاعل واحدا فهو كقوله تعالى وإذ قتلتم نفسا والقاتل واحد الوجه الثاني أن المراد بالناس الركب من عبد القيس قاله ابن عباس ومحمد بن إسحاق الوجه الثالث أن المراد بالناس المنافقين وذلك أنهم لما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم يتجهز لميعاد أبي سفيان نهوا أصحابه عن الخروج معه وقالوا لهم إن القوم قد أتوكم في دياركم فقتلوا الأكثر منكم فإن خرجتم إليهم لم يبق أحد منكم إن الناس يعني أبا سفيان وأصحابه من رؤساء المشركين قد جمعوا لكم يعني الجموع الكثيرة لأن العرب تسمي الجيش جمعا ويجمعونه جموعا فاخشوهم أي فخافوهم واحذروهم فإنه لا طاقة لكم بهم فزادهم إيمانا يعني فزاد المسلمين ذلك التخويف تصديقا ويقينا وقوة في دينهم وثبوتا على نصرة نبيهم صلى الله عليه وسلم وفي هذه الآية دليل لمن يقول بزيادة الإيمان ونقصانه لأن الله تعالى نص على وقوع الزيادة في الإيمان وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل أي كافينا الله هو الذي يكفينا أمرهم فهو كقول امرئ القيس * وحسبك من غنى شبع وري * أي يكفيك الشبع والري ونعم الوكيل يعني نعم الموكول إليه في الأمور كلها وقيل الوكيل هو الكافي والمعنى يكفينا الله ونعم الكافي هو وقيل الوكيل هو الكفيل ووكيل الرجل في ماله هو الذي كفله وقام به والكفيل في صفة الله هو الكفيل بأرزاق العباد ومصالحهم وإنما الكفيل يستقل بأمورهم كلها خ عن ابن عباس في قوله تعالى إن الناس قد جمعوا لكم إلى قوله وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم قوله تعالى فانقلبوا أي فانصرفوا ورجعوا بعد خروجهم والمعنى وخرجوا فانقلبوا فحذف الخروج لأن الانقلاب يدل عليه بنعمة من الله أي بعافية لم يلقوا عدوا وفضل أي تجارة وربح وهو ما أصابوا في سوق بدر من الربح وقيل النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الآخرة لم يمسسهم سوء أي لم يصبهم أذى ولا مكروه من قتل وجراح واتبعوا رضوان الله يعني في طاعة الله وطاعة رسوله وقيل إنهم قالوا هل يكون هذا غزوا فأعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم بخروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ذو فضل عظيم يعني أنه تعالى تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وقيل تفضل عليهم بإلقاء الرعب في قلوب المشركين حتى رجعوا قوله عز وجل إنما ذلكم الشيطان يعني إنما ذلكم المخوف والمثبط هو الشيطان يخوف بالوسوسة بأن ألقى ذلك في أفواههم ليرهبوا المؤمنين ويخوفوهم ويجبنوهم وقوله يخوف أولياءه يعني الشيطان يخوفكم

يا معشر

يا معشر المؤمنين بأوليائه وقيل معناه يعظم أولياءه في صدوركم لتخافوهم وقيل معناه يخوف أولياءه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين وأولياء الشيطان هم الكفار والمنافقون الذين يطيعونه ويؤثرون أمره وأولياء الله هم المؤمنون الذين لا يخافون الشيطان إذا خوفهم ولا يطيعونه إذا أمرهم فلا تخافوهم يعني فلا تخافوا أولياء الشيطان ولا تقعدوا عن قتالهم ولا تجبنوا عنهم وخافون أي فجاهدوا في سبيلي مع رسولي فإني وليكم وناصركم إن كنتم مؤمنين أي مصدقين بوعدي إني متكفل لكم بالنصر والظفر قوله تعالى ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر قيل هم كفار قريش وقيل هم المنافقون ورؤساء اليهود وقيل هم قوم ارتدوا عن الإسلام والمعنى ولا يحزنك يا محمد من يسارع في الكفر ويجمع الجموع لمحاربتك فإن هذا المقصود لا يحصل لهم وقيل مسارعتهم في الكفر مظاهرتهم الكفار على النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى يسارعون في نصرة الكفر فلا يحزنك فعلهم فإنك منصور عليهم إنهم لن يضروا الله شيئا يعني بمسارعتهم في الكفر إنما يضرون أنفسهم بذلك وقيل معناه لن يضروا أولياء الله شيئا يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة يعني لا يجعل لهم نصيبا في ثواب الآخرة فلذلك خذلهم حتى سارعوا في الكفر وفي الآية دليل على أن الخير والشر بإرادة الله تعالى وفيه رد على القدرية والمعتزلة ولهم عذاب عظيم يعني في الآخرة إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان يعني المنافقين آمنوا ثم كفروا والمعنى أنهم استبدلوا الكفر بالإيمان فكأنهم أعطوا الإيمان وأخذوا الكفر كما يفعل المشتري من إعطاء شيء وأخذ غيره بدلا عنه لن يضروا الله شيئا يعني باستبدالهم الكفر بالإيمان وإنما ضروا أنفسهم بذلك ولهم عذاب أليم يعني في الآخرة قوله عز وجل ولا يحسبن الذين كفروا قرئ تحسبن بالياء والتاء فمن قرأ بالتاء فمعناه ولا تحسبن يا محمد أنما نملي للكفار خيرا لأنفسهم ومن قرأ بالياء فمعناه ولا يحسبن الكفار إملاءنا لهم خيرا نزلت في مشركي مكة وقيل نزلت في بني قريظة والنضير أنما نملي لهم الإملاء الإمهال والتأخير وأصله من الملاوة وهي المدة من الزمان والمعنى لا يظنن الذين كفروا أن إمهالنا إياهم بطول العمر والإنساء في الأجل خير لأنفسهم ثم قال تعالى إنما نملي لهم ليزدادوا إثما يعني إنما نمهلهم ونؤخر في آجالهم ولهم عذاب مهين يعني في الآخرة روى البغوي بسنده عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه أن رجلا قال يا رسول الله أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قيل فأي الناس شر قال من طال عمره وساء عمله وروى ابن جرير الطبري عن الأسود قال قال عبد الله ما من نفس برة ولا فاجرة إلا والموت خير لها وقرأ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما وقرأ نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار قال ابن الأنباري قال جماعة من أهل العلم نزلت هذه الآية في قوم يعاندون الحق سبق في علمه أنهم لا يؤمنون فقال إنما نملي لهم ليزدادوا إثما بمعاندتهم الحق وخلافهم الرسول صلى الله عليه وسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيت الله يعطي على المعاصي فإن ذلك استدراج من الله لخلقه ثم تلا هذه الآية وقال الزجاج هؤلاء قوم أعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم أنهم لا يؤمنون أبدا وأن بقاءهم يزيدهم كفرا وهذه الآية حجة ظاهرة على القدرية حيث أخبر الله تعالى أنه يطيل أعمار قوم ويمهلهم ليزدادوا كفرا وإثما وبغيا قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية فقال الكلبي قالت قريش يا محمد تزعم أن من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان وأن من أطاعك وتبعك على دينك فهو في الجنة والله عليه راض فأخبرنا بمن يؤمن بك ومن لا يؤمن بك فأنزل الله هذه الآية وقال السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت علي أمتي في صورها في الطين كما عرضت على آدم وأعلمت من يؤمن بي ومن يكفر بي فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد أنه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله وأثنى عليه

في الكفر

في الآخرة

ثم قال ما بال اقوام طعنوا في علمي لا تسالوني عن شي فيما بينكم وبين الساعة الا انباتكم به فقام عبد الله بن حذافة
السهمي فقال من ابي يا رسول الله قال حذافة فقام عمر فقال يا رسول الله رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقران اماما
وبك نبيا فاعف عنا عفا الله عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهل انتم منتهون فهل انتم منتهون ثم نزل عن
المنبر فانزل الله هذه الاية وقيل ان المومنين سالوا ان يعطوا اية يفرقون بها بين المومن والمنافق فنزلت
هذه الاية وقيل ان قوما من المنافقين ادعوا ان ايمانهم كايمان المومنين فاظهر الله نفاقهم يوم احد وانزل هذه
الاية واختلفوا في معنى الاية وحكمها فقال ابن عباس واكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين
والمعنى ما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه يا معشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق حتى
يميز الخبيث من الطيب وقيل الخطاب للمومنين والمعنى ما كان الله ليذركم يا معشر المومنين على ما انتم
عليه من اختلاط المومن بالمنافق والتباس بعضهم ببعض حتى يميز الخبيث من الطيب يعني المنافق من
المومن الخالص فميز الله المومنين من المنافقين يوم احد فاظهر المنافقون النفاق وتخلفوا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل انما حصل التمييز يوم احد بالقاء الجميع في الخوف والقتل والهزيمة فمن
كان مومنا ثبت على ايمانه وتصديقه ولم يتزلزل ومن كان منافقا فانه اظهر نفاقه وكفره وقيل في معنى
الاية حتى يميز المومن من المنافق والكافر بالجهاد والهجرة وقيل في معنى الاية ما كان الله ليذر المومنين
في اصلاب الرجال المشركين وارحام النسا المشركات والمعنى ما كان الله ليدع اولادكم الذين جرى لهم
الحكم بالايمان على ما انتم عليه من الشرك حتى يميز الخبيث من الطيب يعني يفرق بينكم وبين من في اصلابكم
وارحام نسائكم من المومنين فيحكم لاهل الايمان بالجنة ولاهل الشرك والكفر والنفاق بالنار وما كان
الله ليطلعكم على الغيب الخطاب في قوله ليطلعكم لكفار قريش الذين قالوا يا محمد اخبرنا عمن يومن بك ومن لا يومن
والمعنى وما كان الله ليبين لكم ايها الكفار المومن من الكافر فيقول فلان مومن وفلان كافر او منافق
لانه لا يعلم الغيب احد غيره وان سنة الله جارية بانه لا يطلع على غيبه احدا من الناس فلا سبيل الى معرفة
المومن من الكافر والمنافق الا بالامتحان بالافات والمصايب فيتميز المومن المخلص بثباته على ايمانه
ويتزلزل المنافق عند المحن والبلايا وقيل في معنى الاية وما كان الله ليطلع محمدا على الغيب فيخبركم بالمومن
من الكافر ولكن الله يجتبي من رسله من يشا يعني ولكن الله يصطفي ويختار من رسله من يشا فيطلعه على
ما يشا من غيبه فامنوا بالله ورسله يعني انه لما قامت الدلايل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يبق
الا الايمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وانما قال ورسله على الجمع ولم يقل ورسوله على التوحيد
لقوله والله يجتبي من رسله من يشا ولانه اذا اقر بجميع الرسل كان مقرا باحدهم وهذه صفة المومنين
لانهم امنوا بجميع الرسل وان تومنوا وتتقوا يعني وان تصدقوا من اجتبيته برسالتي واطلعته على ما اشا
من غيبي واعلمته بالمنافق منكم والمومن المخلص وتتقوا ربكم فيما امركم به ونهاكم عنه فلكم اجر عظيم يعني
فلكم بايمانكم واتقائكم ثواب جزيل وهو الجنة قوله عز وجل ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله
هو خيرا لهم يعني ولا يحسبن الذين يبخلون البخل خيرا لهم بل هو يعني البخل شر لهم والبخل هو امساك
المقتنيات عما لا يسوغ حبسه عنه والبخيل هو الذي يكثر منه البخل والاية دالة على ذم البخل عن عبد
الله بن عمر قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح امرهم
بالبخل فبخلوا وامرهم بالفجور ففجروا اخرجه ابو داود وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم خصلتان لا يجتمعان في مومن البخل وسوء الخلق اخرجه الترمذي وقال حديث غريب واختلف

العلما

العلما فيمن نزلت هذه الاية فقال عبد الله بن مسعود وابو هريرة وابن عباس في رواية ابي صالح
عنه والشعبي ومجاهد نزلت هذه الاية في الذين يبخلون ان يودوا زكاة اموالهم ووجه هذا القول
ان اكثر العلما ذهبوا الى ان البخل عبارة عن منع الواجب وان من منع التطوع لا يكون بخيلا ويدل عليه
الوعيد الشديد في سياق الاية وهو قوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به وهذا لا يكون الا في ترك
الواجب لا في التطوع وقال ابن عباس في رواية عطية عنه وابن جريج عن مجاهد انها نزلت في احبار
اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وهذا القول هو اختيار الزجاج ووجه
هذا القول ان البخل عبارة عن منع الخير والنفع ويدخل فيه العلم كما يقال فلان يبخل بعلمه وصحح الطبري
القول الاول واختاره وقوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة اي سيلزمون ما بخلوا به الزام الطوق فان
حملنا معنى الاية على الزكاة والبخل بها فقال ابن مسعود وابن عباس يجعل ما منعه من الزكاة
حية تطوق في عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه الى قدمه ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا فلم يود زكاته مثل له يوم القيامة
شجاع اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم ياخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك
ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله الاية اخرجه البخاري قوله له زبيبتان قيل هما النكتتان
السوداوان فوق عيني الحية وقيل هما نقطتان تكتنفان فاها وقيل هما زبيبتان في شدقيها وقد
جا في الحديث تفسير لهزمتيه بانهما شدقيه وقيل انهما مضيغتان في اصل الحنك وقيل هما عند
منحى اللحيين اسفل من الاذنين وكله متقارب ق عن ابي ذر قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه
وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما راني قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجيت حتى جلست
فلم اتقار ان قمت فقلت يا رسول الله فداك ابي وامي من هم قال هم الاكثرون اموالا الا من قال هكذا
وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا
بقر ولا غنم لا يودي زكاتها الا جات يوم القيامة اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطوه
باظلافها كلما نفدت اخراها عادت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس لفظ مسلم ووافقه البخاري
بمعناه في موضعين وقيل في معنى الاية انه يجعل في اعناقهم اطواق من نار وقيل يكلفون يوم
القيامة ان ياتوا بما بخلوا به من اموالهم في الدنيا وان حملنا تفسير البخل على البخل بالعلم وكتمانه
فقال ابن عباس في قوله سيطوقون ما بخلوا به اي يحملون وزره واثمه فيكون على طريق التمثيل
كما يقال قلدتك هذا الامر وجعلته في عنقك وقيل يجعل في رقابهم طوقا من نار ويدل عليه
ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيل علما يعلمه فكتمه الجم
بلجام من نار اخرجه الترمذي وفي رواية ابي داود من سيل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم
القيامة وقيل في معنى الحديث انهم لما سالوا عن العلم فكتموه ولم ينطقوا به بالسنتهم ولم يخرجوه من
افواههم عوضوا عن ذلك بلجام من نار في افواههم عقوبة لهم والله اعلم وقوله تعالى ولله ميراث السموات
والارض يعني انه سبحانه وتعالى الباقي الدايم بعد فنا خلقه وزوال املاكهم فيموتون ويبقى
املاكهم فيرثها سبحانه والمقصود من الاية انه يبطل ملك جميع المالكين ويبقى الملك لله تعالى
وقيل في معنى الاية وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وعلم وغير ذلك فما لهولاء البخلاء يبخلون
عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله والله بما تعملون خبير قرئ يعملون بالياء على الغيبة على طريقة

Copyright © King Saud University

الالتفات وهي ابلغ في الوعيد والمعنى والله بما تعملون يعني البخلاء من منعهم الحقوق خبير فيجازيهم
عليها وقرئ بالتاء على خطاب الحاضرين قوله عز وجل لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء
قال الحسن وقتادة لما نزلت هذه الاية من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله
فقير يستقرض منا ونحن اغنيا وذكر الحسن ان القائل لهذه المقالة هو حيي بن اخطب وقال عكرمة
والسدي ومقاتل ومحمد بن اسحاق كتب النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر الصديق الى يهود بني
قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا
فدخل ابو بكر ذات يوم بيت مدارسهم فوجد ناسا كثيرا قد اجتمعوا على فنحاص بن عازوراء وكان
من علمائهم ومعه حبر اخر يقال له اشيع فقال ابو بكر لفنحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة فامن
وصدق واقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فنحاص يا ابا بكر تزعم
ان ربنا يستقرض اموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغني فان كان ما تقول حقا فان الله فقير
ونحن اغنيا فغضب ابو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال والذي نفسي بيده لولا العهد
الذي بيننا وبينكم لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما حملك على
ما صنعت فقال يا رسول الله ان هذا عدو الله قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وانهم اغنيا فغضبت
لله وضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص فانزل الله تصديقا لابي بكر وتكذيبا لفنحاص وردا عليه
لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا وهذه المقالة وان كانت صدرت من
واحد من اليهود لكنهم رضوا بمقالته هذه فنسبت الى جميعهم ولا يخلو ان يكونوا قالوا هذه المقالة
عن اعتقاد لذلك القول او قالوا استهزاء وايهما كان فهذه المقالة عظيمة القبح لا تصدر عن عاقل
وانما صدرت عن كافر متمرد في كفره وضلاله سنكتب ما قالوا يعني قولهم ان الله فقير ونحن اغنيا
لان ذلك كذب وافتراء والمعنى سنحفظ عليهم ما قالوا وقيل سنثبت ذلك القول في صحائف
اعمالهم التي تكتبها الحفظة عليهم حتى يقرؤوها يوم القيامة فهو وعيد وتهديد لهم وقتلهم
الانبياء بغير حق قيل معناه سنكتب ما قال هؤلاء اليهود ونكتب ما فعله اسلافهم فيجازي كل
الفريقين بما هو اهله وانما نسب قتل الانبياء الى اليهود الذي كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
وانما فعله اسلافهم واوائلهم لانهم رضوا بفعلهم فنسب اليهم وقيل في معنى الاية سنكتب على
هؤلاء ما قالوا بانفسهم ونكتب عليهم ايضا رضاهم بقتل ابائهم الانبياء والغاية في ضم قتلهم الانبياء
اليها وصفهم لله تعالى بالفقر اعلاما بذلك انهما اخوان في العظم وان هذا القول منهم ليس باول
ما ارتكبوه من العظائم وانهم اصلاء في الكفر والجهل والضلال ولهم في ذلك سوابق وان من قتل الانبيا
لا يبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول العظيم الفحش القبيح ونقول يعني لهؤلاء الذين قالوا
هذه المقالة ذوقوا عذاب الحريق اي ننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق كما
اذقتم المسلمين الغصص في الدنيا ذلك اي ذلك العذاب الحريق بفعلكم حيث وصفتم الله بالفقر
واقدمتم على قتل الانبيا بما قدمت ايديكم انما ذكر الايدي على سبيل المجاز لان الفاعل هو الانسان
لا اليد الا ان اليد لما كانت الة الفعل حسن اسناد الفعل اليها ولان اكثر الاعمال تكون باليد

نجعل كل عمل كانه واقع باليدي على سبيل التغليب وان الله ليس بظلام للعبيد فيعذب بغير ذنب بل هو سبحانه
وتعالى عادل ومن العدل ان يعاقب المسيء ويثيب المحسن قوله عز وجل الذين قالوا ان الله عهد الينا
قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا وزيد بن التابوت وفنحاص
ابن عازوراء وحيي بن اخطب من اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد تزعم ان الله
بعثك الينا رسولا وانزل عليك كتابا وان الله عهد الينا في التوراة ان لا نؤمن لرسول يزعم
انه جاء من عند الله حتى ياتينا بقربان تاكله النار فان جئتنا به صدقناك فانزل الله تعالى
الذين قالوا يعني فقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد الينا يعني امرنا واوصانا في كتبه
الا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار يعني فيكون ذلك دليلا على صدقه وذكر الواحدي عن
السدي انه قال ان الله تعالى امر بني اسرائيل في التوراة من جاءكم يزعم انه رسول فلا تصدقوه
حتى ياتيكم بقربان تاكله النار حتى ياتيكم المسيح ومحمد فاذا اتاكم فامنوا بهما فانهما ياتيان بغير
قربان نقله الواحدي عنه قال وكانت هذه العادة باقية فيهم الى ان مبعث المسيح عليه السلام
ثم ارتفعت وزالت وقيل ان ادعاء هذا الشرط كذب على التوراة وهو من كذب اليهود وتحريفهم
ويدل على ذلك ان المقصود في الدلالة على صدق النبي هو ظهور المعجزة الخارقة للعادة فاي
معجزة اتى بها النبي قبلت منه وكانت دليلا على صدقه وقد اتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمعجزات
الباهرات الدالة على صدقه فوجب على كافة الخلق اتباعه وتصديقه والقربان كل ما
يتقرب به العبد الى الله عز وجل من اعمال البر من نسك وصدقة وذبح وكل عمل صالح ويدل
على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة والصلاة قربان يعني مما يتقرب بها الى الله عز
وجل وكانت القرابين والغنايم لا تحل لبني اسرائيل وكانوا اذا قربوا قربانا او غنموا غنيمة
جمعوا ذلك وجاءت نار بيضاء من السماء لا دخان لها ولها دوي وحفيف فتاكل ذلك القربان او الغنيمة
وتحرقه ويكون ذلك دليلا وعلامة على القبول واذا لم يقبل بقي على حاله ولم تنزل النار وقال عطا
كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فياخذون الثروب واطايب اللحم فيضعونها في وسط بيت والسقف
مكشوف فيقوم نبيهم عليه السلام في البيت ويناجي ربه عز وجل وبنو اسرائيل خارجون حول البيت فتنزل
نار بيضاء لها دوي وحفيف ولا دخان لها فتاكل ذلك القربان ثم قال عز وجل مجيبا عن هذه الشبهة التي
ذكرها هؤلاء اليهود واقامة الحجة عليهم قل يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود قد جاءكم يعني يا معشر اليهود رسل
من قبلي يعني مثل زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام بالبينات يعني بالدلالات الواضحات الدالة على صدقهم
وبالذي قلتم يعني ما طلبوا من القربان فلم قتلتموهم يعني فلم قتلتم الانبيا الذين اتوا بما طلبتم منهم مثل
زكريا ويحيى وسائر من قتلوا من الانبيا واراد بذلك فعل اسلافهم وانما خاطب بذلك اليهود الذين كانوا
في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا راضين بفعل اسلافهم ان كنتم صادقين يعني في دعواكم ومعنى
تكذيبهم اياك يا محمد مع علمهم بصدقك كقتل ابائهم الانبيا مع اتيانهم بالقربان ثم قال تعالى مسليا
لنبيه صلى الله عليه وسلم فان كذبوك يعني هؤلاء اليهود فقد كذب رسل من قبلك يعني مثل نوح وهود وابراهيم ع
وصالح وغيرهم من الرسل جاءوا بالبينات يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات والزبر اي
الكتب واحدها زبور وكل كتاب فيه حكمة زبور واصله من الزبر وهو الزجر وسمي الكتاب الذي فيه
الحكمة زبورا لانه يزبر اي يزجر عن الباطل ويدعو الى الحق والكتاب المنير اي الواضح المعنى وانما عطف

Copyright © King Saud University

الكتاب المنير على الزبر لشرفه وفضله وقيل الزبر الصحف وبالكتاب المنير التوراة والانجيل قوله عز
وجل كل نفس ذائقة الموت اى ان كل نفس مخلوقة ذائقة الموت ولا بد لها منه قيل لما نزل قل يتوفاكم ملك
الموت قالوا يا رسول الله انما نزل في بني ادم فاين ذكر الموت للجن والانعام والوحوش والطير فنزلت هذه
الاية وقيل لما خلق الله ادم اشتكت الارض الى ربها عز وجل مما اخذ منها فوعدها ان يرد فيها ما اخذ منها
فما احد يموت الا ويدفن في التربة التي خلق منها **فان قلت** الحور والولدان نفوس
مخلوقة في الجنة لا تذوق الموت فما حكم لفظ كل في قوله كل نفس ذائقة الموت **قلت**
لفظة كل لا تقتضي الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى واوتيت من كل شي ولم توت ملك سليمان فتكون
الاية من العام المخصوص ويحتمل ان يكون المراد بهم المكلفين بدليل سياق الاية وهو قوله وانما توفون اجوركم
يوم القيمة يعني توفون جزا اعمالكم يوم القيمة ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر فمن زحزح عن النار وادخل
الجنة فقد فاز يعني فمن نجا وابعد عن النار وادخل الجنة فقد ظفر بالنجاة ونجي من الخوف وما الحياة
الدنيا الا متاع الغرور يعني ان العيش في هذه الدار الفانية يغر الانسان بما يمنيه من طول البقا وسينقطع
عن قريب فوصف بانها متاع الغرور لانها تغر ببذل المحبوب وتخيل للانسان انه يدوم وليس بدايم
والمتاع كل ما استمتع به الانسان من مال وغيره وقيل المتاع كالفاس والقدر والقصعة ونحوهم والغرور
ما يغر الانسان مما لا يدوم وقيل الغرور الباطل ومعنى الاية ان منفعة الانسان بالدنيا كمنفعته بهذه
الاشيا التي يستمتع بها ثم تزول عن قريب وقيل متاع متروك يوشك ان يضمحل ويزول فخذوا من هذا
المتاع واعملوا فيه بطاعة الله ما استطعتم قال سعيد بن جبير هي متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب
الاخرة فاما من اشتغل بطلب الاخرة فهي له متاع وبلاغ الى ما هو خير منها ق عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقروا ان شيتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين زاد الترمذي
وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقروا ان شيتم وظل ممدود وموضع سوط احدكم في الجنة
خير من الدنيا وما فيها واقروا ان شيتم فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا
متاع الغرور قوله عز وجل لتبلون اللام لام القسم تقديره والله لتبلون اي لتختبرن فتوقع عليكم
المحن ليعلم المومن من غيره والاختبار طلب المعرفة ليعرف الجيد من الردي وذلك في وصف الله تعالى محال
لان الله تعالى عالم بحقايق الاشيا كلها قبل ان يخلقها فعلى هذا يكون معنى الاختبار في وصف
الله تعالى انه يعامل العبد معاملة المختبر في اموالكم يعني بالابتلا في الاموال بالنقصان منها وقيل
باداما فرض فيها من الحقوق وانفسكم يعني بالمصايب والامراض والقتل وفقد الاقارب والعشاير
خوطب بهذه الاية المسلمون ليوطنوا انفسهم على احتمال الاذى وما سيلقون من الشدايد والمحن
ليصبروا على ذلك حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون بالصبر لها لا يرهقهم ما يرهق غيرهم ممن تصيبه
الشدة بغتة فينكرها ويشمئز منها ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا
قال عكرمة نزلت في ابي بكر الصديق وفنحاص بن عازورا وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا بكر
الى فنحاص سيدهم يستمده وكتب اليه معه كتابا وقال لابي بكر لا تفتات علي بشي حتى ترجع فجا
ابو بكر وهو متوشح بالسيف الى فنحاص واعطاه الكتاب فلما قراه قال فنحاص قد احتاج ربكم الى ان نمده
فهم ابو بكر ان يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفتات علي بشي حتى ترجع فنزلت الاية

وقال

وقال الزهري نزلت هذه الاية في النبي صلى الله عليه وسلم وكعب بن الاشرف اليهودي وذلك انه كان يهجو
النبي صلى الله عليه وسلم ويسب المسلمين ويحرض المشركين على قتالهم في شعره ق عن جابر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الاشرف فانه قد اذى الله ورسوله قال محمد بن مسلمة اتحب ان اقتله
قال نعم قال ايذن لي فلاقل قال قل فاتاه فقال له وذكر ما بينهم وقال ان هذا الرجل قد اراد الصدقة
وقد عنانا فلما سمعه قال وايضا والله لتملنه قال انا قد اتبعناه ونكره الان ان ندعه حتى
ننظر الى اي شي يصير امره قال وقد اردت ان تسلفني سلفا قال فما ترهنني ترهنني
نساكم قال انت اجمل العرب انرهنك نسانا قال له ترهنوني اولادكم قال يسب ابن احدنا فيقال
رهن في وسقين من تمر ولكن نرهنك اللامة يعني السلاح قال نعم وواعدهم ان ياتيهم بالحارث
وابي عبس بن جبر وعباد بن بشر قال فجاوا فدعوه ليلا فنزل اليهم قالت له امراته اني لاسمع
صوتا كانه صوت دم قال انما هو محمد ورضيعي ابو نايلة ان الكريم لو دعي الى طعنة ليلا لاجاب
قال محمد اني اذا جا فسوف امد يدي الى راسه فاذا استمكنت منه فدونكم قال فلما نزل نزل
وهو متوشح فقالوا نجد منك ريح الطيب قال نعم تحتي فلانة اعطر نسا العرب قال فتاذن لي ان اشم
قال نعم فشم فتناول فشم ثم قال اتاذن لي ان اعود قال فاستمكن من راسه ثم قال دونكم فقتلوه
زاد في رواية ثم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه وزاد اصحاب السير والمغازي فاختلف
عليه اسيافهم فلم تغن شيا قال محمد بن مسلمة فذكرت معولا في سيفي فاخذته وقد صاح عدو الله
صيحة لم يبق حولنا حصن الا وقدت عليه نار قال فوضعته في ثنته ثم تحاملت عليه حتى
بلغت عانته ووقع عدو الله وقد اصيب الحارث بن اوس بجرح في راسه اصابه بعض اسيافنا
فخرجنا وقد ابطا علينا صاحبنا الحارث ونزفه الدم فوقفنا له ساعة حتى اتانا يتبع اثارنا
فحملناه وجينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم اخر الليل وهو قايم يصلي فسلمنا عليه فخرج
الينا فاخبرناه بقتل كعب بن الاشرف وجينا براسه اليه وتفل على جرح صاحبنا فرجعنا الى اهلنا
فاصبحنا وقد خافت اليهود وقعتنا بعدو الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم
به من رجال اليهود فاقتلوه وانزل الله عز وجل في شان كعب بن الاشرف اليهودي لتبلون
في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى ومن الذين اشركوا
يعني مشركي العرب اذى كثيرا يعني بالاذى قول اليهود ان الله فقير ونحن اغنيا وما اشبه ذلك من
افترايهم وكذبهم على الله ورسوله وما كان كعب بن الاشرف يهجو النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين
رسول الله
فهذا هو الاذى الكثير وان تصبروا وتتقوا عن احتمال الاذى والمكروه الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين
يعني ولن تصبروا على اذاهم وتتقوا فيما امركم به ونهاكم عنه لان الصبر عبارة عن احتمال الاذى والمكروه
والتقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغي فان ذلك من عزم الامور اي من صواب التدبير الذي لا شك انه
الرشد فيه ولا ينبغي لعاقل تركه واصله من قولك عزمت عليك ان تفعل كذا اي الزمتك ان تفعله
لا محالة ولا تتركه وقيل معناه فان ذلك مما قد عزم عليكم فعله اي الزمتم الاخذ به قوله عز وجل
واذ اخذ الله اي واذكر يا محمد وقت اذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى
والمراد منهم العلما خاصة وقيل المراد احبار الذين اوتوا الكتاب العلما والاحبار من اليهود خاصة واخذ
الميثاق هو التوكيد بالالزام لبيان ما اوتوه من الكتاب وهو قوله عز وجل لتبيننه للناس يعني

Copyright © King Saud University

ليبيننه ما في الكتاب وليظهرنه للناس حتى يعلمونه وذلك ان الله اوجب على علماء التوراة والانجيل
ان يشرحوا للناس ما في هذين الكتابين من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يكتمونه
يعني ولا يخفون ذلك عن الناس فنبذوه يعني الكتاب وقيل الميثاق وراء ظهورهم اي فطرحوه
وضيعوه وتركوا العمل به واشتروا به ثمنا قليلا يعني لما كانوا يأخذونه من عوامهم
وسفلتهم فبئس ما يشترون ذمهم الله تعالى على فعلهم ذلك واعلم ان ظاهر هذه الآية وان كان مخصوصا
بعلماء اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فلا يبعد ان يدخل فيه علماء هذه الامة الاسلامية لانهم
اهل الكتاب وهو القرآن وهو اشرف الكتب قال قتادة هذا ميثاق اخذه الله تعالى على اهل العلم
فمن علم شيئا فليعلمه واياكم وكتمان العلم فانه هلكة وقيل مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق
منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم لا يأكل ولا يشرب وقيل طوبى لعالم ناطق ومستمع واع
هذا علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فقبله ووعاه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه الجم بلجام من نار اخرجه الترمذي ولابي داود من سئل عن علم
فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة وقال ابو هريرة لولا ما اخذ الله عز وجل على اهل الكتاب
ما حدثتكم بشيء ثم تلا هذه الآية واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الآية وقال الحسن
ابن عمارة اتيت الزهري بعد ان ترك الحديث فالفيته على بابه فقلت ان رايت ان تحدثني فقال
اما علمت اني قد تركت الحديث فقلت اما ان تحدثني واما ان احدثك قال حدثني فقلت حدثني
الحكم بن عيينة عن يحيى بن الجزار قال سمعت علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول ما اخذ الله على
اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا قال فحدثني اربعين حديثا قوله عز وجل لا تحسبن
الذين يفرحون بما اتوا قرئ بالتاء على الخطاب اي ولا تحسبن يا محمد الفارحين وقرئ بالياء على الغيبة
يعني ولا يحسبن الفارحون والمعنى لا يحسبن الذين يفرحون فرحهم منجيا لهم من العذاب نزلت
هذه الآية في المنافقين ق عن ابي سعيد الخدري ان رجالا من المنافقين على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم كانوا اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم
خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وحلفوا
واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا الآية وقيل نزلت في اليهود
ق عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ان مروان قال اذهب يا رافع لبوابه الى ابن عباس فقل
لئن كان كل امرئ منا فرح بما اتى واحب ان يحمد بما لا يفعل معذبا لنعذبن اجمعون فقال ابن
عباس ما لكم ولهذه الآية انما نزلت هذه الآية في اهل الكتاب ثم تلا ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس الآية وتلا ابن عباس لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا
ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا وقال ابن عباس سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه
اياه واخبروه بغيره فخرجوا وقد اروه ان قد اخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا اليه بذلك وفرحوا بما
اتوا من كتمانهم اياه ما سألهم عنه بما اتوا يعني يفرحون بما فعلوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا يحبون
ان يحمدهم الناس على شيء لم يفعلوه قيل عنى بذلك قوما من احبار اليهود وكانوا يفرحون باضلالهم
الناس وبنسبة الناس اياهم الى العلم قال ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الى قوله ولهم
عذاب اليم يعني فنحاص واشيع واشباههم من الاحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على

ما زينوا

ما زينوا للناس من الضلالة ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ان يقول الناس لهم علماء وليسوا باهل علم وقيل
هم اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كتبوا الى يهود العراق
والشام واليمن ومن بلغهم كتابهم من اليهود في الارض كلها ان محمدا ليس بنبي فاثبتوا على دينكم فاجتمعت
كلمتهم على الكفر ففرحوا بذلك وقالوا نحن اهل الصوم والصلاة واحبوا ان يحمدوا على ذلك وقيل فرحوا بما اوتوا
من تبديلهم التوراة واحبوا ان يحمدهم الناس على ذلك وقيل ان يهود خيبر اتت الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك وقالوا لاصحابه نحن على رايكم ونحن لكم ردء وليس ذلك في قلوبهم
واحبوا ان يحمدهم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون على ذلك فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اي فلا تظنهم
بمنجاة من العذاب الذي اعده الله لهم في الدنيا من القتل والاسر وضرب الجزية والذلة والصغار
ولهم عذاب اليم يعني في الآخرة وهذه الآية وان كانت قد نزلت في اليهود والمنافقين خاصة
فان حكمها عام في كل من احب ان يحمد بما لم يفعل من الخير والصلاح او ينسب الى العلم وليس هو كذلك
قوله عز وجل ولله ملك السموات والارض يعني انه تعالى مالك لما فيهما جميعا يتصرف فيه كيف يشاء وفيه
تكذيب لمن قال ان الله فقير ونحن اغنياء يقول الله عز وجل ان له جميع ما حوته السموات والارض
من شيء فكيف يكون من هذا ملكه فقيرا والله على كل شيء قدير يعني انه تعالى قادر على تعجيل العقوبة
لهم على ذلك القول ولكنه تفضل على خلقه بامهاله لهم قوله عز وجل ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب قال ابن عباس ان اهل مكة سألوا النبي صلى الله
عليه وسلم ان ياتيهم باية فنزلت هذه الآية والمعنى تفكروا واعتبروا ايها الناس فيما خلقته
وانشأته من السموات والارض لمعاشكم وارزاقكم وفيما عقبت من ذلك بين الليل والنهار والخلاف فيما
في الطول والقصر فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم لكي تتصرفوا فيهما لمعاشكم وطلب ارزاقكم
في النهار وتسكنون بالليل لراحة اجسادكم فاعتبروا وتفكروا يا اولي الالباب يعني يا ذوي العقول
الصافية الذين ينتفعون ببصائرهم بالنظر والاستدلال لا كالاغبياء لا ينظرون اليها نظر
البهائم غافلين عما فيهما من عجائب مخلوقاته وغرائب مبتدعاته ق عن ابن عباس انه بات
عند ميمونة ام المؤمنين وهي خالته قال فقلت لانظرن الى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فطرحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في طولها واهله فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل
او قبله بقليل او بعده بقليل ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح النوم عن
وجهه بيديه ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران ثم قام الى شن معلقة فتوضأ منها
فاحسن وضوءه ثم قام يصلي قال عبد الله بن عباس فقمت فصنعت مثل ما صنع ثم
ذهبت فقمت الى جنبه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على راسي واخذ
باذني ففتلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم اوتر ثم
اضطجع حتى جاء المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح وفي رواية فقمت
عن يساره فاخذني فجعلني عن يمينه وفي رواية قال بت في بيت خالتي ميمونة فتحدث
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الاخير قعد
فنظر الى السماء فقال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي

Copyright © King Saud University

الالباب وذكره قوله عز وجل الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم قال علي بن ابي
طالب وابن مسعود وابن عباس وقتادة هذا في الصلاة يعني الذين يصلون قياما فان عجزوا فقعودا
فان عجزوا فعلى جنوبهم والمعنى انهم لا يتركون الصلاة في حال من الاحوال بل يصلون في كل حال خ عن
عمران بن حصين قال كانت بي بواسير فسالت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال صل قائما
فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنبك واخرجه الترمذي وقال فيه سالته عن صلاة
المريض وذكر نحوه قال الشافعي اذا صلى المريض مضطجعا وجب عليه ان يصلي على جنب ويومي براسه
ايماء وقال ابو حنيفة رحمه الله بل يصلي مستلقيا على ظهره فان وجد خفة قعد وحجة الشافعي ظاهر الاية
وهو قوله وعلى جنوبهم وقوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين فان لم تستطع فعلى جنب فنص
على الجنب دون غيره وقال اكثر المفسرين اراد به المداومة على الذكر في غالب الاحوال لان الانسان
قل ان يخلو من احدى هذه الثلاث حالات وهي القيام والقعود وكونه نائما على جنبه ق وعن عائشة
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله عز وجل في كل احيانه عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضطجعا
لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة وما مشى احد ممشى لا يذكر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة
اخرجه ابو داود الترة النقص وقيل هي هنا التبعة وقوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض
اصل الفكر اعمال الخاطر في الشي وتردد القلب في ذلك الشي وهي قوة مطرقة للعلم الى المعلوم والتفكر
جريان تلك القوة بحسب نظر العقل ولا يمكن التفكر الا فيما له صورة في القلب ولهذا قيل تفكروا في آلاء الله
ولا تتفكروا في الله اذ كان الله منزها ان يوصف بصورة فلذلك اخبر عن عباده الصالحين بانهم يتفكرون في
خلق السموات والارض وما ابدع فيهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ليدلهم ذلك على
كمال قدرة الصانع سبحانه وتعالى فيعلمون ان لها خالقا قادرا مدبرا حكيما لان عظم آثاره
وافعاله تدل على عظم خالقها سبحانه وتعالى كما قيل وفي كل شي له آية تدل على انه واحد وقيل ان
الفكر مقلوب عن الفرك لان الفكر مستعمل في المعاني وهو فرك الامور وبحثها طلبا للوصول الى
حقيقتها وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النما وما جليت
القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة ربنا ويقولون ربنا وقيل معناه ويتفكرون
في خلق السموات والارض قائلين ربنا ما خلقت هذا باطلا يعني عبثا وهزلا بل خلقته دليلا على وحدانيتك
وكمال قدرتك سبحانك نزهناك عن ان تخلق شيئا عبثا لغير حكمة فقنا عذاب النار يعني انا قد صدقنا
بوحدانيتك وان لك جنة ونارا فقنا عذاب النار والمقصود من قوله سبحانك فقنا عذاب النار
تعليم عباده كيفية الدعا فمن اراد ان يدعو فليقدم الثنا على الله اولا ويدل عليه قوله سبحانك
وبعد ذلك الثنا ياتي بالدعا ويدل عليه قوله فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته
اي اهنته واذللته وقيل اهلكته وقيل فضحته وابلغت في اخزايه والخزي ضرب من الاستخفاف والا
يلحق الانسان فيقطعه الحيا المفرط **فان قلت** قد تمسكت المعتزلة بهذه
الاية وقالوا قد اخبر الله انه لا يخزي النبي والذين امنوا معه فوجب ان كل من يكون مومنا لا يدخل
النار لقوله انك من تدخل النار فقد اخزيته والمومن لا يخزى **قلت** قد ذكر العلما
في الجواب وجوها احدها ما روي عن انس في تفسير قوله تعالى انك من تدخل النار فقد اخزيته

قال

قال من تخلده وروي نحوه عن سعيد بن المسيب قال هي خاصة لمن لا يخرج منها وهذا الجواب انما يصح
على مذهب اهل السنة الذين يرون اخراج الموحدين من النار اما على مذهب المعتزلة فلا يصح هذا
الجواب لان مذهبهم ان الفاسق يخلد في النار فهو داخل في قوله فقد اخزيته الوجه الثاني في الجواب
ان المدخل في النار مخزى في حال دخوله وان كانت عاقبته ان يخرج منها ومعنى الاية على هذا
فقد اخزيته بدخوله فيها وتعذيبه بها ويدل على صحة هذا المعنى ما روي عن عمرو بن دينار قال
قدم علينا جابر بن عبد الله فانتهيت اليه انا وعطا فسالته عن هذه الاية ربنا انك من تدخل
النار فقد اخزيته فقال وما اخزاه حين احرقه بالنار ان دون ذلك الخزيا وهذا الوجه هو
اختيار ابن جرير الطبري لان من ادخل النار فقد خزي بدخوله اياها وان اخرج منها وذلك
الخزي هو هتك المخزي وفضيحته وقال ابن الانباري حمل الاية على العموم اولى من نقلها
الى الخصوص لا دليل عليه الوجه الثالث في الجواب ما قاله اهل المعاني وهو ان الخزي يحتمل
معان منها الاهانة والاهلاك والابعاد وهذا للكفار ومنها الاخجال يقال خزي خزاية
اذا استحى واذا عمل عملا يستحي منه ويخجل فيكون خزي المومن الذي يدخل النار الحيا من
المومنين بدخوله النار الى ان يخرج منها وخزي الكافر الهلاك بالخلود في النار وحاصل هذا الجواب
ان لفظ الاخزا مشترك بين التخجيل والاهلاك واللفظ المشترك لا يمكن حمله في طرفي النفي والاثبات
على معنييه جميعا وهذا يسقط الاستدلال الوجه الرابع في الجواب وهو الذي اختاره الفخر الرازي
وصححه ان قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه لا يقتضي نفي الاخزا مطلقا وانما
يقتضي ان لا يحصل الاخزا حال ما يكون مع النبي وهذا النفي لا ينافي ثبوت الاخزا في الجملة
لاحتمال ان يحصل ذلك الاثبات في وقت اخر والله اعلم وقوله تعالى وما للظالمين من انصار يعني
المشركين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها من انصار يعني ينصرونهم يوم القيامة ويمنعونهم
من العذاب قوله عز وجل ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان قال ابن عباس واكثر المفسرين المنادي
هو محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة وقوله وداعيا الى
الله باذنه وقال محمد بن كعب القرظي المنادي هو القران قال اذ ليس كل احد لقي النبي صلى الله عليه
وسلم ووجه هذا القول ان كل احد يسمع القران ويفهمه فاذا وفقه الله تعالى للايمان به فقد
فاز به وذلك لان القران مشتمل على الرشد والهدى وانواع الدلايل الدالة على الوحدانية فصار
كالداعي اليها واللام في للايمان بمعنى الى يعني ينادي الى الايمان ان امنوا بربكم فامنا اي فصدقنا ربنا
فاغفر لنا ذنوبنا اي كبائر ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا اي صغائر ذنوبنا وقيل ان الغفر هو الستر والتغطية
وكذلك التكفير وهما بمعنى واحد وانما ذكرهما للتاكيد لان الالحاح في الدعا والمبالغة فيه مندوب
اليه وقيل معناه اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا في المستقبل وقيل يريد بالغفران
ما يزول بالتوبة من الذنوب وبالتكفير ما يكفر بالطاعات من الذنوب وتوفنا مع الابرار يعني في جملتهم
وزمرتهم والابرار هم الانبياء والصالحون والمعنى توفنا على مثل اعمالهم حتى نكون في درجتهم
يوم القيمة وقيل توفنا في جملة اتباعهم واشياعهم ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك يعني على السنة رسلك
وقيل معناه واتنا ما وعدتنا على تصديق رسلك **فان قلت** كيف سالوا
الله انجاز ما وعد الله لا يخلف الميعاد **قلت** معناه انهم طلبوا من الله التوفيق فيما

يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد وقيل هو من باب الابتهال التذلل له واظهار الخضوع والعبودية
كما كانت الانبياء عليهم السلام يستغفرون الله مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل
لربهم سبحانه وتعالى والتضرع اليه والابتهال اليه الذي هو سيما العبودية وقيل معناه ربنا واجعلنا ممن
يستحق ثوابك وتؤتيهم ما وعدتهم على السنة رسلك لانهم لم يتيقنوا استحقاقهم لتلك الكرامة
فسالوه ان يجعلهم مستحقين لها وقيل انما سالوه تعجيل ما وعدهم من النصر على الاعدا قالوا قد علمنا
انك لا تخلف الميعاد ولكن لا صبر لنا على حلمك فعجل هلاكهم وانصرنا عليهم ولا تخزنا يوم القيمة يعني ولا
تهلكنا ولا تفضحنا ولا تهنا في ذلك اليوم **فان قلت** قوله واتنا ما وعدتنا
على رسلك يدل على طلب الثواب ومتى حصل الثواب رفع العقاب لا محالة فما معنى قوله ولا تخزنا
وهو طلب رفع العقاب عنهم **قلت** المقصود من الاية طلب التوفيق على الطاعة
والعصمة عن فعل المعصية كانهم قالوا وفقنا للطاعات واذا وفقتنا لها فاعصمنا عن فعل
ما يبطلها ويوقعنا في الخزي وهو الهلاك ويحتمل ان يكون قوله ولا تخزنا يوم القيمة سبب لقوله
تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فانه ربما يظن الانسان انه على عمل صالح فاذا كان يوم
القيمة ظهر انه على غير ما يظن فيحصل الخجل والحسرة والندامة في موقف القيمة فاسئلوا الله تعالى ان يزيل
ذلك عنهم فقالوا ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد قوله عز وجل فاستجاب لهم ربهم يعني اجاب دعاءهم
واعطاهم ما سالوه انى اي وقال لهم انى لا اضيع عمل عامل منكم يعني لا احبط عملكم ايها المومنون بل اثيبكم
عليها من ذكر او انثى يعني لا اضيع عمل عامل ذكرا كان او انثى عن ام سلمة قالت قلت يا رسول الله لا اسمع
الله ذكر النسا في الهجرة بشي فانزل الله تعالى انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض الى
قوله والله عنده حسن الثواب وقوله تعالى بعضكم من بعض يعني في الدين والنصرة والموالاة وقيل كلكم
من ادم وحوى وقيل من بمعنى الكاف اي بعضكم كبعض في الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية
فهو كما يقال فلان مني يعني على خلقي وسيرتي وقيل ان الرجال والنسا في الطاعة على شكل واحد فالذين
هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي يعني المهاجرين الذين هجروا اوطانهم واهليهم
واذاهم المشركون بسبب اسلامهم ومتابعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا مهاجرين الى الله
ورسوله وتركوا اوطانهم وعشايرهم لله ورسوله ومعنى في سبيلي في طاعتي وديني وابتغاء مرضاتي
وهم المهاجرون الذين اخرجهم المشركون من مكة فهاجر طايفة الى الحبشة وطايفة الى المدينة بعد
قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد هجرته فلما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة رجع رسول الله
اليه من كان هاجر الى الحبشة من المسلمين وقاتلوا وقتلوا يعني وقاتلوا العدو واستشهدوا في جهاد
الكفار لاكفرن عنهم سيئاتهم يعني لامحون عنهم ذنوبهم ولاغفرنها لهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار
ثوابا من عند الله يعني ذلك الذي اعطاهم من تكفير سيئاتهم وادخالهم الجنة ثوابا من فضل الله واحسانه
اليهم والله عنده حسن الثواب وهذا تاكيد لكون ذلك الثواب الذي اعطاهم من فضله وكرمه لانه جواد كريم
روى ابن جرير الطبري بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان اول ثلاثة تدخل الجنة فقرا المهاجرين الذين يتقى بهم المكاره اذا امروا سمعوا واطاعوا وان كانت
لرجل منهم حاجة الى السلطان لم تقض له حتى يموت وهي في صدره وان الله عز وجل يدعو يوم القيمة الجنة
فتاتي بزخرفها وزينتها فيقول اين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقتلوا واوذوا في سبيلي وجاهدوا

ق

وهاجروا في سبيلي ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب وتاتي الملايكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن
نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك من هولاء الذين اثرتهم علينا فيقول الرب عز وجل هولاء عبادي الذين
قاتلوا في سبيلي واوذوا في سبيلي فتدخل الملايكة عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار
قال بعضهم في هذه الايات تعليم من الله عز وجل تعالى كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب
الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وقال جعفر الصادق من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف
واعطاه ما اراد وقرى هذه الايات وقال الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب
لهم قوله عز وجل لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد نزلت في المشركين وذلك انهم كانوا في رخا ولين من العيش يتجرون ويتنعمون
فقال بعض المومنين ان اعدا الله فيما نرى من الخير ونحن في الجهد فانزل الله هذه الاية لا يغرنك الخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم والمراد غيره من الامة لانه صلى الله عليه وسلم لم يغتر قط والمعنى لا يغرنك ايها السامع
تقلب الذين كفروا في البلاد يعني ضربهم في الارض وتصرفهم في البلاد للتجارات وطلب الارباح والمكاسب متاع قليل
اي ذلك متاع قليل وبلغة فانية ونعمة زايلة ثم ماواهم يعني مصيرهم في الاخرة جهنم وبيس المهاد اي وبيس
الفراش هو قوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم فيما امرهم به من العمل بطاعته واتباع مرضاته واجتناب ما نهاهم عنه
من معاصيه لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا اي جزا وثوابا والنزل ما يهيى للضيف عند قدومه من
عند الله يعني من فضل الله وكرمه واحسانه وما عند الله يعني من الخير والكرامة والنعيم الدايم الذي
لا ينقطع خير للابرار يعني ذلك الفضل والنعمة التي اعدها الله للمطيعين الابرار خير مما يتقلب فيه
هولا الكفار من نعيم الدنيا ومتاعها فانه قليل زايل ق عن عمر بن الخطاب قال جيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاذا هو في مشربة وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شي وتحت راسه وسادة من ادم حشوها
ليف وعند رجليه قرض مصبوغ وعند راسه اهب معلقة فرايت اثر الحصير في جنبه فبكيت فقال
ما يبكيك فقلت يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هم فيه وانت رسول الله فقال اما ترضى ان تكون
لهم الدنيا ولنا الاخرة لفظ البخاري المشربة الغرفة والعلية والمشارب العلالي قوله عز وجل
وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم قال ابن عباس نزلت في النجاشي
ملك الحبشة واسمه اصحمة ومعناه بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعاه جبريل عليه السلام
لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه السلام
لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم النجاشي فخرج الى البقيع وكشف له الى ارض
الحبشة فابصر سرير النجاشي فصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا
الى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في
اربعين رجلا من اهل نجران اثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى
عليه السلام فامنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وصدقوه وقيل نزلت في عبد الله بن سلام
واصحابه الذين امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في جميع مومني اهل الكتاب وهذا
القول اولى لانه لما ذكر احوال الكفار من احوال اهل الكتاب وان مصيرهم الى النار ذكر حال من امن من
اهل الكتاب وان مصيرهم الى الجنة فقال تعالى وان من اهل الكتاب يعني بعض اليهود والنصارى
اهل التوراة والانجيل لمن يومن بالله يعني لمن يقر بوحدانية الله وما انزل اليكم يعني ويومن
بما انزل اليكم ايها المومنون يعني القران وما انزل اليهم يعني من الكتب المنزلة مثل التوراة والانجيل

Copyright King Saud University

والزبور خاشعين لله يعني خاضعين لله ومتواضعين له غير مستكبرين لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا يعني لا يغيرون كتبهم ولا يحرفونها ولا يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لاجل الرياسة والماكل والرشى كما يفعله غيرهم من رؤسا اليهود اولئك اشارة الى من هذه صفته من اهل الكتاب لهم اجرهم عند ربهم يعني ثواب اعمالهم التي عملوها ذلك الثواب لهم ذخر يوفيه اليهم يوم القيمة ان الله سريع الحساب يعني ان الله تعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شي من اعمال عباده فيجازي كل احد على قدر عمله لانه سريع الحساب قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اصبروا يعني على دينكم الذي ارتضيته لكم ولا تدعوه لشدة ولا لغيرها واصل الصبر حبس النفس عما لا يقتضيه شرع ولا عقل والصبر لفظ عام تحته انواع من المعاني قال بعض الحكما الصبر على ثلاثة اقسام ترك الشكوى وقبول القضا وصدق الرضا وقيل فمعنى الاية اصبروا على طاعة الله وقيل على ادا الفرايض وقيل على تلاوة القران وقيل اصبروا على امر الله وقيل اصبروا على البلا وقيل اصبروا على الجهاد وقيل اصبروا على احكام الكتاب والسنة وصابروا يعني الكفار والاعدا وجاهدوهم ورابطوا يعني وداوموا على جهاد المشركين واثبتوا عليه واصل المرابطة ان يربط هولا خيولهم وهولا خيولهم بحيث يكون كل من الخصمين مستعد لقتال الاخر ثم قيل لكل مقيم بثغر يدفع من وراه مرابط وان لم يكن له مركب مربوط ق عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله او الغدوة خير من الدنيا وما عليها م عن سلمان الخير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمله واجري عليه رزقه وامن الفتان وقيل المراد بالمرابطة انتظار الصلاة بعد الصلاة قال ابو سلمة عبد الرحمن لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضو على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط اخرجه مسلم واتقوا الله لعلكم تفلحون قال محمد بن كعب القرظي يقول الله عز وجل واتقوا الله فيما بيني وبينكم لعلكم تفلحون غدا اذا لقيتموني وقال اهل المعاني في معنى هذه الاية يا ايها الذين امنوا اصبروا على بلاي وصابروا على نعماي ورابطوا على مجاهدة اعداي واتقوا محبة سواي لعلكم تفلحون بلقاي وقيل اصبروا على النعما وصابروا على البأسا والضرا ورابطوا في دار الاعدا واتقوا اله الارض والسما لعلكم تفلحون في دار البقا وقيل اصبروا على الدنيا ومحنها رجا السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا على مجاهدة النفس اللوامة واتقوا ما يعقبكم الندامة لعلكم تفلحون غدا في دار الكرامة والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة النسا

وهي مائة وخمس وسبعون اية وثلاثة الاف وخمس واربعون كلمة وستة عشر الف حرف وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا ايها الناس خطاب للكافة فهو كقوله يا بني ادم اتقوا ربكم اي احذروا ربكم ان تخالفوه فيما امركم به او نهاكم عنه ثم وصف نفسه بكمال

تعالى الذي خلقكم من نفس واحدة يعني من اصل واحد وهو ادم ابو البشر عليه السلام وانما انث الوصف على لفظ النفس وان كان المراد به المذكر فهو كما قال بعضهم * ابوك خليفة ولدته اخرى * وانت خليفة ذا الكمال * انما قال ولدته اخرى لتانيث الخليفة وخلق منها زوجها يعني حوى وذلك ان الله تعالى لما خلق ادم عليه السلام القى عليه النوم ثم خلق حوى من ضلع من اضلاعه اليسرى وهو قصير فلما استيقظ راها جالسة عند راسه فقال لها ما انت قالت امراة قال لماذا خلقت قالت خلقت لتسكن الي [illegible] لانها خلقت منه واختلفوا في اي وقت خلقت حوى فقال كعب الاحبار ووهب وابن اسحاق خلقت قبل دخول الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس انما خلقت في الجنة بعد دخوله اياها وبث منهما يعني نشر واظهر من ادم وحوى رجالا كثيرا ونسا انما وصف الرجال بالكثرة دون النسا لان حال الرجال اتم واكمل وهذا كالتنبيه على ان اللائق بحال الرجال الظهور والاشتهار وبحال النسا الاختفا والخمول واتقوا الله الذي تسالون به انما كرر ذكر التقوى للتاكيد وانه اهل ان يتقى والتساؤل بالله هو كقوله اسالك بالله واحلف عليك بالله واستشفع اليك بالله والارحام قرئ بفتح الميم ومعناه واتقوا الارحام ان تقطعوها وقرئ بكسر الميم فهو كقولك سالتك بالله وبالرحم لان العرب كان من عادتهم ان يقولون ذلك والرحم القرابة وانما استعير اسم الرحم للقرابة لانهم خرجوا من رحم واحدة وقيل هو مشتق من الرحمة لان القرابة يتراحمون ويعطف بعضهم على بعض وفي الاية دليل على تعظيم حق الرحم والنهي عن قطعها ويدل على ذلك ايضا الاحاديث الواردة في ذلك ق عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يبسط عليه من رزقه وينسا في اثره فليصل رحمه قوله ينسا في اثره اي يؤخر في اجله ق عن جبير ابن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع قال سفيان في رواية يعني قاطع رحم وعن الحسن قال من سالك بالله فاعطه ومن سالك بالرحم فاعطه وعن ابن عباس قال الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت عنه ان الله كان عليكم رقيبا يعني حافظا والرقيب في صفة الله تعالى هو الله لا يغفل عما خلق فيلحقه نقص ويدخل عليه خلل وقيل هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شي من امر خلقه فبين بقوله ان الله كان عليكم رقيبا انه يعلم السر واخفى واذا كان كذلك فهو جدير بان يخاف ويتقى قوله عز وجل واتوا اليتامى اموالهم نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم كان في حجره فلما بلغ اليتيم طلب المال الذي له فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير ودفع الى اليتيم ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الصبي ماله انفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا كيف ثبت الاجر وبقي الوزر قال ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على ابيه والخطاب في قوله تعالى واتوا للاوليا والاوصيا واليتامى جمع يتيم وهو الصبي الذي مات ابوه واليتيم في اللغة الانفراد ومنه الدرة اليتيمة لانفرادها واسم اليتيم يقع على الصغير والكبير لغة لبقا معنى الانفراد عن الاباء لكن في العرف اختص اسم اليتيم بمن لم يبلغ مبلغ الرجال فاذا بلغ الصبي وصار يستغني بنفسه عن غيره زال عنه اسم اليتيم وسل

Copyright © King Saud University

ابن عباس عن اليتيم متى ينقطع عنه اسم اليتيم قال اذا اونس منه الرشد وانما سماهم يتامى بعد البلوغ
على مقتضى اللغة او لقرب عهدهم باليتم وان كان قد زال عنهم بالبلوغ وقيل المراد باليتامى الصغار
الذين لم يبلغوا والمعنى واتوا اليتامى اموالهم بعد البلوغ وتحقق الرشد وقيل معناه واتوا اليتامى الصغار
ما يحتاجون اليه من نفقة وكسوة والقول الاول هو الصحيح ان المراد باليتامى البالغين لانه لا يجوز
دفع المال الى اليتيم الا بعد البلوغ وتحقق الرشد ولا تتبدلوا اى لا تستبدلوا الخبيث بالطيب يعني الخبيث
الذى هو حرام عليكم بالحلال من اموالكم واختلفوا في هذا التبديل فقال سعيد بن المسيب والضحى
والزهري والسدى كانوا اولياء اليتامى ياخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الردى فربما كان
احدهم ياخذ الشاة السمينة ويجعل مكانها المهزولة وياخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف ويقول
شاة بشاة ودرهم بدرهم فذلك تبديلهم هو اعتنو وقيل غطاهو الربح فى مال اليتيم وهو صغير لا علم
له بذلك وقيل تدليس بابدال حقيقة وانما هو اخذه مستهلكا وذلك ان اهل الجاهلية كانوا
لا يورثون النساء والصغار انما كان ياخذ الميراث الاكابر من الناس الرجال وقيل هو اكل
مال اليتيم عوضا عن اموالهم فنهوا عن ذلك ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم يعني من اموالكم وقيل معناه
ولا تضموا اموالهم الى اموالكم الى الانفاق واعلم ان الله تعالى نهى عن اكل مال اليتيم واراد به
جميع التصرفات المهلكة للمال وانما ذكر عن الاكل لانه معظم المقصود انه كان حوبا كبيرا يعني ان
من اكل مال اليتيم بغير حق اثم عظيم والحوب الاثم قوله عز وجل وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى يعني
يا اولياء اليتامى ان لا تعدلوا فيهن اذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من الغرائب ق عن عروة انه
سال عايشة عن قوله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النسا
الى قوله او ما ملكت ايمانكم قالت ابن اختى هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى جمالها ومالها
ويريد ان ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا فى اكمال الصداق وامروا بالنكاح من
سواهن قالت عايشة فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله
عز وجل ويستفتونك فى النسا الى قوله وترغبون ان تنكحوهن فبين الله لهم فى هذه الاية ان
اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا فى نكاحها ولم يلحقوها بسنتها فى اكمال الصداق واذا
كانت مرغوبة عنها فى قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النسا قال فكما يتركونها حين يرغبون
عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها او يعطوها حقها الاوفى من الصداق
وقال الحسن كان الرجل من اهل المدينة تكون عنده الايتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لاجل
مالها وهى لا تعجبه كراهية ان يدخل غريب فيشاركه فى مالها ثم يسى صحبتها ويتربص بها ان تموت
فيرثها فعاب الله ذلك عليهم وانزل هذه الاية وقال عكرمة فى رواية عن ابن عباس كان الرجل من قريش
يتزوج العشر من النسا او اكثر فاذا صار معدما من مون نسايه مال الى مال اليتيمة الذى فى حجره فانفقه
فقيل لهم لا تزيدوا على اربع حتى لا يحوجكم الى اخذ اموال اليتامى ويترخصون فى النسا فيتزوجون
ما شاوا فربما عدلوا وربما لم يعدلوا فلما انزل الله تعالى فى اموال اليتامى واتوا اليتامى اموالهم فانزل
الله هذه الاية وان خفتم ان لا تقسطوا فى اليتامى يقول كما خفتم ان لا تقسطوا فى اليتامى فكذلك خافوا
فى النسا ان لا تعدلوا فيهن فلا تتزوجوا اكثر مما عليكم القيام بحقهن لان النسا فى الضعف كاليتامى
وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدى ثم رخص الله تعالى فى نكاح اربع فقال

فانكحوا

فانكحوا ما طاب لكم من النسا يعني ما حل لكم من النسا واستدلت الظاهرية بهذه الاية على وجوب النكاح
قالوا لان قوله فانكحوا امر والامر للوجوب واجيب عنه بان قوله تعالى فانكحوا انما هو بيان
لما يحل من العدد فى النكاح وتمسك الشافعى فى بيان ان النكاح ليس بواجب بقوله فمن لم يستطع
منكم طولا ان ينكح الى قوله ذلك لمن خشى العنت منكم وان تصبروا خير لكم الاية بان ترك النكاح خير
من فعله وذلك يدل على انه ليس بواجب ولا مندوب وقوله تعالى مثنى وثلاث ورباع معناه اثنين
اثنين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا وهو غير منصرف لانه اجتمع فيها امران العدل والوصف والواو
بمعنى او فى هذا الفصل لانها لو كانت او بمنزلة واو النسق جاز ان تكون الواو بمنزلة او وقيل ان الواو
افادت انه يجوز لكل احد ان يختار لنفسه قسما من هذه الاقسام بحسب حاله فان قدر على نكاح اثنتين
فاثنتين وان قدر على ثلاث فثلاث وان قدر على اربع فاربع من خصايص رسول الله صلى الله عليه
وسلم الذى لا يشاركه فيها احد من الامة ويدل على ان الزيادة على اربع غير جايز وانه حرام ما روى عن
الحرث بن قيس او قيس بن الحرث قال اسلمت وعندى ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اختر منهن اربعة اخرجه ابو داود وعن ابن عمر ان غيلان الثقفى اسلم وله عشر نسوة
فى الجاهلية فاسلمن معه فامره النبى صلى الله عليه وسلم ان يتخير منهن اربعا اخرجه الترمذى قال
العلما فيجوز للحر ان يجمع بين اربع نسوة حراير ولا يجوز للعبد ان ينكح اكثر من امراتين وهو قول اكثر
العلما لان الخطاب لمن ولى وملك وذلك للاحرار دون العبيد وقال مالك فى احدى الروايتين عنه
وربيعة يجوز للعبد ان يتزوج باربع نسوة واستدل بهذه الاية واجاب الشافعى بان هذه الاية
مختصة بالاحرار ويدل عليه اخر الاية وهو قوله فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم
والعبد لا يملك شيا فثبت بذلك ان المراد من حكم الاية الاحرار دون العبيد وقوله تعالى فان
خفتم يعني فان خشيتم وقيل فان علمتم ان لا تعدلوا يعني بين الازواج الاربع فواحدة يعني فانكحوا
واحدة او ما ملكت ايمانكم يعني وما ملكتم من السرارى لانه لا يلزم فيهن من الحقوق مثل ما يلزم فى الحراير
ولا قسم لهن ذلك ادنى اى اقرب الا تعولوا معناه ذلك اقرب ان لا تعولوا فحذف لفظة من لدلالة الكلام
عليه ومعنى ان لا تعولوا اى لا تميلوا ولا تجوروا وهو قول اكثر المفسرين لان اصل العول الميل يقال عال
الميزان اذا مال وقيل معناه لا تجاوزوا ما فرض الله عليكم ومنه عول الفرايض اذا جاوزت سهامها
وقيل معناه ذلك ادنى ان لا تضلوا وقال الشافعى رحمه الله تعالى معناه ان لا تكثر عيالكم وقد
انكر على الشافعى من ليس له احاطة بلغة العرب فقال انما يقال من كثرت العيال اعال الرجل يعيل اعالة
اذا كثر عياله قال وهذا من خطا الشافعى لانه تفرد به ولم يوافقه عليه احد وانما قال هذه المقالة
من انكر على الشافعى وخطاه من لا علم له بلغة العرب فقد روى عن الازهرى فى كتاب تهذيب اللغة
عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم فى قوله ان لا تعولوا اى لا تكثر عيالكم وروى عن الازهرى عن الكسائى لا يحكى
عن العرب الا ما حفظه وضبطه وقول الشافعى نفسه حجة لانه عربى فصيح والذى اعترض عليه وخطا ٥
عجل ولم يتثبت فيما قال ولا ينبغى للحضرى ان يعجل الى انكار ما لا يعرفه من كلام العرب هذا اخر كلام
الازهرى وبسط الامام فخر الدين العبارة فى هذا الموضع من تفسيره ورد على ابى بكر الرازى ثم قال
الطعن لا يصدر الا من كثرة الغباوة وقلة المعرفة وحكى البغوى عن ابى حاتم قال كان الشافعى اعلم
بلسان العرب منا ولعله لغة ويقال هى لغة حمير وقرا طلحة بن مصرف ان لا تعيلوا وهو حجة الشافعى

Copyright King Saud University

واتوا النسا صدقاتهن نحلة قال الكلبي وجماعة هذا خطاب للاوليا قال ابو صالح كان الرجل اذا
زوج ايمه اخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك وقيل ان ولي المراة اذا زوجها فان كانت
معهم في العشرة لم يعطها من مهرها قليلا ولا كثيرا وان كان زوجها غريبا حملوها اليه على بعير
ولا يعطها من مهرها غير ذلك فنهاهم الله عن ذلك وامرهم ان يدفعوا الحق الى اهله وقال
الحضرمي كان اوليا النسا يعطي هذا اخته على ان يعطيه الاخر اخته ولا مهر بينهما وهذا هو
الشغار فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بتسمية المهر في العقد ق عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه
وسلم نهى عن الشغار والشغار ان يزوج الرجل ابنته على ان يزوجه الرجل ابنته وليس بينهما
صداق وقيل الخطاب للازواج وهذا اصح قول الاكثرين لان الخطاب فيما قبل مع الناكحين
وهم الازواج امرهم الله تعالى باتيان نسائهم الصداق والصدقات المهور واحدها صدقة بفتح الصاد
وضم الدال نحلة يعني فريضة مسماه وقيل عطية وهبة وقيل نحلة يعني عن طيب نفس واصل النحلة العطية
على سبيل التبرع وهو اخص من الهبة وسمي الصداق نحلة من حيث انه لا يجب في مقابلته غير التمتع دون عوض
مالي ق عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احق الشروط ان يوفوا بها ما استحللتم
به الفروج وقوله تعالى فان طبن يعني النسا المتزوجات لكم يعني للازواج عن شي منه يعني من الصداق
ومن هنا لبيان الجنس لا للتبعيض لانها لو وهبت المراة لزوجها جميع صداقها جاز نفسا نصب على التمييز
والمعنى فان طابت نفوسهن عن شي من ذلك الصداق المعين فوهبن ذلك لكم فنقل الفعل من النفوس
الى اصحابها فخرجت النفس مفسرا وقيل لفظه واحد ومعناه الجمع فكلوه يعني ما وهبنه لكم هنيا مريا يعني
طيبا سائغا وقيل الهني الطيب المساغ الذي لا ينغصه شي والمري المحمود العاقبة وفي الاية دليل على
اباحة هبة المراة صداقها وانها تملكه ولا حق للولي فيه قوله تعالى ولا تؤتوا السفها اموالكم اختلفوا في هولا
السفها من هم فقيل هم النسا نهى الله الرجال ان يؤتوا النسا اموالهم سوا كن ازواجا او بنات او امهات وقيل
هم الاولاد خاصة يقول لا يعطي ولدك السفيه مالك الذي هو قيامك بعد الله فيفسده عليك وقيل هن
امراتك وابنك السفيه قال ابن عباس لا تعمد الى مالك الذي خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امراتك
وابنك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ثم تنظر الى ما في ايديهم امسك مالك واصلحه وكن انت الذي
تنفق عليهم في رزقهم ومونتهم وقال الكلبي اذا علم الرجل ان امراته سفيهة وان ولده سفيه مفسد
لا ينبغي له ان يسلط واحدا منهما على ماله فيفسده وقال سعيد بن جبير مال اليتيم يكون عندك
يقول لا تؤته اياه وانفق عليه منه حتى يبلغ وانما اضاف المال الى الاوليا لانهم قوامها ومدبروها
واصل السفه الخفة واستعمل في خفة النفس لنقصان العقل من الامور الدنيوية والدينية والسفيه
المستحق الحجر الذي يكون مبذرا في ماله ومفسدا في دينه فلا يجوز لوليه ان يدفع اليه ماله وقيل
ان السفه المذكور في هذه الاية ليس هو صفة ذم لهولا وانما سموا سفها لخفة عقولهم ونقصان
تمييزهم وضعفهم عن القيام بحفظ المال فقوله تعالى ولا تؤتوا السفها يعني الجهال بموضع الحق اموالكم
التي جعل الله لكم قياما يعني قوام معاشكم يقول المال هو قوام الناس وقوام معايشهم كنت انت
قيم اهلك انفق عليهم ولا تعط مالك اهلك امراتك وولدك فيكونوا هم الذين يقومون عليك
ولما كان المال سببا للقيام بالمعاش سمي به اطلاق الاسم المسبب على السبب على سبيل المبالغة
لان به يقام الحج والجهاد واعمال البر وفكاك الرقاب من النار وارزقوهم فيها اي اطعموهم واكسوهم يعني لمن يجب

عليكم

عليكم رزقه وكسوته وذلك لما نهى عن ايتا المال للسفيه اراد اجعلوا لهم فيها رزقا والرزق من الله تعالى
هو العطية من غير حد ولا قطع ومعنى الرزق من العباد هو الاجر هو الموظف المعلوم لوقت معلوم محدود
وقولوا لهم قولا معروفا يعني قولا جميلا لان القول الجميل يوثر في القلب ويزيل السفه وقيل معناه عدوهم عدة
جميلة من البر والصلة قال عطا يقول اذا ربحت اعطيتك وان غنمت قسمت لك حظا وقيل معناه الدعا
اي ادعوا لهم قال ابن زيد ان لم يكن ممن يجب عليك نفقته فقل له عافانا الله واياك بارك الله فيك وقيل
معناه قولوا لهم قولا تطيب به انفسهم وهو ان يقول الولي لليتيم السفيه مالك عندي وانا امين عليه
فاذا بلغت ورشدت اعطيتك مالك وقال الزجاج معناه علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم امر
دينهم وما يصلحهم وما يتعلق بالعلم والعمل قوله عز وجل وابتلوا اليتامى الاية نزلت في ثابت بن رفاعة
وفي عمه وذلك ان رفاعة مات وترك ابنه ثابتا وهو صغير فجا عمه النبي صلى الله عليه وسلم وقال
له ان ابن اخي يتيم في حجري فما يحل لي من ماله ومتى ادفع اليه ماله فانزل الله هذه الاية وابتلوا اليتامى
يعني اختبروهم في عقولهم واديانهم وحفظ اموالهم حتى اذا بلغوا النكاح اي مبلغ الرجال والنسا
فان انستم اي ابصرتم وعرفتم منهم رشدا يعني عقلا وصلاحا في الدين وحفظا للمال وعلما بما يصلحه

فصل في احكام تتعلق بالحجر وفيه مسايل المسيلة الاولى الابتلا يختلف باختلاف احوال
اليتامى فان كان ممن يتصرف بالبيع والشرا في الاسواق يدفع اليه شيا يسيرا من المال وينظر في
تصرفه وان كان ممن لا يتصرف في الاسواق فيختبر بنفقته على اهله وعبيده وجرايه وتصرفه
في احوال داره ويختبر المراة في امر بيتها وحفظ متاعها وغزلها واستغزالها فاذا راى حسن تدبير
اليتيم وحسن تصرفه في الامور فاذا يغلب على الظن رشده دفع اليه ماله بعد بلوغه ولا يدفع اليه
ماله وان كان شيخا يغلب عليه السفه حتى يونس منه الرشد المسيلة الثانية قال الامام ابو
حنيفة تصرفات الصغير العاقل المميز باذن الولي صحيحة واحتج ابو حنيفة على قوله بهذه الاية
وذلك ان قوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح يقتضي ان هذا الابتلا اختبار اهلية حاله
في جميع تصرفاته فثبت ان قوله وابتلوا اليتامى امر للاوليا بالاذن لهم في البيع والشرا قبل البلوغ اجاب
الشافعي بان قال ليس المراد بقوله وابتلوا اليتامى الاذن لهم في التصرف حال الصغر بدليل قوله فان انستم
منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وانما تدفع اليهم اموالهم بعد البلوغ وايناس الرشد فثبت بموجب هذه الاية
انه لا يدفع اليه ماله حال الصغر وانما المراد بالابتلا هو اختبار عقله واستبرا حاله في معرفة المصالح والمفاسد
المسيلة الثالثة في بيان البلوغ وذلك باربعة اشيا اثنان يشترك فيهما الرجال والنسا فاحدهما السن فاذا
استكمل المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلاما كان او جارية ويدل عليه ما روي عن ابن عمر قال عرضت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم عام احد وانا ابن اربع عشرة سنة فردني ثم عرضت عليه عام الخندق وانا ابن خمس
عشرة سنة فاجازني اخرجاه في الصحيحين وهذا قول اكثر اهل العلم وقال ابو حنيفة بلوغ الجارية باستكمال
سبع عشرة سنة وبلوغ الغلام باستكمال ثمان عشرة سنة والثاني الاحتلام فهو انزال المني الدافق سوا
انزل باحتلام او جماع فاذا وجد ذلك من الصبي والجارية حكم ببلوغه لقوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم
الحلم ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ خذ من كل حالم دينارا واما انبات الشعر الخشن حول الفرج فانه
يدل على البلوغ في اولاد المشركين لما روي عن عطية القرظي قال كنت من سبي قريظة فكانوا ينظرون
فمن انبت الشعر قتل ومن لم ينبت لم يقتل فكنت ممن لم ينبت وهل يكون ذلك علامة على البلوغ في اولاد

Copyright © King Saud University

المسلمين فيه قولان احدهما انه يكون بلوغا كما في اولاد المشركين والثاني لا يكون ذلك بلوغا في حق اولاد المسلمين
لانه يمكن الوقوف على مواليد اولاد المسلمين والرجوع الى قول ابائهم بخلاف الكفار فانه لا يوقف على مواليدهم
ولا يقبل في ذلك قول ابائهم لكفرهم فجعل الانبات الذي هو امارة البلوغ بلوغا في حقهم واما الذي
يختص بالنسا فهو الحيض والحبل فاذا حاضت الجارية بعد استكمال تسع سنين حكم ببلوغها وكذلك
اذا ولدت تحكم ببلوغها قبل الوضع بستة اشهر لانها اقل مدة الحمل المسئلة الرابعة في بيان الرشد وهو ان
يكون مصلحا في دينه وماله فالصلاح في الدين هو اجتناب الفواحش والمعاصي التي تسقط بها العدالة والصلاح
في المال هو ان لا يكون مبذرا والتبذير ان ينفق ماله فيما لا يكون فيه محمدة دنيوية ولا مثوبة اخروية
او لا يحسن التصرف فيغبن في البيع والشرا فاذا بلغ الصبي وهو مفسد لماله ودينه لم ينفك عنه الحجر ولا
ينفذ تصرفه في ماله وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة اذا كان مصلحا في دينه وماله فالصلاح في
الدين هو اجتناب الفواحش والمعاصي زال عنه الحجر وان كان مفسدا لدينه واذا كان مفسدا لماله لا يدفع
اليه المال حتى يبلغ خمسة وعشرين سنة غير انه ينفذ تصرفه قبله والقران حجة الشافعي في استدامة
الحجر عليه لان الله تعالى قال فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم امر بدفع المال اليهم بعد البلوغ
وايناس الرشد والفاسق لا يكون رشيدا وبعد بلوغه خمسا وعشرين سنة وهو مفسد لماله بالاتفاق
غير رشيد فوجب ان لا يجوز دفع المال اليه قبل بلوغ هذا الشرط المسئلة الخامسة اذا بلغ الصبي
او الجارية واونس منه الرشد زال عنه الحجر ودفع اليه ماله سوا تزوج ام لم يتزوج وقال مالك ان كانت
امراة لا يدفع اليها المال ما لم تتزوج فاذا تزوجت دفع اليها مالها ولا ينفذ تصرفها الا باذن الزوج
ما لم تكبر وتجرب المسئلة السادسة اذا بلغ الصبي رشيدا وزال عنه الحجر فلو عاد سفيها ينظر فان
عاد مبذرا لماله حجر عليه وان كان مفسدا في دينه فعلى وجهين انه يعاد عليه الحجر كما يبتدا اذا
بلغ وهو بهذه الصفة والثاني لا حجر عليه لان حكم الدوام اقوى من حكم الابتدا وعند ابي حنيفة
لا حجر على الحر العاقل البالغ بحال والدليل على اثبات الحجر من اتفاق الصحابة ما روي عن هشام بن
عروة عن ابيه ان عبد الله بن جعفر ابتاع ارضا سبخة بستين الف درهم فقال علي لاتين عثمان ولاحجرن
عليك فاتى ابن جعفر الزبير فاعلمه بذلك فقال الزبير انا شريكك في بيعتك فاتى علي عثمان فقال
احجر على هذا فقال الزبير انا شريكه فقال عثمان كيف احجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير فكان اتفاقا
منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير لدفعه وقوله تعالى ولا تاكلوها اسرافا الخطاب للاوليا يعني
يا معشر الاوليا لا تاكلوا اموال اليتامى بغير حق وبدارا ان يكبروا يعني لا تبادروا كبرهم ورشدهم
فيفرطون في انفاقها ويقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبروا فيلزمكم تسليمها اليهم ثم بين
تعالى حال الاوليا وقسمهم قسمين فقال تعالى ومن كان غنيا فليستعفف اي فليمتنع من
اكل مال اليتيم ولا يرزاه قليلا ولا كثيرا ومن كان فقيرا يعني محتاجا الى مال اليتيم وهو يحفظه
فلياكل بالمعروف روى ابو داود عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رجلا اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اني فقير وليس لي شي ولي يتيم فقال كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبادر
ولا متاثل واختلف العلما في حكم هذه الاية فروي عن عمر وابن عباس وابن جبير وابي العالية وعبيدة
السلماني وابي وائل ومجاهد ومقاتل انه ياخذ من مال اليتيم على وجه القرض واختلفوا في انه يلزمه
القضا اذا ايسر فقيل نعم وهو المراد من قوله تعالى فلياكل بالمعروف والمعروف القرض اي يستقرض

من

من مال اليتيم اذا احتاج اليه فاذا ايسر قضاه وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب اني انزلت
نفسي من مال الله بمنزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف فاذا
ايسرت قضيت وقال قوم لا ضمان عليه ولا قضا بل يكون ما ياكله كالاجرة له على عمله وهو قول
الحسن والشعبي والنخعي وقتادة قال الشعبي لا ياكله الا ان يضطر اليه كما يضطر الى الميتة ثم
القايلون بجواز الاكل من مال اليتيم اختلفوا في قوله فلياكل بالمعروف فقال عطا وعكرمة ياكل
باطراف اصابعه ولا يسرف ولا يكتسي ولا يلبس الكتان ولا الحلل لكن ياكل ما يسد به الجوع ويلبس
ما يستر به العورة وقال الحسن ياكل من ثمر نخله ولبن مواشيه بالمعروف ولا قضا عليه فاما
الذهب والفضة فلا ياخذ منه شيا فان اخذ وجب عليه رده وقال الكلبي المعروف هو ركوب
الدابة وخدمة الخادم وليس له ان ياكل من ماله شيا وروي ان رجلا قال لابن عباس ان لي يتيما
وان له ابلا افاشرب من لبن ابله فقال ابن عباس ان كنت تبغي ضالة ابله وتهنا جرباها وتلط حوضها
وتسقيها يوم ورودها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وقال قوم المعروف ان ياخذ من
ماله بقدر قيامه واجرة عمله ولا قضا عليه وهو قول عايشة وجماعة من اهل العلم وقوله تعالى فاذا
دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم هذا امر ارشاد وليس بواجب امر الله تعالى الولي بالاشهاد على دفع
المال الى اليتيم بعد البلوغ لتزول عنه التهمة وتنقطع الخصومة لانه اذا كانت عليه بينة كانت
ابعد من ان يدعي عدم القبض وتظهر بذلك امانة الوصي وتسقط عنه اليمين عند انكار القبض وكفى
بالله حسيبا يعني محاسبا ومجازيا وشاهدا به قوله عز وجل للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
نزلت هذه الاية في اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امراته ويقال لها ام كجة وثلاث بنات منها
فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه يقال لهما سويد وعرفجة فاخذا ماله ولم يعطيا امراته ولا
بناته شيا من المال وذلك انهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النسا ولا الصغير من الذكور وانما كانوا يورثون
الرجال ويقولون لا نعطي الارث الا من قاتل وحاز الغنيمة وحمى الحوزة فجات ام كجة امراة اوس
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله مات اوس بن ثابت وترك ثلاث بنات
وانا امراته وليس عندي ما انفق عليهن وقد ترك ابوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم
يعطياني ولا لبناته منه شيا وهن في حجري ولا يطعمن ولا يسقين فدعاهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالا يا رسول الله ولدها لا يركبن فرسا ولا يحملن كلا ولا ينكين عدوا فانزل الله هذه
الاية وبين ان الارث غير مختص بل هو على امر يشترك فيه الرجال والنسا فقال تعالى للرجال يعني
الذكور من اولاد الميت وعصبته نصيب اي حظ مما ترك الوالدان والاقربون يعني من الميراث وللنسا
نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يعني وللاناث من اولاد الميت حظ مما قل منه او كثر يعني
من المال المخلف عن الميت نصيبا مفروضا يعني معلوما والفرض ما فرضه الله تعالى وهو اكد من
الواجب فلما نزلت هذه الاية مجملة ولم يبين كم هو النصيب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى سويد وعرفجة ان ادفعا الى مليكة الثمن مما ترك والى بناته الثلثين ولكما باقي المال قوله عز وجل
واذا حضر القسمة يعني قسمة المواريث فعلى هذا القول يكون الخطاب للوارثين اولوا القربى يعني القرابة
الذين لا يرثون واليتامى والمساكين انما قدم اليتامى لشدة ضعفهم وحاجتهم فارزقوهم منه اي فارضخوا
لهم من المال قبل القسمة واختلف العلما في حكم هذه الاية فقال قوم هذه الاية منسوخة باية المواريث

Copyright King Saud University

وقد قيل نزول اية المواريث فلما نزلت اية المواريث جعلت لاهلها ونسخت هذه الاية وفي رواية مجاهد عن
ابن عباس وقول سعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وقتادة وقال قوم هي محكمة غير منسوخة وهي الرواية
الاخرى عن ابن عباس وهو قول ابي موسى الاشعري والحسن وابي العالية والشعبي وعطا بن ابي رباح وسعيد
ابن جبير ومجاهد والنخعي والزهري ثم اختلف العلما بعد القول بانها محكمة هذا الامر امر وجوب ام ندب
على قولين احدهما انه واجب فقيل ان كان الوارث كبيرا وجب عليه ان يرضخ لمن حضر القسمة شيا من المال
بقدر ما تطيب به نفسه وان كان الوارث صغيرا وجب على الولي ان يعتذر اليهم ويقول اني لا املك هذا
المال وهو لهولا الضعفا قال ابن عباس ان كان الورثة كبارا رضخوا لهم وان كان الورثة صغارا اعتذر
اليهم فيقول الولي والوصي اني لا املك هذا المال وانما هو للصغار ولو كان لي منه شي لاعطيتكم وان يكبروا
فسيعرفون حقكم هذا هو القول المعروف وقال بعضهم ذلك حق واجب في مال الصغار والكبار فان كان
الورثة كبارا تولوا اعطاهم بانفسهم وان كانوا صغارا اعطى وليهم وروى محمد بن سيرين ان عبيدة السلماني
قسم اموال ايتام فامر بشاة فذبحت وصنعت طعاما لاجل هذه الاية وقال لولا هذه الاية لكان هذا من مالي
وقال الحسن والنخعي هذا الرضخ مختص بقسمة الاعيان فاذا آل الامر الى قسمة الارضين والرقيق وما
اشبه ذلك وقولوا لهم قولا معروفا وقيل كانوا يعطون التابوت والاواني ورث الثياب والمتاع الذي
يستحى من قسمته والقول الثاني ان هذا الامر ندب واستحباب لا على سبيل الفرض والايجاب وهذا
القول هو الاصح الذي عليه العمل اليوم واحتج اهل هذا القول بانه لو كان لهولا حق معين لبينه الله تعالى
كما بين سائر الحقوق فحيث لم يبين علمنا ان ذلك غير واجب وقيل في معنى الاية ان المراد بالقسمة
الوصية فاذا حضر الوصية من لا يرث من الاقربا واليتامى والمساكين امر الله الموصي ان يجعل لهم نصيبا
من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولا معروفا وهو ان لا يتبع العطية بالمن والاذى قوله تعالى
وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا يعني اولادا صغارا خافوا عليهم يعني الفقر قيل هذا خطاب
للذين يجلسون عند المريض وقد حضره الموت فيقولون له انظر لنفسك فان اولادك وورثتك
لا يغنون عنك شيا قدم لنفسك اعتق وتصدق واعط فلا يزالون به حتى ياتي على عامة ماله فنهاهم
الله عن ذلك وامرهم بان يامروه بالنظر لولده ولا يزيد على الثلث في وصيته ولا يجحف والمعنى كما انكم تكرهون
بقا اولادكم في الضعف والجوع من غير مال فاخشوا الله ولا تحملوا المريض على ان يحرم اولاده الضعفا من ماله
وحاصل هذا الكلام كما انك لا ترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضه لاخيك المسلم وكما انه لو كان هذا
القائل هو الموصي لسره ان يحثه من يحضره على حفظ ماله لولده ولا يدعهم عالة يتكففون الناس مع
ضعفهم وعجزهم وقيل هو الرجل يحضره الموت ويريد ان يوصي بشي فيقول له من حضره من الرجال
اتق الله وامسك مالك لولدك فيمنعونه من الوصية لاقاربه المحتاجين وقيل يحتمل ان تكون
الاية خطابا لمن قرب اجله ويكون المقصود نهيه عن تكثير الوصية لئلا تبقى ورثته فقرا ضعفا
ضايعين بعد موته ثم ان كانت هذه الاية نزلت قبل تقدير الثلث كان المراد منها ان لا تجعل الوصية
مستغرقة للتركة وان كانت قد نزلت بعد تقدير الثلث فان المراد منها ان يوصي بالثلث او باقل منه
اذا خاف على ورثته كما روي عن كثير من الصحابة انهم وصوا بالقليل لاجل ذلك وكانوا يقولون الخمس في الوصية
افضل من الربع والربع افضل من الثلث وقد ورد في الصحيح الثلث والثلث كثير لان تذر ورثتك اغنيا خير من
ان تذرهم عالة يتكففون الناس يعني يسالونهم باكفهم وقيل هو خطاب لاوليا اليتامى والمعنى وليخش من

خاف على ولده من بعد موته ان يضيع مال اليتيم الضعيف الذي هو ذرية غيره اذا كان في حجره والمقصود من
الاية ان من كان في حجره يتيم فليحسن اليه وليه او وصيه وليفعل به ما يحب ان يفعل باولاده من بعده
فليتقوا الله يعني في الامر الذي تقدم ذكره وليقولوا قولا سديدا يعني عدلا وصوابا فالقول السديد من
الجالسين عند المريض هو ان يامروه ان يتصدق بدون الثلث ويترك الباقي لولده وورثته وان لا
يجحف في وصيته والقول السديد من الاوصيا واوليا اليتامى ان يكلموهم كما يكلمون اولادهم ولا يوذوهم
بقول ولا فعل قوله عز وجل ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما قال مقاتل بن حيان نزلت في رجل من غطفان
يقال له مرثد بن زيد ولي مال يتيم وكان اليتيم ابن اخيه فاكله فانزل الله هذه الاية ان الذين ياكلون اموال اليتامى
ظلما يعني حراما بغير حق انما ياكلون في بطونهم نارا يعني سياكلون يوم القيامة لان الذين ياكلون نارا يوول
اليه امرهم يوم القيامة قال السدي يبعث اكل مال اليتيم ظلما يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن
مسامعه واذنيه وعينيه وانفه يعرفه من راه باكل مال اليتيم وفي حديث ابي سعيد الخدري قال حدثنا
النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة اسري به قال نظرت فاذا انا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من
ياخذ بمشافرهم ثم يجعل في افواههم صخرا من نار يخرج من اسافلهم فقلت يا جبريل من هولا قال الذين ياكلون اموال
اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وقيل انما ذكر اكل النار على سبيل التمثيل والتوسع في الكلام والمراد ان اكل مال
اليتيم ظلما يفضي بها الى النار وانما خص الاكل بالذكر وان كان المراد سائر انواع الاتلافات وجميع التصرفات الرديئة
المتلفة للمال لان الضرر يحصل بكل ذلك لليتيم فعبر عن جميع ذلك بالاكل لانه معظم المقصود وانما ذكر البطون
للتاكيد فهو كقولك رايت بعيني وسمعت باذني وسيصلون سعيرا يعني باكلهم اموال اليتامى ظلما والسعير النار
الموقدة المسعرة ولما نزلت هذه الاية ثقل ذلك على الناس واحترزوا من مخالطة اليتامى واموالهم بالكلية
فشق ذلك على الناس فنزل قوله وان تخالطوهم فاخوانكم وقد توهم بعضهم ان قوله وان تخالطوهم ناسخ
لهذه الاية وهذا غلط ممن توهمه لان هذه الاية واردة في المنع من اكل اليتامى ظلما وهذا لا يصير منسوخا
لان اكل مال اليتيم بغير حق من اعظم الاثام وقوله وان تخالطوهم فاخوانكم فانها واردة على سبيل
الاصلاح في اموال اليتامى والاحسان اليهم ومن اعظم القرب قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ
الانثيين اختلف العلما في سبب نزول هذه الاية فروي عن جابر قال مرضت فاتاني رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعودني وابو بكر وهما ماشيان فوجداني اغمي علي فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه
علي فافقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالي كيف اقضي في مالي فلم يجبني
بشي حتى نزلت اية الميراث وفي رواية قلت لا يرثني الا كلالة فكيف الميراث فنزلت اية الفرايض وفي رواية
اخرى فنزلت يوصيكم الله في اولادكم وفي رواية اخرى فلم يرد علي شيا فنزلت اية الميراث يستفتونك قل
الله يفتيكم اخرجه البخاري ومسلم وقال مقاتل والكلبي نزلت في ام كجة امراة اوس بن ثابت وبناته وقال عطا
نزلت في سعد بن الربيع النقيب استشهد يوم احد وترك بنتين وامراة واخا وعن جابر رضي الله عنه قال
جاءت امراة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هاتان
ابنتا سعد قتل ابوهما معك يوم احد شهيدا وان عمهما اخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا ينكحان الا ولهما
مال قال يقضي الله في ذلك فنزلت اية الميراث فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمهما فقال اعط ابنتي
سعد الثلثين واعط امهما الثمن وما بقي فهو لك اخرجه الترمذي وقال السدي كان اهل الجاهلية
لا يورثون الجواري ولا الضعفا من الغلمان لا يرث الرجل من ولده الا من اطاق القتال فمات عبد الرحمن اخو حسان

Copyright © King Saud University

الشاعر وترك امراة وخمس بنات فجاءت الورثة واخذوا ماله فشكت امراته الى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله
الاية الكريمة وقبل الشروع في تفسير هذه الاية نقدم فصولا تتضمن احكام الفرايض واصول قواعدها **فصل**
في الحث على تعليم الفرايض اعلم ان علم الفرايض من اعظم العلوم قدرا واشرفها ذخرا وافضلها ذكرا وهو ركن من اركان
الشريعة وفرع من فروعها في الحقيقة اشتغل الصدر الاول من الصحابة بتحصيلها وتكلموا في فروعها واصولها ويكفي
في فضلها ان الله عز وجل تولى قسمتها بنفسه وانزلها في كتابه مبينة في محل قدسه وقد حث رسول الله صلى
الله عليه وسلم على تعليمها فيما رواه ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرايض
والقران وعلموا الناس فاني مقبوض اخرجه الترمذي وقال فيه اضطراب واخرجه احمد بن حنبل وزاد فيه
فاني امرؤ مقبوض والعلم مرفوع ويوشك ان يختلف اثنان في الفريضة فلا يجدان احدا يخبرهما عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرايض وعلموها فانه نصف العلم وهو ينسى وهو اول
شي ينزع من امتي اخرجه ابن ماجة والدارقطني **فصل** في بيان احكام الفرايض اذا مات الميت وله
مال يبدو بتجهيزه من ماله ثم تقضى ديونه ان كان عليه دين ثم انفاذ وصاياه وما فضل بعد ذلك
من ماله يقسم بين ورثته والوارثون من الرجال عشرة الابن وابن الابن وان سفل والاب والجد وان
علا والاخ سوا كان لاب وام او لاب او لام وابن الاخ للاب والام وللاب وان سفل وللاب والجد وان
علا والعم للاب والام او للاب وابناهما وان سفلوا والزوج والمعتق والوارثات من النسا سبع البنت
وبنت الابن وان سفلت والام والجدة وان علت والاخت من كل الجهات والزوجة والمعتقة وستة
من هولا لا يلحقهم حجب الحرمان بالغير وهو الابوان والولدان والزوجان لانه ليس بينهم وبين الميت واسطة
ثم الورثة ثلاثة اصناف صنف يرث بالفرض المجرد وهو الزوجان والبنات والاخوات والامهات
والجدات واولاد الام وصنف يرث بالتعصيب وهم البنون والاخوة وبنوهم والاعمام وبنوهم وصنف
يرث بالتعصيب تارة وبالفرض اخرى وهما الاب والجد فيرث بالتعصيب اذا لم يكن للميت ولد فان
كان له ابن ورث الاب بالفرض السدس وان كانت بنت ورث السدس بالفرض واخذ
الباقي بالتعصيب والعصبة اسم لمن ياخذ جميع المال اذا انفرد وياخذ ما فضل من اصحاب الفرايض
فصل في اسباب الارث ثلاثة نسب ونكاح وولا فالنسب القرابة يرث بعضهم بعضا
والنكاح هو ان يرث احد الزوجين من صاحبه بسبب النكاح والولا ان المعتق وعصباته يرثون
المعتق والاسباب التي تمنع الميراث اربعة اختلاف الدين فالكافر لا يرث المسلم ولا المسلم لا يرث
الكافر لما روي عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا توارث بين اهل ملتين
لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم اخرجاه في الصحيحين فاما الكافر فيرث بعضهم بعضا مع اختلاف
مللهم واديانهم لان الكفر كله ملة واحدة وذهب بعضهم الى ان اختلاف الملل في الكفر يمنع التوارث
ايضا حتى لا يرث اليهودي من النصراني ولا النصراني من المجوسي والى هذا ذهب الزهري والاوزاعي واسحاق
لما روي عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا توارث بين اهل ملتين اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يتوارث
اهل ملتين شيا اخرجه ابو داود وحمله اخرون على الاسلام والكفر لان الكفر عندهم ملة واحدة فتوريث
بعضهم من بعض لا يكون فيه اثبات التوارث بين ملتين شتى والرق يمنع الارث لان الرقيق لا
ملك له فلا يرث ولا يورث والقتل يمنع الارث عمدا كان القتل او خطا لما روي عن ابي هريرة عن النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم قال القاتل لا يرث اخرجه الترمذي وهذا حديث لا يصح والعمل عليه
عند اهل العلم ان القاتل لا يرث كان القتل عمدا او خطا وقال بعضهم اذا كان القتل خطا
فانه يرث وهو قول مالك وعمى الموت وهو ان يخفى موت الوارثين وذلك بان غرقا
او انهدم عليهما بنا فلم يدر ايهما سبق موته فلا يرث احدهما الاخر بل يكون كل واحد منهما
لمن كان في حياته يقينا بعد موته من ورثته **فصل** في السهام المحدودة في الفرايض
المذكورة في كتاب الله عز وجل ستة النصف والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس
فالنصف فرض ثلاثة فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة للصلب وبنت الابن
عند عدم بنت الصلب وفرض الاخت الواحدة للاب والام وفرض الاخت الواحدة للاب اذا لم يكن
ولد لاب وام والربع فرض الزوج مع ولد الزوجة وفرض الزوجة مع عدم الولد والثمن فرض
الزوجة مع الولد والثلثان فرض البنتين فصاعدا ولبنات الابن عند عدم بنات الصلب
وفرض الاختين فصاعدا للاب والام او للاب والثلث فرض ثلاثة فرض الام اذا لم يكن للميت
ولد ولا اثنان من الاخوة والاخوات الا في مسالتين احدهما زوج وابوان والاخرى زوجة وابوان
فان للام فيهما ثلث الباقي بعد نصيب الزوج او الزوجة وفرض الاثنين فصاعدا من ولد الام
ذكرهم وانثاهم فيه سوا وفرض الجد مع الاخوة اذا لم يكن في المسالة صاحب فرض وكان الثلث خيرا للجد من المقاسمة
مع الاخوة والسدس فرض سبعة فرض الاب اذا كان للميت ولد وفرض الام اذا كان للميت ولد او ولدين او اثنان من الاخوة
والاخوات وفرض الجد اذا كان للميت ولد ومع الاخوة اذا كان في المسالة صاحب فرض وكان السدس خيرا للجد من المقاسمة
مع الاخوة وفرض الجدة والجدات وفرض الواحد من ولد الام ذكرا كان او انثى وفرض بنات الابن مع بنت الصلب
تكملة الثلثين وفرض الاخوات للاب مع الاخت للاب والام تكملة الثلثين ق عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرايض باهلها فما بقي فهو لاولى رجل ذكر خ عن ابن عباس قال كان المال للولد والوصية للوالدين
فنسخ الله من ذلك ما احب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين وجعل للابوين لكل واحد منهما السدس والثلث وجعل
للمراة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع **فصل** روي عن زيد بن ثابت قال ولد الابنا بمنزلة الابنا
اذا لم يكن دونهم ابن ذكرهم كذكرهم وانثاهم كانثاهم يرثون كما يرثون ويحجبون كما يحجبون ولا يرث ولد ابن مع
ابن ذكر فان ترك ابنة وابن ابن ذكر كان للبنت النصف ولابن الابن ما بقي لقوله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرايض
باهلها فما بقي فهو لاولى رجل ذكر ففي الحديث دليل على ان بعض الورثة يحجب البعض والحجب حجبان حجب نقصان
وحجب حرمان اما الاول وهو حجب النقصان فهو ان الولد وولد الابن يحجب الزوج من النصف الى الربع والزوجة
من الربع الى الثمن والام من الثلث الى السدس وكذلك الاثنان من الاخوة والاخوات يحجبون الام من الثلث
الى السدس واما الثاني وهو حجب الحرمان فهو ان الام تسقط الجدات واولاد الام وهم الاخوة للام يسقطون
باربعة بالاب والجد وان علا وبالولد وولد الابن وان واولاد الاب والام وهم الاخوة للاب والام يسقطون
بثلاثة بالاب والابن وابن الابن وان سفلوا ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت وهو قول عمر
وعثمان وعلي وابن مسعود وبه قال مالك والاوزاعي والشافعي واحمد واولاد الاب يسقطون بهولا الثلاثة
وبالاخ للاب والام وذهب قوم الى ان الاخوة يسقطون جميعا بالجد كما يسقطون بالاب وهو قول ابي بكر الصديق
وابن عباس ومعاذ وابي الدردا وعايشة وبه قال الحسن وعطا وطاوس وابو حنيفة والاقرب من العصبات
يسقط الابعد منهم فاقربهم الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم الجد وان علا فان كان مع

Copyright © King Saud University

الجد احد من الاخوة للاب والام او للاب يشترك ان في الميراث فان لم يكن جد فللاخ للاب والام ثم الاخ للاب
ثم بنو الاخوة يقدم اقربهم سوا كان لاب وام او لاب فان استويا في الدرجة فالذي لاب وام اولى ثم العم لاب وام ثم
العم لاب ثم بنوهم على ترتيب بنو الاخوة ثم عم الاب ثم عم الجد على هذا الترتيب فان لم يكن احد من عصبات النسب
ولا معتق للميت فالميراث للمعتق فان لم يكن حيا فلعصبات المعتق واربعة من الذكور يعصبون الاناث الابن وابن
الابن والاخ للاب والام والاخ للاب فلو مات عن ابن وبنت او عن اخ واخت لاب وام او لاب يكون المال بينهما
للذكر مثل حظ الانثيين ولا يفرض للبنت وكذلك ابن الابن يعصب من في درجته من الاناث ومن فوقه اذا لم
يأخذ من الثلثين شيا حتى لو مات عن بنتين وبنت ابن فللبنتين الثلثان ولا شي لبنت الابن فلو كان في درجتها
ابن ابن او سفل منها ابن ابن ابن كان الباقي بينهما للذكر مثل حظ الانثيين والاخت للاب والام او للاب تكون
مع البنت عصبة حتى مات عن بنت واخت كان للبنت النصف والباقي وهو النصف للاخت ولو مات عن بنتين
واخت كان للبنتين الثلثان والباقي للاخت ويدل على ذلك ما روي عن هذيل بن شرحبيل قال سيل ابو موسى عن ابنة
وابنة ابن واخت فقال للابنة النصف وللاخت النصف واستأت ابن مسعود فسيل ابن مسعود واخبر بقول ابي
موسى فقال ابن مسعود لقد ضللت وما انا من المهتدين ثم قال اقضي فيها بما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
للابنة النصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين وما بقي للاخت فاخبر ابو موسى بقول ابن مسعود فقال
لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم اخرجه البخاري واما التفسير فقوله تعالى يوصيكم الله اي يعهد اليكم ويفرض
عليكم في اولادكم يعني في امر اولادكم اذا متم والوصية من الله ايجاب وانما بدا الله تعالى بذكر ميراث الاولاد لان تعلق
قلب الانسان بولده اشد من تعلقه بغيره فلهذا قدم الله ذكر ميراثهم للذكر مثل حظ الانثيين يعني للولد
الذكر له من الميراث ضعفي سهام الانثى فللذكر سهمان وللانثى سهم فلو حصل مع الاولاد غيرهم من الورثة
من اهل الفروض كالابوين اخذوا فروضهم وما بقي بعد ذلك كان بين الاولاد للذكر مثل حظ الانثيين
فان كن يعني المتروكات من الاولاد نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك يعني بنتين فصاعدا واجمعت
الامة على ان للبنتين الثلثين الا ما روي عن ابن عباس انه ذهب الى ظاهر الاية وقال الثلثان فرض
الثلاث من البنات لان الله تعالى قال فان كن نساء فوق اثنتين فجعل الثلثين للنساء اذا زدن على اثنتين
وعنده ان فرض البنتين النصف كفرض الواحدة واجيب عنه بوجوه فيها حجة لمذهب الجمهور الوجه الاول
ان الله تعالى قال وان كانت واحدة فلها النصف فجعل النصف للواحدة وذلك ينفي حصول النصف نصيبا
للبنتين الوجه الثاني في الاية تقديم وتاخير والتقدير فان كن نساء اثنتين فما فوقهما فلهن الثلثان الوجه
الثالث لفظة فوق ههنا صلة والتقدير فان كن نساء اثنتين فهو كقوله فاضربوا فوق الاعناق يعني فاضربوا
الاعناق وانما سمي الاثنين نساء بلفظ الجمع لان العرب تطلق على الاثنين جماعة بدليل قوله تعالى فقد صغت
قلوبكما الوجه الرابع قال علماء الجمهور انا اعطينا البنتين الثلثين بتاويل القران لان الله تعالى جعل للبنت الواحدة
النصف بقوله تعالى وان كانت واحدة فلها النصف وجعل للاخت الواحدة النصف بقوله ان امرؤ هلك ليس له
ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ثم جعل للاختين الثلثين بقوله فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك
فلما جعل للاختين الثلثين علمنا ان للبنتين الثلثين قياسا على الاختين الوجه الخامس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قضى بالثلثين لابنتي سعد بن الربيع وهذا نص والخبر في المسالة وقوله تعالى وان كانت واحدة يعني البنت الواحدة
فلها النصف يعني فرضها ولابويه يعني ابوي الميت كناية من غير مذكور وهما الاب والام لكل واحد منهما السدس مما ترك
ان كان له ولد يعني ان الاب والام مع وجود الولد او ولد الابن لكل واحد منهما سدس الميراث واعلم ان اسم الولد يقع

على

على الذكر والانثى فاذا مات الميت وترك ابوين وولدا ذكرا واحدا كان او اكثر وترك بنات فان للام السدس بالفرض
والاب السدس مع الولد الذكر بالفرض ومع البنات له السدس بالفرض وهو الباقي من التركة ولو مع البنت الواحدة السدس
بالفرض والباقي بالتعصيب فان لم يكن له ولد يعني للميت وورثه ابواه فلامه الثلث يعني ان الميت اذا مات عن ابوين
وليس له وارث سواهما فان الام تاخذ الثلث بالفرض وياخذ الاب باقي المال بالفرض والتعصيب فيكون المال بينهما اثلاثا
للذكر مثل حظ الانثيين فان كان مع الابوين احد الزوجين فيفرض للام ثلث الباقي بعد نصيب الزوج او الزوجة فان كان
له يعني للميت اخوة يعني ذكورا واناثا فلامه السدس يعني لام الميت سدس التركة اذا كان معها اب واجمع العلماء
على ان الثلاثة يحجبون الام من الثلث الى السدس وان الاخ الواحد والاخت الواحدة لا يحجب الام من الثلث
الى السدس واختلفوا في الاخوين فالاكثرون من الصحابة يقولون ان الاخوين يحجبان الام من الثلث الى
السدس وهذا قول عمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت والجمهور وقال ابن عباس لا يحجب الاخوة الام من
الثلث الى السدس الا ان يكونوا ثلاثة قال ابن عباس لعثمان ثم صار الاخوان يردان الام من الثلث
الى السدس وانما قال الله تعالى فان كان له اخوة والاخوان في لسان العرب ومكن ليسا باخوة فقال عثمان يا بني
ان قومك حجبوها باخوين ولا استطيع تغيير امر قد كان قبلي وانما نشا هذا الاختلاف لانهم اختلفوا في اقل الجمع
وفيه قولان احدهما ان اقل الجمع اثنان وهو قول القاضي ابو بكر الباقلاني وحجة هذا القول انك اذا جمعت واحدا
الى واحد فهما جماعة لان اصل الجمع ضم شي الى شي وقال ابن الانباري التثنية عند العرب اول الجمع ومشهور في كلامهم
ايقاع الجمع على التثنية فمن ذلك قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين وهما داود وسليمان ومنه قوله تعالى فقد صغت قلوبكما
يريد قلبيكما القول الثاني ان اقل الجمع ثلاثة وهو قول جمهور العلماء وهو الاصح وانما حجب العلماء الام بالاخوين لدليل
اتفقوا عليه وهو ان لفظ الاخوة ينطلق على الاخوين فما زاد وذلك جائز في اللغة كما تقدم ثم ان الاخوة اذا حجبوا
الام من الثلث الى السدس فانهم لا يرثون شيا البتة بل يأخذ الاخ الباقي كرجل مات عن ابوين واخوين فان للام
السدس والباقي وهو خمسة اسداس للاب سدس بالفريضة والباقي بالتعصيب قال قتادة وانما حجب الاخوة
الام من غير ان يرثوا لان الاب يعولهم ويلي نكاحهم والنفقة عليهم دون الام من بعد وصية يوصي
بها او دين يعني ان هذه الانصبة والسهام انما تقسم بعد قضاء الدين وانفاذ وصية الميت في ثلثه وذكر الوصية
مقدم على الدين لا في اللفظ لا في الحكم لان لفظة او لا توجب الترتيب وانما هي لاحد الشيئين كانه قال من بعد
احد هذين مفردا او مضموما الى الاخر قال علي رضي الله تعالى عنه انكم تقرون الوصية قبل الدين وقضى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية وهذا اجماع ان الدين مقدم على الوصية والارث مؤخر عنها لان الدين حق
على الميت والوصية حق له وهما مقدمان على حق الورثة قوله تعالى اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا قيل
هذا الكلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبائهم وبين قوله فريضة من الله ولا تعلق لمعناه بمعنى الاية ومعنى
هذا الكلام في قول ابن عباس ان الله عز وجل يشفع المؤمنين بعضهم في بعض فاطوعكم لله من الاباء والابناء
ارفعكم درجة فان كان الوالد ارفع درجة من ولده رفع الله درجة الابناء اليه وان كان الولد ارفع درجة من
الوالدين رفع الله الابوين الى درجته ليقر بذلك اعينهم فقال تعالى لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا لان احدهما
لا يعرف منفعة صاحبه له في الجنة وسبقته الى منزلة عالية تكون سببا لرفعته اليها وقيل ان هذا الكلام ليس
معترضا بينهما ومعناه متعلق بمعنى الاية بقوله اباؤكم وابناؤكم يعني الذين يرثونكم لا تدرون ايهم اقرب لكم
نفعا اي لا تعلمون ايهم انفع لكم في الدين والدنيا فمنكم من يظن ان الاب انفع له فيكون الابن انفع له ومنكم من يظن
ان الابن انفع له فيكون الاب انفع له ولكن الله تعالى هو الذي ذكر احكامكم وعلم ما فيه المصلحة لكم فاتبعوه ولو

Copyright © King Saud University

وكذلك لكنا ليكم لم تعلموا ايهم انفع لكم فتعطون من لا يستحق من الميراث ومنعهم من يستحق الميراث فريضة من الله يعني
ماقدر من المواريث لاهلها فريضة واجبة ان الله كان عليما حكيما يعني كان عليما بالاشيا قبل خلقها حكيما فيما
قدر من الفرايض وفرض من الاحكام وقيل معناه كان عليما بخلقه قبل ان يخلقهم حكيما حيث فرض للصغار مع الكبار
ولم يخص الكبار بالميراث كما كانت العرب تفعل وفي معنى لفظة كان ثلاثة اقوال احدها ان الله تعالى كان عليما
بالاشيا قبل خلقها ولم يزل كذلك الثاني حكى الزجاج عن سيبويه انه قال ان القوم لما شاهدوا علما وحكمة ومغفرة
وتفضلا فقيل لهم ان الله كان كذلك ولم يزل الله على ما شاهدتم الثالث قال الخليل الخبر عن الله عز وجل بهذه
هذه الاشيا كالخبر بالحال والاستقبال لان صفات الله تعالى لا يجوز عليها الزوال والتقلب قوله عز وجل ولكم
نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين
هذا ميراث الازواج من الزوجات وقال تعالى في ميراث الزوجات من الازواج ولهن يعني للزوجات الربع مما تركتم
ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين لما جعل الله في الموجب النسبي حظ
الرجل مثل حظ الانثيين جعل في الموجب السببي للرجل مثل حظ الانثيين واعلم ان الواحدة من النسا لها الربع او
الثمن وكذلك لو كان اربع زوجات فانهن يشتركن في الربع او الثمن واسم الولد يطلق على الذكر والانثى ولا فرق بين الولد
وولد الابن وولد البنت في ذلك وسوا كان الولد من الزوجة او من غيرها قوله تعالى وان كان رجل يورث كلالة او
امراة تقدير الاية وان كان رجل او امراة يورث كلالة واختلفوا في الكلالة فذهب اكثر الصحابة الى ان الكلالة من
لا ولد له ولا والد روى الشعبي قال سيل ابو بكر الصديق عن الكلالة فقال ساقول فيها قولا براي فان كان صوابا فمن الله
وان كان خطا فمني ومن الشيطان اراه ما خلا الوالد والولد فلما استخلف عمر قال اني لاستحي ان ارد شيا قاله ابو بكر وهذا
قول علي وابن مسعود وزيد بن ثابت واحدى الروايتين عن ابن عمر وابن عباس وهذا القول هو الصحيح المختار ويدل
على صحته ان اشتقاق الكلالة من كلت الرحم بين فلان وفلان اذا تباعدت القرابة بينهم فسميت القرابة البعيدة كلالة
من هذا الوجه وقيل ان الكلالة في اصل اللغة عبارة عن الاحاطة ومنه الاكليل لاحاطته بالراس فمن عدا
الوالد والولد من القرابة انما سموا كلالة لانهم كالدايرة المحيطة بالانسان اما نسبة الولادة فليست كذلك لان
فيها تفرع البعض عن البعض وتولد البعض عن البعض فهو كالشي الواحد الذي يتزايد على نسق واحد فاما القرابة المغايرة
لقرابة الولادة وهم الاخوة والاخوات والاعمام والعمات وغيرهم فانما يحصل نسبهم اتصال احاطة بالمنسوب اليه
فثبت بذلك ان الكلالة عبارة عمن عدا الوالد والولد والرواية الاخرى عن عمر وابن عباس ان الكلالة من لا ولد له
وبه قال طاوس واحتج لهذا القول بقوله تعالى قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وبيانه عند
عامة العلما ماخوذ من حديث جابر بن عبد الله لان الاية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها اب ولا ابن لان
اباه قتل يوم احد واية الكلالة نزلت في اخر السورة لنزولها فيه واختلفوا في ان الكلالة اسم لمن فمنهم من قال
هو اسم للميت وهو قول علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس لانه مات عن ذهاب طرفيه فكل عمود نسبه
وقيل هو اسم للحي من الورثة وهو قول ابي بكر الصديق وعليه جمهور العلما الذين قالوا ان الكلالة من دون
الوالد والولد ويدل عليه حديث جابر انما تركت كلالة اي يرثني ورثة ليسوا بولد ولا والد فان كان المراد بالكلالة
الميت الموروث فالمراد يرثه غير الوالد والولد وان كان المراد الوارثين فهم غير الوالد والولد وقال ابن زيد الكلالة الذي
لا ولد له ولا والد الحي والميت كلهم كلالة هذا يرث بالكلالة وهذا يورث بالكلالة وقال ابو الخير سال رجل عقبة
عن الكلالة فقال الا تعجبون هذا يسالني عن الكلالة وما اعضل باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شي ما
اعضلت بهم الكلالة وعن عمر قال ثلاث وددت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن

عهدا

عهدا ننتهي اليه الجد والكلالة وابواب من ابواب الربا وهذا طرف حديث ذكره في الخمر ق عن معدان بن ابي طلحة قال خطب عمر
ابن الخطاب فقال اني لا ادع بعدي شيا اهم عندي من الكلالة ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شي ما راجعته
في الكلالة وما اغلظ لي في شي ما اغلظ لي في الكلالة حتى طعن باصبعه في صدري وقال يا عمر الا يكفيك اية الصيف
التي في اخر سورة النسا واني ان اعش اقض فيها بقضية يقضي بها من يقرا القران ومن لا يقرا القران لفظ مسلم
قوله الا يكفيك اية الصيف وذلك ان الله تعالى انزل في الكلالة ايتين احدهما في الشتا وهي في اول سورة النسا
والاية الاخرى في الصيف وهي التي في اخر السورة وفيها من البيان ما ليس في اية الشتا فلذلك احاله عليها وقوله
تعالى وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس اراد بالاخ والاخت للام باتفاق العلما وقرى سعد بن ابي وقاص
وله اخ او اخت من الام **فان قلت** ان الله تعالى قال فان كان رجل يورث كلالة او امراة
ثم قال تعالى وله اخ فذكر الرجل ولم يذكر المراة فما السبب فيه **قلت** هذا على عادة العرب فانهم اذا
ذكروا اسمين ثم اخبروا عنهما وكانا في الحكم سوا ربما اضافوا الى احدهما الى الاخر وربما اضافوا اليهما فهو كقوله
تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة ثم قال تعالى وانها لكبيرة وقال الفرا اذا جا حرفان في معنى واحد
جاز اسناد التفسير الى ايهما اريد ويجوز اسناده اليهما ايضا فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركا في الثلث وهذا اجماع العلما
ان اولاد الام اذا كانوا اثنين فصاعدا يشتركون في الثلث ذكرهم وانثاهم فيه سوا قال ابو بكر الصديق
في خطبته الا ان الاية التي انزل الله في اول سورة النسا من شان الفرايض انزلها في الولد والوالد والاخوة الا
الثانية في الزوج والزوجة والاخوة من الام والاية الثالثة التي ختم الله بها سورة النسا في الاخوة والاخوات
من الاب والام والاية التي ختم بها سورة الانفال انزلها الله تعالى في اولي الارحام بعضهم اولى ببعض
في كتاب الله وقوله تعالى من بعد وصية يوصى بها او دين تقدم تفسيره وبقي شي من الاحكام يتكلم هنا وذلك
ان ظاهر الاية يدل على جواز الوصية بكل المال وببعضه وفي معنى الاية ما روي عن نافع عن ابن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امري مسلم له شي يوصي فيه وفي رواية له شي يريد ان يوصي فيه ان يبيت
ليلتين وفي رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول ما مرت
علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا وعندي وصيتي مكتوبة اخرجاه في
الصحيحين فظاهر الاية والحديث ما يدل على اطلاق الوصية لكن ورد في السنة ما يدل على تقييد
هذا المطلق وتخصيصه وهو قوله صلى الله عليه وسلم في حديث سعد بن ابي وقاص قال الثلث والثلث
كثير انك ان تذر ورثتك اغنيا خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس اخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث
دليل على ان الوصية لا تجوز باكثر من الثلث وان النقصان عن الثلث جايز ولا تجوز الوصية لوارث ويدل
عليه ما روي عن عمرو بن خارجة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اعطى كل ذي حق
حقه فلا وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر اخرجه الترمذي والنسائي عن ابي امامة قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث اخرجه ابو داود
وقوله تعالى غير مضار يعني غير مدخل الضرر على الورثة بمجاوزة الثلث في الوصية وهو ان يوصي باكثر من
الثلث وقيل هو ان يوصي بدين ليس عليه ونفي ماله او اكثر ماله لاجنبي ويترك ورثته عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل والمراة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران
في الوصية فتجب لهما النار ثم قرا ابو هريرة من بعد وصية يوصى بها او دين الى قوله ذلك الفوز العظيم اخرجه
ابو داود والترمذي وقال قتادة ذكر الله تعالى الضرر في الحياة وعند الموت فنهى عنه وقدم فيه وقيل ان

في الثلث

Copyright King Saud University

ان الاضرار في الوصية من الكبائر لان مخالفة امر الله عز وجل كبيرة وقد نهى الله عن الاضرار في الوصية فدل على ان ذلك
من الكبائر واعلم ان الاولى بالانسان ان ينظر عند الموت في قدر ما يخلف من المال ومن يخلف من الورثة ثم يجعل وصيته
بحسب ذلك فان كان ماله قليلا وفي الورثة كثرة فالاولى به ان لا يوصي بشيء لقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن
ابي وقاص انك ان تذر ورثتك اغنيا خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس وان كان في المال كثرة اوصى بحسب المال
وبحسب الورثة وحاجتهم بعد في القلة والكثرة وقوله تعالى وصية من الله اي فريضة من الله وقيل عهدا من الله اليكم
فيما يجب لكم من ميراث من يرث منكم والله عليم يعني انه تعالى عليم بمصالح عباده ومضارهم وبما يفرض عليهم من الاحكام
وقيل عليم بمن يجور في وصيته وبمن لا يجور حليم يعني انه تعالى ذو حلم وذو اناة في ترك العقوبة عمن جار في وصيته
وقال ابو سليمان الخطابي الحليم ذو الصفح والاناة الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل والحليم هو
الصفوح مع القدرة ثم المتاني الذي لا يعجل بالعقوبة قوله عز وجل تلك حدود الله يعني الاحكام التي تقدم ذكرها
في هذه السورة في مال اليتامى والوصايا والانكحة والمواريث وانما سماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة
للمكلفين فلا يجوز لهم ان يتجاوزوها وقال ابن عباس يريد ما حد الله من فرائضه ومن يطع الله ورسوله يعني في شان المواريث
ورضي بما قسم الله له وحكم عليه يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله
ورسوله يعني في شان المواريث ولم يرض بقسمة الله ورسوله ويتعد حدوده يعني ويتجاوز ما امر الله تعالى يدخله
نارا خالدا فيها وله عذاب مهين **فان قلت** كيف قطع للعاصي بالخلود في النار في هذه الاية
وهل فيها دليل للمعتزلة على قولهم ان العصاة والفساق من اهل الايمان يخلدون في النار **قلت**
قال الضحاك المعصية هنا الشرك وروى عكرمة عن ابن عباس في معنى الاية من لم يرض بقسمة الله ويتعد ما قال الله
يدخله نارا وقال الكلبي يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدود الله استحلالا لا اذا ثبت ذلك فمن رد حكم الله ولم يرض
بقسمته كفر بذلك فاذا كفر كان حكمه حكم الكفار في الخلود في النار اذا لم يتب قبل موته وان مات وهو مصر على ذلك
كان مخلدا في النار بكفره فلا دليل في الاية للمعتزلة والله اعلم قوله تعالى واللاتي هو جمع التي وهي كلمة يخبر بها عن
المونث خاصة يأتين الفاحشة يعني يفعلن الفاحشة يقال اتيت امرا قبيحا اذا فعلته والفاحشة في اللغة الفعلة
القبيحة وقيل الفاحشة عبارة عن كل فعل او قول يعظم قبحه في النفوس ويقبح ذكره في الالسنة حتى يبلغ الغاية
في جنسه وذلك مخصوص بشهوة الفرج الحرام ولذلك اجمعوا على ان الفاحشة هاهنا هي الزنا وانما سمي الزنا فاحشة
لزيادة قبحه من نسائكم قيل هن الزوجات وقيل المراد بهن جنس النسا فاستشهدوا عليهن اربعة منكم يعني من
المسلمين وهذا خطاب للازواج اذا طلبوا اربعة من الشهود يشهدون عليهن وقيل هو خطاب للحكام اي اسمعوا
شهادة اربع عليهن ويشترط في هذه الشهادة العدالة والذكورة قال عمر بن الخطاب انما جعل الله الشهود اربعة
سترا يستركم به دون فواحشكم فان شهدوا يعني الشهود بالزنا فامسكوهن في البيوت اي فاحبسوهن في البيوت والحكمة
في حبسهن ان المراة انما تقع في الزنا عند الخروج والبروز للرجال فاذا حبست في البيت لم تقدر على الزنا حتى يتوفاهن
الموت يعني يتوفاهن ملائكة الموت عند انقضا اجالهن او يجعل الله لهن سبيلا وهذا الحكم كان في اول الاسلام
قبل نزول الحدود كانت المراة اذا زنت حبست في البيت حتى تموت ثم نسخ الحبس بالحدود وجعل الله لهن سبيلا
(م) عن عبادة بن الصامت قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه كرب وتربد وجهه فانزل الله عليه
ذات يوم فلقي كذلك فلما سري عنه قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب
بالثيب جلد مائة والرجم **فصل** اتفق العلما على ان هذه الاية منسوخة ثم اختلفوا في ناسخها فذهب
بعضهم ان ناسخها هو حديث عبادة بن الصامت المتقدم وهذا على مذهب من يرى نسخ القران بالسنة

وذهب

وذهب بعضهم ان الاية منسوخة باية الجلد التي في سورة النور وقيل ان الاية منسوخة بالحديث والحديث منسوخ باية
الجلد وقال ابو سليمان الخطابي لم يحصل النسخ في هذه الاية ولا في الحديث وذلك لان قوله تعالى فامسكوهن في البيوت
حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا يدل على ان امساكهن في البيوت ممدود الى غاية ان يجعل الله لهن سبيلا
وان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الحديث فصار هذا الحديث
بيانا لذلك السبيل للاية المجملة لا ناسخا لها واجمع العلما على جلد البكر الزاني مائة ورجم المحصن وهو الذي اجتمع فيه اربع اوصاف
البلوغ والعقل والحرية والاصابة في نكاح صحيح وهو الثيب واختلفوا في جلد الثيب مع رجمه فذهب طايفة الى انه
يجمع بينهما وبه قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه والحسن واسحاق بن راهويه وداود واهل الظاهر وروي عن علي بن
ابي طالب انه جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال جماهير العلما الواجب على المحصن الزاني الرجم دون جلده لان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا
والغامدية ولم يجلدهما واما تغريب البكر الزاني ونفيه سنة فمذهب الشافعي وجماهير العلما وجوب ذلك وقال ابو
حنيفة وحماد لا يقضي بالنفي احدا الا ان يراه الحاكم تعزيرا وقال مالك والاوزاعي لا نفي على النسا ويروى مثله
عن علي قال لان المراة عورة وفي نفيها تضييع لها وتعريضها للفتنة وحجة الشافعي وجماهير العلما ظاهر حديث
عبادة بن الصامت وهو قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة وروى نافع عن ابن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب وغرب وان ابا بكر ضرب وغرب وان عمر ضرب وغرب وان كان الزاني عبدا فعليه
خمسين وفي تغريبه قولان فان قلنا انه يغرب ففيه قولان اصحهما انه يغرب نصف سنة قياسا على حده وان
كان الزاني مجنونا او غير بالغ فلا حد عليه قوله عز وجل واللذان فهو تثنية الذي يأتيانها يعني ياتيان الفاحشة منكم
يعني من رجالكم ونسائكم وقيل هما البكران لم يحصنا وهما غير المعنيين بالاية الاولى وقيل المراد من ذكر في الاولى النسا
وهذه للرجال لان الله تعالى حكم في الاية الاولى بالحبس في البيت على النسا وهو اللائق بهن لان المراة انما تقع
في الفاحشة عند الخروج فاذا حبست في البيت انقطعت مادة المعصية واما الرجل فلا يمكن حبسه في البيت لانه
يحتاج الى الخروج في صلاح معاشه واكتساب قوت عياله فجعلت عقوبة الرجل الزاني الاية بالقول والفعل فآذوهما
يعني عيروهما بالقول باللسان وهو ان يقال له اما خفت الله اما استحييت من الله حيث زنيت وقال ابن عباس
سبوهما واشتموهما وفي رواية عنه قال هو باللسان واليد يؤذى بالتعيير ويضرب بالنعال فان تابا يعني
من الفاحشة واصلحا يعني العمل فيما بقي فاعرضوا عنهما اي اتركوهما ولا تؤذوهما ان الله كان توابا رحيما يعني
انه تعالى يعود على عبده بفضله ومغفرته ورحمته اذا تاب وهذا الحكم كان في ابتدا الاسلام كان يحد الزاني
الاذى بالتوبيخ والتعيير بالقول باللسان فلما نزلت الحدود وثبتت الاحكام نسخ ذلك الاذى بالاية التي في
سورة النور وهو قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تاخذكم بهما رافة في دين
الله فثبت الجلد على البكر بنص الكتاب وثبت الرجم على الثيب المحصن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد
صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وكان قد احصن ويستوي في هذا الحكم المسلم واليهودي لانه ثبت
في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا وكانا قد احصنا وقال ابو حنيفة لا رجم على اليهودي لان
المشرك ليس بمحصن واجيب عنه بان المراد بهذا الاحصان احصان العفاف ولا احصان الفرج
قوله تعالى انما التوبة على الله يعني التوبة يقبلها الله تعالى فيكون على بمعنى عند وقيل على بمعنى من اي من الله
وقال اهل المعاني ان الله تعالى وعد قبول التوبة من المومنين في قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة واذا وعد الله شيئا
انجز ميعاده وصدق فمعنى قوله ان الله اوجب على نفسه من غير ايجاب احد عليه لانه تعالى يفعل ما يريد للذين يعملون

Copyright © King Saud University

السوء يعني الذنوب والمعاصي سميت سوءا لسوء عاقبتها اذا لم يتب منها بجهالة قال قتادة اجمع اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم على ان كل شيء عصي الله به فهو جهالة عمدا كان او غيره وكل من عصى فهو جاهل وقال ابن عباس من عمل السوء فهو جاهل
من جهالته عمل السوء وكل من عصى الله يسمى جاهلا وسمي فعله جهالة وانما سمي من عصى جاهلا لانه لم يستعمل ما معه
من العلم بالثواب والعقاب واذا لم يستعمل ذلك سمي جاهلا بهذا الاعتبار وقيل معنى الجهالة ان ياتي الانسان بالذنب
مع العلم بانه ذنب لكنه يجهل عقوبته وقيل معنى الجهالة هو اختيار اللذة الفانية على اللذة الباقية ثم يتوبون
من قريب يعني يتوبون بعد الاقلاع من الذنب بزمان قريب ليلا يبعد في زمرة المصرين وقيل القريب ان يتوب
في صحته قبل مرض موته وقيل قبل موته وقيل قبل معاينة ملك الموت ومعاينة اهوال الموت وانما سميت
هذه المدة قريبة لان كل ما هو آت فهو قريب وفيه تنبيه على ان عمر الانسان وان طال فهو قليل وان الانسان
يتوقع في كل ساعة ولحظة نزول الموت به عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد
ما لم يغرغر اخرجه الترمذي الغرغرة ان يجعل المشروب في فم المريض فيردده في الحلق ولا يصل اليه ولا يقدر
على بلعه وذلك عند بلوغ الروح الى الحلقوم وروى البغوي بسنده عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الشيطان قال وعزتك يا رب لا ابرح اغوي عبادك ما دامت ارواحهم في اجسادهم فقال
الرب تبارك وتعالى وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لا ازال اغفر لهم ما استغفروني وقيل في معنى
الاية ان القريب هو ان يتوب الانسان قبل ان يحيط السوء بحسناته فيحبطها فاولئك يتوب الله عليهم
يعني يقبل توبتهم وكان الله عليما حكيما قال ابن عباس علم ما في قلوب عباده المومنين من التصديق واليقين
فحكم بالتوبة قبل الموت ولو بقدر فواق ناقة وقيل معنى الاية علم انه انما اتى بتلك المعصية لاستيلاء
الشهوة والجهالة عليه فحكم بالتوبة لمن تاب عنهما واناب عن قريب قوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون الخ
قال ابن عباس يريد المشرك وقال ابو العالية وسعيد بن جبير هم المنافقون وقال سفيان الثوري
هم المسلمون الا ترى انه قال ولا الذين يموتون وهم كفار حتى اذا حضر احدهم الموت يعني وقع في النزع وعاين
ملائكة الموت وهو حالة السوق حين تشاق الروح للخروج من جسده قال اني تبت الان قال المحققون قرب
الموت لا يمنع من قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة الاحوال التي لا يمكن معها الرجوع الى الدنيا بحال
وكذلك لم تقبل توبة فرعون ولا ايمانه وهو قوله تعالى حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا
الذي امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ويدل على ذلك قوله
تعالى ايضا فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا **فان قلت** قد تعلقت الوعيدية
بهذه الاية وقالوا اخبر الله تعالى ان عصاة المومنين اذا اهملوا امرهم الى انقضاء اجالهم حصلوا على عذاب الاخرة
لان تعالى جمعهم في قوله اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما وايضا انه تعالى اخبر انه لا توبة لهم عند معاينة
الموت واسبابه **قلت** ليس الامر على ما زعموا فقد روي عن ابن عباس في قوله وليست التوبة
للذين يعملون السيئات يريد الشرك وقال سعيد بن جبير نزلت الاية الاولى في المومنين يعني قوله انما التوبة
على الله والوسطى في المنافقين وهو قوله تعالى وليست التوبة على الله للذين يعملون السيئات والاخرى في
الكافرين يعني قوله ولا الذين يموتون وهم كفار واذا كانت الاية نازلة في الكفار والمنافقين فلا وجه
لحملها على المومنين وعلى تقدير ان تكون الاية نازلة في عصاة المومنين فقد روي عن ابن عباس في قوله
تعالى بعد ذلك ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فحرم الله المغفرة على من مات
وهو كافر وارجا اهل التوحيد الى مشيئته ولم يؤيسهم من المغفرة فعلى هذا القول تكون الاية منسوخة في حق

المومنين

المومنين وبقوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار معناه لا توبة للكفار اذا ماتوا على كفرهم وانما تقبل
توبتهم في الاخرة لرفع التكليف في الاخرة ومعاينة ما وعدوا به من العقاب اولئك اعتدنا لهم اي هيانا لهم
عذابا اليما قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها نزلت في اهل المدينة وذلك انهم كانوا في
الجاهلية وفي اول الاسلام اذا مات الرجل وخلف امراة جاء ابنه من غيرها او قريبه من ذوي عصبته فالقى ثوبه
على تلك المراة او على خبائها صار احق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق الاول الذي
اصدقها الميت وان شاء زوجها غيره واخذ هو صداقها وان شاء عضلها ومنعها من الازواج يضارها بذلك لتفتدي منه
بما ورثت من الميت او تموت هي فيرثها فان ذهبت المراة الى اهلها قبل ان يلقي عليها ولي زوجها ثوبه كانت احق بنفسها
وكانوا على ذلك حتى توفي ابو قيس بن الاسلت الانصاري وترك امراته كبيشة بنت معن الانصارية فقام ابن له
من غيرها يقال له حصن وقيل اسمه قيس بن قيس فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها يضارها
بذلك لتفتدي منه فاتت كبيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابا قيس توفي وورث
نكاحي ابنه فلا هو ينفق علي ولا هو يدخل بي ولا يخلي سبيلي فقال اقعدي في بيتك حتى ياتي امر الله فيك فانزل الله
عز وجل يا ايها الذين امنوا لا ترثوا النساء كرها يعني ميراث نكاح النساء وقيل معناه ان ترثوا اموالهن كرها
يعني وهن كارهات ولا تعضلوهن اي ولا تمنعوهن من الازواج واصل العضل المنع لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن يعني
لتفتدي منكم ببعض مالها قيل هو خطاب للازواج قال ابن عباس هذا في الرجل تكون له امراة وهو كاره لصحبتها
ولها عليه مهر فيضارها لتفتدي منه وترد اليه ما ساق اليها من المهر فنهى الله عن ذلك وقيل كان الرجل يطلق
امراته ثم يراجعها ثم يطلقها يضارها بذلك فنهوا عن ذلك وقيل هو خطاب لاولياء الميت فنهاهم الله عن عضل المراة
ثم قال تعالى الا ان ياتين بفاحشة مبينة يعني فحينئذ يحل لكم اضرارهن لتفتدي منكم واختلفوا في الفاحشة المبينة
فقيل هي النشوز وسوء الخلق وايذاء الزوج واهله وقيل الفاحشة هي الزنا يعني المراة اذا نشزت او زنت حل للزوج ان
يسالها الخلع وقيل كانت المراة اذا اصابت فاحشة اخذ منها زوجها ما ساق اليها واخرجها فنسخ الله ذلك بالحدود
وعاشروهن بالمعروف قيل هو راجع الى الكلام الذي قبله والمعنى واتوا النساء صدقاتهن نحلة وعاشروهن بالمعروف
والمعاشرة بالمعروف هو الاجمال في القول والمبيت والنفقة وقيل هو ان تصنع لها كما تحب ان تصنع لك فان
كرهتموهن يعني فان كرهتم عشرتهن وصحبتهن واثرتم فراقهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا قال
ابن عباس يعني رزقه منها ولدا صالحا فيجعل الله في ولدها خيرا كثيرا فتنقلب تلك الكراهة محبة والنفرة رغبة وقيل في الاية
ندب الى امساك المراة مع الكراهة لها لانه اذا كره صحبتها وتحمل ذلك المكروه طلبا للثواب وانفق عليها واحسن هو
صحبتها استحق الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى وقيل في معنى الاية انكم ان كرهتموهن ورغبتم
في فراقهن فربما جعل الله في تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا وذلك بان تتخلص من هذا الزوج الكاره لها وتتزوج غيره
خيرا منه قوله عز وجل وان اردتم استبدال زوج مكان زوج الخطاب للرجال واراد بالزوج الزوجة قال المفسرون لما ذكر
الله في الاية الاولى مضارة الزوجات اذا اتين بفاحشة وهي اما النشوز او الزنا بين في هذه الاية تحريم المضارة اذا لم
يكن من قبلها نشوز ولا زنا ونهى عن بخس الرجل حق المراة اذا اراد طلاقها واستبدال غيرها واتيتم احداهن قنطارا يعني
وكان ذلك الصداق مالا كثيرا وفي الاية دليل على جواز المغالاة في المهور روي ان عمر قال على المنبر الا لا تغالوا في مهور
نسائكم فقامت امراة فقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وانت تمنعنا وتلت الاية فقال كل الناس افقه من عمر
وفي رواية امراة اصابت وامير اخطا ورجع عن كراهة المغالاة وقد تغالى الناس في صدقات النساء حتى بلغ الالوف
وقيل ان خير المهور ايسرها واسهلها فلا تاخذوا منه شيئا يعني من القنطار الذي اتيتموهن لو جعلتم ذلك القدر لهن صداقا

Copyright © King Saud University

فلا تأخذوا منه شيئا وذلك ان النشوز اما ان يكون من قبل الزوج او من قبل الزوجة فان كان من قبل الزوج واراد
طلاقها لم يحل له ان ياخذ شيئا من صداقها وان كان النشوز من قبل المراة جاز له ذلك اتاخذونه استفهام
بمعنى التوبيخ بهتانا يعني ظلما وقيل باطلا واثما مبينا يعني اتاخذونه مباهتين اثمين فلا تفعلوا مثل هذا الفعل
مع ظهور قبحه في الشرع والعقل ثم قال تعالى وكيف تاخذونه كلمة تعجب والمعنى لاي وجه تفعلون مثل هذا الفعل
وكيف يليق بالعاقل ان يسترد شيئا بذله لزوجته عن طيب نفس وقيل هو استفهام معناه التوبيخ والتعظيم
لاخذ المهر بغير حله ثم ذكر السبب في ذلك فقال تعالى وقد افضى بعضكم الى بعض اصل الافضا في اللغة الوصول يقال افضى
اليه اي وصل اليه ثم للمفسرين في معنى الافضا في هذه الاية قولان احدهما انه كناية عن الجماع وهو قول ابن عباس
ومجاهد والسدي واختيار الزجاج وابن قتيبة ومذهب الشافعي لان عنده ان الزوج اذا طلق قبل المسيس فله ان
يرجع بنصف المهر وان خلا بها والقول الثاني في معنى الافضا هو ان يخلو بها وان لم يجامعها وقال الكلبي الافضا
ان يكون معها في لحاف واحد جامعها او لم يجامعها وهذا القول هو اختيار الفراء ومذهب ابو حنيفة لان الخلوة الصحيحة
عنده تقرر المهر واخذن منكم ميثاقا غليظا قيل هو قول العاقد عند العقد زوجتكها على ما اخذ الله للنسا على الرجال
من امساك بمعروف او تسريح باحسان وقيل هي كلمة النكاح المعقودة على الصداق وهي الكلمة التي يستحل بها فروج
النساء ويدل على ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو انه قال اتقوا الله في النسا فانكم اخذتموهن بامانة
الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النسا قال المفسرون كان اهل الجاهلية يتزوجون
ازواج ابائهم فنهاهم الله عن ذلك بهذه الاية روي انه لما توفي ابو قيس وكان من صالحي الانصار خطب ابنه قيس امراة
ابيه فقالت اني اعدك ولدا وانت من صالحي قومك ولكن اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستامره فاتته
فاخبرته فانزل الله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النسا الا ما قد سلف يعني الا ما مضى في الجاهلية قبل نزول التحريم
فانه معفو عنه انه كان فاحشة انما سماه فاحشة لان زوجة الاب في منزلة الام ونكاح الامهات محرم فلما كان
ذلك كذلك سماه الله فاحشة لانه من اقبح المعاصي ومقتا يعني انه يورث المقت من الله وهو اشد البغض وغاية
الخزي والخسارة وساء سبيلا اي وبيس ذلك طريقا لانه يودي الى مقت الله والعرب تسمي ولد الرجل من امراة ابيه
مقيت وكان منهم الاشعث بن قيس وابو معيط بن ابي عمرو بن امية روى البغوي بسنده عن البرا بن عازب
قال مر بي خالي ومعه لوا فقلت اين تذهب قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امراة ابيه اتيه
براسه قوله عز وجل حرمت عليكم امهاتكم بين الله عز وجل في هذه الاية المحرمات من النسا بسبب الوصلة اما بسبب
او نسب عن ابن عباس قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرا حرمت عليكم امهاتكم الاية فجملة المحرمات
من النسا بنص الكتاب اربعة عشر صنفا فاما المحرمات بالنسب فقوله حرمت عليكم امهاتكم جمع ام واصل امهات
امات وانما زيدت الهاء للتوكيد والام هي الوالدة القريبة ويرجع في حكمها كل امراة رجع النسب اليها من جهة
الاب او من جهة الام بدرجة او درجات وهن جميع الجدات وان علون فيحرم نكاح الام وجميع الجدات
وبناتكم والبنت عبارة عن كل انثى يرجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او بدرجات باناث كبنت البنت
وان سفلت وكذا بنت الابن واخواتكم جمع اخت وهي عبارة عن كل امراة شاركتك في اصلك فتدخل فيه الاخوات
من الاب والام والاخوات من الاب والاخوات من الام وعماتكم جمع عمة وهي كل امراة شاركت اباك في اصليه وهن
جميع اخوات الاب واخوات ابيه وان علون وقد تكون العمة من جهة الام ايضا وهي اخت ابي الام وخالاتكم جمع
خالة وهي كل امراة شاركت الام في اصلها فيدخل فيهن جميع اخوات الام واخوات امهاتها وقد تكون الخالة من جهة
الاب ايضا وهي اخت ام الاب وبنات الاخ وبنات الاخت وهي عبارة عن كل امراة لاخيك عليها ولادة ويرجع نسبها

الى

الى الاخ او الاخت فيدخل فيهن جميع بنات اولاد الاخ والاخت وان سفلن فهذه الاصناف السبعة محرمة بسبب النسب
بنص الكتاب وجملته انه يحرم على الرجل اصوله وفصوله وفصول اول اصوله واول فصل من كل اصل بعده اصل فالاصول
هن الامهات والجدات والفصول هن البنات وبنات الاولاد وفصول اول اصوله هن الاخوات وبنات الاخوة
والاخوات واول فصل من كل اصل بعده اصل فهن العمات والخالات وان علون قال العلما كل امراة حرم الله نكاحها بالنسب
والرحم فتحريمه مؤبد لا يحل بوجه من الوجوه الصنف الثاني المحرمات بالسبب وهن سبع الاول والثاني المحرمات
بالرضاع وذلك قوله تعالى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة كل انثى انتسبت باللبن اليها فهي امك وبنتها
اختك وانما نص الله على ذكر الام والاخت ليدل بذلك على جميع الاصول والفروع فنبه بذلك انه تعالى اجرى الرضاع
مجرى النسب ويدل على ذلك ما روي عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاع ما يحرم من
الولادة اخرجاه في الصحيحين ق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنت حمزة انها لا تحل لي يحرم
من الرضاعة ما يحرم من النسب وانها ابنة اخي من الرضاعة فكل من حرمت بسبب النسب حرم نظيرها بسبب
الرضاعة وانما سمى الله تعالى المرضعات امهات لاجل الحرمة فيحرم عليه نكاحها ويحل له النظر اليها والخلوة بها والسفر
معها ولا يترتب عليه جميع احكام الامومة من كل وجه فلا يتوارثان ولا يجب على كل واحد منهما نفقة الاخر وغير ذلك
من الاحكام وانما تثبت حرمة الرضاع بشرطين احدهما ان يكون ارضاع الصبي في حال الصغر وذلك الى انتها سنتين
من ولادته لقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين وقوله تعالى وفصاله في عامين عن ام سلمة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الامعا في الثدي وكان قبل الفطام اخرجه
الترمذي عن ابن مسعود قال لا رضاعة الا ما كان في الحولين اخرجه مالك في الموطا باطول من هذا واخرجه ابو داود
مختصرا قال قال عبد الله بن مسعود لا رضاع الا ما شد العظم وقال ابو حنيفة الرضاع ثلاثون شهرا لقوله تعالى
وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وحمله الجمهور على اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لان مدة الحمل داخلة فيه واقله ستة
اشهر الشرط الثاني ان يوجد خمس رضعات متفرقات روي عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم
المصة ولا المصتان م عن ام الفضل ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم الاملاجة ولا الاملاجتان وفي رواية
ان رجلا من بني عامر بن صعصعة قال يا نبي الله هل تحرم الرضعة الواحدة قال لا م عن عايشة قالت كان فيما انزل
من القران عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن
فيما يقرا من القران قولها فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرا من القران يحتمل انه لم يبلغها النسخ فلذلك واجمعوا
على ان الاية لا تتلى فهو مما نسخ تلاوته وبقي حكمه وذهب جمهور العلما الى ان قليل الارضاع وكثيره يحرم وهو قول
ابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب واليه ذهب الثوري والاوزاعي ومالك وابن المبارك وابو حنيفة
واحمد في احدى الروايتين عنه والرواية الاخرى كمذهب الشافعي واحتج من ذهب الجمهور بمطلق الاية لانه عمل بعموم
القران وظاهره ولم يذكر عددا واجاب الشافعي ومن وافقه في هذه المسيلة بان السنة مبينة للقران ومفسرة
له وقوله تعالى وامهات نسائكم يعني اذا تزوج الرجل بامراة حرمت عليه امها الاصلية وجميع جداتها من قبل الاب
والام كما في النسب والرضاع ايضا ومذهب اكثر الصحابة وجميع التابعين وكل العلما ان من تزوج امراة حرمت عليه امها
بنفس العقد سوا دخل بها او لم يدخل بها وذهب جميع الصحابة الى ان المراة انما تحرم بالدخول بابنتها وهو قول علي
وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وجابر واظهر الروايات عن ابن عباس والعمل اليوم على القول الاول وهو مذهب
الجمهور ويدل على ذلك ما روي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل نكح
امراة فلا يحل له ان ينكح امها دخل بها او لم يدخل بها اخرجه الترمذي وقوله تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم

Copyright © King Saud University

اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم الربايب جمع ربيبة وهي بنت المراة من رجل اخر سميت ربيبة
لتربيته اياها في حجر الرجل وقوله دخلتم بهن كناية عن الجماع لا نفس العقد فيحرم على الرجل بنات امراته وبنات اولادها وان
سفلن من النسب والرضاع بعد الدخول بالزوجة فلو فارق زوجته قبل الدخول بها او ماتت قبل دخوله بها جاز له
ان يتزوج بنتها ولا يجوز له ان يتزوج امها لان الله تعالى اطلق تحريم الامهات وعلق تحريم البنات بالدخول بالام
وقوله تعالى وحلايل ابنايكم يعني ازواج ابنايكم واحدتها حليلة والرجل حليل سميا بذلك لان كل واحد منهما يحل لصاحبه
وقيل لان كل واحد يحل حيث يحل صاحبه في ازار واحد وقيل ان كل واحد منهما يحل ازار صاحبه من الحل بفتح الحا وحلته
انه يحرم على الرجل ازواج ابنايه وابنا اولاده وان سفلوا من النسب والرضاعة وذلك بنفس العقد الذين من
اصلابكم انما قال من اصلابكم احترازا من التبني ليعلم ان زوجة المتبنى لا تحرم على الرجل الذي تبناه لانه كان في صدر
الاسلام بمنزلة الابن فنسخ الله ذلك قال الله تعالى ادعوهم لابايهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة
زيد بن حارثة وكان قد تبناه فقال المشركون تزوج زوجة ابنه فقال الله تعالى وما جعل ادعياكم ابناكم وقال تعالى
لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيايهم قوله تعالى وان تجمعوا بين الاختين يعني لا يجوز للرجل ان يجمع بين
الاختين في نكاح واحد سوا كانت الاخوة بينهما بنسب ورضاع والجمع بين الاختين يقع على ثلاثة اوجه احدها
ان يجمع بينهما بعقد واحد فهذا العقد فاسد لا يصح فلو تزوج احد الاختين ثم تزوج الاخرى بعدها فهنا يحكم
ببطلان نكاح الثانية فلو طلق الاولى طلاقا باينا جاز له نكاح اختها الوجه الثاني من صور الجمع بين الاختين وهو ان يجمع
بينهما بملك اليمين فلا يجوز له ان يجمع بينهما في الوطي فاذا وطي احدهما حرمت عليه الثانية حتى يحرم الاولى ببيع او هبة او
عتق او كتابة الوجه الثالث من صور الجمع بين الاختين وهو ان يتزوج احداهما ويشتري الاخرى فيملكها بملك اليمين
فذهب بعض العلما الى انه لا يجوز الجمع بينهما لان ظاهر هذه الاية يقتضي تحريم الجمع مطلقا فوجب تحريم الجمع بينهما
على جميع الوجوه وذهب بعضهم الى جوازه والقول الاول اصح واولى لما روى قبيصة بن ذويب ان رجلا سال عثمان عن
اختين مملوكتين لرجل هل يجمع بينهما فقال عثمان احلتهما اية وحرمتهما اية فاما انا فلا احب ان اصنع ذلك فخرج من
عنده فلقي رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله عنه فقال اما انا فلو كان لي من الامر شي لم اجد احدا
فعل ذلك الا جعلته نكالا قال ابن شهاب اراه علي بن ابي طالب قال مالك انه بلغه عن الزبير بن العوام مثل ذلك اخرجه مالك
في الموطا وقوله تعالى الا ما قد سلف يعني لكن ما قد مضى فانه معفو عنه بدليل قوله تعالى ان الله كان غفورا رحيما وقيل
ان فايدة هذه الاستثنا ان انكحة الكفار كانت صحيحة فلو اسلم عن اختين قيل له اختر ايهما شيت ويدل على ذلك ما روى
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يجمع بين المراة وعمتها اخرجاه في الصحيحين قال بعض العلما في حد ما يحرم
الجمع كل امراتين بينهما قرابة او لبن ولو كانت احداهما ذكرا لم يجز له نكاح الاخرى لم يجز لك الجمع بينهما الفرع الثاني
المحرمات بالنسب سبعة اصناف ذكرت في الاية نسقا والمحرمات بالسبب صنفان صنف يحرم بالرضاع وهن الامهات
والاخوات على ما تقدم ذكره وصنف يحرم بالمصاهرة وهن ام المراة وحليلة الابن وزوج الاب وقد تقدم ذكرها
في قوله ولا تنكحوا ما نكح اباوكم من النسا الاية والربايب على التفصيل المذكور والجمع بين الاختين الفرع الثالث
التحريم الحاصل بسبب المصاهرة انما يحصل بنكاح صحيح فلو زنا بامراة لم تحرم عليه امها ولا بنتها ولو اراد ان يتزوج بهن
وكذلك لا تحرم المزني بها على ابا الزاني ولا ابنايه انما تتعلق الحرمة بنكاح صحيح او بنكاح فاسد يجب لها به الصداق
ويجب عليها العدة وتلحق به الولد وهذا قول علي وابن عباس وبه قال سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهري
واليه ذهب مالك والشافعي وفقها الحجاز وذهب قوم الى ان الزنا تتعلق به تحريم المصاهرة يروى ذلك عن
عمران بن حصين وابي هريرة وبه قال جابر بن زيد والحسن واهل العراق ولو لمس امراة اجنبية بشهوة او قبلها

بشهوة

بشهوة هل يجعل ذلك كالدخول في اثبات تحريم المصاهرة وكذلك لو لمس امراة بشهوة هل يجعل كالوطي في تحريم الربيبة
فيه قولان اصحهما انه يثبت به حرمة المصاهرة وهو قول اكثر اهل العلم والثاني لا يثبت به كما لا يثبت بالنظر
بشهوة قوله عز وجل والمحصنات يعني وحرمت المحصنات من النسا واصل الاحصان في اللغة المنع والحصان بالفتح
المراة العفيفة ويطلق الاحصان على المراة ذات الزوج والحرة والعفيفة والمراة المسلمة والمراد من الاحصان
في قوله والمحصنات ذوات الازواج من النسا فلا يحل لاحد نكاحهن قبل مفارقة ازواجهن وهذه هي السابعة
من النسا التي حرمت بالسبب قال ابو سعيد الخدري نزلت هذه الاية في نسا كن هاجرن الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولهن ازواج فتزوجهن بعض المسلمين ثم قدم ازواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن
ثم استثنى فقال تعالى الا ما ملكت ايمانكم يعني السبايا اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الحرب فيحل لمالكهن
وطيهن بعد الاستبرا لان السبي يرتفع به النكاح بينها وبين زوجها قال ابو سعيد الخدري بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم جيشا الى اوطاس فاصابوا سبايا لهن ازواج من المشركين فكرهوا غشيانهن فانزل الله
هذه الاية وقال ابن مسعود اراد انه اذا باع الجارية المزوجة فتقع الفرقة بينها وبين زوجها ويكون بيعها
طلاقا فيحل للمشتري وطيها وقال عطا اراد بقوله الا ما ملكت ايمانكم ان تكون امته في نكاح عبده فيجوز له
ان ينزعها منه وقيل اراد بالمحصنات من النسا الحراير ومعناه ان ما فوق الاربع منهن فانه عليكم حرام الا
ما ملكت ايمانكم ان تكون امته في نكاح عبده فيجوز له ان ينزعها منه وقيل اراد بالمحصنات من النسا الحراير
ومعناه ان ما فوق الاربع منهن فانه عليكم حرام الا ما ملكت ايمانكم فانه لا عدد عليكم في الجواري ولا حصر
كتاب الله عليكم يعني حرمت عليكم امهاتكم وكتب عليكم هذا كتابا وقيل معناه الزموا كتاب الله وقيل معناه
كتابا من الله عليكم يعني كتب الله تحريم ما حرم من ذلك عليكم من ذلك وتحليل ما حلل كتابا واحل لكم ما وراء ذلكم
يعني واحل لكم ما سوى ذلكم الذي ذكر من المحرمات وظاهر هذه الاية يقتضي حل كل ما سوى المذكورين من الاصناف
المحرمات لكن قد ورد الدليل من السنة بتحريم اصناف اخر سوى ما ذكر فمن ذلك انه يحرم الجمع بين المراة وعمتها
وبين المراة وخالتها ومن ذلك المطلقة ثلاثا لا تحل لزوجها الاول حتى تنكح زوجا غيره ومن ذلك نكاح
المعتدة فلا تحل للازواج حتى تنقضي عدتها ومن ذلك ان من كان في نكاحه حرة لم يجز له ان يتزوج بامة
والقادر على طول الحرة لم يجز له ان يتزوج بالامة ومن ذلك ان من كان عنده اربع نسوة حرم عليه ان
يتزوج بخامسة ومن ذلك الملاعنة فانها محرمة على الملاعن بالتابيد فهذه اصناف من المحرمات سوى
ما ذكر في الاية فعلى هذا يكون قوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم ورد بلفظ العموم لكن العموم دخله التخصيص
فيكون عاما مخصوصا وقوله تعالى ان تبتغوا باموالكم فيه اضمار تقديره واحل لكم ان تبتغوا اي تطلبوا باموالكم
اي تنكحوا بصداق او بثمن وايمن وفي الاية دليل على ان الصداق لا يتقدر بشي فيجوز على القليل والكثير
لاطلاق قوله تعالى ان تبتغوا باموالكم محصنين يعني متزوجين وقيل متعففين غير مسافحين يعني
غير زانيين والسفاح الفجور واصله من السفح وهو الصب وانما سمي الزنا سفاحا لان الزاني لا غرض له
الا صب النطفة فقط وقوله تعالى فما استمتعتم به منهن اختلفوا في معناه فقال الحسن ومجاهد اراد
ما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النسا بنكاح صحيح لان اصل الاستمتاع في اللغة الانتفاع وكل ما انتفع به فهو
متاع فاتوهن اجورهن يعني مهورهن وانما سمي المهر اجرا لانه بدل المنافع وليس بدل الاعيان كما سمي بدل
منافع الدار والدابة اجرا وقال قوم المراد من حكم الاية هو نكاح المتعة وهو ان ينكح امراة الى مدة معلومة بشي
معلوم فاذا انقضت تلك المدة بانت منه بغير طلاق ويستبري رحمها وليس بينهما ميراث وكان هذا في ابتدا الاسلام

Copyright © King Saud University

ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المتعة وحرمها عن سبرة عن سعيد الجهني انه كان مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس اني كنت اذنت لكم في الاستمتاع من النسا وان الله
قد حرم ذلك الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شي فليخل سبيله ولا تاخذوا مما اتيتموهن شيا
والى هذا ذهب جمهور العلما من الصحابة فمن بعدهم ان نكاح المتعة حرام والاية منسوخة واختلفوا في
ناسخها فقيل نسخت بالسنة وهو ما تقدم من حديث سبرة الجهني و عن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن متعة النسا يوم خيبر وعن اكل لحوم الحمر الانسية
وهذا على مذهب من يقول ان السنة تنسخ القران ومذهب الشافعي ان السنة لا تنسخ القران
فعلى هذا قيل ان ناسخ الاية قوله تعالى في سورة المومنون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم
فانهم غير ملومين والمنكوحة في المتعة ليست بزوجة ولا ملك يمين واختلفت الروايات عن ابن
عباس في المتعة فروي عنه ان الاية محكمة وكان يرخص في المتعة قال عمارة سالت ابن عباس عن المتعة اسفاح
هي ام نكاح فقال لا سفاح ولا نكاح قلت فما هي قال الله تعالى فما استمتعتم به منهن قلت هل لها عدة
قال نعم حيضة قلت هل يتوارثان قلت لا وروي ان الناس لما ذكروا الاشعار في فتيا ابن عباس في المتعة
قال قاتلهم الله انا ما افتيت باباحتها على الاطلاق لكني قلت انما تحل للمضطر كما تحل الميتة له وروي انه
رجع عنه وقال بتحريمها وروى عطا الخراساني عن ابن عباس في قوله فما استمتعتم به منهن انها صارت
منسوخة بقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النسا فطلقوهن لعدتهن وروى سالم بن عبد الله بن عمر ان عمر بن
الخطاب صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ما بال اقوام ينكحون هذه المتعة وقد نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عنها الا اجد رجلا نكحها الا رجمته بالحجارة وقال هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث
قال الشافعي لا اعلم شيا في الاسلام احل ثم حرم ثم احل ثم حرم غير المتعة وقال ابو عبيد المسلمون اليوم
مجمعون على ان متعة النسا قد نسخت بالتحريم نسخها الكتاب والسنة هذا قول اهل العلم جميعا من اهل
الحجاز والشام والعراق من اصحاب الاثر والراي وانه لا رخصة فيها لمضطر ولا لغيره قال ابن الجوزي في تفسيره
وقد تكلف قوم من مفسري القران فقالوا المراد بهذه الاية نكاح المتعة ثم نسخت بما روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه نهى عن متعة النسا وهذا تكلف لا حاجة اليه لان النبي صلى الله عليه وسلم اجاز المتعة ثم منع منها وحرمها
فكان قوله منسوخا بقوله واما الاية فانها لم تتضمن جواز المتعة لانه تعالى قال فيها ان تبتغوا باموالكم
محصنين غير مسافحين فدل ذلك على النكاح الصحيح قال الزجاج ومعنى قوله فما استمتعتم به منهن
فما نكحتموه على الشرايط التي جرت وهو قوله محصنين غير مسافحين وقال ابن جرير الطبري اولى التاويلين في ذلك
بالصواب تاويل من تاوله فما نكحتموه منهن فجامعتموهن فاتوهن اجورهن لقيام الحجة بتحريم الله تعالى متعة
النسا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى فاتوهن اجورهن يعني مهورهن فريضة يعني لازمة
وواجبة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة اختلفوا فيه فمن حمل ما قبله على نكاح المتعة قال اراد انهما اذا عقدا
عقدا الى اجل على مال فاذا تم الاجل فان شات المراة زادت في الاجل وزاد الرجل في الاجر وان لم يتراضيا فارقها
وقد تقدم ان ذلك كان جايزا ثم نسخ وحرم ومن حمل الاية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال المراد بقوله
ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به يعني من الابرا من المهر والافتدا والاعتياض قال الزجاج معناه لا جناح عليكم
ان تهب المراة للزوج مهرها وان يهب الرجل للمراة التي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب عليه ان الله كان
عليما يعني بما يصلحكم ايها الناس في مناكحكم وغيرها من سائر اموالكم حكيما يعني فيما دبر لكم من التدبير وفيما يامركم

والذين هم لفروجهم حافظون

العزيمة

به

به ويهاكم عنه ولا يدخل حكمه خلل ولا زلل فصل في قدر الصداق وما يستحب منه اعلم انه لا تقدير
لاكثر الصداق لقوله تعالى واتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيا والمستحب انه لا يغالى فيه قال عمر بن
الخطاب رضي الله تعالى عنه الا لا تغالوا في صدقة النسا فانها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله لكان
اولاكم بها نبي الله صلى الله عليه وسلم ما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيا من نسايه ولا انكح شيا
من بناته على اكثر من اثنتي عشرة اوقية اخرجه الترمذي ولابي داود نحوه عن ابي سلمة قال سالت عايشة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم كم كان صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان صداقه لازواجه ثنتي عشرة اوقية
ونش قال تدري ما النش قال لا قالت نصف اوقية فذلك خمسماية درهم واختلف العلما في اقل الصداق
فذهب جماعة انه لا تقدير لاقله بل كل ما جاز ان يكون مبيعا او ثمنا جاز ان يكون صداقا وهو قول ربيعة
وسفيان الثوري والشافعي واحمد واسحاق وقال قوم يتقدر الصداق بنصاب السرقة وهو قول مالك وابي
حنيفة غير ان نصاب السرقة عند مالك ثلاثة دراهم وعند ابي حنيفة عشرة دراهم والدليل على ان الصداق لا
يتقدر ما روي عن سهل بن سعد الساعدي قال جات امراة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد
وهبت نفسي لك فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر فيها وصوبه ثم طاطا رسول الله صلى الله عليه
وسلم راسه فلما رات المراة انه لم يقض فيها شيا جلست فقام رجل من اصحابه فقال يا رسول الله ان لم يكن لك
بها حاجة فزوجنيها فقال هل عندك من شي قال لا والله يا رسول الله قال اذهب الى اهلك فانظر هل تجد شيا
فذهب ثم رجع فقال لا والله يا رسول الله ولا خاتما من حديد ولكن ازاري هذا قال سهل ما له ردا فلها نصفه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصنع بازارك ان لبسته لم يكن عليها منه شي وان لبسته لم يكن عليك منه
شي فجلس الرجل حتى اذا طال مجلسه قام فراه النبي صلى الله عليه وسلم موليا فامر به فدعي فلما جا قال ما معك
من القران قال معي سورة كذا وسورة كذا عددها قال تقرؤهن على ظهر قلبك قال نعم قال اذهب فقد ملكتكها
بما معك من القران وفي رواية فقد زوجتكها فعلمها من القران وفي رواية فقد انكحتكها بما معك من القران
اخرجاه في الصحيحين وهذا لفظ الحميدي ففي هذا الحديث دليل على انه لا تقدير لاقل الصداق ولانه قال
التمس شيا فهذا يدل على جواز اي شي كان من المال ثم قال ولو خاتما من حديد ولا قيمة له الا القليل التافه وفيه دليل على
انه يجوز ان يجعل تعليم القران صداقا وهو قول الشافعي ومنعه اصحاب الراي عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من اعطى في صداق امراته مل كفيه سويقا او تمرا فقد استحل اخرجه ابو داود عن عبد الله بن عامر عن
ابيه ان امراة من بني فزارة تزوجت على نعلين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضيت من نفسك
ومالك بنعلين قالت نعم فاجازه اخرجه الترمذي وقال عمر بن الخطاب ثلاث قبضات من زبيب مهر قوله عز وجل
ومن لم يستطع منكم طولا يعني فضلا وسعة وانما سمي الغنى طولا لانه ينال به المراد ولا ينال مع الفقر والطول هنا
كناية عما يصرف الى المهر والنفقة ان ينكح المحصنات يعني الحراير فمما ملكت ايمانكم يعني جارية اخيك المومن
فان الانسان لا يجوز له ان يتزوج بجارية نفسه من فتياتكم المومنات المعنى من لم يقدر على مهر الحرة المومنة
فليتزوج الامة المومنة والفتيات الجواري المملوكات جمع فتاة يقال للامة فتاة وللعبد فتى وفي الاية دليل
على انه لا يجوز للحر نكاح الامة الا بشرطين احدهما انه لا يجد مهر حرة لانه جرت العادة في الاما بتخفيف مهورهن
ونفقتهن وسبب ذلك اشتغالهن بخدمة ساداتهن والشرط الثاني هو خوف العنت على نفسه وهو قوله تعالى
ذلك لمن خشي العنت منكم قال ابن عباس هو الزنا وهذا قول جابر وابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس ومسروق
ومكحول وعمرو بن دينار واليه ذهب مالك والشافعي واحمد وروي عن علي والحسن البصري وابن المسيب ومجاهد

Copyright © King Saud University

والزهري انه يجوز للحر ان ينكح الامة وان كان موسرا وهو مذهب ابي حنيفة الا ان يكون في نكاحه حرة والسبب في منع الحر من نكاح الامة الا عند خوف العنت ان الولد يتبع الام في الرق والحرية واذا كانت الامة رقيقة كان الولد رقيقا وذلك نقص في حق الحر وفي حق ولده ولان حق السيد اعظم من حق الزوج فربما احتاج الزوج اليها فلا يجد اليها سبيلا لان السيد يحبسها للخدمة ولان مهرها ملك السيد فلا تقدر على هبته من زوجها ولا ان تبريه منه بخلاف الحرة ولهذا السبب منع الله من نكاح الامة الا على سبيل الرخصة والاضطرار ويجوز للعبد نكاح الامة وان كان في نكاحه حرة وعند ابي حنيفة لا يجوز له اذا كان تحته حرة كما يقول في الحر وفي الاية دليل انه لا يجوز للمسلم حرا كان او عبدا نكاح الامة الكتابية لقوله تعالى من فتياتكم المومنات يقيد جواز نكاح الامة المومنة لان فيه نقصا واحدا وهو الرق وهذا قول مجاهد والحسن واليه ذهب مالك والشافعي وقال ابو حنيفة يجوز التزويج بالامة الكتابية وبالاتفاق يجوز وطء الامة الكتابية بملك اليمين وقوله تعالى والله اعلم بايمانكم قال الزجاج اي اعملوا على الظاهر في الايمان فانكم متعبدون بما ظهر والله يتولى السرائر والحقائق وقيل معناه لا تتعرضوا للباطن في الايمان وخذوا بالظاهر فان الله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض يعني ان كلكم من نفس واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الاما عند الضرورة وانما قيل لهم ذلك لان العرب كانت تفتخر بالانساب والاحساب ويسمون ابن الامة الهجين فاعلم الله تعالى ان ذلك امر لا يلتفت اليه فلا يتداخلكم شموخ وانفة من التزويج بالاما فانكم متساوون في النسب الى ادم وقيل معناه ان دينكم واحد وهو الايمان وانتم مشتركون فيه فمتى وقع لاحدكم الضرورة جاز له ان يتزوج بالامة عند خوف العنت وقال ابن عباس يريد ان المومنين بعضهم اكفا بعض فانكحوهن باذن اهلهن يعني اخطبوا الاما الى ساداتهن واتفق العلما على ان نكاح الامة بغير اذن سيدها باطل لان الله تعالى جعل اذن السيد شرطا في جواز نكاح الامة واتوهن اجورهن يعني مهورهن بالمعروف يعني من غير مطل ولا اضرار وقيل معناه واتوهن مهور امثالهن واجمعوا على ان المهر للسيد لانه ملكه وانما اضيف ايتا المهر الى الاما لانه ثمن بضعهن محصنات يعني عفايف غير مسافحات يعني غير زانيات ولا متخذات اخدان اي جمع خدن وهو الصاحب الذي يكون معك في كل امر ظاهر وباطن واكثر ما يستعمل فيمن يصاحب بشهوة يقال خدن المراة وخدينها يعني حبها الذي يزني بها في السر قال الحسن المسافحة هي التي كل من دعاها تبعته وذات اخدان هي التي تختص بواحد ولا تزني مع غيره وكانت العرب في الجاهلية تحرم الاولى وتجوز الثانية فلما كان هذا الفرق معتبرا عندهم لا جرم ان الله تعالى افرد كل واحد من هذين القسمين بالذكر ونص على تحريمهما معا فاذا احصن قرئ بفتح الالف والصاد ومعناه حفظن فروجهن وقيل معناه اسلمن وقرئ احصن بضم الالف وكسر الصاد ومعناه زوجن فان اتين بفاحشة يعني بزنا فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب يعني فعلى الاما اللاتي زنين نصف ما على الحراير الابكار اذا زنين من الجلد فيجلد العبد للزنا اذا زنا خمسين جلدة ولا فرق المملوك المتزوج وغير المتزوج فانه يجلد خمسين ولا يرجم عليه هذا قول اكثر العلما وروى عن ابن عباس قال طاووس انه لا حد على من لم يتزوج من المماليك اذا زنى لان الله تعالى قال فاذا احصن والذي لم يتزوج ليس بمحصن واجيب عنه بان معنى الاحصان عند الاكثرين الاسلام وان كان المراد منه التزويج فليس المراد منه شرطا لوجوب الحد عليه بل المراد منه التنبيه على ان المملوك وان كان محصنا فلا رجم عليه انما حده الجلد بخلاف الحر فحد الامة ثابت بهذه الاية وبيان انه بالجلد لا بالرجم ثابت بالحديث وهو ما روي عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا زنت امة احدكم فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت الثالثة فتبين زناها فليبيعها ولو بحبل من شعر اخرجاه في الصحيحين قوله ولا يثرب عليها اي ولا

يعيرها والتثريب كالتانيث والتعيير الاستقصا في اللوم قال الشيخ محي الدين النواوي وهذا البيع المامور به في الحديث مستحب ليس بواجب عندنا وعند الجمهور وقال داود واهل الظاهر هو واجب وفيه جواز بيع الشي الثمين بالشي الحقير وهذا البيع المامور به يلزم صاحبه ان يبين حالها للمشتري لانه عيب والاخبار بالعيب واجب فان قيل كيف يكره شيا ويرتضيه لاخيه المسلم فالجواب لعلها تستعف عند المشتري بان يعفها بنفسه او يصونها لهيبته او بالاحسان اليها او يزوجها او غير ذلك والله اعلم ذلك اشارة الى ان نكاح الامة لمن خشي العنت منكم يعني الزنا والمعنى لكن لمن خاف ان تحمله شدة الشبق والغلمة وشدة الشهوة على الزنا وانما سمي الزنا بالعنت لما تعقبه من المشقة وهي شدة العقوبة فاباح الله تعالى نكاح الامة بثلاث شرايط عدم القدرة على نكاح الحرة وخوف العنت وكون الامة مومنة وان تصبروا يعني عن نكاح الاما متعففين خير لكم يعني كيلا يكون الولد عبدا رقيقا والله غفور رحيم وهذا للتوكيد لما تقدم يعني انه تعالى غفر لكم ورحمكم حيث اباح لكم ما انتم محتاجون اليه قوله تعالى يريد الله ليبين لكم اللام في قوله ليبين معناه ان يبين وقيل معناه يريد انزال هذه الايات من اجل ان يبين لكم دينكم ويوضح لكم شرعكم ومصالح اموركم وقيل يبين لكم ما يقربكم منه وقيل يبين ان الصبر على نكاح الاما خير لكم ويهديكم اي ويرشدكم سنن الذين من قبلكم اي شرايع من قبلكم في تحريم الامهات والبنات والاخوات فانها كانت محرمة على من قبلكم وقيل معناه يرشدكم الى ما لكم فيه مصلحة كما بينه من كان قبلكم وقيل معناه ويهديكم الى الملة الحنيفية وهي ملة ابراهيم عليه السلام ويتوب عليكم يعني ويتجاوز عنكم ما اصبتم قبل ان يبين لكم ويرجع بكم عن المعصية التي كنتم عليها الى الطاعة وقيل لما بين لنا امر الشرايع والمصالح وارشدنا الى طاعته فربما وقع منا تقصير وتفريط فيما امر به وبينه فلا جرم انه تعالى قال ويتوب عليكم والله عليم يعني بمصالح عباده في امر دينهم ودنياهم حكيم يعني فيما دبر من امورهم والله يريد ان يتوب عليكم قال ابن عباس معناه يريد ان يخرجكم من كل ما يكره الى ما يحب ويرضى وقيل معناه يدلكم على ما يكون سببا لتوبتكم التي يغفر لكم بها ما سلف من ذنوبكم وقيل معناه ان وقع منكم تقصير في دينه فيتوب عليكم ويغفر لكم ويريد الذين يتبعون الشهوات قيل هم اليهود والنصارى وقيل هم اليهود خاصة لانهم يقولون ان نكاح بنت الاخت من الاب حلال وقيل هم المجوس لانهم يستحلون نكاح الاخوات وبنات الاخوة فلما حرمهن الله قالوا انكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت هذه الاية وقيل هم الزناة يريدون ان تكونوا مثلهم ان تميلوا يعني عن الحق وقصد السبيل بالمعصية ميلا عظيما يعني باتيانكم ما حرم الله عليكم يريد الله ان يخفف عنكم يعني ليسهل عليكم احكام الشرايع فهو عام في كل احكام الشرع وجميع ما يسره لنا وسهله علينا احسانا منه الينا وتفضلا ولطفا علينا ولم يثقل التكاليف علينا كما ثقلها على بني اسرائيل فهو كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وكما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا يعني في قلة الصبر على النسا فلا صبر له عنهن وقيل انه لضعفه نسهله فهو ضعيف العزم عن قهر الهوى وقيل هو ضعيف في اصل الخلقة لانه خلق من ما مهين قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل يعني بالحرام الذي لا يحل في الشرع كالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور واخذ المال باليمين الكاذبة ونحو ذلك وانما خص الاكل بالذكر ونهى عنه تنبيها على غيره من جميع التصرفات الواقعة على وجه الباطل لان معظم المقصود من الاموال الاكل وقيل

Copyright © King Saud University

يدخل فيه اكل مال نفسه بالباطل ومال غيره اما اكل ماله بالباطل فهو انفاقه في المعاصي واما اكل مال غيره فقد تقدم
معناه وقيل يدخل في اكل المال بالباطل جميع العقود الفاسدة وقوله تعالى الا ان تكون تجارة عن تراض منكم هذا استثناء منقطع
لان التجارة عن تراض ليست من جنس اكل المال بالباطل فكان الا هاهنا بمعنى لكن يحل اكله بالتجارة عن تراض يعني بطيبة نفس
كل واحد منكم وقيل هو ان يخير كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع فيلزم وان لم يخيره فلهما الخيار ما لم يتفرقا لما روى عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وكانا جميعا او يخير احدهما الاخر
فتبايعا على ذلك فقد وجب البيع وان تفرقا بعد ان تبايعا ولم يترك واحد منهما البيع فقد وجب البيع اخرجاه في
الصحيحين وقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم اى لا تقتلوا بعضكم بعضا وانما قال انفسكم لانهم اهل دين واحد فهم كنفس
واحدة وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في حجة الوداع الا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض
وقيل ان هذا نهي للانسان عن قتل نفسه ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تردى من جبل
فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها ابدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته يتوجأ بها في بطنه في نار
جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا قوله يتردى التردي هو الوقوع من موضع عال الى اسفل قوله يتوجأ يقال وجأته بالسكين اذا
ضربته بها وهو يتوجأ بها اى يضرب بها نفسه ق عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان برجل جراح فقتل
نفسه فقال الله تبارك وتعالى بدرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة وفي رواية قال كان فيمن كان قبلكم رجل به
جرح فجزع فاخذ سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات فقال الله تعالى بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة وقيل
في معنى قتل الانسان نفسه ان لا يفعل شيئا يستحق به القتل من ان يقتل فيقتل به فيكون هو الانسان تسبب في قتل
نفسه وقيل معناه ولا تقتلوا انفسكم باكل المال بالباطل وقيل معناه ولا تهلكوا انفسكم بان تعملوا عملا ربما ادى الى قتلها
ان الله كان بكم رحيما يعني انه تعالى من رحمته بكم نهاكم عن كل شي تستوجبون به مشقة ومحنة وقيل انه تعالى امر
بني اسرائيل بقتل انفسهم ليكون ذلك توبة لهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف المشقة الصعبة
ومن يفعل ذلك يعني ما سبق ذكره من قتل النفس المحرمة لان الضمير يعود الى اقرب المذكورات وقيل انه يعود الى قتل
النفس واكل المال بالباطل لانهما مذكوران في اية واحدة وقيل انه يعود الى كل ما نهى الله عنه من اول السورة الى
هنا عدوانا وظلما يعني بتجاوز الحد فيضع الشي في غير موضعه فلذلك قيده بالعدوان والظلم لانه قد يكون
القتل بحق وهو القصاص وكذلك قد يكون اخذ المال بحق فلهذا السبب قيده بالوعيد وما كان على وجه
العدوان والظلم وهو قوله تعالى فسوف نصليه نارا اى ندخله في الاخرة نارا يصلى فيها وكان ذلك على الله يسيرا
اى هينا لانه تعالى قادر على ما يريد قوله عز وجل ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اجتناب الشي المباعدة عنه وتركه جانبا
والكبيرة ما كبر وعظم من الذنوب وعظمت عقوبته وقبل ذكر التفسير نذكر الاحاديث الواردة في الكبائر فمن ذلك
ما روى عن ابي بكرة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا انبئكم باكبر الكبائر ثلاثا فقلنا
بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور او قول الزور وكان متكيا فجلس فما زال يكررها
حتى قلنا ليته سكت اخرجاه في الصحيحين ق عن انس بن مالك قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر
فقال الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وقال الا انبئكم باكبر الكبائر قول الزور او قال شهادة الزور
ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال
الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم واكل الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات
الغافلات المومنات ق عن ابن مسعود قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الذنب اعظم عند الله قال
ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ان ذلك لعظيم قلت ثم اى قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قلت ثم

اى

اى قال ان تزاني حليلة جارك خ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الكبائر الاشراك
بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس قلت وما اليمين الغموس قال الذي يقتطع مال امرئ مسلم
بيمين هو فيها كاذب ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا وهل يشتم
الرجل والديه قال نعم يسب الرجل ابا الرجل فيسب اباه ويسب امه فيسب امه وفي رواية من اكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه
وذكر الحديث وقال عبد الله بن مسعود اكبر الكبائر الاشراك بالله والامن من مكر الله والقنوط من رحمة الله والاياس
من روح الله وعن سعيد بن جبير ان رجلا سال ابن عباس عن الكبائر وقال اسبع هي قال الى السبعمائة اقرب وفي رواية
الى السبعين اقرب الا انه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وقال كل شي عصي الله به فهو كبيرة فمن عمل شيئا منها فليستغفر
الله فان الله لا يخلد في النار من هذه الامة الا من كان راجعا عن الاسلام او جاحدا فريضة او مكذبا بقدر وقال علي بن ابي
طالب كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب فهو كبيرة وقال سفيان الثوري الكبائر ما كان فيه المظالم فيما بينك
وبين العباد والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى لان الله تعالى كريم يغفر ويعفو واحتج لذلك بما روي عن انس بن مالك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيامة يا امة محمد قد عفي عنكم جميعا المومنين
والمومنات تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي وقال مالك بن مغول الكبائر ذنوب اهل البدع والسيات ذنوب اهل
السنة وقيل الكبائر ذنوب العمد والسيات الخطا والنسيان وما اكره عليه وحديث النفس المرفوع عن هذه الامة وقال
السدي الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب الكبائر والسيات مقدماتها وتوابعها الذي يجتمع فيها الصالح والفاسق مثل النظرة
واللمسة والقبلة واشباه ذلك ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كتب على ابن ادم نصيبه من الزنا مدرك ذلك
لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها
الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه لفظ مسلم وقيل الكبائر الشرك وما يودي اليه وما دونه
فهو من السيات فقد ثبت بما تقدم من الادلة ان من الذنوب كبائر وصغائر والى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف
وثبت بالكتاب والسنة واذا ثبت انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر فقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وهو كل ذنب
عظم قبحه وعظمت عقوبته اما في الدنيا بالحدود واما في الاخرة بالعذاب عليه نكفر عنكم سياتكم يعني نسترها عليكم حتى
تصير بمنزلة ما لم يعمل لان اصل التكفير الستر والتغطية فصغار الذنوب تكفرها الحسنات ولا تكفر كبارها الا بالتوبة
والاقلاع عنها كما ورد في الصحيح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة
كفارات لما بينهن زاد في رواية ما لم تغش الكبائر وزاد في رواية اخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن
اذا اجتنبت الكبائر اخرجه مسلم وقوله تعالى وندخلكم مدخلا كريما يعني حسنا شريفا وهو الجنة والمعنى اذا اجتنبتم
الكبائر واتيتم بالطاعات ندخلكم مدخلا تكرمون فيه قوله عز وجل ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض اصل التمني
ارادة الشي وتشهي حصوله لذلك الامر المرغوب فيه ومنه حديث النفس بما يكون وبما لا يكون وقيل التمني تقدير الشي
في النفس وتصوره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وظن وقد يكون عن روية واكثر التمني ما لا حقيقة له وقيل
التمني عبارة عن ارادة ما يعلم او يظن انه لا يكون عن مجاهد عن ام سلمة قالت قلت يا رسول الله يغزو الرجال
ولا يغزو النساء وانما لنا نصف الميراث فانزل الله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قال مجاهد وانزل ان
المسلمين والمسلمات وكانت ام سلمة اول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة اخرجه الترمذي وقال هذا حديث مرسل
وقيل لما جعل الله للذكر مثل حظ الانثيين من الميراث قالت النساء نحن احق واحوج الى الزيادة من الرجال لانا ضعفاء وهم
اقوى واقدر على طلب المعاش منا فانزل الله هذه الاية وقيل لما نزلت قوله للذكر مثل حظ الانثيين قالت الرجال
انا لنرجوا ان نفضل على النساء في الحسنات في الاخرة فيكون لنا الاجر على ضعف اجر النساء كما فضلنا عليهن في الميراث قالت

النسا

Copyright © King Saud University

النسا انا لنرجوا ان يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال كما لنا في الميراث النصف من نصيبهم فنزلت هذه الاية والتمني
على قسمين احدهما ان يتمنى الانسان ان يحصل له مال غيره مع زوال تلك النعمة عن ذلك الغير فهذا القسم هو الحسد
وهو مذموم لان الله تعالى يفيض نعمه على من يشا من عباده وهذا الحاسد يعترض على الله فيما يفعل وربما اعتقد في
نفسه انه احق بتلك النعمة من ذلك الانسان ايضا فهذا اعتراض على الله ايضا وهو مذموم القسم الثاني ان يتمنى مثل
مال غيره ولا يحب ان يزول ذلك المال عن الغير وهذا هو الغبطة وهذا ليس بمذموم ومن الناس من منع منه ايضا
قال لان تلك النعمة ربما كانت مفسدة في حقه في الدين او الدنيا قال الحسن لا تتمن مال فلان ولا مال فلان ولا
مال فلان ولا تدري لعل هلاكك في ذلك المال وليعلم العبد ان الله اعلم بمصالح عباده فليرض بقضايه ولتكن امنيته
الزيادة من عمل الاخرة وليقول اللهم اعطني ما يكون صلاحا لي في ديني ودنياي ومعادي وقوله تعالى للرجال نصيب مما
اكتسبوا وللنسا نصيب مما اكتسبن قال ابن عباس يعني مما ترك الوالدان والاقربون من الميراث يقول للذكر مثل حظ
الانثيين وقيل هذا الاكتساب في الاجر والنسا في الاجر في الاخرة سوا لان الحسنة بعشر امثالها والسيئة بمثلها
يستوي في ذلك الرجال والنسا وان فضل الرجال في الدنيا على النسا وقيل للرجال نصيب مما اكتسبوا من امر الجهاد
وللنسا نصيب مما اكتسبن يعني من طاعة الازواج وحفظ الفروج واسالوا الله من فضله قال ابن عباس يعني من رزقه
وقيل من عبادته وهو سوال التوفيق للعبادة وقيل لم يامر الله عباده بالمسئلة الا ليعطيهم وفيه تنبيه على ان
العبد لا يعين شيا في الدعا والطلب ولكن يطلب من فضل الله ما يكون سببا لصلاح دينه ودنياه واخرته وقيل لما
تمنى النسا ان يكونوا رجالا وان يكون لهن مثل ما للرجال فنهاهن الله عن ذلك وامرهن ان يسالنه من فضله فانه
اعلم بمصالح عباده ان الله كان بكل شي عليما يعني انه تعالى عليم بما يكون صلاحا للسايلين فليقتصر السايل على المجمل
في الطلب فان الله تعالى عليم بما يصلحه فلا يتمنى غير الذي قدر له قوله تعالى ولكل من الرجال والنسا جعلنا موالي
يعني ورثة من بني عم واخوة وساير العصبات مما ترك يعني يرثون مما ترك الوالدان والاقربون من ميراثهم
فعلى هذا الوالدان والاقربون هم المورثون وقيل معناه ولكل جعلنا موالي اي ورثة مما ترك تكون ما بمعنى من
يعني من تركهم الميت ثم فسر الموالي فقال الوالدان والاقربون فعلى هذا الوالدان والاقربون هم الوارثون والمعنى ولكل
شخص جعلنا ورثة ممن تركهم وهما الوالدان والاقربون والقول الاول اصح لانه مروي عن ابن عباس وغيره والذين عقدت ايمانكم
وقرئ عقدت بغير الف مع التخفيف والمعاقدة المحالفة والمعاهدة والايمان جمع يمين يحتمل ان يراد بها القسم و
اليد وهما جميعا وذلك انهم كانوا اذا تحالفوا اخذ كل واحد منهم بيد صاحبه وتحالفوا على الوفا بالعهد والتمسك
بذلك العقد وكان الرجل يحالف الرجل في الجاهلية ويعاقده فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي
حربك وسلمي سلمك ترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون لكل واحد من الحليفين
السدس في مال الاخر وكان الحكم ثابتا في الجاهلية وابتدا الاسلام فذلك قوله تعالى فاتوهم نصيبهم يعني اعطوهم
حظهم من الميراث ثم نسخ الله هذا الحكم بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقال ابن عباس نزلت
هذه الاية في الذين اخا بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار لما قدموا المدينة وكانوا يتوارثون
بتلك المواخاة دون النسب والرحم فلما نزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك نسخها ثم قال والذين عاقدت ايمانكم من النصر والرفادة
والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصى له وفي رواية اخرى عنه والذين عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم كان الرجل يحالف
الرجل ليس بينهما نسب فيرث احدهما الاخر فنسخ ذلك سورة الانفال فقال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقال
سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون بالتبني بهذه الاية ثم نسخ ذلك وذهب قوم الى ان الاية ليست بمنسوخة
بل حكمها باق والمراد بقوله والذين عاقدت ايمانكم الحلفا فالمراد من قوله فاتوهم نصيبهم يعني من النصرة والنصيحة والموافاة

والمصافاة ونحو ذلك فعلى هذا لا تكون منسوخة وقيل نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق عن داود بن الحصين
قال كنت اقرا على ام سعد بنت الربيع وكانت يتيمة في حجر ابي بكر الصديق فقرات والذين عاقدت ايمانكم فقالت
لا تقرا والذين عقدت ايمانكم انما نزلت في ابي بكر وابنه عبد الرحمن حين ابى الاسلام فحلف ابو بكر ان لا يورثه
فلما اسلم امره الله ان يوتيه نصيبه اخرجه ابو داود وعلى هذا فلا نسخ ايضا فمن قال ان حكم الاية باق قال انما
كانت المعاقدة في الجاهلية على النصر لا غير والاسلام لم يغير ذلك ويدل عليه ما روي عن جبير بن مطعم قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الاسلام وايما حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة
اخرجه مسلم وقوله تعالى ان الله كان على كل شي شهيدا قال عطا يريد انه لم يغب عنه علم ما خلق وبرا فعلى هذا الشهيد
بمعنى الشاهد والمراد منه علمه بجميع الاشيا وقيل الشهيد هو الشاهد على الخلق يوم القيامة بكل ما عملوه فعلى هذا
الشاهد بمعنى المخبر وفيه وعد للطايعين ووعيد للعصاة المخالفين قوله عز وجل الرجال قوامون على النسا نزلت
في سعد بن الربيع وكان من النقبا وفي امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير وقيل امراته بنت محمد بن مسلمة وذلك
انها نشزت عليه فلطمها فانطلق ابوها معها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افرشته كريمتي فلطمها
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لتقتص من زوجها فانصرفت مع ابيها لتقتص منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ارجعوا هذا جبريل اتاني فانزل الله هذه الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اردنا امرا واراد الله امرا والذي
اراد الله خير ورفع القصاص فقوله تعالى الرجال قوامون على النسا اي مسلطون على تاديب النسا والاخذ على ايديهن
قال ابن عباس امروا عليهن فعلى المراة ان تطيع زوجها في طاعة الله والقوام هو القايم بالمصالح والتدبير والتاديب
والرجل يقوم بامر المراة ويجتهد في حفظها ولما اثبت القيام للرجال على النسا بين السبب في ذلك فقال تعالى بما فضل الله
بعضهم على بعض يعني ان الله تعالى فضل الرجال على النسا بامور منها زيادة العقل والدين والولاية والشهادة والجهاد
والجمعة والجماعات وبالامامة لان منهم الانبيا والخلفا والايمة ومنها ان الرجل يتزوج باربع نسوة ولا يجوز للمراة
غير زوج واحد ومنها زيادة النصيب في الميراث والتعصيب في الميراث وبيده الطلاق والنكاح والرجعة واليه
الانتساب فكل هذا يدل على فضل الرجال على النسا ثم قال تعالى وبما انفقوا من اموالهم يعني وبما اعطوا من مهور النسا
والنفقة عليهن عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت امرا احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد
لزوجها اخرجه الترمذي فالصالحات يعني المحسنات العاملات بالخير قانتات اي مطيعات لازواجهن وقيل مطيعات
لله حافظات للغيب لفروجهن في غيبة ازواجهن لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها ولئلا يلحق به الولد الذي هو من
غيره وقيل معناه حفظ سر زوجها او حفظ مالها وما يجب على المراة من حفظ متاع البيت في غيبة زوجها عن
ابي هريرة قال قيل يا رسول الله اي النسا خير قال التي تسره اذا نظر اليها وتطيعه اذا امر ولا تخالفه في نفسها ولا مالها
بما يكره اخرجه النسائي ورواه البغوي بسند الثعلبي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النسا
امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها ثم تلا الرجال قوامون
على النسا الاية وقوله تعالى بما حفظ الله يعني بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج وامرهم باداء المهر والنفقة
اليهن ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنسا خيرا فان المراة خلقت من ضلع
وان اعوج ما في الضلع اعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج فاستوصوا بالنسا وقيل في معنى
الاية بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب وقيل بما حفظ الله من حقوقهن على ازواجهن حيث
امرهم بالعدل بينهن وامساكهن بمعروف او تسريحهن باحسان واللاتي تخافون اي تعلمون وقيل تظنون
نشوزهن اي تعلمون واصل النشوز الارتفاع ونشوز المراة هو بغضها لزوجها ورفع نفسها عن طاعته والتكبر

Copyright © King Saud University

عليه وقيل ولامات النشوز قد تكون بالقول والفعل فالقول مثل ان كانت تلبيه اذا دعاها وتخضع له اذا خاطبها والفعل
مثل ان كانت تقوم له اذا دخل عليها وتسارع الى امره اذا امرها فاذا خالفت هذه الاحوال بان رفعت صوتها عليه او لم
تجبه اذا دعاها ولم تبادر الى امره اذا امرها دل ذلك على نشوزها على زوجها فعظوهن يعني اذا ظهر منهن امارات
النشوز فعظوهن بالتخويف بالقول وهو ان يقول لها اتقي الله وخافيه فان لي عليك حقا عما انت عليه واعلمي ان
طاعتي فرض عليك ونحو ذلك فان اصرت على ذلك هجرها في المضجع وهو قوله تعالى واهجروهن في المضاجع يعني ان لم
ينزعن عن ذلك بالقول فاهجروهن في المضاجع قال ابن عباس هو ان يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها وقيل هو ان
يعتزل عنها الى فراش اخر واضربوهن يعني ان لم ينزعن بالهجران ضربا يعني ضربا غير مبرح ولا شاين قيل هو ان يضربها
بالسواك ونحوه قال الشافعي الضرب مباح وتركه افضل عن عمرو بن الاحوص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حجة الوداع يقول بعد ان حمد الله واثنى عليه وذكر ووعظ فذكر في الحديث قصة فقال الا فاستوصوا بالنساء خيرا فانما هن
عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك الا ان ياتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن
ضربا غير مبرح فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اخرجه الترمذي بزيادة فيه قوله عوان جمع عانية اي اسرى شبه المراة ودخولها
تحت حكم زوجها بالاسير والضرب المبرح الشديد الشاق فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اي لا تطلبوا عليهن طريقة تحتجون
بها عليهن اذا قمن بواجب حقكم عن حكيم بن معاوية عن ابيه قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة احدنا عليه قال ان تطعمها
اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت اخرجه ابو داود قوله ولا تقبح اي لا تقل
قبحك الله ق عن عبد الله بن زمعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلد احدكم امراته جلد العبد ثم لعله يجامعها
او قال يضاجعها من اخر اليوم عن اياس بن عبد الله بن ابي ذباب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تضربوا
النسا فجاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذئرن النسا على ازواجهن فرخص في ضربهن فاطاف بال رسول الله
صلى الله عليه وسلم نسا كثير يشكون ازواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد طاف بال محمد نسا كثير يشكون
ازواجهن ليس اولئك بخياركم اخرجه ابو داود واياس بن عبد الله هذا قد اختلف في صحبته وقال البخاري لا يعرف له صحبة
قوله ذئرن يقال ذئرت المراة على زوجها اذا نشزت واجترات عليه واطاف بالشي الحاط به ففي هذه الاحاديث دليل
على ان الاولى ترك الضرب للنسا فان احتاج لضربها للتاديب فلا يضربها ضربا شديدا وليكن ذلك متفرقا ولا يوالي بالضرب
على موضع واحد من بدنها وليتق الوجه لانه مجمع المحاسن ولم يبلغ بالضرب عشرة اسواط وقيل ينبغي ان يكون الضرب
بالمنديل واليد ولا يضرب بالسوط والعصا وبالجملة فالتخفيف بابلغ شي اولى في هذا الباب واختلف العلما فقال
بعضهم حكم الاية مشروع على الترتيب فان ظاهر اللفظ وان دل على الجمع الا ان مجرى الاية يدل على الترتيب قال علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه يعظها بلسانه فان انتهت فلا سبيل له عليها فان ابت هجر مضجعها فان ابت ضربها
فان لم تتعظ بالضرب بعث الحكم وقال اخرون هذا الترتيب مراعى عند خوف النشوز اما عند تحقق النشوز
فلا باس بالجمع بين الكل وقيل ان له ان يعظها عند خوف النشوز وهل له ان يهجرها فيه احتمال وله عند ظهور
النشوز ان يعظها او يهجرها او يضربها عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يسال الرجل فيم ضرب امراته اخرجه ابو داود
ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل امراته الى فراشه فابت ان تجي فبات
غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ما من
رجل يدعو امراته الى فراشه فتابى عليه الا كان الذي في السما ساخطا عليها حتى يرضى عنها وفي رواية اذا باتت مهاجرة
فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح وفي اخرى حتى ترجع عن طلق بن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا دعا الرجل امراته لحاجة فلتاته وان كانت على التنور اخرجه الترمذي وله عن معاذ بن جبل ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال لا تؤذي امراة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو
دخيل عندك يوشك ان يفارقك الينا وله عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امراة ماتت
وزوجها راض عنها دخلت الجنة وقوله تعالى فان اطعنكم يعني فان رجعن عن النشوز الى طاعتكم عند هذا التاديب
فلا تبغوا عليهن سبيلا يعني فلا تطلبوا عليهن الضرب والهجران على سبيل التعنت والايذا وقيل معناه ان لا تبغوا
عليهن التعرض بالايذا والتوبيخ ولا تجنوا عليهن الذنوب وقيل معناه لا تكلفوهن محبتكم فان القلب ليس
بايديهن ان الله كان عليا كبيرا العلي في صفة الله تعالى معناه هو الرفيع الذي علا عن وصف الواصفين ومعرفة العارفين
العلي بالاطلاق الذي يحق جميع صفات المدح والكبير هو المستغني عن غيره وذلك هو الله تعالى الموصوف بالجلال
والعظمة والكبريا وكبر الشان عن ان يصغر كل احد كبريائه وعظمته والمعنى ان الله متعال عن ان يكلف عباده ما لا يطيقونه
وقيل ان النسا وان ضعفن عن دفع ظلم الرجال عنهن فان الله كبير قادر ان ينتصف لهن ممن ظلمهن من الرجال وقيل
معناه ان الله مع علوه وكبريائه يقبل توبة العاصي اذا تاب ويغفر له فاذا تابت المراة من نشوزها فالاولى بكم ان
تقبلوا توبتها وتتركوا معاتبتها واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم فانتم احق بالعفو
عمن جنى عليكم قوله تعالى وان خفتم يعني وان علمتم وتيقنتم وقيل معناه الظن اي ظننتم شقاق بينهما يعني بين
الزوجين واصل الشقاق المخالفة وكون كل واحد من المخالفين في شق غير شق صاحبه او يكون اصله من شق
العصا وهو ان يقول كل واحد من الزوجين ما يشق على صاحبه سماعه وذلك اذا ظهر بين الزوجين شقاق ومخالفة
واشتبه حالهما ولم يفعل الزوج الصلح ولا الصفح ولا الفرقة وكذلك الزوجة لا تؤدي الحق ولا الفدية وخرجا الى ما لا
يحل قولا وفعلا وقوله تعالى فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها اختلفوا في المخاطبين بهذا ومن المامور ببعثة الحكمين
فقيل المخاطب بذلك هو الامام او نائبه لان تنفيذ الاحكام الشرعية اليه وقيل المخاطب بذلك كل احد من صالحي
الامة لان قوله تعالى فابعثوا خطاب للجمع وليس حمله على البعض اولى من حمله على البقية فوجب حمله على الكل فعلى هذا
يجب ان يكون امرا لاحاد الامة سوا وجد الامام او لم يوجد فللصالحين ان يبعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها وايضا
فهذا يجري مجرى دفع الضرر فلكل واحد ان يقوم به وقيل هو خطاب للزوجين فاذا حصل بينهما شقاق بعثا حكمين
حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يعني الحكمين وقيل الزوجين يوفق الله بينهما يعني بالصلاح والالفة روى
الشافعي بسنده عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه جاءه رجل وامراة ومع كل واحد منهما فيام من الناس فقال له ما شان
هذين قال وقع بينهما شقاق قال علي فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ثم قال للحكمين تدريان ما عليكما عليكما
ان رايتما ان تجمعا جمعتما وان تفرقا فرقتما فقالت المراة رضيت بكتاب الله بما علي فيه ولي وقال الرجل اما الفرقة فلا
قال علي كذبت والله حتى تقر بمثل ما اقرت به قال الشافعي والمستحب ان يبعث الحاكم عدلين ويجعلهما حكمين والاولى
ان يكون واحد من اهله وواحد من اهلها لان اقاربهما اعرف بحالهما من الاجانب واشد طلبا للاصلاح فان كانا اجنبيين
جاز وفائدة الحكمين ان يخلو كل واحد منهما بصاحبه ويستكشف حقيقة الحال ليعرف ان رغبته في الاقامة على النكاح
او في المفارقة ثم يجتمعان فيفعلان ما هو الصواب من وفاق او طلاق او خلع والحكمان وكيلان للزوجين وهل يكون
لهما تنفيذ امر يلزم الزوجين دون رضاهما واذنهما في مثل ذلك ان يطلق حكم الرجل ويفتدي حكم المراة بشي من مالها
فللشافعي في ذلك قولان احدهما لا يجوز الا برضاهما وليس لحكم الزوج ان يطلق الا باذنه ولا لحكم المراة ان يختلع بشي من
مالها الا باذنها وهو مذهب ابي حنيفة واحمد لان عليا توقف حين لم يرض الزوج وذلك حين قال اما الفرقة فلا
فقال له كذبت حتى تقر بمثل ما اقرت به فثبت ان تنفيذ الامر موقوف على اقراره ورضاه ومعنى قول علي للزوج كذبت
اي لست بمنصف في دعواك حيث لم تقر بمثل ما اقرت به من الرضى بحكم كتاب الله لها وعليها والقول الثاني انه يجوز بعث

Copyright © King Saud University

الحكمين دون رضاهما ويجوز لحكم الزوج ان يطلق دون رضاه ولحكم الزوجة ان يختلع دون رضاها اذا رايا الصلاح في ذلك كالحاكم
يحكم بين الخصمين وان لم يكن على وفق مرادهما وبه قال مالك ومن قال بهذا القول قال ليس المراد من قول علي للزوج
حتى تقر ان رضاه شرط بل معناه ان المراة لما رضيت بما في كتاب الله فقال الرجل اما الفرقة فلا يعني ليست الفرقة
في كتاب الله فقال له علي كذبت حيث انكرت ان تكون الفرقة في كتاب الله بل هي في كتاب الله فان قوله تعالى يوفق
الله بينهما يشتمل على الفراق وعلى غيره لان التوفيق ان يخرج كل واحد منهما من الاثم والوزر ويكون تارة ذلك بالفراق
وتارة بصلاح حاليهما في الوصلة وقوله تعالى **ان الله كان عليما خبيرا** يعني ان الله تعالى يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع
بين المتفرقين وفيه وعيد شديد للزوجين وللحكمين ان سلكوا غير طريق الحق قوله عز وجل **واعبدوا الله** يعني وحدوه
واطيعوه وعبادة الله عبارة عن كل فعل ياتي به العبد لمجرد امر الله ويدخل فيه جميع اعمال القلوب واعمال الجوارح **ولا تشركوا
به شيئا** يعني واخلصوا له في العبادة ولا تجعلوا له في الربوبية والعبادة شريكا لان من عبد مع الله غيره او اراد بعمله غير الله
فقد اشرك به ولا يكون مخلصا **ق** عن معاذ بن جبل قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار يقال
له عفير او اسمه يعفور فقال يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله قلت الله ورسوله اعلم
قال فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيئا
فقلت يا رسول الله افلا ابشر الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا قوله هل تدري ما حق الله على عباده معناه ما يستحقه
مما اوجبه بجعله متحتما عليهم ثم فسر ذلك الحق بقوله ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وقوله وما حق العباد على الله انما
قال حقهم على سبيل المقابلة لحقه عليهم لا لانهم يستحقون عليه شيئا ويجوز ان يكون من قول الرجل لصاحبه حقك علي واجب اي
متاكد قيامي به وقوله افلا ابشر الناس الخ انما قال لا تبشرهم فيتكلوا لانه صلى الله عليه وسلم راى ذلك اصلح لهم واحرى ان لا يتكلوا
على هذه البشارة ويتركوا العمل الذي يرفع لهم به الدرجات في الجنة وقوله تعالى **وبالوالدين احسانا** تقديره واحسنوا بالوالدين
احسانا يعني برا بهما وعطفا عليهما وانما قرن بر الوالدين بعبادته وتوحيده لتاكد حقهما على الولد واعلم ان الاحسان الى الوالدين
هو ان يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ويسعى في تحصيل مرادهما والانفاق عليهما بقدر القدرة **ق** عن ابي هريرة قال
جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من احق الناس بحسن صحابتي قال امك قال ثم من قال امك
قال ثم من قال امك قال ثم من قال ابوك وفي رواية قال امك ثم امك ثم امك ثم اباك ثم ادناك فادناك قوله ثم اباك فيه حذف
تقديره ثم بر اباك **م** عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم انفه رغم انفه رغم انفه قيل من يا رسول
الله قال من ادرك والديه عند الكبر او احدهما ولم يدخل الجنة وقوله تعالى **وبذي القربى** اي واحسنوا الى ذوي القرابة وهم
ذوو الرحم من قبل الاب والام **ق** عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان يبسط له
في رزقه وينسا له في اثره فليصل رحمه معنى ينسا له في اثره يؤخر له في اجله وعمره وقوله تعالى **واليتامى والمساكين** اي واحسنوا
الى اليتامى وانما امر بالاحسان اليهم لان اليتيم مخصوص بنوعين من العجز والصغر وعدم المشفق والمسكين هو الذي
ركبه ذل الفاقة والفقر فتمسكن لذلك **خ** عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل
اليتيم في الجنة هكذا واشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا **ق** عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله واحسب قال وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم لا يفطر وقوله
تعالى **والجار ذي القربى والجار الجنب** اي واحسنوا الى الجار ذي القربى وهو الذي قرب جواره منك والجار الجنب هو الذي
هو الذي بعد جواره عنك وقيل الجار ذي القربى هو القريب والجار الجنب هو الاجنبي الذي ليس بينك وبينه قرابة **ق**
عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وعن عائشة مثله **خ**
عن عائشة قالت قلت يا رسول الله ان لي جارين فالى ايهما اهدي قال الى اقربهما بابا منك **م** عن ابي ذر قال قال رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها وتعاهد جيرانك وفي رواية قال اوصاني خليلي صلى الله عليه
وسلم قال اذا طبخت مرقا فاكثر ماءه ثم انظر الى اهل بيت من جيرانك فاصبهم منها بمعروف **ق** عن ابي هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال والله لا يومن والله لا يومن والله لا يومن قيل من يا رسول الله قال
الذي لا يامن جاره بوائقه ولمسلم لا يدخل الجنة من لا يامن جاره بوائقه البوائق الغوائل والشرور **ق** عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نساء المومنات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة معناه ولو
ان تهدي اليها فرسن شاة وهو الظلف واراد به الشيء الحقير **ق** عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان
يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليسكت وقوله تعالى **والصاحب بالجنب** قال ابن عباس هو الرفيق في السفر وقيل
هي المراة تكون معك الى جنبك وقيل هو الذي يصحبك رجاء نفعك عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم خير الاصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن وقوله تعالى **وابن السبيل** يعني المسافر المجتاز بك الذي قد انقطع به وقال الاكثرون المراد بابن السبيل الضيف
يمر بك فتكرمه وتحسن اليه **ق** عن ابي شريح خويلد بن عمرو العدوي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا وما جائزته يا رسول الله قال يومه وليلته
والضيافة ثلاثة ايام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه وقال من كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او
ليصمت زاد في رواية ولا يحل لرجل ان يقيم عند اخيه حتى يوثمه قالوا يا رسول الله وكيف يوثمه قال يقيم عنده
ولا شيء له يقريه به قوله جائزته يومه وليلته الجائزة العطية اي يقري الضيف ثلاثة ايام ثم يعطيه ما يجوز
به من منهل الى منهل وقيل هو ان يكرم الضيف فاذا سافر اعطاه ما يكفيه يوما وليلة حتى يصل الى موضع اخر
قوله لا يقيم عنده حتى يوثمه اي يوقعه في الاثم لانه اذا قام عنده ولم يقره اثم بذلك وقوله تعالى **وما ملكت ايمانكم**
يعني المماليك فاحسنوا اليهم والاحسان اليهم لا يكلفهم ما لا يطيقون ولا يوذيهم بالكلام الخشن وان يعطيهم من الطعام
والكسوة ما يحتاجون اليه بقدر الكفاية عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يدخل الجنة سيء الملكة اخرجه الترمذي عن رافع بن مكيث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حسن الملكة نماء
وسوء الخلق شوم اخرجه ابو داود وله عن علي بن ابي طالب قال كان اخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الصلاة اتقوا الله
فيما ملكت ايمانكم **ق** عن المعرور بن سويد قال رايت ابا ذر عليه حلة وعلى غلامه حلة مثلها فسالته عن ذلك
فذكر انه ساب رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بامه فاتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك
له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك امرؤ فيك جاهلية قلت على ساعتي هذه من كبر السن قال نعم هم اخوانكم
وخولكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما ياكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان
كلفتموهم فاعينوهم عليه وقوله تعالى **ان الله لا يحب من كان مختالا** المختال المتكبر العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحقوق الناس
فخورا الفخور هو الذي يفتخر على الناس ويعدد مناقبه تكبرا او تطاولا على من دونه وقيل هو الذي يفتخر على
عباد الله بما اعطاه الله من نعمة ولا يشكره عليها وانما ختم الله هذه الاية بهذين الوصفين المذمومين لان المختال
الفخور ياتف من اقاربه الفقراء ومن جيرانه الضعفاء فلا يحسن اليهم ولا يلوي بنظره عليهم لان المختال هو المتكبر ومن كان
متكبرا فلا يقوم بحقوق الناس **ق** عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة
الى من جر ثوبه خيلاء **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى
من جر ازاره بطرا **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشي في حلة تعجبه
نفسه مرجل نفسه يختال في مشيته اذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل في الارض الى يوم القيامة **خ** عن ابي

عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل ممن كان قبلكم يجر ازاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل
في الارض الى يوم القيامة (خ) عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفخر والخيلاء في الفدادين من
اهل الوبر والسكينة في اهل الغنم الفدادون هم الفلاحون والحراثون واصحاب الابل والبقر المكثرون منها المتكبرون على
الناس بها قوله عز وجل الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل نزلت في اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم
وكتموها فعلى هذا يكون كتمان المراد بالبخل كتمان العلم وقال ابن عباس نزلت في كردم بن زيد وحيي بن اخطب
ورفاعة بن زيد بن التابوت واسامة بن حبيب ونافع بن ابي نافع وبحري بن عمرو وكانوا يأتون رجالا من الانصار
ويخالطونهم ويقولون لهم لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون فانزل الله عز وجل
هذه الاية وقيل ان ذلك يحتمل ان يكون المراد بالبخل كتمان العلم ومنع المال لان البخل في كلام العرب منع السائل
من فضل ما لديه وامساك المقتنيات وفي الشرع البخل عبارة عن امساك الواجب ومنعه واذا كان ذلك امكن حمله
على منع المال ومنع العلم ويكتمون ما آتاهم الله من فضله يعني اليهود كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما عندهم من العلم
وقيل هم الاغنياء الذين كتموا الغنى واظهروا الفقر وبخلوا بالمال واعتدنا للكافرين يعني الجاحدين بنعمة الله عليهم
عذابا مهينا يعني في الاخرة عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في
مومن البخل وسوء الخلق اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله عز وجل والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس يعني للفخار
والسمعة وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا يريدون بما انفقوا وجه الله (م) عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك معي فيه غيري تركته
وشركه نزلت هذه الاية في اليهود وقيل في المنافقين لان الرياء ضرب من النفاق وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين
اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر يعني ولا يصدقون بتوحيد الله ولا بالمعاد
الذي فيه جزاء الاعمال انه كائن ومن يكن الشيطان له قرينا يعني من يكن الشيطان صاحبه وخليله فبئس الصاحب وبئس فساء قرينا
الخليل الشيطان وانما اتصل الكلام هنا بذكر الشيطان تقريعا لهم على طاعة الشيطان والمعنى من يكن عمله بما يسول
له الشيطان فبئس العمل عمله وقيل هذا في الاخرة يجعل الله الشياطين قرناءهم في النار يقرن مع كل كافر شيطان في سلسلة
في النار ثم وبخهم الله تعالى وعيرهم على ترك الايمان فقال تعالى وماذا عليهم يعني واي شيء عليهم واي وبال وتبعة تلحقهم
لو آمنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله اي اي وبال عليهم في الايمان بالله والانفاق في سبيله وابتغاء مرضاته وكان الله بهم عليما يعني
لا يخفى عليه شيء من اعمال هولاء الذين ينفقون اموالهم لاجل الرياء والسمعة ففيه وعيد وتهديد لهم قوله عز وجل ان الله لا يظلم
مثقال ذرة نظم الكلام وماذا عليهم لو آمنوا وانفقوا فان الله لا يظلم ولا يبخس احدا من ثواب عمله مثقال ذرة يعني
وزن ذرة وقال ابن عباس الذرة راس نملة حمراء وقيل الذرة كل جزء من اجزاء الهباء الذي يكون في الكوة اذا كان فيها ضوء الشمس
لا وزن لها وهذا مثل ضربه الله تعالى لاقل الاشياء والمعنى ان الله تعالى لا يظلم احدا شيئا من قليل ولا كثير فخرج الكلام
على اصغر شيء يعرفه الناس وان تك حسنة يضاعفها يعني الحسنة بعشر امثالها وقيل هذا عند الحساب فمن بقي له من الحسنات مثقال
ذرة ضاعفها الله الى سبعماية والى اجر عظيم قال قتادة لان تفضل حسناتي على سيئاتي بمثقال ذرة احب الي من الدنيا
وما فيها (م) عن انس بن مالك في قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله لا يظلم مومنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الاخرة واما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها
لله في الدنيا حتى اذا افضى الى الاخرة لم تكن له حسنة يجزى بها عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله تعالى يخلص رجلا من امتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد
البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر فقال لا يا رب فيقول

تعالى

تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده
ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال انك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة
والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء اخرجه الترمذي (ق) عن ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله
وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المومنون
كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس في نار جهنم حتى
اذا خلص المومنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من احد منكم باشد مناشدة في استيفاء الحق من المومنين يوم القيامة
لاخوانهم الذين في النار وفي رواية فما انتم باشد مناشدة في الحق قد تبين لكم من المومنين يومئذ للجبار اذا رأوا انهم قد نجوا في
اخوانهم فيقولون يا ربنا انهم كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار
فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به فيقال ارجعوا فمن
وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن امرتنا احدا ثم يقول ارجعوا
فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد يقول
ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا
عظيما فيقول الله تعالى شفعت الملايكة وشفعت النبيون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من نار فيخرج منها
قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل
الا ترونها الى الحجر او الى الشجر ما يكون الى الشمس اصيفر واخيضر وما يكون منها الى الظل يكون ابيض فقالوا يا رسول الله كانك
كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللولو في رقابهم الخواتيم يعرفهم اهل الجنة هولاء عتقاء الله الذين ادخلهم الجنة بغير
عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتم فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين
فيقول لكم عندي افضل من هذا فيقولون ربنا اي شيء افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم ابدا لفظ مسلم
وهو بعض حديث وقال بعضهم هذه الاية واردة في الخصوم ويدل عليه ما روي عن عبد الله بن مسعود قال اذا
كان يوم القيامة جمع الله الاولين والاخرين ثم ينادي مناد من عند الله الا من كان يطلب مظلمة فليجئ الى حقه فليأخذه
قال فيفرح المرء ان يكون له الحق على والده او ولده او زوجته او اخيه فيأخذ منه وان كان صغيرا ومصداق ذلك
في كتاب الله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ويوتى بالعبد وينادي مناد على رؤوس
الاولين والاخرين هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال آت هولاء حقوقهم فيقول اي رب
من اين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله تعالى لملايكته انظروا في اعماله الصالحة فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة
قالت الملايكة يا ربنا اعطينا كل ذي حق حقه وبقي له مثقال ذرة من حسنة فيقول للملايكة ضعفوها لعبدي واعطوها
وادخلوه بفضل رحمتي الجنة ومصداق ذلك في كتاب الله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوت
من لدنه اجرا عظيما اي الجنة وان كان عبدا شقيا قالت الملايكة الهنا فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقول الله تعالى
خذوا من سيئاتهم فاضيفوها الى سيئاته ثم اكتبوا له كتابا الى النار اخرجه البخاري بغير سند عن ابن مسعود موقوفا
عليه واسنده ابن جرير الطبري عن ابن مسعود فمعنى الاية على هذا التاويل ان الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على خصمه
بل ياخذها له منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له بل يثيبه عليها ويضاعفها له فذلك قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها
اي يجعلها اضعافا كثيرة ويوت من لدنه يعني من عنده اجرا عظيما يعني الجنة والمعنى ويعطي من عنده اجرا عظيما يعني
عوضا من حسنته وذلك العوض هو الجنة وقال ابو هريرة اذا قال الله عز وجل اجرا عظيما فمن يقدر قدره قوله تعالى

Copyright © King Saud University

فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني فكيف يكون حال هولاء المشركين والمنافقين يوم القيامة اذا جئنا من كل امة بشهيد
قال ابن عباس يريد نبيها والمعنى انه ياتي نبي كل امة يشهد عليها ولها وجئنا بك يا محمد على هولاء شهيدا يعني تشهد
على هولاء الذين سمعوا القران وخوطبوا به بما عملوا (ق) عن ابن مسعود قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرا علي
القران فقلت يا رسول الله اقرا عليك وعليك انزل قال اني احب ان اسمعه من غيري قال فقرات عليه سورة النسا
حتى جئت الى هذه الاية فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء شهيدا قال حسبك الان قال فالتفت
اليه فاذا عيناه تذرفان زاد مسلم شهيدا ما دمت فيهم او قال ما كنت فيهم شك احد رواته وقوله تعالى يومئذ يعني يوم
القيامة يود اي يتمنى الذين كفروا يعني بمحمد وبوحدانية الله تعالى وعصوا الرسول يعني فيما امرهم به من توحيد الله
عز وجل لو تسوى بهم الارض لو صاروا فيها وسويت عليهم وقيل انهم ودوا لو لم يبعثوا لانهم انما كانوا في الارض وهي مستوية
عليهم وقال الكلبي يقول الله تعالى للبهايم والطيور والسباع كونوا ترابا فتسوى بهم الارض فعند ذلك يتمنى الكافر لو يكون
ترابا ولا يكتمون الله حديثا قال ابن عباس في رواية عطاء ودوا لو تسوى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا امر محمد صلى الله عليه
وسلم ولا كفروا به ولا نافقوا فعلى هذا القول يكون الكتمان مما كتموه في الدنيا من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وهو كلام
متصل بما قبله وقيل هو كلام مستانف قال سعيد بن جبير سال رجل ابن عباس فقال اني اجد في القران اشيا تختلف علي قال
هات ما يختلف عليك قال منها قوله ولا يكتمون الله حديثا ومنها قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا فقال يغفر الله
لاهل الاسلام ذنوبهم ويدخلهم الجنة فيقول المشركون تعالوا نقول ما كنا مشركين فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين
رجا ان يغفر لهم فيختم على افواههم وتنطق ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك عرفوا ان الله لا يكتم حديثا
وعنده يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض فلا يختلف عليك القران فان كلا من عند الله وقال
الحسن انها مواطن ففي موطن لا يتكلمون ولا تسمع الا همسا وفي موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون والله ربنا ما كنا
مشركين وما كنا نعمل سوءا وفي مواطن يعترفون على انفسهم وهو قوله تعالى فاعترفوا بذنوبهم وفي مواطن لا يتساءلون
وفي مواطن يسالون الرجعة واخر تلك المواطن ان يختم على افواههم وتتكلم جوارحهم فهو قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى جمع سكران حتى تعلموا ما تقولون سبب نزول هذه الاية ما روي عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه قال صنع لنا ابن عوف طعاما فدعانا فاكلنا واسقانا خمرا قبل ان تحرم الخمر فاخذت منا وحضرت
الصلاة فقدموني فقرات قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون قال فخلطت فنزلت لا تقربوا
الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح واخرجه ابو داود ولفظه
ان رجلا من الانصار دعاه وعبد الرحمن بن عوف فسقاهما قبل ان تحرم الخمر فحضرت الصلاة فامهم علي
في المغرب فقرا قل يا ايها الكافرون فخلط فيها فنزلت الاية لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى
تعلموا ما تقولون وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس ان رجالا كانوا ياتون الصلاة وهم سكارى
قبل ان تحرم الخمر فقال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى الاية فعلى هذا ففي
المراد بالصلاة قولان احدهما انه نفس الصلاة ذات الركوع والسجود وهو قول الاكثرين والمعنى لا تصلوا
وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون والقول الثاني ان المراد بالصلاة موضع الصلاة وهو المسجد واطلاق
لفظ الصلاة على المسجد محتمل فيكون من باب حذف المضاف والمعنى لا تقربوا مواضع الصلاة وانتم سكارى
وحذف المضاف جائز سائغ ويدل على ذلك قوله لهدمت صوامع وبيع وصلوات والمراد بالصلوات
مواضعها فثبت ان اطلاق لفظ الصلاة والمراد موضعها جائز واعلم ان هذا النهي عن قربان الصلاة في
حالة السكر انما كان قبل تحريم الخمر فكانوا يشربونها في غير اوقات الصلاة ثم نزل تحريم الخمر بعد ذلك

ونسخ هذه الاية وقال الضحاك المراد بالسكر سكر النوم يعني لا تقربوا الصلاة عند غلبة النوم ويدل عليه ما روي
عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نعس احدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه
النوم فان احدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه اخرجاه في الصحيحين
ولا جنبا يعني لا تقربوا الصلاة وانتم جنب والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث لانه
اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب واصل الجنابة البعد سمي الذي اصابه الجنابة جنبا لانه يجتنب
الصلاة والمسجد وقيل لمجانبة الناس حتى يغتسل الا عابري سبيل العابر ههنا فاعل من العبور
وهو قطع الطريق من هذا الجانب الى الجانب الاخر واختلف العلما في معنى قوله الا عابري سبيل على
قولين احدهما ان المراد بالعبور هو العبور في المسجد وذلك ان قوما من الانصار كانت ابوابهم في
المسجد فتصيبهم الجنابة ولا ما عندهم ولا ممر لهم الا في المسجد فرخص لهم العبور فيه فعلى هذا القول
يكون المراد بالصلاة موضع الصلاة والمعنى لا تقربوا المسجد وانتم جنب الا مجتازين فيه اما للخروج منه
او للدخول فيه مثل ان يكون قد نام في المسجد واجنب فيجب الخروج منه او يكون الما في المسجد فيدخل اليه
او يكون طريقه عليه فيمر فيه من غير اقامة وهذا قول ابن مسعود وانس بن مالك والحسن وسعيد بن
المسيب وعكرمة والضحاك وعطا الخراساني والنخعي والزهري واليه ذهب الشافعي واحمد القول الثاني
ان المراد بقوله الا عابري سبيل المسافرين والمعنى ولا تقربوا الصلاة وانتم جنب الا ان تكونوا مسافرين ولم
تجدوا الما فتيمموا فمنع الجنب من الصلاة حتى يغتسل الا ان يكون في سفر ولا ما معه فيتيمم ويصلي الى ان يجد الما
فيغتسل هذا قول علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة ثم جعل عابري سبيل المسافر منع الجنب من العبور
في المسجد وهو مذهب ابي حنيفة ورجح ابن جرير الطبري والواحدي القول الاول وبين على صحته وجهان احدهما
ان المسافر الجنب لا تصح صلاته بدون التيمم وعلى القول الاول لا يحتاج الى اضمار الوجه الثاني ان الله تعالى
ذكر حكم السفر وعدم الما وجواز التيمم بعد هذا فلا يحمل هذا على حكم معاد في الاية ويدل عليه ان جميع القرا
استحسنوا الوقف على قوله حتى تغتسلوا يعني ان تغتسلوا وفيه دليل على ان حكم الجنابة باق على الجنب الى غاية
هو الاغتسال

فصل

في احكام تتعلق بالاية اختلف العلما في العبور في المسجد فاباحه قوم على الاطلاق
وهو قول اصحاب الراي وقال قوم يتيمم للعبور في المسجد واختلف العلما في المكث في المسجد ايضا للجنب فمنعه اكثر اهل
العلم وقالوا لا يجوز للجنب المكث في المسجد بحال لما روي عن عايشة قالت جا رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه
بيوت اصحابه شارعة في المسجد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم
يصنع القوم شيا رجا ان ينزل لهم رخصة فخرج اليهم بعد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد فاني لا احل المسجد
لحايض ولا جنب اخرجه ابو داود وجوز احمد المكث في المسجد بشرط الوضو وبه قال المزني من اصحاب الشافعي واجاب احمد
عن حديث عايشة بانه في بعض رواته مجهول وقال عبد الحق لا يثبت من قبل اسناده واستدل احمد لمذهبه بما
روي عن عطا بن يسار قال رايت رجالا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسون في المسجد وهم مجنبون
اذا توضوا وضوء الصلاة اخرجه سعيد بن منصور في مسنده واحتج لمذهب الجمهور بعموم الاية وبما روي عن
ام سلمة قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم صرحة المسجد فنادى باعلى صوته ان المسجد لا يحل لجنب ولا لحايض
اخرجه ابن ماجة ويحرم على الجنب ايضا الطواف وقراة القران كما يحرم عليه فعل الصلاة ويدل على ذلك ايضا
ما روي عن علي بن ابي طالب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته ثم يخرج فيقرا القران
وياكل معنا اللحم ولا يحجبه وربما قال ولا يحجزه من القران شي ليس الجنابة اخرجه ابو داود والنسائي والترمذي ولفظه

Copyright © King Saud University

كان يقرأ القرآن على كل حال ما لم يكن جنبا وقال حديث حسن صحيح وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرأ الجنب ولا الحائض ولا النفساء من القرآن شيئا اخرجه الدارقطني ويجب الغسل باحد شيئين بانزال المني وهو الماء الدافق او بايلاج الحشفة في الفرج وان لم ينزل ويدل على ذلك ما روي عن عائشة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاما قال يغتسل وعن الرجل يرى انه احتلم ولا يجد بللا قال لا غسل عليه قالت ام سلمة والمرأة ترى ذلك اعليها الغسل قال نعم اخرجه ابو داود والترمذي ق وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جلس بين شعبها الاربع ثم جهدها فقد وجب الغسل زاد في رواية وان لم ينزل قوله تعالى **وان كنتم مرضى** جمع مريض واراد به المرض الذي يضره معه امساس الماء مثل الجدري والقروح ونحو ذلك وان كان على بعض اعضائه جراحة او به قروح يخاف من استعمال الماء التلف او زيادة الوجع فانه يتيمم ويصلي مع وجود الماء وان كان بعض اعضائه صحيحا وبعضها جريحا غسل الصحيح وتيمم للجريح في الوجه واليدين لما روي عن جابر قال خرجنا في سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل اصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا ما نجد لك رخصة وانت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله الا سألوا اذا لم يعلموا فانما شفاء العي السؤال انما كان يكفيه ان يتيمم ويعصر او قال يعصب شك الراوي على جرحه خرقة ثم يمسح عليه ويغسل سائر جسده اخرجه ابو داود والدارقطني ولم يجوز اصحاب الرأي الجمع بين الغسل والتيمم وقوله تعالى **او على سفر** يعني او كنتم مسافرين واراد به السفر الطويل والقصير وعدم الماء فانه يتيمم ويصلي ولا اعادة عليه لما روي عن ابي ذر قال اجتمعت غنيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر ابد فيها فبدوت الى الربذة فكانت تصيبني الجنابة فامكث الخمس والست فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو ذر فسكت فقال ثكلتك امك ابا ذر لامك الويل فدعا بجارية سوداء فجاءت بعس فيه ماء فسترتني بثوب واستترت بالراحلة واغتسلت فكأني القيت عني جبلا فقال الصعيد الطيب وضوء المسلم وان لم يجد الماء عشر سنين فاذا وجدت الماء فامسه جلدك فان ذلك خير اخرجه ابو داود العس قدح من خشب يحمل فيه الماء للوضوء وللاغتسال اما اذا لم يكن الرجل مريضا ولا على سفر وعدم الماء في موضع لا يعدم فيه غالبا فانه يتيمم ويصلي ثم يعيد اذا وجد الماء وقضاء عليه وبه قال الشافعي وقال مالك والاوزاعي لا اعادة عليه وقال ابو حنيفة يؤخر الصلاة حتى يجد الماء وقوله تعالى **او جاء احد منكم من الغائط** الغائط المكان المطمئن من الارض وجمعه الغيطان وكانت عادة العرب اتيان الغائط للحدث فكنوا به عن الحدث وذلك ان الرجل منهم كان اذا اراد قضاء الحاجة طلب غائطا من الارض يعني مكانا منخفضا من الارض يحجبه عن اعين الناس فسمي الحدث بهذا الاسم فهو من باب تسمية الشيء باسم مكانه وقوله تعالى **او لامستم النساء** قرئ هنا وفي سورة المائدة لامستم النساء ولمستم بغير الف واختلف العلماء في معنى الملامسة على قولين احدهما انه الجماع وهو قول علي وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ووجه هذا القول ان الله تعالى كنى باللمس عن الجماع لان باللمس يوصل اليه قال ابن عباس ان الله حيي كريم يكني عن الجماع بالملامسة والقول الثاني ان المراد باللمس هنا التقاء البشرتين سواء كان بجماع او بغير جماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي ووجه هذا القول ان اللمس حقيقة في اللمس باليد فاما حمله على الجماع فمجاز والاصل حمل الكلام على الحقيقة لا المجاز واما قراءة من قرأ او لامستم فالملامسة مفاعلة من اللمس لا تنزل على المجامعة ايضا على الاطلاق لانه قد ورد في الحديث النهي عن بيع الملامسة قال ابو عبيدة في معناها هو ان تقول اذا لمست ثوبي ولمست ثوبك فقد وجب البيع فالملامسة في الحديث بمعنى اللمس باليد واذا كانت مستعملة في غير المجامعة لم يدل قوله تعالى او لامستم النساء على صريح الجماع بل حمل على الاصل الموضوع له وهو اللمس باليد

فصل في احكام تتعلق بالاية وفيه مسائل المسألة الاولى اذا افضى الرجل بشيء من بدنه الى بدن المرأة ولا حائل بينهما انتقض وضوءهما

وهو

وهو قول ابن مسعود وابن عمر وبه قال الزهري والاوزاعي والشافعي لما روى الشافعي بسنده عن ابن عمر انه قال قبلة الرجل امرأته وجسها بيده من الملامسة فمن قبل امرأته او جسها بيده فعليه الوضوء اخرجه مالك في الموطأ قال الشافعي وبلغنا عن ابن مسعود مثله وقال مالك والليث بن سعد واحمد واسحاق اذا كان اللمس بشهوة انتقض الوضوء وان لم يكن بشهوة فلا ويدل عليه ما روي عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل امرأة من نسائه ثم خرج الى الصلاة ولم يتوضأ قال عروة من هي الا انت فضحكت اخرجه الترمذي وابو داود واجيب عن هذا الحديث بانه ليس بثابت قال الترمذي لا يصح اسناده بحال وسمعت محمد بن اسماعيل يضعف هذا الحديث وقال ابو سبكلاني وفيه ضعف من وجه آخر وهو ان عروة هذا ليس بعروة بن الزبير ابن اخت عائشة انما هو شيخ مجهول قال البيهقي لعروة المزني وانما المحفوظ عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل وهو صائم كذا رواه الثقات عن عائشة وقال ابو حنيفة لا ينتقض الوضوء باللمس الا ان يحدث الانتشار وقال قوم لا ينتقض بحال وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثوري واحتج من لم يوجب الوضوء باللمس لما روي عن عائشة انها قالت كنت انام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلاي في قبلته فاذا سجد غمزني فقبضت رجلي فاذا قام بسطتهما والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح اخرجاه في الصحيحين واجاب من اوجب الوضوء باللمس عن هذا الحديث بانه يحتمل ان يكون غمزه لها على حائل المسألة الثانية اختلف قول الشافعي في لمس المحرم كالام والبنت والاخت او اجنبية صغيرة فاصح القولين عنه انه لا ينتقض الوضوء به والثاني انه ينتقض الوضوء به ومأخذ القولين عند اصحاب الشافعي التردد بين اتفاق عموم الاية في قوله او لامستم النساء والنظر الى المعنى في النقض باللمس وهو تحرك الشهوة فان اخذنا بعموم الاية فينتقض الوضوء بلمس المحارم وان اخذنا بالمعنى فلا ينتقض وفي الملموس قولان والملموس هو الذي لا فعل منه في المباشرة رجلا كان او امرأة واللامس هو الفاعل للمس وان لم يقصد المباشرة فاحد القولين انه ينتقض وضوء اللامس والملموس لعموم الاية لان اللمس وقع بين الرجل والمرأة فينتقض وضوءهما معا والقول الثاني انه ينتقض وضوء اللامس دون الملموس لما روي عن عائشة قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على اخمص قدميه وهو ساجد وهما منصوبتان وهو يقول اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك اخرجه مسلم فلو انتقض وضوءه صلى الله عليه وسلم لقطع الصلاة ولو لمس شعر امرأة او سنها او ظفرها فلا وضوء عليه المسألة الثالثة في الحدث وهو الخارج من السبيلين عينا كان كالبول والغائط او اثرا كالريح ونحوها فاذا حصل شيء من ذلك فلا تصح صلاته ما لم يتوضأ او يتيمم عند عدم الماء لما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة احدكم اذا احدث حتى يتوضأ فقال رجل من اهل حضرموت ما الحدث يا ابا هريرة قال فساء او ضراط اخرجاه في الصحيحين اما خروج النجاسة من غير السبيلين كالفصد والحجامة والرعاف والقيء ونحوها فذهب قوم الى انه لا وضوء من خروج هذه الاشياء يروى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وبه قال عطاء وطاوس والحسن وابن المسيب واليه ذهب مالك والشافعي لما روي عن انس قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ولم يتوضأ ولم يزد على غسل محاجمه اخرجه الدارقطني وذهب قوم الى ايجاب الوضوء من ذلك منهم سفيان الثوري وابن المبارك واصحاب الرأي واحمد واسحاق واتفق هؤلاء على ان خروج القليل منه لا ينقض الوضوء ويدل على انتقاض الوضوء بخروج هذه الاشياء ما روي عن معدان بن ابي طلحة عن ابي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قاء فتوضأ قال معدان فلقيت ثوبان في مسجد دمشق فذكرت له ذلك فقال انا صببت له وضوءه اخرجه الترمذي وقال هو اصح شيء في هذا الباب المسألة الرابعة من نواقض الوضوء زوال العقل بجنون او اغماء او نوم لما روي عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين وكاء السه فمن نام فليتوضأ

Copyright © King Saud University

اخرجه ابو داود وابن ماجه ويستثنى من ذلك النوم اليسير قاعدا متمكنا لانه لا يحصل الحدث الى الارض ويدل على ذلك
ما روي عن انس قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون العشا الاخرة حتى تخفق رؤوسهم
ثم يصلون ولا يتوضون اخرجه ابو داود وذهب قوم الى ان النوم لا ينقض الوضوء بكل حال وهو قول ابي
هريرة وعايشة وبه قال الحسن واسحاق والمزني وذهب قوم الى انه لو نام قايما او قاعدا او ساجدا او
في الصلاة فلا وضوء عليه حتى يضطجع وبه قال سفيان الثوري وابن المبارك واصحاب الراي لما روي عن ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على من نام ساجدا وضوء حتى يضطجع فانه اذا اضطجع استرخت
مفاصله اخرجه احمد بن حنبل وضعف بعضهم هذا الحديث المسيلة الخامسة من نواقض الوضوء مس
الفرج من نفسه او غيره فذهب قوم الى انه يوجب الوضوء وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس وسعد بن ابي وقاص
وابي هريرة وعايشة وبه قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار واليه ذهب الاوزاعي والشافعي واحمد
واسحاق ثم ان الشافعي قال ينتقض الوضوء اذا مس ببطن الكف والرجل والمراة في ذلك سوا ويدل على ذلك ما روي
عن بسرة بنت صفوان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مس ذكره فلا يصلي حتى يتوضا اخرجه الترمذي وقال
حديث صحيح ولابي داود والنسائي نحوه وعن ام حبيبة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مس
فرجه فليتوضا اخرجه ابن ماجه وصححه احمد وابو زرعة وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من افضى
بيده الى ذكره وليس دونه ستر فقد وجب عليه الوضوء اخرجه احمد بن حنبل وذهب قوم الى ان مس الذكر لا يوجب الوضوء
وهو قول علي وابن مسعود وابي الدردا وحذيفة وبه قال الحسن واليه ذهب الثوري وابن المبارك واصحاب الراي واحتجوا
بما روي عن طلق ابن علي قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل كانه بدوي فقال يا نبي الله ما ترى في مس
الرجل ذكره بعد ما توضا قال هل هو الا مضغة او قال بضعة منه اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي نحوه بمعناه ولكن
من اوجب الوضوء على من مس الذكر عن حديث طلق بن علي بان قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في اول الهجرة
وهم يبنون المسجد وابو هريرة اخرهم اسلاما وقد روى انتقاض الوضوء بمس الذكر فكان حديث ابي هريرة ناسخا لحديث طلق بن علي
وايضا فان حديث طلق يرويه عنه ابنه قيس بن طلق وهو ليس بالقوي عند اهل الحديث وقوله تعالى فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا
طيبا اعلم ان التيمم من خصايص هذه الامة خصها الله تعالى به ليسهل عليهم اسباب العبادة ويدل على ذلك ما روي عن
حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملايكة وجعلت لنا
الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الما اخرجه مسلم وكان سبب نزول التيمم ما روي عن عايشة قالت
خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيدا او بذات الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم على التماسه واقام الناس معه وليسوا على ما وليس معهم ما فجا ابو بكر ورسول الله صلى الله عليه
وسلم واضع راسه على فخذي قد نام فقال حبست فاتى الناس الى ابي بكر الصديق فقالوا الا ترى الى ما صنعت عايشة
اقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه وليسوا على ما وليس معهم ما فجا ابو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم
واضع راسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ما وليس معهم ما قالت
عايشة فعاتبني ابو بكر وقال ما شا الله ان يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم على فخذي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصبح على غير ما فانزل الله عز وجل اية التيمم فتيمموا
فقال اسيد بن حضير وهو احد النقبا ما هي باول بركتكم يا ال ابي بكر فقالت عايشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه
فوجدنا العقد تحته اخرجاه في الصحيحين قولها بالبيدا البيدا المفازة والعقد كل خيط ينظم فيه خرز ويجمع بيد وذات
الجيش اسم موضع وهو على بريد من المدينة وقولها فبعثنا البعير اي اثرناه قوله تعالى فلم تجدوا ما هذا معطوف

على

على ما قبله والمعنى وجا احد منكم من الغايط او لامستم النسا فطلبتم الما للتطهر به فلم تجدوه يعني فاعوزكم فلم تجدوه
بثمن ولا بغير ثمن لان المحدث مامور بالتطهر بالما فاذا اعوزه الما عدل عنه الى التيمم بعد طلب الما قال الشافعي اذا دخل وقت
الصلاة طلب الما فان لم يجده تيمم وصلى ثم اذا دخل وقت الصلاة الثانية وجب عليه الطلب مرة اخرى وقال ابو حنيفة
لا يجب عليه الطلب للصلاة الثانية حجة الشافعي قوله تعالى فلم تجدوا وعدم الوجدان مشعر بسبق الطلب واجمعوا
على انه لو وجد الما لكنه يحتاج اليه لعطشه او عطش حيوان محترم فانه يجوز له التيمم مع وجدانه ذلك الما وقوله تعالى
فتيمموا صعيدا طيبا اصل التيمم في اللغة القصد يقال تيممته وتاممته اذا قصدته وهو في الشرع عبارة عن فعل مخصوص
عند عدم الما للصلاة لتاديته الصلاة واختلفوا في الصعيد الطيب فقال قتادة الصعيد الطيب الارض التي ليس فيها شجر
ولا نبات وقال ابن زيد الصعيد المستوي من الارض ولذلك قال الليث الصعيد الارض المستوية التي لا شي فيها
وقال الفرا الصعيد هو التراب وقال ابو عبيدة في قوله صلى الله عليه وسلم اياكم والقعود بالصعدات قال
الصعدات الطرق ماخوذ من الصعيد وهو التراب وقيل الصعيد وجه الارض البارز وهو اختيار الزجاج قال الصعيد
وجه الارض ولا يبالي كان في الموضع تراب او لا لان الصعيد ليس هو التراب انما هو وجه الارض ونقل الربيع عن الشافعي
في تفسير الصعيد فقال لا يقع اسم الصعيد الا على تراب ذي غبار فاما البطحا الغليظة والرقيقة فلا يقع عليها
اسم الصعيد فان خالطه تراب ومدر يكون له غبار كالذي خالطه هو الصعيد قال ولا يتيمم بنورة ولا بكحل ولا
زرنيخ كل هذا حجارة هذا كلام الشافعي في تفسير الصعيد وهو المقدوح في اللغة وقوله في ذلك حجة وقد وافقه في ذلك
الفرا وابو عبيدة وجميع الاقوال في الصعيد صحيحة في اللغة لكن المراد به هنا التراب وقد قال ابن عباس في قوله
صعيدا هو التراب واختلف اهل العلم فيما يجوز به التيمم فذكر الشافعي انه يختص بما وقع عليه اسم التراب مما له غبار
يعلق بالوجه واليدين لان النبي صلى الله عليه وسلم قال جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا فخص التراب
بالطهور ولان الله تعالى وصف الصعيد بالطيب والطيب من الارض هو الذي ينبت فيه بدليل قوله تعالى والبلد
الطيب يخرج نباته فعلى هذا ما لا ينبت فليس بطيب ولنا ايضا قوله تعالى في سورة المايدة فامسحوا بوجوهكم
وايديكم منه وكلمة من للتبعيض هنا ولا يتاتى ذلك في الصخر الذي لا تراب عليه وايضا فانه يقال الغبار صعيد لانه
ماخوذ من الصعود وهو الارتفاع ولا يكون ذلك في الصخر وما اشبهه وذهب ابو حنيفة ومالك الى انه يجوز التيمم
بكل ما هو من جنس الارض كالرمل والجص والنورة والزرنيخ ونحو ذلك حتى لو ضرب بيده على صخرة ملسا لا غبار عليها
صح تيممه عندهم واحتج ابو حنيفة ومن وافقه بظاهر الاية قالوا لان التيمم هو القصد والصعيد اسم لما
تصاعد من الارض فقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا اي اقصدوا ارضا فوجب ان يكون هذا القدر كافيا واجيب
عنه بما تقدم جايز ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا واجيب عنه بان هذا
مجمل يفسره ما تقدم من حديث حذيفة في تخصيص التراب والمفسر يقضي على المجمل وجوز بعضهم التيمم بكل ما هو متصل
بالارض من شجر ونبات ومدر ونحو ذلك قالوا لان اسم الصعيد يقع على ما تصاعد على الارض واجيب
عنه بما تقدم من الادلة وقوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وايديكم الوجه الممسوح في التيمم هو المحدود في الوضوء واختلف العلما
فيما يجب مسحه من اليد فذهب اكثر اهل العلم منهم ابن عمر وابنه سالم والحسن وهو مذهب ابي حنيفة والشافعي انه يمسح
الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين وصورة ذلك ان يضرب كفيه على التراب ويمسح بهما وجهه ولحييه ويوصل
التراب الى منابت الشعور ثم يضرب ضربة اخرى ويفرق اصابعه فيمسح يديه الى المرفقين ويدل على ذلك
ما روي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين رواه
البيهقي ولم يضعفه وروى الشافعي عن ابراهيم بن محمد عن ابي الحويرث عن الاعرج عن ابن الصمة قال مررت على

Copyright © King Saud University

النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد علي حتى قام الى الجدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع يديه
على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد علي هذا حديث منقطع لان الاعرج وهو عبد الرحمن بن هرمز لم يسمع
هذا من ابن الصمة وكذا هو مخرج في الصحيحين عن عمير مولى ابن عباس قال دخلنا على ابي جهيم بن الحرث فقال ابو
جهيم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو بير جمل فلقيه رجل فسلم عليه فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم
حتى اقبل على الجدار فوضع يده على الحائط فمسح بوجهه ويديه ثم رد عليه السلام ولابي داود عن نافع
قال انطلقت مع ابن عمر في حاجة الى ابن عباس فلما قضى حاجته وكان من حديثه يومئذ ان قال مر رجل في
سكة من سكك المدينة فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من غائط او بول فسلم عليه الرجل
فلم يرد عليه حتى اذا كاد الرجل ان يتوارى في السكة ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه على حائط
ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة اخرى فمسح بها ذراعيه ثم رد عليه السلام وقال لم يمنعني ان ارد عليك
الا اني لم اكن على طهر وفي رواية فمسح ذراعيه الى المرفقين فهذا اجود ما في هذا الباب فان البيهقي اشار
الى صحة اسناده وفيه دليل على الحكمين يعني مسح الوجه واليدين بضربتين وايصال المسح الى المرفقين وفيه
دليل على التيمم ولا يجب مسح ما لم يتعلق بالوجه واليدين غبار التراب لان النبي صلى الله عليه وسلم حت على
الجدار بالعصا ولو كان مجرد الضرب كافيا لما كان حته وذهب الزهري الى انه يمسح اليدين الى المنكبين ويدل
على ذلك ما روي عن عمار بن ياسر قال تمسحوا وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصعيد لصلاة الفجر
فضربوا باكفهم الصعيد ثم مسحوا بوجوههم مسحة واحدة ثم عادوا فضربوا باكفهم الصعيد مرة اخرى
فمسحوا بايديهم كلها الى المناكب والاباط من بطون ايديهم اخرجه ابو داود وذهب جماعة الى ان التيمم ضربة واحدة
للوجه والكفين وهو قول علي وابن عباس وبه قال الشعبي وعطا ومكحول واليه ذهب الاوزاعي ومالك
واحمد واسحاق وداود الظاهري واحتجوا بما روي عن عمار بن ياسر قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة فاجنبت
فلم اجد الماء فتمرغت في الصعيد كما تمرغ الدابة ثم اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال انما يكفيك
ان تقول بيديك هكذا ثم ضرب بيديه الارض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه وباطنهما ووجهه
وفي رواية ان يقول هكذا وضرب بيديه الارض فنفض يديه فمسح وجهه وكفيه اخرجاه في الصحيحين وحملته
ان اليد اسم لهذه الجارحة وحدها عند بعض اهل اللغة من اطراف الانامل الى الكوع وهذا هو المقطوع في حد السرقة
وقال ابو اسحاق الزجاج حدها من اطراف الانامل الى الكتف فمن ذهب الى ان الممسوح في التيمم الى المناكب والاباط
نظر الى مسمى اليد يطلق على جميعها ومن ذهب على ان الممسوح في التيمم الى المرفقين قال ان التيمم بدل عن وضوء واليد
المغسولة في الوضوء هي الممسوحة في التيمم فيحمل المطلق الذي في قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وايديكم على قوله الى المرافق
واجاب من ذهب الى هذا عن حديث عمار بان المراد منه بيان صورة الضرب وليس المراد منه جميع ما يحصل به التيمم

فصل واركان التيمم خمسة الاول تراب طاهر خالص له غبار يتعلق بالوجه واليدين ويجوز بالرمل
اذا كان عليه غبار الثاني القصد الى الصعيد فلو تعرض لمهب ريح لم يكفه ولو يممه غيره مع عجزه جاز وان كان قادرا
فوجهان الثالث نقل التراب الى الوجه واليدين الرابع نية استباحة الصلاة فلو نوى رفع الحدث لم يصح والاكمل
ان ينوي استباحة الفرض والنفل الخامس مسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين والترتيب ولا يصح التيمم
لصلاة الا بعد دخول وقتها ولا يجمع بين صلاتي فرض بتيمم واحد وهو قول علي وابن عباس وابن عمر وبه
قال الشعبي والنخعي وقتادة واليه ذهب مالك والشافعي واحمد واسحاق وذهب جماعة الى ان التيمم
كالوضوء ويجوز ان يصلي به ما شاء من النوافل والفرائض ما لم يحدث وهو قول سعيد بن المسيب والحسن

والزهري

والزهري والثوري واصحاب الراي واتفقوا على انه يجوز ان يصلي بتيمم واحد ما شاء من النوافل قبل الفرض وبعده
الى ان يدخل وقت الصلاة الاخرى وان يقرا القران وان كان جنبا ويشترط طلب الماء في السفر بان يطلبه في رحله
وعند رفقائه وان كان في صحراء ولا حائل دون نظره نظر حواليه وان كان دون نظره حائل قريب من تل او جدار
او نحوه عدل عنه لان الله تعالى قال فلم تجدوا ماء فتيمموا ولا يقال لم يجد الا لمن طلب ولا يشترط طلب عند
ابي حنيفة فان راى الماء ولا يقدر عليه لمانع من عدو او سبع يمنعه من الذهاب اليه او كان الماء في بير وليس
معه آلة الاستسقاء فهو كالعادم فيتيمم ويصلي ولا اعادة عليه والله اعلم وقوله تعالى ان الله كان عفوا
يعني يتجاوز عن ذنوب عباده ويعفو ويصفح عنهم غفورا يستر على عباده ويغفر الذنوب ويسترها وفيه تنبيه
على ان الله تعالى رخص لعباده امر العبادة ويسرها عليهم لان من عادته انه يغفر الذنوب ويعفو عنها
بان يرخص للعاجز من العبادة كان اولى قوله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب نزلت في يهود المدينة
وقال ابن عباس نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم اليهوديين كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
لويا السنتهما وعاباه فانزل الله الم تر يعني الم ينته علمك يا محمد الى هولاء الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني
اعطوا حظا من علم التوراة وذلك انهم عرفوا نبوة موسى من التوراة وانكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
منها فلذلك اتى بمن التي هي للتبعيض وقيل انهم علموا التوراة ولم ينتفعوا بالعلم بها يشترون الضلالة يعني يوثرون
تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ليأخذوا بذلك الرشا ويحصل لهم الرياسة وانما ذكر بلفظ الاشترا لانه
استبدال الشي بشي وقيل فيه اضمار يعني يستبدلون الضلالة بالهدى ويريدون يعني اليهود ان تضلوا السبيل
يعني عن السبيل والمعنى انهم يتوصلوا الى اضلال المومنين والتلبيس عليهم لكي يخرجوا عن الاسلام والله اعلم
باعدائكم يعني انه سبحانه وتعالى اعلم بكنه ما في قلوب اليهود من العداوة والبغضا لكم يا معشر المومنين فلا تستنصحوهم
فانهم اعداوكم وكفى بالله وليا يعني متوليا امركم والقايم به ومن كان الله تعالى وليه لم يضره احد وكفى بالله نصيرا
يعني فهو ينصركم عليهم فثقوا بولاية الله ونصره قوله تعالى من الذين هادوا قيل هو بيان للذين اوتوا نصيبا من
الكتاب والتقدير الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وقيل هو متعلق بما قبله والتقدير
وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا وقيل هو ابتدا كلام وفيه حذف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يزيلونه
ويغيرونه ويبدلونه عن مواضعه يعني يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقال ابن عباس كانت
اليهود ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسالونه عن الامر فيخبرهم به فيرى انهم ياخذون بقوله فاذا خرجوا
من عنده حرفوا كلامه وقيل المراد بالتحريف القا الشبه الباطلة والتاويلات الفاسدة وهو صرف اللفظ
من معناه الحق الى معناه الباطل ويقولون سمعنا وعصينا يعني سمعنا قولك وعصينا امرك وذلك انهم كانوا اذا
امرهم النبي صلى الله عليه وسلم بامر قالوا في الظاهر سمعنا وقالوا في الباطن عصينا وقيل انهم كانوا يظهرون ذلك
القول عنادا او استخفافا واسمع غير مسمع هذه كلمة تحتمل المدح والذم فاما معناها في المدح اسمع غير مسمع مكروها
واما معناها في الذم فانهم يقولون اسمع منا ولا نسمع منك وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم
اسمع ويقولون في انفسهم لا سمعت وقيل معناه غير مقبول منك ما تدعو اليه وقيل معناه غير مسمع جوابا يوافقك
ولا كلاما ترضيه وراعنا اي يقولون راعنا يريدون بذلك النسبة الى الرعونة وقيل معناه ارعنا
سمعك اي اصرف سمعك الى كلامنا وانصت الى قولنا ومثل هذا لا يخاطب به الانبياء انما يخاطبون
بالاجلال والتعظيم والتبجيل والتفخيم ليا بالسنتهم وطعنا في الدين اصله لويا لانه من لويت الشي
اذا فتلته والمعنى انهم يفتلون الحق فيجعلونه باطلا لان راعنا من المراعاة فيجعلونه من الرعونة

Copyright © King Saud University

وكانوا يقولون لاصحابهم انما نشتمه ولا يعرف وان كان نبيا يعرف ذلك فاظهره الله تعالى على خبث ضمايرهم وما في
قلوبهم من العداوة والبغضا ثم قال تعالى ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا ولو انهم قالوا بدل سمعنا وعصينا سمعنا واطعنا
واسمع يعني بدل قولهم لا سمعت وانظرنا يعني بدل قولهم راعنا اي انظر الينا لكان خيرا لهم يعني عند الله واقوم يعني اعدل
واصوب ولكن لعنهم الله يعني طردهم وابعدهم من رحمته بكفرهم يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم فلا يؤمنون الا قليلا يعني فلا
يؤمن من اليهود الا نفر قليل مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل اراد بذلك القليل هو اعترافهم بان الله خلقهم
ورزقهم قوله تعالى يا ايها الذين اوتوا الكتاب خطاب لليهود امنوا بما نزلنا يعني القران مصدقا لما معكم يعني التوراة وذلك ان
النبي صلى الله عليه وسلم كلم احبار اليهود عبد الله بن صوريا وكعب بن الاشرف فقال يا معشر يهود اتقوا الله واسلموا
فوالله انكم لتعلمون ان الذي جئتكم به لحق قالوا ما نعرف ذلك واصروا على الكفر فانزل الله هذه الاية وامرهم بالايمان
وقرن بهذا الامر الوعيد الشديد فقال تعالى من قبل ان نطمس وجوها اصل الطمس ازالة الاثر بالمحو وذكروا في
المراد بالطمس ههنا وجهين احدهما ان يحمل على حقيقته والثاني ان يحمل على مجازه اما من حمله على الحقيقة فقال
هو تخطيط صور الوجوه قال ابن عباس نجعلها كخف البعير وقيل نعميها والمراد بالوجه العين فنردها على ادبارها
يعني نجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفا وقيل ندبرها فنجعل الوجوه الى الخلف والاقفا الى قدام وانما جعل
الله هذا عقوبة لهم لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة وعند هذا يحصل لهم الغم وتكثر الحسرات
فعلى هذا يكون هذا الوعيد مختصا بيوم القيمة واما من حمل الطمس على المجاز فقال المراد نطمسها على الهدى
فنردها على ادبارها يعني على ضلالتها وقيل المراد بالطمس طمس القلب والبصيرة فنردها على ادبارها يعني نغير
احوالهم فنلبسهم الصغار والذلة بعد العز وقيل المراد بالطمس محو اثارهم من المدينة وردهم الى اذرعات واريحا
من ارض الشام من حيث جاوا وهو اجلا بني النضير **فان قلت** قد اوعدهم وهددهم
بطمس الوجوه ان لم يومنوا ولم يومنوا فلم يفعل بهم ذلك **قلت** هذا الاشكال انما يرد على من
فسر الطمس بتغيير الوجوه ومحو تخطيطها وحمله على الحقيقة والجواب ان هذا مشروط بعدم الايمان وقد امن منهم
ناس فرفع عن الباقين وروي ان عبد الله بن سلام لما سمع هذه الاية جا الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتي
اهله فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت اري ان اصل اليك حتى يحول وجهي الى قفاي وكذلك روي عن كعب الاحبار
انه لما سمع هذه الاية في خلافة عمر بن الخطاب اسلم وقال يا رب اسلمت مخافة ان يصيبني وعيد هذه الاية
فكان هذا الوعيد مشروطا بان لا يومن احد منهم وهذه الشروط لم توجد لانه امن منهم جمع كثير في زمن النبي
صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام واصحابه ففات الشرط لفوات المشروط وقيل ان الطمس باق في اليهود ويكون
فيهم طمس ومسخ قبل يوم القيامة وقيل انه تعالى جعل الوعيد باحد شيئين اما بالطمس او باللعنة وهو قوله تعالى
او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت اي نجعلهم قردة كما فعلنا باوايلهم وقيل المراد من لعنتهم الطرد والابعاد من الرحمة والكناية
في نلعنهم تعود الى المخاطبين في قوله تعالى يا ايها الذين اوتوا الكتاب وهذا على طريقة الالتفات كما في قوله حتى اذا
كنتم في الفلك وجرين بهم وقد يحتمل ان يكون معناه من قبل ان نطمس وجوها او نلعن اصحاب الوجوه فتجعل الكناية
في قوله او نلعنهم من ذكر اصحاب الوجوه اذ كان في الكلام دلالة عليه وقوله تعالى وكان امر الله مفعولا يعني لا بد
وان يقع بهم ذلك فان لم يومنوا فلا راد لحكمه ولا ناقض لامره على معنى انه لا يمتنع عليه شي يريد ان يفعله
وقيل معناه وكان مامور الله مفعولا والامر هنا في موضع المامور وسمي امرا لانه عن امره كان والمعنى وكان امر
الله مفعولا قوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا قال ابن جرير الطبري معناه يا ايها الذين اوتوا
الكتاب امنوا بما نزلنا فان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فعلى هذا يكون في الاية دلالة على

ان

ان اليهودي يسمى مشركا في عرف الشرع وقيل ان الاية نزلت في وحشي واصحابه وذلك لما قتل حمزة رضي الله عنه
ورجع الى مكة ندم على صنيعه هو واصحابه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على ما صنعنا
وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك بمكة تقول والذين لا يدعون مع الله الها اخر الى اخر الايات وقد دعونا
مع الله الها اخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هولا الايات لاتبعناك فنزلت الا من تاب وامن
وعمل عملا صالحا الايتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قروها كتبوا اليه ان هذا شرط
شديد ونخاف ان لا نعمل عملا صالحا فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فبعث بها
اليهم فبعثوا انا نخاف ان لا نكون من اهل المشية فنزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله ان الله يغفر الذنوب جميعا الاية فبعث بها اليهم فدخلوا في الاسلام ورجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقبل منهم
ثم قال لوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال غيب وجهك عني فلحق بالشام فكان به الى ان مات وقيل لما نزلت
قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية قام رجل فقال يا رسول الله والشرك فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلاثا
فنزلت الاية ان الله لا يغفر لمشرك مات على شركه ويغفر ما دون ذلك لمن يشا يعني ويغفر ما دون الشرك
لمن يشا من اصحاب الذنوب والاثام ففي هذه الاية دليل على ان صاحب الكبيرة اذا مات من غير توبة فانه في خطر
المشية ان شا عفى عنه وادخله الجنة بمنه وكرمه وان شا عذبه بالنار ثم يدخله الجنة برحمته واحسانه لان الله
تعالى وعد المغفرة لما دون الشرك فان مات على الشرك فهو مخلد في النار لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وفي الاية رد على المعتزلة والقدرية حيث قالوا لا يجوز في الحكمة ان يغفر لصاحب
كبيرة وعند اهل السنة ان الله تعالى يفعل ما يشا لا مكره له ولا حجر عليه ويدل على ذلك ايضا ما روي عن
ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت
هذه الاية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس
لعمر بن الخطاب يا امير المومنين الرجل يعمل الصالحات لم يدع من الخيرات شيا الا عمله غير انه مشرك قال عمر هو في
النار فقال ابن عباس الرجل لم يدع من الشر شيا الا عمله غير انه لم يشرك بالله شيا فقال عمر الله اعلم قال ابن
عباس اني لارجو له كما انه لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر عن علي بن ابي
طالب قال ما في القران احب الي من هذه الاية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب م عن جابر قال جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان
قال من مات لا يشرك بالله شيا دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار ومن يشرك بالله يعني يجعل معه شريكا غيره
فقد افترى اي اختلق اثما عظيما يعني ذنبا عظيما غير مغفور ان مات عليه قوله عز وجل الم تر الى الذين يزكون انفسهم
نزلت في رجال من اليهود اتوا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هل على هولا من ذنب
قال لا قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار يكفر عنا بالليل وما عملناه بالليل يكفر عنا بالنهار فانزل
الله هذه الاية وقيل نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا نحن ابناء الله واحباوه وقالوا لن يدخل الجنة الا
من كان هودا او نصارى والتزكية هنا عبارة عن مدح الانسان نفسه بالصلاح والدين ومنه تزكية
الشاهد حتى يصير عدلا قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى وذلك لان التزكية متعلقة بالتقوى
وهي صفة في الباطن فلا يعلم حقيقتها الا الله تعالى ولا تصلح التزكية الا عند الله تعالى فلهذا قال الله تعالى
بل الله يزكي من يشا ويدخل في هذا المعنى كل من زكى نفسه بصلاح او وصفها بزكاة العمل او بزيادة الطاعة
والتقوى بزيادة الزلفى عند الله وهذه الاشيا لا يعلمها الا الله تعالى رد عليهم بل الله يزكي من يشا فيجعله زكيا ولا يظلمون

فتيلا يعني ان الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تلك التزكية من غير ظلم وقيل معناه ان الذين زكاهم الله لا ينقصون
من ثواب طاعتهم شيئا والفتيل المفتول وسمي ما يكون في شق النواة فتيلا لكونه على هيئته وقيل الفتيل هو ما انفتل بين
اصابعك من وسخ وغيره ويضرب به المثل في الشي الحقير الذي لا قيمة له انظر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد الى هؤلاء
اليهود كيف يفترون على الله الكذب يعني قولهم انهم لا ذنوب عليهم وتزكيتهم انفسهم وكفى به اي بذلك الكذب اثما مبينا قوله عز وجل
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت في كعب بن الاشرف وسبعين راكبا من اليهود قدموا مكة بعد وقعة
احد يحالفوا قريشا على النبي صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب بن
الاشرف على ابي سفيان فاحسن مثواه ونزل باقي اليهود على قريش في دورهم فقال لهم اهل مكة انتم اهل كتاب ومحمد صاحب
كتاب ولا نامن ان يكون هذا مكرا منكم فان اردتم ان نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين ففعلوا ذلك فذلك قوله تعالى
يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب بن الاشرف لاهل مكة ليجئ منكم ثلاثون رجلا ومنا ثلاثون فنلزق اكبادنا
بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ثم قال ابو سفيان لكعب بن الاشرف انك امرؤ
تقرا الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فانا اهدى سبيلا نحن ام محمد فقال كعب اعرضوا علي دينكم فقال ابو سفيان
نحن ننحر للحجيج الكوما ونسقيهم الما ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف
به ونحن من اهل الحرم ومحمد فارق دين ابائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث قال
كعب انتم والله اهدى سبيلا مما عليه محمد فانزل الله الم تر يعني يا محمد الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني كعب
ابن الاشرف واصحابه اليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت يعني سجودهم للصنمين واختلف العلما فيهما فقيل
الجبت والطاغوت كل معبود دون الله عز وجل وقيل هما صنمان كانا لقريش وهما اللذان سجد اليهود لهما مرضاة
قريش وقيل الجبت اسم للاصنام والطاغوت شياطين الاصنام ولكل صنم شيطان يعبر عنها ويكلم الناس فيغترون بذلك
وقيل الجبت الكاهن والطاغوت الساحر عن قطن بن قبيصة عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
العيافة والطيرة والطرق من الجبت اخرجه ابو داود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة هو زجر الطير
وذلك ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا خرج لامر زجر طيرا فان اخذت ذات اليمين مضى في حاجته وان اخذت ذات الشمال
رجع فنهوا عن ذلك والطرق هو ضرب الحجارة والحصى على طريق الكهانة فنهوا عن ذلك والطيرة هو ان يتطير بالشي فيرى
الشوم فيه والشر منه وقيل هو من التطير وهو زجر الطاير والخط هو ضرب الرمل لاستخراج الضمير وقيل الجبت كل ما حرم
الله والطاغوت كل ما يطغي الانسان وقيل الجبت حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف اليهوديان وكانا طاغية
اليهود ويقولون يعني كعب بن الاشرف واصحابه للذين كفروا يعني لكفار قريش هؤلا يعني انتم يا هؤلا اهدى من الذين
امنوا سبيلا يعني طريقا اولئك الذين لعنهم الله يعني كعب بن الاشرف واصحابه ومن يلعن الله يعني يطرده من رحمته فلن تجد
له نصيرا يعني ينصره قوله تعالى ام لهم نصيب من الملك هذا استفهام انكار يعني ليس لهم من الملك شي البتة وذلك ان اليهود
كانوا يقولون نحن اولى بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب فاكذبهم الله وابطل دعواهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا هذا
جواب الجزا مضمر تقديره ولئن كان لهم نصيب وحظ من الملك فلا يؤتون الناس منه نقيرا وصفهم بالبخل في هذه
الاية ووصفهم بالجهل في الاية المتقدمة ووصفهم بالحسد في الاية الاتية وهذه الخصال كلها مذمومة فكيف
يدعون الملك وهي حاصلة فيهم والنقير هي النقطة التي تكون على ظهر النواة ومنها تنبت النخلة ويضرب به المثل في الشي الحقير
التافه الذي لا قيمة له قوله عز وجل ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله اصل الحسد تمني زوال النعمة عن مستحقها وربما
يكون ذلك مع سعي في زوالها وصف الله اليهود بشر خصلة وهي الحسد والمراد بالناس محمد صلى الله عليه وسلم وحده
وانما جاز ان يقع عليه لفظ الجمع وهو واحد لانه صلى الله عليه وسلم اجتمع فيه من خصال الخير والبركة ما لا يجتمع مثله في جماعة

ومن هذا القبيل يقال فلان امة وحده يعني انه يقوم مقام امة وقيل المراد بالناس النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه لان لفظ الناس جمع وحمله على الجمع اولى والمراد بالفضل النبوة لانها اعظم المناصب واشرف المراتب
وقيل حسدوه على ما احل الله له من النسا وكانت له يومئذ تسع نسوة فقالت اليهود لو كان نبيا لشغله
امر النبوة عن الاهتمام بامر النسا فاكذبهم الله تعالى ورد عليهم بقوله فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة
يعني فقد حصل في اولاد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جماعة كثيرون جمعوا بين الملك والنبوة مثل داود وسليمان
عليهما السلام فلم يشغلهم الملك عن امر النبوة والمعنى كيف تحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم على ما اتاه من فضله
واتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة وانتم لا تحسدونهم والمراد بالكتاب التوراة وبالحكمة النبوة واتيناهم ملكا
عظيما يعني فلم يشغلهم عن النبوة فمن فسر الفضل بكثرة النسا فسر الملك العظيم في حق داود وسليمان بكثرة النسا فانه كان
لداود مائة امراة ولسليمان الف امراة ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الا تسع
نسوة ولما لم يكن مستبعدا في حقهم ولا نقصا في نبوتهم فلا يكون مستبعدا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ولا نقصا
في نبوته فمنهم يعني من اليهود من امن به اي بالنبي صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه كعبد الله بن سلام واصحابه
ومنهم من صد عنه اي اعرض عنه ولم يؤمن به وكفى بجهنم سعيرا يعني وكفى في عذاب من لم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم
سعيرا قوله تعالى ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا هذا وعيد من الله عز وجل للذين قاموا على كفرهم وتكذيبهم
بما انزل الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود وغيرهم من سائر الكفار والمعنى ان الذين جحدوا ما انزلت
على رسولي محمد من اياتي الدالة على توحيدي وصدق رسولي محمد صلى الله عليه وسلم سوف نصليهم نارا اي ندخلهم
نارا نشويهم فيها كلما نضجت جلودهم يعني احترقت بدلناهم جلودا غيرها يعني غير الجلود المحترقة قال ابن عباس يبدلون
جلودا بيضا كامثال القراطيس وروي ان هذه الاية قرئت عند عمر بن الخطاب فقال عمر للقاري اعدها فاعادها
وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها يبدل في كل ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذكره البغوي بغير سند وقال الحسن تاكلهم النار في كل يوم سبعين الف مرة ق عن ابي
هريرة يرفعه ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة ايام للراكب المسرع م عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ضرس الكافر او قال ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة فان قلت
كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا ولم تعص قلت يعاد الجلد الاول في كل مرة وانما قال جلودا
غيرها لتبدل صفتها كما تقول صنعت من خاتمي خاتما غيره فالثاني هو الاول الا ان الصياغة بدلت الصفة
وقيل ان العذاب للجملة الحساسة وهي النفس التي عصت واذا كان كذلك فغير مستحيل ان الله يخلق للكافر في كل ساعة
من الجلود ما لا يحصى ليحترق ويعيد الحياة اليه وقيل المراد بالجلود السرابيل وهو قوله سرابيلهم من قطران والمعنى كلما نضجت
سرابيلهم واحترقت بدلناهم سرابيل من قطران غيرها لان الجلود لو احترقت لفنيت وفي فنائها راحتها وقد اخبر
الله عنهم انهم لا يموتون فيها ولا يخفف عنهم من عذابها لان الجلد احد اجزاء الجسم فثبت ان التبديل انما هو للسرابيل وقيل
يبدل الجلد من نفس الكافر فيخرج من لحمه جلد اخر وقيل ان الله تعالى يلبس اهل النار جلودا لا تالم فيكون زيادة في عذابهم
كلما احترق جلد بدلهم جلدا غيره وقوله تعالى ليذوقوا العذاب اي انما فعلنا بهم ذلك ليجدوا الم العذاب وكربه وشدته
وانما اتى بلفظ الذوق مع ما لهم من عظيم العذاب الذي ذكره ليخبر ان احساسهم به في كل حال كاحساس الذائق
في تجديد وجدان الذوق من غير نقصان في الاحساس ان الله كان عزيزا حكيما يعني في انتقامه ممن ينتقم من خلقه لا يغلبه
شي ولا يمتنع عليه احد حكيما يعني في تدبيره وقضائه وانه لا يفعل الا ما هو الصواب والذين امنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم يعني سوف ندخلهم يوم القيامة جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها يعني باقين فيها ابدا يعني

Copyright © King Saud University

ذلك الخلود بغير نهاية ولا انقطاع لهم فيها ازواج مطهرة يعني مطهرات من الحيض والنفاس وسائر اقذار الدنيا وندخلهم ظلا ظليلا يعني كثيفا وذلك الظل لا تنسخه الشمس ولا يؤذيهم فيه حر ولا برد وذلك الظل هو ظل الجنة فان قلت اذا لم يكن في الجنة شمس يؤذي حرها فما فايدة وصفها بالظل الظليل قلت انما خاطبهم بما يعقلون ويعرفونه وذلك لان بلاد العرب في غاية الحرارة فكان الظل عندهم من اعظم اسباب الراحة واللذاذة فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قوله عز وجل ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها قال البغوي نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار وكان سادن الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح غلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل له انه مع عثمان وطلب منه فابى وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه المفتاح فلوى علي بن ابي طالب يده واخذ المفتاح وفتح الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح وان يجمع له بين السقاية والسدانة فانزل الله هذه الاية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر له ففعل ذلك فقال له عثمان اكرهت ثم جيت ترفق فقال علي لقد انزل الله في شانك قرانا وقرا عليه الاية فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاسلم وكان المفتاح معه الى ان مات فدفعه الى اخيه شيبة فالمفتاح والسدانة في اولادهم الى يوم القيامة قلت وفيما ذكره البغوي رحمه الله ان اسلام ابن طلحة يوم الفتح ومنعه المفتاح وقوله لو اعلم انه رسول الله لم امنعه المفتاح نظر والصحيح ما حكاه عمر بن عبد البر وابن منده وابن الاثير ان عثمان بن طلحة هاجر الى المدينة في هدنة الحديبية سنة ثمان مع خالد بن الوليد ولقيهما عمرو بن العاص مقبلا من عند النجاشي فرافقهما وهاجر معهما فلما راهم النبي صلى الله عليه وسلم قال رمتكم مكة بافلاذ كبدها يعني انهم وجوه اهل مكة وسلم عثمان بن طلحة المفتاح للنبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فرده النبي صلى الله عليه وسلم اليه وقال خذوها يا بني طلحة خالدة مخلدة لا ينزعها منكم الا ظالم ولم يذكروا سوال العباس السدانة والله اعلم وثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر قال اقبل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو مردف اسامة على القصواء ومعه بلال وعثمان حتى اناخ عند البيت ثم قال لعثمان ائتنا بالمفتاح فجاءه بالمفتاح ففتح الباب وذكر الحديث وذكر ابن الجوزي في تفسير هذه الاية من رواية ابي صالح عن ابن عباس قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طلب من عثمان مفتاح البيت من عثمان ابن طلحة فذهب ليعطيه اياه فقال العباس بابي انت وامي اجمعه لي مع السقاية فكف عثمان يده مخافة ان يعطيه العباس فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح واعاد العباس قوله وكف عثمان يده فقال هاته يا رسول الله بامانة الله فاخذ المفتاح ففتح البيت ونزل جبريل بهذه الاية فدعا عثمان ودفعه اليه ففي هذه الرواية ايضا ما يدل على تقدم عثمان اسلام بن طلحة على فتح مكة لان قوله صلى الله عليه وسلم لعثمان ان كنت تؤمن بالله واليوم الاخر ما يدل على ذلك فعلى هذا القول يكون الخطاب في قوله ان الله يامركم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ان الله امره ان يرد مفتاح البيت الى عثمان بن طلحة وقيل الخطاب في قوله ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها لولاة امور المسلمين من الامراء والحكام وغيرهم ويدل على ذلك سياق الاية وهو قوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ومعنى ان الله يامركم يا ولاة الامور ان تؤدوا ما ائتمنتم عليه من امور رعيتكم وان توفوهم حقوقهم وان تعدلوا بينهم وقيل ان الاية عامة في جميع الامانات ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل في ذلك جميع الامانات التي يحملها الانسان وينقسم ذلك الى ثلاثة اقسام القسم الاول رعاية الامانة في عبادة الله عز وجل وهو فعل المامورات وترك المنهيات قال ابن مسعود الامانة لازمة في كل شيء حتى الوضوء والغسل من الجنابة والصلاة والزكاة والصوم وسائر انواع العبادات القسم الثاني وهو رعاية الامانة مع نفسه وهو ما انعم الله عليه به من سائر اعضائه فامانة اللسان حفظه من الكذب والغيبة والنميمة ونحو ذلك وامانة العين غضها عن المحارم وامانة السمع ان لا يشغله بسماع شي

من

من اللهو والفحش والاكاذيب ونحوه ثم سائر الاعضاء على نحو ذلك القسم الثالث هو رعاية امانة العبد مع سائر عباد الله فيجب عليه رد الودايع والعواري الى اربابها الذين ايتمنوه عليها ولا يخونهم فيها عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب ويدخل في ذلك وفاء الكيل والميزان ولا تطفيف فيهما ويدخل في ذلك عدل الامراء والملوك في الرعية ونصح العلماء للعامة فكل هذه الاشياء من الامانات التي امر الله عز وجل باداها الى اهلها وروى البغوي بسنده عن انس قال ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له وقوله تعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل يعني وان الله يامركم ان تحكموا بين الناس بالعدل فيجب على الحاكم ان ياخذ الحق ممن وجب عليه لمن وجب له واصل العدل هو المساواة في الاشياء فكل ما خرج عن الظلم والاعتداء سمي عدلا قال بعض العلماء ينبغي للقاضي ان يسوي بين الخصمين في خمسة اشيا في الدخول عليه والجلوس بين يديه والاقبال عليهما والاستماع منهما والحكم بالحق فيما لهما وعليهما وحاصل الامر فيه ان يكون مقصود الحاكم بحكمه ايصال الحق الى مستحقه وان لا يمتزج ذلك بغرض اخر م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولوا عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الناس الى الله يوم القيامة وادناهم منه مجلسا امام عادل وابغض الناس الى الله وابعدهم منه مجلسا امام جائر اخرجه الترمذي وقوله تعالى ان الله نعما يعظكم به اي نعم الشيء الذي يعظكم به من اداء الامانات والحكم بالعدل ان الله كان سميعا بصيرا يعني انه تعالى سميع لما تقولون وبصير بما تفعلون فاذا حكمتم فهو يسمع حكمكم واذا اديتم الامانة فهو بصير بفعلكم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ق عن ابن عباس قال نزلت قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم الاية نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي اذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية وقال السدي نزلت في خالد بن الوليد وذلك انه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وفيها عمار بن ياسر فلما قربوا من القوم هربوا منهم وجاء رجل الى عمار وقد اسلم فامنه عمار فرجع الرجل فجاء خالد فاخذ مال الرجل فقال عمار اني قد امنته وقد اسلم فقال خالد اتجير علي وانا الامير فتنازعا وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجاز امان عمار ونهاه ان يجير الثانية على امير فانزل الله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم واصل الطاعة الانقياد وهو امتثال الامر فطاعة الله عز وجل امتثال الامر فيما امر والانقياد لذلك الامر وطاعة الله واجبة على كافة الخلق وكذا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واجبة ايضا لقوله تعالى واطيعوا الرسول فاوجب طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على الخلق واختلف العلماء في اولي الامر الذي اوجب الله طاعتهم بقوله واولي الامر منكم يعني واطيعوا اولي الامر منكم قال ابن عباس وجابر هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد وقال ابو هريرة هم الامراء والولاة وهي رواية عن ابن عباس ايضا قال علي بن ابي طالب حق على الامام ان يحكم بما انزل الله ويؤدي الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب او كره الا ان يؤمر بمعصية فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة خ عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كان راسه زبيبة ما اقام فيكم كتاب الله وقال ميمون بن مهران هم امراء السرايا والبعوث وهي رواية عن ابن عباس ايضا ووجه هذا القول ان الاية نازلة فيهم وقال عكرمة اراد باولي الامر ابا بكر وعمر لما روى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا ادري ما بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من

Copyright © King Saud University

بعدي ابي بكر وعمر اخرجه الترمذي وقيل هم جميع الصحابة لما روي عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابي
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم اخرجه رزين في كتابه وروى البغوي بسنده عن الحسن عن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي في امتي كالملح في الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح قال الحسن فقد ذهب ملحنا فكيف
نصلح قال الطبري واولى الاقوال بالصواب قول من قال هم الامراء والولاة لصحة الاخبار عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالامر بطاعة الائمة والولاة فيما كان لله عز وجل طاعة وللمسلمين مصلحة وقال الزجاج وجملة اولي الامر
من يقوم بشان المسلمين في امر دينهم وجميع ما ادى اليه صلاحهم قال العلماء طاعة الامام واجبة على الرعية ما دام
في الطاعة فاذا زال عن الكتاب والسنة فلا طاعة له وانما تجب طاعته فيما وافق الحق وقوله تعالى فان تنازعتم
في شيء يعني اختلفتم في شيء من امر دينكم والتنازع اختلاف الاراء واصلها انتزاع الحجة وهو ان كل واحد من المتنازعين
ينزع الحجة لنفسه فردوه الى الله والرسول اي ردوا ذلك الامر الذي تنازعتم فيه الى كتاب الله عز وجل والى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما دام حيا وبعد وفاته فردوه الى سنته والرد الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجب
ان وجد ذلك الحكم في كتاب الله اخذ به فان لم يوجد في كتاب الله ففي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان لم يوجد في
السنة فسبيله الاجتهاد وقيل الرد الى الرسول ان يقول لما لا يعلم الله ورسوله اعلم ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر يعني افعلوا
ذلك الذي امرتكم به ان كنتم تؤمنون بالله وان طاعته واجبة عليكم وتؤمنون بالمعاد الذي فيه جزاء الاعمال قال
العلماء في الآية دليل على ان من لا يعتقد وجوب طاعة الله وطاعة الرسول ومتابعة السنة والحكم بالاحاديث
الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون مؤمنا بالله واليوم الآخر ذلك خير يعني رد الحكم الى الله ورسوله خير
واحسن تاويلا يعني واحمد عاقبة وقيل معناه ذلك ان ردكم ما اختلفتم فيه الى الله ورسوله احسن تاويلا منكم
له واعظم اجرا قوله عز وجل الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان
يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به قال ابن عباس نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين
يهودي خصومة فقال اليهودي ننطلق الى محمد وقال المنافق ننطلق الى كعب بن الاشرف وهو الذي سماه الله الطاغوت
فابى اليهودي ان يخاصمه الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي فلما
خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا الى عمر فقال اليهودي اختصمت انا وهذا الى محمد فقضى لي عليه فلم
يرض بقضائه وزعم انه مخاصمي اليك فقال عمر للمنافق كذلك قال نعم فقال لهما عمر رويدا حتى اخرج اليكما فدخل عمر
البيت واخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي بين من لم يرض بقضاء الله
فسمي الفاروق وقال السدي كان ناس من اليهود قد اسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية
وكانت قريظة حلفاء الخزرج والنضير حلفاء الاوس وكان اذا قتل رجل من بني قريظة رجلا من بني النضير قتل به
او اخذ ديته مائة وسق من تمر واذا قتل رجل من بني النضير رجلا من قريظة فاختصموا في ذلك فقال بنو النضير
كنا وانتم لم يقتل واعطي ديته ستون وسقا فلما جاء الاسلام وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فقتل رجل من
النضير رجلا من قريظة فاختصموا في ذلك فقال بنو النضير كنا وانتم قد اصطلحنا على ان نقتل منكم ولا تقتلوا منا
وديتنا مائة وسق وديتكم ستون وسقا فنحن نعطيكم ذلك فقالت الخزرج هذا شيء كنتم فعلتموه في الجاهلية لكثرتكم
وقلتنا فقهرتمونا على ذلك فاليوم نحن اخوة في الدين فلا فضل لكم علينا فقال المنافقون منهم ننطلق الى ابي بردة
الكاهن الاسلمي وقال المسلمون من الفريقين بل ننطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى المنافقون وانطلقوا الى ابي بردة
الكاهن ليحكم بينهم فقال اعظموا اللقمة يعني الخطر فقالوا لك عشرة اوسق فقال لا بل مائة وسق ديني فابوا ان يعطوه الا عشرة اوسق
وابى ان يحكم بينهم وانزل الله عز وجل القصاص وانزل هذه الآية الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك

الزعم

الزعم والزعم بضم الزاي وفتحها لغتان واكثر ما يستعمل الزعم بمعنى القول الذي لا يتحقق وقيل هو حكاية قول يكون مظنة
للكذب ولهذا قيل زعم مطية الكذب والمراد به في هذه الآية الكذب لان الآية نازلة في المنافقين وظاهر الآية
يدل على انها نازلة في الذين نافقوا من مؤمني اهل الكتاب ويدل عليه قوله آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك ثم
يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت يعني كعب بن الاشرف في قول ابن عباس سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو ابو بردة الكاهن في قول السدي وقد امروا ان يكفروا به يعني بالطاغوت لان
الكفر بالطاغوت ايمان بالله عز وجل ويريد الشيطان ان يضلهم يعني عن طريق الهدى والحق ضلالا بعيدا واذا قيل لهم يعني
للمنافقين تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول يعني هلموا الى حكم الله الذي نزله في كتابه والى الرسول ليحكم بينكم به رايت المنافقين
يصدون عنك صدودا يعني يعرضون عنك وعن حكمك اعراضا اي اعراض وانما اعرض المنافقون عن حكم رسول الله صلى الله عليه
وسلم لانهم علموا انه صلى الله عليه وسلم يحكم بينهم بالحق الصريح ولا يقبل الرشى قوله عز وجل فكيف اذا اصابتهم مصيبة يعني
فكيف حال هؤلاء المنافقين وكيف يصنعون اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم اي بسبب ما قدمت ايديهم وهو التحاكم
الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا وعيد لهم على سوء صنيعهم ورضاهم بحكم الطاغوت وتركهم حكم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقيل المصيبة هي قتل عمر لذلك المنافق وقيل هي كل مصيبة تصيب المنافقين في الدنيا والآخرة ثم جاؤك
يعني المنافقين حين تصيبهم المصائب يعتذرون اليك يحلفون بالله ان اردنا اي ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا احسانا يعني
في التحاكم الى غيرك لا اساءة وتوفيقا يعني بين الخصمين لا مخالفة لك في حكمك وقيل الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا في حكمه ويوفق
بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم بما حكم به من قتل صاحبنا فاهدر الله دم ذلك المنافق اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم
يعني من النفاق فاعرض عنهم يعني عن عقوبتهم وقيل عن قبول عذرهم وعظهم يعني باللسان والمراد زجرهم بالوعظ
عن النفاق والكفر والكذب وتخويفهم بعذاب الآخرة وقل لهم في انفسهم قولا بليغا يعني بليغا يؤثر في قلوبهم موقعه وهو التخويف
بالله عز وجل وقيل هو ان يوعدهم بالقتل ان لم يتوبوا من النفاق وقيل هو ان يقول لهم ان اظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم
لان هذا القول يبلغ في نفوسهم كل مبلغ وقيل معناه فاعرض عنهم في الملا وقل لهم في انفسهم اذا خلوت بهم قولا بليغا اي اغلظ
لهم في القول بخالياتهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها في السر انجع وقيل هذا الاعراض منسوخ باية القتال وقد
تكلم العلماء في حد البلاغة فقال بعضهم ايصال المعنى الى الفهم في احسن صورة من اللفظ وقيل البلاغة حسن العبارة مع صحة
المعنى وقيل البلاغة سرعة الايجاز مع الافهام وحسن التصرف من غير اضجار وقيل احسن الكلام ما قلت الفاظه وكثرت
معانيه وقيل خير الكلام ما شوق اوله الى سماع آخره وقيل لا يستحق الكلام اسم البلاغة الا اذا سابق لفظه معناه ومعناه
لفظه ولم يكن لفظه الى السمع اسبق من معناه الى القلب وقيل المراد بالقول البليغ في الآية ان يكون حسن الالفاظ وحسن المعاني
مشتملا على الترغيب والترهيب والاعذار والانذار والوعد والوعيد بالثواب والعقاب فان الكلام اذا كان كذلك
عظم وقعه في القلوب واثر في النفوس قوله تعالى وما ارسلنا من رسول قال الزجاج لفظة من صلة مؤكدة والمعنى وما
ارسلنا رسولا الا ليطاع باذن الله يعني بامر الله والمعنى انما وجبت طاعة الرسول بامر الله لان الله اذن في ذلك وامر به
وقيل معناه بعلم الله وقضائه اي طاعته تكون باذن الله لانه اذن فيه فتكون طاعة الرسول طاعة الله ومعصيته
معصية الله والمعنى وما ارسلنا من رسول الا فرضت طاعته على من ارسلته اليهم وفيه توبيخ وتقريع للمنافقين
الذين تركوا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضوا بحكم الطاغوت ولو انهم اذ ظلموا انفسهم يعني الذين تحاكموا الى الطاغوت
ظلموا انفسهم بالتحاكم اليها جاؤك يعني جاؤك تائبين من النفاق فاستغفروا الله يعني من ذلك الذنب بالاخلاص وبالغوا في
الاعتذار اليك من ايذائك برد حكمك والتحاكم الى غيرك واستغفر لهم الرسول يعني من مخالفة السنة والتحاكم الى غيره وانما قال
واستغفر لهم الرسول ولم يقل واستغفرت لهم اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له وتعظيما للاستغفار

Copyright © King Saud University

وانهم اذا جاؤه فقد جاؤا من خصه الله برسالته وجعله سفيرا بينه وبين خلقه ومن كان كذلك فان الله تعالى لا يرد شفاعته
فلهذا السبب عدل الى طريقة الالتفات من لفظ الخطاب الى لفظ الغيبة لوجدوا الله توابا رحيما يعني لو انهم تابوا من
ذنوبهم ونفاقهم واستغفرت لهم لعلموا ان الله يتوب عليهم ويتجاوز عنهم ويرحمهم قوله عز وجل فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم نزلت هذه الاية في الزبير بن العوام ورجل من الانصار ق عن عروة بن الزبير عن ابيه
ان رجلا من الانصار خاصم الزبير عند النبي صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة التي يسقون بها النخل فقال الانصاري
سرح الماء يمر فابى عليه فاختصما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسق
يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب الانصاري ثم قال يا رسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر فقال الزبير والله اني لاحسب
هذه الاية نزلت في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم زاد البخاري فاستوعى رسول الله صلى
الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قد اشار على الزبير براي اراد
فيه سعة له وللانصاري فلما احفظ الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى رسول الله صلى الله عليه
وسلم للزبير حقه في صريح الحكم قال الزبير والله ما احسب هذه الاية نزلت الا في ذلك فلا وربك قوله اختصما
في شراج الحرة الشراج مسايل الماء التي تكون في الجبل وتنزل الى السهل الواحدة شرجة بسكون الراء والحرة الارض
الملبسة بالحجارة السود وقوله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تغير وهو قوله فلما احفظ اي اغضب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله حتى يرجع الى الجدر وهو بفتح الجيم يعني اصل الجدار فاستوعى له اي استوفى له
حقه في صريح الحكم وهو ان من كان ارضه اقرب الى فم الوادي فهو اولى باول الوادي وحقه تمام السقي فرسول الله صلى
الله عليه وسلم اذن للزبير في السقي على وجه المسامحة فلما ابى خصمه ذلك ولم يعترف بما اشار به رسول الله صلى الله
عليه وسلم من المسامحة لاجله امر الزبير باستيفاء حقه على التمام وحمل خصمه على مر الحق فعلى هذا القول تكون الاية
مستانفة لا تعلق لها بما قبلها قال البغوي وروي انهما لما خرجا مرا على المقداد فقال لمن كان القضاء قال الانصاري
لابن عمته ولوى شدقه ففطن له يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه
في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعانا موسى الى التوبة منه فقال فاقتلوا انفسكم
ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني
الصدق ولو امرني محمد ان اقتل نفسي لفعلت وقال مجاهد والشعبي نزلت هذه الاية في بشر المنافق واليهودي الذين
اختصما الى الطاغوت وعلى هذا القول تكون الاية متصلة بما قبلها فلا وربك معناه فوربك فعلى هذا تكون لا مزيدة
لتاكيد معنى القسم وقيل ان لا رد لكلام سبق كانه قال ليس الامر كما يزعمون انهم امنوا وهم يخالفون حكمك ثم استانف
القسم فقال تعالى وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم يعني فيما اختلفوا فيه من الامور واشكل عليهم حكمه
وقيل فيما التبس عليهم يقال شاجره في الامر اذا نازعه فيه واصله التداخل والاختلاط وشجر الكلام اذا دخل بعضه
على بعض واختلط ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت يعني ضيقا مما قضيت وقيل شكا مما قضيت بل يرضوا
بقضائك ويسلموا تسليما يعني وينقادوا لامرك انقيادا ولا يعارضونك في شيء من امرك وقيل معناه يسلموا لما
تنازعوا فيه لحكمك قوله عز وجل ولو انا كتبنا عليهم اي فرضنا واوجبنا عليهم الضمير في عليهم يعود الى المنافقين
وقيل يعود الضمير على الكافة فيدخل فيه المنافق وغيره ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم يعني كما كتبنا
على بني اسرائيل القتل والخروج من مصر ما فعلوه الا قليل منهم معناه لم يفعله الا القليل منهم نزلت في ثابت بن قيس
ابن شماس وذلك ان رجلا من اليهود قال والله لقد كتب الله علينا القتل والخروج ففعلنا فقال شماس والله لو كتب علينا ذلك

لفعلنا

لفعلنا وهو من القليل الذي استثنى الله وقيل لما نزلت هذه الاية قال عمر وعمار بن ياسر وابن مسعود وناس من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القليل الذي ذكرهم الله والله لو امرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا فبلغ ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ان من امتي لرجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي ومن قال الضمير في عليهم يعود الى المنافقين
قال معنى ما فعلوه الا قليل منهم يعني رياء وسمعة والمعنى انا لو كتبنا عليهم طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضا
بحكمه ولو انا كتبنا عليهم القتل والخروج من الدور والوطن ما كان فعله الا نفر يسير منهم وقرئ الا قليلا منهم بالنصب
وتقديره الا ان يكون قليلا منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به يعني ولو انهم فعلوا ما كلفوا به من طاعة الرسول
صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه لكان خيرا لهم يعني في الدنيا والاخرة وانما سمي ذلك التكليف وعظا لان اوامر الله تعالى
وتكاليفه مقرونة بالوعد والوعيد والثواب والعقاب وما كان كذلك يسمى وعظا واشد تثبيتا يعني تحقيقا وتصديقا
لايمانهم والمعنى ان ذلك اقرب الى ثباتهم على ايمانهم وتصديقهم واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما يعني ثوابا وافرا واذا
جواب لسؤال مقدر كانه قيل فماذا يكون من هذا الخير والتثبيت قال هو ان نؤتيهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم
صراطا مستقيما قال ابن عباس معناه ولارشدناهم الى دين مستقيم يعني دين الاسلام وقيل معناه لهديناهم الى
الاعمال الصالحة التي تؤدي الى الصراط المستقيم وهو الصراط الذي يمر عليه المؤمنون الى الجنة لان الله تعالى ذكر
الاجر العظيم اولا ثم ذكر الصراط المستقيم بعده لانه هو المؤدي الى الجنة قوله عز وجل ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم الاية نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما غير لونك قال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم ارك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك
ثم اني اذا ذكرت الاخرة اخاف لا اراك لانك ترفع الى عليين مع النبيين واني ان
دخلت الجنة كنت في منزلة هي ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا اراك ابدا فنزلت هذه الاية وقيل ان بعض
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف يكون الحال وانت يا رسول الله في الدرجات العلى ونحن اسفل منك
فكيف نراك فانزل الله هذه الاية ومن يطع الله يعني في اداء الفرائض واجتناب النواهي والرسول اي ويطع
الرسول في السنن التي سنها فاولئك مع الذين انعم الله عليهم يعني بالهداية والتوفيق في الدنيا وبدخول الجنة في
الاخرة من النبيين يعني ان المطيعين مع النبيين في الجنة لانه تمكنهم رؤية الانبياء في الجنة ومجالستهم لا انهم يكونون
في درجتهم في الجنة لان ذلك يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول والصديقين الصديق الكثير
الصدق فعيل من الصدق والصديقون هم اتباع الرسل الذين اتبعوهم على مناهجهم بعدهم حتى لحقوا بهم وقيل
الصديق هو الذي صدق بكل الدين حتى لا يخالطه فيه شك والمراد بالصديقين في هذه الاية افاضل اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كابي بكر فانه هو الذي سمي بالصديق من هذه الامة وهو افضل اتباع الرسل
والشهداء هم الذين استشهدوا في سبيل الله وقيل هم الذين استشهدوا يوم احد والصالحين جمع صالح وهو الذي استوى
سريرته وعلانيته في الخير وقيل الصالح من اعتقاده صواب وعمله في سنة وطاعة وقيل المراد بالنبيين هنا محمد
صلى الله عليه وسلم وبالصديقين ابو بكر وبالشهداء عمر وعثمان وعلي وبالصالحين سائر الصحابة وحسن اولئك
يعني المشار اليهم وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وفيه معنى التعجب كانه قال وما احسن اولئك رفيقا
يعني في الجنة والرفيق الصاحب والرفيق سمي رفيقا لارتفاقك به وبصحبته وانما وحد الرفيق وهو صفة
الجمع لان العرب تعبر به عن الواحد والجمع وقيل معناه وحسن كل واحد منهم رفيقا ق عن انس ان رجلا سال
النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال متى الساعة قال وما اعددت لها قال لا شيء الا اني احب الله ورسوله

Copyright © King Saud University

فقال انت مع من احببت قال انس فما فرحنا بشى اشد فرحا بقول النبي صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت قال انس
فانا احب النبى صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وارجوان اكون معهم بحبى اياهم وان لم اعمل باعمالهم وقوله تعالى
ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من وصف لثواب الفضل من الله يعنى الذى اعطى الله المطيعين من الاجر العظيم
وكفى بالله عليما يعنى بجزاء من اطاعه وقيل معناه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم لطاعته وفيه دليل على انهم
لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم بل انما نالوها بفضل الله ورحمته ويدل عليه ما روى عن ابى هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لن يدخل احد منكم عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله بفضل ورحمة
لفظ البخارى ولمسلم نحوه قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم الحذر احتراز من مخوف والمعنى احذروا واحترزوا من
عدوكم ولا تمكنوه من انفسكم وقيل المراد بالحذر ههنا السلاح يعنى خذوا سلاحكم وعدتكم وانما سمى السلاح حذرا لان به
يتقى ويحذر وقيل معناه احذروا عدوكم ولقايل ان يقول اذا كان المقدور كاينا فلا ينفع الحذر فالجواب عنه بانه لما كان
الكل بقضا الله وقدره كان الامر باخذ الحذر من قضا الله وقدره فانفروا ثبات اى اخرجوا سرايا متفرقين سرية بعد
سرية او انفروا جميعا يعنى او اخرجوا كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم الى جهاد عدوكم وان منكم لمن ليبطئن نزلت فى المنافقين
وانما قال منكم لاجتماعهم مع اهل الايمان فى الجنسية والنسب واظهار كلمة الاسلام فى حقيقة الايمان والمعنى وان
منكم لمن ليتاخرن وليثاقلن عن الجهاد وهو عبد الله بن ابى بن سلول المنافق وكان راس المنافقين فان اصابتكم مصيبة
اى قتل وهزيمة قال يعنى هذا المنافق قد انعم الله على يعنى بالقعود اذ لم اكن معهم يعنى مع المومنين شهيدا
يعنى حاضرا الوقعة فيصيبنى ما اصابهم ولين اصابكم فضل من الله اى فتح وغنيمة ليقولن يعنى هذا المنافق
كان لم يكن بينكم وبينه مودة اى معرفة ومودة فى الدين والمعنى كانه ليس من اهل دينكم وذلك ان المنافقين كانوا
يوادون المومنين فى الظاهر يا ليتنى كنت معهم فى تلك الغزوة التى غنم فيها المومنون فافوز فوزا عظيما يعنى فاخذ
نصيبا وافرا من الغنيمة قوله عز وجل فليقاتل فى سبيل الله هذا خطاب للمنافقين اى فليخلص الايمان وليقاتل فى سبيل
وقيل هو خطاب للمومنين المخلصين اى فليقاتل المومنون فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة اى يبيعون يقال
شريت بمعنى بعت لانه استبدل العوض بعوض والمعنى فليقاتل المومنون الكافرين الذين يبيعون حياتهم فى
الدنيا بثواب الاخرة وما وعد الله فيها لاهل الايمان والطاعة وقيل معناه فليقاتل فى سبيل الله المومنون الذين
يبيعون الحياة الدنيا يختارون الاخرة وثوابها على الدنيا الفانية ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل اى فيستشهد او
يغلب يعنى يظفر بعدوه من الكفار فسوف نوتيه يعنى فى الحالتين الشهادة او الظفر نوتيه فيهما اجرا عظيما يعنى ثوابا
وافرا ق عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا جهاد فى سبيلى وايمان
بى وتصديق برسلى فهو على ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذى خرج منه نايلا ما نال من اجر او غنيمة لفظ مسلم
قوله عز وجل وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله قال المفسرون هذا حض من الله على الجهاد فى سبيله لاستنقاذ المستضعفين من ايدى
الكفار وفيه دليل على ان الجهاد واجب والمعنى لا عذر لكم فى ترك الجهاد وقد بلغ حال المستضعفين ما بلغ من الضعف والاذى
والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال ابن عباس يريد ان قوما من المومنين استضعفوا فحبسوا وعذبوا وقيل كانوا لا يمكنهم
يلقون اذى شديدا وكان اهل مكة قد اجتهدوا ان يفتنوا قوما من المومنين عن دينهم بالاذى لهم وكانوا مستضعفين
فى ايديهم يكن لهم بمكة قوة يمتنعون بها من المشركين فعلى هذا يكون معنى الاية وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله وفى خلاص
المستضعفين وقال ابن عباس معناه عن المستضعفين لان المراد صرف الاذى عنهم خ عن ابن عباس فى قوله وما لكم
لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين الاية قال كنت انا وامى من المستضعفين وفى رواية ابن ابى مليكة قال تلا ابن
عباس الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال كنت انا وامى ممن عذر الله انا من الولدان وامى من النساء

فصلى

نصلى هذه الرواية الثانية من حديث ابن عباس يكون معنى والمستضعفين الا المستضعفين من الرجال والنسا
والولدان فانهم ممن عذر فى ترك القتال والولدان جمع وليد وهو الصبى الصغير الذين يقولون ربنا اخرجنا من
هذه القرية يعنى مكة الظالم اهلها يعنى الظالم اهلها انفسهم بالشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وذلك ان المستضعفين
المستضعفين لما منعهم المشركون من الهجرة من مكة الى المدينة دعوا الله عز وجل فقالوا ربنا اخرجنا من هذه القرية يعنى
مكة الظالم اهلها بالشرك واجعل لنا من لدنك وليا يعنى وليا يلى امرنا واجعل لنا من لدنك نصيرا يعنى ينصرنا ويمنعنا من
العدو فاستجاب الله دعاهم وجعل لهم من لدنه خير ولى وخير ناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولى امرهم ونصرهم واستنقذهم
من ايدى المشركين يوم فتح مكة واستعمل عليهم عتاب بن اسيد وكان ابن ثمانية عشر سنة فكان ينصر المظلومين على الظالمين
وياخذ الضعيف من القوى قوله عز وجل الذين امنوا يقاتلون فى سبيل الله يعنى فى طاعة الله واعلا كلمته وابتغاء مرضاته
والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت يعنى فى طاعة الشيطان فقاتلوا اوليا الشيطان اى فقاتلوا ايها المومنون
حزب الشيطان وجنوده وهم الكفار ان كيد الشيطان كان ضعيفا الكيد السعى فى الفساد على جهة الاحتيال والمعنى ان كيده
ما كاد المومنين به من تحزبه اولياءه الكفار يوم بدر وكونه ضعيفا لانه خذل اولياءه لما راى الملايكة قد نزلت يوم بدر
وكان النصر لاوليا الله وحزبه على اوليا الشيطان وحزبه وانما كان فى قوله ضعيفا لتاكيد ضعف الشيطان قوله
عز وجل الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة قال الكلبى نزلت فى عبد الرحمن بن عوف الزهرى
والمقداد بن الاسود الكندى وقدامة بن مظعون الجمحى وسعد بن ابى وقاص وجماعة من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا
يلقون من المشركين اذى كثيرا بمكة قبل ان يهاجروا فكانوا يقولون يا رسول الله ايذن لنا فى قتالهم فانهم قد اذونا فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم فانى لم اومر بقتالهم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة يعنى قيل لهم كفوا ايديكم عن
قتالهم واودوا ما افترض عليكم من الصلاة والزكاة وفيه دليل على ان فرض الصلاة والزكاة كان قبل فرض الجهاد فلما كتب
عليهم القتال اى فرض عليهم جهاد المشركين وامروا بالخروج الى بدر اذا فريق منهم يعنى اذا جماعة من الذين سالوا ان يفرض
عليهم الجهاد يخشون الناس يعنى يخافون مشركى مكة كخشية الله او اشد خشية او بمعنى الواو يعنى واشد خشية وقالوا
ربنا لم كتبت علينا القتال يعنى لم فرضت علينا الجهاد لولا اخرتنا الى اجل قريب يعنى هلا تركتنا ولم تفرض علينا الجهاد
القتال حتى نموت باجالنا وللقايل ان يقولون لهذا القول هم المنافقون لان هذا القول لا يليق بالمومنين وقيل قاله بعض المومنين
وانما قالوا ذلك خوفا وجبنا لا اعتقادا ثم انهم تابوا من هذا القول قل اى قل لهم يا محمد متاع الدنيا قليل يعنى ان منفعتها
والاستمتاع بالدنيا قليل لانه فان زايل والاخرة يعنى وثوابها الاخرة خير لمن اتقى يعنى اتقى الشرك ومعصية الرسل
ولا تظلمون فتيلا اى ولا تنقصون من اجوركم قدر فتيل م عن المستورد بن شداد قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا فى الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه هذه واشار يعنى بالسبابة فى اليم فلينظر بم
ترجع قوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم الموت نزلت فى المنافقين الذين قالوا فى قتلى احد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما
قتلوا فرد الله عليهم بهذه الاية وقيل نزلت فى الذين قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال فرد الله عليهم بقوله تعالى اينما
تكونوا يدرككم الموت يعنى ينزل بكم الموت فبين الله تعالى انه لا خلاص لهم واذا كان لا بد لهم من الموت كان القتل فى سبيل الله
وجهاد اعدايه افضل من الموت على الفراش لان الجهاد موت يحصل به سعادة الاخرة ثم بين تعالى انه لا بد لهم من الموت ولا
ينجى منه شى بقوله ولو كنتم فى بروج مشيدة والبروج فى كلام العرب الحصون والقلاع والمشيدة المرفوعة المطولة وقيل
هى المطولة بالشيد وهو الجص وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله نزلت فى المنافقين واليهود وذلك ان المدينة
كانت ذات خير وارزاق ونعم عند مقدم النبى صلى الله عليه وسلم فلما ظهر نفاق المنافقين وعناد اليهود امسك الله عنهم
بعض الامساك فقال المنافقون واليهود ما زلنا نعرف النقص فى ثمارنا ومزارعنا حين قدم علينا هذا الرجل واصحابه

Copyright © King Saud University

قال الله تعالى ان تصبهم يعني المنافقين واليهود حسنة اى خصب الثمار ورخص في السعر يقولوا هذه من عند الله
يعني من قبل الله وان تصبهم سيئة اى جدب في الثمار وغلا في السعر يقولوا هذه من عندك يعني من شوم محمد واصحابه وقيل
المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر وبالسيئة القتل والهزيمة يوم احد ومعنى من عندك اى انت الذى حملتنا
عليه يا محمد فعلى هذا القول يكون هذا اخبار عن المنافقين خاصة قل اى قل لهم يا محمد كل من عند الله يعني الحسنة
والسيئة والخصب والجدب والغنيمة والهزيمة والظفر والقتل فاما الحسنة فانعام من الله واما السيئة فابتلاء من الله
فما لهؤلاء القوم اى فما شان هولاء المنافقين واليهود الذين قالوا ما قالوا لا يكادون يفقهون حديثا يعني لا يفقهون معانى
القرآن وان الاشيا كلها من الله عز وجل خيرها وشرها قوله تعالى ما اصابك من حسنة يعني من خير ونعمة فمن الله يعني من
فضل الله عليك يتفضل به احسانا منه اليك وما اصابك من سيئة يعني من شدة ومكروه ومشقة واذى فمن نفسك يعني
فمن قبل نفسك بذنب اكتسبته نفسك استوجبت ذلك به والمخاطب بهذا الكلام قولان احدهما انه عام وتقديره
وما اصابك ايها الانسان والثانى انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة والنبي صلى الله عليه وسلم
برى لان الله عز وجل قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وقد عصمه من حين انبعث فهو معصوم فيما يستقبل حتى يموت
ويدل على ان المراد بهذا الخطاب غيره قوله عز وجل يا ايها النبي اذا طلقتم النسا خاطبه وحده ثم جمع الكل بقوله اذا طلقتم
النسا فمعنى قوله فمن نفسك اى عقوبة لذنبك يا ابن آدم كذا قال قتادة وقال الكلبي ما اصابك من خير فالله هداك له
واعانك عليه وما اصابك من امر تكرهه فبذنبك عقوبة لذلك الذنب وقد تعلق بظاهر هذه الاية القدرية وقالوا
نفى الله السيئة عن نفسه ونسبها الى الانسان بقوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك ولا متعلق لهم بها لانه ليس المراد
من الاية حسنة الكسب من الطاعات ولا السيئة المكتسبة من المعاصي بل المراد من الحسنة والسيئة في هذه الاية
ما يصيب الانسان من النعم والمحن وذلك ليس من فعل العبد لانه لا يقال في الطاعة والمعصية اصابتني
وانما يقال اصبتها ويقال في النعم والمحن اصابني بدليل انه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا فهو كقوله تعالى فاذا
جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ولما ذكر الله حسنات الكسب وسيئاته وعد
عليها بالثواب والعقاب فقال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها فبطل بهذا
قول القدرية وقال بعضهم لو كانت الاية على معنى ما يقول اهل القدر لقال ما اصبت من حسنة وما اصبت
من سيئة ولم يقل ما اصابك لان العادة جرت بقول الانسان اصابني خير ومكروه واصبت حسنة او سيئة
وقيل في معنى الاية ما اصابكم من حسنة اى النصر والظفر يوم بدر فمن الله اى من فضل الله وما اصابك من سيئة
اى من قتل وهزيمة فمن نفسك يعني فبذنوب اصابتك وهو مخالفتهم اياك **فان قلت**
كيف وجه الجمع بين قوله تعالى قل كل من عند الله وبين قوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك فاضاف السيئة الى فعل
العبد في هذه الاية **قلت** اما اضافة الاشيا كلها الى الله فهو قوله قل كل من عند الله فعلى
الحقيقة لان الله تعالى هو خالقها وموجدها واما اضافة السيئة الى فعل العبد فعلى المجاز تقديره وما اصابك
من سيئة فمن الله بذنب نفسك عقوبة لك وقيل اضافة السيئة الى العبد على سبيل الادب ولا يشك عاقل
ان الممرض هو الله تعالى وقيل هذه متصلة بما قبلها وفيها اضمار وتقديم وتاخير تقديره فما لهولاء القوم
لا يكادون يفقهون حديثا ويقولون ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك قل كل
من عند الله وقال ابن الانباري في معنى الاية ما اصابك الله به من حسنة وما اصابك به من سيئة فالفعلان
راجعان الى الله تعالى قوله تعالى وارسلناك للناس رسولا يعني وارسلناك يا محمد الى كافة الناس رسولا
لتبلغهم رسالاتى وما ارسلناك به ولست رسولا الى العرب خاصة كما قاله بعض اليهود بل انت رسول

الى

الى الخلق كافة العرب والعجم وغيرهم وكفى بالله شهيدا يعني على ارسالك للناس كافة فما ينبغي لاحد ان يخرج عن
طاعتك واتباعك وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على تبليغك ما ارسلت به الى الناس وقيل معناه وكفى بالله شهيدا
على ان الحسنة والسيئة من الله قوله عز وجل من يطع الرسول فقد اطاع الله سبب نزول هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
من اطاعني فقد اطاع الله ومن احبني فقد احب الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت
النصارى عيسى بن مريم فانزل الله هذه الاية من يطع الرسول يعني فيما امر ونهى عنه فقد اطاع الله يعني ان
طاعة الرسول طاعة الله تعالى لانه هو امر بها وقال الحسن جعل الله طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعته
وقامت به الحجة على المسلمين وقال الشافعي ان كل فريضة فرضها الله في كتابه كالحج والصلاة والزكاة لولا بيان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لها ما كنا نعرف كيف ناتيها ولا كان يمكننا اداء شي من العبادات واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم
بهذه المنزلة الشريفة كانت طاعته على الحقيقة طاعة الله ومن تولى اى اعرض عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا يعني
حافظا تحفظ اعمالهم عليهم بل كل امرهم الى الله قال المفسرون وكان هذا قبل ان يومر بالقتال ثم نسخ ذلك باية القتال
قوله تعالى ويقولون طاعة نزلت في المنافقين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون باللسان لرسول الله صلى الله عليه
وسلم امنا بك وصدقناك فمرنا بامرك طاعة اى امرنا وشاننا طاعة فاذا برزوا من عندك اى خرجوا من عندك بيت
طائفة منهم غير الذى تقول التبييت كل امر يفعل بالليل يقال هذا امر بيت اذا دبر بليل وقضي بليل فقد بيته والمعنى
انهم قالوا وقدروا امرا بالليل غير الذى اعطوك بالنهار من الطاعة وقيل معنى بيت غير وبدل طائفة منهم غير الذى تقول
يعني غير الذى عهدت اليهم فعلى هذا يكون التبييت بمعنى التبديل وانما خص طائفة من المنافقين بالتبييت في
قوله منهم وكلمة من للتبعيض لانه تعالى علم ان منهم من يبقى على كفره ونفاقه ومنهم من يرجع عنه ويتوب فخص من اصر
على النفاق بالذكر وقيل ان طائفة منهم اجتمعوا بالليل وبيتوا ذلك القول فخصهم بالذكر والله يكتب اى يثبت
ويحفظ عليهم ما يبيتون يعني ما يزورون ويغيرون ويقدرون وقال ابن عباس يكتب ما يسرون من النفاق
فاعرض عنهم اى لا تعاقبهم يا محمد ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وخلهم وضلالتهم فانا منتقم منهم وقيل لا تغتر
باسلامهم وتوكل على الله اى فوض امرك اليه في شانهم فان الله يكفيك امرهم وينتقم لك منهم وكفى بالله وكيلا
يعني ناصرا لك عليهم قوله عز وجل افلا يتدبرون القرآن اصل التدبر النظر في عواقب الامور والتفكر في ادبارها ثم
استعمل في كل تفكر وتامل يقال تدبرت الشي اى نظرت في عاقبته ومعنى تدبر القرآن تامل معانيه والتفكر في
حكمه وتبصر ما فيه من الايات قال ابن عباس افلا يتدبرون القرآن فيتفكرون فيه فيرون تصديق
بعضه لبعض وما فيه من المواعظ والذكر والامر والنهي وان احدا من الخلق لا يقدر عليه قال العلماء ان الله تعالى
احتج بالقرآن والتدبر فيه على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والحجة في ذلك من ثلاثة اوجه احدها فصاحته
التي يعجز الخلائق عن الاتيان بمثله في اسلوبه الثانى اخباره عن الغيوب وما يطلع الله تعالى نبيه صلى الله
عليه وسلم على احوال المنافقين وما يخفونه من مكرهم وكيدهم فيفضحهم بذلك وغير ذلك من الاخبار عن
احوال الاولين واخبارهم وما ياتى في المستقبل من امور الغيبة التي لا يعلمها الا الله تعالى الثالث سلامته
من الاختلاف والتناقض وهو المراد بقوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا
قال ابن عباس يعني تفاوتا وتناقضا وفى رواية عنه لو كان من عند مخلوق لكان فيه كذب واختلاف وقيل
معناه لوجدوا في اخباره عن الغيب بما كان وبما يكون اختلافا كثيرا لان الغيب لا يعلمه الا الله تعالى وقد كان
كذلك فثبت انه من عند الله وانه ليس فيه اختلاف ولا تناقض وقيل لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا
من حيث البلاغة والفصاحة والمعنى لو كان من عند مخلوق لكان على قياس الكلام المخلوق بعضه فصيح بليغ حسن

Copyright © King Saud University

وبعضه مردود ركيك فاسد فلما كان القرآن جميعه على منهاج واحد في الفصاحة والبلاغة ثبت انه من عند الله والمعنى افلا يتفكرون في القرآن فيعرفوا بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر به عن الغيوب انه كلام الله عز وجل وانما يكون من عند غير الله لا يخلو من تناقض واختلاف فلما كان القرآن ليس فيه تناقض واختلاف علم انه من عند قادر لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه سواه قوله تعالى واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث البعوث والسرايا فاذا غلبوا او غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يشيعونه ويتحدثون به قبل ان يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به قلوب المؤمنين فانزل الله هذه الآية واذا جاءهم يعني المنافقين امر من الامن يعني جاءهم خبر بفتح وغنيمة او الخوف يعني القتل والهزيمة اذاعوا به اي افشوا ذلك الخبر واشاعوه بين الناس يقال اذاع السر واذاع به اذا اشاعه واظهره قال الشاعر اذاع به في الناس حتى كانه بعلياء نار اوقدت بثقوب ولو ردوه يعني الامر الذي تحدثوا به الى الرسول يعني انهم لم يحدثوا به حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم يحدث به ويظهره والى اولي الامر منهم يعني ذوي العقول والرأي والبصر بالامور منهم وهم كبار الصحابة كابي بكر وعمر وعثمان وعلي وقيل هم امراء السرايا والبعوث وانما قال منهم على حسب الظاهر ولان المنافقين كانوا يظهرون الايمان فلهذا قال والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم اي يستخرجونه بتدبرهم وذكائهم وفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وهم العلماء الذين علموا ما ينبغي ان يكتم من الامور وما ينبغي ان يذاع منها والنبط الماء الذي يخرج من البئر اول ما تحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يخرجه الرجل بفضل ذكائه وصفاء ذهنه وفطنته من المعاني والتدبير فيما يعضل ويهم يقال استنبط الفقيه المسئلة اذا استخرجها باجتهاده وفهمه وفي الآية دليل على جواز القياس وان من العلم ما يدرك بالنص وهو الكتاب والسنة ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس عليهما ومعنى الآية ولو ان هؤلاء المنافقين والمرجفين ردوا الامر من الامن والخوف الى الرسول والى اولي الامر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم لعلموا حقيقة ذلك منهم وانهم اولى بالبحث عنه فانهم اعلم بما ينبغي ان يشاع او يكتم قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته يعني ولولا فضل الله عليكم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن ورحمته بالتوفيق والهداية لاتبعتم الشيطان يعني لبقيتم على الكفر والضلالة الا قليلا اختلف العلماء في هذا الاستثناء والى ماذا يرجع فقيل هو راجع الى الاذاعة وهو قول ابن عباس والتقدير اذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به الا قليلا فاخرج بعض المنافقين والمؤمنين عن هذه الآية من هذه الاذاعة لانهم لم يذيعوا ما علموا من امر السرايا وهذا القول اختيار الفراء وابن جرير الطبري وقيل هو راجع الى المستنبطين منهم وهو قول الحسن وقتادة واختاره ابن قتيبة والتقدير لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا وعلى هذين القولين في الآية تقديم وتأخير وقيل انه راجع الى اتباع الشيطان وهو قول الضحاك واختاره الزجاج ومعلوم ان صرف الاستثناء الى ما يليه ويتصل به اولى من صرفه الى الشيء البعيد وتقديره ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا منكم وهم قوم امنوا واهتدوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة الايادي قوله تعالى فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك نزلت في مواعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا سفيان بن حرب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعده موسم بدر الصغرى بعد حرب احد وذلك في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فانزل الله هذه الآية فقاتل في سبيل الله يعني لا تدع جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين لا تكلف الا نفسك يعني لا تكلف فرض غيرك بل جاهد في سبيل الله ولو وحدك فان الله ناصرك لا الجنود وقد وعدك النصر عليهم وهو لا يخلف الميعاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا الى بدر الصغرى فكفاهم الله القتال ورجعوا سالمين وعاتب الله من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية على ترك الجهاد والخروج معه وفي الآية

دليل

دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اشجع الناس واعلمهم بامور القتال ومكايده لان الله تعالى امره بالقتال وحده ولو لم يكن اشجع الناس لما امره بذلك ولهذا اقتدى به ابو بكر الصديق في قتال اهل الردة من بني حنيفة الذين منعوا الزكاة فعزم على الخروج الى قتالهم ولو وحده وحرض المؤمنين يعني حضهم على الجهاد ورغبهم في الثواب وليس عليك في شأنهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم عسى الله اي لعل الله ان يكف باس الذين كفروا يعني لعل الله ان يمنع باس الكفار وشرهم وقد فعل وذلك ان ابا سفيان بدا له العود عن القتال فلم يخرج الى الموعد والله اشد باسا اي اغلظ صولة واشد تنكيلا يعني واشد عذابا وعقوبة من غيره قوله عز وجل من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها الشفاعة ماخوذة من الشفع وهو ان يصير الانسان نفسه شفعا لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسئلة الى المشفوع اليه فعلى هذا قيل ان المراد بالشفاعة المذكورة في الآية هي شفاعة الانسان لغيره ليجلب له بشفاعته نفعا او يخلصه من بلاء نزل وقيل هي في الاصلاح بين الناس وقيل معنى الآية من يصير شفعا لوتر اصحابك فيشفعهم في جهاد عدوهم يكن له نصيب منها اي حظ وافر من اجر شفاعته وهو ثواب الله وكرامته ومن يشفع شفاعة سيئة قيل هي النميمة ونقل الحديث لايقاع العداوة بين الناس وقيل اراد بالشفاعة السيئة دعاء اليهود على المسلمين وقيل معناه من يشفع كفره بقتال المؤمنين يكن له كفل اي ضعف وقيل نصيب منها اي من وزرها وكان الله على كل شيء مقيتا قال ابن عباس يعني مقتدرا ومجازيا واقات على الشيء قدر عليه قال الشاعر وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على اساءته مقيتا يعني قادرا على الاساءة اليه وقيل معناه شاهدا او حفيظا على الاشياء ق عن ابي موسى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فجاء رجل يسال فاقبل علينا بوجهه وقال اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء وفي رواية كان اذا جاءه طالب حاجة اقبل على جلسائه وقال اشفعوا تؤجروا ثم ذكره قوله عز وجل واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها التحية تفعلة من حيي واصلها من الحياة ثم جعل السلام تحية لكونه خارجا عن حصول الحياة وسبب الحياة في الدنيا او في الآخرة والتحية ان يقال حياك الله اي جعل لك حياة وذلك اخبار ثم يجعل دعاء وهذه اللفظة كانت العرب تقولها فلما جاء الاسلام بدل ذلك بالسلام وهو المراد بهذه الآية يعني اذا سلم عليكم المسلم فاجيبوه باحسن مما سلم عليكم به وانما اختير لفظ السلام على لفظ حياك الله لانه اتم واحسن واكمل لان معنى السلام السلامة من الآفات فاذا دعا الانسان بطول الحياة بغير سلامة كانت حياته مذمومة منغصة واذا كان في حياته سليما كان اتم واكمل فلهذا السبب اختير لفظ السلام او ردوها يعني او ردوا كما سلم عليكم ان الله كان على كل شيء حسيبا يعني محاسبا ومجازيا والمعنى انه تعالى على كل شيء من رد السلام بمثله او باحسن منه مجازيا **فصل** في فضل السلام والحث عليه ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف قوله اي الاسلام خير اي خصال الاسلام خير م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا الا ادلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم عن عبد الله بن سلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح عن ابي امامة قال امرنا نبينا صلى الله عليه وسلم ان نفشي السلام اخرجه ابن ماجه **فصل** في احكام تتعلق بالسلام وفيه مسائل المسئلة الاولى في كيفية السلام ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام قال اذهب فسلم على اولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فانه تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله قال العلماء يستحب لمن يبتدئ بالسلام ان يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فياتي بضمير الجمع وان كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فياتي بواو العطف في قوله وعليكم عن عمران بن الحصين قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشرون ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال ثلاثون اخرجه الترمذي وابو داود وقال الترمذي حديث حسن وقيل اذا قال المسلم السلام عليكم فيقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله فيزيد ورحمة الله واذا

Copyright © King Saud University

قال السلام عليكم ورحمة الله فيقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيزيد وبركاته ولو قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
فيرد عليه بمثله ولا يزاد عليه وروي ان رجلا سلم على ابن عباس فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيئا فقال ابن عباس
ان السلام انتهى الى البركة ويستحب للمسلم ان يرفع صوته بالسلام ليسمع المسلم عليه فيجيبه ويشترط ان يكون الرد على الفور
فان اخره ثم رد لم يعد جوابا وكان اثما بترك الرد المسئلة الثانية في حكم السلام الابتدا بالسلام سنة مستحبة ليس بواجب وهو
سنة على الكفاية فان كانوا جماعة فسلم واحد منهم كفى عن جميعهم ولو سلم كلهم كان افضل وانما قال القاضي حسين من اصحاب الشافعي
ليس لنا سنة على الكفاية الا هذا وفيه نظر لان تشميت العاطس سنة على الكفاية ايضا كالسلام ولو دخل على جماعة في بيت او مجلس
وجب ان يسلم على الحاضرين لقوله صلى الله عليه وسلم افشوا السلام والامر للوجوب او يكون ذلك سنة متاكدة لان السلام من
شعاير الاسلام فيجب اظهاره اوتيانه كما استحبابه اما الرد على المسلم فقد اجمع العلما على وجوبه ويدل عليه قوله تعالى واذا حييتم بتحية
فحيوا باحسن منها او ردوها والامر للوجوب ولان في ترك الرد اهانة للمسلم فيجب ترك الاهانة فان كان المسلم عليه واحدا
وجب عليه الرد واذا كانوا جماعة كان رد السلام في حقهم فرض كفاية فلو رد واحد منهم سقط عن الباقين وان تركوه كلهم اثموا
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجزي عن الجماعة اذا مروا ان يسلم احدهم ويجزي عن الجلوس ان
يرد احدهم اخرجه ابو داود والمسئلة الثالثة في اداب السلام السنة ان يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير
والصغير على الكبير ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل
على الكثير وفي رواية للبخاري قال يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير واذا التقى رجلان فالمبتدي بالسلام
هو الافضل لما روي عن ابي امامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بالله عز وجل من بداهم بالسلام
اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي ولفظه قال قيل يا رسول الله الرجلان يلتقيان ايهما يبدا بالسلام فقال اولاهما بالله
قال الترمذي حديث حسن ويستحب ان يبدا بالسلام قبل الكلام او الحاجة والسنة اذا مر بجماعة صبيان ان يسلم عليهم لما روي
عن انس انه مر على صبيان فسلم عليهم وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله اخرجاه في الصحيحين وفي رواية لابي
داود ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على غلمان يلعبون فسلم عليهم واما السلام على النسا فان كن جماعة كان في مسجد او موضع
فيستحب ان يسلم عليهن اذا لم يخف على نفسه او عليهن فتنة لما روي عن اسما بنت يزيد قالت مر علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم في نسوة فسلم علينا اخرجه ابو داود وفي رواية الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة
من النسا قعود فالوى بيده بالتسليم قال الترمذي حديث حسن واذا مر على امراة منفردة اجنبية فان كانت جميلة فلا يسلم عليها
ولو سلم فلا ترد هي عليه لانه لم يستحق الرد وان كانت عجوزا لا يخاف عليه ولا عليها الفتنة سلم عليها وترد هي عليه وحكم
النساء مع النساء كحكم الرجال مع الرجال في السلام فيسلم بعضهن على بعض المسئلة الرابعة في الاحوال التي يكره السلام فيها
فمن ذلك الذي يبول او يتغوط او يجامع ونحو ذلك لا يسلم عليه وان سلم فلا يستحق المسلم جوابا لما روي عن ابن عمر ان
رجلا مر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبول فسلم فلم يرد عليه اخرجه مسلم قال الترمذي انما يكره هذا اذا كان على الغائط
او البول ويكره التسليم على من في الحمام وقيل ان كانوا مترزين بالمياز رسلم عليهم والا فلا ويكره التسليم على النايم والناعس
والمصلي والموذن في حالة الاذان والتالي في حال الصلاة والاذان والتلاوة ويكره الابتدا بالسلام في حال الخطبة لان
الجلوس مامورين بالانصات للخطبة ويكره ان يبدا المبتدع بالتسليم عليه وكذلك المعلن بفسق وكذلك الظلمة
ونحوهم فلا يسلم على هولا المسئلة الخامسة في حكم السلام على اهل الذمة اليهود والنصارى اختلف العلما فيه فذهب
اكثرهم الى انه لا يجوز ابتداوهم بالسلام وقال بعضهم انه ليس بحرام بل هو مكروه كراهية تنزيه ويدل على ذلك
ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبدوا اليهود ولا النصارى بالسلام واذا لقيتم
احدهم فاضطروه الى اضيقه اخرجه مسلم واذا سلم يهودي او نصراني على مسلم فيرد عليه ويقول وعليك بغير واو العطف

لما روي

لما روي عن انس ان يهوديا اتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال السام عليكم فرد عليه القوم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما قال قالوا الله ورسوله اعلم يا نبي الله قال لا ولكنه قال كذا وكذا ردوه علي فردوه
فقال قلت السام عليكم قال نعم فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم احد من اهل الكتاب فقولوا
عليك اي عليك ما قلت اخرجه الترمذي فلو انه نبوا العطف وميم الجمع فقال وعليكم جاز لانا نجاب عليهم
في الدعا ولا يجابون علينا ويدل على ذلك ما روي عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر عليه
ناس من يهود فقالوا السام عليك يا ابا القاسم فقال وعليكم فقالت عايشة وغضبت الم تسمع ما قالوا
قال بلى قد سمعت فرددت عليهم وانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا اخرجه مسلم واذا مر المسلم على جماعة فيهم
مسلمون ويهود ونصارى يسلم عليهم ويقصد بتسليمه المسلمين لما روي عن اسامة بن زيد ان النبي صلى
الله عليه وسلم مر على مجلس فيه اخلاط من المسلمين واليهود فسلم عليهم اخرجه الترمذي والله اعلم قوله عز
وجل الله لا اله الا هو ليجمعنكم هذه لام القسم تقديره والله الذي لا اله الا هو ليجمعنكم الله في الموت وفي القبور
الى يوم القيامة يعني الى يوم الحشر والبعث سميت القيامة قيامة لقيام الناس من قبورهم بعد الموت وقيل
لقيامهم للحساب نزلت هذه الاية في منكري البعث لا ريب فيه يعني لا شك في ذلك اليوم انه كاين ومن اصدق
من الله حديثا يعني لا احد اصدق من الله فانه لا يخلف الميعاد ولا يجوز عليه الكذب والمعنى ان القيامة
كاينة لا شك فيها ولا ريب قوله عز وجل فما لكم في المنافقين فئتين اختلفوا في سبب نزول هذه الاية فقيل
نزلت في الذين تخلفوا يوم احد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلهم يا رسول الله فانهم منافقون وقال بعضهم اعف عنهم فانهم قد تكلموا
بكلمة الاسلام ق عن زيد بن ثابت قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احد رجع ناس ممن خرج معه
فكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين فقالت فرقة نقتلهم وقالت فرقة لا نقتلهم
فنزلت فما لكم في المنافقين فئتين وقال النبي صلى الله عليه وسلم انها طيبة تنفي الرجال كما ينفي الكير
خبث الحديد وقيل نزلت في قوم خرجوا الى المدينة واسلموا ثم استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الخروج الى مكة ليأتوا ببضايع لهم يتجرون فيها فخرجوا واقاموا بمكة فاختلف المسلمون فيهم فقايل يقول
هم منافقون وقايل يقول هم مومنون وقيل نزلت في ناس من قريش قدموا المدينة واسلموا ثم ندموا على
ذلك فخرجوا كهيئة المتنزهين فلما بعدوا عن المدينة كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على الذي
فارقناك عليه من الايمان ولكنا اجتوينا المدينة واشتقنا الى اهلنا ثم انهم خرجوا في تجارة الى الشام فبلغ ذلك
المسلمين فقال بعضهم نخرج اليهم ونقتلهم ونأخذ ما معهم لانهم رغبوا عن ديننا وقالت طايفة منهم كيف تقتلون
قوما على دينكم وان لم يذروا ديارهم وكان هذا بعين النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساكت لا ينهى احد الفريقين فنزلت
هذه الاية وقيل نزلت في قوم اسلموا بمكة ولم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين وقيل نزلت في عبد الله بن ابي بن
سلول المنافق لما تكلم في حديث الافك ومعنى الاية فما لكم يا معشر المومنين في المنافقين فئتين اي صرتم في امرهم
فئتين فرقة تذب عنهم وفرقة تباينهم وتعاديهم فنهى الله الفرقة الذين يذبون عنهم وامر المومنين جميعا ان
يكونوا على منهاج واحد في التباين لهم والتبري منهم ثم اخبر عن كفرهم بقوله والله اركسهم يعني نكسهم في كفرهم
وارتدادهم وردهم الى احكام الكفار بما كسبوا اي بسبب ما اكتسبوا من اعمالهم الخبيثة وقيل بما اظهروا من الارتداد
بعد ما كانوا على النفاق اتريدون ان تهدوا من اضل الله هذا خطاب للفئة التي دافعت عن المنافقين والمعنى اتبغون
ايها المومنون هداية هولا المنافقين الذين اضلهم الله عن الهدى ومن يضلل الله يعني عن الهدى فلن تجد له

Copyright © King Saud University

سبيلا يعني فلن تجد له طريقا تهديه فيها الى الحق والهدى قوله تعالى ودوا يعني تمنى اولئك الذين رجعوا عن الايمان الى الارتداد
والكفر لو تكفرون يعني تكفرون انتم يا معشر المومنين كما كفروا فتكونون سواء في الكفر فلا تتخذوا منهم اولياء يعني من الكفار منع المومنين
من موالاتهم حتى يهاجروا يعني يسلموا ويهاجروا في سبيل الله معكم وهي هجرة اخرى غير الهجرة على ثلاثة اوجه الاول هجرة المومنين
في اول الاسلام من مكة الى المدينة الثانية المومنين وهي الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله مخلصين صابرين
محتسبين كما حكى الله عنهم وهذه منع المومنين من موالات المنافقين حتى يهاجروا في سبيل الله والهجرة الثالثة هجرة المومنين
ما نهى الله عنه بقوله فان تولوا يعني فان اعرضوا عن الاسلام والهجرة واختاروا الاقامة على الكفر فخذوهم الخطاب للمومنين
اي خذوهم ايها المومنون واقتلوهم حيث وجدتموهم يعني اين وجدتموهم في الحل والحرم ولا تتخذوا منهم وليا يعني في هذه الحالة
ولا نصيرا يعني ينصركم على اعدائكم لانهم اعداؤكم استثنى الله عز وجل طائفة منهم فقال تعالى الا الذين يصلون الى قوم بينكم
وبينهم ميثاق هذا الاستثناء يرجع الى القتل لا الى الموالاة لان موالات الكفار والمنافقين لا تجوز بحال ومعنى يصلون
ينتسبون اليهم او ينتمون اليهم ويدخلون معهم بالحلف والجوار وقال ابن عباس يريد يلجاون الى قوم بينكم وبينهم
ميثاق اي عهد وهم الاسلميون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر الاسلمي عند خروجه
الى مكة على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل الى هلال من قومه وغيرهم ولجأ اليه فلهم الجوار ما لهلال وفي رواية عن ابن
عباس قال اراد بالقوم الذين بينكم وبينهم ميثاق بني بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح والهدنة وقيل هم خزاعة والمعنى ان من
دخل في عهد من كان داخلا في عهدكم فهم ايضا داخلون في عهدكم او جاؤكم حصرت صدورهم يحتمل ان يكون عطفا على الذين وتقديره
الا الذين يتصلون بالمعاهدين او يتصلون بالذين حصرت صدورهم فلا تقتلوهم وقيل يحتمل ان يكون عطفا على صفة
قوم وتقديره الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم عهد او يصلون الى قوم حصرت صدورهم فلا تقتلوهم ومعنى حصرت
اي ضاقت صدورهم عن المقاتلة فلا يريدون قتالكم لانكم مسلمون ولا يريدون قتالهم لانهم اقاربهم وهم بنو مدلج
وكانوا عاهدوا ان لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا ان لا يقاتلوهم ان يقاتلوكم يعني ضاقت صدورهم عن
قتالكم للعهد الذي بينكم وبينهم او يقاتلوا قومهم يعني من امنهم وقيل معناه انهم لا يقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون قومهم
معكم فقد ضاقت صدورهم لذلك عن قتالكم والقتال معكم وهم قوم هلال الاسلميون وبنو بكر نهى الله عن قتال هولاء
المرتدين اذا اتصلوا باهل عهد المسلمين لان من انضم الى قوم ذوي عهد فله حكمهم في حقن الدم وذلك ان الله تعالى اوجب
قتال الكفار الا من كان معاهدا ولجأ الى معاهد او ترك القتال لانه لا يجوز قتلهم فعلى هذا القول فالقول بالنسخ
لازم لان الكافر وان ترك القتال فقتاله جائز وقال جماعة من المفسرين معاهدة المشركين وموادعتهم في هذه الاية
منسوخة باية السيف وذلك ان الله لما اعز الاسلام واهله امر ان لا يقبل من مشركي العرب الا الاسلام او القتل ولو
شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم يذكر الله منته على المسلمين بكف باس المعاهدين وذلك لما القى الله الرعب في قلوبهم وكفهم عن قتالكم
ومعنى التسليط ههنا تقوية قلوبهم على قتل المسلمين ولكن قذف الرعب في قلوبهم وكفهم عن المسلمين فان اعتزلوكم يعني فان
اعتزلوكم عن قتالكم فلم يقاتلوكم وبنوا الدار فلم يقاتلوكم يوم فتح مكة مع قومهم والقوا اليكم السلم يعني الانقياد والصلح فانقادوا
واستسلموا فما جعل الله لكم عليهم سبيلا يعني بالقتل والقتال قال بعض المفسرين ان هذا منسوخ باية القتال وهو قوله اقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم وقال بعضهم هي غير منسوخة لانا اذا حملناه على المعاهدين فكيف يمكن ان يقال انها منسوخة قوله عز وجل
ستجدون آخرين قال ابن عباس هم اسد وغطفان كانوا من حاضري المدينة فتكلموا بكلمة الاسلام رياء وهم غير مسلمين وكان الرجل منهم يقول
لقومه بماذا امنت فيقول امنت بهذا القرد والعقرب والخنفساء واذا لقوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم انا على دينكم
يريدون بذلك الامن من الفريقين وفي رواية اخرى عن ابن عباس انها نزلت في بني عبد الدار وكانوا بهذه الصفة يريدون ان يامنوكم
يعني يريدون باظهار الايمان ان يامنوكم فلا تتعرضوا لهم ويامنوا قومهم فلا يتعرضوا لهم كلما ردوا الى الفتنة يعني كلما دعوا

الى الشرك اركسوا فيها رجعوا الى الشرك وعادوا اليه منكوسين على رؤوسهم فيه فان لم يعتزلوكم يعني فان لم يكفوا عن قتالكم حتى يسيروا الى
مكة ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم اي ولم يلقوا الصلح ولم يكفوا عن قتالكم فخذوهم يعني اسرا واقتلوهم حيث ثقفتموهم يعني حيث ادركتموهم
واولئكم يعني اهل هذه الصفة جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا يعني حجة ظاهرة بالقتل والقتال وقيل الحجة الواضحة هو ظهور عداوتهم
وانكشاف حالهم بالكفر والعداوة قوله تعالى وما كان لمومن ان يقتل مومنا الا خطأ الاية نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي
وذلك انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة فاسلم ثم خاف ان يظهر اسلامه لاهله فخرج هاربا الى المدينة
وتحصن في اطم من اطامها والاطم الحصن فجزعت امه لذلك جزعا شديدا وقالت لابنيها الحرث وابي جهل ابني هشام وهما اخوا
عياش بن ابي ربيعة لامه والله لا يظلني سقف ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى تاتياني به فخرجا في طلبه وخرج معهما الحرث
ابن زيد بن ابي انيسة حتى اتوا المدينة فاتوا عياشا وهو في الاطم فقالوا له انزل فان امك لم يظلها سقف بعدك وقد حلفت
لا تاكل ولا تشرب حتى ترجع اليها ولك عهد الله علينا ان لا نكرهك على شيء ولا نحول بينك وبين دينك فلما ذكروا له جزع
امه واوثقوا له العهد بالله نزل اليهم فاخرجوه من المدينة واوثقوه بنسعة وجلده كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدموا به
على امه فلما اتاها قالت والله لا احلك من وثاقك حتى تكفر بالذي امنت به ثم تركوه موثقا في الشمس ما شاء الله فاعطاهم الذي ارادوا
فاتاه الحرث بن زيد فقال يا عياش اهذا الذي كنت عليه لئن كان هدى لقد تركت الهدى ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها
فغضب عياش من مقالته وقال والله لا القاك خاليا الا قتلتك ثم ان عياشا اسلم بعد ذلك وهاجر واسلم الحرث بن
زيد من بعده وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عياش حاضرا يومئذ ولم يشعر باسلامه فبينا عياش يسير
بظهر قبا اذ لقي الحرث فقتله فقال له الناس ويحك يا عياش اي شيء صنعت انه قد اسلم فرجع عياش الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله انه كان من امري وامر الحارث ما قد علمت واني لم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزلت وما كان
لمومن ان يقتل مومنا الا خطأ ومعنى الاية وما كان لمومن ان يقتل مومنا البتة وما كان له سبب جواز قتله وقيل معناه
ما كان له ذلك فيما اتاه من ربه وعهد اليه فنفيه تحريم قتل المومن من كل وجه وقوله تعالى الا خطأ استثناء منقطع معناه
لكن ان وقع خطأ فتحرير رقبة مومنة وقيل معناه ما كان لمومن ان يقتل مومنا البتة الا ان يخطئ المومن فكفارة خطئه
ما ذكر بعده والخطأ فعل الشيء من غير قصد وتعمد ومن قتل مومنا خطأ فتحرير رقبة مومنة يعني فعليه اعتاق رقبة مومنة
كفارة ودية مسلمة اي وعليه دية كاملة مسلمة الى اهل القتيل الذين يرثونه الا ان يصدقوا يعني الا ان يتصدق اهل الى اهله
القتيل على القاتل بالدية ويعفو عنه فان كان يعني المقتول من قوم عدو لكم وهو مومن فتحرير رقبة مومنة اراد به اذا كان رجل مسلم
في دار الحرب وهو منفرد مع قوم كفار فقتله ولم يعلم باسلامه فلا دية عليه وعليه الكفارة وقيل المراد منه اذا كان المقتول
مسلما في دار الاسلام وهو من نسب قوم كفار واهله الذين يرثونه في دار الحرب وهم حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية
لاهله وكان الحرث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين فكان فيه الكفارة تحرير رقبة دون الدية لانه لم يكن بين
قومه وبين المسلمين عهد وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مومنة
يعني به اذا كان المقتول كافرا معاهدا او ذميا فتجب فيه الدية والكفارة فمن لم يجد يعني الرقبة فصيام شهرين
متتابعين اي فعليه صيام شهرين متتابعين بدلا عن الرقبة توبة من الله يعني جعل الله ذلك توبة لقاتل الخطأ وكان
الله عليما يعني بمن قتل خطأ حكيما يعني فيما حكم به عليه من الدية والكفارة

فصل في احكام تتعلق بالخطا

بالاية وفيه مسائل المسالة الاولى في بيان صفة القتل قال العلماء القتل على ثلاثة اقسام عمد وشبه عمد وخطا اما
العمد المحض فهو ان يقصد قتل الانسان بما يقتل به غالبا فاقتتل به ففيه القصاص عند وجود التكافؤ او الدية حالة مغلظة
في مال القاتل واما شبه العمد فهو ان يقصد ضربه بما لا يقتل مثله غالبا فقتله مثل ان ضربه بعصا خفيفة
او رماه بحجر صغير فمات فلا قصاص عليه ويجب عليه دية مغلظة على عاقلته موجلة الى ثلاث سنين واما الخطا المحض

Copyright © King Saud University

هو ان لا يقصد قتله بل قصد شيئا آخر فاصابه فمات منه فلا قصاص عليه ويجب فيه دية مخففة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين
ومن صور قتل الخطا ايضا ان يقصد عندهم مشركا او كافرا فيصيب مسلما او يقصد قتل انسان يظنه مشركا بان كان عليه لباس المشركين
او شعارهم فالصورة الاولى خطا في الفعل والثانية خطا في القصد المسئلة الثانية في حكم الديات ودية الحر المسلم مائة من الابل
فاذا عدمت الابل فيجب قيمتها من الدراهم والدنانير في قول وفي قول يجب بدل مقدر وهو الف دينار او اثنى عشر الف درهم ويدل على ذلك
ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كانت الدية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمان مائة دينار او ثمانية الاف درهم قال
وكانت دية اهل الكتاب يومئذ على النصف من دية المسلم فكانت كذلك حتى استخلف عمر فقام خطيبا فقال ان الابل قد غلت
ففرضها عمر على اهل الذهب الف دينار وعلى اهل الورق اثنى عشر الف درهم وعلى اهل البقر مائتي بقرة وعلى اهل الشاة الفي شاة وعلى
اهل الحلل مائتي حلة قال وترك دية اهل الكتاب ولم يرفعها فيما رفع من الدية اخرجه ابو داود وذهب قوم الى ان الواجب
في الدية مائة من الابل او الف دينار او اثنى عشر الف درهم وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصري وبه قال مالك وذهب
قوم الى انها مائة من الابل او الف دينار او اثنى عشر الف درهم وهو قول سفيان الثوري واصحاب الراى ودية المراة نصف
دية الذكر الحر ودية اهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم ان كان كتابيا وان كان مجوسيا فخمس الثلث ثمانمائة درهم وهو قول سعيد
ابن المسيب واليه ذهب الشافعي وذهب قوم الى ان دية الذمي والمعاهد مثل دية المسلم روي ذلك عن ابن مسعود وهو قول
سفيان الثوري واصحاب الراى وقال قوم دية الذمي نصف دية المسلم وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك واحمد والاصل
في ذلك ما روي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دية المعاهد نصف دية الحر اخرجه
ابو داود وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عقل اهل الذمة نصف عقل المسلمين وهم اليهود والنصارى اخرجه النسائي
فمن ذهب الى ان دية اهل الذمة ثلث دية المسلم اجاب عن هذا الحديث بان الاصل في ذلك كان النصف ثم رفع الى زمن
عمر الى ثلث دية المسلم والدية في قتل العمد وشبه العمد مغلظة فيجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة واربعون خلفة
في بطونها اولادها وهذا قول عمر وزيد بن ثابت وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعي لما روي عن عمرو بن شعيب عن ابيه
عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل متعمدا دفع الى اولياء المقتول فان شاؤا قتلوا وان شاؤا اخذوا
الدية وهي ثلاثون حقة وثلاثون جذعة واربعون خلفة وما صولحوا عليه فهو لهم وذلك لتشديد العقل اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن عقبة بن اوس عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال خطب النبي
صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال الا ان قتيل العمد بالسوط والعصا والحجر مائة من الابل اربعون ثنية الى بازل عامها كلهن
خلفة وفي رواية اخرى الا ان كل قتيل خطا العمد او شبه العمد قتيل السوط والعصا مائة من الابل فيها اربعون في بطونها
اولادها اخرجه النسائي وذهب قوم الى ان الدية المغلظة ارباع خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت
لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وهذا قول الزهري وربيعة واليه ذهب مالك واحمد واصحاب
الراى واما دية الخطا فمخففة وهي اخماس بالاتفاق غير انهم اختلفوا في تقسيمها فذهب قوم الى انها عشرون بنت مخاض
وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وهذا قول عمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسار والزهري
وربيعة وبه قال مالك والشافعي وابدل قوم بني اللبون ببنات المخاض يروى ذلك عن ابن مسعود وبه قال احمد واصحاب
الراى والدية في قتل الخطا وشبه العمد على العاقلة وهم العصبات من الذكور ولا يجب على الجاني منها شيء لان النبي صلى
الله عليه وسلم اوجبها على العاقلة ودية الاعضاء والاطراف وحكمها مبين في كتب الفقه ودية اعضاء المراة على النصف
من دية اعضاء الرجل واعلم المسئلة الثالثة في حكم الكفارة والكفارة اعتاق رقبة مؤمنة وتجب في مال القاتل
سواء كان المقتول مسلما او معاهدا رجلا كان او امراة حرا كان او عبدا فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين
فالقاتل ان كان واجدا للرقبة او قادرا على تحصيلها بوجود الثمن فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وحاجته

من

من مسكن ونحوه فعليه الاعتاق ولا يجوز له ان ينتقل الى الصوم فان عجز عن الرقبة او عن تحصيل ثمنها فعليه
صوم شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا في خلال الشهرين او نسي النية او نوى صوما اخر وجب عليه استيناف
الشهرين وان افطر يوما بعذر مرض او سفر هل ينقطع التتابع اختلف العلماء فمنهم من قال ينقطع التتابع وعليه
استيناف الشهرين وهو قول النخعي واظهر اقوال الشافعي لانه افطر مختارا ومنهم من قال لا ينقطع التتابع
وعليه ان يبني وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والشعبي ولو حاضت المراة في خلال الشهرين افطرت ايام
الحيض ولا ينقطع التتابع فاذا طهرت بنت لانه امر كتبه الله على النساء ولا يمكن الاحتراز عنه فان عجز عن الصوم
فهل ينتقل عنه الى الاطعام فيطعم ستين مسكينا ففيه قولان احدهما انه ينتقل الى الاطعام كما في كفارة الظهار
والثاني لا ينتقل لان الله لم يذكر له بدلا فقال فصيام شهرين متتابعين توبة من الله فنص على الصوم وجعل ذلك
عقوبة لقاتل الخطا والله اعلم قوله عز وجل **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم** نزلت في مقيس بن ضبابة الكناني
وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكر له ذلك فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني فهر الى بني النجار ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يامركم ان علمتم قاتل هشام بن ضبابة ان تدفعوه الى اخيه مقيس فيقتص منه وان لم تعلموه
ان تدفعوا اليه ديته فبلغهم الفهري ذلك فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي اليه
ديته فاعطوه مائة من الابل فانصرفوا راجعين نحو المدينة فاتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال له
تقبل دية اخيك فتكون عليك سبة اقتل الفهري الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل
الفهري فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بعيرا من الابل وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وقال في ذلك قتلت
به فهرا وحملت عقله ٭ سراة بني النجار ارباب فارع ٭ وادركت ثاري واضطجعت موسدا ٭ وكنت الى الاصنام
اول راجع ٭ فنزلت فيه ومن يقتل مؤمنا متعمدا يعني قاصدا لقتله فجزاؤه جهنم **خالدا فيها** يعني بكفره وارتداده
وهو الذي استثناه النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ممن امنه من اهلها فقتل وهو متعلق باستار الكعبة
وغضب الله عليه يعني لاجل قتله كفره المؤمن متعمدا **ولعنه** يعني طرده من رحمته **واعد له عذابا عظيما** اختلف
العلماء في حكم هذه الاية هل هي منسوخة ام لا وهل لمن قتل مؤمنا متعمدا توبة ام لا فروي عن سعيد بن جبير
قال قلت لابن عباس لمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة قال لا فتلوت عليه الاية التي في الفرقان والذين لا يدعون
مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق الى اخر الاية قال هذه اية مكية نسختها اية مدنية
ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم وفي رواية قال اختلف اهل الكوفة في قتل المؤمن فرحلت الى ابن عباس فقال نزلت
في اخر ما نزل ولم ينسخها شيء وفي رواية اخرى قال ابن عباس نزلت هذه الاية بالمدينة والذين لا يدعون مع الله الها
اخر الى قوله مهانا فقال المشركون وما يغني عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقد قتلنا النفس التي حرم الله واتينا الفواحش
فانزل الله الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا الى اخر الاية زاد في رواية فاما من دخل في الاسلام وعقله ثم قتل
فلا توبة له اخرجاه في الصحيحين وروي عن علي بن ابي طالب انه ناظر ابن عباس في هذه الاية فقال من اين لك انها محكمة
فقال ابن عباس تكاثف الوعيد وقال ابن مسعود انها محكمة وما تزداد الا شدة وعن خارجة بن زيد قال سمعت
زيد بن ثابت يقول نزلت هذه الاية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها بعد التي في الفرقان والذين
لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق بستة اشهر اخرجه ابو داود والنسائي وزاد النسائي في
رواية له بثمانية اشهر وقال زيد بن ثابت لما نزلت الاية التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها اخر عجبنا من
لينها فلبثنا سبعة اشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فنسخت اللينة واراد بالغليظة هي الاية التي في سورة النساء واللينة

ايتا الفرقان وذهب الاكثرون من علما السلف والخلف الى ان هذه الاية منسوخة واختلفوا في ناسخها فقال بعضهم نسخها
التي في الفرقان وليس هذا القول بالقوي لان اية الفرقان نزلت قبل اية النسا والمتقدم لا ينسخ المتاخر وذهب جمهور من قال
بالنسخ ان ناسخها الاية التي في النسا ايضا وهو قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا واجاب
من ذهب الى انها منسوخة عن حديث ابن عباس المتقدم المخرج في الصحيحين بان هذه الاية خبر عن وقوع العذاب على فعل ذلك الامر
المذكور في الاية والنسخ لا يدخل الاخبار ولين سلمنا انه يدخله النسخ لكن الجمع بين الايتين ممكن بحيث لا يكون بينهما تعارض وذلك
بان يحمل مطلق اية النسا على تقييد اية الفرقان فيكون المعنى فجزاوه جهنم الا من تاب وقال بعضهم ما ورد عن ابن عباس انما هو على
سبيل التشديد والمبالغة في الزجر عن القتل فهو كما روي عن سفيان بن عيينة انه قال لم يقتل يقال له لا توبة لك وان قتل
ثم ندم وجا تايبا يقال له لك توبة وقيل انه قد روي عن ابن عباس مثله وروي عنه ايضا ان توبته تقبل وهو قول اهل السنة
ويدل عليه الكتاب والسنة اما الكتاب فقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله ان الله يغفر
الذنوب جميعا واما السنة فما روي عن جابر بن عبد الله قال جا اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان
قال من مات لا يشرك بالله شيا دخل الجنة ومن مات يشرك به شيا دخل النار اخرجه مسلم ق عن عبادة بن الصامت قال كنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال تبايعوني على ان لا تشركوا بالله شيا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله الا بالحق وفي رواية ولا تقتلوا اولادكم ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولا تعصوني في
معروف فمن وفى منكم فاجره على الله ومن اصاب شيا من ذلك فستره الله عليه فامره الى الله ان شا عفا عنه وان شا عذبه فبايعناه
على ذلك **فصل** وقد تعلقت المعتزلة والوعيدية بهذه الاية لصحة مذهبهم على ان الفاسق يخلد في النار واجاب
علما السنة بان الاية نزلت في كافر قتل مسلما وهو مقيس بن ضبابة فتكون الاية على هذا مخصوصة وقيل
هذا الوعيد لمن قتل مسلما مستحلا لقتله ومن استحل قتل مسلم كان كافرا وهو مخلد في النار بسبب كفره
وعن ابي مجلز في قوله ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه جهنم قال هي جزاوه فان شا الله ان يتجاوز عن جزايه فعل اخرجه
ابو داود وقيل ان الخلود لا يقتضي التابيد بل معناه دوام الحالة التي هو عليها ويدل عليه قول العرب للايام خوالد
وذلك لطولها لا لدوام بقايها واذا ذكر الخلود في حق الكفار قرنه بذكر التابيد كقوله خالدين فيها ابدا فاذا قرن
الخلود بهذه اللفظة علم ان المراد منه الدوام الذي لا ينقطع اذا ثبت هذا كان معنى الخلود المذكور في الاية ان الله تعالى
يعذب قاتل المومن عمدا في النار الى حيث يشا الله ثم يخرجه منها بفضل رحمته وكرمه فاذا قد ثبت في احاديث الشفاعة
الصحيحة اخراج جميع الموحدين من النار وقيل ان قاتل المومن عمدا عدوانا اذا تاب قبلت توبته بدليل قوله تعالى
ويغفر ما دون ذلك لمن يشا ولان الكفر اعظم من هذا القتل واذا كانت توبة الكافر من كفره مقبولة بدليل قوله قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فاذا كانت التوبة من الكفر مقبولة فلان تقبل من القاتل اولى والله اعلم قوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا الاية قال ابن عباس نزلت في رجل من بني مرة بن عوف يقال له مرداس بن نهيك وكان
من اهل فدك لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم وكان على السرية رجل يقال له
غالب بن فضالة الليثي فهربوا منه واقام ذلك الرجل المسلم فلما راى الخيل خاف ان لا يكونوا مسلمين فالجا غنمه الى عاقول
من الجبل وصعد هو الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فعرفهم انهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكبر ونزل وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه اسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق
غنمه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه الخبر فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا
وقد كان سبقهم الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلتموه ارادة ما معه ثم قرا رسول الله صلى الله عليه
وسلم على اسامة بن زيد هذه الاية فقال اسامة استغفر لي يا رسول الله فقال كيف انت بلا اله الا الله يقولها ثلاث

مرات قال اسامة فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكررها حتى وددت اني لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم
استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اعتق رقبة وروى ابو ظبيان عن اسامة قال قلت يا رسول الله
انما قالها خوفا من السلاح فقال افلا شققت عن قلبه حتى تعلم اقالها خوفا ام لا وفي رواية عن ابن عباس قال مر رجل
من بني سليم على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم فسلم عليهم فقالوا انما سلم عليكم ليتعوذ
منكم فقاموا اليه فقتلوه واخذوا غنمه فاتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل هذه الاية
يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله يعني اذا سافرتم الى الجهاد فتبينوا من البيان يقال تبينت الامر اذا تاملته
قبل الاقدام عليه وروي فتثبتوا من التثبت وهو خلاف العجلة والمعنى فقفوا وتثبتوا حتى تعرفوا المومن من الكافر
وتعرفوا حقيقة الامر الذي تقدموا عليه ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام يعني التحية يعني لا تقولوا لمن حياكم بهذه التحية
انه انما قالها تعوذا فتقدموا عليه بالسيف لتاخذوا ماله ولكن كفوا عنه واقبلوا منه ما اظهره لكم وقرئ السلم
بفتح السين من غير الف ومعناه الاستسلام والانقياد اي استسلم وانقاد لكم وقال لا اله الا الله محمد رسول الله
وقيل السلام والسلم بمعنى واحد اي لا تقولوا لمن سلم عليكم لست مومنا يعني لست من اهل الايمان فتقتلوه بذلك
قال العلما اذا راى الغزاة في بلد او قرية او حي من العرب شعار الاسلام فيجب عليهم ان يكفوا عنهم ولا يغيروا عليهم لما روي عن
عصام المزني قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث جيشا او سرية يقول لهم اذا رايتم مسجدا او سمعتم موذنا
فلا تقتلوا احدا اخرجه ابو داود والترمذي وقال اكثر الفقها لو قال اليهودي او النصراني انا مومن لا يحكم بايمانه
لانه يدعي ان الذي هو عليه ايمان ولو قال لا اله الا الله محمد رسول الله فعند بعض العلما لا يحكم باسلامه حتى يتبرى
من دينه الذي كان عليه ويعترف انه دين باطل وذلك ان بعض اليهود يزعم ان محمدا رسول الله الى العرب خاصة لا انه رسول
الى كافة الخلق فاذا اعترف انه رسول الى كافة الخلق وان الذي كان عليه من اليهودية او النصرانية باطل صح اسلامه وحكم بصحته
وقوله تعالى تبتغون عرض الحياة الدنيا يعني تطلبون الغنيمة التي هي من حطام الدنيا سريعة النفاد والذهاب وعرض الدنيا منافعها
وحطامها ومتاعها فعند الله مغانم كثيرة يعني ثوابا كثيرا من رزقه يغنيكم بها عن قتل من يظهر الاسلام
ويتعوذ به وقيل معناه فعند الله ثواب كثير لمن اتقى قتل المومن كذلك كنتم من قبل يعني كما كان هذا الذي القى اليكم السلام
فقلتم له لست مومنا فقتلتموه كنتم انتم من قبل يعني من قبل ان يعزكم الله بدينكم كنتم تستخفون بدينكم كما استخفى
هذا الذي قتلتموه بدينه من قومه حذرا على نفسه منهم وقيل معناه كذلك كنتم تامنون في قومكم بهذه الكلمة فلا
تخيفوا من قالها ولا تقتلوه وقيل معناه كذلك كنتم من قبل مشركين فمن الله عليكم يعني بالاسلام والهداية فلا
تقتلوا من قال لا اله الا الله وقيل معناه من عليكم بقتل مومن وهو تاكيد للامر بالتبيين ان الله كان بما تعملون
خبيرا يعني فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين من ذلك محتاطين فيه قوله عز وجل لا يستوي القاعدون من
المومنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم الاية خ عن زيد بن ثابت قال املى علي النبي
صلى الله عليه وسلم لا يستوي القاعدون من المومنين والمجاهدون في سبيل الله فجاه ابن ام مكتوم وهو يمليها
علي فقال والله يا رسول الله لو استطيع الجهاد لجاهدت وكان اعمى فانزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم
وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت ان ترض فخذي ثم سري عنه فانزل الله عز وجل غير اولي الضرر ق عن البرا
ابن عازب لما نزلت لا يستوي القاعدون من المومنين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فجا بكتف فكتبها وشكى
ابن ام مكتوم ضرارته فنزلت لا يستوي القاعدون من المومنين غير اولي الضرر وفي رواية اخرى فلما نزلت لا يستوي القاعدون
من المومنين غير اولي الضرر قال النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا فلانا فجاه ومعه الدواة واللوح والكتف فقال اكتب لا يستوي
القاعدون من المومنين والمجاهدون في سبيل الله وخلف النبي صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم فقال يا رسول الله

Copyright © King Saud University

اناضرير فنزلت مكانها لا يستوي القاعدون من المومنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله هذه الرواية الثانية
اخرجها ابن الاثير في كتاب جامع الاصول واضافها الى البخاري ومسلم ولم اجدها في كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدي وفي
هذه الاية فضل الجهاد في سبيل الله والحث عليه فقوله لا يستوي القاعدون من المومنين يعني لا يستوي المتخلفون عن
الجهاد في سبيل الله من المومنين والمجاهدون في سبيل الله غير اولي الضرر يعني غير اولي الزمانة والضعف في البدن والبصر فانهم
يساوون المجاهدين لان العذر اقعدهم عن الجهاد م عن جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة رجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض خ عن انس قال
رجعنا من غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اقواما خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا الا وهم
معنا حبسهم العذر خ عن ابن عباس قال لا يستوي القاعدون من المومنين عن بدر والخارجون اليها وقوله تعالى فضل
الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة يعني فضيلة في الاخرة قال ابن عباس اراد بالقاعدين هنا اولي الضرر فضل الله
المجاهدين على اولي الضرر درجة لان المجاهد باشر الجهاد بنفسه وماله مع النية واولوا الضرر كانت لهم نية ولم يباشروا
الجهاد فنزلوا عن المجاهدين درجة وكلا يعني المجاهدين والقاعدين وعد الله الحسنى يعني الجنة بايمانهم وفضل الله المجاهدين
يعني في سبيل الله على القاعدين يعني الذين لا عذر لهم ولا ضرر اجرا عظيما يعني ثوابا جزيلا ثم فسر ذلك الاجر العظيم فقال
تعالى درجات منه قال قتادة كان يقال للاسلام درجة والهجرة في الاسلام درجة والجهاد في الهجرة درجة والقتل في الجهاد
درجة وقال ابن زيد الدرجات هي سبع وهي التي ذكرها الله في سورة براءة حين قال بانهم لا يصيبهم ظما ولا نصب
ولا مخمصة الى قوله ولا يقطعون واديا الا كتب لهم وقال ابن محيريز الدرجات سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر
الفرس الجواد المضمر سبعون سنة م عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا
وبمحمد رسولا وجبت له الجنة فتعجب لها ابو سعيد فقال اعدها علي يا رسول الله فاعادها عليه ثم قال واخرى يرفع
الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله خ
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن بالله ورسوله واقام الصلاة واتى الزكاة وصام رمضان وحج
كان حقا على الله ان يدخله الجنة جاهد في سبيل الله او جلس في ارضه التي ولد فيها فقالوا افلا نبشر الناس بذلك فقال ان
في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سالتم الله فاسالوه الفردوس
الاعلى فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة **فان قلت** قد ذكر الله عز وجل
في الاية الاولى درجة واحدة وذكر في الاية الثانية درجات فما وجه الحكمة في ذلك **قلت** اما الدرجة
الاولى فلتفضيل المجاهدين على القاعدين بوجود الضرر والعذر واما الثانية فلتفضيل المجاهدين على القاعدين
من غير ضرر ولا عذر فضلوا عليهم بدرجات كثيرة وقيل يحتمل ان تكون الدرجة الاولى درجة المدح والتعظيم والدرجات
درجات الجنة ومنازلها كما في الحديث والله اعلم وقوله تعالى ومغفرة يعني لذنوبهم يسترها ويصفح ورحمة يعني رافة بهم
وكان الله غفورا يعني لذنوب عباده المومنين رحيما يعني بهم يتفضل عليهم برحمته ومغفرته عن ابن عمر عن النبي صلى الله
عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل قال ايما عبد من عبادي خرج مجاهدا في سبيل الله ابتغاء مرضاتي ضمنت له ان
ارجعه ان رجعته بما اصاب من اجر او غنيمة وان قبضته غفرت له ورحمته اخرجه النسائي

فصل

اعلم ان الجهاد ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين ان يدخل العدو دار قوم من المومنين وبلادهم فيجب
على كل مكلف من الرجال ممن لا عذر له ولا ضرر به من اهل تلك البلدة الخروج الى عدوهم دفعا عن انفسهم وعن اهليهم
وجيرانهم وسواء في ذلك الحر والعبد والغني والفقير فيجب على الكافة ومن هو خارج عنهم من المسلمين فرض كفاية فان
لم تقع الكفاية بمن نزل بهم من العدو فيجب على الكافة مساعدتهم على من قرب منهم من المسلمين وبعد عنهم وان وقعت

الكفاية

الكفاية بالمنزول بهم فلا فرض على الابعدين الا على طريق الاختيار ولا يدخل في هذا الفرض اعني فرض الكفاية الفقراء
والعبيد فاذا كان الكفار قارين في بلادهم فعلى الامام ان لا يخلي كل سنة من غزاة يغزوهم فيها اما بنفسه او بسراياه
حتى لا يتعطل الجهاد والاختيار للمطيق الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره ولا يقعد عنه ولكن لا يفترض عليه لان الله تعالى وعد
المجاهدين والقاعدين الثواب بقوله وكلا وعد الله الحسنى ولو كان فرضا على الكفاية لاستحق القاعدون
عن الجهاد العقاب لا الثواب والله اعلم قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم الاية نزلت في اناس تكلموا بالاسلام
ولم يهاجروا منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههما فلما خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم
فقتلوا مع الكفار فانزل الله هذه الاية ان الذين توفاهم الملائكة يعني ملك الموت واعوانه وهم ستة ثلاثة منهم يلون
قبض ارواح المومنين وثلاثة يلون قبض ارواح الكفار وقيل المراد به ملك الموت وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على
سبيل التعظيم كما يخاطب الواحد بلفظ الجمع وفي التوفي هنا قولان احدهما انه قبض ارواحهم والثاني حشرهم الى النار فعلى
القول الثاني يكون المراد بالملائكة الزبانية الذين يلون تعذيب الكفار ظالمي انفسهم يعني بالشرك وقيل بالمقام في دار
الشرك وذلك لان الله لم يقبل الاسلام من احد بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يهاجر اليه ثم نسخ ذلك بعد فتح
مكة لقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية اخرجاه في الصحيحين وقيل ظالمي انفسهم بخروجهم مع
المشركين يوم بدر وتكثير سوادهم حتى قتلوا معهم فضربت الملائكة وجوههم وادبارهم قالوا فيم كنتم سوال توبيخ
وتقريع يعني قالت الملائكة لهولاء الذين قتلوا في اي الفريقين كنتم في فريق المسلمين او في فريق المشركين فاعتذروا
بالضعف عن مقاومة المشركين وهو قوله تعالى اخبارا عنهم قالوا كنا مستضعفين يعني عاجزين في الارض يعني في ارض مكة
قالوا يعني قال لهم الملائكة الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها يعني الى المدينة وتخرجوا من بين اظهر المشركين فاكذبهم الله في قولهم
كنا مستضعفين واعلمنا بكذبهم فاولئك من هذه صفتهم ماواهم يعني منزلهم جهنم وساءت مصيرا يعني بيس المصير
مصيرهم ثم استثنى اهل العذر ومن علم ضعفه منهم فقال تعالى الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون
حيلة يعني لا يقدرون على حيلة ولا نفقة ولا قوة لهم على الخروج من مكة ولا يهتدون سبيلا يعني ولا يعرفون طريقا يسلكونه
من مكة الى المدينة فاولئك يعني المستضعفين واهل الاعذار عسى الله ان يعفو عنهم حتى يتجاوز عنهم بفضله واحسانه
وعسى من الله واجب لانه اطماع وترجية والله تعالى اذا اطمع عبدا وصله الله اليه وكان الله عفوا غفورا قال ابن عباس كنت انا
وامي ممن عذر يعني من المستضعفين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لهولاء المستضعفين في الصلاة ق
عن ابي هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام
وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف قوله عز وجل
ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة قال الزجاج معنى مراغما مهاجرا يعني يجد في الارض مهاجرا يعني المهاجر
لقومه والمراغم لهم بمنزلة واحدة وان اختلف اللفظان وهو ماخوذ من الرغام وهو التراب يقال رغم انفه اذا التصق بالتراب
وذلك لان الانف عضو شريف والتراب دليل حقير فجعل قوله رغم انفه كناية عن حصول الذل ويقال راغمت فلانا
يعني هجرته وعاديته وما ابالي به رغم انفه ويقوي ذلك قول بعض اهل اللغة هو الخروج من بلاد العدو برغم انفه
وقيل معناه ان الرجل اذا خرج عن قومه خرج مراغما لهم اي مغاضبا لهم ومقاطعا وقال الفراء المراغم المضطرب والمذهب
في الارض وانشد الزجاج في المعنى الى بلد غير داني المحل بعيد المراغم والمضطرب فعلى هذا يكون معنى الاية يجد
مذهبا يذهب اليه اذا راى ما يكرهه هذا القول هو قول اهل اللغة في معنى المراغمة وقال ابن عباس يجد متحولا يتحول
اليه من ارض الى ارض وقال مجاهد يجد متزحزحا عما يكره وقيل يجد منقلبا ينقلب اليه وقيل المراغمة والمهاجرة
واحد يقال راغمت قومي اي هاجرتهم وسميت المهاجرة مراغمة لانه يهاجر قومه برغمهم وقوله وسعة يعني في

Copyright © King Saud University

في الرزق وقيل يجد سعة من الضلالة الى الهدى وقيل يجد سعة في الارض التي يهاجر اليها قال ابن عباس لما نزلت الاية التي
قبل هذه سمعها رجل من بني ليث شيخ كبير مريض يقال له جندع بن ضمرة فقال والله ما انا ممن استثنى الله عز وجل فاني
لا اجد حيلة ولي من المال ما يبلغني الى المدينة وابعد منها والله لا ابيت الليلة بمكة اخرجوني فخرجوا به يحملونه على سرير
حتى اتوا به التنعيم فادركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك
رسولك ثم مات فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم واوفى اجرا وضحك
المشركون وقالوا ما ادرك ما طلب فانزل الله عز وجل ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت
يعني قبل بلوغه الى مهاجره فقد وقع اجره على الله يعني فقد وجب اجر هجرته على الله بايجابه على نفسه بحكم الوعد والتفضل
والكرم لا وجوب استحقاق وتحتم قال بعض العلما ويدخل في حكم الاية من قصد فعل طاعة من الطاعات ثم عجز عن اتمامها
كتب الله له ثواب تلك الطاعة كاملا وقال بعضهم انما يكتب له اجر ذلك القدر الذي عمل واتى به اما تمام الاجر فلا والقول
الاول اصح لان الاية انما نزلت في معرض الترغيب في الهجرة وان من قصدها ولم يبلغها بل مات دونها فقد حصل له ثواب
الهجرة كاملا فكذلك كل من قصد فعل طاعة ولم يقدر على اتمامها كتب الله له ثوابها كاملا وكان الله غفورا رحيما يعني
ويغفر الله له ما كان منه من القعود قبل الهجرة الى ان خرج مهاجرا قوله عز وجل واذا ضربتم في الارض يعني اذا سافرتم فيها فليس
عليكم جناح اي حرج واثم ان تقصروا من الصلاة يعني من اربع ركعات الى ركعتين وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشا
واصل القصر في اللغة التضييق وقيل هو ضم الشي الى اصله وفسر ابن الجوزي القصر بالنقص ولم اره لاحد من اهل
التفسير واللغة وقيل معنى قصر الصلاة جعلها قصيرة بترك بعض ركعاتها او بعض اركانها ترخيصا ولهذا السبب
ذكروا في تفسير قصر الصلاة المذكورة في الاية قولين احدهما انه في عدد الركعات وهو رد الصلاة الرباعية الى
ركعتين والقول الثاني ان المراد من القصر ادخال التخفيف في ادائها وهو ان يكتفي بالايماء والاشارة عن الركوع
والسجود والقول الاول اصح ويدل عليه لفظه من قوله ان تقصروا من الصلاة ولفظة من هنا للتبعيض وذلك
يوجب جواز الاقتصار على بعض الصلاة فثبت بهذا ان تفسير القصر باسقاط بعض ركعات الصلاة اولى ان
خفتم ان يفتنكم يعني يغتالكم ويقتلكم في الصلاة الذين كفروا ذهب داود الظاهري الى جواز القصر بخصوص حال
الخوف واستدل على صحة مذهبه بقوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ولان عدم الشرط يقتضي
عدم المشروط فعلى هذا لا يجوز القصر عند الامن ولا يجوز رفع هذا الشرط بخبر الاحاد لانه يقتضي نسخ القران
بخبر الواحد وذهب جمهور اهل العلم الى ان القصر في حال الامن في السفر جائز ويدل عليه ما روي عن يعلى بن امية
قال قلت لعمر بن الخطاب ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فقد امن الناس
فقال عجبت مما عجبت منه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم
فاقبلوا صدقته اخرجه مسلم وعن عبد الله بن خالد بن اسيد انه قال لابن عمر كيف تقصر الصلاة وانما قال الله تعالى
ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فقال عمر يا ابن اخي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتانا ونحن ضلال فعلمنا فكان فيما علمنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا ان نصلي ركعتين في السفر اخرجه
النسائي وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة الى مكة لا يخاف الا رب العالمين فصلى
ركعتين اخرجه الترمذي والنسائي واجاب الجمهور عن قوله تعالى ان خفتم ان كلمة ان تفيد حصول الشرط ولا يلزم
عدم المشروط فقوله تعالى ان خفتم يقتضي ان عند عدم الخوف لا يحصل رخصة القصر واذا كان كذلك كان ساكتا عن
حال الامن فاثبات الرخصة حال الامن بخبر الواحد يكون اثباتا لحكم سكت عنه القران **فان قلت**
اذا كان هذا الحكم ثابتا في حال الامن والخوف فما فائدة تقييده بحال الخوف **قلت** انما نزلت الاية في بعض

اسفار

اسفار النبي صلى الله عليه وسلم واكثرها لم يخل عن خوف العدو فذكر الله عز وجل هذا الشرط من حيث انه الاغلب في الوقوع
وهو قوله تعالى ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا اي ظاهر العداوة فلعلي بهذا رخصت لكم في قصر الصلاة لئلا يجدوا الى قتلكم
واغتيالكم سبيلا وانما قال عدوا ولم يقل اعداء لانه يستوي فيه الواحد **فصل** في احكام تتعلق بالاية وفيه مسائل
المسئلة الاولى في حكم القصر قصر الصلاة في حالة السفر جائز باجماع الامة وانما اختلفوا في جواز الاتمام في حال السفر فذهب اكثر
العلما الى ان القصر واجب في السفر وهو قول عمر وعلي وابن عمر وجابر وابن عباس وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة
وهو قول مالك وابي حنيفة ويدل عليه ما روي عن عائشة قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم اتمها في الحضر
واقرت صلاة السفر على الفريضة الاولى وفي رواية اخرى قالت فرضت الصلاة حين فرضها ركعتين في السفر والحضر
فاقرت صلاة السفر ركعتين وزيد في صلاة الحضر اخرجاه في الصحيحين وذهب قوم الى جواز الاتمام في السفر ولكن
القصر افضل يروى ذلك عن عثمان وسعد بن ابي وقاص واليه ذهب الشافعي واحمد وهو رواية عن مالك ويدل على ذلك
ما روى البغوي بسند الشافعي عن عائشة قالت كل ذلك قد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر واتم وعن عائشة انها
اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قالت يا رسول الله بابي انت وامي قصرت
واتممت وصمت وافطرت قال احسنت يا عائشة وما عاب علي اخرجه النسائي وظاهر القران يدل على ذلك لان الله تعالى
قال فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ولفظ لا جناح انما يستعمل في الرخصة لا فيما يكون حتما واجيب عن
حديث عائشة فرض الله الصلاة ركعتين بان معناه فرضت ركعتين اولا وزيد في صلاة الحضر ركعتان على سبيل التحتم
واقرت صلاة السفر على جواز الاقتصار عليها وثبت جواز الاتمام بدليل اخر فوجب المصير اليه ليمكن الجمع بين الاحاديث
ودلائل الشرع المسئلة الثانية اختلف في صلاة المسافر اذا صلى ركعتين ركعتين هل هي مقصورة ام غير
مقصورة فذهب قوم الى انها غير مقصورة وانما فرض صلاة المسافر ركعتان تمام غير قصر يروى ذلك عن ابن عباس
وجابر بن عبد الله واليه ذهب سعيد بن جبير والسدي وابو حنيفة فعلى هذا يكون معنى القصر المذكور في الاية ولازم
تخفيف ركوعها وسجودها وقد تقدم الجواب عنه وذهب قوم الى انها مقصورة وليست باصل وهو قول مجاهد
وطاوس واليه ذهب الشافعي واحمد المسئلة الثالثة مذهب الشافعي ومالك واحمد والجمهور انه يجوز القصر
في كل سفر مباح وشرط بعضهم كونه سفر حج او عمرة او جهاد او سفر طاعة ولا يجوز القصر في سفر المعصية وقال ابو حنيفة
والثوري يجوز ذلك المسئلة الرابعة اختلف العلما في مسافة القصر فقال داود واهل الظاهر يجوز القصر في قصير
السفر وطويله ويروى ذلك عن انس وقال عمرو بن دينار قال لي جابر بن زيد اقصر بعرفة واما عامة اهل العلم
فانهم لا يجوزون القصر في السفر القصير واختلفوا في حد الطويل الذي يجوز فيه القصر فقال الاوزاعي مسيرة يوم وكان
ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران في مسيرة اربعة برد وهي ستة عشر فرسخا واليه ذهب مالك واحمد واسحق وقول
الحسن والزهري قريب من ذلك فانهما قالا مسيرة يومين واليه ذهب الشافعي فقال مسيرة ليلتين قاصدتين ستة عشر
فرسخا كل فرسخ ثلاثة اميال فيكون ثمانية واربعين ميلا بالهاشمي والميل ستة الاف ذراع والذراع اربعة وعشرون
اصبعا معترضة معتدلة والاصبع ست شعيرات معترضات معتدلات وقال الثوري وابو حنيفة واهل الكوفة لا يقصر
في اقل من ثلاثة ايام **فصل** وقيل في قوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا كلام منفصل عما بعده متصل
عما قبله وتقديره وان خفتم وروي عن ابي ايوب الانصاري انه قال انما نزل قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا
من الصلاة هذا القدر ثم بعد حول سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الخوف فنزل ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا
ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واذا كنت فيهم الاية ومثل هذا في القران كثير يجي الخبر بتمامه ثم ينسق عليه خبر اخر وهو في
الظاهر كالمتصل به وهو منفصل عنه قوله عز وجل واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة الاية روي عن ابن عباس وجابر ان المشركين

Copyright © King Saud University

لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قاموا الى الصلاة يصلون جميعا ندموا ان لا كانوا اكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض
دعوهم فان لهم بعدها صلاة هي احب اليهم من ابائهم وامهاتهم يعني صلاة العصر فاذا قاموا اليها فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل
جبريل عليه السلام فقال يا محمد انها صلاة الخوف وان الله عز وجل يقول واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فعلمه صلاة الخوف
وروي عن ابي عياش الزرقي في سبب نزول هذه الاية قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان وعلى المشركين
خالد بن الوليد فصلينا الظهر فقال المشركون لقد اصبنا غرة وفي رواية غفلة لو حملنا عليهم وهم في الصلاة فنزلت
الاية بين الظهر والعصر قوله تعالى واذا كنت فيهم هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني اذا كنت يا محمد في اصحابك وشهدت
مع القتال فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك يعني اذا كان وقت الصلاة واقمتها لاصحابك فاجعلهم فرقتين
فلتقم فرقة منهم معك فتصلي بهم وليأخذوا اسلحتهم اختلفوا في هؤلاء الذين امرهم الله باخذ السلاح فقيل ان الذين هم
الذين قاموا معه الى الصلاة فانهم يأخذون اسلحتهم في الصلاة فعلى هذا القول انما يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم
عن الصلاة ولا يؤذي به الى جنبه كالسيف والخنجر وذلك لانه اقرب الى الاحتياط وامنع للعدو من الاقدام عليهم
فان كان السلاح يشغل بحركته وثقله عن الصلاة كالترس الكبير او يؤذي الى جنبه كالرمح فلا يأخذه وقيل ان الذين هم
الطائفة الذين بقوا في وجه العدو فانهم يأخذون اسلحتهم للحراسة وقيل يحتمل ان يكون الامر للفريقين بحمل السلاح
لان ذلك اقرب الى الاحتياط فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم يعني اذا صلوا الذين معك وفرغوا من الصلاة فليكونوا
من ورائهم يعني فلينصرفوا الى المكان الذي هم في وجه العدو للحراسة ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا يعني ولتأت الطائفة
التي كانت في وجه العدو فليصلوا معك يعني يصلوا معك الركعة الثانية التي بقيت عليك ويتموا بقية
صلاتهم وليأخذوا حذرهم واسلحتهم يعني ان الله تعالى جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي في دفع
العدو فلذلك جعله مأخوذا مع السلاح **فان قلت** لم ذكر اولا في الاية الاسلحة فقط
وذكر هنا الحذر والاسلحة **قلت** لان العدو قلما يتنبه للمسلمين في اول الصلاة بل يظنون
كونهم قائمين في المحاربة والمقاتلة فاذا قاموا الى الركعة الثانية ظهر للكفار ان المسلمين في الصلاة فحينئذ ينتهزون
الفرصة في الاقدام على المسلمين فلا جرم ان الله تعالى امرهم في هذا الموضع بزيادة الحذر من الكفار مع اخذ الاسلحة
ود الذين كفروا يعني تمنى الكفار لو تغفلون يعني لو وجدوكم غافلين عن اسلحتكم وامتعتكم يعني حوائجكم التي بها بلاغكم
في اسفاركم فتسهون عنها فيميلون عليكم ميلة واحدة يعني فيقصدونكم ويحملون عليكم حملة واحدة وانتم مشغولون
بصلاتكم عن اسلحتكم وامتعتكم فيصيبون منكم غرة فيقتلونكم **فصل** في احكام تتعلق بالاية
وصفة صلاة الخوف وفيه مسائل المسئلة الاولى قال ابو يوسف والحسن بن زياد من اصحاب ابي حنيفة صلاة الخوف
كانت خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لغيره بعده فعلها وقال المزني من اصحاب الشافعي كانت ثابتة ثم نسخت
واحتج لصحة هذا القول بان الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بها فقال تعالى واذا كنت فيهم فاقمت
لهم الصلاة وظاهر هذا يدل على ان اقامة الصلاة مشروطة بكون النبي صلى الله عليه وسلم فيهم فدل على تخصيصه
بها ولان حكمنا اذا تقيد بالشرط وذهب جمهور العلماء والفقهاء ان هذا الحكم لما ثبت في حق النبي صلى الله عليه وسلم
بحكم هذه الاية وجب ان يثبت في حق غيره من امته لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم صلوا كما رأيتموني
اصلي ولان ذلك اجماع الصحابة على فعلها وقد روي عن علي بن ابي طالب انه صلى صلاة الخوف وكذلك حذيفة بن
اليمان صلاها باصحابه بطبرستان وليس لهؤلاء مخالف من الصحابة واجيب عن قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت
لهم الصلاة بان هذا وان كان قد خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم فان سائر امته داخلون في هذا الحكم فهو
كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء الا ان يرد نص بتخصيصه صلى الله عليه وسلم عم دخول امته كقوله تعالى

خالصة

خذ من اموالهم صدقة فاذا كان هو المخاطب بها وقد ثبت حكم اخذ الزكاة لمن بعده من الائمة كان كذلك قوله واذا كنت فيهم

خالصة لك من دون المؤمنين ونظير قوله واذا كنت فيهم واجيب عن لفظة اذا بان مقتضاه الثبوت واما
العدم عند العدم فغير مسلم المسئلة الثانية قال الخطابي صلاة الخوف انواع صلاها النبي صلى الله عليه وسلم في ايام
مختلفة واشكال متباينة يتحرى في ذلك كله ما هو الاحوط للصلاة والابلغ في الحراسة فهي مع اختلاف صورها
متفقة المعنى فمن انواع صلاة الخوف ما اذا كان العدو في غير جهة القبلة فرق الامام اصحابه فرقتين فتقف
طائفة وجاه العدو فتحرس ويصلي بالطائفة الاخرى ركعة فاذا قام الى الثانية اتموا لانفسهم وذهبوا الى
وجاه العدو فتحرس وتأتي الطائفة الثانية التي كانت تحرس فيصلي بهم الركعة الثانية ويثبت جالسا
في التشهد حتى يتموا لانفسهم الصلاة ثم يسلم بهم ويدل على ذلك ما روي عن يزيد بن رومان عن صالح بن
خوات عن من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف ان طائفة صفت معه وطائفة
وجاه العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائما واتموا لانفسهم ثم انصرفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الاخرى
فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا فاتموا لانفسهم ثم سلم بهم اخرجاه في الصحيحين . .
الذي صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم هو سهل بن ابي حثمة وقد اخرجاه من رواية اخرى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
صلى باصحابه وذكر نحوه وهذا هو مختار الشافعي لانه اشد موافقة لظاهر القران واحوط للصلاة وابلغ في حراسة العدو
واما كونه اشد موافقة لظاهر القران فانه قوله ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وهذا يدل على ان الطائفة
الاولى قد صلت وقوله فليصلوا معك ظاهره يدل على ان جميع صلاة الطائفة الثانية حصلت مع الامام وكونها
احوط لامر الصلاة من حيث انه لا يكثر فيها العمل من المجيء والذهاب وكونها احوط لامر الحراسة من حيث
انه اذا لم يكونوا في الصلاة كان امكن للحراسة والكر والفر والهرب ان احتاجوا اليه وذهب قوم الى ان الطائفة الاولى
تصلي مع الامام ركعة ثم تذهب الى وجه العدو فتحرس وهم في صلاتهم ثم تأتي الطائفة الثانية فتصلي مع الامام
الركعة الثانية ويسلم الامام ولا يسلمون هم بل يذهبون الى وجه العدو وترجع الطائفة الاولى الى موضع الامام
فتقضي بقية صلاتها ثم تذهب ثم تأتي الطائفة الثانية الى موضع الامام فتقضي بقية صلاتها يروى ذلك عن
ابن مسعود وهو مذهب ابي حنيفة ويدل على ذلك ما روي عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف
قال فكبر فصلى خلفه طائفة منا وطائفة مواجهة العدو فركع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجد سجدتين
ثم انصرفوا ولم يسلموا واقبلوا على العدو فصفوا مكانهم وجاءت الطائفة الاخرى فصفوا خلف رسول الله صلى
الله عليه وسلم فصلى بهم ركعة وسجدتين ثم سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اتم ركعتين واربع سجدات ثم قامت
الطائفتان فصلى كل انسان منهم لنفسه ركعة وسجدتين اخرجه النسائي قال ابو بكر السني سمع الزهري عن ابن عمر
ولم يسمع هذا منه والذي اخرجاه في الصحيحين عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف باحد الطائفتين
ركعة والطائفة الاخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا وقاموا في مقام اصحابهم مقبلين على العدو وجاء اولئك فصلى
بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة وفي رواية اخرى قال صلى بنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم صلاة الخوف في بعض ايامه فقامت طائفة معه وطائفة بازاء العدو فصلى بالذين معه ركعة
وجاء الاخرون فصلى بهم ركعة وقضت الطائفتان ركعة ركعة وبهذه الرواية المخرجة في الصحيحين اخذ
الاوزاعي واشهب المالكي وهو جائز عند الشافعي ايضا ثم قيل ان الطائفتين يقضون ركعتهم الباقية معا
وقيل متفرقين وهو الصحيح والفرق بين الروايتين ان الطائفة الاولى ادركت اول الصلاة وهي في حكم من
خلف الامام واما الطائفة الثانية فلم تدرك اول الصلاة والمسبوق فيما يقضي كالمنفرد في حكم صلاته المسئلة
الثالثة فيما اذا كان العدو في ناحية القبلة وصورة هذه الصلاة ما روي عن جابر بن عبد الله قال شهدت مع رسول الله

Copyright © King Saud University

صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فصففنا صفين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعاً ثم ركع وركعنا جميعاً ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعاً ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه وقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود وقام الصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا ثم تقدم الصف المؤخر وتأخر الصف المقدم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعاً ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه كان مؤخراً في الركعة الأولى فقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعاً قال جابر كما يصنع حرسكم هؤلاء بأمرائهم أخرجه مسلم بتمامه وأخرج البخاري طرفاً منه أنه صلى صلاة الخوف مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوة السابعة غزوة ذات الرقاع وبهذا الحديث أخذ الشافعي ومن وافقه فيما إذا كان العدو في جهة القبلة المسألة الرابعة إذا اشتد الحرب والتحم القتال صلوا رجالاً وركباناً يومئون بالركوع والسجود إلى أي جهة كانت هذا مذهب الشافعي ومذهب أبي حنيفة أنهم لا يصلون في هذه الحالة فإذا أمنوا قضوا ما فاتهم من الصلاة ولصلاة الخوف صور أخرى مذكورة في كتب الفقه وليس هذا موضعها والله أعلم وقوله تعالى ولا جناح عليكم أي ولا إثم ولا حرج عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم قال ابن عباس رخص الله لهم في وضع السلاح في حال المطر وحال المرض لأن السلاح يثقل حمله في هاتين الحالتين وخذوا حذركم يعني راقبوا عدوكم ولا تغفلوا عنه أمرهم الله بالتحفظ والتحرز والاحتياط لئلا يتجرأ العدو عليهم قال ابن عباس نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أنه غزا بني محارب وبني أنمار فنزلوا ولا يرون من العدو أحداً فوضع الناس السلاح فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة حتى قطع الوادي والسماء ترش بالمطر فسال الوادي فحال السيل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أصحابه فجلس تحت شجرة فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فقال قتلني الله إن لم أقتله ثم انحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو قائم على رأسه وقد سل السيف من غمده وقال يا محمد من يمنعك مني الآن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت فأهوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم به فأكب لوجهه من زلخة زلخها فندر السيف من يده فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ السيف ثم قال يا غورث من يمنعك مني الآن فقال لا أحد فقال أتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فقال لا ولكني أشهد أن لا أقاتلك ولا أعين عليك عدواً فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث لأنت خير مني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل أنا أحق بذلك منك فرجع غورث إلى أصحابه فقالوا ويلك يا غورث ما منعك منه فقال والله لقد أهويت إليه بالسيف لأضربه به فوالله ما أدري من زلخني بين كتفي فخررت لوجهي وذكر لهم حاله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وسكن الوادي فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وأخبرهم الخبر وقرأ هذه الآية ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى قال ابن عباس كان عبد الرحمن بن عوف جريحاً فنزلت فيه أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم يعني من عدوكم إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً يعني يهانون به وقوله عز وجل فإذا قضيتم الصلاة يعني فإذا فرغتم من صلاة الخوف فاذكروا الله يعني بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وأثنوا على الله في جميع أحوالكم قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم فإن ما أنتم عليه من الخوف جدير بالمواظبة على ذكر الله عز وجل والتضرع إليه (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل أحيانه وقيل المراد بالذكر الصلاة يعني فصلوا لله قياماً يعني في حال الصحة وقعوداً في حال المرض وعلى جنوبكم يعني في حال الزمانة والجراح فإذا اطمأننتم يعني فإذا أمنتم وسكنت قلوبكم وأصل الطمأنينة سكون القلب فأقيموا الصلاة يعني أتموها بأركانها على هذا يكون المراد بالطمأنينة ترك السفر والمعنى فإذا صرتم

مقيمين

مقيمين في أوطانكم فأتموا الصلاة تامة أربعاً من غير قصر وقيل معناه فأقيموا الصلاة بإتمام ركوعها وسجودها فعلى هذا يكون المراد بالطمأنينة سكون القلب عن الاضطراب والأمن بعد الخوف إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً يعني فرضاً موقتاً والكتاب هنا بمعنى المكتوب يعني مكتوبة موقتة في أوقات محدودة فلا يجوز إخراجها عن أوقاتها على أي حال كان من خوف أو أمن وقيل معناه فرضاً واجباً مقدراً في الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتين ولا تهنوا في ابتغاء القوم سبب نزول هذه الآية أن أبا سفيان وأصحابه لما رجعوا يوم أحد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم فشكوا ألم الجراحات فقال الله تعالى ولا تهنوا يعني ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم يعني في طلب أبي سفيان وأصحابه ثم أورد عليهم الحجة في ذلك وألزمهم بها فقال تعالى إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون يعني أن حصول الألم قدر مشترك بينكم وبينهم وليس ما تكابدون من الوجع وألم الجراح مختصاً بكم بل هم كذلك فإذا لم يكن الألم مانعاً لهم عن قتالكم فكيف يكون مانعاً لكم عن قتالهم وكيف لا تصبرون مثل صبرهم مع أنكم أولى بالصبر منهم لأنكم مقرون بالحشر والنشور والثواب والعقاب والمشركون لا يقرون بذلك كله فأنتم أيها المؤمنون أولى بالجهاد منهم وقوله تعالى وترجون من الله ما لا يرجون يعني وتأملون من الله من الثواب في الآخرة ما لا يرجون وقيل ترجون النصر والظفر في الدنيا وإظهار دينكم على الأديان كلها وكان الله عليماً حكيماً يعني أنه تعالى لا يأمركم بشيء إلا وهو يعلم أنه مصلحة لكم قوله عز وجل إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق قال ابن عباس نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق من بني ظفر بن الحارث سرق درعاً من جار له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما أخذها وما له بها من علم فقال أصحاب الدرع لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق إلى منزل اليهودي فأخذوه منه فقال اليهودي دفعها إلي طعمة بن أبيرق زاد في الكشاف وشهد له جماعة من اليهود قال البغوي وجاء بنو ظفر قوم طعمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يجادل عن صاحبهم طعمة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاقب اليهودي وأن يقطع يده فأنزل الله هذه الآية إنا أنزلنا إليك يعني يا محمد الكتاب يعني القرآن بالحق يعني بالصدق وفيه الأمر والنهي والفصل لتحكم بين الناس بما أراك الله يعني بما علمك الله وأوحى إليك وإنما سمي العلم اليقيني رؤية لأنه جرى مجرى الرؤية في قوة الظهور روي عن عمر أنه قال لا يقولن أحدكم قضيت بما أراني الله فإن الله لم يجعل ذلك إلا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولكن ليجتهد رأيه لأن الرأي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيباً لأن الله تعالى كان يريه إياه وإن رأى أحدنا يكون ظناً ولا يكون علماً قال المحققون هذه الآية تدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يحكم إلا بالوحي الإلهي والنص المنزل عليه ولا تكن يعني يا محمد للخائنين خصيماً يعني ولا تكن لأجل الخائنين وهم قوم طعمة مخاصماً عنهم ومجادلاً عن طعمة مدافعاً عنه ومعيناً له واستغفر الله يعني مما هممت به من معاقبة اليهودي وقيل من جدالك عن طعمة إن الله كان غفوراً يعني لذنوب عباده يسترها عليهم ويغفرها لهم رحيماً يعني بعباده المؤمنين **فصل** وقد تمسك بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنب من الأنبياء وقالوا لو لم يقع من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب لما أمر بالاستغفار والجواب عما تمسكوا به من وجوه أحدها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل المنهي عنه في قوله ولا تكن للخائنين خصيماً ولم يخاصم عن طعمة لما سأله قومه أن يذب عنه وأن يلحق السرقة باليهودي فتوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتظر ما يأتيه من الوحي السماوي والأمر الإلهي فنزلت هذه الآية وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن طعمة كذاب وأن اليهودي بريء من السرقة وإنما مال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نصرة طعمة وهم بذلك بسبب أنه في الظاهر من المسلمين فأمره الله بالاستغفار لهذا القدر الوجه الثاني أن قوم طعمة لما شهدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة طعمة من السرقة ولم يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوجب القدح في شهادتهم هم بأن يقضي على اليهودي بالسرقة فلما أطلعه الله على كذب قوم طعمة عرف أنه

لو وقع ذلك لامر لكان خطا في نفس الامر فامره الله بالاستغفار منه وان كان معذورا الوجه الثالث يحتمل ان الله تعالى
امره بالاستغفار لذنب قد سبق قبل النبوة او ان يكون لذنوب امته الوجه الرابع ان درجة النبي صلى الله عليه وسلم
اعلى الدرجات ومنصبه اشرف المناصب فلعلو درجته وشرف منصبه وكمال معرفته بالله عز وجل فما يقع منه على وجه
التاويل او السهو او امر من امور الدنيا فانه ذنب بالنسبة الى منصبه صلى الله عليه وسلم كما قيل حسنات الابرار سيئات
المقربين وذلك بالنسبة الى عنان لهم ودرجاتهم والله اعلم قوله تعالى ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يعني ولا
تجادل يا محمد عن الذين يظلمون انفسهم بالخيانة وهم طعمة ومن عاونه وذب عنه من قومه وانما سماهم خائنين لان من اقدم
على ذنب فقد خان نفسه لانه اوقعها في العذاب وحرمها من الثواب ولهذا قيل لمن ظلم غيره انما ظلم نفسه وقيل المراد
كل من خان خيانة فلا تخاصم لخائن ولا تجادل عنه ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما يعني خوانا بسرقة الدرع اثيما برميه اليهودي
وهو بري وانما قال تعالى خوانا اثيما على المبالغة لان الله تعالى علم من طعمة الافراط في الخيانة وركوب المأثم ويدل على
ذلك انه لما نزل فيه القران لحق بمكة مرتدا عن دينه ثم عدا على الحجاج بن علاط فنقب عليه بيته فسقط عليه حجر من الحائط
فلما اصبحوا اخرجوه من مكة فلقي ركبا فعرض لهم وقال ابن سبيل ومنقطع بي فحملوه حتى اذا جن عليه الليل عدا عليهم
ثم انطلقوا فركبوا في طلبه فادركوه فرجموه بالحجارة حتى مات ومن كانت هذه حالته كان كثير الخيانة والاثم فكذلك
وصفه الله تعالى بالمبالغة في الخيانة والاثم قال بعضهم اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وروي
عن عمر انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه يا امير المؤمنين قال كذبت
ان الله لا يواخذ عبده في اول مرة قوله عز وجل يستخفون من الناس يعني يستترون حياء من الناس ويريد بذلك بني ظفر بن
الحارث وهم قوم طعمة بن ابيرق ولا يستخفون من الله يعني ولا يستترون من الله ولا يستحيون منه واصل الاستخفاء الاستتار
وانما فسر الاستخفاء بالاستحياء على المعنى لان الاستحياء من الناس يوجب الاستتار منهم وهو معهم يعني والله معهم
بالعلم والقدرة لا يخفى عليه شيء من حالهم لانه تعالى لا يخفى عليه خافية وكفى بذلك زجرا للانسان عن ارتكاب الذنوب
اذ يبيتون ما لا يرضى من القول يعني يضمرون ويقدرون ويزورون في اذهانهم واصل التبييت تدبير الفعل بالليل وذلك
ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع الامر الى النبي صلى الله عليه وسلم فانه يسمع قول طعمة ويقبل يمينه لانه مسلم ولا يسمع
قول اليهودي لانه كافر فلم يرض الله تعالى ذلك منهم فاطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على سرهم وما هموا به وكان الله بما يعملون
محيطا يعني انه تعالى لا يخفى عليه شيء من اسرار عباده وهو مطلع عليهم ومحيط بهم لا يخفى عليه خافية ها انتم هؤلاء ها للتنبيه
يعني يا هؤلاء الذين هو خطاب لقوم من المؤمنين كانوا يذبون عن طعمة وعن قومه جادلتم عنهم يعني خاصمتم عنهم بسبب انهم
كانوا يرونهم في الظاهر مسلمين واصل الجدال شدة الفتل لان كل واحد من الخصمين يريد ان يفتل صاحبه عما هو عليه
والمعنى هبوا انكم خاصمتم وجادلتم عن طعمة وقومه في الحياة الدنيا وقيل هو خطاب لقوم طعمة وفي قراءة ابن مسعود جادلتم
عنه والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة يعني اذا اخذه بعذابه فهو استفهام
بمعنى التوبيخ والتقريع ام من يكون عليهم وكيلا يعني محافظا ومحاميا عنهم من باس الله اذا نزل به قوله تعالى ومن يعمل
سوءا او يظلم نفسه نزلت هذه الاية في ترغيب طعمة في التوبة وعرضها عليه وقيل نزلت في قوم الذين جادلوا عنه وقيل
هي عامة في كل مسيء ومذنب لان خصوص السبب لا يمنع من اطلاق الحكم ومعنى الاية ومن يعمل سوءا يسوء به غيره كما
فعل طعمة بالسرقة من قتادة وانما خص ما يتعدى الى الغير باسم السوء لان ذلك يكون في الاكثر ايصالا للضرر الى الغير او
يظلم نفسه يعني فيما يختص به من الحلف الكاذب ونحو ذلك وقيل معناه ومن يعمل سوءا اي قبيحا او يظلم نفسه برميه
البري وقيل السوء كل ما يأثم به الانسان والظلم هو الشرك فما دونه ثم يستغفر الله يعني من ذنوبه يجد الله غفورا رحيما
ففي هذه الاية دليل على حكمين احدهما ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب الكبائر والصغائر لان قوله ومن يعمل سوء

او

او يظلم نفسه عم الكل والحكم الثاني ان ظاهر الاية يقتضي ان مجرد الاستغفار كاف وقال بعضهم انه مقيد بالتوبة
لانه لا ينفع الاستغفار مع الاصرار على الذنوب ومن يكسب اثما يعني ومن يعمل ذنبا يأثم به فانما يكسبه على نفسه
يعني انما يعود وبال كسبه عليه والكسب عبارة عما يفيد جر منفعة او دفع مضرة فكأنه تعالى يقول يا ايها الانسان
ان الذنب الذي ارتكبته انما عادت مضرته عليك فاني منزه عن الضرر والنفع فاذكر الاستغفار ولا تيأس من قبول
التوبة فاني لغفار لمن تاب وهذه الاية نزلت في طعمة وكان الله عليما يعني بسارق الدرع حكيما يعني اذ احكم عليه
بالقطع وقيل معناه عليما بما في قلب عبده عند اقدامه على التوبة حكيما تقتضي حكمته ان يتجاوز عن التائب ويغفر له
ويقبل توبته ومن يكسب خطيئة او اثما قيل ان الخطيئة هي الصغيرة من الذنوب والاثم هو الكبيرة وقيل الخطيئة هي الذنب
المختص بفاعله والاثم الذنب المتعدي الى الغير وقيل ان الخطيئة هي سرقة الدرع والاثم هو يمينه الكاذبة ثم يرم به
بريا يعني ثم يقذف بما جناه بريا منه وهو نسبته السرقة الى اليهودي ولم يسرق **فان قلت**
الخطيئة والاثم اثنان فكيف وحد الضمير في قوله ثم يرم به **قلت** معناه ثم يرم باحد هذين
المذكورين بريا وقيل معناه ثم يرم بهما فاكتفى باحدهما عن الاخر وقيل انه يعود الضمير الى الاثم وحده لانه اقرب مذكور
وقيل ان الضمير يعود الى الكسب ومعناه ثم يرم بما كسب بريا فقد احتمل بهتانا البهتان من البهت وهو الكذب الذي
يتحير في عظمه واثما مبينا يعني ذنبا بينا لانه بكسب الاثم اثم وبرميه البري باهت فقد جمع بين الامرين قوله
عز وجل ولولا فضل الله عليك ورحمته وهذه الاية متعلقة بقصة طعمة بن ابيرق وقومه حيث لبسوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم امر صاحبهم فقوله تعالى ولولا فضل الله عليك يعني يا محمد بالنبوة ورحمته يعني
بالعصمة وما اوحى اليك من الاطلاع على اسرارهم فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لهمت طائفة منهم يعني من
بني ظفر وقوم طعمة ان يضلوك يعني عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل وقيل يخطئوك في الحكم ويلبسوا عليك
الامر حتى تدفع عن طعمة وذلك لان قوم طعمة عرفوا انه سارق ثم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يدفع عنه وينزهه عن السرقة
ويرمي بها اليهودي وما يضلون الا انفسهم يعني انه وبال ذلك يرجع عليهم بسبب تعاونهم على الاثم وشهادتهم انه بريء فهم
لما اقدموا على ذلك رجع وباله عليهم وما يضرونك من شيء يعني وانهم وان سعوا في القائك في الباطل فانت ما وقعت فيه
لانك بنيت الامر على ظاهر الحال وما خطر ببالك ان الامر على خلاف ذلك وقيل معناه وما يضرونك من شيء في المستقبل
فوعده الله ادامة العصمة وانه لا يضره احد وانزل الله عليك الكتاب يعني القران والحكمة يعني القضاء يعني قضاء وجب بهما بناء
الحكم على الظاهر فكيف يضرونك بالقائك في الشبهات وعلمك ما لم تكن تعلم يعني من علم احكام الشرع وامور الدين وقيل
علمك من علم الغيب ما لم تكن تعلم وقيل معناه وعلمك من خفيات الامور واطلعك على ضمائر القلوب وعلمك احوال المنافقين
وكيدهم ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما يعني ولم يزل فضل الله عليك عظيما يا محمد فاشكر على ما اولاك من احسانه
ومن عليك من نبوته وعلمك ما انزل عليك من كتابه وحكمته وعصمك ممن حاول اضلالك فان الله هو الذي تولاك بفضله
وشملك باحسانه وكفاك غائلة من اراد بك سوءا ففي هذه الاية تنبيه من الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
على ما جاءه من الطافه وما شمله من فضله واحسانه ليقوم بواجب حقه قوله تعالى لا خير في كثير من نجواهم يعني
من نجوى قوم طعمة وقيل هي عامة في جميع ما يتناجى الناس به والنجوى هو السر في التدبير وقيل النجوى ما تفرد
بتدبيره قوم سرا كان ذلك او جهرا او ناجيته ساررته واصله ان تخلو في نجوة من الارض وقيل اصله من النجاة والمعنى
لا خير في كثير مما يدبرونه ويتناجون فيه الا من امر بصدقة يعني الا في نجوى من امر بصدقة وقيل معناه لا خير فيما
يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث الا فيما كان من اعمال الخير وقيل هو استثناء منقطع تقديره لكن
من امر بصدقة وحث عليها او معروف يعني او امر بطاعة الله وما يجيزه الشرع واعمال البر كلها معروف لان

لان المعروف نعرفها او اصلاح بين الناس يعني الاصلاح بين المتباينين والمتخاصمين ليتراجعا الى ما كانا فيه من الالفة والاجتماع
على ما اذن الله فيه وامر به عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بافضل من درجة الصيام
والصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين وان فساد ذات البين هي الحالقة اخرجه
الترمذي وابو داود وقال الترمذي ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هي الحالقة لا اقول تحلق
الشعر ولكن تحلق الدين خ عن سهل بن سعد ان اهل قبا اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فاخبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اذهبوا بنا نصلح بينهم ق عن ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ليس الكذاب الذي يصلح بين اثنين وقال بين الناس فيقول خيرا او ينمي خيرا زاد مسلم في رواية
له قالت ولم اسمعه يرخص في شي مما يقول الناس الا في ثلاث يعني الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل
زوجته وحديث المراة زوجها ومن يفعل ذلك يعني هذه الاشيا التي ذكر ابتغاء مرضات الله يعني طلب رضاه لان
الانسان اذا فعل ذلك خالصا لوجه الله نفعه وان فعلها ريا وسمعة لم ينفعه ذلك لقوله صلى الله عليه
وسلم انما الاعمال بالنيات الحديث فسوف نوتيه يعني في الاخرة اذا فعل ذلك ابتغاء مرضات الله اجرا عظيما
لا حد له لان الله سماه عظيما واذا كان كذلك فلا يعلم قدره الا الله عز وجل قوله عز وجل ومن يشاقق الرسول نزلت
في طعمة ايضا وذلك انه لما سرق وظهرت عليه السرقة خاف على نفسه القطع والفضيحة هرب الى مكة كافرا مرتدا
عن الدين فانزل الله عز وجل فيه ومن يشاقق الرسول يعني يخالفه في التوحيد والايمان واصل المشاقة
هو كون كل واحد منهما في شق غير الاخر من بعد ما تبين له الهدى اي وضح له التوحيد والحدود وظهر له صحة
الاسلام وذلك ان طعمة كان قد تبين له بما انزل فيه واظهر من سرقته ما يدل على صحة دين الاسلام وصدق
الرسول صلى الله عليه وسلم واظهر الشقاق ورجع عن الاسلام ويتبع غير سبيل المومنين يعني ويتبع غير
طريق المومنين وما هم عليه من الايمان ويتبع عبادة الاوثان نوله ما تولى اي نكله في الاخرة الى ما تولى في
الدنيا ونتركه وما اختار لنفسه ونصله جهنم يعني ونلزمه جهنم واصله من الصلا وهو لزوم النار وقت
الاستدفا وساءت مصيرا يعني وبئس المرجع الى النار روي ان الشافعي سيل عن اية من كتاب الله تدل على ان
الاجماع حجة فقرا القران ثلثماية مرة حتى استخرج هذه الاية قوله ومن يتبع غير سبيل المومنين وذلك لان
اتباع غير سبيل المومنين وهو مفارقة الجماعة حرام فوجب ان يكون اتباع سبيل المومنين ولزوم جماعتهم
واجبا وذلك لان الله تعالى الحق الوعيد بمن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المومنين فثبت بهذا
ان اجماع الامة حجة قوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به نزلت في طعمة بن ابيرق ايضا لكونه مات مشركا
وقال ابن عباس نزلت هذه الاية في شيخ من الاعراب جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله اني شيخ منهمك في الذنوب غير اني لم اشرك بالله منذ عرفته وامنت به ولم اتخذ من دونه وليا
ولم اوقع المعاصي جراة على الله عز وجل وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تايب مستغفر
فما حالي عند الله فانزل الله هذه الاية ان الله لا يغفر ان يشرك به فهذا نص صريح بان الشرك غير
مغفور اذا مات صاحبه عليه لانه قد ثبت ان المشرك اذا تاب من شركه وامن قبلت توبته وصح ايمانه وغفرت
ذنوبه كلها التي عملها في حال الشرك ويغفر ما دون ذلك يعني ما دون الشرك لمن يشا يعني لمن يشا من اهل التوحيد
قال العلما لما اخبر الله انه يغفر الشرك بالايمان والتوبة علمنا انه يغفر ما دون الشرك بالتوبة وهذه المسئلة فيمن لم
يتب من ذنوبه من اهل التوحيد فاذا مات صاحب الكبيرة او الصغيرة من غير توبة فهو على خطر المشية ان
شا غفر له وادخله الجنة بفضله ورحمته وان شا عذبه ثم يدخله الجنة بعد ذلك ومن يشرك بالله فقد ضل

ضلالا

ضلالا بعيدا يعني فقد ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير كله اذا مات على شركه **فان قلت**
لم كررت هذه الاية بلفظ واحد في موضعين من هذه السورة وما فايدة ذلك **قلت** فايدة
ذلك التاكيد او لان الاية المتقدمة نزلت في سبب ونزلت هذه الاية في سبب اخر وهو ان الاية المتقدمة
نزلت في سبب سرقة طعمة بن ابيرق ونزلت هذه الاية في سبب ارتداده وموته على الشرك قوله عز وجل ان يدعون
من دونه الا اناثا نزلت في اهل مكة يعني ما يعبدون من دون الله الا اناثا ثلاث كل من عبد شيا فقد دعاه لحاجته
وفي قوله اناثا اقوال احدها انهم كانوا يسمون اصنامهم باسما الاناث فيقولون اللات والعزى ومناة قال الحسن كانوا
يقولون لصنم كل قبيلة انثى بني فلان والقول الثاني اناثا يعني امواتا قال الحسن كل شي لا روح فيه كالحجر والخشبة
هي اناث قال الزجاج والموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن المونث تقول هذه الحجر تعجبني وهذه الدراهم تنفعني ولان الانثى
انزل درجة من الذكر والميت انزل درجة من الحي كما ان الموات ارذل الحيوانات فاطلقوا اسم الانثى على الجمادات والقول
الثالث ان بعضهم كان يعبد الملايكة ويقولون هم بنات الله وان يدعون اي وما يعبدون الا شيطانا مريدا قال ابن
عباس لكل صنم شيطان يدخل في جوفه ويترايا للسدنة والكهنة ويكلمهم فلذلك قال تعالى وان يدعون الا شيطانا
مريدا وقيل هو ابليس لانه هو اغواهم واغراهم على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو المتمرد
العاتي الخارج عن الطاعة لعنه الله اي ابعده الله وطرده عن رحمته وقال يعني ابليس لاتخذن من عبادك
نصيبا مفروضا يعني حظا مقدرا معلوما فكل ما اطيع فيه ابليس فهو نصيبه ومفروضه واصل الفرض القطع وهذا
النصيب هم الذين يتبعون خطواته ويقبلون وساوسه ولاضلنهم عن طريق الحق والمراد به التزيين والوسوسة
والا فليس له من الاضلال شي ولامنينهم قال ابن عباس يريد تسويف التوبة وتاخيرها وقال الكلبي امنيهم انه لا جنة ولا
نار ولا بعث وقيل امنيهم ادراك الجنة مع عمل المعاصي وقيل ازين لهم ركوب الاهوا والاهوال الداعية الى العصيان وقيل
امنيهم طول البقا في الدنيا ونعيمها ليوثروها على الاخرة ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام يعني يقطعونها ويشقونها
وهي البحيرة وذلك انهم كانوا يشقون اذان الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجا الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع
بها ولا يردونها عن ما ولا مرعى وسول لهم ابليس ان هذا قربة ولامرنهم فليغيرن خلق الله قال ابن عباس يعني
دين الله وتغيير دين الله هو تحليل الحرام وتحريم الحلال وقيل تغيير خلق الله هو تغيير الفطرة التي فطر الخلق عليها
ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه وقيل يحتمل ان يحمل
هذا التغيير على تغيير احوال تتعلق بظاهر الخلق مثل الوشم ووصل الشعر ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم
لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله اخرجاه من رواية ابن
مسعود ولهما عن اسما قالت لعن النبي صلى الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة وقيل تغيير خلق الله هو
الاخصا وقطع الاذان حتى حرم بعض العلما ذلك وكره انس اخصا الغنم وجوزه بعض العلما لان فيه غرضا
ظاهرا عن سعد بن ابي وقاص قال لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد على عثمان بن مظعون التبتل
ولو اذن لاختصينا التبتل هو ترك النكاح والانقطاع للعبادة عن نافع قال كان ابن عمر يكره الاخصا ويقول
ان فيه نما الخلق اخرجه مالك في الموطا ومعناه في ترك الاخصا نما الخلق يعني زيادتهم قال ابن زيد هو التخنث
وهو ان يتشبه الرجال بالنسا في حركاتهن وكلامهن ولباسهن ونحو ذلك وقيل تغيير خلق الله هو ان الله تعالى
خلق البهايم والانعام للركوب والاكل فحرموها على انفسهم وخلق الشمس والقمر والنجوم والنار والاحجار لمنفعة
الناس فعبدوها من دون الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله يعني يتخذه ربا يطيعه فيما يامره به وقيل
الولي من الموالاة وهو الناصر فقد خسر خسرانا مبينا لان طاعة الشيطان توصله الى نار جهنم وهو غاية الخسران

Copyright © King Saud University

بقي في الاية سوالان الاول قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا والنصيب المفروض هو الشي المقدر القليل وقال
في موضع اخر لاحتنكن ذريته الا قليلا وقال لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وهذا استثنا القليل من الكثير
فكيف وجه الجمع فالجواب ان الكفار الذين هم حزب الشيطان وان كانوا اكثر من المسلمين في العدد لكنهم اقل من المومنين في
الفضل والشرف وعلو الدرجة عند الله والمومنون وان كانوا اقل من الكفار لكنهم اكثر منهم لان لهم الفضل والشرف والسودد
والغلبة في الدنيا وعلو الدرجة في الاخرة وانشد بعضهم في هذا المعنى فقال • وهم الاقل اذا تعد عشيرة •
والاكثرون اذا يعد السودد • وقيل ان ابليس لم ينل من ادم ما اراد اوراى الجنة والنار وعلم ان لهذه اهلا فقال لاتخذن
من عبادك نصيبا مفروضا يعني الذين هم اهل النار السوال الثاني من اين لابليس العلم بالعواقب حتى يقول ولاضلنهم
ولامنينهم ولامرنهم وقال في الاعراف ولا تجد اكثرهم شاكرين وقال في بني اسرائيل لاحتنكن ذريته الا قليلا فالجواب
من ثلاثة اوجه احدها ان ابليس ظن انه يتبع منهم هذه الامور التي يريدها منهم فحصل له ما ظنه ويدل على ذلك قوله تعالى
ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الوجه الثاني قال ابن الانباري المعنى لاجتهدن ولاحرصن في ذلك لا انه
كان يعلم الغيب الوجه الثالث قال الماوردي من الجائز ان يكون قد علم ذلك من الملائكة بخبر من الله تعالى ان اكثر
الخلائق لا يومنون وقوله تعالى **يعدهم ويمنيهم** يعني الشيطان يعد حزبه واولياءه ويمنيهم فوعده وتمنيه
اياهم ما يوقع في قلب الانسان من طول العمر ونيل ما اراد من الدنيا ومن نعيمها ولذاتها وكل ذلك غرور وفتنة
على العاقل ان لا يلتفت الى شي منها فربما لم يطل عمره ولم يحصل له ما اراد منها ولئن طال عمره وحصل مقصوده
فالموت وراءه ينغص عليه ما هو فيه وقيل يعدهم ويمنيهم بان لا جنة ولا نار ولا بعث فاجتهدوا في تحصيل
اللذات الدنيوية **وما يعدهم الشيطان الا غرورا** يعني باطلا وضلالا **اولئك** يعني الذين اتخذوا الشيطان وليا **ماواهم
جهنم** يعني مرجعهم ومستقرهم جهنم **ولا يجدون عنها** يعني عن جهنم **محيصا** يعني مفرا ومعدلا يعني لا يعدلون
عنها الى غيرها ولابد لهم من ورودها والخلود فيها لما ذكر وعيد الكفار اتبعه بوعد المومنين فقال تعالى
والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار يعني من تحت المساكن والغرف **خالدين
فيها** يعني في الجنة **ابدا** يعني بلا انتهاء ولا غاية والابد عبارة عن مدة الزمان الممتد الذي لا انقطاع له ولا يتجزى
كما يتجزى غيره من الازمنة لانه لا يقال ابد كذا كما يقال زمن كذا وفي قوله خالدين فيها ابدا دليل على ان الخلود
لا يفيد التابيد والدوام لانه لو افاد ذلك لزم التكرار وهو خلاف الاصل فعلم بذلك ان الخلود عبارة عن
طول الزمان لا على الدوام فلما اتبع الخلود بالابد علم انه يراد به الدوام الذي لا ينقطع وقوله تعالى **وعد الله
حقا** يعني وعد الله ذلك الذي ذكر وعدا حقا **ومن اصدق من الله قيلا** يعني ليس احد اصدق من الله وهو توكيد
بليغ لقوله وعد الله حقا قوله تعالى **ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب** الامنية فعولة من التمنية والتمني تقدير
شي في النفس وتصويره فيها والامنية هي الصورة الحاصلة في النفس من تمني الشي اذا وقع في نفسه وارادته وفي
المخاطب بقوله ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب قولان احدهما انه خطاب للمسلمين واهل الكتاب اليهود
والنصارى وذلك انهم افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم وقال
المسلمون نبينا خاتم الانبيا وكتابنا يقضي على الكتب وقد امنا بكتابكم ولم تومنوا بكتابنا فنحن اولى بالله منكم
والقول الثاني انه خطاب لمشركي مكة في قولهم لا نبعث ولا نحاسب وخطاب لاهل الكتاب في قولهم لن تمسنا النار
الا اياما معدودة والمعنى ليس الامر بالاماني انما الامر بالعمل الصالح **من يعمل سوءا يجز به** قال الضحاك يقول ليس لكم ما
تمنيتم وليس لاهل الكتاب ما تمنوا ولكن من يعمل سوءا يعني شركا فانه يجزى به النار وقال الحسن هذا في حق الكفار
خاصة لانهم يجازون بالعقاب على الصغيرة والكبيرة ولا يجزى المومن بشي عمله يوم القيامة ولكن يجزى باحسن

عمله ويتجاوز

ويتجاوز عن سيئاته ويدل على صحة هذا القول سياق الاية وهو قوله **ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا** وهذا
هو الكافر فاما المومن فله ولي ونصير وقال الاخرون هذه الاية في حق كل من عمل سوءا يجزى به الا ان يتوب قبل
ان يموت فيتوب الله عليه وقال ابن عباس في رواية الوالبي عنه لما نزلت هذه الاية شقت على المسلمين
مشقة شديدة وقالوا يا رسول الله واينا من لم يعمل سوءا غيرك فكيف الجزا قال منه ما يكون في الدنيا فمن يعمل
حسنة فله عشر حسنات ومن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشرة وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلب
احاده اعشاره واما ما كان جزا في الاخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر في الفضل
فيعطي الجزا في الجنة فيوتي كل ذي فضل فضله ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابي هريرة قال لما نزلت
من يعمل سوءا يجز به بلغت من المسلمين مبلغا شديدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا ففي كل
ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها اخرجه مسلم وعن ابي بكر الصديق قال كنت عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر الا اقريك اية نزلت علي قلت بلى يا رسول الله قال فاقرانيها فلا اعلم الا
اني وجدت انقصاما في ظهري فتمطات لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شانك يا ابا بكر قلت
يا رسول الله بابي انت وامي واينا لم يعمل سوءا وانا لمجزيون بما عملنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انت
يا ابا بكر والمومنون فتجزون بذلك حتى تلقوا الله وليس لكم ذنوب واما الاخرون فيجتمع ذلك لهم حتى يجزوا
به يوم القيامة اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده مقال وقد روي هذا الحديث من غير
وجه عن ابي بكر وليس له اسناد صحيح وقوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا قال ابن عباس يريد وليا يمنعه
ولا نصيرا ينصره فان قلنا ان هذه الاية خاصة في حق الكفار فتاويلها ظاهر وان قلنا انها في حق كل عامل
سوء من مسلم وكافر فانه لا ولي لاحد من دون الله يوم القيامة ولا ناصر فالمومنون لا ولي لهم غير الله وشفاعة
الشافعين تكون باذن الله فليس يمنع احد احدا عن الله تعالى وقوله تعالى **ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى
وهو مومن** قال مسروق لما نزلت من يعمل سوءا يجز به قال اهل الكتاب نحن وانتم سوا فنزلت هذه الاية قال
المفسرون بين الله تعالى بهذه الاية فضيلة المومنين على غيرهم ولفظة من في قوله من الصالحات للتبعيض
لان احدا لا يقدر ان يعمل جميع الصالحات بالعمل فاذا عمل بعضها استحق الثواب **فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا**
النقير النقرة في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة قال ابن عباس يريد لا ينقصون قدر النواة وهذا على سبيل
المبالغة في نفي الظلم ووعد بتوفية جزا اعمالهم من غير نقصان قوله عز وجل **ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو
محسن** لما بين الله تعالى ان الجنة لمن عمل من الصالحات وهو مومن شرح الايمان وبين فضله فقال تعالى ومن
احسن دينا يعني ومن احكم دينا والدين هو المشتمل على كمال العبودية والخضوع والانقياد لله عز وجل
وهو الذي كان عليه ابراهيم صلى الله عليه وسلم واعلم ان دين الاسلام مبني على امرين احدهما الاعتقاد
واليه الاشارة بقوله اسلم وجهه لله يعني انقاد لله وخضع له في سره وعلانيته وقيل معناه اخلص طاعته
لله وقيل فوض امره الى الله الامر الثاني من مباني الاسلام العمل واليه الاشارة بقوله وهو محسن يعني وعمله لله
فيدخل فيه فعل الحسنات والمفروضات والطاعات وترك السيئات وقال ابن عباس في تفسير قوله وهو
محسن يريد وهو موحد لله عز وجل لا يشرك به شيئا قال العلما انما صار دين الاسلام احسن الاديان لان فيه
طاعة الله ورضاه وهما احسن الاعمال وانما خص الوجه بالذكر في قوله اسلم وجهه لله لانه اشرف الاعضا لانها
تابعة له **واتبع ملة ابراهيم** يعني دين ابراهيم عليه السلام **حنيفا** يعني مسلما مخلصا والحنيف المائل ومعناه

Copyright © King Saud University

المايل عن الاديان كلها الى دين الاسلام لان ما سواه من الاديان باطل وحنيفا ان يكون حالا لابراهيم ويجوز ان يكون
حالا للمتبع كما تقول رايته راكبا قال ابن عباس ومن دين ابراهيم عليه السلام الصلاة الى الكعبة والطواف ومناسك
الحج والختان ونحو ذلك **فان قلت** ان ظاهر هذه الاية يقتضي ان شرع محمد صلى الله عليه وسلم
هو نفس شرع ابراهيم عليه السلام وعلى هذا لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم شرع يستقل به وليس الامر كذلك فما الجواب
قلت ان شرع ابراهيم وملته داخلان في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته مع زيادات كثيرة حسنة
خص الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم فمن اتبع ملة محمد صلى الله عليه وسلم فقد اتبع ملة ابراهيم لانها داخلة في ملة
محمد صلى الله عليه وسلم وشرع ابراهيم داخل في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وانما قال تعالى واتبع ملة ابراهيم لان
ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان يدعو الى توحيد الله وعبادته ولهذا خصه بالذكر لانه كان مقبولا عند جميع
الامم فان العرب كانوا يفتخرون بالانتساب اليه وكذلك اليهود والنصارى فاذا ثبت هذا وان شرعه كان مقبولا
عند الامم وان شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته هو شرع ابراهيم وملته لزم الخلق الدخول في دين محمد صلى
الله عليه وسلم وقبول شرعه وملته وقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا يعني صفيا والخلة صفاء المودة وقيل
الخلة الافتقار والانقطاع فخليل الله المنقطع اليه وسمي ابراهيم خليلا لانه انقطع الى الله في كل حال وقيل الخلة
الاختصاص والاصطفاء وسمي ابراهيم خليلا لانه والى في الله وعادى في الله وقيل لانه تخلق باخلاق حسنة وخلال
كريمة وقيل الخليل المحب الذي ليس في محبته خلل وسمي ابراهيم خليل الله لانه احبه محبة كاملة ليس فيها نقص
ولا خلل وانشد في معنى الخلة التي هي بمعنى المحبة • قد تخللت في مسلك الروح مني • وبذا سمي الخليل خليلا •
وقيل الخليل من الخلة بفتح الخاء وهي الحاجة سميت خلة للاختلال الذي يلحق الانسان فيها وسمي ابراهيم خليلا
لانه جعل فقره وفاقته وحاجته الى الله تعالى وخلة الله للعبد هي تمكينه من طاعته وعصمته وتوفيقه وستر خلاله
ونصره والثناء عليه فقد اثنى الله عز وجل على ابراهيم عليه السلام وجعله اماما للناس يقتدى به واختلفوا في السبب
الذي من اجله اتخذ الله ابراهيم خليلا فقال ابن عباس كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم ابا الضيفان وكان منزله على
ظهر الطريق يضيف من مر به من الناس واصاب الناس شدة قحط فقصد الناس باب ابراهيم يطلبون منه الطعام
وكانت الميرة تاتيه من صديق له بمصر فبعث ابراهيم غلمانه الى خليله الذي بمصر فقال خليله لغلمانه لو ان ابراهيم
لوكان ابراهيم انما يريد الطعام لنفسه احتملنا ذلك له وقد دخل علينا مثل ما دخل على الناس فرجع غلمان ابراهيم
بغير طعام فمروا ببطحاء من الرمل سهلة فقالوا لو حملنا من هذه البطحاء ليرى الناس انا قد جئنا بالميرة فانا نستحي ان
نمر بهم وابلنا فارغة فملؤوا من ذلك الرمل الغراير التي معهم ثم اتوا الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فاعلموه وسارة نايمة
فاهتم لذلك ولمكان الناس بباب فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت
سبحان الله ما جاء الغلمان قالوا بلى قالت فما جاؤوا بشيء قالوا نعم فقامت الى الغراير ففتحتها فاذا هي ملأى باجود دقيق
يكون حوارى فامرت الخبازين فخبزوا واطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من اين
لكم هذا فقالت من عند خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي الله قال فيومئذ اتخذه الله خليلا وقيل لما اراه
ملكوت السموات والارض وحاج قومه في الله ودعاهم الى توحيده ومنعهم من عبادة النجوم والشمس والقمر والاوثان
وبذل نفسه للالقاء في النيران وبذل ولده للقربان وماله للضيفان اتخذه الله خليلا وجعله اماما للناس يقتدى
به وجعل النبوة فيه وفي ذريته وقيل ان ابراهيم عليه السلام لما كسر الاصنام وعادى قومه في الله عز وجل اتخذه الله
خليلا وقيل لما دخل عليه الملائكة فظنهم ضيفا فقرب اليهم عجلا مشويا وقال كلوا على شرط ان تسموا الله في اوله وتحمدوه
في اخره فقال جبريل انت خليل الله فمن يومئذ سمي ابراهيم خليل الله عن انس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم

فقال

فقال يا خير البرية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك ابراهيم خليل الله **فصل** وقد اتخذ الله محمدا
صلى الله عليه وسلم خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فقد ثبت في الصحيحين عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه
وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا
خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكنه اخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا اخرجه مسلم فقد ثبت بهذين الحديثين
الخلة للنبي صلى الله عليه وسلم وزاد على ابراهيم عليه السلام بالمحبة فمحمد صلى الله عليه وسلم خليل الله وحبيبه فقد
جاء في حديث عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا وانا حبيب الله ولا فخر اخرجه الترمذي باطول من هذا قوله تعالى
ولله ما في السموات وما في الارض قال اهل المعاني لما دعا الله الخلق الى طاعته وعبادته والانقياد لامره بين سعة ملكه
ليرغب الخلق اليه بالطاعة لمعبوده انما قال ما في السموات وما في الارض ولم يقل من لانه ذهب به مذهب الجنس والذي يعقل
اذا ذكر وارید به الجنس ذكر بلفظة ما وكان الله بكل شيء محيطا يعني عالما علم احاطة وهو العلم بالشيء من كل وجه حتى لا يشذ
عنه نوع الاعلمه وقيل يجوز ان يكون معناه محيطا بالقدرة عليه قوله عز وجل ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم
فيهن الاية قال ابن عباس نزلت في بنات ام كجة وقد تقدمت قصتهن في اول السورة وقالت عايشة هي
اليتيمة تكون في حجر الرجل وهو وليها فيرغب في نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال باقل من سنة صداقها واذا كانت
غير مرغوب فيها لقلة الجمال والمال تركها وفي رواية قالت هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وقد شركته في ماله فيرغب
عنها فلا يتزوجها لدمامتها ويكره ان يزوجها غيره فيدخل عليه ويشركه في ماله فيحبسها حتى تموت فيرثها فنهاهم الله عن
ذلك وانزل هذه الاية ويستفتونك يعني ويستخبرونك يا محمد في شان النساء وحالهن والاستفتاء طلب الفتوى
وهو اظهار ما اشكل من الاحكام الشرعية وكشفه وتبيينه قال المفسرون والذي استفتوه هو ميراث النساء وذلك
انهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار من الاولاد فلما نزلت اية الميراث قالوا يا رسول الله كيف ترث المراة والصغير
فجاءهم بهذه الاية قل الله يفتيكم فيهن يعني قل يا محمد قل الله يفتيكم في شان النساء وحالهن وما يتلى عليكم
في الكتاب يعني يفتيكم فيما يتلى عليكم والمعنى ان الله يفتيكم في النساء ما نزل في كتابه عليكم وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ
والغرض منه تعظيم حال هذه الاية التي تتلى عليكم وانها في اللوح المحفوظ وان العدل والانصاف في حقوق اليتامى من
اعظم الامور عند الله تعالى التي يجب مراعاتها وان المخل بها ظالم في يتامى النساء قيل معناه في النساء اليتامى وقيل في اليتامى
اولاد النساء لان الاية نزلت في يتاماهم كجة اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن يعني ما فرض لهن من الميراث وهذا على قول من
يقول ان الاية نازلة في ميراث اليتامى والصغار وعلى القول الاخر معناه ما كتب لهن من الصداق وترغبون
ان تنكحوهن يعني وترغبون في نكاحهن لمالهن وجمالهن باقل من صداقهن وقيل معناه وترغبون في نكاحهن
لقبحهن ودمامتهن وتمسكوهن رغبة في اموالهن عن عايشة قالت هذه اليتيمة تكون في حجر وليها
فيرغب في جمالها ومالها ويريد ان ينقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا
بنكاح من سواهن قالت عايشة رضي الله عنها فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل
الله عز وجل ويستفتونك في النساء الى قوله وترغبون ان تنكحوهن فبين لهم ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال
رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها في كمال الصداق واذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا
غيرها قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها ويعطوها حقها
الاوفى من الصداق وقوله تعالى والمستضعفين من الولدان يعني ويفتيكم في المستضعفين من الولدان وهم الصغار
ان تعطوهم حقوقهم لان العرب في الجاهلية كانوا لا يورثون الصغار ايضا فنهاهم الله عن ذلك وامرهم ان يعطوهم
حقهم من الميراث وان تقوموا لليتامى بالقسط يعني بالعدل في مهورهن ومواريثهن وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما

Copyright King Saud University

عليهما يعني فيجازيكم عليه قوله تعالى وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا عن عائشة في قوله تعالى وان امراة خافت
من بعلها نشوزا او اعراضا قالت نزلت في المراة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد طلاقها ويتزوج غيرها فتقول
له امسكني لا تطلقني ثم تزوج غيري وانت في حل من النفقة علي والقسمة لي قالت فذلك قوله تعالى فلا جناح
عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير وقيل نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة ويقال اسمها خولة وفي زوجها
سعد بن الربيع ويقال له رافع بن خديج تزوجها وهي شابة فلما كبرت تزوج عليها امراة اخرى شابة واثرها
عليها وجفى الاولى فاتت ابنة محمد بن مسلمة تشكو زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية
وقيل كان رجل له امراة قد كبرت وله منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني على
اولادي واقسم لي كل شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي فاتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فانزل الله هذه الاية وان امراة خافت يعني علمت وقيل ظنت وقيل بل
المراد نفس الخوف لان الخوف لا يحصل الا عند ظهور الامارات الدالة على وقوعه من بعلها يعني من زوجها
والبعل هو السيد وقيل للزوج سمي الزوج بعلا لانه سيد المراة نشوزا يعني بغضا وقيل هو ترك مضاجعتها
واصل من النشز وهو الرفع من الارض والنشوز قد يكون من الزوجين وهو ان يكره كل واحد منهما صاحبه
فنشوز الزوج هو ان يعرض عن المراة وهو قوله تعالى او اعراضا يعني بوجهه عنها او بعبس في وجهها او يترك
مضاجعتها او يسيء عشرتها او يشتغل بغيرها فلا جناح عليهما يعني فلا حرج ولا اثم على الزوج والمراة ان
يصالحا من المصالحة وقرئ ان يصلحا بضم الياء وكسر اللام من الاصلاح بينهما صلحا يعني في القسمة والنفقة
وهو ان يقول الزوج للمراة انك قد كبرت ودخلت في السن وانا اريد ان اتزوج امراة جميلة شابة او اوثرها
عليك في القسمة ليلا ونهارا فان رضيت فاقيمي وان كرهت ذلك فارقتك وخليت سبيلك فان رضيت
بذلك كانت هي المحسنة ولا تجبر على ذلك وان لم ترض بدون حقها كان على الزوج ان يوفيها حقها من القسم
والنفقة او يسرحها باحسان وان امسكها ووفاها حقها مع الكراهة لها كان هو المحسن قال ابن عباس فان
صالحته على بعض حقها من القسمة والنفقة جاز وان انكرت ذلك بعد الصلح كان ذلك لها ولها حقها والصلح
خير يعني اقامتها بعد تخييره اياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسم والنفقة خير من الفرقة عن ابن
عباس قال خشيت سودة ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا تطلقني وامسكني واجعل
يومي لعائشة ففعل فنزلت فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لعائشة يومين
يومها ويوم سودة واحضرت الانفس الشح الشح اقبح البخل وحقيقته الحرص على منع الخير وانما قال واحضرت الانفس
لانه كالامر الملازم للنفوس لانها مطبوعة عليه ومعنى الاية ان كل واحد من الزوجين يشح بنصيبه من الاخر
فالمراة تشح على مكانها من زوجها والرجل يشح عليها بنفسه اذا كان غيرها احب اليه منها وان تحسنوا وتتقوا هذا خطاب
للازواج يعني وان تحسنوا ايها الازواج الصحبة والعشرة وتتقوا الله في حق المراة فانها امانة عندكم وقيل
معناه وان تحسنوا بالاقامة معها على الكراهة وتتقوا ظلمها والجور عليها فان الله كان بما تعملون خبيرا يعني
فيجازيكم باعمالكم قوله عز وجل ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء يعني ولن تقدروا ان تسووا بين النساء في الحب
وميل القلب لان ذلك مما لا تقدرون عليه وليس من كسبكم ولو حرصتم يعني على العدل والتسوية بينهن
وقيل معناه ولو حرصتم على ذلك فلا تميلوا كل الميل يعني الى التي تحبونها في القسم والنفقة والمعنى انكم لستم
منتهين عن حصول التفاوت في الميل القلبي لان ذلك خارج عن قدرتكم ووسعكم ولكنكم منهيون عن اظهار ذلك

الميل

الميل في القول والفعل عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت له امراتان فلم يعدل بينهما
جاء يوم القيامة وشقه ساقط اخرجه الترمذي وعند ابي داود من كانت له امراتان فمال الى احدهما جاء يوم القيامة
وشقه مائل عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل ويقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا
تلمني فيما تملك ولا املك يعني القلب اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وقوله تعالى فتذروها كالمعلقة يعني
فتدعوا الاخرى التي لا تميلون اليها كالمعطلة لا ايما ولا ذات بعل كالشيء المعلق لا هو في السماء ولا على الارض وقيل
معناه فتذروها كالمسجونة لا هي مخلصة فتتزوج ولا هي ذات بعل يحسن اليها وان تصلحوا يعني بالعدل في القسم
وتتقوا يعني الجور في القسم فان الله كان غفورا يعني لما حصل من الميل الى بعضهن دون بعض رحيما يعني بكم حيث
لم يكلفكم ما لا تقدرون عليه وان يتفرقا يعني ان لم يصطلحا واراد الفرقة يغن الله كلا من سعته يعني من فضله ورزقه
والمعنى يغني الزوج بامراة اخرى والمطلقة والمراة بزوج اخر وقيل معناه يعوض الزوج من يحب والمراة بما تحب ويوسع
عليهما وفي هذه الاية تسلية لكل واحد من الزوجين بعد الطلاق وكان الله واسعا يعني واسع الفضل والرحمة وقيل
هو الواسع القدرة والعلم والرزق وقيل هو الغني الذي وسع جميع مخلوقاته غناه حكيما يعني فيما امر ونهى عنه

فصل فيما يتعلق بحكم الاية وجملته ان الرجل اذا كان تحته امراتان واكثر يجب عليه التسوية بينهن
في القسم فان ترك التسوية بينهن في فعل القسم عصى الله عز وجل في ذلك وعليه القضاء للمظلومة والتسوية
شرط في البيتوتة اما في الجماع فلا لان ذلك يدور على النشاط وميل القلب وليس ذلك اليه ولو كان في نكاحه حرة وامة
قسم للحرة ليلتين وللامة ليلة واحدة واذا تزوج جديدة على قديمات كن عنده فانه يخص الجديدة بان يبيت
عندها سبع ليال ان كانت الجديدة بكرا وان كانت ثيبا خصها بثلاث ليال ثم انه يبتدئ بعد القسم
ويسوي بينهن ولا يجب عليه قضاء عوض هذه الليالي للقديمات ويدل على ذلك ما روى ابو قلابة
عن انس قال من السنة اذا تزوج البكر على الثيب اقام عندها سبعا وقسم واذا تزوج الثيب اقام عندها
ثلاثا وقسم قال ابو قلابة ولو شئت لقلت ان انسا رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين
واذا سافر الرجل لسفر حاجة جاز له ان يحمل معه بعض نسائه بشرط ان يقرع بينهن ولا يجب عليه ان يقضي للباقيات
عوض مدة سفره وان طالت اذا لم يزد مقامه في البلد على مدة المسافرين ويدل على ذلك ما روي عن عائشة قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه اخرجه
البخاري مع زيادة فيه واذا اراد الرجل سفر نقلة وجب عليه ان ينقل نساءه معه قوله تعالى ولله ما في السموات
وما في الارض يعني عبيدا وملكا قال اهل المعاني لما ذكر الله تعالى انه يغني كلا من سعته وفضله اشار الى ما يوجب
الرغبة اليه في طلب الخير منه لان من ملك السموات والارض لا تنفد خزائنه ولقد وصينا الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم يعني من اليهود والنصارى واصحاب الكتب القديمة واياكم يعني ووصيناكم يا اهل
القرآن في كتابكم ان اتقوا الله اي بان تتقوا الله وهو ان يوحدوه ويطيعوه ويحذروه ولا يخالفوا امره
والمعنى ان الامر بتقوى الله شريعة قديمة اوصى بها جميع الامم السالفة فيكم وان تكفروا يعني وان تجحدوا
ما اوصاكم به فان لله ما في السموات وما في الارض يعني فان لله ملائكة في السموات والارض هم اطوع له منكم وقيل
معناه ان الله تعالى خالق السموات والارض وما فيهن ومالككم والمنعم عليكم باصناف النعم ومن كان كذلك
فحق لكل احد ان يتقيه ويرجوه وكان الله غنيا يعني عن جميع خلقه غير محتاج اليهم ولا الى طاعتهم حميدا
يعني محمودا على نعمه عليهم ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا قال ابن عباس يعني شهيدا على ان له فيهن
عبيد وقيل معناه وكفى بالله دافعا ومجيرا **فان قلت** ما الفائدة في تكرير قوله تعالى

ولله ما في السموات وما في الارض **قلت** الفايدة في ذلك ان لكل اية معنى تختص به اما الاية الاولى
فمعناها فان لله ما في السموات وما في الارض وهو يوصيكم بتقوى الله فاقبلوا وصيته وقيل لما قال تعالى
وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته بين ان له ما في السموات وما في الارض والمراد انه تعالى منزه عن طاعات
الطايعين وعن ذنوب المذنبين وانه لا يزداد جلاله بالطاعات ولا ينقص بالمعاصي وقيل لما بين ان له ما في
السموات وما في الارض وقال بعد ذلك وكان الله غنيا حميدا اي المراد منه انه تعالى هو الغني وله الملك فاطلبوا
منه ما تطلبون فهو يعطيكم لان له ما في السموات وما في الارض واما الثالثة فقال تعالى ولله ما في
السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا اي فتوكلوا عليه ولا تتوكلوا على غيره فانه المالك لما في السموات والارض
وقيل تكريرها تقرير لما هو موجب تقواه لتتقوه وتطيعوه ولا تعصوه لان التقوى والخشية اصل كل خير
قوله عز وجل **ان يشا يذهبكم ايها الناس** قال ابن عباس يريد المشركين والمنافقين **ويات باخرين** يعني بغيركم هم خير منكم
واطوع له ففيه تهديد للكفار والمعنى انه يهلككم ايها الكفار كما اهلك من كان قبلكم اذ كفروا به وكذبوا رسله
وكان الله على ذلك قديرا يعني وكان الله على ذلك الاهلاك واعادة غيركم قادرا بليغا في القدرة لا يمتنع عليه
شي اراده لم يزل ولا يزال موصوفا بالقدرة على جميع الاشيا قوله تعالى **من كان يريد ثواب الدنيا** يعني من كان
يريد بعمله عرضا من الدنيا نزلت في مشركي العرب وذلك انهم كانوا يقرون بان الله تعالى خالقهم ولا يقرون
بالبعث يوم القيامة فكانوا يتقربون الى الله ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها وقيل نزلت في
المنافقين لانهم كانوا لا يصدقون بيوم القيامة وانما كانوا يطلبون بجهادهم مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم عاجل الدنيا وهو ما ينالونه من الغنيمة **فعند الله ثواب الدنيا والاخرة** يعني ان الذين يطلبون
باعمالهم وجهادهم ثواب الدنيا وما ينالونه من الغنيمة مخطئون في قصدهم لان الله عنده ثواب الدنيا
وثواب الاخرة فلو كانوا عقلا لطلبوا ثواب الاخرة حتى يحصل لهم ذلك ويحصل لهم ثواب الدنيا على سبيل
التبعية والمعنى ان من اراد بعمله الدنيا اتاه الله منها ما اراد وصرف عنه من شرها ما اراد وليس له ثواب في الاخرة
يجزى به ومن اراد بعمله ثواب وجه الله وثواب الاخرة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة يوتيه من الدنيا ما قدر له
ويجزيه في الاخرة خير الجزا **وكان الله سميعا** لاقوالهم وما يسرونه من طلب ثواب الدنيا **بصيرا** يعني بنياتهم وما في
نفوسهم وقيل بصيرا بمن يطلب الدنيا بعمله وبمن يطلب الاخرة بعمله قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين
بالقسط شهدا لله** قال السدي ان فقيرا وغنيا اختصما الى النبي صلى الله عليه وسلم فكان صغوه مع الفقير
يرى ان الفقير لا يظلم الغني فانزل الله هذه الاية وامر بالقيام بالقسط مع الغني والفقير وقيل ان هذه الاية
متعلقة بقصة طعمة بن ابيرق في خطاب لقومه الذين جادلوا عنه وشهدوا له بالباطل فامرهم الله تعالى ان
يكونوا قايمين شاهدين بالقسط لله على كل حال ولو على انفسهم واقاربهم فقال تعالى كونوا قوامين بالقسط
القوام مبالغة في القيام بالعدل في الشهادات على من كانت شهدا لله اي اقيموا شهاداتكم لوجه الله كما امركم فيها فتقول
الحق في شهادته **ولو على انفسكم** يعني ولو كانت الشهادة على انفسكم امر الله العبد ان يشهد على نفسه بالحق وهو ان
يقر على نفسه وذلك الاقرار يسمى شهادة في كونه موجبا للحق عليه **او الوالدين والاقربين** يعني ولو كانت الشهادة
على الوالدين والاقربين من ذوي رحمه واقاربه والمعنى قولوا الحق ولو على انفسكم او على الوالدين او على الاقارب
فاقيموا الشهادة عليهم لله تعالى ولا تحابوا غنيا لغناه ولا ترحموا فقيرا لفقره فذلك قوله تعالى **ان يكن** يعني
المشهود عليه **غنيا او فقيرا فالله اولى بهما** يعني منكم والمعنى كلوا امرهم الى الله تعالى فهو اعلم بهم وبحالهم وانما
قال بهما على التثنية لانه رد الضمير الى المعنى دون اللفظ يعني فالله اولى بالغني والفقير **فلا تتبعوا الهوى ان**

بلغ

تعدلوا

تعدلوا يعني فلا تتبعوا اهوا انفسكم في ان تعدلوا عن الحق في ادا الشهادة وقيل معناه اتركوا متابعة الهوى حتى تصيروا موصوفين
بصفة العدل لان العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى **وان تلووا** قري بواوين معناه ان يلوي الشاهد لسانه
الى غير الحق قال ابن عباس يلوي لسانه بغير الحق ولا يقيم الشهادة على وجهها **او تعرضوا** يعني او يعرض الشاهد عن الشهادة
فيكتمها ولا يقيمها يقال لويته حقه اذا دفعته عنه ومطلته به وقيل معناه وان تلووا عن القيام باداء الشهادة
او تعرضوا عنها فتتركوها وقيل معناه التحريف والتبديل في الشهادة من قولهم لويت الشي اذا قلبته وقيل هو خطاب
مع الحكام يقول وان تلووا يعني تميلوا مع احد الخصمين دون الاخر او تعرضوا عنه بالكلية وقري تلوا بواو واحدة
من الولاية فهو خطاب للحكام ايضا ومعناه فلا تلوا امور المسلمين وتضيعوهم او تعرضوا عنهم **فان الله كان بما تعملون
خبيرا** يعني انه تعالى يجازي المحسن باحسانه والمسي باساته فيجازيكم باعمالكم قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا امنوا
بالله ورسوله** قال ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن اخت
عبد الله بن سلام وسلمة ابن اخيه ويامين بن يامين فهولا مومنوا اهل الكتاب اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا انا نومن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سوى ذلك من الكتب والرسل فقال لهم النبي
صلى الله عليه وسلم بل امنوا بالله وبرسوله محمد والقران وبكل كتاب كان قبله فانزل الله هذه الاية يا ايها الذين
امنوا يعني بمحمد والقران وبموسى والتوراة امنوا بالله ورسوله اسم جنس يعني امنوا بجميع رسله وقيل هو خطاب لاهل
الكتابين جميعا والمعنى يا ايها الذين امنوا بموسى والتوراة وبعيسى والانجيل امنوا بمحمد والقران وقيل هو خطاب
للمنافقين والمعنى يا ايها الذين امنوا بالسنتهم ولم تومن قلوبهم امنوا بقلوبكم حتى ينفعكم الايمان لان الايمان
باللسان لا ينفع من غير مواطاة القلب وقيل هو خطاب للمومنين والمعنى يا ايها الذين امنوا في الماضي والحال
امنوا في المستقبل ودوموا واثبتوا على الايمان **والكتاب الذي نزل على رسوله** يعني القران **والكتاب الذي انزل من قبل** يعني
وامنوا بالقران وبجميع الكتب التي انزلها على انبيايه قبل القران فيكون الكتاب اسم جنس لجميع الكتب **ومن
يكفر بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا** قوله عز وجل **ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا
ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا** لمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس نزلت في اليهود امنوا بموسى ثم كفروا بعبادتهم العجل
ثم امنوا بعد ذلك ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران وقيل انهم امنوا
بموسى ثم كفروا بعده ثم امنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في المنافقين
وذلك انهم امنوا ثم كفروا بعد الايمان ثم امنوا يعني بالسنتهم ومواطاتهم الايمان لتجري عليهم احكام المومنين
ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم على كفرهم وذلك لان تكرر الكفر وقبل ذنوب احدثوها في الكفر وقيل هم قوم امنوا ثم ارتدوا
الى الكفر ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم عليه وذلك لان من تكرر منه الايمان بعد الكفر والكفر بعد الايمان مرات كثيرة يدل على
انه لا وقع للايمان في قلبه ومن كان كذلك لا يكون مومنا بالله ايمانا صحيحا وازديادهم الكفر هو استمرارهم وثباتهم
بالايمان ومثل هذا المتلاعب بالدين هل تقبل توبته ام لا حكي عن علي بن ابي طالب انه قال لا تقبل توبته بل يقتل
وذهب اكثر اهل العلم الى ان توبته مقبولة قوله تعالى **لم يكن الله ليغفر لهم** يعني ما اقاموا عليه الكفر وماتوا عليه وذلك
لان الله تعالى اخبر انه يغفر الكفر اذا تاب منه بقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف يعني من كفرهم
ولا ليهديهم سبيلا يعني طريق هدى وقيل لا يجعلهم بكفرهم مهتدين قوله تعالى **بشر المنافقين بان لهم عذابا
اليما** يعني اخبرهم يا محمد وانما وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم وقيل البشارة كل خبر يتغير به بشرة الوجه سار كان ذلك
الخبر او غير سار وقيل معناه اجعل موضع بشارتك لهم العذاب لان العرب تقول تحيتك الضرب اي هذا بدل من
تحيتك قال الشاعر ● وخيل قد دلفت لها بخيل ● تحية بينهم ضرب وجيع ● ثم وصف الله تعالى المنافقين فقال

Copyright © King Saud University

تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المومنين يعني يتخذون اليهود اولياء وانصارا او بطانة من دون المومنين
وتلك كانت صفة المنافقين كانوا يقولون ان محمدا لا يتم امره فتولوا اليهود فقال الله تعالى ردا على المنافقين ايبتغون عندهم
العزة يعني يطلبون من عند اليهود القوة والمعرفة والظهور على محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه فان العزة لله جميعا
يعني فان القوة والقدرة والغلبة لله جميعا وهو الذي يعز اولياءه واهل طاعته كما قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله
وللمومنين وقد نزل عليكم يعني يا معشر المسلمين في الكتاب يعني القران ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزا بها
قال المفسرون الذي انزل عليهم في النهي عن مجالستهم هو قوله تعالى في سورة الانعام واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا
فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وهذا نزل بمكة لان المشركين كانوا يخوضون في القران ويستهزون به في مجالستهم
ثم ان احبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين وكان المنافقون يجلسون اليهم ويخوضون معهم في
الاستهزا بالقران فنهى الله المومنين عن القعود معهم بقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره يعني حتى ياخذوا في
حديث اخر غير الاستهزا بالقران وبمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس دخل في هذه الاية كل محدث في الدين
وكل مبتدع الى يوم القيامة انكم اذا مثلهم يعني انكم يا ايها الجالسون مع المستهزئين بايات الله ورضيتم بذلك
فانتم وهم في الكفر سوا قال العلما وهذا يدل على ان من رضي بالكفر فهو كافر ومن رضي بمنكر او خالط اهله كان في الاثم بمنزلتهم
اذا رضي به وان لم يباشره فان جلس اليهم ولم يرض بفعلهم بل كان ساخطا له وانما جلس على سبيل التقية والخوف
فالامر فيه اهون من المجالسة مع الرضى وان جلس مع صاحب بدعة او منكر ولم يخض في بدعته ومنكره فيجوز الجلوس معه مع
الكراهة وقيل لا يجوز بحال والاول اصح ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا اي انهم اجتمعوا في الدنيا
على الاستهزا بايات الله وكذلك يجمعهم في عذاب جهنم يوم القيامة قوله عز وجل الذين يتربصون بكم نزلت في المنافقين
والمعنى ينتظرون ما يحدث بكم من خير او شر فان كان لكم فتح من الله اي ظفر على عدو وغنيمة تنالونها منهم
قالوا يعني المنافقين لكم الم نكن معكم على دينكم وفي الجهاد كنا معكم فاجعلوا لنا نصيبا من الغنيمة وان كان للكافرين
نصيب اي دولة وظهور على المسلمين قالوا يعني المنافقين للكفار الم نستحوذ عليكم الاستحواذ هو الاستيلاء والغلبة
يقال استحوذ على فلان اي غلب عليه والمعنى الم نغلبكم ونتمكن منكم ومن قتالكم واسركم ثم لم نفعل ذلك وقيل معناه
الم نغلبكم على رايكم ونمنعكم من المومنين يعني من صلاتهم والدخول في دينهم وقيل معناه الم ندفع عنكم المومنين
بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا اياكم باخبارهم واسرارهم فهاتوا نصيبا مما اصبتم منهم ومراد المنافقين اظهار المنة على
الكفار **فان قلت** لم سمى ظفر المومنين فتحا وسمى ظفر الكافرين نصيبا **قلت**
تعظيما لشان المومنين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المومنين امر عظيم تفتح له ابواب السما حتى ينزل النصر على
المسلمين واما ظفر الكفار فما هو الا حظ دني ونصيب خسيس لا يبقى منه الا ما نالوه في الدنيا ولهم في الاخرة
العقوبة الشديدة على ذلك النصيب الذي نالوه من المسلمين فالله يحكم بينكم يوم القيامة يعني الفريقين فريق المومنين
وفريق المنافقين والمعنى انما وقف السيف عن المنافقين في الدنيا لاجل كرامتهم بل اخر عذابهم الى يوم القيامة
ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا وفيه قولان احدهما وهو قول علي بن ابي طالب وابن عباس ان المراد به في القيامة
عطف على قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة روي ان رجلا سال علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن هذه الاية ولن
يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا والقول الثاني ان هذا في الدنيا والمعنى ان حجة المومنين غالبة في الدنيا
على الكافرين وليس لاحد ان يغلبهم بالحجة وقيل معناه ان الله لا يجعل للكافرين على المومنين سبيلا بان يمحوا دولة
المومنين بالكلية ويستبيحوا بيضتهم فلا يبقى احد من المومنين وقيل معناه ان الله لا يجعل للكافرين على المومنين
سبيلا بالشرع فان شريعة الاسلام ظاهرة الى يوم القيامة ويتفرع على ذلك مسايل من احكام الفقه منها ان الكافر

لا يرث

لا يرث المسلم ومنها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم لم يملكه بدليل هذه الاية ومنها ان الكافر ليس له ان يشتري
عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمي بدليل هذه الاية قوله تعالى ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم يعني يعاملون
الله ويجازيهم على خداعهم وقيل معناه يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم يظهرون له الايمان ويبطنون
له الكفر وهو خادعهم يعني والله مجازيهم بالعقاب وقيل انهم يعطون نورا يوم القيامة كما يعطى المومنون فيمضي المومنون
بنورهم على الصراط ويطفى نور المنافقين واذا قاموا الى الصلاة يعني المنافقين قاموا كسالى يعني متثاقلين وسبب
هذا الكسل انهم يتعبون بها لانهم لا يريدون بفعلها ثوابا ولا يريدون بها وجه الله عز وجل ولا يخافون على تركها
عقابا فالات الداعية الى فعلها خوف الناس فلذلك وقع فعلها على وجه الكسل والفتور يراءون الناس يعني انهم لا يقومون
الى الصلاة الا لاجل الريا والسمعة لا لاجل الدين ولا يرون انها واجبة عليهم قال قتادة والله لولا الناس
ما صلى منافق ولا يذكرون الله الا قليلا قال ابن عباس انما قيل ذلك لانهم يفعلونها ريا وسمعة ولو ارادوا بذلك
القليل وجه الله لكان كثيرا وقيل لان الله لا يقبله ولو قبله لكان كثيرا وقيل المراد بذكر الله الصلاة والمعنى
انهم لا يصلون الا قليلا لانهم متى لم يكن معهم احد من المومنين فلا يصلون واذا كانوا مع المومنين يتكلفون
فعلها مذبذبين بين ذلك يعني متحيرين مترددين في الكفر والايمان لانهم ليسوا مع المومنين المخلصين ولا مع
المشركين المصرحين بالشرك وهو قوله تعالى لا الى هولاء ولا الى هولاء يعني ليسوا من المومنين حتى يجب لهم ما يجب
للمومنين وليسوا من الكفار فيوخذ منهم ما يوخذ من الكفار ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يعني طريقا الى الهدى
ق عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المنافق كمثل الشاة العايرة بين الغنمين تعير الى هذه
مرة والى هذه مرة قوله كمثل الشاة العايرة بالعين المهملة ومعناه المتحيرة المترددة لا تدري لاي الغنمين
تتبع ومعنى تعير تردد وتذهب يمينا وشمالا مرة الى هذه ومرة الى هذه لا تدري الى اين تذهب وهذا مثل
المنافق مرة مع المومنين ومرة مع المنافقين او ظاهره مع المومنين وباطنه مع الكافرين قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المومنين لما ذم الله عز وجل المنافقين بقوله مذبذبين
بين ذلك نهى الله المومنين ان يتخلقوا باخلاق المنافقين بقوله لا تتولوا الكفار من دون اهل ملتكم ودينكم
فتكونوا مثلهم اوجبت لكم النار من المنافقين والسبب في هذا النهي ان الانصار بالمدينة كان لهم من يهود بني
قريظة حلف ومودة ورضاع فقالوا يا رسول الله من نتولى فقال المهاجرين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم
سلطانا مبينا يعني اتريدون ايها المتخذون الكفار اولياء من دون المومنين فتستوجبوا بذلك
النار ثم بين محل المنافقين من النار فقال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار يعني في الطبق الذي في
قعر جهنم والنار سبع دركات بعضها فوق بعض سميت طبقات جهنم دركات لانها متداركة متتابعة وقيل
الدرك بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم وقيل هو توابيت من حديد مقفلة عليهم في
النار **فان قلت** لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر **قلت**
ان المنافق مثل الكافر في الكفر وزيادة وهو ضم الى الكفر نوعا اخر من الكفر واخبث منه وهو الاستهزا بالاسلام
والمسلمين وافشا اسرار المسلمين ونقلها الى الكفار فلهذا السبب جعل الله عذاب المنافقين اشد عذابا من الكفار
والمنافق من اظهر الايمان وابطن الكفر وقيل هو الذي يصف الاسلام بلسانه ولا يعمل شرايعه ولا ينقيد بقيوده
ولا يدخل تحت احكامه واما تسمية من ارتكب ما يفسق به منافقا فللتغليظ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان
فان هذه الخصال صفات المنافقين فمن فعلها فقد تشبه بالمنافقين وقوله تعالى ولن تجد لهم نصيرا

Copyright © King Saud University

يعني ولن تجد لهم يا محمد لهؤلاء المنافقين ناصرا ينصرهم من عذاب الله اذا نزل بهم ثم استثنى الله عز وجل من تاب من المنافقين فقال تعالى الا الذين تابوا يعني من النفاق واصلحوا يعني اصلحوا الاعمال فعملوا بما امر الله به وادوا فرائضه وانتهوا عما نهاهم عنه واعتصموا بالله يعني وتمسكوا بعهد الله ووثقوا به واخلصوا دينهم لله يعني واصلحوا طاعتهم واعمالهم التي عملوها لله وارادوه بها ولم يريدوا رياء ولا سمعة فهذه الامور الاربعة اذا حصلت فقد كمل الايمان فلذلك قال تعالى فاولئك يعني التائبين من النفاق مع المؤمنين يعني في الجنة وقيل مع بمعنى من اي من المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما يعني في الآخرة قوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم هذا استفهام تقرير معناه انه تعالى لا يعذب الشاكر المؤمن فان تعذيبه لا يزيد في ملكه وتركه عقوبته لا ينقص من سلطانه لانه الغني الذي لا يحتاج الى شيء من ذلك فان عاقب احدا فانما يعاقبه لامر اوجبه العدل والحكمة فان انتم شكرتم نعمته وآمنتم به فقد نجيتم انفسكم من عذابه قال اهل المعاني فيه تقديم وتأخير تقديره ان آمنتم وشكرتم لان الايمان مقدم على سائر الطاعات ولان الشكر لا ينفع مع عدم الايمان ولان الواو لا توجب الترتيب وقيل هو على اصله والمعنى ان العاقل ينظر بعين البصيرة اولا الى ما عليه من النعمة العظيمة في ايجاده وخلقه فيشكر على ذلك شكرا مبهما ثم اذا تم النظر ثانيا انتهى به النظر الى معرفة المنعم عليه آمن به ثم شكره شكرا مفصلا فكان ذلك الشكر المبهم مقدما على الايمان فلذلك قدم الشكر على الايمان في الذكر وكان الله شاكرا يعني مثيبا عباده المؤمنين موفيا اجورهم والشكر من الله الرضى بالقليل من اعمال عباده واضعاف الثواب عليه وقيل لما امر الله عباده بالشكر سمى الجزاء شكرا على سبيل الاستعارة فالمراد من الشاكر في صفة الله تعالى كونه مثيبا على الشكر عليما يعني بحق شكركم وايمانكم فيجازيكم على ذلك قوله عز وجل لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم قال اهل المعاني يعني انه تعالى لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر به ايضا من القول القبيح الا من ظلم قيل هو استثناء متصل والمعنى الا جهر من ظلم وقيل هو استثناء منقطع ومعناه لكن المظلوم يجوز ان يجهر بظلم الظالم قال العلماء لا يجوز اظهار احوال الناس المستورة المكتومة لان ذلك يصير سببا لوقوع الناس في الغيبة ووقوع ذلك الشخص في الريبة لكن من ظلم فيجوز له اظهار ظلمه فيقول سرق مني وغصب ونحو ذلك وان شتم جاز له ان يشتم بمثله ولا يزيد شيئا على ذلك ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى الاول وفي رواية فعلى البادي منهما حتى يتعدى المظلوم اخرجه مسلم قال ابن عباس لا يحب الله ان يدعو احد على احد الا ان يكون مظلوما فانه قد رخص له ان يدعو على من ظلمه وذلك قوله الا من ظلم وان صبر فهو خير له وقال الحسن البصري هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه ولكن ليقل اللهم اعني عليه اللهم استخرج لي حقي اللهم حل بيني وبين ما يريد من الدعاء وقيل نزلت الآية في الضيف اذا نزل بقوم فلم يقروه ولم يحسنوا ضيافته فله ان يشكو ما صنع به قال مجاهد هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فيخرج من عنده فيقول اساء ضيافتي وقال مقاتل نزلت في ابي بكر الصديق وذلك ان رجلا نال منه والنبي صلى الله عليه وسلم حاضر فسكت عنه ابو بكر مرارا ثم رد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله شتمني فلم تقل شيئا حتى اذا رددت عليه قمت قال ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فقمت ونزلت هذه الآية وكان الله سميعا يعني لدعاء المظلوم عليما بما في قلبه فليتق الله ولا يقول الا الحق قوله تعالى ان تبدوا خيرا قال ابن عباس يريد من اعمال البر كالصيام والصدقة والضيافة والصلة وقيل معناه ان تبدوا خيرا بدلا من السوء او تخفوه يعني تخفوا الخير فلم تظهروه وقيل معناه ان تبدوا حسنة فتعملوا

بها

بها تكتب لكم عشرا وان هم بها ولم يعملها كتبت له واحدة وقيل ان جميع مقاصد الخيرات على كثرتها محصورة في قسمين احدهما صدق النية مع الحق والثاني التخلق مع الخلق فالذي يتعلق بالخلق ينقسم في قسمين احدهما ايضا وهما ايصال نفع اليهم في السر والعلانية فالى هذه الاشارة بقوله ان تبدوا خيرا او تخفوه او دفع ضر عنهم والى هذه الاشارة بقوله او تعفوا عن سوء فيدخل في هاتين الكلمتين جميع اعمال البر وجميع دفع الضر وقيل المراد بالخير المال والمعنى ان تبدوا الصدقة فتعطوها الفقراء جهرا او تخفوها فتعطوها سرا او تعفوا عن مظلمة فان الله كان عفوا قديرا يعني لم يزل ذا عفو مع قدرته على الانتقام فاعفوا انتم عمن ظلمكم واقتدوا بسنة الله عز وجل يعفو عنكم يوم القيامة لانه اهل للتجاوز والعفو عنكم وقيل معناه ان الله عفو لمن عفى قديرا على ايصال الثواب اليه قوله عز وجل ان الذين يكفرون بالله ورسله نزلت في اليهود خاصة وذلك انهم امنوا بموسى والتوراة وكفروا بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك ان اليهود امنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد والنصارى امنوا بعيسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض يعني ويريدون ان يفرقوا بين الايمان بالله والايمان برسله ولا يصح الايمان بالله مع التكذيب ببعض رسله ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا يعني بين الايمان بالبعض دون البعض يتخذون مذهبا يذهبون اليه ودينا يدينون به اولئك هم يعني من هذه صفته هم الكافرون حقا يعني يقينا وانما قال ذلك توكيدا لكفرهم لئلا يتوهم متوهم ان الايمان ببعض الرسل يزيل اسم الكفر عنهم وليعلم ان الكفر ببعض الانبياء كالكفر بكلهم لان الدليل الذي يدل على نبوة البعض وهو المعجز لزم منه انه حيث وجدت المعجزة حصلت النبوة وقد وجدت المعجزة لجميع الانبياء فلزم الايمان بجميعهم واعتدنا يعني وهيأنا للكافرين عذابا مهينا يعني يهانون فيه والذين آمنوا بالله ورسله يعني والذين صدقوا بوحدانية الله وبنبوة جميع انبيائه وان جميع ما جاؤوا به من عند الله حق وصدق ولم يفرقوا بين احد منهم يعني من الرسل بل آمنوا بجميعهم وهم المؤمنون اولئك يعني من هذه صفته سوف نؤتيهم اجورهم يعني جزاء ايمانهم بالله وبجميع كتبه ورسله وكان الله غفورا رحيما يعني انه تعالى لما وعدهم بالثواب اخبرهم انه يتجاوز عن سيئاتهم ويغفرها لهم ويرحمهم فهو كالترغيب لليهود والنصارى في الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانهم اذا آمنوا غفر لهم ما كان منهم في حال الكفر قوله تعالى يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء يعني يسألك يا محمد اهل الكتاب وهم اليهود وذلك ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء من اليهود قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فائتنا بكتاب جملة واحدة من السماء كما اتى موسى بالتوراة وقيل سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا مختصا بهم وقيل سألوه ان ينزل عليهم كتابا الى فلان وكتابا الى فلان انك رسول الله وكان هذا السؤال من اليهود سؤال تعنت واقتراح لا سؤال استرشاد وانقياد والله تعالى لا ينزل الآيات على اقتراح العباد ولان معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت قد تقدمت وظهرت فكان طلب الزيادة من باب التعنت وقوله تعالى فقد سألوا موسى اكبر من ذلك يعني اعظم من الذي سألوك يا محمد ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتوبيخ وتقريع لليهود حيث سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤال تعنت والمعنى لا يعظمن عليك يا محمد مسألتهم ذلك فانهم من فرط جهلهم واجترائهم على الله لو اتيتهم بكتاب من السماء لما آمنوا بك وانما اسند السؤال الى اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وان وجد هذا السؤال من آبائهم الذين كانوا في ايام موسى عليه السلام لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومشاكلين لهم في التعنت فقالوا يعني اسلاف هؤلاء اليهود ارنا الله جهرة يعني عيانا والمعنى ارناه نره جهرة وذلك ان سبعين من بني اسرائيل خرجوا مع موسى عليه الصلاة

Copyright © King Saud University

والسلام الى الجبل فقالوا ذلك وقد تقدمت القصة في سورة البقرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم يعني بسبب ظلمهم
وسؤالهم الرؤية ثم اتخذوا العجل يعني الها وهم الذين خلفهم موسى مع اخيه هارون حين خرج الى ميقات ربه
من بعد ما جاءتهم البينات يعني الدلالات الواضحات الدالة على صدق موسى وهي العصا واليد وفلق البحر وغير ذلك
من المعجزات الباهرة فعفونا عن ذلك يعني عن ذلك الذنب العظيم فلم نستاصل عبدة العجل والمقصود من هذا
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ان هولاء الذين يطلبون منك يا محمد ان تنزل عليهم كتابا من السما
انما يطلبونه عنادا ولجاجا فاني قد انزلت التوراة جملة واحدة على موسى وآتيته من المعجزات الباهرات
والايات البينات ما فيه كفاية ثم انهم طلبوا الرؤية على سبيل العناد وعبدوا العجل وكل ذلك يدل على جهلهم
وانهم مجبولون على اللجاج والعناد وفي قوله فعفونا عن ذلك استدعا الى التوبة والمعنى ان اولئك الذين اجرموا
لما تابوا عفونا عنهم فتوبوا انتم نعفو عنكم وآتينا موسى سلطانا مبينا يعني حجة واضحة تدل على صدقه وهو المعجزات
الباهرات التي اعطاها الله عز وجل لموسى عليه السلام قوله عز وجل ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم يعني ورفعنا
فوقهم الجبل المسمى بالطور بسبب نقض ميثاقهم وذلك ان بني اسرائيل امتنعوا من قبول التوراة والعمل بما فيها فرفع
الله فوقهم الطور حتى اظلهم ليخافوا فلا ينقضوا العهد والميثاق وقلنا لهم يعني والطور مظلهم ادخلوا الباب سجدا
فخالفوا ودخلوا وهم يزحفون على استاههم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت يعني وقلنا لهم لا تجاوزوا في يوم السبت
الى ما لا يحل لكم فيه وذلك انهم نهوا ان يصطادوا السمك في يوم السبت فاعتدوا واصطادوا فيه وقيل المراد
به النهي عن العمل والكسب في يوم السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا يعني واخذنا منهم عهدا موكدا شديدا بانهم
يعملون بما امرهم به وانهم ينتهون عما نهاهم الله عنه ثم انهم نقضوا ذلك الميثاق وهو قوله تعالى فبما نقضهم
ميثاقهم يعني فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والمعنى فبسبب نقضهم ميثاقهم لعناهم وسخطنا عليهم وفعلنا
بهم ما فعلنا وكفرهم بايات الله يعني وبجحودهم بايات الله الدالة على صدق انبيائه وقتلهم الانبيا يعني
بعد قيام الحجة والدلالة على صحة نبوتهم بغير حق يعني بغير استحقاق لذلك القتل وقولهم قلوبنا غلف يعني
وبقولهم على قلوبنا اغطية وغشاوة فهي لا تفقه ما تقول جمع اغلف وقيل جمع غلاف يعني قلوبنا اوعية
للعلم فلا حاجة بنا الى ما تدعونا اليه فرد الله عليهم بقوله بل طبع الله عليها بكفرهم يعني بل ختم الله
على قلوبهم بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا يعني ايمانهم بموسى والتوراة وكفرهم بما سواه من الانبيا
والكتب وقيل لا يؤمنون الا قليلا منهم لا كثيرا وقيل المراد بالقليل هو عبد الله بن سلام واصحابه الذين امنوا
من اليهود قوله تعالى وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني حين رموها بالزنا وذلك انهم انكروا قدرة
الله تعالى على خلق الولد من غير اب ومنكر قدرة الله كافر فالمراد بقوله وبكفرهم هو انكارهم قدرة الله تعالى
والمراد بقولهم على مريم بهتانا عظيما هو رميهم اياها بالزنا وانما سماه بهتانا عظيما لانه قد ظهر عند
ولادة مريم من المعجزات ما يدل على براءتها من ذلك فلهذا السبب وصف الله قول اليهود على مريم بالبهتان
العظيم قوله عز وجل وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ادعت اليهود انهم قتلوا عيسى عليه
السلام وصدقهم النصارى على ذلك فكذبهم الله عز وجل جميعا ورد عليهم بقوله وما قتلوه وما صلبوه
وفي قوله رسول الله قولان احدهما انه من قول اليهود فيكون المعنى انه رسول الله على زعمه والقول الثاني
انه من قول الله لا على وجه الحكاية عنهم وذلك ان الله ابدل ذكرهم في عيسى عليه السلام القول القبيح بالقول
الحسن رفعا لدرجته كما كانوا يذكرونه من القول القبيح وقوله تعالى ولكن شبه لهم يعني القي شبه عيسى
على غيره حتى قتل وصلب واختلف العلما في صفة التشبيه الذي شبه على اليهود في امر عيسى عليه السلام

فروى

فروى الطبري بسنده عن وهب بن منبه انه قال اتى اليهود عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت
فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله تعالى كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا لتبرزن لنا عيسى او
لنقتلنكم جميعا فقال عيسى لاصحابه من يشتري نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم انا فخرج اليهم وقال
انا عيسى وقد صوره الله تعالى على صورة عيسى فاخذوه فقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم وظنوا انهم قد
قتلوا عيسى وظنت النصارى مثل ذلك ورفع الله عز وجل عيسى عليه السلام من يومه ذلك وفي رواية اخرى
عن وهب ان عيسى عليه السلام قال لاصحابه ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعني
بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاخذوا شمعون احد الحواريين فقالوا
هذا من اصحاب عيسى فجحد وقال ما انا بصاحبه فتركوه ثم اخذه آخر فجحد كذلك فلما اصبح اتى بعض الحواريين
الى اليهود وكان منافقا فقال ما تجعلوا لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فدلهم عليه فالقى الله
شبه عيسى على ذلك المنافق الذي دلهم عليه فاخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى وقال قتادة
ان اعدا الله اليهود زعموا انهم قتلوا عيسى وصلبوه وذكر لنا ان نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام قال لاصحابه
ايكم يقذف عليه شبهي وله الجنة فانه مقتول فقال رجل منهم انا يا نبي الله فاخذ ذلك الرجل فقتل وصلب ورفع
الله عز وجل عيسى عليه السلام الى السما وقيل ان اليهود حبسوا عيسى في بيت وجعلوا عليه رقيبا يحفظه فالقى الله
شبه عيسى على ذلك الرقيب فاخذ فقتل وصلب ورفع الله عز وجل عيسى في ذلك الوقت قال الطبري واولى الاقوال
بالصواب ما ذكرنا عن وهب بن منبه من ان شبه عيسى القي على جميع من كان مع عيسى في البيت حين احيط
به وبهم من غير مسئلة عيسى اياهم ذلك ولكن ليخزي الله بذلك اليهود وينقذ به نبيه عيسى عليه السلام من مكروه
ما ارادوه به من قتل وغيره وليبتلي الله من اراد ابتلاه من عباده ويحتمل ان يكون القي شبهه على بعض اصحابه
بعدما تفرق عنه اصحابه ورفع الله عيسى عليه السلام وبقي ذلك فاخذ وقتل وصلب وظن اصحابه واليهود
ان الذين قتلوه وصلبوه هو عيسى لما راوا شبهه به وخفي امر عيسى عليهم وكان حقيقة ذلك الامر عند الله تعالى
فلذلك قال تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه يعني في قتل عيسى وهم اليهود
لفي شك منه يعني من قتله وذلك ان اليهود لما قتلوا ذلك الشخص المشبه بعيسى وكان قد القي الشبه على
وجه ذلك الشخص دون جسده فلما قتلوه نظروا الى جسده فوجدوه غير جسد عيسى فقالوا الوجه وجه عيسى
والجسد جسد غيره فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان اليهود لما حبسوا عيسى واصحابه في البيت دخل عليه رجل
منهم ليخرجه اليهم فالقى الله شبه عيسى على ذلك الرجل فاخذ وقتل ورفع الله عز وجل عيسى عليه السلام الى
السما وفقدوا صاحبهم فقالوا ان كنا قتلنا المسيح فاين صاحبنا وان كنا قتلنا صاحبنا فاين المسيح عيسى فهذا
هو اختلافهم فيه قال الله تعالى ما لهم به من علم يعني انهم قتلوا من قتلوا على شك منهم فيه ولم يعرفوا حقيقة
ذلك المقتول هل هو عيسى ام غيره الا اتباع الظن يعني لكن يتبعون الظن في قتله ظنا منهم انه عيسى لا عن علم
وحقيقة وما قتلوه يقينا قال ابن عباس لم يقتلوا ظنهم يقينا فعلى هذا القول تكون الهاء في قتلوه عائدة على
الظن والمعنى ما قتلوا ذلك الظن يقينا ولم يرتفع ما وقع لهم من الشبه في قتله فهو كقول العرب
قتله علما او قتله يقينا يعني علمه علما تاما واصل ذلك ان القتل للشي يكون عن قهر واستيلا وغلبة ومعنى
الاية على هذا لم يكن علمهم بقتل عيسى علما تاما كاملا انما كان ظنا منهم انهم قتلوه ولم يكن لهم بذلك حقيقة وقيل ان
الهاء في قتلوه عائدة على عيسى والمعنى وما قتلوا المسيح يقينا كما ادعوا انهم قتلوه وقيل انه يقينا يرجع الى ما بعده
تقديره وما قتلوه بل رفعه الله اليه يقينا والمعنى انهم لم يقتلوا عيسى وما صلبوه ولكن الله عز وجل رفعه اليه

Copyright © King Saud University

وطهره من الذين كفروا وخلصه ممن اراده بسوء وقد تقدم كيف كان رفعه في سورة آل عمران بما فيه كفاية وقوله
تعالى **وكان الله عزيزا** يعني في اقتداره على من يشاء من عباده **حكيما** يعني في انجاء عيسى عليه السلام وتخليصه
من اليهود وقيل عزيزا يعني منيعا بالنقمة من اليهود فسلط عليهم ططيوس بن اسبيانوس الرومي فقتل منهم
مقتلة عظيمة حكيما حكم باللعنة والغضب على اليهود حيث ادعوا هذه الدعوة الكاذبة قوله تعالى **وان من
اهل الكتاب** يعني وما من احد من اهل الكتاب **الا ليؤمنن به** يعني بعيسى عليه السلام وانه عبد الله
ورسوله وروحه وكلمته هذا قول ابن عباس واكثر المفسرين وقال عكرمة في قوله ليؤمنن به يعني
بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول لا وجه له لانه لم يجر للنبي صلى الله عليه وسلم ذكر قبل هذه الآية
حتى يرجع الضمير اليه وقول الاكثرين اولى لانه تقدم ذكر عيسى عليه السلام فكان عود الضمير اليه اولى
قبل موته اختلف المفسرون في هذا الضمير الى من يرجع فقال ابن عباس واكثر المفسرين ان الضمير يرجع
الى الكتابي والمعنى وما من احد من اهل الكتاب الا آمن بعيسى قبل موت ذلك الكتابي ولكن يكون ذلك الايمان
عند الحشرجة حين لا ينفعه ايمانه قال ابن عباس معناه انه اذا وقع في اليأس حين لا ينفعه ايمانه سواء
احترق او تردى من شاهق او سقط عليه جدار او اكله سبع او مات فجاءة فقيل له ارايت ان خر من فوق بيت قال
يتكلم به في الهوى فقيل له ارايت ان ضربت عنقه قال يتلجلج بها لسانه وعن شهر بن حوشب قال اليهودي اذا حضره
الموت ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيقول
آمنت انه عبد الله فاهل الكتاب يؤمنون به ولكن حيث لا ينفعهم ذلك الايمان وذهب جماعة من
اهل التفسير الى ان الضمير يرجع الى عيسى عليه السلام وهو رواية عن ابن عباس ايضا والمعنى
وما من احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء
في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا آمن بعيسى حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام
قال عطاء اذا نزل عيسى الى الارض لا يبقى يهودي ولا نصراني ولا احد يعبد غير الله الا آمن بعيسى وانه عبد
الله وكلمته ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض
المال حتى لا يقبله احد زاد في رواية وحتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها ثم يقول ابو هريرة
اقرؤا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الآية وفي رواية قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية
وليتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله
احد اخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان عيسى ينزل في آخر الزمان في هذه الامة
ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وانه لا ينزل نبيا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل يكون
حاكما من حكام هذه الامة واماما من ائمتهم لقوله صلى الله عليه وسلم فيكسر الصليب يعني
يكسره حقيقة ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه وكذلك قتله الخنزير وقوله ويضع الجزية
يعني لا يقبلها ممن بذلها من اليهود ولا يقبل من احد الا الاسلام او القتل وعلى هذا قد يقال هذا
خلاف ما هو حكم الشرع اليوم فان الكتابي اذا بذل الجزية وجب قبولها منه ولم يجز قتله ولا اجباره على
الاسلام والجواب ان هذا الحكم ليس مستمرا الى يوم القيامة بل هو مقيد بما قبل نزول عيسى عليه السلام
وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس الناسخ هو عيسى عليه السلام بل الناسخ لهذا الحكم

هو

هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المبين للنسخ وان عيسى عليه السلام يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم
والله اعلم قال الزجاج هذا القول بعيد يعني قول من قال ان ايمان اهل الكتاب يعني انما يكون عند نزوله في آخر
الزمان ولا ينكر ان هذا على العموم ولكن المراد بهذا العموم الذين يشاهدون ذلك الوقت وبه يكون نزوله
فيؤمنون به ويكون معنى الآية وما من احد من اهل الكتاب ادرك ذلك الوقت الا آمن بعيسى بعد نزوله
من السماء وصحح الطبري هذا القول وقال عكرمة في معنى الآية وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه
وسلم قبل موت الكتابي فلا يموت يهودي ولا نصراني حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك عند الحشرجة حين
لا ينفعه ايمانه وقوله تعالى **ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا** يعني يكون عيسى عليه السلام شاهدا على اليهود
انهم كذبوه وطعنوا فيه وعلى النصارى انهم اتخذوه ربا واشركوا به ويشهد على تصديق من صدقه منهم وآمن به
قال قتادة معناه ان يكون شهيدا يوم القيامة انه قد بلغ رسالة ربه واقر على نفسه بالعبودية قوله عز وجل
فبظلم من الذين هادوا يعني فبسبب ظلم منهم **حرمنا عليهم طيبات احلت لهم** يعني ما حرمنا عليهم الطيبات التي كانت
حلالا لهم الا بظلم عظيم ارتكبوه وذلك الظلم هو ما ذكر من نقضهم الميثاق وما عدد عليهم من انواع الكفر والكبائر العظيمة
مثل قولهم اجعل لنا الها كما لهم آلهة وقولهم ارنا الله جهرة وكعبادتهم العجل فبسبب هذه الامور حرم الله عليهم طيبات
كانت حلالا لهم وهي ما ذكره في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية وقال الطبري
في معنى الآية فحرمنا على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذي واثقوا به وكفروا بآيات الله وقتلوا انبياءهم
وقالوا البهتان على مريم وفعلوا ما وصفهم الله به في كتابه من المآكل وغيرها التي كانت حلالا لهم عقوبة لهم بظلمهم
الذي اخبر الله عنهم وروي عن قتادة قال عوقب القوم بظلم ظلموه وبغي بغوه حرمت عليهم اشياء ببغيهم وظلمهم
ونقل الواحدي وابن الجوزي عن مقاتل قال كان الله حرم على اهل التوراة ان يأكلوا الربا ونهاهم ان يأكلوا اموال
الناس ظلما فاكلوا الربا واكلوا اموال الناس ظلما بالباطل وصدوا عن دين الله وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
فحرم الله عليهم عقوبة لهم ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية قال الواحدي فاما وجه
تحريم الطيبات عليهم كيف ومتى كان وعلى لسان من حرم عليهم فلم اجد فيه شيئا انتهى فتركته ولقد نقل
الواحدي فيما قال فان هذه الآية في غاية الاشكال لان الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل
وقوعه وقد ذكر المفسرون في معنى الظلم المذكور في الآية ما تقدم ذكره وكلها ذنوب في المستقبل فان
قلت علم الله تعالى وقوع هذه الذنوب منهم قبل وقوعها فحرم عليهم ما حرم من الطيبات التي
كانت لهم حلالا عقوبة لهم على ما سيقع منهم قلت جوابه ما تقدم وهو ان الله تعالى
لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه ولهذا لم يذكر الامام فخر الدين في تفسير هذه الآية ما ذكره المفسرون بل ذكر تفسيرا
اجماليا فقال اعلم ان انواع الذنوب محصورة في نوعين الظلم للخلق والاعراض عن الدين الحق اما ظلم الخلق فاليه
الاشارة بقوله وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربا وقد نهوا عنه ثم انهم مع ذلك في غاية الحرص على طلب المال
تارة يحصلونه بطريق الربا مع انهم قد نهوا عنه وتارة يحصلونه بطريق الرشى وهو المراد بقوله **واكلهم اموال الناس بالباطل**
فهذه الاربعة هي الذنوب التي شدد عليهم بسببها في الدنيا والآخرة اما التشديد في الدنيا فهو ما تقدم من تحريم
الطيبات عليهم واما التشديد في الآخرة فهو المراد بقوله تعالى **واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما** قال المفسرون
انما قال منهم لانه تعالى علم ان قوما منهم سيؤمنون فيأمنون من العذاب قوله تعالى **لكن الراسخون في العلم منهم** يعني
من اليهود وهذا استثناء استثناه الله عز وجل من اهل الكتاب ممن تقدم وصفهم وصفتهم في الآيات التي تقدمت
فبين فيما تقدم حال الكفار اليهود والجهال منهم وبين في هذه الآية حال من هداه لدينه منهم وارشده للعمل بالعلم فقال لكن

الراسخون في العلم ولكن هنا بمعنى الاستدراك والاستثنا والراسخون في العلم الثابتون في العلم المبالغون فيه اولوا البصائر الثاقبة والعقول الصافية وهم عبد الله بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اهل الكتاب لانهم رسخوا في العلم وعرفوا حقيقته فاوصلهم ذلك الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم **والمؤمنون** يعني بالله ورسله **يؤمنون بما انزل اليك** يعني بالقرآن الذي انزل اليك **وما انزل من قبلك** يعني ويؤمنون بساير الكتب التي انزلها الله على انبيايه من قبلك يا محمد وفي المراد بالمؤمنين ههنا قولان احدهما انهم اهل الكتاب فيكون المعنى لكن الراسخون في العلم منهم وهم المؤمنون والقول الثاني انهم المهاجرون والانصار من هذه الامة فيكون قوله والمؤمنون ابتدا كلام مستانف يؤمنون بما انزل اليك يعني انهم يصدقون بالقرآن الذي انزل اليك يا محمد وما انزل من قبلك **والمقيمين الصلاة** اختلف العلما في وجه نصبه فحكي عن عايشة وابان بن عثمان انه غلط من الكتاب ينبغي ان يكتب والمقيمون الصلاة قال عثمان بن عفان ان في المصحف لحنا ستقيمه العرب بالسنتهم فقيل له الا تغيره فقال دعوه فانه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وذهب عامة الصحابة وساير العلما من بعدهم انه لفظ صحيح ليس فيه خطا من كاتب ولا غيره واجيب عن ما روي عن عثمان بن عفان وعايشة وابان ابن عثمان بان هذا بعيد جدا لان الذين جمعوا القرآن هم اهل اللغة والفصاحة والقدرة على ذلك فكيف يتركون في كتاب الله لحنا يصلحه غيرهم فلا ينبغي ان ينسب هذا اليهم قال ابن الانباري ما روي عن عثمان لا يصح لانه غير متصل ومحال ان يؤخر عثمان شيا فاسدا ليصلحه غيره ولان القرآن منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه وقال الزمخشري في الكشاف ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب يعني كتاب سيبويه ولم ينظر مذاهب العرب وما لهم من النصب في الاختصاص والمدح من الافتنان وهو باب واسع قد ذكره سيبويه على امثلة وشواهد وربما غبي عليه ان السابقين الاولين كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله عز وجل ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم ثم اختلف العلما في المقيمين الصلاة اهم الراسخون في العلم ام غيرهم على قولين احدهما انهم هم وانما نصب على المدح والمعنى اذكر المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة قالوا والعرب تفعل ذلك في صفة الشي الواحد ونعته اذا تطاولت بمدح او ذم فربما خالفوا بين اعراب اوله واوسطه احيانا ثم رجعوا باخرها الى اعراب اوله وربما اجروا اعراب اخره على اعراب اوسطه وربما اجروا ذلك على نوع واحد من الاعراب واستشهدوا على معنى الاية **لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الازر** وهذا على معنى اذكر النازلين وهم الطيبون ومن هذا المعنى تقول جاني قومك المطعمين وهم المغيثون والقول الثاني ان المقيمين الصلاة غير الراسخين في العلم وموضع والمقيمين الصلاة خفض بالعطف على قوله تعالى بما انزل اليك فعلى هذا القول يكون معنى الاية والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالمقيمين الصلاة وهم الانبيا لانه لم يخل شرع احدهم عن اقامة الصلاة وقيل المراد بهم الملايكة لانهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وصحح الزجاج القول الاول واختاره وصحح الطبري القول الثاني واختاره وقوله تعالى **والمؤتون الزكاة** عطف على والمؤمنون لانهم من صفتهم **والمؤمنون بالله واليوم الآخر** يعني والمصدقون بوحدانية الله تعالى وبالبعث بعد الموت وبالثواب والعقاب **اولئك** يعني من هذه الاوصاف صفته **سنؤتيهم اجرا عظيما** يعني سنعطيهم على ما كان منهم من طاعة الله واتباع امره ثوابا عظيما وهو الجنة قوله عز وجل انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده قال ابن عباس قال سكين وعدي بن زيد يا محمد ما نعلم ان الله انزل على بشر من شي من بعد موسى فانزل الله هذه الايات وقيل هو جواب لاهل الكتاب عن سوالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السما جملة واحدة فاجابهم الله عز وجل عن سوالهم بهذه الاية فقال انا اوحينا اليك يا محمد كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده والمعنى انكم يا معشر اليهود تقرون بنبوة نوح وبجميع الانبيا المذكورين في هذه الاية

وهم الاثني عشر نبيا والمعنى ان الله تعالى اوحى الى هولا الانبيا وانتم يا معشر اليهود معترفون بذلك وما انزل الله على احد من هولا المذكورين كتابا جملة واحدة مثل ما انزل على موسى فلما لم يكن عدم انزال الكتاب جملة واحدة على احد هولا الانبيا قادحا في نبوته فلذلك لم يكن انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم قادحا في نبوته بل قد انزل عليه كما انزل عليهم قال المفسرون وانما بدا الله عز وجل بذكر نوح عليه السلام لانه اول نبي بعث بشريعة واول نذير على الشرك وانزل الله عز وجل عليه عشر صحايف وكان اول من عذبت امته لردهم دعوته واهلك اهل الارض بدعايه وكان ابا البشر كادم عليهما السلام وكان اطول الانبيا عمرا عاش الف سنة لم تنقص قوته ولم يشب ولم تنقص له سن وصبر على اذى قومه طول عمره ثم ذكر الله الانبيا من بعده جملة بقوله تعالى والنبيين من بعده ثم خص جماعة من الانبيا بالذكر لشرفهم وفضلهم فقال واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وهم اولاد يعقوب وكانوا اثني عشر وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان واتينا داود زبورا يعني واتينا داود كتابا مزبورا يعني مكتوبا وقيل الزبور بالفتح اسم للكتاب الذي انزل على داود وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل كلها تسبيح وتقديس وتمجيد وثنا على الله عز وجل ومواعظ وكان داود عليه السلام يخرج الى البرية فيقوم ويقرا الزبور ويقوم علما بني اسرايل خلفه ويقوم الناس خلف العلما ويقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف الجن وتجي الدواب التي في الجبال فيقمن بين يديه وترفرف الطير على روس الناس وهم يستمعون لقراة داود ويتعجبون منها فلما قارف الذنب زال عنه ذلك وقيل كان لذلك انس الطاعة وهذا ذل المعصية (ق) عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رايتني البارحة وانا استمع لقراتك لقد اعطيت مزمارا من مزامير داود قال الحميدي زاد البرقاني فقلت والله يا رسول الله لو علمت انك تسمع لقراتي لحبرتها لك تحبيرا التحبير تحسين الصوت بالقراة قال بعض العلما انما لم يذكر موسى لان الله انزل عليه التوراة جملة واحدة وكان المقصود ذكر من ذكر من الانبيا في الاية انه لم ينزل على احد منهم كتابا جملة واحدة فلهذا لم يذكر موسى عليه السلام **ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل** لما نزلت هذه الاية المتقدمة قالت اليهود ما لموسى لم يذكر فانزل الله هذه الاية وفيها ذكر موسى عليه السلام والمعنى واوحينا الى رسل قد قصصناهم عليك من قبل يعني سميناهم في القرآن وعرفناك اخبارهم والى من بعثوا وما ورد عليهم من قومهم **ورسلا لم نقصصهم عليك** اي لم نسمهم عليك ولم نعرفك اخبارهم قال اهل المعاني الذين ذكرهم الله من الانبيا يدل على تفضيلهم على من لم يذكرهم **وقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما** يعني خاطبه مخاطبة من غير واسطة لان تاكيد كلم بالمصدر يدل على تحقيق الكلام وان موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك لان افعال المجاز لا تؤكد بالمصادر فلا يقال اراد الحايط يسقط ارادة وهذا رد على من يقول ان الله خلق كلاما في محل فسمع موسى ذلك الكلام وقال الفرا العرب تسمي كلما يوصل الى الانسان كلاما باي طريق لكن لا تحققه بالمصدر فاذا حقق بالمصدر لم يكن الا حقيقة الكلام فدل قوله تعالى تكليما على ان موسى قد سمع كلام الله حقيقة من غير واسطة وروى الطبري بسنده عن عدة طرق عن كعب الاحبار قال لما كلم الله موسى عليه السلام كلمه بالالسنة كلها قبل كلام موسى بلسانه فجعل موسى يقول يا رب لا افهم حتى كلمه بلسانه اخر الالسنة فقال يا رب هكذا كلامك قال لو سمعت كلامي يعني على وجهه لم تك شيا قال موسى يا رب هل في خلقك شي يشبه كلامك قال لا واقرب خلقي شبها بكلامي اشد ما يسمع من الصواعق قال بعض العلما ان الله تعالى خص موسى عليه السلام بالتكليم وشرفه به ولم يكن ذلك قادحا في نبوة غيره من الانبيا فكذلك انزال التوراة عليه جملة واحدة لم يكن قادحا في نبوة من انزل عليه متفرقا من الانبيا قوله عز وجل **رسلا مبشرين ومنذرين** يعني انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده وارسلنا اوليك النبيين رسلا الى خلقي مبشرين من اطاعني واتبع امري وصدق رسلي بالثواب الجزيل في الجنة ومنذرين من عصاني وخالف امري وكذب رسلي بالعذاب الاليم في النار وقيل هو جواب عن سوال اليهود انزال الكتب جملة ولم

Copyright © King Saud University

والمعنى ان المقصود من بعثة الرسل هو ارشاد الخلق الى معرفة الله وتوحيده والايمان به والاشتغال بعبادته وانذارهم
خالف ذلك وهذا المقصود يحصل بانزال الكتاب جملة واحدة وبانزاله نجوما متفرقة بل انزاله متفرقا اولى وذلك ان النفوس
قبل بعثة الرسل وانزال الكتب عليهم لم تكن تعرف شيا من العبادات ولم تالفها فاذا انزل الكتاب جملة واحدة وفيه جميع التكاليف
ربما حصل في بعض نفوس العباد نفور من تلك التكاليف ويثقل عليهم كما اخبر الله عن قوم موسى بقوله تعالى واذ نتقنا
الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه فلم يقبلوا احكام التوراة الا بعد شدة
فلهذا السبب كان انزال القران نجوما متفرقة اولى وقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يعني بعد ارسال
الرسل وانزال الكتب والمعنى لئلا يحتج الناس على الله في ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل فيقولوا لولا ارسلت الينا
رسولا وما انزلت علينا كتابا ففيه دليل على ان الله لا يعذب الخلق على معصية الرسل انه لو لم يبعث الرسل لكان للناس
عليه حجة في ترك التوحيد والطاعة وفيه دليل على ان الله لا يعذب الخلق على بعثة الرسل كما قال الله تعالى وما
كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفيه دليل لمذهب اهل السنة على ان معرفة الله تعالى لا تثبت الا بالسمع لان قوله
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يدل على ان قبل بعثة الرسل تكون لهم الحجة في ترك الطاعات والعبادات
فان قلت كيف يكون للناس حجة قبل الرسل والخلق محجوجون بما نصب من الادلة التي النظر فيها
موصل الى معرفته ووحدانيته كما قيل وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد **قلت** الرسل منبهون
عن رقاد الغفلة والجهالة وباعثون الخلق الى النظر في تلك الدلائل التي تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى ومبينون
لها وهم وسايط بين الله وبين خلقه ومبينون احكام الله تعالى التي افترضها على عباده ومبلغون رسالاته اليهم (ق)
عن المغيرة بن شعبة قال قال سعد بن عبادة لو رايت رجلا مع امراتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير مني من اجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر
منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا احد احب اليه المدحة
من الله من اجل ذلك وعد الجنة لفظ البخاري وفي لفظ مسلم ولا شخص احب اليه من الله ومن اجل ذلك بعث الله
المرسلين مبشرين ومنذرين وقوله تعالى وكان الله عزيزا يعني في انتقامه ممن خالف امره وعصى رسله
حكيما يعني في ارساله الرسل قوله تعالى لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه قال ابن عباس دخل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم جماعة من اليهود فقال لهم اني والله اعلم انكم لتعلمون اني رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك فانزل الله هذه الاية وفي رواية
عن ابن عباس قال ان رؤساء مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انا سالنا عنك اليهود وعن صفتك في
كتابهم فزعموا انهم لا يعرفونك فانزل الله عز وجل لكن الله يشهد بما انزل اليك يعني ان جحدك هؤلاء اليهود يا محمد وكفروا بما
اوحينا اليك وقالوا ما انزل الله على بشر من شيء فقد كذبوا فيما ادعوا فان الله يشهد لك بالنبوة ويشهد بما انزل اليك من كتابه
ووحيه والمعنى ان اليهود وان شهدوا ان القران لم ينزل عليك يا محمد لكن الله يشهد بانه انزل عليك وشهادة الله انما عرفت
انه انزل هذا القران البالغ في الفصاحة والبلاغة الى حيث عجز الاولون والاخرون عن معارضته والاتيان بمثله
فكان ذلك معجزا واظهار المعجزة شهادة بكون المدعي صادقا ولاجرم قال الله تعالى لكن الله لك يا محمد بالنبوة بواسطة
هذا القران الذي انزله عليك انزله بعلمه يعني انه تعالى لما قال لكن الله يشهد بما انزل اليك بين صفة ذلك الانزال وهو انه
تعالى انزله بعلم تام وحكمة بالغة معناه انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله عليك وانك مبلغه الى عباده وقيل معناه
انزله بما علم من مصالح عباده في انزاله عليك والملائكة يشهدون يعني يشهدون بان الله انزله عليك ويشهدون بنبوتك
وانما عرفت شهادة الملائكة لان الله تعالى اذا شهد بشيء شهدت الملائكة بذلك الشيء وقد ثبت ان الله يشهد بانه
انزله بعلمه فلذلك الملائكة يشهدون بذلك وكفى بالله شهيدا يعني وحسبك يا محمد ان الله يشهد لك وكفى بالله شهيدا

وان لم يشهد معه غيره ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن شهادة اهل الكتاب له فان الله يشهد له وملائكته
كذلك قوله عز وجل ان الذين كفروا يعني جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود وصدوا عن سبيل الله يعني
منعوا غيرهم عن الايمان به بالقاء صفته والقاء الشبهات في قلوب الناس وهو قولهم لو كان محمد صلى الله عليه وسلم رسولا
لاتى بكتاب من السماء جملة واحدة كما اتى موسى بالتوراة قد ضلوا ضلالا بعيدا يعني عن طريق الهدى ان الذين كفروا
وظلموا يعني كفروا بالله وظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتمان صفته وظلموا غيرهم بالقاء الشبهات في قلوبهم لم يكن الله
ليغفر لهم يعني لمن علم منهم انهم يموتون على الكفر وقيل معناه لم يكن الله ليستر عليهم قبايح افعالهم بل يفضحهم
في الدنيا ويعاقبهم عليها بالقتل والسبي والجلاء وفي الاخرة بالنار وهو قوله تعالى ولا ليهديهم طريقا يعني ينجون فيها
من النار وقيل ولا ليهديهم طريقا الى الاسلام لانه قد سبق في علمه انهم لا يؤمنون الا طريق جهنم يعني لكنه يهديهم
الطريق تؤدي الى جهنم وهي اليهودية لما سبق في علمه انهم اهل لذلك خالدين فيها يعني في جهنم ابدا وكان ذلك على الله
يسيرا يعني هينا قوله عز وجل يا ايها الناس هذا خطاب عام يدخل فيه جميع الكفار من اليهود والنصارى وعبدة
الاصنام وغيرهم وقيل هو خطاب لمشركي العرب قد جاءكم الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق يعني بدين الاسلام
الذي ارتضاه الله لعباده وقيل جاء بالقران الذي هو الحق من ربكم يعني من عند ربكم فامنوا خيرا لكم يعني فامنوا
بما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم يكن الايمان بذلك خيرا لكم يعني من الكفر الذي انتم عليه وان تكفروا يعني وان تجحدوا
رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذبوا بما جاءكم به من الحق من ربكم فان لله ما في السموات والارض يعني فان الله هو
الغني عنكم لان له ما في السموات والارض ملكا وعبيدا ومن كان كذلك لم يكن محتاجا الى شيء وانه قادر على
ما يشاء وكان الله عليما يعني بما يكون منكم لا يخفى عليه شيء من اعمال عباده حكيما يعني في تكليفكم مع علمه بما يكون منكم
قوله عز وجل يا اهل الكتاب نزلت هذه الاية في النصارى وذلك ان الله تعالى لما اجاب عن شبه اليهود فيما تقدم
من الايات تبع ذلك بابطال ما تعتقده النصارى واصناف النصارى اربعة اليعقوبية والملكانية والنسطورية
والمرقوسية فاما اليعقوبية والملكانية فقالوا في عيسى انه الله وقالت النسطورية انه ابن الله وقالت المرقوسية
ثالث ثلاثة وقيل انهم يقولون ان عيسى جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس
وانهم يريدون باقنوم الاب الذات وباقنوم الابن عيسى وباقنوم روح القدس الحياة الحالة فيه فتقديره
الالهة ثلاثة وقيل انهم يقولون في عيسى ناسوتية ولاهوتية فناسوتيته من قبل الام ولاهوتيته من قبل
الاب تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا يقال ان الذي اظهر هذا للنصارى رجل من اليهود يقال له بولص ودس هذا في دين
النصارى ليضلهم بذلك وستاتي قصته في سورة التوبة ان شاء الله تعالى وقيل يحتمل ان يكون المراد باهل الكتاب
اليهود والنصارى جميعا فانهم غلوا في امر عيسى عليه السلام فاما اليهود فانهم بالغوا في التقصير في امره حتى حطوه عن
منزلته حيث جعلوه مولودا لغير رشدة وغلت النصارى في رفع عيسى عن منزلته ومقداره حيث جعلوه الها فقال
الله تعالى رادا عليهم جميعا يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم واصل الغلو مجاوزة الحد وهو في الدين حرام والمعنى لا تفرطوا
في امر عيسى ولا تحطوه عن منزلته ولا ترفعوه فوق قدره ومنزلته ولا تقولوا على الله الا الحق يعني لا تقولوا ان له
شريكا وولدا وقيل معناه لا تقولوا بالحلول والاتحاد في بدن الانسان ونزهوا الله تعالى عن ذلك ولما منعهم الله من
الغلو في دينهم ارشدهم الى طريق الحق في امر عيسى عليه السلام فقال تعالى انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله يعني انما
المسيح هو عيسى ابن مريم ليس له نسب غير هذا وانه رسول الله فمن زعم غير هذا فقد كفر واشرك وكلمته هو قوله تعالى كن فكان
بشرا من غير اب ولا واسطة القاها الى مريم يعني اوصلها الى مريم وروح منه يعني انه كسائر الارواح التي خلقها
الله وانما اضافها الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم كما يقال بيت الله وناقة الله وهذه نعمة من الله يعني انه هو

Copyright © King Saud University

تنفسل بها وقيل الروح هو الذي نفخ فيه جبريل في جيب درع مريم فحملت باذن الله تعالى وانما اضافه الى نفسه بقوله منه لانه
وجد بامر الله قال بعضهم ان الله تعالى لما خلق ارواح البشر جعلها في صلب آدم عليه السلام وامسك عنده روح عيسى عليه السلام
فلما اراد الله ان يخلقه ارسل بروحه مع جبريل الى مريم فنفخ في جيب درعها فحملت بعيسى عليه السلام وقيل ان الروح والريح
متقاربان في كلام العرب والروح عبارة عن نفخ جبريل عليه السلام وقوله منه يعني ان ذلك النفخ كان بامره واذنه
وقيل ادخل التنكير في قوله وروح على سبيل التعظيم والمعنى روح من الارواح القدسية العالية المطهرة وقوله منه
اضافة لتلك الروح الى نفسه لاجل التشريف والتكريم ق عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبده ورسوله
وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة والنار حق ادخله الجنة على ما كان له من العمل وقوله تعالى فآمنوا
بالله ورسله يعني صدقوا يا اهل الكتاب بوحدانية الله وانه لا ولد له وصدقوا رسله فيما جاءوكم به من عند الله
وصدقوا بان عيسى عليه السلام من رسل الله فآمنوا به ولا تجعلوه الها وقوله تعالى ولا تقولوا ثلاثة يعني ولا تقولوا
الآلهة ثلاثة وذلك ان النصارى يقولون اب وابن وروح القدس وقيل انهم يقولون ان الله بالجوهر ثلاثة
اقانيم وذلك انهم اثبتوا ذاتا موصوفا بصفات ثلاثة بدليل انهم يجوزون على تلك الذات الحلول في عيسى وفي
مريم فاثبتوا ذواتا متعددة ثلاثة وهذا هو محض الكفر فلهذا قال الله تعالى ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا
لكم يعني يكن الانتهاء عن القول خيرا لكم من القول بالتثليث ثم نزه الله تعالى نفسه عن قول النصارى بالتثليث
فقال تعالى انما الله اله واحد ثم نزه نفسه عن الولد فقال سبحانه ان يكون له ولد يعني لا ينبغي ان يكون له ولد
لان الولد جزء من الاب وتعالى الله عن التجزئة والحدوث وعن صفات الحدوث له ما في السموات وما في الارض
يعني انه تعالى له ملك السموات والارض وما فيهما عبيده وملكه وعيسى ومريم من جملة من فيهما فهما عبيده
وملكه فاذا كانا عبدين له فكيف يعقل مع هذا ان له ولدا او زوجة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا بيان لتنزيهه
عما نسب اليه من الولد والمعنى ان جميع ما في السموات والارض خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه
لان التجزئة انما تصح في الاجسام والله تعالى منزه عن صفات الاجسام والاعراض وكفى بالله وكيلا يعني انه تعالى
كاف في جميع خلقه فلا حاجة له الى غيره وكل الخلق محتاجون اليه وفقراء اليه والله غني عنهم وقوله تعالى لن يستنكف المسيح
ان يكون عبدا لله وذلك ان وفد نجران قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا فتقول انه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه
وسلم انه ليس بعار على عيسى ان يكون عبد الله فنزلت لن يستنكف المسيح يعني لن يانف ولن يتعظم والاستنكاف الاستكبار
مع الانفة يقال نكفت من كذا واستنكفت منه اي انفت منه واصله من نكفت الشيء نحيته ونكفت الدمع اذا نحيته
باصبعك من خدك والمعنى لن يتقبض ولن يمتنع ولن يانف المسيح ان يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون يعني ولن
يستنكف الملائكة المقربون وهم حملة العرش والكروبيون وافاضل الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل
ان يكونوا عبيدا لله لانهم في ملكه ومن جملة خلقه وقيل لما ادعى النصارى في عيسى انه ابن الله وذلك لما راوا منه خوارق
العادات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك من المعجزات اجاب الله تعالى عن هذه الشبهات التي وقعت
للنصارى بان عيسى مع شرفه وقدره وكرامته لن يستنكف ان يكون عبدا وكذلك الملائكة المقربون وانهم مع كرامتهم
وعلو منزلتهم لن يستنكفوا ان يكونوا عبيدا لله وقد يستدل بهذه الآية من يقول بتفضيل الملائكة على البشر ووجه
الدليل ان الله تعالى ارتقى من عيسى الى الملائكة ولا يرتقى الا من الادنى الى الاعلى ولا حجة لهم فيه والجواب عنه
ان الله تعالى لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر بل قاله ردا على من يقول ان الملائكة بنات الله وانهم آلهة
كما رد على النصارى فانهم يقولون بتفضيل الملائكة يعني كما ان المسيح عبد الله فكذلك الملائكة عبيد الله وقوله تعالى

ومن

ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر يعني ومن يتعظم عن عبادة الله ويانف من التذلل له والخضوع والطاعة من جميع
خلقه فسيحشرهم اليه جميعا يعني فسيبعثهم يوم القيامة لموعدهم الذي وعدهم حيث لا يملكون لانفسهم شيئا فاما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم يعني يوفيهم جزاء اعمالهم الصالحة ويزيدهم من فضله يعني ويزيدهم على ما اعطاهم
من الثواب على اعمالهم الصالحة من التضعيف على ذلك ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واما الذين
استنكفوا واستكبروا يعني الذين انفوا وتكبروا عن عبادة الله تعالى فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله يعني
من سوى الله لانفسهم وليا يعني ينجيهم من عذابه ولا نصيرا يعني ولا ناصرا ينصرهم منه ويرفع عنهم عقوبته فان قيل في الآية
سؤال وهو ان التفصيل غير مطابق للمفصل لان التفصيل مشتمل على ذكر فريقين وهو قوله فاما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فيوفيهم اجورهم واما الذين استنكفوا واستكبروا والمفصل يشتمل على ذكر فريق واحد وهو قوله ومن يستنكف
عن عبادته ويستكبر والجواب انه لا اشكال فيه وهو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه ومن خرج
عليه نكل به وصحة ذلك بوجهين احدهما انما حذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر احدهما يدل على ذكر
الثاني والوجه الثاني ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قال ومن يستنكف عن
عبادته ويستكبر فيعذبهم بالحسرة والغم اذا راى اجور المطيعين العاملين لله تعالى قوله عز وجل يا ايها الناس خطاب
للكافة قد جاءكم برهان من ربكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به من البينات من ربه عز وجل وانما سماه برهانا لما معه من
المعجزات الباهرات التي تشهد بصدقه ولان البرهان دليل على اقامة الحق وابطال الباطل والنبي صلى الله عليه وسلم
كان كذلك ولان الله تعالى جعله حجة قاطعة قطع به عذر جميع الخلائق وانزلنا اليكم نورا مبينا يعني القرآن وانما
سماه نورا لانه به تتبين الاحكام كما تتبين الاشياء بالنور بعد الظلام ولانه سبب لوقوع نور الايمان في القلب فسماه نورا لهذا
المعنى فاما الذين آمنوا بالله يعني صدقوا بوحدانية الله وبما ارسل من رسول وانزل من كتاب واعتصموا به يعني
بالله ان يثبتهم على الايمان ويصونهم عن زيغ الشيطان وقيل في معنى واعتصموا به يعني بالله اي وتمسكوا بالنور وهو
القرآن الذي انزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فسيدخلهم في رحمة منه يعني فيدخلهم في رحمته التي ينجيهم بها من اليم
عذابه قال ابن عباس الرحمة الجنة وفضل يعني ما يتفضل به عليهم بعد دخال الجنة مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر ويهديهم اليه صراطا مستقيما يعني ويوفقهم لاصابة فضله الذي تفضل به عليهم ويسددهم لسلوك
منهج من انعم الله عليه من اهل طاعته ويرشدهم لدينه الذي ارتضاه لعباده وهو دين الاسلام قوله تعالى يستفتونك
قل الله يفتيكم في الكلالة نزلت في جابر بن عبد الله الانصاري ق عن جابر بن عبد الله قال مرضت فاتاني رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر يعوداني ماشيين فاغمي علي فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ثم صب علي من وضوئه
فافقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالي كيف اقضي في مالي فلم يرد علي شيئا حتى
نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ولابي داود قال اشتكيت وعندي سبع اخوات فدخل
علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفخ في وجهي فافقت فقلت يا رسول الله الا اوصي لاخواتي بالثلثين قال احسن قلت
بالشطر قال احسن ثم خرج وتركني فقال يا جابر لا اراك ميتا من وجعك هذا وان الله قد انزل فبين لاخواتك فجعل لهن
الثلثين قال فكان جابر يقول انزلت هذه الآية في يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وروى الطبري عن قتادة
ان الصحابة اهمهم شان الكلالة فسالوا عنها نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وروي عن ابن سيرين
قال نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة والنبي صلى الله عليه وسلم في مسير له والى جنبه حذيفة بن اليمان
فبلغها النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة وبلغها حذيفة عمر بن الخطاب وهو يسير خلفه فلما استخلف عمر سال حذيفة
عنها ورجا ان يكون عنده تفسيرها فقال له حذيفة والله انك لعاجز ان ظننت ان امارتك تحملني ان احدثك فيها

وفي رواية قلت يا رسول الله انما يرثني
كلالة فنزلت آية الميراث فقال شعبة
فقلت لمحمد بن المنكدر يستفتونك قل الله
يفتيكم في الكلالة قال هكذا نزلت وفي رواية
للترمذي وكان لي تسع اخوات حتى نزلت
آية الميراث م

Copyright © King Saud University

مالم احدثك يوحيد فقال عمر لم ارحمك رحمك الله واما التفسير بقوله تعالى يستفتونك يعني يسالونك ويستخبرونك
عن معنى الكلالة يا محمد قل الله يفتيكم في الكلالة يعني ان الله يخبركم عما سالتم عنه من امر الكلالة وقد تقدم في اول السورة
الكلام على معنى الكلالة من حيث الاشتقاق وغيره وان اسم الكلالة يقع على الوارث وعلى المورث فان وقع على
الوارث فهم من سوى الوالد والولد وان وقع على المورث فهو من مات ولا يرثه احد الابوين ولا احد الاولاد وقوله
تعالى ان امرؤ هلك يعني مات سمي الموت هلاكا لانه اعدام في الحقيقة ليس له ولد يعني ولا والد فاكتفى بذكر
احدهما عن الاخر ويدل على المحذوف ان السؤال في الفتيا انما كان في الكلالة وقد تقدم ان الكلالة من ليس له ولد
ولا والد وله اخت يعني ولهذا الهالك اخت واراد بالاخت من ابيه وامه او من ابيه فلها نصف ما ترك يعني
فللاخت الميت نصف تركته وهو فرضها اذا انفردت وبا في المال لبيت المال ان لم يكن للميت عصبة وهذا
مذهب زيد بن ثابت وبه قال الشافعي وعند ابي حنيفة واهل العراق يرد الباقي عليها فاذا كان للميت بنت
اخذت النصف بالفرض وتاخذ الاخت النصف الثاني بالتعصيب لا بالفرض لان الاخوات مع البنات
عصبة وقوله تعالى وهو يرثها ان لم يكن لها ولد يعني ان الاخت اذا ماتت وتركت اخا من الاب والام او من الاب فانه
يستغرق ميراث الاخت اذا انفرد ولم يكن للاخت ولد وهذا في جميع العصبات واستغراقهم جميع المال فاما الاخ
من الام فانه صاحب فرض لا يستغرق جميع المال وقد تقدم بيانه فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك اراد اثنتين
فصاعدا وهو ان من مات وترك اختين او اخوات فلهن الثلثان مما ترك الميت وان كانوا اخوة رجالا
ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يعني وان كان المتروك من الاخوة رجالا ونساء فللذكر منهم مثل نصيب
الاثنتين من اخواته الاناث يبين الله لكم ان تضلوا يعني يبين الله لكم هذه الفرائض والاحكام لئلا تضلوا وقيل
معناه كراهية ان تضلوا وقد بين الله الضلالة لتجتنبوها والله بكل شيء عليم يعني من مصالح عباده التي
حكم بها من قسمة المواريث وبيان الاحكام وغير ذلك لان علمه محيط بكل شيء ق عن البراء بن عازب رضي الله عنه
قال ان اخر سورة نزلت سورة التوبة وان اخر اية نزلت اية الكلالة وفي رواية لمسلم قال اخر اية نزلت يستفتونك
وروي عن ابن عباس ان اخر اية نزلت اية الربا واخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله والفتح وروي عنه ان اخر اية نزلت واتقوا
يوما ترجعون فيه الى الله وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزول سورة النصر سنة ونزلت بعدها سورة
براءة وهي اخر سورة نزلت كاملة فعاش بعدها ستة اشهر هكذا ذكره البغوي وفيه نظر لانه قد ثبت في الصحيحين من حديث
ابي بكر الصديق ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث في الحجة التي امره عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس يوم النحر الا
لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم اردف النبي صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب فامره ان يؤذن
ببراءة قال ابو هريرة فاذن معنا في اهل منى ببراءة الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وكانت حجة
ابي بكر هذه سنة تسع قبل حجة الوداع بسنة قال البغوي ثم نزلت في طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم في
الكلالة فسميت اية الصيف ثم نزلت وهو واقف بعرفة اليوم اكملت لكم دينكم فعاش بعدها احدى وثمانين يوما ثم نزلت
اية الربا ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وعاش النبي بعدها احدى وعشرين يوما اخر تفسير سورة النساء والله اعلم
بمراده واسرار كتابه تفسير سورة المائدة نزلت بالمدينة الا قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم فانها نزلت
بعرفة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فقراها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته وقال ايها الناس ان سورة
المائدة من اخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فان قلت لم خص النبي صلى الله عليه
وسلم هذه السورة من بين سور القران بقوله فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وكل سور القران يجب ان يحل حلالها
وان يحرم حرامها قلت هو كذلك وانما خص هذه السورة لزيادة الاعتناء بها وقيل انما خص النبي

يوم الوداع

صلى

صلى الله عليه وسلم لهو كقوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم فلا تظلموا فيهن انفسكم
فاكد اجتناب الظلم في هذه الاربعة اشهر وان كان لا يجوز الظلم في شيء من جميع اشهر السنة وانما افرد هذه الاربعة
اشهر بالذكر لزيادة الاعتناء بها وقيل انما خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة لان فيها ثمانية عشر حكما
لم ينزلها في غيرها من سور القران قال البغوي عن ميسرة قال ان الله تعالى انزل في هذه السورة ثمانية عشر حكما لم
ينزلها في غيرها وهي قوله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع وما ذبح على النصب وان
تستقسموا بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات من الذين اوتوا
الكتاب وتمام بيان الطهر في قوله اذا قمتم الى الصلاة والسارق والسارقة ولا تقتلوا الصيد وانتم حرم ما جعل الله من
بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وقوله شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت قوله بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود يعني العهود قال الزجاج العقود العهود واختلفوا في هذه المراد بهذه العقود التي امر الله
تعالى بوفائها فقال ابن جريج هذا خطاب لاهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين امنوا بالكتب المتقدمة اوفوا بالعقود التي
عهدتها اليكم في شان محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وقيل هو خطاب للمؤمنين امرهم بالوفاء بالعقود قال ابن
عباس هي عهود الايمان وما اخذه على عباده في القران فيما احل وحرم وقيل هي العقود التي كانت في الجاهلية كان
يعاقد بعضهم بعضا على النصرة والموازرة على من حاول ظلمه او بغاه بسوء وذلك هو معنى الحلف الذي كانوا يتعاقدونه
بينهم قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اوفوا بعقد الجاهلية ولا تحدثوا عقدا في
الاسلام وقيل بل هي العقود التي يتعاقدها الناس بينهم وما يعقده الانسان على نفسه والعقود خمس عقد اليمين
وعقد النكاح وعقد العهد وعقد البيع وعقد الشركة زاد بعضهم وعقد الحلف قال الطبري واولى الاقوال عندنا
بالصواب ما قاله ابن عباس ان معناه اوفوا ايها المؤمنون بعقود الله التي اوجبها عليكم وعقدها فيما احل وحرم
والزمكم فرضه وبين لكم حدوده وانما قلنا ان هذا القول اولى بالصواب لان الله تعالى اتبعه بالبيان عما احل لعباده وحرم
عليهم فقال تعالى احلت لكم بهيمة الانعام وهذا خطاب للمؤمنين خاصة والبهيمة اسم لكل ذي اربع من الحيوان لكن خص
في التعارف فلا تعدا السبع والضواري والوحوش وانما سميت بهيمة لانها ابهمت عن العقل والتمييز قال الزجاج كل حي
لا يميز فهو بهيمة والانعام جمع النعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يدخل فيها ذوات الحافر في قول جميع اهل اللغة
واختلفوا في معنى الاية فقال الحسن وقتادة بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم والمعز وعلى هذا القول
انما اضاف البهيمة الى الانعام ليعرف جنس الانعام وما احل منها لانه لو افردها فقال البهيمة لدخل فيها ما يحل
ويحرم من البهائم فلهذا قال احلت لكم بهيمة الانعام وقال ابن عباس هي الاجنة التي توجد ميتة في بطون امهاتها
اذا ذبحت او نحرت ذهب اكثر العلماء الى تحليلها وهو مذهب الشافعي ويدل عليه ما روي عن ابي سعيد عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال في الجنين ذكاته ذكاة امه اخرجه الترمذي وابن ماجه وفي رواية ابي داود قال قلنا يا رسول
الله ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة ونجد في بطنها الجنين انلقيه ام ناكله قال كلوه ان شئتم فان ذكاته ذكاة امه وروى
الطبري عن ابن عمر في قوله احلت لكم بهيمة الانعام قال ما في بطنها قال عطية العوفي قلت ان خرج ميتا اكله قال
نعم هو بمنزلة رئتها وكبدها وعن ابن عباس قال الجنين من بهيمة الانعام وعنه ان بقرة نحرت فوجد في بطنها
فوجد في بطنها جنين فاخذ ابن عباس بذنب الجنين وقال هذا من بهيمة الانعام وشرط بعضهم الاشعار
وتمام الخلق قال ابن عمر ذكاة ما في بطنها ذكاتها اذا تم خلقه ونبت شعره ومثله عن سعيد بن المسيب وقال
ابو حنيفة لا يحل اكل الجنين اذا خرج ميتا بعد ذكاة الام وقوله تعالى الا ما يتلى عليكم يعني في القران تحريمه
واراد به قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الى اخر الاية فهذا من المتلو علينا وهو ما استثنى الله عز وجل من بهيمة

Copyright © King Saud University

الانعام **غير محلي الصيد وانتم حرم** يعني احلت لكم الانعام كلها والوحشية ايضا من الظباء والبقر والحمر غير محلي صيدها
وانتم محرمون في حال الاحرام فلا يجوز للمحرم ان يقتل صيدا في حال احرامه **ان الله يحكم ما يريد** يعني ان الله يقضي في
خلقه ما يشاء من تحليل ما اراد تحليله وتحريم ما اراد تحريمه وفرض ما يشاء ان يفرضه عليهم من احكامه وفرايضه
بما فيه مصلحة لعباده قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعاير الله** نزلت في الحطم واسمه شريح بن هند بن ضبيعة
البكري اتى المدينة وحده وخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى
الله عليه وسلم الى ما تدعو الناس فقال الى شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة فقال حسن
الا ان لي امرا لا اقطع امرا دونهم ولعلي اسلم واتي بهم فخرج من عنده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لاصحابه يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما خرج ابن شريح فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح من سرح المدينة فاستاقه وانطلق به وهو
يرتجز ويقول • قد لفها الليل بسواق حطم • ليس براعي ابل ولا غنم • ولا بجزار على ظهر وضم •
باتوا نياما وابن هند لم ينم • بات يقاسيها غلام كالزلم • خدلج الساقين ممسوح القدم •
فتبعوه فلم يدركوه فلما كان في العام القابل خرج شريح حاجا مع حجاج بكر بن وايل من اليمامة
ومعه تجارة عظيمة وقد قلد الهدي فقال المسلمون يا رسول الله هذا الحطم قد خرج حاجا فخل
بيننا وبينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه قد قلد الهدي فقالوا يا رسول الله هذا شي كنا نفعله في
الجاهلية فابى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعاير الله قال ابن عباس
هي المناسك وكان المشركون يحجون ويهدون فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وقيل
الشعاير الهدايا المشعرة واشعارها ان يطعن في صفحة سنام البعير بحديدة حتى يسيل دمه فيكون
ذلك علامة بانها هدي وهو سنة في البقر والابل دون الغنم ويدل عليه ما روي عن عايشة قالت فتلت
قلايد هدي النبي صلى الله عليه وسلم ثم اشعرها وقلدها ثم بعث بها الى البيت فما حرم عليه شي كان
حلالا اخرجاه في الصحيحين م عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بذي الحليفة
ثم دعا ناقته فاشعرها في صفحة سنامها الايمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين ثم ركب راحلته
فلما استوت به على البيدا اهل بالحج وعند ابي حنيفة لا يجوز اشعار الهدي بل كان يكره ذلك وقال
ابن عباس في معنى الاية لا تحلوا شعاير الله هي ان تصيد وانتم محرمون وقيل شعاير الله شرايع الله
ومعالم دينه والمعنى لا تحلوا شيا من فرايضه التي افترض عليكم واجتناب نواهيه التي نهى عنها **ولا
الشهر الحرام** اي ولا تحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه والشهر الحرام هو الذي كانت العرب تعظمه وتحرم القتال
في الجاهلية فيه فلما جا الاسلام لم ينقض هذا الحكم بل اكده والمراد بالشهر الحرام هنا ذي القعدة وقيل رجب
ذكرهما ابن جرير وقيل المراد باحلال الشهر الحرام النسي قال مقاتل كان جنادة بن عوف يقوم في سوق
في سوق عكاظ فيقول الا اني قد احللت كذا وحرمت كذا يعني به الاشهر فنهى الله عن ذلك وسياتي تفسير
النسي في سورة براءة **ولا الهدي ولا القلايد** ما يهدى الى بيت الله من بعير او بقرة او شاة وغير ذلك مما
يتقرب به الى الله تعالى والقلايد جمع قلادة وهي التي تشد في عنق البعير وغيره والمعنى ولا الهدي
ذوات القلايد قال الشاعر • حلفت برب مكة والمصلى • واعناق الهدي مقلدات • فعلى
هذا القول انما عطف القلايد على الهدي مبالغة في التوصية بها لانها من اشرف البدن المهداة والمعنى
ولا تستحلوا الهدي خصوصا المقلدات منها وقيل اراد اصحاب القلايد وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا اذا

ارادوا

اراد والخروج من الحرم قلدوا انفسهم وابلهم من لحا شجر الحرم فكانوا يامنون بذلك فلا يتعرض لهم احد فنهى الله المومنين عن ذلك
الفعل ونهاهم عن استحلال نزع شي من شجر الحرم **ولا امين البيت الحرام** يعني ولا تستحلوا القاصدين الى البيت الحرام
وهو الكعبة شرفها الله وعظمها **يبتغون** يعني يطلبون **فضلا من ربهم** يعني الرزق والارباح في التجارة **ورضوانا**
يعني ويطلبون رضى الله عنهم بزعمهم لان الكافر لا حظ له في الاسلام والرضوان لكن يظن ان فعله ذلك طلب الرضوان
فيجوز ان يوصف به بناء على ظنه وقيل ان المشركين كانوا يقصدون بحجهم ابتغاء رضوان الله وان كانوا لا ينالونه فلا يبعد
ان يحصل لهم بسبب ذلك القصد نوع من الحرمة وهو الامن على انفسهم وقيل كان المشركون يلتمسون في حجهم ما يصلح
لهم دنياهم ومعاشهم فيها وقيل ابتغاء الفضل هو للمومنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمومنين خاصة وذلك
انهم كانوا يحجون جميعا **فصل** اختلف علما الناسخ والمنسوخ في هذه الاية فقال قوم هذه الاية منسوخة
الى هنا لان قوله تعالى لا تحلوا شعاير الله ولا الشهر الحرام يقتضي حرمة القتال في الشهر الحرام وفي الحرم وذلك منسوخ
بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى ولا امين البيت الحرام يقتضي حرمة منع المشركين عن البيت
الحرام وذلك منسوخ بقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال ابن عباس كان المومنون والمشركون يحجون البيت
جميعا فنهى الله المومنين ان يمنعوا احدا ان يحج البيت او يتعرضوا له من مومن او كافر ثم انزل بعد هذا انما المشركون
نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال اخرون لم ينسخ من ذلك شي سوى القلايد التي كانت في الجاهلية
يتقلدونها من لحا شجر الحرم قاله الواحدي وذهب جماعة انه لا منسوخ في هذه السورة وان هذه الاية محكمة
قالوا ما ندبنا الى ان نخيف من يقصد بيته من اهل شريعتنا في الشهر الحرام ولا في غيره وفضل الشهر الحرام عن غيره بالذكر
تعظيما وتفضيلا وحرم علينا اخذ الهدي من المهدين وصرفه عن بلوغ محله وحرم علينا القلايد التي كانوا
يفعلونها في الجاهلية وهذا غير مقبول والظاهر ما عليه جمهور العلما على ان الله عز وجل قد احل قتال اهل الشرك
في الاشهر الحرم وغيرها وكذلك اجمعوا على ان المشرك لو قلد عنقه وذراعيه جميع لحا الشجر لم يكن ذلك له امانا
من القتل اذا لم يكن قد تقدم له عقد ذمة او امان وكذلك اجمعوا على منع من قصد البيت بحج او عمرة من المشركين
بقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والله اعلم وقوله تعالى **واذا حللتم** يعني من
احرامكم **فاصطادوا** هذا امر اباحة لان الله حرم الصيد على المحرم حالة احرامه بقوله تعالى غير محلي الصيد وانتم
حرم واباحه له اذا حل من احرامه بقوله واذا حللتم فاصطادوا وانما قلنا انه امر اباحة لانه ليس بواجب على المحرم
اذا حل من احرامه ان يصطاد ومثله قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض معناه انه قد ابيح لكم
ذلك بعد الفراغ من الصلاة **ولا يجرمنكم** قال ابن عباس لا يحملنكم وقيل معناه لا يكسبنكم ولا يدعونكم **شنان
قوم** يعني بغض قوم وعداوتهم **ان صدوكم** يعني لان صدوكم **عن المسجد الحرام** والمعنى لا يحملنكم عداوة قوم
على الاعتداء لان صدوكم عن المسجد الحرام لان هذه السورة نزلت بعد قصة الحديبية فكان الصد قد تقدم
ان تعتدوا عليهم يعني بالقتل واخذ المال **وتعاونوا على البر والتقوى** يعني ليعن بعضكم بعضا على ما يكسب البر
والتقوى قال ابن عباس البر متابعة السنة **ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** يعني ولا يعن بعضكم بعضا على الاثم
وهو الكفر والعدوان وهو الظلم وقيل الاثم المعاصي والعدوان البدعة م عن النواس بن سمعان قال سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع
عليه الناس **واتقوا الله** اي واحذروا الله ان تعتدوا ما امركم به او تجاوزوا الى ما نهاكم عنه **ان الله شديد
العقاب** يعني لمن خالف امره فيه وعيد وتهديد عظيم قوله عز وجل **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير**
لما بين الله تعالى في اول السورة ما احل للناس من بهيمة الانعام بقوله احلت لكم بهيمة الانعام ثم انه تعالى استثنى

Copyright © King Saud University

من ذلك بقوله الا ما يتلى عليكم فذكر ذلك المستثنى بقوله حرمت عليكم الميتة فكل ما فارقته الروح مما يذبح بغير
ذكاة فهو ميتة وسبب تحريم الميتة ان الدم لطيف جدا فاذا مات الحيوان حتف انفه احتبس ذلك الدم وبقي في العروق
فيفسد ويحصل منه ضرر عظيم والدم فهو المسفوح الجاري وكانت العرب في الجاهلية تجعل الدم في المصارين
وتشويه وتاكله فحرم الله ذلك كله ولحم الخنزير واراد به جميع اجزايه واعضايه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود
بالاكل وقد تقدم في سورة البقرة احكام هذه الثلاثة اشيا وما استثنى الشارع من الميتة والدم وهو السمك والجراد
والكبد والطحال وذكرنا الدليل على اباحة ذلك واختلاف العلما في ذلك وقوله تعالى وما اهل لغير الله به يعني ما ذكر
على ذبحه غير اسم الله وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا يذكرون اسما اصنامهم عند الذبح فحرم الله ذلك بهذه الاية وبقوله
ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه والمنخنقة قال ابن عباس كان اهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت اكلوها
فحرم الله ذلك والمنخنقة من جنس الميتة لانها لما ماتت لم يسل دمها والفرق بينهما ان الميتة تموت بلا سبب
احد والمنخنقة تموت بسبب الخنق والموقوذة يعني المقتولة بالخشب وكانت العرب في الجاهلية يضربون الشاة بالعصا حتى
تموت وياكلونها فحرم الله ذلك والمتردية يعني التي تتردى من مكان عال فتموت او في بير فتموت والتردي هو السقوط من
سطح او من جبل ونحوه وهذه المتردية تلحق بالميتة فيحرم اكلها ويدخل في هذا الحكم اذا رمى بسهمه صيدا فتردى ذلك الصيد
من جبل او من مكان عال فمات فانه يحرم اكله لانه لا يعلم هل مات بالتردي او بالسهم والنطيحة يعني التي تنطحها شاة اخرى
حتى تموت وكانت العرب في الجاهلية تاكل ذلك فحرمه الله تعالى لانها في حكم الميتة فاما الها في هذه الكلمات التي تقدمت
اعني المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة فانما دخلت لانها صفات لموصوف مونث وهو الشاة كانه قال حرمت
عليكم الشاة المنخنقة والموقوذة والمتردية وخصت الشاة لانها اعم ما ياكله الناس والكلام انما يخرج على الاعم الاغلب
ثم يلحق به غيره **فان قلت** لم اثبت الها في النطيحة مع ان الها في الاصل منطوحة فعدلوا بها الى النطيحة
وفي مثل هذا الموضع تكون الها محذوفة تقول كف خضيب وعين كحيل يعني كف مخضوبة وعين مكحولة **قلت**
انما تحذف الها من الفعيلة اذا كانت صفة لموصوف يتقدمها فاذا لم يذكر الموصوف وذكرت الصفة وضعتها موضع الموصوف
تقول رايت قتيلة بني فلان بالها لانك ان لم تدخل الها لم يعرف الرجل هو ام امراة فعلى هذا انما دخلت الها في النطيحة
لانها صفة لموصوف غير مذكور وهو الشاة وقال ابن السكيت قد تاتي فعيلة بالها وهي في تاويل مفعول بها
تخرج مخرج الاسما ولا يذهب بها مذهب النعوت نحو النطيحة والذبيحة والفريسة واكيلة السبع ومررت بقتيلة
بني فلان وهو قوله تعالى وما اكل السبع قال قتادة كان اهل الجاهلية اذا جرح السبع شيا فقتله او اكل منه
اكلوا ما بقي منه فحرمه الله تعالى والسبع اسم لما يقع على كل حيوان له ناب ويعدو على الناس والدواب فيفترس
بنابه كالاسد والذيب والنمر والفهد ونحوه وفي الاية محذوف تقديره وما اكل السبع منه لان ما اكله السبع
فقد نفد فلا حكم له انما الحكم منه الا ما ذكيتم يعني الا ما ادركتموه وقد بقيت فيه حياة مستقرة من هذه الاشيا
المذكورة والظاهر ان هذا الاستثنا يرجع الى جميع المحرمات المذكورة في الاية من قوله تعالى والمنخنقة الى وما اكل السبع
وهذا قول علي بن ابي طالب وابن عباس والحسن وقتادة وقال ابن عباس يقول الله تعالى ما ادركتم من هذا كله
وفيه روح فاذبح فهو حلال وقال الكلبي هذا الاستثنا مما اكل السبع خاصة والقول هو الاول واما كيفية
ادراكها فقال اكثر اهل العلم من المفسرين ان ادركت ذكاته بان يوجد له عين تطرف او ذنب يتحرك فاكله جايز
قال ابن عباس اذا طرفت بعينها او ركضت برجلها او تحركت فاذبح فهو حلال وذهب بعض اهل العلم الى ان
السبع اذا جرح فاخرج الحشوة او قطع الجوف قطعا يويس معه الحياة فلا ذكاة لذلك وان كان به حركة ورمق
لانه قد صار الى حالة لا يوثر فيها الذبح وهو مذهب مالك واختاره الزجاج وابن الانباري لان معنى التذكية

ان

ان يلحقها وفيها بقية تشخب معها الاوداج وتضطرب اضطراب المذبوح لوجود الحياة فيه قبل
ذلك والا فهو كالميتة واصل الذكاة في اللغة تمام الشي فالمراد من التذكية تمام قطع الاوداج
وانهار الدم ويدل عليه ما روي عن رافع بن خديج عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما انهر الدم
وذكر اسم الله عليه فكلوه ليس السن والظفر وساحدثكم عن ذلك اما السن فعظم واما الظفر
فمدى الحبشة اخرجاه في الصحيحين واقل الذبح في الحيوان المقدور عليه قطع المري والحلقوم وكماله
قطع الودجين مع ذلك فالحلقوم بعد الفم وهو موضع النفس والمري مجرى الطعام والودجان يقطعان عرقان
عند الذبح واما الة الذبح فكل ما انهر الدم وفرى الاوداج من حديد وغيره الا السن والظفر لما تقدم من نهي
النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقوله تعالى وما ذبح على النصب يعني وحرمت ما ذبح على النصب والنصب
يحتمل ان يكون جمعا واحده نصاب وان يكون واحدا وجمعه انصاب وهي الشي المنصوب قيل كان حول الكعبة
ثلثمائة وستون حجرا منصوبة كان اهل الجاهلية يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها وليست هذه
الحجارة باصنام انما الاصنام الصور المنقوشة وقال ابن عباس هي الاصنام المنصوبة والمعنى وما ذبح على
اسم النصب او لاجل النصب فهو حرام وان تستقسموا بالازلام يعني وحرم عليكم الاستقسام بالازلام
وهو طلب القسم والحكم من الازلام وهي القداح وكانت ازلامهم سبع قداح مستوية مكتوب على واحد منها
امرني ربي وعلى واحد نهاني ربي وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد العقل
وعلى واحد غفل اي ليس عليه شي وكانت العرب في الجاهلية اذا ارادوا سفرا او تجارة او نكاحا واختلفوا في
نسب او امر قتيل او تحمل عقل او غير ذلك من الامور العظام جاوا الى هبل وكانت اعظم صنم لقريش بمكة وجاوا
بمائة درهم واعطوها صاحب القداح حتى يجيلها لهم فان خرج امرني ربي فعلوا ذلك الامر وان خرج نهاني
ربي لم يفعلوه واذا جالوا على نسب فان خرج منكم كان وسطا فيهم وان خرج من غيركم كان حليفا فيهم وان
خرج ملصق كان على حاله وان اختلفوا في العقل وهو الدية فمن خرج عليه قدح العقل تحمله وان خرج
الغفل جالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب عليه فنهاهم الله عن ذلك وحرمه وسماه فسقا وقيل الازلام كعاب
فارس والروم التي كانوا يتقامرون بها وقيل كانت الازلام للعرب والكعاب للعجم وهي النرد وكلها حرام
ولا يجوز اللعب بشي منها عن قطن بن قبيصة عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
العيافة والطيرة والطرق من الجبت اخرجه ابو داود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة
زجر الطير والطرق الضرب بالحصى والجبت كل ما عبد من دون الله عز وجل وقيل الجبت الكاهن وروى البغوي
بسند الثعلبي عن ابي الدردا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكهن واستقسم بالازلام او تطير
طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى يوم القيامة وقوله ذلكم فسق يعني ما ذكر من هذه المحرمات في
الاية لان المعنى حرم عليكم تناول كذا وكذا فانه فسق والفسق ما يخرج من الحلال الى الحرام وقيل ان الاشارة
عايدة على الاستقسام بالازلام والاول اصح اليوم يئس الذين كفروا من دينكم يعني يئسوا ان ترجعوا عن دينكم الى
دينهم كفارا وذلك ان الكفار كانوا يطمعون في ان يعود المسلمون الى دينهم فلما قوي الاسلام ايسوا من ذلك
وذلك هذا اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام حجة الوداع فحينئذ يئس الكفار من
بطلان دين الاسلام وقيل ان ذلك هو يوم عرفة فنزلت هذه الاية والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة
وقيل لم يرد يوما بعينه وانما المعنى الان يئس الذين كفروا من دينكم وهو كما تقول اليوم قد كبرت تريد الان قد
كبرت وتقول فلان كان يزورنا وهو اليوم يجفونا لم يرد يوما بعينه يعني وهو الان يجفونا ولم يقصد اليوم فالال

Copyright King Saud University

فيوم لنا ويوم علينا ويوم نساء ويوم نسر اراد فزمان علينا وزمان لنا ولم يقصد ليوم واحد معين فلا
تخشوهم فلا تخافوا الكفار ايها المؤمنون الذين طمعوا ان يظهروا على دينكم فقد زال الخوف عنكم باظهار دينكم واخشون
اى وخافوا مخالفة امرى واخلصوا الخشية لى قوله عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم نزلت هذه الاية فى يوم الجمعة بعد العصر
فى يوم عرفة والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء فكادت عضد الناقة تندق وبركت
لثقل الوحى وذلك فى حجة الوداع سنة عشر من الهجرة ق عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب
فقال يا امير المؤمنين اية فى كتابكم تقرؤنها لو علينا نزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال فاى اية
قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا فقال عمر انى لاعلم اليوم الذى نزلت والمكان
الذى نزلت فيه نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات فى يوم الجمعة اشار عمر الى ان ذلك اليوم كان عيدا لنا
وعن ابن عباس انه قرا اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا وعنده يهودى فقال لو
انزلت هذه الاية علينا لاتخذناها عيدا فقال ابن عباس فانها نزلت فى يوم عيدين فى يوم جمعة ويوم عرفة اخرجه
الترمذى وقال حديث حسن غريب قال ابن عباس كان فى ذلك اليوم خمسة اعياد يوم جمعة ويوم عرفة وعيد
لليهود وعيد للنصارى وعيد للمجوس ولم تجتمع اعياد للملل فى يوم واحد قبله ولا بعده وروى انه لما نزلت هذه الاية
بكى عمر فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال ابكانى انا كنا فى زيادة من ديننا فاما اذ كمل فانه لم يكمل
شئ الا نقص قال صدقت فكانت هذه الاية نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش بعدها احدا وثمانين يوما ومات
صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول وقيل لاثنتى عشرة ليلة وهو الاصح سنة احدى
عشرة من الهجرة واما تفسير الاية فقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم يعنى الفرائض هذا قول ابن عباس وقال سعيد
ابن جبير وقتادة معنى اكملت لكم دينكم حيث لم يحج معكم مشرك وخلا الموسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين وقيل
معناه انى اظهرت دينكم على الاديان وامنتكم من عدوكم بان كفيتكم ما كنتم تخافونه وقيل اكمال الدين لهذه الامة
انه لا يزول ولا ينسخ وان شريعتهم باقية الى يوم القيامة وقيل اكمال الدين لهذه الامة انهم امنوا بكل نبى وكل كتاب ولم يكن هذا
لغيرهم عن الاية وقال ابن الانبارى اليوم اكملت شرائع الاسلام على غير نقصان كان قبل هذا الوقت وذلك ان الله عز وجل
كان يتعبد خلقه بالشئ فى وقت ثم يزيد عليه فى وقت اخر فيكون الوقت الاول تاما فى وقته وكذلك الوقت
الثانى تاما فى وقته فهو كما يقول القائل عندى عشرة كاملة ومعلوم ان العشرين اكمل منها والشرائع التى تعبد الله
عز وجل بها عباده فى الاوقات المختلفة وكل شريعة منها كاملة فى وقت التعبد بها وكمل الله عز وجل
الشرائع اليوم الذى ذكره وهو يوم عرفة ولم يوجد فى ذلك ان الدين كان ناقصا فى وقت من الاوقات ونقل
الامام فخر الدين الرازى عن القفال واختاره ان الدين ما كان ناقصا البتة بل كان ابدا كاملا كانت الشرائع
النازلة من عند الله كافية فى ذلك الوقت الا انه تعالى كان عالما فى اول وقت البعثة بان ما هو كامل فى هذا
اليوم ليس بكامل فى الغد ولا صلاح فيه لا جرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيد بعد العدم واما فى اخر زمن البعثة
فانزل الله شريعة كاملة وحكم ببقائها الى يوم القيامة فالشرع ابدا كان كاملا الا ان الاول كمال الى يوم مخصوص
والثانى كمال الى يوم القيامة فلاجل هذا المعنى قال اليوم اكملت لكم دينكم ثم قال تعالى واتممت عليكم
نعمتى يعنى باكمال الدين والشريعة لانه لا نعمة اتم من الاسلام وقال ابن عباس حكم لهم بدخول الجنة وقيل معناه
انجزت لهم ما وعدتهم فى قوله ولاتم نعمتى عليكم فكان من تمام النعمة ان دخلوا مكة امنين وحجوا مطمئنين لم يخالطهم احد
من المشركين ورضيت لكم الاسلام دينا يعنى واخترت لكم الاسلام دينا من بين الاديان وقيل معناه ورضيت لكم الاسلام
لامرى والانقياد لطاعتى فيما شرعت لكم من الفرائض والاحكام والحدود ومعالم الدين الكاملة لكم وانما قال تعالى

ورضيت

ورضيت لكم الاسلام دينا يوم نزلت هذه الاية وان كان تعالى لم يزل راضيا بدين الاسلام فيما مضى قبل نزول هذه الاية
لانه لم يزل يصرف نبيه صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين من حال الى حال وينقلهم من مرتبة الى مرتبة اعلا منها
حتى اكمل لهم شرائع الدين ومعالمه وبلغ بهم اقصى درجاته ومراتبه ثم انزل عليهم هذه الاية ورضيت لكم الاسلام
دينا يعنى بالصفة التى هو اليوم بها وهى نهاية الكمال وانتم الان عليه فالزموه ولا تفارقوه روى البغوى
بسنده عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال جبريل قال الله عز وجل هذا دين
ارتضيته لنفسى ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما صحبتموه وروى الطبرى عن قتادة قال ذكر لنا
انه يمثل لاهل كل دين دينهم يوم القيامة فاما الايمان فيبشر اصحابه واهله ويعدهم فى الخير حتى يجى الاسلام فيقول
يا رب انت السلام وانا الاسلام فيقول اياك اليوم اقبل وبك اليوم اجزى وقوله تعالى فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم
هذه الاية من تمام ما تقدم ذكره فى المطاعم التى حرمها الله تعالى ومتصلة بها والمعنى ان المحرمات كانت محرمة الا
انها قد تحل فى حالة الاضطرار اليها ومن قوله تعالى ذلكم فسق الى هنا اعتراض وقع بين الكلامين والغرض منه
تاكيد ما تقدم ذكره فى معنى التحريم لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام الذى هو
المرضى عند الله ومعنى الاية فمن اضطر اى اجهد واصيب بالضر الذى لا يمكنه معه الامتناع من اكل الميتة وهو قوله تعالى
فى مخمصة يعنى فى مجاعة والمخمصة خلو البطن من الغذاء عند الجوع غير متجانف لاثم يعنى غير مائل الى الاثم او متعمد له
والمعنى فمن اضطر الى اكل الميتة او الى غيرها فى المجاعة فليأكل غير متجانف لاثم وهو ان ياكل فوق الشبع وهو قول فقهاء العراق
وقيل معناه غير متعرض لمعصية فى مقصده وهو قول فقهاء الحجاز فان الله غفور رحيم يعنى لمن اكل من الميتة فى حال الجوع
والاضطرار قوله عز وجل يسألونك ماذا احل لهم روى الطبرى بسنده عن ابى رافع قال جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم
يستاذن عليه فاذن له فلم يدخل فقال قد اذنا لك يا رسول الله قال اجل ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب قال ابو رافع
فامرنى ان اقتل كل كلب بالمدينة ففعلت حتى انتهيت الى امراة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة لها ثم جئت الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخبرته فامرنى بقتله فرجعت الى الكلب فقتلته فجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله
ما يحل لنا من هذه الامة التى امرت بقتلها قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله يسألونك ماذا احل لهم قل احل
لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين وروى عن عكرمة ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث ابا رافع فى قتل الكلاب فقتل حتى بلغ
العوالى فدخل عاصم وسعد بن ابى خيثمة وعويم بن ساعدة على النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا ماذا احل لنا فنزلت
يسألونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين قال ابن الجوزى واخرج حديث ابى رافع الحاكم فى صحيحه
قال البغوى فلما نزلت هذه الاية اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقتناء الكلاب التى ينتفع بها ونهى عن امساك ما لا نفع فيه
منها ق عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من امسك كلبا فانه ينقص كل يوم من عمله قيراط الا كلب
حرث او ماشية ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا ارض فانه
ينقص من اجره قيراطان كل يوم وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الاية فى عدى بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وهو
زيد الخيل الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير قالا يا رسول الله انا قوم نصيد بالكلاب والبزاة فماذا
يحل لنا فنزلت هذه الاية قال البغوى وهذا القول اصح فى سبب نزولها واما التفسير فقوله تعالى يسألونك يعنى يسألك
اصحابك يا محمد ما الذى احل لهم اكله من المطاعم والماكل كانهم لما تلى عليهم من خبائث الماكل ما تلى سالوا عما احل لهم قل احل لكم
الطيبات يعنى قل لهم يا محمد احل لكم الطيبات يعنى ما ذبح على اسم الله عز وجل وقيل الطيبات كل ما تستطيبه العرب
وتستلذه من غير ان يرد بتحريمه نص من كتاب او سنة واعلم ان العبرة فى الاستطابة والاستلذاذ باهل المروة
والاخلاق الجميلة من العرب فان اهل البادية منهم يستطيبون اكل جميع الحيوانات فلا عبرة بهم ولقوله تعالى

Copyright © King Saud University

ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث فان الخبيث غير مستطاب فصارت هذه الاية الكريمة نصا فيما يحل
ويحرم من الاطعمة وقوله تعالى وما علمتم من الجوارح مكلبين يعني واحل صيد ما علمتم من الجوارح فحذف ذكر الصيد
وهو مراد في الكلام لدلالة الباقي عليه ولانهم سالوا عن الصيد وقيل ان قوله وما علمتم من الجوارح ابتدا كلام خبره
فكلوا مما امسكن عليكم وعلى هذا القول يصح معنى الكلام من غير اضمار والجوارح جمع جارحة وهي الكواسب من السباع والطير
كالفهد والنمر والكلب والباشق من الطير مما يقبل التعليم سميت جوارح من الجرح لانها تجرح الطير عند امساكه وقيل
سميت جوارح لانها تكسب والجوارح الكواسب من جرح واجترح اذا اكتسب ومنه قوله تعالى والذين اجترحوا
السيات يعني اكتسبوا وقوله ويعلم ما جرحتم بالنهار اي كسبتم ومكلبين يعني معلمين والمكلب هو الذي يغري الكلاب
على الصيد وقيل هو مودب الجوارح ومعلمها وانما اشتق له هذا الاسم من الكلب لانها اكثر احتياجا الى التعليم من غيرها
من الجوارح تعلمونهن يعني تعلمون الجوارح الاصطياد مما علمكم الله يعني من العلم الذي علمكم الله وفي الاية دليل على انه
لا يجوز صيد جارحة ما لم تكن معلمة وصفة التعليم هو ان الرجل يعلم جارحة الصيد وذلك بان يوجد فيها امور منها
انها اذا ارسلت على الصيد استرسلت واذا زجرت انزجرت واذا اخذت الصيد امسكت ولم تاكل منه شيا ومنها ان لا تنفر
منه اذا اراد ان يجيبه اذا دعاه فهذا التعليم في جميع الجوارح فاذا وجد ذلك منها مرارا كانت معلمة واقلها ثلاث مرات فانها
يحل قتلها اذا جرحت بارسال صاحبها ق عن عدي بن حاتم قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت انا قوم
نصيد بهذه الكلاب فقال اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل مما امسك عليك الا ان ياكل الكلب فلا تاكل
فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه وان خالط كلابا لم يذكر اسم الله عليها فامسكن وقتلن فلا تاكل فانما سميت على
كلبك ولم تسم على غيره وفي رواية فانك لا تدري ايها قتل وسالته عن صيد المعراض فقال اذا اصبت بحده فكل واذا
اصبت بعرضه فقتل فانه وقيذ فلا تاكل واذا رميت الصيد فوجدته بعد يوم او يومين ليس به الا اثر سهمك
فكل فان وقع في الماء فلا تاكل واختلف العلما فيما اذا اخذت الكلاب الصيد واكلت منه شيا فذهب اكثر اهل العلم الى تحريمه
يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول عطا وطاوس والشعبي وبه قال الثوري وابن المبارك واصحاب الراي وهو اصح
قولي الشافعي ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم وان اكل فلا تاكل فانما امسك على نفسه ورخص بعضهم في اكله يروى ذلك عن
ابن عمر وسلمان الفارسي وسعد بن ابي وقاص وبه قال مالك لما روي عن ابي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم في صيد الكلب اذا ارسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وان اكل منه اخرجه ابو داود واما غير المعلم من الجوارح اذا اخذت
صيدا او المعلم اذا جرح بغير ارسال صاحبه فاخذ وقتل فانه لا يحل الا ان يدركه حيا فيذبحه فيحل ق عن ابي ثعلبة الخشني
قال قلت يا رسول الله انا بارض قوم اهل كتاب افناكل في انيتهم وبارض صيد اصيد بقوسي وبكلبي الذي ليس بمعلم وبكلبي
المعلم فما يصلح لي قال اما ما ذكرت من انية اهل الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تاكلوا فيها وان لم تجدوا غيرها فاغسلوها
وكلوا فيها وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله عليه فكل وما
صدت بكلبك غير المعلم فادركت ذكاته فكل فكلوا مما امسكن عليكم دخلت من في قوله مما للتبعيض لانه انما احل
اكل بعض الصيد وهو اللحم دون الفرث والدم وقيل ان من زائدة فهو كقوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر واذكروا اسم الله
عليه قال ابن عباس يعني اذا ارسلت جارحك فقل بسم الله وان نسيت فلا حرج ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لعدي اذا
ارسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل فعلى هذا يكون الضمير في عليه عايدا الى ما علمتم من الجوارح اي سموا الله عليه عند ارساله
وقيل الضمير عايد الى ما امسكن عليكم والمعنى سموا الله عليه اذا ادركتم ذكاته وقيل يحتمل ان يكون الضمير عايدا الى الاكل
يعني واذكروا اسم الله عليه عند الاكل فعلى هذا تكون التسمية شرطا عند ارسال الجوارح وعند الذبيحة وعند الاكل وسياتي
بيان هذه المسالة في سورة الانعام عند قوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه واتقوا الله يعني واحذروا مخالفة الله يعني

فيما

فيما احل لكم وحرم عليكم واعلموا ان الله سريع الحساب يعني اذا حاسب عباده يوم القيمة ففيه تخويف لمن خالف امره وفعل
ما نهاه عنه قوله عز وجل اليوم احل لكم الطيبات انما كرر احلال الطيبات للتاكيد لانه قال اليوم احل لكم الطيبات
التي سالتم عنها ويحتمل ان يراد باليوم اليوم الذي نزلت فيه هذه الاية او اليوم الذي تقدم ذكره في قوله اليوم يئس
الذين كفروا من دينكم اليوم اكملت لكم دينكم ويكون الغرض من ذكر هذا الحكم انه قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت
عليكم نعمتي فبين انه كما اكمل الدين واتم النعمة فكذلك اتم النعمة باحلال الطيبات وقيل ليس المراد باليوم يوما معينا
وقد تقدم الكلام في ذلك اليوم وفي معنى الطيبات في الاية المتقدمة وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يعني وذبايح اهل
الكتاب حل لكم وهم اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم من ساير الامم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهم حلال لكم
فاما من دخل في دينهم بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم من تنصر من العرب من بني تغلب فلا تحل ذبيحته روي عن
علي بن ابي طالب قال لا تاكلوا من ذبايح نصارى العرب بني تغلب فانهم لم يتمسكوا بشي من النصرانية الا بشرب الخمر وبه
قال ابن مسعود وهو مذهب الشافعي ان من دخل في دين اهل الكتاب بعد نزول القران فانه لا تحل ذبيحته
وسيل ابن عباس عن ذبايح نصارى العرب فقال لا باس به ثم قرا ومن يتولهم منكم فانه منهم وهذا قول الحسن
وعطا بن ابي رباح والشعبي وعكرمة وقتادة والزهري والحكم وحماد وهو مذهب ابي حنيفة ومالك واحد
الروايتين عن احمد والرواية الاخرى مثل مذهب الشافعي واجمعوا على تحريم ذبايح المجوس وساير اهل الشرك من
مشركي العرب وعبدة الاصنام ومن لا كتاب له واجمعوا على ان المراد بطعام الذين اوتوا الكتاب ذبايحهم خاصة لان
ما سوى الذبايح فهي محللة قبل ان كانت لاهل الكتاب وبعد ان صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها باهل الكتاب فايدة
ولان ما قبل هذه الاية في بيان حكم الصيد والذبايح فحمل هذه الاية عليها اولى ولان ساير الطعام لا يختلف من تولاه
من كتابي وغيره وانما تختلف الذكاة فلما خص اهل الكتاب بالذكر دل على ان المراد بطعامهم ذبايحهم واختلف العلما فيما لو ذبح
يهودي او نصراني على غير اسم الله فقال ابن عمر لا يحل ذلك وهو قول ربيعة وذهب اكثر اهل العلم الى انه يحل سيل الشعبي
وعطا عن النصراني يذبح باسم المسيح فقالا يحل فان الله قد احل ذبايحهم وهو يعلم ما يقولون وقال الحسن اذا ذبح
اليهودي او النصراني وذكر غير اسم الله وانت تسمع فلا تاكل واذا غاب عنك فكل فقد احله الله لك وقد زعم قوم
ان هذه الاية اقتضت اباحة ذبايح اهل الكتاب مطلقا وان ذكروا غير اسم الله فيكون هذا ناسخا لقوله تعالى ولا
تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وليس الامر كذلك ولا نسخ لان الاصل انهم يذكرون اسم الله عند الذبح فيحمل امرهم على هذا فان تبين
انهم ذبحوا على غير اسم الله لم ناكله ولا وجه للنسخ وقوله تعالى وطعامكم حل لهم يعني وذبايحكم لهم حلال وهذا يدل على
انهم مخاطبون بشريعتنا وقال الزجاج معناه ويحل لكم ان تطعموهم من طعامكم فجعل الخطاب للمومنين على معنى ان التحليل يعود
الى اطعامنا اياهم لا اليهم لانه لا يمتنع ان يحرم الله تعالى ان يطعمهم من ذبايحنا وقيل ان الفايدة في ذكر ذلك ان اباحة المناكحة
غير حاصلة من الجانبين واباحة الذبايح كانت حاصلة من الجانبين لا جرم ذكر الله ذلك تنبيها على التمييز بين النوعين ثم قال
تعالى والمحصنات من المومنات قال مجاهد هذا الحراير فعلى هذا القول لا تدخل الامة المومنة في هذا التحليل ومن اجاز نكاحهن
اجازه بشرطين خوف العنت وعدم طول الحرة وقال ابن عباس المحصنات العفايف فعلى هذا القول لا يحل نكاح الزانية
لانها لم تدخل في هذا التحليل واباح العلما نكاحها اذا تابت وحسنت توبتها روى طارق بن شهاب ان رجلا اراد
ان يزوج اخته فقالت اني اخشى ان افضحك اني قد بغيت فاتى عمر فذكر له ذلك منها فقال اليس قد تابت قال
بلى قال فزوجها وقيل انما خص المحصنات بالذكر وهن الحراير والعفايف بعثا للمومنين على تخير النسا ليكون الولد
كريم الاصل من الطرفين وقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني واحل لكم المحصنات من اهل
الكتاب يعني اليهود والنصارى قال ابن عباس يعني الحراير من اهل الكتاب وقال الحسن والشعبي والنخعي والضحاك

Copyright King Saud University

يريد العفائف من أهل الكتاب فعلى قول ابن عباس لا يجوز التزويج بالأمة الكتابية وهو مذهب الشافعي
قال لأنه اجتمع فيها نوعان من النقصان الكفر والرق وعلى قول الحسن ومن وافقه يجوز التزويج بالأمة الكتابية
وهو مذهب أبي حنيفة لعموم هذه الآية واختلف العلماء في حكم هذه المسئلة فذهب جمهور الفقهاء إلى جواز التزويج
بالذميات من اليهود والنصارى روي أن عثمان بن عفان تزوج نائلة بنت الفرافصة على نسائه وهي
نصرانية وأن طلحة بن عبيد الله تزوج يهودية وروي عن ابن عمر كراهية ذلك ويحتج بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات
حتى يؤمن بأنه عام خص بهذه الآية فأباح الله تعالى المحصنات من أهل الكتاب وحرم من سواهن من أهل الشرك
وقال سعيد بن المسيب والحسن يجوز التزويج بالذميات والحربيات من أهل الكتاب لعموم قوله تعالى والمحصنات
من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وأجاب جمهور العلماء أن ذلك مخصوص بالذميات دون الحربيات من أهل الكتاب
قال ابن عباس من نساء أهل الكتاب من يحل لنا ومنهم من لا يحل لنا وقرأ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله إلى قوله حتى
يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون والمراد بهم أهل الذمة دون أهل الحرب من أهل الكتاب وقوله **إذا آتيتموهن أجورهن**
يعني مهورهن وهو العوض الذي يبذله الزوج للمرأة **محصنين غير مسافحين** يعني متعففين بالتزويج غير زانين
ولا متخذي أخدان يعني ولا منفردين ببغية واحدة قد خادنها وخادنته واتخذها لنفسه صديقة يفجر بها
وحد حرم الله الجماع على جهة السفاح وهو الزنا واتخاذ الصديق وهو الأخدان وأحله على جهة الإحصان وهو
التزويج بعقد صحيح **ومن يكفر بالإيمان** يعني ومن يجحد ما أمر الله به من توحيده ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وما جاء به من عند الله **فقد حبط عمله** يعني فقد بطل ثواب عمله الذي كان عمله في الدنيا وخاب وخسر في الدنيا
والآخرة وقيل معنى الآية ومن يكفر بشرائع الإيمان وتكاليفه فقد خاب وخسر وقال قتادة ذكر لنا أن ناسا من المسلمين
قالوا كيف نتزوج نساءهم يعني نساء أهل الكتاب وهم على غير ديننا فأنزل الله تعالى ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله
وهو في الآخرة من الخاسرين وقيل لما أباح الله تعالى نكاح الكتابيات قلن فيما بينهن لولا أن الله قد رضي أعمالنا
لم يبح للمؤمنين تزويجنا فأنزل الله هذه الآية والمعنى أن تزويج المسلمين إياهن ليس بالذي يخرجهن من الكفر وقيل إن
أهل الكتاب وإن حصلت لهم في الدنيا فضيلة بإباحة ذبائحهم ونكاح نسائهم إلا أن ذلك غير حاصل لهم في الآخرة لأن كل
من كفر بالله وجحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وفي الآخرة من الخاسرين وقيل إن من أحل ما حرم الله أو حرم
ما أحل الله أو جحد شيئا مما أنزل الله فقد كفر بالله وحبط عمله المتقدم **وهو في الآخرة من الخاسرين** إذا مات على ذلك وهذا الشرط
لا بد منه لأنه إذا تاب وآمن قبل الموت قبلت توبته وصح إيمانه قوله عز وجل **يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة** يعني إذا أردتم
القيام إلى الصلاة ومثله قوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله أي إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله ومثله
من الكلام إذا اتجرت فاتجر في البر أي إذا أردت التجارة وعلى هذا القول فيقتضي وجوب الوضوء عند كل صلاة وهو ظاهر
الآية ومذهب داود الظاهري وذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم إلى أنه يجزي عدة صلوات بوضوء واحد وأجيب
عن ظاهر الآية بأن المعنى إذا قمتم إلى الصلاة وأنتم على غير طهر فحذف ذلك لدلالة المعنى عليه وهذا أحد اختصارات القرآن
وهو كثير جدا ولأن النبي صلى الله عليه وسلم جمع يوم الخندق بين أربع صلوات بوضوء واحد وعن أبي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ أخرجه في الصحيحين وقيل في معنى الآية إذا قمتم إلى
الصلاة من النوم وقيل هو أمر ندب ندب من قام إلى الصلاة أن يجدد لها طهارة وإن كان على طهر ويدل عليه ما روي عن ابن عمر
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات أخرجه الترمذي وقيل هو إعلام من الله لرسول
الله صلى الله عليه وسلم أن لا وضوء عليه إلا إذا قام إلى الصلاة دون غيرها من الأعمال ويدل عليه ما روي عن ابن عباس
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما من الخلاء فقدم إليه طعام فقالوا ألا نأتيك بوضوء فقال إنما أمرت بالوضوء

إذا قمت إلى الصلاة أخرجه مسلم القول الأول هو المختار في معنى الآية وفرض الوضوء المذكورة في هذه الآية أربعة الأول
غسل الوجه وهو قوله تعالى **فاغسلوا وجوهكم** واستدل الشافعي على وجوب النية عند غسل الوجه بهذه الآية ووجهه
أن الوضوء مأمور به وكل مأمور به يجب أن يكون منويا وأما ما روي في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى والوضوء من الأعمال فيجب أن يكون منويا وإنما قلنا أن
الوضوء مأمور به وأنه من أعمال الدين لقوله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء والإخلاص عبارة
عن النية الخالصة ومتى كانت النية الخالصة معتبرة كان أصل النية في جميع الأعمال التي يتقرب بها إلى الله تعالى معتبرا
واستدل أبو حنيفة لعدم وجوب النية في الوضوء بهذه الآية ولم يوجب النية فيها فإيجاب النية زيادة على النص
والزيادة على النص نسخ ونسخ القرآن بخبر الواحد وبالقياس غير جائز وأجيب عنه بأنا إنما أوجبنا النية في الوضوء
بدلالة القرآن وهو قوله وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له وأما حد الوجه فمن منابت الرأس إلى منتهى الذقن طولا
ومن الأذن إلى الأذن عرضا لأنه مأخوذ من المواجهة فيجب غسل جميع الوجه في الوضوء ويجب إيصال الماء إلى ما تحت
الحاجبين وأهداب العينين والعذارين والشارب والعنفقة وإن كانت كثة وأما اللحية فإن كانت كثة لا ترى
البشرة من تحتها لا يجب غسل ما تحتها ويجب غسل ما تحت اللحية الخفيفة وهل يجب إمرار الماء على ظاهر ما نزل من
اللحية عن الذقن فيه قولان أحدهما وبه قال أبو حنيفة لا يجب لأن الشعر النازل عن حد الوجه لا يجب غسله والقول
الثاني يجب إمرار الماء على ظاهره لأن الوجه مأخوذ من المواجهة فتدخل جميع اللحية في حكم الوجه الفرض الثاني قوله تعالى
وأيديكم إلى المرافق يعني واغسلوا أيديكم إلى المرافق والمرفق بالكسر هو من الإنسان أعلى الذراع وأسفل العضد
وذهب جمهور العلماء إلى إدخال وجوب المرفقين في الغسل وأخاره ابن جرير الطبري ونقل عن مالك وقد سئل
عن قول الله عز وجل فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق فقال الذي أمر به أن يبلغ المرفقين في الغسل لا يجاوزهما وحجة
أصحاب هذا القول أن كلمة إلى لانتهاء الغاية وما يجعل غاية للحكم يكون خارجا عنه كما في قوله تعالى ثم أتموا الصيام إلى
الليل ولأن الحد لا يدخل في المحدود فوجب أن لا يجب غسل المرفقين في الوضوء وحجة الجمهور أن كلمة إلى هنا بمعنى مع ومنه قوله
تعالى ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم أي مع أموالكم وبعضد هذا من السنة ما صح من حديث أبي هريرة أنه توضأ فغسل وجهه
فأسبغ الوضوء ثم غسل اليمنى حتى أشرع في العضد ثم يده اليسرى حتى أشرع في العضد ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يتوضأ والجواب عن الحجة المتقدمة أن الحد إذا كان من جنس المحدود دخل فيه كما في هذه الآية لأن المرفق
من جنس اليد وإذا لم يكن من جنس المحدود فلا يدخل فيه الفرض الثالث قوله تعالى **وامسحوا برؤوسكم** اختلف العلماء
في القدر الذي يجب مسحه من الرأس فقال مالك يجب مسح جميعه وهو أحد الروايتين عن أحمد والرواية الأخرى عنه أنه
يجب مسح أكثره وقال أبو حنيفة يجب مسح ربعه وفي رواية أخرى عنه يجب مسح قدر ثلاثة أصابع منه وقال الشافعي الواجب
مسح ما يطلق عليه اسم المسح والمراد إلصاق المسح بالرأس وما مسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق المسح برأسه
فأخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب وأخذ الشافعي باليقين فأوجب مسح ما يقع عليه اسم المسح وأخذ
أبو حنيفة ببيان السنة وهو ما روي عن المغيرة بن شعبة أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح بناصيته وعلى العمامة
والخفين متفق عليه وقدر الناصية بربع الرأس الفرض الرابع قوله تعالى **وأرجلكم إلى الكعبين** اختلف العلماء في هذا
الحكم وهل فرض الرجلين المسح أو الغسل فروي عن ابن عباس أنه قال الوضوء غسلتان ومسحتان ويروى ذلك عن قتادة
أيضا ويروى عن أنس أنه قال نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل وعن عكرمة قال ليس في الرجلين غسل إنما نزل فيهما
المسح وعن الشعبي أنه قال إنما هو المسح على الرجلين ألا ترى أنه ما كان عليه
الغسل جعل عليه التيمم وما كان عليه المسح أهمل وهو مذهب الإمامية من الشيعة أن الواجب في الرجلين المسح وقال

Copyright © King Saud University

جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم والائمة الاربعة واصحابهم ان فرض الرجلين هو الغسل وقال داوود الظاهري يجب الجمع بينهما وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري المكلف مخير بين المسح والغسل وسبب هذا الاختلاف اختلاف القرا في الحرف فقرا نافع وابن عباس والكسائي وحفص عن عاصم وارجلكم بفتح اللام عطفا على الغسل فيكون من المؤخر الذي معناه التقديم ويكون المعنى فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وارجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤوسكم وقال اصحاب هذه القراءة انما امر الله عباده بغسل الارجل دون مسحها ويدل عليه ايضا فعل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعين فمن بعدهم وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابو بكر عن عاصم وارجلكم بكسر اللام عطفا على المسح اما قراءة النصب فالمعنى فيها ظاهر لانه عطف على المغسول لوجوب غسل الرجلين على مذهبهم ولا يتوجه فيه قول من خالف واما قراءة الكسر فقد اختلفوا في معناه والجواب عنه فقال ابو حاتم وابن الانباري وابو علي الكسر عطف على الممسوح غير ان المراد بالمسح في الارجل الغسل وقال ابو زيد المسح خفيف الغسل فتقول العرب تمسحت للصلاة بمعنى توضات لها وهاهنا المتمسح به للصلاة بمعنى توضا قال ابو حاتم وذلك ان المتوضي لا يرضى بصب الما على اعضائه حتى يمسحها الغسل فسمي الغسل مسحا بهذا الاعتبار فعلى هذا الراس والرجل ممسوحان لان مسح الراس خفيف والذي يدل على ان المراد بالمسح في الرجل الغسل ذكره في التحديد وهو قوله تعالى الى الكعبين لان التحديد انما جا في المغسول ولم يجي في الممسوح فلما وقع التحديد مع المسح علم انه في حكم الغسل لانه قد ينسق بالشي على غيره والحكم فيهما مختلف كما قال الشاعر • يا ليت بعلك قد غدا • متقلدا سيفا ورمحا • والمعنى وحاملا رمحا لان الرمح لا يتقلد به وكذلك قول الاخر علفتها تبنا وما باردا • يعني وسقيتها ماء باردا وكذلك المعنى في الاية وامسحوا برؤوسكم واغسلوا ارجلكم فلما لم يذكر الغسل وعطفنا الارجل على الرؤوس في الظاهر اكتفى بقيام الدليل على ان الارجل مغسولة من مفهوم الاية والاحاديث الصحيحة الواردة بغسل الرجلين في الوضوء واما من كسر اللام في الارجل على مجاورة اللفظ دون الحكم واستدل بقولهم جحر ضب خرب وقال الخرب نعت للجحر لا للضب وانما اخذ اعرابه للمجاورة فليس بجيد لان الكسر على المجاورة انما يحمل على الضرورة في الشعر ويصار اليه حيث يحصل الامن من الالتباس لان الخرب لا يكون نعتا للضب بل للجحر ولان الكسر بالجوار انما يكون بدون حرف العطف اما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب وقوله تعالى الى الكعبين فيه دليل قاطع على وجوب غسل الكعبين كما في وجوب غسل الرجلين كما في قوله تعالى وايديكم الى المرافق والمعنى واغسلوا ارجلكم مع الكعبين وقد تقدم اختلاف العلما في ذلك عند قوله الى المرافق والكعبان هما العظمان الناشزان عند مفصل الساق والقدم هذا قول جمهور العلما من اهل الفقه واللغة وشذت الشيعة ومن قال بمسح الرجلين فقال الكعب عبارة عن عظم مستدير على ظهر القدم ويدل على بطلان هذا القول ان الكعب لو كان على ما ذكروه لكان في كل رجل كعبا واحدا فكان ينبغي ان يقال وارجلكم الى الكعب كما في قوله تعالى الى المرافق فلما قال الى الكعبين علم ان لكل رجل كعبان فبطل ما قالوه وثبت قول الجمهور

فصل

قد تقدمت الفروض المذكورة في هذه الاية اربعة وهي غسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح الراس وغسل الرجلين الى الكعبين وتقدم استدلال الشافعي بهذه الاية على وجوب النية في الوضوء فصارت فروضا خمسا وذهب الشافعي ومالك واحمد الى وجوب الترتيب في الوضوء وهو ان يغسل الاعضاء في الوضوء على الولا كما ذكر الله في هذه الاية فيغسل اولا وجهه ثم يديه ثم يمسح راسه ثم يغسل رجليه فصار الترتيب فرضا سادسا وذهب ابو حنيفة الى ان الترتيب في الوضوء غير واجب واحتج الشافعي على وجوب الترتيب بهذه الاية وذلك ان الله تعالى امر بغسل الوجه ثم بغسل اليدين ثم بمسح الراس ثم بغسل الرجلين فوجب ان يتبع الفعل فيها كما امر الله تعالى ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث حجة الوداع ابدوا بما بدا الله وهذا الحديث وان ورد في قصة السعي بين الصفا والمروة فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولان افعال النبي صلى الله عليه وسلم في الوضوء ما وردت الا مرتبة كما ورد في نص الاية ولم ينقل عنه ولا عن غيره

من

من الصحابة انه توضا منكسا او غير مرتب فثبت ان ترتيب افعال الوضوء كما امر الله تعالى ونص عليه في هذه الاية واحتج ابو حنيفة لمذهبه بهذه الاية ايضا وذلك ان الواو لا توجب الترتيب فاذا قلنا بوجوب الترتيب صار ذلك زيادة على النص وذلك غير جائز واجيب عنه بانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه توضا الا مرتبا كما ذكر وبيان الكتاب انما يوخذ من السنة

فصل

في ذكر الاحاديث التي وردت في صفة الوضوء وفضله (ق) عن حمران مولى عثمان ان عثمان بن عفان دعا باناء فافرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما ثم ادخل يمينه في الاناء فمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه الى المرفقين ثلاث مرات ثم مسح براسه ثم غسل رجليه ثلاث مرات الى الكعبين ثم قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه (ق) عن عبد الله بن زيد بن عاصم الانصاري قيل له توضا لنا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا باناء فافرغ منه على يديه ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فمضمض واستنشق من كف واحد ففعل ذلك ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل يديه الى المرفقين مرتين مرتين ثم ادخل يده فاستخرجها فمسح براسه فاقبل بيديه وادبر ثم غسل رجليه الى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد في رواية بعد قوله فاقبل بيديه وادبر بدا بمقدم راسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى رجع الى المكان الذي بدا منه عن عبد خير قال اتانا علي كرم الله وجهه وقد صلى فدعا بطهور فقلنا ما يصنع بالطهور وقد صلى ما يريد الا ليعلمنا فاتي باناء فيه ما وطست فافرغ من الاناء على يمينه فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنشق ثلاثا فمضمض ونثر من كف بلحة منه ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى ثلاثا وغسل الشمال ثلاثا ثم جعل يده في الاناء فمسح براسه مرة واحدة ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا ثم غسل رجله الشمال ثلاثا ثم قال من سره ان يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو هذا اخرجه ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف الطهور فدعا بما في اناء فغسل كفيه ثلاثا ثم غسل وجهه ثلاثا ثم غسل ذراعيه ثلاثا ثم مسح براسه فادخل اصبعيه السباحتين في اذنيه ومسح بابهاميه على ظاهر اذنيه ثم غسل رجليه ثلاثا ثم قال هكذا الوضوء فمن زاد على هذا او نقص فقد اسا وظلم اخرجه ابو داود وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح براسه واذنيه ظاهرهما وباطنهما اخرجه الترمذي وصححه (ق) عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا لم يغسل عقبه فقال ويل للاعقاب من النار (م) عن جابر قال اخبرني عمر بن الخطاب ان رجلا توضا فترك موضع ظفر على قدمه فابصره النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارجع فاحسن وضوءك قال فرجع فتوضا ثم صلى اخرجه مسلم عن خالد عن بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا يصلي وفي قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الما فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يعيد الوضوء والصلاة اخرجه ابو داود (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرة سافرناها فادركنا وقد ارهقتنا الصلاة ونحن نتوضا فجعلنا نمسح على ارجلنا فنادانا باعلى صوته ويل للاعقاب من النار مرتين او ثلاثا عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا مرة مرة اخرجه ابو داود والترمذي وقال وقد روي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا ثلاثا ثلاثا (م) عن عقبة بن عامر قال كانت علينا رعاية الابل فجاءت نوبتي ارعاها فروحتها بعشي فادركت رسول الله صلى

Copyright King Saud University

الله عليه وسلم قائما يحدث الناس فادركت من قوله ما من مسلم يتوضا فيحسن وضوءه ثم يقوم
فيصلي ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة فقلت ما اجود هذا فاذا قائل
بين يدي يقول التي قبلها اجود فنظرت فاذا عمر بن الخطاب فقال اني قد رايتك جئت انفا
قال ما منكم من احد يتوضا فيبلغ الوضوء او يسبغ الوضوء ثم يقول اشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء م
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا توضا العبد المسلم او المؤمن فغسل وجهه
خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء او مع اخر قطر الماء فاذا غسل يديه خرج من
يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء او مع اخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب ق عن نعيم
بن عبد الله المجمر عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان امتي يدعون يوم القيامة
غرا محجلين من اثار الوضوء فمن استطاع ان يطيل غرته فليفعل وفي رواية قال رايت ابا هريرة
يتوضا فغسل وجهه فاسبغ الوضوء فغسل يده اليمنى حتى اشرع في العضد ثم غسل يده اليسرى
حتى اشرع في العضد ثم مسح راسه ثم غسل رجله اليمنى حتى اشرع في الساق ثم غسل رجله اليسرى
حتى اشرع في الساق ثم قال هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضا وقال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انتم الغر المحجلون يوم القيمة من اسباغ الوضوء فمن استطاع منكم ان يطيل غرته
وتحجيله وفي رواية لمسلم قال سمعت خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية
من المسلم حيث يبلغ الوضوء عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضا على طهر
كتب الله له به عشر حسنات اخرجه الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله اخرجه ابو داود وابن ماجة وقوله
تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا اي اغتسلوا امر بالاغتسال من الجنابة وذلك يجب على الرجل والمراة
باحد شيئين اما بخروج المني على اي صفة كان من احتلام او غيره او بالتقاء الختانين وان لم
يكن معه انزال فاذا حصل وجب الغسل ق عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اغتسل
من الجنابة بدا فغسل يديه ثم يفرغ بيمينه على شماله فيغسل فرجه ثم يتوضا كما يتوضا للصلاة
ثم يدخل اصابعه في الماء فيخلل بها اصول شعره ثم يصب على راسه ثلاث غرفات بيديه ثم يفيض
الماء على سائر جسده واما قوله تعالى وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط الى قوله منه فقد
تقدم تفسيره واحكامه في تفسير سورة النساء وفي قوله تعالى منه دليل على انه يجب مسح الوجه
واليدين بالصعيد وهو التراب وقوله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج يعني من ضيق مما فرض
عليكم من الوضوء والغسل والتيمم عند عدم الماء ولكن يريد ليطهركم يعني من الاحداث والذنوب
والخطايا لان الوضوء تكفير للذنوب وليتم نعمته عليكم يعني ببيان الشرائع والاحكام وما تحتاجون
اليه من امر دينكم لعلكم تشكرون يعني تشكرون نعمته عليكم بان طهركم من الاحداث والذنوب
وما جعل عليكم في الدين من حرج قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم يعني ما انعم به عليكم من النعم
كلها لان كثرة النعم وذكرها يوجب مزيد الشكر من المنعم عليه والاشتغال بطاعة المنعم بها والانقياد
لامره وهو الله تعالى وميثاقه الذي واثقكم به يعني واذكروا عهده الذي عاهدكم به ايها المؤمنون اذ قلتم
سمعنا واطعنا وذلك حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما احبوا وكرهوا

وقيل

وقيل الميثاق هو الذي اخذه عليهم في يوم الست بربكم قالوا بلى واتقوا الله يعني فيما اخذه عليكم من الميثاق
فلا تنقضوه ان الله عليم بذات الصدور يعني ان الله تعالى عالم بما في قلوب عباده من خير وشر قوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا كونوا قوامين لله قال ابن عباس يريد انهم يقومون لله بحقه ومعنى ذلك هو ان يقوموا
لله بالحق في كل ما يلزمهم القيام به من العمل بطاعته واجتناب نواهيه شهداء بالقسط يعني وتشهدون
بالعدل ولا يجرمنكم شنان قوم ولا يحملكم بغض قوم على ان لا تعدلوا على ترك العدل فيهم لعداوتهم اعدلوا
امر الله بالعدل في كل احد القريب والبعيد والصديق والعدو هو اقرب للتقوى اي العدل هو اقرب
للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون يعني ان الله تعالى خبير بجميع اعمالكم مطلع عليها وخبير بمن عدل ومن
لم يعدل قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات يعني عملوا بما امرهم الله به واوفوا بالعهود الذي
عاهدهم عليها لهم مغفرة واجر عظيم هذا بيان للوعد كانه لما قدم ذكر الوعد فقيل اي شي هذا الوعد فقال
لهم مغفرة واجر عظيم واذا وعدهم الجنة بالوعد فانه تعالى لا يخلف الميعاد والذين كفروا وكذبوا باياتنا يعني
والذين جحدوا وحدانية الله ونقضوا عهوده ومواثيقه وكذبوا بما جاءت به الرسل من عنده اولئك يعني
من هذه صفته اصحاب الجحيم هذه الاية نص قاطع في ان الخلود في النار ليس الا للكفار لان المصاحبة تقتضي
الملازمة كما يقال فلان صاحب فلان يعني الملازم له قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم يعني
اذكروا نعمة الله عليكم بالدفع عنكم مع سائر نعمه التي انعم بها عليكم ثم وصف النعمة التي ذكرهم بها وامرهم بالشكر
عليها فقال تعالى اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والبطش بكم فصرفهم عنكم وحال بينهم وبين
ما ارادوه بكم ثم اختلف اهل التفسير في سبب نزول هذه الاية وفي صفة هذه النعمة التي امر الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم بذكرها والشكر عليها فقال قتادة نزلت هذه الاية ورسول الله صلى الله عليه وسلم
ببطن نخلة حين اراد بنو ثعلبة وبنو محارب ان يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وباصحابه
اذا اشتغلوا بالصلاة فاطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وانزل صلاة الخوف وقال
الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم محاصرا غطفان بنخل فقال رجل من المشركين هل لكم ان اقتل
محمدا قالوا وكيف تقتله قال افتك به قالوا وددنا انك فعلت ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم
والنبي صلى الله عليه وسلم متقلد بسيفه فقال يا محمد ارني سيفك فاعطاه اياه فجعل الرجل يهز
السيف وينظر اليه مرة والى النبي صلى الله عليه وسلم مرة ثم قال من يمنعك مني يا محمد قال الله فتهدده
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغمد السيف ومضى فانزل الله هذه الاية وقال مجاهد وعكرمة
والكلبي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو الساعدي وهو احد النقباء ليلة العقبة
في ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بني عامر بن صعصعة فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل
فقتل المنذر واصحابه في بير معونة وهي من مياه بني عامر فاقتتلوا فقتل المنذر واصحابه الا ثلاثة
نفر كانوا في طلب ضالة لهم احدهم عمرو بن امية الضمري فلم يرعهم الا والطير تحوم في السماء يسقط
من بين مناقيرها علق الدم فقال احد النفر الثلاثة قتل اصحابنا ثم تولى يشتد حتى لقي رجلا من
المشركين فاختلفا ضربتين فلما خالطته الضربة رفع راسه الى السماء وفتح عينيه قال الله اكبر الجنة
ورب العالمين ورجع صاحباه فلقيا رجلين من بني سليم وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم
وبين قومهما موادعة فانتسبا الى بني عامر فقتلاهما وقدم قومهما الى النبي صلى الله عليه وسلم
يطلبون الدية فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد

الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب بن الاشرف وبني النضير يستعينهم في عقلهما وكانوا قد عاهدوا
النبي صلى الله عليه وسلم في ترك القتال وعلى ان يعينوه في الديات وقيل اراد ان يقترض منهم دية
رجلين فقالوا نعم يا ابا القاسم قد آن لك ان تاتينا وتسالنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك
الذي سالت فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فخلا بعض اليهود ببعض وقالوا لن تجدوا
محمدا اقرب منه الان فمن يظهر منكم على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا فقال عمرو بن جحاش
انا فجاء الى رحا عظيمة ليطرحها على النبي صلى الله عليه وسلم فامسك الله يده ونزل جبريل فاخبر النبي
صلى الله عليه وسلم بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة وقال خرج معه علي بن
ابي طالب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي لا تبرح مكانك حتى يخرج اليك اصحابي فمن خرج اليك
منهم وسالك عني فقل توجه الى المدينة ففعل ذلك حتى تناهوا اليه ثم تبعوه الى المدينة وانزل الله عز وجل الاية
هذه يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم يعني اليهود ان يبسطوا اليكم ايديهم يقال بسط يده
اليه اذا بطش به وهو اذا مدها الى المبطوش به ليقتله **فكف ايديهم عنكم** يعني انه تعالى منعهم مما
ارادوه بكم ونهاهم **واتقوا الله** يعني فيما امركم به ونهاكم عنه **وعلى الله فليتوكل المومنون** امر الله تعالى المومنين
بالتوكل عليه لانه هو الكافي عباده جميع امورهم فاذا فعلوا ذلك وتوكلوا عليه حفظهم ورعاهم ممن ارادهم
بسوء كما كف ايدي اليهود عنهم لما ارادوا ان يقتلوهم وهذه القصة اولى بالصواب لانه عقب الاية بذم اليهود
وذكر قبيح افعالهم وخياناتهم وذلك قوله تعالى **ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل** لما ذكر الله في الاية المتقدمة
بعض غدرات اليهود وما ارادوا به من كيد رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه اتبعهم بذكر اسلافهم وما
نقضوه من المواثيق والعهود ومعنى الاية ان الله اخذ ميثاقهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيا وان يعملوا بما في
التوراة من الاحكام والتكاليف **وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا** اختلف العلما في معنى النقيب فقال ابن عباس
النقيب الضمين وقال قتادة هو الشهيد على قومه وقيل هو الامين الكفيل وقيل هو الباحث عن القوم
وعن احوالهم **ذكر** القصة في ذلك قال اصحاب الاخبار والسير ان الله عز وجل وعد موسى عليه السلام ان
يورثه وقومه الارض المقدسة وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون فامر الله موسى ان يسير ببني اسرائيل
الى الارض المقدسة فاني قد كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فاني ناصرك عليهم
وخذ من قومك اثني عشر نقيبا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفا منهم على ما امروا به فاختار
موسى النقبا وسار ببني اسرائيل حتى قربوا من اريحا وهي مدينة الجبارين فبعث هولا النقبا يتجسسون
له الاخبار ويعلمون علمها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عناق وعناق امه وهي احدى بنات
ادم عليه السلام وكان طوله ثلاثة الاف ذراع وثلثمائة ذراع وثلاثة وثلاثون ذراعا وثلث ذراع
هكذا نقله البغوي وفيه نظر لان ادم عليه السلام كان طوله على ما ورد في الاحاديث الصحيحة ستون
ذراعا قال وكان عوج يحتجز بالسحاب ويشرب من مايه ويتناول الحوت من قعر البحر ويشويه في عين الشمس
ويروى ان الما طبق على الارض من جبل وغيره ما بلغ ركبتي عوج وقال لنوح عليه السلام احملني
معك في السفينة فقال نوح عليه السلام اخرج عني يا عدو الله فاني لم اومر بك وعاش عوج ثلاثة
الاف سنة حتى اهلكه الله على يد موسى عليه السلام وذلك انه قد صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى
وكان فرسخا في فرسخ وحملها على راسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فنقب الصخرة وقورها
بمنقاره فوقعت في عنقه فصرعته واقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله قال فلما لقي

عوج

عوج النقبا قال فاخذهم وجعلهم في حجزته وكان على راسه حزمة حطب وانطلق بهم الى امراته وقال انظري الى
هولا الذين يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي فقالت امراته بل خل عنهم حتى يخبروا
قومهم بما راوا وقيل انه جعلهم في كمه واتى بهم الى الملك فنثرهم بين يديه فقال لهم الملك ارجعوا الى قومكم
فاخبروهم بما رايتم وكان مما راوا ان العنقود العنب لا يحمله الا خمسة انفس منهم بينهم في خشبة ويدخل في شطر
الرمانة اذا نزع منها حبة خمسة انفس فرجع النقبا وقال بعضهم لبعض يا قوم انكم ان اخبرتم بني اسرائيل
خبر القوم رجعوا عن نبي الله موسى ولا يقاتلونهم معه اكتموا عن بني اسرائيل خبر القوم واخبروا موسى وهارون
بما رايتم فيريان رايهما فاخذ بعض النقبا على بعض الميثاق بذلك فلما رجعوا الى بني اسرائيل نكثوا العهود
والميثاق واخبر كل رجل سبطه بما راى الا رجلان منهم وهو يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فانهم اوفيا بالعهود
ولم ينكثا الميثاق فذلك قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا **وقال الله اني معكم**
فيه حذف تقديره وقال للنقبا اني معكم يعني بالنصر والمعونة وقيل هو خطاب لعامة بني اسرائيل والقول
الاول اولى لان الضمير يعود الى اقرب مذكور فكان عوده الى النقبا اولى ثم ابتدا الكلام فقال مخاطبا
لبني اسرائيل **لين اقمتم الصلاة** وهذه جملة شرطية فالشرط مركب من خمسة امور وهي قوله لين اقمتم الصلاة
وآتيتم الزكاة وامنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا وجزا الشرط قوله تعالى **لاكفرن عنكم
سياتكم** فذلك اشارة الى ازالة العقاب وقوله تعالى ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار واشارة
الى ايصال الثواب ومعنى الاية لين اقمتم الصلاة المكتوبة وآتيتم الزكاة المفروضة وامنتم برسلي يعني
بجميع رسلي وانما اخر ذكر الايمان بالرسل لان اليهود كانوا مقرين باقامة الصلاة وايتا الزكاة والايمان ببعض
الرسل فبين الله لهم انه لا يتم لكم ذلك ولا يحصل المقصود الا بالايمان بجميع الرسل وقوله تعالى وعزرتموهم
يعني ونصرتموهم واصل التعزير في اللغة الردع فمعنى وعزرتموهم نصرتموهم بان تردوا اعداهم عنهم وقيل
معناه ووقرتموهم وعظمتموهم والقول هو الاول واقرضتم الله قرضا حسنا يعني به الصدقات المندوبة
لان الزكاة تقدم ذكرها فلا فايدة في تفسير هذا القرض بالزكاة **فان قلت** كيف قال
قرضا حسنا ولم يقل اقراضا حسنا لانه مصدر اقرضتم الاقراض **قلت** ان قوله قرضا اخرج
مصدرا من معناه لا من لفظه وذلك ان اقراض بمعنى قرض فكان معنى الكلام واقرضتم الله فقرضتم قرضا
حسنا ونظير ذلك قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا اذ كان معناه فنبتم نباتا وقوله تعالى لاكفرن
عنكم سياتكم يعني اذا فعلتم ساير ما امرتكم به لامحون عنكم سياتكم واغفرها لكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها
الانهار **فمن كفر بعد ذلك منكم** يعني بعد اخذ العهد والميثاق **فقد ضل سوا السبيل** يعني فقد اخطا الطريق
المستقيمة وهو طريق الدين الذي شرعه والهدى الذي امر باتباعه قوله تعالى **فبما نقضهم ميثاقهم**
اي بسبب نقضهم الميثاق وذلك ان بني اسرائيل نقضوا ميثاق الله وعهده بان كذبوا الرسل الذي جاوا من بعد
موسى وقتلوا انبيا الله ونبذوا كتابه وضيعوا فرايضه **لعناهم** يعني جازيناهم على ذلك بان ابعدناهم
وطردناهم عن رحمتنا واصل اللعنة الابعاد عن الرحمة **وجعلنا قلوبهم قاسية** يعني غليظة يابسة لا تلين
لان القسوة خلاف اللين والرقة وقيل معناه ان قلوبهم ليست خالصة الايمان بل ايمان مشوب
بالكفر والنفاق **يحرفون الكلم عن مواضعه** يعني يغيرون حدود التوراة واحكامها وقيل تبديلهم صفة محمد
صلى الله عليه وسلم ونعته من التوراة وقيل هو تحريفهم معاني الالفاظ بسوء التاويل **ونسوا حظا
مما ذكروا به** يعني وتركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته وصفته

Copyright © King Saud University

ولا تزال تطلع على خائنة منهم قال ابن عباس يعني على معصية منهم وكانت خيانتهم نقض العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب محمد صلى الله عليه وسلم وهمهم بقتله وسمه ونحوها من خياناتهم التي ظهرت الا قليلا منهم يعني انهم لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم عبد الله بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اهل الكتاب فاعف عنهم واصفح اي فاعف عن زلاتهم يا محمد واصفح عن جرمهم وعن مواخذتهم وهذا الامر بالعفو والصفح عن اهل الكتاب منسوخ بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر الاية التي في سورة براة قاله قتادة وقيل انها غير منسوخة بل نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فغدروا ونقضوا ذلك العهد فاظهر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وانزل هذه الاية فلم تنسخ وذلك انه يجوز ان يعفو عن غدرة فعلوها ما لم ينصبوا حربا ولم يمتنعوا من اداة الجزية والصغار وعلى هذا القول بانها غير منسوخة يكون معنى الاية فاعف عن مومنهم ولا تواخذهم بما سلف منهم قبل ذلك وقيل معناه فاعف عن صغائر زلاتهم ما داموا باقين بالعهد ان الله يحب المحسنين يعني اذا عفوت عنهم فانك محسن والله يحب المحسنين قوله عز وجل ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم لما ذكر نقض اليهود الميثاق اتبعه بذكر نقض النصارى الميثاق وان سبيل النصارى مثل سبيل اليهود في نقض العهد والميثاق وانما قال تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى ولم يقل من النصارى لانهم الذين ابتدعوا هذا الاسم وسموا به لا ان الله تعالى سماهم به اخذنا ميثاقهم يعني كتبنا عليهم في الانجيل ان يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فنسوا حظا مما ذكروا به يعني وتركوا ما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة قال قتادة لما تركوا العمل بكتاب الله وعصوا رسله وضيعوا فرائضه وعطلوا حدوده القى الله العداوة والبغضاء بينهم وقيل العداوة والبغضاء هي الاهواء المختلفة وفي الهاء والميم من قوله تعالى بينهم قولان احدهما ان المراد بهم اليهود والنصارى فان العداوة والبغضاء حاصلة بينهم الى يوم القيمة والقول الثاني ان المراد بهم فرق النصارى فان كل فرقة منهم تكفر الاخرى وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون يعني ان الله تعالى يخبرهم في الاخرة باعمالهم التي عملوها في الدنيا فيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب يعني ان محمدا صلى الله عليه وسلم يظهر كثيرا مما اخفوا وكتموا من احكام التورة والانجيل وذلك انهم اخفوا اية الرجم وصفة محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ذلك واظهره وهذا معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ كتابهم ولم يعلم ما فيه فكان اظهار ذلك معجزة له ويعفو عن كثير يعني مما يكتمونه فلا يتعرض له ولا يواخذهم به لانه لا حاجة الى اظهاره والفائدة في ذلك انهم يعلمون كون النبي صلى الله عليه وسلم عالما بما يخفونه وهو معجزة له ايضا فيكون ذلك داعيا لهم الى الايمان به قد جاءكم من الله نور يعني محمدا صلى الله عليه وسلم انما سماه الله نورا لانه يهتدى به كما يهتدى بالنور في الظلام وقيل النور هو الاسلام وكتاب مبين يعني القران يهدي به الله يعني يهدي الله بالكتاب المبين من اتبع رضوانه اي اتبع ما رضيه الله وهو دين الاسلام لانه مدحه واثنى عليه سبل السلام قال ابن عباس يريد دين الاسلام لانه دين الله وهو السلام وسبيله دينه الذي شرع لعباده وبعث به رسله وامر عباده باتباعه وقيل سبل السلام دار السلام فيكون من باب حذف المضاف ويخرجهم من الظلمات الى النور يعني من ظلمات الكفر الى نور الاسلام بإذنه يعني توفيقه وهدايته ويهديهم الى صراط مستقيم يعني دين الاسلام قوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قال ابن عباس هو لا نصارى نجران فانهم قالوا هذه المقالة وهو مذهب اليعقوبية والملكية من النصارى انهم يقولون في المسيح انه الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة

لانهم

لانهم يقولون بالحلول وان الله قد حل في بدن عيسى فلما كان اعتقادهم ذلك لا جرم حكم الله عليهم بالكفر ثم ذكر الله ما يدل على فساد مذهبهم فقال تعالى قل يعني يا محمد لهولا النصارى الذين يقولون هذه المقالة فمن يملك يعني فمن يقدر ان يدفع من الله شيا يعني من امر الله شيا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه يعني اعدم المسيح وامه ومن في الارض جميعا ووجه الاحتجاج على النصارى في ذلك ان المسيح لو كان الها كما يقولون لقدر على دفع امر الله اذا اراد اهلاكه واهلاك امه وغيرهما ولله ملك السموات والارض وما بينهما انما قال وما بينهما ولم يقل وما بينهن لانه اراد ما بين هذين النوعين او الصنفين من الاشيا انها ملكه واهلها عبيده وعيسى وامه من جملة عبيده يخلق ما يشا يعني من غير اعتراض عليه فيما يخلق لانه خلق ادم من غير اب وام وخلق عيسى من ام بلا اب وخلق سائر الخلق من اب وام والله على كل شي قدير يعني ان الله تعالى لا يعجزه شي اراده فلا اعتراض لاحد من خلقه عليه قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن ابنا الله واحباوه قال ابن عباس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان وابن اضا وبحري بن عمرو وشاس بن عدي فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الله وحذرهم نقمته فقالوا ما تخوفنا يا محمد نحن والله ابنا الله واحباوه كقول النصارى فانزل الله فيهم وقالت اليهود والنصارى نحن ابنا الله واحباوه الاية وسبب هذه الاية ما حكاه السدي قال اما اليهود فانهم قالوا ان الله تعالى اوحى الى اسرائيل ان ولدك بكرك من الولد فادخلهم النار فيكونون فيها اربعين يوما حتى تطهرهم وتاكل خطاياهم ثم ينادي مناد ان اخرجوا كل مختون من ولد اسرائيل فاخرجهم فذلك قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات واما النصارى فان فريقا منهم يقولون المسيح ابن الله وكذبوا فيما قالوا على الله تعالى واما وجه قول اليهود فانهم يعنون انه يحدبه وعطفه عليهم كالاب الشفيق على الولد واما وجه قول النصارى فانهم لما قالوا في المسيح انه ابن الله وادعوا انه منهم فكانهم قالوا نحن ابنا الله لهذا السبب وقيل ان اليهود انما قالوا هذه المقالة من باب حذف المضاف والمعنى نحن ابنا رسل الله واما النصارى فانهم تاولوا قول المسيح اذهب الى ابي وابيكم وقوله اذا صليتم فقولوا يا ابانا الذي في السما لتقدس اسمك فذهبوا الى ظاهر هذه المقالة ولو يعلمون لعلموا ان المسيح ان صحت هذه المقالة عنه فان تاويلها انه بره ورحمته وعطفه على عباده الصالحين كالاب الرحيم لولده وجملة الكلام في ذلك ان اليهود والنصارى كانوا يرون لانفسهم فضلا على من سواهم بسبب اسلافهم الافاضل حتى انتهوا في تعظيم انفسهم الى ان قالوا نحن ابنا الله واحباوه فابطل الله عز وجل دعواهم وكذبهم فيما قالوا بقوله تعالى قل فلم يعذبكم بذنوبكم معناه ليس الامر كما تزعمون بل يعذبكم الله وانتم قد اقررتم على انفسكم يعني انه يعذبكم اربعين يوما وهل رايتم والدا يعذب ولده بالنار وهل تطيب نفس محب ان يعذب حبيبه في النار بل انتم بشر ممن خلق يعني بل انتم يا معشر اليهود والنصارى كسائر بني ادم مجزيون بالاساة والاحسان وقوله تعالى يغفر لمن يشا يعني لمن تاب يعني من اليهودية والنصرانية ويعذب من يشا يعني من مات على اليهودية والنصرانية وقيل معناه يهدي من يشا فيغفر له ويميت من يشا على كفره فيعذبه ولله ملك السموات والارض وما بينهما يعني انه تعالى يملك ذلك لا شريك له في ذلك فيعارضه وهو الذي يملك المغفرة لمن يشا والتعذيب لمن يشا وفيه دليل على انه تعالى لا ولد له لان من يملك السموات والارض يستحيل ان يكون له شبيه من خلقه او شريك في ملكه واليه المصير يعني والى الله مرجع العباد في الاخرة فيجازيهم باعمالهم قوله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل قال ابن عباس قال معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب لليهود يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله انكم تعلمون انه رسول الله لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهودا ما قلنا ذلك لكم وما انزل الله من كتاب بعد موسى ولا ارسل بشيرا ولا نذيرا بعده فانزل الله هذه الاية يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يعني محمدا صلى الله عليه

Copyright © King Saud University

وسلم يبين لكم يعني احكام الدين والشرائع على فترة من الرسل قال ابن عباس يعني على انقطاع من الرسل واختلف العلما
في قدر مدة الفترة فروي عن سلمان قال الفترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة اخرجه البخاري
وقال قتادة كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة وما شاء الله من ذلك وعنه انه خمسمائة
وستون سنة وقال ابن السائب خمسمائة واربعون سنة وقال الضحاك انها اربعمائة وبضع وثلاثون
سنة ونقل ابن الجوزي عن ابن عباس على فترة من الرسل قال على انقطاع منهم قال وكان بين ميلاد عيسى وميلاد
محمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وتسعة وستون سنة وهي الفترة وكان بين عيسى ومحمد اربعة من
الرسل فذلك قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث قال والرابع لا ادري من هو فكانت تلك
السنين مائة واربع وثلاثون سنة نبوة وسائرها فترة قال ابو سليمان الدمشقي والرابع والله اعلم خالد
ابن سنان الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي ضيعه قومه قال الامام فخر الدين الرازي
والفائدة في بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عند فترة الرسل ان التحريف والتغيير كان قد تطرق الى الشرائع المتقدمة
لتقادم عهدها وطول زمانها وسبب ذلك اختلاط الحق بالباطل والكذب بالصدق فصار ذلك عذرا ظاهرا
في اعراض الخلق عن العبادات لان لهم ان يقولوا الهنا عرفنا انه لا بد من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف نعبدك
فبعث الله في هذا الوقت محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العذر فذلك قوله عز وجل ان تقولوا ما جاءنا من
بشير ولا نذير يعني لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير في هذا الوقت فقد
جاءكم بشير ونذير يعني فقد ارسلت اليكم محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العذر والله على كل شيء قدير يعني
الله تعالى قادر على بعثة الرسل في وقت الحاجة اليهم قوله عز وجل واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة
الله عليكم قال ابن عباس اذكروا عافية الله وقيل معناه اذكروا ايادي الله عندكم وايامه التي انعم فيها عليكم قال
الطبري هذا تعريف من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قديم وهو تمادي هولاء اليهود في الغي وبعدهم عن الحق
وسوء اختيارهم لانفسهم وشدة مخالفتهم لانبيائهم مع كثرة نعم الله عليهم وتتابع اياديه والائه لديهم ومسليا
بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما نزل به من مقاساتهم ومصالحتهم في ذات الله عز وجل اذ جعل فيكم
انبيا يعني ان موسى عليه السلام ذكر قومه بني اسرائيل بايام الله عندهم وبما انعم عليهم فقال اذكروا نعمة الله عليكم
اذ فضلكم بان جعل فيكم انبيا قال الكلبي هم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه وانطلقوا معه الى الجبل وايضا
كان انبيا بني اسرائيل هم من اولاد يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام وهولاء لا شك انهم من اكابر الانبيا
واولاد يعقوب هم الاسباط انبيا على قول الاكثرين وموسى وهرون عليهما السلام وايضا فان الله تعالى اعلم
موسى انه يبعث من بعده في بني اسرائيل انبيا فانه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبيا فكان هذا شرفا
عظيما لهم ونعمة ظاهرة عليهم وجعلكم ملوكا يعني وجعلكم احرارا تملكون انفسكم بعد ان كنتم عبيدا في ايدي
القبط قال ابن عباس يعني جعلكم اصحاب خدم وحشم قال قتادة كانوا اول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم
وروي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان بنو اسرائيل اذا كان لاحدهم خادم وامراة ودابة
يكتب ملكا ذكره البغوي بغير سند وسال رجل عبد الله بن عمرو بن العاص فقال الستا من فقرا المهاجرين فقال عبد
الله الك امراة تاوي اليها قال نعم قال الك مسكن تسكنه قال نعم قال انت من الاغنيا قال فان لي خادما قال فانت
من الملوك وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية ومن كان مسكنه واسعا وفيه ماء جار فهو
ملك واتاكم ما لم يوت احدا من العالمين يعني من عالمي زمانكم يذكرهم ما انعم الله به عليهم من فلق البحر لهم وتظليل الغمام
فوقهم الى غير ذلك من النعم التي انعم الله بها عليهم قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم لما ذكر موسى

قومه

قومه ما انعم الله به عليهم امرهم بالخروج الى جهاد عدوهم فقال ادخلوا الارض المقدسة يعني المطهرة سميت مقدسة
لانها طهرت من الشرك وصارت مسكنا للانبيا والمومنين وقيل المقدسة المباركة قال الكلبي صعد ابراهيم
صلى الله عليه وسلم جبل لبنان فقيل له انظر فما ادرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك والارض هي
الطور وما حوله وقيل هي اريحا وفلسطين وبعض الاردن وقيل هي دمشق وقيل هي الشام كلها قال كعب
الاحبار وجدت في كتاب الله المنزل ان الشام كنز الله في ارضه وبها اكثر عباده التي كتب الله لكم يعني كتب الله
لكم في اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقيل فرض الله عليكم دخولها وامركم بسكناها وقيل وهبها لكم **فان**
قلت كيف قال الله تعالى ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم وقوله فانها محرمة عليهم
وكيف الجمع بينهما **قلت** فيه وجوه احدها انها كانت هبة من الله ثم حرمها عليهم بشوم
تمردهم وعصيانهم الوجه الثاني ان اللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الخصوص فصار كانه مكتوب لبعضهم
وحرام على بعضهم فان يوشع بن نون وكالب بن يوقنا دخلاها وكانا ممن خوطب بهذا الخطاب الوجه الثالث انه قال
انها محرمة عليهم اربعين سنة فلما مضت الاربعين دخلوها وكانت هبة لهم كما وعدهم الله تعالى وقوله تعالى
ولا ترتدوا على ادباركم يعني ولا ترجعوا القهقرى مرتدين على اعقابكم الى ورائكم ولكن امضوا لامر الله الذي امركم
به وان فعلتم خلاف ما امركم الله به فتنقلبوا خاسرين يعني فترجعوا خائبين لانكم رددتم امر الله عز وجل قالوا
يعني قوم موسى يا موسى ان فيها يعني في الارض المقدسة قوما جبارين يعني قوما عاتين لا طاقة لنا بهم ولا قوة لنا
بقتالهم وسموا جبارين لشدة بطشهم وعظم خلقهم وكانوا ذوي اجسام عظيمة واشكال هائلة وهم
من العمالقة بقية قوم عاد واصل الجبار في صفة الانسان فعال من جبره على الامر يعني اجبره عليه وهو العاتي الذي
يجبر الناس على ما يريد وقيل انه ماخوذ من قولهم نخلة جبارة اذا كانت طويلة مرتفعة لا تصل الايدي اليها ويقال
رجل جبار اذا كان طويلا عظيما قويا تشبيها له بالجبار من النخل وانا لن ندخلها يعني ارض الجبارين التي امرهم
الله بدخولها حتى يخرجوا منها حتى يخرج الجبارون من الارض المقدسة وانما قالوا ذلك استبعادا
لخروج الجبارين من ارضهم فان يخرجوا منها فانا داخلون يعني اليها قال العلما بالاخبار ان النقبا لما خرجوا يتجسسون
الاخبار لموسى عليه السلام فلما رجعوا الى موسى واخبروه خبر القوم وما عاينوه منهم قال لهم موسى لا تخبروا بني اسرائيل
بهذا فيجبنوا او يضعفوا عن قتالهم وقيل ان النقبا الاثني عشر لما خرجوا من ارض الجبارين قال بعضهم لبعض
لا تخبروا بني اسرائيل بما رايتم فلما رجعوا اخبروا موسى فامرهم ان لا يخبروا بني اسرائيل بذلك فنقضوا العهد
واخبر كل رجل من النقبا سبطه بما راى الا يوشع بن نون وكالب فانهما كتما ووفيا بالعهد فلما علم بنو اسرائيل بذلك
وفشا ذلك فيهم رفعوا اصواتهم بالبكا وقالوا ليتنا متنا في ارض مصر ولا يدخلنا الله ارضهم فيكون نساونا واموالنا
واولادنا غنيمة لهم وجعل الرجل من بني اسرائيل يقول لصاحبه تعال نجعل لنا راسا وننصرف الى مصر فلما قال
بنو اسرائيل ذلك وهموا بالانصراف الى مصر خر موسى وهارون ساجدين وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان
اخبر الله عنهما بقوله قال رجلان من الذين يخافون يعني يخافون الله ويراقبونه انعم الله عليهما يعني بالهداية
والوفا بالعهد ادخلوا عليهم الباب يعني قال الرجلان وهما يوشع بن نون وكالب بن يوقنا لبني اسرائيل
ادخلوا على الجبارين باب مدينتهم فاذا دخلتموه فانكم غالبون لان الله وعدكم بالنصر وان الله منجز لكم وعده
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين يعني يقول الرجلان لقوم موسى ثقوا بالله فانه معكم وناصركم ان كنتم مصدقين
بان الله ناصركم ولا يهولنكم عظم اجسامهم فانا قد رايناهم وكانت اجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلما قالا ذلك
اراد بنو اسرائيل ان يرجموهما بالحجارة وعصوا امرهما وقالوا لهما ما اخبر الله عنهم بقوله تعالى قالوا يا موسى انا لن

Copyright © King Saud University

تدخلها ابدا يعني قالت قوم موسى لموسى انا لن ندخل مدينة الجبارين ابدا يعني مدة حياتنا ما داموا فيها
يعني مقيمين فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون انما قالوا هذه المقالة لان مذهب اليهود التجسيم وكانوا
يجوزون الذهاب والمجيء على الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال بعض العلماء ان كانوا قالوا هذا على وجه الذهاب
من مكان الى مكان فهو كفر وان كانوا قالوه على وجه الخلاف لامر الله وامر نبيه موسى فهو فسق وقال بعضهم انما قالوا
على وجه المجاز والمعنى اذهب انت وربك معين معك لكن قوله فقاتلا لا يفسد هذا التاويل وقال بعضهم انما ارادوا
بقولهم انت وربك اخاه هرون لانه كان اكبر من موسى والاصح انما قالوا ذلك جهلا منهم بالله تعالى وصفاته ومنه قوله
تعالى وما قدروا الله حق قدره (خ) عن ابن مسعود قال شهدت من المقداد بن الاسود مشهدا لان اكون انا صاحبه احب
الي مما عدل به اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين يوم بدر فقال يا رسول الله انا لا نقول كما قالت بنوا
اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن امض ونحن معك فكانه سري عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي رواية انا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك فرايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم اشرق وجهه وسره قوله تعالى قال يعني قال موسى عليه السلام رب اي يا رب اني لا املك الا نفسي واخي يعني
انا لا املك الا نفسي واخي لا يملك الا نفسه وقيل معناه لا املك الا نفسي ونفس اخي لانه كان يطيعه واذا كان كذلك
فقد ملكه وانما قال موسى لا املك الا نفسي واخي وان كان معه في طاعته يوشع بن نون وكالب بن يوقنا
لاختصاص هارون به ولمزيد الاعتناء باخيه ويحتمل ان يكون معناه واخي في الدين وان كان على دينه وطاعته
فهو اخوه في الدين فعلى هذا الاحتمال يدخل الرجلان في قوله واخي ثم قال فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين
اي افصل وقيل احكم بيننا وبين القوم الفاسقين يعني الخارجين عن طاعتك وانما قال موسى ذلك
لما راى من بني اسرائيل وما فعلوه من مخالفة الله وهمهم بيوشع وكالب غضب موسى لذلك ودعا عليهم فاجاب الله
تعالى دعاء موسى عليه السلام ف قال الله عز وجل فانها محرمة عليهم يعني فان الارض المقدسة محرمة عليهم ومعنى
ان تلك البلدة محرمة عليهم ابدا ولم يرد بحرمتها تحريم تعبد وانما اراد تحريم منع فاوحى الله تعالى انه حلف لاحرمن عليهم
دخول الارض المقدسة غير عبدي يوشع وكالب ولاميتنهم في هذه البرية اربعين سنة فكان كل يوم من الايام
التي كانوا يتجسسون فيها سنة ولالقين جيفهم في هذه القفار واما ابناؤهم الذين لم يعملوا الشر فيدخلونها
فذلك قوله تعالى فانها يعني الارض المقدسة محرمة عليهم قال اكثر اهل العلم هذا تحريم منع لا تحريم تعبد وقيل
ان يكون تحريم تعبد فيجوز ان يكون الله تعالى امرهم بان يمكثوا في تلك المفازة في الشدة والبلية عقابا لهم
على سوء صنيعهم اربعين سنة ثم قال ان الكلام عند قوله فانها محرمة عليهم فالاربعين سنة يتيهون في
الارض اما المحرمة فانها لمؤبدة حتى يموتوا ويدخلها غيرهم وقيل معناه ان الارض المقدسة محرمة عليهم اربعين
سنة ثم يدخلونها وتفتح لهم وقوله تعالى يتيهون في الارض يعني يتحيرون فيها يقال تاه يتيه اذا تحير
واختلفوا في مقدار الارض التي تاهوا فيها فقيل مقدار ستة فراسخ وقيل ستة فراسخ في اثني عشر فرسخا وقيل
تسع فراسخ في ثلاثين فرسخا وكان القوم سيارة القفار كانوا يرحلون ويسيرون يومهم اجمع فاذا امسوا
اذا هم في الموضع الذي رحلوا عنه وكان ذلك التيه عقوبة لبني اسرائيل ما خلا موسى وهارون ويوشع وكالب
فان الله تعالى سهله عليهم واعانهم عليه كما سهل على ابراهيم النار وجعلها بردا وسلاما **فان قلت**
كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم في هذا المقدار الصغير من الارض اربعين سنة بحيث لم يخرج منه احد
قلت هذا من باب خوارق العادات في ازمان الانبياء غير مستبعد فان الله على كل شيء قدير
وقيل ان فسرنا ذلك التحريم بتحريم التعبد زال هذا الاشكال لاحتمال ان الله حرم عليهم الخروج من تلك

الارض

الارض بل امرنا بالمكث اربعين سنة في الشدة والمحنة جزاء لهم على سوء صنيعهم ومخالفتهم امر الله ولما حصل بنوا اسرائيل
في التيه شكوا الى موسى عليه السلام حالهم فانزل الله عليهم المن والسلوى واعطوا من الكسوة ما هي قائمة لهم فينشو الناشئ
منهم فتكون معه على مقداره وهيئته وسال موسى ربه ان يسقيهم فاتى بحجر ابيض من جبل الطور وكان اذا نزل
ضربه بعصاه فيخرج منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط منهم عين وارسل الله عليهم الغمام يظللهم في التيه ومات في التيه
من دخله ممن جاوز عشرين سنة غير يوشع بن نون وكالب بن يوقنا ولم يدخل اريحا ممن قال لن ندخلها ابدا واختلفوا
ان موسى عليه السلام مات في التيه ام خرج منه فقيل ان موسى وهارون ماتا في التيه جميعا **قصة**
وفاة موسى وهارون عليهما السلام فاما هارون فانه كان اكبر من موسى بسنة قال السدي اوحى الله عز وجل
الى موسى اني متوفي هارون فات به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل فاذا بشجرة لم ير
مثلها واذا بيت مبني وفيه سرير عليه فراش وفيه رائحة طيبة فلما راى هارون ذلك البيت اعجبه وقال
يا موسى اني احب ان انام على هذا السرير قال له نم قال اني اخاف ان ياتي رب هذا البيت فيغضب علي قال لا تخف
اني اكفيك رب هذا البيت فنم قال يا موسى نم انت معي فان جاء رب هذا البيت غضب علي وعليك
جميعا فلما ناما اخذ هارون الموت فلما وجد حسه قال يا موسى خدعتني فلما قبض هارون رفع البيت
والسرير الى السماء وذهبت الشجرة فرجع موسى الى بني اسرائيل وليس هارون معه فقالت بنوا اسرائيل
حسد موسى لهرون فقتله لحبنا اياه قال موسى ويحكم ان هارون كان اخي افتروني اقتله فلما اكثروا عليه
قال هارون فنظروا اليه وهو بين السماء والارض فصدقوه ثم رفع وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
صعد موسى عليه السلام وهارون الى الجبل فمات هارون وبقي موسى فقالت بنوا اسرائيل لموسى انت قتلته
واذوه فامر الله الملائكة فحملوه حتى مروا به على بني اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته فصدقت بنوا اسرائيل
انه مات وبرا الله موسى مما قالوه ثم ان الملائكة حملوه ودفنوه فلم يطلع على قبره احد الا الرخم فجعله الله اصم
ابكم **واما** وفاة موسى عليه السلام فقال ابن اسحاق كان صفي الله موسى عليه السلام قد كره الموت
واعظمه فاراد الله ان يحبب اليه الموت فنبا يوشع بن نون فكان موسى يغدو ويروح اليه ويقول له يا نبي الله
ما احدث الله اليك فيقول له يوشع يا نبي الله الم اصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت اسالك عن شيء مما احدث الله
اليك حتى كنت انت الذي تبتدئ به وتذكره لي ولا يذكر له شيئا فلما راى موسى ذلك كره الحياة واحب الموت
(ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل ملك الموت الى موسى فلما جاءه صكه ففقا
عينه فرجع الى ربه فقال ارسلتني الى عبد لا يريد الموت فرد الله عليه عينه فقال ارجع اليه فقل له يضع
يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده من شعرة سنة قال اي رب ثم ماذا قال ثم الموت قال فالان
فسال الله ان يدنيه من الارض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لاريتكم
قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر وفي رواية لمسلم قال جاء ملك الموت الى موسى فقال اجب ربك فلطم
موسى عين ملك الموت ففقاها ثم ذكر معنى ما تقدم قال الشيخ محيي الدين النواوي قال المازري قد انكر بعض
الملاحدة هذا الحديث وانكر تصوره قالوا كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت واجاب العلماء عنه باجوبة
احدها انه لا يمتنع ان يكون الله قد اذن لموسى في هذه اللطمة ويكون ذلك امتحانا للملطوم والله تعالى يفعل في
خلقه ما يشاء ويمتحنهم بما اراد الثاني ان موسى لم يعلم انه ملك من عند الله وظن انه رجل قصده يريد قتله
نفسه فدافعه عنها فادت المدافعة الى فقء عينه لا انه قصدها بالفقء قال الشيخ وهذا جواب الامام ابي بكر
ابن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره المازري والقاضي عياض قالوا وليس في الحديث تصريح بانه قصد

Copyright © King Saud University

فتاعينه فان قيل كيف اعترف موسى حين جاءه ثانيا بانه ملك الموت **فالجواب** انه اتاه في المرة
الثانية بعلامة علم انه ملك الموت فاستسلم له بخلاف المرة الاولى واما سؤال موسى الادنا من الارض المقدسة
فلشرفها وفضلها وفضل من فيها من المدفونين من الانبيا وغيرهم وفيه دليل على استحباب الدفن في المواضع
الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من مدافن الصالحين قال بعض العلما وانما سال موسى ادناه ولم يسال
نفس بيت المقدس لانه خاف ان يكون قبره مشهورا عندهم فيفتتن به الناس والله اعلم قال وهب بن منبه
خرج موسى لبعض حاجته فمر برهط من الملايكة يحفرون قبرا لم ير شيا احسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة
والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملايكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا لعبد كريم على ربه فقال ان هذا
العبد من الله ما رايت مثله كاليوم فقالت الملايكة يا صفي الله اتحب ان يكون لك قال وددت قالوا فانزل بمنزلة
واضطجع فيه وتوجه الى ربك فنزل واضطجع وتوجه الى ربه عز وجل ثم تنفس اسهل نفس فقبض الله
روحه ثم سوت الملايكة عليه التراب وقيل ان ملك الموت اتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه
وكان عمر موسى عليه السلام مائة سنة وعشرون سنة فلما مات موسى عليه السلام وانقضت الاربعون سنة
وبعث الله يوشع نبيا الى بني اسرايل فاخبرهم ان الله قد امره بقتال الجبارين فصدقوه وتابعوه فتوجه ببني اسرايل
الى اريحا وهي مدينة الجبارين ومعه تابوت الميثاق فاحاط باريحا ستة اشهر فلما كان في السابع نفخوا في القرون
وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم وكانت
العصابة من بني اسرايل يجتمعون على عنق الرجل من الجبابرة يضربونها حتى يقطعونها وكان القتال والفتح يوم الجمعة
فبقيت منهم بقية وكادت الشمس ان تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد على الشمس وقال للشمس انك
في طاعة الله وانا في طاعة الله وسال الشمس ان تقف والقمر ان يقف حتى ينتقم من اعدا الله قبل دخول السبت فرد الله
عليه الشمس وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم اجمعين وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم احدا وثلاثين ملكا
حتى غلب على جميع ارض الشام وصارت كلها لبني اسرايل وفرق عماله في نواحيها وجمع الغنايم فجاءت النار لتاكلها فلم تطعمها
فقال ان فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة رجل فبايعوه فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاؤوا
براس ثور من ذهب مكلل باليواقيت والجوهر قد غله رجل منهم فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فاكلت
الرجل والقربان وفي الصحيح الحديث ما يدل على صحة هذا وهو ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم غزا نبي من الانبيا فقال لقومه لا يتبعني رجل ملك بضع امراة وهو يريد ان يبني بها ولم يبن بها
ولا احد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ولا رجل اشترى غنما او خلفات وهو ينتظر ولادها فغزا فدنا من القرية
صلاة العصر او قريبا من ذلك فقال للشمس انك مامورة وانا مامور اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه
فجمع الغنايم فجاءت يعني النار لتاكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة رجل فلزقت يد رجل
بيده فقال فيكم الغلول فجاؤوا براس مثل راس بقرة من الذهب فوضعها فجاءت النار فاكلتها زاد في رواية فلم تحل
الغنايم لاحد قبلنا ثم احل الله لنا الغنايم لما راى ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا اخرجه البخاري ومسلم **شرح**
غريب هذا الحديث قوله لا يتبعني رجل ملك بضع امراة البضع بضم البا كناية عن فرج المراة ولم يبن بها
اي لم يدخل عليها والخلفات النوق الحوامل وقوله للشمس انك مامورة وانا مامور اللهم احبسها علي قال الشيخ
محيي الدين قال القاضي عياض اختلف الناس في حبس الشمس المذكورة هنا فقيل ردت الى ورايها وقيل وقفت
ولم ترد وقيل بطئ حركتها وذلك من معجزات النبوة قال ويقال ان الذي حبست عليه الشمس يوشع بن نون قال
القاضي وقد روي ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حبست له الشمس مرتين احدهما يوم الخندق حين شغلوا عن

صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله عليه حتى صلى العصر روى ذلك الطحاوي وقال رواته ثقات والثانية
صبيحة ليلة الاسرا حين انتظر العير حين اخبر بوصولها مع شروق الشمس ذكره يونس بن بكير في زيادته على سيرة ابن
اسحاق وقال وهب ثم مات يوشع بن نون ودفن في جبل افرائيم وكان عمره مائة سنة وستا وعشرين سنة
وقيل ان الذي فتح اريحا هو موسى عليه السلام وكان يوشع بن نون على مقدمته فسار اليهم بمن بقي من بني اسرايل
فدخلها يوشع وقاتل الجبابرة ثم دخلها موسى واقام بها ما شا الله تعالى ثم قبضه الله اليه ولا يعلم احد قبره ومما
احتج به قايل هذا باتفاق العلما ان موسى عليه السلام هو الذي قتل عوج بن عناق وهذا القول هو اختيار الطبري
ونقل عن السدي قال غضب موسى على قومه فدعا عليهم فقال رب اني لا املك الا نفسي واخي الاية فقال الله
عز وجل فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلما ضرب عليهم التيه ندم موسى واتاه قومه الذين
كانوا يطيعونه فقالوا له ما صنعت بنا يا موسى فمكثوا في التيه فلما خرجوا منه رفع المن والسلوى والبقول والتقى
موسى وعوج فحنزا موسى في السما عشرة اذرع وكانت عصاه عشرة اذرع وكان طوله عشرة اذرع فاصاب كعب عوج
فقتله قال الطبري ولو كان قتل موسى اياه قبل مصيره في التيه لم تخرج بنو اسرايل لانه كان من اعظم الجبارين وروي
عن نوف قال كان سرير عوج ثمانمائة ذراع قال وان اهل العلم باخبار الاولين مجمعون على ان بلعم بن باعورا كان
ممن اعان الجبارين بالدعا على موسى لانه كان يعلم الاسم الاعظم فدعا عليه موسى وستاتي قصته في سورة الاعراف
ان شا الله تعالى وقوله تعالى فلا تاس على القوم الفاسقين يعني لا تحزن عليهم لانهم اهل مخالفة وخروج عن الطاعة
وقيل لما ندم موسى على ما دعى على قومه اوحى الله اليه فلا تاس على القوم الفاسقين قال الزجاج وجايز ان يكون خطابا
لمحمد صلى الله عليه وسلم اي لا تحزن يا محمد على قوم لم يزل شانهم المعاصي ومخالفة الرسل قوله عز وجل واتل عليهم نبا
ابني ادم بالحق اي اذكر لقومك واخبرهم خبر ابني ادم وهما هابيل وقابيل في قول جمهور المفسرين ونقل عن الحسن
والضحاك ان ابني ادم اللذين قربا القربان ما كانا ابني ادم لصلبه وانما كانا رجلين من بني اسرايل ويدل عليه قوله تعالى
في اخر القصة من اجل ذلك كتبنا على بني اسرايل انه من قتل نفسا بغير نفس الاية والصحيح ما ذهب اليه جمهور المفسرين لان الله
تعالى قال في اخر القصة فبعث الله غرابا يبحث في الارض لان القاتل جهل ما يصنع بالمقتول حتى تعلم من فعل الغراب
بالحق اي اخبرهم خبرا متلبسا بالحق والصدق لانه من عند الله وموافقا لما في الكتب المتقدمة وهم يعلمون صحته ومقصود هذا
الخبر ومن تقبيح الحسد لان المشركين واهل الكتاب كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قربا قربانا
القربان اسم لما يتقرب به الى الله عز وجل من صدقة او ذبيحة او نسك او غير ذلك مما يتقرب به **ذكر قصة**
القربان وسببه وقصة قتل قابيل هابيل ذكر اهل العلم بالاخبار والسير ان حوى كانت تلد لادم في كل بطن
غلام وجارية وكان جميع ما ولدته اربعون ولدا في عشرين بطنا اولهم قابيل وتوامته اقليما واخرهم عبد المغيث
وتوامته ام المغيث ثم بارك الله في نسل ادم قال ابن عباس لم يمت ادم حتى بلغ ولده وولد ولده اربعين الفا
واختلفوا في مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشي ادم حوى بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل
وتوامته اقليما في بطن ثم هابيل وتوامته لبودا في بطن وقال محمد بن اسحاق عن بعض اهل العلم بالكتاب
الاول ان ادم كان يغشى حوى في الجنة قبل ان يصيب الخطيئة فحملت بقابيل واخته فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا
ولا طلقا ولم تر دما وقت الولادة فلما هبطا الى الارض تغشاها فحملت بهابيل وتوامته فوجدت عليهما الوحم
والوصب والطلق والدم وكان اذا كبر اولادهما زوج غلام هذا البطن جارية بطن اخرى وكان الرجل منهم يتزوج
اي اخواته شا غير توامته التي ولدت معه لانه لم يكن يومئذ نسا الا اخواتهم فلما كبر قابيل واخوه هابيل وكان
بينهما سنتين فلما بلغوا امر الله ادم ان يزوج قابيل لبودا اخت هابيل ويزوج هابيل اقليما اخت قابيل وكانت

Copyright © King Saud University

فعليها احسن من لبوذا فذكر ادم ذلك لهما فرضي هابيل وسخط قابيل وقال هي اختي وانا احق بها ونحن من ولاد الجنة
وهما من ولاد الارض فقال له ابوه ادم انها لا تحل لك فابى ان يقبل ذلك وقال ان الله لم يامرك بهذا وانما هو من
رايك فقال لهما ادم قربا قربانا فايكما تقبل قربانه فهو احق بها وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت من
السما نار بيضا فاكلتها وان لم تكن مقبولة لم تنزل النار بل تاكله الطير والسباع فخرجا من عند ادم ليقربا القربان وكان
قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام ردي واضمر في نفسه لا ابالي ايتقبل امر لا لا يتزوج اختي احد غيري وكان هابيل
صاحب غنم فعمد الى كبش في غنمه فقربه واضمر في نفسه رضى الله فوضعا قربانهما على جبل ثم دعا ادم فنزلت النار من السما
فاكلت قربان هابيل ولم تاكل قربان قابيل فذلك قوله تعالى فتقبل من احدهما يعني هابيل ولم يتقبل من الاخر يعني
قابيل فغضب قابيل اذ لم يتقبل قربانه فاضمر لاخيه الحسد الى ان اتى ادم مكة لزيارة البيت وغاب عنهم
فاتى قابيل هابيل وهو في غنمه قال لاقتلنك قال هابيل ولم تقتلني قال قابيل لان الله تقبل قربانك
ورد قرباني وتريد ان تنكح اختي الحسنا وانكح اختك الدميمة فيتحدث الناس بانك خير مني ويفخر ولدك على ولدي
فقال هابيل وما ذنبي قال انما يتقبل الله من المتقين يعني ان حصول التقوى شرط في قبول الاعمال فلذلك كان اخذ القربانين
مقبولا دون الاخر ولان التقوى من اعمال القلوب وكان قد اضمر في قلبه الحسد لاخيه على تقبل قربانه ولو عده بالقتل
وقال انما اتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى وانما يتقبل الله من المتقين فاجابه بجواب مختصر وقيل
يحتمل ان يكون خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم فكان تعالى بين للنبي صلى الله عليه وسلم انما لم يتقبل قربانه
لانه لم يكن متقيا وانما يتقبل الله من المتقين ثم قال تعالى اخبارا عن هابيل لئن بسطت الي يدك يعني لئن
مددت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك يعني ما انا بمنتصر لنفسي بل استسلم لامر الله وقيل معناه
ما كنت بمبتديك بالقتل وذلك ان الله كان قد حرم عليهم قتل نفس بغير نفس ظلما وقال مجاهد كان قد كتب عليهم
اذا اراد الرجل ان يقتل رجلا تركه ولا يمتنع منه وقيل ان المقتول كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج عن
قتل اخيه فاستسلم له خوفا من الله فذلك قوله اني اخاف الله رب العالمين والمعنى اني اخاف الله في بسط يدي اليك ان
بسطتها لتقتلك فما بني على ذلك قوله عز وجل اخبارا عن هابيل اني اريد ان تبوء باثمي واثمك يعني ترجع باثم قتلي واثمك
حتى ترجع باثم قتلي الى اثم معاصيك التي عملتها من قبل

فان قلت كيف قال هابيل اني اريد
وارادة القتل والمعصية من الغير لا تجوز **قلت** اجاب ابن الانباري عن هذا بان قال ان قابيل
لما قال لاخيه هابيل لاقتلنك وعظه هابيل وذكره الله واستعطفه قال ولئن بسطت الي يدك الاية فلم يرجع
فلما راه هابيل قد صمم على القتل واخذ له الحجارة ليرميه بها قال له هابيل عند ذلك اني اريد ان تبوء باثمي واثمك اي
اذا قتلتني ولم يندفع قتلك ابای الا بقتلي اياك فحينئذ يلزمك اثم قتلي اذا قتلتني فكان هذا عدلا من هابيل
واليه اشار الزجاج فقال معناه ان قتلتني فانا مريد لذلك فهذه الارادة منه بشرط ان يكون قاتله
والانسان اذا تمنى ان يكون اثم دمه على قاتله لم يلم على ذلك وعلى هذا التاويل قال بعضهم معناه اني اريد ان
تبوء بعقاب اثمي واثمك فحذف المضاف وباء باثم اي بعقاب ذلك الاثم ذكره الواحدي وقال الزمخشري ليس ذلك
بحقيقة الارادة لكنه لما علم انه يقتله لا محالة ووطن نفسه على الاستسلام للقتل طلبا للثواب فكانه صار مريدا
لقتله مجازا وان لم يكن مريدا حقيقة فتكون من اصحاب النار يعني الملازمين لها وذلك جزاء الظالمين يعني جهنم
جزاء من قتل اخاه ظلما قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه يعني زينت له وسهلت عليه القتل وذلك ان
الانسان اذا تصور ان قتل النفس من اكبر الكبائر صار ذلك صارفا له عن القتل فلا يقدم عليه فاذا سهلت عليه نفسه
هذا الفعل فعله بغير كلفة فهذا هو المراد من قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين قال

ابن

ابن جريج لما قصد قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله فتمثل له ابليس وقد اخذ طيرا فوضع راسه على حجر ثم رضه
بحجر اخر وقابيل ينظر فعلمه القتل فرضخ قابيل راس هابيل بين حجرين وهو مستسلم صابر وقيل بل اغتاله
وهو نايم فقتله واختلف في موضع قتله فقال ابن عباس على جبل ثور وقيل عند عقبة حرا وقيل بالبصرة عند مسجدها الاعظم وسحط والديه وبقي
بلا اخ ولما اخرته فاسخط ربه وصار الى النار عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل قوله تعالى فبعث الله غرابا
يبحث في الارض ليريه كيف يواري سواة اخيه قال اصحاب الاخبار لما قتل قابيل هابيل تركه بالعرا ولم يدر ما يصنع
به لانه اول ميت من بني ادم على وجه الارض فقصده السباع لتاكله فحمله قابيل على ظهره في جراب اربعين يوما
وقال ابن عباس سنة حتى اروح وانتن فاراد الله ان يري قابيل سنته في موتى بني ادم في الدفن فبعث الله غرابين
فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفيرة ثم القاه فيها وواراه بالتراب وقابيل ينظر
فذلك قوله تعالى فبعث الله غرابا يبحث في الارض يعني يحفرها وينثر ترابها ليريه كيف يواري سواة اخيه
يعني ليري الله او ليري الغراب قابيل كيف يواري ويستر جيفة اخيه فلما راى ذلك قابيل من فعل الغراب
قال يا ويلتا اي لزمه الويل وحضر وهي كلمة تحسر وتلهف وتستعمل عند وقوع الداهية وذلك انه
ما كان يعلم كيف يدفن المقتول فلما علم ذلك من فعل الغراب علم ان الغراب اكثر علما منه وعلم انه انما قدم
على قتل اخيه بسبب جهله وعدم معرفته فعند ذلك تلهف وتحسر على ما فعله فقال يا ويلتا وفيه
اعتراف على نفسه باستحقاق العذاب اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب يعني مثل هذا الغراب الذي وارى
الغراب الاخر فاواري سواة اخي يعني فاستر جيفته وعورته عن الاعين فاصبح من النادمين يعني على
حمله على ظهره مدة سنة لا على قتله وقيل انه ندم لاجل ذلك لا لاجل انه جنا جناية واقتر في ذنبا عظيما
بقتله فلم يكن ندمه ندم توبة وخوف واشفاق من فعله فلاجل ذلك لم ينفعه الندم قال المطلب بن عبد
الله بن حطب لما قتل ابن ادم اخاه رجفت الارض بمن عليها سبعة ايام وشربت الارض دم المقتول كما تشرب الما
فناداه الله تعالى اين اخوك هابيل فقال ما ادري ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم اخيك ليناديني
من الارض فلم قتلت اخاك قال فاين دمه ان كنت قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ ان تشرب دما
بعده ابدا وروي عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل كان ادم بمكة فاشتاك الشجر وتغيرت
الاطعمة وحمضت الفواكه واغبرت الارض فقال ادم قد حدث في الارض حدث فاتى الهند فوجد
قابيل قد قتل هابيل وقيل لما رجع ادم سال قابيل عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته
ولذلك اسود جلدك وقيل ان ادم مكث بعد قتل هابيل مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر فقال
• تغيرت البلاد ومن عليها • فوجه الارض مغبر قبيح • تغير كل ذي طعم ولون • وقل بشاشة الوجه المليح •
ويروى عن ابن عباس انه قال من قال ان ادم قال شعرا فقد كذب وان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبيا
كلهم في النهي سوا ولكن لما قتل هابيل رثاه ادم وهو سرياني فلما قال ادم مرثيته قال لشيث يا بني
انت وصيي احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرق الناس عليه فلم يزل ينتقل حتى وصل الى يعرب بن
قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو اول من خط العربية وكان يقول الشعر فنظر في المرثية
فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا وزاد فيه ابياتا منها • وما لي لا اجود بسكب دمع
وهابيل تضمنه الضريح • ارى طول الحياة علي غما • فهل انا من حياتي مستريح • قال الزمخشري
ويروى انه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبيا عليهم السلام

Copyright King Saud University

معصومون من الشعر قال الامام فخر الدين الرازي ولقد صدق صاحب الكشاف فيما قال فان ذلك الشعر
في غاية الركاكة لا يليق الا بالحمقى من المعلمين فكيف ينسب الى من جعل الله علمه حجة على الملائكة قال اصحاب الاخبار
فلما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمسين سنة ولدت له حوى شيثا وتفسيره هبة الله يعني انه خلف
من هابيل وعلمه الله تعالى ساعات الليل والنهار وعلمه عبادة الخلق في كل ساعة وانزل عليه خمسين صحيفة وصار وصي
آدم وولي عهده واما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا تأمن من تراه فاخذ بيد اخته اقليما وهرب
بها الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس وقال له انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبد النار فانصب انت نارا تكون
لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو اول من عبد النار وكان قابيل لا يمر به احد الا رماه بالحجارة فاقبل ابن لقابيل اعمى ومعه
ابنه فقال ابن الاعمى لابيه هذا ابوك قابيل فرماه بحجارة فقتله فقال ابن الاعمى لابيه قتلت اباك قابيل فرفع الاعمى
يده ولطم ابنه فمات فقال الاعمى ويل لي قتلت ابي برميتي وقتلت ابني بلطمتي فلما مات قابيل عقلت احدى رجليه
بفخذه وعلق بها فهو معلق بها الى يوم القيمة ووجهه الى الشمس حيث دارت عليه حظيرة من نار في الصيف وحظيرة
من ثلج في الشتاء فهو يعذب بذلك الى يوم القيمة قالوا واتخذ اولاد قابيل آلات اللهو من الطبول والزمور والعيدان والطنابير
وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والفواحش حتى غرقهم الله تعالى جميعا بالطوفان في زمن نوح عليه السلام فلم يبق من
ذرية قابيل احد وابقى الله ذرية شيث ونسله الى يوم القيامة قوله تعالى من اجل ذلك يعني بسبب ذلك القتل
الذي حصل وقيل الاجل في اللغة الجناية يقال اجل عليهم شرا اي جنى عليهم شرا كتبنا اي فرضنا واوحينا على بني
اسرائيل **فان قلت** من اجل ذلك معناه من اجل ما مر من قصة قابيل وهابيل كتبنا على بني اسرائيل
وهذا مشكل لانه لا مناسبة بين واقعة قابيل وهابيل وبين وجوب القصاص على بني اسرائيل **قلت**
قال بعضهم هو من تمام الكلام الذي قبله والمعنى فاصبح من النادمين من اجل ذلك يعني من اجل انه قتل هابيل
ولم يواره ويروى عن نافع انه كان يقف على قوله من اجل ذلك ويجعله تمام الكلام الاول فعلى هذا يزول الاشكال
لكن جمهور المفسرين واصحاب المعاني على ان قوله من اجل ذلك ليس هو اشارة الى قصة قابيل وهابيل بل هو اشارة
الى ما مر ذكره في هذه القصة من انواع المفاسد الحاصلة بسبب هذا القتل الحرام منها قوله فاصبح من الخاسرين وفيه
اشارة الى انه حصلت له خسارة في الدين والدنيا والآخرة ومنها قوله فاصبح من النادمين وفيه اشارة الى انه
حصل في انواع الندم والحسرة والحزن مع انه لا دافع لذلك البتة فقوله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل اي من
اجل ذلك الذي ذكرنا في اثناء القصة من انواع المفاسد المتولدة من القتل العمد المحرم شرعنا القصاص على القاتل
فان قلت فعلى هذا يكون شرعية القصاص حكما ثابتا في جميع الامم فما الفايدة
بتخصيصه ببني اسرائيل **قلت** ان وجوب القصاص وان كان عاما في جميع الاديان والملل
الا ان التشديد المذكور ههنا في حق بني اسرائيل غير ثابت في جميع الاديان والملل لانه تعالى حكم في هذه الآية بان
من قتل نفسا فكانما قتل الناس جميعا ولا شك ان المقصود منه المبالغة في عقاب قاتل النفس عدوانا وان اليهود
مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة اقدموا على قتل الانبياء والرسل وذلك يدل على قساوة قلوبهم وبعدهم عن
الله عز وجل ولما كان الغرض من ذكر هذه القصة تسلية النبي صلى الله عليه وسلم على ما اقدم عليه اليهود بالفتك
بالنبي صلى الله عليه وسلم وباصحابه فتخصيص بني اسرائيل في هذه القصة بهذه المبالغة مناسب للكلام وتوكيد
للمقصود والله اعلم بمراده قوله عز وجل انه من قتل نفسا يعني قتل نفسا ظلما بغير نفس يعني بغير قتل نفس لا على
وجه الاقتصاص ليقاد من قاتل النفس على وجه العدوان المحرم او فساد في الارض هو عطف على بغير نفس ومنها
الشرك والكفر بعد الايمان ومنها قطع الطريق ونحو ذلك وهو المراد من قوله او فساد في الارض فكانما قتل الناس

جميعا

جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا قال مجاهد من قتل نفسا محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلاها بقتل الناس
جميعا ومن سلم من قتلها كمن سلم من قتل الناس جميعا وقال ابن عباس من قتل نبيا او امام عدل فكانما قتل الناس جميعا
وقيل معناه ان من قتل نفسا محرمة يجب عليه من القصاص مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن احياها يعني
من غرق او حرق او وقوع في هلكة فكانما احيا الناس جميعا يعني له من الثواب مثل ثواب من احيا الناس جميعا وقيل
معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه فكانما استحل قتل الناس جميعا لانهم لا يسلمون منه ومن تورع عن قتل مسلم
فكانما تورع عن قتل جميع الناس فقد سلموا منه قال اهل المعاني قوله ومن احياها على المجاز لان المحيي هو الله تعالى
في الحقيقة فيكون المعنى ومن نجاها من الهلاك فكانما نجا جميع الناس منه سئل الحسن عن هذه الآية اهي لنا كما كانت
لبني اسرائيل فقال اي والذي لا اله غيره ما كانت دماء بني اسرائيل اكرم على الله من دمائنا وقوله ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات يعني
ولقد جاءت بني اسرائيل رسلنا ببيان الاحكام والشرائع والدلالات الواضحات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك يعني بعد مجيء الرسل
وبعدما كتبنا عليهم تحريم القتل في الارض لمسرفون يعني بالقتل لا ينتهون عنه وقيل معناه لمجاوزون حد الحق وانما
قال تعالى وان كثيرا منهم لانه تعالى علم ان منهم من يؤمن بالله ورسوله وهم قليل من كثير قوله عز وجل انما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله قال ابن عباس نزلت في قوم من اهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
عهد وميثاق فنقضوا العهد وافسدوا في الارض فخير الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان شاء يقتل وان شاء
يصلب وان شاء ان يقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وهذا قول الضحاك ايضا وقال الكلبي نزلت في قوم هلال بن عويمر
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر وهو ابو بردة الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه
ومن مر بهلال الى النبي صلى الله عليه وسلم فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بقوم هلال
ولم يكن هلال شاهدا فشدوا اليهم فقتلوهم واخذوا اموالهم فنزل جبريل عليه السلام بالقضاء فيهم بهذه الآية
وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في قوم من عرينة وعكل اتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه
على الاسلام وهم كذبة فاستوخموا المدينة فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابل الصدقة فارتدوا وقتلوا
الراعي واستاقوا الابل عن انس بن مالك ان ناسا من عكل وعرينة قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وتكلموا
بالاسلام فقالوا يا نبي الله انا كنا اهل ضرع ولم نكن اهل ريف واستوخموا المدينة فامر لهم النبي صلى الله عليه وسلم
بذود وراع وامرهم ان يخرجوا فيه فيشربوا من البانها وابوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد الاسلام
وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب في آثارهم
فامر بهم فسمروا اعينهم وقطعوا ايديهم وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم قال قتادة بلغنا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان بعد ذلك يحث على الصدقة وينهى عن المثلة زاد في رواية قال قتادة فحدثني ابن سيرين
ان ذلك قبل ان تنزل الحدود وفي رواية للبخاري ان اناسا من عرينة اجتووا المدينة فرخص لهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان ياتوا ابل الصدقة فيشربوا من البانها وابوالها فقتلوا الراعي واستاقوا الذود فارسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتي بهم فقطع ايديهم وارجلهم وسمر اعينهم وتركهم في الحرة يعضون الحجارة زاد
في رواية قال ابو قلابة واي شيء اشد مما صنع هؤلاء ارتدوا عن الاسلام وقتلوا وسرقوا وفي رواية ابي داود
ان قوما من عكل او قال من عرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة فامر لهم النبي صلى
الله عليه وسلم بلقاح وامرهم ان يشربوا من ابوالها والبانها فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعي رسول الله صلى الله
عليه وسلم واستاقوا النعم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم من اول النهار فارسل في آثارهم فما ارتفع
النهار حتى جيء بهم فامر بهم فقطعت ايديهم وارجلهم وسملت اعينهم والقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون

Copyright © King Saud University

قال ابو قلابة فهولا قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد ايمانهم وحاربوا الله ورسوله زاد في رواية له وانزل الله عز وجل
انما جزا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا الاية شرح غريب هذا الحديث
وحكمه قولهم انا كنا اهل ضرع يعني اهل ماشية وبادية نعيش باللبن ولسنا من اهل المدن والريف هي الارض التي
فيها زرع وخصب والجمع ارياف قوله استوخموا المدينة يعني انها لم توافق مزاجهم وكذلك قوله فاجتووا المدينة
وهو معناه والذود من الابل ما بين الثلاثة الى العشرة والحرة هي ارض ذات حجارة سود وهي ها اسم الارض بظاهر
المدينة معروفة وقوله فسمر اعينهم معناه احمى مسامير الحديد وكحل بها اعينهم حتى ذهب بصرها وقوله ونهى
عن المثلة المثلة ان تقطع اطراف الحيوان وتشوه خلقته ومثله القتيل ان يقطع انفه واذنيه ومذاكيره ونحو ذلك
واختلف العلما في حكم هذا الحديث فقيل هو منسوخ لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن المثلة وقيل حكمه ثابت غير السمل والمثلة
وقيل ان هذه الاية ناسخة لما فعله النبي صلى الله عليه وسلم بهم وقيل كان ذلك قبل ان تنزل الحدود فلما نزلت الحدود
وجب الاخذ بها والعمل بمقتضاها وقيل نزلت هذه الاية معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليما من الله تعالى
اياه عقوبتهم وما يجب عليهم فقال تعالى انما جزا الذين يحاربون الله ورسوله واعلم ان المحاربة لله غير ممكنة
وفي معناها للعلما قولان احدهما ان المحاربون لله هم المخالفون لامره الخارجون عن طاعته لان كل من
خالف امر انسان فهو حرب له فيكون المعنى يخالفون الله ورسوله ويعصون امرهما والقول الثاني معناه
يحاربون اوليا الله واوليا رسوله فهو من باب حذف المضاف ويسعون في الارض فسادا يعني بحمل السلاح والخروج
على الناس وقتل النفس واخذ الاموال وقطع الطريق واختلفوا في حكم هولا المحاربين الذين يستحقون
هذا الحد فقال قوم هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح والمكابرون في البلد وهذا قول
الاوزاعي ومالك والليث بن سعد والشافعي وقال ابو حنيفة المكابرون في الامصار ليس لهم حكم
المحاربين في استحقاق هذا الحد ثم ذكر الله تعالى حقيقة هولا المحاربين وما يستحقونه فقال تعالى
ان يقتلوا ويصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض وللعلما في او المذكورة في هذه
الاية قولان احدهما انه للتخيير وهو قول ابن عباس في رواية عنه وبه قال الحسن وسعيد بن المسيب والنخعي
ومجاهد وهو ان الامام مخير في امر المحاربين فان شا قتل وان شا صلب وان شا قطع وان شا نفى من الارض
كما هو ظاهر الاية والقول الثاني ان لفظ او للبيان وليست للتخيير وهو الرواية الثانية عن ابن عباس
وهو قول اكثر العلما لان الاحكام تختلف فتترتب هذه العقوبات على ترتيب الجرايم وهذا كما روي عن ابن عباس
في قطاع الطريق قال اذا قتلوا واخذوا المال قتلوا وصلبوا واذا قتلوا ولم ياخذوا المال قتلوا واذا اخذوا المال
ولم يقتلوا قطعت ايديهم وارجلهم من خلاف واذا اخافوا السبيل ولم يقتلوا ولم ياخذوا واما لا نفوا من الارض هذا قول
قتادة والاوزاعي والشافعي واصحاب الراي واختلفوا في كيفية الصلب فقيل يصلب حيا ثم يطعن في بطنه برمح
حتى يموت قال الشافعي يقتل اولا ويصلى عليه ثم يصلب وانما يجمع بين القتل والصلب اذا قتل واخذ المال
ويصلب على الطريق في ممر الناس ليكون ذلك زاجرا لغيره عن الاقدام على مثل هذه المعصية واختلفوا في تفسير
النفي من الارض المذكور في هذه الاية فقيل ان الامام يطلبهم ففي كل بلد وجدوا نفوا عنه وهو قول سعيد
ابن جبير وعمر بن عبد العزيز وقيل يطلبون حتى تقام عليهم الحدود وهو قول ابن عباس والليث بن سعد والشافعي
وقال ابو حنيفة واهل الكوفة النفي هو الحبس لانه نفي من الارض لان المحبوس لا يرى احدا من احبابه ولا ينتفع بلذات
الدنيا وطيباتها فهو منفي من الارض في الحقيقة الا من تلك البقعة الضيقة التي هو فيها قال مكحول
ان عمر بن الخطاب اول من حبس في السجون يعني من هذه الاية وقال احبسه حتى اعلم منه التوبة ولا انفيه الى

بلد

بلدا اخر فيوذيهم ثم قال تعالى ذلك يعني ذكر في هذه الاية من الحدود لهم يعني للمحاربين في الدنيا خزي اي عذاب
وهوان وفضيحة ولهم في الاخرة عذاب عظيم هذا الوعيد في حق الكفار الذي نزلت الاية فيهم فاما من اجري
حكم الاية على المحاربين من المسلمين فيبقى العذاب العظيم عنهم في الاخرة لان المسلم اذا عوقب بجنايته
في الدنيا كانت عقوبته كفارة له وان لم يعاقب في الدنيا فهو في خطر المشية ان شا عذبه بجنايته
ثم يدخل الجنة وان شا عفا عنه وادخله الجنة هذا مذهب اهل السنة وقوله تعالى الا الذين تابوا
من قبل ان تقدروا عليهم يعني لكن الذين تابوا من شركهم وحربهم لله ورسوله ومن السعي في الارض بالفساد
من قبل ان تقدروا عليهم يعني فلا سبيل لكم بشي من العقوبات المذكورة في الاية المتقدمة فاعلموا ان الله
غفور يعني لمن تاب من الشرك رحيم يعني به اذا رجع عما يسخط الله عز وجل وهذا قول معظم اهل
التفسيران المراد بهذا الاستثنا المشرك المحارب فاذا امن واصلح قبل القدرة عليه سقط عنه جميع الحدود
التي ذكرها الله تعالى في هذه الاية وانه لا يطالب بشي مما اصاب من مال ودم قال ابو اسحاق جعل الله
التوبة للكفار تدرا عنهم الحدود التي وجبت عليهم في كفرهم ليكون ذلك داعيا لهم الى الدخول في الاسلام
فهذا حكم المشرك المحارب اذا امن واصلح وكذلك لو امن بعد القدرة عليه فقال السدي هو كالكافر
اذا امن لم يطالب بشي الا اذا اصيب عنده مال بعينه فانه يرده على اهله وهذا مذهب مالك والاوزاعي
غير ان مالكا قال لا يوخذ بالدم الا اذا طلب به وليه فاما ما اصاب من الدما والاموال ولم يطلبها اولياوها فلا يتبعه
الامام بشي من ذلك وهذا حكم علي بن ابي طالب في حارثة بن زيد وكان قد خرج محاربا فتاب قبل ان يقدر
عليه فامنه على نفسه وكذلك جا رجل من مراد الى ابي موسى الاشعري وهو على الكوفة في خلافة عثمان بعد
ما صلى المكتوبة فقال يا ابا موسى هذا مقام العايذ بك انا فلان بن فلان المرادي كنت قد حاربت الله ورسوله
وسعيت في الارض بالفساد واني قد تبت من قبل ان يقدر علي فقام ابو موسى فقال هذا فلان المرادي
وانه كان قد حارب الله ورسوله وسعى في الارض فسادا وانه قد تاب من قبل ان يقدر عليه فلا يتعرض له احد
الا بخير وقال الشافعي يسقط عنه بتوبته قبل القدرة عليه حد الله ولا يسقط عنه بها ما كان من حقوق
بني ادم من قصاص او مظلمة في مال وغيره واما اذا تاب بعد القدرة فظاهر الاية ان التوبة لا تنفعه
وتقام عليه الحدود وقال الشافعي ويحتمل ان يسقط عنه كل حد لله عز وجل بالتوبة قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله اي خافوا الله بترك المنهيات وابتغوا اليه الوسيلة يعني واطلبوا اليه القرب بطاعته
والعمل بما يرضى وانما قلنا ذلك لان مجامع التكاليف محصورة في نوعين لا ثالث لهما احد النوعين ترك المنهيات
واليه الاشارة بقوله تعالى اتقوا الله والثاني التقرب الى الله تعالى بالطاعات واليه الاشارة بقوله وابتغوا
اليه الوسيلة والوسيلة فعيلة من وسل اليه اذا تقرب اليه ومنه قول الشاعر • ان الرجال لهم اليك وسيلة •
اي قربة وقيل في معنى الوسيلة المحبة اي تحببوا الى الله عز وجل وجاهدوا في سبيله اي وجاهدوا العدو في طاعته
وابتغاء مرضاته لعلكم تفلحون يعني لكي تسعدوا بالخلود في جنته لان الفلاح اسم جامع للخلاص من كل مكروه
والفوز بكل محبوب قوله عز وجل ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من
عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم يعني ان الكافر لو ملك الدنيا ودنيا اخرى مثلها معها ثم فدى نفسه من
العذاب يوم القيمة لم يقبل منه ذلك الفدى ولهم عذاب اليم والمقصود من هذا ان العذاب لازم للكفار وانهم
لا سبيل لهم الى الخلاص منه بوجه من الوجوه ق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك
وتعالى لاهون اهل النار عذابا لو كانت الدنيا كلها لك اكنت مفتديا بها فيقول نعم فيقول قد اردت منك ايسر من

Copyright © King Saud University

هذا وانت في صلب آدم ان لا تشرك بي ولا ادخلك النار وادخلك الجنة فابيت الا الشرك هذا لفظ مسلم وفي رواية البخاري
قال يجاء بالكافر يوم القيمة فيقال له ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له لقد كنت
سئلت ما هو ايسر من ذلك ان لا تشرك بي يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم
فيه وجهان احدهما انهم يقصدون الخروج من النار ويطلبونه ولكن لا يستطيعون ذلك قيل اذا حملهم لهب النار
الى فوق طلبوا الخروج منها فلا يقدرون عليه والوجه الثاني انهم يتمنون الخروج من النار بقلوبهم ولهم عذاب مقيم
يعني ولهم عذاب دائم ثابت لا يزول عنهم ولا ينتقل ابدا قوله عز وجل **والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما** قال ابن السايب
نزلت في طعمة بن ابيرق وقد مضت قصته في سورة النساء وانما سمي السارق سارقا لانه ياخذ الشي الذي ليس له
اخذه في خفاء ومنه استرق السمع مستخفيا والسارق هنا مرفوع بالابتدا لانه لم يقصد واحدا بعينه انما هو كل
من سرق فاقطع يده والمراد بالايدي المذكورة هنا اليمنى قاله الحسن والشعبي والسدي وكذلك هو في قراءة
عبد الله بن مسعود فاقطعوا ايمانهما وانما قال ايديهما ولم يقل يديهما لانه اراد يمينا من هذا ويمينا من هذا
فجمع فانه ليس للانسان الا يمين واحدة وكل شي من موحد من اعضاء الانسان اذا ذكر مضافا الى اثنين فصاعدا
جمع والمراد باليد هنا الجارحة وحدها عند جمهور اهل اللغة من رؤس الاصابع الى الكوع فيجب قطعها في حد السرقة
من الكوع وقوله تعالى **جزاء بما كسبا** يعني ذلك القطع جزاء على فعلهم **نكالا من الله** يعني عقوبة من الله **والله عزيز**
في انتقامه ممن عصاه **حكيم** يعني فيما اوجبه من قطع يد السارق **فصل** في بيان حكم الاية وفيه مسايل المسئلة
الاولى اقتضت هذه وجوب القطع على كل سارق وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم في السرقة ق عن عايشة
ان قريشا اهمهم شان المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ومن
يجتري عليه الا اسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه اسامة فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب ثم قال انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا
سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت
لقطعت يدها وعن عايشة قالت اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بسارق فقطعه فقالوا ما كنا
نراك تبلغ به هذا قال لو كانت فاطمة لقطعتها اخرجه النسائي ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده قال الاعمش يرون انه بيض
الحديد وان من الحبال ما يساوي دراهم اخرجه البخاري ومسلم اما السارق الذي يجب عليه القطع فهو
البالغ العاقل العالم بتحريم السرقة فلو كان حديث عهد بالاسلام ولا يعلم ان السرقة حرام فلا قطع
عليه المسئلة الثانية اختلف العلماء في قدر النصاب الذي يقطع به فذهب اكثر العلماء الى انه ربع دينار او متاع
قيمته ربع دينار فيقطع وهذا قول ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وبه قال عمر بن عبد العزيز والاوزاعي والشافعي
ويدل عليه ما روي عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقطع يد السارق الا في ربع دينار فصاعدا
اخرجاه في الصحيحين وذهب مالك واحمد واسحاق الى انه ثلاثة دراهم وقيمتها لما روي عن ابن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قطع سارقا في مجن قيمته ثلاثة دراهم اخرجه الجماعة المجن الترس ويروى عن ابي هريرة
ان قدر النصاب الذي يقطع به اليد خمسة دراهم وبه قال ابن ابي ليلى لما روي عن انس قال قطع ابو بكر في مجن
قيمته خمسة دراهم وفي رواية قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه النسائي وقال الرواية الاولى وذهب
قوم الى انه لا قطع في اقل من دينار او عشرة دراهم يروى ذلك عن ابن مسعود واليه ذهب سفيان الثوري وابو
حنيفة لما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولا قطع في مجن قيمته دينارا او عشرة

دراهم

دراهم اخرجه ابو داود فاذا سرق نصابا من المال في حرز لا شبهة له فيه قطعت يده اليمنى من الكوع ولا يجب القطع
بسرقة ما دون النصاب وقال ابن عباس وابن الزبير والحسن القدر غير معتبر فيجب القطع في القليل والكثير وكذا
الحرز غير معتبر ايضا عندهم واليه ذهب داود الظاهري واحتجوا بعموم الاية فان قوله تعالى والسارق
والسارقة فاقطعوا ايديهما يتناول القليل والكثير وسوا سرقه من حرز او غير حرز المسئلة الثالثة
الحرز هو ما جعل للسكنى وحفظ الاموال كالدور والمضارب والخيم التي يسكنها الناس ويحفظون امتعتهم فيها
فكل حرز وان لم يكن فيه حافظ ولا عنده وسواء سرق من ذلك وهو مفتوح الباب او مغلق فاما ما كان في غير
بنا ولا خيمة فانه ليس بحرز الا ان يكون عنده من يحفظه اما نباش القبور فانه يقطع وهو قول مالك والشافعي
واحمد وقال ابن ابي ليلى والثوري والاوزاعي وابو حنيفة لا قطع عليه فان سرق شيا من غير حرز كثمر من
بستان لا حارس له او حيوان في برية ولا راعي لها او متاع في بيت منقطع عن البيوت فلا قطع عليه عن
عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عن الثمر المعلق فقال من اصاب بفيه منه
من ذي حاجة غير متخذ خبنة فلا شي عليه اخرجه الترمذي وابو داود والنسائي وزاد فيه ومن خرج بشي
منه فعليه غرامة مثله والعقوبة قوله غير متخذ خبنة الخبنة بالخاء المعجمة وبعدها باء موحدة من تحت
ثم نون وهو ما يحمله الانسان في حضنه وقيل هو ما ياخذه في خبنة ثوبه وهو ذيله واسفله والجرين موضع
التمر الذي يجفف فيه مثل البيدر للحنطة وروى مالك في الموطا عن ابي حسين المكي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة الجبل فاذا اواه المراح او الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن هكذا رواه
مالك منقطعا وفي رواية من حديث عبد الله بن عمرو المتقدم فان هذه الرواية عن ابي حسين عن عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده وجده هو عبد الله بن عمرو بن العاص قوله ولا في حريسة الجبل من العلماء من يجعل الحريسة السرقة
نفسها يقال حرس يحرس حرسا اذا سرق ومنهم من يجعلها المحروسة ومعنى الحديث انه ليس فيما يحرس في الجبل اذا
سرق قطع لانه ليس بحرز وقيل حريسة الجبل هي الشاة التي يدركها الليل قبل ان يصل الى ماواها والمراح بضم
الميم هو الموضع الذي تاوي اليه الماشية بالليل عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على خاين ولا منتهب
ولا مختلس قطع اخرجه الترمذي والنسائي المسئلة الرابعة اذا سرق مالا له فيه شبهة كالولد يسرق من مال والده
او الوالد يسرق من مال ابنه او العبد يسرق من مال سيده او الشريك يسرق من مال شريكه فلا قطع على احد
من هولا فيه المسئلة الخامسة اذا سرق اول مرة قطعت يده اليمنى من الكوع واذا سرق ثانية قطعت رجله
اليسرى من مفصل القدم واختلفوا فيما اذا سرق مرة ثالثة فذهب اكثرهم الى انه تقطع يده اليسرى فان سرق
مرة رابعة قطعت رجله اليمنى ثم اذا سرق بعد ذلك يعزر ويحبس حتى تظهر توبته يروى هذا عن ابي بكر وهو
قول قتادة وبه قال مالك والشافعي لما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السارق
قال ان سرق فاقطعوا يده ثم ان سرق فاقطعوا رجله ذكره البغوي بغير سند وذهب قوم الى ان من سرق
بعد ما قطعت يده ورجله فلا قطع عليه بل يحبس وروي عن علي انه قال اني استحي ان لا ادع له يدا يستنجي
بها ولا رجلا يمشي بها وهذا قول الشعبي والنخعي والاوزاعي وبه قال احمد واصحاب الراي قوله تعالى **فمن تاب من**
بعد ظلمه يعني من بعد ما ظلم نفسه بالسرقة **واصلح** يعني واصلح العمل في المستقبل **فان الله يتوب عليه** يعني
فان الله يغفر له ويتجاوز عنه **ان الله غفور** يعني لمن تاب **رحيم** به **فصل** وهذه التوبة مقبولة فيما
بينه وبين الله فاما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند اكثر العلماء لان الحد جزاء على الجناية ولا بد من التوبة بعد القطع
وتوبته الندم على ما مضى والعزم على تركه في المستقبل عن امية المخزومي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

اتي بلص قد اعترف اعترافا ولم يوجد معه متاع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخالك سرقت فقال بلى فاعاد عليه
مرتين او ثلاثا كل ذلك يعترف فامر به فقطع ثم جيء به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر الله وتب اليه
فقال الرجل استغفر الله واتوب اليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم تب عليه اخرجه ابو داود والنسائي بمعناه
واذا قطع السارق فيجب عليه غرم ما سرقه من المال عند اكثر اهل العلم وقال الثوري واصحاب الراي لا غرم عليه فلو كان المسروق
باقيا عنده يجب عليه ان يرده الى صاحبه وقطع يده لان القطع حق الله والغرم حق الادمي فلا يمتنع احدهما بالاخر والله اعلم
قوله عز وجل الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع الناس وقيل
معناه الم تعلم ايها الانسان فيكون الخطاب لكل فرد من الناس ان الله له ملك السموات والارض يعني ان الله مدبر
امرها في السموات والارض ومصرفه وخالق من فيهما ومالكه لا يمتنع عليه شيء مما اراده فيهما لان ذلك كله
في ملكه واليه امره يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء قال ابن عباس يعذب من يشاء على الصغيرة ويغفر لمن يشاء الكبيرة
وقيل يعذب من يشاء على معصيته وكفره بالقتل والقطع وغير ذلك في الدنيا ويغفر لمن يشاء بالتوبة عليه فينقذه
من الهلكة والعذاب وانما قدم التعذيب على المغفرة لانه في مقابلة قطع السرقة على التوبة وهذه الاية
فاضحة للقدرية والمعتزلة في قولهم بوجوب الرحمة للمطيع والعذاب للعاصي لان الاية دالة على
ان التعذيب والرحمة مفوضتان الى المشيئة والوجوب ينافي ذلك وجواب اخر وهو انه تعالى اخبر
ان له ملك السموات والارض والمالك له ان يتصرف في ملكه كيف يشاء واراد لا اعتراض لاحد عليه في ملكه
ويؤيد ذلك قوله والله على كل شيء قدير يعني انه تعالى قادر على تعذيب من اراد تعذيبه من خلقه
وغفران ذنوب من اراد اسعاده وانقاذه من الهلكة من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه قوله تعالى
يا ايها الرسول هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو خطاب تشريف وتكريم وتعظيم وقد خاطبه
الله عز وجل بيا ايها النبي في مواضع كثيرة من كتابه وبيا ايها الرسول في موضعين هذا احدهما والاخر
قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وقوله لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يعني لا تهتم بموالاة
الكفار ولا تبال بهم فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم
يعني المنافقين لانهم اظهروا الايمان بالقول وكتموا الكفر وهذه صفة المنافقين ومن الذين هادوا اي
وطائفة من اليهود قال الزجاج وهذا يحتمل وجهين احدهما ان الكلام تم عند قوله ومن الذين هادوا
ثم ابتدا الكلام بقوله سماعون للكذب ويكون تقدير الكلام لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من المنافقين
ومن الذين هادوا ثم وصف الكل بكونهم سماعون للكذب والوجه الثاني ان الكلام تم عند قوله ولم
تؤمن قلوبهم ثم ابتدا فقال تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب اي ومن الذين هادوا قوم سماعون
للكذب والمعنى انهم قابلون للكذب اي يسمعون الكذب من رؤسائهم ويقبلون منهم والسمع يستعمل
والمراد منه القبول كما تقول لا تسمع من فلان اي لا تقبل منه وقيل معناه سماعون لاجل ان يكذبوا عليك
وذلك انهم كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرجوا من عنده ويقولون سمعنا منه كذا
وكذا ولم يسمعوا ذلك منه بل كذبوا عليه وقوله تعالى سماعون يعني بني قريظة يعني انهم جواسيس سماعون
لقوم اخرين وهم اهل خيبر لم ياتوك يعني اهل خيبر لم ياتوك ولم يحضروا عندك يا محمد ذكر قصة
في ذلك قال اهل التفسير ان رجلا وامراة من اشراف يهود خيبر زنيا وكانا محصنين وكان حدهما الرجم
عندهم في حكم التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فقالوا ان هذا الرجل بيثرب يعنون محمدا صلى
الله عليه وسلم ليس في كتابه الرجم ولكن الضرب فارسلوا الى اخوانكم بني قريظة فانهم جيرانه وصلح معه

فيسلونه عن ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم اسلوا محمدا عن الزانيين اذا احصنا ما حدهما
فان امركم بالجلد فاقبلوا منه وان امركم بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا منه وارسلوا معهم الزانيين فقدم الرهط
حتى نزلوا على بني قريظة والنضير وقالوا لهم انكم جيران هذا الرجل ومعه في بلده وقد حدث فينا حدث
وذلك ان فلانا وفلانة قد زنيا وقد احصنا فنحب ان تسلوه عن قضائه في ذلك فقال لهم بنو
قريظة والنضير اذا والله يامركم بما تكرهون ثم انطلق قوم منهم فيهم كعب بن الاشرف وكعب
ابن اسد وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن ابي الحقيق وغيرهم الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقالوا يا محمد اخبرنا عن الزاني والزانية اذا احصنا ما حدهما في كتابك فقال هل ترضون بقضائي
قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام باية الرجم فاخبرهم بذلك فابوا ان ياخذوا به فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم
اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا امرد ابيض
اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فاي رجل هو فيكم فقالوا هو اعلم يهودي بقي على وجه الارض
بما انزل الله على موسى عليه السلام في التوراة قال فارسلوا اليه ففعلوا فلما جاء قال له النبي صلى الله عليه وسلم
انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم يهودي قال نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهود تجعلونه بيني
وبينكم قالوا نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن صوريا انشدك بالله الذي لا اله الا هو الذي انزل
التوراة على موسى واخرجكم من مصر وفلق لكم البحر وانجاكم واغرق ال فرعون وبالذي ظلل عليكم الغمام وانزل
عليكم المن والسلوى وانزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على المحصن فقال
ابن صوريا اللهم نعم والذي ذكرتني به لولا خشية ان ينزل علينا العذاب ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن
كيف هي في كتابك يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم
فقال ابن صوريا والذي انزل التوراة على موسى هكذا انزله الله في التوراة على موسى فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم فما كان اول ما ترخصتم به في امر الله تعالى قال ابن صوريا كنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف
اقمنا عليه الحد فكثر الزنا في اشرافنا حتى زنى ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنى رجل اخر في اسرة من قومه فاراد الملك رجمه
فقام قومه دونه وقالوا والله لا ترجمه حتى ترجم فلانا لابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيئا دون الرجم
يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلدا اربعين جلدة بحبل مطلي بقار ثم تسود وجوههما
ثم يحملان على حمارين ووجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا ذلك مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا
ما اسرع ما اخبرته وما كنت لما اثنينا عليك باهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا ان نغتابك فقال لهم ابن صوريا
انه قد انشدني بالتوراة ولولا خشيت ان ينزل علينا العذاب ما اخبرته فامر النبي صلى الله عليه وسلم بهما
فرجما عند باب المسجد وقال اللهم اني اول من احيا امرك اذ اماتوه فانزل الله هذه الاية ق عن ابن عمر قال ان
اليهود جاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان امراة منهم ورجلا زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما تجدون في التوراة في شان الرجم فقالوا نفضحهم ويجلدون فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها الرجم
فاتوا بالتوراة فنشروها فوضع احدهم يده على اية الرجم فقرا ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام
ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها اية الرجم فقالوا صدق يا محمد فيها اية الرجم فامر بهما النبي صلى الله عليه وسلم فرجما
قال فرايت الرجل يحني على المراة يقيها الحجارة وفي رواية اخرى لما قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم برجل وامراة
من اليهود قد زنيا فقال لليهود ما تصنعون بهما قالوا نسخم وجوههما ونخزيهما قال فاتوا بالتوراة فاتلوها
ان كنتم صادقين فجاؤوا بها فقالوا لرجل ممن يرضون يا اعور اقرا فقرا حتى انتهى الى موضع منها فوضع يده عليها فقال ارفع

بدنك فرفع يده فاذا آية الرجم تلوح فقال يا محمد ان فيها الرجم ولكنا نتكاتمه بيننا فامر بهما فرجما فرايته يجنى
زاد في رواية اخرى فرجما قريبا من موضع الجنائز قرب المسجد عن البراء بن عازب قال مر على النبي صلى الله عليه
وسلم بيهودي محمم مجلود فدعاهم فقال هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم
فقال انشدك بالله الذي انزل التوراة على موسى هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قال لا ولولا انك
نشدتني لم اخبرك نجد الرجم ولكنه كثر في اشرافنا فكنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف
اقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان
الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اول من احيا امرك اذ اماتوه فامر به فرجم فانزل الله
تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الى قوله ان اوتيتم هذا فخذوه يقول ائتوا
محمدا فان امركم بالتحميم والجلد فخذوه وان امركم بالرجم فاحذروا فانزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم
بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله
فاولئك هم الفاسقون في الكفار كلها التحميم هو تسويد الوجه بالحمم وهو الفحم وقوله ما تجدون في التوراة
حد الزاني قال العلماء هذا السؤال من النبي صلى الله عليه وسلم ليس لتقليدهم ولا لمعرفة الحكم منهم
وانما هو لالزامهم بما يعتقدونه في كتابهم ولعله صلى الله عليه وسلم كان اوحي اليه ان الرجم في التوراة
الموجودة في ايديهم لم يغيروه كما غيروا اشياء او اخبره بذلك من اسلم من اهل الكتاب وهو عبد الله بن
سلام كما في حديث ابن عمر المتفق عليه ولذلك لم يخف عليه صلى الله عليه وسلم حين كتموه وقوله تعالى يحرفون
الكلم يعني يغيرون حدود الله التي اوجبها عليهم في التوراة وذلك انهم بدلوا الرجم بالجلد والتحميم وقال الحسن
انهم يغيرون ما يسمعونه من النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب عليه وقال ابن جرير الطبري يحرفون حكم
الكلم فحذف ذكر الحكم لمعرفة السامعين به من بعد مواضعه يعني من بعد ان وضعه الله مواضعه وفرض
فروضه واحل حلاله وحرم حرامه **فان قلت** قد قال الله عز وجل هنا يحرفون الكلم
من بعد مواضعه وقال في موضع اخر يحرفون الكلم عن مواضعه بالتاويلات الباطلة فهل من فرق
بينهما **قلت** نعم بينهما فرق وذلك انا اذا فسرنا يحرفون الكلم عن مواضعه بالتاويلات
الباطلة فيكون معنى قوله يحرفون الكلم عن مواضعه بالتاويلات الفاسدة لتلك النصوص وليس فيه
بيان انهم يحرفون تلك اللفظة من الكتاب واما قوله يحرفون الكلم من بعد مواضعه ففيه دلالة على
انهم جمعوا بين الامرين يعني انهم كانوا يذكرون التاويلات الفاسدة وكانوا يحرفون اللفظ من الكتاب
ففي بيان قوله يحرفون الكلم عن مواضعه اشارة الى التاويل الباطل وفي قوله من بعد مواضعه اشارة
الى اخراجه من الكتاب بالكلية وقوله تعالى يقولون يعني اليهود ان اوتيتم هذا فخذوه يعني ان افتاكم محمد
بالجلد والتحميم فاقبلوا منه وان لم تؤتوه فاحذروا يعني وان لم يفتكم بذلك وافتاكم بالرجم فاحذروا ان
تقبلوه ومن يرد الله فتنته يعني كفره وضلالته فلن تملك له من الله شيئا يعني فلا تقدر على دفع
امر الله فيه اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم قال ابن عباس معناه ان يخلص نياتهم وقيل معناه لم يرد الله ان
يهديهم وفي هذه الاية دلالة على ان الله تعالى لم يرد اسلام الكافر وانه لم يطهر قلبه من الشك والشرك ولو
فعل ذلك لآمن وهذه الاية من اشد الآيات على القدرية لهم في الدنيا خزي يعني للمنافقين واليهود
اما خزي المنافقين فبالفضيحة وهتك استارهم باظهار نفاقهم وكفرهم واما خزي اليهود فباخذ الجزية
والقتل والسبي والاجلاء من ارض الحجاز الى غيرها ولهم في الآخرة عذاب عظيم يعني الخلود في النار للمنافقين

واليهود

واليهود قوله عز وجل سماعون للكذب اكالون للسحت نزلت في حكام اليهود مثل كعب بن الاشرف
ونظرائه كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم قال الحسن كان الحاكم اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كمه
ثم يريها اياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيسمع الكذب ويأكل الرشوة وهي السحت واصل
السحت الاستئصال يقال سحته اذا استأصلته وسميت الرشوة في الحكم سحتا لانها تستأصل دين المرتشي
والسحت كله حرام يحمل عليه شدة الشره وهو يرجع الى الحرام الخسيس الذي لا يكون له بركة ولا لآخذه مروءة
ويكون في حصوله عار بحيث يخفيه لا محالة ومعلوم ان حال الرشوة كذلك فلذلك حرمت الرشوة على
الحاكم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الراشي والمرتشي في الحكم اخرجه الترمذي واخرجه
ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال الحسن انما ذلك في الحكم اذا رشوته ليحق لك باطلا او يبطل عنك حقا
وقال ابن مسعود الرشوة في كل شيء فمن شفع شفاعة ليرد بها حقا او يدفع بها ظلما فاهدي اليه فقبل فهو
سحت فقيل له يا ابا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك الا الاخذ على الحكم فقال الاخذ على الحكم كفر قال الله تعالى
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون قوله عز وجل فان جاؤوك يعني اليهود فاحكم بينهم او اعرض عنهم
وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا خير الله رسوله صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم فان شاء حكم وان شاء ترك قال
الحسن ومجاهد والسدي نزلت في اليهوديين اللذين زنيا وقال قتادة نزلت في رجلين من قريظة والنضير
قتل احدهما الاخر قال ابن زيد كان حيي بن اخطب قد جعل للنضري ديتين وللقرظي دية واحدة لانه كان
من بني النضير فقالت قريظة لا نرضى بحكم حيي ونتحاكم الى محمد فانزل الله هذه الاية يخير نبيه صلى الله عليه وسلم
في الحكم بينهم **فصل** اختلف علماء التفسير في حكم هذه الاية على قولين احدهما انها منسوخة وذلك ان اهل الكتاب
كانوا اذا ترافعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم كان مخيرا ان شاء حكم بينهم وان شاء اعرض عنهم ثم نسخ ذلك بقوله وان احكم بينهم
بما انزل الله فلزمه الحكم بينهم وهذا التخيير مروي عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والسدي والقول الثاني انها
محكمة وحكام المسلمين بالخيار اذا ترافعوا اليهم فان شاؤوا حكموا بينهم وان شاؤوا اعرضوا عنهم وهذا القول مروي عن
الحسن والشعبي والنخعي والزهري وبه قال احمد انه لا منافاة بين الايتين اما قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم ففيه
التخيير بين الحكم والاعراض واما قوله وان احكم بينهم بما انزل الله ففيه كيفية الحكم اذا حكم بينهم قال الامام فخر الدين الرازي
ومذهب الشافعي انه يجب على حاكم المسلمين ان يحكم بين اهل الكتاب اذا تحاكموا اليه لان في امضاء حكم الاسلام صغارا لهم
فاما المعاهدون الذين لهم مع المسلمين عهد الى مدة فليس بواجب على الحاكم ان يحكم بينهم بل يتخير في ذلك وهذا
التخيير المذكور في هذه الاية مخصوص بالمعاهدين واما اذا تحاكم مسلم وذمي وجب على الحاكم الحكم بينهم لا يختلف
القول فيه لانه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم اهل الذمة والله اعلم وقوله تعالى وان حكمت فاحكم بينهم
بالقسط يعني بالعدل والاحتياط ان الله يحب المقسطين يعني العادلين فيما ولوا وحكموا م عن عبد
الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور
عن يمين العرش الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولوا هذا من احاديث الصفات
ثم العلماء من قال فيه وفي امثاله نؤمن بها ولا نتكلم في تاويلها ولا نعرف معناها لكن نعتقد ان ظاهرها غير مراد وان
لها معنى يليق بالله تعالى وهذا مذهب جماهير السلف وطوائف من المتكلمين ومنهم من قال انها تتأول بما يليق بها
وهذا قول اكثر المتكلمين فعلى هذا قال القاضي عياض المراد بكونهم عن اليمين الحالة الحسنة والمنزلة الرفيعة
والعرب تنسب الفعل المحمود والاحسان الى اليمين وضده الى اليسار قالوا واليمين ماخوذة من اليمن وقوله
كلتا يديه يمين تنبيه على انه ليس المراد باليمين الجارحة تعالى الله عن ذلك فانها مستحيلة في حقه تعالى وقوله

Copyright © King Saud University

وما ولوا بفتح الواو وضم اللام المخففة هكذا ذكره الشيخ محيي الدين في شرح مسلم قال ومعناه وما كانت لهم عليه ولاية
وهذا الفصل لمن عدل فيما تقلده من الاحكام والله اعلم قوله تعالى وكيف يحكمونك وعندهم التوراة هذا تعجب
من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في تحكيم اليهود اياه مع علمهم بما في التوراة وتركهم قبول ذلك الحكم مع اعتقادهم
صحته وعدولهم الى الحكم من يجحدون نبوته طلبا للرخصة لا جرم ان الله تعالى اظهر جهلهم وعنادهم لانهم
حكموا النبي صلى الله عليه وسلم في امر الزانيين ثم اعرضوا عن حكمه وفي هذه الاية تقريع لليهود فكيف يجعلونك
حكما بينهم فيرضون بحكمك وعندهم التوراة فيها حكم الله يعني الرجم الذي تحاكموا اليك من اجله ثم يتولون
من بعد ذلك يعني ثم يعرضون عن حكمك الموافق لما في كتابهم وما اولئك بالمؤمنين يعني بكتابهم كما
يزعمون وقيل معناه وما اولئك بالمصدقين لك قوله عز وجل انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور سبب
نزول هذه الاية استفتاء اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر الزانيين وقد سبق بيانه والهدى
هو البيان لان التوراة مبينة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومبينة ما تحاكموا فيه والنور هو
الكاشف للشبهات الموضح للمشكلات والتوراة كذلك وقيل الفرق بين الهدى والنور ان الهدى محمول
على بيان الاحكام والشرايع والنور محمول على بيان احكام التوحيد والنبوة والمعاد يحكم بها النبيون
الذين اسلموا للذين هادوا اراد بالنبيين الذين بعثوا بعد موسى عليه السلام وذلك ان الله بعث في بني اسرايل
الوفا من الانبيا ليس معهم كتاب انما بعثوا باقامة التوراة والاحكام ومعنى اسلموا اي انقادوا لامر الله تعالى
والعمل بكتابه وهذا على سبيل المدح لهم وفيه تعريض باليهود لانهم بعدا عن الاسلام الذي هو دين الانبيا
عليهم السلام وقال الحسن والزهري وعكرمة وقتادة والسدي يحتمل ان يكون المراد بالنبيين الذين اسلموا
هو محمد صلى الله عليه وسلم وانما ذكر بلفظ الجمع تعظيما وتشريفا له صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه
وسلم حكم على اليهود بالرجم وكان هذا الحكم في التوراة قال ابن الانباري هذا رد على اليهود والنصارى لان الانبيا
عليهم السلام ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية بل كانوا مسلمين لله تعالى منقادين لامره وقيل للذين هادوا
يعني لليهود يحكم بالتوراة فيما بينهم ويحملهم على احكامها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم
الرجم كما هو في التوراة ولم يردوا فقههم على ما ارادوا من الجلد وقال الزجاج وجايز ان يكون المعنى على التقديم
والتاخير على معنى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين اسلموا والربانيون
والاحبار اما الربانيون فتقدم تفسيره في سورة ال عمران واما الاحبار فقال ابن عباس هم الفقهاء وقيل
هم العلماء الاحبار واحده حبر بفتح الحاء والحبر العالم لما يبقى من اثر علومه في قلوب الناس وافعاله الحسنة التي
يقتدى بها وجمعه احبار ومنه كعب الاحبار وقيل الحبر الاثر المستحسن ومنه الحديث يخرج من النار
رجل قد ذهب حبره وسبره اي جماله وبهاؤه وانما سمي العالم حبرا لما عليه من اثر جمال العلم وهل الفرق بين
الربانيين والاحبار ام فيه خلاف فقيل لا فرق والربانيون والاحبار بمعنى واحد وهم العلماء والفقهاء
وقيل الربانيون اعلى درجة من الاحبار لان الله تعالى قدمهم في الذكر على الاحبار وقيل الربانيون هم الولاة
والحكام والاحبار هم العلماء وقيل الربانيون علماء النصارى والاحبار علماء اليهود ومعنى الاية يحكم
باحكام التوراة النبيون وكذلك يحكم بها الربانيون والاحبار وقوله تعالى بما استحفظوا من كتاب الله
يعني بما استودعوا من كتاب الله وقيل ان يحفظوا كتاب الله فلا ينسوه وقيل هو ان يحفظوه فلا
يضيعوا احكامه وشرايعه وقد اخذ الله على العلماء حفظ كتابه من هذين الوجهين معا وذلك بان
يحفظوا كتاب الله في صدورهم ويدرسونه بالسنتهم لئلا ينسوه وان لا يضيعوا احكامه ولا يهملوا

شرايعه

شرايعه فاذا فعلوا ذلك كانوا غايبين بحفظه وكانوا عليه شهداء يعني ان هولاء النبيين والربانيين والاحبار
كانوا شهداء على كتاب الله تعالى ويعلمون انه حق وصدق وانه من عند الله فلا تخشوا الناس واخشون
هذا خطاب لحكام اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني لا تخافوا احدا من الناس
في اظهار صفة محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بالرجم واخشوني يعني في كتمان ذلك ولا تشتروا باياتي ثمنا
قليلا يعني ولا تستبدلوا بايات الله واحكامه ثمنا قليلا يعني الرشوة في الاحكام والجاه عند الناس ورضاهم
والمعنى كما نهيتكم عن تغيير الاحكام لاجل خوف الناس كذلك نهيتكم عن التغيير والتبديل لاجل الطمع في المال
والجاه واخذ الرشوة فان كل متاع الدنيا قليل ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون يعني اليهود لما
انكروا حكم الله تعالى المنصوص عليه في التوراة وقالوا انه غير واجب عليهم فهم كافرون على الاطلاق بموسى
والتوراة وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقران واختلف العلما فيمن نزلت هذه الثلاث ايات وهي قوله
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الفاسقون فقال جماعة من المفسرين ان الايات الثلاث نزلت في الكفار ومن غير حكم الله
من اليهود لان المسلم وان ارتكب كبيرة لا يقال انه كافر وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك ويدل على
صحة هذا القول ما روي عن البراء بن عازب قال انزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم
الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون في الكفار
كلها اخرجه مسلم وعن ابن عباس قال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون الى قوله الفاسقون هذه الايات
الثلاث من ترك الحكم بما انزل الله ردا لكتاب الله فهو كافر ظالم فاسق وقال عكرمة ومن لم يحكم بما انزل الله جاحدا
به كفر ومن اقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وهذا قول ابن عباس ايضا واختيار الزجاج لانه قال من زعم ان حكما
من احكام الله التي اتت بها الانبيا باطل فهو كافر وقال طاوس قلت لابن عباس اكافر من لم يحكم بما انزل الله
فقال به كفر وليس بكفر ينقل عن الملة كمن كفر بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ونحو هذا روي عن عطا
قال هو كفر دون كفر وقال ابن مسعود والحسن والنخعي هذه الايات الثلاث عامة في اليهود وفي هذه الامة
فكل من ارتشى وبدل الحكم فحكم بغير حكم الله فقد كفر وظلم وفسق واليه ذهب السدي لانه ظاهر الخطاب وقيل هذا فيمن
علم نص حكم الله ثم رده عيانا عمدا وحكم بغيره واما من خفي عليه النص او اخطا في التاويل فلا يدخل في هذا الوعيد والله اعلم
بمراده قوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس يعني وفرضنا على بني اسرايل في التوراة ان نفس القاتل بنفس
المقتول وفاقا فيقتل به وذلك ان الله تعالى حكم في التوراة ان على الزاني المحصن الرجم وخالف اليهود فبدلوه
وغيروه واخبر ايضا ان في التوراة ان النفس بالنفس وان هولاء اليهود غيروا هذا الحكم وبدلوه ففضلوا بني
النضير على بني قريظة فكان بنو النضير اذا قتلوا من قريظة ادوا اليهم نصف الدية واذا قتل بنو قريظة من
بني النضير ادوا اليهم الدية كاملة فغيروا حكم الله الذي انزله في التوراة قال ابن عباس اخبر الله بحكمه في التوراة
وهو ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فقال
فما بالهم يخالفون فيقتلون النفسين بالنفس ويفقؤون العينين بالعين ومعنى الاية ان قاتل النفس يقتل به
اذا تكافا الدمان ومذهب الشافعي انه لا يقتل مسلم بكافر لما صح من حديث علي بن ابي طالب ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لا يقتل مسلم بكافر الحديث اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى والعين بالعين يعني تفقا بها والانف
بالانف يعني يجدع به والاذن بالاذن تقطع بها والسن بالسن يعني تقلع به وساير الاطراف والاعضا
يجري فيها القصاص كذلك وقوله تعالى والجروح قصاص يعني فيما يمكن ان يقتص منه وهذا تعميم بعد التخصيص

Copyright © King Saud University

لان الله تعالى ذكر النفس والعين والانف والاذن فخص هذه الاربعة بالذكر ثم قال تعالى والجروح قصاص على سبيل
العموم فيما يمكن ان يقتص منه كاليد والرجل والذكر والانثيين وغيرها واما ما لا يمكن القصاص فيه كرض في لحم
او كسر في عظم او جراحة في البطن يخاف منها التلف فلا قصاص في ذلك وفيها الارش والحكومة واعلم ان هذه الاية
دالة على ان هذا الحكم كان شرعا في التوراة فمن قال شرع من قبلنا يلزمنا الا ما نسخ منه بالتفصيل قال هذه الاية
حجة في شرعنا ومن انكره قال انها ليست بحجة علينا واصل هذه المسئلة ان النبي صلى الله عليه وسلم وامته بعد
البعثة هل هم متعبدون بشرع من تقدم من الانبيا فنقل عن اصحاب ابي حنيفة وبعض اصحاب الشافعي وعن احمد
في احد الروايتين عنه انه كان متعبدا بما صح من شرايع من قبله بطريق الوحي اليه لا من جهة كتبهم المبدلة ونقل
اربابها واختار ابن الحاجب من المتاخرين هذا المذهب وهو انه صلى الله عليه وسلم كان بعد البعث متعبدا
بشرع من قبله فيما لم ينسخ من الاحكام الباقية قبل شريعته لكنه لم يعتبر فيه الوحي وهو الحق والا لم يبق
للنزاع معنى اذ لا ينكر احد كونه النبي صلى الله عليه وسلم متعبدا بعد البعثة بما اوحي اليه سوا كان من شريعة
من قبله ام لا وذهب الاشاعرة والمعتزلة الى المنع من ذلك وهو اختيار السيف الامدي من المتاخرين
واحتج الاولون بصحة مذهبهم ان الاجماع منعقد على صحة الاستدلال بقوله وكتبنا عليهم فيها ان
النفس بالنفس الاية مع انه من شريعة من تقدم لانه مذكور في التوراة ومكتوب على بني اسرايل ولولا انا
متعبدون بشريعة من قبلنا لما صح هذا الاستدلال وقوله تعالى فمن تصدق به يعني بالقصاص فلم يقتص
من الجاني فهو كفارة له وفي هاء له قولان احدهما ان الهاء في له كناية عن المجروح وولي المقتول وذلك ان المجروح
وولي المقتول اذا تصدق بالقصاص كان ذلك كفارة لذنوبه وهذا قول ابن مسعود وعبد الله بن عمرو بن
العاص والحسن ويدل عليه ما روي عن ابي الدردا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل
يصاب بشي من جسده فيتصدق به الا رفعه الله به درجة وحط عنه به خطيئة اخرجه الترمذي وعن انس
قال ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع اليه شي فيه قصاص الا امر فيه بالعفو اخرجه ابو داود والنسائي
والقول الثاني ان الضمير في قوله له يعود الى الجارح والقاتل يعني ان المجني عليه اذا عفا عن الجاني كان ذلك العفو
كفارة لذنب الجاني لا يواخذ به في الاخرة وهذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل كما ان القصاص كفارة له فاما
اجر العافي فعلى الله تعالى وقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون يعني لانفسهم حيث لم يحكموا بما انزل الله
عز وجل قوله عز وجل وقفينا على اثارهم يعني وعقبنا على اثار النبيين الذين اسلموا بعيسى ابن مريم مصدقا لما
بين يديه من التوراة يعني ان عيسى عليه السلام كان مصدقا بان التوراة منزلة من عند الله عز وجل
وكان العمل بها واجبا قبل ورود النسخ عليها فان عيسى عليه السلام نسخ بعض احكام التوراة وخالفها واتيناه
الانجيل فيه هدى ونور يعني فيه هدى من الجهالة وضيا من عمى البصيرة ومصدقا لما بين يديه من التوراة
فليس بتكرير للاول لان في الاول الاخبار بان عيسى مصدق لما بين يديه من التوراة وفي الثاني الاخبار
بان الانجيل مصدق للتوراة فظهر الفرق بين اللفظين وانه ليس بتكرار وهدى وموعظة للمتقين انما قال
وهدى مرة اخرى لان الانجيل يتضمن البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فيكون سببا لاهتدا الناس الى نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم واما كون الانجيل موعظة لما فيه من المواعظ البليغة والزواجر والامثال وانما خص
المتقين بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون بالمواعظ قوله تعالى وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه قال اهل
المعاني قوله وليحكم يحتمل وجهين احدهما ان يكون المعنى وقلنا ليحكم اهل الانجيل فيكون هذا اخبارا عما فرض
عليهم في وقت انزاله عليهم من الحكم بما تضمنه الانجيل ثم حذف القول لان ما قبله من قوله وكتبنا وقفينا

بدل

يدل عليه وحذف القول كثير والوجه الثاني ان يكون قوله وليحكم ابتدا وفيه امر للنصارى بالحكم بما في كتابهم
وهو الانجيل **فان قلت** فعلى هذا الوجه كيف جاز ان يومروا بالحكم بما في الانجيل بعد نزول
القران **قلت** ان المراد بهذا الحكم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لان ذكره في الانجيل موجود
ووجوب التصديق بنبوته فاذا امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد حكموا بما في الانجيل وقوله ومن لم يحكم
بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون يعني فاولئك هم الخارجون عن طاعة الله عز وجل قوله عز وجل وانزلنا اليك
الكتاب الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وانزلنا اليك الكتاب يا محمد القران بالحق يعني بالصدق الذي
لا شك فيه انه من عند الله مصدقا لما بين يديه من الكتاب يعني انه يصدق جميع الكتب التي انزلها الله على
انبيايه ومهيمنا عليه قال ابن عباس شاهدا على الكتب التي هو قبله ومنه قول حسان * ان الكتاب مهيمن لنبينا
والحق يعرفه ذووا الالباب * يريد انه شاهد ومصدق لنبينا صلى الله عليه وسلم وانما كان القران مهيمنا
على الكتب التي قبله لانه الكتاب الذي لا ينسخ ولا يغير ولا يبدل واذا كان القران كذلك كانت شهادته
على التوراة والانجيل والزبور وجميع الكتب المنزلة حق وصدق وقيل المهيمن الامين وانما كان القران
امينا على الكتب التي قبله فيما اخبر اهل الكتب عن كتبهم فان قالوا ذلك في القران فقد صدقوا والا فلا فاحكم بينهم
بما انزل الله يعني اذا ترافع اهل الكتاب اليك يا محمد فاحكم بينهم بالقران الذي نزله الله اليك ولا تتبع اهواءهم
يعني ولا تتبع اهوا اليهود في الحكم وقال ابن عباس لا تاخذ باهوايهم في جلد المحصن عما جاك من الحق يعني ولا
تنحرف عن الحق الذي جاك من عند الله متبعا اهواهم وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا الخطاب في قوله
منكم للامم الثلاثة امة موسى وامة عيسى وامة محمد صلى الله عليه وسلم اجمعين بدليل ان الله عز وجل قال قبل
هذه انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور ثم قال بعد ذلك وقفينا على اثارهم بعيسى بن مريم ثم قال وانزلنا اليك
الكتاب ثم رجع فقال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والشرعة الشريعة يعني لكل امة شريعة فللتوراة شريعة
وللانجيل شريعة وللقران شريعة والدين واحد وهو التوحيد واصل الشريعة من الشرع وهو البيان والاظهار
من شرع بين واوضح وقيل هو من الشروع في الشي والشريعة في كلام العرب المشرعة التي يشرعها الناس فيشربون
ويستقون منها وقيل الشريعة الطريقة ثم استعير ذلك للطريقة الالهية المودية الى الدين والمنهاج الطريق الواضح
قال بعضهم الشريعة والمنهاج عبارة عن معنى واحد والتكرير للتاكيد والمراد بهما الدين وقال اخرون بينهما
فرق لطيف وهو ان الشريعة التي امر الله بها عباده والمنهاج الطريق الواضح المودي الى الشريعة قال ابن عباس
في قوله شرعة ومنهاجا سنة وسبيلا قال قتادة سبيلا وسنة فالسنن مختلفة للتوراة شريعة وللانجيل شريعة
وللقران شريعة يحل الله عز وجل فيها ما يشا ويحرم ما يشا ليعلم من يطيعه ممن يعصيه والدين الذي لا يقبل غيره
هو التوحيد والاخلاص به الذي جات به جميع الرسل عليهم السلام وقال علي بن ابي طالب الايمان منذ بعث
ادم عليه السلام شهادة ان لا اله الا الله والاقرار بما جا من عند الله ولكل قوم شريعة او منهاج قال العلما وردت
ايات دالة على عدم التباين في طريقة الانبيا منها قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الى قوله ان اقيموا الدين
ولا تتفرقوا فيه ومنها قوله اوليك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ووردت ايات دالة على حصول التباين
بينهم منها هذه الاية وهي قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وطريق الجمع بين هذه الايات ان كل اية دلت على
عدم التباين فهي دالة على اصول الدين من الايمان بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وكذلك ما جات
به الرسل من عند الله ولم يختلفوا فيه واما الايات الدالة على حصول التباين بينهم فمحمول على الفروع وما يتعلق
بظواهر العبادات فجايز ان يتعبد الله عباده في كل وقت بما شا فهذه طريق الجمع بين الايات والله اعلم باسراره

Copyright © King Saud University

كتابه واحتج بهذه من قال ان شرع من قبلنا لا يلزمنا لان قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا يدل على ان كل رسول جا بشريعة خاصة فلا يلزم امة رسول الاقتدا بشريعة رسول اخر قال تعالى ولو شا الله لجعلكم امة واحدة يعني جماعة متفقة على شريعة واحدة ودين واحد لا اختلاف فيه ولكن ليبلوكم يعني ولكن اراد ان يختبركم فيما اتاكم يعني من الشرايع المختلفة هل تعملون بها ام لا فيتبين بذلك المطيع من العاصي والموافق من المخالف فاستبقوا الخيرات هذا خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم يعني فبادروا يا امة محمد بالاعمال الصالحات التي تقربكم الى الله تعالى الى الله مرجعكم جميعا يعني المطيع والعاصي والموافق والمخالف فينبيكم بما كنتم فيه تختلفون يعني فيخبركم في الاخرة بما كنتم فيه تختلفون من امر الدين والدنيا والمعنى فيخبركم في الاخرة بما لا تشكون معه فيفصل بين المحق والمبطل والطايع والعاصي بالثواب والعقاب قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواهم قال ابن عباس ان كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فاتوه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود واشرافهم وسادتهم وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن بك ونصدقك فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وان احكم بينهم بما انزل الله يعني احكم بينهم يا محمد بالحكم الذي انزله الله في كتابه ولا تتبع اهواهم يعني فيما امروك به قال العلما ليس في هذه الاية تكرار لما تقدم وانما انزلت في حكمين مختلفين اما الاية الاولى فنزلت في شان رجم المحصن وان اليهود طلبوا منه ان يجلده وهذه الاية نزلت في الدما والديات حين تحاكموا اليه في امر قتيل كان بينهم قال بعض العلما هذه الاية ناسخة للتخيير في قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم وقوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك يعني واحذر يا محمد هولا اليهود الذين جاوا اليك ان يصرفوك ويصدوك بمكرهم وكيدهم فيحملوك على ترك العمل ببعض ما انزل اليك في كتابه واتباع اهواهم فان تولوا يعني فان اعرضوا عن الايمان بك والرضى بالحكم بما انزل الله فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني فاعلم يا محمد ان الله يريد ان يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم وانما خص بعض الذنوب لان الله جازاهم في الدنيا على بعض ذنوبهم بالقتل والسبي والجلا واخر مجازاتهم على باقي ذنوبهم في الاخرة وان كثيرا من الناس لفاسقون يعني اليهود لانهم ردوا حكم الله تعالى افحكم الجاهلية يبغون يعني افحكم الجاهلية يطلب هولا اليهود قال ابن عباس يعني بحكم الجاهلية ما كانوا عليه من الضلال والجور في الاحكام وتحريفهم اياها عما امر الله بها وقال مقاتل كانت بين بني النضير وقريظة دما وهما حيان من اليهود وذلك قبل ان يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فلما بعث وهاجر الى المدينة تحاكموا اليه فقالت بنو قريظة بنو النضير اخواننا ابونا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد فان قتل بنو النضير منا قتيلا اعطونا سبعين وسقا من تمر وان قتلنا منهم قتيلا اخذوا منا مائة واربعين وسقا وارش جراحاتنا على النصف من جراحاتهم فاقض بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان دم القرظي وفاء من دم النضيري ودم النضيري وفاء من دم القرظي ليس لاحدهما فضل على الاخر في دم ولا عقل ولا جراحة فغضبت بنو النضير وقالوا لا نرضى بحكمك فانك لنا عدو وانك لتالو في وضعنا وتصغيرنا فانزل الله افحكم الجاهلية يبغون وقرى بالتا على الخطاب والمعنى قل لهم يا محمد افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون يعني اي حكم احسن من حكم الله ان كنتم موقنين ان لكم ربا وانه عدل في احكامه قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الاية وان كان حكمها عاما لجميع المومنين لان خصوص السبب لا يمنع عموم الحكم فقال قوم نزلت هذه الاية في عبادة بن الصامت رضي الله عنه

وعبد

وعبد الله بن ابي بن سلول راس المنافقين وذلك انهما اختصما فقال عبادة ان لي اوليا من اليهود كثير عددهم شديدة شوكتهم واني ابرا الى الله والى رسوله من ولايتهم ولا مولى لي الا الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي لكني لا ابرا من ولاية اليهود اني اخاف الدواير ولا بد لي منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه فقال اذن اقبل فانزل الله هذه الاية وقال السدي لما كانت وقعة احد اشتد الامر على طايفة من الناس وتخوفوا ان يدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين انا الحق بفلان اليهودي واخذ منه امانا اني اخاف ان يدال علينا اليهود وقال رجل اخر انا الحق بفلان النصراني من اهل الشام واخذ منه فانزل الله هذه الاية ينهاهما عن موالاة اليهود والنصارى وقال عكرمة نزلت في ابي لبابة بن عبد المنذر لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة حين حاصرهم فاستشاروه في النزول وقالوا ماذا يصنع بنا اذا نزلنا فجعل اصبعه في حلقه اشارة انه الذبح وانه يقتلكم فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا فنهى الله المومنين جميعا ان يتخذوا اليهود والنصارى انصارا واعوانا على اهل الايمان بالله ورسوله واخبر انه من اتخذهم انصارا واعوانا وحلفا من دون الله ورسوله والمومنين فانه منهم وان الله ورسوله والمومنين منه برا بعضهم اوليا بعض يعني ان بعض اليهود انصار البعض على المومنين وان النصارى كذلك يد واحدة على من خالفهم في دينهم وملتهم ومن يتولهم منكم فانه منهم يعني ومن يتول اليهود والنصارى دون المومنين فينصرهم على المومنين فهو من اهل دينهم وملتهم لانه لا يتولى متول احدا الا وهو راض به وبدينه واذا رضيه ورضي دينه صار منهم وهذا تغليظ من الله عز وجل وتشديد عظيم في مجانبة اليهود والنصارى وكل من خالف دين الاسلام ان الله لا يهدي القوم الظالمين يعني ان الله لا يوفق من وضع الولاية في غير موضعها فيتولى اليهود والنصارى مع علمه بعداوتهم لله ولرسوله وللمومنين روي ان ابا موسى الاشعري قال قلت لعمر بن الخطاب ان لي كاتبا نصرانيا فقال ما لك وله قاتلك الله الا اتخذت حنيفا يعني مسلما اما سمعت قول الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا بعضهم اوليا بعض قلت له دينه ولي كتابته فقال لا اكرمهم اذ اهانهم الله ولا اعزهم اذ اذلهم الله ولا ادنيهم اذ ابعدهم الله قلت انه لا يتم امر البصرة الا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب انه مات فما تصنع بعده فما تعمله بعد موته فاعمله الان واستغن عنه بغيره من المسلمين قوله تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض يعني فترى يا محمد الذين في قلوبهم شك ونفاق يسارعون فيهم يعني يسارعون في مودة اليهود وموالاتهم ومناصحتهم لانهم كانوا اهل ثروة ويسار وكانوا يغشونهم ويخالطونهم لاجل ذلك نزلت في عبد الله بن ابي المنافق وفي اصحابه من المنافقين يقولون يعني المنافقين نخشى ان تصيبنا دايرة الداير مرة وادبار الدهر كالدولة تدول والمعنى ويقول المنافقون انما نخالط اليهود لانا نخشى ان يدور علينا الدهر بمكروه ويعنون بذلك المكروه الهزيمة في الحرب والقحط والجدب والحوادث المخوفة قال ابن عباس معناه نخشى ان لا يتم امر محمد فيدور علينا الامر كما كان قبل محمد فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده قال المفسرون عسى من الله واجب لان الكريم اذا اطمع في خير فعله وهو بمنزلة الوعد لتعلق النفس به ورجاها له فعسى الله ان ياتي بالفتح لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم على اعدايه واظهار دينه على الاديان كلها واظهار المسلمين على اعدايهم من الكفار واليهود والنصارى وقد فعل الله ذلك بمنه وكرمه فاظهر دينه ونصر عبده وقيل اراد بالفتح فتح مكة وقيل فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك ونحوهما من بلادهم او امر من عنده يعني انه تعالى يقطع اصل اليهود من الحجاز ويخرجهم من بلادهم بلا كلفة ولا تعب ولا يكون للناس فيه فعل البتة كما القى في قلوبهم الرعب فاخلوا ديارهم واخربوا بيوتهم ورحلوا الى الشام وقوله تعالى فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين يعني فيصبح المنافقون الذين كانوا يوالون اليهود نادمين على ما حدثوا به انفسهم

Copyright © King Saud University

انا مع محمد لا يتم وقيل ندموا على حسن الاخبار الى اليهود ويقول الذين امنوا يعني ويقول الذين امنوا في وقت اظهار الله
نفاق المنافقين اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم وذلك ان المؤمنين كانوا يتعجبون من حال المنافقين
عندما اظهروا الميل الى موالاة اليهود والنصارى فقالوا ان المنافقين حلفوا بالله جهد ايمانهم انهم لمعنا ومن انصارنا
والان كيف صاروا موالين لاعدائنا من اليهود محبين للاختلاط بهم فبان كذب المنافقين في ايمانهم الباطلة
حبطت اعمالهم اي بطل كل خير عملوه لاجل ما اظهروا من النفاق وموالاة اليهود فاصبحوا خاسرين يعني انهم خسروا
في الدنيا بافتضاحهم وخسروا في الاخرة باحباط ثواب اعمالهم وحصلوا بالعذاب الدائم المقيم قوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه يعني من يرجع منكم عن دينه الحق الذي هو عليه وهو دين الاسلام فيبدله ويغيره بدخوله
في الكفر بعد الايمان فيختار اما اليهودية او النصرانية او غير ذلك من اصناف الكفر فلن يضر الله شيئا وانما يضر نفسه برجوعه
عن الدين الصحيح الذي هو دين الاسلام قال الحسن علم الله تعالى ان قوما سيرجعون عن الاسلام بعد موت نبيهم
صلى الله عليه وسلم فاخبر انه سياتي بقوم يحبهم ويحبونه وذكر صاحب الكشاف ان احدى عشرة فرقة من العرب ارتدت
ثلاث في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار وهو الاسود العنسي وكان كاهنا تنبا باليمن
واستولى على بلاده واخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى
سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمي فبيته وقتله فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بقتله
ليلة قتل فسر المسلمون بذلك وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد واتى خبر قتله في اخر ربيع الاول
وبنو حنيفة وهم قوم مسيلمة الكذاب تنبا وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله اما بعد
فان الارض نصفها لي ونصفها لك فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب
اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وستاتي قصة قتله فيما بعد وبنو اسد
وهم قوم طليحة بن خويلد تنبا فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقاتله فانهزم بعد القتال
الى الشام ثم اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وارتد سبع فرق في خلافة ابي بكر الصديق وهم فزارة وهم قوم عيينة
ابن حصن الفزاري وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم
مالك بن نويرة اليربوعي وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبية التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب
وكندة قوم الاشعث بن قيس الكندي وبنو بكر بن وائل قوم الحطم بن زيد فكفى الله امرهم على يد ابي بكر الصديق
رضي الله عنه وفرقة واحدة ارتدت في خلافة عمر بن الخطاب وهم غسان قوم جبلة بن الايهم واختلف
العلماء في المعنى بقوله تعالى فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه فقال علي بن ابي طالب والحسن وقتادة
هم ابو بكر واصحابه الذين قاتلوا اهل الردة ومانعي الزكاة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتد
عامة العرب كما تقدم تفصيله الا اهل المدينة واهل مكة واهل البحرين من بني عبد القيس فانهم
ثبتوا على الاسلام ونصر الله بهم الدين ولما ارتد من ارتد من العرب ومنعوا الزكاة فهم ابو بكر بقتالهم
وكره ذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ودمه
الا بحقها وحسابه على الله فقال ابو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق
المال ولو منعوني عناقا او قال عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على
منعها قال انس بن مالك كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة وقالوا هم اهل القبلة فتقلد ابو بكر سيفه
وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على اثره فقال ابن مسعود كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه عليه

في الانتهاء

في الانتهاء وقال ابو بكر بن عياش سمعت ابا حصين يقول ما ولد بعد النبيين افضل من ابي بكر الصديق لقد قام
مقام نبي من الانبياء في قتال اهل الردة وقالت عائشة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب
واشرأب النفاق ونزل بابي بكر ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها وبعث ابو بكر الصديق خالد بن الوليد في
جيش كثير الى بني حنيفة باليمامة وهم قوم مسيلمة الكذاب فاهلك الله مسيلمة على يد وحشي غلام مطعم بن
عدي الذي قتل حمزة فكان وحشي يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد بذلك
وحشي انه في حال الجاهلية قتل حمزة وهو خير الناس وفي حال اسلامه قتل مسيلمة الكذاب وهو شر الناس وقال
قوم المراد بقوله تعالى فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الاشعريون قوم ابي موسى الاشعري روي عن عياض بن غنم
الاشعري قال لما نزلت هذه الاية فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هم قوم هذا يعني ابا موسى الاشعري اخرجه الحاكم في المستدرك وقيل هم اهل اليمن عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاكم اهل اليمن هم ارق افئدة والين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية وقال السدي
نزلت في الانصار لانهم هم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم واعانوه على اظهار الدين وقيل هم احياء
من اهل اليمن الفان من النخع وخمسة الاف من اهل كندة وبجيلة وثلاثة الاف من اخلاط الناس جاهدوا في سبيل
الله يوم القادسية في خلافة عمر وعلى هذا التقدير تكون هذه الاية اخبارا عن الغيب وقد وقع الخبر على وفقه
بحمد الله تعالى فتكون هذه الاية معجزة واما معنى المحبة فيقال احببت فلانا بمعنى جعلت قلبي معرضا
بان يحبه والمحبة ارادة ما تراه او تظنه خيرا ومحبة الله تعالى للعبد انعامه عليه وتوفيقه وهدايته
الى طاعته وان يثني عليه ويرضى عنه ومحبة العبد لله عز وجل ان يسارع الى طاعته وابتغاء
مرضاته وان يفعل ما يوجب له الزلفى لديه جعلنا الله ممن يحبهم ويحبونه بمنه وكرمه وقوله تعالى
اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وهذه من صفات الذين اصطفاهم الله تعالى ووصفهم بقوله
يحبهم ويحبونه يعني انهم ارقاء رحماء لاهل دينهم واخوانهم من المؤمنين ولم يرد الذل والهوان بل اراد لين جانبهم لاخوانهم
المؤمنين وهم مع رفقهم ورحمتهم ولين جانبهم اشداء اقوياء غلظاء على اعدائهم الكافرين قال علي بن ابي طالب اذلة
على المؤمنين يعني اهل رقة على اهل دينهم اعزة على الكافرين اهل غلظة على من خالفهم في دينهم قال ابن
عباس تراهم كالولد لوالده وكالعبد لسيده وهم في الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته وقال ابن الانباري
اثنى الله على المؤمنين بانهم يتواضعون للمؤمنين اذا لقوهم ويعنفون بالكافرين اذا لقوهم وقيل ان الذل هنا
بمعنى الشفقة والرحمة لا انه قال راحمين للمؤمنين مشفقين عليهم على وجه التذلل والتواضع وانما اتى
بلفظ على حتى يدل على علو منصبهم وفضيلة التواضع ويدل على صحة هذا سياق الاية وهو قوله اعزة على
الكافرين يعني انهم اشداء اقوياء في انفسهم وعلى اعدائهم يجاهدون في سبيل الله يعني انهم ينصرون دين الله
ولا يخافون لومة لائم يعني لا يخافون عذل عاذل في نصرهم الدين وذلك ان المنافقين كانوا يراقبون الكفار
ويخافون لومهم فبين الله تعالى في هذه الاية ان من كان قويا في الدين فانه لا يخاف في نصرة دين الله بيده او
بلسانه لومة لائم وهذه صفة المؤمنين المخلصين لانهم لله تعالى (ق) عن عبادة بن الصامت قال بايعنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة لا نخاف لومة لائم ثم قال تعالى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من وصفهم بمحبة الله ولين جانبهم للمؤمنين وشدتهم على الكافرين وانهم يجاهدون
في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم كل ذلك من فضل الله تعالى تفضل به عليهم ومن احسانه اليهم والله
واسع عليم يعني انه تعالى واسع الفضل عليم بمن يستحقه قوله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا

Copyright © King Saud University

قال ابن عباس نزلت هذه الاية في عبادة بن الصامت حين تبرا من موالاة اليهود قال اتولى الله ورسوله والمومنين
يعني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله نزلت في عبد الله بن سلام وذلك انه جا الى محمد
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا واقسموا ان لا يجالسونا
فنزلت هذه الاية فقراها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن سلام رضينا بالله ربا وبرسوله
نبيا وبالمومنين اوليا وقيل الاية عامة في حق جميع المومنين لان المومنين بعضهم اوليا بعض فعلى هذا يكون قوله
تعالى **الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكاة وهم راكعون** صفة لكل مومن ويكون المراد بذكر هذه الصفات تمييز المومنين
عن الكافرين المنافقين لان المنافقين كانوا يدعون انهم مومنين الا انهم لم يكونوا يداومون على فعل الصلاة
والزكاة فوصف الله تعالى المومنين بانهم يقيمون الصلاة يعني باتمام ركوعها وسجودها في مواقيتها ويوتون
الزكاة يعني ويودون زكاة اموالهم اذا وجبت عليهم اما قوله تعالى وهم راكعون فعلى هذا التفسير فيه
وجوه احدها ان المراد من الركوع هنا الخضوع والمعنى ان المومنين يصلون ويزكون وهم منقادون خاشعون
لاوامر الله ونواهيه الوجه الثاني ان يكون المراد منه ان من شانهم اقامة الصلاة وايتا الزكاة وانما خص
الركوع بالذكر تشريفا له الوجه الثالث قيل ان هذه الاية نزلت وهم ركوع وقيل نزلت في شخص معين وهو
علي بن ابي طالب قال السدي مر بعلي سايل وهو راكع في المسجد فاعطاه خاتمه فعلى هذا قال العلما العمل القليل
في الصلاة لا يفسدها والقول بالعموم اولى وان كان قد وافق وقت نزولها صدقة علي بن ابي طالب
وهو راكع ويدل على ذلك ما روي عن عبد الملك بن سليمان قال سالت ابا جعفر محمد بن علي الباقر عن هذه
الاية انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا من هم فقال المومنون فقلت ان ناسا يقولون هو علي فقال علي
من الذين امنوا وقوله تعالى **ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا** يعني ومن يتول القيام بطاعة الله ونصرة رسوله
والمومنين قال ابن عباس يريد المهاجرين والانصار ومن ياتي بعدهم **فان حزب الله** يعني انصار دين الله
هم الغالبون لان الله ناصرهم على عدوهم والحزب في اللغة اصحاب الرجل الذين يكونون معه على رايه وهم القوم
الذين يجتمعون لامر حزبه يعني اهمه قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا
قال ابن عباس كان رفاعة بن سويد بن التابوت وسويد بن الحرث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال
من المسلمين يوادونهما فانزل الله تعالى هذه الاية ومعنى اتخذوا دينهم هزوا ولعبا هو اظهارهم الاسلام
بالسنتهم قولا وهم مع ذلك يبطنون الكفر ويسرونه **من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم** يعني اليهود **والكفار** يعني عبدة
الاصنام وانما فصل بين اهل الكتاب والكفار وان كان اهل الكتاب من الكفار لان كفر المشركين من عبدة
الاصنام اغلظ وافحش من كفر اهل الكتاب **اوليا** يعني لا تتخذوهم اوليا والمعنى ان اهل الكتاب والكفار
اتخذوا دينكم يا معشر المومنين هزوا وسخرية فلا تتخذوهم انتم اوليا وانصارا **واتقوا الله ان كنتم مومنين** يعني مومنين
حقا لان المومنين تابى موالاة اعدا الله عز وجل قوله تعالى **واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا** قال الكلبي كان
منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نادى الى الصلاة وقام المسلمون اليها قالت اليهود قد قاموا
لا قاموا وصلوا لا صلوا ويتضاحكوا على طريق الاستهزا فانزل الله هذه الاية وقال السدي نزلت هذه
الاية في رجل من النصارى كان بالمدينة وكان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله
يقول حرق الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وهو واهله نيام فطارت منها شرارة فاحترق البيت
واحترق هو واهله وقيل ان الكفار والمنافقين كانوا اذا سمعوا الاذان حسدوا المسلمين على ذلك فدخلوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لقد ابتدعت شيا لم يسمع بمثله فيما مضى من الامم قبلك فان كنت

تدعي

تدعي النبوة فقد خالفت الانبيا قبلك ولو كان فيه خير لكان اولى الناس به الانبيا فمن اين لك صياح كصياح
البعير فما اقبح هذا الصوت وهذا الامر فانزل الله عز وجل ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الاية وانزل واذا
ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا **ذلك بانهم قوم لا يعقلون** يعني ان هزوهم ولعبهم من افعال السفها
والجهال الذين لا عقل لهم قوله تعالى **قل يا اهل الكتاب** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني قل يا محمد
لهولا اليهود والنصارى الذين اتخذوا دينك هزوا ولعبا **هل تنقمون منا** يعني هل تكرهون منا او تعيبون
علينا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وهذا على سبيل التعجب من فعل اهل الكتاب والمعنى
هل تجدون علينا في الدين الا الايمان بالله وما انزل الينا وبما انزل على جميع الانبيا من قبل وهذا ليس
مما ينكر او ينقم منه وهذا كما قال بعضهم • ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتايب •
يعني انه ليس فيهم عيب لا ذلك وهذا ليس بعيب بل هو مدح عظيم لهم قال ابن عباس اتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم نفر من اليهود فيهم ابو ياسر بن اخطب ورافع بن ابي رافع وعازر وزيد وخالد وازار
ابن ابي ازر واشيع فسالوه عمن يومن به من الرسل فقال نومن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم
واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط الى قوله ونحن له مسلمون الاية فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله
ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فانزل الله هذه الاية قل يا اهل
الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وهذا هو دينا الحق وطريقنا
المستقيم فلم تنقمون علينا **وان اكثركم فاسقون** يعني انكم انما كرهتم ايماننا وانتم تعلمون انا على
الحق بسبب فسقكم واقامتكم على الدين الباطل لحب الرياسة واخذ الاموال بالباطل وانما قال
اكثركم لان الله علم ان من اهل الكتاب لان الله علم ان من اهل الكتاب من يومن بالله وبرسوله قوله عز
وجل **قل هل انبيكم بشر من ذلك** هذا جواب لليهود لما قالوا ما نعرف دينا شرا من دينكم والمعنى قل يا محمد لهولا
اليهود الذين قالوا هذه المقالة هل اخبركم بشر من ذلك الذي ذكرتم ونقمتم علينا من ايماننا بالله وبما انزل علينا
مثوبة عند الله يعني جزا **فان قلت** المثوبة مختصة بالاحسان لانها في معنى الثواب فكيف
جات في الاساءة **قلت** وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع
ومنه قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم والمعنى قل هل انبيكم بشر من اهل ذلك الدين مثوبة **فان قلت**
هذا يقتضي ان الموصوفين بذلك الدين محكوم عليهم بالشر لانه تعالى قال بشر من ذلك ومعلوم ان
الامر ليس كذلك فما جوابه **قلت** جوابه ان الكلام خرج على حسب قولهم واعتقادهم فان
اليهود حكموا بان اعتقاد ذلك الدين شر فقال لهم هب ان الامر كذلك لكن من لعنه الله وغضب
عليه واسمع صورته شر من ذلك وقوله تعالى **من لعنه الله** معناه هل انبيكم بمن لعنه الله
او هو من لعنه الله ومعنى لعنه الله ابعده وطرده من رحمته **وغضب عليه** يعني وانتقم منه لان
الغضب ارادة الانتقام من العصاة **وجعل منهم القردة والخنازير** يعني من اليهود من لعنه الله وغضب
عليه ومنهم من جعلهم قردة وخنازير قال ابن عباس ان الممسوخين كلاهما اصحاب السبت فشبابهم
مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وقيل ان مسخ القردة كان في اصحاب السبت من اليهود
ومسخ الخنازير كان في الذين كفروا بعد نزول المايدة في زمن عيسى عليه السلام ولما نزلت
هذه الاية عير المسلمون اليهود وقالوا لهم يا اخوان القردة والخنازير فافتضحوا ونكسوا **وعبد
الطاغوت** يعني وجعل منهم عبد الطاغوت يعني من اطاع الشيطان فيما سول له والطاغوت

Copyright © King Saud University

هو الشيطان وقيل هو العجل وقيل هو الكهان والاحبار وجملته ان كل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده
وهو الطاغوت اولئك يعني الملعونين والمغضوب عليهم والممسوخين شر مكانا يعني من غيرهم ونسب الشر الى
المكان والمراد به اهله فهو من باب الكناية وقيل اراد ان مكانهم سقر ولا مكان اشد شرا منه واضل عن
سواء السبيل يعني واخطا عن قصد طريق الحق قوله تعالى واذا جاؤكم قالوا امنا قال قتادة نزلت في اناس
من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه انهم مومنون راضون بالذي جاء به وهم
متمسكون بضلالتهم وكفرهم فكان هولاء يظهرون الايمان وهم في ذلك منافقون فاخبر الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم بحالهم وشانهم وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به يعني انهم دخلوا كافرين وخرجوا كافرين
لم يتعلق بقلوبهم شي من الايمان فهم كافرون في حالتي الدخول والخروج والله اعلم بما كانوا يكتمون يعني من الكفر
الذي في قلوبهم قوله عز وجل وترى كثيرا منهم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وترى يا محمد كثيرا
منهم من اليهود وكلمة من يحتمل ان تكون للتبعيض ولعل ان هذه الافعال المذكورة في هذه الاية ما كان يفعلها
كل اليهود فلهذا قال تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون والمسارعة في الشي المبادرة اليه بسرعة لكن لفظة
المسارعة انما تستعمل في الخير ومنه قوله تعالى يسارعون في الخيرات وضدها العجلة ويقال في الشر في الاغلب وانما
ذكرت لفظة المسارعة في قوله يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت لفايدة وهي انهم كانوا يقدمون على هذه المنكرات
كانهم محقون فيها والاثم اسم جامع لجميع المعاصي والمنهيات فيدخل تحته العدوان واكل السحت فلهذا ذكر الله
العدوان واكل السحت بعد الاثم وقيل الاثم ما كتموه من التوراة والعدوان ما زادوا فيها والسحت
الرشى وما كانوا ياكلونه من غير وجهه لبيس ما كانوا يعملون يعني لبيس العمل كان هولاء اليهود يعملون وهو مسارعتهم الى
الاثم والعدوان واكلهم السحت قوله تعالى لولا يعني هلا وهي هنا بمعنى التخصيص والتوبيخ ينهاهم الربانيون والاحبار
قال الحسن الربانيون علما اهل الانجيل والاحبار علما اهل التوراة وقال غيره كلهم من اليهود لانه متصل بذكرهم عن قولهم
الاثم يعني الكذب واكلهم السحت والمعنى هلا نهى الاحبار والرهبان اليهود عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبيس ما كانوا
يصنعون يعني الاحبار والرهبان اذا لم ينهوا غيرهم عن المعاصي وهذا يدل على ان تارك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكبه
لان الله تعالى ذم الفريقين في هذه الاية قال ابن عباس ما في القران اشد توبيخا من هذه الاية وقال الضحاك ما في
القران اخوف اية عندي منها قوله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة نزلت هذه الاية في فنحاص اليهودي قال
ابن عباس ان الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا اكثر الناس اموالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم
وكذبوا به كف عنهم ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص يد الله مغلولة يعني محبوسة مقبوضة عن الرزق والبذل
والعطا فنسبوا الله تعالى الى البخل والقبض تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ولما قال هذه المقالة الخبيثة فنحاص ولم
ينهه بقية اليهود ورضوا بقوله لا جرم ان الله تعالى اشركهم معه في هذه المقالة فقال تعالى اخبارا عنهم وقالت اليهود
يد الله مغلولة يعني نعمته مقبوضة عنا وقيل معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا الا بقدر ما يبر به قسمه
وذلك قدر ما عبد اباونا العجل والقول الاول اصح لقوله تعالى ينفق كيف يشا واعلم ان غل اليد وبسطها مجاز عن البخل
والجود ودليله قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والسبب
ان اليد الة لكل الاعمال لاسيما لدفع المال وانفاقه وامساكه فاطلقوا اسم السبب على المسبب واسندوا الجود والبخل
الى اليد مجازا فقيل للجواد الكريم فياض اليد ومبسوط اليد وقيل للبخيل مقبوض اليد قوله تعالى غلت ايديهم ولعنوا
بما قالوا يعني امسكت ايديهم عن كل خير وطردوا عن رحمة الله وقال الزجاج رد الله عليهم فقال انا الجواد الكريم وهم
البخلا وايديهم هي المغلولة الممسوكة وقيل هذا دعا على اليهود علمنا الله كيف ندعو عليهم وقال غلت ايديهم في نار جهنم

فعلى

٢٩١

فعلى هذا هو من الغل حقيقة اي شدت ايديهم الى اعناقهم وطرحوا في النار جزا لهم على هذا القول ومعنى لعنوا
بما قالوا عذبوا بسبب ما قالوا فمن لعنتهم انهم مسخوا في الدنيا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة
والجزية وفي الاخرة لهم عذاب النار وقوله تعالى بل يداه مبسوطتان يعني ان الله تعالى جواد كريم ينفق كيف يشا
وهو جواب لليهود ورد عليهم عما افتروه واختلقوه تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وانما اجيبوا بهذا الجواب
على قدر كلامهم واما الكلام في اليد فقد اختلف العلما في معناها على قولين احدهما وهو مذهب جمهور السلف
وعلما اهل السنة وبعض المتكلمين ان يد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه فيجب علينا الايمان بها
والتسليم وامرها كما جاءت في الكتاب والسنة بلا كيف ولا تشبيه ولا تعطيل قال الله تعالى لما خلقت بيدي وقال
النبي صلى الله عليه وسلم عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين والقول الثاني قول جمهور المتكلمين واهل التاويل
فانهم قالوا اليد تذكر في اللغة على وجوه احدها الجارحة وهي معلومة وثانيها النعمة يقال لفلان عندي يد اشكره
عليها وثالثها القدرة قال الله تعالى اولي الايدي والابصار فسروه بذوي القوة والعقول ويقال لا يدان لك بهذا
الامر والمعنى سلب كمال القدرة ورابعها الملك يقال هذه الضيعة في يد فلان اي في ملكه ومنه قوله تعالى الذي بيده عقدة
النكاح اي يملك ذلك اما الجارحة فمنتفية في صفة الله عز وجل لان العقل دل على انه يمتنع ان تكون يد الله عبارة
عن جسم مخصوص وعضو مركب من الاجزا والابعاض تعالى الله عن الجسمية والكيفية والتشبيه علوا كبيرا فامتنع
بذلك ان تكون يد الله بمعنى الجارحة واما ساير المعاني التي فسرت اليد بها فحاصلة لان اكثر العلما من المتكلمين زعموا
ان اليد في حق الله عبارة عن القدرة وعن الملك وعن النعمة وهنا اشكالان احدهما ان اليد اذا فسرت انها بمعنى القدرة
فقدرة الله واحدة ونص القران ناطق باثبات اليدين في قوله تعالى بل يداه مبسوطتان واجيب عن هذا الاشكال
بان اليهود لما جعلوا قولهم يد الله مغلولة كناية عن البخل اجيبوا عن وفق كلامهم فقال بل يداه مبسوطتان اي ليس الامر
عليها وصفتموه من البخل بل هو جواد كريم على سبيل الكمال فان من اعطى بيديه فقد اعطى على اكمل الوجوه الاشكال الثاني
ان اليد اذا فسرت بالنعمة فنص القران ناطق باثبات النعمة ونعم الله غير محصورة ولا معدودة ومنه قوله تعالى
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واجيب عن هذا الاشكال بان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من
الجنسين انواع كثيرة لا نهاية لها مثل نعمة الدنيا ونعمة الدين ونعمة الظاهر ونعمة الباطن ونعمة النفع ونعمة الدفع فالمراد
بالتثنية المبالغة في وصف النعمة اجاب اصحاب القول الاول عن هذا بان قالوا ان الله تعالى اخبر عن ادم انه
خلقه بيده ولو كان معنى خلقه لادم بقدرته او بنعمته او بملكه لم يكن لخصوصية ادم بذلك وجه مفهوم لان جميع
الخلق مخلوقون بقدرته وجميعهم في ملكه ومتقلبون في نعمه فلما خص الله ادم عليه السلام بقوله تعالى لما خلقت
بيدي دون خلقه علم بذلك اختصاصه وتشريفه على غيره ونقل الامام فخر الدين الرازي عن ابي الحسن الاشعري قولان
لان اليد صفة قايمة بذات الله وهي صفة سوى القدرة من شانها التكوين على سبيل الاصطفا قال والذي يدل
عليه انه تعالى جعل وقوع خلق ادم بيده على سبيل الكرامة لادم واصطفايه له فلو كانت اليد عبارة عن القدرة
امتنع كون ادم مصطفى بذلك لان ذلك حاصل في جميع المخلوقات فلا بد من اثبات صفة اخرى وراء القدرة
يقع بها الخلق والتكوين على سبيل الاصطفا لقد اخرج كلامه واجيب عن قولهم بان التثنية بحسب الجنس
ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين انواع كثيرة لان الاسم اذا ثني لا يودي الا الى اثنين باعيانهما دون
ولا يودي عن الجنس ايضا قالوا وخطا في كلام العرب ان يقال ما اكثر الدرهمين في ايدي الناس بمعنى ما اكثر الدراهم
في ايديهم لان الدرهم هذا اذا ثني لا يودي في كلام العرب الا عن اثنين باعيانهما ولكن الواحد يودي عن جنسه كما
تقول العرب ما اكثر الدراهم في ايدي الناس بمعنى ما اكثر الدراهم في ايديهم لان الدرهم يودي عن الجمع فثبت بهذا

Copyright King Saud University

البيان قول من قال ان اليد صفة لله تعالى تليق بجلاله وانها ليست بجارحة كما تقول المجسمة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا
ينفق كيف يشاء يعني انه تعالى يرزق كما يريد ويختار فيوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء لا اعتراض عليه في ملكه
ولا فيما يفعله ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى انفق انفق عليك وقال يد الله
ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ارايتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم ينقص ما بيده وكان عرشه
على الماء وبيده الميزان يرفع ويخفض وهذا الحديث من احاديث الصفات فيجب الايمان به وامراره كما جاء من غير تشبيه
ولا تكييف وقوله تعالى وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا يعني كلما نزلت عليك اية من القران كفروا بها
فازدادوا شدة في كفرهم زيادة منهم فيه والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة يعني بين اليهود والنصارى
وقيل القى ذلك بين طوائف اليهود فجعلهم مختلفين في دينهم متعادين متباغضين الى يوم القيمة فان بعض اليهود جبرية
وبعضهم قدرية وبعضهم مشبهة وكذلك النصارى فرقا كالملكية والنسطورية واليعقوبية والمارونية **فان**
قلت فهذا المعنى ايضا حاصل بين فرق المسلمين فكيف يكون ذلك عيبا على اليهود والنصارى حتى يذموا
به **قلت** هذه البدع التي حصلت في المسلمين انما حدثت بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر
الصحابة والتابعين اما في العصر الاول فلم يكن شيء من ذلك حاصلا بينهم فحسن جعل ذلك عيبا على اليهود والنصارى
في ذلك العصر الذي نزل فيه القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله يعني كلما
افسدوا اليهود وخالفوا حكم الله بعث الله عليهم من يهلكهم فافسدوا فبعث الله عليهم بخت نصر البابلي ثم افسدوا
فبعث الله عليهم طيطوس الرومي ثم افسدوا فسلط الله عليهم المجوس وهم الفرس ثم افسدوا وقالوا يد الله مغلولة فبعث
الله المسلمين فلا تزال اليهود في ذلة ابدا وقال مجاهد معنى الاية كلما مكروا مكرا في حرب محمد صلى الله عليه وسلم
اطفاه الله تعالى وقال السدي كلما اجمعوا امرهم على شيء ليفسدوا امر محمد صلى الله عليه وسلم فرقه الله تعالى وكلما
اوقدوا نارا في حرب محمد صلى الله عليه وسلم اطفا الله واخمد نارهم وقذف في قلوبهم الرعب وقهرهم ونصر نبيه
ودينه ويسعون في الارض فسادا يعني ويجتهدون في دفع الاسلام ومحو ذكر محمد صلى الله عليه وسلم من كتبهم وقيل
انهم يسعون بالمكر والكيد والحيل ليس يقدرون على غير ذلك والله لا يحب المفسدين يعني ان الله لا يحب من كانت هذه
صفته قال قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس فيها وهم ابغض خلق الله اليه قوله تعالى
ولو ان اهل الكتاب امنوا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه فيما جاء به واتقوا يعني اليهودية والنصرانية
لكفرنا عنهم سياتهم يعني محونا عنهم ذنوبهم التي عملوها قبل الاسلام لان الاسلام يجب ما قبله ولادخلناهم
جنات النعيم يعني مع المسلمين يوم القيمة ولو انهم اقاموا التورية والانجيل يعني اقاموا احكامهما وحدودهما
وعملوا بما فيهما من الوفا بالعهود والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم لان نعته وصفته موجودان فيهما
فان قلت كيف يامر اهل الكتاب باقامة التورية والانجيل مع انهما نسخا وبدلا
قلت انما امرهم الله تعالى باقامتهما فيهما من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانه غير منسوخ
وموافق لما في القران وقوله تعالى وما انزل اليهم من ربهم فيه قولان احدهما ان المراد به كتب انبيائهم القديمة مثل
كتاب شعيا وكتاب ارميا وزبور داود ففي هذه الكتب ايضا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم والقول الثاني ان المراد بما
انزل اليهم من ربهم هو القران لانهم مامورون بالايمان به فكانه نزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن
تحت ارجلهم يعني ان اليهود لما اصروا على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وثبتوا على كفرهم وتهوديتهم اصابهم
الله بالقحط والشدة حتى بلغوا الجهد قالوا يد الله مغلولة فاخبر الله انهم لو تركوا اليهودية والكفر الذي هم عليه
لانقلبت تلك الشدة بالخصب والسعة وهو قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم قال ابن عباس

معناه لانزلت عليهم المطر واخرجت لهم النبات والمراد من ذلك توسعة الرزق عليهم منهم امة مقتصدة اي
عادلة والاقتصاد الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير واصله من القصد لان من عرف مقصودا طلبه من
غير عوجاج منه والمراد بالامة المقتصدة من امن من اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه والنجاشي
واصحابه الذين اسلموا وكثير منهم يعني من اهل الكتاب الذين اقاموا على كفرهم مثل كعب بن الاشرف ورؤسا
اليهود ساء ما يعملون يعني بيس ما يعملون من اقامتهم على كفرهم قال ابن عباس عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبي صلى
الله عليه وسلم قوله عز وجل يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الاية روي عن الحسن ان الله تعالى لما بعث رسوله
صلى الله عليه وسلم ضاق ذرعا وعرف ان من الناس من يكذبه فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في عيب اليهود
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الاسلام فقالوا اسلمنا قبلك وجعلوا يستهزؤن به ويقولون
تريد ان نتخذك حنانا كما اتخذت النصارى عيسى حنانا فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منهم سكت فانزل الله
هذه الاية وامره ان يقول لهم يا اهل الكتاب لستم على شيء الاية وقيل نزلت هذه الاية في امر الجهاد وذلك ان
المنافقين كرهوه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمسك في بعض الاحايين عن الحث على الجهاد لما علم من كراهة
بعضهم له فانزل الله هذه الاية يا ايها الرسول بلغ جميع ما انزل اليك من ربك مجاهرا به ولا تراقبن احدا ولا تترك
شيا مما انزل اليك من ربك وان اخفيت من ذلك شيا في وقت من الاوقات فما بلغت رسالته وهو قوله تعالى
وان لم تفعل فما بلغت رسالته وقرئ رسالاته قال ابن عباس يعني ان كتمت اية مما انزل اليك من ربك لم تبلغ رسالتي
يعني انه صلى الله عليه وسلم لو ترك ابلاغ البعض كان كمن لم يبلغ شيا مما انزل اليه وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يكتم شيا مما اوحي اليه روى مسروق عن عائشة قالت من حدثك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتم شيا مما اوحي اليه فقد كذب ثم قرات يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك اخرجاه في الصحيحين
بزيادة فيه وقوله تعالى والله يعصمك من الناس يعني يحفظك يا محمد ويمنعك منهم والمراد بالناس هنا الكفار
فان قلت اليس قد شج راسه وكسرت رباعيته يوم احد وقد اوذي بضروب من
الاذى فكيف الجمع بين ذلك وبين قوله والله يعصمك من الناس **قلت** المراد منه انه
يعصمه من القتل فلا يقدر عليه احد اراده بالقتل ويدل على صحة ذلك ما روي عن جابر انه غزا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قفل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه فادركتهم القايلة
في واد كثير العضاة فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول
الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق بها سيفه ونمنا معه نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعونا واذا عنده اعرابي فقال ان هذا اخترط علي سيفي وانا نايم فاستيقظت وهو في يده صلتا
فقال من يمنعك مني فقلت الله ثلاثا ولم يعاقبه وجلس وفي رواية اخرى قال جابر كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فاذا اتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فجا رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه فقال تخافني فقال لا
فقال من يمنعك مني قال الله فتهدده اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين وزاد في
رواية له ان اسم ذلك الرجل غورث بن الحرث ق عن عائشة رضي الله عنها قالت سهر رسول الله صلى الله
عليه وسلم مقدمه المدينة ليلة فقال ليت رجلا من اصحابي يحرسني الليلة قالت بينا نحن كذلك سمعنا
خشخشة السلاح فقال من هذا قال سعد بن ابي وقاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك
فقال وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجيت احرسه فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University

ثم نام وعن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس ليلا حتى نزلت والله يعصمك من الناس فاخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة فقال لهم ايها الناس انصرفوا فقد عصمني الله اخرجه الترمذي وقال
هذا حديث غريب وقيل في الجواب عن هذا ان هذه الاية نزلت بعد ما شج راسه في يوم احد لان سورة المايدة
من اخر القران نزولا وقوله ان الله لا يهدي القوم الكافرين قال ابن عباس معناه لا يرشد من كذبك واعرض عنك
وقال ابن جرير الطبري معناه ان الله لا يوفق للرشد من حاد عن سبيل الحق وجار عن قصد السبيل وجحد ما جيت به
من عند الله ولم ينته الى امر الله وطاعته فيما فرض الله واوجبه قوله تعالى قل يا اهل الكتاب لستم على شي يعني قل يا محمد
لهولا اليهود والنصارى لستم على شي مما تدعون انكم عليه مما جاكم به موسى عليه السلام يا معشر اليهود ولا ما جاكم به
عيسى يا معشر النصارى فانكم احدثتم وغيرتم قال ابن عباس جا رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة وسلام
ابن مشكم ومالك بن الصيف ورافع بن حرملة وقالوا يا محمد الست تزعم انك على ملة ابراهيم ودينه وتومن بما عندنا
من التوراة وتشهد انها حق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى ولكنكم احدثتم وجحدتم ما فيها مما اخذ
عليكم من الميثاق وكتمتم منها ما امرتم ان تبينوه للناس فانا بري من احداثكم قالوا فانا ناخذ بما في ايدينا فانا
على الحق والهدى ولم نومن بك ولا نتبعك فانزل الله قل يا اهل الكتاب لستم على شي حتى تقيموا التوراة
والانجيل وما انزل اليكم من ربكم الاية وقد تقدم معنى اقامة التوراة والانجيل وانه يلزمهم العمل بما فيها ومن الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم وتقدم تفسير ما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا
وقوله تعالى فلا تاس على القوم الكافرين يعني ولا تحزن يا محمد على هولا اليهود الذين جحدوا نبوتك ولم يومنوا بك فانما
يعود ضرر ذلك الكفر عليهم قوله عز وجل ان الذين امنوا والذين هادوا والصابيون والنصارى لما بين الله عز وجل
ان اهل الكتاب ليسوا على شي ما لم يومنوا بين في هذه الاية ان الحكم عام في كل اهل الملل وانه لا يحصل لاحد منهم
فضيلة ولا منقبة الا اذا امن بالله ورسوله واليوم الاخر وعمل صالحا يرضاه ومن العمل الصالح الايمان بمحمد
صلى الله عليه وسلم لانه لا يتم الايمان الا به وقد تقدم تفسير هذه الاية في سورة البقرة وقوله تعالى والصابيون
وظاهر الاعراب يقتضي ان يقال والصابيين وكذا قراه ابي بن كعب وابن مسعود وابن كثير من السبعة
وقرا الجمهور بالرفع ومذهب الخليل وسيبويه انه ارتفع الصابيون بالابتدا على نية التاخير كانه قيل
الذين امنوا والذين هادوا والنصارى من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والصابيون كذلك فحذف خبره والحكمة في عطف الصابيين على من قبلهم هي ان الصابيين اشد الفرق
المذكورين في هذه الاية ضلالا فكانه قال هولا الفرق اذا امنوا وتابوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم حتى
الصابيون فانهم اذا امنوا كانوا ايضا كذلك وانما سموا صابيين لانهم صبوا على الاديان كلها يعني خرجوا
لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ما جات به الرسل من عند الله

فان قلت قد قال الله تعالى في اول الاية ان الذين امنوا ثم قال في اخر الاية من امن بالله فما
فايدة هذا التكرار **قلت** فايدته ان المنافقين كانوا يظهرون ويزعمون انهم مومنون
ففي هذا التكرار اخراجهم من قبيل المومنين فيكون معنى الاية ان الذين امنوا بالسنتهم لا بقلوبهم ثم قال
من امن يعني من ثبت على ايمانه ورجع عن نفاقه منهم وقيل فيه فايدة اخرى وهي ان الايمان يدخل تحته اقسام
كثيرة واشرفها الايمان بالله واليوم الاخر ففايدة التكرير التنبيه على ان اشرف اقسام الايمان هذين القسمين
وفي قوله من امن بالله فيه حذف تقديره من امن بالله واليوم الاخر منهم وانما حسن هذا الحذف لكونه معلوما عند
السامعين وعمل صالحا يعني وضم الى ايمانه العمل الصالح وهو الذي يراد به وجه الله تعالى فلا خوف عليهم ولا

هم يحزنون يعني في الاخرة قوله عز وجل لقد اخذنا ميثاق بني اسرايل يعني اخذنا العهود عليهم في التوراة بان
يعملوا بما فيها من التوحيد والعمل بما امرناهم به والانتها عما نهيناهم عنه وارسلنا اليهم رسلا يعني ليبينوا الشرايع
والاحكام كلما جاهم رسول بما لا تهوى انفسهم يعني بما يخالف اهواهم ويضاد شهواتهم من ميثاق التكليف والعمل
بالشرايع فريقا كذبوا يعني من الرسل الذين جاوهم وفريقا يقتلون يعني من الرسل وكان فيمن كذبوا عيسى ومحمد
صلى الله عليه وسلم وكان فيمن قتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام وانما فعلوا ذلك نقضا للميثاق وجراة على الله
عز وجل ومخالفة لامره قوله تعالى وحسبوا يعني وظن هولا الذين كذبوا الرسل وقتلوا الانبيا ان لا تكون فتنة
يعني ان لا يعذبهم الله ولا يبتليهم بذلك وذلك الظن الفاسد انهم كانوا يعتقدون ان كل رسول جاهم بشرع
اخر غير شرعهم يجب عليهم تكذيبه وقتله فلهذا السبب حسبوا ان لا يكون فعلهم ذلك فتنة يبتلون بها
وقيل انما اقدموا على ذلك لاعتقادهم ان اباهم واسلافهم يدفعون عنهم العذاب في الاخرة فعموا وصموا يعني
انهم عموا عن الحق فلم يبصروه وصموا عنه فلم يسمعوه وهذا العمى هو كناية عن عمى البصيرة لا البصر وكذلك
الصمم هو كناية عن منع نفوذ الحق قال بعض المفسرين سبب هذا العمى والصمم عبادتهم العجل في زمن موسى عليه
السلام ثم تاب الله عليهم يعني انهم لما تابوا من عبادتهم العجل تاب الله عليهم ثم عموا وصموا يعني بعد ذلك في زمان
زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ثم عموا وصموا يعني بسبب الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم كثير منهم من اليهود
لان بعضهم امن بمحمد صلى الله عليه وسلم مثل عبد الله بن سلام واصحابه والله بصير بما يعملون يعني من قتل
الانبيا وتكذيب الرسل قوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم لما حكى الله عن اليهود ما حكاه من نقضهم
الميثاق وقتلهم الانبيا وتكذيبهم الرسل وغير ذلك شرع في الاخبار عن كفر النصارى وما هم عليه من فساد الاعتقاد
فقال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول اليعقوبية والملكانية من النصارى
لانهم يقولون ان مريم ولدت الها ولانهم يقولون ان الاله جل وعلا في ذات عيسى واتحد به فصار الها تعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا وقال المسيح يا بني اسرايل اعبدوا الله ربي وربكم يعني وقد كان المسيح قال هذا لبني اسرايل
عند مبعثه اليهم وهذا تنبيه على ما هو الحجة القاطعة على فساد قول النصارى وذلك لانه عليه السلام لم يفرق
بينه وبين غيره في العبودية واقر لله بالربوبية وان دلايل الحدوث ظاهرة عليه انه من يشرك بالله
فقد حرم الله عليه الجنة يعني انه من يجعل لله شريكا من خلقه فقد حرم الله عليه الجنة يعني اذا مات على شركه
وماواه النار يعني انه يصير الى النار في الاخرة وما للظالمين يعني وما للمشركين الذين ظلموا انفسهم
بالشرك من انصار يعني ما لهم من انصار ينصرونهم ويمنعونهم من العذاب يوم القيمة قوله تعالى لقد كفر
الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وهذا قول المرقوسية والنسطورية من النصارى وللتفسير قول النصارى
طريقان احدهما وهو قول اكثر المفسرين انهم ارادوا بهذه المقالة ان الله ومريم وعيسى الهة ثلاثة وان الالهية
مشتركة بينهم وان كل واحد منهم اله ويبين ذلك قوله تعالى للمسيح ا انت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين من دون الله فقوله ثالث ثلاثة فيه اضمار تقديره ان الله احد ثلاثة الهة او واحد من ثلاثة الهة
قال الواحدي ولا يكفر من يقول ان الله ثالث ثلاثة ولم يرد انه ثالث ثلاثة الهة لانه ما من اثنين الا
والله ثالثهما بالعلم ويدل عليه قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما والطريق الثاني ان المتكلمين حكوا
عن النصارى انهم يقولون جوهر واحد ثلاثة اقانيم اب وابن وروح القدس وهذه الثلاثة اله واحد
كما ان الشمس اسم تتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالاب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة

Copyright © King Saud University

واثبتوا الذات والكلمة والحياة وقالوا ان الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء باللبن وزعموا ان الاب اله والابن اله والروح اله والكل اله واحد واعلم ان هذا الكلام معلوم البطلان ببديهة العقل فان الثلاثة لا تكون واحدا والواحد لا يكون ثلاثة ولا يرى في الدنيا مقالة اشد فسادا ولا اظهر بطلانا من مقالة النصارى وعلى هذا فالذي اخبر الله عنهم في قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة فهذا معنى مذهبهم وان لم يصرحوا بانه واحد من ثلاثة آلهة فذلك لازم لهم وانما يمتنعون من هذه العبارة لانهم اذا قالوا ان كل واحد من الاقانيم اله واحد فيه مناقضة لما قالوا اولا فهذا بيان قول النصارى ثم رد الله عليهم فقال تعالى وما من اله الا اله واحد يعني انه ليس في الوجود اله واحد موصوف بالوحدانية لا ثاني له ولا شريك له ولا والد له ولا ولد له ولا صاحبة له الا الله تعالى وان لم ينتهوا عما يقولون يعني وان لم ينته النصارى عن هذه المقالة الخبيثة ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم يعني ليصيبن الذين اقاموا على هذا القول الخبيث وهذا الذي ليس بمعنى عذاب وجيع في الآخرة وانما قال تعالى منهم لعلمه السابق ان بعض النصارى سيؤمن ويخلص ويترك هذا القول ويعلم انه فاسد ثم ندب سائر النصارى الى التوبة من هذه المقالة الخبيثة فقال تعالى افلا يتوبون الى الله يعني من قولهم بالتثليث ويستغفرونه وهذا استفهام بمعنى الامر اي توبوا الى الله واستغفروه من هذا الذنب العظيم فانه تعالى يغفر الذنوب والله غفور يعني لمن استغفره وتاب اليه رحيم به وبسائر خلقه قوله عز وجل ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل يعني ان المسيح رسول من الله عز وجل ليس باله كما ان الرسل الذين كانوا من قبله لم يكونوا آلهة وان عيسى عليه السلام اتى بالمعجزات الدالة على صدقه كما ان الذين قبله اتوا بالمعجزات الدالة على صدقهم وامه صديقة يعني انها كثيرة التصديق وقيل سميت مريم صديقة لانها صدقت بآيات ربها وكتبه وقوله تعالى كانا يأكلان الطعام فيه احتجاج على فساد قول النصارى بالالهية المسيح يعني ان المسيح وامه مريم كانا بشرين يأكلان الطعام ويعيشان به كسائر بني آدم فكيف يكون الها من يحتاج الى الطعام ولا يعيش الا به وقيل معناه انه لو كان الها كان يدفع عن نفسه الم الجوع وقيل هذا كناية عن الحدث وذلك ان كل من اكل وشرب لا بد له من الغائط والبول ومن كانت هذه صفته فكيف يكون الها وبالجملة فان فساد قول النصارى اظهر من ان يحتاج الى اقامة دليل عليه ثم قال تعالى انظر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي انظر يا محمد كيف نبين لهم الآيات يعني الدالة على بطلان قولهم ثم انظر انى يؤفكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم قل اتعبدون من دون الله اي قل يا محمد لهؤلاء النصارى اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني لا يستطيع ان يضركم مثل ما يضركم الله به من البلايا والمصائب في الانفس والاموال ولا يقدر ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم الله به من صحة الابدان وسعة الارزاق فان الضار والنافع هو الله تعالى لا الذي تعبدونه من دونه ومن لا يقدر على النفع والضر لا يكون الها والله هو السميع العليم يعني انه تعالى سميع لاقوالكم وكفركم عليم بما في ضمائركم قوله عز وجل قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الغلو مجاوزة الحد وذلك ان الحق بين طرفي الافراط والتفريط فمجاوزة الحد والتقصير مذمومة في الدين غير الحق يعني لا تغلوا في دينكم غلوا باطلا غير الحق وذلك انهم خالفوا الحق في دينهم ثم غلوا في الاصرار عليه وكلا الفريقين اليهود والنصارى غلوا في عيسى عليه السلام اما غلو اليهود فبالتقصير في حقه حتى نسبوه الى غير رشده واما غلو النصارى فمجاوزة الحد في حقه حتى جعلوه الها وكلا الغلوين مذموم ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل الاهواء جمع هوى وهو ما تدعو اليه شهوة النفس قال الشعبي ما ذكر الله تعالى الهوى في القرآن الا ذمه وقال ابو عبيدة لم نجد الهوى يوضع الا موضع الشر لانه لا يقال فلان يهوى الخير انما يقال فلان يحب الخير ويريده والخطاب في قوله

ولا

ولا تتبعوا اهواء قوم لليهود والنصارى الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهوا عن اتباع اسلافهم فيما ابتدعوه من الضلالة باهوائهم وهو المراد بقوله اهواء قوم قد ضلوا فبين الله تعالى انهم كانوا على ضلالة واضلوا كثيرا يعني من اتبعهم على ضلالتهم واهوائهم وضلوا عن سواء السبيل يعني واخطأوا عن قصد طريق الحق قوله تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود قال اكثر المفسرين هم اصحاب السبت لما اعتدوا في السبت واصطادوا الحيتان فيه قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم قردة وستاتي قصتهم في سورة الاعراف وعيسى ابن مريم يعني على لسان عيسى ابن مريم وهم كفار اصحاب المائدة فلما اكلوا منها وادخروا ولم يؤمنوا قال عيسى عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم خنازير فمسخوا خنازير وستاتي قصتهم وقال بعض العلماء ان اليهود كانوا يفتخرون بآبائهم ويقولون نحن من اولاد الانبياء عليهم السلام وقيل ان داود وعيسى بشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولعنا من يكفر به ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون يعني ذلك اللعن بسبب اعتدائهم وعصيانهم ثم فسر الاعتداء والمعصية فقال تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ولا عن الاصرار عليه لبئس ما كانوا يفعلون اللام في لبئس لام القسم اي اقسم لبئس ما كانوا يفعلون يعني من ارتكاب المعاصي والعدوان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما دخل النقص على بني اسرائيل انه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك ان يكون اكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم الى قوله فاسقون ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ثم لتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق اطرا ولتقصرنه على الحق قصرا زاد في رواية او ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم ليلعنكم كما لعنهم اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا فقال لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق اطرا قال الترمذي هذا الحديث حسن غريب قوله اكيله وشريبه وهو المواكل والمشارب والقعيد المقاعد فعيل بمعنى فاعل وقوله ولتأطرنه الاطر العطف يعني لتعطفنه ولتردنه الى الحق الذي خالفه والقصر الحبس على الشيء قوله عز وجل ترى كثيرا منهم يعني من اليهود مثل كعب بن الاشرف واصحابه يتولون الذين كفروا يعني يوالون المشركين من اهل مكة وذلك حين خرجوا اليهم ليجيشوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس معناه ترى كثيرا منهم من المنافقين يتولون اليهود لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي بئس ما قدموا من العمل لمعادهم في الآخرة ان سخط الله عليهم يعني بما فعلوا من موالاة الكفار وفي العذاب هم خالدون يعني في الآخرة ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني ولو كان هؤلاء الذين يتولون الكفار يؤمنون بالله ويصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم وانه نبي مبعوث الى كافة الخلق وما انزل اليه يعني ويؤمنون بالقرآن الذي انزل اليه من ربه ما اتخذوهم اولياء يعني ما اتخذوا الكفار انصارا واعوانا من دون المؤمنين ولكن كثيرا منهم فاسقون يعني ولكن اكثرهم خارجون عن طاعة الله ورسوله وانما قال كثيرا لانه علم ان منهم من سيؤمن مثل عبد الله بن سلام واصحابه قوله تعالى لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا اللام في قوله لتجدن لام القسم تقديره والله يا محمد لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا بك وصدقوك اليهود والذين اشركوا وصف الله شدة عداوة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق وجعلهم قرناء المشركين عبدة الاصنام في العداوة للمؤمنين وذلك حسدا منهم للمؤمنين

Copyright King Saud University

ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى ووصف لين عريكة النصارى وسهولة قبولهم الحق فقال
بعضهم مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر الى من خالفهم في الدين باي طريق كان مثل القتل ونهب
المال وبانواع المكر والكيد والحيل ومذهب النصارى خلاف اليهود فان الايذاء في مذهبهم حرام فحصل الفرق
بين اليهود والنصارى وقيل ان اليهود مخصوصون بالحرص الشديد وطلب المال ومن كان كذلك كان شديد
العداوة لغيره واما النصارى فان فيهم من هو معرض عن الدنيا ولذاتها وترك طلب الرياسة ومن كان كذلك
فانه لا يحسد احدا ولا يعاديه بل يكون لين العريكة في طلب الحق فلهذا قال تعالى ذلك بان منهم يعني من النصارى
قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون ولم يرد به كل النصارى فان معظم النصارى في عداوة المسلمين
كاليهود بل الاية نزلت فيمن امن من النصارى مثل النجاشي واصحابه والقس والقسيس اسم رئيس النصارى
والجمع قسيسين وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وهذا مما وقع الوفاق به بين اللغتين يعني
العربية والرومية واما الرهبان فهو جمع راهب وقيل الرهبان واحد وجمعه رهابين وهم سكان الصوامع

فان قلت كيف مدحهم الله بذلك مع قوله ورهبانية ابتدعوها **قلت**
انما مدحهم الله في مقابلة ذم اليهود ووصفهم بشدة العداوة للمؤمنين ولا يلزم من هذا القدر ان يكون
مدحا على الاطلاق وقيل انما مدح من امن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فوصفهم بالتمسك بدين عيسى
الى ان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنوا به واتبعوه **فان قلت** كفر
النصارى اشد واغلظ من كفر اليهود واقبح لان النصارى ينازعون في الالهيات فيدعون ان لله
ولدا واليهود انما ينازعون في النبوات فيقرون بعضهم وينكرون بعضهم فلم ذم اليهود ومدح النصارى
قلت انما هو مدح في مقابلة ذم وليس هو مدح على الاطلاق وقد تقدم الفرق بين شدة
عداوة اليهود ولين النصارى فلذلك ذم اليهود ومدح النصارى الذين امنوا منهم واختلف العلماء فيمن
نزلت هذه الاية فقيل نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه اصحمة واصحابه الذين اسلموا معه **ذكر**
قصة الهجرة الاولى وسبب نزول هذه الاية قال ابن عباس وغيره من المفسرين في قوله ولتجدن اقربهم
مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى قالوا ان قريشا ائتمرت ان يفتنوا المومنين عن دينهم فوثبت
كل قبيلة على من منهم فاذوهم وعذبوهم فافتتن من افتتن منهم وعصم الله من شاء منهم
ومنع الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بعمه ابي طالب فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل
باصحابه ولم يقدر ان يمنعهم من المشركين ولم يؤمر بعد بالجهاد امر اصحابه بالخروج الى ارض الحبشة وقال ان بها ملكا
صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فخرج اليها احد عشر رجلا واربع
نسوة سرا وهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام وعبد
الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وابو حذيفة بن عتبة وامراته سهلة بنت سهيل بن عمرو ومصعب
ابن عمير وابو سلمة بن عبد الاسد وزوجته ام سلمة بنت امية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة
وامراته ليلى بنت ابي حثمة وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضا فخرجوا الى البحر واخذوا سفينة بنصف
دينار الى ارض الحبشة وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهذه
الهجرة الاولى ثم خرج بعدهم جعفر بن ابي طالب وتتابع المسلمون فكان جميع من هاجر الى ارض الحبشة من
المسلمين اثنان وثمانون رجلا سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وصاحبه
بهدايا الى النجاشي وبطارقته ليردهم اليهم فدخل عمرو بن العاص وقال له ايها الملك انه قد خرج فينا رجل سفه

عقول واحلامها وزعم انه نبي وانه قد بعث اليك رهطا من اصحابه ليفسدوا عليك قومك فاحببنا ان ناتيك ونخبرك
خبرهم وان قومك يسالونك ان تردهم اليهم فقال حتى نسالهم فامر بهم فاحضروا فلما اتوا باب النجاشي قالوا يستاذن
اولياء الله فقال ايذنوا لهم فمرحبا باولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال له الرهط من المشركين ايها الملك الا ترى انا صدقناك
انهم لم يحيوك بتحيتك التي تحيا بها فقال لهم الملك ما منعكم ان تحيوني بتحيتي قالوا انا حييناك بتحية اهل الجنة
وتحية الملائكة فقال لهم النجاشي ما يقول صاحبكم في عيسى وامه فقال جعفر بن ابي طالب يقول هو عبد الله ورسوله
وكلمة الله وروح منه القاها الى مريم العذراء ويقول في مريم انها العذراء البتول قال فاخذ النجاشي عودا من
الارض وقال والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر هذا العود فكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم
فقال هل تعرفون شيئا مما انزل على صاحبكم قالوا نعم قال اقرؤوا فقرا جعفر سورة مريم وهناك قسيسون ورهبان
وسائر النصارى فعرفوا ما قرؤوا فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق فانزل الله فيهم ذلك بان منهم قسيسين
ورهبانا وانهم لا يستكبرون الى اخر الايتين فقال النجاشي لجعفر واصحابه اذهبوا فانتم سيوم بارضي يعني امنون
فرجع عمرو وصاحبه خائبين واقام المسلمون عند النجاشي بخير دار وخير جوار الى ان هاجر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى المدينة وعلا امره وقهر اعداءه وذلك في سنة ست من الهجرة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي على
يد عمرو بن امية الضمري ان يزوجه ام حبيبة بنت ابي سفيان وكانت قد هاجرت مع زوجها ومات عنها
فارسل النجاشي جارية يقال لها ابرهة الى ام حبيبة يخبرها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خطبها فسرت
بذلك واعطت الجارية اوضاحا كانت لها واذنت لخالد بن سعيد في نكاحها فانكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم
على صداق مبلغه اربعمائة دينار وكان الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي فارسل اليها بجميع الصداق
على يد جاريته ابرهة فلما جاءتها بالدنانير وهبتها منها خمسين دينارا فلم تاخذها وقالت ان الملك امرني ان لا اخذ
منك شيئا وقالت انا صاحبة دهن الملك وثيابه وقد صدقت بمحمد صلى الله عليه وسلم وامنت به وحاجتي اليك
ان تقري منى السلام قالت نعم وقد امر الملك نساءه ان يبعثن اليك بما عندهن من دهن وعود وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عندها فلا ينكر قالت ام حبيبة فخرجنا الى المدينة ورسول الله صلى
الله عليه وسلم يحاصر خيبر فخرج من خرج اليه مع من قدم من الحبشة واقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه فكان يسائلني عن النجاشي فقرات عليه السلام من ابرهة جارية الملك فرد رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليها السلام وانزل الله عز وجل عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة يعني ابا سفيان
وذلك بتزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة ولما بلغ ابا سفيان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج
ام حبيبة قال ذلك الفحل لا يجدع انفه وبعث النجاشي بعد خروج جعفر واصحابه الى النبي صلى الله عليه وسلم ابنه ارها
في ستين من اصحابه وكتب اليه يا رسول الله اني اشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك جعفر
واسلمت لله رب العالمين وقد بعثت اليك ابني ارها وان شئت اتيتك بنفسي فعلت والسلام عليك يا رسول
الله فركبوا في سفينة في اثر جعفر حتى اذا كانوا في وسط البحر غرقوا ووافى جعفر واصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو بخيبر ووافى مع جعفر سبعون رجلا عليهم الثياب الصوف منهم اثنان وستون رجلا من الحبشة وثمانية من
الشام فقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس الى اخرها فبكى القوم حين سمعوا القران وامنوا وقالوا
ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام فانزل الله هذه الاية فيهم ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين
قالوا انا نصارى يعني وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون وكانوا من اصحاب الصوامع وقيل نزلت في
ثمانين رجلا اربعين من نصارى نجران من بني الحرث بن كعب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية روميين قال

Copyright © King Saud University

قتادة نزلت في ناس من اهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء بها عيسى عليه السلام فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم امنوا به وصدقوه فاثنى الله عليهم بقوله ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون يعني لا يتعظمون عن الايمان والاذعان للحق قوله عز وجل **واذا سمعوا ما انزل الى الرسول** يعني واذا سمعوا القران الذي انزل الى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم **ترى اعينهم تفيض من الدمع** يقال فاض الاناء اذا امتلا حتى يخرج منه ما فيه وصفهم الله تعالى بسيلان الدمع عند البكاء ورقة القلب عند سماع القران قال ابن عباس يريد النجاشي واصحابه لما قرا عليهم جعفر بن ابي طالب سورة مريم قال فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة **مما عرفوا من الحق** يعني الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو الحق **يقولون** يعني القسيسين والرهبان الذين سمعوا القران من جعفر عند النجاشي **ربنا امنا** يعني بالقران وشهدنا انه حق وصدق **فاكتبنا مع الشاهدين** يعني مع امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون بالحق **وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق** قال ابن عباس لما رجع الوفد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لامهم قومهم على ترك دينهم فاجابوهم بهذا الجواب ومعنى الاية وما لنا لا نؤمن بوحدانية الله وما جاءنا من حق من عنده على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم **ونطمع** يعني ونرجو بذلك الايمان **ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين** يعني مع امة محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى **فاثابهم الله بما قالوا** يعني بالتوحيد الذي قالوه وانما علق الثواب وهو قوله تعالى **جنات تجري من تحتها الانهار** بمجرد القول للمؤذن بحقيقة الاخلاص واستكانة القلب لان القول اذا اقترن بالمعرفة فهو الايمان الحقيقي الموعود عليه بالثواب وقال ابن عباس يريد بما قالوا يريد بما سالوا يعني قولهم فاكتبنا مع الشاهدين **خالدين فيها** يعني في الجنات **وذلك جزاء المحسنين** يعني المؤمنين الموحدين المخلصين في ايمانهم **والذين كفروا وكذبوا باياتنا** لما ذكر الله عز وجل الوعد لمؤمني اهل الكتاب وما اعد لهم في الجنات ذكر الوعيد لمن اقام منهم على كفره وتكذيبه واطلق القول بذلك ليكون هذا الوعيد لهم ولمن جرى مجراهم في الكفر والتكذيب فقال والذين كفروا وكذبوا باياتنا **اولئك اصحاب الجحيم** قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم** قال علماء التفسير ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الناس يوما ووصف القيامة فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي وهم ابو بكر وعلي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وابو ذر الغفاري وسالم مولى ابي حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن وتشاوروا واتفقوا على انهم يترهبوا ويلبسوا المسوح ويجبوا مذاكيرهم ويصوموا الدهر ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء ولا الطيب ولا يسيحوا في الارض فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامراته احق ما بلغني عن زوجك واصحابه فكرهت ان تكذب وكرهت ان تبدي سر زوجها فقالت يا رسول الله ان كان قد اخبرك عثمان فقد صدق فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء عثمان اخبرته بذلك فاتى هو واصحابه العشرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الم انبا انكم اتفقتم على كذا وكذا فقالوا بلى يا رسول الله وما اردنا الا الخير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لم اومر بذلك ثم قال صلى الله عليه وسلم ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال اقوام حرموا النساء والطعام والطيب وشهوات الدنيا فاني لست امركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي ورهبانيتهم الجهاد واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلاة واتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا

على

على انفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الديار والصوامع فانزل الله عز وجل هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم يعني الطيبات اللذيذات التي تشتهيها الانفس وتميل اليها القلوب من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة فاعلم الله عز وجل بهذه الاية ان شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم غير ما عزموا عليه من ترك الطيبات وانه لا ينبغي ان يجتنب الطيبات المباحات فان من اعتقد تحريم شيء احله الله فقد كفر اما ترك لذة الدنيا وشهواتها والانقطاع الى الله والتفرغ لعبادته من غير اضرار بالنفس ولا تفويت حق الغير ففضيلة لا منع منها بل مامور بها وقوله تعالى **ولا تعتدوا** يعني ولا تجاوزوا الحلال الى الحرام وقيل معناه ولا تجبوا انفسكم فسمى جب المذاكير اعتداء وقيل معناه ولا تعتدوا بالاسراف في الطيبات **ان الله لا يحب المعتدين** يعني المجاوزين الحلال الى الحرام وقوله تعالى **وكلوا مما رزقكم الله** يعني وكلوا ايها المؤمنون من رزق الله الذي رزقكم واحله لكم من المطاعم والمشارب قال عبد الله بن المبارك الحلال ما اخذته من وجهه والطيب ما غذى ونمى فاما الجامد كالطين والتراب وما لا يغذي فمكروه الا على وجه التداوي عن ابن عباس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اذا اصبت اللحم انتشرت للنساء واخذتني شهوتي فحرمت على اللحم فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله **حلالا طيبا** اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى والعسل وله عن ابي هريرة قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكان يعجبه فنهش منها قالت عائشة وكان الذراع احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن كان لا يجد اللحم الا غبا وكان يعجل اليه الذراع لانه اعجلها نضجا اخرجه الترمذي وقوله تعالى **واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون** هذا تاكيد للوصية بما امر الله وزاد التوكيد بقوله الذي انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى في الانتهاء الى ما امر به وعما نهى عنه وفي الاية دليل على ان الله عز وجل قد تكفل برزق كل احد من عباده فانه تعالى لو لم يتكفل بذلك لما قال وكلوا مما رزقكم الله واذا تكفل برزق العبد وجب ان لا يبالغ في الطلب والحرص على الدنيا وانه يعول على ما وعده الله وتكفل به فانه تعالى اكرم من ان يخلف الوعد والله اعلم قوله تعالى **لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم** قال ابن عباس لما نزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قالوا يا رسول الله كيف نصنع بايماننا التي حلفنا عليها وكانوا قد حلفوا على ما اتفقوا عليه فانزل الله عز وجل هذه الاية لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم وقد تقدم تفسير اللغو في الايمان في سورة البقرة وقوله تعالى **ولكن يؤاخذكم بما عقدتم** به **الايمان** يعني ولكن يؤاخذكم بما تعمدتم وقصدتم به اليمين ومنه قول الفرزدق

ولست بماخوذ بلغو تقوله ۞ اذا لم تعمد عاقدات العزائم ۞

وفي الاية حذف تقديره ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف هذه اللفظة معلوم عند السامع **فكفارته** يعني فكفارة ايمانكم التي عقدتموها اذا حنثتم **اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم** يعني من اقصد ذلك لان من الناس من يسرف في اطعام اهله ومنهم من يقتر عليهم فامر الله بالعدل في اداء الكفارة وقيل اراد بالاوسط في القيمة فلا يكون غاليا من اعلى الموجود ولا من خسيس التمر من ردي الموجود بل الوسط في القيمة وقيل اراد بالاوسط الافضل قال ابن عباس كل شيء في كتاب الله اوسط فهو افضل فعلى هذا يكون المعنى من خير ما تطعمون اهليكم وافضله **او كسوتهم** هو معطوف على محل اوسط كما تطعمون المساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم فكذلك فاكسوهم من اوسط الكسوة **او تحرير رقبة** يعني عتق رقبة والمراد جملة الشخص

فصل في حكم الاية وفيه مسائل المسئلة الاولى في بيان الكفارة وهي اربعة انواع النوع الاول من الكفارات الاطعام فيجب اطعام

عشرة مساكين واختلفوا فى قدر ما يطعم لكل مسكين فذهب قوم الى انه يطعم لكل مسكين مدا من الطعام بمد
النبى صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث بالبغدادى من غالب قوت البلد وكذلك سائر الكفارات وهذا قول
ابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وسليمان بن يسار وعطا
والحسن واليه ذهب مالك والشافعى ويروى عن عمر وعلى وعايشة انه يطعم لكل مسكين مدان من بر
وهو نصف صاع وبه قال اهل العراق وقال ابو حنيفة ان اطعم من الحنطة فنصف صاع وان اطعم من
غيرها فصاع وهو قول الشعبى والنخعى وسعيد بن جبير ومجاهد وقال احمد بن حنبل يطعم لكل مسكين
مدا من البر او نصف صاع من غيرها مثل التمر والشعير ومن شرط الاطعام تمليك الطعام للمساكين فلو
عشاهم وغداهم لم يجزيه وقال ابو حنيفة يجزيه ذلك ولا اخراج الدقيق والخبز فى الكفارة بل اخراج الحب
وجوزه ابو حنيفة ولا يجوز صرف الكل الى مسكين واحد فى عشرة ايام النوع الثانى من الكفارة الكسوة واختلف
العلما فى قدرها فذهب قوم الى انه يكسو كل مسكين ثوبا واحدا مما يقع عليه اسم الكسوة ازار او ردا او قميص
او عمامة او سراويل او كسا ونحو ذلك وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعطا وطاوس واليه ذهب
الشافعى وقال مالك يجب ان يكسو كل مسكين ما تجوز به الصلاة فيكسو الرجل ثوبا والمراة ثوبين درعا
وخمارا وقال احمد للرجل ثوبا وللمراة ثوبين درعا وخمارا وهو ادنى ما يجزيه فى الصلاة وقال ابن عمر يجب قميص
ورداء وقال ابو موسى الاشعرى يجب ثوبان وهو قول سعيد بن المسيب وابن سيرين وقال ابراهيم النخعى يجب
ثوب جامع كالملحفة النوع الثالث من الكفارات العتق فيجب اعتاق رقبة مومنة وكذلك يجب فى جميع الكفارات
الا كفارة القتل فان الله قيد الرقبة فيه بالايمان فى كفارة القتل ومذهب الشافعى ان المطلق يحمل على المقيد
ولا يجوز اعتاق المرتد فى الكفارة بالاجماع ويشترط ان تكون الرقبة سليمة الرق حتى لو اعتق فى الكفارة مكاتبا
او ام ولد او عبدا اشتراه بشرط العتق او اشترى قريبه الذى يعتق عليه فكل هو لا لا يجزى فى اعتاق الكفارة
وجوز اصحاب الراى عتق المكاتب فى الكفارة اذا لم يود من نجوم الكتابة شيا وجوزوا عتق القريب فى الكفارة ويشترط
ان تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل فلا يجزى مقطوع اليد او الرجل ولا الاعمى ولا الزمن والمجنون
المطبق ويجوز عتق الاعور والاصم ومقطوع الاذنين والانف لان هذه العيوب كلها لا تضر بالعمل وعند
ابى حنيفة كل عيب يفوت جنسا من المنفعة يمنع الجواز النوع الرابع من الكفارات الصوم وهو قوله تعالى
فمن لم يجد يعنى الكفارة **فصيام ثلاثة ايام** يعنى فان عجز لزمه كفارة اليمين عن الاطعام او الكسوة او العتق وجب
صيام ثلاثة ايام قال الشافعى اذا كان عنده قوته وقوت عياله يومه وليلته وفضل ما يطعم عشرة مساكين
لزمه الكفارة بالاطعام وان لم يكن عنده هذا القدر جاز له الصيام وقال ابو حنيفة جاز له الصيام اذا لم
يكن عنده من المال ما يجب فيه الزكاة فجعل من لا زكاة عليه عادما وقال ابو الحسن اذا لم يجد درهمين
صام وقال سعيد بن جبير ثلاثة دراهم واختلفوا فى وجوب التتابع فى الصيام عن كفارة اليمين على
قولين احدهما انه يجب التتابع فيه قياسا على كفارة الظهار والقتل وهو قول ابن عباس ومجاهد وطاوس
وعطا وقتادة وهو مذهب ابى حنيفة واحمد واحد قولى الشافعى والقول الثانى لا يجب التتابع فى كفارة
اليمين فان شا تابع وان شا فرق والتتابع افضل وبه قال الحسن ومالك وهذا القول الثانى للشافعى
المسيلة الثانية كلمة او للتخيير بين الاطعام والكسوة والعتق فان شا اطعم وان شا كسى وان شا اعتق فبايهما
اخذ المكفر فقد اصاب وخرج عن العهدة المسيلة الثالثة لا يجوز صرف شى من الكفارات الا الى مسلم محتاج
فلو صرف الى ذمى او عبد او غنى لا يجزيه وجوز ابو حنيفة صرفها الى اهل الذمة واتفقوا على ان صرف الزكاة

الى

الى اهل الذمة لا يجوز المسيلة الرابعة اختلفوا فى تقديم الكفارة على الحنث فذهب قوم الى جوازه لما روى عن
ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل
الذى هو خير اخرجه الترمذى ق عن عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن
لا تسال الامارة فانك ان اتيتها عن مسيلة وكلت اليها وان اتيتها من غير مسيلة اعنت عليها واذا حلفت
على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذى هو خير وكفر عن يمينك وهذا قول عمر وابن عباس وعامة الفقها وبه
قال الحسن وابن سيرين واليه ذهب مالك والاوزاعى والشافعى الا ان الشافعى قال ان كفر بالصوم قبل الحنث
فانه لا يجوز لانه بدنى انما يجوز بالطعام او الكسوة او العتق وقال ابو حنيفة لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث
وقوله **ذلك** اشارة الى ما تقدم ذكره من الاطعام او الكسوة والعتق او الصوم عند العجز عن الكفارة **كفارة
ايمانكم اذا حلفتم** يعنى وحنثتم لان الكفارة لا تجب بمجرد اليمين وفيه اشارة الى ان تقديم الكفارة على اليمين
لا يجوز بل بعد اليمين وقبل الحنث كما تقدم **واحفظوا ايمانكم** يعنى قللوا ايمانكم ففيه النهى عن كثرة الحلف
ومنه قول الشاعر • قليل الالايا حافظ ليمينه • وصفه بانه لا يحلف وقيل فى معنى الاية واحفظوا
ايمانكم عن الحنث اذا حلفتم لئلا تحتاجوا الى التكفير وهذا اذا لم يحلف على ترك مندوب او فعل مكروه فان
حلف على ذلك فالافضل بل الاولى ان يحنث نفسه ويكفر لما روى عن ابى موسى الاشعرى ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال انى والله ان شا الله لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا كفرت عن يمينى واتيت
الذى هو خير اخرجاه فى الصحيحين قوله تعالى **كذلك يبين الله لكم اياته** كما بين لكم كفارة ايمانكم اذا حنثتم
كذلك يبين الله لكم جميع ما تحتاجون اليه فى امر دينكم **لعلكم تشكرون** يعنى نعمة الله التى انعم الله بها عليكم ان
يبين الله لكم اياته ومعالم شريعته قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس**
لما انزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وقوله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا
وكانت الخمر والميسر مما يستطاب عندهم فبين الله فى هذه الاية ان الخمر والميسر غير داخلين فى جملة الطيبات المحللات
بل هما من جملة المحرمات والخمر كل ما خامر العقل فغطاه والميسر القمار وقد تقدم تفسيرهما فى سورة البقرة
والانصاب هى الحجارة التى كانوا ينصبونها للعبادة ويذبحون عندها والازلام هى القداح التى كانوا
يستقسمون بها وتقدم تفسير ذلك رجس خبيث مستقذر **من عمل الشيطان** يعنى من تزيينه واغوايه
ودعايه اياكم اياها والمراد انها من عمل يديه **فاجتنبوه** يعنى كونوا جانبا منه والضمير فى قوله فاجتنبوه عايد
الى الرجس لانه اسم جامع للكل كانه قال ان هذه الاربعة اشيا كلها رجس فاجتنبوه **لعلكم تفلحون** يعنى لكى
تدركوا الفلاح اذا اجتنبتم هذه المحرمات التى هى رجس قوله تعالى **انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم
العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر** اختلفوا فى سبب نزول هذه الاية فروى ابو ميسرة ان عمر بن الخطاب قال
اللهم بين لنا فى الخمر بيان شفا فنزلت الاية التى فى سورة البقرة يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير الاية
فدعا عمر فقريت عليه فقال اللهم بين لنا فى الخمر والميسر بيان شفا فنزلت التى فى سورة النسا يا ايها الذين
امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فدعى عمر فقريت عليه ثم قال اللهم بين لنا فى الخمر بيان شفا فنزلت
التى فى المايدة انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر الى قوله منتهون فدعى عمر
فقريت عليه فقال انتهينا انتهينا اخرجه الترمذى من طريقين وقال رواية ابى ميسرة هذا اصح
واخرجه ابو داود والنساى وروى مصعب بن سعد عن ابيه قال صنع رجل من الانصار طعاما فدعانا
وشربنا وذلك قبل ان تحرم حتى انتشينا فتفاخرت الانصار وقريش فقالت الانصار نحن افضل منكم

Copyright © King Saud University

٢٤٨

انف سعد بن ابي وقاص المهاجرون خير منكم فاخذ رجل من الانصار لحي جمل فضرب به انف سعد ففزره فاتى
سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فنزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر الى قوله منتهون
وقال ابن عباس نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الانصار شربوا حتى ثملوا عبث بعضهم ببعض
فلما صحوا جعل الرجل يرى الاثر بوجهه ولحيته فيقول فعل بي هذا اخي فلان وكانوا اخوة ليس في قلوبهم
ضغاين فانزل الله تعالى تحريم الخمر في هذه الاية يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون
واما التفسير للاية فقوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضا يعني انما يزين لكم الشيطان
شرب الخمر والقداح والقمار وهو الميسر ويحسن ذلك لكم ارادة ان يوقع بينكم العداوة والبغضا بسبب شرب الخمر لانها
تزيل عقل شاربها فيتكلم بالفحش وربما افضى ذلك الى المقاتلة وذلك سبب ايقاع العداوة والبغضا بين شاربيها
واما الميسر فقال قتادة كان الرجل في الجاهلية يقامر على اهله وماله فيقمر فيقعد حزينا سليبا ينظر الى ماله في يد
غيره فيورث ذلك العداوة والبغضا فنهى الله عن ذلك وتقدم ما فيه والله اعلم بما يصلح خلقه فظهر بذلك ان الخمر
والميسر سببان عظيمان في ايقاع العداوة والبغضا بين الناس وهذا فيما يتعلق بامر الدنيا وفيهما مفاسد
تتعلق بامر الدين وهي قوله تعالى ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة لان شرب الخمر يشغل عن ذكر الله وعن فعل الصلاة
وكذلك القمار يشغل صاحبه عن ذكر الله وعن الصلاة **فان قلت** لم جمع الخمر والميسر
مع الانصاب والازلام في الاية الاولى ثم افرد الخمر والميسر في هذه الاية **قلت** لان الخطاب
مع المومنين بدليل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا والمقصود نهيهم عن شرب الخمر واللعب بالقمار وانما ضم الانصاب
والازلام الى الخمر والميسر لاجرم افردهما بالذكر في اخر الاية والله اعلم وقوله تعالى فهل انتم منتهون لفظة استفهام
ومعناه الامر اي انتهوا وهذا من ابلغ ما ينهى به لانه تعالى ذم الخمر والميسر واظهر قبحهما للمخاطب كانه قيل
قد تلي عليكم فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل انتم منتهون مع هذه الامور ام انتم على ما انتم عليه كانكم لم
توعظوا ولم تنزجروا وفي هذه الاية دليل على تحريم شرب الخمر لان الله تعالى قرن الخمر والميسر بعبادة الاصنام
وقال فهل انتم منتهون ومعناه الامر وقد صح من حديث عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شراب
اسكر فهو حرام اخرجاه في الصحيحين وزاد الترمذي وابو داود وما اسكر الفرق منه فملا الكف منه حرام الفرق
بالتحريك اناء يسع ستة عشر رطلا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر لم تقبل صلاته
اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله
عليه فان عاد لم يقبل الله له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة لم يقبل
الله له صلاة اربعين صباحا فان تاب لم يتب الله عليه وسقاه الله من نهر الخبال قيل يا ابا عبد الرحمن وما نهر
الخبال قال صديد اهل النار اخرجه الترمذي وقال حديث حسن واخرجه النسائي وعنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبايعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها
والمحمولة اليه اخرجه ابو داود وقوله عز وجل واطيعوا الله واطيعوا الرسول يعني فيما امركم به او نهاكم عنه
واحذروا اي واحذروا مخالفة الله ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما امركم به او نهاكم عنه
فان توليتم يعني فان اعرضتم عما امركم به ونهاكم عنه فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين وهذا وعيد
وتهديد لمن اعرض عن امر الله ونهيه كانه قال فاعلموا انكم بسبب توليكم واعراضكم قد استحققتم العذاب
والسخط قوله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية عن البراء بن عازب قال مات
ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم يشربون الخمر فلما نزل تحريم الخمر قال ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

كيف

كيف باصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها قال فنزلت ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله ارايت الذين ماتوا وهم يشربون الخمر لما نزل تحريم
الخمر فنزلت ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومعنى
الاية ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اي لا حرج ولا اثم عليهم فيما شربوا من الخمر واكلوا من مال
القمار في وقت الاباحة قبل التحريم وقال ابن قتيبة لم اطعم خبزا ولا ماء ولا نوما قال الشاعر فان شئت حرمت النسا
سواكم
وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا النقاخ الماء والبرد النوم اذا ما اتقوا يعني اذا ما اتقوا الشرك وقيل اتقوا ما حرم
الله عليهم وامنوا يعني بالله ورسوله وعملوا الصالحات اي وازدادوا من عمل الصالحات ثم اتقوا وامنوا يعني اتقوا
الخمر والميسر بعد التحريم فعلى هذا تكون الاولى اخبارا عن حال من مات وهو يشربها قبل التحريم انه لا جناح عليه
والثانية خطاب لمن بقي بعد التحريم امروا باتقائها والايمان بتحريمها ثم اتقوا يعني ما حرم عليهم في المستقبل
واحسنوا يعني العمل وقيل المراد بالاتقاء الاول فعل التقوى وبالثاني المداومة عليها وبالثالث اتقاء الظلم مع ضم الاحسان
اليه ثم قال تعالى والله يحب المحسنين يعني انه تعالى يحب المتقربين اليه بالايمان والاعمال الصالحة والتقوى
والاحسان وهذا ثناء ومدح لهم على الايمان والتقوى والاحسان لان هذه المقامات من اشرف الدرجات واعلاها
الاخ
عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الاية ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي انت منهم ومعناه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له
ان ابن مسعود منهم يعني من الذين امنوا وعملوا الصالحات والتقوى والاحسان قال ثم قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد نزلت هذه الاية عام الحديبية وكانوا محرمين فابتلاهم الله بالصيد فكانت
الوحوش تغشى رحالهم من كثرتها فهموا باخذها وصيدها فانزل الله هذه الاية يا ايها الذين امنوا ليبلونكم
اللام في ليبلونكم لام القسم اي ليختبرن طاعتكم من معصيتكم والمعنى يعاملكم معاملة المختبر بشيء من الصيد
يعني بصيد البر دون البحر وقيل اراد الصيد في حالة الاحرام دون الاحلال ليس بفتنة من الفتن العظام التي
تزل عندها اقدام الثابتين ويكون التكليف فيها صعبا شاقا كالابتلاء ببذل الاموال والارواح وانما
هو ابتلاء سهل كما ابتلى اصحاب السبت من صيد السمك فيه لكن الله عز وجل بفضله وكرمه عصم امة محمد
صلى الله عليه وسلم فلم يصطادوا شيئا في حالة الابتلاء ولم يعصم اصحاب السبت فمسخوا قردة وخنازير وقوله
تعالى تناله ايديكم يعني الفرخ والبيض وما لا يقدر ان يفر من صغار الصيد ورماحكم يعني كبار الصيد
مثل حمر الوحش ونحوها قال ابن عباس في قوله تناله ايديكم ورماحكم هو الضعيف من الصيد وصغيره
يبتلي الله به عباده في احرامهم حتى لو شاؤوا لتناولوه بايديهم فنهاهم الله ان يقربوه ليعلم الله اي ليرى الله فانه
قد علمه فهو مجاز لانه تعالى عالم لم يزل والمعنى يعاملكم معاملة المختبر وقيل معناه ليظهر المعلوم وهو خوف
الخائف وقيل هو من باب حذف المضاف والتقدير ليعلم اولياء الله من يخافه بالغيب يعني من يخاف الله ولم يره
فلا يصطاد في حالة الاحرام شيئا فمن اعتدى بعد ذلك يعني فصاد في حالة الاحرام بعد النهي فله عذاب اليم
يعني في الدنيا قال ابن عباس هو ان يوسع ظهره وبطنه جلدا ويسلب ثيابه وهذا قول اكثر المفسرين في معنى
الاية لانه قد سمى الجلد عذابا وهو قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم جمع حرام اي لا تقتلوا الصيد وانتم محرمون بالحج والعمرة وقيل المراد منه
دخول الحرم يقال احرم اذا عقد الاحرام واحرم اذا دخل الحرم وقيل هما مرادان بالاية فلا يجوز قتل الصيد
للمحرم ولا في الحرم نزلت هذه الاية في ابي اليسر شد على حمار وحش فقتله وهو محرم ثم صار هذا الحكم عام

Copyright © King Saud University

فلا يجوز قتل الصيد ولا التعرض له ما دام محرما ولا في الحرم والمراد بالصيد كل حيوان متوحش ماكول اللحم وهذا قول الشافعي وقال ابو حنيفة كل حيوان متوحش سوا كان ماكولا او لم يكن فيجب عنده الضمان على من قتل سبعا او نمرا او نحو ذلك ثم استثنى الشارع خمس فواسق فاجاز قتلهن ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح الغراب والحداة والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية الخمس لا جناح على من قتلهن في الحرم والاحرام ق عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحرم الغراب والحداة والعقرب والفار والكلب العقور ولمسلم خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم وذكر نحوه وفي رواية للنسائي قال خمس يقتلهن المحرم الحية والعقرب والفارة والغراب الابقع والكلب العقور قال ابن عيينة الكلب العقور كل سبع ضاري يعقر وقاس الشافعي عليها جميع ما لا يوكل لحمه قال لان الحديث يشتمل على الحيات بعضها سباع ضارية وبعضها هوام قاتلة وبعضها طير لا يدخل في معنى السباع ولا في معنى الهوام وانما هو حيوان مستخبث اللحم وتحريم الاكل يجمع الكل فاعتبره ورتب عليه الحكم وذهب اصحاب الراي الى وجوب الجزا في كل ما لا يوكل لحمه الا الاعيان المذكورة في الحديث وقاسوا عليها الذيب فلم يوجبوا فيه كفارة وقوله تعالى ومن قتله منكم متعمدا قال مجاهد والحسن وابن زيد هو الذي يتعمد قتل الصيد مع نسيان الاحرام فعليه الجزا اما اذا تعمد قتل الصيد ذاكرا لاحرامه فلا جزا عليه لانه اعظم من ان يكون له كفارة وقال ابن عباس والجمهور يحكم عليه بالجزا وان تعمد القتل مع ذكر الاحرام وهذا مذهب عامة الفقها اما اذا قتل الصيد خطا بان قصد غيره بالرمي فاصابه فهو كالعمد في وجوب الجزا وهذا مذهب جمهور المفسرين والفقها قال الزهري نزل القران بالعمد وجرت السنة في الخطا يعني الحقت المخطي بالمتعمد في وجوب الجزا وقال سعيد ابن جبير لا ارى في الخطا شيا وهذا قول شاذ لا يوخذ به فجزا مثل ما قتل من النعم يعني فعليه جزا من النعم مثل ما قتل والمثل والشبه واحد واختلفوا في هذه المماثلة اهي بالخلقة ام بالقيمة والذي عليه جمهور العلما من الصحابة فمن بعدهم ان المماثلة في الخلقة معتبرة لان ظاهر الاية يدل على ذلك وما لا مثل له فالقيمة وقال ابو حنيفة المثل الواجب في قتل الصيد هو القيمة لان الصيد المقتول اذا لم يكن له مثل فانه يضمن بالقيمة وهذا لا نزاع فيه فكان المراد بالمثل هو القيمة في هذه الصورة فوجب ان يكون في سائر الصور كذلك لان اللفظ الواحد لا يجوز حمله الا على معنى واحد واجيب عنه بان حقيقة المماثلة امر معلوم فيجب رعايتها باقصى الامكان وان لم يكن رعايتها الا بالقيمة وجب الاكتفا به للضرورة وحجة الشافعي ومن وافقه في اعتبار المماثلة بالخلقة ان الصحابة حكموا في بلدان شتى وازمان مختلفة بالمثل من النعم فحكموا في النعامة ببدنة وهي لا تساوي بدنة وفي حمار الوحش ببقرة وهو لا يساوي بقرة وكذا في الضبع بكبش فدل ذلك على انهم انما نظروا الى ما يقرب من الصيد شبها من حيث الخلقة فحكموا به ولم يعتبروا القيمة ويجب في الظبي شاة وفي الارنب سخلة وفي اليربوع جفرة ويجب في الحمامة وكل ما عب وهدر كالفواخت والقمري وذوات الاطواق شاة وما سواه من الطير ففيه القيمة في المكان الذي اصيب به وروي عن عثمان وابن عباس انهما حكما في حمام الحرم بشاة وروي عن عمر انه قضى في الضبع بكبش وفي الغزال بعنز وفي الارنب بعناق وفي اليربوع بجفرة وقوله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم يعني يحكم بالجزا في قتل الصيد رجلان صالحان عدلان من اهل ملتكم ودينكم وينبغي ان يكونا فقيهين فينظران الى اشبه الاشيا به من النعم فيحكمان به قال ميمون ابن مهران جا اعرابي الى ابي بكر الصديق فقال اني اصبت من الصيد كذا وكذا فسال ابو بكر ابي بن كعب

فقال

فقال الاعرابي اني اتيتك اسالك وانت تسال غيرك فقال ابو بكر وما انكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فشاورت صاحبي فاذا اتفقنا على شي امرناك به وقوله تعالى هديا بالغ الكعبة يعني ان الكفارة هديا بالغا الى الكعبة وسميت الكعبة كعبة لارتفاعها والعرب تسمي كل بيت مرتفع كعبة وانما اريد بالكعبة كل الحرم لان الذبح لا يقع في الكعبة وعندها ملاقيا لها انما يقع في الحرم وهو المراد بالبلوغ فيذبح الهدي بمكة ويتصدق به على مساكين الحرم هذا مذهب الشافعي وقال ابو حنيفة له ان يتصدق به حيث شا اذا وصل الهدي الى الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما ذهب الشافعي ومالك وابو حنيفة على ان كلمة او في هذه الاية للتخيير وقال احمد وزفر من اصحاب ابي حنيفة انها للترتيب وهما روايتان عن ابن عباس قال الشافعي اذا قتل صيدا له مثل فهو مخير بين ثلاثة اشيا ان شا ذبح المثل من النعم وتصدق به على مساكين الحرم وان شا قوم المثل دراهم والدراهم طعاما ثم يتصدق به على مساكين الحرم وان شا صام عن كل مد من الطعام يوما وقال ابو حنيفة يصوم عن كل نصف صاع يوما وعن احمد روايتان كالقولين واصل هذه المسيلة ان الصوم مقدر بطعام اليوم فعند الشافعي مقدر بالمد وعند ابي حنيفة مقدر بنصف صاع وله ان يصوم حيث شا لانه لا نفع فيه للمساكين وذهب جمهور الفقها الى ان الخيار في تعيين احد هذه الثلاثة اشيا الى قاتل الصيد الذي وجب عليه الكفارة لان الله اوجب عليه احد هذه الثلاث على التخيير فوجب ان يكون هو المخير بين ايها شا وقال محمد بن الحسن من اصحاب ابي حنيفة التخيير الى الحكمين لان الله تعالى قال يحكم به ذوا عدل منكم ومن قال ان كلمة او للترتيب قال ان لم يجد الهدي اشترى طعاما وتصدق به فان كان معسرا صام وقال مالك ان لم يخرج المثل من النعم يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاما فيتصدق به او يصوم وقال ابو حنيفة لا يجب المثل من النعم بل يقوم الصيد فان شا صرف تلك القيمة الى شي من النعم وان شا الى الطعام فيتصدق به وان شا صام عن كل نصف صاع من بر او صاع من غيره يوما واختلفوا في موضع التقويم فقال جمهور الفقها تقوم في المكان الذي قتل فيه الصيد وقال الشعبي يقوم بمكة بثمن مكة لانه يصرف بها وقوله تعالى ليذوق وبال امره يعني جزا ذنبه والوبال في اللغة الشي الثقيل الذي يخاف ضرره يقال مرعى وبيل اذا كان فيه وخامة وانما سمي الله ذلك وبالا لان اخراج الجزا ثقيل على النفس لان فيه تنقيص للمال وهو ثقيل على النفس لان فيه انهاك البدن عفا الله عما سلف يعني قبل التحريم ومن عاد يعني الى قتل الصيد مرة ثانية فينتقم الله منه يعني في الاخرة والانتقام المبالغة في العقوبة وهذا الوعيد لا يمنع ايجاب الجزا وهذا قول جمهور العلما وقد روي عن ابن عباس والنخعي وداود الظاهري انه اذا قتل الصيد مرة ثانية فلا جزا عليه لانه وعد بالانتقام منه قال ابن عباس اذا قتل المحرم صيدا متعمدا سيل هل قتلت قبله شيا من الصيد فان قال نعم لم يحكم عليه ويقال له اذهب فينتقم الله منك وان قال لم اقتل قبله شيا حكم عليه فان عاد بعد ذلك لم يحكم عليه ولكن يملا ظهره وصدره ضربا وكذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيد وج وهو واد بالطايف والله عزيز ذو انتقام يعني ممن عصاه اذا اتلف المحرم شيا من الصيد الذي لا مثل له من النعم مثل البيض وطاير صغير دون الحمام ففيه القيمة فيقوم ثم يشتري بقيمته طعاما ويتصدق به على محاويج الحرم او يصوم عن كل مد يوما قوله تعالى احل لكم صيد البحر وطعامه المراد بالصيد ما صيد من البحر والمراد بالبحر جميع المياه العذبة والمالحة فاما طعامه فاختلفوا فيه فقيل هو ما قذفه البحر ورمى به الى الساحل يروى ذلك عن ابي بكر وعمر وابن عمر وابي ايوب وقتادة وقيل صيد البحر طريه وطعامه مالحه

Copyright © King Saud University

يروى ذلك عن سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والسدي ويروى عن ابن عباس ومجاهد كالقولين وجملة
حيوان الماء على ضربين سمك وغير سمك فاما السمك فجميعه حلال على اختلاف اجناسه وانواعه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي ولا فرق ان يموت
بسبب وبغير سبب فيحل اكله وقال ابو حنيفة لا يحل الا ان يموت بسبب وما عدا السمك قسمان قسم يعيش
في البر والبحر كالضفدع والسرطان فلا يحل اكلهما وقال ابو سفيان ارجو ان لا يكون بالسرطان باس واختلفوا
في الجراد فقيل هو من صيد البحر فيحل اكله للمحرم وذهب جمهور العلما الى انه من صيد البر وانه لا يحل للمحرم اكله في
حال الاحرام فان اصاب جرادة فعليه صدقة قال عمر في الجرادة تمرة وعنه وعن ابن عباس قبضة من طعام
وكذلك طير الماء هو من صيد البر ايضا وقال احمد يوكل كل ما في البحر الا الضفدع والتمساح قال لان التمساح يفترس
وياكل الناس وقال ابن ابي ليلى ومالك يباح كل ما في البحر وذهب جماعة الى ان ما له نظير من البر يوكل فيوكل نظيره
من حيوان البحر مثل بقر الماء ونحوه ولا يوكل ما لا يوكل نظيره في البر مثل كلب الماء وخنزير الماء فلا يحل اكله قوله تعالى
متاعا لكم وللسيارة يعني ينتفع به المقيمون والمسافرون ليتزودوا منه وقوله تعالى **وحرم عليكم صيد البر ما دمتم
حرما** ذكر الله عز وجل تحريم الصيد على المحرم في ثلاثة مواضع من هذه السورة احدها في اول السورة وهو قوله
غير محلي الصيد وانتم حرم والثاني قوله يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم والثالث هذه الاية
وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما كل ذلك لتاكيد تحريم قتل الصيد على المحرم واختلف العلما هل يجوز للمحرم
ان ياكل من لحم صيد صاده غيره فذهب قوم الى انه لا يحل ذلك بحال يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول طاوس
واليه ذهب الثوري واحتجوا على ذلك بما روي عن الصعب بن جثامة الليثي انه اهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم
حمارا وحشيا وهو بالابواء او بودان فرده عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راى ما في وجهه من الكراهة
قال انا لم نرده عليك الا انا حرم اخرجاه في الصحيحين وذهب جمهور العلما الى انه يجوز للمحرم ان ياكل لحم
الصيد اذا لم يصده بنفسه ولا صيد له ولا باشارته ولا اعان عليه وهذا قول عمر وعثمان وابي هريرة
وبه قال عطا ومجاهد وسعيد بن جبير وهو مذهب مالك والشافعي واحمد واصحاب الراي ويدل عليه
ما روي عن ابي قتادة الانصاري قال كنت جالسا مع رجال من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
في منزل في طريق مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم امامنا والقوم محرمون وانا غير محرم عام الحديبية
فابصروا حمارا وحشيا وانا مشغول اخصف نعلا فلم يوذنوني واحبوا لو ابصرته فالتفت فابصرته
فقمت الى الفرس فاسرجته ثم ركبت ونسيت السوط والرمح فقلت لهم ناولوني السوط والرمح فقالوا والله
لا نعينك عليه فغضبت فنزلت فاخذتهما ثم ركبت فشددت على الحمار فعقرته ثم جئت به وقد
مات فوقعوا فيه ياكلون ثم انهم شكوا في اكلهم اياه وهم حرم فرحنا وخبات العضد فادركنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فسالناه عن ذلك فقال معكم منه شي فقلت نعم فناولته العضد فاكلها وهو محرم زاد في رواية
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما هي طعمة اطعمكموها الله وفي رواية هو حلال فكلوه وفي رواية قال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل معكم احد امره ان يحمل عليها او اشار اليها قالوا لا قال فكلوا ما بقي من لحمها اخرجاه في الصحيحين
واجاب اصحاب هذا المذهب عن حديث الصعب بن جثامة بانما رده النبي صلى الله عليه وسلم لانه ظن انه انما
صيد لاجله والمحرم لا ياكل ما صيد لاجله **واتقوا الله** يعني فلا تستحلوا الصيد في حال الاحرام ولا في الحرم ثم حذرهم
بقوله **الذي اليه تحشرون** يعني في الاخرة فيجازيكم باعمالكم قوله عز وجل **جعل الله الكعبة البيت الحرام** جعل بمعنى صير
وقيل معناه بين وحكم وقال مجاهد سمي البيت كعبة لتربيعه وقيل لارتفاعه عن حد الارض وسمي البيت

الحرام

الحرام لان الله حرمه وعظمه وشرفه وعظم حرمته وحرم ان يصاد صيده وان يختلى خلاه وان يعضد
شجره واراد بالبيت الحرام جميع الحرم لما صح من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوم
فتح مكة فقال ان هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله
الى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاه وقوله
تعالى **قياما للناس** اصله قواما لانه سبب لقوام مصالح الناس في امر دينهم ودنياهم واخرتهم اما
في امر الدين فانه به يقوم الحج وبه تتم المناسك واما في امر الدنيا فانه يجبى اليه ثمرات كل شي ويامنون فيه
من النهب والغارة فلو لقي الرجل قاتل ابيه او ابنه في الحرم لم يهجه واما في امر الاخرة فان البيت جعل
لقيام المناسك عنده وجعلت تلك المناسك التي تقام عنده اسبابا لعلو الدرجات وتكفير الخطيات
وزيادة الكرامات والمثوبات فلما كانت الكعبة الشريفة سببا لحصول هذه الاشيا كانت سببا
لقيام الناس **والشهر الحرام** يعني وجعل الشهر الحرام وذا الحجة والمحرم ورجب الفرد يعني وكذلك جعل الاشهر
الحرم يامنون فيها من القتال وذلك ان العرب كان يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكانوا اذا
دخلت الاشهر الحرم امسكوا عن القتال والغارة فيها فكانوا يامنون في الاشهر الحرم فكانت سببا لقيام مصالح
الناس **والهدي والقلائد** يعني وكذلك جعل الهدي والقلائد سببا لقيام مصالح الناس وذلك انهم كانوا
يامنون بسوق الهدي الى البيت الحرام على انفسهم بذلك وكذلك كانوا يامنون اذا قلدوا انفسهم من
لحى شجر الحرم فلا يتعرض لهم احد **ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض** يعني انه تعالى علم في الازل بمصالح
العباد وما يحتاجون اليه فجعل الكعبة البيت الحرام والشهر الحرام والهدي والقلائد يامنون بها لانه
يعلم مصالح العباد كما يعلم ما في السموات وما في الارض لانه تعالى علم جميع المعلومات الكليات والجزئيات
وهو قوله تعالى **وان الله بكل شي عليم** يعني انه تعالى لا يخفى عليه خافية **اعلموا ان الله شديد العقاب** يعني لمن
انتهك محارمه واستحلها **وان الله غفور رحيم** يعني لمن تاب وامن ولما ذكر الله انواع رحمته بعباده ذكر
بعدها انه شديد العقاب لان الايمان لا يتم الا بحصول الرجا والخوف ثم ذكر بعده ما يدل على سعة
رحمته وانه غفور رحيم قوله تعالى **ما على الرسول الا البلاغ** يعني ليس على رسولنا الذي ارسلناه اليكم
الا تبليغ ما ارسل به منا لا نذارتكم فيه من قطع الحجج ففي الاية تشديد عظيم في ايجاب القيام بما امر الله
وان الرسول صلى الله عليه وسلم قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت الحجة عليكم بذلك ولزمتكم
الطاعة فلا عذر لكم في التفريط **والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** يعني انه تعالى لا يخفى عليه شي من احوالكم
ظاهرا او باطنا **قل لا يستوي الخبيث والطيب** يعني لا يستوي الحلال والحرام في الدرجة والرتبة ولا يعتدل
الردي والجيد ولا المسلم ولا الصالح ولا الطالح **ولو اعجبك كثرة الخبيث** يعني ولو سرك كثرة الخبيث لان
عاقبته عاقبة سوء والمعنى ان اهل الدنيا يعجبهم كثرة المال وزينة الدنيا وما عند الله خير وابقى لان زينة
الدنيا ونعيمها يزول وما عند الله يدوم وقال ابن الجوزي روى جابر بن عبد الله ان رجلا قال يا رسول
الله ان الخمر كانت تجارتي فهل ينفعني ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله طيب لا يقبل الا الطيب وقال مقاتل نزلت في شريح بن ضبيعة البكري وحجاج بن بكر
وقد تقدمت القصة في اول السورة **فاتقوا الله** يعني فيما امركم به او نهاكم عنه ولا تتعدوه **يا اولي
الالباب** يعني يا ذوي العقول السليمة **لعلكم تفلحون** قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا
ان تبد لكم تسوكم** اختلفوا في سبب نزول هذه الاية فروى عن انس بن مالك قال خطب رسول الله صلى الله

Copyright © King Saud University

عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال فغطى اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم حنين فقال رجل من ابي فقال فلان فنزلت هذه الاية
لا تسئلوا عن اشيا ان تبد لكم تسؤكم وفي رواية اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس
فصلى الظهر فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر فيها امورا عظاما ثم قال من احب ان يسال عن شي فليسل
فلا تسئلوني عن شي الا اخبرتكم به ما دمت في مقامي فاكثر الناس البكا واكثر ان يقول سلوا فقام عبد الله بن حذافة
السهمي فقال من ابي فقال ابوك حذافة ثم اكثر ان يقول سلوني فبرك عمر على ركبتيه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد نبيا فسكت ثم قال عرضت علي الجنة والنار انفا في عرض هذا الحائط فلم ار كاليوم في الخير والشر قال ابن
شهاب فاخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال قالت ام عبد الله بن حذافة لعبد الله بن حذافة ما سمعت قط
اعق منك امنت ان تكون امك قد قارفت بعض ما تقارف اهل الجاهلية فتفضحها على اعين الناس فقال عبد
الله بن حذافة لو الحقني بعبد اسود للحقته زاد في رواية اخرى قال قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الاية لا تسئلوا
عن اشيا ان تبد لكم تسؤكم اخرجاه في الصحيحين خ عن ابن عباس كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم
استهزا فيقول الرجل من ابي ويقول الرجل تضل ناقته اين ناقتي فانزل الله فيهم هذه الاية يا ايها الذين امنوا
لا تسئلوا عن اشيا ان تبد لكم تسؤكم الاية كلها وقيل نزلت هذه الاية في شان الحج عن علي بن ابي طالب قال
لما نزلت ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قالوا يا رسول الله في كل عام فسكت فقالوا يا رسول الله
في كل عام قال لا ثم قال ولو قلت نعم لوجبت فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تسئلوا عن اشيا ان تبد
لكم تسؤكم اخرجه الترمذي وقال حديث غريب م عن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكل عام فسكت حتى قالها ثلاثا ثم قال ذروني
ما تركتكم ولو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وانما هلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم اذا امرتكم
بشي فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شي فاجتنبوه وروى مجاهد عن ابن عباس لا تسئلوا عن اشيا قال هي البحيرة
والوصيلة والسائبة والحام الا ترى انه يقول بعد ذلك ما جعل الله من بحيرة ولا كذا ولا كذا وقال عكرمة انهم
كانوا يسألونه عن الايات فنهوا عن ذلك ثم قال قد سألها قوم من قبلكم فاصبحوا بها كافرين ومعنى الاية لا تسئلوا
عن اشيا جمع شي ان تبد لكم اي تظهر لكم وتبين لكم تسؤكم يعني ان امرتم بالعمل بها فان من سال عن الحج لم يامن ان
يؤمر به فلا يقدر عليه فيسوءه ذلك ومن سال عن نسبه لم يامن ان يلحقه النبي صلى الله عليه وسلم بغير ابيه فيفتضح
ويسوءه ذلك وان تسئلوا عنها حين ينزل القران تبد لكم معناه ان صبرتم حتى ينزل القران بحكم من فرض او نهي او حكم وليس
في ظاهره شرح ما تحتاجون اليه ومست حاجتكم اليه فاذا سالتم عنه فحينئذ يبدا لكم ومثال هذا ان الله عز وجل
لما بين عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها والحامل ولم يكن في عدد هؤلاء دليل على عدة التي ليست ذات قروء
ولا حامل فسالوا عنها فانزل الله عز وجل جوابهم في قوله واللائي يئسن من المحيض من نسائكم الاية عفا الله
عنها يعني عن مسالتكم عن الاشيا التي سالتم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كره الله لكم السوال
عنها فلم يؤاخذكم بها ولم يعاقبكم عليها والله غفور يعني لمن تاب منكم حليم فلم يعجل بعقوبتكم وقال عطا
غفور يعني لما كان في الجاهلية حليم يعني على عقابكم منذ امنتم وصدقتم وقال بعض العلما الاشيا التي يجوز
السوال عنها هي ما يترتب عليه امر الدين والدنيا من مصالح العباد وما عدا ذلك فلا يجوز السوال عنه
ق عن سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اعظم المسلمين في المسلمين جرما
من سال عن شي لم يحرم على الناس فحرم من اجل مسالته ق عن المغيرة بن شعبة انه كتب الى معاوية

ان

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السوال عن معاوية
ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الاغلوطات اخرجه ابو داود الاغلوطات صعاب المسائل التي تزل
فيها اقدام العلما ويؤيد ذلك قول ابي هريرة شرار الناس الذين يسألون عن شرار المسائل الذين يغلطون
بها العلما عن سلمان قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشيا فقال الحلال ما احل الله في
كتابه والحرام ما حرمه الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما قد عفي عنه فلا تتكلفوا وعن ابي ثعلبة
الخشني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحرم اشيا
فلا تقربوها وترك اشيا من غير نسيان فلا تبحثوا عنها هذان الحديثان اخرجهما في جامع الاصول
ولم يعزهما الى الكتب الستة ثم قال تعالى قد سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين قال المفسرون
يعني قوم صالح سالوا الناقة ثم عقروها فاصبحوا بها كافرين وقوم موسى قالوا ارنا الله جهرة فكان
هذا السوال وبالا عليهم وقوم عيسى سالوا نزول المائدة عليهم ثم كذبوا بها فكانه تعالى يقول ان اولئك
سالوا فلما اعطوا سؤالهم كفروا به فلا تسئلوا انتم فلعلكم ان اعطيتم سؤالكم ساءكم ذلك قوله تعالى
ما جعل الله اي ما انزل الله ولا حكم به ولا شرعه ولا امر به من بحيرة البحيرة من البحر وهو الشق يقال بحر ناقته
اذا شق اذنها فهي فعيلة بمعنى مفعولة ولا سائبة يعني المسيبة المخلاة ولا وصيلة الوصيلة هي الشاة
وكانت العرب في الجاهلية اذا ولدت لهم ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها ولا حام والحام هو الفحل من الابل
يحمي ظهره فلا يركب ولا ينتفع به قال ابن عباس في بيان هذه الاوصاف البحيرة هي الناقة اذا ولدت لم
يركبوها ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلا ثم نظروا الى خامس ولدها فان كان ذكرا نحروه واكله الرجال
والنساء وان كان انثى شقوا اذنها وتركوها وحرموا على النساء منافعها وكانت منافعها للرجال خاصة
فاذا ماتت حلت للرجال والنساء وقيل كانت الناقة اذا تابعت ثنتا عشرة اناثا سيبت فلم يركب ظهرها ولم
يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فما نتجت بعد ذلك من انثى شق اذنها ثم سيبت مع امها وفعل بها كما فعل
بامها وقيل السائبة البعير الذي يسيب لالهتهم وذلك ان الرجل من اهل الجاهلية كان اذا مرض او غاب له قريب
نذر فقال ان شفاني الله او شفي مريضي او قدم غائبي فناقتي هذه سائبة ثم سيبها فلا تحبس عن ماء ولا مرعى
ولا يركبها احد فهي بمنزلة البحيرة والوصيلة من الغنم كانت الشاة اذا ولدت سبعة ابطن نظروا فان كان السابع
ذكرا ذبحوه واكل منه الرجال والنساء وان كانت انثى تركوها في الغنم وان كانت ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت
اخاها واستحيوا الذكر فلم يذبح من اجل الانثى والحام هو الفحل اذا ركب ولد ولده وقيل الفحل اذا نتج من صلبه
عشرة ابطن قالوا حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى فاذا مات اكله الرجال والنسا
ق عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها احد من الناس والسائبة كانوا
يسيبونها لالهتهم لا يحمل عليها شي وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت عمرو بن عامر
الخزاعي اخا بني كعب وهو يجر قصبه في النار خ عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت
جهنم يحطم بعضها بعضا ورايت عمرا يجر قصبه وهو اول من سيب السوائب القصب بضم القاف وسكون
الصاد المهملة الامعا كان اهل الجاهلية تفعل هذا في جاهليتهم فلما بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله
عليه وسلم ابطل ذلك بقوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام يعني ما جعل الله من بحيرة
ولا سيب من سائبة ولا وصل من وصيلة ولا حمى من حام ولا اذن فيه ولا امر به ولكنكم انتم فعلتم
ذلك من عند انفسكم خ عن ابن مسعود ان اهل الاسلام لا يسيبون وان اهل الجاهلية كانوا يسيبون وقوله

Copyright © King Saud University

تعالى ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب يعني بقولهم ان الله امرنا بها واكثرهم لا يعقلون اراد بالاكثر الاتباع يعني
الاتباع لا يعقلون ان هذا كذب وافترا من الروسا على الله عز وجل واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول يعني واذا
قيل لهولا الذين بحروا البحاير وفعلوا هذه الاشيا ويضيفونها الى الله كذبا تعالوا الى ما انزل الله يعني في كتابه
والى الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم الذي انزل عليه كتابه ليبين لكم كذب ما تضيفونه الى الله ويبين لكم
الشرايع والاحكام وان الذي تفعلونه ليس بشي قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا يعني قد اكتفينا بما اخذنا عنهم
من الدين ونحن لهم تبع قال الله ردا عليهم اولو كان اباوهم لا يعلمون شيا ولا يهتدون يعني انما يصح الاهتدا بالعالم المهتدي
الذي يبني قوله على الحجة والبرهان والدليل وان اباهم كانوا كذلك فيصح اقتداوهم بهم قوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال بعض العلما هذا امر من الله تعالى ومعناه احفظوا
انفسكم من ملابسة الذنوب والاصرار على المعاصي لانك اذا قلت عليك زيدا معناه الزم زيدا وقيل معناه عليكم
انفسكم فاصلحوها واعملوا في خلاصها من عذاب الله عز وجل وانظروا لها فيما يقربها من الله عز وجل لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم يعني لا يضركم كفر من كفر اذا كنتم مهتدين واطعتم الله عز وجل فيما امركم به ونهاكم عنه قال سعيد
بن جبير ومجاهد نزلت هذه الاية في اهل الكتاب اليهود والنصارى يعني عليكم انفسكم لا يضركم من ضل من اهل الكتاب
فخذوا منهم الجزية واتركوهم وقيل لما قبل الجزية من اهل الكتاب قال بعض الكفار كيف تقبل الجزية من بعض وبعض
فنزلت هذه الاية وقيل ان المومنين كان يشتد عليهم بقا الكفار على كفرهم فقيل لهم عليكم انفسكم واجتهدوا في
صلاحها لا يضركم ضلال الضالين ولا جهل الجاهلين اذا كنتم مهتدين **فان قلت** هل يدل
ظاهر هذه الاية على جواز ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر **قلت** لا يدل على ذلك والذي عليه اكثر
الناس ان المطيع لربه عز وجل لا يكون مواخذا بذنوب اصحاب المعاصي فاما وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فثابت
بدليل الكتاب والسنة عن قيس بن ابي حازم عن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه انه قال يا ايها الناس انكم تقرون هذه
الاية يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس
اذا راوا الظالم فلم ياخذوا على يديه يوشك ان يعمهم الله بعقاب منه وقال قوم نزلت هذه الاية عليكم انفسكم اذا امرتم بالمعروف
ونهيتم عن المنكر فلم يقبل منكم قال ابن مسعود مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم فان رد عليكم فعليكم انفسكم
ثم قال ان القران نزل منه اي قد مضى تاويلهن قبل ان ينزلن ومنه اي وقع تاويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومنه اي قد وقع تاويلهن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير ومنه اي يقع تاويلهن يوم القيمة
وهو ما ذكر من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم واهواكم واحدة لم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم باس بعض فامروا
بالمعروف وانهوا عن المنكر فاذا اختلفت قلوبكم واهواكم والبستم شيعا واذاق بعضكم باس بعض فامرو نفسه فعند ذلك
جا تاويل هذه الاية وقيل لابن عمر لو جلست في هذه الايام فلم تامر ولم تنه فان الله يقول عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا
اهتديتم فقال ابن عمر انها ليست لي ولا لاصحابي لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ليبلغ الشاهد الغايب
فكنا نحن الشهود وانتم الغايب ولكن هذه الاية لاقوام يجيون من بعدنا ان قالوا لم يقبل منهم وعن ابي امية الشعباني
قال اتيت ابا ثعلبة الخشني فقلت له كيف تصنع بهذه الاية قال اية اية قلت يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اما والله لقد سالت عنها خبيرا سالت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ايتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب كل ذي راي برايه
فعليك بخاصة نفسك ودع العوام فان من ورايكم ايام الصبر فيهن مثل قبض على الجمر للعامل فيهن مثل
اجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم وفي رواية قيل يا رسول الله اجر خمسين رجلا منا او منهم قال لا بل اجر خمسين

منكم

منكم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل في معنى الاية ان العبد اذا عمل بطاعة الله واجتنب
نواهيه لا يضره من ضل وهلك قال ابن عباس في قوله عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يقول اذا ما
العبد اطاعني فيما امرته من الحلال والحرام فلا يضره من ضل بعده اذا عمل ما امرته به وعن صفوان بن محرز قال
دخل علي شاب من اهل الاهوا فذكر شيا من امره فقال صفوان الا ادلك على خاصة الله التي خص بها اولياه
يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقال الحسن لم يكن مومن فيما مضى ولا مومن فيما بقي
الا والى جانبه منافق يكره عمله وقيل في معنى الاية لا يضركم من كفر بالله وحاد عن قصد السبيل من اهل الكتاب
اذا اهتديتم انتم قال سعيد بن جبير نزلت هذه الاية في اهل الكتاب وقال ابن زيد كان الرجل اذا اسلم قالوا
له سفهت اباك وضللتهم وفعلت وفعلت وكان ينبغي لك ان تنصرهم وتفعل وتفعل فقال الله عز وجل
يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال الطبري واولى هذه الاقوال واصح التاويلات
عندنا في هذه الاية ما روي عن ابي بكر الصديق وهو العمل بطاعة الله واداما لزم من الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر والاخذ على يد الظالم لان الله تعالى يقول وتعاونوا على البر والتقوى ومن التعاون على البر والتقوى
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاخذ على يد الظالم حتى يرجع عن ظلمه وقال عبد الله بن المبارك هذه الاية اوكد اية
في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان الله تعالى قال عليكم انفسكم يعني اهل دينكم بان يعظ بعضكم
بعضا بان يرغبه في الخيرات وينفره عن القبايح والمكروهات والذي يوكد ذلك ان معنى قوله عليكم انفسكم
اي احفظوا انفسكم وهذا امر بان نحفظ انفسنا ولا يتم ذلك الا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والله اعلم وقوله
تعالى الى الله مرجعكم جميعا يعني في الاخرة الطايع والعاصي والضال والمهتدي فينبيكم بما كنتم تعملون يعني
فيخبركم باعمالكم ويجزيكم عليها قوله تعالى يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم سبب نزول هذه الاية ما روي ان تميم
ابن اوس الداري وعدي بن بدا خرجا من المدينة في تجارة الى الشام وهما نصرانيان ومعهما بديل مولى عمرو بن
العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه من المتاع والقاه في متاعه
ولم يخبر صاحبيه بذلك فلما اشتد وجعه اوصى الى تميم وعدي وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله اذا رجعا
الى المدينة ومات بديل ففتشا متاعه فوجدا فيه اناء من فضة منقوشا بالذهب فيه ثلثماية مثقال
فغيباه ثم انهما قضيا حاجتهما وانصرفا الى المدينة فدفعا المتاع الى اهل البيت ففتشوه فاصابوا الصحيفة
وفيها تسمية ما كان معه فجا اهل الميت الى تميم وعدي فقال هل باع صاحبنا شيا من متاعه قالا لا
قالوا فهل اتجر تجارة قالا لا قالوا فهل طال مرضه فانفق على نفسه شيا قالا لا قالوا انا وجدنا في متاعه
صحيفة فيها تسمية ما كان معه وانا فقدنا اناء من فضة مموها بالذهب فيه ثلثماية مثقال فضة قالا لا ندري
انما اوصى الينا بشي وامرنا ان ندفعه اليكم فدفعناه وما لنا علم بالاناء فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاصرا على
الانكار وحلفا فانزل الله هذه الاية يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت قال تميم برئ الناس
منها غيري وغير عدي بن بدا وكانا نصرانيين يختلفان الى الشام بتجارتهما قبل الاسلام فاتيا الشام بتجارتهما
وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال له بديل بن ابي مريم بتجارة ومعه جام من فضة يريد به الملك وهو عظم
تجارته فمرض فاوصى اليهما وامرهما ان يبلغا ما ترك اهله قال تميم فلما مات اخذنا ذلك الجام فبعناه بالف درهم
ثم اقتسمناه انا وعدي فلما اتينا اهله دفعنا اليهم ما كان معنا وفقدوا الجام فسالونا عنه فقلنا ما ترك
غير هذا ولا دفع الينا غيره قال تميم فلما اسلمت بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة تاثمت من ذلك
فاتيت اهله فاخبرتهم الخبر واديت اليهم خمسماية درهم واخبرتهم ان عند صاحبي مثلها فاتوا رسول الله صلى الله

عليه وسلم فسألهم البينة فلم يجدوا فأمرهم أن يستحلفوه بما يعظم به على أهل دينه فحلف فأنزل الله يا أيها الذين
آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت إلى قوله أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم فقام عمرو بن العاص ورجل
آخر فحلفا فنزعت الخمسمائة درهم من عدي قال الترمذي هذا حديث غريب وليس إسناده بصحيح قال الترمذي
وقد روي عن ابن عباس شيء من هذا على الاختصار من غير هذا الوجه قال ابن عباس خرج رجل من بني سهم
مع تميم الداري وعدي بن بداء فمات السهمي بأرض ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاما من فضة
مخوصا بالذهب فأحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وجد الجام بمكة فقيل اشتريناه من تميم وعدي
فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وأن الجام لصاحبهم قال وفيهم نزلت
هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم يعني ليشهد ما بينكم لأن الشهادة إنما يحتاج إليها عند وقوع التنازع
والتشاجر إذا حضر أحدكم الموت يعني إذا قارب وقت حضور الموت حين الوصية اثنان لفظه خبر ومعناه الأمر
يعني ليشهد اثنان عند حضور الموت وإرادة الوصية ذوا عدل منكم يعني من أهل دينكم وملتكم يا معشر
المؤمنين واختلفوا في هذين الاثنين فقيل هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي وقيل
هما الوصيان لأن الآية نزلت فيهما ولأنه قال تعالى فيقسمان بالله والشاهد لا يلزمه يمين وجعل الموصي
اثنين تأكيدا فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك شهدت وصية فلان بمعنى حضرت أو آخران
من غيركم يعني من غير أهل دينكم وملتكم وهذا قول ابن عباس وأبي موسى الأشعري وسعيد بن المسيب وابن جبير
والنخعي والشعبي وابن سيرين وشريح وأكثر المفسرين وقيل معناه من غير عشيرتكم وقبيلتكم وهم مسلمون واختلف
العلماء في حكم هذه الآية فقال إبراهيم النخعي وجماعة هي منسوخة كانت شهادة أهل الذمة مقبولة في الابتداء
ثم نسخت بقوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم لأن إجماع الأمة على أن شهادة الفاسق لا تجوز
فشهادة الكفار وأهل الذمة لا تجوز بطريق الأولى وذهب قوم إلى أنها ثابتة لم تنسخ وهو قول ابن عباس وأبي
موسى الأشعري وسعيد بن المسيب وابن جبير وابن سيرين وبه قال أحمد بن حنبل قالوا إذا لم يجد مسلمين
يشهدا على وصيته وهو في أرض غربة فليشهد كافرين أو ذميين ومن أي دين كانا لأن هذا موضع
ضرورة قال ابن شريح من كان بأرض غربة لم يجد مسلما يشهد على وصيته فليشهد كافرين على أي دين كان
من أهل الكتاب ومن عبدة الأصنام فشهادتهم جائزة في هذا الموضع ولا يجوز شهادة كافر على مسلم إلا
على وصية في سفر ولا يجد فيه مسلما عن الشعبي أن رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا هذه ولم يجد أحدا
من المسلمين حضر يشهد على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب فقدما الكوفة فأتيا أبا موسى
فأخبراه وقدما بتركته ووصيته فقال أبو موسى هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأحلفهما بالله ما خانا وما كذبا ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا وإنها لوصية الرجل
وتركته فأمضى شهادتهما أخرجه أبو داود وقال قوم في قوله ذوا عدل منكم يعني من عشيرتكم وحيكم
أو آخران من غيركم من غير عشيرتكم وحيكم وإن الآية كلها في المسلمين وهذا قول الحسن والزهري وعكرمة
وقالوا لا تجوز شهادة كافر في شيء من الأحكام وهذا مذهب الشافعي ومالك وأبي حنيفة غير أن أبا
حنيفة أجاز شهادة أهل الذمة فيما بينهم بعضهم على بعض واحتج من قال بأن هذه الآية محكمة بأن
سورة المائدة من آخر القرآن نزولا وليس فيها منسوخ واحتج من أجاز شهادة غير المسلم في هذا الموضع بأن
الله تعالى قال في أول الآية يا أيها الذين آمنوا فعم بهذا الخطاب جميع المؤمنين ثم قال بعده ذوا
عدل منكم أو آخران من غيركم فعلم بذلك أنهما من غير المؤمنين ولأن الآية دالة على وجوب اليمين على هذين

الشاهدين

الشاهدين وأجمع المسلمون على أن الشاهد المسلم لا يجب عليه يمين ولأن الميت إذا كان في أرض غربة ولم يجد مسلما
يشاهدين يشهدهم على وصيته ضاع ماله وربما كان عليه ديون أو عنده وديعة فيضيع ذلك كله وإذا كان
ذلك كذلك احتاج إلى شهادة من حضره من أهل الذمة وغيرهم من الكفار حتى لا يضيع ماله وتنفذ وصيته فهذا
كالمضطر الذي أبيح له أكل الميتة في حال الاضطرار والضرورات قد تبيح شيئا من المحظورات وأجيب من منع
ذلك بأن الله تعالى قال ممن ترضون من الشهداء والكفار ليسوا مرضيين ولا عدولا فشهادتهم غير مقبولة
في حال من الأحوال وقوله تعالى إن أنتم ضربتم في الأرض يعني إن أنتم سافرتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت
يعني نزل بكم أسباب الموت فأوصيتم إليهما ودفعتم مالكم إليهما تحبسونهما يعني لما اتهمهما بعض الورثة
وادعوا عليهما خيانة فالحكم فيه أن يوقفوهما من بعد الصلاة يعني من بعد صلاة العصر لأن جميع
أهل الأديان يعظمون ذلك الوقت ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقيل من بعد صلاة أهل دينهما لأنهما إذا
كانا كافرين لا يحترمان صلاة العصر فيقسمان بالله يعني فيحلفان بالله قال الشافعي الأيمان تغلظ في الدماء والطلاق والعتاق
والمال إذا بلغ مائتي درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد صلاة العصر إن كان بمكة بين الركن والمقام وإن كان بالمدينة فعند المنبر
وفي بيت المقدس فعند الصخرة وفي سائر البلاد في أشرف المساجد وقوله إن ارتبتم يعني شككتم أيها الورثة في قول الشاهدين وصدقهما
فحلفوهما وهذا إذا كانا كافرين أما إذا كانا مسلمين فلا يمين عليهما لأن تحليف الشاهد المسلم غير مشروع لا نشتري به
ثمنا يعني لا نبيع عهد الله بشيء من الدنيا ولا نحلف بالله كاذبين لأجل عوض نأخذه أو حق نجحده ولو كان ذا قربى
يعني ولو كان المشهود له ذا قرابة منا وإنما خص القريب بالذكر لأن الميل إليهم أكثر من غيرهم ولا نكتم شهادة الله
إنما أضاف الشهادة إليه لأنه أمر بإقامتها ونهى عن كتمانها إنا إذا لمن الآثمين يعني إن كتمنا الشهادة أو خناها
ولما نزلت هذه الآية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا تميما وعديا وحلفهما عند المنبر
بالله الذي لا إله إلا هو أنهما لم يخونا شيئا مما دفع لهما فحلفا على ذلك فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما
ثم ظهر الإناء بعد ذلك قال ابن عباس وجد الإناء بمكة فقالوا اشتريناه من تميم وعدي وقيل لما
طالت المدة أظهروه فبلغ ذلك بني سهم فطالبوهما في ذلك فقالا إنا كنا اشتريناه منه فقالوا لهما ألم
تزعما أن صاحبنا لم يبع شيئا من متاعه قالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا أن نقر لكم به وكتمناه لذلك فرفعوهما
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإن عثر يعني فإن اطلع وظهر والعثور الهجوم على أمر لم يهجم عليه غيره وكل
من اطلع على أمر كان قد خفي عليه فقد قيل له قد عثر عليه على أنهما استحقا إثما يعني الوصيين ومعنى الآية فإن
حصل العثور والوقوف على أن الوصيين كانا استوجبا الإثم بسبب خيانتهما وأيمانهما الكاذبة
فآخران يعني من أولياء الميت وأقربائه يقومان مقامهما يعني مقام الوصيين في اليمين من الذين استحق
عليهم يعني من الذين استحق عليهم الإثم وهم الورثة والمعنى فإذا ظهرت خيانة الحالفين فبان
كذبهما فليقم اثنان آخران من الذين جني عليهم وهم أهل الميت وعشيرته الأوليان يعني بأمر الميت
وهم أهله وعشيرته فيقسمان بالله يعني فيحلفان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما يعني أيماننا
أحق وأصدق من أيمانهما وما اعتدينا يعني في أيماننا وقولنا إن شهادتنا أحق من شهادتهما إنا إذا لمن
الظالمين ولما نزلت هذه الآية قام عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة السهميان وهما من أهل الميت
وحلفا بالله بعد العصر ودفع الإناء إليهما وإنما ردت اليمين على أولياء الميت لأن الوصيين ادعيا أن الميت
باعهما وأنك [illegible] لك ومثل هذا أن الوصي إذا أخذ شيئا من مال الميت وقال إنه أوصى له به
وأنكر ذ [illegible] يمين عليه ولما أسلم تميم الداري بعد هذه القصة كان يقول صدق الله وصدق رسوله

Copyright © King Saud University

اني اخذت الاناء فانا اتوب الى الله واستغفره وقوله تعالى ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها يعني ذلك
الذي حكمنا به من رد اليمين على اولياء الميت بعد ايمانهم ادنى اي اجدر واحرى ان ياتوا بالشهادة على
على وجهها يعني ان ياتي الوصيان وساير الناس بالشهادة على وجهها فلا يخونوا فيها او يخافوا ان ترد ايمان
بعد ايمانهم اي واقرب ان يخاف الوصيان ان ترد الايمان على اولياء الميت فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم
فيفتضحوا ويغرموا فربما لا يحلفون كاذبين اذا خافوا هذا الحكم واتقوا الله يعني وخافوا الله ان تحلفوا
ايمانا كاذبة او تخونوا الامانة واسمعوا يعني المواعظ والزواجر وقيل معناه واسمعوا سمع اجابة
والله لا يهدي القوم الفاسقين يعني والله لا يرشد من كان على معصية وهذا تهديد وتخويف ووعيد
لمن خالف حكم الله تعالى وخان امانته او حلف ايمانا كاذبة وهذه الاية الكريمة من اصعب ما في القران
من الايات نظما واعرابا وحكما والله اعلم باسرار كتابه قوله عز وجل يوم يجمع الله الرسل قال الزجاج هي
متصلة بما قبلها تقديره واتقوا الله يوم يجمع الله الرسل وقيل تقديره والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم
يجمع الله الرسل يعني لا يهديهم الى الجنة في ذلك اليوم وهو يوم القيامة وقيل انها منقطعة عما قبله وتقديره
اذكر يا محمد يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيمة فيقول ماذا اجبتم يعني فيقول الله تبارك وتعالى
للرسل ماذا اجابكم اممكم وما الذي رد عليكم قومكم حين دعوتموهم في دار الدنيا الى توحيدي وطاعتي وفائدة
هذا السؤال التوبيخ لامم الانبياء الذين كذبوهم قالوا يعني الرسل لا علم لنا قال ابن عباس معناه لا علم لنا الا علمك
فيهم لانك تعلم ما اضمروا وما اظهروا ونحن لا نعلم الا ما اظهروا فعلمك فيهم انفذ من علمنا وابلغ فعلى هذا القول
انما نفوا العلم عن انفسهم وان كانوا علماء لان علمهم صار كلا علم عند علم الله وقال في رواية اخرى معناه
لا علم لنا الا علم انت اعلم به منا وهذا القول قريب من الاول وقيل معناه لا علم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك
ايانا عن امر انت اعلم به منا وقيل معناه لا حقيقة لعلمنا بعاقبة امرهم لانا كنا نعلم ما كان من افعالهم
واقوالهم وقت حياتنا ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا ولا نعلم ما احدثوا بعدنا ومنه ما اخبر عن عيسى
عليه السلام بقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم ومنه ما روي عن انس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رفعوا الي اختلجوا دوني
فلاقولن اي رب اصحابي فيقال لي انك لا تدري ما احدثوا بعدك زاد في رواية فاقول سحقا لمن بدل
بعدي اخرجاه في الصحيحين وقال جمع من المفسرين ان للقيامة اهوالا وزلازل تزول فيها القلوب
عن مواضعها فيفزعون من هول ذلك ويذهلون عن الجواب ثم اذا ثابت اليهم عقولهم يشهدون على اممهم
بالتبليغ وهذا فيه ضعف ونظر لان الله تعالى قال في حق الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر وذكر الامام
فخر الدين وجها اخر وهو ان الرسل عليهم السلام لما علموا ان الله تعالى عالم لا يجهل وحليم لا يسفه وعادل
لا يظلم علموا ان قولهم لا يفيد خيرا ولا يدفع شرا فراوا ان الادب في السكوت وفي تفويض الامر الى علم الله تعالى
وعدله فقالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب يعني انك تعلم ما غاب عنا من باطن الامور ونحن نعلم ما نشاهد
ولا نعلم ما في البواطن وقيل معناه انك لا يخفى عليك ما عندنا من العلوم وان الذي سالتنا عنه ليس يخفى
عليك لانك انت علام الغيوب ومعناه العالم باصناف المعلومات على تفاوتها ليس يخفى عليه خافية
وبنا فعال بنا التكثير ودلت الاية على جواز اطلاق العلام على الله تعالى كما يجوز اطلاق الخلاق عليه
قوله عز وجل اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك قال بعضهم اذ قال الله تعالى يا عيسى صلة لماذا
اجبتم ولما كان المراد بقوله للرسل ماذا اجبتم توبيخ للامم المكذبة ومن تمرد منهم على الله و... احتياجا

وافتتاحا الى التوبيخ نحو الملامة للنصارى الذين يزعمون انهم اتباع عيسى عليه السلام ووجه ذلك ان جميع الامم
انما كان طعنهم في انبيائهم بالتكذيب لهم وطعن هؤلاء النصارى بالتعدي الى جلال الله تعالى وصفوه بما لا يليق
بجلاله من اتخاذ الزوجة والولد فذكر الله في هذه الاية من انواع نعمه على عيسى عليه السلام التي تدل على انه
عبد وليس باله والفائدة في ذكر هذه الحكاية تنبيه النصارى على قبح مقالتهم وفساد اعتقادهم وتوكيد
الحجة عليهم وقيل فائدة ذلك اسماع الامم يوم القيمة ما خص الله تعالى عيسى عليه السلام به من الكرامة وقيل موضع
اذ رفع بالابتدا على تقطع ومعناه اذكر اذ قال الله يا عيسى وانما خرج قوله اذ قال الله على لفظ الماضي دون المستقبل
لانه ورد على سبيل حكاية الحال وقيل تقديره اذ يقول الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك لفظ واحد والمراد به
الجمع لان الله تعالى عدد نعمه عليه في هذه الاية والمراد من ذكرها شكرها وعلى والدتك يعني ونعمتي عليها على مريم
عليها السلام انه تعالى انبتها نباتا حسنا وطهرها واصطفاها على نساء العالمين ثم ذكر نعمه على عيسى عليه السلام
فقال تعالى اذ ايدتك بروح القدس يعني جبريل عليه السلام لان القدس هو الله تعالى واضافه اليه على تشريف
سبيل التشريف والتعظيم كاضافة بيت الله وناقة الله وقيل اراد بروح القدس الروح المطهرة لان الارواح
تختلف بالماهية فمنها روح طاهرة مقدسة ومنها روح خبيثة كدرة ظلمانية فخص الله عيسى بالروح المقدسة
الطاهرة النورانية المشرقة تكلم الناس في المهد يعني تكلمهم طفلا في حال الصغر وكهلا يعني وفي حال
الكهولة من غير ان يتفاوت كلامك في هذين الوقتين وهذه معجزة عظيمة وخاصة شريفة ليست لاحد
قبله قال ابن عباس ارسل الله عيسى عليه السلام وهو ابن ثلاثين سنة فمكث في رسالته ثلاثين شهرا
ثم رفعه الله اليه واذ علمتك الكتاب والحكمة يعني الكتابة وهي الخط والحكمة الفهم والاطلاع على اسرار العلوم
والتوراة والانجيل اي وعلمتك التوراة التي انزلتها على موسى والانجيل الذي انزلته عليك واذ تخلق من الطين
كهيئة الطير باذني يعني واذ تجعل وتصور من الطين كصورة الطير باذني فتنفخ فيها ذكر هنا فيها وفي سورة
آل عمران فيه فالضمير في قوله فيها يعود الى الهيئة ويجعلها مصدرا كما يقع اسم الخلق على المخلوق وذلك
لان النفخ لا يكون في الهيئة انما يكون في المهيأ ذي الهيئة ويجوز ان يعود الضمير الى الطير لانها مؤنثة قال
الله تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات واما الضمير المذكور في آل عمران في قوله فيه يعود الى الكاف يعني
في ذلك الشيء المماثل كهيئة الطير فتكون طيرا باذني وانما كرر قوله باذني تاكيدا لكون ذلك الخلق واقعا بقدرة
الله تعالى وتخليقه لا بقدرة عيسى عليه السلام وتخليقه لان المخلوق لا يخلق شيئا انما خالق الاشياء كلها هو
الله تعالى لا خالق لها سواه وانما كان الخلق لهذا الطير معجزة لعيسى عليه السلام اكرمه الله تعالى بها وكذا
قوله تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذني يعني وتشفي الاكمه وهو الاعمى المطموس البصر والابرص معروف ظاهر
واذ تخرج الموتى يعني من قبورهم احياء باذني تفعل ذلك كله بدعائك والفاعل لهذه الاشياء كلها في الحقيقة
هو الله لانه هو المبرئ للاكمه والابرص وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير وانما كانت هذه الاشياء معجزات
لعيسى عليه السلام ووقعت باذن الله تعالى وقدرته وقوله تعالى واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني واذكر
نعمتي عليك اذ كففت وصرفت عنك اليهود وقد منعتك منهم حين ارادوا قتلك اذ جئتهم بالبينات يعني
بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التي ذكر في هذه الاية وذلك ان عيسى عليه السلام لما اتى بهذه
المعجزات العجيبة الباهرة قصد اليهود قتله فخلصه الله منهم ورفعه الى السما فقال الذين كفروا منهم يعني فقال
الذين ستروا على كفرهم من اليهود ولم يؤمنوا بهذه المعجزات ان هذا الا سحر مبين يعني ما جاءهم به عيسى من
المعجزات قوله عز وجل واذ اوحيت الى الحواريين يعني الهمتهم وقذفت في قلوبهم فهو وحي الهام كما وحي الحام

Copyright © King Saud University

موسى والى النحل والى الحواريين هم اصحاب عيسى وخواصه ان آمنوا بي وبرسولي يعني عيسى عليه السلام قالوا آمنا
واشهد باننا مسلمون لما وفقهم الله للايمان قالوا آمنا وانما قدم ذكر الايمان على الاسلام لان الايمان من اعمال
القلوب والاسلام هو الانقياد والخضوع في الظاهر والمعنى انهم آمنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم قوله
تعالى اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال المفسرون وهذا
على العادة ولا يجوز لاحد ان يتوهم على الحواريين انهم شكوا في قدرة الله تعالى لكنه كما يقول الرجل لصاحبه هل يستطيع
ان تقوم معي مع علمه بانه يقدر على القيام وانما قصد بقوله هل تستطيع هل يسهل عليك وهل يخف ان تقوم معي فكذلك
معنى الآية لان الحواريين كانوا مؤمنين عارفين بالله عز وجل ومعترفين بكمال قدرته وانما قالوا ذلك ليحصل
لهم مزيد الطمانينة كما قال ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي ولا شك ان في مشاهدة هذه الآية العظيمة ثواب
مزيد الطمانينة في القلب ولهذا السبب قالوا ونطمئن قلوبنا وقال بعضهم هو على ظاهره وقال غلط القوم في قالوا
ذلك قبل استحكام الايمان والمعرفة في قلوبهم وكانوا بشرا فقالوا هذه المقالة فرد الله عليهم عند غلطهم بقوله
قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين يعني اتقوا الله ان كنتم مؤمنين لانه سؤال تعنت وقيل امرهم بالتقوى لما حصل
لهم هذا السؤال ومعنى ان كنتم مؤمنين مصدقين فلا تشكوا في قدرة الله تعالى وقيل معناه اتقوا الله ان
تسالوا شيئا لم يسئله احد من الامم قبلكم فنهاهم عن اقتراح الآيات بعد الايمان قالوا نريد ان ناكل منها
يعني قال الحواريون مجيبين لعيسى عليه السلام انما نطلب نزول المائدة علينا لان ناكل منها فان الجوع
قد غلبنا وقيل معناه نريد ان ناكل للتبرك بها لا اكل حاجة وتطمئن قلوبنا يعني وتسكن قلوبنا
وتستيقن قدرة الله تعالى لانا وان علمنا قدرة الله بالدليل فاذا شاهدنا نزول المائدة ازددنا اليقين
وقويت الطمانينة ونعلم ان قد صدقتنا يعني ونزداد ايمانا ويقينا بانك رسول الله ونكون عليها من
الشاهدين يعني لله بالوحدانية ولك بالرسالة والنبوة وقيل معناه ونكون لك من الشاهدين عند بني
اسرائيل اذا رجعنا اليهم فلما قالوا ذلك امرهم عيسى ان يصوموا ثلاثين يوما وقال لهم انكم اذا صمتم ذلك وافطرتم
فلا تسالون الله شيئا الا اعطاكم ففعلوا ذلك وسالوا نزول المائدة فعند ذلك قال عيسى بن مريم اللهم
قيل انه اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين وطاطا راسه وبكى ثم دعا فقال اللهم ربنا انزل علينا مائدة من
السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا يعني عائدة من الله علينا وحجة وبرهانا والعيد يوم السرور واصله
من عاد يعود اذا رجع والمعنى نتخذ ذلك اليوم الذي تنزل فيه المائدة عيدا نعظمه ونصلي فيه نحن ومن يجيء من بعدنا
فنزلت في يوم الاحد فاتخذه النصارى عيدا وقال ابن عباس معناه ناكل منها اول الناس كما ياكل آخرهم
وآية منك اي وتكون المائدة دلالة على قدرتك ووحدانيتك وحجة بصدق رسولك وارزقنا اي
ارزقنا ذلك من عندك وقيل ارزقنا الشكر على هذه النعمة وانت خير الرازقين يعني وانت خير من تفضل
ورزق قال الله عز وجل مجيبا لعيسى اني منزلها عليكم يعني المائدة فمن يكفر بعد منكم يعني بعد نزول المائدة
فاني اعذبه عذابا يعني جنسا من العذاب لا اعذبه احدا من العالمين يعني من عالمي زمانهم فجحدوا وكفروا
بعد نزول المائدة فمسخوا خنازير قال الزجاج ويجوز ان يكون هذا العذاب معجلا في الدنيا ويجوز ان يكون
مؤخرا الى الآخرة قال عبد الله بن عمر ان اشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من اصحاب
المائدة وآل فرعون واختلف العلماء في نزول المائدة فقال الحسن ومجاهد لم تنزل المائدة لان الله لما وعدهم على كفرهم
بالعذاب بعد نزول المائدة خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل عليهم فعلى هذا القول
يكون معنى قوله تعالى اني منزلها ان سالتم نزولها والصحيح الذي عليه جمهور العلماء والمفسرين انها نزلت لان

الله

الله تعالى قال اني منزلها عليكم وهذا وعد من الله بانزالها ولا خلف في وعده وخبره ولما روي عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انزلت المائدة من السماء خبزا ولحما وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا لغد فمسخوا
قردة وخنازير اخرجه الترمذي وقال قد روي عن عمار من طريق موقوفا وهو اصح قال ابن عباس ان عيسى عليه
السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم اسئلوا الله ما شئتم يعطيكموه فصاموا فلما فرغوا قالوا يا عيسى انا لو عملنا
عملا لاحد فقضينا عمله لاطعمنا وسالوا المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة
احوات حتى وضعوها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم وقال سلمان الفارسي لما سال الحواريون المائدة
لبس عيسى صوفا وبكى وقال عيسى اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء الآية فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها
من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي اليهم منقضة حتى سقطت بين ايديهم فبكى عليه السلام
وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة واليهود ينظرون الى شيء لم يروا مثله ولم يجدوا
ريحا اطيب من ريحه فقال عيسى عليه السلام ليقم احسنكم عملا فيكشف عنها ويسم الله فقال شمعون الصفار راس
الحواريين انت اولى بذلك منا فقام عيسى عليه السلام فتوضا وصلى صلاة طويلة فبكى بكاء كثيرا ثم كشف المنديل
عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية ليس فيها شوك ولا عليها فلوس تسيل من الدسم وعند راسها
ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني
عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا
هذا ام من طعام الجنة فقال عيسى ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة ولكنه شيء افتعله الله
بقدرته العالية كلوا مما سالتم يمددكم ويزيدكم من فضله فقالوا يا روح الله كن اول من ياكل منها فقال عيسى معاذ
الله ان آكل منها ياكل منها من سالها فخافوا ان ياكلوا منها فدعا لها اهل الفاقة والمرضى والبرص والجذام والمقعدين
فقال كلوا من رزق الله لكم الهنا ولغيركم البلاء فاكلوا منها وهم الف وثلاثمائة رجل وامراة من فقير ومريض
وزمن ومبتلى وصدروا عنها وهم شباع واذا السمكة بحالها حين نزلت المائدة ثم طارت المائدة صعودا
وهم ينظرون اليها حتى توارت ولم ياكل منها مريض او زمن او مبتلى الا عوفي ولا فقير الا استغنى وندم من لم
ياكل منها فلبثت اربعين صباحا تنزل ضحى فاذا نزلت اجتمع اليها الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال
والنساء ياكلون منها ولا تزال منصوبة يؤكل منها حتى يفيء الفيء فاذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون اليها حتى توارت
عنهم وكانت تنزل غبا يوما تنزل ويوما لا تنزل فاوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام اجعل مائدتي
ورزقي للفقراء دون الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها وقالوا اترون المائدة حقا تنزل من السماء
فاوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام اني شرطت ان من كفر بعد نزولها عذبته عذابا لا اعذبه
احدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام عند ذلك ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك
انت العزيز الحكيم فمسخ الله منهم ثلاثمائة وثلاثين رجلا باتوا ليلتهم مع نسائهم على فرشهم ثم اصبحوا
خنازير يسعون في الطرقات ياكلون العذرة من الكناسات والحشوش فلما راى الناس ذلك فزعوا الى عيسى
عليه السلام وبكوا ولما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف به وجعل عيسى يدعوهم
باسمائهم فيشيرون برؤوسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا وقال كعب انزلت المائدة
منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل شيء الا اللحم وقال ابن عباس انزل على المائدة كل شيء
الا الخبز واللحم وقال الكلبي كان عليها خبز ورز وبقل وقال وهب بن منبه انزل الله اقرصة من شعير وحيتانا
فكان القوم ياكلون ويخرجون ثم يجيء آخرون فياكلون حتى اكلوا باجمعهم وفضل وقال قتادة كانت تنزل عليهم

Copyright © King Saud University

بكرة وعشيا حيث كانوا كالمن والسلوى لبني اسرائيل وقال الكلبي ومقاتل نزل الله سمكا وخمسة ارغفة فاكلوا منها ما شاء الله والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد منهم وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به الخير ثبته ومن اراد فتنته رجع الى الكفر فمسخوا خنازير ليس فيهم صبي ولا امرأة فمكثوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم ياكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ قوله عز وجل واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله اختلف المفسرون في وقت هذا القول فقال السدي قال الله لعيسى هذا القول حين رفعه الى السماء بدليل انه حرف اذ للماضي وقال سائر المفسرين انما يقول الله له هذا القول يوم القيمة بدليل قوله يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيمة واجيب عن حرف اذ بانها قد تجي بمعنى اذا كقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وقال الراجز ثم جزاك الله عني اذ جزى جنات عدن في السموات العلى ولفظ الاية في قوله ءانت قلت للناس لفظ استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ لمن ادعى ذلك على عيسى عليه السلام من النصارى لان عيسى عليه السلام لم يقله **فان قلت** اذا كان عيسى عليه السلام لم يقل هذه المقالة فما وجه هذا السوال له مع علم الله تعالى بانه لم يقله **قلت** وجه هذا السوال تثبيت الحجة على قومه واكذاب لهم في ادعايهم ذلك عليه وان كفرهم به فهو كما يقول القايل لاخر افعلت كذا وهو يعلم انه لم يفعله واعادة لتعظيم ذلك الفعل فنفى عن نفسه هذه المقالة وقال ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم فاعترف بالعبودية وانه ليس باله كما يزعمون وادعت فيه النصارى **فان قلت** ان النصارى لم يقولوا بالهية مريم فكيف قال اتخذوني وامي الهين من دون الله **قلت** ان النصارى لما ادعت في عيسى انه اله وادعت ان مريم ولدته لزمهم هذه المقالة على سبيل التبعية وقوله تعالى اخبارا عن عيسى عليه السلام قال سبحانك يعني تنزيها لك عن النقايص وبراءة لك من العيوب قال ابو روق اذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب وهو قوله ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ارتعدت مفاصله وانفجرت من اصل كل شعرة من جسده عين من دم فقال مجيبا لله تعالى سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق اي كيف اقول هذا الكلام ولست باهل ولست استحق العبادة حتى ادعو الناس اليها ولما بين انه ليس له ان يقول هذه وهذا المقام مقام التواضع والخشوع لعظمة الله تعالى شرع في بيان هل وقع ذلك منه ام لا فقال ان كنت قلته فقد علمته اسند العلم الى الله تعالى وهذا هو غاية الادب واظهار المسكنة لعظمة الله تعالى وتفويض الامر الى علمه ثم قال تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك يعني تعلم ما اعلم ولا اعلم ما تعلم وقال ابن عباس تعلم ما في غيبي ولا اعلم ما في غيبك وقيل معناه تعلم ما اخفي ولا اعلم ما تخفي وقيل معناه تعلم ما اقول وافعل ولا اعلم ما تقول وتفعل والنفس عبارة عن ذات الشي يقال نفس الشي وذاته بمعنى واحد وقال الزجاج النفس عبارة عن جملة الشي وحقيقته فتقول تعلم جميع ما اعلم من حقيقة امري ولا اعلم حقيقة امرك وقيل معناه تعلم معلومي ولا اعلم معلومك وانما ذكر هذا الكلام على طريقة المشاكلة والمطابقة وهو من فصيح الكلام ثم قال انك انت علام الغيوب يعني تعلم ما كان وما سيكون وهذا تاكيد لما تقدم من قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك لانك انت علام الغيوب قوله تعالى اخبارا عن عيسى ما قلت لهم الا ما امرتني به يعني ما قلت لهم الا قولا امرتني به ان اعبدوا الله يعني قلت لهم اعبدوا الله ربي وربكم يعني وحدوه ولا تشركوا به شيا وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم يعني وكنت اشهد ما يفعلون وانا حاضر ما دمت مقيما فيهم فلما توفيتني يعني فلما رفعتني الى السماء فالمراد به وفاة الرفع لا الموت كنت انت الرقيب عليهم يعني الحفيظ عليهم المراقب لاعمالهم واحوالهم والرقيب الحافظ الذي لا يغيب عنه شي وانت على كل شي شهيد يعني انت

شهدت مقالتي

مقالتي التي قلتها لهم وانت الشهيد عليهم بعدما رفعتني اليك لا تخفى عليك خافية فعلى هذا الشهيد هنا بمعنى الشاهد لما كان وما يكون ويجوز ان يكون الشهيد هنا بمعنى العليم يعني انت العالم بكل شي فلا يعزب عن علمه شي قوله عز وجل اخبارا عن عيسى عليه السلام ان تعذبهم يعني ان تعذب هولاء الذين قالوا هذه المقالة باماتتهم على كفرهم فانهم عبادك لا يقدرون على دفع ضرك عنهم ولا جلب نفع لانفسهم وانت العادل فيهم لانك اوضحت لهم طريق الحق فرجعوا عنه وكفروا وان تغفر لهم يعني لمن تاب من كفره منهم بان تهديه الى الايمان فان ذلك بفضلك ورحمتك فانك انت العزيز يعني في الانتقام ممن تريد الانتقام منه لا يمتنع عليك ما تريده الحكيم في افعالك كلها وهذا التفسير انما يصح على قول السدي لانه قال كان سوال الله عز وجل لعيسى عليه السلام حين رفعه الى السماء قبل يوم القيمة واما على قول جمهور المفسرين ان هذا السوال انما يقع يوم القيامة ففي قوله وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اشكال وهو انه لا يليق بعيسى عليه السلام طلب المغفرة لهم مع علمه ان الله تعالى لا يغفر لمن يموت على الشرك والجواب عن هذا الاشكال من وجوه احدها انه ليس هذا على طريق طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال فانك انت الغفور الرحيم ولكنه على تسليم الامر الى الله وتفويضه الى مراده فيهم لانه العزيز في ملكه الحكيم في فعله ويجوز في حكمته وسعة مغفرته ورحمته انه يغفر للكفار لكنه تعالى اخبر انه لا يفعل ذلك بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الوجه الثاني قيل معناه ان تعذبهم يعني باقامتهم على كفرهم الى الموت وان تغفر لهم يعني لمن امن منهم وتاب ورجع عن كفره الوجه الثالث قال ابن الانباري لما قال الله لعيسى ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله تبين لعيسى ان النصارى حكت عنه الكذب لانه لم يقل ذلك وقول الكذب ذنب فيجوز ان يسال له المغفرة والله اعلم بمراده في اسرار كتابه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في ابراهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني الاية وقال عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد وربك اعلم فسله ما يبكيك فاتاه جبريل عليه السلام فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو اعلم فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك وعن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حتى اصبح باية والاية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اخرجه النسائي قوله عز وجل قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم جمهور العلماء على ان المراد بهذا اليوم يوم القيامة والمعنى ان صدقهم في الدنيا ينفعهم في الاخرة لانه يوم الاثابة والجزاء ولما تقدم من صدقهم في الدنيا تبين نفعه يوم القيمة والمراد بالصادقين النبيين والمومنين لان الكفار لا ينفعهم صدقهم يوم القيامة قال قتادة متكلمان تكلمان يوم القيامة عيسى عليه السلام فانه يقوم فيقول ما قص الله عنه ما قلت لهم الا ما امرتني به الاية فكان صادقا في الدنيا والاخرة فنفعه صدقه واما المتكلم الاخر فابليس فانه يقوم فيقول وقال لما قضي الامر الاية فصدق عدو الله فيما قال ولم ينفعه صدقه وقال عطاء هذا يوم من ايام الدنيا لان الاخرة دار جزاء لا دار عمل وذهب في هذا القول الى ظاهر الاية من ان الصدق النافع انما يكون في الدنيا وهذا القول موافق لمذهب السدي حيث يقول ان هذه المخاطبة جرت مع عيسى عليه السلام حين رفع الى السماء والوجه ما ذهب اليه الجمهور ثم ذكر الله تعالى ما لهم من الثواب على صدقهم فقال تعالى لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا فهذا اشارة الى ما يحصل لهم من الثواب الدايم الذي لا انقطاع له ولا نهاية رضي الله عنهم يعني بطاعتهم له ورضوا عنه يعني بما اعطاهم من ثوابه وجزيل كرامته ذلك اشارة الى ما ذكره من ثوابهم الفوز العظيم يعني انهم فازوا بالجنة وبرضوان الله عنهم ونجوا من النار لله ملك السموات والارض وما فيهن

Copyright © King Saud University

عظم الله عز وجل نفسه عما قال فيه النصارى يعني ان الذي له ملك السموات والارض هو الذي يستحق الالهية لا ما قالت
النصارى من الهية المسيح وامه لانهما من جملة من في السموات والارض فهما عبيده وفي ملكه وقيل هو جواب لسؤال
مضمر هو في الكلام كانه لما وعد الصادقين بالثواب العظيم فقيل من يعطيهم ذلك فقال الله له ملك السموات والارض
وهو على كل شيء قدير والله اعلم باسرار كتابه

تفسير سورة الانعام

فصل في ذكر نزولها روى
مجاهد عن ابن عباس ان سورة الانعام مما نزل بمكة وهذا قول الحسن وقتادة وجابر بن زيد وروى يوسف بن مهران
عن ابن عباس قال نزلت سورة الانعام جملة ليلا بمكة وحولها سبعون الف ملك وروى ابو صالح عن ابن
عباس قال هي مكية نزلت جملة واحدة نزلت ليلا وكتبوها من ليلتهم غير ست ايات منها فانها مدنيات وهي قوله
تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى اخر الثلاث ايات وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره الاية وقوله تعالى
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي الى اخر الايتين وذكر مقاتل نحو هذا وزاد ايتين وهي قوله تعالى والذين
اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق الاية وقوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم
الاية وروي عن ابن عباس وقتادة انهما قالا هي مكية الا ايتين نزلتا بالمدينة قوله وما قدروا الله حق قدره
وقوله وهو الذي انشا جنات معروشات وغير معروشات الاية ولما نزلت سورة الانعام ومعها سبعون الف
ملك قد سدوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان ربي العظيم سبحان
ربي العظيم وخر ساجدا قال البغوي وروي عنه مرفوعا من قرا سورة الانعام صلى عليه السبعون الف ملك ليله
ونهاره وذكره بغير سند بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحمد لله الذي خلق السموات والارض قال كعب الاحبار
هذه الاية اول اية في التوراة واخر اية في التوراة قوله تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الاية وفي رواية عنه ان اخر اية
في التوراة اخر سورة هود وقال ابن عباس افتتح الله الخلق بالحمد لله فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض
وختمهم بالحمد فقال تعالى وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وفي قوله الحمد لله تعليم العباد كيف يحمدونه
اي قولوا الحمد لله وقال اهل المعاني لفظه خبر ومعناه الامر اي احمدوا الله وانما جا على صيغة الخبر وفيه معنى الامر لانه ابلغ
في البيان من حيث انه جمع الامرين ولو قيل احمدوا الله لم يجمع الامرين فكان قوله الحمد لله ابلغ في البيان من حيث انه جمع
الامرين ولو قيل احمدوا الله لم يجمع الامرين وكان قوله الحمد لله ابلغ وقد تقدم معنى الحمد في تفسير فاتحة الكتاب فيه
مقنع الذي خلق السموات والارض اي احمدوا الله الذي خلق السموات والارض وانما خصهما بالذكر لانهما اعظم
المخلوقات فيما يرى العباد لان السماء بغير عمد ترونها وفيها العبر والمنافع والارض مسكن الخلق وفيها ايضا العبر
والمنافع وجعل الظلمات والنور الجعل هنا بمعنى الخلق وخلق الظلمات والنور قال السدي يريد بالظلمات ظلمات
الليل وبالنور نور النهار وقال الحسن يعني بالظلمات الكفر وبالنور الايمان وقيل يعني بالظلمات الجهل وبالنور العلم
وقيل الجنة والنار وقال قتادة خلق الله السموات قبل الارض وخلق الظلمة قبل النور وخلق الجنة قبل النار وروي
عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم القى عليهم من نوره فمن
اصابه ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل ذكره البغوي بغير سند ثم الذين كفروا بربهم يعدلون يعني ان الذين كفروا
بعد هذا البيان بربهم يشركون واصل العدل مساواة الشي بالشي والمعنى انهم يعدلون بالله غير الله ويجعلون لله
عديلا من خلقه فيعبدون الحجارة مع اقرارهم بان الله خلق السموات والارض وقال النضر بن شميل الباء في قوله
بربهم بمعنى عن يعني عن ربهم يميلون وينحرفون من العدول عن الشي وقيل دخول ثم في قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
دليل على معنى لطيف وهو انه تعالى دل به على انكاره على الكفار العدل به وعلى تعجيب المؤمنين من ذلك ومثال
ذلك ان تقول لرجل اعطيتك واحسنت اليك وانت تشكوني وتجحد احساني اليك فتقول ذلك منكرا عليه ومتعجبا

من فعله قوله تعالى هو الذي خلقكم من طين يعني انه تعالى خلق ادم من طين وانما خاطب ذريته بذلك لانه اصلهم
وهم من نسله وذلك لما انكر المشركون البعث وقالوا من يحيي العظام وهي رميم اعلمهم بهذه الاية انه خلقهم من طين
وهو القادر على اعادة خلقهم وبعثهم بعد الموت قال السدي لما اراد الله عز وجل ان يخلق ادم بعث جبريل
الى الارض لياتيه بقبضة منها فقالت الارض اني اعوذ بالله منك ان تنقص مني فرجع ولم ياخذ منها شيا
فقال يا رب عاذت بك فبعث الله ميكائيل فاستعاذت فرجع فبعث ملك الموت فعاذت منه فقال
وانا اعوذ به ان اخالف امره واخذ من وجه الارض فخلط الحمراء والسوداء والبيضاء فلذلك اختلفت الوان بني
ادم ثم عجنها بالماء العذب والملح والمر فلذلك اختلفت اخلاقهم ثم قال الله لملك الموت رحم الله جبريل وميكائيل
الارض ولم ترحمها لا جرم اجعل ارواح من اخلق من هذا الطين بيدك عن ابي موسى الاشعري قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى خلق ادم من قبضة قبضها من جميع الارض فجا بنوا
ادم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب اخرجه ابو
داود والترمذي واما قوله تعالى ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده فاختلف العلما في معنى ذلك فقال الحسن
وقتادة والضحاك الاجل الاول من وقت الولادة الى وقت الموت والاجل الثاني من وقت الموت
الى البعث وهو البرزخ ويروى نحو ذلك عن ابن عباس قال لكل احد اجلان اجل الى الموت واجل من
الموت الى البعث فان كان الرجل برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث الى اجل العمر وان كان فاجرا
قاطعا للرحم نقص من اجل العمر وزيد في اجل البعث وذلك قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في
كتاب وقال مجاهد وسعيد بن جبير الاجل الاول اجل الدنيا والاجل الثاني اجل الاخرة وقيل الاجل
هو الوقت المقدر فاجل كل انسان مقدر معلوم عند الله لا يزيد ولا ينقص والاجل الثاني هو اجل القيمة
وهو ايضا معلوم مقدر عند الله لا يعلمه الا هو وقال ابن عباس في رواية عطا عنه ثم قضى اجلا يعني النوم
تقبض فيه الروح ثم ترجع عند الانتباه واجل مسمى عنده هو اجل الموت وقيل هما واحد ومعناه ثم قضى
اجلا يعني قدر مدة الاعمار التي تنتهون اليها واجل مسمى عنده لا يعلمه الا هو والمراد بقوله عنده يعني في اللوح
المحفوظ الذي لا يطلع عليه غيره ثم انتم تمترون يعني ثم انتم تشكون في البعث قوله عز وجل وهو الله في
السموات وفي الارض يعني وهو اله السموات واله الارض وقيل معناه وهو المعبود في السموات وفي الارض
وقال محمد بن جرير الطبري معناه وهو الله في السموات يعلم سركم وجهركم وقال الزجاج فيه تقديم
وتاخير وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الارض وقيل معناه وهو المنفرد بالتدبير في السموات وفي
الارض لا شريك له فيهما والمراد بالسر ما يخفيه الانسان في ضميره فهو من اعمال القلوب وبالجهر ما يظهره الانسان
فهو من اعمال الجوارح والمعنى ان الله لا يخفى عليه خافية في السموات ولا في الارض ويعلم ما تكسبون يعني من
خير او شر وفي الاية سوال وهو ان الكسب اما ان يكون من اعمال القلوب وهو المسمى بالسر او من اعمال الجوارح
وهو المسمى بالجهر فالافعال لا تخرج عن هذين النوعين يعني السر والجهر فقوله ويعلم ما تكسبون يقتضي عطف
الشي على نفسه وذلك غير جائز فما معنى ذلك والجواب عنه بان يحمل قوله ويعلم ما تكسبون على ما يستحقه
الانسان على فعله وكسبه والا لزم عطف الشي على نفسه ذكره الامام فخر الدين وما تاتيهم يعني لاهل مكة
من اية من ايات ربهم يعني من المعجزات الباهرات التي جا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر
وغير ذلك وقيل المراد بالايات ايات القران الا كانوا عنها معرضين يعني الا كانوا لها تاركين وبها مكذبين
فقد كذبوا بالحق يعني بايات القران وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم وما اتى به من المعجزات لما جاهم

Copyright © King Saud University

يعني بها جاءهم الحق من عند ربهم كذبوا به فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون يعني فسوف يأتي أخبار استهزائهم إذا عاينوا
في الآخرة قوله ألم يروا الخطاب لكفار مكة يعني ألم ير هؤلاء المكذبين بآياتي كم أهلكنا من قبلهم من قرن يعني مثل قوم
نوح وعاد وثمود وغيرهم من الأمم الماضية والقرون الخالية والقرن الأمة من الناس وأهل كل زمان قرن سموا بذلك
لاقترانهم في الوجود في ذلك الزمان وقيل سمي قرنا لأنه زمان بزمان وأمة بأمة واختلفوا في مقدار القرن فقيل
ثمانون سنة وقيل مائة وعشرون سنة وقيل أربعون سنة وقيل ثلاثون سنة وقيل مائة وعشرون سنة
وقيل مائة سنة وهو الأصح لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن بسر المازني إنك تعيش قرنا فعاش
مائة سنة فعلى هذا القول يكون المراد بالقرن أهله الذين وجدوا فيه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم خير القرون
قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم يعني الصحابة والتابعين وتابع التابعين مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم يعني أعطيناهم
ما لم نعطكم يا أهل مكة وقيل أمددناهم في العمر والبسطة في الأجسام والسعة في الأرزاق مثل ما أعطا قوم نوح وعاد
وثمود وغيرهم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا مفعال من الدر يعني وأرسلنا المطر متتابعا في أوقات الحاجة إليه
والمراد بالسماء المطر سمي بذلك لنزوله منها وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم يعني وفجرنا لهم العيون تجري من تحتهم والمراد منه
كثرة البساتين فأهلكناهم بذنوبهم يعني بسبب ذنوبهم وكفرهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين يعني وخلقنا من بعد
هلاكهم وأولئك القرون أهل قرن آخرين وفي هذه الآية ما يوجب الاعتبار والموعظة بحال من مضى من الأمم السابقة
والقرون الخالية فإنهم مع ما كانوا فيه من القوة وسعة الرزق وكثرة الأتباع أهلكناهم لما كفروا وطغوا وظلموا
فكيف حال من هو أضعف منهم وأقل عددا وعددا وهذا يوجب الاعتبار والانتباه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة
قوله عز وجل ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس الآية قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحرث وعبد الله بن أمية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد
لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند الله وأنك رسوله
فأنزل الله تعالى هذه الآية ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس يعني مكتوبا في قرطاس وهو الكاغد
والصحيفة التي يكتب فيها فلمسوه بأيديهم يعني فعاينوه ومسوه بأيديهم وإنما ذكر اللمس ولم يذكر المعاينة لأنه أبلغ
في إيقاع العلم بالشيء من الرؤية لأن المرئيات قد تدخلها التخيلات كالسحر ونحوه بخلاف الملموس لقال الذين كفروا
إن هذا إلا سحر مبين يعني لو نزلت عليهم كتابا كما سألوا لما آمنوا به ولقالوا هذا سحر مبين كما قالوا في انشقاق
القمر وأنه لا ينفع معهم شيء لما سبق فيهم من علمي بهم وقالوا يعني مشركي مكة لولا يعني هلا أنزل عليه يعني على محمد
ملك يعني نراه عيانا ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر يعني لفرغ من الأمر ولوجب العذاب وهذه سنة الله في الكفار أنهم
متى اقترحوا آية ثم لم يؤمنوا استحقوا العذاب واستؤصلوا به ثم لا ينظرون يعني ثم إنهم لا يمهلون ولا يؤخرون
طرفة عين بل يعجل لهم العذاب ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا يعني ولو أرسلنا إليهم ملكا لجعلناه في صورة رجل وذلك
أن البشر لا يستطيع أن ينظر إلى الملائكة في صورهم التي خلقوا عليها ولو نظر إلى الملك ناظر لصعق عند رؤيته ولذلك
كانت الملائكة تأتي الأنبياء في صورة الإنس كما جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي وكما جاء
الملكان إلى داود عليه السلام في صورة رجلين وكذلك أتى الملائكة إلى إبراهيم ولوط عليهما السلام ولما رأى النبي
صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته التي خلق عليها صعق لذلك وغشي عليه وقوله تعالى وللبسنا عليهم ما يلبسون
يقال لبست الأمر على القوم إذا شبهته عليهم وجعلته مشكلا ولبست عليه الأمر إذا خلطته عليه حتى لا يعرف
جهته ومعنى الآية وخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدروا أملك هو أم آدمي وقيل في معنى الآية
إنا إذا جعلنا الملك في صورة البشر ليظنوه بشرا فتعود المسألة بحالها أنا لا نرضى برسالة البشر ولو فعل الله عز
وجل ذلك صار فعل الله مثل فعلهم في التلبيس وإنما كان تلبيسا لأنهم يظنون أنه ملك وليس بملك أو يظنون أنه بشر

وليس

وليس هو بشر وإنما كان فعلهم تلبيسا لأنهم لبسوا على ضعفتهم في أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا إنما هو بشر مثلكم ولو رأوا
الملك رجلا لحقهم من اللبس مثل ما لحق ضعفاءهم فيكون اللبس نقمة من الله وعقوبة لهم على ما كان منهم من التخليط في السؤال
واللبس على الضعفاء قوله عز وجل ولقد استهزئ برسل من قبلك يعني كما استهزءوا بك يا محمد وفي هذه الآية تعزية للنبي صلى
الله عليه وسلم وتسلية له عما كان من تكذيب المشركين إياه واستهزائهم به إذ جعل له أسوة في ذلك بالأنبياء الذين كانوا
قبله فحاق أي فنزل وقيل أحاط وقيل حل بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون والمعنى فنزل العذاب بهم ووجب
عليهم من النقمة والعذاب جزاء استهزائهم وفي هذه الآية تحذير للمشركين الذين فعلوا بنبيهم كما فعل من كان قبلهم
بأنبيائهم فينزل بهم مثل ما نزل بهم قل سيروا في الأرض أي قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين سيروا في الأرض معتبرين
ومتفكرين وقيل هو سير الأقدام ثم انظروا فعلى القول الأول يكون النظر نظر فكرة وعبرة وهو بالبصيرة لا بالبصر
وعلى القول الثاني يكون المراد بالنظر نظر العين والمعنى ثم انظروا بأعينكم إلى آثار الأمم الخالية والقرون السالفة وهو قوله
تعالى كيف كان عاقبة المكذبين يعني كيف كان جزاء المكذبين وكيف أورثهم الكفر والتكذيب الهلاك وفيه تحذير لكفار
مكة عذاب الأمم الخالية قوله عز وجل قل لمن ما في السموات والأرض قل لله هذا سؤال وجواب والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المكذبين
العادلين بربهم لمن ملك ما في السموات والأرض فإن أجابوك وإلا فأخبرهم أن ذلك لله الذي قهر كل شيء وملك كل شيء واستعبد
كل شيء لا للأصنام التي تعبدونها أنتم فإنها أموات لا تملك شيئا ولا تملك لأنفسها ضرا ولا نفعا وإنما أمره بالجواب عقيب السؤال
ليكون أبلغ في التأكيد وآكد في الحجة ولما بين الله تعالى كمال قدرته وتصرفه في سائر مخلوقاته أردفه بكمال رحمته وإحسانه
إليهم فقال تعالى كتب على نفسه الرحمة يعني أنه تعالى أوجب وقضى على نفسه الرحمة وهذا استعطاف منه للمتولين
عنه إلى الإقبال عليه وإخبار بأنه رحيم بعباده وأنه لا يعجل بل يقبل التوبة والإنابة ممن تاب وأناب ق عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله الخلق ولمسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش
إن رحمتي تغلب غضبي وفي رواية للبخاري إن الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي فهو مكتوب
عنده فوق العرش وفي رواية لهما إن الله لما خلق الخلق وعند مسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه فهو موضوع
عنده زاد البخاري على العرش ثم اتفقا إن رحمتي تغلب غضبي ق عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق
حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه زاد البخاري في رواية له ولو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من
الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من العذاب ولمسلم إن لله مائة رحمة أنزل منها
رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها
وأخر الله تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة م عن سلمان الفارسي قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض فجعل منها
في الأرض رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فإذا كان يوم القيامة أكملها
بهذه الرحمة ق عن عمر قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها
إذ وجدت صبيا في السبي فأخذته فألصقته ببطنها فأرضعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون
هذه المرأة طارحة ولدها في النار وهي تقدر أن لا تطرحه قلنا لا والله فقال الله أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها
وقوله تعالى ليجمعنكم لام القسم تقديره والله ليجمعنكم إلى يوم القيامة يعني في يوم القيامة وقيل معناه في قبوركم إلى
يوم القيامة لا ريب فيه أي لا شك فيه أنه آت الذين خسروا أنفسهم يعني بالشرك بالله وغبنوا أنفسهم وغبنوها
باتخاذ الأصنام فعرضوا أنفسهم لسخط الله وأليم عقابه فكانوا كمن خسر شيئا وأصل الخسار الغبن يقال خسر الرجل

Copyright © King Saud University

انا عليهم في سبيعه فهم لا يؤمنون يعني لما سبق عليهم القضا بالخسران فهو الذي حملهم على الامتناع من الايمان قوله تعالى
وله ما سكن في الليل والنهار يعني وله ما استقر وقيل وله ما سكن وما تحرك فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر وقيل
انما خص السكون بالذكر لان النعمة فيه اكثر وقال ابن جرير كل ما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكني الليل
والنهار فيكون المراد منه جميع ما حصل في الارض من الدواب والحيوانات والطير وغير ذلك مما في البر والبحر وهذا
يفيد الحصر والمعنى ان جميع الموجودات ملك لله تعالى لا لغيره وهو السميع لاقوالهم واحوالهم العليم بسرائرهم
واحوالهم قوله عز وجل قل اغير الله اتخذ وليا قال مقاتل لما دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دين ابائه فانزل
الله هذه الاية فقال قل لهم يا محمد اغير الله اتخذ وليا يعني ربا ومعبودا وناصرا ومعينا وهو استفهام ومعناه
الانكار اي لا اتخذ غير الله وليا فاطر السموات والارض اي خالق السموات والارض ومبدعهما ومبديهما
وهو يطعم ولا يطعم يعني وهو يرزق ولا يرزق وصف الله عز وجل بالغنا نفسه عن الخلق وباحتياج
الخلق اليه لان من كان من صفته انه يطعم الخلق لاحتياجهم اليه وهو لا يطعم لاستغنائه سبحانه وتعالى
عن الاطعام ومن ذلك وجب ان يتخذ ربا وناصرا ووليا ومعبودا قل اني امرت ان اكون اول من اسلم يعني من
هذه الامة والاسلام بمعنى الاستسلام يعني امرت ان استسلم لامر الله وانقاد الى طاعته ولا تكونن من المشركين
يعني وقيل لي يا محمد لا تكونن من المشركين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم يعني قل يا محمد لهولا
المشركين الذين دعوك الى عبادة غيري ان ربي امرني ان اكون اول من اسلم ونهاني عن عبادة شي سواه واني اخاف ان
عصيت ربي فعبدت شيا سواه عذاب يوم عظيم وهو العذاب يوم القيمة من يصرف عنه يعني العذاب يومئذ يعني
يوم القيمة فقد رحمه يعني بالنجاة من العذاب ومن نجاه من العذاب فقد رحمه واناله الثواب لا محالة وانما ذكر الرحمة
مع صرف العذاب لئلا يتوهم انه صرف العذاب فقط بل تحصل الرحمة مع صرف العذاب عنه وذلك الفوز المبين
يعني ان صرف العذاب وحصول الرحمة هو النجاة والفلاح المبين قوله تعالى وان يمسسك الله بضر يعني بشدة
وبلية والضر اسم جامع لما ينال الانسان من الم ومكروه وغير ذلك مما هو في معناه فلا كاشف له الا هو يعني فلا
يدفع ذلك الضر الا الله عز وجل وان يمسسك بخير يعني بعافية ونعمة والخير اسم جامع لكل ما ينال الانسان من
لذة وفرح وسرور ونحو ذلك فهو على كل شي قدير يعني من دفع الضر وجلب الخير وهذه الاية خطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تتخذ وليا سوى الله لانه هو القادر على ان يمسك بضر وهو القادر على دفعه
عنك وهو القادر على ايصال الخير اليك وانه لا يقدر على ذلك الا الله فاتخذه وليا وناصرا ومعينا وهذا الخطاب
وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فهو عام لكل احد والمعنى وان يمسسك الله بضر ايها الانسان فلا كاشف لذلك
الضر الا هو وان يمسسك بخير ايها الانسان فهو على كل شي قدير من دفع الضر وايصال الخير عن ابن عباس قال كنت
خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال لي يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك
اذا سالت فاسئل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشي لم ينفعوك
الا بشي قد كتبه الله لك وان اجتمعت على ان يضروك بشي لا يضروك الا بشي قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام
وجفت الصحف اخرجه الترمذي وزاد في رواية غيره تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وفيه وان استطعت
ان تعمل لله بالرضى في اليقين فافعل فان لم تستطع فان الصبر على ما تكره خير كثير واعلم ان النصر مع الصبر والفرج
مع الكرب وان مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين قال ابن الاثير وقد جا نحو هذا ومثله بطوله في مسند
احمد بن حنبل قوله عز وجل وهو القاهر فوق عباده يعني وهو الغالب لعباده القاهر لهم وهم مقهورون تحت
قدرته والقاهر والقهار ومعناه الذي يدبر خلقه بما يريد فيقع في ذلك ما يشق عليهم ويثقل ويغم ويحزن

ويفقر

ويفقر ويميت ويحيي فلا يستطيع احد من خلقه رد تدبيره والخروج من تحت قهره وتقديره وهذا معنى القاهر
في صفة الله تعالى لانه القادر القاهر الذي لا يعجزه شي اراده ومعنى فوق عباده هنا ان قهره قد استعلى على خلقه فهم تحت
التسخير والتذليل بما علاهم به من الاقتدار والقهر الذي لا يقدر احد على الخروج منه ولا ينفك عنه فكل من قهر شيا
فهو مستعل عليه بالقهر والغلبة وقال ابن جرير الطبري معنى القاهر المتعبد خلقه العالي عليهم وانما قال فوق عباده
لانه تعالى وصف نفسه بقهره اياهم ومن صفة كل قاهر شيا ان يكون مستعليا عليه فمعنى الكلام اذا والله القاهر
عباده المذلل لهم العالي عليهم بتذليله اياهم فهو فوقهم بقهره اياهم وهم دونه وقيل فوق عباده هو صفة الاستعلا
الذي تفرد به الله عز وجل وهو الحكيم يعني في امره وتدبيره عباده الخبير يعني باعمالهم وما يصلحهم قوله عز وجل
قل اي شي اكبر شهادة قال الكلبي اتى اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ارنا من يشهد انك رسول
الله فانا لا نرى احدا يصدقك ولقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر فانزل الله عز وجل
قل يعني يا محمد لهولا المشركين الذين يكذبونك ويجحدون نبوتك من قومك اي شي اكبر شهادة يعني اعظم شهادة
فان هم اجابوك والا قل انت يا محمد الله شهيد بيني وبينكم قال مجاهد امر محمد صلى الله عليه وسلم ان يسال قريشا
اي شي اكبر شهادة ثم امره ان يخبرهم فيقول الله شهيد بيني وبينكم يعني يشهد لي بالحق وعليكم بالباطل الذي تقولونه
والحاصل انهم طلبوا شاهدا مقبول القول ليشهد له بالنبوة وهو المراد بقوله واوحي الي هذا القران لانذركم به
يعني ان الله عز وجل يشهد لي بالنبوة لانه اوحى الي هذا القران وهو معجزة لانكم انتم الفصحا البلغا واصحاب اللسان وقد
عجزتم عن معارضته فكان معجزا واذا كان معجزا كان نزوله على شهادة من الله بانه رسوله وهو المراد بقوله لانذركم به يعني
اوحي الي هذا القران لاخوفكم به واحذركم مخالفة امر الله عز وجل ومن بلغ يعني وانذر من بلغه القران ممن ياتي
بعدي الى يوم القيامة من العرب والعجم وغيرهم من ساير الامم وكل من بلغ اليه القران وسمعه فالنبي صلى الله عليه وسلم
نذير له قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القران فكانما راى النبي صلى الله عليه وسلم وكلمه وقال انس بن مالك لما نزلت
هذه الاية كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر وكل جبار يدعوهم الى الله عز وجل خ عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عني ولو اية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ومن
كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار شرح ما يتعلق بهذا الحديث قوله بلغوا عني ولو اية امر بابلاغ ما جا به صلى
الله عليه وسلم الى من بعده من قران وسنة وقوله حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج الحرج الضيق والاثم
ومعنى الحديث ان مهما قلتم عن بني اسرائيل فانهم كانوا في حال اكثر مما قلتم واوسع وليس هذا فيه اباحة الكذب
في الاخبار عن بني اسرائيل لكن معناه الرخصة في الحديث عنهم على معنى البلاغ وان لم يتحقق ذلك بنقل الاسناد
قد تعذر لبعد المسافة وطول المدة عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر
الله امرا سمع منا شيا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ اوعى له من سامع اخرجه الترمذي وله عن زيد بن ثابت
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب
حامل فقه الى من هو افقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه عن ابن عباس قال قال تسمعون ويسمع منكم
ويسمع ممن يسمع منكم اخرجه ابو داود موقوفا وقوله تعالى ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى يعني
قل يا محمد لهولا المشركين الذين يجحدون نبوتك ويتخذون الهة غيري ائنكم ايها المشركون لتشهدون ان مع الله الهة
اخرى يعني الاصنام التي كانوا يعبدونها وانما قال اخرى لان الجمع يلحقه التانيث كما قال الله تعالى ولله الاسماء
الحسنى وقال فما بال القرون الاولى ولم يقل الاول ولا الاولين قل لا اشهد يعني قل يا محمد لهولا المشركين لا اشهد بما تشهدون
به ان مع الله الهة اخرى بل اجحد ذلك وانكره قل انما هو اله واحد يعني قل لهم انما الله اله واحد ومعبود واحد لا شريك

Copyright © King Saud University

له وبذلك اشهد وانني بري مما تشركون يعني وانا بري من كل شي تعبدونه سوى الله وفي هذه الاية دليل على اثبات
التوحيد لله عز وجل وابطال كل معبود سواه لان كلمة انما تفيد الحصر ولفظة الواحد صريح في التوحيد ونفي الشريك
فثبت بذلك ايجاب التوحيد وسلب كل شريك والتبري من كل معبود سوى الله تعالى قال العلما استحب لمن اسلم
ان ياتي بالشهادتين ويبري من كل دين يخالف الاسلام لقوله تعالى وانني بري مما تشركون قوله عز وجل الذين
اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناهم المراد بالذين اوتو الكتاب علما اليهود والنصارى الذين كانوا في زمان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذلك ان كفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انا سيلنا عنك اليهود والنصارى
فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر وانكروا معرفته فبين الله عز وجل ان شهادتهم له كافية على صحة نبوته وبين في هذه
الاية انهم يعرفونه وانهم كذبوا في قولهم انهم لا يعرفونه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة واسلم
عبد الله بن سلام قال له عمر بن الخطاب ان الله عز وجل نزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بمكة الذين اتيناهم
الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد الله بن سلام يا عمر لقد عرفته حين رايته كما اعرف ابني
ولانا اشد معرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم مني بابني فقال عمر وكيف ذلك قال اشهد انه رسول الله حقا ولا ادري
ما يصنع النسا فقوله تعالى الذين خسروا انفسهم يعني اهلكوا انفسهم وغبنوها واوبقوها في نار جهنم بانكارهم
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي الذين خسروا انفسهم قولان احدهما انه صفة للذين الاولى ويكون المقصود من ذلك
وعيد المعاندين الذين يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم ويجحدون نبوته وهم كفار اهل الكتابين فهم لا يومنون
يعني به والقول الثاني انه كلام مبتدا لا تعلق له بالاول وهم كفار مكة الذين لا يومنون بمحمد صلى الله عليه
وسلم وذكروا في معنى الخسار وجهين احدهما انه الهلاك الدايم الذي حصل لهم بسبب كفرهم وانكارهم نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم والوجه الثاني انه جعل لكل واحد من بني ادم منزلا في الجنة ومنزلا في النار فاذا كان يوم
القيامة جعل الله للمومنين منازل الكفار التي في الجنة فذلك هو الخسران قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا يعني ومن اشد عنادا واخطا فعلا واعظم كفرا ممن اختلق على الله كذبا فزعم ان له شريكا من خلقه والها
يعبد من دونه كما قالت المشركون من عبدة الاصنام وادعى ان له صاحبة وولدا كما قالت النصارى
او كذب باياته يعني كذب بحججه واعلام ادلته التي اعطاها رسله كما كذبت اليهود بمعجزات الانبيا وقيل
معناه او كذب بايات القران الذي انزله على محمد صلى الله عليه وسلم انه لا يفلح الظالمون يعني انه لا يفلح
القايلون على الله الكذب والمفترون على الله الباطل ويوم نحشرهم جميعا اي اذكر يوم نحشر العابدين والمعبودين
وهو يوم القيامة ثم نقول للذين اشركوا اين شركاوكم الذين كنتم تزعمون يعني انها تشفع لكم عند ربكم قوله عز وجل ثم لم
تكن فتنتهم يعني قولهم وجوابهم وقال ابن عباس معذرتهم والفتنة التجربة فلما كان سوالهم تجربة لاظهار
ما في قلوبهم قيل له فتنة قال الزجاج في قوله ثم لم تكن فتنتهم معنى لطيف وذلك ان الرجل يفتتن بمحبوب
ثم يصيبه فيه محنة فيتبرا من محبوبه فيقال لم تكن فتنته الا هذا المحبوب فكذلك الكفار فتنوا بمحبة الاصنام
ثم لما راوا العذاب تبروا منها يقول الله تبارك وتعالى ثم لم تكن فتنتهم ومحبتهم للاصنام الا ان تبروا منها
وهو قوله تعالى الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وذلك اذا شاهدوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى لاهل التوحيد
فيقول بعضهم لبعض تعالوا لنكتم الشرك لعلنا ننجو مع اهل التوحيد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين
فيختم على افواههم وتشهد جوارحهم عليهم بالشرك والكفر قال الله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم
يعني انظر يا محمد بعين البصيرة والتامل الى حال هولا المشركين كيف كذبوا على انفسهم يعني اعتذارهم بالباطل
وتبريهم من الاصنام والشرك الذين كانوا عليه واستعمالهم الكذب مثل ما كانوا عليه في دار الدنيا وذلك لا ينفعهم

وهو

وهو قوله وضل عنهم يعني زال عنهم وذهب ما كانوا يفترون يعني ما كانوا يكذبون وهو قولهم ان الاصنام تشفع لهم
وتنصرهم فبطل ذلك كله في ذلك اليوم قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك الاية قال الكلبي اجتمع ابو سفيان صخر
ابن حرب وابو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وامية وابي ابنا خلف والحارث
ابن عامر يستمعون القران فقالوا للنضر يا ابا قتيلة ما يقول محمد قال ما ادري ما يقول الا اني اراه يحرك لسانه
ويقول اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم عن القرون الماضية واخبارها فقال ابو سفيان اني لارى بعض ما يقول
حقا فقال ابو جهل كلا لا نقر بشي من هذا وفي رواية للموت اهون علينا من هذا فانزل الله تعالى ومنهم من يستمع
اليك يعني الى كلامك وقولك يا محمد وجعلنا على قلوبهم اكنة يعني اغطية جمع كنان ان يفقهوه يعني لئلا يفقهوه
وكراهية ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا يعني وجعلنا في اذانهم صمما وثقلا وفي هذا دليل على ان الله تعالى يقلب
القلوب فيشرح بعضها للهدى والايمان فيقبله ويجعل بعضها في اكنة فلا تفقه كلام الله ولا تومن به وان يروا
كل اية لا يومنوا بها يعني كل معجزة من المعجزات الدالة على صدقك لا يومنوا بها يعني لا يصدقونها ولا يقرون انها
دالة على صدقك حتى اذا جاوك يجادلونك يعني انهم اذا راوا الايات واستمعوا القران انما جاوا ليجادلوك ويخاصموك
لا ليومنوا بها يقول الذين كفروا ان هذا اي ما هذا القران الا اساطير الاولين يعني احاديث الاولين من الامم الماضية
واخبارهم وقاصيصهم وما سطروا يعني وما كتبوا والاساطير جمع اسطورة واسطارة وقيل واحدها سطر واسطار
جمعه واساطير جمع الجمع فعلى هذا لو قال قايل لم عابوا القران وجعلوه اساطير الاولين وقد سطر الاولون في كتبهم
الحكم والعلوم النافعة وما لا يعاب قايله واجيب عنه بانهم انما نسبوا القران الى اساطير الاولين بمعنى انه
ليس بوحي من الله تعالى وانما هو اخبار مجرد كما تروى اخبار القرون الاولين وقيل في معنى اساطير الاولين انها الترهات
وهي عند العرب طرق غامضة ومسالك وعرة مشكلة يقول قايلهم اخذنا في الترهات بمعنى عدلنا عن الطريق
الواضح الى الطريق المشكل الذي لا يعرف فجعلت الترهات مثلا لما لا يعرف ولا يتضح من الامور المشكلة الغامضة
التي لا اصل لها قوله عز وجل وهم ينهون عنه يعني الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وينأون عنه يعني
ويتباعدون عنه بانفسهم نزلت في كفار مكة كانوا يمنعون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وعن الاجتماع
به وينهونهم عن استماع القران وكانوا هم كذلك وقال ابن عباس نزلت في ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم كان
ينهى المشركين عن اذى النبي صلى الله عليه وسلم ويمنعهم منهم وينأى هو بنفسه عن الايمان به بمعنى يبعد حتى روي انه
اجتمع اليه روس المشركين وقالوا له خذ شابا من اصبحنا وجها وادفع الينا محمدا فقال ما انصفتموني ادفع اليكم
ابني محمدا لتقتلوه واربي لكم ابنكم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا ابا طالب الى الايمان فقال لولا تعيرني
قريش لاقررت بها عينك ولكن اذب عنك ما حييت وقال في ذلك ابياتا

والله لن يصلوا اليك بجمعهم	حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة	وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وعرفت انك ناصحي	ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا قد علمت بانه	من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذار مسبة	لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وقوله تعالى وان يهلكون الا انفسهم يعني لا يرجع وبال كفرهم وفعلهم الا عليهم وما يشعرون يعني بذلك قوله تعالى
ولو ترى اذ وقفوا على النار يعني في النار فوضع على في موضع في كقوله على ملك سليمان اي في ملك سليمان وقيل
معناه اذ عرضوا على النار وجواب لو محذوف والمعنى ولو ترى الكفار الذين ينهون عنك وينأون عنك يا محمد

Copyright © King Saud University

في تلك الحالة لرايت امرا عجيبا وموقفا فظيعا فقالوا يا ليتنا نرد يعني الكفار يعني الى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون
من المؤمنين تمنوا ان يردوا الى الدنيا مرة اخرى حتى يؤمنوا ولا يكذبوا بآيات ربهم فرد الله عليهم ذلك فقال تعالى
بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل يعني ليس الامر كما قالوا لو ردوا الى الدنيا لآمنوا بل ظهر لهم ما كانوا يسرون في الدنيا من الكفر
والمعاصي وقيل ظهر لهم ما كانوا يخفون من قولهم والله ربنا ما كنا مشركين فما اخفوا شركهم وكتموه فاظهره الله عليهم
حين شهدت عليهم جوارحهم بما كتموا وستروا من شركهم وقيل ظهر لهم ما اخفوا من الكفر فعلى هذا تكون الآية
في المنافقين ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون يعني في قولهم لو رددنا الى الدنيا لم نكذب بآيات ربنا
ونكون من المؤمنين وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وهذا خبر عن حال منكري البعث وذلك ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما اخبر الكفار عن احوال القيامة واهوالها وما اعد الله في الآخرة من الثواب للمؤمنين المطيعين
وما اعد الله من للكفار العقاب والعاصين قالوا يعني الكفار ان هي اي ما هي الا حياتنا الدنيا اي ليس لنا غير هذه الدنيا
التي نحن فيها وما نحن بمبعوثين يعني بعد الموت وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هذا خبر من الله عن هولاء الكفار الذين
وقفوا على النار انهم لو ردوا الى الدنيا لقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين قوله عز وجل ولو
ترى اذ وقفوا على ربهم يعني على حكم ربهم وقضائه ومسئلته وقيل معناه اطلعوا على ربهم قال اليس هذا بالحق
اي يقول الله يوم القيامة اليس هذا البعث والنشر بعد الموت الذي كنتم تنكرونه في الدنيا وتكذبون به
وتقولون لا بعث ولا نشور حقا قالوا بلى وربنا يعني انهم اعترفوا بما كانوا ينكرونه فاجابوا فقالوا
بلى والله انه لحق وقيل تقول لهم خزنة النار بامر الله اليس هذا بالحق يعني البعث حقا فاجابوا بقولهم بلى وربنا
قال ابن عباس للقيامة مواقف ففي موقف ينكرون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وفي موقف يعترفون
بما ينكرونه في الدنيا قال فذوقوا العذاب اي يقول الله لهم ذلك والخزنة تقول لهم ذلك بامر الله تعالى
وانما خص لفظ الذوق لانهم في كل حال يجدونه وجدان الذائق في شدة الاحساس بما كنتم تكفرون
يعني هذا العذاب بسبب كفركم وجحودكم البعث بعد الموت قوله تعالى قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله يعني خسروا
انفسهم بسبب تكذيبهم بالمصير الى الله تعالى بالبعث بعد الموت وهذا الخسران هو فوت الثواب العظيم
في دار النعيم المقيم وحصول العذاب الاليم في دركات الجحيم حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة يعني جاءتهم القيامة
فجاة سميت القيامة ساعة لانها تفجا الناس بغتة في ساعة لا يعلمها الا الله تبارك وتعالى وقيل سميت
ساعة لسرعة الحساب فيها لان حساب الخلائق يوم القيامة يكون في ساعة او اقل من ذلك قالوا يعني
منكري البعث وهم كفار قريش ومن سلك سبيلهم في الكفر والاعتقاد يا حسرتنا يعني يا ندامتنا والحسرة
التلهف على الشي الفائت وذكرت على وجه النداء للمبالغة والمراد تنبيه المخاطبين على ما وقع بهم من الحسرة
على ما فرطنا يعني قصرنا فيها يعني في الدنيا لانها موضع التفريط في الاعمال الصالحة والمعنى يا حسرتنا
على الاعمال الصالحة التي فرطنا فيها في دار الدنيا وقال محمد بن جرير الطبري الهاء والالف في قوله فيها تعود الى
الصفقة ولكن اكتفى بدلالة قوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله عليها من ذكرها اذا كان معلوما ان الخسران
لا يكون الا في صفقة بيع قد جرى ومعنى الآية قد وكس الذين كذبوا بلقاء الله ببيعهم الايمان الذي يستوجبون
به رضوان الله وجنته بالكفر الذي يستوجبون به سخط الله وعقوبته وهم لا يشعرون بذلك حتى تقوم
الساعة فاذا جاءتهم الساعة بغتة ورأوا ما لحقهم من الخسران في بيعهم قالوا حينئذ يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وروى
الطبري بسنده عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يا حسرتنا قال يرى اهل النار
منازلهم في الجنة فيقولون يا حسرتنا وقوله تعالى وهم يحملون اوزارهم يعني اثقالهم على ظهورهم والاوزار

الخطايا والذنوب واصل الوزر الثقل والحمل يقال وزرته اذا حملته وانما قيل للذنوب اوزار لانها تثقل ظهر
من يحملها قال قتادة والسدي ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله احسن شي صورة واطيبه ريحا فيقول
هل تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك الصالح فاركبني فقد طال ما ركبتك في الدنيا فذلك قوله يوم نحشر
المتقين الى الرحمن وفدا يعني ركبانا واما الكافر فيستقبله اقبح شي صورة وانتنه ريحا فيقول هل تعرفني
فيقول لا فيقول انا عملك الخبيث طال ما ركبتني في الدنيا فانا اليوم اركبك فذلك معنى قوله وهم يحملون
اوزارهم على ظهورهم وقال عمرو بن هانئ يحشر مع كل كافر عمله في صورة رجل قبيح كلما راى هول صورته وقبحه
زاده خوفا فيقول له بئس الجليس انت فيقول انا عملك طال ما ركبتني فلاركبنك اليوم حتى اخزيك
على رؤوس الخلائق فيركبه ويتخطى به الناس حتى يقف بين يدي ربه تعالى فذلك قوله وهم يحملون اوزارهم
على ظهورهم وقال الزجاج الثقل كما يذكر في الوزن فقد يذكر في الحال والصفة يقال وزر علي كلام فلان
يعني كرهته فالمعنى انهم يقاسون من الم عقاب ذنوبهم مقاساة يثقل ذلك عليهم فعلى هذا القول يكون قوله
وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم مجازا عما يقاسونه من شدة العذاب وقيل في معنى الآية ان اوزارهم
لا تزايلهم كما يقول شخصه نصب عيني اي ذكره ملازم لي الا ساء ما يزرون يعني بئس الشي شيئا يحملونه وقال ابن
عباس بئس الحمل حملوا قوله عز وجل وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو اي باطل وغرور لا بقاء لها وهذا تكذيب لمنكري البعث
في قولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين فقال الله رادا عليهم ومكذبا لهم وما الحياة الدنيا الا
لعب ولهو وهل المراد بهذه الحياة حياة المؤمن او الكافر فيه قولان احدهما ان المراد بها حياة الكافر لان المؤمن لا يزداد
بحياته في الدنيا الا خيرا لانه يحصل في ايام حياته من الاعمال الصالحة والطاعة ما يكون سببا لحصول السعادة
في الآخرة واما الكافر فان كل حياته في الدنيا وبال عليه قال ابن عباس يريد حياة اهل الشرك والنفاق والقول
الثاني ان هذا عام في حياة المؤمن والكافر لان الانسان يلتذ باللعب واللهو ثم عند انقضائه يحصل له
الحسرة والندامة لان الذي كان فيه من اللعب واللهو سريع الزوال لا بقاء له فبان بهذا التقدير ان المراد بهذه
الحياة حياة المؤمن والكافر وانه عام فيهما وانما شبه الحياة الدنيا باللعب واللهو لسرعة زوالها وقصر عمرها
كالشي الذي يلعب به وقيل معناه ان امر الدنيا والعمل لها لعب ولهو فاما فعل الخير والعمل الصالح فهو من فعل الآخرة
وان كان وقوعه في الدنيا وقيل معناه وما اهل الحياة الدنيا الا اهل لعب ولهو لانه لا يحصل لاشتغالهم
عما امروا به ونسوا الى اللعب واللهو قوله تعالى وللدار الآخرة خير يعني الجنة واللام فيه لام القسم تقديره والله
الدار الآخرة خير يعني من الدنيا وافضل لان الدنيا سريعة الزوال والانقطاع للذين يتقون يعني الشرك
وقيل يتقون اللعب واللهو افلا تعقلون ان الآخرة افضل من الدنيا فيعملون لها قوله تعالى قد نعلم انه
ليحزنك الذي يقولون يعني قد نعلم يا محمد انه ليحزنك الذي يقوله المشركون لك قال السدي التقى الاخنس بن
شريق وابو جهل بن هشام فقال الاخنس لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق ام كاذب فانه ليس هنا احد
يسمع كلامك غيري فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية
والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فانزل الله هذه الآية وقال ناجية بن كعب قال ابو جهل للنبي
صلى الله عليه وسلم ما نتهمك ولا نكذبك ولكنا نكذب بالذي جئت به فانزل الله هذه الآية عن علي بن ابي طالب ان ابا
جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله فيهم فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين
بآيات الله يجحدون اخرجه الترمذي من طريقين وقال في احدهما وهذا اصح ففي هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
وتعزية عما يواجهه به قومه لانهم كانوا يعتقدون صدقه وانه ليس بكذاب وانما حملهم على تكذيبه في الظاهر

Copyright © King Saud University

الحسد والظلم فانهم لا يكذبونك يعني انهم لا يكذبونك في السر لانهم قد عرفوا انك صادق ولكن الظالمين يعني الكافرين بايات
الله يجحدون يعني في العلانية وذلك انهم جحدوا القران بعد معرفة صدق الذي نزل عليه لعنادهم وكفرهم كما قال تعالى
في حق غيرهم وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقيل ظاهر الاية يدل على انهم لم يكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم
وانما جحدوا ايات الله وهي القران الدال على صدقه فعلى هذا يكون المعنى فانهم لا يكذبونك فانهم قد عرفوا صدقك ولكنما
جحدوا صحة نبوتك ورسالتك قوله عز وجل ولقد كذبت رسل من قبلك يعني ولقد كذبت الامم الخالية رسلهم كما كذبك قومك
فصبروا على ما كذبوا واوذوا يعني ان الرسل عليهم السلام صبروا على تكذيب قومهم اياهم وصبروا على اذاهم فاصبر انت يا محمد
على تكذيب قومك واذاهم لك كما صبر من كان قبلك من الرسل وهذا فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم واذا له تحزنه
على تكذيب قومه له واذاهم اياه حتى اتاهم نصرنا يعني باهلاك من كذبهم ولا مبدل لكلمات الله يعني ولا ناقض لما حكم
الله به من اهلاك المكذبين ونصر المرسلين كما قال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا
لهم الغالبون وقوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي ولا خلف فيما وعد الله به وقوله تعالى ولقد جاءك من نبا المرسلين يعني
ولقد انزلت عليك في القران نحو اخبار المرسلين بما فيه تسلية لك وتسكين قلبك وقال الاخفش من هاهنا صلة كما تقول اصابنا
من مطر وقال غيره بل هي للتبعيض لان الواصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قصص بعض الانبيا واخبارهم كما قال تعالى
منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم ذكر ابن الجوزي في سبب
نزول هذه الاية ان الحرث بن عامر اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقال ايتنا باية كما كانت الانبيا
تاتي قومها بالايات فان فعلت امنا بك فنزلت هذه الاية رواه ابو صالح عن ابن عباس ومعنى الاية وان كان عظم
عليك يا محمد اعراض هولا المشركين عنك وعن تصديقك والايمان بك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص
على ايمان قومه اشد الحرص وكان اذا سالوه اية احب ان يريهم الله ذلك طمعا في ايمانهم فقال له الله عز وجل فان
استطعت ان تبتغي يعني تطلب وتتخذ نفقا في الارض يعني سربا في الارض ونفق سرب في الارض تخلص منه الى
مكان اخر او سلما في السما يعني او تتخذ سلما الى السما والسلم المصعد وهو مشتق من السلامة فتاتيهم باية يعني بالاية
التي سالوا عنها ومعنى الاية وان كان كبر وعظم عليك اعراضهم فتوهلك عن الايمان بك فان قدرت ان تذهب الى الارض
او تصعد الى السما فتاتيهم باية تدلهم على صدقك فافعل فاما حذف جواب الشرط لانه معلوم عند السامع والمقصود
من هذا ان يقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم طمعه عن ايمانهم ولا يتاذى بسبب اعراضهم عنه وعن الايمان به ويدل عليه
قوله تعالى ولو شا الله لجمعهم على الهدى اخبر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم انهم انما تركوا الايمان واعرضوا عنه واقبلوا
على الكفر بمشية الله تعالى ونافذ قضايه فيهم وانه لو شا لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين يعني بان لو شا الله
لجمعهم على الهدى وانه يومن بك بعضهم دون بعض وقيل معناه لا يشتد تحسرك على تكذيبهم ولا تجزع من اعراضهم عنك
فتقارب حال الجاهلين الذين لا صبر لهم وانما نهاه عن هذه الحالة وغلظ له الخطاب تبعيدا له عن هذه الحالة قوله عز وجل
انما يستجيب الذين يسمعون يعني المومنين الذين فتح الله اسماع قلوبهم فهم يسمعون الحق ويستجيبون له ويتبعونه
وينتفعون به دون من ختم الله على سمع قلبه وهو قوله والموتى يعني الكفار الذين لا يسمعون ولا يستجيبون يبعثهم
الله يعني يوم القيمة ثم اليه يرجعون فيجزيهم باعمالهم وقالوا يعني روسا كفار قريش لولا يعني هلا نزل عليه اية
من ربه يعني على محمد بالنبوة وقيل الاية المعجزة الباهرة كمثل معجزات الانبيا قل يعني قل لهم يا محمد ان الله
قادر على ان ينزل اية يعني انه تعالى قادر على ايجاد ما طلبوه وانزال ما اقترحوا من الايات والمعجزات الباهرات
ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني ما ذا عليهم في انزالها من العذاب ان لم يومنوا بها وقيل معناه انهم لا يعلمون ان الله
قادر على انزال الايات وقيل انهم لا يعلمون وجه المصلحة في انزالها قوله تعالى وما من دابة في الارض

ولا طاير

ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم قال العلما جميع ما خلق الله عز وجل لا يخرج عن هاتين الحالتين اما ان
يدب على الارض او يطير في الهوا حتى الحق حيوان الما بالطير لان الحيتان تسبح في الما كما ان الطير تسبح في الهوا وانما
خص ما في الارض بالذكر دون ما في السماوات وان كان ما في السما مخلوقا له لان الاحتجاج بالمشاهد اظهر واوضح مما
لا يشاهد وانما ذكر الجناح في قوله بجناحيه للتاكيد كقولك كتبت بيدي ونظرت بعيني الا امم امثالكم قال
مجاهد اي اصناف مصنفة تعرف باسمايها يريد ان كل جنس من الحيوان امة فالطير امة والدواب امة والسباع
امة تعرف باسمايها مثل بني ادم يعرفون باسمايهم كما يقال الانس الناس ويدل على ان كل جنس من الدواب امة ما روي
عن عبد الله بن مغفل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا ان الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها فاقتلوا منها كل اسود
بهيم اخرجه ابو داود والترمذي والنساي **فان قلت** ثبت بالاية والحديث ان الدواب والطير امم
امثالنا وهذه المماثلة لم تحصل من كل الوجوه فيما يظهر فما وجه هذه المماثلة **قلت** اختلف العلما
في وجه هذه المماثلة فقيل ان هذه الحيوانات تعرف الله وتوحده وتسبحه وتصلي له كما انتم تعرفون الله وتوحدونه
وتسبحونه وتصلون له وقيل انها مخلوقة لله كما انتم مخلوقون لله عز وجل وقيل انها يفهم بعضها عن بعض ويالف بعضها
بعضا كما ان جنس الانسان يالف بعضهم بعضا ويفهم بعضهم من بعض وقيل امثالكم في طلب الرزق وتوقي المهالك ومعرفة
الذكر والانثى وقيل امثالكم في الخلق والموت والبعث بعد الموت للحساب حتى يقتص للجما من القرنا وهو قوله تعالى ما فرطنا
في الكتاب من شي يعني في اللوح المحفوظ لانه يشتمل جميع احوال المخلوقات وقيل ان المراد بالكتاب القران يعني ان القران
يشتمل على جميع الاحوال ثم الى ربهم يحشرون يعني الدواب والطير قال ابن عباس حشرها موتها وقال ابو هريرة يحشر الله
الخلق كلهم يوم القيمة البهايم والدواب والطير وكل شي فياخذ للجما من القرنا ثم يقول كوني ترابا م عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لتودن الحقوق الى اهلها يوم القيمة حتى يقاد للشاة الجلحا من الشاة القرنا قوله عز وجل والذين
كذبوا باياتنا يعني بالقران وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل كذبوا بحجج الله وادلته على توحيده صم يعني عن سماع الحق وبكم
يعني عن النطق به والمعنى انهم في حال كفرهم وتكذيبهم كمن لا يسمع ولا يتكلم في الظلمات يعني في ظلمة الكفر حايرين مترددين
فيها لا يهتدون سبيلا من يشا الله يضلله يعني عن الايمان ومن يشا يجعله على صراط مستقيم يعني ومن يشا يجعله
على دين الاسلام وفي هذا دليل على ان الهادي والمضل هو الله تعالى فمن احب هدايته وفقه بفضله واحسانه للايمان
به ومن احب ضلالته تركه على كفره وذلك عدل منه لانه تعالى هو الفاعل المختار لا يسال عما يفعل وهم يسالون
قوله عز وجل قل ارايتكم يعني قل يا محمد لهولا الكفار الذين تركوا عبادة الله عز وجل وعبدوا غيره من الاصنام اخبروني
تقول العرب ارايتك يعني اخبرنا حالك واصله ارايتم والكاف فيه للتاكيد ان اتاكم عذاب الله يعني قبل الموت مثل
ما نزل بالامم الماضية الكافرة مثل الغرق والخسف والصواعق ونحو ذلك من العذاب او اتتكم الساعة يعني القيامة
اغير الله تدعون يعني في كشف العذاب عنكم ان كنتم صادقين يعني في دعواكم ومعنى الاية ان الكفار كانوا اذا نزل
بهم شدة وبلا رجعوا الى الله بالتضرع والدعا وتركوا الاصنام فقيل لهم اترجعون الى الله في حال الشدة والبلا ولا تعبدونه
ولا تطيعونه في حال اليسر والرخا بل اياه تدعون يعني بل تدعون الله ولا تدعون غيره في كشف ما نزل بكم فيكشف
ما تدعون اليه ان شا يعني فيكشف الضر الذي من اجله دعوتموه وانما قيد الاجابة بالمشية رعاية للمصلحة وان كانت
الامور كلها بمشية الله تعالى وتنسون ما تشركون يعني وتتركون دعا الاصنام التي تعبدونها فلا تدعونها لعلمكم
انها لا تضر ولا تنفع وقيل معناه انكم في ترككم دعا الاصنام بمنزلة من قد نسيها وهذا معنى قول الحسن لانه قال
وتعرضون عنها اعراض الناسي لها قوله تعالى ولقد ارسلنا الى امم من قبلك في الاية محذوف والتقدير ولقد ارسلنا الى امم
من قبلك يا محمد رسلا فخالفوهم وكفروا وحسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامع فاخذناهم بالباسا يعني بالفقر

Copyright King Saud University

الشديد واصله من البوس وهو الشدة والمكروه وقيل الباسا شدة الجوع والضرا يعني الامراض والاوجاع والزمانة لعلهم يتضرعون يعني يخضعون ويتوبون والتضرع التخشع والتذلل والانقياد وترك التمرد واصله من الضراعة وهي الذلة ومقصود الاية ان الله تعالى اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انه قد ارسل من قبله رسلا الى اقوام بلغوا في القسوة الى ان اخذوا في الباسا والضرا وهي الشدة في النفس والمال فلم يخضعوا ولم يتضرعوا ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فلولا يعني فهلا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفي التضرع فلم يتضرعوا ولكن قست قلوبهم يعني ولكن غلظت قلوبهم فلم تخضع ولم تخشع بل قاموا على تكذيبهم وكفرهم برسلهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون يعني من الكفر والتكذيب وتزيين الشيطان اغواوهم بما في المعصية من اللذة قال ابن عباس يريد زين الشيطان الضلالة التي كانوا عليها فاصروا على معاصي الله عز وجل قوله عز وجل فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوا ما وعظوا به وقيل تركوا العمل بما امرتهم به الرسل وانما كان النسيان بمعنى الترك لان التارك للشي معرضا عنه كانه قد صيره بمنزلة ما قد نسي فتحنا عليهم ابواب كل شي يعني بدلنا مكان الباسا الرخا والسعة في الرزق والعيش ومكان الضرا الصحة والسلامة في الابدان والاجسام وذلك استدراج منه لهم وقيل فتحنا عليهم ابواب كل شي من الخير كان مغلقا عنهم حتى اذا فرحوا بما اوتوا يعني فرحوا بما اوتوا من السعة والرخا والصحة في الابدان والمعيشة وظنوا ان ما كان نزل بهم من الشدة لم يكن انتقاما من الله تعالى وانهم لما فتح الله عليهم ما فتح من الخير والسعة فرحوا به وظنوا ان ذلك باستحقاقهم وهذا فرح بطر كما فرح قارون بما اوتي من الدنيا اخذناهم بغتة يعني جاءهم عذابنا فجاة من حيث لا يشعرون قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة وقال اهل المعاني انما اخذوا في حال الرخا والسلامة ليكون اشد لتحسرهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية والتصرف في ضروب اللذة فاخذناهم في امن ما كانوا واعجب ما كانت الدنيا اليهم فاذا هم مبلسون اي ايسون من كل خير وقال الفرا المبلس اليائس المنقطع رجاؤه ولذلك يقال لمن سكت عند انقطاع حجته ولا يكون له جواب قد ابلس وقال الزجاج المبلس الشديد الحزن والحسرة وقال ابو عبيدة اليائس النادم الحزين والابلاس هو الاطراق من الحزن والندم روى عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رايت الله تعالى يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك استدراج ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به الاية ذكره البغوي بغير سند واسنده الطبري وقوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا يعني اخرهم والمعنى انهم استوصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية والحمد لله رب العالمين قال الزجاج حمد الله نفسه على ان قطع دابرهم واستاصل شافتهم ومعنى هذا ان قطع دابرهم نعمة انعم الله بها على الرسل الذين ارسلوا اليهم فكذبوهم فذكر الحمد تعليما للرسل ولمن امن بهم ليحمدوا الله على كفايته اياهم شر الذين ظلموا وليحمد محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ربهم اذا اهلك المشركين المكذبين وقيل معناه الثنا الكامل والشكر الدائم لله رب العالمين على انعامه على رسله واهل طاعته باظهار حججهم على من خالفهم واهلاك اعدائهم واستئصالهم بالعذاب قوله تعالى قل ارايتم اي قل يا محمد لهولا المشركين ان اخذ الله سمعكم يعني الذي تسمعون به فاصمكم حتى لا تسمعوا شيا وابصاركم يعني واخذ ابصاركم التي تبصرون بها فاعماكم حتى لا تبصروا شيا اصلا وختم على قلوبكم يعني حتى لا تفقهوا شيا اصلا ولا تعرفوا شيا مما تعرفون من امور الدنيا وانما ذكر هذه الاعضا الثلاثة لانها اشرف اعضا الانسان فاذا تعطلت هذه الاعضا اختل نظام الانسان وفسد امره وبطلت مصالحه في الدين والدنيا والاخرة ومقصود هذا الكلام ذكر ما يدل على وجود الصانع الحكيم المختار وتقريره ان القادر على ايجاد هذه الاعضا هو الله تعالى المستحق للعبادة لا الاصنام التي تعبدونها وهو قوله تعالى من اله غير الله ياتيكم به يعني ياتيكم بما اخذ الله منكم لان الضمير في به يعود على معنى الفعل ويجوز ان يعود على السمع الذي ذكر اولا ويندرج تحته غيره انظر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره اي انظر يا محمد كيف نصرف الايات يعني كيف نبين لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوة ثم هم يصدفون يعني يعرضون عنها مكذبين لها قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة يعني فجاة او جهرة يعني معاينة ترونه عند نزوله قال ابن عباس ليلا او نهارا هل يهلك الا القوم الظالمون يعني المشركون لانهم ظلموا انفسهم بالشرك

قوله

قوله عز وجل وما نرسل المرسلين الا مبشرين يعني لمن امن بالثواب ومنذرين يعني لمن اقام على كفره بالعقاب والمعنى ليس في ارسالهم ان ياتوا الناس بما يقترحون عليهم من الايات انما ارسلوا بالبشارة والنذارة فمن امن واصلح يعني من امن بهم واصلح العمل به فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعني حين يخاف اهل النار ولا هم يحزنون اذا حزن غيرهم والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب يعني يصيبهم العذاب بما كانوا يفسقون يعني بسبب ما كانوا يكفرون ويخرجون عن الطاعة قوله تعالى قل لا اقول لكم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني قل يا محمد لهولا المشركين لا اقول لكم عندي خزاين الله نزلت حين اقترحوا عليه الايات فامره الله تعالى ان يقول لهم انما بعثت بشيرا ونذيرا ولا اقول لكم عندي خزاين الله جمع خزانة وهو اسم للمكان الذي يخزن فيه الشي وخزن الشي احرازه بحيث لا تناله الايدي والمعنى ليس عندي خزاين رزق فاعطيكم منها ما تريدون لانهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت رسولا من الله فاطلب منه ان يوسع علينا عيشنا ويغني فقرنا فاخبر ان ذلك بيد الله تعالى لا بيدي ولا اعلم الغيب يعني فاخبركم بما مضى وما سيقع في المستقبل وذلك انهم قالوا له اخبرنا بمصالحنا ومضارنا في المستقبل حتى نستعد لتحصيل المصالح ودفع المضار فاجابهم بقوله ولا اعلم الغيب فاخبركم بما تريدون ولا اقول لكم اني ملك وذلك انهم قالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق ويتزوج النسا فاجابهم بقوله ولا اقول لكم اني ملك لان الملك يقدر على ما لا يقدر عليه البشر ويشاهد ما لا يشاهدون فلست اقول شيا من ذلك ولا ادعيه فتنكرون قولي وتجحدون امري وانما نفى عن نفسه الشريفة هذه الاشيا تواضعا لله تعالى واعترافا له بالعبودية وان لا يقترحوا عليه الايات العظام ان اتبع الا ما يوحى الي يعني ما اخبركم الا بوحي من الله انزله علي ومعنى الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم اعلمهم انه لا يملك خزاين الله التي منها يرزق ويعطي وانه لا يعلم الغيب فيخبر بما كان وبما سيكون وانه ليس بملك حتى يطلع على ما لا يطلع عليه البشر انما يتبع ما يوحى اليه من ربه عز وجل فما اخبر عن غيب بوحي انزل اليه وظاهر الاية يدل على ان الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان يجتهد في شي من الاحكام بل جميع اوامره ونواهيه انما كانت بوحي من الله اليه قل هل يستوي الاعمى والبصير يعني المومن والكافر والضال والمهتدي والعالم والجاهل افلا تتفكرون يعني انهما لا يستويان قوله عز وجل وانذر به يعني وخوف بالقران والانذار اعلام مع تخويف الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم قال ابن عباس يريد المومنين لانهم يخافون يوم القيامة وما فيه من شدة الاهوال وقيل معنى يخافون يعلمون والمراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكتابي وانما خص الذين يخافون الحشر بالذكر دون غيرهم وان كان انذاره صلى الله عليه وسلم لجميع الخلايق لان الحجة عليهم اوكد من غيرهم لاعترافهم بصحة المعاد والحشر وقيل المراد بهم الكفار لانهم لا يعتقدون صحته ولذلك قال يخافون ان يحشروا الى ربهم وقيل المراد بالانذار جميع الخلايق فيدخل فيه كل مومن معترف بالحشر وكل كافر منكر له لانه ليس احد الا وهو يخاف الحشر سوا اعتقد وقوعه او كان يشك فيه ولان دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وانذاره لجميع الخلق ليس لهم من دونه يعني من دون الله ولي اي قريب ينفعهم ولا شفيع يعني يشفع لهم وهذا فيه اشكال وهو ان فسرنا الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ان المراد بهم الكفار فلا اشكال فيه لقوله تعالى وما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وان فسرنا الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ان المراد بهم المومنين ففيه الاشكال لانه قد ثبت بصحيح النقل شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم للمذنبين من امته وكذلك تشفع الملايكة والانبيا والمومنون بعضهم لبعض والجواب عن هذا الاشكال ان الشفاعة لا تكون الا باذن الله لقوله عز وجل من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه واذا كانت الشفاعة باذن الله صح قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع حتى ياذن الله لهم في الشفاعة فاذا اذن لهم فيها كان للمومنين ولي وشفيع لعلهم يتقون يعني ما نهيتهم عنه قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة

Copyright © King Saud University

والعشي يريدون وجهه قال سلمان وخباب بن الارت فينا نزلت هذه الاية جا الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن
حصن الفزاري وذووهما من المولفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا مع صهيب وبلال وعمار وخباب
في نفر من ضعفا المومنين فلما راوهم حوله حقروهم فاتوه فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد ونفيت عنا
هولا وارواح جبابهم وكانت عليهم جباب صوف لها رايحة ليس عليهم غيرها لجالسناك واخذنا عنك فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ما انا بطارد المومنين قال فانا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا على وفود
العرب تاتيك فنستحي ان تراكا العرب مع هولا الاعبد فاذا نحن جيناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعدهم ان شيت
قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتابا قال فاتى بالصحيفة ودعا عليا ليكتب قال ونحن قعود في ناحية اذ نزل جبريل
عليه السلام بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه الى قوله اليس الله باعلم بالشاكرين
فالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ثم دعانا فاتيناه وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه
الرحمة وكنا نقعد معه واذا اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله تبارك وتعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي الاية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد ذلك وندنوا منه حتى كادت ركبتنا تمس
ركبته فاذا بلغ الساعة التي يريد ان يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان
اصبر نفسي مع قوم منكم معكم المحيا ومعكم الممات روي عن سعد بن ابي وقاص قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هولا لا يجترون علينا قال وكنت انا وابن مسعود ورجل
من هذيل وبلال ورجلان لست اسميهما فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شا الله ان يقع فحدث نفسه
فانزل الله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه اخرجه مسلم وقال الكلبي قالوا له
يعني اشراف قريش اجعل لنا يوما ولهم يوما قال لا افعل قالوا فاجعل المجلس واحدا واقبل علينا وول ظهرك اليهم
فانزل الله هذه الاية قال مجاهد قالت قريش لولا بلال وابن ام عبد يعني ابن مسعود لتابعناك فانزل الله تعالى
هذه الاية وقال ابن مسعود مر الملا من قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم
من ضعفا المسلمين فقالوا يا محمد رضيت بهولا بدلا من قومك هولا الذين من الله عليهم من بيننا انحن نكون تبعا
لهولا اطردهم فلعلك ان طردتهم ان نتبعك فنزلت هذه الاية وقال عكرمة جا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم
ابن عدي والحرث بن نوفل في اشراف بني عبد مناف من اهل الكفر الى ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا
طالب لو ان ابن اخيك محمد يطرد عنا موالينا وحلفانا فانهم عبيدنا وعسفاونا كان اعظم في صدورنا واطوع له عندنا
وادنا لاتباعنا اياه وتصديقنا له قال فاتى ابو طالب النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه به فقال عمر
ابن الخطاب لو فعلت ذلك حتى تنظر ما يريدون والى ما يصيرون من قولهم فانزل الله عز وجل هذه الاية وانذر به
الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم الى قوله اليس الله باعلم بالشاكرين فجا عمر فاعتذر من مقالته قلت بين هذه
الروايات والرواية الاولى عن سلمان وخباب بن الارت فرق كثير وبعد عظيم وهو اسلام سلمان وهو بالمدينة
وكان اسلام المولفة قلوبهم بعد الفتح وسورة الانعام مكية والصحيح ما روي عن ابن مسعود والكلبي وعكرمة
في ذلك وبعضد حديث سعد بن ابي وقاص المخرج في صحيح مسلم والله اعلم واما معنى الاية فقوله ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعني لا تطرد هولا الضعفا عنك ولا تبعدهم عن
مجلسك لاجل ضعفهم وفقرهم ثم وصفهم فقال تعالى الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي قال ابن عباس يعبدون
ربهم بالغداة والعشي يعني صلاة الصبح وصلاة العصر ويروى عنه ان المراد منه الصلوات الخمس وانما ذكر هذين الوقتين
تنبيها على شرفهما ولانهم مواظبين عليهما مع بقية الصلاة ولان الصلاة تشتمل على القراة والدعا والذكر فعبر بالدعا

عن

عن الصلاة بهذا المعنى قال مجاهد صليت الصبح مع سعيد بن المسيب فلما سلم الامام ابتدر الناس القاص فقال سعيد ما اسرع
الناس الى هذا المجلس قال مجاهد فقلت يتناولون قوله تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشي قال او في هذا هو انما ذلك في
الصلاة التي انصرفنا عنها الان وقال ابن عباس ان ناسا من الفقرا كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ناس من اشراف
الناس نومن لك واذا صلينا هولا الذين معك فليصلوا خلفنا وقيل المراد منه حقيقة الدعا والذكر والمعنى انهم
كانوا يذكرون ربهم ويدعونه طرفي النهار يريدون وجهه يعني يطلبون بعبادتهم وطاعتهم وجه الله مخلصين في عبادتهم
له وقال ابن عباس يطلبون ثواب الله تعالى ما عليك من حسابهم من شي وما من حسابك عليهم من شي يعني لا تكلفهم
ولا يكلفون امرك وقيل ما عليك حساب رزقهم فتملهم وتطردهم عنك ولا رزقك عليهم انما الرزاق لجميع الخلق هو
الله تعالى فلا تطردهم عنك فتطردهم فتكون من الظالمين يعني بطردهم عنك وعن مجلسك فقوله فتطردهم جواب النفي
وهو قوله ما عليك من حسابهم من شي وقوله فتكون من الظالمين جواب النهي وهو قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم
واحتج الطاعنون في عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام بهذه الاية فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما هم بطرد الفقرا عن مجلسه لاجل الاشراف عاتبه الله على ذلك ونهاه عن طردهم وذلك يقدح في العصمة وقوله
فتطردهم فتكون من الظالمين والجواب عن هذا الاحتجاج ان النبي صلى الله عليه وسلم ما طردهم ولا هم بطردهم
لاجل الاستخفاف بهم والاستنكاف من فقرهم وانما كان هذا الهم لمصلحة وهي التلطف بهولا الاشراف في ادخالهم
في الاسلام فكان ترجيح هذا الجانب اولى وهو اجتهاد منه فاعلمه الله تعالى ان ادنا هولا الفقرا اولى من الهم بطردهم
فقربهم منه وادناهم واما قوله فتطردهم فتكون من الظالمين ان الظلم في اللغة وضع الشي في غير موضعه فهو من
باب ترك الافضل والاولى لا من باب ترك الواجبات والله اعلم قوله عز وجل وكذلك فتنا بعضهم ببعض يعني
ابتلينا الغني بالفقير والفقير بالغني والشريف بالوضيع والوضيع بالشريف فكل احد مبتلى بضده فكان ابتلا الاغنيا
الشرفا حسدهم لفقرا الصحابة على كونهم سبقوهم الى الاسلام وتقدموا عليهم فامتنعوا من الدخول في الاسلام
لذلك فكان ذلك فتنة وابتلا لهم واما فتنة الفقرا بالاغنيا فلما يرون من سعة رزقهم وخصب عيشهم فكان ذلك
فتنة لهم ليقولوا يعني الاغنيا والشرفا والروسا اهولا من الله عليهم من بيننا يعني من على الفقرا والضعفا بالاسلام ومتابعة
الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا اعتراض من الكفار على الله تعالى فاجابهم بقوله اليس الله باعلم بالشاكرين يعني انه تعالى اعلم
بخلقه وباحوالهم واعلم بالشاكرين من الكافرين واذا جاك الذين يومنون باياتنا فقل سلام عليكم قال عكرمة
نزلت في الذين نهى الله نبيه عن طردهم فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا راهم بداهم بالسلام وقال عطا نزلت في ابي
بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم بن ابي عبيدة ومصعب بن عمير وحمزة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر
والارقم بن ابي الارقم وابي سلمة بن عبد الاسد وقيل ان الاية على اطلاقها في كل مومن وقيل لما جا عمر بن الخطاب واعتذر من
مقالته التي تقدمت في رواية عكرمة وقال ما اردت الا الخير فنزلت واذا جاك الذين يومنون باياتنا فقل سلام عليكم
كتب ربكم يعني فرض ربكم وقضى ربكم على نفسه الرحمة وهذا يفيد الخوف وسببه ان الله سبحانه وتعالى يتصرف
في عباده كيف يشا واراد فاوجب على نفسه الرحمة على سبيل التفضل والكرم لانه اكرم الاكرمين وارحم الراحمين
انه من عمل منكم سوا بجهالة قال مجاهد من عمل ذنبا وخطية فهو بها جاهل واختلفوا في سبب هذا الجهل فقيل
لانه جاهل بمقدار ما استحقه من العقاب وما فاته من الثواب وقيل انه وان علم ان عاقبة ذلك الشي والفعل
القبيح مذمومة الا انه اثر اللذة العاجلة على الخير الكثير الاجل ومن اثر القليل على الكثير فهو جاهل وقيل انه لما فعل فعل
الجهالة نسب الى الجهل وان لم يكن جاهلا ثم تاب من بعده يعني من بعد ارتكابه ذلك الشي ورجع عنه واصلح يعني اصلح
العمل في المستقبل وقيل اخلص توبته في ندمه على فعله فانه غفور يعني لمن تاب من ذنوبه رحيم بعباده قال خالد بن دينار

Copyright © King Saud University

كنا اذا دخلنا على ابي العالية قال واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الاية عن ابي سعيد
الخدري قال جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين وان بعضهم ليستتر ببعض من العري وقارئ يقرأ علينا اذ جاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا فلما قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت القارئ وسلم ثم قال ما كنتم تصنعون
قلنا يا رسول الله كان قارئ لنا يقرأ علينا وكنا نستمع الى كتاب الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي
جعل من امتي من امرت ان اصبر نفسي معهم وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطنا ليعدل بنفسه فينا ثم قال بيده
هكذا فتحلقوا وبرزت وجوههم قال فما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف منهم احدا غيري ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسماية
عام اخرجه ابو داود قوله عز وجل وكذلك نفصل الايات يعني وكما فصلنا لك يا محمد في هذه السورة دلائلنا على صحة التوحيد
وابطال ما هم عليه من الشرك كذلك نميز ونبين لك ادلة حججنا وبراهيننا على تقرير كل حق ينكره اهل الباطل ولتستبين
قرئ بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وليظهر لك الحق يا محمد ويبين لك سبيل المجرمين يعني طريق هؤلاء المجرمين
وقرئ بالياء على الغيبة ومعناه وليظهر ويتضح سبيل المجرمين يوم القيامة اذا صاروا الى النار قوله تعالى قل اي قل يا محمد
لهؤلاء المشركين اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله اي نهيت ان اعبد الاصنام التي تعبدونها انتم من دون الله
وقيل تدعونها عند شدائدكم من دون الله لان الجمادات اخس من ان تعبد وتدعى وانما كانوا يعبدونها على سبيل الهوى وهو
قوله قل لا اتبع اهواءكم يعني في عبادة الاصنام وطرد الفقراء قد ضللت اذا يعني ان عبدتها وما انا من المهتدين يعني لو عبدتها قل
يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين اني على بينة من ربي قال ابن عباس يعني على يقين من ربي وقيل البينة الدلالة التي تفصل بين
الحق والباطل والمعنى اني على بيان وبصيرة على عبادة ربي وكذبتم به يعني وكذبتم بالبيان الذي جئت به من عند ربي وهو القران
والمعجزات الباهرات والبراهين الواضحات التي تدل على صحة التوحيد وفساد الشرك ما عندي ما تستعجلون به يعني هذا العذاب
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم وكانوا يستعجلون به استهزاء وكانوا يقولون يا محمد ائتنا
بما تعدنا يعني من نزول العذاب فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم ما عندي ما تستعجلون به لان انزال
العذاب لا يقدر عليه الا الله ولا يقدر احد على تقديمه ولا تاخيره وقيل كانوا يستعجلون بالايات التي طلبوها واقترحوها
فاعلم الله ان ذلك عنده ليس عند احد من خلقه وقيل كانوا يستعجلون بقيام الساعة ومنه قوله تعالى يستعجل بها الذين
لا يؤمنون بها ان الحكم الا لله يعني الحكم الذي يفصل به بين الحق والباطل والثواب للطائع والعقاب للعاصي اي ما الحكم المطلق
الا لله ليس معه حكم فهو يفصل بين المختلفين ويقضي بانزال العذاب اذا شاء يقص الحق قرئ بالصاد المهملة ومعناه يقول
الحق لان كل ما اخبر به فهو حق وقرئ يقضي بالضاد المعجمة من القضاء يعني انه تعالى يقضي القضاء الحق وهو خير الفاصلين
يعني وهو خير من بين وفصل وميز بين الحق والمبطل لانه لا يقع في حكمه وقضائه جور ولا حيف على احد من خلقه قل
لو ان عندي ما تستعجلون به يعني من انزال العذاب والاستعجال المطالبة بالشيء قبل وقته فلذلك كانت العجلة مذمومة
والاسراع تقديم الشيء في وقته فلذلك كانت السرعة محمودة والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المستعجلين لنزول العذاب
لو ان عندي ما تستعجلون به لم امهلكم ساعة ولكن الله حليم ذو اناة لا يعجل بالعقوبة وقوله تعالى لقضي الامر بيني وبينكم
يعني لانفصل ما بيني وبينكم ولاتيتكم بما تستعجلون به من العذاب والله اعلم بالظالمين يعني انه اعلم بما تستحقونه
من العذاب والوقت الذي يستحقون تعجيله وقيل علم انه سيؤمن بعض من كان يستعجل بالعذاب فلذلك اخر عنهم وقال
والله اعلم بالظالمين وباحوالهم وقوله عز وجل وعنده مفاتح الغيب المفتاح الذي يفتح به المغلاق في جمع مفاتيح ويقال فيه مفتح
بكسر الميم وجمعه مفاتح والمفتح بفتح الميم الخزانة وكل خزانة كانت لصنف من الاشياء فهي مفتح وجمعه مفاتح فقوله وعنده مفاتح الغيب
يحتمل ان يكون المراد منه المفاتيح التي يفتح بها ويحتمل ان يكون المراد منه الخزائن فعلى هذا التفسير الاول فقد جعل للغيب مفاتيح على طريق

تحلقوا

الاستعارة

الاستعارة لان المفاتيح هي التي يتوصل بها الى ما في الخزائن المستوثق منها بالاغلاق فمن علم كيف يفتح بها ويتوصل الى
ما فيها فهو عالم وكذلك ههنا ان الله تعالى لما كان عالما بجميع المعلومات ما غاب منها وما لم يغب عبر عن هذا
المعنى بهذه العبارة وعلى التفسير الثاني يكون المعنى وعنده خزائن الغيب والمراد منه القدرة الكاملة على كل
الممكنات ثم اختلف قول المفسرين في قوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو فقيل مفاتح الغيب خمس وهي
ما روي عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله تعالى لا يعلم
احد ما يكون في غد الا الله ولا يعلم احد ما يكون في الارحام الا الله ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدا ولا تدري نفس
باي ارض تموت ولا يدري احد متى يجيء المطر وفي رواية اخرى لا يعلم ما تغيض الارحام الا الله ولا يعلم ما في غد الا الله
ولا يعلم متى الساعة الا الله اخرجه البخاري وقال الضحاك ومقاتل مفاتح الغيب خزائن الارض وعلم نزول العذاب
وقال عطاء هو ما غاب عنكم من الثواب والعقاب وقيل هو انقضاء الاجال وعلم احوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم
اعمالهم وقيل هو علم ما لم يكن بعد ان يكون ام لا يكون كيف يكون وما لا يكون ان لو كان كيف يكون وقال ابن مسعود اوتي نبيكم
صلى الله عليه وسلم كل شيء الا مفاتح الغيب وقال ابن عباس انها خزائن غيب السموات والارض من الاقدار والارزاق ويعلم
ما في البر والبحر قال مجاهد البر المفاوز والقفار والبحر القرى والامصار لا يحدث فيهما شيء الا وهو يعلمه وقال جمهور المفسرين
هو البر والبحر المعروف لان جميع الارض اما بر واما بحر وفي كل واحد منهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ما يدل
على عظيم قدرته وسعة علمه وما تسقط من ورقة الا يعلمها يريد ساقطة وثابتة والمعنى انه يعلم عدد ما يسقط من الورق وما بقي على الشجر
من ذلك ويعلم كم انقلبت ظهرا لبطن الى ان تسقط على الارض ولا حبة في ظلمات الارض يعني قيل هو الحب المعروف يكون في بطن الارض
قبل ان ينبت وقيل هي الحبة التي في الصخرة التي في اسفل الارضين ولا رطب ولا يابس قال ابن عباس الرطب الماء واليابس البادية
وقال عطاء يريد ما ينبت وما لا ينبت وقيل المراد بالرطب الحي واليابس الميت وقيل هو عبارة عن كل شيء لان جميع الاشياء
اما رطبة واما يابسة **فان قلت** ان جميع الاشياء هذه داخلة تحت قوله وعنده مفاتح الغيب فلم
افرد هذه الاشياء بالذكر وما فائدة ذلك **قلت** لما قال الله تعالى وعنده مفاتح الغيب على سبيل الاجمال ذكر من
بعض ذلك الاجمال ما يدل على التفصيل فذكر هذه الاشياء المحسوسة ليدل بها على غيرها فقدم ذكر البر والبحر لما فيهما
من العجائب والغرائب من المدن والقرى والمفاوز والجبال وكثرة ما فيهما من المعادن والحيوان واصناف المخلوقات
ما يعجز الوصف عن ادراكها ثم ذكر بعد ذلك ما هو اقل من ذلك وهو مشاهد لكل احد لان الورقة الساقطة والثابتة
يراها كل احد لكن لا يعلم عددها وكيفية خلقها الا الله تعالى ثم ذكر بعد ذلك مثالا يجمع الكل وهو الرطب واليابس
ما هو اصغر من الورقة وهي الحبة ثم ذكر بعد ذلك مثالا يجمع الكل وهو الرطب واليابس فذكر هذه الاشياء وانه
لا يخرج شيء منها عن علمه سبحانه وتعالى فصارت هذه الامثال منبهة على عظمة عظيمة وقدرة عالية وعلم واسع
فسبحان العليم الخبير قوله تعالى الا في كتاب مبين فيه قولان احدهما ان الكتاب المبين هو علم الله الذي لا يتغير ولا
يبدل والثاني ان المراد بالكتاب المبين هو اللوح المحفوظ لان الله كتب فيه علم ما يكون وما قد كان قبل ان
يخلق السموات والارض وفائدة احصاء الاشياء كلها في هذا الكتاب لتقف الملائكة على انفاذ علمه وانه تنبيه
بذلك على عظيم الحساب واعلم عباده انه لا يفوته شيء مما يصنعون لان من اثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب في كتاب
فالى اثبات ما فيه ثواب وعقاب اسرع قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل يعني يقبض ارواحكم اذا نمتم بالليل
ويعلم ما جرحتم بالنهار يعني ما كسبتم بالنهار ثم يبعثكم فيه اي يوقظكم فيه اي في النهار ليقضى اجل مسمى يعني اجل الحياة الى
الممات يريد استيفاء العمر على التمام ثم اليه مرجعكم في الاخرة ثم ينبئكم اي يخبركم بما كنتم تعملون وهو القاهر
فوق عباده يعني وهو العالي عليهم بقدرته لان كل من غلب شيئا وقهره فهو مستعل عليه بالقهر والقدرة فهو كما

Copyright © King Saud University

بيانا لامر فلان فوق امر فلان يعني انه اقدر منه واغلب هذا معنى مذهب اهل التاويل في معنى لفظة فوق في قوله
وهو القاهر فوق عباده واما مذهب السلف فيها فامرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تاويل ولا اطلاق على جهة
والقاهر هو الغالب لغيره المذلل له والله تعالى هو القاهر لخلقه فقهر كل شي بقدرته وقهر الجبابرة بالموت والايجاد
بالاعدام والغنى بالفقر والنور بالظلمة وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة يعني انه من جملة قهره لعباده ارسال الحفظة
عليهم والمراد بالحفظة الملائكة الذين يحفظون اعمال بني ادم من الخير والشر والطاعة والمعصية وغير ذلك من الاقوال
والافعال قيل ان مع كل انسان ملكان ملك عن يمينه وملك عن شماله فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين واذا عمل سيئة قال
صاحب اليمين لصاحب الشمال اصبر لعله يتوب منها فان لم يتب منها كتبها عليه صاحب الشمال وفائدة جعل الملائكة موكلين بالانسان
اذا علم ان له حافظا من الملائكة موكلا به يحفظ عليه اقواله وافعاله في صحايف تنشر له وتقرا عليه يوم القيمة على رؤس الاشهاد كان
ازجر له على فعل القبيح وترك المعاصي وقيل المراد بقوله ويرسل عليكم حفظة هم الملائكة الذين يحفظون بني ادم ورزقه واجله
وعمله حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا يعني اعوان ملك الموت الموكلين بقبض ارواح البشر **فان قلت**
قال الله تعالى في اية اخرى الله يتوفى الانفس حين موتها وقال في اية اخرى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وقال هنا
توفته رسلنا فكيف الجمع بين هذه الايات **قلت** وجه الجمع بين هذه الايات ان المتوفي في الحقيقة هو الله
تعالى فاذا حضر اجل العبد امر الله ملك الموت بقبض روحه ولملك الموت اعوان من الملائكة فيامرهم بنزع روح ذلك العبد
من جسده فاذا وصلت الى الحلقوم تولى قبضها ملك الموت نفسه فحصل الجمع بين الايات وقيل المراد من قوله توفته
رسلنا ملك الموت وحده وانما ذكر بلفظ الجمع تعظيما له وقال مجاهد جعلت الارض لملك الموت مثل الطشت يتناول من حيث شا
وجعلت له اعوان ينتزعون الانفس ثم يقبضها منهم وقال ايضا ما من اهل بيت شعر ولا مدر الا وملك الموت يطيف
بهم كل يوم مرتين وقيل ان الارواح اذا كثرت عليه يدعوها فتستجيب له وقوله وهم لا يفرطون يعني الرسل لا يقصرون
فيما امروا ولا يضيعون قوله عز وجل ثم ردوا الى الله مولاهم الحق يعني ثم رد العباد بالموت الى الله في الاخرة وانما قال
مولاهم الحق لانهم كانوا في الدنيا تحت ايدي موالي بباطل وهو الله مولاهم وسيدهم ومالكهم بالحق الا له الحكم
يعني لا حكم الا لله وهو اسرع الحاسبين يعني انه تعالى اسرع من حسب لانه لا يحتاج الى فكر وروية وعقد يد فيحاسب
خلقه بنفسه لا يشغله حساب بعضهم عن بعض قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر يعني يا محمد قل لهولا الكفار
الذين يعبدون الاصنام من دون الله من الذي ينجيكم من ظلمات البر والبحر اذا ضللتم فيه وتحيرتم واظلمت عليكم
الطرق ومن الذي ينجيكم من ظلمات البحر اذا ركبتم فيه فاخطاتم الطريق واظلمت عليكم السبل فلم تهتدوا وقيل ظلمات
البر والبحر مجاز عما فيهما من الشدايد والاهوال وقيل حمله على الحقيقة اولى فظلمة البر هو ما اجتمع فيه من ظلمة الليل
وظلمة السحاب فيحصل من ذلك الخوف الشديد لعدم الاهتدا الى الطريق الصواب وظلمة البحر ما اجتمع فيه من
ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح العاصفة والامواج الهايلة فيحصل من ذلك ايضا الخوف الشديد من الوقوع
في الهلاك فالمقصود ان عند اجتماع هذه الاسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الانسان فيها الا الى الله
سبحانه وتعالى لانه هو القادر على كشف الكروب وازالة الشدايد وهو المراد من قوله تعالى تدعونه تضرعا
وخفية يعني فاذا اشتد عليكم الامر تخلصون له الدعا تضرعا منكم اليه واستكانة جهرا وخفية يعني سرا وحالا
لئن انجيتنا من هذه يعني قايلين في حال الدعا والتضرع لئن انجيتنا من هذه الظلمات وخلصتنا من الهلاك لنكونن
من الشاكرين يعني لك على هذه النعمة والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحق المنعم بها قل الله ينجيكم منها يعني من
الظلمات والشدايد التي انتم فيها ومن كل كرب يعني وهو الذي ينجيكم من كل كرب ايضا والكرب هو الغم الشديد
الذي ياخذ بالنفس ثم انتم تشركون يعني انهم يقرون بان الذي نجاهم من هذه الشدايد هو الله تعالى ثم انتم بعد

ذلك

ذلك الاقرار تشركون معه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع قوله عز وجل قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم
اي قل يا محمد لقومك ان الله هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم يعني الصيحة والحجارة والريح والطوفان كما
فعل بقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط او من تحت ارجلكم يعني الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون وقال
ابن عباس ومجاهد عذابا من فوقكم يعني ائمة السوء والسلاطين الظلمة او من تحت ارجلكم يعني عبيد السوء وقال
الضحاك من فوقكم يعني من قبل كباركم او من تحت ارجلكم يعني السفلة او يلبسكم شيعا جمع شيعة وكل قوم اجتمعوا
على امر فهم شيعة واشياع واصله من التشيع ومعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا وقيل الشيعة هم الذين
يتقوى بهم الانسان قال الزجاج في قوله او يلبسكم شيعا يعني يخلط امركم خلط اضطراب لا خلط اتفاق
فيجعلكم فرقا مختلفين يقاتل بعضكم بعضا وهو معنى قوله ويذيق بعضكم باس بعض قال ابن عباس قوله او يلبسكم
شيعا يعني الاهوا المختلفة ويذيق بعضكم باس بعض يعني انه يقتل بعضكم بيد بعض وقال مجاهد يعني الاهوا المختلفة
وهو ما كان فيهم من الفتن والاختلاف وقال ابن زيد هو الذي فيه الناس اليوم من الاختلاف والاهوا وسفك
بعضهم دما بعض ثم اختلف المفسرون فيمن عني بهذه الاية فقال قوم عني بها المسلمين من امة محمد وفيهم نزلت
هذه الاية قال ابو العالية في قوله قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم الاية قال هن اربع وكلهن
عذاب فجاء ثنتان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة ثم البسوا شيعا واذيق بعضهم باس بعض
وبقيت اثنتان وهما لا بد واقعتان يعني الخسف والمسخ وعن ابي بن كعب نحوه هن اربع خلال وكلهن واقع
قبل يوم القيامة مضت ثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة ثم البسوا شيعا
واذيق بعضهم باس بعض وثنتان واقعتان لا محالة الخسف والرجم وقال مجاهد في قوله من فوقكم او من تحت
ارجلكم لامة محمد فاعفاهم منه او يلبسكم شيعا ما كان فيهم من الفتن والاختلاف زاد غيره ويذيق بعضكم باس بعض
يعني ما كان فيهم من القتل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم خ عن جابر قال لما نزلت هذه الاية قل هو
القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ بوجهك او من تحت ارجلكم
قال اعوذ بوجهك او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض قال هذا اهون او هذا ايسر م عن سعد بن ابي
وقاص انه اقبل مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم من العالية حتى اذا مر بمسجد بني معوية دخل فركع ركعتين
وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف الينا فقال سالت ربي ثلاثا فاعطاني ثنتين ومنعني واحدة سالت
ربي ان لا يهلك امتي بالسنة فاعطانيها وسالته ان لا يهلك امتي بالغرق فاعطانيها وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم
فمنعنيها عن خباب بن الارت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فاطالها فقالوا يا رسول الله صليت صلاة لم
تكن تصليها قال اجل انها صلاة رغبة ورهبة اني سالت الله فيها ثلاثا فاعطاني ثنتين ومنعني واحدة سالته ان لا يهلك
امتي بسنة فاعطانيها وسالته ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فاعطانيها وسالته ان لا يذيق بعضهم باس بعض
فمنعنيها اخرجه الترمذي وقوله تعالى انظر كيف نصرف الايات اي انظر يا محمد كيف نبين دلايلنا وحججنا لهولا المكذبين
لعلهم يفقهون يعني يفهمون ويعتبرون فينزجروا ويرجعوا عما هم عليه من الكفر والتكذيب قوله تعالى وكذب به
قومك يعني بالقران وهو الحق يعني في كونه كتابا منزلا من عند الله وقيل الضمير في به يرجع الى العذاب وهو الحق يعني
انه نازل بهم ان اقاموا على كفرهم وتكذيبهم وقيل الضمير يرجع الى تصريف الايات وهو الحق لانهم كذبوا كونها من عند
الله قل لست عليكم بوكيل اي قل يا محمد لهولا المكذبين لست عليكم بحافظ حتى اجازيكم على تكذيبكم واعراضكم عن
قبول الحق بل انما انا منذر والله هو المجازي لكم على اعمالكم وقيل معناه انما ادعوكم الى الله والى الايمان به ولم اومر
بحربكم فعلى هذا القول تكون الاية منسوخة باية السيف وقيل في معنى الاية قل لست عليكم بوكيل يعني حفيظا

Copyright © King Saud University

انما اطالبكم بالظاهر من الاقرار والعمل لا بما تخفيه الضمائر والاسرار فعلى هذا تكون الاية محكمة لكل نبا مستقر اى لكل خبر من
اخبار القرون حقيقة ومنتهى ينتهى اليه اما فى الدنيا واما فى الاخرة وقيل لكل خبر يخبر الله به وقت ومكان يقع فيه من
غير خلف ولا تاخير فكان ما اوعدهم به من العذاب فى الدنيا وقع يوم بدر وسوف تعلمون يعنى صحة ذلك الخبر اما فى الدنيا
واما فى الاخرة قوله تعالى واذا رايت الذين يخوضون فى اياتنا يعنى القران الذى انزلناه اليك والخوض فى اللغة
هو الشروع فى الماء والعبور فيه ويستعار فى الاخذ فى الحديث والشروع فيه يقال تخاوضوا فى الحديث وتفاوضوا فيه
لكن اكثر ما يستعمل الخوض فى الحديث على وجه اللعب والعبث وما يذم عليه ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين وقيل
الخطاب فى واذا رايت لكل فرد من الناس والمعنى واذا رايت ايها الانسان الذين يخوضون فى اياتنا وذلك ان المشركين
كانوا اذا جالسوا المؤمنين وقعوا فى الاستهزاء بالقران وبمن انزله وبمن انزل عليه فنهاهم الله ان يقعدوا معهم فى
وقت الاستهزاء بقوله فاعرض عنهم يعنى فاتركهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا فى حديث غيره يعنى حتى يكون خوضهم
فى غير القران والاستهزاء به واما ينسينك الشيطان يعنى فقعدت معهم فلا تقعد بعد الذكرى يعنى اذا ذكرت
وقم فلا تقعد معهم مع القوم الظالمين يعنى المشركين قوله تعالى وما على الذين يتقون من حسابهم من شىء قال
ابن عباس لما نزلت هذه الاية واذا رايت الذين يخوضون فى اياتنا فاعرض عنهم قال المسلمون كيف نقعد فى المسجد
الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون ابدا وفى رواية قال المسلمون انا نخاف الاثم حين نتركهم ولا ننهاهم فانزل الله
هذه الاية وما على الذين يتقون يعنى يتقون الشرك والاستهزاء من حسابهم من حساب المشركين من شىء يعنى
ليس عليهم من حسابهم والاثام ولكن ذكرى يعنى ولكن ذكروهم ذكرى وقيل معناه ولكن عليكم ان تذكروهم
لعلهم يتقون يعنى لعل ذلك الذكر يمنعهم من الخوض والاستهزاء **فصل** قال سعيد بن جبير وابن جريج
ومقاتل هذه الاية منسوخة بالاية التى فى سورة النسا وهى قوله تعالى وقد نزل عليكم فى الكتاب ان اذا سمعتم
ايات الله يكفر بها ويستهزا بها وذهب الجمهور الى انها محكمة لا نسخ فيها لانها خبر والخبر لا يدخله النسخ لانها انما دلت
على ان كل انسان انما يختص بحساب نفسه لا بحساب غيره وقيل انما اباح لهم القعود معهم بشرط التذكر والموعظة فلا
تكون منسوخة قوله عز وجل وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا يعنى اتخذوا دينهم الذى امروا به ودعوا اليه وهو
دين الاسلام لعبا ولهوا وقيل ان الكفار كانوا اذا سمعوا القران لعبوا ولهوا عند سماعه وقيل ان الله جعل لكل قوم
عيدا فاتخذ كل قوم دينهم يعنى عيدهم لعبا ولهوا يلعبون ويلهون فيه الا المسلمون فانهم اتخذوا صلاة عيدهم
وتكبيرا وفعل الخير فيه مثل عيد الفطر وعيد النحر ويوم الجمعة وغرتهم الحياة الدنيا يعنى انهم اتخذوا دينهم لعبا ولهوا
لاجل انهم غرتهم الحياة الدنيا وغلب حبها على قلوبهم فاعرضوا عن دين الحق واتخذوا دينهم لعبا ولهوا ومعنى الاية
وذر يا محمد الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اتركهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم وهذا يقتضى الاعراض عنهم ثم نسخ
ذلك الاعراض باية السيف وهو قول قتادة والسدى وقيل انه خرج مخرج التهديد فهو كقوله ذرنى ومن خلقت
وحيدا وهذا قول مجاهد فعلى هذا تكون الاية محكمة وقيل المراد بالاعراض عنهم ترك معاشرتهم ومخالطتهم لا ترك
الانذار والتخويف ويدل عليه قوله وذكر به يعنى وذكر بالقران وعظ به هولاء المشركين ان تبسل نفس بما كسبت
اى لئلا تبسل نفس واصل البسل فى اللغة التحريم وضم الشى ومنعه وهذا عليك بسل اى حرام ممنوع فمعنى تبسل نفس
بما كسبت ترتهن وتحبس فى جهنم وتحرم من الثواب بسبب ما كسبت من الاثام وقيل تفتضح والمعنى
وذكرهم بالقران ومواعظه وعرفهم الشرائع لئلا تهلك نفس وترتهن فى جهنم بسبب الجنايات التى اكتسبت فى
الدنيا وتحرم الثواب فى الاخرة ليس لها يعنى لتلك النفس التى هلكت من دون الله ولى اى قريب يلى امرها ولا شفيع
يعنى يشفع لها فى الاخرة وان تعدل كل عدل يعنى وان تفتدى بكل فدا والعدل الفدا لا يوخذ منها يعنى كل العدل

وتلك

وتلك الفدية اولئك الذين اشارة الى الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا ابسلوا بما كسبوا يعنى اسلموا الى
الهلاك بسبب ما اكتسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون ذلك لهم بسبب كفرهم قوله تعالى قل
اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا يعنى قل يا محمد لهولاء المشركين الذين دعوك الى دين ابائك اندعوا
يعنى انعبد من دون الله يعنى الاصنام التى لا تنفع من عبدها ولا تضر من ترك عبادتها ونرد على اعقابنا يعنى
ونرد الى الشرك بعد اذ هدانا الله يعنى الى دين الاسلام والتوحيد كالذى استهوته الشياطين فى الارض يعنى كالذى
ذهبت به الشياطين فالقته فى هوية من الارض واصله من الهوى وهو النزول من علو الى سفل حيران يقال
حار فلان فى الامر اذا تردد فيه فلم يهتد الى الصواب ولا المخرج منه له اصحاب يدعونه الى الهدى يعنى لهذا المتحير الذى استهوته
الشياطين اصحاب على الصراط المستقيم ائتنا يعنى يقولون له ائتنا وهذا مثل ضربه الله لمن يدعو الى عبادة
الاصنام التى لا تضر ولا تنفع ولمن يدعو الى عبادة الله عز وجل الذى يضر وينفع يقول مثلهما كمثل رجل فى رفقة
ضل به الغول والشيطان عن الطريق المستقيم وجعل الغيلان يدعونه اليهم فبقى حيران لا يدرى اين يذهب فان اجاب
الغيلان ضل وهلك وان اجاب اصحابه اهتدى وسلم قل ان هدى الله هو الهدى يعنى ان طريق الله الذى وضحها
لعباده ودينه الذى شرعه لهم هو الهدى والنور والاستقامة لا عبادة الاصنام ففيه زجر عن عبادتها كانه يقول
لا تفعل ذلك فان هدى الله هو الهدى لا هدى غيره وامرنا لنسلم اى وامرنا ان نسلم ونخلص العبادة لرب العالمين
لانه هو الذى يستحق العبادة لا غيره وان اقيموا الصلاة واتقوه يعنى وامرنا باقامة الصلاة والتقوى لان فيهما ما يقرب
اليه وهو الذى اليه تحشرون يعنى فى يوم القيامة فيجزيكم باعمالكم قوله عز وجل وهو الذى خلق السموات والارض
بالحق يعنى اظهار الحق فعلى هذا تكون البا بمعنى اللام ولانه جعل صنعه دليلا على وحدانيته وقيل خلقها
بكمال قدرته وشمول علمه واتقان صنعه وكل ذلك حق وقيل خلقها بكلامه الحق وهو قوله كن وفيه
دليل على ان كلام الله تعالى ليس بمخلوق ولانه لا يخلق مخلوق بمخلوق ويوم يقول كن فيكون وقيل انه
راجع الى خلق السموات والمعنى اذكر يوم قال للسموات والارض كن فيكون وقيل يرجع الى القيامة ويدل عليه
سرعة البعث والحساب كانه قال ويوم يقول للخلق موتوا فيموتون وقوموا للحساب فيقومون احيا قوله
الحق يعنى ان قول الله تبارك وتعالى للشى اذا اراده كن فيكون حق وصدق وهو كائن لا محالة وله الملك
يوم ينفخ فى الصور انما اخبر عن ملكه يومئذ وان كان الملك له سبحانه وتعالى خالصا فى كل وقت فى الدنيا
والاخرة لانه لا منازع له يومئذ يدعى الملك وانه المنفرد بالملك يومئذ وان من كان يدعى الملك بالباطل
من الجبابرة والفراعنة وسائر الملوك الذين كانوا فى الدنيا قد زال ملكهم واعترفوا بان الملك لله الواحد
القهار وانه لا منازع له فيه وعلموا ان الذى كانوا يدعونه من الملك فى الدنيا باطل وغرور واختلف العلما
فى الصور المذكور فى الاية فقال قوم هو قرن ينفخ فيه وهو لغة اهل اليمن قال مجاهد الصور قرن كهيئة
البوق ويدل على صحة هذا القول ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جا اعرابى الى النبى صلى الله
عليه وسلم فقال ما الصور قال قرن ينفخ فيه اخرجه ابو داود والترمذى عن ابى سعيد الخدرى قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته واصغى سمعه
ينتظر ان يومر فينفخ فكان ذلك ثقل على اصحابه فقالوا كيف نفعل يا رسول الله وكيف نقول قال قولوا
حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وربما قال توكلنا على الله اخرجه الترمذى وقال ابو عبيدة الصور
جمع صورة والنفخ فيها احياوها بنفخ الروح فيها وهذا قول الحسن ومقاتل والقول الاول اصح لما تقدم
من الحديث ولقوله تعالى فى اية اخرى ثم نفخ فيه اخرى ولاجماع اهل السنة ان المراد بالصور هو القرن الذى

Copyright © King Saud University

السباع وكانت امه تختلف اليه فترضعه وقال محمد بن اسحاق لما وجدت ام ابراهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة
كانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم واصلحت من شانه ما يصلح بالمولود ثم سدت عليه باب المغارة ثم رجعت الى
بيتها وكانت تختلف اليه لتنظر ما فعل فتجده حيا وهو يمص ابهامه قال ابو روق قالت ام ابراهيم لانظرن الى
اصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع سمنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع تمرا وقال محمد بن
اسحاق كان ازر قد سال ام ابراهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها وسكت عنها وكان ابراهيم
يشب في اليوم كالشهر وفي الشهر كالسنة فلم يمكث في المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى قال لامه اخرجيني فاخرجته عشاء
فنظر وتفكر في خلق السموات والارض وقال ان الذي خلقني ورزقني واطعمني وسقاني لربي الذي ما لي اله غيره
ونظر في السماء فراى كوكبا قال هذا ربي ثم اتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب ثم طلعت الشمس فلما افل قال لا احب الافلين
فلما راى القمر بازغا قال هذا ربي واتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب ثم طلعت الشمس قال هكذا الخ ثم رجع الى ابيه ازر
وقد استقامت وجهته وعرف ربه وبرئ من دين قومه الا انه لم ينادهم بذلك فلما رجعت اليه امه اخبرته انه ابنه
واخبرته بما صنعت به فسر بذلك وفرح فرحا شديدا وقيل انه مكث في السرب سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة قالوا
فلما شب ابراهيم وهو في السرب قال لامه من ربي قالت انا قال فمن ربك قالت ابوك قال فمن رب ابي قالت اسكت
ثم رجعت الى زوجها فقالت ارايت الغلام الذي كنا نحدث انه يغير دين اهل الارض ثم اخبرته بما قال فاتاه ابوه
ازر فقال له ابراهيم يا ابتاه من ربي قال امك قال فمن رب امي قال انا قال فمن ربك قال نمرود قال فمن رب نمرود
فلطمه لطمة وقال اسكت فلما جن عليه الليل دنا من باب السرب فنظر من خلال الصخرة فابصر كوكبا قال هذا ربي
ويقال انه قال لابويه اخرجاني فاخرجاه من السرب حين غابت الشمس فنظر ابراهيم الى الابل والخيل والغنم فسال
اباه ما هذه قال ابل وخيل وغنم فقال ابراهيم ما لهذه بد من ان يكون لها رب هو ربها وخالقها ثم نظر فاذا المشتري قد
طلع ويقال الزهرة وكانت تلك الليلة من اخر الشهر فتاخر طلوع القمر فراى الكوكب قبل القمر فذلك قوله عز وجل فلما
جن عليه الليل يعني سود بظلامه راى كوكبا قال هذا ربي ثم اختلف العلماء في وقت هذه الرؤية وفي وقت هذا القول
هل كان قبل البلوغ او بعده على قولين احدهما انه كان قبل البلوغ في حال طفوليته وذلك قبل قيام الحجة عليه فلم يكن
لهذا القول الذي صدر من ابراهيم في هذا الوقت اعتبار ولا يترتب عليه حكم لان الاحكام انما تثبت بعد البلوغ وقيل
ان ابراهيم لما خرج من السرب في حال صغره ونظر الى السما وما فيها من العجائب ونظر الى الارض وما فيها من العجائب
وكان قد خصه الله بالعقل الكامل والفطرة السليمة تفكر في نفسه وقال لا بد لهذا الخلق من خالق مدبر وهو اله الخلق
ثم نظر في حال تفكره فراى الكوكب وقد ازهر فقال هذا ربي على ما سبق الى وهمه وذلك في حال طفوليته وقبل النظر في
معرفة استحكام الرب سبحانه وتعالى واستدل اصحاب هذا القول على صحته لقوله لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين
قالوا وهذا يدل على نوع تحير وذلك لا يكون الا في حال الصغر وقبل البلوغ وقيام الحجة وهذا القول ليس بسديد ولا مرضي
لان الانبيا معصومون في كل حال من الاحوال وانه لا يجوز ان يكون لله عز وجل رسول ياتي عليه وقت من
الاوقات الا وهو بالله عارف وله موحد وله من كل منقصة منزه ومن كل معبود سواه بري وكيف يتوهم هذا على
ابراهيم وقد عصمه وطهره واتاه رشده من قبل واراه ملكوت السموات ولما راى الكوكب قال معتقدا هذا ربي حاشا
ابراهيم صلى الله عليه وسلم من ذلك لان منصبه اعلى واشرف من ذلك صلى الله عليه وسلم والقول الثاني الذي عليه جمهور
المحققين ان هذه الرؤية وهذا القول كان بعد بلوغ ابراهيم او حين شرفه الله بالنبوة واكرمه بالرسالة ثم اختلف
اصحاب هذا القول في تاويل الاية ومعناها فذكروا فيها وجوها الوجه الاول ان ابراهيم عليه السلام اراد ان يستدرج
قومه بهذا القول ويعرفهم جهلهم وخطاهم في تعظيم النجوم وعبادتها لانهم كانوا يرون ان كل الامور اليها فاراهم ابراهيم

انه

انه معظم ما عظموه فلما افل الكوكب والقمر والشمس اراهم النقص الداخل على النجوم بسبب الغيبوبة والافول ليثبت
خطا ما كانوا يعتقدون فيها من الالوهية ومثل هذا كمثل الحواري الذي ورد على قوم كانوا يعبدون الصنم فاظهر
تعظيمه فاكرموه لذلك حتى صاروا يصدرون عن رايه في كثير من امورهم الى ان دهمهم عدو ولا قبل لهم به فشاوروه
في امر هذا العدو فقال الراي عندي ان تدعوا هذا الصنم حتى يكشف عنا ما نزل بنا فاجتمعوا حول الصنم يتضرعون
اليه فلم يغن شيا فلما تبين لهم انه لا ينفع ولا يضر ولا يدفع دعاهم الحواري وامرهم ان يدعوا الله عز وجل ويسالوه
ان يكشف عنهم ما نزل بهم فدعوا الله مخلصين فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فاسلموا جميعا الوجه الثاني ان
ابراهيم عليه السلام قال هذا القول على سبيل الاستفهام وهو استفهام انكار وتوبيخ لقومه تقديره اهذا
ربي الذي تزعمون واسقاط حرف الاستفهام كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى افان مت فهم الخالدون يعني
افهم الخالدون والمعنى ايكون هذا ربا ودلائل النقص فيه ظاهرة الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام قال ذلك
على وجه الاحتجاج على قومه يقول هذا ربي بزعمكم فلما غاب قال لو كان الها كما تزعمون لما غاب فهو كقوله
ذق انك انت العزيز الكريم يعني عند نفسك وبزعمك وكما اخبر عن موسى عليه السلام يقول وانظر الى الهك الذي ظلت عليه
عاكفا يريد الهك بزعمك الوجه الرابع ان في هذه الاية اضمارا يقولون هذا ربي واضمار القول كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى واذ
يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا الوجه الخامس ان الله تعالى قال في حقه وكذلك نري ابراهيم
ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم قال بعده فلما جن عليه الليل والفا تقتضي التعقيب فدل هذا ان هذه
الواقعة بعد ان اراه الله ملكوت السموات والارض بعد الايقان ومن كان في هذه المنزلة العالية الشريفة لا يليق
بحاله ان يعبد الكوكب ويتخذه ربا فاما الجواب عن قوله لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فان الانبيا
عليهم السلام لم يزالوا يسالون الله التثبيت ومنه قوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام واما قوله تعالى فلما افل يعني غاب
والافول غيبوبة النيرات قال يعني ابراهيم لا احب الافلين يعني لا احب ربا يغيب ويطلع لان امارات الحدوث فيه
ظاهرة قوله تعالى فلما راى القمر بازغا يعني طالعا منتشر الضوء قال هذا ربي معناه ما تقدم في الكوكب فلما
افل يعني غاب قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين يعني ان لم يثبتني على الهدى وليس المراد انه لم يكن مهتديا
لان الانبيا لم يزالوا على الهداية من اول الفطرة وفي الاية دليل على ان الهداية من الله تعالى لان ابراهيم اضاف
الهداية الى الله تعالى فلما راى الشمس بازغة يعني طالعة قال هذا ربي يعني هذا الطالع او انه اشار الى الضيا والنور لانه راى
الشمس اضوا من الكوكب والقمر وقيل انما قال هذا ولم يقل هذه لان تانيث الشمس غير حقيقي فلهذا اتى بلفظ التذكير
هذا اكبر يعني من الكوكب والقمر فلما افلت يعني فلما غابت الشمس قال يا قوم اني بري مما تشركون يعني انه لما اثبت ابراهيم
عليه السلام بالدليل القطعي ان هذه النجوم ليست بالهة ولا تصلح للربوبية تبرا منها واظهر لقومه انه بري مما
يشركون ولما اظهر خلاف قومه وتبرا من شركهم اظهر ما هو عليه من الدين الحق فقال اني وجهت وجهي يعني اني
صرفت وجه عبادتي وقصدت بتوحيدي للذي فطر السموات والارض يعني للذي خلقهما وابتدعهما حنيفا
يعني مائلا عن عبادة كل شي سوى الله تعالى واصل الحنف الميل وهو ميل عن طريق الضلال الى طريق الاستقامة
وقيل الحنيف هو الذي يستقبل الكعبة في صلاته وما انا من المشركين تبرا من الشرك الذي كان عليه قومه قوله عز وجل
وحاجه قومه يعني وخاصمه قومه وذلك لما اظهر ابراهيم عليه السلام عيب الهتهم التي كانوا يعبدونها واظهر
التوحيد لله عز وجل خاصمه قومه وجادلوه في ذلك فقال اتحاجوني في الله يعني اتجادلونني في توحيدي لله وقد
هدان يعني وقد تبين لي طريق الهداية الى توحيده ومعرفته وقال البغوي لما رجع ابراهيم الى ابيه وصار من الشباب
بحالة سقط عنه طمع الذابحين وضمه ازر الى نفسه جعل يصنع الاصنام ويعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب بها ابراهيم

Copyright © King Saud University

ويبادي من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها احد فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فصوب فيه روسها وقال
اشربي استهزاء بقومه وبما هم فيه من الضلالة حتى فشى استهزاوه بها في قومه واهل قريته حاجه قومه يعني خاصمه
وجادله قومه في دينه قال يعني ابراهيم اتحاجوني في الله وقد هدان يعني الى توحيده ومعرفته ولا اخاف ما تشركون به
وذلك انهم قالوا احذر الاصنام فانا نخاف ان تمسك بخبل وجنون لعيبك اياها فاجابهم بقوله ولا اخاف ما تشركون
به فانها جمادات لا تضر ولا تنفع وانما يكون الخوف ممن يقدر على النفع والضر وهو قوله الا ان يشاء ربي شيئا يعني
ان شاء ربي شيئا كان ما يشاء لانه قادر على النفع والضر وانما قال ابراهيم ذلك لاحتمال ان الانسان قد يصيبه
في بعض حالاته وايام عمره ما يكرهه فلو اصابه مكروه لنسبوه الى الاصنام فنفى هذه الشبهة بقوله الا ان يشاء ربي
شيئا وهذا استثناء منقطع وليس هو من الاول في شيء والمعنى ولكن ان شاء ربي شيئا كان وسع ربي كل شيء علما يعني احاط
علمه بكل شيء فلا يخرج شيء عن علمه افلا تتذكرون يعني افلا تعتبرون بان هذه الاصنام جماد لا تضر ولا تنفع وان
النافع الضار هو الذي خلق السموات والارض ومن فيهما وكيف اخاف ما اشركتم يعني وكيف اخاف الاصنام التي
اشركتم بها لانها جماد لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع ولا تخافون انكم اشركتم بالله يعني وانتم لا تخافون وانتم
اشركتم بالله وهو من اعظم الذنوب ما لم ينزل به عليكم سلطانا يعني ما ليس لكم فيه حجة وبرهان فاي الفريقين احق
بالامن ان كنتم تعلمون يعني يقول من اولى بالامن من العذاب في يوم القيامة الموحد ام المشرك الذين امنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم وهذا فصل قضاء الله بين ابراهيم وبين قومه يعني ان الذي يستحق الامن يوم القيامة هم الذين
امنوا يعني امنوا بالله وحده ولم يشركوا به شيئا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعني ولم يخلطوا ايمانهم بشرك ق عن ابن
مسعود قال لما نزلت الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين وقالوا اينا لا يظلم نفسه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك انما هو الشرك الم تسمعوا قول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك
لظلم عظيم وفي رواية ليس هو كما تظنون انما هو كما قال لقمان لابنه وذكره قيل في معنى قوله ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم يعني ولم يخلطوا ايمانهم بشيء من معاني الظلم وذلك بان يفعل بعض ما نهى الله عنه او يترك ما امر الله به فعلى
هذا القول تكون الاية على العموم لان الله لم يخص به معنى من معاني الظلم دون غيره والصحيح ان الظلم
المذكور في هذه الاية هو الشرك لما تقدم من حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الظلم هنا بالشرك
وفي الاية دليل على ان من عبد الله لا يشرك به شيئا كانت عاقبته الامن من النار لقوله اولئك يعني الذين امنوا
ولم يلبسوا ايمانهم بظلم لهم الامن يوم القيامة من عذاب النار وهم مهتدون يعني الى سبيل الرشاد قوله تعالى
وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه يعني ما جرى بين ابراهيم وبين قومه واستدل على حدوث الكوكب
والقمر والشمس بالافول وقيل لما قالوا لابراهيم انا نخاف عليك من الهتنا لمسبك اياها قال لهم افلا تخافون انتم
منها اذ سويتم بين الصغير والكبير في العبادة ان يغضب الكبير عليكم وقيل انه خاصم قومه المشركين فقال اي الفريقين احق بالامن
من يعبد الها واحدا مخلصا لله الدين والعبادة ام يعبد اربابا كثيرة فقالوا من يعبد الها واحدا فقضوا على انفسهم وكانت
هذه حجة ابراهيم عليهم نرفع درجات من نشاء يعني بالعلم والفهم والعقل والفضيلة كما رفعنا درجات ابراهيم حتى اهتدى
الى محاجة قومه وقيل نرفع درجات من نشاء في الدنيا بالنبوة والعلم والحكمة وفي الاخرة بالثواب على الاعمال الصالحات
ان ربك حكيم عليم يعني انه تعالى حكيم في جميع افعاله عليم بجميع احوال خلقه لا يفعل شيئا الا بحكمة وعلم قوله عز وجل ووهبنا
له اسحاق ويعقوب لما اظهر ابراهيم عليه السلام دينه وغلب خصمه بالحجج القاطعة والبراهين القوية والدلايل
الصحيحة التي فهمه الله تعالى اياها واهداه اليها عدد نعمه عليه واحسانه اليه فان رفع درجته في عليين وابقى
النبوة في ذريته الى يوم الدين فقال تعالى ووهبنا له يعني لابراهيم اسحاق يعني ابنا لصلبه ويعقوب يعني ابن

اسحاق وهو ولد الولد كلا هدينا يعني هدينا جميعهم الى سبيل الرشاد يعني ووفقناهم الى طريق الحق والصواب ونوحا هدينا
من قبل يعني من قبل ابراهيم ارشدنا نوحا ووفقناه للحق والصواب ومننا عليه بالهداية ومن ذريته اختلفوا في هذا الضمير
الى من يرجع فقيل يرجع الى ابراهيم يعني ومن ذرية ابراهيم داود وسليمان وقيل يرجع الى نوح وهو اختيار جمهور
المفسرين لان الضمير يرجع الى اقرب مذكور ولان الله ذكر في جملة هذه الذرية لوطا وهو ابن اخي ابراهيم ولم يكن
من ذريته فثبت بهذا ان هذه الكناية ترجع الى نوح وقال الزجاج كلا القولين جائز لان ذكرهما جميعا قد جرى وداود
هو ابن ايشا وكان ممن اتاه الملك والنبوة وكذلك سليمان بن داود وايوب هو ايوب بن اموص بن رازح بن عيصا
ابن اسحاق بن ابراهيم ويوسف هو ابن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم وموسى هو ابن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي
ابن يعقوب وهرون هو اخو موسى وكان اكبر منه بسنة وكذلك نجزي المحسنين يعني وكما جزينا ابراهيم على توحيده
وصبره على اذى قومه كذلك نجزي المحسنين على احسانهم وزكريا هو ابن اذن بن بركنا ويحيى هو ابن زكريا
وعيسى هو ابن مريم بنت عمران والياس قال ابن مسعود هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب واسرائيل وقال
محمد بن اسحاق هو الياس بن نسي بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران وهذا هو الصحيح لان اصحاب الانساب
يقولون ان ادريس جد نوح لان نوحا بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس ولان الله تعالى نسب الياس
في هذه الاية الى نوح وجعله من ذريته كل من الصالحين يعني ان كل من ذكرنا وسمينا من الصالحين واسمعيل هو ابن
ابراهيم وانما اخر ذكره الى هنا لانه ذكر اسحق وذكر اولاده من بعده على نسق واحد فلهذا السبب اخر ذكر اسماعيل
الى هنا واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز ويونس هو ابن متى ولوطا هو ابن اخي ابراهيم وكلا فضلنا على العالمين
يعني على عالمي زمانهم ويستدل بهذه الاية من يقول ان الانبياء افضل من الملائكة لان العالم اسم لكل موجود
سوى الله تعالى فيدخل فيه الملك فيقتضي ان الانبياء افضل من الملائكة واعلم ان الله ذكر هنا ثمانية عشر
نبيا من الانبياء عليهم السلام من غير ترتيب لا بحسب الزمان ولا بحسب الفضل لان الواو لا تقتضي الترتيب
ولكن هنا لطيفة اوجبت هذا الترتيب وهي ان الله تعالى خص كل طايفة من طوايف الانبياء عليهم السلام بنوع
من الكرامة والفضل فذكر اولا نوحا وابراهيم واسحق ويعقوب لانهم اصول الانبياء واليهم يرجع انسابهم
جميعا ثم من المراتب المعتبرة بعد النبوة الملك والقدرة والسلطان وقد اعطى الله تعالى داود وسليمان
من ذلك حظا وافرا ومن المراتب الصبر عند نزول البلاء والمحن والشدايد وقد خص الله بهذه ايوب عليه
السلام ثم عطف على هاتين المرتبتين من جمع بينهما وهو يوسف عليه السلام فانه صبر على البلاء والشدة
الى ان اعطاه الله ملك مصر مع النبوة ثم من المراتب المعتبرة في تفضيل الانبياء عليهم السلام كثرة المعجزات
وقوة البراهين وقد خص الله تعالى موسى وهارون من ذلك بالحظ الوافر ثم من المراتب المعتبرة الزهد في الدنيا
والاعراض عنها وقد خص الله بذلك زكريا ويحيى وعيسى والياس عليهم السلام ولهذا السبب وصفهم بانهم من الصالحين
ثم ذكر الله من بعد هولاء الانبياء من لم يبق له اتباع ولا شريعة وهم اسماعيل واليسع ولوط فاذا اعتبرنا هذه اللطيفة
على هذا الوجه كان هذا الترتيب من احسن شيء يذكر والله اعلم بمراده واسرار كتابه قوله تعالى ومن اباءهم
يعني ومن اباء الذين سميناهم ومن هنا للتبعيض لان من اباءهم من لم يكن مسلما وذرياتهم يعني ومن
ذرياتهم اي بعضهم لان عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد وكان في ذرية بعضهم من هو كافر كابن نوح واخوانهم يعني
ومن اخوانهم والمعنى ان الله تعالى وفق الى المذكورين ومن اخوانهم وذرياتهم للهداية وخالص الدين وهو
قوله تعالى واجتبيناهم يعني اخترناهم واصطفيناهم وهديناهم يعني وارشدناهم الى صراط مستقيم اي الى دين
الحق ذلك هدى الله قال ابن عباس ذلك دين الله الذي كان عليه هولاء الانبياء وقيل المراد بهدى الله معرفة

Copyright © King Saud University

الله وتنزيهه عن الشركاء والاضداد والانداد يهدي به من يشاء من عباده يعني يوفق من يشاء من عباده ويرشده الى دينه
وطاعته وخلع الاضداد والشركاء ولو اشركوا يعني هولاء الذين سميناهم لحبط يعني لبطل وذهب عنهم ما كانوا يعملون
من الطاعات قبل ذلك لان الله تعالى لا يقبل مع الشرك من الاعمال شيا قوله عز وجل اولئك الذين اتيناهم الكتاب
والحكم والنبوة يعني اولئك الذين سميناهم من الانبيا اعطيناهم الكتب التي نزلت عليهم واتيناهم العلم والفهم
وشرفناهم بالنبوة وانما قدم ذكر الكتاب والحكمة على النبوة وان كانت النبوة هي الاصل لان منصب النبوة اشرف
المراتب والمناصب فذكروا الكتاب والحكم لانهما يدلان على النبوة فان يكفر بها هولاء يعني فان يجحد بدلايل
التوحيد والنبوة كفار قريش فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين قال ابن عباس هم الانصار واهل المدينة
وقيل هم المهاجرون والانصار وقال الحسن وقتادة هم الانبيا الثمانية عشر الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج
قال والدليل عليه قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال ابو رجا العطاردي هم الملائكة وفيه بعد لان
اسم القوم لا ينطلق الا على بني ادم وقيل هم الفرس وقال ابن زيد كل من لم يكفر فهو منهم سوا كان ملكا او نبيا او من الصحابة
او التابعين وفي الاية دليل على ان الله تعالى ينصر نبيه صلى الله عليه وسلم ويقوي دينه ويجعله غالبا على الاديان
كلها وقد حصل ذلك فهو اخبار عن الغيب قوله تعالى اولئك الذين هدى الله يعني النبيين الذين تقدم ذكرهم لانهم هم
المخصوصون بالهداية فبهداهم اقتده اشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم يعني فبشرايعهم وسننهم اعمل واصل الاقتدا
في اللغة طلب موافقة الثاني للاول في فعله وقيل امره ان يقتدي بهم في امر الدين الذي امرهم ان يجمعوا عليه وهو توحيد الله
تعالى وتنزيهه عن جميع النقايص التي لا تليق بجلاله في الاسما والصفات والافعال المرضية والصفات الرفيعة
الكاملة مثل الصبر على اذى السفها والعفو عنهم وقيل امره ان يقتدي بشرايعهم الا ما خصه دليل اخر فعلى هذا القول
يكون في الاية دليل على ان شرع من قبلنا شرع لنا **فصل** احتج العلما بهذه الاية على ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم افضل من جميع الانبيا عليهم السلام وبيانه ان جميع خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم
فكان نوح صاحب احتمال على اذى قومه وكان ابراهيم صاحب كرم وبذل ومجاهدة في الله عز وجل وكان اسحاق ويعقوب
من اصحاب الصبر على البلا والمحن وكان داود وسليمان من اصحاب الشكر على النعمة قال الله فيهم اعملوا ال داود شكرا
وكان ايوب صاحب صبر على البلا قال الله فيه انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وكان يوسف قد جمع بين
الحالتين يعني الصبر والشكر وكان موسى صاحب الشريعة الظاهرة والمعجزة الباهرة وكان زكريا ويحيى وعيسى والياس
من اصحاب الزهد في الدنيا وكان اسماعيل صاحب صدق وكان يونس صاحب تضرع واخبات ثم ان الله تعالى امر
نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقتدي بهم وجمع له جميع الخصال المحمودة المتفرقة فيهم فثبت بهذا البيان انه صلى الله
عليه وسلم كان افضل الانبيا لما اجتمع فيه من هذه الخصال التي كانت متفرقة في جميعهم والله اعلم وقوله تعالى قل
لا اسالكم عليه اجرا يعني قل يا محمد لا اطلب على تبليغ الرسالة جعلا وقيل لما امره الله تعالى بالاقتدا بالنبيين وكان من
جملة هداهم عدم طلب الاجر على ايصال الدين وابلاغ الشريعة لا جرم اقتدى بهم فقال لا اسالكم عليه اجرا ان هو
يعني ما هو يعني القران الا ذكرى للعالمين يعني القران موعظة وذكرى لجميع العالم من الجن والانس وفيه دليل على انه صلى
الله عليه وسلم كان مبعوثا الى جميع الخلق من الجن والانس وان دعوته عمت الخلايق قوله عز وجل وما قدروا
الله حق قدره قال ابن عباس ما عظموا الله حق عظمته وعنه ان معناه ما امنوا ان الله على كل شي قدير وقال ابو العالية ما وصفوا
الله حق صفته وقال الاخفش ما عرفوا الله حق معرفته يقال قدر الشي اذا حزره وسبره واراد ان يعلم مقداره يقال قدره
يقدره بالضم قدرا ثم يقال لمن عرف شيا هو يقدر قدره واذا لم يعرفه بصفاته يقال فيه انه لا يقدر قدره فقوله
وما قدروا الله حق قدره يصح في جميع الوجوه المذكورة في معناه اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي يعني الذين قالوا

ما انزل

ما انزل الله على بشر من شي ما قدروا الله حق قدره ولا عرفوه حق معرفته اذ لو عرفوه حق معرفته لما قالوا هذه المقالة
ثم اختلف العلما فيمن نزلت الاية على قولين احدهما انها نزلت في كفار قريش وهذا على قول من يقول ان جميع هذه السورة
مكية وهو قول السدي ويروى ذلك عن مجاهد ومحمد الطبري قال لان من اول السورة الى هذا الموضع هو خبر عن المشركين من
عبدة الاصنام وكان قوله وما قدروا الله حق قدره موصولا بذلك غير مفصول عنه فلا يكون قوله اذ قالوا ما انزل الله على بشر
من شي خبرا عن غيرهم واورد فخر الدين الرازي على هذا القول اشكالا وهو ان كفار قريش ينكرون نبوة جميع الانبيا فكيف يمكن
الزامهم بنبوة موسى وايضا فما بعد هذه الاية لا يليق بكفار قريش وانما يليق بحال اليهود واجاب عنه بان كفار قريش
كانوا مختلطين باليهود وقد سمعوا منهم ان موسى جاهم بالتوراة وبالمعجزات الباهرات وانما انكر كفار قريش نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم فيمكن الزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى واجاب عن كون سياق الاية
لا يليق الا بحال اليهود بان كفار قريش واليهود كانوا مشتركين في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يبعد ان بعض
الاية يكون خطابا لكفار قريش وبعضها خطابا لليهود القول الثاني في سبب نزول هذه الاية وهو قول جمهور
المفسرين انها نزلت في اليهود وهذا على قول من يقول ان هذه الاية نزلت بالمدينة وانها من الايات المدنيات التي في
السور المكية قال ابن عباس نزلت سورة الانعام بمكة الا ست ايات منها قوله وما قدروا الله حق قدره فانها نزلت
بالمدينة ثم اختلف القايلون بهذا القول فيمن نزلت هذه الاية فيه فقال سعيد بن جبير جا رجل من اليهود
يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انشدك بالله الذي انزل التوراة
على موسى اما تجد في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين وكان حبرا سمينا فغضب وقال ما انزل الله على بشر من شي فقال
اصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى فقال والله ما انزل الله على بشر من شي فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا
ما انزل الله على بشر من شي قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس الاية قال البغوي وفي التفسير ان
مالك بن الصيف لما سمعت اليهود منه تلك المقالة عتبوا عليه وقالوا اليس ان الله انزل التوراة على موسى فلم قلت
ما انزل الله على بشر من شي فقال مالك بن الصيف اغضبني محمد فقلت ذلك فقالوا له وانت اذا غضبت تقول على الله غير
الحق فنزعوه من الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقال السدي نزلت هذه الاية في فنحاص بن عازورا اليهودي
وهو القايل هذه المقالة وقال ابن عباس قالت اليهود يا محمد انزل الله عليك كتابا قال نعم فقالوا والله ما انزل الله
من السما كتابا فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي قل من انزل الكتاب الذي جاء به
موسى الاية وقال محمد بن كعب القرظي جا ناس من يهود الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محتب فقالوا يا ابا القاسم
الا تاتينا بكتاب من السما كما جاء به موسى الواحا يحملها من عند الله فانزل الله يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السما الاية
التي في سورة النسا فلما حدثهم باعمالهم الخبيثة جثى رجل منهم وقال ما انزل الله عليك ولا على موسى ولا عيسى ولا
على احد شيا فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي واورد الرازي على هذا القول اشكالا
ايضا وهو انه قال ان اليهود مقرين بانزال التوراة على موسى فكيف يقولون ما انزل الله على بشر من شي مع اعترافهم
بانزال التوراة ولم يجب عن هذا الاشكال بشي واجيب عنه بان مراد اليهود انكار انزال القران على محمد صلى الله
عليه وسلم فقط فلهذا الزموا بما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى فقال تعالى قل من انزل الكتاب الذي
جاء به موسى اي قل يا محمد لهولاء الذين انكروا انزال القران عليك بقولهم ما انزل الله على بشر من شي من انزل التوراة على موسى
وفي هذا الالزام توبيخ لليهود بسوء جهلهم واقدامهم على انكار الحق الذي لا ينكر نورا وهدى للناس يعني التوراة ضيا
من ظلمة الضلالة وبيانا يفرق بين الحق والباطل عند دينهم وذلك قبل ان تبدل وتغير تجعلونه قراطيس يكتبونه في قراطيس
متقطعة تبدونها يعني القراطيس المكتوبة وتخفون كثيرا يعني ويخفون كثيرا مما كتبوه في القراطيس وهو ما عندهم

Copyright © King Saud University

من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته في التوراة وما اخفوه ايضا اية الرجم وكانت مكتوبة عندهم في التوراة وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباوكم اكثر المفسرين على ان هذا خطاب لليهود ومعناه انكم علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا انتم ولا اباوكم من قبل قال الحسن جعل لهم علم ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فضيعوه ولم ينتفعوا به وقال مجاهد هذا خطاب للمسلمين يذكرهم النعمة فيما علمهم على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل الله هذا راجع الى قوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى فان اجابوك يا محمد والا فقل انت الله انزله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون يعني ذرهم يا محمد فيما هم فيه يخوضون من باطلهم وكفرهم بالله ومعنى يلعبون يستهزءون ويسخرون وقيل معناه يا محمد انك اذا اقمت الحجة عليهم وبلغت في الاعذار والانذار هذا المبلغ العظيم فحينئذ لم يبق عليك من امرهم شي فذرهم فيما هم فيه من الخوض واللعب وفيه وعيد وتهديد للمشركين وقال بعضهم هذا منسوخ باية السيف وفيه بعد لانه مذكور لاجل التهديد والوعيد قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك يعني وهذا القرآن كتاب انزلناه من عندنا عليك يا محمد كثير الخير والبركة دايم النفع يبشر المومنين بالثواب والمغفرة ويزجر عن القبيح والمعصية واصل البركة النما والزيادة وثبوت الخير مصدق الذي بين يديه يعني من الكتب الالهية المنزلة من السما على الانبيا يعني انه موافق لما في التوراة والانجيل وساير الكتب لانها اشتملت جميعا على التوحيد والتنزيه من كل عيب ونقيصة وتدل على البشارة والنذارة فثبت بذلك كون القران مصدقا لجميع الكتب المنزلة ولتنذر بالتاء يعني ولتنذر يا محمد وبالياء ومعناه ولينذر الكتاب ام القرى يعني مكة وفيه حذف تقديره ولتنذر اهل ام القرى وسميت مكة ام القرى لان الارض دحيت من تحتها قاله ابن عباس وقيل لانها اقدم القرى واعظمها بركة وقيل لانها قبلة اهل الارض ومن حولها يعني جميع البلاد والقرى التي حولها شرقا وغربا والذين يومنون بالاخرة يومنون به يعني والذين يصدقون بقيام الساعة وبالمعاد والبعث بعد الموت يصدقون بهذا الكتاب وانه منزل من عند الله عز وجل وقيل يصدقون ببعث الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك ان الذي يومن بالاخرة يومن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب ومن كان كذلك فانه يرغب في تحصيل الثواب ورد العقاب عنه وذلك لا يحصل الا بالنظر التام فاذا نظر وتفكر علم بالضرورة ان دين محمد اشرف الاديان وشريعته اعظم الشرايع وهم على صلواتهم يحافظون يعني يداومون عليها في اوقاتها والمعنى ان الايمان بالاخرة يحمل على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك يحمل على المحافظة على الصلوات وفايدة تخصيص الصلاة بالذكر دون ساير العبادات التنبيه على انها اشرف العبادات بعد الايمان بالله تعالى فاذا حافظ العبد عليها يكون محافظا على جميع العبادات والطاعات قوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا يعني ومن اخطا واجهل فعلا ممن اختلق على الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا وهو في زعمه كذاب مبطل او قال اوحي الي ولم يوح اليه شي قال قتادة نزلت هذه الاية في مسيلمة الكذاب وهو ابو ثمامة وقيل مسيلمة بن حبيب من بني حنيفة وكان صاحب نيرجات وكهانة وسجع ادعى النبوة باليمن وزعم ان الله اوحى اليه وكان قد ارسل الى النبي صلى الله عليه وسلم رسولين فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اتشهدان ان مسيلمة نبي قالا نعم فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان الرسل لا تقتل لضربت اعناقكما ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نايم اذ اوتيت خزاين الارض فوضعت في يدي سواران من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحي الي ان انفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما الكذابين الذين انا بينهما صاحب صنعا وصاحب اليمامة وفي لفظ الترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت في المنام كان في يدي سوارين فاولتهما كذابين يخرجان من بعدي يقال لاحدهما مسيلمة صاحب اليمامة والعنسي صاحب صنعا قوله فاوحي الي ان انفخهما يروى بالحا المهملة ومعناه الوحي والوضع من

نفخت

نفخت الدابة اذا دفعت ورمحت برجلها ويروى بالخا المعجمة من النفخ يريد انه نفخهما فطارا عنه وهو قريب من الاول فاما مسيلمة الكذاب فانه ادعى النبوة باليمامة من اليمن وتبعه قوم من بني حنيفة وكان صاحب نيرجات فاغتر قومه بذلك وقتل مسيلمة الكذاب في زمن خلافة ابي بكر الصديق قتله وحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب وكان وحشي يقول قتلت خير الناس يعني حمزة وقتلت شر الناس يعني مسيلمة واما الاسود العنسي واسمه عبهلة ابن كعب وكان يقال له ذو الحمار ادعى النبوة باليمن في اخر عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقتل والنبي صلى الله عليه وسلم حي لم يمت وذلك قبل موته بيومين واخبر اصحابه بقتله وقتله فيروز الديلمي فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاز فيروز يعني بقتله الاسود العنسي فمن قال ان هذه الاية اعني قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شي نزلت في مسيلمة الكذاب والاسود العنسي يقول ان هذه الاية مدنية وهو قول لبعض علما التفسير تقدم ذكره في اول السورة ومن قال ان هذه الاية مكية وقال انها نزلت في شانهما يقول انها اخبار عن غيب فقد ظهر ذلك فيما بعد والله اعلم وقوله تعالى ومن قال سانزل مثل ما انزل الله الاية قال السدي نزلت في عبد الله بن ابي سرح القرشي وكان قد اسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم وكان اذا املى عليه سميعا بصيرا كتب عليما حكيما واذا املى عليه عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين املاها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبها فهكذا نزلت فشك عبد الله بن ابي سرح وقال لين كان محمد صادقا لقد اوحي الي مثل ما اوحي اليه فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع عبد الله بعد ذلك الى الاسلام فاسلم قبل فتح مكة والنبي صلى الله عليه وسلم نازل بمر الظهران فقال ابن عباس نزلت قوله ومن قال سانزل مثل ما انزل الله نزلت في المستهزءين وهو جواب لقولهم ولو نشا لقلنا مثل هذا قال العلما وقد دخل في حكم هذه الاية كل من افترى على الله كذبا في ذلك الزمن وبعده لانه لا يمنع خصوص السبب عموم الحكم ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت يعني ولو ترى يا محمد هولا الظالمين اذا نزل بهم الموت لرايت امرا عظيما وغمراته شدايده وسكراته وغمرة كل شي معظمه واصلها الشي الذي يغمر الاشيا فيغطيها ثم وضعت في موضع الشدايد والمكاره والملايكة باسطوا ايديهم يعني بالعذاب يضربون وجوههم وادبارهم وقيل باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم اخرجوا انفسكم يعني يقولون لهم اخرجوا انفسكم **فان قلت** انه لا قدرة لاحد على اخراج روحه من بدنه فما فايدة هذا الكلام **قلت** معناه يقولون لهم اخرجوا انفسكم كرها لان المومن يحب لقا الله بخلاف الكافر وقيل معناه يقولون لهم خلصوا انفسكم من هذا العذاب ان قدرتم على ذلك فيكون هذا القول توبيخا لهم لانهم لا يقدرون على خلاص انفسهم من هذا العذاب في ذلك الوقت اليوم تجزون عذاب الهون يعني الهوان بما كنتم تقولون على الله غير الحق يعني ذلك العذاب الذي تجزونه بسبب ما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن اياته تستكبرون يعني وبسبب ما كنتم تتعظمون عن الايمان بالقران ولا تصدقونه قوله تعالى ولقد جيتمونا فرادى يعني وحدانا لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم هذا خبر من الله عز وجل عن حال الكافر يوم القيامة وكيف يحشرون اليه وماذا يقول لهم في ذلك اليوم وفي قوله للكافرين ولقد جيتمونا فرادى تقريع وتوبيخ لهم لانهم صرفوا همتهم في الدنيا الى تحصيل المال والولد والجاه وافنوا اعمارهم في عبادة الاصنام فلم يغن عنهم كل ذلك شيا في يوم القيامة فبقوا فرادى عن كل ما حصلوه في الدنيا كما خلقناكم اول مرة يعني جيتمونا

Copyright © King Saud University

حفاة عراة غرلا يعني قلفا كما ولدتهم امهاتهم في اول مرة في الدنيا لا شي عليهم ولا معهم ق عن ابن عباس قال قام فينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده
وعدا علينا انا كنا فاعلين ق عن عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تحشر الناس حفاة
عراة غرلا قالت عايشة فقلت الرجال والنسا جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر اشد من ان يهمهم ذلك روى
الطبري بسنده عن عايشة انها قرات قول الله عز وجل ولقد جيتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة فقالت يا رسول الله
واسوتاه ان الرجال والنسا يحشرون جميعا ينظر بعضهم الى سواة بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل
امرء منهم يوميذ شان يغنيه لا ينظر الرجال الى النسا ولا النسا الى الرجال شغل بعضهم عن بعض قوله عز وجل وتركتم
ما خولناكم وراء ظهوركم يعني وتركتم الذي اعطيناكم وملكناكم من الاموال والاولاد والخدم والخول كما اعطى الله العبد
وخوله فيه من المال المبيد وراء ظهوركم يعني في الدنيا وما نرى معكم شفعاكم الذين زعمتم انهم فيكم شركا يعني ان المشركين
زعموا انهم انما عبدوا وضعوا الاصنام لانها تشفع لهم عند الله يوم القيامة لانها شركا الله تعالى الله عن ذلك فاذا كان يوم القيمة
وبخ الله المشركين وقرعهم بهذه الاية ثم قال تعالى لقد تقطع بينكم قرى بنصب النون من بينكم ومعناه لقد تقطع ما
بينكم من الوصل ويكون معناه لقد تقطع الامر بينكم وقرى بينكم برفع النون لقد تقطع وصلكم والبين من الاضداد
يكون وصلا ويكون هجرا وضل عنكم ما كنتم تزعمون يعني وذهب وبطل ما كنتم تكذبون في الدنيا قوله عز وجل ان
الله فالق الحب والنوى لما تقدم الكلام على تقرير التوحيد وتقرير النبوة اردفه بذكر الدلايل الدالة على كمال قدرته
وعلمه وحكمته تنبيها على ان المقصود الاعظم هو معرفة الله سبحانه وتعالى بجميع صفاته وافعاله وانه مبدع الاشيا
وخالقها ومن كان كذلك كان هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها وتعريف منه خطا ما كانوا
عليه من الاشراك الذي كانوا عليه والمعنى ان الذي يستحق العبادة دون غيره هو الذي فلق الحب والنوى والنواة عجم
النخلة وفي معنى فالق قولان احدهما انه بمعنى خلق ومعنى الاية على هذا القول ان الله خالق الحب والنوى وهو قول
ابن عباس في رواية العوفي عنه وبه قال الضحاك ومقاتل قال الواحدي ذهبوا بفالق مذهب فاطر وانكر الطبري هذا
القول وقال لا يعرف في كلام العرب فلق الله الشي بمعنى خلق ونقل الازهري عن الزجاج جوازه فقال وقيل الفلق
الخلق واذا تاملت الخلق تبين لك ان اكثره عن انفلاق ومعنى هذا الكلام ان جميع الاشيا كانت قبل الوجود في العدم
فلما اوجدها الله تعالى واخرجها من العدم الى الوجود فكانه فلقها واظهرها والقول الثاني وهو قول الاكثرين ان الفلق
هو الشق ثم اختلفوا في معناه على قولين احدهما وهو ما روي عن ابن عباس ان الفلق للحبة عن السنبلة والنواة عن
النخلة وهو قول الحسن والسدي وابن زيد قال الزجاج يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منها ورقا
اخضر والقول الثاني وهو قول مجاهد انه الشقان اللذان في الحب والنوى والحب هو الذي ليس له نوى كالحنطة
والشعير والارز وما اشبه ذلك والنوى جمع نواة وهي ما كان في داخل الحب كالرطب والخوخ والمشمش وما اشبه
ذلك ومعنى قوله فالق الحب والنوى وذلك اذا وقعت الحبة والنواة في الارض الرطبة ثم مر على ذلك قدر من الزمان
اظهر الله تبارك وتعالى من الحبة ورقا اخضر ثم يخرج من ذلك الورق سنبلة يكون فيها الحب ويظهر من النواة شجرة
صاعدة في الهوى وعروق ضاربة في الارض فسبحان من اوجد جميع الاشيا بقدرته وابداعه وخلقه وقوله تعالى
يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي قال ابن عباس في رواية عنه يخرج من النطفة بشرا حيا ويخرج النطفة النطفة
الميتة من الحي وهذا قول الكلبي ومقاتل قال الكلبي يخرج النسمة الحية من النطفة الميتة ويخرج الفرخة من البيضة
ويخرج النطفة الميتة والبيضة الميتة من الحي وقال ابن عباس في رواية اخرى يخرج المومن من الكافر فجعل الايمان
بمنزلة الحياة والكفر بمنزلة الموت وهذا قول الحسن وقيل معناه يخرج الطايع من العاصي والعاصي من الطايع وقال السدي

يخرج

يخرج النبات من الحب والحب من النبات وهذا اختيار الطبري لانه قال عقيب قوله ان الله فالق الحب والنوى
فان قلت كيف قال ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت وما
السبب في عطف الاسم على الفعل **قلت** ومخرج الميت من الحي عطف على قوله فالق الحب والنوى وقوله
يخرج الحي من الميت كالبيان والتفسير لقوله فالق الحب والنوى اليابس واخراج النبات والشجر منه من جنس اخراج
الحي من الميت لان النامي من النبات في حكم الحيوان وقوله ذلكم الله يعني ذلكم الله المدبر الخالق الصانع لهذه الاشيا
كلها وهو المحيي المميت لها فانى تؤفكون يعني فانى تصرفون عن الحق فتعبدون غير الله الذي هو فالق الاشيا كلها وفيه دليل
ايضا على صحة البعث بعد الموت لان القادر على اخراج البدن من النطفة قادر على اخراجه من التراب للحساب قوله
فالق الاصباح اي شاق عمود الصبح يدل على انه تعالى فالق الصبح والظلمة هي التي تتعلق بالصبح في معنى ذلك
قلت ذكر العلما فيه وجوها الاول ان يكون المراد فالق ظلمة الصباح وذلك لان الصبح صبحان الصبح الاول
وهو البياض المستطيل الصاعد في الافق كذنب السرحان وهو الذيب ثم يعقبه ظلمة بعد ذلك ويسمى هذا
الصبح الفجر الكاذب لانه يبدو في الافق الشرقي ثم يضمحل ويذهب ثم يطلع بعده الصبح الثاني وهو الضوء
المستطير في جميع الافق الشرقي ويسمى الفجر الصادق لانه ليس بعده ظلمة والحاصل من هذا ان يكون المعنى فالق
ظلمة الصبح الاول بنور الصبح الوجه الثاني انه تعالى كما شق ظلمة الليل بنور الصباح فكذلك يشق نور الصبح بضيا
النهار فيكون معنى قوله فالق الاصباح اي فالق الصباح بنور النهار الوجه الثالث ان يراد فالق ظلمة الاصباح
وهي الغبش في اخر الليل الذي يلي الصبح الوجه الرابع ان يكون المعنى فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر اذا انصدع
الفجر وانفلق وسمي الفجر فلقا بمعنى مفلوق الوجه الخامس ان الفلق بمعنى الخلق فالق الاصباح وعلى هذا القول يزول
الاشكال والصبح هو الضوء الذي يبدو في اول النهار والمعنى انه تعالى مبدي ضوء الصبح وخالقه ومنوره وقوله
تعالى وجاعل الليل سكنا السكن ما سكنت اليه واستروحت به يريد ان الناس يسكنون في الليل سكون راحة لان
الله جعل الليل لهم كذلك قال ابن عباس ان كل ذي روح يسكن فيه لان الانسان قد اتعب نفسه في النهار
فاحتاج الى زمان يستريح فيه ويسكن عن الحركة وذلك هو الليل والشمس والقمر حسبانا يعني انه تعالى قدر
حركة الشمس والقمر في الفلك بحساب معين قال ابن عباس يجريان الى اجل جعل لهما يعني عدد الايام والشهور
والسنين وقال الكلبي منازلهما بحساب لا يجاوزانه حتى ينتهيا الى اقصى منازلهما ذلك اشارة الى ما
تقدم ذكره في هذه الاية من الاشيا التي خلقها بقدرته وكمال علمه وهو المراد بقوله ذلك تقدير العزيز العليم
فالعزيز اشارة الى كمال قدرته والعليم اشارة الى كمال علمه قوله عز وجل وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها
في ظلمات البر والبحر جعل هنا بمعنى خلق يعني والله الذي جعل لكم هذه النجوم ادلة لتهتدوا بها اذا ضللتم الطريق
وتحيرتم فيه فامتن بها على عباده بان جعل لهم النجوم يهتدون بها الى المسالك والطرق في البر والبحر الى حيث يريدون
ويستدلون بالنجوم ايضا على القبلة فيستدلون على ما يريدون في النهار بحركة الشمس وفي الليل بحركة الكواكب
ومن منافعها ايضا انه تعالى خلقها زينة للسما كما قال ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما
للشياطين قد فصلنا الايات يعني قد بينا الايات الدالة على توحيدنا وكمال قدرتنا لقوم يعلمون ان ذلك مما
يدل به على وجود الصانع المختار وكمال علمه وقدرته قوله تعالى وهو الذي انشاكم من نفس واحدة يعني والله الذي ابتدا
خلقكم ايها الناس من ادم عليه السلام فهو ابو البشر كلهم وحوا مخلوقة منه وعيسى ايضا لان ابتدا خلقه من مريم
وهي من بنات ادم فثبت ان جميع الخلق من ادم عليه السلام فمستقر ومستودع قرى فمستقر بكسر القاف وفتحها
يقال قر في مكانه واستقر فمن كسر القاف قال المستقر بمعنى القار والمعنى منكم مستقر في الارحام ومن فتح القاف

Copyright © King Saud University

جعله مكان فالمستقر يعني المقر فيكون المعنى لكم مقر واما المستودع فهو مثل اودع فيجوز ان يكون اسما للانسان الذي
استودع ذلك المكان ويجوز ان يكون المكان نفسه ومن قرا المستودع فمستقر بفتح القاف فجعل المستودع مكانا
والمعنى فلكم مكان استقرار ومكان استيداع ومن كسر القاف جعل المعنى منكم مستقر ومنكم مستودع يعني منكم من
استقر ومنكم من استودع والفرق بين المستقر والمستودع ان المستقر اقرب الى الثبات من المستودع لان المستقر
من القرار والمستودع معرض بان يرد ولهذا اختلفت عبارات المفسرين في معنى هذين اللفظين فروي
عن ابن عباس انه قال المستقر في ارحام الامهات والمستودع في اصلاب الاباء ثم قرى ونقر في الارحام ما نشا
ويؤيد هذا القول ان النطفة لا تبقى في صلب الاب زمانا طويلا والجنين يبقى في بطن الام زمانا طويلا ولما كان
المكث في بطن الام اكثر من صلب الاب حمل المستقر في الرحم والمستودع في الصلب وروي عنه انه قال بالعكس يعني المستقر
صلب الاب والمستودع رحم الام ووجه هذا القول ان النطفة حصلت في صلب الاب قبل رحم الام فوجب حمل المستقر
على الصلب والمستودع على الرحم وقال ابن مسعود المستقر في الرحم الى ان يولد والمستودع في القبر الى ان يبعث وقال مجاهد
المستقر على ظهر الارض في الدنيا لقوله ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين والمستودع عند الله في الاخرة وقال الحسن
المستقر في القبر والمستودع في الدنيا وكان يقول يا ابن ادم انت مستودع في اهلك الى ان تلحق بصاحبك يعني القبر وقيل
المستودع في القبر والمستقر اما في الجنة او النار لان المقام فيهما يقتضي الخلود والتابيد قد فصلنا الايات يعني قد بينا
الدلايل الدالة على التوحيد بالبراهين الواضحة والحجج القاطعة لقوم يفقهون يعني لقوم يفهمون عن الله اياته ودلايله
الدالة على توحيده لان الفقه هو الفهم قوله عز وجل وهو الذي انزل من السماء ماء يعني المطر وقيل ان الله ينزل المطر من السما الى
السحاب ومن السحاب الى الارض فاخرجنا به يعني بالماء الذي نزلناه من السما نبات كل شيء يعني من كل شي ينبت وينمو
من جميع اصناف النبات وقيل معناه اخرجنا بالماء الذي نزلناه من السماء غذا كل شي من الانعام والبهايم والطير والوحش
وارزاق بني ادم واقواتهم ما يتغذون به فينبتون عليه وينمون فاخرجنا منه خضرا يريد بخضر مثل عور واعور والاخضر
هو جميع الزرع والبقول الرطبة نخرج منه حبا متراكبا يعني نخرج من ذلك الاخضر سنابل فيها الحب يركب بعضها فوق
بعض مثل سنبل القمح والشعير والارز والذرة وساير الحبوب وفي تقديم الزرع على النخل دليل على الافضلية ولان
حاجة الناس اليه اكثر لانه القوت المالوف ومن النخل من طلعها قنوان دانية يعني من ثمرها يقال اطلعت النخل اذا
اخرجت طلعها وطلعها كفراها قبل ان ينشق عنه الاغريض والاغريض يسمى طلعا ايضا وهو ما يكون في قلب
الطلع والطلع اول ما يبدو ويخرج من ثمر النخل كالكيزان يكون فيه العذق فاذا انشق عنه كيزانه سمي عذقا
وهو العنقود وجمعه قنوان مثل صنو وصنوان دانية اي قريبة المتناول ينالها القايم والقاعد وقال مجاهد
متدلية وقال الضحاك قصار ملتصقة بالارض وفيه اختصار وحذف تقديره من النخل ما قنوانها دانية
قريبة ومنها ما هي بعيدة عالية فاكتفى بذكر القريبة عن البعيدة لسبق الاهتمام بها ولانها اسهل تناولا
من البعيدة لان البعيدة تحتاج الى كلفة وجنات من اعناب والزيتون والرمان شجر الزيتون وشجر الرمان مشتبها
قال قتادة مشتبها ورقها مختلفا ثمرها لان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان وغير متشابه يعني ومنها غير
متشابه في الورق والطعم واعلم ان الله تعالى ذكر في هذه الاية اربعة انواع من الشجر بعد ذكر الزرع وانما قدم الزرع
على ساير الاشجار لان الزرع غذا وثمار الاشجار فواكه والغذا مقدم على الفواكه وانما قدم النخلة على غيرها لان
ثمرها يجري مجرى الغذا وفيها من المنافع والخواص ما ليس في غيرها من الاشجار وانما ذكر العنب عقيب النخلة لانه من اشرف
انواع الفواكه ثم ذكر عقيبه الزيتون لما فيه من البركة والمنافع الكثيرة في الاكل وساير وجوه الاستعمال ثم ذكر عقيبه
الرمان لما فيه من المنافع ايضا لانه فاكهة ودوا ثم قال تعالى انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه يعني ونضجه وادراكه

والمعنى انظروا نظر استدلال واعتبروا كيف اخرج الله تعالى هذه الثمرة الرطبة اللطيفة من هذه الشجرة الكثيفة
اليابسة وهو قوله ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون يعني يصدقون ان الذي اخرج هذا النبات وهذه الثمار
قادر على ان يحيي الموتى ويبعثهم وانما احتج الله عليهم بتصريف ما خلق ونقله من حال الى حال وهو ما يعلمونه
قطعا ويشاهدونه من احيا الارض بعد موتها واخراج ساير انواع النبات والثمار منها وانه لا يقدر على ذلك
احد الا الله تبارك وتعالى فانه تعالى كذلك قادر على ان يحييهم بعد موتهم ويبعثهم يوم القيامة وانما احتج
عليهم بهذه الاشيا لانهم كانوا ينكرون البعث قوله تعالى وجعلوا لله شركا الجن قال الحسن معناه اطاعوا الجن في عبادة
الاوثان وهو اختيار الزجاج قال معناه انهم اطاعوا الجن فيما سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركا لله وقال الكلبي
نزلت في الزنادقة اثبتوا الشرك لابليس في الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانعام وابليس
خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب ونقل هذا القول ابن الجوزي عن ابن السايب ونقله الرازي عن
ابن عباس قال الامام فخر الدين وهذا مذهب المجوس وانما قال ابن عباس هذا قول الزنادقة لان المجوس يلقبون
بالزنادقة لان الكتاب الذي زعم زردشت انه نزل من السما سماه بالزند والمنسوب اليه زندي ثم عرب فقيل زنديق
فاذا جمع قيل زنادقة ثم ان المجوس قالوا كل ما في هذا العالم من الخير فهو من يزدان يعني النور وجميع ما في العالم من
الشر فهو من اهرمن يعني ابليس ثم اختلف المجوس فالاكثرون منهم على ان ابليس محدث ولهم في كيفية حدوثه
اقوال عجيبة والاقلون منهم قالوا انه قديم وعلى كلا القولين فقد اتفقوا على انه شريك لله في تدبير هذا العالم
فما كان من خير فمن الله وما كان من شر فمن ابليس تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا **فان قلت** فعلى هذا
القول فانهم اثبتوا لله شريكا واحدا وهو ابليس فكيف حكى الله انهم جعلوا له شركا **قلت** ان ابليس
له اعوان من جنسه وحزبه وهم شياطين الجن يعملون اعماله فيصح ما حكاه الله عنهم من انهم جعلوا له شركا
الجن ومعنى الاية وجعلوا الجن شركا لله واختلفوا في معنى هذه الشركة فمن قال ان الاية في كفار العرب
قال انهم لما اطاعوا الجن فيما امروهم به من عبادة الاصنام فقد جعلوهم شركا لله ومن قال انها في المجوس فقد
اثبتوا الهين اثنين النور والظلمة وقيل ان كفار العرب قالوا الملايكة بنات الله وهم شركاوه فعلى هذا
القول فقد جعلوا الملايكة من الجن وذلك انهم مستورون عن الاعين وقوله وخلقهم في معنى الكناية قولان
احدهما انها تعود الى الجن فيكون المعنى والله خلق الجن فكيف يكون شريك الله من هو محدث مخلوق والقول
الثاني ان الكناية تعود الى الجاعلين لله شركا فيكون المعنى وجعلوا لله الذي خلقهم شركا لا يخلقون شيا وهذا
كالدليل القاطع بان المخلوق لا يكون شريكا لله وكل ما في الكون محدث مخلوق والله تعالى هو الخالق لجميع
ما في الكون فامتنع ان يكون لله شريكا في ملكه وخرقوا له بنين وبنات بغير علم اي اختلقوا وكذبوا يقال
اختلق واخترق على فلان اذا كذب عليه وذلك ان النصارى وطايفة من اليهود ادعوا ان لله ابنا
وكفار العرب ادعوا ان الملايكة بنات الله وكذبوا على الله جميعا فيما ادعوه وقوله بغير علم كالدليل
على ما هو الدليل القاطع على فساد هذا القول لان الولد جزء من الاب والله سبحانه وتعالى لا يتجزى ثبت
هذا فساد قول من يدعي ان لله ولدا ثم نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد وعن هذه الاقاويل الفاسدة فقال
تعالى سبحانه وتعالى عما يصفون فقوله سبحانه فيه تنزيه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وقوله تعالى يعني المتعالي
عن كل اعتقاد باطل وقول فاسد ويكون المعنى المتعالي عن اتخاذ الولد والشريك وقوله عما يصفون يعني عما
يصفونه به من الكذب قوله عز وجل بديع السموات والارض الابداع عبارة عن تكوين الشي على غير مثال سبق
والله تعالى خلق السموات والارض على غير مثال سبق انى يكون له ولد يعني من اين يكون له الولد ولم تكن

Copyright © King Saud University

له صاحبة لان الولد لا يكون الا من صاحبة انثى ولا ينبغي ان يكون لله صاحبة لانه ليس كمثله شيء وخلق كل شيء يعني ان الصاحبة والولد في جملة من خلق لانه خالق كل شيء وليس كمثله شيء فكيف يكون الولد لمن لا مثل له واذا نسب الولد والصاحبة اليه فقد جعل له مثل واستعمال عن المثلية وهذه الاية حجة قاطعة على فساد قول النصارى وهو بكل شيء عليم يعني انه تعالى عالم بجميع خلقه لا يعزب عن علمه شيء وعلمه محيط بكل شيء عليم به قوله تعالى ذلكم الله ربكم يعني ذلكم الله الذي من صنعته انه خلق السموات والارض وابدعهما على غير مثال سبق والله بكل شيء عليم هو ربكم الذي يستحق العبادة لا من تدعون من دونه من الاصنام لانها جماد لا تخلق ولا تبصر ولا تنفع ولا تعلم والله تعالى هو الخالق الضار النافع لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه يعني انه الذي يستحق العبادة فاعبدوه واطيعوه وهو على كل شيء وكيل يعني انه تعالى على كل شيء خلق رقيب حفيظ يقوم بارزاق جميع خلقه قوله عز وجل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار قال جمهور المفسرين معنى الادراك الاحاطة بكنه الشيء وحقيقته فالابصار ترى البارى جل جلاله ولا تحيط به كما ان القلوب تعرفه ولا تحيط به وقال سعيد بن المسيب في تفسير قوله تعالى لا تدركه الابصار لا تحيط به الابصار وقال ابن عباس كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به

فصل انما تمسك بظاهر الاية قوم من اهل البدع وهم الخوارج والمعتزلة وبعض المرجية وقالوا ان الله تبارك وتعالى لا يراه احد من خلقه ولكن رويته مستحيلة عقلا لان الله اخبر ان الابصار لا تدركه وادراك الابصار عبارة عن الرؤية اذ لا فرق بين قوله ادركته ببصري ورايته ببصري فثبت بذلك ان قوله لا تدركه الابصار يعني لا تراه الابصار وهذا يفيد العموم ومذهب اهل السنة ان المومنين يرون ربهم يوم القيامة وفي الجنة وان رويته غير مستحيلة عقلا واحتجوا لصحة مذهبهم بتظاهر ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة ومن بعدهم من سلف الامة على اثبات روية الله تبارك وتعالى للمومنين في الاخرة قال الله تبارك وتعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ففي هذه الاية دليل على ان المومنين يرون ربهم يوم القيامة وقال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الشافعي رحمه الله حجب قوما بالمعصية وهي الكفر فثبت ان قوما يرونه بالطاعة وهي الايمان وقال مالك لو لم ير المومنون ربهم يوم القيمة لم يعير الكفار بالحجاب وقال تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وفسروا هذه الاية بالنظر الى وجه الله تبارك وتعالى يوم القيامة واما دلايل السنة فما روى عن جرير بن عبد الله البجلي قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رويته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الفجر الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب اخرجه البخاري ومسلم عن ابي هريرة ان ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضامون في القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضامون في الشمس ليس دونها سحاب عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله اكلنا يرى ربه مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت وما اية ذلك في خلقه قال يا ابا رزين اليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله اعظم انما هو خلق من خلق الله يعني القمر فالله اجل واعظم اخرجه ابو داود واما الدلايل العظيمة فقد احتج اهل السنة ايضا بهذه الاية على روية المومنين ربهم يوم القيامة وتقديره انه تعالى تمدح بقوله لا تدركه الابصار فلو لم يكن جايز الروية لما حصل هذا التمدح لان المعدوم لا تصح رويته فثبت ان قوله لا تدركه الابصار يفيد المدح وهذا يدل على كونه تعالى جايز الروية وتحقيق هذا ان الشيء اذا كان في نفسه بحيث تمتنع رويته فحينيذ لا يلزم من عدم رويته مدح وتعظيم اما اذا كان في نفسه جايز الروية ثم انه تعالى قدر على حجب الابصار عنه كانت القدرة دالة على المدح والعظمة فثبت ان هذه الاية دالة على انه تعالى جايز الروية واذا ثبت هذا وجب القطع بان المومنين يرونه يوم القيامة لان موسى صلى الله عليه وسلم سال الروية بقوله ارني انظر اليك وذلك يدل على جواز الروية

اذ لا يسال نبي مثل موسى ما لا يجوز ويمتنع وقد علق الله الروية على استقرار الجبل بقوله فان استقر مكانه فسوف تراني واستقرار الجبل جايز والمعلق على الجايز جايز واما الجواب عن تمسك المعتزلة بظاهر هذه الاية على نفي الروية فاعلم ان الادراك غير الروية لان الادراك هو الاحاطة بكنه الشيء وحقيقته والروية المعاينة للشيء من غير احاطة وقد تكون الروية بلا ادراك كما قال تعالى في قصة موسى قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا وكان قوم فرعون قد راوا موسى ولم يدركوهم لكن قاربوا ادراكهم اياهم فنفى موسى الادراك مع اثبات الروية بقوله كلا فالله تعالى يجوز ان يرى في الاخرة من غير ادراك ولا احاطة بالمراى وهو انه من كان محدود حالة جهات والله تعالى منزه عن الحد والجهة لانه القديم الذي لا نهاية لوجوده فعلى هذا انه يرى ولا يدرك وقال قوم ان الاية مخصوصة بالدنيا قال ابن عباس في معنى الاية لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الاخرة وعلى هذا القول فلا فرق بين الادراك والروية قالوا ويدل على هذا التخصيص قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقوله يومئذ ناضرة مقيد بيوم القيمة وعلى هذا يمكن الجمع بين الايتين وقال السدي النظر نظران نظر معاينة ونظر علم فمعنى قوله لا تدركه الابصار لا تدركه علم العلماء ونظرهم ولا يحيطون به علما وهذا وجه حسن بعيد والله اعلم وقوله تعالى وهو يدرك الابصار يعني انه تعالى يرى جميع المرئيات ويبصر جميع المبصرات لا يخفى عليه شيء منها ويعلم حقيقتها ومطلع على ماهيتها فهو تعالى لا تدركه ابصار المبصرين وهو يدركها وهو اللطيف الخبير قال ابن عباس اللطيف باوليايه الخبير بهم وقال الزهري معنى اللطيف الرفيق بعباده وقيل هو الموصل الشيء اليك برفق ولين وقيل هو الذي ينسي عباده ذنوبهم لئلا يخجلوا واصل اللطف دقة النظر في الاشيا وقال ابو سليمان الخطابي اللطيف هو البر بعباده يلطف بهم من حيث لا يعلمون ويوصل اليهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون وقال الازهري اللطيف في اسما الله تعالى بمعنى الرفيق بعباده وقيل هو اللطيف حيث لم يامر عباده بفوق طاقتهم وينعم عليهم فوق استحقاقهم وقيل هو اللطيف بعباده حيث يثني عليهم عند الطاعة ولم يقطع عنهم بره واحسانه عند المعصية وقيل هو اللطيف بعباده ان تدركه الابصار وهو يدركها قوله تعالى قد جاءكم بصاير من ربكم البصاير جمع البصيرة وهي الدلالة التي توجب البصر بالشيء والعلم به والمعنى قد جاكم القران الذي فيه البيان والحجج التي تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل وقيل ان الايات والبراهين ليست في نفسها بصاير الا انها لقوتها توجب البصاير لمن عرفها ووقف على حقايقها فلما كانت هذه الايات والحجج والبراهين سببا لحصول البصاير سميت الايات بصاير فمن ابصر يعني فمن عرف الايات واهتدى بها الى الحق فلنفسه يعني فلنفسه ابصر ولها عمل لانه يعود نفع ذلك عليه ومن عمي يعني ومن جهل ولم يعرف الايات ولم يستدل بها فعليها يعني فعلى نفسه عمي ولها ضر وكان وبال ذلك العمى عليه لان الله تعالى غني عن خلقه وما انا عليكم بحفيظ يعني وما انا عليكم برقيب احصي عليكم اعمالكم وافعالكم انما انا رسول من ربكم اليكم ابلغكم ما ارسلت به اليكم والله هو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شيء من اعمالكم واحوالكم وقيل معناه لا اقدر ان ادفع عنكم ما يريد الله بكم وقيل معناه لست اخذكم بالايمان اخذ الحفيظ الوكيل وهذا كان قبل الامر بقتال المشركين فعلى هذا القول تكون الاية منسوخة باية السيف وعلى القول الاول ليست منسوخة والله اعلم وكذلك نصرف الايات يعني وكذلك نبين الايات ونفصلها في كل وجه كما فصلناها وبيناها من قبل وليقولوا درست يعني وكذلك نفصل الايات ونصرف لتلزمهم الحجة وليقولوا درست وقيل اللام فيه لام العاقبة ومعناه عاقبة امرهم ان يقولوا درست يعني قرات على غيرك يقال درس الكتاب يدرسه دراسة اذا كثر قراته وذلله للحفظ قال ابن عباس وليقولوا يعني اهل مكة حين نقرا عليهم القران درست يعني تعلمت من يسار وجبر وكانا عبدين من سبي الروم ثم قرات علينا تزعم انه من عند الله وقال الفرا معناه تعلمت

Copyright © King Saud University

من اليهود وقرئ دارست بالالف يعني قارأت اهل الكتاب من الدراسة التي هي بين اثنين يعني يقولون قرأت على اهل
الكتاب وقرؤا عليك وقيل درست بفتح الدال والراء والسين وسكون التاء ومعناه ان هذه الاخبار التي تتلوها
علينا قديمة قد درست وامحت من قولهم درس الاثر اذا امحى وذهب اثره ولنبينه لقوم يعلمون يعني القران وقيل معناه
نصرف الايات لقوم يعلمون قال ابن عباس يريد اولياءه الذين هداهم الى سبيل الرشاد وقيل معنى الاية وكذلك نصرف الايات
ليسعد بها قوم ويشقى بها اخرون فمن اعرض عنها وقال للنبي صلى الله عليه وسلم درست او دارست فهو شقي ومن تبين
له الحق وفهم معناها وعمل بها فهو سعيد وقال ابو اسحاق ان السبب الذي اداهم الى ان قالوا درست وهو تلاوة
الايات عليهم وهذه اللام تسميها العرب لام الصيرورة يعني صار عاقبة امرهم ان قالوا درست فصار ذلك سببا
لشقاوتهم وفي هذا دليل على ان الله تعالى جعل تصريف الايات سببا لضلالة قوم وشقاوتهم وسعادة قوم وهدايتهم
قوله تعالى اتبع ما اوحي اليك من ربك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني اتبع يا محمد ما امرك به ربك في وحيه الذي اوحاه
اليك وهو القران فاعمل به وبلغه الى عبادي ولا تلتفت الى قول من يقول دارست او درست وفي قوله اتبع ما اوحي
اليك من ربك تعزية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وازالة الحزن الذي حصل له بسبب قولهم درست وتنبيه بقوله تعالى
لا اله الا هو سبحانه وتعالى واحد فرد صمد لا شريك له واذا كان كذلك فانه تجب طاعته ولا يجوز تركها بسبب
جهل الجاهلين وزيغ الزايغين وقوله تعالى واعرض عن المشركين فقيل المراد منه في الحال لا الدوام واذا كان كذلك
لم يكن النسخ وقيل المراد ترك مقاتلتهم فعلى هذا يكون الامر بالاعراض منسوخا باية القتال قوله عز وجل ولو شاء الله ما
اشركوا قال الزجاج ولو شاء الله لجعلهم مومنين وهذا نص صريح في ان شركهم كان بمشية الله تعالى خلافا للمعتزلة في قولهم
لم يرد من احد الكفر والشرك فالاية رد عليهم وما جعلناك عليهم حفيظا يعني وما جعلناك يا محمد على هولاء المشركين رقيبا
ولا حافظا تحفظ عليهم اعمالهم وقال ابن عباس في رواية عطا وما جعلناك عليهم حفيظا تمنعهم مني ومعناه انك
لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب وانما بعثت مبلغا فلا تهتم بشركهم فان ذلك بمشية الله تعالى وما انت عليهم
بوكيل يعني وما انت عليهم بقيم تقوم بارزاقهم وما انت عليهم بمسيطر فعلى التفسير الاول تكون الاية منسوخة
باية السيف وعلى قول ابن عباس لا تكون منسوخة قوله عز وجل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم
الاية قال ابن عباس لما نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون يا محمد لتنتهين عن
سب الهتنا او لنهجون ربك فنهاهم الله ان يسبوا اوثانهم فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال قتادة كان المومنون
يسبون اوثان الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله عز وجل عن ذلك لئلا يسبوا الله فانهم قوم جهلة لا علم لهم بالله
عز وجل وقال السدي لما حضرت ابا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا بنا فلندخل على هذا الرجل فلنامره
ان ينهى عنا ابن اخيه فانا نستحيي ان نقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق ابو سفيان
وابو جهل والنضر بن الحرث وامية وابي ابنا خلف وعقبة بن ابي معيط وعمرو بن العاص والاسود بن ابي البختري الى ابي
طالب فقالوا يا ابا طالب انت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد اذانا واذى الهتنا فنحب ان تدعوه فتنهاه عن ذكر الهتنا
ولندعه والاهه فدعاه فجا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ابو طالب ان هولا قومك وبنو عمك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما يريدون قالوا نريد ان تدعنا والهتنا وندعك والهك فقال له ابو طالب قد انصفك
قومك فاقبل منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارايتم ان اعطيتكم هذا فهل انتم معطي كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب
ودانت لكم العجم وادت لكم الخراج فقال ابو جهل نعم وابيك لنعطينكها وعشر امثالها فما هي فقال قولوا لا اله الا الله
فابوا ونفروا فقال ابو طالب قل غيرها يا ابن اخي فقال يا عم ما انا بالذي اقول غيرها ولو اتوني بالشمس فوضعوها في يدي
ما قلت غيرها ارادة ان يوسيهم فقالوا لتكفن عن شتمك الهتنا او لنشتمن من يامرك فانزلت ولا تسبوا الذين يدعون

من

من دون الله يعني ولا تسبوا ايها المومنون الاصنام التي يعبدها المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم يعني فيسبوا الله
ظلما بغير علم لانهم جهلة بالله عز وجل قال الزجاج نهوا في ذلك الوقت قبل القتال ان يلعنوا الاصنام التي كانت تعبدها
المشركون وقال ابن الانباري هذه الاية منسوخة انزلها الله عز وجل والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة فلما قواه باصحابه
نسخ هذه الاية ونظايرها بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل انما نهوا عن سب الاصنام وان كان في سبها
طاعة وهو مباح لما يترتب على ذلك من المفاسد التي هي اعظم من ذلك وهو سب الله عز وجل وسب رسوله وذلك من
اعظم المفاسد فلذلك نهوا عن سب الاصنام وقيل لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الهتهم
فيسبوا ربكم فامسك المسلمون عن سب الهتهم فظاهر الاية وان كان نهيا عن سب الاصنام فحقيقته النهي عن سب
الله تعالى لانه سبب لذلك وقوله تعالى كذلك زينا لكل امة عملهم يعني كما زينا لهولا المشركين عبادة الاصنام وطاعة
الشيطان بالحرمان والخذلان كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية وفي هذه الاية دليل على
تكذيب القدرية والمعتزلة حيث قالوا لا يحسن من الله خلق الكفر وتزيينه وقوله تعالى ثم الى ربهم مرجعهم يعني
المومن والكافر والطايع والعاصي فينبئهم بما كانوا يعملون يعني في الدنيا ويجازيهم على ذلك قوله عز وجل واقسموا بالله
جهد ايمانهم قال محمد بن كعب القرظي والكلبي قالت قريش يا محمد انك تخبرنا ان موسى كانت له عصى يضرب بها الحجر فتنفجر
منها اثنتي عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى كان يحيي الموتى فاتنا باية حتى نصدقك ونومن بك فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اي شي تحبون قالوا تجعل الصفا لنا ذهبا وابعث لنا بعض موتانا نسيله عنك احق ما تقول ام باطل وارنا الملايكة
يشهدون لك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونني قالوا نعم والله لين فعلت
لنتبعنك اجمعين وسال المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزلها عليهم حتى يومنوا فقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم وجعل يدعو الله عز وجل ان يجعل الصفا ذهبا فجاه جبريل فقال ما شيت ان شيت اصبح ذهبا ولكن ان لم
يصدقوك فلنعذبنهم وان شيت تركتهم حتى يتوب تايبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب تايبهم
فانزل الله عز وجل واقسموا بالله جهد ايمانهم يعني وحلفوا بالله جهد ايمانهم يعني اوكد ما قدروا عليه من الايمان
واشدها قال الكلبي ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه لين جاتهم اية يعني كما جات من قبلهم من الامم
ليومنن بها يعني ليصدقن بها قل يعني يا محمد انما الايات عند الله يعني ان الله تعالى قادر على انزالها وما يشعركم
يعني وما يدريكم ثم اختلف العلما في المخاطبين بقوله وما يشعركم فقيل هو خطاب للمشركين الذين اقسموا بالله
وقيل هو خطاب للمومنين واختلفوا في قوله انها اذا جات لا يومنون فقرا ابن كثير واهل البصرة وابو بكر عن عاصم
انها بكسر الالف على الابتدا وقالوا تم الكلام عند قوله وما يشعركم على معنى وما يدريكم ما يكون منهم ثم ابتدا
فقال انها اذا جات لا يومنون فمن جعل الخطاب للمشركين قال معناه وما يشعركم ايها المشركون انها يعني الايات
اذا جات امنتم ومن جعل الخطاب للمومنين قال معناه وما يشعركم ايها المومنون انها اذا جات امنوا لان
المومنين كانوا يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو الله ان يريهم ما اقترحوا حتى يومنوا فخاطبهم الله
تعالى بقوله فقال وما يشعركم ثم ابتدا فقال تعالى انها اذا جات لا يومنون وهذا في قوم مخصوصين حكم الله
عليهم بانهم لا يومنون وذلك لسابق علمه فيهم وقرا الباقون انها بفتح الالف وجعلوا الخطاب في ذلك للمومنين لان
المومنين هم الذين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الايات حتى يومن المشركون انها اذا جات هولا المشركين
كانوا حلفوا انهم اذا جاتهم اية امنوا وصدقوا واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم انزال الايات لذلك فقال الله تعالى وما يشعركم ايها المومنون ان الايات اذا جات هولا المشركين
لا يومنون فعلى هذا اختلفوا في لفظة قوله لا يومنون فقيل هي صلة والمعنى وما يشعركم انها اذا جات يومنون وقيل

Copyright © King Saud University

هو على بابها وفيه حذف والمعنى انها اذا جاءت يؤمنون او لا يؤمنون وقيل ان بمعنى لعل في قوله انها اذا جاءت
وكذلك في قراءة ابي بن كعب لعلها اذا جاءت وهذا سائغ في كلام العرب تقول العرب ائت السوق انك تشتري
لنا شيئا يعني لعلك ومنه قول عدي بن زيد ● اعاذل ما يدريك ان منيتي ● الى ساعة في اليوم او في ضحى الغد ●
يعني لعل منيتي قوله تعالى **ونقلب افئدتهم وابصارهم** قال ابن عباس يعني ونحول بينهم وبين الايمان فلو جئناهم بالايات
التي سالوها ما امنوا بها والتقليب هو تحويل الشي وتحريكه عن وجه الى وجه اخر لان الله تعالى اذا صرف القلوب والابصار
عن الايمان بقيت على الكفر **كما لم يؤمنوا به اول مرة** يعني كما لم يؤمنوا بما قبل ذلك من الايات التي جا بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير ذلك من المعجزات الباهرة وقيل اول مرة يعني الايات التي جا بها
موسى وغيره من الانبيا وقال ابن عباس المرة الاولى دار الدنيا يعني لو ردوا من الاخرة الى الدنيا نقلب افئدتهم
وابصارهم عن الايمان فلا يؤمنوا كما لم يؤمنوا به اول مرة قبل مماتهم وفي الاية دليل على ان الله تعالى يهدي
من يشا ويضل من يشا وان القلوب والابصار بيده وفي تصريفه فيقيم ما شا منها ويزيغ ما شا ازاغته منها ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك يعني ونقلب افئدتهم فنزيغها عن الايمان ونقلب
ابصارهم عن روية الحق ومعرفة الصواب وان جاتهم الاية التي سالوها فلا يؤمنوا بها كما لم يؤمنوا بالله ورسوله
وبما جاهم من عند الله فعلى هذا تكون الكناية في به عايدة على الايمان بالقران وبما جا به رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبل سوالهم الايات التي اقترحوها قوله تعالى **ونذرهم في طغيانهم يعمهون** يعني ونترك هولا المشركين
الذين سبق في علم الله انهم لا يؤمنون في تمردهم على الله واعتدائهم عليه يترددون لا يهتدون الى الحق قوله
عز وجل **ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة** قال ابن جريج نزلت هذه الاية في المستهزئين وذلك انهم اتوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقالوا يا محمد ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك احق ما تقول ام
باطل وارنا الملائكة يشهدون لك انك رسول الله او ائتنا بالله والملائكة قبيلا فنزلت هذه الاية جوابا
لهم والمعنى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة حتى يشهدون لك بالرسالة **وكلمهم الموتى** يعني كما سالوا **وحشرنا
عليهم كل شي قبلا** يعني وجمعنا عليهم كل شي قبيلا قبيلا وقيل القبيل الكفيل بصحة ما يقول ما امنوا به وهو
قوله **ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشا الله** يعني الا ان يشا الله الايمان منهم وفيه دليل على ان جميع الاشيا بمشيئة الله
تعالى حتى الايمان والكفر وموضع المعجزة ان الاشيا المحشورة منها ناطق ومنها صامت فاذا انطق
الله الكل حتى يشهدون لك بصحة ما تقول كان ذلك في غاية الاعجاز وقيل قبلا من المقابلة والمواجهة
والمعنى وحشرنا عليهم كل شي مواجهة ومعاينة ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشا الله لخبر الله ان الايمان بمشيئته
لا كما ظنوا انهم متى شاوا امنوا ومتى شاوا لم يؤمنوا وقال ابن عباس ما كانوا ليؤمنوا هم اهل الشقا الا ان يشا
الله هم اهل السعادة الذين سبق لهم في علمه انهم يدخلون في الايمان وصحح الطبري قول ابن عباس قال لان الله
عم بقوله ما كانوا ليؤمنوا القوم الذي تقدم ذكرهم في قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاتهم اية
ليؤمنن بها ثم استثنى منهم اهل السعادة وهم الذين شا لهم الايمان وقوله تعالى **ولكن اكثرهم
يجهلون** يعني يجهلون ان ذلك كذلك ويحسبون ان الايمان اليهم متى شاوا امنوا ومتى شاوا كفروا وليس
الامر كذلك بل الايمان والكفر بمشيئة الله تعالى فمن شا له الايمان امن ومن شا له الكفر كفر وفي هذا
دليل لمذهب اهل السنة ان الاشيا كلها بمشيئة الله تعالى ورد على القدرية والمعتزلة في قولهم ان الله
اراد الايمان من جميع الكفار قوله تعالى **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا** قيل هو منسوق على قوله تعالى وكذلك
زينا لكل امة عملهم اي كما فعلنا ذلك كذلك جعلنا لكل نبي عدوا وقيل معناه كما جعلنا لمن قبلك من الانبيا اعدا

كذلك

كذلك جعلنا لك اعدا وفيه تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له يقول الله تبارك وتعالى كما ابتليناك
بهولا القوم كذلك جعلنا لكل نبي عدوا قبلك ليعظم ثوابه على ما يكابده من اذى اعدايه وعدو واحد يراد به الجمع
يعني جعلنا لكل نبي اعدا **شياطين الانس والجن** اختلف العلما في معنى شياطين الانس والجن على قولين احدهما
ان المراد شياطين من الانس وشياطين من الجن والشياطين كل عات متمرد من الجن والانس وهذا قول ابن عباس
في رواية عطا وهو قول مجاهد وعطا وقتادة قالوا وشياطين الانس اشد تمردا من شياطين الجن لان شيطان
الجن اذا عجز عن اغوا المومن الصالح واعياه ذلك استعان على اغوايه بشيطان الانس ليفتنه ويدل على صحة هذا
القول ما روي عن ابي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعوذت بالله من شيطان الجن والانس
قلت يا رسول الله وهل للانس من شيطان قال نعم هم شر من شياطين الجن ذكره البغوي بغير سند واسنده
الطبري وقال مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد علي من شيطان الجن وذلك اني اذا تعوذت بالله ذهب
شيطان الجن وشيطان الانس يجيني فيجرني الى المعاصي القول الثاني ان الجميع من ولد ابليس واضيف الشياطين
الى الانس على معنى انهم يغوونهم وهذا قول عكرمة والضحاك والكلبي والسدي ورواية عن ابن عباس قالوا
والمراد بشياطين الانس التي مع الانس وبشياطين الجن التي مع الجن وذلك ان ابليس قسم جنده قسمين فبعث فريقا منهم
الى الجن وفريقا منهم الى الانس فالفريقان شياطين الجن والانس يعني انهم يغوونهم ويضلونهم وكلا الفريقين اعدا
للنبي صلى الله عليه وسلم ولاوليايه من المومنين والصالحين ومن ذهب الى هذا القول قال يدل على صحته ان لفظ الاية
يقتضي اضافة الشياطين الى الانس والجن والاضافة تقتضي المغايرة فعلى هذا تكون الشياطين نوعا مغايرا للانس
والجن وهم اولاد ابليس وقوله تعالى **يوحي بعضهم الى بعض** يعني يلقي ويسر بعضهم الى بعض ويناجي بعضهم
بعضا وهو الوسوسة التي يلقيها الى من يريد اغواه فعلى القول الاول ان شياطين الانس والجن يسر بعضهم
الى بعض بما يفتنون به المومنين والصالحين وعلى القول الثاني ان اولاد ابليس يلقي بعضهم بعضا
في كل حين فيقول شياطين الانس لشياطين الجن اضللت صاحبي بكذا وكذا فاضلل انت
صاحبك بمثله ويقول شياطين الجن لشياطين الانس كذلك فذلك وحي بعضهم الى بعض وقوله **زخرف
القول** يعني باطل القول قال الزخرف هو الباطل من الكلام الذي قد زين ووشي بالكذب وكل شي
حسن مموه فهو زخرف **غرورا** يعني ان الشياطين يغرون بذلك القول المكذب المزخرف غرورا
وذلك ان الشياطين يزينون الاعمال القبيحة لبني ادم ويغرونهم بها غرورا **ولو شا ربك ما فعلوه** يعني
ما فعلوا الوسوسة التي يلقونها الشياطين في قلوب بني ادم والمعنى ان الله تعالى لو شا لمنع
الشياطين من القا الوسوسة الى الانس والجن ولكن الله يمتحن من يشا من عباده بما يعلم انه الاجزل
له في الثواب اذا صبر على المحنة **فذرهم وما يفترون** اي خلهم يا محمد وما زين لهم ابليس وغيرهم من الكفر
والمعاصي فاني من ورايهم قوله تعالى **ولتصغى اليه افيدة الذين لا يومنون بالاخرة** قال ابن عباس ولتميل
اليه واصل الصغو في اللغة الميل يقال صغى الى كذا مال اليه ويقال صغوت اصغو وصغيت اصغى
لغتان قال ابن الانباري اللام في ولتصغى متعلقة بفعل مضمر معناه وفعلنا بهم كذا لكي تصغى الى الباطل
افيدة الذين لا يومنون بالاخرة وقال غيره اللام متعلقة بيوحي تقديره يوحي بعضهم الى بعض زخرف
القول ليغروا بذلك ولتصغى اليه افيدة الذين لا يومنون بالاخرة والضمير في اليه يرجع الى زخرف
القول والمعنى ان قلوب الكفار تميل الى زخرف القول وباطله وتحبه وترضى به وهو قوله ●
وليرضوه يعني يرضون بذلك القول المزخرف الباطل **وليقترفوا ما هم مقترفون** يعني وليكتسبوا ●

Copyright © King Saud University

من الاعمال الخبيثة بما هم مكتسبون قوله عز وجل افغير الله ابتغي حكما اى قل يا محمد لهولا المشركين افغير الله اطلب
حكما قاضيا يقضي بيني وبينكم وذلك انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما فامره الله تعالى
ان يجيبهم بهذا الجواب والحكم والحاكم واحد عند اهل اللغة غير ان بعض اهل المعاني قال الحكم اكمل من الحاكم لان الحاكم من شانه
ان يحكم والحكم اهل ان يتحاكم اليه وهو الذى لا يحكم الا بالحق فالله حكم لا يحكم الا بالحق فلما انزل الله على محمد القران فقد
حكم له بالنبوة وهو قوله تعالى وهو الذى انزل اليكم الكتاب مفصلا يعني مبينا فيه امره ونهيه ووعده ووعيده وفيه الحكم
بيني وبينكم والذين اتيناهم الكتاب يعني علما اليهود والنصارى يعلمون انه منزل من ربك بالحق يعني يشهدون ان هذا القران
منزل من عند الله وذلك لما ثبت عندهم من الدلايل الدالة على ذلك وقيل المراد بهم علما الصحابة ورؤساوهم مثل ابي بكر وعمر وعثمان
وعلى ونظرايهم يعلمون ان هذا القران منزل من ربك بالحق فامنوا به وصدقوه فلا تكونن من الممترين يعني فلا تكونن يا محمد
من الشاكين ان علما اهل الكتاب يعلمون ان هذا القران حق وانه منزل من عند الله وقيل معناه فلا تكونن في شك مما
قصصنا عليك انه حق وصدق فهو من باب التهييج لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط وقيل الخطاب
وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم الا ان المراد به غيره والمعنى فلا تكونن ايها الانسان السامع لهذا
القران في شك انه منزل من عند الله لما فيه من الاعجاز الذى لا يقدر على مثله الا الله تبارك وتعالى قوله تعالى وتمت
كلمات ربك وقرئ كلمات ربك على الجمع فمن قرا على التوحيد قال الكلمة قد يراد بها الكلمات الكثيرة اذا كانت مضبوطة
بضابط واحد كقولهم قال الشاعر في كلمته يعني في قصيدته وكذلك القران كلمة واحدة لانه شئ واحد في اعجاز النظم
وكونه حقا وصدقا معجزا ومن قرا بالجمع قال لان الله تعالى قال في سياق الاية لا مبدل لكلماته فوجب الجمع في اللفظ
الاول اتباعا للثاني صدقا وعدلا يعني صدقا فيما وعد وعدلا فيما حكم وقيل ان القران مشتمل على الاخبار والاحكام
فهو صادق فيما اخبر عن القرون الماضية والامم الخالية وعما هو كاين الى قيام الساعة وفيما اخبر عن ثواب المطيع في الجنة
وعقاب العاصي في النار وهو عدل فيما حكم من الامر والنهي والحلال والحرام وساير الاحكام لا مبدل لكلماته يعني
لا مغير لقضايه ولا راد لحكمه ولا خلف لمواعيده وقيل لما وصف كلماته بالتمام في قوله وتمت كلمات ربك والتمام في
كلام الله لا يقبل النقص والتغيير والتبديل قال تعالى لا مبدل لكلماته لانها مصونة عن التحريف والتغيير
باقية الى يوم القيمة وفي قوله لا مبدل لكلماته دليل على ان السعيد لا ينقلب شقيا ولا الشقي ينقلب سعيدا
فالسعيد من سعد في الازل والشقي من شقي في الازل فان ورد على هذا ان الكافر يكون شقيا بكفره فيسلم فينقلب
سعيدا باسلامه واجيب عنه بان الاعتبار بالخاتمة فمن ختم له بالسعادة كان قد كتب سعيدا
في الازل ومن ختم له بالشقاوة كان شقيا في الازل والله اعلم وقوله تعالى وهو السميع يعني لما يقوله العباد
العليم يعني باحوالهم قوله عز وجل وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله قال المفسرون ان المشركين
جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين في اكل الميتة وذلك انهم قالوا للمسلمين كيف تاكلون ما
قتلتم ولا تاكلون ما قتل ربكم فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان تطع اكثر من في الارض
في اكل الميتة وكان الكفار يومئذ اكثر اهل الارض يضلوك عن سبيل الله يعني يضلوك عن دين الله الذى
شرعه لك وبعثك به وقيل معناه لا تطعهم في معتقداتهم الباطلة فانك ان تطعهم يضلوك عن سبيل
الله يعني يضلوك عن طريق الحق ومنهج الصدق ثم اخبر عن حال الكفار وما هم عليه فقال تعالى ان
يتبعون الا الظن يعني ان هولاء الكفار الذين يجادلونك ما يتبعون في دينهم الذى هم عليه الا الظن
وليسوا على بصيرة وحق في دينهم وليسوا فيما طعنوا انهم على حق لانهم اتبعوا اهواهم وتركوا التماس
الصواب والحق واقتصروا على اتباع الظن والجهل وان هم الا يخرصون يعني يكذبون واصل الخرص الحزر

والتخمين

والتخمين ومنه خرص النخلة اذا حزر كمية ثمرها على الظن من غير يقين وسمي الكذب خرصا لما يدخله من الظنون الكاذبة
وقيل ان كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال له خرص لان قايله لم يقل عن علم ويقين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله
يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد ان ربك اعلم منك ومن جميع خلقه اى الناس يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
يعني وهو اعلم ايضا بمن كان على هدى واستقامة وسداد لا يخفى عليه شئ من احوال خلقه فاخبر تعالى انه اعلم بالفريقين
الضال والمهتدى وانه يجازى كلا بما يستحق قوله تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه هذا جواب لقول المشركين
حيث قالوا للمسلمين اتاكلون مما قتلتم ولا تاكلون ما قتل ربكم فقال الله تعالى للمسلمين فكلوا انتم مما
ذكر اسم الله عليه من الذبايح ان كنتم باياته مومنين وقيل كانوا يحرمون اصنافا من النعم ويحلون الميتة
فقيل احلوا ما احل الله وحرموا ما حرم الله فعلى هذا القول تكون الاية خطابا للمشركين وعلى القول
الاول تكون الاية خطابا للمسلمين وهو الاصح لقوله في اخر الاية ان كنتم باياته مومنين وما لكم الا
تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه يعني واى شئ لكم من ان لا تاكلوا وما يمنعكم من ان تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه
وهذا تاكيد في اباحة ما ذبح على اسم الله وقد فصل لكم ما حرم عليكم يعني وقد بينت لكم الحلال من الحرام فيما
تطعمون وقال جمهور المفسرين المراد بقوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم المحرمات المذكورة في قوله تعالى حرمت
عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به واورد الامام فخر الدين الرازى ههنا اشكالا فقال في سورة
الانعام مكية وسورة المايدة من اخر ما انزل الله بالمدينة وقوله وقد فصل يجب ان يكون ذلك المفصل
متقدما على هذا المحل والمدنى متاخر عن المكى فيمتنع كونه متقدما ثم قال بل الاولى ان يقال المراد قوله تعالى
بعد هذه الاية قل لا اجد فيما اوحي الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم
خنزير وهذه الاية وان كانت مذكورة بعد هذه الاية بقليل الا ان هذا القدر من التاخر لا يمنع ان
يكون هو المراد قال كاتبه وقد ذكر المفسرون وجها وهو ان الله علم ان سورة المايدة متقدمة على
سورة الانعام في الترتيب لا في النزول فحسن عود الضمير في قوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم
الى ما هو متقدم في الترتيب وهو قوله حرمت عليكم الميتة الاية والله اعلم بمراده وقوله تعالى الا ما اضطررتم
اليه يعني الا ان تدعوكم الضرورة الى اكله بسبب شدة المجاعة فيباح لكم ذلك عند الاضطرار وان كثيرا ليضلون
باهوايهم بغير علم يعني وان كثيرا من الذين يجادلونكم في اكل الميتة ويحتجون عليكم في ذلك بقولهم اتاكلون ما تذبحون
ولا تاكلون ما يذبحه الله انما قالوا هذه المقالة جهلا منهم بغير علم منهم بصحة ما يقولون بل يتبعون
اهواهم ليضلوا انفسهم واتباعهم بذلك وقيل المراد به عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين لانه اول من
بحر البحاير وسيب السوايب واباح الميتة وغير دين ابراهيم عليه السلام ان ربك هو اعلم بالمعتدين يعني
ان ربك يا محمد هو اعلم بمن تعدى حدوده فاحل ما حرم الله وحرم ما احل الله فهو يجازيهم على سوء صنيعهم
قوله عز وجل وذروا ظاهر الاثم وباطنه يعني وذروا ايها الناس ما يوجب الاثم وهي الذنوب والمعاصي
كلها سرها وعلانيتها قليلها وكثيرها قال الربيع بن انس نهى الله عن ظاهر الاثم وباطنه ان يعمل به سرا وعلانية
وقال سعيد بن جبير في هذه الاية الظاهر منه قوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النسا الا ما قد سلف ونكاح المحارم
من الامهات والبنات والاخوات والباطن الزنا وقال السدى اما الظاهر فالزواني في الحوانيت وهن اصحاب
الرايات واما الباطن فالمراة يتخذها الرجل صديقة فياتيها سرا وقال الضحاك كان اهل الجاهلية يستسرون
بالزنا ويرون ان ذلك حلال الا ما كان سرا فحرم الله السر منه والعلانية وقال ابن زيد ظاهر الاثم طواف الرجال
بالبيت نهارا عراة وباطنه طواف النسا بالليل عراة وكان اهل الجاهلية يفعلون ذلك الى ان جا الاسلام فنهى الله

Copyright © King Saud University

عن ذلك كله وقيل ان ذلك النهي عام في جميع المحرمات التي نهى الله عنها وهو الاصح لان تخصيص العام وقصوره ببعضه من غير
دليل لا يجوز فعلى هذا القول يكون معنى الاية وذروا ما اعلنتم به وما اسررتم من الذنوب بالخوف من الله عز وجل لا الخوف
الناس وقيل المراد بظاهر الاثم افعال الجوارح وباطنه افعال القلوب فيدخل في ذلك الحسد والكبر والعجب وارادة
السوء للمسلمين ونحو ذلك وقوله تعالى ان الذين يكسبون الاثم يعني ان الذين يعملون بما نهاهم الله عنه ويرتكبون ما
حرم عليهم من المعاصي وغيرها سيجزون يعني في الاخرة بما كانوا يقترفون يعني بما كانوا يكسبون في الدنيا من الاثام
وظاهر هذا النص يدل على عقاب المذنب لانه مخصوص بمن لم يتب لان المسلمين اجمعوا على انه اذا تاب المذنب من
الذنب توبة صحيحة لم يعاقب وزاد اهل السنة في ذلك فقالوا المذنب اذا لم يتب فهو في خطر المشيئة ان شاء عاقبه
وان شاء عفا عنه بفضله وكرمه قوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال ابن عباس الاية في تحريم الميتات
وما في معناها من المنخنقة وغيرها وقال عطاء الاية في تحريم الذبائح التي كانوا يذبحونها على اسم الاصنام

فصل

اختلف العلماء في ذبيحة المسلم اذا لم يذكر اسم الله عليها فذهب قوم الى تحريمها سواء تركها عامدا او ناسيا وهو قول ابن سيرين
والشعبي ونقل الامام فخر الدين عن مالك ونقل عن عطاء انه قال كل ما لم يذكر اسم الله عليه من طعام او شراب فهو حرام
واحتجوا في ذلك بظاهر هذه الاية وقال الثوري وابو حنيفة ان ترك التسمية عامدا لا تحل وان تركها ناسيا حل وقال
الشافعي تحل الذبيحة سواء ترك التسمية عامدا او ناسيا ونقل البغوي عن ابن عباس ومالك ونقل ابن الجوزي عن احمد روايتين
فيما اذا ترك التسمية عامدا وان تركها ناسيا حلت فمن اباح اكل الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها قال المراد من الاية
الميتات وما ذبح على اسم الاصنام بدليل انه قال تعالى في سياق الاية وانه لفسق واجمع العلماء ان اكل ذبيحة المسلم
التي ترك التسمية عليها لا يفسق واحتجوا ايضا في اباحتها بما روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت قالوا يا رسول
الله ان هنا اقواما حديثا عهدهم بشرك ياتوننا بلحمان فلا ندري يذكرون اسم الله عليها ام لا قال اذكروا انتم اسم الله وكلوا
قالوا لو كانت التسمية شرطا للاباحة لكان الشك في وجودها مانعا من اكلها كالشك في اصل الذبح وقول الشافعي
في اول الاية وان كان عاما بحسب الصيغة الا انه اخرها لما حصلت فيه هذه القيود الثلاثة ومن قوله وانه لفسق
وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون علمنا ان المراد من هذا العموم هو الخصوص والفسق
ذكر اسم غير الله في الذبح كما قال في اخر السورة قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الى قوله او فسقا اهل لغير الله به فصار هذا
الفسق الذي اهل لغير الله به مفسرا لقوله وانه لفسق واذا كان كذلك كان قوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه
لفسق مخصوصا بما اهل لغير الله به والله اعلم وقوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم يعني ان الشياطين
يوسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم فيخاصموا محمدا صلى الله عليه وسلم وذلك ان المشركين قالوا يا محمد اخبرنا
عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا فتزعم ان ما قتلت انت واصحابك حلال وما قتله الكلب
والصقر حلال وما قتله الله حرام فانزل الله عز وجل هذه الاية وقال عكرمة لما نزلت هذه الاية في تحريم الميتة كتبت
فارس وهم المجوس الى مشركي قريش ان خاصموا محمدا وقولوا له ان ما ذبحت فهو حلال وما ذبحه الله فهو حرام فانزل الله
وان الشياطين يعني مردة الانس وهم المجوس ليوحون الى اوليائهم يعني مشركي قريش وكان بين فارس والعرب موالاة
ومكاتبة على الروم فعلى هذا يكون المراد بالوحي المكاتبة في خفية وان اطعتموهم يعني في اكل الميتة وما حرم الله
عليكم انكم لمشركون يعني انكم مثلهم في الشرك قال الزجاج فيه دليل على ان كل من احل شيئا مما حرم الله او حرم شيئا مما
احل الله فهو مشرك وانما سمي مشركا لانه اثبت حاكما غير الله عز وجل ومن كان كذلك فهو مشرك قوله عز وجل او من كان
ميتا فاحييناه يعني ومن كان ميتا بالكفر فاحييناه بالايمان وانما جعل الكفر موتا لانه جهل وجعل الايمان حياة لان الحي صاحب
بصر يهتدي الى رشده ولما كان الايمان يهدي الى الفوز العظيم والحياة الابدية شبهه بالحياة وجعلنا له نورا يمشي

به في الناس يعني وجعلنا له نورا يستضيء به في الناس ويهتدي به الى قصد السبيل قيل النور هو الاسلام
لانه يخلص من ظلمات الكفر لقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وقال قتادة هو كتاب الله القرآن لانه بينة
من الله مع المؤمنين كمن مثله في الظلمات يعني كمن هو في ظلمة الكفر وظلمة الجهالة وظلمة البصيرة ليس بخارج منها
يعني من تلك الظلمات وهذا مثل ضربه الله تعالى لحال المؤمن والكافر فبين ان المؤمن المهتدي بمنزلة من كان
ميتا فاحياه واعطاه نورا يهتدي به في مصالحه وان الكافر بمنزلة من هو في ظلمات منغمس فيها ليس بخارج منها
فيكون متحيرا على الدوام ثم اختلف المفسرون في هذين المثالين هل هما مخصوصان بانسانين معينين او هما
عامان في كل مؤمن وكافر فذكروا في ذلك قولين احدهما ان الاية في رجلين معينين ثم اختلفوا فيهما فقال ابن عباس
في قوله وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يريد حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم كمن مثله في الظلمات يريد
ابا جهل بن هشام وذلك ان ابا جهل رمى النبي صلى الله عليه وسلم بفرث فاخبر حمزة بما فعل ابو جهل وكان حمزة قد رجع
من صيد وبيده قوس وحمزة لم يؤمن بعد فاقبل حمزة غضبان حتى علا ابا جهل وجعل يضربه بالقوس وجعل ابو
جهل يتضرع الى حمزة ويقول يا ابا يعلى اما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب الهتنا وخالف اباءنا فقال حمزة ومن
اسفه منكم عقولا تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فاسلم حمزة يومئذ فانزل
الله هذه الاية وقال الضحاك نزلت في عمر بن الخطاب وابي جهل وقال عكرمة والكلبي نزلت في عمار بن ياسر وابي جهل
وقال مقاتل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل وذلك ان ابا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف
حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن حتى ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت هذه الاية
والقول الثاني وهو قول الحسن ان هذه الاية عامة في حق كل مؤمن وكافر وهذا هو الصحيح لان المعنى اذا كان
حاصلا في الكل دخل فيه كل احد وقوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون قال اهل السنة المزين
هو الله تعالى ويدل عليه قوله زينا لهم اعمالهم ولان حصول الفعل يتوقف على حصول الداعي وحصوله لا يكون الا بخلق
الله تعالى فدل ذلك على ان المزين هو الله تعالى وقالت المعتزلة المزين هو الشيطان ويرده ما تقدم وقوله تعالى وكذلك
جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها يعني وكما جعلنا في مكة اكابر وعظماء جعلنا في كل قرية اكابر وعظماء وقيل هو معطوف
على ما قبله ومعناه كما زينا للكافرين ما كانوا يعملون كذلك جعلنا في كل قرية اكابر جمع الاكبر ولا يجوز ان يكون مضافا
لانه لا يتم المعنى بل في الاية تقديم وتاخير تقديره وكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها اكابر وانما جعل المجرمين اكابر لانهم
اقدر على المكر والغدر وترويج الباطل بين الناس من غيرهم وانما حصل ذلك لاجل رياستهم وتلك سنة الله انه جعل
في كل قرية اتباع الرسل ضعفاءهم وجعل فساقهم اكابرهم ليمكروا فيها قال ابو عبيدة المكر الخديعة والحيلة
والغدر والفجور زاد بعضهم والغيبة والنميمة والايمان الكاذبة وترويج الباطل قال ابن عباس معناه ليقولوا
فيها الكذب وقال مجاهد جلس على كل طريق من طرق مكة اربعة نفر ليصرفوا الناس عن الايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم ويقولون هو كذاب ساحر كاهن فكان هذا مكرهم وما يمكرون الا بانفسهم يعني ما يحيق هذا المكر
الا بهم لان وبال مكرهم يعود عليهم وما يشعرون يعني ان وبال ذلك المكر يعود عليهم وقوله عز وجل واذا
جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني من النبوة وذلك ان الوليد بن المغيرة قال للنبي
صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت انا اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا فانزل الله
هذه الاية وقال مقاتل نزلت في ابي جهل وذلك انه قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان
قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فانزل الله هذه الاية واذا جاءتهم
اية يعني حجة بينة ودلالة واضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم قالوا يعني الوليد بن المغيرة وابا جهل

Copyright @ King Saud University

ابن هشام او كل واحد من روسا الكفر ويدل عليه الاية التي قبلها وهي قوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها
ليمكروا فيها فكان من مكرهم ان قريش قالوا لن نؤمن لك حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني من النبوة وانما قالوا
هذه المقالة الخبيثة حسدا منهم للنبي صلى الله عليه وسلم وفي قولهم لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قولان
احدهما وهو المشهور ان القوم ارادوا ان تحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبي صلى الله عليه وسلم وان يكونوا
متبوعين لا تابعين والقول الثاني وهو قول الحسن ومنقول عن ابن عباس ان المعنى واذا جاءتهم اية من القران
تامرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن لك يعني لن نصدقك حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله
يعني حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل يصدقك بانك رسول الله فعلى هذا القول لم يطلبوا النبوة وانما طلبوا ان تخبرهم
الملائكة بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وانه رسول من الله تعالى وعلى القول الاول انهم طلبوا ان يكونوا انبيا
ويدل على صحة هذا القول سياق الاية وهو قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته يعني انه تعالى يعلم من يستحق
الرسالة فيشرفه بها ويعلم من لا يستحقها ومن ليس باهل لها وانتم لستم لها باهل وان النبوة لا تحصل لمن يطلبها
خصوصا لمن عنده حسد ومكر وغدر وقال اهل المعاني الابلغ في تصديق الرسل ان يكونوا قبل البعثة مطاعين
في قومهم لان الطعن كان يتوجه عليهم فيقال انما كانوا روسا مطاعين فاتبعهم قومهم لاجل ذلك فكان الله
تعالى اعلم بمن يجعل الرسالة فجعلها لليتيم ابي طالب دون ابي جهل والوليد وغيرهما من اكابر قريش وروسائها وقوله
تعالى سيصيب الذين اجرموا صغار اي ذلة وهوان وقيل الصغار هو الذل الذي يصغر الى المرء نفسه فيه عند الله
يعني هذا من عند الله وقيل ان هذا الصغار ثابت لهم عند الله فعلى هذا القول انما يحصل لهم الصغار في الاخرة وقيل
معناه سيصيبهم صغار بحكم الله حكم به عليهم في الدنيا وعذاب شديد يعني في الاخرة بما كانوا يمكرون يعني انما حصل لهم
هذا الصغار والعذاب بسبب مكرهم وحسدهم وطلبهم ما لا يستحقون قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح
صدره للاسلام والايمان يقال شرح الله صدره فانشرح اي وسعه لقبول الايمان والخير فتوسع وذلك ان الانسان
اذا اعتقد في عمل من الاعمال ان نفعه زائد وخيره راجح وربحه ظاهر مال بطبعه اليه وقويت رغبته فيه فتسمى هذه
الحالة سعة النفس وانشراح الصدر وقيل الشرح الفتح والبيان يقال شرح فلان امره اذا اوضحه واظهره وشرح ،،
المسئلة اذا كانت مشكلة فاوضحها وبينها فقد ثبت ان للشرح معنيان احدهما الفتح ومنه يقال شرح
الكافر بالكفر صدرا اي فتحه بقبوله ومنه قوله تعالى ومن شرح بالكفر صدرا وقوله افمن شرح الله صدره للاسلام
يعني فتحه ووسعه لقبوله والثاني ان الشرح نور يقذفه الله في قلب العبد فيعرف بذلك النور الحق فيقبله وينشرح
صدره له ومعنى الاية فمن يرد الله ان يهديه للايمان بالله وبرسوله وبما جاء به من عنده يوفقه له ويشرح صدره لقبوله
ويهونه عليه ويسهله له بفضله وكرمه ولطفه به واحسانه اليه فعند ذلك يستنير الاسلام في قلبه فيضي به
ويتسع له صدره ولما نزلت هذه الاية سيل النبي صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال نور يقذفه الله في قلب
المومن فينشرح له وينفسح قيل فهل لذلك امارة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد
للموت قبل نزول الموت واسنده الطبري عن ابن مسعود قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت عليه هذه
الاية فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام قال اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا فهل لذلك من اية يعرف بها
قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت وقوله تعالى ومن يرد ان يضله يجعل
صدره ضيقا حرجا يعني يجعل صدره ضيقا حتى لا يدخله الايمان وقال الكلبي ليس للخير فيه منفذ وقال ابن عباس
اذا سمع ذكر الله اشماز قلبه واذا سمع ذكر الاصنام ارتاح الى ذلك وقرا عمر بن الخطاب هذه الاية وعنده اعرابي من كنانة
فقال له ما الحرجة فيكم قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الاشجار التي لا تصل اليها راعية ولا وحشية ولا شي فقال

عمر

عمر كذلك قلب المنافق لا يصل اليه شي من الخير واصل الحرج الضيق وهو ماخوذ من الحرجة وهي الاشجار الملتف بعضها
على بعض حتى لا يصل اليها شي وقرا ابن عباس هذه الاية فقال هل هنا احد من بني بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة
فيكم قال الوادي الكثير الشجر المستمسك الذي لا طريق فيه فقال ابن عباس كذلك قلب الكافر قال اهل المعاني
لما كان القلب محلا للعلوم والاعتقادات وصف الله تعالى قلب من يريد هدايته بالانشراح والانفساح ونوره
ليقبل ما اودعه الله من الايمان بالله ورسوله ووصف قلب من يريد ضلالته بالضيق الذي هو خلاف الشرح والانفساح
فدل ذلك على ان الله تعالى صير قلب الكافر بحيث لا يعي علما ولا استدلالا على توحيد الله تعالى والايمان به وفي الاية دليل
على ان جميع الاشيا بمشيئة الله وارادته حتى ايمان المومن وكفر الكافر وقوله تعالى كانما يصعد في السما يعني ان الكافر
اذا دعي الى الاسلام كانه قد كلف ان يصعد الى السما ولا يقدر على ذلك وقيل يجوز ان يكون المعنى كان قلب الكافر
يصعد الى السما نبوا وتكبرا عن الاسلام ونكرا وقيل ضاق عليه المذهب فلم يجد الا ان يصعد الى السما وليس يقدر على
ذلك وقيل هو من المشقة وصعوبة الامر فيكون المعنى ان الكافر اذا دعي الى الاسلام فانه يتكلف مشقة وصعوبة
في ذلك كمن يتكلف الصعود الى السما وليس يقدر على ذلك كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يومنون الكاف في ذلك تقتضي
التشبيه وفيه وجهان الاول معناه ان جعله الرجس عليهم كجعل صدورهم ضيقة حرجة والمعنى كما جعلنا صدورهم
ضيقة حرجة والمعنى كذلك يجعل الله الرجس عليهم الوجه الثاني قال الزجاج اي مثل ما قصصنا عليك كذلك
يجعل الله الرجس قال ابن عباس الرجس الشيطان اي يسلطه الله عليهم وقال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وفي رواية عن ابن عباس
ان الرجس العذاب وقال الزجاج الرجس في الدنيا اللعنة وفي الاخرة العذاب قوله عز وجل وهذا صراط ربك مستقيما
يعني وهذا الذي بيناه لك يا محمد في هذه السورة وغيرها من سور القران هو صراط ربك يعني دينه الذي شرعه
لعباده ورضيه وجعله مستقيما لا اعوجاج فيه قال ابن عباس في قوله وهذا صراط ربك مستقيما يعني الاسلام
وقال ابن مسعود يعني القران لانه يودي من تبعه وعمل به الى طريق الاستقامة والسداد قد فصلنا الايات
يعني قد فصلنا ايات القران بالوعد والوعيد والثواب والعقاب والحلال والحرام والامر والنهي وغير ذلك
من احكام القران لقوم يذكرون يعني لمن يتذكر بها ويتعظ بما فيها من المواعظ والعبر قال عطا يعني اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم باحسان لهم دار السلام عند ربهم يعني الجنة في قول جميع المفسرين قال الحسن
والسدي السلام هو الله تعالى وداره الجنة ومعنى السلام في اسمائه تعالى ذي السلام وهو جمع سلامة لانه
تعالى ذو السلامة من جميع الافات والنقائص فعلى هذا القول اضيفت الدار الى السلام الذي هو اسم الله تعالى
اضافة تشريف وتعظيم كما قيل للكعبة بيت الله وللنبي صلى الله عليه وسلم عبد الله في قوله وانه لما قام عبد الله
يدعوه واحتج لصحة هذا ان اضافة الدار الى الله تعالى فيها تشريفها وتعظيمها فكان ذكر الاضافة مبالغة
في تعظيم امرها وقيل ان السلام صفة للدار لانها دار السلامة الدائمة التي لا تنقطع فعلى هذا يكون السلام
بمعنى السلامة كانه قال لهم دار السلامة التي لا يلقون فيها شيا يكرهونه وقيل سميت بذلك لان جميع
حالاتها مقرونة بالسلامة كما قال تعالى في وصفها ادخلوها بسلام امنين والملائكة يدخلون عليهم من كل
باب سلام عليكم وقال تحيتهم فيها سلام وقال سلام قولا من رب رحيم لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما
وقوله عند ربهم يعني ان الجنة معدة مهياة لهم عند ربهم حتى يوصلهم اليها وهو وليهم بما كانوا يعملون يعني
انه تعالى يتولاهم بايصال المنافع اليهم ودفع المضار عنهم وقيل معناه انه يتولاهم في الدنيا بالتوفيق
والهداية وفي الاخرة بالجزاء والجنة وقيل الولي هو الناصر والقريب يعني انه تعالى ينصرهم في الدنيا ويقربهم
في الاخرة بسبب اعمالهم الصالحة التي كانوا يتقربون بها اليه في الدنيا قوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا اي اذكر

Copyright © King Saud University

يا محمد يوم نحشر المعادلين بالله الاصنام مع اوليايهم من الشياطين يعني نحشر المشركين والشياطين جميعا يوم القيامة يا معشر الجن فيه حذف تقديره فيقول لهم يا معشر الجن والمعشر الجماعة والمراد من الجن الشياطين قد استكثرتم من الانس يعني من اضلالهم واغوايهم وقال ابن عباس معناه اضللتم كثيرا من الانس وهذا التفسير لا بد له من تاويل لان الجن لا يقدرون على اضلال الانس واغوايهم بانفسهم لانه لا تاثير على الاشيا احد الا الله لانه هو المتصرف في خلقه بما شا فوجب ان يكون المعنى قد استكثرتم من الدعا الى الاضلال مع مصادفة القبول من الانس وقال اولياوهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض يعني استمتع الجن بالانس والانس بالجن فاما استمتاع الانس بالجن فقال الكلبي كان الرجل في الجاهلية اذا سافر فنزل بارض قفر وخاف على نفسه من الجن قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفها قومه فيبيت في جوارهم واما استمتاع الجن بالانس فهو انهم قالوا قد سدنا الانس مع الجن حتى عادوا لنا فيزدادون بذلك شرفا في قومهم وعظما في انفسهم وقيل استمتاع الانس بالجن هو ما كانوا يلقون اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم الامور التي كانوا يهوونها وتسهيل سبيلها عليهم واستمتاع الجن بالانس طاعة الانس للجن فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي وقيل استمتاع الانس بالجن هو طاعة الانس للجن فيما يامرونهم به وينهونهم عنه وتحكمهم فصاروا كالرؤسا للانس والانس كالاتباع وقيل ان قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض هو من كلام الانس خاصة لان استمتاع الجن بالانس وبالعكس امر نادر لا يكاد يظهر اما استمتاع الانس بعضهم ببعض ظاهر فوجب حمل الكلام عليه وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعني ان ذلك الاستمتاع كان الى اجل معين ووقت محدود ثم ذهب وبقيت الحسرة والندامة قال الحسن والسدي الاجل الموت وقيل هو وقت البعث للحساب في يوم القيامة قال يعني قال الله لهولا الذين استمتع بعضهم ببعض من الجن والانس النار مثواكم يعني ان النار مقامكم ومقركم فيها ومصيركم اليها خالدين فيها يعني مقيمين في نار جهنم ابدا الا ما شا الله اختلفوا في معنى هذا الاستثنا فقيل معناه خالدين فيها الا قدر مدة بعثهم ووقوفهم للحساب الى حين دخولهم الى النار فان هذا الوقت ليسوا بخالدين فيه في النار وقيل المراد من هذا الاستثنا هو اوقات نقلتهم من عذاب الى عذاب اخر وذلك انهم سيستغيثون من النار فينقلوا الى الزمهرير ثم يستغيثون منه فينقلون الى النار فكان مدة نقلتهم هو المراد من هذا الاستثنا ونقل جمهور المفسرين عن ابن عباس انه قال ان هذا الاستثنا يرجع الى قوم سبق فيهم علم الله انهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عليه وسلم فيخرجون من النار قالوا فعلى هذا التاويل تكون ما في قوله الا ما شا الله بمعنى من يعني الا من شا الله ونقل الطبري عن ابن عباس انه كان يتاول هذا الاستثنا ان الله عز وجل جعل امر هولا القوم في مبلغ عذابهم الى مشيته وقال في هذه الاية انه لا ينبغي لاحد ان يحكم على الله في خلقه لا ينزلهم جنة ولا نارا قال الزجاج والقول الاول اولى لان معنى الاستثنا انما هو من يوم القيامة لان قوله ويوم نحشرهم جميعا هو يوم القيامة ثم قال خالدين فيها منذ يبعثون الا ما شا الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدة محاسبتهم ان ربك حكيم عليم يعني في تدبير خلقه وتصريفه اياهم في مشيته من حال الى حال وغير ذلك من افعاله وقيل حكيم فيما يفعله من ثواب الطايع وعقاب العاصي وفي ساير وجوه المجازاة عليم يعني بعواقب امور خلقه وما هم اليه صايرون كما قال انما حكمت لهولا الكفار بالخلود في النار لعلمي بانهم يستحقون ذلك قوله عز وجل وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا الكاف في كذلك كاف التشبيه تقتضي شيا تقدم ذكره فالتقدير كما انزلت العذاب بالجن والانس الذين استمتع بعضهم ببعض كذلك نولي بعض الظالمين اي نسلط بعضهم على بعض فناخذ من الظالم بالظالم كما جا في الاثر من اعان ظالما سلطه الله عليه

وقال

وقال قتادة يجعل بعضهم اوليا بعض فالمؤمن ولي المؤمن حيث كان واين كان والكافر ولي الكافر حيث كان واين كان وفي رواية اخرى عن قتادة قال يتبع بعضهم بعضا في النار من الموالاة وقيل معناه نولي ظلمة الانس ظلمة الجن وظلمة الجن ظلمة الانس يعني نكل بعضهم الى بعض وقال ابن عباس في تفسير هذه الاية هو ان الله تعالى اذا اراد بقوم خيرا ولى عليهم خيارهم واذا اراد بقوم شرا ولى عليهم شرارهم فعلى هذا القول ان الرعية متى كانوا ظالمين سلط الله عليهم ظالما مثلهم فمن اراد ان يتخلص من ظلم ذلك الظالم فليترك الظلم وقوله تعالى بما كانوا يكسبون يعني يسلط عليهم من يظلمهم بسبب اعمالهم الخبيثة التي اكتسبوها قوله تعالى يا معشر الجن والانس المعشر كل جماعة امرهم واحد والجمع معاشر الم ياتكم رسل منكم اختلف العلما في معنى هذه الاية وهل كان من الجن رسول لهم ام لا فذهب اكثر العلما الى انه لم يكن من الجن رسول وانما كانت الرسل من الانس واجابوا عن قوله رسل منكم يعني من احدكم يعني الانس بحذف المضاف فهو كقوله يخرج منهما اللولو والمرجان وانما يخرج من احدهما وهو الملح دون العذب وانما جاز ذلك لان ذكرهما قد جمع في قوله مرج البحرين وبينهما برزخ فلما اتفق في اصله فلذلك لما اتفق ذكر الجن مع الانس جاز مخاطبتهما الى ما ينصرف الى احد الفريقين وهم الانس وهذا قول الفرا والزجاج ومذهب جمهور اهل العلم قال الواحدي وعليه دل كلام ابن عباس لانه قال يريد انبيا من جنسهم ولم يكن من جنس الجن انبيا وذهب قوم الى انه ارسل من الجن رسلا كما ارسل من الانس رسلا منهم قال الضحاك من الجن رسل كما من الانس رسل فظاهر الاية يدل على ذلك لانه تعالى قال الم ياتكم رسل منكم في خطاب الفريقين جميعا واجيب عن ذلك بان الله تعالى قال يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم وهذا يقتضي كون الرسل بعضا من ابعاض هذا المجموع وكان هذا القول اولى من حمل لفظ الاية على ظاهرها ثبت بذلك كون الرسل من الانس لا من الجن ويحتمل ايضا ان يقال ان كافة الرسل كانوا من الانس لكن الله تعالى يلقي الداعية في قلوب قوم من الجن حتى يسمعوا كلام الرسل من الانس ثم ياتوا قومهم من الجن فيخبروهم بما سمعوا من الرسل وينذرونهم به كما قال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين فكان اوليك النفر من الجن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومهم وهذا مذهب مجاهد فانه قال الرسل من الانس والنذر من الجن ونحو ذلك قال ابن جريج وابو عبيدة وقيل كان الرسل يبعثون الى الجن من الجن ولكن بواسطة رسل الانس والله اعلم بمراده واسرار كتابه قوله تعالى يقصون عليكم اياتي يعني يخبرونكم بما اوحي اليهم من اياتي الدالة على توحيدي وتصديق رسلي وينذرونكم لقا يومكم هذا يعني ويخوفونكم لقا عذابي في يومكم هذا وهو يوم القيامة وذلك ان الله تعالى يقول يوم القيامة لكفار الجن والانس على سبيل التقريع والتوبيخ ما اخبر في كتابه وهو قوله يا معشر الجن والانس الاية فيجيبون بما اخبر عنهم في قوله تعالى قالوا يعني كفار الجن والانس شهدنا على انفسنا اعترفوا بان الرسل قد اتتهم وبلغتهم رسالات ربهم وانذرتهم لقا يومهم هذا وانهم كذبوا الرسل ولم يومنوا بهم وذلك حين تشهد عليهم جوارحهم بالشرك قال الله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا يعني انما كان ذلك بسبب انهم غرتهم الحياة الدنيا ومالوا اليها وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين يعني في الدنيا **فان قلت** كيف اقروا على انفسهم بالكفر في هذه الاية وجحدوا الشرك والكفر في قوله والله ربنا ما كنا مشركين **قلت** يوم القيامة يوم طويل والاحوال فيه مختلفة فاذا راوا ما يحصل للمومنين من الخير والفضل والكرامة انكروا الشرك لعل ذلك الانكار ينفعهم وقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فحينئذ يختم على افواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر فذلك قوله تعالى وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين **فان قلت** لم كرر شهادتهم على انفسهم **قلت** شهادتهم الاولى اعترافهم بما كانوا عليه في الدنيا من الشرك والكفر وتكذيب الرسل وفي قوله شهدوا على انفسهم ذم لهم وتخطية لرايهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم

Copyright © King Saud University

وانهم قوم غرتهم الحياة الدنيا ولذاتها فكان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والمقصود
من شرح حالهم تحذير السامعين وزجرهم عن الكفر والمعاصي قوله عز وجل ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من بعثة
الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وقال الزجاج معناه ذلك الذي قصصنا عليك من امر الرسل وامر عذاب من
كذبهم ان لم يكن ربك يعني لانه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم قال الكلبي معناه لم يكن ليهلكهم بذنوبهم من قبل ان ياتيهم
الرسل فتنهاهم فان رجعوا والا اتاهم العذاب وهذا قول جمهور المفسرين وقال الفرا يجوز ان يكون المعنى لم يكن
ليهلكهم بظلم منه واهلها غافلون فعلى قول الجمهور يكون الظلم فعلا للكفار وهو شركهم وذنوبهم التي عملوها
وعلى قول الفرا انه لو اهلكهم قبل بعثة الرسل لكان ظالما والله عز وجل يتعالى عن الظلم والقول الاول اصح لانه تعالى
يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه في شي من افعاله غير انه اخبر انه لا يعذب قبل بعثة الرسل ولو فعل ذلك
لم يكن ظالما منه قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا يعني ولكل عامل بطاعة الله او بمعصيته درجات يعني منازل يبلغها
بعمله ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر وانما سميت درجات لتفاضلها في الارتفاع والانحطاط كتفاضل الدرج
وهذا انما يكون في الثواب والعقاب على قدر اعمالهم في الدنيا فمنهم من هو اعظم ثوابا ومنهم من هو اشد عقابا وهو قول
جمهور المفسرين وقيل ان قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا يختص باهل الطاعة لان لفظ الدرجة لا يليق الا بهم وقوله
تعالى وما ربك بغافل عما يعملون مختص باهل الكفر والمعاصي ففيه وعيد وتهديد لهم والقول الاول اصح لان علمه تعالى
شامل لكل المعلومات فيدخل فيه المومن والكافر والطايع والعاصي وانه عالم باعمالهم على التفصيل التام فيجزي كل عامل على
قدر عمله وما يليق به من ثواب وعقاب قوله عز وجل وربك الغني يعني عن خلقه وذلك انه تعالى لما بين ان لكل عامل
بطاعة او معصية درجة على قدر عمله بين ان تخصيص المطيعين بالثواب والعاصين بالعقاب ليس لانه محتاج الى طاعة
المطيع ومنتقص بمعصية العاصي بل هو الغني على الاطلاق وان جميع الخلق فقرا اليه ذو الرحمة قال ابن عباس باوليايه
واهل طاعته وقال الكلبي بخلقه ذو التجاوز عنهم فمن رحمته تاخير العذاب عن المذنبين لعلهم يتوبون ويرجعون
ان يشا يذهبكم يعني يهلككم والخطاب لاهل مكة ففيه وعيد وتهديد لهم ويستخلف يعني وينشي ويخلف من بعدكم
يعني من بعد اهلاككم ما يشا يعني من خلقا غيركم امثل واطوع منكم كما انشاكم من ذرية قوم اخرين اختلفت عبارات
المفسرين في هذه اللفظة فقال البغوي اباهم الماضين قرنا بعد قرن وهم اهل سفينة نوح عليه السلام وقال الامام
فخر الدين الرازي في قوله تعالى ويستخلف من بعدكم يعني من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الا على طريق البدل من فايت
واما قوله ما يشا فالمراد منه خلق ثالث او رابع واختلفوا فيه فقال بعضهم خلقا اخر من امثال الجن والانس قال القاضي
وهو الوجه الاقرب لان القوم يعلمون بالعادة انه تعالى قادر على انشا امثال هذا الخلق فمتى كمل خلق ثالث ورابع يكون
اولى في دلالة القدرة فكانه تعالى نبه على ان قدرته ليست مقصورة على جنس وجنس من الخلق الذين يصلحون
لرحمته العظيمة التي هي الثواب فبين بهذا الطريق انه تعالى لرحمته لهولا الاقوام الحاضرين انعام وامهلهم
ولو شا لاماتهم وافناهم وابدل منهم سواهم ثم بين الله تعالى قوة قدرته على ذلك فقال كما انشاكم من ذرية
قوم اخرين لان المراد اذا تفكر علم انه تعالى خلق الانسان من نطفة ليس فيها من صورته قليل ولا كثير فوجب
ان يكون ذلك بمحض القدرة والحكمة واذا كان كذلك فكما قدر على تصوير هذه الاجسام بهذه الخاصة فكذلك
يقدر على تصويرهم خلقا اخر مخالفا لهما هذا اخر كلامه وقال الطبري كما انشاكم من ذرية قوم اخرين يقول كما
احدثكم وابتدعكم من بعد خلق اخرين كانوا قبلكم ومعنى من في هذا الموضع التعقيب كما يقال في الكلام
اعطيتك من دينارك ثوبا يعني مكان الدينار ثوبا لا ان الثوب من الدينار بعض كذلك الذين خوطبوا بقوله
كما انشاكم لم يرد باخبارهم هذا الخبر انهم انشيوا من اصلاب قوم اخرين ولكن معنى ذلك ما ذكرنا انهم انشيوا

مكان

مكان قوم اخرين قد اهلكوا قبلهم قوله تعالى ان ما توعدون لات وما انتم بمعجزين يعني ما توعدون به من مجي الساعة
والبعث بعد الموت والحشر للحساب يوم القيامة ياتيكم بعد الموت قل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد
يا قوم اي قل لقومك من كفار قريش اعملوا على مكانتكم وقري على مكاناتكم على الجمع والمكانة تكون مصدرا يقال
مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكين وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة كما يقال مقام ومقامة فقوله اعملوا على مكانتكم
يكون معناه اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم ويحتمل ان يكون معناه اعملوا على حالتكم
التي انتم عليها كما يقال للرجل اذا امرته ان يثبت على حالة مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تتغير
عنه وقال ابن عباس معناه اعملوا على ناحيتكم اني عامل يعني اني عامل على مكانتي التي انا عليها وما امرني
به ربي والمعنى اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر والعداوة فاني ثابت على الاسلام والمصابرة **فان قلت**
ظاهر الاية يدل على امر الكفار بالاقامة على ما هم عليه من الكفر وذلك لا يجوز **قلت** معنى الامر
الوعيد والتهديد والمبالغة في الزجر عما هم عليه من الكفر فكانه قال اقيموا على ما انتم عليه من الكفر ان رضيتم
لانفسكم بالعذاب الدايم فهو كقوله تعالى اعملوا ما شيتم ففيه تفويض امر العمل اليهم على سبيل الزجر والتهديد
وليس فيه اطلاق لهم في عمل ما ارادوه من الكفر والمعاصي وقوله تعالى فسوف تعلمون يعني لمن تكون العاقبة
المحمودة لنا او لكم وقيل معناه فسوف تعلمون عند نزول العذاب بكم اينا كان على الحق في عمله نحن ام انتم
من تكون له عاقبة الدار يعني فسوف تعلمون غدا في القيامة لمن تكون له عاقبة الدار وهي الجنة انه لا يفلح
الظالمون قال ابن عباس معناه انه لا يسعد من كفر بي واشرك ثم في هذه الاية قولان احدهما انها محكمة
وهذا على قول من يقول ان المراد بقوله اعملوا على مكانتكم الوعيد والتهديد والقول الثاني انها منسوخة
باية السيف وهذا على قول من يقول ان المراد بها ترك القتال قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام
نصيبا الاية لما بين الله عز وجل قبح طريقة الكفار وما كانوا عليه من انكار البعث وغير ذلك عقبه بذكر انواع
من جهالاتهم واحكامهم الفاسدة تنبيها على ضعف عقولهم وفساد ما كانوا عليه في الجاهلية فقال تعالى
وجعلوا لله مما ذرا يعني مما خلق من الحرث يعني الزرع والثمر والانعام يعني ومن الانعام وهي الابل والبقر
والغنم نصيبا يعني قسما وجزا قال المفسرون كان المشركون في الجاهلية يجعلون لله من حروثهم وثمارهم
وانعامهم وساير اموالهم نصيبا وللاصنام نصيبا فما جعلوه من ذلك لله صرفوه الى الضيفان والمساكين وما
جعلوه للاصنام انفقوه عليها او على خدمها فان سقط منه شي مما جعلوه لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا
ان الله غني عن هذا وان سقط شي من نصيب الاوثان فيما جعلوه لله ردوه الى الاوثان وقالوا انها محتاجة
اليه وكانوا اذا هلك شي مما جعلوه لله لم يبالوا به واذا انتقص شي مما جعلوه للاوثان جبروه بما جعلوه لله فذلك
قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا وللاصنام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم يعني قولهم الذي هو عن غير حقيقة
لان معنى زعم حكاية قول يكون مظنة الكذب وكذلك لا يجي الا في موضع ذم القايل به وانما نسبوا الى الكذب
في قولهم هذا لله بزعمهم وان كانت الاشيا كلها لله لان اضافتهم نصيب الاصنام مع نصيب لله وهو قولهم وهذا لشركاينا
يعني الاصنام وانما سموا الاصنام شركا لانهم جعلوا لها نصيبا من اموالهم ينفقونه عليها فما كان لشركايهم يعني ما جعلوه
لها من الحرث والانعام فلا يصل الى الله يعني فلا يعطونه المساكين ولا ينفقونه على الضيفان وما كان لله فهو
يصل الى شركايهم والمعنى انهم كانوا يفرقون ما جعلوه للاصنام مما جعلوه لله ولا يفرقون ما جعلوه لله مما جعلوه
للاصنام وقال قتادة كانوا اذا اصابتهم سنة اي قحط وشدة استعانوا بما جعلوه لله واكلوا منه ووفروا
ما جعلوه لشركايهم ولم ياكلوا منه شيا وقال الحسن والسدي كانوا اذا هلك ما جعلوه لشركايهم اخذوا بدله مما

Copyright © King Saud University

جعلوه لله ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لشركائهم فلذلك ذمهم الله تعالى فقال ساء ما يحكمون يعني بئس ما يحكمون
ويقضون وذلك انهم رجحوا جانب الاصنام على جانب الله تعالى في الرعاية والحفظ وهذا سفه منهم وقيل ان الاشيا
كلها لله عز وجل وهو خلقها فلما جعلوا للاصنام جزا من المال وهي لا تملك ولا تخلق ولا تضر ولا تنفع نسبوا الى
الاساءة في الحكم والمقصود من ذلك بيان ما كانوا عليه في الجاهلية من هذه الاحكام الفاسدة التي لم يرد شرع ولا
نقل ولا يحسنها عقل قوله عز وجل وكذلك عطف على قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا يعني كما
فعلوا جهلا منهم كذلك زين لكثير منهم قتل اولادهم شركاؤهم والمعنى ان جعلهم لله نصيبا من اموالهم ولشركائهم
نصيبا وذلك في غاية الجهل بمعرفة الخالق المنعم لانهم جعلوا الاصنام مثله في استحقاق النصيب وكذلك اقدامهم
على قتل اولادهم في غاية الجهالة ايضا فكانه قال وعمل ذلك الذي فعلوه في القسم جهلا وخطا وضلالا كذلك
زين يعني حسن لكثير من المشركين قتل اولادهم يعني به وأد البنات احياء لاجل خوف الفقر والعيلة شركاؤهم يعني
شياطينهم امروا ان يقتلوا اولادهم خشية الفقر وسميت الشياطين شركا لانهم اطاعوهم فيما امروهم به من معصية
الله وقتل الاولاد فاشركوهم مع الله في وجوب طاعتهم واضيف الشركا الى المشركين لانهم اطاعوهم واتخذوهم
اربابا وقال الكلبي شركاؤهم سدنة الهتهم يعني خدامها وهم الذين كانوا يزينون ويحسنون للاولاد قتل الكفار
وكان الرجل في الجاهلية يقوم فيحلف لان ولد له كذا وكذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب على ابنه
عبد الله فعلى هذا القول الشركا هم السدنة وخدام الاصنام سموا شركا لانهم اشركوهم في الطاعة ليردوهم
يعني ليهلكوهم بذلك الفعل الذي امروهم به والارداء في اللغة الاهلاك قال ابن عباس ليردوهم في النار وليلبسوا
عليهم دينهم يعني وليخلطوا عليهم دينهم قال ابن عباس ليدخلوا عليهم الشك في دينهم وكانوا على دين اسماعيل
عليه السلام فرجعوا عنه لتلبيس الشياطين وانما فعلوا ذلك ليزيلوهم عن الدين الحق الذي كان عليه
اسماعيل وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فوضعوا لهم هذه الاوضاع الفاسدة وزينوها لهم ولو شاء الله ما
فعلوه ولو شاء الله لعصمهم من ذلك الفعل القبيح الذي زين لهم من تحريم الحرث والانعام وقتل الاولاد لان الله
عز وجل لو منع جميع الاشيا بمشيئته وارادته اذ لو لم يشا ما فعلوا ذلك فذرهم يعني فاتركهم يا محمد وما يفترون
يعني وما يختلقون من الكذب على الله فان الله لهم بالمرصاد قوله عز وجل وقالوا يعني المشركين هذه انعام وحرث
حجر اي حرام واصله من المنع من الانتفاع منه بتحريمه وقيل هو من التضييق والحبس لانهم كانوا يحبسون
اشيا من انعامهم وحروثهم لالهتهم قال مجاهد يعني بالانعام البحيرة والسائبة والوصيلة والحام لا يطعمها
الا من نشا بزعمهم وانعام حرمت ظهورها يعني الحوامي وهي التي حموا ظهورها عن الركوب فكانوا لا يركبونها يعني ياكلها
خدام الاصنام من الرجال دون النسا وانعام لا يذكرون اسم الله عليها يعني لا يذكرون اسم الله عليها عند الذبح وانما
كانوا يذكرون عليها اسما الاصنام وقيل معناه لا يحجون عليها ولا يركبونها لعمل الخير لانه لما جرت العادة بذكر
الله على فعل كل خير ذم هولا على فعل ترك الخير افترا عليه يعني انهم كانوا يفعلون هذه الافعال ويزعمون ان
الله امرهم بها وذلك اختلاق وكذب على الله عز وجل سيجزيهم بما كانوا يفترون فيه وعيد وتهديد لهم على افترائهم
على الله الكذب قوله عز وجل وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا يعني
نساءنا قال ابن عباس وقتادة والشعبي اراد اجنة البحاير والسوايب فما ولد منها حيا فهو خالص للرجال
دون النسا وما ولد منها ميتا اكله الرجال والنسا جميعا وهو قوله وان يكن ميتة فهم فيه شركا وادخلت الها في
خالصة للتاكيد والمبالغة كقولهم رجل علامة ونسابة وقال الفرا ادخلت الها لتانيث الانعام
لان ما في بطونها مثلها فانثت بتانيثها وقال الكسائي خالص وخالصة واحد مثل وعظ وموعظة

وقيل

وقيل اذا كان اللفظ عبارة عن مونث جاز تانيثه على المعنى وتذكيره على اللفظ كما في هذه الاية فانه انث
خالصة على المعنى وذكر محرم على اللفظ سيجزيهم وصفهم يعني سيكافيهم بسبب وصفهم على الله الكذب انه
حكيم عليم فيه وعيد وتهديد يعني انه تعالى حكيم فيما يفعله عليم بقدر استحقاقهم قوله تعالى قد خسر الذين
قتلوا اولادهم سفها بغير علم قال عكرمة نزلت فيمن يئد البنات من ربيعة ومضر وكان الرجل يشترط على الرجل
ان يستحيي جاريته ويئد اخرى فاذا كانت الجارية التي توأد غدا الرجل وراح من عند امراته
وقال لها انت علي كظهر امي ان رجعت اليك ولم تئديها فتخد لها في الارض خدا وترسل الى نسائها
فيجتمعون عندها ثم يتداولونها بينهم حتى اذا ابصرته راجعا دستها في حفرتها ثم سوت عليها
التراب وقال قتادة هذا من صنيع اهل الجاهلية كان احدهم يقتل ابنته مخافة السبي والفاقة ويغذو كلبه
اما سبب الخسران المذكور في قوله قد خسر الذين قتلوا اولادهم ان الولد نعمة عظيمة انعم الله بها على الوالد فاذا
تسبب الرجل في ازالة هذه النعمة عنه وابطالها فقد استوجب الذم وخسر في الدنيا والاخرة اما خسارته في
الدنيا فقد سعى في نقص عدده وازالة ما انعم الله به عليه واما خسارته في الاخرة فقد استحق بذلك العذاب
العظيم وقوله سفها بغير علم يعني فعلوا ذلك للسفاهة وهي الخفة والجهالة المذمومة وسبب حصول هذه
السفاهة قلة العلم بل عدمه لان الجهل كان هو الغالب عليهم قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولهذا سموا جاهلية وقوله تعالى وحرموا ما رزقهم الله يعني البحاير والسوايب والحامي وبعض الحروث وبعض
ما في بطون الانعام وهذا ايضا من اعظم الجهالة افترا على الله يعني انهم فعلوا هذه الافعال المذمومة وزعموا
ان الله امرهم بذلك وهذا افترا على الله وكذب وهذا من اعظم الجهالة لان الجرأة على الله والكذب عليه من
اعظم الذنوب واكبر الكباير ولهذا قال تعالى قد ضلوا يعني في فعلهم عن طريق الحق والرشاد وما كانوا مهتدين
يعني الى طريق الحق والصواب في فعلهم خ عن ابن عباس قال اذا سرك ان تعلم جهل العرب فاقرا ما فوق الثلاثين والماية
من سورة الانعام قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم الى قوله وما كانوا مهتدين قوله عز وجل وهو الذي
انشا جنات معروشات يعني والله الذي ابتدع وخلق جنات يعني بساتين معروشات وغير معروشات
يعني مسموكات مرتفعات وغير مرتفعات واصل العرش في اللغة شي مسقف يجعل عليه الكرم وجمعه عروش
يقال عرشت الكرم اعرشه عرشا وعرشته تعريشا اذا جعلته كهيئة السقف واعترش العنب العريش اذا علاه
وركبه واختلفوا في معنى قوله معروشات فقال ابن عباس المعروشات ما انبسط على الارض وانتشر مما
يعرش مثل الكرم والقرع والبطيخ ونحو ذلك وغير معروشات ما قام على ساق ونسق كالنخل والزرع وساير
الشجر وقال الضحاك كلاهما في الكرم خاصة لان منه ما يعرش ومنه ما لم يعرش بل يبقى على وجه الارض منبسطا
وقيل المعروشات ما عرشه الناس في البساتين واهتموا به فعرشوه من كرم وغيره وغير معروشات هو ما انبته
الله في البراري والجبال من كرم او شجر والنخل والزرع يعني وانشا النخل والزرع وهو جميع الحبوب التي تقتات
وتدخر مختلفا اكله يعني به اختلاف الطعوم في الثمار كالحلو والحامض والجيد والردي ونحو ذلك والزيتون والرمان
متشابها يعني في المنظر وغير متشابه يعني في المطعم كالرمانتين لونهما واحد وطعمهما مختلف وقيل
ان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان ولكن ثمرتهما مختلفة في الجنس والطعم كلوا من ثمره اذا اثمر لما ذكر ما انعم
الله به على عباده من خلق هذه الجنات المحتوية على انواع من الثمار ذكر ما هو المقصود الاصلي وهو الانتفاع بها
فقال تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر وهذا امر اباحة وتمسك بهذا بعضهم فقال الامر قد يرد لغير الوجوب لان
هذه الصيغة مفيدة لدفع الحرج وقال بعضهم المقصود منه اباحة الاكل قبل اخراج الحق لانه تعالى لما اوجب

Copyright © King Saud University

الزكاة في الحبوب والثمار كان يحتمل ان يحرم على المالك ان ياكل منها شيئا لمكان شركة الفقراء والمساكين معه فاباح
الله ان ياكل قبل اخراج الحق الواجب عليه فيه لان رعاية حق النفس مقدمة على رعاية حق الغير وقيل انما قال تعالى
كلوا من ثمره اذا اثمر بصيغة الامر ليعلم ان المقصود من خلق هذه الاشيا التي انعم الله بها على عباده هو الاكل **وآتوا حقه**
يوم حصاده يعني يوم جذاذه وقطعه واختلفوا في هذا الحق المامور باخراجه فقال ابن عباس وانس بن مالك هو
الزكاة المفروضة وهذا قول طاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب ومحمد بن الحنفية وقتادة قال
قتادة في قوله وآتوا حقه يوم حصاده والصدقة المفروضة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم سن فيما
سقت السماء والعين السائحة او سقاه الغيل والغيل الوادي او كان بعلا العشور كاملا وان سقي بنضح او سانية فنصف
العشور وهذا فيما يكال من الثمرة او الزرع وبلغ خمسة اوسق وذلك ثلثمائة صاع وجب فيه حق الزكاة وفي رواية عن
ابن عباس في قوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده قال هو العشر ونصف العشر **فان قلت** على هذا
التفسير اشكال وهو ان فرض الزكاة كان بالمدينة وهذه السورة مكية فكيف يمكن حمل قوله وآتوا حقه يوم حصاده
على الزكاة المفروضة **قلت** ذكر ابن الجوزي في تفسيره عن ابن عباس وقتادة ان هذه الآية نزلت
بالمدينة فعلى هذا القول تكون الآية محكمة نزلت في حكم الزكاة وان قلنا ان الآية مكية تكون منسوخة باية الزكاة لانه
قد روي عن ابن عباس انه قال نسخت اية الزكاة كل صدقة في القرآن وقيل في قوله وآتوا حقه يوم حصاده انه حق سوى
الزكاة فرض يوم الحصاد وهو اطعام من حضر وترك ما سقط من الزرع والثمر وهذا قول علي بن الحسين وعطاء ومجاهد وحماد
قال ابراهيم هو الضغث وقال ابراهيم الربيع هو لقاط السنبل وقال مجاهد كانوا يعلقون العذق عند الصرام فياكل منه من
مر وقال يزيد بن الاصم كان اهل المدينة اذا صرموا النخل يجيئون بالعذق فيعلقونه في جانب المسجد فيجيء المسكين فيضربه
بعصاه فيسقط منه فياكله فعلى هذا القول هل هذا الحق على الالزام وجوبا او استحبابا وندب فيه قولان احدهما
انه امر وجوب فيكون منسوخا باية الزكاة ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابي هل علي غيرها قال لا الا
ان تطوع والقول الثاني انه امر ندب واستحباب فتكون الآية محكمة وقال سعيد بن جبير كان هذا حقا يؤمر
باخراجه في ابتدا الاسلام ثم صار منسوخا بايجاب العشر ولقول ابن عباس نسخت اية الزكاة كل صدقة في القرآن واختار
هذا القول الطبري ومحمد واختار الواحدي والرازي القول الاول ومحمد **فان قلت** على القول الاول
كيف تؤدى الزكاة يوم الحصاد والحب في السنبل وانما يجب الاخراج بعد التصفية والجفاف **قلت** معناه
قدروا اخراج الواجب منه يوم الحصاد فانه قريب من زمان التنقية والجفاف ولان النخل يجب اخراج الحق منه
يوم حصاده وهو الصرام والزرع محمول عليه الا انه لا يمكن اخراج الحق منه الا بعد التنقية وقيل معناه وآتوا حقه
الذي وجب يوم حصاده بعد التصفية وقيل ان فائدة ذكر الحصاد ان الحق لا يجب بنفس الزرع وبلوغه انما يجب
يوم حصاده وحصوله في يد مالكه لا فيما يتلف من الزرع قبل حصوله في يد مالكه وقوله تعالى **ولا تسرفوا** الاسراف
تجاوز الحد فيما يفعله الانسان وان كان في الانفاق اشهر وقيل السرف تجاوز ما حد لك وسرف المال انفاقه
في غير منفعة ولهذا قال سفيان ما انفقت في غير طاعة الله فهو سرف وان كان قليلا قال ابن عباس في رواية عنه
عمد ثابت بن قيس بن شماس فصرم خمسمائة نخلة فقسمها في يوم واحد ولم يترك لاهله شيئا فانزل الله هذه الآية
ولا تسرفوا وقال السدي معناه لا تعطوا اموالكم وتقعدوا فقراء قال الزجاج فعلى هذا لو اعطى الانسان كل ماله
ولم يوصل الى عياله شيئا فقد اسرف لانه قد صح في الحديث ابدأ بمن تعول وقال سعيد بن المسيب معناه لا تمنعوا الصدقة
فتاويل الآية على هذا القول لا تتجاوزوا الحد في البخل والامساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة وهذان القولان
يشتركان في ان المراد من الاسراف مجاوزة الحد الا ان الاول في البذل والاعطاء والثاني في الامساك والبخل وقال

مقاتل

مقاتل معناه لا تشركوا الاصنام في الحرث والانعام وهذا القول ايضا يرجع الى مجاوزة الحد لان من اشرك الاصنام في الحرث
والانعام فقد جاوز ما حد له وقال الزهري معناه لا تنفقوا في معصية الله عز وجل وقال مجاهد الاسراف ما قصرت
به في حق الله تعالى ولو كان ابو قبيس ذهبا فانفقته في طاعة الله لم تكن مسرفا ولو انفقت درهما او مدا في معصية الله
كنت مسرفا وقال ابن زيد انما هو خطاب بهذا للسلطان نهاه ان ياخذ من ربه المال فوق الذي الزم الله ماله يقول الله عز
وجل للسلاطين لا تسرفوا انه لا تاخذوا بغير حق فكانت الآية بين السلاطين وبين الناس وقوله تعالى **انه لا يحب**
المسرفين فيه وعيد وزجر عن الاسراف وكل شيء لان من لا يحبه الله فهو من اهل النار قوله تعالى **ومن الانعام** يعني
وانشا من الانعام **حمولة** وهو كل ما يحمل عليها من الابل **وفرشا** يعني صغار الابل التي لا تحمل قال ابن عباس الحمولة هي الكبار
من الابل والفرش هي الصغار من الابل وقال في رواية اخرى عنه ذكرها الطبري اما الحمولة فالابل والخيل والبغال
والحمير وكل شيء يحمل عليه واما الفرش فالغنم وقال الربيع بن انس الحمولة الابل والبقر والفرش المعز والضان فالحمولة
كل ما يحمل عليها من الانعام والفرش ما لا يصلح للحمل سمي فرشا لانه يفرش للذبح ولانه قريب من الارض لصغره
كلوا مما رزقكم الله يعني كلوا مما احله الله لكم من هذه الانعام والحرث **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** يعني لا تسلكوا طريقه
وآثاره في تحريم الحرث والانعام كما فعله اهل الجاهلية **انه** يعني الشيطان **لكم عدو مبين** يعني انه مبين العداوة
لكم ثم بين الحمولة والفرش فقال عز وجل **ثمانية ازواج** يعني وانشا من الانعام ثمانية ازواج يعني ثمانية
اصناف والزوج في اللغة الفرد اذا كان معه آخر من جنسه لا ينفك عنه فيطلق لفظ الزوج على الواحد كما
يطلق على الاثنين فيقال للذكر زوج وللانثى زوج **من الضان اثنين** يعني الذكر والانثى والضان ذوات
الصوف من الغنم والواحد ضائن والانثى ضائنة والجمع ضوائن **ومن المعز اثنين** يعني الذكر والانثى والمعز ذوات
الشعر من الغنم والواحد ماعز والجمع معز **قل آلذكرين حرم ام الانثيين** استفهام انكار اي قل يا محمد لهؤلاء الجهلة آلذكرين
من الضان والمعز حرم فانها لا تشتمل الا على ذكر او انثى **نبئوني** اخبروني وفسروا لي ما حرم منهم **بعلم ان كنتم صادقين**
يعني ان الله حرم ذلك عليكم **ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين** وهذه اربعة ازواج اخر بقية الثمانية قل آلذكرين حرم ام
الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين وتفسير هذه الآية نحو ما تقدم ومعنى الآية تقريع وتوبيخ
من الله تعالى لاهل الجاهلية بتحريمهم ما لم يحرمه الله وذلك انهم كانوا يقولون هذه انعام وحرث حجر وقالوا ما في
بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وكانوا
يحرمون بعضها على الرجال والنساء وبعضها على النساء دون الرجال كما اخبر الله عنهم في كتابه فلما جاء الاسلام وثبتت
الاحكام جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم وكان خطيبهم مالك بن عوف الجشمي فقال يا محمد بلغنا انك تحرم اشيا
مما كان آباؤنا يفعلونه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرمتم اصنافا من النعم على غير اصل وانما خلق هذه
الازواج الثمانية للاكل والانتفاع بها فمن اين جاء هذا التحريم من قبل الذكر ام من قبل الانثى فسكت مالك
بن عوف وتحير ولم يتكلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لمالك يا مالك لا تتكلم فقال بل انت تكلم واسمع منك فقال
المفسرون فلو قال جاء التحريم من قبل الذكر بسبب الذكورة وجب ان يحرم جميع الذكور ولو قال بسبب الانوثة وجب
ان يحرم جميع الاناث وان كان باشتمال الرحم عليه فينبغي ان يحرم الكل لان الرحم لا يشتمل الا على ذكر او انثى واما تخصيص
التحريم بالولد الخامس او السابع او بالبعض دون البعض فمن اين لكم التحريم فاحتج الله على بطلان دعواهم بهذين الآيتين
واعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان كل ما قالوه من ذلك واضافوه الى الله فهو كذب على الله وانه لم يحرم شيء من ذلك
وانهم اتبعوا في ذلك اهواءهم وخالفوا امر ربهم وذكر الامام فخر الدين في معنى الآية وجهين آخرين ونسبهما الى القسمة
فقال ان الكلام ما ورد على سبيل الاستدلال على بطلان قولهم بل هو استفهام على سبيل الانكار يعني انكم

حرم عليكم ام الانثيين فيهما فان
كان تحريم الانثيين من الغنم فكل ذكورها
كان تحريم الانثيين فكل
حرام وان كان تحريم ما اشتملت عليه ارحام
انهما حرام ام ما اشتملت عليه ارحام
الانثيين يعني ام حرم ما اشتملت الضان
عليه ارحام الانثيين فانها لا تشتمل الا على ذكر او انثى
والمعز فانها لا تشتمل
صح

Copyright King Saud University

لا تقرون بنبوة نبي ولا تعرفون شريعة شارع فكيف تحكمون بان هذا يحل وهذا يحرم والوجه الثاني انكم حكمتم بالبحيرة والسائبة
والوصيلة والحام مخصوصا بالابل فالله تعالى بين ان النعم عبارة عن هذه الانواع الاربعة وهي الضان والمعز والبقر
والابل فلما لم تحكموا بهذه الاحكام في هذه الانواع الثلاثة وهي الضان والمعز والبقر فكيف خصصتم الابل بهذا الحكم
دون هذه الانواع الثلاثة قوله تعالى ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهولا
الجهلة من المشركين الذين يزعمون ان الله حرم عليهم ما حرموا على انفسهم من الانعام والحرث هل شاهدتم الله حرم هذا
عليكم ووصاكم به فانكم لا تقرون بنبوة احد من الانبيا فكيف تثبتون هذه الاحكام وتنسبونها الى الله عز وجل
ولما احتج الله عليهم بهذه الحجة وبين انهم لا مستند لهم في ذلك قال تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل
الناس بغير علم يعني فمن اشد ظلما وابعد عن الحق ممن يكذب على الله ويضيف تحريم ما لم يحرمه الله الى الله ليضل الناس
بذلك ويصدهم عن سبيل الله جهلا منه ليس هو على بصيرة وعلم في ذلك الذي ابتدعه ونسبه الى الله ويقول ان الله
امرنا بهذا قيل اراد به عمرو بن لحي لانه هو اول من بحر البحاير وسيب السوايب وغير دين ابراهيم عليه السلام ويدخل
في هذا الوعيد من كان على طريقته او ابتدع شيا لم يامر الله به ولا رسوله ونسب ذلك الى الله تعالى لان اللفظ
عام فلا وجه للتخصيص فكل من ادخل في دين الله ما ليس فيه فهو داخل في هذا الوعيد ان الله لا يهدي القوم الظالمين
يعني ان الله لا يرشد ولا يوفق من كذب على الله واضاف اليه ما لم يشرعه لعباده قوله عز وجل قل لا اجد فيما اوحي
الي محرما على طاعم يطعمه اعلم انه لما بين الله تعالى فساد طريقة اهل الجاهلية وما كانوا عليه من التحريم والتحليل
من عند انفسهم واتباع اهوايهم فيما احلوه وحرموه من المطعومات اتبعه بالبيان الصحيح في ذلك وبين ان
التحليل والتحريم لا يكون الا بوحي سماوي وشرع نبوي فقال تعالى قل اي قل يا محمد لهولا المشركين الجاهلين
الذين يحلون ويحرمون من عند انفسهم لا اجد فيما اوحي وقيل المعنى او انما المحرم ما قيل قل لا اجد فيما اوحي الي محرما يعني
شيا محرما على طاعم يطعمه يعني على اكل ياكله الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا يعني سايلا مصبوبا او لحم خنزير فانه رجس
نجس او فسقا اهل لغير الله به يعني ما ذبح على غير اسم الله تعالى فبين الله تعالى في هذه الاية ان التحريم والتحليل لا يكون
الا بوحي به وان المحرمات محصورة في الاربعة اشيا المذكورة في هذه الاية وهي الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير
وما ذبح على غير اسم الله وهذا معنى قوله ان التحريم لا يخرج عن هذه الاربعة وذلك انه ثبت ان لا طريق الى معرفة المحرمات
الا بالوحي وثبت ان الله تعالى نص في هذه الاية على هذه الاربعة اشيا ولهذا اختلف العلما في حكم هذه الاية فذهب
بعضهم الى ظاهرها وانه لا يحرم شي من سائر المطعومات والحيوان الا ما ذكر في هذه الاية يروى ذلك عن ابن عباس
وعايشة وسعيد بن جبير وهو ظاهر مذهب مالك واحتجوا على ذلك بان هذه الاية محكمة لانها خبر والخبر لا يدخل
النسخ واحتجوا بان هذه الاية وان كانت مكية لكن يعضدها اية مدنية وهي قوله تعالى في سورة البقرة انما حرم
عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله وكلمة انما تفيد الحصر فصارت هذه الاية المدنية مطابقة للاية
المكية في الحكم وذهب جمهور العلما الى ان هذا التحريم لا يختص بهذه الاشيا المنصوص عليها في هذه الاية فان
المحرم بنص الكتاب هو ما ذكر في هذه الاية وقد حرمت السنة اشيا فوجب القول بها منها تحريم الحمر الاهلية وكل
ذي ناب من السباع ومخلب من الطير عن المقدام بن معد يكرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا هل عسى
رجل يبلغه الحديث عني وهو متكي على اريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه
وما وجدنا فيه حراما حرمناه وانما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله تعالى اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب ولابي داود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اني اوتيت الكتاب ومثله
معه الا يوشك رجل شبعان على اريكته يقول عليكم بهذا القران فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من

حرام

١٦

حرام فحرموه الا لا يحل لكم الحمار الاهلي ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطة معاهد الا ان يستغني عنها صاحبها ومن نزل
بقوم فعليهم ان يقروه فان لم يقروه فله ان يعقبهم بمثل قراه عن ابن عباس قال كان اهل الجاهلية ياكلون اشيا ويتركون
اشيا تقذرا فبعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وانزل كتابه واحل حلاله وحرم حرامه فما احل فهو حلال وما حرم فهو
حرام وما سكت عنه فهو عفو وتلا قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الاية اخرجه
ابو داود م عن ابن عباس قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير م عن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن اكل لحوم الحمر الاهلية ق عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر
الاهلية واذن في الخيل وفي رواية اكلنا زمن خيبر الخيل وحمر الوحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي
عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن اكل الهر واكل ثمنه وقد استثنى الشارع من الميتة السمك والجراد
ومن الدم الكبد والطحال واباح اكل ذلك وقد تقدم دليله والاصل في ذلك عند الشافعي ان كل ما لم يرد فيه نص
بتحليل وتحريم فما كان امر الشرع بقتله كما ورد في الصحيح خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم وهي الحية والعقرب
والفارة والحداة والكلب العقور وروي عن سعد بن ابي وقاص ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتل الوزغ
اخرجه البخاري ومسلم وسماه فويسقا وعن ابن عباس قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل اربع من الدواب
النملة والنحلة والهدهد والصرد اخرجه ابو داود فهذا كله حرام لا يحل اكله وما سوى ذلك فالمرجع فيه الى
الاغلب من عادة العرب فما يستطيبه العرب الاغلب منهم فهو حلال وما يستخبثه الاغلب منهم ولا ياكلونه فهو
حرام لان الله خاطبهم بقوله احل لكم الطيبات فما استطابوه فهو حلال فهذا تقرير ما يحل ويحرم من المطعومات واما
الجواب عن هذه الاية الكريمة فمن وجوه احدها ان يكون المعنى لا اجد محرما مما كان اهل الجاهلية يحرمونه من البحاير
والسوايب وغيرها الا ما اوحي الي في هذه الاية الوجه الثاني ان يكون المراد وقت نزول هذه لم يكن محرما غير ما ذكر
ونص عليه في هذه الاية ثم حرم بعد نزولها اشيا اخر الوجه الثالث يحتمل ان هذا اللفظ العام خص بدليل اخر وهو
ما ورد في السنة الوجه الرابع ان ما ذكر في هذه الاية محرم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما ورد في
السنة من المحرمات والله اعلم بقي في الاية احكام في قوله تعالى ودما مسفوحا وهو ما سال من الحيوان في حال الحياة
وعند الذبح فان ذلك الدم حرام نجس وما سوى ذلك كالكبد والطحال فانهما حلال لانهما دمان جامدان وقد ورد الحديث
باباحتهما واما ما اختلط باللحم من الدم لا يمكن تمييزه قال عمران بن جدير سالت ابا مجلز عما يختلط باللحم من الدم وعن القدر
يرى فيها حمرة الدم فقال لا باس بذلك انما نهى عن الدم المسفوح وقال ابراهيم النخعي لا باس بالدم في عرق او مخ الا المسفوح
وقال عكرمة لولا هذه الاية لتتبع المسلمون الدم من العروق كما تتبع اليهود وقوله تعالى فمن اضطر غير باغ ولا عاد لما بين
الله المحرمات في هذه الاية ثم اباح اكلها عند الاضطرار من غير بغي ولا عدوان وفي قوله فان ربك غفور رحيم دليل على
الرخصة والاباحة عند الاضطرار قوله تعالى وعلى الذين هادوا يعني اليهود حرمنا كل ذي ظفر قال ابن عباس هو البعير
والنعامة ونحو ذلك من الدواب وقيل كل ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهايم والطير مثل البعير والنعامة والاوز والبط
قال القتيبي هو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وسمي الحافر ظفرا على الاستعارة ومن البقر والغنم
حرمنا عليهم شحومهما يعني شحم الجوف وهي الثروب وشحم الكليتين الا ما حملت ظهورهما يعني الا ما علق بالظهر
والجنب من داخل بطونهما من الشحم فانه غير محرم عليهم وقال السدي وابو صالح الالية مما حملت ظهورهما وهذا القول
مختص بالغنم لان البقر ليس لها الية او الحوايا وهي المباعر في قول ابن عباس وجمهور المفسرين واحدتها حاوية وحوية
وقيل الحوايا المباعر والمصارين غير محرم على اليهود وما اختلط بعظم يعني من شحم الالية لانه اختلط بالعصعص
وكذا الشحم المختلط بالعظام التي تكون في الجنب والراس والعين فكل هذا حلال على اليهود وحاصل هذا ان الذي

حرم عليهم شحم الثرب وشحم الكلية وما عدا ذلك فهو حلال لهم (ق) عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول عام الفتح بمكة ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام فقيل يا رسول الله ارايت شحوم الميتة
فانه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عند ذلك قاتل الله اليهود ان الله لما حرم عليهم شحومها جملوه ثم باعوه فاكلوا ثمنه قوله جملوه يعني اذابوه يقال اجملت
الشحم وجملته اذا اذبته وجملته اكثر وافصح وقوله تعالى ذلك جزيناهم اى ذلك التحريم جزيناهم عقوبة ببغيهم يعني بسبب
بغيهم وظلمهم وهو قتل الانبياء واخذ الربا واستحلالهم اموال الناس بالباطل وانا لصادقون يعني في الاخبار عن بغيهم وفي
الاخبار عن تخصيصهم بهذا التحريم فان كذبوك يعني فان كذبك اليهود يا محمد فيما اخبرناك انا حرمنا عليهم واحللنا لهم
مما بيناه في هذه الاية المتقدمة فقل ربكم ذو رحمة واسعة يعني بتاخير العقوبة عنكم فان رحمته تسع المسيء والمحسن فلا
يعجل بالعقوبة على من كفر به او عصاه ولا يرد باسه يعني ولا يرد عذابه ونقمته اذا جاء وقتها عن القوم المجرمين يعني الذين
كذبوا الانبياء وهم الكفار واليهود وقوله عز وجل سيقول الذين اشركوا لما لزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه
من الشرك بالله وتحريم ما لم يحرمه الله اخبر الله تعالى عنهم بما سيقولونه فقال تعالى سيقول الذين اشركوا يعني مشركي قريش
والعرب لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا يعني من قبل قال المفسرون جعلوا قولهم لو شاء الله ما اشركنا حجة على قامتهم على الكفر
والشرك وقالوا ان الله قادر على ان يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله فلولا انه رضي ما نحن عليه واراد منا
وامرنا به لحال بيننا وبين ذلك ولا حرمنا من شيء يعني ما حرموه من البحائر والسوائب وغير ذلك فقال الله عز وجل
ردا وتكذيبا لهم كذلك كذب الذين من قبلهم يعني من كفار الامم الخالية الذين كانوا قبل قومك كذبوا انبياءهم وقالوا
مثل قول هؤلاء حتى ذاقوا باسنا يعني عذابنا **فصل** استدل القدرية والمعتزلة بهذه الاية فقالوا ان القوم
لما قالوا لو شاء الله ما اشركنا كذبهم الله ورد عليهم بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم وايضا فان الله تعالى حكى عن
هؤلاء الكفار صريح مذهب الجبرية وهو قولهم لو شاء الله منا ان لا نشرك لم نشرك ولمنعنا عن هذا الكفر وحيث لم يمنعنا
عنه ثبت انه مريد له واذا اراده منا امتنع تركه منا **والجواب** عن هذا ان الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار انهم قالوا
لو شاء الله ما اشركنا ثم ذكر عقبيه كذلك كذب الذين من قبلهم وهذا التكذيب ليس هو في قولهم لو شاء الله ما اشركنا بل ذلك
القول حق وصدق ولكن الكذب في قولهم ان الله امرنا به ورضي ما نحن عليه كما اخبر عنهم في سورة الاعراف واذا فعلوا فاحشة قالوا
وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها فرد الله تعالى عليهم بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء والدليل ان التكذيب في قولهم ان الله
امرنا بهذا ورضيه منا لا في قولهم لو شاء الله ما اشركنا قوله كذلك كذب الذين من قبلهم بالتشديد ولو كان خبرا من الله عز كذبهم
في قولهم لو شاء الله ما اشركنا لقال كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف فكان ينسبهم الى الكذب لا الى التكذيب وقال
الحسن بن الفضل لو قالوا هذه المقالة تعظيما لله واجلالا له ومعرفة بحقه وبما يقولون لما عابهم بذلك ولكنهم قالوا
هذه المقالة تكذيبا وجدلا من غير معرفة بالله وبما يقولون وقيل في معنى الاية انهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة
وهو قوله لو شاء الله ما اشركنا الا انهم كانوا يعدونه عذرا لانفسهم ويجعلونه حجة لهم في ترك الايمان والرد عليهم في ذلك
ان امر الله بمعزل عن مشيئته وارادته فانه تعالى مريد لجميع الكائنات غير امر لجميع ما يريد فعلى العبد ان يتبع امره
وليس له ان يتعلق بمشيئته فان مشيئته لا تكون عذرا لاحد عليه في فعله فهو تعالى يشاء الكفر من الكافر ولا يرضى
به ولا يامر به ومع هذا فيبعث الرسل الى العبد ويامره بالايمان وورود الامر على خلاف الارادة غير ممتنع فالحاصل
انه تعالى حكى عن الكفار انهم يتمسكوا بمشيئة الله تعالى في شركهم وكفرهم فاخبر الله تعالى ان هذا التمسك فاسد
باطل فانه لا يلزم من ثبوت المشيئة لله تعالى في كل الامور دفع دعوة الانبياء عليهم السلام والله اعلم وقوله تعالى
قل هل عندكم من علم اى قل يا محمد لهؤلاء المشركين القائلين لو شاء الله ما اشركنا ولكنه رضي ما نحن عليه من الشرك

هل

هل عندكم من علم يعني بما تدعون من علم يعني من حجة وكتاب يوجب اليقين من العلم فتخرجوه لنا يعني فتظهروا
ذلك العلم لنا وتبينوه كما بينا لكم خطا قولكم وفعلكم وتناقض ذلك واستحالته في العقول ان تتبعون الا الظن يعني فيما
انتم عليه من الشرك وتحريم ما لم يحرمه الله عليكم وتحسبون انكم على حق وانما هو باطل وان انتم الا تخرصون يعني وما انتم
في ذلك كله الا تكذبون وتقولون على الله الباطل قوله تعالى قل فلله الحجة البالغة يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين
حين عجزوا عن اظهار علم او حجة لهم فلله الحجة البالغة يعني التامة على خلقه بانزال الكتاب وارسال الرسل قال
الربيع بن انس لا حجة لاحد عصى الله او اشرك به على الله ولكن لله الحجة البالغة على عباده فلو شاء لهداكم اجمعين يعني ولو شاء
الله لوفقكم اجمعين للهداية ولكنه لم يشا ذلك وفيه دليل على انه تعالى لم يشا ايمان الكافر ولو شاء لهداه لا يسال
عما يفعل وهم يسالون قل هلم شهداءكم الذين يشهدون يعني هاتوا وادعوا شهداءكم وهلم كلمة دعوة الى الشيء يستوي فيه
الواحد والاثنين والجمع والذكر والانثى وفيها لغة اخرى يقال للواحد هلم وللاثنين هلما وللجمع هلموا وللانثى هلمي
واللغة الاولى افصح ان الله حرم هذا وهذا تنبيه من الله باستدعاء الشهود من الكافرين على تحريمهم ما حرموه على
انفسهم وقالوا ان الله امرنا به ليظهر ان لا شاهد لهم على ذلك وانما اختلقوه من عند انفسهم فان شهدوا فلا تشهد
معهم وهذا تنبيه ايضا على كونهم كاذبين في شهادتهم فلا تشهد انت يا محمد معهم لانهم في شهادتهم كاذبين ولا تتبع
اهواء الذين كذبوا باياتنا يعني ان وقع منهم شهادة فانما هي باتباع الهوى فلا تتبع انت يا محمد اهواءهم ولكن اتبع ما اوحي
اليك من كتابي الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذين لا يؤمنون بالاخرة اى ولا تتبع اهواء الذين لا يؤمنون
بالاخرة وهم بربهم يعدلون يعني يشركون قوله عز وجل قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم لما بين الله تعالى فساد مقالة الكفار
فيما زعموا ان الله امرهم بتحريم ما حرموه على انفسهم فكانهم سالوا وقالوا اى شيء حرم الله فامر الله عز وجل نبيه محمدا صلى
الله عليه وسلم ان يقول لهم تعالوا اتل يعني الخاص الذي صار عاما واصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن
هو اسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وقيل اصله ان تدعو الانسان الى مكان مرتفع وهو من العلو وهو حض لارتفاع
المنزلة فكانه دعاه الى ما فيه رفعة وشرف ثم كثر في الاستعمال والمعنى تعالوا وهلموا ايها القوم اتل عليكم يعني اقرا
ما حرم ربكم عليكم يعني الذي حرم ربكم عليكم حقا يقينا لا شك فيه ولا ظنا ولا كذبا كما تزعمون انتم بل هو وحي اوحاه
الله الي ان لا تشركوا به شيئا **فان قلت** ترك الاشراك واجب فما معنى قوله ان لا تشركوا به
شيئا لانه كالتفصيل لما اجمله في قوله حرم ربكم عليكم وذلك لا يجوز **قلت** الجواب عنه من وجوه
الوجه الاول ان يكون موضع ان رفع معناه هو ان لا تشركوا الوجه الثاني ان يكون محله النصب واختلفوا
في وجه انتصابه فقيل معناه حرم عليكم ان تشركوا وتكون لا صلة وقيل ان حرف لا على اصلها ويكون المعنى اتل عليكم
تحريم الشرك ان لا تشركوا ويكون المعنى وصيكم ان لا تشركوا لان قوله وبالوالدين احسانا محمول على اوصيكم
بالوالدين احسانا الوجه الثالث ان يكون الكلام قد تم عند قوله حرم ربكم ثم قال عليكم ان لا تشركوا على الاغراء بمعنى
فرض عليكم ان لا تشركوا به شيئا ومعنى هذا الاشراك الذي حرمه الله ونهى عنه هو ان يجعل لله شريكا من خلقه او يطيع
مخلوقا في معصية الخالق او يريد بعبادته رياء وسمعة ومنه قوله ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقوله عز وجل وبالوالدين
احسانا اى وفرض عليكم ووصاكم بالوالدين احسانا وانما ثنى بالوصية بالاحسان الى الوالدين لانه اعظم النعم على
الانسان نعمة الله لانه هو الذي اخرجه من العدم الى الوجود وخلقه واوجده بعد ان لم يكن شيئا ثم نعمة بعد نعمة الله نعمة
الوالدين لانهما السبب في وجود الانسان ثم ما لهما عليه من حق التربية والشفقة والحفظ من المهالك في حال صغره
ولا تقتلوا اولادكم من املاق يعني من خوف الفقر والاملاق الاقتار والمراد بالقتل واد البنات وهن احياء
وكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية فنهاهم الله عن ذلك وحرمه عليهم نحن نرزقكم واياهم يعني لا تئدوا ابناءكم خوف العيلة

والفقر فاني ارزقكم واياهم لان الله تعالى اذا تكفل برزق الوالد والولد وجب على الوالد القيام بحق الولد وتربيته وان لا يتكل
في امر الرزق على الله عز وجل ولا تقربوا الفواحش يعني الزنا ما ظهر منها وما بطن يعني علانيته وسره وكان اهل الجاهلية يستقبحون
الزنا في العلانية ولا يرون به باسا في السر فحرم الله تعالى الزنا في السر والعلانية وقيل ان الاولى حمل لفظ الفواحش
على العموم في جميع الفواحش المحرمات والمنهيات فيدخل فيه الزنا وغيره لان المعنى الموجب لهذا النهي هو كونه فاحشة
فحمل اللفظ على العموم اولى من تخصيصه بنوع من الفواحش وايضا فان السبب اذا كان خاصا لا يمنع من حمل اللفظ على العموم وفي
قوله ما ظهر منها وما بطن دقيقة وهي ان الانسان اذا احترز عن المعاصي في الظاهر ولم يحترز عنها في الباطن دل ذلك على ان احترازه
عنها ليس لاجل عبودية الله وطاعته فيما امره ونهاه عنه ولكن لاجل الخوف من رؤية الناس ومذمتهم ومن كان كذلك
استحق العقاب ومن ترك المعصية ظاهرا وباطنا لاجل خوف الله وتعظيما لامره استوجب رضوان الله وثوابه
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق حرم الله تعالى قتل النفس الا بالحق وقتلها من جملة الفواحش المقدم ذكرها في قوله تعالى
ولا تقربوا الفواحش وانما افرد قتل النفس بالذكر تعظيما لامر القتل وانه من اعظم الفواحش والكبائر وقيل انما افرده
بالذكر لانه تعالى اراد ان يستثني منه ولا يمكن ذلك الاستثناء من جملة الفواحش الا بالاخراج فلذلك قال ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق وهو القتل المبيح لقتلها من ردة او قصاص او زنا بعد احصان وهو الذي يوجب الرجم
ق عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرء مسلم يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله
الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة وقوله تعالى ذلكم يعني ما ذكر من الاوامر
والنواهي المحرمات وصاكم به يعني امركم به واوجبه عليكم لعلكم تعقلون يعني لكي تفهموا ما في هذه التكاليف من الفوائد والمنافع
فتعملوا بها قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن يعني ولا تقربوا مال اليتيم الا بما فيه صلاحه وتثميره وتحصيل الربح
له قال مجاهد هو التجارة فيه وقال الضحاك هو ان يبتغي له فيه ولا ياخذ من ربحه شيئا هذا اذا كان القيم بالمال غنيا غير
محتاج فلو كان الوصي فقيرا فله ان ياكل بالمعروف حتى يبلغ اشده يعني احفظوا مال اليتيم الى ان يبلغ اشده فاذا بلغ اشده
فادفعوا اليه ماله فاما الاشد فهو استحكام قوة الشباب والسن حتى يتناهى في الشباب الى حد الرجال قال الشعبي ومالك الاشد
الحلم حتى تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات وقال ابو العالية حتى يعقل وتجتمع قوته وقال الكلبي الاشد هو ما بين ثماني
عشرة سنة الى ثلاثين سنة وقيل الى اربعين وقيل الى ستين سنة وقال الضحاك الاشد عشرون سنة وقال السدي
الاشد ثلاثون سنة وقال مجاهد الاشد ثلاث وثلاثون سنة وهذه الاقوال التي نقلت عن المفسرين في هذه
الاية انما هي نهاية الاشد لا ابتداؤه والمراد بالاشد في هذه الاية هو ابتداء بلوغ الحلم مع ايناس الرشد وهذا هو
المختار في تفسير هذه الاية وقوله تعالى واوفوا الكيل والميزان بالقسط يعني بالعدل من غير زيادة ولا نقصان لا نكلف
نفسا الا وسعها يعني طاقتها وما يسعها في ايفاء الكيل والميزان وانما لم يكلف المعطي ان يعطي اكثر مما وجب عليه
ولم يكلف صاحب الحق الرضى باقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه بل امر كل واحد بما يسعه مما لا حرج عليه فيه
واذا قلتم فاعدلوا يعني في الحكم والشهادة ولو كان ذا قربى يعني المحكوم عليه وكذا المشهود عليه وقيل ان الامر بالعدل
في القول هو اعم من الحكم والشهادة بل يدخل فيه كل قول حتى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير زيادة فيه ولا نقصان
واداء الامانة وغير ذلك في جميع الاقوال التي يعتبر فيها العدل والصدق وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد الى عباده ووصاهم به
واوجبه عليهم او ما اوجبه الانسان على نفسه كنذر ونحوه فيجب الوفاء به ذلكم يعني الذي ذكر في هذه الايات وصاكم به
يعني بالعمل به لعلكم تذكرون يعني لعلكم تتعظون وتتذكرون فتاخذون ما امرتكم به قوله عز وجل وان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه يعني وان هذا الذي وصيتكم به وامرتكم به في هاتين الايتين هو صراطي يعني طريقي وديني الذي ارتضيته
لعبادي مستقيما يعني قويما لا اعوجاج فيه فاتبعوه يعني فاعملوا به وقيل ان الله تعالى لما بين في الايتين المتقدمتين

ما اوصى

ما اوصى به مفصلا اجمله في هذه الاية اجمالا يقتضي دخول جميع ما تقدم ذكره فيه ويدخل فيها ايضا جميع احكام الشريعة وكلما
بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم من دين الاسلام هو المنهج القويم والصراط المستقيم والدين الذي ارتضاه لعباده المؤمنين
وامرهم باتباع جملته وتفصيله ولا تتبعوا السبل يعني الطرق المختلفة والاهواء المضلة والبدع الردية وقيل السبل المختلفة
مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل والاديان المخالفة لدين الاسلام فتفرق بكم عن سبيله يعني فتميل بكم هذه الطرق
المختلفة المضلة عن دينه وطريقه الذي ارتضاه لعباده روى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها
شيطان يدعو اليه وقرا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الاية ذلكم وصاكم به يعني باتباع
دينه وصراطه الذي لا اعوجاج فيه لعلكم تتقون يعني الطرق المختلفة والسبل المضلة قال ابن عباس هذه الايات
محكمات في جميع الكتب لم ينسخهن شيء وهن محرمات على بني ادم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن
دخل النار وعن ابن مسعود من سره ان ينظر الى الصحيفة التي عليها خاتم محمد صلى الله عليه وسلم فليقرا هؤلاء الايات
قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الايات الى قوله لعلكم تتقون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالى ثم
اتينا موسى الكتاب يعني التوراة **فان قلت** اتيان موسى الكتاب كان قبل نزول
القران وحرف ثم للتعقيب فما معنى ذلك **قلت** دخلت ثم لتاخير الخبر لا لتاخير النزول والمعنى قل تعالوا اتل
ما حرم ربكم عليكم وهو كذا وكذا الى قوله لعلكم تتقون ثم اخبركم انا اتينا موسى الكتاب وقيل ان المحرمات المذكورة في قوله تعالى
قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم محرمات على جميع الامم وجميع الشرائع فتقدير الكلام ذلكم وصاكم به يا بني ادم قديما
وحديثا ثم بعد ذلك اتينا موسى الكتاب يعني بعد ايجاب هذه المحرمات وقيل معناه قل تعالوا اتل ما حرم ربكم
عليكم ثم قل بعد ذلك يا محمد انا اتينا موسى الكتاب فحذف لفظ قل لدلالة الكلام عليه وقوله تعالى تماما على
الذي احسن اختلف اهل التفسير فيه فقيل معناه تماما على المحسنين من قومه فيكون الذي بمعنى من اي تماما
على من احسن من قومه لانه كان منهم محسن ومسيء وعلى قراءة ابن مسعود تماما على الذين احسنوا وقيل معناه
تماما على كل من احسن اي اتممنا فضيلة موسى على المحسنين وهم الانبياء والمؤمنون اي اتممنا فضله عليهم بالكتاب
وقيل الذي احسن هو موسى فيكون الذي بمعنى ما اي على ما احسن وتقديره واتينا موسى الكتاب تماما للنعمة
عليه لاحسانه في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة واداء الامر يعني العلم وتقديره واتينا موسى الكتاب تماما
على الذي احسن موسى من العلم والحكمة زيادة له على ذلك وقيل معناه تماما مني على احساني الى موسى وتفصيلا
لكل شيء يعني وفيه بيان لكل شيء يحتاج اليه من شرائع الدين واحكامه وهدى يعني فيه هدى من الضلالة
ورحمة يعني انزلناه عليهم رحمة مني عليهم لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون قال ابن عباس لكي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب
والعقاب قوله عز وجل وهذا كتاب انزلناه مبارك يعني القران لانه كثير الخير والنفع والبركة ولا يتطرق اليه النسخ فاتبعوه
يعني فاعملوا بما فيه من الاوامر والنواهي والاحكام واتقوا يعني مخالفته لعلكم ترحمون يعني ليكن الغرض
بالتقوى رحمة الله وقيل معناه لكي ترحموا على جزاء التقوى ان تقولوا يعني لئلا تقولوا وقيل معناه كراهة
ان تقولوا يعني انزلنا اليكم الكتاب كراهية ان تقولوا انما انزل الكتاب وقيل يجوز ان يكون متعلقة بما
قبلها فيكون المعنى واتقوا ان تقولوا وهذا خطاب لاهل مكة والمعنى واتقوا يا اهل مكة ان تقولوا انما انزل الكتاب
اسم جنس لان المراد به التوراة والانجيل على طائفتين من قبلنا يعني اليهود والنصارى وان كنا اي وقد
كنا وقيل وانه كنا عن دراستهم يعني قراءتهم لغافلين يعني لا علم لنا بما فيها لانه ليس بلغتنا والمراد بهذه الاية
اثبات الحجة على اهل مكة وقطع عذرهم بانزال القران على محمد صلى الله عليه وسلم بلغتهم والمعنى وانزلنا القران

Copyright @ King Saud University

بلغتهم لئلا يقولوا يوم القيامة ان التوراة والانجيل انزلا على طائفتين من قبلنا بلسانهم ولغتهم فلم نعرف ما فيهما فقطع
الله تعالى عذرهم بانزال القرآن عليهم بلغتهم او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وذلك ان جماعة من الكفار
قالوا لو انزل علينا ما انزل على اليهود والنصارى لكنا خيرا منهم واهدى وانما قالوا ذلك لاعتمادهم على صحة عقولهم وجودة
فطنتهم وذهنهم قال الله عز وجل فقد جاءكم بينة من ربكم يعني هذا القرآن فيه بيان وحجة واضحة تعرفونها وهدى يعني
من الضلالة ورحمة يعني وهو رحمة ونعمة انعم الله بها عليكم فمن اظلم اي لا احد اظلم واكفر ممن كذب بآيات الله وصدف عنها يعني
واعرض عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب يعني شدة العقاب واشده بما كانوا يصدفون اي ذلك
العذاب جزاؤهم بسبب اعراضهم وتكذيبهم بآيات الله قوله تعالى هل ينظرون هؤلاء بعد تكذيبهم الرسل وانكارهم القرآن
وصدهم عن آيات الله وهو استفهام معناه النفي وتقدير الآية انهم لا يؤمنون بك الا اذا جاءتهم احدى هذه الامور الثلاث
فاذا جاءتهم احدها امنوا وذلك حين لا ينفعهم ايمانهم الا ان تأتيهم الملائكة يعني لقبض ارواحهم وقيل ان تأتيهم بالعذاب
او يأتي ربك يعني بالحكم وفصل القضاء بين الخلق يوم القيامة وقد تقدم الكلام في معنى الآية في سورة البقرة عند قوله
هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام بما فيه كفاية وان المجيء والذهاب على الله محال فيجب امرارها بلا تكييف او يأتي
بعض آيات ربك قال جمهور المفسرين هو طلوع الشمس من مغربها ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل طلوع الشمس من مغربها والدجال
ودابة الارض اخرجه مسلم عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله او يأتي بعض آيات ربك قال طلوع
الشمس من مغربها اخرجه الترمذي وقال حديث غريب م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه عن صفوان بن عسال المرادي قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بابا من قبل المغرب مسيرة عرضه او قال يسير الراكب في عرضه اربعين او سبعين سنة خلقه الله تعالى
يوم خلق السموات والارض مفتوحا للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
صحيح ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا رآها
الناس امن من عليها وفي رواية فاذا طلعت ورآها الناس امنوا اجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن
امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا م عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم
علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قلنا الساعة فقال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان
والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب
وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تطرد الناس الى محشرهم م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بادروا بالاعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة احدكم وامر العامة
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم انسه بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان اول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وايهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها
قريبا وروى الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود في تفسير هذه الآية قال تصبحون والشمس والقمر من ههنا من قبل المغرب كالبعيرين
القرينين زاد في رواية عنه فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وبسنده عن ابي ذر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اتدرون اين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله اعلم قال انها تذهب الى مستقرها
تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري حتى تنتهي الى مستقرها
تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها لا ينكر الناس منها شيئا
حتى تنتهي فتخر ساجدة في مستقرها تحت العرش فيقال لها اطلعي من مغربك فتصبح طالعة من مغربها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون

اي يوم ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وبسنده
عن ابي ذر قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم على حمار فنظر الى الشمس حين غربت فقال انها تغرب في عين حمئة
تنطلق حتى تخر لربها ساجدة تحت العرش حتى يؤذن لها فاذا اراد ان يطلعها من مغربها حبسها فتقول يا رب ان مسيري
بعيد فيقول لها اطلعي من حيث غربت فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وروى
بسنده عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات فقال لهم عباد الله توبوا الى الله قبل
ان يأتيكم العذاب فانكم توشكون ان تروا الشمس من قبل المغرب فاذا فعلت حبست التوبة وطوي العمل فقال الناس هل
لذلك من آية يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آية تلك الليلة ان تطول كقدر ثلاث ليال فيستيقظ
الذين يخشون ربهم فيصلون له ثم يقضون صلاتهم والليل مكانه لم ينقض ثم يأتون مضاجعهم فينامون حتى اذا استيقظوا
والليل مكانه فاذا راوا ذلك خافوا ان يكون ذلك بين يدي امر عظيم فاذا اصبحوا وطال عليهم رأوا عليهم طلوع الشمس فبينما
هم ينتظرونها اذ طلعت عليهم من قبل المغرب فاذا فعلت ذلك لم تنفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل قال ابن عباس
لا ينفع مشركا ايمانه عند الآيات وينفع اهل الايمان عند الآيات ان كانوا اكتسبوا خيرا قبل ذلك وقال ابن الجوزي
قيل ان الحكمة في طلوع الشمس من مغربها ان الملحدة والمنجمين زعموا ان ذلك لا يكون فيريهم الله قدرته ويطلعها من المغرب
كما اطلعها من المشرق فيتحقق عجزهم وقيل بل ذلك بعض الآيات الثلاث الدابة وياجوج وماجوج وطلوع الشمس من
مغربها يروى عن ابن مسعود انه قال التوبة معروضة على ابن آدم ان قبلها ما لم تخرج احدى ثلاث الدابة او طلوع
الشمس من مغربها او ياجوج وماجوج ويروى عن عائشة قالت اذا خرج اول الآيات طرحت التوبة وحبست الحفظة
وشهدت الاجساد على الاعمال ويروى عن ابي هريرة في قوله تعالى او يأتي بعض آيات ربك قال هي مجموع الآيات الثلاث
طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض واصح الاقوال في ذلك ما تظاهرت عليه الآيات الصحيحة وثبت عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه طلوع الشمس من مغربها وقوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل
يعني لا ينفع من كان مشركا ايمانه ولا تقبل توبة فاسق عند ظهور هذه الآية العظيمة التي تضطرهم الى الايمان والتوبة
او كسبت في ايمانها خيرا يعني او عملت قبل ظهور هذه الآية خيرا من عمل صالح وتصديق قال الضحاك من ادركه بعض الآيات
وهو على عمل صالح قبل مع ايمانه قبل الله منه العمل بعد نزول الآية كما قبل منه قبل ذلك فاما من آمن من شرك او تاب من
معصية عند ظهور هذه الآية فلا يقبل منه لانها حالة اضطرار كما لو ارسل عذابا على امة فآمنوا وصدقوا فانهم لا ينفعهم
ايمانهم ذلك لمعاينتهم الاهوال والشدائد التي تضطرهم الى الايمان والتوبة وقوله قل انتظروا يعني ما وعدتم به من
مجيء الآية ففيه وعيد وتهديد انا منتظرون يعني ما وعدكم ربكم من العذاب يوم القيامة او قبلها في الدنيا قال بعض
المفسرين وهذا انما يتنظم من تأخر في الوجود من المشركين والمكذبين بمحمد صلى الله عليه وسلم الى ذلك الوقت فالمراد
بهذا ان المشركين انما يمهلون قدر مدة الدنيا فاذا ماتوا او ظهرت الآيات لم ينفعهم الايمان وحلت بهم العقوبة
اللازمة ابدا وقيل ان قوله قل انتظروا انا منتظرون المراد منه الكف عن قتال الكفار فتكون الآية منسوخة بآية
القتال وعلى القول الاول تكون الآية محكمة قوله عز وجل ان الذين فرقوا دينهم وقرئ فارقوا دينهم وكانوا شيعا
يعني احزابا متفرقة في الضلالة ومعنى فرقوا دينهم انهم لم يجتمعوا عليه من دين ابراهيم الحنيفية السهلة
اديانا مختلفة كاليهودية والنصرانية وعبدة الاصنام ونحو ذلك من الاديان المختلفة ومن قرأ فارقوا دينهم قال
معناه باينوه وتركوه من المفارقة للشيء وقيل ان معنى القراءتين يرجع الى شيء واحد في الحقيقة وهو ان من
فرق دينه فآمن ببعض وانكر بعضا فقد فارق دينه في الحقيقة ثم اختلفوا في المعنى بهذه الآية فقال الحسن هم
جميع المشركين لان بعضهم عبد الاصنام وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وبعضهم عبد الملائكة وقالوا انهم بنات الله

وبعضهم عبد الكواكب فكان هذا تفريق دينهم وقال مجاهد هم اليهود وقال ابن عباس وقتادة والسدي والضحاك هم
اليهود والنصارى لانهم تفرقوا فكانوا فرقا مختلفة وقال ابو هريرة في هذه الاية هم اهل الضلالة من هذه الامة
وروي ذلك مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء ليسوا منك
هم اهل البدع واهل الشبهات واهل الضلالة من هذه الامة اسنده الطبري فعلى هذا يكون المراد من هذه الاية الحث على ان تكون
كلمة المسلمين واحدة وان لا يتفرقوا في الدين ولا يبتدعوا البدع المضلة روي عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لعائشة ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم اصحاب البدع والاهواء من هذه الامة ذكره البغوي بغير سند عن العرباض بن سارية
قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم اقبل بوجهه علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب
فقال رجل يا رسول الله ان هذه موعظة مودع فما تعهد الينا فقال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تامر عليكم عبد حبشيا
فانه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم
ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة اخرجه ابو داود والترمذي عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان
وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة زاد في رواية وانه سيخرج في امتي اقوام تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه
لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله اخرجه ابو داود وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل
تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وستفترق امتي على ثلاث وسبعين كلها في النار الا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال من كان
على ما انا عليه واصحابي اخرجه الترمذي قال الخطابي في هذا الحديث دلالة على ان هذه الفرق غير خارجة من الملة والدين اذ
جعلهم من امته وقوله تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه التجاري تفاعل من الجري وهو الوقوع في الاهواء الفاسدة
والبدع المضلة تشبيها بجري الفرس والكلب قال ابن مسعود ان احسن الحديث كتاب الله واحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم
وشر الامور محدثاتها ورواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا وقوله تعالى لست منهم في شيء يعني في قتال الكفار فعلى هذا تكون الاية
منسوخة باية القتال وهذا على قول من يقول ان المراد من الاية اليهود والنصارى والكفار ومن قال المراد من الاية اهل الاهواء والبدع
من هذه الامة قال معناه لست منهم في شيء اي انت منهم بريء وهم منك برآء تقول العرب ان فعلت كذا فلست مني ولست منك اي كل
واحد منا بريء من صاحبه انما امرهم الى الله يعني في الجزاء والمكافاة ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون يعني اذا وردوا القيامة قوله تعالى من جاء
بالحسنة فله عشر امثالها يعني عشر حسنات مثلها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها يعني مثلها في مقابلتها واختلفوا في هذه الحسنة
والسيئة على قولين احدهما ان الحسنة قول لا اله الا الله والسيئة هي الشرك بالله واورد على هذا القول ان كلمة التوحيد لا مثل لها
حتى يجعل جزاء قائلها عشر امثالها واجيب عنه بان جزاء الحسنة قدر معلوم عند الله فهو يجازي على قدر ايمان المؤمن بعشر من الجزاء وانما قال
عشر امثالها للترغيب في الايمان لا للتوحيد وكذلك جزاء السيئة بمثلها من جنسها والقول الثاني ان اللفظ عام في كل حسنة يعملها العبد
او سيئة وهذا اولى لان حمل اللفظ على العموم اولى قال بعضهم التقدير بالعشرة ليس للتحديد لان الله يضاعف لمن يشاء في حسنة
الى سبعمائة ويعطي من يشاء بغير حساب واعطاء الثواب لعامل الحسنة فضل من الله تعالى هذا مذهب اهل السنة وجزاء السيئة بمثلها عدل
منه سبحانه وتعالى وتعبيره بقوله تعالى وهم لا يظلمون يعني لا ينقص من ثواب الطائع ولا يزاد على عقاب العاصي (ق) عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احسن احدكم اسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها
تكتب له بمثلها حتى يلقى الله تعالى (م) عن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها وازيد ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها او اغفر ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا
ومن اتاني يمشي اتيته هرولة ومن لقيني بقراب الارض خطيئة بعد ان لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى واذا اراد عبدي ان يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها

فاكتبوها

فاكتبوها بمثلها وان تركها من اجلي فاكتبوها له حسنة واذا اراد ان يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فان عملها فاكتبوها
له بعشر امثالها الى سبعمائة لفظ البخاري وفي لفظ مسلم عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى اذا تحدث عبدي بان
يعمل حسنة فانا اكتبها له حسنة ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها بعشر امثالها واذا تحدث عبدي بان يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم
يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له بمثلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو
ابصر به فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة فانما تركها من جراي اي من اجلي من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها قوله عز وجل قل يعني يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك انني هداني ربي الى صراط مستقيم يعني قل لهم ارشدني ربي
الى الطريق القويم وهو دين الاسلام الذي ارتضاه الله لعباده المؤمنين دينا قيما يعني هداني صراطا مستقيما دينا قيما وقيل يحتمل
ان يكون نصبا على المعنى تقديره وعرفني دينا قيما يعني دينا مستقيما لا عوج فيه ولا زيغ وقيل قيما ثابتا مقوما لامور معاشي
ومعادي وقيل هو من قام وهو ابلغ من القائم ملة ابراهيم والملة بالكسر الدين والشريعة يعني هداني وعرفني دين ابراهيم وشريعته
حنيفا الاصل في الحنيف الميل وهو ميل عن الضلالة الى الاستقامة والعرب تسمي كل من اختتن او حج حنيفا تنبيها على انه على دين
ابراهيم عليه السلام وما كان من المشركين يعني ابراهيم صلى الله عليه وسلم وفيه رد على كفار قريش لانهم يزعمون انهم على دين ابراهيم
فاخبر الله تعالى ان ابراهيم لم يكن من المشركين وهم يعبدون الاصنام قل ان صلاتي اي قل يا محمد ان صلاتي ونسكي قال مجاهد وسعيد
ابن جبير والضحاك والسدي المراد بالنسك في هذا الموضع الذبيحة في الحج والعمرة وقيل النسك العبادة والناسك العابد وقيل
المناسك اعمال الحج وقيل النسك كل ما يتقرب به الى الله تعالى من صلاة وحج وذبح وعبادة ونقل الواحدي عن ابن الاعرابي قال النسك سبائك
الفضة كل سبيكة منها نسيكة وقيل للمتعبد ناسك لانه يخلص نفسه من دنس الاثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث
وفي قوله ان صلاتي ونسكي دليل على ان جميع العبادات لا تؤدى الا على وجه التمام والكمال الا اذا كانت لله لا ينبغي ان يكون الا كاملا
تاما على اخلاص العبادة لله انما كان بهذه الصفة من العبادات كانت مقبولة ومحياي ومماتي اي حياتي وموتي بخلق الله وقضائه
وقدره اي هو يحييني ويميتني وقيل معناه ان محياي بالعمل الصالح ومماتي اذا مت على الايمان لله وقيل معناه لك طاعتي في حياتي
لله وجزائي بعد مماتي من الله وحاصل هذا الكلام ان الله امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبين ان صلاته ونسكه وساير عباداته
وحياته وموته كلها واقعة بخلق الله وقضائه وقدره وهو المراد بقوله لله رب العالمين لا شريك له يعني في العبادة والخلق
والقضاء والقدر وساير افعاله لا يشاركه فيها احد من خلقه وبذلك امرت يعني قل يا محمد وبهذا التوحيد امرت وانا اول المسلمين
قال قتادة يعني من هذه الامة وقيل معناه وانا اول المستسلمين لقضائه وقدره قوله عز وجل قل اغير الله ابغي ربا اي قل
يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك اغير الله ابغي سيدا والها وهو رب كل شيء يعني وهو سيد كل شيء ومالكه لا يشاركه فيه احد وذلك ان
الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع الى ديننا قال ابن عباس كان الوليد بن المغيرة يقول اتبعوا سبيلي احمل عنكم اوزاركم فقال الله عز
وجل ردا عليه ولا تكسب كل نفس الا عليها يعني ان اثم الجاني عليه لا على غيره ولا تزر وازرة وزر اخرى يعني لا تؤخذ نفس آثمة
باثم اخرى لا تحمل نفس حاملة حمل اخرى ولا يؤاخذ احد بذنب اخر ثم الى ربكم مرجعكم يعني يوم القيامة فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون يعني في الدنيا من الاديان والملل قوله تعالى وهو الذي جعلكم خلائف الارض يعني والله الذي
خلقكم يا امة محمد خلائف في الارض فان الله اهلك من كان قبلكم من الامم الخالية واستخلفكم فجعلكم خلائف منهم في
الارض تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم وذلك لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وهو اخرهم وامته اخر الامم
ورفع بعضكم فوق بعض درجات يعني انه تعالى خالف بين احوال عباده فجعل بعضهم فوق بعض في الخلق والرزق والشرف
والعقل والقوة والفضل فجعل منهم الحسن والقبيح والغني والفقير والشريف والوضيع والعالم والجاهل والقوي
والضعيف وهذا التفاوت بين الخلق في الدرجات ليس لاجل العجز والجهل او البخل فان الله سبحانه وتعالى منزه عن
صفات النقص وانما هو لاجل الابتلاء والامتحان وهو قوله تعالى ليبلوكم فيما آتاكم يعني ليختبركم معاملة

Copyright © King Saud University

المبتلى والمختبر وهو اعلم باحوال عباده والمعنى ليبتلى الغنى بغناه والفقير بفقره والشريف بشرفه والوضيع بدناءته
والعبد والحر وغيرهم من جميع اصناف خلقه ليظهر منكم ما يكون عليه الثواب والعقاب لان العبد اما ان يكون مقصرا
فيما كلف به واما ان يكون موفيا ما امر به فان كان مقصرا كان نصيبه التخويف والترغيب وهو قوله تعالى ان ربك
سريع العقاب يعنى لاعدائه واهلاكهم فى الدنيا وانما وصف العقاب بالسرعة لان كل ما هو آت فهو قريب وان
كان العبد موفيا حقوق الله تعالى فيما امره به او نهاه عنه كان نصيبه الترغيب والتشريف والتكريم
وهو قوله تعالى وانه لغفور يعنى لذنوب اوليائه واهل طاعته رحيم يعنى بجميع خلقه والله اعلم بمراده واسرار
كتابه تفسير سورة الاعراف مكية روى ذلك عن ابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد وعكرمة وعطا وجابر بن زيد
وقتادة وروى عن ابن عباس ايضا انها مكية الا خمس ايات اولها واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر الى قوله واذ اخذ ربك
وهى مايتان وست ايات وثلاثة الاف وثلثماية وخمسة وعشرون كلمة واربعة عشر الف حرف وعشرة احرف بسم الله الرحمن
الرحيم قوله عز وجل المص قال ابن عباس معناه انا الله افصل وعنه انا الله اعلم وافصل وعنه ان المص قسم اقسم الله به وهو اسم
من اسماء الله تعالى وقال قتادة المص من اسماء القران وقال الحسن هو اسم للسورة وقال السدى هو بعض اسمه تعالى المصور
وقال ابو العالية الالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد والصاد مفتاح اسمه صادق
وصبور وقيل هى حروف مقطعة استاثر الله بعلمها وهى سره فى كتابه العزيز وقيل هو حروف اسمه الاعظم وقيل هى حروف
تحوى معانى دل الله بها خلقه على مراده وقد تقدم بسط الكلام فى معانى الحروف المقطعة فى اوايل السور فى اول سورة البقرة
كتاب انزل اليك يعنى هذا كتاب انزله الله اليك يا محمد وهو القران فلا يكن فى صدرك حرج منه يعنى فلا يضيق صدرك
بالابلاغ وتادية ما ارسلت به الى الناس لتنذر به يعنى انما انزلنا اليك الكتاب يا محمد لتنذر به من امرتك بانذاره وذكرى
للمومنين يعنى وليتذكروا ويتعظ به الناس المومنين وهذا من المؤخر الذى معناه التقديم تقديره كتاب انزلناه اليك لتنذر به وذكرى
للمومنين فلا يكن فى صدرك حرج منه قال ابن عباس فلا تكن فى شك منه لان الشك لا يكون الا من ضيق الصدر وقلة الاتساع
لتوجيه ما حصل له قوله تعالى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم اى قل يا محمد لقومك اتبعوا ايها الناس ما انزل اليكم من ربكم من القران الذى
فيه الهدى والنور والبيان قال الحسن يا ابن ادم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم والله ما نزلت اية الا وهو يحب
ان تعلم فيما انزلت وما معناها بنحو هذا قال الزجاج اى اتبعوا القران وما اتى به النبى صلى الله عليه وسلم فانه مما انزل لقوله
وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ومعنى الاية ان الله تعالى لما امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار فى قوله لتنذر
به فكان معنى الكلام انذر القوم وقل لهم اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وقيل خطاب للكفار اتبعوا ايها المشركون ما انزل اليكم من ربكم
واتركوا ما انتم عليه من الكفر والشرك بدليل عليه قوله تعالى ولا تتبعوا من دونه اولياء يعنى ولا تتخذوا الذين يدعونكم الى الكفر
والشرك اولياء فتتبعوهم يعنى والمعنى ولا تتولوا من دونه شياطين الانس والجن فيامرونكم بعبادة الاصنام واتباع البدع
والاهواء الفاسدة قليلا ما تذكرون يعنى ما تتعظون الا قليلا قوله عز وجل وكم من قرية اهلكناها لما امر الله رسوله صلى الله
عليه وسلم بالابلاغ والانذار وامر امته باتباع ما انزل عليهم حذرهم نقمته وباسه ان لم يتبعوا ما امرهم الله به فذكر فى هذه
الاية ما فى ترك المتابعة والاعراض عن امره من الوعيد فقال تعالى وكم من قرية اهلكناها فاهل فيه حذف تقديره وكم
اهل قرية لان القرية لا تعصى فالاهلاك لاهل القرية وقيل ليس فيه حذف لان اهلاك القرية اهلاك لاهلها فجاءها
باسنا اى عذابنا فان قلت مجى الباس وهو العذاب انما يكون قبل الاهلاك فكيف قال اهلكناها فجاءها
باسنا قلت معناه وكم من قرية حكمنا باهلاكها فجاءها باسنا وقال بعض الفقهاء ان الاهلاك والباس قد
يقعان معا كما يقال اعطيتنى فاحسنت الى فلم يكن الاحسان قبل العطا ولا بعده وانما وقعا معا وقال الفرا لا فرق
بين قولك اعطيتنى فاحسنت الى او احسنت الى فاعطيتنى فيكون احدهما بدلا من الاخر بياتا يعنى فجاءها عذابنا

ليلا

ليلا قبل ان يصبحوا او هم قائلون من القيلولة وهو نوم نصف النهار او استراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم والمعنى
فجاءها باسنا غفلة وهم غير متوقعين له ليلا وهم نائمون او نهارا وهم قائلون وقت الغفلة والمقصود من الاية انه
جاءهم العذاب على حين غفلة منهم من غير تقدم امارة تدلهم على وقت نزول العذاب وفيه وعيد وتخويف للكفار
لانه قيل لهم لا تغتروا باسباب الامن والراحة فان عذاب الله اذا نزل نزل دفعة واحدة فما كان دعواهم يعنى
فما كان دعاء اهل القرية التى جاءهم باسنا والدعوى تكون بمعنى الادعاء وبمعنى الدعاء قال سيبويه تقول العرب اللهم اشركنا فى صالح
دعوى المسلمين ومنه قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم اذ جاءهم باسنا اى عذابنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين يعنى انهم لم يقدروا على
رد العذاب عنهم وكان حاصل امرهم الاعتراف بالجناية وذلك حين لا ينفع الاعتراف فلنسئلن الذين ارسل اليهم يعنى لنسئلن الامم
الذين ارسلت اليهم الرسل ما ذا عملتم فيما جاءتكم به الرسل ولنسئلن المرسلين يعنى ولنسئلن الرسل الذين ارسلناهم الى الامم هل
بلغتم رسالاتى واديتم الى الامم ما امرتكم بتاديته اليهم او قصرتم فى ذلك قال ابن عباس فى هذه الاية يسال الله الناس عما اجابوا
المرسلين ويسال المرسلين عما بلغوا وعنه انه قال يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم الرسل بما كانوا يعملون وقال السدى يسال
الامم ما عملوا فيما جاءت به الرسل ويسال الرسل هل بلغوا ما ارسلوا به فان قلت قد اخبر عنهم فى الاية الاولى
بانهم اعترفوا على انفسهم بالظلم فى قولهم انا كنا ظالمين فما فايدة هذا السؤال مع اعترافهم على انفسهم بالظلم بذلك قلت
لما اعترفوا انهم كانوا ظالمين مقصرين سيلوا بعد ذلك عن سبب هذا الظلم والتقصير والمقصود من هذا التقريع والتوبيخ
للكفار فان قلت فما الفايدة فى سوال الرسل مع العلم بانهم قد بلغوا رسالات ربهم الى من ارسلوا اليهم من
الامم قلت انه اذا كان يوم القيامة انكر الكفار تبليغ الرسل فقالوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فكان مسئلة
الرسل على وجه الاستشهاد لهم على من ارسلوا اليه من الامم انهم قد بلغوا رسالات ربهم الى من ارسلوا اليه من الامم فتكون
هذه المسئلة للتقريع والتوبيخ للكفار ايضا لانهم انكروا تبليغ الرسل فيراد بذلك خزيهم وهوانهم وعذابهم وقوله تعالى
فلنقصن عليهم بعلم يعنى فلنخبرن الرسل ومن ارسلوا اليهم بعلم بغيب بما عملوا فى الدنيا وما كنا غائبين يعنى عنهم وعن افعالهم
وعن الرسل فيما بلغوا وعن الامم فيما اجابوا فان قلت كيف الجمع بين قوله فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن
المرسلين وبين قوله فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين فاذا كان عالما فما فايدة هذا السؤال قلت فايدة
سوال الامم والرسل مع علمه سبحانه وتعالى بجميع المعلومات التوبيخ والتقريع للكفار لانهم اذا اقروا على انفسهم كان ابلغ
فى المقصود فاما سوال التسترشاد والاستثبات فهو منفى عن الله عز وجل لانه عالم بجميع الاشيا قبل كونها وفى حال كونها وبعد
كونها فهو العالم بالكليات والجزئيات وعلمه بظاهر الاشيا كعلمه بباطنها قوله تعالى والوزن يومئذ الحق يعنى والوزن
يوم يسال الله الامم والرسل وهو يوم القيامة الحق قال مجاهد المراد بالوزن هنا القضا ومعنى الحق العدل وذهب جمهور المفسرين
الى ان المراد بالوزن وزن الاعمال بالميزان وذلك بان الله عز وجل ينصب ميزانا له لسان وكفتان كل كفة قدر ما بين
المشرق والمغرب قال ابن الجوزى جاء فى الحديث ان داود عليه السلام سال ربه ان يريه الميزان فاراه اياه فقال الهى من
يقدر ان يملا كفته حسنات فقال يا داود اذا رضيت عن عبدى ملاتها بتمرة واحدة وقال حذيفة جبريل صاحب
الميزان يوم القيامة فيقول له ربه عز وجل زن بينهم ورد من بعضهم على بعض وليس ثم ذهب ولا فضة فيرد على
المظلوم من الظالم ما وجد له من حسنة فان لم تكن له حسنة اخذ من سيئات المظلوم فيرد على سيئات الظالم فيرجع الرجل
وعليه مثل الجبل فان قلت الله عز وجل يعلم مقادير اعمال العباد فما الحكمة فى وزنها قلت
فيه حكم منها اظهار العدل وان الله عز وجل لا يظلم عباده ومنها امتحان الخلق بالايمان بذلك فى الدنيا واقامة الحجة
عليهم فى العقبى ومنها تعريف العباد ما لهم من خير وشر وحسنة وسيئة ومنها اظهار علامة السعادة والشقاوة ونظيره
انه تعالى اثبت اعمال العباد فى اللوح المحفوظ ثم فى صحائف الحفظة الموكلين ببنى ادم من غير جواز النسيان عليه سبحانه وتعالى

Copyright © King Saud University

ثم اختلف العلماء في كيفية الوزن فقال بعضهم توزن صحائف الاعمال المكتوب فيها الحسنات والسيات ويدل على ذلك
حديث البطاقة وهو ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل سيخلص
رجلا من امتي على رؤس الخلائق يوم القيمة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول له اتنكر من هذا
شيا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول الك عذر فيقول لا يا رب فيقول الله تعالى ان لك عندنا حسنة
فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج الله بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك
فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال فانه لا ظلم عليك اليوم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة
فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شي اخرجه الترمذي واحمد بن حنبل وقال ابن عباس يوتى
بالاعمال الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيية على صورة قبيحة فتوضع في الميزان فعلى قول ابن عباس ان الاعمال
تتصور صورا وتوضع تلك الصور في الميزان ويخلق الله في تلك الصور ثقلا وخفة ونقل البغوي عن بعضهم انها توزن الاشخاص
واستدل لذلك بما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليأتي الرجل السمين العظيم يوم القيمة لا يزن
عند الله جناح بعوضة اخرجاه في الصحيحين وهذا الحديث ليس فيه دليل على ما ذكر من وزن الاشخاص في الميزان لان
المراد بقوله لا يزن عند الله جناح بعوضة مقداره وحرمته لا وزن جسده وجسمه والصحيح قول من قال ان صحايف الاعمال
توزن او نفس الاعمال تتجسد وتوزن والله اعلم بحقيقة ذلك وقوله تعالى **فمن ثقلت موازينه** جمع ميزان وان ورد على
هذا انه ميزان واحد فما وجه الجمع واجيب عنه بان العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقيل انه ينصب لكل عبد ميزان وقيل
انما جمعه لان الميزان يشتمل على الكفتين والشاهين واللسان ولا يتم الوزن الا باجتماع ذلك كله وقيل هو جمع موزون
يعني رجحت اعمال الحسنة الموزونة التي لها وزن وقدر **فاولئك هم المفلحون** يعني هم الناجون غدا والفائزون
بثواب الله وجزائه **ومن خفت موازينه** يعني موازين اعمال الكفار بدليل قوله **فاولئك الذين خسروا انفسهم** يعني غبنوا انفسهم
حظوظها من جزيل ثواب الله وكرامته **بما كانوا باياتنا يظلمون** يعني بسبب ذلك الخسران انهم كانوا بحجج الله وادلة توحيده
يجحدون ولا يقرون بها وروي عن ابي بكر الصديق انه قال حين حضره الموت في وصيته لعمر بن الخطاب انما ثقلت موازين
من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا
وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيمة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل
غدا ان يكون خفيفا قوله عز وجل **ولقد مكناكم في الارض** يعني مكناكم ايها الناس في الارض والمراد من التمكين التمليك وقيل
معناه جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا واقدرناكم على التصرف فيها **وجعلنا لكم فيها معايش** يعني معيشة يعني به جميع وجوه
المنافع التي تحصل بها الارزاق وتعيشون بها ايام حياتكم وهي على قسمين احدهما ما انعم الله به على عباده من الزرع والثمار
وانواع المآكل والمشارب والثاني ما يحصل من المكاسب والارباح في انواع التجارات والصنايع وكلا القسمين في الحقيقة
انما يحصل بفضل الله وانعامه وتمكينه لعباده وكثرة الانعام توجب الطاعة للمنعم بها والشكر له عليها ثم بين
تعالى انه مع هذا الافضال على عباده وانعامه عليهم لا يقومون بشكره كما ينبغي فقال تعالى **قليلا ما تشكرون**
يعني على ما صنعت اليكم وانعمت به عليكم وفيه دليل على انهم قد يشكرون لان الانسان قد يذكر نعم الله فيشكره عليها
فلا يخلو في بعض الاوقات من الشكر على النعم وحقيقة الشكر تصور النعمة واظهارها وضده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها
ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعني ولقد خلقناكم ايها الناس والمخاطبون بهذا الخطاب وقت نزوله في ظهر ابيكم ادم ثم صورناكم
في ارحام النساء صورا مخلوقة **فان قلت** على هذا التفسير يكون قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم يقتضي ان
الامر بالسجود لادم كان وقع بعد خلق المخاطبين بهذا الخطاب وتصويرهم لان كلمة ثم للتراخي ومعلوم ان الامر ليس
كذلك بل كان السجود لادم قبل خلق ذريته **قلت** يحتمل ان يكون المعنى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ايها المخاطبون

ثم

ثم اخبرناكم انا قلنا للملائكة اسجدوا لادم فتكون كلمة ثم يفيد ترتيب خبر على خبر ولا يفيد ترتيب المخبر على المخبر وقيل في
معنى الاية ولقد خلقناكم يعني ادم ثم صورناكم يعني ذريته وهذا قول ابن عباس وقال مجاهد ولقد خلقناكم يعني ادم
ثم صورناكم وقيل ان الخلق والتصوير يرجع الى ادم وحده والمعنى ولقد خلقناكم يعني ادم محكما بخلقه ثم صورناكم يعني
ادم يعني صورة من طين **ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم** يعني بعدما كمل خلقه وقد تقدم الكلام في سورة البقرة الكلام في معنى هذا
السجود وانه كان على سبيل التحية وقيل بل كان السجود لله وكان ذلك بامر الله تعالى وهل كان هذا الامر بالسجود لجميع الملائكة
فيه خلاف تقدم ذكره وقوله تعالى **فسجدوا** يعني الملائكة **الا ابليس** يعني فسجد الملائكة لادم الا ابليس **لم يكن من الساجدين**
له وظاهر الاية يدل على ان ابليس كان من الملائكة لانه خلق من نار والملائكة من نور وانما استثناه من
الملائكة لانه كان مامورا بالسجود مع الملائكة فلما لم يسجد اخبر الله عنه انه لم يكن من الساجدين لادم فلهذا استثنى
منهم قوله عز وجل **قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك** يعني قال الله عز وجل لابليس اي شي منعك من السجود لادم اذ امرتك به
فعلى هذا القول تكون كلمة لا في قوله الا تسجد صلة زايدة وانما دخلت للتوكيد والتقدير ما منعك ان تسجد فهو كقوله
لا اقسم اي اقسم وقوله وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون اي يرجعون وقوله لئلا يعلم اهل الكتاب الا
يقدرون على شي من فضل الله اي ليعلم اهل الكتاب وهذا قول الكسائي والفراء والزجاج والاكثرين وقيل ان كلمة لا هنا على
اصلها مفيدة وليست بزايدة لانه لا يجوز ان يقال ان كلمة من كتاب الله زايدة او لا معنى لها وعلى هذا القول حكي الواحدي
عن احمد بن يحيى ان لا في هذه الاية ليست زايدة ولا توكيدا لان معنى قوله ما منعك ان لا تسجد من قال لك لا تسجد
فيحمل نظم الكلام على معناه وهذا القول حكاه ابو بكر عن الفراء وقال الطبري الصواب في ذلك ان يقال ان في الكلام محذوفا تقديره
ما منعك من السجود فاحوجك الى ان لا تسجد فترك ذكر احوجك استغناء بمعرفة السامعين ونقل الامام فخر الدين الرازي عن
القاضي قال ذكر الله المنع واراد الداعي فكانه قال ما دعاك الى ان لا تسجد لان مخالفة الله عز وجل حالة عظيمة يتعجب
منها ويسال عن الداعي اليها **فان قلت** لم ساله عن المنع من السجود وهو اعلم به **قلت** للتوبيخ
والتقريع له ولاظهار معاندته وكفره وافتخاره باصله وحسده لادم ولذلك لم يتب عليه **قال** يعني قال
ابليس مجيبا لله عما ساله عنه **انا خير منه** **فان قلت** قوله انا خير منه ليس بجواب عما ساله عنه في قوله
ما منعك ان لا تسجد فلم يجب بما منعه من السجود فانه كان ينبغي له ان يقول منعني كذا وكذا ولكنه قال انا خير منه
قلت استانف قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على ادم وفيها دليل على موضع الجواب وهو قوله **خلقتني**
من نار وخلقته من طين والنار خير من الطين وانور وانما قال انا خير منه لما راى انه اشد منه قوة وافضل منه فضلا وذلك
الفضل الجنس الذي خلق منه وهو النار على الطين الذي خلق منه ادم فجهل عدو الله ابليس وجه الحق واخطا طريق
الصواب لانه من المعلوم ان من جوهر النار الخفة والطيش والارتفاع والاضطراب وهذا الذي حمل ابليس الخبيث
مع الشقاء الذي سبق له من الله تعالى في الكتاب السابق على الاستكبار على السجود لادم عليه السلام والاستخفاف
بامر ربه فاورده ذلك العطب والهلاك ومن المعلوم ان من جوهر الطين الرزانة والاناة والصبر
والحلم والحيا والتثبت وهذا كان الداعي لادم عليه السلام من السعادة السابقة التي سبقت له من الله تعالى
في الكتاب السابق الى التوبة من خطيئته ومسيلته ربه العفو عنه والمغفرة ولذلك كان الحسن وابن سيرين
يقولان اول من قاس ابليس فاخطا وقال ابن سيرين ايضا ما عبدت الشمس والقمر الا بالقياس واصل هذا القياس
الذي قاسه ابليس لما راى ان النار افضل من الطين واقوى فقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم
يدر ان الفضل لمن خلقه الله في الاصل وان الافضلية والخيرية لا تحصل الا بسببها فضيلة الاصل والجوهر وايضا
الفضيلة انما تحصل بسبب الطاعة وقبول الامر فالمؤمن الحبشي خير من الكافر القرشي فان الله تعالى خص صفيه

Copyright © King Saud University

ادم عليه السلام باشيا لم يخص بها غيره وهو ان خلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملايكته وعلمه اسما كل شي واورثه
الاجتبا والتوبة والهداية الى غير ذلك مما خص الله به ادم عليه السلام للعناية التي سبقت له من القدم وقوله تعالى
قال فاهبط منها يعني قال الله عز وجل لابليس اهبط من الجنة وقيل من السما الى الارض والهبوط الانزال والانحدار
من فوق على سبيل القهر والهوان والاستخفاف فما يكون لك ان تتكبر فيها يعني فليس لك ان تتكبر في الجنة عن امري
وطاعتي لانه لا ينبغي ان يسكن في الجنة او في السما متكبر مخالف لامر الله عز وجل فاما غير الجنة والسما فقد يسكنها
المتكبر عن طاعة الله وهم الكفار الساكنون في الارض فاخرج انك من الصاغرين يعني انك من الاذلا المهانين والصغار والذلة
والمهانة قال الزجاج استكبر عدو الله ابليس فابتلاه الله بالصغار والذلة وقيل كان له ملك الارض فاخرجه الله منها الى
جزاير البحر الاخضر وعرشه عليه فلا يدخل الارض الا خايفا كهيئة السارق مثل شيخ عليه اطمار رثة يروع فيها حتى يخرج منها
قال يعني ابليس عند ذلك انظرني يعني اخرني وامهلني فلا تمتني الى يوم يبعثون يعني من قبورهم وهي النفخة الاخرة عند
قيام الساعة وهذا من جهالة الخبيث ابليس لانه سال مرتبة لا ينالها احد وقد علم انه لا سبيل لاحد من خلق الله الى البقا في الدنيا
ولكنه كوان يذوق الموت فطلب البقا والخلود فلم يجب الى سواله قال الله له انك من المنظرين يعني من المؤخرين الممهلين وقد بين الله
تعالى مدة النظرة والمهلة في سورة الحجر فقال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وذلك هو النفخة الاولى حتى يموت الخلق
كلهم **فان قلت** ما وجه قوله انك من المنظرين وليس احد ينظر سواه **قلت** معناه
الذي تقوم عليهم الساعة منظرون الى ذلك الوقت باجالهم فهو منهم قال يعني ابليس فبما اغويتني يعني فباي شي اضللتني وعلى هذا
تكون ما استفهامية ثم الكلام عند قوله اغويتني ثم ابتدا فقال لاقعدن لهم صراطك المستقيم وقيل با القسم تقديره فبغوايتك
اياي وقيل معناه فبما اوقعت في قلبي الغي الذي كان سبب هبوطي الى الارض من السما واضللتني عن الهدى لاقعدن لهم
صراطك المستقيم يعني لاجلس على صراطك القويم وهو طريق الاسلام وقيل المراد بالصراط المستقيم الذي يسلكونه
الى الجنة وذلك بان اوسوس اليهم وازين الباطل وما يكسبهم الماثم وقيل المراد بالصراط المستقيم طريق مكة يعني يمنعهم
من الهجرة وقيل المراد به الحج والقول الاول اولى لانه يعم الجميع ومعنى الاية لامدن بني ادم عن عبادتك وطاعتك
ولاغوينهم ولاضلنهم كما اضللتني عن سبرة بن ابي الفاكه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قعد
لابن ادم باطرقه فقعد له عن طريق الاسلام فقال تسلم وتذر دينك ودين ابايك واباء ابايك فعصاه واسلم وقعد له بطريق
الهجرة فقال تهاجر وتذر ارضك وسماك وانما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول فعصاه فقعد له بطريق الجهاد
فقال تجاهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المراة ويقسم المال فعصاه فجاهد قال فمن فعل كان حقا على الله ان
يدخله الجنة او وقصته دابته كان حقا على الله ان يدخله الجنة اخرجه النساي وقوله تعالى اخبارا عن ابليس ثم
لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم قال ابن عباس من بين ايديهم يعني من قبل الاخرة فاشككهم
فيها ومن خلفهم يعني من قبل الدنيا فارغبهم فيها وعن ايمانهم اشبه عليهم امر دينهم وعن شمايلهم اشهي لهم المعاصي وانما
جعل الاخرة من بين ايديهم في هذا القول لانهم منقلبون اليها وصايرون اليها فعلى هذا الاعتبار فالدنيا خلفهم لانهم
يخلفونها وراء ظهورهم وقال ابن عباس في رواية عنه من بين ايديهم من قبل دنياهم يعني ازينها في قلوبهم ومن خلفهم من
قبل الاخرة فاقول لا بعث ولا جنة ولا نار وعن ايمانهم من قبل حسناتهم وعن شمايلهم من قبل سياتهم وانما جعل
الدنيا من بين ايديهم في هذا القول لان الانسان يسعى فيها ويشاهدها فهي حاضرة بين يديه والاخرة غايبة
عنه فهي خلفه وقال الحكم بن عتيبة من بين ايديهم يعني من قبل الدنيا فازينها لهم ومن خلفهم من قبل الاخرة فاثبطهم
عنها وعن ايمانهم يعني من قبل الحق فاصدهم عنه وعن شمايلهم من قبل الباطل فازينه لهم وقال قتادة اتاهم من بين ايديهم فاخبرهم
انه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من امر الدنيا فزينها لهم ودعاهم اليها وعن ايمانهم من قبل حسناتهم ثبطهم عنها وعن شمايلهم

زين

زين لهم السيات والمعاصي ودعاهم اليها اتاك يا ابن ادم من كل وجه غير انه لم ياتك من فوقك فلم يستطع ان يحول بينك وبين رحمة الله تعالى
وقال مجاهد ياتيهم من بين ايديهم وعن ايمانهم حيث يبصرون وعن خلفهم وعن شمايلهم حيث لا يبصرون ومعنى هذا انهم يخطيون
ويعلمون انهم يخطيون ومن حيث لا يبصرون انهم يخطيون ولا يعلمون انهم يخطيون وقيل من بين ايديهم فيما بقي من اعمارهم
فلا يقدمون فيه على طاعة ومن خلفهم يعني ما مضى من اعمارهم فلا يتوبون عما اسلفوا فيه من معصية وعن ايمانهم يعني من قبل
الغنا فلا ينفقون ولا يشكرون ومن خلفهم يعني من قبل الفقر فلا يمتنعون فيه محظور انالوه قال شقيق البلخي ما من
صباح الا ويانيني الشيطان من الجهات الاربع من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف
فان الله غفور رحيم فاقرا واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني من وقوع اولادي في الفقر فاقرا
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من قبل يميني فياتيني من الثنا فاقرا والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي
فياتيني من قبل الشهوات فاقرا وحيل بينهم وبين ما يشتهون وقيل ان ذكر هذه الجهات الاربع انما اريد بها التاكيد
والمبالغة في القا الوسوسة في قلب ابن ادم وانه لا يقصر في ذلك ومعنى الاية على هذا القول ثم لاتينهم من جميع الوجوه
الممكنة بجميع الاعتبارات وقوله تعالى ولا تجد اكثرهم شاكرين يعني ولا تجد يا رب اكثر بني ادم شاكرين لك على نعمك
التي انعمت بها عليهم وقال ابن عباس معناه ولا تجد اكثرهم موحدين **فان قلت** كيف علم الخبيث
ابليس ذلك حتى قال ولا تجد اكثرهم شاكرين **قلت** قاله ظنا فاصاب ومنه قوله تعالى ولقد
صدق عليهم ابليس ظنه وقيل انه كان عازما على المبالغة في تزيين الشهوات وتحسين القبايح وعلم ميل
بني ادم الى ذلك فقال هذه المقالة وقيل انه راه مكتوبا في اللوح المحفوظ فقال هذه المقالة على سبيل اليقين
والقطع والله اعلم بمراده وقوله عز وجل قال اخرج منها اي قال الله لابليس حين طرده عن بابه وابعده عن جنابه وذلك
بسبب مخالفته وعصيانه اخرج منها يعني من الجنة فانه لا ينبغي ان يسكن فيها العصاة مذموما مدحورا يعني مطرودا
مبعدا وقال ابن عباس صغيرا ممقوتا وقال قتادة لعينا مقيتا وقال الكلبي ملوما مقصيا من الجنة ومن كل خير
لمن تبعك منهم يعني من بني ادم لاملان جهنم منكم اجمعين لام القسم فتسم الله ان من تبع ابليس من بني ادم واطاعه انه يملا جهنم
منه وممن كفر من بني ادم وابليس وذريته ومن تبعه منهم وقوله تعالى ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنة وقلنا يا ادم اسكن انت
وزوجك يعني حوا الجنة وذلك بعد ان اهبط منها ابليس واخرجه وطرده من الجنة فكلا من حيث شيتما يعني فكلا
من ثمار الجنة من اي مكان شيتما **فان قلت** ثم في سورة البقرة وكلا بالواو وقال هنا فكلا
بالفا فما الفرق **قال** الامام فخر الدين الرازي ان الواو تفيد الجمع المطلق والفا تفيد الجمع على سبيل التعقيب
فالمفهوم من الفا نوع داخل تحت المفهوم من الواو ولا منافاة بين النوع والجنس ففي سورة البقرة ذكر الجنس وهنا ذكر
النوع ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين تقدم في سورة البقرة الكلام على تفسير هذه الاية مستوفاه قوله تعالى
فوسوس لهما الشيطان يعني فوسوس اليهما والوسوسة حديث يلقيه الشيطان في قلب الانسان يقال وسوس اذا
تكلم كلاما خفيا مكررا واصله من صوت الحلي ومعنى وسوس لهما فعل الوسوسة والقاها اليهما **فان قلت**
كيف وسوس اليهما وادم وحوا في الجنة وابليس قد اخرج منها **قلت** ذكر الامام فخر الدين في الجواب عن
هذا السوال عن الحسن انه قال كان يوسوس في الارض الى السما الى الجنة بالقوة القوية التي جعلها الله له وقال ابو
مسلم الاصبهاني بل كان ادم وابليس في الجنة لان هذه الجنة كانت بعض جنات الارض والذي يقوله بعض الناس
من ان ابليس دخل في جوف الحية فدخلت به الحية الى الجنة فتلك قصة مشهورة ركيكة وقال اخرون ان ادم وحوا لعلهما
قربا من باب الجنة وكان ابليس واقفا من خارج الجنة على بابها فقرب احدهما من الاخر فحصلت الوسوسة هناك **فان قلت**
ان ادم عليه السلام قد عرف ما بينه وبين ابليس من العداوة فكيف قبل قوله **قلت** يحتمل ان يقال

ان ابليس لعنه ادم مع الكثرة ورغبه في اكل هذه الشجرة بطرق كثيرة منها انيل الخلد ومنها قوله وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين
فلاجل هذه المواظبة والمداومة على هذا التمويه اثر كلام ابليس في ادم حتى اكل من الشجرة **ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما**
ليظهر لهم ما غطي وستر من عوراتهما وقوله ما ووري مأخوذ من المواراة وهو الستر يقال واريته بمعنى سترته والسوأة
فرج الرجل والمرأة سمي بذلك لان ظهوره يسوء الانسان وفي الاية دليل على ان كشف العورة من المنكرات المحرمات
واللام في قوله ليبدي لهما لام العاقبة وذلك لان ابليس لم يقصد بالوسوسة ظهور عورتهما وانما كان نحملهما
على المعصية فقط فكان عاقبة امرهما ان بدت عورتهما **وقال** يعني قال ابليس لادم وحوا **ما نهاكما ربكما**
عن هذه الشجرة يعني عن الاكل من هذه الشجرة **الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين** يعني نهاكما عن هذه الشجرة لكيلا
تكونا ملكين من الملائكة تعلمان الخير والشر وتكونا من الباقين الذين لا يموتون وانما طمع ابليس لادم بهذا لانه علم
ان الملائكة لهم المنزلة والقرب من العرش فاستشرف لذلك ادم واحبه وانه يعيش مع الملائكة لطول اعمارهم او يكون مع
الخالدين الذين لا يموتون ابدا **فان قلت** ظاهر الاية تدل على ان الملك افضل من الانبيا لان ادم عليه
السلام طلب ان يكون من الملائكة وهذا يدل على فضلهم عليه **قلت** ليس في ظاهر الاية ما يدل على
ذلك لان ادم عليه السلام طلب ان يكون من الملائكة كان ذلك الطلب قبل ان يشرف بالنبوة وكانت هذه الواقعة قبل
نبوة ادم فطلب ان يكون من الملائكة او من الخالدين وعلى تقدير ان تكون هذه الواقعة على زمان النبوة بعد ان شرف
بها ادم انما طلب ان يكون من الملائكة لطول اعمارهم او من الخالدين لا لانهم افضل منه حتى يلحق بهم في الفضل لانه طلب
ان يكون من الملائكة لطول اعمارهم او من الخالدين الذين لا يموتون ابدا وقوله **وقاسمهما** اي اقسم وحلف لهما وهذا
من المفاعلة التي تختص بالواحد **اني لكما لمن الناصحين** قال قتادة حلف لهما بالله حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله فقال اني
خلقت قبلكما وانا اعلم منكما فاتبعاني ارشدكما وقال بعض العلماء من خدعنا بالله انخدعنا له **فدلاهما بغرور** يعني فخدعهما
بغرور يقال ما زال فلان يدلي فلانا بغرور يعني ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف من القول باطل قال الازهري
واصله ان الرجل العطشان يتدلى في البير ليأخذ الما فلا يجد فيها ماء فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا فائدة فيه
ما تعرضا لها النصح مع بطالة الغش وهو ان ابليس حطهما من منزلة الطاعة الى حالة المعصية لان التدلي لا يكون
الا من علو يعني الى سفل ومعنى الاية ان ابليس غر ادم باليمين الكاذبة وكان ادم يظن ان احدا لا يحلف بالله كاذبا
فلما حلف ابليس ظن ادم انه صادق فاغتر به **فلما ذاقا الشجرة** يعني طعما من ثمر الشجرة وفيه دليل على انهما تناولا اليسير
من ذلك قصدا الى معرفة طعمه لان الذوق يدل على الاكل اليسير **بدت لهما سوآتهما** يعني ظهرت لهما عوراتهما قال ابن
عباس قبل ان ازدردا اخذتهما العقوبة والعقوبة ان بدت وظهرت لهما سوآتهما وتهافت عنهما لباسهما حتى
ابصر كل واحد منهما ما ووري عنه من عورة صاحبه وكانا لا يريان ذلك وقال وهب كان لباسهما من النور لا يرى هذا
عورة هذه ولا يرى هذه عورة هذا فلما اصابا الخطيئة بدت لهما سوآتهما وقال قتادة كان لباس ادم في الجنة ظفرا كله
فلما وقع في الذنب كشط عنه وبدت سوأته **وطفقا** يعني واقبلا وجعلا **يخصفان عليهما من ورق الجنة** يعني انهما لما بدت سوآتهما
جعلا يرقعان ويلزقان عليهما ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب وقال الزجاج جعلا يرقعان ورقة على
ورقة ليسترا سوآتهما وفي الاية دليل على ان كشف العورة من ابن ادم قبيح الا ترى انهما بادرا الى ستر العورة لما تقرر في
عقلهما من قبح كشفها روى ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ادم رجلا طوالا كانه نخلة سحوق كثير
شعر الراس فلما وقع في الخطيئة بدت له سوأته وكان لا يراها فانطلق هاربا في الجنة فتعلقت به شجرة من شجر الجنة فحبسته
بشعره فقال لها ارسليني فقالت لست بمرسلتك فناداه ربه يا ادم امني تفر قال لا يا رب ولكن استحييتك ذكره
البغوي بغير سند واسنده الطبري من طريقين موقوفا ومرفوعا قوله تعالى **وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما**

الشجرة

الشجرة يعني ان الله تعالى نادى ادم وحوا وخاطبهما فقال الم انهكما عن اكل ثمرة هذه الشجرة **واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين**
يعني الم اعلمكما ان الشيطان قد بان عداوته لكما بترك السجود حسدا وبغيا قال ابن عباس لما اكل ادم من الشجرة قيل له
لم اكلت من الشجرة التي نهيتك عنها قال حوا امرتني قال فاني اعطيتها ان تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها قال فرنت حوا عند
ذلك رنة فقيل لها الرنة عليك وعلى بناتك قال محمد بن قيس ناداه ربه يا ادم لم اكلت منها وقد نهيتك قال اطعمتني حوا
قال لحوا لم اطعمته قالت امرتني الحية قال للحية لم امرتها قالت امرني ابليس قال الله تعالى اما انت يا حوا فكما ادميت
الشجرة تدمين كل شهر واما انت يا حية فاقطع رجليك فتمشين على وجهك وسيشدخ راسك من لقيك واما
انت يا ابليس فملعون مدحور يعني مطرود عن الرحمة وقيل ناداه ربه يا ادم اما خلقتك بيدي اما نفخت فيك
من روحي اما اسجدت لك ملائكتي اما اسكنتك جنتي في جواري قوله عز وجل **قالا ربنا ظلمنا انفسنا** وهذا خبر من
الله تعالى عن ادم عليه السلام وحوا واعترافهما على انفسهما بالذنب والندم على ذلك والمعنى قالا يا ربنا
انا فعلنا بانفسنا من الاساءة اليها بمخالفة امرك وطاعة عدونا وعدوك ما لم يكن لنا ان نطيعه فيه من اكل
الشجرة التي نهيتنا عن اكلها **وان لم تغفر لنا** يعني وان انت لم تستر علينا ذنبنا **وترحمنا** يعني وتتفضل علينا برحمتك
لنكونن من الخاسرين يعني من الهالكين قال قتادة قال ادم يا رب ارايت ان تبت اليك واستغفرتك
قال اذا ادخلك الجنة واما ابليس فلم يسأله التوبة وسأل النظرة فاعطي كل واحد منهما ما سأل وقال الضحاك
في قوله ربنا ظلمنا انفسنا قال هي الكلمات التي تلقاها ادم من ربه عز وجل **فصل** وقد استدل من يرى صدور
الذنب من الانبيا عليهم السلام بهذه الاية واجيب عنه بان درجة الانبيا في الرفعة والعلو والمعرفة بالله عز وجل مما
حملهم على الخوف منه والاشفاق بالمؤاخذة بما لم يؤاخذ به غيرهم وانهم ربما عوتبوا بامور صدرت منهم على سبيل التأويل والسهو فهم بسبب
ذلك خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علو منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها ذنوب كذنوب غيرهم
ومعاص كمعاصي غيرهم فكان ما صدر منهم مع طهارتهم ونزاهتهم وعمارة بواطنهم بالوحي السماوي والذكر القدسي وعمارة
ظواهرهم بالعمل الصالح والخشية لله عز وجل ذنوب وهي حسنات بالنسبة الى غيرهم حسنات كما قيل حسنات الابرار
سيات المقربين يعني انهم يرونها بالنسبة الى احوالهم كالسيات وهي حسنات لغيرهم وقد تقدم في سورة البقرة
ان اكل ادم عليه السلام من الشجرة هل كان قبل النبوة او بعدها والخلاف فيه فاغنى عن الاعادة والله اعلم قوله تعالى
قال اهبطوا قال الامام فخر الدين ان الذي تقدم ذكره هو ادم وحوا وابليس وقوله اهبطوا يجب ان يتناول هولا
الثلاثة وقال الطبري قال الله تعالى لادم وحوا وابليس والحية اهبطوا يعني من السما الى الارض ادم وحوا وابليس
والحية **بعضكم لبعض عدو** يعني ان العداوة ثابتة بين ادم وابليس **ولكم في الارض مستقر** يعني موضع قرار تستقرون
فيه وقال ابن عباس في قوله ولكم في الارض مستقر القبور **ومتاع الى حين** يعني ولكم فيها متاع تستمتعون به الى
انقطاع الدنيا او الى انقضا اجالكم ومعنى الاية ان الله عز وجل اخرج ادم وحوا وابليس والحية انه اذا اهبطهم الى الارض
موضع قرار يستقرون فيه الى انقضا اجالهم ثم يستقرون في قبورهم الى انقضا الدنيا قال ابن عباس في قوله تعالى
ومتاع الى حين يعني الى يوم القيامة والى انقطاع الدنيا **قال فيها تحيون** ايضا قال الله عز وجل لادم وذريته وابليس
واولاده فيها تحيون يعني في الارض تعيشون ايام حياتكم **وفيها تموتون** يعني وفي الارض تكون وفاتكم وموضع
قبوركم **ومنها تخرجون** يعني ومن الارض يخرجكم ربكم ويحشركم للحساب يوم القيامة قوله عز وجل **يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا**
يواري سوآتكم اعلم ان الله عز وجل لما امر ادم وحوا بالهبوط الى الارض وجعلها مستقرا لهم انزل الله عليهم كل ما يحتاجون
اليه من مصالح الدين والدنيا فكان مما انزل عليهم اللباس الذي يحتاج اليه في الدين والدنيا فاما منفعته في الدين فانه
ستر العورة وسترها شرط في صحة الصلاة واما منفعته في الدنيا فانه يمنع الحر والبرد فامتن الله على عباده بما انزل عليهم لباسا

Copyright © King Saud University

يوارى سواتهم فقال تعالى يا بنى ادم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سواتكم يعنى لباسا تستترون به عوراتكم فان قلت ما معنى قوله
انزلنا عليكم لباسا قلت ذكر العلما وجوها احدها انه بمعنى خلق اى خلقنا لكم لباسا الوجه الثانى ان الله تعالى انزل المطر من السما
وهو سبب نبات اللباس فكانه انزل عليهم الوجه الثالث ان جميع بركات الارض تنسب الى السما والى الانزال كما قال تعالى وانزلنا
الحديد وريشا الريش للطاير معروف وهو لباسه وزينته والمعنى وانزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سواتكم ولباسا لزينتكم
لان التزين غرض صحيح كما قال تعالى لتركبوها وزينة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال
واختلفوا فى معنى الريش المذكور فى الاية فقال ابن عباس وريشا يعنى مالا وهو قول مجاهد والضحاك والسدى لان المال مما يتزين به
ويقال تريش الرجل اذا تمول وقال ابن زيد الريش الجمال وهو يرجع الى الزينة ايضا وقيل الرياش فى كلام العرب الاثاث وما ظهر من الثياب
والمتاع مما يلبس او يفرش والريش ايضا المتاع والاموال عندهم وربما استعملوه فى الثياب والكسوة دون ساير المال يقال انه لحسن
الريش يعنى حسن الثياب وقيل الريش والرياش يستعمل ايضا فى الخصب ورفاهية العيش ولباس التقوى اختلف العلما فى معناه فمنهم
من حمله على نفس الملبوس وحقيقته ومنهم من حمله على المجاز اما من حمله على نفس الملبوس فاختلفوا ايضا فى معناه فقال ابن الانبارى
لباس التقوى هو اللباس الاول وانما اعاده اخبارا ان ستر العورة من التقوى وذلك خير وقيل انما اعاده ليخبر عنه بانه خير لان العرب
فى الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعرى وخلع الثياب فى الطواف بالبيت فاخبر ان ستر العورة فى الطواف هو لباس التقوى وذلك خير وقال زيد
ابن على لباس التقوى الات الحرب التى يتقى بها فى الحروب كالدروع والمغفر ونحو ذلك وقيل لباس التقوى هو الصوف والخشن من الثياب
التى يلبسها اهل الزهد والورع وقيل هو ستر العورة فى الصلاة واما من حمل لباس التقوى على المجاز فاختلفوا فى معناه فقال قتادة والسدى
لباس التقوى هو الايمان لان صاحبه يتقى به من النار وقال ابن عباس لباس التقوى هو العمل الصالح وقال الحسن هو الحيا لانه يحث
على التقوى وقال عثمان بن عفان لباس التقوى هو السمت الحسن وقال عروة ابن الزبير لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به مما خلق
الله له من لباس التجمل وزينة الدنيا وهو قوله تعالى ذلك خير يعنى ان لباس التقوى خير من لباس الجمال والزينة وانشدوا فى المعنى
• اذا انت لم تلبس ثيابا من التقى • عريت وان وارى القميص قميص • وقوله تعالى ذلك من ايات الله يعنى انزال اللباس عليكم يا بنى
ادم من ايات الله الدالة على معرفته وتوحيده لعلهم يذكرون يعنى لعلهم يذكرون نعمة عليهم فيشكرونها قوله تعالى يا بنى
ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة قيل هذا خطاب للذين كانوا يطوفون بالبيت عراة والمعنى لا يخدعنكم بغروره
ولا يضلنكم فيزين لكم كشف عوراتكم فى الطواف وانما ذكر قصة ادم هنا وشدة عداوة ابليس له ليحذر بذلك اولاد ادم فقال
تعالى يا بنى ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم يعنى من الجنة ادم وحوى والمعنى ان من قدر على اخراج ابويكم من الجنة بوسوسته
وشدة عداوته فبان يقدر على فتنتكم بطريق الاولى فحذر الله عز وجل بنى ادم وامرهم بالاحتراز عن وسوسة الشيطان وغروره
وتزيينه القبايح وتحسينه الافعال الردية فى قلوب بنى ادم فهذه فتنته التى نهى الله عباده عنها وحذرهم منها وقوله تعالى
ينزع عنهما لباسهما انما اضاف نزع اللباس الى الشيطان وان لم يباشر ذلك لان نزع لباسهما كان بسبب وسوسة الشيطان
وغروره فاسند اليه واختلفوا فى اللباس الذى نزع عنهما فقال ابن عباس كان لباسهما الظفر فلما اصاب الخطية نزع عنهما وبقيت
الاظفار تذكرة وزينة ومنافع وقال وهب بن منبه كان لباس ادم وحوا نورا وقال مجاهد كان لباسهما التقوى وفى رواية عنه
التقوى وقيل كان لباسهما من ثياب الجنة وهذا القول اقرب لان اطلاق اللباس يطلق عليه ولان النزع لا يكون الا بعد اللباس
ليريهما سواتهما يعنى ليرى ادم عورة حوا وترى حوا عورة ادم وكان قبل ذلك لا يرى بعضهم سوءة بعض انه يراكم هو وقبيله
يعنى ان ابليس يراكم يا بنى ادم هو وقبيله انما اعاد الكناية ليحسن العطف والقبيل جمع قبيلة وهى الجماعة المجتمعة التى يقابل بعضهم بعضا
وقال الليث كل جيل من جن او انس قبيل ومعنى يراكم هو وقبيله اى هو ومن نسله وقال ابن عباس هو وولده وقوله من حيث لا ترونهم
يعنى انتم يا بنى ادم قال العلما ان الله خلق فى عيون الجن ادراكا يرون بذلك الادراك الانس ولم يخلق فى عيون الانس هذا الادراك
فلم يروا الجن وقالت المعتزلة الوجه فى ان الانس لا يرون الجن رقة اجسام الجن ولطافتها والوجه فى روية الجن للانس كثافة

اجسام

اجسام الانس والوجه فى روية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى قوى شعاع ابصار الجن وزاد فيها حتى يرى بعضهم بعضا ولو جعل فى
ابصارنا هذه القوة لرايناهم ولكن لم يجعلها فينا وحكى الواحدى عن ابن الجوزى عن ابن عباس انه قال ان الله تعالى جعلهم يجرون من بنى
ادم مجرى الدم وجعل صدور بنى ادم مسكنا لهم الا من عصمه الله تعالى كما قال تعالى الذى يوسوس فى صدور الناس فهم يرون بنى
ادم وبنو ادم لا يرونهم وقال مجاهد قال ابليس لنا اربعة نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا فتى وقال مالك بن
دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المونة الا من عصم الله انا جعلنا الشياطين اوليا يعنى اعوانا وقرنا للذين لا يؤمنون
قال الزجاج يعنى سلطناهم عليهم يزيدون فى غيهم قوله عز وجل واذا فعلوا فاحشة قال ابن عباس ومجاهد هى طوافهم
بالبيت عراة الرجال والنسا وقال عطا هى الشرك والفاحشة اسم لكل فعل قبيح فيدخل فيه جميع المعاصى والكباير فيمكن
حملها على الاطلاق وان كان لسبب مخصوص بما ورد من طوافهم عراة ولما كانت هذه الافعال التى كان اهل الجاهلية
يفعلونها ويعتقدون انها طاعات وهى فى انفسها فواحش ذمهم الله عليها ونهاهم عنها فاحتجوا عن هذه الافعال بما اخبر
الله عنهم وهو قوله تعالى قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها فذكروا لانفسهم عذرين احدهما محض التقليد وهو قولهم
وجدنا على هذا الفعل اباءنا وهذا التقليد باطل لانه باطل لا اصل له والعذر الثانى قولهم ان الله امرنا بها وهذا العذر ايضا
باطل وقد اجاب عنه بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشا والمعنى ان هذه الافعال التى كان اهل الجاهلية يفعلونها هى فى نفسها قبيحة
منكرة فكيف يامر الله بها والله لا يامر بالفحشا بل يامر بما فيه مصالح العباد ثم قال تعالى رادا عليهم اتقولون على الله ما لا تعلمون يعنى
انكم ما سمعتم كلام الله ابتدا من غير واسطة ولا اخذتموه عن الانبيا الذين هم وسايط بين الله وبين عباده فى تبليغ اوامره ونواهيه
واحكامه لانكم تنكرون نبوة الانبيا فكيف تقولون على الله ما لا تعلمون قوله تعالى قل امر ربى بالقسط اى قل يا محمد لهولا
الذين يقولون على الله ما لا يعلمون امر ربى بالقسط يعنى بالعدل وهذا قول مجاهد والسدى وقال ابن عباس لا اله الا
الله فالامر بالقسط فى هذه الاية يشتمل على معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وافعاله وانه واحد لا شريك له واقيموا وجوهكم
عند كل مسجد فان قلت قل امر ربى بالقسط خبر وقوله واقيموا وجوهكم عند كل مسجد امر
وعطف الامر على الخبر لا يجوز فما معناه قلت فيه اضمار وحذف وتقديره قل امر ربى بالقسط وقال واقيموا
وجوهكم عند كل مسجد فحذف قال لدلالة الكلام عليه ومعنى الاية فى قول مجاهد والسدى وجهوا وجوهكم حيثما كنتم
فى الصلاة الى الكعبة وقال الضحاك معناه اذا حضرت الصلاة وانتم عند المسجد فصلوا فيه ولا يقولن احدكم اصلى فى
مسجدى او فى مسجد قومى وقيل معناه اجعلوا سجودكم لله خالصا وادعوه مخلصين له الدين اى واعبدوه مخلصين العبادة
والطاعة والدعا لله عز وجل لا لغيره كما بداكم تعودون قال ابن عباس ان الله عز وجل بدا خلق بنى ادم مومنا وكافرا كما قال تعالى
هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن ثم يعيدهم يوم القيمة كما بدا خلقهم مومنا وكافرا وحجة هذا القول قوله فى سياق الاية
فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة فانه كالتفسير له ويدل على صحة ذلك ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يبعث كل عبد على ما مات عليه اخرجه مسلم زاد البغوى فى روايته المومن على ايمانه والكافر على كفره وقال محمد بن كعب من ابتدا الله
خلقه على الشقوة صار الى ما ابتدا عليه خلقه وان عمل بعمل اهل السعادة كما ان ابليس كان يعمل بعمل اهل السعادة ثم صار الى
الشقاوة ومن ابتدا خلقه على السعادة صار اليها وان عمل باعمال اهل الشقا كما ان السحرة كانوا يعملون عمل اهل الشقا ثم صاروا
الى السعادة ويصحح هذا القول ما روى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل الزمن الطويل
بعمل اهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل اهل النار وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل النار ثم يختم له عمله بعمل اهل الجنة اخرجه مسلم
وقال الحسن ومجاهد فى معنى الاية كما بداكم فخلقكم فى الدنيا ولم تكونوا شيا فاحياكم ثم يميتكم كذلك تعودون احيا يوم القيامة
ويشهد لصحة هذا القول ما روى عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال ايها الناس انكم
تحشرون الى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين اخرجه البخارى ومسلم وقوله تعالى

Copyright © King Saud University

فريقا هدى يعنى هداهم الله تعالى الى الايمان به ومعرفته ووفقهم لطاعته وعبادته وفريقا حق عليهم الضلالة
وخذل فريقا حق وجبت عليهم الضلالة للسابقة التى سبقت لهم فى الازل بانهم اشقيا وفيه دليل على ان الهدى والضلال
من الله عز وجل ولما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق خلقه
فى ظلمة فالقى عليهم من نوره فمن اصابه ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل اخرجه الترمذى وقوله تعالى انهم اتخذوا
الشياطين اولياء من دون الله يعنى ان الفريق الذى حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين نصراء واعوانا اطاعوهم فيما امروهم
به من الكفر والمعاصى والمعنى ان الداعى لهم الى الكفر والمعاصى انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله لان
الشياطين لا يقدرون على اضلال احد وقوله تعالى ويحسبون انهم مهتدون يعنى انهم مع ضلالتهم يظنون ويحسبون
انهم على هداية وحق وفيه دليل على ان الكافر الذى يظن انه فى دينه على الحق والجاحد والمعاند فى الكفر سوا قوله عز وجل
يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد عن ابن عباس قال كانت المراة تطوف بالبيت وهى عريانة فتقول من يعيرنى تطوافا تجعله
على فرجها وتقول * اليوم يبدو بعضه او كله * فما بدا منه فلا احله * فنزلت هذه الاية خذوا زينتكم عند كل مسجد اخرجه
مسلم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل وذكر الحديث زاد
فى رواية اخرى عنه فامرهم الله ان يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا وقال مجاهد كان احدهم اذا قدم حاجا او معتمرا يقول لا ينبغى
لى ان اطوف فى ثوب قد عصيت فيه فيقول من يعيرنى مئزرا فان قدر عليه والا طاف عريانا فانزل الله فيهم ما تسمعون
خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال الزهرى ان العرب كانت تطوف بالبيت عراة الا الحمس وهم قريش واحلافهم فمن جاء
من غير الحمس وضع ثيابه وطاف فى ثوب احمسى فانه لا يحل له ان يلبس ثيابه فان لم يجد من يعيره من الحمس فانه يلقى ثيابه ويطوف
عريانا وان طاف فى ثياب نفسه القاها اذا قضى طوافه يحرمها فيجعلها حراما عليه فلذلك قال خذوا زينتكم عند كل
مسجد والمراد من الزينة لبس الثياب التى تستر العورة قال مجاهد ما يوارى عورتكم ولو عباءة وقال الكلبى الزينة ما يوارى
العورة عند كل مسجد كطواف وصلاة وقوله تعالى خذوا زينتكم امر وظاهره الوجوب ففيه دليل على ان ستر العورة
واجب فى الصلاة والطواف وفى كل حال وقوله تعالى وكلوا واشربوا قال الكلبى كانت بنو عامر لا ياكلون فى ايام حجهم
الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون نحن احق ان نفعل ذلك يا رسول الله فانزل الله عز وجل
وكلوا واشربوا يعنى اللحم والدسم ولا تسرفوا يعنى بتحريم ما لم يحرمه الله من اكل اللحم والدسم قال ابن عباس كل ما شئت واشرب
ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة وقال على بن الحسين بن واقد وقد جمع الله الطب
كله فى نصف اية كلوا واشربوا ولا تسرفوا وفى الاية دليل على ان جميع المطعومات والمشروبات حلال الا ما خصه الشرع
بدليل فى التحريم لان الاصل فى جميع الاشيا الاباحة الا ما حظره الشارع وثبت تحريمه بدليل منفصل انه
لا يحب المسرفين يعنى ان الله لا يحب من اسرف فى الماكول والمشروب والملبوس وفى هذه الاية وعيد وتهديد لمن اسرف
فى هذه الاشيا لان محبة الله عبارة عن رضاه عن العبد وايصال الثواب اليه واذا لم يحبه علم انه تعالى ليس راض
عنه فدلت الاية على الوعيد الشديد فى الاسراف قوله تعالى قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده يعنى قل يا محمد
لهولا الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة من حرم عليكم زينة الله التى خلقها لعباده ان تتزينوا بها
وتلبسوها فى الطواف وغيره ثم فى تفسير الزينة قولان احدهما وهو قول جمهور المفسرين ان المراد من الزينة هنا
اللباس الذى يستر العورة والقول الثانى ذكره الامام فخر الدين الرازى انه يتناول جميع انواع الزينة فيدخل تحته
جميع انواع الملبوس والحلى ولولا ان النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال فى هذا العموم ولكن ورد
النص بالتحريم على الرجال دون النساء والطيبات من الرزق يعنى ومن حرم الطيبات من الرزق التى اخرجها الله لعباده
وخلقها لهم ثم ذكروا فى معنى الطيبات فى هذه الاية اقوال احدها ان المراد بالطيبات اللحم والدسم الذى كانوا يحرمونه على

انفسهم

انفسهم ايام الحج يعظمون بذلك حجهم فرد عليهم بقوله قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق
والقول الثانى هو قول ابن عباس ان الجاهلية كانوا يحرمون اشيا احلها الله من الزرع وغيره وهو قول الله تعالى قل ارايتم
ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هنا قول الله من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات
من الرزق والقول الثالث ان الاية على العموم فيدخل تحته كل ما يستلذ ويشتهى من سائر المطعومات الا
ما ورد نص بتحريمه قل هى للذين آمنوا يعنى قل يا محمد ان الطيبات التى اخرج الله من رزقه للذين آمنوا فى الحياة الدنيا
غير خالصة لهم لانه يشركهم فيها المشركون خالصة لهم يوم القيامة يعنى لا يشركهم فيها احد لانه لاحظ للمشركين يوم القيامة
فى الطيبات من الرزق وقيل معناه خالصة لهم يوم القيامة من التكدير والتنغيص والغم لانه قد يقع لهم فى الحياة الدنيا
فى تناول الطيبات من الرزق كدر وتنغيص فاعلمهم انها خالصة لهم فى الاخرة من ذلك كله كذلك نفصل الايات لقوم
يعلمون يعنى كذلك نبين الحلال مما احللت والحرام مما حرمت لقوم علموا انى انا الله وحدى لا شريك لى فاحلوا حلالى
وحرموا حرامى قوله عز وجل قل انما حرم ربى الفواحش جمع فاحشة وهو ما قبح وفحش من قول او فعل والمعنى قل
يا محمد لهولا المشركين الذين يتجردون من الثياب عراة ويحرمون اكل الطيبات مما احل الله لهم ان الله لم يحرم ما
تحرمونه انتم بل احله الله لعباده وطيبه وانما حرم ربى الفواحش من الافعال والاقوال ما ظهر منها وما بطن
يعنى علانيته وسره ق عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا احد اغير من الله من
اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه المدح من الله من اجل ذلك مدح نفسه اصل الغيرة
ثوران القلب وهيجان الحفيظة بسبب المشاركة فيما يختص به الانسان ومنه غيرة احد الزوجين على الاخر لاختصاص
كل منهما بصاحبه ولا يرضى ان يشاركه احد فيه فلذلك يذب عنه ويمنعه من غيره واما الغيرة فى وصف الله تعالى
فهو منعه من ذلك وتحريمه له ويدل على ذلك قوله ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقد يحتمل ان
تكون غيرته تغيير حال فاعل ذلك بعقاب الله تعالى والله اعلم وقوله عز وجل والاثم يعنى وحرم الاثم واختلفوا فى
الفرق بين الفاحشة والاثم فقيل الفواحش الكباير لانه قد تفاحش قبحها وتزايد والاثم عبارة عن الصغاير
من الذنوب فعلى هذا يكون معنى الاية قل انما حرم ربى الكباير والصغاير وقيل الفاحشة ما يجب فيه الحد من الذنوب
والاثم اسم لما لا يجب فيه الحد وهذا القول هو قريب من الاول واعترض على هذين القولين بان الاثم فى اصل
اللغة الذنب فيدخل فيه الكباير والصغاير وقيل ان الفاحشة اسم الكبيرة والاثم اسم لمطلق الذنب سواء كان كبيرا
او صغيرا والفايدة فيه انه لما حرم الكبيرة بقوله قل انما حرم ربى الفواحش اردفه بتحريم مطلق الذنب
لئلا يتوهم متوهم بان التحريم مقصور على الكباير فقط وقيل ان الفاحشة وان كانت بحسب اللغة اسم لكل
ما تفاحش من قول او فعل لكنه قد صار فى العرف مخصوصا بالزنا لانه اذا اطلق لفظ الفاحشة لم يفهم منه الا ذاك فوجب
حمل لفظ الفاحشة على الزنا واما الاثم فقيل انه اسم من اسماء الخمر وهو قول الحسن وعطاء قال الجوهرى وقد يسمى
الخمر اثما واستشهد عليه بقول الشاعر * شربت الاثم حتى ضل عقلى * كذاك الاثم يذهب بالعقول * وقال ابن
سيده صاحب المحكم وعندى ان تسمية الخمر بالاثم لان شربها اثم وبهذا المعنى يبطل الفرق بين اللفظين وانكر ابو بكر الانبارى
تسمية الخمر بالاثم قال لان العرب ما سمته اثما قط فى جاهلية ولا فى اسلام ولكن قد يكون الخمر داخلا تحت الاثم لقوله
تعالى قل فيهما اثم كبير وقوله تعالى والبغى بغير الحق والكبر والاستطالة على الناس ومجاوزة الحد فى ذلك كله ومعنى
البغى بغير الحق هو ان يطلب ما ليس له بحق فاذا طلب ماله بحق خرج عن ان يكون بغيا وان تشركوا اى وحرم ان تشركوا
بالله ما لم ينزل به سلطانا هذا فيه تهكم بالمشركين والكفار لانه لا يجوز ان ينزل حجة وبرهانا بان يشرك به غيره لانه لا اقرار لشى
ليس على ثبوته حجة ولا برهان ممتنع فلما امتنع حصول الحجة والبينة على صحة القول بالشرك وجب ان يكون باطلا على

الاطلاق **فان قلت** البغي والاشراك داخلان تحت الفاحشة والاثم لان الشرك من اعظم الفواحش واعظم الاثم وكذا البغي ايضا من الفواحش واعظم الاثم **قلت** انما افردهما بالذكر للتنبيه على عظيم قبحهما كانه قال من الفواحش المحرمة البغي والشرك فكانه بين جملته ثم تفصيله وقوله تعالى وان تقولوا على الله ما لا تعلمون تقدم تفسيره قوله تعالى ولكل امة اجل الاجل الوقت الموقت لانقضاء وقت المهلة ثم في هذا الاجل المذكور في الاية قولان احدهما انه اجل العذاب والمعنى ان لكل امة كذبت رسلها وقتا معينا واجلا مسمى امهلهم الى ذلك الوقت فاذا جاء اجلهم يعني فاذا جاء وقت عذابهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون يعني فلا يؤخرون ولا يمهلون قدر ساعة ولا اقل من ساعة وانما ذكرت الساعة لانها اقل اسماء الاوقات في العرف وهذا حين سالوا نزول العذاب فاخبرهم الله انهم وقتا اذا جاءهم ذلك الوقت وهو وقت هلاكهم واستيصالهم فلا يؤخرون ساعة ولا يستقدمون والقول الثاني ان المراد بهذا الاجل هو اجل الحياة والعمر فاذا انقضى ذلك الاجل وحضر الموت فلا يؤخر ساعة ولا يتقدم ساعة وعلى هذا القول يلزم ان يكون لكل واحد اجل لا يقع فيه تقديم ولا تاخير وانما قال الله تعالى لكل امة لتقارب اعمار اهل كل عصر فكانهم كالواحد في مقدار العمر وعلى هذا القول يلزم ان يكون المقتول ميتا باجله خلافا لمن يقول قطع عليه اجله قوله عز وجل يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما موكدة لمعنى الشرط وجواب هذا الشرط هو الفاء وما بعده من الشرط والجزاء وقوله فمن اتقى واصلح يقصون عليكم وانما قال رسل بلفظ الجمع وان كان المراد به واحدا وهو النبي صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء وهو مرسل الى كافة الخلق فذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم فعلى هذا يكون الخطاب في قوله يا بني ادم لاهل مكة ومن يلحق بهم وقيل اراد جميع الرسل وعلى هذا فالخطاب في قوله يا بني ادم عام في كل بني ادم وانما قال منكم يعني من جنسكم ومثلكم من بني ادم لان الرسول اذا كان من جنسهم كان اقطع لعذرهم وابلغ في الحجة عليهم لانهم يعرفونه ويعرفون احواله فاذا اتاهم بما لا يليق بقدرته او بقدرة امثاله علم ان ذلك الذي اتى به معجزة له وحجة على من خالفه يقصون عليكم اياتي يعني يقرؤن عليكم كتابي وادلة احكامي وشرائعي التي شرعت لعبادي فمن اتقى يعني فمن اتقى الشرك ومخالفة رسلي واصلح يعني العمل الذي امر به رسلي فعمل بطاعتي وتجنب معصيتي وما نهيته عنه فلا خوف عليهم يعني حين يخاف غيرهم يوم القيامة من العذاب ولا هم يحزنون يعني على ما فاتهم من دنياهم التي تركوها والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها يعني ومن جحد الحجج وكذب رسلنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يعني لا يخرجون منها ابدا قوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا يعني فمن اظلم ظلما ممن يقول على الله ما لم يقله او يجعل له شريكا من خلقه وهو منزه عن الشريك والولد او كذب باياته يعني او كذب بالقران الذي انزل على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب يعني ينالهم حظهم مما كتب لهم وكتب في اللوح المحفوظ واختلفوا في ذلك النصيب على قولين احدهما ان المراد به هو العذاب المعين لهم في الكتاب ثم اختلفوا فيه فقال الحسن والسدي ما كتب لهم من العذاب وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون وقال ابن عباس في رواية عنه كتب لمن يفتري على الله كذبا ان وجهه مسود وقال الزجاج هو المذكور في قوله فانذرتكم نارا تلظى وفي قوله اذ الاغلال في اعناقهم فهذه الاشياء هي نصيبهم من الكتاب على قدر ذنوبهم في كفرهم والقول الثاني ان المراد بالنصيب المذكور في الكتاب هو شيء سوى العذاب ثم اختلفوا فيه فقال ابن عباس في رواية اخرى عنه وعن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية في قوله ينالهم نصيبهم من الكتاب قالوا هو السعادة والشقاوة وقال ابن عباس ما كتب عليهم من الاعمال وقال في رواية اخرى عنه من عمل خيرا جزي به وقال قتادة جزاء اعمالهم التي عملوها وقيل معنى ذلك ينالهم نصيبهم مما وعدوا في الكتاب من خير او شر قاله مجاهد والضحاك وفي رواية عن ابن عباس ايضا وقال الربيع بن انس ينالهم ما كتب لهم في الكتاب

من الرزق وقال محمد بن كعب القرظي عمله ورزقه وعمره وقال ابن زيد ينالهم نصيبهم من الكتاب يعني الاعمال والارزاق والاعمار فاذا فنيت هذه جاءتهم رسلنا يتوفونهم وصحح الطبري هذا القول وقال لان الله تعالى اتبع ذلك بقوله حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم فابان ان الذي ينالهم هو ما قدر لهم في الدنيا فاذا فني توفتهم رسل ربهم قال الامام فخر الدين وانما حصل الاختلاف لان لفظ النصيب محتمل لكل الوجوه وقال بعض المحققين حمله على العمر والرزق اولى لانه تعالى بين انهم وان بلغوا في الكفر ذلك المبلغ العظيم فانه ليس بمانع ان ينالهم ما كتب لهم من رزق وعمر تفضلا من الله سبحانه وتعالى لكي يصلحوا ويتوبوا قوله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم يعني حتى اذا جاءت هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب رسلنا ملك الموت واعوانه لقبض ارواحهم عند استكمال اعمارهم وارزاقهم لان لفظ الوفاة يفيد هذا المعنى قالوا يعني قالت رسل الرسل وهم الملائكة للكفار اين ما كنتم تدعون من دون الله وهذا سؤال توبيخ وتقريع وتبكيت لا سؤال استعلام والمعنى اين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله ادعوهم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم وقيل ان هذا يكون في الاخرة والمعنى حتى اذا جاءتهم رسلنا يعني ملائكة العذاب يتوفونهم يعني يستوفون عددهم عند حشرهم الى النار قالوا اين ما كنتم تدعون يعني الشركاء والاولياء تعبدونهم من دون الله ادعوهم ليدفعوا عنكم ما جاءكم من امر الله قالوا يعني الكفار مجيبين للرسل ضلوا عنا يعني بطلوا وذهبوا عنا وتركونا عند حاجتنا اليهم فلم ينفعونا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين يقول الله تعالى وشهد هؤلاء الكفار عند معاينة العذاب انهم كانوا جاحدين وحدانية الله واعترفوا على انفسهم بذلك قوله عز وجل قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس يعني يقول الله عز وجل يعني يوم القيامة لمن افترى عليه الكذب وجعل له شريكا من خلقه ادخلوا في امم يعني في جملة امم قد خلت يعني قد مضت وسلفت وانما قال قد خلت ولم يقل قد خلوا لانه اطلق الضمير على الجماعة يعني في جملة جماعات قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار اي ادخلوا جميعا في النار التي هي مستقركم ومأواكم وانما عنى بالامم الجماعات والاحزاب واهل الملل الكافرة من الجن والانس كلما دخلت امة يعني كلما دخلت جماعة في النار لعنت اختها يعني كلما دخلت امة النار لعنت اختها من اهل ملتها في الدين لا في النسب قال السدي كلما دخلت اهل ملة النار لعنوا اصحابهم على ذلك الدين فيلعن المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابئون الصابئين والمجوس المجوس تلعن الاخرة الاولى حتى اذا اداركوا فيها جميعا يعني تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا في النار جميعا وادرك بعضهم بعضا واستقروا في النار قالت اخراهم لاولاهم قال ابن عباس يعني قالت اخر كل امة لاولاها وقال السدي قالت اخراهم الذين كانوا في اخر الزمان لاولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين وقال مقاتل يعني قالت اخراهم دخولا النار وهم الاتباع لاولاهم دخولا وهم القادة لانهم يدخلون النار اولا ربنا هؤلاء اضلونا يعني تقول الاتباع ربنا هؤلاء القادة الرؤساء اضلونا عن الهدى وزينوا لنا طاعة الشيطان وقيل انما قال المتاخرون ذلك لانهم كانوا يعتقدون تعظيم المتقدمين من اسلافهم فسلكوا سبيلهم في الضلالة واتبعوا طريقهم فيما كانوا عليه فقالوا ربنا هؤلاء اضلونا لانا اتبعنا سبيلهم فاتهم عذابا ضعفا من النار اي ضعفت عليهم العذاب قال ابو عبيدة الضعف هو مثل الشيء مرة واحدة قال الازهري والذي قاله ابو عبيدة هو ما يستعمله الناس في مجاز كلامهم واما كتاب الله فهو عربي مبين ويرد تفسيره الى موضع كلام العرب فالضعف في كلامهم ما زاد وليس بمقصور على مثلين وجائز في كلام العرب هذا ضعفه اي مثلاه وثلاثة امثاله لان الضعف في الاصل زيادة غير محصورة واولى الاشياء به ان يجعل عشرة امثاله فاقل الضعف محصور وهو المثل واكثره غير محصور وقال الزجاج في تفسير هذه الاية فاتهم عذابا ضعفا اي مضاعفا لان الضعف في كلام العرب على ضربين احدهما المثل والاخر ان يكون في معنى تضعيف الشيء زيادة قال يعني الله لكل ضعف يعني لاولاكم ضعف ولاخراكم ضعف وقيل معناه للتابع ضعف وللمتبوع

ضعف لانهم قد دخلوا في الكفر جميعا ولكن لا تعلمون يعني ما اعد الله لكل فريق من العذاب وقرئ بالياء ومعناه لا يعلم
كل فريق ما اعد الله من العذاب للفريق الاخر قوله تعالى وقالت اولاهم يعني في الكفر وهم القادة لاخراهم يعني الاتباع
فما كان لكم علينا من فضل يعني قد ضللتم كما ضللنا وكفرتم كما كفرنا وقيل في معنى الاية قالت كل امة سلفت في الدنيا
لاخراها الذين جاؤوا من بعدهم فسلكوا سبيل من مضى قبلهم فما كان لكم علينا من فضل وقد علمتم ما حل بنا من عقوبة
الله بسبب كفرنا ومعصيتنا اياه وجاءتكم بذلك الرسل والنذر فما رجعتم عن ضلالتكم وكفركم فذوقوا العذاب وهذا
يحتمل ان يكون من قول القادة للاتباع والامة الاولى للاخرى التي بعدها ويحتمل ان يكون من قول الله يعني يقول
للجميع فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون يعني بسبب ما كنتم تكسبون من الكفر والاعمال الخبيثة قوله عز وجل ان
الذين كذبوا باياتنا يعني كذبوا بدلايل التوحيد ولم يصدقوا بها ولم يتبعوا رسلنا واستكبروا عنها اي تكبروا عن
الايمان بها والتصديق بها وانفوا عن اتباعها والانقياد لها والعمل بمقتضاها تكبرا لا تفتح لهم ابواب السما
اي لا تفتح لارواحهم اذا خرجت من اجسادهم ولا يصعد لهم الى الله عز وجل في وقت حياتهم قول ولا عمل لان ارواحهم
واقوالهم واعمالهم كلها خبيثة وانما يصعد الى الله الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه لا تفتح ابواب السما لارواح
الكفار وتفتح لارواح المومنين وفي رواية عن ابن عباس قال لا يصعد لهم قول ولا عمل وقال ابن جريج لا تفتح ابواب
السما لارواحهم ولا لاعمالهم وروى الطبري بسنده عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح
الفاجر فانه يصعد بها الى السما قال فيصعدون بها فلا يمرون على ملا من الملايكة الا قالوا ما هذا الروح الخبيث
قال فيقولون فلان باقبح اسمايه التي كان يدعى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها الى السما فيستفتحون له فلا يفتح لهم
ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم ابواب السما ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط
وقيل في معنى الاية لا تنزل عليهم البركة والخير لان ذلك لا ينزل الا من السما فاذا لم تفتح لهم ابواب السما فلا ينزل عليهم
من الرحمة والبركة شي وقوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط الولوج الدخول والجمل معروف وهو
من الابل وسم الخياط ثقب الابرة قال الفرا الخياط والمخيط ما يخاط به والمراد به الابرة في هذه الاية وانما خص الجمل
بالذكر من بين ساير الحيوانات لانه اكبر من ساير الحيوانات جسما عند العرب قال الشاعر جسم الجمال واحلام العصافير
وصف من هجاه بعظم الجسم مع صغر العقل فجسم الجمل من اعظم الاجسام وثقب الابرة من اضيق المنافذ فكان
ولوج الجمل مع عظم جسمه في ثقب الابرة الضيق محالا فكذلك دخول الكفار الجنة محال لما وصف دخولهم الجنة
على حصول هذا الشرط وكان وقوع هذا الشرط محالا امتنع ان الوقوع في المحال محال فوجب بهذا الاعتبار دخول
الكفار الجنة مايوسا منه قطعا وقال بعض اهل المعاني لما علق الله دخولهم الجنة بولوج الجمل في سم الخياط وهو
خرق الابرة كان ذلك نفيا لدخولهم الجنة على التابيد وذلك لان العرب اذا علقت ما يجوز كونه باستحالة كون ذلك
الجايز وهذا كقولك لا اتيك حتى يشيب الغراب ويبيض القار ومنه قول الشاعر * اذا شاب الغراب اتيت اهلي
وصار القار كاللبن الحليب * وقوله تعالى وكذلك نجزي المجرمين اي ومثل الذي وصفنا نجزي المجرمين
يعني الكافرين لانه تقدم من صفتهم انهم كذبوا بايات الله واستكبروا عنها وهذه صفة الكفار فوجب حمل
المجرمين على انهم الكفار ولما بين الله عز وجل ان الكفار لا يدخلون الجنة ابدا بين انهم من اهل النار ووصف
ما اعد لهم فيها فقال تعالى لهم من جهنم مهاد يعني لهم من نار جهنم فراش واصل المهاد التمهيد اي تمهد ليه
ويضطجع عليه كالفراش والبساط ومن فوقهم غواش جمع غاشية وهو الغطا كاللحاف ونحوه ومعنى الاية ان
النار محيطة بهم من تحتهم ومن فوقهم قال محمد بن كعب القرظي والضحاك والسدي المهاد الفرش واللحف وكذلك
نجزي الظالمين يعني وكذلك نكافي ونثيب الذين وضعوا العبادة في غير موضعها قوله عز وجل والذين امنوا وعملوا

الصالحات

الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها لما ذكر الله تعالى وعيد الكافرين وما ذكره لهم في الاخرة اتبعه بذكر وعيد الكافرين
المومنين وما اعد لهم في الاخرة فقال والذين امنوا وعملوا الصالحات يعني والذين صدقوا الله ورسوله واقروا بما
جاءهم به من وحي الله وتنزيله عليه من شرايع دينه وعملوا بما امرهم به واطاعوه في ذلك وتجنبوا ما نهاهم عنه لا نكلف
نفسا الا وسعها يعني الا ما يسعها من الاعمال وما سهل عليها ودخل في طوقها وقدرتها وما لا حرج فيه عليها ولا ضيق قال الزجاج
الوسع ما تقدر عليه وقال مجاهد معناه الا ما افترض عليها يعني وسعها الذي تقدر عليه ولا تعجز عنه وقد
غلط من قال الوسع بذل المجهود قال اكثر اصحاب المعاني ان قوله تعالى لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض وقع في
المبتدا والخبر والتقدير ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وانما حسن وقوع
الكلام بين المبتدا والخبر لانه من جنس هذا الكلام لانه لما ذكر عملهم الصالح ذكر ان العمل من وسعهم وطاقتهم
وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه للكفار على ان الجنة مع عظم قدرها ومحلها يوصل اليها بالعمل الصالح السهل
من غير كلفة ولا مشقة صعبة وقال قوم من اصحاب المعاني موضعه رفع من تمام الخبر والعايد محذوف لانه
قال لا نكلف نفسا منهم الا وسعها فحذف العايد للعلم به وقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل يعني
وقلعنا واخرجنا ما في صدور المومنين من غش وحسد وحقد وعداوة كانت بينهم في الدنيا ومعنى الاية
ازلنا تلك الاحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في الدنيا فجعلناهم اخوانا على سرر متقابلين لا يحسد بعضهم
بعضا على شي خص الله به بعضهم دون بعض وفي معنى نزع الغل تصفية الطباع واسقاط الوساوس ومنعها
عن ان ترد على القلب روي عن علي قال فينا والله اهل بدر نزلت ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر
متقابلين وروي عنه ايضا انه قال اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم
ونزعنا ما في صدورهم من غل وقيل ان الحسد والغل يزول بدخولهم الجنة خ عن ابي سعيد الخدري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المومنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم
من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن الله لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم اهدى
بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا وقال السدي في هذه الاية ان اهل الجنة اذا سيقوا الى الجنة فبلغوا وجدوا عند
بابها شجرة في اصل ساقها عينان فشربوا من احداهما فينزع ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى
فجرت عليهم نضرة النعيم فلم يشعثوا ولم يشحبوا بعدها ابدا وقيل ان درجات اهل الجنة متفاوتة في العلو والكمال فبعض
اهل الجنة اعلى من بعض فاخرج الله عز وجل الغل والحسد من صدورهم وازاله عنهم ونزعه من قلوبهم فلا يحسد صاحب
الدرجة النازلة صاحب العالية واورد على هذا كيف يعقل ان الانسان يرى الدرجات العالية والنعم العظيمة
وهو محروم عنها ولا يميل اليها فكيف لا يميل بطبعه اليها ولا يغتم بسبب حرمانه منها وان كان في نعيم ولذة
واجيب عن هذا بان الله تعالى لما قد وعد بازالة الحقد والحسد من قلوب اهل الجنة حتى يكمل لهم اللذة
والسرور حتى ان احدهم لا يرى نفسه الا في كمال من زيادة من النعيم الذي هو فيه فيرضى بما هم فيه ولا يحسد
احدا ابدا وهذا من نعيمه ولذته وكمال سروره وبهجته وقوله تعالى تجري من تحتهم الانهار لما اخبر الله بما
انعم على اهل الجنة من ازالة الغل والحسد والحقد من صدورهم اخبر بما انعم عليهم من اللذات والخيرات والمسرات
وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا يعني ان المومنين اذا دخلوا الجنة قالوا الحمد لله الذي وفقنا وارشدنا للعمل الذي هو
ثواب هذا وتفضل علينا برحمته واحسانه فله الحمد على ذلك وصرف عنا عذاب جهنم بفضله وكرمه وما
كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله يعني وما كنا نسترشد لعمل ذلك العمل الذي هذا ثوابه لولا ان ارشدنا الله اليه ووفقنا
بفضله ومنه وكرمه وفي الاية دليل على ان المهتدي من هداه الله ومن لم يهده الله فليس بمهتد لقد جاءت رسل

Copyright © King Saud University

ربنا بالحق يعني ان اهل النعيم اذا راوها وراوا ما اعد الله لهم فيها من النعيم قالوا لقد جاءت رسل ربنا بالحق
يعني انهم اذا راوا ما وعدهم الرسل عيانا ونودوا ان تلكم الجنة وناداهم مناد يا اهل الجنة ان هذه تلكم الجنة التي كانت
الرسل وعدتكم بها في الدنيا واختلفوا في المنادي فقيل هو الله عز وجل وقيل الملائكة ينادون بامر الله
عز وجل وقيل هذا النداء يكون في الجنة وعن ابي سعيد وابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا
دخل اهل الجنة الجنة نادى مناد ان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا وان لكم ان
تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تباسوا ابدا فذلك قوله عز وجل ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها
بما كنتم تعملون وقوله تعالى اورثتموها بما كنتم تعملون روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من احد
الا وله منزلة في الجنة ومنزل في النار فاما الكافر فانه يرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من
الجنة زاد في رواية فذلك قوله اورثتموها بما كنتم تعملون قال بعضهم لما سمى الله الكافر ميتا بقوله اموات غير
احياء وسمى المؤمن حيا بقوله لينذر من كان حيا وفي الشرع ان الاحياء يرثون الاموات فقال اورثتموها يعني
ان المؤمن حي وهو يرث الكافر منزله من الجنة لانه في حكم الميت وقيل معناه ان امرهم يؤول الى الجنة كما ان الميراث
يؤول الى الوارث وقيل اورثتموها عن الاعمال الصالحة التي عملوها لان الجنة جعلت ثوابا وجزاء لهم على الاعمال
ولا ينافي هذا القول ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لن يدخل الجنة احد بعمله وانما يدخلونها
برحمة الله وهو اقتسام الدرجات والمنازل بالاعمال وقيل ان العمل الصالح لا يناله المؤمن ولا يبلغه الا برحمة الله وتوفيقه
وان كان العمل الصالح بسببه الرحمة كان دخول الجنة في الحقيقة برحمة الله وجعلها الله ثوابا وجزاء لهم على تلك الاعمال
الصالحة التي عملوها في دار الدنيا والله اعلم قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار يعني ونادى اهل
الجنة اهل النار وهذا النداء انما يكون بعد استقرار اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار يقول اهل الجنة
يا اهل النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا يعني ما وعدنا في الدنيا على السنة رسله من الثواب على الايمان به وبرسله
وطاعته فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا يعني من العذاب على الكفر قالوا نعم قال اهل النار مجيبين لاهل
الجنة نعم وجدنا ذلك حقا فان قلت هذا النداء من كل اهل الجنة لكل اهل النار او من البعض قلت
ظاهر قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار يفيد العموم والجمع واذا قابل الجمع بالجمع يوزع الفرد على الفرد فكل فريق من اهل
الجنة ينادي من كان يعرفه من الكفار في دار الدنيا فان قلت اذا كانت الجنة في السماء والنار في الارض
فكيف يمكن ان يبلغ هذا النداء وكيف يصح ان يقع قلت ان الله تعالى قادر على ان يقوي الاصوات والاسماع
فيصير البعيد كالقريب وقوله تعالى فاذن مؤذن بينهم يعني نادى مناد واعلم لان اصل الاذان في اللغة
الاعلام والمعنى نادى مناد اسمع الفريقين وهذا المنادي من الملائكة وقيل انه اسرافيل صاحب الصور ذكره
الواحدي ان لعنة الله على الظالمين يعني يقول المؤذن ان لعنة الله على الظالمين ثم فسر الظالمين فقال الذين
يصدون عن سبيل الله يعني الذين يمنعون الناس من الدخول في الاسلام ويبغونها عوجا يعني ويحاولون ان يغيروا
دين الله وطريقته التي شرع لعباده ويبدلونها وقيل معناه انهم يصلون لغير الله ويعظمون ما لم يعظم الله
وذلك انهم طلبوا سبيل الله بالصلاة لغير الله وتعظيم ما لم يعظمه الله فاخطؤوا الطريق وضلوا عن السبيل
وهم بالآخرة كافرون يعني وهم بكون الآخرة واقعة جاحدون منكرون لها قوله عز وجل وبينهما حجاب
يعني بين الجنة والنار وقيل بين اهل الجنة واهل النار حجاب وهو المذكور في قوله فضرب بينهم بسور له باب
باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وقال مجاهد الاعراف حجاب بين الجنة والنار وقال السدي وبينهما
حجاب هو السور وهو الاعراف وعلى الاعراف رجال الاعراف جمع عرف وهو كل مرتفع من الارض ومنه قيل

عرف الديك لارتفاعه على ما سواه من جسده سمي بذلك لانه بسبب ارتفاعه صار اعرف وابين مما انخفض
وقال السدي انما سمي الاعراف لان اصحابه يعرفون الناس وقال ابن عباس الاعراف الشيء المشرف وعنه قال الاعراف
سور كعرف الديك وعنه ان الاعراف تل بين الجنة والنار يجلس عليه ناس من اهل الذنوب بين الجنة والنار واختلف
العلماء في صفة الرجال الذين اخبر عنهم انهم على الاعراف وما السبب الذي من اجله صاروا هنالك فروي عن حذيفة
انه سئل عن اصحاب الاعراف فقال هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وخلفت
بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله فيهم قال بعضهم انما جعلوا على الاعراف لانها
درجة متوسطة بين الجنة والنار فهم لا من اهل الجنة ولا من اهل النار لكن الله يدخلهم الجنة بفضله ورحمته
لانه ليس في الآخرة دار الا الجنة او النار وقال ابن مسعود يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته اكثر
بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته اكثر بواحدة دخل النار وان الميزان يخف ويثقل بمثقال حبة ومن استوت حسناته
وسيئاته كان من اصحاب الاعراف فوقفوا على الاعراف فاذا نظروا الى اهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين
فهنالك يقول الله لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولا قال ابن مسعود العبد اذا عمل حسنة كتبت له بها
عشرا واذا عمل سيئة لم تكتب الا واحدة ثم قال هلك من غلبت وحداته عشراته وقال ابن عباس الاعراف سور بين
الجنة والنار واصحاب الاعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فهم بذلك المكان حتى اذا اراد الله ان يعافيهم
انطلق بهم الى نهر يقال له الحياة حافتاه قصب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك فالقوا فيه حتى تصلح الوانهم
وتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى اذا صلحت الوانهم اتى بهم الرحمن تبارك وتعالى فقال تمنوا ما شئتم
فيتمنوا حتى اذا انقطعت امنيتهم قال لكم الذي تمنيتم ومثله سبعون ضعفا فيدخلون الجنة وفي نحورهم شامة بيضاء
يعرفون بها يسمون مساكين اهل الجنة ذكره ابن جرير في تفسيره وقال شرحبيل بن سعد اصحاب الاعراف قوم خرجوا
في الغزو بغير اذن ابائهم وروى الطبري بسنده الى يحيى بن شبل مولى لبني هاشم عن محمد بن عبد الرحمن عن ابيه قال سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اصحاب الاعراف فقال هم قوم قتلوا عصاة لابائهم فمنعهم قتلهم في سبيل الله عن النار
ومنعهم معصية ابائهم ان يدخلوا الجنة زاد في رواية فهم اخر من يدخل الجنة وذكر ابن الجوزي انهم قوم رضوا اباءهم
دون امهاتهم وامهاتهم دون ابائهم ورواه عن ابراهيم وذكر عن صالح مولى التوأمة عن ابن عباس انهم اولاد الزنا وقيل
انهم الذين ماتوا في الفترة وفيه بعد لان اخر امر اصحاب الاعراف في الجنة وهؤلاء الذين ماتوا في الفترة والله اعلم
بحالهم وهو متولي امرهم وقيل انهم اولاد المشركين الذين ماتوا اطفالا وهذا القول يرجع معناه الى القول الذي قبله
لانه داخل في حكمه فهذه الاقوال تدل على ان اصحاب الاعراف دون اهل الجنة في الدرجات وان كانوا يدخلون الجنة
برحمة الله وقال مجاهد اصحاب الاعراف قوم صالحون فقهاء علماء فعلى هذا القول انما يكون لبثهم على الاعراف على سبيل
النزهة وليرى غيرهم شرفهم وفضلهم وقيل انهم انبياء حكاه ابن الانباري وانما اجلسهم الله على ذلك المكان العالي
تمييزا لهم على سائر اهل القيامة واظهارا لفضلهم وعلو مرتبتهم وليكونوا مشرفين على اهل الجنة والنار مطلعين على
احوالهم ومقادير ثواب اهل الجنة وعقاب اهل النار وقال ابو مجلز اصحاب الاعراف ملائكة يعرفون الفريقين بسيماهم
حتى يعرفون اهل الجنة واهل النار فقيل لابي مجلز ان الله تعالى يقول وعلى الاعراف رجال وانت تقول انهم ملائكة
فقال ان الملائكة ذكور ليسوا باناث ومنع الطبري قول ابي مجلز وقال لان لفظ الرجال في لسان العرب لا يطلق الا
على الذكور من بني ادم دون اناثهم ودون سائر الخلق وحاصل هذه الاقوال ان اصحاب الاعراف افضل من اهل الجنة لانهم
اعلى منهم منزلة وافضل وقيل انما اجلسهم الله في ذلك المكان العالي ليميزوا بين اهل الجنة واهل النار والله اعلم بمراده واسرار
كتابه وقوله تعالى يعرفون كلا بسيماهم يعني اصحاب الاعراف يعرفون اهل النار بسيماهم وذلك بسواد وجوههم وزرقة عيونهم

Copyright © King Saud University

والسيما العلامة الدالة على الشي واصله من السمة قال ابن عباس اصحاب الاعراف اذا راوا اصحاب الجنة عرفوهم ببياض الوجوه واذا
راوا اصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه فان قلنا ان اصحاب الاعراف من استوت حسناتهم وسيئاتهم وهم دون اهل الجنة
في الدرجة فاوقفهم الله تعالى على الاعراف فيكونوا في درجة متوسطة بين الجنة والنار فاذا راوا اهل الجنة عرفوهم
ببياض وجوههم نادوهم ان سلام عليكم وهو قوله تعالى ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم يعني نادى اصحاب الاعراف
اصحاب الجنة ان سلام عليكم يعني سلمتم من الافات وحصل لكم الامن والسلامة واذا راوا اهل النار عرفوهم بسواد
وجوههم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين وان قلنا ان اصحاب الاعراف هم الاشراف والافاضل من اهل الجنة
كان حلولهم على الاعراف ليطلعوا على احوال اهل الجنة واهل النار ثم لينقلهم الله عز وجل الى الدرجات العلية في الجنة
وقوله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون يعني في دخول الجنة قال الحسن ما جعل الله ذلك الطمع في قلوبهم الا لكرامة يريدها
وقوله تعالى واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار يعني واذا صرفت ابصار اصحاب اهل الاعراف تلقاء اصحاب
النار يعني وجاههم وحيالهم فنظروا اليهم والى سواد وجوههم وما هم فيه من العذاب قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم
الظالمين يعني الذين ظلموا انفسهم بالشرك وقال ابن عباس ان اصحاب الاعراف اذا نظروا الى اهل النار عرفوهم وقالوا
ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين والمعنى ان اصحاب الاعراف اذا نظروا الى اهل النار وما هم فيه من العذاب تضرعوا
الى الله وسالوه ان لا يجعلهم منهم قوله تعالى ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعني ونادى اصحاب الاعراف رجالا كانوا عظماء
في الدنيا من اهل النار يعرفونهم بسيماهم يعني بسيما اهل النار قالوا يعني اصحاب الاعراف لهولاء الذين عرفوهم في النار ما اغنى
عنكم جمعكم يعني ما كنتم تجمعون من المال والعدد في الدنيا وما كنتم تستكبرون يعني ما اغنى عنكم تكبركم عن الايمان
شيا قال الكلبي ينادونهم وهم على السور يا وليد بن المغيرة يا ابا جهل بن هشام ويا فلان ويا فلان ثم ينظرون الى
الجنة فيرون فيها الفقرا والضعفا ممن كانوا يستهزون بهم مثل سلمان وصهيب وخباب وبلال واشباههم فيقول
اصحاب الاعراف لاوليك الكفار اهولا لفظ استفهام يعني هولا الضعفا الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة يعني انكم
حلفتم انهم لا يدخلون الجنة وقد دخلوا الجنة ثم يقول الله لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضلي ورحمتي لا خوف
عليكم ولا انتم تحزنون وقيل ان اصحاب الاعراف اذا قالوا لاهل النار ما اخبر الله عنهم قال لهم اهل النار ان اوليك
دخلوا الجنة وانتم لا تدخلونها فيعيرونهم بذلك ويقسمون انهم لا يدخلون الجنة ولا ينالهم الله برحمة ثم تقول
الملايكة لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة برحمة الله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون قوله عز وجل ونادى اصحاب النار
اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا قال ابن عباس لما صار اصحاب الاعراف الى الجنة طمع
اهل النار في الفرج فقالوا يا رب ان لنا قرابات من اهل الجنة فاذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فياذن لهم فينظرون الى
قراباتهم وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم وينظر اهل الجنة الى قراباتهم من اهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم فينادي
اصحاب النار اصحاب الجنة باسمايهم فينادي الرجل اباه واخاه فيقول قد احترقت افض علي من الماء فيقال لهم اجيبوهم
فيقولون ان الله حرمهما على الكافرين ومعنى الاية ان اهل النار يستغيثون باهل الجنة اذا استقروا فيها
وذلك عند نزول البلايا باهل النار وما يلقون من شدة العطش والجوع عقوبة من الله على ما سلف منهم في الدنيا
من الكفر والمعاصي يقول اهل النار لاهل الجنة يا اهل الجنة افيضوا علينا صبوا علينا من الماء او مما
رزقكم الله واطعمونا مما رزقكم الله واسعوا علينا من طعام الجنة ان الله حرمهما على الكافرين وهذا الجواب يفيد
الحرمان قال بعضهم لما كانت شهواتهم في الدنيا في لذة الاكل والشرب عذبهم الله بشدة الجوع والعطش فسالوا
ما كانوا يعتادونه في الدنيا من طلب الاكل والشرب فاجيبوا بان الله حرمهما على الكافرين ومعنى الاية ان اهل
ثم وصف الكافرين فقال تعالى الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا يعني انهم تلاعبوا بدينهم الذي شرع لهم ولهوا عنه

واصل

واصل اللهو ما يشغل الانسان عما يعنيه ويهمه يقال لهيت بكذا ولهيت عن كذا اي اشتغلت عنه قال
ابن عباس هم المستهزون وذلك انهم كانوا اذا دعوا الى الايمان سخروا ممن دعاهم اليه وهزوا واستهزوا بالله عز وجل
وقيل هو ما زين لهم الشيطان من تحريم البحاير والسوايب والمكا والتصدية حول البيت وساير الخصال الذميمة
التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وقيل معنى دينهم عيدهم اتخذوه لهوا ولعبا لا يذكرون الله فيه وغرتهم الحياة الدنيا يعني
وخدعتهم عاجل ما هم فيه من خفض العيش والدعة وشغلهم ما هم فيه من ذلك عن الايمان بالله ورسوله وعن الاخذ
بنصيبهم من الاخرة حتى اتتهم المنية وهم على ذلك والغرة غفلة في اليقظة وهو طمع الانسان في طول العمر
وحسن العيش وكثرة المال والجاه ونيل الشهوات فاذا حصل ذلك صار محجوبا عن الدين وطلب الخلاص لاستغراقه
في الدنيا لمحبته لما هو فيه من ذلك ولما وصفهم بهذه الصفات الذميمة قال فاليوم يعني يوم القيمة
ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا يعني فاليوم نتركهم في العذاب المهين جياعا عطاشا كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا وهذا قول
ابن عباس ومجاهد والسدي قال ابن عباس نسيهم من الخير ولم ينسهم من الشر وقيل نعاملهم معاملة من نسي
نتركهم في النار كما تركوا العمل واعرضوا عن الايمان اعراض الناسي سمى الله تعالى جزا نسيانهم بالنسيان على المجاز
لان الله تعالى لم ينس شيا وهو كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فيكون المراد من هذا النسيان ان الله تعالى لا يجيب
دعاهم ولا يرحم ضعفهم وذلتهم بل يتركهم في النار كما تركوا الايمان والعمل وما كانوا باياتنا يجحدون يعني ونتركهم
في النار كما كانوا بدلايل وحدانيتنا يكذبون قوله تعالى ولقد جيناهم بكتاب يعني ولقد جينا هولا الكفار بالقران
الذي انزلناه عليك يا محمد فصلناه على علم بيناه على علم منا بتفصيله وتبيينه هدى ورحمة لقوم يومنون
اي جعلنا القران هاديا وذا رحمة لقوم يومنون هل ينظرون الا تاويله يعني هل ينتظر هولا الكفار الذين
كذبوا باياتنا وجحدوها ولم يومنوا بها الا تاويله يعني هل ينظرون وينتظرون الا ما وعدوا به على السنة الرسل
من العقاب وان مصيرهم الى النار فالتاويل ما يول اليه الشي يوم ياتي تاويله يعني يوم القيمة لانه يوم الجزا
وما يول اليه امورهم يقول الذين نسوه من قبل يعني يقول الذين تركوا العمل بالقران ولم يومنوا به يوم القيمة عند
معاينة العذاب قد جاءت رسل ربنا بالحق اقروا على انفسهم واعترفوا حين لا ينفعهم ذلك الاعتراف والاقرار والمعنى
ان الكفار اقروا بان الذي جاءت به الرسل من الايمان والتصديق بالحشر والنشر والبعث يوم القيامة والثواب
والعقاب حق وصدق وانما اقروا بهذه الاشيا لانهم شاهدوها معاينة وذلك حين لا ينفعهم ولما راوا انهم
في العذاب قالوا فهل لنا من شفعا فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل يعني انه ليس لنا طريق الى الخلاص
مما نحن فيه من العذاب الا ان يشفع لنا شفيع عند ربنا فيقبل شفاعته فينا فيخلصنا من هذا العذاب او نرد الى
الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمل فيها فنبدل الكفر بالتوحيد والايمان والمعاصي بالطاعة والانابة قد خسروا
انفسهم يعني ان الذي طلبوه لا يحصل لهم فتبين خسرانهم وهلاكهم انفسهم لانهم كانوا في الدنيا اولي عمر لم
يعملوا بطاعة الله ولو ردوا الى الدنيا لعادوا لما كانوا عليه من الكفر والعصيان لسابق علم الله فيهم وضل
عنهم ما كانوا يفترون يعني وبطل وذهب عنهم ما كانوا يزعمون ويكذبون في الدنيا من ان الاصنام تشفع لهم
فلما افضوا الى الاخرة ذهب ذلك عنهم وعلموا انهم كانوا في دعواهم كاذبين قوله عز وجل ان ربكم الله يعني ان
سيدكم ومالككم ومصلح اموركم ويوصل الخيرات اليكم ويدفع عنكم المكاره هو الله الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام اصل الخلق في اللغة التقدير المستقيم ويستعمل في ابداع الشي من غير اصل سبق ولا ابتدا تقدم
فمعنى قوله خلق السموات والارض يعني ابدعهما وانشا خلقهما من غير مثال سبق وقدر احوالهما في ستة ايام فان قلت
اليوم عبارة عن مقدار من الزمان وذلك المقدار من طلوع الشمس الى غروبها فكيف قال في ستة ايام ولم يكن شمس ولا سما

Copyright © King Saud University

قلت معناه في مقدار ستة ايام فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا يعني على مقادير البكر والعشي في الدنيا لان الجنة لا ليل فيها ولا نهار واختلف العلماء في اليوم الذي ابتدا الله عز وجل بخلق الاشيا فقيل في يوم السبت وهو قول محمد بن اسحاق وغيره ويدل على صحة هذا القول ما روى مسلم في افراده من حديث ابي هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله تعالى التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثا وخلق النور يوم الاربعا وخلق فيها الدواب يوم الخميس وخلق ادم بعد العصر يوم الجمعة في اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل وهذا الحديث وان كان في صحيح مسلم ففيه مقال وقد انكره بعض العلما لما فيه من المخالفة للاية الكريمة لان الله تعالى يقول خلق السموات والارض في ستة ايام وقال في اية اخرى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام والذي في الحديث ان بعض الخلق وقع في سبعة ايام وذلك مجموع ايام الاسبوع فلهذا السبب انكره من انكره من العلما وقد ذكر الازهري في كتاب تهذيب اللغة ما يقوي الحديث وقال ابن الانباري السبت القطع وسمي يوم السبت لان الله تعالى ابتدا الخلق يوم السبت وقطع فيه بعض خلق الارض وقيل ان ابتدا الخلق كان يوم الاحد وهو قول عبد الله بن سلام وكعب الاحبار والضحاك ومجاهد واختاره ابن جرير الطبري قال الطبري خلق الله السموات والارض في ستة ايام وذلك يوم الاحد والاثنين والثلاثا والاربعا والخميس والجمعة وروى باسناده عن مجاهد قال بدو الخلق العرش والما وبدو الخلق يوم الاحد والاثنين والثلاثا والاربعا والخميس وجمع في يوم الجمعة وتهودت اليهود يوم السبت ويوم من الستة ايام كالف سنة مما تعدون ويعضد هذا القول ما حكاه صاحب المحكم بن سيده قال ويحكى ان ايام الاسبوع ستا لان ابتدا الخلق كان يوم الاحد الى الجمعة ولم يكن في السبت خلق قال اصحاب الاخبار والسير والتواريخ ان الله تعالى خلق التربة التي هي الارض بلا دحو ولا بسط في يوم الاحد والاثنين ثم استوى الى السما فسواهن سبع سموات في يومين وهما الثلاثا والاربعا ثم دحا الارض وبسطها وطحاها واخرج منها ماها ومرعاها وخلق دوابها ووحوشها وجميع ما فيها في يومين وهما الخميس والجمعة وخلق ادم وحوا في يوم الجمعة اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات الجمعة وقيل خلق الله عز وجل التربة يوم الاحد ثم استوى الى السما فخلقها وجميع ما فيها في يوم الاثنين والثلاثا ثم مد الارض ودحاها يوم الاربعا والخميس وخلق ادم يوم الجمعة واسكنه الجنة هو وزوجه حوا ثم اهبطهما الى الارض في اخر ساعة من يوم الجمعة وقيل اول ما خلق الله القلم ثم اللوح فكتب فيه ما كان وما سيكون وما خلق وما هو خالق الى يوم القيمة ثم خلق الظلمة والنور ثم خلق العرش ثم خلق السما من درة بيضا ثم خلق التربة التي خلقها اولا ثم خلق جميع ما فيها من جبال وشجر ودواب وغير ذلك ثم خلق ادم والخلق في اخر ساعة من ساعات الجمعة وقيل هبط الى الارض فتكامل جميع الخلق في ستة ايام كل يوم مقدار الف سنة وهذا قول جمهور العلما وقيل في ستة ايام من ايام الدنيا **فان قلت** ان الله عز وجل قادر ان يخلق جميع الخلق في لحظة واحدة بقوله وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر فما الفايدة في خلق السموات والارض في ستة ايام وما الحكمة في ذلك **قلت** ان الله سبحانه وتعالى كان قادرا على جميع خلق الاشيا في لحظة واحدة الا انه تعالى جعل لكل شي حدا محدودا ووقتا معلوما فلا يدخل في الوجود الا في ذلك الوقت والمقصود في ذلك تعليم عباده التثبت والتاني في الامور وقال سعيد بن جبير كان الله عز وجل قادرا على خلق السموات والارض في لمحة ولحظة فخلقهن في ستة ايام تعليما لخلقه التثبيت والتاني في الامور كما في الحديث التاني من الله والعجلة من الشيطان وقيل ان الشي اذا حدث دفعة واحدة فلعله ان يخطر ببال بعضهم ان ذلك الشي انما وقع على سبيل الاتفاق فاذا احدث شي بعد شي على سبيل المصلحة والحكمة كان ذلك ابلغ في القدرة واقوى في الدلالة وقيل ان الله تعالى اراد ان يوقع في كل يوم امرا من امره حتى تستعظمه الملايكة وغيرهم ممن شاهده وقيل ان التعجيل في الخلق ابلغ في القدرة والتثبيت ابلغ في الحكمة فاراد الله تعالى اظهار حكمته في خلق الاشيا بالتثبيت كما اظهر قدرته في خلق الاشيا بكن فيكون وقوله تعالى ثم استوى على العرش العرش في اللغة السرير وقيل هو ما علا فاظل وسمي مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلوه ويكنى في العز والسلطان والمملكة بالعرش على الاستعارة

والمجاز

والمجاز ويقال فلان ثل عرشه بمعنى ذهب عزه وملكه وسلطانه قال الراغب في كتابه مفردات القران وعرش الله عز وجل مما لا يعلمه البشر الا بالاسم على الحقيقة وليس هو كما تذهب اليه اوهام العامة فانه لو كان كذلك لكان حاملا له تعالى عن ذلك وليس كما قال قوم انه الفلك الاعلى والكرسي فلك الكواكب واما استوى بمعنى استقر فقد روى البيهقي في كتاب الاسما والصفات بروايات كثيرة عن جماعة من السلف وضعفها كلها وقال الاستوا فالمتقدمون من اصحابنا كانوا لا يفسرونه ولا يتكلمون فيه كنحو مذهبهم في امثال ذلك وروى بسنده عن عبد الله بن وهب قال كنا عند مالك بن انس فدخل رجل فقال يا ابا عبد الرحمن على العرش استوى كيف استواوه قال فاطرق مالك واخذته الرحضا ثم رفع راسه فقال الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع وانت رجل سو صاحب بدعة اخرجوه فاخرج الرجل وفي رواية يحيى بن يحيى قال كنا عند مالك بن انس فجا رجل فقال يا ابا عبد الرحمن على العرش استوى كيف استواوه فاطرق مالك براسه حتى علاه الرحضا ثم قال الاستوا غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسوال عنه بدعة وما اراك الا مبتدعا فامر به ان يخرج وروى البيهقي بسنده عن ابن عيينة قال كلما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه قال البيهقي والاثار عن السلف في مثل هذا كثيرة وعلى هذه الطريقة يدل مذهب الشافعي واليه ذهب احمد بن حنبل والحسين بن الفضل البجلي ومن المتاخرين ابو سليمان الخطابي وقال البغوي اهل السنة يقولون الاستوا على العرش صفة الله بلا كيف يجب على الرجل الايمان به ويكل العلم به الى الله عز وجل وذكر حديث مالك ابن انس مع الرجل الذي سال عن الاستوا وقد تقدم وروى عن سفيان الثوري والاوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علما السنة في هذه الايات التي جات في الصفات المتشابهة امروها كما جات بلا كيف وقال الامام فخر الدين الرازي بعد ان ذكر الدلايل العقلية والسمعية انه لا يمكن حمل قوله تعالى ثم استوى على العرش على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز وعند هذا حصل للعلما الراسخين مذهبان الاول ان نقطع بكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة ولا نخوض في تاويل الاية على التفصيل بل نفوض علمها الى الله تعالى وهو الذي قررناه في تفسير قوله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به وهذا المذهب هو الذي نختاره ونقول به ونعتمد عليه والمذهب الثاني ان نخوض في تاويله على التفصيل وفيه قولان ملخصان الاول ما ذكره القفال فقال العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك يقال ثل عرشه اي انتقض ملكه واذا استقام له ملكه واطرد امره ونفذ حكمه قالوا استوى على عرشه واستوى على سرير ملكه هذا ما قاله القفال والذي قاله القفال حق وصواب ثم قال والله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تدبيره العالم على الوجه الذي الفوه من ملوكهم واستقر في قلوبهم عظمة الله جل جلاله وكمال قدرته وذلك مشروط بنفي التشبيه والمراد منه نفاذ القدرة وجريان المشية قال ويدل على صحة هذا قوله في سورة يونس ثم استوى على العرش يدبر الامر جرى مجرى التفسير لقوله استوى على العرش واورد على هذا القول بان الله تعالى لم يكن مستوليا على الملك قبل خلق السموات والارض والله تعالى منزه عن ذلك واجيب عنه بان الله تعالى كان قبل خلق السموات والارض مالكها لكن لا يصح ان يقال شبع زيد الا بعد اكل الطعام فكذا فسر العرش بالملك صح ان يقال ان الله تعالى انما استوى ملكه بعد خلق السموات والارض والقول الثاني ان يكون استوى بمعنى استولى وهذا مذهب المعتزلة وجماعة من المتكلمين واحتجوا عليه بقول الشاعر * ثم استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق * وعلى هذا القول انما خص العرش بالاخبار عنه بالاستيلا عليه بانه اعظم المخلوقات ورد هذا القول بان العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى وانما يقال استولى فلان على كذا اذا لم يكن في ملكه ثم ملكه واستولى عليه والله تعالى لم يزل مالكا للاشيا كلها ومستوليا عليها فاي تخصيص للعرش هنا دون غيره من المخلوقات ونقل البيهقي عن ابي الحسن الاشعري ان الله تعالى فعل في العرش فعلا سماه استوا كما فعل في غيره فعلا سماه رزقا ونعمة وغيرها من افعاله ثم لم يكن الاستوا الا انه جعله من صفات الفعل لقوله تعالى ثم استوى على العرش وثم للتراخي والتراخي انما يكون في الافعال وافعال الله تعالى توجد بلا مباشرة منه اياها ولا حركة وحكى الاستاذ ابو بكر بن فورك عن بعض

Copyright © King Saud University

اصحابنا انه قال استوى بمعنى علا من العلو قال ولا يريد بذلك علوا بالمسافة والتحيز والكون في المكان متمكنا فيه ولكن يريد
معنى في الخبر عنه وانه ليس كما يجوز به طبق ويحيط به نظر ووصف الله تعالى بذلك طريقه الخبر ولا يتعدى ما ورد به الخبر
قال البيهقي وهو على هذه الطريقة من صفات الذات وكلمة ثم تعلقت بالمستوى عليه لا بالاستواء وقد اشار ابو الحسن
الاشعري الى هذه الطريقة حكاية فقال قال بعض اصحابنا انه صفة ذات قال وجوابي هو الاول وهو ان الله تعالى
مستو على عرشه وانه فوق الاشياء باين منها بمعنى انه لا تحله ولا يحلها ولا يماسها ولا يشبهها وليست البينونة بالعزلة
تعالى ربنا عن الحلول والمماسة علوا كبيرا وقد قال بعض اصحابنا ان الاستواء صفة الله تعالى تنفي الاعوجاج عنه وروى
ان ابن الاعرابي جاءه رجل فقال له يا ابا عبد الله ما معنى قوله الرحمن على العرش استوى قال انه مستو على عرشه كما اخبر فقال الرجل
انما معنى قوله استوى اي استولى فقال له ابن الاعرابي العرب لا تقول استوى على الشيء فلان حتى يكون له مضاد فايهما
غلب قيل له من غلب قد استولى عليه والله تعالى لا مضاد له فهو على عرشه كما اخبر لا كما يظنه البشر والله اعلم وقوله
تعالى **يغشي الليل النهار** يعني انه تعالى يأتي بالليل على النهار فيغطيه ويلبسه حتى يذهب بنوره وفيه حذف تقديره
ويغشي النهار الليل وانما لم يظهر النهار لدلالة الكلام **يطلبه حثيثا** يعني سريعا وذلك انه كان اذا جاء احدهما الاخر
وخلفه فكانه يطلبه حكى الامام فخر الدين عن القفال انه قال ان الله تعالى لما اخبر عباده باستوائه على العرش اخبر
عن استمرار امور المخلوقات على وفق مشيئته واراهم ذلك فيما يشاهدونه منها ليضم العيان الى الخبر وتزول الشبهة
من كل الجهات قال الامام واعلم انه سبحانه وتعالى وصف هذه الحركة بالسرعة الشديدة وذلك لان تعاقب الليل والنهار
انما يحصل بحركة الفلك الاعظم وتلك الحركة اشد الحركات سرعة فان الانسان اذا كان في شدة عدوه بمقدار رفع رجله
ووضعها يتحرك الفلك الاعظم ثلاثة الاف ميل وهي الف فرسخ فلهذا قال يطلبه حثيثا لسرعة حركته **والشمس والقمر**
والنجوم مسخرات بامره معنى التسخير التذليل وقال الزجاج وخلق هذه الاشياء جارية في مجاريها بامره وقال المفسرون
يعني تسخيرهن تذليلهن لما يراد منهن من طلوع وغروب وسير ورجوع اذ ليس هن قادرات بانفسهن وانما هن يتصرفن
في منصرفاتهن على ارادة المدبر لهن المحكم في تدبيرهن وتصريفهن على ما اراد منهن والمراد بالامر في قوله بامره نفاذ
ارادته لان الغرض من هذه الاية تبيين عظمة قدرته ومنهم من حمل الامر على الامر الذي هو الكلام وقال انه تعالى
امر هذه الاجرام بالسير الدائم والحركة المستمرة الى انقضاء الدنيا وخراب هذا العالم **فان قلت** ان الشمس والقمر
من النجوم فلم افردهما بالذكر ثم عطف عليهما ذكر النجوم **قلت** انما افردهما بالذكر لبيان شرفهما على سائر الكواكب لما فيهما
من الاشراق والنور وسيرهما في المنازل لمعرفة الاوقات فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فعطف
جبريل وميكائيل على ذكر الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما على غيرهما من الملائكة وقوله تعالى **الا له الخلق والامر** يعني له الخلق
لانه خلقهم وله ان يامرهم بما اراد وله ان يحكم فيهم بما شاء وعلى هذا المعنى الامر هنا الذي هو نقيض النهي واستخرج سفيان بن
عيينة ان كلام الله عز وجل ليس بمخلوق فقال ان الله تعالى فرق بين الخلق والامر فمن جمع بينهما فقد كفر يعني ان من جعل الامر
الذي هو كلامه من جملة ما خلقه فقد كفر لان المخلوق لا يقوم بمخلوق مثله وقيل معناه ان جميع ما في العالم لله عز وجل
والخلق له لانه خلقهم وجميع الامور تجري بقضائه وقدره فهو مجريها ومنشيها فلا يبقى بعد هذا لاحد شيء وقيل المراد بالامر
هنا الارادة لان الغرض من الاية تعظيم القدرة وفي الاية دليل على انه لا خالق الا الله عز وجل ففيه رد على من يقول
ان للشمس والقمر والكواكب تاثيرات في هذا العالم فاخبر تعالى انه هو الخالق المدبر لهذا العالم لا الشمس والقمر والكواكب
وله الامر المطلق وليس لاحد امر غيره فهو الامر والناهي الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد من خلقه عليه **تبارك**
الله يعني تمجد وتعظم وارتفع وقال الزجاج تبارك تفاعل من البركة ومعنى البركة الكثرة من كل خير وقيل معناه تعالى
وتعاظم الله **رب العالمين** يعني هو الذي يستحق التعظيم وذلك ان الله تعالى افتتح هذه الاية بقوله ان ربكم الله الذي خلق

السموات والارض وذكر اشياء من عظيم خلقه وان له الخلق والامر والنهي وله القدرة عليهم ختم الاية بالثناء عليه لانه هو
المستحق للمدح المطلق والثناء والتعظيم وقال ابن عباس معناه تبارك باسمه تبرك في كل شيء وقال المحققون معنى هذه الصفة
ثبت ودام كما لم يزل ولا يزال واصل البركة الثبوت ويقال تبارك الله ولا يقال متبارك ولا مبارك لانه لم يرد فيه التوقيف
قوله عز وجل **ادعوا ربكم** قيل معناه اعبدوا ربكم لان الدعاء طلب الخير من الله وهذه صفة العبادة ولانه تعالى عطف عليه
قوله وادعوه خوفا وطمعا والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه وقيل المراد بحقيقة الدعاء وهو الصحيح لان
الدعاء هو السؤال والطلب وهو نوع من انواع العبادة لان الداعي لا يقدم على الدعاء الا اذا عرف من نفسه الحاجة الى ذلك
المطلوب وهو عاجز عن تحصيله وعرف ان ربه تبارك وتعالى يسمع الدعاء ويعلم حاجته وهو قادر على ايصالها الى الداعي
فعند ذلك يعرف العبد نفسه بالعجز والنقص ويعرف ربه بالقدرة والكمال وهو المراد من قوله **تضرعا** يعني ادعوا ربكم تذللا
واستكانة وهو اظهار الذل في النفس والخشوع يقال ضرع فلان لفلان اذا ذل له وخشع وقال الزجاج تضرعا يعني تملقا
وحقيقته ان تدعوه خاضعين خاشعين متعبدين بالدعاء له تعالى **وخفية** يعني سرا في انفسكم وهو ضد العلانية والادب
في الدعاء ان يكون خفيا لهذه الاية قال الحسن بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا ولقد كان المسلمون
يجتهدون في الدعاء ولا يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية
وان الله تعالى ذكر عبدا صالحا ورضي فعله فقال تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا (ق) عن ابي موسى الاشعري قال كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا بصيرا
وهو معكم والذي تدعونه اقرب الى احدكم من عنق راحلته قال ابو موسى وانا خلفه اقول لا حول ولا قوة الا بالله في
نفسي فقال يا عبد الله بن قيس الا ادلك على كنز من كنوز الجنة فقلت بلى يا رسول الله فقال لا حول ولا قوة الا بالله قوله صلى الله
عليه وسلم اربعوا على انفسكم اي ارفقوا بها واقصروا عن الصياح في الدعاء وقوله تعالى **انه لا يحب المعتدين** يعني
في الدعاء وقال ابو مجلز هم الذين يسألون منازل الانبياء عن عبد الله بن مغفل انه سمع ابنه يقول اللهم اني اسألك
القصر الابيض عن يمين الجنة اذا دخلتها فقال اي بني سل الله الجنة وتعوذ به من النار فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول سيكون في هذه الامة قوم يعتدون في الطهور والدعاء اخرجه ابو داود وقال ابن جريج من الاعتداء رفع
الصوت والنداء والصياح في الدعاء وقيل الاعتداء مجاوزة الحد في كل شيء فكل من خالف امر الله ونهيه فقد
اعتدى ودخل تحت قوله تعالى انه لا يحب المعتدين وفرع بعض ارباب الطريقة على قوله تعالى ادعوا ربكم
تضرعا وخفية هل الافضل اظهار العبادات ام لا فذهب بعضهم الى ان اخفاء العبادات والطاعات افضل
من اظهارها لهذه الاية ولكونها ابعد من الرياء وذهب بعضهم الى ان اظهارها افضل ليقتدي به الغير فيعمل مثله
وتوسط الشيخ محمد بن علي الحكيم الترمذي فقال ان كان خائفا على نفسه من الرياء فالاولى اخفاء العبادات صونا
لعمله من البطلان وان كان قد بلغ في الصفاء وقوة اليقين الى التمكين بحيث صار امينا عن شائبة الرياء كان الاولى في حقه
الاظهار لتحصيل فائدة الاقتداء به وذهب بعضهم الى ان اظهار العبادات المفروضات افضل من اخفائها فالصلاة
المكتوبة في المسجد افضل من صلاته في بيته وصلاة النفل في البيت افضل من صلاتها في المسجد وكذا اظهار الزكاة
افضل من اخفائها واخفاء صدقة التطوع افضل من اظهارها وقياس على هذا سائر العبادات قوله تعالى
ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها يعني ولا تفسدوا ايها الناس في الارض بالمعاصي والكفر والدعاء الى غير طاعة الله
بعد اصلاح الله اياها ببعثة الرسل وبيان الشرائع والدعاء الى طاعة الله تعالى وهذا معنى قول الحسن والسدي
والضحاك والكلبي وقال عطية لا تعصوا في الارض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بسبب معاصيكم فعلى هذا يكون
معنى قوله بعد اصلاحها يعني بعد اصلاح الله اياها بالمطر والخصب وقيل معنى الاية ولا تفسدوا في الارض شيئا

Copyright © King Saud University

بعد ان اصلحه الله تعالى فيدخل فيه المنع من اتلاف النفس بالقتل او افسادها بقطع بعض الاعضا وافساد الاموال
بالغصب والسرقة واخذه من الغير بوجوه وافساد الاديان بالكفر واعتقاد البدع والاهوا المضلة وافساد الانسا
بالاقدام على الزنا وافساد العقول بسبب شرب المسكر وذلك لان المصالح المعتبرة في الدنيا هي هذه الخمسة فمنع الله منها
ادخال الفساد فيها وقوله تعالى وادعوه خوفا وطمعا اصل الخوف انزعاج في الباطن لما لا يؤمن من المضار وقيل هو توقع
مكروه يحصل فيما بعد والطمع توقع محبوب يحصل له والمعنى وادعوه خوفا منه ومن عقابه وطمعا فيما عنده من جزيل
ثوابه وقال ابن جريج معناه خوف العدل وطمع الفضل وقيل معناه ادعوه خوفا من الريا والذكر في الدعا وطمعا في
الاجابة فان قلت قال في اول الاية ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال هنا وادعوه وهذا عطف الشي على
نفسه فما الفايدة في ذلك قلت الفايدة فيه ان المراد بقوله تعالى ادعوا ربكم اي ليكن الدعا مقرونا بالتضرع والاخبات
وقوله تعالى وادعوه خوفا وطمعا ان فايدة الدعا احد هذين الامرين فكانت الاية الاولى في بيان شرط صحة الدعا
وقيل معناه كونوا جامعين في انفسكم بين الخوف والرجا في اعمالكم كلها ولا تطمعوا انكم وفيتم حق الله في العبادة والدعا
وان اجتهدتم فيها ان رحمت الله اصل الرحمة رقة تقتضي الاحسان الى المرحوم وتستعمل تارة في الرقة المجردة
وتارة في الاحسان المجرد عن الرقة واذا وصف بها الباري جل وعز فليس يراد بها الا الاحسان المجرد دون الرقة
فرحمة الله عز وجل عبارة عن الافضال والانعام على عباده وايصال الخير اليهم وقيل هي عبارة عن ايصال الخير والنعمة الى عباده
فعلى القول الاول تكون الرحمة من صفات الافعال وعلى القول الثاني تكون من صفات الذات قريب من المحسنين قال سعيد
ابن جبير الرحمة هنا الثواب فرجع النعت الى المعنى دون اللفظ وقيل انه تانيث الرحمة ليس بحقيقي وما كان كذلك جاز فيه
التذكير والتانيث عند اهل اللغة وكون الرحمة قريب من المحسنين لان في كل ساعة من الساعات في ادبار عن الدنيا
واقبال على الاخرة واذا كان كذلك كان الموت اقرب اليه من الحياة وليس بينهم وبين رحمة الله التي هي الثواب في الاخرة الا الموت
وهو قريب من الانسان قوله عز وجل وهو الذي يرسل الرياح هذا عطف على ما قبله والمعنى ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض وهو الذي يرسل الرياح نشرا قرئ نشرا بالنون اي جمع نشور وهي الريح الطيبة الهبوب التي تهب من كل
ناحية وقيل هو جمع ناشر يقال انشر الله الريح بمعنى احياها وقال الفرا النشر الريح الطيبة اللينة التي تنشئ السحاب
وقال ابن الانباري النشر المنتشرة الواسعة الهبوب وقيل النشر خلاف الطي فيحتمل انها كانت بانقطاعها كالمطوية
فانتشرت بمعنى ارسلت وقرئ بشرا بالباء جمع بشرة وهي التي تبشر بالمطر والريح هو الهوا المتحرك يمنة ويسرة والرياح اربعة
الصبا وهي الشرقية والدبور وهي الغربية والشمال وهي التي تهب من تحت القطب الشمالي والجنوب وهي القبلية وعن ابن عمر ان
الرياح ثمان اربع منها عذاب وهي القاصف والعاصف والصرصر والعقيم واربع منها رحمة وهي الناشرات والمبشرات
والمرسلات والذاريات بين يدي رحمته يعني امام المطر الذي هو رحمة وانما سماه رحمة لانه سبب لحياة الارض
الميتة قال ابو بكر بن الانباري اليدان تستعملهما العرب في المجاز على معنى التقدمة تقول هذه تكون في الفتن بين يدي
الساعة يريدون قبل ان تقوم الساعة تشبيها وتمثيلا اذا كانت يدا الانسان تتقدمانه كذلك الرياح تتقدم
المطر وتؤذن به عن ابي هريرة قال اخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر حاج فاشتدت فقال عمر لمن حوله ما بلغكم في الريح
فلم يرجعوا اليه شيا وبلغني الذي سال عمر عنه من امر الريح فاستحثثت راحلتي حتى ادركت عمر وكنت في مؤخر الناس فقلت
يا امير المومنين اخبرت انك سالت عن الريح فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الريح من روح الله تاتي
بالرحمة وتاتي بالعذاب فاذا رايتموها فلا تسبوها واسالوا الله من خيرها واستعيذوا بالله من شرها رواه الشافعي
بطوله واخرج ابو داود المسند منه وقال كعب الاحبار لو حبس الله الريح عن عباده ثلاثة ايام لانتن اكثر اهل الارض
وقوله تعالى حتى اذا اقلت سحابا ثقالا يقال اقل فلان الشي اذا حمله واشتقاق الاقلال من القلة فان من يرفع شيا

براه

براه قليلا والسحاب جمع سحابة وهو الغيم فيه ما او لم يكن فيه ما وسمي سحابا لانسحابه في الهوى والمعنى اذا حملت هذه
الرياح سحابا ثقالا بما فيها من الماء قال السدي ان الله تبارك وتعالى يرسل الرياح فتاتي بالسحاب من بين الخافقين
وهو طرف السما والارض حيث يلتقيان فتخرجه من ثم تنشره فيبسطه في السما كيف يشا ثم تفتح ابواب السما
فيسيل الما على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك وقيل ان الله تعالى دبر بحكمته ان الرياح تحرك تحريكا شديدا فتثير
السحاب ثم ينضم بعضه الى بعض فيتراكم وينعقد ويحمل الما ثم تسير فيها الى حيث يشا الله عز وجل وهو قوله
سقناه لبلد ميت يعني الى بلد فتكون اللام بمعنى الى وقيل معناه لاجل حياة بلد ميت وانما قال سقناه لان
لفظ السحاب مذكر وان كان جمع سحابة فكان ورود الكناية عنه على سبيل التذكير جائز نظرا الى اللفظ قال
الازهري قال الليث البلد كل موضع من الارض عامر وغير عامر خال او مسكون والطايفة منها بلدة والجمع
بلاد وغيرها والمفازة تسمى بلدة لكونها مسكن الوحش والجن قال الاعشى * وبلدة مثل ظهر الترس موحشة *
للجن بالليل في حافاتها زجل * ومعنى الاية انا سقنا السحاب الى بلد ميت محتاج الى الما لم ينزل فيه غيث ولم
ينبت فيه خضرة فانزلنا به الما اختلفوا في الضمير في قوله تعالى به الى ماذا يعود فقال الزجاج وابن الانباري
جايز ان يكون المعنى فانزلنا بالبلد الميت الما وجايز ان يكون وانزلنا بالسحاب الما لان السحاب آلة
لانزال الما فاخرجنا به يعني بذلك الما لان انزال الما كان سببا لاخراج الثمرات وقيل يحتمل ان يكون المعنى
فاخرجنا بذلك البلد من كل الثمرات يعني فاخرجنا بذلك البلد بعد موته وجدوبته من اصناف الثمار
والزروع كذلك نخرج الموتى يعني كما احيينا البلد الميت كذلك نخرج الموتى احيا من قبورهم بعد فنايهم ودروس
اثارهم واختلفوا في وجه التشبيه فقيل ان الله تعالى كما يخلق النبات بواسطة انزال المطر كذلك يحيي
الموتى بواسطة انزال المطر ايضا قال ابو هريرة وابن عباس ان الناس اذا ماتوا في النفخة الاولى امطر
عليهم ما من تحت العرش يدعى ما الحيوان اربعين سنة فينبتون كما ينبت الزرع من الما وفي رواية اربعين
يوما فينبتون في قبورهم نبات الزرع حتى اذا استكملت اجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقي عليهم النوم فينامون
في قبورهم فاذا نفخ في الصور النفخة الثانية عاشوا ثم يحشرون من قبورهم وهم يجدون طعم النوم في رؤسهم
واعينهم كما يجد النايم حين يستيقظ من نومه فعند ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فيناديهم
المنادي هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال مجاهد اذا اراد الله ان يخرج الموتى امطر السما حتى تنشق
الارض ثم يرسل الارواح فتعود كل روح الى جسدها فكذلك يحيي الموتى بالمطر كاحيا الارض وقيل انما وقع التشبيه
باصل الاحيا والمعنى انه تعالى كما احيا البلد الميت بعد خرابه وموته فانبت فيه الزرع والشجر وجعل
فيه الثمر كذلك يحيي الله الموتى ويخرجهم من قبورهم احيا بعد ان كانوا امواتا ورمما بالية لان من قدر على
اخراج الثمر الرطب من الخشب اليابس قادر على ان يحيي ويخرجهم من قبورهم الى حشرهم ونشرهم لعلكم
تذكرون الخطاب لمنكري البعث يقول انكم شاهدتم الاشجار وهي مزهرة مورقة مثمرة في ايام الربيع والصيف
ثم انكم شاهدتموها يابسة عارية من تلك الازهار والاوراق والثمار ثم ان الله تعالى احياها مرة اخرى
فالقادر على احيايها بعد موتها قادر على احيا الاجساد بعد موتها والمعنى انما وصفت ما وصفت كان لم
لكي تعتبروا وتتعظوا قوله تعالى والبلد الطيب يعني الارض الطيبة التربة السهلة السمحة يخرج نباته باذن
ربه يعني اذا اصابه المطر اخرج نباته باذن ربه عز وجل والذي خبث لا يخرج الا نكدا يعني والبلد الذي
خبث ارضه فهي سبخة لا يخرج نباته الا نكدا يعني عسرا بمشقة وكلفة قال الشاعر * لا تنجز الوعد ان وعدت وان
اعطيت اعطيت تافها نكدا * يعني انه قليل وبالنكد العسير ومعناه انك ان اعطيت اعطيت القليل

Copyright © King Saud University

بمعرو مشقة قال المفسرون هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فشبه المؤمن بالارض الحرة الطيبة وشبه نزول القران على
قلب المؤمن بنزول المطر على الارض الطيبة فاذا نزل المطر عليها اخرجت انواع الازهار والثمار وكذلك المؤمن اذا سمع القران
وانتفع به وظهرت منه الطاعات والعبادات وانواع الاخلاق الحميدة وشبه الكافر بالارض الردية الغليظة السبخة
التي لا ينتفع بها وان اصابها المطر فكذلك الكافر اذا سمع القران لا ينتفع به ولا يصدقه ولا يزيده الا عتوا وكفرا
وان عمل الكافر حسنة في الدنيا كانت بمشقة وكلفة ولا ينتفع بها في الاخرة قال ابن عباس هذا مثل ضربه الله
للمؤمن يقول هو طيب وعمله طيب كما ان البلد الطيب ثمره طيب ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السبخة المالحة التي
خرجت منها البركة فالكافر خبيث وعمله خبيث وقال مجاهد هذا مثل ضربه الله لادم وذريته كلهم منهم خبيث وطيب
ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني
الله من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فانبتت الكلا والعشب الكثير وكانت منها اجادب
امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا واصاب طائفة منها اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت
كلا فذلك مثل من فقه في دين الله عز وجل ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الله الذي
ارسلت به اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى **كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون** يعني كما ضربنا هذا المثل كذلك نبين الايات الدالة على
التوحيد والايمان اية بعد اية وحجة بعد حجة لقوم يشكرون الله على انعامه عليهم بالهداية وجنبهم سبيل الضلالة وانما خص
الشاكرين بالذكر لانهم هم الذين انتفعوا بسماع القران قوله عز وجل **لقد ارسلنا نوحا الى قومه** اعلم ان الله تعالى لما ذكر الايات
المتقدمة دلائل اثار قدرته وصنعته الدالة على توحيده وربوبيته واقام الادلة القاطعة على صحة البعث وذلك
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن اعراض قومه عن قبول الحق فقط بل قد اعرض عنه سائر الامم الخالية والقرون
الماضية وفيه تنبيه على ان عاقبة الذين كذبوا الرسل كانت الى الخسار والهلاك في الدنيا وفي الاخرة العذاب العظيم
فمن كذب بمحمد صلى الله عليه وسلم من قومه كانت عاقبته مثل اولئك الذين خلوا من قبلهم من الامم المكذبة وفي ذكر هذه
القصص دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان اميا لا يقرا ولا يكتب ولم يلق احدا من علماء زمانه
وقد اتى بمثل هذه القصص والاخبار عن القرون الماضية والامم الخالية بما لم ينكره عليه احد علم بذلك انما اتى به من عند
الله عز وجل وانه اوحي اليه ذلك فكان في ذلك دليلا واضحا وبرهانا قاطعا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم فقوله تعالى
لقد ارسلنا نوحا الى قومه لقد ارسلنا نوحا جواب قسم محذوف تقديره والله لقد ارسلنا نوحا وهو نوح بن لمك بن
متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام ومعنى ارسلنا يعني بعثنا نوحا وهو اول نبي بعثه الله بعد ادريس عليه السلا
وكان نوح نجارا وقيل معنى الارسال ان الله تعالى حمله رسالة ليؤديها الى قومه فعلى هذا التقدير تكون الرسالة
تكون متضمنة للبعث ايضا ويكون البعث كالتابع لانه اصل قال ابن عباس بعثه الله وهو ابن اربعين سنة وقيل
وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة وقيل وهو ابن مائة سنة قال ابن عباس سمي نوحا لكثرة ما ناح على
نفسه واختلفوا في سبب نوحه فقيل لدعوته على قومه بالهلاك وقيل لمراجعته ربه في شان ابنه كنعان وقيل
لانه مر بكلب مجذوم فقال له اخسا يا قبيح فاوحى الله اليه اعبتني ام عبت الكلب **فقال** يعني نوحا لقومه **يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره** يعني اعبدوا الله فانه هو الذي يستحق العبادة لا غيره فانه ليس لكم معبود سواه فانه
هو الذي يستوجب ان يعبد **اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم** يعني ان لم تمتثلوا امركم من عبادة الله واتباع امره وطاعته
واليوم الذي خافه عليهم اما يوم الطوفان واهلاكهم فيه او يوم القيامة وانما قال اخاف على الشك وان كان على
يقين من حلول العذاب بهم ان لم يؤمنوا به لانه لم يعلم وقت نزول العذاب بهم ايعاجلهم ام يتاخر عنهم العذاب
الى يوم القيامة **قال الملا** وهم الجماعة الاشراف **من قومه انا لنراك** يعني يا نوح **في ضلال مبين** يعني في خطا وزوال عن

الحق

الحق بين **قال** يعني نوحا **يا قوم ليس بي ضلالة** يعني ليس بي ما تظنون من الضلال **ولكني رسول من رب العالمين** يعني
ارسلني اليكم لانذركم واخوفكم ان لم تؤمنوا وهو قوله تعالى **ابلغكم رسالات ربي** يعني في تحذيري اياكم عقابه
على كفركم ان لم تؤمنوا به **وانصح لكم** يقال نصحته ونصحت له كما يقال شكرته وشكرت له والنصح ارادة الخير لغيره كما
يريده لنفسه وقيل النصح تحري قول او فعل فيه صلاح للغير وقيل في معنى الاية حقيقة النصح تعريف وجه المصلحة
مع خلوص النية من شوائب المكروه والمعنى انه قال ابلغكم جميع تكاليف الله وشرائعه وارشدكم الى الوجه الاصلح
والاصوب لكم وادعوكم الى ما دعاني اليه واحب لكم ما احب لنفسي قال بعضهم والفرق بين ابلاغ الرسالة
وبين النصيحة هو ان تبليغ الرسالة ان يعرفهم جميع اوامر الله ونواهيه وجميع انواع التكاليف التي اوجبها
عليهم واما النصيحة فهو ان يرغبهم في قبول تلك الاوامر والنواهي والعبادات ويحذرهم عذابه ان عصوه
واعلم من الله ما لا تعلمون يعني واعلم انكم ان عصيتم امره عاقبكم بالطوفان والغرق في الدنيا ويعذبكم في الاخرة عذابا
عظيما وقيل اعلم ان مغفرة الله لمن تاب وعقوبته لمن اصر على الكفر وقيل لعل الله اطلعه على سر من اسراره فقال
واعلم من الله ما لا تعلمون **او عجبتم** الالف للاستفهام والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف وهذا الاستفهام
استفهام انكار معناه اكذبتم وعجبتم **ان جاءكم ذكر من ربكم** يعني وحيا من ربكم **على رجل منكم** تعرفونه وتعرفون
نسبه وذلك لان كونه منهم يزيل التعجب وقيل المراد بالذكر الكتاب الذي انزله الله على نوح عليه السلام فعلى هذا
يكون على بمعنى مع سماه ذكرا كما سمى القران ذكرا وقيل المراد بالذكر المعجزة التي جاء بها نوح عليه السلام فعلى هذا يكون
على بمعنى مع اي مع رجل منكم قال الفراء على هاهنا بمعنى مع **لينذركم** يعني جاءكم لاجل ان ينذركم **ولتتقوا** اي ولاجل ان
تتقوا **ولعلكم ترحمون** لان المقصود من ارسال الرسول الانذار والمقصود من الانذار التقوى عن كل ما لا ينبغي
والمقصود بالتقوى الفوز بالرحمة في الدار الاخرة **فكذبوه** يعني فكذبوا نوحا **فانجيناه** يعني من الطوفان والغرق
والذين معه يعني من امن من قومه معه **في الفلك** يعني في السفينة واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما
عمين قال ابن عباس عميت قلوبهم عن معرفة الله تعالى وقال الزجاج عموا عن الحق والايمان يقال رجل عم في
البصيرة واعمى في البصر وانشدوا قول زهير حيث قال * واعلم علم اليوم والامس قبله * ولكنني عن علم ما في غد عم *
قال مقاتل عموا عن نزول العذاب بهم وهو الغرق قوله تعالى **والى عاد اخاهم هودا** اي وارسلنا الى عاد وهو عاد
ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهي عاد الاولى اخاهم هودا يعني اخاهم في النسب لا في الدين وهو هود بن عبد
الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص وقال ابن اسحاق هو ابن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح واتفقوا
على ان هودا عليه السلام لم يكن اخاهم في الدين ثم اختلفوا في سبب الاخوة من اي جهة فقيل انه كان واحدا من
القبيلة ثم ذكروا في تفسير هذه الاخوة وجهين الاول قال الزجاج انه كان من بني ادم ومن جنسهم لا من الملائكة
ويكفي هذا القدر في تسمية الاخوة والمعنى انا ارسلنا الى عاد واحدا من جنسهم من البشر ليكون الفهم والانس
بكلامه اتم والحجة الزم ولم نبعث اليهم من غير جنسهم مثل الملك والجن والثاني انه اخاهم بمعنى صاحبهم والعرب تسمي صاحب
القوم اخاهم وكانت منازل عاد بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل الذي عند عمان وحضرموت **قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره** اي اعبدوا الله وحده ولا تجعلوا معه الها اخر فانه ليس لكم اله غيره والفرق بين قوله في قصة
نوح فقال وهنا قال ان نوحا كان مواظبا على دعوته على قومه غير متوان فيها لان الفاء تدل على التعقيب
واما هود فلم يكن كذلك بل كان دون نوح في المبالغة في الدعاء فاخبر الله عنه بقوله قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره افلا تتقون يعني افلا تخافون عقابه بعبادتكم غيره ولما كانت هذه القصة مسوقة على قصة قوم
نوح وقد علموا ما حل بهم من الغرق فحسن قوله هنا **افلا تتقون** يعني افلا تخافون ما نزل بهم من العذاب فقال

Copyright © King Saud University

مناك اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة يعني انا لنراك
يا هود في حمق وضلالة وجهالة وضلالة عن الحق والصواب اخبر الله عن قوم نوح انهم قالوا انا لنراك في ضلال مبين
واخبر عن قوم هود انهم قالوا انا لنراك في سفاهة والفرق بينهما ان نوحا لما خوف قومه بالطوفان وطفق في عمل
السفينة فعند ذلك قال له قومه انا لنراك في ضلال مبين حتى تتعب في اصلاح سفينة في ارض ليس فيها من الماء
شي واما هود عليه السلام فانه لما زنع عبادة الاصنام ونسب من عبدها الى السفه وهو قلة العقل قابلوه بمثله
فقالوا انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين يعني في دعايك انك رسول من رب العالمين قال يعني هود
لهولا الملا الذين نسبوه الى السفه يا قوم ليس بي سفاهة يعني ليس الامر كما تدعون انني في سفاهة ولكني رسول من رب
العالمين يعني اليكم ابلغكم رسالات ربي يعني اودي اليكم ما ارسلني به من اوامره ونواهيه وشرايعه
وتكاليفه وانا لكم ناصح يعني فيما امركم به من عبادة الله عز وجل وترك ما سواه امين يعني على تبليغ الرسالة
وادا النصح والامين الثقة على ما ايتمن عليه حكى الله عن نوح وانصح لكم وحكى عن هود وانا لكم ناصح فالاول بصيغة
الفعل والثاني بصيغة اسم الفاعل والفرق بينهما ان صيغة الفعل تدل على تجدده ساعة بعد ساعة وكان نوح
يدعو قومه ليلا ونهارا كما اخبر الله تعالى عنه بقوله قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلما كان ذلك من عادته
ذكره بصيغة الفعل فقال وانصح لكم واما هود فلم يكن كذلك بل كان يدعوهم وقتا دون وقت فلهذا قال وانا لكم
ناصح امين والمدح للنفس باعظم صفات المدح غير لايق بالعقلا وانما فعل هود ذلك وقال هذا القول لانه كان
يجب عليه اعلام قومه بذلك ومقصوده الرد عليهم في قولهم وانا لنظنك من الكاذبين فوصف نفسه بالامانة
وانه امين في تبليغ ما ارسل به من عند الله ففيه تقرير للرسالة والنبوة وفيه دليل على جواز مدح الانسان
نفسه في موضع الضرورة الى مدحها او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم يعني اعجبتم ان انزل الله وحيه على
رجل تعرفونه لينذركم باس ربكم ويخوفكم عقابه واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح يعني فاذكروا نعمة الله عليكم
اذا اهلك قوم نوح وجعلكم تخلفونهم في الارض وزادكم في الخلق بسطة يعني طولا وقوة قال السدي والكلبي كانت قامة
الطويل فيهم مائة ذراع والقصير ستون ذراعا وقيل سبعون ذراعا وعن ابن عباس ثمانون ذراعا
وقال مقاتل اثني عشر ذراعا وقال وهب كان راس احدهم مثل القبة العظيمة فاذكروا الاء الله يعني نعم الله وفيه
اضمار تقديره فاذكروا نعم الله عليكم واعملوا عملا يليق بذلك الانعام وهو ان تومنوا به وتتركوا ما انتم عليه من عبادة
الاصنام لعلكم تفلحون يعني لكي تفوزوا بالفلاح وهو البقا في الاخرة قالوا يعني قال قوم هود مجيبين له اجئتنا
يا هود لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباونا فاتنا بما تعدنا يعني من العذاب ان كنت من الصادقين يعني
في قولك انك رسول الله قال يعني قال هود مجيبا لهم قد وقع يعني نزل ووجب عليكم من ربكم رجس وغضب
اي عذاب وسخط اتجادلونني في اسما سميتموها انتم واباوكم يعني وضعتم لها اسما من عند انفسكم والمراد به
الاستفهام على سبيل الانكار عليهم لانهم سموا الاصنام بالالهية وذلك معدوم فيهم ما نزل الله بها من
سلطان يعني من حجة وبرهان على هذه التسمية وانما سميتموها انتم من عند انفسكم بغير دليل فانتظروا
يعني العذاب اني معكم من المنتظرين يعني نزول العذاب بكم فانجيناه يعني فانجينا هودا عند نزول العذاب بقومه
والذين معه برحمة منا يعني وانجينا اتباعه الذين امنوا به وصدقوه لانهم كانوا مستحقين الرحمة وقطعنا
دابر الذين كذبوا باياتنا يعني واهلكنا الذين كذبوا هودا من قومه واراد بالايات معجزات هود الدالة
على صدقه وهذا هلاك استيصال فاهلكهم جميعا فلم يبق منهم احد وما كانوا مومنين يعني لانهم لم
يكونوا مصدقين بالله ولا برسوله هود عليه السلام وكان قصة عاد على ما ذكره محمد بن اسحاق واصحاب

السير

السير والاخبار قالوا جميعا كانت منازل عاد وجماعتهم حين بعث الله فيهم هودا عليه السلام الاحقاف والاحقاف
الرمل فيما بين عمان وحضرموت من ارض اليمن وكانوا قد فشوا في الارض كلها وقهروا اهلها بفضل قوتهم التي
جعلها الله فيهم وكانوا اصحاب اوثان يعبدونها من دون الله عز وجل صنم يقال له صدا وصنم يقال له صمود
وصنم يقال له الهبا فبعث الله عز وجل فيهم هودا عليه السلام وهو من اوسطهم نسبا وافضلهم موضعا فامرهم
ان يوحدوا الله ولا يجعلوا معه الها غيره وان يكفوا عن ظلم الناس لم يامرهم بغير ذلك فيما ذكر فابوا عليه وكذبوه
وقالوا من اشد منا قوة واتبعه منهم ناس فامنوا به وهم يسير يكتمون ايمانهم وكان ممن صدقه وامن به رجل
يقال له مرثد بن سعد بن عفير وكان يكتم ايمانه فلما عتوا على الله وكذبوا نبيهم واكثروا في الارض الفساد
وتجبروا وبنوا بكل ريع اية واتخذوا المصانع لعلهم يخلدون فلما فعلوا ذلك امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين
حتى جهدهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء وجهد يطلبون الفرج من الله عز وجل
وذلك عند بيته الحرام بمكة مومنهم ومشركهم وكان يجتمع بمكة ناس كثير مختلفة اديانهم وكلهم معظم لمكة
معترف بحرمتها ومكانها من الله عز وجل وكان البيت معروفا مكانه من الحرم وكان سكان مكة يومئذ
العماليق لان اباهم كان عمليق بن لاود بن نوح وكان سيد العماليق يومئذ رجل يقال له معاوية
ابن بكر وكانت ام معاوية كلهدة بنت الخيبري وهو رجل من عاد فكانت عاد اخوال معاوية سيد العماليق
فلما قحطوا عاد وقل عنهم المطر قالوا جهزوا منكم وفدا الى مكة يستسقوا لكم فانكم قد هلكتم فبعثوا قيل بن عير
ولقيم بن هزال من هذيل وعتيل بن ضد بن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما يكتم اسلامه
وجلهمة بن الخيبري خال معاوية بن بكر سيد العماليق ولقمان بن عاد فانطلق كل رجل من هولا القوم ومعه جماعة
من قومه فبلغ عدة وفد عاد سبعون رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا
عن الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان
وهما قينتان لمعاوية بن بكر فلما راى معاوية بن بكر طول مقامهم عنده وقد بعثهم قومهم يستغيثون
لهم من البلا الذي اصابهم شق ذلك عليه وقال هلك اخوالي واصهاري وهولا مقيمون عندي وهم ضيفي نازلون
علي والله ما ادري كيف اصنع فاني استحي ان امرهم بالخروج لما بعثوا اليه فيظنون انه ضيق مني بمقامهم
عندي وقد هلك من وراءهم من قومهم جهدا وعطشا قال وشكى ذلك من امرهم الى قينتيه الجرادتين فقالتا قل
شعرا نغنيهم به ولا يدرون من قاله لعل ذلك يحركهم فقال معاوية الا يا قيل ويحك قم فهينم
لعل الله يسقينا غماما • فيسقي ارض عاد ان عادا • قد امسوا لا يبينون الكلاما • من العطش الشديد فليس نرجو
به الشيخ الكبير ولا الغلاما • وقد كانت نساوهم بخير • فقد امست نساوهم ايامى • وان الوحش تاتيهم جهارا •
ولا تخشى لعادي سهاما • وانتم ها هنا فيما اشتهيتم • نهاركم وليلكم التماما • فقبح وفدكم من وفد قوم •
ولا لقوا التحية والسلاما • فقال معاوية هذا الشعر وغنتهم به الجرادتان وسمع القوم ما غنتا به قال
بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم قومكم ليتغوثوا بكم من هذا البلا الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا
الحرم واستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد بن عفير انكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم
وانبتم الى ربكم سقيتم واظهر اسلامه عند ذلك وقال • عصت عاد رسولهم فامسوا •
عطاشا لا تبلهم السما • لهم صنم يقال له صمود • يقابله صدا والهبا • فبصرنا الرسول سبيل رشد •
فابصرنا الهدى وجلا العما • وان اله هود هو الهي • على الله التوكل والرجا • زاد في رواية •
لقد حكم الاله وليس جور • وحكم الله اذا غلب الهوا • على عاد وعاد شر قوم • فقد هلكوا وليس لهم بقا •

Copyright © King Saud University

وانى لن افارق دين هود * طوال الدهر او يأتى الفنا * فقال الجلهمة بن الخيبري مجيبا لمرثد بن سعد حين فرغ
من مقالته وعرف انه قد اتبع دين هود وآمن به * الا يا سعد فانك من قبيل * ذوى كرم وامك من ثمود *
فانا لا نطيعك ما بقينا * ولسنا فاعلين كما تريد * اتامرنا لنترك دين رفد * ورمل وال صدّ والعبود *
ونترك دين آبا كرام * ذوى راى ونتبع دين هود * ثم قال الجلهمة لمعاوية بن بكر وابيه بكر احبسا عنا مرثدا
فلا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم خرجوا الى مكة يستسقون لعاد فلما ولوا الى مكة
خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية بن بكر حتى ادركهم بمكة قبل ان يدعوا الله عز وجل بشىء مما خرجوا اليه فلما
انتهى اليهم قام يدعو الله وبها وفد عاد يدعون فقال مرثد اللهم اعطنى سولى وحدى ولا تدخلنى فيما يدعوك
به وفد عاد وقام قيل بن عير راس وفد عاد فقال اللهم اعط قيلا ما سالك وقال الوفد معه واجعل سولنا
مع سوله وكان قد تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد وكان سيد عاد حتى اذا فرغوا من دعواتهم قام لقمان
فقال اللهم انى جئتك وحدى فى حاجتى فاعطنى سولى وسال طول العمر فعمر سبعة انسر وقال قيل بن عير
حين دعا يا الهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشا الله سحايب ثلاثا بيضا وحمرا وسودا
ثم نادى مناد من السحاب يا قيل اختر لنفسك ولقومك من هذه السحايب فقال قيل قد اخترت السحابة
السودا فانها اكثر السحاب ماء فناداه مناد اخترت رمادا رمددا لا تبقى من آل عاد احدا وساق الله السحابة
السودا التى اختارها قيل بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما راوها
استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله عز وجل بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل
شىء بامر ربها وكان اول من ابصر ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امراة من عاد يقال لها مهدد فلما عرفت ما فيها صاحت
ثم صعقت فلما ان افاقت قالوا لها ماذا رايت قالت رايت الريح فيها كشهب النار امامها رجال يقودونها
سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فلم تدع من آل عاد احدا الا اهلكته واعتزل هود ومن معه من المومنين
فى حظيرة ما يصيبهم ومن معه من الريح الا ما تلين عليه الجلود وتلتذ بها الانفس وانها فى قوتها لتمر بالظعن
من آل عاد فتحملهم بين السما والارض وتدمغهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا
عليه فبيناهم عنده اذ اقبل اليه رجل على ناقة له فى ليلة مقمرة وذلك مسى ثالثة من مصاب عاد فاخبرهم
الخبر فقالوا فاين فارقت هودا واصحابه فقال فارقتهم بساحل البحر وكانهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هزيلة
بنت بكر صدق ورب الكعبة وقال السدى بعث الله عز وجل فيما حدثهم به الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا
الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السما والارض فلما راوها تبادروا الى البيوت فدخلوها واغلقوا الابواب
فجاءت الريح فقلعت ابوابهم ودخلت عليهم فاهلكتهم فيها ثم اخرجتهم من البيوت فلما اهلكتهم ارسل الله عليهم
طيرا اسود فنقلهم الى البحر فالقتهم فيه وقيل ان الله تعالى امر الريح فامالت عليهم الرمال فكانوا تحتها سبع ليالى
وثمانية ايام يسمع لهم انين تحت الرمل ثم امر الريح فكشفت عنهم الرمل ثم احتملتهم فرمت بهم فى البحر ولم تخرج
ريح قط الا بمكيال الا يومئذ فانها عتت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها وفى الحديث انها خرجت
على مثل خرق الخاتم وقيل ان مرثد بن سعد ولقمان بن عاد وقيل بن عير حين دعوا بمكة قيل لهم قد اعطيتم
مناكم فاختاروا لانفسكم غير انه لا سبيل الى الخلود ولا بد من الموت فقال مرثد اللهم اعطنى برا وصدقا فاعطى
ذلك وقال لقمان اللهم اعطنى عمرا فقيل له اختر فاختار عمر سبعة انسر فكان ياخذ الفرخ حين يخرج من البيضة
وكان ياخذ الذكر لقوته فيربيه حتى يموت فاذا مات اخذ غيره فلم يزل يفعل ذلك حتى اتى على السابع وكان كل نسر
يعيش ثمانين سنة وكان السابع من النسور اسمه لبد فلما مات لبد مات لقمان معه واما قيل فانه اختار لنفسه

خرجوا

ما يصيب قومه فقيل له انه الهلاك فقال لا ابالى لا حاجة لى بالبقاء بعد قومى فاصابه الذى اصاب عادا فهلك
ومن معه من الوفد الذين خرجوا يستسقون لعاد فاتت الريح لما خرجوا من الحرم فاهلكتهم فلما اهلك الله عادا ارتحل هود
ومن معه من المومنين من ارضهم بعد هلاك قومه الى موضع يقال له الشحر من بلاد اليمن فنزل هناك ثم ادركه
الموت فدفن بارض حضرموت يروى عن على بن ابى طالب ان قبر هود عليه السلام بحضرموت فى كثيب احمر وقال
عبد الرحمن بن سابط بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب
واسماعيل فى تلك البقعة ويروى ان كل نبى من الانبيا اذا هلك قومه الا جا هو والصالحون من قومه
الى مكة يعبدون الله حتى يموتوا بها قوله عز وجل والى ثمود اخاهم صالحا يعنى وارسلنا الى ثمود وهو ثمود بن
عابر بن ارم بن سام بن نوح وهو اخو جديس بن عابر وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام الى وادى القرى وما
حوله ومعنى الكلام الى بنى ثمود اخاهم صالحا لان ثمود قبيلة قال ابو عمرو بن العلا سميت ثمود لقلة مايها
والثمد الما القليل وقيل سموا ثمود باسم ابيهم الذى ينسبوا اليه اخاهم صالحا يعنى فى النسب لا فى الدين وهو صالح بن
عبيد بن آسف بن ماشج بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره يعنى قال لهم صالح
حين ارسله الله اليهم يا قوم وحدوا الله ولا تشركوا به شيا فما لكم من اله يستحق ان يعبد سواه قد جاءتكم بينة
من ربكم يعنى جاءتكم حجة من ربكم وبرهان على صدق ما اقوله وادعوا اليه من عبادة الله تعالى وعلى تصديقى
بانى رسوله اليكم ثم فسر تلك البينة فقال هذه ناقة الله لكم آية يعنى انها علامة على صدقى قال العلما
ووجه كون هذه الناقة آية على صدق صالح ومعجزة له خارقة للعادة خروجها من صخرة فى الجبل وكونها لا من ذكر
ولا من انثى وكمال خلقها من غير حمل ولا تدريج لانها خلقت فى ساعة وخرجت من الصخرة وقيل لانه كان لها شرب
يوم ولجميع قبيلة ثمود شرب يوم وهذا من المعجزة ايضا لانه ناقة تشرب ما تشربه قبيلة معجزة وكانوا يحلبونها
فى يوم شربها قدر ما يكفيهم جميعهم ويقوم لهم مقام الما وهذا ايضا معجزة وقيل ان سائر الوحوش والحيوانات
كانت تمتنع من شرب الما فى يوم شرب الناقة وتشرب الحيوانات الما فى غير يوم الناقة وهذا ايضا معجزة وانما
اضافها الى الله فى قوله هذه ناقة الله على سبيل التشريف والتفضيل كما يقال بيت الله وقيل لانه خلقها
بغير واسطة ذكر وانثى وقيل لانه لم يملكها احد الا الله تعالى وقيل لانها كانت حجة الله على قوم صالح فذروها
تاكل فى ارض الله يعنى فذروا الناقة تاكل العشب من ارض الله فان الارض لله والناقة ناقة الله وليس لكم فى
ارض الله شى لانه هو الذى انبت فيها العشب ولا تمسوها بسوء يعنى ولا تطردوها ولا تقربوها بشى من انواع الاذى
ولا تعقروها فياخذكم عذاب اليم يعنى بسبب عقرها واذاها واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد يعنى ان الله اهلك
عادا وجعلكم تخلفونهم فى الارض وتعمرونها وبوأكم فى الارض يعنى واسكنكم وانزلكم فى الارض تتخذون من سهولها قصورا
يعنى تبنون القصور من سهول الارض لان القصور انما تبنى من اللبن والآجر المتخذ من الطين السهل اللين وتنحتون
الجبال بيوتا يعنى وتشقون بيوتا من الجبال وقيل كانوا يسكنون السهول فى الصيف والجبال فى الشتا وهذا يدل على
انهم متنعمين مترفين فاذكروا آلاء الله فاذكروا نعمة الله عليكم واشكروه عليها ولا تعثوا فى الارض قال قتادة معناه ولا
تسيروا فى الارض مفسدين فيها والعيث اشد الفساد وقيل اراد به النهى عن عقر الناقة وقيل هو على ظاهره فيدخل فيه
النهى عن جميع انواع الفساد قال الملا الذين استكبروا من قومه يعنى قال الاشراف الذين تعظموا عن الايمان بصالح للذين
استضعفوا يعنى المساكين لمن آمن منهم يعنى قال الاشراف المتعظمون فى انفسهم لاتباعهم الذين آمنوا بصالح وهم
الضعفا من قومهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه يعنى ان الله ارسله الينا واليكم قالوا انا بما ارسل به مومنون يعنى قال
الضعفا انا بما ارسل الله به صالحا من الدين والهدى والحق مصدقون قال الذين استكبروا يعنى عن امر الله والايمان

Copyright © King Saud University

وبرسوله صالح انا بالذي امنتم به كافرون اي جاحدون منكرون فعقروا الناقة يعني فعقرت ثمود الناقة والعقر
قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عقرا لان ناحر البعير يعقره ثم ينحره وعتوا عن امر ربهم اي تكبروا عن امر ربهم وعصوه
والعتو الغلو في الباطل والتكبر عن الحق والمعنى انهم عصوا الله وتركوا امره في الناقة وكذبوا نبيهم صالحا عليه السلام وقالوا
يا صالح ائتنا بما تعدنا يعني من العذاب ان كنت من المرسلين يعني ان كنت كما تزعم انك رسول الله فان الله ينصر رسله
على اعدائه وانما قالوا ذلك لانهم كانوا مكذبين في كل ما اخبرهم به من العذاب فعجل الله لهم ذلك فقال تعالى فاخذتهم
الرجفة قال الفراء والزجاج الرجفة الزلزلة الشديدة العظيمة وقال مجاهد والسدي هي الصيحة فيحتمل انهم اخذتهم
الزلزلة من تحتهم والصيحة من فوقهم حتى هلكوا وهو قوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين يعني فاصبحوا في ارضهم وبلدهم
جاثمين وحد الدار كما يقال دار الحرب اي بلد الحرب ودار بني فلان يعني ارضهم ومجمعهم وجمع في اية اخرى فقال ديارهم
لانه اراد ما لكل واحد منهم من الديار والمساكن وقوله جاثمين يعني باركين والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للبعير
وجثوم الطير هو وقوعه لاطيا بالارض في حال نومه وسكونه بالليل والمعنى انهم اصبحوا جاثمين موتى على وجوههم
لا يتحركون فتولى عنهم يعني فاعرض عنهم صالح وفي وقت هذا التولي قولان احدهما انه تولى عنهم بعد ان ماتوا
وهلكوا ويدل عليه قوله فاصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم والفا للتعقيب تدل على انه حصل هذا التولي بعد
جثومهم وهو موتهم والقول الثاني انه تولى عنهم وهم احيا قبل موتهم وهلاكهم ويدل عليه انه خاطبهم وقال يا قوم
لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين وهذا الخطاب لا يليق الا بالاحيا فعلى هذا القول يحتمل ان يكون
في الاية تقديم وتاخير تقديره فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فاخذتهم
الصيحة فاصبحوا في دارهم جاثمين واجاب اصحاب القول الاول عن هذا انه خاطبهم بعد هلاكهم وموتهم توبيخا وتقريعا
كما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم الكفار من قتلى بدر حين القوا في القليب فجعل يناديهم باسمائهم الحديث وفيه
فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم اقواما قد جيفوا فقال ما انتم باسمع لما اقول لهم ولكن لا يجيبون وقيل انما خاطبهم
صالح بذلك ليكون عبرة لمن ياتي بعدهم فينزجر عن مثل تلك الطريقة التي كانوا عليها وكانت قصة
ثمود على ما ذكره محمد بن اسحاق ووهب بن منبه وغيرهما من اصحاب السير والاخبار قالوا جميعا ان عادا لما هلكت وتقضى
امرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الارض فدخلوا فيها وكثروا وعمروا حتى ان احدهم ليبني المسكن من المدر فينهدم
والرجل منهم حي فلما راوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا وكانوا في سعة من العيش والرخا فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا غير
الله فبعث الله اليهم صالحا نبيا وكانوا قوما عربا وكان صالح من اوسطهم نسبا وافضلهم بيتا وحسبا فبعثه الله
اليهم وهو غلام فلم يزل يدعوهم الى الله الى عبادته حتى شمط وكبر فلم يتبعه منهم الا قليل مستضعفون فلما الح
عليهم صالح بالدعا والتبليغ واكثر لهم التحذير والتخويف سالوه ان يريهم اية تكون مصداقا على ما يقول فقال
صالح اي اية تريدون فقالوا تخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون فيه اصنامهم وذلك في يوم معلوم من
السنة فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال لهم صالح نعم
فخرجوا باصنامهم الى عيدهم وخرج صالح معهم ودعوا اوثانهم وسالوها ان لا يستجاب لصالح في شي مما يدعو به ثم
قال جندع بن عمرو بن حراش وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة لصخرة منفردة في ناحية
الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة جوفا وبرا عشرا والمخترجة ما شاكلت البخت من الابل فان فعلت اجبناك
وصدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت لتصدقني ولتؤمنن بي قالوا نعم قال فصلى صالح ركعتين
ودعا ربه عز وجل فتمخضت الصخرة كما تتمخض النتوج بولدها ثم تحركت الهضبة عن ناقة عشرا جوفا وبرا
كما سالوا ووصفوا غير انه لا يعلم ما بين جنبيها الا الله عز وجل عظما وهم ينظرون اليها ثم نتجت سقبا مثلها في العظم

فامن

فامن به جندع بن عمرو ورهط معه من قومه واراد بقية اشراف ثمود ان يؤمنوا به ويصدقوه فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد
والحباب وكان صاحبا اوثانهم ورباب بن صمعر وكان كاهنهم وكانوا من اشراف ثمود فلما خرجت الناقة من الصخرة قال لهم
صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فمكثت الناقة ومعها سقبها في ارض ثمود ترعى الشجر وتشرب الما وكانت ترد
الما غبا فاذا كان يوم ورودها وضعت راسها في بئر في الحجر يقال لها بئر الناقة فما ترفع راسها حتى تشرب كل ما فيها فلا تدع
قطرة ثم ترفع راسها فتتفحج لهم فيحلبون ما شاوا من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملوا اوانيهم كلها ثم تصدر الناقة من غير
الفج الذي وردت منه ولا تقدر ان تصدر من حيث وردت حتى اذا كان من الغد كان يومهم فيشربون ما شا الله من الما ويدخرون
ما شاوا ليوم الناقة فهم على ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة تصيف اذا كان الحر بظهر الوادي فتهرب منها مواشيهم الابل
والبقر والغنم فتهبط الى بطن الوادي فتكون في حره وجدبه فاذا كان الشتا فتشتو الناقة في بطن الوادي فتهرب
المواشي الى ظهره فتكون في البرد والجدب فاضر ذلك بمواشيهم للامر الذي يريده الله بهم والبلا والاختبار فكبر ذلك عليهم وعتوا عن
امر ربهم وحملهم ذلك على عقر الناقة فاجمعوا على عقرها وكانت امراتان من ثمود يقال لاحدهما عنيزة بنت غنم بن مجلز
وتكنى بام غنم وكانت عجوزا مسنة وهي امراة ذؤاب بن عمرو وكانت ذات بنات حسان وذات مال من ابل وبقر وغنم والمراة
الاخرى يقال لها صدوق بنت المحيا وكانت جميلة غنية ذات مواشي كثيرة وكانتا من اشد الناس عداوة لصالح عليه السلام
وكانتا تحبان عقر الناقة لما اضرت بمواشيهما فتحيلتا في عقر الناقة فدعت صدوق رجلا من ثمود يقال له الحباب لعقر
الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل فابى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا وجعلت له
نفسها على ان يعقر الناقة وكانت من احسن الناس وجها واكثرهم مالا فاجابها الى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن
سالف وكان رجلا احمر ازرق قصيرا يزعمون انه كان ابن زنية ولم يكن لسالف ولكنه ولد على فراشه فقالت عنيزة لقد
اعطيك اي بناتي شيت اعطيتك على ان تعقر الناقة وكان قدار عزيزا منيعا في قومه ق عن عبد الله بن زمعة انه
سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث اشقاها
انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل ابي زمعة قوله انبعث اي قام بسرعة والعارم الخبيث الشرير والعرامة
الشدة والقوة والشراسة والمنيع الممتنع من اراده قال اصحاب الاخبار فانطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج
فاستغويا غواة ثمود فاتبعهم سبعة نفر وكانوا تسعة رهط فانطلق قدار ومصدع واصحابهما فرصدوا الناقة حين
صدرت عن الما وقد كمن لها قدار في اصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في اصل صخرة اخرى فمرت على مصدع فرماها
بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت ام غنم عنيزة وامرت ابنتها فسفرت عن وجهها وكانت من احسن الناس وجها
ليراها قدار ثم ذمرته يعني حثته على عقرها واغرته به فشد قدار على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت
رغاة واحدة تحذر سقبها من الجبل ثم طعن قدار في لبتها فنحرها فخرج اهل البلد فاقتسموا لحمها فلما راى سقبها
ذلك انطلق هاربا حتى اتى جبلا منيعا يقال له صنو وقيل قارة واتى صالح فقيل له ادرك الناقة فاقبل نحوها
وخرج اهل البلد يتلقونه ويعتذرون اليه ويقولون يا نبي الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظروا
هل تدركون فصيلها فان ادركتموه فعسى ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا في طلبه فراوه على الجبل فذهبوا لياخذوه
فاوحى الله الى الجبل فتطاول في السما حتى ما تناله الطير وجا صالح فلما راه الفصيل بكى حتى سالت دموعه
ثم رغا ثلاثا ثم انفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح لكل رغوة اجل يوم تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير
مكذوب وقال ابن اسحاق تبع السقب اربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع بن مهرج واخوه ذؤاب
فرماه مصدع بسهم فاصاب قلبه ثم جره برجله فانزله والقوا لحمه مع لحمها وقال لهم صالح انتهكتم حرمة الله فابشروا
بعذاب الله ونقمته قالوا وهم يهزؤن به ومتى ذلك يا صالح وما اية ذلك وكانوا يسمون الايام في ذلك الوقت الاحد

Copyright © King Saud University

اول والاثنين اهون والثلاثا ابار والاربعا جبار والخميس مونس والجمعة العروبة والسبت شيار وكانوا عقروا الناقة
يوم الاربعا فقال لهم صالح حين قالوا ذلك تصبحون غدا يوم مونس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة
ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم اول فلما قال لهم صالح ذلك
قال التسعة الذي عقروا الناقة هلم فان كان صادقا عجلناه قبلنا وان كان كاذبا كنا قد الحقناه بناقته فاتوه
ليلا ليقتلوه في اهله فدمغتهم الملايكة بالحجارة فلما ابطوا على اصحابهم اتوا منزل صالح فوجدوهم قد رضخوا بالحجارة
فقالوا لصالح انت قتلتهم ثم هموا به فقامت عشيرته دونه ومنعوه وقالوا لا تقتلوه ابدا فانه قد وعدكم العذاب انه
نازل بكم بعد ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم الا غضبا عليكم وان كان كاذبا فانتم ورا ما تريدون فانصرفوا
عنه تلك الليلة فاصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كانما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم فايقنوا
بالعذاب وعرفوا ان صالحا قد صدقهم فطلبوه ليقتلوه فهرب منهم ولحق بحي من بطون ثمود يقال لهم بنو غنم
فنزل على سيدهم واسمه نفيل ويكنى بابي هدب وهو مشرك فغيب صالحا فلم يقدروا عليه فعمدوا الى اصحاب صالح ليدلوهم
عليه فقال رجل من اصحابه يقال له مبدع بن هرم يا نبي الله انهم يعذبوننا لندلهم عليك قال نعم فدلوهم علي فاتوا ابا هدب
فكلموه في امر صالح فقال هو عندي وليس لكم اليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم ما نزل بهم من العذاب فجعل
بعضهم يخبر بعضا بما يرون في وجوههم فلما امسوا صاحوا باجمعهم الا قد مضى يوم من الاجل وحضركم العذاب فلما
اصبحوا اليوم الثاني في اذا وجوههم مصبوغة كانما طليت بالقار فصاحوا جميعا محمرة كانما خضبت بالدم فصاحوا
وضجوا وبكوا وايقنوا انه العذاب فلما امسوا صاحوا باجمعهم الا قد مضى يومان من الاجل وحضركم العذاب فلما
اصبحوا اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كانما طليت بالقار فصاحوا جميعا الا قد حضركم العذاب فلما كان ليلة
الاحد خرج صالح من بين اظهرهم ومن اسلم معه الى الشام فنزل رملة فلسطين فلما اصبحوا في اليوم الثالث تكفنوا وتحنطوا
والقوا بانفسهم الى الارض يقلبون ابصارهم الى السماء مرة والى الارض مرة لا يدرون من اين ياتيهم العذاب فلما اشتد
الضحى يوم الاحد اتتهم صيحة عظيمة من السما فيها صوت كل صاعقة من السما وصوت كل شي له صوت في الارض
فتقطعت قلوبهم في صدورهم وهلكوا جميعا الا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت سلف وكانت كافرة
شديدة العداوة لصالح فاطلق الله رجليها بعدما عاينت العذاب وما اصاب ثمود فخرجت مسرعة حتى
اتت وادي القرى فاخبرتهم بما عاينت من العذاب الذي بثمود ثم استسقت ما فسقيت فلما شربت ماتت في
الحال وذكر السدي في عقر الناقة فقال اوحى الله الى صالح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ان قومك سيعقرون
ناقتك فقال لهم ذلك صالح فقالوا ما كنا لنفعل فقال لهم صالح انه سيولد في شهركم غلام يعقرها فيكون هلاككم
على يديه فقالوا لا يولد لنا في هذا الشهر ولد الا قتلناه قال فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر اولاد فذبحوهم
ثم ولد للعاشر ولد فابى ان يذبحه لانه كان لم يولد له قبل ذلك وكان الولد الذي ولد له احمر ازرق فنبت نباتا سريعا
فكان اذا مر بالتسعة فراوه فقالوا لو كانوا ابناونا احيا لكانوا مثل هذا الغلام فغضب التسعة على صالح لانه
سبب قتل ابنايهم فتقاسموا بالله يعني فحلفوا بالله لنبيتنه واهله وقالوا نخرج فنري الناس انا قد
خرجنا الى سفر فناتي الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده اتيناه فقتلناه ثم نرجع
الى الغار فنكون فيه حتى ننصرف الى رحلنا فنقول ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون فيصدقوننا فيظنون
انا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام معهم في القرية بل كان يبيت في مسجد له خارج القرية فاذا اصبح اتاهم
فيعظهم ويذكرهم فاذا امسى خرج الى مسجده فتعبد فيه قال فانطلق التسعة الى الغار فدخلوا فسقط
عليهم فقتلوا فانطلق رجال ممن كان قد اطلع على امرهم لينظر ما فعل اوليك النفر فراوهم وهم رضخوا

وهم

وهم يتقولون ما رضي صالح بقتل اولادهم حتى قتلهم فاجتمع اهل القرية على قتل الناقة وقال ابن اسحاق
كان التسعة قد كانوا سموا على تبييت صالح بعد عقر الناقة وقال السدي وغيره لما ولد للعاشر ولد سماه
قدارا فكان يشب سريعا فلما كبر جلس مع ناس يشربون الخمر فارادوا ما يمزجوا به شرابهم وكان ذلك اليوم يوم شرب
الناقة فوجدوا الما قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا ما نصنع نحن باللبن هذه الناقة ولو كنا ناخذ
هذا الما الذي تشربه الناقة فنسقيه لانعامنا وزروعنا كان خيرا لنا فقال ابن العاشر هل لكم ان اعقرها لكم
فقالوا نعم فعقروها **ق** عن ابن عمر لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم
ان يصيبكم ما اصابهم الا ان تكونوا باكين ثم رفع راسه واسرع السير حتى جاوز الوادي وفي رواية لمسلم
لا تدخلوا على هولا المعذبين ثم ذكر مثله ولهما عنه ان الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر
ارض ثمود فاستقوا من ابارها وعجنوا به العجين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهريقوا ما استقوا
ويعلفوا الابل العجين وامرهم ان يستقوا من البير التي كانت تردها الناقة وللبخاري ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك امرهم ان لا يشربوا من ابارها ولا يستقوا منها فقالوا قد عجنا منها واستقينا
فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يطرحوا ذلك العجين ويهرقوا ذلك الما وفي بعض الاحاديث قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تسالوا رسولكم الايات هولا قوم صالح سالوا رسولهم فبعث الله الناقة فكانت ترد من هذا الفج
وتشرب ماهم يوم ورودها واراهم مرتقى الفصيل من الغار فعتوا عن امر ربهم فعقروها فاهلك من تحت اديم
السما منهم في مشارق الارض ومغاربها الا رجلا واحدا منهم يقال له ابو رغال وهو ابو ثقيف كان في حرم الله
فمنعه حرم الله من عذاب الله فلما خرج اصابه ما اصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب واراهم قبر
ابي رغال فنزل القوم فابتدروه باسيافهم وحفروا عنه واستخرجوا ذلك الغصن وكانت الفرقة المومنين من قوم
صالح اربعة الاف خرج بهم صالح الى حضرموت فلما دخلها مات صالح فسمي حضرموت ثم بنى الاربعة الالف مدينة
وسموها حاضورا وقال قوم من اهل العلم توفي صالح عليه السلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة واقام في قومه
عشرين سنة قوله عز وجل **ولوطا** يعني وارسلنا لوطا وقيل معناه واذكر يا محمد لوطا وهو لوط بن هاران
ابن تارخ ابن اخي ابراهيم وابراهيم عمه **اذ قال لقومه** يعني اهل سدوم واليهم كان قد ارسل وذلك ان لوطا عليه
السلام لما هاجر عمه ابراهيم عليه السلام الى الشام فنزل ابراهيم ارض فلسطين وانزل لوطا الاردن فارسله
الله الى اهل سدوم يدعوهم الى الله وينهاهم عن فعلهم القبيح وهو قوله تعالى **اتاتون الفاحشة** يعني اتفعلون
الفعلة الخبيثة التي هي غاية في القبح وكانت فاحشتهم اتيان الذكران في ادبارهم **ما سبقكم بها من احد**
من العالمين من الاولى زايدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض والمعنى ما سبقكم
ايها القوم بهذه الفعلة الفاحشة احد من العالمين قبلكم وفي هذا الكلام توبيخ لهم وتقريع على فعلهم تلك
الفاحشة قال عمرو بن دينار ما نرى ذكرا على ذكر في الدنيا حتى كان قوم لوط **انكم لتاتون الرجال** يعني في ادبارهم
شهوة من دون النسا يعني ادبار الرجال اشهى عندكم من فروج النسا **بل انتم** يعني ايها القوم **قوم مسرفون**
اي مجاوزون الحلال الى الحرام وانما ذمهم وعيرهم ووبخهم بهذا الفعل الخبيث لان الله تبارك وتعالى خلق الانسان
ركب فيه شهوة النكاح لبقا النسل وعمران الدنيا وجعل النسا محلا لتلك الشهوة وموضعا للنسل فاذا تركهن
الانسان وعدل عنهن الى غيرهن من الرجال فكانما قد اسرف واعتدى لانه وضع الشي في غير موضعه الذي
خلق له لان ادبار الرجال ليست محلا للولادة التي هي مقصودة بتلك الشهوة المركبة في الانسان **وكانت**
قصة قوم لوط على ما ذكره محمد بن اسحاق وغيره من اهل الاخبار والسير انه كان قرى قوم لوط مخصبة وثمار

Copyright King Saud University

وزروع لم يكن في الأرض مثلها فقصدهم الناس فآذوهم وضيقوا فعرض لهم إبليس في صورة شيخ وقال لهم إذا فعلتم
بهم كذا وكذا نجوتم منهم فأبوا فلما ألح الناس عليهم وقصدوهم فأصابوا غلمانا حسانا صباحا فأخذوهم واستحكم
ذلك فيهم قال الحسن كانوا لا ينكحون إلا الغرباء وقيل استحكم ذلك الفعل فيهم حتى نكح بعضهم بعضا وقال إن أول
من عمل عمل قوم لوط إبليس وذلك لأن بلادهم أخصبت فقصدها أهل البلدان فتمثل لهم إبليس في صورة
شاب ثم دعا إلى نفسه فكان أول من نكح في دبره فأمر الله السماء أن تحصبهم والأرض أن تخسف بهم وقوله تعالى
وما كان جواب قومه يعني وما كان جواب قوم لوط للوط إذ وبخهم على فعلهم القبيح وركوبهم ما حرم الله تعالى
عليهم من العمل الخبيث إلا أن قالوا يعني قال بعضهم لبعض أخرجوهم من قريتكم يعني أخرجوا لوطا وأتباعه
وأهل دينه من بلدكم إنهم أناس يتطهرون يعني أنهم أناس يتنزهون عن فعلكم وعن أدبار الرجال لأنه موضع النجاسة
ومن تركه فقد تطهر ولهذا قال إنهم أناس يتطهرون من فعل المعاصي والآثام فأنجيناه وأهله يعني فأنجينا لوطا ومن آمن
معه واتبعه على دينه وقيل المراد بأهله المتصلين به بسبب النسب والمراد بأهله ابنتاه إلا امرأته يعني زوجته كانت
من الغابرين يعني كانت من الباقين في العذاب لأنها كانت كافرة وقيل معناه كانت من الباقين المعمرين قد أتى عليها
دهر طويل ثم هلكت مع من هلك من قوم لوط وإنما قال من الغابرين ولم يقل من الغابرات لأنها هلكت مع الرجال فغلب ذكر
الرجال فقال من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا يعني حجارة من سجيل قد عجنت بالكبريت والنار يقال مطرت السماء وأمطرت
وقال أبو عبيدة يقال في العذاب أمطر وفي الرحمة مطر فانظر كيف كان عاقبة المجرمين يعني انظر يا محمد كيف كان
عاقبة هؤلاء الذين كذبوا بالله ورسوله وعملوا الفواحش كيف أهلكناهم قال مجاهد نزل جبريل عليه السلام
فأدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط فاقتلعها ورفعها إلى السماء ثم قلبها فجعل أعلاها أسفلها ثم أتبعوا بالحجارة
وقوله فانظر كيف كان عاقبة المجرمين وإن كان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره من أمته ليعتبروا
بما جرى على أولئك فينزجروا بذلك الاعتبار عن الأفعال القبيحة والفواحش الخبيثة قوله عز وجل وإلى مدين
أخاهم شعيبا يعني وأرسلنا إلى مدين أكثر المفسرين على أن مدين اسم رجل وهو مدين وقيل مديان بن إبراهيم الخليل
عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام فعلى هذا يكون المعنى وأرسلنا إلى ولد مدين اسم للقبيلة كما يقال
بنو تميم وبنو عدي وبنو أسد وقيل مدين اسم للماء الذي كانوا عليه وقيل اسم للمدينة وعلى هذين القولين يكون
المعنى وأرسلنا إلى أهل مدين والصحيح هو الأول وقوله أخاهم شعيبا يعني في النسب لا في الدين وشعيب هو
ابن ثويب بن مدين بن إبراهيم عليه السلام قاله عطاء وقال محمد بن إسحاق هو شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين
ابن إبراهيم عليه السلام وأم ميكيل بنت لوط عليه السلام وقيل هو شعيب عليه السلام بن يثرون بن مدين
ابن إبراهيم عليه السلام وكان شعيب أعمى وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وكان
قومه أهل كفر وبخس في المكيال والميزان قال يعني شعيبا يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم
بينة من ربكم يعني قد جاءتكم حجة وبرهان من ربكم بحقيقة ما أقول وصدق ما أدعي من النبوة والرسالة إليكم
لأنه لا بد لكل نبي من معجزة تدل على صدق ما جاء به من عند الله غير أن تلك المعجزة التي كانت لشعيب لم تذكر
في القرآن وليست كل آيات الأنبياء مذكورة في القرآن وقيل المراد بالبينة مجيء شعيب بالرسالة إليهم وقيل
أراد بالبينة الموعظة وهو قوله تعالى فأوفوا الكيل والميزان يعني فأتموا الكيل والميزان وأعطوا الناس
حقوقهم وهو قوله تعالى ولا تبخسوا الناس أشياءهم يعني لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم إياها فتطففوا
الكيل والوزن يقال بخس فلان في الكيل والوزن إذا نقصه وطففه ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها
يعني بعد أن أصلحها الله ببعثة الرسل وإقامة العدل وكل نبي يبعث إلى قوم فهو صلاحهم ذلكم يعني الذي ذكرت

لكم

لكم وأصلح لكم به من الإيمان بالله ووفاء الكيل وترك الظلم والبخس خير لكم يعني مما أنتم عليه من الكفر وظلم الناس إن كنتم مؤمنين
يعني مصدقين بما أقول ولا تقعدوا بكل صراط توعدون يعني أن شعيبا قال لقومه الكفار ولا تقعدوا على كل طريق
من الدين والحق تمنعون الناس من الدخول فيه وتهددونهم على ذلك وذلك أنهم كانوا يجلسون على الطرقات ويخوفون
من يريد الإيمان بالله وبرسوله شعيب وهو قوله تعالى وتصدون عن سبيل الله من آمن به يعني وتمنعون من يريد
الإيمان بالله وتقولون إن شعيبا كذاب وتخوفونه بالقتل قال ابن عباس كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من أتى عليهم
أن شعيبا الذي تريدونه كذاب فلا يفتننكم عن دينكم وتبغونها عوجا يعني وتريدون اعوجاج الطريق عن الحق وعدولها
عن القصد وقيل معناه وتلتمسون لها الزيغ والهلاك ولا تستقيموا على طريق الهدى والرشاد واذكروا إذ كنتم قليلا
فكثركم يعني أن شعيبا عليه السلام ذكرهم نعمة الله عليهم قال الزجاج يحتمل ثلاثة أوجه كثر عددكم وكثركم بالغنى بعد
الفقر وكثركم بالقوة بعد الضعف ووجه ذلك أنهم إذا كانوا فقراء ضعفاء فهم بمنزلة القليل والمعنى أنه كثركم بعد القلة
وأعزكم بعد الذلة فاشكروا نعمه عليكم وآمنوا به وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين يعني وانظروا اعتبارا بما نزل بمن
قبلكم من الأمم السالفة والقرون الخالية حتى عتوا على ربهم وعصوا رسله من العذاب والهلاك وأقرب الأمم إليكم قوم
لوط فانظروا كيف أنزل عليهم حجارة من السماء لما عصوا وكذبوا رسله وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم
يؤمنوا يعني وإن اختلفتم في رسالتي فصرتم فرقتين فرقة آمنت بي وصدقتني بما جئت به من الحق وفرقة كذبت وجحدت
رسالتي فاصبروا فيه وعيد وتهديد حتى يحكم الله بيننا يعني حتى يقضي الله ويفصل بيننا فيعز المؤمنين الصادقين
وينصرهم ويهلك المكذبين الجاحدين ويعذبهم وهو خير الحاكمين يعني أنه حاكم عادل منزه عن الجور والميل والحيف في حكمه
وإنما قال خير الحاكمين لأنه قد يسمى بعض الأشخاص حاكما على سبيل المجاز والله تعالى هو الحاكم في الحقيقة فلهذا قال وهو خير
الحاكمين قال الملأ الذين استكبروا من قومه يعني قال الجماعة من أشراف قوم شعيب الذين تكبروا عن الإيمان بالله وبرسوله وتعظموا
عن اتباع شعيب لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا يعني أن قوم شعيب أجابوه بأن
قالوا لا بد من أحد أمرين إما إخراجك ومن معك على دينك من بلدنا أو لترجعن إلى ديننا وملتنا وما نحن عليه وهذا فيه
إشكال وهو أن شعيبا لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع إليها كما زعموا فما معنى قولهم أو لتعودن في ملتنا وأجيب عن
هذا الإشكال بأن أتباع شعيب كانوا قبل الإيمان به على ملة أولئك الكفار فخاطبوا شعيبا وأتباعه جميعا فدخل هو في
الخطاب وإن لم يكن على ملتهم قط وقيل معناه لتصيرن إلى ملتنا فوقع العود على معنى الابتداء كما تقول قد عاد علي فلان
مكروه معي وقد لحقني منه ذلك وإن لم يكن قد سبق منه مكروه فهو كما قال الشاعر فإن تكن الأيام أحسن مرة
إلي فقد عادت لهن ذنوب أراد أنه صارت لهن ذنوب ولم يرد أن ذنوبا كانت لهن قبل الإحسان وقوله تعالى
قال أولو كنا كارهين يعني لا نعود في ملتكم ولو أكرهتمونا وأجبرتمونا على الدخول فيها فلا نقبل ولا ندخل قد افترينا على الله كذبا
إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها يعني أن شعيبا أجاب قومه إذ دعوه ومن آمن إلى العود إلى ملتهم والدخول فيها فقال
قد افترينا يعني قد اختلقنا على الله كذبا وتخرصنا عليه من القول باطلا إن نحن رجعنا إلى ملتكم وقد علمنا فساد ما أنتم
عليه من الملة والدين وقد أنقذنا الله وخلصنا منها وبصرنا خطأها وهنا إشكال فيه من الإشكال مثل ما في الأول
وهو أن شعيبا عليه السلام ما كان في ملتهم قط حتى يقول إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها والجواب عنه مثل
ما أجيب عن الإشكال الأول وهو أن يقول إن الله نجى قومه الذين آمنوا به من تلك الملة الباطلة على أن شعيبا نظم
نفسه في جملتهم وإن كان بريئا مما كانوا عليه من الكفر فأجرى الكلام على حكم التغليب وقيل معناه نجانا الله منها لما علمنا
قبح ملتكم وفسادها فكأنه خلصنا منها وقوله تعالى وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا يعني وما يكون لنا
أن نرجع إلى ملتكم ونترك الحق الذي نحن عليه إلا أن يشاء الله ربنا يعني إلا أن يكون قد سبق لنا في علم الله أن نعود فيها حينئذ يمضي قضاء الله

Copyright © King Saud University

وقدره وينفذ سابق مشيئته علينا وقال الواحدي معنا العود هنا الابتداء والذي عليه اهل العلم والسنة في هذه الآية ان
شعيبا واصحابه قالوا ما كنا لنرجع الى ملتكم بعد اذ وقفنا على انها ضلالة تكسب دخول النار الا ان يريد الله اهلاكنا فامورنا
راجعة الى الله غير خارجة عن قبضته يسعد من يشا ويشقي من يشا بالمعصية وهذا من شعيب وقومه استسلام للمشيئة
ولم تزل الانبياء والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر الا ترى الى قول الخليل ابراهيم عليه السلام واجنبني وبني ان نعبد
الاصنام وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قال الزجاج المعنى وما يكون
لنا ان نعود فيها الا ان يكون قد سبق في علم الله ومشيئته ان نعود فيها وتصديق قوله وسع ربنا كل شي علما يعني انه تعالى
يعلم ما يكون قبل ان يكون وما سيكون وانه تعالى كان عالما في الازل بجميع الاشيا فالسعيد من سعد في علم الله والشقي
من شقي في علم الله تعالى على الله توكلنا يعني على الله نعتمد واليه نستند في امورنا كلها فانه الكافي لمن توكل عليه والمعنى
على الله توكلنا لا على غيره فكانه ترك الاسباب ونظر الى مسبب الاسباب ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق لما ايس
شعيب من ايمان قومه دعا بهذا الدعا فقال ربنا افتح اي اقض وافصل واحكم بيننا وبين قومنا بالحق يعني بالعدل الذي
لا جور فيه ولا ظلم ولا حيف وانت خير الفاتحين يعني خير الحاكمين قال الفرا اهل عمان يسمون القاضي الفاتح وقال غيره
من اهل اللغة هو لغة مراد وانشد بعضهم * الا ابلغ بني عصم رسولا * فاني عن فتاحتكم غني * اراد عن حاكمكم وقاضيكم
وقال ابن عباس ما كنت ادري ما معنى قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول تعالى
افاتحك يعني اقاضيك وهذا قول قتادة والسدي وابن جريج وجمهور المفسرين ان الفاتح هو القاضي والحاكم يسمى
بذلك لانه يفتح اغلاق الاشكال بين الخصوم ويفصلها وقال الزجاج ويجوز ان يكون معناه ربنا اظهر امرنا حتى
ينفتح بيننا وبين قومنا وينكشف والمراد منه ان ينزل عليهم عذابا يدل انهم مبطلين وعلى كون شعيب وقومه محقين
وعلى هذا القول فالفتح يراد به الكشف والتمييز وقال الملا الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون
يعني وقال جماعة من اشراف قوم شعيب ممن كفر به لاخرين منهم لئن اتبعتم شعيبا على دينه وتركتم دينكم وملتكم وما انتم عليه انكم
اذا لخاسرون يعني انكم لمغبونون في فعلكم فاخذتهم الرجفة يعني الزلزلة الشديدة فاصبحوا في دارهم جاثمين قال ابن عباس
وغيره فتح الله عليهم بابا من جهنم فارسل عليهم حرا شديدا فاخذ بانفاسهم فلا ينفعهم ظل ولا ما فدخلوا في الاسراب
ليبردوا فيها فوجدوها اشد حرا من الظاهر فخرجوا هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فيها ريح طيبة باردة فاظلتهم
وهي الظلة فوجدوا لها بردا ونسيما فنادى بعضهم بعضا حتى اذا اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساوهم وصبيانهم
الهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الارض من تحتهم فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلي وصاروا رمادا ويروى ان الله تعالى
حبس عنهم الريح سبعة ايام ثم سلط عليهم الحر حتى هلكوا وقال قتادة بعث الله شعيبا الى اصحاب الايكة والى
مدين فاما اصحاب الايكة فاهلكوا بالظلة واما اهل مدين فاخذتهم الصيحة صاح بهم جبريل صيحة فهلكوا قال ابو عبد
الله البجلي كان ابو جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت ملوك مدين وكان ملكهم في زمن شعيب يوم الظلة
اسمه كلمن فلما هلك قالت ابنته شعرا تبكيه وترثيه به * كلمن هدم ركني * هلكه وسط المحلة * سيد القوم اتاه *
هلكه نار تحت ظله * جعلت نارا عليهم * دارهم كالمضمحله * وقوله تعالى الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها يعني كان
لم يقيموا فيها ولم ينزلوها يوما من الدهر يقال غنيت بالمكان اذا اقمت به والمغاني المنازل التي بها اهلها واحدها مغنى
قال الشاعر * ولقد غنوا فيها بانعم عيشة * في ظل ملك ثابت الاوتاد * اراد فيها اقاموا وقيل في معنى الآية
كان لم يعيشوا فيها متنعمين مستغنين يقال غني الرجل اذا استغنى وهو من الغنا الذي هو ضد الفقر الذين كذبوا
شعيبا كانوا هم الخاسرين يعني خسروا انفسهم باهلاكهم فتولى عنهم يعني فاعرض عنهم شعيب شاخصا من بين اظهرهم
حين اتاهم العذاب وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم يعني انه قال لهم ذلك لما تيقن نزول العذاب

بقومه

بقومه واختلفوا هل كان ذلك القول قبل نزول العذاب او بعده على قولين سبقا في قصة صالح عليه السلام وقوله
تعالى فكيف آسى يعني احزن على قوم كافرين والاسى اشد الحزن وانما اشتد حزنه على قومه لانهم كانوا كثيرين وكان
يتوقع منهم الاستجابة والايمان فلما نزل بهم ما نزل من العذاب عزى نفسه فقال كيف احزن على قوم كافرين لانهم الذين
اهلكوا انفسهم باصرارهم على الكفر وقيل في معنى الآية ان شعيبا قال لقد اعذرت لكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير
فلم تسمعوا قولي ولم تقبلوا نصحي فكيف احزن عليكم يعني لستم مستحقين بان احزن عليكم فعلى القول الاول انه حصل
لشعيب حزن على قومه وعلى القول الثاني لم يحزن عليهم والله اعلم وقوله تعالى وما ارسلنا في قرية من نبي فيه
اضمار وحذف تقديره فكذبوه الا اخذنا اهلها بالباسا والضرا قال ابن مسعود الباسا الفقر والضرا المرض وهو
معنى قول من قال الباسا ما نالهم من الشدة في اموالهم والضرا ما نالهم من الامراض وقيل الباسا الشدة وضيق العيش
والضرا الضر وسو الحال لعلهم يضرعون يعني انما فعلنا بهم ذلك لكي يتضرعوا ويتوبوا والتضرع الخضوع والانقياد
لامر الله عز وجل والمراد من هذه الآية ان الله عز وجل لما عرف نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم احوال الانبيا مع اممهم
المكذبة وقص عليه من اخبارهم وعرفه سنته في الامم الذين خلوا من قبله وما صاروا اليه من الهلاك والعذاب
عرفه في هذه الآية انه قد ارسل رسلا الى امم اخر فكذبوا رسلهم فاخذناهم بالباسا والضرا كما فعل بمن كذب رسله
وفيه تخويف وتحذير للكفار قريش وغيرهم من الكفار ليزدجروا عما هم عليه من الكفر والتكذيب ثم بين تعالى انه
لا يجري تدبيره في اهل القرى على نمط واحد وسنة واحدة انما يدبرهم بما يكون الى الايمان اقرب وهو قوله تعالى
ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة لان ورود النعمة على البدن بعد الشدة والضيق يستدعي الانقياد للطاعة
والاشتغال بالشكر قال اهل اللغة السيئة كل ما يسو صاحبه والحسنة كل ما يستحسنه الطبع والعقل فالسيئة
والحسنة هنا الشدة والرخا والمعنى انه بدل تعالى مكان الباسا والضرا النعمة والسعة والخصب والصحة في
الابدان فاخبر الله تعالى في هذه الآية انه ياخذ اهل المعاصي والكفر تارة بالشدة وتارة بالرخا على سبيل الاستدراج
وهو قوله حتى عفوا يعني به فعل ذلك بهم حتى كثروا وكثرت اموالهم يقال عفا الشعر اذا كثر وطال قال مجاهد حتى
كثرت اموالهم واولادهم وقالوا يعني من غرتهم وغفلتهم بعد ما صاروا الى الرخا والسعة قد مس آباءنا الضرا
والسرا يعني قالوا هكذا عادة الدهر قديما وحديثا لنا ولآبائنا ولم يكن ما مسنا من الشدة والضر عقوبة لنا
من الله على ما نحن عليه فكونوا على ما انتم عليه كما كان آباؤكم من قبل فانهم لم يتركوا دينهم لما اصابهم من
الضرا والباسا قال الله تعالى فاخذناهم بغتة يعني فجاة آمن ما كانوا ليكون ذلك اعظم لحسرتهم وهم لا يشعرون
يعني بنزول العذاب بهم والمراد بذكر هذه القصة اعتبار من سمعها لينزجر عما هو عليه من الذنوب قوله عز وجل ولو ان
اهل القرى آمنوا واتقوا يعني لما بين الله تعالى في هذه الآية انهم لو آمنوا يعني بالله ورسوله واطاعوه فيما امرهم به
واتقوا يعني ما نهى الله عنه وحرمه عليهم لفتحنا عليهم بركات من السما والارض فبركات السما المطر وبركات الارض
النبات والثمار وجميع ما فيها من الخيرات والانعام والارزاق والامن والسلامة من الآفات وكل ذلك من فضل
الله واحسانه على عباده واصل البركة ثبوت الخير الالهي في الشي وسمي المطر بركة السما لثبوت البركة فيه وكذا
ثبوت البركة في نبات الارض لانه نشا عن بركات السما وهي المطر وقال البغوي اصل البركة المواظبة على الشي
اي تابعنا عليهم بالمطر من السما والنبات من الارض ورفعنا عنهم القحط والجدب ولكن كذبوا يعني فعلنا
بهم ذلك ليومنوا فما آمنوا ولكن كذبوا يعني الرسل فاخذناهم بانواع العذاب بما كانوا يكسبون يعني اخذناهم بسبب
كسبهم الاعمال الخبيثة قوله عز وجل افامن اهل القرى هو استفهام بمعنى الانكار وفيه وعيد وتهديد وزجر
والمراد بالقرى مكة وما حولها وقيل هو عام في كل اهل القرى الذين كفروا وكذبوا ان ياتيهم باسنا يعني

عذابنا بياتا يعني ليلا وهم نائمون او امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون يعني وهم ساهون لاهون غافلون
عن ما يراد بهم والمقصود من الاية ان الله خوفهم بنزول العذاب وهم في غاية الغفلة وهم حال النوم بالليل وحال
الضحى بالنهار لانه الوقت الذي يغلب على الانسان التشاغل فيه بامور الدنيا وامور الدنيا كلها لعب ويحتمل ان يكون
المراد خوضهم في كفرهم وذلك لعب ايضا لانه يضر ولا ينفع افامنوا مكر الله يعني استدراجه اياهم بعذابه من حيث
لا يشعرون وعلى هذا الوجه فيكون بمعنى الاخذ به وسمي هذا العذاب مكرا لنزوله وهم في غفلة عنه لا يشعرون
به فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها يعني انه لا يامن ان يكون حالهم اعظام
من النعم مع كفرهم استدراجا لا من خير ولحاله وهلك اهلكنا الذين كانوا من قبلهم فورثوها عنهم وخلفوهم فيها
ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم يعني ولو نشاء اخذناهم وعاقبناهم بسبب كفرهم ونطبع اي ونختم على قلوبهم فهم لا يسمعون
يعني لا يسمعون موعظة ولا يتقبلون الايمان ونطبع منقطع عما قبله والمعنى ونحن نطبع على قلوبهم ويجوز ان يكون
معطوفا على الماضي ولفظة لفظة المستقبل والمعنى ولو نشاء طبعنا على قلوبهم تلك القرى يعني هذه القرى
التي ذكرنا لك يا محمد امرها وامر اهلها وهي قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب نقص عليك من انبائها يعني
نخبرك عنها وعن اخبار اهلها وما كان من امرهم وامر رسلهم الذين ارسلوا اليهم لتعلم يا محمد انا لننصر رسلنا والذين امنوا معهم
على اعدائنا واعدائهم من اهل الكفر والعناد وكيف اهلكناهم بكفرهم ومخالفتهم رسلهم وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه
وسلم وتحذير لكفار قريش ان يصيبهم مثل ما اصابهم ولقد جاءتهم يعني لاهل تلك القرى رسلهم بالبينات يعني جاءتهم
بالمعجزات الباهرات والبراهين الدالة على صدقهم فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اختلف اهل التفسير في معنى ذلك
فقيل معناه فما كان هؤلاء المشركون الذين اهلكناهم من اهل القرى ليؤمنوا عند ارسالنا اليهم رسلهم بما كذبوا من قبل ذلك
وهم يوم اخذ ميثاقهم حين اخرجهم من ظهر ادم عليه السلام فاقروا باللسان واضمروا التكذيب وهذا معنى قول ابن
عباس والسدي قال السدي امنوا كرها يوم الميثاق وقال مجاهد فما كانوا لو احييناهم بعد هلاكهم ومعاينتهم العذاب
ليؤمنوا بما كذبوا قبل هلاكهم وقيل معناه فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما سبق لهم في علم الله انهم يكذبون به حين
اخرجهم من صلب ادم عليه السلام قال ابي بن كعب كان سبق لهم علم يوم اقروا له بالميثاق انهم لا يؤمنون به وقال
الربيع بن انس يحق على العباد ان ياخذوا من العلم ما ابدى اليهم ربهم وان لا يتناولوا علم ما اخفى الله عنهم فان علمه نافذ فيما
كان وما يكون وفي ذلك قال تعالى ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله
على قلوب الكافرين قال نفذ علمه فيهم ايهم المطيع من العاصي حيث خلقهم في صلب ادم عليه السلام قال الطبري واولى الاقوال
بالصواب قول ابي بن كعب والربيع بن انس وذلك من سبق في علم الله انه لا يؤمن فلا يؤمن ابدا وقد كان سبق
في علم الله لمن هلك من الامم الذين قص خبرهم في هذه السورة لانهم لا يؤمنون ابدا فاخبر عنهم انهم لم يكونوا ليؤمنوا
بما هم به مكذبون في سابق علمه قبل مجيء الرسل عند مجيئهم اليهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين يعني كما طبع
على قلوب كفار الامم الخالية واهلكهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب عليهم انهم لا يؤمنون من
قومك وما وجدنا لاكثرهم من عهد يعني وما وجدنا لاكثر الامم الخالية والقرون الماضية الذين قصصنا
خبرهم عليك يا محمد من وفاء بالعهد الذي عهدناه اليهم واوصيناهم به يوم اخذ الميثاق قال ابن عباس انما اهلك
الله اهل القرى لانهم لم يكونوا حفظوا ما وصاهم به وان وجدنا اكثرهم لفاسقين اي وما وجدنا اكثرهم الا فاسقين
خارجين عن طاعتنا وامرنا قوله عز وجل ثم بعثنا من بعدهم موسى يعني ثم بعثنا بعد الانبياء الذين تقدم
ذكرهم وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام موسى باياتنا يعني بحججنا وادلتنا الدالة على
صدقه مثل اليد والعصا ونحو ذلك من الايات التي جاء بها موسى عليه السلام الى فرعون وملائه قيل ان كل من ملك

مصر

مصر كان يسمى فرعون قبل ما كان يسمى ملك الفرس كسرى وملك الروم قيصر وملك الحبشة النجاشي وكان اسم فرعون الذي ارسل
اليه موسى عليه السلام الوليد بن مصعب بن الريان وكان ملك القبط والملأ اشراف قومه وانما خصوا بالذكر لانهم اذا امن
الاشراف امن الاتباع فظلموا بها يعني فجحدوا بها لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه ولما كانت هذه الايات معجزات ظاهرة
قاهرة ثم كفروا بها فوضعوا الكفر موضع الايمان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين اي انظر يا محمد بعين العقل والبصيرة كيف
فعلنا بهم وكيف اهلكناهم وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين يعني ان موسى لما دخل على فرعون دعاه
الى الله والى الايمان بربه وقال له اني رسول يعني اليك مرسل والى قومك من رب العالمين يعني ان الله الذي خلق الخلق
وهو سيدهم ومالكهم هو الذي ارسلني اليك حقيق اي واجب على ان لا اقول على الله الا الحق يعني ان الرسول لا يقول
على الله الا الحق في وصفه وتنزيهه وتوحيده وانه لا اله غيره قد جئتكم ببينة من ربكم يعني ببرهان على صدق ما ادعي
من الرسالة والمراد ببينته معجزته وهي العصا واليد البيضاء ثم ان موسى عليه السلام لما فرغ من تبليغ رسالته
رتب على ذلك الحكم فقال لفرعون فارسل معي بني اسرائيل يعني خل عنهم واطلقهم من اسرك وكان فرعون قد استعبد بني اسرائيل
واستعملهم في الاعمال الشاقة قال فرعون ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين يعني قال فرعون
لموسى عليه السلام بعد تبليغ الرسالة ان كنت جئت من عند من ارسلك ببينة تدل على صدقك فائتني بها
واحضرها عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك فيما قلت فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اي بين والثعبان
الذكر من الحيات وصفه هنا بانه ثعبان والثعبان من الحيات العظيم الضخم ووصف في اية اخرى كانها جان والجان
الحية الصغيرة والجمع بين هذين الوصفين بانها كانت في عظم الجثة كالثعبان العظيم وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة
وهي الجان قال ابن عباس والسدي انه لما القى العصا صارت حية عظيمة صفراء شعراء فاغرة فاها ما بين لحييها ثمانون
ذراعا وارتفعت من الارض بقدر ميل وقامت على ذنبها واضعة لحيها الاسفل في الارض ولحيها الاعلى على سور القصر
وتوجهت نحو فرعون لتاخذه فوثب فرعون عن سريره هاربا واحدث وقيل انه احدث في ذلك اليوم اربعمائة مرة
وقيل انها اخذت قبة فرعون بين نابيها وحملت على الناس فانهزموا وصاحوا وقتل بعضهم بعضا فمات منهم في ذلك
اليوم خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى انشدك بالذي ارسلك ان تاخذها وانا اؤمن بك
وارسل معك بني اسرائيل فعادت عصا كما كانت وفي كون الثعبان مبينا وجوه الاول انه تبين وتميز ذلك
مما عملته السحرة من التمويه والتلبيس وبذلك تتميز معجزات الانبياء عن تمويه السحرة وتخييلهم الوجه الثاني انهم شاهدوا
العصا قد انقلبت حية ولم يشتبه ذلك عليهم فلذلك قال ثعبان مبين اي بين الوجه الثالث ان ذلك الثعبان
لما كان معجزة لموسى عليه السلام كان بان صدق قول موسى وانه رسول من رب العالمين ونزع يده النزع في اللغة
عبارة عن اخراج الشيء عن مكانه والمعنى انه اخرج من جيبه او من تحت جناحه فاذا هي بيضاء للناظرين قال ابن عباس وغيره
اخرج يده من جيبه فراها بيضاء من غير سوء يعني من غير مرض وقيل ان موسى ادخل يده تحت جيبه ثم نزعها منه
وقيل اخرج يده من تحت ابطه فاذا هي بيضاء لها شعاع غلب نور الشمس وكان موسى عليه السلام ادم اللون ثم ردها
الى جيبه فاخرجها فاذا هي كما كانت ولما كان البياض المفرط عيبا في الجسد وهو البرص قال الله تعالى في اية اخرى
بيضاء من غير سوء يعني من غير برص والمعنى فاذا هي بيضاء للناظرين ولا يكون بيضاء للناظرين الا اذا كان بياضها بياضا
عجيبا خارجا عن العادة يتعجب منه **فصل** في بيان المعجزة وكونها دليلا على صدق الرسول اعلم ان الله تبارك
وتعالى كان قادرا على خلق المعرفة والايمان في قلوب عباده ابتداء من غير واسطة ولكن ارسل اليهم رسلا تعرفهم معالم
دينه وجميع تكليفاته وذلك الرسول بين الله عز وجل وبين عباده يبلغهم كلامه ويعرفهم احكامه وجائز ان يكون ذلك
الواسطة من غير البشر كالملائكة مع الانبياء وجائز ان يكون الواسطة من جنس البشر كالانبياء مع اممهم ولا مانع لهذا من جهة

Copyright King Saud University

العقل واذا جاز هذا في دليل العقل ومعجزات الرسل عليهم السلام معجزات دلت على صدقهم فوجب تصديقهم في جميع ما اتوا به
لان المعجز مع التحدي قايم مقام قول الله عز وجل صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه ولان معجز النبي شاهد على صدقه فيما يقوله
وسميت المعجزة معجزة لان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي اضرب فضرب منها على نوع قدرة البشر ولكن عجزوا عنه فعجزهم
عنه دل على انه من فعل الله ودل على صدق نبيه صلى الله عليه وسلم الضرب الثاني ما هو خارج عن قدرة البشر كاحيا الموتى
وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام الشجر والجماد والحيوان ونبع الما من بين الاصابع وغير ذلك من المعجزات التي عجز البشر
عن مثلها فاذا اتى النبي بشي من تلك المعجزات الخارقة للعادات علم ان ذلك من عند الله وان الله عز وجل هو الذي اظهر ذلك
المعجزة على يد نبيه ليكون حجة له على صدقه فيما يخبر عنه عن الله عز وجل وقد ثبت بدليل العقل والبرهان القاطع ان الله
قادر على خلق الاشيا وابداعها من غير مثل سبق لها واخراجها من العدم الى الوجود وانه قادر على خلق الاعيان وخوارق
العادات والله اعلم وقوله تعالى قال الملا من قوم فرعون ان هذا يعني موسى لساحر عليم يعنون انه ليأخذ باعين
الناس حتى يخيل لهم ان العصى صارت حية ويرى الشي بخلاف ما هو عليه كما اراهم يده بيضا وهو آدم اللون وانما قالوا ذلك لان
السحر كان هو الغالب في ذلك الزمان فلما اتى بما يعجز عنه غيره قالوا انه لساحر عليم **فان قلت** قد اخبر الله في هذه
السورة ان هذا الكلام من قول الملا لفرعون وقال في سورة الشعرا قال فرعون للملا حوله ان هذا لساحر عليم فكيف الجمع بينهما
قلت لا يمتنع ان يكون قاله فرعون اولا ثم انهم قالوه بعده فاخبر الله عنهم هنا واخبر عن فرعون في سورة الشعرا
وقيل يحتمل ان فرعون قال هذا القول ثم ان الملا من قومه وهم خاصته سمعوه منه ثم انهم بلغوه الى العامة فاخبر الله
عز وجل عنهم هنا عن الملا واخبر هناك عن فرعون وقوله تعالى يريد ان يخرجكم من ارضكم يعني يريد موسى ان يخرجكم
ايها القبط من ارض مصر فماذا تامرون يعني فاي شي تشيرون الي ان نفعل به وقيل ان قوله فماذا تامرون من قول الملا
كان كلام فرعون ثم عند قوله يريد ان يخرجكم من ارضكم فقال الملا مجيبين لفرعون فماذا تامرون وانما خاطبوه بلفظ
الجمع وهو واحد على عادة الملوك في التعظيم والتفخيم والمعنى فما ترون ان نفعل به والقول الاول اصح لسياق التي
بعدها وهو قوله تعالى قالوا ارجه واخاه يعني اخر امرهما ولا تعجل فيه فتصير عجلتك عليك لا لك والارجا التاخير في
اللغة وقيل معناه احبسه واخاه وهذا قول ضعيف لان الارجا في اللغة هو التاخير لا الحبس ولان فرعون
ما كان يقدر على حبس موسى بعد ان راى من امر العصى ما راى وارسل في المداين حاشرين جمع مدينة واشتقاقها من مدن بالمكان
اذا اقام به يعني مداين صعيد مصر حاشرين يعني رجالا يحشرون اليك السحرة من جميع مداين الصعيد والمعنى انهم قالوا
لفرعون ارسل الى هذه المداين رجالا من اعوانك وهم الشرط يحشرون اليك من فيها من السحرة وكان رؤسا السحرة باقصى مداين الصعيد
فان غلبهم موسى صدقناه واتبعناه وان غلبوه علمنا انه ساحر فذلك قوله ياتوك يعني الشرط بكل ساحر وقرئ
سحار والفرق بين الساحر والسحار ان الساحر هو المبتدي في صناعة السحر فيتعلم ولا يعلم والسحار هو الذي يتعلم
منه السحر وقيل الساحر من يكون سحره وقتا دون وقت والسحار الذي يديم سحره ويعمله في كل وقت عليم يعني ماهر
بصناعة السحر وقال ابن عباس وابن اسحاق والسدي ان فرعون لما راى من سلطان الله وقدرته في العصى قال انا
لا نقاتل موسى الا بمن هو اعلم منه فاتخذ غلمانا من بني اسرائيل فبعث بهم الى مدينة يقال لها الفرما يعلمونهم
السحر فعلموهم سحرا كثيرا وواعد فرعون موسى موعدا ثم بعث الى السحرة فجاوا ومعهم معلمهم فقال فرعون للمعلم ماذا صنعت
قال قد علمتهم سحرا لا يطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السما فانه لا طاقة لهم به ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك
ساحرا الا اتى به واختلفوا في عدد السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط وهما رؤسا
القوم وسبعون من بني اسرائيل وقال الكلبي كان الذي يعلمونهم رجلين مجوسيين من اهل نينوى وكانوا سبعين غير
رئيسهم وقال كعب الاحبار كانوا اثني عشر الفا وقال محمد بن اسحاق كانوا خمسة عشر الفا وقال عكرمة كانوا سبعين

الفا

الفا وقال محمد بن المنكدر كانوا ثمانين الفا وقال السدي كانوا بضعا وثمانين الفا وقيل الرئيس القوم شمعون وقيل
يوحنا قوله عز وجل وجا السحرة فرعون يعني لما اجتمعوا جاوا الى فرعون قالوا ان لنا لاجرا يعني جعلا وعطا تكرمنا به
ان كنا نحن الغالبين يعني لموسى قال الامام فخر الدين ولقايل ان يقول كان حق الكلام ان يقول وجا السحرة فرعون
فقالوا بالفا وجوابه هو على تقدير سايل سال ما قالوا اذ جاوا فاجيب بقوله قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين
قال نعم يعني قال لهم فرعون لكم الاجر والعطا وانكم لمن المقربين يعني ولكم المنزلة الرفيعة عندي مع الاجر والمعنى ان فرعون
قال للسحرة اني لا اقتصر بكم على الاجر بل ازيدكم عليه وتلك الزيادة اني اجعلكم من المقربين قالوا يعني السحرة يا موسى اما ان تلقي
يعني عصاك واما ان نكون نحن الملقين يعني عصينا وحبالنا في هذه الاية دقيقة لطيفة وهي ان السحرة راعوا مع موسى عليه السلام
حسن الادب حين قدموه على انفسهم في الالقا لا جرم ان الله عز وجل عوضهم حيث تادبوا مع نبيه موسى صلى الله عليه
وسلم ان من الله عليهم بالهداية والايمان لما راعوا الادب اولا واظهروا ما يدل على رغبتهم في ذلك قال لهم موسى القوا
ما انتم ملقون يعني انتم تقدمهم على نفسه في الالقا **فان قلت** كيف جاز لموسى ان يامر بالالقا
وقد علم انه سحر وفعل السحر كفر **قلت** ذكر العلما فيه اجوبة احدها ان معناه ان كنتم محقين في فعلكم
فالقوا والا فلا تلقوا الجواب الثاني انما امرهم بالالقا لتظهر معجزته صلى الله عليه وسلم لانهم اذا لم يلقوا حبالهم وعصيهم
لم تظهر معجزة موسى في عصاه الجواب الثالث ان موسى علم انهم لا بد ان يلقوا تلك الحبال والعصي وانما وقع التخيير في التقديم
والتاخير فاذن لهم في التقديم لتظهر معجزته ايضا بغلبهم لانه لو القى اولا لم يكن له غلب وظهور عليهم فلهذا المعنى امرهم
بالالقا فلما القوا حبالهم وعصيهم سحروا اعين الناس يعني صرفوا اعين الناس عن ادراك حقيقة ما فعلوه من التمويه
والتخييل وهذا هو السحر وهذا هو الفرق بين السحر الذي هو فعل البشر وبين معجزة الانبيا الذي هو فعل الله وذلك
لان السحر قلب الاعين وصرفها عن ادراك ذلك الشي والمعجزة قلب نفس الشي وحقيقته كقلب عصى موسى عليه السلام
حية واسترهبوهم يعني ارهبوهم وافزعوهم بما فعلوه من السحر وهو قوله تعالى وجاوا يعني السحرة بسحر عظيم وذلك انهم
القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا حيات كامثال الجبال قد ملات الوادي يركب بعضها بعضا ويقال انهم
طلوا تلك الحبال بالزيبق وحملوا داخل تلك العصي زيبقا ايضا والقوها على الارض فلما اثر حر الشمس فيها تحركت
والتوى بعضها على بعض حتى تخيل للناس انها حيات ويقال ان الارض كانت سعتها ميل في ميل فصارت
كلها حيات وافاعي ففزع الناس من ذلك واوجس في نفسه خيفة موسى وهذه الخيفة لم تحصل لموسى عليه
السلام لاجل سحرهم لانه عليه السلام كان على ثقة ويقين من الله تعالى انهم لن يغلبوه وهو غالبهم وكان عالما
بان ما اتوا به على وجه المعارضة لمعجزته فهو من باب السحر والتخييل وذلك باطل ومع هذا الجزم يمتنع حصول الخوف
لموسى من ذلك بل كان تخوفه عليه الصلاة والسلام لاجل فزع الناس ولضلالهم بما راوا من تلك الحيات فخاف
موسى عليه السلام ان يتفرقوا قبل ظهور معجزته فلذلك اوجس في نفسه خيفة موسى قوله تعالى
واوحينا الى موسى ان الق عصاك يعني فالقاها فاذا هي تلقف اي تبتلع ما يافكون يعني ما يكذبون فيه لسحرهم
لان اصل الافك قلب الشي عن غير وجهه ومنه قيل للكذاب افاك لانه يقلب الكلام عن وجهه الصحيح الى الباطل
قال المفسرون فاوحى الله الى موسى عليه الصلاة والسلام ان لا تخف والق عصاك فالقاها فصارت حية
عظيمة قد سدت الافق قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية فيقال بلغ ذنب الحية من ورا البحر ثم فتحت
فاها ثمانين ذراعا فاذا هي تلقف يعني تبتلع كل شي افكوه من السحر فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم واحدا واحدا
حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك الجمع ففزعوا ووقع الزحام عليهم فمات منهم في ذلك الزحام
خمسة وعشرون الفا ثم اخذها موسى فصارت في يده عصا كما كانت اول مرة فلما راوا السحرة ذلك عرفوا انه من

Copyright © King Saud University

امر السماء وليس بسحر وعرفوا ان ذلك ليس من قدرة البشر وقوتهم فعند ذلك خروا سجدا وقالوا امنا برب العالمين وذلك
قوله تعالى فوقع الحق يعني فظهر الحق الذي جاء به موسى وبطل ما كانوا يعملون يعني من السحر وذلك ان السحرة قالوا لو كان
ما صنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فلما فقدت وتلاشت في عصى موسى علموا ان ذلك امر من الله وقدرته فغلبوا
هنالك يعني فعند ذلك غلب فرعون وسحرته وجموعه وانقلبوا صاغرين يعني ورجعوا ذليلين مقهورين والقي السحرة
ساجدين يعني ان السحرة لما عاينوا عظيم قدرة الله وليس في قدرتهم مقابلته بسحر خروا لله ساجدين وذلك ان الله عز وجل
الهمهم معرفته والايمان به قالوا امنا برب العالمين قال فرعون اياي تعنون قالوا بل رب موسى وهارون قال مقاتل قال
موسى لكبير السحرة تؤمن بي اذا غلبتك فقال لاتين بسحر لا يغلبه سحر ولئن غلبتني لاومنن بك وقيل ان الحبال والعصي
التي كانت مع السحرة كانت حمل ثلثمائة بعير فلما ابتلعتها عصى موسى كلها قال بعضهم لبعض هذا امر خارج عن حد
السحر وما هو الا امر السماء فامنوا وصعقوا فان قلت كان يجب ان ياتوا بالايمان قبل السجود فما فائدة
تقديم السجود على الايمان قلت لما قذف الله عز وجل في قلوبهم الايمان والمعرفة خروا سجدا لله تعالى
شكرا على ما هداهم الله اليه والهمهم بعض الايمان بالله وتصديق رسوله ثم اظهروا بعد ذلك ايمانهم وقيل لما راوا من عظيم قدرة
الله وسلطانه في امر العصى وانه ليس يقدر على ذلك احد من البشر وزالت كل شبهة كانت في قلوبهم بادروا الى السجود لله تعظيما
لشانه لما راوا من عظيم قدرته ثم انهم اظهروا الايمان قال ابن عباس لما علموا ان ذلك من امر السماء وليس بسحر خروا سجدا لله
وقالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون قوله عز وجل قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم يعني قال فرعون للسحرة امنتم
بموسى وصدقتموه قبل ان امركم واذن لكم فيه ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة يعني ان هذا الصنع الذي صنعتموه
انتم وموسى في المدينة قبل خروجكم الى هذا الموضع وذلك ان فرعون لما راى موسى يحدث كبير السحرة فظن فرعون
ان موسى وكبير السحرة قد تواطئوا عليه وعلى اهل مصر وهو قوله لتخرجوا منها اهلها وتستولوا عليها انتم فسوف
تعلمون فيه وعيد وتهديد يعني فسوف تعلمون ما افعل بكم ثم فسر ذلك الوعيد فقال تعالى لاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف وهو ان يقطع احدى اليدين واحدى الرجلين فيخالف بينهما في القطع ثم لاصلبنكم اجمعين
يعني على شاطئ نيل مصر قال ابن عباس اول من صلب واول من قطع الايدي فرعون قالوا يعني مجيبين لفرعون
حين وعدهم بالقتل انا الى ربنا منقلبون يعني انا الى ربنا راجعون فانا اليه صائرون في الاخرة وما تنقم منا يعني
وما تكره منا وما تطعن علينا وقال عطاء معناه وما لنا عندك من ذنب تعذبنا عليه الا ان امنا بايات ربنا
لما جاءتنا ثم فزعوا الى الله وسالوه الصبر على تعذيب فرعون اياهم فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا اي اصبب
علينا صبرا كاملا تاما ولهذا اتى بلفظ التنكير يعني صبرا واي صبر عظيم وتوفنا مسلمين يعني واقبضنا على
دين الاسلام وهو دين خليلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس كانوا في اول النهار سحرة وفي اخر النهار
شهداء قال الكلبي ان فرعون قطع ايديهم وارجلهم وصلبهم وقال غيره انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى لا يصلون
اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون قوله تعالى وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا
في الارض يعني ارض مصر واراد بالافساد فيها انهم يامرونهم بمخالفة فرعون وهو قوله ويذرك والهتك يعني ويتركك
ويترك الهتك فلا يعبدك ولا يعبدها قال ابن عباس كانت لفرعون بقرة يعبدها وكان اذا راى بقرة
حسنة امرهم بعبادتها ولذلك اخرج لهم السامري عجلا وقال السدي كان فرعون قد اتخذ لقومه اصناما
وكان يامرهم بعبادتها وقال لهم انا ربكم ورب هذه الاصنام وذلك قوله انا ربكم الاعلى وقال الحسن يقال
ان فرعون كان دهريا منكرا لوجود الصانع فكان يقول مدبر هذا العالم السفلي هو الكواكب فاتخذ اصناما على
صورة الكواكب وكان يعبدها ويامر بعبادتها وكان يقول في نفسه انه هو المطاع والمخدوم في الارض فلهذا

قال

قال انا ربكم الاعلى وقرا ابن مسعود وابن عباس والضحاك ويذرك والهتك بكسر الالف ومعناه ويذرك وعبادتك
لان فرعون كان يعبد ولا يعبد وقيل اراد بالالهة الشمس والكواكب لانه كان يعبدها قال الشاعر
۞ تروحنا من اللعباء قصرا ۞ فاعجلنا الالهة ان تؤوبا ۞ اراد بالالهة الشمس قال يعني فرعون مجيبا لقومه
حين قالوا له اتذر موسى وقومه قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم يعني نتركهن احياء وذلك ان قوم فرعون لما
ارادوا حمل فرعون ان يفعل بموسى عليه السلام شيئا لما ارادوا به لقوة موسى بما معه من المعجزة عدل الى قومه فقال
سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وقال ابن عباس كان ترك القتل في بني اسرائيل بعد ما ولد موسى فلما جاءهم موسى
بالرسالة وكان من امره ما كان قال فرعون اعيدوا عليهم القتل فاعادوا القتل على بني اسرائيل والمعنى ان فرعون
قال انما يتقوى موسى بقومه فنحن نسعى في تقليل عدد قومه بالقتل لتقل شوكته ثم بين فرعون انه قادر على ذلك
بقوله وانا فوقهم قاهرون يعني بالغلبة والقدرة عليهم ولما نزل ببني اسرائيل ما نزل شكوا الى موسى ما نزل بهم قال موسى
لقومه يعني لما شكوا اليه استعينوا بالله واصبروا يعني استعينوا بالله على فرعون وقومه فيما نزل بكم من البلاء فان الله هو
الكافي لكم واصبروا على ما نالكم من المكاره في انفسكم وابنائكم ان الارض يعني ارض مصر وان كانت الارض كلها لله تعالى يورثها
من يشاء من عباده وهذا اطماع من موسى لبني اسرائيل ان يهلك فرعون وقومه ويملك بني اسرائيل ارضهم وبلادهم بعد
اهلاكهم وهو قوله تعالى والعاقبة للمتقين يعني ان النصر والظفر للمتقين على عدوهم وقيل اراد الجنة يعني ان عاقبة المتقين
الصائرين الجنة قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا قال ابن عباس لما امنت السحرة تبع موسى ستمائة الف
من بني اسرائيل والمعنى ان بني اسرائيل لما سمعوا ما قال فرعون ووعدهم من القتل مرة ثانية قالوا لموسى قد اوذينا
من قبل ان تاتينا يعني بالرسالة وذلك ان بني اسرائيل كانوا مستضعفين في يد فرعون وقومه وكان يستعملهم
في الاعمال الشاقة نصف النهار فلما جاء موسى بالرسالة وجرى عليه ما جرى شدد فرعون في استعمالهم فكان
يستعملهم جميع النهار واعاد القتل عليهم فقالوا اوذينا من بعد ما جئتنا يعني بالرسالة والجواب عن هذا الايهام
بان موسى عليه السلام كان قد وعدهم بزوال ما كانوا فيه من الشدة والمشقة فظنوا ان ذلك يكون على الفور
فلما راوا انه قد زادت المشقة عليهم قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا فمتى يكون ما وعدتنا
به من زوال ما نحن فيه فقال موسى مجيبا لهم عسى ربكم ان يهلك عدوكم يعني فرعون وقومه ويستخلفكم في الارض
يعني ويجعلكم تخلفونهم في ارضهم بعد هلاكهم فينظر كيف تعملون يعني فيرى ربكم كيف تعملون من بعدهم قال الزجاج
فيرى ذلك منهم لان الله تعالى لا يجازيهم بما يعلمه منهم وانما يجازيهم على ما يقع منهم من العمل قوله عز وجل ولقد
اخذنا ال فرعون بالسنين يعني بالجدب والقحط تقول العرب مستهم السنة يعني اخذهم الجدب في السنة ويقال استنوا
كما يقال اجدبوا قال الشاعر ۞ ورجال مكة مسنتون عجاف ۞ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها
عليهم سنين كسنين يوسف ومعنى الاية ولقد اخذنا ال فرعون بالجدب والقحط والجوع سنة بعد سنة ونقص
من الثمرات يعني وباتلاف الغلات بالافات قال قتادة اما السنون فلاهل البوادي واما نقص الثمرات فلاهل الامصار
لعلهم يذكرون يعني لعلهم يتعظون فيرجعوا عما هم عليه من الكفر والمعاصي لان الشدة ترقق القلوب وترغب
فيما عند الله عز وجل من الخير ثم بين الله تعالى انهم عند نزول تلك المحن عليهم والشدة لم يزدادوا الا تمردا وكفرا فقال
تعالى فاذا جاءتهم الحسنة يعني الغيث والخصب والسعة والعافية والسلامة من الافات قالوا لنا هذه اي نحن مستحقون
لها ونحن اهلها على العادة التي جرت لنا في سعة الارزاق وصحة الابدان ولم يروا ان ذلك من فضل الله عليهم
فيشكروه على انعامه وان تصبهم سيئة يعني القحط والجدب والمرض والبلاء وما يكرهون في انفسهم يطيروا يعني
يتشاءموا واصله يتطيروا والتطير التشاؤم في قول جميع المفسرين بموسى ومن معه يعني قالوا ما اصابنا بلاء الا حين رايناهم

النصر

٢

ومعنى ذلك لا بشوم موسى وقومه قال سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر وكان ملك فرعون اربعمائة سنة وعاش ستمائة
سنة وعشرين سنة لم ير مكروها قط ولو كان حصل له في تلك المدة جوع يوم او حمى ليلة او وجع ساعة لما ادعى
الربوبية الا انما طائرهم عند الله يعني ان ما يصيبهم من الخير والخصب والخير والشر كله من الله قال ابن عباس طائرهم ما قضى
لهم وقدر عليهم من عند الله وفي رواية عنه شومهم عند الله ومعناه انما جاءهم بكفرهم بالله وقيل الشوم العظيم
هو الذي لهم عند الله من عذاب النار ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني ان ما اصابهم من الله تعالى وانما قال اكثرهم لا يعلمون
لان اكثر الخلق يضيفون الحوادث الى الاسباب ولم يضيفوها الى القضاء والقدر قوله تعالى وقالوا يعني قوم
فرعون وهم القبط لموسى عليه السلام مهما تاتنا به من آية يعني من عند ربك فهي عندنا سحر وهو قولهم لتسحرنا
بها يعني لتصرفنا عما نحن عليه من الدين فما نحن لك بمؤمنين يعني بمصدقين وكان موسى عليه السلام رجلا
حديدا مستجاب الدعوة فدعا عليهم فاستجاب الله دعاءه فقال الله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان قال ابن عباس
وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحاق دخل كلام بعضهم في بعض فلما امنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا
ابى هو وقومه الا الاقامة والتمادي في الكفر فتابع الله عليهم الآيات فاخذهم الله بالسنين
ومن القحط ونقص الثمرات فلما عاينوا قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يؤمنوا ودعا عليهم موسى وقال يا رب
ان عبدك فرعون علا في الارض وبغى وعتا وان قومه قد نقضوا العهد رب فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة
ولقومي عظة ولمن بعدهم آية وعبرة فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء فارسل عليهم المطر من السماء وبيوت
بني اسرائيل وبيوت القبط مختلطة مشتبكة فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم ومن جلس
منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء في بيوت بني اسرائيل شيء وركد الماء على ارضهم فلم يقدروا على ان يحرثوا ولا يعملوا شيئا
ودام ذلك الماء عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت وقال مجاهد وعطاء الطوفان الموت وقال وهب الطوفان
الطاعون بلغة اهل اليمن وقال ابو قلابة الطوفان الجدري وهم اول من عذبوا به ثم بقي في الارض وقال
مقاتل الطوفان الماء طاف فوق حروثهم فلما رأوا ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المطر فنحن نؤمن
بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى عليه السلام ربه فرفع عنهم الطوفان وانبت لهم تلك السنة شيئا لم ينبته
قبل ذلك من الكلأ والزرع والثمر واخصبت بلادهم فقالوا ما كان هذا الماء الا نعمة علينا فلم يؤمنوا واقاموا شهرا في
عافية فبعث الله عليهم الجراد فاكل عامة زرعهم وثمارهم وورق الشجر حتى اكل الابواب وسقوف البيوت والخشب
والثياب والامتعة حتى اكل مسامير الحديد التي في الابواب وغيرها وابتلي الجراد بالجوع فكان لا يشبع وامتلأت
دور القبط ولم يصب بني اسرائيل من ذلك شيء فعجبوا وضجوا وقالوا يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا هذا الرجز
لنؤمنن لك واعطوه عهد الله وميثاقه بذلك فدعا موسى ربه عز وجل فكشف الله عنهم الجراد بعدما اقام
عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت وفي الخبر مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الاعظم ويقال ان موسى
خرج الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد من حيث جاء وكان قد بقي من زروعهم وثمارهم بقية
فقالوا قد بقي لنا ما هو كافينا فما نحن بتاركي ديننا فلم يؤمنوا ولم يفوا بما عاهدوا عليه وعادوا الى اعمالهم الخبيثة
فاقاموا شهرا في عافية ثم بعث الله عز وجل عليهم القمل واختلفوا فيه فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان
القمل هو السوس الذي يخرج من الحنطة وقال مجاهد وقتادة والسدي والكلبي القمل الدبا وهو صغار الجراد
وقال عطاء الخراساني هو القمل نفسه وكان الحسن يقرأ بفتح القاف وسكون الميم قال اصحاب الاخبار امر الله
عز وجل موسى عليه السلام ان يمشي الى كثيب رمل اعفر بقرية من قرى مصر تسمى عين الشمس فمشى موسى عليه
السلام الى ذلك الكثيب فضربه بعصاه فانثال عليهم القمل فتتبع ما بقي من حروثهم وزروعهم وثمارهم

فاكلها

فاكلها ولحس الارض كلها وكان يدخل بين ثوب احدهم وجلده فيعضه فاذا اكل احدهم طعاما امتلأ قملا قال سعيد
ابن المسيب القمل الذي يخرج من الحبوب وكان الرجل منهم يخرج بعشرة اجربة الى الرحى فلا يرد منها الا ثلاثة اقفزة
فلم يبتلوا ببلاء كان اشد عليهم من القمل واخذت اشعارهم وابشارهم وحواجبهم واشفار عيونهم ولزم جلودهم كانه
الجدري عليهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا الى موسى انا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا هذا البلاء فدعا موسى ربه فرفع
عنهم القمل بعدما اقام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت فنكثوا بعد ذلك ورجعوا الى اخبث ما كانوا عليه من
الاعمال الخبيثة وقالوا ما كنا قط احق ان نستيقن انه ساحر منا اليوم يجعل الرمل دوابا فدعا موسى عليهم بعدما اقاموا
شهرا في عافية فارسل الله عليهم الضفادع فامتلأت منه بيوتهم وافنيتهم واطعمتهم وآنيتهم فلا يكشف احد
اناء ولا طعاما الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل منهم يجلس في الضفادع فتبلغ الى حلقه فاذا اراد ان يتكلم يثب الضفدع
فيدخل فيه وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم طعامهم وتطفئ نيرانهم وكان احدهم اذا اضطجع ركبته الضفادع
حتى تكون عليه ركاما فلا يستطيع ان ينقلب الى شقه الاخر واذا اراد ان ياكل سبقته الضفدع الى فيه ولا يعجن احدهم
عجينا الا امتلأ ضفادع من ذلك بلاء شديدا وروى عكرمة عن ابن عباس قال كانت الضفادع برية فلما
ارسلها الله عز وجل على آل فرعون سمعت واطاعت وجعلت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي وفي
التنانير وهي تفور فاثابها الله عز وجل بحسن طاعتها برد الماء فلما راوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى
ما يلقون من الضفادع وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فاخذ موسى عليهم العهود والمواثيق ثم دعا الله عز
وجل فكشف عنهم الضفادع بعدما اقامت سبعا من السبت الى السبت فاقاموا شهرا في عافية ثم
نقضوا العهد وعادوا الى كفرهم فدعا عليهم موسى فارسل الله عز وجل عليهم الدم فسال النيل عليهم دما عبيطا
فشكوا ذلك الى فرعون وقالوا ليس لنا شراب الا الدم فقال سحركم فقالوا من اين سحرنا ونحن لا نجد في اوعيتنا شيئا من الماء
الا دما عبيطا فكان فرعون يجمع بين القبطي والاسرائيلي في اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويقوما
الى الجرة فيها الماء فيخرج للقبطي دما وللاسرائيلي ماء حتى ان المرأة من آل فرعون تاتي الى المرأة من بني اسرائيل حين جهدهم العطش
فتقول لها اسقيني من مائك فتصب لها من قربتها فيصير في الاناء دما حتى كانت تقول اجعليه في فيك ثم مجيه في فمي
فتفعل ذلك فيصير دما ثم ان فرعون اعتراه العطش حتى انه ليضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغت يصير ماؤها
ملحا اجاجا فمكثوا على ذلك سبعة ايام لا يشربون الا الدم وقال زيد بن اسلم ان الدم الذي سلطه الله عز وجل عليهم
كان الرعاف فاتوا موسى وشكوا اليه ما يلقون وقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنحن نؤمن بك ونرسل معك
بني اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف ذلك عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم آيات مفصلات يعني يتبع بعضها بعضا وتفصيلها ان كل عذاب كان يقوم عليهم اسبوعا
وبين كل عذابين مدة شهر فاستكبروا يعني عن الايمان فلم يؤمنوا وكانوا قوما مجرمين يعني آل فرعون قوله تعالى
ولما وقع عليهم الرجز يعني ولما نزل بهم العذاب الذي ذكره في الآية المتقدمة من الطوفان وما بعده وقال
سعيد بن جبير الرجز الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس التي تقدمت فنزل بهم الطاعون حتى مات
منهم في اليوم الواحد سبعون الفا فامسوا وهم لا يتدافنون ق عن اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الطاعون رجز ارسل على طائفة من بني اسرائيل وعلى من كان قبلكم فاذا سمعتم به في ارض فلا تقدموا عليه واذا وقع
بارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وقوله تعالى قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك يعني بما اوصاك وقيل
بما عهد عندك من اجابة دعوتك لئن كشفت عنا الرجز يعني العذاب الذي وقع بنا لنؤمنن لك ولنرسلن معك
بني اسرائيل يعني لنصدقن بما جئت به ولنخلين بني اسرائيل حتى يذهبوا حيث شاؤوا فلما كشفنا عنهم الرجز يعني بدعوة

موسى الى اجل هم بالغوه يعني الى الوقت الذي اجل لهم وهو وقت اهلاكهم بالغرق في اليم اذا هم ينكثون يعني اذا هم ينقضون العهد الذي التزموه فلم يفوا به واعلم ان ما ذكر الله في هذه الايات هي معجزات في الحقيقة دالة على صدق موسى عليه السلام ووجه ذلك ان العذاب كان مختصا بال فرعون دون بني اسرائيل فاختصاصه بالقبطي دون الاسرائيلي معجز وكون بني اسرائيل في امان منه وعافية وقوم فرعون في شدة وعذاب وبلاء مع اتحاد المساكن معجز ايضا فان اعترض معترض وقال ان الله تعالى علم من ال فرعون انهم لا يؤمنون بتلك المعجزة فما الفائدة في توالها عليهم واظهار الكثير منها فالجواب على مذهب اهل السنة ان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل واما على قول المعتزلة في رعاية المصلحة فلعله تعالى علم من قوم فرعون ان بعضهم كان يؤمن بتوالي تلك المعجزات وظهورها فلهذا السبب والاها عليهم والله اعلم بمراده قوله عز وجل فانتقمنا منهم يعني كافيناهم عقوبة لهم على سوء صنيعهم واصل الانتقام في اللغة سلب النعمة بالعذاب فاغرقناهم في اليم والمعنى انه تعالى لما كشف عنهم العذاب مرات فلم يؤمنوا ولم يرجعوا عن كفرهم فلما بلغوا الاجل الذي اجل لهم انتقم منهم بان اهلكهم بالغرق فذلك قوله فاغرقناهم في اليم يعني البحر واليم الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه قال الازهري اليم معروف لغة سريانية عربتها العرب ويقع اسم اليم على البحر الملح والبحر العذب ويدل على ذلك قوله ان اقذفيه في اليم والمراد به نيل مصر وهو عذب بانهم كذبوا باياتنا يعني اهلكناهم واغرقناهم بسبب انهم كذبوا باياتنا الدالة على وحدانيتنا وصدق نبينا وكانوا عنها يعني عن اياتنا غافلين يعني معرضين وقيل كانوا عن حلول النقمة بهم غافلين ولما كان الاعراض عن الايات وعدم الالتفات اليها كالغفلة عنها سموا غافلين تجوزا لان الغفلة ليست من فعل الانسان قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون يعني ومكنا القوم الذين كانوا يقهرون ويغلبون على انفسهم وهم ال فرعون وقومه كانوا قد تسلطوا على بني اسرائيل فقتلوا ابناءهم واستخدموهم فصاروا مستضعفين تحت ايديهم مشارق الارض ومغاربها يعني ارض الشام ومصر واراد مشارقها ومغاربها جميع جهاتها ونواحيها وقيل المراد بمشارق الارض ومغاربها الارض المقدسة وهو بيت المقدس وما يليه من الشرق والغرب وقيل المراد جميع جهات الارض وقوله تعالى التي باركنا فيها يدل على انها الارض المقدسة يعني باركنا فيها بالثمار والاشجار والزروع والخصب والسعة وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل يعني وتمت كلمة الله وهي وعده اياهم بالنصر على عدوهم والتمكين في الارض من بعدهم وقيل كلمة الله هي قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الاية والحسنى صفة للكلمة وهي تانيث الاحسن واتمامها انجاز ما وعدهم به من تمكينهم في الارض واهلاك عدوهم بما صبروا يعني انما حصل لهم ذلك التمام وهو ما انعم الله به عليهم من انجاز وعده لهم بسبب صبرهم على دينهم واذى فرعون لهم ودمرنا يعني واهلكنا والدمار الهلاك باستئصال ما كان يصنع فرعون وقومه في ارض مصر من العمارات والبنيات وما كانوا يعرشون يعني يسقفون من ذلك البنيان وقال مجاهد وما كانوا يبنون من البيوت والقصور وقال الحسن وما كانوا يعرشون من الثمار والاعناب قوله عز وجل وجاوزنا ببني اسرائيل البحر يعني وقطعنا ببني اسرائيل البحر بعد اهلاك فرعون وقومه واغراقهم فيه يقال جاز الوادي وجاوزه اذا قطعه وخلفه وراء ظهره وقال الكلبي عبر موسى البحر يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصامه شكرا لله عز وجل فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم يعني فمر بنو اسرائيل بعد مجاوزة البحر على قوم يعكفون اي يقيمون ويواظبون على اصنام لهم يعني تماثيل كانوا يعبدونها من دون الله قال ابن جريج كانت تلك الاصنام تماثيل بقر وذلك اول شان العجل قال قتادة كان اولئك القوم من لخم وكانوا نزولا بالرقة ساحل البحر وقيل كان اولئك الاقوام من الكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم قالوا يعني قال بنو اسرائيل لموسى لما راوا ذلك

التمثال يا موسى اجعل لنا الها يعني تمثالا نعبده ونعظمه قال البغوي ولم يكن ذلك شكا من بني اسرائيل في وحدانية الله تعالى وانما معناه اجعل لنا شيئا نعظمه ونتقرب بتعظيمه الى الله تعالى وظنوا ان ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم وقال غيره هذا يدل على غاية جهل بني اسرائيل وذلك انهم توهموا انه يجوز عبادة غير الله بعدما راوا الايات الدالة على وحدانيته تعالى وكمال قدرته وهي الايات التي توالت على قوم فرعون حتى غرقهم الله في البحر بكفرهم وعبادتهم غير الله فحملهم جهلهم على ان قالوا لنبيهم موسى عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم الهة فرد موسى عليه السلام بقوله كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون يعني تجهلون عظمة الله وانه لا ينبغي ان يعبد سواه لانه هو الذي انجاكم من فرعون وقومه فاغرقهم في البحر وانجاكم منه عن ابي واقد الليثي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى غزوة حنين مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها اسلحتهم يقال لها ذات انواط فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم اخرجه الترمذي وقوله تعالى ان هؤلاء متبر ما هم فيه اي مهلك والتتبير الاهلاك وباطل ما كانوا يعملون البطلان عبارة عن عدم الشيء اما بعدم ذاته او بعدم فائدته ونفعه والمراد من بطلان عملهم انه لا يعود عليهم من ذلك العمل نفع ولا يدفع عنهم ضر لانه عمل لغير الله فكان باطلا لا نفع فيه قال اغير الله ابغيكم الها قال بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا الها كما لهم الهة حكم عليهم بالجهالة وقال مجيبا لهم على سبيل التعجب والانكار عليهم اغير الله ابغيكم الها يعني اطلب لكم وابغي لكم الها وهو فضلكم على العالمين والمعنى ان الاله ليس هو شيئا يطلب ويلتمس ويتخير بل الاله هو الذي فضلكم على العالمين لانه القادر على الانعام والافضال فهذا هو الذي يستحق ان يعبد ويطاع لا عبادة غيره ومعنى قوله فضلكم على العالمين يعني على عالمي زمانكم وقيل فضلكم بما خصكم به من الايات الباهرة التي لم تحصل لغيرهم وان كان غيرهم افضل منهم قوله عز وجل واذ انجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم هذه الاية تقدم تفسيرها في سورة البقرة والفائدة في ذكرها في هذا الموضع انه تعالى هو الذي انعم عليهم بهذه النعم العظيمة فكيف يليق بكم الاشتغال بعبادة غيره حتى تقولوا اجعل لنا الها كما لهم الهة قوله عز وجل وواعدنا موسى ثلاثين ليلة يعني وواعدنا لموسى لمناجاتنا ثلاثين ليلة وهي ذو القعدة واتممناها بعشر يعني عشر ذي الحجة وهذا قول ابن عباس ومجاهد قال المفسرون ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل اذا اهلك الله عدوهم فرعون ان ياتيهم بكتاب من عند الله عز وجل فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما هلك فرعون سال موسى ربه عز وجل ان ينزل عليه الكتاب الذي وعد به بني اسرائيل فامره ان يصوم ثلاثين يوما فصامها فلما تمت انكر خلوف فمه فتسوك بعود خرنوب وقيل بل اكل من ورق الشجر فقالت له الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان يصوم عشر ذي الحجة وقال اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك فكانت فتنة بني اسرائيل في تلك العشر التي زادها الله لموسى وقيل ان الله تعالى امر موسى عليه السلام ان يصوم ثلاثين يوما ويعمل فيها ما يتقرب به الى الله تعالى ثم كلمه واعطاه الالواح في العشر الذي زاده فلهذا قال واتممناها بعشر وهذا التفصيل الذي ذكره هنا هو تفصيل ما اجمله في سورة البقرة وهو قوله تعالى واذ واعدنا موسى اربعين ليلة فذكر هناك على الاجمال وذكره هنا على التفصيل وقوله تعالى فتم ميقات ربه اربعين ليلة يعني فتم الوقت الذي قدره الله لصوم موسى وعبادته اربعين ليلة لان الميقات هو الوقت الذي قدر ان يعمل فيه عمل من الاعمال ولهذا قيل مواقيت الحج وقال موسى لاخيه هارون اخلفني في قومي يعني كن انت خليفتي فيهم من بعدي حتى ارجع اليك واصلح يعني واصلح امور بني اسرائيل واحملهم على عبادة الله تعالى وقال ابن عباس يريد الرفق بهم والاحسان اليهم ولا تتبع سبيل المفسدين

Copyright @ King Saud University

يعني ولا تسلك طريق المفسدين في الارض ولا تطعهم والمقصود من هذا الامر التاكيد لان هارون عليه السلام لم يكن ممن
يتبع سبيل المفسدين فهو كقوله ولكن ليطمئن قلبي وكقولك للقاعد يعني دم على ما انت عليه من القعود قوله
تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا يعني للوقت الذي وقتناه ان ياتي فيه لميقاتنا وهو قوله وكلمه ربه وفي الاية دليل (خ لمناجاتنا)
على ان الله عز وجل كلم موسى عليه السلام واختلف الناس في كلام الله تعالى فقال الزمخشري كلمه ربه
من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في الالواح
هذا كلامه وهذا مذهب المعتزلة ولا تمسك في بطلانه وفساده لان الشجرة وذلك الجرم لا يقول انني
انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري فثبت بذلك بطلان ما قالوه وذهب الحنابلة ومن
وافقهم الى ان كلام الله حروف واصوات منقطعة وانه قديم وذهب جمهور المتكلمين الى ان كلام الله تعالى
صفة متغايرة لهذه الحروف والاصوات وتلك الصفة قديمة ازلية والقايلون بهذا القول قالوا ان
موسى عليه السلام سمع تلك الصفة الازلية الحقيقية قالوا انه لا يبعد رؤية ذاته وليست جسما ولا
عرضا كذلك لا يبعد سماع كلامه مع ان كلامه ليس بصوت ولا حرف ومذهب اهل السنة وجمهور العلماء من
السلف والخلف ان الله تعالى متكلم بكلام قديم وسكتوا عن الخوض في تاويله وحقيقته وقال اهل التفسير والاخبار
لما جاء موسى عليه السلام لميقات ربه تطهر وطهر ثيابه وصام ثم اتى طور سيناء وفي القصة ان الله تعالى انزل ظلمة تغشت
الجبل على اربع فراسخ من كل ناحية وطرد عنه الشيطان وهوام الارض ونحى عنه الملكين وكشط له السما فراى
الملايكة قياما في الهوى وراى العرش بارزا وادناه ربه حتى سمع صريف الاقلام على الالواح وكلمه الله تعالى وناجاه
واسمعه كلامه وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمع من كلام الله تعالى به موسى فاستحلى كلام ربه عز وجل
واشتاق الى رويته فقال رب ارني انظر اليك قال الزجاج فيه اختصار تقديره ارني نفسك انظر اليك وقال ابن عباس
معناه اعطني انظر اليك وانما سال موسى عليه السلام الرويا مع علمه بان الله تعالى لا يرى في الدنيا لما هاج به الشوق
وفاض عليه من انوار الجلال واستغرق في بحر المحبة فعند ذلك سال الروية وقيل انما سال الروية ظنا منه
بانه تعالى يرى في الدنيا فقال الله تعالى له لن تراني يعني انه ليس لبشر ان يراني في الدنيا ولا يطيق النظر
في الدنيا ومن نظر الي في الدنيا مات فقال موسى يا رب الهي سمعت كلامك فاشتقت الى النظر اليك ولين
انظر اليك ثم اموت احب الي من ان اعيش ولا اراك وقال السدي لما كلم الله موسى عليه السلام غاص عدو
الله ابليس في الارض حتى خرج من بين قدمي موسى فوسوس اليه ان مكلمك شيطان فعند ذلك سال موسى الروية
فقال رب ارني انظر اليك قال يعني قال الله تبارك وتعالى لموسى لن تراني

فصل

وقد تمسك من
نفى الروية من اهل البدع الخوارج والمعتزلة وبعض المرجية بظاهر هذه الاية وهو قوله تعالى لن تراني وقالوا
ولن تكون للتاكيد والدوام ولا حجة لهم في ذلك ولا دليل ولا يشهد لهم في ذلك كتاب ولا سنة وما قالوا
في ان لن للتابيد خطا بين ودعوى اهل اللغة انه ليس يشهد لما قالوه نص عن اهل اللغة والعربية ولم
ينقل عن احد ويدل على صحة ذلك قوله تعالى في صفة اليهود ولن يتمنوه ابدا مع انهم يتمنون الموت يوم القيمة
يدل عليه قوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وقوله يا ليتها كانت القاضية فان قالوا ان لن معناها
تاكيد النفي كلا النفي في المستقبل قلنا ان صح هذا التاويل يكون معنى لن تراني محمولا على الدنيا اعمالا بين تراني في
الدنيا جمعا بين دلايل الكتاب والسنة فانه قد ثبت في الحديث الصحيح ان المومنين يرون ربهم عز وجل يوم القيمة
في الدار الاخرة وايضا فان موسى عليه السلام كان عارفا بالله وبما يجب ويجوز ويمتنع على الله عز وجل وفي الاية دليل
على انه سال الروية ولو كانت الروية ممتنعة عن الله لما سالها موسى وحيث سالها علمنا ان الروية جايزة على الله عز

وجل

وجل وايضا فان الله تعالى علق رويته على استقرار الجبل وهو قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه
فسوف تراني امر جايز الوجود في نفسه واذا كان كذلك ثبت ان رويته جايزة الوجود لان استقرار الجبل غير مستحيل
عند التجلي اذ جعل الله تعالى له قوة على ذلك والمعلق بما لا يستحيل لا يكون محالا والله اعلم بمراده قال وهب ومحمد
ابن اسحاق لما سال موسى عليه السلام ربه عز وجل الروية ارسل الله الرياح والصواعق والرعد والبرق والظلمة
حتى احاطت بالجبل الذي عليه موسى عليه السلام اربع فراسخ من كل جانب وامر الله السموات ان يتعرضوا
على موسى عليه السلام فمرت به ملايكة سما الدنيا كثيران البقر تنبع افواههم بالتسبيح والتقديس باصوات عظيمة
كصوت الرعد الشديد فقال موسى رب اني كنت عن هذا غنيا ثم امر الله تعالى ملايكة السما الثانية ان اهبطوا
على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه مثل الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع العبد الضعيف موسى
ابن عمران مما راى وسمع واقشعرت كل شعرة في راسه وبدنه ثم قال لقد ندمت على مسالتي فهل ينجيني من
مكاني الذي انا فيه فقالت الملايكة ورئيسهم يا موسى اصبر لما سالت فقليل من كثير ما رايت ثم امر الله ملايكة
السما الثالثة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه امثال النسور لهم قصف ورجف ولجب شديد
وافواههم تنبع بالتسبيح والتقديس لهم كلجب الجيش العظيم الوانهم كلهب النار ففزع موسى واشتد فزعه وايس
من الحياة فقال له خير الملايكة ورئيسهم مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا صبر لك عليه ثم امر ملايكة السما
الرابعة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا على موسى عليه فهبطوا عليه لا يشبههم شي من الذين مروا قبلهم الوانهم
كلهب النار وساير خلقهم كالثلج الابيض اصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم شي من الذين مروا
قبلهم فاصطكت ركبتاه وارعد قلبه واشتد بكاوه فقال خير الملايكة ورئيسهم يا ابن عمران اصبر لما سالت
فقليل من كثير ما رايت ثم امر الله تعالى ملايكة السما الخامسة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا
عليه سبعة الوان فلم يستطع موسى ان يتبعهم بصره ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل اصواتهم فامتلا جوفه خوفا
واشتد حزنه واشتد بكاوه فقال خير الملايكة ورئيسهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه ثم
امر الله تعالى ملايكة السما السادسة ان اهبطوا على موسى فهبطوا عليه وفي يد كل واحد منهم مثل النخلة العظيمة
نارا اشد ضوا من الشمس ولباسهم كلهب النار اذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من الملايكة كلهم يقولون
بشدة اصواتهم سبوح قدوس رب العزة ابدا لا يموت في راس كل ملك منهم اربعة اوجه فلما راهم موسى رفع صوته
يسبح معهم وهو يبكي ويقول يا رب اذكرني ولا تنس عبدك فلا ادري انقلب مما انا فيه ام لا ان خرجت احترقت
وان قمت مت فقال له كبير الملايكة ورئيسهم قد اوشكت يا ابن عمران ان يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر
للذي سالت ثم امر الله ان يحمل عرشه في ملايكة السما السابعة فلما بدا نور العرش انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه
وتعالى ورفعت الملايكة اصواتهم جميعا سبحان الملك القدوس رب العزة ابدا لا يموت فارتج الجبل لشدة
اصواتهم واندك كل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى صعقا على وجهه ليس معه روحه فارسل الله تعالى
برحمته الروح فغشيته وقلب عليه الحجر الذي كان يجلس عليه موسى فصار عليه كهيئة القبة لئلا
يحترق موسى فاقامت الروح مثل اللامة فلما افاق موسى قام يسبح ويقول امنت بك ربي وصدقت انه
لا يراك احد فيحيى من نظر الى ملايكتك انخلع قلبه فما اعظمك وما اعظم ملايكتك انت رب الارباب
وملك الملوك واله الالهة العظيم لا يعدلك شي ولا يقوم لك شي تبت اليك الحمد لك لا شريك لك ما اعظمك وما
اجلك يا رب العالمين فذلك قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال ابن عباس ظهر نور ربه للجبل جعله (خ فصار)
ترابا واسم الجبل زبير وقال الضحاك اظهر الله من نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ما تجلى

Copyright © King Saud University

الجبل من عظمة الله تعالى الا مثل سم الخياط حتى صار دكا وقال السدى ما تجلى الا مثل قدر الخنصر يدل عليه ما روى عن
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية وقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل ذكره
البغوي هكذا بغير سند واخرجه الترمذي ايضا عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية فلما تجلى ربه للجبل جعله
دكا قال حماد هكذا وامسك سليمان بطرف ابهامه على انملة اصبعه اليمنى فساخ الجبل وخر موسى صعقا قال الترمذي
حديث حسن صحيح لا نعرفه الا من حديث حماد بن سلمة ويروى عن سهل بن سعد الساعدي ان الله اظهر من سبعين الف
حجاب نورا قدر الدرهم فجعل الجبل دكا يعني مستويا بالارض وقال ابن عباس جعله ترابا وقال سفيان ساخ الجبل حتى وقع
في البحر فهو يذهب فيه وقال عطية العوفي صار رملا هايلا وقال الكلبي جعله دكا يعني كسرا جبالا صغارا وقيل انه صار
لعظمته تعالى ستة اجبل فوقع ثلاثة بالمدينة وهي احد وورقان ورضوى ووقع ثلاثة بمكة وهي ثور وثبير
وحرى وقوله تعالى وخر موسى صعقا قال ابن عباس والحسن يعني مغشيا عليه وقال قتادة يعني ميتا والاول اصح
لقوله تعالى فلما افاق والميت لا افاقة له انما يقال افاق من غشيته قال الكلبي صعق موسى يوم الخميس وهو يوم
عرفة واعطي التوراة يوم الجمعة يوم النحر وقال الواقدي لما خر موسى صعقا قالت ملائكة السموات ما لابن عمران وسؤال
الروية وفي بعض الكتب ان ملائكة السموات اتوا موسى وهو في غشيته فجعلوا يركلونه بارجلهم ويقولون يا ابن النسا
الحيض اطمعت في رؤية رب العزة فلما افاق من غشيته ورجع عقله اليه وعرف انه سال امرا عظيما لا ينبغي له
قال سبحانك يعني تنزيها لك من النقايص كلها تبت اليك يعني بعد مسالتي الروية بغير اذنك وقيل من سؤال الروية
في الدنيا وقيل لما كانت الروية مخصوصة بمحمد صلى الله عليه وسلم فمعناه قال سبحانك تبت اليك يعني من سؤال
ما ليس لي وقيل لما سال الروية ومنعها قال تبت اليك من هذا السؤال وحسنات الابرار سيئات المقربين وانا
اول المؤمنين يعني بانك لا ترى في الدنيا وقيل انا اول المومنين يعني من بني اسرائيل بقي في الابيات سؤالات الاول الرؤية
عين النظر فقال ارني انظر اليك وعلى هذا يكون المعنى انظر الى حتى اراك والجواب ان معنى قوله ارني اجعلني متمكنا من
رويتك حتى انظر اليك واراك السؤال الثاني كيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر الي حتى يكون مطابقا لقوله انظر اليك
والجواب ان النظر لما كان مقدمة الروية كان المقصود هو الروية لا النظر الذي لا روية معه السؤال الثالث
كيف اتصل الاستدراك من قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله والمراد منه تعظيم امر الروية وانه لا يقوى على روية
الله تعالى الا من قواه الله تعالى بمعونته وتاييده الا ترى انه لما ظهر اثر التجلي للجبل اندك وانعظم فهذا هو المراد
من هذا لانه كالتنبيه على تعظيم امر الروية والله اعلم بمراده قوله عز وجل قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس
برسالاتي وبكلامي يعني قال الله لموسى يا موسى اني اخترتك واصطفيتك واتخذتك صفوة لا اصطفاء الخلاص
الصفوة والاجتباء والمعنى اني فضلتك واجتبيتك على الناس وفي هذا تسلية لموسى عليه السلام عن منع الروية
حين طلبها لان الله تعالى عدد عليه نعمه التي انعم بها عليه وامره ان يشتغل بشكرها كانه قال له ان كنت منعت الروية
التي طلبت فقد اعطيتك من النعم العظيمة كذا وكذا فلا يضيقن صدرك بسبب منع الروية وانظر الى انواع
النعم التي خصصتك بها وهو الاصطفاء على الناس برسالاتي وبكلامي من غير واسطة لان غيرك من الرسل سمع كلام
الله تعالى بواسطة الملك فان قلت كيف قال اصطفيتك على الناس برسالاتي مع ان كثيرا من الانبيا
قد ساواه في الرسالة قلت ذكر العلماء في السؤال جوابين احدهما ذكره البغوي فقال لما لم تكن الرسالة على العموم
في حق الناس كافة فاستقام قوله اصطفيتك على الناس وان شاركه فيه غيره كما يقول الرجل للرجل خصصتك
بمشورتي وان كان قد شاور غيره اذا لم تكن المشورة على العموم فيكون مستقيما وفي هذا الجواب نظر لان من جملة من اصطفاه
الله برسالته محمد صلى الله عليه وسلم وهو افضل من موسى عليه السلام فلا يستقيم هذا الجواب والجواب الثاني ذكره

الامام

الامام فخر الدين الرازي فقال ان الله تعالى بين ان خصه بمجموع امرين احدهما الرسالة مع الكلام بغير واسطة
وهذا المجموع ما حصل لغيره فثبت انه انما حصل التخصيص ههنا لانه سمع ذلك الكلام بغير واسطة وانما كان الكلام
بغير واسطة سبب لمزيد الشرف بنا على العرف الظاهر لان من سمع كلام الملك المعظم من فيه كان اعظم واشرف ممن
سمعه بواسطة الحجاب وفيه نظر ايضا لان محمدا صلى الله عليه وسلم اصطفاه برسالته وكلمه ليلة المعراج بغير
واسطة وفرض عليه وعلى امته الصلوات وخاطبه بيا محمد يدل عليه قوله فاوحى الى عبده ما اوحى ورفعه الى
حيث سمع صريف الاقلام وهذا كله يدل على مزيد المفضل والشرف على موسى وغيره من الانبيا فلا يستقيم هذا الجواب ايضا
والذي يعتمد في الجواب عن هذا السؤال ان الله اصطفى موسى عليه السلام برسالته وكلامه على الناس الذين كانوا في زمانه
لم يكن في ذلك الوقت اعلى منصبا ولا اشرف ولا افضل منه وهو صاحب الشريعة وعليه نزلت التوراة فدل ذلك انه
اصطفاه على ناس زمانه كما اصطفى قومه على عالمي زمانهم وهو قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
واني فضلتكم على العالمين قال المفسرون يعني عالمي زمانهم وقوله تعالى فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين يعني
ما فضلتك وكرمتك به وكن من الشاكرين يعني على انعامي عليك وفي القصة ان موسى عليه السلام كان بعد ما كلمه
ربه لا يستطيع احد ان ينظر اليه لما غشي وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات وقالت له زوجته انا ايم
منك منذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه فاخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت ساجدة
وقالت ادع الله ان يجعلني زوجتك في الجنة قال ذلك لك ان لم تتزوجي بعدي فان المراة لاخر ازواجها قوله تعالى وكتبنا
له في الالواح قال ابن عباس يريد الواح التوراة والمعنى وكتبنا لموسى في الواح التوراة وفي الحديث كانت من سدر الجنة
طول اللوح اثنى عشر ذراعا وجاء في الحديث خلق الله ادم بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده وقال الحسن كانت الالواح
من خشب وقال الكلبي من زبرجدة خضرا وقال سعيد بن جبير من ياقوتة حمرا وقال ابن جريج من زمرد امر الله جبريل فجابها من جنة
عدن وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر النور وقال الربيع بل انس كانت الالواح من برد وقال وهب امره الله بقطع الالواح
من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده ثم شققها باصبعه وسمع موسى صرير القلم بالكلمات العشر وكان ذلك في اول يوم من ذي الحجة
وكان طول الالواح عشرة اذرع على طول موسى وقيل ان موسى خر صعقا يوم عرفة واعطاه الله تعالى التوراة يوم النحر وهذا
اقرب الى الصحيح واختلفوا في عدد الالواح فروى عن ابن عباس انها كانت سبعة الواح وروى عنه انها لوحان ولعله الراوي
وانما جمعت على عادة العرب باطلاق الجمع على الاثنين وقال وهب كانت عشرة الواح وقال مقاتل كانت تسعة وقال الربيع بن انس
نزلت التوراة وهي وقر سبعين بعيرا يقرا الجزء منها في سنة لم يقراها الا اربعة نفر موسى ويوشع بن نون وعزير وعيسى عليهم
وعلى نبينا السلام والمراد بقوله لم يقراها يعني لم يحفظها ويقراها على ظهر قلبه الا هؤلا الاربعة وقال الحسن هذه الاية في التوراة
بالف اية يعني قوله وكتبنا له في الالواح من كل شي يعني مما يحتاج اليه من امر ونهي موعظة يعني نهيا عن الجهل وحقيقة
الموعظة التذكير والتحذير مما يخاف عاقبته وتفصيلا لكل شي يعني وتبيينا لكل شي من الامر والنهي والحرام والحلال والحدود
والاحكام مما يحتاج اليه في امر الدين وروى الطبري بسنده عن وهب بن منبه قال كتب له يعني في التوراة لا تشرك بي شيئا من
اهل السما ولا من اهل الارض فان كل شي خلقي ولا تحلف باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه وروى البغوي باسناد
الثعلبي عن كعب الاحبار ان موسى عليه السلام نظر في التوراة فقال اني اجد امة خير الامم اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون
عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الاخر ويقاتلون اهل الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الدجال رب اجعلهم امتي
قال هي امة محمد يا موسى فقال اني اجد امة هم الحامدون رعاة الشمس المحكمون اذا ارادوا امرا قالوا نفعل ان شا الله
قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة ياكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار وهم المستجيبون
والمستجاب لهم فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال يا رب اني اجد امة اذا اشرف احدهم على شرف كبر واذا هبط واديا حمد الله

Copyright © King Saud University

الصعيد لهم طهورا والارض لهم مسجدا حيث كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غر محجلين
فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة اذا هم احدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت بعشر امثالها
الى سبعمائة ضعف فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب الذين اصطفيتهم
فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا احد منهم الا مرحوما فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب
اني اجد امة مصاحفهم في صدورهم يلبسون الوان ثياب اهل الجنة ويصفون في صلاتهم صفوف الملائكة اصواتهم في
مساجدهم كدوي النحل لا يدخل النار احد منهم ابدا الا من يرى الحساب مثل ما يرى الحجر من وراء الشجر فلما عجب موسى من الخير
الذي اعطاه الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وامته قال يا ليتني من اصحاب محمد فاوحى الله اليه ثلاث ايات يرضيه بهن
يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي الى قوله سأريكم دار الفاسقين ومن قوم موسى امة يهدون بالحق
وبه يعدلون قال فرضي موسى كل الرضى وقوله تعالى فخذها بقوة يعني وقلنا لموسى خذ ما كتبنا لك في الالواح من كل
شيء بجد واجتهاد وقيل معناه خذها بقوة قلب وصحة عزيمة ونية صادقة لانه من اخذ شيئا بضعف نية اداه
الى الفتور وأمر قومك يأخذوا بأحسنها قال ابن عباس يحلوا حلالها ويحرموا حرامها ويتدبروا امثالها ويعملوا بمحكمها
ويقفوا عند متشابهها وكان موسى اشد عبادة من قومه فامر بما لم يؤمروا به وقيل ظاهر قوله وأمر قومك يأخذوا
بأحسنها يدل على ان بين التكليفين فرقا ليكون في هذا الفصل فائدة وهي ان التكليف كان على موسى اشد لانه تعالى
لم يرخص له ما رخص لغيره من قومه **فان قلت** ظاهر قوله يأخذوا بأحسنها يدل على ان فيها ما ليس
بحسن وذلك لم يقل به احد فما معنى قوله يأخذوا بأحسنها **قلت** ان التكليف كله حسن وبعضه احسن
كالقصاص حسن والعفو احسن وكالانتصار حسن والصبر احسن منه فامروا ان يأخذوا بالاشد على انفسهم ليكون
ذلك اعظم في الثواب فهو كقوله اتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وكقوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
وقيل ان الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب والمباح والاحسن الاخذ بالاشد والاشق على النفس وقيل معناه
بأحسنها بحسنها وكلها حسن وقوله تعالى سأريكم دار الفاسقين وقال مجاهد يعني مصيركم في الآخرة وقال الحسن وعطاء
يريد جهنم يحذركم ان تكونوا مثلهم وقال قتادة سأدخلكم الشام فأريكم منازل القرون الماضية الذين خالفوا الله لتعتبروا
بها وقال عطية العوفي يعني دار فرعون وقومه وهي مصر وقال السدي يعني منازل الكفار وقال الكلبي هي منازل عاد
وثمود والقرون الذين هلكوا وكانوا يمرون عليهم اذا سافروا وقوله عز وجل سأصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق
قال ابن عباس يريد الذين يتجبرون على عبادي ويحاربون اوليائي سأصرفهم عن قبول اياتي والتصديق بها حتى لا يؤمنوا بي
عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم الحق وقال سفيان بن عيينة سأمنعكم فهم القرآن وقيل معناه سأصرفهم عن التفكر
في خلق السموات والارض وما فيها من الآيات والعبر وقيل حكم الآية لاهل مصر خاصة واراد بالآيات الآيات
التسع التي اعطاها الله موسى والاكثرون على ان الآية عامة وفيه دليل لمذهب اهل السنة على ان الله تعالى يهدي
من يشاء ويصرف عن اياته وقبول الحق من يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ومعنى الذين يتكبرون انهم يرون انهم افضل
الخلق وان لهم من الحق ما ليس لغيرهم والتكبر بهذه الصفة لا يكون الا لله عز وجل لانه هو الذي له القدرة والفضل
الذي ليس لاحد سواه فالتكبر في صفة الله عز وجل صفة مدح وفي صفة غيره ذم لانه يتكبر بما ليس هو له مستحقه وقيل التكبر
اظهار كبر النفس على غيرها فهو صفة ذم في حق جميع العباد وقوله يتكبرون من كبر لا من الكبر اي يتفعلون الكبر ويرون انهم
افضل من غيرهم فلذلك يتكبرون في الارض بغير الحق بل بالباطل وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد يعني
طريق الحق والهدى والسداد والصواب لا يتخذوه سبيلا يعني لا يختاروه لانفسهم طريقا يسلكونه الى الهداية
وان يروا سبيل الغي يعني طريق الضلال يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا يعني ذلك الذي اختاروه لانفسهم

من

من ترك الرشد واتباع الغي بسبب انهم كذبوا بايات الله الدالة على توحيده وكانوا عنها غافلين يعني عن التفكر فيها
والاتعاظ بها والذين كذبوا باياتنا ولقاء الآخرة يعني ولقاء الدار الآخرة التي فيها الثواب والعقاب حبطت اعمالهم
يعني بطلت فصارت كأن لم تكن والمعنى انه قد يكون في الذين يكذبون بآيات الله من يعمل البر والاحسان فبين الله تعالى
بهذه الآية ان ذلك ليس بنافعهم مع كفرهم وتكذيبهم بآيات الله وانكارهم الدار الآخرة والبعث هل يجزون الا
ما كانوا يعملون يعني هل يجزون في العقبى الا جزاء العمل الذي كانوا يعملونه في الدنيا قوله تعالى واتخذ قوم موسى من
بعده يعني من بعد انطلاق موسى الى الجبل لمناجاة ربه من حليهم التي كانوا استعاروها من قوم فرعون وذلك ان بني
اسرائيل كان لهم عيد واستعاروا من القبط الحلي ليتزينوا به في عيدهم فبقي عندهم الى ان اهلك الله فرعون وقومه فبقي
الحلي لبني اسرائيل ملكا لهم فلذلك قال الله تعالى من حليهم فلما ابطأ موسى عليهم جمع السامري ذلك الحلي وكان رجلا مطاعا
في بني اسرائيل فلذلك قال تعالى واتخذ قوم موسى والمتخذ هو واحد فنسب الفعل الى الكل لانه كان برضاهم فكأنهم
اجمعوا عليه وكان السامري رجلا صائغا فصاغ لهم عجلا جسدا من ذلك الحلي وهو الذهب والفضة والقى في ذلك العجل
من تراب اثر فرس جبريل فتحول عجلا جسدا لحما ودما له خوار وهو صوت البقر وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة
وجمهور اهل التفسير وقيل كان جسدا لا روح فيه وكان يسمع منه صوت وقيل ان ذلك الصوت كان من خفيف
الريح وذلك انه جعله مجوفا ووضع في جوفه انابيب على وضع مخصوص فاذا هبت الريح دخلت في تلك الانابيب
يسمع لها صوت كصوت البقر والقول الاول اصح لانه كان يخور وقيل انه خار مرة واحدة وقيل انه كان يخور كثيرا وكلما
خار سجدوا له واذا سكت رفعوا رؤوسهم قال وهب كان يسمع منه الخوار ولا يتحرك وقال السدي كان يخور ويمشي الم يروا
يعني الذين عبدوا العجل وهو الجمع وأجيب عن قوله واتخذ قوم موسى انه خرج على الاغلب وكذا قوله الم يروا انه يعني العجل
الذي عبدوه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا يعني ان هذا العجل لا يمكنه ان يتكلم بصواب ولا يهدي الى رشد ولا يقدر على
ذلك ومن كان كذلك كان جمادا او حيوانا ناقصا عاجزا وعلى كلا التقديرين لا يصلح لان يعبد اتخذوه وكانوا ظالمين
يعني لانفسهم حيث اعرضوا عن عبادة الله تعالى الذي يضر وينفع واشتغلوا بعبادة العجل الذي لا يضر ولا ينفع ولا يتكلم
ولا يهديهم الى رشد وصواب قوله عز وجل ولما سقط في ايديهم يعني ولما ندموا على عبادة العجل تقول العرب لكل نادم على امر
سقط في يده وذلك لان من شأن من اشتد ندمه على امر ان يعض يده او يضرب على فخذه فتصير يده مسقوطا فيها لان السقوط عبارة عن النزول
من اعلى الى اسفل ورأوا انهم قد ضلوا يعني وتيقنوا انهم على الضلالة في عبادتهم العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا يعني يتب
علينا ويتجاوز عنا لنكونن من الخاسرين يعني الذين خسروا انفسهم بوضعهم العبادة في غير موضعها وهذا كلام من اعترف
بعظيم ما قدم عليه من الذنب وندم على ما صدر منه ورغب الى الله تعالى في اقالة عثرته واعترافهم على انفسهم بالخسران
ان لم يغفر لهم ربهم ويرحمهم وهذا كلام التائب النادم على ما فرط منه وانما قالوا ذلك لما رجع موسى عليه السلام اليهم
وهو قوله تعالى ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا يعني ولما رجع موسى من مناجاة ربه الى قومه بني اسرائيل
رجع غضبان اسفا لان الله كان قد اخبره انه فتن قومه وان السامري قد اضلهم فكان موسى في حال رجوعه
غضبان اسفا قال ابو الدرداء الاسف اشد الغضب وقال ابن عباس والسدي الغضب اشد الحزن وقال الواحدي
والقولان متقاربان لان الغضب من الحزن والحزن من الغضب فاذا جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت واذا جاءك
من هو فوقك حزنت فسمي احدهما حزنا والاخر غضبا فعلى هذا كان موسى عليه السلام غضبانا على
قومه لاجل عبادتهم العجل اسفا حزينا لان الله فتنهم وان الله تعالى كان اعلمه بذلك فحزن لاجل ذلك قال يعني
موسى بئسما خلفتموني من بعدي اي بئس الفعل فعلتم بعد فراقي اياكم وهذا الخطاب يحتمل ان يكون لعبدة العجل
من السامري واتباعه او لهارون والمؤمنين من بني اسرائيل فعلى الاحتمال الاول فالخطاب لعباد العجل يكون المعنى

Copyright @ King Saud University

بئس ما خلفتموني حيث عبدتم العجل وتركتم عبادة الله وعلى الاحتمال الثاني هو ان يكون الخطاب لهارون ومن معه من
المؤمنين يكون المعنى بئس ما خلفتموني حيث لم تمنعوهم من عبادة غير الله وقد رأيتم مني الامر بتوحيد الله واخلاص
العبادة له ونفي الشريك له عنه وحمل بني اسرائيل على ذلك ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة مستخلفهم وقوله اعجلتم
امر ربكم يعني العجلة التقدم بالشيء قبل وقته ولذلك صارت مذمومة لان معناها عمل الشيء في اول وقته ولقائل
ان يقول لو كانت العجلة مذمومة لم يقل موسى عليه السلام وعجلت اليك رب لترضى ومعنى الاية اعجلتم ميعاد ربكم
فلم تصبروا له وقال الحسن اعجلتم وعد ربكم الذي وعدكم من الاربعين وذلك انهم قدروا انه لم يات على راس الثلاثين
فقد مات وقيل معناه اعجلتم بسخط ربكم بعبادة العجل وقال الكلبي معناه اعجلتم بعبادة العجل قبل ان ياتيكم امر ربكم
ولما ذكر الله موسى رجع الى قومه غضبان اسفا ذكر بعده ما اوجبه الغضب فقال تعالى والقى الالواح يعني التي فيها
التوراة وكان حاملا لها فالقاها من شدة الغضب قالت الرواة واصحاب الاخبار كانت التوراة سبعة اسباع فلما القى
موسى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباع وبقي سبع واحد فرفع منها ما كان من اخبار الغيب وبقي ما فيه المواعظ
والاحكام والحلال والحرام وروي ان الله تعالى اخبر موسى بفتنة قومه فعرف موسى ان ما اخبره الله حق وصدق ومع ذلك لم
يلق التوراة من يده فلما رجع الى قومه وعاين ذلك وشاهده القى التوراة وهذا كما قيل ليس الخبر كالمعاينة واخذ براس
اخيه يجره اليه وقيل انه بشعر راسه ولحيته من شدة غضبه وقال ابن الانباري لما رجع موسى ووجد قومه مقيمين
على المعصية اكبر ذلك واستعظمه واقبل على اخيه هارون يلومه ومد يده الى راسه لشدة مواخذته عليه اذ لم يلحق
به فيعرفه خبر بني اسرائيل فيرجع قوله تعالى قال يعني هارون ابن ام ان القوم يعني الذين عبدوا العجل استضعفوني
اي استذلوني وقهروني وكادوا يقتلونني اي وقاربوا وهموا ان يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء اصل الشماتة
الفرح ببلية من تعاديه ويعاديك يقال شمت فلان بفلان اذا سر بمكروه نزل به والمعنى لا تسر الاعداء بما تنال مني من
مكروه ولا تجعلني مع القوم الظالمين يعني الذين عبدوا العجل قال رب اغفر لي يعني ان موسى عليه السلام لما تبين له
عذر اخيه هارون قال رب اغفر لي ما صنعت الى اخي هارون يريد ما اظهر من المواخذة عليه في وقت الغضب
ولاخي يعني واغفر لاخي هارون ان كان وقع منه تقصير في الانكار على عبادة العجل وادخلنا يعني جميعا في رحمتك
يعني في سعة رحمتك وانت ارحم الراحمين وهذا فيه دليل على الترغيب في الدعاء لان من هو ارحم الراحمين يؤمل منه
الرحمة وفيه تقوية لطمع الداعي في نجاح طلبته ان الذين اتخذوا العجل يعني الها عبدوه من دون الله سينالهم
غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا يعني سينالهم عقوبة من ربهم وهوان بسبب كفرهم وعبادتهم العجل وذلك
في عاجل الحياة الدنيا ثم للمفسرين في هذه الاية قولان احدهما ان المراد بالذين اتخذوا العجل باشروا عبادته وعلى هذا
القول ففي الاية سؤال وهو ان هولاء اولئك الاقوام الذين اتخذوا العجل تابوا الى الله بقتلهم انفسهم كما امرهم الله
فتاب عليهم فكيف ينالهم الغضب والذلة مع التوبة والجواب ان ذلك الغضب هو ما حصل لهم في الدنيا وهو نفس
القتل فكان ذلك القتل غضبا عليهم والمراد بالذلة هو استسلامهم انفسهم للقتل واعترافهم على انفسهم بالضلال
والخطا فان قلت السين في قوله سينالهم للاستقبال فكيف يكون للماضي قلت هذا الكلام
انما هو خبر عما اخبر به موسى عليه السلام حين اخبره باقتنان قومه واتخاذهم العجل ثم اخبر الله في ذلك الوقت انه سينالهم
غضب من ربهم وذلة فكان هذا الكلام سابقا لوقوعه وهو القتل امرهم الله به بعد ذلك وقال ابن جريج وان كان له وجه
لكن جميع المفسرين على خلافه القول الثاني ان المراد بالذين اتخذوا العجل اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ابن عباس هم الذين ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم واباؤهم الذين عبدوا العجل واراد وا بالغضب عذاب الاخرة وبالذلة
في الدنيا الجزية وقال عطية العوفي سينال الاولاد الذين عبدوا العجل وهم الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢

واراد

٢١٨

واراد بالغضب والذلة ما اصاب بني النضير وبني قريظة من القتل والجلاء وعلى هذا القول ففي تقدير الاية وجهان الاول
ان العرب تعير الابناء بقبائح افعال الاباء كما تفعل ذلك في المناقب فتقول للابناء فعلتم كذا وانما فعل ذلك من مضى من
ابائهم فكذلك هاهنا وصف اليهود الذين كانوا في زمنه بانهم سينالهم غضب من ربهم في الاخرة وذلة في الحياة الدنيا
الوجه الثاني ان تكون الاية من باب حذف المضاف لدلالة الكلام عليه وقوله تعالى وكذلك نجزي المفترين
يعني وكما جزينا هولاء الذين اتخذوا العجل هكذا نجزي كل من افترى على الله كذبا او عبد غيره وقال ابو قلابة هي والله
جزاء كل مفتر الى يوم القيامة ان يذله الله وقال سفيان بن عيينة هذا في كل مبتدع الى يوم القيامة وقال مالك بن انس
ما من مبتدع الا وهو يجد فوق راسه ذلة ثم قرا هذه الاية قال والمبتدع مفتر في دين الله والذين عملوا السيئات
يعني عملوا الاعمال السيئة ويدخل في ذلك كل ذنب كبير وصغير حتى الكفر فما دونه ثم تابوا من بعدها يعني ثم رجعوا الى الله
من بعد اعمالهم السيئة وامنوا يعني وصدقوا بالله وانه يقبل توبة التائب ويغفر الذنوب ان ربك يا محمد ويا ايها الانسان
التائب من بعدها يعني من بعد توبتهم لغفور رحيم يعني انه تعالى يغفر الذنوب ويرحم التائبين وفي الاية
دليل على ان السيئات باسرها صغيرها وكبيرها مشتركة في التوبة وان الله تعالى يغفرها جميعا بفضله ورحمته
وتقدير الاية من اتى بجميع السيئات ثم تاب الى الله تعالى واخلص التوبة فان الله يغفرها له ويقبل توبته وهذا من
اعظم البشائر للمذنبين التائبين قوله عز وجل ولما سكت عن موسى الغضب يعني سكن لان السكوت اصله
الامساك عن الشيء ولما كان السكوت بمعنى السكون استعير في سكون الغضب لان الغضب لا يتكلم لكنه لما كان بتعديته
والاغراء بما في نفس الغضب كان بمنزلة الناطق فان سكنت تلك الغويحة كان بمنزلة السكوت عما كان يتكلم به وقيل معناه
ولما سكت موسى عن الغضب فهو من المقلوب كما تقول ادخلت القلنسوة في راسي والمعنى ادخلت راسي في القلنسوة والقول الاول
اصح لانه قول اهل اللغة والتفسير اخذ الالواح يعني التي القاها قال الامام فخر الدين وظاهر هذا يدل على ان الالواح
لم تتكسر ولم يرفع من التوراة شيء وفي نسختها النسخ عبارة عن النقل والتحويل فاذا نسخت كتابا من كتاب حرفا بحرف فقد
نسخت ذلك الكتاب فهو نقلك ما في الاصل الى الفرع فعلى هذا قيل اراد بها الالواح لانها نسخت من اللوح المحفوظ وقيل
اراد بها النسخة المكتتبة من الالواح التي اخذها موسى بعدما انكسرت وقال ابن عباس وعمرو بن دينار لما القى الالواح فتكسرت
صام اربعين يوما فردت عليه في لوحين وفيهما ما في الاول بعينه فيكون نسختها وعلى قول من قال ان الالواح لم تتكسر
واخذها موسى بعينها بعدما القاها يكون يعني وفي نسختها المكتوب فيها هدى ورحمة قال ابن عباس هدى من الضلالة
ورحمة من العذاب للذين هم لربهم يرهبون يعني الخائفين من ربهم قوله عز وجل واختار موسى قومه سبعين رجلا
لميقاتنا الاختيار افتعال من لفظ الخير يقال اختار الشيء اذا اخذ خيره وخياره والمعنى واختار موسى من قومه فحذف
كلمة من وذلك سائغ في العربية لدلالة الكلام عليه قال اصحاب الاخبار ان موسى عليه السلام اختار من كل سبط من قومه
ستة نفر فكانوا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال لمن قعد منكم اجر من خرج فقعد يوشع
ابن نون وكالب بن يوفنا وقيل انه لم يجد الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من الشباب عشرة فاختارهم فاصبحوا
شيوخا فامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم ذهب بهم الى ميقات ربه واختلف اهل التفسير في ذلك الميقات
فقيل انه الميقات الذي كلمه فيه ربه وسالوا فيه الرؤية وذلك لما خرج الى طور سينا اخذ معه هولاء السبعين فلما دنا
موسى من الجبل وقع عليهم عمود من الغمام حتى احاط بالجبل ودخل موسى فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام
ووقعوا سجدا وسمعوا الله وهو يكلم موسى وهو يامره وينهاه افعل كذا لا تفعل كذا فلما انكشف الغمام اقبلوا على موسى
وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهو المراد من الرجفة المذكورة في هذه الاية وقال السدي
ان الله امر موسى ان ياتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار موسى من قومه سبعين رجلا

Copyright © King Saud University

ثم مضى بهم الى ميقات ربه ليعتذروا فلما اتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة فانك قد
كلمته فارناه فاخذتهم الصاعقة فماتوا فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول رب ماذا اقول لبني اسرائيل اذا اتيتهم
وقد اهلكت خيارهم رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وقال محمد بن اسحاق اختار موسى من بني اسرائيل
سبعين رجلا الخير فالخير وقال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه مما صنعتم وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم
صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم فخرج بهم الى طور سينا لميقات وقته له ربه وكان لا ياتيه الا باذن وخرجوا معه
للقاء ربه فقالوا لموسى اطلب لنا نسمع كلام ربنا فقال افعل ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا فكان موسى
اذا كلمه ينظر اليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه
افعل ولا تفعل فلما فرغ من امره انكشف عن موسى الغمام فاقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة وهي
الصاعقة فماتوا جميعا فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه ويقول لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وقال ابن
عباس كان الله امر موسى ان يختار من قومه سبعين رجلا فاختار سبعين رجلا فبرز بهم ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا الله
ان قالوا اللهم اعطنا ما لم تعطه احدا قبلنا ولا تعطه احدا بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فاخذتهم الرجفة قال رب
لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وقيل انما اخذتهم الرجفة من اجل انهم ادعوا على موسى انه قتل هارون قال علي بن ابي طالب انطلق
موسى وهارون الى سفح جبل فنام هارون على سرير فتوفاه الله فرجع موسى الى بني اسرائيل فقالوا له انت قتلته حسدتنا على خلقه
ولينه وكان هرون حسن الخلق محببا في بني اسرائيل فقال لهم موسى اختاروا من شئتم فاختاروا سبعين رجلا فلما انتهوا اليه
قالوا يا هارون من قتلك قال ما قتلني احد ولكن الله توفاني فاخذتهم الرجفة فجعل موسى يرجع يمينا وشمالا ويقول يا رب
لو شئت اهلكتهم من قبل واياي الاية فاحياهم الله عز وجل وقيل انما اخذتهم الرجفة لتركهم فراق عبدة العجل لانهم كانوا امنوا
عبدته قال ابن عباس انما تناولتهم الرجفة لانهم لم يزايلوا القوم حين نصبوا العجل وقد كرهوا ان يجامعوهم عليه قال ابن جريج فلما خرجوا
ودعوا الله اماتهم ثم احياهم وقال مجاهد واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا قال الميقات الموعد فلما اخذتهم الرجفة
بعد ان خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون الله ويسالونه ان يكشف عنهم البلاء فلم يستجب لهم علم موسى انهم قد اصابوا
من المعصية ما اصاب قومهم وقال محمد بن كعب القرظي لم يستجب لهم من اجل انهم لم ينهوهم عن المنكر ولم يامروهم بالمعروف
فاخذتهم الرجفة فماتوا ثم احياهم الله تعالى وقوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة اصل الرجف الاضطراب الشديد الذي يحصل
معه التغيير والهلاك ولذا اختلفوا في تلك الرجفة التي حصلت لهؤلاء هل كان معها موت ام لا فمعظم الروايات التي
تقدمت انهم ماتوا بسبب تلك الرجفة وقال وهب بن منبه لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن القوم لما راوا تلك
الهيبة اخذتهم الرعدة وقلقوا ورجفوا حتى كادت ان تبين مفاصلهم فلما راى موسى ذلك رحمهم وخاف عليهم
واشتد عليه فقدهم وكانوا له وزراء على الخير سامعين مطيعين فعند ذلك دعا موسى وبكى وناشد ربه فكشف الله
عنهم تلك الرجفة فاطمانوا وسمعوا كلام الله فذلك قوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة قال يعني موسى رب اي يا رب
لو شئت اهلكتهم من قبل يعني من قبل عبادتهم العجل واياي وذلك انه خاف ان يتهمه بنو اسرائيل على السبعين
اذا رجع اليهم ولم يرجعوا معه ولم يصدقوه بانهم ماتوا فقال رب لو شئت اهلكتهم يعني قبل خروجهم الى الميقات واياي
معهم فكان بنو اسرائيل يعاينون ذلك ولا يتهموني اتهلكنا بما فعل السفهاء منا قال القرظي ظن موسى انهم هلكوا باتخاذ اصحاب
العجل فقال اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني عبدة العجل وانما هلكوا بسبب مسئلتهم الرؤية وقولهم ارنا الله جهرة
وهذا قول الكلبي وجماعة وقال جماعة من اهل العلم لا يجوز ان يظن موسى ان الله يهلك قوما بذنوب غيرهم ولكن
اتهلكنا بما فعل السفهاء منا استفهام بمعنى الجحد اي لست تفعل ذلك وهذا قول ابن الانباري وقال المبرد هذا
استفهام استعطاف اي لا تهلكنا ان هي الا فتنتك قال الواحدي الكناية في هي ترجع تعود الى الفتنة كما تقول

ان

ان هو زيد والمعنى ان تلك الفتنة التي وقع فيها السفهاء لم تكن الا فتنتك اي اختبارك وابتلاؤك وهذا تاكيد لقوله اتهلكنا بما
فعل السفهاء منا لان معناه لا تهلكنا بفعلهم فان تلك الفتنة كانت اختبارا منك وابتلاء اضللت بها قوما فافتتنوا
وهديت قوما فعصمتهم حتى ثبتوا على دينك وهو المراد من قوله تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء قال الواحدي وهذه
الاية من الحجج الظاهرة على القدرية التي لا يبقى لهم معها عذر انت ولينا يعني انت ربنا ناصرنا وحافظنا وهذا يفيد الحصر
اي لا ولي لنا ولا ناصر ولا حافظ الا انت فاغفر لنا سال موسى عليه السلام لنفسه ولقومه الغفران اما لنفسه
فلقوله ان هي الا فتنتك وهذا فيه اقدام على الحضرة القدسية فلهذا السبب سال موسى الغفران له ولقومه وارحمنا
اي واشملنا برحمتك التي وسعت كل شيء وانت خير الغافرين يعني ان كل من سواك انما يغفر الذنب طلبا للثناء الجميل
وليدفع ضررا واما انت يا رب فتغفر ذنوب عبادك لا لطلب عوض ولا غرض بل لمحض الفضل والكرم فانت خير الغافرين
قوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة يعني قال موسى في دعائه واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اي واجعلنا
ممن كتبت له حسنة وهي ثواب الاعمال الصالحة وفي الاخرة اي واكتب لنا في الاخرة مغفرة لذنوبنا انا هدنا اليك
قال ابن عباس معناه انا تبنا اليك وهذا قول جميع المفسرين واصل الهود الرجوع برفق قال بعضهم وبه سميت
اليهود وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم فلما نسخت شريعتهم صار اسم ذم وهو لازم لهم قال يعني قال الله عز وجل
لموسى عليه السلام عذابي اصيب به من اشاء يعني من خلقي وليس لاحد علي اعتراض لان الكل ملكي وعبيدي ومن تصرف
في خالص ملكه فليس لاحد عليه اعتراض ورحمتي وسعت كل شيء يعني ان رحمته وسعت كل شيء عمت خلقه كلهم وقال بعضهم
هذا من العام الذي اريد به الخاص فرحمة الله عمت البر والفاجر في الدنيا وهي للمؤمنين خاصة في الاخرة وقيل للمؤمنين
خاصة في الدنيا والاخرة ولكن الكافرين رزق ويدفع عنه ببركة المؤمن لسعة رحمة الله له فاذا كان يوم القيامة وجبت
للمؤمنين خاصة قال جماعة من المفسرين لما نزلت ورحمتي وسعت كل شيء تطاول لها ابليس وقال انا من كل شيء
فنزعها الله من ابليس بقوله تعالى فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم باياتنا يؤمنون فايس ابليس منها وقالت
اليهود نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن بايات ربنا فنزعها الله من اليهود واثبتها لهذه الامة فقال الذين يتبعون الرسول النبي الامي الاية
وقال نوف البكالي لما اختار موسى من قومه سبعين رجلا قال الله تعالى لموسى اجعل لكم الارض مسجدا وطهورا تصلون حيث ادركتكم الصلاة الا عند
مرحاض او حمام او قبر واجعل السكينة في قلوبكم واجعلكم تقرؤون التوراة عن ظهور قلوبكم يقرؤها الرجل والمراة والحر والعبد والصغير والكبير
فقال موسى ذلك لقومه فقالوا لا نريد ان نصلي الا في الكنائس ولا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا ولا نستطيع ان نقرا التوراة عن ظهر قلوبنا ولا
نريد ان نقراها الا نظرا قال الله تعالى فساكتبها للذين يتقون الى قوله اولئك هم المفلحون فجعلها الله لهذه الامة فقال موسى
رب اجعلني نبيهم قال نبيهم منهم قال اجعلني منهم قال انك لن تدركهم فقال موسى يا رب اتيتك بوفد بني اسرائيل فجعلت وفادتها
لغيرنا فانزل الله تعالى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فرضي موسى اما التفسير فقوله الذين يتقون يعني الشرك والكبائر
ما نهوا عنه لان جميع التكاليف محصورة في نوعين اولهما التروك وهي الاشياء التي يجب على الانسان تركها والاحتراز عنها والاتقاء
واليه الاشارة بقوله الذين يتقون والثاني الافعال المامور بها وتلك الاعمال بدنية وقلبية اما البدنية فاليه الاشارة
بقوله ويؤتون الزكاة وهذه وان كانت في حق المال لكن يختص ببدن باخراجها واما الاعمال القلبية فالايمان والمعرفة واليه الاشارة
بقوله والذين هم باياتنا يؤمنون قوله عز وجل الذين يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة ذكر الامام فخر الدين في معنى
هذه التبعية وجهين احدهما ان المراد بذلك ان يتبعوه باعتقاد نبوته من حيث وجدوا صفته في التوراة اذ لا يجوز
ان يتبعوه في شرائعه قبل ان يبعث الى الخلق فالحق في قوله والانجيل ان المراد سيجدونه مكتوبا في الانجيل
لانه من المحال ان يجدوه فيه قبل ما انزل الله الانجيل الوجه الثاني ان المراد من لحق من بني اسرائيل زمان رسول
الله صلى الله عليه وسلم فبين تعالى ان هؤلاء اللاحقين لا يكتب لهم رحمة الاخرة الا اذا اتبعوه قال وهذا

Copyright © King Saud University

النقول اقرب لان اتباعه قبل ان يبعث لا يمكن فتبين هذه الاية ان هذه الرحمة لا يفوز بها من بني اسرائيل الا من اتقى
واتى الزكاة وامن بالايات في زمن موسى عليه الصلاة والسلام ومن كانت هذه صفته في ايام رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان مع ذلك متبعا للنبي صلى الله عليه وسلم في شرايعه فعلى هذين الوجهين يكون المراد
بقوله الذين يتبعون الرسول من بني اسرائيل خاصة وجمهور المفسرين على خلاف ذلك فانهم قالوا المراد
به جميع امته الذين امنوا به واتبعوه سوا كان من بني اسرائيل او غيرهم واجمع المفسرون على ان المراد بقوله الذين
يتبعون الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وصفه بكونه رسولا لانه الواسطة بين الله وبين خلقه المبلغ رسالاته
واوامره ونواهيه وشرايعه اليهم ثم وصفه بكونه نبيا وهذا ايضا من اعلى المراتب واشرفها وذلك يدل على انه رفيع
الدرجة عند الله المخبر عنه ثم وصفه بالامي قال ابن عباس هو نبيكم صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يكتب
ولا يقرا ولا يحسب قال الزجاج في معنى الامي هو الذي على صفة امة العرب لان العرب اكثرهم لا يكتب ولا يقرا
ولا يحسب قال اهل التحقيق وكونه صلى الله عليه وسلم كونه اميا فهو من اكبر معجزاته واعظمها وبيانه انه صلى الله
عليه وسلم اتى بهذا الكتاب العظيم الذي اعجز الخلايق فصاحته وبلاغته وكان يقروه عليهم بالليل والنهار من
غير زيادة فيه ولا نقصان منه ولا تغير فدل ذلك على معجزته وهو قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى وقيل انه لو كان
يحسن الكتابة ثم اتى بهذا القرآن العظيم لكان متهما فيه لاحتمال انه كتبه ونقله عن غيره فلما كان اميا واتى
بهذا الكتاب العظيم الذي فيه علم الاولين والاخرين والمغيبات دل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وايضا
فان الكتابة تعين الانسان على الاشتغال بالعلوم وتحصيلها ثم انه اتى بهذه الشريعة والاداب الحسنة مع
علوم من غير مطالعة كتب والاشتغال على احد دل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى الامي
الذي هو منسوب الى امه لانه لا يخرج بعد عن ما ولدته وقيل سمي اميا لانه منسوب الى ام القرى وهي مكة وقوله تعالى
الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يعني يجدون صفته ونعته ونبوته مكتوبا عندهم يعرفونه
علماوهم واحبارهم ولكنهم كتموا ذلك وبدلوه وغيروه حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل
لهم ما كانوا يخافونه فقد زالت رياستهم ووقعوا في الذل والهوان خ عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو
ابن العاص فقلت له اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال انه لموصوف في التوراة ببعض
صفته في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك
المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا تدفع بالسيئة السيئة ولكن تعفو وتغفر ولن يقبضه
الله حتى يقيم به الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا شرح غريب
الفاظه الفظ السيء الخلق والغليظ الجافي القاسي وقوله سخاب بالسين والصاد وهو الكثير الصياح في الاسواق والعوج
ضد الاستقامة واراد بالملة العوجا الكفر والقلب الاغلف الذي لا يصل اليه شي ينفعه شبهه بالاغلف كانه في غلاف
وروى البغوي بسنده عن كعب الاحبار قال اني اجد في التوراة مكتوبا محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ولا سخاب
في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح امته الحامدون يحمدون الله في كل منزلة ويكبرونه على كل
نجد يأتزرون على انصافهم ويوضون اطرافهم صفهم في الصلاة وصفهم في القتال سوا مناديهم ينادي في جو السماء
لهم في جوف الليل دوي كدوي النحل مولده بمكة ومهاجره طيبة وملكه بالشام وقوله يامرهم بالمعروف يعني بالايمان
وتوحيد الله وينهاهم عن المنكر يعني عن الشرك وقيل المعروف ما عرف في الشريعة والسنة والمنكر ما لا يعرف في
شريعة ولا سنة وقال عطا يامرهم بالمعروف بخلع الانداد ومكارم الاخلاق وصلة الارحام ويحل لهم الطيبات يعني
بذلك ما كان محرما عليهم في التوراة من الطيبات وهو لحوم الابل وشحم الغنم والمعز والبقر وقيل هو ما كانوا يحرمونه

على

على انفسهم اهل الجاهلية من البحاير والسوايب والوصايل والحامي وقيل هي المستلذات التي تستطيبها الانفس ويحرم
عليهم الخبايث قال ابن عباس يريد الميتة والدم ولحم الخنزير وقيل هو كل ما كان يستخبثه الطبع وتستقذره النفس
فان الاصل في المضار الحرمة الا ما له دليل منفصل بالحل ويضع عنهم اصرهم يعني ثقلهم واصل الاصر الثقل الذي يأصر
صاحبه اي يحبسه عن الحركة لثقله والمراد بالاصر هنا العهد والميثاق الذي على بني اسرائيل ان يعملوا بما في التوراة من الاحكام
وكانت تلك الشدايد والاغلال التي كانت عليهم يعني ويضع الاثقال والشدايد التي كانت عليهم في الدين والشريعة
وذلك مثل قتل النفس في التوراة وقطع الاعضاء الخاطية وقرض النجاسة عن البدن والثوب بالمقراض وتعيين القصاص
في القتل وتحريم اخذ الدية وترك العمل في السبت وان صلاتهم لا تجوز الا في الكنايس وتتبع العروق في اللحم وغير ذلك من
الشدايد التي كانت على بني اسرائيل شبهت بالاغلال مجاز لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل وقيل
شبهت بالاغلال التي تمنع اليد الى العنق كما ان اليد لا تمتد مع وجود الغل فكذلك لا تمتد الى الحرام الذي نهيت عنه
وكانت هذه الاثقال في شريعة موسى عليه السلام فلما جا محمد صلى الله عليه وسلم نسخ ذلك كله ويدل عليه قوله صلى الله
عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة فالذين امنوا به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وعزروه يعني وقروه
وعظموه واصل التعزير المنع والنصرة وتعزير النبي تعظيمه واجلاله ودفع الاعدا عنه وهو قوله تعالى ونصروه
يعني على اعدايه واتبعوا النور الذي انزل معه يعني القرآن سمي القرآن نورا لان به يستنير قلب المومن فيخرج به من ظلمات
الشك والجهالة الى ضيا اليقين والعلم اولئك هم المفلحون يعني الناجون الفايزون بالهداية قوله عز وجل قل يا ايها
الناس اني رسول الله اليكم جميعا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد للناس اني رسول الله اليكم جميعا
لا الى بعضكم الى بعض ففي الاية دليل على عموم رسالته الى كافة الخلق لان قوله يا ايها الناس خطاب عام يدخل فيه جميع الناس
ثم امر الله عز وجل ان يقول اني رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضي كونه مبعوثا الى جميع الناس ق عن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود واحلت لي الغنايم
ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة وطهورا ومسجدا فايما رجل ادركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب
على العدو بين يدي مسيرة شهر واعطيت الشفاعة وفي رواية اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبيا قبلي نصرت بالرعب
مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي
واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود وقيل اراد بالاحمر العجم وبالاسود
العرب وقيل اراد بالاحمر الانس وبالاسود الجن فعلى هذا تكون رسالته صلى الله عليه وسلم عامة الى كافة الخلق من الجن
والانس م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبيا بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب
واحلت لي الغنايم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبوة وقوله تعالى الذي له ملك السموات
والارض لما امر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بان يقول يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا اردفه بما يدل على صحة
دعواه يعني الذي له ملك السموات والارض وهو مدبرهما ومالك امرهما هو الذي ارسلني اليكم وامرني بان اقول لكم اني
رسول الله اليكم جميعا لا اله الا هو يحيي ويميت وصف الله نفسه بالالهية وانه لا شريك له فيهما وانه القادر على احيا
خلقه واماتتهم ومن كان كذلك فهو القادر على ارسال الرسل الى خلقه فامنوا بالله ورسوله لما امر رسوله محمدا
صلى الله عليه وسلم بان يقول للناس اني رسول الله اليكم جميعا امر الله جميع خلقه بالايمان به وبرسوله وذلك لان
الايمان بالله هو الاصل والايمان برسوله فرع عليه فلهذا بدا بالايمان بالله ثم بدا بالايمان برسوله فقال فامنوا بالله
ورسوله ثم وصفه فقال تعالى النبي الامي وتقدم معناهما الذي يومن بالله وكلماته قال قتادة يعني اياته وهي
القرآن وقال مجاهد والسدي اراد بكلماته عيسى بن مريم لانه خلق بقوله كن فكان وقيل هو على العموم يعني يومن

Copyright © King Saud University

بجميع كلمات الله تعالى واتبعوه يعني واقتدوا به ايها الناس فيما يامركم به او ينهاكم عنه وقيل المتابعة على قسمين متابعة في
الاقوال ومتابعة في الافعال اما المتابعة في الاقوال بان يمتثل جميع التابع ما امره به المتبوع على طريقة الامر والنهي والترغيب
والترهيب واما المتابعة في الافعال بان يقتدي به في جميع افعاله واراد به الا ما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت
بالدليل انه من خصائصه فلا متابعة فيه وقوله تعالى لعلكم تهتدون ترشدوا وتصيبوا الحق والصواب في متابعتكم
اياه قوله عز وجل ومن قوم موسى يعني من بني اسرائيل امة اي جماعة يهدون بالحق يعني يهتدون بالحق ويستقيمون
عليه ويعملون به ويرشدون اليه وبه يعدلون يعني بالحق يحكمون وبالعدل ياخذون ويعطون وينصفون واختلفوا
في هولاء من هم فقيل هم الذين اسلموا من بني اسرائيل مثل عبد الله بن سلام واصحابه فانهم امنوا بموسى والتوراة وامنوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران واعترض على هذا بانهم كانوا قليلين ولفظ الاية يقتضي الكثرة واجيب عنه
بانهم كانوا مخلصين في الدين جاز اطلاق لفظ الامة عليهم كما في قوله تعالى ان ابراهيم كان امة وقيل هم قوم ثبتوا
على الدين الحق الذي جاءهم به موسى عليه السلام قبل التحريف والتبديل ودعوا الناس اليه وقال السدي وابن جريج وجماعة
من المفسرين ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله ان
يفرق بينهم وان يبعدهم عنهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هنالك حنفاء
مسلمين مستقبلين قبلتنا قال ابن جريج قال ابن عباس ساروا في السرب سنة ونصفا رواه الطبري وحكى البغوي عن
الكلبي والضحاك والربيع قالوا هم خلف الصين باقصى الشرق على نهر يجري الرمل يسمى اردان ليس لاحد منهم مال دون
صاحبه يمطرون بالليل ويصحون بالنهار ويزرعون ولا يصل اليهم احد منا وهم على الحق وذكر لنا ان جبريل عليه السلام
ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا فقال هذا محمد النبي
الامي فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا ان من ادرك منكم احمد فليقرأ مني السلام فرد رسول الله صلى الله
عليه وسلم على موسى عليه السلام واقرأهم عشر سور من القران نزلت عليه بمكة وامرهم بالصلاة والزكاة وامرهم
ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وهذه الحكاية ضعيفة من وجوه الاول قولهم
ان احدا منا لا يصل اليهم فاذا كان الامر كذلك فمن الذي وصل الينا خبرهم الوجه الثاني قولهم ان جبريل ذهب بالنبي صلى
الله عليه وسلم اليهم ليلة اسري به وهذا لم يرد بنقل صحيح ولا رواه احد من ائمة الحديث ولا يلتفت الى قول الاخباريين
والقصاص في ذلك الوجه الثالث قولهم انهم بلغوا النبي صلى الله عليه وسلم سلام موسى وقد صح في حديث المعراج انه سلم عليه في
السماء السادسة وايضا قولهم اقرأهم عشر سور وقد نزلت عليه بمكة اكثر من ذلك وكان فرض الزكاة بالمدينة فكيف
يامرهم بها قبل فرضيتها فاذا ثبت بما ذكرناه بطلان هذه الرواية فالمختار في تفسير هذه الاية اما انها ان تكون نزلت
في قوم متمسكين بدين موسى قبل التبديل والتغيير ثم كانوا وهم على ذلك واما ان تكون نزلت فيمن اسلم من اليهود
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله واصحابه والله اعلم بمراده قوله تعالى وقطعناهم يعني وفرقنا بني
اسرائيل اثنتي عشرة اسباطا يعني من اولاد يعقوب لان يعقوب هو اسرائيل واولاده الاسباط وكانوا اثني عشر ولدا
امما يعني جماعات وقبائل واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه يعني في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست يعني انفجرت
وقيل عرقت وهو الانبجاس منه اي من الحجر اثنتا عشرة عينا يعني لكل سبط عين قد علم كل اناس مشربهم
يعني لا يدخل سبط على سبط في شربهم وظللنا عليهم الغمام يعني في التيه يقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن هو الترنجبين
والسلوى جنس من الطير جعل الله عز وجل ذلك طعاما لهم في التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم اي وقلنا كلوا وما ظلمونا ولكن كانوا
انفسهم يظلمون في الكلام حذف ترك ذكره للاستغناء عنه ودلالة الكلام عليه تقديره فكلوا من طيبات ما رزقناكم
فاجمعوا ذلك وسئموه وقالوا لن نصبر على طعام واحد وسألوا غيره لان المكلف اذا امر بشيء فتركه وعدل عنه الى غيره

يكون

٤٢٦

يكون عاصيا بفعله ذلك فلهذا قال وما ظلمونا وما ادخلوا علينا نقصا في ملكنا وسلطاننا بمعصيتهم ما ساءلوا ولكن كانوا انفسهم
يظلمون يعني بمخالفتهم ما امروا به وقد تقدم بسط على تفسير هذه الاية في سورة البقرة وقوله تعالى واذ قيل لهم
اي اذكر يا محمد لقومك اذ قيل لهم يعني لبني اسرائيل اسكنوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل في سورة البقرة ادخلوا هذه
القرية ولا منافاة بينهما لان كل ساكن في موضع لا بد له من الدخول اليه وكلوا منها حيث شئتم يعني وكلوا من ثمار القرية
وزروعها وحبوبها وبقولها حيث شئتم واين شئتم قال في البقرة فكلوا بالفاء وهنا بالواو والفرق بينهما ان الدخول حالة
مقتضية للاكل عقيب الدخول فحسن دخول الفاء التي هي للتعقيب ولما كانت السكنى حالة استمرار حسن دخول الواو وعقيب
السكنى فيكون الاكل حاصلا متى شاءوا وانما قال في سورة البقرة رغدا ولم يقله هنا لان الاكل عقيب الدخول الذ واكمل فاما الاكل
مع السكنى والاستمرار فليس كذلك فحسن دخول لفظة رغدا هناك بخلاف هنا وقولوا حطة اي حط عنا ذنوبنا وادخلوا
الباب سجدا وقال في سورة البقرة عكس اللفظ ولا منافاة في ذلك لان المقصود من ذلك تعظيم امر الله واظهار الخشوع والخضوع ع
له فلم يتفاوت الحال بحسب التقديم والتاخير نغفر لكم خطيئاتكم يعني نغفر لكم ذنوبكم ولا نؤاخذكم بها وانما قال هنا خطيئاتكم
وفي البقرة خطاياكم لان المقصود غفران ذنوبهم سواء كانت قليلة او كثيرة اذا اتوا بالدعاء والتضرع سنزيد المحسنين وقال
في سورة البقرة وسنزيد المحسنين بالواو ومعناه انه وعد المسيئين بالغفران وبالزيادة للمحسنين من الثواب واسقاط
الواو لا يخل بذلك المعنى لانه استئناف مقدر على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين
فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم يعني فغير الذين ظلموا بمخالفة امرنا من بني اسرائيل فقالوا غير الذي قيل لهم وامروا بذلك
وذلك انهم امروا ان يقولوا حطة فقالوا حنطة في شعيرة فكان ذلك تبديلهم وتغييرهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء يعني
بعثنا عليهم عذابا من السماء اهلكهم ولا منافاة بين قوله في سورة البقرة انزلنا لانهما لا يكونان الا من اعلى الى اسفل وقيل بينهما
فرق وهو ان الانزال لا يشعر بالكثرة والارسال يشعر بذلك فكانه تعالى بدأ بانزال العذاب قليلا ثم ارسل عليهم كثيرا
بما كانوا يظلمون يعني ارسلنا العذاب عليهم بسبب ظلمهم ومخالفتهم امر الله تعالى وقال في البقرة بما كانوا يفسقون
والجمع بينهما انهم لما ظلموا انفسهم بما غيروا وبدلوا فسقوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله تعالى وقد تقدمت هذه القصة
ايضا في سورة البقرة قوله عز وجل واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي سل
يا محمد هولاء اليهود الذين هم جيرانك اي عن حال اهل القرية وهذا السؤال سؤال توبيخ وتقريع لا سؤال استعلام لانه صلى
الله عليه وسلم كان قد علم حال هذه القرية بوحي الله عز وجل واخباره اياه حالهم وانما المقصود من هذا السؤال
تقريرا عند اليهود واقدامهم على الكفر والمعاصي وان اصرارهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وانكار نبوته ومعجزاته
ليس بشيء قد حدث منهم في زمانه بل اصرارهم على الكفر كان حاصلا لاسلافهم في تقديم الزمان وفي الاخبار
بهذه القصة معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم كان اميا لم يقرأ الكتب القديمة ولم يعرف اخبار الاولين ثم اخبرهم بما جرى
لاسلافهم في تقديم الزمان وانه بسبب مخالفتهم امر الله عز وجل مسخوا قردة واختلفوا في هذه القرية فقال ابن عباس بين
مصر والمدينة والمغرب وقيل بين مدين والطور على شاطئ البحر وقال الزهري هي طبرية الشام وفي رواية ابن
عباس قال هي مدين وقال وهب هي مقنا بين مدين وعينونا يعني عن القرية التي كانت على ساحل البحر وقريبة منه
اذ يعدون في السبت يعني يتجاوزون حد الله فيه وما امرهم به من تعظيمه فخالفوا امر الله وصادوا فيه السمك
اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا يعني ظاهرة على الماء كثيرة وقال الضحاك متتابعة يتبع بعضها بعضا وقيل
كانت تأتيهم يوم السبت مثل الكباش السمان البيض ويوم لا يسبتون لا تأتيهم يعني الحيتان كذلك نبلوهم يعني مثل
هذا الاختبار الشديد نختبرهم ونحن اعلم بحالهم بما كانوا يفسقون يعني ان ذلك الابتلاء والاختبار بسبب فسقهم
وخروجهم عن طاعة الله وما امروا به قال اهل التفسير ان اليهود امروا بيوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به

Copyright © King Saud University

وهو ان الله امرهم بتعظيمه ونهاهم عن العمل فيه وحرم عليهم فيه الصيد فلما اراد الله ان يبتليهم كانت الحيتان تنظر
لهم في يوم السبت ينظرون اليها في البحر فاذا انقضى السبت ذهبت فلم تظهر الى السبت المقبل فلما ابتلوا به فوسوس اليهم
الشيطان وقال ان الله لم ينهكم عن الاصطياد وانما نهاكم عن الاكل فاصطادوا وقيل انه وسوس اليهم انكم انما نهيتم من
الاخذ فاتخذوا حياضا على ساحل البحر فتاتي اليها الحيتان يوم السبت فاذا كان يوم الاحد اخذوها ففعلوا ذلك
زمانا ثم انهم تجروا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد حل لنا فاصطادوا واكلوا وباعوا وصار اهل القرية
اثلاثا وكانوا نحوا من سبعين الفا فثلث نهوا عن الاصطياد وثلث سكتوا ولم ينهوا وقالوا للناهين لم تعظون
قوما الله مهلكهم وثلث هم اصحاب الخطيئة الذين خالفوا امر الله واصطادوا وباعوا واكلوا فلما لم ينتهوا عما هم فيه
من المعصية قال الناهون لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار للناهين باب يدخلون ويخرجون
به وللعاصين باب ولعنهم داود عليه السلام وكانوا في زمنه فاصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين
احد فقالوا ان لهم شانا لعل الخمر قد غلبتهم فعلوا على الجدار الذي بينهم فاذا هم قد مسخوا قردة ففتحوا عليهم الباب ودخلوا
اليهم فصاروا القردة يعرفون انسابهم من الناس ولم يعرف الناس انسابهم من القردة فجعلت القردة تاتي انسابها
من الناس فتشم ثيابهم فيقول لهم اهلوهم الم ننهكم فتقول القردة براسها نعم فنجا الناهون وهلك سائرهم فذلك
قوله تعالى واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم واختلفوا في
القائلين هذه المقالة فقال بعض المفسرين ان اهل القرية افترقوا ثلاث فرق فرقة اعتدت واصابت الخطيئة
وفرقة نهتهم عن ذلك الفعل وفرقة امسكت عن الصيد وسكتت عن موعظة المعتدين وقالوا للناهين لم
تعظون قوما الله مهلكهم يعني انهم لاموهم عن موعظة قوم يعلمون انهم غير متعظين ولا منزجرين فقالت
الفرقة الناهية للذين لاموهم معذرة الى ربكم يعني ان موعظتنا اياهم معذرة الى ربكم لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
واجب علينا فوعظناهم لا عذر لنا عند الله **ولعلهم يتقون** اي رجاء عندنا ان ينتفعوا بالموعظة فيتقوا الله ويتركوا
ما هم فيه من الصيد وقال بعضهم ان اهل القرية كانوا فرقتين فرقة نهت وزجرت عن الشر وفرقة عملت السوء
فعلى هذا يكون الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم الفرقة المعتدية وذلك ان الفرقة الناهية قالوا للفرقة
المعتدية انتهوا قبل ان ينزل بكم عذابا شديدا ان تنتهوا عما انتم فيه فقالت لهم الفرقة المعتدية لم تعظون قوما
الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا والمعنى لم تعظونا وقد علمتم ان الله مهلكنا او منزل بنا عذابه والقول الاول اصح
لانهم لو كانوا فرقتين لكان قولهم معذرة الى ربكم خطابا من الناهية للمعتدية وقوله تعالى **فلما نسوا ما ذكروا به**
اي فلما تركوا ما وعظوا به **انجينا الذين ينهون عن السوء** وهم الفرقة الناهية **واخذنا الذين ظلموا** يعني الفرقة المعتدية
العاصية **بعذاب بئيس** اي شديد وجيع من الباس وهو الشدة **بما كانوا يفسقون** يعني انا اخذناهم بالعذاب بسبب
فسقهم واعتدائهم وخروجهم عن طاعتنا روى عكرمة عن ابن عباس قال اسمع الله عز وجل يقول انجينا الذين ينهون
عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس فلا ادري ما فعلت الفرقة الساكتة وجعل يبكي قال عكرمة فقلت
له جعلني الله فداك الا تراهم قد انكروا وكرهوا ما هم عليه وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم ولم يقل الله انجيتهم لم يقل
اهلكتهم قال فاعجبه قولي ورضي به وامر لي ببردين فكسانيهما وقال نجت الساكتة وقال يمان بن رباب نجت
الطائفتان الذين قالوا لم تعظون والذين قالوا معذرة واهلك الله الذين اخذوا الحيتان وهذا قول
الحسن وقال ابن زيد نجت الناهية وهلكت الفرقتان وهذه اشد اية في ترك النهي عن المنكر وقوله تعالى **فلما**
عتوا عما نهوا عنه قال ابن عباس عتوا عن ترك ما نهوا عنه وتمردوا في العصيان من اعتدائهم في السبت واستحلالهم
ما حرم الله عليهم من صيد السمك واكله **قلنا لهم كونوا قردة خاسئين** يعني صاغرين مبعدين من كل خير قال قتادة فلما

عتوا

عتوا عما نهوا عنه مسخهم فصيرهم قردة تتعاوى بعد ما كانوا رجالا ونساء وقال ابن عباس جعل الله منهم القردة والخنازير
فزعم ان شباب القوم صاروا قردة وان المشيخة صاروا خنازير وقيل انهم بقوا ثلاثة ايام ينظر الناس اليهم ثم هلكوا
جميعا قوله تعالى **واذ تاذن ربك** الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ومعنى تاذن اذن والاذان الاعلام
يعني اعلم ربك وقيل معناه قال ربك وقيل حكم ربك وقيل تالى ربك بمعنى اقسم ربك لان اللام في قوله ليبعثن
جواب القسم لان قوله واذ تاذن ربك جار مجرى القسم لكونه جزما وجواب القسم ليبعثن عليهم واختلفوا في
الضمير عليهم الى من يرجع فقيل يقتضي ان يكون راجعا الى قوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة
خاسئين لكن قد علم ان الذين مسخوا لم يبق منهم احد فيحتمل ان يكون المراد الذين بقوا منهم فالحق الذل بهم وقيل ان
المراد سائر اليهود من بعدهم لان الذين بقوا من اهل القرية كانوا صالحين والذي بعثه الله على اليهود وهو بخت
نصر وسنحاريب وملوك الروم فساموهم سوء العذاب وقيل المراد بقوله ليبعثن عليهم اليهود الذين كانوا في زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي بعثه الله عليهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته فالزم من لم
يسلم منهم الصغار والذلة والجزية لازمة لليهود الى يوم القيامة وورد على هذا بان في اخر الزمان يكون لهم عزة
وذلك عند خروج الدجال لان اليهود اتباعه واشياعه واجيب عنه بان تلك العزة الذي تحصل لهم في نفسه
غاية الذلة لانهم يدعون الالهية للدجال فيزدادون كفرا الى كفرهم فاذا هلك الدجال اهلكهم المسلمون جميعا وقتلوهم
فذلك هو الذلة والصغار المشار اليه بقوله ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب وهذا نص
في ان العذاب بما يحصل لهم في الدنيا مستمر عليهم الى يوم القيامة وبهذا فسر هذا العذاب بالاهانة والذلة واخذ
الجزية منهم فاذا انتقلوا الى الاخرة كان عذابهم اشد واعظم وهو قوله تعالى **ان ربك لسريع العقاب** يعني لمن اقام على
الكفر ففيه دليل على انه يجمع لهم مع ذلة الدنيا عذاب الاخرة فيكون العذاب مستمرا عليهم في الدنيا والاخرة ثم ختم
الاية بقوله تعالى **وانه لغفور رحيم** يعني لمن امن منهم ورجع عن الكفر واليهودية ودخل في دين الاسلام قوله عز وجل
وقطعناهم في الارض امما يعني وفرقنا بني اسرائيل في الارض جماعات متفرقة فلا تجد بلدا الا وفيه من اليهود طائفة
وجماعة قال ابن عباس في كل الارض يدخلها قوم من اليهود **منهم الصالحون** يعني من هؤلاء الذين وصفهم الله من
بني اسرائيل الصالحون وهم من امن بالله ورسوله وثبت على دينه قبل مبعث عيسى عليه السلام وانما وصفهم بذلك
قبل ارتدادهم عن دينهم وكفرهم بربهم ذكره الطبري وابن كثير وغيره وروى البغوي وغيره من المفسرين عن ابن عباس
ومجاهد ان المراد بالصالحين الذين ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وامنوا به والصحيح ما ذكره الطبري
بدليل قوله بعد فخلف من بعدهم خلف والخلف انما كان بعد هؤلاء الذين وصفهم الله بالصلاح من بني اسرائيل
وقوله تعالى **ومنهم دون ذلك** يعني الذين كفروا من بني اسرائيل وبدلوا وغيروا **وبلوناهم** يعني جميعا الصالح
وغيره وهو بلوى اختبار وامتحان **بالحسنات** يعني الخصب والعافية **والسيئات** يعني الجدب والشدة **لعلهم يرجعون**
يعني لكي يرجعوا الى طاعة ربهم ويتوبوا اليه قال اهل المعاني كل واحد من الحسنات والسيئات اذا فسرت
بالنعم والشدة تدعوا الى طاعة الله تعالى اما النعمة فيزداد عليها شكرا فيرغب في الطاعة واما الشدة فيخاف سوء
عاقبتها فيرهب منها قوله تعالى **فخلف من بعدهم** يعني من بعد هؤلاء الذين وصفناهم **خلف** يعني خلف سوء
يعني حدث من بعدهم وتبدل من بعدهم وتبدل من بعدهم بدل سوء يقال منه هو خلف صدق بفتح اللام وخلف
سوء بسكونها فاكثر ما يقال بالمدح بفتح اللام وفي الذم بسكونها وقد تحرك في الذم وتسكن في المدح قال حسان
ابن ثابت في المدح • لنا القدم الاولى اليك وخلفنا • لاولنا في طاعة الله تابع • فسكن اللام في قوله
وخلفنا وهو يريد المدح وقال لبيد في الذم • ذهب الذين يعاش في اكنافهم • وبقيت في خلف كجلد الاجرب •

Copyright © King Saud University

فسكون اللام وهو بين الذم واصله من الفساد يقال خلف اللبن اذا فسد وتغير السقا ويقال للردي من القول
خلف ومنه خلف الشي تغير ومنه خلوف فم الصايم والمعنى جاء من بعد هولا الذين وصفناهم خلف والخلف القرن الذي يجي
بعد قرن كان قبله ورثوا الكتاب يعني انتقل اليهم الكتاب عن ابايهم والمراد بالكتاب التورية ياخذون عرض هذا الادنى
العرض بفتح الرا جميع متاع الدنيا كما يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر والعرض بسكون الرا جميع المال سوى
الدراهم والدنانير والمعنى انهم كانوا ياخذون الرشا في الاحكام وعلى تبديل الكلام وتغييره وذلك الذي ياخذونه من حطام
الدنيا هو الشي التافه الخسيس الحقير لان الدنيا باسرها فانية حقيرة والراغب فيها احقر منها فاليهود ورثوا التورية
وعلموا ما فيها وضيعوا العمل بما فيها وتركوه واخذوا الرشى في الاحكام ويعلمون انه حرام ثم انهم مع اقدامهم على هذا الذنب العظيم
واصرارهم عليه ويقولون سيغفر لنا يعني ذنوبنا فيتمنون على الله الاماني الباطلة الباطلة عن شداد بن اوس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله اخرجه الترمذي
وقال في قوله صلى الله عليه وسلم دان نفسه يعني حاسبها في الدنيا قبل ان يحاسب يوم القيامة وموضع سنتها
من الحديث على الاية قوله وتمنى على الله لان اليهود كانوا يقدمون على الذنوب ويقولون سيغفر لنا وهذا هو التمني
بعينه وقوله تعالى وان ياتهم عرض مثله ياخذوه وهذا اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب
والمعنى انهم اذا اتاهم شي من الدنيا اخذوه حلالا كان او حراما ويتمنون على الله المغفرة وان وجدوا من الغد
مثله اخذوه قال السدي كانت بنوا اسرايل لا يستقضون قاضيا الا ارتشى في الحكم فيقال له ما لك ترتشي فيقول سيغفر
لي فيطعن عليه الاخرون فاذا مات ونزع من الحكم وجعل مكانه اخر ممن كان يطعن عليه ارتشى ايضا يقول الله عز وجل
وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني الم يوخذ على هولا المرتشين في احكامهم بالعهود
والمواثيق في الكتاب وهو التورية ان لا يقولوا على الله الا الحق يعني انا اخذنا عليهم الميثاق على ان يقولوا الحق فقالوا
الباطل وخالفوا امر الله وهو قولهم سيغفر لنا والمراد من هذا التوبيخ والتقريع لليهود في دعايهم على الله الباطل
قال ابن عباس هو ما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها ودرسوا
ما فيه يعني ما في الكتاب والمعنى انهم ذاكرون لما اخذ عليهم من العهود والمواثيق في الكتاب لانهم دارسون له
لم يتركوه ولكن درسوه وضيعوا العمل به والدار الاخرة يعني وما في الدار الاخرة مما اعد الله لاوليايه واهل طاعته
العاملين بما امرهم الله به من كتابه ولم يغيروه ولم يبدلوه ولم يرتشوا في الاحكام خير للذين يتقون يعني يتقون
الله ويخافون عقابه افلا يعقلون يعني افلا يعقل هولا الذين يرضون بعرض الدنيا ان ما في الاخرة خير وابقى
لانها دار المتقين والذين يمسكون بالكتاب يقال مسكت الشي وتمسكت به واستمسكت والمراد بالتمسك بالكتاب
مثل عبد الله بن سلام واصحابه لانهم تمسكوا بالكتاب الاول ولم يحرفوه ولم يغيروه فادام ذلك التمسك
الى الايمان بالكتاب الثاني وهو القران واقاموا الصلاة يعني وداوموا على اقامتها في مواقيتها وانما افردوها
بالذكر وان كانت الصلاة داخلة في التمسك بالكتاب تنبيها على عظم قدرها وانها اعظم العبادات بعد
الايمان بالله وبرسوله انا لا نضيع اجر المصلحين قوله عز وجل واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة يعني واذكر يا محمد
اذ قلعنا الجبل فرفعناه فوق بني اسرايل كانه ظلة يعني جعلناه فوقهم كالظلة والظلة كل ما علا على الانسان
كالسقف ونحوه وظنوا يعني وعلموا وايقنوا انه واقع بهم يعني الجبل خذوا يعني وقلنا لهم خذوا اضمارا
لقول كثير في القران وكلام العرب ما اتيناكم يعني التورية بقوة يعني بجد واجتهاد واذكروا ما فيه يعني
واعملوا بما فيه من الاحكام لعلكم تتقون قال اصحاب الاخبار ان بني اسرايل لما ابوا ان يقبلوا احكام التورية
لما فيها من التكاليف الشاقة امر الله جبريل فرفع جبلا عظيما حتى صار على رووسهم كالظلة فلما نظروا الى

الجبل

الجبل فوق رووسهم خروا ساجدين فسجد كل واحد على خده وحاجبه الايسر وجعل ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوفا ان
يسقط عليه وكذلك لا تسجد اليهود الا على شق وجوههم اليسرى قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم
ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى الاية عن مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب سيل عن قوله تعالى واذ
اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم قال سيل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى خلق ادم ثم مسح
ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته فقال خلقت هولا للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال
خلقت هولا للنار وبعمل اهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا خلق
العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار
حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله النار اخرجه مالك في موطاه وابو داود والترمذي وقال حديث حسن
ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم في هذا الاسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلا قلت ذكر الطبري في بعض طرق
هذا الحديث الرجل فقال عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله ادم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيمة وجعل بين عيني
كل انسان منهم وبيصا من نور ثم عرضهم على ادم فقال اي رب من هولا قال هولا ذريتك فراى رجلا منهم فاعجبه وبيص ما بين عينيه فقال يا رب
من هذا قال داود فقال رب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال يا رب زده من عمري اربعين سنة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما انقضى عمر ادم الا اربعين جاءه ملك الموت فقال ادم اولم يبق من عمري اربعين سنة قال
اولم تعطها ابنك داود فجحد ادم فجحدت ذريته ونسي ادم فاكل من الشجرة فنسيت ذريته وخطي فخطيت ذريته
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح فاما التفسير للاية فقوله تعالى واذ اخذ ربك يعني واذكر يا محمد
اذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم يعني من ظهور بني ادم وانما لم يذكر ظهر ادم وان كان الله اخرج جميع الذرية من
ظهره لان الله تعالى اخرج ذرية ادم بعضهم من ظهر بعض على نحو ما يتوالد الابنا من الابا فلذلك قال تعالى
من بني ادم من ظهورهم فاستغنى عن ذكر ظهر ادم عليه السلام لما علم انهم كلهم بنوا ادم واخرجوا من ظهره
فترك ذكر ظهر ادم استغناء ثم للعلماء في تفسير هذه الاية مذهبان احدهما وهو مذهب اهل التفسير والاثر
وظاهر ما جاءت به الروايات عن السلف فيما روي عن ابن عباس من طرق كثيرة روايات مختلفة رواها الطبري
باسانيد منها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اخذ الله الميثاق من ظهر ادم بنعمان
يعني عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا وقال الست بربكم قالوا بلى
شهدنا ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وعن ابن عباس في هذه قال مسح ربك ظهر ادم فخرجت
كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة بنعمان هذا الذي وراء عرفة واخذ ميثاقهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا
وعن ابن عباس ايضا قال ان اول ما اهبط الله ادم الى الارض اهبطه بدهنا ارض الهند فمسح ظهره فاخرج
منه كل نسمة هو باريها الى يوم القيامة ثم اخذ عليهم الميثاق واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا
بلى شهدنا ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وفي رواية جف القلم بما هو كاين الى يوم القيامة
وفي رواية عنه لما خلق الله ادم اخذ ميثاقه انه ربه وكتب رزقه واجله ومصايبه واستخرج ذريته
كالذر وكتب ارزاقهم واجالهم ومصايبهم وفي رواية عنه قال ان الله عز وجل مسح صلب ادم فاستخرج كل نسمة
هو خالقها الى يوم القيامة فاخذ منهم الميثاق ان يعبدوه ولا يشركوا به شيا وتكفل لهم بالارزاق ثم اعادهم في صلبه
فلن تقوم الساعة حتى يولد كل من اعطى الميثاق يومئذ فمن ادرك منهم الميثاق الاخر فوفى به نفعه الميثاق الاول ومن ادرك
الميثاق لم يف به لم ينفعه الاول ومن مات صغيرا قبل ان يدرك الميثاق الاخر مات على الميثاق الاول على الفطرة وروي

Copyright © King Saud University

الطبري بسنده عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ وا من ظهره كما يوخذ بالمشط من
الراس فقال لهم الست بربكم قالوا بلى قالت الملايكة شهدنا ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وقال
ابن عباس اخرج من ذريته ادم من ظهره فكلمهم الله وانطقهم فقال لهم الست بربكم قالوا بلى ثم اعادها في صلبه فليس احد
من الخلق الا وقد تكلم فقال ربي الله وان القيامة لا تقوم حتى يولد من كان يومئذ اشهد على نفسه وقال السدي واخرج الله
ادم من الجنة ولم يهبطه من السما ثم انه مسح صفحة ظهره اليمنى فاخرج منه كهيئة الذر بيضا فقال ادخلوا الجنة برحمتي
ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منه كهيئة الذر سودا فقال ادخلوا النار ولا ابالي فذلك حين يقول اصحاب اليمين
واصحاب الشمال ثم اخذ منهم الميثاق فقال الست بربكم قالوا بلى فاعطاه طايفة طايعين وطايفة كارهين
على وجه التقية زاد في رواية وذلك حين يقول وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها فقال المحدثين
كعب القرظي اقروا له بالايمان والمعرفة الارواح قبل خلق اجسادها وقال مقاتل مسح صفحة ظهر ادم اليمنى فاخرج
منها ذرية بيضا كهيئة الذر يتحركون ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منها ذرية سودا مثل الذر يتحركون
فقال يا ادم هولا ذريتك ثم قال لهم الست بربكم قالوا بلى فقال للبيض هولا في الجنة برحمتي وهم اصحاب
اليمين وقال للسود هولا الى النار ولا ابالي وهم اصحاب الشمال ثم اعادهم جميعا في صلب ادم فاهل القبور محبوسون
حتى يخرج اهل الميثاق جميعا وروي ان الله تعالى قال لهم جميعا اعلموا انه لا اله لكم غيري وانا ربكم لا رب لكم غيري
فلا تشركوا بي شيا فاني سانتقم ممن اشرك بي ولم يومن بي واني مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدي وميثاقي ومنزل
عليكم كتبا فتكلموا جميعا وقالوا شهدنا انك ربنا لا رب لنا غيرك فاخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب ارزاقهم
واجالهم ومصايبهم فنظر اليهم ادم فراى منهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال هلا
سويت بينهم فقال اني احب ان اشكر فلما قررهم بتوحيده واشهد بعضهم على بعض اعادهم الى صلبه
فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من اخذ منه الميثاق وقال الزجاج وجايز ان يكون الله تعالى جعل لامثال
الذر عقلا وفهما تعقل به كما في النملة قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وكما قال وسخرنا مع داود الجبال
يسبحن والطير وقال ابن الانباري مذهب اصحاب الحديث وكبرا اهل العلم في هذه الاية ان الله تعالى اخرج
ذرية ادم من صلبه واصلاب اولاده وهم الذر واخذ عليهم الميثاق انه خالقهم وانهم مصنوعة فاعترفوا
بذلك وقبلوه وذلك بعد ان ركب فيهم عقولا عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبال عقولا حتى خوطبوا بقوله
يا جبال اوبي معه وكما جعل للبعير عقلا حين سجد للنبي صلى الله عليه وسلم وكذلك الشجرة حين سمعت لامره
وانقادت ومعنى قوله الست بربكم على هذا التفسير قال للذرية الست بربكم فهو ايجاب للربوبية عليهم قالوا
بلى يعني قالت الذرية بل انت ربنا فهو جواب منهم واقرار منهم له بالربوبية واعتراف على انفسهم بالعبودية وفي
قوله شهدنا قولان احدهما انهم لما اقروا له بالربوبية قال الله عز وجل للملايكة اشهدوا فقالوا شهدنا على اقرارهم
فعلى هذا القول يحسن الوقف على قوله تعالى بلى لان كلام الذرية تم وانقطع وقوله شهدنا كلام مستانف والقول
الثاني ان قوله شهدنا من كلام الذرية والمعنى شهدنا على انفسنا بهذا الاقرار وعلى هذا لا يحسن الوقف على بلى
لتعلقه بما بعده وقوله تعالى ان تقولوا قرى بالتا على خطاب الذرية معناه لئلا تقولوا ايها الذرية يوم القيامة
انا كنا عن هذا غافلين يعني الميثاق او تقولوا وقرى بالياء يقولوا بالياء على الغيبة ومعناه لئلا يقولوا الذرية انا كنا
عن هذا غافلين والمذهب الثاني في معنى هذه الاية وهو مذهب اهل الكلام والنظر انه تعالى اخرج الذرية
وانشاهم بعد ان كانوا نطفا في اصلاب الابا وهم اولاد بني ادم فاخرج الذرية الى الدنيا على ترتيبهم في الوجود
واشهدهم على انفسهم بما ركب عليهم من العقول واراهم من عجايب خلقه وغرايب صنعه ودلايل وحدانيته

فهذا

فهذا الاشهاد صاروا كانهم قالوا بلى واشهدهم على انفسهم انه ربهم وذلك بما اظهر لهم من دلايل اياته وبراهينه
التي تضطرهم الى ان يعلموا انه خالقهم وباريهم وربهم ونافذ الحكم فيهم فلما عرفوا ذلك دعاهم ذلك الى التصديق بوحدانيته
وربوبيته فقالوا بلى شهدنا على انفسنا على المجاز لا على الحقيقة وهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهورة
في كلام العرب فكل من بلغ وعقل فقد اخذ عليه الميثاق وهو العقل والتكليف فيكون معنى الاية واذ يلخذ ربك
من بني ادم ويشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من العقل الذي يكون به الفهم والتكليف ويترتب عليه الثواب
والعقاب يوم القيامة **فان قلت** فما المختار من هذين المذهبين في تفسير هذه الاية **قلت**
المذهب الاول هو المختار لان جمهور المفسرين من السلف وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم **فان
قلت** اذا كان المختار من تفسير هذه الاية هو مذهب السلف في ذلك وان الله تعالى اخرج الذرية
من ظهر ادم لاخذ الميثاق عليهم كما ورد في الحديث ايضا فكيف يحمل تفسير هذه الاية على هذا القول **قلت**
قد صح الحديث بان الله مسح ظهر ادم فاخرج ذريته واخذ عليهم الميثاق ولا منافاة بين الاية والحديث كما تقدم
في تفسير الفاظ الاية من ان الله اخرج ذرية ادم من ظهره على سبيل التوالد بعضهم من بعض كما في الخارج
وكلهم باجمعهم من ظهر ادم الذي هو اصلهم فبهذا الطريق يمكن الجمع امكن بين الاية والحديث اذ ليس في معنى الفاظ الاية
ما يدل على بطلان ذلك ونفيه وقد ورد الحديث بثبوت ذلك وصحته فوجب المصير اليه والاخذ به جمعا
بين الاية والحديث وحكى الواحدي عن صاحب النظم انه قال ليس بين قوله صلى الله عليه وسلم ان الله مسح ظهر
ادم فاخرج منه ذريته وبين الاية اختلاف بحمد الله لانه تعالى اذا اخرجهم من ظهر ادم فقد اخرجهم من ظهور
ذريته لان ذرية ادم ذرية بعضهم من بعض قال وحصل الفايدة بهذا الفصل بانه تعالى اثبت الحجة على كل منفوس
ممن بلغ ولم يبلغ بالميثاق الذي اخذه عليهم وزاد على من بلغ منهم الحجة بالاية والدلايل التي نصبها والرسل المنفذة اليهم
مبشرين ومنذرين وبالمواعظ وقال غيره فايدة اخذ الميثاق عليهم في القدم ان من مات منهم صغيرا دخل الجنة
باقراره وبالميثاق الاول وعلى قول من يقول ان اطفال المشركين يدخلون الجنة اذا ماتوا صغارا فاما من لا يحكم لهم
بالجنة فانه يقول من كان من اهل الشقاوة من الذرية السود وانما اقروا بالمعرفة كرها فلم ينفعهم ذلك شيا
ومن بلغ وعقل ولم يغن عنه اقراره بالميثاق الاول شيا حتى يومن ويصدق عند بلوغه وعقله بان الله ربه
وخالقه ويصدق رسوله فيما جاء به من عنده وانما فعل ذلك لئلا يقولوا انا كنا عن هذا الميثاق او الايمان به
ربنا غافلين او لئلا يقول الخلف انما اشرك اباونا ونحن نسير على ملتهم فلنا منهم ان نحذو ما كانوا عليه **فان قلت**
ذلك الميثاق لا يذكره احد اليوم فكيف يكون حجة عليهم اليوم وكيف يذكرونه يوم القيامة حتى يحتج عليهم به **قلت**
لما اخرج الذرية من صلب ادم وركب فيهم العقول واخذ عليهم الميثاق فلما اعيدوا الى صلب ادم بطل ما ركب فيهم
فتوالدوا ناسين ذلك الميثاق لاقتضا الحكمة الالهية نسيانهم ثم ابتداهم بالخطاب على السنة الرسل اصحاب
الشرايع فقام ذلك مقام الذكر لان الدار دار تكليف وامتحان ولو لم ينسوه لانتفت المحنة والابتلا والتكليف
فقامت الحجة عليهم لامدادهم بالرسل واعلامهم بجريان اخذ الميثاق عليهم بذلك قامت الحجة عليهم ايضا يوم القيامة
لاخبار الرسل اياهم بذلك الميثاق في الدنيا فمن انكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمتهم الحجة ولا تسقط الحجة عنهم
بنسيانهم وحفظهم بعد اخبار الصادق صاحب الشرع والمعجزات الباهرات وقوله تعالى او يقولوا يعني الذرية
انما اشرك اباونا من قبل يعني انما اخذت الميثاق عليهم لئلا يقول المشركون اباونا من قبل وكنا ذرية من بعدهم
يعني وكنا اتباعا لهم فاقتدينا بهم في الشرك افتهلكنا يعني افتعذبنا بما فعل المبطلون قال المفسرون هذا قطع
لعذر الكفار فلا يستطيع احد من الذرية ان يقول يوم القيامة انما اشرك اباونا من قبلنا ونقضوا العهد والميثاق

بنيته

Copyright © King Saud University

وكنا ذرية من بعدهم فقلدناهم واقتدينا بهم وكنا في غفلة عن هذا الميثاق فلا ذنب لنا فلا يمكنهم ان يحتجوا بمثل هذا
وقد اخذ عليهم جميعا الميثاق وجاءتهم الرسل وذكروهم به وثبتت عليهم الحجة بذلك يوم القيمة واما الذين حملوا معنى الآية
على ان المراد منه مجرد نصب الدلايل واظهارها للعقول لئلا يقولوا انما اشرك اباؤنا على سبيل التقليد لابائنا
لان نصب دلة التوحيد قايم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على تقليد الاباء في الشرك وقوله تعالى
وكذلك نفصل الآيات يعني لنبين بها العباد فيرجعوا الى الحق والايمان ويعرضوا عن الباطل والكفر وهو المراد من
قوله ولعلهم يرجعون يعني عن الشرك الى التوحيد وقيل معناه ولعلهم يرجعون الى الميثاق الاول فيذكرونه ويعملون
بموجبه ومقتضاه وقوله عز وجل واتل عليهم يعني واقرا على قومك يا محمد نبا يعني خبر الذي آتيناه آياتنا اختلفوا
فيه فقال ابن عباس هو بلعام بن باعوراء وقال مجاهد بلعام بن باعر وقال ابن مسعود هو بلعم بن ابر وقال عطية
قال ابن عباس انه كان من بني اسرايل وفي رواية اخرى عنه انه كان من الكنعانيين من مدينة الجبارين وقال مقاتل
هو من مدينة البلقا وكانت قصته على ما ذكره ابن عباس ومحمد بن اسحاق والسدي وغيرهم من
اصحاب الاخبار والسير قالوا ان موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين نزل ارض كنعان من ارض الشام اتى
قوم بلعام اليه وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا ان موسى رجل حديد وان معه جنودا كثيرة وانه قد جاء يخرجنا
ويقتلنا ويحلها بني اسرايل وانت رجل مجاب الدعوة فاخرج وادع الله ان يردهم عنا فقال ويلكم نبي الله ومعه الملايكة
والمومنون فكيف ادعو عليهم وانا اعلم من الله ما اعلم واني ان فعلت هذا ذهبت دنياي واخرتي فراجعوه والحوا
عليه فقال حتى اوامر ربي وكان لا يدعو حتى ينظر ما يومر به في المنام فوامر في الدعاء عليهم فقيل له لا تدع عليهم فقال لقومه اني
قد وامرت ربي فنهاني ان ادعو عليهم فاهدوا له هدية فقبلها وراجعوه فقال حتى اوامر ربي فوامر فلم يحي اليه شي
فقال قد وامرت ربي فلم يحي شي فقالوا له لو كره ربك ان تدعو عليهم لنهاك كما نهاك اول مرة فلم يزالوا يتضرعون
اليه حتى فتنوه فركب اتانا له متوجها الى جبل يطلعه على عسكر بني اسرايل يقال له جبل حسبان فلما سار عليها
اتانه غير بعيد ربضت فنزل عنها وضربها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضربها حتى اذلقها فاذن الله
عز وجل في الكلام فانطقها الله فكلمته حجة عليه فقالت ويحك يا بلعام اين تذهب الا ترى الملايكة امامي يردوني
عن وجهي هذا ويحك تذهب الى نبي الله والمومنين فتدعو عليهم فلم ينزع فخلى الله سبيل الاتان فانطلقت به حتى اذا اشرفت
به على جبل حسبان ومعه قومه فجعل يدعو عليهم فلم يدع عليهم بشي الا صرف الله به لسانه الى قومه ولا يدعو لقومه
بخير الا صرف الله لسانه الى بني اسرايل فقال له قومه يا بلعام اتدري ما تصنع انما تدعو لهم وتدعو علينا فقال
هذا ما لا املكه هذا شي قد غلب الله عليه واندلع لسانه فوقع على صدره فقال لقومه قد ذهبت مني الدنيا
والاخرة ولم يبق الا المكر والحيلة فسامكر لكم واحتال ثم قال جملوا النساء وزينوهن واعطوهن السلاع ثم ارسلوهن
الى العسكر بني اسرايل يبيعنها فيهم ومروهن ان لا تمنع امراة نفسها من رجل ارادها فانه ان زنى رجل
منهم بواحدة منكم كفيتموهم ففعلوا ذلك فلما دخل النسا العسكر مرت امراة من الكنعانيين اسمها كسبى بنت
صور على رجل من عظما بني اسرايل يقال له زمري بن شلوم وكان راس سبط شمعون بن يعقوب فقام الى المراة
واخذ بيدها حين اعجبه جمالها ثم اقبل بها حتى وقف بها على موسى عليه السلام وقال اني لاظنك ستقول
هذه حرام عليك فقال اجل هي حرام عليك لا تقربها فقال والله لا نطيعك في هذا ثم دخل بها الى قبته فوقع
عليها فارسل الله عز وجل الطاعون على بني اسرايل في ذلك الوقت وكان فنحاص بن العيزار بن هارون وكان
صاحب امر موسى وكان رجلا قد اعطي بسطة في الخلق وقوة في البطش وكان غايبا حين صنع زمري بن
شلوم ما صنع فجا والطاعون يجوس في بني اسرايل فاخبر الخبر فاخذ حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل عليهما

القبة وهما متضاجعان فطعنهما بحربته فانتظمهما ثم خرج بهما وهو رافعهما الى السما وقد اخذ الحربة بذراعه
واعتمد بمرفقه على خاصرته واسند الحربة الى لحيته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن عصاك ورفع
الطاعون عن بني اسرايل فحسب من هلك منهم في ذلك الطاعون فيما بين ان اصاب زمري المراة الى ان قتله فنحاص
فوجدوا قد هلك سبعون الفا في ساعة واحدة من النهار فمن هنالك يعطي بنو اسرايل ولد فنحاص من كل ذبيحة ذبحوها
القبة والذراع واللحي لاعتماده بالحربة على خاصرته واخذه اياها بذراعه واسناده اياها بلحيته ويعطونهم
البكر من كل اموالهم لانه كان بكر العيزار ففي بلعام انزل الله عز وجل واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا الاية وقال
مقاتل ان ملك البلقا قال لبلعام ادع الله على موسى فقال بلعام انه من اهل ديني ولا ادعو عليه فنصب له خشبة
ليصلبه عليها فلما راى ذلك خرج على اتان له ليدعو على موسى فلما عاين عسكرهم قامت به الاتان ووقفت فضربها
فقالت لم تضربني اني مامورة وهذه نار امامي قد منعتني ان امشي فرجع الى الملك فاخبره بذلك فقال لتدعون عليه
او لاصلبنك فدعا على موسى بالاسم الاعظم ان لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى ومن معه من بني اسرايل في
التيه بدعا بلعام عليه فقال موسى يا رب باي ذنب وقعنا في التيه قال بدعا بلعام قال فكما سمعت دعاه علي
فاسمع دعاي عليه فدعا موسى ان ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان فنزع الله منه المعرفة وسلخه منها فخرجت من صدره
كحمامة بيضا فذلك قوله تعالى آتيناه آياتنا فانسلخ منها **فان قلت** هذه القصة ذكرها جماعة
من المفسرين وفيها ان موسى دعا على بلعام بان ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان او يرضى به بذلك **قلت**
الجواب من وجوه احدها منع صحة هذه القصة لانها من الاسرايليات ولا يلتفت الى ما سطره اهل الاخبار اذا خالف الاصول
الوجه الثاني ان سبب وقوع بني اسرايل في التيه هو عبادتهم العجل وقولهم لموسى اجعل لنا الها فكان ذلك هو سبب وقوعهم
في التيه لا دعا بلعام عليهم الوجه الثالث على تقدير صحة هذه القصة وان موسى عليه السلام دعا على بلعام ان موسى عليه
السلام لم يدع عليه الا بعد ان ثبت عنده ان بلعام كفر وارتد عن الايمان بدعايه على موسى وايثاره الحياة الدنيا فدعا
عليه مقابلة لدعايه عليه والله اعلم بحقيقة ذلك كله والمقصود من ذلك تنزيه منصب النبوة عما نقله اصحاب الاخبار
في كتبهم من غير نظر ولا بحث عن معناه وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم نزلت هذه
الاية في امية بن ابي الصلت الثقفي وكانت قصته انه كان قد قرا الكتب القديمة وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا ورجا
ان يكون هو ذلك الرسول فلما ارسل محمد صلى الله عليه وسلم وشرفه الله بالنبوة حسده وكفر به وكان امية بن ابي الصلت
صاحب شعر وحكمة ومواعظ حسنة فقصد بعض الملوك فلما رجع مر على قتلى بدر فسال عنهم فقيل له قتلهم محمد
فقال لو كان نبيا ما قتل اقرباه فلما مات امية اتت اخته فارعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالها
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وفاة اخيها فقالت بينا هو راقد اذ اتاه اثنان فكشفا سقف البيت فنزلا
فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند راسه اوعى قال وعى قال ازكى
قال ابى قالت فسالته عن ذلك قال خير اريد بي فصرف عني ثم غشي عليه فلما افاق من غشيته قال
كل عيش وان تطاول دهرا ۞ صاير مرة الى ان يزولا ۞ ليتني كنت قبل ما قد بدا لي ۞ في قلال الجبال ارعى الوعولا ۞
ان يوم الحساب يوم عظيم ۞ شاب فيه الصغير يوما ثقيلا ۞ ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انشديني من شعر
اخيك فانشدته بعض قصايده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امن شعره وكفر قلبه فانزل الله عز وجل
واتل عليهم نبا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها الاية وفي رواية عن ابن عباس انها نزلت في البسوس وهو رجل من
بني اسرايل وكان قد اعطي ثلاث دعوات مستجابات وكانت له امراة له منها ولد فقالت له اجعل لي منها دعوة
فقال لك منها واحدة فما تريدين فقالت ادع الله ان يجعلني اجمل امراة في بني اسرايل فدعا لها فصارت اجمل النسا

Copyright © King Saud University

فلما علمت انه ليس في بني اسرائيل احد مثلهما رغبت عنه فغضب ودعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان
فجا بنوها اليه وقالوا ليس لنا على هذا الامر قرار فقد صارت امنا كلبة نباحة والناس يعيرونا بذلك فادع الله ان
يردها الى حالها الاول فدعا الله فعادت كما كانت فذهبت فيها الدعوات جميعا والقولان الاولان اشهر وقال الحسن وابن كيسان
نزلت في منافقي اهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم بنعته وصفته كما يعرفون ابناهم ثم انكروه وقال قتادة
هذا مثل ضربه لمن عرض عليه الهدى فلم يقبله وقوله تعالى اتيناه اياتنا قال ابن عباس كان يعلم اسم الله الاعظم وقال ابن زيد
كان لا يسال الله شيا الا اعطاه وقال السدي كان يعلم اسم الله الاعظم وفي رواية اخرى عن ابن عباس اوتي كتابا وقال
ان الله تعالى اتاه حجة وادلته وهي الايات التي اوتيها **فانسلخ منها** يعني خرج من الايات التي كان الله اتاه اياها
كما تنسلخ الحية من جلدها وقال ابن عباس نزع منه العلم **فاتبعه الشيطان** يعني لحقه وادركه وصيره الشيطان لنفسه تابعا
في معصية الله ومخالفة امر ربه ويطيع الشيطان وهواه وقوله تعالى **فكان من الغاوين** يعني من الهالكين الضالين بما خالف
ربه واطاع هواه وشيطانه قوله تعالى **ولو شئنا لرفعناه بها** يعني رفعنا درجته ومنزلته بتلك الايات التي اوتيها وقال
ابن عباس لرفعناه بعلمه بها وقال مجاهد وعطا لمنعناه ولو شئنا لرفعنا عنه الكفر وعصمناه بالايات **ولكنه اخلد الى الارض**
يعني ولكنه سكن الى الدنيا ومال اليها ورضي بها واصله من الخلود وهو الدوام والمقام والارض هنا عبارة عن الدنيا لان الارض
عبارة عن الفلوات والقفار وفيها المدن والضياع والمعادن والنبات ومنها يستخرج ما يعاش به في الدنيا فالدنيا كلها هي الارض
واتبع هواه يعني انه اعرض عن التمسك بما اتاه الله من الايات واتبع الهوى فخسر دنياه واخرته ورضي بها وبه الردى والهلاك
وهذه الاية من اشد الاشيا على العلما الذين يريدون بعلمهم الدنيا وشهوات النفس ويتبعون الهوى وذلك لان الله عز و
جل خص هذا الرجل باياته وحكمته وعلمه اسمه الاعظم وجعل دعاه مستجابا ثم انه لما اتبع هواه وركن الى الدنيا ورضي بها عوضا عن
الاخرة فنزع عنه ما كان اعطيه وانسلخ من الدين وخسر الدنيا والاخرة ومن الذي يسلم من الميل الى الدنيا واتباع الهوى الا من عصمه الله
بالورع وثبته بالعلم وبصره بعيوب نفسه عن كعب بن مالك الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذيبان جايعان
ارسلا في غنم بافسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه اخرجه الترمذي ثم ضرب الله عز وجل مثلا لهذا الرجل الذي اتاه الله
اياته فانسلخ منها واتبع هواه فقال تعالى **فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث** يقال لهث الكلب يلهث اذا
دلع لسانه من العطش وشدة الحر وعند الاعيا والتعب وهذا مثل ضربه الله عز وجل لمن اتاه اياته وحكمته فتركها وعدل عنها واتبع
هواه واثر دنياه وترك اخرته باخس الحيوانات وهو الكلب في اخس احواله وهي اللهث لان الكلب في حال اللهث لا يقدر على نفع
نفسه ولا ضرها كذلك العالم الذي يتبع هواه لا يقدر على نفع نفسه ولا ضرها في الاخرة لان التمثيل به على انه يلهث على كل
حال ان حملت عليه او تركته كان لاهثا وذلك عادة منه وطبيعة وهي مداومته على اللهث دايما فكذلك من اتاه الله العلم
والدين واغناه عن التعرض لحطام الدنيا الخسيسة ثم انه مال اليها وطلبها كانت حالته كحالة الكلب اللاهث وقيل
ان العالم اذا توسل به الى طلب الدنيا فانه يظهر علومه عند غير اهلها ويدلع لسانه في تقرير تلك المسايل وبيانها وذلك لاجل
ما يحصل عنده من حرارة الحرص الشديد وشدة العطش الى الفوز بمطلوبه فكانت حالته شبيهة بحالة الكلب الذي اخرج لسانه
من اللهث من غير حاجة ولا ضرورة ومعنى ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي شددت عليه واهجته لهث وان تركته على
حاله لهث لان اللهث طبيعة اصلية فيه فكذلك حال الحريص على الدنيا ان وعظته فهو حريص لا يقبل الوعظ ولا
ينجع فيه وان تركته ولم تعظه فهو حريص ايضا لان الحرص على طلب الدنيا صار طبيعة له لازمة كما ان اللهث طبيعة لازمة
للكلب **ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا** يعني هذا المثل الذي ضربناه للذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها مثل الذين كذبوا
باياتنا فعم بهذا المثل جميع من كذب بايات الله وجحدها فوجه التمثيل بينهم وبين الكلب اللاهث انهم ان جاتهم الرسل
لتهديهم فلم يهتدوا وان تركوا فلم يهتدوا ايضا بل هم ضلال في كل حال ثم قال تعالى **فاقصص القصص** وهذا خطاب للنبي

صلى

صلى الله عليه وسلم يعني فاقصص القصص يا محمد على قومك اخبار من كفر بايات الله **لعلهم يتفكرون** يعني فيتعظون وقيل هذا
المثل لكفار مكة انهم كانوا يتمنون هاديا يهديهم ويدعوهم الى طاعة الله فلما جاهم محمد صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى التقوى والى
طاعته وهم يعرفون صدقه فكذبوه ولم يقبلوا منه ثم قال تعالى ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا يعني بيس مثلا مثل
القوم الذين كذبوا باياتنا **وانفسهم كانوا يظلمون** يعني بتكذيبهم باياتنا قوله عز وجل من يهد الله فهو المهتدي يعني من
يرشده الى دينه فهو المهتدي وقيل معناه من يتولى الله هدايته وارشاده فهو المهتدي **ومن يضلل** يعني ومن يتولى اضلاله
فاولئك هم الخاسرون يعني في الاخرة وفي الاية دليل على ان الله تعالى هو الهادي المضل **ولقد ذرانا** يعني خلقنا **لجهنم كثيرا
من الجن والانس** اخبر الله انه خلق كثيرا من الجن وهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية بالشقاوة ومن خلقه للنار فلا حيلة له
في الخلاص منها واستدل البغوي على صحة هذا التاويل بما رواه عن عايشة قالت دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة
صبي من الانصار فقلت يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال او غير ذلك يا عايشة
ان الله خلق للجنة اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابايهم اخرجه مسلم قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم اجمع من يعتد به
من علما المسلمين ان من مات من اطفال المسلمين فهو من اهل الجنة لانه ليس مكلفا وتوقف فيه بعض من لا يعتد به لحديث عايشة
هذا واجاب العلما عنه بانه لعله صلى الله عليه وسلم نهاها عن المسارعة الى القطع من غير ان يكون عندها دليل قاطع كما انكر
على سعد بن ابي وقاص في قوله اني لاراه مومنا فقال او مسلما الحديث ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل ان يعلم ان اطفال
المسلمين في الجنة فلما علم قال ذلك واما اطفال المشركين ففيهم ثلاثة مذاهب قال الاكثرون هم في النار تبعا لابايهم وتوقف
طايفة فيهم والثالث وهو الصحيح الذي ذهب اليه المحققون انهم من اهل الجنة ويستدل له باشيا منها حديث ابراهيم
الخليل صلى الله عليه وسلم حين راه النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة وحوله اولاد الناس فقالوا يا رسول الله واولاد المشركين
فقال واولاد المشركين رواه البخاري في صحيحه ومنها قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولا يتوجه على المولود
التكليف ولا يلزمه قبول قول الرسول حتى يبلغ وهذا متفق عليه والله اعلم وفي الاية دليل وحجة واضحة لمذهب اهل السنة في
ان الله خالق اعمال العباد جميعا خيرها وشرها لان الله تعالى بين بصريح اللفظ انه خلق كثيرا من الجن والانس للنار ولا مزيد على
بيان الله عز وجل لان العاقل لا يختار لنفسه دخول النار فلما عمل بما يوجب عليه دخول النار به علم ان له من يضطره الى ذلك
العمل الموجب لدخول النار وهو الله عز وجل وقيل اللام في لجهنم للعاقبة اي عاقبتهم جهنم ثم وصفهم فقال تعالى
لهم قلوب لا يفقهون بها يعني لا يفهمون بها ولا يعقلون بها واصل الفقه في اللغة الفهم والعلم بالشي ثم صار علما على علم
العلم في الدين لشرفه على غيره من العلوم يقال فقه الرجل فهو فقيه اذا فهم ومعنى الاية لهم قلوب لا يتفكرون بها في ايات
الله ولا يتدبرونها ولا يعلمون بها الخير والهدى لاعراضهم عن الحق وتركهم قبوله **ولهم اعين لا يبصرون بها** يعني لا يبصرون
بها طريق الخير ولا ينظرون بها الى ايات الله وادلة توحيده **ولهم اذان لا يسمعون بها** يعني لا يسمعون ايات القران ومواعظه
فيعتبرون بها قال اهل المعاني ان الكفار لهم قلوب يفقهون بها مصالحهم المتعلقة بالدنيا ولهم اعين يبصرون بها المرييات
واذان يسمعون بها الكلمات وهذا لا شك فيه ولما وصفهم الله عز وجل بانهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون مع
وجود هذه الحواس المدركة علم بذلك ان المراد بذلك ما يرجع الى مصالح الدين وما فيه نفعهم في الاخرة وحاصل هذا الكلام انهم مع
وجود هذه الحواس لا ينتفعون بها فيما ينفعهم في امور الدين والعرب تقول لمن ترك استعمال بعض جوارحه فيما لا يصلح له ومنه
قول الشاعر • وعوراء الكلام صممت عنها • واني لو اشا بها سميع • فانه اثبت له صمما مع وجود السمع قال مجاهد لهم قلوب لا يفقهون
بها شيا من امر الاخرة ولهم اعين لا يبصرون بها الهدى ولهم اذان لا يسمعون بها الحق ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى
اولئك كالانعام يعني ان الذين ذراهم لجهنم وهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية انهم كالانعام وهي البهايم التي لا تفقه ولا
تعقل وذلك ان الانسان وساير الحيوانات مشاركة في هذه الحواس الثلاثة التي هي القلب والبصر والسمع وانما فضل الانسان

Copyright © King Saud University

على سائر الحيوانات بالعقل والادراك والفهم المودي الى معرفة الحق من الباطل والخير والشر فاذا كان الكافر لا يميز في ذلك ولا يدركه فلا فرق بينه وبين الانعام التي لا تدرك شيئا ثم قال تعالى بل هم اضل يعني بل الكفار اضل من الانعام لان الانعام تعرف ما يضرها وما ينفعها والكافر لا يميز في ذلك فصار اضل من الانعام ولان الانعام لم تعط القوة العقلية والانسان قد اعطيها فاذا لم يستعمل العقل فيما ينفعه صار اخس حالا من الحيوان وقيل لان الانعام مطيعة لله عز وجل والكافر غير مطيع لله عز وجل فصارت الانعام افضل ثم قال تعالى اولئك هم الغافلون يعني عن ضرب هذه الامثال لهم قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى قال مقاتل ان رجلا دعا الله في صلاته ودعا الرحمن فقال بعض مشركي مكة قال ابن الجوزي هو ابو جهل ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا يدعو اثنين فانزل الله الاية ولله الاسماء الحسنى والحسنى تانيث الاحسن ومعنى الاية ان اسماء الله المقدسة كلها حسنى وليس المراد ان فيها ما ليس بحسن والمعنى ان الاسماء الحسنى ليست الا لله لان هذا اللفظ يفيد الحصر وقيل ان الاسماء دالة على معاني فهي احسن بحسن معانيها والمعنى الحسن في حق الله تبارك وتعالى الا ذكره بصفات الكمال ونعوت الجلال وهي محصورة في نوعين احدهما عدم افتقاره الى غيره والثاني افتقار غيره اليه وانه هو المسمى بالاسماء الحسنى ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من حفظها دخل الجنة والله وتر يحب الوتر وفي رواية من احصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر وفي رواية اخرى تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا لا يحفظها احد الا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر قال البخاري احصاها حفظها وفي رواية الترمذي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الاول الاخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور قال الترمذي حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ولا نعرفه الا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند اهل الحديث قال وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الاسماء التي في هذا الحديث قال ابن الاثير وفي رواية ذكرها رزين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون فقال ان الله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسما الحديث قال الشيخ محيي الدين النواوي رحمه الله اتفق العلماء على ان هذا الحديث ليس فيه حصر لاسمائه سبحانه وتعالى وليس معناه انه ليس له اسماء غير هذه التسعة والتسعين وانما المقصود من الحديث ان هذه التسعة والتسعين اسما من احصاها دخل الجنة فالمراد الاخبار عن دخول الجنة باحصائها لا الاخبار بحصر الاسماء ولهذا جاء في الحديث الاخر اسالك بكل اسم سميت به نفسك او استاثرت به في علم الغيب عندك وقد ذكر الحافظ ابو بكر ابن العربي المالكي عن بعضهم ان لله الف اسم قال ابن العربي وهذا قليل وقوله صلى الله عليه وسلم من احصاها دخل الجنة تقدم فيه قول البخاري ان معناه حفظها وهو قول اكثر المحققين ويعضده الرواية الاخرى من حفظها دخل الجنة وقيل المراد من الاحصاء العد اي عدها في الدعاء بها وقيل معناه من اطاقها واحسن المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه وصدق بمعانيها وعمل بمقتضاها دخل الجنة وقيل معناه احصاها احسن باله عند ذكرها معناها وتفكر في مدلولها معتبرا متدبرا ذاكرا راغبا راهبا معظما

لها

لها ولمسماها ومقدسا لذات الله سبحانه وتعالى وانه يخطر بباله عند ذكر كل اسم الوصف الدال عليه وقوله ان الله وتر يحب الوتر الفرد ومعناه في وصف الله تعالى انه الواحد الذي لا شريك له ولا نظير وفيه تفضيل الوتر في الاعمال لان اكثر الطاعات وتر وفيه دليل على اشهر اسمائه سبحانه وتعالى الله لاضافة الاسماء اليه فيقال الرؤوف والكريم واللطيف من اسماء الله وقد قيل ان لفظة الله هو الاسم الاعظم قال ابو القاسم القشيري فيه دليل على ان الاسم هو المسمى اذ لو كان غيره لكانت الاسماء لغيره وقوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وقال الامام فخر الدين دلت الاية على ان الاسم غير المسمى لانها تدل على ان اسماء الله كثيرة ولا شك ان الله واحد فلزم القطع بان الاسم غير المسمى وايضا قوله ولله الاسماء الحسنى يقتضي اضافة الاسماء الى الله واضافة الشيء الى نفسه محال وقال غيره الاسم عبارة عن اللفظ الدال على الشيء المسمى به فهو غيره وقال اهل اللغة انما جعل الاسم تنويها على المعنى لان المعنى تحت الاسم والتسمية غير الاسم لان التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف ذات الشيء والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر قال العلماء كما يجب تنزيه الله عن جميع النقائص فكذلك يجب تنزيه اسمائه ايضا وقوله تعالى فادعوه بها يعني ادعوا الله باسمائه مسمى بها نفسه او سماه بها رسوله ففيه دليل على ان اسماء الله تعالى توقيفية لا اصطلاحية ومما يدل على صحة هذا القول ويؤكده انه يجوز ان يقال يا جواد ولا يجوز ان يقال يا سخي ويجوز ان يقال يا عالم ولا يجوز ان يقال يا عاقل ويجوز ان يقال حكيم ولا يجوز ان يقال يا طبيب وللدعاء شرائط منها ان يعرف الداعي معاني الاسماء التي يدعو بها ويستحضر في قلبه عظمة المدعو سبحانه وتعالى ويخلص النية في دعائه مع كثرة التعظيم والتبجيل والتقديس لله تعالى ويعزم المسئلة مع اعتقاد الاجابة ويعترف لله عز وجل بالربوبية وعلى نفسه بالعبودية فاذا فعل العبد ذلك عظم موقع الدعاء وكان اثره عظيما وقوله تعالى وذروا الذين يلحدون في اسمائه معنى الالحاد في اللغة الميل عن القصد والعدول عن الاستقامة وقال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس فيه يقال الحد في الدين والحد اذا عدل عنه ومال الى غيره قال المحققون الالحاد يقع في اسماء الله على وجوه احدها اطلاق اسماء الله عز وجل فسموا اللات والعزى ومناة واشتقاق اللات من الاله والعزى من العزيز ومناة من المنان وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد الوجه الثاني وهو قول اهل المعاني ان الالحاد في اسماء الله هو تسميته بما لم يسم به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة لان اسماء الله تعالى كلها توقيفية كما تقدم فلا يجوز فيها غير ما ورد في الشرع بل ندعو الله باسمائه التي وردت في الدعاء والسنة على وجه التعظيم الوجه الثالث مراعاة حسن الادب في الدعاء فلا يجوز ان يقال يا ضار يا مانع يا خالق الخلق الوجه الرابع ان لا يسمي الله العبد باسم لا يعرف معناه فانه ربما سماه باسم لا يليق اطلاقه على جلال الله سبحانه وتعالى ولا يجوز ان يسمى به لما فيه من الغرابة وقوله تعالى سيجزون ما كانوا يعملون يعني في الاخرة ففيه وعيد وتهديد لمن الحد في اسماء الله عز وجل وممن خلقنا امة يعني جماعة وعصابة يهدون بالحق وبه يعدلون قال ابن عباس يريد بهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وهم المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان قال قتادة بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا هذه الاية قال هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون ق عن معاوية قال وهو يخطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال من امتي امة قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى ياتي امر الله وهم على ذلك وفي الاية دليل على انه لا يخلو زمان من قائم بالحق يعمل به ويهدي اليه والذين كذبوا باياتنا يريد به جميع المكذبين بايات الله وهم الكفار وقيل المراد بهم اهل مكة والاول اولى لان صيغة العموم تتناول الكل الا ما دل الدليل على خروجه منه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال الازهري سنستدرجهم قليلا قليلا من حيث لا يحتسبون وذلك ان الله يفتح عليهم من

Copyright © King Saud University

النعيم ما يغتبطون به ويركنون اليه ثم ياخذهم على غرتهم اغفل ما يكونون وقيل معناه سنقربهم الى ما يهلكهم ونضاعف
عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم لانهم كانوا اذا اتوا بجرم واقدموا على ذنب فتح الله عليهم من ابواب الخير والنعمة في
الدنيا فيزدادوا بذلك تماديا في الغي والضلال ويتدرجون في الذنوب والمعاصي فياخذهم الساعة اخذة واحدة اغفل
ما يكونون عليه وقال الضحاك معناه كلما احدثوا معصية جددنا نعمة وقال الكلبي نزين اعمالهم ثم نهلكهم بها وقال سفيان
الثوري نسبغ عليهم النعم ثم نسلبهم الشكر وروي ان عمر بن الخطاب لما حمل اليه كنوز كسرى قال اللهم اني اعوذ بك ان اكون
مستدرجا فاني سمعتك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال اهل المعاني الاستدراج ان يندرج الشي الى
الشي في خفية قليلا قليلا ومندرج البصر اذا قارب بين خطاه في المشي ومنه درج الكتاب اذا طواه شيا بعد شي واملي لهم يعني
وامهلهم واطيل مدة اعمارهم ليتمادوا في الكفر والمعاصي ولا اعاجلهم بالعقوبة ولا اواخذهم بالمعصية ان كيدي متين يعني اخذي
شديد والمتين من كل شي هو القوي الشديد قال ابن عباس معناه ان مكري شديد قال المفسرون نزلت هذه الاية في
المستهزئين من قريش وذلك ان الله تعالى امهلهم ثم قتلهم في ليلة واحدة وفي الاية دليل على مسالة القضا والقدر
وان الله تعالى يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا يسال عما يفعل وهم يسالون قوله تعالى اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة يعني من جنون قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قام على الصفا ليلا فجعل
يدعو قريشا فخذا فخذا يا بني فلان يا بني فلان اني لكم نذير مبين وكان يحذرهم باس الله ووقائعه فقال قائلهم ان صاحبكم
هذا لمجنون بات يصوت الى الصباح فانزل الله عز وجل اولم يتفكروا والتفكر التامل واعمال الفكر في عاقبة الامر والمعنى
اولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة والجنة حالة من الجنون وادخال لفظة من في قوله
من جنة يوجب ان لا يكون به نوع من انواع الجنون وانما نسبوه الى الجنون وهو بري عنه لانهم راوا انه صلى الله عليه وسلم
خالفهم في الاقوال والافعال لانه كان معرضا عن الدنيا ولذاتها مقبلا على الاخرة ونعيمها مشتغلا بالدعا الى الله
عز وجل وانذارهم باسه ونقمته ليلا ونهارا من غير ملال ولا ضجر فعند ذلك نسبوه الى الجنون فبراه الله من الجنون
وقال تعالى ان هو يعني ما هو الا نذير مبين ثم حثهم على النظر المودي الى العلم بالوحدانية فقال تعالى اولم ينظروا يعني
نظر اعتبار واستدلال في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شي والمقصود التنبيه على ان الدلالة على
الوحدانية ووجود الصانع القديم غير مقصورة على ملكوت السموات والارض بل كل شي خلقه الله وبراه فيه دليل على وحدانية
الله تعالى كما قال الشاعر وفي كل شي له اية ۞ تدل على انه واحد وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم
والمعنى ولعل اجلهم يكون قد اقترب فيموتوا على الكفر قبل ان يومنوا فيصيروا الى النار واذا كان الامر كذلك وجب على العاقل
المبادرة الى التفكر والاعتبار والنظر المودي الى الفوز بالنعيم المقيم فباي حديث بعده يعني بعد القران يومنون يعني
يصدقون والمعنى فباي كتاب بعد الكتاب الذي جا به محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون وليس بعد النبي محمد صلى الله عليه
وسلم نبي ولا بعد كتابه كتاب لانه خاتم الانبيا وكتابه خاتم الكتب لانقطاع الوحي بعد محمد صلى الله عليه وسلم
ثم ذكر علة اعراضهم عن الايمان فقال تعالى من يضلل الله فلا هادي له يعني ان اعراضهم عن الايمان لاضلال الله
اياهم ولو هداهم لامنوا ويذرهم في طغيانهم يعمهون يعني ونتركهم في ضلالتهم وتماديهم في الكفر يترددون دون سبيلا
قوله عز وجل يسالونك عن الساعة ايان مرساها قال قتادة قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان بيننا
وبينك قرابة فاسر الينا متى الساعة فانزل الله هذه الاية وقال ابن عباس قال جبل بن ابي قشير وشمويل بن زيد وهما
من اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا كما تقول فانا نعلم متى هي فانزل الله عز وجل
يسالونك يا محمد عن الساعة يعني القيامة سميت ساعة لانها تقوم في ساعة غفلة وبغتة ولان حساب الخلائق ينقضي
فيها في ساعة واحدة ايان سوال استفهام عن الوقت الذي تقوم فيه الساعة ومعنى مرساها قال ابن عباس يعني منتهاها

متى وقوعها قال والساعة الوقت الذي يموت فيه الخلائق واصل الارسا الثبات يقال رسا الشي يرسو اذا ثبت قل اي يا محمد
قل انما علمها عند ربي اي لا يعلم الوقت الذي تقوم فيه الا الله استاثر الله بعلمها فلم يطلع عليه احد ومنه حديث الايمان
وسوال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم قال فاخبرني عن الساعة قال ما المسيول عنها باعلم من السايل قال المحققون
وسبب اخفا علم الساعة ووقت قيامها عن العباد ليكونوا على خوف وحذر منها لانهم اذا لم يعلموا متى يكون ذلك
الوقت كانوا على وجل وخوف واشفاق منها فيكون ذلك ادعى لهم الى الطاعة والتوبة وازجر لهم عن المعصية لا يجليها
لوقتها الا هو قال مجاهد لا ياتي بها الا هو وقال السدي ولا يرسلها لوقتها الا هو والتجلية اظهار الشي بعد خفائه
والمعنى لا يظهرها لوقتها المعين الا الله ولا يقدر على ذلك غيره ثقلت في السموات والارض يعني ثقل امرها وخفي علمها
على اهل السموات والارض وكل شي خفي فهو ثقيل شديد وقال الحسن اذا جات ثقلت وعظمت على اهل السموات
والارض وانما ثقلت عليهم لان فيها فناهم وموتهم وذلك ثقيل على القلوب لا تاتيكم الا بغتة يعني فجاة على حين
غفلة من الخلق ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما
بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة
وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها اللقحة بفتح اللام وكسرها هي
الناقة القريبة العهد بالنتاج قوله يليط حوضه ويروى يلوط حوضه يعني يطينه ويصلحه يقال لاط حوضه يليط
ويلوطه اذا طينه واصله من اللصوق والاكلة بضم الهمزة اللقمة وقوله تعالى يسالونك كانك حفي عنها يعني يسالك
قومك عن الساعة كانك حفي بهم يعني بار بهم شفيق عليهم فعلى هذا القول فيه تقديم وتاخير تقديره يسالونك عنها
كانك حفي بهم قال ابن عباس يقول كان بينك وبينهم مودة وكانك صديق لهم قال ابن عباس لما سال الناس محمدا
صلى الله عليه وسلم عن الساعة سالوه سوال قوم كانهم يرون ان محمدا صلى الله عليه وسلم حفي بهم فاوحى الله اليه
انما علمها عنده استاثر بعلمها فلا يطلع عليه ملكا ولا رسولا وقيل معناه يسالونك عنها كانك حفي بها اي عالم بها من
قولهم احفيت في المسيلة اذا بالغت في السوال عنها حتى علمتها قل يعني يا محمد انما علمها عند الله يعني لا يعلمها الا الله
علمها فلا يعلم متى الساعة الا الله عز وجل **فان قلت** قوله يسالونك كانك حفي عنها فيه تكرار
قلت ليس فيه تكرار لان السوال الاول سوال عن وقت قيام الساعة والسوال الثاني سوال عن
احوالها في ثقلها وشدتها فلم يلزم التكرار **فان قلت** عبر عن الجواب في السوال الاول بقوله
علمها عند ربي وعن الجواب في السوال الثاني علمها عند الله فهل من فرق بين الصورتين في الجوابين **قلت**
فيه فرق لطيف وهو انه لما كان السوال الاول واقعا عن وقت قيام الساعة عبر عن الجواب فيه بقوله علم ذلك
عند الله لانه اعظم الاسما ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني لا يعلمون ان علمها عند الله وانه استاثر بعلم ذلك حتى
لا يسالوا عنه وقيل وان اكثر الناس لا يعلمون السبب الذي من اجله اخفى علم وقت قيامها المعنى عن الخلق قوله
عز وجل قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا قال ابن عباس ان اهل مكة قالوا يا محمد الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو
فتشتري فتربح فيه عند الغلا وبالارض التي تريد ان تجدب فترحل منها الى ما قد اخصب فانزل الله قل لا املك لنفسي
اي قل يا محمد لا املك ولا اقدر لنفسي نفعا اي اجتلاب نفع بان اربح فيما اشتريه ولا ضرا يعني ولا اقدر ان ادفع عن
نفسي ضرا نزل بها بان ارتحل الى الارض الخصبة واترك المجدبة الا ما شا الله يعني املكه واقدر عليه ولو كنت اعلم
الغيب لاستكثرت من الخير يعني لو كنت اعلم الخصب والجدب لاستكثرت من المال وما مسني السو يعني الضر والفقر
والجوع وقال ابن جريج معناه لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا من الهدى والضلالة ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من
الخير يعني من العمل الصالح وقيل ان اهل مكة لما سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة انزل الله الاية الاولى

Copyright © King Saud University

وهذه الاية ومعناه انى لا ادعى علم الغيب حتى اخبركم عن وقت قيام الساعة وذلك لما طلبوه بالاخبار عن الغيوب فذكر
ان قدرته قاصرة عن علم الغيب **فان قلت** قد اخبر صلى الله عليه وسلم عن المغيبات وقد جاءت احاديث
في الصحيح بذلك وهو من اعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم فكيف الجمع بينه وبين قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت
من الخير **قلت** يحتمل ان يكون قاله صلى الله عليه وسلم على سبيل التواضع والادب والمعنى لا اعلم الغيب الا ان
يطلعني الله عليه ويقدره لي ويحتمل ان يكون قال ذلك قبل ان يطلعه الله عز وجل على الغيب فلما اطلعه الله اخبر به
كما قال فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول او يكون خرج هذا الكلام مخرج الجواب عن سؤالهم ثم بعد ذلك
اظهره الله تعالى على شي من المغيبات فاخبر عنها ليكون ذلك معجزة له ودلالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم
وقوله وما مسني السوء يعني الجنون وذلك انهم نسبوه الى الجنون وقيل معناه ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من
تحصيل هذا الخير واحترزت عن الشر حتى اصير بحيث لا يمسني السوء وقيل معناه ولو كنت اعلم الغيب لاعلمتكم
بقيام الساعة حتى تؤمنوا وما مسني السوء يعني تكذيبكم لو كنت نبيا اعلمتني متى تقوم الساعة **ان انا الا نذير** يعني
ما انا الا رسول ارسلني الله اليكم انذركم واخوفكم عقابه ان لم تؤمنوا **وبشير** يعني وابشركم بثوابه **لقوم يؤمنون**
يعني يصدقون قوله عز وجل **هو الذي خلقكم من نفس واحدة** يعني ادم عليه السلام **وجعل منها زوجها** يعني وخلق
منها زوجها حوى وقد تقدم خلق حوى من ضلع ادم في اول سورة النسا **ليسكن اليها** يعني ليانس بها ويأوي اليها
فلما تغشاها يعني واقعها وجامعها كنى به عن الجماع احسن كناية لان الجماع اتيان الرجل المرأة وقد غشيها وتغشاها
اذا علاها وتجللها **حملت حملا خفيفا** يعني النطفة والمني لان اول ما تحمل النطفة وهي خفيفة عليها **فمرت
به** يعني انها استمرت بذلك الحمل فقامت وقعدت وهو خفيف عليها **فلما اثقلت** اي صارت الى حال الثقل
وكبر ذلك الحمل ودنت ولادتها **دعوا الله ربهما** يعني ان ادم وحوى دعوا الله ربهما **لئن اتيتنا صالحا** يعني لئن
اعطيتنا بشرا سويا مثلنا **لنكونن من الشاكرين** يعني على انعامك علينا قال المفسرون لما اهبط ادم وحوى الى الارض
القيت الشهوة في نفس ادم فاصاب حوى فحملت من ساعتها فلما اثقل الحمل وثقل الولد اتاها ابليس فقال لها ما الذي
في بطنك قالت ما ادري قال اني اخاف ان يكون بهيمة او كلبا او خنزيرا وما ترين في الارض الا بهيمة او نحوها
قالت اني اخاف بعض ذلك وقال وما يدريك من اين يخرج امن دبرك او من فيك او يشق بطنك فيقتلك
فخافت حوى من ذلك فذكرته لادم فلم يزالا في غم من ذلك ثم عاد اليها ابليس فقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله
ان يجعله خلقا سويا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث لان اسم ابليس في الملائكة الحارث فذكرت
ذلك حوى لادم فقال لعله صاحبنا الذي قد علمت فعاودها ابليس فلم يزل بهما حتى غرهما فلما ولدت سمياه عبد
الحرث وقال ابن عباس كانت تلد حوى لادم فتسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصيبهم الموت فاتاهما
ابليس فقال ان سركما ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث فولدت فسمياه عبد الحرث فعاش عن سمرة بن جندب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت حوا طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد
الحرث فسمته فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وامره اخرجه الترمذي وقال حديث غريب لا نعرفه الا من حديث
عمر بن ابراهيم عن قتادة وقال فقد رواه بعضهم ولم يرفعه وقوله وذلك وحي الشيطان يعني من وسوسته وحيلته
كما جا انه خدعهما مرتين مرة في الجنة ومرة في الارض قال ابن عباس لما ولد له اول ولد اتاه ابليس فقال ناصح لك
في شان ولدك هذا سميه عبد الحرث وكان اسمه في السما الحرث فقال اعوذ بالله من طاعتك اني اطعتك في اكل
الشجرة فاخرجتني من الجنة فلن اطيعك فمات ولده ثم ولد له بعد ذلك ولد اخر فقال اطعني والا امات كما امات
الاول فعصاه فمات ولده فقال لا ازال اقتلهم حتى تسميه عبد الحرث فلم يزل به حتى سماه عبد الحرث فذلك قوله عز

وجل

وجل **فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما** قال ابن عباس اشركه في طاعته في غير عبادة ولم يشرك
بالله ولكن اطاعه وقال قتادة اشركا في الاسم لم يشركا في العبادة وقال عكرمة ما اشرك ادم ولا حوى
وكان لا يعيش لهما ولد فاتاهما الشيطان فقال ان سركما ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحرث فهو
قوله جعلا له شركا بكسر الشين مع التنوين ومعناه شركة وقال ابو عبيدة معناه حظا ونصيبا وقرئ
شركا بضم الشين مع المد جمع شريك يعني ابليس عبر عن الواحد بلفظ الجمع يعني جعلا له شركا اذ سميا ولدهما
عبد الحرث قال العلما ولو لم يكن ذلك شركا في العبادة ولا ان الحرث ربهما لان ادم عليه السلام كان نبيا
معصوما من الشرك ولكن قصدا بتسميتهما الولد بعبد الحرث ان الحرث كان سبب نجاة الولد وسلامته وسلامة
امه وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به انه مملوك كما قال الشاعر واني لعبد الضيف ما دام ثاويا
اخبر عن نفسه انه لعبد الضيف ما قام عنده مع بقاء الحرية عليه وانما اراد بالعبودية خدمة الضيف والقيام
بحقوقه كما يقوم العبد بواجب حقوق سيده وقد يطلق اسم الرب بغير الف ولام على غير الله كقول يوسف عليه
السلام لعزيز مصر انه ربي احسن مثواي اراد به التربية ولم يرد به انه ربه ومعبوده فكذلك قال وانما اخبر عن ادم
بقوله جعلا له شركا فيما اتاهما لان حسنات الابرار سيئات المقربين ولان منصب النبوة اشرف المناصب واعلاها
فعاتبه الله على ذلك لانه نظر الى السبب والله اعلم بمراده واسرار كتابه قال العلما وعلى هذا فقد تم الكلام عند
قوله فيما اتاهما ثم ابتدا في الخبر عن الكفار بقوله **فتعالى الله عما يشركون** نزه نفسه سبحانه وتعالى عن اشراك المشركين
من اهل مكة وغيرهم وهذا محمول على العموم ولو اراد ادم وحوى لقال فتعالى الله عما يشركان على التثنية لا على الجمع
وقال بعض اهل المعاني ولو اراد به ما سبق في معنى الاية فيستقيم ايضا من حيث انه كان الاولى بهما ان لا يفعلا
ما اتيا به من الاشراك في التسمية وكان الاولى ان يسمياه عبد الله لا عبد الحرث وفي معنى الاية قول اخر وهو انه
راجع الى جميع المشركين من ذرية ادم وهو قول الحسن وعكرمة ومعناه وجعل اولادهما له شركا فحذف ذلك الاولاد
واقامهما مقامهم كما اضاف فعل الابا الى الابنا بقوله ثم اتخذتم العجل واذ قتلتم نفسا فعير به اليهود الذين
كانوا موجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك من فعل ابائهم وقال عكرمة خاطب كل واحد من الخلق بقوله
هو الذي خلقكم من نفس واحدة اي خلق كل واحد من ابيه وجعل منها زوجها اي وجعل من جنسها زوجها ادمية
مثله وهذا قول حسن الا ان القول الاول اصح لانه قول السلف مثل ابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم
من المفسرين وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هم اليهود والنصارى رزقهم الله اولادا فهودوهم
ونصروهم وقال ابن كيسان هم الكفار سموا اولادهم بعبد العزى وعبد شمس وعبد الدار ونحو ذلك وقوله تعالى
ايشركون قرئ بالتا على خطاب الكفار وقوله باليا على الغيبة **ما لا يخلق شيئا** يعني ابليس والاصنام **وهم يخلقون**
اي وهم مخلوقون **فان قلت** كيف وحد يخلق ثم جمع فقال وهم يخلقون **قلت**
ان لفظة ما تقع على الواحد والاثنين والجمع فهي من صيغ الوحدان بحسب ظاهر اللفظ وجمع قوله وهم
يخلقون رعاية لجانب المعنى **فان قلت** كيف جمع بالواو والنون لمن لا يعقل وهو جمع من يعقل من الناس
قلت لما اعتقد عابدوا الاصنام انها تعقل وتميز ورد هذا الجمع بنا على ما يعتقدونه ويتصورونه
وقوله تعالى **ولا يستطيعون لهم نصرا** يعني ان الاصنام لا تقدر على نصر من اطاعها وعبدها ولا تنتصر ممن عصاها والنصر
المعونة على الاعدا والمعنى ان المعبود الذي تجب عبادته يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضر وهذه الاصنام
ليست كذلك فكيف يليق بالعاقل ان يعبدها ثم قال تعالى **ولا انفسهم ينصرون** يعني لا يقدرون ان يدفعوا عن
انفسهم مكروها فان من اراد كسرها قدر عليه وهي لا تقدر على دفعه ثم خاطب المؤمنين فقال تعالى **وان**

Copyright © King Saud University

تدعوهم الى الهدى يعني وان تدعوا ايها المومنون المشركين الى الهدى لا يتبعوكم لان الله تعالى حكم عليهم بالضلالة فلا يقبلوا
الهداية سواء عليكم ادعوتموهم يعني الى الدين والهدى يعني الهداية ام انتم صامتون اى ساكتون عن دعايهم فهم في كلا الحالين
لا يومنون وقيل ان الله تعالى لما بين في الاية المتقدمة عجز الاصنام بين في هذه الاية انه لا علم لها بشي لان هذه
والمعنى ان هذه الاصنام التي يعبدها المشركون معلوم من حالها انها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع لمن دعاها الى خير
وهدى ثم قوى هذا المعنى بقوله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وذلك ان المشركين كانوا اذا وقعوا
في شدة وبلاء تضرعوا الى اصنامهم فاذا لم يكن لهم الى الاصنام حاجة سكتوا وصمتوا فقيل لهم لا فرق بين دعاكم الاصنام
وسكوتكم عنها فانها عاجزة في كل حال قوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم يعني ان الاصنام التي تعبدها
هولاء المشركون انما هي مملوكة لله امثالهم وقيل انها مسخرة من الله مثل ما انتم مسخرون مذللون وقال مقاتل
في قوله عباد امثالكم انها الملايكة والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملايكة والقول الاول اصح وفيه
سوال وهو انه وصفها بانها عباد مع انها جماد والجواب ان المشركين لما ادعوا ان الاصنام تضر وتنفع
وجب ان يعتقدوا كونها عاقلة فاهمة فوردت هذه الالفاظ على وفق معتقدهم تبكيتا لهم وتوبيخا كذلك
قال فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين في كونها الهة وجوابه اخر وهو ان هذا اللفظ انما ورد في معرض
الاستهزا بالمشركين والمعنى ان قصارى هذه الاصنام التي تعبدونها ان تكون احيا عاقلة على معتقدكم فهم عباد
الله امثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم عبدتموهم وجعلتموهم الهة وجعلتم انفسكم لهم عبيدا ثم وصفهم بالعجز
فقال تعالى الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها
يعني ان قدرة الانسان المخلوق انما تكون بهذه الجوارح الاربعة فانها الات يستعين بها في جميع اموره
والاصنام ليس لها من هذه الاعضا والجوارح شي فهم مفضلون عليهم بهذه الاعضا لان الرجل الماشية افضل
من الرجل العاجزة عن المشي وكذلك اليد الباطشة افضل من اليد العاجزة عن البطش والعين الباصرة افضل
من العين العاجزة عن الادراك والاذن السامعة افضل من الاذن العاجزة عن السمع فظهر بهذا البيان ان
الانسان افضل من هذه الاصنام العاجزة بكثير بل لا فضل لها البتة لانها حجارة وجماد لا تضر ولا تنفع واذا كان
الامر كذلك فكيف يليق بالانسان العاقل الافضل ان يشتغل بعبادة الاخس الادون الارذل الذي لا فضل له
البتة ولا يضر ولا ينفع فامتنع بهذه الحجة كون الاصنام الهة ثم قال تعالى قل ادعوا شركاءكم اى قل يا محمد لهولا
المشركين ادعوا شركاءكم هذه الاصنام التي تعبدونها حتى يتبين عجزها ثم كيدون يعني انتم وشركاءكم وهذا متصل
بما قبله في استكمال الحجة عليهم لانهم لما فرعوا العبادة من لا يملك ضرا ولا نفعا قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان
معبودي يملك الضر والنفع فلو اجتهدتم في كيدي لم تصلوا الى ضري لان الله يدفع عني وقال الحسن كانوا يخوفونه
بالهتهم فقال الله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدوني فلا تنظرون اى لا تمهلون واعجلوا في كيدكم انتم وشركاءكم
ثم كيدوني ان وليي الله يعني ان الذي يتولى حفظي ويتولى نصري عليكم هو الله الذي نزل الكتاب يعني القرآن والمعنى
كما ايدني بانزال الكتاب كذلك يتولى حفظي ونصري وهو يتولى الصالحين يعني يتولاهم بحفظه ونصره فلا يضرهم عداوة
من عاداهم من المشركين وغيرهم من اراد هم بسوء وكادهم بشر قال ابن عباس يريد بالصالحين الذين لا يعدلون بالله شيا
ولا يعصونه وفي هذا مدح للصالحين لان من تولاه الله بحفظه فلا يضره شي قوله عز وجل والذين تدعون من
دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون هذه الاية قد تقدم تفسيرها والفايدة في تكريرها ان
الاية الاولى مذكورة على جهة التقريع والتوبيخ وهذه الاية مذكورة على جهة الفرق بين من تجوز له العبادة وهو
الله الذي يتولى الصالحين بنصره وحفظه وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تكون معبودة وقوله تعالى وان تدعوهم

الى

الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون قال الحسن المراد بهذا المشركين ومعناه ان تدعوا
ايها المومنون المشركين الى الهدى لا يسمعوا دعاكم لانهم اذا انهم قد صمت عن سماع الحق وتراهم ينظرون اليك يا محمد
وهم لا يبصرون يعني ببصاير قلوبهم وذهب اكثر المفسرون الى هذه الاية ايضا واردة في صفات الاصنام لانها
جماد لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر قوله تعالى خذ العفو العفو هنا الفضل وما جا بلا كلفة والمعنى قبل
الميسور من اخلاق الناس ولا تستقص عليهم فيستقصوا عليك فتتولد منه العداوة والبغضا وقال مجاهد
يعني خذ العفو من اخلاق الناس واعمالهم من غير تجسيس وذلك مثل قبول الاعتذار منهم وترك البحث عن الاشيا
والعفو المساهلة في كل شي خ عن عبد الله بن الزبير قال ما نزلت خذ العفو وامر بالعرف الا في اخلاق الناس
وفي رواية قال امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياخذ العفو من اخلاق الناس كذا في جامع الاصول في الجمع بين
الصحيحين للحميدي قال امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياخذ العفو من اخلاق الناس او كما قال وقال ابن عباس
يعني خذ ما عفا لك من اموالهم فما اتوك به من شي فخذه وكان هذا قبل ان تنزل براة بفرايض الصدقات وتفصيلها
وما انتهت اليه وقال السدي خذ العفو اي الفضل من المال نسختها اية الزكوة وقال الضحاك خذ ما عفي من اموالهم
وهذا قبل ان تفرض الصدقة المفروضة وامر بالعرف يعني وامر بكل ما امرك الله به وهو كل ما عرفته بالوحي
من الله عز وجل وكل ما يعرف بالشرع وقال عطا بقول لا اله الا الله واعرض عن الجاهلين امر الله تعالى نبيه صلى الله
عليه وسلم ان يصفح عن الجاهلين وهذا قبل ان يومر بقتال الكفار فلما امر بقتالهم صار الامر بالاعراض عنهم منسوخا
باية القتال قال بعضهم اول هذه الاية واخرها منسوخ واوسطها محكم يريد نسخ اولها اخذ الفضل من
بفرض الزكاة والامر بالمعروف محكم والاعراض عن الجاهلين منسوخ باية القتال وهي انه لما نزلت هذه الاية قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما هذا قال لا ادري حتى اسال ثم رجع فقال ان ربك يامرك ان تصل
من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ذكره البغوي بغير سند وقال جعفر الصادق قد امر الله عز
وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق وليس في الاية اجمع لمكارم من هذه عن عايشة قالت لم يكن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا في الاسواق ولا يجزي بالسيية السية ولكن يعفو ويصفح
اخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني
لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال قوله عز وجل واما ينزغنك من الشيطان نزغ قال ابن زيد لما نزلت قوله
تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين قال النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بالغضب يا رب فانزل الله
واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ونزغ الشيطان عبارة عن وساوسه ونخسه في القلب
وقيل النزغ الازعاج واكثر ما يكون عند الغضب واصله الازعاج بالحركة الى الشر والافساد يقال نزغت
بين القوم اذا افسدت بينهم وقال الزجاج النزغ ادنى حركة تكون ومن الشيطان ادنى وسوسة والمعنى
واما يصيبنك يا محمد ويعرض لك من الشيطان وسوسة او نخسة فاستعذ بالله يعني فاستجر بالله والجا اليه في دفعه
عنك انه سميع يعني لدعايك عليم بحالك وقيل ان الشيطان يجد مجالا في حمل الانسان على ما لا ينبغي في حالة الغضب والغيظ
فامر الله بالالتجا اليه والتعوذ به في تلك الحالة فهي تجري مجرى العلاج لذلك المرض فصل واحتج الطاعنون في عصمة الانبيا
بهذه الاية فقالوا لو كان النبي معصوما لم يكن للشيطان عليه سبيل حتى ينزغ في قلبه ويحتاج الى الاستعاذة والجواب عنه من وجوه
الاول ان معنى الكلام ان حصل في قلبك نزغ من الشيطان فاستعذ بالله انه لم يحصل لك ذلك البتة فهو كقوله لين اشركت
وهو بري من الشرك البتة والوجه الثاني على تقدير انه لو حصل وسوسة من الشيطان لكن الله عز وجل عصم نبيه صلى
الله عليه وسلم عن قبولها وثباتها في قلبه م عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا

Copyright © King Saud University

وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي الا ان الله اعانني عليه فاسلم انا من شره وفتنته
ومن فتح قال معناه ان اسلم من الاسلام يعني صار مومنا لا يامرني الا بخير قال الخطابي الصحيح المختار الرفع ورجح القاضي
عياض الفتح قال الشيخ وهو المختار لقوله من الشيطان لا يامرني الا بخير قال القاضي عياض واعلم ان الامة مجتمعة على
عصمة الانبيا من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه وفي الحديث اشارة الى التحذير من فتنة القرين ووسوسته
واغوايه اعلمنا انه معنا لنحترز منه بحسب الامكان والله اعلم الوجه الثالث يحتمل ان يكون الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم ومعناه واما ينزغنك ايها الانسان من الشيطان نزغ فاستعذ بالله فهو كقوله فاذا قرات القران فاستعذ
بالله قوله عز وجل ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف وقرى طيف من الشيطان وهما لغتان ومعناه الشي يلم بالانسان وقيل بينهما
فرق فالطايف ما يطوف حول الانسان والطيف الوسوسة وقيل الطايف ما طاف به من وسوسة الشيطان
والطيف اللمم والمس وقال الازهري الطيف في كلام العرب الجنون وقيل للغضب طيف لان الغضبان يشبه المجنون
وقيل سمي الجنون والغضب والوسوسة طيفا لانه لمة من الشيطان تشبه لمة الخيال فذكر في الاية الاولى النزغ
وهو اخف من الطيف المذكور في هذه الاية لان حالة الشيطان مع الانبيا اضعف من حاله مع غيرهم تذكروا يعني
عرفوا ما حصل لهم من وسوسة الشيطان وكيده قال سعيد بن جبير هو الرجل يغضب الغضب فيذكر الله فيكظم
غيظه وقال مجاهد الرجل يلم بالذنب فيذكر الله فيقوم ويدعه فاذا هم مبصرون يعني انهم يبصرون مواقع الخطا
بالتذكر والتفكر وقال السدي اذا زلوا تابوا وقال مقاتل اذا اصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف انه معصية
فابصر ونزع عن مخالفة الله عز وجل واخوانهم يعني واخوان الشياطين من المشركين يمدونهم اي يمدهم الشياطين
في الغي وقال الكلبي لكل كافر اخ من الشياطين يمدونهم اي يطيلون لهم في الاغوا حتى يستمروا عليه وقيل يزيدونهم
من الضلالة ثم لا يقصرون يعني لا يكفون عن الضلالة ولا يتركونها وهذا بخلاف حال المومنين المتقين لان المومن
اذا اصابه طيف من الشيطان تذكر وعرف ذلك فنزع منه وتاب واستغفر والكافر مستمر في ضلالته لا يتذكر ولا يرعوي
وقال ابن عباس الانس لا يقصدون عما يعملون من السيات ولا الشياطين يمسكون عنهم فعلى هذا القول يحمل قوله
لا يقصرون على فعل الانس والشياطين جميعا قوله عز وجل واذا لم تاتهم باية يعني واذا لم تات المشركين يا محمد باية
معجزة باهرة قالوا يعني قال المشركون لولا اجتبيتها يعني اختلقتها وانشاتها من قبل نفسك واختيارك تقول العرب
اجتبيت الكلام اذا اختلقته وافتعلته وقال الكلبي كان اهل مكة يسالون النبي صلى الله عليه وسلم الايات
تعنتا فاذا تاخرت اتهموه وقالوا لولا اجتبيتها يعني هلا احدثتها وانشاتها من عندك قل اي قل يا محمد لهولا
المشركين الذين سالوا الايات انما اتبع ما يوحى الي من ربي يعني القران الذي انزل علي وليس لي ان اقترح الايات
والمعجزات هذا بصاير من ربكم يعني هذا القران حجج وبرهان واصل البصاير الابصار وهو ظهور الشي حتى
يبصره الانسان ولما كان القران سببا لبصاير العقول في دلايل التوحيد والنبوة والمعاد اطلق عليه اسم
البصيرة فهو من باب تسمية السبب باسم المسبب وهدى يعني وهو هدى ورحمة يعني وهو رحمة من الله
لقوم يومنون وهنا لطيفة وهي في الفرق بين هذه المراتب الثلاث وذلك ان الناس متفاوتون في درجات
العلوم فمنهم من بلغ الغاية في التوحيد حتى صار كالمشاهد وهم اصحاب عين اليقين ومنهم من بلغ درجة
الاستدلال والنظر وهم اصحاب علم اليقين ومنهم المسلم المستسلم وهم عامة المومنين وهم اصحاب حق اليقين
فالقران في حق الاولين وهم السابقون بصاير وفي حق القسم الثاني وهم المستدلون هدى وفي القسم الثالث
وهم عامة المومنين رحمة قوله عز وجل واذا قرى القران فاستمعوا له وانصتوا لما ذكر الله تعالى عظم القران شان
بقوله هذا بصاير من ربكم وهدى ورحمة اتبعه بما يجب من تعظيم شانه عند قراته فقال تعالى واذا قرى عليكم القران

ايها

ايها المومنون فاستمعوا له يعني اصغوا اليه باسماعكم لتفهموا معانيه وتتدبروا مواعظه وانصتوا يعني عند
قراته والانصات السكوت للاستماع يقال نصت وانصت بمعنى واحد واختلف العلما في الحال التي امر الله عز
وجل بالاستماع لقارى القران والانصات له اذا قرى لان قوله فاستمعوا له وانصتوا امر وظاهر الامر
الوجوب فمقتضاه ان يكون الاستماع والسكوت واجبين وللعلما في ذلك اقوال القول الاول وهو قول الحسن
واهل الظاهر ان تجرى هذه الاية على العموم ففي اي وقت واي موضع قرى القران يجب على كل واحد الاستماع
والسكوت القول الثاني انها نزلت في تحريم الكلام في الصلوة روي عن ابي هريرة انهم كانوا يتكلمون في الصلاة
بحوايجهم فامروا بالسكوت والاستماع لقراءة القران وقال عبد الله كنا نسلم بعضنا على بعض في الصلاة
سلام على فلان وسلام على فلان فجا القران واذا قرى القران فاستمعوا له وانصتوا القول الثالث انها نزلت
في الجهر بالقراة خلف الامام وروي عن ابي هريرة قال نزلت هذه الاية في رفع الاصوات وهم خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود انه سمع ناسا يقرون مع الامام فلما انصرف قال اما ان لكم ان تفقهوا
واذا قرى القران فاستمعوا له وانصتوا كما امركم الله وقال الكلبي كانوا يرفعون اصواتهم في الصلاة حين يسمعون
ذكر الجنة والنار القول الرابع انها نزلت في السكوت عند الخطبة يوم الجمعة وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد
وعطا قال مجاهد الانصات للامام يوم الجمعة وقال عطا وجب الصموت في اثنتين عند الرجل يقرا القران
وعند الامام وهو يخطب وهذا القول اختاره جماعة وفيه بعد لان الاية مكية والخطبة انما وجبت
بالمدينة واتفقوا على انه يجب الانصات حال الخطبة بدليل السنة وهو ما روي عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك انصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت اخرجاه
في الصحيحين واختلف العلما في القراة خلف الامام فذهب جماعة الى ايجابها سوا جهر الامام بالقراة او اسر
يروى ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن عباس ومعاذ وهو قول الاوزاعي واليه ذهب الشافعي وذهب قوم
الى انه يقرا فيما اسر الامام فيه القراة ولا يقرا اذا جهر يروى عن ابن عمر وهو قول عروة بن الزبير والقاسم
بن محمد وبه قال الزهري ومالك وابن المبارك واحمد واسحاق وذهب قوم الى انه لا يقرا سوا اسر الامام او
جهر يروى ذلك عن جابر واليه ذهب اصحاب الراي فحجة من لا يرى القراة خلف الامام ظاهر هذه الاية وحجة من
قال يقرا في السرية دون الجهرية قال ان الاية تدل على الامر بالاستماع وحملنا مدلول السنة على صلاة السرية
جمعا بين دلايل الكتاب والسنة وحجة من اوجب القراة خلف الامام ولم يفرق بين السرية والجهرية قالوا
قالوا اذا قرى الفاتحة خلف الامام يتبع سكتاته ولا ينازعه في القراة ولا يجهر بالقراة خلفه ويدل
عليه ما روي عن عبادة بن الصامت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فثقلت عليهم القراة
فلما انصرفوا قال اني اراكم تقرون ورا امامكم قال قلنا يا رسول الله اي والله قال لا تفعلوا الا بام القران
فانه لا صلاة لمن لم يقرا بها اخرجه الترمذي بطوله واخرجاه في الصحيحين باقصر منه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرا بفاتحة الكتاب م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى صلاة لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج يقولها ثلاثا غير تمام فقيل لابي هريرة انا نكون ورا الامام
قال اقرا بها في نفسك وذكر الحديث وقوله تعالى لعلكم ترحمون يعني لكي يرحمكم ربكم باتباعكم ما امركم به من اوامر
فرايضه قوله عز وجل واذكر ربك في نفسك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من امته لانه عام لساير
المكلفين قال ابن عباس يعني بالذكر القراة في الصلاة يريد يقرا سرا في نفسك والفايدة فيه انتفاع الانسان
بالذكر انما يكمل اذا وقع الذكر بهذه الصفة لان تذكر النفس اقرب الى الاخلاص والبعد عن الريا وقيل المراد بالذكر

في التسبيح ان يستحضر في قلبه عظمة المذكور جل جلاله واذا كان الذاكر باللسان عاريا عن ذكر القلب كان عديم الفائدة لان فائدة
الذكر حضور القلب واستشعاره عظمة المذكور تعالى **تضرعا** يقال ضرع الرجل يضرع ضراعة اذا خضع وذل واستكان
لغيره **وخيفة ودون الجهر من القول** يعني وخوفا والمعنى تتضرع اليه وتخاف من عذابه وقال مجاهد وابن جريج امروا ان يذكروه
في الصدور وبالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت في الدعاء وههنا لطيفة وهي ان قوله واذكر ربك في نفسك فيه
اشعار بقرب العبد من الله عز وجل وهو مقام الرجاء لان لفظ الرب مشعر بالتربية والرحمة والفضل والاحسان
فاذا تذكر العبد نعم الله عليه واحسانه اليه فعند ذلك يتقوى مقام الرجاء ثم اتبعه بقوله تضرعا وخيفة
وهذا مقام الخوف فاذا حصل في قلب العبد داعية الخوف والرجاء قوي ايمانه والمستحب ان يكون الخوف اغلب
على العبد في حال صحته وقوته فاذا قارب الموت ودنا اجله فيستحب ان يغلب رجاؤه على خوفه عن انس بن مالك
ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك قال ارجو الله يا رسول الله واني اخاف ذنوبي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله ما يرجو منه وامنه مما يخاف
اخرجه الترمذي وقوله تعالى **بالغدو** جمع غدوة **والآصال** جمع اصيل وهو ما بين صلاة العصر الى المغرب والمعنى اذكر ربك بالبكر
والعشيات وانما خص هذين الوقتين بالذكر لان الانسان يقوم بالغداة من النوم الذي هو اخو الموت فاستحب له ان
يستقبل حالة الانتباه من النوم وهو وقت الحياة من موت النوم بالذكر ليكون اول اعماله ذكر الله عز وجل واما وقت
الآصال وهو آخر النهار فان الانسان يريد ان يستقبل النوم الذي هو اخو الموت فيستحب له ان يشتغل بالذكر لانها حالة
تشبه الموت ولعله لا يقوم من تلك النومة فيكون موته على ذكر الله عز وجل وهو المراد من قوله تعالى **ولا تكن من
الغافلين** يعني عما يقربك الى الله عز وجل وقيل ان اعمال العباد تصعد اول النهار وآخره فيصعد عمل الليل عند صلاة
الفجر ويصعد عمل النهار بعد العصر الى المغرب فاستحب له الذكر في هذين الوقتين ليكون ابتداء عمله بالذكر واختتامه
بالذكر وقيل لما كانت الصلاة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر مكروهة استحب للعبد ان يذكر الله في هذين
الوقتين ليكون في جميع اوقاته مشتغلا بما يقربه الى الله تعالى من صلاة او ذكر قوله عز وجل **ان الذين عند ربك** يعني
الملائكة المقربين لما امر الله عز وجل رسوله والمؤمنين بالذكر في حالة التضرع والخوف اخبر ان الملائكة الذين عنده مع
علو رتبتهم وشرفهم وعصمتهم **لا يستكبرون عن عبادته** وطاعته لانهم عبيده خاضعين لعظمته وكبريائه عز وجل
ويسبحونه لا لغيره **فان قلت** التسبيح والسجود داخلان في قوله لا يستكبرون عن عبادته لانهما من جملة
العبادة فكيف افردهما بالذكر **قلت** اخبر الله عز وجل عن الملائكة انهم خاضعين لعظمته لا يستكبرون عن
عبادته ثم اخبر عن صفة عبادتهم وانهم يسبحونه ولما كانت الاعمال تنقسم الى قسمين اعمال القلوب وهي تنزيه الله عن
كل سوء وهو الاعتقاد القلبي عبر عنه بقوله ويسبحونه وعبر عن اعمال الجوارح بقوله **وله يسجدون** ليوافق الملائكة
المقربون في عباداتهم (ق) عن عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القرآن فيقرأ سورة فيها سجدة
فيسجد ونسجد معه حتى ما يجد بعضنا موضعا لمكان جبهته في غير وقت الصلاة (م) عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلنا امر ابن آدم بالسجود فسجد
فله الجنة وامرت بالسجود فابيت فلي النار (م) عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول عليك بكثرة السجود فانك لا تسجد لله سجدة الا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها
خطيئة والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الانفال

مدنية كلها الا سبع آيات نزلت بمكة وهي من قوله
تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الى آخر سبع آيات والاصح انها نزلت بالمدينة وان كانت الواقعة بمكة وهي خمس وسبعون
آية والف وخمس وسبعون كلمة وخمسة آلاف وثمانون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **يسألونك عن الانفال**

(ق) عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة الانفال قال نزلت في بدر واختلف اهل التفسير في سبب نزولها
فقال ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا ومن اتى مكان كذا
فله كذا وكذا ومن قتل قتيلا فله كذا فتسارع الشبان وبقيت الشيوخ تحت الرايات فلما فتح الله عليهم جاؤوا يطلبون
ما جعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم الاشياخ لا تذهبوا به دوننا فانا كنا ردءا لكم ولو انكشفتم
لفئتم الينا فتنازعوا فانزل الله عز وجل يسألونك عن الانفال الآية قال اهل التفسير وقام ابو اليسر بن عمرو الانصاري اخو بني سلمة
فقال يا رسول الله انك وعدت ان من قتل قتيلا فله كذا وانا قد قتلنا سبعين وقام سعد بن معاذ فقال والله
ما منعنا ان نطلب ما طلب هؤلاء زهادة في الآخرة ولا جبن عن العدو ولكن كرهنا ان نعري مصافك فيعطف عليك خيل من
المشركين فيصيبونك فاعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد يا رسول الله ان الناس كثير والغنيمة
دون ذلك فان تعط هؤلاء الذين ذكرت لا يبقى لاصحابك كبير شيء فنزلت هذه الآية يسألونك عن الانفال وقال محمد
بن اسحاق امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما في العسكر فجمع واختلف المسلمون فيه فقال من جمعه هو لنا وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم نفل كل امرئ ما اصاب وقال الذين كانوا يقاتلون العدو لولا نحن ما اصبتموه وقال الذين يحرسون
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنا نقدر ان نقاتل العدو ولكنا خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم غرة العدو فقمنا
دونه فما انتم باحق منا فنزلت هذه الآية وروى مكحول عن ابي امامة الباهلي قال سألت عبادة بن الصامت عن الانفال
فقال فينا معشر اصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا وجعله الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا عن بواء يقول على سواء وكان تقوى الله
وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر جئت بسيف فقلت يا رسول
الله قد شفى صدري من المشركين او نحو هذا هب لي هذا السيف فقال هذا ليس لي ولا لك فقلت عسى ان يعطى هذا
من لا يبلي بلائي فجاءني الرسول فقال انك سألتني وليس لي وانه قد صار لي وهو لك فنزلت يسألونك عن الانفال
الآية اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح واخرجه مسلم في جملة حديث طويل يتضمن فضائل سعد
ولفظ مسلم فيه قال غنم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمة عظيمة فاذا فيها سيف فاخذته فاتيت به رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت نفلني هذا السيف فانا من قد علمت حاله فقال رده من حيث اخذته فانطلقت به حتى
اردت ان القيه في القبض لامتني نفسي فرجعت اليه فقلت اعطنيه فشد لي صوته رده من حيث اخذته فانزل الله عز
وجل يسألونك عن الانفال وقال ابن عباس كانت الغنائم لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد فيها
شيء وما اصاب سرايا المسلمين من شيء اتوه به فمن حبس منه ابرة او سلكا فهو غلول واما التفسير فقوله تعالى يسألونك
عن الانفال استفتاء يعني يسألك اصحابك يا محمد عن حكم الانفال وعلمها وهو سؤال استفتاء لا سؤال طلب وقال الضحاك
وعكرمة هو سؤال طلب وقوله عن الانفال اي من الانفال وعن بمعنى من وقيل عن صلة اي يسألونك الانفال
والانفال هي الغنائم في قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة واصل النفل الزيادة سميت الغنائم انفالا لانها زيادة
من الله عز وجل لهذه الامة على الخصوص واكثر المفسرين انها نزلت في غنائم بدر وقال عطاء هي ما شذ من المشركين الى
المسلمين بغير قتال من عبد او امة او متاع فهو للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما يشاء **قل الانفال لله والرسول**
اي قل لهم يا محمد ان الانفال حكمها لله ورسوله يقسمانها كيف شاءا واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال مجاهد
وعكرمة والسدي هذه الآية منسوخة نسخها الله بقوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول الآية
كانت الغنائم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها كيف شاء ولمن شاء ثم نسخها الله بالخمس وقال بعضهم هذه الآية ناسخة
من وجه ومنسوخة من وجه وذلك ان الغنائم كانت حراما على الامم الذين من قبلنا في شرائع انبيائهم فاباحها الله

١٢١٠

Copyright © King Saud University

هذه الامة بهذه الاية وجعلها ناسخة لشرع من قبلنا ثم نسخت باية الخمس وقال عبد الرحمن بن زيد انها محكمة وهي احد
الروايات عن ابن عباس ومعنى الاية على هذا القول قل الانفال لله وللرسول يضعها حيث امره الله وقد بين الله
مصارفها في قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول الاية وصح من حديث ابن عمر قال بعثنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم في سرية فغنمنا ابلا فاصاب كل واحد منا احد عشر بعيرا ونفلنا بعيرا بعيرا اخرجاه في الصحيحين
فعلى هذا تكون الاية محكمة وللامام ان ينفل من شاء من الجيش ما شاء قبل التخميس **فاتقوا الله** يعني اتقوا الله بطاعته
واتقوا مخالفته واتركوا المنازعة والمخاصمة في الغنائم **واصلحوا ذات بينكم** اي اصلحوا الحال فيما بينكم بترك المنازعة
والمخالفة وبتسليم امر الغنائم الى الله ورسوله **واطيعوا الله ورسوله** فيما يامركم به وينهاكم عنه **ان كنتم مومنين** يعني
ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده قوله عز وجل انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم لما امر الله تع
بطاعته وطاعة رسوله في الاية المتقدمة ثم قال بعده ان كنتم مومنين لان الايمان يستلزم الطاعة وبين في هذه الاية
صفات المومنين واحوالهم فقال تعالى انما المومنون ولفظة انما تفيد الحصر والمعنى ليس المومنون الذين يخالفون الله
ورسوله انما المومنون الصادقون في ايمانهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي خضعت وخافت ورقت قلوبهم وقيل
اذا خوفوا بالله انقادوا وخافوا من عقابه وقال اهل الحقايق الخوف على قسمين خوف العقاب وهو خوف العصاة وخوف
الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص لانهم يعلمون عظمة الله عز وجل فيخافونه اشد خوف واما العصاة فيخافون
عقابه فالمومن اذا ذكر الله وجل قلبه وخافه على قدر مرتبته في ذكر الله عز وجل **فان قلت** انه تعالى قال
في هذه الاية وجلت قلوبهم يعني خافت وقال في اية اخرى وتطمئن قلوبهم بذكر الله فكيف الجمع بينهما **قلت**
لا منافاة بين هاتين الحالتين لان الوجل هو خوف العقاب والاطمينان انما يكون من ثلج اليقين وشرح الصدر بنور
المعرفة والتوحيد وهذا مقام الخوف والرجاء وقد جمعا في اية واحدة وهي قوله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند ذكر رحمته ورجا ثوابه وهذا حاصل في قلب المومن ثم قال **واذا تليت عليهم اياته**
زادتهم ايمانا يعني واذا قرئ عليهم ايات القران زادتهم بذلك ايمانا وتصديقا لان زيادة الايمان بزيادة
التصديق وذلك على وجهين الوجه الاول وهو الذي عليه عامة اهل العلم على ما حكاه الواحدي ان كل من كانت
الدلايل عنده اكثر واقوى كان ايمانه ازيد لان عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين فتكون
معرفته بالله اقوى فيزداد ايمانه الوجه الثاني وهو انهم يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند الله ولما كانت التكاليف
متوالية في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما تجدد تكليف صدقوا به فيزدادون بذلك اقرارا وتصديقا
وايمانا ومن المعلوم ان من صدق انسانا في شيئين كان اكثر ممن صدقه في شيء واحد فقوله تعالى واذا تليت عليهم
اياته زادتهم ايمانا معناه انهم كلما سمعوا اية جديدة اتوا باقرار جديد وتصديق جديد وكان ذلك زيادة في
ايمانهم واختلف الناس في ان الايمان هل يقبل الزيادة والنقص ام لا فالذين قالوا ان الايمان عبارة عن التصديق
القلبي قالوا لا يقبل الزيادة لاجماع اهل اللغة على ان الايمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب وذلك
لا يقبل الزيادة ومن قال ان الايمان عبارة عن مجموع امور ثلاثة وهو التصديق بالقلب والاقرار باللسان
والعمل بالجوارح والاركان فقد استدل على ذلك من هذه من وجهين احدهما ان قوله زادتهم ايمانا صريح في ان
الايمان يقبل الزيادة ولو كان عبارة عن التصديق بالقلب فقط لما قبل الزيادة واذا قبل الزيادة فقد قبل النقص
الوجه الثاني انه ذكر في هذه الاية اوصافا متعددة من احوال المومنين ثم قال تعالى بعد ذلك اولئك هم المومنون
حقا وذلك يدل على ان تلك الاوصاف داخلة في مسمى الايمان روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحيا شعبة من

الايمان

من الايمان اخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان الايمان على مراتب واذا كان كذلك كان قابلا للزيادة
والنقص قال عمير بن حبيب وكانت له صحبة ان الايمان يزيد وينقص فقيل له فما زيادته ونقصانه قال اذا ذكرنا الله
وحمدناه فذلك زيادته واذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدي ان للايمان فرايض
وشرايط وشرايع وحدودا وسننا فمن استكملها فقد استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وقوله تعالى
وعلى ربهم يتوكلون معناه يفوضون جميع امورهم اليه ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه واعلم ان المومن اذا كان
واثقا بوعد الله ووعيده كان من المتوكلين عليه لا على غيره وهي درجة عالية ومرتبة شريفة لان الانسان
يصير بحيث لا يبقى له اعتماد في شيء من اموره الا على الله عز وجل واعلم ان هذه المراتب الثلاث اعني الوجل عند ذكر
الله وزيادة الايمان عند تلاوة القران والتوكل على الله من اعمال القلوب ولما ذكر الله تعالى هذه الصفات
الثلاث اتبعها بصفتين من اعمال الجوارح فقال تعالى الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون يعني
يقيمون الصلاة المفروضة بحدودها واركانها في اوقاتها وينفقون من اموالهم فيما امرهم الله به من الانفاق
فيه ويدخل فيه النفقة في الزكوة وفي الحج والجهاد وغير ذلك من الانفاق في انواع البر والقربات ثم قال تعالى
اولئك يعني من هذه صفتهم **هم المومنون حقا** يعني يقينا لا شك في ايمانهم قال ابن عباس بروا من الكفر وقال قتادة
استحقوا الايمان واحقه الله لهم وفيه دليل على انه لا يجوز ان يصف احد نفسه بكونه مومنا حقا لان الله
انما وصف بذلك اقواما مخصوصين على اوصاف مخصوصة وكل احد لا يتحقق وجود تلك الاوصاف فيه
وهذا يتعلق بمسالة اصولية وهي ان العلما اتفقوا على انه يجوز للرجل ان يقول انا مومن واختلفوا في انه هل يجوز
له ان يقول انا مومن حقا ام لا فقال اصحاب ابي حنيفة الاولى ان يقول انا مومن حقا ولا يجوز ان يقول انا مومن ان شا
الله تعالى واستدلوا على صحة هذا القول بوجوه الاول ان المتحرك لا يجوز ان يقول انا متحرك ان شا الله وكذا
القول في القايم والقاعد فكذلك هذه المسالة يجب فيها ان يكون المومن مومنا حقا ولا يجوز ان يقول انا مومن
ان شا الله تعالى الوجه الثاني انه تعالى قال اولئك هم المومنون حقا فقد حكم الله بكونهم مومنين وفي قوله
انا مومن ان شا الله تشكيك فيما قطع لهم به وذلك لا يجوز وقال اصحاب الشافعي الاولى ان يقول الرجل انا مومن
ان شا الله واحتجوا لصحة هذا القول بوجوه الاول ان الايمان عندهم عبارة عن الاعتقاد والاقرار والعمل
وكون الانسان اتيا بالاعمال الصالحة المقبولة امر مشكوك فيه والشك في احد اجزا الماهية يوجب الشك في الماهية
فيجب ان يقول انا مومن ان شا الله وان كان اعتقاده واقراره صحيحا وعند اصحاب ابي حنيفة ان الايمان عبارة
عن الاعتقاد فخرج العمل عن مسمى الايمان فلم يلزم حصول الشك الوجه الثاني ان قولنا انا مومن ان شا الله ليس على
سبيل الشك ولكن اذا قال الرجل انا مومن فقد مدح نفسه باعظم المدايح وربما حصل له بذلك عجب فاذا قال
ان شا الله زال ذلك العجب وحصل الانكسار روي ان ابا حنيفة قال لقتادة لم تستثني في ايمانك فقال قتادة اتباعا
لابراهيم عليه السلام في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال ابو حنيفة هلا اقتديت به في قوله
اولم تومن قال بلى فانقطع قتادة قال بعضهم كان لقتادة ان يقول ان ابراهيم قال بعد قوله بلى ولكن ليطمئن قلبي فطلب
مزيد الطمانينة الوجه الثالث ان الله ذكر في اول الاية انما المومنون ولفظة انما تفيد الحصر يعني انما المومنون الذين هم
كذا وكذا وذكر بعد ذلك اوصافا خمسة وهي الخوف من الله والاخلاص لله والتوكل على الله والاتيان بالصلاة كما امر الله وايتا
الزكاة كذلك ثم قال بعد ذلك اولئك هم المومنون حقا يعني من اتى بمجموع هذه الاوصاف كان مومنا حقا ولا يمكن لاحد
ان يقطع بحصول هذه الصفات له فكان الاولى ان يقول انا مومن ان شا الله وقال ابن ابي نجيح سال رجل الحسن فقال امومن انت
فقال الحسن ان كنت تسالني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة والنار والبعث والحساب

Copyright © King Saud University

فانا بها مومن وان كنت تسالني عن قوله انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية فلا ادري انا منهم ام لا فان علقمة كنا في
سفر فلقينا قوما فقلنا من القوم قالوا نحن المومنون حقا فلم ندر ما نجيبهم حتى لقينا عبد الله بن مسعود فاخبرناه بما قالوا فقال
فما رددتم عليهم قلنا لم نرد عليهم شيا قال افلا قلتم لهم امن اهل الجنة انتم وقال سفيان الثوري من زعم انه مومن حقا عند الله ثم لم
يشهد انه في الجنة فقد امن بنصف الاية دون النصف الاخر الوجه الرابع ان قلنا ان بقولنا انا مومن ان شا الله للتبرك
لا للشك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شا الله بكم لاحقون مع العلم القطعي انه لاحق باهل القبور الوجه الخامس ان
المومن لا يكون مومنا حقا الا اذا اتى بالايمان ومات عليه وهذا لا يحصل الا عند الموت فلهذا السبب حسن ان يقال انا مومن
ان شا الله فالمراد بصرف هذا الاستثنا الى الخاتمة واجاب اصحاب هذا القول وهم اصحاب الشافعي عن استدلال اصحاب ابي حنيفة
بقولهم ان المتحرك لا يجوز ان يقول انا متحرك ان شا الله الفرق بين وصف الانسان بين كونه مومنا وبين وصفه بكونه متحركا
ان الايمان يتوقف حاله على الخاتمة والحركة تعلق تتبين تحصل الفرق بينهما والجواب عن الوجه الثاني وهو قولهم انه تعالى قال اولئك
هم المومنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مومنين حقا انه تعالى حكم للموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الاية بكونهم مومنين حقا
اذا اتوا بتلك الاوصاف الجمة وهذا لا يقدر عليه احد انه اتى بتلك الاوصاف على الحقيقة ونحن نقول حقا ان من اتى بتلك الاوصاف
على الحقيقة كان مومنا حقا ولكن لا يقدر على ذلك احد والله اعلم وقوله تعالى **لهم درجات عند ربهم** يعني لهم مراتب بعضها اعلى من
بعض لان المومنين تتفاوت احوالهم في الاخذ بتلك الاوصاف المذكورة فلهذا تتفاوت مراتبهم في الجنة لان درجات الجنة على
قدر الاعمال فالعطا درجات الجنة يرتقونها باعمالهم وقال الربيع بن انس سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس المضمر
سبعين سنة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام اخرجه الترمذي
وله عن ابي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة لو ان العالمين اجتمعوا في احداهن لوسعتهم **ومغفرة** يعني
ولهم مغفرة لذنوبهم **ورزق كريم** يعني ما اعد لهم في الجنة ووصفه بكونه كريما لان منافعه خالصة لهم دائمة عليهم مقرونة
بالاكرام والتعظيم قوله تعالى **كما اخرجك ربك من بيتك بالحق** اختلفوا في الجالب لهذه الكاف ما هو فقال المبرد تقديره قل
الانفال لله والرسول وان كرهوا كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان كرهوا وقيل معناه امض لامر ربك في الانفال وان
كرهوا كما مضيت لامر ربك في الخروج من البيت لطلب العير وهم كارهون وقيل معناه فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان ذلك خير
لكم كما ان اخراج محمد صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق خير لكم وان كرهه فريق منكم وقيل هو راجع الى قوله لهم درجات عند ربهم تقديره
وعد المومنين الدرجات حقا حتى ينجزه الله تعالى كما اخرجك ربك من بيتك بالحق انجز الوعد بالنصر والظفر وقيل هي متعلقة بما
بعدها تقديره كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وجوابه يجادلونك في الحق وقيل الكاف بمعنى القسم تقديره والذي اخرجك من بيتك
بالحق وجوابه يجادلونك في الحق وقيل الكاف بمعنى اذ تقديره واذكر يا محمد اذ اخرجك ربك من بيتك بالحق وقيل المراد بهذا الاخراج
اخراجه من مكة الى المدينة للهجرة وقال جمهور المفسرين المراد بهذا الاخراج هو خروجه من المدينة الى بدر ومعناه كما امرك
ربك بالخروج من بيتك بالمدينة بالحق يعني بالوحي لطلب المشركين **وان فريقا من المومنين لكارهون** يعني القتال وانما كرهوه لقلة
عددهم وقلة سلاحهم وكثرة عدوهم وكثرة سلاحهم **يجادلونك في الحق** وذلك ان المومنين لما ايقنوا بالقتال كرهوا ذلك وقالوا
لم تعلمنا انا نلقى العدو فنستعد لقتالهم وانما خرجنا لطلب العير فذلك جدالهم **بعد ما تبين** يعني لهم انك لا تصنع شيئا
الا بامر ربك وتبين لهم صدقك في الوعد **كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون** يعني الى الموت شبه حالهم في فرط فزعهم
بحال من يجر الى القتل ويساق الى الموت وهو ينظر اليه ويعلم انه اتيه **واذ يعدكم الله احدى الطايفتين** يعني احدى الفرقتين
فرقة ابي سفيان مع العير وفرقة ابي جهل مع النفير **انها لكم** يعني احدى الفرقتين لكم قال ابن عباس وعروة بن الزبير
ومحمد بن اسحاق والسدي اقبل ابو سفيان بن حرب من الشام في عير قريش في اربعين راكبا من كفار قريش منهم عمرو بن العاص
ومخرمة بن نوفل الزهري ومعهم تجارة كثيرة وهي اللطيمة يريد اللطيمة الجمال التي تحمل العطر والبر غير الميرة حتى اذا كانوا

قريبا

قريبا من بدر بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم فندب اصحابه اليهم فاخبرهم بكثرة المال وقلة العدو وقال هذه قريش فيها اموالهم
فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك انهم لم يظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلقى حربا فلما سمع ابو سفيان بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم استاجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه الى مكة وامره ان ياتي
قريشا يستنفرهم ويخبرهم ان محمدا واصحابه قد عرضوا لعيرهم فخرج ضمضم سريعا الى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد
رات رويا قبل قدوم ضمضم بثلاثة ايام افزعتها فبعثت الى اخيها العباس بن عبد المطلب فقالت يا اخي والله لقد رايت الليلة
رويا افظعتني وخشيت ان يدخل على قومك منها شر ومصيبة قال لها وما رايت قالت رايت راكبا اقبل على بعير
له حتى وقف بالابطح ثم صرخ باعلى صوته الا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث فارى الناس قد اجتمعوا اليه ثم دخل
المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ مثلها باعلى صوته الا انفروا يا آل غدر
الى مصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعيره على راس ابي قبيس فصرخ مثلها ثم اخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوي حتى اذا كانت
باسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها الا ودخل منها فلقة فقال العباس والله ان
هذه لرويا فاكتميها ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة وكان صديقا للعباس فذكر رويا عاتكة
له واستكتمه اياها فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش بمكة قال العباس فغدوت اطوف
بالبيت وابو جهل بن هشام في نفر من قريش فقال يا ابا الفضل اذا فرغت من طوافك فاقبل الينا قال العباس فلما فرغت
من طوافي اقبلت اليهم حتى جلست معهم فقال لي ابو جهل يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية قال قلت وما ذاك
قال الرويا التي رات عاتكة قلت وما رات قال يا بني عبد المطلب ما رضيتم ان يتنبا رجالكم حتى يتنبا نساوكم لقد زعمت
عاتكة في روياها انه قال انفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان كان ما قالت حقا فسيكون وان تمض الثلاث
ولم يكن من ذلك شي نكتب عليكم كتابا انكم اكذب اهل بيت في العرب قال العباس فوالله ما كان مني اليه من كبير شي الا اني
جحدت ذلك وانكرت ان تكون عاتكة رات شيا ثم تفرقنا فلما امسيت لم يبق امراة من بني عبد المطلب الا اتتني فقلن
اقررتم لهذا الفاسق الخبيث ان يقع في رجالكم حتى تناول النساء وانت تسمع ولم يكن عندك غيرة لشي مما سمعت قال قلت والله
قد فعلت ما كان مني اليه من شي وايم الله لاتعرضن له فان عاد لاكفينه قال فغدوت في اليوم الثالث من رويا عاتكة
وانا حديد مغضب ارى اني قد فاتني شي احب ان ادركه منه قال فدخلت المسجد فرايته فوالله اني لامشي نحوه اتعرضه
ليعود لبعض ما قال فاقع به وكان ابو جهل رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر اذ خرج نحو باب المسجد
يشتد قال العباس فقلت في نفسي ما له لعنه الله اكل هذا فرقا مني ان اشاتمه قال فاذا هو قد سمع ما لم اسمع صوت ضمضم
ابن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره وقد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش
اللطيمة اللطيمة اموالكم مع ابي سفيان قد عرض لها محمد في اصحابه ولا ارى ان تدركوها الغوث الغوث قال فشغله عني
وشغلني عنه ما جاء من الامر فتجهز الناس سراعا ولم يتخلف من اشراف قريش احد الا ابا لهب فقد تخلف وبعث مكانه العاص
ابن هشام بن المغيرة فلما اجتمعت قريش للمسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب فقالوا نخشى
ان ياتونا من خلفنا فكاد ذلك ان يثنيهم فتبدى لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم وكان من اشراف بني بكر
فقال انا جار لكم من ان تاتيكم كنانة من خلفكم بشي تكرهونه فخرجوا سراعا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
في اصحابه لليال مضت من شهر رمضان حتى بلغ واديا يقال له ذفران فاتاه الخبر عن مسير قريش ليمنعوا عن عيرهم فسار
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالروحا اخذ عينا للقوم فاخبره بخبرهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
عينا له من جهينة حليفا للانصار يدعى ابن الاريقط فاتاه بخبر القوم وسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل
جبريل عليه السلام وقال ان الله وعدكم احدى الطايفتين اما العير واما قريش وكانت العير احب اليهم فاستشار

Copyright © King Saud University

رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه في طلب العير وحرب النفير فقال ابو بكر فقال واحسن وقام عمر فقال واحسن
ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما امرك الله فنحن معك والله ما نقول لك كما قالت بنوا اسرائيل لموسى اذهب انت
وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك
الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له خيرا ودعا له بخير ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشيروا علي ايها الناس وانما يريد الانصار وذلك انهم عدد الناس وانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا
يا رسول الله انا برآء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليها نصرته الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وان
ليس عليهم ان يسير بهم الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ والله لكانك
تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا
ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه
معك ما تخلف منا احد وما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقا ولعل الله ان يريك منا
ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك فقال سيروا على بركة
الله وابشروا فان الله عز وجل قد وعدني احدى الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم م عن انس بن مالك ان عمر
ابن الخطاب حدثه عن اهل بدر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع اهل بدر بالامس يقول هذا مصرع
فلان غدا ان شا الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا ان شا الله تعالى فقال عمر فوالذي بعثه بالحق ما اخطاوا الحدود التي
حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلوا في بير بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم
فقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقا فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم اجسادا
لا ارواح فيها فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا علي شيا فذلك قوله تعالى واذ يعدكم الله
احدى الطائفتين انها لكم يعني طائفة ابي سفيان مع العير وطائفة ابي جهل مع النفير وتودون اي وتريدون وتتمنون
ان غير ذات الشوكة تكون لكم والمعنى وتتمنون ان العير الذي ليس فيها قتال ولا شوكة تكون لكم والشوكة الشدة والقوة
ونقال السلاح ويريد الله ان يحق الحق اي يظهر الحق ويعليه بكلماته يعني بامره اياكم بالقتال وقيل بعداته التي سبقت لكم
من اظهار الدين واعزازه ويقطع دابر الكافرين اي ويستاصلهم حتى لا يبقي احدا منهم ليحق الحق اي ليثبت الاسلام ويبطل
الباطل يعني ويمحق الكفر ولو كره المجرمون يعني المشركين وفي الاية سوال وهو ان قوله يريد الله ان يحق الحق ثم قال بعده ليحق الحق
وهذا تكرير فما معناه والجواب انه ليس فيه تكرير لان المراد بالاول تثبيت ما وعد في هذه الواقعة من النصر والظفر بالاعدا
والمراد بالثاني تقوية القران والدين واظهار منار الشريعة لان الذي وقع يوم بدر من نصر المومنين مع قلتهم وقهر الكافرين
مع كثرتهم كان سببا لاعزاز الدين وقوته ولهذا السبب قرنه بقوله ويبطل الباطل يعني الذي هو الشرك السوال الثاني الحق
حق لذاته والباطل باطل لذاته فالمراد من تحقيق الحق اظهار كونه حقا والمراد من ابطال الباطل اظهار كونه باطلا وذلك باظهار دليل الحق
وتقويته وقمع رؤسا الباطل وقهرهم قوله عز وجل اذ تستغيثون ربكم اي فاذكروا يا محمد اذ تستجيرون بربكم من عدوكم وتطلبون
منه الغوث او النصر وفي المستغيثين قولان احدهما انه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه قال الزهري والقول
الثاني انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم م عن ابن عباس قال حدثني عمر
ابن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف واصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا
فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه يقول اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه
العصابة من اهل الاسلام لا تعبد في الارض فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداوه عن منكبيه فاتاه ابو

بكر

بكر فاخذ رداءه فالقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك
فانزل الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين فامده بالملائكة قال سماك فحدثني
ابن عباس بينما رجل من المسلمين يشتد في اثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس
يقول اقدم حيزوم اذ نظر الى المشرك امامه خر مستلقيا فنظر اليه فاذا قد خطم انفه وشق وجهه كضربة السيف
فاخضر ذلك اجمع فجا الانصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السما الثالثة
فقتلوا يومئذ سبعين واسروا سبعين فاستجاب لكم يعني فاجاب دعاكم اني ممدكم اصله باني ممدكم اي مرسل اليكم
مددا وردا لكم بالف من الملائكة مردفين يعني يردف بعضهم بعضا بمعنى يتبع بعضهم بعضا وروي انه نزل جبريل عليه السلام
في خمسمائة وميكائيل عليه السلام في خمسمائة في صور الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوها على اكتافهم
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ناشد ربه وقال ابو بكر ان الله منجز لك ما وعدك خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم
خفقة وهو في العريش ثم انتبه فقال يا ابا بكر اتاك نصر الله هذا جبريل اخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع خ عن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل اخذ براس فرسه عليه اداة الحرب يعني آلة الحرب قال ابن عباس كانت سيما الملائكة
يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين عمائم خضر ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه عددا
ومددا وروي عن ابي اسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدرا انه قال بعد ما ذهب بصره لو كنت معكم اليوم ببدر ومعي بصري
لاريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة وقد تقدم الكلام في سورة ال عمران هل قاتلت الملائكة ام لا والصحيح انهم قاتلوا
يوم بدر لما تقدم من حديث ابن عباس في الذي ضربه بالسوط فخطم انفه وشق وجهه وكانوا فيما سوى يوم بدر مددا وعددا
وقيل انهم لم يقاتلوا وانما نزلوا بالبشرى وليكثروا سواد المسلمين ويثبتوهم ويدل عليه قوله تعالى وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به
قلوبكم وهذا يحقق انهم انما نزلوا كذلك لا للقتال والصحيح هو الاول وانهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فيما سواه
من الايام وقوله تعالى وما النصر الا من عند الله يعني ان الله هو ناصركم ايها المومنون فثقوا بنصره ولا تتكلوا
على قوتكم وشدة باسكم وفيه تنبيه على ان الواجب على العبد المسلم ان لا يتوكل الا على الله في جميع احواله ولا يثق بغيره
فان الله تعالى بيده النصر والاعانة ان الله عزيز يعني انه تعالى قوي منيع لا يقهره شي ولا يغلبه غالب بل هو يقهر
كل شي ويغلبه حكيم يعني في تدبيره ونصره ينصر من يشا ويخذل من يشا من عباده قوله تعالى اذ يغشيكم النعاس
امنة منه اي واذكروا اذ يلقي عليكم النعاس وهو النوم الخفيف امنة منه اي امنا من الله لكم من عدوكم ان
يغلبكم قال عبد الله بن مسعود النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلاة من الشيطان والفايدة في كون
النعاس امنة في القتال ان الخايف على نفسه لا ياخذه النوم فصار حصول النوم وقت الخوف الشديد دليلا على
الامن وازالة الخوف وقيل انهم لما خافوا على انفسهم لكثرة عدوهم وعددهم وقلة المسلمين وقلة عددهم وعددهم
وعطشوا عطشا شديدا القى عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم الكلال والعطش وتمكنوا من قتال
عدوهم وكان ذلك النوم نعمة في حقهم لانه كان خفيفا بحيث لو قصدهم العدو لعرفوا وصوله اليهم وقدروا على دفعه
عنهم وقيل في كون هذا النوم امنة من الله انه وقع عليهم النعاس دفعة واحدة فناموا كلهم مع كثرتهم وحصول
النعاس لهذا الجمع العظيم مع وجود الخوف الشديد امر خارج عن العادة فلهذا السبب قيل ان ذلك النعاس
كان في حكم المعجزة لانه امر خارق للعادة وقوله تعالى وينزل عليكم من السما ما ليطهركم به وذلك ان المسلمين
نزلوا يوم بدر على كثيب رمل اعفر تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وكان المشركون قد سبقوهم الى ما بدر فنزلوا
واصبح المسلمون على غير ما وبعضهم محدث وبعضهم جنب واصابهم العطش فوسوس اليهم الشيطان وقال تزعمون
انكم على الحق وفيكم نبي الله وانتم اوليا الله وقد غلبكم المشركون على الما وانتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف ترجون

Copyright © King Saud University

ان نظهر واعلى عدوكم فانزل الله مطرا سال الوادي فشرب منه المسلمون واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وملؤوا
الاسقية واطفأ الغبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان وطابت انفسهم وعظمت
النعمة من الله عليهم بذلك وكان دليلا على حصول النصر والظفر فذلك قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به
يعني من الاحداث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني وسوسته التي القاها في قلوبكم وليربط على قلوبكم
يعني بالنصر واليقين والربط في اللغة الشد وكل من صبر على امر فقد ربط نفسه عليه قال الواحدي ويشبه ان يكون
لفظة على صلة والمعنى وليربط قلوبكم بالصبر وما اوقع فيها من اليقين وقيل ان لفظة على ليست بصلة لانها تفيد
الاستعلاء فتكون القلوب امتلات من ذلك والربط كانه علا عليها وارتفع فوقها حتى ويثبت به الاقدام يعني ان ذلك المطر لبد
الارض وفرع الرمل حتى ثبتت عليه الاقدام بالصبر وقوة القلب بالصبر لان من يكون ضعيف القلب لا يثبت قدمه بل يفر ويهرب
عن اللقاء وقوله تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم يعني ان الله تعالى اوحى الى الملائكة الذين امد بهم النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه اني معكم بالنصر والمعونة فثبتوا الذين امنوا اي قووا قلوبهم واختلفوا في كيفية هذه التقوية والتثبيت فقيل كما
ان للشيطان قوة في القاء الوسوسة في قلب ابن ادم بالشر فكذلك للملك قوة في القاء الالهام في قلب ابن ادم بالخير ويسمى ما يلقي الشيطان
وسوسة وما يلقي الملك لمة والهاما فهذا هو التثبيت وقيل ان ذلك التثبيت هو حضورهم معهم القتال ومعونتهم لهم اي ثبتوهم بقتالهم
معهم المشركين وقيل معناه بشروهم بالنصر والظفر فكان الملك يمشي في صورة رجل امام الصف ويقول ابشروا فان الله ناصركم عليهم سالقي
في قلوب الذين كفروا الرعب يعني الخوف وكان ذلك نعمة من الله على المؤمنين حيث القى الرعب والخوف في قلوب الكافرين فاضربوا فوق الاعناق
قيل هو خطاب مع المؤمنين فيكون منقطعا عما قبله وقيل خطاب مع الملائكة فيكون متصلا بما قبله قال ابن الانباري ان
الملائكة لم تعرف تقاتل بني ادم فعلمهم الله ذلك بقوله فاضربوا فوق الاعناق قال عكرمة يعني الرؤوس لانها فوق الاعناق وقال
الضحاك فاضربوا الاعناق وفوق صلة وقيل معناه فاضربوا على الاعناق فتكون فوق بمعنى على واضربوا منهم كل بنان يعني
كل مفصل وقال ابن عباس يعني الاطراف وهي جمع بنانة وهي اطراف اصابع اليدين سميت بذلك لان بها اصلاح الاحوال التي
يمكن الانسان ان يبين ما يريد ان يعمله بيديه وانما خصت بالذكر من دون سائر الاطراف لاجل ان الانسان بها يقاتل
وبها يمسك السلاح في الحرب وقيل انه تعالى امرهم بضرب اعلا الجسد وهو الراس وهو اشرف الاعضاء وبضرب البنان وهو
اضعف الاعضاء فيدخل في ذلك كل عضو في الجسد وقيل امرهم بضرب الراس وفيه هلاك الانسان وبضرب البنان وفيه
تعطيل حركة الانسان عن الحرب لان بالبنان يتمكن من مسك السلاح وحمله والضرب به فاذا قطع بنانه تعطل عن ذلك
كله روي عن ابي داود المازني وكان شهد بدرا قال اني لاتبع رجلا من المشركين لاضربه اذ وقع راسه قبل ان يصل اليه سيفي فعرفت
انه قد قتله غيري وعن سهل بن حنيف قال لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى المشرك فيقع راسه عن جسده
قبل ان يصل اليه السيف وروى عكرمة عن ابي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت غلاما للعباس بن عبد
المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الاسلام قد دخل علينا اهل البيت فاسلمت ام الفضل وكان العباس يهاب قومه
وكان يكره خلافهم وكان يكتم اسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه وكان عدو الله ابو لهب قد تخلف عن بدر وبعث
مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما جاء الخبر عن مقتل اصحاب بدر كبته الله واخزاه ووجدنا في انفسنا قوة وعزا قال
ابو رافع وكنت رجلا ضعيفا وكنت اعمل القداح وانحتها في حجرة زمزم فوالله اني لجالس انحت القداح وعندي ام الفضل جالسة
اذ اقبل الفاسق ابو لهب يجر رجليه حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره الى ظهري فبينما هو جالس اذ قال الناس هذا ابو سفيان
ابن الحارث بن عبد المطلب قد قدم فقال له ابو لهب الي يا ابن اخي اخبرني كيف كان امر الناس قال لا شيء والله ان كان الا ان لقيناهم
فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤوا وايم الله ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض
والله ما تليق شيئا ولا يقوم لها شيء قال ابو رافع فرفعت طرف الحجرة بيدي وقلت والله الملائكة فرفع ابو لهب يده فضرب وجهي

ضربة شديدة فثاورته فاحتملني فضرب بي الارض ثم برك على صدري وكنت رجلا ضعيفا فقامت اليه بعمود من عمد الحجرة فضربته
فلقت راسه شجة منكرة وقالت تستضعفه ان غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله
تعالى بالعدسة فقتلته وروى مقسم عن ابن عباس قال كان الذي اسر العباس ابو اليسر كعب بن عمرو واخو بني سلمة وكان ابو اليسر
رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي اليسر كيف اسرت العباس قال يا رسول الله
لقد اعانني عليه رجل ما رايته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اعانك عليه ملك كريم وكانت
وقعة بدر في صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة النبوية وقوله تعالى ذلك يعني الذي
وقع من القتل والاسر يوم بدر بانهم شاقوا الله ورسوله يعني بانهم خالفوا الله ورسوله والمشاقة المخالفة واصلها المجانبة
لانهم شاقوا اولياء الله وهم المومنون او شاقوا دين الله ثم قال تعالى ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب يعني ان الذي
نزل بهم في ذلك اليوم من القتل والاسر شيء قليل فيما اعد الله لهم من العقاب يوم القيامة ثم قال تعالى ذلكم اشارة الى القتل
والاسر الذي نزل بهم فذوقوه يعني عاجلا في الدنيا لان ذلك يسير بالاضافة الى المؤجل الذي اعد الله لهم في الاخرة من العذاب
وهو قوله تعالى وان للكافرين عذاب النار يعني في الاخرة عن ابن عباس قال لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر قيل له
عليك العير ليس دونها شيء فقال فناداه العباس من وثاقه لا يصلح لك ان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك الله
ما وعدك قال صدقت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا
يعني مجتمعين متزاحفين بعضكم الى بعض والتزاحف التداني في القتال واصل الزحف مشي مع جر الرجل كانبعاث الصبي قبل ان
يمشي ويسمى مشي الطائفتين بعضهم الى بعض في القتال زحفا لانه تمشي كل طائفة الى صاحبتها مشيا رويدا وذلك قبل التداني
للقتال وقال ثعلب الزحف المشي قليلا الى الشيء فلا تولوهم الادبار يعني فلا تولوهم ظهوركم منهزمين منهم فان المنهزم
يولي ظهره ودبره ومن يولهم يومئذ دبره يعني ومن ينهزم ويولي دبره يوم الحرب والقتال الا متحرفا لقتال يعني الا منعطفا
الى القتال يري عدوه من نفسه الانهزام وقصده طلب الكرة على العدو والعود اليه وهذا هو احد ابواب الحرب وخدعها ومكايدها
او متحيزا الى فئة يعني او منضما وصائرا الى جماعة من المؤمنين يريدون العود الى القتال فقد باء بغضب من الله يعني من انهزم
من المسلمين وقت الحرب الا في هاتين الحالتين وهو التحرف للقتال والتحيز الى فئة من المسلمين فقد رجع بغضب من الله وماواه
جهنم وبئس المصير فصل في حكم هذه الاية اختلف العلماء في ذلك فقال ابو سعيد الخدري هذا في اهل بدر خاصة
لانه ما كان يجوز لهم الانهزام يوم بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم ولم يكن فئة يتحيزون اليها دون النبي صلى الله
عليه وسلم ولو انحازوا لانحازوا الى المشركين ولانه اول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه والمسلمون معه
فشدد الله عليهم امر الانهزام وحرمه عليهم يوم بدر اما بعد ذلك اليوم فان المسلمين بعضهم فئة لبعض فيكون الفار
متحيزا الى فئة فلا يكون فراره كبيرة وهذا قول الحسن وقتادة والضحاك قال يزيد بن ابي حبيب اوجب الله النار لمن فر
يوم بدر فلما كان يوم احد قال تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ثم كان يوم حنين
بعده فقال تعالى ثم وليتم مدبرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء وقال عبد الله بن عمر كنا في جيش بعثنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فحاص الناس حيصة فانهزمنا فقلنا يا رسول الله نحن الفارون قال بل انتم الكرارون وانا فئة
المسلمين قوله فحاص الناس حيصة يعني جالوا جولة يطلبون الفرار من العدو والحيص الهرب وقال محمد بن سيرين لما قتل ابو
عبيد جاء الخبر الى عمر بن الخطاب فقال لو انحاز الي لكنت له فئة انا فئة كل مسلم وقال بعضهم حكم الاية عام فينا ولجميع العصور
وان كانت الاية نزلت في غزاة بدر العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وجاء في الحديث من الكبائر الفرار من الزحف وقال
عطاء بن ابي رباح هذه الاية منسوخة بقوله الان خفف الله عنكم فليس لقوم ان يفروا من مثليهم فنسخت بذلك الا في هذه العدة
وعلى هذا اكثر اهل العلم ان المسلمين اذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا منهم ويولوهم ظهورهم وان كان العدو

اكثر من المسلمين جاز لهم ان يفروا منهم قال ابن عباس من فر من ثلاثة لم يفر ومن فر من اثنين فقد فر قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن
الله قتلهم قال مجاهد سبب نزول هذه الاية انهم لما انصرفوا عن قتال اهل بدر كان الرجل يقول انا قتلت فلانا ويقول
الاخر انا قتلت فلانا فنزلت هذه الاية ومعناه فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم يعني بنصره اياكم وتقويتكم عليهم وقيل
معناه ولكن الله قتلهم بامداده اياكم بالملائكة قال الزمخشري الفاء في قوله فلم تقتلوهم انتم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى قال اهل التفسير والمغازي لما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا يعني نزلوا بدرا ووردت
عليهم روايا قريش وفيهم اسلم غلام اسود لبني الحجاج وابو يسار غلام لبني العاص بن سعيد فاخذوهما واتوا بهما الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اين قريش قالا هم وراء الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى
والكثيب العقنقل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا كثير قال ما عددهم قالا لا ندري قال كم
ينحرون كل يوم قالا يوما عشرة ويوما تسعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة الى الف
ثم قال لهما فمن فيهم من اشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وابو البختري بن هشام وحكيم بن حزام والحرث بن عامر وطعمة بن
عدي والنضر بن الحرث وابو جهل بن هشام وامية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهل بن عمرو فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذه مكة قد القت اليكم افلاذ كبدها فلما اقبلت قريش ورآها رسول الله صلى الله عليه وسلم
تصوب من العقنقل وهو الكثيب الذي جاء الى الوادي قال اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب
رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني اياه جبريل عليه السلام وقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول
رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من حصباء عليه تراب فرمى في وجوه القوم وقال شاهت الوجوه يعني قبحت الوجوه
فلم يبق مشرك الا ودخل في عينيه وفمه ومنخريه من ذلك التراب شيء فانهزموا وتبعهم المومنون يقتلونهم ويأسرونهم
وقال قتادة وابن زيد ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم
وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا فذلك قوله عز وجل وما رميت اذ رميت ولكن الله
رمى اذ ليس في وسع احد من البشر ان يرمي كفا من حصا في وجوه جيش فلا يبقى عين الا ويدخل فيها منه شيء فصورة
الرمي صدرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتاثيرها صدر من الله عز وجل فلهذا المعنى صح النفي والاثبات وقيل في معنى
الاية وما بلغت اذ رميت ولكن الله بلغ رميك وقيل وما رميت بالرعب في قلوبهم اذ رميت بحصياتك ولكن الله رمى بالرعب
في قلوبهم حين انهزموا وليبلي المومنين منه بلاء حسنا يعني ولينعم على المومنين نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة والاجر والثواب
وهذا قول جميع المفسرين ان البلاء هنا بمعنى النعمة ان الله سميع يعني لدعائكم عليم باحوالكم وقوله تعالى ذلكم يعني الذي
ذكرت من امر القتل والرمي والبلاء الحسن من الظفر بهم والنصر عليهم فعلنا ذلك الذي فعلنا وان الله يعني واعلموا ان الله
مع ذلك موهن اي مضعف كيد الكافرين يعني مكرهم وكيدهم قوله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح هذا خطاب
مع المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وذلك ان ابا جهل قال يوم بدر لما التقى الجمعان قال
اللهم اينا كان افجر يعني نفسه ومحمدا صلى الله عليه وسلم قاطع للرحم فاحنه اليوم وقيل انه قال اللهم اينا كان خيرا عندك
فانصره وقيل اللهم انصر احدى الفئتين وخير الفريقين وافضل الجمعين اللهم من كان اقطع للرحم فاحنه اليوم
فانزل الله ان تستفتحوا ومعنى الاية ان تستحكموا الله على اقطع الحزبين للرحم واظلم الفئتين فينصر المظلوم على الظالم
فقد جاءكم الفتح يعني جاءكم الله بنصر المظلوم على الظالم والحق على الباطل والمقطوع على القاطع ق عن عبد الرحمن بن عوف
قال اني لواقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي فاذا انا بغلامين من الانصار حديثة اسنانهما فتمنيت
ان اكون بين اضلع منهما فغمزني احدهما فقال اي عم هل تعرف ابا جهل قلت نعم فما حاجتك اليه يا ابن اخي قال اخبرت انه
يسب محمدا صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان رايته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الاعجل منا فتعجبت من ذلك

وغمزني

وغمزني الاخر فقال لي مثلها فلم انشب ان نظرت الى ابي جهل يجول في الناس فقلت الا تريان هذا صاحبكما الذي تسالاني عنه
قال فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال كل واحد منهما انا قتلته
فقال هل مسحتما سيفيكما قالا لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كلاكما قتله وقضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء ق عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ينظر لنا ما صنع ابو جهل فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد قال فاخذ بلحيته فقال انت ابو جهل
وفي كتاب البخاري انت ابا جهل هكذا قال انس فقال وهل فوق رجل قتلتموه او قال قتله قومه وفي رواية فقال ابو
جهل لو غير اكار قتلني عن عبد الله بن مسعود قال مررت فاذا ابو جهل صريع قد ضربت رجله فقلت يا عدو الله يا ابا جهل
قد اخزى الله الاخر قال ولا اهابه عند ذلك فقال ابعد من رجل قتله قومه فضربته بسيف غير طائل فلم يغن شيئا حتى سقط
سيفه من يده فضربته حتى برد اخرجه ابو داود واخرجه البخاري مختصرا قال انه اتى ابا جهل يوم بدر وبه رمق فقال
هل اعمد من رجل قتلتموه وقال عكرمة قال المشركون والله ما نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق فانزل الله عز
وجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وقال السدي والكلبي كان المشركون لما خرجوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من
مكة اخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وافضل الدينين ففيه نزلت
ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعني ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وهو على ما سالوه وكان النصر لاهدى الفئتين وهم
اصحاب محمد حدثني ابن اسحاق حدثني عبد الله بن ابي بكر قال قال معاذ بن عمرو بن الجموح لما فرغ رسول الله صلى
الله عليه وسلم من عدوه امر بابي جهل بن هشام ان يلتمس في القتلى وقال اللهم لا يعجزنك فلما سمعتها جعلته من شاني
فعمدت نحوه فضربته ضربة طرحت قدمه بنصف ساقه قال وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة
من جنبي واجهضني القتال فلقد قاتلت عامة يومي واني لاسحبها خلفي فلما اذتني جعلت عليها قدمي ثم تمطيت
بها حتى طرحتها ثم مر بابي جهل معوذ بن عفراء وهو عقير فضربه حتى اثبته وتركه وبه رمق ثم مر به عبد الله بن مسعود
قال عبد الله وجدته باخر رمق فعرفته فوضعت رجلي على عنقه ثم قلت هل اخزاك الله يا عدو الله قال وما اخزاني اعمد
من رجل قتلتموه اخبرني لمن الدائرة قلت لله ولرسوله روى ابن سعيد قال قال لي ابو جهل لقد ارتقيت يا رويعي الغنم
مرتقا صعبا ثم احتززت راسه ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا راس عدو الله
ابي جهل فقال الله الذي لا اله غيره فقلت نعم والذي لا اله غيره ثم القيته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحمد الله تعالى وقال ابي بن كعب هذا خطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل للمسلمين ان
تستفتحوا اي تستنصروا فقد جاءكم الفتح اي النصر خ عن خباب بن الارت قال شكونا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يوخذ الرجل
فيحفر له حفيرة في الارض فيجعل فيها ثم يوتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد
ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف
الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون قلت استدل البغوي بهذا الحديث على ما فسر به ابي بن كعب الاية
وفيه نظر لان هذه الواقعة المذكورة في الحديث كانت بمكة والاية مدنية فلا تعلق للحديث بتفسير الاية والله
اعلم ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا الله يوم بدر وسأله انجاز ما وعده من احدى الطائفتين والح في الدعاء
والمسالة حتى سقط رداؤه قال الله تعالى لحبيبه ان تستفتحوا يعني تطلبوا النصر وانجاز ما وعدكم الله به فقد
جاءكم الفتح يعني فقد حصل لكم ما طلبتم فاشكروا الله على ما انعم به عليكم من اجابة دعائكم وانجاز ما وعدكم به فقد
جاءكم الفتح وهذا القول اولى لان قوله فقد جاءكم الفتح لا يليق الا بالمومنين هذا اذا فسرنا الفتح بالنصر والظفر على الاعداء

Copyright © King Saud University

اما اذا فسرنا بالقضاء والحكم لم يمتنع ان يراد به الكفار اما قوله تعالى وان تنتهوا فهو خير لكم هذا خطاب للكفار يعني وان
تنتهوا عن قتال محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه فهو خير لكم في الدين والدنيا اما في الدين بان تومنوا به فيحصل لكم
بذلك الفوز بالثواب والخلاص من العقاب واما في الدنيا فهو الخلاص من القتل والاسر وان تعودوا نعد يعني وان تعودوا
لقتال محمد صلى الله عليه وسلم نعد بتسليطه عليكم ونصره عليكم ولن تغني عنكم فئتكم يعني جماعتكم شيا يعني لا تغني
عنكم شيا ولو كثرت يعني جماعتكم وان الله مع المومنين يعني بالنصر عليكم يا معشر الكفار قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا
الله ورسوله يعني في امر الجهاد لان فيه بذل المال والنفس ولا تولوا عنه يعني عن الرسول صلى الله عليه وسلم لان
التولي لا يصح الا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم لا في الله والمعنى لا تعرضوا عنه وعن معونته في الجهاد وانتم
تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون يعني وهم لا يتعظون ولا ينتفعون بما سمعوا من
القران والمواعظ وهذه صفة المنافقين ان شر الدواب عند الله يعني ان شر من دب على وجه الارض من خلق
الله الصم عن سماع الحق البكم عن النطق به فلا يقولونه الذين لا يعقلون يعني لا يفهمون عن الله امره ونهيه
ولا يقبلونه وانما سماهم دوابا لقلة انتفاعهم بعقولهم قال ابن عباس هم نفر من بني عبد الله بن قصي كانوا يقولون
نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا جميعا يوم احد وكانوا اصحاب اللواء ولم يسلم منهم الا رجلان مصعب
بن عمير وسويبط بن حرملة ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم يعني سماع تفهم وانتفاع وقبول للحق ولو علم الله قال الامام
فخر الدين ان كان ما كان حاصلا فيجب ان يعلمه الله فعدم علم الله بوجوده من لوازم عدمه فلا جرم حسن التعبير عن
عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده وتقدير الكلام لو حصل فيهم خير لاسمعهم الله الحجج والمواعظ سماع تعليم وتفهم
ولو اسمعهم بعدما علم ان لا خير فيهم ولم ينتفعوا بما سمعوا من المواعظ والدلائل لتولوا وهم معرضون يعني ولتولوا
عن سماع الحق وهم معرضون عنه لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم
احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك بالنبوة فنومن فقال الله تعالى ولو احي لهم قصيا وسمعوا
كلامه لتولوا عنه وهم معرضون قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول يعني اجيبوهما بالطاعة
والانقياد لامرهما اذا دعاكم يعني الرسول صلى الله عليه وسلم انما وحد الضمير في قوله اذا دعاكم لان استجابة
الرسول صلى الله عليه وسلم استجابة لله تعالى وانما يذكر احدهما مع الاخر للتوكيد واستدل اكثر الفقهاء بهذه الاية
على ان ظاهر الامر للوجوب لان كل من امره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بفعل فقد دعاه اليه وهذه الاية تدل
على انه لا بد من الاجابة في كل ما دعا الله ورسوله اليه خ عن ابي سعيد بن المعلى قال كنت اصلي في المسجد فدعاني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه ثم اتيته فقلت يا رسول الله كنت اصلي فقال الم يقل الله استجيبوا
لله وللرسول اذا دعاكم ثم ذكر الحديث عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابي بن كعب
وهو يصلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابي فالتفت ابي فلم يجبه وصلى ابي وخفف ثم انصرف فاتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك
السلام ما منعك ان تجيبني اذ دعوتك فقال يا رسول الله اني كنت في الصلاة قال افلم تجد فيما اوحى الله
الي استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال بلى ولا اعود ان شا الله وذكر الحديث اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح قيل هذه الاجابة مختصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا القول لا يقطع صلاته لدعا احد
وقيل لو دعاه احد لامر لا يحتمل التاخير فله ان يقطع صلاته وقوله تعالى لما يحييكم يعني اذا دعاكم لما فيه حياتكم
قال السدي هو الايمان لان الكافر ميت فيحيى بالايمان وقال قتادة هو القران لانه حياة القلوب وفيه النجاة
والعصمة في الدارين وقال مجاهد هو الحق وقال محمد بن اسحاق هو الجهاد لان الله تعالى اعز به بعد الذل وقيل

هو

هو الشهادة لان الشهدا احيا عند ربهم يرزقون واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه قال ابن عباس يحول بين
المومن وبين الكفر ومعاصي الله ويحول بين الكافر وبين الايمان وطاعة الله وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك
ومجاهد وقال السدي يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع ان يومن ولا يكفر الا باذنه وقد دلت البراهين
العقلية على هذا القول لان احوال القلوب اعتقادات ودواعي وتلك الاعتقادات والدواعي لا بد لها من
الارادة وتلك الارادة لا بد لها من فاعل مختار وهو الله تعالى فثبت بذلك ان المتصرف في القلب كيف شا
هو الله تعالى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني
ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم
مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك عن انس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان
يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلنا يا رسول الله قد امنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا
قال نعم ان القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف شا اخرجه الترمذي وهذا الحديث من احاديث
الصفات فيجب على المرء المسلم ان يمره على ما جاء مع الاعتقاد والجزم بتنزيه الله تعالى عن الجارحة والجسم وقيل في
معنى الاية ان الله عز وجل يحول بين المرء وقلبه حتى لا يدري ما يصنع ولا يعقل شيا وقيل ان القوم لما دعوا الى
القتال والجهاد وكانوا في غاية الضعف والقلة خافت قلوبهم وضاقت صدورهم فقيل لهم قاتلوا في سبيل
الله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف امنا والجبن جراة وقوله تعالى وانه اليه تحشرون يعني في
الاخرة فيجزي كل عامل بعمله فيثيب المحسن ويعاقب العاصي وقوله عز وجل واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة لما اخبر الله انه يحول بين المرء وقلبه حذر من وقوع الفتن والمعنى واحذروا فتنة ان نزلت
بكم لم تقتصر على الظلم خاصة بل تتعدى اليكم جميعا وتصل الى الصالح والطالح واراد بالفتنة الابتلاء والاختبار
وقيل تقديره واتقوا فتنة ان تتقوها اصابتكم جميعا الظالم وغير الظالم قال الحسن نزلت هذه الاية في
علي وعمار وطلحة والزبير قال الزبير لقد قرانا هذه الاية زمانا وما نرانا من اهلها فاذا نحن المعنيون
بها يعني ما كان فيهم في يوم الجمل وقال السدي ومقاتل والضحاك وقتادة هذا في قوم مخصوصين من
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اصابتهم الفتنة يوم الجمل وقال ابن عباس امر الله عز وجل المومنين
ان لا يقروا المنكر بين ظهرهم فيعمهم الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم روى البغوي بسنده عن
عدي بن عدي الكندي قال حدثني مولى لنا انه سمع جدي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ولكن يعذب الخاصة بعمل العامة يروا المنكر بين ظهرهم وهم قادرون على
ان ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة والذي ذكره ابن الاثير في جامع الاصول عن عدي
بن عميرة الكندي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا عملت الخطية في الارض كان من شهدها كمن فعلها
اخرجه ابو داود وعن جرير بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون
في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على ان يغيروا عليهم ولم يغيروا الا اصابهم الله منه بعقاب قبل ان
يموتوا اخرجه ابو داود وقال ابن زيد اراد بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون الفتن القاعد فيها خير من القايم والقايم فيها خير من
الماشي والماشي خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجا او معاذا فليعذ به فان قلت
ظاهر قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة يشمل الظالم وغير الظالم كما تقدم تفسيره
فكيف يليق برحمة الله وكرمه ان يوصل الفتنة الى من لم يذنب قلت الله تعالى مالك الملك

Copyright © King Saud University

وخالق الخلق وهم عبيده وفي ملكه يتصرف فيهم كيف يشا لا يسال عما يفعل وهم يسالون فيحسن ذلك منه على سبيل المالكية
او لانه تعالى علم اشتمال ذلك على انواع من المصلحة والله اعلم بمراده وقوله تعالى **واعلموا ان الله شديد العقاب**
فيه تحذير ووعيد لمن واقع الفتنة التي حذره الله منها قوله تعالى **واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض** لما امر
الله المومنين بطاعة الله وطاعة رسوله وحذرهم الفتنة ذكرهم نعمته عليهم فقال تعالى واذكروا يا معشر
المومنين المهاجرين اذ انتم قليل يعني في العدد مستضعفون في الارض يعني في ارض مكة في ابتدا الاسلام
تخافون ان يتخطفكم الناس يعني كفار مكة وقال عكرمة كفار العرب وقال وهب بن منبه يعني فارس والروم **فآواكم**
يعني الى المدينة **وايدكم بنصره** يعني وقواكم بالانصار وقال الكلبي وقواكم يوم بدر بالملائكة **ورزقكم من الطيبات**
يعني الغنائم احلها ولم يحلها لاحد قبلكم **لعلكم تشكرون** يعني تشكرون الله على نعمه عليكم قوله تعالى **يا ايها الذين**
امنوا لا تخونوا الله والرسول قال الزهري والكلبي نزلت هذه الاية في ابي لبابة هارون بن عبد المنذر الانصاري
من بني عوف بن مالك وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على ما صالح عليه اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم الى اذرعات
واريحا من ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم ذلك الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ
فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لان ماله وولده وعياله كانت عندهم فبعثه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاتاهم فقالوا يا ابا لبابة ما ترى انتنزل على حكم سعد بن معاذ فاشار ابو لبابة بيده الى
حلقه يعني انه الذبح فلا تفعلوا قال ابو لبابة والله ما زالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله
ثم انطلق على وجهه ولم يات رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال
والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال
اما لو جاءني لاستغفرت له اما اذ فعل فاني لا اطلقه حتى يتوب الله عليه فمكث سبعة ايام لا يذوق طعاما ولا
شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له يا ابا لبابة قد تيب عليك فقال والله لا احل نفسي حتى
يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده ثم قال ابو لبابة ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي
التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان تتصدق به ونزل
فيه يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وقال السدي كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيفشونه حتى يبلغ المشركين فنزلت هذه الاية وقال جابر بن عبد الله ان ابا سفيان خرج من مكة فاتى جبريل
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ابا سفيان في كذا وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان ابا سفيان في موضع
كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا قال فكتب رجل من المنافقين اليه ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فانزل الله
لا تخونوا الله والرسول **وتخونوا اماناتكم** ومعنى الاية لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم **وانتم تعلمون**
انها امانة وقيل معناه وانتم تعلمون ما فعلتم من الاشارة الى الحلق خيانة واصل الخيانة من الخون وهو النقص
لان من خان شيا فقد نقصه والخيانة ضد الامانة وقيل في معنى الاية لا تخونوا الله والرسول فانكم اذا فعلتم
ذلك فقد خنتم اماناتكم وقال ابن عباس معناه لا تخونوا الله بترك فرائضه ولا تخونوا الرسول بترك سنته ولا تخونوا
اماناتكم قال ابن عباس هي ما يخفى عن اعين الناس من فرائض الله تعالى والاعمال التي ائتمن عليها العباد وقال قتادة
اعلموا ان دين الله امانة فادوا الى الله ما ائتمنكم عليه ومنه الحديث عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب
وقوله عز وجل **واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة** قيل ان هذا انما نزل في ابي لبابة وذلك لان امواله واولاده كانت في بني

قريظة

قريظة فلذلك قال ما قال خوفا عليهم وقيل انه عام في جميع الناس وذلك انه لما كان الاقدام على الخيانة في الامانة
هو حب المال والولد نبه الله تعالى بقوله واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة على انه يجب على العاقل ان يحذر من المضار
المتولدة من حب المال والولد لان ذلك يشغل القلب ويصيره محجوبا عن خدمة المولى وهذا من اعظم الفتن
وروى البغوي بسنده عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي فقبله وقال اما انهم مبخلة مجبنة
وانهم لمن ريحان الجنة واخرج الترمذي عن عمر بن عبد العزيز قال زعمت المراة الصالحة خولة بنت حكيم قالت خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو محتضن احد ابني ابنته وهو يقول انكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون
وانكم لمن ريحان الجنة او لمن رزق الله والريحان في اللغة الرزق وقوله تعالى **وان الله عنده اجر عظيم** يعني لمن ادى
الامانة ولم يخن الامانة وفيه تنبيه على ان سعادة الاخرة وهو ثواب الله افضل من سعادة الدنيا وهو المال
والولد قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله** يعني بطاعته وترك معاصيه **يجعل لكم فرقانا** يعني يجعل لكم
نورا وتوفيقا في قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل والفرقان اصله الفرق بين الشيئين لكنه ابلغ من اصله لانه
يستعمل في الفرق العرفي بين الحق والباطل والحق والشبهة قال مجاهد يجعل لكم مخرجا في الدنيا والاخرة وقال مقاتل مخرجا
في الدين من الشبهات وقال عكرمة نجاة اي يفرق بينكم وبين ما تخافون وقال محمد بن اسحاق فصلا بين الحق والباطل
يظهر الله به حقكم ويطفي بطلان من خالفكم وقيل يفرق بينكم وبين الكفار بان يظهر دينكم ويعليه ويبطل الكفر ويوهنه
ويكفر عنكم سيئاتكم يعني ويمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم **ويغفر لكم** ويستر عليكم بان لا يفضحكم في الدنيا ولا في الاخرة
والله ذو الفضل العظيم لانه هو الذي يفعل ذلك بكم فله الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه ومن كان كذلك فانه اذا وعد
بشي وفى به وقيل انه يتفضل على الطائعين بقبول الطاعات ويتفضل على العاصين بغفران السيئات وقيل معناه ان بيده
الفضل العظيم فلا يطلب الا من عنده قوله تعالى **واذ يمكر بك الذين كفروا** لما ذكر الله تعالى المومنين نعمه عليهم بقوله واذكروا اذ انتم
قليل مستضعفون ذكر نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه عليه فيما جرى عليه بمكة من قومه لان هذه السورة مدنية وهذه
الواقعة كانت بمكة قبل ان يهاجر الى المدينة والمعنى واذكر يا محمد اذ يمكر بك الذين كفروا وكان هذا المكر على ما ذكره ابن
عباس وغيره من اهل التفسير قالوا جميعا ان قريشا فرقوا لما اسلمت الانصار ان يتفاقم امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان رؤوسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل وابو سفيان وطعمة بن عدي والنضر بن الحارث وابو البختري بن
هشام وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وامية بن خلف واعترضهم ابليس في صورة شيخ
فلما راوه قالوا من انت قال شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقالوا ادخل
فدخل فقال ابو البختري اما انا فارى ان تاخذوا محمدا وتحبسوه في بيت مقيدا وتشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت
غير كوة تلقوا اليه منها طعامه وشرابه وتتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء فصرخ عدو الله
ابليس وهو الشيخ النجدي وقال بئس الراي رايتم لئن حبستموه ليخرجن امره من وراء الباب الذي اغلقتم دونه الى اصحابه
فيوشك ان يثبوا عليكم فينتزعوه من ايديكم فقالوا صدق الشيخ النجدي فقال هشام بن عمرو من
بني عامر بن لؤي اما انا فارى ان تحملوه على بعير وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واين وقع اذا غاب عنكم
واسترحتم منه فقال ابليس ما هذا لكم براي تعمدون الى رجل قد افسد سفهاءكم فتخرجوه الى غيركم فيفسدهم الم تروا الى حلاوة
منطقه وطلاقة لسانه واخذ القلوب بما تسمع من حديثه والله لئن فعلتم ذلك ليذهبن ويستميل قلوب قوم اخرين ثم يسير بهم اليكم
فيخرجكم من بلادكم فقالوا صدق الشيخ النجدي فقال ابو جهل والله لاشيرن عليكم براي ما ارى غيره ان تاخذوا من كل بطن من قريش شابا
نسيبا وسطا فتيا ثم يعطى كل فتى سيفا صارما ثم يضربونه جميعا ضربة رجل واحد فاذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها ولا اظن
هذا الحي من بني هاشم يقدرون على حرب قريش كلها وانهم اذا راوا ذلك قبلوا العقل فتؤدي قريش ديته فقال ابليس صدق

هذا الفتى هذا اجودكم رايا فالقول ما قال لا ادرى غيره فتفرقوا على قول ابي جهل وهم مجتمعين عليه فاتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك وامره ان لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه واذن الله عز وجل له عند ذلك بالخروج الى المدينة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب ان يبيت في مضجعه وقال اتشح ببردي فانه لن يخلص اليك منهم امر تكرهه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ قبضة من تراب واخذ الله عز وجل ابصارهم عنه فخرج ينثر التراب على رؤسهم وهو يقول انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الى قوله فهم لا يبصرون ومضى الى الغار من ثور هو وابو بكر وخلف عليا بمكة حتى يودي عنه الودايع التي قبلها وكانت الودايع توضع عنده لصدقه وامانته قالوا وبات المشركون يحرسون عليا وهو على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون انه النبي صلى الله عليه وسلم فلما اصبحوا ثاروا اليه ليقتلوه فراوا عليا فقالوا اين صاحبك قال لا ادرى فاقتفوا اثره وارسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار راوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخله لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث في الغار ثلاثا ثم خرج الى المدينة فذلك قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا واصل المكر الاحتيال في خفية ليثبتوك اي يحبسوك ويوثقوك لان كل من شد شيا واوثقه فقد اثبته لانه لا يقدر على الحركة او يقتلوك يعني كما اشار عليهم ابو جهل او يخرجوك يعني من مكة ويمكرون يعني ويحتالون ويدبرون في امرك ويمكر الله يعني ويجازيهم الله جزا مكرهم فسمي الجزا مكرا لانه في مقابلته وقيل معناه ويعاملهم الله معاملة مكرهم والمكر هو التدبير وهو من الله التدبير بالحق والمعنى انهم احتالوا في ابطال امر محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى اظهره وقواه ونصره فضاع فعلهم وتدبيرهم وظهر فعل الله وتدبيره والله خير الماكرين فان قلت كيف قال والله خير الماكرين ولا خير في مكرهم قلت يحتمل ان يكون المراد والله اقوى الماكرين فوضع خير موضع اقوى وفيه تنبيه على ان كل مكر يبطل بفعل الله وقيل يحتمل ان يكون المراد ان مكرهم فيه خير بزعمهم فقال الله تعالى في مقابلة ذلك والله خير الماكرين وقيل ليس المراد التفضيل بل ان فعل الله خير مطلقا قوله عز وجل واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا نزلت في النضر بن الحرث بن علقمة من بني عبد الدار وذلك انه كان يختلف الى ارض فارس والحيرة فيسمع اخبارهم عن رستم واسفنديار واحاديث العجم وكان يمر بالعباد من اليهود والنصارى فيراهم يقرؤن التوراة والانجيل ويركعون ويسجدون ويبكون فلما جاء مكة وجد النبي صلى الله عليه وسلم قد اوحي اليه وهو يقرا ويصلي فقال النضر بن الحرث قد سمعنا مثل هذا الذي جاء به محمد لو نشاء لقلنا مثل هذا فذمهم الله بتركهم الحق الذي لا شبهة فيه بادعايهم الباطل بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا بعد التحدي وابان عجزهم عن ذلك ولو قدروا لما تخلفوا عنه وهم اهل الفصاحة وفرسان البلاغة فبان بذلك كذبهم في قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين يعني اخبار الماضين قوله تعالى واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم نزلت في النضر بن الحارث ايضا قال ابن عباس لما قص رسول الله صلى الله عليه وسلم شان القرون الماضية قال النضر بن الحارث لو شيت لقلت مثل هذا فقال له عثمان بن مظعون اتق الله فان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول الحق قال وانا اقول الحق قال فان محمدا يقول لا اله الا الله قال وانا اقول لا اله الا الله ولكن هذه بنات الله يعني الاصنام ثم قال اللهم ان كان هذا هو الحق يعني القران الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني ان كان الذي يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من امر التوحيد وادعا النبوة وغير ذلك هو الحق فامطر علينا حجارة من السما كما امطرتها على قوم لوط او ايتنا بعذاب اليم يعني مثل ما عذبت به الامم الماضية وفي النضر بن الحرث نزل سال سايل بعذاب واقع قال عطا لقد نزل في الحرث بن النضر بضع عشرة اية فحاق به ما سال من العذاب يوم بدر قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من قريش صبرا طعيمة بن عدي وعقبة بن ابي معيط والنضر بن الحرث وروى انس ان كان الذي قال ذلك ابو جهل ق عن انس قال قال ابو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما

الاية

الاية فنزلت وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم الاية فلما اخرجوه نزلت وما لهم ان لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام قوله عز وجل وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اختلفوا في معنى هذه الاية فقال محمد بن اسحاق هذه الاية متصلة بما قبلها وهي حكاية عن المشركين وذلك انهم قالوا ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفر ولا يعذب امة ونبيها معها فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكر جهالتهم وغرتهم واستفتاحهم على انفسهم اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم قال تعالى ردا عليهم وما لهم ان لا يعذبهم الله وان كنت بين اظهرهم وان كانوا يستغفرون وهم يصدون عن المسجد الحرام وقال اخرون هذا كلام مستانف يقول الله عز وجل اخبارا عن نفسه تعالى وتقدس وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واختلفوا في معناه فقال الضحاك وجماعة تاويلها وما كان الله ليعذبهم وانت يا محمد مقيم فيهم بين اظهرهم قالوا نزلت هذه الاية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكة ثم لما خرج منها بقي بقية من المسلمين يستغفرون فانزل الله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم لما خرج اوليك المسلمون من بين اظهر الكافرين اذن الله في فتح مكة فهو العذاب الذي وعدهم وقال ابن عباس لم يعذب الله قرية حتى يخرج نبيها منها والذين امنوا معه ويلحق بحيث امر فقال الله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني المسلمين فلما خرجوا قال الله وما لهم ان لا يعذبهم الله وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع الى المشركين وذلك انهم كانوا يقولون بعد فراغهم من الطواف غفرانك غفرانك وقال يزيد بن رومان قالت قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما فلما امسوا ندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم فقال الله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اي لو استغفروا ولكنهم لم يكونوا يستغفرون ولو اقروا بالذنب واستغفروا لله لكانوا مومنين وقيل هذا دعا لهم الى الاسلام والاستغفار بهذه الكلمة كالرجل يقول لعبده لا اعاقبك وانت تطيعني اي اطعني حتى لا اعاقبك وقال مجاهد وعكرمة وهم يستغفرون اي يسلمون يعني لو اسلموا لما عذبوا وقال ابن عباس وفيهم من سبق له من الله العناية انه يومن ويستغفر مثل ابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وغيرهم وقال مجاهد وهم يستغفرون اي وفي اصلابهم من يستغفر وقيل في معنى الاية ان الكفار لما بالغوا وقالوا ان كان محمد محقا في قوله فامطر علينا حجارة من السما فاخبر الله انه محق في قوله وانه مع ذلك لا يمطر على اعاديه ومنكري نبوته حجارة من السما ما دام بين اظهرهم وذلك تعظيما له صلى الله عليه وسلم واورد على هذا انه لما كان اقامته مانعا من نزول العذاب بهم فكيف قال في غير هذه الاية قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فالمراد من العذاب الاول هو عذاب الاستيصال والمراد من العذاب الثاني وهو قوله يعذبهم الله بايديكم هو عذاب القتل والسبي والاسر وذلك دون عذاب الاستيصال قال اهل المعاني دلت هذه الاية على ان الاستغفار امان وسلامة من العذاب عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله انزل علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار الى يوم القيامة اخرجه الترمذي وقوله تعالى وما لهم ان لا يعذبهم الله يعني اي شي يمنعهم من ان يعذبهم الله يعني بعد خروجك من بين اظهرهم لانه تعالى بين في الاية الاولى انه لا يعذبهم وهو مقيم فيهم وبين في هذه الاية العذاب فقيل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل اراد به عذاب الاخرة وقيل اراد بالعذاب الاول عذاب الاستيصال واراد بهذه الاية العذاب بالسيف وقيل اراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وبهذا العذاب عذاب الاخرة وقال الحسن الاية الاولى وهو قوله وما كان الله ليعذبهم منسوخة بقوله وما لهم ان لا يعذبهم الله وفيه بعد لان الاخبار لا يدخله النسخ ثم بين ما لاجله يعذبهم فقال تعالى وهم يصدون عن المسجد الحرام يعني

Copyright © King Saud University

وهم يمنعون المومنين عن الطواف بالبيت وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت الحرام عام الحديبية
وما كانوا اولياءه قال الحسن كان المشركون يقولون نحن اوليا المسجد الحرام فرد الله عليهم بقوله وما كانوا اولياءه يعني ليسوا اوليا
المسجد الحرام ان اولياوه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني ولكن المشركين لا يعلمون ذلك قوله تعالى وما كان صلاتهم عند
البيت الا مكاء وتصدية لما ذكر الله تعالى الكفار ليسوا باوليا البيت الحرام ذكر عقيبه السبب في ذلك وهو ان صلاتهم عنده
كانت مكاء وتصدية والمكا في اللغة الصفير يقال مكا الطير يمكو اذا صفر والمكا اسم طاير ابيض يكون بالحجاز له صفير وقيل هو
طاير يالف الريف سمي بذلك لكثرة مكايه يعني تصفيره والتصدية التصفيق وفي اصله واشتقاقه قولان احدهما انه من الصدى
وهو الصوت الذي يرجع من الجبل كالمجيب للمتكلم ولا يرجع قوله الى شي الثاني قال ابو عبيدة اصله تصدد فابدلت الدال الواحدة
يا قال الازهري المكا والتصدية ليسا بصلاة ولكن الله اخبر انهم جعلوا مكان الصلاة التي امروا بها المكا والتصدية قال
حسان بن ثابت صلاتهم التصدي والمكا قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون
وقال مجاهد كان نفر من بني عبد الدار يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف ويستهزون به ويدخلون
اصابعهم في افواههم ويصفقون فالمكا جعل الاصابع في الشدق والتصدية الصفير وقال جعفر بن ربيعة سالت
ابا سلمة بن عبد الرحمن عن قوله الا مكا وتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه
وسلم اذا دخل المسجد قام رجلان عن يمينه يصفران ورجلان عن يساره يصفقان ليخلطان على النبي صلى الله
عليه وسلم صلاته وهم من بني عبد الدار فعلى قول ابن عباس المكا والتصدية نوع عبادة لهم وعلى قول غيره كان نوع
اذى للنبي صلى الله عليه وسلم وقول ابن عباس اصح لان الله سمى ذلك صلاة **فان قلت** كيف سماها صلاة
وليس ذلك من جنس الصلاة **قلت** انهم كانوا يعتقدون ذلك المكا والتصدية صلاة فخرج ذلك على
حسب معتقدهم وفيه وجه اخر وهو ان من كان المكا والتصدية صلاته فلا صلاة له فهو كقول العرب من كان
السماح عيبه فلا عيب له وقال سعيد بن جبير التصدية صدهم المومنين عن المسجد الحرام وعن الدين والصلاة فعلى
هذا التصدية من الصد وهو المنع وقوله تعالى فذوقوا العذاب يعني عذاب القتل والاسر في الدنيا وقيل يقال لهم
في الاخرة فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون يعني بسبب كفركم في الدنيا قوله عز وجل ان الذين كفروا ينفقون
اموالهم ليصدوا عن سبيل الله لما ذكر الله عبادة الكفار البدنية وهي المكا والتصدية ذكر بعده عبادتهم المالية التي
لا جدوى لها في الاخرة قال الكلبي ومقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا ابو جهل بن هشام وعتبة
وشيبة ابنا ربيعة ابنا عبد شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وابو البختري بن هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام
وابي بن خلف وزمعة بن الاسود والحرث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش فكان يطعم كل واحد
منهم الجيش في كل يوم عشر جزر واسلم من هولا العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكيم بن حزام
وقال الحكم بن عتيبة نزلت في ابي سفيان بن حرب حين انفق على المشركين يوم احد اربعين اوقية كل اوقية اربعون
مثقالا وقال ابن ابزى استاجر ابو سفيان يوم احد الفين ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لما اصيب
من اصيب من قريش يوم بدر ورجع ابو سفيان بعيره الى مكة مشى عبد الله بن ابي ربيعة وعكرمة بن ابي جهل وصفوان
ابن امية في رجال من قريش قد اصيب اباوهم وابناوهم واخوانهم يوم بدر فكلموا ابا سفيان بن حرب ومن كان له في تلك
العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا
المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارا عن اصيب منا ففيهم نزلت ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن
سبيل الله اي ليصرفوا الناس عن الايمان بالله ورسوله وقيل ينفقون اموالهم على امثالهم من المشركين
لينفقوا بها على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين فسينفقونها يعني اموالهم في ذلك الوجه

ثم

ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون يعني ما انفقوا من اموالهم يكون عليهم حسرة وندامة يوم القيامة لان اموالهم
تذهب ويغلبون ولا يظفرون بما يامّلون والذين كفروا يعني منهم لان منهم من اسلم فلهذا قال والذين كفروا يعني
من المنفقين اموالهم الى جهنم يحشرون يعني يساقون الى النار ليميز الله الخبيث من الطيب يعني ليفرق بين الكفار
وهم الفريق الخبيث وبين فريق المومنين وهو الفريق الطيب وهذا معنى قول ابن عباس فانه قال يميز اهل السعادة
من اهل الشقاوة وقال يميز العمل الخبيث من العمل الطيب فيجازي على العمل الخبيث النار وعلى العمل الطيب الجنة وقيل
المراد به انفاق الكفار في سبيل الشيطان وانفاق المسلمين في سبيل الله ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا
يعني بعضه فوق بعض فيجعله في جهنم يعني الخبيث اولئك اشارة الى المنفقين في سبيل الشيطان او الى الخبيث هم
الخاسرون على انهم خسروا الدنيا والاخرة لانهم اشتروا باموالهم عقاب الاخرة قوله تعالى قل يعني قل يا محمد
للذين كفروا ان ينتهوا يعني عن الشرك يغفر لهم ما قد سلف يعني ما قد مضى من كفرهم وذنوبهم قبل الاسلام وان يعودوا
فقد مضت سنة الاولين يعني في اهلاك اعدائه ونصر اوليائه ومعنى الاية هولا الكفار ان انتهوا عن الكفر ودخلوا
في دين الاسلام والتزموا شرايعه غفر لهم ما قد سلف من كفرهم وشركهم وان عادوا الى الكفر واصروا عليه فقد مضت سنة
الاولين باهلاك اعدائه ونصر اوليائه واجمع العلما على ان الاسلام يجب ما قبله واذا اسلم الكافر لم يلزمه
شي من قضا العبادات البدنية والمالية وهو ساعة السلامة كيوم ولدته امه يعني بذلك انه ليس عليه ذنب قال
يحيى بن معاذ الرازي توحيد عام لم يعجز عن هدم ما قبله ومن كفر ارجو ان لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة قال ابن عباس حتى لا يكون شرك وقال الحسن حتى لا يكون بلا ويكون الدين كله لله حتى تكون
الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره وقال قتادة حتى يقال لا اله الا الله عليها قاتل نبي الله صلى الله
عليه وسلم واليها دعا وقال محمد بن اسحاق في قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله يعني لا يفتن
مومن عن دينه ويكون التوحيد لله خالصا ليس فيه شرك ويخلع ما دونه من الانداد والشركا فان انتهوا يعني عن
الشرك وافتنان المومنين وابتلايهم فان الله بما يعملون بصير يعني فان الله لا يخفى عليه شي من اعمال العباد ويثيبهم
حتى يوصل اليهم ثوابهم وان تولوا يعني وان اعرضوا عن الايمان واصروا على الكفر وعادوا الى قتال المسلمين
وابتلايهم فاعلموا يعني ايها المومنون ان الله مولاكم يعني ان الله وليكم وناصركم عليهم وحافظكم نعم المولى ونعم
النصير يعني ان الله هو نعم المولى ونعم النصير قوله عز وجل واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه وللرسول المغنم
الفوز بالشي يقال غنم يغنم غنما فهو غانم واختلف العلما هل الغنيمة والفي اسمان لمسمى واحد ام يختلفان
في التسمية فقال عطا بن السايب الغنيمة ما ظهر المسلمون عليه من اموال المشركين فاخذوه عنوة واما الارض
فهي في وقال سفيان الثوري الغنيمة ما اصاب المسلمون من مال الكفار عنوة بقتال ففيه الخمس واربعة اخماسه
لمن شهد الوقعة والفي ما صولحوا عليه بغير قتال فليس فيه خمس هو لمن سمى الله وقيل الغنيمة ما اخذ من اموال الكفار
عنوة عن قهر وغلبة والفي ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب كالعشر والجزية واموال الصلح والمهادنة وقيل ان الفي والغنيمة
معناهما واحد وهما اسمان لشي واحد والصحيح انهما يختلفان فالفي ما اخذ من اموال الكفار بغير ايجاف خيل ولا ركاب والغنيمة
ما اخذ من اموالهم على سبيل القهر والغلبة بايجاف عليه بخيل ولا ركاب فذكر الله في هذه الاية حكم الغنيمة فقال تعالى واعلموا
انما غنمتم من شي يعني من اي شي كان حتى الخيط والمخيط فان لله خمسه وللرسول فذكر اكثر المفسرين والفقها ان قوله لله
افتتاح كلام على سبيل التبرك وانما اضافه الى نفسه تعالى لانه هو الحاكم فيه فيقسمه كيف شا وليس المراد منه ان سهما منه
لله مفردا لان الدنيا والاخرة كلها لله وهذا قول الحسن وقتادة وعطا وابراهيم النخعي سهم الله وسهم رسوله واحد
والغنيمة تقسم خمسة اخماس اربعة اخماسها لمن قاتل عليها واحرزها والخمس الباقي لخمسة اصناف كما ذكر الله عز

في المومنين

Copyright © King Saud University

وجل للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وقال ابو العالية يقسم خمس الخمس على ستة اسهم سهم لله
عز وجل فيصرف الى الكعبة والقول الاول اصح ان خمس الغنيمة يقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كان له في حياته واليوم هو لمصالح المسلمين وما فيه قوة الاسلام وهذا قول الشافعي واحمد وروى الاعمش عن ابراهيم
قال كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والسلاح وقال قتادة هو للخليفة وقال ابو حنيفة
سهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته مردود في الخمس فيقسم الخمس على اربعة اصناف المذكورين في الاية وهم ذوو القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل فقوله تعالى **ولذي القربى** يعني ان سهما من خمس الخمس لذوي القربى وهم اقارب رسول الله صلى الله
عليه وسلم واختلفوا فيهم فقال قوم هم جميع قريش وقال قوم هم الذين لا تحل لهم الصدقة وقال مجاهد وعلي بن الحسين
هم بنو هاشم وقال الشافعي رحمه الله هم بنو هاشم وبنو المطلب وليس لبني عبد شمس ولا لبني نوفل منه شيء وان كانوا اخوة
ويدل عليه ما روي عن جبير بن مطعم قال جئت انا وعثمان بن عفان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اعطيت
بني المطلب وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد وفي رواية
اعطيت بني المطلب من خمس الخمس وتركتنا وفي رواية قال جبير ولم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد شمس ولا لبني
نوفل شيئا اخرجه البخاري وفي رواية ابي داود ان جبير بن مطعم جاء هو وعثمان بن عفان يكلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما يقسم من الخمس في بني هاشم وبني عبد المطلب فقلت يا رسول الله قسمت لاخواننا بني المطلب ولم تعطنا شيئا وقرابتنا وقرابتهم
واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وفي رواية النسائي قال لما كان يوم خيبر
رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذوي القربى في بني هاشم وبني المطلب وترك بني نوفل وبني عبد شمس فانطلقت انا
وعثمان حتى اتينا النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم للموضع الذي وضعك الله به
منهم فما بال اخواننا بني عبد المطلب اعطيتهم وتركتنا وقرابتنا واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وبنو
المطلب لا نفترق في جاهلية ولا اسلام وانما نحن وهم شيء واحد وشبك بين اصابعه واختلف اهل العلم في سهم ذوي القربى
هل هو ثابت اليوم ام لا فذهب اكثرهم الى انه ثابت فيعطى فقراؤهم واغنياؤهم من خمس الخمس للذكر مثل حظ الانثيين وهو
قول مالك والشافعي وذهب ابو حنيفة واصحاب الرأي الى انه غير ثابت قالوا سهم النبي صلى الله عليه وسلم وسهم ذوي
القربى مردود في الخمس فيقسم الغنيمة على ثلاثة اصناف اليتامى والمساكين وابن السبيل فيصرف الى فقراء ذوي القربى
مع هذه الاصناف دون اغنيائهم وحجة الجمهور ان الكتاب والسنة يدلان على سهم ذوي القربى وكذا الخلفاء بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعطون ذوي القربى ولا يفضلون فقيرا على غني لان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى
العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله وكذا الخلفاء بعده كانوا يعطونه والحقه الشافعي بالميراث الذي يستحق باسم
القرابة غير انه يعطي القريب والبعيد ويفضل الذكر على الانثى فيعطى الذكر سهمين والانثى سهما وقوله تعالى **واليتامى**
جمع يتيم ويعطى من خمس الخمس لليتامى واليتيم الذي له سهم في الخمس هو الصغير المسلم الذي لا اب له فيعطى مع الحاجة اليه
والمساكين وهم اهل الفاقة والحاجة من المسلمين **وابن السبيل** وهو المسافر البعيد عن ماله فيعطى من خمس الخمس مع
الحاجة اليه فهذا مصرف خمس الغنيمة ويقسم اربعة اخماسها الباقية بين الغانمين الذين شهدوا الواقعة وحازوا الغنيمة
فيعطى للفارس ثلاثة اسهم سهم له وسهمان لفرسه ويعطى الراجل سهم واحد لما روي عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قسم في النفل للفرس سهمين وللراجل سهما وفي رواية نحوه باسقاط لفظ النفل اخرجه البخاري ومسلم وفي رواية ابي
داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسهم للرجل ولفرسه ثلاثة اسهم سهما له وسهمان لفرسه وهذا قول اكثر اهل
العلم واليه ذهب الثوري والاوزاعي ومالك وابن المبارك والشافعي واحمد واسحاق وقال ابو اسحاق وقال ابو حنيفة
للفارس سهمان وللراجل سهم ويرضخ للعبيد والنسوان والصبيان اذا حضروا القتال ويقسم العقار الذي استولى

عليه

عليه المسلمون كالمنقول وعند ابي حنيفة يتخير الامام في العقار بين ان يقسمه بينهم وبين ان يجعله وقفا على المصالح
وظاهر الاية يدل على انه لا فرق بين العقار والمنقول ومن قتل قتيلا من المسلمين في القتال يستحق سلبه من راس الغنيمة
لما روي عن ابي قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه اخرجه الترمذي واخرجه
البخاري ومسلم في حديث طويل والسلب كل ما يكون على المقتول من ملبوس وسلاح والفرس الذي كان راكبه ويجوز للامام ان
ينفل بعض الجيش من الغنيمة لزيادة عناء وبلاء يكون منهم في الحرب يخصهم به من بين سائر الجيش ثم يجعلهم اسوة الجماعة في
سهام الغنيمة وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل الربع في البداة والثلث في الرجعة اخرجه ابو داود واختلف
العلماء في ان النفل من اين يعطى فقال قوم من خمس الخمس من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول سعيد بن المسيب وبه قال
الشافعي وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبادة بن الصامت قال اخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم خيبر وبرة من جنب بعير فقال ايها الناس انه لا يحل لي مما افاء الله عليكم قدر هذه الا الخمس والخمس مردود عليكم
اخرجه النسائي وقال قوم هو من الاربعة اخماس بعد افراز الخمس كسهام الغزاة وهو قول احمد واسحاق وذهب قوم الى
ان النفل من راس الغنيمة قبل التخميس كالسلب للقاتل واما الفيء وهو ما اصابه المسلمون من اموال الكفار بغير ايجاف
خيل ولا ركاب بان صالحهم على مال يؤدونه وكذا الجزية وما اخذ من اموالهم اذا دخلوا دار الاسلام للتجارة او يموت
احد منهم في دار الاسلام ولا وارث له فهذا كله فيء ومال الفيء كان خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مدة حياته
وقال عمر ان الله قد خص رسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الفيء بشيء لم يعطه احدا غيره ثم قرأ عمر ما افاء الله على رسوله
منهم الاية فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة وكان ينفق على اهله وعياله نفقة سنتهم من
هذا المال ثم ما بقي يجعله مجعل مال الله في الكراع والسلاح واختلف اهل العلم في مصرف الفيء بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال قوم هو للائمة بعده وللشافعي فيه قولان احدهما انه للمقاتلة الذين اثبتت اسماؤهم في ديوان الجهاد لانهم
هم القائمون مقام النبي صلى الله عليه وسلم في ارهاب العدو والقول الثاني انه لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة فيعطون
منه كفايتهم ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلف اهل العلم في تخميس الفيء فذهب الشافعي الى انه يخمس وخمسه لاهل خمس
من الغنيمة على خمسة اسهم واربعة اخماسه للمقاتلة وللمصالح وذهب الاكثرون الى انه لا يخمس بل مصرف جميعه مصرف
واحد ولجميع المسلمين فيه حق عن مالك بن اوس قال ذكر عمر يوما الفيء فقال ما انا احق بهذا الفيء منكم وما احد منا احق به
من احد الا انا على منازلنا من كتاب الله وقسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالرجل وقدمه والرجل وبلاؤه والرجل وعياله
والرجل وحاجته اخرجه ابو داود واخرج البغوي بسنده عنه انه سمع عمر بن الخطاب يقول ما على وجه الارض مسلم
الا له في هذا الفيء حق الا ما ملكت ايمانكم وقوله تعالى **ان كنتم امنتم بالله** يعني واعلموا ايها المؤمنون ان خمس الغنيمة
مصروف الى من ذكر في هذه الاية من الاصناف فاقطعوا عنه اطماعكم واقتنعوا باربعة اخماس الغنيمة ان كنتم امنتم
بالله وصدقتم بوحدانيته **وما انزلنا على عبدنا** يعني وتؤمنون بالمنزل على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه اضافة تشريف
وتعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم والذي انزل على محمد صلى الله عليه وسلم حين سالوه عن الانفال الاية **يوم الفرقان** يعني يوم
بدر قال ابن عباس سمى الفرقان يوم بدر لان الله عز وجل فرق فيه بين الحق والباطل **يوم التقى الجمعان** يعني يوم جمع
المؤمنين وجمع الكافرين يوم بدر وهو اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان راس المشركين عتبة بن ربيعة
فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة او لسبع عشرة مضت من رمضان واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا
والمشركون ما بين الالف والتسعمائة فهزم الله المشركين وقتل منهم زيادة على سبعين واسر منهم مثل ذلك **والله على كل شيء قدير**
يعني على نصركم ايها المؤمنون مع قلتكم وكثرة عدوكم قوله تعالى **اذ انتم** يعني اذكروا نعمة الله عليكم يا معشر المسلمين اذ انتم **بالعدوة
الدنيا** يعني بشفير الوادي الادنى من المدينة والدنيا هنا تانيث الادنى **وهم** يعني المشركين **بالعدوة القصوى** يعني بشفير الوادي

Copyright © King Saud University

الاقصى من المدينة هي مما يلي مكة والقصوى تانيث الاقصى والركب اسفل منكم يعني ابا سفيان واصحابه وعير قريش
التي خرجوا لاجلها وكانوا في موضع اسفل من موضع المومنين اي ساحل البحر على ثلاثة اميال من بدر ولو تواعدتم يعني
انتم والمشركون لاختلفتم في الميعاد وذلك ان المسلمين خرجوا لياخذوا العير وخرج الكفار ليمنعوها من المسلمين فالتقوا
على غير ميعاد والمعنى ولو تواعدتم انتم والكفار على القتال لاختلفتم انتم وهم لقلتكم وكثرة عدوكم ولكن يعني ولكن الله جمعكم
على غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا يعني من نصر اوليائه واعزاز دينه واهلاك اعدائه واعداء دينه ليهلك من هلك
عن بينة يعني ليموت من مات عن بينة راها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه ويحيى من حي عن بينة يعني ويعيش من
عاش على بينة راها وعبرة شاهدها وحجة قامت عليه وقال محمد بن اسحاق معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه ويومن
من امن على مثل ذلك لان الهلاك هو الكفر والحياة هو الايمان ونحوه قال قتادة ليضل من ضل على بينة ويهتدي من اهتدى
على بينة وان الله لسميع عليم يعني سميع دعائكم وعليم بنياتكم ولا يخفى عليه خافية قوله عز وجل اذ يريكهم الله يعني واذكر
يا محمد نعمة الله عليك اذ يريك المشركين في منامك يعني في نومك قليلا قال مجاهد اراهم الله في منامه قليلا فاخبر النبي صلى
الله عليه وسلم اصحابه بذلك وكان تثبيتا وقال محمد بن اسحاق فكان ما اراه الله من ذلك نعمة من نعمه عليهم يشجعهم
بها على عدوهم فكف بها عنهم ما تخوف عليهم من ضعفهم لعلمه بما فيهم وقيل لما اراه الله النبي صلى الله عليه وسلم كفار قريش
في منامه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فقالوا رويا النبي صلى الله عليه وسلم حق فصار ذلك سببا لجراتهم على عدوهم
وقوة لقلوبهم وقال الحسن ان هذه الاراءة كانت في اليقظة والمراد من المنام العين لانها موضع النوم ولو اراكهم
كثيرا لفشلتم يعني لجبنتم والفشل ضعف مع جبن والمعنى ولو اراكهم كثيرا فذكرت ذلك لاصحابك لفشلوا وجبنوا عنهم
ولتنازعتم في الامر يعني لاختلفتم في الاقدام عليهم او الاحجام عنهم وقيل معنى التنازع في الامر هو الاختلاف الذي تكون معه
مخاصمة ومجادلة كل واحد الى ناحية والمعنى لاضطرب امركم واختلف كلمتكم ولكن الله سلم يعني ولكن الله سلمكم من التنازع
والمخالفة فيما بينكم وقيل معناه ولكن الله سلمكم من الهزيمة والفشل انه عليم بذات الصدور يعني انه تعالى يعلم ما يحصل
في الصدور من الجراة والجبن والصبر والجزع وقال ابن عباس معناه انه عليم بما في صدوركم من الحب لله عز وجل
واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا يعني ان الله تعالى قلل عدد المشركين في اعين المومنين يوم بدر لما التقوا في القتال
ليتاكد في اليقظة ما راه النبي صلى الله عليه وسلم في منامه واخبر عنه اصحابه قال ابن مسعود لقد قللوا في اعيننا
حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال الفا ويقللكم في اعينهم يعني
ويقللكم يا معشر المومنين في اعين المشركين قال السدي قال ناس من المشركين ان العير قد انصرفت فارجعوا فقال ابو
جهل الان اذ برز لكم محمد واصحابه فلا ترجعوا حتى تستاصلوهم انما محمد واصحابه اكلة جزور يعني لقلتهم في عينه ثم
قال فلا تقتلوهم واربطوهم في الحبال يقوله من القدرة على نفسه والحكمة في تقليل المشركين في اعين المومنين
تصديق رويا النبي صلى الله عليه وسلم ولتقوى بذلك قلوب المومنين وتزداد جراتهم عليهم ولا يجبنوا عند قتالهم
والحكمة في تقليل المومنين في اعين المشركين قليلا لئلا يهربوا واذا استقلوا عدد المسلمين لم يبالغوا في الاستعداد والتاهب
لقتالهم فيكون ذلك سببا لظهور المومنين عليهم **فان قلت** كيف يمكن تقليل الكثير وتكثير القليل
قلت ذلك ممكن مع القدرة الالهية فان الله تعالى على ما يشاء قدير ويكون ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه
وسلم من خوارق العادات فلا ينكر ذلك ليقضي الله امرا كان مفعولا يعني من اعلاء كلمة الاسلام ونصر اهله
واذلال كلمة الشرك وخذلان اهله **فان قلت** قد قال في الاية المتقدمة ولكن ليقضي الله امرا
كان مفعولا فما معنى هذا التكرار **قلت** المقصود من ذكره في الاية المتقدمة ان يحصل استيلاء المومنين
على المشركين على وجه القهر والغلبة ليكون ذلك معجزة دالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقصود

من

والمقصود من ذكره الاية لانه تعالى قلل عدد الفريقين في اعين بعضهم بعضا للحكمة التي قصدها فلذلك
قال ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور يعني في الاخرة فيجازي كل عامل على قدر عمله فالمحسن باحسانه
والمسيء باساءته او يعفو ويغفر قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة يعني جماعة كافرة فاثبتوا يعني لقتالهم
وهو ان يوطنوا انفسهم في لقاء العدو وقتاله ولا يحدثوها بالتولي واذكروا الله كثيرا يعني كونوا ذاكرين الله عند
لقاء عدوكم ذكرا كثيرا بقلوبكم والسنتكم امر الله عباده المومنين واولياءه الصالحين بان يذكروه في اشد الاحوال
وذلك عند لقاء العدو وقتاله وفيه تنبيه على ان الانسان لا يجوز ان يخلو قلبه ولسانه عن ذكر الله وقيل المراد
من هذا الذكر هو الدعاء بالنصر على العدو وذلك لا يحصل الا بمعونة الله تعالى فامر الله عباده ان يسالوه النصر على العدو
وعند اللقاء وقال تعالى لعلكم تفلحون يعني وكونوا على رجاء الفلاح والنصر **فان قلت** ظاهر الاية
يوجب الثبات على كل حال وذلك يوهم انها ناسخة لاية التحرف والتحيز **قلت** المراد من الثبات هو
الثبات عند المحاربة والمقاتلة في الجملة واية التحرف والتحيز لا يقدح في حصول هذا الثبات في المحاربة بل كان
الثبات في المقصود لا يحصل الا بذلك التحرف والتحيز ثم قال تعالى مويدا لذلك واطيعوا الله ورسوله يعني في امر
الجهاد والثبات عند لقاء العدو ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم يعني ولا تختلفوا فان التنازع والاختلاف يوجب
الفشل والضعف والجبن وقوله تعالى وتذهب ريحكم يعني قوتكم وقال مجاهد نصرتكم قال وذهبت ريح
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم احد وقال السدي جراتكم وجدكم وقال مقاتل حدتكم
وقال الاخفش وابو عبيدة دولتكم والريح هنا كناية عن نفاذ الامر وجريانه على المراد تقول العرب
هبت ريح فلان اذا اقبل امره على ما يريد وقال قتادة وابن زيد هي ريح النصر ولم يكن نصر قط الا بريح
يبعثها الله تضرب وجوه العدو ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور
وعن النعمان بن مقرن قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا لم يقاتل من اول النهار
اخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر اخرجه ابو داود وقوله تعالى واصبروا يعني عند
لقاء عدوكم ولا تنهزموا عنهم ان الله مع الصابرين يعني بالنصر والمعونة ق عن عبد الله بن ابي اوفى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ايامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس قام فيهم فقال
ايها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسالوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة
تحت ظلال السيوف ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب
وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تتمنوا لقاء العدو فاذا لقيتموهم فاصبروا وقوله عز وجل ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم
بطرا يعني فخرا واشرا وقيل البطر الطغيان في النعمة وذلك ان النعم اذا كثرت من الله على العبد فان صرفها الى المفاخرة
على الاقران والتكاثر بها ابناء الزمان وانفقها في غير طاعة الرحمن فذلك هو البطر في النعمة وان صرفها في طاعة
الله وابتغاء مرضاته فذلك شكرها وهذا معنى قول الزجاج البطر الطغيان في النعمة وترك شكرها ورئاء
الناس الرياء اظهار الجميل ليراه الناس مع ابطان القبيح والفرق بين الرياء والنفاق ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان
الكفر والرياء اظهار الطاعة مع ابطان المعصية ويصدون عن سبيل الله يعني ويمنعون الناس عن الدخول
في دين الله نزلت هذه الاية في كفار قريش حين خرجوا الى بدر ولهم فخر وبغي فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني به
قال ابن عباس ان ابا سفيان لما راى انه قد احرز عيره ارسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم

Copyright @ King Saud University

واموالكم فقد نجاها الله فارجعوا فقال ابو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع
لهم بها سوق في كل عام قال فنقيم عليه ثلاثا وننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمور وتعزف علينا القينات وتسمع
بنا العرب فلا يزالون يهابوننا ابدا فمضوا الى بدر فسقوا الخمر وافوا بدرا فسقوا كووس الحمام عوضا عن الخمر وناحت عليهم
النوائح مكان القينات فنهى الله عباده المومنين ان يكونوا مثلهم والمعنى لا تكونوا ايها المومنون رياء وسمعة
ولا لالتماس ما عند الناس ولكن اخلصوا لله تعالى النية وقاتلوا لحسبة في نصر دينكم ومؤازرة نبيكم صلى الله عليه
وسلم ولا تعملوا الا لذلك ولا تطلبوا غيره وقوله تعالى والله بما يعملون محيط فيه وعيد وتهديد يعني انه تعالى
عالم بجميع الاشيا لا يخفى عن علمه لانه محيط باعمال العباد كلها فيجازي المحسنين ويعاقب المسيئين قوله تعالى
واذ زين لهم الشيطان اعمالهم يعني اذكروا ايها المومنون نعمة الله عليكم اذ زين لهم الشيطان يريد ابليس للمشركين
اعمالهم الخبيثة وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم قال بعضهم كان تزيينه ووسوسته القاها في
قلوبهم من غير ان يتحول في صورة غير صورته وقال الجمهور من المفسرين تصور ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم
وكان تزيينه ان قريشا لما اجتمعت على السير الى بدر ذكرت الذي بينها وبين بني بكر من الحرب من الحروب فكاد ذلك ان
يثنيهم فتبدى لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي وكان من اشراف بني كنانة فقال انا جار لكم من
ان ياتيكم من كنانة شي تكرهونه فخرجوا سراعا وقال ابن عباس جاء ابليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة
رجل من رجال بني مدلج سراقة بن مالك بن جعشم فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس اخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب فرمى بها وجه المشركين فولوا مدبرين واقبل جبريل عليه السلام الى
ابليس لعنه الله فلما راه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع ابليس يده ثم ولى مدبرا وشيعته فقال الرجل
يا سراقة اتزعم انك جار لنا فقال اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين راى الملائكة
وقوله اني جار لكم يعني مجير لكم من كنانة فلما تراءت الفئتان يعني التقى الجمعان راى ابليس الملائكة قد نزلوا من السما
علم عدو الله ابليس انه لا طاقة له بهم نكص على عقبيه وقال اني بري منكم يعني رجع القهقرى وولى مدبرا هاربا على
قفاه وقال الكلبي لما التقى الجمعان كان ابليس في صف المشركين على صورة سراقة بن مالك بن جعشم وهو اخذ بيد الحارث
ابن هشام فنكص عدو الله ابليس على عقبيه فقال له الحارث افرارا من غير قتال فجعل يمسكه فدفع في صدره وانطلق
فانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة بن مالك بن جعشم فبلغ ذلك سراقة فقال بلغني انكم تقولون
هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فقالوا اتيتنا في يوم كذا وكذا فحلف لهم فلما اسلموا
علموا ان ذلك كان شيطانا قال الحسن في قوله اني ارى ما لا ترون قال راى ابليس جبريل عليه السلام معتجرا
ببرد يمشي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وفي يده اللجام يقود الفرس ما ركب وقال قتادة قال ابليس اني ارى ما لا
ترون وصدق وقال اني اخاف الله وكذب ما به مخافة الله ولكن علم انه لا قوة له ولا منعة فاوردهم واسلمهم
وتلك عادة عدو الله ابليس لمن اطاعه اذا التقى الحق والباطل اسلمهم وتبرا منهم وقيل انه خاف ان ياخذه جبريل
فتعرف حاله فلا يطيعوه وقيل معناه اني اخاف الله صدق وعده لاوليايه لانه كان على ثقة من امره وقيل
لما راى الملائكة قد نزلت من السما خاف ان تكون القيمة والله شديد العقاب قيل معناه اني اخاف الله لانه شديد
العقاب فعلى هذا يكون تمام قول ابليس وقيل تم كلامه عند قوله اني اخاف الله وقوله والله شديد العقاب ابتدا
كلام يقول الله والله شديد العقاب لمن خالف الله وكفر به عن طلحة بن عبيد الله بن كريز ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما راى الشيطان يوما هو فيه اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه في يوم عرفة وما ذاك الا لما
يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام الا ما راى يوم بدر فانه قد راى جبريل يزع الملائكة اخرجه

مالك في الموطا ولا ادري هو بالعال والدال المهملتين من الدحور وهو الابعاد والطرد مع الاهانة وقوله يزع الملائكة اي
يكفهم ويحبسهم لئلا يتقدم بعضهم على بعض والوازع هو الذي يتقدم ويتاخر في الصف ليصلحه **فان قلت**
كيف يقدر ابليس على ان يتصور بصورة البشر واذا تشكل بصورة البشر فكيف يسمى شيطانا **قلت** ان الله
عز وجل اعطاه قوة واقدره على ذلك كما اعطى الملائكة قوة واقدرهم على ان يتشكلوا بصورة البشر لكن النفس الباطنة
لم تتغير فلم يلزم من تغير الصورة تغير الحقيقة قوله عز وجل اذ يقول المنافقون يعني من اهل المدينة والذين في قلوبهم مرض
اي شك وارتياب وهم قوم من اهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يقو الاسلام في قلوبهم ولم يهاجروا فلما خرج كفار قريش
الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم الى بدر فلما راوا قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا غر
هولاء دينهم يعني ان هولاء يقاتلون مثلا ثلاثة اضعافهم وقد غرهم دينهم الاسلام على ذلك وحملهم على قتل انفسهم
رجا الثواب في الاخرة فقتلوا جميعا يوم بدر وقال مجاهد انه فيه من قريش وهو قيس بن الوليد بن المغيرة والحارث
ابن زمعة بن الاسود بن المطلب وعلي بن امية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب
فحبسهم ارتيابهم فلما راوا قلة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غر هولاء دينهم ثم قال الله تعالى ومن يتوكل
على الله يعني ومن يسلم امره الى الله ويثق بفضله ويعول على احسانه فان الله حافظه وناصره لانه عزيز لا يغلبه
شي حكيم يعني فيما قضى وحكم فيوصل الثواب الى اوليايه والعقاب الى اعدايه قوله عز وجل ولو ترى اذ يتوفى الذين
كفروا الملائكة يعني ولو عاينت يا محمد وشاهدت اذ تقبض الملائكة ارواح الذين كفروا عند الموت لرايت امرا عظيما
ومنظرا فظيعا وعذابا شديدا ينالهم في ذلك الوقت يضربون وجوههم وادبارهم اختلفوا في وقت الضرب
فقيل هو عند الموت تضرب الملائكة وجوه الكفار وادبارهم بسياط من نار وقيل ان الذين قتلوا يوم بدر
من المشركين كانت الملائكة تضرب وجوههم وادبارهم وقال ابن عباس كان المشركون اذا اقبلوا بوجوههم
على المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف واذا ولوا ادبارهم ضربت الملائكة ادبارهم وقال ابن جريج
يريد ما اقبل من اجسادهم وادبر يعني يضربون جميع اجسادهم وذوقوا عذاب الحريق يعني وتقول الملائكة
عند القتل ذوقوا عذاب الحريق قيل كان مع الملائكة مقامع من حديد محماة بالنار يضربون بها الكفار فتلتهب
النار في جراحاتهم وقال ابن عباس تقول لهم الملائكة ذلك بعد الموت قال الحسن هذا يوم القيامة تقول لهم
الزبانية ذوقوا عذاب الحريق ذلك يعني الذي نزل بكم من القتل والضرب والحريق بما قدمت ايديكم يعني انما حصل
لكم بسبب ما كسبت ايديكم من الكفر والمعاصي **فان قلت** اليد ليست محلا للكفر وانما محله القلب
لان الكفر اعتقاد ومحله القلب وظاهر الاية يقتضي ان فاعل هذا الكفر هو اليد وذلك ممتنع **قلت**
اليد هنا عبارة عن القدرة لان اليد الة العمل والقدرة هي المؤثرة في العمل فجعل اليد كناية عن القدرة وقوله
تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد يعني ان الله تعالى لا يعذب احدا من خلقه الا بجرم اجترمه لانه لا يظلم احدا
من خلقه وانما نفى الظلم عن نفسه مع انه يعذب الكافر على كفره والعاصي على عصيانه لانه متصرف في ملكه كيف يشا
ومن كان كذلك استحال نسبة الظلم اليه فلا يلزم من تعذيبه تعالى لخلقه الكافرين وتعذيبه عليه ظلم
فلهذا قال تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد لانهم في ملكه وتحت قدرته فهو يتصرف فيهم كيف يشا قوله تعالى كداب
ال فرعون يعني ان عادة هولاء الكفار في كفرهم كعادة ال فرعون في كفرهم فجوزي هولاء بالقتل والاسر يوم بدر كما
جوزي ال فرعون بالاغراق واصل الداب في اللغة ادامة العمل يقال فلان يداب في كذا اذا داوم عليه وتعب
نفسه فيه ثم سميت العادة دابا لان الانسان يداوم على عادته ويواظب عليها قال ابن عباس معناه ان ال فرعون
ايقنوا ان موسى نبي من الله تعالى فكذبوه فكذلك هولاء لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق كذبوه فانزل الله

بهم عقوبته كما انزل بآل فرعون والذين من قبلهم يعني من قبل آل فرعون كفروا بآيات الله يعني ان عادة الامم السالفة
هو كفرهم بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم يعني بسبب كفرهم وذنوبهم ان الله قوي يعني في اخذه وانتقامه ممن كفر وكذب
رسله شديد العقاب يعني لمن كفر وكذب رسله ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم
يعني ان الله تعالى انعم على اهل مكة بان اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وبعث اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فقابلوا هذه
النعم بان تركوا شكرها وكذبوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وغيروا ما بانفسهم فسلبهم الله تعالى النعمة واخذهم
بالعقاب قال السدي نعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم انعم به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله الى الانصار وان الله
سميع يعني لاقوال خلقه لا يخفى عليه شيء من كلامهم عليم بما في صدورهم من خير وشر فيجازي كل واحد على عمله كدأب
آل فرعون يعني ان هؤلاء الكفار الذين قتلوا يوم بدر غيروا نعمة الله عليهم كصنيع آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا
بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم يعني اهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالحجارة وبعضهم بالريح
وبعضهم بالمسخ كذلك اهلكنا كفار قريش بالسيف وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين يعني الاولين والآخرين
فإن قلت ما الفائدة في تكرير هذه الآية مرة ثانية **قلت** فيها فوائد منها ان الكلام
الثاني يجري مجرى التفصيل للكلام الاول لان الآية الاولى فيها ذكر اخذهم وفي الآية الثانية ذكر اغراقهم فذلك
تفسير للاول الفائدة الثانية ذكر في الآية الاولى انهم كفروا بآيات الله وفي الآية الثانية انهم كذبوا بآيات ربهم
ففي الاولى اشارة الى انهم انكروا آيات الله وجحدوها وفي الآية الثانية اشارة الى انهم كذبوا بها مع جحودهم لها وكفرهم
بها الفائدة الثالثة ان تكرير هذه القصة للتأكيد وفي قوله كذبوا بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود
الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب قوله تعالى ان شر الدواب عند الله يعني في علمه وحكمه الذين كفروا
فهم لا يؤمنون والمعنى ان شر الدواب من الانس الكفار المصرين على الكفر نزلت في يهود بني قريظة رهط كعب بن الاشرف
الذين عاهدت منهم قيل من صلة يعني الذين عاهدتهم وقيل هي للتبعيض لان المعاهدة مع بعض القوم وهم
الرؤساء والاشراف ثم ينقضون عهدهم في كل مرة قال المفسرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاهد
يهود بني قريظة ان لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه فنقضوا العهد واعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم قالوا نسينا واخطأنا فعاهدهم الثانية فنقضوا العهد ايضا ومالوا الكفار
على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فوافقهم على مخالفة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهم لا يتقون يعني انهم لا يخافون في نقض العهد لان عادة من يرجع الى خير وعقل وحزم
ان يتقي نقض العهد حتى يسكن الناس الى قوله ويثقون بكلامه فبين الله عز وجل ان من جمع بين الكفر ونقض
العهد انه من شر الدواب فإما تثقفنهم في الحرب يعني فاما تجدن هؤلاء الذين نقضوا عهدك وتظفر بهم في
الحرب فشرد بهم من خلفهم قال ابن عباس معناه فنكل بهم وقال سعيد بن جبير انذر بهم من خلفهم واصل
التشريد في اللغة التفريق مع اضطراب ومعنى الآية انك اذا ظفرت بهؤلاء الكفار الذين نقضوا العهد فافعل
بهم فعلا من القتل والتنكيل تفرق به جمع كل ناقض للعهد حتى يخافك من وراءهم من اهل مكة واليمن لعلهم
يذكرون يعني لعل ذلك النكال يمنعهم من نقض العهد وإما تخافن يعني واما تعلمن يا محمد من قوم يعني معاهدين
خيانة يعني نقضا للعهد بما يظهر لك منهم من آثار الغدر كما ظهر من بني قريظة والنضير فانبذ اليهم اي فاطرح
اليهم عهدهم وارم به اليهم على سواء يعني على طريق ظاهر مستو يعني اعلمهم قبل حربك اياهم انك قد
فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون انت وهم في العلم بنقض العهد سواء فلا يتوهموا انك نقضت العهد والا بنصب
الحرب معهم ان الله لا يحب الخائنين يعني في نقض العهد عن سليم بن عامر عن رجل من حمير قال كان بين

معاوية

معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم ليقرب حتى اذا انقضى العهد غزاهم فجاءه رجل على فرس او برذون
وهو يقول الله اكبر وفاء لا غدر فاذا هو عمرو بن عبسة فارسل اليه معاوية فسأله فقال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي امدها او ينبذ اليهم على سواء
فرجع معاوية اخرجه ابو داود واخرج الترمذي عن سليم بن عامر نحوه بلا زيادة ورجل من حمير وعبد الله اكبر مرة واحدة
وفيه جاء على دابة او فرس وللحكم الآية فقال اهل العلم اذا ظهرت آثار نقض العهد ممن هادنهم الامام من المشركين بأمر
ظاهر مستفيض استغنى الامام عن نبذ العهد واعلامهم بالحرب وان ظهرت الخيانة بامارات تلوح وتتضح
له من غير امر مستفيض فحينئذ يجب على الامام ان ينبذ اليهم العهد ويعلمهم بالحرب وذلك لان قريظة كانوا قد
عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم اجابوا ابا سفيان ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وباصحابه فههنا يجب على
الامام ان ينبذ اليهم على سواء ويعلمهم بالحرب واما اذا ظهر نقض العهد ظهورا مقطوعا به فلا حاجة للامام
ان ينبذ العهد بل يفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم
في ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وذلك على اربع فراسخ من مكة وقوله تعالى ولا تحسبن قرئ بالتاء
على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا سبقوا يعني فاتوا وانهزموا يوم بدر وقرئ
بالياء على الغيبة ومعناه ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا يعني خلصوا من القتل والاسر يوم بدر انهم لا يعجزون
يعني انهم بهذا السبق لا يعجزون الله من الانتقام منهم اما في الدنيا بالقتل واما في الآخرة بعذاب النار وفيه تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم فيمن فاته من المشركين ولم ينتقم منهم فاعلمه الله انهم لا يعجزون قوله تعالى واعدوا لهم
ما استطعتم من قوة الاعداد اتخاذ الشيء لوقت الحاجة اليه وفي المراد بالقوة اقوال احدها انه جميع الا
والآلات التي تكون لكم قوة في الحرب على قتال عدوكم والثاني انها الحصون والثالث الرمي وقد جاء
مفسرا عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو على المنبر يقول واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الا ان القوة الرمي ثلاثا اخرجه مسلم خ عن ابي
أسيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين صففنا لقريش اذا اكثبوكم يعني غشوكم
وفي رواية اكثروكم فارموهم واستبقوا نبلكم وفي رواية اذا اكثبوكم فعليكم بالنبل م عن عقبة بن عامر
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله فلا يعجز احدكم ان يلهو
باسهمه م عن فقيم اللخمي قال قلت لعقبة بن عامر تختلف بين هذين الغرضين وانت شيخ كبير يشق عليك
فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اعانه قال قلت وما ذاك قال سمعته يقول
من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا او قد عصى عن ابي نجيح السلمي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر اخرجه الترمذي والنسائي بمعناه وعنده فله عدل رقبة محررة
واخرجه ابو داود ايضا عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل
يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في عمله الخير والرامي به والممد به وفي رواية ومنبله
فارموا واركبوا وان ترموا احب الي من ان تركبوا كل لهو باطل ليس من اللهو محمود الا ثلاثة تأديب الرجل
فرسه وملاعبته اهله ورميه بقوسه الى نبله فانهن من الحق ومن ترك الرمي بعدما علمه رغبة عنه فانها نعمة
تركها او كفرها اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي مختصرا الى نبله خ عن سلمة بن الاكوع قال مر النبي صلى الله
عليه وسلم على نفر من اسلم ينتضلون بالسوق فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا بني اسماعيل فان اباكم كان

Copyright © King Saud University

رايا ارموا وانا مع بني فلان فامسك احد الفريقين بايديهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم لا ترمون فقالوا كيف نرمي وانت معهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا وانا معكم كلكم القول الرابع ان المراد بالقوة جميع ما يتقوى في الحرب على العدو وكل ما هو آلة يستعان بها في الجهاد فهو من جملة القوة المامور باستعدادها وقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وقوله الندم توبة فهذا لا ينفي اعتبار غيره بل يدل على ان هذا المذكور من افضل المقصود واجله فكذا ههنا يحمل معنى الاية على الاستعداد للقتال في الحرب وجهاد العدو بجميع ما يمكن من الالات كالرمي بالنبل والنشاب والسيف والدرع وتعليم الفروسية كل ذلك مامور به الا انه من فروض الكفايات وقوله تعالى ومن رباط الخيل يعني اقتنائها وربطها للغزو في سبيل الله والربط شد الفرس وغيره بالمكان للحفظ وسمي المكان الذي يختص باقامة حفظه فيه رباطا والمرابطة اقامة المسلمين بالثغور للحراسة فيها وربط الخيل للجهاد من اعظم ما يستعان به روي ان رجلا قال لابن سيرين ان فلانا اوصى بثلث ماله للحصون فقال ابن سيرين يشترى به الخيل ويربطها في سبيل الله وقال عكرمة القوة الحصون ومن رباط الخيل يعني الاناث ووجه هذا ان العرب تربط الاناث من الخيل بالافنية للنسل وروي خالد بن الوليد كان لا يركب في القتال الا الاناث لقلة صهيلها وعن ابن محيريز قال كانت الصحابة يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف واناث الخيل عند البيات والغارات وقيل ربط الفحول اولى من الاناث لانها اقوى على الكر والفر والعدو فكانت المحاربة عليها اولى من الاناث وفضل اللفظ الخيل عام فيتناول الفحول والاناث فاي ذلك ربط بنية الغزاة كان في سبيل الله ق عن عروة بن الجعد البارقي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة الاجر والغنيمة م عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل لثلاثة هي لرجل اجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فاما الذي هي له اجر فرجل ربطها في سبيل الله زاد في رواية لاهل الاسلام فاطال لها في مرج او روضة فما اصابت في طيلها ذلك من المرج او الروضة كانت له حسنات ولو انها قطعت طيلها فاستنت شرفا او شرفين كانت له اثارها وارواثها حسنات ولو انها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد ان يسقيها كان ذلك له حسنات فهي لذلك الرجل اجر ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي لذلك الرجل ستر ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لاهل الاسلام فهي على ذلك وزر وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمر فقال ما انزل الله فيها شيء الا هذه الاية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الطيل الحبل الذي تشد به الفرس وقت الرعي والاستنان الجري والشرف الشوط الذي تجري فيها الفرس وقوله تغنيا يعني استغناء بها عن الطلب لما في ايدي الناس واما حق ظهورها فهو ان يحمل عليها منقطعا الى اهله واما حق رقابها فقيل اراد به الاحسان اليها وقيل اراد به ان يحمل عليها فعبر بالرقبة عن الذات وقوله نواء لاهل الاسلام النواء المعاداة يقال ناوات الرجل مناواة اذا عاديته وقوله تعالى ترهبون به عدو الله وعدوكم يعني تخوفون بتلك القوة وبتلك الرباط عدو الله وعدوكم وذلك لان الكفار اذا علموا ان المسلمين متاهبين للجهاد مستعدين له مستكملين لجميع الاسلحة والات الحرب واعداد الخيل مربوطة للجهاد خافوهم فلا يقصدون دخول دار الاسلام بل يصير ذلك سببا لدخول الكفار في الاسلام او بذل الجزية للمسلمين وقوله تعالى وآخرين من دونهم يعني وترهبون اخرين من دونهم اختلف العلماء فيهم فقال مجاهد هم بني قريظة وقال السدي هم فارس وقال ابن زيد هم المنافقون لقوله تعالى لا تعلمونهم لانهم معكم يقولون بالسنتهم لا اله الا الله الله يعلمهم يعني

انهم

انهم منافقين فان ورد على هذا القول ان المنافقين لا يقاتلون لاظهارهم كلمة الاسلام فكيف يخوفون باعداد القوة ورباط الخيل فالجواب عن هذا الايراد ان المنافقين اذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة الاتهم واسلحتهم كان ذلك مما يخوفهم ويحزنهم فكان في ذلك ارهابهم وقال الحسن هم كفار الجن ورجح هذا القول الطبري فقال لان الله تعالى قال لا تعلمونهم الله يعلمهم حتى يعلم احوالهم واماكنهم دونكم ويعضد هذا القول ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الجن والشياطين لا يخبل احدا في داره فرس عتيق ذكر هذا الحديث ابن الجوزي وغيره من المفسرين بغير اسناد وقال الحسن صهيل الخيل يرهب الجن وقوله تعالى وما تنفقوا من شيء في سبيل الله قيل اراد به نفقة الجهاد والغزو وقيل هو عام في كل وجوه الخير والطاعة فيدخل فيه نفقة الجهاد وغيره يوف اليكم يعني اجره في الاخرة ويعجل لكم عوضه في الدنيا وانتم لا تظلمون يعني وانتم لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيئا قوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها لما امر الله عباده المؤمنين باعداد القوة وما يرهب العدو امرهم بعد ذلك ان يقبلوا منهم الصلح ان مالوا اليه وسألوه فقال تعالى وان جنحوا الى السلم اي مالوا الى السلم يعني المصالحة فاقبلوا منهم الصلح وهو قوله فاجنح لها اي مل اليها يعني الى المصالحة وروي عن الحسن وقتادة ان هذه الاية منسوخة باية السيف وقيل انها غير منسوخة لكنها تتضمن الامر بالصلح اذا كان فيه مصلحة ظاهرة فان راى الامام ان يصالح اعداءه من الكفار وفيه قوة فلا يجوز ان يهادنهم سنة كاملة وان كانت القوة للمشركين جاز ان يهادنهم عشر سنين ولا يجوز الزيادة عليها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صالح اهل مكة مدة عشر سنين ثم انهم نقضوا العهد قبل انقضاء المدة وقوله تعالى وتوكل على الله يعني فوض امرك الى الله فيما عقدته معهم ليكون عونا لك في جميع احوالك انه هو السميع يعني لاقوالهم العليم باحوالهم قوله عز وجل وان يريدوا ان يخدعوك يعني يغدروا بك قال مجاهد يعني بني قريظة والمعنى ان ارادوا باظهار الصلح خديعتك لتكف عنهم فان حسبك الله يعني فان الله كافيك بنصره ومعونته هو الذي ايدك بنصره يعني قواك واعانك بنصره يوم بدر وفي سائر ايامك وبالمؤمنين يعني وايدك بالمؤمنين يعني الانصار **فان قلت** اذا كان الله ايده بنصره فاي حاجة الى نصر المؤمنين حتى يقول وبالمؤمنين **قلت** التاييد والنصر من الله عز وجل وحده لانه يكون باسباب باطنة غير معلومة فاما الذي يكون بالاسباب الباطنة فهو المراد بقوله هو الذي ايدك بنصره لان اسبابه باطنة بغير وسائط معلومة واما الذي يكون بالاسباب الظاهرة فهو المراد بقوله وبالمؤمنين لان اسبابه ظاهرة وهم المؤمنون والله تعالى هو مسبب الاسباب وهو الذي اقامهم لنصره ثم بين كيف ايده بالمؤمنين فقال تعالى والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وذلك ان العرب كان فيهم من الحمية الشديدة والانفة العظيمة والانفس القوية والعصبية والانطواء على الضغينة في ادنى شيء حتى لو ان رجلا من قبيلة لطم لطمة واحدة قاتل عنه اهل قبيلته حتى يدركوا ثارهم لا يكاد يأتلف منهم قلبان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وامنوا به واتبعوه انقلبت تلك الحالة فائتلفت قلوبهم واجتمعت كلمتهم وزالت حمية الجاهلية من قلوبهم وابدلت تلك الضغائن والتحاسد بالمودة والمحبة لله وفي الله واتفقوا على الطاعة وصاروا انصارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم واعوانا يقاتلون عنه ويحمونه وهم الاوس والخزرج وكانت بينهم في الجاهلية حروب عظيمة ومعاداة شديدة ثم زالت تلك الحروب وحصلت الالفة والمحبة وهذا مما لا يقدر عليه الا الله عز وجل وصار ذلك معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وعالة فاغناكم الله بي وفي الاية دليل على ان القلوب بيد الله يصرفها كيف شاء واراد وذلك لان تلك الالفة والمحبة انما حصلت بسبب الايمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى ختم هذه الاية بقوله انه عزيز حكيم يعني انه تعالى قادر قاهر يمكنه التصرف في القلوب فيقلبها

Copyright © King Saud University

من العداوة الى المحبة ومن النفرة الى الالفة وكل ذلك على وجه الحكمة والصواب قوله تعالى يا ايها النبي حسبك الله ومن
اتبعك من المؤمنين روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان هذه الاية نزلت في اسلام عمر بن الخطاب قال سعيد بن
جبير اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت هذه الاية فعلى هذا القول
تكون الاية مكية كتبت في سورة مدنية بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انها نزلت بالبيداء في غزوة بدر
قبل القتال فعلى هذا القول المراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين الانصار والاية نزلت بالمدينة وقيل المراد جميع
المهاجرين والانصار ومعنى الاية يا ايها النبي حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين وقيل معناه حسبك
ومتبوعك من المؤمنين قوله عز وجل يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال يعني حثهم على قتال عدوهم والتحريض
في اللغة الحث على الشيء بكثرة التزيين وتسهيل الخطب فيه كانه في الاصل ازالة الحرض وهو الهلاك ان يكن منكم عشرون
يعني رجلا صابرون يعني عند اللقاء محتسبين انفسهم يغلبوا مائتين يعني من عدوهم وظاهر لفظ الاية خبر ومعناه
الامر فكانه قال ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في قتال عدوهم حتى يغلبوا مائتين ويدل على ان المراد
بهذا الخبر الامر قوله الان خفف الله عنكم لان النسخ لا يدخل على الاخبار انما يدخل على الامر فدل ذلك على ان الله
تعالى اوجب اولا على المؤمنين هذا الحكم وانما حسن هذا التكليف لان الله وعدهم بالنصر ومن تكفل الله له
بالنصر سهل عليه الثبات مع الاعداء وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا فاصله وجوب ثبات
الواحد من المؤمنين في مقابلة العشرة من الكفار بانهم قوم لا يفقهون يعني ان المشركين لا يقاتلون لطلب
ثواب وخوف عقاب انما يقاتلون حمية فاذا صدقتموهم في القتال فانهم لا يثبتون معكم الان خفف الله
عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله
خ عن ابن عباس قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين كتب عليهم ان لا يفر واحد من عشرة
ولا عشرون من مائتين ثم نزلت الان خفف الله عنكم الاية فكتب ان لا يفر مائة من مائتين وفي رواية اخرى عنه
قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك على المسلمين فنزلت الان خفف الله عنكم الاية
فلما خفف الله عنهم من العدة نقص عنهم من الصبر بقدر ما خفف عنهم فظاهر هذا ان قوله الان خفف الله عنكم ناسخ لما تقدم
في الاية الاولى وكان هذا الامر يوم بدر فرض الله تعالى على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكفار
فثقل ذلك على المؤمنين فنزل الان خفف الله عنكم ايها المؤمنون وعلم ان فيكم ضعفا يعني في قتال الواحد للعشرة
فان يكن منكم مائة صابرة محتسبة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله فرد من العشرة الى
اثنين فاذا كان المسلمون على قدر النصف من عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا واذا ما رجل فر من ثلاثة فلم يفر ومن فر
من اثنين فقد فر والله مع الصابرين يعني بالنصر والمعونة قال سفيان قال ابن شبرمة وارى الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر مثل ذلك قوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى روي عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم بدر وجيء
بالاسارى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء فقال ابو بكر يا رسول الله قومك واهلك
استبقهم واستأن بهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار فقال عمر يا رسول الله
كذبوك واخرجوك قدمهم نضرب اعناقهم مكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكني من فلان نسيب لعمر فاضرب
عنقه فان هؤلاء ائمة الكفر وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فادخلهم فيه ثم
اضرمه عليهم نارا فقال له العباس قطعت رحمك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ثم دخل فقال
ناس يأخذ بقول ابي بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس يأخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن واشد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة

وان

وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا ابا بكر مثل عيسى قال ان
تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا ومثلك مثل موسى قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم الاية ثم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اليوم انتم عالة فلا يفلتن احد منكم احد منهم الا بفداء او بضرب عنق قال عبد الله بن مسعود
الا سهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما رايتني في يوم اخوف
ان تقع علي الحجارة من ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضاء قال ابن عباس قال
عمر بن الخطاب فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت واخذ منهم الفداء فلما كان من
الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر قاعدين يبكيان قلت يا رسول الله اخبرني من اي
شيء تبكي انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابكي للذي عرض على اصحابك من اخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي
الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض الاية اخرج هذا الحديث
الترمذي مختصرا وقال في الحديث قصة وهو هذه القصة التي ذكرها البغوي واخرج مسلم في افراده من حديث
عمر بن الخطاب قال ابن عباس لما اسروا الاسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر ما ترون في هؤلاء
الاسارى فقال ابو بكر يا رسول الله بنو العم والعشيرة فارى ان تاخذ منهم الفدية تكون لنا قوة على الكفار فعسى
ان يهديهم الله للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت لا والله يا رسول الله
ما ارى الذي راى ابو بكر ولكن ارى ان تمكنا فنضرب اعناقهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكني من فلان نسيبا
لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء ائمة الكفر وصناديدها فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو
ما قلت فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر قاعدين يبكيان فقلت يا رسول
الله اخبرني من اي شيء تبكي انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض على اصحابك من اخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة
قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم وانزل الله عز وجل ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض الى قوله فكلوا مما
غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنيمة لهم ذكر الحميدي في مسند عمر بن الخطاب من افراد مسلم بزيادة فيه اما التفسير فقوله
تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى يعني ما كان ينبغي ولا يجب لنبي وقال ابو عبيدة معناه لم يكن لنبي ذلك فلا يكون لك
يا محمد والمعنى ما كان للنبي ان يحبس كافرا قادرا عليه وصار في يده اسيرا للفداء والمن والاسرى جمع اسير والاسارى
جمع الجمع حتى يثخن في الارض الاثخان في كل شيء عبارة عن قوته وشدته يقال اثخنه المرض اذا اشتد قوته عليه
والمعنى حتى يبالغ في قتل المشركين وتغليبهم وقهرهم فاذا حصل ذلك فله ان يقدم على الاسر فيأسر الاسارى تريدون
عرض الدنيا الخطاب لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعني تريدون ايها المؤمنون عرض الدنيا باخذكم الفداء من
المشركين وانما سمي منافع الدنيا عرضا لانه لا ثبات لها ولا دوام فكانها تعرض ثم تزول بخلاف منافع الاخرة فانها
دائمة بلا زوال ولا انقطاع لها فقوله تعالى والله يريد الاخرة يعني ان الله تعالى يريد لكم ثواب الاخرة بقهركم المشركين
ونصركم الدين لانها دائمة بلا زوال ولا انقطاع والله عزيز لا يقهر ولا يغلب حكيم يعني في كل تدبير مصالح عباده
قال ابن عباس كان ذلك يوم بدر والمؤمنون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم انزل الله في الاسارى
فاما منا بعد واما فداء فجعل الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالخيار ان شاؤوا قتلوهم وان شاؤوا استعبدوهم
وان شاؤوا فادوهم وان شاؤوا اعتقوهم قال الامام فخر الدين ان هذا الكلام يوهم ان قوله فاما منا بعد واما فداء

وهم

Copyright © King Saud University

بين حكم الاية التي نحن في تفسيرها وليس الامر كذلك لان كلتا الايتين متوافقتان وكلاهما يدلان على انه
لا بد من تقديم الاثخان ثم بعده اخذ الفدا قال العلما كان الفدا لكل اسير اربعين اوقية والاوقية اربعون درهما
فيكون مجموع ذلك الفا وستماية درهم وقال قتادة كان الفدا يوميذ لكل اسير اربعة الاف **فصل** قد
استدل بهذه الاية من يقدح بعصمة الانبيا وبيانه من وجوه الاول ان قوله ما كان لنبي ان تكون له اسرى صريح
في النهي عن اخذ الاسارى وقد وجد ذلك يوم بدر الوجه الثاني ان الله امر النبي صلى الله عليه وسلم وقومه بقتل
المشركين يوم بدر فلما لم يقتلوهم بل اسروهم دل ذلك على صدور الذنب منهم الوجه الثالث ان النبي صلى الله عليه
وسلم حكم باخذ الفدا وهو محرم وذلك ذنب الوجه الرابع ان النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر قعدا يبكيان
لاجل اخذ الفدا وخوف العذاب وقرب نزوله والجواب عن الوجه الاول ان قوله تعالى ما كان لنبي ان تكون له
اسرى حتى يثخن في الارض وقد حصل لان الصحابة قتلوا يوم بدر سبعين رجلا من عظما المشركين وصناديدهم
واسروا سبعين فليس من شرط الاثخان في الارض قتل جميع الناس فدلت هذه الاية على جواز الاسر بعد
الاثخان وقد حصل والجواب عن الوجه الثاني ان الامر بالقتل انما كان مختصا بالصحابة لاجماع المسلمين ان النبي
صلى الله عليه وسلم لم يوم بدر يباشر قتال الكفار بنفسه واذا ثبت ان الامر بالقتال كان مختصا بالصحابة كان الذنب
صادرا منهم لا من النبي صلى الله عليه وسلم والجواب عن الوجه الثالث وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم
حكم باخذ الفدا وهو محرم فنقول لا نسلم ان اخذ الفدا كان محرما واما قوله تعالى تريدون عرض الدنيا والله
يريد الاخرة فهنيه عتاب لطيف لغرض اخذ الفدا من الاسارى والمبادرة اليه ولا يدل ايضا على تحريم الفدا
اذ لو كان حراما في علم الله لمنعهم من اخذه مطلقا والجواب عن الوجه الرابع وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر قعدا
يبكيان يحتمل ان يكون لاجل ان بعض الصحابة لما خالف الامر بالقتل واشتغل بالاسر استوجب بذلك الفعل العذاب
فبكى النبي صلى الله عليه وسلم خوفا واشفاقا من نزول العذاب عليهم بسبب ذلك الفعل وهو الاسر واخذ الفدا والله
اعلم قوله عز وجل **لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم** قال ابن عباس كانت الغنايم محرمة على الانبيا
والامم فكانوا اذا اصابوا مغنما جعلوه للقربان فكانت النار تنزل من السما فتاكله فلما كان يوم بدر اسرع المومنون في
اخذ الغنايم والفدا فانزل الله لولا كتاب من الله سبق يعني لولا قضا من الله سبق في اللوح المحفوظ بانه يحل لكم الغنايم لمسكم
فيما اخذتم عذاب عظيم وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب احدا ممن
شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج لولا كتاب من الله سبق انه لا يضل قوما بعد ان هداهم حتى
يبين لهم ما يتقون وانه لا ياخذ قوما فعلوا شيا بجهالة لمسكم يعني لاصابكم بسببه مما اخذتم من الفدا قبل ان تومروا
به عذاب عظيم قال محمد بن اسحاق لم يكن من المومنين احد ممن حضر الا واحب الغنايم الا عمر بن الخطاب فانه اشار على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الاسرى وسعد بن معاذ فانه قال يا رسول الله كان الاثخان في القتل احب الي
من استبقا الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السما ما نجا منه غير عمر وسعد بن
معاذ قوله تعالى **فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا** يعني فقد احللت لكم الغنايم واخذ الفدا فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وروي
انه لما نزلت هذه الاية الاولى كف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عما اخذوا من الفدا فنزلت فكلوا مما غنمتم
حلالا طيبا فاحل الله الغنايم لهذه الامة بهذه الاية وكانت قبل ذلك حراما على ساير الامم الماضية (ق) من حديث
جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي (ق) عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال فلم تحل الغنايم لاحد قبلنا ثم احل الله لنا الغنايم وذلك بان الله راى ضعفنا وعجزنا فاحلها
لنا وقوله تعالى **واتقوا الله ان الله غفور رحيم** يعني وخافوا الله ان تعودوا ان تفعلوا شيا من قبل ان تومروا قبل

ان تومروا به واعلموا ان الله قد غفر لكم ما قدمتم عليه من هذا الذنب ورحمكم وقيل في قوله واتقوا الله اشارة الى المستقبل
وقوله ان الله غفور رحيم اشارة الى الحالة الماضية قوله تعالى **يا ايها النبي قل لمن في ايديكم** نزلت في العباس بن عبد
المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان احد العشرة الذين ضمنوا ان يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة الى بدر
وكان قد خرج ومعه عشرون اوقية من ذهب ليطعم بها اذ جات نوبته فكانت يوم الوقعة ببدر نوبته فاراد ان يطعم
ذلك اليوم فاقتتلوا فلم يطعم شيا وبقيت العشرون اوقية من ذهب معه فلما اسر اخذت منه فكلم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يحسب العشرين اوقية في فدايه فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اما شي خرجت به لتستعين
به علينا فلا نتركه لك وكلف فدا ابني اخيه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث وقال العباس يا محمد تتركني اتكفف قريشا
ما بقيت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين الذهب الذي دفعته ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت
لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقثم يعني
بنيه فقال العباس وما يدريك يا ابن اخي قال اخبرني به ربي فقال العباس انا اشهد انك لصادق واشهد
ان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله لم يطلع عليه احد الا الله وامر ابني اخيه عقيلا ونوفل بن الحارث فاسلما فذلك
قوله تعالى قل لمن في ايديكم **من الاسارى** يعني الذين اسرتموهم واخذتم منهم الفدا **ان يعلم الله في قلوبكم خيرا** يعني
ايمانا وتصديقا **يوتكم خيرا مما اخذ منكم** يعني من الفدا **ويغفر لكم** يعني ما سلف منكم قبل الايمان **والله غفور رحيم**
يعني لمن امن وتاب من كفره ومعاصيه **رحيم** يعني باهل طاعته قال العباس فابدلني الله خيرا مما اخذ مني عشرين
عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كثير ادناهم يضرب بعشرين الف مكان العشرين اوقية واعطاني زمزم وما احب ان لي
بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي عز وجل قوله تعالى **وان يريدوا** يعني الاسرا **خيانتك** يعني ان
يكفروا بك **فقد خانوا الله من قبل** يعني فقد كفروا بالله من قبل وقيل معناه وان نقضوا العهد ورجعوا الى الكفر فقد خانوا الله
بذلك **فامكن منهم** يعني فامكن المومنين منهم ببدر حتى قتلوا منهم واسروا منهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشارة
للنبي صلى الله عليه وسلم بانه يتمكن من كل من يخونه او ينقض عهده **والله عليم** يعني بما في بطونهم وضمايرهم
من ايمان وتصديق او خيانة ونقض عهد **حكيم** بان يجازي كلا بعمله الخير بالثواب والشر بالعقاب قوله عز وجل
ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله يعني ان الذين امنوا بالله ورسوله محمد صلى الله
عليه وسلم وصدقوا بما جاءهم به وهاجروا يعني هجروا ديارهم وقومهم في ذات الله عز وجل وابتغاء رضوانه وهم المهاجرون
الاولون وجاهدوا يعني وبذلوا انفسهم في سبيل الله يعني طاعة الله وابتغاء رضوانه **والذين اووا ونصروا** يعني
اووا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الانصار **اولئك** يعني المهاجرين والانصار **بعضهم اوليا بعض** يعني
في العون والنصرة دون اقربايهم من الكفار وقال ابن عباس في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة فكان المهاجرون
والانصار يتوارثون دون اقربايهم وذوي ارحامهم وكان من امن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى
كان فتح مكة وانقطعت الهجرة فتوارثوا بالارحام حيث ما كانوا وصار ذلك منسوخا بقوله واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقوله تعالى **والذين امنوا ولم يهاجروا** يعني امنوا واقاموا بمكة **ما لكم من ولايتهم
من شي** يعني من الميراث **حتى يهاجروا** يعني الى المدينة **وان استنصروكم في الدين** يعني ان استنصركم الذين امنوا
ولم يهاجروا **فعليكم النصر** يعني فعليكم نصرهم واعانتهم **الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق** اي عهد فلا تنصروهم
عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اوليا بعض يعني في النصرة والمعونة وذلك ان كفار قريش
كانوا معادين اليهود فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه جميعا قال ابن عباس يعني
في الميراث وهو ان يرث الكفار بعضهم من بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير قال ابن عباس

ان لا يا خذوا في الميراث بما امروكم به وقال ابن جريج الا تفعلوا وتعاونوا وتناصروا وقال ابن اسحاق جعل المهاجرين
والانصار اهل ولاية في الدين دون من سواهم وجعل الكافرين بعضهم اولياء بعض ثم قال تعالى الا تفعلوه
تكن فتنة في الارض وفساد كبير فالفتنة في الارض هي قوة الكفار والفساد الكبير هو ضعف المسلمين
والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المومنون حقا يعني لا شك
في ايمانهم ولا ريب لانهم حققوا ايمانهم بالهجرة والجهاد وبذل النفس والمال في نصر الدين لهم مغفرة يعني لذنوبهم
ورزق كريم يعني في الجنة **فان قلت** ما معنى هذا التكرار **قلت** ليس فيه تكرار لانه تعالى
ذكر في الاية الاولى حكم ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعضا ثم ذكر في هذه الاية ما من به عليهم من المغفرة والرزق
الكريم وقيل ان اعادة الشي مرة اخرى يدل على مزيد الاهتمام فلما ذكرهم اولا ثم عاد ذكرهم ثانيا دل على تعظيم شانهم
وعلو رتبتهم ودرجاتهم وهذا هو الشرف العظيم لانه تعالى ذكر في هذه الاية من وجوه المدح ثلاثة انواع احدها
قوله اولئك هم المومنون حقا وهذا يفيد الحصر وقوله تعالى حقا يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محقين في طريق الدين وتحقيق
هذا القول ان فارق اهله وولده وداره التي نشا فيها وبذل النفس والمال كان مومنا حقا النوع الثاني قوله تعالى لهم مغفرة
وتنكير لفظ المغفرة دال على مغفرة لا ينالها غيرهم والمعنى لهم مغفرة تامة كاملة ساترة لجميع ذنوبهم النوع الثالث قوله تعالى
ورزق كريم فكل شي شرف وعظم في بابه قيل له كريم والمعنى ان لهم في الجنة رزق لا يلحقهم فيه غصاصة ولا تعب وقيل
ان المهاجرين كانوا على طبقات فمنهم من هاجر الى ارض الحبشة ثم هاجر الى المدينة فهم اصحاب الهجرتين ومنهم من هاجر
بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة فذكر الله في الاولى اصحاب الهجرة الثانية والله اعلم بمراده وقوله تعالى والذين امنوا
من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم اختلفوا في بعد فقيل من صلح الحديبية وهي الهجرة وقيل من بعد بدر وهذه الاية
وقيل من بعد غزوة بدر والاصح ان المراد به اهل الهجرة الثانية لانها بعد الهجرة الاولى لان الهجرة انقطعت بعد فتح
مكة لانها صارت دار اسلام بعد الفتح ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية اخرجاه
في الصحيحين وقال الحسن الهجرة غير منقطعة ويجاب عن هذا بان المراد من الهجرة المخصوصة من مكة الى المدينة فاما
من كان من المومنين في بلد يخاف على اظهار دينه من كثرة الكفار وجب عليه ان يهاجر الى بلد لا يخاف فيه على
اظهار دينه وقوله تعالى فاولئك منكم يعني انهم منكم وانتم منهم لكن فيه دليل على ان مرتبة المهاجرين الاولين اشرف
واعظم من مرتبة المهاجرين المتاخرين بالهجرة لان الله الحق المهاجرين المتاخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم
منهم وذلك معرض المدح والشرف ولولا ان المهاجرين الاولين افضل واشرف لما صح هذا الالحاق وقوله تعالى
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالهجرة والاخاء حتى نزلت هذه الاية
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في الميراث فبين بهذه الاية ان سبب القرابة اقوى واولى من سبب الهجرة
والاخاء ونسخ بهذه الاية ذلك التوارث وقوله في كتاب الله يعني في حكم الله وقيل اراد به في اللوح المحفوظ
وقيل اراد به القران وهو ان قسمة المواريث مذكورة في سورة النساء من كتاب الله وهو القران وتمسك اصحاب
ابو حنيفة في توريث ذوي الارحام واجاب عنه الشافعي بانه لما قال في كتاب الله كان معناه في حكم الله الذي
بينه في سورة النساء فصارت هذه الاية مقيدة بالاحكام التي ذكرها في سورة النساء من قسمة المواريث
واعطاء اهل الفروض فروضهم وما بقي فللعصبات وقوله تعالى ان الله بكل شي عليم يعني انه تعالى عالم بكل
شي لا يخفى عليه خافية والله اعلم بمراده واسرار كتابه **تفسير سورة التوبة** وهي مدنية
باجماعهم قال ابن الجوزي سوى ايتين في اخرها لقد جاءكم رسول من انفسكم فانها نزلت بمكة وهي مائة وتسع
وعشرون اية وقيل مائة وثلاثون اية وهي اربعة الاف كلمة وعشرة الاف واربعمائة وثمانون حرفا ولهذه

السورة اسماء عشرة سورة التوبة وسورة براءة وهذان الاسمان مشهوران وهي المقشقشة قال ابن عمر سميت بذلك
لانها تقشقش من النفاق اي تبري منه وهي المبعثرة لانها تبعثر عن اخبار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها وهي الفاضحة
قاله ابن عباس لانها فضحت المنافقين وسورة العذاب قاله حذيفة وهي المخزية لان فيها خزي المنافقين وهي المدمدمة
سميت بذلك لان فيها هلاك المنافقين وهي المشردة سميت بذلك لانها شردت جميع المنافقين وفرقتهم وهي المثيرة
سميت بذلك لانها اثارت مخازي المنافقين وكشفت عن احوالهم وهتكت استارهم عن سعيد بن جبير قال قلت لابن
عباس سورة التوبة فقال بل هي الفاضحة ما زالت تنزل ومنهم ومنهم حتى ظنوا ان لا يبقى احد الا ذكر فيها قال قلت
سورة الانفال قال نزلت في بدر قال قلت سورة الحشر قال بل سورة النضير اخرجاه في الصحيحين **فصل**
في بيان سبب ترك كتابة التسمية في اول هذه السورة عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما حملكم على ان عمدتم الى الانفال
وهي من المثاني والى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال
ما حملكم على ذلك قال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ياتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد
وكان اذا نزل عليه شي دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هولاء الايات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت
الانفال من اوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من اخر القران نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت
انها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها من اجل ذلك قرنت بينهما ولم اكتب بسم
الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج والشبه
الذي بينهما ان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نقضها وقال قتادة يقول هما سورة واحدة وقال محمد بن الحنفية
قلت لابي يعني علي بن ابي طالب لم لا يكتبوا في براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال يا بني ان براءة نزلت بالسيف وان بسم الله
الرحمن الرحيم وسئل سفيان بن عيينة عن هذا فقال لان التسمية رحمة والرحمة امان وهذه السورة نزلت في المنافقين
وقال المبرد لم تفتتح هذه السورة ببسم الله الرحمن الرحيم لان التسمية افتتاح للخير واول هذه السورة وعيد ونقض
عهود فلذلك لم تفتتح بالتسمية وسئل ابي بن كعب عن هذا فقال انها نزلت في اخر القران وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يامر في كل سورة بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم ولم يامر في براءة بذلك فضمت الى الانفال لشبهها
بها وقيل ان الصحابة اختلفوا في ان سورة الانفال وسورة براءة هل هما سورة واحدة ام سورتان فقال بعضهم
سورة واحدة لانهما نزلتا في القتال ومجموعهما مائتان وخمس ايات فكانت هي السورة السابعة من السبع الطوال
وقال بعضهم هما سورتان فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة تركوا فرجة بينهما على قول من يقول انهما
سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم على قول من يقول هما سورة واحدة اما التفسير فقوله تعالى براءة
من الله ورسوله يعني هذه براءة من الله ورسوله واصل البراءة في اللغة انقطاع العصمة يقال برئت من فلان
ابرا براءة اي انقطعت بيننا العصمة ولم يبق بيننا علقة وقيل معناها هنا التباعد مما يكره مجاورته قال المفسرون
لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك فكان المنافقون يرجفون الاراجيف وجعل المشركون ينقضون
عهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الله عز وجل بنقض عهودهم وذلك قوله تعالى
واما تخافن من قوم خيانة الاية ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امر به ونبذ اليهم عهودهم قال الزجاج اي
قد برئ الله ورسوله من اعطائهم العهود والوفاء بها اذا نكثوا الى الذين عاهدتم من المشركين الخطاب مع اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم وان كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي عاهدهم وعاقدهم لانه هو الذي عاقدهم
واصحابه بذلك راضون فكانهم عقدوا وعاهدوا وقوله تعالى فسيحوا في الارض اي سيروا في الارض مقبلين
ومدبرين امنين غير خائفين احدا من المسلمين واصل السياحة الضرب في الارض والاتساع فيها والبعد عن

Copyright © King Saud University

مواضع العمارة قال ابن الانباري قوله فسيحوا فيه مصراي قل لهم سيحوا وليس هذا من باب الامر بل المقصود منه
الاباحة والاطلاق والاعلام بحصول الامان وزوال الخوف يعني سيحوا في الارض وانتم امنون من القتل والقتال
اربعة اشهر يعني مدة اربعة اشهر واختلف العلما في هذا التاجيل وفي هولا الذين برا الله ورسوله اليهم
من العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مجاهد هذا التاجيل من الله للمشركين
فمن كانت مدة عهده اقل من اربعة اشهر رفعه الى اربعة اشهر ومن كانت مدته اكثر حطه الى الاربعة
اشهر ومن كان عهده بغير اجل معلوم محدود حده باربعة اشهر ثم هو بعد ذلك حرب لله ولرسوله يقتل حيث ادرك
ويوسر الا ان يتوب ويرجع الى الايمان وقيل ان المقصود من هذا التاجيل ان يتفكروا ويحتاطوا لانفسهم ويعلموا
انه ليس لهم بعد هذه المدة الا الاسلام او القتل فيصير هذا داعيا لهم الى الدخول في الاسلام ولئلا ينسب المسلمون الى
الغدر ونكث العهد وكان ابتدا هذا الاجل يوم الحج الاكبر وانقضاوه الى عشر من ربيع الاخر فاما من لم يكن له عهد فانما
اجله انسلاخ الاشهر الحرم وذلك خمسون يوما وقال الازهري والاشهر الاربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم
لان هذه الاية نزلت في شوال والقول الاول اصوب وعليه الاكثرون قال الكلبي انما كانت الاربعة اشهر لمن كان له
عهد دون الاربعة اشهر فاتم له الاربعة اشهر فاما من كان عهده اكثر من اربعة اشهر فهذا امر باتمام عهده بقوله
فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم وقيل كان ابتداوها في العاشر من ذي القعدة واخرها الى العاشر من ربيع الاول لان الحج
في تلك السنة في العاشر من ذي القعدة بسبب النسي ثم صار في السنة المقبلة في العاشر من ذي الحجة وفيها حج رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال ان الزمان قد استدار الحديث وقال الحسن امر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بقتال
من قاتله من المشركين فقال تعالى فاقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم الامن قاتل من المشركين فكان لا يقاتل الا من
قاتله ثم امره بقتال المشركين والبراءة منهم واجلهم اربعة اشهر فلم يكن لاحد منهم اجل اكثر من اربعة اشهر لا من كان له
عهد قبل البراءة ولا من لم يكن له عهد وكان الاجل لجميعهم اربعة اشهر واحل دما جميعهم من اهل العهود وغيرهم ثم انقضا
الاجل وقال محمد بن اسحاق ومجاهد وغيرهما نزلت في اهل مكة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشا
عام الحديبية على ان يضعوا الحرب عشر سنين يامن فيه الناس ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ودخلت بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالوا منهم واعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهروا
بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال • لاهم اني ناشد محمدا • حلف ابينا وابيه الاتلدا • كنت لنا ابا وكنا ولدا • ثمت اسلمنا ولم ننزع يدا •
• فانصر هداك الله نصرا ابدا • وادعوا عباد الله ياتوا مددا • فيهم رسول الله قد تجردا • في فيلق كالبحر يجري مزبدا •
• ابيض مثل الشمس يسمو صعدا • ان سيم خسفا وجهه تربدا • ان قريشا اخلفوك الموعدا • ونقضوا ميثاقك الموكدا •
• هم بيتونا بالهجير هجدا • وقتلونا ركعا وسجدا • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم انصركم
وتجهز الى مكة ففتحها سنة ثمان من الهجرة فلما كانت سنة تسع اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحج فقيل
له المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فبعث ابا بكر تلك السنة اميرا على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه
اربعين اية من صدر براءة ليقراها على الموسم ثم بعث عليا على ناقته العضباء ليقرا على الناس صدر براءة وامره
ان يوذن بمكة ومنى وعرفة ان قد برئت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل مشرك ولا يطوف بالبيت
عريان فرجع ابو بكر فقال يا رسول الله بابي انت وامي انزل في شاني شي فقال لا ولكن لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا
الا رجل من اهلي اما ترضى يا ابا بكر انك كنت معي في الغار وانك معي على الحوض قال بلى يا رسول الله فسار ابو بكر
اميرا على الحاج وعلي بن ابي طالب يوذن ببراءة فلما كان قبل يوم التروية بيوم قام ابو بكر فخطب الناس وحدثهم

عن

عن مناسكهم وقام الناس الحج والعرب في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية من امر الحج حتى اذا كان يوم النحر
قام علي بن ابي طالب فاذن في الناس بالذي امر به وقرا عليهم اول سورة براءة قال يزيد بن تبيع سالنا عليا باي شي بعث في
الحجة قال بعثت باربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ومن لم
يكن له عهد فاجله اربعة اشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مومنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا في الحج
ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع • عن ابي هريرة ان ابا بكر بعثه في الحجة التي امره رسول الله صلى
الله عليه وسلم في رهط يوذن في الناس يوم الحج ان لا يحج بعد اليوم مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية ثم اردف
النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن ابي طالب فامره ان يوذن ببراءة قال ابو هريرة فاذن معنا في اهل منى ببراءة ان لا يحج
بالبيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية ويوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاكبر الحج وانما قيل الحج الاكبر
من اجل قول الناس العمرة الحج الاصغر قال فنبذ ابو بكر الى الناس في ذلك فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه النبي صلى الله
عليه وسلم حجة الوداع مشرك وانزل الله في العام الذي نبذ فيه ابو بكر الى المشركين يا ايها الذين امنوا انما المشركون
نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله الاية **فصل**
قد يتوهم متوهم ان في بعث علي بن ابي طالب بقراءة اول براءة عزل ابي بكر عن الامارة وتفضيله على ابي بكر وذلك
جهل من هذا المتوهم ويدل على ان ابا بكر لم يزل اميرا على الموسم في تلك السنة اول حديث ابي هريرة المتقدم ان ابا
بكر بعثه في رهط يوذن في الناس الحديث وفي لفظ ابي داود والنسائي قال بعثني ابو بكر فيمن يوذن يوم النحر
بمنى ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فقوله بعثني ابو بكر دليل على ان ابا بكر كان هو الامير على
الناس وهو الذي اقام للناس حجهم وعلمهم مناسكهم واجاب العلما عن بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ليوذن
في الناس ببراءة لان عادة العرب جرت ان لا يتولى تقرير العهد ونقضه الا سيد القبيلة وكبيرها او رجل من اقاربه
وكان علي بن ابي طالب اقرب الى النبي صلى الله عليه وسلم من ابي بكر لانه ابن عمه ومن رهطه فبعثه النبي صلى الله عليه
وسلم ليوذن ببراءة ازاحة لهذه العلة لئلا يقولوا هذا على خلاف ما نعرفه من عادتنا في عقد العهود ونقضها وقيل
لما خص ابو بكر بتوليته على الموسم خص عليا بهذه الرسالة تطييبا لقلبه ورعاية لجانبه وقيل انما بعث عليا في هذه
الرسالة حتى يصلي خلف ابي بكر ويكون جاريا مجرى التنبيه على امامة ابي بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي
صلى الله عليه وسلم بعث ابا بكر اميرا على الحج وولاه الموسم وبعث عليا خلفه ليقرا على الناس براءة فكان ابو بكر
الامام وعلي الموتم وكان ابو بكر الخطيب وعلي المستمع وكان ابو بكر المتولي امر الموسم والامير على الناس ولم يكن ذلك
لعلي فدل ذلك على تقديم ابي بكر على علي وفضله عليه والله اعلم وقوله تعالى واعلموا انكم غير معجزي الله يعني ان هذا
الامهال ليس لعجز عنكم ولكن لمصلحة ولطف بكم ليتوب تايب وقيل معناه فسيحوا في الارض اربعة اشهر عالمين
انكم لا تعجزون الله بل هو يعجزكم وقيل معناه انا امهلكم هذه المدة لانه لا يخاف الفوت ولا يعجزه شي وان الله مخزي
الكافرين يعني بالقتل في الدنيا والعذاب في الاخرة قوله عز وجل واذان من الله ورسوله الاذان في اللغة الاعلام ومنه
الاذان للصلاة لانه اعلام بدخول وقتها والمعنى واعلام صادر من الله ورسوله واصله الى الناس يوم الحج
الاكبر اختلفوا في يوم الحج الاكبر فروى عكرمة عن ابن عباس انه يوم عرفة ويروى ذلك عن عمر وابن الزبير وهو قول
عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن المسيب وعن علي بن ابي طالب قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم
الحج الاكبر قال يوم النحر اخرجه الترمذي وقال ويروى موقوفا عليه وهو اصح وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج فيها فقال اي يوم هذا فقال هذا يوم الحج الاكبر اخرجه ابو داود
ويروى ذلك عن عبد الله بن ابي اوفى والمغيرة بن شعبة وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير والسدي

Copyright © King Saud University

ورو ابن جريج عن مجاهد ان يوم الحج الاكبر حين الحج ايام منى كلها وكان سفيان الثوري يقول يوم الحج الاكبر ايام منى كلها
لان اليوم يطلق ويراد به الحين والزمان كقولك يوم صفين ويوم الجمل لان الحروب دامت في هذه الايام كلها ويطلق عليها
يوم واحد وقال عبد الله بن الحرث بن نوفل يوم الحج الاكبر الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن سيرين
لانه اجتمع حج المسلمين وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المشركين ولم يجتمع على ذلك قبله ولا بعده فعظم ذلك اليوم
عند المسلمين والكافرين واختلفوا لم سمي الحج الاكبر القران لانه قرن بين الحج والعمرة وقيل الحج الاكبر لاجتماع اعياد جميع
الملل في ذلك اليوم وقال الزهري والشعبي وعطا الحج الاكبر والحج الاصغر العمرة وانما قيل لها الاصغر لنقصان اعمالها
عن الحج وقيل سمي الحج الاكبر لموافقة حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان ذلك اليوم يوم الجمعة وحج
الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم وذكر في خطبته ان الزمان قد استدار وابطل النسيء وجميع احكام الجاهلية
وقيل الحج الاكبر اجتماع اعياد جميع الملل في ذلك اليوم وقوله تعالى ان الله بريء من المشركين ورسوله فيه حذف في التقدير
وانا ان من الله ورسوله بان الله بريء من المشركين وانما حذفت البا لدلالة الكلام عليها وفي رفع رسوله وجوه
الاول انه رفع بالابتدا وخبره مضمر التقدير ان الله بريء من المشركين ورسوله ايضا بريء الثاني تقديره بريء الله
ورسوله من المشركين الثالث ان الله في محل الرفع بالابتدا وبريء خبره ورسوله عطف على المبتدا الاول **فان**
قلت لا فرق بين قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين وبين قوله ان الله بريء من
المشركين ورسوله فما فايدة هذا التكرار **قلت** المقصود من الاية الاولى البراءة من العهد ومن الاية
الثانية البراءة التي هي نقيض الموالاة الجارية مجرى الزجر والوعيد والذي يدل على صحة هذا الفرق انه قال
في اوله براءة من الله ورسوله الى يعني بريء اليهم ومن الثانية بريء منهم وقوله تعالى فان تبتم يعني فان رجعتم
عن شرككم وكفركم فهو خير لكم يعني من الاقامة على الشرك وهذا ترغيب من الله في التوبة والاقلاع عن الشرك
الموجب لدخول النار وان توليتم يعني اعرضتم عن الايمان والتوبة عن الشرك فاعلموا انكم غير معجزي الله فيه وعيد
عظيم واعلام لهم بان الله تعالى قادر على انزال العذاب بهم وهو قوله تعالى وبشر الذين كفروا بعذاب اليم يعني في
الاخرة ولفظ البشارة هنا انما وردت على سبيل الاستهزاء كما يقال تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم قوله تعالى الا الذين
عاهدتم من المشركين هذا الاستثنا راجع الى قوله تعالى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين
وهم بنو ضمرة حي من كنانة امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من
مدتهم تسعة اشهر وكان السبب فيه انهم لم ينقضوا العهد وهو قوله ثم لم ينقصوكم شيئا يعني من عهودهم التي
عاهدتموهم عليها ولم يظاهروا يعني ولم يعاونوا عليكم احدا من عدوكم وقال صاحب الكشاف وجه ان يكون مستثنى
من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من
المشركين فقولوا لهم سيحوا في الارض الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم والاستثنا
بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم
مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى تقتضي ان لا يسوي بين الفريقين
يعني الموفي بالعهد والناكث له والغادر فيه قوله عز وجل فاذا انسلخ الاشهر الحرم يعني فاذا انقضت الاشهر
الحرم ومضت وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقال مجاهد ومحمد بن اسحاق هي شهور العهد سميت بذلك حرما لحرمة
نقض العهد فيها فمن كان له عهد فعهده اربعة اشهر ومن لا عهد له فاجله الى انقضا المحرم وذلك خمسون يوما
وقيل انما قيل لها حرم على المومنين دما المشركين والتعرض لهم **فان قلت** على هذا القول هذه المدة
وهي الخمسون يوما بعض الاشهر الحرم والله تعالى يقول فاذا انسلخ الاشهر الحرم **قلت** لما كان هذا القدر

المومنين

من

من الاشهر متصلا بما مضى اطلق عليه اسم الجمع والمعنى فاذا مضت المدة المضروبة التي يكون معها انسلاخ الاشهر الحرم
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم يعني في الحل والحرم وهذا امر اطلاق يعني اقتلوهم في اي وقت واي مكان وجدتموهم
وخذوهم يعني واسروهم واحصروهم اي واحبسوهم قال ابن عباس يريد ان تحصنوا فاحصروهم وامنعوهم
من الخروج وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف في بلاد الاسلام واقعدوا لهم كل مرصد يعني كل طريق والمرصد
الموضع الذي يقعد فيه للعدو ومنه رصدت الشي ارصده اذا ترقبته والمعنى كونوا لهم رصدا حتى تاخذوهم
من اي وجه توجهوا وقيل معناه اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها فان تابوا يعني من الشرك ورجعوا الى
الايمان واقاموا الصلاة يعني واتموا اركان الصلاة المفروضة واتوا الزكاة الواجبة عليهم طيبة بها انفسهم فخلوا سبيلهم
يعني الى الدخول الى مكة والتصرف في بلادهم ان الله غفور يعني لمن تاب ورجع من المشركين الى الايمان ومن المعصية
الى الطاعة رحيم يعني باوليائه واهل طاعته قال الحسين بن الفضل نسخت هذه الاية كل اية فيها ذكر الاعراض
عن المشركين والصبر على اذى الاعدا قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله
وان استامنك يا محمد احد من المشركين الذين امرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم ليسمع كلام الله الذي انزله
عليك وهو القران فاجره حتى يسمعه ويعرف ما له من الثواب ان امن وما عليه من العقاب ان اصر على الشرك
ثم ابلغه مامنه يعني ان لم يسلم ابلغه الموضع الذي يامن فيه وهو دار قومه وان قاتلك بعد ذلك وقدرت عليه
فاقتله ذلك بانهم قوم لا يعلمون اي لا يعلمون دين الله عز وجل قال الحسن هذه الاية محكمة الى يوم القيامة كيف
يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله هذا على وجه التعجب ومعناه الجحد ان لا يكون لهم عهد عند الله
ولا عند رسوله وهم يغدرون وينقضون العهد ثم استثنى فقال تعالى الا الذين عاهدتم عند المسجد
الحرام قال ابن عباس هم قريش وقال قتادة هم اهل مكة الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية
وقال السدي ومحمد بن عباد ومحمد بن اسحاق هم بنو خزيمة وبنو الديل قبايل من بني بكر الذين كانوا دخلوا في عهد
قريش وعقدهم يوم الحديبية وقال مجاهد هم اهل العهد من خزاعة فما استقاموا لكم يعني على العهد فاستقيموا لهم
يعني على ما اقاموا على العهد واما بنو بكر على خزاعة فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح اربعة اشهر
يختاروا لهم اما ان يسلموا واما ان يلحقوا باي بلاد شاوا فاسلموا بعد الاربعة اشهر والصواب من ذلك قول من
قال انهم من قبايل بني بكر وهم خزيمة وبنو مدلج من ضمرة وبنو الديل وهم الذين كانوا قد دخلوا على عهد قريش
يوم الحديبية ولم يكن نقض العهد الا قريش وبنو الديل من بني بكر فامر باتمام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة
وانما كان الصواب هذا القول لان هذه الايات نزلت بعد نقض قريش العهد وذلك بعد فتح مكة لانه
بعد الفتح كيف يكون لشي قد مضى فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وانما هم الذين قال الله فيهم الا الذين
عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا كما نقضكم قريش ولم يظاهروا عليكم احدا كما ظاهرت قريش بني بكر على
خزاعة وهم حلفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ان الله يحب المتقين يعني ان الله تعالى يحب الذين
يوفون بالعهد اذا عاهدوا ويتقون نقضه كيف وان يظهروا عليكم قيل هذا مردود على الاية الاولى
تقديره كيف يكون لهم عهد وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة وقال الاخفش معناه كيف لا تقتلونهم
وهم ان يظهروا عليكم اي يظفروا بكم ويغلبوكم لا يرقبوا اي لا يحفظوا وقيل معناه لا ينتظروا وقيل معناه
لا يراعوا فيكم الا قال ابن عباس يعني قرابة وقيل رحما وهذا معنى قول ابن عباس ايضا وقال قتادة الال
الحلف وقال السدي هو العهد وكذلك الذمة وانما كرر للتاكيد ولاختلاف اللفظين وقال ابو مجلز ومجاهد
الال هو الله عز وجل ومنه قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه لما سمع كلام مسيلمة الكذاب ان هذا كلام لم يخرج

Copyright © King Saud University

سؤال يعني من الله وعلى القول يكون معنى الاية لا يرقبون الله فيكم ولا يحفظونه ولا يراعونه ولا ذمة يعني ولا يحفظون
عهدا يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم يعني يطيعونكم بالسنتهم بخلاف ما في قلوبهم واكثرهم فاسقون فان قلت
ان الموصوفين بهذه الصفة كفار والكفر اخبث واقبح من الفسق فما الفائدة في قوله واكثرهم فاسقون
مع ان الكفار كلهم فاسقون قلت قد يكون فاسقا خبيثا لفسق في دينه فالمراد بوصفهم بكونهم فاسقين مع كفرهم
فيكون ابلغ في الذم وانما قال اكثرهم فاسقون ولم يقل كلهم فاسقين لان منهم من وفى بالعهد ولم ينقضه واكثرهم
نقضوا العهد فلهذا قال تعالى واكثرهم فاسقون وقوله تعالى اشتروا بايات الله ثمنا قليلا يعني استبدلوا
بايات القران وهي الايمان بها عرضا قليلا من متاع الدنيا وذلك انهم لما نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين النبي صلى
الله عليه وسلم بسبب اكلة اطعمهم ابو سفيان فحلفاه وترك حلفا رسول الله صلى الله عليه وسلم فصدوا عن
سبيله يعني ومنعوا الناس عن الدخول في دين الله قال ابن عباس وذلك ان اهل الطائف مدوهم بالاموال
ليقووهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم ساء ما كانوا يعملون يعني من الشرك ونقضهم العهد ومنعهم الناس
عن الدخول في الاسلام لا يرقبون في مومن الا ولا ذمة يعني ان هولا المشركين لا يراعون في مومن عهدا ولا ذمة اذا
قدروا عليه قتلوه فلا تبقوا انتم عليهم كما لم يبقوا عليكم اذا ظهروا عليكم واولئك هم المعتدون يعني في نقض العهد
قوله عز وجل فان تابوا يعني فان رجعوا عن الشرك الى الايمان وعن نقض العهد الى الوفا به واقاموا الصلاة يعني المفروضة
عليهم بجميع حدودها واركانها واتوا الزكاة يعني وبذلوا الزكاة المفروضة عليهم طيبة بها انفسهم فاخوانكم
في الدين يعني ان فعلوا فهم اخوانكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الايات لقوم يعلمون يعني ونبين حجج ادلتنا ونوضح
بيان اياتنا لمن يعلم ذلك ويفهمه قال ابن عباس حرمت هذه الاية دما اهل القبلة وقال ابن مسعود امرتم
بالصلاة والزكاة فمن لم يزك فلا صلاة له وقال ابن زيد افترضت الصلاة والزكاة جميعا لم يفرق بينهما
وابى ان يقبل الصلاة الا بالزكوة وقال يرحم الله ابا بكر ما كان افقهه يعني بذلك ما ذكره ابو بكر في حق منع
الزكوة وهو قوله والله لا افرق بين شيين جمع الله بينهما يعني الصلاة والزكاة ق عن ابي هريرة قال لما
توفي النبي صلى الله عليه وسلم قال عمر بن الخطاب لابي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه
الا بحقه وحسابه على الله عز وجل فقال ابو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق
المال والله لو منعوني عناقا كانوا يودونها وفي رواية عقالا كانوا يودونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقاتلتهم على منعها فقال عمر فوالله ما هو الا ان رايت الله شرح صدر ابي بكر للقتال فعرفت انه الحق
عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم
الذي له ذمة الله وذمة رسوله وقوله عز وجل وان نكثوا ايمانهم يعني نقضوا عهدهم من بعد عهدهم يعني من
بعد ما عاهدوكم عليه ان لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم وطعنوا في دينكم يعني وعابوا
دينكم الذي انتم عليه وقدحوا فيه وثلبوه وفي هذا دليل على ان الذمي اذا طعن في دين الاسلام وعابه ظاهرا
لا يبقى له عهد والمراد بهولا الذين نقضوا العهد كفار قريش وهو قوله تعالى فقاتلوا ائمة الكفر يعني روس
المشركين وقادتهم قال ابن عباس نزلت في ابي سفيان بن حرب والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وابي جهل
وابنه عكرمة وسائر روسا قريش وهم الذين نقضوا العهد وهموا باخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اراد
جميع الكفار وانما ذكر الائمة لانهم الروسا والقادة ففي قتالهم قتال الاتباع وقال مجاهد هم فارس والروم
وقال حذيفة بن اليمان ما قوتل اهل هذه الاية بعد ولم يات اهلها ولعل حذيفة اراد بذلك الذين يظهرون

مع

مع الدجال من اليهود فانهم ائمة الكفر في ذلك الزمان والله اعلم بمراد حذيفة وقوله تعالى انهم لا ايمان لهم يعني
جمع يمين اي لا عهد لهم وقيل معناه انهم لا وفا لهم بالعهد وقري لا ايمان لهم بكسر الهمزة ومعناه لا دين لهم ولا تصديق
وقيل هو من الامان اي اقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تومنوهم لعلهم ينتهون اي لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم
ويرجعون عن الكفر الى الايمان ثم حض المومنين على جهاد الكفار وبين السبب في ذلك فقال تعالى الا تقاتلون قوما
نكثوا ايمانهم يعني نقضوا عهودهم وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية واعانوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج
الرسول يعني من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة وهم بدوكم يعني بالقتال اول مرة يعني يوم بدر وذلك انهم قالوا
لا ننصرف حتى نستاصل محمدا واصحابه وقيل اراد به انهم بدوا بقتال خزاعة حلفا رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخشونهم
يعني اتخافونهم ايها المومنون فتتركون قتالهم فالله احق ان تخشوه يعني في ترك القتال ان كنتم مومنين يعني ان كنتم
مصدقين بوعد الله ووعيده قوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم يريد بالتعذيب القتل يعني يقتلهم الله
بايديكم وبين قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم عذاب الاستيصال يعني وما كان الله ليستاصلهم بالعذاب
جميعا وانت فيهم والمراد بقوله قاتلوهم يعني الذين نقضوا وبدوا بالقتال فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين
بقتال من قاتلهم ونقض عهدهم والفرق بين العذابين ان عذاب الاستيصال يتعدى الى المذنب المخالف وقوله
ويخزهم يعني ويذلهم بالقهر والاسر وينزل بهم الذل والهوان وينصركم عليهم يعني بان يظفركم بهم ويشف
صدور قوم مومنين يعني ويبري دا قلوبهم مما كانوا ينالونه من الاذى منهم ومن المعلوم ان من طال تاذيه من خصمه
ثم مكنه الله منه فانه يفرح بذلك ويعظم سروره ويكون ذلك سببا لقوة اليقين وثبات العزيمة قال مجاهد والسدي
اراد صدور خزاعة حلفا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث اعانت قريش بني بكر على خزاعة حتى نكلوا فيهم
ثم شفى الله صدور خزاعة من بني بكر حتى اخذوا ثارهم منهم بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ويذهب غيظ قلوبهم
يعني ويذهب وجد قلوبهم بما نالوه من بني بكر وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ارفعوا السيف الا
خزاعة من بني بكر الى العصر ذكره البغوي بغير سند ثم قال تعالى ويتوب الله على من يشا وهذا كلام مستانف ليس له
تعلق بالاول والمعنى ويهدي الله من يشا الى الاسلام فيمن عليه بالتوبة عن الشرك والكفر ويهديه الى الاسلام
كما فعل بابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو فهولا كانوا من ائمة الكفر وروسا المشركين
ثم من الله عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فاسلموا والله عليم يعني بسراير عباده ومن سبقت له العناية الازلية بالسعا
فيتوب عليه ويهديه الى الاسلام حكيم يعني في جميع افعاله قوله تعالى ام حسبتم ان تتركوا هذا من الاستفهام
المعترض في وسط الكلام ولذلك ادخلوا فيه ام ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدا والمعنى اظننتم ايها
المومنون ان تتركوا فلا تومروا بالجهاد ولا تمتحنوا ليظهر الصادق من الكاذب ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
يعني بالعلم المعلوم لان وجود الشي يلزمه معلوم الوجود عند الله لا جرم جعل علم الله بوجوده قال الامام فخر الدين
الرازي ونقل الواحدي عن الزجاج اي العلم الذي يجازي عليه لانه انما يجازي على ما عملوا ولم يتخذوا من دون الله ولا
رسوله ولا المومنين وليجة قال الفرا الوليجة البطانة من المشركين يتخذونهم فيفشون اليهم اسرارهم وقال قتادة
وليجة يعني خيانة وقال الضحاك خديعة وقال عطا اوليا يعني لا يتخذوا المشركين اوليا من دون الله ورسوله
والمومنين وقال ابو عبيدة كل شي ادخلته في شي ليس منه فهو وليجة والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة
الرجل من يختصه بدخوله امره دون الناس وقال الراغب الوليجة كل ما يتخذه الانسان معتمدا عليه وليس
من قولهم فلان وليجة في القوم اذا دخل فيهم وليس منهم والمقصود من هذا نهي المومنين عن موالاة المشركين وان يفشوا
اليهم اسرارهم والله خبير بما تعملون يعني من موالاة المشركين واخلاص العمل لله وحده قوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد

Copyright © King Saud University

الله يعني به المسجد الحرام وقرئ مساجد الله على الجمع والمراد به المسجد الحرام ايضا وانما ذكره بلفظ الجمع لانه قبلة المساجد
كلها وسبب نزول هذه الاية ان جماعة من رؤساء قريش اسروا يوم بدر منهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاقبل عليهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيرونهم بالشرك وجعل علي بن ابي طالب يوبخ العباس
بسبب قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا وتكتمون
محاسننا فقيل له وهل لكم محاسن قال نعم نحن افضل منكم نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني
يعني الاسير فنزلت هذه الاية ما كان للمشركين اي ما ينبغي للمشركين ان يعمروا مساجد الله اوجب على المسلمين منعهم
من ذلك لان المساجد انما تعمر لعبادة الله تعالى وحده فمن كان كافرا بالله فليس له ان يعمر مساجد الله واختلفوا في
المراد بالعمارة المعروفة من بناء المساجد وتشييدها ومرمتها عند خرابها فيمنع منه الكافر حتى لو اوصى
ببناء مسجد لم تقبل وصيته والقول الثاني ان المراد بالعمارة دخول المسجد والقعود فيه فيمنع الكافر من
دخول المسجد بغير اذن مسلم حتى لو دخل بغير اذن مسلم عزر وان دخل باذن لم يعزر ويدل على جواز دخول
الكافر المسجد بالاذن ان النبي صلى الله عليه وسلم شد ثمامة بن اثال الى سارية من سواري المسجد وهو
كافر والاولى تعظيم المساجد ومنعهم من دخولها وقوله تعالى شاهدين على انفسهم بالكفر يعني لا يدخلون المساجد
في حال كونهم شاهدين وقيل تقديره وهم شاهدون فلما حذفت وهم نصب قال ابن عباس شهادتهم
على انفسهم بالكفر سجودهم للاصنام وذلك ان كفار قريش كانوا قد نصبوا اصنامهم خارج البيت الحرام عند
القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا طوفة سجدوا للاصنام فلم يزدادوا بذلك من الله الا بعدا
وقال الحسن انهم لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شاهد عليهم وقال السدي شهادتهم على انفسهم بالكفر
هو ان النصراني يسأل من انت فيقول نصراني واليهودي يقول يهودي والمشرك يقول مشرك وقال
ابن عباس وفي رواية عنه شاهدين على رسولهم بالكفر لانه من انفسهم اولئك حبطت اعمالهم يعني الاعمال التي
عملوها في حال الكفر من اعمال البر مثل قرى الضيف وسقي الحجيج وفك العاني لانها لم تكن لله فلم يكن لها تأثير مع الكفر
وفي النار هم خالدون يعني من مات منهم على كفره قوله عز وجل انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام
الصلاة واتى الزكاة لما بين الله عز وجل ان الكافر ليس له ان يعمر مساجد الله بين في هذه الاية من هو المستحق لعمارة
المساجد وهو من امن بالله فان الايمان بالله شرط فمن يعمر المسجد لان المسجد عبارة عن الموضع الذي يعبد الله فيه
فمن لم يكن مؤمنا بالله امتنع ان يعمر موضعا يعبد الله فيه واليوم الاخر يعني وامن باليوم الاخر لانه حق كاين
لان عمارة المسجد لاجل عبادة الله وجزاء عبادته انما يكون في الاخرة فمن انكر الاخرة لم يعبد الله ولم يعمر له مسجدا
فان قلت لم لم يذكر الايمان برسول الله مع ان الايمان به شرط في صحة الايمان قلت الايمان
برسول الله صلى الله عليه وسلم داخل في الايمان بالله واليوم الاخر فقد امن برسول الله لانه من جهته عرف الايمان
بالله واليوم الاخر لانه هو الداعي الى ذلك وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا انما ادعى النبوة طلبا للرياسة
والملك فاخبر الله عز وجل ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما دعا الى الايمان بالله واليوم الاخر لا لطلب الرياسة
والملك فلذلك قال انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر وترك ذكر الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم
وقيل انه تعالى ذكر بعد الايمان بالله واليوم الاخر اقام الصلاة وايتاء الزكاة وذلك كان مما جاء به رسول الله
صلى الله عليه وسلم واعلم ان الاعتبار باقامة الصلاة وايتاء الزكاة في عمارة المساجد ان الانسان اذا عمر
المسجد لازمه لاقامة الصلوة فيه ولا يشتغل بعمارة المساجد الا اذا كان مؤديا للزكاة لان الزكاة واجبة
وعمارة المساجد نافلة ولا يشتغل الانسان بالنافلة الا بعد اكمال الفريضة الواجبة عليه وقوله تعالى ولم يخش

الا

الا الله يعني ولم يخف في الدين غير الله ولم يترك امر الله لخشية الناس فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين وعسى
من الله واجب يعني واولئك هم المهتدون المتمسكون بطاعة الله التي تؤدي الى الجنة عن ابي سعيد الخدري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان فان الله عز وجل
يقول انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ق عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد او راح اعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا او راح النزل ما يهيأ للضيف
عند نزوله بالقوم ق عن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى مسجدا يبتغي
به وجه الله بنى الله له بيتا في الجنة وفي رواية بنى الله له في الجنة مثله وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من بنى مسجدا صغيرا كان او كبيرا بنى الله له بيتا في الجنة اخرجه الترمذي عن عمرو بن عبسة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من بنى مسجدا ليذكر الله فيه بنى الله له بيتا في الجنة اخرجه النسائي قوله تعالى اجعلتم
سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام الاية عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال
رجل ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اعمر المسجد الحرام وقال الاخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم
عمر وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت
فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم
الاخر الاية وقال ابن عباس حين اسر يوم بدر لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد
الحرام ونسقي الحاج فانزل الله هذه الاية واخبر ان عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا ينفعهم مع الشرك
بالله وان الايمان والجهاد مع النبي خير مما هم عليه وقال الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي نزلت في علي بن ابي
طالب والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة افتخروا فقال طلحة انا صاحب البيت بيدي مفتاحه وقال العباس
انا صاحب السقاية وقال علي ما ادري ما تقولون لقد صليت القبلة ستة اشهر قبل الناس وانا صاحب الجهاد
فانزل الله هذه الاية اجعلتم سقاية الحاج والسقاية مصدر كالرعاية والحماية وهي سقي الحاج وكان العباس
ابن عبد المطلب بيده سقاية الحاج وكان يليها في الجاهلية فلما جاء الاسلام واسلم العباس اقره رسول الله صلى
الله عليه وسلم على ذلك وعمارة المسجد الحرام يعني بناءه وتشييده ومرمته كمن امن بالله واليوم الاخر فيه حذف
تقديره كايمان من امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله اي وكجهاد من جاهد في سبيل الله وقيل السقاية
والعمارة بمعنى الساقي والعامر تقديره اجعلتم ساقي الحاج وعامر المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر
وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله يعني لا يستوي حال هؤلاء الذين امنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله بحال
من سقى الحاج وعمر المسجد الحرام وهو مقيم على شركه وكفره لان الله لا يقبل عملا الا مع ايمان به والله لا يهدي
القوم الظالمين خ عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى السقاية فاستسقى فقال العباس
يا فضل اذهب الى امك فات رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها فقال اسقني فقال يا رسول
الله انهم يجعلون ايديهم فيه قال اسقني فشرب منه ثم اتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها فقال اعملوا
فانكم على عمل صالح ثم قال لولا ان تغلبوا لنزلت حتى اضع الحبل على هذه يعني عاتقه م عن بكر بن عبد الله المزني
قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فاتاه اعرابي فقال ما لي ارى بني عمكم يسقون العسل واللبن وانتم
تسقون النبيذ امن حاجة بكم ام من بخل فقال ابن عباس الحمد لله ما بنا من حاجة ولا بخل انما قدم النبي صلى الله
عليه وسلم على راحلته وخلفه اسامة فاستسقى فاتيناه باناء من نبيذ فشرب وسقى فضله اسامة
فقال احسنتم واجملتم كذا فاصنعوا فلا نريد تغيير ما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم النبيذ تمر ينقع

Copyright © King Saud University

في الماء غدوة ويشرب عشاء ويتقع عشاء ويشرب غدوة وهذا حلال فان على وحمض حرم فقوله عز وجل الذين
امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله يعني ان من كان موصوفا بهذه
الصفات يعني الايمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس كان اعظم درجة عند الله ممن افتخر بالسقاية
وعمارة المسجد الحرام وانما بدا بذكر القسم المرجوح لبيان فضل القسم الراجح على الاطلاق على من سواهم والمراد بالدرجة
المنزلة والرفعة عند الله في الاخرة واولئك يعني من هذه صفته هم الفائزون يعني بسعادة الدنيا والاخرة يبشرهم
ربهم يعني يخبرهم ربهم والبشارة الخبر السار ثم ذكر ذلك الذي بشرهم به فقال تعالى برحمة منه ورضوان وهذا اعظم
البشارات لان الرحمة والرضوان من الله عز وجل على العبد نهاية مقصوده وجنات لهم فيها نعيم مقيم يعني ان نعيم
الجنة دايم غير منقطع ابدا خالدين فيها يعني في الجنات وفي النعيم ابدا يعني لا انقطاع له ان الله عنده اجر عظيم يعني
لمن عمل بطاعته وجاهد في سبيله قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء قال مجاهد هذه
الاية متصلة بما قبلها نزلت في قصة العباس وطلحة وامتناعهما عن الهجرة وقال ابن عباس لما امر النبي صلى
الله عليه وسلم الناس بالهجرة الى المدينة فمنهم من تعلق به اهله واولاده يقولون ننشدك الله ان تضيعنا
فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل نزلت في التسعة الذين ارتدوا عن الاسلام
ولحقوا بمكة فنهى المومنين عن موالاتهم وانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء يعني بطانة
واصدقاء تفشون اليهم اسراركم وتوثرون المقام معهم على الهجرة قال بعضهم حمل هذه الاية على ترك الهجرة مشكل
لان السورة نزلت بعد الفتح وهي من اخر القران نزولا والاقرب ان يقال ان الله تعالى لما امر المومنين بالتبري
من المشركين قالوا كيف يمكن ان يقاطع الرجل اباه واخاه وابنه فذكر الله ان مقاطعة الرجل اهله واقاربه في
الدين واجبة فالمومن لا يوالي الكافر وان كان اخاه واباه وابنه وهو قوله تعالى ان استحبوا الكفر على الايمان
يعني ان اختاروا الكفر واقاموا عليه وتركوا الايمان بالله ورسوله ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون يعني
ومن يختار المقام معهم على الهجرة والجهاد فقد ظلم نفسه بمخالفته امر الله تعالى واختيار الكفار على المومنين
لما نزلت هذه الاية قال الذين اسلموا ولم يهاجروا ان نحن هاجرنا ضاعت اموالنا وذهبت تجاراتنا وخربت
دورنا وقطعنا ارحامنا فانزل الله تعالى قل اي قل يا محمد لهولاء الذين قالوا هذه المقالة ان كان اباؤكم
وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وقرئ على الجمع وعشيراتكم العشيرة هم الادنون من اهل الانسان الذين
يعاشرونه دون غيرهم واموال اقترفتموها يعني اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها يعني بفراقكم لها ومساكن
ترضونها يعني تستوطنونها راضين بسكناها احب اليكم من الله ورسوله يعني احب اليكم من الهجرة الى الله ورسوله
وجهاد في سبيله فبين الله تعالى انه يجب تحمل جميع المضار في الدنيا ليبقى الدين سليما واخبر انه ان كانت رعاية
هذه المصالح الدنيوية عندكم اولى من طاعة الله ورسوله ومن المجاهدة في سبيل الله فتربصوا اي فانتظروا حتى
ياتي الله بامره اي بعقابه وهذا امر تهديد وتخويف وقال مجاهد ومقاتل يعني بفتح مكة والله لا يهدي القوم
الفاسقين يعني الخارجين عن طاعته وفي هذه دليل على انه اذا وقع تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا
وجب على المسلم ترجيح مصالح الدين قوله عز وجل لقد نصركم الله النصر المعونة على الاعداء باظهار المسلمين عليهم
في مواطن كثيرة يعني اماكن كثيرة والمراد به غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه وكانت
غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكره في الصحيحين من حديث زيد بن ارقم تسع عشرة غزوة زاد
بريدة في حديثه قاتل في ثمان منهن ويقال جميع غزواته وسراياه وبعوثه سبعون وقيل ثمانون وهو قوله
لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين يعني ونصركم الله في يوم حنين ايضا فاعلم الله انه هو الذي يتولى

نصر

نصر المومنين في كل موقف وموطن ومن يتولى نصره فلا غالب له وحنين اسم واد قريب من الطائف بينه وبين مكة بضعة
عشر ميلا وقال عروة هو الى جانب ذي المجاز وكانت غزوة حنين على ما نقله ابن المسيب انهم اصابوا يومئذ
ستة الاف سبي ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف فحاصرهم بقية ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة
وهو شهر حرام انصرف عنهم واتى الجعرانة فاحرم منها بعمرة وقسم بها غنائم حنين واوطاس وتالف ناسا منهم ابو
سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهل بن عمرو والاقرع بن حابس فاعطاهم ق عن انس بن مالك ان ناسا
من الانصار قالوا يوم حنين افاء الله على رسوله من اموال هوازن ما افاء فطفق رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعطي رجالا من قريش المائة من الابل فقالوا يغفر الله لرسول الله يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من
دمائهم فقال انس فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم فارسل الى الانصار فجمعهم في قبة من
ادم ولم يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حديث بلغني عنكم فقال له
فقهاء الانصار اما ذوو ارائنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئا واما ناس منا حديثة اسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول
الله يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني اعطي
رجالا حديثي عهد بكفر اتالفهم افلا ترضون ان تذهب الناس بالاموال وترجعون الى رحالكم برسول
الله فما تنقلبون به خير قالوا بلى يا رسول الله قد رضينا قال فانكم ستجدون بعدي اثرة شديدة
فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض قالوا سنصبر زاد في رواية فلم نصبر ق عن عبد الله بن زيد بن
عاصم قال لما افاء الله على رسوله يوم حنين قسم في الناس في المولفة قلوبهم ولم يعط الانصار شيئا فكانهم وجدوا
اذ لم يصبهم ما اصاب الناس فخطبهم فقال يا معشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين
فالفكم الله بي وعالة فاغناكم الله بي كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله امن قال لو شئتم قلتم جئتنا كذا
وكذا ترضون ان يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي الى رحالكم لولا الهجرة لكنت امرا من الانصار
ولو سلك الناس واديا او شعبا لسلكت وادي الانصار وشعبهم الانصار شعار والناس دثار م عن
رافع بن خديج قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا سفيان بن حرب وصفوان بن امية وعيينة
ابن حصن والاقرع بن حابس مائة من الابل واعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس
اتجعل نهبي ونهب العبيد * بين عيينة والاقرع * فما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في مجمع *
وما كنت دون امرئ منهما * ومن تخفض اليوم لا يرفع * قال فاتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة
خ عن المسور ومروان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسالوه ان يرد
عليهم اموالهم وسبيهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان معي من ترون واحب الحديث الي اصدقه
فاختاروا احدى الطائفتين اما المال واما السبي وقد كنت استانيت بكم وفي رواية وقد كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف فلما تبين لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم استقلهم
حين قفل من الطائف بضع عشرة ليلة فلما تبين لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم غير راد عليهم الا احدى الطائفتين
قالوا انا نختار سبينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله بما هو اهله ثم قال اما بعد
فان اخوانكم هولاء جاءوا تائبين واني رايت ان ارد اليهم سبيهم فمن احب منكم ان يطيب ذلك فليفعل فقال
الناس قد طيبنا ذلك لهم يا رسول الله فقال لهم في ذلك انا لا ندري من اذن منكم ممن لم ياذن فارجعوا حتى
يرفع الينا عرفاؤكم امركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه انهم
قد طيبوا واذنوا فهذا الذي بلغنا من سبي هوازن وانزل الله في قصة حنين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم

Copyright © King Saud University

حنين اذ اعجبتكم كثرتكم يعني حتى قلتم لن نغلب اليوم عن قلة فلم تغن عنكم كثرتكم شيئا يعني ان الظفر بالعدو ليس بكثرة العدد ولكن انما يكون بنصر الله ومعونته وضاقت عليكم الارض بما رحبت يعني بسعتها وفضائها ثم وليتم مدبرين يعني منهزمين ثم انزل الله سكينته يعني بعد الهزيمة والسكينة الطمانينة والامنة وهي فعيلة من السكون وذلك ان الانسان اذا خاف رجف فؤاده فلا يزال متحركا واذا امن سكن فؤاده وثبت فلما كان الامن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة كناية عن الامن وقوله تعالى على رسوله وعلى المؤمنين انما كان انزال السكينة على المؤمنين لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان ساكن القلب ليس عنده اضطراب كما حصل للمؤمنين من الهزيمة والاضطراب في هذه الوقعة ثم من الله عليهم بانزال السكينة عليهم حتى رجعوا الى قتال عدوهم بعد الهزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت لم يفر وانزل جنودا لم تروها يعني الملائكة لتثبيت المؤمنين وتشجيعهم وتخذيل المشركين وتجبينهم لا للقتال لان الملائكة لم تقاتل الا يوم بدر وعذب الذين كفروا يعني بالقتل والاسر وسبي العيال وسلب الاموال وذلك جزاء الكافرين يعني في الدنيا اذا افضوا الى الاخرة كان لهم عذاب اشد من ذلك العذاب واعظم ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء يعني فيهديه الى الاسلام كما فعل بمن بقي من هوازن حيث اسلموا وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم تائبين فمن عليهم واطلق سبيهم والله غفور لمن تاب رحيم بعباده قوله تعالى يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس قيل اراد بالمشركين عبدة الاصنام وغيرهم من اليهود والنصارى والنجس الشيء القذر من الناس وغيرهم وقيل النجس الشيء الخبيث واراد بهذه النجاسة نجاسة الحكم لا نجاسة العين سموا انجاسا من الذم لان الفقهاء اتفقوا على طهارة ابدانهم ولا قيل هم انجاس العين كالكلب والخنزير حتى قال الحسن بن صالح من مس مشركا فليتوضا ويروى عن الزيدية من الشيعة والقول الاول اصح وقال قتادة سماهم نجسا لانهم يجنبون فلا يغتسلون ويحدثون فلا يتوضون فلا يقربوا المسجد الحرام والمراد منعهم من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام ويؤكد هذا قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام اراد به الحرم لانه اسري به صلى الله عليه وسلم من بيت ام هانئ قال العلماء وجملة بلاد الاسلام في حق الكفار ثلاثة اقسام احدها الحرم فلا يجوز للكافر ان يدخله بحال ذميا كان او مستامنا لظاهر هذه الاية وبه قال الشافعي واحمد ومالك فلو جاء رسول من دار الكفر والامام في الحرم فلا ياذن له في دخول الحرم بل يخرج اليه بنفسه او يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وجوز ابو حنيفة واهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم القسم الثاني من بلاد الاسلام الحجاز وحده ما بين اليمامة وبين اليمن وبين نجد والمدينة الشريفة قيل نصفها تهامي ونصفها حجازي وقيل كلها حجازي وقال ابن الكلبي حد الحجاز ما بين جبلي طي وطريق العراق سمي حجازا لانه حجز بين تهامة ونجد وقيل لانه حجز بين نجد والسراة وقيل لانه حجز بين نجد وتهامة والشام قال الحربي وتبوك من الحجاز فيجوز للكفار دخول ارض الحجاز بالاذن ولكن لا يقيم فيها اكثر من مقام المسافر وهو ثلاثة ايام م عن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا اترك فيها الا مسلما زاد في رواية لغير مسلم واوصى فقال اخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك ابو بكر واجلاهم عمر في خلافته واجل لمن يقدم تاجرا ثلاثا عن ابن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب اخرجه مالك في الموطا مرسلا م عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قد ييس ان يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في قال سعيد بن عبد العزيز جزيرة العرب من اقصى عدن ابين الى ريف العراق في الطول ومن جدة وما والاها من ساحل البحر الى اطراف الشام عرضا والقسم الثالث سائر بلاد الاسلام فيجوز للكافر ان يقيم فيها بعهد وامان وذمة ولكن لا يدخلون المساجد الا باذن مسلم

وقوله

وقوله تعالى بعد عامهم هذا يعني العام الذي حج فيه ابو بكر الصديق بالناس وفيه نادى علي ببراءة وان لا يحج بعد العام مشرك وهو سنة تسع من الهجرة وان خفتم عيلة يعني فقرا وفاقة وذلك ان اهل مكة كانت معايشهم من التجارات وكان المشركون يجلبون الى مكة الطعام ويتجرون فلما منعوا من دخول الحرم خاف اهل مكة الفقر وضيق العيش فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله قال عكرمة فاغناهم الله بان انزل المطر مدرارا وكثر خيرهم وقال مقاتل اهل جرش وصنعاء من اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة الى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون وقال الضحاك وقتادة عوضهم الله منها الجزية فاغناهم بها ان شاء قيل انما شرط المشيئة في الغنى المطلوب ليكون الانسان دائم التضرع والابتهال الى الله تعالى في طلب الخيرات ودفع الافات وان ينقطع العبد بامله عن كل احد الا من الله عز وجل فانه هو القادر على كل شيء وقيل ان المقصود من ذكر هذا الشرط تعليم رعاية الادب كما في قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله ان الله عليم يعني بما يصلحكم حكيم يعني انه تعالى لا يفعل شيئا الا عن حكمة وصواب فمن حكمه ان منع المشركين من دخول الحرم واوجب الجزية والذل والصغار على اهل الكتاب قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر قال مجاهد نزلت هذه الاية حين امر النبي صلى الله عليه وسلم فغزى بعد نزولها غزوة تبوك وقال الكلبي نزلت في قريظة والنضير من اليهود فصالحهم فكانت اول جزية اصابها اهل الاسلام واول ذل اصاب اهل الكتاب بايدي المسلمين وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه المسلمين والمعنى قاتلوا ايها المؤمنون القوم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر **فان قلت** اليهود والنصارى يزعمون انهم يؤمنون بالله واليوم الاخر فكيف اخبر عنهم انهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر **قلت** ان ايمانهم بالله ليس كايمان المؤمنين وذلك ان اليهود كانوا يعتقدون التجسيم والتشبيه والنصارى يعتقدون الحلول ومن اعتقد ذلك ليس يؤمن بالله واما ايمانهم باليوم الاخر فليس كايمان المؤمن وذلك انهم يعتقدون بعثة الارواح دون الاجساد ويعتقدون ان اهل الجنة لا ياكلون فيها ولا يشربون ولا ينكحون ومن اعتقد ذلك فليس ايمانه كايمان المؤمنين وان زعم انه مؤمن وقوله تعالى ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله يعني لا يحرمون الخمر والخنزير وقيل معناه انهم لا يحرمون ما حرم الله في القران ولا ما حرم رسوله في السنة وقيل معناه لا يعملون بما في التوراة والانجيل بل حرفوهما واتوا باحكام من قبل انفسهم ولا يدينون دين الحق يعني ولا يعتقدون صحة الاسلام الذي هو دين الحق وقيل الحق هو الله تعالى ومعناه ولا يدينون دين الله ودين الاسلام بدليل قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقيل معناه ولا يدينون دين اهل الحق وهم المسلمون ولا يطيعون الله كطاعتهم من الذين اوتوا الكتاب يعني اعطوا الكتاب وهم اليهود والنصارى حتى يعطوا الجزية وهو ما يعطي المعاهد من اهل الكتاب على عهده وهي الخراج المضروب على رقابهم سميت جزية للاجتزاء بها في حقن دمائهم عن يد يعني عن قهر وغلبة يقال لكل من اعطى شيئا كرها من غير طيب نفس اعطى عن يد قال ابن عباس يعطونها بايديهم ولا يرسلونها على يد غيرهم وقيل يعطونها نقدا لا نسيئة وقيل يعطونها مع اقرارهم بانعام المسلمين عليهم بقبولها منهم وهم صاغرون من الصغار وهو الذل والاهانة يعطون الجزية وهم اذلاء مقهورون وقال عكرمة يعطون الجزية وهم قيام والقابض جالس وقال ابن عباس تؤخذ الجزية من احدهم وتوطا عنقه وقال الكلبي اذا اعطى يصفع قفاه وقيل هو ان يؤخذ بلحيته ويضرب لهزمتيه ويقال له ادّ حق الله يا عدو الله وقال الشافعي الصغار هو جريان احكام المسلمين عليهم **فصل** في بيان حكم الاية اجمعت الامة على جواز اخذ الجزية من اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى اذا لم يكونوا عربا واختلفوا

Copyright King Saud University

فى الكتابى العربى ودون غير اهل الكتاب من كفار العجم فذهب الشافعى الى ان الجزية على الاديان لا على الانساب فتوخذ من اهل الكتاب عربا كانوا او عجما ولا توخذ من عبدة الاوثان بحال واحتجا بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه بعث خالد بن الوليد الى اكيدر دومة فاخذوه فاتوا به فحقن دمه وصالحه على الجزية اخرجه ابو داود وقال الشافعى وهو رجل من العرب يقال له انه من غسان واحتج من اهل دومة اليمن وعامتهم عرب وذهب مالك والاوزاعى الى ان الجزية توخذ من جميع الكفار الا المرتد وقال ابو حنيفة توخذ من اهل الكتاب على العموم وتوخذ من مشركى العجم ولا توخذ من مشركى العرب وقال ابو يوسف لا توخذ من العربى كتابيا كان او مشركا وتوخذ من العجمى كتابيا كان او مشركا واما المجوس فاتفقت الصحابة على الاخذ منهم ويدل عليه ما روى عن بجالة بن عبيدة ان عمر لم يكن اخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها من مجوس هجر اخرجه البخارى عن جعفر بن محمد عن ابيه ان عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال ما ادرى كيف اصنع فى امرهم فقال له عبد الرحمن بن عوف اشهد انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة اهل الكتاب اخرجه مالك فى موطايه عن ابن شهاب قال بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ الجزية من مجوس البحرين وان عمر اخذها من مجوس فارس وان عثمان اخذها من البربر اخرجه مالك فى الموطا وفى امتناع عمر عن اخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن ان النبى صلى الله عليه وسلم اخذها منهم دليل على ان راى الصحابة كان على انها لا توخذ من كل مشرك وانما توخذ من اهل الكتاب واختلفوا فى ان المجوس هل هم من اهل الكتاب فروى عن على بن ابى طالب انه قال كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد اسرى على كتابهم فرفع من بين اظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائحهم ومناكحتهم بخلاف اهل الكتاب واما من دخل فى دين اليهود والنصارى من غيرهم من المشركين نظر فان كانوا دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل يقرون بالجزية وتحل مناكحتهم وذبائحهم وان دخلوا فى دينهم بعد النسخ بمجى محمد صلى الله عليه وسلم ونسخ شريعتهم بشريعته فلا يقرون بالجزية ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم ومن شككنا فى امرهم انهم هل دخلوا فيه بعد النسخ او قبله يقرون بالجزية تغليبا لحقن الدم ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم تغليبا للتحريم فمنهم نصارى العرب من تنوخ وبهرا وبنى تغلب اقرهم عمر بالجزية وقال لا تحل لنا ذبائحهم واما الصابية والسامرة فسبيلهم سبيل اهل الكتاب فهم فى اهل الكتاب كاهل البدع فى المسلمين واما قدر الجزية فاقلها دينار ولا يجوز ان ينقص ويقبل الدينار من الغنى والفقير والمتوسط ويدل عليه ما روى عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وجهه الى اليمن امره ان ياخذ من كل حالم يعنى محتلم دينارا او عدله من المعافرى ثياب تكون باليمن اخرجه ابو داود وفى النبى صلى الله عليه وسلم امره ان ياخذ من كل محتلم وهو البالغ دينارا ولم يفرق بين الغنى والفقير والمتوسط وفيه دليل على انه لا توخذ الجزية من الصبيان والنساء وانما توخذ من الاحرار البالغين وذهب قوم الى ان على كل موسر اربعة دنانير وعلى كل متوسط دينارين وعلى كل فقير دينارا وهو قول اصحاب الراى ويدل عليه ما روى عن اسلم ان عمر بن الخطاب ضرب الجزية على اهل الذهب اربعة دنانير وعلى اهل الورق اربعين درهما ومع ذلك ارزاق المسلمين وضيافة ثلاثة ايام اخرجه مالك فى الموطا قال اصحاب الشافعى اقل الجزية دينار لا يزاد على الدينار الا بالتراضى فاذا رضى اهل الذمة بالزيادة ضرب على المتوسط دينارين وعلى الغنى اربعة دنانير قال العلما انما اقر واهل الكتاب على دينهم الباطل بخلاف اهل الشرك لحرمة اباءهم الذين انقرضوا على الدين من شريعة التوراة والانجيل قبل النسخ والتبديل وايضا فان بايديهم كتبا قديمة فربما تفكروا فيها فيعرفون صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدق نبوته

فاهملوا

فاهملوا لهذا المعنى وليس المقصود من ذلك حقن دمايهم واموالهم رجاان يعرفوا الحق فيرجعوا اليه بان يومنوا ويصدقوا اذا راوا محاسن الاسلام وقوة دلايله وكثرة الداخلين فيه قوله عز وجل وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم الاية لما ذكروا فى الاية المتقدمة ان اليهود والنصارى لا يومنون بالله ولا يدينون دين الحق بينه فى هذه الاية واخبر عنهم انهم اثبتوا لله ولدا ومن جوز ذلك على الله فقد اشرك به لانه لا فرق بين من يعبد صنما وبين من يعبد المسيح فقد بان بهذا ان لا يومنون بالله ولا يدينون دين الحق وقد تقدم سبب اخذ الجزية منهم وابقاوهم على هذا الشرك وهو حرمة الكتب القديمة التى بايديهم ولعلهم يتفكرون فيها ويعرفون الحق فيرجعون اليه روى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود سلام بن مشكم والنعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وانت لا تزعم ان عزيرا ابن الله فانزل الله هذه الاية وقال عبيد بن عمير انما قال هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازورا وهو الذى قال ان الله فقير ونحن اغنيا فعلى هذا القول انما قال هذه المقالة جماعة من اليهود او واحد وانما نسب ذلك الى اليهود فى وقالت اليهود جريا على عادة العرب فى ايقاع اسم الجماعة على الواحد تقول العرب فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا واحدا منهم وروى عطية العوفى عن ابن عباس انه قال انما قالت اليهود ذلك من اجل ان عزيرا كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فاضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله عنهم التابوت وانساهم التوراة ونسخها من صدورهم فدعا الله عزير وابتهل اليه ان يرد اليه التوراة فبينما هو يصلى مبتهلا الى الله عز وجل نزل نور من السما فدخل جوفه فعادت اليه فاذن فى قومه وقال يا قوم قد اتانى الله التوراة وردها الى فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ما شا الله ثم ان التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما راوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما فى التابوت فوجدوه مثله فقالوا ما اوتى عزير هذا الا انه ابن الله وقال الكلبى ان بخت نصر لما غزا بيت المقدس وظهر على بنى اسرايل وقتل من قرا التوراة وكان عزير اذ ذاك صغيرا فلم يقتله لصغره فلما رجع بنو اسرايل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرا التوراة بعث الله عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون لهم اية بعد ما اماته الله مائة عام سنة قال فاتاهم ملك باناء فيه ما فشرب منه فمثلت له التوراة فى صدره فلما اتاهم قال انا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التوراة فكتبها لهم من صدره ثم ان رجلا منهم قال ان ابى حدثنى عن جدى ان التوراة فى خابية ودفنت فى كرم فانطلقوا معه حتى اخرجوها فعارضوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر حرفا فقالوا ان الله لم يقذف التوراة فى قلب عزير الا انه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله فعلى هذين القولين ان هذا القول كان فاشيا فى اليهود جميعا ثم انه انقطع ودرس فاخبر الله عنهم واظهر عليهم ولا عبرة بانكار اليهود ذلك فان خبر الله عز وجل اصدق واثبت من انكارهم واما قول النصارى المسيح ابن الله فكان السبب فيه انهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام احدى وثمانين سنة يصلون الى القبلة ويصومون حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان فى اليهود رجل شجاع يقال له بولص فقتل جماعة من اصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا فنحن مغبونون ان دخلنا النار ودخلوا الجنة فانى ساحتال واضلهم حتى يدخلوا النار معنا ثم انه عمد الى فرس كان يقاتل عليه فعرقبه واظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على راسه ثم انه اتى الى النصارى فقالوا له من انت قال انا عدوكم بولص فقد نوديت من السما انه ليس لك توبة حتى تتنصر وقد تبت واتيتكم فادخلوه الكنيسة ونصروه وادخلوه بيتا فيها فلم يخرج منه سنة حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت ان الله قد قبل توبتك فصدقوه واحبوه وعلا

Copyright © King Saud University

شانه فيهم ثم انه عمد الى ثلاثة رجال اسم الواحد منهم نسطور والاخر يعقوب والاخر ملكان فعلم نسطور ان عيسى ومريم
والاله ثلاثة وعلم يعقوب ان عيسى ليس بانسان ولكنه ابن الله وعلم ملكان ان عيسى هو الله لم يزل ولا يزال
فلما استمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم في الخلوة وقال له انت خالصتي فادع الناس لما علمتك وامره ان
يذهب الى ناحية من البلاد ثم قال لهم اني رايت عيسى في المنام وقد رضي عني وقال لكل واحد منهم اني ساذبح
نفسي تقربا الى عيسى ثم ذهب الى المذبح فذبح نفسه وتفرقوا اولئك الثلاثة فذهب واحد الى الروم
وواحد الى بيت المقدس والاخر الى ناحية اخرى واظهر كل واحد مقالته ودعا الناس اليها فتبعه على
ذلك طوايف من الناس فتفرقوا واختلفوا ووقع القتال فكان ذلك بسبب قولهم المسيح ابن الله قال الامام
فخر الدين بعد ان حكى هذه الحكاية والاقرب عندي ان يقال لعله ذكر لفظ الابن في الانجيل على سبيل التشريف
كما ورد لفظ الخليل في حق ابراهيم عليه السلام على سبيل التشريف فبالغوا وفسروا لفظ الابن بالبنوة
الحقيقة والجهال قبلوا ذلك منهم فنشا هذا المذهب الفاسد في اتباع عيسى عليه السلام والله اعلم بحقيقة
الحال ذلك قولهم بافواههم يعني انهم يقولون ذلك بالسنتهم من غير علم يرجعون اليه قال اهل المعاني
لم يذكر الله قولا مقرونا بالافواه والالسن الا كان ذلك القول زورا وكذبا لا حقيقة له يضاهون قال
ابن عباس يشابهون والمضاهاة المشابهة وقال مجاهد يواطيون وقال الحسن يوافقون قول الذين
كفروا من قبل قال قتادة معناه ضاهت النصارى قول اليهود من قبلهم فقالوا المسيح ابن الله كما قالت
اليهود عزير ابن الله قال مجاهد معناه يضاهون قول المشركين من قبل لان المشركين كانوا يقولون الملايكة
بنات الله وقال الحسن شبه الله كفر اليهود والنصارى بكفر الذين مضوا من الامم الخالية الكافرة وقال
القتيبي يريد ان من كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يقولون ما قال اولهم قاتلهم
الله قال ابن عباس لعنهم وقال ابن جريج قتلهم الله وقيل ليس هو على تحقيق المقاتلة ولكنه بمعنى التعجب اي يحق
ان يقال لهم هذا القول تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لمن قال فعلا يتعجب منه قاتله الله ما اعجب فعله انى
يؤفكون يعني انى يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل في اقامة الحجة بان الله واحد احد فجعلوا له ولدا تعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله تعالى لا يتعجب من شيء ولكن هذا الخطاب على عادة العرب
في مخاطباتهم فالله تعالى عجب نبيه صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق واصرارهم الباطل قوله تعالى اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله يعني اتخذ اليهود والنصارى علماءهم وقراءهم والاحبار العلماء من اليهود
والرهبان اصحاب الصوامع من النصارى اربابا من دون الله يعني انهم اطاعوهم في معصية الله تعالى وذلك انهم
احلوا لهم اشيا وحرموا عليهم اشيا من قبل انفسهم فاطاعوهم فيها فاتخذوهم كالارباب لا انهم عبدوهم واعتقدوا فيهم
الالهية عن عدي بن حاتم قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح عنك
هذا الوثن وسمعته يقرا في سورة براءة اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال اما انهم لم يكونوا يعبدونهم
ولكنهم كانوا اذا احلوا لهم شيا استحلوه واذا حرموا عليهم شيا حرموه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال عبد الله
ابن المبارك وهل بدل الدين الا الملوك واحبار سوء ورهبانها والمسيح ابن مريم يعني اتخذوه الها وذلك لما اعتقدوا
فيه النبوة والحلول اعتقدوا فيه الالهية وما امروا يعني وما امروا في الكتب الالهية المنزلة عليهم وعلى السنة انبيائهم
الا ليعبدوا الها واحدا لانه المستحق للعبادة لا غير لا اله الا هو سبحانه عما يشركون اي تعالى الله وتنزه عن ان
يكون له شريك في العبادة والاحكام او ان يكون له شريك في الالهية يستحق التعظيم والاجلال يريدون يعني
يريد رؤساء اليهود والنصارى ان يطفئوا نور الله بافواههم يعني يريد هؤلاء ابطال دين الله الذي جاء به محمد صلى الله

عليه

عليه وسلم بتكذيبهم اياه وقيل المراد من النور الدلايل الدالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وهي امور احدها المعجزات
الباهرات الخارقة للعادة التي ظهرت على يد النبي صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه وثانيها القران العظيم الذي
نزل عليه من عند الله فهو معجزة له باقية على الابد على صدقه وثالثها ان دينه الذي امر به وهو دين الاسلام ليس
فيه شيء سوى تعظيم الله والثنا عليه والانقياد لامره ونهيه واتباع طاعته والامر بعبادته والتبري
من كل معبود سواه فهذه امور نيرة ودلايل واضحة في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فمن اراد ابطال ذلك
بكذب وتزوير فقد خاب سعيه وبطل عمله ثم ان الله وعد نبيه صلى الله عليه وسلم بمزيد النصر واعلاء الكلمة
واظهار الدين ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون يعني ويابى الله الا ان يعلي دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذي
بعث به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ولو كره الكافرون قوله عز وجل هو الذي ارسل رسوله يعني ان الله الذي
يابى الا ان يتم دينه هو الذي ارسل رسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى يعني بالقران الذي انزل عليه وجعله
هاديا اليه ودين الحق يعني دين الاسلام ليظهره اي ليعليه على الدين كله يعني على ساير الاديان وقال ابن عباس
الهاء في ليظهره عايدة الى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى ليعلمه شرايع الدين كلها ويظهره عليها حتى لا يخفى
عليه شيء منها وقال غيره من المفسرين الهاء راجعة الى الدين الحق والمعنى ليظهر دين الاسلام على الاديان كلها
وهو ان لا يعبد الله الا به قال ابو هريرة والضحاك وذلك عند نزول عيسى عليه السلام فلا يبقى اهل دين
الا دخلوا في الاسلام ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي هريرة في حديث نزول عيسى عليه السلام قال النبي صلى الله
عليه وسلم ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى
على وجه الارض بيت مدر ولا وبر الا ادخله الله كلمة الاسلام اما بعز عزيز او بذل ذليل اما يعزهم فيجعلهم من
اهله فيعزوا به واما ان يذلهم فيدينون له اخرجه البغوي بغير سند عن عايشة قالت سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى فقلت يا رسول الله ان كنت
لاظن حين انزل الله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ان ذلك
تام قال انه سيكون من ذلك ما شا الله ثم يبعث الله ريحا طيبة فتتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل
من الايمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون الى دين ابايهم قال الشافعي فقد اظهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم
على الاديان كلها بان ابان لكل من سمعه انه الحق وما خالفه من الاديان باطل قال واظهره بان جماع اهل الشرك
دينان دين اهل الكتاب ودين الاميين فقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاميين حتى دانوا بالاسلام
طوعا وكرها وقتل اهل الكتاب وسبى حتى دان بعضهم بالاسلام واعطى بعضهم الجزية صاغرون وجرى عليهم
حكمه فهذا ظهوره على الدين كله ولو كره المشركون قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان
قد تقدم معنى الاحبار والرهبان وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى وفي قوله ان كثيرا دليل على ان الاقل
من الاحبار والرهبان لم ياكلوا اموال الناس بالباطل ولعلهم الذين كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وعبر عن
اخذ الاموال بالاكل في قوله تعالى لياكلون اموال الناس بالباطل لان المقصود الاعظم من جمع المال الاكل فسمى الشيء
باسم ما هو اعظم مقاصده واختلفوا في السبب الذي من اجله اكلوا اموال الناس بالباطل فقيل انهم كانوا ياخذون
الرشا من سفلتهم على تخفيف الشرايع والمسامحة في الاحكام وقيل انهم كانوا يكتبون بايديهم كتبا يحرفونها ويقولون
هذه من عند الله وياخذون بها ثمنا قليلا وهي الماكل التي كانوا يصيبونها من سفلتهم على تغيير نعت النبي
صلى الله عليه وسلم وصفته من كتبهم لانهم كانوا يخافون لو امنوا به وصدقوه لذهبت عنهم تلك الماكل
وقيل ان التوراة كانت مشتملة على ايات دالة على نعت النبي صلى الله عليه وسلم فكان الاحبار والرهبان يذكرون

Copyright © King Saud University

في تأويلها وجوهاً فاسدة باطلة ويحرفون معانيها طلباً للرياسة وأخذ الأموال ومنع الناس عن الإيمان
وذلك قوله تعالى **ويصدون عن سبيل الله** يعني ويمنعون الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والدخول في دين الإسلام
والذين يكنزون الذهب والفضة أصل الكنز في اللغة جعل المال بعضه على بعض وحفظه ومال مكنوز أي مجموع
واختلفوا في المراد بهؤلاء الذين ذمهم الله بسبب كنز الذهب والفضة فقيل هم أهل الكتاب قاله معاوية بن أبي سفيان
لأن الله تعالى وصفهم بالحرص الشديد على أخذ أموال الناس بالباطل ثم وصفهم بالبخل الشديد وهو جمع المال ومنع
إخراج الحقوق الواجبة وقال ابن عباس والسدي نزلت في مانعي الزكاة من المسلمين وذلك أنه لما ذكر قبح طريقة
الأحبار والرهبان في الحرص على أخذ المال بالباطل حذر المسلمين من ذلك وذكر وعيد من جمع المال ومنع حقوق الناس
منه وقال أبو ذر نزلت في أهل الكتاب بالحرص على أخذ أموال الناس بالباطل ثم ذكر وعيد من جمع المال
ومنع الحقوق الواجبة فيه سواء كان من أهل الكتاب أو من المسلمين عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة
فإذا بأبي ذر فقلت ما أنزلك هذا المنزل قال كنت في الشام فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية والذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معاوية نزلت في أهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم
فكان بيني وبينه في ذلك كلام فكتب إلى عثمان يشكوني فكتب إلي عثمان أن اقدم المدينة فقدمتها فكثر علي الناس
حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان فقال إن شئت تنحيت فكنت قريباً فذاك الذي أنزلني
هذا المنزل ولو أمروا علي حبشياً لسمعت وأطعت واختلف العلماء في معنى الكنز فقيل هو كل مال وجبت فيه
الزكاة فلم يؤد زكاته وروي عن ابن عمر أنه قال له أعرابي أخبرني عن قول الله عز وجل والذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم قال ابن عمر من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له هذا
كان قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهراً للأموال أخرجه البخاري وفي رواية مالك عن عبد الله
ابن دينار قال سمعت عبد الله بن عمر وهو يسأل عن الكنز ما هو فقال هو المال الذي لا تؤدى منه الزكاة
ورواه الطبري بسنده عن ابن عمر قال كل مال أديت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفوناً وكل مال لم تؤد زكاته
فهو الكنز الذي ذكره الله في القرآن يكوى به صاحبه وإن لم يكن مدفوناً وروي عن علي بن أبي طالب قال
أربعة آلاف فما دونها نفقة وما فوقها كنز وقيل الكنز كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه إليه وروى
الطبري بسنده عن أبي أمامة قال توفي رجل من أهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال النبي صلى الله عليه وسلم
كية ثم توفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان كان هذا في أول الإسلام
قبل أن تفرض الزكاة فكان يجب على كل من فضل معه شيء من المال إخراجه لاحتياج غيره إليه فلما فرضت
الزكاة نسخ ذلك الحكم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة كبر
ذلك على المسلمين فقال عمر أنا أفرج عنكم فانطلق فقال يا نبي الله إنه كبر على أصحابك هذه الآية
فقال إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب ما بقي من أموالكم وإنما فرض المواريث وذكر كلمة لتكون لمن بعدكم
قال فكبر عمر ثم قال له ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا
غاب عنها حفظته أخرجه أبو داود وعن ثوبان قال لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
في سبيل الله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه أنزلت في الذهب
والفضة فلو علمنا أي المال خير اتخذناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضله لسان ذاكر وقلب
شاكر وزوجة صالحة تعين المؤمن على إيمانه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن والصحيح من هذه الأقوال
القول الأول وهو ما ذكرناه عن ابن عمر أن كل مال أديت زكاته فليس بكنز ولا يحرم على صاحبه اكتنازه وإن كثر

وان

وأن كل مال لم تؤد زكاته فصاحبه معاقب عليه وإن قل إذا كان مما تجب فيه الزكاة ويستحق على منع الزكاة
الوعيد من الله إلا أن يتفضل الله عز وجل عليه بعفوه وغفرانه ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له
صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره
خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل يا رسول الله فالإبل
قال ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع
قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها
في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل يا رسول الله فالبقر
والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها
شيئاً ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها
في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار أخرجه مسلم
بزيادة فيه قوله كلما ردت أعيدت له هكذا هو في بعض نسخ صحيح مسلم ردت بضم الراء وفي بعضها بردت
بالباء وهذا هو الصواب والرواية الأولى هي رواية الجمهور قوله حلبها هو بفتح اللام وحكي إسكانها وهو
ضعيف قوله بقاع قرقر القاع هو المستوي من الأرض الواسع الأملس والعقصاء هي الشاة الملتوية القرنين وإنما
استثناها لأنها لا تؤلم بنطحها وكذا الجلحاء وهي الشاة التي لا قرن لها وكذا العضباء وهي الشاة المكسورة
القرن عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته
مثل له شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول أنا مالك
أنا كنزك ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم الآية الشجاع الحية والأقرع
صفة له بطول العمر لأن من طال عمره تمرق شعره وذهب وهي صفة أخبث الحيات والزبيبتان هما الزبدتان
في الشدقين واللهزمتان عظمان ناتئان في اللحيين تحت الأذنين قوله تعالى **ولا ينفقونها في سبيل الله**
يعني لا يؤدون زكاتها وإنما قال ينفقونها ولم يقل ينفقونهما لأنه رد الكناية إلى المال المكنوز وهو أعيان
الذهب والفضة وقيل رد الكناية إلى الفضة لأنها أغلب أموال الناس **فبشرهم بعذاب أليم** يعني
للكافرين الذين لا يؤدون زكاة أموالهم (ق) عن أبي ذر قال انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الأخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم أتقار
حتى قمت فقلت يا رسول الله فداك أبي وأمي من هم قال هم الأكثرون أموالاً إلا من قال هكذا وهكذا من
بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي
زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما نفدت
أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس هذا لفظ مسلم وفرقه البخاري في موضعين وقوله تعالى
يوم يحمى عليها يعني على الكنوز تدخل النار فيوقد عليها حتى تبيض من شدة الحرارة **في نار جهنم فتكوى بها**
جباههم يعني بالكنوز حياه كانت بها **وجنوبهم وظهورهم** قال ابن مسعود لا يوضع دينار على دينار ولا
درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدته قال بعض العلماء إنما خص
هذه الأعضاء بالكي من بين سائر الأعضاء لأن الغني صاحب المال إذا أتاه السائل فطلب منه شيئاً قبض وامتد
آثار الكراهة والمنع فعند ذلك يقطب وجهه ويكلح ويجمع أسارير وجهه فيتجعد جبينه ثم إن كرر السائل

Copyright © King Saud University

الطلب والح في السوال ولاه ظهره واعرض عنه واستقبل جهة اخرى وهي النهاية في الرد والغاية في المنع الدال على
كراهة العطا والبذل وهذا دأب من نفى البر والاحسان وعادة البخلا فلذلك خص هذه الاعضا الثلاثة بالكي
يوم القيمة وهو قوله تعالى هذا ما كنزتم لانفسكم اى يقال لهم ذلك يوم القيامة فذوقوا ما كنتم تكنزون
اى فذوقوا عذاب ما كنزتم في الدنيا من الاموال ومنعتم حق الله منها ق عن الاحنف بن قيس قال قدمت المدينة
فبينا انا في حلقة فيها ملا من قريش اذ جاء رجل خشن الثياب خشن الجلد خشن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكافرين
برضف يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدى احدهم حتى يخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى
يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل قال فوضع القوم رؤسهم فما رايت احدا منهم رجع اليه شيا قال فادبر فاتبعته
حتى جلس الى سارية فقلت ما رايت هولاء الا كرهوا ما قلت لهم فقال ان هولاء لا يعقلون شيا هذا لفظ
مسلم وفيه زيادة لم اذكرها وزاد البخارى فقلت من هذا قالوا ابو ذر قال فقمت اليه فقلت ما شي سمعتك
تقول قبيل فقال ما قلت الا شيا سمعته من نبيهم صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل ان عدة الشهور عند
الله اثنى عشر شهرا وهو المحرم وصفر وربيع الاول وربيع الاخر وجمادى الاولى وجمادى الاخرى ورجب
وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة وهذه شهور السنة القمرية التى هى مبنية على سير
القمر في المنازل وهى شهور العرب التى تعتد بها المسلمون في صيامهم ومواقيت حجهم واعيادهم وساير
امورهم واحكامهم وايام هذه الشهور ثلثماية وخمسة وخمسون يوما والسنة الشمسية عبارة
عن دور الشمس في الفلك دورة تامة وهى ثلثماية وخمسة وستون يوما وربع يوم فتنقص السنة
الهلالية عن السنة الشمسية عشرة ايام فبسبب هذا النقصان تدور السنة بدور الهلالية فيقع
الصوم والحج تارة في الشتا وتارة في الصيف قال المفسرون وسبب نزول هذه الاية من اجل النسى التى
كانت العرب تفعله في الجاهلية فكان يقع حجهم تارة في وقته وتارة في المحرم وتارة في صفر وتارة
في غيره من الشهور فاعلم الله عز وجل ان عدد شهور سنة المسلمين التى تعتدوا بها اثنى عشر شهرا على
منازل القمر وسيره فيها وهو قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله يعنى في علمه وحكمه اثنى عشر شهرا
في كتاب الله يعنى في اللوح المحفوظ الذى كتب الله فيه جميع احوال الخلق وما ياتون وما يذرون وقيل اراد
بكتاب الله القران لان فيه ايات تدل على الحساب ومنازل القمر وقيل اراد بكتاب الله الحكم الذى اوجبه وامر
عباده بالاخذ به يوم خلق السموات والارض يعنى ان هذا الحكم حكم به وقضاه يوم خلق السموات والارض السنة اثنى
عشر شهرا منها يعنى من الشهور اربعة حرم وهى رجب فرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثلاثة متوالية
وانما سميت حرما لان العرب في الجاهلية كانت تعظمها وتحرم فيها القتال حتى لو ان احدهم لقى قاتل ابيه
وابنه واخيه في هذه الاربعة اشهر لم يهجه ولما جا الاسلام لم يزدها الا حرمة وتعظيما ولان الحسنات والطاعات
فيها تتضاعف وكذلك السيات ايضا اشد من غيرها فلا يجوز انتهاك الاشهر الحرم ذلك الدين القيم يعنى ذلك الحساب
المستقيم والعدد الصحيح المستوى فالدين هنا بمعنى الحساب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت وقيل اراد بالدين القيم الحكم الذى لا يتغير ولا يبدل والقيم هنا بمعنى الدايم الذى لا يزول والواجب
على المسلمين الاخذ بهذا الحساب والعدد في صومهم وحجهم واعيادهم وبياعاتهم واجل ديونهم وغير ذلك من احكام
المسلمين المرتبة على الشهور ق عن ابى بكرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق
السموات والارض السنة اثنى عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى
وشعبان اى شهر هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال اليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماكم

واموالكم

واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسالكم عن اعمالكم الا فلا ترجعوا
بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض الا ليبلغ الشاهد الغايب لعل بعض من يبلغه يكون اوعى له من بعض من سمعه ثم قال الا
هل بلغت قلنا نعم قال اللهم اشهد وقوله تعالى فلا تظلموا فيهن انفسكم قيل الكناية في فيهن ترجع الى جميع الاشهر اى
لا تظلموا انفسكم في جميع اشهر السنة بفعل المعاصى وترك الطاعات لان المقصود منع الانسان من الاقدام على المعاصى
والفساد مطلقا في جميع الاوقات الى الممات وقيل ان الكناية ترجع الى الاشهر الحرم وهو قول اكثر المفسرين
وقال قتادة ان العمل الصالح اعظم اجرا في الاشهر الحرم والظلم فيهن اعظم فيما سواهن وان كان الظلم على كل حال عظيما
وقال ابن عباس لا تظلموا فيهن انفسكم يريد باستحلال الحرم والغارة فيهن قال محمد بن اسحاق وابن يسار ولا تجعلوا
حلالها حراما ولا حرامها حلالا كفعل اهل الشرك وهو النسى وقيل ان النفس مجبولة بطبعها على الظلم والفساد
فالامتناع عنه على الاطلاق شاق على النفس لا جرم انه خص بعض الاوقات بمزيد التعظيم والاحترام ليمتنع الانسان
في تلك الاوقات عن فعل الظلم والقبايح والمنكرات فلربما تركها في بعض الاوقات فتصير هذه الاوقات الشريفة
والاشهر المحرمة المعظمة سببا لترك الظلم وفعل المعاصى في غيرها من الاشهر فهذا وجه الحكمة في تخصيص بعض الاشهر
على بعض بمزيد التشريف والتعظيم وكذلك الامكنة وقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة يعنى
قاتلوا المشركين جميعكم مجتمعين على قتالهم كما انهم يقاتلونكم على هذه الصفة والمعنى تعاونوا وتناصروا على قتالهم وكونوا
عباد الله مجتمعين على قتالهم ولا تخاذلوا ولا تدابروا ولا تقاتلوا ولا تجبنوا عن قتالهم وكونوا عباد الله مجتمعين متوافقين
في مقاتلة اعدايكم من المشركين واختلف العلما في تحريم القتال في الاشهر الحرم فقال قوم كان كبيرا ثم نسخ بقوله
وقاتلوا المشركين كافة يعنى في الاشهر الحرم وفي غيرهن وهو قول قتادة وعطا الخراسانى والزهرى وسفيان
الثورى قالوا لان النبى صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بحنين والطايف ثقيف وحاصرهم في شوال وبعض
ذى القعدة وقال اخرون انه غير منسوخ وقال ابن جريج حلف بالله عطا بن ابى رباح ما يحل للناس ان يغزوا في
الحرم ولا في الاشهر الحرم وما نسخت الا ان يقاتلوا فيها واعلموا ان الله مع المتقين يعنى بالنصر والعون على اعدايهم
قوله تعالى انما النسى زيادة في الكفر النسى عبارة عن تاخير في الوقت ومنها النسية في البيع ومعنى النسى المذكور
في الاية هو تاخير شهر حرام الى شهر اخر وذلك ان العرب في الجاهلية كانت تعتقد الاشهر الحرم وتعظيمها وكان
ذلك مما تمسكت به من ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكانت علمة معايش العرب من الصيد والغارة فكان
يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة اشهر متوالية وربما وقعت حروب في بعض الاشهر الحرم فكانوا يكرهون
تاخير حربهم الى الاشهر الحلال فنسوا يعنى اخروا تحريم شهر الى اخر فكانوا يوخرون تحريم المحرم الى صفر فيستحلون
المحرم ويحرمون صفر فاذا احتاجوا الى تاخير تحريم صفر اخروه الى ربيع الاول فكانوا يصنعون هكذا يوخرون
شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها وكانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذى الحجة عامين ثم
حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك في شهور السنة فوافقت حجة ابى بكر في السنة التاسعة قبل
حجة الوداع في السنة الثانية من ذى القعدة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة
الوداع فوافقت في شهر ذى الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف بعرفة في اليوم التاسع وخطب الناس في
اليوم العاشر بمنى واعلمهم ان اشهر النسى قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الامر الى ما وضع عليه حساب
الاشهر يوم خلق السموات والارض وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق
السموات والارض من الحديث المتقدم وامرهم بالمحافظة على ذلك لئلا يتبدل في مستانف الايام واختلفوا في
اول من نسا النسى فقال ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد اول من نسا النسى بنو مالك بن كنانة وكانوا ثلاثة ابو ثمامة

حرمتم

Copyright © King Saud University

جنادة بن عوف بن امية الكناني فقال الكلبي اول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم وكان يكون على الناس
في الموسم فاذا هم الناس بالصدر قام فخطب فيقول لا مرد لما قضيت انا الذي لا اعاب ولا اجاب فيقول له المشركون
لبيك ثم يسالونه ان ينسئهم شهرا يغزون فيه فيقول ان صفر في هذا العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا
الاسنة والازجة من الرماح وان قال حلال عقدوا الاوتار بالقسي وركبوا الاسنة في الرماح واغاروا وكان من
بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال له جنادة بن عوف وهو الذي ادرك النبي صلى الله عليه وسلم قال عبد الرحمن بن زيد
ابن اسلم هو رجل من بني كنانة يقال له القلمس قال شاعرهم * وفينا ناسئ الشهر القلمس * وكانوا يفعلون ذلك اذا
اجتمعت العرب في الموسم وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ان اول من سن النسيء عمرو بن لحي ومعد بن خندق والذي
صح من حديث ابي هريرة وعائشة ان عمرو بن لحي يجر قصبه في النار فهذا ما ورد في تفسير النسيء الذي ذكره الله
في قوله انما النسيء زيادة في الكفر يعني زيادة كفر على كفرهم وسبب هذه الزيادة انهم امروا بايقاع كل فعل في وقته من
الاشهر الحرم ثم انهم بسبب اغراضهم الفاسدة اخروه الى وقت اخر بسبب ذلك النسيء فاوقعوه في غير وقته
من الاشهر الحرم فكان ذلك الفعل زيادة في كفرهم **يضل به الذين كفروا** قرئ يضل بفتح اليا وكسر الضاد ومعناه
يضل بالنسيء الذين كفروا لانهم هم من الناس وهو ابعد ضلالا لانفسهم وقرئ يضل بضم اليا وفتح الضاد ومعناه
ان كبارهم اضلوهم وحملوهم عليه وقرئ يضل به الذين كفروا بضم اليا وكسر الضاد ومعناه يضل به الله الذين كفروا
او يضل به الشيطان الذين كفروا لانه زين ذلك لهم وقيل معناه يضل به الذين كفروا تابعيهم والاخذين باقوالهم
وهذا الوجه اقوى الوجهين في تفسير قراءة من قرا يضل بضم اليا وكسر الضاد **يحلونه عاما ويحرمونه عاما** يعني
يحلون ذلك الانسا عاما ويحرمونه عاما فيجعلون تحريمها فلا يغيرونه **ليواطئوا** يعني ليوافقوا **عدة ما حرم الله**
يعني انهم ما احلوا شهرا من المحرم الا حرموا مكانه شهرا من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا من المحرم
لاجل ان يكون عدد الاشهر الحرم اربعة كما حرم الله فيكون ذلك موافقة في العدد لا في الحكم فذلك قوله تعالى فيحلوا
ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم قال ابن عباس زين لهم الشيطان هذا العمل **والله لا يهدي القوم الكافرين**
يعني انه تعالى لا يرشد من هو كافر اثيم لما سبق له في الازل انه من اهل النار قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل
لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض نزلت هذه الاية في الحث على غزوة تبوك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما رجع من الطائف امر بالجهاد لغزو الروم وكان ذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر حين طابت الظلال ولم يكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا وعدوا كثيرا فجلى للمسلمين امرهم ليتاهبوا اهبة عدوهم فشق عليهم الخروج
وتثاقلوا فانزل الله عز وجل هذه الاية يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم يعني قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم انفروا
في سبيل الله اي اخرجوا الى الجهاد يقال استنفر الامام الناس اذا حثهم على الخروج الى الجهاد ودعاهم اليه ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم اذا استنفرتم فانفروا والاسم النفير اثاقلتم اي تثاقلتم وتباطاتم عن الخروج الى الغزو الى الارض يعني
ولزمتم ارضكم ومساكنكم وانما استثقل ذلك لبعد الغزو ولشدة الزمان وضيق الوقت وشدة الحر وبعد المسافة والحاجة
الى كثرة الاستعداد من العدة والزاد وكان ذلك الوقت وقت ادراك ثمار المدينة وطيب ظلالها وكان العدو كثيرا
فلذا استثقل الناس تلك الغزوة فعاتبهم بقوله ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة يعني ارضيتم بخفض العيش وزهرة الدنيا
ونعيمها من نعيم الاخرة فما متاع الحياة الدنيا في الاخرة الا قليل يعني ان لذات الدنيا ونعيمها فان زايل يبيد عن قليل
ونعيم الاخرة باق على الابد فلهذا السبب كان متاع الدنيا قليلا بالنسبة الى نعيم الاخرة وفي الاية دليل على وجوب الجهاد
في كل حال وفي كل وقت لان الله تعالى نص على ان تثاقلهم عن الجهاد امر منكر فلو لم يكن الجهاد واجبا لما عاتبهم على ذلك

التثاقل عن غزوة تبوك فهذا الوعيد المذكور في الاية وهو قوله **الا تنفروا** يعني فان لم تنفروا ايها المؤمنون الى من استنفركم
رسول الله صلى الله عليه وسلم **يعذبكم عذابا اليما** يعني في الاخرة لان العذاب الاليم لا يكون الا في الاخرة وقيل
المراد به احتباس المطر في الدنيا قال نجدة بن نفيع سالت ابن عباس عن هذه الاية قال استنفر رسول الله صلى
الله عليه وسلم حيا من احياء العرب فتثاقلوا فامسك الله عنهم المطر فكان ذلك عذابهم **ويستبدل قوما غيركم**
يعني خيرا منكم واطوع قال سعيد بن جبير هم ابناء فارس وقيل هم اهل اليمن وفيه تنبيه على ان الله عز وجل
قد تكفل بنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه فان سارعوا معه الى الخروج الى حيث استنفروا
حصلت النصرة بهم ووقع اجرهم على الله عز وجل وان تثاقلوا وتخلفوا عنه حصلت النصرة بغيرهم وحصلت
العتبى لهم ولئلا يتوهموا ان اعزاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته لا تحصل الا بهم وهو قوله تعالى
ولا تضروه شيئا قيل الضمير راجع الى الله تعالى يعني ولا تضروا الله شيئا لانه غني عن العالمين وانما تضرون
انفسكم بترككم الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير راجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعني ولا تضروا محمدا صلى الله عليه وسلم شيئا فان الله ناصره على اعدائه ولا يخذله **والله على كل شيء قدير**
يعني انه تعالى قادر على كل شيء فهو ينصر نبيه ويعز دينه قال الحسن وعكرمة هذه الاية منسوخة بقوله
وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال الجمهور هذه الاية محكمة لانها خطاب لقوم استنفرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا كما نقل عن ابن عباس وعلى هذا التقدير فلا نسخ قوله عز وجل **الا تنصروه فقد
نصره الله** يعني الا تنصروا محمدا صلى الله عليه وسلم ايها المؤمنون هذا خطاب لمن تثاقل عن الخروج معه
الى تبوك فاعلم الله عز وجل انه هو المتكفل بنصر رسوله واعزاز دينه واعلاء كلمته اعانوه او لم يعينوه وانه
نصره عند قلة الاولياء وكثرة الاعداء فكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد والعدد **اذ اخرجه الذين كفروا**
يعني انه تعالى نصره في الوقت الذي اخرجه كفار مكة من مكة حين مكروا به وارادوا قتله **ثاني اثنين**
يعني هو واحد اثنين وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الصديق **اذ هما في الغار** يعني اذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر في الغار والغار نقب عظيم يكون في الجبل وهذا الغار في جبل ثور وهو
قريب من مكة **اذ يقول لصاحبه لا تحزن** يعني يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر الصديق لا تحزن
وذلك ان ابا بكر خاف من الطلب ان يعلموا بمكانهم فجزع من ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن
ان الله معنا يعني بالنصر والمعونة قال الشعبي عاتب الله عز وجل اهل الارض جميعا في هذه الاية غير ابي بكر
وقال الحسن بن الفضل من قال ان ابا بكر لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لانكاره نص
القران وفي سائر الصحابة اذا انكر يكون مبتدعا ولا يكون كافرا عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لابي بكر انت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
ق عن ابي بكر الصديق قال نظرت الى اقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا فقلت يا رسول الله
لو ان احدهم نظر الى قدميه ابصرنا تحت قدميه فقال ما ظنك يا ابا بكر باثنين الله ثالثهما قال الشيخ
محيي الدين النووي ومعناه ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد وهو داخل في قوله تعالى ان
الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفيه بيان عظيم توكل النبي صلى الله عليه وسلم حتى في هذا
المقام وفيه فضيلة لابي بكر وهي من اجل مناقبه والفضيلة من اوجه منها اللفظ الدال على ان الله
ثالثهما ومنها بذله نفسه ومفارقته اهله وماله ورياسته في طاعة الله وطاعة رسوله صلى
الله عليه وسلم وملازمته النبي صلى الله عليه وسلم ومعاداة الناس فيه ومنها جعله نفسه وقاية عن

Copyright © King Saud University

ذلك روي عن عمر بن الخطاب انه ذكر عنده ابو بكر فقال وددت ان عملي كله مثل عمله يوما واحدا من ايامه
وليلة واحدة من لياليه اما ليلته فليلة سار مع النبي صلى الله عليه وسلم الى الغار فلما انتهى اليه قال والله
لا تدخله حتى ادخل قبلك فان كان فيه شيء اصابني دونك فدخله فكسحه ووجد في جانبه ثقبا فشق ازاره
وسد هابه وبقي منها ثقبان فالقمهما رجليه ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ووضع راسه في حجره ونام فلدغ ابو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك مخافة ان
ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ما لك يا ابا بكر قال لدغت فداك ابي وامي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ثم
ثم انتقض عليه وكان سبب موته واما يومه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب
وقالوا لا نؤدي الزكاة فقال لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه فقلت يا خليفة رسول الله تالف الناس
وارفق بهم فقال لي اجبار في الجاهلية وخوار في الاسلام انه قد انقطع الوحي وتم الدين اينقص وانا حي
اخرجه في جامع الاصول ولم يرقم عليه علامة لاحد قال البغوي وروي انه حين انطلق مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الغار جعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما لك يا ابا بكر فقال اذكر الطلب فامشي خلفك ثم اذكر الرصد فامشي بين يديك فلما انتهينا الى
الغار قال مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الغار فدخل فاستبراه ثم قال انزل يا رسول الله فنزل وقال
له ان اقتل فانا رجل واحد من المسلمين وان قتلت هلكت الامة **ذكر** سياق الهجرة وهو من
افراد البخاري عن عائشة قالت لم اعقل ابوي الا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم الا ياتينا فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية فلما ابتلي المسلمون خرج ابو بكر مهاجرا نحو ارض الحبشة حتى
اذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال اين تريد يا ابا بكر فقال ابو بكر اخرجني قومي
فانا اريد ان اسيح في الارض فاعبد ربي فقال ابن الدغنة فان مثلك لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم
وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانا لك جار فارجع واعبد ربك ببلدك فرجع
وارتحل معه ابن الدغنة في اشراف قريش كفار فقال لهم ان ابا بكر لا يخرج مثله اتخرجون رجلا يكسب المعدوم
ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وامنوا ابا
بكر وقالوا لابن الدغنة مر ابا بكر فليعبد ربه في داره وليصل فيها وليقرا ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا
يستعلن فانا نخشى ان يفتن نساءنا وابناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث ابو بكر بذلك يعبد ربه
ولا يستعلن بصلاته ولا يقرا في غير داره ثم بدا لابي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه فيتقصف
عليه نساء المشركين وابناؤهم يعجبون منه وينظرون اليه وكان ابو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرا القران
فافزع ذلك اشراف قريش من المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا اجرنا ابا بكر بجوارك
على ان يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فاعلن بالصلاة والقراءة وانا قد خشينا
ان يفتن نساءنا وابناءنا فانهه فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه في داره فليفعل وان ابى الا ان يعلن
بذلك فسله ان يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا ان نخفرك ولسنا مقرين لابي بكر الاستعلان قالت عائشة
فاتى ابن الدغنة الى ابي بكر فقال قد علمت الذي عاهدت لك عليه فاما ان تقتصر على ذلك واما ان ترجع
الي ذمتي فاني لا احب ان تسمع العرب اني اخفرت في رجل عقدت له فقال ابو بكر فاني ارد اليك جوارك
وارضى بجوار الله والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني رايت دار

هجرتكم

هجرتكم سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان بارض الحبشة
الى المدينة وتجهز ابو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني ارجو ان يؤذن لي فقال
ابو بكر وهل ترجو ذلك بابي انت وامي قال نعم فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلف
راحلتين كانتا عنده من ورق السمر وهو الخبط اربعة اشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينا
نحن يوما جلوس في بيت ابي بكر في نحر الظهيرة قال قائل هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة
لم يكن ياتينا فيها فقال ابو بكر فدى له ابي وامي ما جاء به في هذه الساعة الا امر قالت فجاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاستاذن فاذن له فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر اخرج من عندك فقال ابو بكر
انما هم اهلك بابي انت وامي يا رسول الله قال فاني قد اذن لي في الخروج قال ابو بكر الصحبة بابي انت وامي يا رسول
الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال ابو بكر فخذ بابي انت وامي يا رسول الله احدى راحلتي
هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن قالت فجهزناهما احث الجهاز ووضعنا لهما سفرة
في جراب فقطعت اسماء بنت ابي بكر قطعة من نطاقها فربطت به فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين
قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر بغار في جبل ثور فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما
عبد الرحمن بن ابي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت
فلا يسمع امرا يكادان به الا وعاه حتى ياتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن
فهيرة مولى ابي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل حتى ينعق
بهما عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستاجر رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجلا من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي هاديا خريتا والخريت الماهر بالهداية
قد غمس حلفا في ال العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فامناه فدفعا اليه راحلتيهما
وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما صبح ثلاث فارتحلا فانطلق معهما عامر بن فهيرة
والدليل الديلي فاخذ بهم طريق السواحل وفي رواية الساحل قال ابن شهاب فاخبرني عبد الرحمن
ابن مالك المدلجي وهو ابن اخي سراقة بن مالك بن جعشم ان اباه اخبره انه سمع سراقة بن مالك بن جعشم يقول
جاءنا رسل الله صلى الله عليه وسلم وكفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر دية
كل واحد منهما لمن قتله او اسره فبينما انا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج اقبل رجل منهم حتى قام
علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة اني رايت انفا اسودة بالساحل اراها محمدا واصحابه قال سراقة فعرفت انهم
هم فقلت له انهم ليسوا بهم ولكنك رايت فلانا وفلانا انطلقوا باعيننا ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت
فدخلت فامرت جاريتي ان تخرج بفرسي وهي من وراء اكمة فتحبسها علي واخذت رمحي فخرجت به من ظهر
البيت فخططت بزجه الارض وخفضت عاليه حتى اتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم
فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فاهويت الى كنانتي فاخرجت منها الازلام فاستقسمت بها اضرهم
ام لا فخرج الذي اكره فركبت فرسي وعصيت الازلام تقرب بي حتى سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو لا يلتفت وابو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الارض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم
زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان
فاستقسمت بالازلام فخرج الذي اكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين
لقيت ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدية

Copyright © King Saud University

واخبرتهم بما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزاني ولم يسالاني الا ان قالا اخف عنا ما
استطعت فسالته ان يكتب لي كتاب امن فامر عامر بن فهيرة فكتب لي رقعة من ادم ومضى رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ابن شهاب عن عروة بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من
المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسى الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر ثياب بياض
وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة فينتظرونه
حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما اطالوا انتظارهم فلما اووا الى بيوتهم اوفى رجل من اليهود على اطم
من اطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم
يملك اليهودي ان قال باعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرونه قال فثار المسلمون الى السلاح
فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك
يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام ابو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق
من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي ابا بكر حتى اصابت الشمس رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاقبل ابو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك
فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة واسس المسجد الذي اسس على
التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند
مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربدا للتمر لسهل
وسهيل غلامين يتيمين في حجر اسعد بن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت راحلته
هذا ان شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا
فقالا بل نهبه لك يا رسول الله ثم بناه مسجدا فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن ويقول
وهو ينقل اللبن • هذا الحمال لا حمال خيبر هذا ابر ربنا واطهر • ويقول • اللهم ان الاجر اجر الاخرة •
فارحم الانصار والمهاجرة • فتمثل بشعر رجل من المهاجرين لم يسم لي قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الاحاديث
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذه الابيات اخرجه البخاري بطوله

شرح غريب الفاظ الحديث قولها لم اعقل ابوي الا وهما يدينان الدين يعني انهما كانا ينقادان
الى الطاعة وبرك الغماد بفتح الباء من برك وكسر الغين المعجمة اسم موضع بينه وبين مكة خمس ليال مما يلي
ساحل البحر الى المدينة من بلاد غفار وقيل هو قليب ما لبني ثعلبة قوله تكسب المعدوم فيه قولان احدهما
انه لقوة شعره وحظه من الدنيا لا يتعذر عليه كسب كل شيء المعدوم والمتعذر لمن لا يتيسر عليه فنبه
وصف بالاحسان والكرم والكل ما يثقل حمله من حقوق الناس وصلة الارحام والقيام بامر العيال
واقرا الضيف ونوائب الحق ما ينوب الانسان من المغارم وقضا الحقوق لمن يتبعه انا لك جار اي حام
وناصر ومدافع عنك والاستعلان الاعلان اظهار المخفي وقوله تتقصفه الناس عليه يعني يزدحمون عليه
والفسقة الفهم والامان واحتار معما تعقهما واللابة الجبل والحرة الارض التي تعلوها حجارة سود يقال
افعل الشيء على رسلك بكسر الراء على هيئتك والراحلة البعير القوي على الحمل والسير والظهيرة وقت شدة
الحر والنطاق حبل او نحوه تشده المراة وسطها وترفع ثوبها من تحته فتعطف طرفا من اعلاه الى اسفله
ليلا يصل الى الارض وقوله ثقف لقن يقال ثقفت الرجل ثقافة اذا صار حاذقا فطنا واللقن السريع
الفهم والادلاج بالتخفيف السير اول الليل وبالتشديد ما سير اخره والمنحة الشاة ذات اللبن والرسل

بكسر

بكسر الراء وسكون السين وهو اللبن ينعق الراعي بالغنم اذا دعاها لتجتمع اليه والغلس ظلام اخر الليل
والخريت تقدم شرحه في الحديث وهو الماهر والادلة به هدايا الطريق وهو الدليل وغمس فلان حلفا
في آل فلان اذا اخذ بنصيب من عهدهم وحلفهم والاسودة الاشخاص والاكمة التل المرتفع من الارض
يقال فرس يقرب تقريبا اذا عدا عدوا دون الاسراع والكنانة هي الجعبة التي تجعل فيها السهام
والازلام القداح التي كانوا يستقسمون بها عند طلب الحوائج كالفال والعثان الغبار يقال ما رزاني
فلان شيئا اي ما رضيت به شيئا والمراد انهم ما اخذ واحد منه شيئا وقوله اوفى اي اشرف واطلع والاطم البناء المرتفع
كالحصن وقوله مبيضين هو بكسر الياء هو ذو ثياب بيض والمربد الذي فيه موضع التمر كالبيدر وقوله
هذا الحمال هو بالحاء المهملة يعني هذا الحمل والمحمول من اللبن ابر عند الله واطهر وابقى ذخرا وادوم منفعة
في الاخرة لا حمال خيبر يعني ما يحمل من خيبر من التمر والزبيب والطعام المحمول عنها والمعنى ان ذلك الحمل
الذي يحمله من اللبن لاجل عمارة المسجد افضل عنده مما يحمل من خيبر وقد روي هذا الجمال بالجيم من الجمل والرواية
الاولى اشهر واكثر والله اعلم قال الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الغار ارسل الله تعالى
زوجا من حمام حتى باضتا في اسفل النقب ونسجت العنكبوت بيتا وقيل انبت ثمامة على فم الغار وقال النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعل الطلب يضربون يمينا وشمالا حول الغار يقولون لو دخلا هذا الغار
لتكسر بيض الحمام ولتفسخ بيت العنكبوت ووجدت في بعض التفاسير شعرا وقد نسبه الى ابي بكر الصديق
وهو قوله • قال النبي ولم يجزع يوقرني • ونحن في سدف في ظلمة الغار • لا تخش شيئا فان الله ثالثنا •
وقد تكفل لي منه باظهار • وانما كيد من تخشى بوادره • كيد الشياطين قد كادت لكفار • والله مهلكهم طرا بما صنعوا
وجاعل المنتهى منهم الى النار • وقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه يعني فانزل الله الطمانينة والسكون
على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس على ابي بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليه
السكينة من قبل ذلك **فصل** في الوجوه المستنبطة من هذه الاية الدالة على فضل ابي
بكر الصديق رضي الله تعالى عنه منها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اختفى في الغار من الكفار كان مطلعا
على باطن ابي بكر الصديق في سره واعلانه وانه من المؤمنين الصادقين المصدقين المخلصين فلهذا صحبته
في ذلك المكان المخوف فلعله بحاله ومنها ان هذه الهجرة كانت باذن الله تعالى فخص الله بصحبته نبيه صلى
الله عليه وسلم ابا بكر دون غيره من اهله وعشيرته وهذا التخصيص يدل على شرف ابي بكر وفضله على غيره
ومنها ان الله عاتب اهل الارض بقوله الا تنصروه فقد نصره الله سوى ابي بكر الصديق وهذا دليل على
فضله ومنها ان ابا بكر لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر بل كان ملازما له
وهذا دليل على صدق محبته وصحة صحبته له ومنها مؤانسته للنبي صلى الله عليه وسلم في الغار وبذل
نفسه له وفي هذا دليل على فضله ومنها ان الله تعالى جعله ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله
ثاني اثنين اذ هما في الغار وفي هذا نهاية الفضيلة لابي بكر وقد ذكر بعض العلماء ان ابا بكر كان ثاني رسول
الله صلى الله عليه وسلم في اكثر الاحوال فمنها ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا الخلق الى الايمان بالله فكان ابو
بكر اول من امن ثم دعا ابو بكر الى الايمان بالله ورسوله فاستجاب له عثمان وطلحة والزبير فامنوا على يدي ابي
بكر ثم جاء بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقف في موقف من غزواته
الا وابو بكر معه في ذلك الموقف ومنها انه لما مرض صلى الله عليه وسلم قام مقامه في الامامة فكان
ثانيه ومنها انه ثانيه في تربته وفي هذا دليل على فضل ابي بكر رضي الله تعالى عنه ومنها ان الله تعالى نص

Copyright @ King Saud University

على صحبة ابي بكر دون غيره بقوله اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ومنها انزال السكينة على ابي بكر واختصاصه
بها دليل على فضله والله اعلم وقوله تعالى وايده بجنود لم تروها يعني وايد النبي صلى الله عليه وسلم بانزال
الملائكة ليصرفوا وجوه الكفار وابصارهم عن رؤيته وقيل القوا الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا وقال
مجاهد والكلبي اعانه بالملائكة يوم بدر فاخبر الله تعالى انه نصره وصرف عنه كيد الاعداء وهو في الغار في حال
القلة والخوف ثم نصره بالملائكة يوم بدر وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني كلمة الشرك فهي سفلى الى يوم القيامة
وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم قال ابن عباس هي قوله لا اله الا الله فهي باقية الى يوم القيامة عالية وقيل
ان كلمة الذين كفروا هي ما كانوا قدروا فيما بينهم من الكيد بالنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه وكلمة الله ما وعده
بالنصر والظفر بهم فكان ما وعده الله حقا وصدقا وقوله تعالى انفروا خفافا وثقالا يعني انفروا على الصفة
التي يخف عليكم الجهاد وعلى الصفة التي يثقل عليكم وهذان الوصفان يدخل تحتهما اقسام كثيرة فلهذا اختلفت
عبارات المفسرين فيها فقال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة يعني شبانا وشيوخا قال ابن عباس نشاطا
وغير نشاط وقال عطية العوفي ركبانا ومشاة وقال ابو صالح خفافا من المال يعني فقراء وثقالا يعني اغنياء وقال
ابن زيد الخفيف الذي لا ضيعة له والثقيل الذي له الضيعة يكره ان يدع ضيعته ويروى عن ابن عباس قال
خفافا اهل الميسرة من المال وثقالا يعني مستكثرين منه وقيل مشاغيل وغير مشاغيل وقيل اصحاء ومرضى وقيل
عزابا ومتاهلين وقيل خفافا من الحاشية والاتباع وثقالا مستكثرين منهم وقيل خفافا يعني مسرعين في
الخروج الى الغزو ساعة سماع النفير وثقالا يعني بعد التروي فيه والاستعداد له والصحيح ان هذا
عام لان هذه الاحوال كلها داخلة تحت قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا يعني على اي حال كنتم فيها فان
قلت فعلى هذا يلزم الجهاد لكل احد حتى المريض والزمن والفقير وليس الامر كذلك فما معنى هذا الامر
قلت من العلماء من حمله على الوجوب ثم انه نسخ قال ابن عباس نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا
على المرضى الاية ومنهم من حمل هذا الامر على الندب قال مجاهد ان ابا ايوب الانصاري شهد بدرا والمشاهد
كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عن غزوة غزاها المسلمون بعده فقيل له في ذلك فقال
سمعت الله عز وجل يقول انفروا خفافا وثقالا ولا اجدني الا خفيفا او ثقيلا وقال الزهري خرج
سعيد بن المسيب وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف
والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وقال صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت
شيخا قد سقط حاجباه على عينيه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم انك معذور عند الله
فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه يبتليه والصحيح هو القول الاول
وانها منسوخة ولان الجهاد من فروض الكفايات ويدل عليه ان هذه الايات نزلت في غزوة تبوك وان
النبي صلى الله عليه وسلم خلف في المدينة في تلك الغزوة النساء وبعض الرجال فدل ذلك على ان الجهاد من فروض
الكفايات ليس على الاعيان والله اعلم وقوله تعالى وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله فيه قولان الاول
ان الجهاد انما يجب على من له مال يتقوى به على تحصيل الات الجهاد ونفس سليمة قوية صالحة للجهاد فيجب
عليه فرض الجهاد القول الثاني ان من كان له مال وهو مريض او مقعد او ضعيف لا يصلح للحرب فعليه الجهاد
بماله بان يعطيه غيره ممن يصلح للجهاد فيغزو بماله فيكون مجاهدا بماله دون نفسه ذلكم خير لكم يعني
ذلكم الجهاد خير لكم من القعود والتثاقل عنه وقيل معناه ان الجهاد خير حاصل لكم ثوابه ان كنتم تعلمون يعني
ان ثواب الجهاد خير لكم من القعود عنه ثم نزل في المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

في غزوة تبوك قوله عز وجل لو كان عرضا قريبا فيه اضمار تقديره لو كان ما تدعوهم اليه عرضا يعني غنيمة
سهلة قريبة التناول والعرض ما عرض لك من منافع الدنيا ومتاعها يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منه
البر والفاجر وسفرا قاصدا يعني سهلا قريبا لاتبعوك يعني لخرجوا معك ولكن بعدت عليهم الشقة اي
المسافة والشقة السفر البعيد لانه يشق على الانسان سلوكه والمعنى لو كان الامر قريبا والغنيمة
سهلة والسفر قاصدا لاتبعوك طمعا في تلك المنافع التي تحصل لهم ولكن لما كان السفر بعيدا وكانوا يستعظمون
غزو الروم لاجرم انهم تخلفوا لهذا السبب ثم اخبر الله تعالى عنهم انه اذا رجع من هذا الجهاد انهم يحلفون
بالله وهو قوله تعالى وسيحلفون بالله يعني المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في هذه الغزوة لو استطعنا لخرجنا معكم يعني الى هذه الغزوة يهلكون انفسهم يعني بسبب هذه
الايمان الكاذبة تهلك صاحبها والله يعلم انهم لكاذبون في ايمانهم وهو قولهم لو استطعنا لخرجنا معكم
لانهم كانوا مستطيعين الخروج قوله عز وجل عفا الله عنك لم اذنت لهم قال الطبري هذا عتاب من الله
عز وجل عاتب به نبيه صلى الله عليه وسلم اي في اذنه لمن اذن له في التخلف عنه من المنافقين حين شخص
الى تبوك لغزو الروم والمعنى عفا الله عنك يا محمد ما كان منك في اذنك لهؤلاء المنافقين الذين استاذنوك
في ترك الخروج معك الى تبوك قال عمرو بن ميمون اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر
فيهما بشيء اذنه للمنافقين واخذه الفداء من اسارى بدر فعاتبه الله كما تسمعون وقال سفيان بن عيينة
انظر هذا اللطف بداه بالعفو قبل ان يعيره بالذنب فصل استدل بهذه الاية من يرى جواز صدور
الذنب من الانبياء وبيانه من وجهين احدهما انه تعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعي سابقة الذنب
الوجه الثاني انه قال تعالى لم اذنت لهم وهذا استفهام معناه الانكار والجواب عن الاول انا لا نسلم
ان قوله تعالى عفا الله عنك يوجب صدور الذنب بل نقول ان ذلك يدل على المبالغة في التعظيم
والتوقير فهو كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظما له عفا الله عنك ما صنعت في امري رضي الله عنك
ما جوابك عن كلامي وعافاك الله وغفر لك فعلى هذه الالفاظ في ابتداء الكلام وافتتاحه تدل على تعظيم
المخاطب به قال علي بن الجهم يخاطب المتوكل * عفا الله عنك الا * تجود بفضلك يا ابن العلا *
الم تر عبدا عدا طوره * ومولى عفا ورشيدا هدى * اقلني اقالك من لم يزل * يقيك ويصرف عنك الردى
والجواب عن الثاني انه لا يجوز ان يكون المراد بقوله لم اذنت لهم الانكار عليه وبيانه اما ان يكون قد
صدر منه ذنب في هذه الواقعة او لا فان كان قد صدر عنه ذنب فذكر الذنب بعد العفو لا يليق فقوله
عفا الله عنك دليل على امتناع الانكار فثبت بهذا ان هذا الانكار ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم وقال
القاضي عياض في كتابه الشفا في الجواب عن قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فانه امر لم يتقدم فيه من الله
تعالى نهي فيعد معصية بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا على من ذهب الى ذلك قال وقد حاشا
الله من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما يشاء فيما لم ينزل عليه وحي فكيف وقد قال الله
له فاذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم ياذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه
فيما فعل وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق
ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه قال القشيري وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم
يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنب قال الداودي انها تكرمة وقال مكي هو
افتتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك ورحمك وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله وقيل معناه ادام الله لك العفو

Copyright King Saud University

لم اذنت لهم يعني في التخلف عنك وهذا يحمل على ترك الاولى والاكمل لاسيما وهذه كانت من جنس ما يتعلق
بالحروب ومصالح الدنيا حتى يتبين لك الذين صدقوا يعني في اعتذارهم وتعلم الكاذبين يعني فيما يعتذرون وروايه
قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت براءة وقوله تعالى لا يستاذنك
الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي في ان يجاهدوا وانما حسن هذا الحذف
لظهوره والله عليم بالمتقين يعني الذين يتقون مخالفته ويسارعون الى طاعته انما يستاذنك يعني في التخلف
عن الجهاد معك يا محمد من غير عذر الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر وهم المنافقون لقوله وارتابت قلوبهم يعني
شكت قلوبهم في الايمان وانما اضاف الشك والارتياب الى القلب لانه محل المعرفة والايمان ايضا فاذا دخله
الشك كان ذلك نفاقا فهم في ريبهم يترددون يعني ان المنافقين متحيرين لا مع الكفار ولا مع المومنين وقد اختلف
علما الناسخ والمنسوخ في هذه الايات فقيل انها منسوخة بالاية التي في سورة النور وهو قوله تعالى انما
يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شيت منهم وقيل انها
محكمات كلها ووجه الجمع بين هذه الاية ان المومنين كانوا يسارعون الى طاعة الله وجهاد عدوهم من غير
استيذان فاذا عرض لاحدهم عذر استاذن في التخلف فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا في الاذن
لهم بقوله تعالى فاذن لمن شيت منهم واما المنافقون فكانوا يستاذنونك في التخلف من غير عذر فعيرهم الله
تعالى بهذا الاستيذان لكونه بغير عذر ولو ارادوا الخروج يعني الى الغزو معكم لاعدوا له عدة لتهيوا له
باعداد الات السفر والات القتال من الكراع والسلاح ولكن كره الله انبعاثهم يعني خروجهم الى الغزو معكم
فثبطهم يعني منعهم وحبسهم عن الخروج معكم والمعنى ان الله تعالى كره خروج المنافقين مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فصرفهم عنه وههنا يتوجه سوال وهو ان خروج المنافقين مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم اما ان يكون فيه مصلحة او مفسدة فان كان فيه مصلحة فلم قال ولكن كره الله انبعاثهم
فثبطهم وان كان فيه مفسدة فلم عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم في اذنه لهم بالعفو والجواب عن هذا السوال
ان خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه مفسدة عظيمة بدليل انه تعالى اخبر عن تلك المفسدة
بقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا بقي فلم عاتب الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم فنقول
انه صلى الله عليه وسلم اذن لهم قبل تمام الفحص واكمال التامل والتدبر في حالهم فلهذا السبب قال تعالى لم
اذنت لهم وقيل انما عاتبه لاجل انه اذن لهم قبل ان يوحى اليه في القعود امرهم بالقعود وقيل اقعدوا مع
القاعدين معناه انهم لما استاذنوا في القعود قيل لهم اقعدوا مع القاعدين وهم النسا والصبيان
والمرضى واهل الاعذار ثم اختلفوا في القايل من هو فقيل قال بعضهم لبعض اقعدوا مع القاعدين وقيل
القايل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك لهم على سبيل الغضب لما استاذنوه في القعود
فقال لهم اقعدوا مع القاعدين فاغتنموا ذلك وقعدوا وقيل ان القايل ذلك هو الله تعالى بان القى في قلوبهم
القعود لما كره انبعاثهم مع المسلمين الى الجهاد ثم بين الله تعالى ما في خروجهم من المفاسد فقال تعالى لو خرجوا
فيكم ما زادوكم الا خبالا يعني لو خرج هولا المنافقون معكم الى الغزو ما زادوكم الا فسادا وشرا واصل
الخبال الاضطراب ومرض يوثر في العقل كالجنون قال بعض النحاة هذا من الاستثنا المنقطع والمعنى لو
خرجوا فيكم ما زادوكم قوة لكن خبالا والمراد به هنا الافساد بايقاع الجبن والفشل بين المومنين بتهويل الامر
وشدة السفر وكثرة العدو وقوتهم ولاوضعوا خلالكم يعني ولاسرعوا فيكم وساروا بينكم بالنميمة والاحاديث
الكاذبة يبغونكم الفتنة يعني يطلبون لكم ما تفتتنون به وذلك انهم يقولون للمومنين لقد جمع لكم كذا وكذا

ولا

ولا طاقة لكم بهم وانكم مستهزمون منهم وسيظهرون عليكم ونحو ذلك من الاحاديث الكاذبة التي تجبن وقيل
معناه يطلبون العيب والشر وفيكم سماعون لهم قال مجاهد يعني وفيكم عيون يودون اليهم اخبارهم وما
يسمعون منكم وهم الجواسيس قال قتادة وفيكم مطيعون لهم يسمعون كلام المنافقين ويطيعونهم
وذلك بانهم يلقوا اليهم انواعا من الشبهات الموجبة لضعف القلب فيقبلونها منهم فان قلت
كيف يجوز ان يكون في المومنين المخلصين من يسمع ويطيع للمنافقين قلت يحتمل ان يكون بعض
المومنين لهم اقارب من كبار المنافقين وروسايهم فاذا قالوا قولا ربما اثر ذلك القول في قلوب ضعفة
المومنين في بعض الاحوال والله عليم بالظالمين وهذا وعيد وتهديد للمنافقين الذين يلقون الفتن والشبهات
بين المومنين وقوله تعالى لقد ابتغوا الفتنة من قبل يعني لقد طلبوا صد اصحابك يا محمد عن الدين وردهم
الى الكفر وتخذيل الناس عنكم قبل هذا اليوم كما فعل عبد الله بن ابي بن سلول يوم احد يعني انصرف باصحابه عنكم
وقلبوا لك الامور يعني واجالوا فيك امر كيدهم في ابطال دينك الراي وبالغوا في تخذيل الناس عنك وقصدهم تشتيت
امرك حتى جا الحق يعني النصر والظفر وظهر امر الله وهم كارهون يعني ذلك قوله عز وجل ومنهم من يقول ايذن لي
ولا تفتني نزلت في الجد بن قيس وكان من المنافقين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تجهز الى غزوة
تبوك قال للجد بن قيس يا ابا وهب هل لك في جلاد بني الاصفر يعني الروم تتخذ منهم سراري ووصفا فقال
الجد يا رسول الله لقد عرف قومي اني رجل مغرم بالنسا واني اخشى ان رايت بنات بني الاصفر ان لا اصبر عنهن
ايذن لي في القعود ولا تفتني بهن واعينك بمال قال ابن عباس اعتل الجد بن قيس ولم تكن له علة الا النفاق
فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد اذنت لك فانزل الله عز وجل فيه ومنهم من يقول
ايذن لي ولا تفتني يعني في التخلف والقعود في المدينة ولا تفتني يعني ببنات بني الاصفر وهم الروم الا في
الفتنة سقطوا يعني انهم وقعوا في الفتنة العظيمة وهي النفاق ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
والقعود عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين يعني يوم القيامة تحيط بهم وتجمعهم فيها قوله تعالى ان تصبك
حسنة تسوهم يعني ان تصبك يا محمد حسنة من نصر وغنيمة تحزن المنافقين وان تصبك مصيبة يعني
من هزيمة وشدة يقولوا يعني المنافقين قد اخذنا امرنا من قبل يعني قد اخذنا بالجد والحزم في القعود عن
الغزو من قبل يعني من قبل هذه المصيبة ويتولوا وهم فرحون يعني مسرورون بما نالك من المصيبة وسلامتهم
منها قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا يعني قل يا محمد لهولا الذين يفرحون بما يصيبك من المصايب والمكروه لن يصيبنا
الا ما قدره الله لنا وعلينا وكتبه في اللوح لان القلم جف بما هو كاين الى يوم القيامة من خير وشر فلا
يقدر احد ان يدفع عن نفسه مكروها نزل به او يجلب لنفسه نفعا ان اراده ما لم يقدر له هو مولانا يعني
ان الله هو ناصرنا وحافظنا وهو اولى بنا من انفسنا في الموت والحياة وعلى الله فليتوكل المومنون يعني في جميع
امورهم قل هل تربصون بنا يعني قل يا محمد لهولا المنافقين هل تنتظرون بنا ايها المنافقون الا احدى
الحسنيين يعني اما النصر والغنيمة واما الشهادة والمغفرة وذلك ان المسلم اذا ذهب الى الغزو وقاتل وجاهد في سبيل
الله اما ان يغلب عدوه فيفوز بالنصر والغنيمة والاجر العظيم في الاخرة واما ان يقتل في سبيل الله فتحصل له
الشهادة وهي الغاية القصوى ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله
وفي رواية تضمن الله لمن خرج في سبيل الله لا يخرجه الا جهادا في سبيلي وايمانا بي وتصديقا برسلي فهو علي ضامن
ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نايلا ما نال من اجر او غنيمة اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى
ونحن نتربص بكم يعني ونحن ننتظر بكم احدى السوئيين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده يعني فيهلككم كما اهلك من كان

Copyright © King Saud University

قبلكم من الامم الخالية او بايدينا يعني او يصيبكم بايدي المومنين بان نظفر بكم ونظهرنا عليكم فتربصوا انا
معكم متربصون قال الحسن فتربصوا مواعيد الشيطان انا متربصون مواعيد الله واستيصالكم من خالقه
قل انفقوا طوعا او كرها نزلت في الجد بن قيس المنافق وذلك انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في القعود عنه وقال انا اعطيكم مالي فانزل الله تعالى ردا عليه قل اي قل يا محمد لهولا المنافق وامثاله
في النفاق انفقوا طوعا او كرها يعني انفقوا طايعين من قبل انفسكم ومكرهين بالانفاق بالزام الله
ورسوله اياكم بالانفاق لن يتقبل منكم لان هذا الانفاق انما وقع لغير الله وهذه الاية وان كانت خاصة
في انفاق المنافقين فهي عامة في حق كل من انفق ماله لغير وجه الله بل انفقه رياء وسمعة فانه لا يتقبل منه ثم علل
بسبب المنع من القبول بقوله انكم اي لانكم كنتم قوما فاسقين والمراد بالفسق هنا الكفر ويدل عليه قوله تعالى وما
منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله ورسوله اذا المانع من قبول نفقاتهم هو كفرهم بالله ورسوله
ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى جمع كسلان يعني متثاقلين في الاتيان الى الصلاة وذلك لانهم لا يرجون على
فعلها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا ولذلك هم مع فعلها ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم كانوا يعتقدون
الانفاق في سبيل الله مغرما ومنع ذلك الانفاق مغنما فلا تعجبك يا محمد اموالهم ولا اولادهم وهذا الخطاب وان
كان مختصا بالنبي صلى الله عليه وسلم الا ان المراد به جميع المومنين والمعنى فلا تعجبوا باموال المنافقين واولادهم
والاعجاب السرور بالشي مع نوع من الافتخار به مع الاعتقاد انه ليس لغيره مثله وهذا يدل على استغراق النفس
بذلك الشي ويكون سببا لانقطاعه عن الله عز وجل فينبغي للانسان ان لا يتعجب بشي من امور الدنيا ولذاتها
فان العبد اذا كان في نعمة الله في استدراج كثر ماله وولده فكثر اعجابه بماله وولده فبطر ويكفر نعمة الله عليه
ولهذا قال تعالى انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا **فان قلت** كيف يكون المال والولد عذابا في الدنيا
وفيهما اللذة والسرور في الدنيا **قلت** قال مجاهد وقتادة في الاية تقديم وتاخير تقديرها فلا
تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة وقيل ان سبب كون المال والولد
عذابا في الدنيا هو ما يحصل من المتاعب والمشاق في تحصيلهما فاذا حصلا ازداد التعب وتحمل المشاق في
حفظهما ويزداد الحزن والغم بسبب المصايب الواقعة فيهما فعلى هذا القول لا حاجة الى التقديم والتاخير
في نظم الاية واورد على هذا القول بان هذا التعذيب حاصل لكل من بني ادم مومنهم وكافرهم فما فايدة تخصيص
المنافقين بهذا التعذيب في الدنيا واجيب عن هذا الايراد بان المنافقين مخصوصون بزيادة من هذا
العذاب وهو ان المومن قد علم انه مخلوق للاخرة وانه يثاب بالمصايب الحاصلة له في الدنيا فلم يكن المال والولد
في حقه عذابا في الدنيا واما المنافق فانه لا يعتقد كون الاخرة وانه ليس له فيها ثواب فيبقى ما يحصل له في الدنيا
من التعب والشدة والغم والحزن على المال والولد عذابا عليه في الدنيا فثبت بهذا الاعتبار ان المال والولد
عذابا على المنافق في الدنيا دون المومن وقيل ان تعذيبهم في الدنيا اخذ الزكاة منهم والنفقة في سبيل الله غير
مثابين على ذلك وربما قتل الولد في الغزو فلا يثاب الوالد المنافق على قتل ولده وذهاب ماله وقيل يعذبهم
بالتعب في جمعه وحفظه والكره في انفاقه والحسرة على تخليفه عند من لا يحمده ثم يقدم في الاخرة على ملك لا يعذره
وتزهق انفسهم اي تخرج انفسهم وهم كافرون والمعنى انهم يموتون على الكفر فتكون عاقبتهم بعذاب الاخرة
قوله عز وجل ويحلفون بالله يعني المنافقين انهم لمنكم يعني على دينكم وملتكم وما هم منكم يعني انهم كاذبين في ايمانهم
ولكنهم قوم يفرقون يعني انهم يخافون ان يظهروا على ما هم عليه من النفاق لو يجدون ملجا يعني حرزا او حصنا
ومعقلا يلجون اليه وقيل لو وجدوا مهربا لهربوا اليه وقيل لو يجدون قوما يامنون عندهم على انفسهم منكم

لصاروا

لصاروا اليهم ولفارقوكم او مغارات يعني غيرانا في الجبال جمع مغارة وهي الموضع الذي يغور فيه الانسان اي يستتر
او مدخلا يعني موضع دخول يدخلون فيه وهو السرب في الارض كنفق اليربوع وقال الحسن وجها يدخلونه على
خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لولوا اليه والمعنى انهم لو وجدوا مكانا بهذه الصفة وعلى احد هذه
الوجوه الثلاثة وهي شر الامكنة واضيقها لولوا اليه اي لرجعوا اليه وتحرزوا فيه وهم يجمحون يعني وهم يسرعون
الى ذلك المكان والمعنى ان المنافقين لشدة بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين لو قدروا ان
يهربوا منكم الى احد هذه الامكنة لصاروا اليه لشدة بغضهم اياكم قوله عز وجل ومنهم من يلمزك في الصدقات نزلت في ذي
الخويصرة التميمي واسمه حرقوص بن زهير وهو اصل الخوارج ق عن ابي سعيد الخدري قال بينا نحن عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما اتاه ذو الخويصرة رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل وفي رواية خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب
ايذن لي فيه فاضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع
صلاتهم وصيامه مع صيامهم زاد في رواية يقرؤون القران لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام وفي رواية من
الدين كما يمرق السهم من الرمية وقال الكلبي قال رجل من المنافقين يقال له ابو الجواظ لم يقسم بالسوية فنزلت هذه
الاية وقال قتادة ذكر لنا ان رجلا من اهل البادية حديث عهد باعرابية اتى نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو
يقسم ذهبا وفضة فقال يا محمد والله لئن كان الله امرك ان تعدل ما عدلت فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم
ويلك فمن ذا يعدل عليك بعدي وقال ابن زيد قال المنافقون والله ما يعطيها محمد الا من احب ولا يوثر بها الا
هواه فانزل الله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات يعني من المنافقين من يعيبك في قسم الصدقات وفي
تفريقها ويطعن عليك في امرها يقال همزه ولمزه واحد اي عابه فان اعطوا منها يعني من الصدقات رضوا يعني
رضوا عنك وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون يعني وان لم تعطهم منها عابوا عليك وسخطوا ولو انهم رضوا ما
اتاهم الله ورسوله يعني ولو ان المنافقين الذين عابوا عليك رضوا بما قسم الله لهم وقنعوا بما اتاهم الله ورسوله
وقالوا حسبنا الله اي كافينا الله سيوتينا الله من فضله ورسوله يعني ما نحتاج اليه انا الى الله راغبون يعني في ان
يوسع علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة وعن غيرها من اموال الناس وجواب لو محذوف تقديره لكان خيرا
لهم واعود عليهم قوله عز وجل انما الصدقات للفقراء والمساكين الاية اعلم ان المنافقين لما لمزوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعابوه في قسم الصدقات بين الله عز وجل في هذه الاية ان المستحقين للصدقات
هذه الاصناف الثمانية وحصرها فيهم ولا تعلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها بشي ولم ياخذ لنفسه
منها شيا فلم يلمزونه ويعيبوا عليه فلا مطعن لهم فيه بسبب قسم الصدقات عن زياد بن الحرث الصدائي
قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فاتاه رجل فقال اعطني من الصدقة فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها فجزاها ثمانية اجزاء فان
كنت من تلك الاجزاء اعطيتك حقك اخرجه ابو داود **فصل** في بيان حكم هذه الاية وفيه مسائل
المسئلة الاولى في بيان وجه الحكمة في ايجاب الزكوة على الاغنيا وصرفها على المحتاجين من الناس وذلك من وجوه
الاول ان المال محبوب بالطبع وسببه ان القدرة من صفات الكمال وصفة الكمال محبوبة لذاتها والمال سبب
لتحصيل تلك القدرة فكان المال محبوبا بالطبع واذا استغرق القلب في حب المال اشتغل به عن حب الله عز
وجل وعن الاشتغال بالطاعات المقربة الى الله تعالى فاقتضت الحكمة الالهية بايجاب الزكوة في ذلك المال الذي
هو سبب البعد عن الله فيصير سببا للقرب من الله عز وجل باخراج الزكوة منه الوجه الثاني ان كثرة المال توجب

Copyright © King Saud University

نسوة القلب وحب الدنيا والميل الى شهواتها ولذاتها فاوجب الله تعالى الزكاة ليقل ذلك المال الذي هو سبب
لقساوة القلب الوجه الثالث سبب وجوب الزكاة امتحان العبد المؤمن لان التكاليف البدنية غير شاقة
على العبد واخراج المال مشق على النفس فاوجب الله تعالى الزكاة على العباد ليمتحن باخراج الزكاة المطيع المخرج
لها طيبة بها نفسه من العاصي المانع لها الوجه الرابع ان المال مال الله والاغنياء خزان الله والفقراء عيال الله
فامر الله تعالى خزانه الذين هم اغنياؤه بدفع طائفة من ماله الى عياله فيثيب العبد المؤمن المطيع المسارع
الى امتثال الامر المشفق على عياله ويعاقب العبد العاصي المانع لعياله ماله ق عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان الخازن المسلم الامين الذي ينفذ وربما قال يعطي ما امر به فيعطيه كاملا موفرا طيبة به
نفسه فيدفعه الى الذي امر له به احد المتصدقين الوجه الخامس ان الفقراء ربما تعلقت قلوبهم بالاموال التي
بايدي الاغنياء فاوجب الله عز وجل نصيبا للفقراء في ذلك المال تطييبا لقلوبهم الوجه السادس ان المال الفاضل
عن حاجة الانسان الاصلية اذا امسك بقي معطلا عن المقصود الذي لاجله خلق المال فامر بدفع الزكاة الى الفقراء
حتى لا يصير ذلك المال معطلا باهله المسيلة الثانية الاية تدل على انه لا حق لاحد في الصدقات الا لهولا
الاصناف الثمانية وذلك مجمع عليه لان كلمة انما تفيد الحصر وذلك لانها مركبة من ان وما فكلمة ان للاثبات
وكلمة ما للنفي فعند اجتماعهما يفيد الحكم المذكور وصرفه عما عداه فدل بذلك على ان الصدقات لا تصرف الا الى
الاصناف الثمانية المسيلة الثالثة في بيان الاصناف الثمانية فالصنف الاول الفقراء والثاني المساكين وهم
المحتاجون الذين لا يفي خرجهم بدخلهم ثم اختلف العلماء بين الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد
وعكرمة والزهري الفقير الذي لا يسال والمسكين السايل قال ابن عمر ليس بفقير من جمع الدرهم الى الدرهم والتمرة
الى التمرة ولكن الفقير من انقى نفسه وثيابه ولا يقدر على شي يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال قتادة الفقير
المحتاج الزمن والمسكين الصحيح المحتاج وقال الشافعي الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا زمنا كان
او غير زمن والمسكين من له مال او حرفة ولكن لا يقع منه موقعا الكفاية سائلا كان او غير سائل فالمسكين عنده
احسن حالا من الفقير وقال ابو حنيفة واصحاب الراي الفقير احسن حالا من المسكين ومن الناس من قال لا فرق بين
الفقير والمسكين حجة الشافعي ومن وافقه ان الله تعالى حكم بصرف الصدقات الى هولا الاصناف الثمانية دفعا
لحاجتهم وتحصيلا لمصلحتهم فبدا بالفقير وانما بدا بالاهم فالاهم فلو لم تكن حاجتهم اشد من حاجة المساكين لما
بدا بهم واصل الفقير المكسور الفقار وقال لبيد لما راى لبد النسور تطايرت * رفع القوادم كالفقير الاعزل *
قال ابن الاعرابي الفقير في هذا البيت المكسور الفقار فثبت بهذا ان الفقير انما سمي فقيرا لزمانته وحاجته شديدة
وتمنعه الزمانة من التقلب في الكسب ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقال اللهم احيني
مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة رواه الترمذي من حديث انس فلو كان المسكين
اسوا حالا من الفقير لما تعوذ من الفقر وسال المسكنة فثبت بهذا ان المسكين احسن حالا من الفقير ولان الله تعالى
قال اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاثبت لهم ملكا مع اسم المسكنة لان السفينة من سفن البحر
تساوي دنانير كثيرة ولان الفقر والغنى ضدان والمسكنة قسم ثالث بينهما فثبت بهذا ان الفقير اشد حالا من
المسكين حجة ابي حنيفة ومن وافقه على ان المسكين اسوا حالا من الفقير قوله او مسكينا ذا متربة وصف المسكين
بكونه ذا متربة وهو الذي لصق جلده بالارض بالتراب وهذا يدل على غاية الضرر والشدة ولان الله تعالى جعل الكفارة
للمساكين فلو لم يكن اشد حالا من غيره لما جعلها الله تعالى له واحتج ايضا بقول الراعي * اما الفقير الذي كانت حلوبته *
وفق العيال فلم يترك له سبد * واحتج ايضا بقول الاصمعي وابو عمرو بن العلا ان الفقير الذي له ما ياكل والمسكين الذي

لا شي

لا شي له وكذا قال القتيبي الفقير الذي له البلغة من العيش والمسكين الذي لا شي له وقيل الفقير الذي له المسكن
والخادم والمسكين الذي لا ملك له وقيل ان كل محتاج الى شي فهو فقير اليه وان كان غنيا عن غيره قال تعالى
انتم الفقراء الى الله فاثبت لهم اسم الفقر مع وجدان المال والجواب عن هذه الحجج اما قوله او مسكينا ذا متربة فهي
حجة لمذهب الشافعي لانه قيد المسكين هنا بكونه ذا متربة فدل على انه قد يوجد مسكين لا بهذه الصفة
والا لم يبق لهذا التقييد فائدة والجواب عن جعل الكفارة للمساكين انه هو الفقير الذي لصق جلده بالتراب
من شدة المسكنة والجواب عن الاستدلال ببيت الراعي ان ذكر الفقير وحده فكل فقير افرد بالاسم جاز اطلاق
المسكين عليه فسقط الاستدلال به واما الروايات المذكورة فهي معارضة بما تقدم من الروايات عن ابن
عباس وغيره من المفسرين وفي الجملة ان الفقر والمسكنة عبارتان عن شدة الحاجة وضعف الحال فالفقير هو
الذي كسرت الحاجة فقار ظهره والمسكين هو الذي ضعفت نفسه وسكنت عن الحركة في طلب القوت عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي اخرجه النسائي
وابو داود وله في رواية اخرى ولا لذي مرة قوي عن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال اخبرني رجلان انهما اتيا النبي
صلى الله عليه وسلم وهو في حجة الوداع وهو يقسم الصدقة فسالاه منها فرفع فينا النظر وخفضه فرانا جلدين
فقال ان شئتما اعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب اخرجه ابو داود والنسائي واخرجه الشافعي
ولفظه ان رجلين اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالاه عن الصدقة فقال ان شئتما اعطيتكما ولا حظ فيها
لغني ولا لذي قوة مكتسب واختلف العلماء في حد الغنى الذي يمنع من اخذ الصدقة فقال الاكثرون حده
ان يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة وهو قول مالك والشافعي قال اصحاب الراي حده ان يملك مايتي درهم
وقال قوم من ملك خمسين درهما او قيمتها لا تحل له الصدقة لما روي عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من سال الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسالته في وجهه خموش او خدوش او كدوح
قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي
وهذا قول الثوري وابن المبارك واحمد واسحاق وقالوا لا يجوز ان يعطى الرجل اكثر من خمسين من الزكاة وقيل اربعين
درهما لما روي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال وله قيمة اوقية فقد الحف
اخرجه ابو داود وكانت الاوقية في ذلك الزمان اربعين درهما الصنف الثالث والعاملين عليها وهم السعاة
الذين يتولون جباية الصدقات وقبضها من اهلها ووضعها في حقها فيعطون من مال الصدقات بقدر
اجور اعمالهم سواء كانوا فقراء او اغنياء وهذا قول ابن عمر والشافعي وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات
وظاهر اللفظ مع مجاهد الا ان الشافعي يقول هو اجرة عمل فيتقدر بقدر العمل والصحيح ان الهاشمي والمطلبي لا يجوز
ان يكون عاملا على الصدقات لما روي عن ابي رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل لنا الصدقة وان
مولى القوم منهم اخرجه الترمذي والنسائي الصنف الرابع والمؤلفة قلوبهم وهو قسمان قسم مسلمون وقسم
كفار فاما قسم المسلمين فقسمان القسم الاول قوم من اشراف العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعطيهم من الصدقة يتالفهم بذلك كما اعطى عيينة بن بدر بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس السلمي
فهولاء اسلموا وكانت نيتهم ضعيفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم لتقوى رغبتهم في الاسلام وقوم
اسلموا وكانت نيتهم قوية في الاسلام وهم اشراف قومهم مثل عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر فكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعطيهم تالفا لقومهم وترغيبا لامثالهم في الاسلام فيجوز للامام ان يعطي هولاء من خمس الخمس
الغنيمة والفي من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم من ذلك ومن

Copyright © King Saud University

الصدقات ايضا القسم الثاني من مولفة المسلمين وهم قوم من المسلمين يكونوا بازا قوم من الكفار في موضع لا يبلغهم جيوش
من المسلمين الا بكلفة كبيرة ومونة عظيمة وهولا الذين بازايهم من المسلمين لا يجاهدونهم اما لضعف حالهم فيجوز للامام
ان يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل منهم سهم المولفة قلوبهم ومن هولا قوم بازا جماعة من مانعي الزكوة
فياخذوا منهم الزكاة ويحملونها الى الامام فيعطيهم الامام من سهم المولفة من الصدقات وقيل من سهم سبيل الله روي ان
عدي بن حاتم جا ابا بكر بثلثماية من الابل من صدقات قومه فاعطاه ابو بكر منها ثلاثين بعيرا اما المولفة الكفار فهم
قوم يخشى شرهم او يرجى اسلامهم فيجوز للامام ان يعطي من يخاف شره او يعطيه رجا اسلامه فقد كان رسول الله صلى الله
يعطيهم من خمس الخمس كما اعطى سفيان بن امية لما كان يرى من ميله الى الاسلام اما اليوم فقد اعز الله الاسلام وله الحمد
على ذلك واغناه ان يتالف عليه شي من المشركين فلا يعطى مشرك تالفا بحال وقد قال بهذا اكثر من اهل العلم وراوا ان
المولفة منقطعة وسهمهم ساقط يروى ذلك عن ابن عمر وعكرمة وهو قول الشعبي وبه قال مالك والثوري واصحاب الراي
واسحاق بن راهويه وقال قوم سهمهم ثابت لم يسقط يروى ذلك عن الحسن وهو قول الزهري وابي جعفر محمد بن علي وابي
ثور وقال احمد يعطون ان احتاج المسلمون الى ذلك الصنف الخامس قوله تعالى **وفي الرقاب** قال الزجاج فيه حذف
تقديره وفي فك الرقاب وفي تفسير الرقاب اقوال الاول ان سهم الرقاب موضوع في المكاتبين فيدفع اليهم ليعتقوا به
وهذا مذهب الشافعي وهو قول اكثر الفقها منهم سعيد بن جبير والنخعي والزهري والليث بن سعد ويدل عليه
ايضا قوله تعالى واتوهم من مال الله الذي اتاكم القول الثالث وهو مذهب مالك واحمد واسحاق ان سهم الرقاب
موضوع لعتق الرقاب فيشترى به عبيد ويعتقون ويدل عليه ما روي عن ابن عباس انه قال لا باس ان يعتق الرجل
من الزكوة رقبة كاملة ولكن يعطى منها في عتق رقبة ويعان بها مكاتب لان قوله وفي الرقاب يقتضي التبعيض القول الرابع
وهو قول الزهري ان سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين ونصف يشترى به عبيد ممن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم
فيعتقون من الزكاة قال اصحابنا الاحوط في سهم الرقاب ان يدفع الى السيد باذن المكاتب ويدل عليه انه تعالى اثبت
الصدقات للاصناف الاربعة بلام التمليك فقال انما الصدقات للفقرا وقال في الصنف الخامس وفي الرقاب فلا بد
لهذا العدول من فايدة وهو ان الاصناف الاربعة المتقدم ذكرها يدفع اليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفون
ذلك كيف شاوا واما الرقاب فيوضع نصيبهم في تخليص رقابهم من الزكاة ولا يدفع اليهم ولا يمكنون من التصرف فيه
وكذا القول في الغارمين فيصرف نصيبهم في قضا ديونهم وفي الغزاة يصرف نصيبهم فيما يحتاجون اليه في الغزو
وكذا ابن السبيل فيصرف اليه فيما يحتاج في سفره الى بلوغ غرضه الصنف السادس قوله تعالى **والغارمين** اصل
الغرم في اللغة لزوم ما يشق وسمي الدين غرما لكونه شاقا على الانسان والمراد بالغارمين هنا المديونون
وهم قسمان قسم ادانوا لانفسهم في غير معصية فيعطون من مال الصدقات بقدر ديونهم اذا لم يكن لهم مال
يفي بديونهم فان كان عندهم وفا فلا يعطون وقسم ادانوا في المعروف واصلاح ذات البين فيعطون من مال
الصدقات ما يقضون به ديونهم وان كانوا اغنيا لما روي عن عطا بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لعامل عليها او لغارم او لرجل اشتراها بماله او
لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغني اخرجه ابو داود مرسلا لان عطا لم يدرك
النبي صلى الله عليه وسلم ورواه معمر عن زيد بن اسلم عن عطا بن يسار عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
متصلا بمعناه اما من كان دينه في معصية فلا يعطى من الصدقات شي قوله تعالى **وفي سبيل الله** يعني في النفقة
في سبيل الله واراد به الغزاة فلهم سهم من مال الصدقات فيعطون ذلك وان كانوا اغنيا لما تقدم من حديث عطا وابي
سعيد الخدري ولا يعطى من سهم سبيل الله لمن اراد الحج عند اكثر اهل العلم وقال قوم يجوز ان يصرف سهم سبيل الله الى

الحج

الحج يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن واليه ذهب احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وقال بعضهم ان
اللفظ عام فلا يجوز قصره على الغزاة فقط ولهذا اجاز بعض الفقها صرف سهم سبيل الله الى جميع وجوه الخير من
تكفين الموتى وبنا الجسور والحصون وعمارة المساجد وغير ذلك قال لان قوله وفي سبيل الله عام في الكل فلا يختص
بصنف دون غيره والقول الاول هو الصحيح لاجماع الجمهور عليه الصنف الثامن قوله تعالى **وابن السبيل** يعني
المسافر من بلد الى بلد والسبيل الطريق سمي المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق قال الشاعر انا ابن الحرب ربتني وليدا
الى ان شبت واكتهلت لداتي * فكل من يريد سفرا مباحا ولم يكن له ما يقطع مسافة سفره فيعطى من الصدقات
ما يكفيه لمونة سفره سوا كان له مال في البلد الذي يقصده او لم يكن له قال قتادة ابن السبيل هو الضيف
وقال فقها العراق ابن السبيل هو الحاج المنقطع وقوله تعالى **فريضة من الله** يعني ان هذه الاحكام التي ذكرها
في هذه الاية فريضة واجبة من الله وقيل فرض الله هذه الاشيا فريضة **والله عليم** يعني بمصالح خلقه **حكيم**
يعني فيما فرض لهم لا يدخل في حكمه وتدبيره نقص ولا خلل المسئلة الرابعة في احكام متفرقة تتعلق بالزكاة اتفق
العلما على ان المراد بقوله انما الصدقات للفقرا هي الزكاة المفروضة بدليل قوله خذ من اموالهم صدقة واختلفوا
في كيفية قسمتها وفي جواز صرفها الى بعض الاصناف دون بعض فذهب جماعة من الفقها الى انه لا يجوز صرفها
كلها الى بعض الاصناف مع وجود الباقين وهو قول عكرمة واليه ذهب الشافعي قال الشافعي يجب ان يقسم
زكاة ماله على الموجودين من الاصناف الستة الذين سهامهم ثابتة قسمة على السوا لان سهم المولفة ساقط
وسهم العامل ساقط اذا قسم زكاته بنفسه ثم حصة كل صنف من الاصناف الستة لا يجوز ان تصرف الى
اقل من ثلاثة منهم ان وجد منهم ثلاثة او اكثر فلو فاوت بين اولئك الثلاثة جاز فان لم يجد من بعض
الاصناف جاز فان لم يجد من بعض الاصناف الا واحدا دفع حصة ذلك الصنف اليه ما لم يخرج عن حد
الاستحقاق فان انتهت حاجته وفضل شي رده الى الباقين وذهب جماعة من العلما الى انه لو صرف الكل الى
صنف واحد من هذه الاصناف او الى شخص واحد منهم جاز لان الله تعالى انما سمى هذه الاصناف الثمانية
اعلاما ان الصدقة لا تخرج من هذه الثمانية لا ايجابا بان تقسم بينهم جميعا وهذا قول عمر وابن عباس
وبه قال سعيد بن جبير وعطا واليه ذهب سفيان الثوري واصحاب الراي واحمد بن حنبل قال احمد يجوز
ان يضعها في صنف واحد وتفريقها اولى وقال ابراهيم النخعي ان كان المال كثيرا يحتمل الاجزا قسمه على الاصناف
وان كان قليلا وضعه في صنف واحد وقال مالك يتحرى موضع الحاجة منهم ويقدم الاولى فالاولى من
اهل الخلة والحاجة فان راها في الفقرا قدمهم وان راها في عام في صنف اخر حولها اليهم وكل من دفع اليه شي
من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق فلا يزيد الفقير على قدر غناه وهو ما يحتاج اليه فان حصل ادنى
اسم الغنى فلا يعطى بعده شي وان كان محترفا لكنه لا تسد حرفته فيعطى قدر ما يحصل به الحرفة فالاعتبار
عند الشافعي بما يدفع الحاجة من غير حد وقال احمد لا يعطى الفقير اكثر من خمسين درهما وقال ابو حنيفة اكره ان
يعطى رجل واحد من الزكاة مايتي درهم فان اعطاه من يظنه فقيرا فبان انه غني فهل يجزي فيه قولان ولا يجوز ان
يعطي صدقته لمن تلزمه نفقته وبه قال مالك والثوري واحمد وقال ابو حنيفة والشافعي لا يعطي الوالدين ولا
الولد وان سفل ولا زوجته ويعطي من عداهم وتحرم الصدقة على ذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب فلا يدفع
اليهم من الزكوة شي لقوله صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وقال مالك لا تحرم واختلفوا في نقل الصدقة من
بلد المال الى بلد اخر مع وجود المستحقين في بلد المال فكرهه اكثر اهل العلم لتعلق قلوب فقرا ذلك البلد بذلك المال
ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ واعلمهم ان الله افترض عليهم صدقة توخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم الحديث

Copyright © King Saud University

بطوله في الصحيحين واتفقوا على انه اذا نقل المال الى بلد اخر جوعا الى فقراء ذلك البلد سقط عنه الفرض الا ما حكي
عن عمر بن عبد العزيز فانه رد صدقة حملت من خراسان الى الشام فردها الى مكانها من خراسان والله اعلم قوله تعالى
ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويعيبونه ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون فيقع بنا فقال
الجلاس بن سويد وهو من المنافقين بل نقول ما شئنا ثم نأتيه وننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول فانما
محمد اذن اي اذن سامعة كلما قيل له شيء قبله وقيل معنى هو اذن اي ذو اذن سامعة وقال محمد بن اسحاق
نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحارث وكان ارقم ثائر الشعر احمر العينين اسفع الخدين مشوه
الخلقة وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحارث
وكان ينم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الى المنافقين فقيل له لا تفعل ذلك فقال انما محمد اذن فمن حدثه
شيئا صدقه فنقول ما شئنا ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا فانزل الله هذه الاية ومعنى قول المنافقين هو اذن
انه ليس ببعيد غور بل هو سليم سريع الاغترار فكل ما يسمع فاجاب الله تعالى عنه بقوله قل اذن خير لكم يعني
هب انه اذن لكنه اذن شر وفساد وقرئ اذن خير منونتين ومعناه يستمع منكم ويصدقكم خير لكم ان يكذبكم
ولا يقبل قولكم ثم وصفه الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين يعني انه يصدق المؤمنين
ويقبل قولهم ولا يقبل قول المنافقين وانما عدى الايمان بالله بالباء والايمان للمؤمنين باللام لان الايمان بالله هو
نقيض الكفر فلا يتعدى الا بالباء فيقال امنت بالله والايمان للمؤمنين معناه تصديقا للمؤمنين فيما يقولونه
فلا يقال الا باللام ومنه قوله انؤمن لك وقوله امنتم له ورحمة اي هو رحمة للذين امنوا منكم وانما قال منكم
لان المنافقين كانوا يزعمون انهم مؤمنين فبين الله تعالى انه رحمة للمؤمنين المخلصين لا للمنافقين
وقيل في كونه صلى الله عليه وسلم رحمة لانه يجري احكام الناس على الظاهر ولا ينقب عن احوالهم ولا يهتك
اسرارهم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم يعني في الاخرة قوله عز وجل يحلفون بالله لكم ليرضوكم قال
قتادة والسدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجلاس بن سويد ووديعة بن ثابت فوقعوا في رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام من الانصار اسمه عامر بن قيس فحقروه
وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام من قولهم وقال والله ان ما يقول محمد حق وانتم شر من الحمير ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم
واخبره فدعاهم فسألهم فانكروا وحلفوا ان عامرا كذاب وحلف عامر انهم كذبة فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم
فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل والكلبي نزلت
في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم اتوه يعتذرون ويحلفون
فانزل الله هذه الاية والمعنى يحلفون لكم ايها المؤمنون هؤلاء المنافقون ليرضوكم يعني فيما بلغكم من اذى
رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله احق ان يرضوه اختلفوا في معنى هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل
الضمير عائد على الله تعالى لان في رضى الله رضى رسوله صلى الله عليه وسلم والمعنى والله ورسوله احق ان
يرضوه بالتوبة والاخلاص وقيل يجوز ان يكون المراد يرضوهما فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر وقيل معنى
والله احق ان يرضوه وكذلك رسوله ان كانوا مؤمنين يعني ان كان هؤلاء المنافقين مصدقين بوعد الله
ووعيده في الاخرة قوله تعالى الم يعلموا قال اهل المعاني الم تعلم خطاب لمن علم شيئا ثم نسيه وانكره فيقال الم
تعلم انه كان كذا وكذا ولما طال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهر المؤمنين والمنافقين وعلمهم
من احكام الدين ما يحتاجون اليه خاطب المنافقين الم يعلموا يعني من شرائع الدين التي علمهم رسولنا انه من

يحادد الله ورسوله يعني انه من يخالف الله ورسوله واصل المحادة في اللغة المخالفة والمجانبة والمعاداة واشتقاقه
من الحد يقال حاد فلان فلانا اذا صار في غير حده وخالفه في امره وقيل معنى يحادد الله ورسوله اي يحارب الله ورسوله
ويعادي الله ورسوله فان له نار جهنم يعني فحق ان له نار جهنم خالدا فيها يعني على الدوام ذلك الخزي العظيم
يعني ذلك الخلود في نار جهنم هي الفضيحة العظيمة قوله عز وجل يحذر المنافقون يعني يخشى المنافقون ان تنزل
عليهم سورة يعني على المؤمنين تنبئهم يعني تخبر المؤمنين بما في قلوبهم يعني بما في قلوب المنافقين
من الحسد والعداوة للمؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا فيما بينهم يذكرون المؤمنين بسوء ويسترونه
ويخافون الفضيحة ونزول القران في شأنهم قال قتادة وهذه السورة كانت تسمى الفاضحة والمبعثرة
والمثيرة يعني انها فضحت المنافقين وبعثرت عن اخبارهم واثارتها وكشفت عن مخازيهم ومثالبهم
وقال ابن عباس انزل الله ذكر سبعين رجلا من المنافقين باسمائهم واسماء ابائهم ثم نسخ ذكر الاسماء
رحمة منه على المؤمنين لئلا يعير بعضهم بعضا لان اولادهم كانوا مؤمنين قل استهزءوا امر تهديد فهو
كقوله اعملوا ما شئتم ان الله مخرج اي مظهر ما تحذرون والمعنى ان الله يظهر الى الوجود ما كان المنافقون
يسترونه ويخفونه عن المؤمنين قال ابن كيسان نزلت هذه الاية في اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به اذا علاها وتنكروا له
في ليلة مظلمة فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قد اضمروا وامره ان يرسل اليهم من يضرب
وجوه رواحلهم وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة يسوقها
فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضربها حذيفة حتى نحاهم عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من
القوم قال لم اعرف منهم احدا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم فلان وفلان حتى عدهم كلهم
فقال حذيفة هلا بعثت اليهم من يقتلهم بل يكفيناهم الله بالدبيلة م عن قيس بن عباد قال قلت لعمار ارايتكم
قتالكم ارايا رايتموه فان الراي يخطئ ويصيب ام عهدا عهده اليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عهد
الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهده الى الناس كافة وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان في امتي قال شعبة واحسبه قال حدثني حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في
امتي اثني عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة سراج
من نار يظهر في اكتافهم حتى ينجم في صدورهم وقوله تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الاية
وسبب نزولها على ما قال زيد بن اسلم ان رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك ما لقرائنا هؤلاء
ارغبنا بطونا واكذبنا السنة واجبننا عند اللقاء فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق لاخبرن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القران قد سبقه قال زيد
قال عبد الله بن عمر فنظرت اليه يعني الى المنافق متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة
يقول انما كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون
ما يزيده قال محمد بن اسحاق الذي قال هذه المقالة فيما بلغني هو وديعة بن ثابت اخو بني امية بن زيد
ابن عمرو بن عوف وقال قتادة بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ناس من
المنافقين فقالوا ايرجو هذا الرجل ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله نبيه
صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا قالوا
يا نبي الله انما كنا نخوض ونلعب فانزل الله فيهم ما تسمعون وقال الكلبي ومقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان يستهزئان بالقرآن والرسول والثالث يضحك
قيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما ابعده من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم
انه نزل في اصحابنا قرآن انما هو قوله وكلامه فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا على الركب
فدعاهم وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب ومعنى الآية ولئن سألتهم يا محمد هؤلاء المنافقين
عما كانوا يقولون فيما بينهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب يعني كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعل الركب يقطعون
الطريق بالحديث واللعب واصل الخوض الدخول في مائع كالماء والطين ثم كثر استعماله حتى صار يستعمل في كل دخول
مع تلويث واذى قل اي قل يا محمد لهؤلاء المنافقين أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون فيه توبيخ وتقريع للمنافقين
وانكار عليهم والمعنى كيف تقدمون على ايقاع الاستهزاء بالله يعني بفرائض الله وحدوده واحكامه والمراد بآياته كتابه
وبرسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فيحتمل ان المنافقين لما قالوا كيف يقدر محمد على اخذ حصون الشام قال بعض
المسلمين الله يعينه على ذلك فذكر بعض المنافقين كلاما يشعر بالقدح في قدرة الله تعالى وانما ذكروا ذلك على طريق
الاستهزاء فقوله عز وجل لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم يعني قل لهؤلاء المنافقين لا تعتذروا بالباطل ومعنى الاعتذار
محو اثر الموجدة من قلب المعتذر اليه وقيل معنى العذر قطع اللائمة عن الجاني قد كفرتم بعد ايمانكم **فان قلت**
ان المنافقين لم يكونوا مؤمنين فكيف قال قد كفرتم بعد ايمانكم **قلت** معناه اظهرتم الكفر بعد
ما كنتم قد اظهرتم الايمان وذلك ان المنافقين كانوا يكتمون الكفر ويظهرون الايمان فلما حصل ذلك الاستهزاء منهم
وهو كفر قيل لهم قد كفرتم بعد ايمانكم وقيل معناه قد كفرتم عند المؤمنين بعد ان كنتم عندهم مؤمنين وقوله
تعالى ان يعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين ذكر المفسرون ان الطائفتين كانوا ثلاثة
فالواحد طائفة والاثنان طائفة والعرب توقع لفظ الجمع على الواحد فلهذا اطلق لفظ الجمع على الواحد الطائفة
على الواحد قال محمد بن اسحاق الذي عفي عنه رجل واحد وهو مخشي بن حمير الاشجعي يقال انه هو الذي كان يضحك
ولا يخوض وقيل انه كان يمشي مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع فكان ذنبه اخف فلما نزلت الآية تاب من نفاقه
ورجع الى الاسلام وقال اللهم اني لا ازال اسمع آية تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل
وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة ولم يعرف احد من
المسلمين مصرعه قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يعني انهم على امر واحد مجتمعون على النفاق
والاعمال الخبيثة كما يقول الانسان لغيره انا منك وانت مني اي امرنا واحد لا مباينة فيه يأمرون بالمنكر يعني
يأمر بعضهم بعضا بالشرك والمعصية وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم وينهون عن المعروف يعني عن الانفاق
في سبيل الله وعن كل خير نسوا الله فنسيهم هذا الكلام لا يمكن اجراؤه على ظاهره لانا لو حملناه على النسيان الحقيقي
لم يستحقوا ذما عليه لان النسيان ليس في وسع البشر دفعه وايضا فان النسيان في حق الله تعالى محال فلا بد
من التأويل وقد ذكروا فيه وجهين الاول معناه انهم تركوا امره حتى صار بمنزلة الناسين له فجازاهم بان
صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته فخرج على مزاوجة الكلام فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها الوجه الثاني
ان النسيان ضد الذكر فلما تركوا ذكر الله وعبادته ترك الله ذكرهم فمن ذكرهم بالرحمة والاحسان فجعل النسيان
عبارة عن ترك الذكر لان من نسي شيئا لم يذكره وقيل لما تركوا طاعة الله والايمان به تركهم من توفيقه وهدايته في
الدنيا ومن رحمته في العقبى ان المنافقين هم الفاسقون يعني هم الخارجون عن الطاعة وعد الله المنافقين والمنافقات
والكفار يقال وعده بالخير وعدا ووعد بالشر وعيدا فالوعد يكون في الخير والشر نار جهنم خالدين فيها فيه
حذف تقديره بان يصلونها خالدين يعني مقيمين فيها هي حسبهم يعني كافيتهم جزاء على كفرهم ونفاقهم وتركهم

يعني عن الايمان والطاعة وتصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقبضون ايديهم

الايمان

الايمان والطاعة ولعنهم الله يعني ولعنهم من رحمته وطردهم عن بابه ولهم عذاب مقيم اي دائم لا ينقطع **فان
قلت** قوله خالدين فيها بمعنى ولهم عذاب مقيم وهذا تكرار فما معناه **قلت** ليس ذلك تكرارا وبيان الفرق
من وجهين الاول ان معناه ولهم نوع آخر من العذاب المقيم سوى الصلي بالنار ولقائل ان يقول هذا التأويل مشكل
لانه تعالى قال في النار هي حسبهم وذلك يمنع من ضم شيء آخر الى عذاب النار واجيب عن هذا الاشكال بان قوله
هي حسبهم في الايلام ولا يمنع ان يحصل نوع من العذاب من غير جنس النار كالزمهرير ونحوه ويكون ذلك زيادة
في عذابهم الوجه الثاني ان العذاب المقيم هو العذاب المعجل لهم في الدنيا وهو ما يقاسونه من خوف اطلاع
المسلمين عليهم وما هم من النفاق وكشف فضائحهم وهذا هو العذاب المقيم وقوله تعالى كالذين من قبلكم هذا
رجوع عن الغيبة الى خطاب الحضور والكاف في الذين للتشبيه والمعنى فعلتم كافعال الذين من قبلكم فشبه فعل
المنافقين بفعل الكفار الذين كانوا من قبلهم في الامر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض الايدي عن فعل الخير والطاعة وقيل
انه تعالى شبه المنافقين في عدولهم عن طاعة الله واتباع امره لاجل طلب الدنيا بمن قبلهم من الكفار ثم وصف الكفار بانهم
كانوا اشد من هؤلاء المنافقين قوة واكثر اموالا واولادا فقال تعالى كانوا اشد منكم قوة يعني بطشا ومنعة واكثر اموالا
واولادا فاستمتعوا بخلاقهم يعني فتمتعوا بنصيبهم من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا بها عن الآخرة والخلاق النصيب
وهو ما خلق للانسان وقدر له من خير كما يقال قسم له فاستمتعتم بخلاقكم وهذا خطاب للحاضرين يعني فتمتعتم بها
المنافقون والكافرون كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم **فان قلت** ما الفائدة في ذكر الاستمتاع
بالخلاق في حق الاولين مرة ثم ذكره في حق الآخرين ثانيا **قلت** فائدته ان يذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من
حظوظ الدنيا وشهواتها ورضاهم بها وتركوا النظر فيما يصلحهم في الدار الآخرة ثم شبه حال المخاطبين من المنافقين والكفار
بحال من تقدمهم ثم رجع الى ذكر حال الاولين ثانيا وهذا كما يريد ان يكتب بعض الظلمة على قبح ظلمه فيقول له انت مثل فرعون كان
يقتل بغير حق ويعذب بغير جرم وانت تفعل مثل ما كان يفعل فالتكرير هنا للتأكيد وتقبيح فعلهم وفعل من شابههم
في فعلهم وقوله وخضتم كالذي خاضوا عطف على ما قبله ومستند اليه يعني وسلكتم في فعلكم مثل ما سلكوا في اتباع
الباطل والكذب على الله وتكذيب رسله والاستهزاء بالمؤمنين اولئك حبطت اعمالهم يعني بطلت اعمالهم في الدنيا والآخرة
يعني ان اعمالهم لا تنفعهم في الدنيا ولا في الآخرة بل يعاقبون عليها واولئك هم الخاسرون والمعنى انه كما بطلت اعمال الكفار
الماضين وخسروا فتبطل اعمالكم ايها المنافقون وتخسرون (ق) عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم قلنا يا رسول الله
اليهود والنصارى قال فمن وقوله تعالى ألم يأتهم رجع من الخطاب الى الغيبة يعني ألم يأت هؤلاء المنافقين والكفار
وهو استفهام بمعنى التقرير اي فقد اتاهم نبأ يعني خبر الذين من قبلهم يعني الامم الماضية الذين خلوا من قبلهم
كيف اهلكناهم حين خالفوا امرنا وعصوا رسلنا ثم ذكرهم فقال تعالى قوم نوح يعني انهم اهلكوا بالطوفان
وعاد اهلكوا بالريح العقيم وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم بسبب النعمة وكان اهلاك نمرود ببعوضة
واصحاب مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بعذاب يوم الظلة والمؤتفكات يعني المنقلبات التي جعل الله عاليها
سافلها وهم بالشام والعراق واليمن وكل ذلك قريب من ارض العرب فكانوا يمرون عليهم ويعرفون اخبارهم اتتهم
رسلهم بالبينات يعني بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا امرهم كما فعلتم
ايها الكفار والمنافقون فاحذروا ان يصيبكم مثل ما اصابهم فتعجل لكم النقمة كما عجلت لهم فما كان الله ليظلمهم
يعني بتعجيل العقوبة لهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني الذين استحقوا من العقوبة بسبب ظلمهم انفسهم قوله عز وجل
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض لما وصف الله تعالى المنافقين بالاعمال الخبيثة والاحوال الفاسدة

Copyright © King Saud University

ثم ذكر بعدما اعد لهم من انواع الوعيد في الدنيا والاخرة عقبه بذكر اوصاف المومنين واعمالهم الحسنة وما اعد لهم من
انواع الكرامات والخيرات في الدنيا والاخرة فقال تعالى والمومنون والمومنات بعضهم اوليا بعض يعني في الموالاة في الدين
واتفاق الكلمة والعون والنصرة **فان قلت** انه تعالى قال في وصف المنافقين بعضهم اوليا بعض فما الفايدة
في ذلك **قلت** لما كان نفاق الاتباع وكفرهم انما حصل بتقليد المتبوعين وهم الروسا والاكابر وحصل
بمقتضى الطبيعة ايضا قال فيهم بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة الحاصلة بين المومنين بتسديد الله وتوفيقه وهدايته
لا بمقتضى الطبيعة وهوى النفس وصفهم بان بعضهم اوليا بعض فظهر الفرق بين الفريقين وظهرت الفايدة وقوله تعالى
يامرون بالمعروف يعني بالايمان بالله ورسوله واتباع امره والمعروف كلما عرف في الشرع من خير وبر وطاعة وينهون
عن المنكر يعني عن الشرك والمعصية والمنكر كلما ينكره الشرع وينفر عنه الطبع وهذا في مقابلة ما وصف به المنافقون
وضده ويقيمون الصلاة يعني الصلاة المفروضة ويتمون اركانها وحدودها ويوتون الزكاة يعني الواجبة عليهم
وهو في مقابلة ويقبضون ايديهم ويطيعون الله ورسوله يعني فيما يامرهم به وهو في مقابلة نسوا الله فنسيهم اولئك
يعني المومنين والمومنات الموصوفين بهذه الصفات سيرحمهم الله لما ذكر الله ما وعد به المنافقين من العذاب في
نار جهنم ذكر ما وعد به المومنين من الرحمة والرضوان وما اعد لهم في الجنات والسين في سيرحمهم الله للمبالغة والتوكيد
ان الله عزيز حكيم وهذا يوجب المبالغة في الترغيب والترهيب لان العزيز هو الذي لا يمتنع عليه شي اراده فهو قادر
على ايصال الرحمة لمن اراده وايصال العقوبة لمن اراده والحكيم هو الذي يدبر عباده على ما يقتضيه العدل والانصاف
وعد الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار لما ذكر في الاية المتقدمة وعيد المنافقين وما
اعد لهم في نار جهنم من العذاب ذكر في هذه الاية ما وعد به المومنين من الخير والثواب والمراد بالجنات التي تجري
من تحتها الانهار البساتين التي يحير في حسنها الناظر لانه تعالى قال ومساكن طيبة في جنات عدن والمعطوف يجب
ان يكون مغايرا للمعطوف عليه فتكون مساكنهم في جنات عدن ومناظرهم الجنات التي هي البساتين فتكون جنات
عدن هي المساكن التي يسكنون فيها والجنات الاخر هي البساتين التي يتنزهون فيها فهذه فايدة المغايرة بين المعطوف
والمعطوف عليه والفرق بينهما خالدين فيها ومساكن طيبة يعني ومنازل يسكنونها طيبة في جنات عدن يعني
في بساتين خلد واقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به روى الطبري بسنده عن عمران بن حصين وابي هريرة قالا سيل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصر من لولوة في ذلك القصر سبعون دارا
من ياقوتة حمرا في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضرا في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل
لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مايدة على كل مايدة سبعون لونا من طعام في كل بيت
سبعون وصيفة ويعطى المومن من القوة في غداة ما ياتي على ذلك كله اجمع وروى بسنده عن ابي الدردا قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي عين ولم تخطر على قلب بشر وهي مسكنه ولا يسكنها معه
من بني ادم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهدا يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك هكذا رواه الطبري
فان صحت هذه الرواية فلا بد من تاويلها فقوله عدن داره يعني دار الله هو من باب حذف المضاف تقديره
عدن دار الله التي اعدها لاوليايه واهل طاعته والمقربين من عباده عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال جنتان من فضة انيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين
ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبريا على وجهه في جنة عدن اخرجاه البخاري ومسلم وقال عبد الله بن مسعود عدن
بطنان الجنة يعني في وسطها وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج
والمروج له خمسة الاف باب لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وقال عطا بن السايب عدن نهر في الجنة خيامه

على

على حافتيه وقال مقاتل والكلبي عدن اعلى درجة في الجنة فيها عين التسنيم والجنان حولها محدقة بها
وهي مغطاة من حين خلقها الله حتى ينزلها اهلها الانبيا والصديقون والشهدا والصالحون ومن شا الله
وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان المسك الابيض
قال الامام فخر الدين حاصل هذا الكلام ان في جنات عدن قولين احدهما انه اسم على موضع معين في الجنة وهذه
الاخبار والاثار تقوي هذا القول قال صاحب الكشاف وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن
عباده والقول الثاني انه صفة للجنة قال الازهري ماخوذ من قولك عدن بالمكان اذا قام به يعدن عدونا
فبهذا الاشتقاق قالوا الجنان كلها جنة عدن وقوله تعالى ورضوان من الله اكبر يعني ان رضوان الله الذي
ينزل عليهم اكبر مما سلف ذكره من نعيم الجنة ذلك هو الفوز العظيم اشارة الى ما تقدم ذكره من نعيم الجنة والرضوان
ق عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى قال لاهل الجنة يا اهل
الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد
اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واي شي افضل من هذا فيقول احل عليكم رضواني
فلا اسخط بعده عليكم ابدا قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار يعني بالسيف والمحاربة والمنافقين يعني وجاهد المنافقين
واختلفوا في صفة جهاد المنافقين وسبب هذا الاختلاف ان المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الاسلام ولما كان
الامر كذلك لم يجز مجاهدته بالسيف والقتال لاظهاره الاسلام فقال ابن عباس امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم
بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان واذهاب الرفق عنهم وهذا قول الضحاك ايضا وقال ابن مسعود بيده
فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه وقال الحسن وقتادة باقامة الحدود عليهم
يعني اذا تعاطوا اسبابها وهذا القول فيه بعد لان اقامة الحدود واجبة على من ليس بمنافق فلا تعلق لاقامة
الحدود على المنافق وانما قال الحسن وقتادة ذلك لان غالب من كان يتعاطى اسباب الحدود فتقام عليهم
في زمن النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين قال الطبري واولى الاقوال قول ابن مسعود لان الجهاد عبارة عن
بذل الجهد وقد دلت الاية على وجوب جهاد المنافقين وليس في الاية ذكر كيفية ذلك الجهاد فلا بد من دليل منفصل
وقد دلت الدلايل المنفصلة ان الجهاد مع الكفار انما يكون بالسيف ومع المنافقين باظهار الحجة عليهم تارة وبترك
الرفق بهم تارة وهذا قول ابن مسعود واغلظ عليهم يعني اشدد عليهم بالجهاد والارهاب وماواهم جهنم وبيس
المصير يعني ان جهنم مسكنهم وبيس المصير مصيرهم اليها **فان قلت** كيف ترك النبي صلى الله عليه وسلم
المنافقين بين اظهر اصحابه مع علمه بهم وبحالهم **قلت** انما امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بقتال
من اظهر كلمة الكفر واقام على اظهارها فاما من تكلم بالكفر في السر فاذا اطلع عليه انكره ورجع عنه وقال اني مسلم فانه
يحكم باسلامه في الظاهر في حقن دمه وماله وولده وان كان معتقدا غير ذلك في الباطن لان الله تعالى امر باجرا
الاحكام على الظواهر فلذلك اجرى النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين على ظواهرهم ووكل سرايرهم الى الله لانه العالم
باحوالهم وهو مجازيهم في الاخرة بما يستحقونه قوله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا
بعد اسلامهم اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الاية فقال عروة بن الزبير نزلت في الجلاس بن سويد اقبل هو وابن
امراته مصعب من قبا فقال الجلاس ان كان ما جا به محمد حقا لنحن شر من حمرنا هذه التي نحن عليها فقال مصعب اما
والله يا عدو الله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت وخفت ان ينزل في القران وان تصيبني قارعة
وان اخلط بخطيئته فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اقبلت انا والجلاس من قبا فقال كذا
وكذا ولولا اني خفت ان اخلط بخطيئته او تصيبني قارعة ما اخبرتك قال فدعا الجلاس فقال له يا جلاس اقلت

Copyright King Saud University

بما قال مصعب فحلفا ما قال فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا الاية وروي عن مجاهد نحوه وقال ابن عباس كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل حجرة فقال انه سياتيكم انسان فينظر اليكم بعيني الشيطان فاذا جاء فلا
تكلموه فلم يلبثوا ان طلع رجل ازرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمني انت واصحابك فانطلق
الرجل فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فانزل الله يحلفون بالله ما قالوا ثم نعتهم جميعا الى اخر الاية
وقال قتادة ذكر لنا ان رجلين اقتتلا احدهما من جهينة والاخر من غفار وكانت جهينة حلفا الانصار فظهر
الغفاري على الجهني فقال عبد الله بن ابي بن سلول للاوس انصروا اخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القايل
سمن كلبك ياكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى بها رجل من المسلمين الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فساله فحلف بالله ما قاله فانزل الله هذه الاية هذه روايات الطبري وذكر
البغوي عن الكلبي قال نزلت في الجلاس بن سويد وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر
المنافقين وسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى المدينة اتاه عامر بن قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله علي فامرهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا اله الا هو
ما قاله ولقد كذب علي عامر فحلف بالله الذي لا اله الا هو لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر يديه الى
السما فقال اللهم انزل على نبيك تصديق الصادق منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنون امين
فنزل جبريل عليه السلام قبل ان يتفرقا بهذه الاية حتى بلغ فان يتوبوا يك خيرا لهم فقام الجلاس فقال
يا رسول الله اسمع الله قد عرض علي التوبة صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قلته وانا استغفر الله واتوب اليه
فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه ثم تاب وحسنت توبته فذلك قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم يعني اظهروا الكلمة الكفر بعد الاسلام وتلك الكلمة هي سب النبي صلى الله
عليه وسلم فقيل هي كلمة الجلاس بن سويد لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير وقيل كلمة ابن ابي بن سلول لئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وستاتي القصة ان شا الله تعالى في سورة المنافقين في موضعها
وهموا بما لم ينالوا قال مقاتل هم الجلاس بقتل الذي سمع مقالته مخافة ان يفشيها عليه وقيل هم عبد
الله بن ابي بن سلول وكان الذي همه قوله لئن رجعنا الى المدينة فلم ينله وقيل هم اثني عشر من المنافقين
بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقفوا على العقبة وقت رجوعه من تبوك ليقتلوه فجاء جبريل عليه
السلام فاخبره وامره ان يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم فارسل حذيفة لذلك وقال السدي
قال المنافقون اذا رجعنا الى المدينة عقدنا على راس عبد الله بن ابي بن سلول تاجا فلم يصلوا اليه **وما نقموا
الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله** يعني وما انكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان اغناهم الله ورسوله
من فضله ان المنافقين عملوا بضد الواجب فجعلوا موضع شكر النبي صلى الله عليه وسلم ان نقموا عليه وقيل انهم
بطروا النعمة فنقموا اشرا وبطرا وقال ابن قتيبة معناه ليس ينقمون شيا ولا يعرفون من الله الا الصنع وهذا كقول
الشاعر • ما نقم الناس من امية الا • انهم يحلمون ان غضبوا • وهذا ليس مما ينقم وانما اراد ان الناس لا ينقمون عليهم
شيا فهو كقول النابغة • ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتايب • اي ليس فيهم قال الكلبي
كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنايم
فعلى هذا القول يكون الكلام عاما وقال عروة كان الجلاس قتل له مولى فامر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته
فاستغنى وقال قتادة كانت لعبد الله بن ابي دية فاخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له وقال عكرمة ان مولى

لبني

لبني عدي قتل رجلا من الانصار فقضى له النبي صلى الله عليه وسلم بالدية اثني عشر الفا وفيه نزلت وما نقموا الا
ان اغناهم الله ورسوله من فضله **فان يتوبوا يك خيرا لهم** يعني فان يتوبوا من كفرهم ونفاقهم يكن خيرا لهم في العاجل
والاجل **وان يتولوا** يعني وان يعرضوا عن الايمان والتوبة ويصروا على الكفر والنفاق **يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا**
يعني بالخزي والاذلال **والاخرة** اي ويعذبهم في الاخرة بالنار **وما لهم في الارض من ولي ولا نصير** يعني وليس لهم
احد يمنعهم من عذاب الله وينصرهم في الدنيا والاخرة قوله تعالى **ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن**
الاية روى البغوي بسند الثعلبي عن ابي امامة الباهلي قال جا ثعلبة بن حاطب الانصاري الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة
قليل تودي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم اتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اما لك في رسول الله اسوة حسنة والذي نفسي بيده لو اردت ان تسير معي الجبال ذهبا
وفضة لسارت ثم اتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لين رزقني
الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما
فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها وهي تنمو كما ينمو الدود فكان يصلي
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلي في غنمه ساير الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن
المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة ايضا حتى صار لا يشهد جمعة ولا جماعة
وكان اذا كان يوم جمعة خرج يتلقى الناس يسالهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال
ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنما ما يسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح
ثعلبة فانزل الله اية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني سليم ورجلا من جهينة وكتب لهما
اسنان الصدقة وكيف ياخذان وقال لهما مرا على ثعلبة بن حاطب وبرجل من بني سليم وخذا صدقاتهما فخرجا
حتى اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة واقراه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه
الا اخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة
ثم استقبلهما بها فلما راياها قالا ما هذه عليك قال خذاها فان نفسي بذلك طيبة فمرا على الناس واخذا الصدقات
ثم رجعا الى ثعلبة فقال اروني كتابكما فقراه فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية اذهبا حتى ارى رايي
قال فاقبلا فلما راهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل ان يكلمهما يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة ثم دعا
للسلمي بخير واخبراه بالذي صنع ثعلبة فانزل الله ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن الاية الى قوله بما
كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى اتاه فقال ويحك
يا ثعلبة لقد انزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فساله ان يقبل منه صدقته
فقال ان الله منعني ان اقبل صدقتك فجعل يحثو على راسه التراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك
قد امرتك فلم تطعني فلما ابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبل صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاتى ابا بكر فقال اقبل صدقتي فقال ابو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا لا اقبلها
فقبض ابو بكر ولم يقبلها فلما ولي عمر اتاه فقال اقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا ابو بكر فانا لا اقبلها منك ثم ولي عثمان فاتاه فلم يقبلها منه وهلك في خلافة عثمان واخرجه الطبري ايضا
بسنده قال بعض العلماء انما لم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة ثعلبة لان الله تعالى منعه من قبولها
مجازاة له على خلافه ما عاهد الله عليه واهانة له على قوله انما هي جزية او اخت الجزية فلما صدر هذا القول منه ردت

Copyright © King Saud University

صدقة علينا ما لنا له وليمنعن غيره به فلا يمتنع من بذل الصدقة عن طيب نفس بإخراجها ويروى أنها واجبة
عليه وأنه يثاب على إخراجها ويعاقب على منعها وقال ابن عباس إن ثعلبة أتى مجلسا من مجالس الأنصار فأشهدهم
لئن آتانا الله من فضله آتيت منه كل ذي حق حقه وتصدقت منه ووصلت القرابة فمات ابن عم له فورث
منه مالا فلم يف بما عاهد الله عليه فأنزل الله فيه هذه الآية وقال الحسن ومجاهد نزلت في ثعلبة ومعتب بن
قشير وهما من بني عمرو بن عوف خرجا على ملأ قعود فقالا لئن رزقنا الله من فضله لنصدقن فلما رزقهما الله
بخلا به وقال السائب إن حاطب بن أبي بلتعة كان له مال بالشام فأبطأ عليه فجهد لذلك جهدا شديدا فحلف بالله
لئن آتانا الله من فضله يعني ذلك المال لأصدقن منه ولأصلن فلما آتاه ذلك المال لم يف بما عاهد الله عليه فأنزل
الله فيه هذه الآية وحاصله أن ظاهر الآية يدل على أن بعض المنافقين عاهد الله لئن آتاه من فضله ليصدقن
وليفعلن أفعال الخير والبر والصلة فلما آتاه الله من فضله ما سأل لم يف بما عاهد الله عليه ومعنى الآية
ومن المنافقين من أعطى الله عهدا لئن رزقنا من فضله بأن يوسع علينا في الرزق لنصدقن ولنخرجن من ذلك
المال صدقة ولنكونن من الصالحين يعني ولنعملن في ذلك المال بما يعمله أهل الصلاح بأموالهم من صلة الأرحام والإنفاق
في سبيل الله وجميع وجوه البر والخير وإخراج الزكاة وإيصالها إلى أهلها والصالح ضد المفسد والمفسد هو الذي
يبخل بما يلزمه في حكم الشرع وقيل المراد به لنصدقن إخراج الزكاة الواجبة وقوله ولنكونن من الصالحين إشارة
إلى كل ما يفعله أهل الصلاح على الإطلاق من جميع البر والطاعة فلما آتاهم من فضله بخلوا به يعني فلما رزقهم الله
لم يفعلوا من أفعال البر شيئا وتولوا يعني عما عاهدوا الله عليه وهم معرضون فأعقبهم الله نفاقا في قلوبهم يعني
فأعقبهم الله نفاقا بأن صيرهم منافقين يقال أعقب فلان ندامة إذا صيرت عاقبة أمره ذلك وقيل معناه
أن الله تعالى عاقبهم بنفاق قلوبهم إلى يوم يلقونه يعني أنه تعالى حرمهم التوبة إلى يوم القيامة فيوافونه على
النفاق فيجازيهم عليه بما أخلفوا الله ما وعدوه يعني الصدقة والإنفاق في سبيله وبما كانوا يكذبون يعني في
قولهم لنصدقن ولنكونن من الصالحين عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث إذا حدث
كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع
من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خلة وفي رواية خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها
إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر قال الشيخ محيي الدين النواوي هذا الحديث مما
عده جماعة من العلماء مشكلا من الأحاديث لأن هذه الخصال قد توجد في المسلم الذي ليس فيه شك وقد أجمع
العلماء على أن من كان مصدقا بقلبه ولسانه ففعل هذه الخصال وكذا قد يوجد لبعض السلف ولبعض العلماء بعض
هذا أو كله قال الشيخ هذا ليس بحمد الله إشكال ولكن اختلف العلماء في معناه فقيل إن هذه الخصال خصال نفاق
وحاصلها يشبه المنافقين في هذه الخصال ويتخلق بأخلاقهم فإن النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه وهذا موجود
في صاحب هذه الخصال فيكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا أنه منافق
في الإسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك
الأسفل من النار وقوله صلى الله عليه وسلم كان منافقا خالصا معناه كان شديد الشبه بالمنافقين بسبب
هذه الخصال قال بعض العلماء وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه فأما من يندر ذلك منه فليس ذلك داخلا
هذا هو المختار في معنى الحديث وقال جماعة من العلماء المراد به المنافقين الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
فإنهم حدثوا في إيمانهم فكذبوا وائتمنوا على دينهم فخانوا ووعدوا في أمر الدين ونصره فأخلفوا وفجروا في خصوماتهم
وهذا قول سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح ورجع إليه الحسن البصري بعدما كان على خلافه وهو مروي عن ابن

عباس

عباس وعمر ورواه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض وإليه مال كثير من أئمتنا وحكى الخطابي قولا آخر
أن معناه التحذير للمسلم أن يعتاد هذه الخصال وحكى أيضا عن بعضهم أن الحديث ورد في رجل بعينه منافق وكان
النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجههم بصريح القول فيقول فلان منافق وإنما يشير إشارة كقوله صلى الله عليه
وسلم ما بال أقوام يفعلون كذا والله أعلم وقال الإمام فخر الدين الرازي ظاهر هذه الآية يدل على أن نقض
العهد وخلف الوعد يورث النفاق فيجب على المسلم أن يبالغ في الاحتراز عنه فإذا عاهد أمرا فليجتهد في
الوفاء به وقوله تعالى ألم يعلموا يعني هؤلاء المنافقين أن الله يعلم سرهم يعني ما تنطوي عليه صدورهم من
النفاق ونجواهم يعني ويعلم ما يفاوض به بعضهم بعضا فيما بينهم والنجوى هو الخفي يكون بين القوم والمعنى
أنهم يعلمون أن الله يعلم جميع أحوالهم لا يخفى عليه شيء منها وأن الله علام الغيوب وهذا مبالغة في العلم بأنه
الله تعالى عالم بجميع الأشياء فكيف تخفى عليه أحوالهم قوله عز وجل الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات الآية
ق عن أبي مسعود البدري قال لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا مرائي
وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا إن الله لغني عن صاع هذا فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في
الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم الآية قال ابن عباس وغيره من المفسرين إن رسول الله صلى الله عليه
وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال يا رسول الله مالي ثمانية آلاف درهم
بأربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله وأمسكت أربعة آلاف لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله
لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى إنه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما
مائة وستون ألف درهم وتصدق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الأنصاري
واسمه الحبحاب بصاع من تمر وقال يا رسول الله بت ليلتي أجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فأمسكت أحدهما
لعيالي وأتيتك بالآخر فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره في الصدقات فلمزهم المنافقون فقالوا
ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وإن الله ورسوله لغنيان عن صاع أبي عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى
من الصدقة فأنزل الله الذين يلمزون المطوعين يعني المتبرعين من المؤمنين يعني عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن
عدي في الصدقات والتطوع التنفل بما ليس بواجب عليه والذين لا يجدون إلا جهدهم يعني أبا عقيل الأنصاري والجهد
بالضم الطاقة وهي لغة أهل الحجاز وبالفتح لغيرهم وقيل الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقد يكون القليل
في المال الذي يأتي به فيتصدق به لأن الغني أخرج ذلك المال الكثير عن قدرة وهذا الفقير الذي أخرج القليل إنما
أخرجه عن ضعف وجهد وقد يؤثر المحتاج إلى المال لغيره رجاء ما عند الله تعالى كما قال تعالى ويؤثرون على
أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فيسخرون منهم يعني أن المنافقين كانوا يستهزئون بالمؤمنين في إنفاقهم المال
في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو قولهم لقد كان عن صدقة هؤلاء غنيا وكانوا يعيرون
الذي يتصدق بالقليل ويقولون إنه لفقير يحتاج إليه فكيف يتصدق به وجوابه أن كل من يرجو ما عند الله
من الخير والثواب يبذل الموجود لينال ذلك الثواب الموعود به وقوله تعالى سخر الله منهم يعني أنه تعالى
جازاهم على سخريتهم ثم وصف ذلك وهو قوله ولهم عذاب أليم يعني في الآخرة قوله تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر
لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال المفسرون لما نزلت الآيات المتقدمة في المنافقين وبان
نفاقهم وظهر للمؤمنين جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه ويقولون استغفر لنا فنزلت
استغفر لهم أو لا تستغفر لهم يا محمد وهذا كلام مخرج الأمر ومعناه الخبر تقديره استغفرت لهم يا محمد أو لا تستغفر
لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وإنما خص السبعين من العدد في الذكر لأن العرب كانت

Copyright King Saud University

تستكثر السبعين ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صلى على عمه حمزة رضي الله عنه سبعين تكبيرة ولان
احاد السبعين سبعة وهو عدد شريف فان السموات سبع والارضين سبع والايام سبع والاقاليم سبع والبحار
سبع والنجوم السيارة سبع فلهذا خص السبعين في الذكر للمبالغة في الياس من طمع المغفرة لهم قال الضحاك ولما
نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رخص لي فسازيدن على السبعين لعل الله ان يغفر
لهم فانزل الله سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ق عن ابن عمر قال لما توفي عبد الله يعني ابن ابي بن
سلول جا ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام
عمر فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي عليه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله عز وجل فقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة وسازيد
على السبعين قال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تصل على احد منهم
مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون زاد في رواية فترك الصلاة عليهم ذلك بانهم كفروا
بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين يعني ان هذا الفعل من الله وهو ترك عفوه عنهم وترك المغفرة من
اجل انهم اختاروا الكفر والخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله قوله عز وجل فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله
يعني فرح المخلفون عن غزوة تبوك والمخلف المتروك بمقعدهم يعني بقعودهم في المدينة خلاف رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعني بعده وعلى هذا المعنى بمعنى خلف فهو اسم للجهة المعينة لان الانسان اذا توجه الى قدامه فمن تركه
خلفه فقد تركه بعده وقيل معناه مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار الى تبوك واقاموا بالمدينة
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان امرهم بالخروج الى الجهاد فاختاروا القعود مخالفة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو قوله تعالى وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والمعنى انهم فرحوا بسبب التخلف
وكرهوا الخروج الى الجهاد وذلك ان الانسان يميل بطبعه الى ايثار الراحة والقعود مع الاهل والولد ويكره اتلاف
النفس والمال وهو قوله تعالى وقالوا لا تنفروا في الحر وكانت غزوة تبوك في شدة الحر فاجاب الله عز وجل هذا بقوله
قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون يعني قل يا محمد لهؤلاء الذين اختاروا الراحة والقعود خلافك عن الجهاد في
الحر فان نار جهنم التي هي موعدهم في الاخرة هي اشد حرا من حر الدنيا لو كانوا يعلمون قال ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم امر الناس ان ينبعثوا معه وذلك في الصيف فقال رجال يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع
الخروج فلا تنفر في الحر فقال الله عز وجل قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون فامره الله تعالى بالخروج فليضحكوا
قليلا يعني فليضحك هؤلاء الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحين قليلا في الدنيا الفانية
بمقعدهم خلافه وليبكوا كثيرا يعني مكان ضحكهم في الدنيا وهذا وان ورد بصيغة الامر الا ان معناه الاخبار
فالمعنى انهم وان فرحوا وضحكوا طول اعمارهم في الدنيا فهو قليل بالنسبة الى بكائهم في الاخرة لان
الدنيا فانية والاخرة باقية والمنقطع الفاني بالنسبة الى الدائم الباقي قليل جزاء بما كانوا يكسبون
يعني ان ذلك البكاء في الاخرة جزاء لهم على ضحكهم واعمالهم الخبيثة في الدنيا خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وروى البغوي بسنده عن انس بن مالك قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا ان تبكوا فتباكوا فان اهل النار يبكون في
النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كانها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدما فتقرح العيون فلو ان سفنا
اجريت فيها لجرت قوله عز وجل فان رجعك الله الى طائفة منهم يعني الى المتخلفين عنك وانما قال منهم لانه ليس كل من
تخلف بالمدينة عن غزوة تبوك كان منافقا مثل اصحاب الاعذار فاستاذنوك للخروج يعني فاستاذنك المنافقون

الذين

الذين تخلفوا عنك وتخففت نفاقهم في الخروج معك الى غزوة اخرى فقل لن تخرجوا معي ابدا يعني فقل يا محمد لهؤلاء
الذين طلبوا الخروج وهم مقيمون على نفاقهم لن تخرجوا معي ابدا لا الى غزوة ولا الى سفر ولن تقاتلوا معي عدوا انكم
يعني لانكم رضيتم بالقعود اول مرة يعني انكم رضيتم بالتخلف عن غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين يعني مع المتخلفين من
النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى وقال ابن عباس مع الذين تخلفوا بغير عذر وقيل مع المخالفين يقال
صاحب خالف اذا كان مخالفا كثير الخلاف وفي الاية دليل على ان الرجل اذا ظهر منه مكر وخداع وبدعة يجب
الانقطاع عنه وترك مصاحبته لان الله تعالى منع المنافقين من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى الجهاد مشعر باظهار نفاقهم وذمهم وطردهم وابعادهم لما علم من مكرهم وخداعهم اذا خرجوا الى الغزوات
قوله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا الاية قال قتادة بعث عبد الله بن ابي بن سلول الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه فنهاه عمر عن ذلك فاتاه نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل نبي
الله صلى الله عليه وسلم قال اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله اني لم ابعث اليك لتؤنبني ولكن بعثت
اليك لتستغفر لي وساله قميصه ان يكفن فيه فاعطاه اياه واستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمات وكفن في قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث في جلده ودلاه في قبره فانزل الله ولا تصل على احد
منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الاية خ عن عمر بن الخطاب قال لما مات عبد الله بن ابي بن سلول دعي له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه فقلت يا رسول الله اتصلي
ابن ابي بن سلول وقد قال يوم كذا وكذا كذا اعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اخر
عني يا عمر فلما اكثرت عليه قال اما اني خيرت فاخترت لو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها قال
فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت الايتان من براءة ولا تصل
على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الى قوله وهم فاسقون قال فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله صلى
الله عليه وسلم والله ورسوله اعلم واخرجه الترمذي وزاد فيه فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على
منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله ق عن جابر قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي بعد
ما ادخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونفث فيه من ريقه والبسه قميصه والله اعلم قال وكان
كسا عباسا قميصا قال سفيان وقال ابو هارون وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصان فقال له
ابن عبد الله يا رسول الله البس عبد الله قميصك الذي يلي جلدك قال سفيان فيرون ان النبي صلى الله عليه
وسلم البس عبد الله قميصه مكافأة لما صنع وفي رواية عن جابر قال لما كان يوم بدر اتي بالاسارى واتي
بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له قميصا فوجدوا قميص عبد الله بن ابي يقدر
عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم اياه فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه الذي البسه **فصل**
قد وقع في هذه الاحاديث التي تتضمن قصة موت عبد الله بن ابي بن سلول المنافق صورة اختلاف الروايات
ففي حديث ابن عمر المتقدم انه لما توفي عبد الله بن ابي اتى ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله ان
يعطيه قميصه ليكفنه فيه وان يصلي عليه فاعطاه قميصه وصلى عليه وفي حديث عمر بن الخطاب من افراد البخاري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعي له ليصلي عليه وفي حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم اتاه بعدما ادخل حفرته
فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونفث عليه من ريقه والبسه قميصه ووجه الجمع بين هذه الروايات انه صلى الله عليه وسلم
اعطاه قميصه فكفن فيه ثم انه صلى عليه وليس في حديث جابر ذكر الصلاة عليه فالظاهر والله اعلم انه صلى الله عليه وسلم
صلى عليه اولا كما في حديث عمر وابن عمر ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه ثانيا بعدما ادخل حفرته فاخرجه منها

Copyright © King Saud University

فنزع عنه القميص الذي اعطاه وكفن فيه لينفث عليه من ريقه ثم انه صلى الله عليه وسلم البسه قميصه بيده الكريمة
فعل هذا كله بعبد الله بن ابي تطييبا لقلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا مسلما صالحا مخلصا واما قول قتادة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم عاده في مرضه وانه ساله ان يستغفر له وان يعطيه قميصه وان يصلي عليه فاعطاه
قميصه واستغفر له وصلى عليه ونفث في جلده ودلاه في حفرته فهذه جمل من القول ظاهرها الترتيب واما المراد
بهذا الترتيب توفيقا بين الاحاديث فيكون قوله ونفث في جلده ودلاه في قبره جملة منقطعة عما قبلها يعني انه
صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بعد ما اعطاه القميص وبعد ان صلى عليه والله اعلم وفي شرح صحيح مسلم ان عبد الله
ابن ابي بن سلول كان سيد الخزرج في اخر جاهليتهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم حسده وناصبه العداوة
غير ان الاسلام غلب عليه فنافق فكان راسا في المنافقين واعظمهم نفاقا واشدهم كفرا وكان المنافقون
كثيرا حتى لقد روي عن ابن عباس انه قال كانوا ثلثمائة رجل ومائة وسبعين امراة وكان ولده عبد الله يعني
ولد عبد الله بن ابي من فضلاء الصحابة واصدقهم اسلاما واكثرهم عبادة واشرحهم صدرا وكان ابر الناس بابيه
ومع ذلك فقد قال يوما للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انك تعلم اني من ابر الناس لابي فان امرتني ان اتيك
براسه فعلت فقال رسول الله بل نعفو عنه وكان من احرص الناس على اسلام ابيه وعلى ان ينتفع من بركات
النبي صلى الله عليه وسلم ان يعطيه قميصه ليكفنه فيه فينال من بركته فاعطاه وساله ان يصلي عليه
فصلى عليه كل ذلك اكرام لابنه عبد الله واسعاف له ولطلبته وقوله اتصلي عليه وقد نهاك الله ان تصلي
عليه يحتمل ان يكون قبل نزول ولا تصل على احد منهم مات ابدا ويظهر من هذا السياق ان عمر وقع في خاطره
ان الله نهاه عن الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل الالهام والتحديث بالذي شهد له به النبي صلى الله عليه وسلم
ويحتمل ان يكون فهمه من سياق قوله استغفر لهم او لا تستغفر لهم وهذان التاويلان فيهما بعد قال القرطبي
والذي يظهر لي والله اعلم ان البخاري ذكر هذا الحديث من رواية ابن عباس وساقه هو ابين من هذه وليس فيه
في هذا اللفظ فقال عن ابن عباس عن عمر لما مات عبد الله بن ابي بن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر وثبت اليه الحديث الى قوله فصلى عليه ثم انصرف فلم يلبث الا
يسيرا حتى نزلت عليه الايتان من براءة وقال القرطبي وهذا سياق حسن وتنزيل متقن ليس فيه شيء من
الاشكال المتقدم فهو اولى وقوله صلى الله عليه وسلم ما زيد على السبعين غفر له لزدت وهذا تقييد
لذلك الوعد المطلق فان الاحاديث يفسر بعضها بعضا فلذلك قالوا اعلم اني لو زدت على السبعين غفر
له لزدت فقد علم انه لا يغفر له وقوله صلى الله عليه وسلم اني خيرت مشكل مع قوله تعالى ما كان للنبي والذين
امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية وهذا يفهم منه النهي عن الاستغفار لمن مات كافرا وهو متقدم على الاية
التي فيها التخيير والجواب عن هذا الاشكال ان المنهي عنه استغفار لم يتحقق موته على الكفر والشرك واما
استغفاره لاولئك المنافقين المخير فيهم فهو قد علم صلى الله عليه وسلم انه لا ينفع ولا ينفع وغايته ان
وقع وكان تطييبا للقلوب لاحيا من قراباتهم فانفصل الاستغفار المنهي عنه من المخير فيه فارتفع الاشكال
بحمد الله والله اعلم وقال الشيخ محيي الدين النواوي انما اعطاه قميصه ليكفنه فيه تطييبا لقلب ابنه عبد الله
فانه كان صحابيا صالحا وقد سال ذلك واجابه اليه وقيل اعطاه مكافاة لعبد الله بن ابي المنافق الميت
لانه البس العباس حين اسر يوم بدر قميصا وفي هذا الحديث بيان مكارم اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم
فقد علم ما كان من هذا المنافق من الايذاء له وقابله بالحسنى والبسه قميصه كفنا وصلى عليه واستغفر
له قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال البغوي قال سفيان بن عيينة كانت له يد عند رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم فاحب ان يكافيه بها ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم فيما فعل بعبد الله بن ابي فقال صلى
الله عليه وسلم وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله واني كنت ارجو ان يسلم به الف من قومه لما راوه تبرك بقميص
النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ولا تقم على قبره اي لا تقف عليه ولا تتول دفنه من لهم مات قام بامر فلان
اذا كفاه امره وناب عنه فيه انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون وهذا تعليل لسبب المنع من الصلاة
عليهم والقيام على قبره وما نزلت هذه الاية ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره بعدها
فان قلت الفسق ادنى حالا من الكفر ولما ذكر في تعليل هذا النهي كونه كافرا فيدخل تحته الفسق فعن فما
الفائدة في وصفه فاسقا بعد وصفه بالكفر قلت ان الكافر قد يكون عدلا في دينه بان يؤدي الامانة ولا يضمر
لاحد سوءا وقد يكون خبيثا في نفسه كثير الكذب والمكر والخداع واضمار السوء للغير وهذا امر مستقبح عند كل
احد ولما كان المنافق بهذه الصفة الخبيثة وصفهم الله تعالى بكونهم فاسقين بعد ان وصفهم بالكفر قوله تعالى
ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون الكلام في هذه الاية
في مقامين المقام الاول في وجه التكرار والحكمة فيه ان تجدد النزول له شان في تقرير ما نزل اولا وتاكيده وارادة
ان يكون المخاطب به على حال ولا يغفل عنه ولا ينساه وان يعتقد العمل به وانما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان
يحذر منه وهو اشد الاشياء جذبا للقلوب والخواطر الى الاشتغال بالاموال والاولاد وما كان كذلك يجب التحذير منه
مرة بعد اخرى وبالجملة فالتكرير يراد به التاكيد والمبالغة في التحذير من ذلك الشي الذي وقع الاهتمام به وقيل ايضا
انما كرر هذا المعنى لانه اراد بالاية الاولى قوما من المنافقين كان لهم اموال واولاد عند نزولها وبالاية الاخرى اقواما
اخرين منهم المقام الثاني في وجه بيان ما حصل من التفاوت في الالفاظ في هاتين الايتين وذلك ان الله تعالى قال في الاية
الاولى فلا تعجبك بالفاء وقال هنا ولا تعجبك بالواو والفرق بينهما انه عطف الاية الاولى على قوله ولا ينفقون الا
وهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين للانفاق لشدة المحبة للاموال والاولاد فحسن العطف عليه بالفاء في قوله فلا
تعجبك واما هذه الاية فلا تعلق لها بما قبلها فلهذا اتى بحرف الواو وقال تعالى في الاية الاولى فلا تعجبك اموالهم ولا
اولادهم واسقط حرف لا هنا فقال واولادهم والسبب في هذا ان حرف لا دخل هناك لزيادة التاكيد ويدل على
انهم كانوا معجبين بكثرة الاموال والاولاد وكان اعجابهم باولادهم اكثر وفي اسقاط حرف لا هنا دليل على انه لا تفاوت
بين الامرين وقال تعالى في الاية الاولى انما يريد الله ليعذبهم بحرف اللام وقال هنا ان يعذبهم بحرف ان والفائدة
فيه التنبيه على ان التعليل في احكام الله محال وانه اينما ورد حرف اللام فمعناه انه كقوله وما امروا الا ليعبدوا الله
ومعناه وما امروا الا بان يعبدوا الله وقال تعالى في الاية الاولى في الحياة الدنيا وقال هنا في الدنيا والفائدة
في اسقاط لفظ الحياة تنبيها على ان الحياة الدنيا بلغت في الخسة الى حيث انها لا تستحق ان تذكر ولا تسمى حياة
بل يجب الاقتصار عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيها على كمال ذلها فهذه جملة في ذكر الفرق بين هذه الالفاظ والله اعلم
بمراده واسرار كتابه قوله عز وجل واذا انزلت سورة يحتمل ان يراد بالسورة بعضها لان اطلاق لفظ الجمع على
البعض جائز ويحتمل ان يراد جميع السور فعلى هذا المراد بالسورة سورة براءة لانها مشتملة على الامر بالايمان والامر
بالجهاد ان اي بان امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله فان قلت كيف يامرهم بالايمان مع كونهم مؤمنين فهو من باب
تحصيل الحاصل قلت معناه الامر بالدوام على الايمان والجهاد في المستقبل وقيل ان الامر بالايمان يتوجه
على كل احد في كل ساعة وقيل ان هذا الامر وان كان ظاهره العموم لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون والمعنى ان
اخلصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله وانما قدم الامر بالايمان على الامر بالجهاد لان الجهاد بغير ايمان لا يفيد اصلا
فكانه قيل للمنافقين الواجب عليكم ان تؤمنوا بالله وتجاهدوا مع رسوله ثانيا حتى يفيدكم ذلك الجهاد فائدة يرجع عليكم نفعها في الدنيا

Copyright © King Saud University

والاخرة وقوله تعالى استاذنك اولوا الطول منهم قال ابن عباس يعني اهل الغنى وهم اهل القدرة والثروة والسعة من المال وهم
روسا المنافقين وكبرائهم وفي تخصيص اولوا الطول بالذكر قولان احدهما ان الذم لهم الزم لانهم قادرين على اهبة السفر
والجهاد والقول الثاني انما خص اولوا الطول بالذكر لان العاجز عن السفر والجهاد لا يحتاج الى الاستيذان وقالوا يعني اولوا الطول
ذرنا نكن مع القاعدين يعني في البيوت مع النسا والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى رضوا بان يكونوا مع الخوالف قيل الخوالف
النسا التي يتخلفن في البيوت فلا يخرجن منها والمعنى رضوا بان يكونوا في تخلفهم عن الجهاد كالنسا وقيل خوالف جمع خالفة وهم
ادنيا الناس وسفلتهم يقال فلان خالفة قومه اذا كان دونهم وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون لكن الرسول والذين امنوا
معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها وذلك الفوز العظيم يعني وختم على قلوب هولا المنافقين فهم لا يفقهون مراد الله في الامر بالجهاد قوله تعالى وجا المعذرون
من الاعراب ليوذن لهم وجا المعذرون من اعراب البوادي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه في التخلف عن الغزو
معه قال الضحاك هم رهط عامر بن الطفيل جاوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه دفاعا عن انفسهم فقالوا يا نبي
الله ان نحن غزونا معك تغير اعراب طي على حلايلنا واولادنا ومواشينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انباني
الله من اخباركم وسيغنيني الله عنكم وقيل هم نفر من بني غفار رهط خفاف بن ايما بن رحضة وقيل هم اسد وغطفان وقال
ابن عباس هم الذين تخلفوا بعذر فاذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الاية وجا المعذرون اي المقصرون اي
انهم قصروا ولم يبالغوا فيما اعتذروا به والمعذر من يرى ان له عذرا ولا عذر له وقيل ان الاصل في هذا اللفظ عند النحاة
المعتذرون فادغمت التا في الذال لقرب مخرجهما والاعتذار في كلام العرب على قسمين يقال اعتذر اذا كذب في عذره
ومنه قوله تعالى يعتذرون اليكم فرد الله عليهم بقوله قل لا تعتذروا فدل ذلك على فساد عذرهم وكذبهم فيه ويقال
اعتذر اذا اتى بعذر صحيح ومنه قول لبيد ○ ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر ○ يعني فقد جا بعذر صحيح وقيل هو من
التعذير الذي هو التقصير يقال عذر تعذيرا اذا قصر ولم يبالغ فعلى هذا المعنى يحتمل انهم كانوا صادقين بدليل انه
تعالى لما ذكرهم قال بعده وقعد الذين كذبوا الله ورسوله فلما فصل بينهم وميزهم عن الكاذبين ويروى عن ابي عمرو
ابن العلا انه لما قيل هذا الكلام فقال ان قوما تكلفوا عذرا بباطل فهم الذين عناهم الله تعالى بقوله وجا المعذرون
وتخلف اخرون لا لعذر ولا لشبهة عذر جراة على الله فهم المراد بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا
الاعراب الذين ما جاوا وما اعتذروا وما ظهر بذلك انهم كذبوا على الله ورسوله يعني في ادعائهم الايمان سيصيب الذين
كفروا منهم عذاب اليم يعني في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار وانما قال منهم لانه تعالى علم ان منهم من سيومن ويخلص
في ايمانه فاستثناهم الله من المنافقين الذين اصروا على الكفر والنفاق وماتوا عليه قوله عز وجل ليس على الضعفا
لما ذكر الله تعالى المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد واعتذروا باعذار باطلة عقبه بذكر اصحاب الاعذار الحقيقية
الصحيحة وعذرهم واخبر ان فرض الجهاد عنهم ساقط فقال تعالى ليس على الضعفا والضعيف هو الصحيح في بدنه العاجز
عن الغزو وتحمل مشاق السفر والجهاد مثل الشيوخ والصبيان والنسا ومن خلق في اصل الخلقة ضعيفا نحيفا ويدل
على ان هولا الاصناف هم الضعفا ان الله تعالى عطف عليهم المرضى فقال تعالى ولا على المرضى والمعطوف مغاير
للمعطوف عليه فالمرضى يدخل فيهم اهل العمى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفا بمرض يمنعه من التمكن من الجهاد
والسفر للغزو ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون يعني الفقرا العاجزين عن اهبة الغزو والجهاد فلا يجدون الزاد والراحلة
والسلاح ومونة السفر لان العاجز عن نفقة الغزو معذور حرج اي ليس على هولا الاصناف الثلاثة حرج اي اثم
في التخلف عن الغزو وقال الامام فخر الدين الرازي ليس في الاية انه يحرم عليهم لان الواحد من هولا لو خرج ليعين
المجاهدين بمقدار القدرة اما بحفظ متاعهم او بتكثير سوادهم بشرط ان لا يجعل نفسه كلا ووبالا عليهم فان ذلك طاعة

مقبوله

مقبولة ثم ان الله تعالى شرط على الضعفا في جواز التخلف عن الغزو شرطا معينا وهو قوله تعالى اذا نصحوا لله ورسوله ومعناه
انهم اذا اقاموا في البلد احترزوا عن افشا الاراجيف واثارة الفتن وسعوا في ايصال الخير الى اهل المجاهدين الذين خرجوا الى
الغزو وقاموا بمصالح بيوتهم واخلصوا الايمان والعمل لله تعالى وتابعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فان جملة هذه الامور تجري
مجرى النصح لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل اي ليس على من احسن فنصح لله ولرسوله في تخلفه عن الجهاد بعذر قد اباحه الشرع طريق
العتاب عن نفسه ويستنبط من قوله ما على المحسنين من سبيل ان كل مسلم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله مخلصا
من قلبه بان ما عليه سبيل في نفسه وماله الا ما اباحه الشرع بدليل منفصل والله غفور يعني لمن تخلف عن الجهاد بعذر ظاهر
اباحه الشرع رحيم يعني انه تعالى رحيم بجميع عباده قال قتادة نزلت هذه الاية في عائذ بن عمرو واصحابه وقال الضحاك
نزلت في عبد الله بن ام مكتوم وكان ضرير البصر ولما ذكر الله عز وجل هذه الاقسام الثلاثة من المعذورين اتبعهم بذكر قسم
رابع وهو قوله تعالى ولا على الذين اذا ما اتوك يعني ولا حرج ولا اثم في التخلف عنك على الذين اذا ما اتوك لتحملهم يعني
يسالونك الحملان ليبلغوا الى غزوة عدوك وهم في الجهاد معك يا محمد وقال ابن اسحق نزلت في البكائين وكانوا سبعة ونقل
الطبري عن محمد بن كعب وغيره قالوا لما جا ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه فقال لا اجد ما احملكم عليه
فانزل الله هذه الاية وهم سبعة نفر من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير ومن بني واقف حرمي بن عمرو ومن بني مازن بن النجار عبد
الرحمن بن كعب يكنى ابا ليلى ومن بني المعلى سلمان بن صخر ومن بني حارثة عبد الرحمن بن زيد ابو عبلة وهو الذي تصدق بعرضه
فقبل الله منه ذلك ومن بني سلمة عمرو بن عنمة وعبد الله بن عمرو المزني وقال البغوي هم سبعة نفر سموا البكائين معقل بن
يسار وصخر بن خنسا وعبد الله بن كعب الانصاري وعلبة بن زيد الانصاري وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبد الله بن مغفل
المزني قالوا اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان الله عز وجل قد ندبنا الى الخروج معك فاحملنا فقال
لا اجد ما احملكم عليه وقال مجاهد هم بنو مقرن وقيل نزلت في العرباض بن سارية وقيل انها نزلت في كل من ذكر قال ابن
عباس سالوه ان يحملهم على الدواب وقيل بل سالوه ان يحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لا اجد ما احملكم عليه تولوا وهم يبكون فسموا البكائين فذلك قوله تعالى قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا
واعينهم تفيض من الدمع قال صاحب الكشاف هو كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من تفيض دمعها لان العين جعلت كان
كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك افديك من رجل حزنا الا يجدوا ما ينفقون يعني على انفسهم في الجهاد انما السبيل لما قال
الله تعالى ما على المحسنين من سبيل قال تعالى في حق من يعتذر ولا عذر له انما السبيل يعني انما يتوجه الطريق بالعقوبة
على الذين يستاذنونك يا محمد في التخلف عنك والجهاد معك وهم اغنيا قادرين على الخروج معك رضوا بان يكونوا مع الخوالف يعني
رضوا بالدناءة والضيعة والانتظام في جملة الخوالف وهم النسا والصبيان والقعود معهم وطبع الله على قلوبهم يعني
ختم عليها فهم لا يعلمون ما في الجهاد من الخير في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فالفوز بالغنيمة والظفر بالعدو واما في الاخرة
فالثواب والنعيم الدائم الذي لا ينقطع قوله تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم يعني يعتذر هولا المنافقون المتخلفون
عنك يا محمد اي الى النبي وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم ويحتمل انهم اعتذروا الى النبي والمؤمنين فلهذا
قال تعالى يعتذرون بالاعذار الباطلة الكاذبة اذا رجعتم اليهم يعني من سفركم قل اي قل لهم يا محمد لا تعتذروا قال
البغوي وكان المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين قال الله تعالى قل لا تعتذروا
لن نؤمن لكم يعني لن نصدقكم فيما اعتذرتم قد نبانا الله من اخباركم يعني قد اخبرنا الله فيما سلف من اخباركم
وسيرى الله عملكم ورسوله يعني في المستانف اتتوبون من نفاقكم ام تقيمون عليه وقيل يحتمل انهم وعدوا بانهم
ينصروا المؤمنين في المستقبل فلهذا قال وسيرى الله عملكم ورسوله هل توفون بما قلتم ام لا ثم تردون
الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم يعني فيخبركم بما كنتم تعملون لانه هو المطلع على ضمايركم من الخيانة والكذب

Copyright © King Saud University

والخلاف لوعد فقوله عز وجل سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم يعني اذا رجعتم اليهم من سفركم يعني الى المتخلفين بالمدينة الى
المنافقين لتعرضوا عنهم يعني لتصفحوا عنهم ولا توبخوهم بسبب تخلفهم فاعرضوا عنهم يعني فدعوهم وما اختاروا لا
نفسهم من النفاق وقيل يريد ترك الكلام يعني لا تكلموهم ولا تجالسوهم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال
لا تجالسوهم ولا تكلموهم قال اهل المعاني ان هولا المنافقين طلبوا اعراض الصفح فاعطوا اعراض المقت ثم ذكر العلة في
سبب الاعراض عنهم فقال تعالى انهم رجس يعني ان بواطنهم خبيثة نجسة واعمالهم قبيحة ومأواهم يعني مسكنهم
جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يعني من الاعمال القبيحة من الكفر والنفاق يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان
الله لا يرضى عن القوم الفاسقين يعني ان الله يعلم ما في قلوبهم من النفاق والشك فلا يرضى عنهم ابدا قوله تعالى الاعراب
اشد كفرا ونفاقا نزلت في سكان البادية يعني اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر قال اهل اللغة يقال رجل
عربي اذا كان نسبه في العرب وجمعه العرب ورجل اعرابي اذا كان بدويا يطلب مساقط الغيث والكلا وجمع الاعرابي على الاعراب
والاعاريب لمن استوطن القرى والمدن العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم الاعراب اذا قيل له يا عربي فرح بذلك
والعربي اذا قيل له يا اعرابي غضب فالعرب افضل من الاعراب لان المهاجرين والانصار وعلما الدين من العرب والسبب
في كون الاعراب اشد كفرا ونفاقا بعدهم عن مجالسة العلما وسماع القران والسنن والمواعظ وهو قوله تعالى واجدر
يعني واحلق واحرى ان لا يعلموا اي بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله يعني من الفرائض والسنن والاحكام
والله عليم يعني بما في قلوب عباده حكيم فيما فرض من فرائضه واحكامه ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما يعني
لا يرجوا على نفقته ثوابا ولا يخاف على امساكه عقابا انما ينفق خوفا ورياء والمغرم التزام ما لا يلزمه والمعنى ان من
الاعراب من يعتقد ان الذي ينفقه في سبيل الله غرامة لانه لا ينفق ذلك الا خوفا من المسلمين ومراياة لهم ولم يرد
بذلك الانفاق وجه الله وثوابه ويتربص يعني وينتظر بكم الدواير يعني بالدواير تقلب الزمان وصرفه التي
تاتي مرة بالخير ومرة بالشر قال يمان بن رياب يعني تنقلب الزمان فيموت الرسول ويظهر المشركون عليهم دايرة
السوء اي يعني ينقلب عليهم الزمان ويدور السوء والبلاء والحزن ولا يرون في اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه
ودينه الا ما يسوهم والله سميع يعني لاقوالهم عليم يعني بما يخفون في ضمايرهم من النفاق والغش وارادة السو
للمومنين نزلت هذه الاية في اعراب اسد وغطفان وتميم ثم استثنى الله عز وجل فقال تعالى ومن الاعراب من
يومن بالله واليوم الاخر قال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وقال الكلبي هم اسلم وغفار وجهينة عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايتم ان كان جهينة ومزينة واسلم وغفار خيرا من بني تميم وبني اسد وبني
عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة فقال رجل خابوا وخسروا فقال انهم خير من بني تميم وبني اسد وبني عبد
الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة وفي رواية ان الاقرع بن حابس قال للنبي صلى الله عليه وسلم انما تابعك
سراق الحجيج من اسلم وغفار ومزينة واحسبه قال وجهينة قال النبي صلى الله عليه وسلم ارايت ان كان اسلم وجهينة
وغفار ومزينة واحسبه قال وجهينة خيرا من بني تميم وبني عامر واسد وغطفان قد خابوا وخسروا قالوا نعم
ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها زاد مسلم في رواية اما اني لم
اقلها ولكن الله قالها ق عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم قريش والانصار وجهينة ومزينة واسلم واشجع
وغفار موالي ليس لهم مولى دون الله ورسوله قوله تعالى ويتخذ ما ينفق قربات عند الله جمع قربة اي يطلب بما
ينفق القربة الى الله تعالى وصلوات الرسول يعني ويرغبون في دعا النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل
على ال ابي اوفى الا انها قربة لهم يحتمل ان يعود الضمير في انها الى صلوات الرسول ويحتمل انها تعود الى الانفاق وكلاهما

عند

عند الله قربة وهذه شهادة من الله تعالى للمتصدق المومن بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات عند الله وصلوات
الرسول مقبوله عند الله لان الله اكد ذلك بحرف التنبيه الا وبحرف التحقيق وهو قوله تعالى انها قربة لهم سيدخلهم
الله في رحمته وهذه النعمة من اقصى مراتبهم ان الله غفور للمومنين المتصدقين في سبيله رحيم يعني بهم حيث وفقهم
لهذه الطاعة قوله عز وجل والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار اختلف العلما في السابقين الاولين فقال سعيد
وقتادة وابن سيرين وجماعة هم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطا بن ابي رباح هم اهل بدر وقال الشعبي هم اهل
بيعة الرضوان وكانت بيعة الرضوان بالحديبية وقال محمد بن كعب القرظي هم جميع الصحابة لانهم حصل لهم السبق
بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينهم واردت الفتن فقال ان الله قد غفر لجميعهم محسنهم ومسيئهم
واوجب لهم الجنة فقال سبحان الله الا تقرا قال السابقون الاولون الى اخر الاية فاوجب الله الجنة لجميع اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم زاد في رواية في قوله والذين اتبعوهم باحسان قال شرط في التابعين شرطا وهي
ان يتبعوهم في افعالهم الحسنة دون السيئة قال حميد فكاني لم اقرا هذه الاية قط واختلف العلما في اول الناس
اسلاما بعد اتفاقهم على ان خديجة اول الخلق اسلاما اول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعض
العلما اول من امن بعد خديجة علي بن ابي طالب وهذا قول جابر بن عبد الله ثم اختلفوا في سنه وقت اسلامه فقيل كان
ابن عشر سنين وقيل اقل من ذلك وقيل اكثر وقيل كان بالغا والصحيح انه لم يكن بالغا وقت اسلامه وقال بعضهم اول من اسلم
بعد خديجة ابو بكر الصديق وهذا قول ابن عباس والنخعي والشعبي وقال الزهري وعروة ابن الزبير اول من اسلم بعد
خديجة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسحاق بن ابراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الروايات فيقول
اول من اسلم من الرجال ابو بكر ومن النسا خديجة ومن الصبيان علي بن ابي طالب ومن العبيد زيد بن حارثة رضي الله عنهم
فهولا الاربعة سابقوا الخلق الى الاسلام وقال ابن اسحاق فلما اسلم ابو بكر اظهر اسلامه ودعا الناس الى الله والى رسوله
وكان رجلا محببا سهلا وكان انسب قريش لقريش واعلمها بما كان فيها وكان رجلا تاجرا وكان ذا خلق حسن ومعروف وكان
رجال قومه ياتونه ويالفونه لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام من يثق به من قومه فاسلم على يديه عثمان بن
عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله فجا بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم
فاسلموا على يديه وصلوا معه فكان هولا النفر الثمانية اول من سبق الناس الى الاسلام ثم تتابع الناس بعدهم في الدخول
الى الاسلام واما السابقون من الانصار فهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهي الاولى وكانوا
ستة نفر سعد بن زراره وعوف بن مالك ورافع بن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر وجابر بن عبد الله بن رياب
ثم اصحاب العقبة الثانية من العام المقبل كانوا اثنا عشر رجلا ثم اصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين رجلا منهم
البرا بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام ثم ابو جابر وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة
فهولا سباق الانصار ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب الى اهل المدينة يعلمهم القران فاسلم على يده خلق
كثير من الرجال والنسا والصبيان من اهل المدينة وذلك قبل ان يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقيل
ان المراد بالسابقين الاولين من سبق الى الهجرة والنصرة والذي يدل عليه ان الله تعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين بماذا
سبقوا فبقي اللفظ مجملا فلما قال تعالى من المهاجرين والانصار وصفهم بكونهم مهاجرين وانصارا وجب صرف المجمل اليه وهو
الهجرة والنصرة والذي يدل عليه ايضا فان الهجرة طاعة عظيمة ومرتبة عالية من حيث ان الهجرة امر شاق على النفس لمفارقة
الوطن والعشيرة وكذلك النصرة فانها مرتبة عالية ومنزلة شريفة لانهم نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه
واووه ونصروه وواسوه واووا اصحابه وواسوهم فلذلك اثنى الله عز وجل عليهم ومدحهم فقال تعالى والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار وقوله تعالى والذين اتبعوهم باحسان قيل بقية المهاجرين والانصار سوى السابقين

الاولين فعلى هذا القول يكون الجميع من الصحابة وقيل هم الذين سلكوا سبيل المهاجرين والانصار في الايمان والهجرة والنصرة الى يوم القيامة قال عطا هم الذين يذكرون المهاجرين والانصار فيترحمون عليهم ويدعون لهم ويذكرون محاسنهم ق عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر بعده قرنين او ثلاثة ق عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدا وفي رواية احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اراد بالقرن في الحديث الاول اصحابه والقرن امة من الناس يتقارب بعضهم بعضا واختلفوا في مدته من الزمان فقيل من عشر سنين الى عشرين وقيل من مائة الى مائة وعشرين والمد المذكور في الحديث هو ربع صاع والنصيف نصفه والمعنى لو ان احدا عمل مهما قدر عليه من اعمال البر والانفاق في سبيل الله ما بلغ هذا القدر اليسير التافه من اعمال الصحابة وانفاقهم لانهم انفقوا وبذلوا المجهود في وقت الحاجة وقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه يعني رضي الله اعمالهم ورضوا عنه بما جازاهم عليها من الثواب وهذا لفظ عام يدخل فيه كل الصحابة واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم ذكر جماعة من المفسرين من المتاخرين البغوي والواحدي وابن الجوزي انهم من اعراب مزينة وجهينة واشجع وغفار واسلم وكانت منازلهم حول المدينة يعني ومن هولاء منافقون وما ذكروه مشكل لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لهولاء القبائل ومدحهم فان صح نقل المفسرين فيحمل قوله تعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون على التقليل فان لفظة على التبعيض ويحمل دعا النبي صلى الله عليه وسلم على الاكثر والاغلب وبهذا يمكن الجمع بين قول المفسرين وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيه واما الطبري فانه اطلق القول ولم يعين احدا من القبائل المذكورة في تفسير هذه الاية من القوم الذين حول مدينتكم ايها المومنون من الاعراب منافقون ومن اهل مدينتكم ايضا امثالهم قوم منافقون وقال البغوي ومن اهل المدينة من الاوس والخزرج منافقون مردوا على النفاق فيه تقديم وتاخير تقديره وممن حولكم من الاعراب ومن اهل المدينة منافقون مردوا على النفاق اي تعودوا واعتادوا عليه يقال تمرد فلان على ربه اذا عتا وتجبر ومنه الشيطان المارد وتمرد في معصيته اي مرن وثبت عليها واعتادها ولم يتب منها قال ابن اسحاق لجوا فيه وابوا غيره وقال ابن زيد اقاموا عليه ولم يتوبوا منها قوله تعالى لا تعلمهم يعني انهم بلغوا في النفاق الى حيث انك لا تعلمهم يا محمد مع صفا خاطرك واطلاعك على الاسرار نحن نعلمهم اي لكن نحن نعلمهم لانه لا يخفى علينا خافية وان دقت سنعذبهم مرتين اختلف المفسرون في العذاب الاول مع اتفاقهم ان العذاب الثاني هو عذاب القبر بدليل قوله تعالى ثم يردون الى عذاب عظيم وهو عذاب النار في الاخرة فثبت بهذا ان الله تعالى يعذب المنافقين ثلاث مرات مرة في الدنيا ومرة في القبر ومرة في الاخرة اما المرة الاولى وهي التي اختلفوا فيها فقال الكلبي والسدي قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا في يوم جمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج من المسجد اناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني هو عذاب القبر فان صح هذا القول فيحتمل ان يكون العذاب الذي اعلم الله حالهم وهتكهم عليه لان الله تعالى قال لا تعلمهم نحن نعلمهم ثم بعد ذلك علمه بهم وقال مجاهد هذا العذاب الاول هو القتل والاسر وهذا قول ضعيف لان احكام الاسلام في الظاهر كانت جارية على المنافق فلم يقتلوا ولم يسبوا وعن مجاهد رواية اخرى انهم عذبوا بالجوع مرتين وقال قتادة المرة الاولى هي الدبيلة في الدنيا وقد جاء تفسيرها في الحديث بانها خراج من نار تظهر في اكتافهم حتى تنجم من صدورهم يعني تخرج من صدورهم وقال ابن زيد الاولى المصائب في الاموال والاولاد في الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن عباس الاولى اقامة الحدود عليهم في الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن اسحاق الاولى هي ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم فيه

كرها

كرها غير حسبة والاخرى عذاب القبر وقيل الاولى احراق مسجدهم مسجد الضرار والاخرى احراقهم بنار جهنم وهو قوله تعالى ثم يردون الى عذاب عظيم يعني عذاب جهنم يخلدون فيه قوله عز وجل وآخرون اعترفوا بذنوبهم فيه قولان احدهما انهم قوم من المنافقين تابوا من نفاقهم واخلصوا وحجة هذا القول ان قوله وآخرون عطف على قوله وممن حولكم من الاعراب منافقون والعطف يوهم ويعضده ما نقله الطبري عن ابن عباس انه قال هم الاعراب والقول الثاني وهو قول جمهور المفسرين انها نزلت في جماعة من المسلمين من اهل المدينة تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك واختلف المفسرون في عددهم فروي عن ابن عباس انهم كانوا عشرة منهم ابو لبابة وروي عنه انهم كانوا خمسة احدهم ابو لبابة وقال سعيد بن جبير وزيد بن اسلم كانوا ثمانية احدهم ابو لبابة وقيل كانوا ثلاثة ابو لبابة بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وذلك انهم كانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا بعد ذلك وتابوا وقالوا نكون في الظلال مع النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه في الجهاد والله فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرب المدينة قالوا والله لنوثقن انفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا ويعذرنا فربطوا انفسهم في سواري المسجد فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بهم فراهم فقال من هولاء فقالوا هولاء تخلفوا عنك فتعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى تكون انت تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى اومر باطلاقهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فانزل الله عز وجل هذه الاية فاطلقهم واعذرهم فلما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك خذها فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امرت ان اخذ من اموالكم شيا فانزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم الاية وقال قوم نزلت هذه الاية في ابي لبابة خاصة واختلفوا في ذنبه الذي تاب منه فقال مجاهد نزلت في ابي لبابة حين قال لبني قريظة ان نزلتم على حكمه فهو الذبح واشار الى حلقه فندم على ذلك وربط نفسه بسارية وقال والله لا احل نفسي ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه فانزل الله هذه الاية فقيل له قد تيب عليك فقال والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يحلني فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فحله بيده فقال ابو لبابة يا رسول الله ان من توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي كله صدقة الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال يجزيك الثلث يا ابا لبابة قالوا جميعا فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث اموالهم وترك لهم الثلثين لان الله تعالى قال خذ من اموالهم ولم يقل خذ اموالهم ولان لفظة من تقتضي التبعيض قال الحسن وقتادة وهولاء الثلاثة الذين تخلفوا سيأتي خبرهم واما التفسير الاية فقوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال اهل المعاني الاعتراف الاقرار بالشيء ومعناه انهم اقروا بذنوبهم وفيه دقيقة وهي انهم لم يعتذروا عن تخلفهم باعذار باطلة كغيرهم من المنافقين ولكن اعترفوا على انفسهم بذنوبهم وندموا على ما فعلوا فان قلت ان الاعتراف بالذنب توبة ام لا قلت الاعتراف بالذنب لا يكون توبة فاذا اقترن الاعتراف بالندم على الماضي من الذنب والعزم على تركه في المستقبل فيكون ذلك الاعتراف والندم توبة قوله تعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا قيل اراد بالعمل الصالح اقرارهم بالذنب وتوبتهم منه والعمل السيئ هو تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل العمل الصالح هو خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سائر الغزوات والسيئ هو تخلفهم عن غزوة تبوك وقيل ان العمل الصالح يعم جميع البر والطاعة والسيئ ما كان ضده فعلى هذا تكون الاية في حق المسلمين والحمل على العموم اولى وان كان

Copyright © King Saud University

السبب مخصوصا عن تخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وروى الطبري عن ابي عثمان قال ما في القران
اية اعدل عندي من هذه الاية قوله واخرون اعترفوا بذنوبهم الاية فان **قلت** جعل واحد من العمل الصالح
والسيئ مخلوطا فما المخلوط به **قلت** ان الخلط عبارة عن جميع المطلق فاما قولك خلطته انما يحسن في الموضع الذي
يمتزج كل واحد من الممتزجين كل واحد من المخلوطين بالاخر ويتغير به عن صفته الاصلية كقولك خلطت الما باللبن
وخلطت الما واللبن فتكون الواو عبارة عن البا فيكون معنى الاية عن هذا خلطوا عملا صالحا باخر سيئ ذكره غالب
المفسرين وانكر الامام فخر الدين الرازي وقال لا يليق بهذا الموضع لجمع المطلق لان العمل الصالح والعمل السيئ
اذا حصلا معا بقي كل واحد منهما على حاله كما هو مذهبنا فان القول بالاختلاط باطل فالطاعة تبقى موجبة للمدح
والثواب والمعصية تبقى موجبة للذم والعذاب فقوله خلطوا عملا صالحا واخر سيئا تنبيه على نفي القول بالمخالطة
والا بقي كل واحد منهما كما كان من غير ان يتاثر احدهما بالاخر فليس الا الجمع المطلق وقال الواحدي العرب تقول خلطت
الما باللبن وخلطت الما واللبن كما تقول جمعت زيدا وعمروا والواو في الاية احسن من البا لانها للجمع لا حقيقة
الخلط الا ترى ان العمل الصالح لا يختلط بالسيئ الا كما يختلط الما باللبن لكن قد يجمع بينهما قوله تعالى عسى الله ان
يتوب عليهم قال ابن عباس وجمهور المفسرين عسى من الله واجب والدليل عليه قوله فعسى الله ان ياتي بالفتح وقد
فعل ذلك وقال اهل المعاني عسى هنا تفيد الطمع والاشفاق لانها ابعد من الاتكال والاهمال وقيل ان الله
تعالى لا يجب عليه شي بل كل ما كان يفعله على سبيل التفضيل والتطول والاحسان فذكر لفظة عسى التي هي للترجي
والطمع حتى يكون العبد بين الرجا والاشفاق ولكن هو نيل ما يرجو منه اقرب لانه ختم الاية بقوله ان الله غفور
رحيم وهذا يفيد انجاز الوعد قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها قال ابن عباس لما اطلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا لبابة وصاحبيه انطلق ابو لبابة وصاحباه فاتوا باموالهم الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا خذ من اموالنا وتصدق بها عنا وصل علينا يعني استغفر لنا وطهرنا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اخذ منها شيا حتى اومر به فانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة الاية وهذا
قول زيد بن اسلم وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك ثم اختلف العلما في المراد بهذه الصدقة فقال بعضهم هو
راجع الى هولا الذين تابوا وذلك انهم بذلوا اموالهم صدقة فاوجب الله تعالى اخذها وصار ذلك معتبرا في كمال
توبتهم فتكون جارية في مجرى الكفارة واصحاب هذا القول يقولون ليس المراد بها الصدقة الواجبة وقال
بعضهم ان الزكاة كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم عن الغزو وحسن اسلامهم بذلوا الزكاة امر الله تعالى
رسوله صلى الله عليه وسلم ان ياخذها منهم وقال بعضهم ان الاية كلام مبتدا والمقصود منها ايجاب اخذها
من الاغنيا ودفعها الى الفقرا وهذا قول اكثر الفقها واستدلوا بها على ايجاب اخذ الزكاة اما حجة اصحاب القول
الاول انهم قالوا ان الايات لا بد وان تكون منتظمة متناسبة ولو حملناها على اخذ الزكاة الواجبة لم
يبق لهذه الاية تعلق لما قبلها ولا لما بعدها ولان جمهور المفسرين في سبب نزولها انها نزلت في شان التايبين
واما اصحاب القول الاخير فانهم قالوا المناسبة حاصلة ايضا على هذا التقدير وذلك لانهم لما تابوا واخلصوا
واقروا ان السبب الموجب للتخلف هو حب المال فامروا باخراج الزكاة التي هي طهرة فلما اخرجوها علم صحة
وصحة توبتهم ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فان قالوا ان الزكاة قدر معلوم لا يبلغ ثلث المال وقد
اخذ منهم ثلث اموالهم قلنا لا يمنع هذا صحة ما قلنا لانهم رضوا ببذل الثلث من اموالهم فلا يكونوا اضيين
باخراج الزكاة اولا وفي هذه الاية احكام الاول قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة الخطاب فيه للنبي صلى الله
عليه وسلم اي يا محمد خذ من اموالهم صدقة فكان النبي صلى الله عليه وسلم ياخذها ايام حياته ثم اخذها الائمة

من

من بعده فيجوز للامام او نايبه ان ياخذ الزكاة من الاغنيا ويدفعها الى الفقرا الحكم الثاني قوله من اموالهم ولفظ
من تقتضي التبعيض وهذا البعض الماخوذ غير معلوم ولا مقدر بنص القران فلم يبق الا الصدقة التي بين
رسول الله صلى الله عليه وسلم قدرها وصفتها في اخذ الصدقة الحكم الثالث ظاهر قوله خذ من اموالهم
صدقة تفيد العموم فيجب الزكاة في جميع المال حتى في العيون وفي مال الزكاة الحكم الرابع ظاهر قوله تطهرهم
ان الزكاة لما وجبت لكونها طهرة من الاثام وصدور الاثام لا يمكن حصولها الا من البالغ دون الصبي
فوجب ان تجب الزكاة في مال البالغ دون الصبي وهذا قول ابي حنيفة ثم اجاب اصحاب الشافعي بانه لا يلزم من انتفا
سبب معين انتفا الحكم وللعلما في قوله تطهرهم قولان الاول ان معناه خذ يا محمد من اموالهم صدقة فانها
تطهرهم باخذها من دنس الاثام القول الثاني ان يكون تطهرهم متعلقا بالصدقة تقديره خذ من اموالهم
صدقة فانها طهرة لهم وانما حسن جعل الصدقة مطهرة لما جا ان الصدقة من اوساخ الناس فاذا اخذت
الصدقة فقد اندفعت تلك الاوساخ وكان ذلك الاندفاع جاريا مجرى التطهير فعلى هذا القول يكون قوله
تعالى وتزكيهم بها منقطعا عن قوله تطهرهم ويكون التقدير خذ يا محمد من اموالهم صدقة تطهرهم تلك الصدقة
وتزكيهم انت بها القول الثالث ان يجعل التا في قوله تطهرهم وتزكيهم ضمير المخاطب ويكون المعنى تطهرهم انت
يا محمد باخذها منهم وتزكيهم بواسطة تلك الصدقة القول الرابع ان معناه تطهرهم وتزكيهم اي تنمي اموالهم
ببركة اخذها منهم الحكم الخامس قوله تعالى وصل عليهم يعني ادع واستغفر لهم لان اصل الصلاة في اللغة
الدعا قال الشافعي السنة للامام اذا اخذ الصدقة ان يدعو للمتصدق فيقول اجرك الله فيما اعطيت وبارك
لك فيما ابقيت وقال بعضهم يجب على الامام ان يدعو للمتصدق وقال بعضهم يستحب ذلك وقيل يجب
في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع وقيل يجب على الامام ويستحب للفقير ان يدعو للمعطي وقال
بعضهم يستحب ان يقول اللهم صل على محمد ويدل عليه ما روي عن عبد الله بن ابي اوفى اخرجه في الصحيحين
وقوله تعالى ان صلوتك وقرئ صلواتك على الجمع سكن لهم يعني ان دعاك رحمة لهم وقال ابن عباس طمانينة
وسكن لهم وقيل ان الله قد قبل منهم وقال ابو عبيدة تثبيت لقلوبهم وقيل ان السكن ما سكنت اليه والمعنى ان
صلواتك توجب سكون نفوسهم اليها وان الله قد قبل توبتهم او قبل زكاتهم والله سميع يعني لاقوالهم او لدعائك
لهم عليم يعني بنياتهم الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده هذه صيغة استفهام الا ان المقصود منه
التقرير فبشر الله عز وجل هولا التايبين بقبول توبتهم وصدقاتهم ومعنى الاية الم يعلم هولا الذين تابوا
ان الله تعالى يقبل التوبة الصادقة والصدقة الخالصة وقيل ان المراد بهذه الاية غير التايبين ترغيبا
لهم في التوبة وبذل الصدقات وذلك انه لما نزلت توبة هولا التايبين قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين
هولا كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم اليوم فانزل الله هذه الاية ترغيبا لهم في التوبة وقوله
تعالى عن عباده قيل لا فرق بين قوله عن عباده ومن عباده اذ لا فرق بين قولك اخذت هذا العلم عنك او منك
وقيل بينهما فرق ولعل عن في هذا الموضع ابلغ لان فيه تبشيرا بقبول التوبة مع تسهيل سبيلها قوله تعالى ويأخذ
الصدقات يعني ويقبلها ويثيب عليها وانما ذكر لفظ الاخذ ترغيبا في بذل الصدقة واعطائها الفقرا وقيل معناه
اخذ الله الصدقات تضمنه الجزا عليها ولما كان هو المجازي عليها والمثيب بها اسند الاخذ الى نفسه وان كان الفقير
او السايل هو الاخذ لها وفي هذا تعظيم امر الصدقات وتشريفها وان الله تعالى يقبلها من عبده المتصدق ق عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق احدكم بصدقة من كسب حلال طيب ولا يقبل الله الا الطيب
الا اخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون اعظم من الجبل كما يربي احدكم فلوه او فصيله لفظ

Copyright © King Saud University

مسلم وفي البخاري لفظه من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب لا يصعد الى الله الا الطيب وفي رواية ولا يقبل الله
الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل واخرجه الترمذي ولفظه
ان الله يقبل الصدقة وياخذها بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربي احدكم فلوه حتى ان اللقمة لتصير مثل احد وتصديق ذلك في
كتاب الله الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات ويمحق الله الربا ويربي الصدقات وقوله من كسب
طيب اي حلال وذكر اليمين والكف في الحديث كناية عن قبول الصدقة فان الله تعالى قد قبلها من المعطي لانه سبحانه
الفقير او السائل انما اخذ الصدقة فكانه كف اليمين وكان المتصدق قد وضع صدقته في القبول والاثابة وقوله تربوا
اي تكبر يقال ربا الشي يربوا اذا زاد وكبر الفلو بضم الفا وفتحها لغتان ما يولد الفرس والفصيل ولد الناقة الى ان
ينفصل عنها قوله تعالى وان الله هو التواب الرحيم تاكيد لقوله تعالى الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده
وتبشير لهم وان الله هو التواب الرحيم قوله تعالى وقل اي قل يا محمد لهولا التائبين اعملوا يعني لله بطاعته واداء
فرائضه فسيرى الله عملكم ورسوله فيه ترغيب عظيم للمطيعين ووعيد عظيم للمذنبين فكانه قال اجتهدوا في العمل في
المستقبل فان الله تعالى يرى اعمالكم ويجازيكم عليها والمؤمنون يعني ويرى رسوله والمؤمنون اعمالكم اما روية رسول
الله صلى الله عليه وسلم باطلاع الله اياه على اعمالكم واما روية المؤمنين فيما يقذف الله عز وجل في قلوبهم من محبة
الصالحين وبغض المفسدين وستردون الى عالم الغيب والشهادة يعني وسترجعون يوم القيامة الى من يعلم سركم وعلانيتكم
ولا يخفى عليه شي من بواطنكم وظواهركم فينبئكم اي فيخبركم بما كنتم تعملون يعني في الدنيا من خير او شر فيجازيكم على
اعمالكم وآخرون مرجون اي موخرون والارجا التاخير لامر الله يعني لحكم الله فيهم قال بعضهم ان الله تعالى قسم
المتخلفين على ثلاثة اقسام اولهم المنافقون وهم الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه والقسم الثاني
التائبون وهم الذين سارعوا الى التوبة بعد ما اعترفوا بذنوبهم وهم ابو لبابة واصحابه فقبل الله توبتهم
والقسم الثالث موقوف وموخرون الى ان يحكم الله فيهم وهم المراد بقوله وآخرون مرجون لامر الله والفرق بين القسم
الثاني والقسم الثالث ان القسم الثاني سارعوا الى التوبة فقبل الله توبتهم والقسم الثالث توقفوا ولم يسارعوا
الى التوبة فاخر الله امرهم نزلت هذه الاية في الذين تخلفوا وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع
وستاتي قصتهم عند قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وذلك انهم لم يبالغوا في التوبة والاعتذار كما فعل
ابو لبابة واصحابه فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة ونهى الناس عن كلامهم وكانوا من اهل
المدينة فجعل بعض الناس يقول هلكوا وبعضهم يقول عسى الله ان يتوب عليهم ويغفر لهم وهو قوله تعالى
اما يعذبهم واما يتوب عليهم يعني امرهم الى الله تعالى ان شاء عذبهم بسبب تخلفهم وان شاء غفر لهم والله عليم
يعني بما في قلوبهم حكيم يعني فيما يقضي عليهم قوله عز وجل والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا نزلت في جماعة
من المنافقين بنوا مسجدا يضارون به مسجد قبا وكانوا اثني عشر رجلا من اهل النفاق وديعة بن ثابت وخذام
ابن خالد ومن داره اخرج هذا المسجد وثعلبة بن حاطب وجارية بن عمرو وابناه مجمع وزيد ومعتب بن قشير
وعباد بن حنيف اخو سهل بن حنيف وابو حبيبة بن الازعر ونبتل بن الحرث وبجاد بن عثمان انهم خرجوا بنوا هذا
المسجد ضرارا يعني مضارة للمومنين وكفرا يعني ليكفروا فيه بالله تعالى وبرسوله وتفريقا بين المومنين لانهم كانوا
جميعا يصلون في مسجد قبا فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيودي ذلك الى الاختلاف وافتراق الكلمة
وكان يصلي فيهم مجمع بن جارية وكان شابا يقرا القران ولم يدر ما ارادوا ببنيانه فلما فرغوا من بنايه اتوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا فتصلي لنا فيه لانه لذي العلة والحاجة
والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب ان تاتينا وتصلي فيه وتدعو بالبركة فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم اني على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله اتيناكم فصلينا فيه وقوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله من
قبل يعني انهم بنوا هذا المسجد وهو ابو عامر الراهب والد حنظلة غسيل الملائكة وكان ابو عامر قد ترهب في
الجاهلية ولبس المسوح وتنصر فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال له ابو عامر ما هذا الدين الذي
جئت به فقال النبي صلى الله عليه وسلم جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال ابو عامر فانا عليها فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم انك لست عليها قال ابو عامر بلى ولكنك ادخلت في الحنيفية ما ليس فيها فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ما فعلت ولكن جئت بها بيضا نقية فقال ابو عامر امات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غريبا فقال
النبي صلى الله عليه وسلم امين وسماه الناس ابا عامر الكذاب فلما كان يوم احد قال ابو عامر الفاسق للنبي
صلى الله عليه وسلم لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل كذلك الى يوم حنين فلما انهزمت
هوازن يئس ابو عامر وخرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح
وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فآتي بجند من الروم فاخرج محمدا واصحابه فبنوا مسجد الضرار
الى جانب مسجد قبا فذلك قوله تعالى وارصادا يعني انتظارا لمن حارب الله ورسوله يعني ابا عامر الفاسق حارب الله ورسوله
من قبل بنا المسجد الضرار وليحلفن يعني الذين بنوا ان اردنا يعني ما اردنا ببنيانه الا الحسنى يعني الا الفعلة الحسنى
وهي الرفق بالمسلمين والتوسعة على اهل الضعف والعجز عن الصلاة في مسجد قبا او مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم
فلما انصرف من تبوك راجعا نزل بذي اوان وهو موضع قريب من المدينة فاتاه المنافقون وسالوه ان ياتي مسجدهم
فدعا بقميصه ليلبسه وياتيهم فانزل الله تعالى هذه الاية واخبره خبر مسجد الضرار وما هموا به فدعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشيا وقال انطلقوا الى هذا المسجد
الظالم اهله فاهدموه واحرقوه فخرجوا مسرعين حتى اتوا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال
مالك انظروني حتى اخرج اليكم بنار فدخل اهله فاخذ سعفا من النخل فاشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا
المسجد وفيه اهله فحرقوه وهدموه وتفرق اهله عنه وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ ذلك
الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والنتن والقمامة ومات ابو عامر بالشام غريبا وحيدا وروي ان بني عمرو بن
عوف الذين بنوا مسجد قبا اتوا عمر بن الخطاب في خلافته فسالوه ان ياذن لمجمع بن جارية ان يومهم في مسجدهم
فقال لا ونعمة عين اليس هو امام مسجد الضرار فقال مجمع يا امير المومنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت فيه
واني لا اعلم ما اضمروا عليه ولو علمت ما صليت فيه معهم وكنت غلاما قاريا للقران وكانوا شيوخا لا يقرون
فصليت بهم ولا احسب الا انهم لا يتقربون الى الله ولا اعلم ما في نفوسهم فعذره عمر وصدقه وامره
بالصلاة في مسجد قبا قال عطا لما فتح الله على عمر بن الخطاب الامصار امر المسلمين ان يبنوا المساجد وامرهم
ان لا يبنوا في موضع واحد مسجدين يضار احدهما الاخر وقوله تعالى والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم فيه ابدا
قال ابن عباس معناه لا تصل فيه ابدا منع الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي في مسجد الضرار لمسجد اسس
على التقوى اللام فيه لام الابتدا وقيل لام القسم تقديره والله مسجد اسس يعني اصله بني ووضع اساسه
كان ذلك البنا على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه يعني مصليا واختلفوا في المسجد الذي اسس على التقوى
فقال ابن عمر وزيد بن ثابت وابو سعيد الخدري هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني مسجد المدينة
ويدل عليه ما روي عن ابي سعيد الخدري قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه
فقلت يا رسول الله اي مسجد اسس على التقوى قال فاخذ كفا من حصبا فضرب به الارض ثم قال مسجدكم
هذا المسجد المدينة اخرجه مسلم ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري

Copyright © King Saud University

روضة من رياض الجنة عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان قوائم منبري هذا رواتب في الجنة
اخرجه النسائي قوله رواتب يعني ثوابت يقال رتب بالمكان اذا قام فيه وثبت وفي رواية عن ابن عباس وعروة
ابن الزبير وسعيد بن جبير وقتادة انه مسجد قبا ويدل عليه سياق الاية وهو قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا
والله يحب المطهرين ويدل على انهم اهل قبا ما روي عن ابي هريرة قال نزلت هذه الاية في اهل قبا فيه رجال يحبون
ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال وكانوا يستنجون بالما فنزلت هذه الاية فيهم اخرجه ابو داود والترمذي
موقوفا على ابي هريرة ورواه البغوي من طريق ابي داود مرفوعا عن ابي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم نزلت هذه
الاية في اهل قبا فيه رجال يحبون ان يتطهروا قال كانوا يستنجون بالما فنزلت فيهم هذه الاية ومما يدل على انه
مسجد قبا ما روي عن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور قبا او ياتي قبا راكبا وماشيا زاد في رواية
فيصلي فيه ركعتين وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياتي مسجد قبا كل سبت راكبا وماشيا وكان ابن
عمر يفعله اخرج الرواية الاولى والزيادة البخاري ومسلم واخرج الرواية الثانية البخاري عن سهل بن حنيف قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حتى ياتي هذا المسجد مسجد قبا فيصلي فيه كان له كعدل عمرة اخرجه النسائي
عن اسيد بن ظهير قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلوة في مسجد قبا كعمرة اخرجه الترمذي وقوله تعالى فيه رجال
يحبون ان يتطهروا يعني من الاحداث والجنابات وسائر النجاسات وهذا قول اكثر المفسرين قال ولما كانوا
يستنجون بالما ولا ينامون بالليل على الجنابة عن ابي هريرة قال نزلت هذه الاية في اهل قبا رجال يحبون ان يتطهروا
والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالما فنزلت هذه الاية فيهم اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب
هكذا ذكره صاحب جامع الاصول موقوفا على ابي هريرة وقال رفعه البغوي وغيره فقالوا عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم وذكره وروى الطبري بسنده عن عويمر بن ساعدة وكان من اهل بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لاهل قبا اني اسمع الله عز وجل قد احسن عليكم الثنا في الطهور فما هذا الطهور قالوا يا رسول الله ما نعلم شيا
الا ان جيرانا لنا من اليهود يغسلون ادبارهم من الغايط فغسلنا كما غسلوا وعن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله
عليه وسلم قال لاهل قبا ان الله قد احسن عليكم الثنا في الطهور فما تصنعون قالوا انا نغسل عنا اثر الغايط والبول
وقال الامام فخر الدين الرازي المراد من هذه الطهارة من الذنوب والمعاصي وهذا القول متعين لوجوه الاول
ان التطهر من الذنوب هو المؤثر في القرب الى الله تعالى واستحقاق ثوابه ومدحه الوجه الثاني ان الله وصف
اصحاب مسجد الضرار بمضارة المسلمين والتفرق بينهم والكفر بالله وكون هولا اهل قبا بالضد من صفاتهم وما
ذاك الا لكونهم مبرين من الكفر والمعاصي وهي الطهارة الماكثة الوجه الثالث ان طهارة الظاهر انما يحصل لها
اثر عند الله اذا حصلت الطهارة الباطنة من الكفر والنفاق والمعاصي وطهارة الاعضا يعني الظاهر من الاحداث
وقيل يحتمل ان يكون محمولا على كلا الامرين يعني طهارة الباطن من الكفر والنفاق والمعاصي وطهارة الاعضا يعني الظاهر
من الاحداث والنجاسات بالما والله يحب المطهرين فيه مدح وثنا عليهم والرضا عنهم بما اختاروه لانفسهم
والمداومة على محبة الطهارة قوله تعالى افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان يعني طلب بنيانه المسجد الذي بناه
على تقوى الله ورضاه والمعنى ان الباني لما بنى ذلك البنا كان قصده تقوى الله وطلب رضاه وثوابه خير ام من اسس بنيانه
على شفا جرف هار الشفا هو الشفير وشفا كل شي هو حرفه ومنه يقال اشفى على كذا اذا دنا منه وقرب ان يقع فيه
والجرف المكان الذي كل الماء تحته فهو الى السقوط قريب قال ابو عبيد الجرف المكان الذي هو الهوة وما يجرفه السيل من الاودية
فينجرف وقيل هو من هار ينهار اذا انهدم وسقط وهو الذي تداعى بعضه في اثر بعض كما ينهار الرمل والشي الرخو فانهار به
يعني سقط بالبنا في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين والمعنى ان بنا هذا المسجد الضرار كالبنا على شفير جهنم يتهوى ٣

باهله

باهله فيها وهذا مثل ضربه الله تعالى للمسجدين مسجد الضرار ومسجد التقوى مسجد قبا او مسجد الرسول صلى الله عليه
وسلم فمعنى المثل افمن اسس بنيانه على قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير ام من اسس دينه
على اضعف القواعد واقلها بقا وثباتا وهو الباطل والنفاق الذي مثله على بنا على غير اساس ثابت وهو شفا
جرف هار فانهار فاذا كان كذلك كان اسرع الى السقوط في نار جهنم لان الباني الاول قصد ببنائه تقوى
الله ورضوانه فكان بناوه اشرف البنا والباني الثاني قصد ببنائه الكفر والنفاق واضرار المسلمين
فكان بناوه اخس البنا وكان عاقبته الى جهنم قال ابن عباس صير هم نفاقهم الى النار ولقد ذكر لنا ان الله حفر بقعة
منه فروي الدخان يخرج منها وقال جابر رايت الدخان يخرج من مسجد الضرار لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة يعني
شكا ونفاقا في قلوبهم والمعنى ان ذلك البنيان صار سببا لحصول الريبة في قلوبهم لان المنافقين فرحوا ببنا
مسجدهم فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه ثقل ذلك عليهم وازدادوا غما وحزنا وبغضا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فكان ذلك سبب الريبة لقلوبهم وقيل انهم كانوا محبين في بنايه كما حبب العجل الى بني اسرايل فلما امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه بقوا شاكين مرتابين لاي سبب امر بتخريبه وقال السدي لا يزال هدم
بنيانهم ريبة اي حرارة وغيظا في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم اي تجعل قلوبهم قطعا وتفرق اجزا اما بالسيف واما
بالموت والمعنى ان هذه الريبة باقية في قلوبهم الى ان يموتوا عليها والله عليم يعني باحوالهم واحوال جميع عباده
حكيم يعني بما حكم به عليهم قوله عز وجل ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية قال محمد
القرظي لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلا قال عبد الله بن رواحة
اشترط لربك ولنفسك ما شيت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما
تمنعون منه انفسكم واموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان
الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة قال ابن عباس بالجنة قال اهل المعاني لا يجوز ان يشتري الله شيا
في الحقيقة لان المشتري انما يشتري ما لا يملك والاشيا كلها ملك لله تعالى ولهذا قال الحسن انفسنا هو خلقها واموالنا
هو رزقنا اياها لكن جرى هذا مجرى التلطف في الدعا الى الطاعة والجهاد وذلك لان المومن اذا قاتل في سبيل الله حتى يقتل
او ينفق ماله في سبيل الله عوضه الله الجنة في الاخرة جزا لما فعل في الدنيا فجعل ذلك استبدالا واشترا فهذا معنى الاشترا
من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والمراد باموالهم اموال نفقاتهم في سبيل الله وفي جميع وجوه البر والطاعة
يقاتلون في سبيل الله هذا تفسير لتلك المبالغة وقيل معنى الامر اي قاتلوا في سبيل الله فيقتلون ويقتلون يعني
فيقتلون اعدا الله فيقتلون ويقتلون في طاعة الله وسبيله وعدا عليه حقا يعني ذلك الوعد في التورية والانجيل والقران
يعني ان هذا الوعد الذي وعده الله للمجاهدين في سبيله قد اثبته في التورية والانجيل كما اثبته في القران وفيه دليل
على ان الامر بالجهاد موجود في جميع الشرايع ومكتوب على جميع اهل الملل ومن اوفى بعهده من الله يعني لا احد اوفى
بالعهد من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به يعني فاستبشروا ايها المومنون بهذا البيع الذي بايعتم به وذلك
يعني هذا البيع هو الفوز العظيم لانه رابح في الاخرة قال عمر بن الخطاب ان الله بايعك وجعل الصفقتين لك قال الحسن
اسمعوا الى بيعة ربيحة بايع الله بها كل مومن وعنه ان الله تعالى اعطاك الدنيا فاشتر الاخرة ببعضها وقال قتادة
ثامنهم فاغلى لهم قوله تعالى التائبون قال الفرا استونف لفظ التائبين بالرفع لتمام الاية الاولى وانقطاع الكلام
قال الزجاج التائبون رفع بالابتدا وخبره مضمر المعنى التائبون الى اخره لهم الجنة ايضا من لم يجاهدهم غير معاند ولا قاصد
لترك الجهاد فله الجنة ايضا وهذا وجه حسن كانه وعد الجنة لجميع المومنين كما قال تعالى وكلا وعد الله الحسنى ومن
جعله تابعا للاول كان الوعد بالجنة خاصا للمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات فيكون رفع التائبون على المدح

Copyright © King Saud University

يعني المؤمنين المذكورين في قوله ان الله اشترى واما التفسير فقوله تعالى التائبون يعني تائبون من الشرك وبرئوا من
النفاق وقيل التائبون من كل معصية فيدخل فيه التوبة من الكفر والنفاق وقيل التائبون من جميع المعاصي
لان لفظ التائبين لفظ عموم فيتناول الكل واعلم ان التوبة المقبولة انما تحصل بحصول امور اربعة اولها
احتراق القلب عند صدور المعصية وثانيها الندم على فعلها فيما مضى وثالثها العزم على تركها في المستقبل ورابعها
ان يكون الحاصل له على التوبة طلب رضوان الله وعبوديته فان كان غرضه بالتوبة تحصيل مدح الناس ودفع مذمتهم
فليس بمخلص في توبته **العابدون** يعني المطيعين لله الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم وقيل هم الذين اتوا بالعبادة
من اقصى وجوه التعظيم لله تعالى وهو ان تكون العبادة خالصة لله تعالى **الحامدون** يعني الذين يحمدون الله تعالى
على كل حال في السراء والضراء وروى البغوي بغير سند عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول من يدعى الى الجنة
يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء وقيل هم الذين يحمدون الله ويقومون بشكره على جميع نعمه دنيا
واخرى **السائحون** قال ابن عباس هم الصائمون قال سفيان بن عيينة انما سمي الصائم سائحا لتركه اللذات كلها من المطعم
والمشرب والنكاح وقال الازهري قيل للصائم سائحا لان الذي يسيح في الارض متعبدا لا زاد معه كان ممسكا عن الاكل وكذلك الصائم
ممسك عن الاكل وقيل اصل السياحة استمرار الذهاب في الارض كالماء الذي يسيح والصائم مستمر على فعل الطاعة وترك
الشهوات وقال عطا السائحون هم الغزاة في سبيل الله ويدل عليه ما روى عثمان بن مظعون قال قلت يا رسول الله
ائذن لي في السياحة فقال ان سياحة امتي الجهاد في سبيل الله ذكره البغوي بغير سند وقال عكرمة السائحون هم طلبة
العلم لانهم ينتقلون من بلد الى بلد في طلب العلم وقيل ان السياحة لها اثر عظيم في تهذيب النفس وتحسين اخلاقها
لان السائح لا بد ان يلقى انواعا من الضر والبؤس ولا بد له من الصبر عليها ويعود عليه من بركتها ويرى عجائب اثار
بركة الله تعالى فيتفكرون في ذلك فيدل على تعظيم وحدانية الله تعالى وعظيم قدرته **الراكعون الساجدون** يعني المصلين
وانما عبر عن الصلاة بالركوع والسجود لانهما معظم اركانها وبهما يتميز المصلي من غير المصلي بخلاف حالة القيام والقعود
لانهما حالة المصلي وغيره **الآمرون بالمعروف** يعني يامرون الناس بعبادة الله وحده **والناهون عن المنكر** عن الشرك
بالله وقيل انهم يامرون الناس بالحق في اديانهم واتباع الرشد والهدى والعمل الصالح وينهونهم عن كل فعل قبيح وقول
نهى الله عباده عنها ونهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحسن اما انهم لم يامروا الناس بالمعروف حتى كانوا
من اهله ولم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه فاما دخول الواو في والناهون عن المنكر فان العرب تعطف بالواو على السبعة
ومنه قوله تعالى وثامنهم كلبهم وقوله في صفة الجنة وفتحت ابوابها وقيل فيه وجه اخر وهو ان الموصوفين بهذه
الصفة الست هم الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر فعلى هذا يكون قوله التائبون الى قوله الساجدون
مبتدا خبره هم الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر **والحافظون لحدود الله** قال ابن عباس يعني القائمين بطاعة الله
وقال الحسن الحافظون لحدود الله يعني لفرائض الله وهم اهل الوفاء ببيعة الله وقيل هم المؤدون فرائض الله المنتهون
الى امره ونهيه فلا يضيعون شيئا من العمل الذي الزمهم به ولا يرتكبون منهيا نهاهم عنه **وبشر المؤمنين** يعني
وبشر يا محمد المصدقين بما وعدهم الله اذا وفوا لله بعهده وانه موف لهم بما وعدهم من ادخال الجنة وقيل وبشر المؤمنين من
فعل هذه الافعال التسع وهو قوله تعالى التائبون الى اخر الاية فان لهم الجنة قوله عز وجل ما كان للنبي والذين
امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم الاية اختلف اهل التفسير في سبب نزول هذه الاية
فقال قوم في شان ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يستغفر له بعد موته فنهاه الله عن ذلك ما روي عن
سعيد بن المسيب عن ابيه المسيب بن حزن قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد
عنده ابا جهل وعبد الله بن ابي امية بن المغيرة فقال اي عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال

ابو

ابو جهل وابو عبيدة اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان بتلك
المقالة حتى قال ابو طالب اخر كلمة كلمهم انا على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك فانزل الله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين ولو كانوا اولي قربى وانزل الله في ابي طالب انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء اخرجاه في الصحيحين
فان قلت قد استبعد نزول هذه الاية في شان ابي طالب وذلك لان وفاته كانت بمكة اول الاسلام
ونزول هذه السورة بالمدينة وهي من اخر القران نزولا **قلت** الذي نزل في ابي طالب قوله انك لا تهدي
من احببت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنك كما في الحديث فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم
كان يستغفر له في بعض الاوقات الى ان نزلت هذه الاية ومنع من الاستغفار والله اعلم بمراده واسرار كتابه
(م) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه عند الموت قل لا اله الا الله اشهد لك بها
يوم القيامة فابى فانزل الله انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء الاية وفي رواية قال لولا ان تعيرني
العرب قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فانزل الله هذه الاية (ق) عن ابي سعيد الخدري
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه ابو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل
في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منهما دماغه وفي رواية يغلي منه دماغه من حرارة نعليه (ق) عن العباس
ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ما اغنيت عن عمك كان يحوطك ويغضب
لغضبك قال هو في ضحضاح من نار فلولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار وفي رواية قال قلت يا رسول
الله ان عمك ابا طالب كان يحوطك ويحفظك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فاخرجته الى
ضحضاح من نار وقال ابو هريرة وبريدة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة اتى قبر امه فوقف حتى حميت
الشمس رجاء ان يؤذن له فيستغفر لها فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي
قربى وروى الكلبي بسنده عن ابي بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة اتى رسم قبر فاكثر ظني انه
قال قبر فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا فقلنا يا رسول الله انا رأينا ما صنعت فقال اني استاذنت ربي
في زيارة قبر امي فاذن لي فاستاذنته في الاستغفار لها فلم يؤذن لي فما رئي باكيا اكثر من يومئذ وحكى ابن الجوزي عن
بريدة قال ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبر امه فتوضا وصلى ركعتين ثم بكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى الناس
لبكائه ثم انصرف اليهم فقالوا ما ابكاك قال مررت بقبر امي وصليت ركعتين ثم استاذنت ربي ان اغفر لها فنهيت
فبكيت ثم عدت فصليت ركعتين فاستاذنت ربي ان استغفر لها فزجرت زجرا فابكاني ثم دعا براحلته فركبها فما
سار الا هنيهة حتى قامت الناقة لثقل الوحي فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا
اولي قربى الاية (م) عن ابي هريرة قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر امه فبكى وابكى من حوله فقال استاذنت ربي
ان استغفر لها فلم يؤذن لي فاستاذنته في ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكركم الموت وقال
قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لابي كما استغفر ابراهيم لابيه فانزل الله هذه الاية وروى
الطبري بسنده عنه قال ذكر لنا ان رجالا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله ان من ابائنا من كان
يحسن الجوار ويصل الرحم ويفك العاني ويوفي بالذمم افلا نستغفر لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن
لابي كما استغفر ابراهيم لابيه فانزل الله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى
الاية ثم عذر الله ابراهيم فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه الاية وعن علي
ابن ابي طالب قال سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له استغفر لابويك وهما مشركان فقال استغفر

Copyright © King Saud University

استغفر ابراهيم لابيه وهو مشرك فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا ان
يستغفروا للمشركين الاية اخرجه النسائي والترمذي وقال حديث حسن واخرجه الطبراني وقال فيه فانزل الله عز وجل
وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه الاية ومعنى الاية ما كان ينبغي
للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين وليس لهم ذلك لان الله تعالى لا يغفر للمشركين ولا يجوز ان يطلب منه ما لا يفعل
فنفيه النهي عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا اولي قربى لان الاستغفار للمشركين عام فيستوي فيه القريب والبعيد ثم
ذكر الله سبب المنع فقال تعالى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم يعني تبين لهم انهم ماتوا على الشرك وماتوا عليه فهم من اصحاب
الجحيم وايضا فقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به والله لا يخلف وعده واما قوله تعالى وما كان استغفار
ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فمعناه فما كان طلب ابراهيم لابيه المغفرة من الله الا من اجل موعدة وعدها ابراهيم
اياه ان يستغفر له رجاء السلامة قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما انزل الله خبرا عن ابراهيم انه قال سلام عليك
ساستغفر لك ربي سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقال اولم يستغفر ابراهيم لابيه وهما مشركان فانزلت
النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم الى قوله الا قول
ابراهيم لابيه لاستغفرن لك يعني ان ابراهيم ليس بقدوة في الاستغفار انما استغفر لابيه وهو مشرك لما كان الوعد
الذي وعده رجا الاسلام فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه فعلى هذا الهاء في اياه راجعة الى ابراهيم والوعد كان من
ابيه وذلك ان ابا ابراهيم وعد ابراهيم ان يسلم فقال ابراهيم ساستغفر لك ربي يعني اذا اسلمت وقيل الهاء راجعة
الى الاب ابراهيم وذلك كان ابراهيم وعد اباه ان يستغفر له رجاء السلامة ويؤكد هذا قوله ساستغفر لك ربي ويدل عليه
ايضا قراءة الحسن وعدها اباه بالباء الموحدة **فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه** يعني فلما ظهر لابراهيم وبان له ان
اباه عدو لله تبرا منه وقيل فلما تبين له في الاخرة انه عدو لله يعني بموته على الكفر وقيل يحتمل ان الله اوحى الى ابراهيم
ان اباه عدو لله تبرا منه ويدل على ذلك ما روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم عليه
السلام اباه يوم القيامة وعلى وجه ازر قترة وغبرة فيقول له ابراهيم الم اقل لك لا تعصيني فيقول ابوه اليوم
لا اعصيك فيقول ابراهيم يا رب انك قد وعدتني ان لا تخزني يوم يبعثون فاي خزي اخزى من ابي الابعد فيقول
الله تعالى اني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا ابراهيم ما تحت رجليك فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ فيوخذ
بقوائمه فيلقى في النار اخرجه البخاري زاد غيره فيتبرا منه القترة والغبرة تعلوها سواد والذيخ بذال معجمة ثم يا مثناة
من تحت ثم خا معجمة وهو ذكر الضباع والانثى ذيخة وقوله تعالى **ان ابراهيم لاواه حليم** وقد جا في الحديث الاواه
الخاشع المتضرع وقال ابن مسعود الاواه الكثير الدعا وقال ابن عباس هو المومن التواب وقال الحسن وقتادة
الاواه الرحيم بعباد الله وقال مجاهد الاواه المومن وقال كعب الاحبار الاواه هو الذي يكثر التاوه وكان ابراهيم
عليه الصلاة والسلام يكثر ان يقول اوه من النار قبل ان لا ينفع اوه وقال عقبة بن عامر الاواه الكثير الذكر
لله عز وجل وقال سعيد بن جبير هو المسبح وعنه انه المعلم للخير وقال عطا هو الراجع عما يكره الله الخايف من
النار وقال ابو عبيدة هو المتاوه شفقا وفرقا المتضرع يقينا ولزوما للطاعة وقال الزجاج انتظم في قول ابي
عبيدة جميع ما قيل في الاواه واصله من التاوه وهو ان يسمع للصدر صوت بتنفس الصعدا والفعل اوه وهو
قول الرجل عند شدة خوفه وحزنه اوه والسبب فيه ان عند الحزن تحمى الروح داخل القلب ويشتد حرها
فالانسان يخرج النفس المحترق في القلب ليخف بعض ما به من الحزن والشدة واما الحليم فمعناه ظاهر وهو
الصفوح عمن سبه او اتاه بمكروه ثم يقابله بالاحسان واللطف كما فعل ابراهيم بابيه حين قال له لئن لم
تنته لارجمنك فاجابه ابراهيم بقوله سلام عليك ساستغفر لك ربي وقال ابن عباس الحليم والسيد وانما وصف الله

ابراهيم

ابراهيم عليه السلام بهذين الوصفين وهو شدة الرقة والخوف والوجل والشفقة على عباده فبين
الله تعالى انه مع هذه الصفات الجميلة الحميدة تبرا من ابيه لما ظهر له اصراره على الكفر فاقتدوا به انتم في هذه
الحالة ايضا قوله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون يعني ما يأتون ويذرون
ويتقدم عليهم بالنهي عن ذلك الفعل فاما قبل النهي فلا حرج عليهم في فعله وقيل ان جماعة من المسلمين كانوا قد
ماتوا قبل النهي عن الاستغفار للمشركين فلما سمعوا من ذلك وقع في قلوب المومنين خوف على من مات على
ذلك فانزل الله عز وجل هذه الاية وبين الله لا يواخذهم بعمل الا بعد ان يبين لهم في معصيته وطاعته عامة
وقال انه يجب عليهم ان يتقوه ويتركوه وقال مجاهد بيان الله للمومنين في ترك الاستغفار
للمشركين خاصة وبيانه له في معصيته وطاعته عامة وقال الضحاك وما كان الله ليعذب قوما حتى
يبين لهم ما ياتون وما يذرون وقال ايضا نزل الكلبي هذا في امر المنسوخ وذلك ان قوما قدموا على النبي
صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فرجعوا الى قومهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة الى الكعبة ولا علم
لهم بذلك ثم قدموا بعد ذلك الى المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت والقبلة قد صرفت الى الكعبة فقالوا يا رسول
قد كنت على دين ونحن على غيره فنحن على ضلال فانزل الله وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم يعني
وما كان الله ليبطل عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى يبين الناسخ **ان الله بكل شي عليم** يعني انه تعالى عليم بما
خالط نفوسكم من الخوف عندما ذكرها ونهاكم عن الاستغفار للمشركين ويعلم ما يبين لكم من اوامره ونواهيه
ان الله له ملك السموات والارض يعني انه تعالى هو القادر على ملك السموات والارض وما فيهما عبيده
وملكه يحكم فيهم بما يشا **يحيي ويميت** يعني انه تعالى يحيي من يشا على الايمان ويميته عليه ويحيي من يشا على
الكفر ويميته لا اعتراض لاحد عليه في ملكه وعبيده وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يعني انه تعالى
وليكم وناصركم ليس لكم غيره يمنعكم من عدوكم وينصركم عليهم قوله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار الاية تاب الله بمعنى تجاوز الله وصفح عن النبي والمهاجرين والانصار ومعنى توبته على النبي
صلى الله عليه وسلم باذنه المنافقين التخلف عنه في غزوة تبوك وهو كقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم
فهو من باب ترك الافضل لا انه ذنب يوجب عقابا وقال اصحاب المعاني هو مفتاح كلام للتبرك فهو كقوله
تعالى فان لله خمسه ومعنى هذا ان ذكر النبي بالتوبة عليه تشريف للمهاجرين والانصار في ضم توبتهم
الى توبة النبي صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله في قوله فان لله خمسه وللرسول فهو تشريف
له اما معنى توبة الله على المهاجرين والانصار فلاجل ما وقع في قلوبهم من الميل الى القعود عن غزوة تبوك
لانها في وقت شديد وربما وقع في قلوب بعضهم انها لا تقدر على قتال الروم كيف لنا بالخلاص منهم فتاب
الله عليهم وعفا عنهم ما وقع في قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية وقيل ان الانسان لا يخلو من
زلات وتبعات في مدة عمره اما من باب الصغاير من باب ترك الافضل ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين
معهما تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدايد العظيمة التي حصلت لهم في ذلك السفر
وغفر لهم وتاب عليهم ما تحملوا من الشدايد العظيمة في تلك الغزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم واما ضم ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تنبيها على عظم مراتبهم في الدين فانهم قد بلغوا الى المرتبة التي ضم النبي صلى الله عليه
وسلم الى ذكرهم **الذين اتبعوه** في ساعة تلك الغزوة من المهاجرين والانصار وقد ذكر بعض العلما ان النبي صلى
الله عليه وسلم سار الى تبوك في سبعين الفا ما بين راكب وماش من المهاجرين والانصار وغيرهم من ساير القبايل
في ساعة العسرة يعني في وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها والعسرة الشدة والضيق وكانت غزوة تبوك تسمى

سود

Copyright © King Saud University

غزوة العسرة والجيش الذي سار فيه يسمى جيش العسرة لانه كان عليهم عسرة في الظهر والزاد والماء قال الحسن العشرة
منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه بينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم التمر المسوس
والشعير المتغير وكان النفر منهم يخرجون وما معهم الا التمرات اليسيرة بينهم فاذا بلغ الجوع من احدهم اخذ التمرة
فلاكها حتى يجد طعمها ثم يخرجها من فيه ويعطيها صاحبه ثم يشرب عليها جرعة من ما كذلك حتى يأتي على اخرهم
ولا يبقى من التمرة الا النواة فمضوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على صدقهم ويقينهم رضي الله عنهم وقال عمر بن الخطاب
خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش شديد حتى
ظننا ان رقابنا تنقطع وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده وحتى ان الرجل
كان يذهب يلتمس الخلا يرجع حتى يظن ان رقبته تنقطع فقال ابو بكر الصديق يا رسول الله ان الله عودك
في الدعا خيرا فادع الله قال اتحب ذلك قال نعم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجعها حتى قالت السما فاظلت
ثم سكبت فملوا ما معهم من الاوعية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر اسنده الطبري عن عمر كذلك
من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم يعني من بعد ما قارب ان يميل قلوب بعضهم عن الحق من شدة المشقة والشدة
التي نالتهم والزيغ في اللغة الامالة وقيل هم بعضهم ان يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم عند تلك الشدة التي
نالتهم لكن صبروا واحتسبوا وندموا على ما خطر في قلوبهم فلاجل ذلك قال الله تعالى ثم تاب عليهم **فان قلت**
قد ذكر التوبة اولا قبل ذكر الذنب تفضلا منه وتطييبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك واردفه بذكر التوبة مرة اخرى
تعظيما لشانهم وليعلموا انه تعالى قد قبل توبتهم وعفا عنهم ثم اتبعه بقوله انه بهم رؤوف رحيم تاكيدا لذلك ومعنى
الروف في صفة الله تعالى انه الرفيق بعباده لانه لم يحملهم ما لا يطيقون من العبادات وبين الروف والرحيم فرق
لطيف وان تقاربا في المعنى قال الخطابي قد تكون الرحمة مع الكراهة للمصلحة ولا تكاد الرافة تكون في الكراهة
قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا هذا معطوف على ما قبله تقديره لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار
وعلى الثلاثة الذين خلفوا وفائدة هذا العطف بيان قبول توبتهم وهم كعب بن مالك وهلال بن امية
ومرارة بن الربيع وكلهم من الانصار وهم المرادون بقوله تعالى وآخرون مرجون لامر الله وفي معنى خلفوا قولان
احدهما انهم خلفوا عن توبة ابي لبابة واصحابه وذلك انهم لم يخضعوا كما خضع ابو لبابة واصحابه فتاب الله عليهم
يعني ابا لبابة واصحابه واخر امر هولاء الثلاثة مدة ثم تاب عليهم بعد ذلك والقول الثاني انهم خلفوا عن غزوة تبوك
ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واما حديث توبة كعب بن مالك من بنيه حين عمي قال وكان اعلم قومه
واوعاهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت كعب بن مالك بن عبد الله بن كعب وكان يحدث
حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال كعب لم اتخلف عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في غزوة غزاها قط الا في غزوة تبوك غير اني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب احد تخلف عنها
انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام
وما احب ان لي بها مشهد بدر وان كانت بدر اذكر في الناس وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة اني لم اكن قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين
قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك
الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا واستقبل عدوا
كثيرا فجلا للمسلمين امرهم ليتاهبوا اهبة غزوهم واخبرهم بوجههم الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقل رجل يريد ان يتغيب الا ظن ان ذلك
سيخفى ما لم ينزل فيه وحي من الله تعالى وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين طابت الثمار والظلال وانا
اليها اصعر فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت اغدو لكي اتجهز معهم فارجع ولم اقض
شيا واقول في نفسي انا قادر على ذلك اذا اردت فلم يزل كذلك حتى استمر بالناس الجد ولم اقض شيا حتى اسرعوا
ثم غدوت فرجعت ولم اقض شيا حتى اسرعوا ثم غدوت فرجعت ولم اقض شيا فلم يزل ذلك يتمادى حتى تفارط
الغزو فهممت ان ارتحل فادركهم فيا ليتني فعلت ثم لم يقدر لي ذلك فطفقت اذا خرجت في الناس بعد خروج
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني اني لا ارى لي اسوة الا رجلا مغموصا عليه في النفاق او رجلا ممن عذر الله
من الضعفا ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب
ابن مالك فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه فقال له معاذ بن جبل بيس ما قلت
يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا هو كذلك اذ راى رجلا مبيضا يزول به
السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ابا خيثمة فاذا هو ابو خيثمة الانصاري وهو الذي تصدق بصاع
التمر حين لمزه المنافقون قال كعب فلما بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرني همي فطفقت
اتذكر الكذب واقول بما اخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذي راي من اهلي فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد اظل قادما زاح عني الباطل حتى عرفت اني لم انج منه بشي ابدا فاجمعت صدقه فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما
وكان اذا قدم من سفر بدا بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون
اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله
حتى جيت فتبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجيت امشي حتى جلست بين يديه فقال ما خلفك الم تكن قد
ابتعت ظهرك قلت يا رسول الله اني لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرايت اني ساخرج من سخطه بعذر لقد
اعطيت جدلا ولكن والله لقد علمت لين حدثتك اليوم حديث صدق تجد علي فيه اني لارجو فيه عقبى الله وفي
رواية عفو الله عز وجل والله ما كان لي من عذر والله ما كنت اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنك قال فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني
فقالوا ما علمناك اذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت ان لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زالوا يؤنبوني حتى
اردت ان ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكذب نفسي ثم قال قلت لهم هل لقي هذا احد معي قالوا نعم
لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت لك فقلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العامري وهلال بن امية فقالوا
فذكروا رجلين صالحين كانا قد شهدا بدرا فيهما اسوة قال فمضيت حين ذكروهما لي ونهى رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن كلامنا ايها الثلاثة من بين من تخلف عنه قال فاجتنبنا الناس وقال تغيروا لنا حتى تنكرت
في نفسي الارض فما هي بالارض التي اعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان
واما انا فكنت اشب القوم واجلدهم فكنت اخرج فاشهد الصلاة واطوف في الاسواق فلا يكلمني احد واتي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فاقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام ام لا
ثم اصلي قريبا منه واسارقه النظر فاذا اقبلت على صلاتي نظر الي فاذا التفت نحوه اعرض عني حتى اذا طال علي
ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حايط ابي قتادة وهو ابن عمي واحب الناس الي فسلمت عليه فوالله
ما رد السلام فقلت يا ابا قتادة انشدك بالله هل تعلمني احب الله ورسوله قال فسكت فعدت فناشدته فسكت

Copyright © King Saud University

فعدت فناشدته فقال الله ورسوله اعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار فبينا انا امشي في سوق المدينة
اذا نبطي من نبط اهل الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك قال فطفق الناس يشيرون
له حتى جاءني فدفع الي كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فقرأته فاذا فيه اما بعد فانه قد بلغنا ان صاحبك قد
جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأتها وهذه ايضا من البلاء فتيممت
بها التنور فسجرتها حتى اذا مضت اربعون من الخمسين واستلبث الوحي فاذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتيني
فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك ان تعتزل امرأتك قال فقلت لامرأتي الحقي باهلك فكوني عندهم
حتى يقضي الله هذا الامر قال فجاءت امرأة هلال بن امية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان
هلال بن امية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره قال لا ولكن لا يقربنك فقالت والله ما به من حركة الى شيء والله
ما زال يبكي منذ كان من امره ما كان الى يومه هذا قال فقال لي بعض اهلي لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال وما يدريني ما يقول لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذنته فيها وانا رجل شاب قال فلبثت بذلك عشر
ليال فكمل لنا خمسين ليلة من حين نهي عن كلامنا قال ثم صليت الفجر صباح ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا
جالس على الحالة التي ذكرها الله عنا قد ضاقت علينا الارض بما رحبت وضاقت علي نفسي سمعت صوت صارخ
اوفى على سلع يقول باعلى صوته يا كعب بن مالك ابشر فقد تاب الله عليك قال فخررت ساجدا وعلمنا انه قد
جاء فرج قال واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا
فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الي فرسا وسعى ساع من اسلم قبلي واوفى على الجبل فكان الصوت اسرع
من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوتهما اياه ببشارته والله ما املك غيرهما يومئذ
واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقاني الناس فوجا فوجا يهنوني
بالتوبة ليهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام طلحة
ابن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني والله ما قام رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها
لطلحة قال فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور وقال ابشر بخير يوم
مر عليك منذ ولدتك امك قال فقلت امن عندك يا رسول الله ام من عند الله قال بل من عند الله وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك منه فلما
جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم امسك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت اني امسك سهمي الذي بخيبر وقلت يا رسول
الله ان الله انما نجاني بالصدق وان من توبتي ان لا احدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت احدا من
المسلمين ابلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا واني
لارجو ان يحفظني الله فيما بقي قال فانزل الله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في
ساعة العسرة حتى بلغ انه بهم رءوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت
حتى بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب ما انعم الله علي من نعمة قط بعد ان هداني للاسلام اعظم
في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا اكون كذبته فاهلك كما هلك الذين كذبوا ان
الله عز وجل قال للذين كذبوا حين انزل الوحي شر ما قال سبحانه وتعالى سيحلفون بالله لكم اذا
انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس وماواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا
عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب كنا خلفنا ايها الثلاثة عن امر اولئك

الذين

الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وارجى رسول الله صلى الله عليه
وسلم امرنا حتى قضى الله فيه بذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا في الارض وليس الذي ذكر مما
خلفنا عن الغزو وانما هو تخليفه ايانا وارجاؤه امرنا عمن حلف له واعتذر اليه وفي رواية ونهى النبي صلى الله
عليه وسلم عن كلامي وكلام صاحبي ولم ينه عن كلام احد من المتخلفين غيرنا واجتنب الناس كلامنا فلبثت
كذلك حتى طال علي الامر وما من شيء اهم علي من ان اموت فلا يصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم او يموت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني منهم احد ولا يسلم علي ولا يصلي علي احد قال فانزل
الله توبتنا على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حين بقي الثلث الاخر من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند
ام سلمة وكانت ام سلمة محسنة في شاني معتنية بامري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام سلمة
تيب على كعب بن مالك قالت افلا ارسل اليه فابشره قال اذا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل حتى اذا
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا اخرجه
البخاري ومسلم **شرح** غريب هذا الحديث قوله حتى تواثقنا على الاسلام التواثق تفاعل من الميثاق وهو
العهد والراحلة الجمل والناقة القوي منها في الحمل والسفر وقوله ورى بغيرها يقال ورى عن الشيء اذا اخفاه واظهر
غيره والمفازة البرية القفر سميت بذلك تفاؤلا بالفوز والنجاة منها كقوله تعالى الفوز العظيم قال فجلا لهم بالتخفيف
يعني كشف لهم مقصدهم واظهره لهم والاهبة للجهاد وما يحتاج اليه المسافر قوله وانا اليهم اصعر بالعين المهملة اي
اميل والصعر الميل قوله وتفارط الغزو اي تباعد ما بيني وبينه من المسافة وطفقت مثل جعل والمغموص المعيب
المشار اليه بالعيب يقال فلان في عطفيه ينظر اذا كان معجبا بنفسه يقال زال به السراب هو ما يظهر للانسان
في البرية في وقت الهاجرة كانه ماء والمبيض لابس البياض كن ابا خيثمة معناه انت ابو خيثمة وقيل معناه
اللهم اجعله ابا خيثمة ليوجد هذا الشخص حقيقة الذي لمزه المنافقون يعني عابوه واحتقروه والقافل
الراجع من سفره الى وطنه قوله تحضرني بثي البث اشد الحزن كانه لشدته يظهر بثه اي يظهره وزاح عني الباطل
اي اذا زال وذهب عني واجمعت صدقه اي عزمت عليه لقد اعطيت جدلا اي فصاحة وقوة في الكلام بحيث
اخرج من عهدة ما اردت بما شئت من الكلام والمغضب بفتح الضاد وهو الغضبان قوله فما زالوا يؤنبونني
اي يلومونني اشد اللوم حتى تنكرت في الارض فما هي بالارض التي اعرف معناه تغير علي كل شيء من الارض وتوحشت
علي وصارت كانها ارض لا اعرفها وقوله واما صاحباي فاستكانا يعني خضعا وسكنا قوله تسورت حائط
ابي قتادة اي علوته وتصعدت سوره وهو اعلاه والانباط الفلاحون والزارعون وهو العجم والروم والنبيط
مفعلة من الضياع والاطراح وقوله فتيممت بها التنور فسجرتها اي فقصدت بالصحيفة التي ارسل بها
ملك غسان فاحرقتها في التنور وسلع جبل بالمدينة معروف وقوله فانطلقت اتامم يعني اقصد رسول الله
صلى الله عليه وسلم والفوج الجماعة من الناس يقال برق وجهه اذا لمع وظهر عليه امارات الفرح والسرور وقوله
انخلع من مالي اي اخرج منه جميعه وفي الشرع اذا اطلق كان في الشر غالبا فاذا اريد به الخير قيد به كما قيد هنا لقوله
احسن مما ابلاني اي انعم علي قوله ان لا اكون كذبته هكذا هو في جميع روايات الحديث بزيادة لفظ لا قال العلماء
لفظة لا زائدة ومعناه ان اكون كذبته وقوله ما هلك هو بكسر اللام وارجا امرنا اي اخره وقوله في الرواية الاخرى
يحطمكم الناس اي يطؤونكم ويزدحمون عليكم واصل الحطم الكسر وقوله سائر الليل يعني باقي الليل وقوله واذن
بتوبة الله علينا اي اعلم والاذان الاعلام انتهى والله اعلم وقول الله عز وجل حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت يعني
بما اتسعت والرحب سعة المكان والمعنى انه ضاق عليهم المكان بعد ان كان واسعا **وضاقت عليهم انفسهم** يعني من شدة

Copyright © King Saud University

الغم والحزن ومجانبة الناس اياهم وترك كلامهم وظنوا ان لا ملجأ يعني لا مفزع ولا مفر من الله الا اليه ولا عاصم من عذابه
الا هو ثم تاب عليهم فيه اضمار وحذف تقديره وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه فرحمهم ثم تاب عليهم وانما حسن هذا الكلام
عليه وقوله ثم تاب عليهم تاكيدا لقبول توبتهم لانه قد ذكر توبتهم في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا كما تقدم بيانه
وانه عطف على قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا وقوله
ليتوبوا معناه ان الله تاب عليهم في الماضي ليكون ذلك داعيا لهم الى التوبة في المستقبل ليرجعوا ويداوموا عليها وقيل
ان اصل التوبة الرجوع ومعناه ثم تاب عليهم ليرجعوا الى حالتهم الاولى يعني الى عادتهم في الاختلاط بالناس ومكالمتهم
فتسكن نفوسهم بذلك ان الله هو التواب يعني على عباده الرحيم بهم وفيه دليل على قبول التوبة بمحض الرحمة والكرم
والفضل والاحسان وانه لا يجب على الله تعالى شيء قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله يعني في مخالفة امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكونوا مع الصادقين يعني مع من صدق في مع النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في الغزوات ولا
تكونوا مع المتخلفين المنافقين الذين قعدوا في البيوت وتركوا الغزو وقال ابو سفيان وسعيد بن جبير مع الصادقين
وهو ابو بكر وعمر وقال ابن جريج مع المهاجرين وقال ابن عباس مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم واعمالهم وخرجوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك باخلاص نية وقيل كونوا مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا
بالاعذار الباطلة الكاذبة وهذه الاية تدل على فضيلة الصدق لان الصدق يهدي الى الجنة والكذب الى الفجور
كما ورد في الحديث وقال ابن مسعود ان الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صاحبه شيئا ثم لا ينجزه اقرءوا
ان شئتم وكونوا مع الصادقين وروي ان ابا بكر الصديق احتج بهذه الاية على الانصار في يوم السقيفة وذلك ان
الانصار قالوا منا امير ومنكم امير فقال ابو بكر يا معشر الانصار ان الله تعالى يقول في كتابه للفقراء المهاجرين الى قوله
اولئك هم الصادقون من هم قالت الانصار انتم هم فقال ابو بكر ان الله تعالى يقول يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا
مع الصادقين فامركم ان تكونوا معنا ولم يامرنا ان نكون معكم نحن الامراء وانتم الوزراء وقيل مع بمعنى من والمعنى يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين ما كان لاهل المدينة يعني لساكني المدينة من المهاجرين والانصار ومن حولهم من الاعراب
يعني سكان البوادي من مزينة وجهينة واسلم واشجع وغفار وقيل هو عام في الاعراب لان اللفظ عام وحمله على العموم اولى
ان يتخلفوا عن رسول الله اذا غزوا وهذا ظاهره خبر ومعناه النهي اي ليس لهم ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا يرغبوا يعني ولا ان يرغبوا بانفسهم عن نفسه يعني ليس لهم ان يكرهوا لانفسهم ما يختار رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويرضاه لنفسه ولا يختاروا لانفسهم الخفض والدعة ويتركوا مصاحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
والجهاد معه في حال الشدة والمشقة وقال الحسن لا يرغبوا بانفسهم ان يصيبهم من الشدائد فيختاروا الخفض
والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المشقة والسفر ومقاساة التعب ذلك بانهم لا يصيبهم في سفرهم
وغزواتهم ظما اي عطش ولا نصب اي تعب ولا مخمصة اي جوع شديد في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار يعني
ولا يطئون قدما على الارض يكون ذلك القدم سببا لغيظ الكفار وغمهم وحزنهم ولا ينالون من عدو نيلا يعني
اسرا او قتلا او هزيمة او غنيمة ونحو ذلك قليلا كان او كثيرا الا كتب لهم به عمل صالح يعني الا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل
صالح قد ارتضاه الله لهم وقبله منهم وقوله ان الله لا يضيع اجر المحسنين يعني ان الله لا يدع محسنا من خلقه قد احسن
في عمله واطاعه في امره وفيما نهاه عنه ان يجازيه على احسانه وعمله الصالح وفي الاية دليل على ان من قصد طاعة الله
كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته كلها حسنات ومن قصد معصية الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته فيها كلها
سيئات الا ان يغفرها الله بفضله وكرمه واختلف العلماء في حكم هذه الاية فقال قتادة هذه خاصة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا غزا بنفسه لم يكن لاحد ان يتخلف عنه من الانصار الا بعذر فاما غيره من الائمة والولاة فيجوز لمن شاء من

المومنين

المومنين ان يتخلف عنه اذا لم يكن للمسلمين اليه ضرورة وقال الوليد بن مسلم سمعت الاوزاعي وابن المبارك وابن
جابر وسعيد بن عبد العزيز يقولون في هذه الاية انها لاول هذه الامة ولاخرها قلت فعلى هذا تكون محكمة لم تنسخ وقال ابن
زيد هذا حين كان الاسلام قليلا فلما كثر نسخها الله تعالى واباح التخلف لمن شاء بقوله وما كان المومنون لينفروا
كافة ونقل الواحدي عن عطية انه قال وما كان لهم ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم وامرهم
وقال الواحدي هذا هو الصحيح لانه يتعين الطاعة والاجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر وكذا غيره من الائمة
والولاة اذا ندبوا وعينوا لانا لو سوغنا للمندوب ان يتقاعد ولم يختص ذلك ببعض دون بعض لادى ذلك الى تعطيل
الجهاد والله اعلم قوله عز وجل ولا ينفقون يعني في سبيل الله نفقة صغيرة ولا كبيرة يعني تمرة فما دونها واكثر منها حتى
علاقة سوط ولا يقطعون واديا يعني ولا يجاوزون في سيرهم واديا مقبلين او مدبرين الا كتب لهم يعني كتب الله لهم اثارهم
وخطاهم ونفقاتهم ليجزيهم الله يعني يجازيهم احسن ما كانوا يعملون قال الواحدي معناه باحسن ما كانوا يعملون قال
الامام فخر الدين الرازي فيه وجهان الاول ان الاحسن من صفة افعالهم وفيها الواجب والمندوب دون المباح والثاني
الاحسن صفة للجزاء اي يجزيهم الله جزاء هو احسن من اعمالهم واجل وافضل وهو الثواب وفي الاية دليل على فضل الجهاد وانه
من احسن اعمال العباد ق عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير
من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله خير من
الدنيا وما فيها ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد
في سبيلي وايمان بي وتصديق برسلي فهو ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من
اجر او غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم لونه لون الدم وريحه ريح
المسك والذي نفس محمد بيده لوددت اني اغزو في سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل ثم اغزو فاقتل لفظ مسلم
والبخاري ق عن ابي سعيد الخدري قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي الناس افضل فقال مؤمن
مجاهد في سبيل الله بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال ثم رجل في شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية يتقي
الله ويدع الناس من شره خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا
بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات خ عن ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار م عن ابن مسعود الانصاري البدري قال جاء
رجل بناقة مخطومة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق
نفقة في سبيل الله كتب الله له سبعمائة ضعف اخرجه الترمذي والنسائي قوله عز وجل وما كان المومنون لينفروا كافة
قال عكرمة لما نزلت هذه الاية ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ناس من المنافقين هلك من تخلف فنزلت هذه الاية وما كان المومنون لينفروا كافة وقال ابن عباس انها
ليست في الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين اجدبت بلادهم وكانت القبيلة منهم تقبل
باسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويعتلوا بالاسلام وهم كاذبون فضيقوا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
واجهدوهم فانزل الله يخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم انهم ليسوا مومنين فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عشائرهم
وحذر قومهم اذا رجعوا اليهم وفي رواية اخرى عن ابن عباس قال انه كان ينطلق من كل حي من العرب عصابة فياتون النبي صلى
الله عليه وسلم فيسالونه عما يريدون من امر دينهم ويتفقهون في دينهم ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ما تامرنا ان نفعله
واخبرنا بما نقول لعشائرنا اذا انطلقنا اليهم فيامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله ويبعثهم

Copyright © King Saud University

الى قومهم نادوا ان من اسلم فهو منا وينتزعهم حتى ان الرجل ليفارق اباه وامه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم
ما يحتاجون اليه من امر الدين ويفقهونهم فاذا رجعوا اليهم يدعونهم الى الاسلام وينذرونهم النار ويبشرونهم الجنة
وقال مجاهد ان ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا من البوادي فاصابوا من الناس معروفا ومن الخصب
ما ينتفعون به ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس ما نراكم الا وقد تركتم اصحابكم وجئتمونا فوجدوا في
انفسهم حرجا واقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل فلولا نفر من كل فرقة
منهم طائفة يبتغون الخير وقعد طائفة ليتفقهوا وليسمعوا ما انزل الله ولينذروا قومهم من الناس اذا رجعوا اليهم
لعلهم يحذرون قال ابن عباس ما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فلولا
نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني عصبة يعني السرايا ولا يسيروا الا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد نزل في بعضهم
قران تعلمه القاعدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الله قد انزل على نبيكم من بعدكم قرانا وقد
تعلمناه فتمكث السرايا يتعلمون ما انزل الله على نبيهم بعدهم وتبعث سرايا اخرى فذلك قوله ليتفقهوا في الدين
يقول ليتعلموا ما انزل الله على نبيهم ويعلموا السرايا اذا رجعت اليهم لعلهم يحذرون نقل هذه الاقوال كلها الطبري واما
تفسير الاية فيمكن ان يقال انها من بقية احكام الجهاد ويمكن ان يقال انها كلام مبتدأ لا تعلق لها بالجهاد وعلى الاحتمال
الاول فقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج الى الغزو لا يتخلف عنه الا منافق او صاحب عذر فلما
بالغ الله في الكشف عن عيوب المنافقين وفضحهم في تخلفهم عن غزوة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن شيء
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية بعثها فلما قدم المدينة وبعث السرايا نفر المسلمون جميعا الى الغزو
وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فنزلت هذه الاية فيكون المعنى ما كان ينبغي للمؤمنين ولا يجوز
لهم ان ينفروا بكليتهم الى الجهاد ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يجب ان ينقسموا قسمين فطائفة يكونوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة ينفروا الى الجهاد ولان ذلك الوقت كانت الحاجة داعية الى انقسام
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قسمين قسم للجهاد وقسم لتعلم العلم والتفقه في الدين لان احكام
الشرائع كانت تتجدد شيئا بعد شيء والملازمون للنبي صلى الله عليه وسلم يحفظون ما نزل من الاحكام وتجدد من
الشرائع فاذا قدم الغزاة اخبروهم بذلك فيكون معنى الاية وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا يعني فهلا نفر من
كل فرقة طائفة للجهاد وقعد طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم الذين نفروا الى الجهاد اذا رجعوا اليهم من
غزوهم لعلهم يحذرون يعني مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر الله ورسوله وهذا معنى قول قتادة وقيل
التفقه صفة الطائفة النافرة قال الحسن ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم من الظهور على المشركين والنصرة وينذروا
قومهم اذا رجعوا اليهم ومعنى ذلك ان الفرقة النافرة اذا شاهدوا نصر الله على اعدائهم وان الله يريد اعلاء دينه وتقوية
نبيه صلى الله عليه وسلم وان الفئة القليلة غلبت جماعة كثيرة فاذا رجعوا من ذلك النفير الى قومهم من الكفار انذروهم
بما شاهدوا من دلائل النصر والفتح والظهور لهم لعلهم يحذرون فيتركوا الكفر والنفاق واورد على هذا القول ان
هذا النوع لا يعد تفقها في الدين ويمكن ان يجاب عنه بانهم اذا علموا ان الله يأمرهم وينصرهم على عدوهم كان ذلك
زيادة في ايمانهم فيكون ذلك تفقها في الدين واما الاحتمال الثاني وهو ان يقال ان هذه الاية كلام مبتدأ لا تعلق
له بالجهاد وهو ما ذكرناه عن مجاهد ان ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا الى البوادي فاصابوا معروفا
ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا وقد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا من ذلك في انفسهم
حرجا فاقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية يعني هلا نفر من كل فرقة
منهم طائفة وتقعد طائفة ليتفقهوا في الدين وليبلغوا ذلك الى الناس النافرين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم

يحذرون

يحذرون يعني باس الله ونقمته اذا خالفوا امره وفي الاية دليل على انه يجب ان يكون المقصود من العلم والتفقه دعوة الخلق
الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والصراط المستقيم فكل من تفقه وتعلم لهذا القصد كان على المنهج القويم والصراط المستقيم
ومن عدل عنه وتعلم العلم لطلب الدنيا كان من الاخسرين اعمالا الاية (ق) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما انا قاسم ويعطي الله ولم يزل امر هذه الامة مستقيما حتى تقوم الساعة
وحتى يأتي امر الله (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية
خيارهم في الاسلام اذا فقهوا عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد اشد من الف عابد على
الشيطان اخرجه الترمذي واصل الفقه في اللغة الفهم يقال فقه الرجل اذا فهم وفقه فقاهة اذا صار فقيها
وقيل الفقه هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو اخص من العلم وفي الاصطلاح ان الفقه عبارة عن العلم
باحكام الشرائع واحكام الدين وذلك ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين معرفة احكام الطهارة
ومعرفة احكام الصلاة والصوم فعلى كل مكلف معرفة ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل
مسلم ذكره البغوي بغير سند وكذلك كل عبادة وجبت على المكلف بحكم الشرع يجب عليه علمها مثل علم الزكاة اذا صار
له مال تجب في مثله الزكاة وعلم احكام الحج اذا وجب عليه واما فرض الكفاية من الفقه فهو ان يتعلم ما حتى يبلغ
به رتبة الاجتهاد ودرجة الفتيا واذا قعد اهل بلد عن تعلمه عصوا جميعا واذا قام به من كل بلد واحد حتى
بلغ درجة الفتيا سقط الفرض عن الباقين وعليهم تقليده فيما يقع لهم من الحوادث عن ابي امامة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة اخرجه الترمذي
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع اخرجه الترمذي
عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل
اية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة اخرجه ابو داود والاية المحكمة هي التي لا اشتباه فيها ولا اختلاف
في حكمها وما ليس بمنسوخ والسنة القائمة هي المستمرة الثابتة المعمول بها متصل لا يترك والفريضة
العادلة هي التي لا جور فيها ولا حيف في قضائها قال الفضيل بن عياض عالم عامل معلم يدعى عظيما في ملكوت
السموات اخرجه الترمذي موقوفا وقال الشافعي طلب العلم افضل من صلاة النافلة قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب فالاقرب اليهم في الدار والنسب
قال ابن عباس مثل قريظة والنضير وخيبر ونحوها وقال ابن عمر هم الروم لانهم كانوا سكان الشام
والشام اقرب الى المدينة من العراق وقال بعضهم وهو ابن زيد الذين يلونكم من الكفار العرب فقاتلوهم
حتى فرغ منهم امر بقتال اهل الكتاب وجهادهم حتى يسلموا او يعطوا الجزية عن يد نقل عن بعض العلماء انه
قال نزلت هذه الاية قبل الامر بقتال المشركين كافة فصارت ناسخة لقوله تعالى قاتلوا الذين
يلونكم من الكفار وقال المحققون من العلماء لا وجه للنسخ فانه تعالى امرهم بقتال المشركين كافة
ارشدهم الى الطريق الاصوب الاصلح وهو ان يبدأوا بقتال الاقرب فالاقرب حتى يصلوا الى الابعد
فالابعد وبهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة لان قتالهم في دفعة واحدة لا يتصور
ولهذا السبب قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا قومه ثم انتقل منهم الى قتال سائر العرب ثم الى
قتال اهل الكتاب وهم قريظة والنضير وخيبر وفدك ثم انتقل الى غزو الروم في الشام وكان فتحه في زمن
الصحابة ثم انهم انتقلوا الى العراق ثم بعد ذلك الى سائر الامصار لانه اذا قاتل الاقرب تقوى بما ينال منهم من
الغنائم على الابعد وقوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة يعني شدة وقوة وشجاعة والغلظة ضد الرقة وقال

الحسن صبرا على جهادهم **واعلموا ان الله مع المتقين** يعني بالعون والنصر وقوله تعالى **واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول**
ايكم زادته هذه ايمانا يعني واذا انزل الله سورة من القرآن فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض ايكم زادته
هذه يعني نزول السورة ايمانا يعني تصديقا ويقينا وانما يقول المنافقون ذلك استهزاء وقيل يقول المنافقون ذلك لبعض
المؤمنين فقال الله تعالى **فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا** يعني تصديقا ويقينا وقربا من الله تعالى ومعنى الزيادة
ضم الشيء الى جنسه مما هو في صفته فالمؤمنون اذا اقروا بنزول سورة من القرآن عن ثقة واعترفوا انها من عند
الله عز وجل زادهم ذلك اقرارا واعترافا وايمانا وقد تقدم بسط الكلام في زيادة الايمان في اول سورة الانفال
وهم يستبشرون يعني المؤمنون يفرحون بنزول القرآن شيئا بعد شيء لانهم لما نزل ازدادوا ايمانا وذلك يوجب مزيد الثواب
في الآخرة وكما تحصل الزيادة في الايمان بسبب نزول القرآن كذلك تحصل الزيادة في الكفر وهو قوله تعالى **واما الذين**
في قلوبهم مرض اي شك ونفاق وحقيقة الشك في الدين مرض لانه فساد في القلب يحتاج الى العلاج **فزادتهم** اي
نزول السورة من القرآن **رجسا الى رجسهم** يعني كفرا الى كفرهم وذلك كلما جحدوا نزول القرآن وسورة واستهزؤوا
بها ازدادوا كفرا الى كفرهم الاول وسمي الكفر رجسا لانه اقبح الاشياء واصل الرجس في اللغة الشيء المستقذر **وماتوا**
يعني هؤلاء المنافقين **وهم كافرون** يعني وهم جاحدون لما انزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم قال مجاهد
في هذه الآية الايمان يزيد وينقص وكان عمر ياخذ بيد الرجل والرجلين من اصحابه ويقول تعالوا حتى نزداد ايمانا
وقال علي بن ابي طالب ان الايمان يبدو لمظة بيضاء في القلب فكلما ازداد في الايمان عظما ازداد ذلك البياض
حتى يبيض القلب كله وان النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق ازداد السواد حتى يسود القلب كله
وايم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه ابيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه اسود قوله عز وجل
اولا يرون قرئ ترون بالتاء على خطاب المؤمنين وقرئ بالياء على انه خبر عن المنافقين المذكورين في قوله
في قلوبهم مرض **انهم يفتنون** اي يبتلون **في كل عام مرة او مرتين** يعني بالامراض والشدائد بالقحط والجدب وقيل بالغزو
والجهاد وقيل يفتضحون باظهار نفاقهم وقيل انهم ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون وقيل انهم ينقضون
عهدهم في السنة مرة او مرتين **ثم لا يتوبون** يعني من النفاق ونقض العهد **ولا هم يذكرون** يعني ولا يتعظون
بما يرون من صدق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين **واذا ما انزلت سورة** يعني فيها عيب المنافقين وتوبيخهم
نظر بعضهم الى بعض يريدون بذلك الهرب يتغامزون بعضهم لبعض اشارة **هل يراكم من احد** يعني هل احد من
المسلمين يراكم ان قمتم من مجلسكم فان لم يرهم احد خرجوا من المسجد وان علموا ان احدا من المؤمنين يراهم اقاموا
ولبثوا على تلك الحالة **ثم انصرفوا** عن الايمان بتلك السورة النازلة وقيل انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون
فيها ما يكرهون **صرف الله قلوبهم** يعني عن الايمان وقال الزجاج اضلهم الله مجازاة لهم على فعلهم **بانهم قوم لا يفقهون**
يعني لا يفقهون عن الله دينه ولا شيء فيه نفعهم قوله عز وجل **لقد جاءكم رسول** هذا خطاب للعرب يعني لقد جاءكم
ايها العرب رسول **من انفسكم** تعرفون نسبه وحسبه وانه من ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام قال
جعفر بن محمد الصادق قال ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب وقال جعفر
جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني خرجت من
نكاح ولم اخرج من سفاح هكذا ذكره الطبري وذكر البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما ولدني من سفاح اهل الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح كنكاح اهل الاسلام قال قتادة جعله الله من انفسهم
فلا يحسدونه على ما اعطاه الله من النبوة والكرامة قال بعض العلماء في تفسير قول ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا
ولدت النبي صلى الله عليه وسلم يعني من مضرها وربيعها ويمانيها فاما ربيعة ومضر فهم من ولد معد بن عدنان

واليه ينسب قريش وهو منهم واما نسبه الى عرب اليمن وهم القحطانية فان امه لها نسب في الانصار وان كانت من
قريش والانصار اصلهم من عرب اليمن من ولد قحطان بن سبا فعلى هذا القول يكون المقصود من قوله لقد جاءكم رسول
من انفسكم ترغيب للعرب في نصره والايمان به فانه قد شرفهم بشرفه وعزهم بعزته وفخرهم بفخره فانه من عشيرتهم
يعرفونه بالصدق والامانة والصيانة والعفاف وطهارة النسب والاخلاق الحميدة وقرئ عن ابن عباس
والزهري من انفَسكم بفتح الفاء ومعناه من اشرفكم وافضلكم (خ) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه (م) عن واثلة بن الاسقع قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم
واصطفاني من بني هاشم عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله
ان قريشا جلسوا فتذاكروا احسابهم بينهم فجعلوا مثلك كمثل نخلة في كبوة من الارض فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم وخير الفريقين ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت
فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا اخرجه الترمذي وقيل ان قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عام
فحمله على العموم اولى فيكون المعنى على هذا القول لقد جاءكم رسول من انفسكم يعني من جنسكم بشر مثلكم اذ لو كان من
الملائكة لضعفت قوى البشر عن سماع كلامه والاخذ عنه قوله تعالى **عزيز عليه ما عنتم** اي شديد عليه عنتكم
اي مكروهكم وقيل شق عليه ضلالكم **حريص عليكم** يعني حريص على هدايتكم وان يعيذكم الله **بالمؤمنين رءوف رحيم** يعني
انه صلى الله عليه وسلم رءوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين (ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب
والعاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله رءوفا رحيما قال الحسين بن الفضل لم يجمع الله لاحد من انبيائه اسمين من
اسمائه الا النبي صلى الله عليه وسلم فسماه رءوفا رحيما وقال ان الله بالناس لرءوف رحيم قوله تعالى **فان تولوا** فان
اعرضوا هؤلاء الكفار والمنافقون عن الايمان بالله ورسوله وناصبوك الحرب **فقل حسبي الله** يعني يكفيني الله
وينصرني عليكم **لا اله الا هو عليه توكلت** لا على غيره وبه وثقت **وهو رب العرش العظيم** انما خصه بالذكر لانه اعظم المخلوقات
فيدخل ما دونه في الذكر فيكون المعنى فهو رب العرش العظيم فما دونه او يكون خصه بالذكر تشريفا له كما يقال بيت
الله روي عن ابي بن كعب انه قال هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السورة آخر القرآن نزولا وفي
رواية عنه قال احدث القرآن بالله عهدا هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر الآيتين والله اعلم

تفسير سورة يونس عليه السلام نزلت بمكة الا ثلاث آيات وهي فان كنت في شك مما انزلنا اليك الى آخر الثلاث
قاله ابن عباس وبه قال قتادة وفي رواية اخرى عن ابن عباس ان فيها من المدني قوله ومنهم من يؤمن به ومنهم
من لا يؤمن به الآية وقال مقاتل هي مكية الا آيتين وهي قوله قل بفضل الله وبرحمته والتي تليها وهي مائة
وتسع آيات والف وثمانمائة واثنان وثلاثون كلمة وتسعة آلاف وتسعة وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل **الر** قال ابن عباس والضحاك معناه انا الله ارى وقال ابن عباس في رواية اخرى عنه الر وحم ون
حروف متقطعة الرحمن وبه قال سعيد بن جبير وسالم بن عبد الله وقال قتادة الر اسم من اسماء القرآن وقيل
هو اسم للسورة وقد تقدم الكلام في معنى الحروف المقطعة في اول سورة البقرة بما فيه كفاية **تلك آيات الكتاب**
يعني المراد من لفظ تلك الاشارة الى الآيات الموجودة في هذه السورة ويكون التقدير تلك الآيات هي آيات الكتاب
وهو القرآن الذي انزلته اليك يا محمد وذلك ان الله وعد ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يغيره الدهور وقيل
ان لفظة تلك اشارة الى ما تقدم هذه السورة من آيات القرآن والمعنى ان تلك الاشارة هي آيات الكتاب الحكيم

Copyright © King Saud University

وفيه قول اخر ان المراد بايات الكتاب وهو القران الذي انزل وحكاه الطبري عن قتادة وعن مجاهد انها التوراة
والانجيل فعلى هذا القول يكون التقدير ان الايات المذكورة في هذه السورة وهذا وان كان له وجه فهو ضعيف لان
التوراة والانجيل لم يجر لهما ذكر قرب حتى يشار اليهما وقيل المراد من الايات حروف التهجي التي منها الر وسميت
ايات لافتتاح السور وسور القران الحكيم يعني المحكم بالحلال والحرام والحدود والاحكام فعيل بمعنى مفعول
وقيل الحكيم بمعنى الحاكم فعيل بمعنى فاعل لان القران حاكم يميز بين الحق والباطل ويفصل الحلال من الحرام وقيل
حكيم بمعنى المحكوم فعيل بمعنى المفعول قال الحسن حكم بالعدل والاحسان وايتاء القربى وقيل ان الحكيم هو
الذي يفعل الحكمة والصواب فمن حيث انه يقبل الاحكام صار كانه هو الحكيم في نفسه قوله تعالى اكان للناس عجبا
سبب نزول هذه الاية قال ابن عباس ان الله تعالى لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم رسولا انكرت العرب
ذلك ومن انكر منهم قالت المشركون الله اعلم من ان يكون له رسولا بشرا مثل محمد فقال الله تعالى اكان للناس عجبا
ان اوحينا الى رجل منهم وقال وما ارسلنا من قبلك الاية والهمزة في اكان همزة استفهامية ومعناه الانكار والتوبيخ
والمعنى لا يكون ذلك عجبا ان اوحينا الى رجل منهم والعجب حالة تعتري الانسان من روية شي على خلاف العادة
وقيل العجب حالة تعترض الانسان عند الجهل بسبب الشي ولهذا قال بعض الحكما حالا يعرف سببه والمراد بالناس هنا
اهل مكة وبالرجل محمد صلى الله عليه وسلم منهم يعني من اهل مكة من قريش يعرفون نسبه وصدقه وامانته
ان انذر الناس يعني خوفهم بعقاب الله ان اصروا على الكفر والمخالفة والانذار اخبار مع تخويف كما ان البشارة
اخبار بسرور وهو قوله تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم اختلفت عبارات المفسرين
واهل اللغة في معنى قدم صدق فقال ابن عباس اجرا حسنا بما قدموا من اعمالهم وقال الضحاك ثواب صدق
وقال مجاهد الاعمال الصالحة صلاتهم وصيامهم وصدقتهم وتسبيحهم وقال الحسن عمل صالح اسلفوه
يقدمون عليه وفي رواية اخرى عن ابن عباس انه قال سبقت لهم السعادة في الذكر الاول يعني في اللوح
المحفوظ وقال زيد بن اسلم هو شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة وقيل لهم منزلة رفيعة عند
ربهم واضيف القدم الى الصدق وهو نعته كقوله مسجد الجامع وصلاة الاولى وحب الحصيد والفايدة
في هذه الاضافة التنبيه على زيادة الفضل ومدح القدم لان كل شي اضاف الى الصدق فهو ممدوح ومثله
في مقعد صدق ومدخل صدق وقال ابو عبيدة كل سابق في خير او شر فهو عند العرب قدم يقال لفلان قدم
في الاسلام وقدم في الخير ولفلان عندي قدم صدق وقدم سوء وقال حسان بن ثابت في شعره •
لنا القدم العليا اليك وخلفنا • لاولنا في طاعة الله تابع • وقال الليث والهيثم القدم السابق والمعنى
انه سبق لهم عند الله خير قال ذو الرمة حيث يقول • وانت امرؤ من اهل بيت ذوابة • لهم قدم معروفة والمفاخر
قال والسبب في اطلاق لفظ القدم على هذه المعاني ان السعي والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمي المسبب باسم
السبب كما سميت النعمة يدا لانها تعطى بالقدم وقال ذو الرمة في شعره • لكم قدم لا ينكر الناس انها
على الحسب العادي كانت على البحر • معناه لكم سابقة عظيمة لا ينكرها الناس وقال اخر • صل لذي العرش واتخذ
قدما • ينجيك يوم العثار والزلل • قوله تعالى قال الكافرون ان هذا لسحر مبين وقرى لساحر مبين وفيه حذف
تقديره اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم فلما جاءهم بالوحي وانذرهم قال الكافرون ان هذا لساحر يعنون
محمدا صلى الله عليه وسلم وانما نسبوه الى السحر لما اتاهم بالمعجزات الباهرات التي لا يقدر احد من البشر ان يصل
الى مثلها ومن قرا السحر فانهم عنوا به القران المنزل عليه وما نسبوه الى السحر لان فيه الاخبار بالبعث والنشور
وكانوا ينكرون ذلك ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش تقدم تفسير

هذا

هذا في سورة الاعراف بما فيه كفاية قوله تعالى يدبر الامر قال مجاهد يقضيه وحده وقيل معنى التدبير تنزيل
الامور في مراتبها وعلى احكام عواقبها وقيل انه تعالى يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة وهو النظر في ادبار
الامور وعواقبها لئلا يدخل في الوجود ما لا ينبغي وقيل معناه انه تعالى يدبر احوال الخلق واحوال ملكوت السموات
والارض فلا يحدث عالم في العالم العلوي ولا في العالم السفلي الا بارادته وتدبيره وقضايه وحكمته ما من شفيع
الا من بعد اذنه يعني لا يشفع عنده شافع يوم القيامة الا من بعد ان ياذن له في الشفاعة لانه عالم بمصالح عباده
وموضع الصواب والحكمة في تدبيره فلا يجوز لاحد ان يساله فاذا اذن له في الشفاعة كان له ان يشفع فيمن
ياذن له فيه وفيه رد على كفار قريش في قولهم ان الاصنام تتصرف في جميع العالم ذلكم الله ربكم يعني الذي خلق
هذه الاشيا ودبرها هو الله ربكم وسيدكم لا رب غيره سواكم فاعبدوه افلا تذكرون يعني اي فاجعلوا عبادتكم له
لا لغيره لانه المستحق للعبادة بما انعم الله عليكم من النعم العظيمة على وحدانيته سبحانه وتعالى قوله تعالى اليه مرجعكم
جميعا يعني الى ربكم الذي خلق جميع المخلوقات مصيركم جميعا ايها الناس يوم القيامة والمرجع بمعنى الرجوع وعد الله يعني
وعدكم الله وعدا حقا حقا انه يبدو الخلق ثم يعيده يحييهم ابتدا ثم يميتهم ثم يحييهم وهذا معنى قول مجاهد فانه
يحييه ثم يميته ثم يحييه وفي هذه الاية دليل على امكان الحشر والنشر والمعاد وصحة وقوعه ورد على منكري البعث
ووقوعه لان القادر على خلق هذه الاجسام المولفة والاعضا المركبة على غير مثال سبق قادر على اعادتها بعد تفرقها
بالموت والبلا فيركب تلك الاجساد المتفرقة تركيبا ثانيا ويخلق الانسان الاول مرة اخرى كما لم يمتنع تعلق هذا المعنى
بالبدن في المرة الاولى لم يمتنع تعلقها بالبدن مرة اخرى فاذا ثبت البدن بصحة العادة والبعث بعد الموت كان المقصود
منه ايصال الثواب للمطيع والعقاب للعاصي وهو قوله تعالى ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط يعني بالعدل
لا ينقص من اجورهم شي والذين كفروا لهم شراب من حميم يعني ماء حار قد انتهى حره وعذاب اليم بما كانوا يكفرون قوله
عز وجل هو الذي جعل الشمس ضيا يعني ذات ضيا والقمر نورا يعني ذا نور واختلف العلما اصحاب الكلام في الاشعاع الفايض
من الشمس هل هو جسم او عرض والحق انه عرض وهو كيفية مخصوصة والنور اسم لاصل هذه الكيفية والضوء اسم لهذه
الكيفية اذا كانت كاملة تامة قوية فلهذا خص الشمس بالضيا لانها اقوى واكمل من النور وخص القمر بالنور لانه
اضعف من الضيا ولانهما لو تساويا لم يعرف الليل من النهار فدل ذلك على ان الضيا المختص بالشمس اكمل واقوى
من النور المختص بالقمر وقدره منازل قيل الضمير في وقدره يرجع الى الشمس والقمر والمعنى قدرهما منازل وقدر
سيرهما منازل لا يجاوزانها في السير ولا يقصران عنها وانما وحد الضمير في وقدره للايجاز فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر
فهو كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وقيل الضمير في وقدره يرجع الى القمر وحده لان سير القمر في المنازل اسرع
وبه يعرف انقضا الشهور والسنين وذلك لان الشهور المعتبرة في الشرع مبنية على روية الاهلة والسنة المعتبرة
في الشرع هي السنة القمرية لا الشمسية ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلة وهي • الشرطين • والبطين • والثريا •
والدبران • والهقعة • والهنعة • والذراع • والنثرة • والطرف • والجبهة • والزبرة • والصرفة • والعوا • والسماك •
والغفر • والزبانان • والاكليل • والقلب • والشولة • والنعايم • والبلدة • وسعد الذابح • وسعد بلع • وسعد
السعود • وسعد الاخبية • وفرع الدلو المقدم • وفرع الدلو الموخر • وبطن الحوت • فهذه منازل القمر وهي مقسومة
على اثني عشر برجا وهي الحمل • والثور • والجوزا • والسرطان • والاسد • والسنبلة • والميزان • والعقرب • والقوس •
والجدي • والدلو • والحوت • لكل برج منزلان وثلث منزل وينزل القمر كل ليلة منزلا منها الى انقضا ثمانية وعشرين
ثم يستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين وان كان تسعا وعشرين اختفى ليلة واحدة لتعلموا عدد السنين
يعني فعل هذه المنازل لتعلموا انها عدد السنين ووقت دخولها وانقضايها والحساب يعني ولتعلموا حساب الشهور

والايام والساعات في انقضائها وزيادتها ما خلق الله ذلك الا بالحق يعني للحق واظهار قدرته ودلايل وحدانيته
ولم يخلق ذلك باطلا ولا عبثا يفصل الايات لقوم يعلمون حتى يبين دلايل التوحيد بالبراهين القاطعة لقوم
يستدلون بها على قدرة الله تعالى ووحدانيته ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لقوم
يتقون تقدم تفسير هذه الاية في نظايرها ان الذين لا يرجون لقاءنا اي لا يخافون لقاءنا يوم القيامة فهم مكذبون
بالثواب والعقاب والرجا يكون بمعنى الخوف تقول العرب فلان لا يرجو فلانا يعني لا يخاف ومنه قوله تعالى ما لكم
لا ترجون لله وقارا ومنه قول ابي ذويب الهذلي اذا لسعته النحل لم يرج لسعها اي لم يخفه والرجا يكون بمعنى الخوف
والطمع فيكون المعنى لا يطمعون في ثواب ورضوا بالحياة الدنيا يعني اختاروها وعملوا في طلبها فهم راضون بزينة
الدنيا وزخرفها واطمانوا بها يعني وسكنوا اليها مطمئنين فيها بزينة الدنيا وزخرفها وهذه الطمانينة التي حصلت
في قلوب الكفار من الميل الى الدنيا ولذاتها ازالت عن قلوبهم الوجل والحزن فاذا سمعوا الانذار والتخويف لم
يصل ذلك الى قلوبهم والذين هم عن اياتنا غافلون قيل المراد بالايات الادلة التوحيد وقال ابن عباس عن اياتنا يعني عن محمد صلى
الله عليه وسلم والقران غافلون اي معرضون اولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون يعني من الكفر والتكذيب
والاعمال الخبيثة قوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم يعني يهديهم ربهم الى الجنان
ثوابا لهم باعمالهم الصالحة وقال يهديهم الى الصراط الى الجنة يجعل لهم نورا يمشون به وقال قتادة بلغنا ان المومن
اذا خرج من قبره يصور له عمله في صورة حسنة فيقول له من انت فيقول انا عملك فيكون له نورا وقايدا الى
الجنة والكافر بالضد فلا يزال به عمله حتى يدخله النار وقال ابن الانباري يجوز ان يكون المعنى ان الله يزيد
هم هداية بخصايص ولطايف وبصاير ينور بها قلوبهم ويزيل بها الشكوك عنهم ويجوز ان يكون المعنى ويثبتهم
على الهداية وقيل معناه بايمانهم يهديهم ربهم لدينه اي بتصديقهم هداهم تجري من تحتهم الانهار يعني بين ايديهم
ينظرون اليها من اعالي اسرتهم وقصورهم فهو كقوله قد جعل ربك تحتك سريا لم يرد به انه تحتها وهي قاعدة عليه بل اراد
بين يديها وقيل تجري بامرهم في جنات النعيم يعني ذلك كله لهم في جنات النعيم دعواهم فيها اي قولهم وكلامهم فيها
وقيل الدعوى بمعنى الدعا اي دعاؤهم فيها سبحانك اللهم وهي كلمة تنزيه من كل سوء وتقديسه قال اهل التفسير
هذه الكلمة علامة بين اهل الجنة والخدم في الطعام فاذا ارادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فاتوهم في الوقت بما
يشتهون على الموايد كل مايدة ميل في ميل على كل مايدة سبعون الف صحيفة في كل صحيفة لون من طعام لا يشبه
بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما اعطاهم فذلك قوله تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب
العالمين وقيل ان المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال اهل الجنة بالتقديس والتسبيح لله عز وجل والثنا عليه بما
هو اهله وفي هذا الذكر والتحميد سرورهم وابتهاجهم وكمال لذتهم ويدل عليه ما روي عن جابر قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اهل الجنة ياكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا
يتمخطون قالوا فما بال الطعام قال جشا ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وفي رواية
التسبيح والحمد اخرجه مسلم قوله جشا اي يخرج ذلك الطعام جشا وعرقا قوله تعالى وتحيتهم فيها سلام يعني
يحيي بعضهم بعضا بالسلام وقيل تحييهم الملايكة بالسلام وقيل تاتيهم الملايكة من عند ربهم بالسلام
واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين قد ذكرنا ان جماعة من المفسرين حملوا التسبيح والتحميد على احوال اهل الجنة
بسبب الماكول والمشروب وانهم اذا اشتهوا شيا قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشي واذا فرغوا منه
قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموايد عند ذلك وقال الزجاج اعلم الله ان اهل الجنة يبتدون بتعظيم الله
وتنزيهه ويختمون بشكر الله والثنا عليه وقيل انهم يلهمون ذلك كما ذكر في الحديث قوله تعالى ولو يعجل الله

للناس الشر يعني ولو يعجل الله للناس اجابة دعايهم في الشر فيما لهم فيه مضرة ومكروه في نفس او مال قال ابن عباس هذا في
قول الرجل لاهله وولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعا الرجل على نفسه واهله وماله
وولده بما يكره ان يستجاب له فيه استعجالهم بالخير يعني كما يستعجلونهم بالخير ولما يحبون ان يعجل لهم اجابة دعايهم لقضي
اليهم اجلهم يعني لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعا والتعجيل تقديم الشي قبل وقته والاستعجال طلب العجلة وقال
ابن قتيبة ان الناس عند الغضب والضجر يدعون على انفسهم واهلهم واموالهم واولادهم بالموت وتعجيل البلا
كما يدعون بالرزق والرحمة واعطا السوال يقول لو اجابهم الله تعالى اذا دعوا بالشر الذي يستعجلونه استعجالهم بالخير
لقضي اليهم اجلهم يعني لفرغ من هلاكهم ولكن الله عز وجل بفضله وكرمه يستجيب للداعي بالخير ولا يستجيب له في
الشر وقيل ان هذه الاية نزلت في النضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السما فعلى هذا يكون المعنى ولو يعجل الله للكافرين العذاب كما عجل لهم خير الدنيا بالمال والولد لعجل قضي
اجلهم واهلكوا جميعا ويدل على صحة هذا القول قوله تعالى فنذر الذين لا يرجون لقاءنا يعني فندع الذين لا يخافون
عقابنا ولا يومنون بالبعث بعد الموت في طغيانهم يعني في تمردهم وعتوهم يعمهون يعني يترددون ق عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فانما انا بشر فغضب
كما يغضب البشر فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها
اليك يوم القيامة واجعل ذلك كفارة له يوم القيمة قوله عز وجل واذا مس الانسان الضر اي الشدة والجهد والمراد
بالانسان في هذه الاية الكافر دعانا لجنبه اي جنبه مضطجعا او قاعدا او قايما يريد جميع حالاته لان
الانسان لا ينفك عن احدى هذه الحالات الثلاث والمعنى ان المضرور لا يزال داعيا في جميع حالاته الى ان يكشف
ضره سوا كان مضطجعا او قايما او قاعدا وقال الزجاج وجايز ان يكون المعنى اذا مس الانسان الضر لجنبه او مسه
قاعدا او مسه قايما وهذا القول فيه بعد لان ذكر الدعا الى هذه الاحوال اقرب من ذكر الضر فلما كشفنا عنه ضره
يعني فلما ازلنا عنه ما نزل به من الضر ودفعنا عنه مر يعني على طريقته الاولى قبل مس الضر كان لم يدعنا فيه
حذف تقديره كانه لم يدعنا وانما اسقط الضمير على سبيل التخفيف الى ضر مسه والمعنى انه استمر على حالته الاولى
قبل ان يمسه الضر ونسي ما كان فيه من الجهد والبلا والضيق والفقر كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون
يعني مثل ما زين للكافرين هذا العمل القبيح كذلك زين للمسرفين والمزين هو الله تعالى لانه مالك الملك
والخلق كلهم عبيده ويتصرف فيهم كيف يشا وقيل المزين هو الشيطان وذلك باقدار الله تعالى اياه على ذلك والمسرف
هو المجاوز الحد في كل شي وانما سمي الكافر مسرفا لانه اتلف نفسه وضيعها في عبادة الاصنام واتلف ماله وضيعه
البحاير والسوايب وما كانوا ينفقونه على الاصنام وسدنتها يعني خدمها وقال ابن جريج في قوله كذلك زين
للمسرفين ما كانوا يعملون يعني من الدعا عند المصيبة والشكر عند الرخا وقيل كما زين لكم اعمالكم كذلك زين
للمسرفين الذين كانوا من قبلكم اعمالهم بيان مقصود الاية وهو ان الانسان قليل الصبر على نزول البلا قليل الشكر
عند حصول النعمة والرخا فاذا مسه الضر اقبل على الدعا والتضرع في جميع حالاته مجتهدا في الدعا طالبا من الله
ازالة ما نزل به من المحنة والبلا فاذا كشف الله ذلك عنه اعرض عن الشكر ورجع الى ما كان عليه اولا وهذه
حالة الغافل الضعيف اليقين فاما المومن العاقل فانه بخلاف ذلك فيكون صابرا على البلا شاكرا عند الرخا
والنعما كثير التضرع والدعا في اوقات الراحة والرفاهية وههنا مقام اعلى من هذا وهو ان المومن اذا ابتلي ببلية
او نزل به مكروه يكون مع ذلك صابرا راضيا بقضا الله غير معترض بالقلب عنه بل يكون شاكرا لله عز وجل في جميع
احواله ويعلم العبد المومن ان الله تعالى مالك الملك على الاطلاق وحكيم في جميع احواله ويعلم العبد المومن ان الله تعالى

Copyright © King Saud University

له التصرف بما يشاء ويعلم انه ان ابقى عليه تلك المحنة فهو عدل وان ازالها فهو فضل قوله تعالى ولقد اهلكنا القرون
من قبلكم يعني اهلكنا الامم الماضية من قبلكم يخوف بذلك كفار قريش لما ظلموا يعني لما اشركوا وجاءتهم رسلهم بالبينات يعني
تكذيبهم وما كانوا ليؤمنوا يعني هذه الامم برسلهم وتصديقهم بما جاؤا به من عند الله كذلك نجزي القوم المجرمين يعني كما
اهلكنا الامم الخالية لما كذبوا رسلهم كذلك نهلككم ايها المجرمون بتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم ثم جعلناكم خلائف
في الارض من بعدهم الخطاب لاهل مكة الذين ارسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ثم جعلناكم ايها الناس
خلفا في الارض من بعد القرون الماضية الذين اهلكناهم لننظر كيف تعملون يعني خيرا وشرا فنعاملكم على حسب
اعمالكم والنظر هنا بمعنى العلم يريد لنختبر اعمالكم وهو يعلم ما يكون قبل ان يكون قال اهل المعاني معنى النظر هو طلب
العلم وجاز في وصف الله تعالى الاظهار للعدل لانه تعالى يعامل العبد معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم
ليجازيهم بحسبه كقوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا ذكره الواحدي والرازي ق عن ابي سعيد الخدري ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء
قوله عز وجل واذا تتلى عليهم اياتنا بينات يعني واذا قرئ على هؤلاء المشركين ايات كتابنا القرآن الذي انزلناه اليك يا محمد
بينات يعني واضحات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني قال هؤلاء المشركين
الذين لا يخافون عقابنا ولا يرجون ثوابنا لانهم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكرا للبعث فانه
لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا ائت بقرآن غير هذا او بدله قال قتادة قال ذلك مشركو اهل مكة وقال مقاتل
هم خمسة نفر عبد الله بن امية المخزومي والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن ابي قيس العامري
والعاص بن عامر بن هشام قال هؤلاء للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تريد ان نؤمن بك فائت بقرآن غير هذا
او بدله ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها وان لم ينزله الله عليك فقل انت من نفسك
او بدله فاجعل مكان اية عذاب اية رحمة ومكان حرام حلالا ومكان حلال حراما قال الامام فخر الدين الرازي
اعلم ان اقدام الكفار على هذا الالتماس يحتمل وجهين احدهما انهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء
الثاني ان يكونوا قالوا ذلك على سبيل التجربة والامتحان حتى اذا فعل ذلك علموا انه كان كذابا في قوله ان
هذا القرآن ينزل عليه من عند الله ومعنى قولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله يحتمل ان ياتي بقرآن اخر مع وجود
هذا القرآن وان التبديل لا يكون الا مع وجوده وهو ان يبدل بعض اياته بغيرها كما طلبوه ولما سألوا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم امره ان يجيبهم بقوله قل اي قل يا محمد لهؤلاء ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي
يعني ان هذا الذي طلبتموه من التبديل ليس لي وما ينبغي لي ان اغيره من قبل نفسي ولم اومر به ان اتبع الا ما
يوحى الي يعني فيما امركم به ولا انهاكم عنه وما اخبركم الا ما يخبرني الله به وان الذي اتيتكم به هو من عند الله لا من عندي
اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم اي قل لهم يا محمد اني اخشى من الله ان خالفت امره او غيرت احكام كتابه
او بدلته فعصيته بذلك ان يعذبني بعذاب اليم في يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت قوله عز وجل قل اي قل
يا محمد لهؤلاء المشركين الذين طلبوا منك تغيير القرآن وتبديله لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني لو شاء الله لم ينزل علي
هذا القرآن ولم يامرني بقراءته عليكم ولا ادراكم به قال ابن عباس ولا اعلمكم به وقيل ولا ادراكم به يعني ولا ادراكم
الله به ولا اعلمكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله يعني فقد مكثت فيكم قبل ان يوحى هذا القرآن الي اربعين سنة
لم اتيتكم بشيء ووجه هذا الاحتجاج ان كفار مكة كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وعلموا
احواله لم يطالع كتابا ولا تعلم من احد مدة عمره قبل الوحي وذلك اربعون سنة ثم من بعد الاربعين جاءهم بهذا الكتاب المشتمل على
نفائس العلوم واخبار الماضين وفيه من الاحكام والاداب ومكارم الاخلاق والفصاحة والبلاغة ما عجز العلماء والفصحاء والبلغاء

معارضته

معارضته كل من كان له عقل وفهم ثابت يعلم ان هذا لا يحصل الا بوحي من الله تعالى لا من عند نفسه وهو قوله تعالى افلا
تعقلون يعني ان هذا القرآن من عند الله اوحاه الي لا من قبل نفسي ق عن ابن عباس قال انزل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو ابن اربعين فمكث ثلاث عشرة سنة يوحى اليه ثم امر بالهجرة فهاجر الى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفي
صلى الله عليه وسلم وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام بمكة خمسة عشر سنة يسمع الصوت ويرى
الضوء ولا يرى شيئا سبع سنين وثمان سنين يوحى اليه واقام بالمدينة عشر سنين وتوفي ابن خمس وستين سنة اخرجاه
في الصحيحين خ عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وابو بكر وهو ابن ثلاث
وستين سنة اخرجه مسلم ق عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن قال انس بن مالك يصف النبي صلى الله عليه وسلم يقول كان
ربعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ازهر اللون ليس بالابيض الامهق ولا بالادم ليس بجعد قطط
ولا سبط رجل انزل عليه الوحي وهو ابن اربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه الوحي وبالمدينة عشرا وتوفاه
الله وهو ابن ستين سنة وليس في راسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء اخرجاه في الصحيحين قال الشيخ محيي الدين ورد
في عمره ثلاث روايات احدها انه صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ستين سنة والثانية خمس وستون سنة والثالثة
ثلاث وستون سنة وهي اصحها واشهرها رواه مسلم من حديث انس وعائشة وابن عباس واتفق العلماء على ان اصحها
ثلاث وستون وتاولوا الباقي عليه فرواية ستين اقتصر فيها على العقود وترك الكسر ورواية الخمسة متاولة
ايضا وحصل فيها اشتباه قوله يسمع الصوت صوتا لهاتف من الملائكة ويرى الضوء يعني نور الملائكة ونور ايات
الله حتى راى الملك بعينه وشافهه بالوحي من الله عز وجل وقوله ليس بالابيض الامهق المراد انه شديد البياض
كلون الجص وهو كريه المنظر وربما توهم الناظر انه برص والمراد انه كان ازهر اللون بين البياض والحمرة
قوله عز وجل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا يعني فزعم ان له شريكا وولدا والمعنى اني لم افتر على الله كذبا ولم اكذب
عليه في قولي ان هذا القرآن من عند الله وانتم قد افتريتم على الله الكذب فزعمتم ان له شريكا وولدا ونزهته عن
الشريك والولد لما كان احد في الدنيا اظلم على نفسه مني حيث افتريته على الله لو كان هذا القرآن من عند الله
اوحاه الي وجب ان لا يكون احد في الدنيا اجهل ولا اظلم على نفسه منكم حيث انكرتم ان يكون هذا القرآن من
عند الله فقد كذبتم بايات الله وهو قوله او كذب باياته يعني جحد بكون القرآن من عند الله وانكر دلائل التوحيد
انه لا يفلح المجرمون يعني المشركين وهذا وعيد وتاكيد لما سبق ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم
يعني ويعبد هؤلاء المشركون الاصنام التي لا تضرهم ان عصوها ولا تنفعهم ان عبدوها لانها حجارة وجماد لا تضر
ولا تنفع ولان العبادة اعظم انواع التعظيم فلا يليق الا لمن يضر وينفع وهذه الاصنام حجارة وجماد لا تضر
ولا تنفع ويقولون هؤلاء يعني الاصنام التي يعبدونها شفعاؤنا عند الله قال اهل المعاني توهموا ان عبادتها
اشد في تعظيم الله من عبادتهم اياه وقالوا لسنا باهل ان نعبد الله ولكن نشتغل بعبادة الاصنام فانها تكون لنا
شافعة عند الله ومنه قوله اخبارا عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفي هذه الشفاعة قولان احدهما
انهم يزعمون انها تشفع لهم في الاخرة قاله ابن جريج عن ابن عباس والثاني انها تشفع لهم في الدنيا في اصلاح
معاشهم قاله الحسن لانهم كانوا لا يعتقدون بعثا بعد الموت قل اي قل يا محمد اتنبئون الله بما لا يعلم
في السموات ولا في الارض يعني اتخبرون الله ان له شريكا ولا يعلم الله لنفسه شريكا في السموات ولا في الارض
وهذا على طريق الالزام والمقصود نفي علم الله بذلك الشفيع وانه لا وجود له بحال البتة لانه لو كان موجودا
لعلمه الله وحيث لم يكن معلوما لله وجب ان لا يكون موجودا ومثل هذا مشهور في العرف فان الانسان اذا اراد
نفي شيء حصل في نفسه يقول ما علم الله ذلك مني ومقصوده انه ما حصل ذلك الشيء منه قط ولا وقع سبحانه

وتعالى عما يشركون نزه الله تعالى نفسه عن الشركاء والامثال والانداد وتعالى ان يكون له شريك في السموات والارض
قوله تعالى وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا يعني فتفرقوا الى مؤمن وكافر وكانوا جميعا على الدين الحق وهو
دين الاسلام ويدل على ذلك ان ادم عليه السلام وذريته كانوا على دين الاسلام الى ان قتل قابيل هابيل ثم
اختلفوا فبعث الله نوحا وقيل انهم كانوا على دين الاسلام وقت خروج نوح ومن معه من السفينة ثم اختلفوا بعد
ذلك وكانوا على دين الاسلام على عهد ابراهيم الخليل عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحي فعلى هذا القول يكون المراد
من الناس في قوله وما كان الناس الا امة واحدة يعني في الكفر وهذا قول منقول عن جماعة من المفسرين ويدل
عليه قوله تعالى في سورة البقرة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وتقريره انه لا مطمع ان يصير الناس على
دين واحد فانهم كانوا ولا على الكفر وانما اسلم بعضهم ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل كان الناس امة
واحدة وليس في الاية ما يدل على اي دين كانوا من ايمان وكفر فهو موقوف على دليل من خارج وقيل معناه كانوا اولاد
الخلق على الفطرة السليمة الصحيحة ثم اختلفوا في الاديان والى هذا اشار بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على
الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه والمراد بالفطرة في الحديث فطرة الاسلام قوله تعالى ولولا كلمة
سبقت من ربك يعني انه تعالى جعل لكل امة اجلا وقضى في كتابه الاجل فاذا لكلية من اهوال هذه الامة وانه لا يهلكهم
بالعذاب لقضي بينهم يعني بنزول العذاب وتعجيل العقوبة للمكذبين لكان ذلك فصلا بينهم فيما فيه يختلفون
وقال الحسن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني مضت في حكمه ان الله لا يقضي عليهم فيما اختلفوا فيه من الثواب
والعقاب دون يوم القيامة لقضى بينهم في الدنيا فادخل المؤمنين الجنة بايمانهم وادخل الكافرين النار بكفرهم
ولكن سبق من الله الاجل فجعل موعدهم يوم القيامة وقيل سبق من الله لا ياخذ احدا الا بعد اقامة الحجة عليه
الكلمة التي سبقت من الله هي قوله ان رحمتي سبقت غضبي ولولا رحمته لعجل لهم العقوبة في الدنيا ولكن اخذهم
برحمته الى يوم القيامة ثم يقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون يعني في الدنيا ويقولون يعني كفار مكة لولا انزل
عليه اية من ربه يعني لولا انزل على محمد ما اقترحوه عليه من الايات فقل اي فقل لهم يا محمد انما الغيب لله يعني
ان الذي سالتموني هو من الغيب وانما الغيب لله لا يعلم احد ذلك الا هو والمعنى لا يعلم احد متى نزول الاية الا
هو فانتظروا يعني نزولها اني معكم من المنتظرين وقيل معناه فانتظروا قضاء الله بيننا باظهار الحق على الباطل اني معكم
من المنتظرين قوله عز وجل واذا اذقنا الناس رحمة يعني رخاء ونعمة من بعد ضراء مستهم يعني من بعد شدة وبلاء وضيق
في العيش اصابهم والمراد بالناس هنا كفار اهل مكة وذلك ان الله حبس عنهم المطر سبع سنين حتى هلكوا من الجوع
والقحط ثم ان الله تعالى رحمهم وانزل عليهم المطر الكثير حتى اخصبت البلاد وعاش الناس بعد ذلك الضر فلم يتعظوا
بذلك بل رجعوا الى الفساد والكفر والمكر وهو قوله تعالى اذا لهم مكر في اياتنا قال مجاهد اي تكذيب واستهزاء وقال
مقاتل بن حيان لا يقولون هذا رزق الله انما يقولون سقينا بنوء كذا وكذا ويدل على صحة هذا القول ما روي عن
زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت من
الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال اصبح من عبادي
مؤمن بي وكافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب اخرجاه في الصحيحين
قوله على اثر سماء اي مطر كان وقع بالليل وسمي المطر سماء لانه ينزل من السماء والانواء عند العرب هي منازل القمر اذا طلع
نجم سقط نظيره وكانوا يعتقدون ذلك في الجاهلية انه لا بد عند ذلك من وجود مطر وريح كما تزعم المنجمون فمن العرب
من يجعل ذلك التاثير للطالع لانه ناء اي ظهر وطلع ومنهم من ينسبه للغارب فنفى النبي صلى الله عليه وسلم صحة
ذلك ونهى عنه وكفر معتقده اذا اعتقد ان النجم فاعل على ذلك التاثير اما من جعله دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة واما

من

من استند ذلك للعادة التي يجوز انخراقها فقد كرهه جماعة وحرمه قوم ومنهم من تاول الكفر بكفر نعمة الله والله
اعلم وسمى تكذيبهم بايات الله مكرا لان المكر عبارة عن صرف الشيء عن وجهه الظاهر بنوع من الحيلة وكان كفار مكة
يحتالون في دفع ايات الله بكل ما يقدرون عليه من المفاسد قل الله اسرع مكرا اي قل لهم يا محمد الله اعجل عقوبة
واشد اخذا واقدر على الجزاء وان عذابه في اهلاككم اسرع اليكم مما ياتي منكم في دفع الحق ولما قابلوا النعمة بالمكر قابل مكرهم
بمكر اشد منه وهو امهالهم الى يوم القيامة ان رسلنا يكتبون ما تمكرون يعني الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون
ويحفظون اعمالهم الخبيثة السيئة الى يوم القيامة حتى تفتضحوا بها وتجازون على مكركم قوله تعالى هو الذي
يسيركم في البر والبحر يعني والله الذي يسيركم ويحملكم في البر على ظهور الدواب وفي البحر على الفلك وقيل معناه
الله الهادي لكم في السير في البر والبحر طلبا في المعاش وهو المهيء لكم اسباب السير في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك
يعني في السفن ولفظ الفلك يطلق على الواحد والجمع وتقديرهما مختلفان فان اريد بها الواحد كان كقفل
وان اريد بها الجمع كان كاسد والمراد بها هنا الجمع لقوله تعالى وجرين بهم بريح طيبة يعني وجرت السفن
بركابها فان قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة قلت قال صاحب الكشاف
المقصود منه المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم مزيد الانكار والتقبيح وقال غيره ان
مخاطبة الله لعباده هي على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فهو بمنزلة الخبر عن الغائب وقيل كل من اقام
الغائب مقام المخاطب حسن منه ان يرده الى الغائب وقيل ان الالتفات في الكلام من الغيبة الى الحضور
وبالعكس فهو من فصيح كلام العرب وفرحوا بها يعني وجرت السفن بريح طيبة ساكنة وفرحوا بها يعني وفرح
ركبان تلك الفلك بتلك الريح الطيبة لان الانسان اذا ركب السفينة ووجد الريح الطيبة الموافقة
للمقصود وحصل له النفع التام والمسرة العظيمة بذلك جاءتها ريح عاصف يعني قيل ان الضمير في جاءتها
فيكون المعنى جاءت الريح الطيبة ريح عاصف شديدة فاقلبتها وقيل الضمير في جاءتها يرجع الى الفلك
يعني جاءت الفلك ريح عاصف يقال ريح عاصف وعاصفة ومعنى عصفت الريح اشتدت واصل العصف
السرعة وانما قال عاصف لانه يراد به عصوف ولاجل ان الريح قد تذكر وجاءهم الموج من كل مكان يعني وجاء
ركاب السفينة الموج وهو ما ارتفع وعلا من غوارب الماء في البحر وقيل هو شدة حركة الماء في البحر واختلاطه وظنوا انهم
احيط بهم يعني قيل يعني فظنوا ان الهلاك قد احاط بهم واحدق وقيل المراد من الظن اليقين
اي وايقنوا انه الهلاك وقيل بل المراد منه المقاربة من الهلاك والدنو منه والاشراف عليه دعوا الله
مخلصين له الدين اي يعني انهم اخلصوا في الدعاء لله عز وجل ولم يدعوا احدا سواه من الهتهم وقيل في معنى
هذا الاخلاص العلم الحقيقي لا اخلاص ايمان لانهم كانوا يعلمون حقيقة انه لا ينجيهم من جميع الشدائد والبلايا
الا الله تعالى فكانوا اذا وقعوا في شدة وضر وبلاء اخلصوا لله الدعاء لئن انجيتنا اي قائلين لئن انجيتنا
من هذه يعني هذه الشدائد التي نحن فيها وهي الريح العاصفة والامواج الشديدة لنكونن من الشاكرين يعني
من الشاكرين لك على نعمك علينا بخلاصنا مما نحن فيه من الشدة فلما انجاهم يعني فلما انجاهم الله الذين ظلموا
انهم احيط بهم من الشدة التي كانوا فيها اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يعني انهم اخلفوا ما عاهدوا عليه وبغوا في الارض
فتجاوزوا في الحد فيها الى غير ما امر الله به من الكفر والعمل بالمعاصي على ظهرها واهل البغي مجاوزة الحد قال
صاحب المفردات والبغي على ضربين احدهما محمود وهو مجاوزة العدل الى الاحسان والفرض الى التطوع والثاني
مذموم وهو مجاوزة الحق الى الباطل او الى الشبهة قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي
لا يكون بحق قلت بلى قد يكون بحق وهو استيلاء المسلمين على الكفرة وهدم دورهم واحراق زرعهم وقطع

Copyright © King Saud University

تجرهم كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ببني قريظة يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم يعني ان افعال بغيكم راجع اليكم متاع
الحياة الدنيا قيل هو كلام مبتدأ والمعنى ان بغي بعضكم على بعض هو متاع الحياة الدنيا لا يصلح زادا للاخرة وقيل هو
كلام متصل بما قبله والمعنى يا ايها الناس انما بغيكم مدة حياتكم مع قصرها وسرعة انقضائها والبغي من منكرات الذنوب
العظام قال بعضهم لو بغى جبل على جبل لاندك الباغي وقد نظم بعضهم هذا الشعر وكان المأمون يتمثل به ويقول
يا صاحب البغي ان البغي مصرعة * فارجع فخير مقال المرء اعدله * فلو بغى جبل يوما على جبل * لاندك منه اعاليه واسفله
قوله عز وجل ثم الينا مرجعكم يعني يوم القيامة فننبئكم اي فنخبركم بما كنتم تعملون يعني في الدنيا من البغي والمعاصي فنجازيكم
عليها قوله عز وجل انما مثل الحياة الدنيا اي مثل يعني في فنائها وزوالها كماء انزلناه من السماء يعني المطر فاختلط به يعني بالمطر
نبات الارض قال ابن عباس نبت بالماء من كل لون مما ياكل الناس يعني من الحبوب والثمار والانعام يعني ومما ياكل الانعام
من الحشيش ونحوه حتى اذا اخذت الارض زخرفها يعني حسنها ونضارتها وبهجتها واظهرت الوان زهرتها من ابيض واحمر واصفر
وغير ذلك من الزهور وازينت اي وتزينت وظن اهلها يعني وظن اهل تلك الارض انهم قادرون عليها يعني على جذاذها
وقطافها وحصادها والكناية الى الارض والمراد النبات اذا كان مفهوما وقيل ردها الى الثمرة والغلة وقيل الى الزينة
اتاها امرنا يعني قضاؤنا باهلاكها ليلا او نهارا يعني في الليل او في النهار فجعلناها حصيدا يعني محصودة مقطوعة
كأن لم تغن بالامس يعني كأن لم تكن الاشجار والنبات والزرع نابتة قائمة على ظهور الارض واصله من غني فلان بالمكان اذا
اقام به وهذا مثل ضربه الله للمتشبث بالدنيا الراغب في زهرتها وحسنها وذلك انه تعالى لما قال
يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا اتبعه بهذا المثل لمن بغى في الارض وتجبر فيها وركن الى الدنيا واعرض عن
الاخرة لان النبات في اول بروزه من الارض ومبدأ اخراجه يكون ضعيفا فاذا نزل عليه المطر واختلط به نبت وحسن واكتسى
كمال الرونق والزينة وهو المراد من قوله حتى اذا اخذت الارض زخرفها على التشبيه اذا لبست الثياب الفاخرة من كل
لون جنس من حمرة وخضرة وصفرة وبياض ولا شك ان الارض متى كانت على هذه الصفة فانه يفرح بها صاحبها ويعظم
رجاؤه في الانتفاع بها وبما فيها ثم ان الله تعالى ارسل الى هذه الارض ما عقرا او بردا او ريحا فجعلها حصيدا كأن لم تغن
قبل قال قتادة ان المتشبث بالدنيا ياتيه امر الله وعذابه اغفل ما يكون ووجه التمثيل ان غاية هذه الحياة الدنيا التي
يتمتع بها المرء وكما نبته هذا النبات الذي لما عظم الرجاء في الانتفاع به وقع الياس ولان المتمسك بالدنيا اذا نال منها بغيته
اتاه الموت بغتة فسلبه ما هو فيه من نعيم الدنيا ولذاتها وقيل يحتمل ان يكون ضرب هذا المثل لمن ينكر المعاد والبعث
بعد الموت وذلك لان الزرع اذا انتهى وتكامل في الحسن الى الغاية القصوى اتاه ما يتلفه بالكلية وان الله تعالى
قادر على اعادته كما كان اول مرة فضربه الله تعالى هذا المثل ليدل على من قدر على اعادة ذلك النبات بعد التلف
كان قادرا على اعادة الاموات احياء في الاخرة ليجازيهم على اعمالهم فيثيب الطائع ويعاقب العاصي كذلك نفصل الايات
لقوم يتفكرون يعني كما بينا لكم مثل الحياة الدنيا وعرفناكم حكمها كذلك نبين حججنا وادلتنا لمن تفكر واعتبر ليكون
ذلك موجبا وسببا لزوال الشك والشبهة من القلوب قوله عز وجل والله يدعو الى دار السلام لما ذكر هذه الحياة الدنيا وانها
فانية زائلة لا محالة الى دعا داره السلام وقال قتادة الله هو السلام وداره الجنة فعلى هذا السلام اسم من اسمائه
عز وجل ومعناه انه تعالى سلم من جميع النقائص والعيوب والفناء والتغير وقيل انه تعالى يوصف بالسلام لان
الخلق سلموا من ظلمه وقيل انه تعالى يوصف بالسلام بمعنى ذا السلام ولا يقدر على تخليص العاجزين من المكاره والافات
الا هو وقيل دار السلام اسم الجنة وهو جمع سلامة والمعنى ان من دخلها فقد سلم من جميع الافات كالموت والمرض والمصائب
والحزن والغم والتعب والنكد وقيل سميت الجنة دار السلام لان الله تعالى يسلم على اهلها وتسلم الملائكة عليهم وقيل
ان من كمال رحمة الله وجوده وكرمه على عباده ان دعاهم الى نفسه التي هي دار السلام وفيه دليل على انها لا تعتريها

ولا

ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان العظيم لا يدعو الا الى عظيم ولا يصف الا عظيما وقد وصف الله تعالى
الجنة بآيات كثيرة من كتابه ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم يعني والله يهدي من يشاء من خلقه الى صراط مستقيم وهو دين
الاسلام بالدعوة اولا اظهارا للحجة وخص بالدعوة ثانيا استغناء عن الخلق واظهارا للقدرة فجعلت المغايرة بين
الدعوتين عن جابر قال جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم
انه نائم وقلبه يقظان فقالوا ان لصاحبكم مثلا قال فاضربوا له مثلا فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مادبة
وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة
فقالوا اولوها فقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فالدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم
فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس وفي رواية قال جابر خرج علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رايت في المنام كان جبريل عند راسي وميكائيل عند رجلي يقول احدهما
لصاحبه اضرب له مثلا وذكره عن النواس بن سمعان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب مثلا
صراطا مستقيما على كنفي الصراط وروي ان لهما ابوابا مفتحة على الابواب ستور وداع يدعو الى دار السلام ويهدي
من يشاء الى صراط مستقيم والابواب التي على كنفي الصراط حدود الله فلا يقع احد في حدود الله حتى يكشف الستر
والذي يدعو من فوقه واعظه اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن غريب قوله عز وجل للذين احسنوا الحسنى قال
ابن عباس للذين شهدوا ان لا اله الا الله الجنة وقيل معناه الذين احسنوا عبادة الله في الدنيا من خلقه واطاعوه
فيما امرهم به ونهاهم عنه الحسنى وزيادة قال ابن الانباري الحسنى في اللغة تانيث الاحسن والعرب توقع هذه
اللفظة على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها وقيل معناه للذين احسنوا المثوبة وزيادة اختلف المفسرون
في معنى هذه الحسنى وهذه الزيادة على اقوال القول الاول ان الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر الى وجه الله
الكريم وهذا القول لجماعة من الصحابة منهم ابو بكر الصديق وحذيفة وابو موسى الاشعري وعبادة بن الصامت وهو
قول الحسن وعكرمة ومقاتل والضحاك ومقاتل والسدي ويدل على هذا القول المنقول والمعقول اما المنقول فما
روي عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيئا ازيدكم
فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم
تبارك وتعالى زاد في رواية ثم تلا هذه الاية للذين احسنوا الحسنى وزيادة اخرجه مسلم روى الطبري بسنده عن
كعب بن عجرة للذين احسنوا الحسنى وزيادة وروى الطبري قال الزيادة النظر الى وجه الله وبه قال ابي بن كعب قال سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة فالحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه
الله تعالى وبه عن ابي بكر الصديق للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه الله تعالى وبه عن ابي موسى الاشعري
قال اذا كان يوم القيامة بعث الله تعالى الى اهل الجنة مناديا ينادي هل انجزكم الله ما وعدكم به فينظرون الى ما اعد
لهم من الكرامات فيقولون نعم فيقول الله للذين احسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجه الرحمن تبارك وتعالى
وفي رواية رفعه ابو موسى قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث يوم القيامة وذكره بمعناه
وبه عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال لهم قد بقي من حقكم شيء تعطونه قال فيتجلى لهم عز
وجل قال فيصغر عندهم كل شيء اعطوه ثم قال للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة هي النظر
الى وجه الله تعالى فهذه الاخبار والاثار دلت على ان الزيادة هي النظر الى وجه الله تعالى واما المعقول فيقول
ان الحسنى لفظة مفردة دخل عليها الف التعريف وانصرف الى المعروف السابق هو الجنة واذا ثبت هذا وجب ان يكون
المراد من الزيادة امرا مغايرا لكل ما في الجنة من النعيم والا لزم التكرار واذا كان كذلك وجب حمل هذه الزيادة على رؤية الله

Copyright © King Saud University

ومما يؤكد ذلك قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فاثبت لاهل الجنة امرين احدهما النضارة
وهو حسن الوجوه وذلك من نعيم الجنة والثاني النظر الى وجه الله تعالى وآيات القرآن يفسر بعضها بعضا
فوجب حمل الحسنى على الجنة ونعيمها وحمل الزيادة على رؤية الله تعالى لان الدلائل العقلية دلت على ان رؤية
الله تعالى ممتنعة فلان الزيادة يجب ان تكون من جنس المزيد عليه ورؤية الله تعالى ليست من نعيم الجنة ولان
الاخبار التي تقدمت توجب التشبيه ولان جماعة من المفسرين حملوا هذه الزيادة على غير الرؤية فانتفى ما قلتم
فاجاب اصحابنا عن هذه الاعتراضات بان الدلائل العقلية قد دلت على وقوع رؤية الله تعالى في الآخرة
واذا لم يوجد في العقل ما يمنع من رؤية الله تعالى وجاءت الآيات الصحيحة باثبات الرؤية وجب المصير اليها
واجراؤها على ظواهرها من غير تشبيه ولا احاطة واجيب عن قولهم بان الزيادة يجب ان تكون من جنس المزيد
عليه فنقول المزيد عليه اذا كان مقدارا معينا كانت الزيادة من جنسه واذا لم يكن بمقدار معين وجب ان
تكون الزيادة مخالفة له فالمذكور في هذه الآية لفظ الحسنى وهي الجنة ونعيمها غير مقدر بقدر معين وجب
ان الزيادة عليها تكون شيئا مغايرا لنعيم الجنة وذلك المغاير هو الرؤية واجيب عن قولهم بان جماعة من المفسرين
حملوا الزيادة على غير الرؤية فعارض بقول جماعة بان الزيادة هي الرؤية والمثبت مقدم على النافي والله اعلم القول الثاني
في معنى هذه الآية ما روي عن علي بن ابي طالب انه قال الزيادة غرفة من لؤلؤ واحدة لها اربعة ابواب القول الثالث
الحسنى واحدة الحسنات والزيادة التضعيف الى تمام العشرة الى سبعمائة قال ابن عباس هو مثل قوله تعالى
ولدينا مزيد يجزيهم بعملهم ويزيدهم من فضله قال قتادة كان الحسن يقول الزيادة الحسنة عشر امثالها الى سبعمائة
ضعف القول الرابع ان الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة مغفرة من الله تعالى ورضوان قاله مجاهد القول
الخامس قول ابن زيد ان الحسنى هي الجنة والزيادة ما اعطاهم في الدنيا لا يحاسبهم به يوم القيامة وقوله تعالى
ولا يرهق وجوههم يعني ولا يغشى وجوه اهل الجنة قتر اي كآبة ولا كسوف ولا غبار وقال ابن عباس هو سواد
الوجه ولا ذلة يعني ولا هوان قال ابن ابي ليلى هذا بعد نظرهم الى ربهم تبارك وتعالى اولئك اصحاب الجنة هم
فيها خالدون يعني ان هؤلاء الذين وصف صفتهم هم اصحاب الجنة لا غيرهم وهم فيها مقيمون لا يخرجون منها
ابدا قوله تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اعلم ان الله تعالى لما شرح احوال المحسنين وما اعد
لهم من الكرامات شرح في هذه الآيات حال من اقدم على هذه السيئات والمراد بهم الكفار فقال تعالى والذين
كسبوا السيئات يعني عملوا السيئات والمراد بالكفر والمعاصي جزاء سيئة بمثلها يعني فلهم جزاء السيئة يعني التي عملوها
مثلها من العقاب والمقصود من هذا التقييد التنبيه على الفرق بين الحسنات والسيئات لان الحسنات
يضاعف ثوابها لعاملها من الواحد الى العشرة الى السبعمائة الى اضعاف كثيرة وذلك تفضلا منه وتكرما واما
السيئات فانه يجازى بمثلها عدلا منه سبحانه وتعالى وترهقهم ذلة قال ابن عباس تغشاهم ذلة وهوان
بعقاب الله اياهم ما لهم من الله من عاصم يعني ما لهم مانع يمنعهم من عذاب الله تعالى اذا نزل بهم كانما اغشيت
وجوههم قطعا من الليل مظلما يعني كانما البست وجوههم سوادا من الليل المظلم اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا الحشر الجمع من كل جانب وناحية الى موضع واحد والمعنى ويوم نجمع
الخلائق جميعا لموقف الحساب وهو يوم القيامة ثم نقول للذين اشركوا مكانكم اي الزموا مكانكم واثبتوا فيه حتى
تسألوا فهذا وعيد وتهديد للعابدين والمعبودين انتم وشركاؤكم يعني انتم ايها المشركون والاصنام
التي كنتم تعبدونها من دون الله فزيلنا بينهم يعني فرقنا بين العابدين والمعبودين وميزنا بينهم وقطعنا
ما كان بينهم من التواصل في الدنيا فان قلت قوله فزيلنا بينهم جاء على لفظ الماضي بعد قوله ثم نقول

للذين

للذين اشركوا وهو منتظر في المستقبل فما وجهه قلت السبب فيه ان الذي حكم الله فيه بانه سيكون صار
كالكائن لان قوله تعالى وقال شركاؤهم يعني الاصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله وانما سماهم شركاءهم لانهم جعلوا
لهم نصيبا من اموالهم ولانه تعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله مكانكم فقد صاروا شركاء في هذا الخطاب ما كنتم
ايانا تعبدون تبرأ المعبودون من العابدين فان قلت كيف صدر هذا الكلام من الاصنام وهي جماد لا روح
فيها ولا عقل لها قلت يجوز ان الله خلق لها في ذلك اليوم من الحياة والعقل والنطق حتى قدرت على الكلام
فان قلت انما احياهم الله في ذلك اليوم فهل يفنيهم او يبقيهم قلنا الكل محتمل ولا اعتراض على الله في شيء من افعاله
واحوال القيامة غير معلومة الا ما دل عليه الدليل من كتاب وسنة فان قلت ان الاصنام قد انكرت
ان الكفار كانوا يعبدونها قلت قد تقدمت هذه المسئلة وجوابها في سورة الانعام وقال مجاهد يكون
في يوم القيامة ساعة يكون فيها شدة تنصب لهم الالهة التي كانوا يعبدون من دون الله فتقول الالهة والله ما كنا
نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم انكم كنتم تعبدوننا فيقول الله فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين
والمعنى قد علم الله وكفى به شهيدا انا ما علمنا انكم كنتم تعبدوننا وما كنا عن عبادتكم ايانا من دون الله الا غافلين ما نشعر بذلك
اما قوله هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت فهو كالتتمة للآية المتقدمة والمعنى ان في ذلك المقام او ذلك الموقف وذلك الوقت
على معنى استعارة اطلاق اسم المكان على الزمان وفي قوله تبلو قراءتان ولهما معنيان احدهما انه من بلاه اذا اختبره اي
تختبر كل نفس ما اسلفت لان العمل هو الذي يهدي النفس الى الثواب والعقاب الثاني ان يكون من التلاوة والمعنى ان كل نفس
تقرأ صحيفة عملها من خير او شر وقرئ تبلو بالتاء والباء ومعناه تخبر وتعلم والبلو الاختبار ومعناه اختبارها ما اسلفت انه
قدم من خير او شر انه عليه وجوزي به وقوله تعالى وردوا الى الله مولاهم الحق الرد عبارة عن صرف الشيء الى الموضع الذي غيب والمعنى ردوا
الى ما ظهر لهم من الله الذي هو مالكهم ومتولي امورهم فان قلت قد قال الله تعالى في آية اخرى ان الكافرين لا مولى
لهم فما الفرق قلت انه في اللغة يطلق على المالك ويطلق على الناصر فمعنى المولى هنا المالك ومعنى المولى هناك الناصر
فحصل الفرق بين الآيتين وضل عنهم ما كانوا يفترون يعني وبطل وذهب ما كانوا يكذبون في الدنيا وهو قولهم ان هذه الاصنام
تشفع لنا قوله عز وجل قل من يرزقكم من السماء والارض اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من يرزقكم من السماء يعني المطر والارض
يعني النبات امن يملك السمع والابصار يعني ومن اعطاكم هذه الحواس تسمعون بها وتبصرون بها ومن يخرج الحي من الميت ويخرج
الميت من الحي يعني انه يخرج الانسان حيا من النطفة وهي ميتة وكذلك الطير من البيضة وكذلك يخرج النطفة الميتة من
الانسان الحي والبيضة من الطائر الحي وقيل معناه انه يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن والقول الاول اقرب
الى الحقيقة ومن يدبر الامر يعني ان مدبر السموات وما فيها ومدبر الارض وما فيها هو الله تعالى وكذلك قوله فسيقولون
الله يعني انهم يعترفون بان فاعل هذه الاشياء هو الله واذا كانوا يعترفون بذلك فقل لهم يا محمد افلا تتقون يعني
تخافون عقابه حيث تعبدون هذه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شيء من هذه الامور فذلكم الله
ربكم الحق يعني فذلكم الله الذي يفعل هذه الاشياء ويقدر عليها هو ربكم الذي يستحق العبادة فماذا بعد الحق
الا الضلال يعني اذا ثبت بهذه البراهين الواضحة والدلائل القطعية ان الله هو الحق وجب ان يكون ما سواه باطلا
وضلالا فانى تصرفون يعني اذا عرفتم هذا الامر الظاهر الواضح فكيف تستجيزون العدول عن الحق الى الضلال كذلك
اي كما ثبت انه ليس بعد الحق الا الضلال حقت اي وجبت كلمة ربك في الازل على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون
المراد بكلمة الله قضاؤه في اللوح المحفوظ لانهم لا يؤمنون وقضاء الله لا يرد قل هل من شركائكم اي قل يا محمد لهؤلاء
المشركين هل من شركائكم يعني هذه الاصنام التي تزعمون انها الهة من يبدأ الخلق ثم يعيده يعني من يقدر على ان ينشئ
الخلق على غير مثال سبق ثم يعيده بعد الموت كهيئته اول مرة وهذا السؤال استفهام انكار قل يا محمد الله يبدأ الخلق

Copyright © King Saud University

ثم يعيده يعني هو الله القادر على ابتدا الخلق واعادته فانى تؤفكون يعني فانى تصرفون عن قصد السبيل والمراد من هذا التعجب من احوالهم قل يا محمد هل من شركائكم من يهدي الى الحق يعني من هذه الاصنام هل يقدر ان يرشد الى الحق فاذا قالوا لا لا بد لهم من ذلك قل اي يا محمد قل انت الله يهدي للحق يعني ان الله يرشد الى الحق لا غيره افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى يعني ان الذي يهدي الى الحق فهو احق بالاتباع لا هذه الاصنام التي لا تهتدي الا ان يهدى فان قيل ذكر العلما عن هذا السوال وجوها الاول ان معنى الهداية في حق الاصنام الانتقال من مكان الى مكان فيكون المعنى انها لا تنتقل من مكان الى مكان اخر الا ان تحمل فتبين بهذا عجز الاصنام الوجه الثاني ان ذكر الهداية في حق الاصنام على على وجه المجاز وذلك ان المشركين لما اتخذوا الاصنام الهة وانزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما عبر به عمن يسمع ويعقل ووصفها بهذه الصفة وان كان الامر ليس كذلك الوجه الثالث يحتمل ان يكون المراد من قوله تعالى قل هل من شركائكم من يبدو الخلق ثم يعيده الاصنام والمراد من قوله من يهدي الى الحق روسا الكفر والضلالة والله تعالى هدى الخلق الى الدين بما ظهر من الدلايل الدالة على وحدانيته واما روسا الكفر والضلالة فانهم لا يقدرون على هداية غيرهم الا اذا هداهم الى الحق وكان اتباع دين الله واجب احسن من اتباع غيره فما لكم كيف تحكمون قال الزجاج فما لكم كلام تام كانه قيل اي شي لكم في عبادة هذه الاصنام ثم قال كيف تحكمون يعني على اي حال تحكمون وقيل معناه بيس ما حكمتم اذ جعلتم لله شريكا ممن ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا هداية وما يتبع اكثرهم الا ظنا يعني وما يتبع اكثر هولا المشركين الا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته بل هم في شك منه وريبة وقيل المراد بالاكثر يعني الكل لان جميع المشركين يتبعون الظن في دعواهم ان الاصنام تشفع لهم وقيل المراد بالاكثر الروسا ان الظن لا يغني من الحق شيا يعني ان الشك لا يغني عن الحق شيا ولا يقوم مقامه ولا يدفع عنهم من عذاب الله شيا ان الله عليم بما يفعلون يعني من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله يعني وما كان ينبغي لهذا القران ان يختلق ويفتعل لان معنى الافترا الاختلاق والمعنى ليس وصف القران وصف شي يمكن ان يفترى به على الله لان المفتري هو الذي ياتي به البشر وذلك ان كفار مكة زعموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم اتى بهذا القران من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق فاخبر الله عز وجل ان هذا القران وحي انزله الله عليه وانه مبرا عن الافترا والكذب وانه لا يقدر عليه احد الا الله ثم ذكر ما يوكد هذا بقوله ولكن تصديق الذي بين يديه يعني ولكن الله انزل هذا القران مصدقا لما قبله من الكتب التي انزلها على انبيايه كالتوراة والانجيل وتقرير هذا ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان اميا لم يقرا ولم يكتب ولم يجتمع باحد من العلما ثم انه اتى بهذا القران العظيم المعجز وفيه اخبار الاولين وقصص الماضين وكل ذلك موافق لما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة ولم يكن كذلك لقدحوا فيه لعداوة اهل الكتاب له ولما لم يقدح فيه احد من اهل الكتاب علم بذلك ان ما فيه من القصص والاخبار مطابقة لما في التوراة والانجيل مع القطع بانه ما علم ما فيها فثبت بذلك انه وحي من الله انزله عليه وانه مصدق لما بين يديه وانه معجزة له وقيل يعني من اخبار الغيوب الاتية فانها جات على وفقها اخر وتفصيل الكتاب يعني وتبيين ما في الكتاب من الحلال والحرام والفرايض والاحكام لا ريب فيه من رب العالمين يعني ان هذا القران لا شك فيه انه من رب العالمين وانه ليس مفترى على الله وانه لا يقدر احد من البشر على الاتيان بمثله ام يقولون افتراه يعني ام يقول هولا المشركين افترى محمد هذا القران واختلقه من قبل نفسه وهو استفهام انكار وقيل ام بمعنى الواو ويقولون افتراه قل يا محمد ان كان الامر كما تقولون فاتوا بسورة مثله يعني بسورة تشبهه في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم وانتم عرب مثله في الفصاحة والبلاغة فان قلت قال فاتوا بسورة من مثله في سورة البقرة وقال هنا بسورة مثله فما فايدة ذلك وما الفرق بينهما قلت لما كان محمد صلى الله عليه وسلم اميا لم يقرا ولم يكتب واتى بهذا القران كان معجزا في نفسه قيل لهم فاتوا بسورة من مثله يعني من انسان مثل محمد صلى الله عليه وسلم يساويه في عدم الكتابة والقراءة

او

او يساوي القران في الفصاحة والبلاغة وهو المراد بقوله بسورة مثله يعني ان السورة في نفسها معجزة فان الخلق اذا اجتمعوا على ذلك لم يقدروا عليه وهو قوله وادعوا من استطعتم من دون الله يعني وادعوا على الاستعانة على ذلك من استطعتم من خلقه ان كنتم صادقين يعني في ان القران افتراه قال عطا يريد انه جميع علوم القران وقيل بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه معناه بل كذبوا بما في القران من ذكر الجنة والنار والحشر والقيامة والثواب والعقاب بما لم يحيطوا بعلمه لانهم كانوا ينكرون ذلك لان القران العظيم مشتمل على علوم كثيرة لا يقدر احد على تحصيلها ولما ياتهم تاويله يعني انهم كذبوا به ولم ياتهم بعد بيان ما يؤول اليه ذلك الوعيد الذي توعدهم الله في القران به من العقوبة والمعنى انهم لم يعلموا ما يؤول اليه عاقبة امرهم وقيل معناه انهم لم يعلموا تنزيلا ولا تاويلا فكذبوا به وذلك لانهم جهلوا القران وعلمه وعلم تاويله كذلك كذب الذين من قبلهم يعني كما كذب هولا بالقران كذلك كذبت الامم الماضية انبياءهم فيما وعدهم به فانظر كيف كان عاقبة الظالمين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي فانظر يا محمد كيف عاقبة من ظلم من الامم كذلك عاقبة من كذبك من قومك فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لكل فرد من الناس والمعنى فانظر ايها الناس كيف كان عاقبة من ظلم فاحذروا ان تفعلوا مثل فعله قوله عز وجل ومنهم من يؤمن به يعني ومن قومك يا محمد من سيؤمن بالقران ومنهم من لا يؤمن به لعلم الله السابق فيه انه لا يؤمن وربك اعلم بالمفسدين يعني الذين لا يؤمنون وان كذبوك يعني فان كذبك قومك يا محمد فقل اي فقل لهم لي عملي يعني الطاعة وجزا ثوابها ولكم عملكم يعني الشرك وجزا عقابه انتم بريون مما اعمل وانا بري مما تعملون قيل المراد منه الزجر والردع وقال مقاتل والكلبي هذه الاية منسوخة باية السيف قال الامام فخر الدين الرازي وهو بعيد لان شرط الناسخ ان يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول الاية اختصاص كل واحد بافعاله وبثمرات افعاله من الثواب والعقاب واية القتال ما رفعت شيا من مدلولات هذه الاية فكان القول بالنسخ باطلا قوله تعالى ومنهم من يستمعون اليك يعني من هولا المشركين من يستمعون اليك يعني باسماعهم الظاهرة ولا ينفعهم ذلك لبغضهم وعداوتهم افانت تسمع الصم اي يعني كما انك لا تقدر على اسماع الاصم فكذلك لا تقدر على اسماع من اصم الله قلبه ولو كانوا لا يعقلون يعني ان الله صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يسمعون ولم يوفقهم لذلك فهم بمنزلة الجهال الذين لا ينتفعون بما يسمعوا وهم ايضا كالصم الذين لا يعقلون شيا ولا يفهمونه لعدم التوفيق ومنهم من ينظر اليك يعني بابصارهم الظاهرة افانت تهدي العمي يريد به عمي القلوب ولو كانوا لا يبصرون لان الله اعمى بصاير قلوبهم فلا يبصرون بها شيا من الهدى وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بقول الله عز وجل انك لا تقدر ان تسمع من سلبته السمع ولا تقدر ان تهدي من سلبته البصر ولا تقدر ان توفقه للايمان من حكمت عليه ان لا يؤمن ان الله لا يظلم الناس شيا ولكن الناس انفسهم يظلمون قال العلما لما حكم الله عز وجل على اهل الشقاوة بالشقاوة لقضايه وقدره السابق فيهم اخبر في هذه الاية ان تقدير الشقاوة عليهم ما كان ذلك ظلما منه لانه يتصرف في ملكه كيف يشا والخلق كلهم عبيده وكل من يتصرف في ملكه لا يكون ظالما انما قال ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق قضا الله وقدره فيهم قوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا يعني واذكر يا محمد يوم يحشر هولا المشركين لموقف الحساب واصل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم من مكانهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يعني كانهم لم يلبثوا في الدنيا الا قدر ساعة من النهار والوجه الاول اولى لان حال المومن والكافر سوى في عدم المعرفة بمقدار لبثهم في القبور الى وقت الحشر فيتعين حمله على امر يختص بحال الكفار وهو انهم لما لم ينتفعون باعمارهم في الدنيا استقلوها والمومن لما انتفع بعمره في الدنيا لم يستقله وسبب استقلال الكفار مدة مقامهم في الدنيا انهم لما ضيعوا اعمارهم في طلب الدنيا والحرص على ما فيها ولم يعملوا بطاعة الله فيها كان وجود ذلك كالعدم فلذلك استقلوه وقيل انهم لما شاهدوا اهوال يوم القيامة وطال عليهم ذلك استقلوا مدة مقامهم في الدنيا في جنب مقامهم في الاخرة قليلا جدا يتعارفون بينهم يعني يعرف بعضهم بعضا اذا اخرجوا من قبورهم كما كانوا يتعارفون في الدنيا ثم تنقطع المعرفة بينهم اذا عاينوا اهوال يوم القيامة وفي بعض الاثار ان الانسان يوم القيامة يعرف من بجنبه

Copyright © King Saud University

ولا يقدرون ان يكلم هيبة وخشية وقيل ان احوال يوم القيمة مختلفة ففي بعضها يعرف بعضهم بعضا وفي بعضها ينكر بعضهم بعضا
لهول ما عاينوا في ذلك اليوم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله يعني ان من باع اخرته الباقية بدنياه الفانية فقد خسر لانه اثر
الفاني على الباقي وما كانوا مهتدين يعني الى ما يصلحهم وينجيهم من هذا الحساب واما نرينك يعني يا محمد بعض الذي نعدهم
يعني ما نعدهم به من العذاب في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريك هذا الوعد في الدنيا فانك ستراه في الاخرة
وهو قوله فالينا مرجعهم يعني في الاخرة وفيه دليل على ان الله يري رسوله صلى الله عليه وسلم انواعا من عذاب
الكافرين وذلهم وخزيهم في حال حياته في الدنيا وقد اراه ذلك في يوم بدر وغيره من الايام وسيريه ما اعد لهم من
العذاب في الاخرة بسبب كفرهم وتكذيبهم ثم الله شهيد على ما يفعلون فيه وعيد وتهديد لهم يعني انه تعالى شاهد
على فعالهم التي فعلوها في الدنيا فيجازيهم عليها يوم القيامة قوله عز وجل ولكل امة رسول لما بين الله عز وجل حال
محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه بين ان حال الانبياء مع اممهم كذلك فقال تعالى ولكل امة يعني قد خلت وتقدمت
قبلكم رسول يعني بعثوا اليهم يدعوهم الى الله والى طاعته والى الايمان به فاذا جاء رسولهم وبلغهم ما ارسل به اليهم فكذبه قومه
وصدقه اخرون قضي بينهم بالقسط يعني حكم بينهم بالعدل فقضي بينهم بالقسط وفي هذا الكلام اضمار تقديره فاذا جاءهم رسولهم
وبلغهم ما ارسل به اليهم وفي وقت هذا القضاء والحكم قولان احدهما انه في الدنيا وذلك انه لما ارسل لكل امة رسولا لتبليغ
الرسالة واقامة الحجة وازالة العذر فاذا كذبوا على رسولهم وخالفوا امر الله قضي بينهم وبين رسولهم في الدنيا فيهلك
الكافرين وينجي رسوله والمومنين ويكون ذلك عدلا لا ظلما لان قبل مجي الرسول لا يكون ثوابا ولا عقابا القول الثاني ان
وقت القضاء في الاخرة وذلك ان الله اذا جمع الامم يوم القيامة للحساب والقضاء بينهم والفصل بين المومن والكافر والطائع
والعاصي جي بالرسل ليشهد عليهم والمراد من ذلك المبالغة في اظهار العدل وهو قوله تعالى وهم لا يظلمون يعني من جزاء
اعمالهم شيئا ولكن يجازي كل احد على قدر عمله وقيل معناه انهم لا يعذبون بغير ذنب ولا يواخذون بغير حجة ولا ينقص
من حسناتهم ولا يزاد على سياتهم ويقولون يعني هولاء الكفار متى هذا الوعد يعني الذي تعدنا به يا محمد من نزول العذاب
وقيل قيام الساعة وانما قالوا ذلك على وجه التكذيب ان كنتم صادقين يعني فيما تعدونا به وانما قالوا بلفظ الجمع لان
كل امة قالت لرسولها كذلك او يكون المعنى ان كنتم صادقين انت واتباعك يا محمد فذكروه بلفظ الجمع على سبيل
التعظيم قل اي قل لهم يا محمد لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا يعني لا املك لنفسي دفع ضر وجلب نفع ولا اقدر على ذلك
الا ما شاء الله يعني ان اقدرني عليه واملكه والمعنى ان انزال العذاب على الاعداء واظهار النصر للاولياء وعلم قيام
الساعة لا يقدر عليها الا الله فيتعين الوقت الى الله بحسب مشيته ثم اذا حضر ذلك الوقت الذي وقته الله حدوث
هذه الاشياء فانه يحدث لا محالة وهو قوله تعالى لكل امة اجل اي مدة مضروبة ووقت معين اذا جاء اجلهم يعني
اذا انقضت مدة اعمارهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون يعني لا يتاخرون عن ذلك الوقت الاجل الذي
اجلهم ولا يتقدمون عنه قل اي قل لهم يا محمد لهولاء المشركين من قومك ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا يعني ليلا البيات يقال
كذا اذا فعله بالليل والسبب فيه ان الانسان بالليل يكون في البيت غالبا فجعل الله هذه اللفظة كناية عن الليل
او نهارا يعني في النهار ماذا يستعجل منه المجرمون يعني ما الذي يستعجلون من نزول العذاب وقد وقعوا فيه وحقيقة المعنى
انهم كانوا يستعجلون بنزول العذاب كما اخبر الله عنهم بقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من
السماء او ايتنا بعذاب اليم فاجابهم الله بقوله ماذا يستعجل منه المجرمون يعني اي شي يعلم المجرمون ما يطلبون ويستعجلون
كما يقول الرجل لغيره وقد فعل فعلا قبيحا ماذا جنيت على نفسك اثم اذا ما وقع يعني اذا نزل العذاب ووقع امنتم
به يعني امنتم به بعد نزول العذاب وهو وقت الياس وقيل معناه صدقتم بالعذاب عند نزوله ودخلت همزة
الاستفهام على ثم للتوبيخ والتقريع الان فيه اضمار تقديره يقال لهم الان تومنون حين وقع العذاب وقد

كنتم

كنتم به تستعجلون يعني تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا انفسهم بسبب شركهم وكفرهم بالله ثم قيل للذين ظلموا يعني ظلموا
انفسهم قوله تعالى في وقعوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون يعني في الدنيا من الاعمال قوله تعالى ويستنبئونك احق
هو يعني ويستخبرونك يا محمد احق ما تعدنا به من نزول العذاب وقيام الساعة قل اي وربي اي قل لهم يا محمد نعم وربي
انه لحق يعني ان الذي اعدكم به لحق لا شك فيه وما انتم بمعجزين يعني بفائتين من العذاب لان من عجز عن شي فقد فاته
ولو ان لكل نفس ظلمت اي اشركت ما في الارض يعني من شي لافتدت به يعني يوم القيامة والافتداء بمعنى البذل لما ينجي به من
العذاب الا انه لا ينفعه ولا يقبل منه واسروا الندامة يعني يوم القيمة وانما جا بلفظ الماضي والقيمة من الامور المستقبلة
لان احوال يوم القيامة لما كانت واجبة الوقوع جعل مستقبلها كالماضي والاسرار يعني الاخفاء ويعني الاظهار
فهو من الاضداد فلهذا اختلفوا في قوله واسروا الندامة وقال ابو عبيدة معناه واظهروا الندامة لان ذلك اليوم ليس
يوم تصبر وتصنع وقيل معناه اخفوا يعني اخفى الروسا الندامة من الضعفاء والاتباع خوفا من ملامتهم اياهم
وتعييرهم لهم لما راوا العذاب يعني حين عاينوا العذاب وابصروا وقضي بينهم بالقسط يعني وحكم بينهم بالعدل وقيل بين
الروسا والاتباع وقيل بين الكفار والاحتمال ان بعضهم قد ظلم بعضا فيوخذ للمظلوم من الظالم وهو قوله عز وجل وهم
لا يظلمون يعني الحكم لهم وعليهم بان يخفف من عذاب المظلوم ويشدد في عذاب الظالم الا ان لله ما في السموات والارض
يعني ان كل شي في السموات والارض يملكه لا يشركه فيه غيره وليس للكافر شي يفتدي به من عذاب الله يوم القيمة
لان الاشيا كلها لله وهو ايضا ملك لله فكيف يفتدي بمن هو مملوك لغيره بشي لا يملكه الا ان وعد الله حق يعني
ما وعد الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من ثواب للطايع وعقاب للعاصي حق لا شك فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون
يعني حقيقة ذلك هو يحيي ويميت يعني الذي يملك ما في السموات والارض قادر على الاحياء والاماتة لا يتعذر عليه
شي مما اراد واليه ترجعون يعني بعد الموت للجزاء قوله تعالى يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم قيل الاد بالناس قريشا
وقيل هو على العموم وهو الاصح وهو اختيار الطبري قد جاءتكم موعظة من ربكم يعني القران والوعظ زجر مقترن بتخويف
قال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب وقيل الموعظة الانابة عن ما يدعو الى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة
والقران داع الى كل خير وصلاح بهذا الطريق وشفاء لما في الصدور يعني ان القران دواء وشفاء لما في القلوب من داء
الجهل وذلك لان داء الجهل اضر للقلب من داء المرض للبدن وامراض القلب هي الاخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة
والجهالات المهلكة فالقران مزيل لهذه الامراض كلها لان فيه المواعظ والزجر والتخويف والترغيب والترهيب
والتحذير والتذكير فهو الدواء والشفاء لهذه الامراض القلبية وانما خص الصدر بالذكر لانه موضع القلب وغلافه وهو
اعز موضع في بدن الانسان لكون القلب فيه وهدى يعني وهو هدى من الضلالة ورحمة للمومنين يعني ونعمة على
المومنين لانهم هم الذين انتفعوا بالقران دون غيرهم قل بفضل الله وبرحمته الباء في بفضل الله متعلق بمضمر استغني
عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاءتكم موعظة من ربكم والفضل هنا بمعنى الافضال ويكون معنى الاية
على هذا يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور بافضال الله عليكم ورحمته بكم واراد نه الخبر لكم ثم
قال تعالى فبذلك فليفرحوا اشارة بذلك الى القولين لان المراد بالموعظة والشفاء القران فترك اللفظ واشار الى المعنى
وقيل فبذلك اشارة الى معنى الفضل والرحمة والمعنى فبذلك التطول والانعام فليفرحوا قال الواحدي الفا في قوله
فليفرحوا زايدة كقول الشاعر • واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي • الفا في قوله فاجزعي زايدة وقال صاحب الكشاف
في معنى الاية بفضل الله وبرحمته فليفرحوا والتكرير للتاكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح
دون ما عداهما من فوايد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفا داخلة بمعنى الشرط كانه قيل ان
فرحوا بشي فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما والفرح لذة في القلب بادراك المحبوب والمشتهى يقال فرحت

Copyright © King Saud University

بكذا اذا ادركنا المأمول وكذلك اكثر ما يستعمل الفرح في اللذات البدنية والدنيوية واستعمل هنا فيما يرغب فيه من الخيرات ومعنى
الآية ليفرح المؤمنون بفضل الله ورحمته فان ما آتاهم من المواعظ وشفاء ما في الصدور وثلج اليقين بالايمان وسكون
النفس اليه هو خير مما يجمعون اي يعني من متاع الدنيا ولذاتها الفانية هذا مذهب اهل المعاني في هذه الآية واما مذهب
المفسرين فيجعل ما قال ابن عباس والحسن وقتادة قالوا فضل الله الاسلام ورحمته القرآن وقال ابو سعيد الخدري
فضل الله القرآن ورحمته ان جعلنا من اهله وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته الجنة وقيل فضل الله القرآن
ورحمته السنن فعلى هذا الباء في بفضل الله تتعلق بمحذوف تفسيره ما بعده قل فليفرحوا بفضل الله ورحمته قل اي
قل لهم يا محمد لكفار مكة أرأيتم ما انزل الله لكم من رزق يعني من زرع وضرع وما في الارض بالانزال لان جميع ما في الارض
من رزق وخير فانما هو من بركات السما فجعلتم منه يعني من ذلك الرزق حراما وحلالا يعني ما حرموه على انفسهم
في الجاهلية من الحرث والانعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام قال الضحاك هو قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث
والانعام نصيبا قل اي قل لهم يا محمد آلله اذن لكم يعني الله اذن لكم في هذا التحريم والتحليل ام على الله تفترون يعني انتم
على الله تكذبون في ادعائكم ان الله امرنا بهذا وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة يعني اذا لقوه
يوم القيامة أيحسبون انه لا يؤاخذهم ولا يجازيهم على اعمالهم فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع والوعيد
العظيم لمن يفتري على الله الكذب ان الله لذو فضل على الناس يعني ببعثة الرسل وانزال الكتب لبيان الحلال
والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون يعني لا يشكرون الله على ذلك الفضل والاحسان قوله عز وجل وما تكون في شان وما
تتلو منه من قرآن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده والشان الخطب والحال والامر الذي يتفق ويصلح ولا يقال
الا فيما يعظم من الاحوال والامور والجمع الشؤون تقول العرب ما شان فلان اي ما حاله والشان
اذا كان بمعنى الخطب والحال ويكون مصدرا اذا كان معناه القصد والذي في هذه الآية يكون المراد به الاسم فان
ابن عباس قال معناه وما يكون يا محمد في شان تريده من اعمال البر وقال الحسن في شان من شان الدنيا وحوائجكم
ويجوز ان يكون المراد منه القصد حتى قصد الشي وما تتلو منه من قرآن اختلفوا في الضمير في قوله منه الى
ماذا يعود فقيل الى الشان لان تلاوة القرآن شان من شان رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو اعظم شانه
فعلى هذا يكون داخلا تحت قوله وما تكون في شان الا انه تعالى خصه بالذكر لشرفه وعلو مرتبته وقيل انه راجع الى
القرآن لانه قد تقدم ذكره في قوله قل بفضل الله وبرحمته فعلى هذا المعنى يكون وما تتلو من القرآن من سورة وشي
منه لان لفظ القرآن يطلق على جميعه وعلى بعضه وقيل الضمير في منه راجع الى الله تعالى والمعنى وما تتلو من الله
من قرآن نازل عليك واما قوله تعالى ولا تعملون من عمل خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته داخلون فيه ومرادون
به لان من المعلوم انه اذا خوطب رئيس قوم وكبيرهم كان القوم داخلين في ذلك الخطاب ويدل عليه قوله ولا تعملون من
عمل على صيغة الجمع فدل على انهم داخلون في الخطاب الاول وبه وقوله تعالى الا كنا عليكم شهودا يعني شاهدين لاعمالكم وذلك
لان الله تعالى شاهد على كل شي وعالم بكل شي لانه لا محدث ولا خالق ولا موجد الا الله تعالى فكل ما يدخل في الوجود
من احوال العباد واعمالهم الظاهرة والباطنة داخل في علمه وشاهد عليه قوله تعالى اذ تفيضون فيه يعني انه تعالى
شاهد عليكم حين تدخلون وتخوضون في ذلك العمل والافاضة الدخول في العمل على جهة الانصباب اليه والانبساط
فيه وقال ابن الانباري معناه اذ تدفعون فيه وتنبسطون في ذكره وقيل الافاضة الدفع بكثرة وقال
الزجاج او تنتشرون فيه يقال افاض القوم في الحديث اذا انتشروا فيه وما يعزب عن ربك يعني وما يبعد وما
يغيب عن ربك يا محمد من عمل خلقه شي لانه عالم به وشاهد عليه واصل العزب البعد يقال منه فلان عازب
اذا كان بعيد الطلب من مثقال ذرة يعني وزن مثقال ذرة والمثقال الوزن والذرة النملة الصغيرة الحمراء وهي

صغيرة الوزن جدا في الارض ولا في السما فان قلت قدم ذكر الارض على السما هنا وقدم ذكر السما على الارض في
سورة سبأ فما فائدة ذلك قلت كان حق السما ان تتقدم على الارض كما في سورة سبأ الا انه تعالى ذكر في هذه الآية
شهادته على اهل الارض واحوالهم واعمالهم ثم وصل ذلك بقوله وما يعزب عن ربك حسن تقديم الارض على السما في هذا الموضع
لهذه الفائدة ولا اصغر من ذلك يعني من الذرة ولا اكبر يعني منها الا في كتاب مبين يعني في اللوح المحفوظ قوله عز وجل الا ان اولياء
الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اعلم انا نحتاج اولا في تفسير هذه الآية ان نبين من يستحق اسم الولاية ومن هو الولي فنقول
اختلف العلماء فيمن يستحق هذا الاسم فقال ابن عباس في هذه الآية هم الذين يذكرون الله لرؤيتهم وروى الطبري بسنده عن
سعيد بن جبير قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اولياء الله فقال هم الذين اذا رؤوا ذكر الله وقال ابن زيد هم الذين
آمنوا وكانوا يتقون ولن يتقبل الايمان الا بالتقوى وقال قوم هم المتحابون في الله ويدل على ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله ناسا ما هم بانبيا ولا شهدا يغبطهم الانبيا والشهدا يوم القيمة
بمكانتهم عند الله قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان
وجوههم لنور وانهم لعلى نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ هذه الآية الا ان اولياء الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون اخرجه ابو داود م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم
القيامة اين المتحابون بجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي اخرجه مسلم عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى المتحابون بجلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهدا اخرجه الترمذي وروى البغوي
بسنده عن ابي مالك الاشعري قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لله عبادا ليسوا بانبيا ولا شهدا يغبطهم النبيون
والشهدا بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيمة قال وفي ناحية القوم اعرابي فجثى على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال حدثنا يا رسول الله
عنهم من هم قال فرايت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم البشر فقال هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى وقبائل شتى لم يكن
بينهم ارحام يتواصلون بها ولا دنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام
الرحمن يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى ان
اوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكري واذكر بذكرهم هكذا ذكره البغوي بغير سند وروى الطبري بسنده عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى انا وليائي من عبادي الذين يذكرون ان من عباد الله عبادا يغبطهم
الانبيا والشهدا قيل من هم يا رسول الله لعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله من غير اموال ولا انساب وجوههم نور على منابر
من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الغبط نوع
من الحسد الا ان الحسد نوع من الغبطة محمودة والفرق بين الحسد والغبطة ان الحاسد يتمنى ما على المحسود من النعمة
ونحوها والغبطة هو ان يتمنى الغابط مثل تلك النعمة التي هي على المغبوط من غير زوال عنه قال ابو بكر الاصم اولياء الله هم
الذين تولى الله تعالى هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية لله والدعوة اليه واصل الولي من الولا وهو القرب والنصرة فولي الله
هو الذي يتقرب الى الله بكل ما افترض عليه ويكون مشتغلا بالله مستغرق القلب في معرفة نور جلال الله تعالى فان راى راى
دلايل قدرة الله وان سمع سمع آيات الله وان نطق نطق بالثنا على الله وان تحرك تحرك في طاعة الله وان اجتهد اجتهد فيما يقربه
الى الله لا يفتر عن ذكر الله ولا يرى بقلبه غير الله فهذه صفة اولياء الله واذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه
قال الله تعالى الله ولي الذين آمنوا وقال المتكلمون ولي الله من كان آتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون آتيا
بالاعمال الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة والى الاشارة بقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وهو ان الايمان مبني
على جميع الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو ان يتقي العبد ما نهى الله عنه وقوله تعالى لا خوف عليهم يعني في الآخرة اذا خاف
غيرهم ولا هم يحزنون يعني على شي فاتهم من نعيم الدنيا ولذاتها قال بعض المحققين زوال الخوف والحزن عنهم انما يحصل لهم

في الآخرة لأن الدنيا لا تخلو من هم وغم ونكد وحزن قال بعض العارفين إنما الولاية عبارة عن القرب من الله تعالى ودوام الاشتغال بالله فإذا كان العبد بهذه الحالة فلا يخاف من شيء ولا يحزن على شيء لأن مقام الولاية والمعرفة منعته من أن يخاف أو يحزن وأما قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون فقد تقدم تفسيره وأنه صفة لأولياء الله تعالى وقوله تعالى **لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة** اختلفوا في هذه البشرى فروي عن عبادة بن الصامت قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا قال هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له أخرجه الترمذي وله عن رجل من أهل مصر قال سألت أبا الدرداء عن هذه الآية لهم البشرى في الحياة الدنيا قال ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها غيرك منذ أنزلت هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له قال الترمذي حديث حسن خ عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يبق بعدي من النبوة إلا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة ق عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ورؤيا المؤمن جزء من خمسة وأربعين جزءا من النبوة والرؤيا ثلاث الرؤيا الصالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء نفسه قال بعض العلماء ووجه هذا القول وهو أن حملنا قوله لهم البشرى على الرؤيا الصالحة الصادقة وظاهر هذا النص يقتضي أن لا تحصل هذه الحالة إلا لهم وذلك لأن ولي الله هو الذي يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله عز وجل ومن كان كذلك فإنه عند النوم لا يبقى في قلبه غير ذكر الله عز وجل ومعرفته ومن المعلوم أن معرفة الله في القلب لا تفيد إلا الحق والصدق فإذا رأى أو لهم رؤيا أو ريت له كانت تلك الرؤيا بشرى من الله عز وجل لهذا الولي قال الخطابي في هذه الأحاديث توكيد لأمر الرؤيا وتحقيق منزلتها وإنما كانت جزءا من أجزاء النبوة في حق الأنبياء دون غيرهم وكان الأنبياء عليهم السلام يوحى إليهم في منامهم كما يوحى إليهم في اليقظة قال الخطابي قال بعض العلماء معنى الحديث أن الرؤيا تأتي على موافقة النبوة لأنها جزء من النبوة قال الخطابي وغيره في معنى قوله الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة أقام النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح وكان قبل ذلك ستة أشهر يرى في المنام الوحي وهو جزء من ستة وأربعين جزءا وقيل إن المنام له أن يكون فيه إخبار بغيب وهو إحدى ثمرات النبوة وهو يسير في جانب النبوة وأن لا يجوز أن يبعث الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ليشرع الشرائع ويبين الأحكام ولا يخبر بغيب أبدا فإذا وقع لأحد في المنام الإخبار بغيب يكون هذا القدر جزءا من النبوة لا أنه نبي وإذا وقع كذلك لأحد في المنام يكون صدقا والله أعلم وقيل في تفسير الآية أن المراد بالبشرى في الحياة الدنيا هو الثناء الحسن وفي الآخرة الجنة ويدل على ذلك ما روي عن أبي ذر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن أخرجه مسلم قال الشيخ محيي الدين النواوي قال العلماء معنى هذه البشرى المعجلة له بالخير وهي دليل البشرى المؤخرة له في الآخرة بقوله بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار وهذه البشرى المعجلة دليل على رضا الله تعالى عنه ومحبته له وتحبيبه إلى الخلق كما قال ثم يوضع له القبول في الأرض هذا كله إذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم وإلا فالتعرض مذموم قال بعض المحققين إذا اشتغل العبد بالله عز وجل استنار قلبه وامتلأ نورا فيفيض من ذلك النور الذي في قلبه على وجهه فيظهر عليه آثار الخشوع والخضوع فيحبه الناس ويثنون عليه فتلك عاجل بشراه بمحبة الله له ورضوانه عليه قال الزهري وقتادة في تفسير البشرى هي نزول الملائكة بالبشارة من الله عند الموت ويدل عليه قوله تعالى تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقال عطاء عن ابن عباس البشرى في الحياة الدنيا عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة وفي الآخرة عند خروج نفس المؤمن يعرج بها إلى الله تعالى ويبشر برضوان الله تعالى قال الحسن هي ما بشر الله به المؤمنين في كتابه من جنته وكريم ثوابه ويدل عليه قوله **لا تبديل لكلمات الله** يعني لا خلف لوعد الله الذي وعد أولياءه وأهل طاعته في كتابه وعلى ألسنة رسله ولا تغيير لذلك الوعد **ذلك هو الفوز العظيم** يعني ما وعدهم به في الآخرة **ولا يحزنك قولهم** يعني يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين لك ولا تهمك تخويفهم إياك **إن العزة لله**

جميعا يعني أن القهر والغلبة والقدرة لله جميعا المنفرد بها دون غيره وهو ناصرك عليهم والمنتقم منهم قال سعيد بن المسيب إن العزة لله جميعا فيعز من يشاء وهذا كما قال الله تعالى في آية أخرى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولا منافاة بين الآيتين فإن عزة الرسول صلى الله عليه وسلم وعزة المؤمنين بإعزاز الله إياهم فثبت بذلك أن العزة لله جميعا هو الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء وقيل إن المشركين كانوا يتعززون بكثرة أموالهم وأولادهم وعبيدهم فأخبر الله أن جميع ذلك لله وفي ملكه فهو قادر على أن يسلبهم جميع ذلك ويذلهم بعد العز **هو السميع العليم** يعني لأقوالكم ودعائكم العليم بجميع أحوالكم ولا يخفى عليه خافية قوله تعالى ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض ألا كلمة تنبيه معناه أنه لا ملك لأحد في السموات ولا في الأرض إلا لله عز وجل فهو يملك من في السموات ومن في الأرض **فإن قلت** قال الله تعالى في الآية التي قبلها ألا إن لله ما في السموات بلفظة ما وقال في هذه الآية بلفظة من فما فائدة ذلك **قلت** إن لفظة ما تدل على من لا يعقل ولفظة من تدل على لفظ من يعقل فمجموع الآيتين تدل على أن الله تعالى يملك جميع كل شيء في السموات وفي الأرض من العقلاء وغيرهم وهم عبيده وفي ملكه وقيل إن لفظة من لمن يعقل فيكون المراد بمن في السموات الملائكة العقلاء ومن في الأرض الإنس والجن وهم العقلاء أيضا وإنما خصهم بالذكر لشرفهم وإذا كان هؤلاء العقلاء المميزون في ملكه وتحت قدرته فالجمادات بطريق الأولى أن تكون في ملكه إذا ثبت هذا فتكون الأصنام التي يعبدها المشركون أيضا في ملكه وتحت قهره وقبضة قدرته ويكون ذلك قدحا في جعل الأصنام شركاء لله معبودة دون الله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء لفظة ما استفهامية معناه وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء والمقصود تقبيح فعلهم أنهم ليسوا على شيء لأنهم عبدوها على أنها شركاء تشفع لهم وليس الأمر على ما يظنون وهو قوله عز وجل **إن يتبعون إلا الظن** يعني أن فعلهم هذا ظنا ذلك منهم أنها تشفع لهم وأنها تقربهم إلى الله عز وجل وذلك ظن منهم لا حقيقة له **وإن هم إلا يخرصون** يعني إن هم إلا يكذبون أي يكذبون في دعواهم ذلك قوله عز وجل هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا يعني هو الله ربكم الذي خلق لكم الليل لتسكنوا فيه ولتزول التعب والكلال بالسكون فيه وأصل السكون الثبوت بعد الحركة والنهار مبصرا يعني وجعل النهار مضيئا لتهتدوا فيه لحوائجكم وأسباب معايشكم أضاف الإبصار إلى النهار وإنما يبصر فيه [illegible] ولكن لما كان مفهوما في كلام العرب معناه خاطبهم بلغته وما يفهمونه قال جرير

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى * ونمت وما ليل المطي بنائم *

فأضاف النوم إلى الليل ووصفه به وإنما عنى نفسه لأنه لم يكن نائما هو ولا بعيره وهذا من باب نقل الاسم من المسبب إلى السبب قال قطرب تقول العرب أظلم الليل وأبصر النهار * ذا ظلمة وذا ضياء * يعني صار ذا ظلمة وذا ضياء قوله عز وجل **إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون** يعني يسمعون سماع اعتبار وتدبر فيعلمون بذلك أن الذي خلق هذه الأشياء كلها هو الإله المعبود المنفرد بالوحدانية في الوجود **قالوا** يعني المشركين **اتخذ الله ولدا** يعني هو قولهم الملائكة بنات الله **سبحانه** نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد **هو الغني** يعني أنه تعالى هو الغني عن جميع خلقه فكيف يليق بجلاله اتخاذ الولد وإنما يتخذ الولد من هو محتاج إليه والله هو الغني المطلق وجميع الأشياء محتاجة إليه وهو غني عنها **له ما في السموات وما في الأرض** يعني أنه مالك ما في السموات وما في الأرض وكلهم عبيده وفي قبضته وتصرفه وهو محدثه وخالقه ولما نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد عطف على من قال ذلك بالإنكار والتوبيخ والتقريع فقال تعالى **إن عندكم من سلطان بهذا** يعني أنه لا حجة عندكم على هذا القول الذي تقولونه ثم بالغ في الإنكار عليهم بقوله تعالى **أتقولون على الله ما لا تعلمون** يعني أتقولون على الله قولا لا تعلمون حقيقته وصحته وتضيفون إليه ما لا يجوز إضافته إليه جهلا منكم بما تقولون بغير حجة ولا برهان قل إن الذين يفترون على الله الكذب يعني قل يا محمد لهؤلاء الذين يختلقون على الله الكذب فيقولون على الله الباطل ويزعمون أن له ولدا **لا يفلحون** يعني لا يسعدون وإن اغتروا بطول السلامة في البقاء في النعمة والمعنى أن قائل هذا القول لا ينجح في سعيه ولا يفوز بمطلوبه بل خاب وخسر

قال الزجاج هذا وقف تام يعني على قوله لا يفلحون ثم ابتدا فقال تعالى متاع في الدنيا وقيل ضمار تقديره لهم
متاع في الدنيا يتمتعون به مدة اعمارهم وانقضاء اجالهم في الدنيا وهي ايام يسيرة بالنسبة الى طول اقامتهم في العذاب وهو
قوله تعالى ثم الينا مرجعهم يعني بعد الموت ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون يعني ذلك العذاب بسبب
ما كانوا يجحدون في الدنيا من نعمة الله عليهم ويصفونه بما لا يليق بجلاله تعالى قوله تعالى واتل عليهم نبا نوح لما
ذكر الله تعالى في هذه السورة احوال كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك في بيان قصص الانبيا
وما جرى لهم مع اممهم ليكون في ذلك اسوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عمن سلف من الانبيا وتسلية له ليخف عليه
ما يلقى من اذى قومه وان الكفار اذا سمعوا هذه القصص وما جرى لكفار الامم الماضية من العذاب والهلاك في
الدنيا كان ذلك سببا لخوف قلوبهم وداعيا لهم الى الايمان ولما كان قوم نوح اول الامم هلاكا واعظمهم كفرا وجحودا
فذكرهم الله قصتهم وانه اهلكهم بالغرق ليصير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش فقال تعالى واتل عليهم نبا نوح
يعني واقرا على قومك يا محمد خبر نوح اذ قال لقومه يا قوم وهم بنو قابيل ان كان كبر يعني ثقل عليكم مقامي يعني فيكم
وتذكيري بايات الله يعني ووعظي اياكم بايات الله وقيل معناه ان كان كبر وشق عليكم طول مقامي فيكم وذلك انه عليه
السلام اقام فيهم الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله ويذكرهم بايات الله وهو قوله وتذكيري بايات الله
يعني ووعظي بايات الله وحججه وبيناته فعزمتم على قتلي وطردي فعلى الله توكلت يعني فهو حسبي وثقتي فاجمعوا
امركم يعني فاحكموا امركم واعزموا عليه قال الفرا الاجماع الاعداد والعزيمة على الامر قال ابن الانباري
المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير لا تدعوا من امركم شيا الا احضرتموه وشركاءكم يعني وادعوا
شركاءكم يعني الهتكم فاستعينوا بها لتجتمع معكم وتعينكم على مطلوبكم وانما حثهم على الاستعانة بالاصنام بناء على
مذهبهم واعتقادهم على انها تضر وتنفع مع اعتقاده انها جماد لا تضر ولا تنفع فهو كالتبكيت والتوبيخ لهم
ثم لا يكن امركم عليكم غمة يعني لا يكون امركم خفيا مبهما ولكن ليكن امركم ظاهرا منكشفا من قولهم غم الهلال فهو مغموم
اذا خفي والتبس على الناس ثم اقضوا الي ثم امضوا الي بما في انفسكم من مكروه وما توعدون به من قتل وطرد وافرغوا
منه تقول العرب قضى فلان اذا مات ومضى وقيل معناه ثم افضوا ما انتم قاضون ولا تنظرون اي ولا تؤخرون
ولا تمهلون بعد اعلامكم اياي بما انتم عليه وهذا الكلام من نوح عليه السلام على سبيل التعجيز لهم اخبر الله عز وجل
عن نوح عليه السلام انه كان قد بلغ الغاية في التوكل على الله وانه كان واثقا بنصره اياه غير خايف من
كيدهم علما منه بانهم والهتهم ليس لهم نفع ولا ضر وان مكرهم لا يصل اليه فان توليتم يعني اعرضتم عن قولي وقبول
نصحي فما سالتكم من اجر يعني من جعل وعوض على تبليغ الرسالة فاذا لم اخذ على تبليغ الدعوة الى الله شيا كان اقوى
تاثيرا في النفس ان اجري الا على الله يعني ما ثوابي وجزاي على تبليغ الرسالة الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين يعني [illegible]
بدين الاسلام وانا ماض عليه غير تارك له سواء قبلتموه او لا وقيل معناه وامرت ان اكون من المستسلمين لحكم الله ولكل
مكروه يصل الي منكم لاجل هذه الدعوة قوله تعالى فكذبوه يعني فكذبوا نوحا عليه السلام فنجيناه ومن معه
في الفلك يعني في السفينة وجعلناهم خلائف يعني وجعلنا الذين نجيناهم معه في الفلك سكان الارض بعد الهالكين
واغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اي فانظر يا محمد ويا ايها الناس كيف كان حال
من انذرتهم الرسل فلم يومنوا ولم يقبلوا ذلك ثم بعثنا من بعده يعني من بعد نوح رسلا الى قومهم لم يسم هنا
من كان بعد نوح من الرسل وكان من بعد نوح هود وصالح وغيرهما من الرسل فجاءوهم بالبينات يعني بالدلالات
الواضحات والمعجزات الباهرات التي تدل على صدقهم فما كانوا ليومنوا بما كذبوا به من قبل يعني ان هولاء الاقوام
والامم التي جاءتهم الرسل جروا على منهاج قوم نوح في التكذيب ولم يزجرهم ما جاءتهم به الرسل ولم يرجعوا عما هم

ضر

ضرب من الكفر والتكذيب كذلك نطبع على قلوب المعتدين يعني كما اغرقنا قوم نوح بسبب تكذيبهم نوحا كذلك نختم على
قلوب من اعتدى وسلك سبيلهم في التكذيب قوله عز وجل ثم بعثنا من بعدهم يعني من بعد الرسل موسى وهارون الى
فرعون وملايه يعني اشراف قومه باياتنا فاستكبروا يعني عن الايمان بما جاءهم به موسى وهارون وكانوا قوما مجرمين اي
يعني مستكسبين للاثم فلما جاءهم الحق من عندنا يعني فلما جاء فرعون وقومه الحق الذي جاءهم به موسى قالوا ان هذا لسحر
مبين يعرفه كل احد قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم هو السحر اسحر هذا فيه حذف تقديره سحر اسحر هذا فحذف
السحر الاول اكتفاء بدلالة الكلام عليه ثم قال اسحر هذا وهو استفهام على سبيل الانكار يعني انه ليس بسحر
ثم احتج على صحة قوله فقال تعالى ولا يفلح الساحرون يعني حاصل السحر تمويه وتخييل وصاحب ذلك لا يفلح ابدا
قالوا يعني قال قوم فرعون لموسى اجئتنا لتلفتنا عما يعني لتصرفنا وتلوينا عما وجدنا عليه اباءنا يعني من الدين
وتكون لكما الكبرياء يعني الملك والسلطنة في الارض يعني ارض مصر والخطاب لموسى وهارون قال الزجاج سمي
الملك كبرياء لانه اكبر ما يطلب في امر الدنيا وما نحن لكما بمومنين يعني بمصدقين وقال فرعون ايتوني بكل ساحر عليم
يعني ان فرعون اراد ان يعارض معجزة موسى عليه السلام بانواع من التلبيس ليظهر ان ما اتى به موسى سحر
فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون انما امرهم موسى بالقاء ما معهم من الحبال والعصي التي هي سحرهم
ليظهر الحق ويبطل الباطل وتبين ان ما اتوا به فاسد فلما القوا يعني ما معهم من الحبال والعصي قال موسى ما جئتم
به السحر يعني الذي جئتم به هو السحر ان الله سيبطله يعني يهلكه ويظهر فضيحة صاحبه ان الله لا يصلح عمل المفسدين
يعني لا يقويه ولا يكمله ولا يحسنه ويحق الله الحق يعني ويظهر الله الحق ويقويه ويعليه بكلماته يعني بوعده
الصادق لموسى انه يظهره وقيل بما سبق في قضايه وقدره لموسى انه يغلب السحرة ولو كره المجرمون قوله تعالى فما
امن لموسى الا ذرية من قومه لما ذكر الله عز وجل ما اتى به موسى من المعجزات العظيمة الباهرة اخبر الله تعالى انهم مع مشاهدة
هذه المعجزات ما امن لموسى الا ذرية من قومه وكان يغتم بسبب اعراضهم عن الايمان واستمرارهم على الكفر
والتكذيب فبين الله تعالى له اسوة بالانبيا عليهم السلام لان الذي جاء به موسى عليه السلام من المعجزات
كان امرا عظيما ومع ذلك فما امن معه الا ذرية والذرية اسم يقع على القليل من القوم قال ابن عباس
الذرية القليل وقيل المراد به التصغير وقلة العدد واختلفوا في هذه الكناية في قومه فقيل انها راجعة
الى موسى واراد بهم قوم موسى وهم بنو اسرائيل الذين كانوا بمصر من اولاد يعقوب قال مجاهد اولاد
يعقوب الذين ارسل اليهم موسى من بني اسرائيل هلك الابا وبقي الابنا وقيل هم قوم نجوا من قتل فرعون وذلك
ان فرعون لما امر بقتل ابنا بني اسرائيل كانت المراة من بني اسرائيل اذا ولدت ولدا وهبته لقبطية خوفا عليه
من القتل فنشووا بين القبط فلما كان اليوم الذي غلب موسى السحرة امنوا به وقال ابن عباس ذرية
من قومه يعني من بني اسرائيل وقيل انها راجعة الى فرعون يعني الا ذرية من قوم فرعون وروى عطية
عن ابن عباس قال هم ناس يسير من قوم فرعون امنوا منهم امراة فرعون ومومن ال فرعون وخازنه
وامراة خازنه وماشطته قال الفرا سموا ذرية لان اباهم كانوا من القبط من ال فرعون وامهاتهم من بني اسرائيل كما يقال
للرجل يتبع امه واخواله في الايمان ونحو ذلك كما يقال لاولاد فارس الذين دخلوا الى اليمن الابنا لان امهاتهم من
غير جنس الابا على خوف من فرعون وملايهم الملا الاشراف فعلى هذا يكون معنى الاية على خوف من فرعون ومن
اشرافهم وهم ملا الذرية لانه كان اباوهم من القبط وامهاتهم من قبل بني اسرائيل وقيل اراد بالملا ملا فرعون وانما قال
وملايهم بالجمع وفرعون واحد على سبيل التعظيم له ان يفتنهم اي يصرفهم ويصدهم عن الايمان وانما قال ان يفتنهم
ولم يقل ان يفتنوهم لان قوم فرعون كانوا على مراده وتابعين لامره وان فرعون لعال في الارض يعني لغالب قهار

Copyright © King Saud University

متكبر فيها وانه لمن المسرفين يعني من المجاوزين الحد لانه كان عبدا فادعى الربوبية وكان كثير القتل والتعذيب لبني
اسرائيل وقال موسى يعني لقومه يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا يعني فبه فثقوا ولامره فسلموا فانه ناصر
اوليائه ومهلك اعدائه ان كنتم مسلمين يعني ان كنتم مستسلمين لامره وقيل انما اعيد قوله ان كنتم مسلمين بعد قوله
ان كنتم امنتم بالله يعني ان كنتم موصوفين بالايمان القلبي وبالاسلام الظاهر ودلت الاية على ان التوكل على الله
والتفويض لامره كمال الايمان وان من كان يؤمن بالله فلا يتوكل الا على الله لا على غيره فقالوا يعني قال قوم موسى مجيبين
له على الله توكلنا يعني عليه اعتمدنا لا على غيره ثم دعوا ربهم فقالوا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين يعني
لا تظهرهم علينا ولا تهلكنا بايديهم فيظنوا انا لم نكن على الحق فيزدادوا طغيانا وكفرا وقال مجاهد لا تعذبنا بعذاب
من عندك فتقول قوم فرعون لو كانوا على الحق لما عذبوا ويظنوا انهم خير منا فيفتتنوا بذلك وقيل معناه
لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين يعني وخلصنا برحمتك من قوم فرعون الكافرين
لانهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم في الاعمال الشاقة قوله عز وجل واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما
بمصر بيوتا يعني اتخذا لقومكما بيوتا للصلاة فيها يقال تبوا فلان لنفسه بيتا اي اتخذ مباءة اي وطنا والمعنى
اجعلا بمصر بيوتا لقومكما ترجعون اليها للصلاة والعبادة قوله تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة اختلف اهل التفسير
في معنى هذه الاية البيوت والقبلة فمنهم من قال المراد بالبيوت المساجد التي يصلى فيها وفسروا القبلة بالجانب
الذي يستقبل في الصلاة فعلى هذا يكون معنى الكلام واجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لاجل الصلاة وقيل
معناه اجعلوا بيوتكم الى القبلة واختلفوا في هذه القبلة وظاهر القران لا يدل على تعيينها الا انه قد نقل عن ابن عباس
انه قال كانت الكعبة قبلة لموسى وقال مجاهد والضحاك قال ابن عباس قالت بنو اسرائيل لموسى لا نستطيع ان نظهر صلاتنا
مع الفراعنة فاذن الله لهم ان يصلوا في بيوتهم وان يجعلوا بيوتهم قبل القبلة وقيل كانت القبلة على جهة بيت
المقدس وقيل المراد مطلق البيوت وعلى هذا يكون معنى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة تصلون اليها **فان قلت**
انه تعالى قد خص موسى وهارون بالخطاب في اول الاية بقوله واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما ثم انه
عمم هذا الخطاب فقال واجعلوا بيوتكم قبلة فما السبب فيه **قلت** انه تعالى امر موسى بهذا الخطاب
وهارون بان تبوءا لقومكما بيوتا للعبادة وذلك مما يختص به الانبياء مخصصا بالخطاب كذلك ثم لما كانت العبادة
عامة تجب على الكافة عم بالخطاب الجميع فقال واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة يعني في بيوتكم وذلك حين خاف
موسى ومن معه من بني اسرائيل من فرعون وقومه ان صلوا في الكنائس والبيع الجامعة ان يؤذوهم فامرهم الله
ان يصلوا في بيوتهم خفية من فرعون وقومه وقيل كانت بنو اسرائيل لا يصلون الا في الكنائس الجامعة وكانت
ظاهرة فلما ارسل موسى امر فرعون بتخريب تلك الكنائس ومنعهم من الصلاة فيها فامروا ان يتخذوا في بيوتهم مساجد ويصلوا
فيها خوفا من فرعون وقيل ان الله لما ارسل موسى وهرون واظهرهما على فرعون امرهما باتخاذ المساجد ظاهرة
على رغم الاعداء وتكفل لهم بصونهم من شرهم وهو قوله تعالى وبشر المؤمنين يعني انهم لا يصلون اليهم بمكروه قوله تعالى
وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحياة الدنيا لما اتى موسى بالمعجزات الباهرات ورأى
القوم مصرين على الكفر والعناد والانكار للاجابة اخذ في الدعا عليهم ومن حق من يدعو على الغير ان يذكر اولا السبب
اقدامهم على الجرائم التي كانت سببا لاصراره على ما يوجب الدعا عليهم ولما كان سبب كفرهم وعنادهم حب
الدنيا وزينتها لاجرم ان موسى لما اخذ في الدعا قدم هذه المقدمة فقال ربنا انك اتيت فرعون وملاه
زينة واموالا في الحياة الدنيا والزينة عبارة عما يتزين به كاللباس والدواب والغلمان واثاث البيت الفاخر
والاشيا الجميلة والمال عبارة عما زاد على هذه الاشيا من الصامت والناطق ثم قال ربنا ليضلوا عن سبيلك اختلفوا في هذه

اللام

اللام فقيل هي لام كي فعلى هذا يكون المعنى ربنا انك جعلت هذه الاحوال سببا لضلالتهم لانهم بطروا وطغوا في الارض
واستكبروا عن الايمان وقال الاخفش انما هي لام العاقبة والمعنى انك اتيت فرعون وملاه زينة فضلوا فعلى هذا هي
لام العاقبة يعني فكان عاقبتهم الضلال وقال ابن الانباري هي لام الدعا وهي لام مكسورة تجزم المستقبل ويفتتح بها
الكلام فيكون المعنى ربنا ابتلهم بالضلال عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم الطمس ازالة اثر الشي بالمحو ومعنى الطمس على
اموالهم ازالة صورها وهيئاتها وقال مجاهد اهلكها وقال اكثر المفسرين امسخها وغيرها عن هيئتها قال قتادة بلغنا
ان اموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة وقال محمد بن كعب القرظي صار سكرهم حجارة وكان الرجل مع اهله صار حجرين
والمراة قائمة تخبز صارت حجرا وهذا فيه ضعف لان موسى عليه السلام دعا على اموالهم ولم يدع على انفسهم بالمسخ
قال ابن عباس بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وانصافا واثلاثا وقيل
ان عمر بن عبد العزيز دعا بخريطة فيها شي من بقايا ال فرعون فاخرج منها البيضة مشقوقة وهي حجارة والجوزة مشقوقة
وهي حجارة وقال السدي مسخ الله اموالهم حجارة النخل والثمار والدقيق والاطعمة وهذا الطمس هو احد الايات
التسع التي اوتيها موسى عليه السلام واشدد على قلوبهم يعني اربط على قلوبهم واطبع عليها واقسها حتى لا تلين ولا
تنشرح للايمان ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان قال الواحدي وهذا دليل على
ان الله يفعل ذلك لمن يشاء ولولا ذلك لما اخبر موسى عليه السلام على هذا السؤال فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم
يعني الغرق قاله ابن عباس وقال ابن عباس في رواية اخرى عنه قال موسى قبل ان ياتي فرعون ربنا اشدد
على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله له فحال بين فرعون وبين الايمان قال بعض العلما
انما دعا موسى عليهم بهذا الدعا لما علم ان سابق قضا الله وقدره فيهم انهم لا يؤمنون وذلك ان الله كتب عليهم
في الازل فوافق دعا موسى ما قدره وقضاه عليهم قال الله عز وجل لموسى وهارون عليهما السلام قد اجيبت دعوتكما
انما نسب الدعا اليهما وان الداعي هو موسى وحده لان هرون عليه السلام كان يؤمن والتامين دعا لانه طلب وسوال ايضا
ومعناه اللهم استجب فصار بذلك شريك موسى في الدعا فلذلك قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما يعني على تبليغ الرسالة
وامضيا لامري الى ان ياتيهم العذاب ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون يعني ولا تسلكا طريق الذين يجهلون حقيقة وعدي
فان وعدي لا خلف فيه ووعيدي نازل بفرعون وقومه فلا تستعجلا قيل كان بين دعا موسى عليه السلام وبين
الاجابة اربعين سنة قال الامام فخر الدين الرازي واعلم ان هذا النهي لا يدل على ان ذلك قد صدر من موسى
وهرون كما ان قوله لئن اشركت ليحبطن عملك لا يدل على صدور الشرك منه قوله عز وجل وجاوزنا ببني اسرائيل
البحر اي وقطعنا ببني اسرائيل البحر وعبرنا بهم اياه حتى جاوزوه وعبروه فاتبعهم فرعون وجنوده يعني لحقهم وادركهم
بغيا وعدوا اي ظلما وعدوانا وقيل البغي طلب الاستعلا بغير الحق والعدوان الظلم وقيل بغيا في القول
وعدوا في الفعل قال اهل التفسير اجتمع يعقوب وبنوه الى يوسف وهم اثنان وسبعون وخرج مع موسى من
مصر وهم ستمائة الف وذلك لما اجاب الله دعا موسى وهارون امرهما بالخروج ببني اسرائيل من مصر في الوقت الذي
امرا ان يخرج فيه ويسر لهم اسباب الخروج وكان فرعون غافلا عنهم فلما سمع بخروجهم من مملكته ومفارقتهم
خرج بجنوده في طلبهم فلما ادركهم فرعون قالوا لموسى اين المخلص والخروج البحر امامنا وفرعون ورانا وقد كنا
نلقى من فرعون البلا العظيم فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم
وكشف الله عن وجه الارض وايبس لهم البحر فلحقهم فرعون وكان على حصان ادهم وكان معه في عسكره ثمانماية
الف على لون حصانه سوى سائر الالوان وكان يقدمهم جبريل وكان على فرس انثى وديق وميكائيل يسوقهم
حتى لا يشذ منهم احد فلما خرج اخر بني اسرائيل دنا جبريل بفرسه فلما وجد الحصان ريح الانثى لم يملك فرعون

امره شيا فنزل البحر وتبعه جنوده حتى اذا تكاملوا جميعا في البحر وهموا بالخروج التطم البحر عليهم فلما ادرك فرعون
الغرق اتى بكلمة الاخلاص ظنا منه انه ينجيه من الهلاك وهو قوله تعالى قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنوا
اسرايل وانا من المسلمين قال ابن عباس لم يقبل الله ايمانه عند نزول العذاب وقد كان في قال العلماء غير مقبول وذكر ان
الايمان والتوبة عند معاينة الملايكة والعذاب غير مقبولة ويدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا
وقيل انه قال هذه الكلمة ليتوسل بها الى دفع ما نزل به من البلية الحاضرة ولم يكن قصده بها الاقرار بوحدانية الله
تعالى والاعتراف له بالربوبية لا جرم لم ينفعه ما قال في ذلك وقيل ان فرعون كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع
الخالق سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فلهذا قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرايل فلم ينفعه ذلك
لحصول الشك في ايمانه ولما رجع فرعون الى الايمان والتوبة حين اغلق بابها بحضور الموت ومعاينة الملايكة قيل له
آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين يعني الان تتوب وقد اضعت التوبة في وقتها وآثرت دنياك
الفانية على آخرتك الباقية والمخاطب لفرعون بهذا هو جبريل عليه السلام وقيل انه من الملايكة وقيل ان القايل
هو الله تعالى لعرف فرعون قبح صنعه وما كان عليه من الفساد في الارض ويدل على هذا القول قوله فاليوم ننجيك
ببدنك والقول الاول اشهر ويعضد هذا القول ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما
اغرق الله فرعون وجنوده قال فرعون آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرايل قال جبريل يا محمد فلو رايتني
وانا آخذ من حال البحر فادسه في فيه مخافة ان تدركه الرحمة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وفي رواية اخرى
عنه عن عدي بن ثابت وعطاء بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر احدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه ذكر ان جبريل جعل يدس في فم فرعون الطين مخافة ان يقول لا اله الا الله فيرحمه الله او خشية ان يرحمه خشية
الله اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح **فصل** في الكلام على هذا الحديث لانه في الظاهر مشكل
فيحتاج الى بيان وايضاح فنقول قد ورد هذا الحديث على طريقين مختلفين عن ابن عباس فعلى الطريق الاول
على ابن زيد بن جدعان وان كان قد ضعفه يحيى بن معين وغيره فانه كان شيخا نبيلا صدوقا ولكنه كان
سيء الحفظ ويغلط وقد احتمل الناس حديثه وانما يخشى من حديثه ما لم يتابع عليه وخالف فيه الثقات
وكلاهما متفق في هذا الحديث لان الطريق الاخر شعبة عن عطا بن السايب عن سعيد بن جبير وعطا بن السايب
ثقة فقد اخرج له مسلم فهو على شرط مسلم وان كان عطا قد تكلم فيه من قبل اختلاطه فانما يخاف منه ما انفرد
به او يخالف فيه وكلاهما متفق فيه فقد علم بهذا ان لهذا الحديث اصلا وان رواته ثقات ليس فيهم متهم وان كان
فيهم من هو سيء الحفظ فقد تابعه عليه غيره **فان قلت** ففي الحديث الثاني شك في رفعه لانه قال فيه
ذكر احدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم **قلت** ليس بشك في رفعه انما هو جزم باحد الرجلين رفعه وشك
شعبة في تعيينه هل هو عطا بن السايب او عدي بن ثابت وكلاهما ثقة فاذا رفعه احدهما وشك في تعيينه لم يكن
هذا علة في الحديث **فصل** في وجه الاشكال لما اعترض عليه الامام فخر الدين الرازي في تفسيره فقال ان جبريل اخذ
يملا فمه بالطين لئلا يتوب غضبا عليه فالجواب الاول انه لا يصح في تلك الحال التكليف هل كان باقيا او لا فان كان
باقيا لم يجز لجبريل ان يمنعه من التوبة بل يجب عليه ان يعينه على التوبة وان كان التكليف زايلا عن فرعون في ذلك
الوقت فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فايدة وايضا لو منعه من التوبة لكان قد رضي ببقايه على
الكفر والرضى بالكفر كفر وايضا فكيف يليق بجلال الله ان يامر جبريل ان يمنعه عن الايمان ولو قيل ان جبريل فعل ذلك
من عند نفسه لا بامر الله فهذا يبطله قول جبريل وما نتنزل الا بامر ربك هذا وجه الاشكال الذي اورده الامام
على هذا الحديث وفي كلام اكثر من هذا والجواب عن هذا الاعتراض ان الحديث قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم

فلا

فلا اعتراض عليه لاحد واما قول الامام ان التكليف هل كان باقيا في تلك الحالة او لا فانه كان باقيا لم يجز لجبريل
ان يمنعه من التوبة فان هذا القول لا يستقيم على اصل المثبتين للقدر القايلين بخلق الافعال وان الله يضل
من يشا ويهدي من يشا وهو قول اهل السنة والايمان ويدل على ذلك قوله تعالى ان الله يحول بين المرء وقلبه
وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم وقال تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يومنوا به اول مرة
فاخبر الله تعالى انه قلب افئدتهم على تركهم الايمان به اول مرة فدس الطين في فم فرعون من جنس الختم والطبع
على القلب ومنع عن الايمان وصونا الكافر عنه وذلك جزا على كفره السابق وهذا قول طايفة المثبتين
للقدر القايلين بخلق الافعال لله ومن المنكرين لخلق الافعال من اعترف ايضا بان الله تعالى يفعل هذا
عقوبة للعبد على كفره السابق فيحسن منه ان يضله ويطبع على قلبه ويمنعه من الايمان فاما قصة
جبريل عليه السلام مع فرعون فانها من هذا الباب فانه في غاية ما يقال فيه ان الله منع فرعون من
الايمان وحال بينه وبينه عقوبة له على كفره ورده للايمان لما جاءه واما فعل جبريل من دس الطين في فيه
فانما فعل ذلك بامر الله تعالى لا من تلقا نفسه فاما قول الامام لم يجز لجبريل ان يمنعه من التوبة بل يجب عليه
ان يعينه عليها وعلى كل طاعة هذا اذا كان تكليف جبريل كتكليفنا ويجب عليه ما يجب علينا واما اذا كان جبريل
انما يفعل ما امره الله تعالى به فهو الذي منع فرعون من الايمان وجبريل منفذ لامر الله فكيف لا يجوز له منع من منعه
الله من التوبة وكيف يجب عليه اعانة من لم يعنه الله بل قد حكم عليه واخبر عنه انه لا يومن حتى يرى العذاب الاليم
حين لا ينفعه الايمان وقد يقال ان جبريل اما ان يتصرف بامر الله فلا يفعل الا ما امره الله به واما ان يفعل ما يشا
من تلقا نفسه لا بامر الله وعلى هذا التقديرين فلا يجب عليه اعانة فرعون على التوبة ولا يحرم عليه منعه
منها لانه انما يجب عليه فعل ما امر به ويحرم عليه فعل ما نهي عنه والله تعالى لم يخبر انه امره باعانة فرعون
ولا حرم عليه منعه من التوبة وليست الملايكة مكلفين كتكليفنا وقوله وان كان التكليف زايلا عن فرعون
في ذلك الوقت فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فايدة فجوابه ان يقال للناس في تعليل افعال
الله قولان احدهما ان افعاله لا تعلل وعلى هذا التقدير فلا يرد هذا السوال اصلا وقد زال الاشكال والقول
الثاني ان افعاله تعالى لها غاية بحسب المصالح لاجلها فعلها وكذا اوامره ونواهيه لها غاية محمودة محبوبة
لاجلها امر بها ونهى عنها وعلى هذا التقدير فقد يقال لما قال فرعون آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به
بنوا اسرايل وقد علم جبريل انه ممن حقت عليه كلمة العذاب وان ايمانه لا ينفعه فدس الطين في فيه لتحقق
معاينته للموت فلا تكون تلك الكلمة نافعة له وانه وان كان قالها في وقت لا ينفعه فدس الطين في فيه
تحقيقا لهذا المنع والفايدة فيه تعجيل ما قد قضي عليه وسد الباب عنه سدا محكما بحيث لا يبقى
للرحمة فيه متقد ولا يبقى من عمره زمن يتسع للايمان فان موسى لما دعا ربه بان فرعون لا يومن حتى يرى العذاب
الاليم والايمان عند روية العذاب غير نافع فاجاب الله دعاه فلما قال فرعون تلك الكلمة عند معاينة
الغرق استعجل جبريل فدس الطين في فيه ليياس من الحياة ولا تنفعه تلك الكلمة وتتحقق اجابة الدعوة
التي وعد الله موسى بقوله قد اجيبت دعوتكما فيكون سعي جبريل في تكميل ما سبق في حكم الله انه يفعله
فيكون سعي جبريل في مرضات الله منفذا لما امر به وقدره وقضاه على فرعون وقوله لو منعه من التوبة
لكان قد رضي ببقايه على الكفر والرضى بالكفر كفر جوابه ما تقدم ان الله يفعل ما يشا [illegible] ما يشا
وجبريل انما يتصرف بامر الله تعالى ولا يفعل الا ما امره الله به واذا كان جبريل قد فعل ما امره الله به
وتنفيذه وانما رضي بالامر لا بالمامور به فاي كفر يكون هنا وايضا فان الرضى بالكفر انما يكون كفرا [illegible]

Copyright © King Saud University

لانا مامورون بازالته بحسب الامكان فاذا قدرنا الكافر على كفره وخليناه وتركناه على حاله ورضينا به كان ذلك كفرا في حقنا لمخالفتنا ما امرنا به واما من ليس ماموراً كامرنا ولا مكلفا كتكليفنا بل يفعل ما يامره به ربه فاذا انفذ ما امره به لم يكن رضى بالكفر ولا يكون كفرا في حقه وعلى هذا التقرير فان جبريل لما دس الطين في فم فرعون كان ساخطا لكفره غير راض عنه والله تعالى خالق افعال العباد خيرها وشرها وهو غير راض بالكفر فغاية امر جبريل مع فرعون ان يكون منفذا لقضا الله وقدره في فرعون من الكفر وهو ساخط له غير راض به وقوله كيف يليق بجلال الله ان يامر جبريل بان يمنعه من الايمان فجوابه ان الله يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل وقوله وان قيل ان جبريل ما فعل ذلك من عند نفسه لا بامر الله فجوابه انما فعل ذلك بامر الله منفذا لامر الله والله اعلم بمراده قوله تعالى فاليوم ننجيك معناه انا نلقيك على نجوة من الارض وهي المكان المرتفع قال اهل التفسير لما اغرق الله تعالى فرعون وقومه اخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه قالت بنوا اسرائيل ما مات فرعون وانما قالوا ذلك لعظمته عندهم وما حصل في قلوبهم من الرعب لاجله فامر الله عز وجل البحر فالقى فرعون على الساحل احمر قصيرا كانه ثور فراه بنوا اسرائيل فمن ذلك الوقت لا يقبل الما ميتا ابدا ومعنى قوله ببدنك يعني نلقيك ملقى جسدا لا روح فيه وقيل هذا الخطاب على سبيل التهكم والاستهزا كانه قيل له ننجيك ولكن هذه النجاة انما تحصل لبدنك لا لروحك وقيل اراد بالبدن الدرع وكان لفرعون درع من ذهب مرصع بالجواهر يعرف به فلما راوه في درعه ذلك عرفوه لتكون لمن خلفك اية يعني عبرة وموعظة وذلك انهم ادعوا ان مثل فرعون لا يموت ابدا لانه كان في غاية العظمة فصار الى نهاية الخسة والذلة ملقى على الارض لا يهابه احد وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون ولقد بوانا بني اسرائيل مبوا صدق يعني اسكناهم مكان صدق وانزلناهم منزل صدق بعد خروجهم من البحر واغراق عدوهم فرعون والمعنى انزلناهم منزلا محمودا صالحا وانما وصف المكان بالصدق لان عادة العرب اذا مدحت شيا اضافته الى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق وقدم صدق والسبب فيه ان الشي اذا كان كاملا صالحا لابد ان يصدق الظن فيه وفي المراد بالمكان قولان احدهما انه مصر فيكون المراد ان الله اورث بني اسرائيل جميع ما كان تحت ايدي فرعون وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره والقول الثاني انه ارض الشام والقدس والاردن لانها بلاد الخصب والخير والبركة قوله تعالى ورزقناهم من الطيبات يعني تلك المنافع والخيرات التي رزقهم الله تعالى فما اختلفوا حتى جاءهم العلم يعني فما اختلف الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني اسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك انهم كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مقرين به مجمعين على نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوبا عندهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه فامن به بعضهم كعبد الله بن سلام وكفر به بعضهم بغيا وحسدا فعلى هذا المعنى يكون المراد من العلم المعلوم والمعنى فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذي كانوا يعلمونه حقا فوضع العلم مكان المعلوم وقيل المراد من العلم القران النازل على محمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه علما لانه سبب العلم وتسمية المسبب بالسبب مجاز مشهور وفي كون القران سببا لحدوث الاختلاف وجهان الاول ان اليهود كانوا يخبرون بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم ويفتخرون بذلك على المشركين فلما بعث كذبوه بغيا وحسدا وايثارا لبقا الرياسة لهم فامن به طايفة قليلة وكفر به غالبهم والوجه الثاني ان اليهود كانوا على دين واحد قبل نزول القران فلما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم فامن به طايفة وكفر به اخرى وقوله عز وجل ان ربك يعني يا محمد يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون يعني من امرك وامر نبوتك في الدنيا فيدخل من امن بك الجنة ومن

كفر

كفر بك وجحد نبوتك دخل النار قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك الشك في موضوع اللغة خلاف اليقين والشك عبارة عن تساوي النقيضين عند الانسان لوجود امارتين او لعدم الامارة والشك ضرب من الجهل وهو اخص منه فكل شك جهل وليس كل جهل شكا فاذا قيل فلان يشك في هذا الامر فمعناه انه توقف فيه حتى يتبين له فيه الصواب وخلافه وظاهر هذا الخطاب في قوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك يعني من حقيقة ما اخبرناك به وانزلناه يعني القران فاسال الذين يقرون الكتاب من قبلك يعني علما اهل الكتاب يخبروك انك مكتوب عندهم في التورية والانجيل وانك نبي معروف يعرفونك بصفتك عندهم وقد توجه ههنا سوال واعتراض وهو ان يقال هل شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما انزل اليه او في نبوته حتى يسال اهل الكتاب عن ذلك واذا كان شاكا في نبوة نفسه كان غيره اولى منه بالشك قلت الجواب عن هذا السوال والاعتراض ما قاله القاضي عياض في كتابه الشفا فانه اورد هذا السوال ثم قال احذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس او غيره من اثبات شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسال ونحوه عن سعيد بن جبير والحسن البصري وحكي عن قتادة قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسال وعامة المفسرين على هذا انتهى كلام القاضي عياض رحمه الله ثم اختلفوا في معنى الاية ومن المخاطب بهذا الخطاب على قولين احدهما ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد به غيره فهو كقوله لين اشركت ليحبطن عملك ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل فثبت ان المراد به غيره ومن امثلة العرب اياك اعني واسمعي يا جارة فعلى هذا يكون معنى الاية قل يا محمد يا ايها الانسان الشاك ان كنت في شك مما انزلنا اليك على لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فاسال الذين يقرون الكتاب يخبرونك بصحته ويدل على صحة هذا التاويل قوله تعالى في اخر السورة قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الاية فبين ان المذكور في هذه الاية على سبيل الرمز هم المذكورون في هذه الاية على سبيل التصريح وايضا لو كان النبي صلى الله عليه وسلم شاكا في نبوته لكان غيره اولى بالشك في نبوته وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية معاذ الله من ذلك وقيل ان الله تعالى علم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فيكون المراد بهذا التهييج فانه صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذا الكلام فانه يقول لا اشك يا رب ولا اسال اهل الكتاب بل اكتفي بما انزلته علي من الدلايل الظاهرة وقال الزجاج ان الله تعالى خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله فان كنت في شك وهو شامل للخلق فهو كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النسا وهذا وجه حسن لكن فيه بعد وهو ان يقال متى كان الرسول صلى الله عليه وسلم داخلا في هذا الخطاب كان الاعتراض موجها والسوال واردا وقيل ان لفظة ان في قوله فان كنت في شك للنفي ومعناه وما انت في شك مما انزلنا اليك حتى تسال فلا تسال ولين سالت لازددت يقينا والقول الثاني وهو ان يقال ان هذا الخطاب ليس هو للنبي صلى الله عليه وسلم البتة ووجه هذا القول ان الناس كانوا في زمانه على ثلاثة فرق فرقة له مصدقون وبه مومنون وفرقة على الضد من ذلك والفرقة الثالثة المنافقون في امره الشاكون فيه فخاطبهم الله عز وجل بهذا الخطاب فقال تعالى فان كنت في شك ايها الانسان مما انزلنا اليك من الهدى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فاسال اهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وانما وحد الله الضمير في قوله فان كنت في شك وهو يريد الجمع لانه خطاب لجنس الانسان كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم لم يرد في هذه الاية انسانا بعينه بل اراد الجمع اختلفوا في المسيول عنه في قوله تعالى فاسيل الذين يقرون الكتاب من قبلك من هم فقال المحققون من اهل التفسير هم الذين امنوا من اهل الكتاب كعبد الله

Copyright King Saud University

ابن سلام واصحابه لانهم الموثوق باخبارهم وقيل المراد به كل اهل الكتاب مسلمهم وكافرهم لان المقصود من هذا السوال الاخبار بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانهم يكتبونه عندهم صفته ونعته فاذا اخبروا بذلك فقد حصل المقصود والاول اصح قال الضحاك يعني اهل التقوى واهل الايمان من اهل الكتاب ممن ادرك النبي صلى الله عليه وسلم لقد جاءك الحق من ربك هذا كلام مبتدا منقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديره اقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بانك رسول الله حقا وان اهل الكتاب يعلمون صحة ذلك فلا تكونن من الممترين يعني الشاكين في صحة ما انزلنا اليك ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله يعني بدلايله وبراهينه الواضحة فتكون من الخاسرين يعني الذين خسروا انفسهم واعلم ان هذا كله على ما تقدم خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في ظاهره والمراد به غيره ممن عنده شك وارتياب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يرتب ولم يكذب بايات الله فثبت بذلك انه المراد به غيره والله تعالى اعلم قوله عز وجل ان الذين حقت عليهم يعني وجبت عليهم كلمت ربك يعني حكم ربك وهو قوله خلقت هولا للنار ولا ابالي وقال قتادة سخط ربك وقيل لعنة ربك وقيل هو ما قدره عليهم وقضاه في الازل لا يومنون ولو جاتهم كل اية لا يومنون لانهم لا يومنون بها حتى يروا العذاب الاليم فحينيذ لا ينفعهم الايمان لان الله تعالى قد حكم عليهم وصرفهم عن الايمان فلا ينفعهم شي قوله تعالى فلولا يعني فهلا كانت قرية وقيل معناه فما كانت قرية وقيل لم يكن قرية لان في الاستفهام معنى الجحد والمراد هل كان قرية امنت يعني عند معاينة العذاب فنفعها ايمانها يعني في حال الياس الا قوم يونس هذا استثنا منقطع يعني لكن قوم يونس فانهم امنوا فنفعهم ايمانهم في ذلك الوقت وهو قوله لما امنوا يعني اخلصوا الايمان كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين يعني الى حين انقضا اجالهم واختلفوا في قوم يونس هل راوا العذاب عيانا ام لا فقال بعضهم راوا دليل العذاب فامنوا وقال الاكثرون انهم راوا العذاب عيانا بدليل قوله كشفنا عنهم عذاب الخزي والكشف لا يكون الا بعد الوقوع او اذا قرب وقوعه

ذكر القصة في ذلك على ما ذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم قالوا ان قوم يونس كانوا بقرية نينوى من ارض الموصل وكانوا اهل كفر وشرك فارسل الله عز وجل اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان بالله وترك عبادة الاصنام فدعاهم فابوا عليه فقيل له اخبرهم ان العذاب مصبحهم الى ثلاث فاخبرهم بذلك فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا قط فانظروا فان بات فيكم الليلة فليس بشي وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان جوف الليل خرج يونس من بين اظهرهم فلما اصبحوا تغشاهم العذاب فوق روسهم قال ابن عباس ان العذاب كان اهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه الا قدر ثلثي ميل فلما دعوا كشف الله عنهم ذلك وقال مقاتل قدر ميل وقال سعيد بن جبير غشي قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر وقال وهب غامت السما غيما اسود هايلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشي مدينتهم واسودت اسطحتهم فلما راوا ذلك ايقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه فقذف الله في قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصحرا بانفسهم ونسايهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح واظهروا الاسلام والتوبة وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب فحن البعض الى البعض فحنت الامهات الى الاولاد والاولاد الى الامهات وعلت الاصوات وعجوا جميعا الى الله وتضرعوا اليه وقالوا امنا بما جا به يونس وتابوا الى الله واخلصوا النية فرحمهم ربهم فاستجاب دعاهم وكشف ما نزل بهم من العذاب بعدما اظلهم وكان ذلك اليوم يوم عاشورا وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم فيما بينهم حتى انه كان الرجل لياتي الى الحجر وقد وضع اساس بنيانه عليه فيقتلعه فيرده وروى الطبري بسنده عن ابي الجلد جيلان قال لما غشي قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ بقية من علمايهم فقالوا انه قد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى

وياحي

وياحي لا اله الا انت فقالوها فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا الى حين وقال الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم واجل فافعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله قال وخرج يونس وجعل ينتظر العذاب فلم ير شيا فقيل له ارجع الى قومك قال وكيف ارجع اليهم فيجدوني كذابا وكان من كذب ولا بينة له قتل فانصرف عنهم مغاضبا فالتقمه الحوت وستاتي القصة في سورة الصافات ان شا الله تعالى

فان قلت كيف كشف العذاب عن قوم يونس بعدما نزل بهم وقبل توبتهم ولم يكشف العذاب عن فرعون حين امن ولم يقبل توبته **قلت** اجاب العلما عن هذا باجوبة احدها ان ذلك كان خاصا بقوم يونس والله يفعل ما يشا ويحكم ما يريد **الجواب** الثاني ان فرعون ما امن الا بعد ما باشر العذاب وهو وقت الياس من الحياة وقوم يونس دنا منهم العذاب ولم ينزل بهم ولم يباشرهم فكان كالمريض يخاف الموت ويرجو العافية **والجواب** الثالث ان الله عز وجل علم صدق نياتهم في التوبة فقبل توبتهم بخلاف فرعون فانه ما صدق في ايمانه ولا اخلص فلم يقبل الله منه ايمانه والله تعالى اعلم قوله تعالى ولو شا ربك لامن من في الارض كلهم جميعا يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو شا الله يا محمد لامن بك لامن بك وصدقك من في الارض كلهم جميعا ولكن يشا من يعيد فكشفو يومن بك الا من سبقت له السعادة في الازل قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص ان يومن به جميع الناس ويتابعوه على الهدى فاخبره الله عز وجل انه لا يومن به الا من سبق له من الله السعادة في الذكر الاول ولم يضل الا من سبق له الشقاوة في الذكر الاول وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان حريصا على ايمانهم فاخبر الله انه لا يومن به الا من سبقت له العناية الازلية فلا تتعب نفسك على ايمانهم وهو قوله جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين يعني ليس ايمانهم اليك يعني تكرههم عليه او تحرص عليه انما ايمان المومن واضلال الكافر بمشية الله تعالى وقدره ليس لاحد ذلك سواه وما كان لنفس ان تومن الا باذن الله يعني وما ينبغي لنفس خلقها الله ان تومن وتصدق الا ان يقضي الله لها بالايمان فان هدايتها الى الله هو الهادي المضل وقال ابن عباس يعني باذن الله بامر الله وقال عطا بمشية الله قوله تعالى ويجعل قري بالنون على سبيل التعظيم اي ونجعل نحن وقري بالياء ومعناه ويجعل الله الرجس يعني العذاب وقال ابن عباس يعني السخط على الذين لا يعقلون يعني لا يفهمون عن الله امره ونهيه قوله تعالى قل انظروا اي قل يا محمد لهولا المشركين الذين يسالونك الايات انظروا يعني انظروا بقلوبكم نظر اعتبار وتفكر وتدبر ماذا في السموات والارض يعني ماذا خلق الله في السموات والارض من الايات الدالة على وحدانيته في السموات الشمس والقمر وهما دليلان على الليل والنهار والنجوم تجري طالعة وغاربة وانزال المطر من السما وفي الارض الجبال والبحار والانهار والاشجار والنبات كل ذلك ايات تدل على وحدانية الله تعالى على انه كما قال الشاعر

وفي كل شي له اية تدل على انه واحد

قوله تعالى وما تغني الايات والنذر يعني الرسل عن قوم لا يومنون وهذا في حق اقوام علم الله انهم لا يومنون لما سبق لهم في الازل من الشقا فهل ينتظرون يعني مشركي مكة الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم يعني من مضى من قبلهم من الامم السالفة المكذبة للرسل قال قتادة يعني وقايع الله في قوم نوح وعاد وثمود والعرب تسمي العذاب اياما والنعم اياما كقوله تعالى وذكرهم بايام الله والمعنى فهل ينتظر هولا المشركون من قومك يا محمد الا يوما يعاينون فيه العذاب مثل ما فعلنا بالامم السالفة المكذبة اهلكناهم جميعا فان كانوا ينتظرون ذلك قل فانتظروا يعني قل لهم يا محمد فانتظروا العذاب اني معكم من المنتظرين يعني هلاككم قال الربيع بن انس خوفهم عذابه ونقمته ثم اخبرهم انه اذا وقع ذلك بهم نجى الله رسله والذين امنوا معهم من ذلك العذاب وهو قوله تعالى ثم ننجي رسلنا والذين امنوا يعني من العذاب والهلاك كذلك حقا علينا ننجي المومنين يعني

ربك خ

Copyright © King Saud University

كما انجينا رسلنا والذين امنوا معهم من الهلاك كذلك ننجيك يا محمد والذين امنوا معك وصدقوك من الهلاك والعذاب
قال بعض المتكلمين والمراد بقوله حقا علينا الوجوب لان تخليص الرسل والمومنين من العذاب واجب عن هذا
بانه حق واجب بحيث الوعد والحكم لا بحيث الاستحقاق لانه ثبت ان العبد لا يستحق على خالقه شي قوله
تعالى قل يا ايها الناس الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد لهولا الذين ارسلتك اليهم فشكوا في امرك
ولم يومنوا بك ان كنتم في شك من ديني يعني الذي ادعوكم اليه وانما حصل لبعضهم في امر النبي صلى الله عليه وسلم لما راى
الايات التي كانت تظهر على يد النبي صلى الله عليه وسلم فحصل لهم الاضطراب والشك فقال ان كنتم في شك
من ديني الذي ادعوكم به فلا ينبغي لكم ان تشكوا فيه لانه دين ابراهيم عليه السلام وانتم من ذريته وتعرفونه
ولا تشكون فيه وانما ينبغي لكم ان تشكوا في عبادتكم هذه الاصنام التي لا اصل لها البتة فان اصريتم على
ما انتم عليه فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله يعني هذه الاوثان وانما وجب تقديم هذا النفي لان العبادة
هي غاية التعظيم للمعبود فلا يليق لاخس الاشيا وهي الحجارة التي لا تنفع من عبدها ولا تضر من تركها ولكن يليق
العبادة لمن بيده النفع والضر وهو قادر على الاماتة والاحيا وهو قوله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم والحكمة
في وصف الله عز وجل في هذا المقام بهذه الصفة لانا الذي يستحق العبادة فاعبدوه انا وانتم هو الذي خلقكم
اولا ولم تكونوا شيا ثم يميتكم ثانيا ثم يحييكم بعد الموت ثالثا فالنبي بذكر الوفاة تنبيها على الباقي وقيل لما
كان الموت اشد الاشيا على النفس فذكر في هذا المقام ليكون اقوى في الزجر والردع وقيل انهم لما استعجلوا بطلب العذاب
فاجابهم بقوله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وهو قادر على هلاككم ونصري عليكم وامرت ان اكون من المومنين يعني
وامرني ربي ان اكون من المصدقين لما جا من عنده وقيل لما ذكر العبادة وهي من اعمال الجوارح اتبعه بذكر الايمان
لانه من اعمال القلوب قوله عز وجل وان اقم وجهك للدين حنيفا الواو في قوله وان واو عطف معناه وامرت ان
اقيم وجهك يعني اخلص نفسك على دين الاسلام حنيفا يعني مستقيما عليه غير معوج عنه الى دين اخر وقيل معناه
اقم عملك على الدين الحنيفي وقيل المراد بقوله وان اقم وجهك للدين صرف نفسه بكليتها الى طلب الدين الحنيف
غير مايل ولا تكونن من المشركين يعني ولا تكونن ممن يشرك في عبادة ربه غيره فتهلك وقيل ان النهي على معنى
التاديب وهو ان من عرف الله عز وجل وعرف جميع اسمايه وصفاته وانه المستحق للعبادة لا غيره فلا ينبغي له
ان يلتفت الى غيره بالكلية وهذا هو الذي تسميه اصحابنا بالشرك الخفي ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك يعني ان
عبدته ودعوته ولا يضرك ان تركت عبادته فان فعلت يعني ما نهيتك عنه فعبدت غيري وطلبت النفع
ودفع الضر من غيري فانك اذا من الظالمين يعني لنفسك لانك وضعت العبادة في غير موضعها وهذا الخطاب
وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يدع من دون الله شيا
البتة فيكون المعنى ولا تدع من دون الله ايها الانسان ما لا ينفعك لاية قوله عز وجل وان يمسسك الله
بضر يعني وان يصيبك الله بشدة وبلا فلا كاشف له الا هو يعني فلا كاشف لذلك الضر الذي انزله بك
الا هو وان يردك بخير يعني بسعة ورخا فلا راد لفضله يعني فلا دافع لرزقه يصيب به يعني بكل واحد من
الضر والخير من يشا من عباده وقيل انه تعالى لما ذكر الاوثان وبين انها لا تقدر على ضر ولا نفع بين تعالى انه
هو القادر على ذلك كله وانه ذو الجود والكرم والرحمة ولهذا المعنى ختم الاية بقوله وهو الغفور الرحيم وفي
الاية لطيفة اخرى وهي ان الله تعالى رجح جانب الخير على جانب الشر وذلك انه تعالى لما ذكر امساس الضر
بين انه لا كاشف له الا هو وذلك يدل على انه تعالى يزيل جميع المضار ويكشفها لان الاستثنا من النفي
اثبات ولما ذكر الخير قال فلا راد لفضله يعني ان جميع الخيرات منه فلا يقدر احد على ردها لانه هو الذي

يفيض

يفيض جميع الخيرات على عباده وعضده بقوله وهو الغفور يعني الساتر لذنوب عباده الغفور يعني بهم قوله تعالى
قل يا ايها الناس قد جاكم الحق من ربكم يعني القران والاسلام وقيل الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم جا بالحق من الله عز
وجل فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه لان نفع ذلك يرجع اليه ومن ضل فانما يضل عليها اي على نفسه لان وباله راجع
اليه فمن حكم الله له بالاهتدا في الازل انتفع ومن حكم عليه بالضلال ضل ولم ينتفع بشي ابدا وما انا عليكم بوكيل يعني
وما انا عليكم بحفيظ احفظ عليكم اعمالكم قال ابن عباس هذا لانه منسوخة باية السيف واتبع ما يوحى اليك يعني
الامر الذي يوحيه الله اليك يا محمد واصبر يعني على اذى من خالفك من كفار مكة من قومك حتى يحكم الله يعني بنصرك
عليهم واظهار دينك قوله تعالى وهو خير الحاكمين يعني انه تعالى حكم بنصر نبيه واظهار دينه وبقتل المشركين
واخذ الجزية من اهل الكتاب وفيها ذلهم وصغارهم اخر تفسير سورة يونس والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة هود عليه السلام وهي مكية في قول ابن عباس وبه قال الحسن وعكرمة ومجاهد وابن زيد وقتادة
وفي رواية عن ابن عباس انها مكية غير اية وهي قوله تعالى واقم الصلاة طرفي النهار وعن قتادة نحوه وقال مقاتل
هي مكية الا قوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وقوله اولئك يومنون به وقوله ان الحسنات يذهبن السيات
وهي ماية وثلاث وعشرون اية والف وستماية كلمة وتسعة الاف وخمسماية وسبعة وستون حرفا عن ابن
عباس قال قال ابو بكر يا رسول الله قد شبت قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتسالون واذا
الشمس كورت اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي رواية غيره قال قلنا يا رسول الله عجل اليك الشيب
قال شيبتني هود واخواتها الحاقة والواقعة وعم يتسالون وهل اتاك حديث الغاشية قال بعض العلما
سبب شيبه صلى الله عليه وسلم هذه السورة المذكورة في الحديث لما فيها من ذكر القيامة والحساب والجنة والنار
والله اعلم بمراده صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الر كتاب احكمت اياته قال ابن عباس
لم ينسخها كتاب كما نسخت هي الكتب والشرايع ثم فصلت يعني بينت قال الحسن احكمت اياته بالامر والنهي
وفصلت بالثواب والعقاب وفصلت بالامر والنهي وقال قتادة احكمها الله من الباطل ثم فصلها بعلمه
وبينها وقيل معناه نظمت اياته نظما رصينا محكما بحيث لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبنا المحكم الذي ليس فيه خلل
ثم فصلت اياته سورا سورة سورة وقيل ان ايات هذا الكتاب دالة على التوحيد وصحة النبوة والمعاد والحو
القيامة وكل ذلك لا يدخله النسخ ثم فصلت بدلايل الاحكام والمواعظ والقصص والاخبار عن المغيبات وقال
مجاهد فصلت بمعنى فسرت وثم في قوله فصلت ليس هي للتراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن
الكلام ثم فصلت احسن التفصيل **فان قلت** كيف عم الايات هنا بالاحكام وخص بعضها بقوله
منه ايات محكمات **قلت** ان بعض اياته منسوخة نسخها بايات منه فصالح ينسخها من غيره وقيل
احكمت اياته ان معظم ايات الكتاب محكمة وان كان قد دخل النسخ على البعض فاجرى الكل على البعض لان
الحكم للغالب واجرا الكل على البعض مستعمل في كلامهم تقول اكلت طعام زيد وانما اكلت بعضه وقوله تعالى
من لدن حكيم يعني احكمت ايات الكتاب من عند حكيم في جميع افعاله خبير يعني باحوال عباده وما يصلحهم
الا تعبدوا هذا معطوف على ما قبله معناه كتاب احكمت اياته ثم فصلت بان لا تعبدوا الا الله والمراد
بالعبادة التوحيد وخلع الانداد والاصنام وما كانوا يعبدون والرجوع الى الله تعالى والى عبادته [illegible]
في دين الاسلام انني لكم منه نذير اي قل لهم يا محمد انني لكم من عند الله نذير وبشير ينذركم عقابه ان ثبتم على
كفركم ولم ترجعوا عنه وبشير اي يبشر بالثواب الجزيل لمن امن بالله ورسوله واطاع واخلص العمل لله
وحده وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اختلفوا في بيان الفرق بين هذين الامرين فقيل معناه اطلبوا من ربكم

Copyright © King Saud University

المغفرة لذنوبكم ثم ارجعوا اليه لان الاستغفار هو طلب الغفر وهو الستر والتوبة الرجوع عما كان فيه من الاشراك والمعصية
الى خلاف ذلك فلهذا السبب قدم الاستغفار على التوبة وقيل معناه استغفروا ربكم لسالف ذنوبكم ثم توبوا اليه في المستقبل وقال
الفراء ثم هنا بمعنى الواو لان الاستغفار والتوبة بمعنى واحد فذكرهما للتاكيد يمتعكم متاعا حسنا يعني انكم اذا فعلتم ما امرتم
به من الاستغفار والتوبة واخلصتم العبادة لله عز وجل يبسط عليكم من الدنيا واسباب الرزق ما تعيشون به في امن
وسعة وخير وقال بعضهم العيش الحسن هو الرضى بالميسور والصبر على المقدور الى اجل مسمى يعني يمتعكم متاعا حسنا الى حين
الموت ووقت انقضاء آجالكم **فان قلت** قد ورد في الحديث ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقد يضيق
على الرجل في بعض اوقاته حتى لا يجد ما ينفقه على نفسه فكيف الجمع بين هذا وبين قوله يمتعكم متاعا حسنا الى
اجل مسمى **قلت** اما قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن فهو بالنسبة الى ما اعد الله له من الخيرات
والثواب الجزيل والنعيم المقيم فانه في سجن في الدنيا حتى يفضي الى ذلك المعد له واما كون الدنيا جنة الكافر فهو بالنسبة
الى ما اعد الله له في الآخرة من العذاب الاليم الدائم الذي لا ينقطع فهو في الدنيا في جنة حتى يفضي الى ما اعد الله له
في الآخرة واما ما يضيق على الرجل المؤمن في بعض الاوقات انما ذلك لاجل رفع الدرجات وتكفير السيئات وبيان
الصبر عند المصيبات فعلى هذا يكون المؤمن في جميع احواله في عيشة حسنة لانه راض عن الله في جميع احواله
وقوله تعالى ويؤت كل ذي فضل فضله اي ويعطي كل ذي عمل صالح في الدنيا اجره وثوابه في الآخرة قال ابو العالية من كثرت
طاعته في الدنيا زادت حسناته ودرجاته في الجنة لان الجنة تكون على قدر الاعمال وقال ابن عباس من
زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته
وسيئاته كان من اهل الاعراف ثم يدخلون الجنة وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن
عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم
يعاقب بها في الدنيا اخذ من حسناته العشر واحدة وبقيت له تسع ثم يقول ابن مسعود هلك من غلب
آحاده اعشاره وقيل معنى الآية من عمل لله وفقه الله في المستقبل لطاعته وان تولوا يعني وان تعرضوا
عما جاءهم به من الهدى فاني اخاف عليكم اي فقل لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يعني في الآخرة عذاب النار
الى الله مرجعكم يعني في الآخرة فيثيب المحسن على احسانه ويعاقب المسيء على اساءته وقوله وهو على كل
شيء قدير يعني من ايصال الرزق اليكم في الدنيا وثوابكم وعذابكم في الآخرة قوله تعالى الا انهم يثنون صدورهم قال
ابن عباس نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر وكان يلقى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره فنزلت الا انهم يثنون صدورهم من الشحناء والعداوة
من ثنيت الثوب اذا طويته وقال عبد الله بن شداد بن الهاد نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر
برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطاطا راسه وغطى وجهه كي لا يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال قتادة كانوا يحنون صدورهم كي لا يسمعوا كتاب الله ولا ذكره وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي
ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي وقال السدي يثنون صدورهم اي يعرضون
بقلوبهم من قولهم ثنيت عناني ليستخفوا منه معناه ليخفوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد من
الله عز وجل ان استطاعوا الا حين يستغشون ثيابهم يعني يغطون رؤسهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور
ومعنى الآية على ما قاله الازهري ان الذين اضمروا عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى علينا حالهم
في كل حال وقد نقل عن ابن عباس غير هذا التفسير وهو ما اخرجه البخاري في افراده عن محمد بن عباد بن جعفر
المخزومي انه سمع ابن عباس يقرأ الا انهم تثنوني صدورهم قال سألته عنها فقال كان اناس يستحيون ان يتخلوا

فيفضوا

فيفضوا الى السماء وان يجامعوا نساءهم فيفضوا الى السماء فنزلت ذلك فيهم وقوله تعالى وما من دابة في الارض الدابة
اسم لكل حيوان دب على وجه الارض واطلق لفظ الدابة على كل ذي اربع من الحيوان على سبيل العرف والمراد منه
الاطلاق فيدخل فيه الآدمي وغيره من جميع الحيوانات الا على الله رزقها يعني هو المتكفل برزقها فضلا منه لا على
سبيل الوجوب فهو الى مشيئته ان شاء رزق وان شاء لم يرزق وقيل ان لفظة على بمعنى من اي من الله رزقها قال
مجاهد ما جاءها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها فتموت جوعا ويعلم مستقرها ومستودعها قال ابن عباس مستقرها
المكان الذي تاوي اليه في ليل او نهار ومستودعها المكان الذي تدفن فيه بعد الموت وقال ابن مسعود مستقرها
ارحام الامهات ومستودعها المكان الذي تموت فيه وقيل المستقر الجنة والنار والمستودع القبر كل في كتاب
مبين اي كل ذلك مثبت في اللوح المحفوظ قبل خلقها قوله عز وجل وهو الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام وكان عرشه على الماء يعني قبل خلق السماء والارض قال كعب خلق الله ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة
فصارت ماء ترتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء وقال ضمرة ان الله تعالى كان عرشه على
الماء ثم خلق السموات والارض وخلق القلم فكتب به ما هو خالق وما هو كائن من خلقه الى يوم القيامة ثم ان ذلك الكتاب
سبح الله ومجده الف عام قبل ان يخلق شيئا من خلقه وقال سعيد بن جبير سئل ابن عباس عن قوله وكان عرشه
على الماء على اي شيء كان الماء قال على متن الريح وقال وهب بن منبه ان العرش كان قبل ان يخلق الله السموات
والارض ثم قبض قبضة من صفاء الماء ثم فتح القبضة فارتفع دخانا ثم قضاهن سبع سموات في يومين
ثم اخذ طينة من الماء فوضعها مكان البيت ثم دحا الارض منها ثم خلق الاقوات في يومين والسموات في يومين والارض
في يومين ثم فرغ آخر الخلق في اليوم السابع قال بعض العلماء وفي خلق جميع الاشياء وجعلها على الماء دليل على
كمال القدرة لان البناء الضعيف اذا لم يكن له اساس على ارض صلبة لم يثبت فكيف هذا الخلق العظيم وهو
العرش العظيم والسموات والارض على الماء فهذا دليل على كمال قدرة الله تعالى (خ) عن عمران بن حصين
قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتي بالباب فاتاه ناس من بني تميم فقال اقبلوا البشرى
يا بني تميم فقالوا قد بشرتنا فاعطنا مرتين فتغير وجهه ثم دخل عليه ناس من اهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا اهل
اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا يا رسول الله ثم قالوا جئنا لنتفقه في الدين ولنسالك عن اول
هذا الامر ما كان قال كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب في الذكر
كل شيء ثم اتاني رجل فقال يا عمران ادرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت اطلبها فاذا السراب ينقطع دونها
وايم الله لوددت انها ذهبت ولم اقم عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله اين كان ربنا قبل ان يخلق
خلقه قال كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء اخرجه الترمذي وقال قال احمد
قال يزيد العماء اي ليس معه شيء قال ابو بكر البيهقي في كتاب الاسماء والصفات له قوله صلى الله عليه وسلم
كان الله ولم يكن شيء قبله يعني لا الماء ولا العرش ولا غيرهما فجميع ذلك غير الله وقوله وكان عرشه على الماء يعني خلق
الماء وخلق العرش على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء وقوله في عماء وجدته في كتابي في عما مقيدا بالمد فان كان في الاصل
ممدودا فمعناه سحاب رقيق ويريد بقوله في عماء اي فوق سحاب مدبرا له وعاليا عليه كما قال أأمنتم من
في السماء يعني من فوق السماء وقال لاصلبنكم في جذوع النخل يعني على جذوعها وقوله ما فوقه هواء اي ما فوق
السحاب هواء وكذلك قوله وما تحته هواء اي ما تحت السحاب هواء وقد قيل ان ذلك العما مقصور والعمى
اذا كان مقصورا فمعناه لا شيء ثابت لانه مما عمي عن الخلق لكونه غير شيء فكانه قال في جوابه كان قبل ان
يخلق خلقه ولم يكن شيء غيره ثم قال ما فوقه هواء وما تحته هواء اي ليس فوق العمى الذي لا شيء موجود لا فوقه

Copyright © King Saud University

هوا ولا تحته هوا لان ذلك كان غير شي فليس يثبت له هوا بوجه والله اعلم وقال الهروي صاحب الغريبين
قال بعض اهل العلم معناه اين كان عرش ربنا فحذف المضاف اختصارا كقوله واسأل القرية ويدل على ذلك
قوله وكان عرشه على الماء هذا آخر كلام البيهقي وقال ابن الاثير العماء في اللغة السحاب الرقيق وقيل الكثيف وقيل
هو الضباب ولا بد في الحديث من حذف مضاف تقديره اين كان عرش ربنا فحذف ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى
وكان عرشه على الماء وحكي عن بعضهم في عما مقصورا وهو كل امر لا يدركه الفطن وقال الازهري قال ابو عبيد انما تأولنا
هذا الحديث على كلام العرب المعقول عنهم والا فلا ندري كيف كان ذلك العماء قال الازهري فنحن نؤمن به ولا نكيف
صفته **م** عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلق
قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء وفي رواية فرغ الله من المقادير وامور الدنيا
قبل ان يخلق السموات والارض وكان عرشه على الماء بخمسين الف سنة قوله فرغ منه لانه لا يشغله شان عن شان
فانما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وقوله تعالى **ليبلوكم** يعني ليختبركم وهو اعلم بكم **أيكم أحسن عملا**
يعني بطاعة الله واورع عن محارم الله **ولئن قلت** يعني ولئن قلت يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك **إنكم مبعوثون**
من بعد الموت يعني للحساب والجزاء ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين يعنون القرآن **ولئن أخرنا عنهم**
العذاب إلى أمة معدودة يعني الى اجل محدود واصل الامة في اللغة الجماعة من الناس فكانه تعالى قال الى انقراض امة ومجيء
امة اخرى **ليقولن ما يحبسه** يعني اي شيء يحبس العذاب وانما يقولون ذلك استعجالا بالعذاب واستهزاء يعنون
انه ليس بشيء قال الله عز وجل **ألا يوم يأتيهم** يعني العذاب **ليس مصروفا عنهم** اي لا يصرفه عنهم شيء **وحاق بهم**
ما كانوا به يستهزئون يعني ونزل بهم وبال استهزائهم قوله تعالى **ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة** يعني رخاء وسعة في
الرزق والعيش وبسطنا عليه من الدنيا **ثم نزعناها منه** يعني سلبناه ذلك كله واصابته المصائب فاجتاحته
وذهب به **إنه ليئوس كفور** اي انه يظل قانطا من رحمة الله آيسا من كل خير كفور اي جحود لنعمتنا عليه وقليل
الشكر لربه قال بعضهم يا ابن آدم اذا كانت بك نعمة من الله من امن وسعة وعافية فاشكرها ولا تجحدها
فان نزعت عنك فينبغي لك ان تصبر ولا تيأس من رحمة الله فانه تعالى ارحم على عباده بالخير وهو قوله تعالى
ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته يعني ولئن بسطنا على الانسان فبسطنا عليه من العيش **ليقولن** يعني الذي
اصابه الخير والسعة **ذهب السيئات عني** يعني ذهب الشدائد العسر والضيق وانما قال ذلك غرة بالله عز وجل
وجراءة عليه لانه لم يعتقد ان الاشياء كلها لله وانما اضافها الى العوائق فلهذا ذمه الله تعالى فقال **إنه لفرح**
فخور اي انه اشر بطر والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المراد والمشتهى والفخر هو التطاول على الناس بتعديد
المناقب وذلك منهي عنه ثم استثنى فقال تعالى **إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات** قال الفراء هو استثناء منقطع
معناه لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات فانهم ليسوا كذلك فانهم ان نالتهم شدة صبروا وان نالتهم نعمة
شكروا عليها **أولئك** يعني من هذه صفتهم **لهم مغفرة** يعني لذنوبهم **وأجر كبير** يعني الجنة قوله عز وجل **فلعلك**
تارك بعض ما يوحى إليك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل فلعلك يا محمد تارك بعض
ما يوحى اليك من ربك ان تبلغه اليهم امرك ان تبلغ ذلك اليهم **وضائق به صدرك** يعني ويضيق صدرك بما يوحى
اليك فلا تبلغه اياهم وذلك ان كفار مكة قالوا ائت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا فهم النبي صلى الله عليه
وسلم ان يترك ذكر آلهتهم ظاهرا فانزل الله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك يعني من ذكر آلهتهم هذا
ما ذكره المفسرون في معنى هذه الآية واجمع المسلمون على انه كان طريقه البلاغ فانه معصوم فيه من الاخبار
عن شيء منه بخلاف ما هو به قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما انزل

عليه

عليه الى امته ولم يكتم منه شيئا واجمعوا على انه لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيانة في الوحي والانذار
ولا يترك بعض ما يوحى اليه لقول احد لان ذلك يجوز ان يؤدي الى الشك في اداء الشرائع والتكاليف لان
المقصود من ارسال الرسول التبليغ الى من ارسل اليه فاذا لم يحصل ذلك فقد فاتت فائدة الرسالة والنبي
صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك كله واذا ثبت هذا فيكون المراد بقوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى
اليك شيئا آخر سوى ما ذكره المفسرون وللعلماء في ذلك اجوبة احدها قال ابن الانباري قد علم الله سبحانه وتعالى
ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا مما يوحى اليه اشفاقا من موجدة احد وغضبه ولكن الله تعالى
اكد على رسوله صلى الله عليه وسلم في منابذة الابلاغ كما قال يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الآية
الثاني ان هذا ادب من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وتحريض على اداء ما انزل اليه والله تعالى من
وراء ذلك من مخافته وخشيته الثالث ان الكفار كانوا يستهزئون بالقرآن ويضحكون منه ويتهاونون به
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيق صدره بذلك وان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويستهزئون به فامره
الله بتبليغ ما اوحي اليه وان لا يلتفت الى استهزائهم وان تحمل هذا الضرر اهون من كتم شيء من الوحي والمقصود
من هذا الكلام التنبيه على هذه الدقيقة لان الانسان اذا علم ان كل واحد من طرفي الفعل والترك مشتمل على
ضرر عظيم ثم علم ان الضرر في باب الترك اعظم سهل عليه الاقدام على الفعل وقيل ان الله تعالى مع علمه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا من الوحي هيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة لاستهزائهم وردهم
القبول لقوله بقوله فلعلك تارك اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم مخافة ردهم واستهزائهم به وضائق به
صدرك بان تتلوه عليهم **أن يقولوا** اي مخافة ان يقولوا **لولا أنزل عليه كنز** يعني يستغني به وينفقه **أو جاء**
معه ملك يعني يشهد بصدقه وقائل هذه المقالة عبد الله بن ابي امية المخزومي والمعنى انهم قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا في قولك بانك رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تصفه بالقدرة على
كل شيء وانت عزيز عنده مع انك فقير فهلا انزل اليك ما تستغني به انت واصحابك وهلا انزل عليك
ملكا يشهد لك بالرسالة فتزول الشبهة في امرك فاخبر الله عز وجل انه نذير بقوله عز وجل **إنما أنت نذير** تنذر
العقاب لمن خالفك وعصى امرك وتبشر بالثواب لمن اطاعك وآمن بك وصدقك **والله على كل شيء وكيل** يعني
انه تعالى حافظ اقوالهم وافعالهم فيجازيهم عليها يوم القيامة قوله تعالى **أم يقولون افتراه** معناه اي يعني
اذ يقولون كفار مكة اختلقه يعنون ما اوحي اليه من القرآن **قل** اي قل لهم يا محمد **فأتوا بعشر سور مثله مفتريات** لما
قالوا له افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس هو من عند الله تحداهم وارخى العنان لهم
فاوحيهم على مثل دعواهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي
شيء وان الامر كما قلتم وانتم عرب مثلي من اهل الفصاحة والبلاغة واصحاب اللسان فأتوا انتم بكلام
مثل هذا الكلام الذي جئتكم به مختلق من عند انفسكم فانكم تقدرون على مثل ما اقدر عليه من الكلام
فلهذا قال فأتوا بعشر سور مثله مفتريات في مقابلة قوله افتراه **فإن قلت** قد تحداهم
بان يأتوا بسورة من مثله فلم يقدروا على ذلك وعجزوا عنه فكيف قال فأتوا بعشر سور مثله مفتريات
ومن عجز عن سورة واحدة فهو من العشر اعجز **قلت** قال بعضهم ان سورة هود نزلت قبل سورة
يونس وانه تحداهم اولا بسورة يونس وانكر المبرد هذا القول وقال ان سورة يونس نزلت اولا قال ومعنى قوله
في سورة يونس فأتوا بسورة مثله يعني مثله في الاخبار عن الغيب والاحكام والوعد والوعيد وقوله في سورة هود
فأتوا بعشر سور مثله يعني في مجرد البلاغة والفصاحة من غير خبر ولا ذكر غيب وحكم ولا وعد ولا

خ واعمالهم

وعبد وطا اخذاهم بهذا الكلام امره ضربان يقول وادعوا بقوله تعالى وادعوا من استطعتم من دون الله
يعني حتى يعينوكم على ذلك ان كنتم صادقين في قولكم انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم يعني اعلم الله لما اشتملت
الاية المتقدمة على امرين وخطابين ونهيين احدهما امر وخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله قل
فاتوا بعشر سور مثله مفتريات والثاني امر وخطاب للكفار وهو قوله وادعوا من استطعتم من دون الله
ثم اتبعه بقوله فان لم يستجيبوا لكم احتمل ان يكون المراد من الكفار لم يستجيبوا في المعارضة لعجزهم عنها
واحتمل ان يكون المراد من يدعون من دون الله لم يستجيبوا الكفار في المعارضة فلهذا السبب اختلف المفسرون
في معنى الاية على قولين احدهما انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه كما يتحدون الكفار
بالمعارضة ليتبين عجزهم فلما عجزوا عن المعارضة قال الله لنبيه والمؤمنين فان لم يستجيبوا لكم فيما
دعوتموهم اليه من المعارضة وعجزوا عنه فاعلموا انما انزل بعلم الله يعني فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا
يقينا وثباتا لانهم كانوا عالمين انه منزل من عند الله والخطاب في قوله فان لم يستجيبوا لكم للنبي صلى الله عليه
وسلم وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم القول الثاني في قوله تعالى فان لم يستجيبوا لكم خطاب
مع الكفار وذلك انه تعالى لما قال في الاية المتقدمة وادعوا من استطعتم من دون الله قال الله عز وجل في
هذه الاية فان لم يستجيبوا لكم ايها الكفار ولم يعينوكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وانه ليس مفترى على الله بل هو
انزله على محمد صلى الله عليه وسلم وان لا اله الا هو يعني انه الذي انزل القران هو الذي لا اله الا هو لا من
تدعون من دونه فهل انتم مسلمون للترغيب امره ودوموا على ما انتم عليه من الاسلام قوله عز وجل من كان
يريد الحياة الدنيا وزينتها يعني بعمله الذي يعمله من اعمال البر نزلت في كل من عمل عملا يبتغي به غير الله عز وجل
نوف اليهم اعمالهم فيها يعني اجور اعمالهم التي عملوا لطلب الدنيا وذلك ان الله تعالى يوسع عليهم في الرزق ويدفع
عنهم المكاره في الدنيا وما اشبه ذلك وهم فيها لا يبخسون يعني انهم لا ينقصون من اجور اعمالهم التي عملوها
في الدنيا بل يعطون اجور اعمالهم في الدنيا كاملة موفرة اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا
فيها يعني وبطل ما عملوا في الدنيا من اعمال البر وباطل ما كانوا يعملون لانه لغير الله واختلف المفسرون في معنى
هذه الاية فروي عن قتادة عن انس انها في اليهود والنصارى وعن الحسن مثله وقال الضحاك من عمل
عملا صالحا في غير تقوى يعني اهل الشرك اعطي على ذلك اجرا في الدنيا وهو ان يصل رحما او يعطي سائلا او يرحم
مضطرا ونحو هذا من اعمال البر يعجل الله له ثواب عمله في الدنيا يوسع الله عليه في المعيشة والرزق
ويقر عينه فيما خوله ويدفع عنه المكاره في الدنيا وليس له في الاخرة من نصيب ويدل على ذلك صحة
هذا القول سياق الاية وهو قوله تعالى اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار الاية وهذه
حالة الكفار في الاخرة وقيل نزلت في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله الغنائم
لانهم كانوا لا يرجون ثواب الاخرة وقيل ان حمل الاية على العموم اولى فيندرج الكافر والمنافق الذي
هذه صفته والمؤمن الذي ياتي بالطاعات واعمال البر على وجه الرياء والسمعة قال مجاهد في هذه الاية
هم اهل الرياء والسمعة وهذا القول مشكل لان قوله اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار لا يليق
بحال المؤمن الا اذا قلنا ان تلك الاعمال الفاسدة والافعال الباطلة لما كانت لغير الله استحق
فاعلها الوعيد الشديد وهو عذاب النار ويدل على هذا ما روي عن ابي هريرة قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال يقول
قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه غيري تركته وشركه اخرجه

مسلم

مسلم وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما لغير الله او اراد به غير الله فليتبوأ
مقعده من النار اخرجه الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما
يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ريحها اخرجه
ابو داود وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول
الله وما جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم الف مرة قيل يا رسول الله من يدخله قال القراء
المراؤون باعمالهم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال البغوي وروينا ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قيل يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء اخرجه بغير
سند والرياء هو ان يظهر الانسان الاعمال الصالحة ليحمده الناس عليها او ليعتقدوا فيه الصلاح او ليقصد
بالعطاء فهذا العمل الذي هو لغير الله نعوذ بالله من الخذلان قال البغوي وقيل هذا في الكفار يعني قوله من كان
يريد الحياة الدنيا وزينتها اما المؤمن فيريد الدنيا والاخرة وارادته الاخرة غالبة فيجازى بحسناته
في الدنيا ويثاب عليها في الاخرة روينا عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم المؤمن
حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الاخرة واما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى اذا افضى
الى الاخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا اخرجه البغوي بغير سند قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه لما
ذكر الله تعالى في الاية المتقدمة الذين يريدون باعمالهم الحياة الدنيا وزينتها ذكر في هذه الاية من كان يريد
بعمله وجه الله والدار الاخرة فقال تعالى افمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس لهم
في الاخرة الا النار وانما حذف هذا الجواب لظهوره لدلالة الكلام عليه وقيل معناه افمن كان على بينة من ربه
وهو النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كمن هو في ضلال وكفر والمراد بالبينة الدين الذي امر الله به نبيه
محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالبينة اليقين يعني انه على يقين من ربه انه على الحق ويتلوه شاهد
منه يعني ويتبعه من يشهد له بصدقه واختلفوا في الشاهد من هو فقال ابن عباس وعلقمة وابراهيم
ومجاهد وعكرمة والضحاك انه جبريل يتبع النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده ويسدده ويقويه وقال
الحسن وقتادة هو لسان النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن محمد بن الحنفية قال قلت لابي يعني
علي بن ابي طالب رضي الله عنهما انت التالي قال وما تعني بالتالي قلت قوله ويتلوه شاهد منه قال وددت
اني هو ولكنه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان اللسان لما كان معربا عما في الجنان
ويظهره جعل الشاهد له لان اللسان هو الة الفضل والبيان يتلي القران وقال مجاهد الشاهد هو ملك
يحفظ النبي صلى الله عليه وسلم ويسدده وقال الحسين بن الفضل الشاهد هو القران لان اعجازه وبلاغته وحسن
نظمه يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بنبوته ولانه اعظم معجزاته الباقية على طول الدهر وقال الحسين بن علي وابن زيد
الشاهد منه هو محمد صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان من نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم بعين العقل والبصيرة
علم انه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كاهن ولا مجنون وقال جابر بن عبد الله بن يحيى قال علي بن ابي طالب ما من رجل من قريش
الا وقد نزلت فيه الاية والايتان فقال له رجل وانت اي شيء نزل فيك فقال لا اما تقرا الاية التي في هود
ويتلوه شاهد منه وعلى هذا القول يكون الشاهد علي بن ابي طالب وقوله منه يعني من النبي صلى الله عليه وسلم
والمراد منه تشريف هذا الشاهد وهو علي لاتصاله بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل ويتلوه شاهد منه يعني الانجيل
وهو اختيار الفراء والمعنى ان الانجيل يتلو القران في التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم والامر بالايمان به
وانه كان قد نزل قبل وقوله تعالى ومن قبله يعني ومن قبل نزول القران وارسال محمد صلى الله عليه وسلم كتاب

Copyright © King Saud University

موسى يعني التوراة اماما ورحمة يعني اماما لهم يرجعون اليه في امور الدين والاحكام والشرائع وكونه رحمة لانه الهادي
من الضلالة وذلك سبب حصول الرحمة وقوله تعالى اولئك يؤمنون به يعني الذين وصفهم الله بانهم يؤمنون به
يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل اراد الذين اسلموا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه ومن يكفر به
يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم من الاحزاب يعني من جميع الكفار واصحاب الاديان المختلفة فتدخل فيه اليهود والنصارى
والمجوس وعبدة الاصنام وغيرهم من الاحزاب يعني الفرق الذين تحزبوا وتجمعوا على مخالفة الانبياء فالنار موعده يعني
في الاخرة روى البغوي بسنده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده
لا يسمع بي احد لا يهودي ولا نصراني ومات ولم يؤمن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار قال سعيد بن
جبير ما بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه في كتاب الله عز وجل
حتى بلغني هذا الحديث لا يسمع بي احد من هذه الامة الحديث قال سعيد فقلت اين هذا في كتاب الله عز وجل
حتى اتيت على هذه الاية ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة الى قوله ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده
قال فالاحزاب اهل الملل كلها ثم قال تعالى فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك فيه قولان احدهما ان معناه
فلا تك في شك من صحة هذا الدين ومن كون القران نازلا من عند الله فعلى هذا القول يكون متعلقا بما قبله
من قوله تعالى ام يقولون افتراه والقول الثاني انه راجع الى قوله ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده
فلا تك في مرية منه ان النار موعده ومن كفر من الاحزاب والخطاب في قوله فلا تك في مرية للنبي صلى الله
عليه وسلم والمراد به غيره لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط ويعضد هذا القول سياق الاية
وهو قوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يؤمنون يعني لا يصدقون بما اوحينا اليك او ان موعد الكفار النار قوله عز وجل
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي الناس اشد تعذيبا ممن اختلق على الله كذبا فكذب عليه وزعم ان له شريكا
او ولدا وفي الاية دليل على ان الكذب على الله من اعظم انواع الظلم لان قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
يورد في معرض المبالغة اولئك يعني المفترين على الله الكذب يعرضون على ربهم يعني يوم القيامة فيسالهم
عن احوالهم في الدنيا ويقول الاشهاد يعني الملائكة الذين يحفظون اعمال بني ادم قاله مجاهد وقال ابن عباس
هم الانبياء والرسل وبه قال الضحاك وقال قتادة الاشهاد الخلائق كلهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم يعني
في الدنيا وهي الفضيحة تكون في الاخرة لكل من كذب على الله الا لعنة الله على الظالمين يعني يقول الله ذلك يوم
القيامة فيلعنهم الله ويطردهم من رحمته (ق) عن صفوان بن محرز المازني قال بينما ابن عمر يطوف
اذ عرض له رجل فقال يا ابا عبد الرحمن اخبرني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى فقال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه
تعرف ذنب كذا وكذا فيقول اعرف رب اعرف مرتين فيقول سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم
ثم يعطى كتاب حسناته واما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد وفي رواية فينادى بهم على رؤوس الاشهاد
من الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين قوله عز وجل الذين يصدون عن سبيل الله هذه الاية
متصلة بما قبلها والمعنى الا لعنة الله على الظالمين ثم وصفهم فقال الذين يصدون عن سبيل الله يعني يمنعون الناس
من الدخول في دين الله الذي هو دين الاسلام ويبغونها عوجا يعني ويطلبون القاء الشبهات في قلوب الناس
وتعويج الدلائل الدالة على صحة دين الاسلام وهم بالاخرة هم كافرون يعني وهم مع صدهم عن سبيل الله يجحدون البعث بعد
الموت منكرون له اولئك يعني من هذه صفتهم لم يكونوا معجزين في الارض قال ابن عباس يعني سابقين وقيل هاربين وقيل
فائتين في الارض والمعنى انهم لا يعجزون الله اذا اراد هم بالعذاب والانتقام منهم ولكنهم في قبضته وملكه لا يقدرون على

الاستماع

على الاستماع منه اذا طلبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يعني وما كان لهؤلاء المشركين من انصار يوم القيامة يمنعونهم
من دون الله اذا اراد بهم سوءا وعذابا يضاعف لهم العذاب يعني في الاخرة يزداد عذابهم بسبب صدهم عن سبيل الله
وانكارهم البعث بعد الموت يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع قال قتادة صم عن سماع الحق فلا يسمعون خيرا
فينتفعون به ولا يبصرونه خيرا فياخذون به وقال ابن عباس اخبر الله انه حال بين اهل الشرك وبين طاعته
في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فانه قال ما كانوا يستطيعون السمع وهو طاعته وما كانوا يبصرون واما في
الاخرة فانه قال لا يستطيعون خاشعة اولئك الذين خسروا انفسهم يعني ان هؤلاء الذين هذه صفتهم
الذين غبنوا انفسهم حظوظها من رحمة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون يعني بطل كذبهم وافكهم وفريتهم على الله
ان الملائكة والاصنام تشفع لهم لا جرم يعني حقا وقال الفراء لا محالة انهم في الاخرة هم الاخسرون لانهم باعوا
منازلهم في الجنة واشتروا عوضها منازل في الدنيا وهذا هو الخسران المبين قوله تعالى ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم لما ذكر الله عز وجل احوال الكفار في الدنيا وخسرانهم في الاخرة اتبعه
بذكر احوال المؤمنين في الدنيا وربحهم في الاخرة والاخبات في اللغة هو الخشوع والخضوع وطمانينة القلب
ولفظ الاخبات يتعدى بالى وباللام فاذا قلت اخبت فلان الى كذا فمعناه اطمان اليه واذا قلت اخبت
له فمعناه خشع وخضع له فقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اشارة الى جميع اعمال الجوارح وقوله
واخبتوا اشارة الى اعمال القلوب وهي الخشوع والخضوع لله عز وجل وان هذه الاعمال الصالحة لا تنفع
في الاخرة الا بحصول اعمال القلب وهي الخشوع والخضوع فاذا فسرنا الاخبات بالطمانينة كان معنى الكلام انهم ياتون
بالاعمال الصالحة مطمئنين الى صدق وعد الله بالثواب والجزاء على تلك الاعمال ويكونوا مطمئنين الى ذكره سبحانه
وتعالى واذا فسرنا الاخبات بالخشوع والخضوع كان معناه انهم ياتون بالاعمال الصالحة خائفين وجلين ان لا تكون
مقبولة وهو الخشوع والخضوع اولئك يعني الذين هذه صفتهم اصحاب الجنة هم فيها خالدون اخبر عن حالهم في الاخرة
بانهم من اهل الجنة التي لا انقطاع لها نعيم ولا زوال له قوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير
والسميع لما ذكر الله تعالى احوال الكفار وما كانوا عليه من العمى عن طريق الهدى والحق ومن الصمم عن سماعه
وذكر احوال المؤمنين وما كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق والانقياد للطاعة ضرب لهم مثلا فقال تعالى
مثل الفريقين يعني فريق المؤمنين وفريق الكافرين كالاعمى هو الذي لا يهتدي لرشده
والاصم هو الذي لا يسمع شيئا البتة والبصير هو الذي يبصر الاشياء على ماهيتها والسميع وهو الذي
يسمع الاصوات ويجيب الداعي فهو مثل المؤمنين كمثل الذي يسمع ويبصر وهو الكامل في نفسه والكافر
كمثل الذي لا يسمع ولا يبصر وهو الناقص في نفسه فقال هل يستويان مثلا قال الفراء لم يقل يستوون
لان الاعمى والاصم في حيز كانهما واحد وهما من وصف المومن افلا تذكرون يعني تتعظون قوله عز وجل ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين يعني ان نوحا عليه السلام قال لقومه حين ارسله الله اليهم اني لكم ايها القوم نذير
يعني بين النذارة اخوفكم بالعقاب لمن خالف امر الله وعبد غيره وهو قوله تعالى ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب
يوم اليم يعني يوم موجع قال ابن عباس بعث نوح عليه السلام بعد اربعين سنة وعاش بعد الطوفان ستين فكان عمره
الف سنة الا خمسين وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين
وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره
الف واربعمائة وخمسين سنة فقال الملا الذين كفروا من قومه يعني الاشراف والرؤساء من قوم نوح ما نراك يا نوح الا بشرا
مثلنا يعني ادميا مثلنا لا فضل لك علينا لان التفاوت الحاصل بين احاد البشر يمتنع انتهاؤه الى حد

يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالم وانما قالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة جهلا منهم لان من
حق الرسول ان يباشر الامة بالدعوة الى الله باقامة الدليل والبرهان على ذلك وبظهور المعجزة الدالة على صدقه
لا ينافي ذلك لانه من احاد البشر وهو من اختصه الله بكرامته وشرفه بنبوته وارسله الى عباده ثم قال تعالى اخبارا
عن قوم نوح وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا يعني سفلتنا والاراذل الدون من كل شي قيل هم الحاكة والاساكفة
من كل شي واصحاب الصنايع الخسيسة وانما قالوا ذلك جهلا منهم ايضا لان الرفعة في الدين ومتابعة الرسول
لا تكون بالشرف ولا بالمال ولا بالمناصب العالية بل الفقرا الخاملين هم اتباع الرسل ولا تضرهم خسة صنايعهم
اذا حسنت سيرتهم في الدين بادي الراي يعني انهم اتبعوك في اول الراي من غير تثبيت وتفكر في امرك ولو تفكروا
ما اتبعوك وقيل معناه ظاهر الراي يعني اتبعوك ظاهرا من ان يتفكروا باطنا وما نرى لكم علينا من فضل يعني
بالمال والشرف والجاه وهذا القول ايضا جهلا منهم لان الفضيلة المعتبرة عند الله بالايمان والطاعة
لا بالشرف والرياسة بل نظنكم كاذبين قيل الخطاب لنوح ومن اتبعه من قومه وقيل هو لنوح وحده فعلى
هذا يكون الخطاب بلفظ الجمع للواحد وهو على سبيل التعظيم قال نوح قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من
ربي يعني على بيان ويقين من ربي بالذي انذرتكم به واتاني رحمة من عنده يعني هدى ومعرفة ونبوة
فعميت عليكم اي خفيت والتبست عليكم انلزمكموها الها عائدة الى الرحمة والمعنى انلزمكم ايها القوم قبول
الرحمة يعني انا لا نقدر ان نلزمكم ذلك من عند انفسنا وانتم لها كارهون يعني وهذا استفهام معناه الانكار
ولا اقدر على ذلك والذي اقدر عليه ان ادعوكم الى الله وليس لي ان اضطركم الى ذلك قال قتادة والله لو استطاع
نبي الله لالزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك قوله ويا قوم لا اسالكم عليه مالا يعني لا اسالكم ولا اطلب على تبليغ الرسالة
جعلا ان اجري الا على الله وما انا بطارد الذين امنوا وذلك انهم طلبوا من نوح ان يطرد الذين امنوا وهم
الاراذل في زعمهم فقال لهم ما يجوز لي ذلك لانهم يعتقدون انهم ملاقوا ربهم فلا اطردهم ولكني اراكم قوما تجهلون
يعني عظمة الله وجلاله نبيه وربوبيته وقيل معناه انكم تجهلون ان هولاء المومنين خير منكم ويا قوم من
ينصرني من الله ان طردتهم يعني من يمنعني من عذاب الله ان طردتهم عني لانهم مومنون مخلصون افلا تذكرون
يعني افلا تتعظون ولا اقول لكم عندي خزاين الله هذا عطف على قوله لا اسالكم عليه مالا والمعنى لا اسالكم
عليه مالا ولا اقول لكم عندي خزاين الله يعني التي لا يفنيها شي فادعوكم الى اتباعي عليها لاعطيكم منها وقال
ابن الانباري الخزاين هنا بمعنى غيوب الله وما هو منطوي عن الخلق وانما حسن ان يكون هذا جوابا من نوح عليه
السلام لهم لما قالوا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي فادعوا ان المومنين انما اتبعوه في
ظاهر ما يرى منهم وهم في الحقيقة غير متبعين له فقال مجيبا لهم لا اقول لكم عندي خزاين التي يعلم منها ما ينطوي عليه
عباده وما يظهرونه وانما قيل للغيوب خزاين لغموضها عن الناس واستتارها عنهم القول الاول ولم يحصل الفرق
بين قوله ولا اقول لكم عندي خزاين الله وبين قوله ولا اعلم الغيب يعني ولا ادعي علم ما يغيب عنا ترونه في نفوسكم
فسبيلي قبول ايمانهم في الظاهر ولا يعلم ما في ضمايرهم الا الله ولا اقول اني ملك وهذا ايضا جواب لقولهم ما نراك الا
بشرا مثلنا ادعوكم الى الله وابلغكم ما ارسلت به اليكم **فصل** استدل بعضهم بهذه الاية في تفضيل الملايكة
على الانبيا قالوا لان نوحا عليه السلام قال ولا اقول اني ملك لان الانسان اذا قال انا لا ادعي كذا وكذا لا يحسن الا
اذا كان ذلك الشي اشرف وافضل من احوال ذلك القايل فلما قال نوح هذه المقالة وجب ان يكون الملايكة افضل منه
والجواب ان نوحا عليه السلام انما قال هذه المقالة في مقابلة قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا لما كان في ظنهم ان الرسل
لا يكونوا من البشر انما يكونوا من الملايكة فاعلمهم ان هذا الظن باطل وان الرسل انما يكونون من البشر فلهذا قال

ولا

ولا اقول لكم اني ملك ولم يرد ان درجة الملايكة افضل من درجة الانبيا والله اعلم قوله تعالى ولا اقول للذين
تزدري اعينكم يعني تحتقر وتستصغر اعينكم يعني المومنين وذلك انهم لما قالوا انهم اراذلنا من الرذالة وهي الخسة
لن يوتيهم الله خيرا يعني توفيقا وهداية وايمانا واجرا الله اعلم بما في انفسهم يعني من الخير والشر اني اذا لمن الظالمين
قيل يعني ان طردتهم تكذيبا لظاهر ومبطلا لايمانهم يعني اني ان فعلت هذا فاكون قد ظلمتهم وانا لا افعله فما انا
من الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا معناه قد خاصمتنا فاكثرت جدالنا يعني خصومتنا فاتنا بما تعدنا يعني من
العذاب ان كنت من الصادقين يعني في دعواك انك رسول الله الينا قال انما ياتيكم به الله ان شا اي يعني قال نوح
لقومه حين استعجلوه بانزال العذاب وان ذلك ليس لي انما هو الى الله ينزله متى شا وعلى من شا اذا اراد انزال العذاب
بكم وما انتم بمعجزين قيل معناه وما انتم بفايتين من العذاب ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم يعني ولا ينفعكم
انذاري وتحذيري اياكم عقوبته ونزول العذاب بكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم يعني يضلكم وقيل يهلككم فلا تقدرون
على الخروج من سلطانه واليه ترجعون يعني في الاخرة فيجازيكم باعمالكم ام يقولون افتراه اي اختلقه وجاء به
من عند نفسه والضمير يعود الى الوحي الذي جاء به قل ان افتريته اي اختلقته فعلي اجرامي اي اثم اجرامي والاجرام
بمعنى السيية واكتسابها يقال جرم واجرم بمعنى انه اكتسب الذنب وافتعله وانا بري مما تجرمون يعني من الكفر
والتكذيب واكثر المفسرين على ان هذه المحاورة نوح عليه السلام على قومه فهي من قصة نوح وقال
مقاتل ام يقولون يعني المشركين من كفار مكة افتراه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اختلق القران من عند نفسه
فعلى هذا القول تكون هذه الاية معترضة في قصة نوح ثم رجع الى القصة فقال تعالى واوحي الى نوح
انه لن يومن من قومك الا من قد امن قال ابن عباس ان قوم نوح كانوا يضربون نوحا حتى يسقط
فيلفونه في لبد ويلقونه في بيت يظنون انه قد مات فيخرج في اليوم الثاني ويدعوهم الى الله ويروى
ان شيخا منهم جا متوكيا على عصاه ومعه ابنه فقال يا بني لا يغرنك هذا الشيخ المجنون فقال يا ابتا مكني
من العصا فاخذها من ابيه وضرب بها نوحا عليه السلام حتى شجه شجة منكرة فاوحى الله اليه انه لن
يومن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس اي يعني لا تحزن عليهم فاني مهلكهم بما كانوا يفعلون يعني بسبب
كفرهم وافعالهم الخبيثة فحينئذ دعا نوح عليه السلام عليهم فقال رب لا تذر وحكى محمد بن اسحاق عن عبد الله
ابن عمير الليثي انه بلغه انهم كانوا يبطشون نوحا فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا افاق قال رب اغفر
لقومي فانهم لا يعلمون حتى تمادوا في المعصية واشتد عليهم البلا وهو ينتظر الجيل بعد الجيل فلا ياتي قرن
الا كانوا اخبث من الذي قبله ولقد كان ياتي القرن الاخر منهم فيقول قد كان هذا الشيخ مع ابائنا واجدادنا
هكذا مجنونا فلا يقبلون منه شيا فشكى نوح الى الله عز وجل فقال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الايات
حتى بلغ رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاوحى الله اليه واصنع الفلك جمع يطلق على الواحد والجمع
باعيننا قال ابن عباس بمراى منا وقيل بعلمنا وقيل بحفظنا ووحينا وقيل بامرنا ولا تخاطبني في الذين ظلموا
انهم مغرقون يعني بالطوفان والمعنى لا تخاطبني في امهال الكفار فاني قد حكمت باغراقهم وقيل لا تخاطبني
في ابنك كنعان وامراتك واعلة فانهما هالكان مع القوم وقيل ان جبريل اتى نوحا فقال له ان ربك
يامرك ان تصنع الفلك فقال كيف اصنعها ولست نجارا فقال ان ربك يقول لك اصنع فانك باعيننا
فاخذ القدوم فجعل ينجر ولا يخطي فصنعها مثل جوجو الطاير وهو قوله تعالى ويصنع الفلك يعني كما
امره الله تعالى قال اهل السير لما امر الله عز وجل نوحا عليه السلام بعمل السفينة اقبل على عملها ولهى
عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيي القار وكل ما يحتاج اليه في عمل الفلك وجعل قومه

Copyright © King Saud University

يمرون به وهو في عمله فيسخرون منه ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة واعقم الله ارحام النسا فلا يولد
لهم ولد قال البغوي وزعم اهل التوراة ان الله امره ان يصنع الفلك من خشب الساج وان يجعله ازور وان
يطليه بالقار من داخله وخارجه وان يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السما
ثلاثين ذراعا والذراع الى المنكب وان يجعله ثلاث طبقات سفلا ووسطا وعلوا وان يجعل فيه كوى
فصنعه نوح كما امره الله عز وجل وقال ابن عباس اتخذ نوح السفينة في سنتين فكان طولها ثلثمائة ذراع
وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السما ثلاثين ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاث بطون فحمل
في البطن السفلى الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه البطن
وحمل معه ما يحتاج من الزاد وغيره قال قتادة وكان بابها في عرضها وروي عن الحسن انه كان طولها الف ذراع
ومائتي ذراع وقال زيد بن اسلم مكث نوح مائة سنة يغرس الاشجار ويقطعها ومائة سنة يصنع الفلك
وقال كعب الاحبار عمل نوح السفينة في ثلاثين سنة وروي انها ثلاث اطباق الطبقة الاولى للدواب
والطبقة الوسطى للانس والطبقة العليا للطير فلما كثر ارواث الدواب اوحى الله تعالى الى نوح ان اغمز ذنب
الفيل فغمزه فوقع منه خنزير ومسح على الخنزير فوقع منه الفار فاقبلوا على الروث فاكلوه فلما افسد الفار
في السفينة فجعل يقرضها ويقرض حبالها اوحى الله تعالى الى نوح ان اضرب بين عيني الاسد فخرج من منخره سنور
وسنورة وهي القط فاقبلا على الفار فاكلاه قوله تعالى وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه اي جماعة من قومه
سخروا يعني استهزوا به وذلك انهم قالوا ان هذا الذي كان يزعم انه نبي قد صار نجارا وقيل قالوا يا نوح ما تصنع
قال ابني بيتا يمشي على الما فيضحكون منه قال يعني نوح لقومه ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون
يعني ان تستجهلونا في صنعنا فانا نستجهلكم لتعرضكم لما يوجب سخط الله وعذابه **فان قلت**
السخرية لا تليق بمنصب النبوة فكيف قال نوح عليه السلام ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون **قلت**
انما سمي هذا الفعل سخرية على سبيل الازدواج في مشاكلة الكلام كما في قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها والمعنى
انا نرى غب سخريتكم بنا اذا نزل بكم العذاب وهو قوله تعالى فسوف تعلمون يعني فستعلمون من ياتيه يعني اينا
نحن او انتم عذاب يخزيه يعني يهينه ويحل عليه عذاب مقيم يعني في الاخرة فالمراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا في الغرق
والمراد بالعذاب الثاني عذاب الاخرة وهو عذاب النار التي لا انقطاع لها قوله تعالى حتى اذا جا امرنا وفار التنور
يعني وعلى والفور الغليان وفارت القدر اذا غلت والتنور فارسي معرب لا تعرف له العرب اسما غير
هذا فلذلك جا في القران بهذا اللفظ فخوطبوا بما يعرفون وقيل ان لفظ تنور جا هكذا بكل لسان عربي وعجمي
وقيل ان لفظ التنور اصلها عجمي فتكلمت به العرب فصار عربيا مثل الديباج ونحوه واختلفوا في المراد بهذا
التنور فقال عكرمة والزهري هو وجه الارض وذلك انه قيل لنوح اذا رايت الما قد فار على وجه الارض
فاركب السفينة فعلى هذا يكون الجواب قد جعل فوران التنور علامة لنوح على هذا الامر العظيم وقال علي فار
التنور اي طلع الفجر ونور الصبح شبه نور التنور بخروج النار من التنور وقال الحسن ومجاهد والشعبي ان التنور
هو الذي يخبز فيه وهو قول اكثر المفسرين ورواية عن ابن عباس ايضا وهذا القول اصح لان اللفظ اذا دار بين
الحقيقة والمجاز كان حمله على الحقيقة اولى ولفظ التنور حقيقة في اسم الموضع الذي يخبز فيه فوجب حمل اللفظ
عليه **فان قلت** الالف واللام في لفظ التنور للعهد وليس هنا معهود سابق عند السامع فوجب
حمله على غيره وهو شدة الامر والمعنى اذا رايت الما يشتد نبوعه ويقوى فانج بنفسك ومن معك **قلت**
لا يبعد ان يكون ذلك التنور معلوما عند نوح عليه السلام قال الحسن كان تنورا من حجارة وكانت حوا تختبز

فيه

فيه فصار الى نوح وقيل له اذا رايت الما يفور من التنور فاركب انت واصحابك واختلفوا في موضع التنور فقال
مجاهد نبع الما من التنور فعلمت به امراته فاخبرته وكان ذلك في ناحية الكوفة وكان الشعبي يحلف بالله ما فار
التنور الا من ناحية الكوفة وقال الشعبي اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة وكان التنور على يمين الداخل
مما يلي باب كندة وكان فوران التنور علامة لنوح عليه السلام وقال مقاتل كان ذلك التنور تنور ادم عليه
السلام وكان بالشام بموضع يقال له عين وردة وروي عن ابن عباس انه كان بالهند والفوران الغليان
قلنا احمل فيها يعني قلنا لنوح احمل في السفينة من كل زوجين اثنين الزوجان كل اثنين لا يستغني احدهما عن
الاخر كالذكر والانثى يقال لكل منهما زوج والمعنى من كل صنف زوجين ذكرا وانثى فحشر الله اليه الحيوان من
الدواب والسباع والطير فجعل نوح يضرب بيديه من كل صنف منهما فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في يده اليسرى
فيجعلهما في السفينة واهلك اي واحمل اهلك وولدك وعيالك الا من سبق عليه القول يعني بالهلاك واراد به امراته
واعلة وابنه كنعان ومن امن يعني واحمل من امن بك معك من قومك وما امن معه الا قليل اختلفوا في عدد من حمل
نوح معه في السفينة فقال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي لم يكن في السفينة الا ثمانية نفر نوح وامراته
وثلاث بنين له وهم سام وحام ويافث وقال الاعمش كانوا سبعة نوح وبنيه وثلاث كناين له وقال محمد بن
اسحاق كانوا عشرة سوى نسائهم وهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة نفر امنوا بنوح وازواجهم
جميعا وقال مقاتل كانوا سبعين نفرا رجلا وامراة وقال ابن عباس كان في السفينة ثمانون رجلا احدهم جرهم
وقال الطبري والصواب من القول في ذلك ان يقال كما قال الله عز وجل وما امن معه الا قليل فوصفهم بالقلة
ولم يحد عددا بمقدار فلا ينبغي ان يجاوز ذلك حد الله تعالى اذ لم يرد ذلك في كتاب الله ولا خبر صحيح عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال مقاتل حمل نوح معه جسد ادم عليه السلام فجعله معترضا بين الرجال والنسا
وقصد نوح جميع الدواب والطيور ليحملها قال ابن عباس اول ما حمل نوح الدرة واخر ما حمل الحمار فلما اراد ان
يدخل الحمار ادخل صدره فتعلق ابليس بذنبه فجعل نوح يقول له ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال ادخل
وان كان الشيطان معك كلمة زلت على لسانه فلما قالها نوح خلى سبيله فدخل ودخل الشيطان معه
فقال له نوح ما ادخلك علي يا عدو الله قال الم تقل ادخل وان كان الشيطان معك قال اخرج عني يا عدو الله
قال ما لك بد من ان تحملني معك وكان فيما يزعمون على ظهر السفينة هكذا نقله البغوي وقال البغوي
والامام فخر الدين الرازي واما الذي يروى ان ابليس دخل السفينة فبعيد لانه من الجن وهو جسم ناري او هوائي
فكيف يخشى من الغرق وايضا فان كتاب الله لم يدل على ذلك ولم يرد فيه خبر صحيح فالاولى ترك الخوض فيه قال
البغوي وروي عن بعضهم ان الحية والعقرب اتيا نوحا فقالتا احملنا معك فقال انكما سبب الضر والبلا فلا احملكما
فقالتا احملنا فنحن نضمن لك ان لا نضر احدا ذكرك فمن قرا حين يخاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين لم تضراه
وقال الحسن لم يحمل نوح معه في السفينة الا ما يلد ويبيض واما ما سوى ذلك مما يتولد من الطين كالبق والبعوض
فلم يحمل منها شيا قوله تعالى وقال اركبوا فيها يعني وقال نوح لمن حمل معه اي في السفينة بسم الله مجريها ومرساها
ان ربي لغفور رحيم يعني بسم الله اجراوها وارساوها قال الضحاك كان نوح اذا اراد ان تجري السفينة قال بسم الله
فجرت وكان اذا اراد ان ترسي قال بسم الله فرست وفي هذا تعليم من الله لعباده انه من اراد امرا فلا ينبغي
له ان يشرع فيه حتى يذكر اسم الله عليه وقت الشروع حتى يكون ذلك سببا للنجاح والفلاح في سائر الامور وهي
تجري بهم في موج كالجبال الموج ما ارتفع من الما اذا اشتدت عليه الريح شبهه بالجبال في عظمه وارتفاعه على الما
قال العلما بالسير ارسل الله المطر اربعين يوما وليلة وخرج الما من الارض فذلك قوله تعالى ففتحنا ابواب السما

Copyright © King Saud University

بامنهم وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر يعني صار الماء نصفين نصف من السماء ونصف من الارض وارتفع
الماء على اعلى جبل واطوله اربعون ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا حتى اغرق كل شي وقيل انه لما كثر الماء في السكك خافت ام
صبي علي ولدها من الغرق وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما لحقها الماء ارتفعت حتى بلغت
ثلثيه فلما لحقها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء الى رقبتها رفعت الصبي بيديها حتى ذهب بهما
الماء فلو رحم الله منهم احدا لرحم ام الصبي ونادى نوح ابنه يعني كنعان وكان في معزل عن نوح لم يركب معه يا بني اركب
معنا يعني في السفينة ولا تكن مع الكافرين يعني فتهلك معهم قال يعني كنعان ساوي يعني ساتجي واصير الى جبل
يعصمني يعني يمنعني من الماء قال يعني قال له نوح لا عاصم يعني لا مانع اليوم من امر الله يعني من عذابه الا من رحم يعني الا من
رحم الله فينجيه من الغرق وحال بينهما الموج فكان من المغرقين يعني كنعان وقيل يعني بعدما تناهى الطوفان
واغرق قوم نوح يا ارض ابلعي ماءك اي اشربيه ويا سماء اقلعي اي امسكي وغيض الماء اي نقص ونضب يقال غاض
اذا نقص وذهب وقضي الامر يعني فرغ من الامر وهو هلاك قوم نوح واستوت يعني واستقرت السفينة
على الجودي وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل وقيل بعدا يعني هلاكا للقوم الظالمين قال العلماء بالسير لما استقرت
السفينة بعث نوح الغراب لياتيه بخبر الارض فوقع على جيفة فلم يرجع اليه فبعث الحمامة فجاءت بورق زيتون
بمنقارها ولطخت رجليها بالطين فعلم نوح ان الماء قد ذهب فدعا على الغراب بالخوف فلذلك لا يالف البيوت
وطوق الحمامة بالخضرة التي في عنقها ودعا لها بالامان فمن ثم تالف البيوت وروي ان نوحا عليه السلام
ركب السفينة لعشر بقين من رجب وجرت بهم السفينة ستة اشهر ومرت بالبيت الحرام وقد رفعه الله
من الغرق وبقي موضعه فطافت السفينة به سبعا واودع الحجر الاسود جبل ابي قبيس وهبط نوح ومن معه في
السفينة يوم عاشوراء فصامه نوح عليه السلام وامر جميع من معه بصيامه شكرا لله تعالى وبنوا قرية بقرب
الجبل فسميت سوق ثمانين فهو اول قرية عمرت على وجه الارض بعد الطوفان وقيل انه لم ينج احد من الكفار
من الغرق غير عوج بن عنق وكان الماء لم يصل الى حجزته وسبب نجاته من الهلاك ان نوحا عليه السلام احتاج
الى خشب ساج فلم يمكنه نقله فحمله عوج من الشام الى نوح عليه السلام فنجاه الله من الغرق لذلك فان
قلت كيف اقتضت الحكمة الالهية والكرم العظيم غرق من لم يبلغ الحلم من الاطفال ولم يدخل تحت
التكليف بذنوب غيرهم قلت فقد ذكر بعض المفسرين ان الله عز وجل اعقم ارحام نسائهم اربعين سنة
فلم يولد لهم ولد تلك المدة وهذا الجواب ليس بقوي لانه يرد عليه اغراق الدواب والهوام والطير وغير ذلك
من الحيوانات ويرد عليه ذلك ايضا هلاك الامم الماضية الكافرة مع انبيائهم غير قوم نوح والجواب الشافي عن هذا
كله ان الله تعالى متصرف في خلقه وهو المالك المطلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسال عما يفعل وهم
يسالون قوله عز وجل ونادى نوح ربه اي دعاه وساله فقال رب ان ابني من اهلي اي وقد وعدتني ان
تنجيني واهلي وان وعدك الحق يعني الصدق الذي لا خلف فيه وانت احكم الحاكمين يعني انك حكمت لقوم بالنجاة
وحكمت على قوم بالهلاك قال يعني قال الله تعالى يا نوح هذا الابن الذي سالتني نجاته انه ليس من
اهلك اختلف علماء التفسير هل كان هذا الولد ابن نوح لصلبه ام لا فقال الحسن ومجاهد كان ولد حنث
من غير نوح ولم يعلم بذلك فلذلك قال انه ليس من اهلك وقال محمد بن جعفر الباقر كان ابن امراة نوح وكان يعلمه
نوح ولذلك قال من اهلي ولم يقل مني وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك واكثر المفسرين انه ابن
نوح من صلبه وهذا القول هو الصحيح ويدل على صحته هذا قول الجمهور ولما صح عن ابن عباس انه قال ما بغت امراة
نبي قط ولان الله تعالى نص عليه بقوله ونادى نوح ابنه وكان نوح ايضا نص عليه بقوله يا بني اركب معنا

وهذا

وهذا دخل في الدلالة لان صرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة لا يجوز وانما خالف هذا الظاهر من خالفه لانه
استبعد ان يكون ولد نبي كافرا وهذا خطا ممن قاله لان الله خلق خلقه فريقا في الجنة وهم المؤمنون وفريقا في
السعير وهم الكافرون والله تعالى يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ولا فرق في ذلك بين الانبياء وغيرهم
فان الله اخرج قابيل من صلب آدم عليه السلام وهو نبي وكان قابيل كافرا واخرج ابراهيم وهو نبي من صلب
آزر وكان كافرا وكذلك اخرج كنعان وهو كافر من صلب نوح وهو نبي فهو المتصرف في خلقه كيف شاء فان
قلت فعلى هذا كيف ناداه نوح فقال اركب معنا وسال له النجاة مع قوله رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا قلت قد ذكر بعضهم ان نوحا عليه السلام لم يعلم بكون ابنه كان كافرا فلذلك ناداه
وعلى تقدير انه يعلم كفره انما حمله على ان ناداه رقة الابوة ولعله اذا راى تلك الاهوال ان يسلم فينجيه الله
بذلك من الغرق فاجابه الله عز وجل بقوله انه ليس من اهلك يعني انه ليس هو من اهل دينك لان اهل الرجل
من يجمعه واياهم نسب او دين او ما يجري مجراهما ولما حكمت الشريعة برفع حكم النسب في كثير من الاحكام بين
المسلم والكافر قال الله تعالى لنوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح قرا الكسائي ويعقوب عمل بكسر الميم وفتح
اللام غير بفتح الراء على عود الفعل على الابن ومعناه انه عمل الشرك والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح وقرا
الباقون من القراء عمل بفتح الميم ورفع اللام مع التنوين غير برفع الراء ومعناه ان سؤالك اياي ان انجيه
من الغرق عمل غير صالح لان طلب نجاة الكافر بعدما حكم عليه بالهلاك بعيد فلهذا قال انه عمل غير صالح ويجوز
ان يعود الضمير في انه على ابن نوح ايضا ويكون الدليل على هذه القراءة ان ابنك ذو عمل او صاحب عمل غير
صالح فحذف المضاف كما قالت الخنساء فانما هي اقبال وادبار قاله الواحدي وهذا قول ابي اسحاق يعني الزجاج
وابي بكر بن الانباري وابي علي الفارسي قال ابو علي ويجوز ان يكون ابن نوح عمل عملا غير صالح كما قال يجعل الشي
الشي هو نفسه لكثرة ذلك منه كما يقال الشعر زهير والعلم فلان اذا كثر منه فعلى هذا لا حذف قوله تعالى فلا
تسالني ما ليس لك به علم وذلك ان نوحا عليه السلام سال ربه انجاء ولده من الغرق وهو من كمال الشفقة للوالد على
الولد وهو لا يعلم ان ذلك محظور لاصرار ولده على الكفر فنهاه الله عن مثل هذه المسالة واعلمه ان ذلك لا يجوز
فكان المعنى فلا تسالني ما ليس لك به علم بجواز مسالته اني اعظك يعني انهاك ان تكون من الجاهلين يعني بمثل
هذا السؤال قال يعني قال نوح رب اني اعوذ بك ان اسالك يعني لمثل هذا السؤال الجاهلي واعتذر اليك من سؤالي
ما ليس لي به علم والا تغفر لي يعني جهلي واقدامي على سؤالي ما ليس لي به علم وترحمني يعني برحمتك التي وسعت
كل شي اكن من الخاسرين فصل وقد استدل بهذه الآيات من لا يرى عصمة الانبياء وبيانه ان قوله انه عمل
غير صالح والمراد منه السؤال وهو محظور فلهذا نهاه عنه بقوله فلا تسالني ما ليس لك به علم وقوله اني اعظك ان
تكون من الجاهلين وهذا يدل على ان ذلك السؤال كان جهلا ففيه زجر وتهديد وطلب المغفرة والرحمة له يدل
على صدور الذنب منه والجواب ان الله عز وجل كان قد وعد نوحا عليه السلام بان ينجيه واهله فاخذ نوح بظاهر
اللفظ واتبع التاويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه ولم يشك في وعد الله تعالى فاقدم على هذا السؤال
لهذا السبب فنبهه الله تعالى على ان سؤاله ما ليس له به علم وبين له انه ليس من اهله الذي وعد بنجاتهم لكفره
وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه الله انه مغرق مع الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاشفق نوح من اقدامه
على سؤال ربه فيما لم يؤذن له فيه فخاف نوح من ذلك الهلاك ولجا الى الله عز وجل وخشع له واعاذ به وساله
المغفرة والرحمة لان حسنات الابرار سيئات المقربين وليس في الآيات ما يقتضي صدور ذنب ومعصية
من نوح عليه السلام سوى تاويله واقدامه على سؤال ما لم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية

Copyright © King Saud University

والله اعلم قوله تعالى قيل يا نوح اهبط اى انزل من السفينة او من الجبل الى الارض بسلام منا اى بامن
وسلامة منا وبركات عليك البركة هي ثبوت الخير ونماؤه وزيادته وقيل المراد بالبركة هنا ان الله تعالى جعل
ذريته هم الباقين الى يوم القيامة فكل العالم من ذريته اولاده الثلاثة ولم يعقب من كان معه في السفينة
غيرهم وعلى امم ممن معك يعني وعلى ذرية من كان معك في السفينة والمعنى وبركات عليك وعلى قرون تجيء
من بعدك من ذرية اولادك وهم المؤمنون قال محمد بن كعب القرظي دخل في هذا كل مؤمن الى يوم القيامة
وامم سنمتعهم هذا ابتداء كلام اى كافرة تحدث من بعدك سنمتعهم يعني في الدنيا الى منتهى آجالهم
ثم يمسهم منا عذاب اليم يعني في الآخرة تلك من انباء الغيب هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان هذه
القصة التي اخبرتك يا محمد عن قصة نوح وخبره وخبر قومه من انباء الغيب يعني من اخبار الغيب نوحيها
اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا يعني من قبل نزول القران عليك فان قلت
ان قصة نوح كانت مشهورة معلومة معروفة في العالم فكيف قال ما كنت تعلمها انت ولا قومك من
قبل هذا قلت يحتمل ان يكونوا كانوا يعلمونها مجملا فنزل القران بتفصيلها وبيانها وفيه جواب آخر
وهو انه صلى الله عليه وسلم كان اميا لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يعلمها وكذلك امته فصح قوله ما كنت
تعلمها انت ولا قومك من قبل نزول القران بها فاصبر يا محمد على اذى مشركي مكة وقومك كما صبر نوح على
اذى قومه ان العاقبة يعني النصر والظفر على الاعداء والفوز بالسعادة الاخروية للمتقين يعني المؤمنين
قوله عز وجل والى عاد يعني وارسلنا الى عاد اخاهم هودا يعني انه اخاهم في النسب لا في الدين قال يا قوم
اعبدوا الله يعني وحده ولا تشركوا به شيئا في العبادة ما لكم من اله غيره يعني انه تعالى هو الهكم لا هذه الاصنام
التي تعبدونها فانها حجارة لا تضر ولا تنفع ان انتم الا مفترون يعني ما انتم الا كاذبون في عبادتكم غيره
يا قوم لا اسالكم عليه اجرا يعني على تبليغ الرسالة جعلا آخذه منكم ان اجري يعني ثوابي الا على الذي فطرني
يعني خلقني فهو الذي يرزقني في الدنيا ويثيبني في الآخرة افلا تعقلون يعني فتتعظون ويا قوم
استغفروا ربكم اى آمنوا به فالاستغفار بمعنى الايمان لانه هو المطلوب اولا ثم توبوا اليه يعني
من شرككم وعبادتكم غيره ومن سالف ذنوبكم يرسل السماء عليكم مدرارا يعني المطر عليكم متتابعا مرة بعد مرة
في اوقات الحاجة اليه وذلك ان بلادهم كانت مخصبة كثيرة الخير والنعم فامسك الله عنهم المطر ثلاث
سنين فاجدبت بلادهم وقحطت بسبب كفرهم فاخبرهم هود عليه السلام انهم ان آمنوا بالله وصدقوا
ارسل اليهم المطر فاحيا بلادهم كما كانت اول مرة ويزدكم قوة الى قوتكم يعني شدة مع شدتكم وقيل لكم ان
آمنتم تقويكم بالاموال والاولاد وذلك انه قيل اعقم ارحام نسائهم فلم تلدن فقال لهم هود ان آمنتم
ارسل الله المطر فتزدادون مالا ويعيد ارحام الامهات الى ما كانت عليه فيلدن فتزدادون قوة بالاموال
والاولاد وقيل تزدادون في الدين الى الدنيا والاديان ولا تتولوا مجرمين يعني ولا تعرضوا عن قبول
قولي ونصحي حال كونكم مشركين قالوا يا هود ما جئتنا ببينة اى برهان وحجة على صحة ما تقول وما
نحن بتاركي آلهتنا عن قولك يعني وما نترك عبادة آلهتنا لاجل قولك وما نحن لك بمؤمنين يعني بمصدقين
ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء يعني انك يا هود لست تتعاطى ما نتعاطاه من مخالفتنا
وسب آلهتنا الا ان بعض آلهتنا اصابك بخبل وجنون لانك سببتهم فانتقموا منك بذلك ولا
نحمل امرك الا على هذا قال يعني هود مجيبا لهم اني اشهد الله يعني على نفسي واشهدوا يعني واشهدوا
انتم ايضا على اني بريء مما تشركون من دونه يعني من هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها فكيدوني

جميعا

جميعا يعني احتالوا في كيدي وضري انتم واصنامكم التي تعتقدون انها تضر وتنفع فانها لا تضر ولا تنفع ثم
لا تنظرون يعني ثم لا تمهلون وهذا فيه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وذلك انه كان وحيدا في قومه وقال
لهم هذه المقالة ولم يهبهم ولم يخف منهم مع ما هم فيه من الكفر والجبروت الا لثقته بالله عز وجل وتوكله عليه
وهو قوله عز وجل اني توكلت على الله ربي وربكم يعني انه فوض امره الى الله واعتمد عليه ما من دابة يعني تدب على الارض ويدخل
في هذا جميع بني آدم والحيوان لانهم يدبون على الارض الا هو آخذ بناصيتها يعني انه تعالى هو مالكها والقادر
عليها وقاهرها لان من اخذت بناصيته فقد قهرته والناصية للمجاوزة وقيل انما خص الناصية بالذكر لان
العرب تستعمل ذلك كثيرا في كلامهم واذا وصفوا انسانا بالذلة مع غيره فيقولون ناصية فلان بيد فلان
وكانوا اذا اسروا الاسير وارادوا اطلاقه جزوا ناصيته ليمنوا عليه ويعتدوا بذلك فخرا عليه فخاطبهم
بما يعرفونه من كلامهم ان ربي على صراط مستقيم يعني ان ربي وان كان قادرا عليكم فانه لا يظلمكم ولا يعمل الا
باحسانه والانصاف والعدل فيجازي المحسن باحسانه والمسيء بفعله وقيل معناه ان دين ربي هو الصراط
المستقيم وقيل فيه اضمار تقديره ان ربي يحملكم على صراط مستقيم فان تولوا يعني تتولوا بمعنى تعرضوا عن الايمان
بما ارسلت به اليكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم يعني انه لم يقع مني تقصير في تبليغ ما ارسلت به اليكم انما التقصير منكم
في قبول ذلك مني ويستخلف ربي قوما غيركم يعني انكم ان اعرضتم عن الايمان وقبول ما ارسلت به اليكم ويستبدل بكم قوما
غيركم اطوع منكم يوحدونه ويعبدونه وفيه اشارة الى العذاب الاستئصال فهو وعيد وتهديد ولا
تضرونه شيئا يعني بتوليكم انما تضرون انفسكم بذلك وقيل لا تنقصونه شيئا اذا اهلككم لان وجودكم وعدمكم
عنده سواء ان ربي على كل شيء حفيظ يعني انه تعالى حافظ لكل شيء فيحفظني ان تنالوني بسوء قوله تعالى ولما جاء
امرنا يعني باهلاكهم وعذابهم نجينا هودا والذين آمنوا معه وكانوا اربعة آلاف برحمة منا وذلك ان العذاب
اذا نزل قد يعم المؤمن والكافر فلما انجى الله المؤمن من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه ونجيناهم من
عذاب غليظ يعني الريح التي اهلكت بها عاد وذلك ان الله تعالى ارسل على عاد ريحا شديدة غليظة سبع
ليال وثمانية ايام حسوما وهي الايام النحسات فاهلكتهم جميعا وانجى الله المؤمنين جميعا فلم تضرهم شيئا وقيل
المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الآخرة وهذا هو الصحيح ليحصل الفرق بين العذابين والمعنى انه تعالى لما انجاهم
من عذاب الدنيا كذلك نجاهم من عذاب الآخرة ووصف عذاب الآخرة بكونه غليظا لانه اعظم من عذاب الدنيا وتلك
عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله لما فرغ من ذكر قصة عاد خاطب امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال وتلك
عاد جحدوا واردة الى القبيلة وفيه اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه قال سيروا في الارض فانظروا اليها واعتبروا
بها ثم وصف حالهم بقوله جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله يعني هودا وحده وانما اتى بلفظ الجمع اما للتعظيم
او لان من كذب برسوله فقد كذب كل الرسل واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني ان السفلة منهم تبع الرؤساء والمراد من
الجبار الرفيع في نفسه المتمرد على الله والعنيد المعاند الذي لا يقبل الحق ولا يتبعه واتبعوا في هذه الدنيا لعنة
يعني اردفوا لعنة تتبعهم وتلحقهم وتنصرف معهم واللعنة الطرد والابعاد من رحمة الله تعالى ويوم القيامة
يعني وفي يوم القيامة ايضا تتبعهم اللعنة كما تتبعهم في الدنيا ثم ذكر السبب الذي استحقوا به هذه
اللعنة فقال تعالى الا ان عادا كفروا ربهم اى كفروا بربهم الا بعدا لعاد يعني هلاكا لهم وقيل بعدا عن الرحمة
فان قلت اللعنة معناها الابعاد والهلاك فما الفائدة في قوله الا بعدا لعاد لان الثاني
هو الاول بعينه قلت الفائدة فيه ان التكرار فيه بعبارتين مختلفتين تدل على نهاية التاكيد
وانهم كانوا مستحقين له قوم هود عطف بيان لعاد فان قلت هذا البيان حاصل فما فائدة

Copyright © King Saud University

الغالبة في قوله قوم هود **قلت** ان عادا كانوا قبيلتين عادا الاولى القديمة التي هي قوم هود وعادا الثانية
ارم ذات العماد وهم العمالقة فاتى بقوله قوم هود ليزول الاشتباه وجواب اخر وهو ان المبالغة في التنصيص
تدل على تقوية التاكيد قوله عز وجل **والى ثمود** اي وارسلنا الى ثمود وهم سكان الحجر **اخاهم صالحا** يعني في النسب
لا في الدين **قال يا قوم اعبدوا الله** اي وحدوا الله وخصوه بالعبادة **ما لكم من اله غيره** يعني هو المستحق للعبادة
لا هذه الاصنام ثم ذكر الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته فقال **هو انشاكم من الارض** يعني انه
ابتدا خلقكم من الارض وذلك انهم من بني ادم وادم خلق من الارض **واستعمركم فيها** يعني وجعلكم عمارها وسكانها وقال
الضحاك اطال اعماركم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلثمائة سنة الى الف سنة وكذلك كان قوم عاد وقال مجاهد اعمركم
من العمرى اي جعلها لكم ما عشتم **فاستغفروه** يعني من ذنوبكم **ثم توبوا اليه** يعني من الشرك **ان ربي قريب** يعني من
المومنين **مجيب** لدعائهم **قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا** يعني قبل هذا القول الذي جئت به والمعنى
انا كنا نرجو ان تكون فينا سيدا لانه كان من قبيلتهم وكان يعين ضعيفهم ويغني فقيرهم وقيل معناه انا كنا
نطمع ان تعود في ديننا فلما اظهر دعاءهم الى الله وعاب الاصنام انقطع رجاؤهم منه **اتنهانا ان نعبد ما يعبد**
اباونا يعني الالهة **وانا لفي شك مما تدعونا اليه مريب** يعني من عبادة الله تعالى يعني انا مرتابين في قولك
من اراب اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس ووقوعها في الريبة وهي التهمة **قال** يعني صالح مجيبا لقومه
يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي على يقين وبرهان **واتاني منه رحمة** يعني حكمة ونبوة **فمن ينصرني من الله**
اي فمن يمنعني من عذابه **ان عصيته** يعني ان خالفت امره **فما تزيدونني غير تخسير** قال ابن عباس معناه غير بصارة في
خسارتكم وقال الحسن بن الفضل لم يكن صالح في خسارة حتى يقول فما تزيدونني غير تخسير وانما المعنى فما تزيدونني
بما تقولون الا نسبتي اياكم الى الخسارة **ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية** وذلك ان قومه طلبوا ان يخرج لهم ناقة
من صخرة كانت هناك اشاروا اليها فدعا الله عز وجل فاخرج لهم من تلك الصخرة ناقة عشراء وولدت فصيلا
يشبهها وقوله ناقة الله اضافة تشريف كبيت الله وعبد الله فكانت هذه لهم اية ومعجزة دالة على صدق
صالح عليه السلام **فذروها تاكل** يعني من العشب والنبات **في ارض الله** يعني فليس عليكم مؤنتها **ولا تمسوها بسوء**
يعني بعقر **فياخذكم** يعني ان قتلتموها **عذاب قريب** يعني في الدنيا **فعقروها** يعني فخالفوا امر ربهم فعقروها
فقال يعني صالح **تمتعوا** يعني عيشوا **في داركم** اي في بلدكم **ثلاثة ايام** يعني ثم تهلكون **ذلك** يعني العذاب الذي
وعدهم به بعد ثلاثة ايام **وعد غير مكذوب** اي هو غير مكذوب روي انه قال لهم ياتيكم العذاب بعد ثلاثة
ايام فيصبحون في اليوم الاول ووجوههم مصفرة وفي اليوم الثاني ووجوههم محمرة وفي اليوم الثالث ووجوههم
مسودة وفي اليوم الرابع اتاهم العذاب وهو قوله تعالى **فلما جاء امرنا** يعني العذاب **نجينا صالحا والذين امنوا**
معه برحمة منا اي بنعمة منا بان هديناهم الى الايمان **ومن خزي يومئذ** يعني ونجيناهم من عذاب يومئذ
سمي خزيا لان فيه خزي الكفار **ان ربك** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم **هو القوي** يعني هو القادر
على انجاء المومنين واهلاك الكفار **العزيز** يعني القاهر الذي لا يغلبه شيء ثم اخبر عن عذاب قوم صالح فقال
تعالى **واخذ الذين ظلموا** يعني انفسهم بالكفر **الصيحة** وذلك ان جبريل صاح بهم صيحة واحدة فهلكوا جميعا
وقيل انه اتاهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في
صدورهم فماتوا جميعا **فاصبحوا في ديارهم جاثمين** صرعى هلكى **كان لم يغنوا فيها** كان لم يقيموا في تلك الديار
ولم يسكنوا مدة من الدهر يقال غنيت بالمكان اذا اقمت به **الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا**
لثمود وهذه القصص قد تقدمت مستوفاة في سورة الاعراف قوله تعالى **ولقد جاءت رسلنا ابراهيم**

بالبشرى

٧

بالبشرى اراد بالرسل الملائكة واختلفوا في عددهم فقال ابن عباس وعطا كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل
واسرافيل وقال الضحاك كانوا تسعة وقال مقاتل كانوا اثني عشر ملكا وقال محمد بن كعب القرظي كان جبريل
ومعه سبعة املاك وقال السدي كانوا احد عشر على صورة الغلمان الحسان الوجوه وقال ابن
عباس هو الاولى لان اقل الجمع ثلاثة وقوله رسلنا جمع فيحمل على الاقل وما بعده غير مقطوع به والبشرى
يعني بالبشارة باسحاق ويعقوب وقيل باهلاك قوم لوط **قالوا سلاما** يعني ان الملائكة سلموا سلاما
قال يعني لهم ابراهيم **سلام** اي عليكم **فما لبث ان جاء بعجل حنيذ** يعني مشويا والحنيذ هو المشوي على الحجارة
المحماة في الارض وهو من فعل اهل البادية وكان سمينا يسيل منه الودك قال قتادة كان عامة مال ابراهيم
عليه السلام البقر وقيل مكث ابراهيم عليه السلام خمسة عشر ليلة لا ياكل معه ضيف ولم ياته ضيف
وكان ابراهيم لم ياكل الا مع الضيف فلما جاءه الملائكة راى اضيافا فلم ير مثلهم قط فعجل وجاء بعجل سمين
مشوي **فلما راى ايديهم** يعني ايدي الاضياف **لا تصل اليه** يعني الى العجل المشوي **نكرهم** يعني انكرهم وانكر حالهم
وانما انكر حالهم لامتناعهم من الطعام **واوجس منهم خيفة** يعني وقع في قلبه خوف منهم والوجس هو رعب القلب
وانما خاف ابراهيم صلى الله عليه وسلم منهم لانه كان ينزل ناحية من الناس فخاف ان ينزلوا به مكروها لامتناعهم
من طعامه ولم يعرف انهم ملائكة وقيل ان ابراهيم عرف انهم ملائكة وانما خاف ان يكونوا نزلوا بعذاب قومه
خاف منه ذلك والاقرب ان ابراهيم لم يعرف انهم ملائكة فاقوال الامر ويدل على صحة هذا انه عليه السلام قدم اليهم
الطعام ولو عرف انهم ملائكة لما قدمه اليهم لعلمه ان الملائكة لا ياكلون ولا يشربون ولانه خافهم ولو عرفهم
ملائكة لما خافهم فلما رات الملائكة خوف ابراهيم **قالوا لا تخف** يا ابراهيم **انا** ملائكة الله **ارسلنا الى قوم**
لوط وامراته يعني سارة زوجة ابراهيم بنت هارون بن ناحور وهي ابنة عم ابراهيم **قائمة** يعني وراء
الستر تسمع كلامهم وقيل كانت قائمة تخدم الرسل وابراهيم جالس معهم **فضحكت** اصل الضحك انبساط الوجه
من سرور يحصل للنفس ولظهور الاسنان عنده سمي مقدمات الاسنان الضواحك ويستعمل في السرور
المجرد وفي التعجب المجرد ايضا ثم قال العلماء في تفسير هذا الضحك قولان احدهما انه الضحك المعروف وعليه اكثر المفسرين
ثم اختلفوا في سبب هذا الضحك فقال السدي لما قرب ابراهيم الطعام الى ضيفه فلم ياكلوا خاف ابراهيم منهم فقال
الا تاكلون فقالوا لا ناكل طعاما الا بثمن قال فان له ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله على اوله
وتحمدونه على اخره فنظر جبريل الى ميكائيل وقال حق لهذا ان يتخذه ربه خليلا فلما راى ابراهيم وسارة ايديهم
لا تصل اليه ضحكت سارة وقالت يا عجبا لاضيافنا نخدمهم بانفسنا تكرمة لهم وهم لا ياكلون طعامنا
وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبي ضحكت من خوف ابراهيم
من ثلاثة فيما بين خدمه وحشمه وخواصه وقيل ضحكت من زوال الخوف عنها وعن ابراهيم وذلك انها
خافت لخوف ابراهيم فحين قالوا لا تخف ضحكت سرورا وقيل ضحكت سرورا بالبشارة وقال ابن عباس
ووهب ضحكت تعجبا من ان يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها فعلى هذا القول يكون في الاية تقديم
وتاخير تقديره فبشرناها باسحاق فضحكت يعني تعجبا من ذلك وقيل انها قالت لابراهيم اضمم اليك ابن
اخيك لوطا فان العذاب نازل بقومه فلما جاءت الرسل وبشرت بعذابهم سرت سارة بذلك وضحكت لموافقتهم
ما ظنت القول الثاني في معنى قوله فضحكت قال عكرمة ومجاهد اي حاضت في الوقت وانكر بعض اهل اللغة
ذلك قال الراغب وقول من قال حاضت ليس ذلك تفسيرا لقوله فضحكت كما تصوره بعض المفسرين فقال
ضحكت بمعنى حاضت لمن يسمعه من ثقة وقال الزجاج ليس بشيء ضحكت بمعنى حاضت قال ابن الانباري قد

Copyright © King Saud University

انكر الفراء وابو عبيدة ان يكون ضحكت بمعنى حاضت وقد عرفه غيرهم وانشد يقول • تضحك الضبع لقتلى
هذيل • وترى الذيب بها يستهل • قال اراد انها تحيض فرحا وقال الليث في هذه الاية فضحكت اي طمثت
وحكى الازهري عن بعضهم في قوله ضحكت اي حاضت وقال واصله من ضحاك الطلعة اذا انشقت وقال الاخطل
فيه بمعنى الحيض يقول فيه • تضحك الضبع من دما سليم • اذا رانها على الحراب تمور • وقال في المحكم ضحكت
المراة حاضت وبه فسر بعضهم قوله فضحكت فبشرناها باسحاق وضحكت الارنب ضحكا يعني حاضت حيضا
كما يقول • وضحك الارنب فوق الصفا • كمثل دم الجوف عند اللقا • يعني الحيض فيما زعم بعضهم واجاب عن
هذا من انكر ان يكون الضحك بمعنى الحيض قال ابن دريد يقول من شاهد الضبع عن كثرها فيعلم انها
تحيض وانما اراد الشاعر انها تكشر لاكل اللحوم وهذا سهو منه لانه جعل كشرها حيضا وقيل معناه
انها تستبشر بالقتلى اذا اكلتهم فتهر بعضها على بعض فجعل هريرها ضحكا **فان قلت**
اي القولين اصح في معنى الضحك **قلت** ان الله عز وجل حكى عنها انها ضحكت وكلا القولين يحتمل
في معنى الضحك فالله اعلم اي ذلك كان قوله تعالى فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب يعني ومن
بعد اسحاق يعقوب وهو ولد الولد فبشرت سارة بانها تعيش حتى ترى ولد ولدها فلما بشرت بالولد صكت
وجهها اي ضربت وجهها وهو من صنيع النسا وعادتهن وانما فعلت ذلك تعجبا قالت يا ويلتا نداء ندبة
واصلها يا ويلتاه وهي كلمة يستعملها الانسان عند رؤية ما يتعجب منه مثل يا عجباه االد وانا عجوز وكانت
بنت تسعين سنة في قول ابن اسحاق وقال مجاهد كانت بنت تسع وتسعين سنة وهذا بعلي شيخا يعني زوجي
والبعل هو المستعلي على غيره ولما كان زوج المراة مستعليا عليها قايما بامرها سمي بعلا لذلك وكان سن
ابراهيم يوميذ مايه وعشرين سنة ان هذا لشي عجيب لم تنكر قدرة الله تعالى وانما تعجبت من كون الشيخ الكبير
والعجوز الكبيرة يولد لهما قالوا يعني قالت الملايكة لسارة اتعجبين من امر الله معناه لا تعجبين من ذلك
فان الله تعالى قادر على كل شي فاذا اراد شيا كان سريعا رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت يعني بيت
ابراهيم عليه السلام وهذا على معنى الدعا من الملايكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل على ان ازواج الرجل من
اهل بيته انه حميد يعني هو المحمود الذي يحمد على افعاله كلها وهو المستحق لان يحمد في السراء والضراء والشدة
والرخا فهو محمود على كل حال مجيد ومعناه المنيع الذي لا يرام وقال الخطابي المجيد الواسع الكريم واصل
المجد في كلامهم السعة يقال رجل ماجد اذا كان سخيا كريما واسع العطا وقيل الماجد هو ذو الشرف
والكرم قوله عز وجل فلما ذهب عن ابراهيم الروع يعني الفزع والخوف الذي حصل له عند امتناع الرسل
من الاكل وجاته البشرى يعني زال الخوف عنه بسبب البشرى التي جاته وهي البشارة بالولد يجادلنا
في قوم لوط فيه اضمار تقديره وجعل يجادلنا قيل معناه يكلمنا ويخاصمنا ويسالنا في قوم لوط لان
العبد لا يقدر ان يخاصم ربه وقال جمهور المفسرين معناه يجادل رسلنا في قوم لوط وكانت مجادلة ابراهيم
مع الملايكة قال لهم ارايتم لو كان في مداين قوم لوط خمسون من المومنين قالوا لا قال فاربعون قالوا لا
قال فثلاثون قالوا لا قال فما زال حتى قال فخمسة قالوا لا قال ارايتم لو كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها
قالوا لا قال ابراهيم فان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين
وقيل انما طلب ابراهيم تاخير العذاب عنهم لعلهم يومنوا او يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي قال ابن جريج
وكان في قرى قوم لوط اربعة الاف الف مقاتل ان ابراهيم لحليم اواه منيب تقدم تفسيره في سورة التوبة فعند
ذلك قالت الملايكة لابراهيم يا ابراهيم اعرض عن هذا يعني اعرض عن هذا المقال واترك هذا الجدال انه قد جا

امر ربك يعني ان ربك قد حكم بعذابهم فهو نازل بهم وهو قوله تعالى وانهم اتيهم عذاب غير مردود يعني ان العذاب الذي
نزل بهم مردود لا مصروف ولا مدفوع عنهم قال تعالى ولما جات رسلنا لوطا يعني هولا الملايكة الذين كانوا
عند ابراهيم وكانوا على صور غلمان مرد حسان الوجوه سي بهم يعني حزن لوط بمجيهم وسا ظنه بقومه
وضاق بهم ذرعا قال الازهري الذرع يوضع موضع الطاقة والاصل فيه ان البعير يذرع بيديه في سيره
ذرعا على قدر سعة خطوه فاذا حمل عليه اكثر من طوقه ضاق ذرعه عن ذلك وضعف ومد عنقه فجعل ضيق
الذراع عبارة عن ضيق الوسع والطاقة فمعنى قوله وضاق بهم ذرعا اذا لم يجد من المكروه في ذلك الامر
مخلصا وقال غيره معناه ضاق بهم قلبا وصدرا ولا يعرف اصله الا ان يقال ان الذرع كناية عن الوسع
والعرب تقول ليس هذا في يدي يعنون ليس هذا في وسعي لان الذراع من اليد ويقال ضاق فلان
ذرعا بكذا اذا وقع في مكروه ولا يطيق الخروج منه وذلك ان لوطا عليه السلام لما نظر الى حسن وجوههم
وطيب روايحهم اشفق عليهم من قومه وخاف ان يقصدوهم بمكروه او فاحشة وعلم انه سيحتاج الى
المدافعة عنهم وقال يعني لوط هذا يوم عصيب اي يوم شديد كانه قد عصب به الشر والبلا اي شد به
ماخوذ من العصابة التي يشد بها الراس قال قتادة والسدي خرجت الملايكة من عند ابراهيم نحو قرية
لوط فاتوا لوطا نصف النهار وهو يعمل في ارض له وقد قيل انه كان يحتطب وقد قال الله تعالى للملايكة
لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى ساعة قال لهم
ما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لاشر قرية في الارض عملا يقول ذلك
اربع مرات فمضوا معه حتى دخلوا منزله وقيل انه لما حمل الحطب ومعه الملايكة مر على جماعة فتغامزوا
فيما بينهم فقال لوط ان قومي شر خلق الله تعالى فقال جبريل هذه واحدة ثم مر على جماعة اخرى فتغامزوا فقال
مثله ثم مر على جماعة اخرى ففعلوا ذلك فقال لوط مثل ما قال فقال جبريل عليه السلام للملايكة اشهدوا
وقيل ان الملايكة جاوا الى بيت لوط فوجدوه في داره فدخلوا عليه ولم يعلم احد بمجيهم الا اهل بيت لوط عليه
السلام فخرجت امراته الخبيثة فاخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا لم ار اليت مثل وجوههم
قط ولا احسن منهم وجاه قومه يهرعون اليه قال ابن عباس وقتادة يسرعون اليه وقال مجاهد يهرولون
وقال الحسن الاهراع هو مشي بين مشيين وقال شمر هو بين الهرولة والخبب والجمز ومن قبل يعني ومن
قبل مجي الرسل اليهم وقيل ومن قبل مجيهم الى لوط كانوا يعملون السيات يعني الفعلات الخبيثة والفاحشة
القبيحة وهو اتيان الرجال في ادبارهم قال يعني قال لوط لقومه حين قصدوا اضيافه فظنوا انهم غلمان
من بني ادم يا قوم هولا بناتي يعني ازوجكم اياهن وفدى اضيافه ببناته وقيل انه كان في ذلك الوقت في تلك
الشريعة مباحا تزويج المراة المسلمة بالكافر وقال الحسن بن الفضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام وقال
مجاهد وسعيد بن جبير اراد ببناته نسا قومه واضافهن الى نفسه لان كل نبي امته هم ابناوه كالوالد
لهم وهذا القول هو الصحيح واشبه بالصواب ان شاء الله تعالى والدليل عليه ان بنات لوط كانتا اثنتين
وليستا بكافيتين للجماعة وليس من المروة ان يعرض الرجل بناته على اعدايه ليزوجهن اياهم فكيف يليق
ذلك بمنصب الانبيا ان يعرضوا بناتهم على الكفار وقيل انما قال ذلك لوط الا على سبيل الدفع لقومه لا على
التحقيق وفي قوله تعالى هن اطهر لكم سوال وهو ان يقال ان قوله هن اطهر لكم من باب افعل التفضيل
فيقتضي ان يكون في الذين يطلبونه من الرجال طاهر ومعلوم انه محرم فاسد ليس فيه طهارة البتة فكيف
قال هن اطهر لكم والجواب عن هذا السوال ان هذا جار مجرى قوله تعالى اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم ومعلوم

Copyright © King Saud University

ان يتحرج الرقوم لاخير فيها او كقوله صلى الله عليه وسلم لما قال ابو سفيان يوم احد لما قال اعل هبل قال الله اعلى واجل ولا مماثلة
بين الله عز وجل والصنم فانما هو كلام خرج مخرج المقابلة ولهذا نظائر كثيرة وقوله عز وجل فاتقوا الله اي خافوه
واخشوه واتركوا ما انتم عليه من الكفر والعصيان ولا تخزون في ضيفي يعني ولا تسوؤني في اضيافي ولا تفضحوني معهم
اليس منكم رجل رشيد اي صالح سديد عاقل وقال عكرمة يقول لا اله الا الله وقال محمد بن اسحاق رجل يامر بالمعروف
وينهى عن المنكر حتى ينهى عن هذا الفعل القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك يعني ليس لنا بهن حاجة ولا لنا
فيهن شهوة وقيل معناه ليس بناتك لنا بازواج ولا نستحقهن نكاحهن وقيل معناه من حق ما لنا في بناتك
من حاجة لانك دعوتنا الى نكاحهن بشرط الايمان ولا نريد ذلك وانك لتعلم ما نريد يعني في اتيان الرجال
في ادبارهم فعند ذلك قال لوط لقومه قال لو ان لي بكم قوة اي لو ان لي قدرة القوة عليكم او اوي الى ركن
شديد يعني او انضم الى عشيرة يمنعوني منكم وجواب لو محذوف تقديره لو وجدت قوة لقاتلتكم او لو وجدت
عشيرة لانضممت اليها قال ابو هريرة ما بعث الله نبيا بعده الا منعه من عشيرته ق عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله لوطا لو كان ياوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف
ثم اتاني الداعي لاجبت قال الشيخ محيي الدين النووي والمراد بالركن الشديد هو الله عز وجل فانه اشد الاركان
واقواها وامنعها ومعنى الحديث ان لوطا عليه السلام لما خاف على اضيافه ولم تكن لهم عشيرة تمنعهم من
الظالمين ضاق ذرعه واشتد حزنه عليهم فغلبت ذلك عليه فقال في ذلك الحال لو ان لي بكم قوة في الدفع بنفسي او اوي
الى عشيرة تمنع لمنعتكم وقصد لوط اظهار العذر عند اضيافه وانه لو استطاع لدفع المكروه عنهم ومعنى باقي
الحديث فيما يتعلق بيوسف عليه السلام ياتي في موضعه في سورة يوسف ان شاء الله تعالى قال ابن عباس واهل
التفسير اغلق لوط بابه والملائكة معه في الدار وجعل يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب وقومه يعالجون
سور الدار فلما رات الملائكة ما لقي لوط بسببهم قالوا يا لوط ركنك شديد انا رسل ربك لن يصلوا اليك يعني
بمكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فتحول الى
صورته التي يكون فيها ونشر جناحيه وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا اجلى الجبين وراسه
حبك مثل المرجان كانه الثلج بياضا وقدماه الى الخضرة فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم
فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون فانصرفوا وهم يقولون النجاة النجاة فان في بيت لوط اسحر قوم في الارض
قد سحرونا وجعلوا يقولون يا لوط كما انت حتى تصبح وسترى ما تلقى منا غدا يوعدونه بذلك فاسر باهلك
يعني بنيك بقطع من الليل قال ابن عباس من الليل وقال الضحاك ببقية من الليل وقال قتادة بعد مضي
اوله وقيل انه السحر الاول ولا يلتفت منكم احد يعني ولا يلتفت منكم احد الى ورائه ولا ينظر الى خلفه
الا امراتك فانها من الملتفتات فتهلك مع من هلك من قومها وهو قوله تعالى الا امراتك انه مصيبها ما اصابهم
فقال لوط متى يكون العذاب قالوا ان موعدهم الصبح قال لوط يعني انه بعيد اسرع من ذلك اريد فقالوا له
اليس الصبح بقريب فلما خرج لوط من قريته واخذ اهله معه وامرهم ان لا يلتفت منهم احد فقبلوا منه
الا امراته فانها لما سمعت هدة العذاب وهو نزل التفتت وصاحت واقوماه فادركها حجارة فاهلكتها
معهم فلما جاء امرنا يعني امرنا بالعذاب جعلنا عاليها سافلها وذلك ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه
تحت قرى قوم لوط وهي خمس مداين اكبرها سدوم وهي المؤتفكات المذكورة في سورة براءة وقيل كان فيها
اربعة الاف الف فرفع جبريل المدن كلها حتى سمع اهل السما صياح الديكة ونباح الكلاب لم يكفا لهم انا
ولم ينتبه لهم نائم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وامطرنا عليها يعني على شذاذها ومن كان خارجا عنها

من

من مسافريها وقيل بعد ما قلبها امطر عليهم حجارة من سجيل قال ابن عباس وسعيد بن جبير سنك وكل فارسي
معرب لان العرب اذا تكلمت بشيء من الفارسي صار لغة للعرب ولا يعد فارسيا فالفارسي مثل قولهم استبرق
وسندس ونحو ذلك فكل هذه الالفاظ فارسية تكلمت بها العرب واستعملتها في الفاظهم فصارت عربية
وقال قتادة وعكرمة السجيل الطين دليله قوله في موضع اخر حجارة من طين وقال مجاهد اولها حجر واخرها طين
وقال الحسن اصل الحجارة طين فشددت وقال الضحاك يعني الاجر وقيل السجيل اسم السماء الدنيا وقيل هو جبل في سما
الدنيا منضود قال ابن عباس متتابع بعضها بعضا مفعول من النضد وهو وضع الشيء بعضه فوق بعض مسومة
عند ربك صفة للحجارة يعني معلمة قال ابن جريج عليها سيما لا تشاكل حجارة الارض وقال قتادة وعكرمة
عليها خطوط حمر على هيئة الجزع وقال الحسن والسدي كانت مختومة عليها امثال الخواتيم وقيل كان مكتوبا عليها
اي على كل حجر اسم صاحبه الذي يرمى به وما هي يعني تلك الحجارة من الظالمين يعني مشركي مكة ببعيد قال قتادة
وعكرمة يعني ظالمي هذه الامة والله ما اجار الله منها ظالما بعده وفي بعض الاثار ما من ظالم الا وهو بعرض
حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل ان الحجارة اتبعت شذاذ قوم لوط حتى ان واحدا منهم دخل الحرم
فوقف الحجر معلقا في السماء اربعين يوما حتى خرج ذلك الرجل من الحرم فسقط الحجر فاهلكه قوله عز وجل والى
مدين اي ارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا ومدين اسم لابن ابراهيم الخليل عليه السلام ثم صار اسما للقبيلة من
اولاده وقيل هو اسم قبيلة مدينة بناها مدين بن ابراهيم فعلى هذا يكون التقدير وارسلنا الى اهل
مدين فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره يعني وحدوا الله ما لكم من اله
غيره ولا تعبدوا معه غيره وهذا كان عادة الانبياء عليهم السلام يبدءون بالاهم فالاهم فلما كانت الدعوة الى
توحيد الله وعبادته اهم الاشياء فلهذا قال شعيب اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ثم بعد الدعوة الى التوحيد شرع
فيما هم فيه ولما كان المعتاد من اهل مدين البخس في الكيل والوزن دعاهم الى ترك هذه العادة القبيحة وهو تطفيف
الكيل والوزن فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان والنقص في الكيل والوزن على وجهين احدهما ان يكون الاستنقاص
من قبلهم فيكيلون ويزنون للغير ناقصا والوجه الاخر هو انتقاص الكيل والوزن لانفسهم زائدا على حقهم فيكون
نقصا في مال الغير وكلا الوجهين مذموم فلهذا نهاهم شعيب عن ذلك بقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان
اني اراكم بخير قال ابن عباس كانوا موسرين في نعمة وقال مجاهد كانوا في خصب وسعة فحذرهم زوال تلك النعمة
وغلاء السعر وحصول النقمة ان لم يتوبوا ويؤمنوا وهو قوله واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط يعني يحيط بكم فيهلككم
جميعا وهو عذاب الاستئصال في الدنيا وحذرهم عذاب الاخرة ومنه قوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين ويا قوم
اوفوا المكيال والميزان اي اتموها ولا تطففوا فيهما بالقسط اي بالعدل وقيل بتقويم لسان الميزان وتعديل
المكيال قوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم يعني اموالهم **فان قلت** قد وقع التكرار
في هذه القصة من ثلاثة اوجه لانه قال ولا تنقصوا المكيال والميزان وقال اوفوا المكيال والميزان ثم قال
ولا تبخسوا الناس اشياءهم وهذا عين الاول وعين ما تقدم فما الفائدة في هذا التكرار **قلت**
ان القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو تطفيف الكيل والميزان ومنع الناس حقوقهم احتيج في المنع
الى المبالغة في التاكيد والتكرير يفيد شدة الاهتمام والعناية للتاكيد فلهذا كرر ذلك فيقوى الزجر والمنع
من ذلك الفعل ولان قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان نهي عن التنقيص وقوله اوفوا المكيال والميزان امر
بايفاء العدل وهذا غير الاول ومغاير له ولقائل ان يقول النهي ضد الامر فالتكرار لازم على هذا الوجه قلنا
الجواب عن هذا قد يجوز ان ينهى عن التنقيص ولا يامر بايفاء الكيل والوزن فلهذا جمع بينهما فهو كقولك صل رحمك

Copyright © King Saud University

ولا تنقصوها فيزيد المبالغة في الامر والنهي وليتناول له ثانيا ولا تبخسوا الناس اشياءهم فليس بتكرير ايضا لانه تعالى لما
خص النهي عن التنقيص والامر بايفاء الحق في الكيل والوزن عم الحكم في جميع الاشياء التي يجب ايفاء الحقوق فيها فيدخل فيه
الكيل والوزن والزرع وغير ذلك فظهر بهذا البيان فائدة هذا التكرار والله اعلم وقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين يعني
بتنقيص الكيل والميزان ومنع الناس حقوقهم بقيت الله خير لكم قال ابن عباس يعني ما ابقى الله لكم من الحلال بعد ايفاء
الكيل والوزن خير لكم مما تاخذونه بالتطفيف وقال مجاهد بقيت الله يعني طاعة الله خير لكم مما يحصل لكم في الدنيا من المال
الحرام ان كنتم مؤمنين يعني مصدقين بما قلت لكم وامرتكم به ونهيتكم عنه وما انا عليكم بحفيظ يعني احفظ اعمالكم قال بعضهم
انما قال شعيب ذلك لانه لم يؤمر بقتالهم قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا يعني من
الاصنام او نفعل في اموالنا ما نشاء يعني من التنقيص والزيادة قال ابن عباس كان شعيب كثير الصلاة فلذلك قالوا هذا
وقيل انهم كانوا يمرون به فيرونه يصلي فيستهزؤن به ويقولون هذه المقالة وقال الاعمش اقراءتك لان الصلاة
تطلق على القراءة والدعاء وقيل المراد بالصلاة هنا الدين يعني ادينك يامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل
في اموالنا ما نشاء وذلك انهم كانوا ينقصون الدراهم والدنانير فكان شعيب ينهاهم عن ذلك ويخبرهم انه محرم عليهم
وانما ذكر الصلاة لانها من اعظم شعائر الدين انك لانت الحليم الرشيد قال ابن عباس ارادوا السفيه الغاوي لان
العرب قد تصف الشيء بضده فيقولون للديغ السليم وللفلاة المهلكة مفازة وقيل هو على حقيقته وانما قالوا ذلك
على سبيل الاستهزاء والسخرية وقيل معناه انك لانت الحليم الرشيد في زعمك وقيل هو على بابه في الصحة ومعناه
انك يا شعيب فينا حليم رشيد فلا يجمل بك شق عصا قومك ومخالفتهم في دينهم قال يعني قال لهم شعيب يا قوم
ارايتم ان كنت على بينة من ربي يعني على بصيرة وهداية وبيان ورزقني منه رزقا حسنا يعني حلالا وقيل كان
شعيب كثير الحلال والنعمة وقيل الرزق الحسن ما اتاه الله من العلم والهداية والنبوة والمعرفة وجواب ان
الشرطية محذوف تقديره ارايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني المال الحلال والهداية والنبوة والمعرفة
فهل يسعني مع هذه النعم العظيمة ان اخون في وحيه او ان اخالف امره واتبع الضلال او ابخس الناس اشياءهم
وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم وذلك انهم قالوا له انك لانت الحليم الرشيد والمعنى فكيف يليق
بالحليم الرشيد ان يخالف امر ربه وله عليه نعم كثيرة وقوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه قال صاحب
الكشاف يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه واذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل
صادرا عن الماء فتسئله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله
تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم قال
الامام فخر الدين الرازي في تحقيق الكلام فيه ان القوم اعترفوا بانه حليم رشيد وذلك يدل على كمال العقل
وكمال العقل يحمل صاحبه على اختيار الطريق الاصوب الاصلح فكانه عليه السلام قال لما اعترفتم بكمال عقلي فاعلموا
ان الذي اخترته لنفسي هو اصوب الطرق واصلحها وهو الدعوة الى توحيد الله وترك البخس والنقصان فانا مواظب
عليها غير تارك لها فاعلموا ان هذه الطريقة خير الطرق واشرفها الا ما انتم عليه وقال الزجاج معناه اني لست انهاكم
عن شيء وادخل فيه انما اختار لكم ما اختار لنفسي وقال ابن الانباري بين ان الذي يدعوهم اليه من اتباع طاعته
وترك البخس والتطفيف هو ما يرتضيه لنفسه ولا ينطوي الا عليه وكان هذه النصيحة لهم ان اريد يعني
ما اريد فيما امركم به وانهاكم عنه الا الاصلاح يعني فيما بيني وبينكم ما استطعت يعني ما استطعت الا الاصلاح
وهو الابلاغ والانذار فقط ولا استطيع اجباركم على الطاعة لان ذلك الى الله تعالى فانه يهدي من يشاء
ويضل من يشاء وما توفيقي الا بالله التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة على العبد ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى

فلذلك

فلذلك قال وما توفيقي الا بالله عليه توكلت يعني على الله اعتمدت في جميع اموري واليه انيب يعني واليه ارجع فيما
ينزل بي من النوائب وقيل اليه ارجع في معادي وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذكر شعيبا قال
ذلك خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وقوله تعالى ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي اي لا يحملنكم خلافي وعداوتي
ان يصيبكم يعني عذاب العاجلة على كفركم وافعالكم الخبيثة مثل ما اصاب قوم نوح يعني الغرق او قوم هود
يعني من الريح التي اهلكتهم او قوم صالح يعني ما اصابهم من الصيحة حتى هلكوا جميعا وما قوم لوط منكم ببعيد
وذلك انهم كانوا حديثي عهد بهلاكهم وقيل معناه وما ديار قوم لوط منكم ببعيد وذلك انهم كانوا جيران قوم
لوط وبلادهم قريبة من بلادهم قوله واستغفروا ربكم يعني من عبادة الاصنام ثم توبوا اليه يعني من
البخس والنقصان في الكيل والوزن ان ربي رحيم يعني بعباده اذا تابوا واستغفروا ودود قال ابن عباس
الودود المحب لعباده المؤمنين فهو من قولهم وددت الرجل اوده اذا احببته وقيل يحتمل ودود ان يكون
فعول بمعنى مفعول ومعناه ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة افضاله واحسانه اليهم وقال
الحليمي هذا قد قيل هو الواد لاهل طاعته اي الراضي عنهم باعمالهم والمحسن اليهم لاجلها او المادح لهم بها
وقال ابو سليمان الخطابي وقد يكون معناه ان يودهم الى خلقه قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول
يعني ما نفهم ما تدعونا اليه وذلك ان الله ختم على قلوبهم فصارت لا تعي ولا تفهم ما ينفعها وان كانوا
في الظاهر يسمعون ويفهمون وانا لنراك فينا ضعيفا قال ابن عباس وقتادة كان اعمى قال الزجاج ويقال
ان حمير كانوا يسمون المكفوف ضعيفا وقال الحسن وابو روق ومقاتل يعني ذليلا قال ابو روق ان
الله تعالى لم يبعث نبيا اعمى ولا نبيا به زمانة وقيل كان ضعيف البصر وقيل المراد بالضعف العجز عن
الكسب والتصرف وقيل هو الذي يتعذر عليه المنع من نفسه ويدل على صحة هذا القول ما بعده وهو
قوله تعالى ولولا رهطك يعني جماعتك وقيل عشيرتك وقيل الرهط ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى سبعة
لرجمناك يعني لقتلناك بالحجارة والرجم بالحجارة اسوأ القتلات واشرها وقيل معناه لشتمناك واغلظنا
لك القول وما انت علينا بعزيز يعني بكريم وقيل بمنيع ما والمقصود من هذا القول وحاصله انهم بينوا لشعيب
عليه السلام انه لا حرمة له عندهم ولا وقع له في صدورهم وانهم انما لم يقتلوه ولم يسمعوه الكلام الغليظ
الفاحش لاجل احترام رهطه وعشيرته وذلك لانهم كانوا على دينهم وملتهم ولما قالوا لشعيب عليه
السلام هذه المقالة اجابهم بقوله قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله يعني اهيب عندكم من الله وامنع حتى
تركتم قتلي لمكان رهطي لان الله تعالى اعز واعظم واتخذتموه وراءكم ظهريا يعني ونبذتم امر الله وراء ظهوركم وتركتموه
كالشيء الملقى لا يلتفت اليه ان ربي بما تعملون محيط يعني انه عالم باحوالكم جميعا لا يخفى عليه منها شيء فيجازيكم
به يوم القيامة ويا قوم اعملوا على مكانتكم يعني على قدرتكم وتمكنكم من عملكم وقيل المكانة الحالة والمعنى
اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة من الشر اني عامل يعني ما اقدر عليه من الطاعة
والخير وهذا الامر في قوله اعملوا فيه وعيد وتهديد عظيم ويدل عليه قوله سوف تعلمون فان قلت لم ادخل
الفاء في قوله فسوف تعلمون وصل حتى تقديره بالاستيناف الذي هو جواب السؤال مقدر كانهم قالوا
فما يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون يعني عاقبة ذلك توصل تارة بالفاء
وتارة بالاستيناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستيناف
وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه والمعنى فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه بسبب
عمله السيء واينا الشقي الذي ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب يعني فيما يدعيه قوله وارتقبوا يعني

Copyright © King Saud University

وانتظروا العاقبة وما يؤول اليه امري وامركم اني معكم رقيب اي منتظر والرقيب بمعنى المراقب ولما جاء امرنا
يعني بعذابهم واهلاكهم نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا يعني بفضل منا بان هديناهم للايمان ووفقناهم
للطاعة واخذت الذين ظلموا يعني ظلموا انفسهم بالشرك والبخس الصيحة وذلك ان جبريل عليه السلام صاح بهم
صيحة خرجت ارواحهم وماتوا جميعا وقيل اتتهم صيحة واحدة من السما فماتوا جميعا فاصبحوا في ديارهم
جاثمين كان لم يغنوا فيها يعني كان لم يقيموا بديارهم مرة من الدهر ماخوذ من قولهم غنينا بالمكان اذا قام فيه مستغنى
به عن غيره الا بعدا لمدين يعني هلاكا كما بعدت ثمود قال ابن عباس لم تعذب امتان قط بعذاب واحد الا قوم
شعيب وقوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم واما قوم شعيب فاخذتهم الصيحة من فوقهم قوله عز وجل
ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني بحججنا والبراهين التي اعطيناه الدالة على صدقه ونبوته وسلطان مبين يعني
ومعجزة قاهرة ظاهرة دالة على صدقه ايضا قال بعض المحققين سميت الحجة سلطانا لان صاحب الحجة يقهر
من لا حجة معه كالسلطان يقهر غيره وقال الزجاج السلطان هو الحجة وسمي السلطان سلطانا لانه حجة
الله في الارض الى فرعون وملايه يعني اتباعه واشراف قومه فاتبعوا امر فرعون يعني ما هو عليه من الكفر
وتركوا الايمان بما جاءهم به موسى وما امر فرعون برشيد يعني وما طريق فرعون وما هو عليه بسديد ولا حميد
العاقبة ولا يدعو الى خير يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار يعني كما تقدم قومه فادخلهم البحر
في الدنيا كذلك يتقدم قومه يوم القيامة فيدخلهم النار ويدخل هو امامهم والمعنى كما كان قدوتهم
في الضلال والكفر في الدنيا فكذلك هو قدوتهم وامامهم في النار وبئس الورد المورود يعني وبئس المدخل
المدخول فيه وقيل شبه الله فرعون في تقدمه على قومه الى النار بمن يتقدم على الوارد الى الما وشبه اتباعهم
بالواردين بعده ولما كان ورود الما محمودا عند الوارد لانه يكسر العطش قال في حق فرعون واتباعه
فاوردهم النار وبئس الورد المورود لان الاصل فيه قصد الما واستعمله في ورود النار على سبيل
انقطاعه واتبعوا في هذه يعني في هذه الدنيا لعنة يعني طردا وبعدا عن الرحمة ويوم القيامة يعني واتبعوا
لعنة اخرى يوم القيامة مع اللعنة التي حصلت لهم في الدنيا بئس الرفد المرفود يعني بئس العون
المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعنة في الاخرة وقيل معناه بئس العطا المعطى وذلك انه ترادف
عليهم لعنتان لعنة في الدنيا ولعنة في الاخرة قوله تعالى ذلك من انبا القرى يعني من اخبار اهل القرى
وهم الامم السالفة في القرون الماضية نقصه عليك يعني نخبرك به يا محمد لتخبر قومك لعلهم يعتبروا بهم
فيرجعوا عن كفرهم وينزل بهم مثل ما نزل بهم من العذاب منها يعني من القرى التي اهلكنا اهلها قايم
وحصيد يعني منها عامر ومنها خراب وقيل منها قايم يعني الحيطان بغير سقوف ومنها قد محي اثره بالكلية
شبهها الله بالزرع الذي بعضه قايم على سوقه وبعضه قد حصد وذهب اثره والحصيد بمعنى المحصود
وما ظلمناهم يعني بالعذاب والاهلاك ولكن ظلموا انفسهم يعني بالكفر والمعاصي فما اغنت عنهم الهتهم
التي يدعون من دون الله من شي لما جاء امر ربك يعني عذاب ربك لم تنفعهم اصنامهم ولم تدفع عنهم العذاب
وما زادوهم غير تتبيب يعني غير تخسير وقيل غير تدمير وكذلك اخذ ربك يعني وهكذا اخذ ربك اذا اخذ
القرى وهي ظالمة الضمير وهو عايد على القرى والمراد اهلها ان اخذه اليم شديد عن ابي موسى الاشعري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرا وكذلك اخذ
ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد في الاية الكريمة والحديث دليل على ان من اقدم
على ظلم فانه يجب ان يتدارك ذلك بالتوبة والانابة ورد الحقوق الى اهلها ان كان الظلم للغير لئلا

يقع

يقع في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا يظن ان هذه الاية حكمها مختص بظالمي الامم الماضية بل هو
عام في كل ظالم ويعضده الحديث والله اعلم قوله تعالى ان في ذلك لاية يعني فيما ذكر من عذاب الامم الخالية واهلاكهم
لعبرة وموعظة لمن خاف عذاب الاخرة يعني ان هلاكه اوليك عبرة يعتبر بها وموعظة يتعظ بها من كان يخشى
الله ويخاف عذابه في الاخرة اذا نظر ما احل الله باوليك الكفار في الدنيا من عذابه وعظيم عقابه في الاخرة وهي
كالانموذج مما اعد الله لهم من اليم عذابه في الاخرة اعتبر به فيكون زيادة في خوفه وخشيته من الله ذلك يوم
مجموع له الناس يعني يوم القيامة يجمع فيها الخلايق من الاولين والاخرين للحساب بين يدي رب العالمين
وذلك يوم مشهود يعني يشهده اهل السموات واهل الارض وما نوخره الا لاجل معدود وما نوخر ذلك اليوم وهو
يوم القيامة الا الى وقت معلوم وذلك الوقت لا يعلمه احد الا الله تعالى يوم يات يعني ذلك اليوم
لا تكلم نفس الا باذنه قيل ان جميع الخلايق يسكتون في ذلك اليوم فلا يتكلم احد فيه الا باذن الله تعالى فان
قلت كيف وجه الجمع بين هذه الاية وبين قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها
وبين قوله اخبارا عن محاجة الكفار وهو قوله والله ربنا ما كنا مشركين والاخبار ايضا تدل على الكلام في ذلك
اليوم قلت يوم القيامة يوم طويل وله احوال مختلفة وفيه اهوال عظيمة ففي بعض الاحوال
لا يقدرون على الكلام لشدة الاهوال وفي بعض الاحوال يوذن لهم في الكلام فيتكلمون وفي بعضها يخفف عنهم تلك
الاهوال فيحاجون ويجادلون وينكرون وقيل المراد من قوله تعالى لا تكلم نفس الا باذنه الشفاعة يعني لا تشفع
نفس لنفس الا باذن الله تعالى في الشفاعة فمنهم يعني فمن اهل الموقف شقي وسعيد الشقاوة خلاف السعا دة
والسعادة هي معاونة الامور الالهية للانسان ومساعدته على فعل الخير والصلاح وتيسيره لها ثم
السعادة على ضربين سعادة دنيوية وسعادة اخروية وهي السعادة القصوى لانها نهايتها الجنة
وكذلك الشقاوة على ضربين شقاوة دنيوية وشقاوة اخروية وهي الشقاوة القصوى لان نهايتها
النار فالشقي من سبقت له الشقاوة في الازل والسعيد من سبقت له السعادة في الازل ق عن علي
ابن ابي طالب قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله
ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده في الجنة
ومقعده في النار فقالوا يا رسول الله افلا نتكل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة
فسييسر لعمل السعادة واما من كان من اهل الشقا فسييسر لاهل الشقا ثم قرا فاما من اعطى واتقى وصدق
بالحسنى فسنيسره لليسرى بقيع الغرقد هو مقبرة اهل المدينة الشريفة ومدفنهم فيه والمخصرة كالسوط
والعصا ونحو ذلك مما يمسكه بيده الانسان والنكت بالنون والتا المثلثة من فوق ضرب الشي بتلك المخصرة
او باليد ونحو ذلك حتى يوثر فيها استدل بعض العلما بهذه الاية وهذا الحديث على ان اهل الموقف قسمان شقي
وسعيد لا ثالث لهما وظاهر الاية والحديث يدل على ذلك لكن بقي قسم اخر مسكوت عنه وهم من استوت حسناته
وسياته وهم اصحاب الاعراف ونحو الاطفال والمجانين الذين لا حسنات لهم ولا سيات فهولا مسكوت
عنهم وهم تحت مشية الله تعالى وفي يوم القيامة يحكم فيهم بما يشا وخص هذين القسمين بالذكر لا يدل على
نفي القسم الثالث فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها اي في النار من العذاب والهوان زفير وشهيق اصل الزفير
ترديد النفس في الصدر حتى تنتفخ منه الضلوع والشهيق رد النفس الى الصدر والزفير مده واخراجه
من الصدر قال ابن عباس الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وقال الضحاك ومقاتل الزفير
اول صوت الحمار والشهيق اخره اذا ردده في صدره وقال ابو العالية الزفير في الحلق والشهيق في الجوف

خالدين فيها ما دامت السموات والارض قال ما دامت سموات الجنة والنار وارضهما ولابد لاهل الجنة واهل النار
من سما تظلهم وارض تقلهم فكل ما علاك فهو سما وكل ما استقر عليه قدمك فهو ارض وقال اهل المعاني هذه عبارة عن التابيد
وذلك على عادة العرب فانهم يقولون لا اتيك ما دامت السموات والارض وما اختلف الليل والنهار يريدون بذلك
التابيد الا ما شاء ربك اختلف العلما في معنى هذين الاستثنائين فقال ابن عباس والضحاك الاستثنا الاول مذكور
في اهل الشقا يرجع الى قوم من المومنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها فيكون استثنا من غير الجنس
لان الذين اخرجوا من النار سعدا في الحقيقة استثناهم الله تعالى من الاشقيا ويدل على صحة هذا التاويل ما روي
عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يخرج قوما من النار بالشفاعة وفي رواية ان الله يخرج ناسا
من النار فيدخلهم الجنة اخرجه البخاري ومسلم خ عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار
قوم بعد ما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم اهل الجنة الجهنميين وفي رواية ليصيبن اقواما سفع من
النار بذنوب اصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضله ورحمته فيقال لهم الجهنميون خ عن عمران بن حصين
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة يسمون
الجهنميين واما الاستثنا الثاني فالمذكور في اهل السعادة فيرجع الى مدة لبث هولا في النار قبل دخولهم
الجنة فعلى هذا القول يكون معنى الاية فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها
ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان يخرجهم منها فيدخلهم الجنة ان ربك فعال لما يريد واما الذين
سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان يدخله النار اولا ثم يخرجه منها فيدخله
الجنة فحاصل هذا القول ان الاستثنائين يرجع كل واحد منهما الى قوم مخصوصين في الحقيقة سعدا اصابوا
ذنوبا استوجبوا بها عقوبة يسيرة في النار ثم يخرجون منها فيدخلون الجنة لا يخرجون منها ابدا وقيل ان الاستثنا
يرجعون الى الفريقين واحتباسهم في البرزخ وهو ما بين الموت الى البعث ومدة وقوفهم للحساب ثم يدخل اهل
الجنة الجنة واهل النار النار فيكون المعنى خالدين فيها الجنة والنار الا هذا المقدار وقيل معناه الا ما شاء
ربك فيكون المعنى خالدين فيهما ما دامت السموات والارض سوى ما شاء ربك من الزيادة على ذلك وهو كقولك
لفلان علي الف الا الفين اي سوى الالفين اللتين تقدمتا وقيل الا بمعنى الواو يعني وقد شاء ربك خلود
هولا في الجنة وهولا في النار فهو كقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا وقيل معناه ولو شاء
ربك لاخرجهم منها ولكنه لا يشا لانه حكم لهم بالخلود فيها قال الفرا هذا استثنا استثناه الله ولا يفعله كقولك
والله لاضربنك الا ان ارى غير ذلك وعزمك ان تضربه فهذه الاقوال في معنى الاستثنا ترجع الى الفريقين والصحيح
هو القول الاول ويدل عليه قوله تعالى في الاية الاخرى ان ربك فعال لما يريد يعني من اخراج من في النار وادخالهم
الجنة فهذا على الاجمال في حال الفريقين واما على التفصيل فقوله الا ما شاء ربك في جانب الاشقيا يرجع الى الزفير
والشهيق وتقديره ان يفيد حصول الزفير والشهيق مع الخلود الا انه اذا دخل عليه الاستثنا وجب ان
يحصل فيه هذا المجموع والاستثنا في جانب السعدا يكون بمعنى الزيادة الا ما شاء ربك من الزيادة لهم من النعيم
بعد الخلود وقيل ان الاستثنا الاول في جانب الاشقيا معناه الا ما شاء ربك من ان يخرجهم من حر النار الى البرد
والزمهرير وفي جانب السعدا معناه الا ما شاء ربك ان يرفع بعضهم الى منازل بعضها اعلى من منازل الجنان
ودرجاتها والقول الاول هو المختار ويدل على خلود اهل الجنة في الجنة وهو ان الامة مجتمعة على ان من يدخل
الجنة لا يخرج منها بل هو خالد فيها قوله تعالى عطاء غير مجذوذ يعني غير مقطوع قال ابن زيد اخبرنا الله تعالى
بالذي يشا لاهل الجنة فقال تعالى عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشا لاهل النار وروي عن ابن مسعود

انه

بلغ

انه قال ليأتين على جهنم زمان ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وعن ابي هريرة نحوه وهذا ان
صح عن ابن مسعود وابي هريرة فمحمول عند اهل السنة على اخلاء اماكن المومنين الذين كانوا استحقوا النار من
النار بعد اخراجهم منها لانه ثبت بالدليل الصحيح القاطع اخراج جميع الموحدين من النار وخلود الكفار فيها او يكون
محمولا على اخراج الكفار من حر النار الى برد الزمهرير ليزدادوا عذابا فوق عذابهم والله اعلم قوله تعالى فلا تك
في مرية مما يعبد هولا يعني فلا تك في شك يا محمد في هذه الاصنام التي يعبد هولا الكفار فانها لا تضر ولا تنفع
ما يعبدون الا كما يعبد اباوهم من قبل يعني انه ليس لهم في عبادة هولا الاصنام مستند الا انهم راوا اباهم يعبدونها
فيعبدونها مثلهم وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص يعني وانا مع عبادتهم هذه الاصنام نرزقهم الرزق الذي قدرناه لهم
من غير نقص فيه ويحتمل ان يكون المراد من توفية نصيبهم شيئا من العذاب الذي قدر لهم في الاخرة كاملا موفرا غير ناقص
قوله عز وجل ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة فاختلف فيه يعني في الكتاب فمن مصدق به ومكذب به كما فعل قومك يا محمد
بالقران ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير العذاب عنهم الى يوم القيامة لكان الذي
يستحقونه من تعجيل العقوبة في الدنيا على كفرهم وتكذيبهم وقوله تعالى لقضي بينهم يعني لعذبوا في الحال وفرغ
من عذابهم واهلاكهم وانهم لفي شك يعني من القران ونزوله عليك يا محمد منه مريب يعني انهم قد وقعوا في الريب
والتهمة وان كلا يعني من الفريقين المختلفين فيها المصدق والمكذب لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام لام القسم
تقديره والله ليوفينهم جزا اعمالهم في القيامة بالمصدق على تصديقه الجنة ويجازي المكذب على تكذيبه
النار قوله تعالى انه بما يعملون خبير يعني انه تعالى لا يخفى عليه شي من اعمال عباده وان دقت ففيه وعد للمحسنين
المصدقين ووعيد وتهديد للمكذبين الكافرين قوله تعالى فاستقم كما امرت الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني
فاستقم يا محمد على دين ربك والعمل به والدعا اليه كما امرك ربك والامر في فاستقم للتاكيد لان النبي صلى الله عليه
وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليها فهو كقولك للقائم قم حتى اتيك اي دم على ما انت عليه من القيام حتى اتيك
ومن تاب معك يعني ومن امن معك من امتك فليستقيموا ايضا على دين الله تعالى والعمل به وطاعته قال عمر بن
الخطاب الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ عنه روغان الثعلب م عن سفيان بن عبد الله الثقفي
قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسال عنه احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم ولا تطغوا يعني
ولا تجاوزوا امري الى غيره ولا تعصوني وقيل معناه ولا تغلوا في الدين فتجاوزوا ما امرتكم به ونهيتكم عنه انه بما
تعملون بصير يعني انه تعالى عالم باعمالكم ايها الناس لا يخفى عليه شي منها قال ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم اية هي اشد عليه من هذه الاية ولذلك قال شيبتني هود واخواتها خ عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة
والروحة وشي من الدلجة قوله ان الدين يسر ضد العسر واراد به التسهيل في الدين وترك التشديد فان هذا الدين
مع يسره وسهولته قوي فلن يغالب ولن يقاوى فسددوا اي اقصدوا السداد من الامور وهو الصواب
وقاربوا اي اطلبوا المقاربة وهي المقصود الذي لا غلو فيه ولا تقصير والغدو الرواح بكرة والرواح الرجوع عشيا والمراد منه
اعملوا اطراف النهار وقتا ووقتا والدلجة سير الليل والمراد منه اعملوا بالنهار واعملوا بالليل ايضا وقوله واستعينوا
بشي من الدلجة اشارة الى تقليله ولا تركنوا الى الذين ظلموا الركون قال ابن عباس هو الميل والمحبة بالقلب وقال
ابو العالية لا ترضوا باعمالهم قال السدي لا تداهنوا الظلمة وعن عكرمة تطيعوهم وقيل معناه ولا تسكنوا الى الذين
ظلموا فتمسكم النار اي تصيبكم النار بحرها وما لكم من دون الله من اوليا يعني اعوانا وانصارا يمنعونكم من عذاب الله
ثم لا تنصرون يعني ثم لا تجدوا لكم من ينصركم ويخلصكم من عذاب الله غدا في القيامة ففيه وعيد لمن ركن الى الظلمة

Copyright © King Saud University

او ومن باعمالهم او احبهم فكيف حال الظلمة في انفسهم نعوذ بالله من الظلم **واقم الصلوة طرفي النهار** سبب نزول هذه
الاية ما روي عن الترمذي عن ابي اليسر قال اتتني امراة تبتاع تمرا فقلت ان في البيت تمرا هو اطيب منه فدخلت
معي البيت فاهويت اليها فقبلتها فاتيت ابا بكر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر احدا فلم
اصبر فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال اخلفت غازيا في سبيل الله في اهله بمثل
هذا حتى تمنى انه لم يكن اسلم الا تلك الساعة حتى ظن انه من اهل النار قال واطرق النبي صلى الله عليه وسلم طويلا
حتى اوحى اليه واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الى قوله ذلك ذكرى للذاكرين قال ابو اليسر فاتيته فقراها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصحابه يا رسول الله لهذا خاصة ام للناس عامة قال بل للناس عامة قال
الترمذي هذا حديث حسن غريب وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره وابو اليسر هو كعب بن عمرو **ق** عن عبد الله
ابن مسعود ان رجلا اصاب من امراة قبلة فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فنزلت واقم الصلاة طرفي
النهار وزلفا من الليل الاية فقال الرجل يا رسول الله الي هذه الاية قال لمن عمل بها من امتي وفي رواية قال الرجل
من القوم يا نبي الله هذه له خاصة قال بل للناس كافة عن معاذ بن جبل قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل
فقال يا رسول الله ارايت رجلا لقي امراة ليس بينهما معرفة فليس ياتي الرجل الى امراته شيا الا وقد اتاه الا
انه لم يجامعها قال فانزل الله عز وجل واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن
السيات ذلك ذكرى للذاكرين فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يتوضا ويصلي قال معاذ فقلت يا رسول الله
اهي له خاصة ام للمومنين عامة قال بل للمومنين عامة اخرجه الترمذي وقال هذا الحديث ليس بمتصل عبد
الرحمن بن ابي ليلى لم يسمع من معاذ اما التفسير فقوله تعالى واقم الصلاة طرفي النهار يعني صلاة الغدى
والعشي قال مجاهد طرفي النهار يعني صلاة الصبح والظهر والعصر وزلفا من الليل يعني صلاة المغرب والعشا
وقال مقاتل صلاة الصبح والظهر طرف وصلاة العصر والمغرب طرف وزلفا من الليل صلاة العشا وقال
الحسن طرفي النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشا وقال ابن عباس طرفي النهار الغداة والعشي
يعني صلاة الصبح والمغرب قال الامام فخر الدين الرازي كثرت المذاهب في تفسير طرفي النهار الغداة والعشا
يعني صلاة الصبح والمغرب قال الامام فخر الدين الرازي هي الفجر والعصر وذلك لان احد طرفي النهار هو طلوع
الشمس والثاني لا يجوز ان تكون صلاة المغرب لانها داخلة تحت قوله وزلفا من الليل فوجب حمل الطرف الثاني
على صلاة العصر **وزلفا من الليل** يعني واقم الصلاة في زلفا الليل وهي ساعة واحدتها الزلفة واصل الزلفة
المنزلة والمراد بها في صلاة المغرب والعشا **ان الحسنات يذهبن السيات** يعني ان الصلوات الخمس يذهبن الخطيات
ويكفرها **م** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارة
لما بينهن زاد في رواية ما لم تغش الكبائر وزاد في رواية اخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهما اذا
اجتنبت الكباير **ق** عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ارايتم لو كان نهرا بباب احدكم
يغتسل منه كل يوم خمس مرات ما تقولون ذلك يبقي من درنه قالوا لا يبقى من درنه شي قال فذلك مثل الصلوات
الخمس يمحو الله بها الخطايا **خ** عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر
جار غمر على باب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات قال الحسن وما يبقى من الدرن قال العلما الصغائر من
الذنوب يكفرها الاعمال الصالحة مثل الصلاة والصدقة والذكر والاستغفار ونحو ذلك من اعمال البر
واما الكباير من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح ولها ثلاث شرايط الاول الاقلاع عن الذنب
بالكلية الثاني الندم على فعله الثالث العزم التام ان لا يعود اليه في المستقبل فاذا حصلت هذه الشرائط

صحت

صحت التوبة وكانت مقبولة ان شا الله تعالى وقال مجاهد في تفسير الحسنات انها قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والقول
الاول اصح انها الصلوات الخمس وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابن المسيب ومجاهد في احد الروايتين عنه والقرظي والضحاك وجمهور
المفسرين **ذلك** اشارة الى ما تقدم ذكره في ذكر الاستقامة والتوبة وقيل هو اشارة الى القران **ذكرى للذاكرين** يعني عظة للمومنين
المطيعين **واصبر** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واصبر يا محمد على اذى قومك وما تلقاه منه وقيل معناه واصبر على
الصلاة قوله **فان الله لا يضيع اجر المحسنين** يعني اعمالهم وقال ابن عباس يعني المصلين قوله تعالى **فلولا كان من القرون**
يعني فهلا كان من القرون التي اهلكناهم **من قبلكم** يا امة محمد **اولوا بقية** يعني اولوا تمييز وطاعة وخير يقال فلان
ذو بقية اذا كان فيه خير وقيل معناه اولو بقية من خير يقال فلان على بقية من الخير اذا كان على خصلة محمودة **ينهون عن الفساد في الارض**
يعني يقومون بالنهي عن الفساد في الارض والاية للتقريع والتوبيخ يعني لم يكن فيهم من فيه خير ينهى عن الفساد في الارض فلذلك
اهلكناهم **الا قليلا** هذا استثنا منقطع معناه لكن قليلا قوله **ممن انجينا منهم** يعني لم يكن في الامم الماضية من اتباع الانبيا
كانوا ينهون عن الفساد في الارض **واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه** يعني واتبع الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي ما نعموا فيه الترف
والنعيم والمعنى انهم اتبعوا ما تعودوه من النعيم وايثار اللذات على الاخرة ونعيمها **وكانوا مجرمين** يعني كافرين **وما كان ربك** يعني وما كان ربك يا محمد
ليهلك القرى بظلم يعني لا يهلكهم بشركهم **واهلها مصلحون** يعني وهم مصلحون في اعمالهم ولكن يهلكهم بكفرهم وسيئاتهم وركوبهم السيئات
وقيل في معنى الاية وما كان ربك ليهلك القرى بمجرد شركهم اذا كانوا مصلحين يعامل بعضهم بعضا بالصلاح والفساد والمراد من الهلاك عذاب
الاستيصال في الدنيا انما عذاب الاخرة فهو لازم لهم ولهذا قال بعض الفقها ان حقوق الله مبناها على المسامحة والمساهلة وحقوق العباد مبناها
على التشديد قوله تعالى **ولو شا ربك لجعل الناس امة واحدة** يعني كلهم على دين واحد وشريعة قوله **ولا يزالون مختلفين** يعني على اديان شتى
ما بين يهودي ونصراني ومجوسي ومشرك ومسلم فكل اهل دين من هذه الاديان قد اختلفوا في دينهم ايضا اختلافا كثيرا لا ينضبط
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفترق اليهود على احدى وسبعين فرقة او اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك
وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة اخرجه ابو داود والترمذي بنحوه عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا ان من
قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعين
في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة اخرجه ابو داود قال الخطابي قوله صلى الله عليه وسلم وستفترق امتي فيه دلالة على ان هذه
الفرق غير خارجة من الملة والدين اذ جعلهم من امته وقال غيره المراد بهذه الفرق اهل البدع والاهوا الذين تفرقوا واختلفوا
وظهروا بعده من الخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة وغيرهم من اهل البدع والاهوا والمراد بالواحدة هي فرقة السنة
والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم في اقواله وافعاله وقوله تعالى **الا من رحم ربك** يعني لكن من رحم فمن عليه بالهداية
والتوفيق الى الحق وهداه الى الدين القويم والصراط المستقيم فهم لا يختلفون **ولذلك خلقهم** قال الحسن وعطا وللاختلاف
خلقهم وقال اشهب سالت مالك بن انس عن هذه الاية فقال خلقهم ليكونوا فريقا في الجنة وفريقا في السعير وقال ابن
عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وللرحمة خلقهم يعني الذين رحمهم وقال الفرا خلق اهل الرحمة للرحمة وخلق اهل الاختلاف للاختلاف وقيل
خلق الله عز وجل اهل الرحمة لئلا يختلفوا وخلق اهل العذاب لان يختلفوا وخلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها
اهلا ومحاصل الاية ان الله خلق اهل الباطل وجعلهم مختلفين وخلق اهل الجنة وجعلهم متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف
ومصيرهم الى النار وخلق اهل الجنة ومصيرهم الى الجنة وهم اهل الايمان ويدل على صحة هذا القول سياق الاية وهو قوله **وتمت
كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين** وهذا صريح بان الله تعالى خلق اقواما للجنة وللرحمة فهداهم ووفقهم
لاعمال اهل الجنة وخلق اقواما للنار وللضلالة فخذلهم ومنعهم من الهداية قوله تعالى **وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما
نثبت به فوادك** لما ذكر الله عز وجل في هذه السورة الكريمة قصص الامم الماضية والقرون الخالية وما جرى لهم مع انبيائهم
خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وكلا نقص عليك يا محمد من انباء الرسل ما نثبت به فوادك يعني من اخبار الرسل وما
جرى لهم مع قومهم ما نثبت به فوادك يعني ما نقوي به قلبك وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه القصص وعلم
ان حال جميع الانبيا مع اتباعهم هكذا سهل عليه الاذى من قومه وامكنه الصبر عليه **وجاءك يا محمد في هذه الحق** اختلفوا في

Copyright © King Saud University

هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل معناه وجاءك في هذه الدنيا الحق وفيه بعد لانه لم يجر للدنيا ذكر حتى يعود الضمير
اليه وقيل في هذه الآية وقيل في هذه السورة وهو الاقرب وهو قول اكثر المفسرين **فان قلت** قد جاء
الحق في سور القرآن فلم خص هذه السورة بالذكر **قلت** لا يلزم من تخصيص هذه السورة بالذكر
ان لا يكون قد جاء الحق في غيرها من السور بل القرآن كله حق وصدق وانما خصها بالذكر تشريفا لها وموعظة
وذكرى للمؤمنين وهذه السورة موعظة يتعظ بها المؤمنون اذا تذكروا احوال الامم الماضية وما
نزل بهم وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم فيه وعيد وتهديد يعني اعملوا ما انتم عاملون
فستعلمون عاقبة ذلك العمل فهو كقوله اعملوا ما شئتم انا عاملون يعني ما امرنا به ربنا وانتظروا
يعني ما يعدكم به الشيطان انا منتظرون يعني ما يحل بكم من نقمة الله اما في الدنيا واما في الآخرة ولله
غيب السموات والارض يعلم ما غاب عن العباد فيهما يعني ان علمه سبحانه وتعالى نافذ في جميع الاشياء
خفيها وجليها وحاضرها ومعدومها لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء واليه يرجع الامر كله يعني الى الله
يرجع امر الخلق كلهم في الدنيا والآخرة فاعبده يعني من كان كذلك مستحقا للعبادة لا غيره فاعبده ولا تشتغل
بعبادة غيره وتوكل عليه يعني وثق به في جميع امورك فانه يكفيك وما ربك بغافل عما تعملون قال اهل
التفسير هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم والمعنى انه تعالى يحفظ على العباد اعمالهم
لا يخفى عليه منها شيء فيجزي المحسن باحسانه والمسيء باساءته قال كعب الاحبار خاتمة التوراة خاتمة سورة هود
والله اعلم **تفسير سورة يوسف عليه السلام** وهي مكية باجماعهم وهي مائة واحدى عشرة آية والف وسبعمائة
كلمة وسبعة الاف ومائة وستة وستون حرفا قال ابن الجوزي وفي سبب نزولها قولان احدهما روي عن سعد بن
ابي وقاص قال انزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه زمانا عليهم فقالوا يا رسول الله لو قصصت
علينا فانزل الله الر تلك آيات الكتاب المبين الى قوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص القول الثاني
رواه الضحاك عن ابن عباس قال سالت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا حدثنا عن امر يعقوب وولده
وشان يوسف فانزل الله تعالى الر تلك آيات الكتاب المبين الآيات الكريمة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الر تقدم تفسيره في اول سورة يونس تلك آيات الكتاب المبين اشارة الى آيات هذه السورة
اي تلك الآيات التي انزلت اليك في هذه السورة المسماة بالر هي آيات الكتاب وقال قتادة مبين بينه الله ببركته وهداه
ورشده فهذا من بان اي ظهر وقال الزجاج مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام فهذا من ابان بمعنى اظهر وقيل
انه يبين فيه قصص الاولين وشرح احوال المتقدمين انا انزلناه يعني هذا الكتاب قرآنا عربيا
بلغتكم لكي تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه وقيل ان علماء اليهود قالوا لمشركي مكة سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم
عن امر يعقوب وقصة يوسف وكانت عند اليهود بالعبرانية فانزل الله هذه السورة وذكر فيها قصة يوسف
بالعربية ليفهمها العرب ويعرفوا معانيها والتقدير انا انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه
عربيا فعلى هذا القول يجوز اطلاق اسم القرآن على بعضه لانه اسم جنس يقع على الكل والبعض واختلف العلماء
هل يمكن ان يقال في القرآن شيء بغير العربية فقد اعظم على الله القول واحتج بهذه الآية انا انزلناه قرآنا
عربيا وروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة ان فيه من غير لسان العرب مثل سجيل والمشكاة واليم
واستبرق ونحو ذلك وهذا هو الصحيح المختار لان هؤلاء اعلم من ابي عبيدة بلسان العرب وكلا
القولين صواب ان شاء الله تعالى ووجه الجمع بينهما ان هذه الالفاظ لما تكلمت بها العرب ودارت
على السنتهم صارت عربية فصيحة وان كانت غير عربية في الاصل لكنهم لما تكلموا بها نسبت اليهم وصارت
لهم لغة فظهر بهذا البيان صحة القولين وامكن الجمع بينهما لعلكم تعقلون يعني تفهمون ايها العرب لانه
نازل بلغتكم قوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص اصل القصص في اللغة اتباع الخبر بعضه بعضا والقاص

قال الاوزاعي فان فيه
بغير العربية

الذي

الذي ياتي بالخبر على وجهه واصله في اللغة من قص الاثر اذا تتبعه وانما سميت الحكاية قصة لان الذي
يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئا فشيئا والمعنى نحن نبين لك يا محمد اخبار الامم السالفة والقرون
الماضية احسن البيان وقيل المراد منه قصة يوسف عليه السلام خاصة وانما سماها احسن القصص
لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا وما فيها من سير الملوك والمماليك
والعلماء ومكر النساء والصبر على اذى الاعداء وحسن التجاوز عنهم بعد اللقاء وغير ذلك من الفوائد المذكورة
في هذه السورة الشريفة قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم يتفكه بهما اهل الجنة في الجنة وقال
عطاء لا يسمع سورة يوسف محزون الا استراح اليها وقوله تعالى بما اوحينا اليك يعني يا محمد بايحائنا
اليك هذا القرآن وان كنت اي وقد كنت من قبله يعني من قبل وحينا اليك لمن الغافلين يعني عن هذه القصة
وما فيها من العجائب قال سعد بن ابي وقاص انزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا
فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فانزل الله عز وجل الله نزل احسن الحديث فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا
فانزل الله نحن نقص عليك احسن القصص فقالوا يا رسول الله لو ذكرتنا فانزل الله الم يان للذين امنوا
ان تخشع قلوبهم لذكر الله قوله عز وجل اذ قال يوسف لابيه اي اذكر يا محمد لقومك قول يوسف لابيه يعقوب بن
اسحاق بن ابراهيم صلى الله عليهم وسلم اجمعين خ عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم
ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ويوسف اسم عبراني ولذلك لا يجري فيه وقيل هو عربي
سئل ابو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الاسف الحزن والاسيف العبد واجتمعا في يوسف فسمي به يا ابت
اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين معناه قال اهل التفسير راى يوسف
في منامه كان احد عشر كوكبا نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر فسجدوا له وكانت هذه الرؤيا ليلة جمعة
وكانت ليلة القدر وكانت النجوم في التاويل اخوته وكانوا احد عشر رجلا يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم
والشمس ابوه والقمر امه في قول قتادة وقال السدي القمر خالته لان امه راحيل قد ماتت وقال قتادة
وابن جريج القمر ابوه والشمس امه لان الشمس مؤنثة والقمر مذكر وكان يوسف عليه السلام ابن اثنتي عشرة سنة
وقيل سبع عشرة سنة وقيل سبع سنين واراد بالسجود تواضعهم له ودخولهم تحت امره وقيل اراد حقيقة
السجود لانه كان في ذلك الزمان التحية فيما بينهم السجود **فان قلت** ان الكواكب جماد
لا تعقل فكيف عبر عنها بكناية من يعقل في قوله رايتهم ولم يقل رايتها وقوله ساجدين ولم يقل ساجدات **قلت**
لما اخبر عنها بفعل من يعقل وهو السجود كنى عنها بكناية من يعقل فهو كقوله يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم
وقيل ان الفلاسفة المنجمين يزعمون ان الكواكب احياء نواطق حساسة فيجوز ان يعبر عنها بعبارة من
يعقل وهذا القول ليس بشيء والاول اصح **فان قلت** قد قال اني رايت احد عشر كوكبا
والشمس والقمر ثم اعاد لفظ الرؤية ثانيا فقال رايتهم لي ساجدين فما فائدة هذا التكرار **قلت**
معناه الرؤيا الاولى لبيان اجرام الكواكب والشمس والقمر ومعنى الرؤية الثانية انه اخبر بسجودها له
وقال بعضهم معناه انه قال اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر فكانه قيل له وكيف رايت قال
رايتهم لي ساجدين وانما افرد الشمس والقمر بالذكر وان كانا من جملة الكواكب للدلالة على فضلهما وشرفهما
على سائر الكواكب قال اهل التفسير ان يعقوب عليه السلام كان شديد الحب ليوسف عليه السلام
فحسده اخوته لهذا السبب وظهر ذلك ليعقوب فلما راى يوسف هذه الرؤيا وتاويلها ان اخوته
وابويه يخضعون له فلهذا قال يعقوب يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك يعني لا تخبرهم برؤياك

فانهم يعرفون تاويلها فيكيدوا لك كيدا اى فيحتالون فى هلاكك فامره بكتمان رؤياه عن اخوته
لان رؤيا الانبيا وحى وحق واللام فى فيكيدوا لك كيدا تاكيد للصلة كقولك نصحتك ونصحت لك وشكرتك
وشكرت لك ان الشيطان للانسان عدو مبين يعنى انه بين العداوة لان عداوته قديمة فهم ان
اقدموا على الكيد كان ذلك مضافا الى تزيين الشيطان ووسوسته ق عن ابى قتادة قال كنت ارى
الرؤيا تمرضنى حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة من الله والرؤيا السوء من
الشيطان فاذا راى احدكم ما يحب فلا يحدث بها الا من يحب واذا راى ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثا وليتعوذ
بالله من الشيطان الرجيم وشرها فانها لن تضره خ عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا راى احدكم الرؤيا يحبها فانها من الله تعالى فليحمد الله وليحدث بها واذا راى غير ذلك مما يكره فانما
هى من الشيطان فليستعذ بالله من الشيطان ومن شرها ولا يذكرها لاحد فانها لن تضره م عن جابر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا راى احدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ
بالله من الشيطان الرجيم وليتحول عن جنبه الذى كان عليه عن ابى رزين العقيلى قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رؤيا المؤمن جزء من اربعين وفى رواية جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهى على رجل
طاير ما لم يحدث بها فاذا حدث بها سقطت واحسبه قال ولا يحدث بها الا لبيبا او حبيبا اخرجه
الترمذى ولابى داود نحوه قال الشيخ محى الدين النووى قال المازرى مذهب اهل السنة فى حقيقة الرؤيا
ان الله تعالى يخلق فى قلب النايم اعتقادات كما يخلقها فى قلب اليقظان وهو سبحانه يفعل ما يشا لا يمنعه
نوم ولا يقظة فاذا خلق هذه الاعتقادات كلها فكانه جعلها علما على امور اخر يخلقها فى ثانى الحال او خلق
خلق الله تعالى ولكن يخلق الرؤيا والاعتقادات التى جعلها علما على ما يسر بغير حضرة الشيطان فاذا خلق
ما هو علم على ما يضر يكون بحضرة الشيطان مجازا وان كان لا فعل له فى الحقيقة فهذا معنى قول النبى صلى
الله عليه وسلم الرؤيا من الله والحلم من الشيطان لا على ان الشيطان يفعل شيا والرؤيا اسم للمحبوب
والحلم اسم للمكروه وقال غيره اضاف الرؤيا المحبوبة الى الله اضافة تشريف بخلاف الرؤيا المكروهة وان
كانتا جميعا من خلق الله وتدبيره وارادته ولا فعل للشيطان فيهما ولكنه يحضر المكروه ويرتضيها
فيستحب اذا راى الرجل فى منامه ما يحب فليحدث به من يحب واذا راى ما يكره فلا يحدث به وليتعوذ
بالله من الشيطان الرجيم ومن شرها وليتفل ثلاثا وليتحول عن جنبه الاخر فانها لا تضره فان الله جعل
هذه الاسباب سببا للسلامة من المكروه كما جعل الصدقة سببا لوقاية المال وغيره من البلا قوله
عز وجل وكذلك يجتبيك ربك يعنى قول يعقوب ليوسف عليهما السلام اى وكما رفع منزلتك
بهذه الرؤيا الشريفة العظيمة كذلك يجتبيك يعنى يصطفيك ربك واجتبا الله العبد تخصيصه
اياه بفيض الهى تحصل منه انواع المكرمات بلا سعى من العبد وذلك مختص بالانبيا او لبعض من
يقاربهم من الصديقين والشهدا والصالحين ويعلمك من تاويل الاحاديث يعنى به تعبير
الرؤيا سمى تاويلا لانه يؤول امره الى ما راى فى منامه يعنى يعلمك تاويل احاديث الناس
فيما يرونه فى منامهم وكان يوسف عليه السلام اعلم الناس بتعبير الرؤيا وقال الزجاج تاويل
احاديث الانبيا والامم السالفة والكتب المنزلة وقال ابن عباس يعلمك العلم والحكمة ويتم نعمته
عليك يعنى بالنبوة قاله ابن عباس لان منصب النبوة اعلا المناصب وكل الخلق دون درجة الانبيا
فهذا من تمام النعمة عليهم لان جميع الخلق دونهم فى الرتب والمناصب وعلى آل يعقوب المراد بآل يعقوب

اولاده

اولاده فانهم كانوا انبيا وهو المراد من تمام النعمة عليهم كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحق وقيل
المراد من اتمام النعمة على ابراهيم صلى الله عليه وسلم بان خلصه من النار واتخذه خليلا والمراد من اتمام
النعمة على اسحاق بان خلصه من الذبح وهذا على قول من قال ان اسحاق هو الذبيح وليس بشى والقول الاول
هو الاصح بان اتمام النعمة عليهما بالنبوة لانه لا اعظم من منصب النبوة فهو من اعظم النعم على العبد ان
ربك عليم يعنى بمصالح خلقه حكيم يعنى انه تعالى لا يفعل شيا الا بحكمة وقيل انه تعالى حكم بوضع النبوة
فى بيت ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس بين هذه رؤيا يوسف وبين تحقيقها بمصر واجتماعه
بابويه واخوته اربعون سنة وهذا قول اكثر المفسرين قال الحسن البصرى كان بينهما ثمانون سنة
فلما بلغ هذه الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضى ان يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه قوله تعالى
لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين يعنى فى خبره وخبر اخوته واسماؤهم روبيل وهو اكبرهم وشمعون
ولاوى ويهودا وريالون ويشجر وامهم ليا بنت ليان وهى ابنة خال يعقوب وولد ليعقوب من سريتين
اسم احدهما زلفة والاخرى بلهة اربعة اولاد واسماؤهم دان ونفتالى وجاد واشر ثم توفيت ليا
فتزوج يعقوب اختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين فهؤلا بنو يعقوب وهم الاسباط وعددهم
اثنى عشر نفرا آيات للسائلين وذلك ان اليهود لما سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف
وقيل سالوا عن انتقال ولد يعقوب من ارض كنعان الى ارض مصر فذكر قصة يوسف مع اخوته فوجدوها
مطابقة لما فى التوراة فتعجبوا منه فعلى هذا يكون هذه القصة دلالة على نبوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم لانه لم يقرا الكتب المتقدمة ولم يجالس العلما والاحبار ولم ياخذ من احد منهم شيا
فدل ذلك على ان ما اتى به وحى سماوى وعلم قدسى اوحاه الله اليه وعرفه به ومعنى آيات للسائلين
اى عبرة للمعتبرين فان هذه القصة تشتمل على انواع من العبر والمواعظ والحكم ومنها رؤيا يوسف وما
حقق الله فيها ومنها حسد اخوته له وما آل اليه امرهم من الحسد ومنها صبر يوسف على اخوته مثل القايه
فى الجب وبيعه عبدا وسجنه بعد ذلك وما آل اليه امره من الملك ومنها ما اشتمل عليه على حزن يعقوب
وصبره على فقد ولده وما آل اليه امره من بلوغ المراد وغير ذلك من الآيات التى اذا فكر فيها اعتبر واتعظ
اذ قالوا يعنى اخوة يوسف ليوسف اللام فيه لام القسم تقديره والله ليوسف واخوه يعنى بنيامين
وهما من ام واحدة احب الى ابينا منا ونحن عصبة انما قالوا هذه المقالة حسدا منهم ليوسف واخيه
لما راوا من ميل يعقوب اليه وكثرة شفقته عليه والعصبة الجماعة وكانوا عشرة وقال الفرا العصبة هى
العشرة وقال مجاهد ما بين العشرة الى خمسة عشر وقيل الى الاربعين وقيل ان الاصل كل جماعة
يتعصب بعضهم لبعض فيسموا عصبة والعصبة لا واحد لها من لفظها كالرهط والنفر ان ابانا لفى
ضلال مبين يعنى انه فى خطا بين فى ايثاره حب يوسف علينا مع صغره لا نفع فيه ونحن عصبة ننفعه
ونقوم بمصالحه من امر دنياه واصلاح امر مواشيه وليس المراد من ذكر هذا الضلال هو الضلال عن الدين اذ لو
ارادوا ذلك لكفروا به ولكن ارادوا به الخطا فى امر الدنيا وما يصلحها يقولون نحن انفع له من يوسف فهو مخطى فى
صرف محبته اليه لانا اكبر منه سنا واشد قوة واكثر منفعة وغاب عنهم المقصود الاعظم وهو ان يعقوب عليه السلام
ما فضل يوسف واخاه على ساير الاخوة الا فى المحبة المحضة ومحبة القلب ليس فى وسع البشر دفعها ويحتمل ان يعقوب
انما خص يوسف بمزيد المحبة والشفقة لان امه ماتت وهو صغير او لانه راى فيه من آيات الرشد والنجابة
ما لم يره فى ساير اخوته فان قلت الذى فعله اخوة يوسف بيوسف وهو محض الحسد

Copyright King Saud University

والحسد من امهات الكباير وكذلك نسبة ابيهم الى الضلال وهو من محض العقوق وهو من الكباير ايضا وكل
قادح فى عصمة الانبيا عليهم السلام فما الجواب عنه **قلت** هذه الافعال انما صدرت من اخوة يوسف
قبل ثبوت النبوة لهم والمعتبر فى عصمة الانبيا هو وقت حصول النبوة لا قبلها وقيل كانوا وقت هذه الافعال
مراهقين غير بالغين ولا تكليف عليهم قبل البلوغ فعلى هذا لم تكن هذه الافعال قادحة فى عصمة الانبيا عليهم السلام
قوله تعالى حكاية عن اخوة يوسف اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم لما قوى الحسد وبلغ النهاية
قال اخوة يوسف فيما بينهم لا بد من تبعيد يوسف عن ابيه وذلك لا يحصل الا باحد الطرفين اما القتل مرة واحدة
او التغريب الى ارض يحصل الياس من اجتماعه بابيه بان يفترسه الاسد والسباع او يموت فى تلك الارض البعيدة
ثم ذكروا العلة فى ذلك فقولهم يخل لكم وجه ابيكم والمعنى انه قد شغله حب يوسف عنكم فاذا فعلتم ذلك بيوسف
اقبل يعقوب بوجهه عليكم وصرف محبته اليكم وتكونوا من بعده يعنى من بعد قتل يوسف او ابعاده عن
ابيه قوما صالحين يعنى تائبين تتوبون الى الله تعالى يعف عنكم فتكونوا قوما صالحين وذلك انهم لما علموا
ان الذى عزموا عليه من الكباير والذنوب فلهذا قالوا نتوب الى الله من هذا الفعل ونكونوا من الصالحين فى المستقبل
وقال مقاتل معناه يصلح لكم امركم فيما بينكم وبين ابيكم **فان قلت** كيف تقدم هذه الافعال منهم
وهم انبيا **قلت** الجواب ما تقدم انهم لم يكونوا انبيا فى ذلك الوقت حتى يكون ذلك الفعل قادحا
فى عصمة الانبيا وانما اقدموا على هذه الافعال قبل النبوة وقيل ان الذى اشار بقتل يوسف كان اجنبيا شاوروه
فى ذلك فاشار عليهم بقتله قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف يعنى قال قائل من اخوة يوسف وهو يهوذا وقال
قتادة هو روبيل وهو ابن خالته وهو اكبرهم سنا واحسنهم رايا فنهاهم عن قتله وقال القتل كبيرة عظيمة
والاصح ان قائل هذه المقالة هو يهوذا لانه كان اقربهم اليه سنا والقوه فى غيابة الجب يعنى القوه فى
اسفل الجب وظلمته والغيابة كل موضع ستر شيا وغيبه عن النظر والجب البير الكبير غير مطوية سمى بذلك
لانه جب اى قطع ولم يطوى وافاد ذلك الغيابة مع ذكر الجب ان المشير اشار فى طرحه فى موضع من الجب
مظلم لا يراه احد واختلفوا فى مكان ذلك الجب قال قتادة هو ببير بيت المقدس وقال وهب هو
فى ارض الاردن وقال مقاتل هو فى ارض الاردن على ثلاث فراسخ من منزل يعقوب وانما عينوا ذلك
للعلة التى ذكروها وهى قوله تعالى يلتقطه بعض السيارة وذلك ان هذا الجب كان معروفا يرد عليه
كثير من المسافرين والالتقاط اخذ الشى من الطريق ومن حيث لا يحتسب ومنه اللقطة بعض السيارة
يعنى ياخذه بعض المسافرين فيذهب به الى ناحية اخرى فتستريحوا منه ان كنتم فاعلين فيه اشارة الى
ترك الفعل فكانه قال لا تفعلوا شيا من ذلك وان عزمتم على هذا الفعل فافعلوا هذا القدر ان كنتم فاعلين
ذلك قال البغوى كانوا يومئذ بالغين ولم يكونوا انبيا وقيل لم يكونوا بالغين وليس بصحيح بدليل انهم قالوا
وتكونوا من بعده قوما صالحين وقالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين والصغير لا ذنب له
قال محمد بن اسحاق اشتمل فعلهم هذا على جرايم كثيرة من الرحم وعقوق الوالدين وقلة الرافة بالصغير
الذى لا ذنب له والغدر بالامانة وترك العهد والكذب مع ابيهم وعفا الله عن ذلك كله حتى لا يياس
احد من رحمة الله تعالى وقال بعض اهل العلم عزموا على قتله وعصمهم الله رحمة بهم ولو فعلوا ذلك
لهلكوا جميعا وكل ذلك كان قبل ان نباهم الله فلما اجمعوا على التفريق بين يوسف وبين والده بضرب
من الحيل قالوا يعنى قال اخوة يوسف ليعقوب يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف بدوا بالانكار عليه
فى ترك ارسال يوسف معهم كانهم قالوا انك تخاف علينا اذا ارسلته معنا وانا له لناصحون المراد بالنصح

هنا

هنا القيام بالمصلحة وقيل البر والعطف والمعنى انا لعاطفون عليه قائمون بمصلحته وبحفظه وقال
مقاتل فى الكلام تقديم وتاخير وذلك انهم قالوا لابيهم ارسله معنا فقال يعقوب انى ليحزننى ان تذهبوا
به فحينئذ قالوا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون ثم قالوا ارسله معنا غدا يعنى الى الصحرا
نرتع الرتع هو الاتساع فى الملاذ يقال رتع فلان فى ماله اذا انفقه فى شهواته والاصل فى الرتع اكل
البهايم فى الخصب من الربيع ويستعار للانسان اذا اريد به الاكل الكثير ونلعب اللعب معروف قال
الراغب يقال لعب فلان اذا كان فعله غير قاصد به مقصدا صحيحا سيل ابو عمرو بن العلا كيف
قالوا نلعب وهم انبيا فقال لم يكونوا يومئذ انبيا ويحتمل ان يكون اللعب المراد هنا الاقدام على
المباحات لاجل انشراح الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم هلا بكرا تلاعبك وتلاعبها وايضا فان
فعلهم كان الاستباق وهو غرض صحيح مباح لما فيه من المحاربة والاقدام على الاقران فى الحرب بدليل
قوله نستبق وانما سماه لعبا لانه فى صورة اللعب وقيل معنا نرتع ونلعب نتنعم وناكل ونلهو وننشط
وانا له لحافظون يعنى نجتهد فى حفظه غاية الاجتهاد حتى نرده اليك سالما قال يعنى قال لهم يعقوب
انى ليحزننى ان تذهبوا به اى ذهابكم به والحزن هنا الم القلب بفراق المحبوب ومعنى الاية لما طلبوا منه
ان يرسل معهم يوسف اعتذر يعقوب عليه السلام بعذرين احدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه
يحزنه لانه كان لا يقدر ان يصبر عنه ساعة والثانى قوله واخاف ان ياكله الذيب وانتم عنه غافلون
يعنى اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم وذلك ان يعقوب عليه السلام راى فى المنام ان ذيبا شد على يوسف
فكان يعقوب يخاف عليه من ذلك وقيل كانت الذياب فى ارضهم كثيرة قالوا يعنى اخوة يوسف مجيبين
ليعقوب لئن اكله الذيب ونحن عصبة اى جماعة عشرة رجال انا اذا لخاسرون يعنى عجزة ضعفا وقيل
انهم خافوا ان يدعو عليهم يعقوب بالخسار والبوار وقيل معناه انا اذا لم نقدر على حفظ اخينا فكيف نحفظ
مواشينا فنحن اذا خاسرون قوله عز وجل فلما ذهبوا به فيه اضمار واختصار تقديره فارسله معهم فلما
ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه فى غيابة الجب يعنى وعزموا ان يلقوه فى غيابة الجب ذكر قصة ذهابهم بيوسف
قال وهب وغيره من اهل السير والاخبار ان اخوة يوسف قالوا له اما تشتاق ان تخرج معنا الى مواشينا
فنتصيد ونستبق فقال بلى قالوا له فسل اباك ان يرسلك معنا قال يوسف افعلوا فدخلوا بجماعتهم
على يعقوب فقالوا يا ابانا ان يوسف قد احب ان يخرج معنا الى مواشينا فقال يعقوب ما تقول
يا بنى قال نعم يا ابت انى ارى من اخوتى اللين واللطف فاحب ان تاذن لى وكان يعقوب يكره مفارقته
ويحب مرضاته فاذن له وارسله معهم فلما خرجوا به من عند يعقوب جعلوا يحملونه على رقابهم
ويعقوب ينظر اليهم فلما بعدوا عنه وصاروا الى الصحرا القوه على الارض واظهروا له ما فى انفسهم
من العداوة وبسطوا اليه القول وجعلوا يضربونه فجعل كلما جاء الى واحد منهم واستغاث به ضربه فلما فطن
لما عزموا عليه من قتله جعل ينادى يا ابتاه لو رايت يوسف وما نزل به من اخوته لاحزنك ذلك وابكاك
يا ابتاه ما اسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك وجعل يبكى بكاء شديدا فاخذه روبيل فجلد به
الارض ثم جثم على صدره واراد قتله فقال له يوسف مهلا يا اخى لا تقتلنى فقال له يا ابن راحيل انت
صاحب الاحلام قل لرؤياك تخلصك من ايدينا ولوى عنقه فاستغاث يوسف بيهودا وقال له اتق
الله فى وحل بينى وبين من يريد قتلى فادركته رحمة الاخوة ورق له فقال يهودا يا اخوتاه ما على هذا
عاهدتمونى الا ادلكم على ما هو اهون لكم وارفق به فقالوا وما هو قال تلقوه فى هذا الجب اما ان يموت

Copyright © King Saud University

او يلتقطه بعض السيارة فانطلقوا به الى بير هناك على غير الطريق واسع الاسفل ضيق الراس فجعلوا يدلونه
فى البير فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصى لاستتر به فى الجب
فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتونسك فقال انى لم ار شيا فالقوه فيها فلما بلغ نصفها القوه
ارادة ان يموت وكان فى البير ما فسقط فيه ثم اوى الى صخرة كانت فى البير فقام عليها وقيل نزل
عليه ملك فحل يديه واخرج له صخرة من البير فاجلسه عليها وقيل انهم لما القوه فى الجب جعل يبكى فنادوه
فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه بصخرة فيقتلوه فمنعهم يهودا من ذلك وقيل ان يعقوب
لما بعثه مع اخوته اخرج له قميص ابراهيم عليه السلام الذى كساه الله اياه من الجنة حين القى فى النار
فجعله يعقوب فى قصبة فضة وجعلها فى عنق يوسف فالبسه الملك اياه حين القى فى الجب فاضا له
الجب وقال الحسن لما القى يوسف فى الجب عذب ماوه فكان يغنيه عن الطعام والشراب ودخل عليه
جبريل فانس به فلما امسى نهض جبريل ليذهب قال له انك اذا خرجت استوحش فقال له اذا رهبت شيا
فقل يا صريخ المستصرخين ويا غوث المستغيثين ويا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكانى وتعلم
حالى ولا يخفى عليك شى من امرى فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستانس فى الجب وقال محمد بن
مسلم الطائفى لما القى يوسف فى الجب قال يا شاهدا غير غايب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب
اجعل لى فرجا مما انا فيه فلما بات فيه واختلفوا فى قدر عمر يوسف يوم القى فى الجب فقال الضحاك ست
سنين وقال الحسن اثنى عشر سنة وقال ابن السايب سبعة عشر سنة وقيل ثمانية عشر سنة
وقيل مكث فى الجب ثلاثة وكان اخوته يرعون حواليه وكان يهودا ياتيه بالطعام فذلك قوله
تعالى **واوحينا اليه لتنبينهم بامرهم هذا** يعنى لتخبرن اخوتك قال اكثر المفسرين ان الله تعالى
اوحى اليه وحيا حقيقة فبعث اليه جبريل يونسه ويبشره بالخروج ويخبره انه ينبيهم بما فعلوا ويجازيهم
عليه هذا قول طايفة عظيمة من المحققين ثم القايلون بهذا القول اختلفوا هل كان بالغا فى ذلك
الوقت او كان صبيا صغيرا فقال بعضهم انه كان بالغا وكان عمره خمسة عشر سنة وقال الاخرون
بل كان صغيرا الا ان الله عز وجل اكمل عقله ورشده وجعله صالحا لنزول الوحى والنبوة كما قال فى حق
عيسى عليه الصلاة والسلام **فان قلت** كيف جعله نبيا فى ذلك الوقت ولم يكن
يبلغ رسالته لان فايدة النبوة والرسالة تبليغها الى من ارسل اليه **قلت**
لا يمتنع ان الله يشرفه بالوحى ويكرمه بالنبوة والرسالة فى ذلك الوقت وفايدة ذلك تطييب
قلبه وازالة الهم والغم والوحشة عنه ثم بعد ذلك يامره بتبليغ الرسالة فى وقتها وقيل ان المراد
من قوله واوحينا اليه وحى الهام كما فى قوله واوحى ربك الى النحل واوحينا الى ام موسى والقول الاول
اولى **وهم لا يشعرون** يا يوسف الينا بانك وانت فى البير بانك ستخبرهم بصنيعهم هذا والفايدة فى اخفا
الوحى عنهم انهم اذا عرفوه فربما ازداد حسدهم له وقيل ان الله اوحى الى يوسف لتخبرن اخوتك بصنيعهم
هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون بانك انت يوسف والمقصود من ذلك تقوية قلب
يوسف عليه السلام وانه سيخلص مما هو فيه من المحنة ويصير مستوليا عليهم ويصيرون تحت امره
وقهره **وجاوا اباهم عشا يبكون** قال المفسرون لما طرحوا يوسف فى الجب رجعوا الى ابيهم وقت
العشا ليكونوا فى الظلمة اجرا على الاعتذار بالكذب فلما قربوا من منزل يعقوب جعلوا يبكون
ويصرخون فسمع اصواتهم ففزع من ذلك وخرج اليهم فلما راهم قال بالله ما لكم يا بنى هل

اصابكم

اصابكم شى فى غنمكم قالوا لا قال فما اصابكم واين يوسف **قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق** قال ابن عباس
يعنى ننتضل قال الزجاج نسابق بعضنا بعضا فى الرمى وهو التناضل ايضا وسمى المتراميان
بذلك يقال تسابقا واستبقا اذا فعلا ذلك ليتبين ايهما ابعد سهما وقال السدى يشتد
ويعدوا والمعنى نستبق على الاقدام ليتبين اينا اسرع عدوا واخف حركة وقال مقاتل
نتصيد والمعنى نستبق الى الصيد **وتركنا يوسف عند متاعنا** عند ثيابنا **فاكله الذيب**
يعنى فى حال استباقنا وغفلتنا عنه **وما انت بمومن لنا** يعنى وما انت بمصدق لنا **ولو كنا
صادقين** يعنى فى قولنا والمعنى انا وان كنا صادقين لكنك لا تصدق لنا قولا لشدة محبتك
ليوسف فانك تتهمنا فى قولنا هذا وقيل معناه انا وان كنا صادقين لا تصدقنا لانه لم يظهر
عندك امارة تدل على صدقنا **وجاوا على قميصه** يعنى قميص يوسف **بدم كذب** يعنى مكذوب
فيه قال ابن عباس انهم ذبحوا سخلة وجعلوا دمها على قميص يوسف ثم جاوا اباهم وفى القصة انهم
لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه فقال يعقوب لهم كيف اكله الذيب ولم يشق قميصه فاتهمهم
بذلك وقيل انهم اتوه بذيب وقالوا هذا اكله فقال يعقوب ايها الذيب انت اكلت ولدى
وثمرة فوادى فانطقه الله عز وجل وقال والله ما اكلته ولا رايته ولذلك قط ولا يحل لنا ان ناكل
لحوم الانبيا فقال يعقوب فكيف وقعت بارض كنعان قال جيت لصلة الرحم وهو قرابة لى
فاخذونى واتوا بى اليك فاطلقه يعقوب ولما ذكر اخوة يوسف ليعقوب هذا الكلام واحتجوا
على صدقهم بالقميص الملطخ بالدم **قال** يعقوب **بل سولت لكم انفسكم امرا** يعنى بل زينت لكم انفسكم
امرا واصل التسويل تقرير معنى فى النفس مع الطمع فى تمامه قال صاحب الكشاف سولت سهلت
من السول وهو الاسترخا اى سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ركبتموه من يوسف وهونتموه فى انفسكم
واعينكم فعلى هذا يكون معنى قوله بل ردا لقولهم اكله الذيب كانه قال ليس الامر كما تقولون اكله الذيب
بل سولت لكم انفسكم امرا اخر غير ما تصفون **فصبر جميل** اى فشانى صبر جميل وقيل معناه فصبرى
صبر جميل والصبر الجميل الذى لا شكوى فيه ولا جزع وقيل من الصبر الجميل ان لا تحدث بمصيبتك
ولا تزكى نفسك قوله **والله المستعان على ما تصفون** يعنى من القول الكذب وقيل معناه
والله المستعان على حمل ما تصفون قوله عز وجل **وجاءت سيارة** وهم القوم المسافرون
سموا سيارة لسيرهم فى الارض وكانوا رفقة من مدين يريدون مصر فاخطاوا الطريق فنزلوا قريبا
من الجب الذى كان فيه يوسف وكان فى قفرة بعيدا عن العمارة يرده المارة والرعاة وكان ماوه ملحا
فلما القى يوسف فيه عذب فلما نزلوا ارسلوا رجلا من اهل مدين يقال له مالك بن دعر الخزاعى ليطلب
لهم الما فذلك قوله **فارسلوا واردهم فادلى دلوه** قال والوارد هو الذى يتقدم الرفقة الى الما
فيستقى لهم والدلو يقال ادليت الدلو اذا ارسلتها فى البير ودلوتها اذا اخرجتها قال فتعلق
يوسف عليه السلام بالحبل وكان يوسف عليه السلام احسن ما يكون من الغلمان وذكر البغوى
بسند مسندات النبى صلى الله عليه وسلم قال اعطى يوسف شطر الحسن وقيل انه ورث ذلك
الجمال من جدته سارة وكانت قد اعطيت سدس الحسن قال محمد بن اسحاق ذهب يوسف وامه
بثلثى الحسن وحكى الثعلبى عن كعب الاحبار قال كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوى
الخلق ابيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والساقين خميص البطن صغير السرة وكان اذا ابتسم

Copyright © King Saud University

رايت النور من ضواحكه واذا تكلم رايت شعاع النور من ثناياه ولا يستطيع احد وصفه وكان حسنه
كضوء النهار عند الليل وكان يشبه ادم عليه السلام يوم خلقه وصورته قبل ان يصيب الخطيئة
قالوا فلما خرج يوسف وراه مالك بن دعر كاحسن ما يكون من الغلمان قال يعني الوارد وهو مالك
ابن دعر يا بشراي يعني يقول الوارد لاصحابه ابشروا اي هذا غلام وقرئ يا بشرى بغير اضافة
ومعناه ان الوارد نادى رجلا من اصحابه اسمه بشرى كما تقول يا زيد يقال ان جدران البير بكت على
يوسف حين خرج منها واسروه بضاعة قال مجاهد اسره مالك بن دعر واصحابه من التجار الذين
كانوا معه وقالوا انه بضاعة استبضعناه لبعض اهل الماء الى مصر وانما قالوا ذلك خيفة
ان يطلبوا منه الشركة فيه وقيل ان اخوة يوسف اسروا شان يوسف يعني انهم اخفوا امر يوسف
وكونه اخا لهم بل قالوا هو عبد لنا ابق وصدقهم يوسف على ذلك لانهم توعدوه بالقتل سرا من
مالك بن دعر واصحابه والقول الاول اصح لان مالك بن دعر هو الذي اسره بضاعة من اصحابه والله عليم
بما يعملون يعني من ارادة اهلاك يوسف فجعل ذلك سببا لنجاته وتحقيقا لرؤياه انه يصير ملك
مصر بعد ان كان عبدا قال اصحاب الاخبار ان يهودا كان ياتي يوسف بالطعام فاتاه فلم يجده
في الجب فاخبر اخوته بذلك فطلبوه فاذا هم بمالك بن دعر واصحابه نزول قريبا من البير فاتوهم
فاذا يوسف عندهم فقالوا لهم هذا عبد لنا ابق منا ويقال انهم هددوا يوسف حتى كتم حاله ولم
يعرف وقال لهم مثل قولهم ثم انهم باعوه منهم فذلك قوله وشروه اي باعوه وقد يطلق لفظ الشرا على البيع
يقال شريت الشيء بمعنى بعته وانما وجب حمل هذا الشرا على البيع لان الضمير في وشروه وفي وكانوا
فيه من الزاهدين يرجع الى شيء واحد وذلك ان اخوته زهدوا فيه فباعوه وقيل ان الضمير في
وشروه يعود على مالك بن دعر واصحابه فعلى هذا القول يكون لفظ الشرى على بابه بثمن بخس
قال الحسن والضحاك ومقاتل والسدي بخس اي حرام لان ثمن الحر حرام ويسمى الحرام بخسا
لانه مبخوس البركة يعني منقوصا وقال ابن مسعود وابن عباس بخس اي زيوف يعني ناقص العيار وقال
قتادة بخس اي ظلم والظلم نقصان الحق يقال ظلمه اذا نقصه حقه وقال عكرمة والشعبي بخس اي
قليل وعلى الاقوال كلها فالبخس في اللغة هو نقص الشيء على سبيل الظلم والبخس والباخس الشيء
التطفيف دراهم معدودة فيه اشارة الى قلة تلك الدراهم لانهم في ذلك الزمان كانوا لا يزنون ما كان
اقل من اربعين درهما وكانوا ياخذون ما دونها عددا فاذا بلغت اربعين درهما وهو اوقية وزنوها
واختلفوا في عدد تلك الدراهم فقال ابن عباس وابن مسعود وقتادة كانت عشرين درهما فاقتسموها
درهمين درهمين فعلى هذا القول لم ياخذ اخوه من ابيه وامه شيا منها وقال مجاهد كانت اثنين
وعشرين درهما فعلى هذا اخذ اخوه منها درهمين لانهم كانوا احد عشر اخا وقال عكرمة كانت اربعين
درهما وكانوا فيه من الزاهدين يعني وكانوا اخوة يوسف في يوسف من الزاهدين واصل الزهد
قلة الرغبة يقال زهد فلان في كذا اذا لم يكن له فيه رغبة والضمير في قوله وكانوا فيه من
الزاهدين ان قلنا انه يرجع الى اخوة يوسف كان وجه زهدهم فيه انهم حسدوه وارادوا
ابعاده عنهم ولم يكن قصدهم تحصيل الثمن وان قلنا وشروه وكانوا فيه من الزاهدين
يرجع الى معنى واحد وهو ان الذين شروه كانوا فيه من الزاهدين وكان وجه زهدهم فيه
اظهار قلة الرغبة فيه ليشتروه بثمن بخس قليل ويحتمل ان يقال ان اخوته لما قالوا انه

عبدنا وقد ابق ظهر المشتري قلة الرغبة فيه لهذا السبب قال اصحاب الاخبار ثم ان مالك بن
دعر واصحابه لما اشتروا يوسف انطلقوا به الى مصر وتبعهم اخوته يقولون استوثقوا منه لا يابق
منكم فذهبوا به حتى قدموا مصر فعرضه مالك على البيع فاشتراه قطفير قاله ابن عباس وكان
قطفير صاحب امر الملك وكان على خزائن مصر وكان يسمى العزيز وكان الملك بمصر ونواحيها
اسمه ريان بن الوليد بن تروان وكان من العماليق وقيل ان هذا الملك لم يمت حتى امن بيوسف
واتبعه على دينه ثم مات ويوسف عليه السلام حي قال ابن عباس لما دخلوا مصر لقي قطفير
مالك بن دعر فاشترى يوسف منه بعشرين دينارا وزوج نعل وثوبين ابيضين وقال
وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر ودخلوا به السوق يعرضونه للبيع فترافع
الناس في ثمنه حتى بلغ وزنه ذهبا ووزنه فضة ووزنه مسكا وحريرا وكان وزنه اربعمائة
رطل وكان عمره يومئذ ثلاثة عشر سنة او سبعة عشر سنة وابتاعه قطفير بهذا الثمن فذلك
قوله تعالى وقال الذي اشتراه من مصر يعني قطفير من اهل مصر لامراته وكان اسمها راعيل
وقيل زليخا اكرمي مثواه يعني اكرمي منزله ومقامه عندك والمثوى موضع الاقامة وقيل
اكرميه في المطعم والملبس والمقام عسى ان ينفعنا يعني ان اردنا بيعه بعناه بربح او يكفينا بعض
امورنا ومصالحنا اذا قوي وبلغ او نتخذه ولدا يعني نتبناه وكان حصورا ليس له ولد قال ابن مسعود
وافرس الناس ثلاثة العزيز في يوسف حيث قال لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وابنة
شعيب في موسى حيث قالت لابيها يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين وابو بكر في عمر حيث
استخلفه بعده وكذلك مكنا ليوسف في الارض يعني كما مننا على يوسف من ان انقذناه من القتل
واخرجناه من الجب كذلك مكناه في الارض يعني ارض مصر فجعلناه على خزائنها ولنعلمه من تاويل
الاحاديث اي مكناه في الارض لكي نعلمه من تاويل الاحاديث المعنى عبارة الرويا وتفسيرها والله
غالب على امره قيل الكناية في امره راجعة الى الله وقيل معناه والله غالب على امره يفعل ما يشا
ويحكم ما يريد لا دافع لامره ولا راد لقضائه لا يغلبه شيء وقيل هي راجعة الى يوسف ومعناه ان
الله مستول على امر يوسف بالتدبير والاحاطة لا يكله الى احد سواه حتى يبلغ منها ما علمه فيه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني ما هو صانع بيوسف وما يريد منه ولما بلغ اشده يعني منتهى
شبابه وشدته وقوته قال مجاهد ثلاثة وثلاثين سنة وقال الضحاك عشرون سنة وقال
السدي ثلاثين سنة وقال الكلبي الاشد ما بين ثمانية عشر الى ثلاثين سنة وسيل مالك عن
الاشد فقال هو الحلم اتيناه حكما وعلما يعني اتينا يوسف بعد بلوغ الاشد نبوة وفقها في الدين
وقيل حكما يعني اصابة في القول وعلما بتاويل الرويا وقيل الفرق بين الحكيم والعالم ان العالم هو
الذي يعلم الاشيا بحقائقها والحكيم هو الذي يعمل بما يوجبه العلم وقيل الحكمة حبس النفس
عن هواها وصونها عما لا ينبغي والعلم هو العلم النظري وكذلك يعني وكما انعمنا على يوسف بهذه النعم
كلها كذلك نجزي المحسنين قال ابن عباس يعني المومنين وعنه ايضا المهتدين وقال الضحاك
يعني الصابرين على النوائب كما صبر يوسف وراودته التي هو في بيتها عن نفسه يعني ان
امراة العزيز طلبت من يوسف الفعل القبيح ودعته الى نفسها ليواقعها وغلقت الابواب
اي اطبقتها وكانت سبعة لان مثل هذا الفعل لا يكون الا في ستر وخفية او انها اغلقتها لشدة

Copyright © King Saud University

خوفها وقالت هيت لك اي هلم واقبل قال ابو عبيدة كان الكسائي يقول هي لغة لاهل حوران
رفعت الى الحجاز معناها تعالى وقال عكرمة ايضا بالحورانية هلم وقال مجاهد وغيره هي لغة عربية
وهي كلمة حث واقبال على الشيء وقيل هي بالعبرانية واصلها هيتالج اي تعالى فعربت فقيل هيت
لك فمن قال انها بغير لغة العرب وافقت اهل هذه اللغة فتكلمت بها على لغات غيرهم كما وافقت
لغة العرب للروم في القسطاس ولغة العرب للفرس في التنور ولغة العرب للترك في الغساق
ولغة العرب للحبشة في ناشئة الليل وبالجملة فان العرب اذا تكلمت بكلمة صارت لها لغة
وقرئ هيت لك بكسر الهاء مع الهمزة ومعناها تهيأت لك قال يعني يوسف معاذ الله اي
اعوذ بالله واعتصم به والجأ اليه فيما دعوتيني اليه انه ربي يعني ان العزيز قطفير سيدي
احسن مثواي اكرم منزلتي فلا اخونه وقيل ان الهاء راجعة الى الله تعالى يقول الله
ربي احسن مثواي يعني اواني ومن بلاء الجب نجاني انه لا يفلح الظالمون يعني ان فعلت هذا
فانا ظالم ولا يفلح الظالمون وقيل معناه انه لا يسعد الزناة قوله تعالى ولقد همت به وهم
بها لولا ان راى برهان ربه الاية الكريمة مما يجب الاعتناء بها والبحث عنها والكلام عليها في مقامين
الاول في ذكر اقوال المفسرين في هذه الاية قال المفسرون الهم هو المقاربة من الفعل من غير دخول
فيه وقيل الهم مصدر هممت الشيء اذا اردته وحدثتك نفسك به وقاربته من غير دخول فيه فمعنى قوله
ولقد همت به اي ارادته وقصدته فكان همها عزمها على المعصية والزنا وقال الزمخشري هم بالامر
اذا قصده وعزم عليه قال الشاعر وهو عمرو بن ضابي البرجمي

هممت ولم افعل وكدت وليتني • تركت على عثمان تبكي حلائله

ولقد همت به معناه همت بمخالطته وهم بها وهم بمخالطتها لولا ان راى برهان ربه جوابه محذوف
تقديره لخالطها قال البغوي واما همه بها فروي عن ابن عباس انه قال حل الهميان وجلس منها
مجلس الخائن وقال مجاهد حل سراويله وجعل يعالج ثيابه وهذا قول اكثر المفسرين منهم سعيد
ابن جبير والحسن وقال الضحاك جرى الشيطان بينهما فضرب بيده الى جيد يوسف وبيده الاخرى
الى جيد المراة حتى جمع بينهما قال ابو عبيدة القاسم بن سلام وقد انكر قوم هذا القول قال البغوي
والقول ما قاله قدماء هذه الامة وهم كانوا اعلم بالله ان يقولوا في الانبياء من غير علم قال السدي
وابن اسحق لما ارادت امراة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه الى
نفسها فقالت يا يوسف ما احسن شعرك قال هو اول ما ينتثر عن جسدي قالت ما احسن عينيك
قال هي اول ما تسيل على خدي في قبري قالت ما احسن وجهك قال هو للتراب ياكله قيل وانها قالت
له ان فراش الحرير مبسوط فقم فاقض حاجتي قال اذا يذهب نصيبي من الجنة فلم تزل تطمعه وتدعو
الى اللذة وهو شاب يجد من شبق الشباب ما يجده الرجل وهي امراة حسناء جميلة حتى لان لها مما
يرى من كلفها به فهم بها ثم ان الله تعالى تدارك عبده يوسف بالبرهان الذي ذكره وسياتي
الكلام على تفسير البرهان الذي راه يوسف عليه السلام فهذا ما قاله المفسرون في هذه الاية
اما المقام الثاني في تنزيه يوسف عليه السلام عن هذه الرذيلة وبيان عصمته من هذه الخطيئة
التي نسبت اليه قال بعض المحققين الهم همان هم ثابت وهو ما كان معه عزم وقصد وعقد
رضا مثل هم امراة العزيز فالعبد ماخوذ وهم عارض وهو الخطرة في القلب وحديث النفس من غير

اختيار

اختيار ولا عزم مثل هم يوسف فالعبد غير ماخوذ به ما لم يتكلم او يعمل به ويدل على صحة هذا ما روي
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اذا هم عبدي بسيئة
فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها عليه سيئة واحدة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها
حسنة فان عملها فاكتبوها عشرة لفظ مسلم وللبخاري بمعناه ق عن ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه عز وجل ان الله تبارك وتعالى كتب السيئات
والحسنات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له حسنة كاملة فان هم بها وعملها
كتبها الله له عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة ومن هم بسيئة ولم يعملها
كتبها الله عليه سيئة واحدة زاد في رواية او محاها ولن يهلك على الله الا هالك قال القاضي عياض
في كتابه الشفا فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس يؤاخذ به وليست سيئة وذكر
الحديث المتقدم فلا معصية في هم يوسف اذا واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين
فان الهم اذا وطنت عليه النفس كان سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها
فهو المعفو عنه هذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي
ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الاية اي ما ابرئها من هذا الهم او يكون ذلك على سبيل
التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ وكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة
ان يوسف عليه السلام لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتاخير ولقد همت به ولولا ان راى
برهان ربه لهم بها وقال تعالى حاكيا عن المراة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى
حاكيا كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال
معاذ الله وقيل في قوله وهم بها اي نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل
نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف مثل شهوة زليخا حتى نباه الله تعالى فالقى
عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من راه عن حسنه هذا اخر كلام القاضي عياض رحمه الله
واما الامام فخر الدين فذكر في هذا المقام كلاما طويلا مبسوطا وانا اذكر بعضه ملخصا قال
الامام فخر الدين ان يوسف عليه السلام كان بريا من العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول
المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول وعنه نذب فان الدلايل قد دلت على عصمة الانبيا
عليهم السلام متى صدرت منهم زلة او هفوة استعظموها واتبعوها باظهار الندامة والتوبة
والاستغفار كما ذكر عن ادم عليه السلام في قوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقال في حق داود عليه
السلام فاستغفر ربه وخر راكعا واناب واما يوسف عليه السلام فلم يحك عنه شيا من ذلك
في هذه الواقعة لانه لو صدر منه شي لاتبعه بالتوبة والاستغفار ولو اتى بالتوبة لحكى الله عنه
ذلك في كتابه العزيز كما ذكر عن غيره من الانبيا وحيث لم يحك عنه شيا علمنا براءته مما قيل فيه ولم يصدر
عنه شي مما نقله اصحاب الاخبار ويدل على ذلك ايضا ان كل من كان له تعلق بهذه الواقعة
فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام مما نسب اليه واعلم ان الذين لهم تعلق بهذه الواقعة يوسف
والمراة وزوجها والنسوة اللاتي قطعن ايديهن والشهود الذين شهدوا على القميص والله تعالى
شهد ببراءته من الذنب ايضا اما بيان ان يوسف ادعى براءته مما نسب اليه فقوله هي راودتني عن نفسي
وقوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه واما بيان ان المراة اعترفت على نفسها واعترفت

Copyright © King Saud University

براءة يوسف ونزاهته بقولها انا راودته عن نفسه فاستعصم وقولها الان حصحص الحق انا
راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين واما بيان ان زوج المراة اعترف ايضا ببراءة يوسف بقوله انه من
كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين واما شهادة الشهود
ببراءته فقوله وشهد شاهد من اهلها واما شهادة الله له بذلك فقوله تعالى كذلك لنصرف عنه
السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ومن كان كذلك فليس للشيطان عليه سلطان بدليل
قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وبطل بهذا قول من قال ان الشيطان جرى بينهما
حتى اخذ بجنبه وجيد المراة حتى جمع بينهما فهو قول منكر لا يجوز لاحد ان يقول ذلك واما ما روي
عن ابن عباس انه جلس منها مجلس الخاين فحاشا ابن عباس ان يقول مثل هذا عن يوسف عليه السلام
ولعل بعض القصاص واصحاب الاخبار وضعوه على ابن عباس وكذلك ما روي عن مجاهد وغيره
ايضا فانه لا يكاد يصح بسند صحيح فبطل ذلك كله وثبت ما بيناه من براءة يوسف عليه السلام
من هذه الرذيلة والله اعلم بمراده واسرار كتابه وما صدر من انبيايه عليهم الصلاة والسلام

فان قلت فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله عز وجل لولا ان راى برهان ربه فايدة

قلت فيه اعظم الفوايد وبيانه من وجهين احدهما انه تعالى اعلم يوسف
عليه السلام انه لو هم بدفعها لقتلته فاعلمه بالبرهان الى ان الامتناع من ضربها اولى من
صرفها للنفس عن الهلاك الوجه الثاني انه عليه الصلاة والسلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه
لتعلقت به فكان في ذلك ان يتمزق ثوبه من قدام وكان في علم الله بان الشاهد بان ثوبه
لو تمزق من قدام لكان يوسف هو الخاين واذا تمزق من خلف كانت هي الخاينة فاعلمه بالبرهان
لهذا المعنى فلم يشتغل بدفعها عن نفسه بل ولى هاربا فاثبت بذلك الشاهد حجة له لا عليه واما
تفسير البرهان على ما ذكره المفسرون في قوله تعالى لولا ان راى برهان ربه فقال قتادة واكثر
المفسرين ان يوسف راى صورة يعقوب عليه السلام وهو يقول له يا يوسف اتعمل عمل السفهاء
وانت مكتوب في الانبياء وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له
سقف البيت فراى يعقوب عاضا على اصبعه وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل له
يعقوب فضرب بيده على صدره فخرجت شهوته من انامله وقال السدي نودي يا يوسف
اتواقعها انما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السما لا يطاق عليه وان مثلك ان واقعتها
كمثله اذا وقع على الارض لا يستطيع ان يدفع عن نفسه شيا ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور
الصعب الذي لا يطاق ومثلك اذا واقعتها كمثله اذا مات ودخل النمل في قرنه لا يستطيع
ان يدفع عن نفسه وقيل انه راى معصما بلا عضد عليه مكتوب وان عليكم لحافظين كراما
كاتبين يعلمون ما تفعلون فولى هاربا ثم رجع فعاد المعصم وعليه مكتوب ولا تقربوا
الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فولى هاربا ثم عاد فراى ذلك الكف وعليه مكتوب واتقوا
يوما ترجعون فيه الى الله الاية ثم عاد فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام ادرك عبدي يوسف
قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على اصبعه يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب
عند الله في الانبيا وقيل انه مسه بجناحه فخرجت شهوته من انامله قال محمد بن كعب القرظي
رفع يوسف راسه الى سقف البيت فراى كتابا في حايط كان ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة

وسا

وساء سبيلا وفي رواية عن ابن عباس انه راى مثال الملك وعن علي بن الحسين قال كان في البيت
صنم فقامت المراة اليه وسترته بثوب فقال لها يوسف عليه السلام لم فعلت هذا قالت
استحييت منه ان يراني على معصية فقال لها يوسف اتستحيين مما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني شيا
فانا احق ممن استحيي من ربي وهرب فذلك قوله لولا ان راى برهان ربه اما المحققون فقد
فسروا البرهان بوجوه الاول قال جعفر بن محمد الصادق البرهان حجة الله تعالى على العبد
تحريم الزنا والعلم بما على الزاني من العقاب الثاني ان الله عز وجل طهر نفوس الانبيا عليهم السلام
من الاخلاق الذميمة والافعال الرذيلة وجبلهم على الاخلاق الشريفة الطاهرة المقدسة
فتلك الاخلاق الشريفة الطاهرة تحجزهم عن فعل كذلك يعني كما اريناه البرهان كذلك لنصرف
عنه السوء يعني الاثم والفحشاء يعني الزنا وقيل السوء مقدمات الفحشاء وقيل السوء الثناء
القبيح فصرف الله عنه ذلك كله وجعله من عباده المخلصين وهو قوله انه يعني يوسف من عبادنا
المخلصين قرئ بفتح اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اصطفيناهم بالنبوة واخترناهم
على غيرهم وقرئ بكسر اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اخلصوا الطاعة لله عز وجل قوله واستبقا
الباب وذلك ان يوسف عليه السلام لما راى البرهان قام هاربا مبادرا الى الباب وقامت المراة
لتمسك عليه الباب حتى لا يخرج والمسابقة طلب التسبق فسبق يوسف فادركته المراة فتعلقت
بقميصه من خلفه وجذبته اليها حتى لا يخرج فذلك قوله عز وجل وقدت قميصه من دبر يعني
شقته من خلف فغلبها يوسف وخرجت خلفه والفيا سيدها لدى الباب يعني فلما خرجا
وجدا زوج المراة قطفير وهو العزيز عند الباب جالسا مع ابن عم المراة فلما راته المراة هابته
وخافت التهمة فسابقت يوسف بالقول قالت يعني لزوجها ما جزاء من اراد باهلك سوءا
يعني الفاحشة ثم خافت ان يقتل وذلك لشدة حبها له فقالت الا ان يسجن اي يحبس في السجن
ويمنع التصرف او عذاب اليم يعني الضرب بالسياط وانما بدات بذكر السجن على العذاب لان
المحب لا يشتهي ايلام المحبوب وانما ارادت ان يسجن عندها يوما او يومين ولم ترد السجن
الطويل وهذه لطيفة فافهمها فلما سمع يوسف مقالتها اراد ان يبرئ عن نفسه قال يعني
يوسف هي راودتني عن نفسي يعني طلبت مني الفحشاء فابيت وفررت وذلك ان يوسف
عليه السلام ما كان يريد ان يذكر هذا القول ولا يهتك سترها ولكن لما قالت هي ما قالت
ولطخت عرضه احتاج الى ازالة هذه التهمة عن نفسه فقال هي راودتني وشهد شاهد من اهلها
يعني وحكم حاكم من اهل المراة واختلفوا في ذلك الشاهد فقال سعيد بن جبير والضحاك كان صبيا
في المهد فانطقه الله عز وجل وهي رواية عن ابن عباس وروي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة ابنة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى
ابن مريم ذكره البغوي والذي جا في الصحيحين ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وابن المراة
وقصتهم مخرجة في الصحيح قيل كان الصبي شاهد يوسف ابن خال المراة وقال الحسن وقتادة
وعكرمة ومجاهد لم يكن صبيا ولكنه كان رجلا حليما ذا راي قال السدي هو ابن عم المراة
فحكم فقال ان كان قميصه قد من قبل اي من قدام فصدقت وهو من الكاذبين وان
كان قميصه قد من دبر اي من وراء فكذبت وهو من الصادقين وانما كان هذا الشاهد

Copyright @ King Saud University

من اهل المراة ليكون اقوى في نفي التهمة عن يوسف عليه السلام ونفي التهمة عنه منها انه كان في الظاهر
مملوكة لهذه المراة والمملوك لا يبسط يده الى سيدته ومنها انهم شاهدوا يوسف يعدو ليخرج
هربا منها والطالب لا يهرب ومنها انهم راوا المراة قد تزينت باكمل الوجوه فكان الحاق التهمة بها
اولى ومنها انهم عرفوا يوسف في المدة الطويلة فلم يروا عليه حالة تناسب اقدامه على مثل هذه
الحالة فكان مجموع هذه العلامات دالة على صدقه مع شهادة الشاهد له بصدقه ايضا فلما
راى قميصه قد من دبر يعني فلما راى قطفير زوج المراة قميص يوسف شق من خلفه عرف خيانة
امراته وبراءة يوسف عليه السلام قال يعني قال لها زوجها قطفير يعني هذا الصنيع انه
من كيدكن يعني من حيلكن ومكركن ان كيدكن عظيم فان قلت
كيف وصف كيد النسا بالعظم مع قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا وهلا كان مكر الرجال اعظم
من مكر النسا قلت اما كون الانسان خلق ضعيفا فهو بالنسبة الى خلق ما هو
اعظم منه كخلق الملايكة والسموات والارض والجبال ونحو ذلك واما عظم كيد النسا ومكرهن
في هذا الباب اعظم من كيد جميع البشر لان لهن من المكر في هذا الباب اعظم من كيد البشر في تمام
مرادهن ما لا يقدر عليه الرجال في هذا الباب وقيل ان قوله من كيدكن ان كيدكن عظيم من قول الشاهد
وذلك انه لما ثبت عنده خيانة المراة وبراءة يوسف عليه السلام قال هذه المقالة يوسف يعني يا يوسف
اعرض يعني اعرض عن هذا الحديث فلا تذكره لاحد حتى لا يفشو ويتسع وينتشر بين الناس وقيل
معناه يا يوسف لا تكترث بهذا الامر ولا تهتم به فقد بان عذرك وبراءتك ثم التفت الى المراة فقال
لها واستغفري لذنبك اي توبي الى الله مما رميتي به يوسف من الخطيئة وهو بري عنها وقيل ان هذا
قول الشاهد يقول للمراة سلي زوجك ان يصفح عنك ولا يعاقبك بسبب ذنبك انك كنت من
الخاطيين يعني من المذنبين حين خنت زوجك ورميت يوسف بالتهمة وهو بري وانما قال
من الخاطيين ولم يقل من الخاطيات تغليبا لجنس الرجال على النسا بل قصد الخبر عمن يفعل هذا
الفعل تقديره انك كنت من القوم الخاطيين فهو كقوله وكانت من القانتين قوله تعالى وقال
نسوة في المدينة امرات العزيز تراود فتاها عن نفسه يعني وقال جماعة من النسا وكن خمسا وقيل
هن اربع وذلك لما شاع خبر يوسف والمراة في مدينة مصر وقيل هي مدينة عين الشمس وتحدثت النسا
فيما بينهن بذلك وهن امراة صاحب الملك وامراة صاحب دوابه وامراة خبازه وامراة ساقيه وامراة
صاحب سجنه وقيل نسوة من اشراف مصر امراة العزيز يعني زليخا تراود فتاها عن نفسه يعني تراود
عبدها الكنعاني عن نفسه بانها تطلب منه الفاحشة وهو يمتنع منها والفتا الشاب الحدث
قد شغفها حبا يعني علقها حبا والشغف جلدة محيطة بالقلب يقال لها غلاف القلب والمعنى
ان حبه دخل الجلدة حتى اصاب القلب وقيل ان حبه قد احاط بقلبها كاحاطة الشغاف بالقلب
قال الكلبي حجب حبه قلبها حتى لا تعقل شيا سواه انا لنراها في ضلال مبين يعني في خطا بين
ظاهر حيث تركت ما يجب على امثالها من العفاف والستر واحبت فتاها فلما سمعت بمكرهن يعني
زليخا بقولهن وما تحدثن به وانما سمي قولهن ذلك مكرا لانهن طلبن بذلك روية يوسف وكان وصف
لهن حسنه وجماله فقصدن ان يرينه وقيل ان امراة العزيز افشت اليهن سرها واستكتمتهن
فافشين ذلك عليها فلذلك سماه مكرا ارسلت اليهن يعني انها لما سمعت بانهن يلمنها على محبتها

ليوسف

ليوسف ارادت ان تقيم عذرها عندهن قال وهب اتخذت مايدة يعني صنعت لهن وليمة وضيافة
ودعت اربعين امراة من اشراف مدينتها فيهن هولاء اللاتي عيرنها واعتدت لهن متكا يعني ووضعت
لهن نمارق ومساند يتكين عليها وقال ابن عباس وابن جبير والحسن وقتادة ومجاهد متكا يعني طعاما
انما سمي الطعام متكا لان كل من دعوته ليطعم عندك فقد اعددت له وسايد يجلس ويتكي عليها فسمي
الطعام متكا على الاستعارة ويقال اتكانا عند فلان اي طعمنا عنده والمتكا ما يتكا عليه عند
الطعام والشراب والحديث ولذلك جاء النهي عنه في الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا اكل متكا
وقيل المتكا الاترج وقيل هو كل شي يقطع بالسكين لان بجرها يقال ان المراة زينت البيت بالوان
الفواكه والاطعمة ووضعت الوسايد ودعت النسوة اللاتي عيرنها بحب يوسف واتت كل واحدة
منهن سكينا يعني واعطت كل واحدة من النسا سكينا لتاكل بها وكان من عادتهن ان ياكلن اللحم والفواكه
بالسكين وقالت اخرج عليهن يعني قالت زليخا ليوسف اخرج على النسوة وكان يخاف من مخالفتها فخرج عليهن
يوسف قد زينته واحتبسته في مكان اخر فلما راينه يعني النسوة اكبرنه يعني اعظمنه ودهشن عند رويته
وكان يوسف قد اعطي شطر الحسن وقال عكرمة كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر
على ساير النجوم وروى ابو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري بي الى السما
رايت يوسف كالقمر ليلة البدر ذكره البغوي بغير سند وقال اسحق بن فروة كان يوسف اذا سار في ازقة مصر يرى تلالا
وجهه على الجدران ويقال انه ورث حسن ادم يوم خلقه الله عز وجل قبل ان يخرج من الجنة وقال ابو العالية هالهن امره
وبهتن اليه وفي رواية عن ابن عباس قال اكبرنه اي حضن ونحوه عن مجاهد والضحاك قال الحيض من الفرج وانكر
اكثر اهل اللغة هذا القول قال الزجاج هذه اللفظة ليست معروفة في اللغة والهاء في اكبرنه تمنع من
هذا لانه لا يجوز ان يقال النسا قد حضنه لان حضن لا يتعدى الى مفعول قال الازهري ان صحت هذه اللفظة
في اللغة فلها مخرج وذلك ان المراة اذا حاضت اول ما تحيض فقد خرجت من حد الصغر الى حد الكبر فيقال لها اكبرت
اي حاضت على هذا قال الازهري فان صحت الرواية عن ابن عباس سلمنا له وجعلنا الهاء في قوله اكبرنه هاء الوقف
لا هاء الكناية وقيل ان المراة اذا حاضت او فزعت ربما سقطت ولدها وتحيض فان كان ثم حيض فربما كان
من فزعهن وما هالهن من امر يوسف عليه السلام حين راينه قال الامام فخر الدين الرازي وعندي انه يحتمل وجها
اخر وهو انهن انما اكبرنه لانهن راين عليه نور النبوة وسيما الرسالة واثار الخضوع والاخبات وشاهدن فيه
مهابة وهيبة ملكية وهي عدم الالتفات الى المطعوم والمنكوح وعدم الاعتداد بهن وكان الجمال العظيم مقرونا
بتلك الهيبة والهيئة فتعجبن من تلك الحالة فلا جرم اكبرنه واعظمنه ووقع الرعب والمهابة في قلوبهن قال وحمل
الاية على هذا الوجه اولى قوله وقطعن ايديهن يعني وجعلن يقطعن ايديهن بالسكاكين التي معهن وهن يحسبن
انهن يقطعن الاترج ولم يجدن الالم لدهشتهن وشغل قلوبهن بيوسف قال مجاهد فما احسسن الا
بالدم وقال قتادة ابن ايديهن حتى القينها والاصح انه كان قطعا من غير ابانة وقال وهب مات جماعة
منهن وقلن يعني النسوة حاش لله ما هذا بشرا اي معاذ الله ان يكون هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم يعني
على الله والمقصود من هذا اثبات الحسن العظيم المفرط ليوسف لانه قد ركز في النفوس انه لا شي احسن من الملك
فلذلك وصفنه بكونه ملكا وقيل لما كان الملك مطهرا من بواعث الشهوة وجميع الافات والحوادث التي
تحصل للبشر وصفن يوسف بذلك قوله عز وجل قالت فذلكن الذي لمتنني فيه يعني قالت امراة العزيز
للنسوة لما راين يوسف ودهشن عند رويته فذلكن الذي لمتنني في محبته وانما قالت لا قامة عذرها

Copyright © King Saud University

عندهن حين قلن ان امراة العزيز قد شغفها حب فتاها الكنعاني حبا فانما قالت ذلك بعد تمام
ما قام من المجلس وذهب قال صاحب الكشاف قالت فذلكن ولم تقل هذا وهو حاضر رفعا لمنزلته
في الحسن واستحقاقه ان يحب ويفتتن به ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقوله فقولهن عشقت عبدها
الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه ثم ان امراة العزيز صرحت
بما فعلت فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم يعني فامتنع من ذلك الفعل الذي طلبته منه
وانما صرحت بذلك لانها علمت انه لا ملامة عليها منهن وانه قد اصابهن ما اصابها عند رويته
ثم ان امراة العزيز قالت ولئن لم يفعل ما امره يعني ولئن لم يطاوعني فيما دعوته اليه ليسجنن اي ليعاقبن
بالحبس والسجن وليكونا من الصاغرين يعني من الاذلاء المهانين فقال النسوة ليوسف اطع مولاتك
فيما دعتك اليه فاختار يوسف السجن على المعصية حين توعدته المراة بذلك قال رب اي يا رب السجن
احب الي مما يدعونني اليه قيل ان الدعا كان منها خاصة وانما اضافه اليهن جميعا خروجا من التصريح
الى التعريض وقيل انهن جميعا دعونه الى انفسهن وقيل انهن لما قلن له اطع مولاتك صح اضافة
الدعا اليهن جميعا قال بعضهم لو لم يقل السجن احب الي لم يبتل بالسجن والاولى بالعبدان يسال الله تعالى
العافية والا تصرف عني كيدهن يعني ما اردن مني اصب اليهن اي اميل اليهن يقال صبا فلان الى كذا
اذا مال اليه واشتاقه واكن من الجاهلين يعني من المذنبين وقيل معناه اكن ممن يستحق الذم بالجهل
وفيه دليل على ان من ارتكب ذنبا انما يرتكبه عن جهالة فاستجاب له ربه يعني فاجاب الله دعا يوسف
فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم يعني لدعا يوسف وغيره العليم بحاله وفي الاية دليل على ان يوسف
عليه السلام لما اطلعته البلية بكيد النسا ومطالبتهن اياه بما لا يليق بحاله لجا الى الله تعالى وفزع الى الدعا
رغبة الى الله ليكشف ما نزل به من ذلك الامر مع الاعتراف بانه ان لم يعصمه من المعصية وقع فيها فذلك انه
لا يقدر احد على الانصراف عن المعصية الا بعصمة الله تعالى ولطفه به قوله عز وجل ثم بدا لهم يعني العزيز
واصحابه في الراي وذلك انهما ارادوا ان يقتصروا على امر يوسف بالاعراض وليم الحال وذلك ان المراة قالت
لزوجها ان ذلك العبد العبراني قد فضحني عند الناس يخبرهم باني راودته عن نفسه فاما ان تاذن
لي فاخرج واعتذر الى الناس واما ان تحبسه فراى حبسه من بعد ما راوا الايات يعني الدالة على
صدق يوسف وبراته من قد القميص وكلام الطفل وقطع النسا ايديهن وذهاب عقولهن عند رويته
ليسجننه اي ليحبسنه في السجن حتى حين يعني الى مدة يرون رايهم فيها وقال عطا الى ان تنقطع مقالة
الناس قال عكرمة الى سبع سنين وقال الكلبي خمس سنين فحبسه قال السدي جعل الله ذلك الحبس تطهيرا
ليوسف من همه بالمراة ودخل معه السجن فتيان وهما غلامان كانا للوليد بن ثروان العمليق ملك مصر الاكبر احدهما
خبازه وصاحب طعامه والاخر ساقيه وصاحب شرابه وكان قد غضب عليهما الملك فحبسهما وكان السبب
في ذلك ان جماعة من اشراف مصر ارادوا المكر بالملك واغتياله وقتله فضمنوا لهذين الغلامين مالا على ان
يسما الملك في طعامه وشرابه فاجابا الى ذلك ثم ان الساقي ندم فرجع عن ذلك وقبل الخباز الرشوة وسم
الطعام فلما حضر الطعام بين يدي الملك قال له الساقي لا تاكل ايها الملك فان الطعام مسموم وقال الخباز
لا تشرب فان الشراب مسموم فقال للساقي اشرب فشربه وقال للخباز كل من طعامك فابى فاطعم من ذلك
الطعام لدابة فهلكت فامر الملك بحبسهما مع يوسف وكان يوسف لما دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول
اني اعبر الاحلام فقال احد الغلامين لصاحبه هلم فلنجرب هذا العبد العبراني نتراايا له فسالاه من غير

ان

ان يكونا قد رايا شيئا قال ابن مسعود ما رايا شيئا انما تحالما ليجربا يوسف وقال قوم بل كانا رايا رويا حقيقة
فراهما وهما مهمومان فسالهما عن شانهما فذكرا انهما غلامان للملك وقد حبسهما وقد رايا رويا قد غمتهما
فقال يوسف قصا علي ما رايتما فقصا عليه ما رايا فقال يوسف وذلك قوله تعالى قال احدهما وهو
صاحب شراب الملك اني اراني اعصر خمرا يعني عنبا سمى العنب خمرا باسم ما يوول اليه يقال فلان يطبخ الاجر اي
يطبخ اللبن حتى يصير اجرا وقيل الخمر العنب بلغة عمان وذلك انه قال اني رايت في المنام كاني في بستان
واذا فيه اصل حبلة وعليها ثلاثة عناقيد عنب فجنيتها وكان كاس الملك في يدي فعصرتها فيه وسقيت
الملك فشربه وقال الاخر وهو صاحب طعام الملك اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه وذلك انه قال اني
رايت في المنام كان فوق راسي ثلاث سلال فيها الخبز والوان الاطعمة وسباع الطير تنهش منها نبئنا بتاويله
اي اخبرنا بتفسير ما راينا وما يوول اليه امر هذه الرويا انا نراك من المحسنين يعني من العالمين بعبارة الرويا
والاحسان هنا بمعنى العلم وسئل الضحاك ما كان احسانه قال كان اذا مرض انسان في الحبس عاده وقام
عليه واذا ضاق على احد وسع له واذا احتاج احد جمع له شيا وكان مع هذا يجتهد في العبادة ويصوم النهار
ويقوم الليل كله للصلاة وقيل انه لما دخل السجن وجد فيه قوما اشتد بلاوهم وانقطع رجاوهم وطال
حزنهم فجعل يسليهم ويقول اصبروا وابشروا فقالوا بارك الله فيك يا فتى ما احسن وجهك وخلقك و
حديثك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحاق بن خليل
الله ابراهيم فقال له صاحب السجن يا فتى والله لو استطعت لخليت سبيلك ولكن ساحسن جوارك واخلي
جوارك فكن في اي بيوت السجن شيت وقيل ان الفتيين قالا يا يوسف انا قد احببناك منذ رايناك
فقال لهما يوسف انشدكما بالله لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلا لقد احبتني
عمتي فدخل علي من ذلك بلا واحبني ابي فالقيت في الجب واحبتني امراة العزيز فحبست فلما قصا عليه
روياهما كره يوسف ان يعبرها لهما حين سالاه لما علم ما في ذلك من المكروه لاحدهما فاعرض عن سوالهما
واخذ في غيره من اظهار المعجزة والنبوة والدعا الى التوحيد وقيل انه عليه السلام اراد ان يبين لهما
ان درجته في العلم اعظم واعلى مما اعتقدوا فيه وذلك انهما طلبا منه علم التعبير ولا شك ان هذا العلم
مبني على الظن والتخمين فاراد ان يعلمهما انه يمكنه الاخبار عن المغيبات على سبيل القطع واليقين وذلك
مما يعجز الخلق عنه واذا اقدر على الاخبار عن الغيوب كان اقدر على تاويل الرويا بطريق الاولى وقيل انما
عدل عن تاويل روياهما الى اظهار المعجزة لانه علم ان احدهما سيصلب فاراد ان يدخله في الاسلام ويخلصه
من الكفر ودخول النار فاظهر المعجزة لهذا السبب قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله
قيل اراد به في النوم يقول لا ياتيكما طعام ترزقانه في نومكما الا اخبرتكما خبره في اليقظة وقيل اراد به في اليقظة
يقول لا ياتيكما طعام ترزقانه من منازلكما يعني تطعمانه وتاكلانه الا انباتكما بتاويله بقدره ولونه
والوقت الذي يصل اليكما قبل ان ياتيكما يعني قبل ان يصل اليكما واي طعام اكلتم وهذا مثل معجزة عيسى
عليه السلام حيث قال وانبيكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم فقالا ليوسف هذا من علم العرافين
والكهنة فمن اين لك هذا العلم فقال ما انا بكاهن ولا عراف وانما ذلك اشارة الى المعجزة والعلم الذي اخبرهما
به ذلكما مما علمني ربي يعني ان هذا الذي اخبرتكما به وحي من الله اوحاه الي وعلم علمنيه اني تركت ملة قوم
لا يومنون بالله

فان قلت ظاهر قوله اني تركت ملة قوم لا يومنون بالله كان عليه
السلام داخلا في هذه الملة ثم تركها وليس الامر كذلك لان الانبيا عليهم السلام من حين ولدوا وظهروا

Copyright © King Saud University

الى الوجود وهم على التوحيد فما معنى هذا الترك في قوله تركت **قلت** الجواب من وجهين
الاول ان الترك عبارة عن عدم التعرض للشيء والالتفات اليه بالمرة وليس من شرطه ان يكون قد كان داخلا
فيه ثم تركه وخرج عنه الوجه الثاني وهو اقرب ان يوسف عليه السلام لما كان عند العزيز وهو كافر
وجميع من عنده كذلك وقد كان نبيهم ويوسف كان على التوحيد والايمان الصحيح صح قوله اني تركت ملة قوم
لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون فترك ملتهم واعرض عنهم ولم يوافقهم على ما كانوا عليه وتكرير لفظ وهم
في قوله وهم بالآخرة هم كافرون للتوكيد لشدة انكارهم للمعاد وقوله واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب
لما ادعى يوسف النبوة واظهر المعجزة اظهر انه من اهل بيت النبوة وان آباءه كلهم انبياء وقيل لما كان ابراهيم واسحق
ويعقوب مشهورين بالنبوة والرسالة ولهم الدرجة العليا في الدنيا والمنزلة الرفيعة في الآخرة وعند الخلق
اظهر يوسف عليه السلام انه من اولادهم وانه من اهل بيت النبوة ليسمعوا قوله ويطيعوا امره فيما يدعوهم اليه من
التوحيد ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء معناه ان الله تعالى لما اختارنا لنبوته واصطفانا لرسالته
وعصمنا من الشرك فما كان ينبغي لنا ان نشرك به مع جميع هذا الاختصاص التي اختصنا بها قال الواحدي
لفظة من في قوله من شيء زائدة كقولك ما جاءني من احد وقال صاحب الكشاف ما كان لنا ما صح لنا
معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع
ولا يبصر ذلك من فضل الله يعني ذلك التوحيد وعدم الاشراك والعلم الذي رزقنا من فضل الله علينا
وعلى الناس يعني بما نصب لهم من الادلة الدالة على وحدانيته وبين لهم طريق الهداية اليه فكل ذلك من
فضل الله على عباده ولكن اكثر الناس لا يشكرون يعني اكثرهم لا يشكرون الله على هذه النعم التي انعم بها عليهم
لانهم تركوا عبادته وعبدوا غيره ثم دعاهما الى الاسلام فقال يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي في هذا
السجن فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة لان الليلة مسروق فيها غير مسروقة ويجوز ان يريد
ساكني السجن كقولك اصحاب النار واصحاب الجنة أأرباب متفرقون يعني آلهة شتى من ذهب وفضة وصفر
وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك وصغير وكبير ومتوسط متباينون في الصفة وهي مع ذلك لا تضر ولا
تنفع خير ام الله الواحد القهار يعني هذه الاصنام اعظم صفة في المدح واستحقاق اسم الالهية والعبادة
ام الله الواحد القهار قال الخطابي الواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده وقيل هو المنقطع عن القرين
والمعدم للشريك والنظير وليس هو كسائر الآحاد من الاجسام المؤلفة لان ذلك قد يكثر بانضمام بعضها
الى بعض والواحد ليس كذلك فهو الله الواحد الذي لا مثل له ولا شبيه في خلقه القهار قال الخطابي القهار
هو الذي قهر الجبابرة من خلقه بالعقوبة وقهر الخلق كلهم بالموت وقال غيره القهار هو الذي قهر كل شيء وذلله
فاستسلم وانقاد له وذل له والمعنى ان هذه الاصنام التي تعبدونها ذليلة مقهورة اذا اراد الانسان
قهرها واهانها قدر عليه والله هو الواحد القهار في ملكه والقهار لعباده الذي لا يغلبه شيء وهو الغالب
لكل شيء سبحانه وتعالى ثم بين عجز الاصنام وانها لا شيء البتة فقال ما تعبدون من دونه يعني من دون الله
وانما قال تعبدون بلفظ الجمع وقد ابتدأ بالتثنية في المخاطبة لانه اراد جميع ما في السجن من المشركين الا
اسماء سميتموها يعني سميتموها آلهة وأربابا وهي حجارة جماد خالية عن المعنى لا حقيقة لها انتم وآباؤكم
يعني من قبلكم سميتموها آلهة ما انزل الله بها من سلطان يعني ان تسمية الاصنام آلهة لا حجة لكم ولا برهان
ولا امر الله بها وذلك انهم كانوا يقولون ان الله امرنا بهذه التسمية فرد الله عليهم بقوله ما انزل الله بها
من سلطان ان الحكم الا لله يعني ان الحكم والقضاء والامر والنهي لله تعالى لا شريك له في ذلك امر الا تعبدوا الا

اياه

اياه لانه هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي سميتموها آلهة ذلك الدين القيم يعني عبادة الله
هو الدين المستقيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك ولما فرغ يوسف عليه السلام من الدعاء الى الله وعبادته
رجع الى تعبير رؤياهما فقال يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا يعني ان صاحب شراب الملك
يرجع الى منزلته ويسقي الملك خمرا كما كان يسقيه اولا والعناقيد هي ثلاثة ايام يبقى في السجن ثم يدعوه
الملك ويرده الى منزلته الذي كان عليها واما الآخر فيصلب يعني صاحب طعام الملك والسلال
الثلاث ثلاثة ايام ثم يدعو به الملك فيصلبه فتأكل الطير من رأسه قال ابن مسعود فلما سمعا قول
يوسف قالا ما رأينا شيئا انما كنا نلعب قال يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان يعني فرغ من
الامر الذي فيه سألتما عنه ووجب حكم الله عليكما بالذي اخبرتكما به رأيتما او لم تريا شيئا وقال يعني
يوسف للذي ظن يعني علم وتحقق والظن بمعنى العلم انه ناج منهما يعني ساقي الملك اذكرني عند ربك
يعني عند سيدك وهو الملك الاكبر فقل له ان في السجن غلاما محبوسا مظلوما طال حبسه قوله
فانساه الشيطان ذكر ربه في هذه الكناية في انساه الى من تعود قولان احدهما انها ترجع الى الساقي
وهو قول جماعة من المفسرين والمعنى فانساه الشيطان ان يذكر يوسف عند الملك قالوا لان صرف
وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل الساقي حين انساه ذكر يوسف اولى من صرفها الى يوسف والقول
الثاني وهو قول اكثر المفسرين ان هذه الكناية ترجع الى يوسف والمعنى ان الشيطان انسى يوسف
ذكر ربه عز وجل حتى ابتغى الفرج من غيره والاشتغال بمخلوق في دفع الضرر جائز الا انه لما كان مقام
يوسف اعلى المقامات ورتبته اعلى المراتب وهي منصب النبوة والرسالة لا جرم صار يوسف مؤاخذا بها
للقدر بان حسنات الابرار سيئات المقربين **فان قلت** كيف تمكن الشيطان من يوسف
حتى انساه ذكر ربه **قلت** بشغل الخاطر والقاء الوسوسة فانه قد صح في الحديث ان الشيطان
يجري من ابن آدم مجرى الدم فاما النسيان الذي هو عبارة عن ترك الذكر وازالته عن القلب بالكلية فلا يقدر
عليه وقوله تعالى فلبث في السجن بضع سنين اختلفوا في قدر البضع فقال مجاهد هو ما بين الثلاث
الى السبع وقال ابن عباس هو ما دون العشرة واكثر المفسرين على ان البضع في هذه الآية سبع سنين وكان
يوسف قد لبث قبلها في السجن خمس سنين فجملة ذلك اثنتا عشرة سنة وقال وهب اصاب ايوب البلاء سبع سنين
وقول يوسف للساقي اذكرني عند ربك قيل لما قال يوسف اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف
عليه السلام وقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى فقلت كلمة قال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم
رحم الله يوسف لولا الكلمة التي قالها ما لبث في السجن ما لبث يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى الحسن وقال
نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس ذكره الثعلبي مرسلا وبغير سند وقيل ان جبريل دخل على يوسف في السجن
فلما رآه يوسف عرفه فقال له يوسف يا اخا المنذرين ما لي اراك بين الخاطئين قال يا طاهر بن الطاهرين
يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك اما استحييت مني ان استغثت بالآدميين فوعزتي وجلالي
لالبثنك في السجن بضع سنين قال يوسف وهو في ذلك عني راض قال نعم قال اذا لا ابالي وقال كعب
قال جبريل ليوسف يقول الله عز وجل من خلقك قال الله قال فمن رزقك قال الله قال فمن حببك الى ابيك
قال الله قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فمن صرف عنك السوء
والفحشاء قال الله قال فكيف استغثت بآدمي مثلك قالوا فلما انقضت السبع سنين وهذا السبع سوى الخمس
سنين التي كانت قبل ذلك ودنا فرج يوسف واراد الله اخراجه من السجن رأى ملك مصر الاكبر رؤيا عجيبة

Copyright © King Saud University

ثم الله وذلك انه راى في منامه سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج عقيبهن سبع بقرات عجاف
في غاية الهزال فابتلع العجاف السمان ودخلن في بطونهن ولم ير منهن شيا ولم يتبين على العجاف منها
شي وراى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبع اخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات
على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من خضرتهن شي فجمع السحرة والكهنة والمعبرين وقص عليهم روياه التي
راها فذلك قوله تعالى وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر
واخر يابسات يا ايها الملا افتوني في رءياي يعني بينوا لها الاشراف وخبروني بتاويل روياي ان كنتم
للرويا تعبرون يعني ان كنتم تحسنون علم العبارة وتعبيرها وعلم التعبير يختص بتفسير الرويا وسمي هذا
العلم تعبيرا لان المفسر للرويا عابر من ظاهرها الى باطنها ليستخرج معناها وهذا اخص من التاويل
لان التاويل يقال فيه وفي غيره قالوا يعني قال جماعة الملا وهم السحرة والكهنة والمعبرون مجيبين للملك
اضغاث احلام يعني اخلاط مشتبهة واحدها ضغث واصله الحزمة المختلطة من انواع الحشيش والاحلام
جمع حلم وهو الرويا التي يراها الانسان في منامه وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين لما جعل الله هذه الرويا
سببا لخلاص يوسف عليه السلام من السجن وذلك ان الملك لما راها قلق واضطرب وذلك لانه لما شاهد
الناقص الضعيف قد استولى على القوي الكامل حتى غلبه وقهره فاراد ان يعرف ذلك فجمع سحرته وكهنته
ومعبريه واخبرهم بما راى في منامه وسالهم عن تاويلها فعجزهم الله بقدرته جماعة الكهنة والمعبرين عن تاويل هذه
الرويا ومنعهم من الجواب ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف من السجن فذلك قوله تعالى وقال الذي نجا منهما
يعني وقال الساقي الذي نجا من السجن والقتل بعد صاحبه الخباز وادكر بعد امة يعني انه تذكر قول يوسف
اذكرني عند ربك بعد امة يعني بعد حين وهو سبع سنين سمي الحين من الزمان امة لاجتماع الايام والامة الجماعة
انا انبئكم يعني اخبركم بتاويله وقوله انا انبئكم بلفظ الجمع اما انه اراد به الملك مع جماعة السحرة والكهنة
والمعبرين او اراد الملك وحده وخاطبه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم وذلك ان الغني الساقي جثا
بين يدي الملك وقال ان في السجن رجلا عالما يعبر الرويا فارسلون فيه اختصار تقديره فارسلني ايها
الملك فارسله فاتى السجن قال ابن عباس ولم يكن في المدينة يوسف اي يا يوسف ايها الصديق انما سماه
صديقا لانه لم يجرب عليه كذبا قط والصديق الكثير الصدق والذي لم يكذب قط وقيل سماه صديقا
لانه صدق في تعبير الرويا التي راها في السجن افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات
خضر واخر يابسات فان الملك راى هذه الروية لعلي ارجع الى الناس يعني ارجع الى الملك بتاويل هذه الروية
هو وجماعته لعلهم يعلمون يعني بتاويل هذه الرويا وقيل لعلهم يعلمون منزلتك في العلم قال يعني قال
يوسف معبرا للملك رويا اما البقرات السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين مخاصيب واما البقرات العجاف
والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجدبة فذلك قوله تزرعون وهذا خبر بمعنى الامر اي ازرعوا سبع
سنين دابا يعني عادتكم في الزراعة والداب العادة وقيل بجد واجتهاد فما حصدتم فذروه في سنبله انما امرهم
بترك ما حصدوه من الحنطة في سنبله فانه لا يفسد ولا يقع فيه السوس وذلك ابقى له على طول الزمان الا
قليلا مما تاكلون يعني ادرسوا قليلا مما تاكلون من الحنطة للاكل بقدر الحاجة وامرهم بحفظ الاكثر لوقت
الحاجة ايضا وهو وقت السنين المجدبة وهو قوله ثم ياتي من بعد ذلك يعني من بعد السنين المخصبة
سبع شداد يعني سبع سنين مجدبة ممحلة شديدة على الناس ياكلن يعني يفنين ما قدمتم لهن يعني يوكل
فيهن كل ما اعددتم وادخرتم لهن من الطعام وانما اضاف الاكل الى السنين على سبيل التوسع في الكلام الا قليلا

مما تحصنون يعني تحرزون وتدخرون للبذر والاحصان الاحراز وهو ابقا الشي في الحصن بحيث يحفظ ولا
يضيع ثم ياتي من بعد ذلك يعني من بعد هذه السنين المجدبة عام فيه يغاث الناس اي يمطرون من الغيث
الذي هو المطر وقيل هو من قولهم استغثت بفلان فاغاثني من الغوث وفيه يعصرون يعني يعصرون العنب
خمرا والزيتون زيتا والسمسم دهنا اراد به كثرة الخير والنعم على الناس وكثرة الخصب في الزرع والثمار وقيل
يعصرون معناه ينجون من الكرب والشدة والحرب قوله عز وجل وقال الملك ائتوني به وذلك ان الساقي
لما رجع الى الملك واخبره بفتيا يوسف وما عبر به الرويا استحسنه الملك وعرف ان الذي قاله كاين لا محالة قال ائتوني
به حتى ابصر هذا الرجل الذي عبر روياي بهذه العبارة فرجع الساقي الى يوسف وقال له اجب الملك فذلك قوله
تعالى فلما جاءه الرسول فابى ان يخرج معه حتى تظهر براته للملك ولا يراه بعين النقص قال يعني يوسف للرسول
ارجع الى ربك يعني الى سيدك وهو الملك فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولم يصرح بذكر
امراة العزيز ادبا واحتراما لها ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لبثت في السجن
طول لبث يوسف لاجبت الداعي اخرجه الترمذي وزاد فيه ثم قرا فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاساله
ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن هذا الحديث فيه بيان فضل يوسف عليه السلام وبيان قوة صبره
وثباته والمراد بالداعي رسول الملك الذي جاء من عنده فلم يخرج معه مبادرا الى الراحة ومفارقة ما هو فيه من
الضيق والسجن الطويل بل لبث في السجن وراسل الملك في كشف امره الذي سجن بسببه لتظهر براته عند الملك
وغيره فاثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على يوسف وبين فضله وحسن صبره على المحنة والبلا وقوله تعالى
ان ربي بكيدهن عليم يعني ان الله عالم بصنيعهن وما احتلن في هذه الواقعة من الحيل العظيمة فرجع
الرسول من عند يوسف الى الملك بهذه الرسالة فجمع الملك النسوة وامراة العزيز معهن قال ما خطبكن يعني
ما شانكن وامركن اذ راودتن يوسف عن نفسه انما خاطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب والمراد بذلك امراة
العزيز وحدها ليكون استر لها وقيل ان امراة العزيز راودته عن نفسه وحدها وسائر النسوة امرنه بطاعتها
فلذلك خاطبهن بهذا الخطاب قلن يعني النسوة جميعا مجيبات للملك حاش لله يعني معاذ الله ما علمنا عليه من
سوء يعني من خيانة في شي من الاشيا قالت امراة العزيز الان حصحص الحق يعني ظهر وتبين وقيل ان النسوة
اقبلن على امراة العزيز فعزرنها وقيل خافت ان يشهدن عليها فاقرت فقالت انا راودته عن نفسه وانه
لمن الصادقين يعني في قوله هي راودتني عن نفسي واختلفوا في قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب على قولين احدهما
انه من قول المراة ووجه هذا القول ان هذا الكلام متصل بما قبله وهو قول المراة الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه
لمن الصادقين وان كنت قلت في حضرته ما قلت بالغت في تاكيد هذا القول فقالت وان الله لا يهدي كيد الخائنين
يعني اني لما اقدمت على هذا الكيد والمكر لاجرم افتضحت لان الله لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين والقول
الثاني انه من قول يوسف عليه السلام وهو قول الاكثرين من المفسرين والعلما ووجه هذا القول انه لا يبعد
وصل كلام انسان بكلام انسان اخر اذا دلت القرينة عليه فعلى هذا يكون معنى الاية انما لما بلغ يوسف قول
المراة انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين قال يوسف ذلكم الذي فعلت من ردي رسول الملك اليه
ليعلم يعني العزيز اني لم اخنه بالغيب يعني بالغيب في زوجته يعني في حال غيبته فيكون هذا من كلام يوسف
اتصل بكلام امراة العزيز انا راودته عن نفسه من غير تمييز بين الكلامين لمعرفة السامعين بذلك مع غموض فيه
لانه ذكر كلام انسان ثم اتبعه بكلام انسان اخر من غير فصل بين الكلامين ونظير هذا قوله تعالى يريد ان يخرجكم
من ارضكم هذا على قول الملا فماذا تامرون من قول فرعون ومثله قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة هذا

Copyright © King Saud University

من قول بلقيس وكذلك يفعلون من قول الله تصديقا لها وعلى هذا القول اختلفوا اين كان يوسف حين قال
هذه المقالة على قولين احدهما انه كان في السجن وذلك انه لما رجع اليه رسول الملك وهو في السجن فاخبره بجواب
امراة العزيز للملك قال حينئذ ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وهذه رواية ابي صالح عن ابن عباس وبه قال
ابن جريج والقول الثاني انه قال هذه المقالة عند حضوره عند الملك وهذه رواية عطا عن ابن عباس

فان قلت فعلى هذا القول كيف خاطبهم بلفظة ذلك وهي اشارة للغايب مع حضوره عندهم

قلت قال ابن الانباري قال اللغويون هذا وذلك يصلحان في هذا الموضع لقرب الخبر
من اصحابه فصار كالشاهد الذي يشار اليه بهذا وقيل ذلك اشارة الى ما فعله يقول ذلك الذي فعلته
من ترديدي الرسول ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي لم اخن العزيز في حال غيبته ثم ختم هذا الكتاب بقوله
وان الله لا يهدي كيد الخائنين يعني اني لو كنت خائنا لما خلصني الله من هذه الورطة التي وقعت لان
الله لا يهدي اي لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين واختلفوا في قوله **وما ابرئ نفسي** على قولين ايضا
احدهما انه من قول المراة وهذا التفسير على قول من قال ان قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال
من قول المراة فعلى هذا يكون المعنى وما ابرئ نفسي من مراودتي يوسف عن نفسه وكذبي عليه والقول
الثاني وهو الاصح وعليه اكثر المفسرين انه من قول يوسف عليه السلام وذلك انه لما قال ذلك ليعلم اني
لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها فقال يوسف عند ذلك وما ابرئ نفسي وهذه رواية عن
ابن عباس وهو قول الاكثرين وقال الحسن ان يوسف لما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب خاف ان
يكون قد زكى نفسه فقال وما ابرئ نفسي لان الله تعالى قال فلا تزكوا انفسكم ففي قوله وما ابرئ
نفسي هضم للنفس وانكسار وتواضع لله عز وجل فان روية النفس في مقام العصمة والتزكية ذنب عظيم
فاراد ازالة ذلك عن نفسه وان حسنات الابرار سيات المقربين **ان النفس لامارة بالسوء** السوء
لفظ جامع لكل ما يهم الانسان من الامور الدنيوية والاخروية والسيئة الفعلة القبيحة واختلفوا في
النفس الامارة بالسوء ما هي فالذي عليه اكثر المحققين من المتكلمين وغيرهم ان النفس الانسانية واحدة
لها صفات منها الامارة ومنها اللوامة ومنها المطمينة فهذه الثلاثة هي مراتب للنفس صفات واحدة
فاذا دعت النفس الى شهواتها ومالت اليها فهي النفس الامارة بالسوء فاذا فعلتها اتت النفس اللوامة
فلامتها على ذلك الفعل القبيح من ارتكاب الشهوات فيحصل عند ذلك الندامة على ذلك الفعل القبيح
وهذه من صفات النفس المطمينة وقيل ان النفس امارة بالسوء بطبعها فاذا تزكت وصفا من اخلاقها
الذميمة صارت مطمينة وقوله **الا ما رحم ربي** قال ابن عباس معناه الا من عصم ربي فيكون ما بمعنى
من فهو كقوله ما طاب لكم من النسا يعني من طاب لكم وقيل هذا استثنا منقطع لكن من رحم ربي فيعصمه من
متابعة النفس الامارة بالسوء **ان ربي غفور** يعني لذنوب عباده **رحيم** بهم قوله تعالى **وقال الملك ايتوني
به استخلصه لنفسي** وذلك انه لما تبين للملك عذر يوسف وعرف امانته وعلمه وطلب حضوره اليه
فقال ايتوني به يعني بيوسف استخلصه لنفسي اي اجعله خالصا لنفسي والاستخلاص طلب خلوص الشي
من جميع شوايبه لا شرك فيه وانما طلب الملك ان يستخلص يوسف لنفسه لان من عادة الملوك ان يتفردوا
بالاشيا النفيسة العزيزة ولا يشاركهم فيها احد من الناس وانما قال الملك ذلك لما عظم اعتقاده في يوسف
لما علم من غزارة علم يوسف وحسن صبره في السجن واحسانه الى اهل السجن وحسن ادبه وثباته على المحن
كلها فلهذا قال استخلصه لنفسي فحسن اعتقاد الملك فيه واذا اراد امرا هيا اسبابه فالهم الملك ذلك فقال

ابتوني

ايتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه وفيه اختصار تقديره فلما جا الرسول الى يوسف فقال له اجب الملك
الان بلا معاودة وروي ان يوسف لما قام ليخرج من السجن دعا لاهله فقال اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار
ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في كل بلد فلما خرج من السجن كتب على بابه هذا بيت البلوى وقبر
الاحيا وشماتة الاعدا وتجربة الملك الاصدقا ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا حسنة ثم
قصد باب الملك قال وهب فلما وقف على باب الملك قال حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه
عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك ثم دخل الدار فلما ابصر الملك فقال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ
بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان
عمي اسماعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له وما هذا اللسان ايضا قال يوسف هذا لسان ابائي قال وهب
وكان الملك يتكلم بسبعين لغة فلم يعرف هذين اللسانين وكان الملك كلما يتكلم بلسان اجابه يوسف وزاد
عليه بالعربية والعبرانية فلما راى الملك منه ذلك اعجبه ما راى مع حداثة سن يوسف عليه السلام وكان له
من العمر يوميذ ثلاثون سنة فاجلسه الى جنبه فذلك قوله تعالى **فلما كلمه** يعني فلما كلم الملك يوسف لان مجالس
الملوك لا يحسن لاحد ان يبدا بالكلام فيها وانما يبتدي الملك فيها بالكلام وقيل معناه فلما كلم يوسف الملك
قال اني اريد ان تسمع رويا الملك الذي علم تاويل رويك مع عجز السحرة والكهنة عنها فاقبل الملك عليه **وقال
انك اليوم لدينا مكين امين** يقال اتخذ فلان عند فلان مكانة اي منزلة وهي الحالة التي يتمكن بها صاحبها
مما يريد وقيل المكانة المنزلة والجاه والمعنى قد عرفت امانتك ومنزلتك وصدقك وبراتك مما نسبت
اليه وقوله مكين امين كلمة جامعة لكل ما يحتاج اليه من الفضايل والمناقب في امر الدين والدنيا وروي
ان الملك قال ليوسف عليه السلام احب ان اسمع تاويل روياي منك شفاها فقال نعم ايها الملك
رايت سبع بقرات سمان شهب حسان غير عجاف كشف لك عنهن النيل فطلعن من شاطيه فتشبب
اخلافهن لبنا فبينا انت تنظر اليهن وقد اعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماوه وبدا يبسه فخرج من حماته
سبع بقرات عجاف شعث غبر مقلصات البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن انياب واضراس واكف
كاكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان فافترسن السبع فاكلن لحومهن ومزقن جلودهن
وحطمن عظامهن ومششن مخهن فبينا انت تنظر وتتعجب اذا سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات اخر
سود يابسات في منبت واحد عروقهن في الثرى والما فبينا انت تقول في نفسك اي شي هولا خضر
مثمرات وهولا سود يابسات والمنبت واحد واصولهن في الثرى والما اذ هبت ريح فذرت اوراق
اليابسات السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فاحرقتهن فصرن سودا فهذا ما رايت
ايها الملك ثم انتبهت مذعورا فقال الملك والله ما اخطات فيها شيا فما شان هذه الرويا وان
كانت عجبا فما هي باعجب مما سمعت منك وما ترى في تاويل روياي ايها الصديق قال يوسف عليه
السلام ارى ان تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وتجعل ما يحصل من ذلك الطعام
في الخزاين بقصبه وسنبله فانه ابقى له ويكون القصب والسنبل علفا للدواب وتامر الناس فيرفعوا
الخمس من زرعهم ايضا فيكفيك ذلك الطعام الذي جمعته لاهل مصر ومن حولها وياتيك الخلق من سائر النواحي
للميرة ويجتمع عندك من الكنوز والاموال ما لا يجتمع لاحد قبلك فقال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه
ويبيعه لي ويكفيني العمل فيه فعند ذلك **قال** يعني يوسف **اجعلني على خزاين الارض** يعني على خزاين
الطعام والاموال واراد بالارض ارض مصر اي اجعلني على خزاين ارضك التي تحت يدك وقال الربيع بن

Copyright © King Saud University

انى اجعلنى على خزاين خراج مصر ودخلها انى حفيظ عليم للخزاين بوجوه مصالحها وقيل معناه انى حاسب كاتب وقوله انى لما استودعتنى حفيظ عليم اعلم لغة من يأتينى وقال الكلبى حفيظ بتقديره فى السنين الخصبة للسنين المجدبة عليم بوقت الجوع حين يقع فقال الملك عند ذلك ومن احق بذلك منك وولاه ذلك وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله اخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزاين الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر لذلك سنة **فان قلت** كيف طلب يوسف عليه السلام الامارة والولاية مع كراهية طلبها صح من حديث عبد الرحمن بن سمرة قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان اوتيتها عن مسئلة وكلت اليها وان اوتيتها من غير مسئلة اعنت عليها اخرجاه فى الصحيحين **قلت** انما يكره طلب الامارة اذا لم يتعين عليه طلبها واذا تعين عليه طلبها وجب عليه ذلك ولا كراهية فيه فاما يوسف عليه السلام فكان عليه طلب الامارة لانه رسول من الله تعالى والرسول اعلم بمصالح الامة من غيره واذا كان برعاية المصالح فلا يمكنه ذلك الا بطلب الامارة وجب عليه طلبها وقيل انه لما علم انه سيحصل القحط وشدة اما بطريق الوحى من الله او بغيره وربما افضى ذلك الى هلاك معظم الخلق وكان فى طلب الامارة ايصال الخير والراحة الى المستحقين وجب عليه طلب الامارة لهذا السبب **فان قلت** كيف مدح يوسف نفسه بقوله انى حفيظ عليم والله تعالى يقول فلا تزكوا انفسكم **قلت** انما تكره تزكية النفس اذا قصد به الرجل التطاول والتفاخر والتوصل به الى غير ما يحل فهذا القدر مذموم فى تزكية النفس اما اذا قصد بتزكية النفس ومدحها ايصال الخير للغير فلا يكره ذلك ولا يحرم بل يجب عليه ذلك مثاله ان يكون بعض الناس عنده علم نافع ولا يعرف به فانه يجب عليه ان يقول انا عالم بمصالح الدين ولم يعلم انه عالم بمصالح الدنيا ايضا مع كمال علمه بمصالح الدين قوله عز وجل وكذلك مكنا ليوسف فى الارض وذلك اشارة الى ما تقدم يعنى كما انعمنا على يوسف بان انجيناه من الجب وخلصناه من السجن وزيناه فى عين الملك حتى قربه وادنى منزلته كذلك مكنا له فى الارض يعنى ارض مصر ومعنى التمكين هو ان لا ينازعه منازع فيما يراه ويختاره واليه الاشارة بقوله يتبوأ منها حيث يشاء لانه تفسير للتمكين قال ابن عباس وغيره لما انقضت السنة من يوم سأل يوسف الامارة دعاه الملك فتوجه ورداه بسيفه وحلاه بخاتمه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة اذرع ووضع له عليه ثلاثون فراشا وستون مقدمة وضرب عليه حلة من استبرق وامره ان يخرج فخرج لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفا لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير ودانت ليوسف الملوك وفوض الملك الاكبر اليه ملكه وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحق قال ابن زيد وكان لملك مصر خزاين كثيرة فسلمها الى يوسف وسلم اليه سلطانه كله وجعل امره وقضاه نافذا فى مملكته قالوا ثم هلك قطفير عزيز مصر فى تلك الليالى فزوج الملك يوسف امراة العزيز بعد هلاكه فلما دخل يوسف عليها قال لها اليس هذا خيرا مما كنت تريدين فقالت ايها الصديق لا تلمنى فانى كنت امراة حسناء ناعمة كما ترى فى ملك ودنيا وكان صاحبى لا ياتى النساء وكنت كما جعلك الله فى حسنك وهيئتك فغلبتنى نفسى وعصمك الله قالوا فوجدها يوسف عذراء فاصابها فولدت له ذكرين افرايم وميشا ابنى يوسف منها واستوثق ليوسف ملك مصر واقام فيهم العدل واحبه الرجال والنساء فلما اطمان يوسف فى مصر فى ملكه ودبر فى جميع الطعام احسن التدبير فبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين

المجدبة

المجدبة وانفق المال بالمعروف حتى خلت السنون الخصبة ودخلت السنون المجدبة بهول وشدة لم ير الناس مثله وقيل التدبير فى طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار فلما دخلت سنين القحط كان اول من اصابه الجوع الملك فجاع نصف النهار فنادى يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا اوان القحط فهلك فى السنة الاولى من اول سنين القحط كلما اعدوه فى السنين المخصبة فجعل اهل مصر يبتاعون الطعام من يوسف فباعهم فى السنة الاولى بالنقود حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار الا اخذه منهم وباعهم فى السنة الثانية بالحلى والجواهر فلم يبق فى ايدى الناس منها شى وباعهم فى السنة الثالثة بالمواشى والدواب حتى احتوى عليها كلها وباعهم فى السنة الرابعة بالعبيد والجوار حتى لم يبق بايدى الناس عبد ولا امة وباعهم فى السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى احتوى عليها كلها وباعهم فى السنة السادسة باولادهم حتى استرقهم وباعهم فى السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا ملكه فصاروا جميعا عبيدا ليوسف عليه السلام فقال اهل مصر ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم من يوسف فقال يوسف للملك كيف رايت صنع الله بى فيما خولنى فما ترى فى هولاء فقال الملك الراى رايك ونحن لك تبع فقال فانى اشهد الله واشهدك انى قد اعتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت عليهم املاكهم وقيل ان يوسف كان لا يشبع فى تلك الايام فقيل له تجوع وانت بيدك خزاين الارض فقال اخاف ان شبعت انسى الجايع وامر يوسف طباخى الملك ان يجعلوا غداه نصف النهار واراد بذلك ان يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجياع فمن ثم جعل الملوك غداهم نصف النهار قال مجاهد ولم يزل يوسف يدعو الملك الى الاسلام ويتلطف به حتى اسلم الملك وكثير من الناس قوله تعالى نصيب برحمتنا من نشاء يعنى نختص برحمتنا وهى النبوة من نشاء من عبادنا ولا نضيع اجر المحسنين قال ابن عباس يعنى الصابرين ولاجر الاخرة يعنى ولثواب الاخرة خير يعنى افضل من اجر الدنيا للذين امنوا وكانوا يتقون يعنى يتقون ما نهى الله عنه وفيه دليل على ان الذى اعد الله عز وجل ليوسف فى الاخرة من الاجر والثواب الجزيل افضل مما اعطاه الله فى الدنيا من الملك قوله تعالى وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون قال العلماء لما اشتد القحط وعظم البلاء عم ذلك جميع البلاد حتى وصل الى بلاد الشام فقصد الناس مصر من كل مكان للميرة فجعل يوسف لا يعطى احدا اكثر مما يحمل بعيره وان كان عظيما تقسطا ومساواة بين الناس ونزل بال يعقوب ما نزل بالناس من الشدة فبعث بنيه الى مصر للميرة وامسك عنده بنيامين اخا يوسف لامه وابيه وارسل عشرة فذلك قوله تعالى وجاء اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان مسكنهم بالعربات من ارض فلسطين بثغور الشام وكانوا اهل بادية وابل وشياه فدعاهم يعقوب عليه السلام وقال بلغنى ان بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا له واقصدوه لتشتروا منه ما تحتاجون اليه من الطعام حتى قدموا مصر فدخلوا على يوسف فعرفهم قال ابن عباس ومجاهد باول نظرة نظر اليهم عرفهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه وهم له منكرون يعنى لم يعرفوه قال ابن عباس كان بين ان قذفوه فى الجب وبين دخولهم عليه اربعين سنة فلذلك انكروه وقال عطاء انما لم يعرفوه لانه كان على سرير الملك وكان على راسه تاج الملك وقيل انه كان قد لبس زى ملوك مصر عليه ثياب حرير وفى عنقه طوق من ذهب وكل واحد من هذه الاشياء مانع من حصول المعرفة فكيف وقد اجتمعت فيه وقيل ان العرفان انما يقع فى القلب بخلق الله تعالى لها فيه وان الله لم يخلق ذلك العرفان فى تلك الساعة فى قلوبهم تحقيقا لما اخبر انه سينبيهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون فكان ذلك معجزة ليوسف عليه السلام فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية كلمهم بلسانهم فقال لهم اخبرونى من انتم وما امركم فانى قد انكرت حالكم قالوا نحن قوم من ارض الشام

Copyright © King Saud University

رعاة قد اصابنا من الجهد ما اصاب الناس فجئنا نمتار قال يوسف لعلكم جئتم تنظرون عورة بلادي قالوا
لا والله ما نحن بجواسيس انما نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق يقال له يعقوب نبي من انبياء الله
تعالى قال وكم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب اخ لنا معنا الى البرية فهلك فيها وكان احبنا الى ابينا فقال لكم
انتم الان قالوا عشرة قال فاين الاخر قالوا هو عند ابينا لانه اخ الذي هلك لامه فابونا يتسلى به قال فمن
يعلم ان الذي تقولون حق قالوا ايها الملك انا ببلاد غربة لا نعرف فيها احدا قال فاتوني باخيكم الذي من ابيكم
ان كنتم صادقين فانا ارضى بذلك منكم قالوا ان ابانا يحزن لفراقه وسنراوده عنه قال فدعوا بعضكم عندي
رهينة حتى تاتوني به فاقترعوا فيما بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده
فذلك قوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم يعني جهزت القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم جهاز سفرهم ما يحتاجون اليه
في وجوههم والجهاز بفتح الجيم هي اللغة الفصيحة الجيدة وعليها الاكثرون من اهل اللغة وكسر الجيم لغة ليست
بجيدة قال حمل لكل واحد منهم بعيرا من الطعام واكرمهم في النزول واحسن ضيافتهم واعطاهم ما يحتاجون
اليه في سفرهم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم يعني الذي خلفتموه عنده يعني بنيامين الا ترون اني اوفي الكيل
يعني اتمه ولا ابخس منه شيا وازيدكم حمل بعير اخر لاجل اخيكم اكرمكم بذلك وانا خير المنزلين يعني خير المضيفين
لانه كان قد احسن ضيافتهم في اقامتهم عنده قال الامام فخر الدين الرازي هذا الكلام يضعف قول من
يقول من المفسرين انه اتهمهم ونسبهم الى انهم عيون وجواسيس ومن يشافههم بهذا الكلام فلا يليق به
الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين وايضا يبعد من يوسف عليه السلام مع كونه صديقا ان يقول لهم
انتم جواسيس وعيون مع انه يعرف براءتهم من هذه التهمة لان البهتان لا يليق بالصديق ثم قال يوسف عليه السلام
فان لم تاتوني به يعني باخيكم من ابيكم فلا كيل لكم عندي يعني ليست احمل لكم طعاما ولا تقربون اي ولا ترجعوا
تقربوا بلادي وهذا هو نهاية التخويف والترغيب لانهم كانوا محتاجين الى تحصيل الطعام ولا يمكنهم
تحصيله الا من عنده فاذا منعهم من العود كان قد ضيق عليهم فعند ذلك قالوا يعني اخوة يوسف سنراود
عنه اباه يعني سنجتهد ونحتال حتى ننتزعه من عنده وانا لفاعلون يعني ما امرتنا به قوله عز وجل وقال
لفتيانه يعني يوسف لفتيته وهم غلمانه واتباعه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم اراد بالبضاعة ثمن
الطعام الذي اعطوه ليوسف وكانت دراهم وحكى الضحاك عن ابن عباس انها كانت النعال والادم والرحال
جمع رحل وهي الاوعية التي يحمل فيها الطعام وغيره لعلهم يعرفونها يعني يعرفون بضاعتهم اذا انقلبوا الى
اهلهم لعلهم يرجعون الينا واختلفوا في السبب الذي من اجله رد يوسف اليهم بضاعتهم فقيل انهم اذا فتحوا
متاعهم ووجدوا بضاعتهم فيه علموا ان ذلك من كرم يوسف وسخائه فيبعثهم ذلك على الرجوع
اليه سريعا وقيل انه خاف ان لا يكون عند ابيه شيء من المال لان الزمان كان زمان القحط وشدة
وقيل انه راى ان اخذ ثمن الطعام من ابيه واخوته لؤم لشدة حاجتهم اليه وقيل اراد ان يحسن اليهم على وجه
لا يلحقهم فيه لوم ولا عيب وقيل اراد ان يريهم بره وكرمه واحسانه اليهم في رد بضاعتهم ليكون
ذلك ادعى الى العود وقيل انما فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم وامانتهم تحملهم على رد البضاعة اليه
اذا وجدوها في رحالهم لانهم انبياء واولاد انبياء وقيل اراد برد البضاعة اليهم ليكون ذلك عونا لابيه
واخوته على شدة الزمان فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا واكرم
منزلنا كرامة عظيمة لو كان رجلا من ولد يعقوب ما اكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب عليه السلام اذا رجعتم
الى ملك مصر فاقرؤوه مني السلام وقولوا له ان يعقوب ابانا يصلي عليك ويدعو لك بما اوليتنا ثم قال لهم

ابن

ابن شمعون قالوا ان ملك مصر عنده واخبروه بالقصة ثم قالوا يا ابانا منع منا الكيل وفيه قولان احدهما
انهم لما اخبروا يوسف باخيهم من ابيهم طلبوا منه الطعام لابيهم واخيهم المتخلف عند ابيهم فمنعهم من ذلك حتى يحضر
فقوله منع منا الكيل اشارة اليه واراد بالكيل الطعام لانه يكال والقول الثاني انه يمنع منا الكيل في المستقبل
وهو اشارة الى قول يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون وقال الحسن يمنع منا الكيل
ان لم تحمل معنا اخانا وهو قوله تعالى اخبارا عنهم فارسل معنا اخانا يعني بنيامين نكتل قرئ بالياء يعني
يكتل لنفسه وقرئ بالنون يعني نكتل جميعا واياه معنا وانا له لحافظون يعني نرده اليك فلما قالوا ليعقوب
هذه المقالة قال يعقوب هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل يعني كيف امنكم على ولدي بنيامين
وقد فعلتم باخيكم ما فعلتم وانكم ذكرتم مثل هذا الكلام بعينه في يوسف وضمنتم حفظه وقلتم وانا له
لحافظون فما فعلتم فلما لم يحصل الامان والحفظ هنالك فكيف يحصل هنا ثم قال فالله خير حافظا
يعني ان حفظ الله له خير من حفظكم له ففيه التفويض الى الله تعالى والاعتماد عليه في جميع الامور وهو
ارحم الراحمين وظاهر هذا الكلام يدل على انه ارسله معهم وانما ارسله معهم وقد شاهد ما فعلوا
بيوسف لانه لم يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين من الحسد والحقد مثل ما كان بينهم وبين يوسف او ان
يعقوب شاهد منهم الخير والصلاح لما كبروا فارسله معهم او ان شدة القحط وضيق الوقت احوجه الى ذلك
قوله عز وجل ولما فتحوا متاعهم وجدوا يعني الذي حملوه من مصر ويحتمل ان يكون المراد به الطعام او اوعية
الطعام بضاعتهم ردت اليهم يعني انهم وجدوا في متاعهم ثمن الطعام الذي كانوا قد اعطوه ليوسف قد
رد عليهم ودس في متاعهم قالوا يا ابانا ما نبغي يعني ماذا نبغي واي شيء نطلب وذلك انهم قد ذكروا ليعقوب
احسان ملك مصر اليهم وحثوا يعقوب على ارسال بنيامين معهم فلما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم
قد ردت اليهم قالوا اي شيء نطلب من الكلام بعد هذا العيان من الاحسان والاكرام اوفى لنا الكيل
ورد علينا الثمن ارادوا بهذا الكلام تطييب قلب ابيهم هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا يقال
مار اهله يميرهم ميرا اذا حمل لهم الطعام وجلبه من بلد اخر اليهم والمعنى انا نشتري لاهلنا الطعام
ونحمله اليهم ونحفظ اخانا يعني بنيامين مما نخاف عليه حتى نرده اليك ونزداد كيل بعير يعني
ونزداد لاجل اخينا على جمالنا حمل بعير من الطعام ذلك كيل يسير يعني ان ذلك الحمل الذي نزداده
على الطعام هين على الملك لانه قد احسن الينا واكرمنا باكثر من ذلك وقيل معناه ان الذي حملنا
معنا كيل يسير قليل لا يكفينا واهلنا قال يعقوب لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله
يعني لن ارسل معكم بنيامين حتى تؤتوني موثقا من الله وميثاقه والموثق العهد المؤكد باليمين وقيل
هو المؤكد باشهاد الله عليه لتأتنني به دخلت اللام هنا لاجل اليمين وتقديره حتى تحلفوا بالله لتأتنني
به الا ان يحاط بكم قال مجاهد الا ان تهلكوا جميعا فيكون عذرا لكم عندي لان العرب تقول احيط بفلان
اذا هلك او قارب هلاكه وقال قتادة الا ان تغلبوا جميعا فلا تقدروا على الرجوع فلما اتوه
موثقهم يعني فلما اعطوه عهدهم وحلفوا له قال الله على ما نقول وكيل يعني قال يعقوب الله شاهد
على ما نقول لان الشاهد وكيل بمعنى يوكل اليه هذا العهد وقيل وكيل بمعنى حافظ قال
كعب الاحبار لما قال يعقوب فالله خير حافظا قال الله تعالى وعزتي لاردن عليك كلاهما بعد ما توكلت
علي وفوضت امرك الي وذلك انه لما اشتد بهم الامر وضاق عليهم الوقت وجهدوا واشتد الجهد
لم يجد يعقوب بدا من ارسال بنيامين معهم متوكلا على الله ومفوضا امره اليه قوله تعالى وقال

Copyright © King Saud University

يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وانما امرهم بذلك لانه خاف عليهم العين
وذلك لانهم لما خرجوا من عند يعقوب قاصدين مصر قال لهم يا بني لا تدخلوا يعني مدينة مصر من
باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وذلك لانهم لما خرجوا وكان لمدينة مصر يومئذ اربعة ابواب
وقال السدي اراد الطرق لا الابواب يعني من طرق متفرقة وانما امرهم بذلك لانه خاف عليهم
العين لانهم كانوا قد اعطوا جمالا وقوة وامتداد قامة وكانوا ولد رجل واحد فامرهم ان يتفرقوا
في دخولهم المدينة لئلا يصابوا بالعين فان العين حق وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة
وجمهور المفسرين ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق زاد البخاري
ونهى عن الوشم م عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شيء سابق
القدر لسبقته العين وان استغسلتم فاغسلوا عن عائشة قالت كان يؤمر العائن فيتوضأ
ثم يغتسل منه المعين اخرجه ابو داود قال الشيخ محيي الدين النووي واخذ جماهير العلماء بظاهر هذا
الحديث وقالوا العين حق وانكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس مخالفا في
نفسه ولا يؤدي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول واذا اخبر الشارع بوقوعه
وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه وانكاره وهل فرق بين تكذيبهم بهذا وتكذيبهم بما يخبر به من امور
الاخرة قال وقد زعم بعض الطبائعيين المثبتين للعين ان العائن ينبعث من عينيه قوة سمية
تتصل بالمعين فيهلك او يفسد قالوا ولا يمتنع هذا كما لا يمتنع انبعاث قوة سمية من الافعى والعقرب
تتصل باللديغ فيهلك وان كان غير محسوس لنا فكذا العين قال المازري هذا غير مسلم لانا بينا في كتب علم
الكلام انه لا فاعل الا الله تعالى وبينا فساد القول بالطبائع وبينا ان المحدث لا يفعل في غيره شيئا فاذا تقرر
هذا بطل ما قالوه ثم نقول هذا المنبعث من العين اما جوهر واما عرض فباطل ان يكون عرضا لانه لا يقبل
الانتقال وباطل ان يكون جوهرا لان الجواهر متجانسة فليس بعضها بان يكون مفسدا لبعض باولى من
عكسه فبطل ما قالوا قال واقرب طريقة قالها من ينتحل الاسلام منهم ان قالوا لا يبعد ان ينبعث جواهر
لطيفة غير مرئية من عين العائن فتتصل بالمعين وتتخلل مسام جسمه فيخلق الله عز وجل الهلاك عندها
كما يخلق الهلاك عند شرب السموم عادة اجراها الله تعالى وليست ضرورة ولا طبيعة الجأ العقل اليها
قال اهل السنة ان العين انما تفسد وتهلك عند نظر العائن بفعل الله تعالى اجرى الله العادة بان
يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص شخصا اخر وهل ثم جواهر ام لا فهذا من مجوزات العقول لا يقطع
فيه بواحد من الامرين وانما يقطع بنفي الفعل عنها واضافته الى الله تعالى فمن قطع من اطباء الاسلام بانبعاث
الجواهر فقد اخطأ في قطعه وانما هو من الجائزات هذا ما يتعلق بعلم الاصول واما ما يتعلق بعلم الفقه
فان الشرع قد ورد بالوضوء في هذا الامر في حديث سهل بن حنيف لما اصيب بالعين عند
اغتساله رواه مالك في الموطأ واما صفة وضوء العائن فمذكور في كتب شروح الحديث ومعروف عند
العلماء فيطلب من هنالك فليس هذا موضعه والله اعلم وقال وهب بن منبه في قوله لا تدخلوا من
باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة اني اخاف ان يغتالوا لما ظهر لهم في ارض مصر من التهمة
حكاه ابن الجوزي عنه وقيل ان يعقوب عليه السلام كان قد علم ان ملك مصر هو ولده يوسف الا ان
الله لم يأذن له في اظهار ذلك فلما بعث ابناءه اليه قال لهم لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من
ابواب متفرقة وكان غرضه ان يصل بنيامين الى اخيه يوسف في وقت الخلوة قبل اخوته والقول

الاول

الاول اصح انه خاف عليهم من العين ثم رجع الى علمه وفوض امره الى الله تعالى بقوله وما اغني عنكم من الله من شيء
يعني ان كان الله قد قضى عليكم بقضاء فهو يصيبكم مجتمعين كنتم او متفرقين فان المقدور كائن ولا ينفع حذر
من قدر ان الحكم الا لله يعني وما الحكم الا لله وحده لا شريك له فيه وهذا تفويض من يعقوب في اموره كلها
الى الله تعالى عليه توكلت يعني على الله اعتمدت في اموري كلها لا على غيره وعليه فليتوكل المتوكلون ولما
دخلوا من حيث امرهم ابوهم يعني من الابواب المتفرقة وكان لمدينة مصر وقيل لمدينة الفرة اربعة ابواب
فدخلوا من ابوابها كلها ما كان يغني عنهم من الله من شيء وهذا تصديق من الله ليعقوب فيما قال وما اغني
عنكم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضاها هذا استثناء منقطع ليس من الاول في شيء معناه لكن
حاجة في نفس يعقوب قضاها وهو انه اشفق عليهم اشفاق الاباء على الابناء وذلك انه خاف عليهم من
العين او خاف عليهم حسد اهل مصر وخاف ان لا يردوا عليه فاشفق من هذا كله او بعضه وانه يعني يعقوب
لذو علم يعني صاحب علم لما علمناه يعني لتعليمنا اياه ذلك العلم وقيل معناه انه لذو علم للشيء الذي علمناه
والمعنى انا لما علمناه الاشياء حصل له العلم بتلك الاشياء وقيل وانه لذو حفظ لما علمناه وقيل انه كان يعمل
ما يعمل عن علم لا عن جهل وقيل انه لعالم بما علمناه قال سفيان من لا يعمل بما يعلم لا يكون عالما ولكن اكثر الناس
لا يعلمون يعني لا يعلمون ما كان يعلم يعقوب لانهم لم يسلكوا طريق اصابة العلم وقال ابن عباس لا يعلم
المشركون ما الهم الله اولياءه قوله عز وجل ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه قال المفسرون لما دخل
اخوة يوسف على يوسف قالوا ايها الملك هذا اخونا الذي امرتنا ان نأتيك به قد جئناك به فقال لهم
احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي ثم انزلهم واكرمهم واحسن نزلهم ثم انه اضافهم واجلس كل اثنان
على مائدة فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي
هذا وحده فقالوا له كان له اخ فهلك فقال لهم فانا اجلسه معي فاخذه واجلسه معه على مائدته وجعل
يؤاكله فلما كان الليل امرهم بمثل ذلك وقال لكل اثنان ينامان على فراش واحد فبقي بنيامين وحده
فقال يوسف هذا ينام عندي على فراشي فنام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه اليه
ويشم ريحه حتى اصبح فلما اصبح قال لهم اني ارى هذا الرجل وحيدا ليس معه ثان وسأضمه الي فيكون
معي في منزلي ثم انه انزلهم واجرى عليهم الطعام فقال روبيل ما رأينا مثل هذا فذلك قوله تعالى اوى اليه
اخاه يعني ضمه اليه وانزله معه في منزله فلما خلا به قال له يوسف ما اسمك قال بنيامين
قال وما بنيامين قال ابن المثكل وذلك انه لما ولدته امه هلكت قال وما اسم امك قال راحيل قال
فهل لك من ولد قال عشر بنين قال فهل من اخ لامك قال كان لي اخ فهلك فقال يوسف اتحب ان اكون اخاك
بدل اخيك الهالك قال نعم قال بنيامين ومن يجد اخا مثلك ايها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل
فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وعانقه وقال له اني انا اخوك يعني انا يوسف فلا تبتئس
اي يعني لا تحزن وقال اهل اللغة تبتئس تفتعل من البؤس وهو الضرر والشدة والابتئاس اجتلاب
الحزن والبؤس بما كانوا يعملون يعني فلا تحزن بشيء فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا ونجانا
من الهلاك وجمع بيننا وقيل ان يوسف صفح عن اخوته ووصفا لهم فاراد ان يجعل قلب اخيه مثل قلبه صافيا
عليهم ثم قال يوسف لاخيه بنيامين لا تعلم اخوتك بشيء مما اعلمتك به ثم انه وفى لاخوته الكيل وزاد لكل
واحد حمل بعير ولبنيامين حمل بعير باسمه ثم امر بسقاية الملك فجعلت في رحل اخيه بنيامين قال السدي
وهو لا يشعر وقال كعب لما قال له يوسف اني انا اخوك قال بنيامين انا لا افارقك فقال يوسف قد علمت

Copyright @ King Saud University

اغنامر والدى قد جبستك عندى على ان زاد غمه ولا يمكنى هذا الا بعد ان اشهرك بامر قبيح وانسبك الى ما لا يحل
قال لا ابالى فافعل ما بدا لك فانى لا افارقك قال فانى ادس صاعى فى رحلك ثم انادى عليكم بالسرقة ليتهيأ
لى ردك بعد تسريحك قال فافعل ما شئت فذلك قوله عز وجل **فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل اخيه**
وهى المشربة التى كان الملك يشرب فيها قال ابن عباس كانت من زبرجد وقال ابن اسحاق كانت من فضة وقيل
من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من فضة مرصعة بالجواهر جعلها يوسف مكيالا لئلا يكال بغيرها وكان
يشرب فيها والسقاية والصواع اسم لاناء واحد جعلت فى وعاء طعام اخيه بنيامين ثم ارتحلوا راجعين الى
بلادهم فامهلهم يوسف حتى ارتحلوا وانطلقوا منزلا وقيل حتى خرجوا من العمارة ثم ارسل خلفهم من استوقفهم
وحبسهم **ثم اذن مؤذن** اى نادى مناد واعلم معلم الاذان فى اللغة الاعلام **ايتها العير** وهى القافلة التى
فيها الاحمال وقال مجاهد العير الحمير وقيل كلما اسير عليه من الابل والحمير والبغال فهى عير وقول من قال انها
الابل خاصة باطل وقيل العير الابل التى عليها الاحمال سميت بذلك لانها تعير اى تذهب وتجئ وقيل هى قافلة
الحمير ثم اثر ذلك فى الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير فقوله ايتها العير اراد اصحاب العير **انكم لسارقون**
فان قلت هل هذا النداء بامر يوسف امر لا
فان كان بامره فكيف يليق بيوسف مع علو منصبه وشريف نسبه من النبوة والرسالة ان يتهم اقواما
وينسبهم الى السرقة كذبا مع علمه ببراءتهم فى تلك التهمة التى نسبوا اليها ثم ذكر العلماء عن هذا السؤال
اجوبة احدها ان يوسف لما ظهر لاخيه انى اخاك قال لست افارقك قال لا سبيل الى ذلك الا بتدبير حيلة
انسبك فيها الى ما لا يليق قال رضيت بذلك فعلى هذا التقدير لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام بل قد
رضى به فلا يكون ذنبا • الثانى ان يكون المعنى انكم لسارقون ليوسف من ابيه الا انهم ما اظهروا هذا الكلام
فهو من المعاريض وفى المعاريض مندوحة عن الكذب • الثالث يحتمل ان يكون المنادى بها قال ذلك على
سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير لا يكون كذبا • الرابع ليس فى القران ما يدل على انهم قالوا ذلك بامر يوسف
وهو الاقرب الى ظاهر الحال لانهم طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك احد غيرهم غلب على ظنهم انهم هم
الذين اخذوها فقالوا ذلك بناء على غلبة ظنهم **قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون** قال الاصحاب الاخبار لما وصل الرسل
الى اخوة يوسف قالوا لهم الم نكرمكم ونحسن ضيافتكم ونوفكم الكيل ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم قالوا بلى وما ذاك
قالوا فقدنا سقاية الملك ولا نتهم عليها غيركم فذلك قوله تعالى واقبلوا عليهم ماذا تفقدون اى ما الذى
ضل او عدم **قالوا** يعنى المؤذن واصحابه **نفقد صواع الملك** اى الصاع الاناء الذى يكال به وجمع اصوع وصيعان
لغة فيه وجمعه صيعان **ولمن جاء به** يعنى بالصواع **حمل بعير** يعنى من الطعام **وانا به زعيم** اى كفيل قال
الكلبى الزعيم هو الكفيل بلسان اهل اليمن وهذه الاية تدل على الكفالة كانت صحيحة فى شرعهم وقد حكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله الحميل غارم والحميل الكفيل **فان قلت** كيف تصح هذه
الكفالة مع ان السارق لا يستحق شيئا **قلت** لم يكونوا سراقا فى الحقيقة فيحمل ذلك على مثل
رد الضائع فيكون جعالة ولعل مثل هذه المقالة كانت جائزة عندهم فى ذلك الزمان فيحمل عليه **قالوا**
يعنى اخوة يوسف **تالله** التا بدل من الواو ولا تدخل على اسم الله فى اليمين خاصة تقديره والله **لقد علمتم ما جئنا**
لنفسد فى الارض وما كنا سارقين قال المفسرون ان اخوة يوسف حلفوا على امرين احدهما انهم ما جاؤوا لاجل الفساد
فى الارض والثانى انهم ما جاؤوا سارقين وانما قالوا هذه المقالة لانه كان قد ظهر من احوالهم ما يدل على صدقهم
وهو انهم كانوا مواظبين على انواع الخير والطاعة والبر حتى بلغ من برهم انهم سدوا افواه دوابهم لئلا تؤذى

زرع الناس ومن كانت هذه صفته فالفساد فى حقه ممتنع واما الثانى انهم ما كانوا سارقين لانهم كانوا قد
ردوا البضاعة التى وجدوها فى رحالهم ولم يستحلوا اخذها ومن كانت هذه صفته فليس بسارق
فلاجل ذلك قالوا لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين فلما تبين براءتهم من هذه
التهمة **قالوا** يعنى اصحاب يوسف وهو المنادى واصحابه **فما جزاؤه ان كنتم كاذبين** يعنى فما جزاء
السارق ان كنتم كاذبين فى قولكم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين **قالوا** يعنى اخوة يوسف
جزاؤه من وجد فى رحله يعنى جزاء السارق الذى وجد فى رحله ان يسلم رقبته الى المسروق منه فيسترق
سنة وكان ذلك سنة آل يعقوب فى حكم السارق وكان فى حكم مصر ان يضرب السارق ويغرم ضعفى
قيمة المسروق وكان هذا فى شرعهم فى ذلك الزمان يجرى مجرى القطع فى شرعنا فاراد يوسف ان ياخذ
بحكم ابيه فى السارق فلذلك رد الحكم اليهم والمعنى ان جزاء السارق ان يستعبد سنة جزاء له على جرمه
وسرقته **فهو جزاؤه** يعنى هذا الجزاء جزاؤه **كذلك نجزى الظالمين** يعنى مثل هذا الجزاء ان يسترق السارق
سنة نجزى الظالمين ثم قيل هذا الكلام من بقية كلام يوسف اخوته وقيل هو من كلام اصحاب يوسف
وقيل فعلى هذا ان اخوة يوسف لما قالوا جزاء السارق ان يسترق سنة قال اصحاب يوسف كذلك
نجزى الظالمين يعنى السارقين قوله عز وجل **فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه** قال اهل التفسير ان
اخوة يوسف لما اقروا ان جزاء السارق ان يسترق قال اصحاب يوسف لا بد من تفتيش رحالكم فردوهم
الى يوسف فامر بتفتيشها بين يديه فبدأ بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء اخيه لازالة التهمة فجعل
يفتش اوعيتهم واحدا واحدا قال قتادة ذكر لنا انه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر وعاء الا استغفر
الله تعالى نادما مما قذفهم به حتى لم يبق الا رحل بنيامين قال ما اظن هذا اخذ شيئا فقال اخوته والله
لا نتركك حتى تنظر رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع فيه فذلك
قوله تعالى **ثم استخرجها من وعاء اخيه** انما انث الكناية لانه ردها الى السقاية وقيل ان الصواع
يذكر ويؤنث فلما اخرج الصواع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤوسهم من الحياء واقبلوا على بنيامين
يلومونه ويقولون له ايش الذى صنعت بنا افضحتنا وسودت وجوهنا يا بنى راحيل ما زال لنا منكم
بلاء متى اخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل بنوا راحيل ما زال لهم منكم بلاء ذهبتم باخى فاهلكتموه فى
البرية ان الذى وضع الصواع فى رحلى وضع البضاعة فى رحالكم قالوا فاخذ بنيامين رقيقا وقيل
ان المنادى واصحابه هم الذين تولوا تفتيش رحالهم وهم الذين استخرجوا الصواع من رحل بنيامين
فاخذوه برقبته وردوه الى يوسف **كذلك كدنا ليوسف** يعنى ومثل ذلك الكيد كدنا ليوسف وهو اشارة
الى الحكم الذى ذكره اخوة يوسف حكمنا به ليوسف ولفظ الكيد مستعار للحيلة والخديعة وهذا محال
على الله فيجب تاويل هذه اللفظة بما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى فنقول الكيد هنا جزاء الكيد كما فعلوا
بيوسف فى الابتداء فعلنا بهم فالكيد من الخلق الحيلة ومن الله التدبير بالحق والمعنى كما الهمنا اخوة يوسف
ان جزاء السارق ان يسترق كذلك الهمنا يوسف حتى دس الصواع فى رحل اخيه ليضمه اليه على ما حكم به اخوته
وقال ابن الاعرابى الكيد التدبير بالباطل وبالحق فعلى هذا يكون المعنى كذلك دبرنا ليوسف وقيل صنعنا
ليوسف وقال ابن الانبارى كدنا وقع خبرا عن الله عز وجل على خلاف معناه فى اوصاف المخلوقين فانه اذا اخبر
به عن مخلوق كان تحته احتيال وهو فى موضع فعل الله تعالى معنى من المعانى المذمومة ويخلص بانه وقع
بمن يكيده تدبير ما يريده من حيث لا يشعر ولا يقدر على دفعه فهو من الله مشيئة بالذى يكون من اجل المخلوق

Copyright © King Saud University

اذا كان ستر عنه ما ينوبه ويضره له والذي يقع به من الكيد من الله تعالى فهو ستر ما اختتم الله به عاقبته والذي
وقع باخوة يوسف من كيد الله هو ما انتهى اليه شان يوسف من ارتفاع المنزلة وتمام النعمة بحيث جرى الامر على
غير ما قدروا من هلاكه وخلوص ابيهم له بعده وكل ذلك جرى بتدبير الله تعالى وخفي لطفه وسماه كيدا لما
يشبه من كيد المخلوقين فعلى هذا كيد الله عز وجل ليوسف عايد الى جميع ما اعطاه الله وانعم به عليه على
خلاف تدبير اخوته من غير ان يشعروا بذلك وقوله عز وجل ما كان لياخذ اخاه في دين الملك يعني في حكم
الملك وقضايه لانه كان في حكم الملك ان السارق يضرب ويغرم ضعفي قيمة المسروق فلم يكن يتمكن يوسف
من حبس اخيه عنده في حكم الملك فان الله تعالى الهم يوسف ما دبره حتى وجد السبيل الى ذلك الا ان
يشا الله يعني ان ذلك الامر كان بمشية الله تعالى وتدبيره لانه كله كان الهاما من الله تعالى ليوسف
واخوته حتى جرى الامر على وفق المراد نرفع درجات من نشا يعني بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على اخوته وفي
هذه الاية دلالة على ان العلم الشريف اشرف المقامات واعلى الدرجات لان الله تعالى مدح يوسف ورفع
درجته على اخوته بالعلم وبما الهمه على وجه الهداية والصواب في الامور كلها وفوق كل ذي علم عليم قال ابن
عباس فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله تعالى فانه فوق كل عالم لانه هو الغني بعلمه عن التعليم وفي الاية
دليل على ان اخوة يوسف كانوا علما وكان يوسف اعلم منهم قال ابن الانباري يجب ان يتهم العالم نفسه ويستشعر
التواضع لربه تعالى ولا تطمع نفسه في الغلبة لانه لا يخلو عالم من عالم فوقه قوله تعالى قالوا يعني اخوة
يوسف ان يسرق يعني بنيامين الصواع فقد سرق اخ له من قبل يعني يوسف فظاهر الاية يقتضي ان اخوة يوسف
قالوا للملك ان هذا الامر ليس بغريب منه فان اخاه الذي هلك كان سارقا ايضا وكان غرضهم من هذا الكلام
انا لسنا على طريقته ولا على سيرته بل هذا واخوه كانا على هذه الطريقة وهذه السيرة لانهما من ام اخرى
غير امنا واختلفوا في السرقة التي نسبوها الى يوسف عليه السلام فقال سعيد بن جبير وقتادة كان
لجده ابي امه صنم وكان يعبده فاخذه يوسف سرا وكسره والقاه في الطريق لئلا يعبده وقال مجاهد ان
يوسف جاءه سايل يوما فاخذ بيضة من البيت فناولها له وقال سفيان بن عيينة اخذ دجاجة من الطير
الذي كان في بيت يعقوب فاعطاه سايلا وقال وهب كان يخبا الطعام من المايدة للفقراء وذكر محمد بن
اسحاق ان يوسف كان عند عمته ابنة اسحاق بعد موت امه راحيل فحضنته عمته واحبته حبا شديدا
فلما ترعرع وكبر وقعت محبة يعقوب عليه فاتاها فقال لاخته يا اختاه سلمي الي يوسف فوالله ما اقدر
على ان يغيب عني ساعة واحدة فقالت لا اعطيكه فقال لها والله ما انا بتاركه عندك فقالت دعه عندي
اياما انظر اليه لعل ذلك يسليني عنه فنعمل لك فعمدت الى منطقة كانت لاسحاق وكانوا يتوارثونها
بالكبر وكانت اكبر ولد اسحاق وكانت عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير
لا يشعر بها ثم قالت فقدت منطقة اسحاق ففتشوا اهل البيت فوجدوها مع يوسف فقالت انه لسلم
لي يعني يوسف فقال يعقوب ان كان فعل ذلك فهو سلم لك فامسكته عندها حتى ماتت فلذلك قال
اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يعنون هذه السرقة وكلها تشبه السرقة فعيروه بها عند
الغضب فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها في هاء الكناية ثلاثة اقوال احدها ان الضمير يرجع الى الكلمة
التي بعدها وهي قوله تعالى قال يعني يوسف انتم شر مكانا روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس والثاني
ان الضمير يرجع الى الكلمة التي قالوها في حقه وهي قولهم فقد سرق اخ له من قبل وهذا معنى قول ابي صالح
عن ابن عباس فعلى هذا القول يكون المعنى فاسر يوسف الجواب اي الكلمة التي قالوا في حقه ولم يجبهم عليها

٨

والثالث

والثالث الضمير يرجع الى الحجة فيكون المعنى على هذا القول فاسر يوسف الاحتجاج اليهم في ادعايهم عليه السرقة
ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا معناه يعني منزلة عند الله ممن رميتموه بالسرقة لانه لم يكن من يوسف سرقة في
الحقيقة وخيانتكم حقيقة والله اعلم بما تصفون يعني بحقيقة ما تقولون قوله عز وجل قالوا يعني اخوة
يوسف يا ايها العزيز يخاطبون بذلك الملك ان له ابا شيخا كبيرا قال اصحاب السير والاخبار ان يوسف عليه
السلام لما استخرج الصواع من رحل بنيامين نقره وادناه ثم قال صواعي يخبرني انكم اثنا عشر رجلا
وانكم انطلقتم باخ لكم من ابيكم فبعتموه قال بنيامين ايها الملك سل صواعك هذا من جعله في رحلي فنقره
ثم قال ان صواعي قال كيف تسالني عن صاحبي وقد رايت مع من كنت قالوا فغضب روبيل لذلك وكان
بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان روبيل اذا غضب لم يقم لغضبه شي وكان اذا صاح القت كل
حامل حملها اذا سمعت صوته وكان مع هذا اذا مسه احد من ولد يعقوب يسكن غضبه وكان اقوى
الاخوة واشدهم وقيل كان هذا صفة شمعون بن يعقوب وقيل انه قال لاخوته كم عدد الاسواق
بمصر قالوا عشرة قال اكفوني انتم الاسواق وانا اكفيكم الملك او اكفوني انتم الملك وانا اكفيكم الاسواق
فدخلوا على يوسف فقال روبيل ايها الملك لتردن علينا اخانا او لاصيحن صيحة لا يبقى بمصر حامل الا
وضعت ولدها وقامت كل شعرة في جسد روبيل حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم الى
هذا فمسه او خذ بيده فاتني به فلما مسه سكن غضبه فقال لاخوته من مسني منكم قالوا لم يصبك منا
احد فقال روبيل هذا بذر من بذر يعقوب وقيل انه غضب ثانيا فقام اليه يوسف فركزه برجله
واخذ بتلابيبه فوقع على الارض وقال انتم يا معشر العبرانيين تزعمون ان لا احد اشد منكم فلما راوا ما
نزل بهم وراوا ان لا سبيل الى تخليصه خضعوا وذلوا وقالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا يعني في السن
ويحتمل ان يكون كبيرا في القدر لانه نبي من ولد الانبيا فخذ احدنا مكانه يعني بدلا منه لانه يحبه ويتسلى
به عن اخيه الهالك انا نراك من المحسنين يعني في افعالك كلها وقيل من المحسنين الينا في توفية الكيل وحسن
الضيافة ورد البضاعة الينا وقيل ان رددت بنيامين الينا واخذت احدنا مكانه كنت من المحسنين قال
معاذ الله يعني قال يوسف اعوذ بالله معاذا ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده لم يقل من سرق
تحرزا من الكذب لانه يعلم ان اخاه ليس بسارق انا اذا لظالمون يعني ان اخذنا بريا بمذنب **فان قلت**
كيف استجاز يوسف ان مثل الاعمال هذه بابيه ولم يخبره بمكانه واجلس اخاه عنده مع علمه بشدة وجد ابيه
عليه ففيه ما فيه من العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة وكيف يجوز ليوسف مع علو منصبه من النبوة
والرسالة ان يزور على اخوته ويروج عليهم مثل هذا مع ما فيه من الاذى لهم فكيف يليق به هذا كله ع
قلت قد ذكر العلما عن هذا السوال اجوبة كثيرة احسنها واصحها انه انما فعل ذلك بامر
الله تعالى له لا عن امره وانما امره الله بذلك ليزيد بلا يعقوب فيضاعف له الاجر على البلا ويلحقه بدرجة ابايه
الماضين ولله تعالى اسرار لا يعلمها احد من خلقه فهو المتصرف في خلقه بما يشا فهو الذي اخفى خبر يوسف عن
يعقوب في طول هذه المدة مع قرب المسافة بينهما لما يريد ان يبدي فيهم والله اعلم باحوال عباده قوله عز وجل فلما
استيأسوا منه يعني ايسوا من يوسف ان يجيبهم الى ما سالوه وقيل ايسوا من اخيهم ان يرد اليهم وقال ابو
عبيدة استيأسوا اي استيقنوا ان الاخ لا يرد اليهم خلصوا نجيا خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون
ليس فيهم غيرهم قال كبيرهم يعني في العقل والعلم لا في السن قال ابن عباس والكبير هو يهودا وكان اعقلهم
وقال مجاهد هو شمعون وكانت الرياسة له على اخوته وقال قتادة والسدي والضحاك هو روبيل وكان

اكبرهم سنا واحسنهم رايا في يوسف لانه نهاهم عن قتله الم تعلموا ان اباكم يعني يعقوب قد اخذ عليكم موثقا من الله
يعني عهدا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف يعني قصرتم في امر يوسف حتى منيعتموه فلن ابرح الارض يعني
الارض التي انا فيها وهي ارض مصر والمعنى فلن ابرح الارض من ارض مصر ولا افارقها على هذه الصورة
حتى ياذن لي ابي يعني في الخروج من ارض مصر ويدعوني اليه او يحكم الله لي يعني برد اخي الي او بخروجي معكم
او يحكم الله لي بالسيف فاقاتلهم حتى استرد اخي وهو خير الحاكمين لانه يحكم بالعدل والانصاف والمراد من
هذا الكلام الالتجا الى الله تعالى في اقامة عذره عند والده يعقوب عليه السلام ارجعوا الى ابيكم يعني يقول
الاخ الكبير الذي عزم على الاقامة بمصر لاخوته الباقين ارجعوا الى ابيكم يعقوب فقولوا يا ابانا ان ابنك
سرق انما قالوا هذه المقالة ونسبوه الى السرقة لانهم قد وجدوا الصواع قد خرج من متاع بنيامين فغلب
على ظنهم انه سرق فلذلك نسبوه الى السرقة في ظاهر الامر لا في حقيقة الحال ويدل على انهم لم يقطعوا عليه
بالسرقة في قولهم وما شهدنا الا بما علمنا يعني لم نقل ذلك الا بعد ما راينا اخراج الصاع من متاع بنيامين
وقيل معناه ما كانت منا شهادة في عمرنا على شي الا بما علمنا وهذه ليست بشهادة انما هو خبر عن صنيع
ابنك انه سرق بزعمهم فيكون المعنى ان ابنك سرق في زعم الملك واصحابه لا انا نشهد عليه بالسرقة وقال
ابن عباس والضحاك سُرِّق بضم السين وكسر الرا وتشديدها اي نسب الى السرقة وانهم بها وهذه القراة
لا تحتاج الى تاويل لان القوم نسبوه الى السرقة الا ان هذه القراة ليست مشهورة فلا تقوم بها حجة
والقراة الصحيحة المشهورة هي الاولى وقوله وما شهدنا الا بما علمنا يعني ما قلنا هذا الا بما علمنا
فانا راينا اخراج الصواع من متاعه وقيل معناه ما كانت منا شهادة وقيل بل قال لهم يعقوب هب انه
سرق فما يدري هذا ان الرجل السارق يوخذ بسرقته الا بقولكم قالوا ما شهدنا عنده ان السارق
يسترق الا بما علمنا من الحكم وكان الحكم كذلك عند الانبيا قبله ويعقوب وبنيه حتى ينكر على بنيه
ذلك واجيب عنه بانه يحتمل ان ذلك العلم كان مخصوصا بما اذا كان المسروق منه مسلما فلهذا
انكر عليهم اعلام الملك بهذا الحكم لظنه انه كان كافرا وما كنا للغيب حافظين قال مجاهد وقتادة
وما كنا نعلم ان ابنك يسرق ويصير امرنا الى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به وانما قلنا ونحفظ اخانا مما لنا
الى حفظه سبيل وقال ابن عباس يعني ما كنا لليله ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين وقيل معناه ان
حقيقة الحال غير معلومة لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله فلعل الصواع دس في رحله ونحن لا نعلم بذلك
واسال القرية التي كنا فيها يعني واسال اهل القرية الا انه حذف المضاف للايجاز ومثل هذا النوع من
المجاز مشهورة وكلام العرب والمراد بالقرية مصر وقال ابن عباس هي قرية من قرى مصر كان قد جرى
فيها حديث السرقة والتفتيش والعير التي اقبلنا فيها اي يعني سل القافلة التي كنا فيها وكان صحبتهم
قوم من كنعان من جيران يعقوب وانا لصادقون يعني فيما قلنا وانما امرهم اخوهم الذي قام بمصر
بهذه المقالة مبالغة في ازالة التهمة عن انفسهم عند ابيهم لانهم كانوا متهمين عنده بسبب واقعة
يوسف قال بل سولت لكم انفسكم امرا معناه فيه اختصار تقديره فرجعوا الى ابيهم فاخبروه بما جرى لهم
في سفرهم ذلك وبما قال لهم كبيرهم وامرهم ان يقولوه لابيهم فعند ذلك قال لهم يعقوب بل سولت لكم
يعني بل زينت لكم انفسكم امرا وهو حمل اخيكم الى مصر لطلب نفع عاجل قال امركم الى المال وقيل معناه بل
خيلت لكم انفسكم انه سرق وما سرق فصبر جميل تقدم تفسيره في اول السورة عسى الله ان ياتيني بهم جميعا
يعني يوسف وبنيامين والاخ الثالث الذي اقام بمصر وانما قال يعقوب هذه المقالة لانه لما طال حزنه

واشتد

واشتد بلاوه ومحنته علم ان الله سيجعل له فرجا ومخرجا عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله عز
وجل لانه اذا اشتد البلا وعظم كان اسرع الى الفرج وقيل ان يعقوب علم بما جرى عليه وعلى بنيه من اول
الامر وهو رويا يوسف وقوله يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فلما تناهى الامر
قال عسى الله ان ياتيني بهم جميعا انه هو العليم يعني بحزني ووجدي عليه الحكيم يعني فيما يدبره ويقضيه
قوله تعالى وتولى عنهم يعني واعرض يعقوب عن بنيه حين بلغه خبر بنيامين فتتام حزنه واشتد
بلاوه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف وقال يا اسفى على يوسف الاسف اشد الحزن وانما جدد حزنه على يوسف
عند وجود هذه الواقعة لان الحزن القديم اذا صادفه حزن اخر كان ذلك اوجع للقلب واعظم لهيجان
الحزن الاول كما قال متمم بن نويرة لما راى قبرا جديدا جدد حزنه على اخيه مالك فقال

ابكي على كل قبر رايته * لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
فقلت له الاسى يبعث الاسى * فدعني فهذا كله قبر مالك

فاجاب ان الحزن يجدد الحزن وقيل ان يوسف وبنيامين لما كانا من ام واحدة فكان يتسلى يعقوب
عن يوسف ببنيامين فلما حصل فراق بنيامين زاد حزنه عليه ووجده وجدد حزنه على يوسف
لان يوسف كان اصل المصيبة وقد اعترض بعض الجهال على يعقوب عليه السلام في قوله يا اسفى على
يوسف وقال هذه شكاية واظهار جزع فلا يليق بعلو منصبه ذلك وليس الامر كما قال هذا الجاهل
المعترض لان يعقوب عليه السلام شكى الى الله لا منه فقوله يا اسفا على يوسف وقد ذكر ابن
الانباري عن بعض اللغويين انه قال نداء يعقوب للاسف في اللفظ على المجاز يعني به المظهر في
اللغة وتلخيصه يا الهي ارحم اسفي او انت ترى اسفي او هذا اسفي فنادى الاسف في اللفظ والمنادى
سوى في المعنى واما اثم اذا لم ينطق اللسان بكلام فيه ماثم لانه لم يشك الا الى ربه عز وجل
فلما كان يا اسفى على يوسف شكوى الى ربه كان غير ملوم في شكواه وقيل ان يعقوب لما عظمت
مصيبته واشتد بلاوه وقويت محنته قال يا اسفى على يوسف اي اشكوا الى الله شدة اسفى
على يوسف ولم يشكه الى احد من الخلق بدليل قوله انما اشكوا بثي وحزني الى الله وابيضت عيناه
من الحزن اي عمي من الحزن على يوسف قال مقاتل لم يبصر شيا ست سنين وقيل انه ضعف بصره
من كثرة البكا وذلك ان الدمع يكثر عند غلبة البكا فتصير العين كانها بيضا من ذلك الما الخارج من
العين فهو كظيم اي مكظوم وهو المملي من الحزن الممسك عليه لا يبثه قال قتادة وهو الذي يردد
حزنه في جوفه ولم يقل الا خيرا وقال الحسن كان بين خروج يوسف من حجر ابيه الى يوم التقيا
ثمانين سنة لم تجف عينا يعقوب وما على وجه الارض يومئذ اكرم على الله منه قال ثابت البناني ووهب بن
منبه والسدي ان جبريل دخل على يوسف وهو في السجن فقال له هل تعرفني ايها الصديق فقال يوسف ارى
صورة طاهرة قال انا رسول رب العالمين وانا الروح الامين فقال يوسف فما ادخلك مدخل المذنبين
وانت اطيب الطيبين وراس المقربين وامين رب العالمين قال الم تعلم يا يوسف ان الله يطهر الارض
بطهر النبيين وان الارض التي يدخلونها هي اطهر الارضين وان الله قد طهر بك الارض والسجن وما حوله
يا اطهر الطاهرين ومن الصالحين المخلصين قال يوسف كيف لي باسم الصديقين وتعدني من المخلصين
الطاهرين وقد دخلت مدخل المذنبين قال انه لم يفتتن قلبك ولم تطع سيدتك في معصية ربك
فلذلك سماك الله من الصديقين وعدك من المخلصين والحقك باباءك الصالحين قال يوسف فهل

Copyright © King Saud University

علم من يعقوب ايها الروح الامين قال نعم قد ذهب بصره وابتلاه بالحزن عليك فهو كظيم ووهب له الصبر الجميل
قال فما قدر حزنه قال حزن سبعين ثكلى قال فما له من الاجر يا جبريل قال اجر مائة شهيد قال افتراه لاقيه قال
نعم فطابت نفس يوسف وقال لا ابالي ما لقيت ان رأيته قوله عز وجل قالوا يعني اخوة يوسف لابيهم تالله
تفتؤا تذكر يوسف يعني لا تزال تفتؤ تذكر يوسف ولا تفتر عن حبه يقال ما فتئ يفعل كذا اي ما زال ولا
محذوفة في جواب القسم لان موضعها معلوم فحذفت للتخفيف كقول امرئ القيس فقالت

فقلت يمين الله ابرح قاعدا • ولو قطعوا رأسي لديك واوصالي

اي لا ابرح قاعدا وقوله حتى تكون حرضا قال ابن عباس يعني دنفا وقال مجاهد الحرض ما دون الموت
يعني قريبا من الموت وقال ابن اسحاق يعني فاسدا لا عقل له والحرض الذي فسد جسمه وعقله وقيل
ذائبا من الهم واصل الحرض الفساد في الجسم والعقل من الحزن والهم ومعنى الاية حتى تكون دنف الجسم مخبول العقل
يعني لا تنتفع بنفسك من شدة الحزن والهم والاسف او تكون من الهالكين يعني من الاموات **فان قلت**
كيف حلفوا على شيء لم يعلموا حقيقته قطعا **قلت** بنوا على الامر الاغلب الظاهر اي نقول لك ظنا
منا ان الامر يصير الى ذلك قال يعني يعقوب عند ما رأى غلظتهم له وغلظتهم عليه انما اشكو بثي وحزني الى الله
اصل البث اثارة الشيء وتفريقه وبث النفس ما انطوت عليه من الغم والشر قال ابن قتيبة البث اشد
الحزن وذلك ان الانسان اذا ستر الحزن وكتمه كان هما فاذا ذكره كان بثا فالبث اشد الحزن والحزن
الهم فعلى هذا يكون انما اشكو حزني العظيم وحزني القليل الى الله لا اليكم قال ابن الجوزي روى الحاكم ابو عبد
الله في صحيحه من حديث انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كان ليعقوب اخ مواخ فقال له
ذات يوم يا يعقوب ما الذي اذهب بصرك وقوس ظهرك قال قوس ظهري البكاء على يوسف واما الذي قوس
ظهري فالحزن على بنيامين فاتاه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك يا يعقوب اما
تستحي ان تشكوني الى غيري فقال انما اشكو بثي وحزني الى الله فقال جبريل الله اعلم بما تشكو وقيل انه دخل على
يعقوب جار له فقال له يا يعقوب ما لي اراك قد تهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ ابوك فقال يعقوب
هشمني وافناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى الله اليه يا يعقوب تشكوني الى خلقي فقال رب خطيئة
اخطأتها فاغفرها لي قال غفرتها لك فكان بعد ذلك اذا سئل يقول انما اشكو بثي وحزني الى الله ثم
قال يا رب اما ترحم الشيخ الكبير اذهبت بصري وقوست ظهري فاردد علي ريحانتي اشمه شمة قبل ان اموت
ثم اصنع بي ما شئت فاتاه جبريل فقال يا يعقوب ان ربك يقرئك السلام ويقول لك ابشر فوعزتي وجلالي
لو كانا ميتين لنشرتهما لك اتدري لم وجدت عليك لانكم ذبحتم شاة فقام على بابكم فلان المسكين وهو صائم
فلم تطعموه منها شيئا وان احب عبادي الى الانبياء ثم المساكين اصنع طعاما وادع اليه المساكين فصنع طعاما
ثم قال من كان صائما فليفطر الليلة عند آل يعقوب وكان بعد ذلك اذا تغدى امر من ينادي الا من اراد
الغداء فليأت آل يعقوب فكان يتغدى ويتعشى مع المساكين قال وهب بن منبه اوحى الله تعالى الى يعقوب
اتدري لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يا رب قال لانك شويت عناقا وقترت
على جارك ولم تطعمه منه شيئا وقيل ان سبب البلاء ليعقوب انه ذبح عجلا بين يدي امه وهي تخور فلم يرحمها
فان قلت هل في هذه الروايات ما يقدح في عصمة الانبياء **قلت** لا
وانما عوقب يعقوب بهذا لان حسنات الابرار سيئات المقربين وانما يطلب من الانبياء من الاعمال على قدر
منصبهم وشريف رتبتهم فيعقوب عليه السلام من اهل بيت النبوة والرسالة ومع ذلك فقد ابتلى الله

وقيل ان الله اوحى اليه وعزتي وجلالي لا اكشف ما بك حتى تدعوني فعند ذلك قال انما اشكو بثي وحزني الى الله م

كل

٢

كل واحد من انبيائه بمحنة فصبر وفوض امره الى الله تعالى فابراهيم عليه السلام القي في النار فصبر ولم يشك الى احد
واسماعيل ابتلي بالذبح فصبر وفوض امره الى الله تعالى واسحاق ابتلي بالعمى ولم يشك الى احد وكذلك يعقوب ابتلي
بفقد ولده يوسف وبعده بنيامين ثم عمي بعد ذلك او ضعف بصره من كثرة البكاء على فقدهما ولم يشك مع ذلك
الى احد شيئا مما نزل به وانما كانت شكايته الى الله عز وجل بدليل قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله فاستوجب
بذلك المدح والتعظيم والثناء الجميل على الله في الدنيا والاخرة والدرجات العلى في الاخرة مع من سلف من ابائه ابراهيم
واسحاق عليهم السلام واما دمع العين وحزن القلب فلا يستوجب به ولا عقوبة لان ذلك ليس الى اختيار الانسان
فلا يدخل تحت التكليف بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم بكى على ولده ابراهيم عند موته وقال ان العين
لتدمع وان القلب ليحزن وما نقول الا ما يرضي ربنا فهذا القدر لا يقدر الانسان على دفعه عن نفسه
فصار مباحا لا حرج فيه على احد من الناس وقوله واعلم من الله ما لا تعلمون يعني اعلم من رحمته واحسانه
يأتي بالفرج من حيث لا احتسب وفيه اشارة انه كان يعلم حياة يوسف ويتوقع رجوعه اليه وروي ان ملك
الموت زار يعقوب فقال له يعقوب ايها الملك الطيب ريحه الحسن صورته الكريم على ربه هل قبضت
روح ابني يوسف في الارواح قال لا فطابت نفس يعقوب وطمع في رؤيته فلذلك قال واعلم من الله
ما لا تعلمون وقيل اعلم ان رؤيا يوسف حق واني وانتم سنسجد له وقال السدي لما اخبره بنوه بسيرة ملك
مصر وكمال حاله في جميع اقواله وافعاله احست نفس يعقوب وطمع ان يكون هو يوسف فعند ذلك قال
يعني يعقوب يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه التحسس طلب بالحاسة وهو قريب من
التجسس بالجيم وقيل ان التحسس بالحاء يكون في الخير وبالجيم يكون في الشر ومنه الجاسوس وهو يطلب
الكشف عن عورات الناس قال ابن عباس التمسوا وقال ابن الانباري يقال تحسست عن فلان ولا يقال
من فلان وقال هنا من يوسف واخيه لانه اقيم من مقام عن قال ويجوز ان يقال من للتبعيض ويكون
المعنى تحسسوا خبرا من اخبار يوسف واخيه روي عن عبد الله بن يزيد عن ابي فروة ان يعقوب كتب كتابا
الى يوسف عليهما السلام حين حبس عنده بنيامين من يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم
خليل الله الى ملك مصر اما بعد فانا اهل بيت وكل بنا البلاء اما جدي ابراهيم فشدت يداه ورجلاه والقي في النار
فجعلها الله بردا وسلاما واما ابي فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ففداه الله واما انا فكان
لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله
الذيب فذهبت عيناي ثم كان لي ابن اخر وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به وانك حبسته وزعمت انه سرق
ونحن اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته الي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك
فلما قرأ يوسف كتاب ابيه اشتد بكاؤه وعيل صبره واظهر نفسه لاخوته على ما سنذكره ان شاء الله تعالى
فذلك قوله عز وجل يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من
روح الله الا القوم الكافرون يعني ان المؤمن على خير يرجوه من الله فيصبر عند البلاء فيناله به خير ويحمد
عند الرخاء فيناله خير والكافر بضد ذلك قوله عز وجل فلما دخلوا عليه معناه حذف واختصار تقديره
فخرجوا من عند ابيهم قاصدين مصر فلما دخلوا عليه يعني يوسف قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر اي الشدة
والعسر والجوع وارادوا باهلهم من خلفهم ومن وراءهم من العيال وجئنا ببضاعة مزجاة اي ببضاعة رديئة
كاسدة لا تنفق في ثمن الطعام الا بتجوز من البائع واصل الازجاء في اللغة الدفع قليلا قليلا وتزجية دفع الشيء
لينساق كتزجية الريح السحاب ومنه قول الشاعر • وحاجة غير مزجاة من الحاج • يعني هي قليلة يسيرة

Copyright © King Saud University

يمكن دفعها وسوقها لقلة الاعتداد بها وانما وصفوا تلك البضاعة بانها مزجاة اما لنقصانها او رداءتها فلذلك
اختلفت عبارات المفسرين في معنى هذه البضاعة المزجاة فقال ابن عباس كانت دراهم زيوفا وقيل كانت
حلق الغرائر والحبال وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف والاقط وقال الكلبي ومقاتل كانت حبة
الخضراء وقيل كانت سويق المقل وقيل كانت الادم والنعال قال الزجاج سميت هذه البضاعة القليلة
الردية مزجاة من قولهم فلان يزجي العيش اي يدفع الزمان بالقليل والمعنى جئنا ببضاعة مزجاة لندافع
الزمان بها وليست مما يتسع بها وقيل انما قيل للدراهم الردية مزجاة لانها مدفوعة غير مقبولة ممن يدفعها
فاوف لنا الكيل يعني اعطينا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد الوفي والمعنى انا نريد ان تقيم لنا الزايد
مقام الناقص والجيد مقام الردي وتصدق علينا يعني وتفضل علينا بما بين الثمنين الجيد والردي ولا
تنقصنا هذا قول اكثر المفسرين قال ابن الانباري وكان الذي يسألونه من المسامحة يشبه الصدقة وليس
به واختلف العلماء هل كانت الصدقة حلالا للانبيا قبل محمد صلى الله عليه وسلم واستدل بهذه الاية وانكر
جمهور العلماء ذلك وقالوا ان حال الانبيا كلهم واحد في تحريم الصدقة عليهم لانهم يانفون من الخضوع للمخلوقين
والاخذ منهم لان الصدقة اوساخ الناس فلا تحل لهم لانهم مستغنون بالله عمن سواه واجيب عن قوله
وتصدق علينا انهم طلبوا منه ان يجريهم على عادتهم من المسامحة وايفا الكيل ونحو ذلك مما يفعل بهم من الكرامة
وحسن الضيافة لا نفس الصدقة وكره الحسن ومجاهد ان يقول الرجل في دعائه اللهم تصدق علينا فقالا ان
الله لا يتصدق انما يتصدق من يبغي الثواب قل اللهم اعطني وتفضل علي وقال ابن جريج والضحاك وتصدق
علينا يعني برد اخينا الينا ان الله يجزي المتصدقين يعني بالثواب الجزيل وقال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك
لانهم لم يعلموا انه مومن قال يعني يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وقد اختلفوا في السبب
الذي من اجله حمل يوسف وهيجه على هذا القول فقال ابن اسحاق ذكر لنا انهم لما كلموه بهذا الكلام ادركته
رقة على اخوته فباح بالذي كان يكتم وقيل انه اخرج لهم نسخة الكتاب الذي كتبوه ببيعه من مالك وفي اخره وكتب
يهوذا فلما قروا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا ايها الملك انه كان لنا عبد فبعناه فغاظ ذلك يوسف
وقال انكم لتستحقون العقوبة وامر بقتلهم فلما ذهبوا بهم ليقتلوهم قال يهوذا كان يعقوب يبكي ويحزن
لفقد واحد منا فكيف اذا اتاه الخبر بقتل بنيه كلهم ثم قالوا ان كنت فاعلا ذلك فابعث بامتعتنا الى ابينا
فانه بمكان كذا وكذا فذلك حين ادركته الرقة والرحمة عليهم فبكى وقال هذا القول وقيل ان يوسف
لما قرا كتاب ابيه فلم يتمالك ان بكى وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وهذا استفهام يفيد
تعظيم امر هذه الواقعة ومعناه ما اعظم ما ارتكبتم من امر يوسف وما اقبح ما اقدمتم عليه من قطيعة
الرحم وتفريقه من ابيه وهذا كما يقال للمذنب هل تدري من عصيت وهل تعرف من خالفت ولم يرد بهذا
نفس الاستفهام ولكنه اراد تفظيع الامر وتعظيمه ويجوز ان يكون المعنى هل علمتم عقبى ما فعلتم
بيوسف واخيه من تسليم الله اياهما من المكروه واعلم ان هذه الاية تصديق لقوله تعالى واوحينا اليه
لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون **فان قلت** الذي فعلوه بيوسف
معلوم ظاهر فما الذي فعلوه باخيه من المكروه حتى يقول لهم هذه المقالة فانهم لم يسعوا في حبسه
ولا ارادوا ذلك **قلت** انهم لما فرقوا بينه وبين اخيه يوسف كانهم نغصوا عليه عيشه
وكانوا يوذونه كما ذكر يوسف وقيل انهم قالوا له لما اتهم باخذ الصواع ما راينا منكم يا بني راحيل خيرا اذ انتم
جاهلون هذا يجري مجرى العذر لهم يعني انكم انما قدمتم على هذا الفعل القبيح المنكر حال كونكم جاهلين وهو

وقف

وقت الصبا وحالة الجهل وقيل جاهلون بما يؤول اليه امر يوسف قوله عز وجل قالوا أإنك لانت يوسف
قرئ على سبيل الاستفهام وحجة هذه القراءة قال ابن عباس لما قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف
واخيه تبسم فراوا ثناياه كاللؤلؤ تشبه ثنايا يوسف فشبهوه بيوسف فقالوا استفهاما انك لانت
يوسف وقرئ على الخبر وحجته ما قاله ابن عباس ايضا في رواية اخرى عنه ان اخوة يوسف لم يعرفوه
حتى وضع التاج عن راسه فكان له في قرنه علامة تشبه الشامة وكان ليعقوب مثلها ولاسحق
مثلها ولسارة مثلها فعرفوه بها وقالوا انت يوسف وقيل انما قالوه على سبيل التوهم ولم يعرفوه
حتى قال انا يوسف قال بعض العلما انما اظهر الاسم في قوله انا يوسف ولم يقل انا هو تعظيما لما نزل
به من ظلم اخوته وما عوضه الله من النصر والظفر والملك فكانه قال انا يوسف المظلوم الذي
ظلمتموني وقصدتم قتلي بان القيتموني في الجب ثم بعتموني بابخس الاثمان ثم صرت الى ما ترون
فكان تحت ظهور الاسم هذه المعاني كلها ولهذا قال وهذا اخي وهم يعرفونه لانه قصد به ايضا
وهذا اخي المظلوم كما ظلمتموني ثم صرت انا وهو الى ما ترون وهو قوله قد من الله علينا بان جمع بيننا
وقيل من علينا بكل عز وخير في الدنيا والاخرة وقيل من علينا بالسلامة في ديننا ودنيانا انه من يتق
ويصبر يعني يتق الزنا ويصبر على العزوبة قاله ابن عباس وقال مجاهد يتق المعصية ويصبر على الطاعة
وقيل يتق الله باداء فرائضه ويصبر عما حرم الله فان الله لا يضيع اجر المحسنين يعني اجر من كان هذا حاله
قالوا يعني قال اخوة يوسف معتذرين اليه مما صدر منهم في حقه تالله لقد اثرك الله علينا يعني
اختارك وفضلك علينا يقال اثرك الله علينا ايثارا اي اختارك ويستعار الاثر للفضل والايثار
للتفضيل والمعنى لقد فضلك الله علينا بالعلم والعقل وقال الضحاك عن ابن عباس بالملك وقال ابو
صالح بالصبر وقيل بالصفح والحلم علينا وقيل بالحسن وسائر الفضائل التي اعطاها الله له دون
اخوته وقيل فضله عليهم بالنبوة واورد على هذا القول بان اخوته كانوا انبيا ايضا فليس له عليهم
فضل واجيب عنه بان يوسف عليه السلام فضل عليهم بالرسالة مع النبوة فكان الرسالة
افضل ممن خص بالنبوة فقط وان كنا لخاطئين يعني وما كنا في صنيعنا بك الا خاطئين ولهذا اختير
لفظ الخاطئ على المخطئ والفرق بينهما ان يقال خطا اذا تعمد واخطا اذا كان غير متعمد وقيل يجوز ان يكون
اثر لفظة خاطئين على مخطئين لموافقة رؤوس الاي لان خاطئين اتت بما قبلها قال يعني
يوسف لا تثريب عليكم يعني لا تعيير ولا توبيخ عليكم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا زنت
امة احدكم فليجلدها الحد ولا يوبخها ولا يثرب اي لا يعيرها بالزنا بعد اقامة الحد عليها وفي
محل قوله اليوم قولان احدهما انه يرجع الى ما قبله فيكون التقدير لا تثريب عليكم اليوم
والمعنى ان هذا اليوم هو يوم التثريب والتقريع والتوبيخ وانا لا اقرعكم اليوم ولا اوبخكم
ولا اثرب عليكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لا تثريب عليكم اليوم ويبتدى بقوله يغفر الله
لكم والقول الثاني اليوم متعلق بقوله يغفر الله لكم فيحسن الوقف على قوله لا تثريب عليكم ويبتدى
اليوم يغفر الله لكم كانه لما نفى التوبيخ والتقريع بقوله لا تثريب عليكم بشرهم
بقوله اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ولما عرفهم يوسف بنفسه سالهم عن حال ابيه
فقال ما حال ابي بعدي قالوا ذهب بصره من كثرة البكا عليك فاعطاهم قميصه من نسج الجنة
وقال مجاهد امره جبريل ان يرسل اليه قميصه وكان ذلك القميص قميص ابراهيم وذلك انه لما جرد

Copyright King Saud University

من ثيابه والقي في النار عريانا اتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما
مات ورثه اسحاق فجعله يعقوب ذلك القميص في قصبة من فضة وشد راسها وعلقها في عنق يوسف كالتعاويذ
فلما القي يوسف عليه السلام عريانا اتاه جبريل في البير واخرج له ذلك القميص والبسه اياه فلما كان
هذا الوقت جاءه جبريل فامره ان يرسل هذا القميص الى ابيه لان فيه ريح الجنة فلا يقع على مبتلى ولا سقيم
الا عوفي في الوقت فدفع ذلك القميص الى اخوته وذلك قوله تعالى اذهبوا بقميصي هذا معناه قال المحققون
انما علم يوسف ان القاء القميص على وجه يعقوب يوجب رد البصر كان بوحي الله اليه ذلك ويمكن ان يقال ان
يوسف لما علم ان اباه قد عمي من كثرة البكاء عليه وضيق القلب فبعث اليه قميصه ليجد ريحه فيزول بكاؤه
وينشرح صدره ويفرح قلبه فعند ذلك يزول الضعف ويقوى البصر فهذا القدر يمكن معرفته من جهة
العقل وقوله فالقوه على وجه ابي يات بصيرا واتوني باهلكم اجمعين قال الكلبي كانوا نحوا من سبعين انسانا
وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين انسانا ما بين رجل وامراة ولما فصلت العير يعني خرجت من مصر
وقيل من عريش مصر متوجهين الى ارض كنعان قال ابوهم يعني يعقوب لولد ولده اني لاجد ريح يوسف قيل
ان ريح الصبا استاذنت ربها ان تاتي يعقوب بريح يوسف قبل ان ياتيه البشير وقال يعقوب اصاب
مجاهد ريح يوسف من مسيرة ثلاثة ايام وقال ابن عباس ثمان ليال وقال الحسن ثلاثون فرسخا فاحتملت
ريح القميص فوجد يعقوب ريح يوسف الجنة من ذلك القميص فلذلك قال اني لاجد ريح يوسف
لولا ان تفندون اصل التفنيد من الفند وهو ضعف الراي وقال ابن الانباري افند الرجل اذا خرف وفند
اذا جهل ونسب ذلك اليه وقال الاصمعي اذا كثر كلام الرجل من خرف فهو الفنيد والفند فيكون المعنى لولا ان
تفندون تنسبوني الى الخرف وقيل تسفهون وقيل تلوموني وقيل تجهلون وهو قول ابن عباس وقال
الضحاك تهرمون فتقولون شيخ كبير قد خرف وذهب عقله قالوا يعني اولاد يعقوب واهله الذين عنده
لان اولاده لصلبه كانوا غائبين تالله انك لفي ضلالك القديم يعني من ذكر يوسف ولا تنساه لان عندهم
ان يوسف قد مات وهلك ويرون ان يعقوب قد لهج بذكره فلذلك قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم
يعني من ذكره والضلال الذهاب عن طريق الصواب فلما ان جاء البشير القاه وهو المبشر بخبر يوسف قال ابن
مسعود جاء البشير بين يدي العير قال ابن مسعود هو يهودا قال السدي قال يهودا انا ذهبت بالقميص ملطخا
بالدم فانا اذهب اليوم اليه بالقميص واخبره انه حي فافرحه كما احزنته قال ابن عباس حمله يهودا وخرج به
حافيا حاسرا يعدو ومعه سبعة ارغفة لم يستوف اكلها حتى اتى اباه وكانت المسافة ثمانين فرسخا
على وجهه يعني فالقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب فارتد بصيرا يعني فرجع بصيرا بعد ما كان قيل م
قد عمي وعادت اليه قوته بعد الضعف وسروره بعد الحزن قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون
من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا وروي ان يعقوب قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته
ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الان تمت النعمة قوله تعالى
قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا يعتذرون الى ابيهم قال اولاد يعقوب حين وصلوا اليه واخذوا يعتذرون
اليه مما صنعوا به وبيوسف استغفر لنا الى الله اطلب لنا غفر ذنوبنا من الله انا كنا خاطئين في فعلنا
يعني في صنيعنا قال سوف استغفر لكم ربي قال اكثر المفسرين ان يعقوب اخر الدعاء والاستغفار لهم
الى وقت السحر لانه اشرف الاوقات وهو الوقت الذي يقول الله فيه هل من داع فاستجيب له فلما انتهى
يعقوب الى وقت السحر قام الى الصلاة متوجها الى الله فلما فرغ رفع يديه الى الله تعالى وقال اللهم اغفر لي

جزعي

جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لي ولاولادي ما اتوا الى اخيهم يوسف فاوحى الله اليه اني قد غفرت
لك ولهم اجمعين قال عكرمة عن ابن عباس انه اخر الاستغفار لهم الى ليلة الجمعة لانها اشرف الاوقات قال
وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة نيفا وعشرين سنة وقال طاوس اخر الاستغفار الى وقت السحر من
ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وقال الشعبي سوف استغفر لكم ربي قال حتى اسال يوسف ان كان قد عفى
عنكم استغفرت لكم ربي انه هو الغفور يعني لذنوب عباده الرحيم بجميع خلقه قال عطا الخراساني طلب
الحوائج الى الشباب اسهل من الشيوخ الا ترى الى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم
وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربي قال اصحاب الاخبار ان يوسف بعث الى ابيه مائتي راحلة وجهازا
كثيرا ليأتون بيعقوب وجميع اهله الى مصر فلما تجهز يعقوب للخروج جمع اهله وهم يومئذ اثنان
وسبعون ما بين رجل وامراة وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين فلما دنا يعقوب من مصر
كلم يوسف الاكبر الملك يعني ملك مصر وعرفه مجيء ابيه واهله فخرج يوسف ومعه الملك في اربعة الاف
من الخيل وركب اهل مصر معهم يتلقون يعقوب عليه السلام وكان يعقوب يمشي وهو متوكئا على يد ابنه
يهودا فلما نظر الى الخيل والناس قال يا يهودا هذا فرعون مصر قال لا بل هذا ابنك يوسف فلما دنا
كل واحد من صاحبه فاراد يوسف ان يبدا يعقوب بالسلام فقال له جبريل لا حتى يبدا يعقوب
بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل انهما نزلا وتعانقا كما يفعل الوالد
بالولد والولد بوالده وقيل ان يوسف قال لابيه يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة
تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك فذلك قوله تعالى فلما دخلوا
على يوسف اوى اليه ابويه هو ابوه يعقوب ونشرها من قبرها حتى تسجد ليوسف تحقيقا للرؤياه
والاول اصح وخالته ليا وكانت امه قد ماتت في نفاس بنيامين قال الحسن هو ابوه وامه وكانت
حية وقيل ان الله احياها ونشرها من قبرها حتى تسجد ليوسف تحقيقا للرؤيا والاول اصح وقال
ادخلوا مصر قيل المراد بالدخول الاول في قوله فلما دخلوا على يوسف ارض مصر وذلك حين استقبلهم
ثم قال ادخلوا مصر يعني البلد وقيل انه اراد بالدخول الاول دخول مصر واراد بالدخول الثاني
الاستيطان بها اي ادخلوا مصر مستوطنين فيها ان شاء الله امنين قيل ان هذا الاستثناء
عائد الى الامن لا الى الدخول فعلى هذا يكون قد قال لهم ذلك قبل ان يدخلوا مصر وقيل ان هذا
الاستثناء عائد الى الاستغفار فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتاخير تقديره سوف استغفر لكم
ربي ان شاء الله وقيل ان الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها احد الا بجوازهم فقال لهم يوسف
ادخلوا مصر امنين على انفسكم واهليكم ان شاء الله فعلى هذا يكون قوله ان شاء الله للتبرك فهو كقوله
صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع علمه بانه لاحق بهم ورفع ابويه على العرش يعني
على السرير الذي كان يجلس عليه يوسف والرفع النقل الى العلو وخروا له سجدا يعني يعقوب
وخالته ليا واخوته وكان تحية الناس يومئذ السجود وهو الانحناء والتواضع ولم يرد به حقيقة
السجود من وضع الجبهة على الارض على سبيل العبادة فان قلت كيف استجاز
يوسف ان يسجد له ابوه وهو اكبر منه واعلى منصبا في النبوة والشيخوخة قلت يحتمل ان
الله تعالى امر بذلك لتحقيق رؤياه ثم في معنى هذا السجود قولان احدهما انه كان انحناء على سبيل
التحية كما تقدم فلا اشكال فيه والقول الثاني انه كان حقيقة السجود وهو وضع الجبهة على الارض

Copyright © King Saud University

وهذا مشكل لان هذه الصورة لا ينبغي ان يكون الا لله تعالى واجيب عن هذا الاشكال ان السجود كان في الحقيقة لله تعالى على سبيل الشكر له وانما كان يوسف كالقبلة كما سجد الملائكة لآدم ويدل على صحة هذا التأويل قوله ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وظاهر هذا يدل على انهم لما صعدوا السرير خروا سجدا لله ولو كان ليوسف لكان قبل الصعود لان ذلك ابلغ في التواضع **فان قلت** يدفع صحة هذا التأويل قوله رايتهم لي ساجدين وقوله خروا له سجدا فان الضمير يرجع الى اقرب المذكورات وهو يوسف **قلت** يحتمل ان يكون المعنى وخروا لله سجدا لاجل يوسف واجتماعهم به وقيل يحتمل ان الله امر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية وهو ان اخوة يوسف ربما احتملهم الانفة والتكبر عن السجود ليوسف فلما رأوا ان اباهم قد سجد له سجدوا له ايضا فتكون هذه السجدة على سبيل التحية والتواضع لا على سبيل العبادة وكان ذلك جائزا في ذلك الزمان فلما جاء الاسلام نسخت هذه الفعلة والله اعلم بمراده واسرار كتابه وقال يعني يوسف عند ما راى ذلك يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل يعني هذا تصديق الرؤيا التي رايت في حال الصغر قد جعلها ربي حقا يعني في اليقظة واختلفوا فيما بين رؤياه فقال سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد لها اربعون سنة وقال ابو صالح عن ابن عباس اثنان وعشرون سنة وقال سعيد ابن جبير وعكرمة والسدي ستة وثلاثون سنة وقال الفضيل بن عياض ثمانون سنة حكى هذه الاقوال كلها ابن الجوزي وزاد غيره عن الحسن ان يوسف كان عمره حين القي في الجب سبعة عشر سنة واقام في السجن والعبودية والملك مدة ثمانين سنة فاقام مع ابيه واخوته واقاربه مدة ثلاثة وعشرين سنة وتوفاه الله وهو ابن مائة وعشرين سنة قوله وقد احسن بي يعني انعم علي يقال احسن بي والي اذ اخرجني من السجن انما ذكر انعام الله عليه في خروجه من السجن وان كان الجب اصعب منه استعمالا للادب والكرم لئلا تخجل اخوته بعد ان قال لهم لا تثريب عليكم اليوم ولان نعمة الله عليه في اخراجه من السجن كان اعظم من اخراجه من الجب وسبب ذلك ان خروجه من الجب كان سببا لحصوله في العبودية والرق وخروجه من السجن كان سببا لوصوله الى الملك وقيل اراد ان دخوله الجب كان بحسد اخوته ودخوله السجن كان لزوال التهمة عنه فكان ذلك اعظم نعمة عليه وجاء بكم من البدو اي يعني من البادية واصل البدو وهو البسيط من الارض يبدو الشخص فيه من بعيد يعني يظهر والبدو خلاف الحضر والبادية خلاف الحاضرة وكان يعقوب واولاده اصحاب ماشية فسكنوا البادية من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي يعني افسد ما بيننا بسبب الحسد واصل النزغ دخول في امر لافساده واستدل بهذه الاية من يرى بطلان الجبر من المبتدعة قالوا لان يوسف اضاف الاحسان الى الله واضاف النزغ الى الشيطان ولو كان من فعل الله لوجب ان ينسب اليه كما في الاحسان والنعم والجواب عن هذا الاستدلال ان اسناد الفعل الى الشيطان واضافته اليه على سبيل المجاز وان كان ظاهر اللفظ يقتضي اضافة الفعل الى الشيطان لا على الحقيقة وان الفاعل المطلق المختار هو الله تعالى في الحقيقة قل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فثبت بذلك ان الكل من عند الله وبقضائه وقدره ليس للشيطان فيه مدخل الا بالقاء الوسوسة والتحريش لافساد ذات البين وذلك باقدار الله اياه على ذلك ان ربي لطيف لما يشاء يعني انه تعالى ذو لطف عالم بدقائق الامور وخفياتها قال صاحب المفردات وقد يعبر باللطف عما لا يدركه الحاسة ويصح ان يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه وان يكون لمعرفته بدقائق الامور وان يكون لرفقه بالعباد في هدايتهم وقوله ان ربي لطيف لما يشاء اي حسن الاستخراج وتنبيها عليها وصل اليه

يوسف

يوسف حيث القاه في الجب وقيل ان اجتماع يوسف بابيه واخوته بعد طول الفرقة وحسد اخوته له وازالة ذلك مع طيبة النفس وشدة المحبة كان من لطف الله بهم حيث جعل ذلك كله لان الله تعالى اذا اراد امرا هيا اسبابه انه هو العليم يعني بمصالح عباده الحكيم في جميع افعاله قال اصحاب الاخبار والتواريخ ان يعقوب عليه السلام اقام عند يوسف بمصر اربعا وعشرين سنة في اهنا عيش وانعم بال واحسن حال فلما حضرته الوفاة اوصى الى ابنه يوسف ان يحمل جسده حتى يدفن عند قبر ابيه اسحاق بالارض المقدسة بالشام فلما مات يعقوب بمصر فعل يوسف ما امره به ابوه فحمل جسده في تابوت من ساج حتى قدم به الشام فوافق ذلك موت العيص اخي يعقوب وكانا قد ولدا في بطن واحد فدفنا في قبر واحد وكان عمرهما مائة سبعة واربعين سنة فلما دفن يوسف اباه وعمه رجع الى مصر فلما جمع الله تعالى شمل يوسف عليه السلام بابيه واخوته علم ان نعيم الدنيا زائل سريع الفنا لا يدوم فسال الله حسن الخاتمة الصالحة والعاقبة فقال رب قد اتيتني من الملك يعني ملك مصر ومن هنا للتبعيض لانه لم يؤت ملك مصر كله بل كان له شريك فوقه ملك آخر والملك عبارة عن الاتساع في المقدور لمن له السياسة والتدبير وعلمتني من تاويل الاحاديث يعني تعبير الرؤيا فاطر السموات والارض يعني خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق واصل الفطر الشق يقال فطر ناب البعير اذا شق وظهر وفطر الله الخلق اوجده وابدعه انت وليي في الدنيا والآخرة يعني انت معيني ومتولي امري توفني مسلما اي اقبضني اليك مسلما واختلفوا هل هو طلب للوفاة في الحال ام لا على قولين احدهما انه سال الله تعالى الوفاة في الحال قال قتادة لم يسال نبي من الانبياء الموت الا يوسف عليه السلام فقال الاصحاب القول وانه لم يات عليه اسبوع حتى توفاه الله والقول الثاني انه سال الوفاة على الاسلام ولم يتمن الموت في الحال قال الحسن انه عاش بعد هذه سنين كثيرة فعلى هذا القول يكون معنى الاية توفني اذا توفيتني فتوفني على الاسلام فطلب ان لا يجعل الله وفاته الا على الاسلام وليس في اللفظ ما يدل على انه طلب الوفاة في الحال وقال بعض العلماء وكلا القولين يحتمل لان اللفظ صالح للامرين ولا يبعد من الرجل العاقل الكامل ان يتمنى الموت لعلمه ان الدنيا ولذاتها فانية زائلة سريعة الذهاب وان نعيم الاخرة باق لا نفاد له ولا زوال ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به فان تمني الموت لغير نزل به فان تمني الموت لضر ونزول بلاء مكروه والصبر عليه اولى وقوله تعالى والحقني بالصالحين اراد به درجة آبائه وهم ابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام وقال علماء التاريخ عاش يوسف عليه السلام مائة وعشرين سنة وفي التوراة مائة وعشر سنين وولد ليوسف عليه السلام من امرأة العزيز ثلاثة اولاد افرائيم وميشا ورحمة زوجة ايوب وقيل عاش بعد ابيه ستين سنة وقيل اكثر ولما مات يوسف عليه السلام دفنوه في النيل في صندوق من رخام وقيل من حجارة المرمر وذلك انه لما مات يوسف تشاح الناس فيه فطلب كل اهل محلة ان يدفن في محلتهم رجاء البركة حتى هموا ان يقتتلوا ثم ارادوا ان يدفنوه في النيل بحيث يجري الماء عليه ويتفرق عنه ويصل بركته الى جميعهم وقال عكرمة انه دفن في الجانب الايمن من النيل فاخصب ذلك الجانب واجدب الجانب الآخر فنقل الى الجانب الايسر فاخصب واجدب الجانب الايمن فدفنوه في وسط النيل وقدروه بسلسلة فاخصب الجانبين فبقي الى ان اخرجه موسى عليهما السلام وحمله معه الى ان دفنه بقرب آبائه بالشام في الارض المقدسة قوله عز وجل ذلك يعني الذي ذكرت لك يا محمد من قصة يوسف

Copyright © King Saud University

وماجرى له مع اخوته ثم ان صار الى الملك بعد الرق من انباء الغيب يعني اخبار الغيب نوحيه اليك يعني
الذي اخبرناك به من اخبار يوسف وحي اوحيناه اليك يا محمد وفي هذه الاية دليل قاطع على صحة نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم لانه كان رجلا اميا لم يقرا الكتب ولم يلق العلما ولم يسافر الى غير بلده الذي نشا فيه وانه صلى الله
عليه وسلم نشا بين اميين مثله وانه صلى الله عليه وسلم اتى بهذه القصة الطويلة على احسن ترتيب
وابين معان وافصح عبارة علم بذلك ان الذي ياتي به هو وحي ونور قدسي سماوي فهو معجزة له قايمة
الى اخر الدهر وقوله تعالى وما كنت لديهم يعني وما كنت يا محمد عند اولاد يعقوب اذ اجمعوا امرهم
يعني حين عزموا على القا يوسف في الجب وهم يمكرون يعني بيوسف وما اكثر الناس ولو حرصت بمومنين
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اكثر الناس يا محمد ولو حرصت على ايمانهم بمومنين وذلك
ان اليهود وقريشا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فلما اخبرهم بها على وفق ما
عندهم في التوراة لم يسلموا فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فانزل الله ولو حرصت على ايمانهم
ففيه تسلية له قوله وما تسالهم عليه من اجر يعني على تبليغ الرسالة والدعا الى الله تعالى من اجر يعني
اجرا وجعلا على ذلك ان هو اي ما هو يعني القران الا ذكر يعني عظة وتذكيرا للعالمين وكاين من اية
في السموات والارض يعني وكم من اية دالة على التوحيد والارض يمرون عليها يعني لا يتفكرون فيها
ولا يعتبرون بها وهم عنها معرضون اي لا يلتفتون اليها والمعنى ليس اعراضهم عن هذه الايات الدالة
على وحدانية الله تعالى باعجب من اعراضهم عنك يا محمد قوله وما يومن اكثرهم بالله الا وهم مشركون
يعني ان من ايمانهم انهم اذا سيلوا من خلق السموات والارض قالوا الله واذا قيل لهم من ينزل المطر قالوا
الله وهم مع ذلك يعبدون الاصنام وفي رواية عن ابن عباس وهم يقرون ان الله خالقهم فذلك
ايمانهم وهم يعبدون غيره فذلك شركهم وفي رواية اخرى عنه ايضا انها نزلت في تلبية مشركي العرب
وذلك انهم كانوا يقولون لبيك لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقال عطا
هذا في الدعا وذلك ان الكفار نسوا ربهم في الرخا فاذا اصابهم البلا اخلصوا في الدعا افامنوا ان
تاتيهم غاشية من عذاب الله يعني عقوبة مجللة تغمهم وقال مجاهد عذاب يغشاهم وقال قتادة
وقيعة وقال الضحاك يعني الصواعق والقوارع او تاتيهم الساعة بغتة يعني فجاة وهم لا يشعرون
يعني بقيامها قال ابن عباس تهيج الناس في اسواقهم قل اي قل يا محمد لهولا هذه سبيلي يعني
طريقي التي ادعو اليها وهي توحيد الله عز وجل ودين الاسلام وسمي الدين سبيلا لانه الطريق
المودي الى الله عز وجل والى الثواب والجنة ادعو الى الله على بصيرة يعني الى توحيد الله والايمان به
على بصيرة يعني على يقين ومعرفة والبصيرة هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل انا ومن اتبعني
يعني ومن امن بي وصدق بما جيت به ايضا يدعو الى الله وهذا قول الكلبي وابن زيد قال حق
على من اتبعه وامن به ان يدعو الى ما دعا اليه ويذكر بالقران ثم الكلام عند قوله ادعو الى الله
ثم استانف على بصيرة انا ومن اتبعني يعني انا على بصيرة ومن اتبعني ايضا على بصيرة قال ابن عباس
يعني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا على احسن طريقة واقصد هداية وهم معدن العلم وكنز
الايمان وجند الرحمن وقال ابن مسعود ومن كان مستنا فليستن بمن قد مات اوليك اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الامة ابرها قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا قوم اختارهم
الله لصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ونقل دينه فتشبهوا باخلاقهم وطرايقهم فهولا كانوا على الصراط

المستقيم

المستقيم وقوله وسبحان الله يعني اي وقل سبحان الله تنزيها له عما لا يليق بجلاله من جميع العيوب
والنقايص والشركا والاضداد والانداد وما انا من المشركين يعني وقل يا محمد وما انا من المشركين الذين
اشركوا بالله غيره قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يعني وما ارسلنا قبلك يا محمد الا رجالا لا ملكا
ولم يكونوا ملايكة نوحي اليهم هذا جواب لاهل مكة حيث قالوا هلا بعث الله ملكا والمعنى كيف تعجبوا من
ارسالنا اياك يا محمد وسائر الناس والرسل الذين كانوا من قبلك بشرا مثلك حالهم كحالك من اهل القرى
يعني انهم من اهل الامصار والمدن لا من اهل البوادي قال الحسن لم يبعث الله نبيا من بدو ولا من الجن
ولا من النسا وقيل انما لم يبعث نبيا من البادية لغلظهم وجفاهم افلم يسيروا في الارض يعني هولا المشركين
المكذبين فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم يعني كان عاقبتهم الهلاك لما كذبوا رسلنا فليعتبر
هولا بهم وبما حل بهم من عذابنا ولدار الاخرة خير للذين اتقوا يعني فعلنا هذا باوليانا واهل طاعتنا ان انجيناهم
عند نزول العذاب بالامم المكذبة وما في الدار الاخرة لهم يعني الجنة لانها خير من الدنيا وانما اضاف الدار الاخرة
وان كانت هي الجنة لان العرب تضيف الشي الى نفسه كقولهم حق اليقين والحق هو اليقين نفسه افلا
تعقلون يعني يتفكرون ويعتبرون بهم فيومنون قوله عز وجل حتى اذا استياس الرسل قال صاحب
الكشاف حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فتراخى
نصرهم حتى اذا استياس الرسل اي من ايمان قومهم وظنوا انهم قد كذبوا قرا اهل الكوفة وهم عاصم وحمزة
والكسايي كذبوا بالتخفيف ووجه هذه القراءة على ما قاله الواحدي ان معناه ظن الامم ان الرسل قد
كذبوهم فيما اخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك عدوهم وهذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود وسعيد
ابن جبير ومجاهد وقال اهل المعاني كذبوا من قولهم كذبتك الحديث اي لم اصدقك ومنه قوله وقعد الذين
كذبوا الله ورسوله قال ابو علي والضمير في قوله وظنوا على هذه القراءة للمرسل اليهم والتقدير وظن المرسل اليهم
ان الرسل قد كذبوهم فيما اخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك اعدايهم وهذا معنى قول ابن عباس انهم لم يومنوا
بهم حتى نزل بهم العذاب وانما ظنوا ذلك لما شاهدوا من امهال الله اياهم ولا يمتنع حمل الضمير في وظنوا
على المرسل اليهم وان لم يتقدم لهم ذكر لان ذكر الرسل يدل على ذكر المرسل اليهم وان شيت قلت ان ذكرهم
قد جرى في قوله افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم مكذبي الرسل فالظن هنا
على معنى التوهم والحسبان وهذا ما روي عن ابن عباس انه قال في الاجابة حتى اذا استياس الرسل من
قومهم الاجابة وظن قومهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من نصرهم واهلاك من كذبهم وقيل معناه
وتيقن الرسل انهم قد كذبوا في وعد قومهم اياهم الايمان اي وعدوا ان يومنوا ثم لم يومنوا وقال
صاحب الكشاف وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم لا ينصرون او رجاوهم كقولهم
رجا صادق ورجا كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة وانتظار النصر من الله تعالى وتامله
قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا فجاهم نصرنا
فجاة من غير احتساب وقال ابن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد خلفوا ما وعدهم الله
من النصر قال وكانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله قال صاحب
الكشاف فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة
وحديث النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذي هو ترجيح احد الجانبين على الاخر فغير جايز
على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد وحكي

Copyright © King Saud University

الواحدي عن ابن الانباري انه قال هذا غير معول عليه من جهتين احدهما ان التفسير فيه ليس عن ابن عباس
لكنه من متاول تاوله والاخرى ان قوله جاءهم نصرنا دلالة على ان اهل الكفر لما ظنوا ما لا يجوز مثله استضعفوا
رسل الله ونصر الله للرسل ولو كان الظن للرسل كان ذلك خطا عظيما لا يستحقون ظفرا ولا نصرا ولتنزيه
الانبيا وتطهيرهم واجب علينا اذا وجدنا الى ذلك سبيلا وقرا الباقون وهم نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر
وظنوا انهم قد كذبوا بالتشديد ووجهه ظاهر وهو معناه حتى اذا استياس الرسل من ايمان قومهم وظنوا
يعني وايقنوا يعني الرسل ان الامم قد كذبوهم تكذيبا لا يرجى بعده ايمانهم والظن بمعنى اليقين وهذا معنى
قول قتادة وقال بعضهم معناه حتى اذا استياس الرسل ممن كذبهم قومهم ان لم يصدقوهم وظنوا ان من
امن بهم من قومهم قد فارقوهم وارتدوا عن دينهم لشدة المحنة والبلاء واستبطاوا النصر فاتاهم النصر وعلى
هذا القول الظن بمعنى الحسبان والتكذيب مظنون من جهة من امن بهم يعني وظنت الرسل ظن حسبان
ان من بهم قد كذبهم في وعدهم النصر والظفر لابطائه وتاخره عنهم وطول البلا بهم لا انهم كذبوهم كونهم رسلا
وقيل هذا التكذيب لم يحصل من اتباعهم المومنين لانه لو حصل لكان نوع كفر ولكن الرسل ظنت بهم ذلك
لبطو النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى اليقين والتكذيب لمتيقن هو من جهة من امن بهم يعني
الكفار وعلى القولين جميعا الكناية في وظنوا للرسل خ عن عروة بن الزبير انه سال عايشة عن قوله
تعالى حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا او كذبوا قالت بل كذبهم قومهم فقلت والله لقد استيقنوا
ان قومهم كذبوهم قالت بل كذبهم قومهم فقلت والله لقد استيقنوا ان قومهم كذبوهم وما هو بالظن
قالت يا عروة اجل لقد استيقنوا بذلك فقلت لعلها قد كذبوا فقالت معاذ الله لم تكن الرسل تظن
ذلك بربها قلت فما هذه الاية قالت هم اتباع الرسل الذين امنوا بربهم وصدقوهم وطال عليهم البلا
واستاخر عنهم النصر حتى اذا استياست الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنوا ان اتباعهم كذبوهم جاهم
نصر الله عند ذلك وفي رواية عبد الله بن عبيد الله بن ابي مليكة قال قال ابن عباس قال ذهب بها
هنالك وتلا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب قال فلقيت عروة
ابن الزبير فذكرت ذلك له فقال قالت عايشة معاذ الله ما وعد الله رسوله من شي قط الا علم انه
كاين قبل ان يموت ولكن لم يزل البلا بالرسل حتى خافوا ان يكون معهم من قومهم من يكذبونهم وكانت
تقروها وظنوا انهم قد كذبوا مثقلة وقوله تعالى جاءهم نصرنا يعني جاء نصر الله النبيين فنجي من نشاء
من عبادنا عند نزول العذاب بالكافرين فنجي المومنين المطيعين ولا يرد باسنا يعني عذابنا عن القوم
المجرمين يعني المشركين قوله تعالى لقد كان في قصصهم يعني اخوة يوسف عبرة اي موعظة لاولي الالباب
يعني يتعظ بها اولوا الالباب العقول الصحيحة ومعنى الاعتبار والعبرة الحالة التي يتوصل بها الانسان
من معرفة المشاهد الى ما ليس بمشاهد والمراد منه التامل والتفكر ووجه الاعتبار بهذه القصة ان الذي
قدر على اخراج يوسف من الجب بعد القايه فيه واخراجه من السجن وتمليكه مصر بعد العبودية وجمع شمله بابيه
واخوته بعد المدة الطويلة والياس من الاجتماع لقادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم واعلا كلمته واظهار
دينه وان الاخبار بهذه القصة العجيبة جار مجرى الاخبار عن الغيوب فكانت معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم
وقيل ان الله تعالى قال في اول هذه السورة نحن نقص عليك احسن القصص وقال في اخرها لقد كان في
قصصهم عبرة لاولي الالباب فدل على ان هذه القصة احسن القصص وان فيها لمن اعتبر ما كان حديثا
يفترى اي ما كان هذا القران حديثا يفترى ويختلق لان الذي جاء به من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم

لا يصح منه ان يفتري به ويختلقه لانه لم يقرا الكتب ولم يخالط العلما ثم انه اتى بهذا القران المعجز فدل ذلك على
صدقه وانه ليس بمفتر ولكن تصديق الذي بين يديه يعني ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المنزلة من
السما من التوراة والانجيل وفيه اشارة الى هذه القصة وردت على وجه الموافق لما في التوراة من ذكر قصة يوسف
وتفصيل كل شي يعني ان في هذا القران المنزل عليك يا محمد تفصيل كل شي تحتاج اليه من الحلال والحرام والحدود
والاحكام والقصص والمواعظ والامثال وغير ذلك مما يحتاج اليه العباد في امر دينهم ودنياهم وهدى يعني الى كل
شي ورحمة يعني انزلناه رحمة لقوم يومنون لانهم الذين ينتفعون به والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الرعد

وهي مكية قال ابن الجوزي اختلفوا في نزولها على قولين احدهما انها مكية رواه
ابو طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وعطا وقتادة وروى ابو صالح عن ابن عباس انها مكية
الا ايتين احدهما ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة والاخرى قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا
والقول الثاني انها مدنية رواه عطا الخراساني عن ابن عباس وبه قال جابر بن زيد وروي عن ابن عباس
انها مدنية الا ايتين نزلتا بمكة وهما قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال الى اخر الايتين وقال بعضهم المدني
منها قوله هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا الى قوله له دعوة الحق وهي ثلاثة وقيل خمس واربعون اية وثمانماية
وخمس وستون كلمة وثلاثة الاف وخمسماية وست احرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل المر قال ابن عباس معناه
انا الله اعلم وارى وروى عطا عنه انه قال ان معناه انا الملك الرحمن تلك ايات الكتاب اشارة بتلك الى
ايات السورة المسماة بالمر والمراد بالكتاب السورة اي ايات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال تعالى
والذي انزل اليك يعني من القران كله هو الحق الذي لا ريب فيه وقيل المراد بالاشارة في قوله تلك الاخبار
والقصص التي قصصتها عليك هي ايات التوراة والانجيل والكتب الالهية القديمة المنزلة والذي
انزل اليك من ربك الحق اي هو الحق فاعتصم به وقال ابن عباس وقتادة اراد بايات الكتاب القران والمعنى
هذه الايات الكتاب الذي هو القران ثم قال والذي انزل اليك من ربك الحق يعني وهذا القران الذي انزل
اليك من ربك هو الحق الذي لا شك فيه ولا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يومنون يعني مشركي مكة نزلت
هذه الاية في الرد عليهم حين قالوا ان محمدا يقوله من تلقا نفسه ثم ذكر من دلايل ربوبيته وعجايب
قدرته ما يدل على وحدانيته فقال تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد جمع عمود وهي الاساطين
والدعايم التي تكون تحت السقف وفي قوله تعالى ترونها قولان احدهما ان الروية ترجع الى السما يعني
وانتم ترون السموات مرفوعة بغير عماد من تحتها يعني ليس من دونها دعامة تدعمها ولا من فوقها علاقة
تمسكها والمراد نفي العمد بالكلية قال اياس بن معاوية السما مقبية على الارض مثل القبة وهذا قول
الحسن وقتادة وجمهور المفسرين واحد الروايتين عن ابن عباس والقول الثاني ان ترجع الى العمد والمعنى
ان لها عمدا ولكن لا ترونها انتم ومن قال بهذا القول يقول ان عمدها على جبل قاف وهو جبل من زمرد
محيط بالدنيا والسما عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية الاخرى عن ابن عباس والقول
الاول اصح وقوله تعالى ثم استوى على العرش تقدم تفسيره والكلام عليه في سورة الاعراف بما فيه كفاية
وسخر الشمس والقمر يعني ذللهما لما يراد منهما من المنافع لخلقه فهما مقهوران يجريان على ما يريد كل يجري لاجل مسمى يعني الى وقت
معلوم وهو وقت فناء الدنيا وزوالها وقال ابن عباس اراد بالاجل المسمى درجاتهما ومنازلهما يعني انهما
يجريان في منازلهما ودرجاتهما الى غاية ينتهيان اليها ولا يتجاوزانها وتحقيقه ان الله جعل لكل من الشمس
والقمر سيرا خاصا الى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطو والحركة يدبر الامر يعني انه تعالى يدبر

Copyright © King Saud University

امر العالم العلوي والسفلي ويصرفه ويقضيه بمشيته وحكمته على اكمل الاحوال لا يشغله شان عن شان وقيل
يدبر الامر بالايجاد والاعدام والاحيا والاماتة ففيه دليل على كمال القدرة والرحمة لان جميع العالم محتاجون
الى تدبيره ورحمته داخلون تحت قهره وقضائه وقدرته **يفصل الايات** يعني انه تعالى يبين الايات الدالة على
وحدانيته وكمال قدرته وقيل ان الدلايل الدالة على وجود الصانع قسمان الاول الموجودات المشاهدة وهي خلق
السموات والارض وما فيهما من العجايب واحوال الشمس والقمر وساير النجوم وهذا قد تقدم ذكره والقسم الثاني
الموجودات الحادثة في العالم وهي الموت بعد الحياة والفقر بعد الغنا والضعف بعد القوة الى غير ذلك من احوال
هذا العالم فكل ذلك مما يدل على وجود الصانع وكمال القدرة **لعلكم بلقاء ربكم توقنون** يعني انه تعالى ذكر هذه الدلايل
الدالة على وجوده وكمال قدرته لكي توقنوا او تصدقوا بالبقاء والمصير اليه بعد الموت لان من قدر على ايجاد
الانسان بعد عدمه قادر على ايجاده واحيايه بعد موته واليقين صفة من صفات العلم وهي فوق المعرفة
والدراية وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم وزوال الشك يقال منه استيقن وايقن بمعنى علم قوله تعالى **وهو
الذي مد الارض** لما ذكر الدلايل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وهي رفع السموات بغير عمد وذكر احوال
الشمس والقمر اردفها بذكر الدلايل الارضية فقال وهو الذي مد الارض اي والله هو الذي مد الارض وبسطها
على وجه الما وقيل كانت الارض مجتمعة فمدها من تحت البيت الحرام وهذا القول انما يصح اذا قيل ان الارض
منسطحة كالاكف وعند اصحاب الهيئة ان الارض كرة ويمكن ان يقال ان الارض كرة والكرة اذا كانت كبيرة
عظيمة فكل قطعة منها تشاهد منها ممدودة كالسطح الكبير العظيم فحصل الجمع ومع ذلك فان الله تعالى
قد اخبر انه مد الارض وانه دحاها وانه بسطها وكل ذلك يدل على التسطيح والله تعالى اصدق قيلا وابين دليلا من اصحاب
الهيئة **وجعل فيها** يعني في الهيئة الارض **رواسي** يعني جبالا ثابتة يقال رسى الشي يرسو اذا ثبت وارساه غيره
قال ابن عباس كان ابو قبيس اول جبل وضع على الارض **وانهارا** يعني وجعل في الارض انهارا جارية لمنافع
الخلق **ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين** يعني صنفين اثنين احمر واصفر وحلوا وحامضا **يغشي
الليل النهار** يعني يلبس الظلمة الليل ويلبس الليل بضوء النهار **ان في ذلك** يعني الذي تقدم ذكره من
عجايب صنعته وغرايب قدرته الدالة على وحدانيته **لايات** اي لدلالات **لقوم يتفكرون** يعني
فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب على المسبب والفكر هو تصرف القلب في طلب الاشيا
وقال صاحب المفردات الفكر قوة مطرقة للعلم الى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل
وذلك للانسان دون الحيوان ولا يقال الا فيما يمكن ان يحصل له صورة في القلب ولهذا روي تفكروا
في الا الله ولا تفكروا في الله اذا كان الله منزها ان يوصف بصورة قال بعض الادبا الفكر مقلوب عن
الفرك لكن يستعمل الفكر في طلب المعاني وهو فرك الامور وبحثها طلبها للوصول الى حقيقتها **وفي الارض
قطع متجاورات** يعني متقاربات يقرب بعضها من بعض وهي مختلفة في الطبايع فهذه طيبة
تنبت وهذه سبخة لا تنبت وهذه قليلة الريع وهذه كثيرة الريع **وجنات** يعني بساتين والجنة
البستان ذو الشجر من نخيل واعناب وغير ذلك سمي جنة لانه يستر باشجاره الارض واليه الاشارة
بقوله **من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان** جمع صنوان وهي النخلات يجمعهن اصل
واحد ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمه العباس صنو ابي يعني انهما من اصل واحد
وغير صنوان هي النخلة المفردة باصلها فالصنوان المجتمع وغير الصنوان المتفرق **تسقى بماء
واحد** يعني اشجار الجنة وزرعها والما جسم رقيق ماير به حياة كل نام وقيل في حده جوهر سيال

به قوام الارواح **ونفضل بعضها على بعض في الاكل** يعني في الطعم ما بين الحلو والحامض والعفص وغير ذلك من المطعوم
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ونفضل بعضها على بعض في الاكل قال الدقل والفارسي
والحلو والحامض اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب قال مجاهد كمثل بني ادم صالحهم وخبيثهم
وابوهم واحد وقال الحسن هذا مثل ضربه الله تعالى لقلوب بني ادم كانت الارض طينة واحدة في يد الرحمن فبسطها
فصارت قطعا متجاورات فينزل عليها ما السما فتخرج هذه ثمرتها وشجرها وتخرج نباتها وتخرج هذه
سبخها وملحها وخبيثها وكل يسقى بما واحد فلو كان الما ملكا قيل انما هذا من قبل الما كذلك الناس خلقوا من ادم
فينزل عليهم من السما تذكرة فترق قلوب قوم فتخشع وتخضع وتقسو قلوب قوم فتلهو ولا تسمع وقال الحسن
والله ما جالس القران احد الا قام من عنده بزيادة او نقصان قال الله عز وجل وننزل من القران ما هو شفا ورحمة
للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقوله تعالى **ان في ذلك** يعني الذي ذكرت **لايات لقوم يعقلون** يعني فيتدبرون
ويتفكرون في الايات الدالة على وحدانيته قوله تعالى **وان تعجب فعجب قولهم** العجب تغير النفس برؤية المستبعد في العادة وقيل
العجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب ولهذا قال بعض الحكما العجب ما لا يعرف سببه ولهذا قيل التعجب
في حق الله محال لانه تعالى عالم الغيوب لا يخفى عليه خافية والخطاب في الاية للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه
وانك يا محمد ان تعجب من تكذيبهم اياك بعد ان كنت عندهم تعرف بالصادق الامين فعجب امرهم وقيل معناه وان تعجب
من اتخاذ المشركين ما لا يضرهم ولا ينفعهم الهة يعبدونها مع اقرارهم بان الله تعالى خالق السموات والارض
وهو يضر وينفع وقد راوا من قدرة الله وما ضرب لهم به الامثال فعجب من قولهم وقيل وانك ان تعجب من انكارهم النشاة
الاخرى والبعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتدا الخلق من الله وقد تقرر في النفوس ان الاعادة اهون من
الابتدا فهذا موضع التعجب وهو قولهم **ائذا كنا ترابا** يعني بعد الموت **ائنا لفي خلق جديد** يعني نعاد خلقا جديدا
بعد الموت كما كنا قبله ثم ان الله تعالى قال في حقهم **اولئك الذين كفروا بربهم** وفيه دليل على ان من انكر البعث بعد
الموت فقد انكر القدرة وان الله على كل شي قدير ومن انكر فهو كافر **واولئك الاغلال في اعناقهم** يعني يوم القيمة
والاغلال جمع غل وهو طوق من حديد يجعل في العنق وقيل اراد بالاغلال ذلهم وانقيادهم يوم القيمة كما ينقاد
الاسير ذليلا بالغل **واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** يعني انهم مقيمون فيها لا يخرجون منها ولا يموتون
ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة الاستعجال طلب مجي الامر قبل وقته والمراد بالسيئة هنا العقوبة وبالحسنة العافية
استهزاء منهم وهو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ائتنا بعذاب اليم **وقد خلت
من قبلهم المثلات** يعني وقد مضت الامم المكذبات بالعقوبة بسبب تكذيبهم رسلهم والمثلة بفتح الميم وضم الثا
نقمة تنزل بالانسان فيجعل مثالا يرتدع غيره به وذلك كالنكال وجمعه مثلات ومثلات بفتح الميم وضمها مع ضم الثا
فيهما لغتان **وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم** قال ابن عباس معناه انه لذو تجاوز عن المشركين اذا تابوا وزال
وان ربك لشديد العقاب يعني للمصرين على الشرك الذين ماتوا عليه وقال مجاهد انه لذو تجاوز عن شركهم في تاخير
العذاب عنهم وانه لشديد العقاب اذا عاقب قوله تعالى **ويقول الذين كفروا** يعني من اهل مكة **لولا** اي هلا **انزل عليه**
يعني محمد صلى الله عليه وسلم **اية من ربه** يعني مثل عصا موسى وناقة صالح وذلك انهم لم يقتنعوا بما اتاهم من الايات
التي جا بها النبي صلى الله عليه وسلم **انما انت منذر** ليس عليك يا محمد غير الانذار والتخويف وليس لك من الايات شي **ولكل
قوم هاد** قال ابن عباس الهادي هو الله تعالى وهذا قول سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والضحاك والنخعي والمعنى
انما عليك الانذار يا محمد والهادي هو الله يهدي من يشا وقال عكرمة في رواية اخرى عنه وابو الضحى الهادي هو رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمعنى انت منذر وانت هاد وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعني ولكل قوم نبي يهديهم

Copyright © King Saud University

وقال ابو العالية الهادي هو العمل الصالح وقال ابو صالح الهادي هو القائد الى الخير او الى الشر قوله عز وجل الله يعلم
ما تحمل كل انثى لما سئلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الايات اخبرهم الله عن عظيم قدرته وكمال علمه وانه عالم بما
تحمل كل انثى يعني من ذكر او انثى سوي الخلق او ناقص الخلق واحدا او اثنين او اكثر وما تغيض يعني وما تنقص الارحام
وما تزداد قال اهل التفسير غيض الارحام الحيض على الحمل فاذا حاضت الحامل كان ذلك نقصانا في الولد لان دم
الحيض هو غذاء للولد في الرحم فاذا خرج الدم نقص الغذاء فينتقص الولد واذا لم تحض يزداد الولد ويتم فالنقصان نقصان
خلقة الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقته باستمساك الدم وقيل اذا حاضت المراة في وقت حملها
ينقص الغذاء ويزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة اشهر وخمسة ايام فالنقصان في الغذاء والزيادة
في مدة الحمل وقيل النقصان السقط والزيادة تمام الخلق وقال الحسن غيضها نقصانها من تسعة
اشهر والزيادة زيادتها على تسعة اشهر فاقل مدة الحمل ستة اشهر وقد يولد لهذه المدة ويعيش
واختلفوا في اكثره فقال قوم اكثر مدة الحمل سنتان وهو قول عائشة وبه قال ابو حنيفة وقيل ان
الضحاك ولد لسنتين وقال جماعة اكثرها اربع سنين واليه ذهب الشافعي وقال حماد بن ابي سلمة
انما سمي هرم بن حيان هرما لانه بقي في بطن امه اربع سنين وعند مالك ان اكثر الحمل خمس سنين وكل شيء
عنده بمقدار يعني بتقدير وحد لا يتجاوزه ولا ينقص منه وقيل انه تعالى يعلم كمية كل شيء وكيفيته على
اكمل الوجوه وقيل معناه انه تعالى خصص كل حادثة من الحوادث بوقت معين وحالة معينة وذلك
بمشيئته الازلية وارادته وتقديره الذي لا يقدر عليه غيره عالم الغيب والشهادة يعني انه تعالى يعلم
ما غاب عن خلقه وما يشاهدوه وقيل الغيب هو المعدوم والشاهد هو الموجود وقيل الغيب
ما غاب عن الحس والشاهد ما حضر في الحس والمشاهدة الكبير اي العظيم الذي يصغر كل كبير بالاضافة
الى عظمته وكبريائه فهو يعود الى معنى كبر قدره وانه تعالى المستحق لصفات الكمال المتعال يعني المنزه عن
صفات النقص المتعالي عن الخلق وفيه دليل على انه تعالى موصوف بالعلم الكامل والقدرة التامة وتنزيهه
عن جميع النقائص قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به سواء اخفى القول وكتمه او اظهره واعلنه
والمعنى انه قد استوى في علم الله تعالى المسر بالقول والجاهر به ومن هو مستخف بالليل اي مستتر بظلمته
وسارب بالنهار اي ذاهب بالنهار في سربه ظاهرا والسارب بفتح السين وسكون الراء المتصرف في حوائجه قال
ابن عباس في هذه الاية هو صاحب ريبة مستخف بالنهار واذا خرج بالنهار ارى الناس انه بريء من الاثم
وقيل مستخف بالليل ظاهر من قولهم خفيت الشيء اذا اظهرته واخفيت الشيء اذا كتمته وسارب
بالنهار اي متوار داخل في السرب مستخفيا ومعنى الاية سواء ما اضمرته القلوب او نطقت به الالسن
وسواء من قدم على القبائح مستترا في ظلمات الليل او اتى بها ظاهرا في النهار فان علمه تعالى محيط
بالكل له معقبات يعني لله ملائكة يتعاقبونه بالليل والنهار فاذا صعدت ملائكة الليل عقبتها
ملائكة النهار والتعقيب العود بعد البدء وانما ذكر معقبات بلفظ التانيث وان كان الملائكة
ذكورا لان واحدها معقب وجمع معقبة ثم جمع معقبات كما قيل ابناوات سعد ورجالات بكر
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار
ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسالهم وهو اعلم بهم كيف تركتم عبادي
فيقولون تركناهم وهم يصلون وقيل ان مع كل واحد من بني ادم ملكان ملك عن يمينه وهو صاحب
الحسنات وملك عن يساره وهو كاتب السيئات وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل العبد

حسنة

حسنة كتبها له عشر حسنات امثالها واذا عمل سيئة قال لصاحب السيئة اكتبها عليه فيقول له انظر لعله
يتوب او يستغفر فيستاذنه ثلاث مرات فان هو تاب منها والا قال له اكتبها عليه سيئة واحدة وملك
موكل بناصية العبد فاذا تواضع العبد لله عز وجل رفعه بها وان تجبر على الله وضعه بها وملك موكل بعينيه
يحفظهما من الاذى وملك موكل بفيه لا يدع ان يدخل فيه شيء من الهوام يؤذيه فهؤلاء خمسة املاك موكلون
بالعبد في ليله وخمسة غيرها في نهاره فانظر الى عظمة الله وقدرته وكمال شفقته عليك ايها العبد المسكين
وهو قوله من بين يديه ومن خلفه قال يعني يحفظون العبد من بين يديه ومن ورائه وهم بامر الله واذنه
ما لم يجيء القدر فاذا جاء القدر خلوا عنه وقيل معناه انهم يحفظونه بما امر الله به من الحفظ له قال مجاهد ما من
عبد الا وملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما منهم شيء ياتيه يريده الا قال له
الملك وراءك الا شيء ياذن الله فيه فيصيبه وقال كعب الاحبار لولا ان الله تعالى وكل بكم ملائكة يذبون
عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفتكم الجن وقال ابن جريج معنى يحفظونه اي يحفظون عليه الحسنات
والسيئات وهذا على قول من يقول ان الاية في الملكين القاعدين عن اليمين والشمال يكتبان الحسنات والسيئات
وقال عكرمة الاية في الامراء وحرسهم يحفظونهم من بين ايديهم ومن خلفهم والضمير في قوله له راجع الى النبي صلى
الله عليه وسلم قال ابن عباس في معنى هذه الاية لمحمد صلى الله عليه وسلم حراس من الرحمن من بين يديه ومن
خلفه يحفظونه من شر الجن وطوارق الليل والنهار وقال عبد الرحمن بن زيد نزلت هذه الاية في عامر بن الطفيل
واربد بن ربيعة وهما عامريان يريدان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد في نفر من اصحابه
فدخلا المسجد فاستشرف الناس لجمال عامر وكان من اجمل الناس وكان اعور فقال رجل يا رسول الله
هذا عامر بن الطفيل قد اقبل نحوك فقال دعه فان يرد الله به خيرا يهده فاقبل حتى قام على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد ما لي ان اسلمت قال لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم قال تجعل لي
الامر بعدك قال ليس ذلك لي انما ذلك الى الله يجعله حيث يشاء قال فتجعلني على الوبر وانت على المدر قال لا
قال فما تجعل لي قال اجعل لك اعنة الخيل تغزو عليها قال اوليس ذلك الي اليوم قم معي اكلمك فقام معه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر بن الطفيل قد اوصى اربد بن ربيعة اذا رايتني اكلمه فدر من خلفه
فاضربه بالسيف فجعل عامر يخاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه ودار اربد من خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليضربه فاخترط شبرا من سيفه ثم حبسه الله تعالى عنه فلم يقدر على سله وجعل
عامر يومي اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فراى اربد وما صنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما
بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة في يوم صحو قائظ فاحرقته وولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت
ربك فقتل اربد والله لاملانها عليك خيلا ورجالا جردا وفتيانا مردا فقال النبي صلى الله عليه
وسلم يمنعك الله من ذلك وابنا قيلة يريد الاوس والخزرج فنزل عامر بيت امراة سلولية فلما اصبح ضم
اليه سلاحه فخرج لخراج في اصل اذنه اخذه منه مثل النار فاشتد عليه فقال غدة كغدة البعير
وموت في بيت سلولية ثم ركب فرسه وجعل يركض في الصحراء ويقول ادن يا ملك الموت وجعل يقول الشعر
ويقول لئن بصرت بمحمد او صاحبه يعني ملك الموت لانفذنهما برمحي فارسل الله ملكا فلطمه فارداه في
التراب ثم عاد فركب الفرس واجراه حتى مات على ظهره واجاب الله دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عامر بن الطفيل فمات بالطعن واربد بن ربيعة بالصاعقة وانزل الله في شان هذه القصة سواء منكم
من اسر القول ومن جهر به الى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله اي بامر الله وقيل

Copyright © King Saud University

ان تلك المعقبات من امر الله وفيه تقديم وتاخير تقديره له معقبات من امر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه
وقوله يحفظونه من امر الله خطاب لهذين عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم يعني لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة التي انعم بها عليهم يعني من الحالة الجميلة فيعصون ربهم
ويجحدون نعمه عليهم وهو قوله عز وجل واذا اراد الله بقوم سوءا يعني هلاكا وعذابا فلا مرد له يعني لا يقدر
احد يرد ما نزل بهم من قضائه وقدره وما لهم من دونه من وال يعني ليس لهم من دون الله من وال يلي امرهم ويمنعهم
ويمنع العذاب عنهم قوله عز وجل هو الذي يريكم لما خوف الله عز وجل عباده بقوله واذا اراد الله بقوم سوءا
ذكر في هذه الاية من عظيم قدرته ما يشبه النعم من وجه ويشبه العذاب من وجه فقال تعالى هو الذي يعني والله
الذي يريكم البرق والبرق معروف وهو لمعان يظهر من خلال السحاب وفي كونه خوفا وطمعا وجوه الاول
عند لمعان البرق يخاف من الصواعق ويطمع في نزول المطر الثاني انه يخاف من البرق من يتضرر بالمطر كالمسافر
ومن في جرينه يعني بيدره التمر والزبيب والقمح ونحو ذلك ويطمع فيه من له في نزول المطر نفع ونحوه الثالث ان المطر
يخاف ضرره اذا كان في غير مكانه وزمانه والطمع فيه اذا كان في زمانه ومكانه فان من البلاد ما اذا امطرت قحطت
وان لم تمطر اخصبت وينشئ السحاب الثقال يعني بالمطر يقال انشا الله السحابة فنشات اي ابداها فبدات
والسحاب جمع سحابة والسحاب غربال الماء قاله علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقيل السحاب الغيم فيه ما او لم يكن فيه ما
ولهذا قيل سحاب جهام وهو الخالي من الماء واصل السحب الجر وسمي السحاب سحابا اما لجر الريح له او لجره الماء او لانجراره
في سيره ويسبح الرعد بحمده قال اكثر المفسرين ان الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه
واورد على هذا القول انه عطف عليه والملائكة من خيفته واذا كان المعطوف مغايرا للمعطوف عليه وجب ان يكون
غيره واجيب عنه انه لا يبعد ان يكون الرعد اسم لملك من الملائكة فهو كقوله تعالى وملائكته وجبريل
وميكال قال ابن عباس اقبلت يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اخبرنا عن الرعد فقال ملك من
الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها حيث شاء الله قالوا فما هذا الصوت الذي يسمع قال زجره
السحاب حتى ينتهي حيث امرت قالوا صدقت اخرجه الترمذي بزيادة فيه المخاريق جمع مخراق وهو في الاصل
ثوب يلف ويضرب الصبيان به بعضهم بعضا واراد به هنا انه آلة تزجر الملائكة السحاب بها وقد جاء تفسيره
في حديث آخر هو سوط من نور تزجر الملائكة به السحاب قال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان
من يسبح الرعد بحمده وقيل المراد من يسبح الرعد ان من سمعه سبح الله فلهذا المعنى اضيف التسبيح اليه وقوله
والملائكة من خيفته يعني ويسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وهيبته وخشيته وقيل المراد بهؤلاء الملائكة
اعوان السحاب جعل الله عز وجل مع الملك الموكل بالسحاب اعوانا من الملائكة فهم خائفون خاضعون طائعون
وقيل المراد بهم جميع الملائكة وحمله على العموم اولى ويرسل الصواعق جمع صاعقة وهي العذاب النازل من
البرق فيحرق من يصيبه وقيل هي الصوت الشديد النازل من الجو ثم يكون فيه نار او عذاب وموت وهي في ذاتها
شيء واحد وهذه الاشياء الثلاثة تنشا منها او يرسل الصواعق يعني بالصواعق فيصيب بها يعني فيهلك
بها كما اصاب اربد بن ربيعة وقال محمد بن الباقر الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكر من يشاء
وهم يجادلون في الله يعني يخاصمون في الله وقيل المجادلة المعارضة على سبيل المنازعة والمغالبة واصله من جدلت
الحبل اذا احكمت فتله نزلت في شان اربد بن ربيعة حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم مم ربك من در ام
من ياقوت ام من ذهب فنزلت صاعقة من السماء فاحرقته وسئل الحسن عن قوله ويرسل الصواعق الاية
فقال كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من اصحابه يدعونه الى الله ورسوله

فقال

فقال لهم اخبروني عن رب محمد هذا الذي يدعوني اليه مم هو من ذهب ام من فضة ام من حديد ام من نحاس فاستعظم القوم
كلامه فانصرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما راينا رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على الله منه
فقال ارجعوا اليه فرجعوا اليه فلم يزدهم على مقالته الاولى شيئا بل قال اخبث وقال اجيب محمدا الى رب
لم اره ولم اعرفه فانصرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما زادنا على مقالته شيئا بل
قال اخبث فقال ارجعوا اليه فرجعوا فبينما هم عنده يدعونه وينازعونه وهو لا يزيدهم على مقالته شيئا
اذ ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤوسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحرقت الكافر وهم جلوس
عنده فرجعوا ليخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لهم احترق صاحبكم فقالوا من اين علمتم ذلك
قالوا قد اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله واختلفوا
في هذه الواو فقيل واو الحال فيكون المعنى فيصيب بها من يشاء في حال جداله في الله وذلك ان اربد لما جادل
في الله اهلكه الله بالصاعقة وقيل انها واو الاستئناف فيكون المعنى انه تعالى لما ذكر الدلائل قال بعد
بعد ذلك وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال اي شديد الاخذ بالعقوبة من قولهم محل به محلا اذا اراده
بسوء وقيل هو من قولهم محل به اذا سعى به الى السلطان وعرضه للهلاك وتمحل اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد
فيه فيكون المعنى انه سبحانه وتعالى شديد المحال لاعدائه حتى يهلكهم بطريق لا يعرفونه وقيل المحال من
الحول وهو الحيلة والميم زائدة ثم اختلفت عبارات المفسرين في قوله شديد المحال فقال الحسن معناه شديد
النقمة وقال مجاهد وقتادة شديد القوة وقال ابن عباس شديد الحول وقيل شديد العقوبة وقيل
معناه شديد الجدال وذلك انه لما اخبر عنهم انهم يجادلون في الله اخبر انه اشد جدالا منهم قوله تعالى
له دعوة الحق يعني لله دعوة الصدق قال علي دعوة الحق التوحيد وقال ابن عباس شهادة ان لا اله الا
الله قال صاحب الكشاف دعوة الحق فيها وجهان احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل
كما تضاف الكلمة في قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به فانها بمعزل من الباطل
والمعنى ان الله تعالى يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤاله ان كان مصلحة له فكان دعوة ملابسة للحق
لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع فيه ولا يجدي دعاؤه والثاني
ان تضاف الى الحق الذي هو الله على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن الحق هو الله وكل
دعاء اليه دعوة الحق **فان قلت** ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله **قلت**
اما على قصة اربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة كانت بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه دعا عليه
وعلى صاحبه عامر بن الطفيل فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق واما على قوله وهم يجادلون في الله
فوعيد للكفار على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابة دعائه ان دعا عليهم وقيل في معنى
الاية الدعاء بالاخلاص والدعاء الخالص لا يكون الا لله تعالى والذين يدعون من دونه يعني والذين يدعونهم
الهة من دون الله تعالى وهي الاصنام التي يعبدونها لا يستجيبون لهم بشيء يعني لا يجيبونهم بما يريدونه
من نفع او دفع ضر الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه يعني الا استجابة كاستجابة
الماء لمن بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه ولا يقدر ان
يجيب دعاءه او يبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على
نفعهم وقيل شبههم في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا
اصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه وقيل انه القابض على الماء ناشرا اصابعه لا يكون

Copyright © King Saud University

في يده منه شيء ولا يبلغ الى فيه منه شيء كذلك الدعوى يدعو الاصنام لانها لا تضر ولا تنفع ولا بيده منها
شيء وقيل شبهه بالرجل العطشان الذي يرى الما بعينه من بعيد فهو يشير بكفيه الى الما ويدعوه بلسانه فلا
ياتيه ابدا هذا معنى قول مجاهد وعن عطا كالعطشان الجالس على شفير البير فلا يبلغ الى قعر البير ليخرج الما
ولا الما يرتفع اليه فلا ينفعه بسط الكف الى الما ودعاوه له ولا هو يبلغه كذلك الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم
ذلك وقال ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه الى الما لا ينفعه ذلك ما لم يغرفه بهما ولا يبلغ الما فاه ما دام
باسط كفيه وهذا مثل ضربه الله للكفار ودعايهم الاصنام حين لا تنفعهم البتة ثم ختم هذا بقوله وما دعاء
الكافرين يعني اصنامهم الا في ضلال يعني يضل عنهم اذا احتاجوا اليه وقال ابن عباس في هذه الاية لان اصواتهم
محجوبة عن الله تعالى قوله عز وجل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها في معنى هذا السجود قولان
احدهما ان المراد منه السجود على الحقيقة وهو وضع الجبهة على الارض ثم على هذا القول في معنى الاية
وجهان احدهما ان اللفظ وان كان عاما الا ان المراد منه الخصوص فقوله ولله يسجد من في السموات
يعني الملايكة ومن في الارض من الانس يعني المومنين طوعا وكرها يعني من المومنين من يسجد لله طوعا وهم
المومنون المخلصون لله العبادة وكرها يعني المنافقون الداخلون في المومنين وليسوا منهم فان سجودهم لله على
كره منهم لانهم لا يرجون على سجودهم ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا بل سجودهم وعبادتهم خوفا من المومنين
الوجه الثاني هو حمل اللفظ على العموم وعلى هذا ففي اللفظ اشكال وهو ان جميع الملايكة من المومنين من الجن
والانس يسجدون لله طوعا ومنهم من يسجد له كرها كما تقدم واما الكفار من الجن والانس فلا يسجدون لله البتة
فهذا وجه الاشكال والجواب عنه انه يجب على كل من في السموات ومن في الارض ان يسجد لله فعبر عن الوجوب بالوقوع
والحصول وجواب اخر وهو ان يكون المراد من هذا السجود الاعتراف بالعظمة والعبودية وكل من في السموات من
ملك وكل من في الارض من انس وجن فانهم يقرون لله بالعبودية والتعظيم ويدل عليه قوله تعالى ولين سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله والقول الثاني في معنى هذا السجود هو الانقياد والخضوع
وترك الامتناع وكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى وهذا الاعتبار لان قدرته ومشيته
نافذة في الكل فهم خاضعون منقادون له وقوله تعالى وظلالهم بالغدو والاصال الغدو والغدوة
الغداة من اول النهار وقيل الى نصف النهار والغدو بالفتح من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والاصال جمع اصل
وهو العشية والاصال العشايا جمع عشية وهو ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس كل شخص يسجد لله سوا
ظل المومنين والكافرين وقال مجاهد ظل المومن يسجد لله وهو طايع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره وقال
الزجاج جاء في التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن الانباري لا يبعد ان يخلق الله تعالى للظلال
عقولا وافهاما تسجد بها وتخشع كما جعل للجبال افهاما حتى سبحت لله مع داود عليه السلام وقيل المراد بسجود
الظلال ميلانها من جانب الى جانب اخر وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها وانما خص الغدو
والاصال بالذكر لان الظلال تعظم وتكثر في هذين الوقتين وقيل لانهما طرفا النهار فيدخل وسطه فيما بينهما
فصل وهذه السجدة من عزايم سجود التلاوة فيسن للقاري والمستمع ان يسجد عند قراته واستماعه لهذه السجدة
والله اعلم قوله تعالى قل من رب السموات والارض اي قل يا محمد لهولا المشركين الذين يعبدون غير الله من رب
السموات والارض يعني من مالك السموات والارض ومن مدبرهما وخالقهما فسيقولون الله لانهم مقرون بان الله
خالق السموات والارض وما فيهما فاذا اجابوك لذلك فقل انت يا محمد الله رب السموات والارض وقيل
لما قال هذه المقالة للمشركين عطفوا عليه وقالوا اجب انت فامره الله ان يجيبهم بقوله قل اي قل يا محمد

الله

الله وقيل انما جا السوال والجواب من جهة واحدة لان المشركين لا ينكرون بان الله خالق كل شيء فلما لم ينكروا ذلك وكان
النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله فكانهم قالوا ذلك ايضا ثم الزمهم الحجة على عبادتهم الاصنام بقوله قل اي قل
يا محمد للمشركين افاتخذتم من دونه يعني من دون الله اوليا يعني الاصنام والولي الناصر والمعنى توليتم غير رب
السموات والارض واتخذتموهم انصارا يعني الاصنام لا يملكون يعني وهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا
فكيف لغيرهم ثم ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون الاصنام والمومن الذي يعبد الله تعالى فقال تعالى
قل هل يستوي الاعمى والبصير قال ابن عباس يعني المشرك والمومن ام هل تستوي الظلمات والنور يعني الشرك
والايمان والمعنى كما لا يستوي الاعمى والبصير كذلك لا يستوي الكفر والايمان وانما شبه الكافر بالاعمى لانه
لا يهتدي سبيلا كذلك الكافر لا يهتدي سبيلا ام جعلوا لله شركا هذا استفهام انكار يعني جعلوا لله شركا
خلقوا كخلقه يعني خلقوا سموات وارضين وشمسا وقمرا وجبالا وبحارا وجنا وانسا فتشابه الخلق عليهم من هذا
الوجه والمعنى هل راوا غير الله خلق شيا فاشتبه عليهم خلق الله بخلق غيره وقيل انه تعالى وبخهم بقوله ام
جعلوا لله شركا خلقوا خلقا مثل خلقه فتشابه خلق الشركا بخلق الله عندهم وهذا استفهام انكار اي ليس الامر
كذلك حتى يشتبه عليهم الامر بل اذا تفكروا بعقولهم وجدوا الله تعالى هو المتفرد بخلق ساير الاشيا والشركا
مخلوقون له ايضا لا يخلقون شيا حتى يشتبه خلق الله بخلق الشركا واذا كان الامر كذلك فقد لزمتهم الحجة وهو قوله
قل يا محمد قل الله خالق كل شيء اي لهولا المشركين الله خالق كل شيء مما يصح ان يكون مخلوقا وقوله الله خالق كل شيء
من العموم الذي يراد به الخصوص لان الله تعالى خلق كل شيء وما هو غير مخلوق وهو الواحد يعني والله تعالى هو الواحد
المنفرد بخلق الاشيا كلها القهار لعباده حتى يدخلهم تحت قضائه وقدره وارادته قوله تعالى انزل من السما
لما شبه الله عز وجل الكافر بالاعمى والمومن بالبصير وشبه الكفر بالظلمات والايمان بالنور ضرب لذلك مثلا فقال
تعالى انزل من السما ما يعني المطر فسالت اودية بقدرها اودية جمع واد وهو المفرج بين الجبلين يسيل فيه
الما وقوله فسالت اودية فيه اتساع وحذف تقديره سال الما في الوادي فهو كما يقال جرى النهر والمراد جري الما في
النهر فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه بقدرها قال مجاهد بملئها وقال ابن جريج الصغير بقدره والكبير
بقدره وقيل بمقدار سيلها وانما نكر اودية لان المطر اذا نزل لا يعم جميع الارض ولا يسيل في كل الاودية بل ينزل
في ارض دون ارض ويسيل في واد دون واد فلهذا السبب جاء هذا بالتنكير وقال ابن عباس انزل من السما ما
يعني قرانا وهذا مثل ضربه الله تعالى فسالت اودية بقدرها يريد بالاودية القلوب شبه نزول القران
الجامع للهدى والنور والعرفان ببركة نزول القران ق عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكانت منها طايفة طيبة قبلت
الما فانبتت الكلا والعشب الكثير وكان منها اجادب امسكت الما فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا واصاب
طايفة منها اخرى انما هي قيعان لا تمسك ما ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به
فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به قال الشيخ محي الدين النواوي وغيره
في معنى هذا الحديث وشرحه اما الكلا فبالهمزة يقع على الرطب واليابس من الحشيش وقوله ومنها اجادب فبالجيم
والدال المهملة كذا وقع في الصحيحين وهي الارض التي لا تنبت الكلا جمع جدب على غير قياس وقياسه اجدب
والجدب ضد الخصب وقال الخطابي هي التي تمسك الما ولم يسرع فيها النضوب وفي رواية الهروي اخاذات
بالخا والذال المعجمتين جمع اخاذة وهو الغدير الذي يمسك الما وقوله ورعوا كذا هو في صحيح مسلم من الرعي
ووقع في صحيح البخاري وزرعوا بزيادة من الزرع والقيعان بكسر القاف جمع قاع وهو المستوي من الارض

Copyright © King Saud University

وقوله فذلك مثل من فقه في دين الله يروى بضم القاف وهو المشهور وروي بكسرها ومعناه في الاحكام واما معنى
الاحكام والحديث ومقصوده من اقوال النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا لما جاء به من الهدى والعلم بالارض التي اصابها
المطر قال العلماء الارض ثلاثة انواع وكذلك الناس لانهم منها خلقوا فالنوع الاول من انواع الارض الطيبة
التي تنتفع بالمطر فتنبت به العشب فينتفع الناس به والدواب بالشرب والرعي وغير ذلك وكذلك النوع الاول من
الناس من يبلغه الهدى وغير ذلك من العلم فيحيى به قلبه ويحفظه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع وينفع غيره قال
مسروق صحبت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالاخاذات لان قلوبهم كانت واعية
فصادفت اوعية المعلوم بما رزقت من صفا المفهوم * النوع الثاني من انواع الارض لا تقبل الانتفاع في نفسها
لكن فيها فائدة لغيرها وهي امساك الما لغيرها لينتفع بها الناس والدواب * وكذا النوع الثاني من الناس لهم قلوب
حافظة وليس لهم افهام ثاقبة فيبقى ما عندهم من العلم فياخذه منهم لينتفع به غيره * النوع الثالث من انواع
الارض ارض سبخة لا تنبت مرعا ولا تمسك ما كذلك النوع الثالث من الناس ليس لهم قلوب حافظة ولا افهام
ثاقبة فاذا بلغهم شي من العلم لا ينتفعون به في انفسهم ولا ينفعون غيرهم والله اعلم قوله عز وجل فاحتمل
السيل زبدا الزبد ما يعلو على وجه الما عند الزيادة كالحبب وكذلك ما يعلو على القدر عند غليانه
فاحتمل الزبد الذي حدث من ذلك الما زبدا رابيا يعني عاليا مرتفعا فوق الما طافيا عليه وهو هنا تم المثل
ثم ابتدا بمثل اخر فقال تعالى ومما توقدون عليه في النار الاية والايقاد جعل الحطب في النار لتتقديم جعل النار تحت
الشي ليذوب ابتغاء حلية يعني لطلب زينة والضمير في عليه يعود الى الذهب والفضة وان لم يكونا
مذكورين لان الحلية لا تطلب منهما او متاع زبد يعني ولطلب متاع اخر مما ينتفع به كالحديد والنحاس
والرصاص ونحوه مما يذاب ويتخذ منه الاواني وغيرها مما ينتفع به والمتاع كل ما يتمتع به ويقال لكل ما ينتفع
به في البيت كالطبق والقدر ونحو ذلك مما يتخذ من الاواني متاع مثله يعني ان ذلك الذي يوقد عليه
في النار اذا ذيب فله ايضا زبد مثل زبد الما الصافي من الما ومن هذه الجواهر هو الذي ينتفع به وهو مثل الباطل
وهو قوله تعالى كذلك يضرب الله الحق والباطل فالحق هو الجوهر الصافي الثابت والباطل هو الزبد الصافي
الذي لا ينتفع به وهو قوله فاما الزبد فيذهب جفاء يعني ضايعا باطلا والجفا ما رمى به الوادي من الزبد
الى جنباته وقيل الجفا المتفرق يقال جفات الريح الغيم اذا فرقته والمعنى ان الباطل وان علا في وقت
فانه يضمحل ويذهب واما ما ينفع الناس يعني الما الصافي والجوهر الجيد من هذه الاجسام التي تذاب
فيمكث في الارض يعني يثبت ويبقى ولا يذهب كذلك يضرب الله الامثال قال اهل التفسير والمعاني هذا
مثل ضربه الله تعالى للحق والباطل فالباطل وان علا على الحق في بعض الاوقات والاحوال فان الله يمحقه
ويبطله ويجعل العاقبة للحق واهله كالزبد الذي يعلو على الما فيذهب ويبقى الما الصافي الذي ينتفع به
وكذلك الصفو من هذه الجواهر يبقى ويذهب العلو الذي هو الكدر وهو ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر
الارض كذلك الحق والباطل فالباطل وان علا على الحق في وقت فانه يذهب هو واهله والحق يظهر هو واهله
وقيل هذا مثل للمومنين واعتقاده وانتفاعه بالايمان كمثل الما الصافي الذي ينتفع به الناس وهذا مثل الكافر
وخبث اعتقاده كالزبد الذي لا ينتفع به البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للنور الذي يحصل في قلوب العباد
على ما قسم لها في الازل لان الوادي اذا سال كنس كل شي فيه من النجاسات والمستقذرات كذلك النور الذي حل
وارى قلب العبد بالنور الذي قسم له على قدر ايمانه ومعرفته كنس كل ظلمة وغفلة فيه واما الزبد فيذهب
جفا واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض يعني يذهب الباطل وهي الاخلاق المذمومة ويبقى الحقايق

وهي الاخلاق الحميدة كذلك يضرب الله الامثال وقوله تعالى للذين استجابوا لربهم الحسنى قيل اللام في للذين
متعلقة بيضرب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمومنين الذين استجابوا لربهم يعني اجابوه الى ما دعاهم
اليه من توحيده والايمان به وبرسوله وللكافرين الذين لم يستجيبوا فعلى هذا يكون قوله يضرب الله
الامثال للفريقين من المومنين والكافرين وقيل تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال يعني الحق
من المومنين ثم استانف الكلام بقوله للذين استجابوا لربهم الحسنى قال ابن عباس وجمهور المفسرين
يعني الجنة * وقيل الحسنى هي المنفعة العظمى في الحسن وهي المنفعة الخالصة الخالية من شوائب المضرة
والانقطاع والذين لم يستجيبوا له يعني الكفار الذين استمروا على كفرهم واشراكهم وما توا عليه لو ان
لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به يعني لبذلوا ذلك كله فدا لانفسهم من عذاب النار يوم القيمة
اولئك يعني الذين لم يستجيبوا لربهم لهم سوء الحساب قال ابراهيم النخعي سوء الحساب ان يحاسب الرجل
بذنبه كله ولا يغفر له منه شي وماواهم جهنم يعني في الاخرة جهنم وبئس المهاد يعني وبئس ما مهد لهم
في الاخرة وقيل المهاد الفراش يعني فبئس الفراش يفرش لهم في جهنم قوله تعالى افمن يعلم انما انزل
اليك من ربك الحق كمن هو اعمى يعني فيومن به ويعمل بما فيه كمن هو اعمى يعني عمى البصيرة لا عمى البصر وهو
الكافر فلا يومن بالقران ولا يعمل بما فيه قال ابن عباس نزلت في حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله
عليه وسلم وابي جهل بن هشام وقيل نزلت في عمار بن ياسر فالاول هو حمزة او عمار والثاني الاعمى هو ابو جهل
وحمل الاية على العموم اولى وان كان السبب مخصوصا والمعنى لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصر
الحق ولا يتبعه وانما شبه الكافر والجاهل بالاعمى لان الاعمى لا يهتدي لرشد وربما وقع في مهلكة
وكذلك الكافر والجاهل لا يهتديان للرشد وهما واقعان في المهالك انما يتذكر اولوا الالباب
قيل انه يعني انما يتعظ ذوو العقول السليمة الصحيحة وهم الذين ينتفعون بالمواعظ والاذكار
قوله عز وجل الذين يوفون بعهد الله يعني الذي عاهدهم عليه وهو القيام بما امرهم به وفرضه عليهم
واصل العهد حفظ الشي ومراعاته حالا بعد حال وقيل اراد بالعهد ما اخذه على اولاد ادم حين اخرجهم
من صلبه واخذ عليهم العهود والمواثيق ولا ينقضون الميثاق بل يوفون به فهو تاكيد لقوله الذين يوفون
بعهد الله والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل قال ابن عباس يريد الايمان بجميع الكتب والرسل يعني
يصلونهم بالايمان ولا يفرقون بين احد منهم والاكثرون على ان المراد به صلة الرحم عن عبد الرحمن بن عوف
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى انا الله انا الرحمن خلقت الرحم وشققت
لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته او قال بتته اخرجه ابو داود والترمذي ق عن
عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله
ومن قطعني قطعه الله عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط له في رزقه
وان ينسا له في اثره فليصل رحمه صلة الرحم بر الاهل والاقارب والاحسان اليهم وضده القطع قوله
وان ينسا له في اثره الاثر هنا الاجل وسمي الاجل اثرا لانه تابع للحياة وسابقها ومعنى ينسا يوخر والمراد به
تاخير الاجل وهو على وجهين احدهما ان يبارك الله له في عمره فكانما قد زاد فيه والثاني ان يزيد فيه زيادة
حقيقة والله يفعل ما يشا ق عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع زاد
في رواية قال سفيان يعني قاطع رحم ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

Copyright © King Saud University

تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم فان صلة الرحم محبة في الاهل مثراة في المال منسأة في الاجل اخرجه الترمذي
وقوله تعالى ويخشون ربهم اي انهم في وفائهم بعهد الله وميثاقه والقيام بما امر الله به من صلة الرحم يخشون ربهم
ويخافون سوء الحساب تقدم معناه
والخشية خوف يشوبه تعظيم لما امر الله واكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه
والذين صبروا يعني على طاعة الله وقال ابن عباس يعني على ما امر الله وقال عطاء على المصائب والنوائب
وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصي وقيل حمله على العموم اولى فيدخل فيه الصبر على جميع النوائب والمأمورات
من سائر العبادات والطاعات وجميع اعمال البر وترك جميع المنهيات فيدخل فيه ترك جميع المعاصي
والحسد والحقد والغيبة وغير ذلك من الشهوات ويدخل فيه الصبر على المباحات مثل جميع الشهوات
والصبر على ما نزل به من الامراض والمصائب واصل الصبر حبس النفس عما يقتضيه العقل والشرع او عما
يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام فيدخل تحته جميع ما ذكر وانما قيد الصبر بقوله ابتغاء وجه ربهم
لان الصبر ينقسم على نوعين الاول الصبر المذموم وهو ان الانسان يصبر ليقال ما اكمل صبره واشد
قوته على ما تحمل من النوازل وقد يصبر لئلا يعاب على الجزع وقد يصبر لئلا يشمت به الاعداء فكل هذه الامور
وان كان ظاهرها الصبر فذلك ليس بداخل تحت قوله ابتغاء وجه ربهم لانها لغير الله تعالى النوع الثاني
الصبر المحمود وان يكون الانسان صابرا بما نزل به من الله طالبا في ذلك الصبر ثواب الله تعالى محتسبا
اجره على الله فهذا هو الصبر الداخل تحت قوله ابتغاء وجه ربهم يعني صبروا على ما نزل بهم تعظيما لله وطلب
رضوانه قوله تعالى واقاموا الصلاة يعني الصلاة المفروضة وقيل حمله على العموم اولى فيدخل
صلاة الفرض والنفل والمراد باقامتها اتمام اركانها وهيئاتها وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
وقال الحسن المراد به الزكاة المفروضة فان لم يتهم بترك اداء الزكاة فالاولى ان يؤديها سرا وان كان متهما
بترك اداء الزكاة فالاولى ان يؤديها علانية وقيل ان المراد بالسر ما يخرج من الزكاة بنفسه والمراد بالعلانية
ما يؤديه الى الامام وقيل المراد بالسر صدقة التطوع والمراد بالعلانية الزكاة الواجبة وحمله على العموم اولى
ويدرءون بالحسنة السيئة قال ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح من العمل السيء وهو قوله ان الحسنات
يذهبن السيئات ويدل على صحة هذا التاويل ما جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال واذا عملت
سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية وروى البغوي بسنده عن عقبة بن
عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل عليه
درع ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل اخرى فانفكت اخرى حتى يخرج الى الارض وقال
ابن كيسان يدفعون الذنب بالتوبة وقيل لا يكافئون الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير وقال القتيبي
معناه اذا سفه عليهم حلموا فالسفه السيئة والحلم الحسنة وقال قتادة ردوا عليهم ردا معروفا وقال
الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا قال عبد الله بن المبارك هذه ثمان خلال
مشيرة الى ابواب الجنة الثمانية قلت انما هي تسع خلال فيحتمل انه عد خلتين بواحدة ولما ذكر الله عز وجل
هذه الخلال من اعمال البر ذكر بعدها ما اعد للعاملين بها من الثواب فقال تعالى اولئك يعني من عمل
بهذه الاعمال لهم عقبى الدار يعني الجنة والمعنى ان عاقبتهم دار الثواب جنات عدن بدل من عقبى الدار
يعني جنات اقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به يدخلونها يعني الذين تقدم وصفهم ومن صلح من آبائهم
وازواجهم وذرياتهم يعني ومن صدق من آبائهم بما صدقوا به وان لم يعمل مثل اعمالهم قاله ابن عباس وقال الزجاج
ان الانسان ينفع بغير اعماله الصالحة فعلى قول ابن عباس معنى صلح صدق وآمن ووحد وعلى قول الزجاج

معنى

معنى صلح في عمله قال الواحدي والصحيح ما قاله ابن عباس لان الله تعالى جعل ثواب المطيع سروره بما
يراه في اهله حيث بشره بدخولهم الجنة مع هؤلاء فدل على انهم يدخلونها كرامة للمطيع العامل الآتي بالاعمال
الصالحة لم تكن في ذلك كرامة للمطيع ولا فائدة في الوعد به اذ كل من كان صالحا في عمله فهو يدخل الجنة
قال الامام فخر الدين الرازي قوله تعالى وازواجهم ليس فيه ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة ولعل الاولى
من مات عنها او ماتت عنه وروي انه لما كبرت سودة اراد النبي صلى الله عليه وسلم طلاقها فسألته
ووهبت يومها لعائشة فامسكها رجاء ان تحشر مع جملة ازواجه كالدليل على ما ذكرناه قوله تعالى والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب يعني من ابواب الجنة وقيل من ابواب القصور وقال ابن عباس يريد بالتحية من الله والتحف
والهدايا سلام عليكم يعني يقولون سلام عليكم فاضمر القول هنا لدلالة الكلام عليه بما صبرتم يعني
يقولون لهم سلمكم الله من الآفات التي كنتم تخافونها في الدنيا وادخلكم بما صبرتم في دار الدنيا على الطاعات
وترك المحرمات وقيل ان السلام قول والصبر فعل ولا يكون القول ثوابا للفعل فعلى هذا يكون
قوله سلام عليكم دعاء من الملائكة لهم يعني سلمكم الله بما صبرتم ثم قال مقاتل ان الملائكة يدخلون
في مقدار يوم من ايام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما
صبرتم وروى البغوي بسنده عن ابي امامة مرفوعا عليه قال ان المؤمن ليكون متكئا على اريكته
اذا دخل الجنة وعنده سماطان من خدم وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل الملك من
ملائكة الله تعالى يستأذن فيقوم ادنى الخدم الى الباب فاذا بالملك يستأذن فيقول للذي
يليه ملك يستأذن حتى يبلغ المؤمن فيقول ائذنوا له فيقول اقربهم الى المؤمن ائذنوا له ويقول
الذي يليه ائذنوا له كذلك حتى يبلغ اقصاهم الذي عند الباب فيدخل فيسلم ثم ينصرف فنعم عقبى
الدار يعني نعم العقبى عقبى الدار وقيل معناه فنعم عقبى الدار ما انتم فيه قوله والذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه لما ذكر احوال السعداء وما اعد لهم من الكرامات والخيرات ذكر بعده احوال
الاشقياء وما لهم من العقوبات فقال تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ونقض
العهد ضد الوفاء به وهذا من صفة الكفار لانهم هم الذين نقضوا عهد الله من بعد ما اوثقوه على
انفسهم من الاعتراف والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يعني ما بينهم وبين المؤمنين من
الرحم والقرابة ويفسدون في الارض يعني بالكفر والمعاصي اولئك يعني من هذه صفته لهم
اللعنة يعني الطرد عن رحمة الله يوم القيامة ولهم سوء الدار يعني النار لان منقلب الناس
في العرف الى دورهم ومنازلهم فالمؤمنون لهم عقبى الدار وهي الجنة والكفار لهم سوء الدار وهي النار
قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني يوسع على من يشاء من عباده فيغنيه من فضله
ويضيق على من يشاء من عباده فيفقره ويقتر عليه وهذا امر اقتضته حكمة الله وفرحوا بالحياة الدنيا
يعني مشركي مكة لما بسط الله الرزق عليهم اشروا وبطروا والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المشتهى
وفيه دليل على ان الفرح بالدنيا حرام وما الحياة الدنيا يعني بالنسبة في الآخرة الا متاع
يعني اي قليل ذاهب قال الكلبي المتاع مثل السكرجة والقصعة والقدح ينتفع في الدنيا بها ثم
تذهب كذلك الحياة الدنيا لانها ذاهبة لا بقاء لها ويقول الذين كفروا يعني من اهل مكة لولا انزل
عليه آية من ربه يعني هلا انزل على محمد آية ومعجزة مثل معجزة موسى وعيسى قل اي قل لهم يا محمد ان الله يضل
من يشاء فلا تنفعه نزول الآيات وكثرة المعجزات اذا لم يهده الله عز وجل وهو قوله ويهدي اليه من اناب

Copyright © King Saud University

يعني ويرجع الى دينه والايمان به من اناب بقلبه ورجع اليه بكليته **الذين امنوا** يعني بدل من اناب **وتطمئن قلوبهم**
يعني وتسكن قلوبهم **بذكر الله** قال مقاتل بالقران لانه طمانينة لقلوب المومنين والطمانينة السكينة انما تكون
بنوع اليقين والاضطراب انما يكون بالشك **الا بذكر الله تطمئن القلوب** يعني بذكره تسكن قلوب المومنين وتستقر
اليقين فيها وقال ابن عباس هذا في الحلف وذلك ان المسلم اذا حلف بالله على شي سكن قلوب المومنين اليه

فان قلت اليس قد قال تبارك وتعالى في اول سورة الانفال انما المومنون الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل استشعار الخوف وحصول الاضطراب وهو ضد الطمانينة فكيف وصفهم بالوجل
والطمانينة وهل يمكن الجمع بينهما في حال واحد **قلت** انما يكون الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب
والطمانينة انما تكون عند الوعد والثواب فالقلوب توجل اذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وعقابه وتطمئن
اذا ذكرت فضل الله ورحمته وكرمه واحسانه قوله عز وجل **الذين امنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم** اختلف العلما
في تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقرة عين وقال عكرمة نعمى لهم وقال قتادة حسنى لهم وفي رواية
اخرى عنه ان هذه كلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك اى اصبت خيرا وقال ابراهيم النخعي خير لهم وكرامة
وقال الزجاج طوبى من الطيب وقيل تاويلها الحال المستطابة لهم وهو كما استطاب في الجنة هو امن بقا بلا فنا
وعز بلا ذل وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم قال الازهري يقول طوبى لك وطوباك لحن لا تقوله العرب وهو قول
اكثر النحويين وقال سعيد بن جبير طوبى اسم الجنة بالحبشية وروي عن ابي امامة وابي هريرة وابي
الدردا ان طوبى اسم شجرة في الجنة تظلل الجنان كلها قال ابو عبيد بن عمير هي شجرة في جنة عدن اصلها
في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة في الجنة منها غصن لم يخلق الله لونا ولا زهرة الا وفيها منها
ينبع من اصلها عينان الكافور والسلسبيل وقال مقاتل كل ورقة منها تظلل امة عليها ملك يسبح
الله بانواع التسبيح وروى عن ابي سعيد الخدري ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم عن طوبى
فقال شجرة في الجنة مسيرة ماية سنة ثياب اهل الجنة تخرج من اكمامها وعن معاوية بن قرة عن ابيه يرفعه
قال طوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلي والحلل وان اغصانها لترى من وراء
سور الجنة هكذا ذكره البغوي هذين الحديثين بغير سند وروى باسناده موقوفا عن ابي هريرة قال ان في الجنة
شجرة يسير الراكب في ظلها ماية سنة اقروا ان شيتم وظل ممدود فبلغ ذلك كعب الاحبار فقال صدق
والذي انزل التورية على موسى والقران على محمد لو ان رجلا ركب فرسا او حقة او جذعة ثم دار باصل تلك
الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرما ان الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وان افنانها لمن ورا سور الجنة
وما في الجنة نهر الا وهو يخرج من اصل تلك الشجرة قال البغوي وهكذا الاسناد عن عبد الله بن المبارك
عن الاشعث عن عبد الله عن شهر بن حوشب عن ابي هريرة قال ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله
لها تفتقي لعبدي عما يشا فتفتق له عن فرس مسرجة بلجامها وهيئتها كما يشا وعن الثياب **ق** عن سهل
ابن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها ماية عام لا يقطعها
ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها ماية سنة
زاد البخاري في روايته واقروا ان شيتم وظل ممدود وقوله تعالى **وحسن ماب** يعني ولهم حسن منقلب
ومرجع ينقلبون ويرجعون اليه في الاخرة وهي الجنة قوله عز وجل **كذلك ارسلناك في امة قد خلت
من قبلها امم** يعني كما ارسلناك يا محمد الى هذه الامة كذلك ارسلنا انبيا قبلك الى امم قد خلت
ومضت **لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك** يعني لتقرا عليهم اى على امتك الذي اوحيناه اليك من القران

وشرايع

وشرايع الدين **وهم يكفرون بالرحمن** قال قتادة ومقاتل وابن جريج هذه الاية مدنية نزلت في صلح
الحديبية وذلك ان سهيل بن عمرو لما جا للصلح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب اكتب
بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لا نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب كما كنت تكتب باسمك
اللهم فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحمن يعني انهم ينكرونه ويجحدونه والمعروف ان الاية مكية
وسبب نزولها ان ابا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو ويقول في دعايه يا الله
يا رحمن فرجع ابو جهل الى المشركين وقال ان محمدا يدعو الهين يدعو الله ويدعو الها اخر يسمى الرحمن ولا نعرف
الرحمن الا رحمن اليمامة فنزلت هذه الاية قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسما الحسنى
وروى الضحاك عن ابن عباس انها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن
قالوا وما الرحمن قال الله تعالى **قل** اى قل يا محمد ان الرحمن الذي انكرتم معرفته **هو ربي لا اله الا هو عليه
توكلت** يعني اعتمدت في اموري كلها **واليه متاب** يعني واليه توبتي ورجوعي قوله تعالى **ولو ان قرانا سيرت
به الجبال** الاية نزلت في كفار قريش وهم نفر من مشركي قريش منهم ابو جهل بن هشام وعبد الله بن ابي امية
جلسوا خلف الكعبة وارسلوا خلف النبي صلى الله عليه وسلم فاتاهم وقيل مر بهم وهم جلوس فدعاهم
الى الله عز وجل فقال عبد الله بن ابي امية ان سرك ان نتبعك فسير جبال مكة بالقران فاذهبها
عنا حتى تنفسح فانها ارض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا انهارا وعيونا لنغرس الاشجار ونزرع ونتخذ البساتين
فلست كما زعمت باهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسير معه او سخر لنا الريح لنركبها الى الشام
لميرتنا وحوايجنا ونرجع في يومنا كما سخرت لسليمان كما زعمت فلست باهون على ربك من سليمان او احي
لنا جدك قصيا او من شيت من موتانا لنساله عن امرك احق ما تقول ام باطل فان عيسى كان يحيي الموتى ولست
باهون على ربك من عيسى فانزل الله هذه الاية ولو ان قرانا سيرت به الجبال فاذهبت عن وجه الارض
او قطعت به الارض يعني شققت فجعلت انهارا وعيونا **او كلم به الموتى** فاحياها واختلفوا في جواب لو فقال قوم
جواب لو محذوف وانما حذف لمعرفة السامع مراده تقديره ولو ان قرانا فعل به كذا وكذا لكان هذا القران فهو كقول الشاعر
فاقسم لو شي اتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا • اراد لو ياتينا رسوله سواك لرددناه وهذا معنى قول
قتادة فانه قال معناه لو فعل هذا بقران قبل قرانكم لفعل بقرانكم وقال اخرون جواب لو تقدم تقدير الكلام وهم يكفرون بالرحمن
ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن ولم يومنوا لما سبق في علمنا فيهم
كما قال ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شي قبلا ما كانوا ليومنوا ثم قال الله تعالى **بل لله
الامر جميعا** يعني في هذه الاشيا وغيرها ان شا فعل وان شا لم يفعل **افلم ييايس الذين امنوا** قال اكثر المفسرين
معناه افلم يعلم قال الكلبي هذه لغة النخع وقيل هي لغة هوازن واختلف اهل اللغة في هذه اللفظة فقال
الليث وابو عبيد الم ييس الم يعلم واستدلوا لهذه اللغة بقول الشاعر • اقول لهم بالشعب اذ ياسرونني •
الم تيسوا اني ابن فارس زهدم • يعني الم تعلموا واستدلوا عليه ايضا بقول شاعر اخر • الم ييس الاقوام اني انا ابنه •
وان كنت عن ارض العشيرة نائيا • بمعنى الم يعلم الاقوام وقال قطرب ييس بمعنى علم لغة للعرب قالوا ووجهه
اللغة انما وقع الياس في مكان العلم لان علمك الشي وتيقنك به ييسك من غيره وقيل لم يرد الياس في موضع
كلام العرب للعلم وانما قصد ان ييس الذين امنوا من ذلك يقتضي ان يحصل العلم بانتفايه فاذا معنى الياس
يقتضي حصول العلم وقال الكسائي ما وجدت العرب تقول ييست بمعنى علمت قال وقالوا وهذا
الحرف في القران من الياس المعروف لا من العلم وذلك ان المشركين لما طالبوا النبي صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University

بهذه الايات اشراب المسلمون لذلك وارادوا ان يظهر لهم انه ليجتمعوا على الايمان فقال الله تعالى لم
ييئس الذين امنوا من ايمان هولا ويعلموا علما يقينا ان يشا الله لهدى الناس جميعا وحاصله ان في معنى الاية
قولان احدهما ان ييئس بمعنى علم والقول الثانى انه الياس المعروف وتقرير القولين ما تقدم وتمسك
اهل السنة بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على ان الله لم يشا هداية جميع الخلق ولا يزال الذين
كفروا تصيبهم بما صنعوا يعني من الكفر والاعمال الخبيثة قارعة اى نازلة داهية تقرعهم بانواع البلا احيانا
مرة بالجذب ومرة بالسلب ومرة بالقتل والاسر وقال ابن عباس اراد بالقارعة السرايا التى كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يبعثها اليهم او تحل يعنى السرايا او البلية قريبا من دارهم وقيل معناه وتحل انت يا محمد
قريبا من دارهم حتى ياتى وعد الله يعنى النصر والفتح وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه وقيل اراد
بوعد الله يوم القيامة لان الله يجمعهم فيه فيجازيهم باعمالهم ان الله لا يخلف الميعاد والغرض منه تقوية قلب
النبي صلى الله عليه وسلم وازالة الحزن عنه لعلمه بان الله لا يخلف الميعاد قوله عز وجل ولقد استهزئ برسل
من قبلك وذلك ان كفار مكة انما سألوا هذه الاشيا على سبيل الاستهزا فانزل الله هذه الاية تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم انما طلبوا منك هذه الايات على سبيل الاستهزا فكذلك قد استهزئ برسل
من قبلك فامليت للذين كفروا يعنى فامهلتهم واطلت لهم المدة ثم اخذتهم يعنى بالعذاب بعد الامهال فعذبتهم
في الدنيا بالقحط والاسر والقتل وفي الاخرة بالنار فكيف كان عقاب يعنى فكيف كان عقابى لهم افمن هو قائم
على كل نفس بما كسبت يعنى افمن هو حافظها ورازقها وعالم بها عملت من خير وشر ويجازيها بما كسبت فيثيبها ان
احسنت ويعاقبها ان اساءت وجوابها محذوف تقديره كمن ليس بقائم بل هو عاجز عن نفسه ومن كان عاجزا
عن نفسه فهو عن غيره اعجز وهي الاصنام التى لا تضر ولا تنفع وجعلوا لله شركا يعنى وهو المستحق للعبادة
لا هذه الاصنام التى جعلوها لله شركا قل سموهم يعنى له وقيل صفوهم بما يستحقون ثم انظر واهل هى
اهل لان تعبد ام تنبئونه يعني ام تخبرون الله بما لا يعلم في الارض يعنى انه لا يعلم ان لنفسه شريكا
ام بظاهر من القول يعنى انهم يتعلقون بظاهر من القول مسموع وهو في الحقيقة باطل لا اصل له وقيل معناه
بل بظن من القول لا يعلمون حقيقته بل زين للذين كفروا مكرهم قال ابن عباس زين لهم الشيطان الكفر انما
قال مكرهم بالكفر لان مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم كفرهم والمزين هو الله تعالى لانه هو الفاعل
المختار على الاطلاق لا يقدر احد ان يتصرف في الوجود الا باذنه فزين الشيطان القا الوسوسة فقط ولا
يقدر على اضلال احد وهدايته الا الله تعالى ويدل على هذا سياق الاية وهو قوله ومن يضلل الله فما له
من هاد وقوله وصدوا عن السبيل قرئ بضم الصاد ومعناه صرفوا عن سبيل الدين والرشد والهداية ومنعوا
من ذلك والصاد المانع لهم هو الله تعالى وقرئ وصدوا بفتح الصاد ومعناه انهم صدوا عن سبيل الله اى
غيرهم عن الايمان ومن يضلل الله فما له من هاد الوقف عليه بسكون الدال وحذف اليا في اكثر القرا لهم عذاب
في الحياة الدنيا يعنى بالاسر والقتل ونحو ذلك مما فيه غيظهم ولعذاب الاخرة اشق يعنى اشد واغلظ لان
المشقة غلظ الامر على النفس وشدته مما يكاد يصدع القلب من شدته فهو من الشق الذى هو الصدع وما لهم
من الله من واق يعنى من عذاب الله يعنى من مانع يمنعهم من عذابه قوله مثل الجنة التى وعد المتقون يعني
اى صفة الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الانهار اكلها دائم لا ينقطع ابدا وظلها يعنى انه دائم ابدا لا
ينقطع وليس في الجنة شمس ولا قمر ولا ظلمة بل ظل ممدود لا ينقطع ولا يزول وفي الاية رد على جهم واصحابه بقولهم
ان نعيم الجنة يفنى وينقطع وفي الاية دليل على حركات اهل الجنة لا تنتهي الى سكون دائم كما يقول ابو الهذيل

واستدل

واستدل القاضى عبد الجبار المعتزلي بهذه الاية ان الجنة لم تخلق بعد قال ووجه الدليل انها لو كانت مخلوقة
لوجب ان تفنى وينقطع اكلها لقوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه فوجب ان لا تكون الجنة مخلوقة لقوله
اكلها دائم يعنى لا ينقطع قال ولا ينكر ان يكون في السموات جنات كثيرة يتمتع بها الملائكة ومن يعد حيا
من الانبيا والشهدا وغيرهم على ما روى الا ان الذى يذهب ليه ان الجنة الخلد لم تخلق بعد والجواب
عن هذا ان حاصل دليلهم مركب من اثنين احدهما قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه والاخرى قوله اكلها
دائم وظلها فاذا ادخلنا التخصيص على هذين العمومين سقط دليلهم فيحتمل هذين الدليلين بالدلائل الدالة
على ان الجنة مخلوقة منها ان قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين وقوله تعالى تلك عقبى
الذين اتقوا يعنى ان عاقبة الذين اتقوا وهم اهل التقوى هي الجنة وعقبى الكافرين النار يعنى في الاخرة قوله تعالى
والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك فالمراد بالكتاب قولان احدهما انه القران والذين اوتوه
المسلمون وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انهم يفرحون بما يتجدد من الاحكام والتوحيد
والنبوة والحشر بعد الموت بتجدد نزول القران ومن الاحزاب يعنى الجماعات الذين تحزبوا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم من الكفار واليهود والنصارى من ينكر بعضه وهذا قول الحسن وقتادة **فان قلت**
ان الاحزاب لا ينكرون القران جملة لانه ورد فيه اثبات الله واثبات قدرته وعلمه وحكمته وهم لا ينكرون
ذلك ابدا والقول الثانى ان المراد بالكتاب التوراة والانجيل والمراد باهله الذين اسلموا من اليهود والنصارى
مثل عبد الله بن سلام واصحابه ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون من نجران وثلاثون من الحبشة
وعشرة ممن سواهم فرحوا بالقران كونهم امنوا به وصدقوه ومن الاحزاب يعنى بقية اهل الكتاب من اليهود
والنصارى وسائر المشركين من ينكر بعضه وقيل كان ذكر الرحمن قليلا في القران فرحوا بذلك فانزل
الله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعنى مشركى مكة من ينكر بعضه
وذلك لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح يوم الحديبية فيه بسم الله الرحمن الرحيم قالوا ما نعرف
الرحمن الا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب فانزل الله وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى وانما قال
من الاحزاب من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الله وينكرون الرحمن قل اى قل يا محمد انما امرت
ان اعبد الله يعنى وحده ولا اشرك به شيا اليه ادعو يعنى الى الله ادعو والى الايمان ادعو الناس واليه
مآب يعنى مرجعى يوم القيمة وكذلك انزلناه حكما عربيا اى كما انزلنا الكتب على الانبيا بلسانهم انزلنا
اليك يا محمد هذا الكتاب وهو القران عربيا بلسانك ولسان قومك وانما سمى القران لان فيه جميع
التكاليف والحلال والحرام والنقض والابرام فلما كان القران سببا للحكم على سبيل المبالغة وقيل ان
الله لما حكم على جميع الخلق بقبول القران والعمل بمقتضاه سماه حكما كذلك المعنى ولئن اتبعت اهواءهم
قال جمهور المفسرين ان المشركين دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملة ابائهم فتوعده الله
على اتباع اهوائهم في ذلك وقال ابن السائب المراد به متابعة ابائهم في الصلاة الى بيت المقدس
بعد ما جاءك من العلم يعني بانك على الحق وان قبلتك هى الكعبة وقيل ظاهر الخطاب فيه للنبى
صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة والقيام بما امر به ويتضمن ذلك تحذير غيره من المكلفين
لان من هو ارفع منزلة واعظم قدرا واعلى مرتبة اذا حذره كان غيره ممن هو دونه بطريق الاولى ما لك
من الله من ولى ولا واق يعنى من ناصر ولا حافظ ولقد ارسلنا رسلا من قبلك روى ان اليهود وقيل المشركين
قالوا ان هذا الرجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ليس له همة الا في النسا فعابوا عليه ذلك وقالوا لو

Copyright © King Saud University

كان يزعم انه رسول الله لكان مشتغلا بالزهد وترك الدنيا فاجاب الله عز وجل عن هذه الشبهة وعما
عابوه بقوله تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فانه قد كان لسليمن
ثلاثمائة امراة حرة وسبعمائة سرية فلم يقدح ذلك في نبوته وكان لابيه داود عليه السلام مائة امراة
فلم يقدح ذلك في نبوته فكيف يعيبوا عليك ويجعلوه قادحا في نبوتك والمعنى وقد ارسلنا رسلا من قبلك
ياكلون ويشربون وياكلون وينكحون وما جعلناهم ملايكة لا ياكلون ولا يشربون ولا ينكحون وما
كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله هذا جواب لعبد الله بن ابي امية وغيره من المشركين الذين سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الايات واقترحوا عليه ان يريهم المعجزات وتقرير هذا الجواب ان المعجزة
الواحدة كافية في اثبات النبوة وقد اتاهم رسول الله بمعجزات كثيرة يعجز عنها وعن مثلها البشر فما لهم
ان يقترحوا عليه شيا واتيان الرسول بالمعجزات ليس اليه بل مفوض الى مشية الله عز وجل فان شا اظهرها
وان شا لم يظهرها لكل اجل كتاب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزوله فاخبر
الله ان لكل قضا قضاه الله كتاب قد كتبه فيه ووقت يقع فيه لا يتقدم ولا يتاخر والمعنى ان لكل اجل اجله
الله كتاب قد اثبت فيه وقيل في الاية تقديم وتاخير تقديره لكل كتاب اجل ومدة والمعنى ان الكتب المنزلة
لكل كتاب منها وقت ينزل فيه يمحو الله ما يشا ويثبت وذلك انهم لما اعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا ان محمدا يامر اصحابه بامر اليوم ثم يامرهم بخلافه غدا وما سبب ذلك الا انه يقوله من تلقا نفسه فاجاب
الله بهذا الاعتراض بقوله يمحو الله ما يشا ويثبت قال سعيد بن جبير وقتادة يمحو الله ما يشا من الشرايع
والفرايض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشا من ذلك فلا ينسخه ولا يبدله وقال ابن عباس يمحو الله
ما يشا ويثبت الا الرزق والاجل والسعادة والشقاوة ويدل على صحة هذا التاويل ما روى
عن حذيفة بن اسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا امر بالنطفة ثنتان واربعون
ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يا رب
اذكر ام انثى فيقضي ربك ما يشا فيكتب الملك ثم يقول يا رب اجله فيقول ربك ما يشا ثم يقول الملك
يا رب رزقه فيقول ربك ما يشا ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزيد على امر ولا ينقص
اخرجه مسلم ق عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق
ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم
يبعث الله ملكا باربع كلمات يكتب رزقه واجله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالله الذي لا اله
غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها
الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها

فان قلت

هذا الحديث والذي قبله صريح بان الارزاق والاجال مقدورة وكذا السعادة والشقاوة لا تتغير
عما قدره الله في علمه في الازل فيستحيل زيادتها ونقصانها وكذلك يستحيل ان ينقلب العبد شقيا
والشقي سعيدا وقد صح في فضل صلة الرحم ان صلة الرحم تزيد في العمر فكيف الجمع بين هذه الاحاديث وبين قوله

قلت

يمحو الله ما يشا ويثبت قد تقرر بالدلايل القطعية ان الله عالم بالاجال والارزاق وغيرها
وحقيقة العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه فاذا علم الله ان زيدا يموت في وقت معين استحال ان يموت
قبله او بعده وهو قوله تعالى فاذا جا اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون فدل ذلك على
ان الاجال لا تزيد ولا تنقص واجاب العلما عما ورد في الحديث في فضل صلة الرحم تزيد في العمر باجوبة

حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة م

منها ان الزيادة تكون بالبركة في عمره بالتوفيق للطاعات وعمارة اوقاته بما ينفعه في الاخرة وصيانتها عن
الضياع وغير ذلك والجواب الثاني منها انها بالنسبة الى ما يظهر للملايكة في اللوح المحفوظ ان عمر زيد مثلا ستون
سنة الا ان يصل رحمه فان وصلها زيد له اربعون سنة وقد علم الله في الازل ما سيقع ذلك وهو معنى قوله
يمحو الله ما يشا ويثبت فهو بالنسبة الى ما يظهر للمخلوقين من تصور الزيادة واما انقلاب الشقي سعيدا
والسعيد شقيا فيتصور في الظاهر ايضا لان الكافر قد يسلم فينقلب من الشقاوة الى السعادة
وكذلك العاصي ونحوه قد يتوب فينقلب من الشقاوة الى السعادة وقد يرتد المسلم والعياذ
بالله فيموت على ردته فينقلب الى الشقاوة والاصل في هذا الاعتبار بالخاتمة عند الموت بما يختم الله
له وهو المراد من علم الله الازلي الذي لا يتغير ولا يتبدل والله اعلم واصل المحو اذهاب اثر الكتابة
وضده الاثبات فمن العلما من حمل الاية على ظاهرها فجعلها عامة في كل شي تقتضيه ظاهر اللفظ فيزيد
الله ما يشا في الارزاق والاجال وكذا القول في السعادة والشقاوة والايمان بالله والكفر ونقل نحو هذا عن عمر وابن
مسعود فانهما قالا لا يمحو السعادة والشقاوة ويمحو الرزق والاجل وروى عن عمر انه كان يطوف بالبيت وهو يبكي
ويقول اللهم ان كنت كتبتني في اهل السعادة فاثبتني فيها وان كنت قد كتبتني من اهل الشقاوة فامحني منها واثبتني
في اهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ما تشا وتثبت وعندك ام الكتاب وروى مثله عن ابن مسعود وقد ورد في
بعض الاثار ان الرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثة ايام فيصل رحمه فيمد الى ثلاثين سنة هكذا ذكره البغوي بغير سند وروى
بسنده عن ابي الدردا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تبارك وتعالى في اخر ثلاث ساعات يبقين من
الليل فينظر في الساعة الاولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه احد غيره فيمحو ما يشا ويثبت ومن العلما من حمل معنى
الاية على الخصوص في بعض الاشيا دون بعض فقال المراد بالمحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم اخر عوضا عن
الحكم المتقدم وقيل ان الحفظة يكتبون جميع اعمال بني ادم واقوالهم فيمحو الله ما يشا من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب
ولا عقاب مثل قوله اكلت شربت دخلت خرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق فيه ويثبت ما فيه
ثواب وعقاب وهذا قول الضحاك وقال الكلبي يكتب القول كله حتى اذا كان يوم الخميس طرح منه شي ليس فيه
ثواب ولا عقاب وقال ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يعود لمعصية فيموت على ضلالة فهو الذي يمحو
والذي يثبت هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يموت وهو في طاعته فهو الذي يثبت وقال الحسن يمحو الله ما يشا
يعني من جا اجله فيذهب به ويثبت من لم يجي اجله وقال سعيد بن جبير يمحو الله ما يشا من ذنوب عباده فيغفرها
وقال عكرمة يمحو الله ما يشا من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات وقال السدي يمحو الله ما يشا
يعني القمر ويثبت الشمس وقال الربيع هذا في الارواح يقبضها الله عند النوم فمن اراد موته محاه وامسكه ومن
اراد بقاه اثبته ورده الى صاحبه وقيل ان الله يثبت في اول السنة حكمها فاذا مضت السنة محاه واثبت حكما اخر
للسنة المستقبلة وقيل يمحو الله ما يشا من الدنيا ويثبت الاخرة وقيل هو من المحن والمصايب فهي مثبتة
في الكتاب ثم يمحوها بالدعا والصدقة وقيل ان الله يمحو ما يشا ويثبت ما يشا لا اعتراض عليه لاحد يفعل ما يشا
ويحكم ما يريد

فان قلت

مذهب اهل السنة ان المقادير قد جف بها القلم بما هو كاين الى يوم
القيامة فكيف يستقيم مع هذا المحو والاثبات

قلت

المحو والاثبات مما جف به القلم
وسبق به القدر فلا يمحو شيا ولا يثبت شيا الا ما سبق به علمه في الازل وعليه يترتب القضا والقدر مسيلة
استدلت الرافضة على مذهبهم في البدا بهذه الاية قالوا ان البدا جايز على الله وهو ان يعتقد شيا ثم
يظهر له خلاف ما اعتقده وتمسكوا بقوله يمحو الله ما يشا ويثبت والجواب عن هذه المسيلة ان هذا مذهب

Copyright © King Saud University

باطل ظاهر الفساد لان علم الله قديم ازلي وهو من لوازم ذاته المخصوصة وما كان كذلك كان دخول التغيير
والتبديل فيه محال ذكره الامام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الاية وقوله تعالى **وعنده ام الكتاب** يعني اصل
الكتاب وهو اللوح المحفوظ ام الكتاب لان جميع الاشيا مبتية فيه ومنه ينسخ الكتب المنزلة وقيل ان العلوم
كلها تنتسب اليه وتتولد منه قال ابن عباس هما كتابان يمحو الله ما يشا ويثبت ما يشا وام الكتاب الذي لا يغير
فيه شي منه وروى عطية عن ابن عباس قال ان لله لوحا محفوظا مسيرة خمس مائة عام من درة بيضاء له دفتان
من ياقوت سعته كل يوم ثلثمائة وستون لحظة يمحو الله ما يشا ويثبت وعنده ام الكتاب وسال ابن عباس كعبا
عن ام الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون قوله عز وجل **واما نرينك** يعني يا محمد **بعض الذي
نعدهم** يعني من العذاب **او نتوفينك** يعني قبل تريك ذلك **فانما عليك البلاغ** يعني ليس عليك الا التبليغ لرسالة
اليهم والبلاغ اسم اقيم مقام التبليغ **وعلينا الحساب** يعني وعلينا ان نحاسبهم يوم القيامة فنجازيهم
باعمالهم قوله عز وجل **اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها** يعني اولم يروا كفار مكة الذين سالوا محمدا
صلى الله عليه وسلم الايات انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها يعني ارض الشرك ننقصها من اطرافها قال اكثر
المفسرين المراد منه فتح دار الشرك والمعنى اولم يروا انا ناتي الارض فنفتحها لمحمد صلى الله عليه وسلم ارضا بعد
ارض حوالي ارضهم افلا يعتبرون فيتعظون وهذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة من المفسرين وذلك
ان المسلمين اذا استدلوا على بلاد الكفار قهرا واخرابا كان ذلك نقصان ديارهم وزيادة في دار المسلمين وقوتهم
وكان ذلك من اقوى الدلايل على ان الله تعالى ينصر عبده ويعز جنده ويظهر دينه وينجز ما وعده وقيل هو خراب
الارض والمعنى اولم يروا انا ناتي الارض فنخربها ونهلك اهلها افلا يخافون ان نفعل بهم مثل ذلك قال
مجاهد هو خراب الارض وقبض اهلها وعن عكرمة والشعبي نحوه وهذا القول قريب من الاول وقال عطا وجماعة
من المفسرين نقصانها موت العلما وذهاب الفقها ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس وفي رواية من العباد ولكن يقبض العلم
بقبض العلما حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس روساجهالا فسيلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا وقال الحسن قال
عبد الله بن مسعود موت العالم ثلمة في الاسلام لا يسدها شي ما اختلف الليل والنهار وقال عبد الله ايضا
عليكم بالعلم قبل ان يقبض وقبضه ذهاب اهله وقال سليمان لا يزال الناس بخير ما بقي الاول حتى يتعلم
الاخر فاذا هلك الاول ولم يتعلم الناس الاخر هلك الناس وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس
قال هلاك العلما فعلى هذا القول فالمراد بالاطراف الاشراف والعلما من اشراف الناس حكى الجوهري
عن ثعلب قال الاطراف الاشراف واستدل الواحدي بهذه اللغة بقول الفرزدق في قوله واسال بنا وبكم
اذا وردت منا اطراف كل قبيلة من تميم قال يريد اشراف كل قبيلة قال الواحدي والتفسير على القول الاول
اولى لان هذا وان صح فلا يليق بهذا الموضع قال الامام فخر الدين الرازي ويمكن ان يقال ايضا ان هذا الوجه
لا يليق بهذا الموضع وتقديره ان يقال اولم يروا ما يحدث في الدنيا من الاختلاف من خراب بعد عمارة وموت
بعد حياة وذل بعد عز ونقص بعد كمال واذا كانت هذه التغيرات مشاهدة محسوسة فما الذي يومنهم
ان يقلب الله الامر على هولاء الكفرة فيجعلهم ذليلين بعد ما كانوا عزيزين ومقهورين بعد ما كانوا قاهرين
وعلى هذا الوجه ايضا يحسن اتصال الكلام بما قبله قوله تعالى **والله يحكم لا معقب لحكمه** قال يعني لا راد
لحكمه ولا ناقض لقضائه والمعقب هو الذي يعقب غيره بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب لانه يعقب
غريمه بالاقتضا والطلب والمعنى والله يحكم نافذا حكمه خاليا من المدافع والمعارض والمنازع لا يتعقب حكمه

احد

نزل هذا

احد غيره بتغيير ولا نقض **وهو سريع الحساب** قال ابن عباس يريد سريع الانتقام يعني حسابه للمجازاة بالخير
والشر فمجازاة الكفار بالانتقام منهم ومجازاة المومنين بايصال الثواب اليهم وقد تقدم بسط الكلام
في معنى سريع الحساب **وقد مكر الذين من قبلهم** يعني من قبل مشركي مكة من الامم الماضية مكروا بانبيائهم والمكر ايصال
المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر مثل ما مكر نمرود بابراهيم وفرعون بموسى واليهود بعيسى **فلله المكر
جميعا** يعني عند الله جزاء مكرهم وقال الواحدي يعني جميع مكر الماكرين له ومنه اي هو من خلقه وارادته فالمكر
جميعا مخلوق له بيده الخير والشر واليه النفع والضر والمعنى ان المكر لا يضر الا باذنه وارادته وفي هذا
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وامان له من مكرهم كانه قيل قد فعل من كان قبلهم من الكفار مثل فعلهم
وصنعوا مثل صنيعهم فلم يضروا الا من اراد الله ضره واذا كان الامر كذلك وجب ان لا يكون الخوف الا من
الله لا من احد من المخلوقين **يعلم ما تكسب كل نفس** قيل يعني ان جميع اكتساب العباد ان تاثيراتها معلومة
لله وهو خالقها وخلاف المعلوم ممتنع الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة للعبد على الفعل والترك فكان
الكل من الله ولا يحصل ضرر الا باذنه وارادته وفيه وعيد للكفار والماكرين **وسيعلم الكافر** على التوحيد قال
ابن عباس يعني ابا جهل وقيل اراد المستهزئين وهم خمسة نفر من كفار مكة **لمن عقبى الدار** والمعنى انهم
وان كانوا جهالا بالعواقب فسيعلمون ان العاقبة الحميدة للمومنين ولهم العاقبة المذمومة في الاخرة
حين يدخلون النار ويدخل المومنون الجنة قوله تعالى **ويقول الذين كفروا لست مرسلا** لما انكر الكفار كون محمد
رسولا من عند الله امره الله بقوله **قل** اي قل يا محمد لهولا الكفار الذين انكروا نبوتك ما ظهر من المعجزات
الباهرات الدالة على صدقه وكونه نبيا مرسلا من عند الله تعالى **كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم
الكتاب** ايضا يشهد على نبوتك يا محمد وصحتها واختلفوا في الذي عنده علم الكتاب من هو فروى العوفي عن ابن
عباس انهم علما اليهود والنصارى والمعنى ان كل من كان عالما من اليهود بالتورية ومن النصارى بالانجيل
علم ان محمدا مرسل من الله تعالى لما يجد من الدلايل الدالة على نبوته فيها شهد بذلك من شهد به وانكره من انكره
منهم وقيل هم مومنوا اهل الكتاب يشهدون ايضا على نبوتك قال قتادة هو عبد الله بن سلام اسلم
بالمدينة وقال يونس لسعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب اهو عبد الله بن سلام فقال كيف يكون عبد
الله بن سلام وهذه السورة مكية وقال الحسن ومجاهد ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى وعلى هذا القول
كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم قال الزجاج الاشبه
ان الله لا يشهد على صحة حكمه لغيره وهذا قول مشكل لان عطف الصفة على الموصوف وان كان جايزا الا انه
مخالف للاصل فلا يقال شهد بهذا زيد والفقيه بل يقال شهد به زيد الفقيه لكن يشهد لصحة القول
قراءة من قرا ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم والدال وهي قراءة ابن عباس وغيره على البنا للمفعول والمعنى ومن عنده
علم الكتاب ودليل هذه القراءة وعلمناه من لدنا علما وقيل معناه ان من علم ان القران الذي جيتكم به
معجز ظاهر وبرهان باهر لما فيه من الفصاحة والبلاغة والاخبار عن الغيوب وعن الامم الماضية فمن
علم بهذه الصفات كان شهيدا بيني وبينكم والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

سورة ابراهيم عليه السلام

مكية سوى ايتين وهو قوله تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله
كفرا واحلوا قومهم دار البوار الايتين الى اخر الايتين وهي احدى وقيل اثنتين وخمسين اية وثمانمائة واحدى
وستون كلمة وثلاثة الاف واربعمائة واربعة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **الر كتاب
انزلناه اليك** يعني هذا الكتاب انزلناه اليك يا محمد هو القران المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم **لتخرج الناس**

من الظلمات الى النور يعني بهذا القران فالمراد من الظلمات ظلمات الكفر والضلالة والجهل والمراد بالنور
الايمان وقال الامام فخر الدين الرازي وفيه دليل ان طريق الكفر والبدع كثيرة وطريق الحق ليس الا
واحد لانه قال تعالى لتخرج الناس من الظلمات الى النور فعبر عن الجهل والكفر بالظلمات وهو صيغة جمع
وعبر عن الايمان والهدى بالنور وهو لفظ مفرد وذلك يدل على ان طرق الكفر والجهل كثيرة واما طريق
العلم والايمان ليس الا واحد باذن ربهم يعني بامر ربهم وقيل بعلم ربهم الى صراط العزيز الحميد يعني الى
دين الاسلام وهو دينه الذي امر به عباده والعزيز هو الغالب الذي لا يغلب والحميد المحمود على كل حال
المستحق لجميع المحامد الله قرئ بالرفع على الاستيناف وجر على البدل وقرئ بالجر نعتا للعزيز الحميد وقال
ابو عمرو قراءة حفص على التقديم والتاخير تقديره الى صراط الله العزيز الحميد الذي له ما في السموات
وما في الارض يعني ملكا وما فيهما عبيده وويل للكافرين يعني الذين تركوا عبادة الله الذي يستحق العبادة
وله ما في السموات وما في الارض وعبدوا من لا يملك شيا البتة بل هو مملوك لله لانه من جملة خلق الله تعالى
ومن جملة ما في السموات وما في الارض من عذاب شديد يعني لهم في الاخرة ثم وصفهم فقال تعالى الذين
يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة يعني يختارون الحياة الدنيا ويوثرونها على الاخرة ويصدون
عن سبيل الله ويمنعون الناس عن قبول دين الله ويبغونها عوجا يعني ويطلبون لها زيغا وميلا
لحذف الجار واوصل الفعل وقيل معناه يطلبون سبيل الله جادين عن القصد وقيل الهاء في
ويبغونها راجعة الى الدين ومعناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق بجهة الحرام اولئك يعني
هولاء من هذه صفته في ضلال بعيد يعني عن الحق بجواز ان يراد في ضلال بعيد بعدا وفيه بعد لان
الضلال يبعد عن الطريق قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه يعني بلغة قومه
ليفهموا عنه ما يدعوهم اليه وهو قوله تعالى ليبين لهم يعني ما ياتون وما يذرون **فان
قلت** لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى
الناس جميعا بدليل قوله تعالى يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل هو مبعوث الى الثقلين
الجن والانس وهم على السنة مختلفة ولغات شتى وقوله بلسان قومه وليس قومه سوى العرب
وذلك يقتضي بظاهره انه مبعوث الى العرب خاصة فكيف يكون وجه الجمع **قلت**
رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب وبلسانهم والناس تبعا للعرب فكان مبعوثا الى الخلق
لانهم تبع للعرب ثم انه يبعث الرسل الى الاطراف فيترجمون له بالسنتهم ويدعوهم الى الله تعالى بلغاتهم
وقيل يحتمل انه اراد بقومه اهل بلده ومنهم العرب وغير العرب فيدخل معهم من غير جنسهم في عموم الدعوة
وقيل ان الرسول يرسل بلسان قومه وكانت دعوته وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وكان كتابه
بلسان قومه كان اقرب للفهم عنه واقوم للحجة عليهم في ذلك فاذا فهموا عنه انتشر علمه وقامت التراجم
ببيانه وتفهيمه لمن يحتاج الى ذلك ممن هو من غير العرب واذا كان الكتاب واحدا بلغات ولجرح مع
اختلاف الامم وتباين اللغات كان ذلك ابلغ في اجتهاد المجتهدين في تعليم معانيه وتفهم فوائده وغوامضه
واسراره وعلومه وجميع حدوده واحكامه فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء يعني ان الرسول ليس
عليه الا التبليغ والتبيين والله هو الهادي المضل يفعل ما يشاء وهو العزيز يعني الذي يغلب ولا يغلب
الحكيم في جميع افعاله قوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى باياتنا المراد بالايات المعجزات الذي جا بها موسى
عليه السلام مثل العصا واليد وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات العظيمة الباهرة ان اخرج قومك من

الظلمات

الظلمات الى النور اي ان اخرج قومك بالدعوة من ظلمات الكفر الى نور الايمان وذكرهم بايام الله قال ابن عباس
وابن كعب ومجاهد وقتادة يقال فلان عالم بايام الله اي بوقايعهم وانما اراد بما كان في ايام الله من النعمة
والنقمة فاجتزا بذكر الايام عن ذلك لان ذلك كان معلوما عندهم وعلى هذا يكون المعنى عظهم بالترغيب
والترهيب والوعد والوعيد والترغيب والوعدان يذكرهم بامر الله وشدة انتقامه ممن خالف امره
وكذب رسله وقيل بايام الله في حق موسى ان يذكر قومه بايام المحنة والشدة حين كانوا تحت ايدي
القبط يسومونهم سوء العذاب فخلصهم الله من ذلك وجعلهم الله ملوكا بعد ان كانوا مملوكين ان في ذلك
لايات لكل صبار شكور يعني الصبار الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر وانما خص الصبور والشكور
بالاعتبار بالايات وان كان فيها عبرة للكافة لانهم هم المنتفعون بها دون غيرهم فلهذا خصهم
بالايات فكانها ليست لغيرهم فهو كقوله وهدى للمتقين ولان الانتفاع بالايات لا يمكن حصولها
الا لمن يكون صابرا شاكرا اما من لم يكن كذلك فلا ينتفع بها البتة واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم
لما امر الله عز وجل موسى عليه السلام ان يذكر قومه بايام الله امتثل ذلك الامر وذكرهم بايام الله فقال اذكروا
نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم **فان قلت**
قال في تفسير البقرة يذبحون بغير واو وقال هنا ويذبحون بزيادة واو فما الفرق **قلت**
انما حذف الواو في سورة البقرة لان قوله يذبحون تفسير لقوله يسومونكم سوء العذاب وفي التفسير لا يحسن
ذكر الواو وتقول جاني القوم زيد وعمرو اذا اردت تفسير القوم واما دخول الواو هنا في هذه السورة لان ال
فرعون كانوا يعذبونهم بانواع العذاب غير التذبيح وبالذبح ايضا فقوله يسومونكم سوء العذاب ويذبحون
نوع اخر من العذاب الا انه تفسير للعذاب ويستحيون نساءكم يعني يتركوهن احياء وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
فان قلت كيف كان فعل فرعون بلاء من ربهم **قلت**
تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوه كان ذلك بلاء من الله ووجه اخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجا وهو بلاء
عظيم لان البلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا ومنه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وهذا الوجه
اولى لانه موافق للاول وهو قوله اذكروا نعمة الله عليكم **فان قلت** هب ان
تذبيح الابناء فيه بلاء فكيف يكون استحياء النساء فيه بلاء **قلت** كانوا يستحيون نساءهم ويتركوهن
تحت ايديهم كالاماء فكان ذلك بلاء واذ تاذن ربكم هذا من جملة ما قال موسى لقومه كانه قيل واذكروا نعمة الله
عليكم واذكروا حين تاذن ومعنى تاذن اذن اي اعلم ولا بد من تفعل معنى ليس في افعل كانه قيل واذن
ربكم ايذانا بليغا ينتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبهة والمعنى واذ تاذن ربكم فقال لئن شكرتم
يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح لازيدنكم يعني نعمة الى نعمة
ولاضاعفن لكم ما اتيتكم وقيل شكر الموجود صيد المفقود وقيل لئن شكرتم بالطاعة لازيدنكم في الثواب واصل
الشكر تصور النعمة واظهارها وحقيقته الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه الطريقة
وههنا دقيقة وهو ان العبد اذا اشتغل بمطالعة نعم الله عز وجل عليه وانواع فضله ونعمه وكرمه واحسانه
اليه اشتغل بشكر تلك النعم وذكر ذلك يوجب المزيد وبذلك يتاكد محبة العبد لله عز وجل وهو مقام شريف
واعلى منه وهو ان يشغله حب المنعم عن الالتفات على النعم وهذا مقام الصديقين نسال الله القيام
بواجب شكر النعمة حتى تزداد من فضله وكرمه واحسانه وانعامه قوله عز وجل ولئن كفرتم المراد بالكفر
ها هنا كفر النعمة وهو جحودها لانه مذكور في مقابلة الشكر ان عذابي لشديد يعني لمن كفر نعمتي ولا شكرها

Copyright © King Saud University

وقال موسى إن تكفروا أنتم يعني أنتم يا بني إسرائيل ومن في الأرض جميعا يعني والناس كلهم أجمعين فإنما ضرر ذلك يعود إلى
أنفسكم وحرمتموها الخير كله فإن الله لغني عن جميع خلقه حميد أي محمود في جميع أفعاله لأنه متفضل وعادل ألم يأتكم
نبأ يعني خبر الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود قال بعض المفسرين يحتمل أن يكون هذا خطاب من موسى لقومه
والمقصود منه أنه عليه السلام كان يخوفهم بهلاك من تقدم من الأمم ويحتمل أن يكون خطابا من الله على لسان
موسى لقومه يذكرهم بذلك أمر القرون الماضية والأمم الخالية والمقصود منه حصول العبرة بأحوال من الله
تعالى وهلاكهم والذين من بعدهم يعني من بعد هؤلاء الأمم الثلاثة لا يعلمهم إلا الله يعني لا يعلم كنه
مقاديرهم وعددهم إلا الله لأن علمه محيط بكل شيء لا يعلم من خلق وقيل المراد بقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم
إلا الله هم أقوام وأمم ما بلغنا خبرهم أصلا ومنه قوله وقرونا بين ذلك كثيرا وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية
يقول كذب النسابون يعني أنهم يدعون علم الغيب إلى آدم وقد نفى الله علم ذلك عن العباد وعن عبد الله بن
عباس أنه قال بين إبراهيم وعدنان ثلاثون قرنا لا يعلمهم إلا الله وكان مالك بن أنس يكره أن ينسب الإنسان
نفسه أبا أبا إلى آدم لأنه لا يعلم أولئك الآباء إلا الله قوله تعالى جاءتهم رسلهم بالبينات يعني بالدلائل الواضحات
والمعجزات الباهرات فردوا أيديهم في أفواههم وفي معنى الأيدي والأفواه قولان أحدهما أن المراد بهما
هاتان الجارحتان المعلومتان ثم في معنى ذلك وجوه قال ابن مسعود عضوا أيديهم غيظا وقال
ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم وقال مجاهد وقتادة كذبوا الرسل
وردوا ما جاءوا به يقال رددت قول فلان في فيه أي كذبته وقال الكلبي يعني أن الأمم ردوا أيديهم إلى
أفواه أنفسهم يعني أنهم وضعوا الأيدي على الأفواه إشارة منهم إلى الرسل أن اسكتوا وقال مقاتل ردوا أيديهم
على أفواه الرسل يسكتونهم بذلك وقيل إن الأمم لما سمعوا كلام الرسل عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية
فعند ذلك ردوا أيديهم في أفواههم كما يفعل الذي غلبه الضحك وعلى القول الثاني أن المراد بالأيدي
والأفواه غير الجارحتين فقيل المراد بالأيدي النعم معناه ردوا ما لو قبلوه لكانت نعمة عليهم يقال لفلان
عندي يد نعمة والمراد بالأفواه تكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم بأفواههم وقيل إنهم كفروا عن قبول أمر الله
بقبولهم الحق ولم يؤمنوا به يقال فلان رد يده إلى فيه إذا أمسك عن الجواب فلم يجب وهذا القول فيه بعد
لأنهم قد أجابوا بالتكذيب وهو أن الأمم ردوا على رسلهم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به يعني أنا كفرنا بما زعمتم
أن الله أرسلكم به لأنهم لم يقروا بأنهم رسل الله إليهم لأنهم لو أقروا بأن الرسل أرسلوا إليهم لكانوا مؤمنين وإنا
لفي شك مما تدعوننا إليه مريب يعني موجب للريبة أو موقع في الريبة والتهمة والريبة قلق النفس وأن
لا تطمئن إلى الأمر الذي تشك فيه **فإن قلت** إنهم لما صرحوا بكفرهم بالرسل كأنهم حصل
لهم شبهة توجب لهم الشك فقالوا إن لم ندع الجزم في قولنا وكفرنا فلا أقل من أن نكون شاكين
مرتابين في ذلك قالت رسلهم يعني مجيبين لأممهم أفي الله شك يعني هل تشكون في الله وهو استفهام إنكار
ونفي لما اعتقدوه فاطر السموات والأرض يعني وهل تشكون في كونه خالق السموات والأرض وخالق جميع
ما فيهما يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم يعني ليغفر لكم ذنوبكم إذا آمنتم وصدقتم ومن حرف صلة وقيل إنها أصل
ليست بصلة وعلى هذا أنه يغفر لهم ما بينهم وبينه من الكفر والمعاصي دون مظالم العباد ويؤخركم إلى أجل
مسمى يعني إلى حين انقضاء آجالكم فلا يعاجلكم بالعذاب قالوا يعني الأمم مجيبين للرسل إن أنتم أي ما أنتم
إلا بشر مثلنا يعني في الصورة الظاهرة لستم ملائكة تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا
يعني ما تريدون بقولكم هذا إلا صدنا عن آلهتنا التي كان آباؤنا يعبدونها فأتونا بسلطان مبين

بحجة

بحجة بينة واضحة على صحة دعواكم قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم يعني أن الكفار لما قالوا لرسلهم إن
أنتم إلا بشر مثلنا قالت لهم رسلهم مجيبين هب أن الأمر كما وصفتم نحن بشر مثلكم لا ننكر ذلك ولكن الله يمن
على من يشاء من عباده يعني بالنبوة والرسالة فيصطفي من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف وما كان
لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله يعني وليس لنا مما خصنا الله من النبوة وشرفنا به من الرسالة أن نأتيكم بآية
وبرهان ومعجزة تدل على صدقنا إلا بإذن الله لنا في ذلك قوله عز وجل وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا ألا
نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون **فإن
قلت** كيف كرر الأمر بالتوكل وهل من فرق بين المتوكلين **قلت** نعم التوكل
الأول فيه إشارة إلى استحداث التوكل والتوكل الثاني فيه إشارة إلى التثبيت على ما استحدثوا من توكلهم
وإبقائه وإدامته فحصل الفرق بين التوكلين قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو
لتعودن في ملتنا يعني ليكونن أحد الأمرين إما إخراجكم أيها الرسل من أرضنا وبلادنا وإما عودكم إلى ملتنا
فإن قلت هذا يوهم بظاهره أنهم كانوا على ملتهم في أول الأمر حتى يعودوا فيها
قلت معاذ الله ولكن العود هنا بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب وفيه وجه آخر وهو
أن الأنبياء عليهم السلام قبل الرسالة لم يظهروا خلافا لأممهم فلما أظهروا لهم أظهروا مخالفتهم ودعوهم إلى الله تعالى
قالوا لهم لتعودن في ملتنا ظنا منهم أنهم كانوا على ملتهم ثم خالفوهم وإجماع الأمة على أن الرسل من أول الأمر
إنما نشؤوا على التوحيد لا يعرفون غيره فأوحى إليهم ربهم يعني أن الله أوحى إلى رسله وأنبيائه بعد هذه المخاطبات
والمحاورات لنهلكن الظالمين يعني أن عاقبة أمرهم إلى الهلاك فلا تخافوهم ولنسكننكم الأرض من
بعدهم ذلك يعني ذلك الإسكان لمن خاف مقامي يعني لمن خاف مقامه بين يدي يوم القيامة فأضاف قيام
العبد إلى نفسه لأن العرب تضيف أفعالها إلى أنفسها فهو كقولهم ندمت على ضربك أنا وندمت
على ضربك مثله وخاف وعيد أي وخاف عقاب قوله عز وجل واستفتحوا يعني واستنصروا قال
ابن عباس رضي الله عنهما وذلك أنهم قالوا اللهم إن كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا وقال مجاهد
وقتادة واستفتح الرسل أممهم وذلك أنهم لما يئسوا من إيمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم
بالعذاب وخاب يعني وخسر وقيل وهلك كل جبار عنيد يعني والجبار في صفة الإنسان يقال لمن يجبر
نقيصه بادعاء منزلة عالية لا يستحقها وهو صفة ذم في حق الإنسان وقيل الجبار الذي لا يرى فوقه أحدا
وقيل الجبار المتعظم في نفسه المتكبر على أقرانه والعنيد المعاند للحق ومجانبه قاله مجاهد وقال ابن عباس
هو المعرض عن الحق وقال مقاتل هو المتكبر وقال مقاتل هو الذي يأبى أن يقول لا إله إلا الله وقيل
العنيد المعجب بما عنده وقيل العنيد الذي يعاند ويخالف من ورائه جهنم يعني من أمامه وهو مائل
إليها وقال أبو عبيدة هو من الأضداد يعني أنه يقال وراء بمعنى خلف وبمعنى أمام وقال الأخفش
هو كما يقال هذا الأمر من ورائك أي أنه سيأتيك ويسقى يعني في جهنم من ماء صديد وهو ما سال من
اللحم والجلد من القيح جعل ذلك شراب أهل النار وقال محمد بن كعب القرظي هو ما يسيل من فروج الزناة
يسقاه الكافر وهو قوله يتجرعه أي يتحساه ويشربه لا بمرة واحدة بل جرعة بعد جرعة لمرارته وحرارته
وكراهته ونتنه ولا يكاد يسيغه أي لا يقدر على ابتلاعه يقال ساغ الشراب في الحلق إذا سهل انحداره فيه
قال بعض المفسرين كاد صلة والمعنى يتجرعه ولا يسيغه وقال صاحب الكشاف دخلت كاد للمبالغة يعني ولا
يقارب أن يسيغه فكيف تكون الإساغة وقال بعضهم ولا يكاد يسيغه أي يسيغه بعد إبطاء لأن العرب

Copyright © King Saud University

تقول ما كدت اقوم اي قمت بعد ابطا فعلى هذا كاد على اصلها وليست صلة وقال ابن عباس معناه لا يجيزه وقيل
معناه يكاد لا يسيغه ويسيغه ليغلي في جوفه عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ويسقى من
ماء صديد يتجرعه قال يقرب اليه فيكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع
امعاءه حتى يخرج من دبره قال وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم وقال وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل
يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله وقعت فروة
راسه اي جلدة راسه شبهها بالفروة للشعر الذي عليها ذ في قوله تعالى ويأتيه الموت من كل مكان يعني
ان الكافر يجد الم الموت وشدته من كل مكان من اعضائه وقال ابراهيم التيمي حتى من تحت كل شعرة من
جسده وقيل يأتيه الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وشماله وما هو بميت
فيستريح قال ابن جريج تعلق نفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكانها في جوفه
فتنفعه الحياة قوله ومن ورائه يعني امامه عذاب غليظ اي شديد وقيل هو الخلود في النار قوله عز وجل
مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف هذا كلام مستانف منقطع عما قبله
هو مبتدا محذوف الخبر عند سيبويه تقديره فيما نقص او فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا والمثل مستعار للقصة
التي فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد وجملة مستانفة على تقدير سوال سائل يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم
كرماد وقال المفسرون والفراء مثل اعمال الذين كفروا بربهم كرماد فحذف المضاف اعتمادا على ما ذكره بعده
وقيل يحتمل ان يكون المعنى صفة الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه
مصون وماله مبذول والرماد معروف وهو ما يسقط من الحطب والفحم بعد احراقه بالنار اشتدت به
الريح يعني فنسفته وطيرته ولم يبق منه شي في يوم عاصف وصف اليوم بالعصوف والعصوف من صفة
الريح لان الريح تكون فيه كقولك يوم بارد ويوم حار وليلة ماطرة لان المطر والبرد والحر يوجد فيه
وقيل معناه في يوم عاصف الريح فحذف الريح لانه قد تقدم ذكرها وهذا مثل ضربه الله لاعمال الكفار
الذين لم ينتفعوا بها ووجه المشابهة بين هذا المثل وبين هذه الاعمال هو ان الريح العاصف يطير الرماد
وتذهب به وتفرق اجزاءه بحيث لا يبقى منه وكذلك اعمال الكفار تبطل وتذهب بسبب كفرهم
وشركهم حتى لا يبقى منها شي ثم اختلفوا في هذه الاعمال ما هي فقيل هي ما عملوه من اعمال الخير في حال الكفر
كالصدقة وصلة الارحام وفك الاسير واقرا الضيف وبر الوالدين ونحو ذلك من اعمال البر والصلاح
فهذه الاعمال وان كانت اعمال بر لكنها لا ينتفع بها صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لان كفره احبطها
وابطلها كلها وقيل المراد بالاعمال عبادتهم للاصنام الذين ظنوا انها تنفعهم فبطلت وخسرت وخابت
ولم تنفعهم البتة ووجه خسرانهم انهم اتعبوا ابدانهم في الدهر الطويل لكي ينتفعوا بها فصارت وبالا عليهم
وقيل اراد بالاعمال الاعمال التي عملوها في الدنيا واشركوا فيها غير الله فانها لا تنفعهم لانها صارت
كالرماد الذي ذرته الريح وصار هباء لا ينتفع به وهو قوله تعالى لا يقدرون مما كسبوا يعني في الدنيا
من تلك الاعمال والمعنى انهم لا يجدون ثواب اعمالهم في الاخرة على شي ذلك هو الضلال البعيد يعني
ذلك الخسران المبين لان اعمالهم ضلت وهلكت فلا يرجى عودها والبعيد هنا الذي لا يرجى
عوده الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق يعني لم يخلقهما عبثا ولا باطلا وانما خلقهما لامر عظيم
وغرض صحيح ان يشا يذهبكم يعني ايها الناس ويات بخلق جديد يعني سواكم اطوع منكم والمعنى الذي قدر على
خلق السموات والارض فان يقدر على افنا قوم واماتتهم وايجاد خلق اخر سواهم كان اولى لان القادر

لا يعيب عليه شي قيل هذا خطاب لكفار مكة يريد اميتكم يا معشر الكفار واخلق قوما غيركم خيرا منكم واطوع
وما ذلك على الله بعزيز يعني بممتنع لان الاشيا كلها سهلة على الله وان جلت وعظمت قوله عز وجل وبرزوا لله
جميعا يعني وخرجوا من قبورهم الى الله ليحاسبهم ويجازيهم على قدر اعمالهم والبراز الفضا وبرز حصل في البراز
وذلك ان يظهر بذاته كله والمعنى وخرجوا من قبورهم وظهروا الى الفضا وورد بلفظ الماضي وان كان
معناه الاستقبال لان كل ما اخبر عنه فهو حق وصدق وكائن لا محالة فصار كانه قد حصل ودخل في الوجود
فقال الضعفا يعني الاتباع للذين استكبروا وهم القادة والروسا انا كنا لكم تبعا يعني في الدين والاعتقاد
فهل انتم يعني في هذا اليوم مغنون عنا يعني دافعون عنا من عذاب الله من شي من هنا للتبعيض والمعنى هل تقدرون
على ان تدفعوا عنا بعض العذاب الذي حل بنا قالوا يعني الروسا والقادة والمتبوعين للتابعين لو
هدانا الله لهديناكم يعني لو ارشدنا الله لارشدناكم ودعوناكم للهدى ولكن لما اضلنا دعوناكم الى الضلالة
سوا علينا اجزعنا ام صبرنا يعني مستوي بنا علينا الجزع والصبر والجزع ابلغ من الحزن لانه يصرف الانسان
عما هو بصدده ويقطعه عنه ما لنا من محيص يعني من مهرب ولا منجاة مما نحن فيه من العذاب قال مقاتل
يقولون في النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون
خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر فعند ذلك يقولون سوا علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقال محمد
ابن كعب القرظي ان اهل النار يستغيثون بالخزنة كما قال تعالى وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا
ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردت الخزنة عليهم الم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى فردت الخزنة
عليهم ادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا يا مالك ليقض علينا ربك
سألوا الموت ثمانين سنة فلا يجيبهم والسنة ثلثمائة وستون يوما واليوم كالف سنة مما تعدون ثم
يجيبهم بقوله انكم ماكثون فلما يئسوا مما عنده قال بعضهم لبعض تعالوا فلنصبر كما صبر اهل الطاعة
لعل ذلك ينفعنا فصبروا فطال صبرهم فلم ينفعهم فجزعوا فلم ينفعهم فعند ذلك قالوا سوا علينا اجزعنا
ام صبرنا ما لنا من محيص وقال الشيطان يعني ابليس لما قضي الامر يعني فرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة
واهل النار النار قال مقاتل يوضع له منبر في النار فيرقاه ابليس وتفزع به ونوبخه فيقوم خطيبا
فيجتمع اليه اهل النار يلومونه فيقول لهم ما اخبر الله بقوله ان الله وعدكم وعد الحق فيه اضمار تقديره
فصدق في وعده ووعدتكم فاخلفتكم يعني الوعد وقيل يقول لهم اني قلت لكم لا بعث ولا جنة ولا
نار وما كان لي عليكم من سلطان يعني من ولاية وقهر وقيل لم اتكم بحجة فيما وعدتكم به الا ان دعوتكم هذا
استثنا منقطع معناه لكن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم يعني ما كان مني الا الدعا
والقا الوسوسة وقد سمعتم دلايل الله وجاءتكم الرسل فكان من الواجب عليكم ان لا تلتفتوا لي ولا تسمعوا قولي
فلما رجحتم قولي على الدلايل الظاهرة كان اللوم بكم اولى بي وضا بعني من غير حجة ولا دليل ما انا بمصرخكم
يعني بمغيثكم ولا منقذكم وما انتم بمصرخي يعني بمغيثي ولا منقذي مما انا فيه اني كفرت بما اشركتمون
من قبل يعني كفرت بجعلكم اياي شريكا له في عبادته وتبرات من ذلك ان الظالمين لهم عذاب اليم وروى البغوي
بسنده عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة وذكر الحديث الى قوله فياتوني
فياذن الله لي ان اقوم فيثور مجلسي من اطيب ريح شمها احد حتى اتي ربي فيشفعني ويجعل لي نورا من
شعر راسي الى ظفر قدمي ثم يقول الكفار قد وجد المومنون من يشفع لهم قم انت فاشفع لنا فانك
انت اضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه انتن ريح شمها احد ثم يعظم جهنم ويقول عند ذلك ان الله وعدكم

Copyright King Saud University

وعد الحق الاية قوله تعالى وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار لما شرح الله
عز وجل حال الكفار الاشقيا بما تقدم من الايات الكثيرة شرح احوال المومنين السعدا وما اعد لهم في الاخرة من
الثواب العظيم والاجر الجزيل وذلك ان الثواب منفعة خالصة دايمة مقرونة بالتعظيم فالمنفعة الخالصة اليها
الاشارة بقوله تعالى وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار وكونها دايمة اشار اليها
بقوله خالدين فيها والتعظيم حصل من وجهين احدهما قوله باذن ربهم لان تلك المنافع انما كانت تفضلا
من الله وانعاما الثاني قوله تحيتهم فيها سلام فيحتمل ان بعضهم يحيي بعضا بهذه الكلمة والملايكة تحييهم بهذه
التحية والرب سبحانه وتعالى يحييهم بها ويحتمل ان يكون المراد انهم لما دخلوا الجنة سلموا من جميع الافات
لان السلام مشتق من السلامة الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة لما شرح الله تعالى احوال الاشقيا واحوال
السعدا ضرب الله مثلا فيه حكم هذين القسمين فقال تعالى الم تر كيف اي بعين قلبك فتعلم علم يقين
باعلامي اياك فعلى هذا يحتمل ان يكون الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره فيه ويحتمل ان
يكون الخطاب فيه لكل فرد من الناس فيكون المعنى الم تر ايها الانسان كيف ضرب الله مثلا يعني بين شبها
والمثل عبارة عن قول فيه شي يشبه قولا في شي اخر بينهما مشابهة ليتبين احدهما من الاخر ويتصوره وقيل
هو قول سائر لتشبيه شي بشي اخر كلمة طيبة هي قول لا اله الا الله في قول ابن عباس وجمهور المفسرين كشجرة
طيبة هي قول لا اله الا الله يعني كشجرة طيبة الثمر قال ابن عباس هي النخلة وبه قال ابن مسعود وانس ومجاهد
وعكرمة والضحاك ق عن ابن عمر قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبروني عن شجرة تشبه الرجل
او قال كالرجل المسلم لا تتحات ورقها ولا تؤتي اكلها كل حين قال ابن عمر رضي الله عنهما فوقع في نفسي انها النخلة
ورايت ابا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت ان اتكلم فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة
قال فلما قمنا قلت لعمر يا ابتاه والله لقد وقع في نفسي انها النخلة فقال وما منعك ان تتكلم قال لم اركم تتكلمون
فكرهت ان اتكلم او اقول شيئا فقال عمر لان تكون قلتها احب الي من كذا وكذا وفي رواية ان من الشجر شجرة لا يسقط
ورقها وانها مثل المسلم فحدثوني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله بن عمر ووقع في نفسي انها النخلة فاستحييت
ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله قال هي النخلة وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما انها شجرة في الجنة وفي رواية عنه
انها المومن اصلها ثابت يعني في الارض وفرعها يعني اعلاها في السما يعني ذاهبة في السما تؤتي اكلها يعني ثمرها
كل حين باذن ربها يعني بامر ربها والحين في اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير واختلفوا في مقداره
ههنا فقال مجاهد وعكرمة الحين ههنا سنة كاملة لان النخلة تثمر في كل سنة مرة واحدة وقال سعيد بن جبير
وقتادة والحسن ستة اشهر يعني من وقت طلعها الى حين صرامها وروي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال علي بن ابي
طالب رضي الله عنه ثمانية اشهر يعني من وقت طلعها الى حين صرامها ان مدة حملها ظاهرا وباطنا ثمانية اشهر من حين ظهور
حملها الى زوالها وقال سعيد بن المسيب شهران يعني من وقت يوكل منها الى صرامها وقال الربيع بن انس كل حين يعني غدوة
وعشية لان ثمر النخل يوكل ابدا الليل والنهار صيفا وشتا فيوكل منها الجمار والطلع والبلح والبسر والمنصف والرطب
وبعد ذلك يوكل التمر اليابس الى حين الطري الرطب فاكلها دايم في كل وقت قال العلما ووجه الحكمة في تمثيل هذه الكلمة
التي هي كلمة الاخلاص واصل الايمان بالنخلة من وجوه احدها ان كلمة الاخلاص شديدة الثبوت في قلب المومن كثبوت اصل
هذه النخلة في الارض الوجه الثاني ان هذه الكلمة ترفع عمل المومن الى السما كما قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه كذلك فرع هذه النخلة التي هو عال في السما الوجه الثالث ان ثمر هذه النخلة ياتي في كل حين ووقت
وكذلك ما يكسبه المومن من الاعمال الصالحة في كل وقت وحين ببركة هذه الكلمة فالمومن كلما قال لا اله الا الله صعدت الى

السما

السما وجاه بركتها وثوابها وغيرها ومنفعتها الوجه الرابع ان النخلة شبه بالانسان في غالب الامور لانها خلقت
من فضلة طين ادم وانها اذا قطع راسها تموت كالادمي بخلاف سائر الشجر فانه اذا قطع نبت وانها لا تحمل حتى تلقح بطلع
الذكر الوجه الخامس في وجه الحكمة في تمثيل الايمان بالشجر على الاطلاق ان الايمان لا يتم الا باشيا ثلاثة اشيا تصديق
بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان قوله تعالى ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون يعني ان في ضرب الامثال
زيادة في الافهام وتصوير المعاني وتذكيرا ومواعظ لمن تذكر واتعظ قوله تعالى ومثل كلمة خبيثة وهو الشرك
كشجرة خبيثة يعني الحنظل وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما انها الكشوث وعنه ايضا انها الثوم
وعنه ايضا انها الكافر لا يقبل عمله فليس له اصل ثابت ولا يصعد الى السما اجتثت يعني استوصلت
وقطعت من فوق الارض ما لها من قرار يعني ما لهذه الشجرة من قرار في الارض من ثبات لانها ليس لها اصل
ثابت في الارض ولا فرع في السما صاعدا كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح ولا
لاعتقاده اصل ثابت فهذا وجه تمثيل الكافر بهذه الشجرة الخبيثة عن انس قال اتي رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقناع عليه رطب فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السما تؤتي اكلها
كل حين باذن ربها قال هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار قال
هي الحنظلة اخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا وقال الموقوف اصح قوله عز وجل يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
لما وصف الله الكلمة في الاية المتقدمة اخبر في هذه الاية انه يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت هو
الكلمة الطيبة وهي شهادة ان لا اله الا الله في قول جمهور المفسرين ولما وصف الله الكلمة الخبيثة وهي
كلمة الشرك في قول جميع المفسرين في الحياة الدنيا يعني في القبر عند السوال وفي الاخرة يعني يوم القيمة
عند البعث والحساب والقول الذي عليه الجمهور اصح ويدل عليه ما روي عن البراء بن عازب رضي الله
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سيل في القبر يشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة
قال نزلت في عذاب القبر زاد في رواية يقال له من ربك فيقول الله ربي ونبيي محمد صلى الله عليه
وسلم اخرجه البخاري ومسلم وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في القبر
وتولى عنه اصحابه انه ليسمع قرع نعالهم اذا انصرفوا اتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت
تقول في هذا الرجل محمد فاما المومن فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك
من النار بدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا قال قتادة
ذكر لنا انه يفسح له في قبره ثم رجع الى حديث انس واما الكافر والمنافق فيقول لا ادري كنت اقول
ما يقوله الناس فيه فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين اذنيه
فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين لفظ البخاري ولمسلم بمعناه زاد في رواية انه يفسح
له في قبره سبعون ذراعا ويملا عليه خضرا الى يوم يبعثون واخرجه ابو داود وعن انس قال وهذا
لفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المومن اذا وضع في قبره اتاه ملك فيقول له ما كنت
تعبد فان هداه الله قال كنت اعبد الله فيقول ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله
ورسوله فلا يسال عن شي بعدها فينطلق به الى بيت كان له في النار فيقال له هذا كان
مقعدك ولكن عصمك الله فابدلك به بيتا في الجنة فيراه فيقول دعوني حتى اذهب فابشر
اهلي فيقال له اسكن وان الكافر والمنافق اذا وضع في قبره اتاه ملك فينتهره فيقول ما كنت

Copyright © King Saud University

نعبد فيقول لا ادري فيقال لا دريت ولا تليت فيقول له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول كنت اقول
ما يقول الناس فيه فيضربه بمطراق من حديد بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين اخرجه
النسائي ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اقبر الميت او قال
اذا اقبر احدكم اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما المنكر وللاخر النكير فيقولان ما كنت تقول
في هذا الرجل فيقول ما كنت اقول هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول
ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقولون نم كنومة العروس الذي لا يوقظه الا احب اهله حتى يبعثه الله من مضجعه
ذلك وان كان منافقا فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله لا ادري فيقولان قد كنا نعلم
انك كنت تقول ذلك فيقال للارض التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلف اضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه
الله من مضجعه ذلك اخرجه الترمذي عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانتهيت الى القبر في جنازة رجل من الانصار فانتهيت الى القبر ولما يلحد بعد فجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كانما على رؤسنا الطير وبيده عود ينكت به في الارض فرفع راسه
صلى الله عليه وسلم فقال تعوذوا من عذاب القبر مرتين او ثلاثا زاد في رواية وقال ان الميت ليسمع
خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حين يقال له يا هذا من ربك وما دينك وفي رواية ياتيه
ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له وما دينك فيقول ديني الاسلام
فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان وما
يدريك فيقول قرات كتاب الله وامنت به وصدقت زاد فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول
الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ثم اتفقا قال فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فافرشوه
في الجنة فياتيه من ريحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره وان كان الكافر فذكر موته قال فتعاد روحه في
جسده وياتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان ما
دينك فيقول هاه هاه لا ادري فينادي مناد من السماء ان قد كذب عبدي فافرشوه من النار وافتحوا
له بابا من النار فياتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه زاد في رواية ثم
يقيض اعمى ابكم اصم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبلا لصار ترابا فيضربه بها ضربة يسمعها
ما بين المشرق والمغرب الا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح اخرجه ابو داود عن عثمان بن عفان
رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا
لاخيكم واسئلوا له التثبيت فانه الان يسئل اخرجه ابو داود عن عبد الرحمن بن شماسة المهري
قال حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت فبكى طويلا وحول وجهه الى الجدار فجعل يقول ابنه
ما يبكيك يا ابتاه اما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا فاقبل بوجهه وقال ان افضل
ما نعد شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر الحديث بطوله وفيه فاذا انا مت فلا تصحبني
نائحة ولا نار فاذا دفنتموني فشنوا علي التراب شنا ثم اقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم
لحمها حتى استانس بكم وانظر ماذا اراجع به رسل ربي اخرجه مسلم بزيادة طويلة فيه قيل المراد من التثبيت
بالقول الثابت هو ان الله تعالى انما ثبتهم في القبر بسبب كثرة مواظبتهم على الشهادة والحق في الحياة
الدنيا وحبهم لها فمن كان مواظبته على شهادة الاخلاص اكثر كان رسوخها في قلبه اعظم فينبغي للعبد

المسلم

المسلم ان يكثر من قول لا اله الا الله محمد رسول الله في جميع حالاته من قيامه وقعوده ونومه ويقظته وجميع
حركاته وسكناته فلعل الله عز وجل ان يرزقه ببركة مواظبته على شهادة الاخلاص التثبيت في القبر ويسهل
عليه جواب الملكين بما فيه من خلاصه من عذاب الاخرة نسال الله التثبيت في القبر وحسن الجواب وتسهيله
بفضله ومنه وكرمه واحسانه انه على ما يشاء قدير قوله عز وجل **ويضل الله الظالمين** يعني ان الله تعالى
لا يهدي المشركين للجواب بالصواب في القبر **ويفعل الله ما يشاء** يعني من التوفيق والخذلان والهداية والاضلال
والتثبيت وترك التثبيت لا اعتراض عليه في جميع افعاله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون **الم تر الى
الذين بدلوا نعمت الله كفرا** خ عن ابن عباس في قوله الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار قال
قال هم كفار اهل مكة وفي رواية قال هم والله كفار قريش قال عمرو هم قريش ومحمد نعمة الله واحلوا قومهم دار البوار
قال النار يوم بدر وعن علي رضي الله تعالى عنه قال هم كفار قريش نحروا يوم بدر وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية اما بنو المغيرة فقد كفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فقد متعوا الى
حين فقوله بدلوا نعمة الله كفرا معناه ان الله تعالى لما انعم على قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم فارسله اليهم وانزل
عليه كتابه ليخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان فاختاروا الكفر على الايمان وغيروا نعمة الله عليهم وقيل
يجوز ان يكون بدلوا نعمة الله عليهم كفرا لانه لما وجب عليهم الشكر بسبب هذه النعمة اتوا بالكفر فكانهم
غيروا الشكر وبدلوا بالكفر **واحلوا قومهم** يعني من معهم على دينهم وكفرهم **دار البوار** يعني دار الهلاك
ثم فسرها بقوله **جهنم يصلونها وبئس القرار** يعني المستقر **وجعلوا لله اندادا** يعني امثالا واشباها من الاصنام
ليس لله تعالى ند ولا شبيه ولا مثيل تعالى الله عن الند والشبيه والمثيل علوا كبيرا **ليضلوا عن سبيله**
يعني ليضلوا الناس عن طريق الهدى ودين الحق **قل تمتعوا** اي قل يا محمد لهولاء الكفار عيشوا في الدنيا اياما
قلائل **فان مصيركم الى النار** يعني في الاخرة **قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلاة** يعني يقيموا الصلاة الواجبة
واقامتها اتمام اركانها **وينفقوا مما رزقناهم** قيل اراد بهذا الانفاق اخراج الزكاة الواجبة
وقيل اراد به جميع الانفاق في جميع وجوه الخير والبر وحمله على العموم اولى لانه يدخل فيه اخراج الزكاة والانفاق
في جميع وجوه البر **سرا وعلانية** يعني ينفقون اموالهم في حال السر وحال العلانية وقيل اراد بالسر
صدقة التطوع وبالعلانية اخراج الزكاة الواجبة **من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه** قال ابو عبيدة البيع
هنا يعني الفداء في ذلك اليوم **ولا خلال** يعني ولا خلة يعني المودة والصداقة التي تكون بين اثنين
وقال مقاتل انما هو يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا مخالة ولا قرابة انما هي الاعمال اما ان يثاب بها او يعاقب
عليها **فان قلت** كيف نفى الخلة في هذه الاية وفي الاية التي في سورة البقرة واثبتها
في قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين **قلت** الاية الدالة على
نفي الخلة محمولة على نفي الخلة بسبب ميل الطبيعة ورعونة النفس والاية الدالة على حصول الخلة
وثبوتها محمولة على الخلة الحاصلة بسبب محبة الله تعالى الا تراه اثبتها للمتقين فقط ونفاها من
غيرهم وقيل ان ليوم القيامة احوالا مختلفة ففي بعضها يشتغل كل خليل عن خليله وفي بعضها يتعاطف
الاخلاء بعضها على بعض يعني اذا كانت تلك المخالة لله تعالى في محبته قوله تعالى **الله الذي خلق السموات
والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم** اعلم ان تفسير هذه الاية متقدم في مواضع
كثيرة ونذكر ههنا بعض فوايد هذه الاية الدالة على وجود الصانع المختار القادر الذي لا يعجزه شيء اراده
فقوله الله الذي خلق السموات والارض انما ذكر خلق السموات والارض لانهما اعظم المخلوقات المشاهدة

Copyright © King Saud University

الدالة على وجود الصانع الخالق القادر المختار وانزل من السماء ماء يعني السحاب سمي السحاب سماء لارتفاعه مشتق
من السمو وهو الارتفاع وقيل ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض فاخرج به اي بذلك الماء
من الثمرات رزقا لكم الثمر يقع على ما يحصل من الشجر وقد يقع على الزرع ايضا بدليل قوله من ثمره اذا اثمر
واتوا حقه يوم حصاده قوله من الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو الثمر وسخر لكم الفلك لتجري
في البحر بامره لما ذكر الله تعالى انعامه بانزال المطر واخراج الثمر لاجل الرزق والانتفاع بها ذكر نعمته على عباده
بتسخير السفن الجارية على الماء لاجل الانتفاع بها في جلب ذلك الرزق الذي هو الثمرات وغيرها من
بلد الى بلد اخر فهي من تمام نعم الله على عباده وسخر لكم الانهار يعني ذللها لكم تجرونها حيث شيتم ولما كان
ماء البحر لا ينتفع به في سقي الزرع والثمرات ولا في الشراب ذكر نعمته على عباده في تسخير الانهار وتفجير العيون
لاجل هذه الحاجة فهي من اعظم نعم الله على عباده وسخر لكم الشمس والقمر دائبين الداب العادة المستمرة دائما على
حالة واحدة ودائبين في السير دائما وعليه والمعنى ان الله سخر الشمس والقمر يجريان دائبان فيما يعود الى مصالح
العباد لا يفتران الى اخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا وذهابها قال ابن عباس رضي الله عنهما دؤوبهما في طاعة
الله عز وجل وقال بعضهم يدابان في طاعة الله اي في سيرهما وتاثيرهما في ازالة الظلمة واصلاح النبات
والحيوان لان الشمس سلطان النهار وبها يعرف فصول السنة والقمر سلطان الليل وبه يعرف انقضاء الشهور
وكل ذلك بتسخير الله عز وجل وانعامه على عباده وسخر لكم الليل والنهار يعني يتعاقبان في الضياء والظلمة
والنقصان والزيادة وذلك من انعام الله على عباده وتسخيره لكم واتاكم من كل ما سالتموه لما ذكر الانعام العظيمة
التي انعم بها على عباده وسخرها لكم بين بعد ذلك انه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل اعطى عباده من المنافع
والمرادات ما لا ياتي على بعضها العد والحصر والمعنى واتاكم من كل ما سالتموه شيا فحذف الشي الثاني اكتفا
بدلالة الكلام على التبعيض وقيل هو على التكثير يعني واتاكم من كل ما سالتموه وما لم تسالوه لان نعمه علينا
اكثر من ان تحصر وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها يعني ان نعم الله كثيرة على عباده فلا يقدر احد على حصرها
ولا عدها لكثرتها ان الانسان قال ابن عباس رضي الله عنه يريد ابا جهل وقال الزجاج هو اسم جنس ولكن يقصد
به الكافر لظلوم كفار يعني ظلوم لنفسه كفار بنعمة ربه وقيل الظلوم الشاكر لغير من انعم عليه فيضع الشكر في غير
موضعه كفار جحود لنعم الله عليه وقيل يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران بها وقيل ظلوم في الشدة
يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع قوله تعالى واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا يعني ذا امن يؤمن
فيه واراد بالبلد مكة **فان قلت** اي فرق بين قوله اجعل هذا البلد امنا وبين
قوله اجعل هذا بلدا امنا **قلت** الفرق بينهما انه تعالى في الاول لم يجعلها من جملة البلاد
التي يامن اهلها فيها ولا يخافون وسال في الثاني ان يخرج هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها
من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله امنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام يعني ابعدني وبني ان نعبد
الاصنام **فان قلت** قد توجه على هذه الاية اشكالات وهي من وجوه الاول ان
ابراهيم دعا ربه ان يجعل هذا البلد امنة ثم ان جماعة من الجبابرة وغيرهم قد اغاروا عليها واخافوا اهلها الوجه
الثاني ان الانبياء عليهم السلام معصومون من عبادة الاصنام وان كان كذلك فما الفائدة في قوله واجنبني
عن عبادتها الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام سال ربه ان يجنب بنيه من عبادة الاصنام وقد وجد
كثير من بنيه عبدوا الاصنام مثل كفار قريش وغيرهم ممن ينتسب الى ابراهيم عليه السلام **قلت**
الجواب عن هذه الوجوه المذكورة من وجوه الاول من وجهين احدهما ان ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بنا الكعبة

دعا

دعا بهذا الدعا والمراد منه جعل مكة امنة من الخراب وهذا موجود بحمد الله فلم يقدر احد على خراب مكة وورد
على هذا ما ورد في الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة
اخرجاه في الصحيحين واجيب عنه بان قوله اجعل هذا البلد امنا يعني الى قرب القيامة وخراب
الدنيا وقيل هو عام مخصوص بتخريب ذي السويقتين فلا تعارض بين النصين الوجه الثاني ان يكون
المراد بجعل هذا البلد امنا اي امنين وهذا الوجه عليه اكثر العلما من المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد اختص
اهل مكة بزيادة الامن في بلدهم كما اخبر الله تعالى بقوله ويتخطف الناس من حولهم واهل مكة امنين من ذلك
حتى ان من التجا الى مكة امن على نفسه وماله من ذلك وحتى الوحوش اذا كانت خارجة من الحرم استوحشت
فاذا دخلت الحرم امنت واستانست لعلمها انه لا يهيجها احد في الحرم وهذا القدر من الامن حاصل بحمد الله
تعالى بمكة وحرمها واما الجواب عن الوجه الثاني من وجوه ايضا الاول ان دعا ابراهيم عليه السلام لنفسه
لزيادة العصمة والتثبيت فهو كقوله واجعلنا مسلمين لك الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام وان
كان يعلم ان الله تعالى يعصمه من عبادة الاصنام الا انه دعا بهذا الدعا هضما للنفس واظهارا للعجز والحاجة
والفاقة الى فضل الله تعالى ورحمته ان احدا لا يقدر على نفع نفسه بشي لم ينفعه الله به فلهذا السبب دعا
لنفسه بهذا الدعا واما دعاه لبنيه وهو الوجه الثالث من الاشكالات فالجواب عنه من وجوه الاول
ان ابراهيم عليه السلام دعا لبنيه من صلبه ولم يعبد منهم احد صنما قط الوجه الثاني انه اراد اولاده
واولاد اولاده الموجودين حالة الدعا ولا شك ان ابراهيم عليه السلام قد اجيب فيهم الوجه الثالث
قال الواحدي دعا لمن اذن الله في ان يدعو له فكانه قال وبني الذي اذنت لي في الدعا لهم لان دعا الانبيا
مستجاب وقد كان من قبله من عبد الصنم فعلى هذا الوجه يكون الدعا من العام المخصوص الوجه الرابع
ان هذا مختص بالمومنين من اولاده والدليل عليه انه قال في اخر الاية فمن تبعني فانه مني وذلك
يفيد ان من لم يتبعه على دينه فليس منه والله اعلم بمراده واسرار كتابه قوله عز وجل رب انهن
يعني الاصنام اضللن كثيرا من الناس وهذا مجاز لان الاصنام جمادات لا تعقل شيا نقل من عبدها
الا انه لما حصل الاضلال بعبادتها اضيف اليها كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم وانما فتنوا بها
واغتروا بسببها فمن تبعني فانه مني يعني فمن تبعني على ديني واعتقادي فانه مني يعني المتدينين
بديني المتمسكين بحبلي وقيل معناه كما قال الشاعر اذا حاولت في اسد فجورا فاني لست منك ولست مني
اراد ولست من المتمسكين بحبلي وقيل معناه انه مني حكمه جار مجرى في القرب والاختصاص ومن عصاني
يعني في غير الدين فانك غفور رحيم قال السدي ومن عصاني فانك غفور رحيم وقال مقاتل ومن عصاني
باقامته على الكفر فانك غفور رحيم يعني انك قادر على ان تغفر له وترحمه بان تنقله من الكفر
الى الايمان والاسلام وتهديه الى الصواب قوله عز وجل اخبارا عن ابراهيم عليه السلام ربنا اني
اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم عن ابن عباس رضي الله عنه اول ما اتخذ النسا
المنطق من قبل ام اسماعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جا بها ابراهيم وبابنها اسماعيل
وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة احد يومئذ وليس بها
هنا ما ثم قفا ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسماعيل فقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي
الذي ليس فيه انيس ولا شي فقالت ذلك مرارا وجعلت لا يلتفت اليها فقالت الله امرك بهذا
قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم عليه السلام ثم دعا بهذه الدعوات فرفع يديه

Copyright © King Saud University

فقال ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسماعيل
ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الما حتى نفد ما في السقا فعطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى
وقيل يتلبط فانطلقت كراهة ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبلا في الارض يليها فقامت عليه ثم
استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت حتى بلغت الوادي رفعت طرف ذرعها ثم سعت سعي
المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع
مرات قال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما اشرفت على
الوادي سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت صوتا ايضا فقالت اسمعت ان كان عندك
غواث فاذا بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الما فجعلت تحوضه وتجعل بيديها
هكذا وجعلت تغرف من الما في سقايها وهو يفور بعد ما تغرف وفي رواية قدر ما تغرف قال ابن عباس رضي
الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسماعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الما لكانت
زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيتا لله تعالى
يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول فتاخذ
عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم او اهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كدا
فنزلوا في اسفل مكة فراوا طايرا عايفا فقالوا ان هذا الطاير ليدور على ما لعهدنا هذا الوادي وليس فيه
ما فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالما فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسماعيل عند الما فقالوا اتاذنين لنا ان
ننزل عندك فقالت نعم ولكن لا حق لكم في الما قالوا نعم قال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم
فالفى ذلك ام اسماعيل وهي تحب الانس فنزلوا فارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا اهل ابيات منهم
وشب الغلام وتعلم العربية منهم وكان انفسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه بامراة منهم وماتت ام
اسماعيل بعد ما تزوج اسماعيل فطالع تركته اخرجه البخاري باطول من هذا وقد تقدم الحديث بطوله
في تفسير سورة البقرة واما تفسير الاية فقوله ربنا اني اسكنت من ذريتي من للتبعيض اي بعض ذريتي
وهو اسماعيل عليه السلام بواد غير ذي زرع يعني وليس فيه زرع ومكة واد بين جبلين جبل ابي
قبيس وجبل اجياد ومكة في واد بينهما عند بيتك المحرم سماه محرما لانه يحرم عنده ما لا يحرم عند غيره
وقيل لان الله حرمه على الجبابرة فلم ينالوه بسوء وحرم التعرض له والتهاون به وبحرمته وجعل ما حوله
محرما لمكانه وشرفه وقيل لانه حرم على الطوفان بمعنى امتنع منه وقيل حرما لان الزاير ويحرمون
على انفسهم شيا كانوا يحلونه لا شيا كانت مباحة لهم من قبل وسمي عتيقا ايضا لانه اعتق
من الجبابرة ومن الطوفان **فان قلت** كيف قال عند بيتك المحرم ولم يكن
هناك بيت حينيذ وانما بناه ابراهيم عليه السلام بعد ذلك **قلت** يحتمل ان
الله اوحى اليه واعلمه ان هناك بيتا قد كان في سالف الزمان وانه سيعمر فلذلك قال عند بيتك المحرم
وقيل يحتمل ان يكون المعنى عند بيتك الذي كان ثم رفع عند الطوفان وقيل يحتمل ان يكون المعنى
عند بيتك الذي جرى في سابق علمك انه سيحدث في هذا المكان ربنا ليقيموا الصلاة اللام في ليقيموا
متعلقة باسكنت يعني اسكنت قوما من ذريتي وهم اسماعيل واولاده بهذا الوادي الذي لا زرع فيه ليقيموا
الصلاة اي لكي يقيموا الصلاة فاجعل افيدة من الناس قال البغوي رحمه الله سمع الوفد تهوي اليهم
اي تحن وتشتاق اليهم قال السدي رحمه الله امل قلوبهم الى هذا الوادي وقال ابن الجوزي افيدة من الناس اي

قلوب

قلوب جماعة من الناس فلهذا اجمله جمع فواد قال ابن الانباري رحمه الله تعالى وانما عبر عن القلوب بالافيدة
لقرب القلب من الفواد فجعل القلب والفواد جارحتين وقال رحمه الله الفواد القلب والجمع افيدة فجعلهما
جارحة واحدة ولفظة من في قوله من الناس للتبعيض قال مجاهد رحمه الله تعالى لو قال افيدة الناس لزاحمتهم فارس
والروم والترك والهند وقال سعيد بن جبير رحمه الله لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال افيدة من
الناس فهم المسلمون تهوي اليهم قال الاصمعي يقال هوى يهوي هويا اذا سقط من علو الى سفل وقال الفرا
تهوي اليهم تريدهم كما تقول رايت فلانا يهوي نحوك معناه يريدك وقال ايضا تهوي تسرع اليهم وقال ابن
الانباري رحمه الله معناه تنحط اليهم وتنحدر وتنزل هذا قول اهل اللغة في هذا الحرف واما قول المفسرين رحمهم الله
فقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد يحن اليهم لزيارة بيتك وقال قتادة تسرع اليهم وفي هذا بيان ان حنين
الناس اليهم انما هو لطلب حج البيت لا لاعيانهم وفيه دعا للمومنين بان يرزقهم حج البيت ودعا لسكان
مكة من ذريته لانهم ينتفعون بمن ياتي اليهم من الناس لزيارة البيت فقد جمع ابراهيم عليه السلام
في هذا الدعا من امر الدين والدنيا ما ظهر بيانه وعمت بركاته وارزقهم من الثمرات يعني كما رزقت سكان
القرى ذوات الما والزرع فيكون المراد عمارة قرى بقرب مكة لتحصل تلك الثمار وقيل يحتمل ان يكون المراد جلب الثمرات
الى مكة بطريق النقل والتجارة فهو كقوله يجبى اليه ثمرات كل شي وقوله لعلهم يشكرون يعني لعلهم يشكرون
هذه النعم التي انعمت بها عليهم وقيل معناه لعلهم يوحدونك ويعظمونك وفيه دليل على ان تحصيل منافع
الدنيا انما هي ليستعين بها على اداء العبادات واقامة الطاعات ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن يعني
تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه والمعنى انك تعلم احوالنا وما يصلحها وما يفسدها وانت
ارحم الراحمين بنا فلا حاجة بنا الى الدعا والطلب انما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا
لعزتك وافتقارا الى ما عندك وقيل معناه تعلم ما نخفي من الوجد بفرقة اسماعيل وامه حيث اسكنتهما
بواد غير ذي زرع وما نعلن من البكا وقيل ما نخفي يعني من الخوف المتمكن في القلب وما نعلن يعني ما جرى بينه
وبين هاجر عند الوداع حين قالت لابراهيم عليه السلام حين قالت الى من تكلنا قال الى الله قالت اذا
لا يضيعنا وما يخفى على الله من شي في الارض ولا في السما قيل هو من تتمة قول ابراهيم عليه السلام يعني وما
يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شي في كل مكان وقال الاكثرون انه من قول الله تعالى تصديقا لابراهيم
فيما قال فهو كقوله وكذلك يفعلون الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق قال ابن عباس
رضي الله عنهما ولد اسماعيل لابراهيم عليه السلام وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحاق وهو ابن
مايه وسبعة عشر سنة ومعنى قوله على الكبر لان هبة الولد في هذا السن من اعظم المنن لانه من الياس
من الولد فلهذا شكر الله على هذه النعمة الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق **فان
قلت** كيف جمع بين اسماعيل واسحاق في الدعا في وقت واحد وانما بشر به باسحاق
بعد اسماعيل بزمان طويل **قلت** يحتمل ان ابراهيم عليه السلام انما اتى بهذا
الدعا بعد ما بشر باسحاق وذلك انه لما عظمت المنة على قلبه بهبة ولدين عظيمين عند كبره قال عند ذلك
الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق ولا يرد على هذا ما ورد في حديث انه دعا بقوله
ربنا اني اسكنت من ذريتي الى قوله لعلهم يشكرون اذا ثبت هذا فيكون قوله الحمد لله الذي
وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق في وقت اخر والله اعلم بحقيقة الحال ان ربي لسميع الدعا
كان ابراهيم عليه السلام قد دعا ربه وساله الولد بقوله رب هب لي من الصالحين فلما استجاب

الله دعاءه ووهبه ما سأل شكر الله على ما اكرمه به من اجابة دعايه فعند ذلك قال الحمد لله الذي وهب
لي على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربي لسميع الدعاء وهو من قولك ان الملك سمع كلام فلان اذا اعتد به
وقبله رب اجعلني مقيم الصلاة يعني من يقيم الصلاة باركانها ويحافظ عليها في اوقاتها ومن ذريتي
اي واجعل من ذريتي من يقيم الصلاة وانما ادخل لفظة من التي هي للتبعيض في قوله ومن ذريتي لانه علم
باعلام الله اياه انه قد يوجد من ذريته جمع من الكفار لا يقيمون الصلاة فلهذا قال ومن ذريتي ربنا وتقبل
دعاء سأل ابراهيم عليه السلام ان يتقبل دعاءه فاستجاب الله لابراهيم عليه السلام وقبل دعاءه بفضله
وكرمه ربنا اغفر لي **فان قلت** طلب المغفرة من الله انما يكون لسابق ذنب قد سلف
حتى يطلب المغفرة من ذلك الذنب وقد ثبتت عصمة الانبياء عليهم السلام من الذنوب فما وجه طلب المغفرة له
قلت المقصود منه الالتجاء الى الله سبحانه وتعالى وقطع الطمع من كل شيء الا من فضله وكرمه
ومنه والاعتراف بعبودية لله تعالى والاتكال على رحمته ولوالدي **فان قلت** كيف
استغفر ابراهيم عليه السلام لابويه وكانا كافرين **قلت** اراد انهما ان اسلما وتابا
وقيل انما قال ذلك قبل ان يتبين له انهما من اصحاب الجحيم وقيل ان امه اسلمت فدعا لها وقيل اراد بوالديه
آدم وحوى عليهما السلام قوله وللمؤمنين يوم يقوم الحساب اي يبدو ويظهر فيه الحساب وقيل اراد يوم يقوم الناس
فيه للحساب فاكتفى بذلك اي بذكر الحساب لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله تعالى لا يرد دعاء
خليله ابراهيم عليه السلام ففيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة قوله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما
يعمل الظالمون الغفلة معنى يمنع الانسان من الوقوف على حقائق الامور وقيل هي حقيقة الغفلة سهو
يعتري الانسان من قلة التحفظ والتيقظ وهذا في حق الله تعالى محال فلا بد من تاويل الاية فالمقصود منه
ان الله تعالى ينتقم من الظالم للمظلوم ففيه وعيد وتهديد للظالم واعلام له بان لا يعامله معاملة الغافل عنه بل ينتقم
ولا يتركه مغفلا قال سفيان بن عيينة فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم **فان قلت**
تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اعلم الناس به انه لم يكن غافلا حتى قيل
له ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون **قلت** ان هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فيه وجهان احدهما التثبيت على ما كان عليه انه لا يحسب الله غافلا فهو كقوله ولا تكونن من المشركين ولا
تدع مع الله الها اخر وكقوله يا ايها الذين آمنوا اي اثبتوا على ما انتم عليه من الايمان الوجه الثاني ان المراد بالنهي
عن حسبانه غافلا الاعلام بانه تعالى عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شيء وانه ينتقم منهم فهو على سبيل الوعيد
والتهديد لهم بمعاملة الرقيب الحفيظ عليهم المحاسب لهم على الصغير والكبير وان كان الخطاب لغير النبي صلى الله عليه
وسلم فلا اشكال فيه ولا سؤال لان اكثر الناس غير عارفين بصفات الله فمن جوز ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته
قوله عز وجل انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار يقال شخص بصر الشخص اذا بقيت عيناه مفتوحتان لا ينطبق
فيهما او شخص البصر يدل على الحيرة والدهشة من هول ما يرى في ذلك اليوم مهطعين قال قتادة رحمه الله مسرعين
وهذا قول ابي عبيد فعلى هذا المعنى ان الغالب من حال من يبقى بصره شاخصا من شدة الخوف فانه يبقى
واقفا باهتا فبين الله تعالى في هذه الاية ان احوال اهل الموقف يوم القيامة بخلاف الحال المعتاد فاخبر
انهم مع شخوص الابصار يكونوا مهطعين يعني مسرعين نحو الداعي وقيل المهطع الخاضع الذليل مقنعي رؤسهم
الاقناع رفع الراس الى فوق فاهل الموقف من صفتهم انهم رافعوا رؤوسهم الى السماء وهذا بخلاف المعتاد
لان من توقع البلاء فانه يطرق ببصره الى الارض ولا ينظر احد الى احد لا يرتد اليهم طرفهم اي لا يرجع اليهم

ابصارهم

ابصارهم من شدة الخوف فهي شاخصة لا ترتد اليهم قد شغلهم ما بين ايديهم وافئدتهم هواء اي خالية قال
قتادة رحمه الله خرجت قلوبهم من صدورهم فصارت في حناجرهم فلا تخرج من افواههم ولا تعود الى اماكنها
ومعنى الاية ان افئدتهم خالية فارغة لا تعي شيئا ولا تعقل من شدة الخوف وقال سعيد بن جبير
وافئدتهم هواء يعني مترددة تهوي في اجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه ومعنى الاية ان القلوب
يومئذ زائلة عن اماكنها والابصار شاخصة والرؤوس مرفوعة الى السماء من هول ذلك اليوم وشدته
وانذر الناس يعني وخوف الناس يا محمد يوم القيامة وهو قوله عز وجل يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين
ظلموا يعني الذين ظلموا انفسهم بالشرك والمعاصي ربنا اخرنا الى اجل قريب يعني امهلنا مدة يسيرة قال
بعضهم طلبوا الرجوع الى الدنيا حتى يؤمنوا فيه نفعهم ذلك وهو قوله تعالى نجب دعوتك ونتبع الرسل
فاجيبوا بقوله اولم تكونوا اقسمتم من قبل يعني في دار الدنيا ما لكم من زوال يعني ما لكم عنها انتقال ولا بعث
ولا نشور وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم يعني بالكفر والمعاصي ممن كان قبلكم من كفار الامم الخالية
كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم يعني وقد عرفتم كيف عقوبتنا اياهم وضربنا
لكم الامثال يعني الامثال التي ضربها الله عز وجل في القرآن ليتدبروها ويعتبروا بها فيجب على كل من
شاهد احوال الماضين من الامم الخالية والقرون الماضية وعلم ما جرى لهم وكيف هلكوا ان يعتبر بهم ويعمل
في خلاص نفسه من العذاب والهلاك وقد مكروا مكرهم اختلفوا في الضمير الى من يعود في قوله وقد مكروا فقيل
يعود الى الذين سكنوا في مساكن الذين ظلموا انفسهم وهذا القول صحيح لان الضمير يجب عوده الى اقرب مذكور
وقيل ان المراد بقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الاية والمعنى وانذر الناس يا محمد يوم ياتيهم
العذاب يعني بسبب كفرهم وعند الله مكرهم يعني جزاء مكرهم مثبت عند الله ليجازيهم به يوم القيامة
وان كان مكرهم لتزول منه الجبال يعني وان كان مكرهم لاضعف من ان تزول منه الجبال وقيل معناه ان
مكرهم لا يزيل امر محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو ثابت كثبوت الجبال وقد حكي عن علي بن ابي طالب في الاية
قولا اخر وهو انها نزلت في نمرود الجبار الذي حاج ابراهيم في ربه فقال نمرود ان كان ما يقوله ابراهيم
حقا فلا انتهي حتى اصعد الى السماء فاعلم ما فيها فعمد الى اربعة افراخ من النسور فرباهن حتى شببن وكبرن
واتخذ تابوتا من خشب وجعل له بابا من اعلى وبابا من اسفل ثم خرج النسور ونصب خشبات اربع
في اطراف التابوت وجعل على رؤوس تلك الخشبات لحما احمر وقعد هو في التابوت وانفذ معه رجل اخر
وامر بالنسور فربطت في اطراف التابوت من اسفل فجعلت النسور كلما رات اللحم رغبت فيه وطارت اليه
فطارت النسور يوما اجمع حتى بعدت في الهوى فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الاعلى وانظر الى السماء
هل قربنا منها ففتح ونظر فقال له ان السماء كهيئتها فقال له افتح الباب الاسفل فانظر الى الارض كيف
تراها ففعل فقال ارى الارض مثل اللجة والجبال مثل الدخان قال فطارت النسور يوما اخر وارتفعت
حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الاعلى ففتح فاذا السماء كهيئتها
وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة ونودي ايها الطاغية اين تريد قال عكرمة وكان معه في
التابوت غلام قد حمل القوس والنشاب فاخذ منه القوس ورمى بسهم فعاد اليهم السهم ملطخا بدم سمكة
قذفت بنفسها في بحر في الهوى وقيل ان طائرا اصابه السهم فلما رجع السهم ملطخا بالدم قال كفيت اله
السماء ثم امر نمرود صاحبه ان يصوب الخشبات الى اسفل وينكس اللحم فهبطت النسور بالتابوت
فسمعت الجبال خفيق التابوت والنسور ففزعت وظنت ان قد حدث حدث من السماء وان الساعة

Copyright © King Saud University

قد قامت فكادت تزول عن اماكنها فذلك قوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال استبعد بعض العلما
هذه الحكاية وقال ان الخطر فيه عظيم ولا يكاد عاقل ان يقدر على مثل هذا الامر العظيم وليس فيه خبر
صحيح يعتمد عليه ولا مناسبة لهذه الحكاية بتاويل الاية البتة فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله يعني فلا
تحسبن الله يا محمد مخلف ما وعد به رسله من النصر واعلا الكلمة واظهار الدين فانه ناصر رسله واوليايه
ومهلك اعدايه وفيه تقديم وتاخير تقديره فلا تحسبن الله مخلف وعده ان الله عزيز اي غالب ذو انتقام
يعني من اعدايه قوله عز وجل يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ذكر المفسرون في معنى هذا التبديل قولين احدهما
انه تبديل صفة الارض والسما لا ذاتهما فاما تبديل الارض فتتغير صفتها وهيئتها مع بقا ذاتها وهو ان تندك
جبالها وتستوي وهادها واوديتها وتذهب اشجارها وجميع ما عليها من عمارة وغيرها لا يبقى على وجهها شي
الا ذهب وتمد مد الاديم واما تبديل السما فهو ان تنتثر كواكبها وتطمس شمسها وقمرها ويكوران وكونها تارة
تارة كالدهان وتارة كالمهل وبهذا القول قال جماعة من العلما ويدل على صحة هذا القول ما روي عن سهل بن
سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ارض بيضا عفرا كقرصة النقي ليس بها علم
لاحد اخرجاه في الصحيحين العفرا بالعين المهملة وهي بيضا الى حمرة ولهذا شبهها بقرصة النقي وهو الخبز الابيض
الفايق المايل الى حمرة كان النار ميلت بياض وجهه الى حمرة وقوله ليس بها علم لاحد يعني ليس فيها علامة لتبديل
هيئاتها وزوال جبالها وجميع نباتها ولم يبق فيها اثر يستدل به والقول الثاني هو تبديل ذوات الارض
والسما وهذا قول جماعة من العلما ثم اختلفوا في معنى هذا التبديل فقال ابن مسعود في معنى هذه الاية
قال تبدل الارض بارض كالفضة البيضا نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل بها خطية وقال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه الارض من فضة والسما من ذهب وقال ابي بن كعب في معنى التبديل بان تصير الارض نيرانا
والسما جنانا وقال ابو هريرة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي تبدل الارض خبزة بيضا ياكل المومن من تحت
قدميه عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون الارض خبزة واحدة يوم القيمة
يتكفاها الجبار بيده كما يتكفا احدكم خبزته في السفر نزلا لاهل الجنة اخرجه في الصحيحين بزيادة فيه قال الشيخ
محيي الدين النووي في شرح هذا الحديث اما النزل فبضم النون والزاي ويجوز اسكان الزاي وهو ما يعد للضيف
عند نزوله واما الخبزة فبضم الخا وقال اهل اللغة هي الظلمة التي توضع في الملة ويتكفاها بالتا مثناة اي يميلها
من يد الى يد حتى تجتمع وتستوي لانها ليست منبسطة كالرقاقة وقد تقدم الكلام في المبدا حتى الله
تعالى وتاويله مع القطع باستحالة الجارحة ليس كمثله شي ومعنى الحديث ان الله تعالى يجعل الارض كالظلمة
او الرغيف العظيم يكون طعاما نزلا لاهل الجنة والله على كل شي قدير **فان قلت**
اذا فسرت التبديل بما ذكرت فكيف يمكن الجمع بينه وبين قوله تعالى يومئذ تحدث اخبارها وهو ان تحدث
بكل ما عمل عليها **قلت** وجه الجمع بين الايتين ان الارض تبدل اولا صفتها مع
بقا ذاتها كما تقدم فحينيذ تحدث اخبارها ثم بعد ذلك تبدل الغير ذلك تبديلان وهو ان تبدل ذاتها
بغيرها كما تقدم ايضا ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن عايشة قالت سالت رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فاين تكون الناس يومئذ يا رسول
الله فقال على الصراط اخرجه مسلم وروى ثوبان ان حبرا من اليهود سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض قال هم في الظلمة دون الجسر ذكره البغوي بغير سند ففي هذين
الحديثين دليل على ان تبديل الارض ثاني مرة يكون بعد الحساب والله اعلم بمراده وقوله تعالى وبرزوا

يعني

يعني وخرجوا من قبورهم لله يعني لحكم الله والوقوف بين يديه للحساب الواحد القهار صفتان لله تعالى فالواحد الذي
لا ثاني له ولا شريك معه المنزه عن الشبه والضد والند القهار الذي يقهر عباده على ما يريده ويفعل ما يشا
ويحكم ما يريد قوله تعالى وترى المجرمين يومئذ مقرنين يعني مشدودين بعضهم الى بعض يقال قرنت
الشي بالشي شددته معه برباط واحد في الاصفاد يعني في القيود والاغلال قال ابن عباس يقرن كل كافر
مع شيطان في سلسلة وقال ابو زيد ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاصفاد وهي القيود وقال ابن قتيبة
يقرن بعضهم الى بعض سرابيلهم يعني قمصهم واحدها سربال وقيل السربال كلما لبس من قطران القطران
دهن يتحلب من شجر الابهل والعرعر والتوت كالزفت تدهن به الابل اذا جربت وهو الهنا يقال
هنات البعير اهنوه بالهنا وهو القطران قال الزجاج وانما جعل لهم القطران سرابيل لانه يبالغ
في اشتعال النار في الجلود ولو اراد الله المبالغة في احراقهم بغير ذلك لقدر ولكنه حذرهم ما يعرفون
وقرا عكرمة ويعقوب من قطر آن على كلمتين فالقطر النحاس المذاب وآن الذي انتهى حره وتغشى وجوههم
النار يعني تعلوها وتجللها ليجزي الله كل نفس ما كسبت يعني من خير او شر ان الله سريع الحساب
يعني اذا حاسب عباده يوم القيامة هذا بلاغ للناس يعني هذا القران فيه تبليغ وموعظة للناس
ولينذروا به يعني وليخوفوا بالقران ومواعظه وزواجره وليعلموا انما هو اله واحد يعني وليستدلوا
بهذه الايات على وحدانية الله تعالى وليذكر اولوا الالباب يعني وليتعظ بهذا القران وما فيه
من المواعظ اولوا العقول والافهام الصحيحة فانه موعظة لمن اتعظ والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الحجر

مكية باجماعهم وهي تسع وتسعون اية وستمائة واربع وخمسون كلمة والفان
وسبعمائة حرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الر تلك ايات الكتاب وقران مبين تلك اشارة الى ما
تضمنته السورة من الايات والمراد بالكتاب وبالقران المبين الكتاب الذي وعد الله محمدا صلى الله عليه
وسلم وتنكير القران للتفخيم والتعظيم والمعنى تلك ايات تلك الكتاب الكامل في كونه كتابا وفي كونه قرانا
واي قران كانه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان وقيل المراد بالكتاب التوراة والانجيل
لانه عطف القران على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه وهذا القول ليس بالقوي لانه لم
يجر للتوراة والانجيل ذكر حتى يشار اليهما والمراد بالكتاب القران وانما جمع بين وصفين وان كان الموصوف
واحدا لما في ذلك الكتاب من الفايدة وهي التفخيم والتعظيم والمبين الذي يبين الحلال من الحرام والحق
من الباطل ربما قرئ بالتخفيف والتشديد وهما لغتان ورب للتقليل وكم للتكثير وانما زيدت
ما مع رب ليليها الفعل تقول رب رجل جاءني وربما جاءني زيد وان شيت جعلت ما بمنزلة شي
فيكون المعنى رب شي يود الذين كفروا وقيل ما في ربما بمعنى حين اي رب حين يود يعني يتمنى الذين
كفروا لان التمني هو تشهي حصول ما يوده واختلف المفسرون في الوقت الذي يتمنى الذين
كفروا لو كانوا مسلمين على قولين احدهما ان ذلك يكون عند معاينة العذاب ووقت الموت فحينيذ
يعلم الكافر انه كان على الضلال فيتمنى لو كان مسلما وذلك عند لا ينفعه التمني قال الضحاك
وهو عند حالة المعاينة والقول الثاني ان هذا التمني يكون في الاخرة وذلك حين يعاينون اهوال
يوم القيامة وشدايده وما يصيرون اليه من العذاب فحينيذ يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين
قال الزجاج ان الكافر كلما راى حالا من احوال المسلم ود لو كان مسلما وقيل اذا راى الكافر ان الله
تعالى يرحم المسلمين ويشفع بعضهم في بعض حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فحينيذ

Copyright © King Saud University

يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين والقول المشهور ان ذلك التمني حين يخرج الله المومنين من النار عن ابي
موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اجتمع اهل النار في النار ومعهم من شاء الله من اهل القبلة
قال الكفار لمن في النار من اهل القبلة الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وانتم معنا في النار
قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيغضب الله لهم بفضل رحمته فيامر لكل من كان من اهل القبلة في النار فيخرجون
منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذكره بغير سند وكذا ذكره ابن الجوزي وقال ذهب اليه ابن عباس في رواية
عنه وانس بن مالك ومجاهد وعطاء وابو العالية وابراهيم النخعي **فان قلت** رُبَّ
انما وضعت للتقليل وتمني الذين كفروا لو كانوا مسلمين يكثر يوم القيامة فكيف قال ربما يود الذين كفروا
لو كانوا مسلمين قال صاحب الكشاف هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما
ندم الانسان على فعله ولا يشكون في ندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا
فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما
يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما يتحرزون من الكثير وقال غيره ان هذا التقليل ابلغ في التهديد
ومعناه يكفيك قليل الندم في كونه زاجرا لك عن هذا الفعل فكيف بكثيره وقيل ان شغلهم بالعذاب
لا يفرغهم للندامة انما يخطر ذلك ببالهم **فان قلت** رُبَّ لا تدخل الا على الماضي
فكيف قال ربما يود الذين وهو في المستقبل **قلت** لان المترقب في اخبار الله تعالى
بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قال ربما ود وقال تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا يعني
يا محمد دع هولاء الكفار ياكلوا في دنياهم ويتمتعوا بلذاتها ويلههم الامل يعني ويشغلهم طول الامل عن
الايمان والاخذ بطاعة الله فسوف يعلمون يعني اذا وردوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا
فيه تهديد ووعيد لمن اخذ بحظه من الدنيا ولذاتها ولم ياخذ بحظه من طاعة الله عز وجل قال
بعض اهل العلم ذرهم تهديد وفسوف يعلمون تهديد اخر فمتى يهنأ العيش بين تهديدين وهذه الاية
منسوخة باية القتال وفي الاية دليل على ان ايثار التلذذ والتنعم في الدنيا يودي الى طول الامل وذلك
من اخلاق المومنين قال علي بن ابي طالب انما اخشى عليكم اثنين طول الامل واتباع الهوى فان طول
الامل ينسي الاخرة واتباع الهوى يصد عن الحق وما اهلكنا من قرية واراد اهلاك الاستيصال الا ولها
كتاب معلوم اي اجل مضروب ووقت معين لا يتقدم العذاب عليه ولا يتاخر عنه ولا ياتيهم الا في الوقت
الذي حد لهم في اللوح المحفوظ ما تسبق من امة اجلها من زايدة في قوله من امة كذلك ما جاني من احد وقيل
هي على اصلها لانها تفيد التبعيض لهذا الحكم فيكون ذلك في افادة عموم النفي اكد ومعنى الاية ان الاجل
المضروب لهم وهو وقت الموت او نزول العذاب لا يتقدم ولا يتاخر عنهم وما يستاخرون وانما ادخل
الهاء في اجلها لارادة الامة واخرجها من قوله وما يستاخرون لارادة الاجال قوله عز وجل وقالوا يعني مشركي
مكة وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر يعني القران وارادوا به محمدا صلى الله عليه وسلم انك لمجنون انما نسبوه
الى الجنون لانه صلى الله عليه وسلم كان يظهر عليه عند نزول الوحي عليه ما يشبه الغشي فظنوا ان ذلك
جنونا فلهذا السبب نسبوه الى الجنون وقيل ان الرجل اذا سمع كلاما مستغربا من غيره فربما نسبه الى
الجنون ولما كانوا يستبعدون قوله رسولا من عند الله واوحي بهذا القران العظيم انكروه ونسبوه الى
الجنون وانما قالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر على طريق الاستهزا وقيل معناه يا ايها الذي نزل عليه الذكر
في زعمه واعتقاده اصحابه واتباعه انك لمجنون في ادعائك الرسالة لوما قال الزجاج والفرا لوما ولولا

لغتان ومعناهما هلا تاتينا بالملايكة يعني يشهدون لك بانك رسول من عند الله حقا ان كنت من الصادقين
يعني في ادعائك ما ننزل الملايكة الا بالحق يعني بالعذاب ووقت الموت وهو قوله وما كانوا اذا منظرين
يعني لو نزلت الملايكة اليهم لم يمهلوا ولم يوخروا ساعة واحدة وذلك ان كفار مكة كانوا يطلبون من رسول
الله صلى الله عليه وسلم انزال الملايكة عيانا فاجابهم الله عز وجل بهذا والمعنى لو نزلوا عيانا لزال
عن الكفار الامهال وعذبوا في الحال ان لم يومنوا ويصدقوا انا نحن نزلنا الذكر يعني القران انزلناه عليك
يا محمد انما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر جوابا لقولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر فاخبر الله عز وجل انه
هو الذي نزل الذكر على محمد صلى الله عليه وسلم وانا له لحافظون الضمير في له يرجع الى الذكر يعني وانا
للذكر الذي انزلناه على محمد صلى الله عليه وسلم لحافظون يعني من الزيادة فيه والنقص منه والتغيير
والتبديل والتحريف فالقران العظيم محفوظ من هذه الاشيا كلها لا يقدر احد من جميع الخلق من الجن
والانس ان يزيد فيه او ينقص منه حرفا واحدا او كلمة واحدة وهو مختص بالقران العظيم بخلاف ساير الكتب
المنزلة فانه قد دخل في بعضها التحريف والتبديل فالقران العظيم محفوظ من هذه الاشيا كلها والزيادة
والنقصان ولما تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقي مصونا على الابد محروسا من الزيادة
والنقصان قال ابن السايب ومقاتل الكناية في له راجعة الى النبي صلى الله عليه وسلم
يعني وانا لمحمد لحافظون ممن اراده بسوء فهو كقوله والله يعصمك من الناس ووجه هذا القول
ان الله تعالى لما ذكر الانزال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحسن
صرف الكناية فكان التنزيل امرا معلوما الا ان القول الاول اشهر واصح وهو قول الاكثرين
لانه اشبه بظاهر القران وهو الاصح واختلفوا في كيفية حفظ الله عز وجل للقران فقال بعضهم
حفظه بان جعله معجزا باينا لكلام البشر فعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لانهم
لو ارادوا النقصان فيه الزيادة فيه والنقصان منه لتغير نظمه وظهر ذلك لكل عالم عاقل من المعارضة
فلم يقدر احد من الخلق ان يعارضه وقال اخرون بل اعجز الله الخلق عن ابطاله وافساده بوجه من
الوجوه فقيض الله له العلما الراسخين يحفظونه ويذبون عنه الى اخر الدهر لان دواعي جماعة من
الملاحدة واليهود متوفرة على ابطاله فلم يقدروا على ذلك بحمد الله تعالى قوله تعالى ولقد ارسلنا
من قبلك في شيع الاولين لما جرى كفار مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاطبوه بالسفاهة
وهو قولهم انك لمجنون واساوا الادب عليه فاخبر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
ان عادة الكفار في قديم الزمان مع انبيايهم كذلك فلك يا محمد اسوة في الصبر على اذى
قومك بجميع الانبيا ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وفي الاية محذوف تقديره ولقد
ارسلنا رسلا من قبلك يا محمد فحذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه وقوله تعالى في شيع
الاولين الشيعة هم القوم المجتمعة المتفقة كلمتهم وقال الفرا الشيعة هم الاتباع وشيعة
الرجل اتباعه وقيل الشيعة من يتقوى بهم الانسان وينشرون عنه فقوله في شيع
الاولين من باب اضافة الصفة الى الموصوف كذلك نسلكه في قلوب المجرمين السلوك النفاذ
في الطريق والدخول فيه والسلك ادخال الشي في الشي كادخال الخيط في المخيط ومعنى
الاية كما سلكنا الكفر والتكذيب والاستهزا في قلوب شيع الاولين كذلك نسلكه في قلوب
المجرمين يعني مشركي مكة وفيه رد على القدرية والمعتزلة وهي ابين اية في ثبوت القدر

Copyright © King Saud University

لمن اذعن للحق ولم يعاند فقال الواحدي قال اصحابنا اضاف الله الى نفسه ادخال الكفر في قلوب الكفار
وحسن ذلك منه فمن امن بالقران فليستحسنه وقال الامام فخر الدين الرازي احتج اصحابنا بهذه الاية
على انه تعالى يخلق الباطل والضلال في قلوب المجرمين قالت المعتزلة لم يجي للضلال والكفر ذكر
فيما قبل هذا اللفظ فلا يمكن ان يكون الضمير عايدا عليه واجيب عنه بانه تعالى قال وما ياتيهم
من رسول الا كانوا به يستهزءون كالضمير في قوله كذلك نسلكه عايدا اليه والاستهزا بالانبيا كفر
وضلال فثبت صحة قولنا ان المراد من قوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين انه الكفر والضلال والله اعلم
وقوله تعالى لا يؤمنون به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل بالقران وقد خلت سنة الاولين
فيه وعيد وتهديد لكفار مكة يخوفهم ان ينزل بهم ما نزل بالامم الماضية المكذبة للرسل والمعنى
وقد مضت سنة الله باهلاك من كذب الرسل من الامم الماضية واحذروا يا اهل مكة ان يصيبكم مثل
ما اصابهم من العذاب ولو فتحنا عليهم بابا من السما فظلوا فيه يعرجون يعني ولو فتحنا على هولا الذين
قالوا ما تاتينا بالملايكة بابا من السما فظلوا يقال ظل فلان يفعل كذا اذا فعله بالنهار كما يقال بات يفعل
كذا اذا فعله بالليل فيه يعني في ذلك الباب يعرجون يعني يصعدون والمعارج والمصاعد والمراقي
اليه بقوله فظلوا فيه يعرجون قولان احدهما ان الملايكة وهو قول ابن عباس والضحاك والمعنى
لو كشف عن ابصار هولا الكفار فراوا بابا في السما مفتوحا والملايكة تصعد منه لما امنوا والقول
الثاني انهم المشركون وهو قول قتادة والحسن والمعنى فظل المشركون يصعدون في ذلك الباب فينظروا
الى ملكوت السموات وما فيها من الملايكة لما امنوا لفسادهم وكفرهم ولقالوا انا سحرنا وهو قوله تعالى
لقالوا انما سكرت ابصارنا قال ابن عباس سكرت ابصارنا ماخوذ من سكر النهر اذا حبس ومنع من الجري وقيل
من سكر الشراب والمعنى ان ابصارهم حارت ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع للرجل السكران من
تغيير العقل وفساد النظر وقيل سكرت بمعنى غشيت ابصارنا وسكنت عن النظر واصله من السكور يقال
سكرت عينه اذا تحيرت وسكنت عن النظر بل نحن قوم مسحورون يعني سحرنا محمد وعمل فينا سحره وحاصل الاية
ان الكفار لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم الملايكة فيروهم عيانا لما امنوا ولقالوا
سحرنا لما سبق لهم في الازل من الشقاوة قوله عز وجل ولقد جعلنا في السما بروجا يعني البروج التي تنزلها
الشمس في سيرها واحدها برج وهي بروج الفلك الاثنا عشر برجا وهي الحمل والثور والجوزا والسرطان
والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وهذه البروج مقسومة
على ثمانية وعشرين منزلا لكل برج منزلان وثلث منزل وقد تقدم ذكر منازل القمر في سورة يونس
وهي البروج مقسومة على ثلاث مائة وستون درجة لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس
في كل سنة مرة وبها تتم دورة الفلك ويقطعها القمر في ثمانية وعشرين يوما قال ابن عباس في هذه
الاية يريد بروج الشمس والقمر يعني منازلهما وقال ابن عطية هي قصور في السما عليها الحرس وقال
الحسن ومجاهد وقتادة هي النجوم العظام قال ابو اسحاق يريدون نجوم هذه البروج وهي نجوم على
ما صورت به وسميت واصل هذا كله من الظهور وزيناها يعني السما بالشمس والقمر والنجوم للناظرين
يعني المعتبرين المستدلين بها على توحيد خالقها وصانعها وهو الله الذي اوجد كل شي وخلقه وصوره
وحفظناها يعني السما من كل شيطان رجيم اي مرجوم فعيل بمعنى مفعول وقيل ملعون مطرود
من رحمة الله قال كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها وياتون باخبارها

الى

الى الكهنة فيلقونها اليهم فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من
السموات اجمع فما منهم من احد ان يسترق السمع الا رمي بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك لابليس
فقال لقد حدث في الارض حدث فبعثهم ينظرون فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القران فقالوا
هذا والله حدث الا من استرق السمع هذا استثنا منقطع معناه لكن من استرق السمع فاتبعه اي لحقه
شهاب مبين والشهاب شعلة من نار ساطع سمي الكوكب شهابا لاجل ما فيه من البريق شبه بشهاب النار
قال ابن عباس في قوله الا من استرق السمع يريد الخطفة اليسيرة وذلك ان الشياطين يركب بعضهم
بعضا الى السما يسترقون السمع من الملايكة فيرمون بالكواكب فلا تخطي ابدا فمنهم من تقتله ومنهم من
تحرق وجهه او جنبه او يده او حيث يشا ومنهم من تخبله فيصير غولا يضل الناس في البوادي خ عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السما ضربت الملايكة باجنحتها
خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذي قال الحق
وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع هكذا بعضه فوق بعض ووصف سفيان بكفه فحرفها
وبدد بين اصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الاخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان
الساحر والكاهن فربما ادركه الشهاب قبل ان يلقيها وربما القاها قبل ان يدركه فيكذب معها
مائة كذبة فيقال له اليس قد قال لنا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السما

فصل

اختلف العلما هل كانت الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ام لا على قولين
احدهما انها لم يكن يرمى بالنجوم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانما ظهر ذلك في بدو امره فكان ذلك
اساسا لنبوته صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابن عباس قال انطلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم في طايفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين
وبين خبر السما وارسلت عليهم الشهب اخرجاه في الصحيحين فظاهر هذا الحديث يدل على ان هذا الرمي
بالشهب لم يكن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فلما بعث حدث هذا الرمي ويعضده ما روي ان يعقوب
ابن عتبة بن المغيرة بن الاخنس بن شريق قال اول من فزع بالرمي بالنجوم هذا الحي من ثقيف وانهم
جاوا الى رجل منهم يقال له عمرو بن امية احد بني علاج وكان ادهى العرب فقالوا له الم تر ما حدث في
السما من القذف بالنجوم فقال بلى ولكن انظروا فان كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر ويعرف
بها الانوا من الصيف والشتا لما يصلح الناس من معايشهم هي التي ترمى بها فهو والله طي الدنيا وهلاك
الخلق الذين فيها وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا الامر اراده الله من الخلق قال الزجاج
ويدل على انها كانت بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم ان شعرا العرب الذين ذكروا البرق والاشيا
المسرعة لم يذكروا في شعرها ذكر الكواكب المنقضة فلما حدثت بعد مولده صلى الله عليه وسلم استعملت الشعرا
ذكرها قال ذو الرمة كانه كوكب في اثر عفرية ❊ مسوم في سواد الليل منقضب ❊ والقول الثاني ان ذلك
موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لما بعث شدد وغلظ عليهم قال معمر قلت للزهري
اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت افرايت قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع قال غلظت
وشدد امرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابن عباس قال
اخبرني رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانصار انهم بينا هم جلوس ليلة مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم رمي بنجم واستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في الجاهلية

Copyright © King Saud University

اذا رمى بمثل هذا قالوا الله ورسوله اعلم كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانها لا يرمى بها لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك اسمه اذا قضى امرا سبح حملة
العرش ثم سبح اهل السما الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح الى اهل هذه السما ثم قال الذين يلون حملة العرش
لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم بما قال فيستخبر اهل السما بعضهم بعضا حتى يبلغ الخبر هذه السما الدنيا فتخطف الجن
السمع فيقذفون الى اوليايهم ويرمون فيما جاوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يفرقون فيه ويزيدون اخرجه
مسلم قال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه قال وعلى هذا وجدنا الشعر القديم قال بشر بن ابي خازم وهو
جاهلي • والعير يلحقها الغبار وجحشها • منقض خلفهما انقضاض الكوكب • وقال اوس بن حجر وهو جاهلي
فانقض كالدري يتبعه • نقع تثور تخاله طنبا • والجمع بين هذين القولين ان الرمي بالنجوم كان موجودا
قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث شدد ذلك وزاد في حفظ السما وحراستها صونا للاخبار
الغيوب والله اعلم قوله تعالى **والارض مددناها** يعني بسطناها على وجه الما كما يقال انها دحيت
من تحت الكعبة ثم بسطت هذا قول اهل التفسير وزعم ارباب الهيئة انها كرة عظيمة بعضها في الما
وبعضها خارج الى السما وهو الجزو المعمور منها واعتذروا عن قوله تعالى والارض مددناها بان الاكرة
اذا كانت عظيمة كان كل جزء منها كالسطح العظيم فثبت بهذا الامر ان الارض ممدودة مبسوطة وانها كرة
اجاب اصحاب التفسير بان الله اخبر في كتابه بانها ممدودة وانها مبسوطة ولو كانت كرة لاخبر بذلك والله اعلم
بمراده وكيف مد الارض **والقينا فيها رواسي** يعني جبالا ثوابتا وذلك ان الله تعالى لما خلق الارض على
الما مادت ورجفت فاثبتها بالجبال **وانبتنا فيها** اي في الارض لان انواع النبات المنتفع به يكون في الارض
وقيل الضمير يرجع الى الجبال لانها اقرب مذكور ولقوله **من كل شي موزون** وانما يوزن ما يتولد من الجبال
من المعادن من كل شي موزون قال ابن عباس وسعيد بن جبير اي معلوم وقال مجاهد وعكرمة اي مقدور
فعلى هذا يكون المعنى معلوم القدر عند الله لان الله تعالى يعلم القدر الذي يحتاج الناس في معايشهم
وارزاقهم فيكون اطلاق الوزن عليه مجازا لان الناس لا يعرفون مقادير الاشيا الا بالوزن وقال الحسن
وعكرمة وابن زيد انه عنى به الشي الموزون كالذهب والفضة والرصاص والحديد والكحل ونحو ذلك مما يستخرج
من المعادن لان هذه الاشيا كلها توزن وقيل معنى توزن تناسب في الحسن والهيئة والشكل تقول
العرب فلان موزون الحركات اذا كانت حركاته متناسبة حسنة وكلام موزون اذا كان متناسبا حسنا
بعيدا من الخطا والسخف وقيل ان جميع ما ينبت في الارض والجبال نوعان احدهما ما يخرج من المعادن وجميع ذلك
موزون والثاني النبات فبعضه موزون ايضا وبعضه يكيل وهو يرجع الى الوزن لان الصاع والمد مقدوران
بالوزن **وجعلنا لكم فيها معايش** جمع معيشة وهو ما يعيش به الانسان مدة حياته في الدنيا من المطاعم والمشارب
والملابس ونحو ذلك **ومن لستم له برازقين** يعني الدواب والوحش والطير انتم تنتفعون بها ولستم لها برازقين لان
رزق جميع الخلق على الله ومنه قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويكون من قوله ومن لستم
بمعنى ما لان من لمن يعقل وما لمن لا يعقل وقيل يجوز اطلاق لفظة من على من لا يعقل لقوله فمنهم من يمشي على
بطنه وقيل اراد بهم العبيد والخدم فيكون من على اصلها ويدخل معهم من لم يعقل من الدواب والوحش **وان
من شي الا عندنا خزاينه** الخزاين جمع خزانة وهو اسم للمكان الذي يخزن فيه الشي للحفظ يقال خزن الشي
اذا احرزه وقيل اراد مفاتيح الخزاين وقيل اراد بالخزاين المطر لانه سبب الارزاق والمعايش لبني ادم والدواب
والوحش والطير ومعناه عندنا انه في حكمه وتصرفه وامره وتدبيره قوله تعالى **وما ننزله الا بقدر معلوم** يعني بقدر

الكفاية

الكفاية وقيل ان لكل ارض حدا ومقدارا من المطر يقال لا ينزل من السما قطرة الا ومعها ملك يسوقها الى حيث يشا
الله وقيل ان المطر ينزل من السما كل عام بقدر واحد لانه لا يزيد ولا ينقص ولكن الله يمطر قوما ويحرم اخرين وقيل
اذا اراد الله بقوم خيرا انزل عليهم المطر والرحمة واذا اراد بقوم شرا صرف المطر عنهم الى حيث لا ينتفع به كالبراري
والقفار والعمران والبحار ونحو ذلك وحكى جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن جده انه قال في العرش تمثال جميع ما خلق
الله في البر والبحر وهو تاويل قوله وان من شي الا عندنا خزاينه **وارسلنا الرياح لواقح** قال ابن عباس يعني للشجر
وهو قول الحسن وقتادة واصل هذا من قولهم لقحت الناقة والقحها الفحل اذا القى اليها الما فحملته فكذلك الرياح
كالفحل للسحاب قال ابن مسعود في تفسير هذه الاية يرسل الرياح لتلقح السحاب فتحمل الما فتمجه في السحاب ثم تمريه
فتدر كما تدر اللقحة وقال عبيد بن عمير يرسل الله الريح المثيرة فتقم الارض قما ثم يرسل المثيرة فتثير السحاب
ثم يرسل المولفة فتولف السحاب بعضه الى بعض فيجعله ركاما ثم يرسل اللواقح فتلقح الشجر والاظهر في هذه الاية
لقاحها السحاب لقوله بعده فانزلنا من السما ما قال ابو بكر بن عياش لا تقطر قطرة من السما الا بعد ان تعمل الرياح
الاربع فيها فالصبا تهيج السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه وقال ابو عبيدة لواقح هنا
بمعنى ملاقح جمع ملقحة حذفت الميم وردت الى الاصل وقال الزجاج يجوز ان يقال لها لواقح وان ألقحت غيرها
لان معناها النسب كما يقال درهم وازن اي ذو وزن واعترض الواحدي على هذا فقال هذا ليس بمغن لانه
كان يجب ان يصح اللاقح بمعنى ذات لقح حتى يوافق قول المفسرين واجاب الرازي عنه بان قال هذا ليس بشي
لان اللاقح هو المنسوب الى اللقحة ومن افاد غيره اللقحة فله نسبة الى اللقحة وقال صاحب المفردات لواقح اي
ذات لقاح وقيل ان الريح في نفسها لاقح لانها حاملة والدليل عليه قوله حتى اذا اقلت سحابا ثقالا اي حملت
فعلى هذا تكون الريح لاقحة بمعنى حاملة تحمل السحاب وقال الزجاج ويجوز ان يقال للريح لقحت اذا
اتت بالخير كما قيل عقيم اذا لم تات بخير وورد في بعض الاخبار ان الملقح الرياح الجنوب وفي بعض الاثار
ما هبت ريح الجنوب الا وانبعث عينا غدقة وعن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت
الريح قال اللهم اني اسيلك خيرها وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت
به وروى البغوي بسنده الى الشافعي الى ابن عباس قال ما هبت ريح قط الا جثى النبي صلى الله عليه وسلم
على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا قال ابن عباس في
كتاب الله عز وجل انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا وارسلنا عليهم الريح العقيم وقال وارسلنا الرياح لواقح
ويرسل الرياح مبشرات وقوله تعالى **فانزلنا من السما ما** يعني المطر **فاسقيناكموه** يعني جعلنا لكم المطر سقيا
يقال اسقى فلان فلانا اذا جعل له سقيا وسقاه اذا اعطاه ما يشرب تقول العرب سقيت الرجل ما ولبنا
اذا كان لسقيه فاذا جعلوا له ما لشربه منه او ماشيته يقال اسقيته **وما انتم له** يعني المطر **بخازنين** يعني
ان المطر في خزايننا لا في خزاينكم وقيل وما انتم له بمانعين **وانا لنحن نحيي ونميت** بيدنا احيا الخلق واماتتهم
لا يقدر على ذلك احد الا الله سبحانه وتعالى لان قوله وانا لنحن يفيد الحصر للخلق فلا ينبغي لاحد سوانا **ونحن الوارثون**
وذلك بان نميت جميع الخلق فلا يبقى احد سوانا فيزول ملك كل مالك ويبقى جميع ملك المالكين لنا والوارث هو الباقي
بعد ذهاب غيره والله هو الباقي بعد فنا خلقه الذين امتعهم بما اتاهم في الحياة الدنيا لان وجود الخلق وما اتاهم
كان ابتداوه منه سبحانه وتعالى فاذا فني جميع الخلايق رجع الذي كان لهم ملكوه في الدنيا على المجاز الى مالكه
على الحقيقة وهو الله وقيل مصير الخلق اليه **ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين**
عن ابن عباس قال امراة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس فكان بعض الناس يتقدم حتى

Copyright © King Saud University

يكون في الصف الاول لئلا يراها ويتاخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فاذا ركع نظر من تحت ابطيه فانزل
الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين اخرجه النسائي واخرجه الترمذي وقال فيه وقد
روى عن ابن الجوزي نحوه ولم يذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما وهذا اشبه شيء ان يكون اصح قال البغوي وذلك ان النسا
كن يخرجن الى الجماعة فيقفن خلف الرجال فربما كان من الرجال من في قلبه ريبة فيتقدم الى اول صف النسا ليقرب من الرجال
فنزلت هذه الاية فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال اولها وشرها اخرها وخير صفوف
النسا اخرها وشرها اولها اخرجه مسلم عن ابي هريرة وقال ابن عباس رضي الله عنهما اراد بالمستقدمين من خلا من
الناس وبالمستاخرين من لم يخلق الله بعد وقال مجاهد المستقدمون القرون الاولى والمستاخرون امة محمد صلى الله
عليه وسلم وقال الحسن المستقدمون يعني في الطاعة والخير والمستاخرون المبطئون فيها وقال الاوزاعي اراد
بالمستقدمين المصلين في اول الوقت وبالمستاخرين المؤخرينها الى اخرها وقال مقاتل اراد بالمستقدمين
والمستاخرين في صف القتال وقال ابن عيينة اراد من يسلم اولا ومن يسلم اخرا وقال ابن عباس في رواية اخرى
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم حرض على الصف الاول فازدحموا عليه وقال قوم كانت بيوتهم قاصية عن
المسجد لنبيعن دورنا ولنشترين دورا قريبة منها الى المسجد حتى ندرك الصف الاول فنزلت الاية ومعناها
انما تجزون على النيات فاطمانوا واسكنوا فيكون معنى الاية على القول الاول المتقدم للتقوى والمستاخر للنظر
وعلى القول الاخير المتقدم لطلب الفضيلة والمستاخر للعذر ومعنى الاية ان علمه تعالى محيط بجميع خلقه
متقدمهم ومتاخرهم طايعهم وعاصيهم لا يخفى عليه شيء من احوال خلقه وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم
يعني على ما علم منهم وقيل ان الله تعالى يميت الكل ثم يحشرهم الاولين والاخرين على ما كانوا عليه وعن جابر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان يعني ادم عليه
السلام في قول جميع المفسرين سمي انسانا لظهوره وادراك البصر اياه وقيل من النسيان لانه عهد اليه فنسي من
صلصال يعني من الطين اليابس الذي اذا نقرته سمعت له صلصلة يعني صوتا قال ابن عباس هو الطين الحر الطيب
الذي اذا نضب عنه الما تشقق فاذا حركته تقعقع وقال مجاهد هو الطين المنتن واختاره الكسائي وقال هو من صل
اللحم واصل اذا انتن من حما يعني من الطين الاسود مسنون اي مسنون يعني متغير قال مجاهد وقتادة وهو
المنتن المتغير وقال ابو عبيدة هو المصبوب تقول العرب سننت الما اذا صببته قال ابن عباس رضي الله عنهما
هو التراب المبتل المنتن جعل صلصالا كالفخار والجمع بين هذه الاقاويل على ما ذكره بعضهم ان الله لما خلق ادم عليه الصلاة
والسلام قبض قبضة من تراب الارض بله بالما حتى اسود وانتن ريحه وتغير واليه الاشارة بقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل
ادم خلقه من تراب ثم ان ذلك التراب بله بالما حتى اسود وانتن ريحه وتغير واليه الاشارة بقوله من حما مسنون ثم ان
ذلك الطين الاسود المتغير صوره صورة الانسان اجوف فلما جف ويبس كانت تدخل فيه الريح فيسمع له صلصلة
يعني صوتا ومنه الاشارة بقوله من صلصال كالفخار وهو الطين اليابس تنفخ في الشمس ثم نفخ فيه الروح فكان بشرا
سويا قوله تعالى والجان خلقناه من قبل يعني من قبل ادم قال ابن عباس الجان ابو الجن كما ان ادم ابو البشر وقال
قتادة هو ابليس وقيل الجان ابو الجن وابليس ابو الشياطين وفي الجن مسلمون وكافرون ويأكلون ويشربون
ويحيون ويموتون كبني ادم واما الشياطين فليس منهم مسلمون ولا يموتون الا اذا مات ابليس قال وهب ان
من الجن من يولد له ويأكلون ويشربون بمنزلة الادميين ومن الجن من هو بمنزلة الريح لا يتوالدون ولا يأكلون
ولا يشربون وهم الشياطين والاصح ان الشياطين نوع من الجن لاشتراكهم في الاشتقاق وسموا جنا لتواريهم واستتارهم عن الاعين
من قولهم جن الليل اذا ستر والشيطان هو العاتي المتمرد الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر من نار السموم

يعني

يعني من ريح حارة تدخل مسام الانسان من لطفها وقوة حرارتها فتقتله ويقال للريح الحارة التي تكون بالنهار
السموم وللريح الحارة التي تكون بالليل الحرور وقال ابو صالح السموم نار لا دخان لها والصواعق منها وهي نار بين السما
والحجاب فاذا احدث امر اخرقت الحجاب فهوت الى ما امرت به فالهدة التي تسمعون تحرق ذلك الحجاب وهذا
على قول اصحاب الهيئة ان الكرة العليا تسمى كرة النار وقيل نار السموم يعني من نار جهنم وقال ابن مسعود هذه
السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي خلق منها الجان وتلا هذه الاية قال ابن عباس كان ابليس من حي من الملائكة يسمون
الجان خلقوا من نار السموم وخلقت الجن الذين ذكروا في القران من مارج من نار وخلقت الملائكة من نور
قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اي واذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا سمي الادمي بشرا
لانه جسم كثيف ظاهر والبشرة ظاهر الجلد من صلصال من حما مسنون تقدم تفسيره فاذا سويته يعني عدلت
صورته واتممت خلقه ونفخت فيه من روحي النفخ عبارة عن اجرا الريح في تجاويف جسم اخر ومنه نفخ الروح
في البشارة الاولى وهو المراد من قوله ونفخت فيه من روحي واضاف الله روح ادم الى نفسه على سبيل التشريف عز وجل
والتكريم كما يقال بيت الله وناقة الله وعبد الله وسيجي الكلام في تفسير سبحان عن قوله ويسالونك عن
الروح ان شا الله تعالى فقعوا له ساجدين الخطاب للملائكة الذين قال لهم اني خالق بشرا امرهم بالسجود
لادم بقوله فقعوا له ساجدين وكان السجود سجود تحية لا سجود عبادة فسجد الملائكة كلهم الذين امروا
بالسجود لادم كلهم اجمعون قال سيبويه هذا توكيد بعد توكيد وسيل المبرد عن هذه الاية فقال لو
سجد الملائكة لاحتمل ان يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم لزم ازالة ذلك الاحتمال فظهر بهذا انهم سجدوا
باسرهم عند هذا بقي احتمال اخر وهو انهم سجدوا في اوقات متفرقة او في دفعة واحدة فلما قال اجمعون
ظهر ان الكل سجدوا دفعة واحدة ولما حكى الزجاج هذا القول عن المبرد قال وقول الخليل وسيبويه اجود لان
اجمعين معرفة فلا تكون حالا روي عن ابن عباس رحمهما الله ان الله تعالى امر جماعة من الملائكة بالسجود
لادم فلم يفعلوا فارسل عليهم نارا فاحرقتهم ثم قال لجماعة اخرى اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى ان يكون
مع الساجدين يعني مع الملائكة الذين امروا بالسجود لادم قال يعني قال الله تعالى يا ابليس ما لك
الا تكون مع الساجدين قال يعني ابليس لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون
اراد ابليس انا افضل من ادم لان ابليس في قياسه افضل من ادم ولم يدر الخبيث ان الفضل فيما فضله
الله تعالى قال فاخرج منها يعني من الجنة وقيل من السما فانك رجيم اي طريد وان عليك اللعنة الى يوم
الدين قيل ان اهل السموات يلعنون ابليس كما يلعنونه في الارض فهو ملعون في السموات وفي الارض

فان قلت ان حرف الى لانتها الغاية فهل ينقطع اللعن عنه يوم الدين الذي
هو يوم القيامة **قلت** لا بل يزداد عذابا الى اللعنة التي عليه كانه قال وان عليك
اللعنة فقط الى يوم الدين ثم تزداد بعد ذلك معها عذابا دايما مستمرا لا انقطاع لها قال رب فانظرني
يعني فاخرني الى يوم يبعثون يعني يوم القيامة واراد بهذا السؤال انه لا يموت ابدا لانه اذا امهل الى
يوم القيامة ويوم القيامة لا يموت فيه احد لزم من ذلك انه لا يموت ابدا فلهذا السبب سال الانظار
الى يوم يبعثون فاجابه الله بقوله قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعني الوقت
الذي يموت فيه جميع الخلايق وهو النفخة الاولى فيقال ان مدة موت ابليس اربعون سنة وهي
ما بين النفختين ويقال لم تكن اجابة الله تعالى اياه في الامهال اكراما له بل كان ذلك الامهال زيادة
في بلائه وشقايه وعذابه وانما سمي يوم القيامة بيوم الوقت المعلوم لان ذلك اليوم لا يعلمه الا

لانا رايناه يتلالا والابيض نار والاصل واننا افضل من الطين

الله فهو معلوم عنده وقيل لان جميع الخلائق يموتون فيه فهو معلوم بهذا الاعتبار وقيل لما سئل ابليس الانظار
الى يوم يبعثون فاجابه الله بقوله فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعني اليوم الذي عينت وبينت
الانظار فيه قال رب بما اغويتني الباء للقسم اي وقوله بما وما مصدرية جواب للقسم لازينن والمعنى لهم
في الارض وقيل هي بالسبب يعني بكونه غاويا لازينن لهم في الارض يعني لازينن لهم حب الدنيا ومعاصيك و
لاغوينهم اجمعين يعني بالقاء الوسوسة في قلوبهم وذلك ان ابليس لعنه الله علم انه يموت على الكفر غير
مغفور له حرص على اضلال الخلق بالكفر واغوائهم ثم استثنى فقال الا عبادك منهم المخلصين يعني
المومنين الذين اخلصوا لك التوحيد والطاعة والعبادة ومن فتح اللام من المخلصين يعني المعنى الا من
اخلصته واصطفيته لتوحيدك وعبادتك وانما استثنى ابليس المخلصين لانه علم ان كيده ووسوسته
لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه وحقيقة الاخلاص فعل الشيء خالصة عن شائبة الغير فكل من اتى بعمل من اعمال
الطاعات فلا يخلو ان يكون مراده بتلك الطاعة وجه الله فقط او لغير الله او لمجموع الامرين اما ما كان
لوجه الله فقط فهو الخالص المقبول واما ما كان لغير الله فهو الباطل المردود واما ما كان مراده مجموع الامرين
فان ترجح جانب الله تعالى كان من المخلصين وان ترجح الاخر كان من الهالكين لان المثل يقابله المثل
فيبقى القدر الزائد على اي الجانبين يرجح اخذ به قال يعني قال الله تعالى وتبارك هذا صراط مستقيم
قال الحسن معناه هذا صراط الي علي مستقيم وقال مجاهد الحق يرجع الى الله تعالى وعليه طريقه لا يعرج الى
شيء وقال الاخفش معناه على الدلالة على الصراط المستقيم وقال الكسائي اي هذا على طريق التهديد
والوعيد كما يقول الرجل لمن يخاصمه طريقك علي اي لا تنفلت مني وقيل معناه على استقامته
بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية وقيل هذا عائد الى الاخلاص والمعنى ان الاخلاص طريق
علي والي يؤدي الى كرامتي ورضواني ان عبادي ليس لك عليهم سلطان اي قوة وقدرة وذلك ان ابليس
لما قال لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين اوهم بهذا الكلام ان له سلطانا
على غير المخلصين فبين الله تعالى انه ليس له سلطان على احد من عبيده سواء كان من المخلصين او لم يكن
من المخلصين قال اهل المعاني ليس لك عليهم سلطان على قلوبهم وسئل سفيان بن عيينة عن هذه الاية
فقال معناه ليس لك سلطان ان يلقيهم في ذنب يضيق عنه عفوي وهولاء تثنية الله الذين هداهم
واجتباهم من عذابه الا من اتبعك من الغاوين يعني الا من اتبع ابليس من الغاوين فان له عليهم سلطانا
بسبب كونهم منقادين له فيما يامرهم به وان جهنم لموعدهم اجمعين يعني موعد ابليس واشياعه
واتباعه قال علي بن ابي طالب تدرون كيف ابواب النار هكذا ووضع احدى يديه على الاخرى
اي سبعة ابواب بعضها فوق بعض قال ابن جريج النار سبع دركات اولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة
ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية فذلك قوله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم
يعني لكل دركة قوم يسكنونها والجزء بعض الشيء وجزاته جعلته اجزاء والمعنى ان الله تعالى يجزئ اتباع
ابليس سبعة اجزاء فيدخل كل جزء وقسم دركة من النار والسبب فيه ان مراتب الكفر مختلفة فلذلك
اختلفت مراتبهم في النار قال الضحاك في الدركة الاولى اهل التوحيد الذين ادخلوا النار يعذبون
فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون
وفي الخامسة المجوس وفي السادسة اهل الشرك وفي السابعة المنافقون فذلك قوله تعالى ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجهنم سبعة

ابواب منها باب لمن سل السيف على امتي او قال على امة محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب قوله عز وجل ان المتقين في جنات وعيون المراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك والمعاصي والجنات البساتين
والعيون الانهار الجارية في الجنات وقيل يحتمل ان تكون هذه العيون غير الانهار الكبار التي في الجنة وعلى هذا
يختص كل واحد من اهل الجنة بعيون اذ تجري هذه العيون من بعضهم الى بعض وكلا الامرين محتمل فيحتمل
ان كل واحد من اهل الجنة يختص بعيون تجري في جنانه وقصوره فينتفع بها هو ومن يختص به من حوره
وولدانه ويحتمل انها تجري في جنان بعضهم الى جنان بعض لانهم قد طهروا من الحقد والحسد ادخلوها اي
يقال لهم ادخلوها والقائل هو الله تعالى او بعض ملائكته بسلام امنين يعني ادخلوا الجنة بسلام امنين
مع السلامة والامن من الموت وجميع الافات ونزعنا ما في صدورهم من غل الغل الحقد الكامن في القلب
ويطلق على الشحناء والعداوة والبغضاء والحقد والحسد فكل هذه الخصال المذمومة داخلة في الغل لانها
كامنة في القلب يروى ان المومنين يحبسون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يومر بهم الى الجنة
وقد نقي قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد اخوانا في المودة والمحبة والمخالطة وليس المراد منه اخوة النسب
على سرر جمع سرير قال بعض اهل المعاني السرير مجلس رفيع عال مهيا للسرور وهو ماخوذ منه لانه
مجلس سرور وقال ابن عباس على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل ما بين صنعا
الى الجابية متقابلين يعني يقابل بعضهم بعضا لا ينظر بعضهم في قفا صاحبه وفي بعض الاخبار ان المومن
في الجنة اذا اراد ان يلقى اخاه المومن سار سرير كل واحد منهم الى صاحبه فيلتقيان ويتحدثان لا يمسهم
فيها يعني في الجنة نصب اي تعب ولا اعيا وما هم منها بمخرجين يعني من الجنة هذا نص الله في كتابه
على خلود اهل الجنة في الجنة والمراد منه خلود بلا زوال وبقا بلا فنا وكمال بلا نقصان وفوز بلا حرمان
قوله عز وجل نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم قال ابن عباس رحمهما الله تعالى يعني من تاب منهم وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج على اصحابه وهم يضحكون فقال اتضحكون وبين ايديكم النار
فنزل جبريل عليه السلام بهذه الاية وقال يقول لك ربك يا محمد لم تقنط عبادي ذكره البغوي بغير سند
وان عذابي هو العذاب الاليم قال قتادة بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد
قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه يعني لقتل نفسه خ عن ابي هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فامسك
عنده تسعا وتسعين رحمة وارسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة
لم ييئس من الجنة ولو يعلم المومن بكل الذي عند الله من العذاب لم يامن من النار وفي الاية لطائف
منها ان الله تعالى اضاف العباد الى نفسه بقوله نبئ عبادي وهذا تشريف وتعظيم لهم الا ترى
انه لما اراد ان يشرف محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله سبحان الذي اسرى
بعبده ليلا فكل من اعترف على نفسه بالعبودية لله تعالى فهو داخل في هذا التشريف العظيم ومنها
انه تعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ في التاكيد بالفاظ ثلاثة اولها قوله اني وثانيها انا وثالثها
ادخل الالف واللام في الغفور الرحيم وهذا يدل على تغليب جانب الرحمة والمغفرة ولما ذكر العذاب
لم يقل اني انا المعذب وما وصف نفسه بذلك بل قال وان عذابي هو العذاب الاليم على سبيل
الاخبار ومنها انه تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ عباده هذا المعنى فكانه اشهد
رسوله على نفسه في التزام المغفرة والرحمة قوله تعالى ونبئهم عن ضيف ابراهيم هذا معطوف

Copyright © King Saud University

على ما قيل اي واخبر يا محمد عبادي عن ضيف ابراهيم واصل الضيف الميل يقال اضفت الى كذا اذا ملت اليه
والضيف من مال اليك نزولا بك وصارت الضيافة متعارفة في القرى واصل الضيف مصدر ولذلك
استوى فيه الواحد والجمع في غاية كلامهم وقد يجمع فيقال اضياف وضيوف وضيفان وضيف ابراهيم
هم الملئكة الذين ارسلهم الله ليبشروا ابراهيم عليه السلام بالولد واهلكوا قوم لوط اذ دخلوا عليه
يعني اذ دخل الاضياف على ابراهيم فقالوا سلاما اي نسلم سلاما قال يعني ابراهيم انا منكم وجلون
اي خائفون وانما خاف ابراهيم عليه السلام منهم لانهم لم ياكلوا طعامه قالوا لا توجل يعني لا تخف
انا نبشرك بغلام عليم يعني انهم بشروه بولد ذكر غلام في صغره عليم في كبره وقيل عليم بالاحكام والشرائع
والمراد به اسحاق عليه السلام فلما بشروه بالولد تعجب ابراهيم من كبره وكبر امراته قال ابشرتموني يعني بالولد على
ان مسني الكبر يعني حالة الكبر قال له على طريق التعجب فبم تبشرون يعني فباي شي تبشرون وهو استفهام
بمعنى التعجب كانه عجب من حصول الولد على الكبر قالوا بشرناك بالحق يعني بالصدق الذي قضاه الله
بان يخرج منك ولدا ذكرا تكثر ذريته وهو اسحاق عليه السلام فلا تكن من القانطين يعني ولا تكن من
الايسين من الخير والقنوط هو الاياس من الخير قال يعني ابراهيم ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون
يعني من ييئس من رحمة ربه الا المكذبون وفيه دليل على ان ابراهيم لم يكن من القانطين ولكنه استبعد
من حصول الولد من الكبر فظنت الملائكة ان به قنوطا فنفى ذلك عن نفسه واخبر ان القانط من رحمة الله تعالى
من الضالين لان القنوط من رحمة الله تعالى كبيرة كالامن من مكر الله لا يحصل الا عند من يجهل ان الله
تعالى قادر على ما يريد وان يجهل كونه تعالى عالما بجميع المعلومات فكل هذه الامور سببا للضلال قال
يعني ابراهيم فما خطبكم يعني فما الذي جئتم بسببه سوى ما بشرتموني به من الولد ايها يعني الملائكة المرسلون
قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني لاهلاك قوم مجرمين الا آل لوط يعني اشياعه واتباعه من
اهل دينه انا لمنجوهم اجمعين الا امراته يعني امراة لوط قدرنا يعني قضينا وانما اسند الملائكة
القدر الى انفسهم وان كان ذلك لله عز وجل لاختصاصهم بالله وقربهم منه كما تقول خاصة الملك
نحن امرنا نحن فعلنا وان كان قد فعلوه بامر الملك انها لمن الغابرين يعني انها لمن الباقين في
العذاب والاستثنا من النفي اثبات ومن الاثبات نفي فاستثنى امراة لوط من الناجين
ملحقة بالهالكين فلما جاء آل لوط المرسلون وذلك ان الملائكة عليهم السلام لما بشروا ابراهيم
بالولد وعرفوه بما ارسلوا به ساروا الى لوط وقومه ولما دخلوا على لوط قال انكم قوم منكرون وانما
قال هذه المقالة لوط لانهم دخلوا اليه في زي شبان مرد انحسان الوجوه فخاف ان يهجم عليهم
قومه فلهذا السبب قال هذه المقالة وقيل ان النكرة عند المعرفة فقوله انكم منكرون
لا اعرفكم ولا اعرف من اي الاقوام انتم ولا لاي غرض دخلتم علي فعند ذلك قالوا يعني الملائكة
بل جئناك بما كانوا فيه يمترون يعني باليقين الذي لا شك فيه واتيناك بالحق وانا لصادقون
يعني فيما اخبرناك به من اهلاكهم فاسر باهلك بقطع من الليل يعني اخر الليل والقطع القطعة
من الشي وبعضه واتبع ادبارهم يعني واتبع اثار اهلك وسر خلفهم ولا يلتفت منكم احد يعني
حتى لا يرى ما نزل بقومه من العذاب فيرتاع بذلك وقيل المراد الاسراع في السير وترك الالتفات
الى ورائه والاهتمام بما خلفه كما تقول امض لشانك ولا تعرج على شي وقيل جعل ترك الالتفات
علامة لمن ينجو من آل لوط وليلا يتخلف منهم احد فيناله العذاب وامضوا حيث تؤمرون قال

ابن

روضة

ابن عباس يعني الشام وقال مقاتل يعني ابن غر وقيل الاردن وقيل الى حيث يامركم جبريل عليه السلام
وذلك ان جبريل امرهم الى ان يسيروا الى قرية معينة ما عمل اهلها عمل قوم لوط وقضينا اليه ذلك الامر
يعني واوحينا الى لوط ذلك الامر الذي حكمنا به على قومه وفرغنا عنه ثم انه تعالى فسر ذلك الامر الذي
قضاه بقوله ان دابر هولاء مقطوع مصبحين يعني ان هولاء القوم يستاصلون عن اخرهم بالعذاب وقت
الصبح وانما ابهم الامر الذي قضاه عليهم ولا وفسره ثانيا تفخيما له وتعظيما لشانه قوله تعالى وجاء اهل المدينة
يعني مدينة سدوم وهي مدينة قوم لوط يستبشرون يعني يبشر بعضهم بعضا باضياف لوط والاستبشار
اظهار الفرح والسرور وذلك ان الملئكة لما نزلوا على لوط ظهر امرهم في المدينة وقيل ان امراته اخبرتهم بذلك وكانوا
شبانا مردا في غاية الحسن ونهاية الجمال فجاء قوم لوط الى داره طمعا فيهم في ركوب الفاحشة قال ان يعني قال لوط
لقومه هولاء ضيفي وحق على الرجل اكرام ضيفه فلا تفضحون يعني فيهم يقال فضحه يفضحه اذا اظهر من امره
ما يلزمه العار بسببه واتقوا الله يعني خافوا الله في امرهم ولا تخزون يعني ولا تخجلون قالوا يعني قوم لوط
للذي جاوا اليه اولم ننهك عن العالمين اولم ننهك ان تضيف احدا من العالمين وقيل معناه اولم ننهك
ان تدخل الغربا الى بيتك فانا نريد ان نركب منهم الفاحشة وقيل معناه اولم ننهك ان تكلمنا في احد
من العالمين اذا قصدناه بالفاحشة قال يعني قال لوط لقومه الذين قصدوا اضيافه هولاء بناتي ازوجكم
اياهن ان اسلمتم فاتوا الحلال ودعوا الحرام وقيل المراد بالبنات نسا قومه لان النبي كالوالد لامته ان
كنتم فاعلين يعني ما امركم به لعمرك الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رحمه الله معناه وحياتك
يا محمد قال ابن عباس ما خلق الله نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما اقسم بحياة احد الا بحياته
والعمر والعمر واحد وهو اسم لمدة عمارة بدن الانسان بالحياة والروح وبقائه مدة حياته قال النحويون
ارتفع لعمرك بالابتدا والخبر محذوف والمعنى لعمرك قسمي فحذف الخبر لان في الكلام دلالة عليه انهم لفي سكرتهم
يعني في حيرتهم وضلالتهم وقيل في غفلتهم يعمهون يعني يترددون متحيرين وقال قتادة يلعبون فاخذتهم
الصيحة مشرقين يعني حين اضاءت الشمس فكان ابتدا العذاب الذي نزل بهم وقت الصبح وتمامه وانتهاؤه
حين اشرقت الشمس فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل تقدم تفسيره في سورة هود
ان في ذلك يعني الذي نزل بهم العذاب لايات للمتوسمين قال ابن عباس للناظرين وقال قتادة للمعتبرين
وقال مقاتل للمتفكرين وقال مجاهد للمتفرسين ويعضد هذا التاويل ما روي عن ابي سعيد الخدري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله ثم قرا ان في ذلك لايات
للمتوسمين اخرجه الترمذي وقال حديث الفراسة اسم بالكسر كقولك تفرست في فلان الخير وهو على نوعين
احدهما ما دل عليه ظاهر الحديث وهو ما يوقعه الله في قلوب اوليائه فيعلمون بذلك احوال الناس بنوع
الكرامات واصابة الحدث والنظر والظن والتثبت والنوع الثاني ما يحصل بدلائل التجارب والخلق
والاخلاق تعرف بذلك احوال الناس ايضا وللناس في علم الفراسة تصانيف قديمة وحديثة قال الزجاج
حقيقة المتوسمين في اللغة المتثبتين في نظرهم حتى يعرفوا سمة الشي وصفته وعلامته فالمتوسم الناظر
في سمة الدلالة يقال توسمت في فلان كذا اعرفت وسم ذلك وسمته وانها يعني قرى قوم لوط لبسبيل مقيم
يعني بطريق واضح قال مجاهد بطريق معلم ليس بخفي ولا زائل والمعنى ان اثار ما انزل الله بهذه القرى من
عذابه وغضبه لبسبيل مقيم ثابت فلم يندثر ولم يخف والذين يمرون عليها من الشام الى الحجاز يشاهدونها
تلك الطريق وزوال اثره ان في ذلك يعني المذكور من عذاب قوم لوط وما نزل بهم لايات للمومنين يعني

Copyright © King Saud University

المصدقين بما انزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وان كان اصحاب الايكة لظالمين يعني كان اصحاب الايكة لظالمين
وهي الغيضة واللام في قوله لظالمين للتاكيد وهم قوم شعيب كانوا اصحاب غياض وشجر ملتف وكان عامة شجرهم المقل
وكانوا قوما كافرين فبعث الله عز وجل اليهم شعيبا رسولا فكذبوه فاهلكهم الله فهو قوله تعالى فانتقمنا منهم
يعني بالعذاب وذلك ان الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام حتى اخذ بانفاسهم وقربوا من الهلاك فبعث الله
سبحانه وتعالى سحابة كالظلة فالتجوا اليها واجتمعوا تحتها يلتمسون الروح فبعث الله عليهم نارا فاحرقتهم
جميعا وانهما يعني مدينة قوم لوط ومدينة اصحاب الايكة لبامام مبين يعني بطريق واضح مستبين من مر
بينهما وقيل الضمير راجع الى الايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما وانما سمي الطريق اماما لانه يوم
ويتبع ولان المسافر ياتم به حتى يصير الى الموضع الذي يريده قوله عز وجل ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين
قال المفسرون الحجر اسم واد كان يسكنه ثمود وهو معروف من المدينة النبوية والشام واثاره باقية يمر عليها ركب
الشام الى الحجاز واراد بالمرسلين صالح وحده وانما ذكره بلفظ الجمع للتعظيم ولانهم كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل
وآتيناهم اياتنا يعني الناقة وولدها والايات التي كانت في الناقة خروجها من الصخرة وعظم جثتها وقرب
ولادها وغزارة لبنها وانما اضاف الايات اليهم وان كانت لصالح لانه مرسل اليهم بهذه الايات فكانوا
عنها يعني عن الايات معرضين يعني تاركين لها غير ملتفتين اليها وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين
يعني خوفا من الخراب او ان يقع عليهم الجبل والسقف فاخذتهم الصيحة يعني العذاب مصبحين يعني وقت
الصبح فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون يعني من الشرك والاعمال الخبيثة ق عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم ان
يصيبكم ما اصابهم الا ان تكونوا باكين ثم قنع راسه واسرع السير حتى جاز الوادي قوله عز
وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق يعني لاظهار الحق والعدل وهو ان يثاب المومن
ويعاقب الجاحد المكذب وان الساعة لآتية يعني وان القيامة لتاتي ليجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته
فاصفح الصفح الجميل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي فاعرض عنهم يا محمد واعف عنهم عفوا حسنا واحتمل ما تلقى
من اذى قومك وهذا الصفح والاعراض منسوخ باية القتال وقيل فيه بعد لان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه
وسلم ان يظهر الخلق الحسن وان يعاملهم بالعفو والصفح الخالي من الجزع والخوف ان ربك هو الخلاق العليم يعني انه تعالى
خلق خلقه وعلم ما هم فاعلون وما يصلحهم قوله عز وجل ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال ابن الجوزي
سبب نزولها ان سبع قوافل وافت من بصرى واذرعات لقريظة والنضير في يوم واحد فيها انواع من البز والطيب
والجواهر فقال المسلمون لو كانت لنا لتقوينا بها وانفقناها في سبيل الله فانزل الله هذه الاية وقال قد
اعطيتم سبع ايات هي خير من سبع قوافل ويدل على صحة هذا قوله ولا تمدن عينيك الاية قاله الحسين بن الفضل
قلت وهذا القول ضعيف او لا يصح لان هذه السورة مكية باجماع المفسرين ليس فيها من المدني شي ويهود قريظة
والنضير كانوا بالمدينة فكيف يصح ان يقال ان سبع قوافل جاءت في يوم واحد فيها اموال عظيمة حتى تمناها المسلمون
فانزل الله هذه الاية فاخبرهم ان هذه السبع ايات هي خير من هذه السبع قوافل والله اعلم وفي المراد بالسبع المثاني
اقوال احدها انها فاتحة الكتاب وهذا قول عمر وعلي وابن مسعود وفي رواية عنه وابن عباس وفي رواية الاكثرون
عنه وابي هريرة والحسن وسعيد بن جبير وفي رواية عنه وعطا وقتادة في اخرين ويدل على صحة هذا التاويل
ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين ام القرآن وام الكتاب والسبع
المثاني اخرجه ابو داود والترمذي ق عن ابي سعيد بن المعلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد

لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته اخرجه البخاري وفيه زيادة اما السبب في تسمية
فاتحة الكتاب بالسبع المثاني لانها سبع ايات باجماع اهل العلم واختلفوا في تسميتها بالمثاني فقال ابن عباس
والحسن وقتادة لانها تثنى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وقيل لانها مقسومة بين العبد والله نصفين
فنصفها الاول ثناء على الله ونصفها الثاني دعاء ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث مذكور
في فضائل الفاتحة وقيل سميت مثاني لان كلماتها مثناة مثل قوله الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين فكل هذه الالفاظ مثناة وقال الحسين بن الفضل لانها نزلت مرتين
مرة بمكة ومرة بالمدينة معها سبعون الف ملك وقال مجاهد لان الله تعالى استثناها وادخرها لهذه
الامة فلم يعطها لغيرهم وقال ابو زيد البلخي رحمه الله لانها تثني اهل الشر عن الشر من قول العرب ثنيت عناني
وقال الزجاج رحمه الله سميت فاتحة الكتاب مثاني لاشتمالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله وتوحيده
وملكه واذا ثبت ان الفاتحة هي السبع المثاني دل على فضلها وشرفها وانها من افضل سور القرآن
لان افرادها بالذكر في قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم مع انها جزء من اجزاء القرآن
واحد سورة لابد وان يكون لاختصاصها بالشرف والفضيلة القول الثاني في تفسير قوله سبعا من المثاني
انها السبع الطوال وهذا قول ابن عمر وابن مسعود في رواية عنه وابن عباس في رواية عنه وسعيد
ابن جبير في رواية عنه والسبع الطوال هي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف
واختلفوا في الانفال في السابعة مع براءة لانهما كالسورة الواحدة ولهذا لم يكتبوا بينهما بسم الله الرحمن الرحيم
وقيل السابعة هي سورة يونس ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان الله اعطاني السبع الطوال مكان التوراة واعطاني المبين مكان الانجيل واعطاني
مكان الزبور المثاني وفضلني ربي بالمفصل اخرجه البغوي باسناد الثعلبي قال ابن عباس انما سميت
السبع الطوال مثاني لان الفرائض والحدود والامثال والخبر والعبر تثنت فيها واورد هذا القول
ان هذه السور الطوال مدنيات في غالبها فكيف يمكن ان تفسر هذه الاية بها وهي مكية واجيب
عن هذا الايراد بان الله تعالى حكم في سابق علمه بانزال هذه السورة على النبي صلى الله عليه وسلم
واذا كان الامر كذلك صح ان تفسر هذه الاية بهذه السورة القول الثالث ان السبع المثاني هي السور
التي دون الطوال وفوق المفصل وهي المبين وحجة هذا القول الحديث المتقدم واعطاني المثاني
مكان الزبور والقول الرابع ان السبع المثاني هو القرآن كله وهذا قول طاوس وحجة هذا القول
ان الله تعالى قال الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني وسمي القرآن كله مثاني لان الاخبار والقصص
والامثال تثنت فيه فان قلت كيف يصح عطف القرآن في قوله والقرآن العظيم
على قوله سبعا من المثاني فيقال هذا عطف الشيء على نفسه قلت اذا عني بالسبع
المثاني فاتحة الكتاب او السبع الطوال فما وراءهن ينطلق عليه القرآن لان القرآن ينطلق عليه
اسم يقع على البعض كما يقع على الكل لانه تعالى قال بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف
عليه السلام واذا عنيت بالسبع المثاني القرآن كله كان المعنى ولقد آتيناك سبعا من المثاني
التي هي القرآن العظيم وانما سمي القرآن عظيما لانه كلام الله ووحيه انزله على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى لا تمدن عينيك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي لا تمدن عينيك يا محمد الى ما متعنا به

Copyright © King Saud University

ازواجا يعني امثالا منهم يعني من الكفار متمنيا لها نهى الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة
في الدنيا ومزاحمة اهلها عليها والمعنى انك قد اوتيت القران العظيم الذي فيه غنى عن كل شي فلا تشغل قلبك وسرك
بالالتفات الى الدنيا والرغبة فيها روى ان سفيان بن عيينة تاول قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم
يتغن بالقران يعني يستغن بالقران فتاول هذه الاية فقيل انما يكون مادا عينيه الى الشي اذا ادام النظر اليه
مستحسنا له فيحصل له من ذلك تمني ذلك الشي المستحسن فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى شي
من متاع الدنيا ولا يلتفت اليه ولا يستحسنه **ولا تحزن عليهم** يعني ولا تغتم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا
ولا تحزن على ما انهم ان لم يومنوا به فتقيد النهي عن الالتفات الى اموال الكفار ولا تلتفت اليهم ايضا وروى
البغوي بسنده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمته فانك لا تدري ما هو
لاق بعد موته ان له عند الله قاتلا لا يموت قال النار **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه لفظ البخاري ولمسلم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا
نعمة الله عليكم قال عوف بن عبد الله بن عتبة كنت اصحب الاغنياء فما كان احد اكثر هما مني كنت ارى دابة خيرا
من دابتي وثوبا خيرا من ثوبي فلما سمعت هذا الحديث صحبت الفقراء فاسترحت وقوله تعالى **واخفض
جناحك** يعني لين جانبك **للمومنين** وارفق بهم لما نهاه الله تعالى عن الالتفات الى الاغنياء من الكفار امره
بالتواضع واللين والرفق بفقراء المسلمين وغيرهم من المومنين **وقل** اي وقل لهم يا محمد **اني انا النذير المبين**
لما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالزهد في الدنيا والتواضع للمومنين امره بتبليغ ما ارسل به اليهم والنذارة
بتبليغ مع الخوف والمعنى اني انا النذير المبين بالعقاب لمن عصاني مبين تبيين النذارة **كما انزلنا على المقتسمين**
يعني انذركم عذابا كعذاب انزلناه بالمقتسمين قال ابن عباس رضي الله عنهما اراد بالمقتسمين اليهود والنصارى وهو
قول الحسن ومجاهد وقتادة سموا بذلك لانهم امنوا ببعض القران وكفروا ببعضه فما وافق كتبهم امنوا به وما خالف
كتبهم كفروا به وقال عكرمة رضي الله عنه انهم اقتسموا سور القران فقال واحد منهم هذه السورة لي وقال الاخر هذه
السورة لي وانما فعلوا ذلك استهزاء به وقال مجاهد انهم اقتسموا كتبهم فامن بعضهم بعضا وكفروا ببعضها وكفر
اخرون منهم بما امن به غيرهم وقال قتادة ومن السايب سموا بالمقتسمين كفار قريش سموا بذلك لان اقوالهم
تقسمت في القران فقال بعضهم انه سحر وزعم بعضهم انه كهانة وزعم بعضهم انه اساطير الاولين وقال ابن
السايب سموا بالمقتسمين لانهم اقتسموا اعقاب مكة وطرقها وذلك ان الوليد بن المغيرة بعث رهطا من اهل
مكة قيل ستة عشر وقيل اربعين فقال لهم انطلقوا وتفرقوا على عقاب مكة وطرقها حيث يمر بكم اهل الموسم فاذا
سالوكم عن محمد فليقل بعضكم انه شاعر وليقل بعضكم انه ساحر وليقل بعضكم انه كاهن فاذا جاوا الى صدقكم فذهبوا
وقعدوا في عقاب مكة وطرقها يقولون لمن مر بهم من حجاج العرب لا تغتروا بهذا الخارج الذي يدعي النبوة منا فانه
مجنون كاهن وشاعر وقعد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام فاذا جاوا وسالوه عما قالوا ولكن المقتسمين
قال محمد في قوله تعالى **الذين جعلوا القران عضين خ** عن ابن عباس في قوله الذين جعلوا القران عضين قال
اليهود والنصارى جزوه اجزاء امنوا ببعض وكفروا ببعض قيل هو جمع عضو من عضيت الشي اذا فرقته وجعلته اجزاء
وذلك انهم لما جعلوا القران اجزاء متفرقة فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم هو كهانة وقال بعضهم هو اساطير الاولين
وقيل هو جمع عضة وهو الكذب والبهتان وقيل المراد به العضة وهو السحر يعني انهم جعلوا القران سحرا **فوربك
لنسألنهم اجمعين** اقسم الله بنفسه انه يسال هولا المقتسمين الذين جعلوا القران عضين **عما كانوا يعملون**

يعني

يعني عما كانوا يقولون في القران وقيل عما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي وقيل يرجع الضمير في لنسالنهم الى جميع الخلق
المومن وغيره ولان اللفظ عام فحمله على العموم اولى قال جماعة من اهل العلم عن لا اله الا الله عن انس عن النبي صلى الله عليه
وسلم في قوله تعالى لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون عن قول لا اله الا الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
وقال ابو العالية يسال العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا المرسلين **فان قلت**
كيف الجمع بين قوله لنسالنهم اجمعين وبين قوله فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان **قلت**
قال ابن عباس رضي الله عنهما لا يسالهم هل عملتم لانه اعلم به منهم ولكن يقول لم عملتم كذا واعتمده قطرب فقال السوال
ضربان سوال استعلام واما قوله تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين سوال توبيخ وتقريع وجواب اخر وهو يروى
عن ابن عباس رحمهما الله ايضا انه قال في الايتين ان يوم القيمة يوم طويل فيه مواقف فيسالون في بعض
المواقف ولا يسالون في بعضها نظيره هذا يوم لا ينطقون قال وفي اية اخرى ثم انكم يوم القيمة عند
ربكم تختصمون قوله تعالى **فاصدع بما تومر** قال ابن عباس اظهر ويروى عنه امضه وقال الضحاك اعلم اصل
الصدع الشق والفرق اي فرق بالقران بين الحق والباطل امر النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الاية باظهار
الدعوة وتبليغ الرسالة الى من ارسل اليهم قال عبد الله بن عبيدة ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا
حتى نزلت هذه الاية فخرج هو واصحابه **واعرض عن المشركين** اي اكفف عنهم ولا تلتفت الى لومهم على اظهار
دينك وتبليغ رسالة ربك وقيل اعرض عن الاهتمام باستهزائهم وهو قوله تعالى **انا كفيناك المستهزئين**
ذكر المفسرون ان هذا الاعراض منسوخ باية القتال وقال بعضهم ما النسخ وجه لان معنى الاعراض ترك
المبالاة بهم والالتفات اليهم فلا يكون منسوخا قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين يقول الله عز وجل لنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم فاصدع بما امرتك به ولا تخف احدا غيري فاني انا كافيك وحافظك ممن عاداك فانا
كفيناك المستهزئين وكانوا خمسة نفر من روساء كفار قريش كانوا يستهزئون بالنبي صلى الله عليه وسلم
وبالقران وهم الوليد بن المغيرة المخزومي وكان راسهم والعاصي بن وايل السهمي والاسود بن المطلب بن
الحرث بن اسد بن عبد العزى بن زمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم اعم بصره
واثكله ولده والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة والحارث بن قيس بن طلاطلة كذا ذكره
البغوي قال ابن الجوزي الحرث بن قيس بن عيطلة وقال الزهري عيطلة امه وقيس ابوه فهو منسوب
الى امه قال المفسرون رحمهم الله اتى جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمستهزئون يطوفون
بالبيت فقام جبريل وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الوليد بن المغيرة فقال جبريل
يا محمد كيف تجد هذا قال بيس عبد الله قال قد كفيته واومى الى ساق الوليد فمر الوليد برجل من خزاعة
نبال يريش نبلا له وعليه بردان وهو يجر ازاره فتعلقت شظية من النبل بازار الوليد فمنعه
الكبر ان يطاطي راسه فينزعها وجعلت تضرب في ساقه فخدشته فمرض منها فمات ومر بهما
العاص بن وايل السهمي فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد قال بيس عبد الله فاشار جبريل الى اخمص
قدميه وقال قد كفيته فخرج العاص على راحلته ومعه ابناه فنزل شعبا من تلك الشعاب
فوطي شبرقة فدخلت منها شوكة في اخمص رجله فقال لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيا
وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه ومر بهما الاسود بن المطلب فقال
جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فاشار جبريل بيده الى عينيه وقال قد كفيته فعمي قال
ابن عباس رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عينه فجعل يضرب براسه الجدار حتى

فاجهر من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا قاموس

فلا تلتفت الى ما يقولون قاضي

سمعهم او اهلاكهم

قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم مرة اذا اكفيكهم قاضي

Copyright © King Saud University

هلك وفي رواية الكلبي قال اتاه جبريل وهو قاعد في اصل شجرة ومعه غلام له وفي رواية فجعل
ينطح راسه في الشجرة ويضرب وجهه بالشوك فاستغاث بغلامه فقال له غلامه ما ارى احدا يصنع
بك شيا غيرك فمات وهو يقول قتلني محمد ومر بهما الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل قد كفيته
واشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات وفي رواية الكلبي انه خرج من اهله فاصابه سموم فاسود
وجهه حتى صار حبشيا فاتى اهله فلم يعرفوه واغلقوا الباب دونه فمات وهو يقول قتلني رب
محمد ومر بهما الحرث بن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فاومى جبريل
الى راسه وقال قد كفيته فامتخط قيحا فقتله وقال ابن عباس انه اكل حوتا مالحا فاصابه
العطش فلم يزل يشرب حتى انقد بطنه فمات فذلك قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين يعني
بك وبالقران **الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون** يعني اذا نزل بهم العذاب ففيه
وعيد وتهديد قوله تعالى **ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون** يعني بسبب ما يقولون
وهو ما كان يسمعه من الاستهزا به والقول الفاحش والجبلة البشرية تاخذ لك فيحصل عند سماع ذلك
ضيق الصدر فعند ذلك امره بالتسبيح والعبادة وهو قوله **فسبح بحمد ربك** قال ابن عباس فصل بامر ربك
وكن من الساجدين يعني من المتواضعين لله وقال الضحاك فسبح بحمد ربك قل سبحان الله وبحمده
وكن من الساجدين يعني من المصلين وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا احزنه امر فزع الى الصلاة
قال بعض العارفين من المحققين ان السبب في زوال الحزن عن القلب اذا اقبل العبد بهذه العبادات
انه يتنور باطنه ويشرق قلبه وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر الدنيا وحقارتها فلا يلتفت اليها
ولا ياسف على فواتها فيزول الهم والغم والحزن عن قلبه قال بعض العلما اذا نزل بالعبد مكروه ففزع الى الصلاة
فانه يقول يا رب انما يجب علي عبادتك سوا اعطيتني ما احب او كفيتني ما اكره فانا عبدك وبين يديك
فاغفر لي ما تشا قوله **واعبد ربك حتى ياتيك اليقين** يعني الموت الموقن به الذي لا يشك فيه احد والمعنى
واعبد ربك في جميع اوقاتك ومدة حياتك حتى ياتيك الموت وانت في عبادة ربك وهذا مثل قوله تعالى
في سورة مريم واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا روى البغوي بسنده عن جبير بن نفير قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اوحى الله الي ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحى الي ان سبح
بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وعن عمر قال نظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انظروا الى هذا الذي نور الله قلبه لقد رايته بين ابويه يغذوانه باطيب الطعام
والشراب ولقد رايت عليه حلة شراها او قال شريت له بمائتي درهم فدعاه حب الله ورسوله الى
ما ترون ذكره البغوي بغير سند والله اعلم

تفسير سورة النحل مكية

الا قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الى اخر السورة فانها نزلت بالمدينة في قتل
حمزة قاله ابن عباس وفي رواية اخرى عنه انها مكية غير ثلاث ايات نزلت بالمدينة وهي قوله
تعالى ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا الى قوله تعملون وقال قتادة هي مكية الا خمس ايات
وهي قوله تعالى والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا وقوله ثم ان ربك للذين هاجروا
من بعد ما فتنوا وقوله وان عاقبتم الى اخر السورة زاد مقاتل وقوله من كفر بالله من بعد
ايمانه وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة الاية وقيل كان يقال لسورة النحل

سوره

النعم لكثرة تعداد النعم فيها وهي مائة وثمان وعشرون اية والفان وثمانمائة واربعون كلمة وسبعة
الاف وسبعمائة وسبعة احرف **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **اتى امر الله** يعني
جا ودنا وقرب امر الله تقول العرب اتاك الامر وهو متوقع المجي بعد ما دنى ومعنى الاية اتى امر
الله وعدا **فلا تستعجلوه** يعني وقوعا والمراد به مجي القيامة قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى اقتربت
الساعة وانشق القمر قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا الرجل يزعم ان القيامة قد قربت
فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كاين فلما راوا انه لا ينزل شيا قالوا ما نرى شيا
فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيا مما تخوفنا
به فنزلت اتى امر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس روسهم وظنوا انها قد جات
حقيقة فنزل فلا تستعجلوه فاطمانوا والاستعجال طلب مجي الشي قبل وقته ولما نزلت
هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه
يمدهما اخرجاه في الصحيحين من حديث سهل بن سعد وفي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال بعثت انا والساعة كهاتين كفضل احدهما على الاخرى وضم السبابة الى الوسطى وفي رواية بعثت
في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قال ابن عباس كان بعث النبي صلى الله عليه وسلم من اشراط
الساعة ولما مر جبريل باهل السموات مبعوثا الى محمد صلى الله عليه وسلم قالوا الله اكبر قامت الساعة
وقال قوم المراد بالامر هنا عقوبة المكذبين وهو العذاب بالقتل بالسيف وذلك ان النضر بن الحرث
قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم
فاستعجل العذاب فنزلت هذه الاية وقتل النضر يوم بدر صبرا **سبحانه وتعالى عما يشركون** يعني
تنزه الله وتعاظم بالاوصاف الحميدة عما يصفه به المشركون قوله تعالى **ينزل الملائكة بالروح**
يعني بالوحي **من امره** وانما سمي الوحي روحا لانه به يحيى القلوب من موت الجهالات وقال عطا بالنبوة
وقال قتادة بالرحمة وقيل الروح هو جبريل والباء بمعنى مع يعني ينزل الملائكة مع الروح وهو جبريل
على من يشا من عباده يعني على من يصطفي من عباده للنبوة والرسالة وتبليغ الوحي الى الخلق **ان انذروا**
يعني بان اعلموا **انه لا اله الا انا فاتقون** اي فخافون وقيل معناه مروهم يقولوا لا اله الا الله منذرين
اي مخوفين بالقران قوله تعالى **خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون** تقدم تفسيره
خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين يعني انه جدل بالباطل بين الخصومة فنزلت في ابي
ابن خلف وكان ينكر البعث فجا بعظم رميم الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اتزعم ان الله يحيي هذا العظم
بعدما رم فنزلت هذه الاية ونزل ايضا فيه قوله قال من يحيي العظام وهي رميم والصحيح ان الاية
عامة لكل ما يقع في الدنيا من الخصومة ويوم القيامة وحملها على العموم اولى وفيه بيان القدرة وان
خلق الانسان من نطفة قذرة فصار متجبرا كثير الخصومة وفيها كشف قبيح على ما فعله الكفار
من جحدهم نعم الله تعالى مع ظهورها عليهم قوله تعالى **والانعام خلقها لكم** لما ذكر الله تعالى انه خلق السموات
والارض ثم اتبعه بذكر خلق الانسان ذكر بعده ما ينتفع به في ساير ضروراته ولما كان اعظم ضرورات
الانسان الى الاكل واللباس الذين يقوم بهما بدن الانسان بدا بذكر الحيوان المنتفع به في ذلك وهو
الانعام فقال تعالى والانعام خلقها لكم وهي الابل والبقر والغنم قال الواحدي تم الكلام عند قوله والانعام
خلقها لكم ثم ابتدا فقال تعالى لكم **فيها دفء** قال ويجوز ايضا ان يكون تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتدا فقال

Copyright © King Saud University

فيها دفء قال صاحب النظم احسن الوجهين ان يكون الوقف عند قوله خلقها ثم يبتدي بقوله لكم فيها دفء
والدليل عليه انه عطف عليه قوله ولكم فيها جمال والتقدير لكم فيها دفء ولكم فيها جمال ولما كان منافع الانعام منها
ضرورية ومنها غير ضرورية بدا الله تعالى بذكر المنافع الضرورية فقال تعالى ولكم فيها دفء وهو ما يستدفا
به من اللباس والاكسية ونحوها المتخذة من الاصواف والاوبار والاشعار الحاصلة من النعم ومنافع يعني
النسل والدر والركوب والحمل عليها وسائر ما ينتفع به من الانعام ومنها تاكلون يعني من لحومها **فان**
قلت قوله ومنها تاكلون عليها الحصر لان تقديم الظرف موذن بالاختصاص وقد يوكل من غيرها
قلت الاكل من هذه الانعام هو الذي يعتمده الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها كالبط
والدجاج والاوز وصيد البر والبحر فغير معتد به في الاغلب واكله يجري مجرى التفكه به فخرج ومنها تاكلون
مخرج الاغلب في الاكل من هذه الانعام **فان قلت** منفعة الاكل مقدمة على منفعة اللباس
قلت منفعة اللباس اكثر واعظم من الاكل فلهذا قدم على الاكل وقوله تعالى ولكم فيها يعني في
الانعام جمال اي زينة حين تريحون وحين تسرحون الاراحة رد الابل بالعشي الى مراحها حيث تاوي اليه
بالليل ويقال سرح القوم ابلهم تسريحا اذا اخرجوها بالغدوة الى المرعى قال اهل اللغة واكثر ما يكون هذه
الراحة ايام الربيع اذا سقط الغيث ونبت العشب والكلا وخرجت العرب للنجعة واحسن ما يكون النعم
في ذلك الوقت فمن الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض صاحب المواشي بل هو من معظمها
لان الرعاة اذا سرحوا النعم بالغداة الى المرعى وروحوها بالعشي الى الافنية والبيوت يسمع للابل رغاء وللشاء
ثغاء يجاوب بعضها بعضا فعند ذلك يفرح اربابها ويتجمل بها الافنية والبيوت ويعظم وقعها عند الناس
فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح **قلت** لان الجمال في الاراحة وهو
رجوعها الى البيوت اكثر منها وقت التسريح لان النعم تقبل من المرعى ملا البطون حافلة الضروع فيفرح
اهلها بها بخلاف تسريحها الى المرعى فانها تخرج جائعة البطون ضامرة الضروع من اللبن ثم تاخذ في التفرق
والانتشار للرعي في البرية فيثبت بهذا البيان ان التجمل في الاراحة اكثر منه في التسريح فوجب تقديمه
وقوله تعالى وتحمل اثقالكم الاثقال جمع ثقل وهو متاع السفر وما يحتاج اليه من آلات السفر الى
بلد يعني غير بلدكم قال ابن عباس يريد من مكة الى اليمن والى الشام وانما قال ابن عباس هذا القول لانه
خطاب لاهل مكة واكثر تجارتهم واسفارهم الى اليمن والشام وحمله على العموم اولى لانه خطاب عام فدخل
فيه الكافة من تخصيصه ببعض المخاطبين لم تكونوا بالغيه يعني بالغي ذلك البلد الذي تقصدونه
الا بشق الانفس يعني بالمشقة والجهد والعنا والتعب والشق نصف الشيء والمعنى على هذا لم تكونوا بالغيه
الا بنقصان قوة النفس وذهاب نصفها ان ربكم لرؤوف رحيم يعني بخلقه حيث خلق لهم هذه
المنافع قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها هذه الاية عطف على ما قبلها والمعنى وخلق هذه
الحيوانات لاجل ان تركبوها والخيل اسم جنس لا واحد له من لفظه كالابل والرهط والنساء وزينة يعني
وجعلها زينة مع المنافع التي فيها **فصل** احتج بهذه الاية من يرى تحريم لحم الخيل وهو قول ابن عباس
وتلا هذه الاية وقال هذه للركوب واليه ذهب الحكم ومالك وابو حنيفة رحمهم الله واستدلوا ايضا بان منفعة
الاكل اعظم من منفعة الركوب فلما لم يذكره الله علمنا تحريم اكله فلو كان اكل لحوم الخيل جائزا لكان هذا المعنى اولى
بالذكر لان الله خص الانعام بالاكل حيث قال ومنها تاكلون وخص هذه بالركوب فقال لتركبوها فعلمنا انها
مخلوقة للركوب لا للاكل وذهب جماعة من اهل العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وهو قول شريح

وعطاء وسعيد بن جبير واليه ذهب الشافعي واحمد واسحاق واحتجوا على اباحة لحوم الخيل بما روي عن اسماء بنت
ابي بكر الصديق انها قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا فاكلناه وفي رواية قالت ذبحنا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة فاكلناه اخرجه البخاري ومسلم (ق) عن جابر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية واذن في الخيل وفي رواية قال اكلنا زمن خيبر لحوم الخيل وحمر الوحش
ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي هذه رواية ابي داود وقال ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمار وكنا
قد اصابتنا مخمصة فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل واجاب من اباح
لحوم الخيل عن هذه الاية فان ذكر الركوب والزينة لا يدل على ان منفعتها مختصة بذلك وانما خص هذان
المنفعتان بالذكر لانهما معظم المقصود فالواو ولهذا سكت عن حمل الاثقال على الخيل مع قوله في الانعام
وتحمل اثقالكم ولم يلزم من هذا تحريم حمل الاثقال على الخيل وقال البغوي ليس المراد من الاية بيان التحليل والتحريم
بل المراد تعريف الله تعالى عباده نعمته وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته والدليل الصحيح المعتمد عليه في اباحة لحوم
الخيل ان السنة مبينة للكتاب ولما كان نص الاية يقتضي ان الخيل والبغال والحمير مخلوقة للركوب والزينة وكان
الاكل مسكوتا عنه دار الامر فيه على الاباحة والتحريم فوردت السنة باباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير
اخذنا بهما جمعا بين النصين والله اعلم قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما ذكر الله تعالى الحيوانات التي ينتفع بها
الانسان في جميع حالاته وضروراته على سبيل التفاصيل ذكر بعدها ما لا ينتفع به الانسان في الغالب على سبيل
الاجمال وقال بعضهم ويخلق ما لا تعلمون يعني ما اعد الله لاهل الجنة في الجنة ولاهل النار في النار مما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال قتادة في قوله ويخلق ما لا تعلمون السوس في النبات والدود في الفواكه
قوله عز وجل وعلى الله قصد السبيل القصد استقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد اذا ادى الى مطلوبه
وفي الاية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل وهو بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل معناه وعلى الله بيان
طريق الحق بالايات والبراهين ومنها جائر يعني ومن السبيل سبيل جائر عن الاستقامة بل هو معوج فالقصد من
السبيل هو دين الاسلام والجائر منها اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر قال جابر بن عبد الله قصد السبيل بيان
الشرائع والفرائض ومنها جائر الاهواء والبدع ولو شاء لهداكم اجمعين فيه دليل على ان الله تعالى لو شاء هداية
جميع الكفار وما اراد منهم الايمان لان كلمة لو تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره فقوله ولو شاء لهداكم اجمعين وذلك
يفيد ان الله تعالى ما شاء هدايتهم فلا جرم ما هداهم قوله عز وجل هو الذي انزل من السماء ماء لما ذكر الله نعمته
على عباده بخلق الحيوانات لاجل الانتفاع والزينة عقبه بذكر انزال المطر من السماء وهو من اعظم النعم على عباده
فقال وهو الذي انزل يعني والله الذي خلق جميع الاشياء هو الذي انزل من السماء ماء يعني المطر لكم منه يعني فلكم
من ذلك الماء شراب يعني تشربونه ومنه يعني من ذلك الماء شجر الشجر في اللغة ما له ساق من نبات الارض ونقل الواحدي
عن اهل اللغة انهم قالوا الشجر اصناف فاما جل الشجر فعظامه التي تبقى واما ورق الشجر فصنف ان احدهما يبقى
له ارومة في الشتاء وينبت في الربيع ومنها ما لا يبقى له ساق في الشتاء كالبقول وقال ابو اسحاق كل ما ينبت
على الارض فهو شجر وانشد يطعمها اللحم اذا عز الشجر اراد انهم يسقون الخيل اللبن اذا اجدبت الارض وقال
ابن قتيبة في هذه الاية انه ينبت بالماء الذي ينزل من السماء ترعى الراعية من ورق الشجر لان الابل ترعى كل الشجر
فيه يعني في الشجر تسيمون يعني ترعون مواشيكم يقال اسمت السائمة اذا خليتها ترعى وسامت هي اذا رعت
حيث شاءت ينبت لكم اي ينبت الله لكم وقرئ ننبت على التعظيم له به اي بذلك الماء الزرع
والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات لما ذكر الله في الحيوان تفصيلا واجمالا ذكر في الثمار

Copyright © King Saud University

تفصيلا واجمالا فبدا بذلك الزرع وهو الحب الذي يقتات به كالحنطة والشعير وما اشبه ذلك لانه به قوام بدن
الانسان وثنى بذكر الزيتون لما فيه من الادم والدهن والبركة وثلث بذكر النخل لان ثمرها غذا وفاكهة
وختم بذكر الاعناب لانه شبه النخل في المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر سائر الثمرات اجمالا ليبين
بذلك على عظيم قدرته وجزيل نعمته على عباده ثم قال تعالى ان في ذلك يعني الذي ذكر من انواع الثمار لاية
يعني علامة دالة على قدرتنا ووحدانيتنا لقوم يتفكرون يعني فيما ذكر من دلايل قدرته ووحدانيته
قوله تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم تقدم تفسيره في سورة الاعراف مسخرات يعني مذللات
مقهورات تحت قهره وارادته وفيه رد على الفلاسفة والمنجمين لانهم يعتقدون ان هذه النجوم هي الفعالة
المتصرفة في العالم السفلي فاخبر تعالى ان هذه النجوم مسخرات في نفسها مذللات بامره يعني لامره بهما مقهورات
تحت قهره يصرفها كيف يشا وتحتار وانها ليس لها تصريف في نفسها فضلا عن غيرها ولما خلق الله عز وجل هذه
النجوم وجعلها مسخرة لمنافع عباده ختم هذه الاية بقوله تعالى ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يعني
ان كل من كان له عقل سليم صحيح علم ان الله تعالى هو الفعال المختار فان جميع الخلق تحت قهره وقدرته وتسخيره
لما اراد منهم وما ذرا لكم في الارض يعني وما خلق لكم في الارض وسخرها لاجلكم من الدواب والانعام والاشجار والثمار
مختلفا الوانه يعني في الخلقة والهيئة والكيفية واختلاف الوانها في المخلوقات مع كثرتها ختلا يشبه
بعضها بعضا من كل الوجوه وفيه دليل على كمال قدرة الله تعالى ولذلك ختم هذه الاية بقوله ان في ذلك لاية
لقوم يذكرون يعني فيعتبرون بذلك قوله تعالى وهو الذي سخر البحر لما ذكر الله تعالى الدلايل الدالة على
قدرته ووحدانيته من خلق السموات والارض وخلق الانسان من نطفة وخلق سائر الحيوانات والنبات
وسخر الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك وآثار قدرته وعجايب صنعته وذكر انعامه في ذلك على عباده ذكر بعد
ذلك انعامه على عباده بتسخير البحر لهم نعمة عليهم من الله تعالى ومعنى تسخير الله البحر لعباده جعله بحيث يتمكن
الناس من الانتفاع به اما بالركوب عليه او بالغوص فيه او الصيد منه فذكر هذه الثلاثة اقسام من انواع
الانتفاع به فقال تعالى وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا فبدا بذكر الاكل لانه اعظم المقصود لانه
به قوام البدن وفي ذكر الطري مزيد فايدة دالة على كمال قدرة الله تعالى وذلك ان السمك لو كان كله مالحا
عرف به من قدرة الله ما يعرف بالطري لانه لما خرج من البحر الملح الزعاق الحيوان الطري الذي لحمه في غاية العذوبة
علم انه انما حدث بخلق الله وقدرته لا بحسب الطبع وعلم بذلك ان الله قادر على اخراج الضد من الضد
المنفعة الثانية قوله تعالى وتستخرجون منه حلية تلبسونها يعني اللولو والمرجان كما قال يخرج
منهما اللولو والمرجان يلبسهم لبس نساءهم لان زينة النساء بالحلي وانما هو لاجل الرجال فكان ذلك زينتهم
المنفعة الثالثة قوله تعالى وترى الفلك يعني السفن مواخر فيه يعني جواري قال قتادة مقبلة ومدبرة
وذلك ترى ان سفينتين احدهما تقبل والاخرى تدبر تجريان بريح واحدة واصل المخر في اللغة الشق يقال
مخرت السفينة مخرا اذا شقت الما بجريها وقال مجاهد تمخر الرياح السفن يعني اذا جرت تسمع لها صوتا
قال ابو عبيدة يعني صوايح والمخر صوت هبوب الريح عند شدتها وقال الحسن مواخر يعني بواقر مملوءة
متاعا ولتبتغوا من فضله يعني الارباح بالتجارة في البحر ولعلكم تشكرون يعني نعم الله عليكم اذا رايتم
نعم الله فيما سخر لكم والقى في الارض رواسي يعني جبالا ثابتة ان تميد بكم يعني لئلا تميل وتضطرب بكم
والميد هو اضطراب الشي العظيم كالارض وقال وهب لما خلق الله الارض جعلت تمور وتتحرك فقالت
الملايكة ان هذه غير مقرة على ظهرها احدا فاصبحوا وقد ارسيت بالجبال فلم تدر الملايكة مم خلقت الجبال

وانهارا يعني وجعل فيها انهارا لان في القى معنى الجعل فقوله تعالى وانهارا معطوف على والقى ولما ذكر الجبال
ذكر بعدها الانهار لان معظم عيون الانهار واصولها تكون من الجبال وسبلا يعني وجعل فيها طرقا مختلفة
تسلكونها في اسفاركم والتردد في حوايجكم من بلد الى بلد ومن مكان الى مكان لعلكم تهتدون يعني بتلك السبل
الى ما تريدون فلا تضلون وعلامات يعني وجعل فيها علامات تهتدون بها في اسفاركم قال بعضهم تم
الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتدا وبالنجم هم يهتدون وقال محمد بن كعب والكلبي اراد بالعلامات
الجبال فالجبال علامات النهار والنجوم علامات الليل وقال مجاهد اراد النجوم فمنها ما يكون علامات ومنها
ما يهتدى به وقال السدي اراد بالنجوم الثريا وبنات النعش والفرقدين والجدي فهذه يهتدى بها الى الطريق
والقبلة قال قتادة انما خلق الله النجوم لثلاثة اشيا لتكون زينة للسما وعلامة الطرق ورجوما للشياطين طين
فمن قال غير هذه فقد تكلف ما لا علم له به قوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق لما خلق الله تعالى من عجايب
قدرته وعجايب صنعه وبديع خلقه ما ذكر على الوجه الاحسن والترتيب الاكمل وكانت هذه الاشيا المخلوقة
المذكورة في الايات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وانه تعالى هو المنفرد بخلقها جميعها
على سبيل الانكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الاصنام العاجزة التي لا تخلق شيا البتة
لانها جمادات لا تقدر على شي فكيف يليق بالعاقل ان يشتغل بعبادتها ويترك عبادة من يستحق العبادة
وهو الله خالق هذه الاشيا كلها ولهذا المعنى ختم هذه الاية بقوله افلا تذكرون يعني ان هذا القدر
ظاهر غير خاف على احد فلا يحتاج فيه الى دقيق الفكر والنظر بل مجرد التذكر فيه كفاية لمن فهم وعقل واعتبر
بما ذكر بقي في الاية سوالان الاول قوله كمن لا يخلق المراد به الاصنام وهي جماد لا تعقل فكيف يعبر عنها
بلفظ من وهي لمن يعقل والجواب عنه ان الكفار لما سموا هذه الاصنام الهة وعبدوها اجريت مجرى
من يعقل في زعمهم الا ترى الى قوله بعد هذه والذين تدعون من دونه لا يخلقون شيا فخاطبهم الله على قدر
زعمهم وعقولهم السوال الثاني قوله افمن يخلق كمن لا يخلق المقصود منه الزام الحجة على من عبد الاصنام
حيث جعل غير الخالق مثل الخالق فلم يكن على سبيل الاستفهام بل المراد منه ان من خلق الاشيا العظيمة واعطى
هذه النعم الجزيلة يستوي بينه وبين هذه الجمادات الخسيسة في التسمية والعبادة وكيف يليق بالعاقل
ترك عبادة من يستحق العبادة لانه خالق الاشيا هذه البتة والله تعالى اعلم قوله تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها يعني ان نعم الله على العبد فيما خلق الله على العبد من صحة البدن وعافية الجسم واعطاه
النظر الصحيح والعقل السليم والسمع الذي يفهم به الاشيا وبطش اليدين وسعي الرجلين الى غير ذلك مما انعم
الله به في نفسه وفيما انعم الله عليه مما خلق له من جميع ما يحتاج اليه من امر الدين والدنيا حتى لو رام احد معرفة
ادنى نعمة من هذه النعم لعجز عن معرفتها وحصرها فكيف بنعمه العظام التي لا يمكن الوصول لحصرها فالجميع الخلق
فذلك قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها يعني ولو اجتهدتم في ذلك واتعبتم نفوسكم فلا تقدروا عليه
ان الله لغفور رحيم يعني لتقصيركم في القيام بشكر نعمته كما يجب عليكم رحيم بكم حيث وسع عليكم النعم ولم
يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصي والله يعلم ما تسرون وما تعلنون يعني ان الكفار مع كفرهم كانوا
يسرون اشيا وهو ما كانوا يمكرون بالنبي صلى الله عليه وسلم وما يعلنون يعني وما يظهرون من اذاه
فاخبرهم الله تعالى انه عالم بكل احوالهم سرها وعلانيتها لا يخفى عليه خافية وان دقت وخفيت وقيل
ان الله تعالى لما ذكر الاصنام وذكر عجزها في الاية المتقدمة ذكر في هذه الاية انه الاله الذي يستحق
العبادة يجب ان يكون عالما بكل المعلومات سرها وعلانيتها وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تستحق

العبادة ثم وصف هذه الاصنام بصفات فقال تعالى والذين يدعون من دون الله يعني الاصنام يدعونها
من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون **فان قلت** قوله في الاية المتقدمة افمن يخلق كمن لا يخلق
تدل على ان هذه الاصنام التي يدعونها الهة من دون الله لا تخلق شيئا وقوله هنا لا يخلقون شيئا وهم يخلقون
وهذا هو نفس المعنى المذكور في الاية المتقدمة **قلت** ان المذكور في الاية المتقدمة انهم لا يخلقون
شيئا فقط والمذكور في هذه الاية انهم لا يخلقون شيئا وانهم مخلوقون لغيرهم وكان هذا زيادة في المعنى وهو
فايدة التكرار اموات اي جمادات ميتة لا حياة فيها غير احياء يعني كغيرها والمعنى لو كانت هذه الاصنام
الهة كما تزعمون لكانت احياء غير جايز عليها الموت لان الاله الذي يستحق ان يعبد هو الاله الحي الذي لا يموت
ولما كانت هذه اموات غير احياء فلا تستحق العبادة ممن عبدها فقد وضع العبادة في غير موضعها وقوله
وما يشعرون يعني هذه الاصنام ايان يبعثون وفيه دليل على ان الاصنام يجعل فيها الحياة وتبعث يوم
القيمة حتى تتبرا من عابدها وقيل معناه ما يدري الكفار الذين عبدوا الاصنام متى يبعثون قوله تعالى
الهكم اله واحد يعني الذي يستحق العبادة هو اله واحد وهذه اصنام متعددة فكيف تستحق العبادة
فالذين لا يومنون بالاخرة قلوبهم منكرة يعني جاحدة لهذا المعنى وهم مستكبرون يعني عن اتباع الحق
لان الحق والنبي كان تركه تكبر لا جرم يعني حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور
يعني عن اتباع الحق عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان
في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال ان الله جميل
يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس قوله بطر الحق هو ان يجعل ما جعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا
وهذا على قول من جعل اصل البطر من الباطل ومن جعله من الحير فمعناه يتحير عند سماع الحق فلا يقبله وقوله
وغمط الناس يقال غمطت حق فلان اذا احتقرته ولم تره شيئا وكذا معنى غمصته اذا استحقرته به وازدريته
قوله عز وجل واذا قيل لهم يعني لهولاء الذين لا يومنون بالاخرة وهم كفار مكة الذين اقتسموا عقابها
وطرقها اذا سالهم الحاج الذين يقدمون عليهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين يعني احاديثهم
واباطيلهم ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة اللام في ليحملوا لام العاقبة وذلك انهم لما وصفوا القران
بكونه اساطير الاولين كان عاقبتهم بذلك ان يحملوا اوزارهم يعني ذنوب انفسهم وانما قال كاملة لان البلايا
التي اصابتهم في الدنيا واعمال البر التي عملوها في الدنيا لا تكفر عنهم يوم القيامة بل يعاقبون بكل اوزارهم
قال الامام فخر الدين الرازي وهذا يدل على انه تعالى قد يسقط بعض العقاب عن المومنين اذ لو كان هذا
المعنى حاصلا في حق الكل لم يكن للتخصيص بهولاء الكفار بهذا التكميل فايدة قوله تعالى ومن اوزار
الذين يضلونهم بغير علم يعني ويحصل للروسا الذين يضلون غيرهم وصدوهم عن الايمان مثل اوزار
الاتباع والسبب فيه ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى كان له
من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل اثام
من تبعه لا ينقص ذلك من اثامهم شيئا اخرجه مسلم ومعنى الاية والحديث ان الرييس والكبير اذا سن
سنة حسنة او سنة قبيحة فتبعه عليها جماعة فعلوها فان الله تعالى يعظم ثوابه وعقابه حتى يكون
ذلك الثواب والعقاب مساويا للكل بما يستحقه كل واحد من الاتباع الذين عملوا بالسنة الحسنة او
القبيحة وليس المراد ان الله تعالى يوصل جميع الثواب والعقاب الذي يستحقه الاتباع الى الروسا لان
ذلك ليس بعدل الله ويدل عليه قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله تعالى وان ليس للانسان الا

ماسعى قال الواحدي ولفظة من في قوله ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ليست للتبعيض لانها لو كانت
للتبعيض لنقص عن الاتباع بعض الاوزار وذلك غير جايز لقوله عليه الصلاة والسلام لا ينقص ذلك من اثامهم
شيئا ولكنها للجنس اي ليحملوا من جنس اوزار الاتباع فقوله بغير علم يعني ان الروسا انما يقدمون على اضلال غيرهم
بغير علم بما يستحقونه من العقاب على ذلك الاضلال بل يقدمون عليه ذلك جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب
الشديد الا ساء ما يزرون يعني الا بيس ما يحملون ففيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى قد مكر الذين من قبلهم
يعني من قبل كفار قريش وهو نمرود بن كنعان الجبار وكان اكبر ملوك الارض في زمن ابراهيم عليه السلام
وكان من مكره انه بنى صرحا ببابل ليصعد الى السماء ويقاتل اهلها في زعمه قال ابن عباس وكان طول الصرح
في السماء خمسة الاف ذراع وقال كعب كان طوله فرسخين فهبت ريح فقصفته والقت راسه في البحر وخر عليهم
الباقي فاهلكهم وهم تحته ولما سقط تبلبلت السنة الناس من الفزع فتكلموا يوميذ بثلاث وسبعين لسانا
فلذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك السريانية **قلت** هكذا ذكره البغوي وفي هذا نظر لان صالحا
عليه السلام كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية وكان اهل اليمن عرب منهم الذين نشا صالح بينهم وتعلم منهم
العربية وكان قبايل من العرب قديمة قبل ابراهيم مثل طسم وجديس ولا من كل هولاء عرب فتكلموا من قديم
الزمان بالعربية ويدل على صحة هذا القول ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى والله اعلم وقيل حمل قوله قد مكر الذين
من قبلهم على العموم اولى فتكون الاية عامة في جميع الماكرين المبطلين الذين يحاولون الحاق الضرر والمكر بالغير قوله
تعالى فاتى الله بنيانهم من القواعد يعني قصد تخريب بنيانهم من اصوله وذلك بان اتاهم ريح فقصفت بنيانهم من اعلاه
واتاهم زلازل فقلعت بنيانهم من قواعده واساسه هذا اذا حملنا تفسير الاية على القول الاول وهو ظاهر اللفظ
وان حملنا تفسير الاية على القول الثاني وهو حملها على العموم كان المعنى انهم لما رتبوا منصوبات ليمكروا بها على انبيا
الله واهل الحق من عباده فاهلكهم الله تعالى وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم بنوا بنيانا وثيقا شديدا ودعموه
بالاساطين فانهدم ذلك البنيان وسقط فاهلكهم فهو مثل ضربه الله تعالى لمن مكر باخر فاهلكه الله بمكره ومنه
المثل السائر على السنة الناس من حفر بيرا لاخيه اوقعه الله فيه قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم يعني سقط
عليهم السقف فاهلكهم وقوله من فوقهم للتاكيد لان السقف لا يخر الا من فوقهم وقيل يحتمل انهم لم يكونوا تحت
السقف عند سقوطه فلما قال من فوقهم علم انهم كانوا تحته وانه لما خر عليهم اهلكهم وماتوا تحته واتاهم العذاب
من حيث لا يشعرون يعني في مامنهم وذلك انهم لما اعتمدوا على قوة بنيانهم وشدته كان ذلك البنيان سبب
هلاكهم ثم يوم القيمة يخزيهم يعني يهينهم بالعذاب يحصل لهم في الدنيا وفي الخزي في الاخرة لان الخزي هو
العذاب مع الهوان ويقول يعني ويقول الله لهم اين شركاي يعني في زعمكم واعتقادكم الذين كنتم تشاقون
فيهم يعني كنتم تعادون وتخالفون المومنين وتخاصمونهم في شانهم لان المشاقة عبارة عن كون كل
واحد من الخصمين في شق غير شق صاحبه والمعنى ما لهم لا يحضرون معكم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم من
العذاب والهوان قال الذين اوتوا العلم يعني المومنين وقيل الملايكة ان الخزي يعني الهوان اليوم يعني
في هذا اليوم وهو يوم القيامة والسوء يعني العذاب على الكافرين وانما يقول المومنون هذا يوم القيامة
لان الكفار كانوا يستهزون بالمومنين في الدنيا وينكرون عليهم احوالهم فاذا كان يوم القيامة ظهر اهل
الحق واكرموا بانواع الكرامات واهين اهل الباطل وعذبوا بانواع العذاب فعند ذلك يقول المومنون
الخزي اليوم والسوء على الكافرين وفايدة هذا القول اظهار الشماتة بهم فتكون اعظم في الهوان والخزي قوله
تعالى الذين تتوفاهم الملايكة ظالمي انفسهم تقبض ارواحهم الملايكة وهو ملك الموت واعوانه وهم ظالمي

Copyright © King Saud University

انفسهم بالكفر فالقوا السلم يعني استسلموا وانقادوا لامر الله الذي نزل عليهم وقالوا ما كنا نعمل من سوء يعني
شركا واشاقا قالوا ذلك من شدة الخوف بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون يعني بلا فايدة لكم في انكاركم قال عكرمة فسمي ذلك
سوء من قتل من الكفار يوم بدر ادخلوا اي فيقال لهم ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها يعني مقيمين فيها لا يخرجون
منها ابدا فانما قال ذلك لهم ليكونوا اعظم في الحزن والغم وفيه دليل على ان الكفار بعضهم اشد عذابا من بعض
فلبئس مثوى المتكبرين يعني عن الايمان قوله عز وجل وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا
وذلك ان احياء العرب كانوا يبعثون الى مكة ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوفد
سيل الذين كانوا يقعدون على طرقات مكة من الكفار فيقولون هو ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون
واذا لم تلقه خير لك فيقول الوافد انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان ادخل مكة والقاه فيدخل مكة
فيرى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسالهم عنه فيخبرونه بصدقه وامانته وانه نبي مبعوث من
الله تعالى فذلك قوله تعالى وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا لانهم اتقوا الشرك وقول الزور
والكذب يعني انزل خيرا **فان قلت** لم رفع الاول وهو قوله قالوا اساطير الاولين ونصب
الثاني وهو قوله قالوا خيرا **قلت** ليحصل الفرق بين الجوابين جواب المنكر الجاحد وجواب المقر
المومن وذلك انهم لما سيلوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن السوال فقالوا هو
اساطير الاولين وليس هو من الانزال في شي لانهم عدلوا ولم يعتقدوا كونه منزلا ولما سيلوا المومنين عن المنزل على
النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السوال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا اي
انزل خيرا وتم الكلام عند قوله خيرا فهو وقف تام ثم ابتدا بقوله للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة
يعني للذين اتوا بالاعمال الصالحة الحسنة لهم ثوابها حسنة مضاعفة من الواحدة الى العشر الى السبعماية
الى اضعاف كثيرة وقال الضحاك هي النصر والفتح وقال مجاهد هي الرزق الحسن فعلى هذا يكون المعنى للذين
احسنوا ثواب احسانهم في هذه الدنيا حسنة وهي النصر والفتح والرزق الحسن وغير ذلك مما انعم الله على عباده في
الدنيا ويدل على صحة هذا التاويل قوله تعالى ولدار الاخرة خير يعني مما اعد الله لهم في الجنة خير مما يحصل لهم في
الدنيا ولنعم دار المتقين يعني الجنة وقال الحسن هي الدنيا لان اهل التقوى يتزودون فيها الى الاخرة والقول
الاول هو قول جمهور المفسرين لان الله تعالى فسر هذه الاية بقوله جنات عدن يعني بساتين اقامة
من قولهم عدن بالمكان اي اقام به يدخلونها يعني تلك الجنان يعني لا يرحلون منها ولا يخرجون عنها تجري من
تحتها الانهار يعني تجري الانهار في هذه الجنان تحت دور اهلها وقصورهم ومساكنهم لهم فيها يعني في
الجنان ما يشاءون يعني ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين مع زيادة غير ذلك وهذه الحالة لا تحصل لاحد في
الجنة لان قوله لهم فيها ما يشاءون لا يفيد الحصر وذلك يدل على ان الانسان لا يجد كل ما يريد في الدنيا
كذلك يجزي الله المتقين اي هكذا يكون جزاء المتقين ثم عاد الى وصف المتقين فقال تعالى الذين
تتوفاهم الملائكة طيبين يعني مومنين طاهرين من الشرك قال مجاهد زاكية افعالهم واقوالهم وقيل
ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى حسن فيدخل فيها انهم اتوا بكل ما امروا به من فعل الخيرات والطاعات
واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكروهات والمحرمات مع الاخلاق الحسنة والخصال الحميدة والمباعدة من
الاخلاق الذميمة والخصال المكروهة القبيحة وقيل معناه ان وفاتهم تكون طيبة سهلة لانهم يبشرون
عند قبض ارواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك السرور والفرح والابتهاج فيسهل
عليهم قبض ارواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة يقولون يعني الملائكة سلام عليكم يعني تسلم عليهم

الملائكة

الملائكة وتبلغهم السلام من الله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون يعني في الدنيا من الاعمال الصالحة **فان قلت**
كيف الجمع بين قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل الجنة احد منكم بعمله قالوا ولا
انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وفضله اخرجه في الصحيحين من حديث ابي هريرة **قلت**
قال الشيخ العلامة محيي الدين النووي رحمه الله اعلم ان مذهب اهل السنة انه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب
ولا ايجاب ولا تحريم ولا غيرهما من انواع التكليف ولا تثبت هذه الاشيا كلها ولا غيرها الا بالشرع ومذهب اهل
السنة ايضا ان الله تعالى لا يجب عليه شي بل العالم كله ملكه والدنيا والاخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشا ولو
عذب المطيعين والصالحين اجمعين وادخلهم النار كان ذلك منه عدلا واذا اكرمهم وادخلهم الجنة كان ذلك له ومنه فضلا
ولكنه تعالى اخبر وخبره صدق لا يفعل هذا بل يغفر للمومنين ويدخلهم الجنة ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا
منه واما المعتزلة فيثبتون الاحكام بالعقل ويوجبون ثواب الاعمال ويوجبون الاصلح في خبط طويل لهم تعالى
الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع وفي ظاهر الحديث دلالة لاهل الحق انه لا يستحق احد
الثواب والجنة بطاعته واما قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ونحوها من الايات التي تدل على ان
الاعمال الصالحة يدخل بها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الايات ان دخول الجنة بسبب الاعمال
ثم التوفيق للاعمال والهداية للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح انه لم يدخل الجنة بمجرد العمل
وهو مراد الحديث ويصح انه دخل بالاعمال اي بسببها وهي من الرحمة والفضل والمنة والله اعلم بمراده قوله تعالى
هل ينظرون يعني هولاء الذين اشركوا بالله وجحدوا نبوتك يا محمد الا ان تاتيهم الملائكة يعني لتقبض ارواحهم
او ياتي امر ربك يعني بالعذاب في الدنيا وهو عذاب الاستيصال وقيل المراد به يوم القيمة كذلك فعل
الذين من قبلهم يعني من الكفر والتكذيب وما ظلمهم الله يعني بتعذيبه اياهم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون يعني باكتسابهم الكفر والاعمال القبيحة الخبيثة فاصابهم سيئات ما عملوا اي يعني فاصابهم
عقوبات ما اكتسبوا من الاعمال الخبيثة وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون والمعنى نزل بهم جزاء استهزائهم
وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شي نحن يعني اي مشركي مكة قالوا هذا على طريق الاستهزاء والحاصل — اباؤنا
انهم تمسكوا بهذا القول في انكار النبوة فقالوا لو شاء الله لحصل ديننا او لم يجي ولو شاء الله منا الكفر لحصل حيث
او لم يجي فان كان الامر كذلك وكان الكل من الله تعالى فلا فائدة في بعثة الرسل الى الامم والجواب عن هذا انهم لما
قالوا الكل من الله كان بعثة الرسل عبثا فهذا اعتراض على الله تعالى وهو جار مجرى طلب العلة في احكام الله تعالى
وفي افعاله وهو باطل لان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا اعتراض لاحد عليه في احكامه وافعاله
ولا يجوز لاحد ان يقول له لم تفعل هذا ولم تفعل هذا اذا كان في حكم الله تعالى وسنته في ارسال الرسل اليهم
ليامروهم بعبادة الله تعالى وينهوهم عن عبادة غيره وان الهدى والضلالة اليه فمن هداه فهو المهتدي ومن اضل
فهو الضال وهذه سنة الله في عباده انه يامرهم بالايمان به وينهاهم عن الكفر ثم انه تعالى يهدي من يشاء ويضل
من يشاء فلا اعتراض لاحد عليه ولما كان سنة الله قديمة ببعثة الرسل الى الامم الكافرة المكذبة كان قول هولا
لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شي نحن ولا اباؤنا جهلا منهم لانهم اعتقدوا ان كون الامر كذلك يمنع من جواز
بعثة الرسل وهذا الاعتقاد باطل فلا جرم استحقوا عليه الذم والوعيد واما قوله تعالى ولا حرمنا من
دونه من شي يعني البحيرة والسائبة والوصيلة والحام فلولا ان الله رضيها لنا لغير ذلك ولهدانا الى غيرها كذلك
فعل الذين من قبلهم يعني ان من تقدم هولاء من كفار مكة من الامم الماضية كانوا على هذه الطريقة وهذا الفعل
الخبيث فانكار بعثة الرسل كان قديما في الامم الخالية فهل على الرسل الا البلاغ المبين يعني ليس اليهم هداية

Copyright © King Saud University

احدا انما عليهم تبليغ ما ارسلوا به الى من ارسلوا اليه ولقد بعثنا في كل امة رسولا يعني كما بعثنا فيكم محمدا صلى الله
عليه وسلم رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يعني ان الرسل كانوا يامرونهم ان يعبدوا الله ويجتنبوا عبادة الطاغوت
وهو اسم كل معبود عبد من دون الله فمنهم يعني من الامم الذين جاتهم الرسل من هدى الله يعني من هداه الله
الى دين الاسلام والايمان به والتصديق ومنهم من حقت عليه الضلالة يعني ومن الامم من وجبت عليه
الضلالة بالقضاء السابق في الازل حتى مات على الكفر والضلالة وفي هذه الاية ابين دليل على ان الهادي
والمضل هو الله تعالى لانه المتصرف في عباده فيهدي من يشا ويضل من يشا لا اعتراض لاحد عليه فيما حكم في سابق
علمه فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين يعني فسيروا في الارض معتبرين متفكرين لتنظروا
مال من كذب الرسل وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك ولتعرفوا ان العذاب نازل بكم ان اصررتم على الكفر
والتكذيب كما نزل بهم قوله تعالى ان تحرص على هداهم يعني الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ان تحرص يا محمد
على هدى هولا وايمانهم وتجتهد كل الجهد فان الله لا يهدي من يضل قرى بفتح اليا وكسر الدال يعني لا يهدي الله
من اضله وقرى بضم اليا وفتح الدال ومعناه من اضله الله فلا هادي له وما لهم من ناصرين اي مانعين يمنعونهم
من العذاب واقسموا بالله جهد ايمانهم قال ابن الجوزي سبب نزولها ان رجلا من المسلمين كان له على رجل من
المشركين دين فاتاه يتقاضاه فكان فيما تكلم به المسلم والذي ارجوه بعد الموت فقال المشرك انك لتزعم
انك تبعث بعد الموت فاقسم بالله لا يبعث الله من يموت فنزلت هذه الاية قال ابو العالية وتقرير
الشبهة التي حصلت للمشركين في انكار البعث بعد الموت ان الانسان ليس هو الا هذه البنية المخصوصة
فاذا مات وتفرقت اجزاوه وبلي امتنع عوده بعينه لان الشي اذا عدم فقد فني ولم يبق له ذات ولا
حقيقة بعد فنائه وعدمه وهذا هو اصل شبهتهم ومعتقدهم في انكار البعث بعد الموت فذلك قوله
واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت فرد الله عليهم ذلك وكذبهم في قوله تعالى بلى يعني بل
يبعثهم بعد الموت لان لفظة بلى اثبات بعد النفي والجواب عن شبهتهم ان الله تعالى خلق الانسان واوجده
من العدم ولم يك شيئا فالذي اوجده بقدرته ثم اعدمه قادر على ايجاده بعد اعدامه لان النشاة
الثانية اهون من الاولى وعدا عليه حقا يعني ان الذي يبعث به من البعث بعد الموت وعدا حقا لا خلف
فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني لا يفهمون كيف يكون ذلك القول فان الله سبحانه وتعالى قادر على كل
شي ليبين لهم الذي يختلفون فيه يعني من امر البعث ويظهر لهم الحق الذي لا خلف فيه وليعلم الذين
كفروا انهم كانوا كاذبين يعني في قولهم لا بعث بعد الموت انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن
فيكون يعني ان الله تعالى قادر اذا اراد ان يحيي الموتى ويبعثهم للحساب والجزا فلا تعب عليه في
احيايهم وبعثهم انما يقول لشي اراده كن فيكون على ما اراد الله لانه القادر الذي لا يعجزه شي اراده عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يشتمني ابن ادم وما
ينبغي له ان يشتمني ويكذبني وما ينبغي له ان يكذبني اما شتمه اياي فيقول ان لي ولدا واما تكذيبه فقوله
ليس يعيدني كما بداني وفي رواية كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك اما تكذيبه اياي
فقوله لن يعيدني كما بداني وليس اول الخلق علي باهون من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله
ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا يعني
اوذوا وعذبوا نزلت في بلال وصهيب وخباب وعابس وجبير وابو جندل بن سهيل اخذهم المشركون
بمكة فجعلوا يعذبونهم ليرجعوا عن الاسلام الى الكفر فهم المستضعفون فاما بلال فكانوا يخرجونه الى

البطحا

البطحا بمكة في شدة الحر ويشدونه ويجعلون على صدره الحجارة وهو يقول الله الله احد احد فاشتراه
منهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه واعتقه واشترى معه ستة نفر اخر واما صهيب فقال لهم
اني رجل كبير ان كنت معكم فلن انفعكم وان كنت عليكم فلا اضركم فاشترى نفسه بماله فباعوه منه
ثم به ابو بكر الصديق رضي الله عنه فقال يا صهيب ربح البيع وقيل اعطوهم بعض ما يريدون فخلوا
عنهم وقال قتادة هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلمهم اهل مكة فاخرجوهم من ديارهم حتى
لحق طايفة بالحبشة ثم بواهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة فهاجروا اليها وجعل لهم انصارا
من المومنين فاووهم ونصروهم وواسوهم وهذه الاية تدل على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وفيه دليل على
ان الهجرة اذا لم تكن بهم خالصة لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى بلد اخر ومنه حديث
الاعمال بالنيات وفيه من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا
يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه الحديث اخرجاه في الصحيحين من رواية عمر بن الخطاب رضي
الله عنه قوله عز وجل لنبوينهم في الدنيا حسنة يعني لنسكننهم تبوية حسنة وهو انه تعالى انزلهم المدينة
وجعلها لهم دار هجرة والمعنى لنبوينهم في الدنيا دارا حسنة او بلدة حسنة وهي المدينة روي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه اذا اعطى الرجل من المهاجرين عطاه يقول له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما
ادخر لك في الاخرة افضل ثم يقول هذه الاية وقيل معناه لنحسنن اليهم في الدنيا بان يفتح الله لهم مكة ويمكنهم
من اهلها الذين ظلموهم واخرجوهم منها ثم ينصرهم على العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وقيل
المراد بالحسنة التوفيق في الدنيا والهداية ولاجر الاخرة اكبر يعني اعظم وافضل واشرف مما اعطاهم
في الدنيا لو كانوا يعلمون قيل الضمير يرجع الى الكفار لان المومنين يعلمون ما لهم في الاخرة والمعنى لو كان هولا
الكفار يعلمون ان اجر الاخرة اكبر مما هم فيه من نعيم الدنيا لرغبوا فيه وقيل انه راجع الى المومنين المهاجرين والمعنى
لو كانوا يعلمون ما اعد الله لهم في الاخرة لزادوا في الجد والاجتهاد والصبر على ما اصابهم من اذى المشركين وكانوا
من الذين صبروا يعني في الله على ما نالهم من الاذى والمكروه فهو صفة مدح يعني صبروا على العذاب ومفارقة
الوطن وعلى الجهاد وبذل الانفس والاموال في سبيل الله وعلى ربهم يتوكلون يعني في امورهم كلها قال بعضهم
ذكر الله الصبر والتوكل في هذه الاية وهما مبدا السلوك الى الله تعالى ومنتهاه اما الصبر فهو قهر النفس
وحبسها على اعمال البر وسائر الطاعات واحتمال الاذى من الخلق والصبر على الشهوات المباحات
والمحرمات والصبر على المصايب واما التوكل والانقطاع عن الخلق بالكلية والتوجه الى الحق تعالى بالكلية
فالاول هو ابتدا السلوك الى الله تعالى والثاني هو اخر الطريق ومنتهاه قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا نوحي اليهم نزلت هذه الاية جوابا لمشركي مكة حيث انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قالوا الله
اعظم واجل من ان يكون رسوله بشرا فهلا بعث ملكا الينا فاجابهم الله تعالى بقوله وما ارسلنا من قبلك
يا محمد الا رجالا يعني مثلك نوحي اليهم والمعنى ان عادة الله عز وجل جارية من ابتدا الخلق انه لم يبعث
الا رسولا من البشر فهذه عادة مستمرة وسنة جارية قديمة فاسالوا اهل الذكر يعني اهل الكتاب وهم اليهود
والنصارى وانما امرهم بسوال اهل الكتاب لان كفار مكة كانوا يعتقدون ان اهل الكتاب اهل علم وقد ارسل
اليهم رسلا منهم مثل موسى وعيسى وغيرهم من الرسل وكانوا بشرا مثلهم فاذا سالوهم فلا بد ان يخبروا بان
الرسل الذين ارسلوا اليهم كانوا بشرا فاذا اخبروهم بذلك زالت الشبهة عن قلوبهم ان كنتم لا تعلمون الخطاب
لاهل مكة يعني ان كنتم يا هولا لا تعلمون ذلك بالبينات والزبر اختلفوا في المعنى الجالب لهذه البا

Copyright © King Saud University

فقيل المعنى وما ارسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا يوحى اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
انتم لفظ جامع لكل ما يتكامل به امر الرسالة لان مدار الرسل على المعجزات الدالة على صدقهم وهي البينات وعلى بيان
الشرايع والتكاليف وهي المراد بالزبر يعني الكتب المنزلة على الرسل من الله عز وجل **وانزلنا اليك الذكر** الخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم يعني وانزلنا عليك الذكر يا محمد الذي هو القران وانما سماه ذكرا لان فيه مواعظ وتنبيه للغافلين
لتبين للناس ما نزل اليهم يعني ما اجمل اليك من احكام القران وبيان الكتاب يطلب من السنة والمبين لذلك المجمل
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال بعضهم متى وقع تعارض بين القران والحديث وجب تقديم الحديث
لان القران مجمل والحديث مبين بدلالة هذه الاية والمبين مقدم على المجمل وقال بعضهم القران منه محكم ومنه
متشابه فالمحكم يجب ان يكون مبينا والمتشابه هو المجمل يطلب بيانه من السنة فقوله لتبين للناس ما نزل اليهم محمول
على ما اجمل فيه دون المحكم المبين المفسر **ولعلهم يتفكرون** يعني فيما انزل اليهم فيعملوا به **افامن الذين مكروا السيات**
فيه اضمار تقديره المكرات السيات وهم كفار قريش مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وباصحابه وبالغوا في اذيتهم
والمكر عبارة عن السعي بالفساد على سبيل الاخفا وقيل المراد بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله فيكون مكرهم على
انفسهم والصحيح ان المراد بهذا المكر السعي في اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين وقيل المراد بالذين مكروا
السيات نمرود ومن هو مثله والصحيح ان المراد عام كفار مكة **ان يخسف الله بهم الارض** يعني كما خسف بقرون من
قبلهم **او ياتيهم العذاب من حيث** **لا يشعرون** يعني ان العذاب ياتيهم بغتة بحيث لا يشعرون به **او ياخذهم في تقلبهم** يعني في تصرفهم في الاسفار فانه تعالى قادر على اهلاكهم في السفر كما هو قادر على اهلاكهم
في الحضر وقال ابن عباس ياخذهم في اختلافهم وقال ابن جريج في اقبالهم وادبارهم يعني انه تعالى قادر على ان
ياخذهم ليلا ونهارا في ليلهم ونهارهم وفي جميع احوالهم **فما هم بمعجزين** اي بسابقين الله وبفوتونه بل هو
قادر عليهم **او ياخذهم على تخوف** قال ابن عباس ومجاهد يعني على تنقص وقال ابن قتيبة التخوف التنقص ومثله
التخون يقال تخوفه الدهر وتخونه اذا تنقصه واخذ ماله وحشمه ويقال هذه لغة هذيل فعلى هذا القول
يكون المراد به يتنقص من اطرافهم ونواحيهم الشي بعد الشي حتى يهلك جميعهم وقيل هو على اصله من الخوف ثم يحتمل انه
تعالى لا ياخذهم بالعذاب ولا بل يخوفهم ثم يعذبهم بعد ذلك وقال الضحاك والكلبي هو من الخوف يعني طايفة
فتتخوف الاخرون ان يصيبهم مثل ما اصابهم والحاصل انه تعالى خوفهم بخسف يحصل في الارض او بعذاب
ينزل من السما او بافات تحدث دفعة او بافات تحدث قليلا قليلا الى ان ياتي الهلاك على اخرهم ثم انه
تعالى ختم الاية بقوله **فان ربكم لرؤف رحيم** يعني انه تعالى لا يعاجل بالعقوبة والعذاب قوله تعالى **او لم يروا**
قرىء بالتاء على خطاب الحاضرين وبالياء على الغيبة **الى ما خلق الله من شيء** يعني من جسم قايم له ظلمة وهذه
الروية لما كانت بمعنى النظر وصلت بالى لان المراد منها الاعتبار والاعتبار لا يكون الا بنفس الروية التي يكون
معها نظر الى الشي ليتامل احواله ويتفكر فيه ويعتبر به **يتفيوا ظلاله** يعني تميل وتدور من جانب الى جانب
فهي في اول النهار على حال ثم تتقلص ثم تعود اخر النهار الى حالة اخرى ويقال للظل بالعشي فيء لانه من فاء يفي
اذا رجع من المغرب الى المشرق والفي الرجوع قال الازهري تفيو الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالتفيو
لا يكون الا بالعشي وما انصرفت عنه الشمس والظل يكون بالغداة وهو ما لم تنله الشمس وقوله ظلاله
جمع ظل وانما اضاف الظلال وهو جمع الى مفرد وهو قوله من شي لانه يراد به الكثرة ومعناه الاضافة الى ذوي الظلال
عن اليمين والشمايل قال العلما اذا طلعت الشمس من المشرق وانت متوجه الى القبلة كان ظلك عن
يمينك فاذا ارتفعت الشمس واستوت في وسط السما كان ظلك خلفك فاذا مالت الشمس الى الغروب كان
ظلك عن يسارك وقال قتادة والضحاك اما اليمين فاول النهار واما الشمال فاخر النهار وانما وحد اليمين واذ كان

المراد

المراد بالجمع للايجاز والاختصار في اللفظ وقيل اليمين راجع الى لفظ الشي وهو واحد والشمايل راجع الى المعنى لان لفظ
الشي يراد به الجمع **سجدا لله** في معنى هذا السجود قولان احدهما ان المراد به الاستسلام والانقياد والخضوع يقال سجد
البعير اذا طاطا راسه ليركب وسجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل والمعنى ان جميع الاشيا التي لها ظلال فهي
منقادة لله مستسلمة لامره غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيو وغيره قال مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شي
لله والقول الثاني في معنى هذا السجود ان الظلال واقعة على الارض ملتصقة بها كالساجد على الارض فلما
كانت الظلال تشبه شكلها شكل الساجدين اطلق الله عليها هذا اللفظ وقيل ظل كل شي يسجد لله سوا كان ذلك الشي
يسجد لله او لا ويقال ان ظل الكافر يسجد لله وهو غير ساجد لله **وهم داخرون** اي صاغرون اذلا والداخر الذي يفعل
ما امر به شا ام ابى وذلك ان جميع الاشيا منقادة الى الله تعالى **فان قلت** الظلال ليست من
العقلا فكيف عبر عنها بلفظ من يعقل وجمعها بالواو والنون **قلت** لما وصفها الله تعالى بالطاعة
والانقياد لامره وذلك صفة من يعقل عبر عنها بلفظ من يعقل وجاز جمعها بالواو والنون وهو جمع العقلا
قوله تعالى **ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة** قال العلما السجود نوعان سجود طاعة وسجود كسجود
المسلم لله تعالى وسجود خضوع وانقياد كسجود الظلال فقوله ولله يسجد ما في السموات وما في الارض يحتمل النوعين
لان سجود كل شي بحسبه فسجود الملايكة والمسلمين لله سجود عبادة وطاعة وسجود غيرهم سجود انقياد وخضوع
واتى بلفظ ما في قوله ما في السموات وما في الارض للتغليب لان من لا يعقل اكثر ممن يعقل في العدد والحكم للاغلب
كتغليب المذكر على المونث وانه لو اتى بمن التي هي للعقلا خاصة واتى بلفظة ما ليشمل الكل ولفظة الدابة
مشتقة من الدبيب وهو عبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة اسم يقع على كل حيوان جسماني يتحرك ويدب
لانه يدخل فيه الانسان لانه مما يدب على الارض ولهذا افرد الملايكة في قوله **والملايكة** لانهم اولو اجنحة
يطيرون بها او افردهم بالذكر وان كانوا من جملة من في السموات لشرفهم وقيل اراد ولله يسجد ما في السموات من
الملايكة وما في الارض من دابة فسجود الملايكة والمسلمين بالطاعة وسجود غيرهم تذللها وتسخيرها لما
خلقت له وسجود ما لا يعقل والجمادات تدل على قدرة الصانع سبحانه وتعالى فتدعو الغافلين الى السجود
لله عند التامل والتدبير **وهم لا يستكبرون** يعني الملايكة **يخافون ربهم من فوقهم** هو كقوله وهو القاهر
فوق عباده وقد تقدم تفسيره **ويفعلون ما يومرون** عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السما وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك
واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنسا على الفرش ولخرجتم الى
الصعدات تجارون الى الله تعالى قال ابو ذر لوددت اني كنت شجرة تعضد اخرجه الترمذي عن ابي ذر رضي الله
عنه موقوفا **فصل** وهذه السجدة من عزايم سجود القران فيسن للقاري والمستمع ان يسجد عند
تلاوتها وسماعها قوله تعالى **وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين** لما اخبر الله عز وجل في الاية المتقدمة ان كل
ما في السموات والارض خاضعون له منقادون لامره عابدون له وانهم في ملكه وتحت قهره وقبضته نهى في
هذه الاية عن الشرك وعن اتخاذ الهين اثنين فقال وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين قال الزجاج ذكر الاثنين
توكيدا لقوله الهين وقال صاحب النظم فيه تقديم وتاخير تقديره لا تتخذوا اثنين الهين يعني لا تتخذوا اثنين
الهين لا يكون لكل واحد منهما الها ولكن اتخذوا الها واحدا وهو قوله تعالى **انما هو اله واحد** لان الالهين لا يكونا
متساويين في الوجود ومعنى الالهين اثنين في القدم وصفات الكمال والقدرة والارادة فصارت الاثنينية
منافية للالهية فلذلك قوله انما هو اله واحد يعني لا يجوز ان يكون في الوجود الهين اثنين انما هو اله واحد

فاياي فارهبون يعني خافون والرهب مخافة مع حزن واضطراب وانما نقل الكلام من الغيبة الى خطاب الحضور وهو من طريق الالتفات لانه ابلغ في الترهيب من قوله فاياي فارهبون فهو من بديع الكلام وبليغه وقوله فاياي فارهبون يفيد الحصر وهو ان لا يرهب الخلق الا منه ولا يرغبوا الا اليه والى كرمه وفضله واحسانه **وله ما في السموات والارض** لما ثبت بالدليل الصحيح والبرهان الواضح ان اله العالم لا شريك له ثم اثبت وجب ان يكون جميع المخلوقات عبيدا له وملكه **وله الدين واصبا** يعني وله العبادة والطاعة واخلاص العمل دائما ثابتا والواصب الدائم قال ابن قتيبة ليس من احد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك بسبب في حال الحياة او بالموت الا الحق سبحانه وتعالى فان طاعته واجبة دائمة ابدا **افغير الله تتقون** يعني انكم عرفتم ان الله واحد لا شريك له في ملكه وعرفتم ان كل ما سواه محتاج اليه فبعد هذه المعرفة كيف تخافون غيره وتتقون فهو استفهام بمعنى التعجب وقيل هو استفهام على طريق الانكار قوله عز وجل **وما بكم من نعمة فمن الله** يعني من نعمة الاسلام وصحة الابدان وسعة الارزاق وكلما اعطاكم من مال او ولد فكل ذلك من الله تعالى انما هو المتفضل به على عباده فيجب عليكم شكره على جميع انعامه ولما بين في الاية المتقدمة انه يجب على جميع العباد ان لا يخافوا الا الله تعالى بين في هذه الاية ان جميع النعم منه فلا يشكر عليها الا اياه لانه هو المتفضل بها على عباده فيجب عليهم شكره عليها **ثم اذا مسكم الضر** اي الشدة والامراض والاسقام **فاليه تجارون** يعني اليه تستغيثون وتضجون بالدعا ليكشف عنكم ما نزل بكم من الضر والشدة واصل الجوار هو رفع الصوت الشديد ومعنى جوار البقر والمعنى ان النعم لما كانت كلها ابتداء فان حصل شدة وضر في بعض الاوقات فلا يلجا الا اليه ولا يدعا الا اياه ليكشفها فانه القادر على كشفها وهو قوله تعالى **ثم اذا كشف الضر عنكم** يعني ثم اذا ازال الشدة والبلا عنكم **اذا فريق منكم** يعني طايفة منكم وجماعة منكم **بربهم يشركون** يعني انهم يضيفون كشف الضر الى العوايد والاسباب ولا يضيفونه الى الله تعالى فهذا من جملة شركهم الذي كانوا عليه وانما قسمهم فريقين لان فريق المومنين لا يرون كشف الضر الا من الله تعالى ثم قال تعالى **ليكفروا بما اتيناهم** وقيل ان هذه اللام لام كي ويكون المعنى على هذا انهم انما اشركوا بالله ليجحدوا نعمه عليهم في كشف الضر عنهم وقيل انها لام العاقبة والمعنى عاقبة امرهم هو كفرهم بما اتيناهم من النعما وكشفنا عنهم الضر والبلا **فتمتعوا** لفظة امر والمراد منه التهديد والوعيد يعني فعيشوا في اللذة التي انتم فيها الى المدة التي ضربها الله لكم **فسوف تعلمون** يعني عاقبة امركم الى ماذا يصير وهو نزول العذاب بكم قوله تعالى **ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا** قيل الضمير في قوله لما لا يعلمون عايد الى المشركين يعني ان المشركين لا يعلمون وقيل انه عايد الى الاصنام يعني ان الاصنام لا تعلم شيا البتة لانها جماد والجماد لا علم له ومنهم من رجح القول الاول لان نفي العلم عن الحي حقيقة وعن الجماد مجاز فكان عود الضمير الى المشركين اولى ولانه قال لما لا يعلمون فجمعهم بالواو والنون وهو جمع من يعقل ومنهم من رجح القول الثاني قال لانا اذا قلنا الى المشركين احتجنا فيه الى اضمار فيكون المعنى ويجعلون يعني المشركين لما لا يعلمون انه اله ولا له حق نصيبا واذا قلنا انه عايد الى الاصنام لم نحتج الى هذا الاضمار لانها لا علم لها ولا فهم قوله **مما رزقناهم** يعني ان المشركين جعلوا للاصنام نصيبا من حروثهم وانعامهم واموالهم التي رزقهم الله وتقدم تفسيره في سورة الانعام **تالله** اقسم بنفسه عن نفسه انه يسئلهم يوم القيامة **لتسالن عما كنتم تفترون** يعني عما كنتم تكذبون في الدنيا في قولكم من هذه الاصنام الالهة وان لها نصيبا من اموالكم وهذا الالتفات من الغيبة الى الحضور وهو من بديع الكلام وبليغه **ويجعلون لله البنات** وهم خزاعة وكنانة قالوا الملايكة بنات الله وانما

اطلقوا

اطلقوا لفظ البنات على الملايكة لاستتارهم عن الاعين كالنسا او لدخول لفظ التانيث في تسميتهم **سبحانه** نزه نفسه عن الولد والبنات **ولهم ما يشتهون** يعني ويجعلون لانفسهم ما يشتهون يعني من البنين **واذا بشر احدهم بالانثى** يعني بشر احدهم بالانثى البشارة عبارة عن الخبر السار الذي يظهر على بشرة الوجه اثر الفرح به ولما كان ذلك الفرح والسرور يوجبان تغير بشرة الوجه فكذلك الحزن والغم يظهر اثره على الوجه وهو الكمودة التي تعلو الوجه عند حصول الحزن والغم فثبت بهذا ان البشارة لفظ مشترك بين الخير والشر والخبر المحزن نحو قوله واذا بشر احدهم **ظل وجهه مسودا وهو كظيم** يعني متغيرا من الحزن والغم والغيظ والكراهة التي حصلت له عند البشارة والمعنى ان هولا المشركين لا يرضى احدهم بالبنت الانثى ان تنسب اليه فكيف يرضى ان ينسبها الى الله تعالى ففيه تبكيت لهم وتوبيخ وقوله **يتوارى من القوم** يعني انه ظل ممتلئ حزنا وهما **من سوء ما بشر به ايمسكه على هون** يعني انه يختفي من ذلك القول الذي بشر به وذلك ان العرب كانوا في الجاهلية اذا قرب ولادة زوجة احدهم توارى عن القوم حتى يعلم ما ولد له فان ولد له ذكرا ابتهج وسر بذلك وظهر وان ولد له انثى حزن ولم يظهر اياما حتى يفكر ما يصنع بها وهو قوله تعالى ايمسكه على هون يعني على هوان وانما ذكر الضمير في ايمسكه لانه عايد الى ما بشر به في قوله واذا بشر احدهم **ام يدسه في التراب** يعني انه يخفي ذلك الذي بشر به في التراب والدس اخفا الشي في الشي قال اهل التفسير ان مضر وخزاعة وتميما كانوا يدفنون البنات احيا والسبب في ذلك اما خوف الفقر وكثرة العيال ولزوم المنفعة او الحمية فيخاف عليهن من الاسر ونحوه او لطمع غير الاكفا وكان الرجل من العرب في الجاهلية اذا ولدت له بنت واراد ان يستحييها تركها حتى كبرت البسها جبة من صوف او شعر وجعلها ترعى الغنم والابل في البادية واذا اراد ان يقتلها تركها حتى اذا صارت سداسية قال لامها زينيها حتى اذهب بها الى حمائها ويكون قد حفر لها حفرة في الصحرا فاذا بلغ بها تلك الحفرة قال لها انظري الى هذه البير فاذا نظرت اليها دفعها من خلفها في تلك البير ثم يهيل التراب على راسها وكان صعصعة عم الفرزدق اذا احس بشي من ذلك وجه بابل الى والد البنت حتى يحييها فقال الفرزدق يفتخر بذلك • وعمي الذي منع الوايدات • فاحيا الوئيد ولم يوئد • عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوايدة والموودة في النار اخرجه ابو داود وقوله تعالى **الا ساء ما يحكمون** يعني بيس ما يصنعون ويقضون حيث يجعلون لله الذي خلقهم البنات وهم يستنكفون منهن ويجعلون لانفسهم البنين نظيره قوله تعالى الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى وقيل معناه الا ساء ما يحكمون في وادي البنات **للذين لا يومنون بالاخرة مثل السوء** يعني صفة السوء في احتياجهم الى الولد وكراهتهم الاناث وقتلهم خوف الفقر **ولله المثل الاعلى** اي الصفة العليا المقدسة وهي ان له التوحيد وانه المنزه عن الولد وانه لا اله الا هو وان له جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقا السرمدي وغير ذلك من الصفات التي وصف الله بها نفسه وقال ابن عباس مثل السوء النار والمثل الاعلى شهادة ان لا اله الا الله **وهو العزيز** اي الممتنع في كبريايه وجلاله **الحكيم** يعني في جميع افعاله قوله عز وجل **ولو يواخذ الله الناس بظلمهم** يعني بسبب ظلمهم فيعاجلهم بالعقوبة على ظلمهم وكفرهم وعصيانهم •

فان قلت الناس اسم جنس يشمل الكل وقد قال الله تعالى في اية اخرى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فقسمهم في هذه الاية ثلاثة اقسام فجعل الظالمين قسما واحدا من ثلاثة **قلت** قوله ولو يواخذ الله الناس بظلمهم عام مخصوص بهذه الاية الاخرى لان في جنس الناس الانبيا والصالحون ومن لا يطلق عليه اسم الظلم وقيل اراد بالناس الكفار فقط بدليل قوله

Copyright © King Saud University

ان الشرك لظلم عظيم وقوله ما ترك عليها يعني على الارض كناية عن غير مذكور لان الدابة لا تدب الا على الارض
من دابة يعني ان الله تعالى لو يواخذ الناس بظلمهم لاهلك جميع الدواب التي على وجه الارض الا من كان في
السفينة مع نوح عليه السلام وروى ان ابا هريرة رضي الله عنه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقلت
بلى والله ان الحبارى تموت هزلا بظلم الظالم وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان الجعل ليعذب في جحرها بذنب
ابن ادم وقيل اراد بالدابة الكافر بدليل قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا وقيل في هذه الاية ولو يواخذ
الله الاباء الظالمين بسبب ظلمهم لانقطع النسب ولم يواخذ الابناء فلم يبق في الارض احد قوله ولكن يوخرهم
يعني يمهلهم بفضله وكرمه وحلمه الى اجل مسمى يعني الى انتهاء اجالهم وانقطاع اعمالهم فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون يعني لا يوخرون ساعة عن الاجل الذي جعله الله لهم ولا ينقصون منه وقيل
اراد بالاجل المسمى يوم القيامة ولكن المعنى يوخرهم الى يوم القيمة فيعذبهم فلا يستاخرون ساعة ولا
يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون يعني لانفسهم وهي البنات وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى يعني ويقولون
ان لهم البنين وذلك انهم قالوا وقيل اراد بالحسنى الجنة والمعنى انهم مع كفرهم وقولهم الكذب يزعمون انهم
على الحق وان لهم الجنة وذلك انهم قالوا ان كان محمد صادقا في البعث وبعد الموت فان لنا الجنة لانا على الحق
فكذبهم الله تعالى فقال لا جرم ان لهم النار يعني في الاخرة لا الجنة وانهم مفرطون قرئ بكسر الراء مع التخفيف
يعني مسرفون وقرئ بكسر الراء مع التشديد يعني مضيعون لامر الله وقرئ الجمهور بفتح الراء وتخفيفها
اي منسيون في النار قاله ابن عباس وقال سعيد بن جبير ومقاتل متروكون وقال قتادة معجلون
الى النار وقال الفرا مقدمون الى النار لان الفرط المتقدم الى الماء قبل القوم ومنه قال صلى الله عليه
وسلم انا فرطكم على الحوض اي متقدمكم تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك يعني كما ارسلنا اليك هذه الامة
لقد ارسلنا الى امم من قبلك فكان شانهم مع رسلهم التكذيب تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
فزين لهم الشيطان اعمالهم يعني اعمالهم الخبيثة من الكفر والتكذيب والمزين في الحقيقة هو الله تعالى على
مذهب اهل السنة وانما جعل الشيطان الة بالقاء الوسوسة في قلوبهم وليس له قدرة ان يضل
احدا وانما له الوسوسة فقط فمن اراد شقاوته سلط الله عليه حتى يقبل وسوسته فهو وليهم
اي ناصرهم اليوم ومن كان الشيطان وليه وناصره فهو مخذول مغلوب مقهور وانما سماه وليا لهم لطاعتهم
اياه ولهم عذاب اليم يعني في الاخرة قوله وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه يعني في
امر الدين والاحكام فتبين لهم الهدى من الضلال والحق من الباطل والحلال من الحرام وهدى ورحمة يعني
وما انزلنا عليك الكتاب الا بيانا وهدى ورحمة لقوم يومنون يعني لانهم هم المنتفعون به قوله تعالى
والله انزل من السماء ماء يعني المطر فاحيا به الارض يعني بالماء الارض يعني بالنبات والزرع بعد موتها يعني
يبسها وجدوبتها ان في ذلك يعني ان في هذا دلالة واضحة على كمال قدرة الله لاية لقوم يسمعون يعني
سماع انصاف وتدبر وتفكر لان سماع القلوب هو النافع لا سماع الاذان فمن سمع ايات الله اي القران
بقلبه وتدبرها وتفكر فيها انتفع ومن لم يسمع بقلبه لم ينتفع بالايات وان لكم في الانعام لعبرة يعني
اذا تفكرتم فيها عرفتم كمال قدرتنا على ذلك نسقيكم مما في بطونه الضمير عائد الى الانعام مفرد وضع
لافادة الجمع فهو بحسب اللفظ مفرد ويكون ضميره ضمير الجمع وهو مذكور بحسب المعنى يكون ضميره ضمير الجمع وهو
مونث فلهذا المعنى قال هنا مما في بطونه وقال في سورة المومنون مما في بطونها وهذا قول ابي عبيدة والاخفش
وقال الكسائي على رده الى بعض ما في بطونه مما ذكرنا وقال المورخ الكناية مردودة الى المعنى وفيه اضمار كانه

قال

قال نسقيكم مما في بطونه اللبن فاضمر اللبن اذ ليس كلها لبن من بين فرث ودم وهو ما في الكرش من الثفل فاذا خرج منها
لا يسمى فرثا ودما لبنا خالصا يعني من الدم والفرث ليس عليه لون الدم ولا رائحة الفرث قال ابن عباس اذا اكلت
الدابة العلف واستقر في كرشها وطحنته كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما فالكبد مسلط عليها
يقسمها بتقدير الله تعالى فيجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الثفل كما هو سائغا للشاربين
يعني هنيئا سهلا يجري في الحلق بسهولة وقيل انه لم يغص باللبن احد قط هذا قول المفسرين في معنى هذه الاية
وحكى الامام فخر الدين الرازي قول الحكماء في ذلك فقال ولقائل ان يقول الدم واللبن لا يتولدان في الكرش
البتة والدليل على الحس فان هذه الحيوانات تذبح ذبحا مستويا وما راى احد في كرشها دما ولا لبنا بل الحق
ان الحيوان اذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف الى معدته فكان من الامعاء الى كرشه فاذا طبخ وحصل الهضم
الاول فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء ثم ذلك الذي حصل في الكبد يطبخ
فيها ويصير دما وهو الهضم الثاني ويكون ذلك مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية فاما الصفراء
فتذهب الى المرارة ومنها الى المثانة واما الدم فيذهب الى الاوردة وهي العروق النابتة من الكبد وهناك
يحصل الهضم الثالث بين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة فينصب الدم من تلك العروق الى الضرع والضرع
لحم ابيض فيقلب الله ذلك الدم عند انصبابه الى ذلك اللحم الرخو الابيض فيصير الدم لبنا فهذه صورة تكون اللبن في
الضرع فاللبن انما يتولد من بعض اجزاء الدم والدم انما يتولد من بعض الاجزاء اللطيفة من الاشياء الماكولة الحاصلة في
الكرش فاللبن تولدا ولا من الفرث ثم من الدم ثانيا ثم صفاه الله تعالى بقدرته فجعله لبنا خالصا من بين فرث ودم
وعنه فوله تولد اللبن في الضرع خلق الله عز وجل بلطيف حكمته في حلمة الثدي ثقبا صغارا ومساما ضيقة يجعلها
كالمصفى للبن فكل ما كان لطيفا من اللبن يخرج بالمص والحلب وما كان كثيفا احتبس في البدن وهو المراد
بقوله خالصا يعني من شوائب كدورة الدم والفرث سائغا للشاربين يعني جاريا في حلوقهم سهلا لذيذا
هنيئا مريئا قوله عز وجل ومن ثمرات النخيل والاعناب يعني ولكم ايضا عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم من ثمرات
النخيل والاعناب تتخذون منه الضمير في منه يرجع الى ما تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب
ما تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وابراهيم
وابن ابي ليلى والزجاج وابن قتيبة السكر الخمر سميت بالمصدر من قولهم سكر سكرا والرزق الحسن سائر
ما يتخذ من ثمرات النخيل والاعناب مثل الدبس والزبيب والخل وغير ذلك **فان قلت** الخمر
محرمة فكيف ذكرها الله تعالى في معرض الانعام والامتنان **قلت** قال العلماء في الجواب
عن هذا ان السورة مكية وتحريم الخمر انما نزل في سورة المائدة وهي مدنية فكان نزول هذه الاية في الوقت
الذي كانت الخمر فيه غير محرمة وقيل ان الله عز وجل نبه في هذه الاية على تحريم الخمر ايضا لانه ميز بينها
وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب ان يقال الرجوع عن كونها حسنا يدل على التحريم وروى العوفي
عن ابن عباس ان السكر هو الخل بلغة الحبشة وقال بعضهم السكر هو النبيذ وهو نقيع التمر والزبيب
اذا اشتد والمطبوخ من العصير وهو قول الضحاك والنخعي ومن يبيح شرب النبيذ ومن يحرمه يقول
المراد من الاية الاخبار لا الاحلال واولى الاقاويل ان قوله تتخذون منه سكرا منسوخ سئل ابن
عباس عن هذه الاية فقال السكر ما حرم من ثمرتها والرزق الحسن ما حل **قلت** القول بالنسخ
فيه نظر لان قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا خبر والاخبار لا يدخلها
النسخ ومن زعم انها منسوخة ادعى ان هذه الاية نزلت بمكة في وقت اباحة الخمر ثم ان الله تعالى حرمها بالمدينة

Copyright © King Saud University

نحكم على هذه الاية بانها منسوخة وقال ابو عبيدة فى معنى الاية ان السكر الطعم يقال هذا سكر لك اى طعم لك وقال غيره
السكر ما سد الجوع من قولهم سكرت النهر اى سددته والتمر والزبيب مما يسد الجوع وهذا شرح قول ابى عبيدة ان
السكر الطعم ان فى ذلك يعنى ان الذى ذكر من انعامه على عبيده لاية يعنى لدلالة وحجة واضحة لقوم يعقلون يعنى
ان من كان عاقلا استدل بهذه الاية على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وعلم بالضرورة ان لهذه الاشيا خالقا ومدبرا
قادرا على ما يريد قوله تعالى واوحى ربك الى النحل لما ذكر الله تعالى دلايل قدرته وعجايب صنعته الدالة
على وحدانيته من اخراج اللبن من بين فرث ودم واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والاعناب فذكر
هذه الاية اخراج العسل الذى جعله شفا للناس من دابة ضعيفة وهى النحلة فقال تعالى واوحى ربك الى النحل
الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به كل فرد من الناس ممن له عقل وتفكر يستدل به على كمال قدرة الله
ووحدانيته وانه الخالق لجميع الاشيا مدبر لها بلطيف حكمته وقدرته واصل الوحى الاشارة الشريعة وذلك يكون
بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد ويقال للكلمة الالهية التى يلقيها الله الى انبيايه وحى
والى اوليايه الهام واما تسخيره لما خلق له ومنه قوله واوحى ربك الى النحل يعنى انه سخرها لما خلقها له والهمها رشدها
وقدرها فى نفسها هذه الاعمال العجيبة التى يعجز عنها العقلا من البشر وذلك ان النحل تبنى بيوتا على شكل مهندس من اضلاع
متساوية لا تزيد ولا تنقص بعضها على بعض بمجرد طباعها ولو كانت البيوت مدورة او مثلثة او مربعة او غير ذلك من
الاشكال لكان فيما بينها خلل ولما حصل المقصود فالهمها الله تعالى ان تبنيها على هذا الشكل المسدس الذى لا
يحصل فيه خلل وفرجة خالية ضايعة والهمها الله ايضا ان يجعلوا عليهم اميرا كبيرا نافذ الحكم فيهم وهم يطيعونه
ويمتثلون امره ويكون هذا الامير اكبرهم جثة واعظمهم خلقة ويسمى يعسوب النحل يعنى ملكهم هذا احكاه
الجوهرى والهمها الله تعالى ان يجعلوا على كل باب خلية بوابا لا يمكن غير اهلها من الدخول اليها والهمها ايضا انها تخرج
من بيوتها فتدور وترعى ثم ترجع الى بيوتها ولا تضل عنها ولما امتاز هذا الحيوان الضعيف بهذه الخواص العجيبة
الدالة على مزيد الذكا والفطنة دل ذلك على الالهام الالهى فكان ذلك شبيهته بالوحى فلذلك قال الله تعالى
واوحى ربك الى النحل والنحل زنبور العسل ويسمى الدبر ايضا قال الزجاج يجوز ان يكون هذا الحيوان نحلا
لان الله تعالى نحل الناس العسل الذى يخرج من بطونها يعنى اعطاهم وقال غيره النحل يذكر ويونث وهى مونثة
فى لغة الحجاز ولذا انثها الله تعالى فقال ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون يعنى يبنون
ويسقفون وذلك ان النحل منه وحشى وهو الذى يسكن الجبال والشجر وياوى الكهوف ومنه اهلى وهو الذى
ياوى البيوت وتربيه الناس عندهم وقد جرت العادة ان الناس يبنون للنحل الاماكن حتى تاوى اليها وقال
ابن زيد اراد بالذى يعرشون الكروم ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك يعنى الطرق التى الهمك الله ان
تسلكيها وتدخلى فيها لاجل طلب الثمرات ذللا قيل انها نعت للسبل يعنى انها مذللة تلك الطرق مسهلة لك سالكها قال
مجاهد لا يتوعر عليها مكان تسلكه وقيل الذلل نعت النحل يعنى انها مذللة مسخرة لاربابها مطيعة منقادة لهم حتى انهم ينقلونها من
مكان الى مكان اخر حيث شاوا وارادوا لا تستعصى عليهم يخرج من بطونها يعنى العسل شراب مختلف الوانه يعنى ما بين ابيض واحمر واصفر
وغير ذلك من انواع العسل وذلك على قدر ما تاكل من الثمار والازهار ويستحيل فى بطونها عسلا بقدرة الله تعالى ثم يخرج
من افواهها يسيل كاللعاب وذكر الامام فخر الدين الرازى انه راى فى بعض كتب الطب ان العسل طل من السما ينزل كالترنجبين فيقع
على الازهار واوراق الشجر فتجمعه النحلة فتاكل بعضه وتدخر بعضه فى بيوتها لانفسها لتتغذى به فاذا اجتمع فى بيوتها من تلك الاجزا
بطلبه شى كثير فذلك هو العسل وايضا فانا نشاهد ان النحل يتغذى بالعسل والخارج عن قوله تعالى يخرج من بطونها يعنى من افواهها
وقول اهل الظاهر اولى واصح لانا نشاهد انه يوجد فى طعم العسل طعم تلك الازهار التى تاكلها النحل فلذلك

يوجد

يوجد لونها وريحها وطعمها فيه ايضا فيعضد هذا قول بعض ازواج النبى صلى الله عليه وسلم لما اكلت مغافير قال لا
قالت فما هذا الريح الذى اجده منك قال سقتنى حفصة شربة عسل قالت جرست نحلة العرفط والعرفط شجر الطلح وله
صمغ يقال له المغافير كريهة الريح فمعنى جرست نحلة العرفط اكلت ورعت من العرفط الذى له الرايحة الكريهة
فثبت بهذا الدليل صحة قول اهل الظاهر من المفسرين وانه يوجد فى طعم العسل ولونه وريحه لاما قاله الاطبا
من انه طل لانه لو كان طلا لكان على لون واحد وقولهم ان طبيعة العسل تقرب من طبيعة الترنجبين فيه نظر
لان مزاج الترنجبين معتدل الى الحرارة وهو الطف من السكر ومزاج العسل حار يابس فى المرة الثانية فبينهما
فرق كبير وقوله كل تجويف فى داخل البدن يسمى بطنا فيه نظر لان لفظ البطن اذا اطلق لم يرد به الا العضو المعروف
مثل بطن الانسان وغيره والله اعلم وقوله تعالى فيه يعنى فى الشراب الذى يخرج من بطون النحل شفا للناس
وهذا قول ابن عباس وابن مسعود اذ الضمير فى قوله شفا للناس يرجع الى العسل وقد اختلفوا فى هذا الشفا
هل هو على العموم من كل مرض او على الخصوص لمرض دون مرض على قولين احدهما ان العسل فيه شفا من كل داء
والقران شفا من كل داء لما فى الصدور وفى رواية اخرى عنه عليكم بالشفايين القران والعسل وروى نافع
عن ابن عمر رضى الله عنهما ما كانت تخرج به قرحة ولا شى الا لطخ الموضع بالعسل ويقرا يخرج من بطونها شراب مختلف
الوانه فيه شفا للناس ق عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان اخى استطلق
بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاءه فقال انى سقيته عسلا فلم يزده الا استطلاقا
فقال له ثلاث مرات ثم جاءه الرابعة فقال له اسقه عسلا فقال لقد سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال النبى
صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فبرى وقد اعترض بعض الملحدين ومن فى قلبه مرض على هذا
الحديث فقال ان الاطبا مجمعون على ان العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الاسهال فنقول فى الرد على هذا المعترض
الملحد الجاهل بعلم الطب ان الاسهال يحصل من انواع كثيرة منها الاسهال الحادث من التخم والهيضات وقد اجمع الاطبا
فى مثل هذا على ان علاجه بان تترك الطبيعة وعلاجها وفعلها فان احتاجت الى معين على الاسهال اعينت ما دامت القوة
باقية فاما حبسها لمضرة عندهم واستعجال المرض فيحتمل ان يكون هذا الاسهال لهذا الشخص المذكور فى الحديث اصابه
الاسهال من مرض امتلا او هيضة فدواه تركه على ما هو عليه او تقويته فامره رسول الله صلى الله عليه
وسلم بشرب العسل فزاده اسهالا وزاده عسلا الى ان فنيت المادة فوقف الاسهال ويكون الذى كان به موافقة
شرب العسل فثبت بما ذكرناه ان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بشرب العسل جار فى صناعة الطب
وان المعترض عليه جاهل لها ولسنا نقصد الاظهار لتصديق الحديث بقول الاطبا بل لو كذبوه لكذبناهم وكفرناهم
بذلك وانما ذكرنا هذا الجواب الجارى على صناعة الطب دفعا لهذا المعترض وانه لا يحسن صناعة الطب التى اعترض
بها والله اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك يحتمل انه صلى الله عليه وسلم علم بهذا الوحى
الالهى ان العسل الذى امره بشربه سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه فى الحال عندهم قال صدق الله يعنى
فيما وعد به من ان فيه شفا وكذب بطن اخيك يعنى باستعجالهم الشفا فى اول مرة والله اعلم بمراده واسرار
رسوله صلى الله عليه وسلم فان قالوا كيف يكون شفا للناس وهو يضر باصحاب الصفرا ويهيج الحرارة
ويضر باكتساب المحرور قلنا فى الجواب عن هذا الاعتراض ايضا ان قوله فيه شفا للناس وهو يضر باصحاب
الصفرا ويهيج الحرارة ويخرج مخرج الاغلب فيه شفا ولم يقل انه شفا لكل الناس ولكل داء ولكنه فى
الجملة دواء وان نفعه اكثر من مضرته وقل معجون من المعاجين الا وتمامه به والاشربة المتخذة من العسل
نافعة لاصحاب البلغم والشيوخ المبرودين ومنافعه كثيرة جدا ولا تقول انه شفا للاوجاع التى

Copyright © King Saud University

التي شفا وهافيه وهذا قول السدي وقال مجاهد في قوله فيه شفا يعني القران لانه شفا من امراض الشرك
والجهالة والضلالة وهو هدى ورحمة للناس والقول الاول اصح لان الضمير يجب ان يعود الى اقرب المذكورات
واقربها قوله يخرج من بطونها شراب وهو العسل فهو اولى ان يرجع الضمير اليه لانه اقرب مذكور وقوله تعالى
ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون يعني فيعتبرون ويستدلون بما ذكرنا على وحدانيتنا وقدرتنا قوله
عز وجل والله خلقكم يعني اوجدكم من العدم واخرجكم الى الوجود ولم تكونوا شيا ثم يتوفاكم يعني عند انقضا اجالكم
اما صبيانكم اما شبابكم اما كهولا ومنكم من يرد الى ارذل العمر يعني الى اردإه واضعفه وهو الهرم قال بعض العلما
ان عمر الانسان له اربع مراتب اولها من النشو والنما وهو من اول العمر الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية
سن الشباب وبلوغ الاشد ثم المرتبة الثانية سن الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين سنة الى اربعين سنة
وهو غاية القوة وكمال العقل المرتبة الثالثة سن الكهولة من الاربعين الى الستين سنة وهذه المرتبة تشرع
الانسان الى النقص لكنه يكون نقصا خفيا لا يظهر ثم المرتبة الرابعة من الشيخوخة والانحطاط من الستين
الى اخر العمر وفيه يتبين النقص ويكون الهرم والخوف قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ارذل العمر خمس وسبعون
سنة وقيل ثمانون سنة وقال قتادة تسعون سنة ق عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل واعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من
فتنة المحيا والممات وفي رواية اخرى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهولا الدعوات
اللهم اني اعوذ بك من البخل والكسل وارذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات لكي لا يعلم بعد علم شيا
يعني ان الانسان يرجع الى حالة الطفولية بنسيان ما كان علم بسبب الكبر قاله ابن عباس رضي الله عنهما
وقال ابن قتيبة معناه حتى لا يعلم بعد علمه بالامور شيا لشدة هرمه وقال الزجاج المعنى وان منكم
من يكبر حتى يذهب عقله خرفا فيصير بعد ان كان عالما جاهلا ليريكم من قدرته انه كما قدر على اماتته
واحيايه انه قادر على نقله من العلم الى الجهل انه قادر على احيايه بعد اماتته فيكون بذلك هكذا وجدته
منقولا عنه ولو قال ليريكم من قدرته انه كما قدر على نقله من العلم الى الجهل انه قادر على احيايه بعد اماتته
فيكون ذلك دليلا على صحة البعث بعد الموت كان اجود قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس هذا في المسلمين
لان المسلم لا يزداد في طول العمر والبقا الا كرامة عند الله وعقلا ومعرفة قال عكرمة رضي الله عنه من قرا
القران لم يرد الى ارذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيا وقال في قوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات هم الذين
قروا القران وقال ابن عباس في قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين يريد الكافر ثم استثنى المومنين فقال
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقوله عز وجل ان الله عليم بما صنع باوليايه واعدايه قدير يعني
على ما يريد قوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق يعني ان الله تعالى بسط على واحد وضيق على
واحد وقتر على واحد وكثر لواحد وقلل على واحد وكما فضل بعضهم على بعض في الرزق كذلك فضل بعضهم
على بعض في الخلق والخلق والعقل والصحة والسقم والحسن والقبح والعلم والجهل وغير ذلك فهم متفاوتون
ومتباينون في ذلك كله وهذا مما يقتضيه الحكمة الالهية والقدرة الربانية فما الذين فضلوا برادي رزقهم
على ما ملكت ايمانهم يعني من العبيد حتى يستووا هم وعبيدهم يقول الله تعالى هم لا يرضون ان يكونوا هم
ومماليكهم فيما رزقهم سوا وقد جعلوا عبيدي شركاي في ملكي وسلطاني يلزمهم بهذه الحجة على المشركين حيث جعلوا الاصنام
شركا لله قال قتادة هذا مثل ضربه الله عز وجل يقول هل منكم احد يرضى ان يشركه مملوكه في ملكه وجميع ماله فكيف
تعدلون بالله خلقه وعباده وقيل معناه لان المولى والمماليك الله رزقهم جميعا فهم فيه يعني في رزقه سوا

فلا

فلا يحسبن الموالي انهم يردون رزقهم على مماليكهم من عند انفسهم بل ذلك رزق الله اجراه على ايديهم لمماليكهم والمقصود
منه بيان ان الرزاق هو الله تعالى لجميع خلقه وان الموالي والمماليك في ذلك سوا وان المالك لا يرزق المملوك بل
الرازق للمماليك والمالك هو الله تعالى وقوله افبنعمة الله يجحدون فيه انكار على المشركين بحيث جحدوا نعمته وعبدوا
غيره قوله عز وجل والله جعل لكم من انفسكم ازواجا يعني النسا خلق من ادم حوى زوجته وقيل جعل لكم من
انفسكم ازواجا لانه خطاب عام يعم الكل فتخصيصه بادم وحوى خلاف الدليل وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة
جمع حافد وهو المسرع في الخدمة المسارع في الطاعة ومنه قوله في الدعا واليك نسعى ونحفد اي نسرع الى طاعتك
هذا اصله في اللغة ثم اختلفت اقوال المفسرين فيهم فقال ابن مسعود والنخعي اختان الرجل على بناته
وعن ابن مسعود انهم اصهاره فهو بمعنى الاول فعلى هذا القول يكون معنى الاية وجعل لكم من ازواجكم بنين وبنات
تزوجونهن فيحصل لكم بسببهن الاختان والاصهار وقال الحسن وعكرمة والضحاك هم الخدم وقال مجاهد هم الاعوان
وكل من اعانك فقد حفدك وقال عطا هم ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه وقيل هم اهل المهنة الذين
يمتهنون ويخدمون من الكبار الاولاد الذين يعينون الرجل على اهله وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم ولد الولد
وفي رواية اخرى عنه انهم بنو امراة الرجل الذين ليسوا منه وكل هذه الاقوال متقاربة لان اللفظ يحتمل الكل بحسب
المعنى المشترك وبالجملة فان الحفدة غير البنين لان الله تعالى قال بنين وحفدة فجعل بينهم مغايرة قوله
ورزقكم من الطيبات يعني النعم التي انعم بها عليكم من انواع الثمار والحبوب والحيوان والاشربة المستطابة الحلال
من ذلك كله قوله افبالباطل يومنون يعني بالاصنام وقيل بالشيطان يومنون وقيل معناه يصدقون ان لي شريكا
وصاحبة وولدا وهذا استفهام انكار عليهم في ذلك وبنعمة الله هم يكفرون يعني انهم يضيفون ما انعم الله
به عليهم الى غيره وقيل معناه انهم يجحدون ما احل الله لهم ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات
والارض يعني انها لا يقدرون على انزال المطر الذي في السموات خزاينه ولا يقدرون على اخراج النبات الذي في الارض معدنه
شيا يعني لا يملك من الارزاق شيا يعني لا يملك من الرزق شيا قليلا ولا كثيرا وقيل معناه يعبدون ما لا يرزق
شيا ولا يستطيعون يعني ولا يقدرون على شي يذكر عجز الاصنام عن ايصال نفع او دفع ضر فلا تضربوا لله
الامثال اي يعني لا تشبهوا الله بخلقه فانه واحد لا مثل له ولا شبيه له ولا شريك له من خلقه لان الخلق
كلهم عبيده وفي ملكه فكيف يشبه الخالق بالمخلوق والرازق بالمرزوق والقادر بالعاجز ان الله يعلم
خطا ما انتم عليه من ضرب الامثال له وانتم لا تعلمون خطا ما تضربون له من الامثال قوله تعالى ضرب الله مثلا
عبدا مملوكا لا يقدر على شي ومن رزقناه منا رزقا حسنا لما نهاهم الله تعالى عن ضرب الامثال لقلة علمهم
فضرب هو لنفسه مثلا فقال تعالى مثلكم في اشراككم الله الاوثان كمثل من سوى بين عبد مملوك عاجز التصرف وبين
حر كريم مالك قادر قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق كيف يشا فصريح العقل يشهد بانه لا تسوية
بينهما ولا يجوز في التعظيم والاجلال فلما لم تجز التسوية بينهما مع استوايهما في الخلقة والصورة البشرية
فكيف يجوز للعاقل ان يسوي بين الله الخالق القادر على الرزق والافضال وبين الاصنام التي لا تملك
ولا تقدر على شي البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للمومن والكافر فالمراد بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شي
هو الكافر لانه لما كان محروما من عبادة الله تعالى وطاعته صار كالعبد الذليل الفقير العاجز
الذي لا يقدر على شي وقيل ان الكافر لما رزقه الله مالا فلم يقدم فيه خيرا صار كالعبد الذي لا يملك شيا
والمراد بقوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا المومن لانه لما اشتغل بطاعة الله وعبوديته والانفاق في وجوه
البر صار كالحر المالك الذي ينفق سرا وجهرا في طاعة الله وابتغا مرضاته وهو قوله عز وجل فهو ينفق منه

Copyright © King Saud University

من يشاء فاثابه الله الجنة على ذلك **فان قلت** لم قال عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد فهو مملوك
وهو غير قادر على التصرف **قلت** لم قال عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد فهو مملوك لما ذكر المملوك ليتميز
من الحر لان اسم العبد يطلق عليهما جميعا لانهما من عباد الله تعالى واما قوله لا يقدر على شيء احترز به عن المملوك المكاتب
والماذون له في التصرف لانهما يقدران على التصرف واحتج الفقهاء بهذه الاية على ان العبد لا يملك شيئا هل
يستوون ولم يقل هل يستويان يعني هل يستوون الاحرار والعبيد والمعنى كما لا يستوي هذا الفقير
البخيل والمعنى السخي كذا لا يستوي الكافر والمومن والعاصي والطايع قال عطا في قوله عبدا مملوكا هو ابو
جهل بن هشام ومن رزقناه منا رزقا حسنا هو ابو بكر الصديق رضي الله عنه ثم قال الحمد لله حمد الله نفسه
لانه المستحق لجميع المحامد لانه المنعم المتفضل على عباده وهو الخالق الرازق لان هذه الاصنام التي عبدوها
هولا فانها لا تستحق الحمد لانها جماد عاجز لا تدل على احد معروف فتقديره انما الحمد الكامل لله تعالى لا لغيره
فيجب على جميع العباد حمد الله تعالى لانه اهل الحمد والثنا الحسن بل اكثرهم يعني الكفار لا يعلمون يعني
ان الحمد لله لا لهولا الاصنام وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم وهو الذي ولد اخرس فكل ابكم اخرس وليس
كل اخرس ابكم والابكم الذي لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شيء وهو اشارة الى العجز التام والنقصان الكامل
وهو كل على مولاه اي ثقيل على من يلي امره ويعوله وقيل اصله من الغلط وهو نقيض الحد ويقال كل السكين
اذا غلظت شفرتها وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على النطق وكل فلان عن الامر اذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه
فتوله وهو كل على مولاه اي غليظ ثقيل على مولاه اينما يوجهه يعني حيثما يرسله ويصرفه في طلب حاجة او
كفاية مهم لا يات بخير يعني لا ياتي بنجح لانه اخرس عاجز لا يحسن ولا يفهم هل يستوي هو يعني صاحب
هذه الصفات المذمومة ومن يامر بالعدل يعني ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفاية وهو ذو رشد
وديانة يامر بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط مستقيم يعني على سيرة صالحة ودين قويم فيجب ان يكون
الامر بالعدل عالما قادرا مستقيما في نفسه حتى يتمكن من الامر بالعدل وهذا مثل ثان ضربه الله تعالى
لنفسه ولما يفيض على عباده من انعامه ويشملهم به من اثار رحمته والطافه وللاصنام التي هي موات جماد
لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وهي لا نها تحتاج الى كلفة الحمل والنقل والخدمة وقيل كلا المثلين
المومن والكافر فالمومن هو الذي يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم والكافر هو الابكم الثقيل الذي لا يامر بخير فعلى
هذا القول تكون الاية على العموم في كل مومن وكافر وقيل هي على الخصوص فالذي يامر بالعدل هو رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو على صراط مستقيم والذي يامر بالظلم وهو ابكم هو ابو جهل وقيل الذي يامر بالعدل هو عثمان بن عفان رضي الله
عنه وكان له مولى يامره بالاسلام وذلك المولى يامر عثمان بالامساك عن الانفاق في سبيل الله تعالى فهو الذي لا ياتي
بخير وقيل المراد به الابكم الذي كان لا ياتي بخير ابي بن خلف وعثمان بن مظعون ولله غيب السموات والارض اخبر
الله عز وجل في الاية عن كمال علمه وانه عالم بجميع الغيوب فلا يخفى عليه خافية ولا يخفى عليه شيء منها وقيل الغيب هنا
علم الساعة وقيام الساعة وهو قوله وما امر الساعة يعني في قيامها والساعة هي الوقت الذي يقوم فيه الناس لموقف
الحساب الا كلمح البصر يعني في السرعة ولمح البصر هو انطباق جفن العين وفتحه وهو طرف العين ايضا او هو اقرب
يعني ان لمح البصر يحتاج الى زمان وحركة والله تعالى والله تعالى اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فهو اسرع من لمح
البصر وهو قوله ان الله على كل شيء قدير فيه دليل على كمال قدرته وانه تعالى مهما اراد كان اسرع ما يكون
قال الزجاج ليس المراد ان الساعة تاتي في لمح البصر ولكنه تعالى وصف سرعة القدرة على الاتيان بها متى شا
لا يعجزه شيء قوله عز وجل والله اخرجكم من بطون امهاتكم تم الكلام هنا لان الانسان خلق في اول الفطرة

مبداها

مبداها خاليا عن العلم والمعرفة لا يهتدي سبيلا ثم ابتدا فقال لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار
يعني ان الله تعالى انما اعطاهم هذه الحواس لينتقلوا بها من الجهل الى العلم فجعل لكم السمع لتسمعوا به نصوص الكتاب
والسنة وهي الدلايل السمعية لتستدلوا بها على ما يصلحكم في امر دينكم وجعل لكم الابصار لتبصروا بها عجايب
مصنوعات الله تعالى وعجايب مخلوقاته فتستدلوا بها على وحدانيته وجعل الافيدة لتعقلوا بها معاني
الاشيا التي جعلها دلايل وحدانيته وقال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الاية يريد لتسمعوا مواعظ الله
وتبصروا ما انعم الله به عليكم من اخراجكم من بطون امهاتكم الى ان صرتم رجالا وتعقلوا عظمة الله وقيل في معنى
الاية والله خلقكم من بطون امهاتكم وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وجعل لكم الحواس الات
لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم بها ايضا وعبادته والقيام بحقوقه
والترقي الى ما يسعدكم به في الاخرة **فان قلت** ظاهر الاية يدل على ان من جعل هذه الحواس
الثلاث بعد الاخراج من البطون وانما جعلت هذه الحواس للانسان من جملة خلقه وهو في بطن امه
قلت ذكر العلما فيه ان تقدير الاخراج وتاخير ذكر هذه الحواس لا يدل على ان خلقها كان
بعد الاخراج لان الواو لا توجب الترتيب ولان العرب تقدم وتوخر في بعض كلامها والقول الثاني ان الانتفاع
بهذه الحواس بعد الخروج من البطن فكانما خلقت في ذلك الوقت الذي ينتفع بها فيه وان كان قد خلقت
قبل ذلك وقوله تعالى لعلكم تشكرون يعني انما انعم عليكم بهذه الحواس لتستعملوها في شكر من انعم بها عليكم
قوله تعالى الم يروا الى الطير مسخرات يعني مذللات في جو السما الجو الفضا الواسع بين السما والارض وهو الهوا
قال كعب الاحبار ان الطير يرتفع في الجو اثنى عشر ميلا ولا يرتفع فوق ذلك ما يمسكهن الا الله يعني في حال
قبض اجنحتها وبسطها واصطفافها في جو السما والهوا وفي هذا حث على الاستدلال بها على ان لها مسخرا
سخرها ومذللا ذللها وممسكا امسكها في حال طيرانها ووقوفها في الهوا وهو الله تعالى وقوله تعالى ان
في ذلك لايات لقوم يومنون انما خص المومنين بالذكر لانهم الذين يعتبرون بالايات ويتفكرون فيها
وينتفعون بها دون غيرهم قوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا يعني التي هي من الحجر والمدر سكنا
يعني مسكنا تسكنونه والسكن ما سكنت اليه وفيه من الف وبيت وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا
يعني الخيام والقباب والاخبية والفساطيط المتخذة من الادم والانطاع واعلم ان المساكن على قسمين
احدهما ما لا يمكن نقله من مكان الى مكان اخر وهي البيوت من الحجارة والخشب ونحوها والقسم الثاني ما يمكن نقله
من مكان الى مكان اخر وهي الخيام والفساطيط المتخذة من جلود الانعام واليها الاشارة بقوله تستخفونها يعني
يخف عليكم حملها يوم ظعنكم يعني في يوم سيركم ورحيلكم في الاسفار وظعن البادية هو تطلب الما والمرعى ونحو
ذلك ويوم اقامتكم يعني ويخف عليكم في اقامتكم وحضركم والمعنى لا تثقل عليكم في الحالتين ومن اصوافها واوبارها
واشعارها السكنى عايدة الى النعم ومن اصواف الضان ومن وبار الابل ومن اشعار الغنم اثاثا يعني تتخذون
اثاثا والاثاث متاع البيت الكبير واصله من اث اذا كثر وتكاثف وقيل للمال اثاث اذا كثر قال ابن عباس
رضي الله عنهما اثاثا يعني مالا وقال مجاهد متاعا وقال القتيبي الاثاث المال اجمع من الابل والغنم
والعبيد والمتاع وقال غيره هو متاع البيت من الفرش والاكسية ومتاعا يعني وبلاغا هو ما ينتفعون به الى
حين يعني الى حين يبلى ذلك الاثاث وقيل الى حين الموت **فان قلت** اي فرق بين
الاثاث والمتاع حتى ذكره بواو العطف والعطف يوجب المغايرة فهل من فرق **قلت** الاثاث
ما كثر من الات البيت وحوايجه وغير ذلك فيدخل فيه جميع اصناف المال والمتاع ما ينتفع به في البيت خاصة

٤

Copyright © King Saud University

فظهر الفرق بين اللفظتين والله أعلم قوله تعالى والله جعل لكم مما خلق ظلالا يعني جعل لكم ما تستظلون به من شدة
الحر والبرد وهي ظلال الأبنية والجدران والأشجار وجعل لكم من الجبال أكنانا جمع كن وهو ما يسكن إليه من شدة
الحر والبرد كالأسراب والغيران ونحوها وذلك أن الإنسان إما أن يكون غنيا أو فقيرا فإذا سافر احتاج في سفره
ما يقيه من شدة الحر والبرد فأما الغني فيستصحب معه الخيام في سفره ليستكن فيها وإليه الإشارة بقوله وجعل
لكم من جلود الأنعام بيوتا وأما الفقير فيستكن بظلال الشجر والحيطان والكهوف ونحوها وإليه الإشارة بقوله
والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا ولأن بلاد العرب شديدة الحر وحاجتهم إلى الظلال
وما يدفع شدة الحر أكثر فلهذا السبب ذكر الله هذه المعاني في معرض الامتنان عليهم فيها ظاهرة وجعل لكم
سرابيل تقيكم الحر يعني وجعل لكم قمصا وثيابا من القطن والكتان والصوف وغير ذلك تمنعكم من شدة
الحر قال أهل المعاني والبرد فاكتفى بذكر أحدهما لدلالة الكلام عليه وسرابيل تقيكم بأسكم يعني الدروع والجواشن
وسائر ما يلبس في الحرب ليمنع من السلاح والبأس الحرب يعني تقيكم في بأسكم السلاح أن يصيبكم قال عطاء الخراساني
إنما نزل القرآن على قدر معرفتهم فقال تعالى وجعل لكم من الجبال أكنانا وما جعل لهم من السهول أعظم وأكثر ولكنهم
كانوا أصحاب جبال كما قال ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها وما جعل لهم من القطن والكتان أكثر ولكن كانوا
أصحاب صوف ووبر وشعر كما قال وينزل من السماء من جبال فيها من برد وما أنزل الله من الثلج أكثر ولكنهم كانوا لا يعرفون
الثلج وقال تقيكم الحر وما جعل لهم مما يقي من البرد أكثر ولكنهم كانوا أصحاب حر وقوله تعالى كذلك يعني أنعم الله عليكم
بهذه النعم يتم نعمته عليكم يعني من نعم الدنيا والدين لعلكم تسلمون يعني لعلكم يا أهل مكة تخلصون لله بالوحدانية
والربوبية والعبادة والطاعة وتعلموا أنه لا يقدر على هذه الإنعامات إلا الله تعالى فإن تولوا يعني فإن
أعرضوا عن الإيمان وتفضل تبليغك يا محمد وآثروا ما هم فيه من الكفر واللذات الدنيوية فإنما وبال ذلك عليهم لا عليك
فإنما عليك البلاغ المبين يعني ليس عليك في ذلك عتب ولا سمة تقصير إنما عليك البلاغ وقد فعلت ذلك ثم
ذمهم الله تعالى بقوله يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها قال السدي نعمة الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
أنكروه وكذبوه وقيل نعمة الله هي الإسلام وهو من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده ثم إن كفار مكة أنكروه وجحدوه
وقال مجاهد وقتادة نعمة الله ما عدد عليهم في هذه السورة من النعم يقرون بأنها من نعم الله ثم إذا قيل لهم تصدقوا
وامتثلوا أمر الله فيها ينكرونها ويقولون ورثناها عن آبائنا وقال الكلبي هو أنه لما ذكر هذه النعم قالوا
هذه نعم كلها من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل إنهم يعترفون بأن الله أنعم هذه النعم ولكنهم لا يستعملونها
في طلب رضوانه ولا يشكرونها وأكثرهم الكافرون إنما قال تعالى وأكثرهم الكافرون مع أنهم كلهم كانوا
كافرين لأنه كان فيهم من لم يبلغ حد التكليف فعبر بالأكثر عن البالغين وقيل إنه عبر بالأكثر
عن الكل لأنه قد يذكر الأكثر ويراد به الجميع قوله عز وجل ويوم نبعث من كل أمة شهيدا لما ذكر الله تعالى إنعامه
على الكفار وإنكارهم لها وكون أكثرهم كافرين أتبعه بذكر الوعيد لهم في الآخرة فقال تعالى ويوم
نبعث من كل أمة شهيدا يعني رسولا وذلك اليوم هو يوم القيامة والمراد به أن الشهداء هم الأنبياء
ليشهدون على أممهم يوم القيامة بإنكارهم نعم الله عليهم وبالكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا يعني في
الاعتذار وقيل لا يؤذن لهم في الرجوع إلى دار الدنيا حتى يعتذرون ويتوبون وقيل لا يؤذن لهم
في معارضة الشهود بل يشهدون عليهم ويعرفونهم ويقرون لهم بذلك ولا هم يستعتبون الاستعتاب
طلب العتاب والمعتبة هي المغلظة والموجدة التي يجدها الإنسان في نفسه بكل غيرة والرجل إنما يطلب
العتاب من خصمه ليزيل ما في نفسه عليه من الموجدة والغضب ويرجع إلى الرضى عنه فإذا لم يطلب

العتاب منه دل ذلك على أنه ثابت على غضبه عليه ومعنى الآية أنهم لا يكلفون أن يرضوا ربهم
في ذلك اليوم لأن الآخرة ليست دار تكليف ولا يرجعون إلى الدنيا فيتوبوا ويرجعوا ويرضوا ربهم
فالاستعتاب لطلب الرضى وهذا باب منسد على الكافر في الآخرة وإذا رأى الذين ظلموا يعني ظلموا أنفسهم
بالكفر والمعاصي العذاب يعني عذاب جهنم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون يعني لا يؤخرون ولا يمهلون
وإذا رأى الذين أشركوا يعني يوم القيامة شركاءهم يعني أصنامهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا
قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك يعني أربابا وكنا نعبدهم ونتخذهم آلهة فألقوا يعني
الأصنام إليهم يعني إلى عابديها القول إنكم لكاذبون يعني في تسميتنا آلهة وما دعوناكم إلى عبادتنا
فإن قلت الأصنام جماد لا تتكلم فكيف يصح منها الكلام **قلت** لا يبعد أن
الله تعالى لما بعثها وأعادها في الآخرة خلق فيها الحياة والنطق والعقل حين قالوا ذلك والمقصود
من إعادتها وبعثها حتى تكذب الكفار وهم في غاية الذلة والحقارة فيزدادون بذلك غما وحسرة وألقوا
يعني المشركين إلى الله يومئذ السلم يعني أنهم استسلموا له وانقادوا لحكمه فيهم ولم تغن عنهم آلهتهم
شيئا وضل عنهم يعني وزال عن المشركين ما كانوا يفترون يعني ما كانوا يكذبون في الدنيا في قولهم
إن الأصنام تشفع لهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله يعني أنهم ضموا مع كفرهم يعني أنهم منعوا الناس عن
الدخول في الإيمان بالله ورسوله زدناهم عذابا فوق العذاب يعني زدناهم هذه الزيادة بسبب صدهم
عن سبيل الله مع ما يستحقونه من العذاب على كفرهم الأصلي واختلفوا في هذه الزيادة ما هي فقال عبد
الله بن مسعود عقارب لها أنياب كأمثال النخل الطوال وقال سعيد بن جبير حيات كالبخت وعقارب
أمثال البغال تلسع إحداهن اللسعة فيجد صاحبها ألمها أربعين خريفا قال ابن عباس ومقاتل يعني
خمسة أنهار من صفر مذاب كالنار تسيل تحت النار يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان
على مقدار النهار وقيل إنهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير إلى النار
مستغيثين بها وقيل يضاعف لهم العذاب ضعف بسبب كفرهم وضعف بسبب صدهم الناس عن
سبيل الله بما كانوا يفسدون يعني أن الزيادة إنما حصلت لهم بسبب صدهم وبسبب ما كانوا يفسدون
مع ما يستحقونه من العذاب على الكفر ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم قال ابن عباس رضي
الله عنهما يريد الأنبياء قال المفسرون كل نبي شاهد على أمته وهو عدل لكل شاهد عليها من أنفسهم
يعني منهم لأن كل نبي إنما بعث من قومه الذي بعث إليهم ليشهد ولعلمهم بما فعلوه من كفر وإيمان وطاعة
وعصيان وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء يعني على قومك وأمتك وتم الكلام هنا ثم قال تعالى
ونزلنا عليك يعني على قومك القرآن الكتاب تبيانا لكل شيء تبيانا اسم من البيان قال مجاهد يعني
ما أمر به وما نهي عنه وقال أهل المعاني تبيانا لكل شيء من أمور الدين إما بالنص أو بالإحالة على ما يوجب العلم
به من بيان النبي صلى الله عليه وسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم بين ما في القرآن من الحدود والأحكام
والحلال والحرام وجميع المأمورات والمنهيات وإجماع الأمة فهو أيضا أصل ومفتاح لعلوم الدين وهدى
يعني من الضلالة ورحمة يعني لمن آمن به وصدقه وبشرى للمسلمين يعني وفيه بشرى
للمسلمين من الله عز وجل إن الله يأمر بالعدل والإحسان قال ابن عباس العدل شهادة أن لا إله
إلا الله والإحسان أداء الفرائض وفي رواية عنه قال العدل خلع الأنداد والإحسان أن تعبد الله
كأنك تراه وأن تحب للناس ما تحب لنفسك إن كان مؤمنا تحب أن يزداد إيمانا وإن كان كافرا

Copyright © King Saud University

تحب ان يكون اخاك في الاسلام وقال في رواية اخرى عنه العدل التوحيد والاحسان الاخلاص
واصل العدل في اللغة المساواة في كل شي من غير زيادة في شي ولا غلو فيه ولا نقصان فيه والعدل هو
المساواة في المكافاة خيرا بخير او ان شرا فشر والاحسان ان يقابل الخير باكثر منه والشر بان يعفو عنه
وقيل العدل الانصاف ولا انصاف اعظم من الاعتراف للمنعم بانعامه والاحسان ان تحسن الى من اسى
عليك وقيل يعني بالعدل في الافعال وبالاحسان في الاقوال فلا يفعل الا ما هو عدل ولا يقول الا
ما هو حسن وايتاء ذي القربى يعني ويامر بصلة الرحم وهم القرابة الادنى والابعد منك فيستحب
ان تصلهم من فضل ما رزقك الله فان لم يكن له فضل فدعا حسن وتودد وينهى عن الفحشاء قال ابن عباس
رضي الله عنهما يعني الزنا وقال غيره الفحشاء ما قبح من القول والفعل فيدخل فيه الزنا وقال غيره
الفحشاء جميع الاقوال والافعال المذمومة والمنكر قال ابن عباس الشرك والكفر وقال غيره
المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة والبغي يعني الكفر والظلم والعدوان وقيل البغي هو التطاول
على الغير وقال بعضهم ان اعجل المعاصي البغي ولو ان جبلين بغى احدهما على الاخر لدك الباغي قال ابن عيينة
في هذه الاية استوا السر والعلانية والاحسان ان تكون سريرته احسن من علانيته والفحشاء
والمنكر والبغي ان تكون علانيته احسن من سريرته وقال بعضهم ان الله تعالى ذكر من المامورات
ثلاثة اشيا ومن المنهيات ثلاثة اشيا فذكر العدل وهو الانصاف والمساواة في الاقوال
والافعال وذكر في مقابلته الفحشاء وهو ما قبح من الاقوال والافعال وذكر الاحسان وهو ان
تعفو عمن ظلمك وتحسن الى من اسا عليك وذكر في مقابلته المنكر وهو ان تنكر احسان من احسن
اليك وذكر ايتاء ذي القربى والمراد به صلة القرابة والتودد اليهم والشفقة عليهم وذكر في مقابلته
البغي وهو ان تتكبر عليهم او تظلمهم حقوقهم ثم قال تعالى يعظكم لعلكم تذكرون يعني انما امركم بما
امركم به ونهاكم عما نهاكم عنه لكي تتعظوا وتتذكروا فتعملوا بما فيه رضى الله تعالى قال ابن مسعود ان
اجمع اية في القران للخير والشر هذه الاية قال اهل المعاني لما قال الله تعالى في الاية الاولى ونزلنا
عليك الكتاب تبيانا لكل شي بين في هذه الاية المامور به والمنهي عنه على سبيل الاجمال فما من شي
يحتاج اليه الناس في امر دينهم فيما يجب ان يوتى ويترك الا وقد اشتملت عليه هذه الاية وروى
عكرمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا على الوليد بن المغيرة ان الله يامر بالعدل والاحسان
الى اخر الاية فقال له يا ابن اخي اعد علي فاعادها عليه فقال له الوليد بن المغيرة والله ان له لحلاوة
وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وما هو بقول البشر قوله عز وجل واوفوا
بعهد الله اذا عاهدتم لما ذكر في الاية المتقدمة المامورات والمنهيات على سبيل الاجمال ذكر في هذه
الاية بعض ذلك الاجمال على التفصيل فبدا بالامر بالوفا بالعهد لانه اوكد الحقوق فقال واوفوا بعهد الله
اذا عاهدتم نزلت في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام فامرهم بالوفا بهذه
البيعة وقيل المراد منه كل ما يلتزمه الانسان باختياره ويدخل فيه الوعد ايضا لان الوعد من العهد
وقيل العهد هنا هو اليمين وقال الشعبي العهد يمين وكفارته كفارة يمين فعلى هذا يجب الوفا به
اذا كان فيه صلاح اما اذا لم يكن فيه صلاح فلا يجب الوفا به لقوله عليه الصلاة والسلام من حلف
يمينا ثم راى غيرها احسن فليات الذي هو احسن وليكفر عن يمينه فيكون قوله واوفوا بعهد الله من العام
الذي خصصته السنة وقال مجاهد وقتادة نزلت في حلف اهل الجاهلية ويشهد لهذا التاويل

العدل

قوله

قوله صلى الله عليه وسلم كل حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها
يعني بعد تشديدها فتحنثوا فيها وفيه دليل على ان المراد بالعهد غير اليمين لانه اعم منه وقد جعلتم الله
عليكم كفيلا يعني شهيدا بالوفا بالعهد ان الله يعلم ما تفعلون يعني من وفا العهد ونقضه ثم ضرب الله تعالى
مثلا لنقض العهد فقال تعالى ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها يعني من بعد ابرامه واحكامه قال مقاتل
والكلبي هذه الامراة من قريش يقال لها ريطة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد مناة بن تميم وكانت
حمقا جعفابها وسوسة وكانت قد اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة
على قدرها وكانت تغزل من الصوف والوبر والشعر وتامر جواريها بالغزل فكن يغزلن من الغداة الى نصف
النهار فاذا انتصف النهار امرتهن بنقض جميع ما غزلن فكان هذا دابها والمعنى ان هذه المراة لم تكف عن
العمل ولا حين عملت كفت عن النقض فكذلك من نقض العهد لا تركه ولا حين عاهد وفا به من بعد قوة
انكاثا جمع نكث وهو ما ينقض من الغزل والحبل بعد الفتل تتخذون ايمانكم دخلا بينكم يعني دخلا وخيانة
وخديعة والدخل ما يدخل في الشي على سبيل الفساد وقيل الدخل ان يظهر الرجل الوفا بالعهد ويبطن
نقضه ان تكون امة هي اربى من امة يعني اكثر واعلى من امة قال مجاهد وذلك انهم كانوا يحالفون الحلفا
فاذا وجدوا قوما اكثر من اوليك واعز نقضوا العهد حلف هولا وحالفوا الاكثر والمعنى انكم طلبتم العز بنقض
بان كان امة اي جماعة اكثر من جماعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالوفا بالعهد لمن عاهدوا وحالفوا انما يبلوكم
الله به يعني يختبركم بما امركم به من العهد والله بكم وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون يعني في الدنيا فيثيب
الطايع ويعاقب العاصي والمخالف قوله عز وجل ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة يعني على ملة واحدة ودين واحد
وهو دين الاسلام ولكن يضل من يشا يعني بخذلانه اياه عدلا منه ويهدي من يشا بتوفيقه اياه فضلا منه
وذلك مما اقتضته الحكمة الالهية لا يسال عما يفعل وهم يسالون قوله عز وجل ولتسالن عما كنتم تعملون
يعني في الدنيا فيجازي المحسن باحسانه ويعاقب المسي ويغفر له قوله عز وجل ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم
يعني خديعة وفسادا بينكم فتغرون بها الناس فيسكنون الى ايمانكم ويامنون اليكم ثم تنقضونها وانما كرر
هذا المعنى تاكيدا عليهم واظهارا لعظيم امر نقض العهد قال المفسرون وهذا في نهي الذين بايعوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الايمان به وبشريعته وقوله نهاهم عن نقض العهد لان الوعيد الذي بعده وهو قوله
تعالى فتزل قدم بعد ثبوتها لا يليق بنقض عهد قبله انما يليق بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الايمان وبشريعته وقوله فتزل قدم بعد ثبوتها مثل يذكر لكل من وقع في بلا ومحنة وسقط في ورطة بعد
سلامة تقول العرب لكل واقع في بلا بعد عافية زلت قدمه والمعنى فتزل اقدامكم على محجة الاسلام بعد
ثبوتها عليها وتذوقوا السوء يعني العذاب بما صددتم عن سبيل الله يعني بسبب صدكم غيركم عن دين الله
وذلك لان من نقض العهد فقد علم غيره انقض العهد فيكون هو اقدامه على ذلك قوله ولكم عذاب عظيم
يعني بنقضكم العهد ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا يعني ولا تنقضوا عهودكم وتطلبوا بنقضها عوضا
من الدنيا قليلا ولكن وفوا بها انما عند الله يعني فان ما عند الله من الثواب لكم على الوفا بالعهد هو خير لكم
يعني من عاجل الدنيا ان كنتم تعلمون يعني من فضل ما بين العوضين ثم بين ذلك فقال تعالى ما عندكم
ينفد يعني من متاع الدنيا ولذاتها تفنى وتذهب وما عند الله باق يعني من ثواب الاخرة ونعيم الجنة
ولنجزين الذين صبروا يعني على الوفا بالعهد في السرا والضرا اجرهم يعني ثوابهم بتعبير باحسن ما كانوا يعملون
عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب دنياه اضر باخرته ومن

Copyright © King Saud University

احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى وقوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن
فان قلت من عمل صالحا يفيد العموم فما فايدة الذكر والانثى قلت
هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر واطلق كان الظاهر تناوله للذكور دون الاناث فقيل
من ذكر او انثى على التبيين ليعم الوعد للنوعين جميعا وجواب اخر وهو ان هذه الاية واردة بالوعد بالثواب
والمبالغة في تقدير الوعد من اعظم دلايل الكرم والرحمة اثبات للتاكيد وازالة وهم التخصيص وقوله
وهو مومن جعل الايمان شرطا في كون العمل الصالح موجبا للثواب فلنحيينه حياة طيبة قال سعيد بن جبير
وعطا هي الرزق الحلال وقال مقاتل هي القناعة وقيل رزق يوم بيوم واعلم ان عيش المومن في الدنيا
وان كان فقيرا اطيب من عيش الكافر وان كان غنيا لان المومن لما علم ان رزقه من عند الله وذلك بتقديره
وتدبيره وعلم ان الله محسن كريم متفضل لا يفعل الا الصواب فكان المومن راضيا بما قدره الله له ورزقه
اياه وعرف ان له مصلحة في ذلك القدر الذي رزقه اياه فاستراحت نفسه من الكد والحرص فطاب عيشه
بذلك واما الكافر والجاهل بهذه الاصول الحريص على طلب الرزق فيكون ابدا في حزن وتعب وعنا وحرص
وكد ولا ينال من الرزق الا ما قدر له فظهر بهذا ان عيش المومن القنوع اطيب من غيره وقال السدي الحياة
الطيبة انما تحصل في القبر لان المومن يستريح بالموت من كد الدنيا وتعبها وقال مجاهد وقتادة في قوله
فلنحيينه حياة طيبة هي الجنة وروى عوف عن الحسن قال لا يطيب لاحد الحياة الا في الجنة لانها حياة
بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلك وسعادة بلا شقا وة فثبت بهذا ان الحياة الطيبة
لا تكون الا في الجنة ولقوله في سياق الاية ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون لان ذلك الجزا لا يكون
الا في الجنة قوله عز وجل فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم الخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من امته لان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان محتاجا الى الاستعاذة فامرها
فغيره اولى بها يعني بذلك ولما كان الشيطان ساعيا في القا الوسوسة في قلوب بني ادم وكانت الاستعاذة
بالله مانعة من ذلك فلهذا السبب امر الله رسوله والمومنين بالاستعاذة عند القراة حتى تبقى مصونة
من وساوس الشيطان عن جبير بن مطعم انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو لا ادري
اي صلاة هي قال الله اكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من
الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة اخرجه ابو داود
الموتة الجنون والفا في قوله فاستعذ بالله للتعقيب وظاهر لفظ الاية يدل على ان الاستعاذة بعد
القراة واليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وهو قول ابو هريرة واليه ذهب مالك
وجماعة وداود الظاهري قالوا لان قارى القران يستحق ثوابا عظيما وربما حصلت الوسوسة في
قلب القاري هل حصل له ذلك الثواب ام لا فاذا استعاذ بعد القراة اندفعت تلك الوساوس وبقي الثواب
خالصا فاما مذهب الاكثر من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الايمة وفقها الامصار فقد اتفقوا
على ان الاستعاذة مقدمة على القراة قالوا ومعنى الاية اذا اردت ان تقرا القران فاستعذ بالله
ومثله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق ومثله من الكلام اذا اردت ان تاكل فقل
بسم الله الرحمن الرحيم واذا اردت ان تسافر فتاهب وايضا فان الوسوسة انما تحصل في اثنا القراة
فتقدم الاستعاذة على القراة لتذهب الوسوسة عنه اولى من تاخيرها عن وقت الحاجة اليها ومذهب
عطا تجب الاستعاذة عند قراة القران سوا كانت في الصلاة او غيرها واتفق سائر الفقها على ان

الاستعاذة

الاستعاذة سنة في القران وغيره وقد تقدمت هذه المسيلة والخلاف فيها في اول سورة الفاتحة والاستعاذة
الاعتصام بالله والالتجا اليه من شر الشيطان ووسوسته والمراد من الشيطان ابليس واعوانه جنس يطلق
على جميع المردة من الشياطين لان لهم قدرة على القا الوسوسة في قلوب بني ادم باقدار الله اياهم على ذلك انه
ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون لما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة
من الشيطان فكان ذلك اوهم ان له قدرة على التصرف في ابدان بني ادم فازال الله هذا الوهم بقوله انه ليس
له سلطان يعني ليس له قدرة ولا ولاية على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون قال سفيان ليس له سلطان على
ان يحملهم على ذنب لا يغفر وظهر من هذه الاستعاذة انما تفيد اذا حضر بقلب الانسان لكونه ضعيفا
وانه لا يمكنه التحفظ من وسوسة الشيطان الا بعصمة الله ولهذا قال المحققون لا حول عن معصية الله
ولا قوة على طاعة الله الا بالله بتوفيق الله ثم قال تعالى انما سلطانه على الذين يتولونه يعني يطيعونه
ويدخلون في ولايته يقال توليته اذا اطعته وتوليت عنه اذا اعرضت عنه والذين هم به مشركون يعني
بالله وقيل الضمير في به راجع الى الشيطان والمعنى والذين هم من اجله مشركون بالله قوله تعالى واذا
بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل وذلك ان المشركين من اهل مكة يقولون ان محمدا يسخر باصحابه
يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا ما هو الا مفتري يقوله من تلقا نفسه فانزل الله هذه الاية يعني بدلنا
مكانه حكما اخر والله اعلم بما ينزل اعتراض دخل في الكلام والمعنى والله اعلم بما ينزل من الناسخ وبما هو اصلح
لخلقه وفيما يغير ويبدل من احكامه اي هو اعلم بجميع ذلك فيما هو من مصالح عباده وهذا نوع توبيخ
وتقريع للكفار بل قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله قالوا انما انت مفتر اي تختلقه من عندك
والمعنى اذا كان الله تعالى اعلم بما ينزل فما بالهم ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم الى الافترا والكذب
لاجل التبديل والنسخ وانما فايدة ذلك ترجع الى مصالح العباد كما يقال ان الطبيب يامر المريض بشرب
الدوا ثم ينهاه عنه ويامره بغيره لما يرى فيه من المصلحة بل اكثرهم لا يعلمون يعني لا يعلمون فايدة
الناسخ وتنزيل المنسوخ قل اي قل لهم يا محمد نزله روح القدس يعني جبريل نزل بالقران من ربك
بالحق يا محمد ليثبت الذين امنوا يعني ليثبت بالقران قلوب المومنين فيزدادوا ايمانا ويقينا وهدى
وبشرى يعني وهو هدى وبشرى للمسلمين قوله تعالى ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر
وذلك ان كفار مكة قالوا انما يتعلم هذه القصص وهذه الاخبار من انسان اخر وهو ادمي مثله وليس
هو من عند الله كما يزعم فاجابهم الله بقوله ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر واختلفوا في ذلك البشر
من هو فقال ابن عباس رضي الله عنهما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قينا بمكة اسمه بلعام وكان
نصرانيا اعجمي اللسان وكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من
عنده كانوا يقولون انما يعلمه بلعام وقال عكرمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقري غلاما لبني
المغيرة يقال له يعيش وكان يقرا الكتب فقالت قريش انما يعلمه يعيش وقال محمد بن اسحاق كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند المروة الى غلام رومي نصراني عبد لبعض بني الحضرمي
يقال له جبر وكان يقرا الكتب وقال عبيد بن مسلم كان لنا عبدان من اهل عين التمر يقال لاحدهما يسار
يكنى ابا فكيهة والاخر يقال له جبر وكانا يصنعان السيوف بمكة وكانا يقران التوراة والانجيل فربما مر بهما
النبي صلى الله عليه وسلم وهما يقران فيقف ويستمع وقال الضحاك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اذاه الكفار يقعد اليهما فيتروح بكلامهما فقال المشركون انما يتعلم محمد منهما وقال الفرا قال المشركون

Copyright © King Saud University

انما يتعلم محمد من عايش مملوك كان لحويطب بن عبد العزى وكان قد اسلم وحسن اسلامه وكان اعجم وقيل من
عداس غلام عتبة بن ربيعة والحاصل ان الكفار اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انما يتعلم
هذه الكلمات من غيره ثم انه يضيفها الى نفسه ويزعم انه وحي من الله تعالى وهو كاذب في ذلك فانزل الله
تعالى هذه الاية تكذيبا لهم فيما رموا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب فقال تعالى
لسان الذي يلحدون اليه يعني يميلون اليه ويشيرون به اعجمي يعني وهذا هو عجمي والاعجمي هو الذي لا
يفصح في كلامه وان كان يسكن البادية ومنه سمي زياد الاعجم كان في لسانه مع انه كان من العرب
والعجمي منسوب الى العجم وان كان فصيحا بالعربية والاعرابي الذي يسكن البادية والعربي الذي يسكن الامصار
من بلاد العرب وهو منسوب الى العرب فقوله وهذا لسان عربي مبين يعني من الفصاحة والبلاغة
ووجه الجواب هو ان الذي يشيرون اليه رجل اعجمي في لسانه عجمة تمنعه من الاتيان بفصيح الكلام
ومحمد صلى الله عليه وسلم جاءكم بهذا القران الفصيح الذي عجزتم عنه انتم وانتم اهل الفصاحة والبلاغة
فكيف يقدر من هو اعجمي على مثله واين فصاحة هذا القران من عجمة هذا الذي يشيرون اليه فثبت
بهذا البرهان الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وحي اوحاه الله اليه وليس هو من تعليم الذي يشيرون
اليه ولا هو اتى به من تلقاء نفسه بل هو وحي من الله عز وجل اليه ويروى ان الرجل الذي كانوا
يشيرون اليه اسلم وحسن اسلامه قوله عز وجل ان الذين لا يؤمنون بايات الله يعني لا يصدقون
انها من عند الله لا يهديهم الله يعني لا يرشدهم ولا يوفقهم للايمان ولهم عذاب اليم يعني في الاخرة
ثم اخبر ان الكفار هم المفترون فقال تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله
يعني انما تقدم في الفرية الكذب من لا يؤمن بايات الله فهو رد لقول كفار قريش انما انت مفتر واولئك
هم الكاذبون يعني في قولهم انما يعلمه بشر لانه محمد صلى الله عليه وسلم **فان قلت**
قد قال تعالى انما يفتري الكذب فما معنى قوله واولئك هم الكاذبون والثاني هو الاول **قلت**
قوله لازم انما يفتري الكذب اخبارا عن فعلهم وهو قوله فاولئك هم الكاذبون نعت لازم لهم كقول
الرجل لغيره كذبت وانت كاذب اي كذبت في هذا القول ومن عادتك الكذب وفي الاية دليل على
ان الكذب من فحش الذنوب الكبائر لان الكاذب المفتري هو الذي لا يؤمنون بايات الله روى
البغوي باسناد الثعلبي عن عبد الله بن جراد قال قلت يا رسول الله المؤمن يزني قال قد يكون ذلك
قال قلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قال قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله تعالى
انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله قوله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره
وقلبه مطمئن بالايمان نزلت في عمار بن ياسر وذلك ان الكفار اخذوه واباه ياسرا وامه سمية وصهيبا
وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم ليرجعوا عن الاسلام فاما سمية ام عمار فانها ربطت بين بعيرين
ووجئ قبلها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر فهما اول قتيلين قتلا في الاسلام واما عمار فانه
اعطاهم بعض ما ارادوا بلسانه مكرها قال قتادة اخذ بنو المغيرة عمارا وغطوه في بئر ميمون وقالوا
له اكفر بمحمد فتابعهم على ذلك وقلبه كاره فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان عمارا كفر فقال كلا
ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يبكي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وراءك قال شر يا رسول الله نلت منك
وذكرت فقال كيف وجدت قلبك قال مطمئن بالايمان فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه

فقال

فقال ان عادوا لك فعد لهم بما قلت فنزلت هذه الاية وقال مجاهد نزلت في ناس من اهل مكة
امنوا فكتب اليهم بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان هاجروا الينا والا لا نراكم منا حتى تهاجروا
فخرجوا يريدون المدينة فادركتهم قريش في الطريق ففتنوهم عن دينهم فكفروا كارهين وهذا قول
ضعيف لان الاية مكية وهذا في اول الاسلام قبل ان يؤمروا بالهجرة وقال مقاتل نزلت في جبر مولى عامر
بن الحضرمي اكرهه سيده على الكفر فكفر مكرها وقلبه مطمئن بالايمان ثم اسلم عامر بن الحضرمي مع مولاه جبر
وحسن اسلامه وهاجر الى المدينة والاولى ان يقال ان الاية عامة في كل من اكره على الكفر وقلبه مطمئن
بالايمان وان كان السبب خاصا **فان قلت** المكره على الكفر ليس بكافر فلا يصح استثناؤه
من الكافر فما معنى الاستثناء في الا من اكره **قلت** المكره لما ظهر منه بعد الايمان ما مثله
يظهر من الكافر طوعا صح هذا الاستثناء لهذه المشابهة والمشاكلة **فصل** في حكم الاية
قال العلماء يجب ان يكون الاكراه الذي يجوز له ان يتلفظ معه بكلمة الكفر ان يعذب بعذاب لا طاقة له
به مثل التخويف بالقتل والضرب الشديد والايلامات القوية مثل التحريق بالنار وغيره قال العلماء
اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الصديق وخباب وصهيب وبلال
وعمار وابو ياسر وامه سمية فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله من اذى المشركين بعمه ابي
طالب واما ابو بكر فمنعه قومه وعشيرته واخذوا الاخرين والبسوا ادراع الحديد واجلسوهم في حر
الشمس بمكة واما بلال فكانوا يعذبونه وهو يقول احد احد حتى اشتراه ابو بكر واعتقه وقتل ياسر
وسمية كما تقدم وقال خباب لقد اوقدوا لي نارا ما اطفاها الا ودك ظهري واجمعوا على انه من
اكره على الكفر لا يجوز له ان يتلفظ بكلمة تصريحا بل ياتي بالمعاريض وبما يوهم انه كفر فلو اكره على التصريح يباح
له ذلك بشرط طمانينة القلب على الايمان غير معتقد ما يقوله من كلمة الكفر ولو صبر حتى قتل
كان افضل لان ياسرا وسمية قتلا ولم يتلفظا بكلمة الكفر ولان بلالا صبر على العذاب ولم يلم على ذلك
قال العلماء من الافعال ما يتصور الاكراه عليها كشرب الخمر واكل لحم الخنزير والميتة ونحوها فمن اكره بالسيف
او القتل على ان يشرب الخمر او ياكل الميتة او لحم الخنزير ونحوها جاز له ذلك لقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة وقيل لا يجوز له ذلك ولو صبر كان افضل ومن الافعال ما لا يتصور الاكراه عليه كالزنا لان
الاكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع انتشار الالة فلا يتصور فيه الاكراه واختلف العلماء في طلاق
المكره فقال الشافعي واكثر العلماء لا يقع طلاق المكره وقال ابو حنيفة يقع حجة الشافعي رضي الله عنه ومن
وافقه قوله تعالى لا اكراه في الدين ولا يمكن ان يكون المراد نفي ذاته لان ذاته موجودة فوجب
حمله على نفي احكامه واثاره والمعنى انه لا اثر له ولا عبرة به وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان فيه دليل
على ان محل الايمان هو القلب ولكن من شرح بالكفر صدرا يعني فتحه ووسعه لقبول الكفر واختاره ورضي
به فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم يعني في الاخرة ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة يعني يكون
ذلك الاقدام على الارتداد على الكفر لاجل انهم استحبوا الدنيا على الاخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين
يعني لا يرشدهم الى الايمان ولا يوفقهم للعمل اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم تقدم تفسيره
واولئك هم الغافلون يعني عما يراد بهم من العذاب في الاخرة وهو قوله تعالى لا جرم انهم في الاخرة هم
الخاسرون يعني ان الانسان انما يعمل في الدنيا ليستربح في الاخرة فاذا دخل النار على خسرانه ظهر غبنه
لانه ضيع راس ماله وهو الايمان ومن ضيع راس ماله فهو خاسر قوله عز وجل ثم ان ربك للذين هاجروا

Copyright © King Saud University

من بعد ما فتنوا يعني عذبوا ومنعوا من الدخول في الاسلام فتنتهم المشركون ثم جاهدوا وصبروا يعني على
الايمان والهجرة والجهاد ان ربك من بعدها يعني بعد الفتنة التي فتنوها لغفور رحيم نزلت هذه الاية في عياش
ابن ربيعة وكان اخا ابا جهل من الرضاعة وقيل كان اخاه من امه وفي ابي جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن المغيرة
ابن سلمة بن هشام وعبد الله بن اسد الثقفي فتنتهم المشركون وعذبوهم فاعطوهم بعض ما ارادوا ليسلموا من
شرهم ثم انهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقال الحسن وعكرمة نزلت هذه الاية في عبد الله بن ابي سرح
كان قد اسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فاستزلة الشيطان فارتد ولحق بدار الحرب فلما كان يوم
فتح مكة امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجار عثمان وكان اخوه لامه فاجاره رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاتى به فاسلم وحسن اسلامه وهذا القول انما صح اذا قلنا ان هذه الاية مدنية نزلت بالمدينة
فتكون من الايات المدنيات في السور المكيات والله اعلم بحقيقة ذلك قوله تعالى يوم تاتي كل نفس
تجادل عن نفسها يعني تخاصم وتحتج عن نفسها بما اسلفت من خير وشر اشتغله بالمجادلة لا يتفرغ الى غيرها
وقال ان قلت النفس هي واحدة وليس لها نفس اخرى فما معنى قوله كل نفس تجادل عن نفسها قلت
ان النفس قد يراد بها بدنه وقد يراد بها مجموع ذاته وحقيقته والنفس الثانية هي بدنه فهو عينها وذاتها
ايضا والمعنى يوم ياتي كل انسان ان يجادل عن ذاته ولا يهمه غيره ومعنى هذه المجادلة الاعتذار بما لا يقبل
منهم كقولهم والله ما كنا مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات وتوفى كل نفس ما عملت يعني جزا ما عملت في
الدنيا من خير او شر وهم لا يظلمون يعني لا ينقصون من جزا اعمالهم شيا بل يوفون ذلك كاملا من غير زيادة ولا
نقصان وروي ان عمر بن الخطاب قال لكعب الاحبار خوفنا فقال يا امير المومنين والذي نفسي بيده لو وافيت
القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لاتت عليك ساعات وانت لا يهمك الا نفسك فان لجهنم
لزفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثى على ركبتيه حتى ابراهيم الخليل يقول يا رب
لا اسالك الا نفسي وان تصديق ذلك فيما انزله الله عليكم يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وروى عكرمة
عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الاية قال ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح
الجسد فتقول الروح يا رب لم يكن لي يد ابطش بها ولا رجل امشي بها ولا عين ابصر بها ويقول الجسد خلقتني
كالخشب ليست لي يد ابطش بها ولا رجل امشي بها ولا عين ابصر بها فجا هذا الروح كشعاع النور فيه به نطق
لساني وبه ابصرت عيناي وبه مشت رجلي فيضرب الله مثلا لهما مثل اعمى ومقعد دخلا حايطا يعني
بستانا فيه ثمار فالاعمى لا يبصر الثمرة والمقعد لا ينالها فحمل الاعمى المقعد فاصابا من الثمر فعليهما
العذاب قوله عز وجل وضرب الله مثلا قرية المثل عبارة عن قول يشبه قولا في شي اخر بينهما
مشابهة ليتبين احدهما الاخر ويصوره وقيل هو عبارة عن المشابهة لغيره في معنى الافعال من
المعاني اي معنى كان وهو اعم الالفاظ الموضوعة للمشابهة قال الامام فخر الدين الرازي المثل
قد يضرب بشي موصوف بصفة معينة سوا كان ذلك الشي موجودا او لم يكن وقد يضرب بشي موجود
معين فهذه القرية التي ضرب الله بها المثل يحتمل ان يكون شيئا مقدرا ويحتمل ان يكون قرية
معينة وعلى التقدير الثاني فتلك القرية يحتمل ان تكون مكة او غيرها والاكثر من المفسرين رضي
الله عنهم على انها مكة والاقرب انها غير مكة لانها ضربت مثلا لمكة وقيل مكة غير مكة وقال
الزمخشري في كتابه الكشاف وضرب الله مثلا قرية جعلت القرية التي هذه حالها مثلا لكل
قوم انعم الله عليهم وابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله تعالى بهم نقمته فيجوز ان يراد

فيه قرية مقدرة على هذه الصفة وان يكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا
لمكة انذارا من مثل عاقبتها وقال الواحدي يجوز ضرب المثل ببيان المشبه والمشبه هنا مضروب المشبه به ولم
يذكر المشبه لوضوحه عند المخاطبين والاية عند عامة المفسرين نازلة في اهل مكة واما ما امتحنوا
به من الخوف والجوع بعد الامن والنعمة بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم ثم نفروا والاية ضرب
الله مثلا لقريتكم اي يعني الله لها شبها ثم قال القرية فيجوز ان يكون القرية بدلا من مثل لانها هي
المثل بها فيجوز ان يكون المعنى ضرب الله مثلا مثل قرية فحذف المضاف فهذا قول الزجاج والمفسرون
كلهم قالوا ارادوا بالقرية مكة يعنون انما اراد مكة في تمثيلها بالقرية مثلها ما ذكر وقال ابن الجوزي
في هذه القرية قولان احدهما انها مكة والثاني انها قرية اوسع الله على اهلها حتى كانوا يستنجون
بالخبز فبعث الله عليهم الجوع قاله الحسن والاقوى هذه الاية نزلت في المدينة في قول مقاتل وبعض
المفسرين وهو الصحيح لان الله وصف هذه القرية بصفات ستة كانت فهذه الصفات موجودة
في اهل مكة فضربها الله مثلا لاهل المدينة يحذرهم ان يصنعوا مثل صنيعهم فيصيبهم ما اصابهم
من الجوع والخوف ويشهد لصحة ما قلنا ان الخوف المذكور في هذه الاية في قوله فاذاقها الله لباس
الجوع والخوف هو البعوث والسرايا التي كانت للنبي صلى الله عليه وسلم يبعثها في قول جميع المفسرين
لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يومر بالقتال وهو بمكة وانما امر بالقتال لما هاجر الى المدينة
فكان يبعث البعوث والسرايا الى حول مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة والله اعلم بمراده واما
تفسير الاية فقوله تعالى وضرب الله مثلا قرية يعني مكة كانت امنة يعني ذات امن لا يهاج
اهلها ولا يغار عليهم مطمينة اي قارة باهلها لا يحتاجون الى الانتقال عنها للانتجاع كما كان
يحتاج الى سائر العرب ياتيها رزقها رغدا يعني واسعا من كل مكان يعني يحمل الى اهلها الرزق والميرة
من البر والبحر نظيره قوله تعالى يجبى اليه ثمرات كل شي وذلك بدعوة سيدنا ابراهيم عليه السلام
وهو قوله وارزقهم من الثمرات فكفرت يعني هذه القرية فالمراد بها اهلها بانعم الله جمع نعمة
والمراد به سائر النعم التي انعم الله بها على اهل مكة فلما قابلوا نعم الله التي انعم بها عليهم بالجحود
والكفر لا جرم ان الله تعالى انتقم منهم فقال تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف وذلك ان الله
سبحانه وتعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت عنهم الميرة بامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا واكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب والميتة والعهن وهو الوبر
يعالج بالدم ويخلط به حتى يوكل حتى كان احدهم ينظر الى السما فيرى شبه الدخان من الجوع ثم ان
روسا مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ما هذا هبك ان عاديت الرجال فما
بال النسا والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حمل الطعام اليهم وهم بعد
مشركين والخوف بعد خوف النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه التي كان يبعثها للاغارة وكانت
تطيف بهم ويغارون على من حولهم من العرب فكان اهل مكة يخافونهم فان قلت
الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعه على اللباس
استعارة فما وجه صحة ايقاعها عليه وصواب اللباس لا يناقض بل يلبس فيقال كساهم الله
لباس الجوع او يقال فاذاقهم الله طعم الجوع قلت قال صاحب الكشاف اما
الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها

Copyright © King Saud University

يبتلون ذاق فلان البوس وانهم ذاقوا العذاب والضر شبه ما يدركون من اثر الضرر والالم بما يدرك
من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من
بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس
فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الخوف والجوع ثم ذكر بعده من علم المعاني والبيان ما يشهد لصحة ما قال
وقال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله جوابه من وجوه • الاول ان الاحوال التي حصلت لهم عند
الجوع نوعان احدهما ان المذوق هو فلما فقدوا الطعام صاروا كانهم يذوقون الجوع • الثاني ان ذلك
الجوع شديد كاملا فصار كانه احاط بهم من كل الجهات فاشبه اللباس فالحاصل انهم حصل لهم في ذلك
الجوع حالة تشبه المذوق وحالة تشبه الملبوس فاعتبر الله كلا الاعتبارين فقال فاذاقها الله
لباس الجوع والخوف الا انه تعالى عبر عن التعريف بلفظ الاذاقة واصل الذواق بالفم ثم يستعار فيوضع
موضع التعريف والاختبار تقول ناظر فلان وذاق ما عنده قال الشاعر •
• ومن يذق الدنيا فاني طعمتها • وسيق الينا عذبها وعذابها •
ولباس الجوع والخوف ما ظهر عليهم من الظهور وشحوب اللون ونكهة البدن وتغيير الحال وكسوف البال
كما تقول تعرفت سوء اثر الجوع والخوف على فلان وذقت لا تعرف الوجه الثالث ان يحمل لفظ الذوق
واللبس على المماسة فصار التقدير فاذاقها الله مساس الجوع والخوف ثم قال تعالى بما كانوا يصنعون
ولم يقل بما صنعت ثم انعم الله عز وجل عليهم بالنعمة العظيمة وهي ارسال محمد صلى الله عليه وسلم
فكفروا به وكذبوه وبالغوا في ايذائه وارادوا قتله فاخرجه الله من بينهم وامره بالهجرة الى المدينة
وسلط على اهل مكة البلاء والشدائد والجوع والخوف كل ذلك بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وخروجه من بين اظهرهم قوله عز وجل ولقد جاءهم رسول منهم يعني لاهل مكة محمد صلى الله
عليه وسلم يعرفون نسبه ويعرفونه قبل النبوة وبعدها فكذبوه فاخذهم العذاب يعني الجوع
والخوف وقتل القتل يوم بدر والقول الاول اولى لما تقدم في الاية وهم ظالمون يعني كافرون
فكلوا مما رزقكم الله في المخاطبين في هذا قولان احدهما انهم المسلمون وهو قول جمهور المفسرين
والثاني انهم المشركون من اهل مكة قال الكلبي لما اشتد الجوع باهل مكة كلم رؤساؤهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا انك عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس
ان يحملوا الطعام اليهم حكاه الواحدي وغيره وعلى القول الاول هو الصحيح قوله عز وجل حلالا طيبا قال
ابن عباس يريد الغنائم حلالا طيبا يعني ان الله احل لهذه الامة الغنائم وطيبها لهم ولم تحل لاحد قبلهم
واشكروا نعمة الله يعني التي انعم يعني انكم تحلفون وتحرمون لاجل الكذب لا لغيره فليس بها عليكم ان كنتم
اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا
عاد فان الله غفور رحيم تقدم تفسير هذه الاية واحكامها في سورة البقرة فلم نعده هاهنا وقوله
تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب يعني انكم تحللون وتحرمون لاجل الكذب لا لغيره فليس
لتحليلكم وتحريمكم معنى وسبب الا الكذب فقط فلا تفعلوا ذلك قال مجاهد يعني البحيرة والسائبة
وقال ابن عباس رضي الله عنهما يعني ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وذلك
ان العرب في الجاهلية كانوا يحلون اشياء ويحرمون اشياء من عند انفسهم وينسبون ذلك الى الله وهو قوله
تعالى هذا حلال وهذا حرام يعني لا تقولوا ان الله امرنا بذلك فتكذبوا على الله لانه وصفهم الكذب هو

افترا

افترا على الله تعالى ثم اوعد المفترين الكذب فقال تعالى لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على
الله الكذب لا يفلحون يعني لا ينجون من العذاب وقيل معناه لا يفوزون بخير لان الفلاح هو الفوز
بالخير والنجاح ثم بين ان ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قرب فقال متاع يعني متاعهم في الدنيا
متاع قليل فانه لا بقاء له ولهم عذاب اليم يعني في الاخرة وعلى الذين هادوا يعني اليهود حرمنا ما قصصنا
عليك من قبل يعني ما سبق ذكره وبيانه في سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر
الاية وما ظلمناهم يعني بتحريم ذلك عليهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني انما حرمنا عليهم ما حرمنا بسبب بغيهم
وظلمهم انفسهم نظيره قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم قوله تعالى ثم ان ربك للذين
عملوا السوء بجهالة المقصود من هذه الاية بيان فضل الله تعالى وسعة مغفرته ورحمته لان السوء لفظ جامع لكل فعل
قبيح فيدخل تحته الكفر وسائر المعاصي وكل ما لا ينبغي فكل من عمل السوء فانما يفعله بالجهالة لان العاقل لا يرضى بفعل
القبيح فمن صدر منه فعل قبيح من كفر او معصية انما يصدر عنه بسبب جهله بقدر ما يترتب عليه من العقاب
او لجهله بقدر من يعصيه فلهذا ثبت ان من فعل السوء انما يفعله بجهالة ثم ان الله تعالى وعد من عمل
سوءا بجهالة ثم تاب واصلح في المستقبل فان الله يتوب عليه ويرحمه وهو قوله تعالى ثم تابوا من بعد ذلك
يعني من بعد عمل ذلك السوء واصلحوا يعني اصلحوا العمل في المستقبل وقيل معنى الاصلاح الاستقامة على
التوبة ان ربك من بعدها يعني من بعد عمل السوء بالجهالة والتوبة منه لغفور يعني لمن تاب وآمن رحيم يعني
بجميع المؤمنين والتائبين قوله عز وجل ان ابراهيم كان امة حكى ابن الجوزي عن ابن الانباري انه قال هذا مثل
قول العرب فلان رحمة وفلان علامة ونسابة يقصدون بهذا التانيث قصد التناهي في المعنى الذي يصفونه
به والعرب توقع الاسماء المبهمة على الجماعة وعلى الواحد لقوله تعالى فنادته الملائكة وانما ناداه جبريل وحده
وانما سمي ابراهيم امة لانه اجتمعت فيه خصال الكمال وصفات الخير والاخلاق الحميدة ما اجتمع في امة ومنه
قول الشاعر • وليس على الله بمستنكر • ان يجمع العالم في واحد • ثم للمفسرين في هذه اللفظة اقوال احدها
قول ابن مسعود الامة معلم الخير يعني انه كان معلما للخير يأتم به اهل الدنيا • الثاني قول مجاهد انه كان مؤمنا
وحده والناس كفار فلهذا المعنى كان وحده ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في زيد بن عمرو بن نفيل يبعثه الله امة وحده
وانما قال هذه المقالة لانه قد كان فارق الجاهلية وما كانوا عليه من عبادة الاصنام • الثالث قال قتادة
ليس من اهل دين الا وهم يتولونه ويرضونه • وقيل الامة فعلة بمعنى مفعول وهو الذي يؤتم به وكان ابراهيم
عليه الصلاة والسلام اماما يقتدى به دليله قوله تعالى اني جاعلك للناس اماما وقيل انه هو السبب
الذي حصلت لاجله امته ومن معه ممتازين عمن سواهم بالتوحيد لله تعالى والدين الحق وهو من باب اطلاق المسبب
على السبب وقيل انما سمي ابراهيم عليه السلام امة لانه قام مقام امة في عبادة الله قانتا لله يعني مطيعا
لله وقيل هو القائم باوامر الله تعالى حنيفا مسلما يعني مقيما على دين الاسلام لا يميل عنه ولا يزول وقيل
هو اول من اختتن وضحى واقام مناسك الحج ولم يك من المشركين يعني انه عليه الصلاة والسلام كان من الموحدين
من صغره الى كبره شاكرا لانعمه يعني انه شاكر لله على نعمه التي انعم بها عليه اجتباه اي اختاره لنبوته واصطفاه
لخلته وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة يعني الرسالة والخلة وقيل هي لسان الصدق
والثناء الحسن على الله والقبول العام في جميع الامم وان الله حببه الى جميع الخلق فكل اهل الاديان يتولونه اليهود
والمسلمون والنصارى ومشركوا العرب وغيرهم وقيل هو قول المصلي في التشهد اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما
صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وقيل انه اولادا ابرارا على الكبر وانه في الاخرة لمن الصالحين يعني في اعلى

Copyright © King Saud University

مقامات الصالحين في الجنة فيكون معهم ولما وصف الله عز وجل ابراهيم بهذه الصفات الشريفة العالية امر نبيه صلى الله عليه وسلم باتباعه فقال تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم يعني دينه وما كان عليه من الشريعة والتوحيد قال اهل الاصول كان النبي صلى الله عليه وسلم مامورا بشريعة ابراهيم الا ما نسخ منها وما لم ينسخ صار شرعا له وقال ابو جعفر الطبري امر باتباعه في التبري من الاوثان والتدين بدين الاسلام وهو قوله تعالى حنيفا وما كان من المشركين تقدم تفسيره انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه يعني انما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال امرهم موسى بتعظيم يوم الجمعة فقال تفرغوا لله في كل سبعة ايام يوما فاعبدوه في يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيا من صنعتكم وستة ايام ايام لصنعتكم فابوا وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام بيوم الجمعة فقالوا لا نريد ان يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فاتخذوا الاحد فاعطى الله عز وجل الجمعة لهذه الامة فقبلوها فبورك لهم فيها وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن الاخرون السابقون يوم القيامة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا ثم اختلفوا فيه واوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فهو لنا فيه تبع فغدا لليهود وبعد غد للنصارى وفي رواية لمسلم نحن الاخرون الاولون يوم القيامة ونحن اول من يدخل الجنة وفي رواية اخرى له قال اضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا وهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم لنا تبع يوم القيامة نحن الاخرون في الدنيا الاولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلايق قال الشيخ محي الدين النواوي في شرح مسلم قال العلما في معنى الحديث نحن الاخرون في الزمان والوجود السابقون بالفضل ودخول الجنة فتدخل هذه الامة الجنة قبل سائر الامم وقوله بيد انهم يعني غير انهم اولى انهم وقوله فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له قال القاضي عياض الظاهر انه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ووكل الى اجتهادهم لاقامة شرايعهم فيه فاختلف احبارهم في تعيينه ولم يهدهم الله له وفرضه على هذه الامة مبينا ولم يكلهم الى اجتهادهم ففازوا بفضيلته قال يعني القاضي عياض وقد جاء ان موسى عليه السلام امرهم بيوم الجمعة واعلمهم بفضلها فناظروه ان السبت افضل فقيل له دعهم قال القاضي عياض لو كان منصوصا عليه لم يصح اختلافهم فيه بل كان يقول خالفوا فيه قال الشيخ محي الدين النواوي يمكن ان يكون امروا به صريحا ونص على عينه فاختلفوا فيه هل يلزم تعيينه ام لهم ابداله فابدلوه وغلطوا في ابداله قال الامام فخر الدين الرازي في قوله تعالى على الذين اختلفوا فيه يعني على نبيهم موسى عليه الصلاة والسلام حيث امرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافا على نبيهم في ذلك اي لاجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه ان اليهود اختلفوا فمنهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان اليهود كانوا متفقين على ذلك ثم زاد الواحدي على هذا فقال وهذا مما اشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم معنى الاختلاف في السبت ان بعضهم قال هو اعظم الايام حرمة لان الله تعالى فرغ فيه من خلق الاشيا وهذا غلط لان اليهود لم يكونوا فرقتين في السبت وانما اختار الاحد النصارى بعدهم بزمان **فان قلت** ان اليهود انما اختاروا السبت لان اهل الملل اتفقوا على ان الله خلق الخلق في ستة ايام وبدا الخلق والتكوين في يوم الاحد وتم الخلق في يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم فراغ فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك العمل في هذا

اليوم فاختاروا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى انما بدا خلق الاشيا في يوم الاحد فنحن نجعل هذا اليوم عيدا وهذان الوجهان معقولان فما فضل يوم الجمعة حتى جعله اهل الاسلام عيدا **قلت** لان يوم الجمعة افضل الايام لان كمال الخلق وتمامه كان فيه وحصول التمام والكمال يوجب الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة عيدا لهذا الوجه في قوله وهو اولى ووجه اخر وهو ان الله عز وجل خلق فيه اشرف خلقه وهو ادم عليه السلام وهو ابو البشر وفيه تاب عليه فكان يوم الجمعة اشرف الايام لهذا السبب ولان الله تعالى اختار يوم الجمعة لهذه الامة وادخره لهم ولم يختاروا لانفسهم قال بعض العلماء بعث الله موسى عليه السلام بتعظيم يوم السبت ثم نسخ بيوم الاحد في شريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ يوم السبت ويوم الاحد بيوم الجمعة في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم افضل الانبيا وفي معنى الاية قول اخر قاله قتادة الذين اختلفوا اليهود استحله بعضهم وحرمه بعضهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله انما جعل السبت اي وبال السبت ولعنته على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود فاحله بعضهم فاصطادوا فيه فلعنوا ومسخوا قردة وخنازير في زمن داود وقد تقدمت القصة في تفسير هذه الاية في تفسير سورة الاعراف وبعضهم ثبت على تحريمه فلم يصطادوا فيه شيا وهم الناهون والقول الاول اقرب الى الصحة وقوله تعالى وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون يعني في امر السبت فحكم الله بينهم يوم القيامة فيجازي المحقين بالثواب والمبطلين بالعقاب قوله عز وجل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة يعني ادع الى دين ربك وهو دين الاسلام بالحكمة يعني بالمقالة الحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة يعني وادعهم الى الله بالترغيب والترهيب وهو انه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم وجادلهم بالتي هي احسن يعني بالطريقة التي هي اشرف واحسن المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف وقيل ان الناس خلقوا وجعلوا على ثلاثة اقسام القسم الاول وهم العلما الكاملون اصحاب العقول الصحيحة والبصاير الثابتة الذين يطلبون الاشيا على حقيقتها فهولاء هم المشار اليهم بقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة يعني ادعهم بالدلايل القطعية اليقينية حتى يعلموا الاشيا بحقايقها حتى ينتفعوا وينفعوا الناس وهم خواص العلما من الصحابة وغيرهم القسم الثاني وهم الفطر السليمة والخلقة الاصلية وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا حد الكمال ولم يبلغوا الى حقيقة النقصان فهو اوسط الاقسام وهو المشار اليهم بقوله بالحكمة والموعظة الحسنة اي ادع الجهولا بالموعظة والقسم الثالث وهو اصحاب جدال وخصام ومعاندة وهولاء المشار اليهم بقوله وجادلهم بالتي هي احسن حتى ينقادوا الى الحق ويرجعوا اليه وقيل المراد بالحكمة النبوة اي ادعهم بالنبوة والرسالة والمراد بالموعظة الحسنة الرفق واللين في الدعوة وجادلهم بالتي هي احسن اي اعرض عن اذاهم ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعا الى الحق فعلى هذا القول قال بعض المفسرين هذا منسوخ باية السيف ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين يعني انما عليك يا محمد تبليغ ما ارسلت به اليهم ودعاهم الى هذه الطرق الثلاثة وهو اعلم بالفريقين الضال والمهتدي فيجازي كل عامل بعمله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به نزلت هذه الاية بالمدينة في سبب شهدا احد وذلك ان المسلمين لما راوا ما فعل المشركون بقتلى المسلمين يوم احد من تبقير البطون والمثلة السيئة حتى لم يبق احد من قتلى المسلمين الا مثل به غير حنظلة بن عامر الراهب وذلك ان اباه ابا عامر كان مع ابي سفيان فتركوا حنظلة لذلك فقال المسلمون حين راوا ذلك لين اظهرنا الله عليهم

Copyright © King Saud University

لنرسلن على ضبيهم ولنمثلن بهم مثلة لم يفعلها احد من العرب باحد ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على
عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدعوا انفه واذنه وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه واخذت هند بنت عتبة قطعة
من كبده فمضغتها ثم ارادت ان تبلعها فلم تلبث في بطنها حتى رمتها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال اما
انها لو اكلتها لم تدخل النار ابدا حمزة اكرم على الله من ان يدخل شيئا من جسده النار فلما نظر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى عمه حمزة نظر الى شيء لم ينظر الى شيء قط كان اوجع لقلبه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة
الله عليك فانك ما علمت ما كنت الا فاعلا للخيرات وصولا للرحم ولولا حزن من بعدك عليك لسرني ان ادعك
حتى تحشر من افواج شتى اما والله لئن ظفرني الله بهم لامثلن بسبعين منهم مكانك فانزل الله عز وجل وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وامسك عن ما اراد وكفر عن يمينه عن ابي
ابن كعب قال لما كان يوم احد اصيب من الانصار اربعة وستون رجلا ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا
بهم فقالت الانصار لئن اصبنا منهم يوما مثل هذا اليوم لنربين عليهم قال فلما كان يوم فتح مكة فانزل الله عز وجل
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فقال رجل لا قريش بعد اليوم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كفوا عن القوم الا اربعة اخرجه الترمذي حديث حسن صحيح غريب واما تفسير
الاية فقوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به سمى الفعل الاول باسم الثاني في المزاوجة للكلام
والمعنى ان صنع بكم سوء من قتل ومثلة ونحوها امر الله برعاية العدل والانصاف في هذه الاية في باب
استيفا الحقوق يعني ان رغبتم في استيفا القصاص فاقتصوا بالمثل ولا تزيدوا عليه فان استيفا
الزيادة ظلم والظلم ممنوع منه في عدل الله وشرعه ورحمته وفي الايات دليل على ان الاولى ترك الاستيفا وذلك بطريق
الاشارة والرمز والتعريض ان الترك اولى فان كان لا بد من استيفا القصاص فيكون من غير زيادة عليه بل يجب
مراعاة المماثلة ثم انتقل من طريق الاشارة الى طريق التصريح فقال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين يعني ولئن
عفوتم وتركتم استيفا القصاص وصبرتم كان ذلك العفو والصبر خير من استيفا القصاص وفيه اجر للصابرين
العافين **فصل** اختلف العلما في هذه الاية منسوخة ام لا على قولين احدهما انها نزلت قبل براءة
فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقاتل من قاتله ولا يبدا بالقتال ثم نسخ ذلك وامر بالجهاد وذلك قول ابن عباس
والضحاك فعلى هذا يكون معنى قوله ولئن صبرتم عن القتال فلما اعز الله الاسلام وكثر اهله امر الله رسوله بالجهاد ونسخ
هذا بقوله واقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الاية والقول الثاني انها محكمة وانها نزلت فيمن ظلم ظلامة فلا يحل له ان ينال من
ظالمه اكثر مما نال منه الظالم وهذا قول مجاهد والشعبي والنخعي وابن سيرين والثوري قال بعضهم الاصح انها محكمة لان الاية
واردة في تعليم حسن الادب في كيفية استيفا الحقوق والقصاص وترك التعدي وهو طلب الزيادة وهذه الاشيا
لا تكون منسوخة فلا تعلق لها بالنسخ وقوله عز وجل واصبر وما صبرك الا بالله الخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم واعلمه ان صبره بتوفيقه ومعونته قوله ولا تحزن عليهم يعني الكافرين واعراضهم عنك وقيل معناه ولا تحزن
على قتلى احد وما فعل بهم فانهم افضوا الى رحمة الله ورضوانه ولا تك في ضيق يعني ولا يضيقن صدرك يا محمد
بسبب مكرهم فان الله كافيك وناصرك عليهم خاف في ضيق بفتح الضاد وكسرها فقيل هما لغتان وقال ابو عمرو الضيق
بالفتح الغم وبالكسر الشدة وقال ابو عبيدة الضيق بالكسر في قلة المعاش وفي المسكن واما ما كان في القلب والصدر
فانه بالفتح وقال ابن قتيبة الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين فعلى هذا تكون صفة كانه قال
ولا تك في امر ضيق من مكرهم قال الامام فخر الدين الرازي هذا الكلام من المقلوب لان الضيق صفة والصفة
تكون حاصلة في الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلا في الصفة وقيل المعنى ولا يكن الضيق فيك الا ان

الفايدة

الفايدة في قوله ولا تك في ضيق هو ان الضيق فيك الا ان الفايدة في شيء اذا عظم وقوى صار كالشيء
المحيط بالانسان من كل جانب كالقميص المحيط وكانت الفايدة في ذكر هذا اللفظ بهذا المعنى مما يمكرون
اي تعودا مشيلة الزيادة في القصاص وسائر المناهي ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون يعني بالعفو
عن الجاني وهذه المعية بالقول والفضل والرحمة يعني ان اردت ايها الانسان ان اكون معك بالقول
والفضل والرحمة فكن من المتقين المحسنين وفي هذا اشارة الى التعظيم لما امر الله والشفقة على خلق الله
تعالى قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق وقال الانسان ان يعرف الحق
لذاته والخير لاجل ان يعمل به وقيل لهرم بن حيان عند الموت اوص فقال ان الوصية في المال ولا مال
لي ولكني اوصيك بخواتيم سورة النحل والله اعلم بمراده واسرار كتابه **تفسير سورة الاسرا مكية**
قال ابن الجوزي هي مكية في قول الجماعة الا ان بعضهم يقول فيها مدني وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
هي مكية الا ثمان ايات من قوله وان كادوا ليفتنونك الى قوله نصيرا وهذا قول قتادة وقال مقاتل فيها من
المدني وقل رب ادخلني مدخل صدق الاية وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله وقوله ان ربك احاط بالناس
وقوله وان كادوا ليفتنونك وقوله ولولا ان ثبتناك والتي تليها وهي مائة وعشر ايات وقيل واحدى عشر
وخمسماية وثلاثة وثلاثون كلمة وثلاثة الاف واربعماية وستون حرف بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي
اسرى بعبده روى ابن الجوزي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيل عن تفسير سبحان الله فقال تنزيه
الله عن كل شيء هكذا ذكره بغير سند وقال النحويون سبحان اسم علم على التسبيح يقال سبحت الله
تسبيحا فالتسبيح هو المصدر وسبحان الله علم للتسبيح وتفسير سبحان الله تنزيه الله عن كل سوء
ونقيصة واصله في اللغة التباعد ومعنى سبحان الله بعده ونزاهته عن كل ما لا ينبغي الذي اسرى
بعبده يقال سرى به واسرى به لغتان بعبده اجمع المفسرون والعلما والمتكلمون ان المراد به محمد
صلى الله عليه وسلم لم يختلف احد من الامة في ذلك وقوله بعبده اضافة تشريف وتعظيم وتبجيل وتفخيم
وتكريم ومنه قول بعضهم يا لله لا تدعني الا بيا عبدها فانه اشرف اسمائي قيل لما بلغ رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى الدرجة العالية والمرتبة الرفيعة ليلة المعراج اوحى الله يا محمد بم اشرفك قال رب
حيث نسبتني الى نفسك بالعبودية فانزل الله سبحانه وتعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا **فان
قلت** الاسرا لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل **قلت** اراد بقوله
ليلا بلفظة التنكير تقليل مدة الاسرا وانه اسري به في بعض ليلة من مكة الى الشام مسيرة شهر واكثر فدل
تنكير الليل على البعضية من المسجد الحرام يعني قيل كان الاسرا من نفس مسجد مكة وفي حديث مالك بن
صعصعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر وذكر حديث المعراج بكماله فيما
بعد وقيل عرج به من دار ام هاني بنت ابي طالب رضي الله عنها وهي بنت عمه اخت علي كرم الله وجهه فعلى
هذا اراد بالمسجد الحرام الحرم الى المسجد الاقصى يعني الى بيت المقدس سمي اقصى لبعده عن المسجد الحرام او لانه
لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله يعني بالانهار والاثمار والاشجار وقيل سماه مباركا لانه مقر
الانبيا ومهبط الوحي والملائكة وقبلة الانبيا قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واليه يحشر الخلايق يوم القيمة
فان قلت ظاهر الاية يدل على ان الاسرا كان الى بيت المقدس وانه عرج
به الى السما فكيف الجمع بين الدليلين وما فايدة ذكر المسجد الاقصى فقط **قلت** كان
الاسرا على ظهر البراق الى المسجد الاقصى ومنه كان عروجه الى السما على المعراج وفايدة ذكر المسجد الاقصى فقط

Copyright © King Saud University

انه صلى الله عليه وسلم لو اخبر بصعوده الى السما اولا لاشتد انكارهم لذلك فلما اخبر انه اسري به الى بيت المقدس
وبان لهم صدقه فيما اخبر به من العلامات التي فيه وصدقوه عليها اخبر بعد ذلك بمعراجه الى السما فجعل الاسرا
من المسجد الحرام كالتوطئة لمعراجه الى السما وقوله تعالى لنريه من اياتنا يعني من بعض عجايب قدرتنا فقد
راى محمد صلى الله عليه وسلم الانبيا تلك الليلة وصلى بهم وراى الايات العظام **فان قلت**
لفظة من في قوله من اياتنا تقتضي التبعيض ° وقال في حق ابراهيم عليه السلام وكذلك نري ابراهيم ملكوت
السموات والارض فظاهر هذا يدل على فضيلة ابراهيم عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم ولا فايدة
به فما وجهه **قلت** ملكوت السموات والارض من بعض ايات الله ايضا ولايات الله افضل
من ذلك واكثر فالذي راه محمد صلى الله عليه وسلم من اياته وعجايبه تلك الليلة كان افضل من ملكوت السموات
والارض وظهر بهذا البيان فضل محمد صلى الله عليه وسلم على ابراهيم عليه الصلاة والسلام انه هو السميع
لاقواله ودعايه البصير لافعاله والحافظ له في ظلمة الليل وقت اسرايه وقيل انه هو السميع لما قالت له
قريش حين اخبرهم بمسيره الى بيت المقدس البصير بما ردوا عليه من التكذيب وقيل انه هو السميع لاقوال جميع خلقه
البصير بافعالهم فيجازي كل عامل بعمله على العموم اولى

فصل في ذكر المعراج وما يتعلق به

من الاحكام وما قال العلما فيه ق عن ابن عباس عن قتادة عن انس بن مالك عن مالك بن صعصعة ان نبي
الله صلى الله عليه وسلم حدثهم انه اسري به فقال بينا انا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع ومنهم من قال
بين النايم واليقظان اتاني ات فسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه فقلت للجارود وهو بجنبي ما يعني
به قال من ثغرة نحره الى شعرته وسمعته يقول من قصته الى شعرته فاستخرج قلبي ثم اتيت بطست من
ذهب مملوة ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم اعيد ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض فقال
له الجارود هو البراق يا ابا حمزة قال انس نعم يضع خطوته الى اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل
عليه السلام حتى اتى بي الى السما الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد
صلى الله عليه وسلم قيل وقد ارسل اليه قال نعم فقال مرحبا ونعم المجي جا فاذا فيها ادم عليه السلام
فقال هذا ابوك ادم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام وقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح
ثم صعد حتى اتى السما الثانية فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله
عليه وسلم قيل وقد ارسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجي جا ففتح فلما خلصت فاذا بيحيى وعيسى
ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح ثم صعد
بي الى السما الثالثة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه
قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا فلما خلصت فاذا يوسف عليه السلام قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت
عليه فقال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السما الرابعة فاستفتح قيل من هذا
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجي جا فلما خلصت فاذا
ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فقال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى
الى السما الخامسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه
قال نعم قيل مرحبا فنعم المجي جا فلما خلصت فاذا هرون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فقال
مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السما السادسة فاستفتح فقيل من هذا قال
جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجي جا فاذا موسى عليه السلام

قال

قال فسلم عليه فسلمت عليه فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح فلما جاوزته بكى فقيل ما يبكيك
قال غلام يبعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخلها من امتي ثم صعد بي الى السما السابعة فاستفتح
فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قال نعم المجي جا فلما خلصت فاذا
بابراهيم عليه السلام فسلم عليه فسلمت عليه فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت
الى سدرة المنتهى فاذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل فقال
اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع بي الى البيت المعمور ثم
اتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فقال هي الفطرة التي انت عليها وامتك
ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بما امرت قلت امرت
بخمسين صلاة كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس
قبلك وعالجت بني اسرايل اشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف عن امتك فرجعت فوضع عني
عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله
فرجعت فامرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بما امرت فقلت بخمس صلوات كل يوم
قال ان امتك لا تستطيع ذلك واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرايل اشد المعالجة
فارجع الى ربك فاسأله التخفيف عن امتك قال قلت سالت ربي حتى استحييت ولكن ارضى واسلم
فلما جاوزت نادى مناد امضيت فريضتي وخففت عن عبادي زاد في رواية اخرى واجزي بالحسنة
عشرا وفي رواية بينا انا عند البيت بين النايم واليقظان وفيه ثم غسل البطن بما زمزم ثم ملي ايمانا
وحكمة وفيه فرفع الى البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا لم يعودوا اخرى
عن انس بن مالك قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج عن سقف
بيتي وانا بمكة فنزل جبريل ففرج عن صدري ثم غسله من ما زمزم ثم جا بطست من ذهب ممتلي حكمة
وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السما فلما جينا الى السما الدنيا اذا رجل
بيمينه اسودة وعن شماله اسودة فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي
الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا ادم وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله
نسم بنيه فاهل اليمين اهل الجنة واهل الشمال اهل النار فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى
قال ثم عرج بي حتى اتى السما الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال خازن سما الدنيا
قال انس بن مالك فذكر انه وجد في السموات ادم وادريس وموسى وعيسى وابراهيم ولم يثبت كيف
منازلهم غير انه ذكر وجد في سما الدنيا ادم وابراهيم في السما السادسة قال فلما مر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بادريس قال هذا ادريس قال ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح
قال فقلت من هذا قال هذا موسى ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح
قال فقلت من هذا قال هذا عيسى قال ثم مررت بابراهيم فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي
الصالح قال قلت من هذا قال ابراهيم قال ابن شهاب اخبرني ابن حزم ان ابن عباس وابا حبة
الانصاري يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ظهر بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف
الاقلام قال ابن حزم وانس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض الله على امتي خمسين
صلاة فرجعت بذلك حتى مررت بموسى قال موسى ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال لي

Copyright © King Saud University

موسى ثم ارجع الى ربك فان امتك لا تطيق ذلك فراجعت ربي فوضع شطرها قال فرجعت الى موسى فاخبرته
قال راجع ربك فان امتك لا تطيق ذلك فراجعت ربي فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي فرجعت
الى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من ربي قال ثم انطلق بي جبريل حتى اتيت الى سدرة المنتهى
فغشيها الوان ما ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك • عن شريك
ابن ابي نمرة انه سمع انس بن مالك يقول ليلة اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه
ثلاث نفر قبل ان يوحى اليه فقال اولهم ايهم هو فقال اوسطهم هو خيرهم فقال اخرهم خذوا خيرهم
فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى اتوه ليلة اخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبيا
تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل
ما بين نحره الى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه وغسله من ماء زمزم بيده حتى انقى جوفه ثم اتي بطست من
ذهب محشوا ايمانا وحكمة فحشا صدره ولغاديده يعني عروق حلقه ثم اطبقه ثم عرج به الى السما الدنيا فضرب
بابا من ابوابها فناداه اهل السما من هذا فقال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا
مرحبا به واهلا يستبشر به اهل السما لا يعلم اهل السما ما يريد الله به في الارض حتى يعلمهم فوجد في السما الدنيا
ادم عليه السلام فقال له جبريل هذا ابوك ادم فسلم عليه فرد عليه السلام وقال مرحبا واهلا يا بني نعم الابن انت
فاذا هو في السما الدنيا بنهرين يطردان فقال ما هذان النهران يا جبريل فقال هذا النيل والفرات عنصرهما قال
ثم مضى به في السما فاذا بنهر اخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك اذفر فقال ما هذا
يا جبريل قال هذا الكوثر الذي خبا لك ربك ثم عرج به الى السما الثانية فقالت الملائكة مثل ما قالت
الملائكة الاولى قالوا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم
قالوا مرحبا به واهلا ثم قال عرج بي الى السما الثالثة فقالوا مثل ما قالت الاولى والثانية ثم عرج بي
الى الرابعة فقالوا مثل ذلك ثم عرج بي الى الخامسة فقالوا مثل ذلك ثم عرج بي الى السادسة فقالوا
مثل ذلك ثم عرج بي الى السابعة فقالوا مثل ذلك كل سما فيها انبيا قد سماهم فاوعيت منهم ادريس في الثانية
وهارون في الرابعة واخر في الخامسة لم احفظ اسمه وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل
كلام الله فقال موسى رب لم اظن ان ترفع علي احدا ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى
ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما يوحي اليه خمسين صلاة على امتك
كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه فقال يا محمد ماذا عهد اليك ربك قال عهد الي خمسين صلاة كل يوم
وليلة قال ان امتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل
كانه يستشيره في ذلك فاشار اليه جبريل ان نعم ان شئت فعلا به الى الجبار تعالى فقال وهو مكانه يا رب
خفف عنا فان امتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع الى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده
موسى الى ربه حتى صارت الى خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يا محمد لقد راودت بني اسرائيل
قومي على ادنى من هذا فضعفوا وتركوه فان امتك اضعف اجسادا وقلوبا وابدانا وابصارا واسماعا فارجع
فليخفف عنك ربك كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه السلام ليشير عليه فلا يكره
ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال يا رب ان امتي ضعفاء اجسادهم وقلوبهم واسماعهم وابصارهم وابدانهم
ضعيفة فخفف عنا فقال الجبار يا محمد قال لبيك وسعديك قال انه لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك
في ام الكتاب وهي خمسة عليك فرجع الى موسى فقال كيف فعلت قال خفف عنا اعطانا بكل حسنة عشر

امثالها فقال موسى والله لقد راودت بني اسرائيل على ادنى من ذلك فتركوه فارجع الى ربك فليخفف عنك ايضا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا موسى والله قد استحييت من ربي ولكن ارضى واسلم قال فاهبط باسم الله
فاستيقظ وهو في المسجد الحرام هذا لفظ حديث البخاري • وادرج مسلم حديث شريك عن انس الموقوف عليه
على حديث ثابت البناني المسند وذكر منه اول حديث شريك طرفا ثم قال وساق الحديث نحو حديث ثابت
قال مسلم وقدم فيه شيئا واخر وزاد ونقص وليس في حديث ثابت من هذه الالفاظ الا ما نورده على ما نصه اخرجه
مسلم وحده من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق
وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت
المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبيا قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل
باناء من لبن واناء من خمر فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة قال ثم عرج بي الى السما فاستفتح
جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به ففتح لنا فاذا انا بادم فرحب بي
ودعا لي بخير ثم عرج بي الى السما الثانية فاستفتح فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قيل محمد قيل
وقد بعث اليه قال نعم قال فرفعت ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا فرحبا بي ودعيا
لي بخير ثم عرج بنا الى السما الثالثة فاستفتح جبريل قيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث
اليه قال نعم ففتح لنا فاذا انا بيوسف عليه السلام فاذا هو قد اعطي شطر الحسن قال فرحب بي ودعا لي بخير
ثم عرج بنا الى السما الرابعة فاستفتح جبريل قيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه
قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير قال الله ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى
السما الخامسة فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد
بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بهرون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السما السادسة فاستفتح جبريل قيل
من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا
بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السما السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابراهيم عليه السلام
مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى
سدرة المنتهى فاذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت
فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلاة في
قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فاني قد عالجت بني اسرائيل وجربتهم
فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت قد حط عني
خمسا فقال ان امتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين موسى
وربي تبارك وتعالى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة
ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة وان هم بها وعملها كتبت له عشر حسنات ومن هم بسيئة فلم يعملها
لم تكتب عليه وان هم بها وعملها كتبت عليه سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع
الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجعت الى ربي حتى استحييت
منه هذه رواية مسلم واخرجه الترمذي مختصرا • وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق
ليلة اسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد تفعل هكذا ما ركبك احد اكرم على الله منه

ثار فمن عرقا واخرجه النسائي مختصرا وفي اخره قال فرجعت الى ربي فسالته التخفيف فقال الى يوم خلقت
السموات والارض فرضت عليك وعلى امتك خمسين صلاة فخمس بخمسين فقم بها انت وامتك فعرفت انها
امر الله بتول حتم فلم ارجع **فصل** قال البغوي قال بعض اهل الحديث ما وجدنا للبخاري ومسلم
في كتابيهما شيئا لا يحتمل ان مخرجا الا حديث شريك بن ابي نمرة عن انس بن مالك واحال الامر فيه على شريك وذلك
انه ذكر فيه ان ذلك كان قبل الوحي واتفق اهل العلم ان المعراج كان بعد الوحي باثنتي عشرة سنة وفيه ان الجبار
تبارك وتعالى دنا فتدلى وذكرت عائشة رضي الله عنها ان الذي تدلى هو جبريل عليه السلام قال البغوي
هذا الاعتراض عندي لا يصح لان هذا كان رؤيا في النوم واراد الله ذلك قبل ان يوحى اليه بدليل اخر الحديث
فانه استيقظ وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي وقبل الهجرة بسنة تحقيقا لرؤياه
صلى الله عليه وسلم التي راها من قبل كما انه راى فتح مكة في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ونزل
قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله في كتابه شرح مسلم
قد جا في الحديث في رواية شريك في هذا الحديث اوهام انكرها عليه بعض العلما وقد نبه مسلم على ذلك
بقوله قدم واخر وزاد ونقص منها قوله وذلك قبل ان يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه وان الاسرا اقل ما قيل
فيه ما قيل انه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر شهرا وقال الحربي كانت ليلة الاسرا بعد مبعثه
صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقال ابن اسحاق اسري به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام بمكة ايضا
في القبايل قال الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى واشبه الاقوال قول الزهري وابن اسحاق واما قوله في رؤيا
شريك وهو نايم وفي الرواية الاخرى بينا انا عند البيت بين النايم واليقظان فقد يحتج من يجعلها رؤيا نوم
ولا حجة فيه اذ قد يكون ذلك اول وصول الملك اليه وليس في الحديث ما يدل على كونه نايما في القصة كلها
هذا كلام القاضي عياض وهذا الذي قاله في رواية شريك وان اهل العلم قد انكروها وقد قاله غيره وقد
ذكر البخاري في رواية شريك هذه عن انس في كتابه التوحيد من صحيحه واتى بالحديث مطولا قال الحافظ
عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر هذه الرواية هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن ابي
نمر عن انس قد زاد فيه زيادة مجهولة واتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسرا جماعة من الحفاظ
المتقنين والايمة المشهورين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة يعني عن انس فلم يات احد منهم بما اتى
به شريك وشريك ليس بالحافظ عند اهل الحديث والاحاديث التي تقدمت قبل هذا هي المعول عليها
فصل في شرح بعض الفاظ المعراج وما يتعلق به كانت ليلة الاسرا قبل الهجرة بسنة فيقال
كان في رجب ويقال في رمضان وقد تقدم زيادة على هذا القدر في الفصل المعقود لهذا واختلف الناس
في الاسرا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل انما كان ذلك في المنام والحق الذي كان عليه اكثر الناس ومعظم
السلف وعامة الخلف من المتاخرين من الفقها والمحدثين والمتكلمين انه اسري بروحه وجسده صلى الله عليه
وسلم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا ولفظ العبد عبارة عن مجموع الروح
والجسد والاحاديث الصحيحة التي تقدمت تدل على صحة هذا القول لمن طالعها وبحث عنها وحكى
محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حذيفة انه قال كل ذلك كان رؤيا وانه ما فقد جسد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانما اسري بروحه وحكي هذا القول عن عائشة رضي الله عنها ايضا وعن معاوية نحوه
والصحيح ما عليه جمهور العلما من السلف والخلف والله اعلم **قوله** صلى الله عليه وسلم اتيت بالبراق
هو اسم للدابة التي ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به واشتقاقه من البرق لسرعته او لشدة

صفايه وبياضه ولمعانه وتلالوه ونوره والحلقة باسكان اللام ويجوز فتحها والمراد بربط البراق بالحلقة
الاحتياط في الامور وتعاطي الاسباب وان ذلك لا يقدح في التوكل اذا كان الاعتماد على الله تعالى
وقوله جاني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فيه اختصار والتقدير وقال اخترت اللبن
وقول جبريل اخترت الفطرة يعني فطرة الاسلام وجعل اللبن علامة للفطرة الصحيحة السليمة لكونه
سهلا طيبا سايغا للشاربين وانه سليم العاقبة بخلاف الخمر فانها ام الخبايث وجالبة لانواع الشر
قوله ثم عرج بي حتى اتى السما الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل فيه بيان الادب
لمن استاذن وان يقول انا فلان ولا يقول انا فانه مكروه وفيه ان للسما ابوابا وبوابين وان عليها
حرس • وقوله بواب السما وقد ارسل اليه وفي الرواية الاخرى وقد بعث اليه معناه للاسرى
وصعوده للسما وليس مراده الاستفهام عن اصل البعثة والرسالة فان ذلك لا يخفى عليه الى هذه
المدة هذا هو الصحيح في معناه • وقوله فاذا انا بادم وذكر جماعة من الانبيا فيه استحباب لقا اهل
الفضل والصلاح والبشر والترحيب والكلام الليّن الحسن وان كان الزاير افضل من المزور وفيه جواز
مدح الانسان في وجهه اذا امن عليه من الاعجاب وغيره من اسباب الفتنة • وقوله فاذا انا بابرهيم
مسندا ظهره الى البيت المعمور فيه دليل على جواز الاستناد الى القبلة وتحويل ظهره اليها • وقوله
ثم ذهب بي الى السدرة المنتهى هكذا وقع في هذه الرواية والسدرة بالالف واللام وفي باقي
الروايات الى سدرة المنتهى قال ابن عباس وغيره من المفسرين سميت بذلك لان علم الملايكة
ينتهي اليها ولم يجاوزها احد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقال ابن مسعود سميت بذلك
لكونه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من امر الله عز وجل • وقوله اذا ثمرها
كالقلال وهو جمع قلة بكسر اللام القاف وبضمها وهي الجرة الكبيرة التي تسع قلتين واكثر • وقوله
فرجعت الى ربي قال الشيخ محيي الدين معناه رجعت الى الموضع الذي ناجيته فيه اولا فناجيته
فيه ثانيا • وقوله فلم ازل ارجع بين موسى وبين ربي معناه بين موضع مناجاته عز وجل
قلت واما الكلام في معنى الرؤيا وما يتعلق بها فانه سياتي ان شا الله تعالى في تفسير سورة
النجم عند قوله ثم دنا فتدلى • قوله فرض الله على امتي خمسين صلاة الى قوله فوضع شطرها
وفي الرواية الاخرى فوضع عني شطرا وفي الاخرى خمسا ليس بين هذه الرواية منافاة لان المراد
بالشطر الجزء وهو الخمس وليس المراد منه التنصيف واما رواية العشر وفي رواية شريك ورواية
ثابت البناني وقتادة وهما اثبت من شريك فالمراد حط عني خمسا الى اخره ثم قال هي خمس وهي خمسون
يعني خمسين في الاجر والثواب لان الحسنة بعشر امثالها واحتج العلما بهذا الحديث انه شق صدره
صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وقد شق في صغره ايضا وهو عند حليمة التي كانت ترضعه
فالمراد بالشرح الثاني زيادة التطهير لما يراد به من الكرامات ليلة المعراج وقوله بطست
من ذهب قد يتوهم متوهم انه يجوز استعمال انا الذهب لنا وليس الامر كذلك لان هذا الفعل من
فعل الملايكة وهو مباح لهم استعمال الذهب ويكون هذا قد كان قبل تحريمه • وقوله ممتلي ايمانا
وحكمة فافرغها في صدري **فان قلت** الحكمة والايمان معان والافراغ
صفة الاجسام فما معنى ذلك **قلت** يحتمل انه جعل في الطست شي يحصل به كمال
الايمان والحكمة وزيادتهما فسمي ايمانا وحكمة لكونه سببا لهما وهذا من احسن المجاز وقوله فرصعت ادم

Copyright © King Saud University

عليه السلام فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة وهي جمع سواد وقد فسره في الحديث بانه نسم بنيه يعني
ارواح بنيه وقد اعترض على هذا بان ارواح المومنين في السما وارواح الكفار تحت الارض فكيف تكون في السما
والجواب عنه بانه يحتمل ان ارواح الكفار تعرض على ادم عليه السلام وهو في السما فوافق وقت عرضها
على ادم عليه السلام مرور النبي صلى الله عليه وسلم فاخبر بما راى وقوله اذا راى عن يمينه ضحك واذا نظر الى
شماله بكى فيه شفقة الوالد على اولاده وفرحه وسروره بحسن حال المومن منهم وحزنه على سوء حال الكافر منهم وقوله
في ادريس مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح وقد اتفق المورخون انه جد لنوح عليهما السلام وعلى ان ادريس
هو اخنوخ فيكون جدا لنبي صلى الله عليه وسلم كما ان ابراهيم عليه السلام جده فكان ينبغي ان يقول بالنبي
الصالح والابن الصالح كما قال ابراهيم عليهما السلام والجواب عن هذا انه قيل ان ادريس المذكور هاهنا هو الياس
وهو من ذرية ابراهيم فليس هو جد لنوح هذا جواب القاضي عياض قال الشيخ محي الدين ليس في الحديث ما يمنع
كون ادريس ابا لمحمد صلى الله عليه وسلم وان قوله الاخ الصالح يحتمل ان يكون قاله تلطفا وتادبا وهو اخ وان كان
ابنا لان الانبيا اخوة والمومنين اخوة والله اعلم بمراده واسرار كتابه **فصل** في ذكر الايات التي
ظهرت بعد المعراج الدالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وسياق الحديث الذي يتعلق بالاسرا روى
البغوي انه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به فكان بذي طوى قال يا جبريل ان قومي لا يصدقوني
قال يصدقك ابو بكر الصديق قال ابن عباس وعايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كانت
ليلة اسري بي الى السما اصبحت بمكة فضقت بامري وعرفت ان الناس يكذبوني فروي انه صلى الله عليه وسلم قعد
معتزلا حزينا فمر به ابو جهل فجلس اليه كالمستهزي فقال هل استفدت من شي قال نعم اسري بي الليلة قال الى اين
قال الى بيت المقدس قال ابو جهل واصبحت بين اظهرنا قال نعم فلم ير ابو جهل ان ينكر ذلك مخافة ان يجحده الحديث ولكن
قال اتحدث قومك بما حدثتني قال نعم قال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي هلموا فانتفضت المجالس وجاوا حتى جلسوا
اليهما قال حدث قومك بما حدثتني قال نعم اسري بي الليلة قالوا الى اين قال الى بيت المقدس قالوا ثم اصبحت
بين اظهرنا قال نعم قال فبقي الناس بين مصفق وبين واضع يده على راسه متعجبا وارتد ناس ممن امن به وصدقه
وسعى رجل الى ابي بكر الصديق فقال له هل لك في صاحبك انه اسري به الليلة الى بيت المقدس قال او قد قال ذلك
قال نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا وتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجا في ليلة قبل ان يصبح
قال نعم لاني اصدقه بما هو ابعد من ذلك اصدقه بخبر السما في غدوة او روحة فلذلك سمي ابا بكر الصديق قال
وكان في القوم من قد اتى المسجد الاقصى قال نعم فذهب ينعت وانعت حتى التبس علي قال فجي بالمسجد وانا انظر
اليه حتى وضع دون دار عقيل فنعت النبي صلى الله عليه وسلم وانا انظر اليه فقال القوم اما النعت فوالله لقد اصاب
فيه ثم قالوا يا محمد اخبرنا عن عيرنا فهي اهم الينا هل لقيت منها شيا قال نعم مررت بعير بني فلان وهي بالروحا
وقد اضلوا بعيرا وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ما فعطشت فاخذته فشربته ثم وضعته كما كان فسلوا
هل وجدوا الما في القدح حين رجعوا قالوا هذه اية ومررت بعير بني فلان وفلان راكبان قعودا
لهما بذي مر فنفر بعيرهما مني فرمى بفلان فانكسرت يده فاسلوهما عن ذلك قالوا هذه اية اخرى فاخبرنا عن عيرنا
قال مررت بها بالتنعيم قالوا فما عدتها واحمالها وهيئتها ومن فيها وكانوا بالحزورة قال نعم هيئتها كذا وكذا وفيها
فلان وفلان يقدمها جمل اورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه اية
ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون والله لقد قص محمد شيا وبينه حتى اتوا كدا فجلسوا عليه فجعلوا
ينظرون متى تطلع الشمس فيكذبوه اذ قال قايل هذه الشمس قد طلعت وقال الاخر هذه العير قد طلعت يقدمها

بعير

بعير اورق فيها فلان وفلان كما قال فلم يومنوا وقالوا هذا سحر مبين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لقد رايتني في الحجر وقريش تسالني عن مسراي فسالتني عن اشيا في بيت المقدس لم اثبتها
فكربت كربة ما كربت مثلها قط قال فرفعه الله لي انظر اليه ما سالوني عن شي الا انباتهم به وقد رايتني في جماعة
من الانبيا فاذا موسى قايم يصلي فاذا رجل ضرب جعد كانه من رجال شنوة واذا عيسى بن مريم قايم يصلي اقرب الناس
شبها عروة بن مسعود الثقفي فاذا ابراهيم قايم يصلي اشبه الناس به صاحبكم يعني به نفسه صلى الله عليه وسلم
فحانت الصلاة فاممتهم قال لي قايل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت اليه فبداني بالسلام
عن جابر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبني قريش قمت الى الحجر فجلا الله بيت المقدس فطفقت
اخبرهم عن اياته وانا انظر اليه زاد البخاري في رواية لما كذبني قريش حين اسري بي الى بيت المقدس وذكر الحديث
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت على موسى ليلة اسري بي عند الكثيب الاحمر فاذا هو قايم يصلي
في قبره عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهينا الى بيت المقدس قال جبريل كذا باصبعه فخرق
الحجر وشد به البراق اخرجه الترمذي قال قلت كيف راى رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى يصلي في قبره
وكيف صلى بالانبيا في بيت المقدس ثم وجدهم على مراتبهم في السموات فسلموا عليه ورحبوا به وكيف تصح الصلاة
من الانبيا بعد الموت وهم في الدار الاخرة **قلت** اما صلاته صلى الله عليه وسلم بالبيت المقدس
يحتمل ان الله جمعهم له ليصلي بهم ويعرفوا فضله وتقدمه عليهم ثم انه تعالى اراه اياهم على مراتبهم وفضلهم واما
مروره بموسى وهو قايم يصلي في قبره عند الكثيب الاحمر فيحتمل انه كان بعد من المعراج واما صلاة الانبيا
وهم في الدار الاخرة فهم في حكم الشهدا بل افضل منهم وقد قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل
الله امواتا بل احيا فالانبيا احيا بعد الموت واما حكم صلاتهم فيحتمل انها الذكر والدعا وذلك من اعمال الاخرة
قال الله تعالى سبحانك اللهم وورد في الحديث انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس ويحتمل ان الله تعالى خصهم
بخصايص لم يخص بها غيرهم منها انه صلى الله عليه وسلم اخبر انه راهم يلبون ويحجون فكذلك الصلاة والله اعلم بالحقايق
قوله تعالى وآتينا موسى الكتاب يعني التوراة وجعلناه يعني الكتاب هدى لبني اسرايل ان لا تتخذوا يعني وقلنا
لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يعني ربا كفيلا ذرية يعني يا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا يعني نوحا
انه كان كثير الشكر وذلك انه كان اذا اكل طعاما او شرب شرابا او لبس ثوبا قال الحمد لله فسماه عبدا شكورا لذلك
قوله عز وجل وقضينا الى بني اسرايل في الكتاب يعني اعلمناهم واخبرناهم انهم سيفسدون وهو قوله لتفسدن في
الارض مرتين قال ابن عباس وقضينا عليهم في الكتاب قال يعني على والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ واللام
في لتفسدن لام القسم مجازه والله لتفسدن في الارض يعني بالمعاصي والمراد بالارض ارض الشام وبيت المقدس
ولتعلن يعني ولتستكبرن ولتظلمن الناس علوا كبيرا فاذا جا وعد اولاهما يعني اولى المرتين قيل افسادهم
في المرة الاولى هو ما خالفوا من احكام التوراة وركبوا من المحارم وقيل افسادهم في المرة الاولى قتل شعيا في الشجرة
وارتكابهم المعاصي بعثنا عليكم عبادا لنا يعني جالوت وجنوده وهو الذي قتله داود عليه السلام وقيل هو بختنصر
وهو من اهل نينوى وقيل هو بختنصر البابلي وهو الاصح اولي باس شديد يعني ذوي بطش وقوة في الحرب
فجاسوا خلال الديار يعني طافوا بين الديار ووسطها يطلبونكم ليقتلوكم وكان وعدا مفعولا يعني قضا لازما
لا خلف فيه ثم رددنا لكم الكرة عليهم يعني رددنا لكم الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم من
ذنوبكم ورجعتم من الفساد وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا يعني اكثر عددا ان احسنتم احسنتم لانفسكم
يعني لها ثوابها وجزا احسانها وان اساتم فلها يعني فعليها اساءتها فاذا جا وعد الاخرة يعني المرة الاخرة من

Copyright © King Saud University

فسادكم وهو قصدهم قتل عيسى فخلصه الله من بينهم ورفعه الله اليه وقتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام فسلط الله عليهم
الفرس والروم فسبوهم وقتلوهم وهو قوله ليسوءوا وجوهكم يعني ليحزنوكم ويغموكم وقرئ بالنون لنسوء الله وجوهكم
وليدخلوا المسجد يعني بيت المقدس ونواحيه كما دخلوه اول مرة يعني وقت افسادهم الاول وليتبروا
ما علوا تتبيرا اي يعني وليهلكوا ما غلبوا عليه من بلاد بني اسرائيل اهلاكا **ذكر القصة** في هذه الاية
قال محمد بن اسحاق كانت بنوا اسرائيل فيهم الاحداث والذنوب وكان الله في ذلك متجاوزا عنهم ومحسنا اليهم
وكان اول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم ان ملكا منهم يدعى صديقة وكان الله اذا ملك عليهم ملكا بعث معه نبيا
ليسدده ويرشده ولا ينزل عليهم كتابا انما يؤمرون باتباع التوراة والاحكام التي فيها فلما ملك صديقة بعث
الله معه شعيبا بن امضيا وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وشعيبا هو الذي بشر بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم
فقال ابشري اروى حلم ومعناه ابشري الان ياتيك راكب الحمار ومن معه راكب البعير فملك ذلك الملك يعني
صديقة بني اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت الاحداث فيهم وكان معه شعيبا
فبعث الله سنحاريب ملك بابل ومعه ستمائة الف علم يزل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض من
قرحة كانت في ساقه فجاءه النبي شعيبا وقال له يا ملك بني اسرائيل ان سنحاريب ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده
وقد هابهم الناس وفرقوا منه فكبر ذلك على الملك وقال يا نبي الله هل اتاك من الله وحي فيما حدث فتخبرنا
به وكيف يفعل الله بنا وسنحاريب وجنوده فقال شعيب يا نبي وحي في ذلك فبينما هم كذلك اوحى الله الى شعيب
النبي ان ايت ملك بني اسرائيل فمره ان يوصي وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من اهل بيته فاتى شعيب ملك
بني اسرائيل فقال ان ربك قد اوحى الي ان امرك ان توصي وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من اهل
بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعيبا لصديقة الملك اقبل على القبلة فصلى ودعا وقال وهو يبكي
ويتضرع بقلب مخلص اللهم رب الارباب واله الالهة يا قدوس المتقدس يا رحمن يا رحيم يا رؤوف الذي
لا تاخذه سنة ولا نوم اذكرني بعملي وفعلي وحسن قضاي على بني اسرائيل وذلك كله كان منك وانت اعلم
به مني سري وعلانيتي لك قال فاستجاب الله دعاه وكان عبدا صالحا فاوحى الله الى شعيبا ان يخبر صديقة
ان الله استجاب دعاه ورحمه واخر اجله خمسة عشر سنة وانجاه الله من عدوه سنحاريب فاتاه النبي شعيبا
واخبره فلما كان ذلك انقطع عنه الحزن وخر ساجدا لله تعالى وقال الهي واله ابائي لك سجدت وسبحت وكرمت
وعظمت انت الذي تعطي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة
الرحمن الرحيم انت الاول والاخر والظاهر والباطن وانت ترحم وتستجيب دعوة المضطر الذي اجبت دعوتي
ورحمت تضرعي فلما رفع راسه اوحى الله الى شعيبا ان قل للملك صديقة فيامر عبدا من عبيده فياتيه بماء
التين فيجعله في قرحته فيشفى فيصبح وقد برئ ففعل ذلك فشفي فقال الملك لشعيبا سل ربك
ان يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا قال الله لشعيبا قل له اني كفيتك عدوك وانجيتك منه وانهم
سيصبحون موتى كلهم الا سنحاريب وخمسة نفر من كتابه فلما اصبح جاء صارخ يصرخ على باب المدينة يا ملك بني
اسرائيل ان الله قد كفاك عدوك فاخرج فان سنحاريب ومن معه هلكوا فخرج الملك والتمس سنحاريب
فلم يوجد في الموتى فبعث الملك في طلبه فوجده في مغارة ومعه خمسة نفر من كتابه احدهم بخت نصر فجعلوهم في الجوامع
ثم اتوا بهم الى الملك فلما راهم خر ساجدا لله تعالى من حين طلعت الشمس الى العصر ثم قال لسنحاريب كيف
رايت فعل ربنا بكم الم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وانتم غافلون فقال سنحاريب قد اتاني خبر ربكم ونصره اياكم
ورحمته التي يرحمكم بها قبل ان اخرج من بلادي فلم اطع مرشدا ولم يوقعني في الشقوة الا قلة عقلي ولو سمعت

اوعقلت

او عقلت ما غزوتكم فقال الملك صديقة الحمد لله رب العالمين كفاناكم بما شاء ان ربنا لم يبقك ومن معك
لكرامتك عليه ولكنه انما ابقاك ومن معك لتزدادوا شقوة في الدنيا وعذابا في الاخرة ولتخبروا من وراءكم
من فعل ربنا بكم فتنذروا من بعدكم ولولا ذلك لقتلتك ومن معك ولدمك ودم من معك اهون على
الله من دم قراد لو قتلته ثم ان ملك بني اسرائيل امر حرسه ان يقذف في رقابهم الجوامع ففعل وطاف بهم
سبعين يوما حول بيت المقدس وايلياء ويرزقهم في كل يوم خبزتين من شعير فقال سنحاريب للملك صديقة
القتل خير مما تفعل فينا وما يفعل بنا فامر بهم الى القتل فاوحى الله الى شعيبا النبي ان قل لملك بني اسرائيل يرسل
سنحاريب ومن معه ليرسلوا من وراءهم وليكرمهم ويحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ ذلك شعيب الملك
ففعل وخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدموا جمعوا الناس فاخبروهم كيف فعل الله
بجنوده فقال له كهانه وسحرته يا ملك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحي الله الى نبيهم فلم
تطعنا وهي امة لا يستطيعها احد مع ربهم وكان امر سنحاريب تخويفا لبني اسرائيل ثم كفاهم الله تذكرة وعبرة
ثم ان سنحاريب لبث بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف على ملكه ابنه بخت نصر فعمل بعمله وقضى بقضائه
فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض ملك بني اسرائيل صديقة فمرج امر بني اسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم
بعضا وشعيبا نبيهم معهم لا يقبلون منه فلما فعلوا ذلك قال الله لشعيبا قم في قومك اوحي على لسانك فلما قام
انطلق لسانه بالوحي فقال يا سماء اسمعي ويا ارض انصتي فان الله يريد ان يقص شان بني اسرائيل الذي رباهم
برحمته ونعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي
لها فاوى شاردها وجمع ضالتها وجبر كسيرها وداوى مريضها واسمن مهزولها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك
بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضا حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر اليه كسير فويل لهذه الامة
الخاطئة الذين لا يدرون انى جاءهم الحين ان البعير مما يذكر وطنه فينتابه وان الحمار مما يذكر الاري الذي شبع عليه
فراجعه وان الثور مما يذكر المرج الذي سمن فيه فينتابه وهؤلاء القوم لا يذكرون من حيث جاءهم الحين
وهم اولو الالباب والعقول وليسوا ببقر ولا حمير اني ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل كيف
ترون في ارض كانت خواء زمانا لا عمران فيها وكان لها رب حكيم قوي فاقبل عليها بالعمارة وكره ان تخرب
ارضه وهو قوي وقيل منيع وهو حكيم فاحاط عليها جدارا وشيد فيها قصورا وانبط نهرا وصف فيها غراسا من
الزيتون والرمان والنخل والاعناب والوان الثمار كلها وولى ذلك واستحفظ وارى وهمة وحفيظا قويا
امينا فلما اطلعت جاء طلعها خروبا قالوا بئست الارض هذه نرى ان تهدم جدارها وقصرها وندفن نهرها ونقبض قيمها
ويحرق غرسها حتى تصير كما كانت اول مرة خرابا مواتا فيها قال الله تعالى قل لهم الجدار ذمتي والقصر شريعتي
وان النهر كتابي والقيم نبيي وان الغراس هم الخروب الذي اطلع الغراس اعمالهم الخبيثة وان قضيت عليهم قضاءهم
على انفسهم وانه مثل ضربته لهم يتقربون الي بذبح الغنم والبقر وليس ينالني اللحم ولا اكله ويدعون ان يتقربوا
الي بالتقوى والكف عن ذبح الانفس التي حرمتها فايديهم مخضوبة منها وثيابهم متزملة بدمائهم يشيدون
لي بالبيوت مساجد ويطهرون اجوافها وينجسون قلوبهم واجسادهم ويدنسونها ويزوقون لي المساجد
ويزينونها واي حاجة الي تشييد البيوت ولست اسكنها واي حاجة الي تزويق المساجد ولست ادخلها
انما امرت برفعها لاذكر واسبح فيها يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور صلاتنا وتصدقنا فلم تزك
صدقتنا ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عواء الذئاب في كل ذلك لا يستجاب لنا قال الله سلهم ما الذي
منعني ان استجيب لهم الست اسمع السامعين وابصر الناظرين واقرب المجيبين وارحم الراحمين فكيف

Copyright © King Saud University

ارفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام ام كيف انور صلاتهم وقلوبهم صاغية
الى من يحاربني ويحادني وينتهك محارمي ام كيف تزكوا عندي صدقاتهم وهم يتصدقون باموال غيرهم
انما اجري عليها اهلها المغصوبين ام كيف استجيب لهم دعاهم وانما هو قول بالسنتهم والفعل من ذلك بعيد
وانما استجيب للداعي اللين وانما استمع قول المستضعف المسكين وان من علامة رضاي رضا المساكين
يتقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي انها اقاويل منقوله واحاديث متواترة وتاليف مما تالف السحرة والكهنة
وزعموا انهم لو شاوا ان ياتوا بحديث مثله فعلوا ولو شاوا ان يطلعوا على عالم الغيب بما يوحي اليهم الشياطين
اطلعوا واني قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضا اثبته وحتمته على نفسي وجعلت دونه اجلا
موجلا لابد انه واقع فان صدقوا بما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى انفذه او في اي زمان يكون وان كانوا
يقدرون على ان ياتوا بما يشاون فلياتوا بمثل القدرة التي بها امضي فاني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون
وان كانوا يقدرون على ان ياتوا ما يشاون فلياتوا بمثل الحكمة التي ادبر بها ذلك القضا ان كانوا صادقين واني
قد قضيت يوم خلقت السموات والارض ان اجعل النبوة في الاجرا وان اجعل الملك في الرعا والعز في الاذلا
والقوة في الضعفا والغنا في الفقرا والعلم في الجهلة والحلم في الاميين فسلهم متى هذا ومن القايم بها ومن اعوان
هذا الامر وانصاره ان كانوا يعلمون اني باعث لذلك نبيا اميا ليس اعمى من عميان ولا ضالا من ضالين ليس
بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال الخنا اسدده بكل جميل واهب له كل خلق كريم
اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفا والعفو والمعروف خلقه
والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم
به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واشهر به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة
واجمع به بعد الفرقة واولف به بين قلوب مختلفة واهوا متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة
اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر توحيدا لي وايمانا بي واخلاصا لي يصلون قياما وقعودا
وركوعا وسجودا يقاتلون في سبيلي صفوفا وزحوفا ويخرجون من ديارهم واموالهم ابتغا مرضاتي الهمهم
التكبير والتسبيح والتحميد والمدحة والتمجيد لي في مرضاتهم ومسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم
يكبرون ويهللون ويقدسون على روس الاسواق ويطهرون لي الوجوه والاطراف ويعقدون الثياب على
الانصاف قربانهم دماوهم واناجيلهم صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلي اوتيه من اشا
وانا ذو الفضل العظيم فلما فرغ شعيا من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت
له فدخل فيها فادركه الشيطان واخذ هدبة من ثوبه فاراهم اياه فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها
حتى قطعوها وقطعوه في وسطها واستخلف الله على بني اسرايل رجلا منهم بعد ذلك رجلا منهم يقال
له ناشية بن اموص وبعث لهم ارميا بن حلقيا نبيا وكان من سبط هارون بن عمران وذكر ابن اسحاق انه
الخضر واسمه ارميا سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضا فقام عنها وهي تهتز خضرا فبعث الله ارميا الى الملك
ليسدده ويرشده حتى عظمت الاحداث في بني اسرايل وركبوا المعاصي واستحلوا المحرمات فاوحى الله تبارك
وتعالى الى ارميا ان ايت قومك من بني اسرايل فاقصص عليهم ما امرك به وذكرهم نعمي وعرفهم باحداثهم
فقال ارميا اني ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تبلغني مخذول ان لم تنصرني قال الله اولم تعلم ان الامور
كلها تصدر عن مشيتي وان القلوب والالسنة بيدي اقلبها كيف شيت اني معك ولن يصل اليك شي
معي فقام ارميا ولم يدر ما يقول فالهمه الله خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية

وقال

وقال في اخرها عن الله عز وجل واني حلفت بعزتي لاقيضن له فتنة يتحير فيها الحكيم ولاسلطن عليهم
جبارا قاسيا البسه الهيبة وانزع من قلبه الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله الى ارميا اني
مهلك بني اسرايل بيافث ويافث من اهل بابل على ما ذكرنا في سورة البقرة فسلط الله عليهم بخت نصر
فخرج في ستماية الف راية ودخل بيت المقدس بجنوده ووطي الشام وقتل بني اسرايل حتى افناهم وخرب
بيت المقدس وامر جنوده ان يملا كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس ففعلوا حتى ملوه ثم
امرهم ان يجمعوا كل من في بلدان بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني اسرايل فاختار منهم
سبعين الف صبي فلما خرجت غنايم جنده واراد ان يقسمها فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه ايها
الملك لك غنايمنا كلها واقسم بيننا هولا الصبيان الذين اخترتهم من بني اسرايل فقسمهم بين الملوك
الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم اربع غلمان وفرق من بقي من بني اسرايل ثلاث فرق ثلثا اقرهم بالشام
وثلثا سباهم وثلثا قتلهم وذهب بانية بيت المقدس وبالصبيان السبعين الفا حتى اقدمهم بابل وكانت
هذه الوقعة الاولى التي انزل الله تعالى ببني اسرايل بظلمهم وذلك قوله تعالى فاذا جا وعد اولاهما بعثنا عليكم
عبادا لنا اولي باس شديد يعني بخت نصر واصحابه ثم ان بخت نصر اقام في سلطانه ما شا الله ثم راى رويا عجيبة
اذ راى شيا اصابه فانساه الذي راى فدعى دانيال وحنانيا وعزاريا وميشايل وكانوا من ذراري
الانبيا وسالهم عنها فقالوا اخبرنا بها نخبرك بتاويلها فقال ما اذكرها وان لم تخبروني بها وبتاويلها لانزعن
اكتافكم فخرجوا من عنده فدعوا الله وتضرعوا اليه فاعلمهم الذي سالهم عنه فجاوه فقالوا رايت تمثالا قدماه
وساقاه من فخار وفخذه وركبتاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب وعنقه من حديد قال
صدقتم قالوا فبينما انت تنظر اليه قد اعجبك فارسل الله صخرة من السما فدقته فهي التي انستها قال صدقتم
فما تاويلها قالوا انك اريت الملوك بعضهم كان الين ملكا وبعضهم كان احسن ملكا وبعضهم كان اشد ملكا والفخار
اضعفه ثم فوقه النحاس اشد منه ثم فوق النحاس الفضة افضل من ذلك والذهب احسن من الفضة ثم افضل
ثم الحديد ملكك فهو اعز واشد مما كان قبله والصخرة التي رايت ارسل الله من السما فدقته نبي يبعثه الله من
السما فيدق ذلك اجمع ويصير الامر اليه ثم ان اهل بابل قالوا لبخت نصر ارايت هولا الغلمان من بني اسرايل
الذين سالناك ان تعطيناهم ففعلت فانا قد انكرنا نساءنا منذ كانوا معنا لقد رايناهن قد انصرفن بوجوههن
عنا اليهم فاخرجهم من بين اظهرنا او اقتلهم فقال شانكم بهم فمن احب ان يقتل من كان في يده فليفعل فلما
قربوهم للقتل بكوا وتضرعوا الى الله فقالوا يا ربنا اصابنا البلا بذنوب غيرنا فوعدهم الله ان يحييهم فقتلوا
الا من كان مع بخت نصر منهم دانيال وحنانيا وعزاريا وميشايل فلما اراد الله هلاك بخت نصر انبعث فقال
لمن في يده من بني اسرايل ارايتم هذا البيت الذي خربت قالوا هذا بيت الله وهولا اهله كانوا من ذراري الانبيا
فظلموا وتعدوا فسلطت عليهم بذنوبهم وكان ربهم رب السموات والارض ورب الخلايق يكرمهم ويعزهم
فلما فعلوا ما فعلوا اهلكهم وسلط عليهم غيرهم فاستكبر وتجبر وظن انه بجبروته فعل ذلك ببني اسرايل فقال
اخبروني كيف لي ان اطلع الى السما العليا فاقتل من فيها واتخذها لي ملكا فاني قد فرغت من اهل الارض فلا يقدر
عليها احد من الخلايق قال لتفعلن او لاقتلن عن اخركم فبكوا وتضرعوا الى الله تعالى فبعث الله اليه بقدرته
بعوضة فدخلت في منخره فعضت على ام دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يوجا له راسه على ام دماغه
فلما مات شقوا راسه فوجدوا البعوضة عاضة على ام دماغه ليري الله عباده قدرته ونجى الله من بقي
من بني اسرايل في يده وردهم الى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على احسن ما كانوا عليه ويزعمون ان الله

انبيا اولئك الذين قتلوا فلحقوا بهم ثم انهم لما دخلوا الشام معهم من الله عهد كانت التورية قد احترقت وكان
عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فلما رجع الى الشام جعل يبكي ليله ونهاره وخرج على الناس فبينما هو كذلك
اذ جاءه رجل فقال له يا عزير ما يبكيك قال ابكي على كتاب الله وعهده الذى كان بين اظهرنا الذى لا يصلح ديننا
واخرتنا غيره قال افتحب ان يرده اليك قال نعم قال فصم وتطهر وطهر ثيابك ثم موعدك هذا المكان الذى وعده فاجلس فيه
فاتى ذلك الرجل بانا فيه ما وكان ملكا فبعثه الله اليه فسقاه من ذلك الانا فتمثلت التورية فى صدره
فرجع الى بنى اسرائيل فوضع لهم التورية فاحبوه حبا لم يحبوا مثله شيئا قط ثم قبضه الله تعالى ثم جعلت
بنوا اسرائيل بعد ذلك يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا
يقتلون حتى كان اخر من بعث اليهم من انبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا فى بيت الداود
فزكريا مات وقيل قتل وقصدوا عيسى ليقتلوه فرفعه الله من بين اظهرهم وقتلوا يحيى فلما فعلوا ذلك
بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش فسار اليهم باهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما دخل
عليهم امر رئيسا من روسا جنوده يقال له نبوزرادان صاحب القتل فقال انى قد كنت حلفت بالهي ان
ليس انا ظفرت على اهل بيت المقدس لاقتلنهم حتى يسيل الدم فى وسط عسكرى الا ان لا اجد احدا اقتله
فامره ان يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ثم ان نبوزرادان دخل بيت المقدس فقام فى البقعة التى
كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلى فسالهم عنه فقال يا بنى اسرائيل ما شان هذا الدم
يغلى اخبرونى خبره قالوا هذا دم قربان لنا قربناه لم يتقبل منا فلذلك يغلى ولقد قربنا من القربان
ثمانماية فتقبل منا الا هذا فقال لقد صدقتموني فقالوا لو كان كاول زماننا لتقبل منا ولكن قد انقطع منا
الملك والنبوة والوحى فلذلك لم يتقبل منا فذبح نبوزرادان منهم على ذلك الدم سبعماية وسبعون
رجلا من روسهم فلم يهد الدم فامر بسبعماية غلام من غلمانهم فذبحوا على الدم فلم يهد الدم فلما راى نبوزرادان
ان الدم لا يهدا قال لهم يا بنوا اسرائيل ويلكم اصدقوني واخبروني على امر ربكم فطالما ملكتم فى الارض
تفعلون ما شئتم قبل ان لا اترك منكم نافخ نار من ذكر وانثى الا قتلته فلما راوا الجهد وشدة القتل
صدقوه وقالوا ان هذا دم نبى كان ينهانا عن امور كثيرة من سخط الله تعالى فلو كنا اطعناه كان ارشد لنا
وكان يخبرنا عن امور كثيرة فلم نصدقه فهذا دمه فقال نبوزرادان ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال
الان صدقتموني لمثل هذا ينتقم ربكم منكم فلما راى نبوزرادان انهم صدقوه خر ساجدا لله وقال لمن حوله
اغلقوا ابواب المدينة واخرجوا من كان ههنا من الجيش خردوش وخلى فى بنى اسرائيل ثم قال يا يحيى بن زكريا
قد علم ربى وربك ما اصاب قومك من اجلك وما قتل منهم فاهدا باذن ربك قبل ان لا ابقى من قومك احد
الا قتلته فهدا الدم باذن الله تعالى ورفع نبوزرادان عنهم القتل وقال امنت بما امن به بنوا اسرائيل
وايقنت انه لا رب غيره وقال لبنى اسرائيل ان خردوش امرنى ان اقتل منكم حتى يسيل دماكم وسط عسكره وانى
لا استطيع ان اعصيه قالوا افعل ما امرت به فامرهم فحفروا خندقا وامرهم باموالهم من الخيل والبغال
والحمير والابل والبقر والغنم فذبحوها حتى سال الدم فى العسكر فامر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا
على ما قتل من المواشي فلم يظن خردوش الا ان ما فى الخندق من دم بنى اسرائيل فلما بلغ الدم عسكره ارسل الى نبوزرادان
ان ارفع عنهم القتل ثم انصرف الى بابل وقد افنى بنى اسرائيل او كاد ان يفنيهم وهى الوقعة الاخيرة التى انزل الله ببنى
اسرائيل فى قوله لتفسدن فى الارض مرتين فكانت الواقعة الاولى بخت نصر وجنوده والاخرى خردوش وجنوده
وكانت اعظم الوقعتين فلم تقم لهم بعد ذلك راية وانتقل الملك بالشام ونواحيها الى الروم واليونانيين الا ان

بقايا

بقايا بنى اسرائيل كثيرة وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على وجه الملك وكانوا فى نعمة الى ان بدلوا واحدثوا
فسلط الله عليهم ططوس بن اسبيانوس الرومى فاخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الملك والرياسة وضربت عليهم
الذلة والمسكنة فليسوا فى امة الا وعليهم الصغار والجزية وبقى بيت المقدس خرابا الى خلافة عمر بن الخطاب
رضى الله عنه فعمره المسلمون بامره وقيل فى سبب قتل يحيى عليه السلام ان ملك بنى اسرائيل كان يكرمه ويدنى
مجلسه وان الملك هوى ابنة امراته وقال ابن عباس هوى ابنة اخته فسيل يحيى عن تزويجها فنهاه عن نكاحها
فبلغ ذلك امها فحقدت على يحيى وعمدت حين جلس الملك على شرابه والبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها والبستها
الحلى وارسلتها الى الملك وامرتها ان تسقيه فاذا راودها عن نفسها ابت عليه حتى يعطيها ما سالته فاذا اعطاها
ما سالته سالت راس يحيى بن زكريا فى هذا الطشت فقال ويحك سليني غير هذا قالت لا اريد غير هذا فلما ابت
عليه بعث فاتى براسه حتى وضعت بين يديه والراس يتكلم ويقول لا يحل لك فلما اصبح اذا دمه يغلى حتى بلغ سور
المدينة وهو فوق ذلك يرتقى ويغلى فسلط الله عليهم ملك بابل فخرب بيت المقدس وقتل سبعين الفا حتى سكن دمه
قوله عز وجل عسى ربكم ان يرحمكم يعنى يا بنى اسرائيل بعد انتقامه منكم فيرد الدولة لكم وان عدتم اى الى المعصية
عدنا اى الى العقوبة قال قتادة فعادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم
صاغرون وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اى سجنا ومحبسا من الحصر وهو الحبس وقيل فراشا من الحصير الذى يبسط
ويفترش قوله تعالى ان هذا القران يهدى للتى هى اقوم اى الى الطريق التى هى اصوب وقيل الى الكلمة التى هى اعدل
وهى شهادة ان لا اله الا الله ويبشر يعنى القران المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا يعنى الجنة
وان الذين لا يومنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما يعنى النار فى الاخرة ويدع الانسان اى لنفسه وولده وماله
بالشر يعنى عند الغضب اللهم اهلكه اللهم العنه ونحو ذلك دعاءه بالخير اى كدعائه ان يهب الله له النعمة والعافية ولو
استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك ولكن الله لا يستجيب بفضله وكرمه وكان الانسان عجولا اى بالدعا على ما يكره
ان يستجاب له فيه وقال ابن عباس معناه ضجرا لا صبر له على سرا ولا على ضرا قوله عز وجل وجعلنا الليل
والنهار ايتين اى علامتين دالتين على وحدانيتنا وقدرتنا وفى معنى الاية قولان احدهما ان يكون المراد
من الايتين نفس الليل والنهار وهو انه جعلهما دليلين للخلق على مصالح الدين والدنيا اما الدين فلان كل
واحد منهما مضاد للاخر مغاير مع كونهما متعاقبين على الدوام فيه اقوى دليل على ان لهما مدبرا يدبرهما ويقدرهما
بالمقادير المخصوصة واما فى الدنيا فلان مصالح الدنيا لا تتم الا بهما ففى الليل يحصل السكون والراحة وفى
النهار يحصل التصرف فى المعاش والكسب والقول الثانى ان يكون المراد وجعلنا نيرى الليل والنهار ايتين يريد الشمس
والقمر فمحونا اية الليل اى جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسا لا يستبان فيه شى وجعلنا اية النهار مبصرة اى
يبصر فيه الاشيا روية بينة قال ابن عباس رضى الله عنهما نور الشمس سبعين جزءا ونور القمر كذلك فمحى من نور القمر تسعة
وستين جزءا فجعلها مع نور الشمس وحكى ان الله امر جبريل فامر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس
عنه الضوء وبقى فيه النور وسال ابن الكوى عليا عن السواد الذى فى القمر فقال هو اثر المحو لتبتغوا فضلا من ربكم
اى لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف فى معايشكم ولتعلموا باختلاف الليل والنهار عدد
السنين والحساب الى ما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حساب الاوقات ولتعطلت الامور ولو ترك
الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدر الصايم متى يفطر ولم يعرف وقت الحج ولا وقت حلول الديون
المؤجلة واعلم ان الحساب يبنى على اربع مراتب الساعات والايام والشهور والسنين فالعدد للسنين والحساب
لما دونها من الشهور والايام والساعات وليس بعد هذه المراتب الاربعة الا التكرار وكل شى فصلناه تفصيلا يعنى

Copyright © King Saud University

وعلى شيء تتصرفون فيه من امر دينكم ودنياكم فقد بيناه بيانا شافيا واضحا غير ملتبس وقيل انه تعالى لما ذكر احوال
ايتي الليل والنهار وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد ومن وجه اخر انهما نعمتان من الله عز وجل على
اهل الدنيا وكل ذلك تفصيلا منه لا جرم علينه ثم قال وكل شيء فصلناه تفصيلا • قوله عز وجل وكل انسان
الزمناه طائره في عنقه قال ابن عباس رضي الله عنهما عمله وما قدر عليه فهو ملازمه اين ما كان وقيل خيره وشره
معه لا يفارقه حتى يحاسب به وقيل ما من مولود الا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي او سعيد وقيل المراد
بالطائر ما قضي عليه انه عامله وما هو صائر اليه من سعادة او شقاوة وقيل هو من قولك طار له سهم اذا خرج
يعني الزمناه ما طار له من جملة لزوم القلادة اذ الغل لا ينفك عنه والعنق في قوله كناية عن اللزوم كما يقال
جعلت هذا في عنقك اي قلدتك هذا العمل والزمتك الاحتفاظ به وانما خص العنق من بين سائر الاعضاء لانه
محل القلائد والاطواق والغل مما يزين او يشين فان كان عمله خيرا كان له كالقلادة وان كان شرا كان له كالغل
في عنقه وهو مما يشينه ويخرج له بقوله تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا قيل يبسط للانسان
صحيفتان ووكل بهما ملكان يحفظان عليه حسناته وسيئاته فاذا خلت طويت الصحيفتان وجعلت معه
في عنقه فلا ينشران الى يوم القيامة اقرا كتابك اي يقال له اقرا كتابك قيل يقرا يوم القيامة من لم يكن
قاريا كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي محاسبا قال الحسن لقد عدل اليك من جعلك حسيب نفسك
وقيل يقول الكافر انك لست بظلام للعبيد فاجعلني احاسب نفسي ويقال له اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا • قوله تعالى من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها معنى ان الثواب من عمل
العمل الصالح مختص بعامله وعقاب الذنب مختص بفاعله ايضا ولا يتعدى منه الى غيره وهو قوله تعالى ولا
تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل حاملة ثقل اخرى من الاثام ولا يؤاخذ احد بذنب احد بل كل احد مختص بذنبه وما
كنا معذبين حتى نبعث رسولا لاقامة الحجة وقطعا للعذر وفيه دليل على ان ما وجب انما وجب بالسمع لا بالعقل
قوله عز وجل واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها اي معنى الاية قولان احدهما ان المراد منه الامر بالفعل
ثم لفظ الاية تدل على انه تعالى بماذا امرهم فقال اكثر المفسرين معناه انه تعالى امرهم بالاعمال الصالحة وهي
الايمان والطاعة وفعل الخير والقوم خالفوا ذلك امر عبادي وفسقوا والقول الثاني امرنا مترفيها اي كثرنا فساقها
يقال امر القوم اذا كثروا وامرهم الله اذا كثرهم ومنه الحديث خير المال مهرة مأمورة اي كثيرة النتاج والنسل فعلى
هذا امرنا ليس الامر بالفعل والمترف هو الذي ابطرته النعمة ولذيذ العيش ففسقوا فيها اي خرجوا عما امرهم الله
من الطاعة فحق عليها القول اي وجب عليها العذاب فدمرناها تدميرا اي اهلكناها هلاك استئصال
والدمار الهلاك والخراب • عن ام المؤمنين زينب بنت جحش ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا
يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وحلق باصبعيه الابهام
والتي تليها قالت زينب قلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث قوله ويل للعرب
ويل كلمة تقال لمن وقع في هلكة او اشرف ان يقع فيها وقوله اذا كثر الخبث اي الشر قوله تعالى وكم اهلكنا من
القرون اي المكذبة من بعد نوح وهم عاد وثمود وغيرهم من الامم الخالية يخوف الله بذلك كفار مكة قال عبد الله
ابن ابي اوفى القرن عشرون ومائة سنة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول قرن وكان يزيد بن معاوية
اخرهم وقيل القرن مائة سنة وروي عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بسر المازني ان النبي صلى الله عليه وسلم
وضع يده على راسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن القاسم ما زلنا نعد له حتى تمت له مائة
سنة ثم مات وقيل القرن ثمانون سنة وقيل اربعون وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يعني

انه عالم بجميع المعلومات راي بجميع المرئيات لا يخفى عليه شيء من احوال الخلق قوله عز وجل من كان يريد العاجلة
اي الدار العاجلة يعني الدنيا عجلنا له فيها ما نشاء اي من البسط والتقتير لمن نريد ان نفعل به ذلك اهلاكه وقيل
في معنى الاية عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ان القدر الذي نشاء نعجله له في الدنيا لا الذي يشاء هو لمن نريد ان نعجل له شيئا
قدرناه له وهذا ذم لمن اراد بعمله ظاهر الدنيا ومنفعتها وبيان ان من ارادها لا يدرك منها الا ما قدر له ثم جعلنا
له جهنم اي في الاخرة يصلاها اي يدخلها مذموما مدحورا اي مطرودا مبعدا • قوله تعالى ومن اراد الاخرة
وسعى لها سعيها اي عمل لها عملها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا اي مقبولا قيل في الاية ثلاث شرائط في كون
السعي مشكورا ارادة الاخرة بعمله ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف له من العمل وترك ما امر بتركه والايمان الثابت
الصحيح وعن بعض السلف من لم يكن له ثلاث لم ينفعه عمل ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه
الاية قوله عز وجل كلا نمد هؤلاء وهؤلاء اي نمد كلا الفريقين من يريد الاخرة ومن يريد الدنيا من عطاء ربك
يعني يرزقهما جميعا ثم يختلف الحال بهما في المال وما كان عطاء ربك محظورا اي ممنوعا عن عباده والمراد بالعطاء في الدنيا
اذ لا حظ للكفار في الاخرة • قوله تعالى انظر يا محمد كيف فضلنا بعضهم على بعض اي في الرزق والعمل يعني طالب
العاجلة وطالب الاخرة وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا يعني ان تفاضل الخلق في درجات منافع الدنيا محسوس مثل
فتفاضلهم في درجات منافع الاخرة اعظم واكبر فان نسبة الدنيا في التفاضل في درجات الاخرة الى التفاضل
في درجات الدنيا لنسبة الاخرة فاذا كان الانسان يشتد رغبته في طلب فضيلة الدنيا فبان تقوى وتشتد
رغبته في طلب الاخرة اولى لانها دار المقام • قوله عز وجل لا تجعل مع الله الها اخر الخطاب مع النبي صلى الله
عليه وسلم والمراد غيره وقيل معناه لا تجعل ايها الانسان مع الله الها اخر وهذا اولى فتقعد مذموما اي من
غير حمد مخذولا اي بغير ناصر • قوله عز وجل وقضى ربك اي امر ربك قاله ابن عباس وقيل معناه
الحكم الجزم وقيل ووصى ربك وحكي عن الضحاك انه قراها ووصى ربك وقال انهم الصقوا الواو بالصاد
فصار قافا وهي على قراءة ابن مسعود قال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير هذا القول بعيد
جدا لانه يفتح باب التحريف والتغيير وقد يتطرق الى القران ولو جوزنا ذلك لارتفع الامان عن القران
وذلك يخرجه عن كونه حجة ولا شك انه طعن عظيم في الدين ان لا تعبدوا الا اياه فيه تخويف وجوب عبادة
الله والمنع عبادة غيره وهذا هو الحق لان العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم لا يليق الا لمن له
الانعام والافضال على عباده ولا منعم الا الله فكان هو المستحق للعبادة لا غيره وبالوالدين احسانا اي وامر
بالوالدين احسانا اي برا بهما وعطفا عليهما واحسانا اليهما اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما معناه
انهما يبلغان في حالة الضعف والعجز فيصيران عندك في اخر العمر كما كنت عندهما واعلم انه تعالى ذكر هذه
الجملة كلف الانسان في حق الوالدين خمسة اشياء الاول قوله تعالى فلا تقل لهما اف وهي كلمة تضجر وكراهية
وقيل ان اصل هذه الكلمة انه اذا سقط عليك تراب او رماد ونفخت فيه لتزيله تقول اف ثم انهم توسعوا
فذكروا هذه الكلمة الى عند كل مكروه يصل اليهم والثاني قوله تعالى ولا تنهرهما اي تزجرهما عما يتعاطيانه
مما لا يعجبك يقال نهره وانتهره بمعنى فان قلت المنع من التافيف يدل على المنع من الانتهار
بما وجب بالمنع قلت المراد من قوله ولا تقل لهما اف المنع من اظهار الضجر بالقليل والكثير والمراد من
قوله ولا تنهرهما المنع من اظهار المخالفة على القول على سبيل الرد عليهما الثالث قوله وقل لهما قولا كريما
اي حسنا جميلا لينا كما يقتضيه حسن الادب معهما وقيل هو يا ابتاه يا اماه وقيل ولا يكنيهما وقيل هو ان يقول
لهما كقول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ • الرابع قوله عز وجل واخفض لهما جناح الذل على ان لهما

واخفض لهما جناح الذل حتى لا تمتنع من شيء احباه من الرحمة اى من الشفقة عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم اليك كما كنت في حال
الصغر والضعف مفتقرا اليهما الخامس قوله تعالى وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا اى وادع الله لهما ان
يرحمهما برحمته الباقية واراد به اذا كانا مسلمين واما اذا كانا كافرين فان الدعا منسوخ في حقهما بقوله تعالى
ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى وقيل يجوز الدعا لهما بان يهديهما الله الى الاسلام
فاذا هداهما الله فقد رحمهما وقيل في معنى هذه الآية ان الله تعالى بالغ في الوصية بهما حيث افتتحهما بالامر بتوحيده
وعبادته ثم نعقبه بالاحسان اليهما ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى اذا لم يرخص في ادنى كلمة تسوءهما او [illegible]
لهما ثم ختمها بالامر بالدعا لهما والترحم عليهما **فصل** في الاحاديث التي وردت في بر الوالدين
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من احق الناس بحسن صحابتي قال
امك ثم امك ثم اباك ثم ادناك فادناك وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم انفه رغم انفه
رغم انفه قيل من يا رسول الله قال من ادرك والديه عند الكبر ثم لم يدخل الجنة م وعنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لن يجزي ولد والده الا ان يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذنه في الجهاد فقال احي والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد
وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رضى الرب في رضى الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين اخرجه
الترمذي مرفوعا وموقوفا قال وهو اصح عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد
اوسط ابواب الجنة قال فان شئت فضيع ذلك الباب او احفظه اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح م عن عبد الله
ابن مسعود قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاعمال احب قال الصلاة لوقتها قلت ثم اي قال
بر الوالدين قلت ثم اي قال الجهاد في سبيل الله قوله تعالى ربكم اعلم بما في نفوسكم اى من بر الوالدين واعتقاد ما يجب
لهما من التوقير من عقوقهما ان تكونوا صالحين اى ابرارا مطيعين قاصدين الصلاح والبر بعد تقصير كان منكم في
القيام بما لزمكم من حق الوالدين او غيرهما وقيل او فرط منكم في حال الغضب وعند خروج الصدر وما لا يخلو
منه البشر او يؤدي الى اذاهما ثم انبتم الى الله واستغفرتم عما فرط منكم فانه كان للاوابين يعني التوابين
غفورا قال سعيد بن جبير في هذه الآية قال الرجل يكون منه البادرة الى ابويه لا يريد بذلك الا الخير
فانه لا يؤاخذ به وقال سعيد بن المسيب الاواب الذي يذنب ثم يتوب وعنه انه الرجاع الى الخير وقال ابن
عباس الاواب الراجع فيما يحزنه ويتوب به وعنه انهم المسبحون وقيل هم المصلون وقيل هم الذين يصلون
صلاة الضحى يدل عليه ما روي عن زيد بن ارقم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهل قبا وهم
يصلون الضحى فقال صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال قوله اذا رمضت الفصال يريد ارتفاع الضحى وان
تحمى الرمضاء وهو الرمل بحر الشمس فتبرك الفصال من الحر وشدة الحرارة اخفافها والفصال جمع فصيل
وهو ولد الابل الصغار وقيل الاواب الذي يصلي بين المغرب والعشاء يدل عليه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء قوله تعالى وآت ذا القربى حقه قيل
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم امره الله تعالى ان يؤتي اقاربه حقوقهم وقيل انه خطاب للكل وهو انه
سبحانه وتعالى وصى بعد بر الوالدين بالقرابة ان يؤتى حقهم من صلة الرحم والمودة والزيارة وحسن المعاشرة
والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك وقيل ان كانوا محاويج وهو موسر لزمه الانفاق عليهم
عند ابي حنيفة رحمه الله وقال الشافعي رحمه الله لا يلزم النفقة الا للوالد على الولد والولد على الوالد فحسب
ان يقال وقيل اراد بالقرابة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على والمسكين وابن السبيل

ولا تبذر تبذيرا اى لا تنفق مالك في المعصية وقيل لو انفق الانسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرا ولو انفق درهما
او مدا في باطل كان مسرفا مبذرا وسئل ابن مسعود عن المبذر فقال انفاق المال في غير حقه وقيل هو انفاق المال في
العمارة على وجه السرف وقيل ان بعضهم انفق نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في
الخير قوله عز وجل ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين يعني اولياءهم واصدقاءهم لانهم يطيعونهم فيما يامرونهم
به من الاسراف وقيل امثالهم في الشر وهذا غاية المذمة لانه لا اشر من الشيطان والعرب تقول لكل من هو ملازم
سنة قوم هو اخوهم وكان الشيطان لربه كفورا اى جحودا للنعمة فما ينبغي ان يطاع لانه يدعو الى مثل عمله قوله تعالى
واما تعرضن عنهم نزلت في مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم
في الاحايين ما يحتاجون اليه ولا يجد فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك عن القول فنزلت هذه الآية والمعنى وان
تعرض عن هؤلاء الذين امرتك ان تؤتيهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها اى انتظار رزق الله ترجوه ان ياتيك فقل لهم قولا
ميسورا اى لينا جميلا اى عدة وعدا جميلا تطيب به قلوبهم وقيل هو ان تقول رزقنا الله واياكم من فضله ولا
تجعل يدك مغلولة الى عنقك قال جابر اتى صبي فقال يا رسول الله ان امي تستكسيك درعا ولم يكن لرسول الله صلى
الله عليه وسلم الا قميصه فقال النبي صلى الله عليه وسلم من ساعة الى ساعة يظهر كذا فعد الينا وقتا اخر
فعاد الى امه فقالت له قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم داره ونزع
قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال بالصلاة ثم انتظروه فلم يخرج فاشتغل قلوب اصحابه فدخل عليه
بعضهم فرآه عريانا فانزل الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك اى لا تمسك يدك مغلولة عن النفقة وفي
الحق والخير كالمغلولة يده لا يقدر على مدها ولا تبسطها اى بالعطا كل البسط اى تعطي جميع ما عندك وقيل هذا
تمثيل مع الشحيح واعطا المسرف امرا بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير فتقعد ملوما اى عند الله
لان المسرف غير مرضي عنه وقيل ملوما عند نفسك واصحابك يلومونك سبيلوك عن الامساك اذا لم تعطهم محسورا
اى منقطعا لا شيء عندك تنفقه وقيل محسورا اى نادما على ما فرط منك ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس هوانا بك عليه ولا بخلا منه عليك فقال تعالى ان ربك يبسط اى
يوسع الرزق لمن يشاء ويقدر اى يقتر ويضيق وذلك لمصلحة العباد انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعني انه تعالى عالم
باحوال عباده وما يصلحهم والتفاوت في ارزاق العالم ليس لاجل البخل بل رعاية مصالح العباد قوله عز وجل
ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق اى فاقة وفقر نحن نرزقهم واياكم وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يئدون من
خشية الفاقة او يخافوا عليهم من النهب والغارات او انهم ينكحونهم بغير اكفا لشدة الحاجة وذلك عار شديد
عندهم فنهاهم الله عن قتلهن وقال نحن نرزقهم واياكم يعني ان الارزاق بيد الله فكما انه فتح ابواب الرزق
على الرجال فكذلك يفتح على النساء ان قتلهم كان خطأ كبيرا اى اثما كبيرا ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة
اى قبيحة زائدة على حد القبح وساء سبيلا اى بئس طريقا طريقه وهو ان تغصب امراة غيرك او ابنته او اخته
من غير سبب والسبب ممكن وهو النكاح الذي شرعه الله تعالى وقيل ان الزنا يشتمل على انواع من المفاسد
منها المعصية وايجاب الحد على نفسه ومنها اختلاط الانساب فلا يعرف الرجل ولده من هو ولا يقوم احد بتربيته
وذلك يوجب ضياع الاولاد وانقطاع النسل وذلك يوجب خراب العالم وهو قوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي
حرم الله الا بالحق الاصل في القتل هو الحرمة المغلظة وحل القتل انما يثبت بسبب عارض فلما كان كذلك حرم الله
عن القتل على حكم الاصل ثم استثنى الحالة التي يحصل فيها حل القتل وهي الاسباب العرضية فقال الا بالحق
اى باحدى ثلاث كما روي عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد

Copyright © King Saud University

ان لا اله الا الله وانى رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة
اخرجه فى الصحيحين ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا اى قوة وولاية على القاتل وقيل سلطانه هو
ان يتخير ان شا استقاد منه وان شا اخذ منه الدية وان شا عفا عنه فلا يسرف فى القتل اى لا يقتل قال ابن عباس
لا يقتل غير القاتل وذلك انهم كانوا فى الجاهلية اذا قتل منهم قتيل لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتل اشرف منه
وقيل معناه اذا كان القتيل واحدا فلا يقتل به جماعة بل واحد بواحد وكان اهل الجاهلية اذا كان المقتول
شريفا فلا يرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلون معه جماعة من قرابته وقيل معناه انه لا يمثل بالقاتل
انه كان منصورا قيل الضمير راجع للمقتول ظلما يعنى انه منصور فى الدنيا بايجاب القود على قاتله وفى الاخرة
بتكفير خطاياه وايجاب النار لقاتله وقيل الضمير راجع الى ولى المقتول معناه انه كان منصورا على القاتل باستيفا
القصاص منه والدية فى قوله فلا يسرف فى القتل اراد به القاتل المتعدى بالقتل بغير الحق فانه ان فعل ذلك فولى
القتيل منصور من قتل عليه باستيفا القصاص منه قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن
اى بالطريقة التى هى احسن وهى تنميته وحفظه عليه حتى يبلغ اشده وهو بلوغ النكاح والمراد ببلوغ الاشد كمال
العقل ورشده بحيث يمكنه القيام بمصالح حاله فهو بالغ كامل العقل لم ينفك عنه الحجر واوفوا بالعهد اى الاتيان
بما امر الله تعالى والانتها عما نهى الله تعالى عنه وقيل اراد بالعهد ما يلتزمه الانسان على نفسه ان العهد
كان مسئولا اى عنه وقيل مطلوبا وقيل العهد يسئل عن صاحبه فيقال فيما نقضت العهد المودة فيما قتلت
قوله تعالى واوفوا الكيل اذا كلتم اراد منه تمام الكيل وزنوا بالقسطاس المستقيم قيل هو الميزان صغيرا كان او
كبيرا من ميزان الدراهم الى ما هو اكبر منه وقيل هو القبان وقيل هو رومى معرب والاصح انه عربى ماخوذ من القسط
وهو العدل اى وزنوا بالعدل المستقيم وذلك ان التفاوت الحاصل بسبب نقصان الكيل والوزن قليل والوعيد
الحاصل عليه شديد عظيم فوجب على العاقل الاحتراز عنه وانما عظم الوعد فيه لان جميع الناس يحتاجون
الى المعاوضات والبيع والشرا فالشارع بالغ فى منع التطفيف والنقصان سببا فى نقصان الاموال ذلك خير
واحسن تاويلا اى احسن عاقبة من ال اذا رجع وهو ما يوول اليه الامر قوله عز وجل ولا تقف ما ليس لك به علم
اى ولا تتبع ما ليس لك به علم اى لا تقل رايت ولم تره وسمعت ما لم تسمعه وعلمت ما لم تعلمه وقيل معناه لا ترم
احدا بما ليس لك به علم وقيل لا تتبعه بالحدس والظن وقيل هو ماخوذ من القفا كانه يقفى الامور يتتبعها
ويتعرفها وحقيقته انه لا يتكلم فى احد بالظن ان السمع والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسئولا معناه
يسئل المرء عن سمعه وفواده وقيل يسئل السمع والبصر والفواد عما فعله المرء فعلى هذا يرجع الاشارة الى اولئك
الاعضا وعلى القول الاول يرجع الى اربابها عن شكل بن حميد قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول
الله علمنى تعويذا اتعوذ به قال فاخذ بيدى ثم قال قل اعوذ بك من شر سمعى ومن شر بصرى ومن شر لسانى
ومن شر قلبى ومن شر منيى قال حتى حفظتها اخرجه ابو داود والنساى والترمذى وقال حديث حسن غريب وقوله
ومن شر منيى يعنى ماءه وذكره قوله تعالى ولا تمش فى الارض مرحا اى بطرا وكبرا وخيلا انك لن تخرق الارض
اى لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ اخرها ولن تبلغ الجبال طولا اى لا تقدر ان تطاول الجبال وتساويها بكبرك والمعنى
ان الانسان لا ينال بكبره وبطره شيئا كمن يريد خرق الارض ومطاولة الجبال لا يحصل على شى وقيل ان الذى
يمشى مختالا يمشى مرة على عقبه ومرة على صدور قدميه فقيل له انك لن تنقب الارض ان مشيت على صدور قدميك
عن على قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفا تكفيا كانما ينحط من صبب اخرجه الترمذى
فى الشمايل قوله تكفا التكفي التمايل فى المشى الى قدام وقوله كانما ينحط من صبب هو قريب من التكفو

اى كانه ينحدر من موضع عال عن ابى هريرة رضى الله عنه قال ما رايت شيا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان الشمس تجرى فى وجهه وما رايت احدا اسرع مشية من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما الارض تطوى له
انا لنجهد انفسنا وانه لغير مكترث اخرجه الترمذى قوله لغير مكترث اى شاق الاكتراث مبالاة الذى يشق على
الانسان كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها اى ما ذكر من الامور التى نهى الله عنها فيما تقدم **فان قلت**
كيف قيل سيئه مع قوله مكروها **قلت** قيل فيه تقديم وتاخير تقديره كل ذلك كان مكروها سيئة
عند ربك ومكروها وقيل انه يرجع الى المعنى دون اللفظ ان السيئة الذنب وهو مذكور قوله تعالى ذلك
اشارة فيما تقدم من الاوامر والنواهى فى هذه الايات قوله تعالى مما اوحى اليك ربك من الحكمة اى من الاحكام
المذكورة فى هذه الايات شرايع واجبة الرعاية فى جميع الاديان والملل لا تقبل النسخ والابطال فكانت محكمة
وحكمة بهذا الاعتبار وقيل ان حاصل هذه الايات يرجع الى الامر بالتوحيد وانواع البر والطاعات
والاعراض عن الدنيا والاقبال على الاخرة وذلك من الحكمة وقيل ان هذه الايات كانت فى الواح موسى عليه
السلام اولها ولا تجعل مع الله قال الله تعالى وكتبنا له فى الالواح من كل شى موعظة واعلم ان الله تعالى افتتح
هذه الايات بالامر بالتوحيد والنهى عن الشرك وختمها به والمقصود منه التنبيه على ان كل قول وعمل يجب ان
يكون فيه التوحيد لانه راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه شى ثم انه تعالى ذكر فى الاية الاولى ان
الشرك يجب ان يكون صاحبه مذموما مخذولا وقال فى هذه الاية ولا تجعل مع الله الها اخر فتلقى فى جهنم
ملوما مدحورا والفرق بين المذموم والملوم ما كونه مذموما فمعناه انه الفعل القبيح وما الذى يحملك
عليه فهذا هو اللوم والفرق بين المخذول والمدحور ان المخذول هو الضعيف الذى لا ناصر له والمدحور
هو المبعود المطرود عن كل خير قوله عز وجل افاصفاكم ربكم يعنى اخصكم واختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه
ما ليس بصفوة بالبنين يعنى اختصكم بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملايكة اناثا لانهم كانوا يقولون
الملايكة بنات الله مع علمهم بان الله هو الموصوف بالكمال الذى لا نهاية له وهذا الدليل على انه لا يجعل له البنين لهذا
القول انكم لتقولون قولا عظيما يخاطب مشركى مكة يعنى باضافتهم اليه الاولاد وهى خاصة بالاجسام ثم انهم يفضلون
عليه انفسهم حيث يجعلون له ما يكرهون لانفسهم يعنى البنات قوله تعالى ولقد صرفنا فى هذا القران يعنى
العبر والحكم والامثال والاحكام والحجج والاعلام والتشديد فى صرفنا للتكثير والتكرير ليذكروا اى ليتعظوا
ويعتبروا وما يزيدهم اى تصريفنا وتذكيرنا الا نفورا اى تباعدا عن الحق قل يا محمد لهولا المشركين لو كان
معه الهة كما يقولون اذا لابتغوا اى لطلبوا يعنى الالهة الى ذى العرش سبيلا اى بالمغالبة والقهر ليزيلوا
ملكه كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض وقيل معناه لتقربوا اليه وقيل معناه لعرفوا الله فضله وابتغوا
ما يقربهم اليه والاول اصح تقديره بنفسه سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا معناه وصفه بذلك المبالغة فى البراة
والبعد كما يصفونه به قوله عز وجل تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن يعنى الملايكة والانس والجن
وان من شى الا يسبح بحمده قال ابن عباس وان من شى حى الا يسبح بحمده وقيل جميع الحيوانات والناميات وقيل
ان الشجرة تسبح وقيل التراب يسبح ما لم يبتل فاذا ابتل ترك التسبيح وان الخرزة تسبح ما لم ترفع من موضعها فاذا
رفعت تركت التسبيح وان الورقة تسبح ما دامت على الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح وان الثوب يسبح
ما دام جديدا فاذا اتسخ ترك التسبيح وان الوحش والطير تسبح اذا صاحت واذا سكتت تركت التسبيح وقيل
ان من شى جماد او حى الا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف وقيل يسبح كل الاشيا تسبح الله تعالى حيوانا
كان او جمادا وتسبيحها سبحان الله وبحمده ويدل على ذلك ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال كنا نعد الايات

Copyright © King Saud University

بركة والتم نخد ونهما تخويفا وقال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الما فقال اطلبوا فضلة
من ما فجاوا بما قليل فيه فادخل يده صلى الله عليه وسلم في الاناء ثم قال حي على الطهور المبارك والبركة من
الله تعالى فلقد رايت الما ينبع من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو
يوكل اخرجه البخاري ج عن جابر بن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بمكة حجرا كان يسلم علي ليالي
بعثت واني لاعرفه الان عن ابن عمر رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع
فلما اتخذ المنبر تحول اليه فحن الجذع فاتاه فمسح بيده عليه وفي رواية فنزل على جنطله وساره بشي ففي هذه
الاحاديث دليل على ان الجماد يتكلم وانه يسبح وقال بعض اهل المعاني تسبح السموات والارض والجمادات
والحيوانات سوى العقلا بلسان الحال بحيث تدل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته فكانها تنطق بذلك
ويصير لها بمنزلة التسبيح والقول الاول اصح لما دلت عليه الاحاديث وانه منقول عن السلف واعلم ان الله
تعالى علم علما لا تصفه الجمادات لا يقف عليه غيره فينبغي ان يكل علمه اليه وقوله تعالى ولكن لا تفقهون
تسبيحهم اي لا تعلمون ولا تفقهون تسبيحهم ما عدا من يسبح بحمدكم ولغاتكم ولسانكم انه كان حليما غفورا
اي حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وجهلكم بالتسبيح قوله تعالى واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين
لا يومنون بالاخرة حجابا اي يحجب قلوبكم عن فهمه والانتفاع به وقيل حجابا مستورا عن اعين الناس فلا يرونه
كما روي عن سعيد بن جبير انه قال لما نزلت تبت يدا ابي لهب جات امراة ابي لهب ومعها حجر والنبي صلى الله
عليه وسلم مع ابي بكر فلم تره فقالت لابي بكر اين صاحبك ولقد بلغني انه هجاني فقال لها ابو بكر والله
ما ينطق بالشعر ولا يقوله فرجعت وهي تقول قد كنت جيت بهذا الحجر لارضخ راسه فقال ابو بكر ما راتك يا رسول
الله فقال لم يزل ملك بيني وبينها وجعلنا على قلوبهم اكنة اي اغطية ان يفقهوه اي لئلا يفقهوه وفي اذانهم
وقرا اي ثقلا لئلا يسمعوه واذا ذكرت ربك في القران وحده يعني اذا قلت لا اله الا الله وانت تتلو القران
ولوا على ادبارهم نفورا جمع نافر نحن اعلم بما يستمعون به اي من اللغو بك وبالقران وقيل معناه نحن اعلم بالوجه
الذي يستمعون به وهو التكذيب به اذ يستمعون اليك اي وانت تقرا القران واذ هم نجوى اي وما يتناجون
به من امرك وقيل معناه ذو نجوى بعضهم يقول هو مجنون وبعضهم يقول هو ساحر وبعضهم يقول
هو كاهن وشاعر اذ يقول الظالمون يعني الوليد بن المغيرة ان تتبعون الا رجلا مسحورا اي مطبوبا وقيل
مخدوعا وقيل معناه انه مسحر مخدوع وقيل هو من السحر وهو الرية ومعناه انه بشر مثلكم ياكل ويشرب قال الشاعر
• اراه موضعين لحتم غيب • ونسحر بالطعام وبالشراب • اي نغذى بهما انظر كيف ضربوا لك الامثال
اي الاشيا فقالوا ساحر شاعر كاهن مجنون فضلوا اي في جميع ذلك وجاروا فلا يستطيعون سبيلا
اي الى طريق الحق وقالوا اءذا كنا اي بعد الموت عظاما ورفاتا اي ترابا وقيل الرفات الاجزا المتفتتة
من كل شي تكسر اءنا لمبعوثون خلقا جديدا فيه انه استبعد والاعادة بعد الموت والبلى فقال الله
تعالى ردا عليهم قل اي قل لهم يا محمد كونوا حجارة يعني في الشدة او حديدا يعني في القوة وليس هذا بامر
الزام بل هو امر تعجيز اي استشعروا في قلوبكم انكم حجارة او حديد في القوة او خلقا مما يكبر في صدوركم
قيل يعني في السما والارض والجبال بانهم اعظم المخلوقات وقيل يعني به الموت لانه لا شي في نفس ابن ادم
اكبر من الموت ومعناه لو كنتم الموت بعينه لاميتنكم ولابعثنكم فسيقولون من يعيدنا اي من يبعثنا
بعد الموت قل الذي فطركم اي خلقكم اول مرة فمن قدر على الانشا قدر على الاعادة فسينغضون اليك
رووسهم اي يحركونها اذا قلت لهم ذلك مستهزئين بما تقول ويقولون متى هو يعني البعث والقيمة

قل

قل عسى ان يكون قريبا اي هو قريب يوم يدعوكم اي من قبوركم الى موقف القيامة فتستجيبون بحمده قال ابن عباس
بامره وقيل بطاعته وقيل مقرين بانه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد وقيل هذا خطاب مع المومنين فانهم
يبعثون حامدين وتظنون ان لبثتم اي في الدنيا وقيل في القبور الا قليلا وذلك ان القيامة والخلود في الاخرة
وقيل انهم يستحقرون مدة الدنيا في جنب القيمة قوله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن وذلك ان المشركين
كانوا يوذون المسلمين فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل وقل لعبادي يقولوا
يعني للكفار التي هي احسن يا قوم على سفههم بل يقول له يهديك الله تعالى وكان هذا قبل الاذن بالقتال
والجهاد وقيل نزلت في عمر بن الخطاب وذلك انه شتمه بعض الكفار فامره الله تعالى بالعفو وقيل امر الله المومنين
بان يقولوا ويفعلوا الخلة التي هي احسن وقيل الاحسن كلمة الاخلاص لا اله الا الله ان الشيطان ينزغ بينهم
اي يفسد ويلقي العداوة ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا اي ظاهر العداوة قوله عز وجل ربكم اعلم بكم
ان يشا يرحمكم اي يوفقكم للايمان فتومنوا او ان يشا يعذبكم اي يميتكم على الشرك فتعذبوا وقيل معناه ان يشا
يرحمكم فينجيكم من اهل مكة وان يشا يعذبكم اي يسلطهم عليكم وما ارسلناك عليهم وكيلا اي حفيظا وكفيلا قيل
نسختها اية القتال وربك اعلم بمن في السموات والارض يعني ان علمه غير مقصور عليكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات
والمعدومات ومتعلق بجميع ذات الارضين والسموات يعلم حال كل احد ويعلم ما يليق به من المصالح والمفاسد
وقيل معناه انه عالم باحوالهم واختلاف صورهم واخلاقهم ومللهم واديانهم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض
وذلك انه اتخذ ابراهيم خليلا وكلم موسى تكليما وقال لعيسى كن فكان واتى سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده
واتى داود زبورا وذلك قوله تعالى واتينا داود زبورا وهو كتاب انزله الله تعالى على داود يشتمل على مائة وخمسين
سورة كلها دعا وثنا على الله وتمجيد وتحميد ليس فيها حلال ولا حرام ولا فرايض ولا حدود ولا احكام فان
قلت لم خص داود في هذه الاية بالذكر دون الانبيا قلت فيه وجوه
احدها ان الله ذكر انه فضل بعض النبيين على بعض ثم قال واتينا داود زبورا وذلك ان داود اعطي مع
النبوة الملك فلم يذكره بالملك وذكر ما اتاه من الكتاب تنبيها على ان الفضل المذكور في هذه المراد به العلم لا الملك
والمال الوجه الثاني ان الله كتب له في الزبور ان محمدا خاتم الانبيا وان امته خير الامم فلهذا خصه بالذكر الوجه
الثالث ان اليهود زعمت انه لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد التورية فكذبهم الله تعالى بقوله واتينا داود
زبورا ومعناه لا تنكرو فضل النبيين فكيف تنكروا فضل محمد صلى الله عليه وسلم واعطائه القران وانه
اتى موسى التورية وداود الزبور وعيسى الانجيل فلم يبعد ان يفضل محمدا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلايق
ذلك فضل الله يوتيه من يشا وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل الانبيا عليهم السلام قوله عز وجل قل ادعوا
الذين زعمتم من دونه وذلك ان المشركين اصابهم قحط شديد حتى اكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا النبي صلى
الله عليه وسلم ليدعو لهم قال الله عز وجل قل ادعوا الذين زعمتم انها الهة من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم
اي الجوع والقحط ولا تحويلا يعني الى غيركم او تحويل الحال من العسر الى اليسر ومقصود الاية الرد على المشركين
حيث قالوا ليس لنا اهلية ان نشتغل بعبادة الله تعالى فنحن نعبد المقربين اليه وهم الملائكة ثم انهم اتخذوا
لذلك الملك الذي عبدوه تمثالا وصورة وقد اشتغلوا بعبادته واحتج على بطلان قولهم بهذه الاية
وبين عجز الهتهم فقال تعالى اولئك الذين يدعون يعني الذين يدعونهم المشركين الهة يبتغون الى ربهم
الوسيلة اي القربة والدرجة العليا قال ابن عباس هم عيسى وامه وعزير والملائكة والشمس والقمر
والنجوم وقال ابن مسعود نزلت هذه الاية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فاسلم ولكن الجن

Copyright © King Saud University

ولم يعلم الا بشر ذلك فتمسكوا بعبادتهم فعيرهم الله وانزل هذه الاية وقوله تعالى ايهم اقرب ينظرون ايهم اقرب الى
الله فيتوسلون به وقيل ايهم اقرب يبتغي الوسيلة الى الله ويتقرب اليه بالعمل الصالح وازدياد الخير والطاعة
ويرجون رحمته اي جنته ويخافون عذابه وقيل معناه يخافون ويرجون كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انها الهة
ان عذاب ربك كان محذورا اي كان حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم من الخلائق
قوله تعالى وان من قرية الا نحن مهلكوها اي بالموت والخراب قبل يوم القيمة او معذبوها اي بالقتل وانواع العذاب
اذا كفروا وعصوا وقيل الاهلاك في حق المؤمنين هي الاماتة والعذاب في حق الكفار قال عبد الله بن مسعود اذا ظهر
الزنا والربا في قرية اذن الله في هلاكها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا اي في اللوح اي مكتوبا مثبتا
عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما خلق الله
القلم فقال له اكتب قال ما اكتب قال اكتب القدر ما هو كائن الى يوم القيمة الى الابد قوله عز وجل وما
منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون قال ابن عباس رضي الله عنهما سأل اهل مكة ان يجعل لهم
الصفا ذهبا وان ينحي الجبال عنهم ليزرعوا فاوحى الله الى رسوله ان شئت ان تستأني بهم لعلهم يؤمنون وان
شئت ان اوتيهم ما سألوا فعلت فان لم يؤمنوا اهلكتهم كما اهلكت من كان قبلهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا بل تستأني بهم فانزل الله وما منعنا ان نرسل بالايات التي سألها قومك الا ان كذب بها الاولون فا
هلكناهم فان لم يؤمنوا قومك بعد ارسال الايات ثم لم يؤمنوا بعد اتيانها ان نهلكهم ولا نمهلهم وقد حكمنا
بامهال هذه الامة الى يوم القيامة ثم ذكر تلك الايات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا
فقال تعالى واتينا ثمود الناقة مبصرة اي بينة وذلك لان اثار اهلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم
يبصرها صادرهم وواردهم فظلموا بها اي جحدوا بها انها من عند الله وقيل ظلموا انفسهم بتكذيبها فعاجلناهم
بالعقوبة قوله تعالى وما نرسل بالايات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب فان لم يخافوا وقع عليهم
وقيل معناه وما نرسل بالايات يعني العبر والدلالات ويعني الا تخويفا اي انذارا بعذاب الاخرة ان لم يؤمنوا
فانه يخوف الناس بما يشاء من اياته لعلهم يرجعون قوله تعالى واذ قلنا لك اي واذكر يا محمد اذ قلنا ان ربك احاط
بالناس اي ان قدرته احاطت بهم فهم في قبضته وقدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته واذا كان الامر كذلك
فهم لا يقدرون على امر من الامور الا بقضائه وقدرته وهو حافظك ومانعك منهم فلا تهبهم وامض لما امرتك
به من التبليغ للرسالة فهو ينصرك ويقويك على ذلك وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس قال
الاكثرون من المفسرين على ان المراد منه ما راى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من العجائب والايات
قال ابن عباس رضي الله عنهما هي رؤيا عين اريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهي ليلة
اسري به الى بيت المقدس اخرجه البخاري وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة
وغيرهم من العرب يقول رايت بعيني رؤية ورؤيا فلما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم انكر
بعضهم بذلك وكذبوا فكانت فتنة للناس وازداد المخلصون ايمانا وقال قوم اسري بروحه دون جسده
وهو ضعيف وقال قوم كان له معراجان معراج رؤية عين في اليقظة ومعراج رؤية منام وقيل اراد بهذه
الرؤيا ما راى النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية انه دخل مكة هو واصحابه فعجل السير الى مكة قبل الاجل
فصده المشركون فرجع الى المدينة فكان رجوعه في ذلك العام بعد ما اخبر انه يدخلها فتنة لبعضهم ثم
دخلها في العام المقبل وانزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم
راى في المنام ولد الحكم بن امية يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة فساءه ذلك فان اعترض معترض على هذا

التفسير وقال السورة مكية وهاتان الواقعتان كانتا بالمدينة اجيب بانه لا اشكال فيه فانه لا يبعد ان
النبي صلى الله عليه وسلم راى ذلك بمكة ثم كان تحقيقه بالمدينة والشجرة الملعونة في القران يعني شجرة الزقوم التي
وصفها الله تعالى في سورة والصافات والعرب تقول لكل طعام مكروه ملعون والفتنة فيها ان ابا جهل قال
ان ابن ابي كبشة يعني النبي صلى الله عليه وسلم توعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انها تنبت شجرا وتعلمون ان النار
تحرق الاشجار وقيل ان عبد الله بن الزبعرى قال ان محمدا يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم الا التمر والزبد وقال
ابو جهل يا جارية تعالي فزقمينا فاتت بزبد وتمر فقال يا قوم تزقموا فان هذا ما يخوفكم به محمد فانزل الله تعالى
حين عجبوا ان يكون في النار انا جعلناها فتنة للظالمين الايات **فان قلت** اين
لعنت شجرة الزقوم في القران **قلت** لعنت حين لعن الكفار الذين يأكلونها لان الشجرة
لا ذنب لها حتى تلعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي الاصل في جهنم المكتوب الذي يتلوى على الشجرة والشوك
فيجففه ونخوفهم فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا اي تمردا وعلوا عظيما قوله تعالى واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال ااسجد لمن خلقت طينا اي من طين وذلك ان ادم خلق من تراب الارض
من عذبها وملحها فمن خلق من العذب فهو سعيد ومن خلق من الملح فهو شقي قال يعني ابليس ارايتك الكاف للمخاطب
والمعنى اخبرني هذا الذي كرمت علي اي فضلته علي لئن اخرتني اي امهلتني الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته
اي لاستاصلنهم بالاضلال وقيل معناه لاقودنهم كيف شئت وقيل معناه لاستولين عليهم بالاغواء الا قليلا
يعني المعصومين الذين استثناهم الله تعالى في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان قال الله تعالى قال
اذهب اي امض لشانك وليس هو من الذهاب الذي هو ضد المجيء فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم اي جزاؤك
جزاؤك وجزاء اتباعك جزاء موفورا اي مكملا قوله عز وجل واستفزز اي استخف واستزل واستجهل وازعج عنهما
معناه بدعائك الى معصية الله وكل داع الى معصية فهو من جند ابليس وقيل بصوتك الغناء والمزامير
واللهو واللعب من استطعت منهم بصوتك اي اجمع مكايدك وخيلك واحثهم على الاغواء وقيل استعن عليهم
بركبان جندك ومشاتهم يعني ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فكل من قاتل ومشى في معصية فهو من جند
ابليس وقيل المراد منه ضرب المثل كما تقول للرجل المجد في الامر جئتنا بخيلك ورجلك واجلب عليهم بخيلك ورجلك
وشاركهم في الاموال والاولاد اما المشاركة في الاموال فكل مال اصيب من حرام وانفق في الحرام وقيل هو الربا وقيل
هو ما كانوا يذبحونه لالهتهم ويحرمونه كالبحيرة والسائبة والوصيلة والمشاركة في الاولاد فروي عن ابن عباس رضي
الله عنهما انها الموءودة وقيل ولد الزنا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ايضا هو تسميتهم الاولاد بعبد العزى
وعبد الحرث وعبد شمس ونحوه وقيل ان يرغبوا اولادهم في الاديان الباطلة الكاذبة كاليهودية والنصرانية والمجوسية
ونحوها وقيل ان الشيطان يقعد من ذكر الرجل فاذا لم يقل بسم الله اصاب معه امراته وانزل في فرجها
كما ينزل الرجل وروي في بعض الاخبار ان فيكم مغربين قيل وما المغربون قال الذين شارك فيهم الجن وعن ابن
عباس انه سأله رجل فقال ان امراتي استيقظت وفي فرجها شعلة نار فقال ذلك من وطء الجن وعدهم اي
منهم الجميل في طاعتك وقل لهم لا جنة ولا نار ولا بعث وذلك ان الشيطان اذا دعا الى المعصية فلا بد ان
لا مضرة في فعله البتة وذلك لا يمكن الا اذا قال لا معاد ولا جنة ولا نار ولا حياة بعد هذه الحياة فيتقرر هذا
عنده انه لا مضرة البتة في هذه المعاصي واذا فرغ من هذا النوع تقرر عنده ان هذا الفعل يفيد انواعا من اللذة
والسرور ولا حياة للانسان في الدنيا الا به فهذا دليل طريق الدعوة الى المعصية فهذا يتنبه عن فعل
الطاعة وهو انه يقرر عنده ان لا جنة ولا نار ولا عقاب ولا فائدة فيها وقيل معنى وعدهم اي شفاعة

Copyright © King Saud University

الاصنام عند الله لا ايثار الاجل على الاجل **فان قلت** كيف ذكر الله هذه الاشيا بصيغة
الامر وان الله تعالى قال ان الله لا يامر بالفحشا **قلت** هذا على طريق التهديد كقوله تعالى
اعملوا ما شئتم وكقول القايل اجتهد جهدك فسترى ما ينزل بك كقوله تعالى وما يعدهم الشيطان الا غرورا
اى يزين الباطل بما يظن انه حق واعلم ان الله تعالى لما قال وعدهم اردفه بما هو زاجر عن قبول وعده
بقوله وما يعدهم الشيطان الا غرورا والسبب فيه انه انما يدعوا الى قضا الشهوة وطلب الرياسة
ونحو ذلك ولا يدعو الى معرفة الله تعالى ولا الى عبادته وتلك الاشيا التى يدعوا اليها خيالية لا حقيقة
لها ولا تحصل الا بعد متاعب ومشاق عظيمة واذا حصلت كانت سريعة الذهاب والانقضا ويتعقبها
الموت والهدم وغير ذلك واذا كانت هذه الاشيا بهذه الصفات كانت الرغبة فيها غرورا ان عبادى
ليس لك عليهم سلطان يعنى عباده الانبيا واهل الدين والصلاح لا تقدر على اغوايهم وكفى بربك وكيلا
اى حافظا والمعنى انه تعالى لما امكن ابليس ان ياتى بما يقدر عليه من الوسوسة كان ذلك سببا لحصول الخوف
فى قلب الانسان فقال تعالى وكفى بربك وكيلا اى فان الله تعالى قادر منه وارحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد
الشيطان ووسوسته ويعصمهم من اهوايه واستيلايه وفى بعض الاثار ان ابليس لما اخرج الى الارض قال
يا رب اخرجتنى من الجنة لاجل ادم فسلطنى عليه وعلى ذريته قال سلطتك قال لا استطيعه الا بك فزدنى
قال استفزز من استطعت الاية فقال ادم يا رب سلطت ابليس علىّ وعلى ذريتى وانى لا استطيعه
الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه قال رب زدنى قال الحسنة بعشر امثالها والسيية
بمثلها قال رب زدنى قال التوبة معروضة ما دام الروح فى الجسد قال رب زدنى فقال يا عبادى الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية وفى الخبر ان ابليس قال يا رب بعثت انبيا وانزلت كتبا فما
قراتى قال الشعر قال فما كتابى قال الوشم قال ومن رسلى قال الكهنة قال اى شى مطعمى قال ما لم يذكر اسم
الله تعالى عليه قال فما شرابى قال كل مسكر قال واين مسكنى قال الحمامات قال واين مجلسى قال الاسواق
قال وما حبالى قال النسا قال وما اذانى قال المزمار قوله تعالى ربكم الذى يزجى اى يسوق ويجرى
لكم الفلك اى السفن فى البحر لتبتغوا من فضله اى لتطلبوا من رزقه بالارباح فى التجارة وغيرها انه كان بكم
رحيما اى حيث يسر لكم هذه المنافع والمصالح وسهلها عليكم واذا مسكم الضر فى البحر اى الشدة وخوف الغرق
فى البحر ضل من تدعون اى ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعون فى حوادثكم من الاصنام وغيرها الا اياه
اى الا الله وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا يخطر ببالكم غيره لانه القادر على اغاثتكم وانجاتكم فلما نجاكم
اى اجاب دعاكم وانجاكم من هول البحر وشدته واخرجكم الى البر اعرضتم اى عن الايمان والاخلاص والطاعة
وكفرتم النعمة وهو قوله تعالى وكان الانسان كفورا اى جحودا قوله تعالى افامنتم اى بعد انجايكم
ان يخسف بكم جانب البر اى نغوره والمعنى ان الجهات كلها له وفى قدرته برا كان او بحرا بل ان كان الغرق
فى البحر ففى جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغييب تحت الثرى كما ان الغرق تغييب تحت الما او يرسل
عليكم حاصبا اى يمطر عليكم حجارة من السما كما امطرها على قوم لوط ثم لا تجدوا لكم وكيلا اى مانعا وناصرا
ام امنتم ان يعيدكم فيه اى فى البحر تارة اخرى اى مرة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم
بما كفرتم قال ابن عباس اى عاصفا وهى الريح الشديدة وقيل هى التى تقصف كل شى من شجر وغيره فيغرقكم
بما كفرتم اى بكفرانكم النعمة واعراضكم حين انجاكم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا اى التبيع المطالب والمعنى انا
نفعل ما نفعل بكم ثم لا تجدوا لكم احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا لكم ودركا للثار من جهتنا وقيل معناه

النقل

ان

ان يتبعنا بالانكار علينا قوله تعالى ولقد كرمنا بنى ادم قال ابن عباس رضى الله عنهما ومعناه انهم ياكلون
بالايدى وغير الادمى ياكل بفيه من الارض وقال ايضا بالعقل وقيل بالنطق والتمييز والخط والفهم وقيل
باعتدال القامة وامتدادها وقيل بحسن الصورة وقيل الرجال باللحى والنسا بالذوايب وقيل
بتسليطهم على كل ما فى الارض وتسخيره لهم وقيل بحسن تدبيرهم امر المعاش والمعاد وقيل بان منهم
خير امة اخرجت للناس وحملناهم فى البر اى على الابل والخيل والبغال والحمير والبحر اى وحملناهم فى البحر على السفن
وهذا من موكدات التكريم لان الله تعالى سخر لهم هذه الاشيا لينتفعوا بها ويستعينوا بها على مصالحهم
ورزقناهم من الطيبات يعنى لذيذ المطاعم والمشارب وقيل الزبد والتمر والسمن والحلو واصل رزق
غيرهم مما لا يخفى وقيل ان جميع الاغذية اما نباتية او حيوانية ولا يتغذى الانسان الا بالطيب منهما
بعد الطبخ الكامل والنضج التام ولا يحصل هذا لغير الانسان وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا
واعلم ان الله تعالى قال فى اول الاية ولقد كرمنا بنى ادم وفى اخرها وفضلناهم فلا بد من الفرق بين التكريم
والتفضيل والا لزم التكرار والاقرب ان يقال ان الله تعالى كرم الانسان على ساير الحيوان بامور خلقية ذاتية
طبيعية مثل العقل والنطق والخط وحسن الصورة ثم انه تعالى عرفه بواسطة ذلك العقل والفهم
واكتساب العقايد الصحيحة والاخلاق الفاضلة فالاول هو التكريم والثانى هو التفضيل ثم قال
تعالى على كثير ممن خلقنا تفضيلا ظاهر الاية تدل على انه فضل بنى ادم على كثير من خلق لا على الكل فقال
قوم فضلوا على جميع الخلق لا على الملايكة وهذا مذهب المعتزلة وقال الكلبى فضلوا على الخلايق كلهم الا على
طايفة من الملايكة مثل جبريل وميكايل واسرافيل وعزرايل واشباههم وقيل فضلوا على جميع الخلايق وعلى
الملايكة كلهم **فان قلت** كيف تصنع بكثير **قلت** توضع الاكثر
موضع الكل لقوله تعالى يلقون السمع واكثرهم كاذبون اراد كلهم وفى الحديث عن جابر يرفعه قال لما خلق
الله تعالى ادم وذريته قالت الملايكة يا رب خلقتهم ياكلون ويشربون فاجعل لهم الدنيا ولنا الاخرة
لا اجعل من خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى كمن قلت له كن فكان وقيل من التفضيل وهو الاول والراجح
ان خواص بنى ادم وهم الانبيا افضل من خواص الملايكة وعوام الملايكة افضل من عوام البشر من بنى ادم
لان الكفار لا حرمة لهم قال الله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اوليك هم خير البرية وعن ابى
هريرة رضى الله عنه قال المومن اكرم على الله تعالى من الملايكة الذين عنده قوله عز وجل يوم ندعوا
كل اناس بامامهم اى بنبيهم وقيل بكتابهم الذى نزل عليهم وقيل بكتاب اعمالهم وعن ابن عباس بامام زمانهم
الذى دعاهم فى الدنيا اما الى هدى واما الى ضلالة وذلك ان كل قوم يجتمعون الى رييسهم فى الخير والشر وقيل
بمعبودهم وقيل بامامهم جمع ام يعنى بامهاتهم والحكمة فيه رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن والحسين والا
يفتضح اولاد الزنا فمن اوتى كتابه بيمينه فاوليك يقرون كتابهم **فان قلت** لم
خص اصحاب اليمين بقراة كتابهم مع ان اصحاب الشمال يقرونه ايضا **قلت** الفرق ان
اصحاب الشمال اذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على مهلكات عظيمة فيستولى عليهم الخجل والدهشة فلا يقدرون
على اقامة حروفه ومشتملا على الحسنات والطاعات فيقرونه احسن قراة وابينها ولا يظلمون فتيلا اى
ولا ينقصون من ادنى شى ومن كان فى هذه اعمى المراد به عمى القلب والبصيرة والمعنى من كان فى الدنيا اعمى
اى عن هذه النعم التى قد عددها فى هذه الايات المتقدمة فهو فى الاخرة اعمى اى التى لم تعاين ولم تر اعمى
واضل سبيلا قال ابن عباس قيل معناه من فى هذه الدنيا عمى القلب عن روية قدرة الله واياته ورويته

Copyright © King Saud University

الحق فهو في الاخرة اعمى واشد عمى واضل سبيلا اي اخطا وقيل معناه ومن كان في الدنيا كافرا ضالا فهو في الاخرة اعمى
لانه في الدنيا تقبل توبته وفي الاخرة لا تقبل توبته قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك
قيل سبب نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر الاسود فمنعه قريش وقالوا لا ندعك حتى تلم بآلهتنا
وتمسها فحدث الناس ما علي ان افعل ذلك والله اني لها كاره هذا ان يدعوا في استلام الحجر وقيل طلبوا منه ان
يذكر آلهتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدث نفسه فانزل الله تعالى هذه الاية وقال ابن عباس قدم وفد ثقيف
على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نبايعك على ان تعطينا ثلاث خصال قال وما هي قالوا لا ننحني في
الصلاة اي لا ننحني ولا نكسر اصناما بايدينا وان تمتعنا باللات سنة من غير ان نعبدها فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود واما ان تكسروا اصنامكم بايديكم فذاك لكم واما الطاغية يعني
اللات والعزى فاني غير ممتعكم بها قالوا يا رسول الله انا نحب ان تسمع العرب انك اعطيتنا ما لم تعط غيرنا
فان خشيت ان تقول العرب اعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله امرني بذلك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم
وطمع القوم في سكوته ان يعطيهم ذلك فانزل الله وان كادوا اي زعموا ليفتنونك اي ليصرفونك عن الذي
اوحينا اليك لتفتري اي لتختلق وتتبعث علينا غيره اي ما لم نقل واذا اي لو فعلت ما دعوك اليه
لاتخذوك خليلا اي والوك وصافوك ولولا ان ثبتناك اي على الحق بعصمتنا لقد كدت تركن اي تميل
اليهم شيئا قليلا اي قليلا من الفعل **فان قلت** كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما فكيف
يجوز ان يقرب مما طلبوه **قلت** كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزما وقد عفى الله عن حديث النفس
وكان بعد ذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين والجواب الصحيح هو ان الله تعالى
قال ولولا ان ثبتناك وقد ثبته الله فلم يركن اليهم اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اي لو فعلت
ذلك لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات يعني اضعفنا لك العذاب في الدنيا والاخرة ثم لا تجد لك علينا
نصيرا اي ناصرا يمنعك من عذابنا قوله عز وجل وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها قيل
هذه الاية مدنية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة وذلك حسدا
فاتوه فقالوا يا ابا القاسم لقد علمت ما هذه بارض الانبيا وان ارض الانبيا بالشام وهي الارض المقدسة وكان
بها ابراهيم والانبيا عليهم السلام فان كنت نبيا مثلهم فات الشام وانما يمنعك الخروج اليها مخافة الروم وان
الله سيمنعك من الروم ان كنت نبيه فعسكر النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة وفي رواية الى ذي الحليفة حتى
يجتمع اليه اصحابه فيخرج فانزل الله هذه الاية والارض ههنا ارض المدينة وقيل الارض ارض مكة والاية مكية
وهم المشركون ان يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى امره بالخروج للهجرة فخرج بنفسه وهذا هو الاليق بالاية
لان ما قبلها خبر عن اهل مكة والسورة مكية وقيل هم المشركون كلهم وارادوا ان يستفزوه من ارض العرب
باجتماعهم وتظاهرهم عليه فمنع الله رسوله ولم ينالوا منه ما املوه والاستفزاز الازعاج واذا لا يلبثون
خلفك الا قليلا اي لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا حتى يهلكوا قوله تعالى سنة من قد ارسلنا
قبلك من رسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فسنة الله ان يهلكهم وان لا يعذبهم ما دام
بينهم نبيهم فاذا خرج من بين اظهرهم عذبهم ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تبديلا قوله عز وجل اقم الصلاة لدلوك
الشمس روي عن ابن مسعود انه قال الدلوك الغروب وهو قول النخعي ومقاتل والضحاك والسدي وقال
ابن عباس وابن عمر وجابر هو زوال الشمس وهو قول عطا وقتادة ومجاهد والحسن واكثر التابعين ومعنى
اللفظ يجمعها لان اصل الدلوك الميل والشمس تميل اذا زالت واذا غربت والحمل على الزوال اولى القولين لكثرة

القايلين

القايلين به ولانا اذا حملناه عليه كانت الاية جامعة لمواقيت الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر
والعصر الى غسق الليل اي ظهور ظلمته وقال ابن عباس بدو الليل وهذا يتناول المغرب والعشا وقران الفجر
يعني صلاة الفجر يعني الصلاة لانها لا تجوز الا بقران ان قران الفجر كان مشهودا اي يشهده ملايكة الليل
وملايكة النهار عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة
الجمع على صلاة احدكم وحده بخمس وعشرين جزءا وتجتمع ملايكة الليل وملايكة النهار في صلاة الفجر ثم يقول
ابو هريرة اقروا ان شيتم ان قران الفجر كان مشهودا قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله في تفسيره هذا دليل
قاطع قوي على ان الصلاة اول الوقت افضل من التنوير لان الانسان اذا شرع فيها في الصبح ففي ذلك الوقت
الظلمة باقية فتكون ملايكة الليل حاضرين ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القراة وتكثيرها زالت الظلمة
وظهر الضوء حضرت ملايكة النهار اما اذا ابتدا بهذه الصلاة في وقت الاسفار فهناك لم يبق احد من
ملايكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور في الاية فثبت ان قوله كان مشهودا دليل على ان الصلاة في اول
وقتها افضل قوله تعالى ومن الليل فتهجد به اي قم بعد نومك والتهجد لا يكون الا بعد القيام من النوم
والمراد من الاية قيام الليل للصلاة وكانت صلاة الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الامة
في الابتدا لقوله تعالى يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخا في حق الامة
في الصلوات الخمس وبقي قيام الليل على الاستحباب بدليل قوله فاقروا ما تيسر منه وبقي الوجوب ثابتا في حق
النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة هن فريضة علي وهن سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل وقيل
ان الوجوب صار منسوخا في حقه كما في حق الامة فصار قيام الليل نافلة لان الله تعالى قال نافلة
لك ولم يقل عليك **فان قلت** ما معنى التخصيص اذا كانت زيادة في حق المسلمين كما في
حقه صلى الله عليه وسلم **قلت** فايدة التخصيص ان النوافل كفارات لذنوب العباد والنبي
صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فكانت له نافلة وزيادة في رفع الدرجات

فصل

في الاحاديث الواردة في قيام الليل عن المغيرة بن شعبة قال قام رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له اتتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون
عبدا شكورا م عن زيد بن خالد الجهني لارمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة فتوسدت
عتبته او فسطاطه فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين
ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم اوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة
لفظ ابي داود ق عن ابي سلمة بن عبد الرحمن انه سال عايشة كيف صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في رمضان قالت ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره اكثر من احدى عشرة ركعة يصلي اربعا فلا تسال عن
حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا قالت عايشة فقلت يا رسول الله اتنام قبل ان توتر فقال يا عايشة
ان عيني تنامان ولا ينام قلبي ق عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيما بين ان يفرغ
من صلاة العشا احدى عشرة ركعة يسلم في كل ركعتين ويوتر بواحدة ويسجد سجدة قدر ما يقرا
احدكم خمسين اية قبل ان يرفع راسه فاذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين
خفيفتين ثم اضطجع على شقه الايمن حتى ياتيه المؤذن للاقامة خ عنها قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين عن عوف بن مالك الاشجعي قال قمت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقرا سورة البقرة لا يمر باية رحمة الا وقف وسال ولا يمر باية عذاب

Copyright © King Saud University

الا وقف وتعوذ ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة
ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرا ال عمران ثم قرا سورة النسا اخرجه ابو داود
والنسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باية من القران ليلة اخرجه
الترمذي ق عن الاسود قال سالت عائشة رضي الله عنها كيف كان صلاة الليل النبي صلى الله عليه
وسلم من الليل قالت كان ينام اوله ولا تشاء ان تراه نايما الا رايته اخرجه النسائي زاد في رواية غيره
قال وكان يصوم من الشهر حتى تقول لا يفطر منه شيا ويفطر حتى تقول ما يصوم منه شيا وقوله
عز وجل عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قيل اجمع المفسرون على ان عسى من الله واجب وذلك ان لفظة
عسى تفيد الاطماع ومن اطمع انسانا في شي ثم احرمه كان عارا والله اكرم من ان يطمع احدا ثم لا يعطه
ما اطمعه فيه والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لانه يحمده فيه الاولون والاخرون ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي دعوة مستجابة واني اختبات دعوتي شفاعة
لامتي فهي نايلة منكم ان شاء الله تعالى من مات ولا يشرك بالله شيا ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فان من صلى
علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد
الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي خ عن جابر بن عبد الله ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ات
محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة عن انس ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الخلق يوم القيامة فيهتمون لذلك وفي رواية فيلهمون لذلك
فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فياتون ادم فيقولون انت ابو البشر خلقك الله بيده
واسكنك جنته واسجد لك ملايكته وعلمك اسما كل شي اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا
فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي اصاب فيستحي ربه منها ولكن ايتوا ابراهيم خليل الله الذي
اتخذه خليلا فياتون ابراهيم فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي اصاب فيستحي ربه منها
ولكن ايتوا موسى الذي كلمه الله واعطاه التوراة قال فياتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته
التي اصاب فيستحي ربه منها ولكن ايتوا عيسى روح الله وكلمته قال فياتون عيسى فيقول لست هناكم
ولكن ايتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فانه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فياتوني فاستاذن على ربي فيؤذن لي فاذا رايته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله فيقال يا محمد ارفع راسك
وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع قال فارفع راسي واحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم اشفع فيحد لي حدا
فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة قال فلا ادري في الثالثة او في الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار
الا من حبسه القران اي وجب عليه الخلود وفي رواية للبخاري ثم تلا هذه الاية عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا قال وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم زاد في رواية فقال
النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج
من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله
وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة قال يزيد بن زريع في حديث عقبة ذرة وفي رواية من ايمان مكان
خير وفي رواية سعيد بن هلال عن انس في حديث الشفاعة وذكر نحوه وفيه فاقول يا رب امتي امتي

فيقال انطلق فمن كان في قلبه ادنى ادنى ادنى مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجه من النار فانطلق فافعل قال
فلما خرجنا من عند انس مررنا بالحسن فسلمنا عليه فحدثناه بالحديث الى هذا الموضع فقال هيه فلم يزدنا
على هذا فقال لقد حدثني وهو جميع منذ عشرين سنة كما حدثكم ثم قال ثم اعود في الرابعة واحمده بتلك المحامد
ثم اخر له ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع راسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فيقول يا رب ايذن لي فيمن
قال لا اله الا الله قال ليس لك ذلك او قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لاخرجن منها من
قال لا اله الا الله قوله وهو جميع اي مجتمع الذهن والراي عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لوا الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت
لوايي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعات فياتون ادم فيقولون
انت ابونا فاشفع لنا الى ربك فيقول اني اذنبت ذنبا عظيما فاهبطت به الى الارض ولكن ايتوا نوحا
فيقول اني دعوت على اهل الارض دعوة فاهلكوا ولكن ايتوا ابراهيم فيقول اني كذبت ثلاث كذبات
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منها كذبة الا ما حل بها عن دين الله ولكن ايتوا موسى فياتون
موسى فيقول قد قتلت نفسا ولكن ايتوا عيسى فيقول اني عبدت من دون الله ولكن ايتوا محمدا
صلى الله عليه وسلم قال فياتوني فانطلق معهم قال ابن جدعان قال انس فكاني انظر الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال فاخذ الحلقة بباب الجنة فاقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون
لي ويرحبون بي فيقولون مرحبا فاخر ساجدا فيلهمني الله من الثنا والحمد فيقال لي ارفع راسك
سل تعطه اشفع تشفع وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود الذي قال عسى ان يبعثك ربك
مقاما محمودا قال سفيان ليس عن انس غير هذه الكلمة فاخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها اخرجه
فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويرحبون فيقولون مرحبا فاخر ساجدا فيلهمني الثنا والحمد الترمذي
قوله ما حل الماحلة المخاصمة والمجادلة والمعنى انه عليه السلام خاصم وجادل عن دين الله بتلك الالفاظ
التي صدرت عنه وقوله فاقعقعها اي احركها حركة شديدة والقعقعة حكاية اصوات الترسة وغيرها
مما له صوت عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم
اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا ولوا الحمد يومئذ بيدي يطوف علي الف خادم كانهم بيض مكنون او لولو منثور
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيامة واول من تنشق عنه
الارض واول شافع واول مشفع رواه الترمذي قال انا اول من تنشق عنه الارض فاكسى حلة من حلل الجنة ثم
اقوم عن يمين العرش فليس احد من الخلايق يقوم ذلك المقام غيري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال ان الشمس
تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبيناهم كذلك استغاثوا بادم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم
فيشفع ليقضى بين الخلايق فيمشي حتى ياخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده اهل الجمع لهم عن
يزيد بن صهيب الفقير قال كنت قد شغفني راي من راي الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد ان نحج
ثم نخرج على الناس قال فمررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله جالس الى سارية يحدث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم واذا هو قد ذكر الجهنميين فقلت يا صاحب رسول الله ما هذا الذي تحدثون والله يقول انك من
تدخل النار فقد اخزيته وكلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فما الذي يقولون قال اتقرا القران قلت نعم
قال فاقرا ما قبله انه في الكفار ثم قال فهل سمعت بمقام محمد صلى الله عليه وسلم الذي يبعثه فيه قلت نعم قال
فانه مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس

Copyright © King Saud University

عليه قال ولعا فان لا اكون احفظ ذاك قال غيره انه قد زعم ان قوما يخرجون من النار بعد ان يكونوا فيها قال يعني
فيخرجون كانهم عيدان السماسم قال فيدخلونه نهرا من انهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كانهم القراطيس
فرجعنا فقلنا ويحكم اترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعنا فلا والله ما خرج غير
رجل واحد كما قال والاحاديث في الشفاعة كثيرة واول من انكرها عمرو بن عبيدة وهو مبتدع باتفاق اهل السنة
وروى ابو وايل عن ابن مسعود انه قال ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وان صاحبكم خليل الله واكرم الخلق عليه
ثم قرا عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال يقعده على العرش وعن مجاهد مثله وعن عبد الله بن سلام
قال يقعد على الكرسي قوله عز وجل وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق المراد منهما الادخال
والاخراج قال ابن عباس معناه ادخلني مدخل صدق المدينة واخرجني مخرج صدق مكة نزلت حين امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة وقيل معناه اخرجني من مكة امنا من المشركين وادخلني مكة ظاهرا عليها بالفتح
وقيل ادخلني في امرك الذي ارسلتني به من النبوة مدخل صدق واخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب علي من
حق النبوة مخرج صدق وقيل معناه ادخلني حيث ما ادخلتني بالصدق ولا تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج
بوجه فان ذا الوجهين لا يكون امينا عند الله واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا اي حجة بينة وقيل ملكا
قويا تنصرني به على من عاداني وعزا ظاهرا اقيم به دينك فوعده الله لينزعن ملك فارس والروم
وغيرهما ويجعله له واجاب دعاه قال الله تعالى والله يعصمك من الناس فال ليظهره على الدين كله
وقال وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض قوله تعالى وقل جاء الحق
يعني الاسلام والقران وزهق الباطل اي الشرك والشيطان ان الباطل كان زهوقا اي كان مضمحلا
غير ثابت وذلك ان الباطل وان كان له دولة وصولة في وقت من الاوقات فهو سريع الزوال من
عن عبد الله بن مسعود قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم وحول البيت ثلثمائة وستون صنما
فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ
الباطل وما يعيد قوله عز وجل وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمومنين من في قوله لبيان الجنس والمعنى
ننزل من هذا القران الجنس الذي هو قران ما هو شفاء اي بيان من الضلالة والجهالة يبين به
المختلف ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة وهو شفا القلوب بزوال الجهل
عنها وقيل هو شفا للامراض الباطنة والظاهرة وذلك لانها تنقسم على نوعين احدهما الاعتقادات الفاسدة
في الذات والصفات والنبوات والقضا والقدر والبعث بعد الموت فالقران مشتمل على دلائل المذهب
الحق في هذه الاشيا وابطال المذاهب الباطلة لا جرم كان القران شفا لما في القلوب من هذا النوع واما النوع الثاني
فالقران مشتمل على التنفير منها والارشاد الى الاخلاق المحمودة والاعمال الفاضلة وثبت ان القران شفا من جميع الامراض
الباطنة واما كونه شفا من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراته يدفع كثيرا من الامراض يدل عليه ما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم في فاتحة الكتاب وما يدريك انها رقية ورحمة للمومنين لما كان القران شفا
للامراض الباطنة والظاهرة فهو جدير بان يكون رحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا لان الظالم لا ينتفع
به والمومن ينتفع به فكان رحمة للمومن وخسارة للظالم وقيل لان كل اية تنزيل يتجدد لهم تكذيب فيها فيزداد
خسارهم قال قتادة لم يجالس القران احدا الا قام عنه بزيادة او نقصان فقضاه الله الذي قضى شفا ورحمة
للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا قوله تعالى واذا انعمنا على الانسان اي بالصحة والسعة اعرض اي عن ذكرنا
ودعائنا ونا بجانبه اي تباعد منا بنفسه وترك التقرب الينا بالدعا وقيل معناه تكبر وتعظم واذا مسه الشر

اي

اي الشدة والضر كان يؤوسا اي ايسا قنوطا وقيل معناه انه يتضرع ويدعو عند الضر والشدة فاذا تاخرت الاجابة
ييئس فلا ينبغي للمومن ان يترك الدعا ولو تاخرت الاجابة قوله عز وجل قل كل اي كل احد يعمل على شاكلته قال ابن
عباس رضي الله عنهما على ناحيته وقيل الشاكلة الطريقة التي يعمل عليها وفيه وجه اخر وهو ان كل انسان يعمل على حسب
جوهر نفسه فان كانت نفسه شريفة طاهرة صدرت عنه افعال جميلة واخلاق زكية طاهرة وان كانت نفسه
كدرة خبيثة صدرت عنه افعال خبيثة فاسدة ردية فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي اوضح طريقا واحسن مذهبا
واتباعا للحق قوله تعالى ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي عن عبد الله بن مسعود قال بينما انا امشي مع
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتوكا على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقال
بعضهم لا تسالوه يسمعكم ما تكرهون فقاموا اليه وفي رواية فقام اليه رجل منهم فقال يا ابا القاسم ما الروح
فسكت وفي رواية فقال اخبرنا عن الروح فقام ساعة ينظر الوحي فعرفت انه يوحى اليه فتاخرت حتى
صعد الوحي ثم قال ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا فقال بعضهم لبعض
قد قلنا لكم لا تسالوه وفي رواية وما اوتوا من العلم الا قليلا قال الاعمش هكذا في قراتنا العسيب جريد
النخل ويسعفه وقال ابن عباس ان قريشا اجتمعوا وقالوا ان محمدا نشا فينا بالامانة والصدق وما اتهمناه
بكذب قط وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرا من اليهود بالمدينة واسالوهم عنه فسالوهم عن ثلاثة اشيا فان
اجاب عن كلها او عن شي منها فليس بنبي وان اجاب عن اثنين ولم يجب عن واحدة فهو نبي فسلوه عن فتية
فقدوا في الزمن الاول ما كان شانهم فانه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ شرق الارض ومغربها ما خبره
وعن الروح قال فسالوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخبركم بما سالتم غدا فلبث الوحي قال مجاهد اثني عشر
يوما او خمسة عشر يوما وقيل اربعين يوما واهل مكة يقولون قد وعدنا محمد غدا وقد اصبحنا لا يخبرنا بشي
حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكث الوحي وشق عليه ما يقوله اهل مكة ثم نزل جبريل عليه
السلام بقوله ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله ونزل في الفتية ام حسبت ان اصحاب الكهف
والرقيم كانوا من اياتنا عجبا ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب قوله ويسالونك عن ذي القرنين ونزل في الروح
قل الروح من امر ربي واختلفوا في الذي وقع السوال عنه فروي عن ابن عباس انه جبريل وعن علي انه ملك
له سبعون الف وجه وفي كل وجه سبعون لسانا يسبح الله تعالى بكلها وقال مجاهد خلق على صورة بني ادم لهم
ايد وارجل وروس ليسوا بملايكة ولا ناس ياكلون الطعام وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله خلقا اعظم من الروح
غير العرش لو شا ان يبتلع السموات والارضين السبع ومن فيهن بلقمة واحدة لفعل ذلك صورة خلقه على صورة
الملايكة وصورة وجهه على صورة الادميين يوم القيامة على يمين العرش وهو اقرب الخلق الى الله تعالى
اليوم عند الحجب السبعين واقرب الخلق الى الله يوم القيامة وهو من يشفع لاهل التوحيد ولولا ان بينه
وبين الملايكة سترا من نور لاحترق اهل السموات من نوره وقيل الروح هو القران لانه سماه الله تعالى
روحا ولان به حياة القلوب وقيل هو الروح المركب في الخلق الذي يحيى به الانسان وهو اصح الاقوال وتكلم قوم
في ماهية الروح فقال بعضهم هو الدم الا ترى ان الانسان اذا مات لا يفوت منه الا الدم وقال قوم هو نفس
الحيوان بدليل انه يموت باحتباس النفس وقال قوم هو عرض وقال قوم هو جسم لطيف يحيى به الانسان وقيل
الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلم والعلو والبقا الا ترى انه اذا كان موجودا يكون الانسان موصوفا
بجميع هذه الصفات واذا خرج منه ذهب الكل واقاويل الحكما والصوفية في ماهية الروح كثيرة وليس هذا
موضع استقصايها والاولى الا قاويل ان يوكل علمه الى الله تعالى وهو قول اهل السنة قال عبد الله بن

لم يجب

Copyright © King Saud University

ابن يزيان الله لم يطلع على الروح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا بدليل قوله تعالى قل الروح من امر ربي اى علم ربي
الذي استاثر به وما اوتيتم من العلم الا قليلا اى فى جنب علم الله عز وجل الخطاب عام وقيل هو خطاب لليهود فانهم
كانوا يقولون اوتينا التوراة وفيها العلم الكثير فقيل لهم ان علم التوراة قليل فى جنب علم الله تعالى وقيل ان القلة
والكثرة تدوران مع الاضافة فوصف الشي بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته وقيل ان النبي
صلى الله عليه وسلم علم معنى الروح ولكن لم يخبر به لان ترك الاخبار به كان علما لنبوته والقول الاصح ان الله
استاثر بعلم الروح قوله عز وجل ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك معناه انا كما منعنا علم الروح عنك
وعن غيرك ان شئنا ذهبنا بالقران ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت ما تدري
ما الكتاب ثم لا تجد لك به علينا وكيلا معناه ثم لا تجد بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده عليك واعادته محفوظا
مسطورا الا رحمة من ربك معناه الا ان يرحمك ربك فيرده عليك وقيل هذا الاستثناء منقطع معناه لكن رحمة ربك
تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القران محفوظا **فان قلت**
كيف يذهب بالقران وهو كلام الله تعالى **قلت** المراد منه محوه فى المصاحف واذهاب ما فى
الصدور وقال عبد الله بن مسعود اقروا القران قبل ان يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع قيل هذه
المصاحف ترفع فكيف بما فى صدور الناس قال يسرى عليه ليلا فيرفع ما فى صدورهم فيصبحون لا يحفظون
شيا ولا يجدون فى المصاحف شيا ثم يفيضون فى الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لا تقوم الساعة
حتى يرجع القران من حيث نزل له دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الرب ما لك فيقول اتلى ولا يعمل بي
ان فضله كان عليك كبيرا اى بسبب بقاء العلم والقران عليك وجعلك سيد ولد ادم وختم بك النبيين واعطاك
المقام المحمود قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون اى لا يقدرون
على ذلك بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اى عونا نزلت حين قال المشركون لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم
الله عز وجل فالقران معجز فى النظم والتاليف والاخبار عن الغيوب وهو كلام فى اعلى طبقات البلاغة لا يشبه
كلام الخلق لانه كلام الخالق وهو غير مخلوق ولو كان مخلوقا لاتوا بمثله قوله عز وجل ولقد صرفنا للناس فى هذا
القران من كل مثل اى رددنا وكررنا من كل معنى هو كالمثل فى غرابته وحسنه وقيل معناه من كل وجه من العبرة
والاحكام والوعد والوعيد والقصص وغيرها فابى اكثر الناس الا كفورا يعني جحودا قوله تعالى
وقالوا لن نؤمن لك اى لن نصدقك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا لما تبين اعجاز القران وانضمت اليه معجزات
اخر وبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الايات فقالوا لن نؤمن لك روى عكرمة عن ابن
عباس ان عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابا سفيان بن حرب والنضر وابا البختري بن هشام والاسود بن عبد المطلب
وزمعة بن الاسود والوليد بن المغيرة وابا جهل بن هشام وعبد الله بن ابي امية وامية بن خلف والعاص بن
وائل ونبيها ومنبها ابني الحجاج اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى
محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان اشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن انه بدا لهم فى امره بدو وكان حريصا يحب رشدهم حتى جلس اليهم
فقالوا يا محمد انا بعثنا اليك لنعذر فيك وانا والله لا نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه ما ادخلت على قومك
لقد شتمت الاباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الالهة وفرقت الجماعة وما من قبيح الا وقد
جئت به فيما بيننا وبينك فان كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جعلنا لك من اموالنا حتى تكون
اكثرنا مالا وان كنت تريد به الشرف سودناك علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي

بك

بك رئيا تراه قد غلب عليك لا تستطيع رده بذلنا لك اموالنا فى طلب الطب حتى نبريك منه ونعذر فيك وكانوا
يسمون التابع من الجن الرئي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به لطلب
اموالكم ولا الشرف عليكم ولا للملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وانزل علي كتابا وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا
فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني فهو حظكم من الدنيا والاخرة وان تردوا علي اصبر لامر الله
حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا يا محمد فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس احد اضيق
بلادا ولا اشد عيشا منا فسل ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا وليبسط لنا
بلادنا وليفجر لنا فيها انهارا كانهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من ابائنا وليكن فيهم قصي بن كلاب فانه
كان شيخا صدوقا فنسالهم عما تقول احق هو ام باطل فان صدقوك صدقناك فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما بهذا بعثت فقد بلغتكم ما ارسلت به فان تقبلوه فهو حظكم وان تردوه اصبر لامر الله تعالى
قالوا فان لم تفعل هذا فسل ربك ان يبعث ملكا يصدقك واساله ان يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا
من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه فقال
ما بعثت بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا قالوا فاسقط السماء كما زعمت علينا ان ربك ان شاء فعل فقال
ذلك الى الله ان شاء فعل بكم وقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تاتينا بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن ابي امية وهو ابن عمته عاتكة ابنة عبد المطلب فقال
يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سالوك لانفسهم امورا يعرفون بها منزلتك من الله فلم تفعل
ثم سالوك ان تعجل ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله لا اومن بك ابدا حتى تتخذ الى السماء سلما ترقى فيه وانا
انظر حتى تاتيها فتاتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وايم الله لو فعلت
ذلك لظننت اني لا اصدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اهله حزينا لما راى منهم فانزل
الله تعالى او يكون لك جنة من نخيل وعنب يعني ارضا حسنة فتفجر الانهار اى عيونا وسباتين فيها نخيل وعنب
فتفجر الانهار خلالها تفجيرا اى تشقيقا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يعني قطعا او تاتي بالله والملائكة قبيلا
قال ابن عباس كفيلا اى يكفلون بما تقول وقيل هو جمع القبيلة اى اصنافا من الملائكة قبيلا يشهدون لك
بصحة ما تقول وقيل معناه نراه مقابلة عيانا او يكون لك بيت من زخرف اى من ذهب واصله الزينة او
ترقى اى تصعد فى السماء ولن نؤمن لرقيك يعني لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه اى امرا
فيه باتباعك وهذا قول عبد الله بن ابي امية قل اى يا محمد سبحان ربي امره بتنزيهه وتمجيده وفيه معنى التعجب
هل كنت الا بشرا رسولا اى كسائر الرسل الى الامم وان كان الرسل لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله من الايات
فليس امر الايات اليهم انما هو الى الله تعالى ولو اراد ان ينزل ما طلبوا لفعل ولكن لا ينزل الايات على ما يقترحه
البشر وما انا الا بشر وليس ما سالتم فى طوق البشر واعلم ان الله تعالى قد اعطى النبي صلى الله عليه وسلم من المعجزات
والايات ما يغني عن هذا مثل القران وانشقاق القمر ونبع الماء من بين اصابعه وما هو اشبهها من الايات
وليست بدون ما يقترحوه بل هو اعظم مما اقترحوه والقوم كلهم كانوا متعنتين ولم يكن قصدهم طلب الدليل
ليؤمنوا فرد الله عليهم سؤالهم بقوله وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اى الوحي والمعنى وما منعهم الايمان
بالقران وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا شبهة تلجلج فى صدورهم وهي انكارهم ان يرسل الله البشر
رسولا وهو قوله الا ان قالوا اى جهلا منهم ابعث الله بشرا رسولا وذلك ان الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك
لانك بشر وهلا بعث الله الينا ملكا فاجابهم الله بقوله قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين اى
مستوطنين مقيمين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اى من جنسهم لان الجنس الى الجنس اميل قل كفى

بالله

Copyright © King Saud University

بالله شهيدا بيني وبينكم اى على انى رسوله اليكم وانى قد بلغتكم ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم انه كان بعباده
سيعلم المنذرين والمنذرين خبيرا بصيرا اى عالما باحوالهم فهو مجازيهم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ووعيد للكفار ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه اى يهدونهم وفيه ايضا تسلية
للنبى صلى الله عليه وسلم وهو ان الذين حكم لهم بالايمان والهداية وجب ان يكونوا مومنين ومن سبق منهم
كان له حكم الله بالضلال والجهل استحال ان ينقلبوا عن ذلك ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عن انس ان
رجلا قال يا رسول الله قال الله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم ايحشر الكافر على وجهه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذى امشاه على الرجلين فى الدنيا قادر على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة ثلاثة اصناف
صنف مشاة وصنف ركبانا وصنف على وجوههم قيل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر على
ان يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك اخرجه الترمذى الحدب ما ارتفع من
الارض عميا وبكما وصما اى لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون **فان قلت** كيف وصفهم
بانهم عمى وبكم وصم وقد قال الله تعالى وراى المجرمون النار وقال دعوا هنالك ثبورا وقال سمعوا لها
تغيظا وزفيرا فاثبت لهم الروية والكلام والسمع **قلت** فيه اوجه قال ابن عباس يعنى عميا
لا يرون ما يسرهم بكما لا ينطقون بحجة صما لا يسمعون ما يسرهم الوجه الثانى قيل معناه يحشرون على
ما وصفهم الله تعالى ثم تعاد اليهم هذه الاشياء الوجه الثالث قيل معناه هذا حين يقال لهم اخسئوا فيها
ولا تكلمون فيصيرون باجمعهم عميا وبكما وصما لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون ماواهم جهنم كلما خبت
اى سكن لهبها وقيل طفئت وهدئت من غير ان يوجد نقصان فى ايلام الكفار لان الله تعالى قال لا
يفتر عنهم وقيل معناه ارادت ان تخبو قوله زدناهم سعيرا اى وقودا وقيل المراد من خبت اى نضجت جلودهم
واحترقت اعيدوا الى ما كانوا عليه ويزيد فى سعير النار لتحرقهم ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا لما ذكروا
الوعيد المتقدم قال ذلك جزاؤهم بسبب كفرهم باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا
اجابهم الله ورد عليهم بقوله اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض اى فى عظمها وشدتها قادر على
ان يخلق مثلهم اى فى صغرهم وضعفهم وجعل لهم اجلا اى وقتا لعذابهم لا ريب فيه اى لا شك فيه انه
ياتيهم قيل الموت وقيل يوم القيامة فابى الظالمون الا كفورا اى جحودا وعنادا قل لو انتم تملكون خزائن
رحمة ربى اى خزائن نعمه ورزقه وقيل ان خزائن الله غير متناهية والمعنى لو انكم ملكتم
من النعم خزائن لا نهاية لها اذا لامسكتم اى لبخلتم وحبستم خشية الانفاق اى خشية الانفاق
والفقر والنفاد وهذه مبالغة عظيمة فى وصفهم بهذا الشح وكان الانسان قتورا اى ممسكا بخيلا
فان قلت قد يوجد فى جنس الانسان من هو جواد كريم فكيف وصفه بالبخل **قلت**
الاصل فى الانسان البخل لانه خلق محتاجا والمحتاج لا بد ان يحب ما يدفع به ضرر الحاجة ويمسكه لنفسه
الا انه قد يجود لاسباب خارجة مثل ان يحب المدح او رجاء ثواب فثبت بهذا ان الاصل فى الانسان
البخل قوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات اى دلالات واضحات قال ابن عباس العصا واليد
البيضاء والعقدة التى كانت بلسانه فحلها وفلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقيل
عوض فلق البحر والبيضاء السنون ونقص من الثمرات وقيل الطمس والبحر بدل السنين والنقص وقيل كان
الرجل منهم مع اهله فى الفراش وقد صارا حجرين والمراة منهم تختبز قائمة وقد صارت حجرا وروى ان عمر بن عبد العزيز
سال محمد بن كعب القرظى عن الايات فذكر منها الطمس فقال لعمر هكذا يجب ان يكون الفقيه ثم قال
يا غلام اخرج ذلك الجراب فاخرج فاذا فيه بيض مكسور نصفين وجوز مكسور وثوم وحمص وعدس كلها

حجارة

حجارة وقيل التسع ايات هى ايات الكتاب وهى الاحكام يدل عليه ما روى عن صفوان بن عسال ان يهوديا
قال لصاحبه تعال حتى نسال هذا النبى فقال الاخر لا تقل نبى فانه لو سمع لصار له اربعة اعين فاتياه
فسالاه عن هذه الاية ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات فقال لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس
التى حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا تاكلوا الربا ولا تسحروا ولا تمشوا بالبرئ الى السلطان ليقتله ولا تسرقوا
ولا تقذفوا المحصنات ولا تفروا يوم الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعتدوا فى السبت فقبلا يديه
وقالا نشهد انك نبى قال فما منعكم ان تتبعونى قالوا ان داود دعا ربه ان لا يزال فى ذريته نبى
وانا نخاف ان اتبعناك ان تقتلنا اليهود فاسال يا محمد بنى اسرائيل يجوز الخطاب معهم والمراد غيره
ويجوز ان يكون خاطبه وامره بالسؤال ليتبين كذبهم مع قومهم اذ جاءهم يعنى جاء موسى الى فرعون بالرسالة
من عند الله عز وجل فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا قال ابن عباس مخدوعا وقيل مطبوبا
اى سحروك وقيل معناه ساحرا معطى علم السحر فهذه العجائب التى تفعلها من سحرك قال لقد علمت خطابا لفرعون
قال ابن عباس رضى الله عنهما علمه فرعون ولكنه عاند ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض يعنى الايات
التسعة بصائر اى بينات يبصر بها وانى لاظنك يا فرعون مثبورا قال ابن عباس ملعونا وقيل هالكا
وقيل مصروفا عن الخير فاراد ان يستفزهم من الارض معناه فاراد فرعون ان يخرج موسى وبنى اسرائيل
من ارض مصر فاغرقناه ومن معه جميعا اى اغرقنا فرعون وجنوده ونجينا موسى وقومه وقلنا من بعده
اى من بعد هلاك فرعون لبنى اسرائيل اسكنوا الارض يعنى ارض مصر والشام فاذا جاء وعد الاخرة يعنى القيامة
جئنا بكم لفيفا اى جميعا الى موقف القيامة واللفيف الجمع الكثير اذا كانوا مختلطين من كل نوع فيهم المومن
والكافر والبر والفاجر وقيل اراد بوعد الاخرة نزول عيسى من السماء قوله عز وجل وبالحق انزلناه وبالحق نزل
يعنى انا ما اردنا بانزال القران الا الحق المقتضى لانزاله وما انزل الا متلبسا بالحق لاشتماله على الهداية
الى كل خير وما ارسلناك الا مبشرا يعنى بالجنة للمطيعين ونذيرا اى مخوفا بالنار للعاصين قوله عز وجل
وقرانا فرقناه اى فصلناه وبيناه وقيل فرقنا به بين الحق والباطل وقيل معناه انزلناه نجوما لم
ينزل مرة واحدة بدليل قوله تعالى لتقراه على الناس على مكث اى على تودة وترسل فى ثلاث وعشرين سنة
ونزلناه تنزيلا اى بحسب الحوادث قل امنوا به او لا تومنوا فيه وعيد وتهديد ان الذين اوتوا العلم من قبله
قيل هم مومنوا اهل الكتاب الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اسلموا بعد
مبعثه مثل زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسى وابى ذر وغيرهم اذا يتلى عليهم يعنى القران يخرون
للاذقان قال ابن عباس اراد به الوجوه سجدا اى يسقطون على الوجوه سجدا ويقولون سبحان ربنا
اى تعظيما لربنا لا يجاوزه ما وعدنا فى الكتب المنزلة من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ان كان وعد ربنا لمفعولا
اى كائنا واقعا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا اى خضوعا لربهم وقيل يزيدهم القران لين قلب ورطوبة
عين والبكا مستحب عند قراءة القران عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار
رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع ولا اجتمع على عبد غبار فى سبيل الله ودخان جهنم اخرجه الترمذى
وزاد النسائى فى منخرى مسلم ابدا الولوج الدخول والمنخر الانف عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله اخرجه الترمذى
قوله عز وجل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن قال ابن عباس سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فجعل
يقول فى سجوده يا الله يا رحمن فقال ابو جهل ان محمدا ينهانا عن الهتنا وهو يدعو الهين فانزل الله هذه الاية

Copyright © King Saud University

ومعناه انهما اسمان لله تعالى فسموه بهذا الاسم او بهذا الاسم ايا ما تدعوا ما صلة ومعناه اى هذين الاسمين
شيتم او ذكرتم او من جميع اسمايه فله الاسماء الحسنى يعنى اذا حسنت اسماؤه كلها فهذان الاسمان منها ومعنى كونها
حسنى لانها مشتملة على معانى التقديس والتعظيم والتمجيد ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها عن ابن عباس
فى قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة وكان اذا صلى باصحابه
رفع صوته بالقران فاذا سمعه المشركون سبوا القران ومن انزله ومن جاء به فقال الله تبارك وتعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك اى بقراتك فيسمع المشركون فيسبوا القران ولا تخافت عن اصحابك فلا
تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا زاد فى رواية وابتغ بين ذلك سبيلا اسمعهم ولا تجهر حتى ياخذوا عنك القران
وقيل نزلت الاية فى الدعا وهو قول عايشة والنخعى ومجاهد ومكحول ق عن عايشة رضى الله عنها قالت قوله ولا تجهر
بصلاتك ولا تخافت بها نزلت فى الدعا وقيل كان اعراب بنى تميم اذا سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا
اللهم ارزقنا مالا وولدا ويجهرون بذلك فانزل الله ولا تجهر بصلاتك اى لا ترفع بصوتك فى قراتك ودعايك ولا
تخافت بها المخافتة خفض الصوت والسكوت وابتغ اى اطلب بين ذلك سبيلا اى طريقا وسطا بين الجهر والاخفا عن
ابى قتادة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر مررت بك وانت تقرا القران وانت تخفض من صوتك فقال انى اسمعت
من ناجيت فقال ارفع قليلا وقال لعمر مررت بك وانت تقرا وانت ترفع صوتك فقال انى اوقظ الوسنان واطرد
الشيطان فقال اخفض قليلا اخرجه الترمذى وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يحمده
على وحدانيته فان من له ولد يمسك على جميع النعم لولده وان لم يكن له ولد امسك نعمه على عبيده وقيل ان الولد يقوم
مقام والده بعد انقضايه والله تعالى يتعالى عن جميع النقايص فهو المستحق لجميع المحامد ولم يكن له شريك فى الملك
والسبب فى اعتبار هذه الصفة انه لو كان له شريك لم يكن مستحقا للحمد والشكر وكذلك قوله تعالى ولم يكن له ولى من
الذل ومعناه انه لم يذل فيحتاج الى ناصر ينصره وكبره تكبيرا اى عظمه عن ان يكون له ولدا وشريك او ولى او نصير
وقيل اذا كان منزها عن الشريك والولد والولى كان مستوجبا لجميع انواع المحامد عن ابن عباس رضى الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله فى السرا والضرا
عن عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده عن جابر بن عبد
الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان افضل الدعا الحمد لله وافضل الذكر لا اله الا الله اخرجه الترمذى
وقال حديث حسن غريب عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الكلام الى الله
اربع لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بايهن بدات اخرجه مسلم

تفسير سورة الكهف

مكية واياتها مايه واحدى عشر بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل الحمد لله الذى انزل على عبده اثنى الله على نفسه بانعامه على خلقه وعلم عباده كيف يثنون
عليه ويحمدونه على اجزل نعمايه عليهم وهى الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب
الذى هو سبب نجاتهم وفوزهم وخص رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكر لان انزال القران كان نعمة عليه
على الخصوص وعلى ساير الناس على العموم الكتاب ولم يجعل له عوجا اى لم يجعل له شيا من العوج قط والعوج فى المعانى
كالعوج فى الاعيان والمراد نفى الاختلاف والتناقض عن معانيه وقيل معناه لم يجعله مخلوقا روى عن ابن عباس
فى قوله قرانا عربيا غير ذى عوج قال غير مخلوق قيما اى مستقيما وقال ابن عباس رضى الله عنهما قرانا عربيا
قيما اى عدلا وقيل قيما فى الكتب كلها ومصدقا لها وناسخا لشرايعها لينذر باسا شديدا معناه لينذر الذين
كفروا باسا عذابا وهو قوله بعذاب بيس من لدنه اى من عنده ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا

روى ان ابا بكر رضى الله عنه كان يخفت ويقول
اناجى ربى وقد علم حاجتى
وعمر رضى الله تعالى عنه كان
يجهر ويقول اطرد الشيطان
واوقظ الوسنان فلما
نزلت امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع
قليلا وعمر ان يخفض قليلا
ق صح

حسنا

حسنا ماكثين فيه ابدا يعنى فى الجنة اى مقيمين فيه وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم اى بالولد او باتخاذه
يعنى ان قولهم لم يصدر عن علم بل عن جهل مفرط **فان قلت** اتخاذ الله ولدا فى نفسه محال فكيف
قيل ما لهم به من علم **قلت** لا يستقيم تعلق العلم به انتفا العلم قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه
وقد يكون للجهل فى نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم **قلت** لا يستقيم تعلق العلم به ولا
لابايهم اى ولا لاسلافهم من قبل كبرت اى عظمت كلمة تخرج من افواههم اى هذا الذى يقولونه لا تحكم به
عقولهم وفكرهم البتة لكونه فى غاية الفساد والبطلان فكانه يجرى على لسانهم على سبيل التقليد ان يقولون
الا كذبا اى ما يقولون الا كذبا قيل حقيقة الكذب انه الخبر الذى لا يطابق عليه المخبر عنه وزاد بعضهم مع علم
قايله انه غير مطابق وهذا القيل باطل لان الله وصف قولهم باثبات الولد بكونه كذبا مع ان الكثير منهم يقولون
ذلك ولا يعلمون كونه باطلا فعلمنا ان كل خبر لا يطابق المخبر عنه فهو كذب والكذب خلاف الصدق وقيل هو
الانصراف عن الحق الى الباطل ورجل كذاب وكذوب اذا اكثر الكذب قوله تعالى فلعلك باخع نفسك اى قاتل
نفسك على اثارهم اى من بعدهم ان لم يومنوا بهذا الحديث يعنى القران اسفا اى حزنا وقيل غيظا انا جعلنا
ما على الارض زينة لها اى مما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها وقيل
يعنى النبات والشجر والانهار وقيل اراد به الرجال خاصة فهم زينة الارض وقيل اراد به العلما والصلحا
وقيل جميع ما فى الارض هو زينة لها **فان قلت** اى زينة فى العقاب
قلت وزينتها انها تدل على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وعلى ان جميع ما فى الارض
ثلاثة معدن ونبات وحيوان واشرف انواع الحيوان الانسان قيل الاولى ان لا يدخل فى هذه الزينة المكلف
بدليل قوله تعالى لنبلوهم فمن يبلوه يجب ان لا يدخل فيه ومعنى نبلوهم نختبرهم ايهم احسن عملا اى اصلح
عملا وقيل ايهم اترك للدنيا وازهد فيها وانا لجاعلون ما عليها اى من الزينة صعيدا جرزا يعنى مثل ارض
لا نبات فيها بعد ان كانت خضرا معشبة والصعيد وجه الارض وقيل هو التراب والجرز الاملس اليابس
الذى لا ينبت فيه شى قوله تعالى ام حسبت اى ظننت يا محمد ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا
اى هم عجب من اياتنا وقيل معناه انهم ليسوا باعجب اياتنا فان ما خلقت من السموات والارض وما فيهن من
العجايب اعجب منهم والكهف الغار الواسع والرقيم هو لوح كتب فيه اسما اهل الكهف وقصتهم ثم وضعوه
على باب الكهف وكان اللوح من الرصاص وقيل من حجارة وعن ابن عباس ان الرقيم اسم الوادى الذى فيه
اصحاب الكهف قال كعب الاحبار هو اسم للقرية التى خرج منها اصحاب الكهف وقيل اسم للكهف والجبل
الذى فيه اصحاب الكهف ثم ذكر قصة اصحاب الكهف فقال عز من قايل اذ اوى الفتية الى الكهف اى صاروا
اليه وجعلوه ماواهم والفتية جمع فتى وهو الطرى من الشبان فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة اى رحمة
من خزاين رحمتك وجلايل فضلك واحسانك وهب لنا الهداية والامن والنصر على الاعدا وهيى لنا
اى اصلح لنا من امرنا رشدا اى حتى نكون بسببه راشدين مهتدين وقيل معناه واجعل لنا امرنا رشدا

ذكر قصة اصحاب الكهف

كله قال محمد بن اسحاق بن يسار وسبب خروجهم اليه
لما مرج اهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم
بقايا على دين المسيح متمسكين بعبادة الله تعالى وتوحيده وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من
الروم يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل قرى الروم
فلا يترك فى قرية نزلها احدا الا فتنه عن دينه حتى يعبد الاصنام او يقتله فلما نزل مدينة اصحاب

Copyright © King Saud University

الكهف واسمها افسوس مستخفيا عنه اهل الايمان وهربوا في كل وجه فاتخذ شرطا من الكفار وامرهم
ان يتبعوهم فجعل اوليك الشرط يتبعون اهل الايمان في اماكنهم ويخرجونهم الى دقيانوس فيخيرهم
بين القتل وبين عبادة الاصنام فمنهم من يرغب في الحياة ومنهم من يابى ان يعبد غير الله فيقتل فلما
راى ذلك اهل الشدة في الايمان جعلوا يسلمون انفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطعون
ويجعل ما قطع من اجسادهم على اسوار المدينة وابوابها فلما عظمت الفتنة وكثرت وراوا ذلك
الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا واشتغلوا بالصيام والصلاة والصدقة والتسبيح والدعا وكانوا
من اشراف الروم وهم ثمانية نفر وبكوا وتضرعوا الى الله عز وجل وجعلوا يقولون ربنا رب السموات
والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا اكشف عن عبادك المومنين هذه الفتنة
وارفع عنهم البلا حتى يعلنوا عبادتك فبينما هم على ذلك وقد دخلوا مصلاهم ادركهم الشرط فوجدوهم
سجودا يبكون ويتضرعون الى الله عز وجل فقال لهم الشرط ما خلفكم عن امر الملك ثم انطلقوا الى
الملك فاخبروه خبر الفتية فبعث اليهم فاتى بهم تفيض اعينهم من الدمع معفرة وجوههم بالتراب
فقال لهم ما منعكم ان تشهدوا الذبح لالهتنا التي تعبد في الارض وتجعلوا انفسكم اسوة اهل مدينتكم
اختاروا اما ان تذبحوا لالهتنا واما ان اقتلكم فقال مكسلمينا وهو اكبرهم ان لنا الها ملء السموات
والارض عظمته لن ندعو من دونه الها ابدا له الحمد والتكبير من انفسنا خالصا فاصنع بنا ما بدا لك
وقال اصحابه مثل ذلك فلما سمع الملك كلامهم امر بنزع ثيابهم وحلية كانت عليهم من الذهب والفضة
وقال سافرغ لكم وانجز لكم ما اعد لكم من العقوبة وما يمنعني ان اعجل ذلك لكم الا اني اراكم شبابا حديثة
اسنانكم فما احببت ان اهلككم حتى اجعل لكم اجلا تذكرون فيه وترجعون الى عقولكم ثم امر بهم فاخرجوا
من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة اخرى قريبة منهم لبعض اموره فلما راى الفتية خروجه بادروا
اذا قدم ان يذكرهم فاشتوروا بينهم واتفقوا على ان ياخذ كل واحد منهم نفقة من بيت ابيه فيتصدقوا
منها ويتزودوا بما بقي منها ثم انطلقوا الى كهف قريب من المدينة يقال له بنجلوس فيمكثون فيه
ويعبدون الله حتى اذا جا دقيانوس اتوه ليصنع بهم ما يشا فلما اتفقوا على ذلك عمد كل فتى منهم
الى بيت ابيه فاخذ نفقته فتصدق منها وانطلقوا بما بقي معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى اتوا ذلك الكهف
فلبثوا فيه وقال كعب الاحبار مروا بكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون
مني لا تخشوا مني انا احب احبا الله عز وجل فناموا حتى احرسكم وقال ابن عباس هربوا من دقيانوس وكانوا
سبعة فمروا براعي فتبعهم على دينهم وتبعهم الكلب فخرجوا من البلد الى الكهف قال ابن اسحاق فلبثوا فيه ليس
لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد ابتغا لوجه الله تعالى وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم اسمه تمليخا
فكان يبتاع لهم ارزاقهم من المدينة سرا وكان من اجملهم واجلدهم وكان اذا دخل المدينة لبس ثيابا رثة
كثياب المساكين ثم ياخذ ورقه وينطلق الى المدينة فيشتري لهم طعاما وشرابا ويتجسس لهم الخبر
هل ذكر هو واصحابه بشي ثم يرجع الى اصحابه فلبثوا بذلك ما شا الله ان يلبثوا ثم قدم دقيانوس
المدينة وامر عظما اهلها ان يذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك وكان تمليخا بالمدينة يشتري لاصحابه
طعامهم فرجع الى اصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل فاخبرهم ان الجبار قد دخل المدينة وانهم قد
ذكروا والتمسوا مع عظما المدينة ففزعوا ووقعوا سجودا يدعون الله ويتضرعون اليه ويتعوذون من
الفتنة فقال لهم تمليخا يا اخوتاه ارفعوا رووسكم وتوكلوا على ربكم ففزعوا رووسهم واعينهم تفيض من

حزنا

الدمع

الدمع وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون فبينما هم على ذلك اذ ضرب الله على اذانهم في الكهف
وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف فاصابه ما اصابهم وهم مومنون موقنون ونفقتهم عند رووسهم
فلما كان من الغد تفقدهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض عظما المدينة لقد ساءني شان
هولاء الفتية الذين ذهبوا لقد ظنوا ان بي غضبا عليهم لجهلهم ما جهلوا من امري ما كنت لاحمل عليهم
انهم تابوا وعبدوا الهتي فقال له عظما المدينة ما كنت بحقيق ان ترحم قوما فجرة مردة عصاة قد
كنت اجلت ولو شا لرجعوا في ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديدا
ثم ارسل الى ابائهم فاتوا بهم فقال اخبروني عن ابنائكم المردة الذين عصوني فقالوا اما نحن فلا نعصيك
فلم تقتلنا بقوم مردة انهم ذهبوا باموالنا فاهلكوها في اسواق المدينة ثم انطلقوا الى جبل يدعى بنجلوس
فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل ما يدري ما يفعل بالفتية فالقى الله عز وجل في نفسه ان يامر بسد باب
الكهف عليهم واراد الله عز وجل ان يكرمهم بذلك ويجعلهم اية لامة تستخلف من بعدهم وان يبين لهم ان
الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور فامر دقيانوس بالكهف فسد عليهم فقال دعوهم
كما هم في كهفهم يموتون جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن انهم ايقاظ يعلمون
ما يصنع بهم وقد توفى الله عز وجل ارواحهم وفاة نوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه ما
غشيهم يقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين مومنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان
ايمانهما اسم احدهما بيدروس واسم الاخر روناس اهتما ان يكتبا شان هذه الفتية وانسابهم واسماءهم
واخبارهم في لوحين من رصاص ويجعلاهما في تابوت من نحاس ويجعلا التابوت في البنيان وقالا لعل
الله ان يظهر على هولاء الفتية قوما مومنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرا
الكتاب ففعلا ذلك وبنيا عليه وبقي دقيانوس ما بقي ثم مات هو وقومه وقرون بعده كثيرة وخلفت
الملوك بعد الملوك وقال عبيد بن عمير كان اصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين ذوي ذوايب
فخرجوا في عيد لهم عظيم في زي وموكب واخرجوا معهم اصنامهم التي كانوا يعبدونها وكان معهم كلب صيد لهم وكان
اخذهم وزير الملك فقذف الله الايمان في قلوبهم فامنوا واخفى كل واحد ايمانه وقال في نفسه اخرج من بين
اظهر هولاء القوم لا يصيبني عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج اخر فراه
جالسا وحده فرجا ان يكون على مثل امره وجلس اليه من غير ان يظهره على امره ثم خرج اخر فخرجوا جميعا فا
جتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم ايمانه من صاحبه مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج
كل فتيين فيخلوا ويفشي كل واحد امره الى صاحبه ففعلوا ذلك فاذا هم جميعا على الايمان واذا الكهف في جبل
قريبا منهم فقال بعضهم لبعض فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيد
فناموا ثلاث ماية سنين وازدادوا تسعا وفقدهم قومهم فطلبوهم فعمى الله عليهم اثارهم وكهفهم
فكتبوا اسماءهم في لوح فلان وفلان ابنا ملوكنا فقدناهم في شهر كذا وسنة كذا في مملكة فلان بن فلان
الملك ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا ليكونن لهولاء شان ومات ذلك الملك وجا قرن بعد قرن
قال محمد بن اسحاق ثم ملك تلك البلاد رجل صالح يقال له تندروس فلما ملك بقي في ملكه ثمانيا وستين
سنة فتحزب الناس في ملكه فكانوا احزابا منهم من يومن بالله ويعلم ان الساعة حق ومنهم من يكذب بها
فكبر ذلك على الملك الصالح وتضرع الى الله تعالى وحزن حزنا شديدا لما راى اهل الباطل يزيد وينقص على اهل الحق
ويقولون لا حياة الا حياة الدنيا وانما تبعث الارواح دون الاجساد وجعل تندروس الملك يرسل الى

Copyright © King Saud University

من يظن فيه خيرا وانهم يميزون الخلق فلم يتبلوا منه وجعلوا يكذبون بالرسالة حتى كادوا يخرجون الناس عن الحق
ورملة الحواريين فلما راى ذلك الملك الصالح دخل بيته واغلق بابه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا
فجلس عليه فدأب ليله ونهاره يتضرع الى الله تعالى ويبكي ويقول رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم
اية تبين لهم ان الله الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة عباده اراد ان يظهر على الفتية اصحاب الكهف ويبين
للناس شانهم ويجعلهم اية وحجة عليهم ليعلموا ان الساعة اتية لا ريب فيها ويستجيب لعبده الصالح
تندوس ويتم نعمته عليه ويجمع من كان تبدد من المومنين فالقى الله تعالى في نفس رجل من اهل
ذلك البلد الذي كان فيه الكهف وكان اسمه اولياس ان يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف
ويبني به حضيرة لغنمه فاستاجر غلامين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحضيرة
حتى نزعا ما كان على باب الكهف اذن الله تعالى ذو القدرة والسلطان محيي الموتى للفتية ان يجلسوا
بين ظهري الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة انفسهم فسلم بعضهم على بعض كانما استيقظوا
من ساعتهم الذي كانوا يستيقظون منها اذا اصبحوا من ليلتهم ثم قاموا الى الصلاة فصلوا كما كانوا يفعلون
لا يرى في وجوههم ولا الوانهم شيء يكرهونه ولكنهم كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون ان دقيانوس
في طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقتهم انبانا ما قال الناس في شاننا عشية
امس عند هذا الجبار وانهم يظنون انهم قد رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل اليهم انهم قد
ناموا اطول مما كانوا ينامون حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم نياما قالوا لبثنا يوما او بعض
يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكل ذلك في انفسهم يسير فقال لهم تمليخا قد التمستم في المدينة وهو يريد ان يوتي
بكم اليوم فتذبحوا للطواغيت او يقتلكم فما شاء الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكسلمينا يا اخوتنا اعلموا انكم
ملاقوا الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذا دعاكم عدو الله ثم قال لتمليخا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال لنا بها
وما الذي يذكر عند دقيانوس وتلطف ولا يشعرن بك احد وابتغ لنا طعاما فاتنا به وزدنا على الطعام
الذي جئتنا به فقد اصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه واخذ الثياب التي كان يتنكر
فيها واخذ ورقا من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربع فانطلق
تمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف وجد الحجارة منزوعة التي كانت بباب الكهف فتعجب منها ثم مر ولم يبال
بها حتى اتى المدينة رفع بصره فراى فوق ظهر الباب علامة كانت لاهل الايمان اذا كان امر الايمان ظاهرا
فيها فلما راها عجب وجعل ينظر اليها مستخفيا ينظر يمينا وشمالا ثم ترك ذلك الباب ومضى الى باب
اخر فراى مثل ذلك فخيل اليه ان المدينة ليست بالتي كانت تعرف وراى اشخاصا اناسا محدثين لم
يكن راهم قبل ذلك فجعل يمشي ويتعجب ويخيل اليه انه حيران ثم رجع الى الباب الذي اتى منه
فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول يا ليت شعري ما هذا اما عشية امس كانوا المسلمون
يخفون هذه العلامة في هذه المدينة ويستخفون بها واليوم ظاهرة لعلي نائم ويرى انه
ليس بنائم فاخذ كساءه فجعل على راسه ثم دخل المدينة وجعل يمشي في اسواقها فسمع اناسا
يحلفون بعيسى بن مريم فزاده ذلك تعجبا وراى انه حيران فقام مسندا الى جدار من جدر
المدينة ويقول في نفسه والله ما ادري ما هذا اما عشية امس فليس على الارض من
يذكر عيسى بن مريم الا قتل واما اليوم فاسمع كل انسان يذكر عيسى بن مريم ثم قال في نفسه
لعل هذه ليست بالمدينة التي اعرف والله لا اعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالحيران ثم

لقي

لقي فتى فقال ما اسم هذه المدينة يا فتى قال افسوس فقال في نفسه لعل بي مسا او امر ذهب عقلي والله يحق
لي ان اسرع الخروج قبل ان يصيبني فيها شر فاهلك فدنا الى الذين يبيعون الطعام فاخرج لهم الورق
التي كانت معه فاعطاهم رجل منهم وقال لبعض بهذا الورق طعاما فاخذها الرجل ونظر الى ضرب
الورق ونقشها فعجب منها فناولها رجلا اخر من اصحابه فنظر ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل
الى رجل ويتعجبون منها ويتشاورون بينهم ثم يقول بعضهم لبعض ان هذا اصاب كنزا منذ زمان
طويل ثم لهم تمليخا يتحدثون بخبره فتفرق فرقا شديدا وخاف وجعل يرعد ويظن انهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم
يريدون ان يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس وجعل ناس ياتونه ويتعرفونه فقال لهم وهو شديد الخوف منهم افضلوا
علي فقد اخذتم ورقي فامسكوها واما طعامكم فلا حاجة لي بها فقالوا له من انت يا فتى وما شانك والله
لقد وجدت كنزا من كنوز الاولين وانت تريد ان تخفيه منا انطلق معنا وارنا وشاركنا فيه نخفي عليك
ما وجدت وانك ان لم تفعل نجلك الى السلطان ونسلمك اليه فيقتلك فلما سمع قولهم قال والله لقد وقعت
في كل شيء كنت احذر منه فقالوا له يا فتى انك والله لا تستطيع ان تكتم ما وجدت وجعل تمليخا ما يدري ما يقول
لهم وخاف ولم يجر على لسانه اليهم شيئا فلما راوه لا يتكلم اخذوا كساءه وطرحوه في عنقه وجعلوا يسحبونه في سكك
المدينة حتى سمع به من فيها وقيل قد اخذ رجل معه كنز واجتمع اليه اهل المدينة وجعلوا ينظرون اليه ويقولون
والله ما هذا الفتى من اهل هذه المدينة وما رايناه فيها قط وما نعرفه وجعل تمليخا لا يدري ما يقول لهم
وكان مستيقنا ان اباه واخوته بالمدينة وانه من عظماء اهلها وانهم سياتونه اذا سمعوا به فبينما هو قائم
كالحيران ينتظر متى ياتيه بعض اهله فيخلصه من ايديهم اذ اختطفوه وانطلقوا به الى رؤساء المدينة ومدبريها
الذين يدبرون امرها وهما رجلان صالحان اسم احدهما اريوس والاخر اسطيوس فلما انطلقوا به اليهما ظن تمليخا
انه انما ينطلق به الى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت يمينا وشمالا وهو يبكي والناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون
ثم رفع راسه الى السماء وقال اللهم اله السماء واله الارض افرغ علي اليوم صبرا واولج معي روحا منك تؤيدني بها عند
هذا الجبار وجعل يقول في نفسه فرقوا بيني وبين اخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت ويا ليتهم ياتوني فنقوم جميعا
بين يدي هذا الجبار وانا كنا تعاهدنا على الايمان بالله ولا نشرك به شيئا ولا نفترق في حياة ولا موت فلما انتهى
الى الرجلين الصالحين اريوس واسطيوس وراى انهم لم يذهبوا به الى دقيانوس افاق وسكن عنه البكاء واخذ اريوس
واسطيوس الورق ونظرا اليها وعجبا منها وقالا اين الكنز الذي وجدت يا فتى فقال تمليخا ما وجدت كنزا ولكن
هذا ورق ابائي ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما ادري ما شاني وما اقول لكم فقال له احدهما ممن انت فقال
لهم تمليخا اما انا فكنت ارى اني من اهل هذه المدينة فقيل له من ابوك ومن يعرفك بها فاخبرهم باسم ابيه فلم يوجد من
يعرفه ولا اباه فقال له احدهما انت رجل كذاب لا تنبينا بالحق فلم يدر تمليخا ما يقول غير انه نكس بصره الى الارض
فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون ولكنه رجل احمق يحمق نفسه عمدا لكي ينفلت منكم فقال له احدهما ونظر اليه
نظرا شديدا اتظن انا نرسلك ونصدقك بان هذا المال ابيك ونقش هذه المدينة وضربها وله اكثر من ثلاثماية سنة
وانت غلام شاب اتظن انك تافكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ شمط وحولك سراة هذه المدينة وولاة امرها وخزائن
هذه المدينة بايدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار واني لاظنني ساامر بك فتعذب عذابا شديدا
ثم اوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدته فقال لهم تمليخا اخبروني عما اسالكم عنه فان انتم فعلتم صدقتكم
عما عندي فقالوا سل ما بدا لك فقال لهم ما فعل بالملك دقيانوس فقالوا لا نعرف على وجه الارض ملكا اسمه
دقيانوس ولم يكن الا ملك هلك في الزمن الاول وله زمن طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال تمليخا اني اذا لحيران

Copyright © King Saud University

وما هو ببعيد وان احد من الناس يسمعنا اقول لقد كنا فتية وان الملك اكرهنا على عبادة الاصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه
عشية امس فاتينا الكهف الذى بجبل بنجلوس فبتنا فيه فلما انتبهنا خرجت لاشترى طعاما لاصحابى واتجسس الاخبار فانا معكم كما
ترون فانطلقوا معى الى الكهف اريكم اصحابى قال فلما سمع اريوس قول تمليخا قال يا قوم لعل هذه اية من ايات الله تعالى جعلها
الله لكم على يدى هذا الفتى فانطلقوا بنا معه حتى يرينا اصحابه فانطلق اريوس واسطيوس ومعهما جميع اهل المدينة
كبيرهم وصغيرهم نحو اصحاب الكهف ينظروا اليهم فلما راى الفتية اصحاب الكهف ان تمليخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم
عن القدر الذى ياتى فيه ظنوا انه قد اخذ وذهب به الى ملكهم دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه اذ سمعوا
الاصوات وجلبة الخيل مصعدة فظنوا انهم رسل الجبار دقيانوس بعث بها اليهم ليوتى بهم فقاموا الى الصلاة وسلم بعضهم
على بعض واوصى بعضهم بعضا وقالوا انطلقوا بنا نات اخانا تمليخا فانه الان بين يدى الجبار وهو ينتظر متى ناتيه
فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس على هذه الحالة واذا هم باريوس واصحابه وقوفا على باب الكهف فسبقهم تمليخا ودخل
وهو يبكى فلما راوه يبكى بكوا معه ثم سالوه عن خبره فقص عليهم الخبر فعرفوا انهم كانوا نياما بامر الله ذلك الزمن الطويل وانما اوقظوا
ليكونوا اية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا ان الساعة اتية لا ريب فيها ثم دخل على اثر تمليخا اريوس فراى تابوتا من
نحاس مختوما بخاتم فضة فوقف على الباب ودعا جماعة من عظماء المدينة وامر بفتح التابوت بحضرتهم فوجدوا فيه
لوحين من رصاص مكتوب فيه مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وكسطونس وبيرونس ودبيونس وبطونس وقالوس
كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة ان يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما اخبر بمكانهم امر بالكهف
فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا شانهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم ان عثر بهم فلما قراوه عجبوا وحمدوا الله الذى اراهم
اية تدل على البعث ثم رفعوا اصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم
لم تبل ثيابهم فخر اريوس واصحابه سجودا وحمدوا الله الذى اراهم اية من اياته ثم كلم بعضهم بعضا واخبرهم الفتية عن
الذى لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان اريوس واصحابه بعثوا الى ملكهم الصالح بندروس ان عجل لعلك تنظر الى اية من
ايات الله جعلها الله على ملكك وللناس اية ولتكون لهم نورا وضيا وتصديقا بالبعث وذلك ان فتية بعثهم
الله وكان قد توفاهم منذ ثلثمائة سنة واكثر فلما اتى الخبر الملك رجع عقله اليه وذهب همه وقال احمدك اللهم رب
السموات والارض واعبدك واسبح لك تطولت على ورحمتنى ولم تطفئ النور الذى جعلته لابائى وللعبد
الصالح قسطنطينوس الملك ثم اخبر به اهل المدينة فركب وركبوا معه حتى اتوا مدينة افسوس فتلقاهم
اهلها وساروا معه نحو الكهف فلما صعدوا الجبل وراى الفتية بندروس فرح بهم وخر ساجدا على وجهه وقام
بندروس الملك قدامهم واعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله تعالى ويحمدونه ثم قال
الفتية لبندروس الملك نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وحفظ ملكك
ونعيذك بالله من شر الانس والجن فبينما الملك قايم اذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله انفسهم فقام
الملك اليهم وجعل ثيابهم عليهم وامر ان يجعل كل رجل منهم فى تابوت من ذهب فلما امسى ونام اتوه فى منامه
وقالوا انا لم نخلق من ذهب ولا من فضة ولكنا خلقنا من تراب والى التراب نصير فاتركنا كما كنا فى الكهف
على التراب حتى يبعثنا الله تعالى فامر الملك عند ذلك بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبهم الله حين خرجوا
من عندهم بالرعب فلم يقدر احد ان يدخل عليهم وامر الملك ان يتخذ على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم
عيدا عظيما وامر ان يوتى فى كل سنة وقيل ان تمليخا حمل الى الملك الصالح فقال له الملك من انت قال انا رجل
من اهل هذه المدينة وذكر انه خرج امس او منذ ايام وذكر منزله واقواما لم يعرفهم وكان الملك قد سمع ان فتية
قد فقدوا فى الزمان الاول وان اسماءهم مكتوبة على لوح فى خزانته فدعا باللوح ونظر فى اسمائهم فاذا اسمه

مكتوب

مكتوب وذكر اسماء الاخرين فقال تمليخا هم اصحابى فلما سمع الملك ذلك ركب ومن معه من القوم فلما اتوا باب الكهف
قال تمليخا دعونى حتى ادخل على اصحابى وابشرهم فانهم ان راوكم يعنى رعبتموهم فلما دخل تمليخا وبشرهم قبض الله
روحه وارواحهم واعمى على الملك واصحابه اثره فلم يهتدوا اليهم فذلك قوله عز وجل اذ اوى الفتية الى الكهف
اى صاروا الى الكهف واسمه جيرم فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة اى هداية فى الدين وهيئ لنا اى يسر لنا من
امرنا رشدا وقال ابن عباس رضى الله عنهما اى مخرجا من الغار فى سلامة قوله تعالى فضربنا على اذانهم اى
القينا عليهم النوم وقيل معناه منعنا نفوذ الاصوات الى مسامعهم فان النايم اذا سمع الصوت ينتبه
فى الكهف سنين عددا اى اعوام سنين كثيرة فان العدد يدل على الكثرة ثم بعثناهم اى من نومهم لنعلم
اى علم المشاهدة وذلك ان الله عز وجل لم يزل عالما وانما اراد ما تتعلق بالعلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا
واعتبارا اى الحزبين اى الطايفتين احصى لما لبثوا امدا اى يعنى احفظ لما مكثوا نياما فى كهفهم وذلك ان اهل
المدينة تنازعوا فى مدة لبثهم فى الكهف قوله تعالى نحن نقص عليك نباهم بالحق اى بالصدق نقص عليك خبر اصحاب
الكهف انهم فتية اى شبان امنوا بربهم وزدناهم هدى ايمانا وبصيرة وربطنا على قلوبهم اى شددنا على
قلوبهم بالصبر والتثبيت وقويناهم بنور الايمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا عليه
من خفض العيش وفروا بدينهم الى الكهف فقالوا اى الفتية ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه
الها اى قالوا ذلك لان قومهم كانوا يعبدون الاصنام لقد قلنا اذا شططا قال ابن عباس رضى الله عنهما جورا يعنى
وقيل كذبا يعنى ان دعونا غير الله هولاء قومنا يعنى اهل بلدهم اتخذوا من دونه الهة اى من دون الله اصناما يعنى
اصناما يعبدونها لولا اى هلا ياتون عليهم اى على عبادة الاصنام بسلطان بين اى حجة واضحة وفيه تبكيت
لان الاتيان بحجة على عبادة الاصنام محال فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اى وزعم ان له شريكا او ولدا ثم
قال بعضهم لبعض واذ اعتزلتموهم يعنى قومكم وما يعبدون الا الله وذلك انهم كانوا يعبدون الله ويعبدون
معه الاصنام والمعنى واذا اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون الا الله فانكم لم تعتزلوا عبادته فاووا الى الكهف
اى الجؤوا اليه ينشر لكم اى يبسط لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم اى يسهل لكم من امركم مرفقا اى ما يعود اليه
ويرفقكم قوله عز وجل وترى الشمس اذا طلعت تزاور اى تميل وتعدل عن كهفهم ذات اليمين اى جانب
اليمين واذا غربت تقرضهم اى تتركهم وتعدل عنهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه اى متسع من الكهف ذلك
من ايات الله اى من عجايب صنعه ودلالات قدرته وذلك ان ما كان فى ذلك السمت تصيبه الشمس
ولا تصيبهم اختصاصا منا لهم بالكرامة وقيل ان باب الكهف شمالى مستقبل لبنات نعش فهم فى مقارة الظل
لا تقع الشمس عليهم ابدا لا عند الطلوع ولا عند الغروب ولا عند الاستواء فتوذيهم بحرها ولكن اختار لهم الله
مضجعا فى متسع ينالهم فيه برد الريح ونسيمها وترفع عنهم كرب الغار وغمه وعلى هذا القول يكون فى معنى
ذلك من ايات الله اى ان شانهم وحديثهم من ايات الله من يهد الله فهو المهتدى يعنى مثل اصحاب الكهف
وفيه ثنا عليهم ومن يضلل اى ومن يضلله الله لم يرشده فلن تجد له وليا مرشدا قوله تعالى وتحسبهم
خطاب لكل احد ايقاظا اى منتبهين لان اعينهم منفتحة وهم رقود اى نيام ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال
قال ابن عباس كانوا يتقلبون فى السنة مرة من جانب الى جانب لئلا تاكل الارض لحومهم وقيل كانوا يتقلبون فى
يوم عاشوراء وقيل كان لهم فى السنة تقلبتان وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قال ابن عباس رضى الله عنهما
كان كلبا انمر وعنه انه فوق القلطى ودون الكردى والقلطى كلب صينى وقيل كان اصفر وقيل كان شديد
الصفرة يضرب الى الحمرة وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل ليس فى الجنة دواب غير كلب

اى معينا

Copyright © King Saud University

اصحاب الكهف وعما يلهم بالوصيد يعنى فنا الكهف وقيل عتبة الباب وكان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل
وجهه عليهما وقيل كان يتقلب مع اصحابه اذا انقلبوا ذات اليمين كسر الكلب اذنه اليمنى ورقد عليها
واذا انقلبوا ذات الشمال كسر اذنه اليسرى ورقد عليها لو اطلعت عليهم يا محمد لوليت منهم فرارا وذلك
لما البسهم الله من الهيبة حتى لا يصل اليهم احد حتى يبلغ الكتاب اجله فيوقظهم الله من رقدتهم ولملئت منهم
رعبا اى خوفا من وحشة المكان وقيل لان اعينهم منفتحة كالمستيقظ الذى يريد ان يتكلم وهو
نايم وقيل لكثرة شعورهم وطول اظفارهم ولتقلبهم من غير حس ولا اشعار وقيل ان الله منعهم بالرعب لئلا
يراهم احد قال ابن عباس غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذى فيه اصحاب الكهف فقال معاوية لو
كشف لنا عن هولا لنظرنا اليهم فقال ابن عباس قد منع الله من هو خير منك فقيل له لو اطلعت عليهم لوليت
منهم فرارا فبعث معاوية ناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فاخرجتهم قوله
عز وجل وكذلك بعثناهم اى كما انمناهم من النومة التى تشبه الموت ليتساءلوا بينهم اى ليسال بعضهم
بعضا قال قائل منهم وهو رئيسهم وكبيرهم مكسلمينا كم لبثتم يعنى اى فى نومكم وذلك انهم استكثروا
طول نومهم وقيل انه راعهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا ذلك قالوا لبثنا يوما ثم نظروا فوجدوا الشمس قد بقى
منها بقية فقالوا او بعض يوم فنظروا الى طول شعورهم واظفارهم علموا انهم لبثوا اكثر من يوم قالوا ربكم اعلم
بما لبثتم يعنى وقيل ان مكسلمينا لما سمع الاختلاف بينهم قال دعوا الاختلاف ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا
احدكم يعنى تمليخا بورقكم يعنى الفضة كانت مضروبة او غير مضروبة هذه الى المدينة قيل هى طرسوس وكان
اسمها فى الزمن الاول وقبل الاسلام افسوس فلينظر ايها ازكى طعاما اى احل طعاما وقيل امروه ان يطلب ذبيحة
مومن ولا يكون من ذبح من يذبح لغير الله تعالى وكان فيهم مومنون يخفون ايمانهم وقيل اجود طعاما واطيبه
وقيل اكثر طعاما وارخصه فلياتكم برزق منه اى قوت وطعام تاكلونه وليتلطف اى وليترفق فى الطريق
وفى المدينة وليكن فى ستر وكتمان ولا يشعرن اى ولا يعلمن بكم احدا اى من الناس انهم ان يظهروا عليكم اى
يعلموا مكانكم يرجموكم على معناه يشتموكم ويوذوكم بالقول وقيل يقتلوكم وقيل كان من عادتهم القتل بالحجارة
وهو اخبث القتل وقيل يضربوكم او يعيدوكم فى ملتهم اى بالكفر ولن تفلحوا اذا ابدا اى ان عدتم اليه
قوله عز وجل وكذلك اعثرنا عليهم اى اطلعنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق يعنى قوم بيدروس الذى
انكروا البعث وان الساعة لا ريب فيها اى لا شك فيها انها آتية اذ يتنازعون بينهم امرهم قال ابن عباس رضى الله عنهما
فى البنيان فقال المسلمون نبنى عليهم مسجدا يصلى فيه الناس لانهم على ديننا وقال المشركون نبنى عليهم بنيانا
لانهم من اهل ديننا وقيل كان تنازعهم فى البعث فقال المسلمون تبعث الاجساد والارواح وقال قوم تبعث
الارواح فاراهم الله تعالى آية وان البعث للاجساد والارواح وقيل يتنازعون فى مدة لبثهم وقيل فى عددهم
فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم يعنى بيدروس واصحابه لنتخذن عليهم مسجدا قوله تعالى
سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم روى ان السيد والعاقب واصحابهما من نصارى نجران كانوا عند النبى صلى
الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف عندهم فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون
وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون وقال المسلمون كانوا سبعة
وثامنهم كلبهم فحقق الله تعالى قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل
عليه السلام بعد ما حكى قول النصارى اولا ثم اتبعه بقوله تعالى رجما بالغيب اى ظنا وحدسا من غير يقين
ولم يقل فى السبعة وتخصيص الشيء بالوصف يدل على ان الحال فى الباقى بخلافه فوجب ان يكون المخصوص

بالظن

بالظن هو قول النصارى فى كونه رجما بالغيب وختام اتبعه بقوله تعالى قل ربى اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل هذا
هو الحق لان العالم بتفاصيل كائنات العوالم والكائنات فيه فى الماضى والمستقبل لا يحصل الا بالله تعالى ومن
اخبره الله تعالى بذلك قال ابن عباس انا من ذلك القليل كانوا سبعة وهم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وبينونس
وسارينوس وذونوانس وكفشطيطيونس وهو الراعى واسم كلبهم قطمير فلا تمار فيهم اى لا تجادل ولا تقل فى عددهم
وشانهم الا مراء ظاهرا الا بظاهر ما قصصنا عليك فقف عنده ولا تزد عليه ولا تستفت فيهم اى فى اصحاب
الكهف منهم اى من اهل الكتاب احدا اى لا يرجع الى قوله احد منهم لجلالة اخبارك فيفتنهم قوله عز وجل ولا
تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا يعنى اذا عزمت على فعل شىء غدا فقل الا ان يشاء الله ولا تقله بغير استثناء
وذلك ان اهل مكة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين فقال اخبركم
غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحى اياما ثم نزلت الاية وقد قدمت القصة فى سورة بنى اسرائيل واذكر ربك
اذا نسيت قال ابن عباس معناه اذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثن وجوز ابن عباس الاستثناء المنقطع
وان كان بعد سنة وجوزه الحسن ما دام فى المجلس وجوزه بعضهم اذا قرب الزمان فان بعد لم يصح ولم يجوزه
جماعة حتى يكون الكلام متصلا بالاستثناء وقيل فى معنى اذكرنى حيث تغضب اذكرك حيث اغضب وقيل الاية
فى الصلاة يدل عليه ما روى عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسى صلاة فليصلها اذا ذكرها
اقم الصلاة لذكرى متفق عليه زاد مسلم ونام عنها فكفارتها ان يصليها اذا ذكرها وقل عسى ان يهدين ربى
لاقرب من هذا رشدا اى يثبتنى على طريق هو اقرب الية وارشد وقيل امره الله تعالى ان يذكره ويحمده
لما يوخر ان يذكر ما نسى وقيل ان القوم لما سالوه عن قصة اصحاب الكهف على وجه العناد امره الله تعالى
ان يخبرهم ان الله تعالى سيوتيه من الحجج على صحة نبوته ما هو ادل لهم من قصة اصحاب الكهف على وجه العناد
وقد فعل حيث اتاه من علم غيب المرسلين وقصصهم ما هو اوضح واقرب الى الرشد من خبر اصحاب الكهف وقيل هذا
شىء امر ان يقوله مع قوله ان شاء الله اذا ذكر الاستثناء بعد النسيان واذا نسى الانسان قول ان شاء الله فتوبته
من ذلك ان يقول مع قوله ان شاء الله عسى ان يهدين ربى لاقرب من هذا رشدا قوله تعالى ولبثوا فى كهفهم
ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا قيل هذا خبر عن قول اهل الكتاب ولو كان خبرا من الله عن قدر لبثهم لم يكن لقوله
قل الله اعلم بما لبثوا وجه ولكن الله رد قولهم بقوله قل الله اعلم بما لبثوا ان تنازعوا والاصح انه اخبار
من الله تعالى عن قدر لبثهم فى الكهف فقل ان شاء الله اعلم بما لبثوا اى هو اعلم منكم وقد اخبر بمدة لبثهم وقيل
ان اهل الكتاب قالوا ان المدة من حين دخلوا الكهف الى يومنا هذا وهو احتجاجهم بالنبى صلى الله عليه وسلم
ثلثماية وتسع سنين فرد الله عليهم بذلك وقال قل الله اعلم بما لبثوا يعنى بعد قبض ارواحهم الى يومنا هذا
لا يعلمه الا الله تعالى **فان قلت** لم قال سنين ولم يقل سنة **قلت**
قيل نزل قوله ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة فقالوا اياما او شهورا او سنين فنزلت سنين على وفق قولهم وقيل هو
تفسير لما اجمل فى قوله فضربنا على اذانهم فى الكهف سنين عددا وازدادوا تسعا قيل قال نصارى نجران اما
الثلثماية فقد عرفناها واما التسع فلا علم لنا بها فنزل قل الله اعلم بما لبثوا وقيل ان عند اهل الكتاب لبثوا
ثلثماية سنة شمسية والله تعالى ذكر ثلثماية سنة وتسع سنين قمرية والتفاوت بين القمرية والشمسية
فى كل مائة سنة ثلاث سنين فيكون الثلاث مائة الشمسية ثلثماية وتسع سنين قمرية له غيب السموات والارض يعنى انه
تعالى لا يخفى عليه شىء من احوال اهلها فانه العالم وحده به فكيف يخفى عليه حال اصحاب الكهف ابصر به واسمع
معناه ما ابصر الله بكل موجود واسمعه لكل مسموع لا يغيب عن سمعه وبصره شىء يدرك البواطن كما يدرك الظواهر

Copyright © King Saud University

لا يخفى عليه خافية ما لهم اى ما لاهل السموات والارض من دونه اى من دون الله من ولى اى ناصر
ولا يشرك فى حكمه احدا قيل معناه لا يشرك الله فى غيبه احدا وقيل فى قضائه قوله عز وجل واتل يا محمد ما اوحى
اليك من كتاب ربك يعنى القران واتبع ما فيه واعمل به لا مبدل لكلماته اى لا مغير للقران ولا يقدر احد
على التطرق اليه بتغيير او تبديل **فان قلت** موجب هذا ان لا يتطرق النسخ اليه
قلت النسخ ليس بتبديل فى الحقيقة لان المنسوخ ثابت فى وقته الى وقت طريان الناسخ
فالناسخ كالمغاير فكيف يكون تبديلا وقيل معناه لا مغير لما وعد بكلماته اهل معاصيه ولن تجد من دونه
اى من دون الله ان لم يتبع القران ملتحدا اى ملجا وحرزا تعدل اليه قوله عز وجل واصبر نفسك الاية نزلت
فى عيينة بن حصين الفزارى اتى النبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم وعنده جماعة من الفقرا منهم سلمان
وعليه شملة صوف قد عرق فيها وبيده خوص يشقه وينسجه فقال عيينة للنبى صلى الله عليه وسلم اما يؤذيك
ريح هولاء ونحن سادات مضر واشرافها ان اسلمنا اسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك الا هولاء فنحهم عنك
حتى نتبعك او اجعل لنا مجلسا فانزل الله تعالى مع الذين اى احبس نفسك يا محمد مع الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشى يعنى طرفى النهار يريدون وجهه اى يريدون الله لا يريدون به عرضا من الدنيا وقيل نزلت فى
اصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقرا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجعون الى تجارة ولا زرع
ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون اخرى فلما نزلت هذه الاية قال النبى صلى الله عليه وسلم الحمد لله
الذى جعل فى امتى من امرت ان اصبر معهم ولا تعد عيناك عنهم اى ولا تنصرف عيناك عنهم الى غيرهم تريد زينة الحياة الدنيا
اى تطلب مجالسة الاغنيا والاشراف وصحبة اهل الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا اى جعلنا قلبه غافلا
عن ذكرنا يعنى عيينة بن حصين وقيل امية بن خلف واتبع هواه اى فى طلب الشهوات وكان امره فرطا وقل الحق
من ربكم ضياعا ضيع امره وعطل ايامه وقيل ندما وقيل سرفا وباطلا وقيل مخالفا للحق الحق والية التفويض
والتوفيق والخذلان وبيده الهدى والضلال ليس الى من ذلك شى فمن شا فليومن ومن شا فليكفر هذا على طريق
التهديد والوعيد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل معنى الاية وقل الحق من ربكم اى بطرد المومنين لهواكم فان شئتم
فامنوا وان شئتم فاكفروا فان كفرتم فقد اعد لكم ربكم نارا وان امنتم فلكم ما وصف الله لاهل طاعته وعن ابن
عباس رضى الله تعالى عنهما فى معنى الاية من شا الله له الايمان امن ومن شا له الكفر كفر انا اعتدنا اى هيأنا من
العتاد وهو العدة للظالمين اى للكافرين نارا احاط بهم سرادقها السرادق الحجرة التى تطيف بالفساطيط
عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سرادق النار اربعة جدر كثف كل جدار اربعين اخرجه
الترمذى قال ابن عباس هو حائط من نار وقيل هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة وقيل هو حائط
يحيط بالكفار وان يستغيثوا يغاثوا اى من شدة العطش بما كالمهل يشوى الوجوه قال ابن عباس هو ما غليظ كدردى الزيت عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى قوله بما كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب اليه
سقط فروة وجهه فيه اخرجه الترمذى وقال رشدين احد رواة الحديث وتكلم فيه من قبل حفظه الفروة الجلدة
الوجه وقيل المهل الدم والقيح وقيل هو الرصاص والصفر المذاب بئس الشراب اى يشوى الوجوه من حر ذلك الشراب
اى ذلك الذى يغاثون به وساءت مرتفقا منزلا وقيل مجتمعا واصل المرتفق المكان وانما جا للمشاكلة
قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا متكا قوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع
اى لا نترك اعمالهم تذهب ضياعا بل نجازيهم باعمالهم الصالحة وقيل ان قوله انا لا نضيع اجر من احسن عملا كلام
معترض تقديره ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم جنات عدن فاقامة سميت عدن الخلود المومنين

فيها

فيها تجرى من تحتهم الانهار وذلك لان افضل المساكن ما كان يجرى فيه الما يحلون فيها من اساور من ذهب قيل على
كل انسان منهم ثلاثة اساور سوار من ذهب لهذه الاية وسوار من فضة لقوله ولولو ولباسهم فيها حرير ويلبسون
ثيابا خضرا من سندس هو الديباج الرقيق واستبرق هو الديباج الصفيق الغليظ وقيل السندس المنسوج بالذهب
متكئين فيها على الارائك جمع اريكة وهى السرير فى الحجال انما خص الاتكا لانه هيئة المنتعمين فيها كالملوك اى فى الجنة على الارائك جمع اريكة وهو السرير
فى الحجال لما وصف الله هذه الاشيا قال نعم الثواب اى نعم الجزا وحسنت اى الجنان مرتفقا اى مقرا ومجلسا
والمراد بقوله وحسنت مرتفقا مقابلة ما تقدم ذكره من قوله وساءت مرتفقا قوله عز وجل واضرب لهم
مثلا رجلين قيل نزلت فى اخوين من اهل مكة من بنى مخزوم وهما ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد وكان
كافرا وقيل هذا مثل لعيينة بن حصين واصحابه وسلمان واصحابه وشبههما برجلين من بنى اسرائيل اخوين
احدهما مومن واسمه يهودا فى قول ابن عباس وقيل تمليخا والاخر كافر واسمه قرطوس وهما اللذان وصفهما
الله تعالى فى سورة والصافات وكانت قصتهما على ما ذكر عطا الخراسانى قال كان رجلان شريكان
لهما ثمانية الاف دينار فاقتسماها فاشترى احدهما ارضا بالف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد
اشترى ارضا بالف وانى قد اشتريت منك ارضا فى الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه تزوج
امراة وانفق عليها الف دينار فقال هذا اللهم انى اخطب اليك امراة فى الجنة بالف دينار فتصدق
بها ثم اصابته حاجة شديدة فقال لو اتيت صاحبى لعله ينالنى منه بمعروف فجلس على طريقه حتى
مر به فى خدمه وحشمه فقام اليه فنظر اليه صاحبه فعرفه فقال فلان قال نعم قال ما شانك
قال اصابتنى حاجة بعدك فاتيتك لتصيبنى بخير قال فما فعل مالك وقد اقتسمنا مالا واخذت
شطره فقص عليه قصته فقال وانك لمن المتصدقين بهذا اذهب فلا اعطيك شيا فطرده
فقضى لهما فتوفيا فنزل فيهما فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم انى كان
لى قرين وروى انه لما اتاه اخذ بيده وجعل يطوف به ويريه امواله فنزل فيهما واضرب لهم مثلا
رجلين جعلنا لاحدهما جنتين اى بساتين من اعناب وحففناهما اى طفناهما من جوانبهما بنخل وجعلنا
بينهما زرعا اى وجعلنا بين النخيل والاعناب الزرع وقيل بين الجنتين لعلهم بكون بين الجنتين
شراب بغير زرع كلتا الجنتين اتت اكلها اى اعطت كل واحدة من الجنتين اكلها اى ثمرها تاما
ولم تظلم منه شيا اى ولم تنقص منه شيا وفجرنا خلالهما نهرا اى شققنا وسطهما وكان له ثمر
اى صاحب البستان ثمر قرى بالفتح جمع ثمرة وقرى بالضم وهو الاموال الكثيرة المثمرة من كل صنف
الذهب والفضة وغيرهما فقال يعنى صاحب البستان لصاحبه المومن وهو يحاوره اى يخاطبه انا اكثر
منك مالا واعز نفرا يعنى عشيرة ورهطا وقيل خدما وحشما ودخل جنته يعنى الكافر اخذ بيد اخيه المومن
يطوف به ويريه اياها وهو ظالم لنفسه اى بكفره قال ما اظن ان تبيد اى تهلك هذه اى جنته ابدا
وذلك انه راقه حسنها وغرته زهرتها فتوهم انها لا تفنى ابدا وانكر البعث فقال وما اظن الساعة قائمة
اى كائنة ولئن رددت الى ربى **فان قلت** كيف قال ولئن رددت الى ربى وهو
منكر للبعث **قلت** معناه ولئن رددت الى ربى على ما تزعم من ان الساعة اتية الى ربى
لاجدن خيرا منها منقلبا اى يعطينى هناك خيرا منها لانه لم يعطنى الجنة فى الدنيا الا ليعطينى فى الاخرة
خيرا منها قال له صاحبه يعنى المومن وهو يحاوره اكفرت بالذى خلقك من تراب اى خلق اصلك من تراب لان خلق
اصله سبب فى خلقه فكان خلقا له ثم من نطفة ثم سواك رجلا اى عدلك بشرا سويا اى انسانا ذكرا بالغا مبلغ

Copyright © King Saud University

الرجال لكنا هو الله ربي يعني المؤمن لمحاوره لكن الله هو ربي ولا اشرك بربي احدا ولولا اي هلا اذ دخلت جنتك
قلت ما شاء الله والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعترافا بانها
وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله تعالى وفضله وان امرها بيده وانه ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها لا قوة
الا بالله وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونة الله وتاييده ولا
اقدر على حفظ مالي ودفع شيء منه الا بامر الله روي عن عروة بن الزبير انه كان اذا راى من ماله شيئا يعجبه او دخل
حائطا يعجبه من حيطانه قال ما شاء الله لا قوة الا بالله الحائط البستان ان ترن انا اقل منك مالا وولدا
اي لاجل ذلك تكبرت علي وتعظمت فعسى ربي فلعل ربي ان يؤتين في الاخرة خيرا من جنتك ويرسل عليها
اي على جنتك حسبانا قال ابن عباس نارا وقيل مرامي من السماء اي من العقوبة فتهلكها فتصبح صعيدا زلقا
اي ارضا جرداء ملساء لا نبات فيها وقيل تزلق فيها الاقدام وقيل رملا هايلا او يصبح ماؤها غورا اي غائرا
ذاهبا لا تناله الايدي ولا الدلاء فلن تستطيع له طلبا يعني ان طلبته لم تجده واحيط بثمره يعني احاط العذاب
بثمر جنته وذلك ان الله تعالى ارسل من السماء نارا فاهلكها وغار ماؤها فاصبح يعني صاحبها الكافر يقلب
كفيه اي يصفق كفا على كف ويقلب كفيه ظهرا على بطن تاسفا وتلهفا على ما انفق فيها المعنى فاصبح
يندم على ما انفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها اي ساقطة سقوفها وقيل ان كرومها المعرشة سقطت
عروشها في الارض ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا يعني انه تذكر موعظة اخيه المؤمن فعلم انه اتي من جهة شركه
وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا ولم تكن له فئة اي جماعة ينصرونه من دون الله اي يمنعونه من عذاب الله
وما كان منتصرا اي ممتنعا لا يقدر على الانتصار لنفسه وقيل لا يقدر على رد ما ذهب منه قوله تعالى
هنالك الولاية قرئ بكسر الواو يعني السلطان في القيامة لله الحق وقرئ بفتحها من الموالاة والنصرة يعني
انهم يتولونه يومئذ ويتبرؤون مما كانوا يعبدون في الدنيا هو خير ثوابا اي افضل جزاء لاهل طاعته ولو كان غيره
يثيب وخير عقبا يعني عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير اثابة وعاقبة قوله تعالى واضرب لهم
اي يا محمد لقومك مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء يعني المطر فاختلط به نبات الارض اي خرج من كل لون وزوج
فاصبح اي عن قريب هشيما قال ابن عباس يابسا تذروه الرياح قال ابن عباس تذريه وقيل تفرقه وتنسفه
وكان الله على كل شيء مقتدرا اي قادرا قوله تعالى المال والبنون اي التي يفتخر بها عيينة واصحابه الاغنياء
زينة الحياة الدنيا يعني ليست من زاد الاخرة قال علي بن ابي طالب المال والبنون حرث الدنيا والاعمال
الصالحة حرث الاخرة وقد يجمعها الله لاقوام والباقيات الصالحات قال ابن عباس رضي الله عنهما هو قول سبحان
الله والحمد لله والله اكبر م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اقول سبحان الله والحمد لله ولا
اله الا الله والله اكبر احب الي مما طلعت عليه الشمس عن ابي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم استكثروا من
قول الباقيات الصالحات فقيل ما هن يا رسول الله قال الملة قيل وما هي يا رسول الله قال
التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قلت يا رسول الله وما رياض الجنة قال المساجد قلت وما الرتع
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب عن ابن المسيب ان الباقيات الصالحات هي قول العبد الله اكبر وسبحان الله ولا اله الا الله ولا حول ولا
قوة الا بالله اخرجه مالك في الموطا موقوفا عليه وعن ابن عباس ان الباقيات الصالحات الصلوات الخمس وعنه
انها الاعمال الصالحة خير عند ربك ثوابا اي جزاء وخير املا اي ما يامله الانسان قوله تعالى ويوم نسير

الجبال

الجبال اي نذهب بها وذلك ان تجعل هباء منثورا كما تسير السحاب وترى الارض بارزة اي ظاهرة ليس عليها شجر
ولا جبل ولا بناء وقيل هو ما يرون عليها من الموتى وغيرهم فيصير باطن الارض ظاهرها وحشرناهم يعني جميعا
الى موقف الحساب فلم نغادر منهم احدا يعني لم نترك منهم احدا وعرضوا على ربك صفا اي صفا صفا وقيل
لانهم صف واحد وقيل قياما وقيل كل امة وزمرة صنف ثم يقال لهم لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة يعني
يعني احياء وقيل حفاة عراة غرلا بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا يعني يوم القيامة يقول ذلك لمنكري البعث
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال ايها الناس انكم تحشرون
الى الله حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين الا ان اول الخلائق يكسى يوم القيامة
ابراهيم عليه السلام وانه سيجاء برجال من امتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فيقول يا رب اصحابي فيقول انك لا تدري
ما احدثوا بعدك فاقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم الى قوله العزيز الحكيم قال فيقال
انهم لن يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم زاد في رواية فاقول سحقا سحقا اي بعدا والغرلة القلفة
التي تقطع من جلدة الذكر وهو موضع الختان وهو قوله سحقا اي بعدا قال بعض العلماء ان المراد بهؤلاء اصحاب
الردة الذين ارتدوا من العرب ومنعوا الزكاة بعده ق عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض
قال الامر اهم من ذلك زاد النسائي في رواية لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه ووضع الكتاب يعني صحايف
اعمال العباد توضع في ايدي الناس في ايمانهم وشمائلهم وقيل يوضع بين يدي الله عز وجل تعالى فترى المجرمين مشفقين
مما فيه اي خائفين مما فيه من الاعمال السيئة ويقولون اذا راوها يا ويلتنا اي يا هلاكنا وقيل من وقع في هلكة
دعا بالويل مال هذا الكتاب لا يغادر اي لا يترك صغيرة ولا كبيرة اي من ذنوبنا الا احصاها اي عدها وكتبها
واثبتها فيه وحفظها قال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبير الصغيرة اللمم والكبيرة
الزنى عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب
مثل قوم نزلوا بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فانضجوا خبزهم وان محقرات الذنوب
كموبقات المحقرات الشيء الحقير الصغير التافه وقوله الموبقات اي المهلكات ووجدوا ما عملوا حاضرا قال اي مثبتا
في كتابهم ولا يظلم ربك احدا اي لا ينقص ثواب احد عمل خيرا وانه لا ياخذه بجرم لم يعمله عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال
ومعاذير واما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فاخذ بيمينه واخذ بشماله اخرجه
الترمذي وقال لا يصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من ابي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن
ابي موسى قوله تعالى واذ قلنا اي واذكر يا محمد اذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس
كان من الجن قال ابن عباس كان حيا من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وقال الحسن كان من الجن
ولم يكن من الملائكة لا ينافي كونه من الجن كما ان ادم اصل الانس ووجه كونه من الملائكة لا ينافي كونه
من الجن بدليل قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وذلك ان قريشا قالت الملائكة بنات الله فهذا
يدل ان الجن جنسه يخالف الملائكة وقوله افتتخذونه وذريته اولياء فاثبت له ذرية والملائكة
لا ذرية لهم واجيب عن الاستثناء انه استثناء منقطع وهو مشهور في كلام العرب قال الله
تعالى واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وقال
تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما قيل انه كان من الملائكة فلما خالف الامر مسخ وغير وطرد ولعن

Copyright @ King Saud University

وقوله ففسق عن امر ربه افتتخذونه يعني يا بني ادم افتتخذون ابليس وذريته اولياء من دوني وهم لكم
عدو يعني اعدا روى مجاهد عن الشعبي قال اني لقاعد يوما اذا اقبل جمال فقال اخبرني هل لابليس زوجة فقلت
ان ذلك العرس ما شهدته ثم ذكرت فعلمت انه لا يكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم وقلت بتوالد وتكثيرا دم
وقيل انه يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين قال مجاهد من ذرية ابليس
لاقيس وولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة والهفاف ومن ذريته مرة وبه يكنى والزنبور وهو صاحب
الاسواق يزين اللغو والحلف الكاذبة ومدح السلع وثبر وهو صاحب المصائب يزين خدش الوجه ولطم
الخدود وشق الجيوب والاعور وهو صاحب الزنا ينفخ في احليل الرجل وعجز المراة ومطوس وهو صاحب
الاخبار الكاذبة يلقيها في افواه الناس لا يجدون لها اصلا وداسم وهو الذي اذا دخل الرجل بيته ولم يسلم
ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لم يرفع ويحسن موضعه واذا اكل ولم يسم الله اكل معه قال الاعمش ربما دخلت
البيت ولم اذكر الله ولم اسلم فرايت مطهرة فقلت ارفعوا وخاصمتهم ثم ذكرت فقلت داسم داسم روى عن ابي بن
كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوا وسواس الما اخرجه الترمذي
م عن عثمان بن العاص قال قلت يا رسول الله ان الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وبين قراتي يلبسها
علي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الشيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل
عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله عني م عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ابليس يلقي عرشه على الما ثم يبعث سراياه فادناهم منه منزلة اعظمهم فتنة يجي احدهم فيقول كذا ما تركته
حتى فرقت بينه وبين امراته قال فيدنيه منه ويقول نعم انت قال الاعمش اراه قال فيلتزمه وقوله
تعالى بئس للظالمين بدلا يعني بئس ما استبدلوا طاعة ابليس وذريته بعبادة ربهم وطاعته قوله تعالى
ما اشهدتهم يعني ما احضرتهم يعني ابليس وذريته وقيل ان الكفار وقيل الملائكة خلق السموات والارض
ولا خلق انفسهم والمعنى ما اشهدتهم خلقها فاستعين بهم على خلقهم واشاورهم فيها وما كنت متخذ المضلين
يعني الشياطين الذين يضلون عضدا يعني انصارا واعوانا قوله عز وجل ويوم يقول نادوا يعني يقول الله تعالى
يوم القيامة نادوا شركاي يعني الاصنام الذين زعمتم يعني انهم شركا فدعوهم اي فاستغاثوا بهم فلم
يستجيبوا لهم اي فلم يجيبوهم ولم ينصروهم وجعلنا بينهم يعني بين الاصنام وعبدتها وقيل بين اهل الهدى واهل
الضلال موبقا مهلكا وقال ابن عباس وهو واد في النار وقيل نهر يسيل نارا على حافتيه حيات مثل البغال
الدهم وقيل حاجز بين شيئين واصله الهلاك ورأى المجرمون اي المشركون النار فظنوا انهم اي ايقنوا
انهم مواقعوها اي داخلوها وواقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا اي معدلا لانها احاطت بهم من كل جانب وقيل
لان الملائكة تسوقهم اليها قوله تعالى ولقد صرفنا اي بينا في هذا القرآن للناس من كل مثل اي
ليتذكروا ويتعظوا وكان الانسان اكثر شيء جدلا اي خصومة في الباطل قال ابن عباس رضي الله عنهما
اراد النضر بن الحرث وجداله في الباطل وقيل الاية على العموم وهو الاصح خ عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فقال الا تصليان
فقلت يا رسول الله انفسنا بيد الله تعالى فاذا شا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
قلت ذلك ولم يرجع الي شيئا ثم سمعته يقول وهو يضرب فخذه بيده وكان الانسان اكثر شيء جدلا قوله عز وجل
وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى يعني القرآن والاحكام والاسلام والبيان من الله تعالى وقيل انه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستغفروا ربهم والمعنى انه لا مانع لهم من الايمان ولا من الاستغفار والتوبة

والتحلية

والتخلية حاصلة والاعذار زائلة فلم يقدموا على الايمان والاستغفار الا ان تاتيهم سنة الاولين يعني سنتنا
في هلاك الاولين ان لم يؤمنوا وهو عذاب الاستيصال او ياتيهم العذاب قبلا قال ابن عباس عيانا من المقابلة
وقيل فجاة قوله تعالى وما نرسل المرسلين الا مبشرين اي بالثواب على الطاعة ومنذرين اي بالعقاب
لمن عصى ويجادل الذين كفروا بالباطل اي هو قولهم ابعث الله بشرا رسولا وقولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا
او شبه ذلك ليدحضوا اي ليبطلوا به الحق ويزيلوه واتخذوا اياتي وما انذروا هزوا فيها اضمار يعني
اتخذوا وما انذروا به وهو القرآن استهزا قوله عز وجل ومن اظلم ممن ذكر اي وعظ بايات ربه فاعرض
عنها اي تولى عنها وتركها ولم يؤمن بها ونسي ما قدمت يداه اي ما عمل من المعاصي من قبل انا جعلنا على قلوبهم
اكنة اي اغطية ان يفقهوه يعني يريد ان لا يفهموه وفي اذانهم وقرا اي ثقلا وصمما وان تدعهم يا محمد
الى الهدى اي الى الدين فلن يهتدوا اذا ابدا وهذا فيمن علم الله منهم انهم لا يؤمنون وربك الغفور اي المتسع
المغفرة ذو الرحمة اي الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم اي يعاقب الكفار بما كسبوا من الذنوب لعجل لهم العذاب
اي في الدنيا بل لهم موعد يعني البعث والحساب لن يجدوا من دونه موئلا اي ملجا وتلك القرى يعني قرى قوم نوح
وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم اهلكناهم لما ظلموا اي كفروا وجعلنا لمهلكهم موعدا اي اجلا لاهلاكهم قوله تعالى
واذ قال موسى لفتاه الايات اكثر العلما على ان موسى المذكور في هذه الاية هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي
ابن يعقوب صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة وعن كعب الاحبار انه موسى بن ميشا من اولاد
يوسف بن يعقوب وقد نسب قبل موسى بن عمران والقول الاول اصح لان الله عز وجل لم يذكر في
كتابه العزيز موسى الا اذا اراد به صاحب التوراة فاطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف اليه ولو اراد شخصا
اخر لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز بينهما وتزيل الشبهة فلما لم يميزه بصفة قلنا انه موسى
ابن عمران صاحب التوراة واما فتاه فالاصح انه يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف وهو صاحب موسى
وولي امره بعد وفاته وقيل انه اخو يوشع وقيل فتى يعني عبده بدليل قوله صلى الله عليه وسلم
لا يقل احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي عن سعيد بن جبير قال قلنا لابن عباس ان نوفا
البكالي يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس موسى بني اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا ابي بن كعب
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى عليه السلام قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل اي الناس
اعلم قال انا فعتب الله تعالى عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله اليه ان عبدا بمجمع البحرين هو اعلم فقال موسى
يا رب كيف لي به قال تاخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيث ما فقدت الحوت فهو ثم فاخذ حوتا
فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا اتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما واضطرب
الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا وامسك الله عن الحوت الما فصار عليه
مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد
قال موسى لفتاه اتنا غدانا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي
امره الله به فقال له فتاه ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان
اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا قال موسى ذلك ما كنا نبغي
فارتدا على اثارهما قصصا قال رجعا يقصان اثرهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل مسجى بثوب ابيض
فسلم عليه موسى فقال الخضر واني بارضك السلام فقال انا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم
اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا يا موسى اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه

Copyright © King Saud University

٥١٦

وانت على علم من علم الله علمكه لا اعلمه قال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا فقال له الخضر
فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهم
سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما ركبا السفينة لم يفجأ الا والخضر قد قلع
لوحا من الواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق
اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني
من امري عسرا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور
فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص
هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما
يلعب مع الغلمان فاخذ الخضر براسه فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى اقتلت نفسا زاكية بغير
نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه اشد من الاولى قال ان
سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية
استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض قال مائل فقال الخضر بيده
هكذا فاقامه فقال موسى قوم اتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لتخذت عليه اجرا قال هذا
فراق بيني وبينك سأنبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرحم الله موسى لوددنا انه صبر حتى يقص علينا من اخبارهما قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس
يقرأ وكان امامهم ملك ياخذ كل سفينة صالحة غصبا واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مؤمنين
وفي رواية ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قام موسى رسول الله عليه السلام
فذكر الناس يوما حتى اذا فاضت العيون ورقت القلوب فادركه رجل فقال اي رسول الله هل
في الارض احد اعلم منك قال لا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم الى الله تعالى قيل بلى قال يا رب واين
هو قال بمجمع البحرين قال خذ نونا ميتا حيث ينفخ فيه الروح وفي رواية تزود حوتا مالحا فانه حيث تفقد
الحوت زاد في رواية وفي اصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء الا حيي فاصاب
الحوت من ماء تلك العين فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر رجعنا الى التفسير لا ابرح اي لا ازال
اسير حتى ابلغ مجمع البحرين قيل اراد بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية او
امضي حقبا يعني واسير دهرا طويلا والحقب ثمانون سنة فحمل خبزا وسمكة مالحة في المكتل وهو الزنبيل
الذي يسع خمسة عشر صاعا ومضيا حتى انتهيا الى الصخرة التي عند مجمع البحرين وعندها عين تسمى
ماء الحياة لا تصيب شيئا الا حيي فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت في المكتل وعاشت
ودخلت في البحر فلما بلغا يعني موسى وفتاه مجمع بينهما اي بين البحرين نسيا اي تركا حوتهما
وانما كان الحوت مع يوشع وهو الذي نسيه وانما اضاف النسيان اليهما لانهما تزوداه لسفرهما وقيل
المراد من قوله نسيا حوتهما اي نسيا كيفية الاستدلال بهذه الخصوصية على الوصول الى المطلوب فاتخذ
الحوت سبيله في البحر سربا اي مسلكا روى ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
انجاب عن مسلك الحوت فصار كوة لم يلتئم فدخل موسى الكوة على اثر الحوت فاذا هو بالخضر عليه السلام
قال ابن عباس جعل الحوت لا يمس شيئا من البحر الا يبس حتى صار صخرة وقد روينا انهما لما انتهيا الى
الصخرة وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا فامسك الله

عن

عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسي صاحبه ان يخبره فانطلقا حتى اذا كان من
الغد وهو قوله تعالى فلما جاوزا يعني ذلك الموضع وهو مجمع البحرين قال يعني موسى لفتاه آتنا غداءنا
اي طعامنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا اي تعبا وشدة وذلك انه القي على موسى الجوع بعدما جاوز الصخرة
ليتذكر الحوت ويرجع في طلبه قال يعني يوشع ارأيت اذ اوينا الى الصخرة وهي صخرة كانت بالموضع
الموعود فاني نسيت الحوت اي تركته وفقدته وذلك ان يوشع حين رأى من الحوت ذلك قام ليدرك موسى
فنسي ان يخبره فلبثا يومهما حتى صليا الظهر من الغد ثم قال وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره وما انسانيه ان اذكر لك
من الحوت الا الشيطان قيل المراد من النسيان شغل قلبه لانه ابتلي بوساوس الشيطان التي هي من فعله
دون النسيان الذي نقيضه الذكر لان ذلك لا يضيع الا من قبل الله تعالى واتخذ سبيله في البحر عجبا قيل
هذا من قول يوشع يعني طفر الحوت الى البحر فاتخذ فيه مسلكا وروي في الخبر كان للحوت سربا ولموسى وفتاه
عجبا وقيل اي شيء اعجب من حوت يؤكل منه دهرا ثم صار حيا بعدما اكل بعضه قوله عز وجل قال يعني موسى
ذلك ما كنا نبغي اي نطلب فارتدا على آثارهما قصصا اي رجعا يقتصان الذي جاءا منه ويتبعانه فوجدا عبدا
من عبادنا قيل كان ملكا من الملائكة والصحيح الذي ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء في التواريخ
انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وكنيته ابو العباس قيل من بني اسرائيل وقيل كان من ابناء الملوك الذين تزهدوا
فتركوا الدنيا والخضر لقب سمي بذلك عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي خضرا لانه
جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضراء الفروة قطعة من نبات مجتمعة يابسة وقيل سمي خضرا
لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وروينا ان موسى رأى الخضر مسجى بثوب فسلم عليه فقال الخضر وانى بارضك
السلام قال انا موسى اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا ومعنى مسجى بثوب اي مغطى بثوب وقوله وانى بارضك
السلام معناه من اين بارضك التي انت بها الا ان السلام وروي انه لقيه على طنفسة خضراء على كبد الحوت
فذلك قوله فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة اي نعمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما اي علم الباطن الهاما
ولم يكن الخضر نبيا عند اكثر اهل العلم **فان قلت** ظاهر هذه الآيات تدل على ان الخضر كان اعلا
شانا من موسى وكان موسى يظهر التواضع له والتادب معه **قلت** لا يخلو ان يكون الخضر من بني
اسرائيل او من غيرهم فان كان من بني اسرائيل فهو من امة موسى ولا يجوز ان يكون احد الامة افضل من
نبيها واعلا شانا منه وان كان من غير بني اسرائيل فقد قال الله تعالى لبني اسرائيل واني فضلتكم على العالمين
اي على عالمي زمانكم قال له موسى هل اتبعك معناه حيث لا اصحبك واتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا
اي صوابا وقيل علما ترشدني به وفي بعض الاخبار قال الخضر لموسى كفى بالتوراة علما وببني اسرائيل اتباعا قال له
موسى ان الله امرني بهذا فحينئذ قال الخضر لموسى انك لن تستطيع معي صبرا وانما قال ذلك لانه علم انه يرى امورا
منكرة ولا يجوز للانبياء الصبر على المنكرات ثم بين عذره في ترك الصبر فقال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا
اي علما قال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا انما استثنى لانه لم يثق من نفسه بالصبر ولا اعصي لك امرا اي
لا اخالفك فيما تامرني به قال فان اتبعتني اي فان صحبتني ولم يقل اتبعني ولكن جعل الاختيار عليه ثم
شرط عليه شرطا فقال فلا تسألني عن شيء اعمله مما تنكره ولا تعترض عليه حتى احدث لك منه ذكرا معناه
حتى ابتدئ بذكره فابين لك شانه قوله تعالى فانطلقا اي يمشيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانها
فوجدا سفينة فركباها فقال اهل السفينة هؤلاء لصوص وامروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ما هم
باللصوص ولكني ارى وجوه الانبياء وروينا عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة

Copyright © King Saud University

فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول اى بغير عوض ولا عطا فلما لججوا في البحر اخذ الخضر فاسا فخرق
لوحا منها اى من الواح السفينة فذلك قوله تعالى حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال يعنى موسى له اخرقتها
لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا اى اتيت شيا عظيما منكرا روى ان الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الما
وروى ان موسى لما راى ذلك اخذ ثوبه فحشى به الخرق قال العالم وهو الخضر الم اقل انك لن تستطيع معى صبرا
قال يعنى موسى لا تواخذنى بما نسيت قال ابن عباس لم ينس ولكنه من معاريض الكلام فكانه نسى شيا اخر وقيل
معناه بما تركت من عهدك والنسيان الترك قال ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من
موسى نسيانا والوسطى شرطا والثالثة عمدا ولا ترهقنى اى ولا تغشنى من امرى عسرا والمعنى ولا تعسر على متابعتك
ويسرها بالاغضا وترك المناقشة وقيل لا تكلفنى مشقة ولا تضيق على امرى فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما
فقتله فى القصة انهما خرجا من البحر يمشيان فمرا بغلمان يلعبون فاخذ الخضر غلاما ظريفا وضى الوجه بتوقد
حسنا فاضجعه ثم ذبحه بالسكين وروينا انه اخذ برأسه فاقتلعه بيده وروى عبد الرزاق هذا الخبر وفيه
واشار باصابعه الثلاث السبابة والابهام والوسطى وقلع راسه وروى انه رضخ راسه بحجر وقيل ضرب راسه
بالجدار فقتله قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحنث وقيل كان رجلا وقيل كان اسمه حيسور وقيل كان فتى
يقطع الطريق وياخذ المتاع ويلجى الى ابويه وقيل كان غلاما يعمل بالفساد ويتاذى منه ابواه وعن ابى بن كعب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذى قتله الخضر كان كافرا ولو عاش لا رهق ابويه طغيانا وكفرا لفظ
مسلم قال يعنى موسى اقتلت نفسا زاكية اى لم تذنب قط وقرى زكية وهى التى اذنبت ثم تابت بغير نفس اى
لم تقتل نفسا حتى يجب عليها القتل لقد جئت شيئا نكرا اى منكرا عظيما وقيل النكر اعظم من الامر لانه حقيقة
الهلاك وفى خرق السفينة خوف الهلاك وقيل الامر اعظم لانه تغريق جمع كثير وقيل معناه لقد جئت شيا انكر
من الاول لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه قال يعنى الخضر الم اقل لك انك
لن تستطيع معى صبرا قيل زاد فى هذه قوله لك لانه نقض العهد مرتين وقيل ان هذه اللفظة توكيد للتوبيخ
فعند هذا قال موسى ان سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى وقيل ان يوشع كان يقول لموسى يا نبى الله
اذكر العهد الذى كنت عليه قال موسى ان سألتك عن شىء بعد هذه المرة فلا تصاحبنى اى فارقنى ولا تصاحبنى
قد بلغت من لدنى عذرا قال ابن عباس قد اعذرت فيما بينى وبينك وقيل معناه اتضح لك العذر فى مفارقتى
والمعنى انه مدحه بهذه الطريقة من حيث انه احتمله مرتين اولا وثانيا مع قرب المدة ق عن ابى بن كعب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى وكان اذا ذكر احدا من الانبيا بدا بنفسه لولا
انه عجل لراى العجب ولكنه اخذته من صاحبه ذمامة فقال ان سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى
قد بلغت من لدنى عذرا فلو صبر لراى العجب قوله ذمامة هو بذال المعجمة اى حيا واشفاقا من الذم واللوم
يقال ذممته ذمامة يعنى لومته ملامة وليشهد له قول الخضر هذا فراق بينى وبينك قوله تعالى
فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية قال ابن عباس يعنى انطاكية وقيل الايكة وهى ابعد الارض من
السما وقيل هذه بلدة بالاندلس استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما قال ابى بن كعب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى اتيا اهل قرية لئاما فطافا فى المجالس فاستطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وروى
انهما طافا فى القرية فاستطعماهم فلم يطعموهم واستضافاهم فلم يضيفوهما وعن ابى هريرة قال
اطعمتهما امراة من اهل بربر بعد ان طلبا من الرجال فلم يطعموهما فدعيا لنسائهم ولعنا رجالهم وعن
قتادة قال شر القرى التى لا تضيف الضيف فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض اى يسقط وهذا

مجاز

مجاز الكلام لان الجدار لا ارادة له وانما معناه قرب ودنى من السقوط كما تقول دارى تنظر الى دار فلان اذا
كانت تقابلها فاستعير لها النظر كما استعير للجدار الارادة فاقامه اى سواه وفى حديث ابى بن كعب عن
النبى صلى الله عليه وسلم فقال الخضر بيده فاقامه وقال ابن عباس هدمه وقعد يبنيه قال يعنى موسى
لو شئت لتخذت عليه اجرا يعنى على اصلاح الجدار جعلا والمعنى قد علمت انا جياع وان اهل القرية
لم يطعمونا فلو اخذت على عملك اجرا قال يعنى الخضر هذا فراق بينى وبينك يعنى هذا وقت فراق بينى
وبينك وقيل هذا الانكار على ترك الاجر هو المفرق بيننا سانبئك بتاويل اى ساخبرك بتاويل ما لم تستطع
عليه صبرا وقيل ان موسى اخذ بثوب الخضر وقال اخبرنى بمعنى ما عملت قبل ان تفارقنى فقال الخضر اما
السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر قيل كانت لاخوة عشرة خمسة زمنى وخمسة يعملون فى البحر
اى يواجرون ويكتسبون وفيه دليل على ان المسكين وان كان يملك شيا لا يزول عنه اسم المسكنة
اذا لم يقم ما يملكه بكفايته وان حال الفقير فى الفقر والحاجة اشد من حال المسكين لان الله تعالى سماهم
مساكين مع انهم كانوا يملكون تلك السفينة فاردت ان اعيبها اى اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك اى
امامهم وقيل خلفهم وكان رجوعهم فى طريقهم عليه والاول اصح ياخذ كل سفينة غصبا اى كل سفينة صالحة
فخرقتها وعيبتها حتى لا ياخذها الملك الغاصب وكان اسمه الجلندى الازدى وكان كافرا وقيل كان اسمه
هدد بن بدد وروى ان الخضر اعتذر الى القوم وذكر لهم شان الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون خبره
وقال اردت اذا هى مرت به ان يدعها لعيبها فاذا جاوزها اصلحوها وانتفعوا بها قوله عز وجل
واما الغلام فكان ابواه مومنين فخشينا خفنا والخشية خوف يشوبه تعظيم واكثر ما يكون عن علم
بما يخشى منه وقيل معناه فعلمنا ان يرهقهما اى يغشيهما وقيل يكلفهما طغيانا وكفرا وقيل معناه فخشينا
ان يحملهما حبه على ان يتبعاه على دينه فاردنا ان يبدلهما ربهما الابدال رفع الشى ووضع اخر مكانه خيرا منه زكاة
اى صلاحا وتقوى وقيل هو فى مقابلة قوله اقتلت نفسا زكية فقال الخضر اردنا ان يرزقهم الله خيرا
منه زكاة واقرب رحما اى ويكون المبدل منه اقرب عطفا ورحمة بابويه بان يبرهما ويشفق عليهما قيل ابدل لهما
جارية فتزوجها نبى من الانبيا فولدت له نبيا فهدى الله على يديه امة من الامم وقيل ولدت له سبعين نبيا
وقيل ابدلهما بغلام مسلم وقيل ان الغلام الذى قتل فرح به ابواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقى لكان فيه
هلاكهما فليرض العبد بقضا الله تعالى فان قضا الله للمومنين فيما يكره خير من قضائه فيما يحب قوله تعالى
واما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة قيل كان اسمهما اصرم وصريم وكان تحته كنز لهما روى ابو الدردا
عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان الكنز ذهبا وفضة اخرجه الترمذى وقيل كان الكنز صحفا فيها علم وقال
ابن عباس كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبا لمن ايقن بالموت كيف ينصب عجبا لمن ايقن بالرزق كيف يتعب عجبا
لمن ايقن بالحساب كيف يغفل عجبا لمن ايقن بزوال الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول
الله وفى الجانب الاخر مكتوب انا الله الذى لا اله الا انا وحدى لا شريك لى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير
واجريته على يديه وويل لمن خلقته للشر واجريته على يديه وقيل الكنز اذا اطلق يراد به المال ومع التقدير
يراد به غيره يقال عند فلان كنز علم وكان هذا اللوح جامعا لهما وكان ابوهما صالحا قيل كان اسمه كاشحا وكان من
الاتقيا قال ابن عباس حفظا بصلاح ابيهما وقيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة ابا قال محمد بن المنكدر
ان الله تعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعترته واهل دويرات فما يزالون فى حفظ الله تعالى
ما دام فيهم وقال سعيد بن المسيب انى لاصلى فاذكر ولدى فازيد فى صلاتى فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اى

Copyright © King Saud University

يعقلا ويبرزا كنزهما وهو البلوغ وقيل ثمانية عشر سنة **فان قلت** كيف قال في الاولى فاردت
وفي الثانية فاردنا وفي الثالثة فاراد ربك وما وجه كل واحدة من هذه الالفاظ **قلت**
انه لما اراد العيب اضافه الى نفسه على سبيل الادب مع الله تعالى فقال فاردت ان اعيبها ولما اراد القتل عبر عن
نفسه بلفظ الجمع تنبيها على انه من العلماء العظماء في علم الباطن وعلوم الحكمة وانه لم يقدم على مثل القتل الا لحكمة عالية
ولما ذكر رعاية المصالح لحال اليتيمين لاجل صلاح ابيهما اضافه الى الله تعالى لان تحفظ الابناء وصلاح احوالهم
لرعاية حق الاباء ليس ذلك الا لله تعالى فلاجل ذلك اضافه الى الله تعالى ويستخرجا كنزهما يعني اذا بلغا وعقلا
وقويا رحمة من ربك اي نعمة من ربك وما فعلته عن امري اي باختياري ورايي بل فعلته بامر الله تعالى والهامه اياي لان
تنقيص اموال الناس واراقة دمائهم وتغيير احوالهم لا يكون ذلك الا بالنص وامر الله تعالى واستدل بعضهم بقوله
وما فعلته عن امري انه الهام من الله تعالى له بذلك وهذه درجة الاولياء وقيل معناه انما فعلت هذه الافعال
لغرض ان يظهر رحمة الله لانها باسرها ترجع الى معنى واحد وهو تحمل الضرر الادنى لدفع الضرر الاعلى ذلك تاويل ما لم
تسطع عليه صبرا اي ذلك ان تصبر عليه روي ان موسى عليه السلام لما اراد ان يفارق الخضر قال له اوصني قال له
لا تطلب العلم لتحدث به ولكن اطلبه لتعمل به واختلف العلماء في ان الخضر حي ام ميت فقيل انه حي وقيل ان الخضر والياس
حيان يلتقيان كل سنة بالموسم وكان السبب في حياة الخضر فيما حكي انه شرب من ماء الحياة وذلك ان ذا القرنين
دخل الظلمة لطلب عين الحياة وكان الخضر على مقدمته فوقع الخضر على العين فاغتسل وشرب منها وصلى شكرا لله تعالى
واخطا ذو القرنين الطريق فرجع وذهب اخرون الى انه ميت لقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وقال النبي
صلى الله عليه وسلم بعدما صلى العشاء ارايتكم ليلتكم هذه فان راس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على وجه الارض
احد ولو كان الخضر حيا لكان لا يعيش بعده ويسالونك عن ذي القرنين قيل اسمه مرزبان بن مرزبة اليوناني من
ولد يونان بن يافث بن نوح عليه السلام وقيل كان اسمه الاسكندر فيلسوف كناصح الرومي وكان ولد عجوز ليس لها
ولد غيره ونقل الامام فخر الدين الرازي في تفسيره عن ابي ريحان السروري المنجم في كتابه المسمى بالاثار
الباقية عن القرون الخالية انه من حمير واسمه ابو كرب سمي بن عبير بن افريقيس الحميري وهذا الذي افتخر
به بعض شعراء حمير حيث يقول • قد كان ذو القرنين جدي مسلما • ملكا علا في الارض غير مفند •
• بلغ المشارق والمغارب يبتغي • اسباب ملك من كريم مرشد • فراى مآب الشمس عند غروبها •
• في عين ذي خلب وثاط حرمد • قوله فراى مآب اي ذهاب الشمس • وقوله في عين ذي خلب اي حماة والثاط
الحماة ايضا والجمع ثاط والحرمد الطين الاسود وقيل سمي ذا القرنين لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها
وقيل لانه ملك فارس والروم وقيل لانه دخل النور والظلمة وقيل لانه راى في المنام كانه اخذ بقرني الشمس
وقيل لانه كان له ذوابتان حسنتان وقيل له قرنان تواريهما العمامة وروي عن علي انه امر قومه بتقوى
الله فضربوه على قرنه الايمن فمات فاحياه الله ثم بعثه فامرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الايسر فمات
فاحياه الله تعالى واختلفوا في نبوته فقيل كان نبيا لقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين وخطاب الله تعالى
لا يكون الا مع الانبياء وقيل لم يكن نبيا قال ابو الطفيل سئل علي عن ذي القرنين اكان نبيا فقال لم يكن نبيا
ولا ملكا ولكن عبدا احب الله تعالى فاحبه وناصح فيه فناصحه الله وروي ان عمر سمع رجلا يقول لاخر يا ذا القرنين
فقال تسميتم باسماء الانبياء فلم ترضوا حتى تسميتم باسماء الملائكة والاصح الذي عليه الاكثرون انه كان ملكا
صالحا عادلا وانه بلغ اقصى المشرق والمغرب والشمال وهذا هو القدر المعمور من الارض وذلك انه لما مات ابوه جمع له
ملك الروم بعد ان كان طوائف ثم مضى الى ملوك العرب وقهرهم وامعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم رجع الى مصر فبنى

الاسكندرية

الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بيت المقدس وقرب فيه القربان ثم انعطف الى ارمينية وباب
الابواب وبنى السدود ودانت له ملوك العراق والنبط والبربر واستولى على ممالك الفرس ثم مضى الى الهند والصين
وغزا الامم البعيدة ثم رجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها وحمل الى حيث هو مدفون وقيل ان عمره كان
نيفا وثلاثين سنة ومثل هذا الملك البسيط الذي على خلاف العادات وجب ان يبقى ذكره مخلدا على وجه الارض
فلذلك قوله تعالى ويسالونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا اي خبرا يتضمن حاله قوله تعالى انا مكنا
له في الارض اي وطانا له والتمكين تمهيد الاسباب قال علي سخر له السحاب يحمل عليه ومد له في الاسباب وبسط له النور
فكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الارض وذلك له طرقها واتيناه من كل شيء يحتاج اليه الخلق وكل ما يستعين
به الملوك على فتح المدن ومحاربة الاعداء سببا اي علما يتسبب به الى ما يريد ويسير به في اقطار الارض وقيل
بلاغا الى حيث اراد وقيل قربنا له اقطار الارض فاتبع سببا اي سلك طريقا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها
تغرب في عين حمئة اي حارة وقرئ حمئة ذات حمأة وهي الطينة السوداء وسال معاوية كعبا كيف تجد في التوراة
تغرب الشمس واين تغرب قال نجد في التوراة انها تغرب في ماء وطين وقيل يجوز ان يكون في معنى عين
حمئة او في راي العين وذلك انه بلغ موضعا في المغرب لم يبق بعده شيء من العمارات وجد الشمس كانها
تغرب في وهدة مظلمة كما ان راكب البحر يرى الشمس كانها تغيب في البحر ووجد عندها قوما اي عند العين امة
قال ابن جريج مدينة لها اثنا عشر الف باب يقال لها جابرس وبالسريانية جرجيسا يسكنها قوم من نسل
ثمود الذين امنوا بصالح لولا ضجيج اهلها لسمع الناس وجبة الشمس حين تغرب قلنا يا ذا القرنين يستدل
بهذا من يزعم انه كان نبيا فان الله تعالى خاطبه ومن قال انه لم يكن نبيا قال المراد منه الالهام وقيل
يحتمل ان يكون الخطاب على لسان غيره اما ان تعذب يعني تقتل ان لم يدخلوا في الاسلام واما ان تتخذ
فيهم حسنا يعني تعفو وتصفح وقيل تاسرهم فتعلمهم الهدى خيره الله بين الامرين قال اما من ظلم اي كفر فسوف
نعذبه اي نقتله ثم يرد الى ربه اي في الاخرة فيعذبه عذابا نكرا اي منكرا يعني بالنار لانها انكر من القتل
واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى اي جزاء اعماله الصالحة وسنقول له من امرنا يسرا اي نلين له القول
ونعامله باليسر من امرنا ثم اتبع سببا اي سلك طريقا ومنازل حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم
نجعل لهم من دونها سترا قيل انهم في مكان ليس بينهم وبين الشمس ستر من جبل ولا شجر ولا يستقر عليهم بناء فاذا طلعت
الشمس دخلوا في اسراب لهم تحت الارض فاذا زالت الشمس عنهم خرجوا الى معايشهم وحروثهم وقيل كانوا اذا
طلعت الشمس نزلوا في الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كالبهائم وقيل هم قوم عراة يفترش احدهم
احدى اذنيه ويلتحف بالاخرى وقيل انهم قوم من نسل مؤمني قوم هود واسم مدينتهم جابلق واسمها
بالسريانية مرقيسا وهم مجاورون ياجوج وماجوج قوله تعالى كذلك اي كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ
مطلعها وقيل معناه انه حكم في القوم الذي عند مطلع الشمس كما حكم في الذي عند مغربها وهو الاصح وقد احطنا
بما لديه خبرا اي علما بما عنده ومعه من الجند والعدة والالات الحرب وقيل معناه ولقد علمنا حين ملكناه
من الصلاحية لذلك الملك والاستقلال به في القيام بامره قوله عز وجل ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين
هم ههنا الجبلان في ناحية الشمال في منقطع ارض الترك حكي ان الواثق بعث بعض من يثق به الى ان انتهى اليه
ليعاينوه فخرجوا من باب من الابواب حتى وصلوا اليه وشاهدوه فوصفوا انه بناء من لبن حديد مشدودة
بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل وجد من دونهما قوما يعني امام السدين فيلهم الترك لا يكادون يفقهون
قولا قال ابن عباس لا يفهمون كلام احد ولا يفهم الناس كلامهم قالوا يا ذا القرنين **فان قلت**

Copyright © King Saud University

كيف اثبت لهم القول وهم لا يفقهون **قلت** تكلم عنهم مترجم ممن هو مجاورهم ويفهم
كلامهم وقيل معناه لا يكادون يفهمون الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما تفهم قوله تعالى ان ياجوج
وماجوج قبيلتان من اجيج النار وهو ضوءها وشررها شبهوا به لكثرتهم وشدتهم وهم من اولاد يافث
ابن نوح والترك منهم قيل ان طايفة منهم خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقوا خارجه فسموا الترك
بذلك لانهم تركوا خارجين قال اهل التواريخ اولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب وحام
ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو الترك والخزر والصقالبة وياجوج وماجوج قال ابن عباس هم عشرة
اجزا وولد ادم كلهم جزء وروى حذيفة مرفوعا ان ياجوج امة وماجوج امة كل امة اربعة الاف امة لا يموت
احدهم حتى يرى الف ذكر من صلبه كلهم قد حملوا السلاح وهم من ولد ادم يسيرون الى خراب الدنيا قال وهم
ثلاثة اصناف صنف منهم مثل الارز شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع وهولا لا يقوم لهم جبل ولا حديد
وصنف منهم يفترش احدا اذنيه ويلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا اكلوه ومن مات منهم
اكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون انهار المشرق وبحيرة طبرية وعن علي قال منهم من طوله
شبر ومنهم من هو مفرط في الطول وقال كعب هم نادرة في ولد ادم وذلك ان ادم احتلم ذات يوم وامتزجت
نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الما ياجوج وماجوج فهم يتصلون بنا من جهة الاب دون الام وذكر وهب
ابن منبه ان ذا القرنين كان رجلا من الروم ابن عجوز فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله له اني باعثك الى امم
مختلفة السنتهم منهم امتان بينهما طول الارض احدهما عند مغرب الشمس يقال له ناسك والاخرى عند
مطلعها يقال لها منسك وامتان بينهما عرض الارض في القطر الايمن يقال لها هاويل والاخرى في قطر
الارض الايسر يقال لها تاويل وامم في وسط الارض منهم الجن والانس وياجوج وماجوج فقال ذو القرنين باي قوة
اكابرهم وباي جمع اكاثرهم وباي لسان اناطقهم قال الله تعالى اني ساطوقك وابسط لسانك واشد عضدك
فلا يهولنك شي والبسك الهيبة فلا يروعك شي واسخر لك النور والظلمة تحوطك من ورايك فانطلق حتى اتى مغرب
الشمس فوجد جمعا وعددا لا يحصيه الا الله فكاثرهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد فدعاهم الى الله وعبادته
فمنهم من امن ومنهم من صد عنها فعمد الى الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت اجوافهم وبيوتهم ودخلوا في
دعوته فجند من اهل المغرب جندا عظيما وانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم حتى اتى تاويل ففعل فيهم كفعله في ناسك
ثم مضى حتى اتى منسك ففعل فيهم كفعله في الامتين وجند منهم جندا ثم اخذ ناحية الارض اليسرى فاتى هاويل
ففعل فيهم كما فعل فيمن قبلهم ثم عمد الى الامم التي في وسط الارض فلما كان مما يلي منقطع الترك مما يلي المشرق قالت له
يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا اشباه البهايم يفترسون الدواب والوحوش كالسباع وياكلون الحيات
والعقارب وكل ذي روح خلق في الارض وليس يزداد خلق كزيادتهم فلا نشك انهم سيملكون الارض ويظهرون
عليها ويفسدون فيها فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير وقال
اعدوا الصخور والحديد والنحاس حتى علم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد يبلغ
الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا لهم مخاليب واضراس كالسباع ولهم هلب شعر يواري اجسادهم
يتقون به من الحر والبرد ولكل واحد منهم اذنان عظيمتان يفترش احداهما ويلتحف بالاخرى يصيف في
واحدة ويشتو في واحدة يتسافدون تسافد البهايم حيث التقوا فلما عاين ذلك ذو القرنين انصرف الى ما بين
الصدفين فقاس ما بينهما وحفر حتى بلغ الما فذلك قوله تعالى قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج
مفسدون في الارض قيل فسادهم انهم كانوا يخرجون ايام الربيع الى ارضهم فلقوا منهم اذى شديدا وقيل

فسادهم

فسادهم انهم كانوا ياكلون الناس وقيل معناه انهم سيفسدون عند خروجهم فهل نجعل لك خرجا اي جعلا واجرا من
الاموال على ان تجعل بيننا وبينهم سدا اي حاجزا فلا يصلون الينا قال لهم ذو القرنين ما مكني فيه ربي خير
اي ما قواني فيه ربي خير من جعلكم فاعينوني بقوة يعني لا اريد منكم المال بل اعينوني بابدانكم وقوتكم اجعل بينكم
وبينهم ردما اي سدا قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البنا والالة قالوا وما تلك الالة
قال اتوني اي اعطوني وقيل جيبوني زبر الحديد اي قطع الحديد فاتوه بها وبالحطب فجعل الحطب على الحديد
والحديد على الحطب حتى اذا ساوى بين الصدفين اي بين طرفي الجبلين قال انفخوا يعني في النار حتى اذا جعله نارا اي صار
نارا قال اتوني افرغ عليه اي اصب عليه قطرا اي نحاسا مذابا فجعلت النار تاكل الحطب وجعل النحاس
يسيل مكانه حتى لزم الحديد فقيل ان السد كالبرد المحبر طريقة سودا وطريقة حمرا وقيل ان عرضه خمسون
ذراعا وارتفاعه مائة ذراع وطوله فرسخ واعلم ان هذا السد معجزة عظيمة ظاهرة لان الزبرة الكبيرة اذا
نفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر احد على القرب منها والنفخ عليها لا يمكن الا بالقرب فكانه تعالى صرف تاثير
تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اوليك النافخين حتى تمكنوا من العمل فيه فما اسطاعوا ان يظهروه اي يعلوا عليه لعلوه
وملاسته وما استطاعوا له نقبا من اسفله لشدته وصلابته قال يعني ذو القرنين هذا اي السد رحمة من ربي
اي نعمة من ربي فاذا جاء وعد ربي قيل يوم القيامة وقيل وقت خروجهم جعله دكا اي ارضا ملسا وقيل
مدكوكا مستويا مع الارض وكان وعد ربي حقا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وعقد بيده تسعين قوله عقد تسعين هذا من موضوعات
الحساب وهو ان تجعل راس اصبعك السبابة في وسط الابهام من باطنها شبه الحلقة لكن لا يبين لها الا
خلل يسير وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السد يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه قال
ارجعوا فستحفرونه غدا فيعيده الله تعالى كاشد ما كان حتى اذا بلغ مدتهم واراد الله تعالى ان يبعثهم على
الناس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شا الله تعالى واستثنى قال فيرجعون فيجدونه كهيئته
حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس فيستقون المياه ويفر منهم الناس وفي رواية فيتحصن الناس في
حصونهم منهم فيرمون بسهامهم الى السما فترجع مخضبة بالدما فيقولون قهرنا من في الارض وعلونا من في السما
فيزدادوا قوة وقسوة وعلوا فيبعث الله عليهم نغفا في رقابهم فيهلكون فوالذي نفس محمد بيده ان دواب الارض
لتسمن وتشكر من لحومهم شكرا اخرجه الترمذي وقوله قسوة وعلوا اي غلظة وفظاظة وتكبرا والنغف
دود يكون في انوف الابل والغنم وقوله وتشكر يقال شكرت الشاة تشكر شكرا اذا امتلا ضرعها لبنا والمعنى
انها تمتلي اجسادها لحما وتسمن خ عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج ياجوج وماجوج قوله سبحانه وتعالى وتركنا بعضهم يومئذ يموج في
بعض قيل هذا عند فتح السد يقول تركنا ياجوج وماجوج يموج اي يدخل بعضهم في بعض كموج الما ويختلط
بعضهم في بعض ويختلط انسهم بجنهم حيارى ونفخ في الصور فيه دليل على ان خروج ياجوج وماجوج من علامات
قرب الساعة فجمعناهم جمعا اي في صعيد واحد وعرضنا اي ابرزنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا اي حتى شاهدوها عيانا
الذين كانت اعينهم في غطا اي غشا وستر عن ذكري اي عن الايمان والقران والهدى والبيان وقيل عن
روية الدلايل وتبصرها وكانوا لا يستطيعون سمعا اي سمع القبول للايمان لغلبة الشقا عليهم وقيل
معناه لا يستطيعون ان يسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة عداوتهم له قوله تعالى افحسب
اي افظن الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اوليا يعني اربابا يريد عيسى والملايكة بل هم لهم اعدا ويتبرون

Copyright © King Saud University

٥٢٠

منهم قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني الشياطين اطاعوهم من دون الله والمعنى افظن الذين كفروا ان يتخذوا غيري
اولياء واني لا اغضب لنفسي فلا اعاقبهم وقيل معناه افظنوا انه ينفعهم ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء انا
اعتدنا اي هيأنا جهنم للكافرين نزلا اي منزلا قال ابن عباس رضي الله عنهما هو مثواهم وقيل معدة لهم عندنا
كالمنزل للضيف قوله سبحانه وتعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا يعني الذين اتعبوا انفسهم في عمل يرجون به
فضلا ونوالا فنالوا هلاكا وبوارا قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود والنصارى وقيل هم الرهبان الذين
حبسوا انفسهم في الصوامع وقال علي بن ابي طالب هم اهل حروراء يعني الخوارج الذين ضل سعيهم اي بطل عملهم
واجتهادهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون اي يظنون انهم يحسنون صنعا اي عملا فقال تعالى اولئك الذين
كفروا بآيات ربهم ولقائه يعني انهم جحدوا دلايل توحيده وقدرته وكفروا بالبعث والثواب والعقاب وذلك لانهم
كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فصاروا كافرين بهذه الاشيا فحبطت اعمالهم اي بطلت فلا
نقيم لهم يوم القيامة وزنا وقيل لا نقيم لهم ميزانا لان الميزان انما توضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين
ليتميز مقدار الطاعات ومقدار السيئات قال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه ياتي الناس باعمال يوم القيمة
هي عندهم من العظم كجبل تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيا فذلك قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا معناه
نزدري بهم فليس لهم عندنا خطر ولا قدر ولا وزن عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة فقال اقرؤوا ان شئتم فلا
نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك اشارة الى ما ذكر من حبوط اعمالهم وخسة قدرهم ثم ابتدا فقال جزاؤهم
جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا يعني سخرية واستهزا قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كانت لهم جنات الفردوس نزلا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سالتم الله فاسالوه
الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة قال كعب ليس في الجنة جنة
اعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة واوسطها
وافضلها وارفعها وقيل الفردوس هو البستان الذي فيه الاعناب وقيل هي الجنة الملتفة بالاشجار التي تنبت
ضروبا من النبات وقيل الفردوس هو بالرومية وقيل بلسان الحبش منقول الى العربية نزلا هو ما يهيا للنازل
على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلا وقيل في معنى كانت لهم اي في علم الله تعالى قبل ان
يخلقوا خالدين فيها لا يبغون اي لا يطلبون عنها حولا اي تحولا الى غيرها قال ابن عباس رضي الله عنهما
لا يريدون ان يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار اذا لم توافقه الى دار اخرى قوله تعالى قل لو كان البحر مدادا
لكلمات ربي قال ابن عباس رضي الله عنهما قالت اليهود يا محمد تزعم انا قد اوتينا الحكمة وفي كتابك ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل لما نزل
وما اوتيتم من العلم الا قليلا قالت اليهود اوتينا علم التوراة وفيها علم كل شي فانزل الله قل لو كان البحر مدادا
لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا اي مددا وهو ما يستمد منه الكاتب ويكتب
به واصله من الزيادة قال مجاهد رضي الله عنه لو كان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب قيل والخلايق يكتبون
لنفد البحر اي لنفد ماؤه قبل ان تنفد كلمات ربي اي علمه وحكمه ولو جئنا بمثله مددا والمعنى ولو
كان الخلايق يكتبون والبحر يمدهم لفني ماء البحر ولم تفن كلمات الله تعالى ولو جئنا بمثل ماء البحر في كثرته مددا
وزيادة قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم قال ابن عباس رضي الله عنهما علم الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه
وسلم التواضع لئلا يزهى على خلقه فامره ان يقر فيقول اني آدمي مثلكم الا اني خصصت بالوحي واكرمني الله به وهو

قوله

قوله تعالى يوحى الي انما الهكم اله واحد لا شريك له في ملكه فمن كان يرجو لقاء ربه اي يخاف المصير اليه وقيل يؤمل
رؤية ربه فليعمل عملا صالحا اي من حصل له رجاء لقاء الله تعالى والمصير اليه فليستعمل نفسه في العمل الصالح ولا يشرك
بعبادة ربه احدا اي لا يرائي بعمله ولما كان العمل الصالح قد يراد به وجه الله سبحانه وتعالى وقد يراد به الرياء
والسمعة اعتبر فيه قيدان احدهما ان يراد به سبحانه وتعالى والثاني ان يكون مبرا من جهات الشرك
جميعا ق عن جندب بن عبد الله البجلي قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من سمع سمع الله به ومن يرائي
يرائي الله به قوله من سمع سمع الله به اي من عمل عملا مراءاة للناس يشتهر بذلك شهره الله يوم القيمة وقيل
معنى سمع الله به اي اسمعه المكروه م عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله
تبارك وتعالى يقول انا اغنى الشركا عن الشرك فمن عمل عملا اشرك فيه غيري تركته وشركه ولغير مسلم فانا منه بري
هو للذي عمله عن سعد بن ابي فضالة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع
الناس ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان يشرك في عمل عمله لله احدا فليطلب ثوابه منه فان الله
اغنى الشركا عن الشرك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعن النبي صلى الله عليه وسلم اخوف
ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء عن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال من حفظ عشر آيات من اول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وفي رواية من آخرها والله اعلم
بمراده واسرار كتابه ٠ سورة مريم عليها السلام وهي مكية وهي ثمان وتسعون آية واثنان وثمانون
وسبعمائة كلمة وثلاثة الاف وسبعمائة حرفا بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص قال ابن عباس رضي
الله عنهما هو اسم من اسماء الله تعالى وقيل اسم للقرآن وقيل هو قسم اقسم الله تعالى به وعن ابن عباس ايضا قال
الكاف من كريم وكبير والهاء من هادي والياء من رحيم والعين من عليم والصاد من صادق وقيل معناه كاف لخلقه
هاد لعباده يده فوق ايديهم عالم ببريته صادق في وعده ذكر اي هذا الذكر الذي نتلوه عليك رحمة ربك
عبده زكريا قيل معناه ذكر ربك عبده زكريا برحمته اذ نادى اي دعا ربه في المحراب نداء خفيا اي دعاء سرا
في قومه في جوف الليل وقيل راعى سنة الله في اخفاء دعوته لان الجهر والاسرار عند الله سبحانه وتعالى سيان
لكن الاخفاء اولى لانه ابعد عن الرياء وادخل في الاخلاص وقيل اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في زمن الشيخوخة
وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه بدليل قوله سبحانه وتعالى قال رب اني وهن العظم مني اي ضعف
من الكبر وقيل اشتكى سقوط الاضراس واشتعل الراس شيبا اي الشعر شمطا ولم اكن بدعائك رب شقيا اي عودتني
الاجابة فيما مضى ولم تخيبني وقيل معناه لما دعوتني الى الايمان آمنت ولم اشق بترك الايمان واني خفت الموالي من
ورائي وكانت امراتي عاقرا اي من بعدي وهم بنو العم وقيل العصبة وقيل الكلالة وقيل جميع الورثة
فهب لي من لدنك وليا اي اعطني وليا مرضيا يرثني ويرث من آل يعقوب اي وليا وارثا وقيل اراد به يرثني مالي ويرث
من آل يعقوب النبوة والحبورة وقيل اراد ميراث النبوة والعلم وقيل اراد الحبورة لان زكريا كان راس الاحبار والاولى
ان يحمل على ميراث غير المال لان الانبيا لم يورثوا المال وانما ورثوا العلم ويبعد من زكريا وهو نبي من الانبيا ان يشفق
على ماله ان يرثه بنو اعمه وانما خاف ان يضيع بنو اعمه دين الله ويغيروا احكامه وذلك انه لما شاهد من بني اسرائيل
من تبديل الدين وقتل الانبيا فسال ربه ولدا صالحا يامنه على امته ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع وهذا قول
ابن عباس واجعله رب رضيا اي برا تقيا قوله تعالى يا زكريا المعنى فاستجاب الله له دعاءه فقال
يا زكريا انا نبشرك بغلام اي بولد اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا اي لم يسم احد قبله يحيى وقيل معناه لم نجعل له شبها
ومثلا وذلك لانه لم يعص الله ولم يهم بمعصية قط وقال ابن عباس لم تلد العواقر مثله ولدا وقيل لم يرد الله تعالى

Copyright © King Saud University

بذلك اجتماع الفضايل كلها الا ليحيى وانما اراد الله تعضيهما لان الخليل والكليم كانا قبله وهما افضل منه قال رب
انى يكون لى غلام اى من اين يكون لى غلام وكانت امراتى عاقرا اى وامراتى عاقر وقد بلغت من الكبر عتيا اى يبسا يريد
به لكبر نحول الجسم ودقة العظم ونحول الجلد قال كذلك قال ربك هو على هين اى يسير وقد خلقتك من قبل
اى من قبل يحيى ولم تك شيئا قال رب اجعل لى اية اى دلالة على حمل امراتى قال ايتك اى علامتك الا تكلم
الناس ثلاث ليال سويا اى صحيحا سليما من غير باس ولا خرس وقيل ثلاث ليال متتابعات والاول
اصح قيل انه لم يقدر فيها ان يتكلم مع الناس فاذا اراد ذكر الله انطلق لسانه قوله عز وجل فخرج على قومه من المحراب
اى من الموضع الذى كان يصلى فيه وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه حتى يفتح لهم فيدخلون ويصلون اذ خرج
اليهم زكريا متغيرا لونه فانكروا ذلك عليه وقالوا له مالك فاوحى اى فاومى واشار اليهم وقيل كتب لهم فى الارض
ان سبحوا اى صلوا لله بكرة وعشيا المعنى انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيامرهم بالصلاة اشارة قوله
عز وجل يا يحيى فيه حذف معناه وقلنا له يا يحيى ووهبنا له يحيى وقلنا خذ الكتاب اى التوراة بقوة اى بجد
واجتهاد واتيناه الحكم قال ابن عباس يعنى النبوة صبيا وهو ابن ثلاث سنين وذلك ان الله احكم عقله
واوحى اليه **فان قلت** كيف يصح حصول العقل والفطنة والنبوة حال الصبى **قلت**
لان اصل النبوة مبنى على خرق العادات اذا ثبت هذا فلا يمتنع صيرورة الصبى نبيا وقيل اراد بالحكم
فهم الكتاب فقرا التوراة وهو صغير وعن بعض السلف قال من قرا القران قبل ان يبلغ فهو ممن اوتى
الحكم صبيا وحنانا من لدنا اى رحمة من عندنا قال الحطيئة يخاطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه
تحنن على هداك المليك • فان لكل مقام مقالا • اى ترحم على وزكاة معناه اتيناه رحمة من
عندنا وتحننا على العباد ليدعوهم الى طاعة ربهم وعملا صالحا فى اخلاص وكان تقيا اى مسلما مخلصا
مطيعا وكان من تقواه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها قط وبرا بوالديه اى بارا لطيفا بهما محسنا اليهما لانه
لا عبادة بعد تعظيم الله تعالى اعظم من بر الوالدين يدل عليه قوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا
اياه وبالوالدين احسانا الاية ولم يكن جبارا الجبار المتكبر وقيل الذى يقتل ويضرب على الغضب وقيل الجبار
الذى لا يرى لاحد على نفسه حقا وهو من التعظيم بنفسه من لا يلزمه فضلا لانه عصيا قيل هو ابلغ من
العاصى والمراد وصف يحيى بالتواضع ولين الجانب وهو من صفات المومنين وسلام عليه يوم ولد ويوم
يموت ويوم يبعث حيا وقيل واماناه له من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان كما ينال سائر بنى ادم ويوم
يموت امانا له من عذاب القبر ويوم يبعث حيا امانا له اى من عذاب يوم القيمة وقيل احسن ما يكون
الخلق ثلاثة مواطن يوم ولد لانه يرى نفسه خارجا من مكان قد كان فيه ويوم يموت لانه يرى قوما
ما شاهدهم قط ويوم يبعث لانه يرى مشهدا عظيما فاكرم الله تعالى يحيى فى هذه المواطن كلها فخصه بالسلام
فيها قوله تعالى واذكر فى الكتاب اى القران مريم اذ انتبذت اى تنحت واعتزلت من اهلها اى من
قومها مكانا شرقيا اى مكانا فى الدار مما يلى الشرق وكان ذلك اليوم شديد البرد فجلست فى شرقة تفلى راسها
وقيل ان مريم قد كانت طهرت من الحيض فذهبت لتغتسل قيل ولهذا المعنى اتخذت النصارى المشرق قبلة
فاتخذت اى ضربت من دونهم حجابا قال ابن عباس اى سترا وقيل جلست وراء جدار وقيل ان مريم كانت
تكون فى المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هى تغتسل من
الحيض قد تجردت اذ عرض لها جبريل فى صورة شاب امرد وضى الوجه سوى الخلقة فذلك قوله تعالى
فارسلنا اليها روحنا يعنى جبريل فتمثل لها بشرا سويا اى سوى الخلقة لم ينقص من الصورة الادمية

شيا وانما مثل لها فى صورة الانسان لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها فى صورة الملايكة لنفرت
عنه ولم تقدر على استماع كلامه وقيل المراد من الروح روح عيسى جاء فى صورة بشر فحملت والقول
الاول اصح فلما رات مريم جبريل يقصد نحوها بادرته من بعيد قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا
اى مومنا مطيعا لله تعالى تعوذها من تلك الصورة الحسنة على عفتها وورعها **فان قلت** انما يستعاذ من الظالم والفاجر فكيف قالت ان كنت تقيا **قلت**
هذا كقول القايل ان كنت مومنا فلا تظلمنى اى ينبغى ان يكون ايمانك مانعا لك من الظلم كذلك
ههنا ينبغى معناه ان يكون تقواك مانعا لك من الفجور قال انما انا رسول ربك لاهب لك اسند الفعل
اليه وان كانت الهبة من الله تعالى لانه ارسل به لك غلاما زكيا اى ولدا صالحا طاهرا من الذنوب قالت
مريم انى يكون لى غلام من اين يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر اى ولم يقربنى زوج ولم اك بغيا اى فاجرة
تريد ان الولد انما يكون من نكاح او سفاح ولم يكن ههنا واحد منهما قال جبريل كذلك قال ربك اى هكذا
قال ربك هو على هين اى خلق ولد بلا اب ولنجعله اية للناس اى علامة لهم ودلالة على قدرتنا
ورحمة منا اى ونعمة لمن تبعه على دينه الذى بعثه ودين محمد صلى الله عليه وسلم وكان امرا مقضيا
اى محكوما مفروغا منه ولا يرد ولا يبدل قوله عز وجل فحملته اى قيل ان جبريل رفع درعها فنفخ
فى جيبها فحملت حين لبست الدرع وقيل نفخ فى كمها وقيل فى ذيلها وقيل فى فيها وقيل نفخ من بعيد فوصل
النفخ اليها فحملت بعيسى فى الحال فانتبذت به اى فلما حملته تنحت بالحمل وانفردت مكانا قصيا اى بعيدا
من اهلها قال ابن عباس اقصى الوادى وهو بيت لحم فرارا من اهلها وقومها ان يعيروها بولادتها من غير زوج قال
ابن عباس كان الحمل والولادة فى ساعة واحدة وقيل حملته فى ساعة وصور فى ساعة ووضعته فى ساعة
حين زالت الشمس من يومها وقيل كانت مدته تسعة اشهر كحمل سائر الحوامل من النسا وقيل كانت مدة
حملها ثمانية اشهر وذلك اية اخرى لدلالة انه لا يعيش من ولد لثمانية اشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش
وقيل ولد لستة اشهر وهى بنت عشر سنين وقيل ثلاثة عشر سنة وقيل ستة عشر سنة وقد كانت حاضت
حيضتين قبل ان تحمل بعيسى قال وهب ان مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له يوسف النجار
وكانا منطلقين الى المسجد الذى عند جبل صهيون وكان مريم ويوسف يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم من اهل زمانهما
احد احب عبادة واجتهادا منهما واول من عرف بحمل مريم يوسف فبقى متحيرا فى امرها كلما اراد ان يتهمها ذكر عبادتها
وصلاحها وانها لم تغب عنه واذا اراد ان يبريها راى ما ظهر بها من الحمل فاول ما تكلم به ان قال انه قد وقع فى
نفسى من امرك شى وقد حرصت على كتمانه فغلبنى ذلك فرايت ان اتكلم به اشفى صدرى فقالت قل قولا جميلا
قال اخبرينى يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر وهل ينبت شجر بغير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم الم
تعلم بان الله انبت الشجرة بالقدرة من غير غيث وتقول ان الله تعالى لا يقدر على ان ينبت الشجر حتى استعان
بالما ولولا ذلك لم يقدر على انباتها قال يوسف لا اقول هذا ولكنى اقول ان الله تعالى يقدر على كل شى يقول
له كن فيكون قالت له مريم الم تعلم ان الله خلق ادم وامراته من غير ذكر ولا انثى فعند ذلك زال ما عنده من التهمة
وكان ينوب عنها فى خدمة المسجد لاستيلا الضعف عليها بسبب الحمل فلما دنى ولادتها اوحى الله اليها ان اخرجى من ارض
قومك فذلك قوله تعالى فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها المخاض اى الجاها وجاء بها والمخاض وجع الولادة
الى جذع النخلة وكانت نخلة يابسة فى الصحرا فى شدة البرد لم يكن لها سعف وقيل التجئت اليها لتستند اليها
وتتمسك بها من شدة الطلق ووجع الولادة قالت يا ليتنى مت قبل هذا تمنت الموت استحيا من الناس وخوف

Copyright © King Saud University

النقيصة وكنت نسيا منسيا يعني شيئا حقيرا متروكا لم يذكر ولم يعرف لحقارته وقيل جيفة ملقاة وقيل معناه انها تمنت
انها لم تخلق فناداها من تحتها قيل ان مريم كانت على اكمة وجبريل وراء الاكمة تحتها وقيل ناداها من سفح الجبل
وقيل هو عيسى وذلك انه لما خرج من بطن امه ناداها ان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا اي نهرا قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما ضرب جبريل عليه السلام وقيل عيسى عليه السلام برجله في الارض فظهرت عين ماء عذب وجرى
وقيل كان هناك نهر يابس اجرى الله سبحانه وتعالى فيه الماء وحييت النخلة اليابسة فاورقت واثمرت وارطبت
وقيل معنى تحتك اي بامرك ان امرتيه ان يجري جرى وان امرتيه بالامساك امسك وقيل معنى ان عيسى كان
عبدا سريا رفيعا وهزي اليك اي حركي بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا قيل الجذع الذي بلغ الغاية نضوجا
او اناء اجتنائه قال الربيع بن خثيم ما للنفساء عندي خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل فكلي واشربي اي يا مريم
كلي من الرطب واشربي من النهر وقري عينا اي طيبي نفسا وقيل قري عينك بولدك عيسى يقال اقر الله عينك
اي صادف فؤادك ما يرضيك فتقر عينك فاما ترين من البشر احدا معناه فيسألك عن ولدك فقولي اني
نذرت للرحمن صوما اي صمتا قيل كان في بني اسرائيل من اراد ان يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا
يتكلم حتى يمسي وقيل ان الله امرها ان تقول هكذا اشارة وقيل امرها ان تقول هذا القول نطقا ثم
تمسك عن الكلام بعده وانما منعت عن الكلام لامرين احدهما ان يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم عنها ليكون
اقوى لحجتها في ازالة التهمة عنها وفيه دلالة على ان تفويض الكلام الى الافضل اولى الثاني كراهة مجادلة السفهاء
وفيه ان السكوت عن السفيه واجب فلن اكلم اليوم انسيا يقال انها كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الانس قوله تعالى
فاتت به قومها تحمله قيل انها لما ولدت عيسى عليه السلام حملته في الحال الى قومها وقيل ان يوسف النجار احتمل مريم
وابنها عيسى الى غار فمكثت فيه اربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم حملته الى قومها فكلمها عيسى في الطريق فقال
يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على اهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا اهل بيت صالحين
قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا اي عظيما منكرا وقيل معناه جئت بامر عجيب بديع يا اخت هارون
اي يا مشبهة هارون قيل كان رجلا صالحا في بني اسرائيل شبهت به في عفتها وصلاحها وليس المراد الاخوة
في النسب قيل انه يوم مات تبع جنازته يوم مات اربعون الفا من بني اسرائيل كلهم يسمى هارون سوى سائر
الناس م عن المغيرة بن شعبة قال لما قدمت نجران سألوني فقالوا انكم تقرؤون يا اخت هارون وموسى
قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك فقال انهم يسمون باسماء انبيائهم
والصالحين فيهم وقيل كان هارون اخا مريم لابيها من امثل رجل في بني اسرائيل وقيل انما عنوا هارون اخا موسى
لانها كانت من نسله كما يقال للتميمي يا اخا تميم وقيل كان هارون في بني اسرائيل فاسقا اعظم الفسق فشبهوها
به ما كان ابوك يعني عمران امرا سوء قال ابن عباس زانيا وما كانت امك بغيا يعني حنة بغيا اي زانية فمن
اين لك هذا الولد فاشارت اليه اي اشارت مريم الى عيسى ان كلموه قال ابن مسعود لما لم يكن لها حجة
اشارت اليه غضب القوم وقالوا مع ما فعلت تسخرين بنا قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قيل اراد
بالمهد الحجر وهو حجرها وقيل هو المهد فاقبل عليهم واتكأ على يساره وجعل يشير بيمينه قال اني عبد الله قال وهب
اتاها زكريا عند مناظرتها اليهود فقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت امرت بها فقال عند ذلك عيسى وهو ابن
اربعين يوما وقيل بل يوم ولد اقر على نفسه بالعبودية لله تعالى اول ما تكلم لئلا يتخذ الها **فان قلت**
ان الذي اشتدت اليه الحاجة في ذلك نفي التهمة عن امه وان عيسى لم ينص على ذلك وانما نص على اثبات عبودية
نفسه لله تعالى **قلت** كانه جعل ازالة التهمة عن امه فلهذا اول ما تكلم انما تكلم باعترافه على

نفسه بالعبودية ليحصل ازالة التهمة عن الام لان الله تعالى لم يختص بهذه المرتبة العظيمة من ولد في زنا والتكلم
بازالة التهمة عن الام لا يفيد ازالة التهمة عن الله سبحانه وتعالى فكان الاشتغال بذلك اولى اتاني الكتاب وجعلني
نبيا قيل معناه سيجعلني نبيا ويؤتيني الكتاب وهو الانجيل وهذا اخبار عما كتب له في اللوح المحفوظ كما قيل للنبي صلى
الله عليه وسلم متى كنت نبيا قال كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد قال الاكثرون انه اوتي الانجيل وهو صغير وكان
يعقل عقل الرجال الكمل وعن الحسن انه الهم التوراة وهو في بطن امه وجعلني مباركا اينما كنت اي معناه اني
نفاعا اينما توجهت وقيل معلما للخير داعيا الى الله بتوحيده وعبادته وقيل مباركا على من تبعني واوصاني بالصلاة والزكاة
اي امرني بها وكلفني فعلها **فان قلت** كيف يؤمر بالصلاة والزكاة في حال طفوليته
وقد قال عليه الصلاة والسلام رفع القلم عن ثلاث الصبي حتى يبلغ الحنث **قلت** ان قوله واوصاني
بالصلاة والزكاة في الوقت المعين لهما وهو البلوغ وقيل ان المراد ان الله تعالى صيره حين انفصل من امه بالغا
عاقلا وهذا اظهر في سياق الاية ما دمت حيا فانه يفيد ان هذا التكليف متوجه اليه في جميع زمان حياته
حتى كان في الارض وحين رفع الى السماء وحين ينزل الى الارض بعد رفعه وبرا بوالدتي اي جعلني برا بوالدتي ولم يجعلني
جبارا شقيا اي عصيا لربي متكبرا على الخلق بل انا خاضع متواضع وروي انه قال قلبي لين وانا صغير في نفسي وقال
بعض العلماء لا يوجد العاق الا جبارا شقيا على هذه الاية وقيل الشقي الذي يذنب ولا يتوب عن الشرك والسلام
علي يوم ولدت اي السلامة عند الولادة من طعن الشيطان ويوم اموت اي عند الموت من الشرك ويوم
ابعث حيا اي من اهوال يوم القيامة فلما كلمهم بذلك عيسى علموا براءة مريم ثم سكت عيسى فلم يتكلم حتى بلغ
المدة التي يتكلم فيها الاطفال ذلك عيسى ابن مريم اي الذي قال اني عبد الله هو عيسى ابن مريم قول الحق اي هذا
الكلام هو الحق اضاف القول الى الحق وقيل هو نعت لعيسى يعني ذلك عيسى ابن مريم كلمة الله الحق والحق هو الله
الذي فيه يمترون اي يشكون ويختلفون فقائل يقول هو ابن الله وقائل يقول ثالث ثلاثة تعالى الله عما
يقولون علوا كبيرا ثم نزه نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد اي ما كان ينبغي
اتخاذ الولد ولا ينبغي له ذلك تعالى سبحانه اذا قضى امرا اي اذا اراد ان يحدث امرا فانما يقول له كن فيكون
ان لا يتعذر عليه اتخاذه على الوجه الذي اراده وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا اخبار عن عيسى انه قال ذلك
ولان الله ربي وربكم لا رب للمخلوقات سواه هذا صراط مستقيم اي هذا الذي امرتكم به ان الله امرني به هو الطريق
المستقيم الذي يؤدي الى الجنة فاختلف الاحزاب من بينهم يعني النصارى سموا احزابا لانهم تحزبوا ثلاث فرق في امر
عيسى النسطورية والملكانية واليعقوبية فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم يعني يوم القيامة اسمع
بهم وابصر اي ما اسمعهم وابصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر اخبر انهم يسمعون ويبصرون في الاخرة
ما لم يسمعوا ويبصروا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون ويبصرون مما يسوء وجوههم ويصدع قلوبهم يوم يأتوننا
اي يوم القيامة لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين قيل اراد بالدنيا في خطا بين وفي الاخرة يعرفون الحق
وقيل معناه لكن الظالمون في الاخرة في ضلال عن طريق الجنة بخلاف المؤمنين قوله تعالى وانذرهم يوم الحسرة يعني
خوف يا محمد كفار مكة يوم الحسرة سمي بذلك لان المسيء يتحسر هلا احسن العمل والمحسن هلا ازداد في الاحسان يدل
عليه ما روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يموت الا ندم قالوا وما ندمه يا رسول
الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم ان لا يكون نزع اخرجه الترمذي قوله ان لا يكون
نزع النزع عن الشيء الكف عنه وقال اكثر المفسرين يعني يوم الحسرة يوم يذبح الموت ق عن ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت على هيئة كبش املح فينادي مناد يا اهل الجنة فيشرئبون

Copyright King Saud University

ويتظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم فيقول هذا الموت وكلهم قد راه ثم ينادي مناد اخر يا اهل النار
فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد راه فيذبح بين الجنة والنار
ثم يقول يا اهل الجنة خلود بلا موت ويا اهل النار خلود بلا موت ثم قرا وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم
في غفلة وهم لا يؤمنون واشار بيده الى الدنيا زاد الترمذي فيه فلو ان احدا مات فرحا لمات اهل الجنة ولو ان
احدا مات حزنا لمات اهل النار قوله كهيئة كبش املح الاملح المختلط البياض والسواد فيشرئبون يقال اشرأب للشيء اذا
تطلع ينظر اليه ومال نحوه بنفسه قوله فيذبح بين الجنة والنار اعلم ان الموت عرض ليس بجسم في صورة كبش او غيره
فعلى هذا يتاول الحديث على ان الله تعالى يخلق هذا الجسم وهو حيوان فيذبح ويموت فلا يبقى بعد ذلك حياة
ولا وجود وكذلك حال اهل الجنة والنار بعد الاستقرار فيهما لا زوال لهما ولا استقرار فيهما ولا انتقال
ق عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صار اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار جيء بالموت حتى
يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناد يا اهل الجنة لا موت ويا اهل النار لا موت فيزداد اهل الجنة
فرحا الى فرحهم ويزداد اهل النار حزنا الى حزنهم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة
احد الا اري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا ولا يدخل احد النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليكون عليه حسرة اخرجه
البخاري قوله تعالى اذ قضي الامر اذ فرغ الحساب وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وذبح الموت وهم في غفلة
اي عما يراد بهم في الاخرة وهم لا يؤمنون اي لا يصدقون انا نحن نرث الارض ومن عليها اي نميت سكان الارض جميعا ونبقى
الله سبحانه وتعالى وحده فنرثهم والينا يرجعون فنجزيهم باعمالهم قوله تعالى واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا
اي كثير الصدق وهو مبالغة في كونه صديقا وقيل التصديق الكثير التصديق فقيل من صدق الله في وحدانيته وصدق
انبياءه ورسله وصدق بالبعث بعد الموت وقام بالاوامر فعمل فهو صديق ولما قرب من رتبة الصديقية من رتبة النبي
انتقل من ذكر كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا والنبي العالي في الرتبة بارسال الله اياه واي رتبة اعلى من رتبة من جعله الله
تعالى واسطة بينه وبين عباده اذ قال لابيه يعني ازر وهو يعبد الاصنام يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا
يبصر يعني صوتا ولا ينظر شيئا ولا يغني عنك شيئا اي يكفيك شيئا وصف الاصنام بثلاثة اشياء كل واحد منها
قادح في الالهية وذلك ان العبادة هي غاية التعظيم فلا يستحقها الا من له ولاية الانعام وهو الله وصاف الكمال وهو الله
تعالى فلا يستحق العبادة الا اياه يا ابت اني قد جاءني من العلم بالله والمعرفة ما لم يأتك فاتبعني اي على ديني اهدك
صراطا سويا اي مستقيما يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا اي لا تطعه فيما
يزين لك من الكفر والشرك فانه كان للرحمن عصيا اي عاصيا يا ابت اني اخاف اي اعلم وقيل هو على ظاهره لانه لم يكن
ان يؤمن فيكون من اهل الجنة او يبقى على الكفر فيكون من اهل النار فحمل الخوف على ظاهره اولى واعلم ان ابراهيم عليه السلام
رتب هذا الكلام في غاية الحسن مقرونا باللطف والرفق فانه قوله في مقدمة كل كلامه يا ابت دليل على شدة
الحب والرغبة في صونه عن العقاب وارشاده الى الصواب لانه نبه اولا على ما يدل على المنع من عبادة الاصنام
ثم امره باتباعه في الايمان ثم نبه ان طاعة الشيطان غير جائزة في العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر على
الاقدام على ما لا ينبغي بقوله اني اخاف ان يمسك اي يصيبك عذاب من الرحمن اي ان اقمت على الكفر فتكون
للشيطان وليا اي قرينا في النار واعلم ان ابراهيم عليه السلام في كلامه مع ابيه لامور احدها الشدة تعلق
قلبه بصلاحية ابيه واداء حق الابوة والرفق به وثانيها ان النبي يعادي في الحق لا ابدا ان يكون رفيقا
بل لطيفا حتى يقبل منه كلامه وثالثها النصح لكل احد فالاب اولى قال يعني اباه مجيبا له اراغب انت عن الهتي
يا ابراهيم اي تاركها انت وتارك عبادتها لئن لم تنته لارجمنك اي لترجع وتسكت عن عيبك الهتنا وشتمك

اياها قال ابن عباس معناه لاضربنك وقيل لاقتلنك بالحجارة وقيل لاشتمنك وقيل لابعدنك عني بالقول القبيح واهجرني
مليا اي اجتنبني قال ابن عباس اعتزلني سالما لا يصيبك مني معرة مليا اي دهرا طويلا قال يعني ابراهيم سلام عليك
اي سلمت مني مكروه وذلك انه لم يؤمر بقتاله على كفره وقيل هذا سلام هجران ومفارقة وقيل هو سلام بر
ولطف وهو جواب الحليم للسفيه ساستغفر لك ربي قيل انه لما اعياه امره وعده ان يراجع الله فيه فيسأله ان
يرزقه التوحيد ويغفر له معناه سأسأل ربك توبة تنال بها المغفرة انه كان بي حفيا اي برا لطيفا والمراد
انه يستجيب لي اذا دعوته لانه عودني الاجابة لدعاي واعتزلكم وما تدعون من دون الله اي افارقكم وافارق ما تعبدون
من دون الله وذلك انه لما فارقهم وهاجر توجه الى الارض المقدسة وادعو ربي اي ادعو الذي خلقني وانعم
علي عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا اي ارجو ان لا اشقى بعبادته وعبادته كما تشقون بعبادة الاصنام
ففيه من التواضع له مع التعريض بشقاوتهم قوله عز وجل فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله اي
ذهب مهاجرا وهبنا له اي بعد الهجرة اسحاق ويعقوب انسنا وحشته من فراقهم باولاد اكرم على الله من ابيه
وكلا جعلنا نبيا معناه انعمنا عليهما بالنبوة ووهبنا لهم من رحمتنا اي معهم ووهبنا لهم من النبوة ووهبنا
لهم المال والولد وذلك انه بسط لهم في الدنيا سعة الرزق وكثرة الاولاد وجعلنا لهم لسان صدق عليا
يعني ثناء حسنا رفيعا في اهل كل دين حتى ادعاهم اهل الاديان كلهم فهم يتولونهم ويثنون عليهم قوله تعالى
واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا قرئ بكسر اللام اي اخلص العبادة والطاعة لله تعالى ولم يراء وقرئ بالفتح
اي مختارا اختاره الله تعالى ثم استخلصه واصطفاه وكان رسولا نبيا فهذان وصفان مختلفان
فكل رسول نبي ولا عكس وناديناه من جانب الطور الايمن اي من ناحية يمين موسى والطور جبل بين معروف
بين مصر ومدين ويقال اسمه الزبير وذلك حين اقبل من مدين ورأى النار فقال يا موسى اني انا الله رب
العالمين وقربناه نجيا قال ابن عباس قربه وكلمه ومعنى التقريب اسمعه كلامه وقيل رفعه على الحجب حتى سمع
صرير الاقلام وقيل معناه رفع قدره ومنزلته وشرفناه بالمناجاة وهو قوله تعالى نجيا اي مناجيا
ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا وذلك ان موسى دعا ربه فقال واجعل لي وزيرا من اهلي هرون فلذلك
سماه هبة له وكان هرون اكبر من موسى عليه قوله عز وجل واذكر في الكتاب اسمعيل هو اسمعيل بن ابراهيم
وهو جد النبي صلى الله عليه وسلم انه كان صادق الوعد قيل انه لم يعد شيئا الا وفى به وقيل انه وعد
رجلا ان يقيم مكانه حتى يرجع الرجل وقيل انه وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى به فوصفه الله بهذا الخلق
الحسن الشريف سئل الشعبي عن الرجل يعد ميعادا الى اي وقت ينتظر فقال ان وعده نهارا فكل النهار وان
وعده ليلا فكل الليل وسئل بعضهم عن مثل ذلك فقال ان وعده في وقت صلاة ينتظر الى وقت صلاة اخرى وكان
رسولا الى جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزلوا على هاجر ام اسمعيل بوادي مكة حين خلفهم ابراهيم وهو جرهم بن
يقطن وهو قحطان بن عامر وقحطان ابو قبائل اليمن نبيا اي مخبرا عن الله تعالى وكان يامر اهله اي قومه وجميع
امته بالصلاة والزكاة قال ابن عباس يريد بالصلاة المفروضة عليهم وهي الحنيفية التي افترضت علينا وقيل كان يبدأ
باهله في الامر بالصلاة والعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم وكان عند ربه مرضيا اي قائما بطاعته وقيل رضيه
لنبوته ورسالته وهذا نهاية في المدح لان المرضي عند الله هو الفائز في كل طاعته باعلى الدرجات قوله عز
وجل واذكر في الكتاب ادريس هو جد ابي نوح واسمه اخنوخ سمي ادريس لكثرة درسه الكتب وكان خياطا وهو اول من
خط بالقلم واول من خاط الثياب ولبس المخيط وكانوا من قبل يلبسون الجلود وهو اول من اتخذ السلاح وقاتل
الكفار واول من نظر في علم الحساب انه كان صديقا نبيا وذلك ان الله تعالى شرفه بالنبوة وانزل عليه ثلاثين

Copyright © King Saud University

صحيفة **ورفعناه مكانا عليا** قيل هي الرتبة في الدنيا وقيل انه رفع الى السما وهو الاصح بدليل عليه ما روي عن انس بن
مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه راى ادريس في السما الرابعة ليلة المعراج متفق
عليه وكان سبب رفع ادريس الى السما الرابعة على ما قال كعب الاحبار وغيره انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه
وهج الشمس فقال يا رب اني مشيت يوما فكيف بمن يحملها مسيرة خمسماية عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها
وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب خففت عني حر الشمس فالذي قضيت
فيه قال ان عبدي سالني ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته قال يا رب فاجمع بيني وبينه خلة فاذن
له حتى اتى ادريس فكان ادريس يساله فكان مما ساله ان قال اني اخبرت انك اكرم الملايكة وامكنهم عند ملك
الموت فاشفع لي اليه ليوخر اجلي لعلي ازداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يوخر الله نفسا اذا جا اجلها وانا اكلمه
فرفعه الى السما ووضعه عند مطلع الشمس ثم اتى ملك الموت فقال له لي اليك حاجة صديق لي من بني ادم تشفع
بي اليك لتوخر اجله فقال له ملك الموت ليس لي ذلك ولكن ان احببت علمته اجله فيتقدم لنفسه قال نعم
فنظر في ديوانه فقال انك كلمتني في انسان ما اراه يموت ابدا قال وكيف ذلك فقال لا اجده يموت الا
عند مطلع الشمس قال اني تركته هناك فقال انطلق فلا اراك تجده الا وقد مات فوالله ما بقي من
اجل ادريس شي فرجع الملك فوجده ميتا قال وهب كان يرفع لادريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع
اهل الارض في زمانه فعجب منه الملايكة واشتاق اليه ملك الموت فاستاذن ربه في زيارته فاذن
له فاتاه في صورة بني ادم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى الطعام فابى ان
ياكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فانكره ادريس وقال له في الليلة الثالثة اني اريد ان اعلم من انت
قال انا ملك الموت استاذنت ربي ان اصحبك فقال لي اليك حاجة قال وما هي قال تقبض روحي
فقبض روحه وردها الله اليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ما الفايدة في سوالك قبض الروح
قال لاذوق كرب الموت وغمته فاكون اشد استعدادا له ثم قال له ادريس لي اليك حاجة اخرى قال
وما هي قال ترفعني الى السما لانظر اليها والى الجنة والنار فاذن الله له فرفعه فلما قرب من النار قال
لي اليك حاجة قال وما هي قال اريد ان تسال مالكا ان يرفع ابوابها فاردها ففعل ثم قال فكما اريتني
النار فارني الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتح ففتح ابوابها فادخله الجنة ثم قال له ملك الموت
اخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال ما اخرج منها فبعث الله تعالى اليه ملكا حكما بينهما فقال له ملك الموت
ما لك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذايقة الموت وقد ذقته ثم قال وان منكم الا واردها
فانا وردتها وقال وما هم منها بمخرجين فلست اخرج فاوحى الله تعالى الى ملك الموت باذني دخل الجنة وبامري
لا يخرج فهو حي هناك فذلك قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا واختلفوا في انه حي في السما ام ميت فقال
قوم هو ميت وقال قوم هو حي وقالوا اربعة من الانبيا احيا اثنان في الارض الخضر والياس واثنان
في السما وهما ادريس وعيسى قوله عز وجل **اوليك الذين انعم الله عليهم من النبيين** اوليك اشارة المذكورين
في هذه السورة انعم الله عليهم من النبيين وغيرهما مما تقدم ووصفهم **من ذرية ادم** يعني ادريس ونوحا **وممن
حملنا مع نوح** اي من ذرية من حملنا مع نوح في السفينة يريد ابراهيم بن سام بن نوح **ومن ذرية
ابراهيم** يعني اسحاق واسماعيل ويعقوب **واسرايل** اي ومن ذرية اسرايل وهو يعقوب وهم موسى
وهارون وزكريا ويحيى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم فرتب الله تعالى احوال الانبيا الذين ذكرهم
الله تعالى على هذا الترتيب بينهما بذلك على انهم شرفوا بالنبوة وشرفوا بالنسب ثم قال تعالى **وممن**

هدينا

هدينا واجتبينا اي هو لا ممن ارشدنا واصطفينا وقيل ممن هدينا الى الاسلام واجتبينا على الانام **اذا تتلى
عليهم ايات الرحمن خروا سجدا** جمع ساجد **وبكيا** جمع باك اخبر الله تعالى ان الانبيا عليهم السلام كانوا اذا سمعوا
ايات الله سجدوا وبكوا خضوعا وخشوعا وخوفا وحذرا والمراد ما خصهم به من الكتب المنزلة عليهم وقيل المراد
من الايات ما خصهم به من الكتب لذكر الجنة والنار والوعد والوعيد ففيه استحباب البكا وخشوع القلب
عند سماع القران **فصل** وسجدة سورة مريم من عزايم سجود القران فينبغي للقاري والمستمع ان
يسجدا عند تلاوة القران عند هذه السجدة وقيل يستحب لمن قرا اية سجدة فسجد ان يدعو بما يناسب تلك
السجدة فان قرا سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من المنعم عليهم الساجدين لك الباكين عند تلاوة اياتك وان
سجد سجدة الم السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لك لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من
المستكبرين عن امرك قوله تعالى **فخلف من بعدهم** اي من بعد النبيين المذكورين **خلف** اي قوم سو الادهم
اليهود ومن لحق بهم وتابعهم وقيل هم في هذه الامة **اضاعوا الصلاة** اي تركوا الصلاة المفروضة وقيل اخروها
عن وقتها وهو ان لا يصلي الظهر حتى ياتي العصر ولا العصر حتى ياتي المغرب الشمس **واتبعوا الشهوات** اي اثروا شهوات
انفسهم على طاعة الله تعالى وقيل اتبعوا المعاصي وشربوا الخمور وقيل هو لا قوم يظهرون في اخر الزمان ينزو
بعضهم على بعض في الاسواق والازقة **فسوف يلقون غيا** قال ابن عباس الغي واد في جهنم وان اودية جهنم لتستعيذ
من حره اعد للزاني المصر عليه والشارب الخمر المدمن عليه والاكل الربا الذي لا ينزع عنه ولاهل العقوق ولشاهد
الزور وقيل هو واد في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه يسيل قيحا ودما وقيل هو واد في جهنم ابعدها قعرا واشدها
حرا فيه بير يسمى البحيم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البير فتستعر بها جهنم وقيل معنى غيا خسرانا وقيل هلاكا
وعذابا وليس معنى يلقون يرون فقط بل معناه الاجتماع والملابسة مع الروية قوله تعالى **الا من تاب
وامن وعمل صالحا** يعني الا من تاب من التقصير في الصلاة والمعاصي وامن من الكفر وعمل صالحا بطاعة الله
تعالى **فاوليك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيا** اي لا ينقصون من ثوابهم ثم وصف الجنة فقال تعالى **جنات
عدن** اي بساتين اقامة وصفها بالدوام بخلاف جنات الدنيا فانها لا تدوم **التي وعد الرحمن عباده
بالغيب** اي انهم يرونها فهي غايبة عنهم وهم غايبون عنها **انه كان وعده ماتيا** اي اتيا وقيل معناه وهذه موعوده
وهو الجنة ماتيا اي ياتيه اوليا الله واهل طاعته **لا يسمعون فيها لغوا** اي باطلا وفحشا وهو فضول من الكلام **الا
سلاما** يعني بل يسمعون فيها سلاما والسلام اسم جامع للخير لانه معنى السلامة وذلك ان اهل الجنة لا يسمعون فيها
ما يوذيهم انما يسمعون تسليمهم وقيل هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملايكة عليهم وقيل هو تسليم الله
عليهم **ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا** قال اهل التفسير ليس في الجنة ليل ولا نهار حتى يعرف به البكرة والعشي
بل هم في نور ابدا ولكنهم يوتون بارزاقهم على مقدار طرفي النهار كعادتهم في الدنيا وقيل انهم يعرفون وقت النهار
برفع الحجب ووقت الليل بارخا الحجب وقيل المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضييق ولا تقتير
وقيل كانت العرب لا تعرف من افضل الذي يوتى به بالبكرة والعشي فوصف الله تعالى الجنة **تلك الجنة التي
نورث من عبادنا** اي نعطي وننزل وقيل يورث من عباده المومنين المساكن التي كانت لاهل النار لو
امنوا **من كان تقيا** اي المتقين من عباده قوله عز وجل **وما نتنزل الا بامر ربك** عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما يمنعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا فنزلت وما نتنزل الا بامر
ربك **له ما بين ايدينا وما خلفنا** قال كان جواب المحمد صلى الله عليه وسلم وقيل احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم
ثم نزل بعد ايام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ابطات علي حتى ساء ظني واشتقت اليك فقال له

Copyright © King Saud University

جبريل في اشوقنا اليك ولكني عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فانزل الله تعالى وما نتنزل
الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وانزل الله تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى
وقوله ما بين ايدينا وما خلفنا اى له علم ما بين ايدينا وما خلفنا اى هو المدبر لنا في كل الاوقات الماضي
والمستقبل وقيل معناه له ما بين ايدينا من امر الاخرة وما خلفنا اى ما مضى من الدنيا **وما بين ذلك**
اى من هذا الوقت الى قيام الساعة وقيل ما بين ذلك هو ما بين النفختين وهو مقدار اربعين سنة وقيل
ما بين ايدينا ما بقي من الدنيا وما خلفنا ما مضى منها وما بين ذلك مدة حياتنا **وما كان ربك نسيا**
اى ناسيا اى ما نسيك ربك وما تركك **رب السموات والارض وما بينهما** اى من يكون كذلك لا يجوز عليه
النسيان لانه لا بد ان يدبر احوالهما كلها وفيه دليل على فعل العبد خلق الله لانه حاصل بين السموات
والارض وكان الله تعالى **فاعبده واصطبر لعبادته** اى اصبر على امره ونهيه **هل تعلم له سميا** قال ابن
عباس مثلا هل تعلم احدا تسمى الله غيره قوله **ويقول الانسان** اى جنس الانسان والمراد به الكفار الذين انكروا البعث
وقيل هو ابي بن خلف الجمحي وكان منكرا للبعث **اءذا ما مت لسوف اخرج حيا** قاله استهزاء وتكذيبا للبعث
قال الله تعالى **اولا يذكر الانسان** اى يتذكر ويتفكر يعني منكر البعث **انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا** المعنى اولا
يتذكر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل به على الاعادة قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلايق على ايراد حجة
في البعث على هذا الاختصار ما قدروا عليها اذ لا شك ان الاعادة ثانيا اهون من الايجاد اولا ثم اقسم بنفسه
فقال تعالى **فوربك** وفيه تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم **لنحشرنهم** اى لنجمعنهم في المعاد يعني المشركين
المنكرين للبعث **والشياطين** اى مع الشياطين وذلك انه يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة **ثم لنحضرنهم
حول جهنم جثيا** قال ابن عباس جماعات وقيل جاثيين على الركب لضيق المكان وقيل ان البارك على
ركبتيه صورته كصورة الذليل **فان قلت** هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله تعالى
وترى كل امة جاثية **قلت** وصفوا بالجثو على العادة المعهودة في مواقف المقالات
والمناقلات وذلك لما كان فيه من القلق لما بدهم من شدة الامور التي لا يطيقون معها القيام على
ارجلهم فيجثون على ركبهم جثوا **ثم لننزعن** اى لنخرجن **من كل شيعة** اى من كل امة واهل دين من الكفار
ايهم اشد على الرحمن عتيا قال ابن عباس يعني جرأة وقيل فجورا وعتوا وقيل قائدهم ورئيسهم في الشرك
والمعنى انه يقدم في ادخال النار الاعتى والاعصى ممن هو اكبر جرما واشد كفرا وفي بعض الاخبار انهم يحضرون
جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الاكفر فالاكفر فمن كان اشد منهم تمردا في كفره خص بعذاب
اعظم واشد لان عذاب الضال المضل وجب ان يكون فوق عذاب الضال التابع لغيره في الضلال وفائدة
هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص بأصل العذاب فلذلك قال في جميعهم **ثم لنحن اعلم
بالذين هم اولى بها صليا** اولى بها ناولى لا مع اشتراكنا القوم في العذاب وقيل معنى الاية انهم احق بدخول
النار قوله عز وجل **وان منكم الا واردها** والورود هنا موافاة المكان واختلفوا في معنى الورود هاهنا
وفيما تنصرف اليه الكناية في قوله واردها قال ابن عباس والاكثرون معنى الورود هاهنا الدخول والكناية راجعة
الى النار فيدخلها البر والفاجر ثم ينجي الذين اتقوا منها يدل عليه ما روي ان نافع بن الازرق روى عن ابن
عباس في الورود فقال ابن عباس هو الدخول وقال ابن نافع ليس الورود الدخول فقرا ابن عباس انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون ادخلها هولاء ام لا ثم قال يا نافع والله انا وانت
سنردها وانا ارجو ان يخرجني الله منها وما ارى الله ان يخرجك منها بتكذيبك فمن قال بدخول المومنين النار

يقول من غير خوف ولا ضرر ولا يحزنهم الفزع الاكبر **فان قلت** كيف يدفع عن المومنين حر النار
وعذابها **قلت** يحتمل ان الله تعالى يخمد النار فتعبرها المومنون ويحتمل ان الله تعالى يجعل الاجزاء
الملاصقة لابدان الكفار من النار محرقة والاجزاء الملاصقة لابدان المومنين تكون على المومنين بردا وسلاما
كما كانت في حق ابراهيم عليه السلام وكما ان الملائكة الموكلين بها لا يجدون المها **فان قلت**
اذا لم يكن على المومنين عذاب فما فايدة دخولهم النار **قلت** فيه وجوه احدها ان ذلك يزيدهم
سرورا اذا علموا الخلاص منه وثانيها ان فيه مزيد غم على اهل النار حيث يرون المومنين يتخلصون منها
وهم باقون وثالثها انهم اذا شاهدوا العذاب لذي على الكفار صار ذلك سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة
وقال قوم ليس المراد من الورود الدخول وقالوا لا يدخل النار مومن ابدا لقوله تعالى ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها فعلى هذا يكون المراد من الورود الحضور والروية
لا الدخول كما قال تعالى ولما ورد ماء مدين اراد به الحضور وقال عكرمة الاية في الكفار فانهم يدخلونها
ولا يخرجون منها وروي عن ابن مسعود انه قال وان منكم الا واردها يوم القيامة والكناية راجعة اليها
والقول الاصح وعليه اهل السنة انهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله منها اهل الايمان بدليل قوله تعالى
ثم ننجي الذين اتقوا اى الشرك وهم المومنون والنجاة انما تكون مما دخلت فيه يدل عليه ما روي عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه
النار الا تحلة القسم وفي رواية فيلج النار الا تحلة القسم اخرجاه في الصحيحين اراد بالقسم قوله تعالى وان منكم
الا واردها م عن ام مبشر الانصارية انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة لا يدخل النار
ان شاء الله تعالى من اصحاب الشجرة احد الذين بايعوا تحتها قالت بلى يا رسول الله فانتهرها فقالت حفصة
وان منكم الا واردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا
وقال خالد بن معدان يقول اهل الجنة الم يعدنا ربنا ان نرد النار فيقال بلى ولكنكم مررتم بها وهي خامدة وفي
الحديث تقول النار للمومن جز يا مومن فقد اطفا نورك لهبي وروي عن مجاهد في قوله تعالى وان منكم الا واردها
قال من حم من المسلمين فقد وردها وفي الخبر الحمى كير من جهنم وهي حظ المومن من النار ق عن عايشة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم اى وهجها وحرها وقوله تعالى **كان على ربك حتما مقضيا** اى كان ورود جهنم
لازما قضاه الله تعالى عليكم واوجبه **ثم ننجي الذين اتقوا** اى الشرك **ونذر الظالمين فيها جثيا** اى جميعا وقيل
جاثين على الركب قالت المعتزلة في الاية دليل على صحة مذهبهم في ان صاحب الكبيرة والفاسق يخلد في النار بدليل ان الله
تعالى بين ان الكل يردونها ثم بين صفة من ينجو منها وهم المتقون والفاسق لا يكون متقيا فيبقى في النار ابدا
واجيب عنه بان المتقي هو الذي يتقي الشرك بقوله لا اله الا الله ويشهد لصحته ذلك من امن بالله ورسوله
صح ان يقال انه متق من الشرك ومن صدق عليه انه متق من الشرك صح انه متق لان المتقي جزء من المتقي
عن الشرك ومن صدق عليه المركب صدق عليه المفرد فثبت ان صاحب الكبيرة متق واذا ثبت ذلك وجب
ان يخرج من النار بعموم قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا فصارت الاية التي توهموها دليلا لهم من اقوى الدلائل
على فساد قولهم وهذا من حيث البحث واما من حيث النص فقد وردت احاديث على اخراج المومن الموحد من النار
خ عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن
شعيرة من خير ويخرج من النار من في قلبه مثقال برة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه
مثقال ذرة من خير وفي رواية من ايمان م عن ابي هريرة ان الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة

Copyright © King Saud University

قال هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال هل تمارون في الشمس ليس دونها
سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فانكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبع
فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فياتيهم الله فيقول انا
ربكم فيقولون انت ربنا فياتيهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم فاكون اول من يجوز من الرسل بامته ولا يتكلم يومئذ
الا الرسل وكلام الرسل اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان قالوا نعم قال فانها مثل شوك السعدان غير
انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى اذا اراد الله رحمة
من اراد من اهل النار امر الله الملائكة ان يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم باثار السجود وحرم الله على
النار ان تاكل اثار السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في
حميل السيل ثم يفرغ من القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو اخر اهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه
قبل النار فيقول يا رب اصرف وجهي عن النار فقد قشبني ريحها واحرقني ذكاؤها فيقول هل عسيت ان افعل
ذلك بك ان تسأل غير ذلك فيقول لا وعزتك فيعطي الله ما شاء من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فاذا
اقبل به على الجنة راى بهجتها سكت ما شاء الله ان يسكت ثم يقول يا رب قدمني عند باب الجنة فيقول الله اليس
قد اعطيت المواثيق والعهود ان لا تسأل غير الذي كنت سألت فيقول وعزتك لا اسألك غيره فيعطي ربه ما شاء
من عهد وميثاق فيقدمه الى باب الجنة فاذا بلغ بابها راى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما شاء الله
ان يسكت فيقول يا رب ادخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويحك يا ابن ادم ما اغدرك اليس قد اعطيت
العهد والميثاق ان لا تسأل غير الذي اعطيت فيقول يا رب لا تجعلني اشقى خلقك فيضحك الله عز وجل منه
ثم ياذن له في دخول الجنة فيقول تمن فيتمنى حتى اذا انقطع امنيته قال تمن من كذا وكذا ومثله معه قال ابو
سعيد الخدري لابي هريرة ان رسول الله قال قال الله تعالى لك ذلك وعشرة امثاله قال ابو هريرة لم احفظ من
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قوله لك ذلك ومثله معه قال ابو سعيد رضي الله عنه سمعته يقول لك
ذلك وعشرة امثاله وفي رواية للبخاري قال فياتيهم الله في غير الصورة التي يعرفونها فيقول انا ربكم فيقولون
نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا فاذا اتانا ربنا عرفناه فياتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول انا ربكم
فيقولون انت ربنا فيتبعونه قلت اما ما يتعلق بمعاني الحديث والكلام على الرؤية فسياتي في سورة ن
والقيامة ونتكلم هاهنا على شرح غريب الفاظه قوله مثل شوك السعدان هو نبت وشوكه معقف وهو من
اجود مراعي الابل وقوله فمنهم من يوبق بعمله اي يهلك والموبق الذنوب التي تهلكه والمخردل المرمي المصروع وقيل
المقطع والمعنى تقطعه كلاليب الصراط حتى يقع في النار قوله وقد امتحشوا اي احترقوا وقيل هو ان تذهب النار الجلد
وتبدي العظم قوله كما تنبت الحبة من حميل السيل الحبة بكسر الحاء هي البزور جميعا وحميل السيل هو الزبد
وما يلقيه الماء على شاطئه قوله قشبني ريحها اي اذاني والقشب السم كانه قال قد سمني ريحها قوله واحرقني
ذكاؤها اي اشتعالها ولهبها قوله راى زهرتها الزهرة الحسن والنضارة والبهجة (ق) عن ابن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اخر اهل النار خروجا منها واخر اهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار
حبوا فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فياتيها فيخيل اليه انها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول له
الله تعالى اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة امثالها او ان لك مثل عشرة امثالها فيقول اتسخر بي وانت
الملك فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه اي اضراسه وانيابه وقيل هي اخر الاسنان عن
جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعذبن ناس من اهل التوحيد في النار حتى يكونوا حمما ثم تدركهم

الرحمة

الرحمة قال فيخرجون فيطرحون على ابواب الجنة قال فيرش عليهم اهل الجنة من الماء فينبتون كما ينبت الغثاء في
حمالة السيل اخرجه الترمذي الحمم الفحم والغثاء ما احتمله السيل فدلت الاية الاولى على ان الكل دخلوا النار ودلت الاية
الثانية والاحاديث ان الله اخرج منها المتقين وجميع الموحدين وترك فيها الظالمين وهم المشركون قوله تعالى
واذا تتلى عليهم اياتنا بينات اي دلائل واضحات قال الذين كفروا يعني النضر بن الحرث ودونه من قريش
للذين امنوا يعني فقراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم
رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤوسهم ويلبسون افخر ثيابهم اي الفريقين خير مقاما
اي منزلا ومسكنا وهو موضع الاقامة واحسن نديا اي مجلسا فاجابهم الله تعالى بقوله وكم اهلكنا قبلهم
من قرن هم احسن اثاثا اي متاعا واموالا وقيل احسن ثيابا ولباسا ورئيا اي منظرا من الرؤية قل من كان
في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا هذا امر بمعنى الخبر معناه يدعه في طغيانه ويمهله في كفره حتى اذا راوا ما يوعدون
اي الاسر والقتل في الدنيا اما العذاب واما الساعة يعني القيامة فيدخلون النار فسيعلمون اي عند ذلك من هو
شر مكانا اي منزلا واضعف جندا اي ناصرا والمعنى فسيعلمون ايهم خير هم في النار ام المؤمنون وهم في الجنة
وهذا رد عليهم في قولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا قوله عز وجل ويزيد الله الذين اهتدوا هدى
اي ايمانا وايقانا على يقينهم والباقيات الصالحات اي الاذكار والاعمال الصالحة التي تبقى لصاحبها خير
عند ربك ثوابا وخير مردا اي عاقبة ومرجعا قوله تعالى افرايت الذي كفر باياتنا الاية (ق) عن خباب بن
الارت قال كنت في الجاهلية وكان لي على العاص بن وائل السهمي دين فاتيته اتقاضاه وفي رواية فعملت
للعاص بن وائل سيفا فجئته اتقاضاه فقال لا اعطيك حتى تكفر بمحمد فقال لا اكفر حتى يميتك الله ثم تبعث
قال واني لميت ثم مبعوث قلت بلى فقال ان لي هناك مالا وولدا فاقضيك فنزلت افرايت الذي كفر باياتنا وقال
لاوتين مالا وولدا الى قوله فردا العين الحداد ثم رد عليهم بقوله اطلع الغيب قال ابن عباس انظر في اللوح المحفوظ
وقيل اعلم علم الغيب حتى يعلم افي الجنة هو ام لا ام اتخذ عند الرحمن عهدا يعني قال لا اله الا الله وقيل يعني عمل
عملا صالحا قدمه وقيل عهد اليه انه يدخله الجنة كلا رد عليه اي لم يفعل ذلك سنكتب ما يقول اي سنحفظ عليه
ما يقول فنجازيه به في الاخرة وقيل نامر الملائكة حتى يكتبوا ما يقول ونمد له من العذاب مدا اي نزيده
عذابا فوق العذاب وقيل نطيل مدة عذابه ونرثه ما يقول معناه اي ما عنده من المال والولد فلا يعود اليه
الارث الى من خلفه واذا سلب ذلك بقي فردا فذلك قوله ويأتينا فردا يعني يوم القيامة منفردا بلا
مال ولا ولد فلا ينبغي ان يتعذر في الاخرة بمال وولد قوله تعالى واتخذوا من دون الله الهة يعني مشركي قريش
اتخذوا الاصنام الهة يعبدونها ليكونوا لهم عزا اي منعة يعني يكونوا شفعاء ويمنعونهم من العذاب كلا
اي ليس الامر كما زعموا سيكفرون بعبادتهم يعني يجحدون الاصنام والالهة التي كانوا يعبدون عبادة المشركين
ويتبرؤون منهم ويكونون عليهم ضدا اي اعوانا عليهم يكذبونهم ويلعنونهم وقيل اعداء لهم وكانوا اولياءهم في
الدنيا قوله عز وجل الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين اي سلطناهم عليهم تؤزهم ازا اي تزعجهم
ازعاجا من الطاعات الى المعاصي والمعنى تهيجهم وتحركهم على المعاصي تحريكا شديدا وفي الاية دليل على ان الله
مريد لجميع الكائنات فلا تعجل عليهم اي لا تعجل بطلب عقوبتهم انما نعد لهم عدا يعني الليالي والايام والشهور
والاعوام وقيل الانفاس التي يتنفسون بها في الدنيا الى الاجل الذي اجل لهم لعذابهم قوله تعالى يوم
نحشر المتقين الى الرحمن وفدا اي اذكر لهم يا محمد اليوم الذي يجتمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته الى جنته جماعات
قال ابن عباس ركبانا قال ابو هريرة على الابل وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما يحشرون والله

Copyright © King Saud University

على رحلهم ولكن على نوق رحالها من الذهب ونجائب سروجها يواقيت ان هموا بها سارت وان هموا بها طارت
ونسوق المجرمين الى جهنم وردا اى مشاة عطاشا قد تقطعت اعناقهم من العطش والورد جماعة
يردون الماء ولا يرد احد الماء الا بعد العطش وقيل يساقون الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش تساق
الى الماء ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على
ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير
ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا من القيلولة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة اصناف صنف مشاة وصنف ركبانا وصنف على وجوههم قالوا كيف
يمشون على وجوههم يا رسول الله قال الذي امشاهم على اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون
بوجوههم كل حدب وشوك اخرجه الترمذي قوله عز وجل لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن
عهدا يعني لا اله الا الله وقيل لا يشفع الشافعون الا للمؤمنين وقيل لا يشفع الا من قال لا اله الا الله اى
لا يشفع الا للمؤمنين وقالوا اتخذ الرحمن ولدا يعني اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله
من العرب لقد جئتم شيئا ادا قال ابن عباس منكرا وقيل معناه لقد قلتم قولا عظيما تكاد السموات يتفطرن
منه من الانفطار وهو الشق وتنشق الارض اى تخسف بهم وتخر الجبال هدا اى تسقط وتنطبق عليهم
ان دعوا اى من اجل ان جعلوا للرحمن ولدا **فان قلت** ما معنى انفطار السموات
وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة في هذه الجمادات **قلت**
فيه وجهان احدهما ان الله تعالى يقول للشيء كن فيكون كدت افعل كذا بالسموات والارض والجبال
عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي واني لا اعجل بالعقوبة الثاني ان يكون استعظاما
للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لاركانه وقواعده قال ابن عباس رضي الله
عنهما فزعت السموات والارض والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت ان تزول وغضبت
الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا لله ولدا ثم نزه نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى
وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا اى ما يليق به اتخاذ الولد لانه لا يوصف به لان الولد لا بد ان يكون شبيها
للوالد ولا شبيه لله تعالى ولان اتخاذ الولد انما يكون لاغراض لا تصح في الله تعالى من سروره به واستعانته
وذكر جميل بعده وكل ذلك لا يليق بالله تعالى ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا اى ياتيه
يوم القيامة عبدا ذليلا خاضعا والمعنى ان الخلائق كلهم عبيده لقد احصاهم وعدهم عدا اى عد انفاسهم
وايامهم وآثارهم فلا يخفى عليه شيء من امورهم وكلهم تحت تدبيره وقهره وقدرته وكلهم آتيه يوم القيامة فردا
اى وحيدا ليس له من احوال الدنيا شيء قوله عز وجل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا
اى محبة قيل يحبهم الله ويحببهم الى عباده المؤمنين ق عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا احب الله سبحانه وتعالى العبد دعا جبريل عليه السلام ان الله تعالى يحب فلانا فاحبه فيحبه
جبريل فينادي جبريل في اهل السماء ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض
وفي رواية لمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اذا احب عبدا دعا جبريل
فقال اني احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه
اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض واذا ابغض الله عبدا دعا جبريل عليه السلام فيقول اني ابغض
فلانا فابغضه فيبغضه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله يبغض فلانا فابغضوه ثم يوضع له

وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسي معهم حيث امسوا [illegible] تقيل معهم حيث قالوا صح

البغضا

البغضاء في الارض قال ابن هرم بن حيان ما اقبل عبد بقلبه على الله عز وجل الا اقبل الله بقلوب المؤمنين
اليه حتى يرزقه مودتهم وقال كعب مكتوب في التوراة لا محبة لاحد في الارض حتى يكون ابتداؤها
من الله ينزلها على اهل السماء ثم على اهل الارض وتصديق ذلك في القران سيجعل لهم الرحمن ودا
قوله عز وجل تعالى فانما يسرناه بلسانك اى سهلنا القران بلسانك يا محمد لتبشر به المتقين يعني المؤمنين
وتنذر به اى بالقران قوما لدا اى شدادا في الخصومة وقيل صما عن الحق وقيل الالد الظالم الذي لا يستقيم
ولا يقبل الحق ويدعي الباطل وكم اهلكنا قبلهم من قرن ختم الله هذه السورة بموعظة بليغة لانهم اذا
علموا وايقنوا انه لا بد من زوال الدنيا بالموت خافوا ذلك العاقبة في الاخرة فكانوا الى الحذر من المعاصي
اقرب لذلك فقال تعالى هل تحس منهم اى هل ترى وقيل هل تجد منهم اى من القرون من احد او تسمع
لهم ركزا اى صوتا خفيا قال الحسن بادوا جميعا فلم يبق عين ولا اثر والله اعلم

تفسير سورة طه عليه السلام

مكية وهي مائة واربع وثلاثون وقيل خمس وثلاثون اية والف
وثلاثمائة واحد واربعون كلمة وخمسة الاف ومائتان واثنان واربعون حرفا عن ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين
من الواح موسى واعطيت فواتح القران وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش واعطيت المفصل نافلة
النافلة الزائدة بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل طه قيل هو قسم اقسم الله بطوله وهدايته وقيل
معناه يا رجل والمراد به الانسان وهو النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك يا انسان وقيل هو بالسريانية وقيل
بالقبطية فعلى هذا يكون قد وافقت لغة العرب هذه اللغات في هذه الكلمة وقيل هو يا انسان بلغة
عك وعك قبيلة من قبائل العرب وقيل معناه طئ الارض بقدميك يريد به التهجد وذلك لما نزل الوحي على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه
وكان يصلي الليل كله فانزل الله هذه الاية وامره ان يخفف على نفسه فقال طه ما انزلنا عليك القران
لتشقى وقيل لما راى المشركون اجتهاده في العبادة قالوا ما انزل عليك القران يا محمد الا لشقائك فنزلت
ما انزلنا عليك القران لتشقى اى لتتعنى وتتعب الا تذكرة لمن يخشى اى لكن انزلناه عظة لمن يخشى وانما خص من يخشى
بالتذكرة لانهم هم المنتفعون بها تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى اى من الله الذي خلق السموات والارض
العلية الرفيعة التي لا يقدر على خلقها في عظمها وعلوها الا الله تعالى الرحمن على العرش استوى تقدم الكلام عليه
في سورة الاعراف مستوفى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما يعني الهواء وما تحت الثرى اى انه
ملك جميع ما في الاربعة اقسام والثرى هو التراب الندي وقيل معناه ما وارى الثرى من شيء وقال ابن عباس
ان الارضين على ظهر النون والنون على بحر وراسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء خضرة
السماء منها وهي الصخرة التي ذكرها الله في قصة لقمان والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى ولا يعلم
ما تحت ذلك الثرى الا الله تعالى وذلك الثور فاتح فاه فاذا جعل الله البحار بحرا واحدا سالت في جوف ذلك
الثور فاذا وقعت في جوفه يبست قوله تعالى وان تجهر بالقول اى تعلن به فانه يعلم السر واخفى قال
ابن عباس السر ما تسر في نفسك واخفى من السر ما يلقيه الله في قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك
لانك لا تعلم ما تسر غدا والله يعلم ما اسررت اليوم وما تسر به غدا وعنه ان السر ما اسره ابن آدم في نفسه
واخفى ما عليه ما هو فاعله قبل ان يعلمه وقيل ان السر ان الله يعلم ما اسره الرجل الى غيره واخفى من ذلك
ما اسره في نفسه وقيل السر هو العمل الذي تسره من الناس واخفى هو الوسوسة وقيل السر ان يعلم الله تعالى

Copyright © King Saud University

اسرار العباد واخفى هو سر من عباده فلا يعلم احد سره وقيل مقصود الاية زجر المكلف عن القبايح ظاهرة كانت
او باطنة فعلى هذا الوجه ينبغي ان يحمل السر على الاخفاء على ما فيه ثوابه وعقاب فالسر هو الذي يسره المرء
في نفسه من الامور التي عزم عليها والاخفى هو الذي لم يبلغ حد العزيمة ثم وحد نفسه فقال تعالى الله
لا اله الا هو له الاسماء الحسنى تانيث الاحسن والذي فضلت به اسماوه في الحسن سائر الاسماء لانها على معاني
التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن قوله تعالى وهل اتاك حديث
موسى اي وقد اتاك لما تقدم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقفاه بقصة موسى عليه السلام ليأتسي به في
تحمل النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاسات الشدايد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود اذ راى
نارا وذلك ان موسى استاذن شعيبا في الرجوع يريد ان يرجع من مدين الى مصر ليزور والدته واخاه فاذن
له فخرج باهله وماله وكانت ايام الشتا فاخذ على غير طريق مخافة ملوك الشام وامراته حامل في شهرها لا يدري
ليلا تضع ام نهارا فسار في البرية غير عارف بطريقها فالجاه السير الى جانب الطور الغربي الايمن وذلك في ليلة
مظلمة مثلجة شاتية شديدة البرد لما اراد الله من كرامته فاخذ امراته الطلق فاخذ زنده فجعل يقدح فلا يوري
فراى من بعيد من يسار الطريق من جانب الطور فقال لاهله امكثوا اي اقيموا اني انست نارا يعني ابصرت نارا
لعلي اتيكم منها بقبس اي شعلة من نار في طرف عود او اجد على النار هدى اي من يدلني على الطريق
فلما اتاها اي في النار راى شجرة خضرا من اعلاها الى اسفلها اطافت بها نار بيضا تتقد باضوء ما يكون فلا ضوء
النار يغير خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة يغير ضوء النار قيل كانت الشجرة سمرة خضرة وقيل كانت من العوسج وقيل كانت
من العليق وقيل كانت من العناب روي ذلك عن ابن عباس قال اهل التفسير لم يكن الذي راه موسى نارا بل كان
نورا ذكر بلفظ النار لان موسى عليه السلام حسبه نارا قال ابن عباس هو نور الرب سبحانه وتعالى
وقيل هي النار بعينها وهي احدى حجب الرب تبارك وتعالى يدل عليه ما روي عن ابي موسى الاشعري عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه اخرجه مسلم قيل ان
موسى اخذ شيئا من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنا نات عنه واذا نادى دنت فوقف
متحيرا وسمع تسبيح الملايكة والقيت عليه السكينة فعند ذلك نودي يا موسى اني انا ربك قال وهب
نودي من الشجرة فقيل يا موسى فاجاب سريعا وما يدري من دعاه فقال اني اسمع صوتك ولا ادري مكانك
فاين انت فقال انا فوقك ومعك وامامك وخلفك واقرب اليك منك فعلم ان ذلك لا ينبغي الا لربه
تعالى فايقن به وقيل انه سمعه وقيل انه سمعه بكل اجزايه حتى ان كل جارحة منه كانت اذنا وقوله فاخلع
نعليك كان السبب فيه ما روي عن ابن مسعود مرفوعا في قوله فاخلع نعليك قيل كانتا من جلد حمار ميت
ويروى غير مدبوغ وانما امر بخلعهما صيانة للوادي المقدس وقيل امر بخلعهما ليباشر بقدميه تراب الارض
المقدسة لتناله بركتها فانها قدست مرتين فخلعهما موسى فالقاهما من ورا الوادي انك بالواد المقدس
اي المطهر طوى اسم للوادي الذي حصل فيه وقيل طوى واد مستدير عميق مثل الطوى في استدارته وانا اخترتك
اي اصطفيتك برسالاتي وبكلامي فاستمع لما يوحى فيه نهاية الهيبة والجلالة كانه قال له لقد جاءك
امر عظيم فتاهب له انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني ولا تعبد غيري واقم الصلاة لذكري اي لتذكرني فيها
وقيل لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري وقيل لاخلاص ذكري وطلب وجهي ولا ترائي فيها ولا تقصد بها
غرضا اخر وقيل معناه اذا تركت صلاة ثم ذكرتها فاقمها م عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من نسي صلاة فليصل اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك وتلا قتادة واقم الصلاة لذكري وفي

رواية

رواية اذا رقد احدكم عن الصلاة او غفل عنها فليصلها اذا ذكرها فان الله عز وجل يقول واقم الصلاة
لذكري ان الساعة اتية اكاد اخفيها قال اكثر المفسرين اكاد اخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وكيف اظهرها
لكم ذكر ذلك على عادة العرب اذا بالغوا في الكتمان للشي يقولون كتمت سري من نفسي اي اخفيته غاية الاخفا
والله تعالى لا يخفى عليه شي والمعنى في اخفايها التهويل والتخويف لانهم اذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على
حذر منها كل وقت وكذلك المعنى في اخفا وقت الموت على الانسان لانه اذا عرف وقت موته ربما انقضا
اجله اشتغل بالمعاصي الى ان يقرب ذلك الوقت فيتوب ويصلح العمل فيتخلص من عقاب المعاصي بتعريف
وقت الموت وانه اذا لم يعرف وقت موته لا يزال على قدم الخوف والوجل فيترك المعاصي او يتوب عنها
في كل وقت مخافة معاجلة الاجل قوله تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى اي بما تعمل من خير وشر فلا
يصدنك عنها من لا يومن بها اي فلا يصرفنك عن الايمان بالساعة ويجنبها من لا يومن بها واتبع هواه اي
مراده وخالف امر الله فتردى اي فتهلك قوله عز وجل وما تلك بيمينك يا موسى سوال تقرير والحكمة
فيه تنبيهه وتوقيفه على انها عصى حتى اذا قلبها حية علم انها معجزة عظيمة قال هي عصاي قال كان لها
شعبتان وفي اسفلها سنان ولها محجن واسمها نبعة اتوكا عليها اي اعتمد عليها اذا مشيت واذا
عييت وعند الوثبة واهش بها على غنمي اي اضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم ولي فيها
مارب اخرى اي حاجة ومنافع اخرى واراد بالمارب ما يستعمل فيه العصا في السفر فكان يحمل بها الزاد ويشد
بها الحبل ويستقي بها الماء من البير ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها اذا قعد وروي
عن ابن عباس ان موسى كان يحمل عليها زاده وسقاه فجعلت تماشيه وتحدثه وكان يضرب بها الارض
فيخرج له ما ياكل يومه ويركزها فيخرج الما فاذا رفعها ذهب الما وكان اذا اشتهى ثمرة ركزها فتغصن غصن
تلك الشجرة واورقت واثمرت واذا اراد الاستقا من البير ادلاها فطالت على طول البير يصير شعباها كالدلو حتى
يستقي وكانت تضي بالليل كالسراج واذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه قال الله تعالى القها يا موسى
اي انبذها واطرحها قال وهب ظن موسى انه يقول ارفضها فالقاها اي فطرحها على وجه الارض ثم
حانت منه نظرة فاذا هي حية تسعى صفرا من اعظم ما يكون من الحيات تسعى اي تمشي بسرعة على بطنها
وقال في موضع اخر كانها جان وهي الحية الصغيرة الجسم الخفيفة وقال في موضع اخر فاذا هي ثعبان وهو
اكبر ما يكون من الحيات ووجه الجمع ان الحية اسم جامع للكبير والصغير والذكر والانثى فالجان عبارة عن
ابتدا حالها فانها كانت حية على قدر العصا ثم كانت تتورم وتنتفخ حتى صارت ثعبانا وهو انتهى
حالها وقيل انها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان قال محمد بن اسحاق نظر موسى فاذا العصا حية
من اعظم ما يكون صارت شعبتاها شدقين لها والمحجن عنقا وعرفا تهتز كالنيازك وعيناها تتقدان
كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الخلفة من الابل فتلتقمها وتقصف الشجرة العظيمة بانيابها
ويسمع لاسنانها صريفا عظيما فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودي
يا موسى ان ارجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف قال خذها اي بيمينك ولا تخف قيل كان خوفه
لما عرف ما لقي ادم من الحية وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من طمانينة نفسه وذهاب الخوف عنه ان ادخل
يده في فمها واخذ بلحيتها سنعيدها سيرتها الاولى اي الى هيئتها الاولى فردها عصى كما كانت وقيل كان على موسى
مدرعة من صوف قد خللها بعود فلما قال الله تعالى خذها لف طرف المدرعة على يده فامره الله ان يكشف
يده فكشفها وذكر بعضهم انه لما لف كم المدرعة على يده قال له ملك ارايت لو امر الله بما تحاذره اكانت المدرعة عن

Copyright © King Saud University

تغني عنك شيئا قال لا ولكن ضعيف من ضعف خلقت قال فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية فاذا هي عصا كما كانت ويده في شعبتها في الموضع الذي كان يضعها اذا توكأ قال المفسرون اراد الله ان يري موسى ما اعطاه الله من الاية التي لا تقدر عليها مخلوق ولئلا يفزع منها اذا القاها عند فرعون قوله تعالى واضمم يدك الى جناحك اي الى ابطك وقيل تحت عضدك تخرج بيضاء اي نيرة مشرقة من غير سوء اي من غير عيب والسوء ها هنا البرص قال ابن عباس كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار والشمس والقمر اية اخرى اي دلالة اخرى على صدقك سوى العصا لنريك من اياتنا الكبرى قال ابن عباس كانت يد موسى اكبر اياته قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى اي جاوز الحد في العصيان والتمرد وانما خص فرعون بالذكر مع ان موسى كان مبعوثا الى الكل لانه ادعى الالهية وتكبر وكان متبوعا فكان ذكره اولى وقال وهب قال الله تعالى لموسى اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي وانك بعيني وسمعي وان معك يدي وبصري واني البسك جبة من سلطاني تستكمل بها القوة في امري بعثتك الى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وامن مكري حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي واني اقسم بعزتي لولا الحجة التي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار ولكن هان علي وسقط من عيني فبلغه رسالتي وادعه الى عبادتي وقل له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا فان ناصيته بيدي ولا ينبس الا بعلمي قال فسكت موسى فجاءه ملك وقال له اجب ربك قال يعني موسى رب اشرح لي صدري اي وسعه للحق قال ابن عباس يريد حتى لا اخاف غيرك وذلك ان موسى كان يخاف فرعون خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جنوده فكان يضيق بما كلف من مقاومة فرعون وحده فسال الله تعالى ان يوسع قلبه للحق حتى يعلم ان احدا لا يقدر على مضرته الا باذن الله تعالى واذا علم ذلك لم يخف من فرعون مع شدة شوكته وكثرة جنوده ويسر لي امري اي سهل علي ما امرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون واحلل عقدة من لساني وذلك ان موسى كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره فلطم فرعون لطمة واخذ بلحيته فقال فرعون لامراته اسية ان هذا عدوي واراد ان يقتله فقالت اسية انه صبي لا يعقل وقيل ان ام موسى لما فطمته ردته الى فرعون ونشا في حجره وحجر امراته يربيانه واتخذاه ولدا فبينما هو يلعب بين يدي فرعون وبين يديه قضيب اذ رفعه فضرب به راس فرعون فغضب فرعون وتطير منه حتى هم بقتله فقالت اسية ايها الملك انه صبي لا يعقل جربه ان شئت فجاءت بطستين في احدهما جمر وفي الاخر جوهر فوضعهما بين يدي موسى فاراد ان ياخذ الجوهر فاخذ جبريل بيد موسى فوضعها على الجمر فاخذ جمرة فوضعها في فيه فاحترق لسانه وصارت فيه عقدة يفقهوا قولي اي احلل العقدة كي يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي اي معينا وظهيرا والوزير من يوازرك ويحمل عنك بعض ثقل عملك ثم بين من هو فقال هارون اخي وكان هارون اكبر من موسى وافصح لسانا واجمل واوسم فكان ابيض اللون وكان موسى اقنى جعدا اشدد به ازري اي قوي به ظهري واشركه في امري اي في امر النبوة وتبليغ الرسالة كي نسبحك كثيرا اي نصلي لك كثيرا ونذكرك كثيرا اي نحمدك ونثني عليك بما اوليتنا من جميل نعمك انك كنت بنا بصيرا اي خبيرا عليما قال الله تعالى قد اوتيت سؤلك يا موسى اي اعطيت جميع ما سالته ولقد مننا عليك مرة اخرى اي قبل هذه المرة ثم بين تلك المنة بقوله عز وجل اذ اوحينا الى امك ما يوحى وحي الهام اي ما يلهم ثم فسر ذلك الالهام وعدد نعمه عليه فقال ان اقذفيه في التابوت اي الهمناها ان اجعليه في التابوت فاقذفيه في اليم يعني نهر النيل فليلقه اليم بالساحل الساحل يعني شاطئ البحر ياخذه عدو لي وعدو له يعني فرعون فاتخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا ووضعت فيه موسى وقيرت راسه وشقوقه ثم القته في النيل وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون فبينما فرعون جالس على البركة مع امراته اسية اذا بتابوت يجيء به الماء فامر الغلمان والجواري باخراجه فاخرجوه

وفتحوا

وفتحوا راسه فاذا صبي من اصبح الناس وجها فلما راه فرعون احبه بحيث لم يتمالك نفسه وعقله فذلك قال الله تعالى والقيت عليك محبة مني قال ابن عباس احبه وحببه الى خلقه وقيل ما راه احد الا احبه لملاحة كانت في عيني موسى ولتصنع على عيني لتربى وتحسن اليك وانا راعيك ومراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينيه اذا اعتنى به ونظر اليه اذ تمشي اختك فتقول واسمها مريم متعرفة خبره هل ادلكم على من يكفله اي على امراة ترضعه وتضمه اليها وذلك انه كان لا يقبل ثدي امراة فلما قالت لهم اخته ذلك قالوا نعم فجاءت بالام فقبل ثديها فذلك قوله تعالى فرجعناك الى امك كي تقر عينها اي ببقائك ورؤيتك ولا تحزن اي ولا يذهب عنها الحزن وقتلت نفسا قال ابن عباس كان قتل قبطيا كافرا قيل كان عمره اذ ذاك اثنتي عشرة سنة فنجيناك من الغم اي من غم القتل وكربه وفتناك فتونا قال ابن عباس اختبرناك اختبارا وقيل ابتليناك ابتلاء قال ابن عباس الفتون وقوعه في محنة بعد محنة وخلصه الله منها اولها ان امه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاؤه في البحر في التابوت ثم منعه من الرضاع الا من ثدي امه ثم اخذه بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الجوهرة ثم قتله القبطي وخروجه الى مدين خائفا فلبثت سنين اي مكثت في اهل مدين هي بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر هرب اليها موسى قال وهب لبث موسى عند شعيب ثمان وعشرون سنة عشر سنين منها مهر امراته صفورا ابنة شعيب وثماني عشر اقام عنده بعد ذلك حتى ولد له وخرج من مصر ابن اثنتي عشرة سنة هاربا ثم جئت على قدر يا موسى اي جئت على القدر الذي يوحى الى الانبياء فيه واصطنعتك لنفسي اي اخترتك واصطفيتك لوحيي ورسالتي لتتصرف على ارادتي ومحبتي وذلك ان قيامه باداء الرسالة تصرف على ارادة الله ومحبته وقيل معناه اخترتك لامري وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقي كاني الذي اقمت عليهم الحجة وخاطبتهم اذهب انت واخوك باياتي اي بدلائلي قال ابن عباس يعني الايات التسع التي بعثت بها موسى عليه السلام ولا تنيا في ذكري اي لا تضعفا وقيل لا تفترا ولا تقصرا عن ذكري اي لا تقصرا في ذكري بالاحسان اليكما والانعام عليكما ومن ذكر النعمة شكرها اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا اي داريا وارفقا به قال ابن عباس لا تعنفا في قولكما وقيل كنياه فقولا يا ابا العباس وقيل يا ابا الوليد وقيل المراد بالقول اللين هل لك الى ان تزكى وقيل امرهما باللطافة في قوله لانه في حق تربيته موسى وقيل عداه على قبوله الايمان شبابا لا يهرم وملكا لا ينزع منه الا بالموت ويبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته واذا مات دخل الجنة فلما اتاه موسى ووعده بذلك اعجبه وكان لا يقطع امرا دون هامان وكان غائبا فلما قدم اخبره بالذي دعاه اليه موسى وقال اردت ان اقبل منه فقال له هامان كنت ارى ان لك عقلا انت رب تريد ان تكون مربوبا وانت تعبد تريد ان تعبد فقال فرعون صواب ما قلت فغلبه على رايه وكان هارون بمصر فامر موسى ان ياتي هارون واوحى الى هارون وهو بمصر ان يتلقى موسى فتلقاه الى مرحلة واخبره بما اوحي اليه قوله تعالى لعله يتذكر او يخشى اي يتعظ ويخاف ويسلم **فان قلت** لعل للترجي والطمع وقد سبق في علمه انه لا يتذكر ولا يسلم **قلت** معناه اذهبا على رجائكما وطمعكما وقضاء الله وراء امركما وقيل هو الزام الحجة وقطع المعذرة لقوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك وقيل هو ينصرف الى غير فرعون مجازه لعله يتذكر متذكر او يخشى خاش اذا راى بري والطافي بمن خلقته وانعمت عليه ثم ادعى الربوبية وقيل لعل من الله واجب ولقد تذكر فرعون وخشي حين لم تنفعه التذكر والخشية وذلك حين الجمه الغرق وقرا رجل عند يحيى بن معاذ الرازي

Copyright © King Saud University

فقولا له قولا لينا الاية فبكى وقال الهي هذا رفقك بمن يقول انا الاله فكيف رفقك بمن يقول انت الاله
قالا يعني موسى وهارون ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا قال ابن عباس ان يعجل علينا بالقتل والعقوبة
او ان يطغى يجاوز الحد في الاساءة الينا قال الله تعالى لا تخافا انني معكما اسمع وارى قال ابن عباس دعاكما
فاجيبه وارى ما يراد بكما فامنع لست بغافل عنكما فلا تهتما فاتياه فقولا انا رسولا ربك اي ارسلنا اليك
ربك فارسل معنا بني اسرائيل اي خل عنهم واطلقهم عن اعمالك ولا تعذبهم اي لا تتعبهم في العمل وكان فرعون
يستعملهم في الاعمال الشاقة كالبنا وقلع الصخور مع قتل الولدان وغير ذلك قد جئناك باية من ربك قال
فرعون وما هي فاخرج موسى يده لها شعاع كشعاع الشمس وقيل معناه قد جئناك بمعجزة وبرهان يدل
على صدقنا على ما ادعيناه من الرسالة والسلام على من اتبع الهدى ليس المراد منه سلام التحية انما معناه سلم
من العذاب من اسلم انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى اي انما يعذب الله من كذب بما جئنا به واعرض
عنه قال يعني فرعون فمن ربكما يا موسى اي الهكما الذي ارسلكما قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى اي كل
شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به وقيل اعطى كل شيء صلاحه وهداه وقيل اعطى كل شيء صورته فخلق اليد للبطش
والرجل للمشي واللسان للنطق والعين للنظر والاذن للسمع ثم هداه الى منافعه للمطعم والمشرب والمنكح
وقيل يعني جعل زوجة الرجل المراة والبعير الناقة والفرس الرمكة والحمار الاتان ثم هداه اي
الهمه كيف ياتي الذكر الانثى قال يعني فرعون فما بال القرون الاولى اي فما حال القرون الماضية
في الامم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فانها كانت تعبد الاوثان وتنكر البعث وانما قال فرعون ذلك لموسى
حين خوفهم مصارع الامم الماضية فحينئذ قال فرعون فما بال القرون الاولى قال يعني موسى علمها عند ربي
اي علمها محفوظ عند الله يجازي بها وقيل انما رد موسى علم ذلك الى الله تعالى لانه لم يعلم ذلك لان التوراة انما
نزلت بعد هلاك فرعون وقومه في كتاب يعني اللوح المحفوظ لا يضل ربي اي لا يخطي وقيل لا يغيب عنه شي
ولا ينسى اي فيتذكره وقيل لا ينسى ما كان من اعمالهم حتى يجازيهم بها الذي جعل لكم الارض مهدا اي فراشا وقيل
مهادها لكم وسلك لكم فيها سبلا اي ادخل في الارض لاجلكم طرقا وسهلها لكم لتسلكوها وانزل من السماء ماء يعني المطر
تم الاخبار عن موسى ثم قال الله تعالى فاخرجنا به اي بذلك الماء ازواجا اي اصنافا من نبات شتى اي مختلفة الالوان
والطعوم والمنافع فمنها ما للناس ومنها ما للدواب كلوا وارعوا انعامكم اي اخرجنا اصناف النبات بالانتفاع
للاكل والرعي ان في ذلك اي الذي ذكر لايات لاولي النهى اي لذوي العقول وقيل هم الذين ينتهون عما حرم
الله عليهم منها خلقناكم اي من الارض خلقنا ادم وقيل ان الملك ينطلق فياخذ من التراب الذي يدفن فيه
فيذره في النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة وفيها نعيدكم اي عند الموت والدفن ومنها نخرجكم تارة
اخرى اي يوم القيامة والبعث والحساب قوله تعالى ولقد اريناه يعني فرعون اياتنا كلها يعني الايات
الايات التسع التي اعطاها الله موسى فكذب وابى يعني فرعون وزعم انها سحر وابى ان يسلم قال يعني فرعون
اجئتنا لتخرجنا من ارضنا يعني مصر بسحرك يا موسى تريد ان تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها
فلناتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا اي اضرب اجلا وميقاتا لا نخلفه اي لا نجاوزه
نحن ولا انت مكانا سوى اي مكانا عدلا وقال ابن عباس نصفا يستوي مسافة الفريقين اليه وقيل
معناه يستوي هذا المكان قال يعني موسى موعدكم يوم الزينة قيل كان يوم عيد لهم يتزينون فيه
ويجتمعون في كل سنة وقيل يوم النيروز وقال ابن عباس يوم عاشوراء وان يحشر الناس ضحى اي وقت
الضحوة نهارا جهارا ليكون ابعد من الريبة فتولى فرعون فجمع يعني فرعون كيده يعني مكره وسحره وحيلته

ثم اتى

ثم اتى يوم الميعاد قال لهم موسى يعني للسحرة الذين جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر حبل
وعصي وقيل كانوا اربعمائة وقيل كانوا اثني عشر الفا ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب اي فيهلككم
ويستاصلكم وقد خاب من افترى اي خسر من ادعى مع الله الها اخر وقيل معناه خسر من كذب على الله تعالى قوله
تعالى فتنازعوا امرهم بينهم اي تناظروا وتشاوروا يعني السحرة في امر موسى سرا من فرعون وقالوا ان غلبنا
موسى اتبعناه وقيل لما قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر
واسروا النجوى اي المناجاة قالوا قال بعضهم لبعض سرا ان هذان لساحران يعني موسى وهارون يريدان ان
يخرجاكم من ارضكم يعني من مصر بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى قال ابن عباس يعني ويسبق قومكم واشرافكم
وقيل يصرفان وجوه الناس عنكم وقيل اراد وقيل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل يعني يريدان ان يذهبا
بهم لانفسهم وقيل معناه يذهبا بسنتكم وبدينكم الذي انتم عليه فاجمعوا كيدكم اي لا تدعوا شيئا من كيدكم
الا جيتم به وقيل معناه اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له ولا تختلفوا فيختل امركم ثم ائتوا صفا اي جميعا
مصطفين ليكون اشد لهيبتكم وقيل معناه ثم ائتوا المكان الموعود وقد افلح اليوم من استعلى اي فاز
من غلب قالوا يعني السحرة يا موسى اما ان تلقي اي عصاك واما ان نكون اول من القى اي عصاه قال يعني
موسى بل القوا يعني انتم اولا فاذا حبالهم فيه اضمار اي فالقوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من
سحرهم انها تسعى قيل انهم لما القوا الحبال والعصي اخذوا اعين الناس فراى موسى كان الارض امتلات حيات
وكانت قد اخذت ميلا في ميل من كل جانب وراى انها تسعى فاوجس اي اضمر وقيل وجد في نفسه
خيفة موسى قيل هو طبع البشرية وذلك انه ظن انها تقصده وقيل انه خاف على القوم ان يلتبس
عليهم فيشكوا في امره فلا يتبعوه قلنا لا تخف اي قال الله لموسى لا تخف انك انت الاعلى اي الغالب
عليهم ولك الغلبة والظفر والق ما في يمينك اي عصاك والمعنى لا تخف قيل كثرة حبالهم وعصيهم
فان في يمينك شيئا اعظم منها كلها تلقف ما صنعوا معناه اي تلقم وتبتلع ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر
قيل معناه اي حيلة ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى اي من الارض وقال ابن عباس لا يسعد حيث كان
فالقي السحرة سجدا قالوا امنا برب هارون وموسى قال صاحب الكشاف سبحان الله ما اعجب امرهم
قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا روسهم للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقايين
وقيل انهم لم يرفعوا روسهم حتى راوا الجنة والنار وقيل انهم لما سجدوا اراهم الله تعالى في سجودهم
منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة قال يعني فرعون امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم يعني لرئيسكم
وعظيمكم واعلاكم في صناعة السحر ومعلمكم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
اي اقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ولاصلبنكم في جذوع النخل اي على جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى
اي على ايمانكم به انا او رب موسى على ترككم الايمان به وابقى اي ادوم قالوا يعني السحرة لن نؤثرك اي لن نختارك
على ما جاءنا من البينات يعني الدلالات الواضحات هي اليد البيضا والعصى وقيل انهم لما سجدوا راوا الجنة
والنار وراوا منازلهم في الجنة فعند ذلك قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا قيل
هو قسم وقيل معناه لن نؤثرك على الله الذي فطرنا فاقض ما انت قاض اي فاصنع ما انت صانع انما تقضي
هذه الحياة الدنيا انما امرك وسلطانك في الدنيا وسيزول عن قريب انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا
وما اكرهتنا عليه من السحر **فان قلت** كيف قالوا هذا وقد جاءوا مختارين غير
مكرهين **قلت** كان فرعون اكرههم في الابتداء على تعلم السحر وقيل كان السحرة لفرعون يدهب

Copyright © King Saud University

اصله وقيل كانت السحرة اثنين وسبعين اثنين من القبط وسبعين من بني اسرايل وكان فرعون اكره
الذين من بني اسرايل ان هو بما مر فرآهم موسى نايما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون هذا ليس بساحر ان
الساحر اذا نام بطل سحره فابى عليهم فاكرههم عليه ان يعملوا فذلك قولهم وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى
اي خير منك ثوابا وابقى عقابا وقيل خير منك ان اطيع وابقى عقابا ان اعصى وهذا جواب لقوله ولتعلمن
اينا اشد عذابا وابقى انه من يات ربه مجرما قيل هذا ابتدا الكلام من الله تعالى وقيل هو من تمام قول
السحرة معناه من مات على الشرك فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة ينتفع بها ومن ياته
مومنا اي من مات على الايمان قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى اي الرفيعة العالية ثم فسر الدرجات
بقوله جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى اي تطهر من الذنوب وقيل اعطى
زكاة نفسه وقال لا اله الا الله عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في افق السما وان ابا بكر وعمر منهم وانعما
اخرجه الترمذي قوله وانعما تقال احسن فلان الى فلان وانعما اي قصد وزاد في الاحسان والمعنى
انهما منهم وزادا وتناهيا الى غايته قوله تعالى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي اي سر بهم ليلا من ارض
مصر فاضرب لهم طريقا اي اجعل لهم طريقا في البحر بالضرب بالعصا يبسا اي يابسا ليس فيه ما ولا طين
وذلك ان الله تعالى ايبس الطريق في البحر لا تخاف دركا ولا تخشى قيل معناه لا تخاف ان يدركك
فرعون من ورايك ولا تخشى ان يغرقك البحر امامك فاتبعهم اي فلحقهم فرعون بجنوده اي اصابهم
فغشيهم من اليم ما غشيهم وهو الغرق وقيل علاهم وسترهم من اليم ما لم يعلم كنهه الا الله تعالى فغرقهم فغرق
فرعون وجنوده ونجا موسى وقومه واضل فرعون قومه وما هدى اي وما ارشدهم وهو تكذيب
لفرعون في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد قوله عز وجل يا بني اسرايل قد انجيناكم من عدوكم
وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى ذكرهم الله النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم
وفيما وعد موسى من المناجات في جانب الطور وكتب التوراة في الالواح وانما قال وواعدناكم لانها اتصلت
بهم حيث كانت بينهم ورجعت منافعها اليهم وبها قوام دينهم وشريعتهم وفيما افاض الله عليهم من ساير
نعمه وارزاقه كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه قال ابن عباس لا تظلموا وقيل لا تكفروا النعمة فتكونوا
كافرين اي طاغين وقيل لا تنفقوا ولا تتقووا بنعمتي على المعاصي وقيل لا تدخروا فيحل عليكم غضبي اي
يجب عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى اي هلك وسقط في النار واني لغفار لمن تاب قال ابن
عباس من تاب عن الشرك وامن اي وحد الله وصدقه وعمل صالحا اي ادى الفرايض ثم اهتدى قال ابن عباس
علم ان ذلك توفيق من الله تعالى وقيل لزم الاسلام حتى مات عليه وقيل علم ان لذلك ثوابا وقيل قام على
السنة قوله عز وجل وما اعجلك اي وما حملك على العجلة عن قومك يا موسى وذلك ان موسى اختار
قومه سبعين حتى يذهبوا معه الى الطور لياخذوا التوراة فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقا الى ربه
وخلف السبعين وامرهم ان يتبعوه الى الجبل فقال الله تعالى وما اعجلك عن قومك يا موسى فاجاب
ربه فقال هم اولاء على اثري اي بالقرب مني ياتون على اثري من بعدي
فان قلت
لم يطابق السؤال الجواب فانه سأله عن سبب العجلة فعدل عن الجواب فقال هم اولاء على اثري
قلت
كان هم موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد منه الا تقدم يسير ثم اسمعه
بجواب السؤال فقال وعجلت اليك رب لترضى اي لتزداد رضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك اي ابتلينا

الذين

الذين خلفتهم مع هارون وكانوا ستماية الف فافتتنوا بالعجل غير اثني عشر الفا من بعدك واضلهم السامري اي دعاهم
وصرفهم الى الضلال وهو عبادة العجل وانما اضاف الضلال الى السامري لانهم ضلوا بسببه وقيل ان جميع المسببات
تضاف الى منشيها في الظاهر وان كان الموجد لها في الاصل هو الله تعالى فذلك قوله هاهنا قيل كان السامري
من عظما بني اسرايل من قبيلة يقال لها السامرة وقيل كان من القبط وكان جار الموسى وامن به وقيل كان علجا
من علوج كرمان دفع الى مصر وكان من قوم يعبدون البقر فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا اي
حزينا جزعا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا اي صدقا انه يعطيكم التوراة افطال عليكم العهد
اي مدة مفارقتي اياكم ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم اي اردتم ان تفعلوا فعلا يجب عليكم الغضب
من ربكم فاخلفتم موعدي يعني ما وعدوه من الاقامة على دينه الى ان يرجع قالوا ما اخلفنا موعدك
بملكنا اي ونحن نملك امرنا وقيل باختيارنا وذلك ان المرء اذا وقع في الفتنة لم يملك نفسه ولكنا حملنا اوزارا
من زينة القوم اي حملنا مع انفسنا ما كنا استعرناه من قوم فرعون والاوزار الاثقال سميت اوزارا
لكثرتها وثقلها وقيل الاوزار الاثام اي حملنا اثاما وذلك ان بني اسرايل استعاروا الحلي من القبط ولم
يردوها وبقيت معهم الى حين خروجهم من مصر وقيل ان الله لما اغرق فرعون نبذ البحر حليهم فاخذها بنوا
اسرايل فكانت غنيمة ولم تكن الغنايم تحل لهم فقذفناها اي القيناها قيل ان السامري قال لهم احفروا حفرة
والقوها فيها حتى يرجع موسى فيرى رايه فيها وقيل ان هارون امرهم بذلك ففعلوا فكذلك القى السامري اي
ما كان معه من الحلي فيها قال ابن عباس اوقد هارون فيها نارا وقال اقذفوا ما معكم فيها وقيل ان هارون
مر على السامري وهو يصوغ العجل فقال له ما هذا قال اصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي فقال هارون اللهم
اعطه ما سالك على ما في نفسه فالقى السامري ما كان معه من تربة فرس جبريل في فم العجل وقال كن عجلا فكان كذلك بدعوة
هارون فذلك قوله تعالى فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار اختلفوا هل كان الجسد حيا ام لا على قولين احدهما
لا لانه لا يجوز خرق العادة على يد فتان بل ان السامري صور صورة على شكل العجل يجعل فيه منافذ ومخاريق
بحيث اذا دخل فيها الريح صوت كصوت العجل الثاني انه صار حيا وخار كما يخور العجل فقالوا هذا الهكم واله
موسى يعني قال ذلك السامري ومن تابعه ممن افتتن به وقيل عكفوا عليه واحبوه حبا لم يحبوا شيا قط مثله
فنسي قيل هو اخبار عن قول السامري اي ان موسى نسي الهه وتركه هاهنا وذهب يطلبه وقيل معناه ان موسى انما
طلب هذا ولكنه نسيه وخالفه في طريق اخر فاخطا الطريق وضل وقيل هو من كلام الله تعالى كانه اخبر عن
السامري انه نسي الاستدلال على حدوث الاجسام وان الاله لا يحل في شي ولا يحل فيه شي ثم بين سبحانه
وتعالى المعنى الذي يجب الاستدلال به فقال افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا اي ان العجل لا يرد لهم
جوابا اذا دعوه ولا يكلمهم ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا هذا توبيخ لهم انما عبدوا ما لا يملك ضرا من ترك عبادته
ولا ينفع من عبده وكان العجل فتنة من الله تعالى ابتلى به بني اسرايل قوله عز وجل ولقد قال لهم هارون
من قبل اي من قبل رجوع موسى يا قوم انما فتنتم به اي ابتليتم بالعجل وان ربكم الرحمن فاتبعوني اي على ديني
في عبادة الله واطيعوا امري اي في ترك عبادة العجل اعلم ان هارون عليه السلام سلك في هذا الوعظ
احسن الوجوه لانه زجرهم اولا عن الباطل بقوله انما فتنتم به ثم دعاهم الى معرفة الله بقوله وان ربكم الرحمن
ثم دعاهم الى معرفة النبوة بقوله فاتبعوني ثم دعاهم الى الشرايع بقوله واطيعوا امري فهذا هو الترتيب
الجيد لانه لا بد من اماطة الاذى عن الطريق وهو ازالة الشبهات ثم معرفة الله فانها هي الاصل
ثم النبوة ثم الشرايع وانما قال وان ربكم الرحمن فخص هذا الموضع بهذا الاسم لانه ينبههم على انهم متى تابوا

الرياح

Copyright King Saud University

قبل الله توبتهم لانه هو التواب الرحيم فقابلوا هذا القول بالاصرار والجحود قالوا لن نبرح اى لن نزول عليه اى على عبادة
العجل عاكفين اى مقيمين حتى يرجع الينا موسى كانهم قالوا لن نقبل حجتك ولا نقبل الا قول موسى فاعتزلهم هارون و
اثنا عشر الفا الذين لم يعبدوا فلما رجع موسى سمع الصياح وكانوا يرقصون حول العجل فقال للسبعين الذين معه هذا
صوت الفتنة فلما راى هارون اخذ شعر راسه بيمينه ولحيته بشماله قال له يا هارون ما منعك اذ رايتهم ضلوا
اى اشركوا ان لا تتبعني اى تتبع امري ووصيتي وهلا قاتلتهم وقد علمت انى لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم
وقيل معناه ما منعك من اللحوق بي واخباري بضلالهم فيكون مفارقتهم زجرا لهم عما اتوه افعصيت امري اى
خالفت امري قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اى بشعر راسي وكان قد اخذ ذوابته اني خشيت ان تقول
اى لو انكرت عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضا فرقت بين بني اسرائيل اى خشيت ان فارقتهم واتبعتك
ان يصيروا احزابا فيتبعنا قوم ويتخلف قوم فتقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي اى لم تحفظ وصيتي حين قلت
لك اخلفني في قومي واصلح وارفق بهم ثم اقبل موسى على السامري قال فما خطبك يا سامري اى فما امرك
وشانك وما الذي حملك على ما صنعت يا سامري قال يعني السامري بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة
من اثر الرسول اى من تراب حافر فرس جبريل فنبذتها اى فقذفتها في فم العجل فخار **فان قلت**
كيف عرف السامري جبريل وراه من بين ساير الناس **قلت** ذكروا فيه وجهين احدهما ان امه
ولدته في السنة التي كان يقتل فيها البنون فوضعته في كهف حذرا عليه من القتل فبعث الله اليه جبريل ليربيه لما
قضى الله على يديه من الفتنة الوجه الثاني انه لما نزل جبريل الى موسى ليذهب به الى الطور فراه السامري من بين
ساير الناس فلما راه قال ان لهذا لشانا فقبض القبضة من تحت تربة موطيه فلما ساله موسى قال فقبضت قبضة
من اثر الرسول اليك يوم جاءك للميقات وقيل راه يوم فلق البحر فاخذ القبضة وجعلها في عمامته لما يريد الله
ان يظهر من الفتنة على يديه وهو قوله وكذلك سولت اى زينت لي نفسي وقيل انه من التسويل والمعنى انه لم
يدعني الى ما فعلت غيري واتبعت فيه هواي قال يعني موسى للسامري فاذهب فان لك في الحياة اى ما دمت حيا
ان تقول لا مساس اى لا تخالط احدا فعوقب في الدنيا بعقوبة لا شي اوحش منها ولا اعظم وذلك ان موسى
امر بني اسرائيل ان لا يخالطوه ولا يقربوه وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وقال ابن عباس
لا مساس لك ولولدك فصار السامري يهيم في البرية مع الوحش والسباع فاذا مس احدا حما جميعا فتحامى الناس
وتحاموه وكان يصيح لا مساس حتى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك وان لك يا سامري موعدا اى لعذابك
في الاخرة لن تخلفه قرئ بكسر اللام معناه لن تغيب عنه ولا مذهب لك عنه بل توافيه يوم القيامة وقرئ بالفتح
اى لن تكذبه ولن يخلفك الله بل يكافيك على فعلك وانظر الى الهك اى الذي تزعم الذي ظلت عليه عاكفا
اى ما دمت عليه مقيما تعبده لنحرقنه اى بالنار ثم لننسفنه اى لنذرينه في اليم اى في البحر نسفا روي ان
موسى اخذ العجل فذبحه فسال منه دم وحرقه في النار ثم ذراه في البحر وقيل معناه لنحرقنه اى لنبردنه فعلى
هذا التاويل لم ينقلب لحما ودما فان ذلك لا يمكن ان يبرد بالمبرد ويمكن ان يقال صار لحما ودما فذبح ثم
بردت عظامه بالمبرد حيث صارت بحيث ان يمكن تذريته في البحر فلما فرغ موسى من امر العجل وابطال ما ذهب
السامري رجع الى بيان الدين الحق فقال مخاطبا لبني اسرائيل انما الهكم الله اى المستحق للعبادة والتعظيم
الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما اى وسع علمه كل شي وقيل يعلم من يعبده قوله عز وجل كذلك نقص عليك
من انباء يعني من اخبار ما قد سبق يعني الامم الخالية وقيل ما سبق من الامور وقد اتيناك من لدنا ذكرا وهو
القران من اعرض عنه اى عن القران ولم يومن به ولم يعمل بما فيه فانه يحمل يوم القيامة وزرا اى حملا ثقيلا

من

من الاثم يوم ينفخ في الصور قيل هو قرن ينفخ فيه يدعى به الناس للحشر والمراد بهذه النفخة النفخة الثانية لانه
اتبعه بقوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا اى نحشر المجرمين زرق العيون سود الوجوه وقيل عميا وقيل عطاشا يتخافتون
اى يتشاورون بينهم ويتكلمون خفيا ان لبثتم اى مكثتم في الدنيا الا عشرا اى عشر ليال وقيل في القبور وقيل
بين النفختين وهو مقدار اربعين سنة وذلك ان العذاب يرفع عنهم بين النفختين فاستقصروا مدة لبثهم
لطول ما عاينوا وقال الله تعالى يتخافتون اى يتشاورون بينهم نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة
ان لبثتم الا يوما فصغر ذلك في اعينهم في جنب ما استقبلهم في يوم القيمة وقيل مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم قوله تعالى
ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا قال ابن عباس سال رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
فقال كيف تكون الجبال يوم القيمة فانزل الله هذه الاية والنسف هو القلع اى يقلعها من اصولها ويجعلها هباء منثورا
فيذرها قاعا صفصفا اى ارضا ملساء لا نبات فيها لا ترى فيها عوجا ولا امتا اى لا انخفاضا ولا ارتفاعا اى
لا ترى واديا ولا رابية يومئذ يتبعون الداعي اى صوت الداعي الذي يدعوهم الى موقف يوم القيامة وهو اسرافيل
وذلك انه يضع الصور في فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول ايتها العظام البالية والجلود المتمزقة والشعور
واللحوم المتفرقة هلموا الى العرض لا عوج له اى له عن دعائهم ولا يزيغون عنه يمينا ولا شمالا بل يتبعونه سراعا
وخشعت الاصوات للرحمن اى سكنت وذلت وخضعت والمراد به اصحاب الاصوات وقيل خضعت الاصوات
من شدة الفزع فلا تسمع الا همسا وهو الصوت الخفي قال ابن عباس هو تحريك الشفاه من غير نطق
وقيل المراد بالهمس صوت الاقدام وهي الى المحشر كصوت اخفاف الابل يومئذ لا تنفع الشفاعة اى لا تنفع احدا من الناس الا
من اذن له الرحمن اى الا من اذن له الرحمن ان يشفع ورضي له قولا قال ابن عباس يعني قال لا اله الا الله
وفيه دليل على انه لا يشفع غير المومن وقيل ان درجة الشافع درجة عظيمة فهي لا تحصل الا لمن يوذن
له فيها وكان عند الله مرضيا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم قيل الكناية راجعة الى الذين يتبعون
الداعي اى يعلم الله ما قدموا من الاعمال وما خلفوا من الدنيا وقيل الضمير يرجع الى من اذن له الرحمن
وهو الشافع والمعنى لا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له الرحمن ان يشفع ثم قال يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم ولا يحيطون به علما قيل الكناية ترجع الى ما اى هو يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم علما وقيل
الكناية راجعة الى الله تعالى وقيل اى ولا يحيطون بالله علما وعنت الوجوه اى ذلت وخضعت
في ذلك اليوم وتصير الملك والقهر لله تعالى دون غيره وذكر الوجوه واراد بها المكلفين لانها اعنت
من صفات الاعز صفات الوجوه لان الخضوع بها يتبين وفيها يظهر وقوله تعالى للحي القيوم تقدم تفسيره
وقد خاب من حمل ظلما قال ابن عباس خسر من اشرك بالله ومن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا يخاف ظلما
ولا هضما قال ابن عباس اى لا يخاف ان يزاد على سياته ولا ينقص من حسناته وقيل لم يواخذ بذنب لم
يعمله ولا يبطل عنه حسنة عملها قوله تعالى وكذلك انزلناه اى كما بينا في هذه السورة هذه الايات
المتضمنة للوعيد انزلنا القران كله كذلك وقوله قرانا عربيا اى بلسان العرب ليفهموه ويقفوا على
اعجازه وحسن نظمه وخروجه عن كلام البشر وصرفنا فيه من الوعيد اى كررنا وفصلنا القول فيه بذكر
الوعيد وبعض تحت الوعيد بيان الفرايض والمحارم لان الوعيد فيما يتعلق بتكريره وتصريفه
يقتضي بيان الاحكام فكذلك قال تعالى لعلهم يتقون اى يجتنبون الشرك والمحارم وترك الواجبات
او يحدث لهم ذكرا انما انزلنا القران لاجل ان يصيروا متقين مجتنبين ما لا ينبغي وقيل معناه
يجدد لهم القران عبرة وعظة فيعتبرون ويتعظون بذكر عقاب الامم السالفة قوله تعالى فتعالى

Copyright © King Saud University

الملك الحق اي جل الله وعظم عن الحاد الملحدين وعما يقوله المشركون والجاحدون وقيل فيه تنبيه على
خلقه من تعظيمه وتمجيده وقيل انما وصف نفسه بالملك الحق لان ملكه لا يزول ولا يتغير وليس بمستفاد
من قبل الغير ولا غيره اولى به منه ولا تعجل بالقران اراد النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه جبريل بالقران
يبادر فيقرا معه قبل ان يفرغ جبريل مما يريد من التلاوة مخافة الانفلات والنسيان فنهاه الله تعالى عن
ذلك فقال ولا تعجل بالقران اي ولا تعجل بقراءته من قبل ان يقضى اليك وحيه اي من قبل ان يفرغ جبريل من
الابلاغ وقيل معناه لا تقرا به اصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معناه وقل رب زدني علما فيه التواضع
والشكر لله والمعنى زدني علما الى ما علمت فان لك في كل شيء علما وحكمة قيل ما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم
بطلب الزيادة في شيء الا في العلم وقيل كان ابن مسعود اذا قرا هذه الاية يقول اللهم زدني علما ويقينا قوله
عز وجل ولقد عهدنا الى ادم يعني امرناه واوصينا اليه ان لا ياكل من الشجرة من قبل اي من قبل هؤلاء الذين
نقضوا عهدي وتركوني وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى لعلهم يتقون فنسي اي فترك ما عهدنا
اليه من الاحتراز عن اكل هذه الشجرة واكل منها وقيل اراد النسيان الذي هو ضد الذكر ولم نجد له عزما اي صبرا عما
نهي عنه وحفظا لما امر به وقيل معناه لم نجد له رايا معزوما حيثما اطاع عدوه ابليس الذي حسده وابى ان يسجد
له وقيل معناه لم نجد له عزما على القيام على المعصية فيكون الى المدح اقرب قوله عز وجل واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى ان يسجد فقلنا يا ادم ان هذا اي ابليس عدو لك ولزوجك اي حوى
وسبب العداوة ما راى من اثار نعمة الله على ادم فحسده فصار عدوا له فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى اسند
الخروج اليه وان كان الله تعالى هو المخرج لما كان بوسوسته فعل ادم ما ترتب عليه الخروج مع ذلك
ومعنى تشقى تتعب وتنصب ويكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك وهو الحرث والزرع والحصد
والطحن والخبز قيل اهبط الى ادم ثور احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه فكان ذلك شقاه فان
قلت لم اسند الشقا كان ان سعادته في سعادتهم لانه القيم عليهم الثاني
اريد بالشقا التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المراة لان الرجل هو الساعي على زوجته
ان لك ان لا تجوع فيها اي في الجنة ولا تعرى وانك لا تظما فيها اي لا تعطش ولا تضحى اي لا تبرز للشمس فيوذيك
حرها لانه ليس في الجنة شمس واهلها في ظل ممدود والمعنى ان الشبع والري والكسوة والكن هي الامور التي
تدور عليها كفاية الانسان فذكر الله تعالى حصول هذه الاشيا في الجنة وانه مكفي لا يحتاج الى كفاية
ولا الى كسب كما يحتاج اليه اهل الدنيا فوسوس اليه الشيطان اي انهى اليه الوسوسة واسر اليه ثم بين
تلك الوسوسة ما هي فقال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد اي على الشجرة التي ان اكلت منها بقيت مخلدا
وملك لا يبلى اي لا يبيد ولا يفنى رغبة في دوام الراحة فكان الشي الذي رغب الله فيه ادم رغبه ابليس
فيه الا ان الله تعالى وقف ذلك على الاحتراز عن تلك الشجرة وابليس وقفه على الاقدام عليها وادم مع
كمال علمه بان الله هو خالقه وربه ومولاه وناصره وابليس هو عدوه اعرض عن قول الله تعالى ولم يرد المخالفة
ومن تامل هذا السر عرف انه لا دافع لقضا الله ولا مانع منه وقوله تعالى فاكلا منها يعني اكل ادم
وحوى من الشجرة فبدت لهما سوءاتهما اي عريا من النور الذي كان عليهما حتى بدت فروجهما وظهرت عوراتهما
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اي يلزقان بسوءاتهما من ورق الجنة التين وعصى ادم
ربه اي باكل الشجرة فغوى اي فعل ما لم يكن له فعله وقيل اخطا طريق الحق وضل حيث طلب الخلد باكل ما نهي
عنه فخاب ولم ينل مراده وصار من العز الى الذل ومن الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز ان يقال عصى

ادم

ادم ولا يجوز ان يقال ادم عاص لانه يقال لمن عاد الى المعصية كالرجل يخيط ثوبه يقال خاط ثوبه ولا
يقال هو خياط حتى يعاود ذلك مرارا ولعباده (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم احتج ادم وموسى فقال موسى يا ادم انت ابونا اخرجتنا من الجنة فقال له ادم انت
يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده اتلومني على امر قد قدره الله تعالى علي قبل ان
يخلقني باربعين عاما فحج ادم موسى وفي رواية لمسلم قال ادم بكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان اخلق
قال باربعين سنة قال فهل وجدت فيها وعصى ادم ربه فغوى قال نعم قال فهل تلومني على ان عملت
عملا كتبه الله علي ان اعمله قبل ان يخلقني باربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج ادم موسى
الكلام على معنى الحديث وشرحه قوله احتج ادم وموسى المحاجة المجادلة والمخاصمة يقال حاججت فلانا
فحججته اي جادلته فغلبته قال ابو سليمان الخطابي قد يحسب كثير من الناس ان معنى القضا والقدر
من الله على معنى الاجبار والقهر للعبد على ما قضاه الله وقدره ويتوهم ان قوله فحج ادم موسى من هذا
الوجه وليس كذلك وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله بما يكون من افعال العباد واكسابهم وصدورها
عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر والقضا في هذا معناه
الخلق واذا كان الامر كذلك فقد بقي عليهم وان علم الله فيهم افعالهم واكتسابهم ومباشرتهم الامور وملابستهم
اياها عن قصد وتعمد وتقديم وتاخير ارادة واختيار فالحجة انما تلزمهم بها واللائمة تلحقهم عليها وجماع القول
في هذا انهما امران لا ينفك احدهما عن الاخر لان احدهما بمنزلة الاساس والاخر بمنزلة البنا فمن رام الفصل
بينهما فقد رام هدم البنا ونقضه وانما موضع الحجة لادم على موسى ان الله تعالى كان قد علم من ادم انه
يتناول الشجرة وياكل منها فكيف يمكنه ان يرد علم الله فيه وان يبطله بعد ذلك وانما كان تناول الشجرة
سببا لنزوله الى الارض التي خلق الله لها وانما ادلى ادم بالحجة على هذا المعنى ودفع لائمة موسى عن نفسه
ولذلك قال اتلومني على امر قدره الله علي من قبل ان يخلقني

فصل في بيان عصمة الانبيا

عليهم السلام وما قيل في ذلك قال الامام فخر الدين الرازي اختلف الناس في عصمة الانبيا وضبط القول
فيه يرجع الى اقسام اربعة احدها ما يقع في باب الاعتقاد واعتقاد الكفر والضلال فان ذلك غير
جائز عليهم الثاني هو ما يتعلق بالتبليغ فلهذا اجمعت الامة على كونهم معصومين عن الكذب
والتحريف والا لارتفع الوثوق بالادا واتفقوا على ان ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمدا ولا سهوا ومن
الناس من جوز ذلك سهوا قالوا لان الاحتراز عنه غير ممكن الثالث ما يتعلق بالفتيا لانه لا يجوز
خطاوهم فيه على سبيل العمد واجازه بعضهم على سبيل السهو الرابع ما يقع في افعالهم فقد اختلفت الامة
فيه على خمسة اقوال احدها قول من جوز عليهم الكباير الثاني قول من منع الكباير وجوز الصغاير على جهة
العمد وهو قول اكثر المعتزلة الثالث لا يجوز ان ياتوا بصغيرة ولا كبيرة البتة بل على جهة التاويل وهو
قول الجبائي الرابع ان لا يقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطا الخامس انه لا يقع منهم لا صغيرة ولا
كبيرة لا على سبيل العمد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التاويل وهو قول الشيعة واختلف الناس في
وقت العصمة على ثلاثة اقوال احدها قول من ذهب الى انهم معصومون من حين وقت الولادة وهو
قول الشيعة الثاني قول من ذهب الى عصمتهم من وقت بلوغهم وهم اكثر المعتزلة الثالث قول من ذهب الى
انه لا يجوز منهم بعد النبوة وهو قول اكثر اصحابنا وابي الهذيل وابي علي من المعتزلة قال الامام والمختار عندنا
انه لم يصدر عنهم ذنب لا صغيرة ولا كبيرة من حين جاءتهم النبوة ويدل على وجوه احدها لو صدر الذنب عنهم

Copyright © King Saud University

لكانوا اقل درجة من احد الامة وذلك غير جايز ايضا لان درجة الانبيا في غاية الرفعة والشرف الثاني
لو صدر عنه وجب ان لا يكون مقبول الشهادة فكان اقل حالا من عدول الامة وذلك غير جايز ايضا
لان معنى النبوة والرسالة هو ان يشهد على الله انه يشرع هذا الحكم وايضا فانه يوم القيامة شاهد
على الكل الثالث لو صدر من النبي صلى الله عليه وسلم وجب الاقتدا به وذلك محال الرابع يثبت بديهة
العقل انه لا شي اقبح من رفع الله درجته وايتمنه على وحيه وجعله خليفته في عباده وبلاده يسمع
ربه يناديه لا تفعل كذا فيقدم عليه ويفعله ترجيحا لغرضه واجتمعت الامة على ان الانبيا
كانوا يامرون الناس بطاعة الله تعالى فلو لم يطيعوه لدخلوا تحت قوله اتامرون الناس بالبر وتنسون
انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون وقال وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه الخامس قال
الله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ولفظه للعموم فيتناول الكل ويدل عليه فعل ما ينبغي فعله
وترك ما ينبغي تركه فثبت ان الانبيا كانوا فاعلين لكل خير وتاركين لكل منهي عنه وذلك ينافي صدور
الذنب عنهم السادس قال الله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس وقال الله تعالى ان
الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين وقال في حق موسى اني اصطفيتك على
الناس برسالاتي وبكلامي وقال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا
اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وغير ذلك من الايات التي تدل
على كونهم موصوفين بالاصطفا والخير وذلك ينافي صدور الذنب عنهم وذكر غير ذلك من الوجوه
قال واما المخالفون فقد تمسكوا بايات منها قصة ادم هذه والجواب عنها ان نقول ان كلامهم
انما يتم ان لو بينوا بالدلالة انه حال النبوة وذلك ممنوع ولم لا يجوز ان يقال ان ادم لما صدرت عنه
هذه الاشيا ما كان نبيا وان هذه الواقعة كانت قبل النبوة وان الله قبل توبته وشرفه بالنبوة
والرسالة وقال القاضي عياض واما قصة ادم وقوله وعصى ادم ربه فغوى اي جهل وقيل اخطا
وندم وقد اخبر الله تعالى بعذره في قوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما اي نسي عداوة
ابليس له وما عهد الله اليه وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنه اغتر بحلف ابليس له اني لكما
لمن الناصحين وتوهم ان احدا لا يحلف بالله كاذبا وقيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له
عزما اي قصدا للمخالفة وقيل كان في اكل الشجرة سنا ولا هو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها لانه تاول
نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة
وقيل تاول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم **فان قلت** اذا نفيت عنهم الذنوب
والمعاصي فما معنى قوله وعصى ادم ربه فغوى وما تكرر في القران والحديث من اعتراف الانبيا
بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم واشفاقهم وبكائهم على ما سلف منهم وقيل يتوب ويستغفر من
لا شي عليه **قلت** ان درجة الانبيا في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده
وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المواخذة بما لا
يواخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم باموره لم ينهوا عنها ولا امروا بها واتوها على وجه التاويل والسهو
او تزيدوا من امور الدنيا المباحة فاخذوا عليها وعوقبوا بسببها وحذروا من المواخذة بها
فهم خايفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاصيهم كانت هنا ادنى افعالهم واسوء ما
يجري من احوالهم كما قيل حسنات الابرار سيات المقربين اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم

كالسيان

كالسيان وسنذكر في كل موضع ما يليق به وما قيل فيه ان شا الله تعالى قوله تعالى ثم اجتباه ربه اي اختاره
واجتباه واصطفاه فتاب عليه اي عاد عليه بالعفو والمغفرة وهدى اي هداه ارشده حتى رجع الى الندم
والاستغفار قال اهبطا منها جميعا قيل الخطاب لادم ومعه ذريته ولابليس ومعه ذريته فصح قوله اهبطا
لاشتمال كل واحد من الجنسين على الكثرة وقيل الخطاب لادم وحوى لانهما اصل البشر فجعلا كانهما البشر
فخوطبا بهذا الجمع بعضكم لبعض عدو وقيل في تقوية هذا الظاهر حقه ان يكون ابليس والشياطين
اعدا الناس ويحتمل ان يكون بعض الفريقين لبعض عدو فاما ياتينكم مني هدى اي كتاب ورسول
فمن اتبع هداي اي الكتاب والرسول فلا يضل ولا يشقى قال ابن عباس من قرا القران واتبع ما فيه
هداه الله من الضلالة ووقاه الله يوم القيامة سو الحساب وذلك بان الله تعالى يقول فمن اتبع
هداي فلا يضل اي في الدنيا ولا يشقى اي في الاخرة ومن اعرض عن ذكري يعني القران ولم يومن به ولم
يتبعه فان له معيشة ضنكا روي عن ابن مسعود وابي هريرة وابي سعيد الخدري انهم قالوا هو عذاب
القبر قال ابو سعيد وهو يضغط في القبر حتى تختلف اضلاعه وفي بعض المسانيد مرفوعا يلتيم
عليه القبر حتى تختلف اضلاعه فلا يزال يعذب حتى يبعث وقيل هو الزقوم والضريع والغسلين
في النار وقيل هو الحرام والكسب الخبيث وقال ابن عباس الشقا وعنه ايضا قال كلما اعطي العبد قل
ام كثر فلم يتق فيه خير وهو الضنك في المعيشة وان قوما اعرضوا عن الحق وكانوا اولي سعة في الدنيا مكثرين
فكانت معيشتهم ضنكا وذلك انهم يرون ان الله ليس بمخلف لهم فاشتدت عليهم معايشهم من سو ظنهم
بالله تعالى وقيل يسلب القناعة حتى لا يشبع قوله تعالى ونحشره يوم القيمة اعمى قال ابن عباس اعمى
البصر وقيل اعمى عن الحجة قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا اي بصير العين او بصيرا بالحجة قال كذلك
اتتك اياتنا فنسيتها اي فتركتها واعرضت عنها وكذلك اليوم تنسى اي تترك في النار وقيل نسوا من
الرحمة ولم ينسوا من العذاب وكذلك نجزي من اسرف اي كما جزينا من اعرض عن القران كذلك نجزي من اسرف
اي اشرك ولم يومن بايات ربه ولعذاب الاخرة اشد وابقى اي مما يعذبهم به في الدنيا والقبر وابقى اي وادوم
قوله تعالى افلم يهد لهم اي افلم يبين لهم القران لكفار مكة كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم يعني
في ديارهم ومنازلهم اذا سافروا وذلك ان قريشا كانوا يسافرون الى الشام فيرون ديار المهلكين من اصحاب
الحجر وهم ثمود وقريات لوط ان في ذلك لايات لاولي النهى اي لذوي العقول ولولا كلمة سبقت من ربك اي
ولولا حكم سبق بتاخير العذاب عنهم لكان لزاما واجل مسمى تقديره ولولا كلمة سبقت من ربك واجل
مسمى وهو يوم القيمة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة فاصبر على
ما يقولون نسختها اية السيف وسبح بحمد ربك اي فصل بامر ربك قبل طلوع الشمس يعني صلاة الفجر
وقبل غروبها اي صلاة العصر ومن اناء الليل اي ساعاته فسبح يعني فصل المغرب والعشا قال ابن عباس
يريد اول الليل واطراف النهار يعني صلاة الظهر سمى وقت الظهر اطراف النهار لان وقته عند الزوال
وهو طرف النصف الاول انتهاء وطرف النصف الاخير ابتداء لعلك ترضى اي ترضى ثوابه في المعاد ومعناه
لعلك ترضى بالشفاعة وقرئ ترضى بضم التاء اي تعطى ثوابه وقيل يرضاك ربك ق عن جرير بن عبد
الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما
ترون هذا القمر لا تضامون في رويته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل الفجر وقبل غروبها فافعلوا
وقرئ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فقوله ولا تضامون بتخفيف الميم من الضيم الظلم والمعنى

انكم ترونه جميعا لا يظلم بعضكم بعضا في رويته والكاف في قوله كما ترون القمر كاف التشبيه للروية لا للمرئي وهو فعل
الرائي ومعناه ترون ربكم روية ينزاح معها الشك كرويتكم هذا القمر ليلة البدر ولا ترتابون فيه ولا تشكون قوله
عز وجل ولا تمدن عينيك قال ابو رافع نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثني الى يهودي فقال قل له
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعني كذا وكذا من الدقيق واسلفني الى هلال رجب فقلت له ذلك
فقال والله لا ابيعه ولا اسلفه الا برهن فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال والله لئن
باعني واسلفني لقضيته واني لامين في السماء امين في الارض اذهب بدرعي الحديد اليه فنزلت هذه الاية ولا تمدن
عينيك اي لا تنظر نظر الادكار وزده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا له الى ما متعنا به اي اعطينا ازواجا
اي اصنافا منهم زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وبهجتها لنفتنهم فيه اي لنجعل ذلك فتنة لهم بان ازيد لهم النعمة
فيزدادوا كفرا وطغيانا ورزق ربك اي في المعاد في الجنة خير وابقى اي احسن وادوم قال ابي بن كعب من لم يعتز
بعز الله تقطعت نفسه حسرات ومن يتبع بصره ما في ايدي الناس طال حزنه ومن ظن ان نعمة الله عليه في مطعمه ومشربه
وملبسه فقد قل عمله وحضر عذابه قوله تعالى وامر اهلك اي قومك وقيل من كان في دينك بالصلاة اي بالمحافظة
واصطبر عليها اي اصبر على الصلاة فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل اصبر عليها فعلا فان الوعظ بلسان الفعل
ابلغ منه بلسان القول لا نسألك رزقا اي لا نكلفك ان ترزق احدا من خلقنا ولا ان ترزق نفسك بل نكلفك
عملا نحن نرزقك بل نحن نرزقك ونرزق اهلك والعاقبة للتقوى اي الجميلة المحمودة لاهل التقوى قال ابن عباس
الذين صدقوك واتبعوك واتقوني وفي بعض المسانيد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اصاب اهله ضر امرهم
بالصلاة وتلا هذه الاية قوله تعالى وقالوا يعني المشركين لولا ياتينا باية من ربه اي بالاية المقترحة فانه كان
قد اتاهم بايات كثيرة اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى اي بيان ما فيها وهو القران لانه اقوى دلالة واوضح اية وقيل
معناه ما في الصحف التوراة والانجيل وغيرهما من اخبار الامم انهم اقترحوا الايات فلما اتتهم لم يومنوا بها
فعجلنا لهم العذاب والهلاك فما يومنهم ان اتتهم الاية ان يكون حالهم كحال اولئك وقيل بينة ما في الصحف الاولى وهي
البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وبنبوته وبعثته ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله اي من قبل ارسال الرسول وانزال
القران لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا اي لقالوا يوم القيامة لولا ارسلت الينا رسولا يدعونا فنتبع اياتك
من قبل ان نذل ونخزى بالعذاب والهوان والافتضاح قل كل متربص اي منتظر دوائر الزمان وذلك ان المشركين
قالوا نتربص بمحمد حوادث الدهر فاذا مات تخلصنا قال الله فتربصوا اي فانتظروا فستعلمون اي اذا جاء امر الله
وقامت القيامة من اصحاب الصراط السوي اي المستقيم ومن اهتدى اي من الضلالة نحن ام انتم والله تعالى اعلم
بمراده واسرار كتابه تفسير سورة الانبياء عليهم السلام مكية وعددها مائة واثنتا عشرة اية
والف ومائة وستون كلمة واربعة الاف وثمان وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
اقترب للناس حسابهم اي وقت محاسبة الله اياهم على اعمالهم يوم القيامة نزلت في منكري البعث وانما ذكر الله هذا
الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين فيكونوا اقرب الى التاهب له والمراد بالناس المحاسبون وهم المكلفون دون
غيرهم وقيل هم المشركون وهذا باب اطلاق اسم الجنس على بعضه وهم في غفلة معرضون اي عن التاهب له وقيل
معناه انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء المحسن
والمسيء اي انهم عرضة للغفلة عما يتلى عليهم من الايات والنذر اعرضوا عنه ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث
بعد ما يحدث الله من تنزيل شيء من القران يذكرهم ويعظهم به وقيل معناه ان الله يحدث الامر بعد الامر فينزل
الاية بعد الاية والسورة بعد السورة في وقت الحاجة لبيان الاحكام وغيره من الامور والوقائع وقيل
الذكر المحدث ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وبينه من السنن والوعظ سوى ما في القران واضافه اليه

لان الله تعالى قال وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى الا استمعوه وهم يلعبون اي لاعبين لا يعتبرون ولا يتعظون
لاهية قلوبهم اي ساهية معرضة غافلة عن ذكر الله واسروا النجوى الذين ظلموا اي بالغوا في اخفاء التناجي وهم الذين اشركوا
ثم بين الله سرهم الذي تناجوا به فقال تعالى هل هذا الا بشر مثلكم يعني انهم انكروا ارسال البشر وطلبوا ارسال الملائكة والاولى
ارسال البشر الى البشر لان الانسان الى القبول من اشكاله اقرب افتاتون السحر اي تحضرون السحر وتقبلونه وانتم تبصرون
اي تعلمون انه سحر قل لهم يا محمد ربي يعلم القول في السماء والارض اي لا يخفى عليه شيء وهو السميع لاقوالهم العليم بافعالهم
قوله عز وجل بل قالوا اضغاث احلام يعني اباطيل راها في النوم بل افتراه اي اختلقه بل هو شاعر وذلك ان
المشركين اقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم وفيما يقوله فقال بعضهم اضغاث احلام وقال بعضهم بل
هو فرية وقال بعضهم هو شاعر وما جاءكم به شعر فلياتنا يعني النبي صلى الله عليه وسلم باية ان كان صادقا كما ارسل
الاولون اي من النبيين صلى الله عليه وسلم وارسل بالايات قال الله تعالى مجيبا لهم ما امنت قبلهم اي قبل مشركي مكة
من قرية اي من اهل قرية اهلكناها بالتكذيب افهم يومنون اي انجاتهم والمعنى اولئك لم يومنوا بالايات لما
جاءتهم افيؤمن هؤلاء قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم هذا جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم
والمعنى لم نرسل الملائكة الى الاولين انما ارسلنا رجالا يوحى اليهم مثلك فاسألوا اهل الذكر يعني اهل التوراة والانجيل
يريد علماء اهل الكتاب فانهم لا ينكرون ان الرسل كانوا بشرا وان انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم امر المشركين بمسئلة
اهل الكتاب لان المشركين اقرب الى تصديقهم من تصديق من امن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل اراد بالذكر القران
اي فاسألوا المومنين العالمين من اهل القران ان كنتم لا تعلمون قوله عز وجل وما جعلناهم جسدا لا ياكلون
الطعام جواب لقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام والمعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا ياكلون الطعام
وما كانوا خالدين في الدنيا بل يموتون كغيرهم ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم اي المومنين الذين صدقوهم ومن
نشاء واهلكنا المسرفين اي المشركين لان المشرك مسرف على نفسه قوله عز وجل لقد انزلنا اليكم يا معشر قريش
كتابا فيه ذكركم اي شرفكم وفخركم وهو شرف لمن امن به وقيل معناه فيه حديثكم وقيل فيه ذكر ما تحتاجون اليه
من امر دينكم وقيل فيه تذكرة لكم لتحذروا ليكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد افلا تعقلون فيه بعث على التدبر
لان الخوف من لوازم العقل قوله تعالى وكم قصمنا اي اهلكنا من قرية كانت ظالمة اي احدثنا بعد هلاك
اهلها وانشانا بعدها قوما اخرين فلما احسوا باسنا اي عذابنا بحاسة البصر اذا هم منها يركضون اي يسرعون
هاربين من قريتهم لما راوا مقدمة العذاب لا تركضوا اي قيل لهم لا تهربوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه اي نعمتم فيه من
العيش ومساكنكم لعلكم تسألون قال ابن عباس عن قتل نبيكم قيل نزلت هذه الاية في اهل حضور قرية من
اليمن وكان اهلها عربا فبعث الله اليهم نبيا يدعوهم اليه فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فقتلهم
وسباهم فلما استمر فيهم القتل هربوا فنادت لهم الملائكة استهزاء لا تركضوا اي لا تهربوا وارجعوا الى مساكنكم
واموالكم لعلكم تسألون شيئا من دنياكم فتعطون من شئتم وتمنعون فانكم اهل ثروة ونعمة فاتبعهم بختنصر
واخذتهم السيوف ونادى مناد من السماء يا ثارات الانبياء فلما راوا ذلك اقروا بالذنوب حيث لم ينفعهم وقالوا
يا ويلنا انا كنا ظالمين اي لانفسنا حين كذبنا الرسل وذلك انهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب
وقالوا ذلك على سبيل الندامة ولم ينفعهم الندم فما زالت تلك دعواهم يعني الكلمة وهي يا ويلنا حتى جعلناهم
حصيدا خامدين اي بالسيوف كما يحصد الزرع خامدين ميتين قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما
بينهما لاعبين معناه ما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب للعب واللهو
وانما سويناهما للفائدة منها التفكر في خلقهما وما فيهما من العجائب والمنافع التي لا تعد ولا تحصى لو اردنا ان نتخذ

Copyright © King Saud University

لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا اى من عندنا من الحور العين لا من عندكم من اهل الارض وقيل معناه لو كان ذلك جايزا في
صنعتنا لم نتخذه بحيث يظهر لكم ونستر ذلك حتى لا تطلعوا عليه وذلك ان النصارى لما قالوا في المسيح وامه ما قالوا
رد الله عليهم بقوله لاتخذناه من لدنا لانكم تعلمون ان ولد الرجل وزوجته يكونا عنده لا عند غيره ان كنا فاعلين
اى ما كنا فاعلين وقيل وما كنا ممن يفعل ذلك لانه لم يليق بالربوبية بل اى دع ذلك الذي قالوه فانه كذب
وباطل نقذف اى نرمى ونسلط بالحق اى بالايمان على الباطل اى الكفر وقيل الحق قول الله انه لا ولد له والباطل
قولهم اتخذ الله ولدا فيدمغه اى فيهلكه فاذا هو زاهق اى ذاهب والمعنى انا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى
يذهب ويضمحل ثم اوعدهم على كذبهم فقال تعالى ولكم الويل يا معشر الكفار مما تصفون بالله تعالى بما لا يليق به
من الصاحبة والولد وله من في السموات والارض اى عبيدا وملكا فهو الخالق لهم والمنعم عليهم باوصاف النعم ومن عنده
يعني الملايكة وانما خص الملايكة وان كانوا داخلين في جملة من في السموات لكرامتهم ومرتبتهم لاعتنايهم لا يستكبرون
عن عبادته اى لا يانفون ولا يتعظمون عنها ولا يستحسرون اى لا يعيون وقيل لا ينقطعون عن العبادة
ثم وصفهم الله تعالى بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون اى لا يضعفون ولا يسامون وذلك ان
تسبيحهم متصل دايم لا يفتر في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ او شغل اخر قال كعب الاحبار التسبيح
لهم بالنفس لبني ادم ام اتخذوا الهة من الارض يعني الاصنام من الحجارة والخشب وغيرهما من المعادن وهو من الارض
هم ينشرون اى يحيون الاموات لا يستحق الالهية الا من يقدر على الاحيا والايجاد من العدم والانعام
بابلغ النعم ونحوه وهو الله عز وجل لو كان فيهما اى في السموات والارض الهة الا الله لفسدتا اى غير الله لفسدتا
اى لخربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع من الالهة لان كل امر صدر عن اثنين فاكثر لم يجر على النظام قال الامام
فخر الدين الرازي قال المتكلمون لو وجد الالهين فلابد وان يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات ولو كان كذلك
لكان كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد وتسكينه فاما ان يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين
او لا يقع واحد منهما وهو محال لان المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الاخر فلا يمتنع مراد هذا الا عند وجود
الاخر اذ ذلك وبالعكس فلو امتنعا معا وجدا او وجدا معا وذلك محال او يقع مراد احدهما دون الثاني وذلك
ايضا محال لوجهين احدهما انه لما كان كل واحد منهما دون الثاني قادرا على ما لا نهاية له امتنع كون احدهما
اقدر من الاخر بل لابد وان يستويا في القدرة واذا استويا في القدرة والا لزم ترجيح الممكن من غير مرجح وثانيهما
انه اذا وقع مراد احدهما دون الاخر الذي وقع مراده يكون قادرا والذي لم يقع مراده يكون عاجزا والعجز نقص
وعلى الله محال ولو فرضنا الالهين لكان كل واحد منهما قادرا على جميع نقض فعل الاخر وهو ايضا محال ولو فرضنا
المقدورات فيفضي الى وقوع قادرين مقدورين مستقلين من وجه واحد منهما لان اسناد الفعل الى الفاعل
انما كان لامكانه قادرا على واحد منهما مستقلا بالايجاد وبالفعل لكونه مع هذا وجب لوقوع فيستحيل اسناده
الى هذا لكونه حاصلا معهما جميعا فيلزم استغناؤه عنهما واحتياجه اليهما وذلك محال وهذه حجة تامة
في مسلة التوحيد فيقول القول بوجود الالهين يفضي الى امتناع وقوع المقدور بواحد منهما واذا كان كذلك
وجب ان لا يقع البتة وحينئذ يلزم وقوع الفساد قطعا ونقول لو قدرنا الالهين فاما ان يتفقا او يختلفا
فان اتفقا على الشي الواحد فذلك المقدور لهما ومرادهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال وان اختلفا فاما ان يقع
المرادان او لا يقع واحد منهما او يقع احدهما دون الكل والكل محال فثبت ان الفساد لازم على كل التقديرات واعلم
انك اذا وقفت على حقيقة هذه الدلالة عرفت ان جميع ما في العالم العلوي والسفلي من المحدثات والمخلوقات
فهو دليل على وحدانية الله تعالى واما الدلايل السمعية على الوحدانية فكثيرة في القران واعلم ان كل من طعن في الالهة

التمانع

التمانع فيفسر الاية بان المراد لو كان في السماء والارض الهة يقول بالهيتها عبدة الاوثان لزم فساد العالم لانها
جمادات لا تقدر على تدبير العالم فيلزم افساد العالم قال وهذا اولى لانه تعالى حكى عنهم ام لهم الهة من الارض
هم ينشرون ثم ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب ان يختص الدليل به واما قوله عز وجل فسبحان الله رب العرش عما يصفون
نعجب تنزيه الله سبحانه وتعالى عما يصفه به المشركون من الشريك والولد لا يسئل عما يفعل اى لا يسال الله عما يفعله
او يقضيه في حكمه تعالى وهم يسالون اى والناس يسالون عن اعمالهم والمعنى انه لا يسال عما يحكم في عباده
من اعزاز واذلال وهدى واضلال واسعاد واشقا لانه الرب مالك الاعيان والخالق بيناه يسالون سوال توبيخ
يقال لهم يوم القيامة لم فعلتم كذا لانهم عبيد يجب عليهم امتثال امر مولاهم والله تعالى ليس فوقه احد يقول
له لشي فعله لم فعلته قوله عز وجل ام اتخذوا من دونه الهة لما ابطل الله تعالى ان يكون الهة سواه بقوله
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا انكر عليهم اتخاذهم الالهة فقال ام اتخذوا من دونه الهة وهو استفهام
انكار وتوبيخ قل هاتوا برهانكم اى حجتكم على ذلك ثم قال تعالى مستانفا هذا يعني القران ذكر من معي قال
فيه خبر من معي على ديني ومن يتبعني الى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وذكر
اى خبر من قبلي اى من الامم السالفة وما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الاخرة قال ابن عباس ذكر من
معي القران وذكر من قبلي التورية والانجيل ومعناه راجعوا القران والتوراة والانجيل وساير الكتب هل تجدون
فيها ان الله تعالى اتخذ ولدا او كان معه الهة بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون قوله عز وجل وما ارسلنا من
قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون اى فوحدوني وقيل لما توجهت الحجة عليهم ذمهم على جهلهم
بمواضع الحق فقال بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون اى عن التامل والتفكر وما يجب عليهم من الايمان
بانه لا اله الا هو وقوله عز وجل وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة المشركين حيث قالوا الملايكة بنات
الله سبحانه نزه نفسه عما قالوا بل عباد مكرمون اى اكرمهم الله واصطفاهم لا يسبقونه بالقول اى
لا يتكلمون الا بما يامرهم به وهم بامره يعملون والمعنى انهم لا يخالفونه قولا ولا عملا يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم اى ما عملوا وهم عاملون وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى
قال ابن عباس الا لمن قال لا اله الا الله وقيل لمن رضي الله عنه وهم من خشيته مشفقون اى خايفون وجلون
لا يامنون مكره ومن يقل منهم اني اله من دونه قيل عنى ابليس حيث دعا الى عبادة نفسه فان احدا من
الملايكة لم يقل اني اله من دون الله فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين اى الواضعين الالهية
والعبادة في غير موضعها قوله عز وجل اولم ير الذين كفروا اى يعلم الذين كفروا ان السموات والارض
كانتا رتقا قال ابن عباس كانتا شيا واحدا ملتزقتين ففتقناهما اى فصلنا بينهما بالهوى قال
كعب الاحبار خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا بوسطهما ففتحهما بها وقيل
كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذا الارض وقيل كانت السموات
رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السما بالمطر والارض بالنبات وجعلنا من الما كل شي حي اى
واحيينا بالما الذي ينزل من السما كل شي من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر وذلك لانه سبب لحياة
كل شي وقال المفسرون معناه ان كل شي حي فهو مخلوق من الما وقيل يعني النطفة فان قلت
فقد خلق الله تعالى بعض ما هو مخلوق حي من غير الما كادم وعيسى والملايكة والجان قلت خرج
هذا اللفظ مخرج الاغلب والاكثر يعني ان اكثر ما على وجه الارض مخلوق من الما او بقاؤه في الما افلا يؤمنون
اى فلا يصدقون وجعلنا في الارض رواسي اى جبالا ثوابت ان تميد بهم اى لئلا تميد بكم قيل ان الارض

Copyright King Saud University

بسطت على الما فكانت تتحرك كما تتحرك السفينة في الما فارساها الله تعالى واثبتها بالجبال وجعلنا فيها اى
في الرواسي فجاجا اى طرقا ومسالك والفج الطريق الواسع بين الجبلين سبلا هو تفسير الفجاج لعلهم يهتدون الى
مقاصدهم وجعلنا السما سقفا محفوظا من ان تسقط وتقع وقيل محفوظا من الشياطين بالشهب وهم يعني الكفار عن
آياتها معرضون اى عما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وكيفية حركاتها في افلاكها ومطالعها ومغاربها
والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة القاهرة لا يتفكرون ولا يعتبرون بها وهو الذي خلق الليل
والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون اى يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الما وانما قال يسبحون ولم يقل يسبح
على ما يقال لما لا يعقل لانه ذكر عنها فعل العقلا وهو السباحة والجري والفلك مدار النجوم الذي يضمها
وهو في كلام العرب كل شي مستدير وجمعه افلاك وقيل الفلك السما الذي فيه ذلك الكواكب فكل كوكب يجري
في السما الذي قدر فيه وقيل الفلك استدارة السما وقيل قال اصحاب الهيئة الافلاك اجرام صلبة لا ثقيلة
ولا خفيفة غير قابلة للخرق والالتيام والنمو والذبول والحق انه لا سبيل الى معرفة صفة السموات الا بالاخبار
الصادق فسبحان الخالق المدبر بخلقه بالحكمة والعدل والقدرة القاهرة غير المتناهية قوله عز وجل وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد يعني الدوام والبقا في الدنيا افان مت فهم الخالدون نزلت هذه الآية حين قالوا نتربص
بمحمد ريب المنون فيشمتون بموته فنفى الله الشماتة عنه بهذا والمعنى ان الله تعالى قضى ان لا يخلد في الدنيا
بشرا لا انت ولا هم فان مت افيبقى هولا وفي المعنى قول القايل •
• فقل للشامتين بنا افيقوا • سيلقى الشامتون كما لقينا كل نفس ذايقة الموت هذا العموم
مخصوص بقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك فان الله حي لا يموت ولا يجوز عليه الموت والذوق
هاهنا عبارة عن مقدمات الموت والآلام العظيمة قبل حلوله ونبلوكم اى ونختبركم بالشر والخير اى
بالشدة والرخا والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل بما تحبون وما تكرهون فتنة ابتلا لننظر
كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون والينا ترجعون اى للحساب والجزا قوله واذا رآك الذين كفروا
ان يتخذونك الا هزوا اى سخريا قيل نزلت في ابي جهل مر به النبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا
نبي بني عبد مناف اهذا الذي يذكر آلهتكم اى يقول بعضهم لبعض هذا الذي يعيب آلهتكم
والذكر يطلق على المدح والذم مع القرينة وهم بذكر الرحمن هم كافرون وذلك انهم كانوا يقولون
لا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة وهو مسيلمة قوله تعالى خلق الانسان من عجل قيل معناه ان بنيته
وخلقته من العجلة وعليها طبع لما دخل الروح في راس آدم وعينيه نظر الى ثمار الجنة فوثب قبل ان
تبلغ الروح الى رجليه عجلا الى ثمار الجنة فلما دخل فوقع فقيل خلق الانسان من عجل واورث
بنيه العجلة وقيل معناه خلق الانسان من تعجيل في خلق الله اياه لانه خلقه بعد كل شي
في آخر النهار يوم الجمعة فاسرع في خلقه قبل مغيب الشمس فلما احيى الروح راسه قال يا رب عجل خلقي
استعجل قبل غروب الشمس وقيل خلق بسرعة وتعجيل على غير قياس خلق بنيه لانهم خلقوا من
نطفة ثم من علقة ثم من مضغة اطوار بعد طور وقيل معنى خلق الانسان من عجل اى من طين
قال الشاعر • والنبع في الصخرة الصما منبتة • والنخل ينبت بين الما والعجل •
اى بين الما والطين وقيل اراد بالانسان النوع الانساني تنبيها عليه قوله تعالى سأريكم
آياتي فلا تستعجلون وذلك ان المشركين كانوا يستعجلون العذاب وقيل نزلت في النضر بن الحرث
ومعنى سأريكم آياتي اى مواعيدي فلا تطلبوا العذاب قبل وقته فاراهم يوم بدر وقيل كانوا

يستعجلون

يستعجلون القيامة فلذلك قال الله تعالى ويقولون اى المشركون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وهذا هو
الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزا فبين تعالى انهم يقولون ذلك لجهلهم وغفلتهم ثم بين ما لهولا
المستهزئين فقال لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون اى لا يدفعون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم قيل السياط ولا هم ينصرون
اى لا يمنعون من العذاب والمعنى لو علموا ما اقاموا على كفرهم ولما استعجلوا بالعذاب ولما قالوا متى هذا الوعد ان كنتم
صادقين بل تاتيهم اى الساعة بغتة اى فجاة فتبهتهم اى تحيرهم فلا يستطيعون ردها اى صرفها ودفعها عنهم ولا
هم ينظرون اى لا يمهلون للتوبة والمعذرة ولقد استهزئ برسل من قبلك يا محمد كما استهزئ بك قومك فحاق اى فنزل
واحاط بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون اى عقوبة استهزائهم وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فلذلك
يحيق بهولا وبال استهزائهم قوله تعالى قل من يكلؤكم اى يحفظكم بالليل اذا نمتم والنهار معناه اذا انصرفتم في حاجتكم
من الرحمن قال ابن عباس معناه يمنعكم من عذاب الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون اى عن القرآن ومواعظه
لا يتاملون في شي منها ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا معناه ام لهم آلهة من دوننا تمنعهم ثم وصف آلهتهم
بالضعف فقال لا يستطيعون نصر انفسهم اى لا يقدرون على نصر انفسهم فكيف ينصرون من عبدهم ولا
هم منا يصحبون قال ابن عباس يمنعون وقيل يجارون وقيل ينصرون وقيل معناه فلا يصحبون
من الله بخير بل متعنا هولا يعني الكفار وآباءهم اى في الدنيا بان انعمنا عليهم وامهلناهم حتى طال عليهم العمر اى
امتد بهم الزمان فاغتروا افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها يعني ما ننقص من اطراف المشركين ونزيد في اطراف
المومنين يريد بذلك ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفتحه ديار المشركين ارضا فارضا وقرية فقرية والمعنى
افلا يرى هولا المشركون المستعجلون بالعذاب انا قدرنا في اتيان الارض من جوانبها باخذ الواحد بعد
الواحد وفتح البلاد والقرى مما حول مكة وندخلها في ملك محمد صلى الله عليه وسلم ونميت روسا المشركين المتنعمين
بالدنيا اما كان عبرة في ذلك فيومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويعلموا انهم لا يقدرون على الامتناع منا واردنا فيهم
افهم الغالبون استفهام بمعنى التقريع معناه بل نحن الغالبون وهم المغلوبون قل يا محمد انما انذركم بالوحي
يعني اخوفكم بالقرآن ولا يسمع الصم الدعا اذا ما ينذرون اى يخوفون ولئن مستهم اى اصابتهم نفحة من عذاب ربك
قال ابن عباس طرف وقيل شي قليل ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين دعوا على انفسهم بالويل بعدما اقروا بالظلم
والشرك قوله عز وجل ونضع الموازين القسط اى ذوات العدل وصفها بذلك لان الميزان قد يكون مستقيما
وقد يكون بخلافه فبين ان تلك الموازين تجري على حد العدل ومعنى وضعها احضارها ليوم القيامة
اى لاهل يوم القيامة قيل اراد بالميزان العدل والقسط بينهم في الاعمال فمن احاطت حسناته بسيئاته فاز ونجا
وبالعكس فل وخسر والصحيح هو الذي عليه ايمة السلف ان الله سبحانه وتعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن
بها الاعمال العباد قال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وروي ان داود عليه السلام سال ربه
ان يريه الميزان فاراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فلما راه غشي عليه ثم افاق فقال الهي من ذا الذي
يقدر ان يملا كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملاتها بتمرة فعلى هذا في كيفية وزن
الاعمال مع انها اعراض طريقان احدهما ان توزن صحايف الاعمال فتوضع صحايف الحسنات في كفة وصحايف السيئات
في كفة والثاني ان يجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة فان
قلت ما معنى قوله ونضع مع قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا قلت هذا في حق
الكفار لانه ليس لهم اعمال توزن مع الكفر قوله تعالى فلا تظلم نفس شيا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها معناه
انه لا ينقص من احسان المحسن ولا يزاد في اساءة مسي واراد بالحبة الجز اليسير من الخردل ومعنا اتينا

Copyright © King Saud University

بها اي احضرناها قال البخاري بها عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سيخلص رجلا من امتي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسع وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول له اتنكر من هذا شيئا فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر فيقول لا يا رب فيقول الله تعالى بلى لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فانك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء اخرجه الترمذي السجل الكتاب الكبير واصله من السجل لانه يجمع احكاما والبطاقة ورقة صغيرة وهو ما يجعل في طي الثوب يكتب فيها ثمنه والطيش الخفة قلت في الحديث دليل على ان صحائف الاعمال توزن لان الاعمال ليست بجواهر فتوزن والله تعالى اعلم قوله تعالى وكفى بنا حاسبين قال ابن عباس معناه كفى بنا عالمين حافظين لان من حسب شيئا علمه وحفظه والغرض منه التحذير فان المحاسب اذا كان في العلم بحيث لا يمكن ان يشتبه عليه شيء وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شيء فحقيق بالعاقل ان يكون باشد الخوف منه ويروى عن الشبلي انه رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال حاسبونا فدققوا ثم منوا فاعتقوا وكذا كل مالك بالمماليك يفعلوه قوله عز وجل ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان يعني الكتاب المفرق بين الحق والباطل وهو التوراة وقيل الفرقان النصر على الاعداء فعلى هذا يكون وضياء يعني التوراة ومن قال الفرقان هو التوراة جعل الواو زائدة والمعنى واتينا موسى التوراة ضياء وذكرا للمتقين يعني يتذكرون بمواعظه ويعملون بما فيه قوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخافونه ولا يرونه وقيل يخافونه في الخلوات اذا غابوا عن اعين الناس وهم من الساعة مشفقون اي خائفون وهذا ذكر مبارك انزلناه اي كما اتينا موسى الفرقان فهذا ذكر مبارك لمن تمسك به يتبرك به ويطلب منه الخير افانتم يا اهل مكة له منكرون اي جاحدون قوله تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده اي صلاحه وهداه من قبل اي من قبل موسى وهارون وقيل من قبل البلوغ وهو حين خرج من السرب وهو صغير وكنا به عالمين اي انه من اهل الهداية والنبوة اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل يعني صور الاصنام التي انتم لها عاكفون اي مقيمون على عبادتها قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين فاقتدينا بهم قال يعني ابراهيم لقد كنتم انتم واباؤكم في ضلال مبين يعني خطائين بعبادتكم اياها قالوا اجئتنا بالحق اي بالصدق ام انت من اللاعبين يعنون اجاد انت ام لاعب فيما تقول قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اي خلقهن وانا على ذلكم من الشاهدين اي على انه الاله الذي يستحق العبادة وقيل على انه خالق السموات والارض وتالله لاكيدن اصنامكم اي لامكرن بها بعد ان تولوا مدبرين اي منطلقين الى عيدكم قيل انما قال ابراهيم هذا القول سرا في نفسه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد من قومه فافشاه عليه وهو القائل انا سمعنا فتى يذكرهم وقيل كان لهم في كل سنة مجمع وعيد فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم يرجعون الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال ابو ابراهيم يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا اعجبك ديننا فخرج ابراهيم معهم فلما كان ببعض الطريق القى نفسه الى الارض وقال اني سقيم اشتكي رجلي فتركوه ومضوا ونادى في اخرهم وقد بقي ضعفاء الناس وتالله لاكيدن اصنامكم فسمعوها منه ثم رجع ابراهيم الى بيت الالهة وهي في بهو عظيم ومستقبل باب البهو صنم عظيم الى جنبه صنم صغير والاصنام بعضها الى جنب بعض كل صنم الذي يليه اصغر منه كذلك الى باب البهو واذا هم قد جعلوا بين ايديهم طعاما اي الالهة وقالوا اذا رجعنا وقد بركت الالهة عليه اكلنا منه فلما نظر ابراهيم اليهم والى ما بين ايديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء الا تاكلون فلم يجيبوه قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرها بفاس في يده حتى اذا لم يبق الا الصنم

الاعظم علق الفاس في عنقه وقيل في يده ثم خرج فذلك قوله تعالى فجعلهم جذاذا اي كسرا وقطعا الا كبيرا لهم اي تركه ولم يكسره ووضع الفاس في عنقه وقيل في يده وكانت اثنان وسبعون صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد ورصاص ونحاس وحجر وخشب وكان الصنم الكبير من الذهب مكللا بالجواهر في عينيه ياقوتتان تتقدان وقوله تعالى لعلهم اليه يرجعون قيل معناه يرجعون الى ابراهيم والى دينه والى ما يدعوهم اليه اذا علموا ضعف الالهة وعجزها وقيل معناه لعلهم يرجعون الى الصنم فيسالونه ما لهؤلاء مكسورين والفاس في عنقك فلما رجع القوم من عيدهم الى بيت الهتهم راوا اصنامهم مكسرة قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين اي في تكسيرها واجترائه عليها قالوا سمعنا فتى يذكرهم اي يعيبهم ويسبهم يقال له ابراهيم اي هو الذي نظن انه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار واشراف قومه قالوا فاتوا به على اعين الناس اي جيئوا به ظاهرا بمرأى من الناس قاله نمرود لعلهم يشهدون اي عليه بانه فعل الذي ذكرتموه ان ياخذوه بغير بينة وقيل معناه لعلهم يحضرون ويشهدون عذابه وما يصنع به فلما اتوا به قالوا ءانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال يعني ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبدوا معه هذه الصغار وهو اكبر منها فكسرهن واراد ابراهيم بذلك اقامة الحجة عليهم فذلك قوله فاسالوهم ان كانوا ينطقون اي حتى يخبروا من فعل ذلك بهم وقيل معناه ان قدروا على النطق وفي ضمنه ان قدروا على النطق قدروا على الفعل فاراهم عجزهم عن النطق وفي ضمنه انا فعلت ذلك ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله قوله اني سقيم اي ساسقم وقيل سقيم القلب مغتم بضلالتكم وقوله بل فعله كبيرهم هذا فانه علق على خبره شرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعل على طريق التبكيت لقومه وقوله لسارة هذه اختي اي في الدين ولانا قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة فكل هذه الالفاظ صدق في نفسها **فان قلت** قد سماها النبي صلى الله عليه وسلم كذبات بقوله لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته **قلت** معناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابراهيم عليه الصلاة والسلام منها بمؤاخذته بها قال البغوي وهذه التاويلات لنفي الكذب عن ابراهيم والاولى هو الاول للحديث فيه ويجوز ان الله اذن له في ذلك لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم كما اذن ليوسف حتى امر مناديه فقال ايتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا قال الامام فخر الدين الرازي وهذا القول مرغوب عنه والدليل القاطع انه جاز ان يكذب لمصلحة وباذن الله تعالى فيه فليجر هذا الاحتمال في كل ما اخبر الانبياء عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرائع ويطرق التهمة الى كلها وهذا الحديث محمول على المعاريض فان فيها مندوحة عن الكذب قوله تعالى فرجعوا الى انفسهم اي تفكروا بقلوبهم ورجعوا الى عقولهم فقالوا ما نراه الا كما قال انكم انتم الظالمون يعني تنكروا وتعلموا بهم بعبادتهم قال اهل التفسير اجرى الله الحق على السنتهم في القول الاول وهو اقرارهم من لم يتكلم وقيل معناه انتم الظالمون لهذا الرجل في سؤالكم اياه وهذه الهتكم حاضرة فاسالوها ثم نكسوا على رءوسهم قال اهل التفسير اجرى الله الحق على السنتهم في القول الاول وهو اقرارهم على انفسهم بالظلم ثم ادركتهم الشقاوة فرجعوا الى حالهم الاول وهو قوله ثم نكسوا على رءوسهم اي ردوا الى الكفر وقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف نسالهم فلما اتجهت الحجة لابراهيم عليهم قال لهم افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا اي ان عبدتموه ولا يضركم ان تركتم عبادته اف لكم اي نتنا لكم ولما تعبدون من دون الله والمعنى انه حقرهم وحقر معبوداتهم افلا تعقلون اي اليس لكم عقل تعلمون به ان هذه الاصنام لا تستحق العبادة فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه وانصروا الهتكم قال ابن عمر الذي

Copyright © King Saud University

قال هذا رجل من الاكراد قيل اسمه هيزن فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقيل قاله نمرود وكنعان
ابن سنجاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح **ذكر القصة** في ذلك قال فلما اجتمع نمرود وقومه لاحراق ابراهيم
حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة بقرية يقال لها كوثى ثم جمعوا له اصلاب الحطب واصناف الخشب مدة شهر
حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عوفيت لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المراة تغزل وتشتري الحطب بغزلها
احتسابا في دينها وكان الرجل يوصي بشراء الحطب والقائه فيه فلما جمعوا ما ارادوا اشعلوا في كل ناحية من الحطب
نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى اذا كان الطير يمر بها فيحترق من شدة وهجها وحرها فاوقدوا عليها سبعة
ايام فلما ارادوا ان يلقوا ابراهيم لم يعلموا كيف يلقونه فقيل ان ابليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فالقوه مغلولا مقيدا
فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة اي ربنا ابراهيم خليلك يلقى
في النار وليس في ارضك احد يعبدك غيره فاذن لنا في نصرته فقال الله عز وجل انه خليلي ليس لي خليل غيره وانا الهه
ليس له اله غيري فان استغاث باحد منكم او دعاه فلينصره فقد اذنت له في ذلك وان لم يدع غيري فانا اعلم به
وانا وليه فخلوا بينه وبيني فلما ارادوا القاءه في النار اتاه خازن المياه وقال ان اردت اخمدت النار
واتاه خازن الهواء وقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لي اليكم حسبي الله الذي لا اله
الا هو ونعم الوكيل ق وروي عن ابي بن كعب ان ابراهيم حين اوثقوه ليلقوه في النار قال لا اله الا انت سبحانك
لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به في المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم الك حاجة
قال اما اليك فلا قال جبريل فاسال ربك فقال ابراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي خ عن ابن عباس في قوله
وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين القي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس
ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا قال كعب الاحبار جعل كل شيء يطفئ عنه النار الا الوزغ فانه كان
ينفخ في النار عن ام شريك ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتل الاوزاغ زاد البخاري قال كان ينفخ على ابراهيم
قلنا اي قال الله عز وجل يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم قال ابن عباس لو لم يقل سلاما لمات ابراهيم
من بردها وفي الآثار انه لم يبق يومئذ نار في الارض الا طفئت فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم ولو لم يقل على
ابراهيم بقيت ذات برد ابدا وقيل اخذت الملائكة بضبعي ابراهيم فاقعدوه على الارض فاذا عين ماء
عذب وورد احمر ونرجس قال كعب الاحبار ما احرقت النار من ابراهيم الا وثاقه قالوا وكان ابراهيم في ذلك
الموضع سبعة ايام قال المنهال بن عمرو قال ابراهيم ما كنت اياما قط انعم مني من الايام التي كنت في النار قيل وبعث
الله ملك الظل في صورة ابراهيم فقعد الى جنب ابراهيم يؤنسه قالوا وبعث الله عز وجل جبريل بقميص من حرير الجنة
وطنفسة فالبسه القميص واقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال جبريل يا ابراهيم ان ربك يقول اما
علمت ان النار لا تضر احبابي ثم نظر نمرود واشرف على ابراهيم من صرح له فرآه جالسا في روضة والملك قاعد
الى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه يا ابراهيم كبير الهك الذي بلغت قدرته ان حال بينك وبين النار
يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال هل تخشى ان قمت فيها ان تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام
ابراهيم يمشي فيها حتى خرج منها فلما وصل اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذي رايته معك مثلك في صورتك
قاعدا الى جنبك قال ذلك ملك الظل ارسله الي ربي ليؤنسني فقال نمرود يا ابراهيم اني مقرب الى ربك قربانا
لما رايت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين ابيت الا عبادته وتوحيده واني ذابح له اربعة آلاف بقرة قال
ابراهيم اذا لا يقبل الله منك شيئا ما دمت على دينك حتى تفارقه وترجع الى ديني فقال لا استطيع ترك ملكي
ولكن سوف اذبحها فذبحها نمرود وكف عن ابراهيم عليه السلام ومنعه الله عز وجل عنه قوله عز وجل وارادوا

به

به كيدا اي ارادوا ان يكيدوه فجعلناهم الاخسرين قيل معناه انهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم
وقيل ان الله تعالى ارسل على نمرود وقومه البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت في دماغه
بعوضة فاهلكته قوله عز وجل ونجيناه ولوطا يعني من نمرود وقومه الى الارض التي باركنا فيها للعالمين
يعني الى ارض الشام بارك الله فيها وسماها مباركة لانه ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي
ببيت المقدس وقيل ان اكثر الانبياء منها عن ابي قتادة ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الا تتحول
الى المدينة فيها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره فقال كعب اني وجدت في كتاب الله المنزل يا امير
المؤمنين ان الشام كنز الله من ارضه وبها كنزه من عباده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ستكون هجرة بعد هجرة فخيار اهل الارض الزمهم مهاجر ابراهيم اخرجه الترمذي وابو
داود بالهجرة الثانية الهجرة الى الشام يرغب في المقام بها عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم طوبى لاهل الشام فقلت وما ذاك يا رسول الله قال لان الملائكة باسطة اجنحتها عليها اخرجه الترمذي
عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله اين تامرني قال هاهنا ونحا بيده نحو الشام اخرجه الترمذي
قال محمد بن اسحاق استجاب لابراهيم رجال من قومه حين راوا ما صنع الله به من جعل النار عليه بردا وسلاما
على خوف من نمرود لابراهيم وامنت به سارة بنت هاران الاكبر وهو اخو ابراهيم وكان لهما اخ ثالث اسمه
ناخور فثلاثتهم ولد تارخ وهو آزر فخرج ابراهيم من كوثى من ارض العراق مهاجرا الى ربه ومعه لوط
وسارة فخرج يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله ثم خرج مهاجرا حتى
قدم مصر ثم خرج ورجع الى الشام فنزل السبع من ارض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وهي على مسيرة يوم
وليلة من السبع فبعثه الله نبيا الى اهلها فذلك قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين
ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة اي عطية من عطاء الله وقال ابن عباس النافلة هو يعقوب لان الله
تعالى اعطى ابراهيم اسحاق بدعائه قال رب هب لي من الصالحين وزاده يعقوب نافلة وهو ولد الولد
وكلا جعلنا صالحين يعني ابراهيم واسحاق ويعقوب وجعلناهم ائمة اي يقتدى بهم في الخير يهدون
بامرنا اي يدعون الناس الى ديننا بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات اي العمل بالشرائع واقام الصلاة يعني
المحافظة عليها لان الصلاة افضل العبادات البدنية وشرعت لذكر الله والزكاة افضل العبادات
المالية ومجموعهما التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين اي موحدين
قوله عز وجل ولوطا آتيناه حكما اي الفصل بين الخصوم بالحق وقيل اراد الحكمة والنبوة وعلما ونجيناه من القرية
التي كانت تعمل الخبائث يعني قرية سدوم والمراد اهلها واراد بالخبائث اتيان الذكور في ادبارهم وكانوا
يتضارطون في مجالسهم مع اشياء اخر كانوا يعملون من المنكرات انهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناه في رحمتنا
قيل اراد بالرحمة النبوة وقيل انه هو الثواب انه من الصالحين اي من الانبياء قوله تعالى ونوحا اذ نادى
من قبل اي من قبل ابراهيم ولوط فاستجبنا له اي اجبنا دعاءه فنجيناه واهله من الكرب العظيم قال
ابن عباس من الغرق وتكذيب قومه وقيل لانه كان اطول الانبياء عمرا واشدهم بلاء والكرب اشد الغم ونصرناه
اي منعناه من القوم الذين كذبوا باياتنا من ان يصلوا اليه بسوء وقيل من بمعنى على انهم كانوا قوم سوء
فاغرقناهم اجمعين قوله عز وجل وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث قال ابن عباس واكثر المفسرين كان الحرث
كرما قد تدلت عناقيده وقيل كان زرعا وهو اشبه بالعرف اذ نفشت فيه غنم القوم اي رعته ليلا
فافسدته وكانت بلا راع وكنا لحكمهم شاهدين اي كان ذلك بعلمنا ومرأى منا لا يخفى علينا علمه وفيه دليل

Copyright © King Saud University

بن يقول لبان ما فوق الجمع اثنان لقوله وكنا لحكمهم شاهدين والمراد به داود وسليمان قال ابن عباس وغيره ان
رجلين دخلا على داود احدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان غنم هذا دخلت زرعي
ليلا فوقعت فيه فافسدته ولم يبق منه شيء فاعطاه رقاب الغنم بالزرع فخرجا فمرا على سليمان فقال كيف قضى
بينكما فاخبراه فقال سليمان لو وليت امركما لقضيت بينكما بغير هذا وروي انه قال غير هذا ارفق بالفريقين
فاخبر بذلك داود فدعاه وقال كيف تقضي ويروى انه قال له بحق النبوة والابوة الا ما اخبرتني بالذي هو
ارفق بالفريقين قال ادفع الغنم الى صاحب الزرع ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويزرع صاحب
الغنم لصاحب الحرث مثل زرعه فاذا صار الحرث كهيئته يوم اكل دفع الى صاحبه واخذ صاحب الغنم غنمه فقال
داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك كان سليمان يوم حكم بذلك من العمر احدى عشرة سنة وحكم الاسلام في هذه
المسئلة ان ما افسدت الماشية المرسلة من مال الغير بالنهار فلا ضمان على ربها وما افسدته بالليل ضمنه
ربها لانه عرف الناس ان اصحاب الزرع يحفظونه بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل الى المراح ويدل على
هذه المسئلة ما روي حرام بن سعيد بن محيصة ان ناقة للبراء بن عازب دخلت حائط رجل من الانصار
فافسدته فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل المواشي
حفظها بالليل زاد في رواية وان على اهل الماشية ما اصابت ماشيتهم بالليل اخرجه ابو داود وذهب اصحاب
الرأي الى ان المالك اذا لم يكن مع الماشية لا ضمان عليه فيما اتلفت ليلا كان او نهارا ففهمناها سليمان اي علمناه
والهمناه حكم القضية وكلا يعني داود وسليمان آتينا حكما وعلما اي لوجوه الاجتهاد وطرق الاحكام قال
الحسن لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد هلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه واثنى على هذا باجتهاده واختلف
العلماء في ان حكم داود كان باجتهاد ام بنص وكذلك حكم سليمان فقال بعضهم حكما بالاجتهاد وقال
ويجوز الاجتهاد للانبياء ليدركوا ثواب المجتهدين والعلماء لهم الاجتهاد في الحوادث اذا لم يجدوا فيها نص
كتاب وسنة واذا اخطأوا فلا اثم عليهم ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا حكم الحاكم فاجتهد واصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد فاخطأ فله اجر واحد
وقال قوم ان داود وسليمان حكما بالوحي فكان حكم سليمان ناسخا لحكم داود ومن قال بهذا يقول لا يجوز
للانبياء ان يحكموا بالاجتهاد لانهم مستغنون بالوحي واحتج من ذهب الى ان كل مجتهد مصيب بظاهر هذه الآية
وبالحديث حيث وعد الثواب للمجتهد مصيبا بل اذا اجتهد المجتهدان في حادثة كان الحق مع
واحد لا بعينه ولو كان كل واحد مصيبا لم يكن للتقسيم معنى وقوله عليه السلام اذا اجتهد فاخطأ
فله اجر لم يرد به انه يؤجر على الخطأ بل يؤجر على اجتهاده في طلب الحق لان اجتهاده عبادة والاثم في
الخطأ عنه موضوع اذا لم يأل جهده ووجه الاجتهاد في هذا الحكم ان داود قوم قدر الضرر فوجده مثل
ثمن الغنم فسلم الغنم الى المجني عليه واما سليمان فان اجتهاده ادى الى انه يجب مقابلة الاصول بالاصول والزوائد
بالزوائد فاما مقابلة الاصول بالزوائد فغير جائز ولعل منافع الغنم في تلك السنة كانت موازية لمنافع الحرث
فحكم به ومن احكام داود وسليمان عليهما السلام ما روي عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال كانت امرأتان معهما ابناهما فجاء الذئب فذهب بابن احداهما فقالت انما ذهب بابنك وقالت
الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكما الى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فاخبرتاه فقال ائتوني
بالسكين اشقه بينكما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى للصغرى اخرجاه في الصحيحين
قوله تعالى وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير اي يسبحن مع داود اذا سبح قال ابن عباس كان يسبح الحجر والشجر

وقيل

وقيل كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير يسمعه تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاق اليه وكنا فاعلين
يعني ما ذكر من التفهيم وايتاء الحكم والتسخير وعلمناه صنعة لبوس لكم اي صنعة الدروع التي تلبس في الحرب قيل اول
من صنع الدروع في سردها واتخذها حلقا داود وكانت من قبل صفائح فالان الله لداود الحديد وكان يعمل منه بغير
نار كانه طين والدرع يجمع بين الخفة والحصانة وهو قوله عز وجل لتحصنكم اي لتمنعكم من بأسكم اي حرب عدوكم
وقيل من وقع السلاح فيكم وقيل ليحصنكم الله فهل انتم شاكرون اي يقول ذلك لداود واهل بيته قوله تعالى
ولسليمان الريح اي وسخرنا لسليمان الريح وهو جسم يتحرك لطيف يمتنع بلطفه من القبض عليه يظهر للحس بحركته ويخفى
عن البصر بلطفه عاصفة اي شديدة الهبوب **فان قلت** قد وصفها بالرخاء وهي الريح اللينة
قلت كانت الريح تحت امره ان اراد ان تشتد اشتدت وان اراد ان تلين لانت تجري بامره الى
الارض التي باركنا فيها يعني الشام وذلك انها كانت تجري لسليمان واصحابه الى حيث يشاء سليمان ثم يعود الى منزله
بالشام وكنا بكل شيء عالمين اي بصحة التدبير فيه وعلمنا انه يعطى لسليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه الى الخضوع
لربه قال وهب كان سليمان عليه السلام اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الانس والجن حتى يجلس على
سريره وكان امرا غازيا قل ما كان يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الارض بملك الا اتاه حتى يذله وكان فيما يزعمون
اذا اراد الغزو امر بعسكره فضرب له بخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليها الناس والدواب وآلة الحرب فاذا
حمل معه ما يريد امر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت به امر الرخاء فمر به شهرا
في روحته وشهرا في غدوته الى حيث اراد وكان يمر بعسكره الريح الرخاء وبالمزرعة فما تحركها ولا تثير ترابا ولا تؤذي
طائرا قال وهب ذكر لي ان منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض اصحاب سليمان اما من الانس او من الجن نحن نزلناه وما
بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه ان شاء الله فبائتون بالشام وقال مقاتل
نسجت الشياطين بساطا فرسخا في فرسخ من ذهب في ابريسم وكان يوضع له منبر من ذهب في وسط البساط فيقعد عليه
وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة يقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس
وحول الناس الجن والشياطين تظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه شمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر
من الصباح الى الرواح وقال الحسن لما شغلت نبي الله سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله فعقر الخيل
فابدله الله مكانها خيرا منها واسرع الريح تجري بامره كيف شاء فكان يغدو من ايلياء فيقيل باصطخر ثم يروح منها
فيكون رواحها ببابل وروي ان سليمان سار من ارض العراق فقال بمدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزهم
الى ارض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك ثم عطف يمنة عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى اتى
ارض القندهار وخرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى اتى ارض فارس فنزلها وغدا منها فقال بكسكر ثم
راح الى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر وكان امر الشياطين قبل شخوصه الى العراق فبنوها له بالصفاح والعمد
والرخام الاصفر والابيض وفي ذلك يقول النابغة حيث يقول • الا سليمان اذ قال المليك له • قم في البرية فاحددها
عن الفند • وخيس الجن اني قد اذنت لهم • يبنون تدمر بالصفاح والعمد • قوله عز وجل ومن الشياطين من يغوصون
له اي وسخرنا له الشياطين يدخلون تحت الماء فيخرجون له من قعر البحر الجواهر ويعملون عملا دون ذلك اي دون الغوص
وهو اختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الآية ويتجاوزون ذلك الى اعمال
المدن والقصور ومن الصناعات كاتخاذ النورة والقوارير والصابون وغير ذلك وكنا لهم حافظين حتى لا يخرجوا
عن امره وقيل حفظناهم من ان يفسدوا ما عملوا وذلك انهم كانوا اذا عملوا عملا في النهار وفرغوا قبل الليل افسدوه
وخربوه وقيل ان سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل اشغله بعمل

Copyright © King Saud University

ذكر قصة ايوب

اخر بلائه بنفسه ما عمل ويجزيه قوله تعالى وايوب اذ نادى ربه اى دعا ربه وساله عليه السلام قال وهب بن منبه كان ايوب رجلا من الروم وهو ايوب بن اموص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وكانت امه من ولد لوط بن هاران وكان الله قد اصطفاه ونباه وبسط له في الدنيا وكانت له البثنية من ارض البلقا من اعمال حوران من ارض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من اصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون لرجل افضل منه في العدة والكثرة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امراة وولد وكان يحمل له كل فدان اتان لكل اتان من الولد اثنين وثلاثة او اربع او خمس وفوق ذلك وكان الله تعالى قد اعطاه اهلا وولدا من رجال ونسا وكان برا تقيا رحيما بالمساكين يطعمهم ويكفل الايتام والارامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله مودبا لحق الله قد امتنع من عدو الله ابليس ان يصيب منه ما يصيب من اهل الغنا من الغرة والغفلة والتشاغل عن امر الله بما هو فيه من امر الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد امنوا به وصدقوه رجل من اهل اليمن يقال له اليفن وقيل نفير ورجلان من اهل بلده يقال لاحدهما بلدد وللاخر صافر وكانوا هولا وكان ابليس لا يحجب عن شي من السموات وكان يقف فيهن حيث ما اراد حتى رفع عيسى فحجب عن اربع فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن السموات كلها الا من استرق السمع فسمع ابليس تجاوب الملايكة بالصلاة على ايوب وذلك حين ذكره الله واثنى عليه فادركه ابليس الحسد والبغي فصعد سريعا حتى وقف في السما حيث كان يقف وقال الهي نظرت في امر عبدك ايوب فوجدته عبدا انعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع ما اعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ولخرج عن طاعتك قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله ابليس حتى وقع الى الارض فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة فقد سلطت على مال ايوب وهي المصيبة الفادحة التي لا يصبر عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين اعطيت من القوة ما ان شيت تحولت اعصارا من نار فاحرقت كل شي اتي عليه قال ابليس اذهب فات الابل ورعاتها فاتى الابل حين وضعت روسها ورعت فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الارض اعصار نار فاحرق الابل ورعاتها حتى اتى على اخرها ثم جا عدو الله ابليس في صورة قيم على قعود الى ايوب فوجده قايما يصلي فقال يا ايوب اقبلت نار حتى غشيت ابلك فاحرقتها ومن فيها غيري فقال الحمد لله الذي اعطانيها واخذها وانها مال الله اعارنيها وهو اولى بها ان شا تركها وان شا نزعها وقديما كنت وطنت نفسي على الفنا قال ابليس فان ربك ارسل عليها نارا من السما فاحترقت فتركت الناس مبهوتين متعجبين منها فمنهم من يقول ما كان ايوب يعبد شيا وما كان الا في غرور ومنهم من يقول لو كان اله ايوب يقدر على ان يصنع شيا لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ما فعل ليشمت به عدوه ويحزن صديقه قال ايوب الحمد لله حين اعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن امي وعريانا اعود في التراب وعريانا احشر الى الله عز وجل ليس ينبغي لك ان تفرح حين اعارك وتجزع حين قبض عاريته الله اولى بك وبما اعطاك ولو علم الله فيك ايها العبد خيرا لنقل روحك مع الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم بك شرا فاخرجك فرجع ابليس الى اصحابه خاسيا ذليلا فقال لهم ما عندكم من القوة فاني لم اكلم قلبه فقال عفريت من الجن عندي من القوة ما ان شيت صحت صيحة لا يسمعها ذو روح الا خرجت روحه قال ابليس فات الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها ثم صاح صيحة تجثمت اموات من عند اخرها وماتت رعاتها فجا ابليس متمثلا بقهرمان الغنم فوجده يصلي فقال له يا ايوب ماتت الغنم والرعاة فقال له مثل القول الاول ورد عليه ايوب مثل الرد الاول فرجع ابليس الى اصحابه فقال لهم ماذا عندكم من القوة فاني لم اكلم قلبه فقال عفريت من القوة ما اذا شيت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شي اتي عليه قال فات الفدادين والحرث

فانطلق

فانطلق يومهم وذلك حين يشرع الفدادين في الحرث والزرع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف تنسف كل شي اتي عليه من ذلك حتى كانه لم يكن ثم جا ابليس متمثلا بقهرمان الحرث الى ايوب وهو قايم يصلي فقال له مثل قوله الاول فرد عليه مثل الرد الاول وجعل ابليس يصيب ماله مالا مالا حتى مر على اخره كلما انتهى الى هلاك مال من امواله حمد الله واثنى عليه ورضي عنه بالقضا ووطن نفسه بالصبر على البلا حتى لم يبق له مال فلما راى ابليس انه افنى ماله ولم ينجح منه بشي صعد سريعا الى الموقف الذي يقف فيه وقال الهي ان ايوب يرى انك ما متعته بولده فانت معطيه المال فهل انت مسلطي على ولده فانها المصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال قال الله عز وجل اذهب فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله لبني نبي الله ايوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم القصر حتى تداعى من قواعده وجعل يضرب جدره بعضها ببعض ويرميهم بالخشب والحجارة فلما مثل بهم كل مثلة رفع القصر وقلبه فصاروا منكبين وانقلب الى ايوب متمثلا بالمعلم الذي يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه فاخبره وقال لو رايت بنيك كيف عذبوا فكبوا وكانوا منكبين على روسهم تسيل دماوهم ودماغهم ولو رايت كيف شقت بطونهم فتناثرت امعاوهم لتقطع قلبك عليهم فلا يزال يقول هذا ونحوه حتى رق قلب ايوب وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها وقال يا ليت امي لم تلدني فاغتنم ابليس ذلك فصعد سريعا بالذي كان من جزع ايوب مسرورا به ثم لم يلبث ايوب ان فا وابصر واستغفر فصعد قرناوه من الملايكة بتوبته فسبقت توبته الى الله تعالى وهو اعلم فوقف ابليس خاسيا ذليلا وقال الهي انما هون على ايوب المال والولد فهل انت مسلطي على جسده فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه وعقله وكان الله اعلم به فلم يسلطه عليه الا رحمة منه ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلا نزل بهم ليتاسوا به في الصبر وطلب الثواب فانقض عدو الله ابليس سريعا فوجده ساجدا فعجل قبل ان يرفع راسه من قبل وجهه فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنه الى قدمه ثاليل مثل اليات الغنم ووقعت فيه حكة فحك باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة فلم يزل يحك حتى تقرح لحمه وتغير وانتن واخرجه اهل القرية فجعلوه على كناسة لهم وجعلوا له عريشا ورفضه خلق الله كلهم غير امراته رحمة بنت افرايم بن يوسف بن يعقوب فكانت تختلف اليه بما يصلحه وتكرمه ولما راى الثلاثة من اصحابه وهم اليفن وبلدد وصافر ما ابتلاه الله به رفضوه واتهموه من غير ان يتركوا دينه فلما طال ما به انطلقوا اليه فبكتوه ولاموه وقالوا له تب الى الله من الذنب الذي عوقبت به قال وحضر معهم فتى حدث السن قد امن به وصدقه فقال لهم الفتى انكم تكلمتم ايها الكهول وانتم احق بالكلام مني لاسنانكم ولكن تركتم من القول ما هو احسن من الذي قلتم ومن الراي اصوب من الذي رايتم وقد كان لايوب من الحق عليكم والذمام افضل من الذي وصفتم فهل تدرون ايها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم الم تعلموا ان ايوب نبي الله وصفوته وخيرته من اهل الارض يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله على انه سخط شيا من الكرامة التي اكرمه الله بها ولا ان ايوب قال على الله غير الحق في طول ما صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلا هو الذي ازرى به عندكم ووضعه في انفسكم فقد علمتم ان الله تعالى يبتلي المومنين والصديقين والشهدا والصالحين وليس بلاوه لاوليك دليلا على سخطه عليهم ولا لهوانه لهم ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان ايوب من الله بهذه المنزلة الا انه اخ احببتموه على وجه الصحبة وكان لا يجمل بالحليم ولا يعذل اخاه عند البلا ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكي معه ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدله على امر اشد امره وليس

Copyright © King Saud University

بحليم ولا رشيد من جهل هذا فانما انتفاعها الكهول وقد كان في عظمة الله وجلاله ذكر الموت ما يقطع السنتكم ويكسر
قلوبكم الم تعلموا ان لله عبادا اسكتتهم الخشية من غير عمى ولا بكم وانتم الفصحا البلغا النبلا الالبا العاملون افشعرت
جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لله واجلالا فاذا استفاقوا من ذلك ستبقوا الى الله بالاعمال
الزاكية تعدون انفسهم من الظالمين والخاطئين وانهم لهم الابرار برا ومع المقصرين المفرطين وانهم اكياس
اقويا قال ايوب عليه السلام ان الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير فاذا نبتت في القلب يظهرها
الله على اللسان وليست تكون الحكمة من قبل السن والشيبة ولا طول التجربة واذا جعل الله العبد حكيما
في الصبى لم تسقط منزلته عند الحكما يرون من الله سبحانه وتعالى عليه من نور الكرامة ثم اقبل ايوب على
الثلاثة وقال اتيتموني غضابا ارهبتم قبل ان تسترهبوا وبكيتم قبل ان تضربوا كيف بي لو قلت تصدقوا
عني باموالكم لعل الله ان يخلصني وقربوا عني قربانا لعل الله ان يتقبله ويرضى عني وانكم قد اعجبتكم انفسكم
فظننتم انكم عوفيتم باحسانكم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوبا قد سترها الله بالعافية
التي البسكم وقد كنتم فيما خلا توقروني وانا مسموع كلامي معروف حقي منتصف من خصمي فاصبحت اليوم وليس
لي راي ولا كلام معكم فانتم كنتم علي اشد من مصيبتي ثم اعرض عنهم ايوب واقبل على ربه مستغيثا به متضرعا اليه
وقال اي رب لاي شي خلقتني ليتني اذ كرهتني لم تخلقني يا ليتني عرفت الذنب الذي اذنبت والعمل الذي عملت
فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت امتني فالحقتني بآبائي فالموت كان اجمل بي الم اكن للغريب دارا وللمسكين قرارا
ولليتيم وليا وللارملة قيما الهي انا عبدك ان احسنت فالمن لك وان اسات فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا
وللفتنة نصبا وقد وقع علي من البلاء ما لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي وان قضاك
هو الذي اذلني وان سلطانك هو الذي اسقمني وانحل جسمي ولو ان ربي نزع الهيبة التي في صدري واطلق
لساني حتى اتكلم بملء فمي فادلي بعذري واتكلم ببراتي واخاصم عن نفسي لرجوت ان يعافيني عند ذلك ولكنه
القاني وتعالى عني فهو يراني ولا اراه ويسمعني ولا اسمعه فلما قال ذلك ايوب واصحابه عنده اظلته
غمام حتى ظن اصحابه انه عذاب ثم نودي يا ايوب ان الله تعالى يقول ها انا قد دنوت منك ولم ازل
منك قريبا قم فادل بعذرك وتكلم ببراتك وخاصم عن نفسك واشدد ازرك وقم في مقام جبار
يخاصم جبارا ان استطعت فانه لا ينبغي ان يخاصمني الا جبار مثلي لقد منتك نفسك يا ايوب امرا ما تبلغ
بمثله قوتك اين انت مني يوم خلقت الارض فوضعتها على اساسها هل كنت معي تمد باطرافها هل علمت باي مقدار
قدرتها ام على اي شي وضعتها اكنافها ابطاعتك حمل الما الارض ام بحكمتك كانت الارض للما غطا اين كنت مني يوم
رفعت السما سقفا في الهوى لا تعلق بسبب من فوقها ولا تقلها دعم من تحتها هل يبلغ من حكمتك ان تجري
نورها وتسير نجومها اين كنت مني يوم انبعت الانهار وسجرت البحار ابسلطانك حبس امواج البحار على حدودها
ام بقدرتك فتحت الارحام حتى بلغت مدتها اين كنت مني يوم صببت الما على التراب ونصبت شوامخ الجبال
هل تدري على اي شي ارسيتها ام باي مثقال وزنتها ام هل لك من ذراع يطيق حملها ام تدري من اين الما الذي
انزلته من السما ام هل تدري من اي انشات السحاب ام هل تدري اين خزانة الثلج ام اين جبال البرد ام اين
خزانة الليل بالنهار ام اين خزانة النهار بالليل واين خزانة الرياح وباي لغة تتكلم الاشجار ومن جعل العقول
في اجواف الرجال ومن شق الاسماع والابصار ومن ذلت الملايكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم الارزاق بحكمته في
كلام كثير يدل على اثار قدرته ذكرها لايوب فعند ذلك بكى ايوب وقال الهي صغر شاني وكل لساني وعقلي
وتلبي وضعفت قوتي عن هذا الامر الذي تعرضه علي الهي قد علمت ان كل الذي ذكرت صنع يديك وتدبير

حكمتك واعظم من ذلك واعجب لو شيت عملت ولا يعجزك شي ولا يخفى عليك خافية الهي وهنتني البلايا فتكلمت
ولم املك وكان البلا هو الذي انطقني ليت الارض انشقت لي فذهبت فيها ولم اتكلم بشي يسخطك ربي وليتني
مت بغمي في اشد بلاي قبل ذلك انما تكلمت حين تكلمت لعذري وسكت حين سكت لترحمني كلمة زلت مني فلن اعود
وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني والصقت بالتراب خدي اعوذ بك اليوم منك واستجير بك من
جهد البلا فاجرني واستغيث بك من عقابك فاغثني واستعينك على امري فاعني واتوكل عليك فاكفني واعتصم
بك فاعصمني واستغفرك فاغفر لي فلن اعود لشي تكرهه مني فقال الله تعالى له يا ايوب نفذ فيك علمي وسبقت
رحمتي غضبي قد غفرت لك ورددت اليك اهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك اية وتكون عبرة لاهل البلا
وعزا للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاوك وقرب عن اصحابك قربانا واستغفر لهم
فانهم قد عصوني فيك روي عن انس يرفعه ان ايوب لبث ببلايه ثماني عشرة سنة وقال وهب ثلاث سنين
لم تزد يوما وقال كعب سبع سنين وقال الحسن مكث ايوب مطروحا على كناسة لبني اسرايل سبع سنين
واشهر يختلف فيها الدود لا يقربه احد غير رحمة صبرت معه تصدق وتاتيه بطعام وتحمد الله معه اذا حمد
ايوب على ذلك لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلايه فصرخ ابليس صرخة جمع فيها جنوده وقال لما اجتمعوا
عليه اعياني هذا العبد الذي لم ادع له مالا ولا ولدا ولا عافية ولم يزدد الا صبرا ثم سلطت على جسده فتركته
قرحة ملقاة على كناسة لم يقربه غير امراته رحمة فاستعنت بكم لتغيثوني فقالوا اين مكرك الذي اهلكت
به من مضى قال بطل ذلك كله في ايوب فاشيروا علي قالوا من اين اتيت ادم حين اخرجته من الجنة قال من زوجته
قالوا فشانك من قبل امراته فانه لا يستطيع ان يعصيها وليس يقربه غيرها قال اصبتم فانطلق ابليس حتى اتى
رحمة امراة ايوب وهي تتصدق فتمثل لها في صورة رجل فقال لها اين بعلك يا امة الله قالت هو ذاك يحك قروحه
ويتردد الديدان في جسده فلما سمعها طمع ان تكون كلمة جزع فوسوس اليها وذكرها ما كانت فيه من النعيم والمال
وذكرها جمال ايوب وشبابه وما هو فيه من الضر وان ذلك لا ينقطع عنه ابدا فصرخت فعلم ان قد جزعت فاتاها
بسخلة وقال ليذبح لي هذا ايوب ويبرا فجات تصرخ يا ايوب حتى متى يعذبك ربك اين المال اين الولد اين
الصديق اين لونك الحسن اين جسمك الحسن اذبح هذه السخلة واسترح فقال لها عند ذلك ايوب اتاك
عدو الله فنفخ فيك ويلك ارايت ما تبكين عليه من المال والولد والصحة من اعطانيه قالت الله قال فكم متعنا
به قالت ثمانين سنة قال فمنذ كم ابتلينا قالت منذ سبع سنين واشهر قال ويحك ما انصفت لنصبر في
البلا ثمانين سنة والله لين شفاني الله لاجلدنك ماية جلدة امرتيني ان اذبح لغير الله طعامك وشرابك
علي حرام الذي تاتيني به ان اذوق منه شيا بعد ان قلت هذا اعزبي عني فلا اراك فطردها فذهبت
فلما نظر ايوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا لله تعالى وقال انى مسنى الضر وانت
ارحم الراحمين فقيل له ارفع راسك فقد استجيبت لك اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فركض برجله
فنبعت عين ما فاغتسل منها فلم يبق في بدنه من درن ولا شي ظاهر الا سقط وعاد شبابه وجماله احسن
ما كان ثم ضرب برجله فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه دا الا خرج فقام صحيحا وكسي
حلة قال فجعل يلتفت فلا يرى شيا مما كان عليه ومما كان له من اهل ومال الا وقد اضعفه الله حتى والله
ذكر لنا ان الما الذي اغتسل منه تطاير على صدره جرادا من ذهب فجعل يضمه بيده فاوحى الله اليه يا ايوب
الم اغنك قال بلى ولكنها بركة من بركتك فمن يشبع منها قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان
امراته قالت ارايت ان كان طردني الى من اكله ادعه يموت جوعا ويضيع فتاكله السباع لارجعن

قالت

ك

Copyright © King Saud University

اليه فرجعت فلا الكناسة رات ولا تلك الحالة التي كانت تعرف واذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف
حول الكناسة وتبكي وراءت ذلك يعني ايوب وهابت صاحب الحلة ان تاتيه فتسئل عن ايوب فدعاها وقال
ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على الكناسة لا ادري اضاع ام ما فعل
به فقال ايوب ما كان منك فبكت وقالت كان بعلي قال فهل تعرفينه اذا رايتيه قالت وهل يخفى على احد
راه ثم جعلت تنظر اليه وهي تهابه ثم قالت اما انه اشبه خلق الله بك اذا كان صحيحا قال فاني انا ايوب
الذي امرتني ان اذبح لابليس واني اطعت الله وعصيت ابليس ودعوت الله فرد علي ما ترين قال
وهب لبث ايوب في البلاء ثلاث سنين فلما غلب ايوب ابليس ولم يستطع منه شيا اعترض امراته في هيئة ليس
كهيئة بني ادم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبها فقال لها انت صاحبة ايوب
هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال هل تعرفيني قالت لا قال انا اله الارض وانا الذي صنعت بصاحبك
ما صنعت لانه عبد اله السماء وتركني ولو سجد لي سجدة واحدة لرددت عليك وعليه كل ما كان لكما من مال وولد
فانه عندي ثم اراها اولادها ببطن الوادي الذي لقيها فيه وفي بعض الكتب ان ابليس قال لها اسجدي لي سجدة
حتى ارد عليك المال والولد واعافي زوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته بما قال لها وما اراها قال لقد اتاك عدو
الله ليفتنك عن دينك ثم اقسم لئن عافاه الله ليضربنها مائة جلدة وقال عند ذلك ربنا اني مسني الضر من
طمع ابليس في سجود حرمتي له ودعائه اياي واياها الى الكفر ثم ان الله رحم رحمة امراة ايوب بصبرها معه على البلا
وخفف عليها واراد ان يبر ايوب فامره ان ياخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة
وقيل انما قال مسني الضر حين قصد الدود الى قلبه ولسانه فخشي ان يفتر عن ذكر الله تعالى والفكر وقيل
لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهر له ثلاثة اشيا احدها ما قيل في حقه لو كان له منزلة عند الله ما اصابك
هذا والثاني ان امراته طلبت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعت ذوابتيها واتته بطعام والثالث قول
ابليس اني اداويه على ان يقول انت شفيتني وقيل اني مسني الضر من شماتة الاعدا حتى روي انه قيل
له بعدما عوفي بعد ما كان اشد عليك في بلائك قال شماتة الاعدا **فان قلت** كيف
سماه الله صابرا وقد اظهر الشكوى والضجر والجزع بقوله مسني الشيطان بنصب وعذاب **قلت**
ليس هذا شكاية وانما هو دعا بدليل قوله فاستجبنا له والشكوى انما تكون الى الخلق لا الى الخالق يدل
قول يعقوب انما اشكو بثي وحزني الى الله وقال سفيان بن عيينة من اظهر الشكوى الى الناس وهو راض بقضا
الله تعالى لا يكون ذلك جزعا بدليل ما روي ان جبريل عليه السلام دخل على النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه
فقال كيف تجدك قال اجدني مغموما واجدني مكروبا وقال لعايشة حين قالت وارأساه قال بل انا
وارأساه قوله عز وجل فاستجبنا له اي اجبنا دعاه فكشفنا ما به من ضر وذلك انه قال له اركض برجلك
هذا مغتسل بارد وشراب فركض برجله فنبعت عين ما فامره ان يغتسل منها فاغتسل فذهب كل دا
كان بظاهره ثم مشى اربعين خطوة فامره ان يضرب برجله الارض فضرب فنبعت عين ما بارد
فامره ان يشرب منها فشرب فذهب كل دا كان بباطنه فصار كاحسن ما كان واتيناه اهله ومثلهم معهم قال ابن
عباس وابن مسعود واكثر المفسرين رد الله اليه اهله واولاده وعياله وفي رواية اخرى ان الله تعالى رد الى
المراة شبابها فولدت له ستة وعشرين ولدا ذكرا وقيل كان له سبع بنين وسبع بنات وعن انس يرفعه
انه كان له اندران اندر للقمح واندر للشعير فبعث الله سحابتين فافرغت احداهما على اندر القمح الذهب
وعلى اندر الشعير الورق حتى فاضا وروي ان الله بعث اليه ملكا وقال له ان الله يقريك السلام بصبرك

فاخرج

فاخرج الى اندرك فخرج اليهما فارسل الله عليه جرادا من ذهب فطارت واحدة فاتبعها وردها الى اندره فقال له الملك
اما يكفيك ما في اندرك فقال هذه بركة من بركات ربي ولا اشبع من بركته عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينما ايوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل ايوب يحثي في ثوبه فناداه ربه يا ايوب
الم اكن اغنيتك عما ترى قال بلى يا رب ولكن لا غنا لي عن بركتك وقيل لايوب سل اهلك الذين هلكوا وقال
عكرمة قيل لايوب ان اهلك الذين هلكوا فان شيت عجلناهم لك في الدنيا وان شيت كانوا لك في الاخرة واتيناك
مثلهم في الدنيا فقال بل يكونوا لي في الاخرة واوتي مثلهم في الدنيا فعلى هذا يكون معنى الاية واتيناه اهله
في الاخرة ومثلهم معهم في الدنيا واراد بالاهل الاولاد رحمة من عندنا اي نعمة من عندنا وذكرى للعابدين اي
الصابرين عظة وعبرة لهم قوله عز وجل واسمعيل هو ابن ابراهيم عليه السلام وادريس هو اخنوخ وذا الكفل كل من
اي على ما امر الله به لما ذكر الله ايوب وصبره على البلا اتبعه بذكر هولا الانبيا لانهم صبروا على المحن والشدايد
والعبادة فاما اسمعيل صبر على الانقياد للذبح واما ادريس فقد تقدمت قصته واما ذا الكفل فاختلفوا
فيه فقيل انه كان نبيا من بني اسرائيل وكان ملكا يوحى اليه فاوحى الله اليه اني اريد ان اقبض روحك
فاعرض ملكك على بني اسرائيل فمن تكفل انه يصلي بالليل ولا يفتر ويصوم بالنهار ولا يفطر ويحكم بين الناس
ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام اليه شاب فقال انا اتكفل لك بهذا فتكفل ووفى فشكر الله
له ونباه فسمي ذا الكفل ولما كبر اليسع قال لو اني استخلف رجلا على الناس يعمل فيهم في حياتي انظر كيف يعمل
قال فجمع الناس فقال من يتقبل مني ثلاثا استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب قال فقام
رجل تزدريه العين فقال انا فرده ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الاخر فسكت الناس وقام ذلك
الرجل فقال انا فاستخلفه فاتاه ابليس في صورة شيخ ضعيف حين اخذ مضجعه للقايلة وكان لا ينام
بالليل والنهار الا تلك القايلة فدق الباب فقال من هذا قال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب
فقال ان بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا وفعلوا وجعل يطول حتى ذهبت القايلة فقال
اذا رحت فاتني حتى اخذ حقك فانطلق وراح فكان من الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلم يره
فلما رجع الى القايلة واخذ مضجعه اتاه فدق الباب فقال من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح له فقال
الم اقل لك اذا قعدت فاتني قال انهم اخبث قوم اذا قعدت قالوا نعطيك حقك واذا قمت جحدوني
قال انطلق فاذا جلست فاتني ففاتته القايلة فلما جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه النعاس
فلما كان في اليوم الثالث قال لبعض اهله لا تدعن احدا يقرب هذا الباب حتى انام فانه قد شق علي
النعاس فلما كان تلك الساعة نام جا فلم ياذن له الرجل فلما اعياه نظر فراى كوة في البيت فتسور منها
فاذا هو في البيت قد دق الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان الم امرك قال اما من قبلي فلم تؤت
فانظر من اين اتيت فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما اغلقه واذا الرجل معه في البيت فقال اتنام
والخصوم ببابك فنظر اليه فعرفه فقال اعدو الله قال نعم اعييتني ففعلت ما فعلت لاغضبك
فعصمه الله فسمي ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به واختلف في نبوته فقيل كان نبيا وهو الياس وقيل
هو زكريا وقيل انه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا وادخلناهم في رحمتنا يعني ما انعم به عليهم من النبوة
وصيرهم اليه في الجنة من الثواب انهم من الصالحين قوله تعالى وذا النون اي واذكر صاحب الحوت اضيف
الى الحوت لابتلاعه اياه وهو يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا قال ابن عباس في رواية عنه كان يونس
وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة اسباط ونصفا وبقي منهم سبطان ونصف

ما اوحى الله تعالى الى شعيبا النبي صلى الله عليه وسلم ان سر الى حزقيا الملك وقل له حتى يتوجه نبيا قويا فانى
القى فى قلوب اولئك حتى يرسلوا معه بنى اسرائيل فقال الملك فمن ترى وكان فى مملكته خمسة انبيا قال يونس فانه
قوى امين فدعا الملك يونس وامره ان يخرج فقال يونس هل امرك الله باخراجى قال لا قال فهل سمانى لك
قال لا قال فهاهنا غيرى اقوى منى من الانبيا فالحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي وللملك وامره فاتى بحر الروم
وركبه وقيل ذهب عن قومه مغاضبا لربه اذ كشف عنهم العذاب بعدما اوعدهم وكره ان يكون بين اظهر
قوم جربوا عليه الخلف فيما وعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذى رفع العذاب عنهم فكان وعده انفعه
من ظهر وخلف وعده وانه يسمى كذابا لا كراهية لحكم الله وفى بعض الاخبار انه كان من عادة قومه ان يقتلوا
من جربوا عليه الكذب فخشى ان يقتلوه لما لم يأتهم العذاب للميعاد فغضب وقال ابن عباس اتى جبريل يونس
فقال انطلق الى اهل نينوى فانذرهم فقال التمس دابة فقال الامر اعجل من ذلك فغضب وانطلق الى
السفينة وقال وهب ان يونس كان رجلا صالحا وكان فى خلقه ضيق فلما حمل عليه اثقال النبوة تفسخ تحتها
تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فقذفها من يديه وخرج كارها منها فلذلك اخرجه الله من اولى العزم من الرسل
فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وقال ولا تكن كصاحب الحوت فظن ان لن
نقدر عليه اى لن نقضى عليه العقوبة قاله ابن عباس فى رواية عنه وقيل معناه فظن ان لن نضيق عليه الحبس
وقيل معناه افظن ان يعجز ربه فلا يقدر عليه قيل لما انطلق يونس مغاضبا لربه واستزله الشيطان حتى
ظن انه لن يقدر عليه وكان له سلف وعبادة فابى ان يدعه للشيطان فقذفه فى بطن الحوت فمكث فيه
اربعين يوما وقيل سبعة ايام وقيل ثلاثة ايام وقيل ان الحوت ذهب به حتى بلغ تخوم الارض السابعة
فتاب الى ربه وراجع نفسه فى بطن الحوت فنادى فى الظلمات اى ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ان لا
الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين اى حيث عصيتك وما صنعت من شى فلم اعبد غيرك فاخرجه الله من بطن الحوت
برحمته وروى ابو هريرة مرفوعا قال اوحى الله تعالى الى الحوت ان خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فاخذه
ثم هوى به الى مسكنه فى البحر فلما انتهى به الى اسفل البحر سمع يونس حسا فقال فى نفسه ما هذا فاوحى الله اليه
هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح هو فى بطن الحوت فسمع الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بارض
غريبة وفى رواية صوتا معروفا فى مكان مجهول فقال ذلك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت
فقالوا العبد الصالح الذى كان يصعد منه فى كل يوم وليلة اليك عمل صالح قال نعم فشفعوا له عند ذلك
فامر الحوت ان يقذفه فى الساحل فذلك قوله عز وجل فاستجبنا له ونجيناه من الغم اى من تلك الظلمات وكذلك
ننجى المؤمنين اى من الكرب اذا دعونا واستغاثوا بنا **فان قلت** قد تمسك بمواضع من
هذه القصة من اجاز وقوع الذنب من الانبيا قوله اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه ومنها قوله انى كنت
من الظالمين **قلت** اما الجواب عن الكل فقد اختلف فى هذه الواقعة هل كانت قبل الرسالة ام لا
فقال ابن عباس كانت رسالته بعد ان اخرجه الله من بطن الحوت بدليل قوله تعالى فى الصافات بعد ذكر
خروجه وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فثبت بهذا ان هذه الواقعة كانت قبل النبوة وقد اجاز بعضهم عليهم
الصغائر قبل النبوة ومنعها بعد النبوة واما الجواب التفصيلى فقوله اذ ذهب مغاضبا فحمله انه لقومه او للملك اولى
حال الانبيا واما قوله تعالى فظن ان لن نقدر عليه فحمله انه لقوته فقد تقدم ان معناه ان لن نضيق عليه وذلك ان يونس ظن
انه مخير ان شا اقام وان شا خرج وان الله تعالى لا يضيق عليه فى اختياره وقيل هو من القدر لا من القدرة واما قوله انى
كنت من الظالمين فالظلم وضع الشى فى غير محله موضعه وهذا اعتراف عند بعضهم بذنبه اما ان يكون لخروجه من قومه

بغير

بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب لقومه وفى هذه الاشيا ترك الافضل مع القدرة على تحصيله فكان
ذلك ظلما وقيل كانت رسالته قبل هذه الواقعة بدليل قوله تعالى وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون فعلى هذا يكون
الجواب عن هذه الواقعة كما تقدم من التفصيل والله اعلم قوله عز وجل وزكريا اذ نادى ربه اى دعا ربه رب لا تذرنى فردا اى وحيدا
لا ولد لى يساعدنى وارزقنى وارثا وانت خير الوارثين هو ثنا على الله تعالى بانه الباقى بعد فنا الخلق كلهم وانه الوارث لهم
وهذا على سبيل التمثيل والمجاز فهو كقوله وانت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى اى ولدا واصلحنا له زوجه
اى جعلناها بعد ما كانت عقيما تلد وقيل كانت سيئة الخلق فاصلحها الله تعالى بان رزقها حسن الخلق انهم
كانوا يسارعون فى الخيرات يعنى الانبيا المذكورين فى هذه السورة وقيل زكريا واهل بيته والمسارعة فى الخير من اكبر
ما يمدح به المرء لانه يدل على حرص عظيم فى طاعة الله تعالى قوله ويدعوننا رغبا ورهبا يعنى انهم ضموا الى فعل الخيرات
امرين احدهما الفزاع الى الله لاجل الرغبة فى ثوابه والرهبة من عقابه والثانى الخشوع وهو قوله تعالى وكانوا لنا
خاشعين وهو الخوف اللازم للقلب فيكون الخاشع هو الحذر الذى لا ينبسط فى الامور خوفا من الوقوع فى الاثم قوله
تعالى والتى احصنت فرجها اى احصنته احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت لم يمسسنى بشر ولم اك بغيا وهى مريم بنت
عمران فنفخنا فيها من روحنا اى امرنا جبريل حتى نفخ فى جيب درعها فخلقنا فى بطنها المسيح وانما اضاف الروح اليه
تشريفا لعيسى كبيت الله وناقة الله وجعلناها وابنها اية للعالمين اى دلالة على كمال قدرة الله تعالى على خلق
ولد من غير اب **فان قلت** هما ايتان فكيف قال اية **قلت** معنى الكلام وجعلنا
شانهما وامرهما اية واحدة لان ولادتها اياه من غير اب اية قوله تعالى ان هذه امتكم اى ملتكم ودينكم
امة واحدة اى دينا واحدا وهو الاسلام فابطل ما سوى الاسلام من الاديان واصل الامة الجماعة التى هى على مقصد واحد
وانا ربكم فاعبدون اى لا دين سوى دينى ولا رب لكم غيرى فاعبدونى وتقطعوا امرهم بينهم يعنى اختلفوا فى الدين
فصاروا فرقا واحزابا حتى لعن بعضهم بعضا وتبرأ بعضهم من بعض كل الينا راجعون فنجزيهم باعمالهم فمن يعمل من
الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه اى لا نجحد ولا نبطل سعيه بل نشكره ونثيبه عليه وانا له كاتبون اى لعمله
حافظون له وقيل الشكر من الله المجازاة ومعنى الكفران ترك المجازاة قوله عز وجل وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون
قال ابن عباس معناه حرام على اهل قرية اهلكناها ان يرجعوا بعد الهلاك وقيل معناه انه واجب على قرية اهلكناها
انهم لا يرجعون الى الدنيا وقيل معناه وحرام على اهل قرية اهلكنا اهلها وحكمنا باهلاكهم ان نتقبل اعمالهم لانهم لا يتوبون
قوله عز وجل حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج يريد فتح السد وذلك ان الله يفتحه ابتداء عن ياجوج وماجوج وهما قبيلتان
يقال انهم تسعة اعشار بنى ادم وهم من كل حدب ينسلون اى يسرعون النزول من الاكام والقلاع وفى هذه الكناية
وجهان احدهما ان المراد بهم ياجوج وماجوج وهو الاصح بدليل ما روى عن نواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه فى طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال ما شانكم فقلنا
يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه فى طائفة النخل فقال غير الدجال اخوفنى
عليكم ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم انه شاب قطط
عينه طافئة كانى اشبهه بعبد العزى بن قطن فمن ادركه منكم فليقرأ فواتح الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق
فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله وما لبثه فى الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر
ويوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة ايكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره
قلنا يا رسول الله وما اسراعه فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح فياتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون
له فيامر السما فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم اطول ما كانت ذرا واسبغه ضروعا وامده خواصر ثم ياتى

Copyright © King Saud University

على القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بايديهم شيء من اموالهم ويمر بالخربة فيقول لها اخرجي
كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه
فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله عيسى بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين
مهرودتين واضعا كفيه على اجنحة ملكين اذا طاطا راسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح
نفسه الا مات ونفسه ينتهي الى حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم ياتي عيسى عليه السلام قوم قد
عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك اذ اوحى الله الى عيسى بن مريم اني قد
اخرجت عبادا لي لا يدان لاحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور ويبعث الله ياجوج وماجوج وهم من كل حدب
ينسلون فيمر اوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر اخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر عيسى
واصحابه حتى يكون راس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبي الله واصحابه فيرسل الله عليهم النغف
في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى واصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض
شبرا الا ملاه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى الى الله فيرسل الله طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم
حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم
يقال للارض انبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تاكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في
الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم
لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتاخذهم تحت اباطهم فتقبض روح كل مسلم
ومؤمن ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة اخرجه مسلم شرح غريب الالفاظ
قوله ظنناه في طائفة النخل اي ناحية النخل وجانبه والطائفة القطعة من الشيء وقوله خفض فيه ورفع اي خفض
صوته ورفع من شدة ما تكلم به في امره وقيل انه خفض تهوينا له ورفع من شدة فتنته والتخويف من امره قوله انه
شاب قطط اي جعد الشعر وقوله طافية عن خارجة عن حدها وقوله انه خارج خلة اي انه يخرج قصدا وطريقا بين
جهتين والخلل الدخول في الشيء قوله انه يخرج فعاث اي افسد قوله فاقدروا له اي قدروا يوما من ايامكم المعهود
وصلوا فيه كل يوم بقدر ساعاته قوله فتروح عليهم سارحتهم اي ماشيتهم قوله فيصبحون ممحلين اي مقحطين
قد اجدب كل شيء في ارضهم وغلت اسعارهم قوله كيعاسيب النحل جمع يعسوب وهو فحل النحل ورئيسها قوله فيقطعه
جزلتين رمية اي قطعتين والغرض الهدف الذي يرمى بالنشاب قوله بين مهرودتين روي بالدال المهملة
وبالمعجمة اي شقتين وقيل حلتين وقيل المهرود الصبغ الاصفر بالورس والزعفران قوله لا يدان لاحد بقتالهم
اي لا قدرة ولا قوة بقتالهم قوله والنغف دود يكون في انوف الابل والغنم فرسى جمع فريس وهو القتيل قوله
زهمهم اي ريحهم المنتنة قوله بالزلفة اي كالمراة وجمعها زلف وروي بالقاف وارادوا به استواها ونظافتها قوله
تاكل العصابة اي الجماعة قيل يبلغون اربعين وقحف الرمانة في الحديث قشرها والرسل بكسر الراء اللبن واللقحة
الناقة ذات اللبن والفئام الجماعة من الناس والفخذ دون القبيلة وقوله يتهارجون اي يختلطون نحو التهارج
الاختلاف واصله القتل الوجه الثاني في تفسير قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون قيل جميع الخلائق يخرجون
من قبورهم الى موضع الحساب عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر
فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا عشر ايات فذكر الدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها
ونزول عيسى بن مريم وياجوج وماجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب
واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم قوله عز وجل واقترب الوعد الحق اي القيامة قال حذيفة لو ان

رجلا

رجلا اقتنى فلوا بعد خروج ياجوج وماجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة قوله تعالى فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا
قيل ان معنى الاية ان القيامة اذا قامت شخصت ابصار الذين كفروا من شدة الاهوال فلا تكاد تطرف من هول ذلك
اليوم ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا يعني في الدنيا حيث كذبنا وقلنا انه غير كائن بل كنا ظالمين اي في
وضعنا العبادة في غير موضعها قوله عز وجل انكم الخطاب للمشركين وما تعبدون من دون الله يعني الاصنام حصب
جهنم اي حطبها ووقودها وقيل يرمون بهم في النار كما يرمى بالحطب واصل الحصب الرمي انتم لها واردون اي فيها
داخلون لو كان هؤلاء الهة يعني الاصنام الهة على الحقيقة ما وردوها اي ما دخل الاصنام النار وعابدوها وكل
فيها خالدون اي العابد والمعبود لهم فيها زفير قيل هو ان يملا الرجل صدره غما ثم يتنفس وقيل هو
شدة ما نالهم من العذاب وهم فيها لا يسمعون قال ابن مسعود في هذه الاية اذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت
من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت اخرى ثم تلك التوابيت في توابيت اخرى عليها مسامير من نار
فلا يسمعون شيئا ولا يرى احد منهم في النار احدا يعذب غيره قوله عز وجل ان الذين سبقت لهم منا الحسنى قال العلماء
ان هنا بمعنى الا الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني السعادة والعدة الجميلة بالجنة اولئك عنها اي عن النار
مبعدون قيل الاية عامة في كل من سبقت له من الله السعادة وقال اكثر المفسرين يعني بذلك كل من عبد من دون
الله وهو لله طائع ولعبادة من يعبده كاره وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش
في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه
ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الايات الثلاث ثم قام فاقبل عبد الله بن الزبعرى
السهمي فاخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبعرى له انت قلت انكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال اليست اليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح وبنو مليح
يعبدون الملائكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشيطان فانزل الله تعالى ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى يعني عزيرا والمسيح والملائكة اولئك عنها مبعدون وانزل في ابن الزبعرى ما ضربوه لك الا جدلا
بل هم قوم خصمون وزعم قوم ان المراد به الاية الاولى الاصنام لان الله تعالى قال وما تعبدون من دون الله ولو
اراد به الملائكة والناس لقال ومن تعبدون لان المراد من لمن يعقل وما لمن لا يعقل لا يسمعون حسيسها يعني
صوتها وحركتها اذا نزلوا منازلهم في الجنة وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون اي من النعيم والكرامة خالدون اي مقيمون
قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر قال ابن عباس يعني النفخة الاخيرة وقيل هو حين يذبح الموت وينادى يا اهل النار خلود
بلا موت وقيل هو ان يطبق جهنم وذلك بعد ان يخرج الله منها من يريد ان يخرجه وتتلقاهم الملائكة اي تستقبلهم
الملائكة على ابواب الجنة يهنئونهم ويقولون هذا يومكم الذي كنتم توعدون اي في الدنيا قوله عز وجل يوم نطوي السماء كطي
السجل للكتاب قال ابن عباس السجل الصحيفة والمعنى كطي الصحيفة على مكتوبها والطي هو المدرج الذي هو ضد
النشر وقيل السجل اسم ملك يكتب اعمال العباد فاذا رفعت اليه والمعنى نطوي السماء كما يطوي السجل الطومار الذي يكتب
فيه والتقدير لا يحزنهم الفزع الاكبر في ذلك اليوم كما بدانا اول خلق نعيده اي كما بداناهم في بطون امهاتهم عراة
غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال يا ايها
الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا اي غلفا قوله تعالى وعدا علينا انا كنا فاعلين يعني الاعادة والبعث
بعد الموت قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر قيل الزبور جميع الكتب المنزلة على الانبياء والذكر هو اسم ام
الكتب الذي عنده ومن ذلك الكتاب ينسخ جميع الكتب ومعنى من بعد اي من بعد ما كتب في اللوح المحفوظ وقال
ابن عباس الزبور التوراة وقيل الزبور كتاب داود والذكر هو القران وبعد هنا بمعنى قبل ان الارض يرثها

Copyright © King Saud University

عبادي الصالحون يعني ارض الجنة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ان الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ وكتب
الانبيا ان الجنة يرثها من كان صالحا من عباده عاملا بطاعته وقال ابن عباس ان اراضي الكفار يفتحها المسلمون وهذا
حكم من الله تعالى باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل اراد بالارض المقدسة يرثها الصالحون بعد ما كان فيها ان في هذا القران
لبلاغا اي وصولا الى البغية يعني من اتبع القران وعمل به وصل الى ما يرجو من الثواب وقيل البلاغ الكفاية اي
ما فيه كفاية من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة والقران زاد العباد الى الجنة وهو قوله تعالى لقوم
عابدين اي مؤمنين يعبدون الله تعالى وقيل هم امة محمد صلى الله عليه وسلم اهل الصلاة الخمس وشهر
رمضان وقال ابن عباس عالمين وقيل العالمون هم قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قيل كان الناس اهل
كفر وجاهلية وضلال واهل الكتابين كانوا في حيرة من امر دينهم لطول مدتهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف
في كتبهم فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق سبيل الى الفوز والثواب فدعاهم الى الحق وبين لهم
سبيل الصواب وشرع لهم الاحكام وميز الحلال من الحرام قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قيل يعني
المؤمنين خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس هو عام في حق من امن ومن لم يؤمن فهو رحمة لهم في الدنيا
بتاخير العذاب ورفع المسخ والخسف والاستيصال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة مهداة
قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون اي منقادون لما يوحى الي من اخلاص الالهية والتوحيد لله تعالى والمراد
بهذا الاستفهام الامر اي اسلموا فان تولوا اي اعرضوا ولم يسلموا فقل اذنتكم اي اعلمتكم بالحرب وان لا صلح بيننا على
سواء اي انذارا بينا نستوي في علمه لا استبدادا به دونكم لتتاهبوا لما يراد بكم والمعنى اذنتكم على وجه نستوي نحن وانتم
في العلم به وقيل معناه لتستووا في الايمان اي اعلمتكم بما هو الواجب عليكم من التوحيد وغيره وان ادري اي وما اعلم
اقريب ام بعيد ما توعدون يعني يوم القيامة لا يعلمه الا الله انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون لا يغيب
عن علمه شيء منكم في علانيتكم وسركم وان ادري لعله فتنة لكم اي لعل تاخير العذاب عنكم اختبار لكم ليرى كيف صنيعكم
وهو اعلم بكم ومتاع الى حين اي تتمتعون الى انقضاء اجالكم قوله تعالى قل رب احكم اي افصل بيني وبين من كذبني
بالحق اي بالعذاب كانه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر وقيل معناه افصل بيني وبينهم بما يظهر
الحق للجميع وهو ان تنصرني عليهم والله يحكم بالحق طلب او لم يطلب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب
وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون اي من الشرك والكفر والاستدلال بالمثل كانه سبحانه وتعالى قال قل داعيا
لي رب احكم بالحق وقل يتوعدا لكفار وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون والله اعلم بمراده وتفسير كتابه والله اعلم

تفسير سورة الحج

وهي مكية غير ست ايات من قوله عز وجل هذان خصمان الى قوله وهدوا الى صراط
الحميد وهي ثمان وسبعون اية والف ومايتان واحد وتسعون كلمة وخمسة الاف وسبعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها الناس اتقوا ربكم اي احذروا عقابه واعملوا بطاعته ورضاه ان زلزلة الساعة
شيء عظيم الزلزلة شدة الحركة على الحال الهايلة ووصفها بالعظم ولا شيء اعظم مما عظمه الله تعالى قيل هي من اشراط
الساعة قبل قيامها وقال ابن عباس زلزلة الساعة قيامها فتكون معها يوم ترونها تذهل يعني الساعة
وقيل الزلزلة تذهل قال ابن عباس تشغل وقيل تنسى كل مرضعة عما ارضعت اي كل امراة معها ولد ترضعه
وتضع كل ذات حمل حملها اي تسقط من هول ذلك اليوم كل حامل قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها بغير
فطام وتضع الحامل ما في بطنها بغير تمام فعلى هذا تكون الزلزلة في الدنيا لان بعد البعث لا تكون حبلى ومن قال
تكون الزلزلة في القيامة قال هذا على وجه تعظيم الامر وتهويله لا على حقيقته كما تقول اصابنا امر يشيب فيه
الوليد يريد به شدته وترى الناس سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق ولكن ما رهقهم من

حوف

حوف عذاب الله هو الذي اذهب عقولهم وازال تمييزهم وقيل سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب
ولكن عذاب الله شديد عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله يوم القيامة
يا ادم فيقول لبيك وسعديك زاد في رواية والخير في يديك فينادى بصوت ان الله يامرك ان تخرج من ذريتك
بعثا الى النار قال يا رب وما بعث النار قال من كل الف تسعماية وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحوامل حملها
ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت
وجوههم زاد في رواية قالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم من ياجوج وماجوج
تسعماية وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم انتم في الناس كالشعرة السوداء في الثور الابيض او كالشعرة البيضاء في
جنب الثور الاسود وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار واني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث
اهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر اهل الجنة فكبرنا لفظ البخاري وفي حديث عمران بن الحصين وغيره ان هاتين
الايتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلا فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحثوا المطي حتى كانوا حول رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقرا عليهم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا
الخيام ولم يطبخوا والناس ما بين باك وجالس حزين متفكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي يوم ذلك
قالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم يقول الله لادم قم فابعث من ذريتك بعث النار وذكر نحو حديث ابي
سعيد الخدري وزاد فيه ثم قال يدخل من امتي سبعون الفا الجنة بغير حساب فقال عمر سبعون الفا قال
نعم ومع كل واحد سبعون الفا قوله عز وجل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحرث كان
كثير الجدال وكان يقول الملائكة بنات الله والقران اساطير الاولين وكان ينكر البعث واحياء من صار ترابا
ويتبع اي من جداله في الله بغير علم كل شيطان مريد اي المتمرد المستمر في الشر وفيه وجهان احدهما انه
الشياطين وهم رؤسا الكفر الذين يدعونهم الى الكفر والثاني انه ابليس وجنوده كتب عليه اي قضي على
الشيطان انه من تولاه اي اتبعه فانه يعني الشيطان يضله اي يضل عن تولاه عن طريق الجنة ويهديه
الى عذاب السعير وفي الاية زجر عن اتباع الغي كتب عليه انه من يتبع منه انه في ضلال ثم الزم الحجة منكري
البعث فقال عز وجل يا ايها الناس ان كنتم في ريب اي في شك من البعث اي بعد الموت فانا خلقناكم من تراب اي
اباكم ادم الذي هو اصل النسل ثم من نطفة يعني ذريته من المني واصلها الماء القليل ثم من علقة اي من دم جامد
غليظ وذلك ان النطفة تصير دما غليظا ثم من مضغة وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة قال
ابن عباس تامة الخلق وغير تامة الخلق وقيل مصورة وغير مصورة وهو السقط وقيل المخلقة الولد الذي ياتي بره لوقته
وغير مخلقة يعني السقط فكانه تعالى قسم المضغة الى قسمين احدهما تام الصورة والحواس والتخطيط والقسم الثاني
هو الناقص عن هذه الاحوال كلها روي عن علقمة بن مسعود موقوفا عليه قال ان النطفة اذا استقرت
في الرحم اخذها ملك في كفه وقال اي رب مخلقة او غير مخلقة فان قال غير مخلقة قذفها الرحم دما ولم تكن
نسمة وان قال مخلقة قال الملك اي رب ذكر ام انثى اشقي ام سعيد ما الاجل ما العمل ما الرزق باي ارض تموت
فيقال له اذهب الى ام الكتاب فانك تجد فيه كل ذلك فيذهب فيجدها في ام الكتاب فينسخها فلا تزال معه
حتى ياتي على اخر صفته والذي اخرجاه في الصحيحين فيه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق
المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك
ثم يبعث الله ملكا يكتب رزقه وعمله واجله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا اله غيره ان احدكم
ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها

Copyright © King Saud University

وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى لا يكون بينه وبينها الا ذراع فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها وقوله تعالى
لنبين لكم اى كمال قدرتنا وحكمتنا فى تصريف خلقكم ولتستدلوا بقدرته فى ابتدا الخلق على قدرته على
الاعادة وقيل لنبين لكم ما تاتون وما تذرون وما تحتاجون اليه فى العبادة وقيل لنبين لكم ان تغير
المضغة الى الخلقة هو اختيار الفاعل المختار وان القادر على هذه الاشيا كيف يكون عاجزا عن الاعادة قوله
تعالى ونقر فى الارحام ما نشاء اى لا تسقطه ولا تمحه الى اجل مسمى اى وقت خروجها من الرحم تمام الخلق
ثم نخرجكم طفلا اى وقت الولادة طفلا اى صغارا وانما وحد الطفل لان الغرض الدلالة على الجنس ثم لتبلغوا
اشدكم اى كمال القوة والعقل والتمييز ومنكم من يتوفى اى قبل بلوغ الكبر ومنكم من يرد الى ارذل العمر
اى الهرم والخرفة لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اى يبلغ من السن ما يتغير عقله فلا يعقل شيئا فيصير
كما كان فى اول طفوليته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم ثم ذكر دليلا اخر على البعث فقال تعالى
وترى الارض هامدة اى يابسة لا نبات فيها فاذا انزلنا عليها الماء يعنى المطر اهتزت يعنى تحركت بالنبات
وربت اى ارتفعت وذلك ان الارض ترتفع بالنبات وانبتت هو مجاز لان الله تعالى هو المنبت واضيف الى
الارض توسعا من كل زوج بهيج اى من كل صنف حسن نضير والبهيج هو الشى المبهج وهو الشى المشرق
الجميل وهو ان الله تعالى لما ذكر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب فقال تعالى ذلك اى لتعلموا
بان الله هو الحق اى حدوث هذه الاشيا دالة على وجود الصانع وانه يحيى الموتى اى انه اذا لم يستبعد
منه ايجاد الاشيا فكيف يستبعد منه اعادة الاموات وانه على كل شى قدير اى من كان قادرا على جميع الممكنات
وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور اى ما ذكر من الدلايل ليعلموا ان الساعة كاينة لا شك فيها
وانها حق وان البعث بعد الموت حق قوله عز وجل ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم يعنى النضر بن الحرث ولا
هدى اى ليس معه شى من الله تبارك وتعالى ولا ارشاد ولا كتاب منير اى ولكن ما من الله له نور ثانى عطفه
اى لاوى جنبه وعنقه متبختر التكبر معرضا عما يدعى اليه من الحق تكبرا ليضل عن سبيل الله اى عن دين الله له فى
الدنيا خزى اى عذاب وهوان وهو انه قتل يوم بدر صبرا هو وعقبة بن ابى معيط ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق
ذلك اى يقال له ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد اى فيعذبهم بغير ذنب والله تعالى على اى وجه اراد
تصرف فى عبيده فحكمه عدل وهو غير ظالم قوله عز وجل ومن الناس من يعبد الله على حرف نزلت هذه الاية فى قوم من الاعراب
كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان احدهم اذا قدم المدينة فصح بها جسمه ونتجت فرسه مهرا وولدت
امراته وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد اصبت فيه خيرا واطمان فيه وان اصابه مرض وولدت امراته جارية
ولم تلد فرسه وقل ماله قال ما اصبت منذ دخلت هذا الدين خيرا الا شرا فينقلب عن دينه وذلك هو الفتنة
فانزل الله ومن الناس من يعبد الله على حرف اى على شك واصله من حرف الشى وهو طرفه الذى هو القايم عليه
نحو حرف الجبل والحايط الذى غير مستقر فقيل للشاك فى الدين انه يعبد الله على حرف لانه لم يدخل فيه على
الثبات والتمكن وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب فى دينهم لا على سكينة وطمانينة ولو عبدوا الله بالشكر
على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف وقيل المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه فان اصابه خير اى صحة فى بدنه
وسعة فى معيشته اطمان به اى رضى به وسكن اليه وان اصابته فتنة اى بلاء فى جسده وضيق فى معيشته
انقلب على وجهه اى ارتد ورجع على عقبه الى الوجه الذى كان عليه فى الكفر خسر الدنيا والاخرة اى خسر فى الدنيا
العز والكرامة ولا يبقى دمه وماله مصونا وقيل خسر فى الدنيا ما كان يؤمل والاخرة بذهاب الدين والخلود فى النار
ذلك هو الخسران المبين اى يعنى الظاهر يدعو من دون الله ما لا يضره ان عصاه ولم يعبده وما لا ينفعه اى

اطاعه

اطاعه وعبده ذلك هو الضلال البعيد اى عن الحق والرشد يدعو لمن ضره اقرب من نفعه **فان قلت**
ثم قال فى الاية الاولى يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه وقال فى هذه الاية يدعو لمن ضره اقرب من نفعه
وهذا تناقض فكيف الجمع بينهما **قلت** اذا حصل المعنى ازال هذا الوهم وذلك ان الله تعالى قال
فى الاول ما لا يضره اى لا يضره ترك عبادته وقوله لمن ضره اى ضر عبادته وقيل انها لا تضر ولا تنفع بانفسها
ولكن عبادتها سبب الضرر وذلك يكفى فى اضافة الضرر اليها وقيل ان الله تعالى سفه الكافر حيث عبد
جمادا لا يضر ولا ينفع وهو يعتقد بجهله وضلاله انه سينتفع به حين يستشفع به وقيل الاية فى الروسا هم
الذين كانوا يفزعون اليهم لانه يصح منهم ان يضروا وينفعوا ووجه هذا القول ان الله تعالى بين فى الاية الاولى
ان الاوثان لا تضر ولا تنفع وهذه الاية تقتضى كون المذكور فيها ضارا نافعا فلو كان المذكور فى هذه الاية الاوثان
لزم التناقض فثبت انهم روسا بدليل قوله تعالى لبئس المولى ولبئس العشير اى الناصر والصاحب المعاشر
قوله عز وجل ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد
اى باوليائه واهل طاعته من الكرامات وباهل المعصية من الهوان قوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره
الله يعنى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فى الدنيا اى باعلا كلمة الحق واظهار دينه والاخرة اى وفى الاخرة باعلا
درجته والانتقام ممن كذبه فليمدد بسبب اى بحبل الى السماء اى سقف البيت على قول الاكثرين والمعنى ليشد
حبلا فى سقف بيته فليختنق حتى يموت ثم ليقطع اى الحبل بعد الاختناق وقيل ليمد الحبل ويقطع حتى ينقطع
فيموت مختنقا فلينظر هل يذهبن كيده اى صنيعه وحيلته ما يغيظ اى فى اختناق غيظا وهذا ليس على سبيل
الحتم لانه على سبيل لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق ولكنه كما يقال للحاسد مت غيظا وقيل المراد بالسما السما
المرفوعة والمعنى من كان يظن ان لن ينصر الله نبيه ويكيده فى امره ليقطعه عنه فليقطعه من اصله فان اصله فى السما
وليطلب سببا يصعد به الى السما ثم ليقطع عن النبى صلى الله عليه وسلم الوحى الذى ياتيه فلينظر هل يتهيا له الوصول
الى السما بحيله وهو يقدر على ذهاب غيظه فاذا كان ذلك ممتنعا كان غيظه عديم الفايدة وفى الاية زجر للكفار
عن الغيظ فيما لا فايدة فيه روى ان الاية نزلت فى قوم من بنى اسد وغطفان دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم
الى الايمان وكان بينهم وبين اليهود حلف فقالوا لا يمكننا ان نسلم لانا نخاف ان لا ينصر محمد ولا يظهر امره فينقطع
الحلف بيننا وبين اليهود فلا يميروننا ولا يؤووننا وقيل النصر معناه الرزق ومعنى الاية من كان يظن ان لن يرزقه
الله فى الدنيا والاخرة فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان الله لا يجعله مرزوقا تقول العرب من ينصرنى
نصره الله اى من يعطينى اعطاه الله وكذلك انزلناه يعنى القران ايات بينات وان الله يهدى من يريد ان الذين
امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا قيل معناه اى يعنى عبدة الاوثان وقيل
الاديان ستة واحد لله وهو الاسلام وخمسة للشيطان وهو ما عدا الاسلام ان الله يفصل بينهم اى يحكم بينهم
يوم القيامة قيل يفصل بينهم فى الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم فى موطن واحد
ان الله على كل شى شهيد اى انه عالم بما يستحقه كل واحد منهم فلا يجرى فى ذلك الفصل ظلم ولا حيف وقد تقدم بسط
الكلام فى هذه الاية فى سورة البقرة قوله عز وجل الم تر اى الم تعلم وقيل الم تر بقلبك ان الله يسجد له من فى السموات
ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب قيل سجود هذه الاشيا تحول ظلالها وقيل ما فى
السما نجم ولا شمس ولا قمر الا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فياخذ ذات اليمين حتى يرجع الى مطلعه
وقيل معنى سجودها الطاعة فانه ما من جماد الا وهو مطيع لله تعالى خاشع ومسبح له كما وصفهم بالخشية والتسبيح وهذا مذهب
اهل السنة وهو ان هذه الاجسام لما كانت قابلة لجميع الاعراض التى خلقها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة

Copyright © King Saud University

اشبهت بمطاوعتها اعمال المكلف وهو السجود الذي كل خضوع دونه **فان قلت** فهذا التاويل يبطله
قوله وكثير من الناس فان السجود بالمعنى الذي ذكر عام في الناس كلهم فاسناده الى كثير من الناس يكون تخصيصا من غير فائدة
قلت المعنى الذي ذكرته وان كان عاما في حق الناس الكل الا ان بعضهم تمرد وتكبر وترك السجود في الظاهر
فهذا وان كان ساجدا بذاته وبظاهره فلاجل الفرق حصل التخصيص بالذكر وقيل معنى الاية ولله يسجد من في السموات
ومن في الارض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الاول بمعنى الانقياد والثاني بمعنى الطاعة والعبادة
فان قلت لو اقتصر على ما تقدم اولا لاوهم ان كل الناس يسجدون **قلت** بين ان كثيرا من
الناس يسجدون طوعا دون بعض وهم الذين قال فيهم وكثير حق عليه العذاب وهم الكفار اي حق عليهم العذاب بكفرهم
وتركهم السجود مع كفرهم وامتناعهم من السجود ويسجد ظلالهم لله عز وجل ومن يهن الله فما له من مكرم اي ومن يذله الله
فلا يكرمه احد ان الله يفعل ما يشاء اي يكرم من اراد بالسعادة من يشاء ويهين بالشقاوة من يشاء وقيل هو الذي يصح منه
الاكرام والهوان يوم القيمة بالثواب والعقاب **فصل** هذه السجدة من عزائم سجود القران فيسن
للقاري والمستمع ان يسجد واعند تلاوتها قوله عز وجل هذان خصمان اختصموا في ربهم اي جادلوا في دينه وامره
واختلفوا في هذين الخصمين فروي عن قيس بن عباد قال سمعت ابا ذر يقسم قسما ان هذه الاية نزلت في الذين برزوا
يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة اخرجاه في الصحيحين عن علي بن ابي طالب
قال انا اول من يجثو للخصومة بين يدي الرحمن يوم القيمة قال قيس بن عباد نزلت فيهم هذه الاية هذان خصمان
اختصموا في ربهم قال هم الذين تبارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة بن الحرث وشيبة بن ربيعة وابن اخيه الوليد بن
عتبة قال محمد بن اسحاق خرج يوم بدر عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابن اخيه الوليد بن عتبة ودعوا الى المبادرة
فخرج اليهم فتية من الانصار ثلاثة عوف ومعوذ وامهما عفرا وعبد الله بن رواحة فقالوا من انتم فقالوا رهط من الانصار ابو الحرث
فقالوا حين انتسبوا اكفا كرام ثم نادى مناديهم يا محمد اخرج الينا اكفانا من قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قم يا عبيدة بن الحرث ويا حمزة بن عبد المطلب ويا علي بن ابي طالب فلما دنوا منهم قالوا من انتم قال فذكروا انفسهم
قالوا نعم اكفا كرام فبارز عبيدة وكان اسن القوم عتبة وبارز حمزة شيبة وبارز علي الوليد فاما حمزة فلم يمهل ان
قتل وعلي الوليد واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتان كلاهما اثبت صاحبه ذكر حمزة وعلي فدففا عليه
واحتملا عبيدة الى اصحابه وقد قطعت رجله ومخها يسيل فلما اتوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الست شهيدا يا رسول الله قال نعم فقال عبيدة لو كان ابو طالب حيا لعلم انا احق منه بما قال •
• ونسلمه حتى نصرع حوله • ونذهل عن ابنائنا والحلائل • وقال ابن عباس نزلت في المسلمين واهل الكتاب
قال اهل الكتاب نحن اولى بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن اولى بالله منكم امنا بنبينا
محمد صلى الله عليه وسلم ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون نبينا وكتابنا وكفرتم حسدا فخصموهم في
ربهم وقيل المومنون والكافرون من اي ملة كانوا فالمومنون خصم والكفار خصم وقيل الخصمان الجنة والنار
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين
والمتجبرين فقالت الجنة فما لي لا يدخلني الا ضعفا الناس وسقطهم زاد في رواية وغرتهم فقال الله عز وجل
للجنة انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي ولكل واحد منهما ملوها فاما النار فلا تمتلي حتى يضع الله تعالى
رجله فيها فتقول قط قط فهناك تمتلي ويزوي بعضها الى بعض ولا يظلم ربك احدا من خلقه واما الجنة فان الله
تعالى ينشي لها خلقا وللبخاري اختصمت الجنة والنار وهذا القول ضعيف والاقوال الاول اصح واولى
بالصحة لان حمل الكلام على ظاهره اولى وهذان كالاشارة الى سبب تقدم ذكره وهو اهل الاديان الستة

وايضا

وايضا فانه ذكر صنفين اهل طاعته واهل معصيته وذكرهما بالخصمين فقال تعالى فالذين كفروا قطعت
لهم ثياب من نار قال سعيد بن جبير ثياب من نحاس مذاب وليس من الانية شي اذا حمي احر منه وسمي
باسم الثياب لانه يحيط بهم كاحاطة الثياب وقيل يكسى اهل النار مقطعات من نار يصب من فوق روسهم
الحميم اي الما الجاري الذي انتهت حرارته يصهر به ما اي يذاب بالحميم الذي يصب من فوق روسهم ما في بطونهم
والجلود من الشحوم والاحشا والجلود م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب
على روسهم فينفذ حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب ولهم مقامع من حديد اي سياط من حديد وهي مجرز من الحديد وفي الخبر لو وقع مقمع
من حديد في الارض ثم اجتمع عليه الثقلان لم يقلوه من الارض كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها اي كلما حاولوا
الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي ياخذ بانفاسهم اي ردوا اليها بالمقامع وقيل ان جهنم لتجيش بهم فتلقيهم
الى اعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون فيها سبعين خريفا وذوقوا عذاب
الحريق اي تقول لهم الملائكة ذلك والحريق بمعنى المحرق فهذا وصف حال احد الخصمين وهم الكفار وقال تعالى في
وصف الخصم الاخر وهم المومنون قوله تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولولوا ولباسهم فيها حرير وهو الابريسم الذي حرم الله لبسه على الرجال
في الدنيا م عن معاوية بن حيدة عن بهز بن حكيم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الما وبحر العسل وبحر
اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ق عن ابي موسى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة انيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وما
بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا ردا الكبريا على وجهه عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان عليهم التيجان ادنى لولوة منها تضي ما بين المشرق والمغرب اخرجه الترمذي وقال
حديث غريب ق وعن سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في
الاخرة قوله تعالى وهدوا من الهداية اي ارشدوا الى الطيب من القول هو شهادة ان لا اله الا الله
وقيل هو لا اله الا الله والله اكبر والحمد لله وسبحان الله وقيل الى القران وقيل هو قول اهل الجنة الحمد لله الذي
صدقنا وعده وهدوا الى صراط الحميد اي الى دين الله وهو دين الاسلام والحميد هو الله المحمود في كل فعاله قوله
عز وجل ان الذين كفروا اي بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ويصدون عن سبيل الله اي بالمنع من الهجرة والجهاد
والاسلام والمسجد الحرام اي ويصدون عن المسجد الحرام الذي جعلناه للناس اي قبلة لصلاتهم ومنسكا
ومتعبدا سوا العاكف اي المقيم فيه قال بعضهم يدخل فيه الطاري المنتاب اليه من غيره اذا جاوروا قام
ولزم العبادة فيه والباد اي الطاري المنتاب من غيره واختلفوا في معنى الاية فقيل سوا العاكف فيه والبادي
في تعظيم حرمته وقضا النسك به واليه ذهب مجاهد والحسن ومجاهد والمراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية
في تعظيم الكعبة وفي فضل الصلاة فيه والطواف به وعن جبير بن مطعم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا بني عبد
مناف لا تمنعوا احدا طاف بهذا البيت وصلى اية ساعة شا من ليل ونهار اخرجه الترمذي وابو داود والنسائي وقيل
المراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية ان المقيم والبادي فيه سوا في النزول به ليس احدهما احق بالمنزل من الاخر
غير انه لا يزعج احدا اذا كان قد سبق الى منزل وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد قالوا هما سوا
في البيوت والمنازل قال عبد الرحمن بن سابط كان الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن يأخذ من اهل مكة بأحق من منزله
وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس ان يغلقوا ابوابهم في الموسم فعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة واجارتها

Copyright © King Saud University

قالوا ان ارض مكة لا تملك لانها لو ملكت لم يستو فيها العاكف والبادي فلما استويا ثبت سبيله سبيل المساجد واليه
ذهب ابو حنيفة وقال اخرون المراد بالمسجد الحرام جميع الحرم وعلى القول الاول الاقرب الى الصواب يجوز بيع دور مكة واجارتها
وهو قول طاوس وعمرو بن دينار واليه ذهب الشافعي واحتج الشافعي في ذلك بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم
بغير حق اضاف الديار الى مالكيها وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من اغلق بابه فهو امن ومن دخل دار ابي سفيان
فهو امن فنسب الديار اليهم نسبة ملك واشترى عمر بن الخطاب دار السجن باربعة الاف درهم فهذه النصوص دلت
على جواز بيعها ومن يرد فيه بالحاد اي في المسجد الحرام بظلم اي بميل الى الظلم وقيل الالحاد فيه هو الشرك وعبادة غير
الله تعالى وقيل كل شيء كان منهيا عنه من قول او فعل حتى شتم الخادم وقيل هو دخول الحرم بغير احرام وارتكاب
شيء من محظورات الحرم من قتل صيد وقطع شجر وقال ابن عباس هو ان يقتل فيه من لا يقتلك او تظلم فيه
من لا يظلمك وقال مجاهد تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات وقيل احتكار الطعام في الحرم الحاد فيه اخرجه
ابو داود وقال عبد الله بن مسعود في قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم قال لو ان رجلا هم
بخطيئة لم تكتب عليه ما لم يعملها ولو ان رجلا هم بقتل رجل بمكة وهو بعدن ابين اذاقه الله عذابا اليما قال السدي
الا ان يتوب وروي عن عبد الله بن عمر انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله
عاتبهم في الحل فسئل عن ذلك فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل كلا والله وبلى والله قوله تعالى واذ بوانا
لابرهيم مكان البيت قال ابن عباس جعلنا وقيل وطانا وقيل بينا وانما ذكر البيت لان الكعبة رفعت الى السماء زمن
الطوفان فلما امر الله تعالى ابرهيم عليه السلام ببناء البيت لم يدر اين يبني فبعث الله ريحا خجوجا فكنست له
ما حول البيت عن الاساس وقيل بعث الله سبحانه وتعالى سحابة بقدر البيت فقامت بحيال البيت فيها راس
يتكلم يا ابرهيم ابن على قدري فبنى عليه ان لا تشرك بي شيئا اي عهدنا الى ابرهيم وقلنا له لا تشرك بي شيئا
وطهر بيتي اي من الشرك والاوثان والاقذار للطائفين اي الذين يطوفون بالبيت والقائمين اي
المقيمين والركع السجود اي المصلين قوله عز وجل واذن اي اعلم وناد والاذان في اللغة الاعلام في الناس
قال ابن عباس اراد بالناس اهل القبلة بالحج فقال ابرهيم عليه السلام وما يبلغ صوتي فقال الله عز وجل
عليك الاذان وعلينا البلاغ فقام ابرهيم على المقام حتى صار كاطول الجبال وادخل اصبعيه في اذنيه
واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال يا ايها الناس الا ان ربكم قد بنى بيتا وكتب عليكم الحج الى البيت فاجيبوا
ربكم فاجابه كل من يحج من اصلاب الاباء وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك قال ابن عباس فاول من اجابه اهل اليمن فهم
اكثر الناس حجا وروي ان ابرهيم صعد ابا قبيس ونادى وزعم الحسن ان المامور بالاذان هو محمد صلى الله عليه وسلم
بالتأذين
فقال يا ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا يأتوك رجالا اي مشاة على ارجلهم جمع راجل وعلى كل ضامر اي ركبانا على الابل
المهزول من كثرة السير وبدأ بذكر المشاة تشريفا لهم يأتين اي جماعة الابل من كل فج عميق اي من كل طريق قصد
ثم الى مكة حاجا فكانه قد اتى ابرهيم لانه مجيب نداءه قوله تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل العفو والمغفرة وقيل التجارة
وقال ابن عباس الاسواق وقيل ما يرضى الله به من امر الدنيا والاخرة ويذكروا اسم الله في ايام معلومات يعني عشر ذي الحجة
في قول اكثر المفسرين قيل لها معلومات للحرص على علمها من اجل وقت الحج في اخرها وعن ابن عباس انها ايام عرفة والنحر
وايام التشريق وقيل انها يوم النحر وثلاثة ايام بعده على ما رزقهم من بهيمة الانعام يعني الهدايا والضحايا تكون
من هذه الايام فكلوا منها امر اباحة ليس بواجب وذلك ان الجاهلية كانوا لا ياكلون من لحوم هداياهم شيئا فامر الله
بمخالفتهم اتفق العلماء على ان الهدي اذا كان تطوعا يجوز للمهدي ان ياكل منه وكذلك اضحية التطوع لما روي عن جابر
ابن عبد في قصة حجة الوداع قال وقدم علي ببدن من اليمن وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة

نحر

٥٤٩

نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ثلاثا وستين ونحر علي ما غبر اي ما بقي واشركه في بدنه ثم امر من كل بدنة ببضعة
فجعلت في قدر وطبخت فاكل من لحمها وشرب من مرقها اخرجه مسلم قوله ما غبر اي ما بقي قوله ببضعة اي بقطعة
واختلف العلماء في الهدي الواجب في الشرع مثل دم التمتع والقران والدم الواجب بافساد الحج وفوته وجزاء الصيد
هل يجوز للمهدي ان ياكل من لحم هديه شيئا قال الشافعي لا ياكل منه شيئا وكذلك ما اوجبه على نفسه بالنذر وقال
ابن عمر لا ياكل من جزاء الصيد والنذر وياكل مما سوى ذلك وبه قال احمد واسحاق وقال مالك ياكل من هدي المتمتع ومن
كل هدي وجب عليه الا من فدية الاذى وجزاء الصيد والمنذور وعند اصحاب الراي انه ياكل من دم التمتع والقران
ولا ياكل من واجب سواهما وقوله تعالى واطعموا البائس الفقير يعني الزمن الذي لا شيء له قوله ثم ليقضوا تفثهم اي
ليزيلوا ادرانهم واوساخهم والمراد منه الخروج عن الاحرام بالحلق وقص الشارب ونتف الابط وقلم الاظفار
والاستحداد ولبس الثياب والحاج اشعث اغبر لم تزل عنه هذه الاوساخ وقال ابن عمر وابن عباس التفث مناسك
الحج كلها وليوفوا نذورهم اراد نذر الحج والهدي وما ينذر الانسان من شيء اي ليتموها بقضائها وقيل المراد منه الوفاء
بما نذر وهو ظاهره وقيل المراد به الخروج عما وجب عليه نذر او لم ينذر وليطوفوا بالبيت العتيق اراد به طواف
الواجب وهو طواف الافاضة ووقته يوم النحر بعد الرمي والحلق والطواف ثلاثة طواف وهو ان من قدم مكة
يطوف بالبيت سبعا يرمل ثلاثا من الحجر الاسود الى ان ينتهي اليه ويمشي اربعا وهذا الطواف سنة لا شيء
على من تركه ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف الطواف الاول خب ثلاثا ومشى
اربعا زاد في رواية ثم يصلي ركعتين يعني بعد الطواف بالبيت ثم يسعى بين الصفا والمروة ولفظ ابي
داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف في الحج والعمرة اول ما يقدم فانه يسعى ثلاثة اطواف
ويمشي اربعا ثم يصلي سجدتين والطواف الثاني هو طواف الافاضة وذلك يوم النحر بعد الرمي والحلق
ق عن عائشة قالت حاضت صفية ليلة النفر فقالت ما اراني الا حابستكم قال النبي صلى الله عليه وسلم
عقرى حلقى اطافت يوم النحر قيل نعم قال فانفري قوله عقرى حلقى معناه عقرها الله اي اصابها بالعقر وبوجع
في حلقها وقيل معناه مشئومة مؤذية ولم يرد بها الدعاء عليها وانما هو شيء يجري على السنة العرب كقولهم لا ام
لك وتربت يمينك وفيه دليل على ان من لم يطف يوم النحر طواف الافاضة لا يجوز له ان ينفر والطواف الثالث
طواف الوداع لا رخصة لمن اراد مفارقة مكة الى مسافة القصر في ان يفارقها حتى يطوف سبعا فمن تركه
فعليه دم الا المراة الحائض فانه يجوز لها تركه للحديث المتقدم ولما روي عن ابن عباس قال امر الناس ان يكون
اخر عهدهم بالبيت الا انه رخص للمراة الحائض متفق عليه والرمل سنة تختص بطواف القدوم
ولا رمل في طواف الافاضة والوداع وقوله بالبيت العتيق قال ابن عباس وغيره ان الله اعتقه من ايدي
الجبابرة ان يصلوا الى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط وقيل لانه اول بيت وضع للناس وقيل لانه اعتق من
الغرق فانه رفع ايام الطوفان وقيل لانه لم يملك قط ذلك اي الامر ذلك يعني ما ذكر من اعمال الحج ومن يعظم حرمات الله
اي ما نهى الله عنه من معاصيه وتعظيمها ترك ملابستها وقيل حرمات الله ما لا يحل انتهاكه وقيل ما وجب
القيام به وحرم التفريط فيه وقيل الحرمات هنا مناسك الحج وتعظيمها اقامتها واتمامها وقيل الحرمات هنا البيت
الحرام والشهر الحرام ومعنى التعظيم العلم بانه يجب القيام بمراعاتها وحفظ حرمتها فهو خير له عند ربه اي ثواب
تعظيم الحرمات خير له عند ربه في الاخرة واحلت لكم الانعام ان تاكلوها بعد الذبح وهي الابل والبقر والغنم
الا ما يتلى عليكم اي تحريمه وهو قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الاية فاجتنبوا الرجس من
الاوثان اي اتركوا عبادتها فانها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمي الاوثان رجسا لان عبادتها اعظم

Copyright © King Saud University

التلوث بالنجاسات **واجتنبوا قول الزور** اى الكذب والبهتان وقال ابن مسعود شهادة الزور وروى عن ايمن
ابن خريم قال ان النبى صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال ايها الناس عدلت شهادة الزور اشراكا بالله
ثم قرا رسول الله فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور اخرجه الترمذي وقال قد اختلفوا فى روايته
ولا نعرف لايمن سماعا من النبى صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود عن خريم فاتك بنحوه وقيل هو قول المشركين فى تلبيتهم
لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك قوله تعالى **حنفاء لله** اى مخلصين **غير مشركين به** عن ذلك
ان المكلف ينوى بما ياتيه من العبادات والاخلاص بها لله لا لغيره وقيل كانوا فى الشرك يحجون ويحرمون البنات والامهات
والاخوات وكانوا حنفاء فنزلت حنفاء لله غير مشركين به اى حجاجا مسلمين موحدين ومن اشرك لا يكون حنيفا **ومن يشرك
بالله فكانما خر** اى سقط **من السماء** الى الارض **فتخطفه الطير** اى فتستلبه وتذهب به **او تهوى به الريح** اى تميل وتذهب
فى مكان سحيق اى بعيد ومعنى الاية ان بعد من اشرك بالله على الحق والايمان كبعد من سقط من السماء فذهبت به
الريح او هوت به الريح فلا يصل اليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوى من السماء لانه لا يملك لنفسه
حيلة حتى يقع حيث تسقطه الريح فهو هالك لا محالة اما باستلاب الطير لحمه او بسقوطه من المكان السحيق
وقيل معنى الاية من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس وراءه اهلاك فان صورة حاله تصور حال من
خر من السماء فاختطفته الطير فتفرقت به اجزاؤه فى حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المهالك البعيدة
وقيل شبه الايمان بالسماء فى علوه والذى ترك الايمان بالساقط من السماء والهوا الذى تتوزع افكاره بالطير المختطفة
والشياطين التى تطرحه فى وادى الضلالة بالريح التى تهوى بما عصفت به فى بعض المهالك المتلفة قوله تعالى **ذلك**
يعنى الذى ذكر من اجتناب الرجس وقول الزور **ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب** وتعظيم شعائر الله من تقوى
القلوب قال ابن عباس شعائر البدن والهدى واصلها من الاشعار وهى العلامة التى تعرف بها انها هدى وتعظيمها
استسمانها واستحسانها وقيل شعائر الله اعلام دينه وتعظيمها من تقوى القلوب **لكم فيها** اى فى البدن **منافع** قبل
ان تسميها للهدى فى درها ونسلها وصوفها ووبرها وركوب ظهرها **الى اجل مسمى** اى الى ان تسميها هديا فاذا فعل
ذلك لم يكن له شيء من منافعها وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك وفى رواية عن ابن عباس وقيل معناه لكم فى الهدايا منافع
بعد ايجابها وتسميتها هديا بان تركبوها وتشربوا من البانها عند الحاجة الى اجل مسمى يعنى الى ان ينحرها وهو قول عطا واختلف
العلماء فى ركوب الهدى وقال مالك والشافعى واسحاق يجوز ركوبها والشى عليها من غير ضرر بها لما روى عن ابى هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا يسوق بدنة فقال اركبها فقال يا رسول الله انها بدنة فقال اركبها
ويلك فى الثانية والثالثة اخرجاه فى الصحيحين وكذلك يجوز له ان يشرب لبنها بعد ما يفضل عن رى ولدها وقال
اصحاب الراى لا يركبها الا ان يضطر اليه وقيل اراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة لكم فيها منافع اى بالتجارة
والاسواق الى اجل مسمى اى الى الخروج من مكة وقيل لكم فيها منافع اى بالاجر والثواب فى قضاء المناسك الى انقضاء الحج
ثم محلها الى البيت العتيق اى منحرها عند البيت العتيق يريد ارض الحرم وروى عن جابر فى حديث حجة الوداع ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال نحرت ههنا ومنى كلها منحر فانحروا فى رحالكم ومن قال الشعائر المناسك قال معنى ثم
محلها اى محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق يطوفون به طواف الزيارة وقوله تعالى **ولكل امة** اى جماعة
مؤمنة سلفت قبلكم **جعلنا منسكا** قرى بكسر السين اى مذبحا وهو موضع القربات ومنسكا بفتح السين
وهو اراقة الدم وذبح القرابين **ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام** اى عند نحرها وذبحها وسماها بهيمة
الانعام لانها لا تتكلم وقيد بالانعام لان ما سواها لا يجوز ذبحه فى القرابين وان جاز اكله قوله تعالى **فالهكم اله
واحد** اى سموا على الذبح اسم الله وحده فان الهكم اله واحد **فله اسلموا** اى اخلصوا وانقادوا واطيعوا **وبشر**

المخبتين

المخبتين قال ابن عباس المتواضعين وقيل المطمئنين الى الله وقيل الخاشعين الرقيقة قلوبهم وقيل هم الذين لا يظلمون واذا
ظلموا لا ينتصرون ثم وصفهم الله تعالى فقال **الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم** اى خافت من عقابه فيظهر عليها الخشوع
والتواضع لله تعالى قوله **والصابرين على ما اصابهم** اى من البلاء والمصائب والمرض ونحو ذلك ما كان من الله تعالى
وما كان من غير الله تعالى فله ان يصبر عليه وكذا ان ينتصر لنفسه **والمقيمي الصلاة** اى فى اوقاتها والمحافظين
عليها **ومما رزقناهم ينفقون** اى يتصدقون قوله تعالى **والبدن** جمع بدنة سميت بدنة لعظمها وضخامتها
ويريد بها الابل الصحاح الاجسام والبقر ولا تسمى الغنم بدنة لصغرها **جعلناها لكم من شعائر الله** اى من اعلام
دينه وقيل لانها تشعر وهو ان تطعن بحديدة فى سنامها فيعلم بذلك انها هدى **لكم فيها خير** اى نفع فى
الدنيا وثواب فى العقبى **فاذكروا اسم الله عليها** اى عند نحرها **صواف** اى قياما على ثلاث قوائم قد صفت
رجليها ويديها اليمنى واخرى معقولة فينحرها كذلك ح عن زياد بن جبير قال رايت ابن عمر اتى على
رجل قد اناخ بدنته لينحرها قال ابعثها قياما مقيدة سنة محمد صلى الله عليه وسلم **فاذا وجبت جنوبها**
اى سقطت بعد النحر ووقعت على الارض جنوبها **فكلوا منها** اى من اباحة **واطعموا القانع والمعتر** قيل القانع
الجالس فى بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسال والمعتر هو الذى يتعرض ولا يسال وقيل المعتر هو الذى
يريك نفسه ويتعرض ولا يسال وقيل القانع هو المسكين والمعتر هو الذى ليس بمسكين ولا يكون له
ذبيحة يجى القوم فيتعرض لهم لاجل لحمها **كذلك** اى مثل ما وصفنا من نحرها قياما **سخرناها لكم** اى لتتمكنوا من نحرها
قياما **لعلكم تشكرون** اى من انعام الله عليكم **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها** وذلك ان الجاهلية كانوا اذا نحروا
البدن لطخوا الكعبة بدمائها يزعمون ان ذلك قربة الى الله تعالى فانزل الله تعالى لن ينال الله لحومها
ولا دماؤها اى لن ترفع الى الله لحومها ولا دماؤها **ولكن يناله التقوى منكم** اى ولكن ترفع الى الله الاعمال
والاخلاص وهو ما اريد به وجه الله **كذلك سخرها لكم** يعنى البدن **لتكبروا الله على ما هداكم** اى لما ارشدكم لمعالم
دينه ومناسك حجه وهو ان يقول الله اكبر على ما هدانا والحمد لله على ما اولانا **وبشر المحسنين** قال ابن
عباس الموحدين قوله تعالى **ان الله يدافع عن الذين امنوا** اى يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم
وينصرهم عليهم **ان الله لا يحب كل خوان كفور** اى خوان فى امانة الله كفور لنعمته قال ابن عباس خانوا الله فجعلوا
معه شريكا وكفروا نعمه وقيل من تقرب الى الاصنام بذبيحته وسمى على الله غيرها فهو خوان كفور قوله
اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا اى اذن لهم بالجهاد لانهم يقاتلون المشركين قال المفسرون كان مشركوا اهل مكة
يؤذون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزالون يجيئون من بين مضروب ومشجوج
ويشكون ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فانى لم اومر بالقتال حتى هاجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وهى اول اية اذن فيها بالقتال وقيل نزلت
هذه الاية فى قوم باعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة فاذن الله لهم فى قتال الكفار الذين يمنعونهم
من الهجرة بانهم ظلموا اى بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بالايذاء **وان الله على نصرهم لقدير** فيه وعد من الله تعالى
بنصر المؤمنين ثم وصفهم فقال تعالى **الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله** يعنى انهم اخرجوا بغير موجب
سوى التوحيد الذى ينبغى ان يكون موجب الاقرار والتعظيم والتمكين لا موجب الاخراج **ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض** اى بالجهاد واقامة الحدود **لهدمت صوامع** اى معابد الرهبان المتخذة
فى الصحراء **وبيع** وهى معابد النصارى فى البلد وقيل الصوامع للصابئين والبيع للنصارى
وصلوات يعنى كنائس اليهود ويسمونها بالعبرانية صلوتا **ومساجد** يعنى مساجد المسلمين

Copyright © King Saud University

يذكر فيها اسم الله كثيرا يعني في المساجد ومعنى الاية لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شريعة كل نبي
مكان صلواتهم لهدم في زمن موسى الكنايس وفي زمن عيسى البيع والصوامع وفي زمن محمد صلى الله عليه
وسلم المساجد ولينصرن الله من ينصره اي ينصر دينه ونبيه ان الله لقوي عزيز اي على نصر من ينصر دينه ونبيه
عزيز اي لا يضام ولا يمنع عما يريد قوله عز وجل الذين ان مكناهم في الارض اي نصرناهم على عدوهم حتى يمكنوا
في البلاد اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر هذا وصف اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
هم جميع هذه الامة وقيل هم جميع المهاجرين وهو الاصح لان قوله الذين ان مكناهم في الارض صفة لمن تقدم
ذكرهم وهو قوله الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق وهم المهاجرون ولله عاقبة الامور اي اخر امور الخلق مصيرها
الى الله وذلك ببطل كل ملك سوى ملكه فتصير الامور كلها بلا منازع قوله تعالى وان يكذبوك فيه تسلية وتعزية
للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ان كذبوك قومك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم
لوط واصحاب مدين وكذب موسى **فان قلت** لم قال وكذب موسى ولم يقل قوم موسى
قلت فيه وجهان احدهما ان موسى لم يكذبه قومه وهم بنوا اسرائيل وانما كذبه قومه وهم
القبط الثاني كانه قيل بعد تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى ايضا ووضح اياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره
فامليت للكافرين اي امهلتهم واخرت العقوبة عنهم ثم اخذتهم اي عاقبتهم فكيف كان نكير اي انكاري عليهم
ما فعلوا من التكذيب والعذاب والهلاك يخوف به من خالف رسوله صلى الله عليه وسلم وكذبه قوله عز وجل
فكاين من قرية اهلكناها وقرئ اهلكتها على التعظيم وهي ظالمة اي واهلها ظالمون فهي خاوية اي ساقطة
على عروشها اي سقوفها وبئر معطلة اي وكم من بئر معطلة اي متروكة مخلاة عن اهلها وقصر مشيد اي
رفيع طويل عال وقيل مجصص وقيل البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن اما القصر فعلى قلة جبل والبئر
في سفحه ولكل منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فاهلكهم الله وبقي البئر والقصر خاليين وقيل ان هذه البئر
كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضورا وذلك ان اربعة الاف ممن امن بصالح عليه السلام لما نجوا من العذاب
اتوا الى حضرموت ومعهم صالح فلما حضروه مات صالح فسمي المكان حضرموت لذلك ولما مات صالح بنوا
حاضورا وقعدوا على هذه البئر وامروا عليهم رجلا منهم فاقاموا دهرا وتناسلوا حتى كثروا وعبدوا الاصنام
فارسل الله عليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان وكان حمالا فيهم فقتلوه في السوق فاهلكهم الله وعطلت
بيرهم وخرب قصرهم قوله تعالى افلم يسيروا في الارض يعني كفار مكة فينظروا الى مصارع المكذبين من
الامم الخالية فتكون لهم قلوب يعقلون بها اي يعلمون بها او اذان يسمعون بها يعني ما يذكر لهم من اخبار الامم القرون
الماضية فيعتبرون فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور المعنى ان العمى الضار هو عمى القلب فاما الذين
لا تعمى ابصارهم لان البصر بلغة ومتعة وبصر القلوب هو البصر النافع ويستعجلونك بالعذاب نزلت في النضر بن الحرث
ولن يخلف الله وعده اي انه انجز ذلك يوم بدر وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون قال ابن عباس
يعني يوما من ايام الاخرة بدليل ما روي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا
يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك
مقداره خمسماية سنة اخرجه ابو داود بزيادة فيه واخرج الترمذي نحوه ومعنى الاية انهم يستعجلون بالعذاب
وان يوما من ايام عذابهم في الاخرة كالف سنة فكيف يستعجلونه وقيل معناه ان يوما عنده والف سنة في الامهال
سواء لانه قادر متى شاء اخذهم لا يفوته شيء بالتاخير فيستوي في قدرته وقوع ما يستعجلونه من العذاب وتاخيره
وهذا معنى قول الاية وكاين من قرية امليت لها اي امهلتها وهي ظالمة اي مع استمرار اهلها على الظلم ثم اخذتها اي انزلت

٨٣

بهم العذاب والي المصير يعني مصيرهم في الاخرة ففيه وعيد وتهديد قوله عز وجل قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين
امر الله رسوله ان يديم لهم التخويف والانذار وانما يقول لهم انما بعثت منذرا فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
ورزق كريم لما امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يقول انما انا نذير مبين اردف ذلك بان امره بوعد من امن ووعيد من عصى
فقال فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة اي ستر لصغاير ذنوبهم وقيل للكباير ايضا مع التوبة ورزق كريم
لا ينقطع ابدا وقيل هو الجنة قوله تعالى والذين سعوا في اياتنا اي عملوا في ابطال اياتنا معاجزين اي مثبطين
الناس عن الايمان وقرئ معاجزين اي معاندين مشاقين وقيل معناه ظانين ومقدرين انهم يعجزوننا ويفوتوننا
فلا نقدر عليهم بزعمهم ان لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار اولئك اصحاب الجحيم قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته قال ابن عباس وغيره من المفسرين لما راى رسول الله صلى
الله عليه وسلم تولي قومه وشق عليه ما راى من مباعدتهم عما جاءهم به من الله تعالى تمنى في نفسه ان ياتيه من الله
ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على ايمانهم فكان يوما في مجلس لقريش فانزل الله عز وجل سورة والنجم فقراها رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى قرا افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان على لسانه تلك
الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قراءته فقرا السورة كلها وسجد في اخرها وسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين
ولم يبق في المسجد لا مؤمن ولا كافر الا سجد غير الوليد بن المغيرة وابو احيحة سعيد بن العاص فانهما اخذا حفنة
من البطحاء ورفعاها الى جبهتهما لانهما كانا شيخين كبيرين ولم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقد سرهم
ما سمعوا من ذكر الهتهم ويقولون قد ذكر محمد الهتنا باحسن الذكر وقالوا قد عرفنا ان الله يحيي ويميت ويرزق ولكن
الهتنا هذه تشفع لنا عنده فان جعل لها محمد نصيبا فنحن معه فلما امسى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل
فقال يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس ما لم اتك به عن الله عز وجل فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم
حزنا شديدا وخاف من الله خوفا شديدا كثيرا فانزل الله تعالى هذه الاية يعزيه بقوله عز وجل وكان ربك رحيما
وسمع بذلك من كان في ارض الحبشة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغهم سجود قريش وقيل قد اسلمت
قريش واهل مكة فرجع اكثرهم الى عشايرهم وقبايلهم وقالوا هم احب الينا حتى اذا دنوا الى مكة فبلغهم ان الذي
كانوا يحدثون به من اسلام اهل مكة كان باطلا فلم يدخل احد منهم الا بجوار ومستخفيا فلما نزلت هذه الاية قالت
قريش ندم محمد على ذكر منزلة الهتنا عند الله فغير ذلك وكان الحرفان اللذان القى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد وقع في فم كل مشرك فازدادوا شرا الى ما كانوا عليه وشدة على من اسلم قال الله تعالى وما ارسلنا من
قبلك من رسول ولا نبي الرسول هو الذي ياتيه جبريل بالوحي عيانا والنبي هو الذي تكون نبوته الهاما او مناما
فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته اي احب شيا واشتهاه وحدثت نفسه به مالم
يؤمر به القى الشيطان في امنيته اي في مراده قال ابن عباس وحدث القى الشيطان في حديثه ووجد اليه سبيلا
والمعنى ما من نبي تمنى ان يؤمن قومه ولم يتمن ذلك نبي الا القى الشيطان عليه ما يرضى قومه فينسخ الله ما يلقي الشيطان
وقال اكثر المفسرين يعني ما تمنى قراة وتلا كتاب الله القى الشيطان في امنيته اي في تلاوته وقال حسان في عثمان
حين قتل تمنى كتاب الله اول ليله واخرها لاقى حمام المقادر **فان قلت** قد قامت الدلايل على
صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا
سهوا ولا غلطا قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى وقال تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد فكيف يجوز الغلط على النبي صلى الله عليه وسلم وهو معصوم منه **قلت** ذكر العلما

Copyright © King Saud University

على الاشكال اجوبة احدها توهين اصل هذه القصة وذلك انه لم يروها احد من اهل الصحة ولا اسندها بسند صحيح
او سليم متصل وانما رواها المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب الملفقون من الصحف كل صحيح وسقيم والذي يدل
على ضعف هذه القصة اضطراب رواتها وانقطاع سندها واختلاف الفاظها فقائل يقول ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان في الصلاة وآخر يقول قرأها وقد اصابته سنة وآخر يقول بل حدثته نفسه بها فجرى في لسانه ذلك وآخر يقول
ان الشيطان قالها على لسان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا اقرأتك الى غير ذلك من اختلاف
الفاظها والذي جاء في الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من
كان معه غير ان شيخا اخذ كفا من حصى وتراب فرفعه الى جبهته قال عبد الله فلقد رأيته بعد قتل كافرا اخرجه
البخاري ومسلم وصح من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد من كان معه المسلمون
والمشركون والجن والانس رواه البخاري فهذا الذي جاء في الصحيح لم يذكر فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر تلك الالفاظ
ولا قرأها والذي ذكره المفسرون عن ابن عباس في هذه القصة فقد رواه عنه الكلبي وهو ضعيف جدا فهذا توهين
هذه القصة الجواب الثاني وهو من حيث المعنى وهو ان الحجة قد قامت بالدليل الصحيح واجماع الامة
على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة وهو تمنيه ان ينزل عليه مدح آلهة غير الله
وان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس فيه حتى ينبهه جبريل عن ذلك وهذا كله
ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم
لقطعنا منه الوتين الآية الجواب الثالث في تسليم وقوع هذه القصة وسبب سجود الكفار ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان اذا قرأ القرآن يرتله ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا كما صح عنه في قراءته فيحتمل ان الشيطان
ترصد لتلك السكتات فدس فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا لصوت النبي صلى الله عليه وسلم فسجدوا
معه لسجوده فاما المسلمون فلم يقدح ذلك عندهم لتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم ذم الاوثان وعيبها
وانهم كانوا يحفظون السورة كما انزلها الله عز وجل الجواب الرابع في تفسير الآية وقد تقدم ان التمني يكون بمعنى
حديث النفس وبمعنى التلاوة فعلى الاول يكون معنى قوله الا اذا تمنى اي خطر بباله وتمنى بقلبه بعض الامور ولا
يبعد انه اذا قوي التمني اشتغل الخاطر فحصل السهو في الافعال الظاهرة وعلى الثاني وهو تفسير التمني بالتلاوة
فيكون معنى قوله الا اذا تمنى اي تلا وهو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو في اسقاط آية او آيات
او كلمة وهو لعموم ذلك ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه اليه ويذكر به للوقت والحين كما صح في الحديث لقد اذكرني
في كذا وكذا آية كنت نسيتها من سورة كذا وحاصل هذا ان الغرض من هذه الآية ان الانبياء والرسل وان كان
عصمهم الله تعالى عن الخطأ فلم يعصمهم عن جواز النسيان عليهم بل حالهم في جواز ذلك كحال سائر البشر والله اعلم
قوله عز وجل فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يبطله ويذهبه ثم يحكم الله آياته اي يثبتها والله عليم حكيم قوله تعالى
ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة اي محنة وبلية والله تعالى يمتحن عباده بما يشاء للذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق
والقاسية قلوبهم اي الجافية قلوبهم عن قبول الحق وهم المشركون وان الظالمين لفي شقاق بعيد اي في خلاف شديد
قوله تعالى وليعلم الذين اوتوا العلم اي التوحيد والقرآن والتصديق بنسخ الله ما يشاء انه الحق من ربك اي
ان الذي احكم الله من آيات القرآن هو الحق من ربك فيؤمنوا به اي يعتقدوا انه من الله عز وجل فتخبت له قلوبهم اي
لتسكن اليه وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم اي طريق قويم وهو الاسلام قوله عز وجل ولا يزال الذين كفروا في مرية
منه اي في شك من القرآن وقيل من الدين الذي هو صراط مستقيم حتى تأتيهم الساعة بغتة اي فجاءة وقيل
المراد بالساعة الموت او يأتيهم عذاب يوم عقيم اي عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيامة وقيل هو يوم بدر

سمي عقيما لانه لم يكن في ذلك للكفار خير كالريح العقيم لا تأتي بخير وقيل لانه لا مثل له في عظم امره لقتال
الملائكة فيه الملك يومئذ يعني يوم القيامة لله وحده من غير منازع ولا مشارك يحكم بينهم يعني يفصل
ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين قوله تعالى والذين هاجروا في سبيل الله اي فارقوا اوطانهم وعشائرهم
في طاعة الله تعالى وطلب رضاه ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا اي لا ينقطع ابدا وهو رزق
الجنة لان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وان الله لهو خير الرازقين **فان قلت**
الرازق في الحقيقة هو الله عز وجل لا رازق للخلق غيره فكيف قال وان الله لهو خير الرازقين **قلت**
قد يسمى غير الله رازقا على المجاز كقولهم رزق السلطان الجند اي اعطاهم ارزاقهم وان الرازق في الحقيقة هو
الله تعالى وقيل لان الله تعالى يعطي من الرزق ما لا يقدر عليه غيره ليدخلنهم مدخلا يرضونه يعني الجنة
يكرمون به ولا ينالهم فيه مكروه وان الله لعليم بنياتهم حليم عنهم قوله عز وجل ذلك اي الامر ذلك الذي
قصصناه عليكم ومن عاقب بمثل ما عوقب به اي جازى الظالم بمثل ما ظلمه وقيل يعني قاتل المشركين
كما قاتلوه ثم بغي عليه اي ظلم باخراجه من منزله يعني ما اتاه المشركون من البغي على المسلمين حتى اخرجوهم الى مفارقة
اوطانهم نزلت في قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فابى المشركون وقاتلوهم
فذلك بغيهم عليهم وثبت المسلمون فنصرهم الله فذلك قوله تعالى لينصرنه الله ان الله لعفو اي عن مساوي
المؤمنين غفور بذنوبهم قوله تعالى ذلك بان الله اي ذلك النصر بانه القادر على ما يشاء فمن قدرته انه يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل في معنى هذا الايلاج قولان احدهما انه يجعل ظلمة الليل مكان ضياء
النهار وذلك بغيبوبة الشمس القول الثاني هو ما يزيد من احدهما وينقص من الآخر من الساعات وذلك لا يقدر
عليه الا الله تعالى وان الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق اي ذو الحق في قوله وفعله ودينه حق وعبادته
حق وان ما يدعون يعني المشركين من دونه هو الباطل يعني الاصنام التي ليس عندها ضر ولا نفع وان الله هو العلي
الكبير اي العالي على كل شيء العظيم قدرته وسلطانه قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض
مخضرة ان الله لطيف خبير اي باستخراج النبات من الارض رزقا للعباد والحيوان وخبير بما في قلوب العباد
اذا تأخر عنهم المطر له ما في السموات وما في الارض اي عبيدا وملكا وان الله لهو الغني الحميد اي الغني عن عباده
والحميد في افعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض اي الدواب التي تركب في البر والفلك اي وسخر لكم السفن تجري في البحر بامره
اي بتسخيرها الماء والرياح ولولا ذلك لما جرت ويمسك السماء ان تقع اي كيلا تسقط على الارض الا باذنه ان الله بالناس
لرؤوف رحيم اي انه انعم بهذه النعم الجامعة لمنافع الدين والدنيا وقد بلغ الغاية في الانعام والاحسان فهو اذا
رؤوف رحيم وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم اي انشأكم ولم تكونوا شيئا ثم يميتكم اي عند انقضاء آجالكم ثم يحييكم
اي يوم البعث للثواب والعقاب ان الانسان لكفور اي لجحود لنعم الله عز وجل قوله تعالى لكل امة جعلنا منسكا قال ابن
عباس شريعة هم ناسكوه اي عاملون بها وعنه انه قال عيدا وقيل موضع قربان يذبحون فيه وقيل موضع عبادة
فلا ينازعنك في الامر اي في امر الذبائح نزلت في بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان ويزيد بن خنيس قالوا لاصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما لكم تأكلون مما تقتلونه بايديكم ولا تأكلون مما قتله الله وقيل معناه لا تنازعهم انت وادع
الى ربك اي الى الايمان به والى دينه انك لعلى هدى مستقيم اي على دين واضح مستقيم وان جادلوك اي خاصموك في امر
الذبائح وغيره فقل الله اعلم بما تعملون اي من التكذيب الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون اي فتعلمون
حينئذ الحق من الباطل وقيل حكمه يوم القيامة بينهم بين جنة وثواب لمن قبلوا وبين نار وعقاب لمن ردوا قوله عز وجل

الم تعلم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه الامة ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب اي في
اللوح المحفوظ ان ذلك على الله يسير وذلك ان علمه بجميعه وذلك ان كتبه الحوادث مع انها من الغيب على الله يسير ويعبدون
من دون الله ما لم ينزل به سلطانا اي من حجة ظاهرة من دليل عقلي وما ليس لهم به علم اي انهم فعلوا ما فعلوه عن جهل لا عن
علم ولا دليل عقلي وما للظالمين اي المشركين من نصير اي مانع يمنعهم من العذاب واذا تتلى عليهم اياتنا بينات
يعني القران وسنه بذلك لان فيه بيان الاحكام والفصل بين الحلال والحرام تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر اي
الانكار والكراهية يتبين ذلك في وجوههم يكادون يسطون اي يقعون ويبسطون اليهم ايديهم بالسوء وقيل يبسطون
بالذين يتلون عليهم اياتنا اي محمد واصحابه من شدة الغيظ قل لهم يا محمد افانبئكم بشر من ذلكم اي بشر لكم واكره اليكم من
هذا القران الذي تستمعون النار اي هي النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير قوله يا ايها الناس ضرب مثل
فان قلت الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا لما كان المثل في
الاكثر نكتة عجيبة غريبة جاز ان يسمى كل كلام كان كذلك مثلا وقال الكشاف قد سميت الصفة او القصة الرائعة
المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها عندهم مستحسنة مستغربة
فاستمعوا له اي تدبروه حق فان الاستماع بلا تدبر وعقل لا ينتفع ومعنى الاية جعل لي شبيه وشبه بي الاوثان
اي جعل المشركون الاصنام شركاي يعبدونها ثم بين حالها وسفهها فقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله
يعني الاصنام لن يخلقوا ذبابا اي واحدا في صغره وضعفه وقلته لانها لا تقدر على ذلك ولو اجتمعوا له اي لخلقته والمعنى
ان هذه الاصنام ولو اجتمعت لم يقدروا على خلق ذباب على ضعفها وصغرها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا قوله تعالى
وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه قال ابن عباس كانوا يطلون الاصنام بالزعفران فاذا جف جاء الذباب
فاستلب منه وقيل كانوا يضعون الطعام بين ايدي الاصنام فيقع الذباب عليه ويا كل منه ضعف الطالب والمطلوب
قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب الذي على الصنم والمطلوب هو الصنم ما قدروا الله حق قدره
اي ما عظموه حق عظمته وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته حيث اشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصف
منه ان الله لقوي لا يقهر عزيز لا يغلب قوله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا اي يختار من الملائكة رسلا كجبريل
وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وغيرهم ومن الناس اي ويختار الله من الناس رسلا مثل ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد
وغيرهم من الانبياء والرسل صلوات الله عليهم اجمعين نزلت حين قال المشركون أانزل عليه الذكر من بيننا فاخبر
الله ان الاختيار اليه يختار من يشاء من عباده لرسالته ان الله سميع اي لاقوالهم بصير اي لافعالهم لا يخفى عليه
خافية وهو قوله تعالى يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم قال ابن عباس ما قدموا وما خلفهم اي ما خلفوا وقيل يعلم ما عملوا وما هم
عاملين وقيل يعلم ما بين ايدي ملائكته ورسله قبل ان يخلقهم ويعلم ما هو كاين بعد فنائهم والى الله ترجع الامور
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا اي صلوا لان الصلاة لا تكون الا بالسجود واعبدوا ربكم اي وحدوه
وقيل اخلصوا له العبادة وافعلوا الخير قال ابن عباس صلة الارحام ومكارم الاخلاق وقيل فعل الخير ينقسم الى خدمة المعبود
الذي هو عبارة عن التعظيم لامر الله تعالى والى الاحسان الذي هو عبارة عن الشفقة على خلق الله تعالى ويدخل فيه البر
والمعروف والصدقة وحسن القول وغير ذلك من اعمال البر لعلكم تفلحون اي لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة
فصل في احكام سجود التلاوة لم يختلف العلما في السجدة الاولى من هذه السورة واختلفوا في السجدة
الثانية وروي عن عمر وعلي وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وابي الدردا وابي موسى انهم قالوا في الحج سجدتان وبه قال ابن المبارك
والشافعي واحمد واسحاق يدل عليه ما روي عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله افي الحج سجدتان قال نعم ومن لم يسجدهما فلا
يقراهما اخرجه الترمذي وابو داود وعن عمر بن الخطاب انه قرا سورة الحج فسجد فيها سجدتين فقال ان هذه السورة

فصلت

فضلت بسجدتين اخرجه مالك في الموطا وذهب قوم الى ان في الحج سجدة واحدة وهي الاولى وليست هذه سجدة وهو قول
الحسن وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وسفيان الثوري وابو حنيفة ومالك بدليل انه قرن السجود بالركوع فدل
ذلك على انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة واختلف العلما في عدد سجود التلاوة فذكر الشافعي واحمد واكثر اهل العلم انها
اربعة عشر سجدة لكن الشافعي قال في الحج سجدتان واسقط سجدة ص وبه قال احمد وباحدى الروايتين عنه فعنده ان
السجدات خمسة عشر سجدة وذهب قوم الى ان المفصل ليس فيه سجود ويروى ذلك عن علي وابن عباس وابي بن كعب وبه
قال مالك فعلى هذا يكون سجود القران احدى عشر سجدة يدل عليه ما روي عن ابي الدردا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال في القران احدى عشر سجدة اخرجه ابو داود ودليل من قال في القران خمسة عشر سجدة ما روي عن عمرو بن العاص قال
اقراني رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشر سجدة في القران منها ثلاث في المفصل وفي سورة الحج سجدتان اخرجه ابو داود
وصح من حديث ابي هريرة قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرا واذا السما انشقت اخرجه مسلم وسجود التلاوة
سنة للقاري والمستمع وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة انه واجب قوله عز وجل وجاهدوا في الله حق جهاده اي
جاهدوا في الله اعدا الله ومعنى حق جهاده هو استفراغ الطاقة فيه قال ابن عباس وعنه انه قال لا تخافوا في الله لومة
لايم وقيل اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته وقيل نسختها قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم قال اكثر المفسرين
الجهاد ان يكون بنية صادقة خالصة لله ولتكون كلمة الله هي العليا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون
كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله اخرجاه في الصحيحين من حديث ابي موسى الاشعري وقيل مجاهدة النفس والهوى
هو الجهاد الاكبر وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر
ذكره البغوي بغير سند قيل اراد بالاصغر جهاد الكفار وبالاكبر جهاد النفس هو اجتباكم اي اختاركم لدينه والاشتغال
بخدمته وعبادته وطاعته فاي رتبة اعلى من هذا واي سعادة فوق هذا وما جعل عليكم في الدين من حرج اي
ضيق وشدة ومعناه ان المؤمن لا يبتلى بشي من الذنوب الا جعل الله له منها مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم
والقصاص وبعضها بانواع الكفارات من الامراض والمصايب وغير ذلك فليس في دين الاسلام ما لا يجد العبد الى
الخلاص من الذنوب ومن العقاب وقيل معناه رفع الضيق في اوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر
ووقت الضرورات كقصر الصلاة في السفر والتيمم عند عدم الما واكل الميتة عند الضرورة والفطر في السفر
ووقت الحج واذا التبس عليكم ذلك حتى تتيقنوا وقيل معناه الرخص عند الضرورات والصلاة قاعدا والفطر مع العجز
بعذر المرض ونحو ذلك من الرخص التي رخص الله على عباده فيما اعطى الله هذه الامة خصلتين لم يعطهن احدا غيرهم
جعلهم شهدا على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج وقال ابن عباس الحرج ما كان على بني اسرائيل من الاصار التي
كانت عليهم ووضعها الله عن هذه الامة ملة ابيكم ابراهيم لانها داخلة في ملة محمد صلى الله عليه وسلم **فان**
قلت ان كان ابراهيم لم يكن ابا للامة كلها فكيف سماه ابا بقوله ابيكم ابراهيم
الخطاب للعرب فهو ابو العرب قاطبة وان كان الخطاب لكل المسلمين فمعناه انه وجوب احترامه وحفظ حقه
يجب كما يجب احترام الاب فهو كقوله وازواجه امهاتهم وقد قال صلى الله عليه وسلم انما انا لكم كالوالد في قوله عز وجل
هو سماكم المسلمين من قبل قولان احدهما ان الكناية ترجع الى الله تعالى يعني ان الله تعالى سماكم المسلمين في الكتب
المتقدمة من قبل نزول القران القول الثاني ان الكناية راجعة الى ابراهيم يعني ان ابراهيم سماكم المسلمين في
ايامه من قبل هذا الوقت وهو قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك فاستجاب الله
تعالى دعاءه فينا وفي هذا اي وفي القران سماكم المسلمين ليكون الرسول شهيدا عليكم يعني يوم القيامة ان قد بلغكم
وتكونوا شهدا على الناس اي رسلهم للامم فاقيموا الصلاة واتوا الزكاة واعتصموا بالله اي ثقوا بالله وتوكلوا

Copyright © King Saud University

عليه وقيل تمسكوا بدين الله وقال ابن عباس سلوا ربكم ان يعصمكم عن كل ما يكره وقيل معناه ادعوا الله ان يثبتكم على دينه وقيل الاعتصام هو التمسك بالكتاب والسنة هو مولاكم اي وليكم وناصركم وحافظكم فنعم المولى ونعم النصير والله اعلم

تفسير سورة المؤمنون

وهي مكية وهي مائة وثمان عشرة اية والف وثمانمائة واربعون كلمة واربعة الاف حرف وثمانمائة وحرفان بسم الله الرحمن الرحيم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل فانزل الله عليه يوما فمكث ساعة ثم سري عنه فقرا قد افلح المؤمنون الى عشر ايات من اولها وقال من اقام هذه العشر ايات دخل الجنة ثم استقبل القبلة ورفع يديه ثم قال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا تؤثر علينا اللهم ارضنا وارض عنا اخرجه الترمذي قوله عز وجل قد افلح المؤمنون قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة وقيل الفلاح البقا والنجاة الذين هم في صلاتهم خاشعون مخبتون اذلا وقيل خايفون متواضعون وقيل الخشوع من افعال القلب كالخوف والرهبة وقيل هو من افعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات وغض البصر وقيل لا بد من الجمع من افعال القلب والجوارح وهو الاولى فالخاشع في صلاته لا بد وان يحصل له الخشوع في جميع جوارحه فاما ما يتعلق بالقلب من الافعال فهو نهاية الخضوع والتذلل للمعبود ولا يلتفت الخاطر الى شي سوى ذلك التعظيم واما ما يتعلق بالجوارح ان يكون ساكتا مطرقا ناظرا الى موضع سجوده وقيل الخشوع هو ان لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله ح عن عايشة قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد الاختلاس الاختطاف عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الله مقبلا على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فاذا التفت انصرف وفي رواية اعرض عنه اخرجه ابو داود والنسائي وقيل الخشوع هو ان لا يرفع بصره الى السماء خ عن انس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام يرفعون ابصارهم الى السماء في صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال لينتهين عن ذلك او لتخطفن ابصارهم وقال ابو هريرة كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون ابصارهم الى السماء في الصلاة فلما نزل الذين هم في صلاتهم خاشعون رموا بابصارهم الى موضع السجود وقيل الخشوع هو ان لا يعبث بشي من جسده في الصلاة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا الرجل خشعت جوارحه ذكره البغوي بغير سند عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قام احدكم الى الصلاة فلا يمسح الحصا فان الرحمة تواجهه اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وقيل الخشوع هو جمع الهمة والاعراض عما سوى الله والتدبر فيما يجري على لسانه من القراءة والذكر قوله عز وجل والذين هم عن اللغو معرضون قال ابن عباس الشرك وقيل عن المعاصي وقيل كل باطل ولهو وما لا يجمل من القول والفعل وقيل هو معارضة الكفار بالشتم والسب والذين هم للزكاة فاعلون اي للزكاة الواجبة مودون فعبر عن التادية بالفعل لانه فعل وقيل الزكاة ههنا هو العمل الصالح والاول اولى والذين هم لفروجهم حافظون الفرج اسم لسوءة الرجل والمراة وحفظه التعفف عن الحرام الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم على بمعنى من يعني الاما والجواري والاية في الرجال خاصة لان المراة لا يجوز لها ان تستمتع بفرج مملوكها فانهم غير ملومين يعني يحفظ فرجه الا على امراته فانه لا يلام على ذلك وانما يلام فيما اذا كان على وجه يخالف فيه الشرع دون الاتيان في غير الماتى وفي حال الحيض والنفاس فانه محظور فلا يجوز ومن فعله فهو ملوم فمن ابتغى وراء ذلك اي التمس وطلب سوى الازواج والولايد وهي الجواري المملوكة فاولئك هم العادون اي الظالمون المجاوزون من الحلال الى الحرام وفيه دليل على ان الاستمناء باليد حرام وهو قول العلماء سيل عطاء عنه فقال مكروه وسمعت ان قوما يحشرون وايديهم حبالى واظن انهم هولاء وقال سعيد بن جبير عذب الله امة كانوا يعبثون بمذاكيرهم قوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون اي حافظون يحفظون ما ايتمنوا

عليه

عليه والعقود التي عاقدوا الناس عليها يقومون بالوفاء بها فالامانات تختلف فمنها ما يكون بين العبد وبين الله عز وجل كالصلاة والصوم وغسل الجنابة وساير العبادات التي اوجبها الله على العبد فيجب الوفا بجميعها ومنها ما يكون بين العباد كالودايع والصنايع وغير ذلك فيجب الوفا بها ايضا والذين هم على صلواتهم يحافظون اي يداومون ويراعون اوقاتها واتمام اركانها وركوعها وسجودها وساير شروطها فان قلت كيف كرر ذكر الصلاة اولا واخرا قلت هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفهم اولا بالخشوع في الصلاة واخرا بالمحافظة عليها قوله تعالى اولئك يعني اهل هذه الصفة هم الوارثون يعني يرثون منازل اهل النار من الجنة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا له منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل النار ورث منزله اهل الجنة وذلك قوله هم الوارثون ذكره البغوي بغير سند وقيل معنى الوراثة هو ان يؤول امرهم الى الجنة وينالونها كما يؤول الميراث الى الوارث قوله تعالى الذين يرثون الفردوس هو اعلى الجنة عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الجنة مائة درجة ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والارض والفردوس اعلاها درجة تفجر انهار الجنة الاربعة منها ومن فوقها يكون العرش فاذا سالتم الله فاسالوه الفردوس اخرجه الترمذي هم فيها خالدون يعني لا يخرجون منها ولا يموتون قوله عز وجل ولقد خلقنا الانسان يعني ولد ادم والانسان اسم جنس من سلالة من طين قال ابن عباس السلالة صفوة الماء وقيل المعنى النطفة لان النطفة تسل من الظهر من طين يعني من طين ادم والسلالة تولدت من طين خلق منه ادم وقيل المراد منه بالانسان هو ادم وقوله من سلالة اي سل من كل تربة ثم جعلناه نطفة يعني الذي هو الانسان جعلناه نطفة في قرار مكين اي في حرز وهو الرحم مكن وهو لاستقرار النطفة فيه الى وقت الولادة ثم خلقنا النطفة علقة اي صيرنا النطفة قطعة دم جامد فخلقنا العلقة مضغة اي جعلنا الدم الجامد قطعة لحم صغيرة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما وذلك ان الله يستر العظم فجعله كالكسوة وقيل بين كل خلق وخلق اربعين يوما ثم انشاناه خلقا اخر اي مباينا للخلق الاول قال ابن عباس هو نفخ الروح فيه وقيل جعله حيوانا بعدما كان جمادا ناطقا وكان ابكما وسميعا وكان اصما وبصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره عجايب صنعه وغرايب فطره وعن ابن عباس قال ان ذلك تصريف احواله بعد الولادة من الاستهلال الى الرضاع الى القعود الى القيام الى المشي الى الفطام الى ان ياكل ويشرب الى ان يبلغ الحلم ويتقلب في البلاد الى ما بعدها فتبارك الله احسن الخالقين اي استحق التعظيم والثنا بانه لم يزل ولا يزال احسن الخالقين المصورين والمقدرين فان قلت كيف الجمع بين هذه الاية وبين قول الله تعالى الله خالق كل شي وقوله هل من خالق غير الله قلت الخلق له معان منها الايجاد والابداع ولا موجد ولا مبدع الا الله تعالى ومنها التقدير كما قال الشاعر * ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري * معناه انت تقدر الامور وتقطعها وغيرك لا يفعل ذلك فعلى هذا يكون معنى الاية الله احسن المقدرين وجواب اخر وهو ان عيسى عليه السلام خلق طيرا وسمى نفسه خالقا بقوله اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فقال تبارك الله احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون اي بعد ما ذكر من تمام الخلق تموتون اي عند انقضا اجالكم ثم انكم يوم القيامة تبعثون معناه للحساب والجزا قوله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرايق اي سبع سموات طرايق لان بعضها فوق بعض وقيل انها طرايق الملايكة في العروج والهبوط وما كنا عن الخلق غافلين اي بل كنا لهم حافظين من ان نسقط السما عليهم فتهلكهم وقيل معناه بنينا فوقهم سما اطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وقيل ما تركناهم بغير امر ونهي وقيل معناه انا خلقنا السما فوقهم لننزل عليهم الارزاق والبركات منها وقيل

Copyright © King Saud University

معناه وما كنا عن الخلق غافلين اي عن اعمالهم واقوالهم وضمائرهم لا يخفى علينا خافية وانزلنا من السماء ماء بقدر اي بعلمه
الله فاسكناه في الارض ومن حاجتهم اليه وقيل بقدر ما يكفيهم لمعايشهم في الزرع والغرس والشرب وانواع المنفعة فاسكناه
في الارض يعني ما يبقى في الغدران والمستنقعات مما ينتفع الناس في الصيف عند انقطاع المطر وقيل اسكناه في الارض
ثم اخرجناه منها ينابيع كالعيون والابار فكل ما في الارض من السماء وانا على ذهاب به لقادرون ومن حديث
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيحان وجيحان والفرات والنيل من انهار الجنة اخرجه مسلم وعن ابن
عباس قال ان الله انزل من الجنة خمسة انهار سيحون وجيحون والدجلة والفرات والنيل انزلهم الله من عين واحدة
من عيون الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها
منافع للناس فذلك قوله وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض فاذا كان عند خروج ياجوج وماجوج ارسل
الله جبريل فرفع القرآن من الارض والعلم كله والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه
الانهار الخمسة فيرفع ذلك كله الى السماء فذلك قوله وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء كلها من
الارض فقد اهلها خير الدين والدنيا روى هذا الحديث في تفسير البغوي روى هذا الحديث الحسن بن سفيان
عن عثمان بن سعيد بالاجازة عن سعيد بن سابق السكندري عن مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة
عن ابن عباس ثم ذكر ما انبت بالماء فقال فانشانا لكم به يعني بالماء جنات اي بساتين من نخيل واعناب انما
افردهما بالذكر لكثرة منافعهما فانهما يقومان مقام الطعام والشراب والادام والفواكه رطبا ويابسا لكم
فيها اي في الجنات فواكه كثيرة ومنها تاكلون اي شتاء وصيفا وشجرة اي وانشانا لكم شجرة وهي الزيتون تخرج
من طور سيناء اي من جبل مبارك وقيل من جبل حسن قيل هو بالنبطية وقيل بالحبشية وقيل هو بالسريانية
ومعناه الجبل الملتف بالاشجار وقيل كل جبل فيه اشجار مثمرة يسمى سيناء وسينين وقيل هو من السناء وهو الارتفاع
الذي نودي منه موسى بين مصر وايلة وقيل هو جبل فلسطين وقيل سيناء اسم حجارة بعينها اضيف الجبل اليها
لوجودها عنده وقيل هو اسم المكان تنبت بالدهن اي تثمر الدهن وهو الزيتون وصبغ للآكلين يعني الصبغ
الادام الذي يكون مع الخبز ويصبغ به جعل الله في هذه الشجرة المباركة ادما وهو الزيتون ودهنا وهو الزيت خص
جبل الطور بالزيتون لانه منه نشا وقيل ان شجرة تنبت بعد الطوفان الزيتون وقيل ان شجرة الزيتون
تبقى في الارض نحو ثلاثة الاف سنة قوله عز وجل وان لكم في الانعام لعبرة اي اية تعتبرون بها نسقيكم مما في
بطونها اي من البانها ووجه الاعتبار فيه ان اللبن يخلص الى الضرع من بين فرث ودم باذن الله تعالى ليس
فيه منهما شيء فيستحيل الى الطهارة والى طعم يوافق الشهوة والطبع ويصير غذاء وقد تقدم بسط الكلام بما فيه
كفاية في سورة النحل ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون وعليها وعلى الفلك تحملون يعني كما تنتفعون بها وهي حية
فكذلك تنتفعون بها بعد الذبح للاكل يعني تحيى وتميت لانهم كانوا ينكرون البعث وقيل على الابل
في البر وعلى الفلك في البحر قوله عز وجل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
اي ما لكم معبود سواه افلا تتقون يعني افلا تخافون عقوبته اذا عبدتم غيره فقال الملا الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر
مثلكم اي ادمي مثلكم مشارككم في جميع الامور يريد ان يتفضل عليكم اي انه يحب الشرف والرياسة فيصير متبوعا
وانتم له تبع ولو شاء الله لانزل ملائكة يعني بابلاغ الوحي ما سمعنا بهذا اي الذي يدعونا اليه نوح في ابائنا
الاولين ان هو الا رجل به جنة اي جنون فتربصوا به حتى حين اي الى الموت فنستريح منه قال رب انصرني بما
كذبون اي اعني باهلاكهم بتكذيبهم اياي فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا اي بمراى منا قاله ابن عباس وقيل
بحفظنا ويعلمنا لئلا يتعرض له ولا يفسد عمله ووحينا قيل ان جبريل علمه عمل السفينة ووصف له كيفية اتخاذها

فاذا

فاذا جاء امرنا اي عذابنا وفار التنور قيل التنور هو وجه الارض والمعنى انك اذا رايت التنور يفور منه الماء فاسلك اي
فادخل في السفينة فيها من كل زوجين اثنين اي من كل حيوان ذكرا وانثى واهلك اي وسائر من امن بك الا من سبق
عليه القول اي وجب عليه العذاب منهم يعني الكفار وقيل اراد باهله اهل بيته خاصة والذي سبق عليه القول منهم
هو ابنه كنعان ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون قوله عز وجل فاذا استويت اي اعتدلت انت ومن معك على
الفلك اي السفينة فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين اي الكافرين وقل رب انزلني منزلا مباركا
قيل موضع النزول وهو السفينة عند الركوب وقيل هو وجه الارض بعد الخروج من السفينة واراد بالبركة النجاة
من الغرق وكثرة النسل بعد الانجاء وانت خير المنزلين معناه انه قد يكون الانزال من الله تحسن له تقول وانت
خير المنزلين لانك تحفظ من انزلته وتكلاه في سائر احواله وتدفع عنه المكاره بخلاف منزل الضيف فانه لا يقدر على
ذلك ان في ذلك اي الذي ذكر من امر نوح والسفينة واهلاك اعداء الله لايات اي دلالات على قدرتنا
وان كنا اي وما كنا لمبتلين اي لمختبرين اياهم بارسال نوح ووعظه وتذكيره لننظر ما هم عاملون قبل
نزول العذاب بهم قوله تعالى ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين يعني عادا فارسلنا فيهم رسولا منهم يعني
هودا قاله اهل المفسرين وقيل القرن ثمود والرسول صالح والاول اصح ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا
تتقون اي هذه الطريقة التي انتم عليها مخافة العذاب وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة
اي بالمصير اليها واترفناهم اي نعمناهم ووسعنا عليهم في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه
ويشرب مما تشربون اي مشروبكم ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون اي لمغبونون ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا
وعظاما انكم مخرجون اي من قبوركم احياء هيهات هيهات قال ابن عباس بعيد بعيد لما توعدون استبعد
القوم بعثهم بعد الموت اغفالا لانهم لم يتفكروا في مبدا امرهم وقدرة الله على ايجادهم واراد وابه ان الاستبعاد انه
لا يكون ابدا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا قيل معناه نحيا ونموت لانهم كانوا ينكرون البعث وقيل يموت
الاباء ويحيا الابناء وقيل معناه يموت قوم ويحيا قوم وما نحن بمبعوثين اي بعد الموت ان هو يعنون رسولهم
الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين اي بمصدقين بالبعث بعد الموت قال رب انصرني بما كذبون قال
عما قليل ليصبحن اي ليصيرن نادمين على كفرهم وتكذيبهم فاخذتهم الصيحة بالحق يعني صيحة العذاب
وقيل صاح بهم جبريل فتصدعت قلوبهم وقيل اراد بالصيحة الهلاك فجعلناهم غثاء هو ما يحمله السيل من
حشيش وعيدان وشجر والمعنى صيرناهم هلكى فيبسوا يبس الغثاء من نبات الارض فبعدا اي الزمنا بعدا من
الرحمة للقوم الظالمين قوله عز وجل ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين اي اقواما اخرين ما تسبق من امة
اجلها اي وقت هلاكها وما يستاخرون اي عن وقت هلاكهم ثم ارسلنا رسلنا تترا اي مترادفين يتبع
بعضهم بعضا غير متواصلين لان بين كل رسولين زمن طويل كلما جاء امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا
اي بالهلاك فاهلكنا بعضهم في اثر بعض وجعلناهم احاديث اي سمرا وقصصا تتحدث من بعدهم وبتلهم
فبعدا لقوم لا يؤمنون قوله تعالى ثم ارسلنا موسى واخاه هارون باياتنا وسلطان مبين اي
حجة بينة كالعصا واليد وغيرهما الى فرعون وملائه فاستكبروا اي تعظموا عن الايمان وكانوا قوما عالين
اي متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم فقالوا انؤمن يعني فرعون وقومه لبشرين مثلنا يعنون موسى وهارون
وقومهما لنا عابدون اي مطيعون متذللون فكذبوهما فكانوا من المهلكين اي المغرقين ولقد اتينا
موسى الكتاب اي التوراة لعلهم يهتدون اي لكي يهتدي به قومه قوله تعالى وجعلنا ابن مريم
وامه اية اي دلالة على قدرتنا لان خلقه من غير ذكر وانطقه في المهد فان قلت

Copyright © King Saud University

ثم قال آية ولم يقل آيتين قلت جعلنا شأنهما آية لان عيسى وجد من غير ذكر وكذلك مريم
وجدت من غير ذكر فاشتركا في هذه الآية فكانت آية واحدة وآويناهما إلى ربوة أي إلى مكان مرتفع قيل هي
دمشق وقيل هي الرملة وقيل هي ارض فلسطين وقال ابن عباس هي بيت المقدس قال كعب بيت المقدس
اقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل هي مصر وسبب وقوله ذات قرار أي منبسطة واسعة
يستقر عليها ساكنوها ومعين أي الماء الجاري الذي تراه العيون قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات
قيل اراد بالرسل محمد صلى الله عليه وسلم وحده وقيل اراد به عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل اراد جميع
الرسل واراد بالطيبات الحلال واعملوا صالحا أي استقيموا على ما يوجبه الشرع إني بما تعملون عليم
فيه تحذير من مخالفة ما امرهم به واذا كان الرسل مع علو شأنهم كذلك فان يكون تحذيرا لغيرهم اولى عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المؤمنين
بما امر به المرسلين فقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم وقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات
ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه
حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك اخرجه مسلم وإن هذه أمتكم أي ملتكم وشريعتكم التي انتم عليها
ملة واحدة وهي الاسلام أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون أي فاحذرون وقيل امرتكم بما امرت به المرسلين
قبلكم فامركم واحد وانا ربكم فاتقون قوله تعالى فتقطعوا أي تفرقوا فصاروا فرقا يهود ونصارى
ومجوس وغير ذلك من الاديان المختلفة أمرهم أي دينهم بينهم زبرا أي فرقا وقطعا مختلفة وقيل معنى زبرا
أي كتبا والمعنى تمسك كل قوم بكتاب فآمنوا به وكفروا بما سواه من الكتب كل حزب بما لديهم فرحون
أي مسرورون متعجبون بما عندهم من الدين فذرهم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في غمرتهم قال
ابن عباس في كفرهم وضلالتهم وقيل في عمايتهم وغفلتهم حتى حين أي إلى أن يموتوا أيحسبون أنما نمدهم به
من مال وبنين أي نعطيهم ونجعله لهم مددا من المال والبنين في الدنيا نسارع لهم في الخيرات أي نعجل لهم
ذلك في الخيرات وتعد مصنوا بالاعمال لرضانا عنهم بل لا يشعرون أن ذلك استدراج لهم ثم ذكر المسارعين
في الخيرات فقال تعالى إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون أي خائفون والمعنى المؤمنين بما هم عليه من
خشية الله تعالى خائفون من عقابه وقال الحسن البصري المؤمن جمع احسانا وخشية والمنافق جمع اساءة
وامنا والذين هم بآيات ربهم يؤمنون أي يصدقون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا أي
يعطون ما اعطوا من الزكاة والصدقات وقيل معناه يعملون ما عملوا من اعمال البر وقلوبهم وجلة أي خائفة
من ذلك لا ينجيهم من عذاب الله وان اعمالهم لا تقبل منهم أنهم إلى ربهم راجعون أي لانهم يوقنون انهم الى الله صائرون
قال الحسن عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا ان ترد عليهم عن عائشة قالت قلت يا رسول الله
والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا يا ابنة الصديق ولكنهم الذين
يصومون ويتصدقون ويخافون أن لا يتقبل منهم أولئك يسارعون في الخيرات اخرجه الترمذي قوله
تعالى أولئك يسارعون في الخيرات أي يبادرون الى الاعمال الصالحة وهم لها سابقون أي إليها وقال ابن
عباس سبقت لهم من الله السعادة وقيل سبقوا الامم الى الخيرات قوله تعالى ولا نكلف نفسا إلا وسعها أي
طاقتها من الاعمال فمن لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع الصوم فليفطر وليقض ولدينا
كتاب هو اللوح المحفوظ ينطق بالحق أي يبين الصدق والمعنى فقد اثبتنا عمل كل عامل في اللوح المحفوظ
فهو ينطق به ويبينه وقيل هو كتب اعمال العباد التي تكتبها الحفظة وهم لا يظلمون أي لا ينقص من حسناتهم

هنا نقص

ولا يزاد على سيئاتهم ثم قال تعالى بل قلوبهم في غمرة أي في غفلة وجهالة من هذا أي القرآن ولهم أعمال
أي للكفار اعمال خبيثة من المعاصي والخطايا محكومة عليهم من دون ذلك يعني من دون اعمال
المؤمنين التي ذكرها الله تعالى في قوله إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون هم يعني هم
الكفار لها أي لتلك الاعمال الخبيثة عاملون أي لا بد لهم ان يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبقت
لهم في الازل من الشقوة حتى إذا أخذنا مترفيهم أي رؤساءهم واغنياءهم بالعذاب قال ابن عباس
هو السيف يوم بدر وقيل هو الجوع يوم دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد
وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله تعالى بالقحط حتى اكلوا الكلاب والجيف
إذا هم يجأرون أي يضجون ويستغيثون ويجزعون لا تجأروا اليوم أي لا تجزعوا ولا تضجوا إنكم منا لا تنصرون
أي لا تمنعون منا ولا ينفعكم تضرعكم قد كانت آياتي تتلى عليكم يعني القرآن فكنتم على أعقابكم تنكصون
أي ترجعون القهقرى وتتأخرون عن الايمان مستكبرين به قال ابن عباس أي بالبيت الحرام كناية عن غير
مذكور مفتخرين بالبيت وذلك انهم كانوا يقولون نحن اهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا احد ولا
نخاف احدا فيأمنون به وسائر الناس في الخوف وقيل مستكبرين به أي بالقرآن فلم يؤمنوا به والقول الاول
اظهر سامرا يعني انهم يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا ونحو ذلك من القول
فيه وفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى تهجرون من الاهجار وهو الافحاش في القول وقيل معنى
تهجرون أي تعرضون عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الايمان به وبالقرآن ومن الهجر وهو القول القبيح
أي تهذون وتقولون ما لا تعلمون أفلم يدبروا القول يعني يتدبروا ما جاءهم من القرآن فيعتبرون بما
فيه من الدلالات على صدق محمد صلى الله عليه وسلم أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين يعني فانكروا يريد
انا قد بعثنا من قبلهم رسلا الى قومهم فكذلك بعثنا محمدا صلى الله عليه وسلم أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون
قال ابن عباس أليس قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم صغيرا وكبيرا وعرفوا نسبه وصدقه وامانته ووفاءه
بالعهود هذا على سبيل التوبيخ لهم على الاعراض عنه بعدما عرفوه بالصدق والامانة أم يقولون به جنة
أي جنون وليس هو كذلك بل جاءهم بالحق أي بالصدق والقول الذي لا يخفى صحته وحسنه على عاقل وأكثرهم
للحق كارهون قوله عز وجل ولو اتبع الحق أهواءهم وقيل الحق هو الله تعالى والمعنى ولو اتبع الله مرادهم فيما يفعل
وقيل ولو سمى لنفسه شريكا وولدا كما يقولون وقيل الحق هو القرآن أي لو نزل بما يحبون وبما يعتقدون لفسدت
السموات والأرض ومن فيهن أي لفسد العالم بل أتيناهم بذكرهم قال ابن عباس بما فيه شرفهم وفخرهم وهو القرآن
فهم عن ذكرهم أي عن شرفهم معرضون أم تسألهم على ما جئتهم به أي خرجا فخراج ربك خير أي ما يعطيك الله من رزقه
وثوابه خير وهو خير الرازقين تقدم تفسيره وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم الى دين الاسلام وإن الذين
لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط أي عن دين الحق لناكبون أي لعادلون عنه ومائلون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم
من ضر أي قحط وجدوبة للجوا في طغيانهم يعمهون يعني لتمادوا في طغيانهم يعمهون أي لم ينزعوا عنه ولقد
أخذناهم بالعذاب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قريش ان يجعل عليهم سنين كسني يوسف
فاصابهم القحط فجاء ابو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت
رحمة للعالمين فقال بلى فقال انهم قد اكلوا القد والعظام وشكى اليه الضر فادع الله ان يكشف عنا هذا القحط
فدعا فانكشف عنهم فانزل الله تعالى هذه الآية فما استكانوا لربهم أي فما خضعوا وما ذلوا لربهم وما
يتضرعون أي وما لم يتضرعوا الى ربهم بل مضوا على تمردهم حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قال

Copyright © King Saud University

ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقيل هو الموت وقيل هو قيام الساعة اذا هم فيه مبلسون اي ايسون من كل خير
قوله عز وجل وهو الذي انشا لكم السمع والابصار والافئدة اي لتسمعوا بها وتبصروا بها وتعقلوا قليلا ما
تشكرون اي لم تشكروا هذه النعم وهو الذي ذراكم في الارض اي خلقكم واليه تحشرون اي تبعثون وهو الذي
يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار اي تدبير الليل والنهار في الزيادة والنقصان وقيل جعلهما مختلفين
متعاقبان ويختلفان في السواد والبياض افلا تعقلون اي ترون من صنعه فتعتبرون بل قالوا مثل
ما قال الاولون معناه اي كذبوا كما كذب الاولون وقيل معناه انكروا البعث كما انكر الاولون مع وضوح الادلة
قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اي لمحشورون قالوا ذلك على طريق الاستبعاد والانكار والتعجب
لقد وعدنا اي نحن هذا الوعد واباؤنا هذا من قبل اي وعد اباونا قوم ذكروا انهم رسل الله فلم نر له حقيقة
ان هذا الا اساطير الاولين اي اكاذيب الاولين قوله تعالى قل اي يا محمد قل لاهل مكة لمن الارض ومن فيها
من الخلق ان كنتم تعلمون اي خالقها ومالكها سيقولون لله اي لا بد لهم من ذلك لانهم يقرون انها مخلوقة
لله قل لهم اذا اقروا بذلك افلا تذكرون اي فتعلمون ان الله قادر على خلق الارض ومن فيها ابتدا فيقدر على احيائهم
بعد الموت قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل افلا تتقون اي عبادة غيره
وقيل معناه افلا تحذرون عقابه قل من بيده ملكوت كل شيء اي ملك كل شيء وهو يجير اي يؤمن من يشا
ولا يجار عليه اي لا يؤمن من اخافه الله وقيل يمنع هو من يشا من السوء ولا يمتنع منه من اراده بسوء ان
كنتم تعلمون اي فاجيبوا سيقولون الله قل فانى تسحرون اي فانى تخدعون وتصرفون عن
توحيده وطاعته وكيف يخيل لكم الحق باطلا بل اتيناهم بالحق اي بالصدق وانهم لكاذبون اي فيما يدعون
من الشريك والولد ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اي من شريك اذا لذهب كل اله بما خلق اي
لانفرد كل واحد من الالهة بخلقه الذي خلقه ولم يرض ان يضاف خلقه وانعامه الى غيره ومنع كل اله الاخر عن
الاستيلا على ما خلقه هو ولعلا بعضهم على بعض اي طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم
واذا كان كذلك فاعلموا انه هو الواحد بيده ملكوت كل شي ويقدر على كل شي ثم نزه نفسه فقال تعالى
سبحان الله عما يصفون اي من اثبات الولد والشريك عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون اي
تعظم من ان يوصف بما لا يليق به قوله عز وجل قل رب اما تريني ما يوعدون اي ما وعدتهم من العذاب رب اي
يا رب فلا تجعلني في القوم الظالمين اي لا تهلكني بهلاكهم وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون

اي من العذاب

قوله عز وجل ادفع بالتي هي احسن السيئة اي بالخلة التي هي احسن وهي الصفح والاعراض والصبر السيئة
يعني اذاهم امره بالصبر على المشركين والكف عن المقاتلة ثم نسخها باية السيف قوله نحن اعلم بما يصفون
اي يكذبون ويقولون من الشرك قوله عز وجل وقل رب اعوذ بك اي امتنع واعتصم بك من همزات الشياطين
قال ابن عباس نزغاتهم وقيل وساوسهم وقيل نفخهم ونفثهم وقيل دفعهم بالاغوا الى المعاصي واعوذ بك رب
ان يحضرون اي في شي من اموري وانما ذكر الحضور لان الشيطان يوسوس له عن جبير بن مطعم انه راى النبي
صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الصبح قال عمرو لا ادري اي صلاة هي قال الله اكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا
وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر
ونفخه الكبر وهمزه الموتة اخرجه ابو داود وقد جا تفسير هذه الالفاظ في متن الحديث وتريده ايضا قوله
نفثه الشعر لان الشعر يخرج من القلب فيلفظ به اللسان وينفثه كما ينفث الريق قوله ونفخه الكبر
وذلك ان المتكبر يتنفخ ويتعاظم ويجمع نفسه فيحتاج الى ان ينفخ نفسه وقوله وهمزه الموتة الجنون لان

الجنون

الجنون يخنقه الشيطان ثم اخبر الله عز وجل ان هولا الكفار الذين ينكرون البعث يسالون الرجعة الى الدنيا عند
معاينة الموت فقال تعالى حتى اذا جا احدهم الموت قال رب ارجعون قيل رد الى لفظ الجمع وهو على عادة العرب فانهم
يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم وقيل هذا الخطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه فعلى هذا يكون
معناه انه استغاث بالله اولا ثم رجع الى مسئلة الملائكة الرجوع الى الدنيا وقيل ذكر الرب للقسم فكانه قال عند
المعاينة بحق الله ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت اي ضيعت وقيل تركت خلفي من التركة والمعنى اقول لا اله الا
الله واعمل بطاعته فيدخل فيه الاعمال البدنية قال قتادة ما تمنى ان يرجع الى اهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا
ويقضي الشهوات ولكن تمنى ان يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرا عمل فيما تمناه الكافر اذا راى العذاب كلا كلمة ردع
وزجر اي لا يرجع اليها انها يعني سواله الرجعة كلمة هو قايلها اي لا ينالها ومن ورايهم برزخ الى يوم يبعثون
اي امامهم وبين ايديهم حاجز الى يوم القيامة ومعناه انه بينهم وبين الرجعة حجاب ومانع عن الرجوع وهو الموت
وليس المعنى انهم يرجعون بعد الموت يوم البعث الا الى الاخرة قوله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم
قال ابن عباس انها النفخة الاولى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض فلا انساب بينهم يومئذ
ولا يتساءلون ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وعن ابن مسعود انها النفخة
الثانية قال يوخذ بيد العبد والامة يوم القيامة فينصب على روس الاولين والاخرين ثم ينادي مناد هذا فلان
ابن فلان فمن كان له قبله حق فليات الى حقه فيفرح المرء ان يكون له الحق على والده وولده او زوجته
واخيه فياخذ منه ثم قرا ابن مسعود فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وفي رواية عن ابن عباس
انها النفخة الثانية فلا انساب بينهم اي لا يتفاخرون بالانساب يومئذ كما كانوا يتفاخرون في الدنيا
ولا يتساءلون سوال تواصل كما يتساءلون في الدنيا من انت ومن اي قبيلة انت ولم يرد ان الانساب
ينقطع **فان قلت** قد قال ههنا ولا يتساءلون وقال في موضع اخر واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون **قلت** قال ابن عباس ان للقيامة احوالا ومواطن ففي موطن يشتد عليهم الخوف
فيشغلهم عظم الامر عن السوال فلا يتساءلون وفي موطن يفيقون افاقة فيتساءلون قوله تعالى فمن ثقلت
موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم اي غبنوها في جهنم
خالدون تلفح اي تسفع وقيل تحرق وجوههم النار وهم فيها كالحون اي عابسون وقد بدت اسنانهم
وتقلصت شفاههم كالراس المشوط على النار عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهم فيها
كالحون تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب الم تكن اياتي تتلى عليكم يعني القران تخوفون بها
فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا اي التي كتبت علينا فلم نهتد وكنا قوما ضالين عن
الهدى ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فيها اي ابعدوا فيها كما يقال للكلب اذا طرد اخسا
ولا تكلمون اي في رفع العذاب فاني لا ارفعه عنكم فعند ذلك ايس المساكين من الفرج وقال الحسن هو اخر
كلام يتكلم به اهل النار ثم لا يتكلمون بعد ذلك ما هو الا الزفير والشهيق وعوا كعوا الكلاب لا يفهمون ولا
يفهمون وروي عن عبد الله بن عمرو ان اهل جهنم يدعون مالكا خازن جهنم اربعين عاما يا مالك ليقض
علينا ربك فلا يجيبهم ثم يقول انكم ماكثون ثم ينادون ربهم ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون
فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فما ييس القوم بعد ذلك بكلمة الا ان كان الزفير
والشهيق ذكره البغوي بغير سند واخرجه الترمذي بمعناه عن ابي الدردا قوله فما ييس القوم بعد ذلك

Copyright © King Saud University

بكلمة اى سكتوا ولم يتكلموا بكلمة وقيل اذا قال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون انقطع رجاهم واقبل بعضهم ينبح فى وجه بعض
واطبقت عليهم جهنم انه كان فريق من عبادى يعنى المومنين يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير
الراحمين فاتخذتموهم سخريا يعنى تسخرون منهم وتستهزؤن بهم حتى انسوكم ذكرى اى حتى انساكم اشتغالكم
بالاستهزاء بهم وكنتم منهم تضحكون نزلت فى كفار قريش كانوا يستهزؤن بالفقراء من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم بلال وصهيب وعمار وخباب رضى الله عنهم ثم قال انى جزيتهم اليوم بما صبروا اى على اذاكم
واستهزائكم فى الدنيا انهم هم الفائزون اى جزيتهم بصبرهم الفوز بالجنة قال يعنى ان الله قال للكفار
يوم البعث كم لبثتم فى الارض اى فى الدنيا وفى القبور عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
معناه انهم نسوا مدة لبثهم فى الدنيا لعظم ما هم بصدده من العذاب فاسئل العادين يعنى الملائكة
الذين يحفظون اعمال بنى ادم ويحصونها عليهم قال ان لبثتم الا قليلا اى ما لبثتم فى الدنيا الا قليلا
سماه قليلا لان الواحد وان طال لبثه فى الدنيا فانه يكون قليلا فى جنب ما يلبث فى الاخرة لو انكم كنتم
تعلمون اى قدر لبثكم فى الدنيا قوله عز وجل افحسبتم انما خلقناكم عبثا اى لعبا وباطلا لا لحكمة وقيل
للعبث معناه لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهايم لا ثواب لها ولا عقاب وانما خلقتم للعبادة واقامة
اوامر الله تعالى وانكم الينا لا ترجعون اى فى دار الاخرة للجزاء وروى البغوى بسنده عن حنش ان رجلا
مصابا مر به على ابن مسعود فرقاه فى اذنه الاية افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون حتى ختم
السورة فبرئ فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو ان رجلا موقنا قراها على جبل لزال
ثم نزه الله تعالى نفسه عما يصفه به المشركون فقال تعالى فتعالى الله الملك الحق اى هو التام الملك الجامع لاصناف
المملوكات لا اله الا هو رب العرش الكريم اى الحسن وقيل الرفيع المرتفع وانما خص العرش بالذكر لانه اعظم
المخلوقات ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به اى لا حجة ولا بينة له به اذ لا يمكن اقامة برهان
ولا دليل على الهية غير الله ولا حجة فى دعوى الشرك فانما حسابه اى جزاؤه عند ربه اى هو يجازيه بعمله
انه لا يفلح الكافرون اى لا يسعد من جحد وكذب وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين والله
اعلم بمراده

تفسير سورة النور

وهى مدنية وهى اثنتان وقيل اربع وستون ومائة اية
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سورة انزلناها وفرضناها اى اوجبنا ما فيها من الاحكام والزمناكم العمل
بها وقيل معناه قدرنا ما فيها من الاحكام والحدود وقيل اوجبناها عليكم وعلى من بعدكم الى قيام الساعة وانزلنا
فيها ايات بينات اى واضحات لعلكم تذكرون اى تتعظون قوله تعالى الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد
منهما مائة جلدة الزنا هو من الكبائر موجب للحد وهو ايلاج فرج فى فرج مشتهى طبعا محرم شرعا والشروط
المعتبرة فى وجوب الحد العقل والبلوغ ويشترط الاحصان فى الرجم ويجب على العبد والامة نصف الحد ولا
رجم عليهما لانه لا يتنصف وقوله فاجلدوا اى فاضربوا يقال جلده اذا ضربه ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم
كل واحد منهما اى الزانية والزانى مائة جلدة وقد وردت السنة بجلد مائة وتغريب قال الشافعى وابو
حنيفة التغريب الى راى الامام وقال مالك يجلد الرجل مائة جلدة ويغرب وتجلد المراة ولا تغرب وان
كان الزانى محصنا فعليه الرجم ولا تاخذكم بهما رافة اى رحمة ورقة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها
وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير والنخعى والشعبى وقيل معنى الرافة ان تخففوا الضرب
بل اوجعوهما ضربا وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهرى يجتهد فى حد الزنا والفرية ويخفف
فى حد الشرب وقيل يجتهد فى حد الزنا ويخفف دون ذلك فى حد القذف ويخفف دون ذلك فى حد الشرب

فى دين

فى دين الله اى فى حكم الله روى عن عبد الله بن مسعود جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها
ورجليها فقال له ابنه ولا تاخذكم بهما رافة فى دين الله فقال يا بنى ان الله لم يامرنى بقتلها
وقد ضربت فاوجعت ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر معناه ان المومن لا تاخذه الرافة اذا جاء امر
الله وقيل هو من باب التهييج والتهاب الغضب لله تعالى ولدينه ومعناه ان كنتم تؤمنون فلا تتركوا اقامة
الحدود وليشهد اى وليحضر عذابهما اى حدهما اذا اقيم عليهما طائفة اى نفر من المومنين قيل اقله
رجل واحد فما عدا وقيل رجلان وقيل ثلاثة وقيل اربعة بعدد شهود الزنا قوله عز وجل الزانى لا ينكح
الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المومنين اختلف العلماء فى معنى الاية
فقال قوم قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشاير وفى المدينة نساء بغايا هن اخصب اهل
المدينة فرغب ناس من فقراء المسلمين فى نكاحهن لينفقن عليهم فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى ذلك فنزلت هذه الاية فحرم على المسلمين ان يتزوجوا اولئك البغايا لانهن كن مشركات وهذا قول
مجاهد وعطاء وقتادة والزهرى والشعبى ورواية عن ابن عباس وقال عكرمة نزلت فى نساء كن بمكة والمدينة
لهن رايات يعرفن بها منهن ام مهزول جارية السايب بن ابى السايب المخزومى وكان فى الجاهلية ينكح الزانية
يتخذها ماكلة فاراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الصفة فاستاذن رجل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى نكاح ام مهزول واشترطت له ان تنفق عليه فانزل الله عز وجل هذه الاية وروى عن عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن ابى مرثد الغنوى وكان يحمل الاسارى من مكة حتى ياتى بهم المدينة
وكانت بمكة بغى يقال لها عناق وكانت صديقة له فى الجاهلية فلما اتى مكة دعته عناق الى نفسها فقال مرثد
ان الله حرم الزنا قالت فانكحنى فقال حتى اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتيت النبى صلى الله
عليه وسلم فقلت يا رسول الله انكح عناقا فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيئا فنزلت
الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك فدعانى فقراها على وقال لا تنكحها
اخرجه الترمذى والنسائى وابو داود بالفاظ متقاربة فعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصا فى حق هؤلاء دون
ساير الناس وقال قوم المراد من النكاح هو الجماع ومعنى الاية الزانى لا يزنى الا بزانية او مشركة
والزانية لا تزنى الا بزان او مشرك وهو قول سعيد بن جبير والضحاك ورواية عن ابن عباس قال يزيد بن
هارون ان جامعها وهو مستحل فهو مشرك وان جامعها وهو محرم فهو زان وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية
ويقول اذا تزوج الزانى الزانية فهما زانيان وقال سعيد بن المسيب وجماعة ان حكم الاية منسوخ وكان
نكاح الزانية حراما بهذه الاية ثم نسخت بقوله وانكحوا الايامى منكم فدخلت الزانية فى هذا العموم واحتج
فى جواز نكاح الزانية بما روى عن جابر ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لى امراة لا تمنع
يد لامس قال طلقها قال انى احبها وهى جميلة قال استمتع بها وفى رواية غيره فامسكها اذا وروى هذا
الحديث ابو داود والنسائى عن ابن عباس قال النسائى رفعه احد الرواة الى ابن عباس ولم يرفعه بعضهم
قال وهذا الحديث ليس بثابت وروى ان عمر بن الخطاب ضرب رجلا وامراة فى زنا وحرص ان يجمع بينهما
فابى الغلام وقيل فى معنى الاية ان الفاجرة الخبيثة لا ترغب فى نكاح الصلحاء من الرجال وانما ترغب
فى نكاح فاسق خبيث مثلها او مشرك وحرم ذلك على المومنين اى صرف الرغبة بالكلية الى نكاح الزوانى
وترك الرغبة فى الصالحات العفايف فهذا محرم على المومنين ولا يلزم من حرمة هذا حرمة التزويج
بالزانية قوله تعالى والذين يرمون المحصنات يعنى المسلمات الحراير العفايف

ثم لم يأتوا باربعة شهداء اى يشهدون على الزنا فاجلدوهم ثمانين جلدة اى بيان حكم الاية وذلك ان من قذف
محصنا او محصنة بالزنا فقال له يا زاني او يا زانية او زنيت فيجب عليه جلد ثمانين جلدة ان كان القاذف
حرا وان كان عبدا يجلد اربعين وان كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف التعزير وشرائط الاحصان خمسة
الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا حتى لو زنى في عمره مرة واحدة ثم تاب وحسنت توبته بعد ذلك
ثم قذفه قاذف فلا حد عليه فان اقر المقذوف على نفسه بالزنا او اقام القاذف اربعة يشهدون عليه
بالزنا سقط الحد عن القاذف لان الحد انما وجب عليه لاجل الفرية وقد ثبت صدقه واما الكنايات
مثل ان يقول يا فاسق او يا فاجر او يا خبيث او يا ابن الفاجرة او قال لامراته لا ترد يد لامس فهذا ونحوه لا يكون
قذفا الا ان يريد بذلك واما التعريض مثل ان يقول اما انا فما زنيت او ليست امي زانية فليس بقذف عند
الشافعي وابي حنيفة وقال مالك يجب فيه الحد وقال احمد هو قذف في حال الغضب دون حال الرضى وقوله
تعالى ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون فيه دليل على ان القذف من الكبائر لان اسم
الفسق لا يقع الا على صاحب كبيرة الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم اختلف العلماء
في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم الاستثناء فذهب قوم الى ان القاذف ترد شهادته بنفس القذف
واذا تاب وندم على ما قال وحسنت حالته بعد التوبة قبلت شهادته سواء تاب بعد اقامة الحد عليه او قبله
لقوله تعالى الا الذين تابوا وقالوا هذا الاستثناء يرجع الى رد الشهادة والى الفسق فاذا تاب قبلت شهادته
وزال عنه اسم الفسق يروى ذلك عن عمر وابن عباس وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد
ابن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهري وبه قال مالك والشافعي
وذهب قوم الى ان شهادة المحدود في القذف لا تقبل وان تاب وقالوا الاستثناء يرجع الى قوله واولئك هم
الفاسقون وهو قول النخعي وشريح واصحاب الراي قالوا بنفس القذف لا ترد شهادته ما لم يحد قال الشافعي
هو قبل ان يحد شر منه حين يحد لان الحدود كفارات فكيف يردونها في احسن حالاته ويقبلونها في شر حاليه
وذهب الشعبي الى ان حد القذف يسقط بالتوبة وقال الاستثناء يرجع الى الكل وعامة العلماء على انه لا يسقط
الحد بالتوبة **فان قلت** اذا قبلت شهادته بعد التوبة فما معنى قوله ابدا **قلت**
معنى قوله ابدا ما دام مصرا على القذف لان ابد كل انسان مدته على ما يليق به كما يقال لا تقبل شهادة الكافر
ابدا يراد بذلك ما دام على كفره فاذا اسلم قبلت شهادته قوله عز وجل والذين يرمون اى يقذفون ازواجهم
ولم يكن لهم شهداء اى يشهدون على صحة ما قالوا الا انفسهم اى غير انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله
انه لمن الصادقين سبب نزول هذه الاية عن سهل بن سعد الساعدي ان عويمرا العجلاني جاء الى عاصم بن عدي
فقال له يا عاصم ارايت لو ان رجلا وجد مع امراته رجلا فيقتله فتقتلونه ام كيف يفعل سل عن ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسأل عاصم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل
وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجع عاصم الى اهله جاء عويمر فقال يا عاصم
ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فقال عاصم لم تأتني بخير قد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة التي سألته عنها لعويمر
فقال عويمر والله لا انتهي حتى اسأله عنها فجاء عويمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الناس فقال يا رسول
الله ارايت ان رجلا وجد مع امراته رجلا ايقتله فتقتلونه ام كيف يفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد انزل الله فيك وفي صاحبتك فاذهب فأت بها قال سهل فتلاعنا وانا مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما فرغا من تلاعنهما قال عويمر كذبت عليها يا رسول الله ان امسكتها فطلقها ثلاثا قبل ان يامره

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مالك قال ابن شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين اخرجاه في الصحيحين
زاد في رواية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا فان جاءت به اسحم ادعج العينين عظيم الاليتين
خدلج الساقين فلا احسب عويمرا الا قد صدق عليها وان جاءت به احيمر كانه وحرة فلا احسب عويمرا
الا قد كذب عليها فجاءت به على النعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق عويمر فكان
بعد ينسب الى امه قوله اسحم اى اسود والادعج الشديد سواد العين مع سعتها وقوله خدلج
الساقين غليظهما وقوله كانه وحرة الوحرة بفتح الحاء دويبة كالعظاءة تلصق بالارض واراد بهذا
الحديث المبالغة في قصره خ عن ابن عباس ان هلال بن امية قذف امراته عند النبي صلى الله عليه وسلم
بشريك بن سحماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة او حد في ظهرك فقال يا رسول الله اذا راى احدنا على
امراته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة او الحد في ظهرك فقال
هلال بن امية والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل عليه
السلام وانزل عليه والذين يرمون ازواجهم فقرا حتى بلغ ان كان من الصادقين فانصرف النبي صلى الله
عليه وسلم فارسل اليهما فجاء فقام هلال بن امية فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله يعلم
ان احدكما كاذب فهل منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا
موجبة قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا افضح قومي سائر اليوم فمضت
فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروها فان جاءت به اكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين
فهو لشريك بن سحماء فجاءت به كذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله
لكان لي ولها شان وفي رواية غير البخاري عن ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات الاية
قال سعد بن عبادة لو اتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لي ان اهيجه حتى آتي باربعة شهداء
حتى يفرغ حاجته ويذهب وان قلت ما رايت ان في ظهري لثمانين جلدة فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا معشر الانصار الا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا لا تلمه فانه رجل غيور ما تزوج امراة قط الا
بكرا ولا طلق امراة واجترأ رجل منا ان يتزوجها فقال سعد يا رسول الله بابي انت وامي والله اني لاعرف
انها من الله وانها حق ولكن عجبت من ذلك لما اخبرتك فقال النبي صلى الله عليه وسلم يابى الله الا ذلك فقال
صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن امية من حديقة له فراى
رجلا مع امراته يزني بها فامسك حتى اصبح فلما اصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس
مع اصحابه فقال يا رسول الله اني جئت اهلي عشاء فوجدت مع امراتي رجلا رايت بعيني وسمعت باذني فكره
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اتاه به وثقل عليه حتى عرف ذلك في وجهه فقال هلال يا رسول الله اني لارى
الكراهة في وجهك مما اتيتك به والله يعلم اني لصادق وما قلت الا حقا واني لارجو ان يجعل الله فرجا
فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يضربه قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد ايجلد هلال
وتبطل شهادته فانهم لكذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يامر بضربه اذ نزل عليه الوحي فامسك
اصحابه عن كلامه حين عرفوا ان الوحي قد نزل حتى فرغ فانزل الله تعالى والذين يرمون ازواجهم الى اخر الايات
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشر يا هلال فان الله تعالى قد جعل لك فرجا فقال كنت ارجو ذلك من الله
تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب فقال يا رسول الله قد
صدقت وما قلت الا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما فقيل لهلال اشهد فشهد اربع شهادات

Copyright © King Saud University

بالله انه لمن الصادقين فقال له عند الخامسة يا هلال اتق الله فان عذاب الدنيا اهون من عذاب الاخرة وان عذاب الله اشد
من عذاب الناس وان هذه الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال هلال والله لا يعذبني الله عليها
كما لم يجلدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم
قال للمراة اشهدي فشهدت اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فقال لها عند الخامسة ووقفها اتقي الله
ان الخامسة موجبة وان عذاب الله اشد من عذاب الناس فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا افضح
قومي فشهدت الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما
وقضى ان الولد لها ولا يدعى لاب ولا يرمى ولدها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا
فهو للمراة الذي قيل فيه فجاءت به غلاما كانه جمل اورق على الشبه المكروه وكان اميرا بمصر لا يدرى من ابوه وروى ابن
عباس ان عويمرا لما لاعن زوجته خولة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودي الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر
قم فقام فقال اشهد بالله ان خولة لزانية واني لصادق ثم قال في الثانية اشهد بالله اني رايت شريكا في بطنها واني لمن
الصادقين ثم قال في الثالثة اشهد بالله انها لحبلى من غيري واني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله
على عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال ثم امره بالقعود ثم قال لخولة قومي فقامت فقالت اشهد
بالله ما انا بزانية وان عويمرا لمن الكاذبين ثم قالت في الثانية انه ما راى شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين
ثم قالت في الثالثة اني حبلى منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة اشهد بالله انه ما راى علي قط على
فاحشة وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة غضب الله على خولة ان كان من الصادقين ففرق
رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا هذا الايمان لكان لي ولها شان ثم قال تحينوا الولادة
فان جاءت به اصيهب اثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك بن سحماء وان جاءت به اورق جعدا جماليا خدلج
الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت باشبه خلق لشريك بيان حكم الاية في ذلك ان الرجل
اذا قذف امراته فموجبه موجب قذف الاجنبية في وجوب الحد عليه وان كانت محصنة الرجم او التعزير
ان كانت غير محصنة غير ان المخرج منهما مختلف فاذا قذف اجنبية او اجنبيا يقام عليه الحد الا ان ياتي
باربعة شهداء يشهدون بالزنا او يقر المقذوف بالزنا فيسقط عنه الحد فاللعان في قذف الزوجة
منزلة البينة فان الرجل اذا راى مع امراته رجلا ربما لا يمكنه اقامة البينة ولا يمكنه الصبر على
العار فجعل الله اللعان حجة على صدقه فقال تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن
الصادقين واذا قام الزوج بينة على زناها او اعترفت عنه سقط عنه الحد واللعان الا ان يكون
هناك ولد نفيه فله ان يلاعن لنفيه اذا اراد الامام ان يلاعن بينهما بدا بالرجل فيقيمه ويلقنه
كلمات اللعان فيقول قل اشهد بالله اني لمن الصادقين فيما رميت به زوجتي فلانة بالزنا وان كان
قد رماها برجل بعينه سماه في اللعان ويقول كما يلقنه وان كان ولدا وحملا يريد نفيه
يقول وان هذا الولد وهذا الحمل لمن الزنا ما هو مني ويقول في الخامسة علي لعنة الله ان كنت من الكاذبين
فيما رميت به فلانة واذا اتى بكلمة من كلمات اللعان من غير تلقين الامام لا يحسب فاذا فرغ الرجل من اللعان وقعت
الفرقة بينه وبين الزوجة وحرمت عليه على التابيد وانتفى عنه النسب وسقط عنه الحد ووجب على المراة حد الزنا
فهذه خمسة احكام تتعلق بلعان الزوج قوله تعالى ويدرؤا اي يدفع عنها العذاب اي الحد ان تشهد اربع
شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين وحكم الاية ان
الزوج اذا لاعن وجب على المراة حد الزنا فاذا ارادت اسقاطه عن نفسها فانها تلاعن فتقوم وتشهد بعد

تلقين

تلقين الحاكم اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به وتقول في الخامسة علي غضب الله ان كان زوجي
من الصادقين فيما رماني به ولا يتعلق بلعانها الا حكم واحد وهو اسقاط الحد عنها ولو اقام الزوج
بينة لم يسقط الحد عنها باللعان وعند اصحاب الراي لا حد على من قذف بل موجبه اللعان فان لم
يلاعن حبس حتى يلاعن فاذا لاعن الزوج وامتنعت المراة من اللعان حبست حتى تلاعن وعند الاخرين
اللعان حجة صدقه والقاذف فاذا قعد عن البينة على صدقه لا يحبس بل يحد القاذف الاجنبي اذا
قعد عن اقامة البينة وعند ابي حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة ونفي النسب وهما لا يحصلان الا بلعان
الزوجين جميعا وقضاء القاضي وفرقة اللعان فرقة فسخ عند الاكثرين وبه قال الشافعي وتلك الفرقة متابدة
حتى لو اكذب الرجل نفسه يقبل ذلك فيما عليه لا فيما له فيلزمه الحد ويلحقه الولد لكن لا يرتفع تابيد التحريم وعند
ابي حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فان اكذب نفسه جاز له ان ينكحها واذا اتى ببعض كلمات اللعان
لا يتعلق به الحكم وعند ابي حنيفة اذا اتى باكثر كلمات اللعان قام مقام الكل وكل من صح يمينه صح لعانه
حرا كان او عبدا مسلما كان او ذميا وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن وبه قال ربيعة
ومالك والثوري والشافعي واكثر اهل العلم وقال الزهري والاوزاعي واصحاب الراي لا يجري اللعان الا بين
المسلمين حرين غير محدودين فان كان احد الزوجين رقيقا او ذميا او محدودا في قذف فلا لعان بينهما وظاهر
القران حجة لمن قال يجري اللعان بينهما لان الله تعالى قال والذين يرمون ازواجهم ولم يفصل بين الحر والعبد والمحدود
وغيره ولا يصح اللعان الا عند الحاكم او نائبه ويغلظ اللعان باربعة اشياء بتعدد الالفاظ وبالمكان والزمان وان
يكون بحضر جماعة من الناس اما تعدد الالفاظ فيجب ولا يجوز الاخلال بشيء منها واما المكان فهو ان يلاعن في
اشرف الاماكن فان كان بمكة فبين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند النبي صلى الله عليه وسلم وفي سائر البلاد
في الجامع عند المنبر واما الزمان فهو ان يكون بعد العصر واما الجمع فاقله اربعة والتغليظ بالجمع مستحب فلو حكم
الحاكم بينهما وحده جاز وفي التغليظ بالزمان والمكان قولان قوله عز وجل تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته
اي لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستركم ودفع عنكم الحد باللعان وان الله تواب اي يعود على من يرجع عن المعاصي
بالرحمة حكيم فيما فرض من الحدود قوله عز وجل ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم الايات سبب نزولها ما روي
عن ابن شهاب قال حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن
عتبة بن مسعود عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها اهل الافك ما قالوا وكلهم حدثني طائفة
من حديثها وبعضهم كان اوعى لحديثها من بعض واثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي
حدثني عن عائشة رضي الله عنها وبعض حديثهم يصدق بعضا قالوا قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت
عائشة فاقرع بيننا فخرج سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما انزل الحجاب فكنت احمل في هودج
وانزل فيه حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين اذن ليلة بالرحيل
فقمت حين اذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شاني اقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقد
لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه قالت واقبل الرهط الذين كانوا يرحلون
لي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت اركب عليه وهم يحسبون اني فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا
لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما ياكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت
جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا

محيب فيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت انهم سيفقدوني فيرجعون الي فبينا انا جالسة في منزلي غلبتني عيني
فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلي فراى سواد انسان نايم فعرفني
حين راني وكان يراني قبل الحجاب فاسترجع فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما
كلمني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى اناخ راحلته فوطي على يدها فركبتها فانطلق يقود بي
الراحلة حتى اتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين وفي رواية موغرين في نحر الظهيرة قالت فهلك من هلك في شاني وكان
الذي تولى كبر الافك عبد الله بن ابي بن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهرا والناس يفيضون في قول اصحاب
الافك ولا اشعر بشي من ذلك وهو يريبني في وجعي اني لا ارى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت ارى منه
حين اشتكي حين انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك الذي يريبني منه ولا اشعر به حتى نقهت
فخرجت انا وام مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا وذلك قبل ان نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا
وامرنا امر العرب الاول في التبرز قبل الغايط وكنا نتاذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا فاقبلت انا وام مسطح
وهي بنت ابي رهم ابنة عبد المطلب بن عبد مناف وامها بنت صخر بن عامر خالة ابي بكر الصديق وابنها مسطح بن اثاثة
ابن عباد بن عبد المطلب حين فرغنا من شاننا نمشي فعثرت ام مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بيس
ما قلت اتسبين رجلا شهد بدرا فقالت يا هنتاه يا بلها الم تسمعي ما قال قلت وما قال فاخبرتني بقول اهل الافك
فازددت مرضا الى مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كيف تيكم فقلت له اتاذن لي ان اتي
ابوي وانا اريد ان استيقن الخبر من قبلهما فاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيت ابوي فقلت لامي
يا اماه ماذا يتحدث الناس به فقالت يا بنية هوني على نفسك فوالله لقل ما كانت امراة قط وضية عند رجل
يحبها ولها ضراير الا اكثرن عليها قالت فقلت سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة
حتى اصبحت لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكي قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي
ابن ابي طالب واسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق اهله فاما اسامة فاشار عليه بما
يعلم من براءة اهله والذي يعلم له من نفسه من الود فقال اسامة هم اهلك يا رسول الله ولا نعلم والله الا خيرا
واما علي بن ابي طالب فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنسا سواها كثيرة وسل الجارية تصدقك
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال اي بريرة هل رايت فيها شي يريبك فقالت له بريرة لا
والذي بعثك بالحق نبيا ان رايت منها امرا اغمصه عليها اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها
فياتي الداجن فياكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاعتذر من عبد الله بن ابي بن
سلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يعذرني من رجل بلغني اذاه في اهلي وفي رواية في اهل بيتي فوالله
ما علمت على اهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي قالت فقام سعد
ابن معاذ احد بني عبد الاشهل فقال انا والله يا رسول الله اعذرك منه ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان
كان من اخواننا الخزرج فعلنا فيه امرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكانت ام حسان بنت عمه
من فخذه وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر
على ذلك فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد يعني ابن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت والله
لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول
الله صلى الله عليه وسلم قايم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت
وبكيت يومي ذلك لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم فاصبح عندي ابوي وقد بكيت ليلتين ويوما حتى اظن البكا

فالق كبدي قالت فبينما هما جالسان عندي وانا ابكي اذ استاذنت امراة من الانصار فاذنت لها فجلست
تبكي معي فبينما نحن كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس ولم يجلس عندي من يوم قيل لي ما قيل
قبلها وقد مكث شهرا لا يوحى اليه في شاني بشي قالت فتشهد رسول الله حين جلس ثم قال اما بعد يا عايشة فانه
بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبريك الله وان كنت الممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان
العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص
دمعي حتى ما احس منه قطرة وقلت لابي اجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ما ادري
ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامي اجيبي رسول الله فيما قال فقالت والله ما ادري ما اقول
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وانا جارية حديثة السن لا اقرا كثيرا من القران فقلت والله لقد
علمت انكم سمعتم ما يتحدث به الناس حتى استقر في انفسكم وصدقتم به فلين قلت لكم اني بريئة والله يعلم اني منه
بريئة لم تصدقوني فوالله ما اجد لي ولكم مثلا الا كما قال ابو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون
ثم تحولت واضطجعت على فراشي وانا والله اعلم اني بريئة وان الله سيبريني ببراءتي ولكن والله ما كنت اظن ان ينزل
في شاني وحيا يتلى ولشاني في نفسي احقر من ان يتكلم الله في شاني بامر يتلى ولكن كنت ارجو ان يرى رسول الله صلى
الله عليه وسلم في النوم رويا يبريني الله بها فوالله ما رام مجلسه ولا خرج احد من اهل البيت حتى انزل الله
على نبيه فاخذه ما كان ياخذه من البرحاء حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شات من ثقل
القول الذي انزل عليه قالت فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان اول كلمة تكلم
بها ان قال لي يا عايشة احمدي الله وفي رواية ابشري يا عايشة اما والله فقد براك الله فقالت لي
امي قومي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا والله لا اقوم ولا احمد الا الله هو الذي انزل براءتي
فانزل الله عز وجل ان الذين جاوا بالافك عصبة منكم العشر ايات فلما انزل الله هذا في براءتي بالافك
قال ابو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن اثاثة لقرابته منه وفقره وقال والله لا انفق على مسطح
شيا ابدا بعد ما قال لعايشة فانزل الله ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله غفور رحيم فقال
ابو بكر الصديق بلى والله اني احب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح الذي كان يجري عليه وقال والله لا انزعها
منه ابدا قالت عايشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسال زينب بنت جحش عن امري فقال يا زينب
ما علمت ما رايت فقالت يا رسول الله احمي سمعي وبصري والله ما علمت عليها الا خيرا قالت عايشة
وهي التي تساميني من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع وطفقت اختها حمنة تحارب
لها فهلكت فيمن هلك من اصحاب الافك قال ابن شهاب فهذا الذي بلغني من حديث هولا الرهط
زاد في رواية قالت عايشة والله ان الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله فوالذي نفسي
بيده ما كشفت عن كنف انثى قط قالت ثم قتل في سبيل الله بعد هذا حديث متفق على صحته اخرجاه
في الصحيحين زاد البخاري في رواية عن عروة عن عايشة والذي تولى كبره منهم عبد الله بن ابي بن سلول وقال
عروة لم يسم من اهل الافك ايضا الا حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش في ناس اخرين لا علم
لي بهم غير انهم عصبة كما قال الله تعالى قال عروة وكانت عايشة تكره ان يسب عندها حسان بن ثابت وتقول
انه الذي قال   فان ابي ووالده وعرضي   لعرض محمد منكم وقا   اخرجاه من حديث مسروق قال دخلت
على عايشة وعندها حسان ينشدها شعرا يشبب من ابيات فقال   حصان رزان ما تزن بريبة
وتصبح غرثى من لحوم الغوافل فقالت عايشة لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها اتاذنين له ان

Copyright © King Saud University

يدخل عليك وقد قال الله تعالى والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت واى عذاب اشد من العمى وقالت انه كان ينافح
ويهاجي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

شرح غريب

الفاظ الحديث هذا • قوله وكلهم حدثني طايفة اى قطعة من حديثها • قوله وكان اوعى اى احفظ لها • قوله اذن اى اعلم بالرحيل • قولها فقدت عقدا لي من جزع ظفار وهو نوع من الخرز وهو الجزع اليماني المعروف • قولها لم يهبلن اى كثر لحمهن من السمن فيثقلن • قوله انما يأكلن العلقة هي بضم العين اى البلغة من الطعام وهو قدر ما يمسك الرمق • قوله ليس بها منهم داع ولا مجيب اى ليس بها احد لا من يدعوه ولا من يجيب ولا من يرد جوابا • قولها فتيممت اى قصدت • قولها عرس من وراء الجيش وادلج التعريس نزول المسافر في آخر الليل والادلاج بالتخفيف سير الليل كله • قولها باسترجاعه وهو قول القايل انا لله وانا اليه راجعون • قولها خمرت وجهي بجلبابي اى غطيت وجهي بجلبابي اى ازاري • قولها موغرين في نحر الظهيرة الوغرة شدة الحر وكذلك نحر الظهيرة اى اوله • قولها والناس يفيضون اى يخوضون ويتحدثون • قولها وهو يريبني يقال رابني الشي يريبني اى شككت فيه • قولها ولا ارى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف اى الرفق بها واللطف في الافعال الرفق وفي الاقوال لين الكلام • قولها حتى نقهت اى افقت من المرض والمناصع المواضع الخالية تقضى فيها الحاجة من غايط وبول واصله المكان الخالي والمرط كسا من صوف او خز • قولها تعس مسطح اى عثر وفي الدعا على الانسان اى سقط بوجهه يا هنتاه يا بلهاء كانها تنسبها الى البله وقلة المعرفة • قولها لا يرقا لي دمع اى لا ينقطع • وقوله ان رايت بمعنى النفي اى ما رايت منها امرا اغمصه بالصاد المهملة اى اعيبه والداجن الشاة التي تالف البيت وتقيم به • قوله صلى الله عليه وسلم من يعذرني ان الكافيه على سو صنيعه ان عاقبت او عاقبت فلا تلوموني على ذلك • قوله وكان ام حسان بنت عمه من فخذه اى من قبيلته ولكنه احتملته الحمية اى حملته الغضب والانفة والتعصب على الجهل القرابة • قولها فثار الحيان اى تناروا وتهيوا للقتال والمخاصمة • قولها فلم يزل يخفضهم اى يهون عليهم ويسكن • قوله صلى الله عليه وسلم ان كنت الممت فهو من اللمم وهو من صغار الذنوب • وقيل معناه مقارفة الذنب من غير فعل • قولها قلص دمعي اى انقطع جريانه • قولها ما رام اى ما برح من مكانه والرحا الشدة والكرب والجمان الدرة وجمعها جمان سري عنه اى كشف عنه • وقولها زينب احمي سمعي وبصري اى امنعهما من ان اخبر بما لم اسمع من الوقوع في الشر بالورع وقول الرجل ما كشفت كنف انثى قط اى ستر انثى • قولها ويتوشيه اى يبحث عنه والاستقصا فيه • وقول حسان بن ثابت حصان يمدح بها عايشة امراة حصان اى متعففة حبيبة ورزان اى ثابتة ما تزن لها اى تتهم ولا تهتم بريبة اى بامر يريب الناس وتصبح غرثى اى جايعة والغرث الجوع من لحوم الغوافل جمع غافلة والمعنى انها لا تغتاب احدا ممن هو غافل عن مثل هذا الفعل • وقول عايشة في حسان انه كان ينافح اى يناضل ويخاصم عن الله ورسوله واما التفسير • فقوله تعالى ان الذين جاوا بالافك عصبة منكم اى بالكذب والافك اسوأ الكذب لكونه مصروفا عن الحق وذلك ان عايشة كانت تستحق الثنا والمدح بما كانت عليه من الحصانة والمدح والشرف والعقل والعلم والديانة فمن رماها بالسوء فقد قلب الحق بالباطل جاوا بالافك عصبة منكم اى عبد الله بن ابي بن سلول ومسطح بن اثاثة وحسان وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيد الله

فان قلت عبد الله بن ابي بن سلول كان راس المنافقين فكيف قال منكم **قلت** كان ينتسب الى الايمان في الظاهر وقيل قوله منكم خرج مخرج الاغلب فان حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة كانوا من المومنين المخلصين قوله تعالى لا تحسبوه شرا لكم يعني الافك الخطاب لعايشة وصفوان وقيل لعايشة وابويها وللنبي صلى الله عليه وسلم ولصفوان بل هو خير لكم يعني ان الله ياجركم على ذلك ويظهر براتكم ويشهد بكذب العصبة واوجب لهذا الذم وهو غاية الشرف والفضل لكم لكل امرئ منهم اى من العصبة الكاذبة ما اكتسب من الاثم اى جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه والذي تولى كبره منهم اى تحمل

معظمه

معظمه بيا بالخوض فيه وقام باشاعته وهو عبد الله بن ابي بن سلول منهم من العصبة له عذاب عظيم يعني عذاب النار في الآخرة روي ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالذين رموا عايشة فجلدوا الحد ثمانين • قوله عز وجل لولا اذ سمعتموه اى الحديث الكذب وقول اهل الافك ظن المومنون والمومنات بانفسهم اى باخوانهم واهل دينهم خيرا والمعنى كان الواجب على المومنين اذا سمعوا قول اهل الافك ان يكذبوه ويحسنوا الظن ولا يسرعوا الى التهمة وقول الزور فيمن عرفوا عفته وطهارته وفيه معاتبة للمومنين وقالوا هذا افك مبين اى كذب بين لا حقيقة له لولا يعني هلا جاوا عليه اى على ما زعموا باربعة شهدا اى يشهدون بذلك فاذ لم ياتوا بالشهدا فاولئك عند الله هم الكاذبون وهذا من باب الزواجر

فان قلت كيف يصيرون عند الله كاذبين اذا لم ياتوا بالشهدا ومن كذب فهو عند الله كاذب سوا اتى بالشهادة او لم يات بها **قلت** هذا في حق الذين رموا عايشة خاصة ومعنا فاولئك هم الكاذبون في غيبي وعلمي وقيل معناه فاولئك عند الله في حكم الكاذبين فان الكاذب يجب زجره عن الكذب والقاذف ان لم يات بالشهود يجب زجره • قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم معناه لولا انى قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال بالتوبة وان اترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم به من حديث الافك والخطاب للقذفة فيه وهذا الفضل هو تاخير العذاب وقبول التوبة ممن تاب اذ تلقونه بالسنتكم اى يرويه بعضكم عن بعض وذلك ان الرجل منهم يلقى الرجل فيقول بلغني كذا وكذا فيتلقونه تلقيا يلقيه بعضهم الى بعض وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اى من غير ان تعلموا انه حق وتحسبونه هينا اى وتظنون انه سهل ولا اثم فيه وهو عند الله عظيم اى في الوزر ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك قيل للتعجب وقيل هو للتنزيه هذا يعني بهتان عظيم اى كذب عظيم يبهت ويتحير من عظمه روي ان ام ايوب قالت لابي ايوب الانصاري اما بلغك ما تقول الناس في عايشة فقال سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الآية على وفق قوله يعظكم الله قال ابن عباس يحرم الله عليكم وقيل ينهاكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مومنين ويبين الله لكم الايات اى في الامر والنهي والله عليم اى بامر عايشة وصفوان حكيم اى حكم ببراتهما • قوله عز وجل ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة اى يظهر الزنا ويذيع في الذين آمنوا قيل الآية مخصوصة بمن قذف عايشة والمراد بالذين آمنوا عايشة وقيل الآية على العموم فكل من احب ان تشيع الفاحشة وتظهر على احد فهو داخل في حكم الآية والمراد بالذين آمنوا جميع المومنين لهم عذاب اليم في الدنيا يعني الحد والذم على فعله والآخرة اى وفي الآخرة لهم النار والله يعلم اى كذبهم وبراة عايشة وما خاضوا فيه من سخط الله وانتم لا تعلمون قيل معناه يعلم ما في قلب من يحب ان تشيع الفاحشة فيجازيه على فعله وانتم لا تعلمون ذلك ولولا فضل الله عليكم ورحمته اى لولا انعامه عليكم لعاجلكم بالعقوبة قال ابن عباس يريد مسطحا وحسان بن ثابت وحمنة وان الله رؤوف رحيم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان اى اثاره ومسالكه ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشا اى بالقبايح والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا من الاقوال والافعال وكلما يكره الله عز وجل والآية عامة في حق كل مخلوق وقيل الخطاب للذين خاضوا في الافك ومعناه ما طهر من هذا الذنب ولا صلح امره بعد الذي فعل وهذا قول ابن عباس قال معناه ما قبل توبة احد منكم ابدا ولكن الله يزكي اى يطهر من يشا من الذنب بالرحمة والمغفرة والله سميع اى لاقوالهم عليم اى بما في قلوبهم ولا ياتل اى لا يحلف من الالية وهو القسم اولوا الفضل منكم والسعة يعني الغنا يعني ابا بكر الصديق رضي الله عنه ان يوتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله يعني مسطحا وكان ابن خالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه حلف ابو بكر ان لا ينفق عليه فانزل الله

هذه الاية **وليعفوا وليصفحوا** اي عن خوض مسطح في امر عايشة **الا تحبون** يخاطب ابا بكر **ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم**
فلما قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي بكر قال بلى احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح نفقته التي كان ينفق
عليه وقال والله لا انزعها عنه ابدا وفي الاية دليل على فضل ابي بكر لان الفضل المذكور في الاية ذكره الله
تعالى في معرض المدح وذكره بلفظ الجمع في قوله اولي الفضل منكم وقوله الا تحبون ان يغفر الله لكم وهذا يدل
على علو شانه ومرتبته ومنها انه احتمل الاذى من ذوي القربى ورجع عليه بما كان ينفق عليه وهذا من اشد
الجهاد لانه جهاد النفس ومنها انه تعالى قال في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح وقال في
حق ابي بكر وليعفوا وليصفحوا فدل على ان ابا بكر كان ثاني اثنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع الاخلاق
وفي الاية دليل على ان من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير وليكفر عن يمينه ومنه الحديث الصحيح
من حلف على يمين وراى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير وليكفر عن يمينه قوله تعالى **ان الذين يرمون
المحصنات** اي العفايف **الغافلات** اي عن الفواحش وعن الفاحشة اي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة
المومنات وصفها بالمومنات **لعنوا** اي عذبوا **في الدنيا** بالحد **والاخرة** اي ولهم في الاخرة في النار **ولهم عذاب
عظيم** وهذا في حق عبد الله بن ابي بن سلول المنافق وروي عن خصيف انه قال لسعيد بن جبير من قذف
مومنة يلعنه الله في الدنيا والاخرة قال ذلك لعايشة خاصة وازواج النبي صلى الله عليه وسلم دون
ساير المومنات ليس فيها توبة ومن قذف امراة مومنة فقد جعل الله له توبة ثم قرا والذين يرمون المحصنات
الغافلات الى قوله تابوا فجعل لهولا توبة ولم يجعل لاوليك توبة وقيل بل لهم توبة ايضا للاية **يوم تشهد
عليهم السنتهم** هذا قبل ان يختم على افواههم **وايديهم وارجلهم** يروى انه يختم على الافواه فتتكلم الايدي والارجل
بما عملت في الدنيا وهو قوله عز وجل **بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق** اي جزاوهم الواجب وقيل
حسابهم العدل **ويعلمون ان الله هو الحق المبين** اي الموجود الظاهر الذي بقدرته وجود كل شي وقيل معناه
بين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا وقال ابن عباس وذلك ان عبد الله بن ابي بن سلول كان يشك في الدين
فيعلم يوم القيامة ان الله هو الحق المبين قوله عز وجل **الخبيثات للخبيثين** قال اهل التفسير معنى الخبيثات
يعني الكلمات والنزل للخبيث من الناس ومثله **والخبيثون للخبيثات** من القول **والطيبات** اي من القول ومعنى
الاية ان الخبيث من القول لا يليق الا بالخبيث من الناس والطيب من القول لا يليق الا بالطيب من الناس لانه
طيبة فيضاف اليها الطيب لقول من الثنا والمدح وما يليق بها وقيل معناه لا يتكلم الخبيث الا الخبيث
من الرجال والنسا وهذا ذم للذين قذفوا عايشة ولا يتكلم بالطيب الا الطيب من الرجال والنسا وهذا مدح
للذين بروها بالطاهر والمدح بها وقيل معنى الاية الخبيثات من النسا للخبيثين من الرجال والخبيثون
من الرجال للخبيثات من النسا امثال عبد الله بن ابي المنافق والشاكين في الدين والطيبات من النسا
للطيبين والطيبون للطيبات يريد عايشة طيبها الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم **اولئك مبرؤن
مما** يعني عايشة وصفوان ذكرهما الله بلفظ الجمع **يقولون** يعني الافك اصحاب **لهم مغفرة** اي عفو لذنوبهم
ورزق كريم يعني الجنة وروي عن عايشة كانت تفتخر باشيا اعطيتها لم تعطها امراة غيرها منها ان جبريل
اتى بصورتها في سرقة حرير وقال هذه زوجتك وروي انه اتى بصورتها في راحته ومنها ان النبي صلى
الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها وقبض عليه الصلاة والسلام في حجرها وفي يومها ودفن في بيتها
وكان ينزل الوحي عليه وهي معه في اللحاف ونزلت براتها من السما وانها ابنة الصديق وخليفة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما وكان مسروق اذا حدث عن عايشة

يقول

يقول حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبراة من السما قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا اي تستاذنوا وكان ابن عباس يقرا حتى تستاذنوا
ويقول تستانسوا خطا من الكاتب وفي هذه الرواية نظر لان القرانة ثبت بالتواتر والاستيناس في اللغة
الاستيذان وقيل الاستيناس طلب الانس وهو ان ينظر هل في البيت انسان فيوذنه انه داخل وقيل
هو من انست اي ابصرت وقيل هو ان يتكلم بتسبيحة او تنحنح حتى يعرف اهل البيت **وتسلموا على اهلها**
بيان حكم الاية انه لا يدخل بيتا لغيره الا بعد الاستيذان والسلام واختلفوا في ايهما يقدم فقيل يقدم
الاستيذان قبل السلام وقال الاكثرون يقدم السلام فيقول سلام عليكم ادخل تقديره الاية حتى تسلموا
على اهلها وتستاذنوا وكذا هو في مصحف ابن مسعود وروي عن كلدة بن حنبل قال دخلت على النبي صلى الله عليه
وسلم ولم اسلم ولم استاذن فقال صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم اادخل اخرجه ابو داود والترمذي
وعن ربعي بن حراش قال جا رجل من بني عامر فاستاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في البيت فقال
الج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج الى هذا فعلمه الاستيذان فقل له قل السلام عليكم اادخل فسمع الرجل
ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم اادخل فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخرجه ق عن ابي سعيد الخدري وابي بن كعب وابي موسى قال ابو سعيد كنت في مجلس من مجالس الانصار اذ جا ابو موسى
كانه مذعور فقال استاذنت على عمر ثلاثا فلم يوذن لي فرجعت فقال والله ليقيمن عليك بينة امنكم احد سمعه من
النبي صلى الله عليه وسلم قال ابي بن كعب والله لا يقوم معك الا اصغر القوم فكنت اصغر القوم فقمت معه
فاخبرت عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك قال الحسن الاول اعلام والثاني موامرة والثالث استيذان
بالرجوع عن عبد الله بن بسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقا
وجهه ولكن من ركنه الايمن او الايسر ويقول السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن عليها ستور اخرجه ابو داود
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعي احدكم فجا مع الرسول فان ذلك اذن له اخرجه ابو
داود وقيل اذا وقع بصره على انسان قدم السلام والا قدم الاستيذان ثم يسلم وقال ابو موسى الاشعري وحذيفة
يستاذن على ذوات المحارم يدل عليه ما روي عن عطا بن يسار ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
استاذن على امي قال نعم فقال الرجل اني خادمها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم استاذن عليها اتحب ان تراها
عريانة قال لا قال فاستاذن عليها اخرجه مالك في الموطا **ذلكم خير لكم** اي فعل الاستيذان خير لكم واولى
من التهجم بغير اذن **لعلكم تذكرون** اي هذه الاداب فتعملوا بها قوله تعالى **فان لم تجدوا فيها** اي البيوت **احدا**
اي ياذن لكم في دخولها **فلا تدخلوها حتى يوذن لكم** اي في الدخول **وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا** يعني اذا كان في البيت قوم
وكرهوا دخول الداخل عليهم فقالوا ارجع فليرجع ولا يقف على الباب ملازما **هو ازكى لكم** اي الرجوع ولا تلحوا هو اطهر واصلح
لكم فان للناس احوالا وحاجات يكرهون الدخول عليهم في تلك الاحوال واذا حضر الى الباب فلم يستاذن وقعد على
الباب منتظرا جاز كان ابن عباس ياتي دور الانصار لطلب الحديث فيقعد على الباب ولا يستاذن حتى يخرج اليه
الرجل فاذا خرج وراه قال يا ابن عم رسول الله لو اخبرتني بمكانك فيقول هكذا امرنا ان نطلب العلم واذا وقف على
الباب فلا ينظر الى شقه اذا كان الباب مردودا ق عن سهل بن سعد قال اطلع رجل من جحر في باب النبي صلى الله
عليه وسلم ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدرى يرجل به وفي رواية يحك به راسه فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو علمت انك تنظر لطعنت به في عينك انما جعل الاذن للبصر ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم ان يفقوا عينه وفي رواية للنسائي قال لو ان امرا اطلع

عن النبي صلى الله عليه وسلم التسليم ان يقول السلام عليكم ادخل ثلاث مرات فان اذن له والا رجع

Copyright © King Saud University

عليك بغير اذن فخذفته ففقأت عينه ما كان عليك وقال مرة اخرى جناح ان الله بما تعملون عليم اي من الدخول
بالاذن ولما نزلت اية الاستيذان قالوا كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس
فيها ساكن فانزل الله تعالى ليس عليكم جناح اي اثم ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة اي بغير استيذان فيها متاع
لكم اي منفعة لكم قيل ان هذه البيوت هي الخانات والمنازل المبنية للسابلة ليأووا اليها ويأووا امتعتهم فيها
فيجوز دخولها بغير استيذان والمنفعة النزول بها وايواء المتاع والبرد والامتعة بها وقيل بيوت التجار وحوانيتهم
في الاسواق يدخلها للبيع والشراء وهو منفعتها فليس فيها استيذان وقيل هو جميع البيوت التي لا ساكن فيها لان
الاستيذان انما جعل لئلا يطلع على عورة فان لم يخف ذلك جاز له الدخول بغير استيذان والله يعلم ما تبدون
وما تكتمون قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم اي عما لا يحل لهم النظر اليه قيل معناه يغضوا ابصارهم
وقيل من هنا للتبعيض لانه لا يجب الغض عما يحل النظر اليه وانما امروا ان يغضوا عما لا يحل النظر اليه
م عن جرير قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجاة فقال اصرف بصرك عن بريدة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي يا علي لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الثانية اخرجه ابو داود
والترمذي م عن ابي سعيد الخدري قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الرجل الى عورة الرجل
ولا المرأة الى عورة المرأة ولا يفضي الرجل الى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المرأة الى المرأة في ثوب واحد وقوله
تعالى ويحفظوا فروجهم اي عما لا يحل قال ابو العالية كل ما في القران من حفظ الفرج فهو من الزنا الا في هذه المواضع
فانه اراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه **فان قلت** كيف ادخل من على غض البصر
دون حفظ الفرج **قلت** فيه دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى ان المحارم لا بأس بالنظر
الى شعورهن وثديهن واعضائهن واقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات في البيع والاجنبية يجوز النظر الى
وجهها وكفيها للحاجة الى ذلك واما امر الفرج فضيق وكفاك ان ابيح النظر الى ما استثني منه **فان
قلت** كيف قدم غض البصر على حفظ الفرج **قلت** لان النظر بريد الزنا
ورائد الفجور والبلوى فيه اشد ولا يكاد احد يقدر على الاحتراس منه ذلك ازكى لهم اي خير لهم واطهر معناه اي غض
البصر وحفظ الفرج ان الله خبير بما يصنعون اي انه خبير باحوالهم وافعالهم وكيف يجيلون ابصارهم وكيف
يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم قوله تعالى وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن
اي عما لا يحل لهن روي عن ام سلمة قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده اعمى احتجبت منه
فقلنا يا رسول الله اعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افعمياوان انتما الستما
تبصرانه اخرجه الترمذي وابو داود وقوله تعالى ولا يبدين زينتهن اي لا يظهرن زينتهن لغير محرم واراد بالزينة
الخفية مثل الخلخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط في الاذن والقلائد في العنق فلا يجوز
للمرأة اظهارها ولا يجوز للاجنبي النظر اليها والمراد من الزينة النظر الى مواضعها من البدن الا ما ظهر منها
اي من الزينة قال ابن مسعود هي الثياب وقال سعيد بن جبير والضحاك والاوزاعي الوجه والكفان وقال
ابن عباس الكحل والخاتم والخضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للاجنبي النظر اليه للضرورة مثل تحمل
الشهادة ونحوها من الضرورات اذا لم يخف فتنة وشهوة فان خاف شيئا من ذلك غض البصر وانما رخص في هذا
القدر للمرأة ان تبديه من بدنها لانه ليس بعورة ويؤمر بكشفه في الصلاة وسائر بدنها عورة وليضربن بخمرهن
اي ليلقين بمقانعهن على جيوبهن اي موضع الجيب وهو النحر والصدر اي ليسترن بذلك شعورهن
واعناقهن واقرطتهن وصدورهن خ عن عائشة قالت يرحم الله نساء المهاجرات الاول لما انزل الله

كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء للحكم ... لشموله البيوت المسكونة وغيرها قاضي

وليضربن

وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها المرط كساء من صوف او خز او كتان وقيل هو الازار
وقيل هو الدرع ولا يبدين زينتهن يعني الخفية التي لم يبح لهن كشفها في الصلاة ولا للاجانب وهي ما عدا الوجه
والكفين الا لبعولتهن قال ابن عباس لا يضعن الجلباب والخمار الا لازواجهن او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن
او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن فيجوز لهؤلاء ان ينظروا الى الزينة الباطنة ولا ينظروا الى ما بين
السرة والركبة ويجوز للزوج ان ينظر الى جميع بدن زوجته غير انه يكره له النظر الى فرجها او نسائهن اي المؤمنات
من اهل دينهن اراد به انه لا يجوز للمرأة المؤمنة ان تتجرد من ثيابها عند الذمية والكافرة لان الله تعالى قال
او نسائهن والذمية والكافرة ليست من نسائنا ولانها اجنبية في الدين فكانت ابعد من الرجل الاجنبي كتب الى
عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة بن الجراح ان يمنع نساء اهل الكتاب ان يدخلن الحمام مع المسلمات وقيل يجوز كما يجوز ان
تنكشف للمرأة المسلمة لانها من جملة النساء او ما ملكت ايمانهن قيل هو عبد المرأة فيجوز له الدخول عليها اذا
كان عفيفا وان ينظر الى مولاته الا ما بين السرة والركبة كالمحارم وهو ظاهر القران يروى ذلك عن عائشة وام
سلمة وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة بعبد قد وهبه لها وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به رأسها
لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك
بأس انما هو ابوك وغلامك وقيل هو كالاجنبي معها وهو قول سعيد بن المسيب قال والمراد من الاية الاماء
دون العبيد او التابعين غير اولي الاربة من الرجال قرئ بنصب لا اربة من الرجال منهن فانهن لا يبدين زينتهن
لمن كان منهم ذا اربة وجر غير على نعت التابعين والاربة والارب الحاجة والمراد بغير اولي الاربة التابعين غير
اولي الاربة هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم الا ذلك ولا حاجة لهم في النساء وقال ابن عباس
هو الاحمق العنين وقيل هو الذي لا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن وقيل هو المجبوب والخصي وقيل هو
الشيخ الهرم الذي ذهبت شهوته وقيل هو المخنث م عن عائشة رضي الله عنها قالت كان يدخل على ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير اولي الاربة فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند
بعض نسائه وهو ينعت امرأة فقال اذا اقبلت اقبلت باربع واذا ادبرت ادبرت بثمان فقال النبي صلى الله
عليه وسلم الا ارى هذا يعرف ما هاهنا لا يدخل عليكم فحجبوه زاد ابو داود في رواية واخرجوه من البيت يدخل كل
جمعة فيستطعم قوله اقبلت باربع اي اربع عكن في بطنها فهي تقبل بهن اذا اقبلت وقوله وبثمان اطراف
العكن الاربع من الجانبين وذلك لسمنها او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء اي لم يكشفوا عن
عورات النساء للجماع فيطلعوا عليها وقيل لم يبلغوا حد الشهوة وقيل الطفولية اسم للصبي ما لم يحتلم ولا يضربن
بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن قيل كانت المرأة اذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها او يتبين خلخالها
فنهين عن ذلك وقيل ان الرجل يغلب عليه شهوة النساء اذا سمع صوت الخلخال فيصير ذلك داعية له
مشاهدتهن وقد علل ذلك بقوله تعالى ليعلم ما يخفين من زينتهن فنبه به على ان الذي لاجله نهي عنه
ان يعلم به ما عليهن من الحلي وغيره وتوبوا الى الله جميعا اي من التقصير الواقع في امره ونهيه وارجعوا الى طاعته فيما امركم
به ونهاكم عنه من الاداب المذكورة في هذه السورة وقيل ان اوامر الله ونواهيه في كل باب لا يقدر العبد الضعيف
على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد فلا ينفك عن تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين بالتوبة والاستغفار
ووعد بالفلاح اذا تابوا واستغفروا اخذا من قوله ايها المؤمنون لعلكم تفلحون م ... قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول توبوا الى ربكم فوالله اني لاتوب الى ربي تبارك وتعالى مائة مرة في اليوم عن ابن عمر قال كنا لنعد
لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس يقول رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم مائة مرة اخرجه عبد الرحمن

ابن حميد المكتي ق عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله افرح بتوبة عبده من احدكم سقط
على بعيره وقد اضله في ارض فلاة م عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس
من مغربها تاب الله عليه قوله عز وجل وانكحوا الايامى منكم جمع الايم يطلق على الذكر والانثى وهو من لا زوج
له من رجالكم ونسائكم والصالحين من عبادكم اي من عبيدكم وامائكم بيان حكم الاية الامر المذكور في الاية امر
ندب واستحباب لاجماع السلف عليه فيستحب لمن اشتاقت نفسه الى النكاح ووجد اهبته ان يتزوج وان لم يجد
اهبته يكسر شهوته بالصوم ق عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم
الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء الباءة النكاح
ويكنى به عن الجماع ايضا والوجاء بكسر الواو وهو رض الانثيين نوع من الخصاء شبه به الصوم في قطعه شهوة النكاح
بالوجاء الذي يقطع النسل عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود
فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة اخرجه ابو داود والنسائي ق عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الدنيا متاع وخير متاعها المراة الصالحة اما من لا تتوق نفسه الى النكاح وهو قادر عليه فالتخلي للعبادة
افضل من النكاح عند الشافعي وعند اصحاب الراي النكاح افضل قال الشافعي قد ذكر الله عبدا اكرمه فقال سيدا
وحصورا وهو الذي لا ياتي النساء وذكر القواعد ولم يندبهن الى النكاح وفي الاية دليل على ان تزويج الايامى الى الاولياء
وهو ان الله خاطبهم كان تزويج العبيد والاماء الى السادات وهو قول اكثر اهل العلم من الصحابة فمن بعدهم وروى
ذلك عن عمر وعلي وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وابي هريرة وعايشة وبه قال سعيد بن المسيب والحسن
وشريح والنخعي وعمر بن عبد العزيز واليه ذهب الثوري والاوزاعي وعبد الله بن المبارك والشافعي واحمد واسحق وجوز
اصحاب الراي للمراة تزويج نفسها وان كانت شريفة فلا والدليل على ان الولي شرط في النكاح ما روى عن ابي موسى
الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نكاح الا بولي اخرجه ابو داود والترمذي ولهما عن عايشة عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايما امراة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل ثلاثا فان اصابها فلها المهر
بما استحل من فرجها فان اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له وقوله تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله
قيل الغنى ههنا القناعة وقيل هو اجتماع الرزقين رزق الزوج والزوجة وقال عمر بن الخطاب عجبت لمن يبتغي
الغنى بغير النكاح والله تعالى يقول ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا
من سعته والله واسع اي انه ذو الافضال الواسع والجود عليم اي بما يصلح من خلقه من الرزق قوله تعالى وليستعفف
الذين لا يجدون نكاحا اي ليطلب العفة عن الزنا والحرام الذين لا يجدون ما ينكحون به من الصداق والنفقة
حتى يغنيهم الله من فضله اي يوسع عليهم من رزقه والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم سبب نزول هذه
الاية ان غلاما لحويطب بن عبد العزى سال مولاه ان يكاتبه فابى عليه فانزل الله تعالى هذه الاية فكاتبه
حويطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا فاداها وقتل يوم حنين في الحرب بيان حكم الاية وكيفية
المكاتبة وذلك ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من المال ويسمي مالا معلوما يؤدي ذلك في نجمين او في نجوم
معلومة في كل نجم كذا فاذا اديت ذلك فانت حر ويقبل العبد ذلك فاذا ادى العبد ذلك المال عتق ويصير العبد
احق بمكاسبه بعقد الكتابة واذا عتق باداء المال فما فضل في يده من المال فهو له ويتبعه اولاده الذين حصلوا في الكتابة
في العتق واذا عجز عن اداء المال كان لمولاه ان يفسخ الكتابة ويرده الى الرق وما في يده من المال فهو لسيده لما روى عن
عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكاتب عبد ما بقي عليه درهم اخرجه ابو داود وذهب
بعض اهل العلم الى ان قوله تعالى فكاتبوهم امر ايجاب فيجب على السيد ان يكاتب عبده الذي علم فيه خيرا اذا سال

العبد ذلك على قيمته او على اكثر من قيمته وان سال على اقل من قيمته لا يجب وهو قول عطاء وعمرو بن دينار لما روي
ان ابن سيرين سال انس بن مالك وكان كثير المال فانطلق ابن سيرين الى عمر فشكاه فدعاه عمر فقال له عمر كاتبه
فابى فضربه بالدرة وتلا فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا فكاتبه وذهب اكثر اهل العلم الى انه امر ندب واستحباب ولا
تجوز الكتابة على اقل من نجمين عند الشافعي لانه عقد جوز ارفاقا بالعبد ومن تتمة الارفاق ان يكون ذلك
المال عليه الى اجل حتى يؤديه على مهل فيحصل المقصود وجوز ابو حنيفة المكاتبة الى نجم واحد وحالة واحدة واختلفوا
في المعنى قوله ان علمتم فيهم خيرا فقال ابن عمر قوة على الكسب وهو قول مالك والثوري وقيل مالا روي ان
عبدا لسلمان الفارسي قال له كاتبني قال الك مال قال لا قال تريد ان تطعمني اوساخ الناس ولم يكاتبه
قيل لو اراد به المال لقال ان علمتم لهم خيرا وقيل صدقا وامانة وقال الشافعي اظهر معاني الخير في العبد الاكتساب
مع الامانة فاحب ان لا يمتنع من الكتابة اذا كان هكذا وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ثلاث عونهم المكاتب الذي يريد الاداء والناكح يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله اخرجه الترمذي والنسائي
وقيل معنى الخير ان يكون العبد بالغا عاقلا فاما الصبي والمجنون فلا تصح كتابتهما لان الابتغاء منهما لا يصح
وجوز ابو حنيفة كتابة الصبي والمراهق قوله عز وجل واتوهم من مال الله الذي اتاكم قيل هو خطاب للموالي
فيجب على المولى ان يحط عن مكاتبه من مال الكتابة شيئا وهو قول عثمان وعلي والزبير وجماعة وبه قال الشافعي
ثم اختلفوا في قدر ما يحط فقيل يحط الربع وهو قول علي ورواه بعضهم مرفوعا وقال ابن عباس يحط الثلث وقال
الاخرون ليس له حد بل عليه ان يحط ما شاء وبه قال الشافعي قال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلاما على خمسة وثلاثين
الف درهم فوضع من اخر كتابته خمسة الاف درهم اخرجه مالك في الموطا وقال سعيد بن جبير كان ابن عمر لا يضع منه
شيئا من اول نجومه مخافة ان يعجز فيرجع اليه صدقته ويضع عنه من اخر كتابته ما احب وقال بعضهم هو امر استحباب
والوجوب اظهر وقيل اراد بقوله واتوهم من مال الله الذي اتاكم اي سهمهم الذي جعله لهم من الصدقات المفروضات
وهو قوله وفي الرقاب اراد به المكاتب وهو قول الحسن وزيد بن اسلم وقيل هو حث لجميع الناس على معونتهم واختلف
العلماء فيما اذا مات المكاتب قبل اداء النجوم فذهب كثير منهم الى انه يموت رقيقا وترتفع الكتابة سواء ترك مالا
او لم يترك مالا وهو قول عمر وزيد بن ثابت وبه قال عمر بن عبد العزيز والزهري وقتادة والبه ذهب الشافعي
واحمد وقال قوم ان ترك وفاء بما بقي عليه من مال الكتابة كان حرا وان فضل له مال كان لاولاده الاحرار وهو قول
عطاء وطاوس والنخعي والحسن وبه قال مالك والثوري واصحاب الراي ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق
باداء المال لان عتقه معلق بالاداء وقد وجد ويتبعه اولاده واكتسابه في حال الكتابة الصحيحة بالكتابة
الصحيحة لا يملك المولى فسخها ما لم يعجز المكاتب عن اداء النجوم وقوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم اي امائكم على
البغاء اي الزنا ان اردن تحصنا الاية م عن جابر قال كان عبد الله بن ابي بن سلول يقول لجارية له
اذهبي فابغينا شيئا فانزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا وفي رواية
اخرى كان لعبد الله بن ابي ابن سلول جارية يقال لها مسيكة واخرى يقال لها اميمة وكان يكرههما
على الزنا فشكتا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم
على البغاء الى قوله غفور رحيم قال المفسرون نزلت في عبد الله بن ابي ابن سلول المنافق
لهما
كان له جاريتان مسيكة ومعاذة وكان يكرههما على الزنا لاجل ضريبة ياخذها منهما وكذلك
كانوا يفعلون في الجاهلية يؤاجرون اماءهم فلما جاء الاسلام جاءت معاذة لمسيكة ان هذا الامر الذي
نحن فيه لا يخلو من وجهين فان يك خيرا فقد استكثرنا منه وان يك شرا فقد ان لنا ان ندعه فانزل

Copyright © King Saud University

هذه الاية ويروى ان احدى الجاريتين جاءت ببرد وجاءت الاخرى بدينار فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا
والله لا نفعل قد جاء الاسلام وحرم الزنا فاتتا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكتا اليه فانزل الله
هذه الاية واختلف العلما في معنى قوله ان اردن تحصنا على اقوال احدها ان الكلام ورد على سبب وهو الذي
ذكره في سبب نزول الاية فخرج النهي على صفة السبب وان لم يكن شرطا فيه الثاني انما شرط ارادة التحصن
فاما اذا لم ترد المراة التحصين فانها تبغي بالطبع طوعا الثالث ان معناه اذ اردن تحصنا كقوله
وانتم الاعلون ان كنتم مومنين اي اذ كنتم مومنين القول الرابع ان في هذه الاية تقديم وتاخير تقديره
وانكحوا الايامى منكم ان اردن تحصنا ولا تكرهوا فتياتكم على البغا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا اي لتطلبوا
من اموال الزنا يريد كسبهن وبيع اولادهن ومن يكرههن يعني على الزنا فان الله من بعد اكراههن غفور
رحيم يعني للمكرهات والوزر على المكره وكان الحسن اذا قرا هذه الاية قال لهن والله لهن قوله تعالى ولقد انزلنا
اليكم ايات مبينات اي من الحلال والحرام ومثلا من الذين خلوا من قبلكم اي شبها من حالكم بحالهم ايها المكذبون وهذا
تخويف لهم ان يلحقهم ما لحق من كان قبلهم من المكذبين وموعظة للمتقين اي للمومنين الذين يتقون الشرك والكباير
قوله عز وجل الله نور السموات والارض قال ابن عباس معناه هادي السموات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهداه
من حيرة الضلالة ينجون وقيل معناه نور السموات والارض نور السما بالملايكة ونور الارض بالانبيا وقيل نور
السموات اي مزين السموات بالشمس والقمر والنجوم ومزين الارض بالانبيا والعلما والمومنين وقيل بالزرع الارض
بالنبات والاشجار وقيل معناه ان الانوار كلها منه وقد يذكر بهذا اللفظ على طريق المدح كقول الشاعر
اذا سار عبد الله عن مرو ليلة ❊ فقد سار عنها نورها وجمالها ❊ مثل نوره اي مثل نور الله عز وجل في قلب المومن
وهو النور الذي يهتدي به وقال ابن عباس مثل نوره الذي اعطى المومن وقيل الكناية عايدة الى المومن اي مثل
نور قلب المومن وقيل اراد بالنور القران وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو الطاعة سمى طاعة الله نورا
واضاف هذه الانوار الى نفسه تشريفا وتفضيلا كمشكاة فيها مصباح هي الكوة التي لا منفذ لها وقيل هي بلغة
الحبشة فيها مصباح اي سراج واصله من الضوء المصباح في زجاجة يعني القنديل وانما ذكر الزجاجة لان
النور وضوء النار فيها ابين من كل شي وضوءه يزيد في الزجاجة ثم وصف الزجاجة فقال الزجاجة كانها
كوكب دري من درا الكوكب اذا اندفع منقضا فيتضاعف نوره في تلك الحال والوقت وقيل هو من درا النجم
اذا طلع وارتفع وقيل دري اي شديد الانارة نسب الى الدر في صفايه وحسنه وان كان اضوا من الدر
لكنه يفضل الكوكب بصفايه كما يفضل الدر على ساير اللولو وقيل الكوكب الدري احد الكواكب السيارة
الخمسة التي هي زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد وقيل شبه بالكوكب ولم يشبه بالقمر والشمس لانهما
يلحقهما الكسوف بخلاف الكواكب توقد اي المصباح من شجرة اي الشجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية
اي من زيت شجرة مباركة كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة لان الزيت يسرج منه ويدهن به وهو ادام وهو اصفى
الادهان واضوءها وقيل انها اول شجرة نبتت بعد الطوفان وقيل اراد به زيتون الشام لانها هي الارض
المباركة وهي شجرة لا يسقط ورقها عن اسيد بن ثابت او ابي اسيد الانصاري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه يخرج من شجرة مباركة اخرجه الترمذي لا شرقية ولا غربية اي ليست
شرقية وحدها لا تصيبها الشمس اذا اشرقت بالغدوة اذا طلعت بل ضاحية للشمس طول النهار تصيبها
الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية غربية تاخذ حظها من الامرين فيكون زيتها اضوا
وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه انها ليست في صفات لا تصيبها الشمس ولا في مضحاة لا يصيبها

الظل

الظل ولا يصيبها شمس ولا ظل وقيل معناه انها معتدلة ليست في شرق يضرها الحر ولا في غرب يضرها البرد وقيل
هذه الشجرة ليست من اشجار الدنيا لانها لو كانت من اشجار الدنيا لكانت شرقية او غربية وانما هو مثل ضربه الله لنوره
يكاد زيتها يضيء اي من صفايه ولو لم تمسسه نار اي قبل ان تمسه النار نور على نور اي المصباح على نور الزجاجة

فصل في بيان التمثيل المذكور في الاية اختلف اهل العلم في معنى هذا التمثيل المذكور فقيل المراد به
الهدى ومعناه ان هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والجلال الى اقصى الغايات وصار ذلك بمنزلة المشكاة
التي فيها زجاجة صافية وفي تلك الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفا والرقة والبياض فاذا كان كذلك
كان كاملا في صفايه صلح ان يجعل مثلا لهذه الهداية لله تعالى وقيل وقع هذا التمثيل لنور محمد صلى الله
عليه وسلم قال ابن عباس لكعب الاحبار اخبرني عن قوله تعالى مثل نوره كمشكاة قال كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة يكاد نور
محمد صلى الله عليه وسلم وامره يتبين للناس ولو لم يتكلم به انه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضي ولو لم تمسسه نار
وروى عن ابن عمر في هذه الاية قال المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح الذي جعله
الله فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودي ولا نصراني توقد من شجرة مباركة ابراهيم نور على نور نور قلب ابراهيم ونور
قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظي المشكاة ابراهيم والزجاجة اسماعيل والمصباح محمد صلى الله
عليه وسلم عليهم اجمعين سماه الله مصباحا كما سماه سراجا منيرا والشجرة المباركة ابراهيم صلى الله عليه وسلم
لان اكثر النبيين من صلبه لا شرقية ولا غربية يعني ابراهيم يعني لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا
مسلما لان اليهود تصلي الى الغرب والنصارى تصلي الى الشرق يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار يكاد محاسن
محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل ان يوحى اليه نور على نور من نسل نبي نور محمد صلى الله عليه وسلم على نور
ابراهيم وقيل وقع هذا التمثيل لنور قلب المومن قال كعب الاحبار هذا مثل المومن فالمشكاة نفسه
والزجاجة قلبه والمصباح ما جعل الله فيه من الايمان والقران توقد من شجرة مباركة هي شجرة الاخلاص
لله وحده فمثله مثل شجرة قد التفت بها الشجر فهي خضرا ناعمة نضرة لا تصيبها الشمس اذا طلعت ولا اذا
غربت فكذلك المومن قد احترز ان يصيبه شي من الفتن فهو بين اربع خصال ان اعطي شكر وان
ابتلي صبر وان حكم عدل وان قال صدق يكاد زيتها يضي اي يكاد قلب المومن يعرف الحق قبل ان يتبين
له لموافقته اياه نور على نور قال ان المومن يتقلب في خمسة انوار قوله نور وعمله نور ومدخله نور
ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة هذا مثل ضربه الله لنور الله وهداه في قلب المومن يكاد
الزيت الصافي يضي قبل ان تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوا على ضويه فكذلك يكاد قلب المومن
يعمل بالهدى قبل ان ياتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور وقال الكلبي نور
على نور يعني ايمان المومن وعمله وقيل نور الايمان ونور القران وقيل هذا مثل القران فالمصباح هو
القران كما يستضا بالمصباح فكذلك يهتدى بالقران والزجاجة قلب المومن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة
شجرة المعرفة في قلبه يكاد حجة القران تتضح وان لم يقرا نور على نور يعني القران نور من الله لخلقه مع ما اقام لهم
من الدلايل والاعلام قبل نزول القران فازدادوا بذلك نورا على نور قوله تعالى يهدي الله لنوره من يشا
قال ابن عباس لدين الاسلام وهو نور البصيرة ويضرب الله الامثال للناس اي يبين الله الامثال
للناس تقريبا الى الافهام وتسهيلا لسبيل الادراك والله بكل شي عليم قوله عز وجل في بيوت اي
ذلك المصباح يوقد في بيوت والمراد بالبيوت جميع المساجد قال ابن عباس المساجد بيوت الله في الارض

Copyright © King Saud University

تضي لاهل السما كما تضي النجوم لاهل الارض وقيل المراد بالبيوت اربعة مساجد لم يبنها الا نبي الكعبة بناها
ابراهيم واسماعيل فجعلاها قبلة وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومسجد قبا اسس على التقوى بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا اذن الله ان ترفع اي تبنى
وقيل تعظم فلا يذكر فيها الخنا من القول وتطهر من الانجاس والاقذار ويذكر فيها اسمه قال ابن عباس يتلى فيها
كتابه يسبح له فيها اي يصلى له فيها بالغدو والاصال اي بالغداة والعشي قال اهل التفسير اراد به الصلاة
المفروضة فالتي تؤدى بالغداة صلاة الفجر والتي تؤدى بالاصال صلاة الظهر والعصر والعشايين لان اسم الاصال
يقع على هذا الوقت كله وقيل اراد به الصبح والعصر عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من
صلى البردين دخل الجنة واراد بالبردين صلاة الصبح وصلاة العصر وقال ابن عباس التسبيح بالغدو والاصال
صلاة الضحى وصلاة العصر وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته متطهرا الى
صلاة مكتوبة كان اجره كاجر الحاج المحرم ومن خرج الى المسجد الى تسبيح الضحى لا يعنيه الا ذلك كان له اجر كاجر المعتمر
وصلاة على اثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين اخرجه ابو داود رجال قيل خص الرجال بالذكر في هذه المساجد
لان النسا ليس عليهم حضور المساجد لجمعة ولا لجماعة لا تلهيهم تجارة اي لا تشغلهم تجارة وقيل خص التجارة
بالذكر لانها من اعظم ما يشتغل الانسان بها عن الصلوات والطاعات واراد بالتجارة الشرا وان كان اسم
التجارة يقع على البيع والشرا جميعا لانه ذكر البيع بعده وقيل خص التجارة بالذكر لاهل الجلب والبيع ما باعه
الرجل على يده ولا بيع اي ولا تشغلهم بيع عن ذكر الله اي حضور المساجد لاقامة الصلوات واقام الصلاة
يعني اقامة الصلاة في وقتها لان من اخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة روى سالم عن ابن
عمر انه كان في السوق فاقيمت الصلاة فقام الناس واغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر
نزلت فيهم هذه الاية رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وايتا الزكاة يخافون يوما يعني المفروضة قال
ابن عباس اذا حضرت وقت ادا الزكاة فلا يحبسونها تتقلب فيه القلوب والابصار معناه ان هولا الرجال
وان بالغوا في ذكر الله والطاعات فانهم مع ذلك وجلون خايفون لعلمهم بانهم ما عبدوا الله حق عبادته وقيل
ان القلوب تضطرب من الهول والفزع وتشخص الابصار وقيل تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من
الشك الى اليقين وتنفتح الابصار من الاغطية وقيل تتقلب القلوب بين الرجا والخوف فتخشى الهلاك
وتطمع في النجاة وتتقلب الابصار من هول ذلك اليوم من اي ناحية يوخذ بهم من ذات اليمين ام من ذات
الشمال ومن اين يوتون كتبهم امن قبل اليمين ام من قبل الشمال وقيل تتقلب القلب من الخوف فيرتفع الى
الحنجرة فلا ينزل ولا يخرج وتتقلب البصر فيشخص من هول الامر وشدته ليجزيهم الله احسن ما عملوا يعني انهم
اشتغلوا بذكر الله واقام الصلاة وايتا الزكاة ليجزيهم الله احسن ما عملوا والمراد بالاحسن الحسنات كلها
وهي الطاعات التي فرضها الله ونفلها وذكر الاحسن تنبيها على انه لا يجازيهم على مساوي اعمالهم بل يغفرها
وقيل انه تعالى يجزيهم جزا احسن من اعمالهم على الواحد من عشرة الى سبعماية ضعف ويزيدهم من فضله
يعني انه تعالى يجزيهم باحسن من اعمالهم ولا يقتصر على ذلك بل يزيدهم من فضله والله يرزق من يشا بغير
حساب فيه تنبيه على كمال قدرته وكمال جوده وسعة احسانه وفضله قوله عز وجل والذين
كفروا اعمالهم كسراب بقيعة لما ضرب الله مثل حال المومن وانه في الدنيا والاخرة من نوره وانه
فايز بالنعيم المقيم اتبعه بضرب مثل لاعمال الكفار وشبهه بالسراب وهو شبه ما يرى نصف النهار
عند شدة الحر كالما يظنه من يراه ما فاذا قرب منه انفش فلم ير شيا والقيعة القاع وهو المنبسط

من

من الارض وفيه يكون السراب يحسبه اي يتوهمه الظمآن اي العطشان ما حتى اذا جاءه لم يجده اي جا ما قدر انه ما
وقيل جا الى موضع السراب شيا اي لم يجده على ما قدره وظنه ووجه التشبيه ان الذي ياتي به الكافر من اعمال البر وهو يعتقد
ان لها ثوابا عند الله وليس كذلك فاذا وافى عرصة القيمة لم يجد الثواب الذي كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب
الاليم فعظمت حسرته وتناهى غمه فشبه تعلق قلبه به فاذا جاءه لم يجده شيا كذلك حال الكافر يحسب ان عمله نافعه
فاذا احتاج الى عمله لم يجده شيا اغنى عنه ولا نفعه ووجد الله عنده اي وجد الله بالمرصاد وقيل قدم على الله فوفاه حسابه
اي جزا عمله والله سريع الحساب معناه انه عالم بجميع المعلومات فلا يشغله محاسبة واحد عن واحد ثم ضرب مثلا اخر فقال
تعالى او كظلمات اعلم ان الله سبحانه وتعالى علم ان اعمال الكفار ان كانت حسنة فهي كسراب بقيعة وان كانت
قبيحة فهي كظلمات وقيل معناه ان مثل اعمالكم في فسادها وانجهالكم فيها كظلمات في بحر لجي اي عميق كثير
الما لجة البحر معظمه يغشاه اي يعلوه موج من فوقه موج اي متراكم من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض
معناها ان البحر اللجي يكون قعره مظلما جدا بسبب غمورة الما فاذا ترادفت الامواج ازدادت الظلمة فاذا كان
فوق الامواج سحاب بلغت الظلمة النهاية القصوى اذا اخرج يده لم يكد يراها اي لم يقرب ان يراها لشدة
الظلمة وقيل معناه لم يرها الا بعد الجهد وقيل لما كانت اليد من اقرب شي يراه الانسان قال لم يكد
يراها ووجه التشبيه ان الله تعالى ذكر ثلاثة انواع من الظلمة ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة السحاب
وكذلك الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل وقيل شبه بالبحر اللجي قلبه وبالموج
ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة وبالسحاب الختم والطبع على قلبه قال ابي بن كعب الكافر يتقلب في خمس من
الظلم كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره الى الظلمات يوم القيامة في النار ومن لم يجعل
الله له نورا فما له من نور قال ابن عباس من لم يجعل الله له نورا اي دينا وايمانا فلا دين له وقيل من لم يهده الله فما
له من هاد قيل نزلت هذه الاية في عتبة بن ربيعة بن امية كان يلتمس الدين في الجاهلية ولبس المسوح فلما جاء
الاسلام كفر وعاند والاصح ان الاية عامة في جميع الكفار قوله تعالى الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض
والطير صافات اي باسطات اجنحتها في الهوا قيل خص الطير بالذكر من جملة الحيوانات لانها تكون بين السما والارض
فتكون خارجة عن حكم من في السموات والارض كل قد علم صلاته وتسبيحه قيل ان الصلاة لبني ادم والتسبيح
لساير الخلق وقيل انه (?) اجنحة الطير صلاته وتسبيحه وقيل معناه ان كل مسبح ومصل علم الله صلاته وتسبيحه
وقيل معناه كل مصل ومسبح منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض
اي ان جميع الموجودات ملكه وفي تصرفه وعند نشاتها ومنه بدتها وهو واجب الوجود وقيل معناه الخزاين المطر
والرزق بيده ولا يملكها احد سواه والى الله المصير اي والى الله مرجع العباد بعد الموت قوله تعالى الم تر ان الله
يزجي اي يسوق سحابا اي بامره الى حيث يشا من ارضه وبلاده ثم يولف بينه اي يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها
الى بعض ثم يجعله ركاما اي متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق اي المطر يخرج من خلاله اي من وسطه وهو مخارج
القطر وينزل من السما من جبال فيها من برد قيل معناه وينزل من جبال من السما تلك الجبال من برد قال ابن عباس
اخبر الله تعالى ان في السما جبالا من برد وقيل معناه ينزل من السما مقدار جبال في الكثرة من برد **فان قلت**
ما الفرق بين من الاولى والثانية **قلت** من الاولى لابتدا الغاية لان ابتدا الانزال
من السما والثانية للتبعيض لان ما ينزله الله من بعض تلك الجبال التي في السما والثالثة للتجنيس
لان تلك الجبال من جنس البرد فيصيب به من يشا فيهلكه واموالهم ويصرفه عن من يشا
فلا يضره يكاد سنا برقه اي ضوء برق السحاب يذهب بالابصار من شدة ضوئه وبريقه يقلب الله الليل

Copyright © King Saud University

والنهار اي يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما فيأتي بالليل ويذهب بالنهار ويأتي بالنهار ويذهب بالليل عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب
الليل والنهار معنى هذا الحديث ان العرب كانت تقول عند النوازل والشدائد اصابنا الدهر وتذكره في
اشعارهم فقيل لهم لا تسبوا الدهر فان فاعل ذلك هو الله تعالى والدهر مصرف يقع فيه التاثير كما يقع
بكم وقوله تعالى ان في ذلك اي الذي ذكرت على قدرة الله وتوحيده لعبرة لاولي الابصار قوله عز وجل
والله خلق كل دابة من ماء اي من نطفة واراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا فلا يدخل فيه الملائكة والجن لانا
لا نشاهدهم وقيل ان اصل جميع الخلق من الماء وذلك ان الله خلق خلقا فجعل بعضه ريحا ونورا فخلق منه
الملائكة وجعل بعضه نارا فخلق منه الجن وجعل بعضه طينا فخلق منه آدم فمنهم من يمشي على بطنه اي كالحيات
والحيتان والديدان ونحو ذلك ومنهم من يمشي على رجلين يعني مثل بني آدم والطير ونحو ذلك ومنهم من يمشي على
اربع يعني كالبهائم والسباع ونحو ذلك **فان قلت** كيف قال خلق كل دابة من ماء وان كثيرا
من الحيوانات يتولد من غير نطفة **قلت** ذلك الخلق الذي من غير نطفة لا بد ان يتكون من شيء
وذلك الشيء اصله من الماء فكان من الماء **فان قلت** فمنهم من يمشي ضمير العقلاء فلم استعمل في
غير العقلاء **قلت** ذكر الله تعالى ما لا يعقل مع من يعقل فغلب اللفظ اللائق بمن يعقل لانه
جعل الشريف اصلا والخسيس تبعا اولا **فان قلت** لم قدم من يمشي على بطنه على غيره من
المخلوقات **قلت** قدم الاعجب والاعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة المشي وهو الرجل والقوائم
ثم ذكر ما يمشي على رجلين ثم ما يمشي على اربع **فان قلت** لم اقتصر على ذكر الاربع وفي
الحيوانات ما يمشي على اكثر من اربع كالعناكب والعقارب والرتيلا وما له اربع واربعون رجلا ونحو ذلك
قلت هذا القسم كالنادر فكان ملحقا بالاغلب وقيل ان هذه الحيوانات اعتمادها على
الاربع في المشي والباقي تبع لها يخلق الله ما يشاء اي مما لا يعقل ولا يعلم ان الله على كل شيء قدير اي هو القادر
على كل عالم بالكل يخلق ما يشاء كما يشاء لا يمنعه مانع ولا دافع لقد انزلنا آيات مبينات يعني القرآن هو
المبين للهدى والاحكام والحلال والحرام والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم يعني الى دين الاسلام الذي هو
دين الله وطريقه الى رضاه وجنته قوله تعالى ويقولون يعني المنافقين آمنا بالله وبالرسول واطعنا اي
يقولون بالسنتهم من غير اعتقاد ثم يتولى فريق منهم معناه اي يعرض عن طاعة الله ورسوله من بعد ذلك
اي من بعد قولهم آمنا ويدعو الى غير حكم الله تعالى وما اولئك بالمؤمنين نزلت هذه الآية في بشر المنافق
كان بينه وبين يهودي خصومة في ارض فقال اليهودي نتحاكم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق
نتحاكم الى كعب بن الاشرف فان محمدا يحيف فانزل الله هذه الآية واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم اي الرسول
بحكم الله بينهم اذا فريق منهم معرضون يعني عن الحكم وقيل عن الاجابة وان يكن لهم الحق ياتوا اليه
مذعنين يعني مطيعين منقادين لحكمه اذا كان الحكم لهم على غيرهم اسرعوا الى حكمه لثقتهم انه كما يحكم
عليهم بالحق يحكم لهم ايضا افي قلوبهم مرض اي كفر ونفاق ام ارتابوا اي شكوا وهذا استفهام ذم وتوبيخ
والمعنى هم كذلك ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله اي يظلم بل اولئك هم الظالمون اي لانفسهم
باعراضهم عن الحق قوله عز وجل انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله اي الى كتاب الله ورسوله ليحكم بينهم هذا تعليم
ادب الشرع على معنى ان المؤمنين انما ينبغي ان يكونوا وهو ان يقولوا سمعنا اي بالدعاء واطعنا اي بالاجابة
واولئك اي من هذه صفته هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله قال ابن عباس فيما ساءه وسره ويخش الله

ويتقه

اي على ما عمل من الذنوب ويتقه اي فيما بعد فاولئك هم الفائزون اي الناجون قوله تعالى واقسموا بالله
جهد ايمانهم قيل جهد اليمين ان يحلف بالله ولا يزيد على ذلك شيئا لئن امرتهم ليخرجن وذلك ان المنافقين كانوا
يقولون لرسول الله اينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا معك وان اقمت اقمنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا
وقيل لما نزل بيان كراهتهم لحكم الله ورسوله قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لو امرتنا ان نخرج من ديارنا
واموالنا ونسائنا لخرجنا فكيف لا نرضى بحكمك فقال الله تعالى قل لا تقسموا اي لا تحلفوا وتم الكلام ثم ابتدأ
فقال تعالى طاعة معروفة اي هذه طاعة معروفة القول باللسان دون الاعتقاد بالقلب وهي معروفة
امر عرف منكم انكم تكذبون وتقولون ما لا تفعلون وقيل معناه طاعة معروفة بنية خالصة افضل
وامثل من يمين باللسان لا يوافقها الفعل ان الله خبير بما تعملون من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل قل اطيعوا
الله واطيعوا الرسول يعني بقلوبكم وصدق نياتكم فان تولوا اي اعرضوا عن طاعة الله ورسول الله فانما عليه اي
على الرسول ما حمل اي ما كلف وامر به من تبليغ الرسالة وعليكم ما حملتم اي ما كلفتم من الاجابة والطاعة
وان تطيعوه تهتدوا اي تصيبوا الحق والرشد في طاعته وما على الرسول الا البلاغ المبين اي التبليغ الواضح المبين
قوله عز وجل وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض قيل مكث النبي صلى الله عليه
وسلم بعد الوحي عشر سنين مع اصحابه وامروا بالصبر على اذى الكفار فكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم
امروا بالهجرة الى المدينة وامروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق احد منهم سلاحه فقال رجل منهم اما يأتي
علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فانزل الله تعالى هذه الآية ومعنى ليستخلفنهم والله ليورثنهم ارض
الكفار من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وساداتها وسكانها كما استخلف الذين من قبلهم اي كما استخلف
داود وسليمان وغيرهما من الانبياء وكما استخلف بني اسرائيل وكما اهلك الجبابرة بمصر والشام واورثهم
ارضهم وديارهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا
فانجز الله وعده واظهر دينه ونصر اولياءه وابدلهم بعد الخوف امنا وبسطا في الارض خ عن عدي بن حاتم قال
بينا انا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ اتاه رجل فشكا اليه الفاقة ثم اتاه آخر فشكا اليه قطع السبيل
فقال يا عدي هل رأيت الحيرة قلت لم ارها وقد انبئت عنها قال فان طالت بك حياة فلترين
الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف احدا الا الله قلت فيما بيني وبين نفسي فاين
دعار طيئ الذين قد سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه ذهبا وفضة
من يقبله منه فلا يجد من يقبله وليلقين الله احدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجمان يترجم
له فليقولن له الم ابعث اليك رسولا فيبلغك فيقول بلى يا رب فيقول الم اعطك مالا وافضل
عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى الا جهنم قال عدي
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا الله ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة
طيبة قال عدي فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف الا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى
ابن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج الرجل ملء كفه ذهبا و
الآية دليل على صحة خلافة ابي بكر الصديق والخلفاء بعده لان في ايامهم كانت الفتوحات العظيمة وفتحت
كنوز كسرى وغيره من الملوك وحصل الامن والتمكين وظهور الدين عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ثم قال خلافة ابي بكر الصديق سنتين وخلافة عمر عشر
وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة وخلافة علي ستة قال علي قلت لحماد القائل لسعيد امسك سفينة قال نعم خرجه

اي اختار

ابو داود والترمذي بنحو هذا اللفظ بهذا الحديث هذا التفصيل وفيه اجمال وتفصيله ان خلافة ابي بكر سنتين وثلاثة اشهر وخلافة عمر عشر سنين وستة اشهر وخلافة عثمان اثنى عشر سنة كما ذكر في الحديث وخلافة علي اربع سنين وتسعة اشهر وهذا جاء في بعض روايات الحديث وعلى كذا لم يبين تعيين مدته فعلى هذا التفصيل يكون مدة خلافة الايمة الاربعة تسعة وعشرين سنة ... اشهر وكملت ثلاثين بخلافة الامام الحسن وكانت ستة اشهر ثم نزل عنها والله تعالى اعلم وقوله تعالى ومن كفر بعد ذلك اراد به كفران النعمة ولم يرد الكفر هنا بالله فاولئك هم الفاسقون اي العاصون قال اهل التفسير اول من كفر هذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله ما بهم وانزل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد ان كانوا اخوانا عن ابن اخي عبد الله بن سلام فقال عثمان انما جانبك قال الحبيب في نصرك قال اخرج الى الناس فقال ايها الناس ان لله سيفا مغمودا وان الملايكة قد جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله الله في هذا الرجل ان تقتلوه فوالله ان قتلتموه لتطردن جيرانكم الملايكة وليسلن الله سيفه المغمود عنكم فلا يغمد الى يوم القيامة قالوا اقتلوا اليهود واقتلوا عثمان اخرجه الترمذي فما قتل نبي قط الا قتل به سبعون الفا ولا خليفة الا قتل به خمسة وثلاثون الفا قوله تعالى واقيموا الصلاة واتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون اي افعلوا هذه الاشيا على رجا الرحمة لا تحسبن الذين كفروا معجزين اي فايتين عنا في الارض وماواهم النار ولبئس المصير قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم قال ابن عباس وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فراى عمر بحالة كره عمر رؤيته عنده ذلك فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في اسما بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم اللام لام الامر وفيه قولان احدهما انه على الندب والاستحباب والثاني انه على الوجوب وهو الاولى الذين ملكت ايمانكم يعني العبيد والاما والذين لم يبلغوا الحلم منكم يعني الاحرار وليس المراد منهم الذين لم يظهروا على عورات النسا بل المراد الذين عرفوا امر النسا ولكنهم لم يبلغوا الحلم وهو سن التمييز والعقل وغيره واتفق العلما على ان الاحتلام بلوغ واختلفوا فيما اذا بلغ ثمان عشرة سنة يصير مكلفا ويجري عليه الاحكام وان لم يحتلم ثلاث مرات اي ليستاذنوا في ثلاث اوقات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة اي وقت القيلولة ومن بعد صلاة العشا وانما خص هذه الثلاثة اوقات لانها ساعة الخلوة ووضع الثياب فربما يبدو من الانسان ما لا يحب ان يراه احد من العبيد والصبيان فامرهم بالاستيذان في هذه الاوقات وغير العبيد والصبيان فامرهم ليستاذنوا في جميع الاوقات ثلاث عورات لكم سميت هذه الاوقات عورات لان الانسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته ليس عليكم ولا عليهم جناح يعني العبيد والخدم والصبيان بعدهن اي حرج عليكم في الدخول بغير استيذان طوافون اي بعد هذه الاوقات الثلاثة عليكم اي العبيد والخدم يترددون ويدخلون ويخرجون في اشغالكم بغير اذن بعضكم على بعض اي يطوف بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم اختلف العلما في هذه الاية فقيل انها منسوخة حكي ذلك عن سعيد بن المسيب روى عكرمة ان نفرا من اهل العراق قالوا لابن عباس كيف ترى في هذه الاية التي امرنا بها ولا يعمل بها احد قول الله عز وجل يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم فقال ابن عباس ان الله حليم رحيم بالمومنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب فربما دخل الخادم او الولد او يتيمة الرجل والرجل على اهله فامرهم الله تعالى بالاستيذان في تلك العورات فجاءهم الله بالستور والخير فلم ار احدا يعمل بذلك

الاقسام طوافون استيناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستيذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلاثة وغيرها بانها عورات [illegible] احمد

اخرجه الترمذي وفي رواية عنه نحوه وزاد فراى ان ذلك يغني عن الاستيذان في تلك العورات وذهب قوم الى انها غير منسوخة وروى سفيان عن موسى بن ابي عايشة قال سالت الشعبي عن هذه الاية ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم منسوخة هي قال لا والله قلت ان الناس لا يعملون بها قال الله تعالى المستعان وقال سعيد بن جبير في هذه الاية ان ناسا لا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون الناس به وقيل ثلاث ايات ترك الناس العمل بهن هذه الاية وقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم والناس يقولون اعظمكم بيتا واذا حضر القسمة اولوا القربى وقوله عز وجل واذا بلغ الاطفال منكم الحلم اي الاحتلام يريد الاحرار الذين بلغوا فليستاذنوا اي يستاذنوا في جميع الاوقات في الدخول كما استاذن الذين من قبلهم اي الاحرار الكبار كذلك يبين الله لكم اياته اي دلالته وقيل احكامه والله عليم اي باموره خلقه حكيم بما دبر لهم وشرع وقال سعيد بن المسيب يستاذن الرجل على امه فانما نزلت الاية في ذلك وسيل حذيفة ايستاذن الرجل على والدته قال نعم ان لم تفعل رايت منها ما تكره والقواعد من النسا يعني اللاتي قعدن عن الحيض والولد من الكبر فلا يلدن ولا يحضن اللاتي لا يرجون نكاحا اي لا يردن الازواج لكبرهن وقيل هن العجايز اللواتي اذا راهن الرجال استقذروهن فاما من كانت فيها بقية جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل تحت حكم هذه الاية فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اي عند الرجال والمعنى بعض ثيابهن وهو الجلباب والردا الذي فوق الثياب والقناع الذي فوق الخمار فاما الخمار فلا يجوز وضعه غير متبرجات بزينة اي من غير ان يردن بوضع الجلباب والردا اظهار زينتهن ولا ليتبرجن اي فلا يلقين الجلباب والردا الا لاظهار زهو ان تظهر المراة من محاسنها ما يجب عليها ان تستره وان يستعففن اي فلا يلقين الجلباب والردا خير لهن والله سميع عليم قوله عز وجل ليس على الاعمى حرج اختلف العلما في هذه الاية فقال ابن عباس لما انزل الله يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مواكلة المرضى والزمنى والعمي والعرج وقالوا الطعام افضل الاموال وقد نهانا الله عز وجل عن اكل المال بالباطل والاعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض يضعف عن التناول فلا يستوفي من الطعام حقه فانزل الله هذه الاية فعلى هذا التاويل يكون على بمعنى في اي ليس في الاعمى والمعنى ليس عليكم في مواكلة الاعمى والمريض والاعرج حرج وقيل كان العميان والعرجان والمرضى يتنزهون عن مواكلة الاصحا لان الناس يتقذرونهم ويكرهون مواكلتهم ويقال الاعمى ربما اكل اكثر من ذلك ويقال للاعرج ربما جلس مكان اثنين فنزلت هذه الاية وذلك ان هولاء كانوا يدخلون على الرجل لطلب الطعام فاذا لم يكن عنده شي ذهب بهم الى بيت ابيه او بيت امه او بعض من سمى الله وكان اهل الزمانة يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى غير بيته فانزل الله هذه الاية وقيل كان المسلمون اذا غزوا دفعوا مفاتيح بيوتهم الى الزمنى ويقولون لهم قد احللنا لكم فكانوا يقولون لا ندخلها واصحابها غيب فانزل الله هذه الاية رخصة لهم لا في التخلف عن الجهاد فعلى هذا الكلام عند قوله ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج وقوله ولا على انفسكم كلام مستانف وقيل لما نزلت ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يحل لاحد منا ان ياكل عند احد فانزل الله تعالى ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم اي لا حرج عليكم ان تاكلوا من بيوتكم قيل اراد من اموالكم اموال عيالكم وبيوت ازواجكم لان بيت المراة كبيت الزوج وقيل اراد بيوت اولادكم نسب بيوت الاولاد الى الاباء كما جاء في الحديث انت ومالك لابيك او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه معناه

Copyright © King Saud University

قال ابن عباس عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته لا باس عليه ان ياكل من ثمرة ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر وقيل هو يعني بيوت عبيدكم ومماليككم وذلك ان السيد يملك منزل عبده والمفاتيح الخزاين ويجوز ان يكون المفتاح الذي يفتح به واذا ملكت الرجل المفتاح فهو خازن فلا باس ان ياكل الشي اليسير وقيل او ما ملكتم مفاتحه اي ما اخذتموه عندكم وما ملكتموه او صديقكم الصديق هو الذي صدقك في المودة قال ابن عباس نزلت في الحرث بن عمرو خرج غازيا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على اهله فلما رجع وجده مجهودا فسأله عن حاله فقال تحرجت ان اكل من طعامك بغير اذنك فانزل هذه الاية والمعنى ليس عليكم جناح ان تاكلوا من منازل هولا اذا دخلتموها وان لم يحضروا من غير ان تتزودوا وتحملوا ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا نزلت في بني ليث بن عمرو وهم حي من كنانة كان الرجل منهم لا ياكل وحده حتى يجد ضيفا ياكل معه فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من البانها حتى يجد من يشاربه فاذا امسى ولم يجد احدا اكل وقال ابن عباس كان الغني يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته ويدعوه الى الطعام فيقول والله اني لاجنح اي اتحرج ان اكل معك وانا غني وانت فقير فنزلت هذه الاية وقيل نزلت في قوم من الانصار كانوا لا ياكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم ان ياكلوا كيف شاووا جميعا اي مجتمعين او اشتاتا اي متفرقين فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اي ليسلم بعضكم على بعض هذا في دخول الرجل بيت نفسه يسلم على اهله ومن في بيته قال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على اهلك فهم احق من سلمت واذا دخلت بيتا ليس فيه احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته وعن ابن عباس في قوله اذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله مباركة طيبة قال ابن عباس حسنة جميلة وقيل ذكر البركة والطيب هاهنا لما فيه من الثواب والاجر كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون معناه اي عن الله امره ونهيه واراد به قوله عز وجل انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه اي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر جامع اي يجمعهم من حرب حضرت او صلاة او جمعة او عيد او جماعة او تشاور في امر نزل لم يذهبوا اي لم يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا حتى اجتمعوا له حتى يستاذنوه قال المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة واراد الرجل ان يخرج من المسجد لحاجة او عذر لم يخرج حتى يقول يا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف انه انما قام ليستاذن فياذن لمن شاء منهم قال مجاهد واذن الامام يوم الجمعة ان يشير بيده قال اهل العلم وكذلك كل امر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه الا باذن فاذا استاذن فللامام ان شاء اذن له وان شاء لم ياذن له وهذا اذا لم يكن سبب يمنعه من المقام فاذا حدث سبب يمنعه من المقام بان يكون في المسجد فتحيض امراة منهم او يجنب رجل منهم او يعرض له مرض فلا يحتاج الى الاستيذان ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم اي امرهم فاذن لمن شئت منهم اي في الانصراف والمعنى ان شئت فاذن وان شئت فلا تاذن واستغفر لهم الله اي ان رايت لهم عذرا في الخروج عن الجماعة ان الله غفور رحيم قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال ابن عباس يقول احذروا دعا الرسول اذا اسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره وقيل معناه لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا يا محمد يا عبد الله ولكن فخموه وعظموه وشرفوه فقولوا يا نبي الله يا رسول الله في لين وتواضع قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا اي يستتر بعضهم ببعض ويروح في خفية فيذهب قيل كان هذا في حفر الخندق فكان المنافقون ينصرفون

تفويض للامر الى راي رسول صلى الله عليه وسلم واستدل به من قال ان بعض الاحكام مفوضة الى رايه ومنع ذلك بتقييد المشية بان تكون تابعة لعلمه بصدقه فكان المعنى فاذن لمن علمت ان له عذرا

او يعلم انه يؤذن له كانه تابعة لانقضاء به على الحال وقربه بالفتح

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفين قال ابن عباس لواذا اي يلوذ بعضهم ببعض وذلك ان المنافقين كانوا يثقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا يلوذون ببعض اصحابه فيخرجون من المسجد في استتار وقد يعلم فيه للتهديد بالمجازاة فليحذر الذين يخالفون عن امره اي يعرضون عن امره وينصرفون عنه بغير اذنه ان تصيبهم فتنة اي لئلا تصيبهم فتنة اي بلا في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم اي وجيع في الاخرة ثم عظم نفسه فقال تعالى الا ان لله ما في السموات والارض اي ملكا وعبدا قد يعلم ما انتم عليه من الايمان والنفاق ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا اي من الخير والشر والله بكل شيء عليم عن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النسا الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور اخرجه ابو عبد الله بن البيع في صحيحه والله اعلم بمراده واسرار كتابه تم تفسير سورة النور والله اعلم

تفسير سورة الفرقان مكية بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل تبارك تفاعل من البركة كان معناه جا بكل بركة وقيل معناه تعظم الذي نزل الفرقان اي القران سماه فرقانا لانه فرق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل لانه نزل مفرقا في اوقات كثيرة ولهذا قال نزل بالتشديد لتكثير التفريق على عبده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ليكون للعالمين اي للانس والجن نذيرا قيل هو القران وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم الذي له ملك السموات والارض اي هو المتصرف فيهما كيف يشا ولم يتخذ ولدا اي هو الفرد في وحدانيته رد على النصارى ولم يكن له شريك في الملك اي هو المنفرد بالالهية وفيه رد على الوثنية وعباد الاصنام وخلق كل شيء معناه اي مما يطلق عليه صفة المخلوقات فقدره تقديرا يعني اي سواه وهياه لما يصلح له لا خلل فيه ولا تفاوت وقيل قدر لكل شيء تقديرا من الاجل والرزق فجرت المقادير على ما خلق قوله تعالى واتخذوا يعني عبدة الاوثان من دونه الهة يعني الاصنام لا يخلقون شيا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا اي دفع ضر ولا جر نفعا ولا يملكون موتا يعني اماتة ولا حياة اي احيا ولا نشورا اي بعثا بعد الموت وقال الذين كفروا يعني النضر بن الحرث واصحابه ان هذا اي هذا القران الا افك اي كذب افتراه اي اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم واعانه عليه قوم اخرون قيل يعني اليهود وقيل عبيد الله بن الخضر الكاهن الحبشي وقيل جبر ويسار وعداس عبيد كانوا بمكة من اهل الكتاب فزعم المشركون ان محمدا ياخذ منهم فقال الله تعالى فقد جاوا اي قائلو هذه المقالة ظلما وزورا اي بظلم وزور وهو نسبتهم كلام الله تعالى الى الافك والافترا وقالوا اساطير الاولين يعني النضر بن الحرث كان يقول ان هذا القران ليس من الله انما هو مما سطره الاولون مثل حديث رستم واسفنديار ومعنى اكتتبها اي انتسخها محمد صلى الله عليه وسلم من جبر ويسار وعداس وطلب ان يكتب له لانه لا يكتب فهي تملى عليه اي تقرا عليه ليحفظها لا ليكتبها بكرة واصيلا يعني غدوة وعشيا قوله تعالى ردا عليهم قل يا محمد انزله يعني القران الذي يعلم السر اي الغيب في السموات والارض انه كان غفورا رحيما اي لولا ذلك لعاجلهم بهذا به وقالوا مال هذا الرسول يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ياكل الطعام اي كما ناكل نحن ويمشي في الاسواق اي يلتمس المعاش كما نمشي نحن واذا كان كذلك فمن اين هذا الفضل علينا ولا يجوز ان يمتاز عنا بالنبوة وكانوا يقولون له لست بملك لانك بشر مثلنا والملك لا ياكل الطعام لان الملك لا يتسوق وانت تتسوق وتتبذل وما قالوه فاسد لان اكله الطعام لكونه ادميا ولم يدع انه ملك من الملوك لولا انزل اليه ملك معناه اي يصدقه ويشهد له فيكون معه نذيرا اي داعيا او يلقى اليه كنز اي ينزل عليه كنز من السما ينفقه فلا يحتاج الى التصرف في طلب المعاش او تكون له جنة اي بستان ياكل منها اي هو فلا اقل من ذلك وان لم يكن له كنز وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا اي مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق انظر اي يا محمد كيف ضربوا لك الامثال اي الاشباه التي

والضمير في فان الامر له حقيقة او للرسول فانه المقصود بالذكر

Copyright © King Saud University

لا فائدة لها فقالوا مسحور محتاج فضلوا اى عن الحق فلا يستطيعون سبيلا الى الهدى ومخرجا عن الضلالة تبارك الذى
ان شاء جعل لك خيرا من ذلك اى من الذى قالوا افضل من البستان الذى ذكروا وقال ابن عباس خيرا من المشي في الاسواق
والتماس المعاش ثم بين ذلك الخير جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا اى بيوتا مشيدة عن ابى امامة ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما وقال ثلاثا
او نحو هذا فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك عن عائشة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو شئت لسارت معى جبال الذهب جاءنى ملك ان حجزته لتساوى الكعبة فقال يا محمد ان ربك
يقرئك السلام ويقول ان شئت نبيا عبدا وان شئت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل فاشار الى ان اضع نفسك فقلت
نبيا عبدا قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا ياكل متكئا يقول كل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد
ذكر هذين الحديثين البغوى بسنده قوله تعالى بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اى نارا مسعرة
اذا راتهم من مكان بعيد قيل من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة عام **فان قلت** كيف
يتصور الروية من النار وهو قوله اذا راتهم **قلت** يجوز ان يخلق الله لها حياة وعقلا ورؤية
وقيل معناه رانهم زبانيتها سمعوا لها تغيظا وزفيرا اى غليانا كالغضبان اذا غلى صدره من الغضب
وزفيرا اى صوتا **فان قلت** كيف يسمع التغيظ **قلت** معناه راوا وعلموا
لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر ٭ ورايت زوجك فى الوغا ٭ متقلدا سيفا ورمحا ٭
اى وحاملا رمحا وقيل سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد وقال عبيد بن عمير ان جهنم يوم
القيامة تزفر فلا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا خر لوجهه واذا القوا منها مكانا ضيقا قال ابن عباس
تضيق عليهم كما تضيق الزج فى الرمح مقرنين اى مصفدين قد قرنت ايديهم الى اعناقهم فى الاغلال
وقيل مقرنين مع الشياطين فى السلاسل دعوا هنالك ثبورا معناه قال ابن عباس ويلا وقيل هلاكا وفى
الحديث ان اول من يكسى حلة من النار ابليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو
يقول يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فينادى يا ثبوراه وينادون يا ثبورهم فيقال لهم لا تدعوا اليوم
ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا هكذا ذكره البغوى بغير سند وقيل معناه هلاككم اكثر من ان يدعوا مرة واحدة فادعوا
ادعية كثيرة ٭ قوله عز وجل قل اذلك خير اى الذى ذكرت من صفة النار واهلها ام جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا
اى ثوابا ومرجعا لهم قال تعالى لهم فيها ما يشاؤن اى من جميع المرادات لا يحصل الا فى الجنة لا فى غيرها **فان**
قلت من يشتهى الانسان شيئا ولا يحصل فى الجنة ان يشتهى الولد ونحوه وليس هو
فى الجنة **قلت** ان الله يزيل ذلك الخاطر عن اهل الجنة بل كل واحد من اهل الجنة مشتغل
بما هو فيه من اللذات الشاغلة عن الالتفات الى غيره خالدين اى فى نعيم الجنة ومن تمام النعيم ان يكون دائما
اذ لو تنقطع لكان مشوبا بضرب من الغم وانشد فى المعنى فقال ٭ اشد الغم عندى فى سرور ٭ تيقن عنه صاحبه انتقالا ٭
كان على ربك وعدا مسئولا اى مطلوبا وذلك ان المؤمنين سالوا ربهم فى الدنيا حين قالوا ربنا آتنا فى الدنيا حسنة
وفى الآخرة حسنة وقالوا ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك يقول كان اعطاء الله المؤمنين جنة وعدا
وعدهم على طاعتهم اياه فى الدنيا ومسئلتهم اياه ذلك الوعد وقيل الطالبون من الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم
ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم قوله تعالى ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أانتم اضللتم
عبادى هؤلاء ام هم ضلوا السبيل اى اخطئوا الطريق قالوا يعنى المعبودين سبحانك نزهوا الله من ان يكون
معه الهة ما كان ينبغى لنا ان نتخذ من دونك من اولياء يعنى ما كان ينبغى لنا ان نوالى اعداءك بل انت ولينا من

دونهم

دونهم وقيل معناه ما كان لنا ان نامرهم بعبادتنا ونحن نعبدك ونحن عبيدك ولكن متعتهم وآباءهم اى بطول العمر
والصحة والنعمة فى الدنيا حتى نسوا الذكر معناه اى تركوا المواعظ والايمان بالقرآن وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه
وكانوا قوما بورا معناه اى هلكى اى غلب عليهم الشقاء والخذلان فقد كذبوكم هذا خطاب مع المشركين اى كذبكم
المعبودون بما تقولون اى انهم آلهة فما يستطيعون الآلهة صرفا اى صرف العذاب عن انفسهم ولا نصرا اى
ولا نصر انفسهم وقيل لا يقدركم ايها العابدون بدفع العذاب عنكم ومن يظلم منكم اى يشرك نذقه عذابا كبيرا قوله
عز وجل وما ارسلنا قبلك اى يا محمد من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون قال ابن عباس لما عير
المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق انزل الله
تعالى هذه الآية يعنى ان هذه عادة مستمرة من الله تعالى على رسله فلا وجه لهذا الطعن وما انا الا
رسول وما كنت بدعا من الرسل وكانوا بشرا مثلى ياكلون الطعام ويمشون فى الاسواق وجعلنا بعضكم
لبعض فتنة اى بلية قال ابن عباس اى جعلت بعضكم بلاء لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون
من خلافهم وتتبعون انهم الهدى وقيل نزلت فى ابتلاء الشريف بالوضيع وذلك ان الشريف اذا اراد ان
يسلم راى الوضيع قد اسلم قبله فانف وقال اسلم بعده فيكون له السابقة والفضل علىّ فيكون مقيم
على كفره ويمتنع من الاسلام فذلك افتتان بعضهم ببعض وقيل نزلت فى ابى جهل والوليد بن عتبة
والعاص بن وائل والنضر بن الحرث وذلك انهم راوا ابا ذر وابن مسعود وعمارا وبلالا وصهيبا وعامر بن
فهيرة ودونهم قد اسلموا قبلهم فقالوا نسلم فنكون مثل هؤلاء وقيل نزلت فى ابتلاء المسلمين بالمستهزئين
من قريش كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين اتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم من موالينا واراذلنا فقال
الله تعالى لهؤلاء المؤمنين اتصبرون اى على هذه الحالة من الفقر والشدة والاذى وقيل ان المعنى
فتنة الفقير يقول ما لى لم اكن مثله والصحيح فتنة المريض والشريف فتنة الوضيع وكان ربك بصيرا
اى بمن يصبر ومن يجزع (ق) عن ابى هريرة يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا نظر احدكم الى من
فضل عليه بالمال والجسم فلينظر الى من هو دونه فى المال والجسم لفظ البخارى ولمسلم انظروا الى من هو
اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم قوله تعالى وقال الذين
لا يرجون لقاءنا اى لا يخافون البعث فالرجاء بمعنى الخوف لغة تهامة لولا انزل علينا الملائكة فتخبرنا
ان محمدا صادق او نرى ربنا فيخبرنا بذلك لقد استكبروا اى تعظموا فى انفسهم فى هذه المقالة وعتوا عتوا
كبيرا اى طغوا وقيل عتوا فى الكفر وهو اشد الكفر وعتوهم طلبهم روية الله حتى يؤمنوا به قوله تعالى
يوم يرون الملائكة اى عند الموت وقيل يوم القيامة لا بشرى يومئذ للمجرمين وذلك ان الملائكة
يبشرون المؤمنين يوم القيامة ويقولون للكفار لا بشرى لكم وقيل لا بشارة لهم بالجنة ويقولون
حجرا محجورا قال ابن عباس تقول الملائكة حراما محرما ان يدخل الجنة الا من قال لا اله الا الله محمد
رسول الله وقيل اذا خرج الكفار من قبورهم تقول لهم الملائكة وذلك ان العرب كانت اذا نزلت
بهم شدة وراوا ما يكرهون قالوا حجرا محجورا انهم يقولون ذلك اذا عاينوا الملائكة قوله عز وجل وقدمنا
الى ما عملوا من عمل يعنى من اعمال البر التى عملوها فى حال الكفر فجعلناه هباء منثورا اى باطلا لا ثواب لهم
لانهم لم يعملوه لله عز وجل ومنه الحديث الصحيح كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد واما الهباء هو ما يرى فى الكوة
كالغبار اذا وقعت الشمس فيها لا يمس بالايدى ولا يرى فى الظل والمنثور المفرق قال ابن عباس
هو ما تسفيه الرياح وتذريه من الرياح التراب وحطام الشجر وقيل هو ما يسطع من حوافر الدواب

Copyright King Saud University

عند الشمس من الدخول الغبار قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ اى يوم القيامة خير مستقرا اى من هولاء المشركين
المستكبرين واحسن مقيلا اى موضع القايلة وذلك ان اهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة الا قدر
من اول النهار الى وقت القايلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة قال ابن مسعود لا ينتصف النهار
يوم القيامة حتى يقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار والقيلولة الاستراحة نصف النهار
وان لم يكن مع ذلك نوم لان الله تعالى قال واحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها قال ابن عباس الحساب
في ذلك اليوم في اوله ويروى ان يوم القيامة يقصر على المومنين حتى يكون ما بين الظهر والعصر الى
غروب الشمس قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام اى عن الغمام وهو غمام ابيض وقيل مثل الضبابة
ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم ونزل الملائكة تنزيلا قال ابن عباس تشقق السماء الدنيا فينزل اهلها
وهم اكثر ممن في الارض من الجن والانس ثم تشقق السماء الثانية فينزل اهلها وهم اكثر ممن في
السماء الدنيا ومن الجن والانس ثم كذلك حتى تنشق السماء السابعة واهل كل سماء يزيدون على
اهل السماء التي قبلها ثم تنزل الكروبيون ثم حملة العرش الملك يومئذ الحق للرحمن اى الملك الذي هو الملك
حقا ملك الرحمن يوم القيامة قال ابن عباس يريد ان يوم القيامة لا مالك يقضي غيره وكان يوما
على الكافرين عسيرا اى شديدا وفيه دليل على انه لا يكون على المومنين عسيرا وفي الحديث انه يهون يوم
القيامة على المومنين حتى يكون عليه اخف من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا قوله تعالى ويوم
يعض الظالم على يديه اراد بالظالم عقبة بن ابي معيط وذلك انه كان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما ودعى
اليه اشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما ودعى
الناس اليه ودعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انا باكل
طعامك حتى تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله فقال عقبة اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة صديقا لابي بن خلف فلما اخبر ابي بن خلف
قال له يا عقبة صبات قال لا والله ما صبات ولكن دخل علي رجل فابى ان ياكل طعامي الا ان اشهد له فاستحييت
ان يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما انا الذي ارضى عنك ابدا الا ان تاتيه فتبزق في
وجهه ففعل ذلك عقبة فقال عليه الصلاة والسلام لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف
فقتل عقبة يوم بدر صبرا واما ابي بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم احد وقيل لما
بزق عقبة في وجه النبي صلى الله عليه وسلم عاد بزاقه في وجهه فاحرق خداه فكان اثر ذلك في
وجهه حتى قتل وقيل كان عقبة بن ابي خليلا لامية بن خلف فاسلم عقبة فقال له امية وجهي
من وجهك حرام ان بايعت محمدا فكفر وارتد فانزل الله فيه ويوم يعض الظالم على يديه يعني
عقبة بن ابي معيط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد مناف على يديه اى ندما واسفا على ما فرط في جنب الله واوثق
نفسه بالمعصية والكفر لطاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه قال عطاء ياكل يديه حتى ياكل مرفقيه
ثم ينبتان ثم ياكلهما هكذا كلما نبتت يده اكلها على ما فعل تحسرا وندامة يقول يا ليتني اتخذت
مع الرسول سبيلا اى ليتني اتبعت محمدا واتخذت معه طريقا الى الهداية يا ويلتى دعى على
نفسه بالويل ليتني لم اتخذ فلانا خليلا قيل يعني ابي بن خلف لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني اى عن
الايمان والقران بعد ان جاءني يعني الذكر بعد اذ جاءني يعني الذكر مع الرسول صلى الله عليه وسلم وكان الشيطان
وهو كل متمرد عات صد عن سبيل الله من الجن والانس للانسان خذولا اى كثير الخذلان يتركه ويتبرأ منه عند

نزولها لعلا وحكم الاية عام في كل خليلين ومتحابين اجتمعا على معصية الله ق عن ابي موسى الاشعري عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما ان يحذيك
واما ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا طيبا ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد منه ريحا خبيثة
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل اخرجه ابو
داود والترمذي ولهما عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصاحب الا مومنا ولا
ياكل طعامك الا تقي قوله عز وجل وقال الرسول يعني ويقول الرسول في ذلك اليوم يا رب ان قومي اتخذوا
هذا القران مهجورا اى متروكا واعرضوا عنه ولم يومنوا به ولم يعملوا بما فيه وقيل جعلوه بمنزلة الهجر وهو السيء
من القول فزعموا انه سحر وشعر والمعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم يشكو قومه الى الله عز وجل يا رب ان قومي اتخذوا
هذا القران مهجورا فعزاه الله تعالى فقال وكذلك جعلنا اى وكما جعلنا لك اعداء من مشركي مكة وهم قومه
كذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين اى المشركين والمعنى لا يكبرن عليك فان الانبياء قبلك قد لقوا هذا
من قومهم فصبروا فاصبر انت كما صبروا فاني ناصرك وهاديك وهو قوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا
قوله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة اى كما انزلت التوراة على موسى والانجيل على
عيسى والزبور على داود وصلوات الله عليهم اجمعين قال الله تعالى كذلك فعلنا ذلك لنثبت به فوادك
اى انزلناه مفرقا لنقوي به قلبك فتعيه وتحفظه فان الكتب المتقدمة نزلت على انبياء يكتبون ويقرؤون
وانزلنا القران على نبي امي لا يكتب ولا يقرأ ولان من القران الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب لمن سال
عن امور تحدث منها في اوقات مختلفة ففرقناه ليكون ادعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايسر على
العامل به ورتلناه ترتيلا قال ابن عباس بيناه بيانا والترتيل التبيين في ترسل وتثبيت وقيل
فرقناه تفريقا اية بعد اية ولا ياتونك يعني يا محمد هولاء المشركين بمثل اى يضربونه لك في ابطال امرك
الا جئناك بالحق اى بما ترد به ما جاوا به من المثل وتبطله فسمى ما يردون من الشبه مثلا وسمى ما يدفع به
الشبه حقا واحسن تفسيرا اى احسن بيانا وتفصيلا ثم ذكر مال هولاء المشركين فقال تعالى الذين اى هم
الذين يحشرون على وجوههم اى يساقون ويجرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا يعني اى منزلا ومصيرا
واضل سبيلا اى اخطا طريقا قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هارون وزيرا اى
معينا وظهيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا يعني القبط فدمرناهم فيه اضمار اى فكذبوهما فدمرناهم
تدميرا اى اهلكناهم اهلاكا وقوم نوح لما كذبوا الرسل اى رسولهم ومن كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل
فلذلك ذكر بلفظ الجمع اغرقناهم وجعلناهم للناس اية اى عبرة لمن بعدهم واعتدنا للظالمين في الاخرة عذابا اليما اى
سوى ما حل بهم من عاجل العذاب في الدنيا وعادا وثمود اى واهلكنا عادا وثمودا واصحاب الرس قال وهب بن منبه
كانوا اهل بير قعودا عليها وكانوا اصحاب مواشي يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا يدعوهم الى الاسلام فتمادوا
في طغيانهم واذى شعيب فبيناهم حول البير في منازلهم اذ خسف بهم وبديارهم ورباعهم وقيل الرس بير بفلج
اليمامة قتلوا نبيهم فاهلكهم الله وقال ابن جبير كان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه فاهلكهم الله
وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وهم الذين ذكرهم الله في سورة يس وقيل اصحاب الاخدود والرس
الاخدود وقرونا بين ذلك كثيرا اى واهلكنا قرونا كثيرا بين عاد واصحاب الرس وكلا ضربنا له الامثال اى الاشباه
في اقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم الا بعد الانذار وكلا تبرنا تتبيرا اى اهلكناهم اهلاكا قوله تعالى ولقد اتوا على
القرية التي امطرت مطر السوء يعني الحجارة وهي قريات قوم لوط وهي خمس قرى اهلك الله منها اربعا ونجت واحدة

وهي معروفة كان اهلها لا يعملون العمل الخبيث أفلم يكونوا يرونها يعني فامروا بهم في اسفارهم فيعتبروا ويتعظوا
لان مدائن قوم لوط كانت على طريقهم عند ممرهم الى الشام بل كانوا لا يرجون نشورا اي لا يخافون بعثا قوله
تعالى وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا نزلت في ابي جهل كان اذا مر مع اصحابه قال مستهزئا أهذا الذي بعث الله
رسولا إن كاد ليضلنا اي قد قارب ان يضلنا عن عبادة آلهتنا لولا أن صبرنا عليها اي على عبادتها والمعنى
لو لم نصبر عليها لصرفنا عنها وسوف يعلمون حين يرون العذاب اي في الآخرة عيانا من أضل سبيلا اي اخطأ طريقا
أرأيت من اتخذ إلهه هواه وذلك ان الرجل من المشركين كان يعبد حجرا فاذا رأى حجرا احسن منه رماه واخذ
الاحسن منه وعبده قال ابن عباس ارأيت من ترك عبادة الله خالقه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عندي
وقيل الهوى اله يعبد أفأنت تكون عليه وكيلا اي حافظا تحفظه من اتباع الهوى وعبادة ما هواه من دون
الله والمعنى لست كذلك وقال الكلبي نسختها آية القتال أم تحسب أن أكثرهم يسمعون اي بالقبول سماع طالب الافهام
أو يعقلون اي ما يعاينون من الحجج والاعلام وهذه المذمة اعظم من التي تقدمت لانهم لشدة عنادهم لا
يسمعون القول واذا سمعوه لا يتفكرون فيه فكأنهم لا سمع لهم البتة فعند ذلك شبههم فقال تعالى إن
هم اي ما هم إلا كالأنعام اي في عدم انتفاعهم بالكلام وعدم اقدامهم على التدبر والتفكر ثم قال تعالى
بل هم أضل سبيلا لان البهائم تهتدي لمراعيها ومشاربها وتنقاد لاربابها التي تتعاهدها وهؤلاء الكفار
لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم ورزقهم ولان الانعام تسجد وتسبح والكفار لا يفعلون
ذلك قوله عز وجل ألم تر إلى ربك كيف مد الظل هو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس جعله ممدودا لانه ظل
لا شمس معه ولو شاء لجعله ساكنا اي دائما ثابتا لا يزول ولا تذهبه الشمس ثم جعلنا الشمس عليه دليلا
معنى دلالتها عليه انه لو لم تكن الشمس ما عرف الظل ولولا النور ما عرفت الظلمة والاشياء تعرف باضدادها
ثم قبضناه يعني الظل إلينا قبضا يسيرا اي بالشمس التي تأتي عليه والمعنى ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع
الشمس فاذا طلعت الشمس قبض الله الظل جزءا فجزءا قبضا خفيا وهو الذي جعل لكم الليل لباسا اي سترا تستترون
به والمعنى ان ظلمة الليل تغشى كل شيء كاللباس الذي يشتمل على لابسه والنوم سباتا اي راحة لابدانكم
وقطعا لاعمالكم وجعل النهار نشورا اي يقظة وزمانا تنتشرون فيه لابتغاء رزقكم وطلب الاشتغال
وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته يعني المطر وأنزلنا من السماء ماء طهورا الطهور هو الطاهر
في نفسه المطهر لغيره وهو اسم لما يتطهر به بدليل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في البحر هو
الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي واراد به المطهر والماء المطهر لانه يطهر الانسان
من الحدث والنجاسة فيثبت ان التطهير مختص بالماء وذهب اصحاب الرأي الى ان الطهور ما تكرر منه
التطهير وهو قول مالك حتى جوزوا الوضوء بالماء اذا توضئ به مرة وان وقع في الماء شيء غير طعمه او لونه
او ريحه هل يزول طهوريته نظر ان كان الواقع شيئا لا يمكن صون الماء عنه كالطين والتراب واوراق الاشجار
فيجوز الطهارة به كما لو تغير بطول المكث في قراره وكذلك لو وقع فيه ما لا يختلط كالدهن يصيب فيه
فيتروح الماء بريحه يجوز الطهارة به لان تغيره بالمجاورة لا بالمخالطة وان كان شيئا يمكن صون الماء عنه
ومخالطة كالخل والزعفران ونحوهما تزول طهوريته فلا يجوز الوضوء به وان لم يتغير احد اوصافه نظر
ان كان الواقع شيئا طاهرا لا يزيل طهوريته يجوز الوضوء به سواء كان الماء قليلا او كثيرا وان كان الواقع
شيئا نجسا نظر فيه فان كان الماء اقل من قلتين نجس الماء وان كان قدر قلتين فاكثر فهو طاهر يجوز
الوضوء به والقلتان خمسمائة رطل بالبغدادي يدل عليه ما روي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه

انه سئل عن الماء يكون في الفلاة يرده من السباع والدواب في الفلاة فقال اذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث
اخرجه ابو داود والترمذي وهذا قول الشافعي واحمد واسحاق وجماعة من اهل الحديث ان الماء اذا بلغ هذا الحد
لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير طعمه او لونه او ريحه وهو قول الحسن وعطاء والنخعي والزهري احتجوا
بما ورد عن ابي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله انه يستقى لك من بئر بضاعة وتلقى فيها لحوم الكلاب
وخرق الحيض وعذر النساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء طهور لا ينجسه شيء وقوله تعالى لنحيي
به اي بالمطر بلدة ميتا قيل اراد موضع البلدة ونسقيه مما خلقنا اي نسقي من ذلك الماء أنعاما وأناسي
كثيرا اي بشرا والاناسي جمع اناس وقيل جمع انسان قوله عز وجل ولقد صرفناه بينهم يعني المطر مرة ببلد
ومرة ببلد اخرى وقال ابن عباس ما عام بامطر من عام ولكن الله يصرفه في الارض وقرأ هذه الآية وهكذا
كما روي مرفوعا ما من ساعة من ليل ولا نهار الا والسماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء وروي عن ابن مسعود
يرفعه قال ليس سنة بامطر من سنة اخرى ولكن الله قسم هذه الارزاق فجعلها في هذه السماء الدنيا
في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم واذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك الى
غيرهم واذا عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر الى الفيافي والبحار وقيل المراد من تصريف المطر تصريفه
وابلا وطشا ورذاذا ونحوها وقيل التصريف راجع الى الريح ليذكروا اي ليتذكروا ويتفكروا في قدرة
الله تعالى فأبى أكثر الناس إلا كفورا اي جحودا وكفرهم هو انهم اذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا عن زيد
ابن خالد الجهني انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في اثر سماء من الليل
فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح من عبادي
مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب واما من قال مطرنا
بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا اي رسولا ينذرهم ولكن بعثناك
الى القرى كلها وحملناك ثقل النذارة لتستوجب بصبرك ما اعددنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة
فلا تطع الكافرين فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومداهنتهم وجاهدهم به اي بالقرآن جهادا كبيرا
اي شديدا قوله تعالى وهو الذي مرج البحرين اي خلطهما وافاض احدهما على الآخر وقيل ارسلهما في مجاريهما
هذا عذب فرات اي شديد العذوبة يميل الى الحلاوة وهذا ملح أجاج اي شديد الملوحة وقيل مر وجعل
بينهما برزخا اي حاجزا بقدرته فلا يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب وحجرا محجورا اي سترا ممنوعا فلا يبغي
احدهما على الآخر ولا يفسد الملح العذب قوله تعالى وهو الذي خلق من الماء بشرا يعني من النطفة فجعله نسبا
وصهرا اي جعله ذا نسب وصهر وقيل النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه والنسب ما يوجب الحرمة
والصهر ما لا يوجبها وقيل النسب من القرابة والصهر الخلطة التي تشبه القرابة وهو النسب المحرم للنكاح
وقد حرم الله بالنسب سبعا وبالسبب سبعا وجمعها في قوله حرمت عليكم امهاتكم الآية وقد تقدم
تفسير ذلك وبيانه في سورة النساء وكان ربك قديرا على ما اراد حيث خلق من النطفة الواحدة نوعين
من البشر الذكر والانثى ويعبدون من دون الله يعني هؤلاء المشركين ما لا ينفعهم اي ان عبدوه ولا يضرهم اي
ان تركوه وكان الكافر على ربه ظهيرا اي معينا للشيطان على ربه بالمعاصي لان عبادتهم الاصنام معاونة
الشيطان وقيل معناه ظهيرا هينا ذليلا من قولك ظهرت به اذا جعلته وراء ظهرك ولم تلتفت اليه
وقيل اراد بالكافر ابا جهل والاصح انه عام في كل كافر قوله تعالى وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا
اي بالثواب على الايمان ونذيرا منذرا بالعقاب على الكفر والمعصية قل يا محمد ما اسألكم عليه اي على

تبليغ الوحي من اجر اي فتقولون انما يطلب محمد اموالنا بما يدعونا اليه فلا نتبعه الا من شاء ان يتخذ الى ربه
سبيلا معناه لكن من شاء ان يتخذ بانفاق ماله سبيلا الى ربه فعل هذا يكون للعبد لا اسئلكم لنفسي اجرا
ولكن لا امنع من انفاق المال الا في طلب مرضاة الله واتخاذ السبيل الى جنته قوله عز وجل وتوكل على الحي الذي
لا يموت معناه انه سبحانه وتعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان لا يطلب منهم اجرا البتة امره ان يتوكل
عليه في جميع اموره وانما قال على الحي الذي لا يموت لان من توكل على حي يموت انقطع توكل من توكل عليه
بموته واما الله سبحانه وتعالى فانه حي لا يموت فلا ينقطع توكل من توكل عليه ولا يضيع البتة وسبح بحمده
اي صل له شكرا على نعمه وقيل معناه قل سبحان الله والحمد لله وكفى به بذنوب عباده خبيرا يعني انه تعالى
عالم بجميع ذنوب عباده فيجازيهم بها وقيل معناه انه لا يحتاج معه الى غيره لانه خبير عالم قادر على
مكافاتهم وفيه وعيد شديد كانه قال ان اقدمتم على مخالفة امره كفاكم علمه في مجازاتكم بما تستحقون
من العقوبة به قوله عز وجل الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش
الرحمن فاسئل به خبيرا اي ما نعرف الرحمن الا رحمان اليمامة يعنون به مسيلمة الكذاب كانوا يسمونه رحمن
اليمامة واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا يا محمد وزادهم اي قول القائل اسجدوا
للرحمن نفورا اي عن الايمان والسجود **فصل** وهذه السجدة من عزائم السجود فيسن للقارئ
والمستمع ان يسجد عندها وقراءتها قوله تبارك الذي جعل في السماء بروجا قيل البروج هي النجوم الكبار سميت
بروجا لظهورها وقيل البروج قصور فيها الحرس وقال ابن عباس هي البروج الاثنا عشر التي هي منازل الكواكب
السبعة السيارة وهي الحمل والثور والزهرة والسرطان والاسد والسنبلة والميزان
والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها للكواكب
كالمنازل لسكانها وجعل فيها سراجا يعني الشمس وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة قال ابن عباس
معناه خلفا وعوضا يقوم احدهما مقام صاحبه فمن فاته عمله في احدهما قضاه في الاخر قال شقيق
جاء رجل الى عمر بن الخطاب قال فاتتني صلاة الليلة قال ادرك ما فاتك من ليلتك في نهارك فان الله
جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر وقيل جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه فجعل هذا اسود وهذا
ابيض وقيل يخلف احدهما صاحبه اذا ذهب هذا جاء هذا فهما يتعاقبان في الضياء والظلمة والزيادة
والنقصان لمن اراد ان يذكر اي يتذكر ويتعظ او اراد شكورا اي شكر نعمة ربه عليه فيهما قوله عز وجل
وعباد الرحمن قيل هذه الاضافة للتخصيص والتفضيل والا فالخلق كلهم عباد الله الذين يمشون
على الارض هونا يعني بالسكينة والوقار متواضعين غير اشرين ولا مرحين ولا متكبرين علماء حكماء اصحاب
وقار وعفة واذا خاطبهم الجاهلون يعني السفهاء بما يكرهونه قالوا سلاما اي سدادا من القول يسلمون عنهما يسفهون
وان سفه عليهم حلموا ولم يجهلوا وليس المراد منه السلام المعروف وقيل هذا قبل ان يؤمروا بالقتال ثم نسخها
اية القتال ويروى عن الحسن انه كان اذا قرأ هذه الاية قال هذا وصف نهارهم ثم اذا قرأ والذين يبيتون
لربهم سجدا وقياما قال هذا وصف ليلهم والمعنى يبيتون لربهم في الليل بالصلاة سجدا على وجوههم
وقياما على اقدامهم قال ابن عباس من صلى بعد العشاء الاخرة ركعتين او اكثر فقد بات لله ساجدا وقائما
م عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء الاخرة في جماعة
كان كقيام نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة قوله تعالى والذين يقولون ربنا اصرف عنا
عذاب جهنم ان عذابها كان غراما يعني ملحا دائما لازما غير مفارق من عذب به من الكفار قال محمد بن كعب القرظي سال الله

الكفار ثمن نعمه فلم يؤدوها فاغرمهم فيها فادخلهم النار وقيل كل غريم مفارق غريمه الا جهنم وقيل الغرام الشر اللازم
والهلاك الدائم انها يعني جهنم ساءت بئست مستقرا ومقاما اي موضع قرار واقامة والذين اذا انفقوا لم
يسرفوا ولم يقتروا وقيل الاسراف النفقة في معصية وان قلت والاقتار منع حق الله وهو قول ابن عباس
وقيل الاسراف مجاوزة الحد في الانفاق حتى يدخل في حد التبذير والاقتار التقصير عما لا بد منه وهو ان لا
يجيع عياله ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد اسرف وكان بين ذلك قواما اي موضع قصدا وسطا
بين الاسراف والاقتار حسنة بين السيئتين قيل هذه الاية في صفة اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا
لا ياكلون الطعام للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع
ويقويهم على عبادة ربهم ومن الثياب ما يسترون به العورة ويكنهم من الحر والبرد قال عمر بن الخطاب كفى سرفا
ان لا يشتهي شيئا الا اشتراه فاكله والذين لا يدعون مع الله الها اخر عن ابن عباس ان اناسا من اهل
الشرك كانوا قد قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا فاتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تدعونا اليه لحسن لو تخبرنا ان
لما عملنا كفارة فنزل والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون
ونزل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ق عن عبد الله بن مسعود قال قال رجل يا رسول
الله اي الذنب اكبر عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قال ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم
معك قال ثم اي قال ان تزاني بحليلة جارك فانزل الله تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها اخر الاية
ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما وسعى الاية ومن يفعل شيئا
من ذلك يلق اثاما قال ابن عباس يريد جزاء الاثم وقيل عقوبة وقيل الاثام واد في جهنم ويروى في الحديث
ان الغي والاثام بئران في جهنم يسيل فيهما صديد اهل النار يضاعف له العذاب يوم القيامة وقيل سبب تضعيف
العذاب ان المشرك اذا ارتكب المعاصي يضاعف له العذاب على شركه ومعصيته ويخلد فيه مهانا اي ذليلا
قوله تعالى الا من تاب عن دينه وامن بربه وعمل عملا صالحا اي فيما بينه وبين ربه وروي عن ابن
عباس قال قراناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين والذين لا يدعون مع الله الها
اخر الاية ثم نزلت الا من تاب فما رايت النبي صلى الله عليه وسلم فرح بشيء مثل ما فرح بها وفرحه
انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقوله تعالى فاولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما قال ابن عباس يبدل الله بقبائح اعمالهم في الشرك محاسن الاعمال
في الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا وقيل يبدل
الله سيئاتهم حسنات التي عملوها في الاسلام حسنات يوم القيامة عن ابي ذر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اخر رجل يخرج من النار رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه
صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا فيقول
نعم لا يستطيع ان ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه ان تعرض عليه فيقال له لك مكان كل سيئة حسنة
فيقول يا رب قد عملت اشياء لا اراها ههنا قال فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك
حتى بدت نواجذه وقيل ان الله يمحو بالندم جميع السيئات ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة ومن تاب
وعمل صالحا قيل هو في التوبة من غير ما سبق ذكره في الاية الاولى من القتل والزنا معناه من
تاب من الشرك وعمل صالحا بعد ذلك من الفرض ممن لم يقتل ولم يزن فانه يتوب الى الله اي يعود اليه بعد
الموت متابا اي حسنا يفضل على غيره ممن قتل وزنا فالاية الاولى وهو قوله ومن تاب رجوع عن

Copyright © King Saud University

الشرك والثاني الرجوع الى الله بالجزا والمكافاة وقيل هذه الاية ايضا في التوبة عن جميع السيئات ومعناه
من اراد التوبة وعزم عليها فليتب الى الله فقوله يتوب متابا خبر بمعنى الامر اى تب الى الله وقيل معناه فليعلم
ان توبته ومصيره الى الله تعالى قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور يعني الشرك وقيل هو شهادة
الزور ق عن ابى بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبيكم باكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله
قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكيا فجلس فقال الا وقول الزور وشهادة الزور فما زال
يكررها حتى قلنا ليته سكت وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور ويعني اعيادا بالمشركين وقيل الكذب وقيل
النوح وقيل سماع اهل الباطل وقيل الزور اللهو واللعب والغنا قال ابن مسعود الغنا ينبت النفاق في
القلب كما ينبت الماء الزرع واصل الزور تحسين الشي ووصفه بخلاف صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم
انه حق واذا مروا باللغو مروا كراما وهو كل ما يجتنب ان يلغى ويترك مروا كراما يعني سمعوا من الكفار الشتم
والاذى اعرضوا وصفحوا فعلى هذا التفسير تكون الاية منسوخة باية القتال وقيل اللهو المعاصي
كلها والمعنى اذا مروا بمجالس اللهو والباطل مروا كراما اى مسرعين معرضين وهو ان ينزه المرء نفسه ويكرمها
عن هذه المجالس السيئة والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا قيل معناه انه ليس فيه نفي
الخرور وانما هو اثبات له ونفي الصمم والعمى والمعنى اذا ذكروا بها اكبوا على استماعها باذان واعية واقبلوا على
المذكور بها بعيون مبصرة واعية وقيل معناه لم يخروا اى لم يسقطوا ولم يقعوا عليها صما وعميانا كانهم صم
وباعينهم عمى مثل ما يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيسمعونه قوله عز وجل والذين يقولون
ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين اى ابرارا اتقيا صالحين فيقروا اعيننا بذلك قيل ليس شي اقر
لعين المؤمن ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله عز وجل فيطمع ان يحلوا معه في الجنة فيتم سروره وتقر
عينه بذلك وقيل ان العرب تذكر قرة العين عند السرور والفرح وسخنة العين عند الغم والحزن ويقال دمع
العين عند السرور بارد وعند الحزن حار وقيل معنى قرة العين ان يصادف قلبه من يرضاه فتقر عينه به
عن النظر الى غيره واجعلنا للمتقين اماما اى ائمة يقتدون في الخير بنا وقيل معناه نقتدى بالمتقين ويقتدى
بنا المتقون وقال ابن عباس اجعلنا ائمة هدى وقيل معناه اجعلنا سبيلا للعدل يبلغهم من الطاعات المبلغ
الذى ينتهى اليهم ويقتدى بهم قال بعضهم فيه دليل على ان الرياسة في الدين مطلوب مرغوب فيها
وقيل هذا من المقلوب معناه واجعل المتقين لنا اماما واجعلنا مقتدين مؤتمين بهم اولئك يجزون
الغرفة بما صبروا اى الدرجة العالية الرفيعة في الجنة وقيل يريد غرف الدر كانت الزبرجد واللؤلؤ والياقوت اى يثابون
في الجنة بما صبروا اى على طاعة الله واوامره وعلى اذى المشركين وقيل بما صبروا عن الشهوات ويلقون فيها
تحية اى ملكا وقيل بقاء دائما وسلاما اى يسلم بعضهم على بعض ويرسل الرب عز وجل اليهم بالسلام
وقيل سلاما اى سلامة من الافات قوله تعالى خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما اى موضع قرار
واقامة قوله تعالى قل ما يعبؤا بكم ربي اى ما يعبا وما يفعل بكم فوجودكم وعدمكم سوا وقيل معناه
اى وزن ومقدار لكم عنده لولا دعاؤكم اياه وقيل معناه لولا عبادتكم اياه وقيل لولا ايمانكم وقيل لولا
دعاوه اياكم الى الايمان واذا امنتم ظهر لكم عنده قدر وقيل معناه ما يعبا بخلقكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم
والمعنى انه خلقكم لطاعته وعبادته وهذا قول ابن عباس وقيل معنى ما يعبا اى ما يبالى بمغفرتكم
ربي لولا دعاؤكم معه الهة وقيل معناه ما خلقتكم ولى اليكم حاجة الا ان تسئلونى فاعطيكم
وتستغفرونى فاغفر لكم فقد كذبتم يعني ايها الكافرون يخاطب اهل مكة يعني ان الله دعاكم الى

توحيده

توحيده وعبادته على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فقد كذبتم الرسول ولم تجيبوه الى الايمان فسوف
يكون لزاما هذا تهديد لهم اى يكون تكذيبهم لزاما قال ابن عباس موتا وقيل هلاكا وقيل قتلا والمعنى يكون
التكذيب لازما لمن كذب متعينا بالجزا بعضكم بعضا وقيل يوم بدر قتل سبعون واسر سبعون وهو قول عبد الله
ابن مسعود وابى بن كعب بمعنى انهم قتلوا يوم بدر واتصل بهم عذاب الاخرة لازما لهم ق عن عبد الله بن مسعود
قال خمس قد مضين الدخان واللزام والبطشة والقمر وفي رواية الدخان والقمر والروم واللزام والبطشة
والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة الشعرا مكية الا اربع ايات من اخر السورة من قوله
تعالى والشعرا يتبعهم الغاوون وهي مايتان وسبع وعشرون اية والف ومايتان وتسع وسبعون كلمة
وخمسة الاف وخمسماية واربعون حرفا وروى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اعطيت
طه والطواسين من الواح موسى بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى طسم قال ابن عباس طسم عجزت العلماء عن علم
تفسيرها وفي رواية اخرى عنه انه قسم وهو من اسما الله تعالى وقيل اسم من اسما القران وقيل اسم السورة وقيل
اسم بطوله وسنا به وملكه تلك ايات اى هذه الايات ايات الكتاب المبين قيل لما كان القران فيه
دلايل التوحيد والاعجاز الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودلايل الاحكام اجمع فتبين بذلك ان ايات
القران كافية مبينة لجميع الاحكام لعلك باخع نفسك اى قاتل نفسك ان لا يكونوا مؤمنين اى ان لم يؤمنوا
وذلك حين كذبه اهل مكة فشق عليه وكان يحرص على ايمانهم فانزل الله هذه الاية ان نشا ننزل عليهم من السما
اية فظلت اعناقهم لها خاضعين اى لو شا الله لانزل عليهم اية يذلون منها فلا يلوى احد منهم عنقه الى معصية الله
سبحانه وتعالى وقيل لو شا الله لاراهم امرا من امره لا يعمل احد منهم بعده معصية **فان قلت**
كيف صح مجي خاضعين خبرا عن الاعناق **قلت** اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق
لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله ولما وصفت بالخضوع الذى هو للعقلا قيل خاضعين وقيل اعناق الناس
روساوهم ومقدموهم اى فظلت كبراوهم لها خاضعين وقيل اراد بالاعناق الجماعات يقال جاء عنق من
الناس اى جماعة قوله تعالى وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث اى وعظ وتذكير محدث اى محدث انزاله
فهو محدث التنزيل وكلما نزل شي من القران بعد شي فهو احدث من الاول الا كانوا عنه معرضين عن الايمان به
فقد كذبوا فسياتيهم انبا اى فسوف ياتيهم انبا اخبار عواقب ما كانوا به يستهزءون اولم يروا الى الارض يعني
المشركين كم انبتنا فيها اى بعد ان لم يكن فيها نبات من كل زوج كريم اى جنس ونوع وصنف حسن من النبات
مما ياكل الناس والانعام فاى تشبيه الناس نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم
ان في ذلك اى الذى ذكرته لاية اى دلالة على كمال قدرتنا وتوحيدنا كما قيل وفي كل شي له اية تدل على انه واحد
وما كان اكثرهم مؤمنين اى سبق علمي فيهم ان اكثرهم لا يؤمنون ولا يصدقون وان ربك لهو العزيز اى المنتقم من
اعدايه الرحيم ذو الرحمة لاوليايه قوله تعالى واذ نادى واذكر يا محمد اذ نادى ربك موسى اى حين راى
الشجرة والنار ان ايت القوم الظالمين يعني الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي وظلموا بني اسرائيل باستعبادهم
وسومهم سو العذاب قوم فرعون الا يتقون اى يصرفون عن انفسهم عقوبة الله بطاعته والايمان
به قال يعني موسى رب اى يا رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري اى بتكذيبهم اياى ولا ينطلق
لساني اى للعقدة التي كانت على لسانه فارسل الى هارون ليوازرني ويعينني على تبليغ الرسالة
ولهم علي ذنب اى دعوى ذنب وهو قتل القبطي فاخاف ان يقتلون اى به قال الله عز وجل كلا اى
لن يقتلوك فاذهبا باياتنا انا معكم مستمعون اى سامعون ما يقولون ولا يغيب الكم **فان قلت**

Copyright © King Saud University

كيف ذكرهما بلفظ الجمع في قوله معكم وهما اثنان **قلت** اجراهما مجرى الجماعة وهو في لغة العرب
فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين **فان قلت** هلا ثني الرسول كما في قوله فاتياه فقولا انا رسولا
ربك **قلت** الرسول قد يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من
تثنيته وجعله هنا بمعنى الرسالة لجواز التسوية فيها اذا وصف به الواحد والتثنية والجمع والمعنى
انا ذوو رسالة كما قال كثير • لقد كذب الواشون ما بحت عندهم • بشي ولا ارسلتهم برسول •
اي برسالة وقيل انهما لاتفاقهما في الرسالة والشريعة صارا كانهما رسول واحد وقيل كل منا
رسول رب العالمين ان ارسل معنا بني اسرائيل اي خلهم واطلقهم معنا الى ارض فلسطين ولا تستعبدهم وكان
فرعون قد استعبدهم اربعمائة سنة وكانوا في ذلك الوقت ستمائة الف وثلاثون الفا فانطلق موسى
برسالة ربه الى مصر وهارون بها فاخبره بذلك وفي القصة ان موسى رجع الى مصر وعليه جبة صوف وفي يده
عصاه والمكتل معلق في راس العصا وفيه زاده فدخل دار نفسه واخبر هارون ان الله قد ارسلني الى فرعون
وارسل اليك تدعو فرعون الى الله تعالى فخرجت امهما فصاحت وقالت ان فرعون يطلبك فاذا ذهبت
اليه قتلك فلم يستمع بقولها وذهبا الى باب فرعون وذلك بالليل فدقا الباب ففزع البوابون وقالوا
من بالباب فقال انا موسى رسول رب العالمين فذهب البواب الى فرعون وقال ان مجنونا بالباب يزعم
انه رسول رب العالمين فترك حتى اصبح ثم دعاهما وقيل انهما انطلقا جميعا الى فرعون فلم يؤذن له
سنة في الدخول ثم دخل البواب فقال لفرعون ههنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين فقال فرعون
ائذن له لعلنا نضحك منه فدخلا على فرعون واديا رسالة الله تعالى فعرف فرعون موسى لانه نشا في بيته
قال الم نربك فينا وليدا اي صبيا ولبثت فينا من عمرك سنين اي ثلاثين سنة وفعلت فعلتك التي فعلت يعني
قتلة القبطي وانت من الكافرين قال اكثر المفسرين من الجاحدين لنعمتي وحق تربيتي يقول ربيناك فينا
فكافيتنا ان قتلت منا نفسا وكفرت بنعمتنا وهذه رواية عن ابن عباس وقيل ان فرعون لم يكن يعلم الكفر
بالربوبية ولان الكفر غير جائز على الانبيا لا قبل النبوة ولا بعدها وقيل معناه وانت من الكافرين بفرعون
والهيبة قال يعني موسى فعلتها اذا وانا من الضالين اي من الجاهلين بان ذلك يؤدي الى قتله لان فعل الوكزة
على وجه التاديب لا على وجه القتل وقيل من الضالين على طريق الصواب وقيل من المخطئين ففررت
منكم لما خفتكم اي الى مدين فوهب لي ربي حكما يعني النبوة وقيل الحكم والفهم وجعلني من المرسلين وتلك نعمة
تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي اتخذتهم عبيدا قيل عدها موسى نعمة منه عليه حيث رباه ولم يقتله كما قتل ولدان
بني اسرائيل فلم يستعبده كما استعبد بني اسرائيل فيكون معنى الاية وتلك نعمة ان عبدت بني اسرائيل وتركتني
فلم تستعبدني وقيل هو على طريق الانكار ومعنى الاية او تلك نعمة على طريق الاستفهام فحذف الالف كما
قال عمر بن عبد الله بن ربيعة • لم انس يوم الرحيل وقفتها • وطرفها من دموعها غرق • وقولها والركاب
واقفة • تتركني هكذا وتنطلق • اي اتتركني والمعنى تمن علي ان ربيتني وتنسى جنايتك على بني اسرائيل
بالاستعباد والمعاملات القبيحة او تريد كيف تمن علي بالتربية وقد استعبدت قومي ومن اهين قومه فقد
ذل فتعبيدك بني اسرائيل قد احبط احسانك الي ولو لم تستعبدهم ولم تقتل اولادهم لرفع الي من يربيني
ويكفلني ولكان لي من اهلي من يربيني ولم يلقوني في اليم قال فرعون وما رب العالمين يقول اي شي رب العالمين
الذي تزعم انك رسوله ان يستوصفه الاله الذي ارسله وهو سوال عن جنس الشي والله تعالى منزه عن الجنسية
والماهية فلذا عدل موسى عن جوابه واجابه بذكر افعاله وآثاره التي يعجز الخلايق عن الاتيان بمثله قال

رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين انه خالقهما فاعرفوا انه لا يمكن تعريفه الا بما ذكرته لكم فان ايقنتم
بذلك لزمكم ان تقطعوا انه لا جواب لكم عن هذا السوال الا ما ذكرته من الجواب وقال اهل المعاني كما توقنون
هذه الاشيا التي تعاينوها فايقنوا ان اله الخلق هو الله تعالى الذي خلقها واوجدها فلما قال ذلك موسى
تحير فرعون في جواب موسى قال لمن حوله اي من اشراف قومه قال ابن عباس كانوا خمسماية رجل عليهم
الاسورة الا تستمعون وانما قال فرعون ذلك على سبيل التعجب من جواب موسى يعني انا طلبت منه الماهية
وخصوصية الحقيقة وهو يجيبني بافعاله واثاره وقيل انهم كانوا يعتقدون ان الهتهم ملوكهم ثم زادهم
موسى في البيان قال ربكم ورب ابائكم الاولين يعني ان موسى ذكر ما هو اقرب اليهم فقال ربكم يعني انه
خالقكم وخالق ابائكم الاولين قال يعني فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعني المقصود من السوال
طلب الماهية وهو يجيب بالاثار الخارجية وهذا لا يفيد البتة فهذا التعليل على رسالته بجنون لانهم
السوال فضلا عن ان يجيب عنه وتكلم بكلام لا تقبله ولا يعرف صحته وكان عندهم انه من لا يعتقد ما
يعتقدون ليس بعاقل فزاد في البيان قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون فعدل الى طريق
ثالث اوضح من الثاني ان كنتم تعقلون قد عرفتم انه لا جواب عن سوالكم الا ما ذكرت قال فرعون حين
لزمته الحجة وانقطع عنه الجواب تكبر على الحق لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين قيل كان سجن
فرعون اشد من القتل لانه كان ياخذ الرجل فيطرحه في مكان يهوي فيه الى الارض وحده فرد لا يسمع ولا يبصر
فيه قال له موسى حين توعده بالسجن اولو جئتك بشي مبين اي باية بينة والمعنى تفعل ذلك ان جئتك بحجة
بينة وانما قال ذلك موسى لان من اخلاق الناس السكون الى الانصاف والاجابة الى الحق بالبيان قال يعني
فرعون فات به اي انا لن اسجنك حينئذ ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين قيل انها لما صارت
حية ارتفعت في السما قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون فقال بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذها موسى
فعادت عصى كما كانت فقال هل غيرها قال نعم واراه يده ثم ادخلها جيبه ثم اخرجها فاذا هي بيضا من
غير برص لها شعاع كشعاع الشمس وهو قوله ونزع يده فاذا هي بيضا للناظرين فعند ذلك قال فرعون للملا حوله
ان هذا يعني موسى لساحر عليم وكان زمان السحر فلهذا روج فرعون هذا القول على قومه ثم قال
يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره قال هذا القول على سبيل التنفير لئلا يقبلوا قول موسى فماذا تامرون يعني ما
رايكم فيه وما الذي اعمله فعند ذلك قالوا ارجه واخاه اي اخره واخاه وابعث في المداين حاشرين ياتوك بكل سحار عليم
قيل ان فرعون اراد قتل موسى فقالوا لا تفعل فانك ان قتلته دخلت الناس شبهة في امره ولكن اخره واجمع
له سحرة ليغلبوه ولا يثبت له عليك حجة قوله تعالى فجمع السحرة لميقات يوم معلوم يعني يوم الزينة
قال ابن عباس وافق ذلك يوم السبت في اول يوم من السنة وهو يوم النيروز وقيل للناس هل انتم مجتمعون
اي لتنظروا الى ما يفعل الفريقان ولمن تكون لهم الغلبة لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين لموسى وقيل
اراد بالسحرة موسى وهارون وقالوا ذلك على طريق الاستهزا فلما جا السحرة قالوا لفرعون اين لنا لاجرا ان كنا
نحن الغالبين طلبوا من فرعون ذلك الجزاء وهو اما نيل المال او الجاه فبذل لهم ذلك كله واكده بقوله قال نعم
وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون اي
بعظمة فرعون انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون اي ما يقلبونه عن وجهه
وحقيقته بسحرهم قيل ان عصى موسى صارت حية وابتلعت كل ما رموه من حبالهم وعصيهم ثم اخذها موسى
فاذا هي كما كانت اول مرة فالقي السحرة ساجدين قيل انهم لما راوا ما جا وجد السحر علموا انه ليس بسحر ثم لم

Copyright © King Saud University

بنا لكوا ان خروا ساجدين ثم انهم قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون وانما قالوا رب موسى
وهارون لان فرعون كان يدعي الربوبية فارادوا عزله قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم
السحر فلسوف تعلمون فيه وعيد مطلق وتهديد شديد قال ثم بين ذلك الوعيد فقال لاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون اى لا ضرر علينا فيما ينالنا من الدنيا
لانا ننقلب ونصير الى ربنا في الاخرة مومنين منقلبين مومليين غفرانه وهو قولهم انا نطمع ان يغفر
لنا ربنا خطايانا اى الكفر والسحر ان اى لان كنا اول المومنين اى من اهل زماننا وقيل اول المومنين اى من الجماعة
الذين حضروا ذلك الجمع قوله تعالى واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون اى يتبعكم فرعون وقومه
ليحولوا بينكم وبينه الخروج قيل واوحى الله الى موسى ان اجمع بني اسرائيل كل اهل اربعة ابيات في بيت ثم اذبحوا اولاد
الضان فاضربوا بدمايها على ابوابكم فاني سامر الملايكة فتقتل ابكار القبط من انفسهم وامرهم ان لا
يدخلوا بيتا على بابه دم ثم اخبز واخبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فياتيك امري ففعل
ذلك موسى ثم ان قوم موسى قالوا لقوم فرعون ان لنا في هذه الليلة عيدا فاستعاروا منهم حليهم
ثم خرجوا بتلك الاموال في الليل الى جهة البحر فلما سمع فرعون ذلك قال هذا عمل موسى وقومه قتلوا
ابكارنا من انفسنا واخذوا اموالنا فارسل فرعون في المداين حاشرين يعني الشرط يحشرون الجيش قيل كانت المداين
الف مدينة واثني عشر الف قرية فارسل فرعون في اثر موسى وقومه الف الف وخمسماية الف وخرج فرعون
في الكرسي العظيم في ماية الف ملك مسومين مع كل ملك الف فذلك قال ان هولاء لشرذمة قليلون
قال اهل التفسير كانت الشرذمة الذين قللهم فرعون ستماية الف مقاتل لم يعددون ابن العشرين
وفوق الستين سنة وقال ابن مسعود كانوا ستماية الف وسبعين الفا ولا يحصى عدد اصحاب
فرعون وانهم لنا لغايظون الغيظ الغضب يعني انهم اغضبونا لمخالفتهم ديننا وقتلهم ابكارنا
وذهابهم باموالنا التي استعاروها وخروجهم من ارضنا بغير اذن منا وانا لجميع حذرون اى خايفون
من شرهم وقرئ حاذرون اى ذو قوة واداة شاكون السلاح وقيل الحاذر الذي يجد ركه الان
بالتخفيف من المتلبس بحمل السلاح والحذر الذي لا تلقاه الا خايفا فاخرجناهم من جنات وعيون قيل
كانت البساتين ممتدة حافتين النيل فيها عيون وانهار جارية وكنوز يعني الاموال الظاهرة من
الذهب والفضة وسماها كنوزا لانه لم يؤد حق الله منها وكل مال لم يعط ولم يؤد حق الله منه فهو كنز
وان كان ظاهرا قيل كان لفرعون ثمانماية الف غلام كل غلام على فرس عتيق في عنق كل فرس طوق
من ذهب قال الله تعالى ومقام كريم اى مجلس حسن قيل اراد مجالس الامرا والروسا التي كانت لهم وقيل
انه كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثماية كرسي من ذهب يجلس عليها الاشراف من قومه
والامرا وعليهم اقبية الديباج مخوصة بالذهب والمعنى انا اخرجناهم من بساتينهم التي فيها العيون
واموالهم ومجالسهم الحسنة كذلك كما وصفنا واورثناها بني اسرائيل وذلك ان الله عز وجل رد بني اسرائيل
الى مصر بعد هلاك فرعون وقومه فاعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الاموال والاماكن الحسنة
فاتبعوهم مشرقين اى لحق فرعون وقومه موسى واصحابه وقت شروق الشمس وهو اضاءتها فلما تراء الجمعان
اى تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه قال اصحاب موسى انا لمدركون اى سيدركنا قوم فرعون ولا طاقة
لنا بهم قال يعني موسى ثقة بوعد الله اياه كلا اى لن يدركونا ان معي ربي سيهدين اى يدلني على طريق
النجاة فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق اى ضربه فانشق فكان كل فرق اى قطعة من الما

كالطود

كالطود اى الجبل العظيم وقيل لما انتهى موسى ومن معه الى البحر هاجت الرياح وصار البحر يرمي بموج كالجبال قال
يوشع يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون من خلفنا والبحر امامنا قال موسى هاهنا فخاض يوشع الما لا يواري
حافر دابته وقال الذي يكتم ايمانه يا كليم الله اين امرت قال هاهنا فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم
اقحمه البحر فارتسب في الما وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لا يدري كيف يصنع فاوحى الله
اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فاذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده وازلفنا ثم
الاخرين اى قربنا فرعون وقومه الى البحر وقدمناهم الى الهلاك وقيل ان جبريل كان بين بني اسرائيل وبين قوم
فرعون يقول لبني اسرائيل ليلحق اخركم اولكم وكان بنو اسرائيل يقولون ما راينا احسن سياقة من هذا الرجل
وكان قوم فرعون يقولون ما راينا من هذا الرجل وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين
يعني ان الله تعالى جعل البحر يبسا حتى خرج موسى وقومه وذلك لما تكاملوا في البحر اطبق عليهم فاغرقهم ان
في ذلك لاية يعني ما حدث في البحر من انفلاقه اية من الايات العظام الدالة على قدرته ومعجزة لموسى عليه
السلام وما كان اكثرهم مومنين يعني اهل مصر قيل لم يومن منهم الا اسية امراة فرعون وحزقيل مومن ال فرعون
ومريم بنت ناموسا التي دلت على قبر يوسف حين اخرجه موسى من البحر وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى
واتل عليهم نبا ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون اي اي شي تعبدون وانما قال ابراهيم ذلك مع علمه بانهم
عبدة الاصنام ليريهم ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شي قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين
اى نقيم على عبادتها وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم اى يسمعون
دعاكم اذ تدعون او ينفعونكم يعني بالرزق او يضرون ان تركتم عبادتها واذا كان كذلك فكيف يستحقون
العبادة فلما الزمهم الحجة القاطعة قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون المعنى انها لا تسمع قولا ولا تجلب نفعا
ولا تدفع ضرا ولكنا اقتدينا باباينا في ذلك وفي الاية دليل على ان الطالب للتقليد في الدين وذم ومدح الاخذ
بالاستدلال قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون اى الاولون فانهم عدو لي اي اعداء لي وانما وحده
على ارادة الجنس

فان قلت كيف لا تصاف بالعداوة وهي جمادات لا تعقل **قلت** معناه وانهم عدو لي يوم القيامة لو عبدتهم في الدنيا وقيل ان الكفار لما عبدوها
ونزلوه منزلة الاحيا العقلا اطلق ابراهيم لفظ العداوة عليها وقيل هو من المقلوب اراد واني عدو
لهم لان من عاديته فقد عاداك الا رب العالمين اى ولكن رب العالمين فانه ربي ووليي وقيل انهم كانوا
يعبدون الاصنام مع الله تعالى فقال ابراهيم كل من تعبدون اعدا لي الا رب العالمين ثم وصف معبوده
الذي يستحق العبادة فقال الذي خلقني فهو يهدين الى طريق النجاة والذي هو يطعمني ويسقين اى يرزقني ويغذيني
اى بالطعام والشراب واذا مرضت اضاف المرض الى نفسه استعمالا للادب وان كان المرض
والشفا من الله فهو يشفين اى يبريني ويعافيني من المرض والذي يميتني ثم يحيين اى يميتني في الدنيا ثم
يحييني في الاخرة والذي اطمع اى ارجو ان يغفر لي خطيتي يوم الدين اى يوم الجزاء والحساب وقيل
خطيته كذباته الثلاث وتقدم الكلام عليها م عن عايشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله
ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين اكان ذلك نافعه قال لا ينفعه انه لم يقل يوما
رب اغفر لي خطيتي يوم الدين وهذا كله احتجاج من ابراهيم انه لا يصلح للالهية الا من يفعل هذه
الافعال فقال رب هب لي حكما قال ابن عباس معرفة حدود الله واحكامه وقيل العلم والفهم والحقني
بالصالحين اى بمن سلف قبلي من الانبيا في المنزلة والدرجة العالية واجعل لي لسان صدق في الاخرين اى ثنا

Copyright © King Saud University

حسنا وذكرا جميلا وقبولا عاما في الامم التي تجي بعدي فاعطاه الله ذلك وجعل كل الاديان يتولونه ويثنون عليه واجعلني من ورثة جنة النعيم اي ممن تعطيه جنة النعيم لانها السعادة الكبرى واغفر لابي انه كان من الضالين قيل دعا لابيه رجاء ان يسلم فيغفر له فلما تبين انه عدو لله تبرأ منه ولا تخزني اي ولا تفضحني يوم يبعثون وهو يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم اي خالص من الشك والشرك فاما الذنوب فلا يسلم منها احد قال سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن لان قلب الكافر والمنافق مريض وقيل القلب السليم هو الخالي من البدعة المطمئن الى السنة وازلفت الجنة اي قربت للمتقين وبرزت الجحيم اي ظهرت للغاوين اي للكافرين وقيل لهم يعني يوم القيامة اين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم اي معناه يمنعونكم من عذاب الله او ينتصرون لانفسهم فكبكبوا قال ابن عباس جمعوا وقيل قذفوا وطرحوا بعضهم على بعض وقيل القوا على رؤوسهم فيها اي في جهنم هم والغاوون يعني الالهة والعابدون وقيل الجن والكافرين وجنود ابليس اجمعون يعني اتباعه ومن اطاعه من الانس والجن وقيل ذريته قالوا وهم فيها يختصمون يعني العابدين والمعبودين والمعنى انهم قالوا تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم اي نعدلكم برب العالمين فنعبدكم وما اضلنا الا المجرمون يعني من دعاهم الى عبادة الاصنام من الجن والانس وقيل الاولون الذين اقتدينا بهم وقيل يعني ابليس وابن ادم الاول وهو قابيل وهو اول من سن القتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين يعني من يشفع لنا يعني كما للمؤمنين شافعين من الملائكة والانبياء ولا صديق حميم اي قريب يشفع لنا يقولون ذلك الكفار حين تشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون والصديق وهو الصادق في المودة مع موافقة الدين عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل يقول في الجنة ما فعل بصديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله عز وجل اخرجوا له صديقه الى الجنة فيقول من بقي فما لنا من شافعين ولا صديق حميم رواه البغوي باسناد الثعلبي قال الحسن استكثروا من الاصدقاء المؤمنين فان لهم شفاعة يوم القيامة فلو ان لنا كرة اي رجعة الى الدنيا فنكون من المؤمنين اي انهم تمنوا الرجعة حين لا رجعة لهم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين اي مع هذه الدلايل والايات وان ربك لهو العزيز الرحيم اي المنتقم الذي لا يغالب وهو في وصف عزته رحيم قوله عز وجل كذبت قوم نوح المرسلين اي كذبت جماعة قوم نوح وقيل القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة

فان قلت كيف قال المرسلين وانما هو رسول واحد وكذلك باقي القصص **قلت** لان دين الرسل واحد وان الاخر منهم جاء بما جاء به الاول فمن كذب باحد من الانبيا فقد كذب بجميعهم اذ قال لهم اخوهم نوح يعني اخوهم في النسب لا في الدين الا تتقون اي الا تخافون فتتركوا الكفر والمعاصي اني لكم رسول امين اي على الوحي وكانوا قد عرفوه عندهم بالامانة فاتقوا الله اي بطاعته وعبادته واطيعون اي فيما امركم به من الايمان والتوحيد وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري اي ثوابي الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون قيل كرره ليؤكد عليهم ويقرره في نفوسهم وقيل ليس فيه تكرار ومعنى الاول الا تتقون الله في مخالفتي وانا رسول الله ومعنى الثانية الا تتقون الله في مخالفتي وانا لست اخذ منكم اجرا قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون اي السفلة قال ابن عباس القافة وهم الحاكة والاساكفة قال يعني نوحا وما علمي بما كانوا يعملون اي وما اعلم اعمالهم وصنائعهم وليس علي من دناءة مكاسبهم واحوالهم شي انما كلفت ان ادعوهم الى الله تعالى وما لي الا ظواهر امرهم وقال الزجاج الصناعات لا تضر في الديانات وقيل معناه

الى

اني اعلم ان الله يهديهم ويضلكم ويوفقهم ويخذلكم ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون اي لو تعلمون ذلك ما عيرتموهم بصنايعهم وما انا بطارد المؤمنين اي عني وقد امنوا ان انا الا نذير مبين معناه اي اخوف من كذبني فمن امن فهو القريب مني ومن لم يؤمن فهو البعيد مني قالوا لئن لم تنته يا نوح اي عما تقول لتكونن من المرجومين اي من المقتولين بالحجارة وهو اسوأ القتل وقيل من المشتومين قال رب ان قومي كذبون فافتح اي احكم بيني وبينهم فتحا اي حكما ونجني ومن معي من المؤمنين فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون اي الموقر من الناس والطير والحيوان ثم اغرقنا بعد الباقين اي بعد انجاء نوح ومن معه ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين اي امين على الرسالة فكيف تتهمونني اليوم فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع قال ابن عباس اي بكل شرف وفي رواية عنه بكل طريق وقيل هو الفج بين الجبلين وقيل المكان المرتفع اية اي علامة وهي العلم تعبثون اي بمن مر بالطريق والمعنى انهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم وقيل انهم كانوا ابتنوا بروج الحمام فانكر عليهم هود باتخاذها ومعنى تعبثون تلعبون بالحمام وتتخذون مصانع قال ابن عباس ابنية وقيل قصورا مشيدة وحصونا مانعة وقيل مآخذ الما يعني الحياض لعلكم تخلدون اي كانكم تبقون فيها خالدين لا تموتون واذا بطشتم بطشتم اي واذا اخذتم وسطوتم بطشتم جبارين اي قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وهو مذموم في وصف البشر فاتقوا الله واطيعون فيه زيادة زجر عن حب الدنيا والشرف والتفاخر واتقوا الذي امدكم بما تعلمون اي اعطاكم من الخير ما تعلمون ثم ذكر ما اعطاهم فقال امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون فيه التنبيه على نعمة الله تعالى عليهم اني اخاف عليكم قال ابن عباس اي ان عصيتموني عذاب يوم عظيم فكان جوابهم قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين اي انهم اظهروا قلة اكتراثهم بكلامه واستخفافهم بما اورده من المواعظ والوعظ كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد ان هذا الا خلق الاولين قرئ بفتح الخاء اي اختلاق الاولين وكذبهم وقرئ بضم الخاء واللام اي عادة الاولين من قبلنا انهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب وهو قولهم وما نحن بمعذبين اي انهم اظهروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من انكارهم المعاد فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون فيما هاهنا امنين اي في الدنيا من العذاب في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم اي ثمرها الذي يطلع منها هضيم قال ابن عباس لطيف وقيل عنه يانع نضيج وقيل هو اللين الرخو وقيل هو متهشم اذا مس وقيل الهضيم هو الذي دخل بعضه في بعض من النضج والنعومة وقيل هو المذنب وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين وقرئ فرهين قيل الفاره الحاذق بنحتها قال ابن عباس الاشر والبطر وقيل معناه متجبرين فرحين معجبين بصنعتكم فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين قال ابن عباس اي المشركين وقيل يعني التسعة الذين عقروا الناقة الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون اي لا يطيعون الله فيما امرهم قالوا انما انت من المسحرين اي من المسحورين المخدوعين قال ابن عباس اي من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب ما انت الا بشر مثلنا والمعنى انت بشر مثلنا ولست بملك فات باية يعني على صحة ما تقول ان كنت من الصادقين يعني انك رسول الله الينا قال هذه ناقة لها شرب اي حظ من الما ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء اي بعقر فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين على عقرها لما راوا العذاب فاخذهم العذاب

اي بالمعاصي

Copyright © King Saud University

ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله عزوجل كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال
لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على
رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين يعني نكاح الرجال من بني ادم وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم
يعني تتركون العضو المباح من النسوان وتميلوا الى ادبار الرجال بل انتم قوم عادون اي معتدون مجاوزون
الحلال من الحرام قالوا لين لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين اي من قريتنا قال اني لعملكم من القالين اي من التاركين
المبغضين رب نجني واهلي مما يعملون اي من العمل الخبيث قال الله تعالى فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا اي امراته
في الغابرين اي بقيت من المهلكين ثم دمرنا الاخرين اي اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا يعني الكبريت والنار فسا مطر
المنذرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى كذب اصحاب الايكة
المرسلين اي الغيضة الملتفة من الشجر وقيل هي اسم البلد اذ قال لهم شعيب لم يقل اخوهم لانه لم يكن منهم وانما
كان من مدين وارسل اليهم الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان
اجري الا على رب العالمين انما كان دعوة هولا الانبيا فيما حكى عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على تقوى
الله وطاعته والاخلاص في العبادة والامتناع من اخذ الاجر على تبليغ الرسالة اوفوا الكيل ولا تكونوا
من المخسرين اي الناقصين لحقوق الناس في الكيل والوزن وزنوا بالقسطاس اي بالميزان العدل المستقيم
ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين يعني الخليقة
والامم المتقدمة قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا
كسفا اي قطعا من السما ان كنت من الصادقين قال ربي اعلم بما تعملون اي من نقصان الكيل والوزن وهو
مجازيكم باعمالكم وليس العذاب الي ولا علي وما علي الا الدعوة والتبليغ فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة
انه كان عذاب يوم عظيم وذلك انهم اصابهم حر شديد فكانوا يدخلون الاسراب فيجدونها احر من ذلك فيخرجون
فاصابتهم سحابة واجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم وقد تقدم الكلام على هذه القصص في سورة الاعراف وهود فاغنى عن الاعادة هنا
والله اعلم بمراده واسرار كتابه قوله عزوجل وانه يعني القران لتنزيل رب العالمين يعني ان فيه من اخبار
الامم الماضية ما يدل على انه من رب العالمين نزل به الروح الامين يعني جبريل عليه السلام سماه روحا
لانه خلق من روح وسماه امينا لانه موتمن على وحيه لانبيائه على قلبك يعني على قلبك حتى تعيه
وتفهمه ولا تنساه وانما خص القلب لانه هو المخاطب في الحقيقة وانه موضع التمييز والعقل والاختيار
وساير الاعضا مسخرة له ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت
صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب اخرجاه في الصحيحين ومن المنقول ان موضع
الفرح والسرور والغم والحزن هو القلب فاذا فرح القلب وحزن يتغير حال ساير الاعضا فكان القلب
كالرييس لها ومنه ان موضع العقل هو القلب على الصحيح على القولين فاذا ثبت ذلك كان القلب
هو الامير المطلق وهو المكلف لان التكليف مشروط بالعقل والفهم وقوله تعالى لتكون من المنذرين
اي المخوفين بلسان عربي مبين قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا ما فيه وانه يعني ذكر القران وقيل ذكر
محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته لفي زبر الاولين اي كتب اولم يكن لهم اية يعني اولم يكن لهولا
المنكرين علامة ودلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ان يعلمه علما بني اسرايل يعني يعلم محمد صلى الله
عليه وسلم قال ابن عباس بعث اهل مكة الى اليهود وهم بالمدينة فسالوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم

فقالوا

والذين يحاجون في الله اي يخاصمون في دين الله قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم
فنحن خير منكم فهذه خصومتهم من بعد ما استجيب له اي من بعد ما استجاب الناس لدين فاسلموا ودخلوا
في دينه لظهور معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم حجتهم داحضة اي خصومتهم باطلة عند ربهم وعليهم
غضب ولهم عذاب شديد اي في الاخرة الله الذي انزل الكتاب بالحق اي الكتاب المشتمل على
انواع الدلايل والاحكام والميزان اي العدل يسمى العدل ميزانا لان الميزان الة الانصاف
والتسوية قال ابن عباس امر الله تعالى بالوفا ونهى عن البخس وما يدريك لعل الساعة قريب
اي وقت اتيانها قريب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين
فقالوا تكذيبا له متى تكون الساعة فانزل الله تعالى يستعجل بها الذين لا يومنون بها اي
ظنا منهم انها غير اتية والذين امنوا مشفقون منها اي خايفون منها ويعلمون انها الحق اي انها
اتية لا شك فيها الا ان الذين يمارون اي يخاصمون في الساعة وقيل يشكون فيها لفي ضلال
بعيد قوله عزوجل الله لطيف بعباده اي كثير الاحسان اليهم قال ابن عباس حفي بهم وقيل رفيق
وقيل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم يدل عليه يرزق من يشا يعني ان الاحسان
والبر والانعام في حق كل العباد وهو اعطا ما لا بد منه فكل من رزقه الله تعالى من مومن وكافر وذي
روح فهو ممن يشا ان الله يرزقه وقيل اللطيف في الرزق من وجهين احدهما انه جعل رزقك
من الطيبات والثاني انه لم يدفعه اليك مرة واحدة وهو القوي اي القادر على كل ما يشا العزيز
اي الذي لا يغالب ولا يدافع من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه اي بالتضعيف بالواحد
الى عشرة الى ما يشا الله من الزيادة وقيل نزيد في توفيقه واعانته وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات
عليه ومن كان يريد حرث الدنيا يعني يريد بعمله الدنيا موثرا لها على الاخرة نوته منها اي ما قدر
وقسم له منها وما له في الاخرة من نصيب يعني لم يعلم بها عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بشر هذه الامة بالسنا والرفعة والتمكين في الارض فمن عمل منهم عمل الاخرة للدنيا لم يكن
له في الاخرة من نصيب ذكره في جامع الاصول ولم يعزه الى احد من الكتب الستة واخرجه البغوي باسناده
قوله تعالى ام لهم يعني كفار مكة شركا يعني الاصنام وقيل الشياطين شرعوا لهم من الدين قال ابن
عباس شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام ما لم ياذن به الله يعني ان تلك الشرايع باسرها على خلاف دين
الله الذي امر به وذلك انهم زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم يعلمون غيرها ولولا
كلمة الفصل يعني ان الله حكم بين الخلق بتاخير العذاب عنهم الى يوم القيامة لقضي بينهم اي لفرغ
من عذاب الذين يكذبونك في الدنيا وان الظالمين يعني المشركين لهم عذاب اليم اي في الاخرة ترى
الظالمين يعني يوم القيامة مشفقين اي وجلين خايفين مما كسبوا اي من الشرك والاعمال
الخبيثة وهو واقع بهم اي جزا كسبهم واقع بهم والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات
كان هذه الروضات اطيب بقاع الجنة فلذلك خص الذين امنوا وعملوا الصالحات بها وفيه تنبيه
على ان في الجنة منازل غير الروضات هي لمن هو دون هولا الذين عملوا الصالحات من اهل القبلة
لهم ما يشاوون عند ربهم اي من الكرامة ذلك هو الفضل الكبير اي الذي ذكر من نعيم الجنة ذلك يعني
الذي ذكر من نعيم الجنة الذي يبشر الله به عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات قوله عزوجل قل
لا اسالكم عليه اي على تبليغ الرسالة اجرا اي جزا الا المودة في القربى قال ابن عباس انه سيل

عن قوله الا المودة في القربى فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد قال ابن عباس ان النبي صلى الله عليه
وسلم لم يكن بطن من قريش الا له فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة وعن ابن
عباس ايضا في قوله الا المودة في القربى يعني ان تحفظوا قرابتي وتودوني وتصلوا رحمي واليه ذهب
مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدي والضحاك خ عن ابن عمر ان ابا بكر الصديق قال
ارقبوا محمدا في اهل بيته واختلفوا في قرابته فقيل علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم
وقيل اهل بيته من حرم عليهم الصدقة من اقاربه وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم
يفترقوا في جاهلية ولا اسلام م عن زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني
تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على
كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي فقال له
حصين من اهل بيته يا زيد اليس نساؤه من اهل بيته فقال نساؤه من اهل بيته ولكن اهل بيته
من حرم عليه الصدقة بعده قال ومن هم قال آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس **فان**

قلت طلب الاجر على تبليغ الرسالة لا يجوز لقوله في قصة نوح وغيره من الانبيا
ما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين **قلت** لا نزاع في انه لا يجوز طلب
الاجر على تبليغ الرسالة بقي الجواب عن قوله الا المودة في القربى فالجواب منه من وجهين الاول
معناه لا اطلب منكم الا هذا وهذا في الحقيقة ليس باجر ومنه قول الشاعر • ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب • معناه اذا كان هذا عيبهم فليس فيهم عيب بل هو مدح فيهم
ولان المودة بين المسلمين امر واجب واذا كان كذلك في حق جميع المسلمين فكان في اهل بيت
النبي صلى الله عليه وسلم اولى فقوله قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى ليس اجرا في الحقيقة
لان قرابتهم كانت مودتهم وصلتهم لازمة لهم فثبت انه لا اجر البتة والوجه الثاني ان هذا
استثنا منقطع وتم الكلام عند قوله لا اسالكم عليه اجرا ثم ابتدا فقال الا المودة في القربى
اي لكن اذكركم المودة في القربى واذكركم قرابتي منكم في الدين هم قرابتكم فلا تؤذوهم وقيل ان هذه
منسوخة وذلك لانها نزلت بمكة فكان المشركين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله هذه الاية فامرهم فيها بمودة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر
الى المدينة واواه الانصار ونصروه احب الله ان يلحقه باخوانه من النبيين فانزل الله قل ما سالتكم من اجر
فهو لكم ان اجري الا على الله فصارت هذه الاية ناسخة لقوله قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى
واليه ذهب الضحاك والحسين بن الفضل والقول بنسخ هذه الاية غير مرضي لان مودة النبي صلى الله عليه
وسلم وكف الاذى عنه ومودة اقاربه من فرائض الدين وهو قول السلف فلا يجوز المصير الى نسخ هذه
الاية وروي عن ابن عباس في معنى الاية قول آخر قال الا ان تودوا الله وتتقربوا اليه بطاعته
وهو قول الحسن قال هو القربى الى الله يقول الا التقرب الى الله والتودد اليه بالطاعة والعمل الصالح
وقوله تعالى ومن يقترف حسنة اي يكتسب طاعة نزد له فيها حسنا اي بالتضعيف ان الله غفور للذنوب
شكور اي للقليل من الاعمال حتى يضاعفها ام يقولون اي بل يقول كفار مكة افترى على الله كذبا فيه
توبيخ لهم معناه ايقع في قلوبهم ويجري على لسانهم ان ينسبوا مثله الى الكذب وانه افترى على
الله كذبا وهو اقبح انواع الكذب فان يشا الله يختم على قلبك اي يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق

عليك

عليك اذاهم وقولهم انه مفتر وقيل معناه يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما آتاك فاخبرهم انه لو
افترى على الله كذبا لفعل به ما اخبر في هذه الاية ويمح الله الباطل اي اخبر الله تعالى عما يقولونه بالباطل
والله يمحوه ويحق الحق بكلماته اي يحق الاسلام بما انزل من كتابه وقد فعل الله ذلك فمحى باطلهم واعلى كلمة الاسلام
انه عليم بذات الصدور قال ابن عباس لما نزلت قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقع في قلوب
قوم منها شي وقالوا يريد ان يحثنا على اقاربه من بعده فنزل جبريل فاخبره انهم اتهموه وانزل هذه الاية
فقال القوم يا رسول الله فانا نشهد انك صادق فنزل قوله عز وجل وهو الذي يقبل التوبة عن
عباده قال ابن عباس يريد اوليائه واهل طاعته **فصل** في ذكر التوبة وحكمها قال العلما
التوبة واجبة من كل ذنب فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي
فلها ثلاث شروط احدها ان يقلع عن المعصية والثاني ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم
ان لا يعود اليها ابدا فاذا حصلت هذه الشروط صحت التوبة وان فقد احد الثلاثة لم تصح توبته
وان كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فشروطها اربعة هذه الثلاثة والشرط الرابع ان يبرا من حق
صاحبها فهذه شروط التوبة وقيل التوبة ترك المعاصي نية وفعلا والاقبال على الطاعة نية وفعلا وقال
سهل بن عبد الله التستري التوبة هي الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال الممدوحة المحمودة خ
عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم
اكثر من سبعين مرة م عن الاغر بن يسار المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا
الى الله فاني اتوب اليه في اليوم مائة مرة ق عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لله افرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه
وشرابه فوضع راسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد الحر والعطش
او ما شاء الله قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى اموت فوضع راسه على ساعده ليموت
فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها طعامه وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن
من هذا براحلته وزاده الدوية الفلاة والمفازة ق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الله افرح بتوبة عبده المؤمن من احدكم سقط على بعيره وقد اضله في ارض فلاة لمسلم عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من احدكم
كان على راحلته بارض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس منها فاتى شجرة فاضطجع
في ظلها وقد ايس من راحلته فبينما هو كذلك اذ هو بها قائمة عنده فاخذ بخطامها ثم قال من شدة فرحه
اللهم انت عبدي وانا ربك اخطا من شدة الفرح عن صفوان بن عسال المرادي قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع
الشمس من قبله وذلك قوله تعالى يوم ياتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا الاية اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد
ما لم يغرغر اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب م عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسي النهار ويبسط يده بالنهار
ليتوب مسي الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وقوله عز وجل ويعفو عن السيئات اي يمحوها اذا تابوا
ويعلم ما تفعلون يعني من خير وشر فيجازيهم عليه ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات يعني

يجيب المومنين الله فيما دعاهم لطاعته وقيل معناه ويجيب للذين امنوا اذا دعوه وقال ابن عباس ويثيب
الذين امنوا **ويزيدهم من فضله** اى سوى ثواب اعمالهم تفضلا منه وقال ابن عباس يشفعهم فى اخوانهم ويزيدهم من
فضله اخوان اخوانهم **والكافرون لهم عذاب شديد** قوله عز وجل **ولو بسط الله الرزق لعباده** قال خباب
ابن الارت فينا نزلت هذه الاية وذلك انا نظرنا الى اموال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع فتمنيناها فانزل
الله ولو بسط الله الرزق لعباده **لبغوا** اى لطغوا وعتوا **فى الارض** قال ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة
ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس وقيل ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة رجع الى مقتضى
خلقته وهو التكبر واذا وقع فى شدة ومكروه وفقر انكسر ورجع الى الطاعة والتواضع وقيل ان البغى مع الفقر والقبض
اقل ومع البسط والغنى لان النفس مائلة الى الشر لكنها اذا كانت فاقدة لالاتها كان الشر اقل واذا كانت
واجدة كان الشر اكثر فثبت ان وجدان المال يوجب الطغيان **ولكن ينزل بقدر ما يشاء** يعنى الارزاق نظرا
لمصالح عباده وهو قوله تعالى **انه بعباده خبير بصير** والمعنى انه تعالى عالم باحوال عباده وبطبائعهم وعواقب
امورهم فيقدر ارزاقهم على وفق مصالحهم يدل على ذلك ما روى عن انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم
عن جبريل عن الله عز وجل قال يقول الله عز وجل من اهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وانى لاغضب
لاوليائى كما يغضب الليث الحرد وما تقرب الى عبدى المومن بمثل ما افترضت عليه وما يزال عبدى المومن
يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومويدا وان دعانى اجبته وان سالنى
اعطيته وما ترددت فى شيء انا فاعله ترددى فى روح عبدى المومن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه
وان من عبادى المومنين لمن يسالنى الباب من العبادة فاكفه عنه ان لا يدخله عجب فيفسده ذلك وان
من عبادى المومنين لمن لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادى المومنين لمن لا يصلح
ايمانه الا الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك وان من عبادى المومنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو اصححته لافسده
ذلك انى ادبر امر عبادى بعلمى بقلوبهم انى عليم خبير اخرجه البغوى باسناده قوله تعالى **وهو الذى ينزل
الغيث من بعد ما قنطوا** اى يئس الناس منه وذلك ادعى لهم الى الشكر قيل حبس الله المطر عن اهل مكة سبع سنين
حتى قنطوا ثم انزل الله المطر فذكرهم نعمته لان الفرح بحصول النعمة بعد الشدة اتم **وينشر رحمته** اى
يبسط بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب **وهو الولى** اى لاهل طاعته **الحميد** اى المحمود على
ما يوصل الى الخلق من اقسام رحمته **ومن اياته خلق السموات والارض وما بث** اى واوجد **فيهما** اى فى السموات
والارض **من دابة** **فان قلت** كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملائكة **قلت** ... الدبيب فى اللغة المشى الخفيف على الارض فيحتمل ان يكون للملائكة مشى مع
الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الانسان وقيل يحتمل ان الله تعالى خلق فى السموات انواعا
من الحيوان يدبون دبيب الانسان **وهو على جمعهم اذا يشاء قدير** يعنى يوم القيمة **وما اصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم** يعنى المراد بهذه المصائب الاحوال المكروهة نحو الاوجاع والاسقام والقحط والغلاء
والغرق والصواعق وغير ذلك فبما كسبت ايديكم من الذنوب والمعاصى **ويعفوا عن كثير** قيل لما نزلت
هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم
ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابى سخيلة قال
قال على رضى الله عنه الا اخبركم بافضل اية فى كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير وسافسرها لكم يا على ما اصابكم من مصيبة

اى

٥٨١

اى من مرض او عقوبة او بلاء فى الدنيا فبما كسبت ايديكم والله اكرم من ان [illegible]
[illegible] فى الدنيا والله احلم من ان يعود بعد عفوه وقال عكرمة [illegible]
[illegible]
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب المومن شوكة فما فوقها [illegible]
خطيئة **وما انتم بمعجزين** [illegible] ولا تعجزونه حيث ما كنتم [illegible]
[illegible] قوله تعالى **ومن اياته الجوار** يعنى السفن وهى السيارة **فى البحر كالاعلام** اى كالقصور وكل
[illegible] **ان يشا يسكن الريح** [illegible]
[illegible] اى على ظهر البحر لا تجرى **ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور** وهذه صفة
المومن [illegible]
[illegible] **ويعف عن كثير** اى [illegible] فلا يعاقب عليها
[illegible] باى نعت اذا صاروا الى الله ما لهم من [illegible]
[illegible] **فمتاع الحياة الدنيا** اى [illegible] اى من الثواب [illegible]
[illegible]

يعرضون عليها اي على النار خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي يعني يسارقون النظر [illegible]
الى النار [illegible]
[illegible] وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم [illegible]
يعني بان صاروا الى النار [illegible] يوم القيامة [illegible] الا ان الظالمين
في عذاب مقيم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل اي وصول الى
الحق [illegible] الجنة [illegible] استجيبوا لربكم [illegible] النبي محمد صلى
الله عليه وسلم من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله اي لا يقدر احد على رده وهو يوم القيامة
وقيل هو يوم الموت ما لكم من ملجأ يومئذ [illegible] وما لكم من نكير [illegible] فان
اعرضوا اي عن الاجابة فما ارسلناك عليهم حفيظا [illegible] ان عليك الا البلاغ [illegible]
[illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة قال ابن عباس يعني الغنى والصحة
فرح بها وان تصبهم سيئة [illegible] بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور اي لما تقدم
من نعمة [illegible]
[illegible] يهب لمن يشاء اناثا اي
[illegible] اي فلا يولد له الا الانثى [illegible]
[illegible] او يزوجهم ذكرانا واناثا [illegible] ويجعل من يشاء عقيما
اي فلا يولد له [illegible] الانبياء عليهم السلام [illegible] لم يولد له ذكرا وولد له
[illegible]
عليه وسلم ولد له [illegible] ويجعل من يشاء عقيما يعني عيسى ويحيى عليهما السلام [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
رحمة وقيل جبريل [illegible] وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا قال ابن عباس نبوة وقيل قرآنا لانه به حياة الارواح وقيل
[illegible] الكتاب يعني القرآن ولا الايمان [illegible]
ومعالمه [illegible] الايمان [illegible]
يعني صلاتكم [illegible] الايمان [illegible] وما كان الله ليضيع ايمانكم
[illegible] صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة
[illegible] ابراهيم
عليه السلام [illegible] ولكن جعلناه نورا قال ابن عباس يعني الايمان وقيل

القرآن لانه يهتدي به [illegible] من الضلالة وهو قوله نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي اي لتدعو
الى صراط مستقيم يعني دين الاسلام صراط الله يعني الذي شرعه لعباده الذي له ما في السموات وما
في الارض الا الى الله تصير الامور يعني امور الخلائق في الآخرة [illegible] والله اعلم
باسرار كتابه تفسير سورة الزخرف وهي مكية [illegible] وثمانون آية وثمانمائة [illegible]
وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف واربعمائة [illegible] حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم والكتاب
المبين اقسم بالكتاب وهو القرآن الذي ابان طرق الهدى من طرق الضلالة وابان ما يحتاج
اليه الامة من الشريعة وقيل المبين يعني الواضح للمتدبرين وجواب القسم انا جعلناه اي صيرنا
قراءة هذا الكتاب عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه وقيل انزلناه قرآنا عربيا لعلكم
تعقلون يعني معانيه واحكامه وانه يعني القرآن في ام الكتاب اي في اللوح المحفوظ قال ابن عباس
اول ما خلق الله القلم فامره ان يكتب ما يريد ان يخلق فالكتاب عنده ثم قرأ لدينا فالقرآن مثبت
عند الله في اللوح المحفوظ لعلي حكيم اخبر عن شرفه وعلو منزلته والمعنى ان كذبتم يا اهل مكة بالقرآن
فانه عندنا لعلي رفيع شريف وقيل على جميع الكتب حكيم اي محكم لا يتطرق اليه الفساد والبطلان
قوله تعالى افنضرب عنكم الذكر صفحا معناه افنترك عنكم الوحي ونمسك عن انزال القرآن فلا نأمركم
ولا ننهاكم من اجل انكم اسرفتم في كفركم وتركتم الايمان وهو قوله تعالى ان اي لان كنتم قوما مسرفين
والمعنى لا نفعل ذلك قال قتادة والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده اوائل هذه الامة لهلكوا ولكن الله
عاد بعائدته وكرمه ورحمته فكرره عليهم عشرين سنة او ما شاء الله وقيل معناه افنضرب عنكم بتذكيرنا اياكم
صافحين اي معرضين عنكم وقيل معناه افنطوي عنكم الذكر طيا فلا تدعون ولا توعظون وقيل افنترككم
فلا نعاقبكم على كفركم وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن يعني كما استهزأ
قومك بك وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فاهلكنا اشد منهم بطشا اي اقوى من قومك ومضى مثل
الاولين اي صفتهم والمعنى ان كفار قريش سلكوا في الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فليحذروا ان ينزل
بهم مثل ما نزل بالاولين من الخزي والعقوبة قوله عز وجل ولئن سألتهم اي سألت يا محمد قومك من خلق
السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم يعني انهم اقروا بان الله تعالى خلقهما واقروا بعزته وعلمه ثم
عبدوا غيره وانكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم ثم ابتدأ تعالى دالا على نفسه بذكر مصنوعاته فقال
الذي جعل لكم الارض مهادا [illegible] لا انتفاع بها ولما كان المهد موضع راحة الصبي
فكذلك جعل الارض مهادا لكثرة ما فيها من الراحة للخلق وجعل لكم فيها سبلا اي طرقا لعلكم تهتدون الى
مقاصدكم في اسفاركم والذي نزل من السماء ماء بقدر اي بقدر حاجتكم اليه لا كما انزل على قوم نوح حتى اهلكهم فانشرنا به
اي بالمطر بلدة ميتا اي كما احيينا هذه البلدة الميتة بالمطر كذلك تخرجون من قبوركم احياء والذي خلق
الازواج كلها اي الاصناف والانواع كلها قيل كل ما سوى الله تعالى فهو زوج وهو الفرد المنزه عن
الاضداد والانداد والزوجية وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره اي
على ظهور الفلك والانعام ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه يعني بتسخير المراكب في البر والبحر وتقولوا
سبحان الذي سخر لنا هذا اي ذلل لنا هذا [illegible] وما كنا له مقرنين اي مطيقين وقيل ضابطين وانا الى ربنا
لمنقلبون اي في المعاد عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استوى على بعيره خارجا
الى سفر حمد الله تعالى وسبح وكبر ثلاثا ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى

ربنا لمنقلبون اللهم انا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون سفرنا هذا
واطو عنا بعده اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل والمال واذا رجع قالهن
وزاد فيهن آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون قوله وعثاء السفر يعني تعبه وشدته ومشقته
وكآبة المنظر الكآبة الحزن والمنقلب المرجع وذلك ان يعود من سفره حزينا كئيبا ويعاد في ميرته
في اهل ومال عن علي بن ربيعة قال شهدت علي بن ابي طالب وقد اتى بدابة ليركبها فلما وضع رجله
في الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
وانا الى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله اكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك اني ظلمت
نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت ثم ضحك فقلت يا امير المؤمنين مم ضحكت قال رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت فقلت يا رسول الله من اي شيء ضحكت قال ان ربك يعجب من عبده
اذا قال اغفر لي انه لا يغفر الذنوب غيرك اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالى
وجعلوا له من عباده جزءا يعني ولدا وهو قولهم الملائكة بنات الله لان الولد جزء من الاب ومعنى جعلوا
هنا حكموا واثبتوا له ان الانسان لكفور مبين الكفر ظاهره عليه ام اتخذ مما يخلق بنات هذا استفهام
انكار وتوبيخ يقول اتخذ ربكم لنفسه البنات واصفاكم اي اخلصكم بالبنين واذا بشر احدهم بما ضرب
للرحمن مثلا اي بالجنس الذي جعله للرحمن شبها لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد والمعنى انهم نسبوا
اليه البنات ومن حالهم انه اذا قيل لاحدهم انه قد ولد لك بنت اغتم وتربد وجهه غيظا واسفا
وهو قوله تعالى ظل اي صار وجهه مسودا وهو كظيم اي من الحزن والغيظ قيل ان بعض العرب ولد
له انثى فهجر بيت امراته التي ولدت فيه الانثى فقالت المرأة ما لابي حمزة لا يأتينا يظل في
البيت الذي يلينا غضبان ان لا نلد البنين ليس لنا من امرنا ما شئنا وانما نأخذ ما اعطينا
قوله عز وجل اومن ينشأ يعني او من يربى في الحلية يعني في الزينة والنعمة والمعنى او يجعل للرحمن
من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته ولولا نقصها لما احتاجت ان تزين نفسها بالحلية
ثم بين نقصها بوجه اخر وهو قوله وهو في الخصام اي في المخاصمة غير مبين للحجة وذلك لضعف
حالها وقلة عقلها قال قتادة قل ما تكلمت امرأة فتريد ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها وجعلوا
اي حكموا واثبتوا الملائكة الذين هم عباد وقرئ عند الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم اي حضروا خلقهم
حين خلقوا وهذا استفهام انكار اي لم يشهدوا ذلك ستكتب شهادتهم اي على الملائكة انهم بنات الله
ويسألون اي عنها قيل لما قالوا هذا القول سألهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال وما يدريكم انها
بنات الله قالوا سمعنا من ابائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم ويسألون
عنها في الاخرة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم يعني الملائكة وقيل الاصنام وانما لم يعجل عقوبتنا على
عبادتنا اياه لرضاه منا بذلك قال الله تعالى ردا عليهم ما لهم بذلك من علم اي فيما يقولون ان هم الا يخرصون
يعني ما هم الا كاذبون في قولهم ان الله رضي منا بعبادتها وقيل ان الملائكة اناث وانهم بنات الله
ام آتيناهم كتابا من قبله اي من قبل القرآن بان يعبدوا غير الله فهم به مستمسكون اي يأخذون بما فيها
بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة اي على دين وملة وانا على آثارهم مهتدون يعني انهم جعلوا انفسهم
مهتدين باتباع ابائهم وتقليدهم من غير حجة ثم اخبر ان غيرهم قد قال مثل هذه المقالة بقوله تعالى
وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها اي اغنياؤها ورؤساؤها انا وجدنا

[illegible] وانا على آثارهم مقتدون [illegible]
[illegible]
[illegible] حق هذا الايمان [illegible] وهو قوله تعالى [illegible]
[illegible] قوله عز وجل [illegible]
[illegible]

ان الانسان يستمتع بذلك قليلا ثم يفنى لان الدنيا سريعة الزوال والآخرة عند ربك للمتقين الذين
لم يؤثروا الدنيا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح
بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن المستورد بن شداد احد
بني فهر قال كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اترون هذه هانت على اهلها حين القوها قالوا من هوانها القوها
يا رسول الله قال فالدنيا اهون على الله من هذه على اهلها اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب وعن قتادة بن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب
الله عبدا حماه من الدنيا كما يظل احدكم يحمي سقيمه الماء اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر قوله تعالى
ومن يعش اي يعرض عن ذكر الرحمن [illegible] نقيض له شيطانا
اي نسبب له شيطانا ونضمه اليه ونسلطه عليه فهو له قرين يعني لا يفارقه يزين له العمى ويخيل
اليه انه على الهدى وانهم ليصدونهم عن السبيل يعني يمنعونهم عن الهدى ويحسبون
انهم مهتدون يعني ويحسب كفار بني آدم انهم على الهدى حتى اذا جاءنا [illegible]
[illegible] قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين [illegible]
[illegible]
[illegible] فبئس القرين [illegible]
[illegible]
حتى [illegible] ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون يعني اشركتم في العذاب
[illegible]
اليوم [illegible] في العذاب كما كنتم مشتركين في الكفر افانت تسمع الصم او
تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين يعني الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب انهم لا يؤمنون
قوله عز وجل فاما نذهبن بك [illegible] فانا منهم منتقمون اي بالقتل بعدك او
نرينك الذي وعدناهم [illegible] فانا عليهم مقتدرون اي قادرون على ذلك
متى شئنا عذبناهم [illegible]
[illegible]
ما يكون في امته [illegible]
نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب [illegible]
ان النبي صلى الله عليه وسلم اري ما يصيب امته بعده فما رؤي ضاحكا [illegible] حتى قبضه
الله تعالى فاستمسك بالذي اوحي اليك يعني القرآن انك على صراط مستقيم اي على دين [illegible]
لا يميل عنه الا ضال وانه يعني القرآن لذكر لك اي شرف عظيم لك ولقومك وسوف تسألون
يعني عن حقه واداء شكره وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سئل لمن هذا الامر
بعدك لم يخبر بشيء حتى نزلت هذه الآية فكان بعد ذلك اذا سئل قال لقريش (خ) عن ابن عمر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان (خ) عن معاوية

قال

قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر في قريش لا يعاديهم احد الا كبه
الله على وجهه ما اقاموا الدين وقيل القوم هم العرب والقرآن لهم شرف اذ نزل بلغتهم ثم يختص
بذلك الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون الاكثر لقريش ولبني هاشم وقيل ذكر لك اي
ذلك شرف لك بما اعطاك من النبوة والحكمة ولقومك يعني المؤمنين بما هداهم الله به وسوف تسألون
يعني عن القرآن وعما يلزمكم من القيام بحقه قوله تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون
الرحمن آلهة يعبدون اختلف المفسرون في هؤلاء المسؤولين فروي عن ابن عباس في رواية عنه انه لما اسري
بالنبي صلى الله عليه وسلم بعث الله له آدم وولده من المرسلين فاذن جبريل ثم اقام وقال يا محمد تقدم
فصل بهم فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل سل يا محمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا الآية فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لا اسأل قد اكتفيت وهذا قول الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع
له الرسل ليلة اسري به وامر ان يسألهم فلم يشك ولم يسأل فعلى هذا القول قال بعضهم هذه الآية
نزلت ببيت المقدس ليلة اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال اكثر المفسرين معناه سل مؤمني اهل
الكتاب الذين ارسلت اليهم الانبياء هل جاءتهم الرسل الا بالتوحيد وهو قول ابن عباس في اكثر الروايات
عنه ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي والحسن ومعنى الامر بالسؤال التقرير لمشركي قريش
انه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون
وملائه فقال اني رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون اي استهزاء وما نريهم
من آية الا هي اكبر من اختها اي قرينتها التي قبلها واخذناهم بالعذاب اي بالسنين والطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت هذه آيات ودلالات لموسى وعذابا لهم وكانت
كل واحدة اكبر من التي قبلها لعلهم يرجعون اي عن كفرهم وقالوا لموسى لما عاينوا العذاب يا ايه
الساحر اي العالم الكامل الحاذق وانما قالوا ذلك له تعظيما وتوقيرا لان السحر كان عندهم علما عظيما
وصنعة ممدوحة وقيل معناه يا ايها الذي غلبنا بسحره ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بما اخبرتنا من عهده اليك
انا اذا آمنا كشف عنا العذاب فسله ان يكشف عنا اننا لمهتدون اي لمؤمنون فدعا موسى ربه فكشف
عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله تعالى فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون اي ينقضون عهدهم
ويصرون على كفرهم ونادى فرعون في قومه قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي
يعني انهار النيل الكبار وكانت تجري تحت قصره وقيل معناه تجري بين يدي في جناني وبساتيني وقيل
تجري بامري افلا تبصرون اي عظمتي وشدة ملكي ام انا اي بل انا خير وليس بحرف عطف على قول اكثر
المفسرين وقيل فيه اضمار مجازه ثم ابتدأ فقال انا خير من هذا الذي هو مهين اي ضعيف حقير يعني موسى
ولا يكاد يبين يفصح بكلامه للعقدة التي كانت في لسانه وانما عابه بذلك لما كان عليه اولا وقيل معناه
ولا يكاد يبين حجته التي تدل على صدقه فيما يدعي ولم يرد به انه لا قدرة له على الكلام فلولا القي عليه
اي ان كان صادقا اسورة من ذهب قيل انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوار من ذهب وطوقوه
بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته فقال فرعون هلا القى رب موسى عليه اساورة
من ذهب ان كان سيدا تجب طاعته او جاء معه الملائكة مقترنين اي متتابعين يقارن بعضهم بعضا
يشهدون له بصدقه ويعينونه على امره قال الله تعالى فاستخف يعني فرعون قومه يعني القبط

Copyright © King Saud University

اي وجدهم جهالا وقيل حملهم على الخفة والجهل فاطاعوه اي على تكذيب موسى انهم كانوا قوما فاسقين يعني
حيث اطاعوا فرعون فيما استخفهم به فلما آسفونا اي اغضبونا وهو في حق الله تعالى ارادة العقاب
وهو قوله انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين يعني جعلنا المتقدمين
الماضين عبرة وموعظة لمن يجيء بعدهم قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا نزلت هذه الآية في مجادلة
عبد الله بن الزبعرى مع النبي صلى الله عليه وسلم في شأن عيسى بن مريم عليه السلام وذلك لما نزل قوله
تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقد تقدم ذكره في سورة الانبياء ومعنى الآية ولما ضرب
عبد الله بن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه اذا قومك يعني
قريشا منه اي من المثل يصدون اي يرتفع لهم ضجيج وصياح وفرح وقيل يقولون ان محمدا ما يريد منا الا ان
نعبده ونتخذه الها كما عبدت النصارى عيسى وقالوا ءآلهتنا خير ام هو يعنون محمدا صلى الله عليه
وسلم فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا وقيل معناه ام هو يعني عيسى قالوا يزعم محمد ان كل ما عبد من
دون الله في النار فنحن قد رضينا ان تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار قال الله تعالى
ما ضربوه يعني هذا المثل لك الا جدلا اي خصومة بالباطل وقد علموا ان المراد من قوله وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم هؤلاء الاصنام بل هم قوم خصمون اي بالباطل عن ابي امامة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون اخرجه الترمذي وقال حسن حديث غريب
صحيح ثم ذكر عيسى فقال ان هو اي ما عيسى الا عبد انعمنا عليه اي بالنبوة وجعلناه مثلا اي آية
وعبرة لبني اسرائيل يعرفون به قدرة الله عليها حيث خلقه من غير اب ولو نشاء لجعلنا منكم
الخطاب لاهل مكة ملائكة معناه لو نشاء لاهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملائكة في الارض يخلفون اي يكونون
خلفاء منكم يعمرون الارض ويعبدونني ويطيعونني وقيل يخلف بعضهم بعضا وانه يعني عيسى لعلم للساعة
يعني نزوله من اشراط الساعة يعلم به قربها ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض
المال حتى لا يقبله احد وفي رواية ابدا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بيني وبين عيسى
نبي وانه نازل فيكم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كأن رأسه
يقطر وان لم يصبه بلل ويهلك الله في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك الدجال ثم يمكث في الارض
اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ق عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انتم
اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وفي رواية فامكم منكم قال ابن ابي ذئب فامكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة
نبيكم صلى الله عليه وسلم ويروى انه ينزل عيسى وبيده حربة وهي التي يقتل بها الدجال فيأتي بيت المقدس
والناس في صلاة العصر فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم
ثم يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل في عيسى
الا انه … وان القرآن لعلم للساعة اعلم قيامها ويخبركم باحوالها واهوالها فلا تمترن بها اي لا
تشكون فيها وقال ابن عباس لا تكذبوا بها واتبعون اي على التوحيد هذا الذي انا عليه صراط مستقيم
ولا يصدنكم اي لا يصرفنكم الشيطان عن دين الله الذي امر به انه يعني الشيطان لكم عدو مبين

ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة اي بالنبوة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه اي من احكام
التوراة وقيل من اختلاف الفرق الذين تحزبوا في امر عيسى عليه السلام وقيل الذي جاء به عيسى الانجيل
انما هو بعض الذي اختلفوا فيه وبين لهم عيسى في غير الانجيل ما احتاجوا اليه فاتقوا الله واطيعون اي فيما
امرتكم به ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم اي الفرق
المتحزبة بعد عيسى فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم هل ينظرون اي ينتظرون الا الساعة
ان تأتيهم بغتة اي فجأة والمعنى انها تأتيهم لا محالة وهم لا يشعرون الاخلاء اي على الكفر والمعصية
في الدنيا يومئذ يعني يوم القيامة بعضهم لبعض عدو اي ان الخلة اذا كانت كذلك صارت عداوة يوم
القيامة الا المتقين اي الا الموحدين المتحابين في الله عز وجل المجتمعين على طاعته روي عن علي بن
ابي طالب رضي الله عنه في الآية قال الخليلان مؤمنان وخليلان كافران فمات احد المؤمنين فقال يا رب
ان فلانا كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني اني ملاقيك
يا رب فلا تضله بعدي واهده كما هديتني واكرمه كما اكرمتني فاذا مات خليله المؤمن جمع بينهما
فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت احد الكافرين فيقول
يا رب ان فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني اني
غير ملاقيك فيقول بئس الاخ وبئس الخليل وبئس الصاحب قوله عز وجل يا عباد لا خوف عليكم
اليوم ولا انتم تحزنون قيل ان الناس حين يبعثون ليس احد منهم الا فزع فينادي مناد يا عبادي
لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم فيتبعها الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين
فييأس الناس كلهم غير المسلمين فيقال لهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون اي تسرون وتنعمون
يطاف عليهم بصحاف من ذهب جمع صحفة وهي القصعة الواسعة واكواب جمع كوب وهو اناء مستدير بلا
عروة وفيها اي في الجنة ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين عن عبد الرحمن بن سابط قال قال يا رسول الله
صلى الله عليك وسلم هل في الجنة خيل فاني احب الخيل قال ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء ان تركب فرسا
من ياقوتة حمراء فتطير بك في اي الجنة شئت الا فعلت وسأله آخر فقال يا رسول الله هل في الجنة من ابل
فاني احب الابل قال فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال ان يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت
نفسك ولذت عينك اخرجه الترمذي وانتم فيها خالدون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم
تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون وورد في الحديث انه لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها ثمرة الا نبت
مكانها مثلاها قوله تعالى ان المجرمين يعني المشركين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم اي لا يخفف
عنهم وهم فيه مبلسون اي آيسون من رحمة الله تعالى وما ظلمناهم اي وما عذبناهم بغير ذنب ولكن
كانوا هم الظالمين اي لانفسهم بما جنوا عليها ونادوا يا مالك يعني يدعون مالكا خازن النار ليستغيثوا
به فيستريحون ليقض علينا ربك اي ليمتنا ربك فنستريح والمعنى انهم يسألونه ليسأل الله لهم الموت
فيجيبهم بعد الف سنة قال ابن عباس وقيل بعد مائة سنة وروي عن عبد الله بن عمرو بن
العاص قال ان اهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم اربعين عاما ثم يرد عليهم قال انكم ماكثون
قال هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك … لقد
جئناكم بالحق يقول لقد ارسلنا اليكم يا معشر قريش رسولنا بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون ام
ابرموا اي احكموا امرا في المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون اي محكمون امرا في مجازاتهم

Copyright © King … University

ان كادوا واشرا كذبهم بمثله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم اي ما يسرونه من غيرهم وما يتناجون
به بينهم بلى نسمع ذلك كله ونعلمه ورسلنا لديهم يكتبون قوله عز وجل قل ان كان للرحمن ولد فانا اول
العابدين معناه ان كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم فانا اول من عبد الرحمن فانه لا شريك له ولا ولد له
وقال ابن عباس ان كان اي ما كان للرحمن ولد وانا اول العابدين اي الشاهدين له بذلك وقيل معناه لو كان
للرحمن ولد فانا اول من عبده بذلك ولكن لا ولد له وقيل العابدين بمعنى الآنفين اي انا اول الجاحدين
لما قلتم وانا اول من غضب للرحمن ان يقال له ولد وقال الزمخشري في معنى الآية ان كان للرحمن ولد ان
يقال للمولد وصح وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فانا اول من يعظم ذلك
الولد واسبقكم الى طاعته كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل
لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب فيه مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد
وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهو محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها ثم نزه نفسه عن
الولد فقال تعالى سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اي عما يقولون من الكذب
فذرهم يخوضوا اي في باطلهم ويلعبوا اي في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يعني يوم القيامة
وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله اي هو الاله الذي يعبد في السماء وفي الارض لا اله الا هو وهو
الحكيم الذي يدبر خلقه العليم اي بمصالحهم وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما
وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة قيل سبب نزولها
ان النضر بن الحرث ونفرا معه قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن نتولى الملائكة وهم احق بالشفاعة
من محمد فنزلت هذه الآية واراد بالذين يدعون من دونه آلهتهم ثم استثنى عيسى والعزير والملائكة
بقوله الا من شهد بالحق لانهم عبدوا من دون الله ولهم شفاعة وقيل المراد بالذين يدعون من دونه
عيسى وعزير والملائكة فان الله تعالى لا يملك لاحد من هؤلاء الشفاعة الا لمن شهد بالحق وهي كلمة
الاخلاص وهي لا اله الا الله ممن شهدها بقلبه شفعوا له وهو قوله وهم يعلمون اي بقلوبهم
ما شهدوا به بالسنتهم وقيل يعلمون ان الله خلق عيسى والعزير والملائكة ويعلمون انهم عباده
ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله يعني انهم اذا اقروا بان الله خالق العالم باسره فكيف اقدموا على عبادة
غيره فانى يؤفكون اي يصرفون عن عبادته الى غيره وقيله يا رب يعني قول محمد صلى الله عليه وسلم
شاكيا الى ربه يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون قال ابن عباس شكى الى الله تخلف قومه عن الايمان
وقال قتادة هذا نبيكم يشكو قومه الى ربه فاصفح عنهم اي اعرض عنهم وفي ضمنه منعه من ان يدعو عليهم
بالعذاب وقل سلام معناه المتاركة وقيل معناه قولوا لاخيارهم شرهم فسوف يعلمون اي عاقبة كفرهم وفيه
تهديد لهم وقيل معناه يعلمون انك صادق وقال مقاتل نسختها آية السيف والله اعلم
تفسير سورة الدخان وهي مكية فهي سبع وقيل تسع وخمسون آية وثلثمائة وست
واربعون كلمة والف واربعمائة واحد وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
حم والكتاب المبين اي المبين ما يحتاج الناس اليه من حلال وحرام وغير ذلك من الاحكام
انا انزلناه في ليلة مباركة قيل هي ليلة القدر انزل فيها القرآن جملة من اللوح المحفوظ الى سماء
الدنيا ثم نزل به جبريل نجوما على حسب الوقايع في عشرين سنة وقيل هي ليلة النصف من شعبان
عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف

من

من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من شعر غنم بني كلب اخرجه الترمذي انا كنا منذرين اي مخوفين عقابنا
فيها اي في تلك الليلة المباركة يفرق اي يفصل كل امر حكيم اي محكم قال ابن عباس يكتب من ام الكتاب
في ليلة القدر ما كان كائن في السنة من الخير والشر والارزاق والاجال حتى الحاج يقال يحج فلان ويحج فلان
وقيل هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها امور السنة وينسخ الاحياء من الاموات وروى البغوي بسنده
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له
وقد خرج اسمه في الموتى وعن ابن عباس قال ان الله يقضي الاقضية في ليلة النصف من شعبان
ويسلمها الى اربابها في ليلة القدر امرا اي انزلناه امرا من عندنا انا كنا مرسلين يعني محمدا صلى الله عليه
وسلم ومن قبله من الانبياء رحمة من ربك قال ابن عباس رأفة مني بخلقي ونعمة عليهم بما بعثت اليهم
من الرسل وقيل انزلناه في ليلة مباركة رحمة من ربك انه هو السميع اي لاقوالهم العليم اي
باحوالهم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين اي ان الله رب السموات والارض
وما بينهما لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين قوله تعالى بل هم في شك يلعبون
يعني من هذا القرآن اي يهزؤون به لاهون عنه فارتقب اي يا محمد يوم تأتي السماء بدخان
مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود
وهو مضطجع بيننا فاتاه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن ان قاصا عند ابواب كندة يقص ويزعم
ان آية الدخان تجيء فتاخذ بانفاس الكفار وياخذ المؤمنين كهيئة الزكام فقام عبد الله وجلس
غضبان يا ايها الناس من علم منكم شيئا فليقل به ومن لا يعلم شيئا فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول
لما لا يعلم الله اعلم فان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا
من المتكلفين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس ادبارا قال اللهم سبع كسبع يوسف وفي
رواية لما دعى قريشا كذبوه واستعصوا عليه قال اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف فاخذتهم
سنة حصت كل شيء حتى اكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر الى السماء احدهم فيرى كهيئة الدخان فاتاه ابو
سفيان فقال يا محمد انك جئت تامر بطاعة الله وبصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم
قال الله عز وجل فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين الى قوله عائدون قال عبد الله افيكشف
عنهم عذاب الآخرة ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فقيل له ان كشفنا عنهم عادوا فدعا
ربك فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله فارتقب يوم تأتي السماء بدخان
مبين الى قوله انا منتقمون قوله حصت كل شيء بالحاء والصاد المهملتين اي حلقت واستأصلت كل شيء
ق وعن عبد الله بن مسعود قال قد مضين اللزام والروم والبطشة والقمر والدخان قيل
اصابهم من الجوع كالظلمة في ابصارهم وذلك ان في سنة القحط العظيم تيبس الارض بسبب
انقطاع المطر ويرتفع الغبار ويظلم الهوا وذلك يشبه الدخان وقيل هو دخان يجيء قبل
قيام الساعة ولم يات بعد فيدخل في اسماع الكفار والمنافقين حتى يكون راسه كالراس الحنيذ
يعني المشوي ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه
النار وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن ويدل عليه ما روى البغوي باسناد الثعلبي عن
حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الآيات الدخان و
نزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا

قال حذيفة يا رسول الله اما الدخان فتلا هذه الآية يوم تأتي السماء بدخان مبين يملأ ما بين المشرق
والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام واما الكافر فكهيئة السكران
يخرج من منخريه واذنيه ودبره انى لهم الذكرى اي كيف يتذكرون ويتعظون بهذه الحالة وقد جاءهم
رسول مبين يعني وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل في وجوب الطاعة وهو ما ظهر على يد رسول الله
صلى الله عليه وسلم من المعجزات الظاهرات والبينات الباهرات ثم تولوا عنه اي اعرضوا عنه وقالوا
معلم اي يعلمه بشر مجنون اي يقولون انه مجنون هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشي انا كاشفوا العذاب
اي الجوع قليلا اي زمنا يسيرا قيل الى يوم بدر انكم عائدون اي الى كفركم يوم نبطش البطشة الكبرى
هو يوم بدر انا منتقمون اي منكم في ذلك اليوم وهو قول ابن مسعود واكثر العلماء وفي رواية عن ابن عباس
انه يوم القيامة قوله تعالى ولقد فتنا قبلهم اي قبل هؤلاء قوم فرعون وجاءهم رسول كريم اي على
الله وهو موسى بن عمران عليه السلام ان ادوا الي عباد الله اي اطلقوا الى بني اسرائيل ولا تعذبوهم اني لكم
رسول امين اي على الوحي وان لا تعلوا على الله اي لا تتجبروا عليه بترك الطاعة اني آتيكم بسلطان مبين
اي برهان بين على صدق قولي فلما قال ذلك توعدوه بالقتل فقال واني عذت بربي وربكم ان
ترجمون ان تقتلوني وقال ابن عباس تشتموني وتقولون هو ساحر وقيل ترجموني بالحجارة وان لم
تؤمنوا لي فاعتزلون اي فاتركوني لا معي ولا علي وقال ابن عباس اعتزلوا اذاي باليد واللسان
فلم يؤمنوا فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون اي مشركون فاسر بعبادي ليلا اي اجاب الله دعاءه
وامره ان يسري ببني اسرائيل بالليل انكم متبعون اي يتبعكم فرعون وقومه واترك البحر اي اذا قطعته انت
واصحابك رهوا اي ساكنا والمعنى لا تأمره ان يرجع بل اتركه على حالته حتى يدخله فرعون وقومه
وقيل رهوا يعني طريقا يابسا وذلك انه لما قطع موسى البحر رجع ليضربه بعصاه ليلتئم وخاف ان يتبعه
فرعون بجنوده فقيل لموسى اترك البحر كما هو انهم جند مغرقون يعني اخبر موسى بغرقهم ليطمئن قلبه
في تركه البحر كما هو كم تركوا اي بعد الغرق من جنات وعيون وزروع ومقام كريم اي مجلس
شريف حسن ونعمة اي وعيش لين رغيد كانوا فيها اي في تلك النعمة فاكهين اي ناعمين وقرئ
فكهين اي اشرين بطرين كذلك اي فعل بمن عصاني واورثناها قوما آخرين يعني بني اسرائيل فما بكت
عليهم السماء والارض وذلك ان المؤمن اذا مات تبكي عليه السماء والارض اربعين صباحا وهؤلاء
لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكي السماء على فقده ولا لهم على الارض عمل صالح فتبكي الارض عليه عن
انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مؤمن الا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب
ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه فذلك قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه قيل بكاؤها حمرة اطرافها قال
مجاهد ما مات مؤمن الا بكت عليه السماء والارض اربعين صباحا فقيل وتبكي قال وما للارض لا
تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوي
كدوي النحل وقيل المراد اهل السماء واهل الارض وما كانوا منظرين اي لم يمهلوا حين اخذهم العذاب
لتوبة ولا لغيرها قوله عز وجل ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين اي من قتل الابناء واستخدام
النساء والتعب في العمل من فرعون انه كان عاليا اي جبارا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم
اي علمه الله تعالى فيهم على العالمين اي على عالمي زمانهم وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين

اي

اي نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى والنعم التي انعمنا بها عليهم وقيل
ابتلاؤهم بالرخاء والشدة ان هؤلاء يعني مشركي مكة ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى اي لا موت
لنا الا هذه التي نموتها في الدنيا ولا بعث بعدها وهو قوله وما نحن بمنشرين اي بمبعوثين بعد
موتتنا هذه فأتوا بآبائنا اي الذين ماتوا قبل ان كنتم صادقين اي انا نبعث احياء بعد الموت قيل
طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان يحيي لهم قصي بن كلاب ثم خوفهم مثل عذاب الامم الخالية فقال
تعالى اهم خير ام قوم تبع اي ليسوا خيرا من قوم تبع يعني في الشدة والقوة والكثرة وقيل هو تبع الحميري
وكان من ملوك اليمن سمي تبعا لكثرة اتباعه وقيل كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبعا لانه يتبع
صاحبه الذي قبله كما سمي في الاسلام خليفة وكان تبع هذا يعبد النار فاسلم ودعا قومه وهم
حمير الى الاسلام فكذبوه عن سهل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تسبوا تبعا
فانه قد كان اسلم اخرجه احمد بن حنبل في مسنده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما ادري تبعا كان نبيا او غير نبي وعن عائشة قالت لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا
وكان من قصته على ما ذكره محمد بن اسحاق وغيره وذكر عكرمة عن ابن عباس قالوا كان تبع الآخر وهو
ابو كرب سعد بن ملبل وكان سار بالجيوش نحو المشرق حتى حير الحيرة وبنى سمرقند ورجع من قبل المشرق
فجعل طريقه على المدينة وكان حين مر بها خلف بها ابنا له فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها
واستئصال اهلها فجمع له هذا الحي من الانصار حين سمعوا بذلك من امره فخرجوا لقتاله فكان الانصار
يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فاعجبه ذلك وقال ان هؤلاء لكرام فبينما هو كذلك اذ جاءه
حبران عالمان من احبار بني قريظة وكانا ابني عم اسم احدهما كعب والآخر اسد حين سمعا بما يريد من اهلاك
المدينة واهلها فقالا له ايها الملك لا تفعل فانك ان ابيت الا ما تريد حيل بينك وبينه ولم
نأمن عليك عاجل العقوبة فان هذه المدينة مهاجر نبي يخرج من هذا الحي من قريش اسمه محمد مولده
مكة وهذه دار هجرته ومنزلك الذي انت فيه يكون به من القتل والجراح امر كبير في اصحابه وفي عدوهم
قال تبع ومن يقاتله وهو نبي قال يسير اليه قومه فيقتتلون ههنا فتناهى لقولهما عما كان يريد
بالمدينة ثم انهما دعواه الى دينهما فاجابهما واتبعهما على دينهما واكرمهما وانصرف عن المدينة وخرج بهما
ونفر من اليهود عامدين الى اليمن فاتاه في الطريق نفر من هذيل وقالوا له انا ندلك على بيت فيه
كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة قال اي بيت هذا قالوا بيت بمكة وانما اراد هذيل هلاكه لانهم عرفوا
انه لم يرده احد بسوء الا هلك فذكر الملك ذلك للاحبار فقالوا ما نعلم لله في الارض بيتا غير هذا البيت
الذي بمكة فاتخذه مسجدا وانسك عنده وانحر واحلق راسك وما اراد القوم الا هلاكك وما ناواه
احد قط الا هلك فاكرمه واصنع عنده ما يصنع اهله فلما قالوا له ذلك اخذ الملك النفر من هذيل
فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم ثم صلبهم فلما قدم مكة نزل بالشعب شعب المطابخ وكسى البيت
وهي برود تصنع باليمن وهو اول من كسى البيت ونحر بالشعب ستة آلاف بدنة واقام بها ستة
ايام وطاف به وحلق وانصرف فلما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا لا تدخلها
علينا وانت قد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه دين خير من دينكم فقالوا فحاكمنا الى النار
وكانت باليمن نار في اسفل جبل يتحاكمون اليها فيما يختلفون فيه فتأكل الظالم ولا تضر المظلوم فقال
تبع انصفتم فخرج القوم باوثانهم وما يتقربون به في دينهم وخرج الحبران ومصاحفهما في اعناقهما

Copyright King Saud University

حتى يغيب والنار عند مخرجها الذي تخرج منه فخرجت النار فاقبلت حتى غشيتهم واكلت الاوثان
وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما يتلوان التوراة تعرق جباههما
لم تضرهما النار ونكصت النار حتى رجعت الى مخرجها الذي تخرج منه فاصفقت عند ذلك حمير
على دينهما فمن هناك كان اصل اليهودية باليمن قال الرياشي كان ابو كرب اسعد الحميري من التبابعة
ممن امن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة سنة وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه
قوله تعالى والذين من قبلهم اى من الامم الكافرة اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق اى بالعدل وهو الثواب على الطاعة والعقاب
على المعصية ولكن اكثرهم لا يعلمون قوله عز وجل ان يوم الفصل الذى يفصل فيه بين العباد
ميقاتهم اجمعين اى يوافي يوم القيامة الاولون والاخرون يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا اى لا ينفع
قريب قريبه ولا يدفع عنه شيئا ولا هم ينصرون اى يمنعون من عذاب الله الا من رحم الله يعنى المومنين
فانه يشفع بعضهم لبعض انه هو العزيز اى فى انتقامه من اعدائه الرحيم اى باوليائه المومنين
قوله تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم اى ذوى الاثم وهو ابو جهل كالمهل اى كدردى الزيت
الاسود تغلى فى البطون اى فى بطون الكفار كغلى الحميم يعنى كالماء الحار اذا اشتد غليانه عن ابى سعيد
الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب الى وجهه سقطت فروة وجهه
فيه اخرجه الترمذى وقال لا نعرفه الا من حديث رشدين بن سعد وقد تكلم فيه من قبل حفظه عن
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان قطرة من الزقوم قطرت فى الدنيا لافسدت
على اهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قوله
تعالى خذوه اى يقال للزبانية خذوه يعنى الاثيم فاعتلوه اى ادفعوه وسوقوه بالعنف الى
سواء الجحيم اى الى وسط النار ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم قيل ان خازن النار يضرب على راسه
فينقب راسه عن دماغه ثم يصب فيه ماء حميما قد انتهى حره ثم يقال له ذق اى هذا العذاب انك
انت العزيز الكريم اى عند قومك بزعمك وذلك ان ابا جهل كان يقول انا اعز اهل الوادى واكرمهم
فيقول له خزنة النار هذا على طريق الاستخفاف والتوبيخ ان هذا ما كنتم به تمترون اى تشكون
فيه ولا تومنون ثم ذكر مستقر المتقين فقال تعالى ان المتقين فى مقام امين اى فى مجلس امنوا
فيه من الغير فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق قيل السندس ما رق من الديباج
والاستبرق ما غلظ منه وهو معرب استبرق **فان قلت** كيف
ساغ ان يقع فى القرآن العربى المبين لفظ عجمى **قلت** اذا عرب خرج من ان يكون
عجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجراؤه على اوجه
الاعراب متقابلين اى يقابل بعضهم بعضا كذلك اى كما اكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون
واللباس كذلك اكرمناهم بان زوجناهم بحور عين اى قرناهم بهن ليس هو من عقد التزويج وقيل
جعلناهم ازواجا لهن اى جعلناهم اثنين اثنين والحور هن النساء النقيات البياض وقيل يحار الطرف
فى بياضهن وصفاء لونهن وقيل الحور الشديدات بياض العين يدعون فيها بكل فاكهة يعنى
ارادوها واشتهوها امنين اى من نفادها ومن مضرتها وقيل امنين فيها من الموت والاوجاع
والشيطان لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اى لا يموتون فى الجنة الموت البتة سوى

الموتة

الموتة التى ذاقوها فى الدنيا وقيل الا بمعنى لكن وتقديره لا يذوقون فيها الموت لكن الموتة الاولى قد ذاقوها
وقيل انما استثنى الموتة الاولى وهى من موت الجنة لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله الى اسباب
الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم فى الجنة فكان موتهم فى الدنيا كانهم فى الجنة لاتصالهم
باسبابها ومشاهدتهم اياها ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك يعنى كل ما وصل اليه المتقون من
الخلاص من عذاب النار والفوز بالجنة انما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى وفضل ذلك تفضلا منه
ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك اى سهلنا القرآن على لسانك كناية عن غير مذكور لعلهم
يتذكرون اى يتعظون فارتقب اى فانتظر النصر من ربك وقيل انتظر لهم العذاب انهم مرتقبون
اى منتظرون بك قهرك بزعمهم وقيل منتظرون موتك وقيل هذه الاية منسوخة باية السيف عن ابى
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الدخان فى ليلة اصبح يستغفر له سبعون
الف ملك اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وعمر بن خثعم احد رواته وهو ضعيف وقال البخارى
وهو منكر الحديث وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان ليلة الجمعة
غفر له اخرجه الترمذى وقال هشام ابو المقدام احد رواته ضعيف والله اعلم

تفسير سورة الجاثية وتسمى الشريعة

وهى مكية وهى سبع وثلاثون
اية واربعمائة وثمانون كلمة والفان ومائة واحد وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله
عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان فى السموات والارض لايات اى ان فى خلق
السموات والارض وهما خلقان عظيمان يدلان على قدرة القادر المختار وهو قوله لايات
للمومنين وفى خلقكم وما يبث من دابة اى وما يفرق فى الارض من جميع الحيوانات ذا عقل
وتميز اختلافها فى الخلق والشكل والصورة ايات دلالات تدل على وحدانية من خلقها وانه
واحد لا اله الا هو الخالق المختار لقوم يوقنون يعنى انه لا اله غيره واختلاف الليل والنهار يعنى بالظلام
والضيا والطول والقصر وما انزل الله من السماء من رزق يعنى المطر الذى هو سبب ارزاق العباد فاحيا
به الارض بعد موتها اى بعد يبسها وتصريف الرياح اى فى مهابها فمنها الصبا والدبور والشمال
والجنوب ومنها الحارة والباردة وغير ذلك ايات لقوم يعقلون **فان قلت**
ما وجه هذا الترتيب فى قوله لايات للمومنين ولقوم يوقنون ويعقلون **قلت**
معناه ان المنصفين من العباد اذا نظروا فى هذه الدلائل النظر الصحيح علموا انها مصنوعة
وانه لا بد لها من صانع فامنوا به واقروا انه الاله القادر على كل شىء فاذا امعنوا النظر ازدادوا
ايقانا وزال عنهم اللبس فحينئذ استحكم علمهم وعدوا فى زمرة العقلاء الذين عقلوا عن الله مراده
فى اسرار كتابه تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق فباى حديث بعد الله اى بعد كتاب الله
واياته يومنون قوله تعالى ويل لكل افاك اثيم اى كذاب صاحب اثم يعنى النضر بن الحارث
يسمع ايات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها كان فى اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم
واذا علم من اياتنا شيئا يعنى ايات القرآن اتخذها هزوا اى سخر بها اولئك
لهم عذاب مهين ثم وصفه فقال تعالى من ورائهم جهنم يعنى امامهم جهنم [illegible]
ولهم فى الاخرة النار ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئا اى من الاموال ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء
ولا ما عبدوه من دون الله من الاوثان ولهم عذاب عظيم هذا يعنى القرآن هدى اى هو هدى من الضلالة والذين

Copyright © King Saud University

كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا
من فضله اى بسبب التجارة واستخراج منافعه ولعلكم تشكرون نعمته على ذلك وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض يعني انه تعالى خلقها ومنافعها فهي مسخرة لنا من حيث انا ننتفع بها جميعا منه
قال ابن عباس كل ذلك رحمة منه وقيل كل ذلك تفضل واحسان ان في ذلك لايات لقوم
يتفكرون قوله عز وجل قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله اى لا يخافون
وقايع الله ولا يبالون نقمته قال ابن عباس نزلت في عمر بن الخطاب وذلك ان رجلا من بني غفار
شتمه بمكة فهم عمر ان يبطش به فانزل الله هذه الاية وامره ان يعفو عنه وقيل نزلت في ناس
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كانوا في اذى شديد من المشركين قبل ان
يومروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية ثم نسختها
اية القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون اى من الاعمال ثم فسره فقال من عمل صالحا
فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون قوله تعالى ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب
والحكم والنبوة يعني معرفة ايام الله ورزقناهم من الطيبات اى من الحلالات وهو ما وسع
عليهم في الدنيا واورثهم اموال قوم فرعون وديارهم وانزل عليهم المن والسلوى وفضلناهم
على العالمين اى على عالمي زمانهم قال ابن عباس لم يكن احد من العالمين في زمانهم اكرم على الله
ولا احب اليه منهم واتيناهم بينات من الامر اى بيان الحلال والحرام وقيل العلم بمبعث محمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من امره فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم
معناه للتعجب من حالهم وذلك لان حصول العلم يوجب ارتفاع الاختلاف وههنا صار مجي
العلم سببا لحصول الاختلاف وذلك انه لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وانما كان
مقصودهم منه طلب الرياسة والتقدم ثم انهم لما علموا عاندوا واظهروا النزاع والحسد والاحقاد
ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك يا محمد على شريعة
اى طريقة ومنهاج وسنة بعد موسى من الامر اى من الدين فاتبعها اى اتبع شريعتك الثابتة
ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون يعني مراد الكافرين وذلك بانهم كانوا افضل منك على الله
فقال تعالى انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا اى لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئا ان اتبعت اهواهم
وان الظالمين بعضهم اولياء بعض يعني ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا ولا ولي لهم في
الاخرة والله ولي المتقين اى هو ناصرهم في الدنيا ووليهم في الاخرة هذا يعني القران بصائر للناس اى
معالم في الحدود والاحكام يبصرون به وهدى ورحمة لقوم يوقنون ام حسب الذين اجترحوا
السيئات اى اكتسبوا المعاصي والكفر ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات نزلت في نفر
من مشركي مكة قالوا للمؤمنين لئن كان ما تقولون حقا لنفضلن عليكم في الاخرة كما فضلنا في
الدنيا سواء محياهم ومماتهم معناه احسبوا ان حياة الكافرين ومماتهم كحياة المؤمنين وموتهم
كلا فان المؤمن مومن في محياه ومماته في الدنيا والاخرة والكافر كافر في محياه ومماته
في الدنيا والاخرة وشتان ما بين الحالتين في الحال والمال ساء ما يحكمون اى بيس ما يقضون
قال مسروق قال لي رجل من اهل مكة هذا مقام اخيك تميم الداري ولقد رايته ذات ليلة
حتى اصبح او قرب ان يصبح يقرا اية من كتاب الله يركع بها ويسجد ويبكي ام حسب الذين اجترحوا السيئات

ان نجعلهم الاية

ان نجعلهم الاية وخلق الله السموات والارض بالحق اى بالعدل ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون
ومعنى الاية المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لا يتم الا بالحشر والقيامة ليحصل
التفاوت بين المحقين والمبطلين في الدرجات والدركات قوله عز وجل افرايت من اتخذ الهه هواه
قال ابن عباس اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئا الا ركبه لانه لا يومن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم الله
وقيل معناه اتخذ معبوده ما تهواه نفسه وذلك ان العرب كانت تعبد الحجارة والذهب والفضة
فاذا راوا شيا احسن من الاول رموا بالاول وكسروه وعبدوا الاخر وقيل انما سمي هوى لانه يهوى
بصاحبه في النار واضله الله على علم اى على ما منه بعاقبة امره وقيل على ما سبق في علم الله انه ضال
قبل ان يخلقه وختم على سمعه وقلبه اى فلم يسمع الهدى ولم يعقله بقلبه وجعل على بصره غشاوة اى ظلمة فهو
لا يبصر الهدى فمن يهديه من بعد الله اى من بعد ان اضله الله افلا تذكرون قال الواحدي ليس يبقى
للقدرية مع هذه الاية عذر ولا حيلة لان الله صرح بمنعه اياهم عن الهدى حين اخبر انه ختم على
سمعه وقلبه وبصره وقالوا يعني منكري البعث ما هي الا حياتنا الدنيا اى ما الحياة الا حياتنا
الدنيا نموت ونحيا اى يموت الاباء ويحيى الابناء وقيل تقديره نحيا ونموت وما يهلكنا الا الدهر اى
وما يفنينا الا ممر الزمان واختلاف الليل والنهار وما لهم بذلك من علم اى لم يقولوه عن علم علموه ان
هم الا يظنون ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل يوذيني
ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي اقلب الليل والنهار وفي رواية يوذيني ابن ادم ويقول
يا خيبة الدهر فلا يقولن يا خيبة الدهر فاني انا الدهر اقلب ليله ونهاره فاذا شئت قبضتهما وفي
رواية يسب ابن ادم الدهر وانا الدهر بيدي الليل والنهار ومعنى الاحاديث ان العرب كان من
شانها ذم الدهر وسبه عند النوازل لانهم كانوا ينسبون الى الدهر ما يصيبهم من المصايب والمكاره فيقولون
اصابتهم قوارع الدهر وابادهم الدهر كما اخبر الله عز وجل عنهم بقوله وما يهلكنا الا الدهر فاذا اضافوا الى
الدهر ما نالهم من الشدايد وسبوا فاعلها فكان مرجع سبهم الى الله تعالى اذ هو الفاعل في الحقيقة للامور
التي يضيفونها الى الدهر لا الى الدهر فنهوا عن سب الدهر وقيل قال لهم لا تسبوا فاعل ذلك فانه هو الله
عز وجل والدهر متصرف فيه يقع به التاثير كما يقع بكم والله اعلم قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا
بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ايتوا بابائنا ان كنتم صادقين معناه ان منكري البعث احتجوا بان
قالوا ان صح ذلك فاتوا باباينا الذين ماتوا ليشهدوا لنا بصحة البعث قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم
الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة
يومئذ يخسر المبطلون يعني في ذلك اليوم يظهر خسران اصحاب الاباطيل وهم الكافرون يصيرون الى النار
وترى كل امة جاثية اى باركة على الركب وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء قال سلمان
الفارسي ان في القيامة ساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثيا على الركب حتى ابراهيم ينادي ربه لا اسالك
الا نفسي كل امة تدعى الى كتابها اى الذي فيه اعمالها ويقال لهم اليوم تجزون ما كنتم تعملون اى من خير وشر
هذا كتابنا يعني ديوان الحفظة **فان قلت** كيف اضاف الكتاب اليهم اولا
بقوله تدعى الى كتابها ثم ثانيا بقوله هذا كتابنا **قلت** لا منافاة بينهما فاضافته
اليهم لانه كتاب اعمالهم واضافه اليه لانه تعالى هو امر الحفظة بكتبه ينطق عليكم بالحق اى يشهد عليكم
ببيان شاف وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اى يامر الملائكة بنسخ

Copyright King Saud University

الملايكة اعمالكم وكتابتها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ اي ناخذ نسخته وذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله منه ما كان له ثواب وعليه عقاب ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب وقيل الاستنساخ في اللوح المحفوظ تنسخ الملايكة كل عام ما يكون من اعمال بني ادم والاستنساخ ما يكون لاصل اصل فينسخ كتاب من كتاب فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته اي جنته ذلك هو الفوز المبين اي الظفر الظاهر واما الذين كفروا اي يقال لهم افلم تكن اياتي تتلى عليكم يعني ايات القران فاستكبرتم اي عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين يعني كافرين متكبرين قوله عز وجل واذا قيل ان وعد الله حق اي البعث كاين والساعة لا ريب فيها اي لا شك في انها كاينة قلتم ما ندري ما الساعة اي انكرتموها فقلتم ان نظن الا ظنا اي ما نعلم ذلك الا حدسا وتوهما وما نحن بمستيقنين انها كاينة وبدا لهم اي في الاخرة سيات ما عملوا اي في الدنيا والمعنى بدا لهم جزا سيئاتهم وحاق بهم اي نزل بهم ما كانوا به يستهزءون وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا اي تركتم الايمان والعمل للقاء هذا اليوم وماواكم النار وما لكم من ناصرين اي ما لكم من مانعين يمنعونكم من العذاب ذلكم اي هذا الجزاء بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا يعني حين قلتم لا بعث ولا حساب فاليوم لا يخرجون منها اي من النار ولا هم يستعتبون اي لا يطلب منهم ان يرجعوا الى طاعة الله والايمان به لانه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين معناه فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شي من السموات والارض والعالمين وان مثل الربوبية العامة يوجب الحمد والثنا على كل احد وله الكبريا في السموات والارض اي وكبروه فان له الكبريا والعظمة وحق لمثله ان يكبر ويعظم وهو العزيز الحكيم عن ابي سعيد الخدري وابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العز ازاره والكبريا رداوه فمن ينازعني عذبته لفظ مسلم واخرجه البرقاني وابو مسعود عنهما يقول الله عز وجل العز ازاري والكبريا ردايي فمن نازعني شيا منهما عذبته ولابي داود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبريا ردايي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما قذفته في النار شرح الحديث قيل هذا الكلام خرج على عادة العرب في بديع استعاراتهم وذلك انهم يكنون عن الصفة اللازمة بالثواب يقولون شعار فلان الزهد ولباسه التقوى فضرب الله عز وجل الازار والردا مثلا له في انفراده بصفة الكبريا والعظمة والمعنى انهما ليسا كسائر الصفات التي يتصف بها بعض المخلوقين مجازا كالرحمة والكرم وغيرهما وشبههما بالازار والردا لان المتصف بهما يشملانه كما يشمل الردا الانسان ولانه لا يشاركه في ازاره وردايه احد فكذا الله تعالى لا ينبغي ان يشاركه فيهما احد لانهما من صفاته اللازمة له المختصة به التي لا تليق لغيره والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الاحقاف

وهي مكية قيل غير قوله قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل فانهما نزلتا بالمدينة وهي اربع وقيل خمس وثلاثون اية وستماية واربع واربعون كلمة والفان وخمسماية وخمسة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى يعني يوم القيامة وهو الاجل الذي تنتهي اليه فنا السموات والارض والذين كفروا عما انذروا معرضون اي عما خوفوا به في القران من البعث والحساب والجزاء معرضون لا يؤمنون به قل ارايتم ما تدعون من دون الله يعني الاصنام اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات

ايتوني

ايتوني بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم اي بقية من علم يوثر عن الاولين وقيل بروايته عن علم الانبيا وقيل علامة من علم وقيل هو الخط وهو خط كانت العرب تخطه في الارض وهو العيافة ان كنتم صادقين اي ان لله شريكا ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له يعني الاصنام لا تجيب عابديها الى شي يسالونها الى يوم القيامة يعني لا تجيب وهم عن دعايهم غافلون يعني لانها جمادات لا تسمع ولا تفهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعدا وكانوا بعبادتهم كافرين اي جاحدين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين سموا القران سحرا ام يقولون افتراه اي اختلق محمد القران من قبل نفسه فقال الله عز وجل قل يا محمد ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيا اي لا تقدرون ان تردوا عني عذابه ان عذبني على افترايي فكيف افتري على الله من اجلكم هو اعلم بما تفيضون فيه اي تخوضون فيه من التكذيب بالقران والقول فيه انه سحر كفى به شهيدا بيني وبينكم اي ان القران جا من عنده وهو الغفور الرحيم اي في تاخير العذاب عنكم وقيل هو دعا لهم الى التوبة ومعناه انه غفور لمن تاب منكم رحيم به قوله تعالى قل يا محمد ما كنت بدعا من الرسل اي لست باول مرسل قد بعث قبلي كثير من الانبيا فكيف تنكرون نبوتي وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اختلف العلما في معنى هذه الاية فقيل معناه ما ادري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة فلما نزلت هذه الاية فرح المشركون وقالوا واللات والعزى ما امرنا وامر محمد عند الله الا واحد وما له علينا من مزية وفضل ولولا انه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لاخبره الذي بعثه بما يفعل به فانزل الله عز وجل ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقالت الصحابة هنيا لك يا رسول الله قد علمت ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله عز وجل ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار الاية وانزل وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين الله ما يفعل به وبهم وهذا قول انس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا انما قال هذا قبل ان يخبر بغفران ذنبه وانما اخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك خ عن خارجة بن زيد بن ثابت ان ام العلا امراة منا الانصار كانت بايعت النبي صلى الله عليه وسلم اخبرته انه اقتسم المهاجرون قرعة قالت فطار لنا عثمان بن مظعون فانزلناه في ابياتنا فوجع وجعه الذي توفي فيه فلما توفي وغسل وكفن في اثوابه دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك ابا السايب شهادتي عليك لقد اكرمك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله اكرمه فقلت بابي انت وامي يا رسول الله فمن يكرمه الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هو فقد جاءه اليقين والله اني لارجو له الخير والله ما ادري وانا رسول الله ما يفعل بي قالت فوالله لا ازكي بعده احدا يا رسول الله قالت وارتني لعثمان في النوم عينا تجري فجيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذاك عمله وفي رواية غير البخاري قالت لما قدم المهاجرون المدينة اقترعت الانصار على سكناهم قالت فطار لنا عثمان بن مظعون وفيه والله ما ادري وانا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم هذا في الدنيا اما في الاخرة فقد علم انه في الجنة وان من كذبه في النار فعلى هذا الوجه فقد اختلفوا فيه فقال ابن عباس لما اشتد البلا باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو بمكة ارضا ذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر اليها فقال له اصحابه متى تهاجر الى الارض التي رايت فسكت فانزل الله هذه الاية وما ادري ما يفعل بي ولا بكم انزل فيه

Copyright © King Saud University

مكاني ام اخرج واياكم الى الارض التي رفعتها لي وقيل لا ادري الى ماذا يصير امري وامركم في الدنيا اما انا
فلا ادري اخرج كما اخرجت الانبياء من قبلي ام اقتل كما قتل بعض الانبياء من قبلي واما انتم ايها المصدقون
فلا ادري اتخرجون معي ام تتركون ام ماذا يفعل بكم وما ادري ما يفعل بكم ايها المكذبون اترمون بالحجارة
من السماء ام يخسف بكم ام اي شيء يفعل بكم مما فعل بالامم المكذبة ثم اخبر الله عز وجل انه يظهر دينه على الاديان
كلها فقال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال في امته
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاعلمه ما يصنع به وبامته وقيل
معناه ما ادري الى ما يصير امري وامركم من الغالب والمغلوب ثم اخبر انه يظهر دينه على الاديان وانه
على ما بر الامم وقوله ان اتبع الا ما يوحى الي معناه ما اتبع غير القرآن الذي يوحى الي ولا ابتدع من عندي
شيا وما انا الا نذير مبين اي انذركم العقاب وابين لكم الشرائع قل ارايتم اي اخبروني ماذا تقولون
ان كان من عند الله يعني القرآن وكفرتم به ايها المشركون وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله
اي انه من عند الله فآمن يعني الشاهد واستكبرتم اي عن الايمان به والمعنى افما كان الامر كذلك اليس
قد ظلمتم وتعديتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين واختلفوا في هذا الشاهد فقيل هو عبد
الله بن سلام امن بالنبي صلى الله عليه وسلم وشهد بصحة نبوته واستكبر اليهود فلم يؤمنوا يدل عليه
ما روي عن انس بن مالك قال بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهو في
ارض يخترف في النخل فاتاه وقال اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول
طعام ياكله اهل الجنة ومن اي شيء ينزع الولد الى اخواله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني
بهن آنفا جبريل فقال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرا هذه الاية من كان عدوا لجبريل
فانه نزله على قلبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس
من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت واما الشبه في الولد فان
الرجل اذا غشي المراة فسبقها ماؤه كان الشبه له واذا سبقت كان الشبه لها قال اشهد انك
رسول الله ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت ان علموا باسلامي قبل ان تسالهم بهتوني عندك
فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي رجل فيكم عبد الله
ابن سلام قالوا اعلمنا وابن اعلمنا واخيرنا وابن اخيرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افرايتم
ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك زاد في رواية فاعاد عليهم فقال اشهد ان لا اله الا
الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه زاد في رواية فقال
عبد الله بن سلام هذا الذي كنت اخاف يا رسول الله اخرجه البخاري في صحيحه ق عن سعد بن ابي
وقاص قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحي يمشي على الارض انه من اهل الجنة
الا لعبد الله بن سلام قال وفيه نزلت وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قال الراوي لا ادري
قال مالك الاية او في الحديث وقيل الشاهد هو موسى بن عمران عليه السلام قال مسروق في
هذه الاية والله ما نزلت في عبد الله بن سلام لان الحم نزلت بمكة واسلم عبد الله بن سلام
بالمدينة ونزلت الاية في محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه ومثل القرآن
التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد على القرآن وكل يصدق الاخر فيكون المعنى وشهد موسى
على التوراة التي هي مثل القرآن انها من عند الله كما شهد محمد صلى الله عليه وسلم على القرآن انه كلام

الله

الله فآمن من آمن بموسى والتوراة واستكبرتم انتم يا معشر العرب ان تؤمنوا بمحمد والقرآن ان الله
لا يهدي القوم الظالمين قيل انه تهديد وهو قائم مقام الشرط المحذوف والتقدير قل ارايتم ان كان
من عند الله ثم كفرتم به فانكم لا تكونوا مهتدين بل تكونوا ضالين قوله تعالى وقال الذين كفروا يعني
اليهود للذين آمنوا لو كان خيرا يعني دين محمد صلى الله عليه وسلم ما سبقونا اليه
يعني عبد الله بن سلام واصحابه وقيل نزلت في مشركي مكة قالوا لو كان ما يدعونا اليه محمد خيرا ما سبقنا
اليه فلان وفلان وقيل الذين كفروا اسد وغطفان قالوا للذين امنوا يعني جهينة ومزينة لو كان ما جاء
به محمد خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم قال الله تعالى فسيقولون هذا افك قديم اي كذب متقدم ومن قبله
اي من قبل القرآن كتاب موسى يعني التوراة اماما اي جعلناه اماما يقتدى به ورحمة اي من الله لمن آمن
به وهذا كتاب يعني القرآن مصدق اي للكتب التي قبله لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا يعني مشركي
مكة وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولئك اصحاب
الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون تقدم تفسيره قوله عز وجل ووصينا الانسان بوالديه
حسنا اي يوصل اليهما احسانا وهو ضد الاساءة حملته امه كرها يعني حين ثقلت وثقل عليها
الولد ووضعته كرها يريد شدة الطلق وحمله وفصاله ثلاثون شهرا يعني ومدة حمله الى ان
ينفصل من الرضاع وهو الفطام ثلاثون شهرا فاقل مدة الحمل ستة اشهر واكثر مدة الرضاع اربعة
وعشرون شهرا قال ابن عباس اذا حملت المراة تسعة اشهر ارضعت احدا وعشرين شهرا واذا حملت
ستة اشهر ارضعت اربعة وعشرين شهرا حتى اذا بلغ اشده اي نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه
وهو ما بين ثماني عشرة سنة الى اربعين سنة وهو قوله تعالى وبلغ اربعين سنة قيل نزلت هذه الاية
في سعد بن ابي وقاص وقد تقدمت القصة وقيل انها على العموم والاصح انها نزلت في ابي بكر الصديق
رضي الله عنه وذلك انه صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم
ابن عشرين سنة في تجارة الى الشام فنزلوا منزلا فيه سدرة فقعد النبي صلى الله عليه وسلم في ظلها ومضى
ابو بكر الى راهب هناك يسأله عن الدين فقال له الراهب من الذي في ظل الشجرة فقال هو محمد بن
عبد الله بن عبد المطلب فقال الراهب هذا والله نبي وما استظل تحتها احد بعد عيسى الا هذا وهو نبي
آخر الزمان فوقع في قلب ابي بكر اليقين والتصديق وكان لا يفارق النبي صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر
فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين سنة اكرمه الله بنبوته واختصه برسالته آمن به ابو بكر
وصدقه وهو ابن ثمان وثلاثين فلما بلغ اربعين سنة دعا ربه عز وجل فقال قال رب اوزعني
ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي اي بالايمان والهداية وقال علي بن ابي طالب في قوله
ووصينا الانسان بوالديه حسنا في ابي بكر اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين اسلم ابواه
غيره اوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده وان اعمل صالحا ترضاه قال ابن عباس اجابه الله تعالى فاعتق
تسعة من المؤمنين يعذبون في الله منهم بلال ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا
فقال واصلح لي في ذريتي فاجابه الله تعالى فلم يكن له ولد الا امنوا جميعا فاجتمع لابي بكر اسلام ابويه
ابوه ابو قحافة عثمان بن عمرو وامه ام الخير بنت صخر بن عمرو وابنه عبد الرحمن وابن ابنه محمد كلهم ادركوا النبي
صلى الله عليه وسلم واسلم ولم يجتمع ذلك لاحد من الصحابة غير ابي بكر وقوله اني تبت اليك اي رجعت
اليك الى كل ما تحب واني من المسلمين اي واسلمت بقلبي ولساني اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا يعني

اعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا وكلها حسن والاحسن بمعنى الحسن فيثيبهم عليها ويتجاوز
عن سيئاتهم اي فلا يواخذهم بها في اصحاب الجنة اي مع اصحاب الجنة وعد الصدق اي الذي وعدهم
بان يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم وعد صدق وقيل وعدهم بان يدخلهم الجنة الذي
كانوا يوعدون اي في الدنيا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى والذي
قال لوالديه يعني اذا دعواه الى الايمان بالله والاقرار بالبعث بعد الموت اف لكما وهي كلمة
كراهية اتعدانني ان اخرج اي من قبري حيا وقد خلت القرون من قبلي اي فلم يبعث منهم احد
وهما يستغيثان الله اي يستصرخان بالله عليه ويقولان له ويلك آمن ان وعد الله حق اي
بالبعث فيقول ما هذا اي الذي تدعواني اليه الا اساطير الاولين قال ابن عباس نزلت في عبد
الرحمن بن ابي بكر الصديق قبل اسلامه وكان ابواه يدعواه الى الاسلام وهو يابى ويقول احيوا
لي عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى اسألهم عما تقولون وانكرت عايشة
ان يكون قد نزل هذا في عبد الرحمن بن ابي بكر خ عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على
الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له فقال له عبد الرحمن
ابن ابي بكر شيا فقال خذوه فدخل بيت عايشة فلم يقدروا عليه فقال مروان هذا الذي انزل
الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما اتعدانني فقالت عايشة من وراء الحجاب ما انزل الله فينا
شيا من القران الا ما انزل الله في سورة النور من برائتي والقول الصحيح انه ليس المراد من الاية
شخص معين بل المراد كل شخص كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه ابواه الى الدين الصحيح
والايمان بالبعث فابى وانكر وقيل نزلت في كل كافر عاق لوالديه قال الزجاج قول من قال
انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه يبطله قوله تعالى اولئك الذين حق عليهم اعلم
ان هولاء قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مومن من افاضل المومنين فلا يكون ممن حقت
عليه كلمة العذاب اي وجب عليهم العذاب القول في امم اي مع امم قد خلت من قبلهم من الجن
والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا قال ابن عباس يريد من سبق الى الاسلام فهو افضل
ممن تخلف عنه ولو ساعة وقيل لكل واحد من الفريقين والمومنين والكافرين والبار والعاق درجات
يعني منازل ومراتب عند الله يوم القيامة باعمالهم فيجازيهم عليها وقيل درج الجنة تذهب الى علو
ودرج النار تذهب الى سفل وليوفيهم اعمالهم اي جزا اعمالهم وهم لا يظلمون قوله عز وجل ويوم يعرض الذين
كفروا على النار اي يجاء بهم فيكشف لهم عنها ويقال لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها
يعني ان كل ما قدر لكم من الطيبات واللذات فقد افنيتموه في الدنيا وتمتعتم بها فلم يبق لكم بعد
استيفا حظكم منها شي فاليوم تجزون عذاب الهون اي الذي فيه ذل وخزي بما كنتم تستكبرون
في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون علل هذا العذاب بامرين احدهما الاستكبار وهو الترفع
ويحتمل ان يكون عن الايمان والثاني الفسق وهي المعاصي والاول من عمل القلوب والثاني من الجوارح

فصل

لما وبخ الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات اثر النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه والصالحين بعدهم باجتناب اللذات في الدنيا رجا ثواب الاخرة ق عن عمر بن الخطاب
قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد اثر في جنبه فقلت
استانس يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فجلست فرفعت راسي في البيت فوالله ما رايت

فيه شيا يرد البصر الا اهبة ثلاثة فقلت ادع الله ان يوسع على امتك فقد وسع على فارس والروم
ولا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال افي شك يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم
في الحياة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله ق عن عايشة قالت ما شبع آل محمد من خبز
شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ق عنها قالت كان ياتي علينا
الشهر لم يوقد نارا انما هو الاسودان التمر والما الا ان نوتى باللحيم وفي رواية اخرى ان كنا لننتظر
الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة اهلة في شهرين وما اوقد في ابيات رسول الله صلى الله عليه
وسلم نار فقال عروة قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والما الا انه قد كان لرسول
الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منايح فكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم من البانها فيسقينا عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة
طاويا واهله لا يجدون عشا وكان اكثر خبزهم خبز الشعير اخرجه الترمذي وله عن انس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لقد اخفت في الله وما يخاف احد واوذيت في الله وما يوذى احد ولقد اتت علي ثلاثون من بين يوم
وليلة وما لي ولبلال الا شي يواريه ابط بلال خ عن ابي هريرة قال لقد رايت سبعين من اصحاب الصفة
ما منهم رجل عليه ردا اما ازار واما كسا قد ربطوا في اعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ
الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته خ عن ابراهيم بن عبد الرحمن ان عبد الرحمن بن عوف اتي بطعام
وكان صايما فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير مني فكفن في بردة ان غطي راسه بدت رجلاه وان غطي رجلاه
بدا راسه قال واراه قال قتل حمزة وهو خير مني فلم يوجد ما يكفن فيه الا بردة ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط
وقد خشيت ان تكون عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام وقال جابر
ابن عبد الله راى عمر بن الخطاب لحما معلقا في يدي فقال ما هذا يا جابر فقلت اشتهيت لحما فاشتريته
فقال عمر او كلما اشتهيت يا جابر اشتريت اما تخاف هذه الاية اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا قوله
تعالى واذكر اخا عاد يعني هودا عليه السلام اذ انذر قومه بالاحقاف قال ابن عباس الاحقاف واد بين عمان
ومهرة وقيل كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة وكانوا اهل عمد سيارة في الربيع فاذا
هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم وقيل ان عادا كانوا احيا باليمن وكانوا اهل رمل
مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر والاحقاف جمع حقف وهو المستطيل من الرمل فيه اعوجاج
كهيئة الجبل ولم يبلغ ان يكون جبلا وقيل الاحقاف ما استدار من الرمل وقد خلت النذر اي مضت
الرسل من بين يديه اي من قبل هود ومن خلفه اي من بعده الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم
عذاب يوم عظيم والمعنى ان هودا قد انذرهم بذلك واعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون
بعده كلهم منذرون نحو انذاره قالوا اجيتنا لتافكنا اي لتصرفنا عن الهتنا اي عن عبادتها فاتنا
بما تعدنا اي من العذاب ان كنت من الصادقين يعني ان العذاب نازل بنا قال يعني هودا انما العلم
عند الله يعني هو يعلم متى ياتيكم العذاب وابلغكم ما ارسلت به يعني من الذي انزله الله علي وامرني بتبليغه
اليكم ولكني اراكم قوما تجهلون يعني قدر العذاب الذي ينزل بكم فلما راوه يعني من الذي عاينوه راوا ما يوعدون
به من العذاب ثم بينه فقال تعالى عارضا يعني راوا سحابا عارضا وهو السحاب الذي يعرض في ناحية
السما ثم يطبق السما مستقبل اوديتهم وذلك انه خرج عليهم سحابة سودا من ناحية واد يقال له المغيث
وقد كان قد حبس عنهم المطر مدة طويلة فلما راوا تلك السحابة استبشروا بها ثم قالوا هذا عارض ممطرنا

Copyright © King Saud University

قال الله تعالى ردا عليهم بل هو ما استعجلتم به يعني من العذاب ثم بين ماهية ذلك العذاب فقال تعالى ريح فيها عذاب اليم
ثم وصف تلك الريح فقال تعالى تدمر كل شيء بامر ربها يعني تهلك كل شيء مرت به من رجال عاد واموالهم فقال
ان تلك الريح كانت تحمل الفسطاط وتحمل الضعينة حتى ترى كانها جرادة فلما راوا ذلك دخلوا في بيوتهم
واغلقوا ابوابهم فجاءت الريح فقلعت الابواب وصرعتهم واطلقه الريح فامالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل
سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم امر الله الريح فكشفت عنهم واحتملتهم فرمت بهم في البحر وقيل ان هودا
عليه السلام لما احس بالريح خط على نفسه وعلى من معه من المومنين خطا فكانت الريح تمر بهم لينة باردة طيبة والريح
التي تصيب قومه شديدة عاصفة مهلكة وهذه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وقيل ان الله تعالى امر خازن الريح
ان يرسل عليهم مثل مقدار الخاتم فاهلكهم الله بهذا القدر وفي هذا اظهار كمال القدرة ق عن عائشة قالت ما رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ترى منه لهواته انما كان يتبسم زاد في رواية وكان
اذا راى غيما عرف في وجهه قالت يا رسول الله الناس اذا راوا الغيم فرحوا رجاء ان يكون فيه المطر
واراك اذا رايت غيما عرف في وجهك الكراهة فقال يا عائشة وما يومنني ان يكون فيه عذاب قد
عذب قوم بالريح وقد راى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا د في رواية قالت كان النبي صلى الله
عليه وسلم اذا راى مخيلة في السما اقبل وادبر ودخل وخرج وتغير وجهه فاذا امطرت السما سري عنه
فعرفته عائشة ذلك فقال وما ادري لعله كما قال قوم فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا
عارض ممطرنا الاية وفي رواية اخرى قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم
اني اسالك خيرها وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به
واذا تخيلت السما تغير لونه وخرج ودخل واقبل وادبر فاذا امطرت السما سري عنه فعرفت ذلك عائشة
كما قال قوم عاد فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا المخيلة السحاب الذي يظن فيه مطر
وتخيلت السما اذا تغيمت وقولها سري عنه اي كشف وازيل ما كان به من الغم والحزن وقوله تعالى فاصبحوا
لا ترى الا مساكنهم قرئ بالتا مفتوحة على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ما ترى يا محمد الا مساكنهم
خاوية عاطلة من السكان ليس فيها احد وقرئ يرى باليا المضمومة والمعنى لا يرى الا اثار مساكنهم لان
الريح لم تبق منها الا الاثار والمساكن المعطلة كذلك نجزي القوم المجرمين نخوف بذلك كفار مكة ثم قال
تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه الخطاب لاهل مكة يعني مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان
وطول الاعمار وكثرة الاموال وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة يعني انا اعطيناهم هذه الحواس
ليستعملوها فيما ينفعهم في امر الدين فما استعملوها الا في طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم فما اغنى عنهم سمعهم
ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء يعني انه لما نزل بهم العذاب ما اغنى عنهم ذلك شيا اذ كانوا يجحدون
بايات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون يعني ونزل بهم العذاب الذي كانوا يطلبونه على سبيل الاستهزا
ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى الخطاب لاهل مكة يعني اهلكنا قرى كديار ثمود وهو الحجر وسدوم وهي
قرى قوم لوط بالشام وقرى قوم عاد باليمن يخوف اهل مكة بذلك وصرفنا الايات يعني وبينا لهم الحجج والدلايل
الدالة على التوحيد لعلهم يرجعون يعني عن كفرهم فلم يرجعوا فاهلكناهم بسبب كفرهم وتماديهم في الكفر
فلولا يعني فهلا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة يعني انهم اتخذوا الاصنام الهة و
يتقربون بعبادتها الى الله والقربان كل ما يتقرب به الى الله تعالى بل ضلوا عنهم يعني بل ضلت
الالهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم وذلك افكهم يعني كذبهم الذي كانوا يقولون انها تقربهم

الى الله

الى الله تعالى وتشفع لهم عنده وما كانوا يفترون يعني يكذبون بقولهم انها الهة وانها تشفع لهم قوله عز
وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران

ذكر القصة في ذلك

قال المفسرون
لما مات ابو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم وكان في حياته يحوطه وينصره ويمنعه ممن يوذيه فلما مات
وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحشة من قومه فخرج الى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة
له من قومه فروى محمد بن اسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال لما انتهى رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف وهم يومئذ سادة ثقيف واشرافهم وهم اخوة ثلاثة
عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عمير وعندهم امراة من قريش من بني جمح فجلس اليهم فدعاهم
الى الله تعالى وكلمهم بما جاءهم من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له احدهم
هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله ارسلك وقال الاخر اما وجد الله احدا يرسله غيرك وقال الثالث لا اكلمك كلمة ابدا
لين كنت رسولا من الله كما تقول لانت اعظم خطرا من ان ارد عليك الكلام وان كنت تكذب على الله فما ينبغي لي ان اكلمك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا علي وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ
قومه فيزيدهم ذلك في تجريهم عليه فلم يفعلوا واغروا به سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويضحكون به حتى
اجتمع اليه الناس والجوه الى حايط لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه
منهم فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما لقي من سفهاء ثقيف وقد لقي
رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المراة التي من بني جمح فقال لها ماذا لقينا من احمائك فلما اطمان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس فانت رووف وانت
ارحم الراحمين وانت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني والى عدو ملكته امري
ان لم يكن بك علي غضب فلا ابالي ولكن عافيتك اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت به الظلمات وصلح عليه
امر الدنيا والاخرة من ان ينزل بي غضبك ويحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك
فلما راى ابنا ربيعة ما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له خذ قطفا من هذا العنب
وضعه في ذلك الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل وقل له يأكل منه ففعل عداس ذلك ثم اقبل بالطبق حتى وضعه
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له كل فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله
ثم اكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم من اي البلاد انت يا عداس وما دينك فقال انا نصراني وانا رجل من اهل نينوى فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم امن قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك اخي كان نبيا وانا نبي فاكب عداس على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقبل راسه ويديه وقدميه قال فقال احدهما لصاحبه اما غلامك فقد افسده عليك فلما جاءهم
عداس قالا له ويلك يا عداس ما لك تقبل راس هذا الرجل ويديه وقدميه قال يا سيدي ما في الارض
خير من هذا الرجل لقد اخبرني بامر ما يعلمه الا نبي فقال له ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك فان دينك خير
من دينه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطايف راجعا الى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى اذا
كان ببطن نخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به نفر من الجن نصيبين كانوا قاصدين اليمن وذلك حين منعوا من
استراق السمع من السما ورموا بالشهب فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين وقد امنوا به واجابوا لما
سمعوا القران فقص الله خبرهم عليه فقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية وفي قول اخر وياتي في سورة الجن

Copyright © King Saud University

وهو حديث مخرج في الصحيحين من حديث ابن عباس وروي ان الجن لما رجموا بالشهب بعث ابليس سراياه ليعرف الخبر فكان
اول بعث من اهل نصيبين وهم اشراف الجن وساداتهم فبعثهم الى تهامة وقال ابو حمزة اليماني بلغنا انهم من اهل الشيصبان
وهم اكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس فلما رجعوا الى قومهم قالوا انا سمعنا قرانا عجبا وقال جماعة بل امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرا عليهم القران فصرف الله عز وجل نفرا من الجن وهم اهل نينوى وجمعهم له فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اني امرت ان اقرا على الجن الليلة فايكم يتبعني فاطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فتبعه
عبد الله بن مسعود قال عبد الله بن مسعود لم يحضره معه احد غيري قال فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة دخل نبي الله صلى
الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطا ثم امرني ان اجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك فانطلق
حتى قام عليهم فافتتح القران فجعلت ارى امثال النسور تهوي وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبي الله صلى
الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى لم اسمع صوته ثم طفقوا ينقطعون مثل قطع
السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مع الفجر فانطلق الي فقال لي نمت فقلت لا
والله يا رسول الله لقد هممت مرارا ان استغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول لهم اجلسوا
فقال لو خرجت لم امن عليك ان يتخطفك بعضهم ثم قال هل رايت شيئا قلت نعم رايت رجالا سودا عليهم ثياب
بيض قال اولئك جن نصيبين سالوني المتاع والزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة قالوا يا رسول الله يقذرها
الناس علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم والروث قال فقلت يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم
فقال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم اكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم اكلت فقلت يا رسول الله
سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن تدارات في قتيل قتل بينهم فتحاكموا الي فقضيت عليهم بالحق قال ثم
تبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاني فقال هل معك ماء قلت يا رسول الله معي اداوة فيها شيء من نبيذ التمر
فدعاه فصببت على يديه فتوضا وقال تمرة طيبة وماء طهور قال قتادة ذكر لنا ان ابن مسعود قدم
الكوفة فراى شيوخا شمطا من الزط ففزع حين راهم ثم قال اظهروا فقيل له ان هولاء قوم من الزط فقال
ما اشبههم بالنفر الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قلت حديث التوضي بنبيذ التمر
ضعيف ذكره البيهقي في كتابه الخلافيات باسانيده واجاب عنها كلها والذي صح عن علقمة قال قلت لابن
مسعود هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم منكم احد قال ما صحبه احد منا ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا استطير او اغتيل فبتنا
بشر ليلة بات بها قوم فلما اصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك
فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال اتاني داعي الجن فذهبت معه فقرات عليهم القران قال فانطلق فارانا اثارهم
واثار نيرانهم وسالوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في ايديكم اوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف
لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم الجن زاد في رواية
قال الشعبي وكانوا من جن الجزيرة اخرجه مسلم في صحيحه واما تفسير الاية فقوله تعالى واذ صرفنا اليك
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واذكر اذ بعثنا اليك يا محمد نفرا من الجن واختلفوا في عددا والنفر
قال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وقال اخرون
كانوا تسعة وروي عن زر بن حبيش قال كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القران وروي ان
الجن كانوا ثلاثة اصناف صنف منهم له اجنحة يطيرون بها في الهوى وصنف على صور الحيات والكلاب وصنف
يرحلون ويظعنون وفضل بعضهم ان اولئك الجن كانوا يهودا فاسلموا قالوا وفي الجن ملل كثيرة مثل الانس

فمنهم

فمنهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وفي مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القران ونحو
ذلك من المذاهب والبدع واطبق المحققون من العلماء على ان الكل مكلفون سيل ابن عباس هل للجن ثواب قال نعم لهم
ثواب وعليهم عقاب **فلما حضروه** الضمير يعود الى القران يعني فلما حضروه لاستماع القران وقيل يحتمل
ان يعود الى الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون المعنى فلما حضروا الرسول صلى الله عليه وسلم لاجل استماع
القران **قالوا انصتوا** يعني قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمع الى قراءته ولا يحول بيننا وبين سماعه شي فانصتوا
واستمعوا القران حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم على سماعه **فلما قضي** اي فرغ من قراءته
ولوا اي رجعوا **الى قومهم منذرين** يعني داعين لهم الى الايمان مخوفين لهم من المخالفة وذلك بامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لتعدي ايمانهم لانهم لا يدعون غيرهم الى سماع القران والتصديق
الا بعد ايمانهم وتصديقهم له **قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى** قال عطاء كانوا يهودية
لذلك قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى **مصدقا لما بين يديه** يعني من الكتب الالهية المنزلة من السما
وذلك ان كتب الانبيا مشتملة كانت على الدعوة الى التوحيد وتصديق الانبيا والايمان بالمعاد والحشر
والنشر وجا هذا الكتاب وهو القران المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك فلذلك هو مصدق
لما بين يديه من الكتب **يهدي الى الحق والى طريق مستقيم** وهو دين الاسلام ويهدي الى طريق الجنة **يا قومنا اجيبوا
داعي الله** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لانه لا يوصف بهذا غيره وفي الاية دليل على انه مبعوث الى الانس
والجن جميعا قال مقاتل لم يبعث الله نبيا الى الانس والجن قبله **وامنوا به**

فان قلت

قوله تعالى اجيبوا داعي الله فان الله امر باجابته في كل ما امر به فيدخل فيه الامر بالايمان فلم اعاد ذكره
بلفظ التعيين

قلت انما اعاده لان الايمان اهم اقسام المامور به واشرفها فلذلك
ذكره بلفظ التعيين فهو من باب ذكر العام ثم عطف عليه اشرف انواعه فقال **يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم
من عذاب اليم** قال بعضهم لفظة من هنا زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل هي على اصلها وذلك
هو ان الله يغفر من الذنوب ما كان قبل الاسلام فاذا اسلموا اجريت عليهم احكام الاسلام فاذا اتى بذنب
اخذ به ما لم يتب منه او يبقى تحت خطر المشيئة ان شاء غفر له وان شاء اخذه بذنبه واختلف العلماء
في حكم مومني الجن فقال قوم ليس لهم ثواب الا نجاتهم من النار وقالوا قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من
عذاب اليم واليه ذهب ابو حنيفة وحكي عن الليث قال ثوابهم ان يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا
ترابا مثل البهائم وعن ابي الزناد قال اذا قضي بين الناس قيل لمومني الجن عودوا ترابا فعند ذلك
يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقال الاخرون لهم الثواب في الاحسان كما يكون عليهم العقاب
في الاساءة كالانس وهذا هو الصحيح وهو قول ابن عباس واليه ذهب مالك وابن ابي ليلى قال الضحاك
الجن يدخلون الجنة وياكلون ويشربون وقال ارطاة بن المنذر سالت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب
قال نعم لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فالانسيات للانس والجنيات للجن وقال عمر بن عبد العزيز ان مومني الجن
حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها يعني في الجنة وقوله تعالى **ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض**
يعني لا يعجز الله فيفوته **وليس له من دونه اوليا** يعني انصارا يمنعونهم من الله **اولئك** يعني الذين لم يجيبوا داعي الله
في ضلال مبين قوله تعالى **اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن** يعني انه تعالى
خلق هذا الخلق العظيم ولم يعجز عن ابداعه واختراعه وتكوينه **بقادر على ان يحيي الموتى** يعني ان اعادة الخلق
واحيايه بعد الموت اهون عليه من ابداعه وخلقه فالكل عليه هين ابداع الخلق واعادته بعد الموت وهو قوله

Copyright © King Saud University

تعالى بلى انه على كل شيء قدير يعني في اماتة الخلق واحيائهم لانه قادر على كل شيء ويوم يعرض الذين كفروا على
النار فيه اضمار تقديره فيقال لهم أليس هذا بالحق يعني هذا العذاب هو الذي وعدكم به الرسل وهو الحق قالوا
بلى وربنا اعترفوا نعمهم على انفسهم بعد ما كانوا منكرين لذلك وفيه توبيخ وتقريع لهم فعند ذلك يقال
لهم قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قوله عز وجل فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم امره الله تعالى بالاقتداء باولي العزم من الرسل في الصبر على اذى قومه قال ابن عباس ذوو الحزم وقال الضحاك
ذو الجد والصبر واختلفوا في اولي العزم من الرسل من هم فقال ابن زيد كل الرسل كانوا اولي العزم لم يبعث الله نبيا الا
كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل وهذا القول هو اختيار الامام فخر الدين الرازي قال لان لفظة من في قوله
من الرسل للتبيين لا للتبعيض كما تقول ثوب من خز كانه قيل له اصبر كما صبر الرسل من قبلك على اذى قومهم
ووصفهم بالعزم لقوة صبرهم وثباتهم وقال بعضهم الانبياء كلهم اولو العزم الا يونس لعجلة كانت منه الا ترى
انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم اولوا العزم هم نجباء الرسل المذكورون في سورة
الانعام وهم ثمانية عشر نبيا لقوله بعد ذكرهم اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال الكلبي هم الذين امروا بالجهاد
واظهروا المكاشفة لاعداء الله وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على
النسق في سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على اذى قومه وابراهيم صبر على النار
واسحاق صبر على الذبح في قول ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على الجب
والسجن وايوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى اصحاب
الشرائع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين خمسة وقد ذكرهم الله على التخصيص والتعيين في
قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وفي قوله شرع لكم
من الدين ما وصى به نوحا الآية روى البغوي بسنده عن عائشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لا يرضى من اولي العزم الا بالصبر
على مكروهها والصبر على محبوبها ولم يرض الا ان كلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من
الرسل واني والله لابد لي من طاعته والله لاصبرن كما صبروا ولاجهدن ولا قوة الا بالله قوله تعالى
ولا تستعجل لهم يعني ولا تستعجل بنزول العذاب عليهم فانه نازل بهم لا محالة كانه
صلى الله عليه وسلم ضجر بعض الضجر فاحب ان ينزل العذاب بمن ابى منهم فامره الله تعالى بالصبر
وترك الاستعجال ثم اخبر بقرب العذاب فقال تعالى كانهم يوم يرون ما يوعدون يعني من العذاب
في الآخرة لم يلبثوا يعني في الدنيا الا ساعة من نهار يعني انهم اذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم
في الدنيا والبرزخ كانه قدر ساعة من النهار لان ما مضى وان كان طويلا فهو يسير
الى ما يطول يدوم عليهم من العذاب وهو ابد الابدين بلا انقطاع ولا فناء وتم الكلام عند قوله ساعة من
نهار ثم ابتدأ فقال تعالى بلاغ اي هذا القرآن وما فيه من البينات والهدى بلاغ من الله اليكم والبلاغ
بمعنى التبليغ فهل يهلك يعني بالعذاب اذا نزل الا القوم الفاسقون يعني الخارجين عن الايمان
بالله وطاعته قال الزجاج تاويله لا يهلك مع رحمة الله وفضله الا القوم الفاسقون ولهذا
قال قوم ما في الرجاء لرحمة الله آية اقوى من هذه الآية والله اعلم بمراده

سورة محمد صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم
يعني ابطلها ولم يتقبل منهم واراد بالاعمال ما كانوا يفعلون من اعمال البر من اطعام الطعام وصلة الارحام وفك

العاني

العاني وهو الاسير واجارة المستجير ونحو ذلك قال بعضهم اول هذه السورة متعلق باخر سورة الاحقاف
المتقدمة كان قائلا يقول قال كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم اعمال صالحة كاطعام الطعام ونحوه من
الاعمال والله لا يضيع لعامل عمله ولو كان مثقال ذرة من خير فاخبر بان الفاسقين هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله اضل اعمالهم يعني ابطلها لانها لم تكن لله ولا بامره انما فعلوها من عند انفسهم ليقال عنهم ذلك فلهذا السبب
ابطلها الله تعالى وقال الضحاك ابطل كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعل الدائرة عليهم قال بعضهم
المراد بقوله الذين كفروا هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر وهم رؤساء قريش منهم ابو جهل والحرث بن
هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم وقيل هم جميع كفار قريش وقيل هم كفار اهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل
فيه كل كافر وصدوا عن سبيل الله يعني ومنعوا غيرهم عن الدخول في دين الله وهو الاسلام او منعوا انفسهم
من الدخول في الاسلام اضل اعمالهم يعني ابطلها لانها كانت لغير الله ومنه قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل
فجعلناه هباء منثورا والذين آمنوا وعملوا الصالحات قال ابن عباس الذين كفروا مشركو قريش والذين آمنوا هم الانصار
وقيل هم مؤمنو اهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل مؤمن آمن بالله ورسوله وهذا هو الاولى ليشمل
جميع المؤمنين وآمنوا بما نزل على محمد يعني القرآن الذي نزله الله على محمد وانما ذكره بلفظ الاختصاص
مع ما يجب من الايمان بجميع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله تعظيما لشأن القرآن وتنبيها
على انه لا يتم الايمان الا به واكد ذلك بقوله وهو الحق من ربهم وقيل معناه ان دين محمد صلى الله عليه وسلم
هو الحق لانه ناسخ للاديان كلها ولا يرد عليه نسخ وقال سفيان الثوري في قوله والذين آمنوا بما نزل على محمد يعني
لم يخالفوه في شيء كفر عنهم سيئاتهم يعني ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم
وتوبتهم منها فغفر لهم بذلك ما كان منهم واصلح بالهم يعني حالهم وشأنهم وامرهم بالتوفيق في امور
الدين او التسليط على امور الدنيا بما اعطاهم من النصر على اعدائهم وقيل يصلح بالهم يعني قلوبهم لان القلب اذا صلح
صلح سائر الجسد وقال الحسن عصمهم ايام حياتهم يعني ان هذا الاصلاح يعود الى صلاح اعمالهم حتى لا يعصوا ذلك
بان الذين كفروا اتبعوا الباطل يعني الشيطان وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم يعني القرآن ومعنى الآية يعني
ذلك الامر وهو اضلال اعمال الكفار وتكفير سيئات المؤمنين كائن بسبب اتباع الكفار الباطل واتباع المؤمنين الحق
من ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم الضمير في امثالهم راجع الى الناس على انه تعالى يضرب للناس امثال انفسهم
او انه راجع الى الفريقين على انه تعالى ضرب الفريقين للناس ليعتبروا بهم قال الزجاج كذلك يضرب الله امثال حسنات
المؤمنين واضلال اعمال الكافرين للناس قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا من اللقاء وهو الحرب فضرب الرقاب
يعني فاضربوا رقابهم ضربا وضرب الرقاب عبارة عن القتل لان المراد ضرب الرقاب فقط دون سائر الاعضاء
وانما خص الرقاب بالقتل بالضرب لان قتل الانسان اشنع ما يكون بضرب رقبته فلذلك خصت
بالذكر في الامر بالقتل ولان الراس من اشرف اعضاء البدن فاذا ابين عن بدنه كان اسرع الى الموت والهلاك
بخلاف غيره من الاعضاء حتى اذا اثخنتموهم يعني بالغتم في القتل وقهرتموهم ماخوذ من الشيء الثخين الغليظ
والمعنى حتى اذا اثقلتموهم بالقتل والجراح ومنعتموهم النهوض والحركة فشدوا الوثاق يعني في الاسر والمعنى فأسروهم
وشدوا وثاقهم حتى لا يفلتوا منكم والوثاق اسم ما يوثق به اي يشد به فاما منا بعد واما فداء يعني بعد الاسر
اما ان تمنوا عليهم باطلاقهم من غير عوض واما ان تفادوهم فداء

فصل

في حكم الآية اختلف العلماء في هذه
الآية فقال قوم هي منسوخة بقوله فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم وبقوله اقتلوا المشركين وهذا
قول قتادة والضحاك والسدي وابن جريج واليه ذهب الاوزاعي واصحاب الرأي قالوا لا يجوز المن على من وقع

Copyright King Saud University

٥٩٢٦

في الاسر من الكفار ولا الفدا بل اما القتل والاسترقاق فايهما راى الامام ونقل صاحب الكشاف عن مجاهد قال ليس اليوم
من ولا فدا انما هو الاسلام او ضرب العنق ويجوز ان يكون المراد بالمن ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا
لقبول الجزية ان كانوا من اهل الذمة والمراد بالفدا ان يفادي باسراهم اسارى المسلمين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن
ابي حنيفة والمشهور عنه انه لا يرى فداهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا حربا للمسلمين وذهب اكثر العلما ان الاية محكمة
والامام بالخيار في الرجال البالغين من الكفار اذا اسروا بين ان يقتلهم او يسترقهم او يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض او يفاديهم
بالمال او باسرى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطا واكثر الصحابة والعلما وهو قول الثوري والشافعي
واحمد واسحاق قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم انزل الله عز وجل في الاسارى فاما منا بعد واما فدا
وهذا القول هو الصحيح ولانه به عمل النبي صلى الله عليه وسلم والخلفا بعده ق عن ابي هريرة قال بعث
النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجات برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن اثال فربطوه
في سارية من سواري المسجد فخرج اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد ان تقتل
تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شيت فتركه النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان الغد
قال ما عندك يا ثمامة قال ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط
منه ما شيت فتركه النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان الغد قال ما عندك يا ثمامة قال عندي ما قلت لك ان تنعم
تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان
محمدا عبده ورسوله والله ما كان على الارض وجه ابغض الي من وجهك فقد اصبح وجهك احب الوجوه الي والله ما كان
من دين ابغض الي من دينك فاصبح دينك احب الاديان كلها الي وان خيلك اخذتني وانا اريد العمرة فماذا ترى
فبشره النبي صلى الله عليه وسلم وامره ان يعتمر فلما قدم مكة قال له قايل اصبوت
قال لا ولكن اسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا ياتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى
ياذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم اي بطوله واختصره البخاري عن عمران بن حصين قال
اسر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني عقيل فاوثقوه وكانت ثقيف قد اسرت رجلين
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين الذين اسرتهما
ثقيف اخرجه الشافعي في مسنده واخرجه مسلم وابو داود بلفظ اطول من هذا وقوله تعالى حتى تضع
الحرب اوزارها يعني اثقالها واحمالها والمراد اهل الحرب يعني حين وضعوا اسلحتهم ويمسكوا عن القتال
واصل الوزر ما يحمله الانسان فسمي الاسلحة وزرا لانها تحمل وقيل الحرب هم المحاربون مثل الشرب
والركب وقيل الاوزار الاثام بان يتوبوا من كفرهم فيومنوا بالله ورسوله وقيل معناه حتى تضع حربكم وقتالكم
اوزار المشركين وقبايح اعمالهم بان يسلموا ومعنى الاية اثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى يدخل اهل
الملل كلها في الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسى بن مريم
عليه السلام وجا في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الجهاد ماض منذ بعثني الله الى ان يقاتل اخر
امتي الدجال هكذا ذكره البغوي بغير سند وقال الكلبي معناه حتى يسلموا ويسالموا وقال الفرا حتى
لا يبقى الا مسلم او مسالم ذلك يعني الذي ذكرت وبينت من حكم الكفار ولو يشا الله لانتصر منهم يعني ولو يشا الله
لاهلكهم بغير قتال وكفاكم امرهم ولكن يعني ولكن امركم بالقتال ليبلو بعضكم ببعض يعني فيصير من قتل
من المومنين الى الثواب ومن قتل من الكافرين الى العذاب والذين قتلوا في سبيل الله يعني الشهدا وقرى

قاتلوا

قاتلوا وهم المجاهدون في سبيل الله فلن يضل اعمالهم يعني فلن يبطلها بل يوفيهم ثواب اعمالهم التي عملوها لله تعالى
قال قتادة ذكر لنا ان هذه الاية نزلت يوم احد وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل سيهديهم يعني
ايام حياتهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الاخرة الى الدرجات العلى ويصلح بالهم ويرضي خصماهم ويقبل اعمالهم ويدخلهم
الجنة عرفها لهم بين منازلهم منازلهم في الجنة حتى يهتدوا الى مساكنهم لا يخطيونها ولا يستدلون عليها
كانهم ساكنوها منذ خلقوا فيكون المومن اهدى الى درجته ومنزله وزوجته وخدمه منه الى منزله واهله في
الدنيا هذا قول اكثر المفسرين ونقل عن ابن عباس عرفها لهم طيبها لهم من العرف وهو الريح الطيبة وطعام معرف
اي مطيب قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله يعني تنصروا دين الله ورسوله وقيل تنصروا اوليا الله
وحزبه ينصركم يعني على عدوكم ويثبت اقدامكم يعني عند القتال وعلى الصراط والذين كفروا فتعسا لهم
قال ابن عباس يعني بعدا لهم وقال ابو العالية سقوطا لهم وقال الضحاك خيبة لهم وقال ابن زيد شقا
لهم وقيل التعس في الدنيا العثرة وفي الاخرة التردي في النار يقال للعاثر تعسا اذا دعوا عليه ولم يريدوا
قيامه وضده لعا اذا دعوا له وارادوا قيامه وفي هذا اشارة جليلة وهي انه تعالى لما قال في حق المومنين
ويثبت اقدامكم يعني في الحرب والقتال كان من الجايز ان يتوهم متوهم ان الكافر ايضا يصير متوجها ويثبت قدمه
في الحرب والقتال فاخبر الله تعالى ان لكم الثبات ايها المومنون ولهم العثار والزوال والهلاك وقال في حق
المومنين بصيغة الوعد لان الله تعالى لا يجب عليه شي وقال في حق الكفار بصيغة الدعا عليهم واضل
اعمالهم يعني ابطل اعمالهم لانها كانت في طاعة الشيطان ذلك يعني التعس والاضلال بانهم كرهوا ما
انزل الله يعني القران الذي فيه النور والهدى وانما كرهوه لان فيه الاحكام والتكاليف الشاقة
على النفس لانهم كانوا قد الفوا الاهمال واطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ترك ذلك
والاخذ بالجد والاجتهاد في طاعة الله فلهذا السبب كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم يعني فابطل اعمالهم
التي عملوها في غير طاعة الله لان الشرك يحبط العمل ثم خوف الكفار فقال تعالى افلم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم يعني من الامم الماضية والقرون الخالية الكافرة دمر الله عليهم يقال دمره
الله يعني اهلكه ودمر عليه اذا اهلك ما يخصه والمعنى اهلك الله عليهم ما يختص بهم من انفسهم واموالهم
واولادهم وللكافرين يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم امثالها يعني ان لم يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
وبما جاهم به من عند الله وهو التضعيف انما يكون في الاخرة ذلك يعني الاهلاك والهوان بان الله اي
بسبب ان الله مولى الذين امنوا يعني هو ناصرهم ووليهم ومتولي امورهم وان الكافرين لا مولى لهم يعني
لا ناصر لهم وسبب ذلك ان الكفار لما عبدوا الاصنام وهي جماد لا تنصر ولا تنفع ولا تنصر من عبدها
فلا جرم لا ناصر لهم والفرق بين قوله وان الكافرين لا مولى لهم وبين قوله ثم ردوا الى الله مولاهم
الحق ان المولى هنا بمعنى الناصر والمولى هناك بمعنى الرب والمالك والله تعالى رب كل احد من الناس
ومالكهم فبان الفرق بين الايتين ولما ذكر الله تعالى حال المومنين والكفار في الدنيا ذكر حالهم في
الاخرة فقال تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يعني هذا
لهم في الاخرة والذين كفروا يتمتعون يعني في الدنيا بشهواتها ولذاتها وياكلون كما تاكل الانعام يعني
ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم ومع ذلك لاهون ساهون عما يراد بهم في غد ولهذا شبههم بالانعام
لان الانعام لا عقل لها ولا تمييز لانه لو كان لها عقل ما عبدها تبصره ولا يبعد قيل المومن
في الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وانما وصف الكافر بالتمتع في الدنيا لانها جنته وهي

Copyright © King Saud University

يحصل للمومن بالنسبة الى ما اعد الله له في الاخرة من النعيم العظيم الدائم والنار مثوى لهم والثوا المقام
في المكان الاستقرار فالنار مثوى لهم الكافرين ومستقرهم قوله تعالى وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك
التي اخرجتك يعني اخرجك اهلها والمراد بالقرية مكة قال ابن عباس كم من رجال هي اشد قوة من اهل مكة
اهلكهم الله يدل عليه قوله اهلكناهم ولم يقل اهلكناها فلا ناصر لهم يعني فلا مانع يمنعهم من العذاب والهلاك الذي
حل بهم قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار التفت الى مكة وقال انت احب بلاد الله
الى الله واحب بلاد الله الي ولو ان المشركين لم يخرجوني لم اخرج منك فانزل الله هذه الاية افمن كان على بينة
من ربه يعني على يقين من دينه وهو محمد صلى الله عليه وسلم والمومنون معه كمن زين له سوء عمله وهو الكافر
ابو جهل ومن معه من المشركين واتبعوا اهواءهم يعني في عبادة الاوثان قوله عز وجل مثل الجنة التي وعد
المتقون لما بين الله عز وجل حال الفريقين في الاهتداء والضلال بين في هذه الاية ما اعد لكل واحد
من الفريقين فبين اولا ما اعد للمومنين المتقين فقال تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون يعني
صفة الجنة قال سيبويه حيث قال المثل هو الوصف فمعناه وصف الجنة وذلك لا يقتضي
مشابها به وقيل الممثل به محذوف غير مذكور والمعنى مثل الجنة التي وعد المتقون مثل عجيب وشي
عظيم وقيل الممثل به مذكور وهو قوله كمن هو خالد في النار فيها يعني الجنة التي وعد المتقون انهار من
ماء غير اسن يعني غير متغير ولا منتن يقال اسن الماء واجن اذا تغير طعمه وريحه وانهار من لبن لم يتغير طعمه
يعني كما يتغير البان الدنيا فلا يعود حامضا ولا قارصا ولا ما يكره من المطعوم وانهار من خمر لذة للشاربين
يعني ليس فيها حموضة ولا عفوصة ولا مرارة ولا تدنسها الارجل بالدوس ولا الايدي بالعصر وليس مع
شربها ذهاب عقل ولا صداع ولا خمار بل هي لمجرد الالتذاذ فقط وانهار من عسل مصفى يعني ليس فيه
شيء كعسل الدنيا ولم يخرج من بطون النحل حتى يموت فيه بعض نحله فهو خالص صاف من جميع شوائب
عسل الدنيا عن حكيم بن معاوية عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن
وبحر الخمر ثم تشقق الانهار اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح م عن ابي هريرة قال سيحان وجيحان والفرات
والنيل كل من انهار الجنة قال الشيخ محيي الدين النواوي في شرح مسلم سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون
فاما سيحان وجيحان المذكوران في الحديث اللذان هما من انهار الجنة فهما في بلاد الارمن فسيحان نهر اذنه
وجيحان نهر المصيصة وهما نهران عظيمان جدا اكبرهما جيحان وهذا هو الصواب في موضعهما ثم ذكر كلاما بعد هذا
طويلا ثم قال فاما كون هذه الانهار من الجنة ففيه تاويلان الثاني وهو الصحيح انها على ظاهرها وان لها مادة
من الجنة والجنة مخلوقة موجودة اليوم هذا مذهب اهل السنة وقال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء اهل
الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار تخرج من نهر الكوثر هكذا
نقله البغوي عنه وقوله تعالى ولهم فيها من كل الثمرات في ذكر الثمرات بعد المشروب اشارة الى ان ماكول
اهل الجنة لا لحاجة فلهذا ذكر الثمار بعد المشروب لانها للتفكه واللذة ومغفرة من ربهم فان
قلت المومن المتقي لا يدخل الجنة الا بعد المغفرة فكيف يكون لهم فيها المغفرة
قلت ليس بلازم ان يكون المعنى ولهم مغفرة من ربهم فيها لان الواو لا تقتضي
الترتيب فيكون المعنى ولهم فيها من كل الثمرات ولهم مغفرة قبل دخولهم اليها وجواب اخر وهو ان
المعنى ولهم مغفرة فيها برفع التكاليف عنهم فيما ياكلون ويشربون بخلاف الدنيا فان ماكولها
يترتب عليه حساب وعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه وقوله تعالى كمن هو

خالد

خالد في النار يعني من هو في هذا النعيم المقيم الدائم كمن هو خالد في النار يتجرع من حميمها وهو قوله وسقوا ماء حميما يعني
شديد الحر قد استعرت عليه جهنم منذ خلقت اذا ادني منهم شوى وجوههم ووقعت فروة وجوههم فاذا شربوه فقطع
امعاءهم يعني فخرجت من ادبارهم والامعاء جمع معى وهو جميع ما في البطن من الحوايا وقال الزجاج قوله كمن هو خالد
في النار راجع الى ما تقدم كانه تعالى قال افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار وسقوا ماء
حميما فقطع امعاءهم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه حتى
يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان اخرجه الترمذي وقال حديث غريب حسن صحيح عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه
قطع امعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى ومنهم يعني ومن هولاء الكفار من يستمع اليك وهم المنافقون يستمعون
قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا به وتغافلا عنه حتى اذا خرجوا من عندك يعني ان هولاء المنافقين الذين كانوا عندك يا محمد يستمعون
كلامك فاذا خرجوا من عندك قالوا يعني المنافقين للذين اوتوا العلم يعني من الصحابة ماذا قال انفا يعني ما الذي قال
محمد الان وهو من الايتناف يقال ايتنفت الامر ابتداته قال مقاتل وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب
ويعيب المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سالوا عبد الله بن مسعود استهزاء ماذا قال محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس
قد سئلت فيمن سئل اولئك يعني المنافقين الذين طبع الله على قلوبهم يعني فلم يومنوا ولم ينتفعوا بما سمعوا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم واتبعوا اهواءهم يعني في الكفر والنفاق والمعنى انهم لما تركوا اتباع الحق امات الله قلوبهم فلم تفهم ولم تعقل
فعند ذلك اتبعوا اهواءهم في الباطل والذين اهتدوا يعني المومنين لما بين الله ان المنافق يسمع ولا ينتفع بل هو مصر على
متابعة الهوى بين حال المومن المهتدي الذي ينتفع بما يسمع فقال تعالى والذين اهتدوا يعني الذين هداهم الله اياهم الى الايمان
زادهم هدى يعني انهم لما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به عن الله عز وجل امنوا بما سمعوا به وصدقوه فزادهم
ذلك هدى مع هدايتهم وايمانا مع ايمانهم واتاهم تقواهم يعني وفقهم للعمل بما امرهم به وهو التقوى وقال سعيد بن جبير
اتاهم ثواب تقواهم وقيل اتاهم نفس تقواهم بمعنى انه تعالى بين لهم التقوى قوله عز وجل فهل ينظرون الا الساعة ان
تاتيهم بغتة يعني الكافرين والمنافقين الذين قعدوا عن الايمان فلم يومنوا فالساعة تاتيهم بغتة فجاة وهم
على كفرهم ونفاقهم فيه وعيد وتهديد والمعنى لا ينتظرون الا الساعة والساعة اتية لا محالة وسميت
القيامة ساعة لسرعة قيامها م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال سبعا
فهل تنتظرون الا فقرا منسيا او غنى مطغيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او
الدجال فشر غايب ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى
فقد جاء اشراطها اي اماراتها وعلاماتها واحدها شرط ولما كان قيام الساعة امرا مستبعدا في النفوس
وقد قال الله تعالى فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة فكان قائلا قال متى يكون قيام
الساعة فقال تعالى فقد جاء اشراطها قال المفسرون من اشراط الساعة انشقاق القمر وبعثة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ق عن سهل بن سعد قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال باصبعيه هكذا الوسطى والتي
تليها الابهام قال بعثت انا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه فيمدهما ق عن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين كفضل احدهما على الاخرى وضم السبابة والوسطى وفي رواية قال بعثت
في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قيل معنى الحديث ان المراد ما بين بعثته وقيام الساعة
شيء يسير كما بين الاصبعين في الطول وقيل هو اشارة الى قرب المجاورة ق عن انس قال عند قرب

Copyright © King Saud University

وفانه الا احدثكم بحديث لا يحدثكم به احد غيري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقوم الساعة او قال من اشراط
الساعة ان يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويفشو الزنا ويذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امراة قيم وفي رواية
ويظهر الزنا ويقل الرجال وتكثر النساء ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اشراط الساعة
ان يتقارب الزمان وينقص العلم ويظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل وفي رواية يرفع
العلم ويثبت الجهل او قال ويثبت الجهل خ عن ابي هريرة قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث
القوم اذ جاءه اعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه فقال بعض القوم سمع ما قال
فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال اين السائل عن الساعة قال ها انا يا رسول الله قال اذا
ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال وكيف اضاعتها قال اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة وقوله تعالى
فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم يعني فمن اين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة اذا جاءتهم الساعة بغتة وقيل معناه
كيف يكون حالهم اذا جاءتهم الساعة فلا تنفعهم الذكرى ولا تقبل منهم التوبة ولا يحتسب بالايمان في ذلك
الوقت فاعلم انه لا اله الا الله الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واورد على هذا انه صلى الله عليه وسلم كان
عالما بالله وانه لا اله الا هو فما فائدة هذا الامر واجيب عنه بان معناه دم على ما انت عليه
من العلم فهو كقول القائل للجالس اجلس اي دم على ما انت عليه من الجلوس او يكون معناه ازدد
علما الى علمك وقيل ان هذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره من امته
قال ابو العالية وسفيان بن عيينة هذا متصل بما قبله معناه اذا جاءتهم فاعلم انه لا ملجا ولا منجا
ولا مفزع عند قيامها الا الى الله الذي لا اله الا هو وقيل معناه فاعلم انه لا اله الا الله وان جميع
الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لاحد الا لله الذي لا اله الا هو واستغفر لذنبك امر الله عز
وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار مع انه مغفور له ليستن به امته وليقتدوا به في ذلك
م عن الاغر المزني ابن مزينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبي
حتى استغفر الله مائة مرة وفي رواية قال توبوا الى ربكم فوالله اني لاتوب الى ربي عز وجل مائة مرة في اليوم
خ عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم سبعين
مرة وفي رواية اكثر من سبعين مرة قوله انه ليغان على قلبي الغين التغطية والستر اي يلبس على قلبي ويغطيه وسبب
ذلك ما اطلع عليه من احوال امته بعده فاحزنه ذلك حتى كان يستغفر لهم وقيل انه لما كان يشغله النظر في امور
المسلمين ومصالحهم حتى يرى انه قد شغل بذلك وان كان من اعظم طاعة واشرف عبادة عن ارفع مقام مما هو فيه وهو
التفرد بربه عز وجل وصفاء وقته معه وخلوص همه من كل شيء فلهذا السبب كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله
فان حسنات الابرار سيئات المقربين وقيل هو ماخوذ من الغين وهو الغيم الرقيق الذي يغشى قلبه صلى الله عليه وسلم
وكان سبب استغفاره لها اظهار العبودية والافتقار الى الله تعالى وحكى الشيخ محيي الدين النووي عن القاضي عياض
ان المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شانه صلى الله عليه وسلم الدوام عليه فاذا افتر او غفل عد ذلك
ذنبا واستغفر منه وحكى الوجوه المتقدمة عنه وعن غيره وقال الحرث المحاسبي خوف الملائكة والانبياء خوف اعظام
واجلال وان كانوا امنين من عذاب الله تعالى وقيل يحتمل ان هذا الغين حالة حسنة واعظام يغشى القلب ويكون
استغفاره شكرا كما قال افلا اكون عبدا شكورا وقيل في معنى الاية استغفر لذنبك اي لذنوب اهل بيتك وللمؤمنين
والمؤمنات يعني من غير اهل بيته وهذا اكرام من الله عز وجل لهذه الامة حيث امر نبيه ان يستغفر لذنوبهم وهو
الشفيع المجاب فيهم والله يعلم متقلبكم ومثواكم قال ابن عباس والضحاك متقلبكم يعني منصرفكم ومنتشركم في اعمالكم

في الدنيا

في الدنيا ومثواكم يعني مصيركم الى الجنة والى النار وقيل متقلبكم في اشغالكم بالنهار ومثواكم بالليل الى مضاجعكم وقيل متقلبكم
من اصلاب الاباء الى ارحام الامهات وبطونهن ومثواكم في الدنيا وفي القبور والمعنى انه تعالى عالم بجميع احوالكم فلا يخفى عليه
شيء منها وانه ق وخفي قوله تعالى ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة وذلك ان المؤمنين كانوا حراصا على الجهاد في
سبيل الله وقالوا هلا انزلت سورة تامرنا بالجهاد ولكنا نجاهد فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال
قال مجاهد كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي اشد القران على المنافقين رايت الذين في قلوبهم مرض
يعني نفاقا وهم المنافقون ينظرون اليك شزرا وكراهية منهم للجهاد وجبنا عن لقاء العدو نظر المغشي عليه من
الموت يعني كما ينظر الشاخص بصره عند معاينة الموت فاولى لهم فيه وعيد وتهديد وهو معنى قولهم في التهديد اولى
لك اي وليك وقاربك ما تكره وتم الكلام عند هذا ثم ابتدا بقوله طاعة وقول معروف نعلى هذا هو مبتدا محذوف الخبر
تقديره طاعة وقول معروف امثل واولى بهم والمعنى لو اطاعوا وقالوا قولا معروفا فهو امثل واحسن وقيل هو متصل بما
قبله واللام في لهم بمعنى الباء مجازه فاولى بهم طاعة الله وطاعة رسوله وقول معروف بالاجابة والمعنى لو اطاعوا واجابوا لكانت
الطاعة والاجابة اولى بهم وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء عنه فاذا عزم الامر فيه حذف تقديره فاذا عزم
صاحب الامر وقيل هو على اصله ومجازه كقولك جاء الامر ودنا الوقت وهذا امر متوقع ومعنى الاية فاذا عزم الامر خالف
المنافقون وكذبوا فيما وعدوا به فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم يعني الصدق وقيل معناه لو صدقوا الله في اظهار الايمان
والطاعة لكان ذلك خيرا لهم فهل عسيتم اي فلعلكم ان توليتم يعني اعرضتم عن سماع القران وفارقتم احكامه ان تفسدوا
في الارض اي تعودوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الفساد في الارض بالمعصية والبغي وسفك الدماء وترجعوا الى الفرقة
بعدما جمعكم الله بالاسلام وتقطعوا ارحامكم قال قتادة كيف رايتم القوم حين تولوا عن كتاب الله الم يسفكوا
الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرحم شجنة
من الرحمن يقول الله تعالى من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فاخذت بحقو الرحمن فقال مه فقالت هذا مقام العائذ
بك من القطيعة قال نعم اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك ثم قال رسول
صلى الله عليه وسلم اقرؤوا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك
الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها الشجنة القرابة المشتبكة
كاشتباك العروق والحقو معقد الازار من الانسان وقد يطلق على الازار من الانسان وقد يطلق على الازار ما جعل
الرحم شجنة من الرحمن استعار لها الاستمساك به والاخذ كما يستمسك القريب من قريبه والنسيب من نسيبه
ومعنى صلة الرحم بر الاقارب والاحسان اليهم وقطع الرحم ضد صلتها والعائذ اللاجئ المستجير قال القاضي
عياض الرحم التي توصل وتقطع وتبر انما هي معنى من المعاني وليست بجسم وانما هي قرابة ونسب يجمعه رحم
والده فيتصل بعضه ببعض فسمي ذلك الاتصال رحما والمعاني لا يتاتى منها القيام ولا الكلام فيكون
ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل حسن استعارة على عادة العرب في استعمال ذلك والمراد تعظيم شانها
وفضيلة واصليها وعظيم اثم قاطعها وبهذا سمي العقوق قطعا كانه قطع ذلك السبب المتصل قال ويجوز
ان يكون المراد قيام ملك من الملائكة تعلق بالعرش وتكلم على لسانها بهذا بامر الله تعالى هذا كلام القاضي عياض
في معنى هذا الحديث والله اعلم وقيل في الاية في قوله ان توليتم هو من الولاية يعني فهل عسيتم ان توليتم امر الناس ان
تفسدوا في الارض يعني بالظلم وتقطعوا ارحامكم ومعنى الاستفهام في قوله فهل عسيتم للتقرير المذكور والمعنى
هل يتوقع منكم الافساد فان قلت عسى طمع وترج وتوقع ذلك منهم وقال

Copyright King Saud University

الزمخشري معناه انه لما عهد منكم بان يقول لكم كل من فاتكم وعرف تمضيركم ورخاوة عقدكم في الايمان يا هولاء ما ترون
هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناجزا على الملك
وتهالكا على الدنيا اولئك اشارة الى من اذا تولى افسد في الارض وقطع الارحام الذين لعنهم الله يعني ابعدهم
من رحمته وطردهم عن جنته فاصمهم يعني عن سماع الحق واعمى ابصارهم يعني عن طريق الهدى وذلك انهم لما سمعوا
القران لم يفهموه ولم يومنوا به وابصروا طريق الحق فلم يسلكوه ولم يتبعوه فكانوا بمنزلة الصم العمي وان كان
لهم اسماع وابصار في الظاهر افلا يتدبرون القران يعني يتفكرون فيه وفي مواعظه وزواجره واصل التدبر التفكر
في عاقبة الشي وما يؤول اليه امره وتدبر القران انما يكون عن حضور القلب وجمع الهم وقت تلاوته ويشترط
فيه تقليل الغذا من الحلال وخلوص النية ام على قلوب اقفالها يعني بل على قلوب اقفالها وجعل القفل
مثلا لكل مانع للانسان من تعاطي فعل الطاعة يقال فلان اذا كان الله تعالى قد اصمهم واعمى ابصارهم
وقفل على قلوبهم وهو بمعنى الختم فكيف يمكنهم تدبر القران من هذه الموانع الشديدة قلت تكليف ما لا يطاق
جايز عندنا لان الله امر بالايمان ثم سبق في علمه انه لا يومن فكذلك هذا والله يفعل ما يريد لا اعتراض لاحد
عليه وقيل ان قوله افلا يتدبرون القران المراد به الناسخ وقيل ان هذه الاية محققة للاية المتقدمة وذلك
ان الله تعالى لما قال اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم فكان قوله افلا يتدبرون القران كالتنبيه لهم
على ترك ما هم فيه من الكفر الذي استحقوا بسببه اللعنة او كالتبكيت لهم على اصرارهم على الكفر والله اعلم بمراده
روى البغوي باسناد الثعلبي عن عروة بن الزبير قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا يتدبرون القران ام على
قلوب اقفالها فقال شاب من اهل اليمن بل على قلوب اقفالها حتى يكون الله يفتحها او يفرجها فما زال الشاب في نفس
عمر حتى ولي فاستعان به هذا حديث مرسل عن عروة بن الزبير تابعي من كبار التابعين واجلهم فلم يدرك النبي
صلى الله عليه وسلم لانه ولد لسنة اثنين وعشرين وقيل غير ذلك قوله عز وجل ان الذين ارتدوا على ادبارهم يعني
رجعوا القهقرى كفارا من بعد ما تبين لهم الهدى يعني من بعد ما وضح لهم طريق الهداية قال قتادة هم كفار
اهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما عرفوه ووجدوا نعته في كتابهم وقال ابن عباس والضحاك
والسدي هم المنافقون وذلك انهم امنوا اولا ثم كفروا ثانيا الشيطان سول لهم يعني زين لهم القبيح
حتى راوه حسنا واملي لهم قرى بضم الالف وكسر اللام وفتح اليا على ما لم يسم فاعله يعني امهلوا ومد
لهم في العمر وقرى واملى لهم بفتح الالف واللام يعني واملى لهم الشيطان بان مد لهم في الامل فان
قلت الاملا والامهال لا يكونان الا من الله لانه الفاعل المطلق وليس للشيطان فعل
قط على مذهب اهل السنة فما معنى هذه القراءة قلت ان المسول والمملي هو الله تعالى في
الحقيقة وليس للشيطان فعل وانما اسند اليه ذلك من حيث ان الله تعالى قدر ذلك على يده ولسانه فالشيطان
يمنيهم ويزين لهم القبيح ويقول لهم في اجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورياستكم الى اخر العمر ذلك اشارة الى التسويل
والاملا بانهم يعني بان اهل الكتاب او المنافقين قالوا للذين كرهوا ما نزل الله وهم المشركون سنطيعكم في بعض
الامر يعني في التعاون على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم وترك الجهاد معه والقعود عنه وكانوا يقولون
ذلك سرا فاخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم خبرهم ثم قال والله يعلم اسرارهم يعني انه لا يخفى عليه خافية من امرهم
فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم يعني ذلك الضرب ذلك بانهم يعني بسبب انهم
اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه يعني ترك الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس بما
كتموا من التورية وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم فاحبط اعمالهم التي عملوها من اعمال البر لانها لم تكن لله ولا بامره

ام

ام حسب الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق وهم المنافقون ان لن يخرج الله اضغانهم يعني يظهر احقادهم على
المومنين فيبديها حتى يعرف المومنون نفاقهم واحدها ضغن وهو الحقد الشديد وقال ابن عباس
حسدهم ولو نشا لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم لما قال تعالى ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم
فكان قائلا قال لم لم يخرج اضغانهم ويظهرها فاخبر الله تعالى انه انما اخر ذلك لمحض المشية لا لخوف منهم
فقال تعالى ولو نشا لاريناكهم اي لا مانع لنا من ذلك والاراءة بمعنى التعريف والعلم وقوله فلعرفتهم
لزيادة فايدة توهم ان التعريف قد يطلق ولا يلزم منه المعرفة الحقيقية كما يقال عرفته فلم يعرف فكان
المعنى هنا عرفناهم تعريفا تعرفهم به ففيها اشارة الى قوة ذلك التعريف بحيث لا يقع منه اشتباه وقوله
بسيماهم يعني بعلامتهم اي نجعل لك علامة تعرفهم بها قال انس ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
نزول هذه الاية شي من المنافقين وكان يعرفهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول يعني في معنى القول وفحواه
ومقصده واللحن معنيان صواب وخطا صريح الكلام وازالته عن التصريح الى المعنى وهو محمود من حيث البلاغة
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فلعل بعضكم الحن بحجته من بعض واليه قصد ولتعرفنهم في لحن القول واما اللحن
المذموم فظاهر وهو صرف الكلام عن الصواب الى الخطا بازالة الاعراب او التصحيف ومعنى الاية وانك يا محمد
لتعرفن المنافقين فيما يعرضون به من القول في تهجين امرك وامر المسلمين وتقبيحه والاستهزاء به فكان بعد هذا
لا يتكلم منافق عند النبي صلى الله عليه وسلم الا عرفه بقوله ويستدل بفحوى كلامه على فساد باطنه ونفاقه
ثم قال تعالى والله يعلم اعمالكم يعني اعمال جميع عباده فيجازي كلا على قدر عمله قوله تعالى ولنبلونكم يعني ولنعاملنكم
معاملة المختبر فان الله تعالى عالم بجميع الاشيا قبل كونها ووجودها حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
يعني انا نامركم بالجهاد حتى يظهر المجاهد ويتبين من يبادر منكم ويصبر عليه من غيره لان المراد من قوله حتى نعلم علم الوجود
والظهور ونبلو اخباركم يعني نظهرها ونكشفها ليتبين من يابى القتال ولا يصبر على الجهاد ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله وشاقوا الرسول يعني خالفوه فيما امرهم به من الجهاد وغيره من بعد ما تبين لهم الهدى يعني
من بعد ما ظهر لهم ادلة الهدى وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم لن يضروا الله شيا يعني انما يضرون انفسهم
بذلك والله تعالى منزه عن ذلك وسيحبط اعمالهم يعني يبطل اعمالهم فلا يرون لها ثوابا في الاخرة لانها لم تكن
لله تعالى قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول لما ذكر الله الكفار بسبب مشاقتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله المومنين بطاعته وطاعة رسوله
ثم قال تعالى ولا تبطلوا اعمالكم ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فلا
تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم انما الحياة الدنيا لعب ولهو وان تومنوا
وتتقوا يوتكم اجوركم ولا يسالكم اموالكم قال عطا يعني بالشك والنفاق والمعنى داوموا على ما انتم عليه
من الايمان والطاعة ولا تشركوا فتبطل اعمالكم وقيل لا تبطلوا اعمالكم بترك طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما ابطل اهل الكتاب اعمالهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيانه وردها على الفقرا فتطيبوا
باخراج الزكاة انفسكم والى هذا القول ذهب سفيان بن عيينة ويدل عليه سياق الاية وهو قوله تعالى ان
يسالكموها الضمير عايد الى الاموال فيحفكم يعني يجهدكم ويطلبها كلها والاحفا المبالغة في المسالة وبلوغ
الغاية في كل شي يقال احفاه في المسالة اذا لم يترك شيا من الالحاح تبخلوا يعني بالمال فلا تعطوها ويخرج
اضغانكم اي ضغينتكم وعداوتكم لشدة محبتكم للاموال قال قتادة علم الله ان في مسالة الاموال
خروج الاضغان ها انتم هولا يعني انتم يا هولا المخاطبون الموصوفون ثم استانف وصفهم فقال تعالى

Copyright © King Saud University

ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله قيل اراد به النفقة في الجهاد والغزو وقيل المراد به اخراج الزكاة وجميع وجوه البر والكل في سبيل الله
فمنكم من يبخل يعني بما فرض الله عليه اخراجه الى الزكاة او ندب الى انفاقه في وجوه البر ومن يبخل يعني بالصدقة واداء الفريضة
فلا يتعداه ضر بخله وهو قوله تعالى فانما يبخل عن نفسه والله الغني يعني عن صدقاتكم وطاعاتكم لانه الغني المطلق الذي
له ملك السموات والارض وانتم الفقراء يعني اليه والى ما عنده من الخير والثواب في الدنيا والاخرة وان تتولوا يعني
عن طاعة الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيام بما امركم الله به والزمكم اياه يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا
امثالكم يعني يكونون اطوع لله ورسوله منكم قال الكلبي هم كندة والنخع من عرب اليمن قال الحسن هم العجم وقال عكرمة هم فارس
والروم عن ابي هريرة قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم
قالوا ومن يستبدل بنا قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا وقومه اخرجه الترمذي
وقال هذا حديث غريب وفي اسناده مقال وله في رواية اخرى عن ابي هريرة قال قال ناس من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا امثالنا قال وكان سلمان بجنب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا واصحابه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من
فارس ولهذا الحديث طرف في الصحيح تقدم في سورة الجمعة ان شاء الله تعالى والله اعلم بمراده واحكامه

تفسير سورة الفتح

مدنية عن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض اسفاره وعمر بن الخطاب
كان يسير معه ليلا فسأله عمر عن شيء فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر ثكلتك امك يا عمر نزرت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت بعيري حتى تقدمت امام الناس وخشيت ان
ينزل في قران فما نشبت ان سمعت صارخا يصرخ بي فقلت لقد خشيت ان يكون نزل في قران فجئت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد انزلت علي الليلة سورة لهي احب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرا انا
فتحنا لك فتحا مبينا اخرجه الترمذي وزاد فيه فقال في بعض اسفاره بالحديبية ق عن انس لما نزلت انا فتحنا
لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما الى قوله فوزا
عظيما مرجعه من الحديبية وهم يخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدي بالحديبية قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقد انزلت علي اية هي احب الي من الدنيا جميعا لفظ مسلم ولفظ البخاري انا فتحنا لك فتحا مبينا قال الحديبية
فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئا مريئا فما لنا فانزل الله ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من
تحتها الانهار قال شعبة فقدمت الكوفة فحدثت هذا كله عن قتادة ثم رجعت فذكرت له فقال انا فتحنا لك
فتحا مبينا فعن انس واما هنيئا مريئا فعن عكرمة واخرجه الترمذي عن قتادة عن انس قال انزلت على النبي صلى
الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر مرجعه من الحديبية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد انزل علي
الليلة اية احب الي مما على الارض ثم قراها النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هنيئا مريئا يا رسول الله لقد بين لك
ما يفعل بك فما يفعل بنا فنزلت عليه ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار حتى بلغ فوزا عظيما

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل انا فتحنا لك فتحا مبينا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده والمعنى انا قضينا
وحكمنا لك فتحا مبينا ظاهرا بغير قتال ولا تعب واختلفوا في هذا الفتح فروى قتادة عن انس انه فتح مكة وقال
مجاهد هو فتح خيبر وقيل هو فتح فارس والروم وسائر بلاد الاسلام التي يفتحها الله تعالى له **فان قلت**
على هذه الاقوال هذه البلاد مكة وغيرها لم تكن قد فتحت بعد فكيف قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا بلفظ
الماضي **قلت** وعد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالفتح وجيء به بلفظ الماضي جريا على
عادة الله تعالى في اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة كانه تعالى قال انا فتحنا لك في حكمنا

وتقديرنا

وتقديرنا وما قدره وحكم به فهو كائن لا محالة وقال اكثر المفسرين ان المراد بهذا الفتح صلح الحديبية وهو الاصح وهو
رواية عن انس ومعنى الفتح فتح المغلق المستصعب وكان الصلح مع المشركين يوم الحديبية مستصعبا متعذرا حتى فتحه
الله عز وجل ويسره ولقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها ولم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس
على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركها غير بعيد ثم انها اصدرتنا نحن وماشيتنا
وركابنا وقال الشعبي في قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر واطعم
نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور اهل الكتاب على المجوس وقال الزهري لم
يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام من قلوبهم فاسلم
في ثلاث سنين خلق كثير فعز الاسلام بذلك واكرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تاخر قيل اللام في قوله ليغفر لك الله لام كي والمعنى فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة
بالفتح وقال الحسين بن الفضل هو مردود الى قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات وقال ابن جرير هو راجع الى قوله في سورة النصر واستغفره انه كان
توابا ليغفر لك وقيل ان الفتح لم يجعل سببا للمغفرة ولكن لاجتماع ما قدر له من الامور الاربعة المذكورة وهي المغفرة واتمام
النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قال يسرنا لك الفتح ونصرناك على عدوك وغفرنا لك وهديناك صراطا
مستقيما ليجتمع لك عز الدارين واغراض العاجل والاجل وقيل يجوز ان يكون الفتح سببا للغفران لانه جهاد للعدو وفيه
الثواب والمغفرة مع الظفر بالعدو والفوز بالفتح وقيل لما كان هذا الفتح سببا لدخول مكة والطواف بالبيت كان
ذلك سببا للمغفرة ومعنى الاية ليغفر لك الله جميع ما فرط منك ما تقدم من ذنبك يعني قبل النبوة وما تاخر
يعني بعدها وهذا على قول من يجوز الصغائر على الانبياء وقال عطاء الخراساني ما تقدم من ذنبك يعني من ذنب
ابويك ادم وحواء ببركتك وما تاخر من ذنوب امتك بدعائك لهم وقال سفيان الثوري ما تقدم من ذنبك ما كان منك
قبل النبوة وما تاخر يعني كل شيء لم تعمله ويذكر مثل هذا على طريق التاكيد كما تقول اعطى من تراه ومن لم تره واضرب من لقيت
ومن لم تلقه فيكون المعنى ما وقع لك من ذنب وما لم يقع فهو مغفور لك وقيل المراد منه ما كان من سهو وغفلة وتاويل
لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له ذنب كذنوب غيره فالمراد بذكر الذنب هنا ما عسى ان يكون وقع منه من سهو
ونحو ذلك لان حسنات الابرار سيئات المقربين فسماه ذنبا فما كان من هذا القبيل وغيره فهو مغفور له فاعلمه الله عز
وجل بذلك وانه مغفور له ليتم نعمته عليه وهو قوله تعالى ويتم نعمته عليك يعني بالنبوة وما اعطاك من الفتح والنصر
والتمكين ويهديك صراطا مستقيما يعني ويهديك الى صراط مستقيم ويثبتك عليه والمعنى ليجتمع لك مع الفتح تمام النعمة
بالمغفرة والهداية الى صراط مستقيم وهو الاسلام وقيل معناه ويهديك الى صراط مستقيم وينصرك الله نصرا عزيزا
يعني غالبا ذا عز ومنعة وظهور على الاعداء وقد ظهر النصر بهذا الفتح المبين وحصل الامن بحمد الله تعالى **فان
قلت** وصف الله النصر بكونه عزيزا والعزيز هو المنصور صاحب النصر فما معناه **قلت**
معناه ذا عزة كقوله كقوله عيشة راضية اي ذات رضى وقيل وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازا
كما يقال هذا كلام صادق كما يقال متكلم صادق وقيل معناه نصرا عزيزا صاحبه فحذف المضاف ايجازا واختصارا وقيل
انما يحتاج الى هذا التقدير اذا كانت العزة من الغلبة والعزيز الغالب اما اذا قلنا ان العزيز هو النفيس
القليل او العديم النظير فلا يحتاج الى هذه التقديرات لان النصر الذي هو من الله تعالى عزيز في نفسه لكونه
من الله فصح وصف كونه نصرا عزيزا قوله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين يعني الطمانينة والوقار

Copyright King Saud University

في قلوبهم لئلا تنزعج نفوسهم قال ابن عباس كل سكينة في القرآن طمأنينة الا التي في سورة البقرة وقد تقدم تفسيرها في
موضعها كما قال الله عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه هذا النصر كيف هو وذلك انه تعالى جعل السكينة التي هي
الطمأنينة والثبات في قلوب المؤمنين ويلزم من ذلك ثبات الاقدام عند اللقاء في الحروب وغيرها فكان ذلك من
اسباب النصر الذي وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى **ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم** وذلك انه تعالى جعل السكينة
في قلوب المؤمنين سببا لزيادة الايمان في قلوبهم وذلك ان كلما ورد عليهم امر ونهي فامنوا به وعملوا بمقتضاه كان ذلك زيادة
في ايمانهم قال ابن عباس بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة ان لا اله الا الله فلما امنوا به وصدقوه زادهم الصلاة ثم
الزكاة ثم الصوم ثم الجهاد حتى اكمل دينهم فلما امر واشي وصدقوه ازدادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم
وقال الكلبي هذا في امر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل لما امنوا بالاصول وهو التوحيد وتصديق الرسول
صلى الله عليه وسلم بما اخبر به عن الله عز وجل وامنوا بالبعث بعد الموت والجنة والنار وامنوا بالفروع وجميع التكاليف
البدنية والمالية كان ذلك زيادة في ايمانهم **ولله جنود السموات والارض** لما قال الله عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا وكان
المؤمنون في قلة من العدد والعدد كان قائلا قال كيف ينصره فاخبر الله تعالى ان له جنود السموات والارض وهو قادر
على نصر رسوله صلى الله عليه وسلم ببعض جنوده بل هو قادر على ان يهلك عدوه بصيحة ورجفة وصاعقة ونحو ذلك
فلم يفعل بل انزل سكينته في قلوبكم ايها المؤمنون ليكون نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم واهلاك اعدائه على ايديكم
فيكون لكم الثواب ولهم العقاب وفي جنود السموات والارض وجوه الاول انهم ملائكة السموات والارض الثاني ان
جنود السموات الملائكة وجنود الارض جميع الحيوانات الثالث ان جنود السموات مثل الصاعقة والصيحة
والحجارة وجنود الارض مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك **وكان الله عليما** يعني بجميع جنوده الذين في
السموات والارض **حكيما** يعني في تدبيرهم وقيل عليما بما في قلوبكم ايها المؤمنون حكيما حيث جعل النصر على اعدائكم قوله عز وجل
ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار فقوله ليدخل المؤمنين يستدعي سابقا تقديره هو الذي
انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليدخلهم جنات وقيل تقديره ان من علمه وحكمته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية
ووعدهم الفتح والنصر ليشكروه على نعمه فيثيبهم ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار **خالدين فيها ويكفر عنهم
سيئاتهم** **فان قلت** تكفير السيئات انما يكون قبل دخول الجنة فكيف ذكره بعد دخولهم
الجنة **قلت** الواو لا تقتضي الترتيب وقيل ان تكفير السيئات والمغفرة من توابع كون المكلفين
اهل الجنة فقدم الادخال بالذكر بمعنى انه من اهل الجنة **وكان ذلك عند الله فوزا عظيما** يعني ان ذلك الادخال والتكفير
كان في علم الله فوزا عظيما **ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات** يعني المنافقين والمنافقات
من اهل المدينة والمشركين والمشركات من اهل مكة انما قدم المنافقين على المشركين هنا وفي غيره من المواضع لان المنافقين
كانوا اشد على المؤمنين من الكافرين لان الكافر يمكن ان يحترز منه ويجاهد لانه عدو مبين والمنافق لا يمكن ان يحترز
منه ولا يجاهد فلهذا كان شره اكثر من شر الكافر وكان تقديم المنافق بالذكر اولى **الظانين بالله ظن السوء** يعني انهم
ظنوا ان الله لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين **عليهم دائرة السوء** يعني عليهم دائرة العذاب والهلاك
وغضب الله عليهم زيادة في تعذيبهم واهلاكهم **ولعنهم** يعني وابعدهم وطردهم عن رحمته **واعد لهم جهنم**
يعني في الاخرة **وساءت مصيرا** يعني ساءت جهنم منقلبا **ولله جنود السموات والارض** تقدم تفسيره وبقي هنا فائدة
التكرير ولم قدم ذكر جنود السموات والارض هنا بعد تعذيب المنافقين والكافرين فنقول فائدة التكرار
للتأكيد وجنود السموات والارض منهم من هو للرحمة ومنهم من هو للعذاب فقدم ذكر السموات والارض
قبل ادخال المؤمنين الجنة ليكون مع المؤمنين جنود الرحمة فيثبتوهم على الصراط وعند الميزان فاذا دخلوا الجنة

افضوا

افضوا الى جوار الله تعالى ورحمته والقرب منه فلا حاجة لهم بعد ذلك الى شيء واخر ذكر جنود السموات والارض بعد
تعذيب الكافرين والمنافقين ليكون معهم جنود السخط فلا يفارقوهم ابدا **فان قلت** قال
في الاية الاولى وكان الله عليما حكيما وقال في هذه **وكان الله عزيزا حكيما** فما معناه **قلت** لما كان في
جنود السموات والارض من هو للرحمة ومن هو للعذاب وعلم الله ضعف المؤمنين ناسب ان يكون
خاتمة الاية الاولى وكان الله عليما حكيما ولما بالغ في وصف تعذيب الكافر والمنافق وشدته ناسب
ان يكون خاتمة الاية الثانية وكان الله عزيزا حكيما فهو كقوله اليس الله بعزيز ذي انتقام وقوله
اخذناهم اخذ عزيز مقتدر قوله تعالى **انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
في معرض الامتنان عليه حيث شرفه بالرسالة وبعثه الى الكافة شاهدا على اعمال امته ومبشرا يعني
لمن امن به واطاعه بالثواب ونذيرا لمن خالفه وعصى امره بالعقاب ثم بين فائدة الارسال فقال تعالى
لتؤمنوا بالله ورسوله الضمير فيه للناس المرسل اليهم **ويعزروه** يعني ويقووه وينصروه والتعزير نصر مع
تعظيم **ويوقروه** يعني ويعظموه يعني والتوقير التعظيم والتبجيل **ويسبحوه** من التسبيح الذي هو التنزيه
عن جميع النقائص والسبحة وهي الصلاة قال الزمخشري والضمائر لله تعالى والمراد بتعزير الله تعزير دينه
ورسوله ومن فرق الضمائر فقد ابعد وقال غيره الكنايات في قوله ويعزروه ويوقروه راجعة الى الرسول
صلى الله عليه وسلم وعندها تم الكلام فالوقف على ويوقروه وقف تام ثم تبتدئ بقوله ويسبحوه **بكرة
واصيلا** على ان الكناية في ويسبحوه راجعة الى الله عز وجل يعني ويصلوا لله ويسبحوا الله بالغداة والعشي
قوله عز وجل **ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله** يعني ان الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية على ان لا يفروا انما يبايعون
الله لانهم باعوا انفسهم من الله بالجنة واصل البيعة العقد الذي يعقده الانسان على نفسه من بذل الطاعة للامام
والوفاء بالعهد الذي التزمه له والمراد بهذه البيعة بيعة الرضوان بالحديبية وهي قرية ليست بكبيرة بينها
وبين مكة اقل من مرحلة او مرحلة سميت ببير هناك وقد جاء في الحديث ان الحديبية بير وقال مالك هي من الحرم وقال
ابن القصار بعضها من الحل ويجوز في الحديبية التخفيف والتشديد والتخفيف افصح وعامة المحدثين
يشددونها **ق** عن يزيد بن ابي عبيد قال قلت لسلمة بن الاكوع على اي شيء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال على الموت **م** عن معقل بن يسار قال لقد رايتني يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وانا رافع غصن
من اغصانها عن راسه ونحن اربع عشرة مائة قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر قال العلماء لا منافاة
بين الحديثين ومعناهما صحيح بايعه جماعة منهم سلمة بن الاكوع على الموت فلا يزالون يقاتلون بين يديه حتى
يقتلوا او ينتصروا وبايعه جماعة منهم معقل بن يسار على ان لا يفروا **خ** عن ابن عمر قال ان الناس كانوا مع النبي صلى
الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجر فاذا الناس محدقون بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال يعني عمر
يا عبد الله انظر ما شان الناس احدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع
الى عمر فخرج وبايع وقوله تعالى **يد الله فوق ايديهم** قال ابن عباس يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق ايديهم
وقال السدي كانوا ياخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبايعونه ويد الله فوق ايديهم
كذا نقله البغوي عنه وقال الكلبي نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة وقال الامام فخر الدين
الرازي يد الله فوق ايديهم يحتمل وجوها وذلك لان اليد في الموضعين اما ان تكون بمعنى واحد واما ان
تكون بمعنيين فان قلنا انها بمعنى واحد ففيه وجهان احدهما يد الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق احسانهم
الى الله كما قال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وثانيهما يد الله فوق ايديهم اي نصرته اياهم اقوى واعلى من نصرتهم اياه

Copyright © King Saud University

بقالبا اليد لفلان اى الغلبة والنصرة والقوة وان قلنا انها بمعنيين فيقول اليد في حق الله تعالى بمعنى
الحفظ وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة فيكون المعنى يد الله فوق ايديهم بالحفظ وقال الزمخشري لما قال
انما يبايعون الله اكده تاكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله صلى الله عليه
وسلم التي تعلو ايدي المبايعين هي يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير عقد الميثاق
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله هذا
مذهب اهل التاويل وكلامهم في هذه الاية ومذهب السلف السكوت عن امثال هذا وامرارها كما جاءت وتفسيرها
قراءتها والايمان بها من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل قوله تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه يعني من
نقض العهد الذي عقده مع النبي صلى الله عليه وسلم ونكث البيعة فانما وبال ذلك وضرره يرجع اليه ولا يضر الا نفسه
ومن اوفى بما عاهد عليه الله اي من البيعة فسيؤتيه اجرا عظيما يعني في الاخرة وهو الجنة قوله تعالى سيقول لك المخلفون من
الاعراب قال ابن عباس ومجاهد يعني اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع والنخع واسلم وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي
ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت فاحرم بالعمرة وساق الهدي ليعلم الناس انه لا يريد
حربا فتثاقل عنه كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فانزل الله فيهم سيقول لك يا محمد المخلفون من الاعراب
يعني الذين خلفهم الله عن صحبتك اذا رجعت اليهم من عمرتك هذه وعاتبتهم على التخلف عنك شغلتنا اموالنا
واهلونا يعني النساء والذراري يعني لم يكن لنا من يخلفنا فيهم فلذلك تخلفنا عنك فاستغفر لنا مع عذرنا معترفون
بالاساءة فاستغفر لنا بسبب تخلفنا عنك فاكذبهم الله تعالى فقال يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم يعني انهم في طلب
الاستغفار كاذبون لانهم لا يبالون استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم ام لا قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا يعني سوء
او اراد بكم نفعا وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر ويعجل لهم النفع بالسلامة لهم في انفسهم واموالهم
فاخبرهم الله انه ان اراد شيئا من ذلك لم يقدر احد على دفعه بل كان الله بما تعملون خبيرا يعني من اظهاركم الاعتذار وطلب الاستغفار
واخفائكم النفاق بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا يعني ظننتم ان العدو يستاصلهم فلا يرجعون الى
اهليهم وزين ذلك في قلوبكم يعني زين الشيطان ذلك الظن عندكم حتى قطعتم به حتى صار الظن يقينا عندكم وذلك ان الشيطان
تدبر سوسة في طلب الانسان الشيء ويزينه له حتى يقطع به وظننتم ظن السوء يعني وظننتم ان الله يخلف وعده وذلك انهم قالوا
ان محمدا واصحابه اكلة راس يريدون بذلك قلتهم فلا يرجعون فاين تذهبون معهم انظروا الى ما يكون من امرهم وكنتم قوما بورا
يعني وصرتم بسبب ذلك الظن الفاسد قوما بائرين هالكين ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا
لما بين الله تعالى حال المخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين حال ظنهم الفاسد وان ذلك يفضي بصاحبه الى الكفر حرضهم
على الايمان والتوبة من ذلك الظن الفاسد فقال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله وظن ان الله يخلف وعده فانه كافر وانا اعتدنا
للكافرين سعيرا ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء لما ذكر الله تعالى حال المؤمنين المبايعين
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الظانين ظن السوء اخبر انه له ملك السموات والارض ومن كان كذلك فهو يغفر لمن يشاء
بمشيئته ويعذب من يشاء لكن غفرانه ورحمته اعم واشمل واتم واكمل واليه الاشارة بقوله وكان الله غفورا رحيما قوله عز وجل
سيقول المخلفون يعني الذين تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم يعني اذا سرتم وذهبتم ايها المؤمنون الى مغانم لتاخذوها
يعني غنائم خيبر وذلك ان المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من المغانم شيئا وعدهم الله عز وجل
فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم اهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيئا ذرونا
نتبعكم يعني الى خيبر لنشهد معكم قتال اهلها وفي هذا بيان كذب المتخلفين عن الحديبية حيث قالوا شغلتنا اموالنا

واهلونا

واهلونا اذا لم يكن هناك طمع في غنيمة وهنا قالوا ذرونا نتبعكم حيث كان لهم طمع في الغنيمة يريدون ان يبدلوا كلام الله
يعني يريدون ان يغيروا ويبدلوا مواعيد الله لاهل الحديبية حيث وعدهم غنيمة خيبر خاصة وهذا قول جمهور
المفسرين وقال مقاتل يعني امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم حيث امره ان لا يسير معه منهم احد الى خيبر
وقال ابن زيد هو قول الله تعالى فان استاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا والقول الاول اصوب قل اي
قل لهم يا محمد لن تتبعونا يعني الى خيبر كذلكم قال الله من قبل يعني من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد
الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب فسيقولون بل تحسدوننا يعني يمنعكم الحسد ان نصيب معكم من الغنائم شيئا بل كانوا
لا يفقهون الا قليلا يعني لا يعلمون ولا يفهمون عن الله ما لهم وما عليهم من الدين الا قليلا منهم وهو من تاب
منهم وصدق الله ورسوله قوله تعالى قل للمخلفين من الاعراب لما قال النبي صلى الله عليه وسلم قل لن تتبعونا وكان
المخلفون جمعا كثيرا من قبائل متشعبة وكان فيهم من يرجى توبته وخيره بخلاف الذين مردوا على النفاق
واستمروا عليه فجعل الله لقبول توبتهم علامة وهي انهم يدعون الى قوم اولي باس شديد فان اطاعوا كانوا من
المؤمنين ويؤتيهم الله اجرا حسنا وهي الجنة وان تولوا واعرضوا عما دعوا اليه كانوا من المنافقين ويعذبهم عذابا اليما
واختلفوا في المشار اليهم بقوله ستدعون الى قوم اولي باس شديد قال ابن عباس هم اهل فارس وقال كعب هم
اهل الروم وقال الحسن هم فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان
يوم حنين وقال الزهري وجماعة هم بنو حنيفة اهل اليمامة اصحاب مسيلمة الكذاب قال رافع بن خديج كنا نقرا هذه
الاية ولا نعلم من هم حتى دعى ابو بكر الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابن خديج دعاهم عمر الى قتال فارس وقال ابو
هريرة لم تات تاويل هذه الاية بعد واقوى هذه الاقاويل قول من قال انهم هوازن وثقيف لان الداعي هو
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابعدها قول من قال انهم بنو حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب اما الدليل على صحة القول الاول
هو ان العرب قد كان ظهر امرهم في اخر الامر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا مؤمن تقي طاهر او كافر مجاهد واما
المنافقون فكان قد علم حالهم لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليهم وكان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى حرب من خالفه من الكفار وكانت هوازن وثقيف من اشد العرب باسا وكذلك غطفان فاستنفر
النبي صلى الله عليه وسلم العرب لغزوة حنين وبني المصطلق فصح بهذا البيان ان الداعي هو النبي صلى الله عليه وسلم
فان قيل هذا ممتنع لوجهين احدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لن تتبعونا وقال لن تخرجوا معي ابدا فكيف
كانوا يتبعونه مع هذا المنع الوجه الثاني قوله اولي باس شديد لان الرعب كان قد دخل في قلوب العرب كافة
فنقول الجواب عن الوجه الاول من وجهين احدهما ان يكون قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا مقيدا بقيد وهو
ان يكون تقديره لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا ما دمتم على ما انتم عليه من النفاق والمخالفة وهذا القيد لا بد منه
لان من اسلم وحسن اسلامه وجب عليه الجهاد ولا يجوز منعه من الخروج الى الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم الوجه
الثاني والجواب عن الوجه الاول ان المراد من قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا يعني في غزوة خيبر لانها كانت مخصوصة
بمن شهد بيعة الرضوان بالحديبية دون غيرهم ثم نقول ان النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يكن يدعوهم الى الجهاد معه
او منعهم من الخروج الى الجهاد معه لامتنع ابو بكر وعمر من الاذن لهم في الخروج الى الجهاد معهما كما امتنعا من اخذ الزكاة من
ثعلبة لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من اخذها واما الجواب عن الوجه الثاني وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق
له حرب مع قوم اولي باس شديد فغير مسلم لان الحرب كانت باقية مع قريش وغيرهم من العرب وهم اولو باس شديد
فثبت بهذا البيان ان الداعي للمخلفين هو النبي صلى الله عليه وسلم واما قول من قال ان ابا بكر دعاهم الى قتال بني
حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب وان عمر دعاهم الى قتال فارس والروم فظاهر في الدلالة وفيه دليل على صحة خلافتهما

Copyright © King Saud University

لان الله وعد على طاعته بالجنة وعلى مخالفته بالنار وقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون فيه اشارة الى وقوع احد الامرين اما
الاسلام او القتال فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا يعني الجنة وان تتولوا يعني تعرضوا عن الجهاد كما توليتم من قبل
يعني عام الحديبية يعذبكم عذابا اليما يعني النار ولما نزلت هذه الاية قال اصحاب الزمانة فالاعذار كيف حالنا يا رسول
الله فانزل الله عز وجل ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج يعني في التخلف عن الجهاد وهذه اعذار ظاهرة في
جواز ترك الجهاد لان اصحابها لا يقدرون على الكر والفر لان الاعمى لا يمكنه الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز
وكذلك الاعرج والمريض وفي معنى الاعرج الزمن المقعد والاقطع وفي معنى المريض صاحب السعال الشديد والطحال
الكبير والذين لا يقدرون على الكر والفر فهذه اعذار ظاهرة دون ما ذكر وهي العقر الذي لا يمكن صاحبه ان يستصحب معه
ما يحتاج اليه في مصالح الجهاد والاشتغال التي تعوق عن الجهاد كتمريض المريض الذي ليس له من يقوم مقامه عليه ونحو ذلك
وانما قدم الاعمى على الاعرج لان عذر الاعمى مستمر لا يمكن الانتفاع به في حرب ولا غيره بخلاف الاعرج لانه يمكن الانتفاع به
في الحراسة ونحوها وقدم الاعرج على المريض لان عذره اشد من عذر المريض لامكان زوال المرض عن قريب ومن يطع
الله ورسوله يعني في امر الجهاد وغيره يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعني يعرض عن الطاعة ويستمر على
الكفر والنفاق يعذبه عذابا اليما يعني في الاخرة قوله عز وجل لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك يعني بالحديبية على ان
يناجزوا قريشا ولا يفروا تحت الشجرة وكانت هذه الشجرة سمرة ق عن طارق بن عبد الرحمن قال انطلقت حاجا
فمررت بقوم يصلون فقلت ما هذا المسجد قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان
فاتيت ابن المسيب فاخبرته فقال سعيد كان ابي ممن بايع تحت الشجرة فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فعميت علينا
فلم نقدر عليها قال سعيد فاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلموها وعلمتموها فانتم اعلم فضحك وفي رواية عن
سعيد بن المسيب قال رايت الشجرة ثم اتيتها بعد عام فلم اعرفها وروي ان عمر مر بذلك المكان بعد ان ذهبت الشجرة
فقال اين كانت فجعل بعضهم يقول ههنا وبعضهم يقول ههنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا ذهبت
الشجرة خ عن ابن عمر قال رجعنا في العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها وكانت رحمة من الله تعالى م عن
ابي الزبير انه سمع جابرا يسال كم كانوا يوم الحديبية قال كنا اربع عشرة مائة فبايعناه وعمر اخذ بيده تحت الشجرة وهي
سمرة فبايعناه غير جد بن قيس الانصاري اختفى تحت بطن بعيره زاد في رواية وقال بايعناه على ان لا نفر ولم نبايعه
على الموت واخرجه الترمذي عن جابر في قوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فقال بايعنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت ق عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول
قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية انتم اليوم خير اهل الارض وكنا الفا واربعمائة قال ولو كنت ابصر
اليوم لاريتكم مكان الشجرة وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة ق عن عبد الله بن ابي اوفى قال كان اصحاب الشجرة الفا
وثلثمائة وكانت اسلم ثمن المهاجرين وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان لهذه الاية وكان سبب هذه البيعة على ما ذكره
محمد بن اسحاق عن بعض اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى خراش بن امية الخزاعي حين نزل الحديبية فبعثه الى
قريش بمكة وحمله على جمل يقال له الثعلب ليبلغ اشرافهم عنه ما جاء له فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وارادوا
قتله فمنعتهم الاحابيش فخلوا سبيله حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فقال يا رسول الله اني اخاف على نفسي قريشا وليس بمكة من بني عدي بن كعب احد وقد
عرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي عليها ولكن ادلك على رجل هو اعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم عثمان بن عفان فبعثه الى ابي سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يات لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج
عثمان الى مكة فلقيه ابان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة او قبل ان يدخلها فنزل عن دابته وحمله بين يديه ثم ردفه

واجاره

واجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان شئت ان تطوف بالبيت فطف به قال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبسته
قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عثمان قد قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى
نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الموت قال بكير بن الاشج بايعوه على الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل على ما استطعتم
وقد تقدم عن جابر ومعقل بن يسار انهما قالا لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر وقد تقدم ايضا الجمع
بين هذا وبين قول سلمة بن الاكوع بايعناه على الموت وكان اول من بايع بيعة الرضوان رجل من بني اسد يقال له ابو سنان
ابن وهب ولم يتخلف عن بيعة الرضوان احد من المسلمين حضرها الا الجد بن قيس اخو بني سلمة قال جابر لكاني انظر اليه لاصقا
بابط ناقته يستتر بها من الناس ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي ذكر من امر عثمان باطل م عن جابر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقوله تعالى فعلم ما في
قلوبهم يعني من الصدق والاخلاص والوفا كما علم ما في قلوب المنافقين من المرض والنفاق فانزل السكينة يعني
الطمانينة عليهم يعني على المؤمنين المخلصين ان يثبتوا ويبايعوك على الموت وعلى ان لا يفروا وفي هذه الاية لطيفة
وهي ان هذه البيعة كانت فيها طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك موجب لرضوان الله عز وجل
وهو موجب لدخول الجنة ويدل عليه قوله تعالى في الاية المتقدمة ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من
تحتها الانهار فثبت بهذا البيان ان اهل بيعة الرضوان من اهل الجنة ويشهد بصحته ما قلناه الحديث المتقدم
فان قلت الفا في فعلم للتعقيب وعلم الله قبل الرضى لانه تعالى علم ما في قلوبهم من
الصدق والايمان فرضي عنهم فكيف يفهم التعقيب في قوله فعلم ما في قلوبهم **قلت** قوله فعلم ما في
قلوبهم متعلق بقوله اذ يبايعونك فيكون تقديره لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك فعلم ما في قلوبهم من
الصدق فاشارة الى ان الرضى لم يكن عند المبايعة التي عندها علم الله بصدقهم والفا في قوله فانزل السكينة
للتعقيب لانه تعالى لما علم ما في قلوبهم رضي عنهم فانزل السكينة عليهم وقوله تعالى واثابهم فتحا قريبا يعني
خيبر ومغانم كثيرة يأخذونها يعني من اموال اهل خيبر فانها ذات نخل وعقار واموال فقسمها رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينهم وكان الله عزيزا منيعا كامل العزة غنيا عن اعانتكم حكيما حيث حكم لكم بالغنائم ولاعدائكم
بالهلاك على ايديكم قوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها يعني المغانم التي تغنمونها من الفتوحات التي تفتح لكم
الى يوم القيامة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر وفيه اشارة الى كثرة الفتوحات والغنائم التي يعطيهم
الله عز وجل في المستقبل وانما عجل لهم هذه كمحالة الراكب عجلها الله لكم وهي في جنب ما وعدكم الله به من الغنائم كالقليل
من الكثير وكف ايدي الناس عنكم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر اهلها همت قبائل بني اسد
وغطفان ان يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله عز وجل ايديهم بالقاء الرعب في قلوبهم وقيل
ان الله كف ايدي اهل مكة بالصلح عنكم لتمام المنة عليكم ولتكون اية للمؤمنين هو عطف على ما تقدم تقديره فعجل لكم
المغانم لتنتفعوا بها ولتكون اية للمؤمنين يعني وليحصل من بعدكم اية تدلهم على ان ما وهبكم الله يحصل مثله لهم
او ولتكون اية للمؤمنين دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في اخباره عن الغيوب فيزدادوا يقينا الى يقينهم
ويعلموا ان الله هو المتولي لحياطتهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم ويهديكم صراطا مستقيما يعني ويهديكم الى دين
الاسلام ويثبتكم عليه ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر **ذكر غزوة خيبر** وذلك

Copyright © King Saud University

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية اقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج الى خيبر في بقية
المحرم سنة سبع ق عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كان اذا غزا قوما لم يغز بنا حتى يصبح وينظر فان سمع اذانا
كف عنهم وان لم يسمع اذانا اغار عليهم قال فخرجنا الى خيبر فلما انتهينا اليهم ليلا فلما اصبح ولم يسمع اذانا ركب وركبت
خلف ابي طلحة وان قدمي لتمس قدم النبي صلى الله عليه وسلم قال فخرجوا علينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما راوا النبي صلى
الله عليه وسلم قالوا محمد والخميس فلما راهم النبي صلى الله عليه وسلم قال الله اكبر قال خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم
فساء صباح المنذرين م عن سلمة بن الاكوع قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمي عامر يرتجز
بالقوم ❁ تالله لولا الله ما اهتدينا ❁ ولا تصدقنا ولا صلينا ❁ ونحن عن فضلك ما استغنينا ❁ فثبت الاقدام ان لاقينا ❁
وانزلن سكينة علينا ❁ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال انا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر
رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان يخصه الا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يا رسول
الله يا نبي الله لولا امتعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه ❁ قد علمت خيبر اني مرحب ❁
شاكي السلاح بطل مجرب ❁ اذا الحروب اقبلت تلتهب ❁ قال وبرز له عمي عامر فقال ❁ قد علمت خيبر اني عامر ❁
شاكي السلاح بطل مغامر قال فاختلفا بضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع
سيفه على نفسه فقطع اكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابكي فقلت يا رسول الله بطل
عمل عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من اصحابك قال كذب من قال ذلك بل
اجره مرتين ثم ارسلني الى علي وهو ارمد فقال لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال
فاتيت عليا فجئت به اقوده وهو ارمد حتى اتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق في عينيه فبرا واعطاه الراية
فخرج مرحب فقال ❁ قد علمت خيبر اني مرحب ❁ شاكي السلاح بطل مجرب ❁ اذا الحروب اقبلت تلتهب ❁ فقال علي رضي الله عنه
انا الذي سمتني امي حيدره ❁ كليث غابات كريه المنظره ❁ اوفيهم بالصاع كيل السندره ❁ قال فضرب مرحب فقتله ثم
كان الفتح على يده اخرجه مسلم بهذا اللفظ وقد اخرج البخاري طرفا منه قال البغوي وقد روى حديث فتح خيبر جماعة منهم سهل بن
سعد وانس وابو هريرة يزيدون وينقصون وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد اخذته الشقيقة فلم يخرج
الى الناس فاخذ ابو بكر راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فاخذها عمر فقاتل قتالا
شديدا هو اشد من القتال الاول ثم رجع فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لاعطين الراية رجلا يحب الله
ورسوله ويحبه الله ورسوله ويفتح الله عليه فدعا عليا فاعطاه الراية وقال له امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك
فاتى مدينة خيبر فخرج مرحب صاحب الحصن وعلى راسه مغفر من حجر قد ثقبه مثل البيضة وهو يرتجز فخرج له علي بن
ابي طالب فضربه فقد الحجر والمغفر وفلق راسه حتى اخذ السيف في الاضراس ثم خرج بعده حارث اخوه ياسر وهو يرتجز فخرج
اليه الزبير بن العوام فقالت له امه صفية بنت عبد المطلب يقتل ابني يا رسول الله قال ابنك يقتله ان شاء الله
ثم التقيا فقتله الزبير ثم كان الفتح ثم لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الحصون ويقتل المقاتلة ويسبي
الذرية ويحوز الاموال قال محمد بن اسحاق فكان اول حصونهم ثم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة القت
اليهود عليه حجرا فقتله ثم فتح القموص حصن ابي الحقيق فاصاب منه سبايا منهم صفية بنت حيي بن اخطب جاء
بها بلال وباخرى معها فمر بهما على قتلى من قتلى يهود فلما راتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب
على راسها فلما راها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعزبوا عني هذه الشيطانة وامر بصفية فحيزت خلفه والقى عليها
رداءه فعرف المسلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال

لما راى من تلك اليهودية ما راى انزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامراتين على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رات في
المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق ان قمرا وقع في حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا الا انك
تتمنين ملك الحجاز محمدا فلطم وجهها لطمة اخضرت منها عينها فاتي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها اثر منها
فسالها عن ذلك ما هو فاخبرته الخبر واتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني
النضير فساله فجحد ان يكون يعلم مكانه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من اليهود فقال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اني رايت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة ارايت ان
وجدناه عندك انقتلك قال نعم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فاخرج منها بعض كنزهم ثم ساله ما بقي
فابى ان يؤديه اليه فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بوصيه اليه الزبير بن العوام ان يعذبه حتى يستاصل ما عنده
فكان الزبير يقدح بزند على صدره حتى اشرف على نفسه ثم دفعه الى محمد بن مسلمة فضرب عنقه باخيه محمود بن مسلمة
عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس فركب نبي
الله صلى الله عليه وسلم وركب ابو طلحة وانا رديف ابي طلحة فاجرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في زقاق
خيبر وان ركبتي لتمس فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حسر الازار عن فخذه حتى اني انظر الى بياض فخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل القرية قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين
قالها ثلاثا قال وخرج القوم الى اعمالهم فقالوا محمد والخميس يعني الجيش قال فاصبناها عنوة فجمع السبي فجاء دحية
فقال يا رسول الله اعطني جارية من السبي قال اذهب فخذ جارية فاخذ صفية بنت حيي فجاء رجل الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير لا تصلح الا لك قال
ادعوه بها فجاء بها فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها قال فاعتقها النبي صلى الله
عليه وسلم وتزوجها فقال له ثابت يا ابا حمزة ما اصدقها قال نفسها اعتقها وتزوجها حتى اذا كان بالطريق
جهزتها له ام سليم فاهدتها له من الليل واصبح النبي صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شيء فليجئ به
وبسط نطعا فجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الاخر يجيء بالسمن قال واحسبه ذكر السويق قال فحاسوا حيسا فكانت وليمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن ابي اوفى قال اصابتنا مجاعة ليالي خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا في
الحمر الاهلية فانتحرناها فلما غلت بها القدور نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكفئوا القدور ولا تاكلوا
من لحوم الحمر شيئا فقال اناس انما نهى عنها لانها لم تخمس وقال اخرون انما نهى عنها البتة عن انس ان امراة يهودية اتت رسول
الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فجيء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالها عن ذلك فقالت اردت م
لاقتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك او قال علي قالوا الا نقتلها قال لا فما زلت اعرفها في لهوات محمد صلى الله
عليه وسلم قال محمد بن اسماعيل قال يونس عن الزهري قال عروة قالت عائشة ما ازال اجد الم الطعام الذي اكلت
بخيبر فهذا اوان وجدت انقطاع ابهري من ذلك السم عن عائشة قالت لما فتحت خيبر قلنا الان نشبع من التمر
عن ابن عمر ان عمر اجلى اليهود والنصارى من ارض الحجاز وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر اراد اخراج
اليهود منها وكانت الارض لما ظهر عليها لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فاراد اخراج اليهود منها فسالت اليهود
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقرهم بها على ان يكفوا العمل ولهم نصف الثمر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
نقركم بها على ذلك ما شئنا فقروا بها حتى اجلاهم عمر في امارته الى تيماء واريحا قال محمد بن اسحاق ولما سمع اهل فدك بما صنع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسالونه ان يحقن دماءهم وان يسيرهم
ويخلوا له الاموال ثم ان اهل خيبر سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعاملهم على النصف ففعل على ان لنا اذا

Copyright King Saud University

اذا شئنا اخرجكم فصالحه اهل فدك على مثل ذلك وكانت خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهدت له زينب بنت
الحرث امراة سلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية يعني مشوية وسالت اي عضو الشاة احب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فاكثرت فيه السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع فاخذها فلاك منها قطعة ولم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور فاخذ
منها كما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما بشر فاساغها يعني ابتلعها واما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها وقال ان هذا العظم
ليخبرني انه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك فقالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت ان كان ملكا
استرحنا منه وان كان نبيا فيخبر فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر على مرضه الذي توفي فيه فقال يا ام
بشر ما زالت اكلة خيبر التي اكلت مع ابنك تعاودني فهذا اوان انقطاع ابهري فكان المسلمون يرون ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة عن عبيد الله بن سلمان ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال
لما فتحنا خيبر اخرجوا غنائمهم من المتاع والسبي فجعل الناس يتبايعون غنائمهم فجاء رجل فقال يا رسول الله لقد ربحت اليوم
ربحا ما ربحه احد من اهل هذا الوادي قال ويحك وما ربحت قال ما زلت ابيع وابتاع حتى ربحت ثلثمائة اوقية فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئك بخير ربح قال وما هو يا رسول الله قال ركعتين بعد الصلاة اخرجه ابو داود وقوله
تعالى واخرى لم تقدروا عليها يعني وعدكم الله فتح بلدة اخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها يعني يحفظها لكم حتى تفتحوها
ومنعها من غيركم حتى تاخذوها قال ابن عباس علم الله انه يفتحها لكم واختلفوا فيها فقال ابن عباس هي فارس والروم وما
كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم بل كانوا خولا لهم حتى قدرهم الله عليها بالاسلام وعن وقيل هي خيبر
وعدها الله نبيه صلى الله عليه وسلم قبل ان يصيبها ولم يكونوا يرجونها ففتحها الله لهم وقيل هي مكة وقيل هو
كل فتح فتحه المسلمون او يفتحونه الى اخر الزمان وكان الله على كل شيء قديرا اي من فتح القرى والبلدان لكم وغير ذلك
ولو قاتلكم الذين كفروا يعني اسد وغطفان واهل خيبر لولوا الادبار اي لانهزموا عنكم ثم لا يجدون وليا ولا
نصيرا يعني من تولى الله خسرانه فلا ناصر له ولا مساعد سنة الله التي قد خلت من قبل يعني هي سنة الله في نصر
اوليائه وقهر اعدائه ولن تجد لسنة الله تبديلا قوله عز وجل وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم سبب نزول
هذه الاية ما روي عن انس بن مالك ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم
متسلحين يريدون غدرة النبي صلى الله عليه وسلم فاخذهم سلما فاستحياهم فانزل الله وهو الذي كف ايديهم عنكم
وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم انفرد باخراجه مسلم وقال عبد الله بن مغفل المزني كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
بالحديبية في اصل الشجرة التي قال الله في القران وعلى ظهره غصن من اغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره وعلي بن ابي طالب
بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم
فاخذ الله بابصارهم فقمنا اليهم فاخذناهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم في عهد وهل جعل لكم احد امانا
قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم ومعنى الاية ان الله تعالى ذكر منته بحجز بين الفريقين حتى لم يقتتلوا وحتى اتفق بينهم الصلح
الذي كان اعظم من الفتح وهو قوله وهو الذي كف ايديهم عنكم يعني ايدي اهل مكة وايديكم عنهم اي قضى بينهم وبينكم بالمكافة
والمحاجزة ببطن مكة قيل اراد به الحديبية وقيل التنعيم وقيل وادي مكة من بعد ان اظفركم عليهم اي امكنكم منهم حتى ظفرتم
بهم وكان الله بما تعملون بصيرا قوله عز وجل هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام

ذكر صلح الحديبية

روى الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في بضع عشرة مائة من اصحابه يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه سبعين بدنة

من المدينة

والناس

والناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما اتى ذا الحليفة قلد الهدي واشعره واحرم منها بعمرة وبعث عينا
له من خزاعة يخبره عن قريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان اتاه عينه
الخزاعي وقال ان قريشا قد جمعوا لك جموعا وجمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اشيروا علي ايها الناس اترون ان اميل على ذراري هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم
فان قعدوا قعدوا موتورين وان نجوا تكن عنقا قطعها الله او ترون ان نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال ابو
بكر يا رسول الله انما جئت عامدا لهذا البيت لا تريد قتال احد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على
اسم الله فنفذوا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين
فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى
اذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل فالحت فقالوا خلات القصواء وما ذاك
لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذي نفسي بيده لا يدعوني قريش اليوم الى خطة يعظمون فيها حرمات الله
وفيها صلة الرحم الا اعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل باقصى الحديبية على ثمد قليل الماء
يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبث الناس ان نزحوه وشكي الناس الى النبي صلى الله عليه وسلم العطش فنزع سهما من
كنانته واعطاه رجلا من اصحابه يقال له ناجية بن عمير وهو سائق بدن النبي صلى الله عليه وسلم فنزل في البير
فغرزه في جوفه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه فبيناهم كذلك اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من
قومه وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لؤي نزلوا
على اعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم
انا لم نجئ لقتال احد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاؤوا ان يدخلوا فيما دخل فيه
الناس فعلوا والا فقد جموا وان هم ابوا فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن
الله امره فقال بديل سابلغهم ما تقول فانطلق حتى اتى قريشا فقال انا جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول
قولا فان شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا ان تخبرنا عنه بشيء وقال ذوو الراي منهم
هات ما سمعته قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود فقال
اي قوم الستم بالوالد قالوا بلى قال ولست بالولد قالوا بلى قال فهل تتهموني قالوا لا قال الستم تعلمون اني
استنفرت اهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم باهلي وولدي ومن اطاعني قالوا بلى قال فان هذا الرجل قد عرض عليكم
خطة رشد فاقبلوها ودعوني اتيه قالوا ائته فاتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل
فقال عروة عند ذلك يا محمد ارايت ان استاصلت قومك فهل سمعت باحد من العرب اجتاح اصله قبلك وان
تكن الاخرى فاني والله لا ارى وجوها واني لارى اشوابا من الناس خليقا ان يفروا ويدعوك فقال له ابو بكر الصديق
امصص بظر اللات انحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قالوا ابو بكر قال والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم
اجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على راس النبي
صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوى عروة بيده الى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده
بالسيف وقال اخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة راسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن
شعبة فقال اي غدر الست اسعى في غدرتك وكان المغيرة قد صحب قوما في الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم ثم جاء
فاسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه في شيء ثم ان عروة جعل يرمق
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل

منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده
وما يحدون النظر اليه تعظيما له وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من كنانة دعوني اتيه فقالوا
ائته فلما اشرف على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم
يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما راى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء ان
يصدوا عن البيت فلما رجع الى اصحابه قال رايت البدن قد قلدت واشعرت فما ارى ان يصدوا عن البيت ثم بعثوا
الى الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الاحابيش فلما راه النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتالهون فابعثوا
الهدي في وجهه حتى يراه فلما راى الهدي يسيل اليه من عرض الوادي في قلائده قد اكل اوباره من طول الحبس عن محله قالوا
له اجلس فانما انت رجل اعرابي لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا
على هذا عاقدناكم ايصد عن بيت الله من جاءه معظما له والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له او لانفرن
بالاحابيش نفرة رجل واحد قالوا مه كف عنا يا حليس حتى ناخذ لانفسنا بما نرضى به فقام رجل منهم يقال له مكرز بن
حفص فقال دعوني اتيه فقالوا ائته فلما اشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي
صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلم النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاء سهيل وقال معمر فاخبرني ايوب عن عكرمة انه لما جاء سهيل قال
النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من امركم قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم
كتابا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل
اما الرحمن فوالله ما ادري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال سهيل لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن هذا البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم والله اني لرسول الله وان كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله قال الزهري وذلك قوله والله لا يسالوني
خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم اياها فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا
على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يامن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وعلى
ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا اخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل
فكتب فقال سهيل وعلى انه لا ياتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف
يرد الى المشركين من جاء مسلما وروى عن البراء قصة الصلح وفيه قالوا لو نعلم انك رسول الله ما منعناك شيئا ولكن انت محمد بن
عبد الله قال انا رسول الله وانا محمد بن عبد الله ثم قال لعلي امح رسول الله قال والله لا امحوك ابدا قال فارنيه فاراه اياه
فمحاه النبي صلى الله عليه وسلم بيده وفي رواية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا
ما قاضى عليه محمد بن عبد الله قال البراء على ثلاثة اشياء على ان من اتاه من المشركين رده اليهم ومن اتاهم من المسلمين لم يردوه
وعلى ان يدخلها من قابل ويقيم ثلاثة ايام ولا يدخلها الا بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه وروى ثابت عن انس
ان قريشا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم فاشترطوا ان من جاء منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقالوا
يا رسول الله انكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا رجعنا
الى حديث الزهري قال فبينما هم كذلك اذ جاء ابو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد انفلت وخرج من اسفل
مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد اول من اقاضيك عليه ان ترده الي فقال النبي صلى الله عليه
وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا لا اصالحك على شيء ابدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فاجزه لي قال
ما انا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل ثم جعل سهيل يجره ليرده الى قريش فقال ابو جندل اي معشر المسلمين

ارد الى المشركين وقد جئت مسلما الا ترون ما لقيت وقد كان عذب في الله عذابا شديدا وفي الحديث ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يا ابا جندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا
بيننا وبين القوم عقدا وصلحا وانا لا نغدر فوثب عمر الى جنب ابي جندل ويقول اصبر يا ابا جندل فانما هم المشركون
ودم احدهم دم كلب ويدني قائم السيف منه قال عمر رجوت ان ياخذ السيف فيضرب به فضن الرجل بابيه وقد
كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا راها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما راوا ذلك دخل الناس امر عظيم حتى كادوا يهلكوا وزادهم امر ابي جندل شرا الى ما بهم قال عمر والله ما شككت منذ
اسلمت الا يومئذ قال الزهري في حديثه عن مروان والمسور ورواه ابو وائل عن سهل بن حنيف قال عمر بن الخطاب
فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت الست نبي الله حقا قال بلى قال السنا على الحق وعدونا على الباطل
قال بلى قلت اليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال اني رسول الله
ولست اعصيه وهو ناصري قلت اولست كنت تحدثنا انا سناتي البيت فنطوف به قال بلى فاخبرتك
انك تاتيه العام قلت لا قال فانك اتيه ومطوف به قال فاتيت ابا بكر فقلت يا ابا بكر اليس هذا نبي الله حقا
قال نعم قلت فلم نعطي الدنية في ديننا قال ايها الرجل انه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه
فوالله انه على الحق قلت اليس كان يحدثنا انه سياتي البيت ويطوف به قال بلى افاخبرك انك تاتيه العام
قال لا قال فانك تاتيه وتطوف به قال الزهري قال عمر فعملت لذلك اعمالا فلما فرغ من قضية الكتاب قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات
فلما لم يقم احد منهم قام فدخل على ام سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت ام سلمة يا نبي الله اتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم
منهم احدا كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم احدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه
فحلقه فلما راوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما قال ابن عباس وابن
عمر حلق رجال يوم الحديبية وقصر اخرون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين قالوا يا رسول
الله والمقصرين قال يرحم الله المحلقين قالوا يا رسول الله والمقصرين قال يرحم الله المحلقين قالوا يا رسول
الله فلم ظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين قال لانهم لم يشكوا قال ابن عمر وذلك انه تربص قوم وقالوا
لعلنا نطوف بالبيت قال ابن عباس واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في هداياه جملا
لابي جهل في راسه برة من فضة ليغيظ المشركين بذلك قال الزهري في حديثه ثم جاء نسوة مؤمنات
فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر
امراتين يومئذ كانتا في الشرك فتزوج احداهما معاوية بن ابي سفيان والاخرى صفوان بن امية قال
فنهاهم ان يردوا النساء وردوا الصداق قال ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاء ابو بصير
عتبة بن اسيد رجل من قريش وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه ازهر بن عبد عوف والاخنس
ابن شريق الثقفي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثا في طلبه رجلا من بني عامر بن لؤي ومعه مولى
لهم فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالا العهد الذي جعلت لنا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا ابا بصير انا قد اعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح لنا في ديننا الغدر وان الله جاعل لك
ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ثم دفعه الى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا ياكلون
من تمر لهم فقال ابو بصير لاحد الرجلين والله اني لارى سيفك هذا جيدا فاستله الاخر فقال اجل والله انه
لجيد لقد جربت به ثم جربت به فقال ابو بصير ارني انظر اليه فاخذه منه فضربه حتى برد وفر الاخر

Copyright © King Saud University

حتى اتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد راى هذا ذعرا فلما انتهى الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال قتل والله صاحبي واني لمقتول فوالله ما برح حتى طلع ابو بصير
متوشحا السيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اوفى الله ذمتك قد رددتني
اليهم انجاني الله منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل امه مسعر حرب لو كان معه احد فلما سمع ذلك عرف
انه يرده اليهم فخرج حتى اتى سيف البحر وبلغ المسلمين الذين كانوا حبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لابي بصير ويل امه مسعر حرب لو كان معه احد فخرج عصابة منهم اليه فانفلت ابو جندل بن سهيل فلحق بابي بصير
حتى اجتمع اليه قريب من سبعين رجلا فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام الا اعترضوا لها
فقتلوهم واخذوا اموالهم فارسلت قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما ارسل اليهم من
اتاه فهو امن فارسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقدموا عليه المدينة وانزل الله عز وجل وهو الذي كف
ايديهم عنكم وايديكم عنهم حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت حميتهم انهم لم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا
بينه وبين هذا البيت اخرجه البخاري بطوله سوى الفاظ منه وهي مستثناة في الحديث منها قوله فنزع
سهما من كنانته واعطاه رجلا من اصحابه الى قوله فوالله ما زال الجيش لهم بالري ومنها قوله ثم بعثوا الحليس بن علقمة
الى قوله فقالوا اكفف عنا يا حليس حتى ناخذ لانفسنا بما نرضى ومنها قوله هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله الى
قوله وعلى ان تخلوا بيننا وبين البيت ومنها قوله ودعوا الى قضية الصلح الى قوله رجعنا الى حديث الزهري
ومنها قوله وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا جندل الى قوله قال عمر فاتيت النبي صلى الله عليه
وسلم فقلت الست نبي الله حقا ومنها قوله ابن عمر وابن عباس الى قوله وقال الزهري في حديثه ثم جاء نسوة مؤمنات
فهذه الالفاظ لم يخرجها البخاري في صحيحه شرح غريب الفاظ الحديث قوله بضع عشرة البضع في العدد بالكسر
وقد يفتح وهو ما بين الثلاثة الى التسعة وقيل ما بين الواحد الى العشرة قوله وبعث عينا له اي جاسوسا
قوله وقد جمعوا لك الاحابيش هم احياء من القارة وانضموا الى بني ليث في محاربتهم قريشا وقيل حلفاء قريش
وهم بنو الهون بن خزيمة وبنو الحرث بن عبد مناة وبنو المصطلق من خزاعة تحالفوا تحت جبل يقال له حبشي
فسموا بذلك وقيل اسم وادي باسفل مكة وقيل سموا بتجمعهم والجيش التجمع قوله فان قعدوا قعدوا موتورين
اي منقوصين قوله فتنقدوا اي مضوا وتخلصوا قوله ان خالد بن الوليد بالغميم اسم موضع ومنه كراع
الغميم قوله طليعة الطليعة الجماعة يبعثون بين يدي الجيش ليطلعوا على اخبار العدو قوله بقترة
الجيش هو الغبار الساطع منه سواد قوله يركض نذيرا النذير الذي يعلم القوم بالامر الحادث قوله
هو حل هو زجر للناقة قوله خلات القصواء يعني انها لما توقفت عن المشي فهي خلات والخلا في
خلقها وهو كالحران للفرس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلات اي ليس ذلك من خلقها ولكن حبسها حابس
الفيل اي منعها عن المسير الذي منع الفيل عن مكة وهو الله تعالى والقصواء اسم ناقة النبي صلى الله عليه وسلم
ولم تكن قصوى وهو شق الاذن قوله خطة اي حالة وقضية يعظمون فيها حرمات الله جمع حرمة وهي
فروضه وما يجب القيام بها يريد بذلك حرمة الحرم ونحوه قوله حتى نزل باقصى الحديبية بتخفيف الياء وتشديدها
وهي قرية ليست بالكبيرة سميت ببير هناك عند مسجد الشجرة وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة
تسع مراحل وقال مالك هي من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل حكاه في المطالع والثمد الماء القليل الذي
لا مادة له والتبرض اخذ الشي قليلا قليلا قوله فما زال الجيش بالري يقال جاشت البير بالماء اذا ارتفعت
وفاضت والري ضد العطش والصدر الرجوع بعد الورود قوله وكانت خزاعة عيبة نصح فلان اذا كان

موضع

موضع سره وثقته في ذلك نزلوا نزلوا اعداد مياه الحديبية اما العداد الكثير الذي لا انقطاع له كالعيون وجمعه اعداد
قوله ومعهم العوذ المطافيل جمع مطفل وهي الناقة التي معها فصيلها وهذا استعارة استعار ذلك للناس واراد به
ان معهم النساء والصبيان قوله وان قريشا قد نهكتهم الحرب اي اضرت بهم واثرت فيهم قوله ماددتهم اي جعلت
بيني وبينهم مدة قوله والا فقد جموا اي استراحوا والجمام بالجيم الراحة بعد التعب قوله تنفرد السالفة
الصفحة والسالفتان صفحتا العنق وقيل السالفة حبل العنق وهو العنق الذي بينه وبين الكتف وهو كناية
عن الموت لانها لا تنفرد عنه الا بالموت قوله اي استنفرت يقال استنفر القوم اذا دعاهم الى قتال العدو
وعكاظ اسم سوق كانت في الجاهلية معروفة قوله بلحوا علي فيه لغتان التخفيف والتشديد وامثل التبليح الاعيا
والفتور والمراد امتناعهم من اجابته وتقاعدهم عليه به قوله استاصلت قومك واجتاح اصله الاجتياح ايقاع
المكروه بالانسان ومنه الجائحة والاستيصال والاجتياح متقاربان في مبالغة الاذى قوله اني لارى
وجوها واشوابا الاشواب مثل الاوباش وهم الاخلاط من الناس والرعاع يقال فلان خليق بذلك اي جدير لا يبعد
ذلك من خلقه قوله امصص بظر اللات هو اسم صنم كانوا يعبدونه والبظر ما تقطعه الخافضة وهي الخاتنة من
الهنة التي تكون في فرج المراة وكان هذا اللفظ شتما لهم يدور في السنتهم قوله لولا يد لك عندي لم اجزك بها وما
تمن بها الانسان على غيره قوله اي غدر معدول عن غادر وهو للمبالغة قوله قد عرض عليكم خطة رشد يقال خطة
رشد وخطة غي والرشد والرشاد خلاف الغي والمراد منه انه قد طلب منكم طريقا واضحا في هدى واستقامة قوله
وهم من قوم يعظمون البدن الابل تهدى الى البيت في حج او عمرة وتقليدها هو ان يجعل في رقابها شي كالقلادة من
الشجر ونعل وغيره ليعلم بذلك انه هدي والاشعار هو ان يشق جانب السنام فيسيل دمه عليه قوله لما راى الهدي
يسيل عليه اي يقبل عليه كالسيل من عرض الوادي اي جانبه قوله هذا مكرز وهو رجل فاجر الفجور الميل
عن الحق وكل انبعاث في شر فهو فجور قوله هذا ما قاضى عليه اي فاعل من القضا وهو احكام الامر وامضاؤه وهو في
اللغة على وجوه مرجعها الى انقطاع الشي وتمامه قوله ضغطة هو كناية عن القهر والضيق قوله بجلبان السلاح
بضم الجيم وسكون اللام مع تخفيف الباء ويروى بضم اللام ايضا مع التشديد وهو وعاء من ادم شبه الجراب يوضع فيه
السيف مغمودا ويعلق في اخرة الرحل قوله يرسف بضم السين وكسرها المشي في القيد قوله فاجزه لي
قال ابن الاثير يجوز ان يكون بالزاي من الاجارة والحماية والحفظ وكلاهما صالح في هذا الموضع قوله فلم نعط
الدنية اي النقيصة التي لا نرضى بها ولا نريد ان لا نرضى بالادون والاقل في ديننا قوله فاستمسك
بغرزه الغرز كالركاب للناقة كالركاب بالسرج للفرس والمعنى فاستمسك به لا تفارقه ساعة كما لا تفارق رجل
الراكب قوله غرزه فانه على الحق الذي لا يجوز لاحد تركه قوله ويل امه هذه كلمة تقال للواقع فيما يكره ويتعجب
بها ايضا ومسعر حرب اي موقدها يقال سعرت النار واسعرتها اذا اوقدتها والمسعر الخشب الذي توقد بها النار
وسيف البحر بكسر السين جانبه وساحله والله اعلم واما التفسير للاية فقوله عز وجل هم الذين كفروا يعني كفار مكة
وصدوكم اي منعوكم عن المسجد الحرام اي ان تطوفوا به والهدي اي وصدوا الهدي وهي البدن التي ساقها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين بدنة معكوفا اي محبوسا ان يبلغ محله اي منحره وحيث يحل نحره وهو
الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يعني المستضعفين بمكة لم تعلموهم اي تعرفوهم ان تطؤوهم اي بالقتل
وتوقعوا بهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم اي اثم وقيل غرم الدية وقيل كفارة قتل الخطا لان الله اوجب على قاتل
المؤمن في دار الحرب اذا لم يعلم ايمانه الكفارة دون الدية وقيل هو ان المشركين يعيبونكم ويقولوا قتلوا اهل دينهم
والمعرة المشقة يقول لولا ان تطؤوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لا تعلمونهم فيلزمكم به كفارة او سبة وجواب

Copyright © King Saud University

لولا محذوف تقديره لاذن لكم في دخول مكة ولكنه حال بينكم وبين ذلك لهذا السبب ليدخل الله في رحمته من يشاء اى في دين الاسلام من يشاء اى من اهل مكة بعد الصلح وقبل دخولها لو تزيلوا اى تميزوا اهل المومنين من الكفار لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما اى بالسبي والقتل بايديكم وقيل لعذبنا جواب لكلامين احدهما لولا رجال والثاني لولا تزيلوا ثم قال ليدخل الله في رحمته من يشاء يعني المومنين والمومنات في رحمته اى في جنته قال قتادة في الاية ان الله تعالى يدفع بالمومنين عن مشركي مكة قوله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية اى الانفة والغضب وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت ومنعوا الهدى محله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وانكروا ان يكون محمد رسول الله وقيل قال اهل مكة قد قتلوا ابناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا فيتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم انافنا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فكانت هذه حمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين اى حتى لا يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصوا الله في قتالهم والزمهم كلمة التقوى قال ابن عباس كلمة التقوى لا اله الا الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال علي وابن عمر كلمة التقوى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال عطاء الخراساني هي لا اله الا الله محمد رسول الله وقال الزهري هي بسم الله الرحمن الرحيم وكانوا احق بها اى من كفار مكة واهلها اى كانوا اهلها في علم الله لان الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اهل الخير والصلاح وكان الله بكل شيء عليما يعني من امر الكفار وما كانوا يستحقونه من العقوبة وامر المومنين وما كانوا يستحقونه من الخير قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق سبب نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى في المنام وهو بالمدينة قبل ان يخرج الى الحديبية انه يدخل المسجد الحرام هو واصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلوا مكة عامهم فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك وقال المنافقون اين رؤياه التي راها فانزل الله هذه الاية ودخلوا في العام المقبل وروي عن مجمع بن جارية الانصاري قال شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الاباعر فقال بعضهم ما بال الناس قالوا اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نوجف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرا انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر او فتح هو يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده ففيه دليل ان المراد من الفتح هو صلح الحديبية وتحقيق الرويا كان في العام المقبل وقوله لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق اخبر ان الرويا التي اراها اياه في مخرجه الى الحديبية انه يدخل هو واصحابه المسجد حق وصدق بالحق اى الذي راه حقا وصدقا وقيل يجوز ان يكون بالحق قسما لان الحق من اسماء الله تعالى او قسما بالحق الذي هو ضد الباطل وجوابه لتدخلن المسجد الحرام وقيل لتدخلن من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه حكاية عن رؤياه فاخبر الله عن رسوله صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك ان شاء الله امنين قيل انما استثنى مع علمه بدخوله تعليما لعباده الادب وتاكيدا لقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وقيل ان يعني اذ مجازه اذ شاء الله وقيل لما لم يقع الدخول في عام الحديبية وكان المومنون يريدون الدخول ويابون الصلح قال لتدخلن المسجد الحرام ولكن لا بقوتكم وارادتكم ولكن بمشيئة الله تعالى وقيل الاستثناء واقع على الامن لا على الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع انه لا يشك في الموت محلقين رؤوسكم اى كلها ومقصرين اى ياخذون من بعض شعوركم لا تخافون اى من عدو في رجوعكم لان قوله امنين في حال الاحرام لانه لا قتال فيه وقوله لا تخافون يرجع الى كمال الامن بعد الاحرام وفي حال الرجوع فعلم ما لم تعلموا يعني علم ان الصلاح كان في الصلح وتاخير الدخول وكون ذلك سبب لوطء المومنين والمومنات وقيل علم ان دخولكم في السنة الثانية ولم تعلموا انتم فظننتم انه في السنة الاولى

فجعل

فجعل من دون ذلك اى من قبل دخولكم الحرم فتحا قريبا يعني صلح الحديبية قاله الاكثرون وقيل هو فتح خيبر قوله عز وجل هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق هذا البيان لصدق الرويا وذلك ان الله لا يري رسوله صلى الله عليه وسلم ما لا يكون فيحدث الناس فيقع خلافه فيكون ذلك سببا للضلال فحقق الله امر الرويا بقوله لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق وبقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق وفيه بيان وقوع الفتح ودخول مكة وهو قوله تعالى ليظهره على الدين كله اى ليعليه ويقويه على الاديان كلها فتصير الاديان كلها دونه وكفى بالله شهيدا اى في انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه تسلية لقلوب المومنين وذلك انهم تاذوا من قول الكفار لو نعلم انه رسول الله ما صددناه عن البيت فقال تعالى وكفى بالله شهيدا انه رسول الله ثم قال محمد رسول الله اى هو محمد رسول الله الذي سبق ذكره في قوله ارسل رسوله قال ابن عباس شهد له بالرسالة ثم ابتدا فقال تعالى والذين معه يعني اصحابه المومنين اشداء على الكفار اى غلاظ اقوياء كالاسد على فريسته لا تاخذهم فيهم رافة رحماء بينهم اى متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالولد مع الوالد كما قال في حقهم اذلة على المومنين اعزة على الكافرين تراهم ركعا سجدا اخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها يبتغون اى يطلبون فضلا من الله يعني الجنة ورضوانا اى ان يرضى عنهم وفيه لطيفة وهو ان المخلص بعمله لله يطلب اجره من الله والمرائي بعمله لا يبتغي له اجرا وذكر بعضهم في قوله والذين معه يعني ابا بكر الصديق اشداء على الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية الصحابة سيماهم اى علامتهم في وجوههم من اثر السجود واختلفوا في هذه السيما على قولين احدهما ان المراد في يوم القيامة قيل هو نور وبياض في وجوههم يعرفون به يوم القيامة انهم سجدوا لله في الدنيا وهو رواية عن ابن عباس وقيل يكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر وقيل يبعثون غرا محجلين يوم القيامة يعرفون بذلك والقول الثاني ان ذلك في الدنيا وذلك انهم استنارت وجوههم بالنهار من كثرة صلاتهم بالليل وقيل هو السمت الحسن والخشوع والتواضع قال ابن عباس ليس بالذي ترون ولكنه سيما الاسلام وسجيته وسمته وخشوعه والمعنى ان السجود اورثهم الخشوع والسمت الحسن يعرفون به وقيل هو صفرة الوجه من سهر الليل في الصلاة ويعرف ذلك في رجلين احدهما سهر الليل في الصلاة والعبادة والاخر في اللهو واللعب فاذا اصبحا ظهر الفرق بينهما فيظهر في وجه المصلي نور وضياء وعلى وجه اللاعب ظلمة وخيال وقيل هو اثر التراب على الجباه لانهم كانوا يصلون على التراب لا على الاثواب قال عطاء الخراساني دخل في هذه الاية كل من حافظ على الصلوات الخمس ذلك مثلهم في التوراة يعني ذلك الذي ذكر من صفتهم في التوراة وتم الكلام هنا ثم ابتدا بذكر نعتهم وصفتهم في الانجيل فقال تعالى ومثلهم اى صفتهم في الانجيل كزرع اخرج شطاه اى فراخه قيل فراخه هو نبت فما خرج بعده فهو شطاه فازره اى قواه واعانه وشد ازره فاستغلظ اى غلظ ذلك الزرع وقوي فاستوى اى تم وتلاحق نباته وقام على سوقه جمع ساق اى على اصوله يعجب الزراع اى يعجب ذلك الزرع زراعه وهذا مثل ضربه الله عز وجل لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل انهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة مثل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في الانجيل انه يخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقيل الزرع محمد صلى الله عليه وسلم اخرج شطاه ابو بكر فازره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى على سوقه علي بن ابي طالب يعجب الزراع يعني جميع المومنين ليغيظ بهم الكفار قيل هو قول عمر بن الخطاب لاهل مكة بعدما اسلم لا نعبد الله سرا بعد اليوم وقيل هو قوتهم وكثرتهم ليغيظ بهم الكفار قال مالك بن انس من اصبح وفي قلبه غيظ على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اصابته هذه الاية

فصل في فضل اصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم عن عائشة قالت سال رجل النبي صلى الله عليه وسلم اي الناس خير قال القرن الذي انا فيه ثم الثاني ثم الثالث قوله خير الناس

Copyright © King Saud University

ثم الذين يلونهم يعني الصحابة ثم التابعين وتابعيهم والقرن اهل كل زمان قيل هو اربعون سنة وقيل ثمانون
وقيل مائة سنة عن عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر في الجنة وعمر بن الخطاب في الجنة
وعثمان بن عفان في الجنة وعلي بن ابي طالب في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وسعد بن ابي وقاص في الجنة وسعيد
ابن زيد في الجنة وابو عبيدة بن الجراح في الجنة اخرجه الترمذي واخرج عن سعيد بن زيد نحوه وقال هذا اصح من
الحديث الاول عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم امتي بامتي ابو بكر واشدهم في امر الله
عمر واشدهم حياء عثمان واقضاهم علي واعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وافرضهم زيد بن ثابت واقرؤهم ابي بن كعب
ولكل قوم امين وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح وما اظلت الخضراء وما اقلت الغبراء اصدق لهجة من ابي ذر اشبه
عيسى في ورعه قال عمر فنعرف له ذلك يا رسول الله قال نعم اخرجه الترمذي مفرقا في موضعين احدهما الى قوله ابو
عبيدة بن الجراح والاخر عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد احدا وابو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم
فقال اثبت احد اراه ضربه برجله فانما عليك نبي وصديق وشهيدان عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اقتدوا بالذين بعدي من اصحابي ابي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد عبد الله بن مسعود اخرجه
الترمذي وقال الحديث غريب ق عن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في جيش ذات السلاسل
قال فاتيته فقلت اي الناس احب اليك قال عائشة قلت من الرجال قال ابوها قلت ثم من قال عمر بن الخطاب فعد رجالا عن علي بن ابي طالب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة وصحبني في الغار واعتق بلالا من
ماله رحم الله عمر يقول الحق وان كان مرا تركه الحق وما له من صديق رحم الله عثمان تستحي منه الملائكة رحم
الله عليا اللهم ادر الحق معه حيث دار اخرجه الترمذي وقال الحديث غريب م عن زر بن حبيش قال سمعت عليا يقول
والذي فلق الحبة وبرا النسمة انه لعهد النبي الامي الي انه لا يحبني الا مؤمن ولا يبغضني الا منافق عن عبد
الله بن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو كان احدكم
انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وعن ابي هريرة نحوه اخرجه مسلم عن عبد الله بن مغفل المزني
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم
فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله فيوشك ان ياخذه اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم لفظة من في قوله منهم لبيان الجنس لا للتبعيض
كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان فيكون معنى الاية وعد الله الذين امنوا من جنس الصحابة وقال ابن جرير يعني
من الشطء لا على لفظه وكذلك لم يقل منه مغفرة واجرا عظيما يعني الجنة وقيل ان المغفرة جزاء الايمان
فان لكل مؤمن مغفرة والاجر العظيم جزاء العمل الصالح والله اعلم تفسير سورة الحجرات مدنية وهي
ثماني عشرة اية وثلثمائة وثلاثة واربعون كلمة والف واربع مائة وستة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله من التقديم اي لا ينبغي لكم ان يصدر منكم تقديم اصلا
وقيل لا تقدموا قولا بين يدي الله ورسوله والمعنى لا تقدموا بين يدي امر الله ورسوله ولا نهيهما وقيل لا تجعلوا
لانفسكم تقدما عند النبي صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى احترام رسول الله صلى الله عليه وسلم والانقياد لاوامره
ونواهيه والمعنى لا تعجلوا بقول او فعل قبل ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم او قبل ان يفعل وقيل
لا تقولوا بخلاف الكتاب والسنة واختلفوا في معنى الاية فروي عن جابر انه في الذبح يوم الاضحى اي لا تذبحوا
قبل ان يذبح النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان ناسا ذبحوا قبل النبي صلى الله عليه وسلم فامروا ان يعيدوا الذبح
ق عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما نبدا به في يومنا هذا ان نصلي ثم نرجع

فننحر

فننحر فمن فعل ذلك فقد اصاب سنتنا ومن ذبح قبل ان يصلي فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك في شيء
زاد الترمذي في اوله قال خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر وذكر الحديث وروي عن عائشة انه في النهي
عن صوم يوم الشك اي لا تصوموا قبل نبيكم عن عمار بن ياسر قال من صام في اليوم الذي يشك فيه فقد عصى ابا
القاسم صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود والترمذي وقال الحديث حسن صحيح وقيل في سبب نزول هذه الاية
ما روي عن عبد الله بن الزبير انه قدم وفد من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امر القعقاع
ابن معبد بن زرارة وقال عمر امر الاقرع بن حابس قال ابو بكر ما اردت الا خلافي وقال عمر ما اردت خلافك فتماريا
حتى ارتفعت اصواتهما فنزل في ذلك يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله حتى انقضت زاد في
رواية فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه حتى يستفهمه اخرجه البخاري وقيل نزلت الاية
في ناس كانوا يقولون لو نزل في كذا وصنع كذا وكذا فكره الله ذلك وقيل في معنى الاية لا تفتاتوا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم بشيء حتى يقضيه الله على لسانه وقيل في القتال وشرائع الدين لا تقضوا امرا دون الله ورسوله
واتقوا الله اي في تضييع حقه ومخالفة امره ان الله سميع لاقوالكم عليم اي بافعالكم قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي لا تجعلوا كلامكم مرتفعا على كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب وذلك لان رفع
الصوت دليل على قلة الاحتشام وترك الاحترام وقوله لا تقدموا نهي عن فعل وقوله لا ترفعوا اصواتكم نهي
عن قول ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض امرهم ان يجلوه ويفخموه ويعظموه ولا يرفعوا اصواتهم عنده
ولا ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا فيقول يا محمد بل يقولون يا رسول الله يا نبي الله ان تحبط اعمالكم اي لئلا تحبط وقيل
مخافة ان تحبط حسناتكم وانتم لا تشعرون اي بذلك ق عن انس بن مالك قال لما نزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية جلس ثابت بن قيس في بيته وقال انا من اهل النار واحتبس عن النبي صلى الله
عليه وسلم فسال النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو ما شان ثابت ايشتكي فقال سعد انه
لجاري وما علمت له شكوى قال فاتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت انزلت هذه
الاية ولقد علمتم اني من ارفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا من اهل النار فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله
عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو من اهل الجنة زاد في رواية فكنا نراه يمشي بين اظهرنا رجل من اهل
الجنة لفظ مسلم وللبخاري نحوه وروي لما نزلت هذه الاية قعد ثابت في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال
ما يبكيك يا ثابت قال هذه الاية اتخوف ان تكون نزلت في وانا رفيع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم اخاف
ان يحبط عملي وان اكون من اهل النار فمضى عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابتا البكاء فاتى امراته
جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرسي فشدي علي الضبة بمسمار فضربته بمسمار
وقال لا اخرج حتى يتوفاني الله او يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبره فاتى عاصم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال اذهب فادعه لي فجاء عاصم الى المكان الذي راه فيه فلم يجده فجاء الى اهله فوجده في بيت الفرس
فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فخرج فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال انا صيت واتخوف ان تكون هذه الاية نزلت في فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى
الله ورسوله لا ارفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدا فانزل الله ان الذين يغضون اصواتهم عند
رسول الله الاية قال انس فكنا ننظر الى رجل يمشي بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة راى ثابت
من المسلمين بعض الانكسار وانهزمت طائفة منهم فقال اف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة ما كنا

من اهل الجنة

Copyright King Saud University

نقاتل اعدا الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فرآه
رجل من الصحابة بعد موته في المنام وانه قال له اعلم ان فلانا رجل من المسلمين نزع درعي فذهب به وهي في ناحية من
العسكر عند فرس يستن في طيله وقد وضع على درعي برمة فات خالد بن الوليد فاخبره حتى يسترد درعي وات ابا بكر
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان علي دينا حتى يقضي عني وفلان من رقيقي عتيق فاخبر الرجل خالدا فوجد
الدرع والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع واخبر خالد ابا بكر بتلك الرويا فاجاز ابو بكر وصيته قال مالك بن انس لا اعلم
وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه قال ابو هريرة وابن عباس لما نزلت هذه الاية كان ابو بكر لا يكلم رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا كاخي السرار وقال ابن الزبير لما نزلت هذه الاية ما حدث عمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فيسمع النبي
صلى الله عليه وسلم كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته فانزل الله تعالى ان الذين يغضون اي يخفضون اصواتهم عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعاجلالا له وتعظيما **اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى** اي اختبرها واخلصها كما يمتحن الذهب بالنار ليخرج
خالصه **لهم مغفرة واجر عظيم** قوله عز وجل **ان الذين ينادونك من وراء الحجرات** قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم سرية الى العنبر وامر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة
وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاهم بعد ذلك يفدون رجالهم الذراري فقدموا وقت الظهيرة
ووافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قايلا في اهله فلما راتهم الذراري اجهشوا الى ابايهم يبكون وكان لكل امراة
من نسا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة فعجلوا ان يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يا محمد
اخرج الينا حتى ايقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يا محمد عيالنا فنزل جبريل فقال ان الله يامرك ان تجعل بينك وبينهم
رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اترضون ان يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم فقالوا نعم
قال سبرة انا لا احكم وعمي شاهد وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال الاعور ارى ان تفادي
نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم واعتق نصفهم
فانزل الله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات **اكثرهم لا يعقلون** وصفهم بالجهل وقلة العقل وقيل في معنى
الاية اكثرهم اشارة الى من يرجع منهم عن ذلك الامر ومن لا يرجع فيستمر على حاله وهو الاكثر **ولو انهم صبروا حتى
تخرج اليهم** فيه بيان لحسن الادب وهو خلاف ما جاوا به من سوء الادب وطلب العجلة في الخروج **لكان خيرا لهم**
اي الصبر لانك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فدا وقال لكان احسن لادب في طاعة الله وطاعة رسوله
خير لهم وقيل نزلت الاية في ناس من اعراب تميم وكان فيهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن والزبرقان بن
بدر فنادوا على الباب ويروى ذلك عن جابر قال جات بنو تميم فنادوا على الباب فقالوا يا محمد اخرج علينا
فان مدحنا زين وذمنا شين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول انما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه
شين قالوا نحن ناس من تميم جينا بشاعرنا وخطيبنا جينا نشاعرك ونفاخرك فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخار امرت ولكن هاتوا فقام منهم شاب فذكر فضله وفضل قومه فقال النبي صلى
الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قم فاجبه وقام شاعرهم
فذكر ابياتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان اجبه فاجابه فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمدا لموفى له
تكلم خطيبنا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم اشعر واحسن قولا ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشهد ان لا اله
الا الله وانك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان قبل هذا ثم اعطاهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكساهم وقد كان تخلف في ركابهم عمرو بن الاهتم فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما اعطاهم
فازرى به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم يا ايها الذين امنوا

لا ترفعوا

لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الايات الى قوله **والله غفور رحيم** لمن تاب منهم قال زيد بن ارقم جا ناس من العرب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن اسعد الناس به
وان يكن ملكا نعش في جناحه فجاوا فجعلوا ينادونه يا محمد يا محمد فانزل الله هذه الاية قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا ان
جاكم فاسق بنبا فتبينوا** الاية نزلت في الوليد بن عقبة بن ابي معيط بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني
المصطلق بعد الوقعة وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لامر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وارادوا قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ان يغزوهم فبلغ
القوم رجوع الوليد فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه
ونودي اليه ما قبلناه من حق الله فبدا له الرجوع فخشينا انما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا
وانا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفية
في عسكر وامره ان يخفي عليهم قدومه وقال انظر فان رايت ما يدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة اموالهم وان لم تر ذلك
فاستعمل فيهم ما تستعمل في الكفار فبلغ ذلك خالد فدخل فاتاهم وسمع منهم اذان المغرب والعشا فاخذ منهم صدقاتهم
ولم ير منهم الا الطاعة والخير فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فانزل الله تعالى يا ايها الذين
امنوا ان جاكم فاسق يعني الوليد بن عقبة وهو عام نزلت لبيان التثبيت وترك الاعتماد على قول الفاسق وهو
اولى من حمل الاية على رجل بعينه لان الفسوق خروج عن الحق ولا يظن بالوليد ذلك الا انه ظن وتوهم
فاخطى فعلى هذا يكون ان جاكم فاسق بنبا اي بخبر فتبينوا وقرى فتثبتوا اي فتوقفوا واطلبوا بيان الامر
وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا على كلام الفاسق **ان تصيبوا** اي كيلا تصيبوا بالقتل والسبي **قوما بجهالة**
اي جاهلين حالهم وحقيقة امرهم **فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** اي من اصابتكم بالخطاب **واعلموا ان فيكم
رسول الله** اي فاتقوا الله ان تقولوا باطلا او تكذبوه فان الله يخبره ويعرفه حالكم فتفتضحوا **لو يطيعكم** اي الرسول
في كثير من الامر اي مما تخبرونه به فيحكم برايكم **لعنتم** اي لاثمتم وهلكتم عن ابي سعيد الخدري انه قرا واعلموا
ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم قال هذا نبيكم يوحى اليه وخيار ايمتكم لو اطاعهم في كثير من الامر
لعنتوا فكيف بكم اليوم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب **ولكن الله حبب اليكم الايمان** اي جعله احب
الاديان اليكم **وزينه** اي حسنه وقربه منكم وادخله **في قلوبكم** حتى اخترتموه لان من احب شيا اذا طال عليه
تقادم عهده قل حسنه وثباته وبدلك تطيعون رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان في كل يوم قد يزداد في القلب حسنا وهذا لطيفة
وكره اليكم الكفر والفسوق قال ابن عباس يريد الكذب **والعصيان** جميع معاصي الله تعالى
وهو ان الله تعالى ذكر هذه الثلاثة اشيا في مقابلة الايمان الكامل المزين في القلب المحبب اليه والايمان
الكامل ما اجتمع فيه ثلاثة امور تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان فقوله وكره اليكم
الكفر وهو الكذب في مقابلة الاقرار باللسان فكره الى عبده المومن الكذب وهو الجحود وحبب اليه الاقرار
بشهادة الحق والصدق وهي لا اله الا الله والعصيان جعله في مقابلة العمل بالاركان ثم قال تعالى **اولئك
هم الراشدون** اشارة الى المومنين المحبب اليهم الايمان المزين في قلوبهم اي اولئك هم المهتدون الى محاسن
الافعال ومكارم الاخلاق **فضلا من الله** اي فعل ذلك بكم فضلا منه ونعمة عليكم **والله عليم** اي بكم وبما في
قلوبكم **حكيم** في امره بما تقتضيه الحكمة وقيل عليم بما في خزاينه من الخير والرحمة والفضل والنعمة حكيم بانزاله من الخير
بقدر الحاجة اليه على وفق الحكم قوله عز وجل **وان طايفتان من المومنين اقتتلوا** عن انس قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University

واتيت عبد الله بن ابي فانطلق اليه النبي صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهي ارض سبخة
فلما اتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال اليك عني والله لقد اذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول
الله صلى الله عليه وسلم اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فتشاتما فغضب لكل واحد منهما اصحابه
فكان بينهم ضرب بالجريد والايدي والنعال فبلغنا انها نزلت فيهم وان طائفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا
بينهما ويروى انها لما نزلت قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض ق عن اسامة بن
زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه اكاف تحته قطيفة فدكية واردف اسامة بن زيد وراءه
يعود سعد بن عبادة في بني الحرث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال فسار حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن ابي بن سلول
وذلك قبل ان يسلم عبد الله بن ابي واذا في المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفي المسلمين
عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابي انفه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم وقف فنزل فدعاهم الى الله تعالى وقرا عليهم القران فقال عبد الله بن ابي بن سلول ايها
المرء انه لا احسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذونا به في مجالسنا وارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله
ابن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا في مجالسنا فانا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون
فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته وذكر الحديث وقال قتادة نزلت
في رجلين من الانصار كان بينهما مماراة في حق بينهما فقال احدهما للاخر لاخذن حقي منك عنوة لكثرة عشيرته وان
الاخر دعاه ليحاكمه الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى ان يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا
بالايدي والنعال ولم يكن قتال بالسيوف وقيل كانت امراة من الانصار يقال لها ام زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها
شيء فرقي بها الى علية فحبسها فيها فبلغ ذلك قومها فجاءوا وجاء قومه فاقتتلوا بالايدي والنعال فانزل الله عز وجل وان طائفتان
من المومنين اقتتلوا قيل المراد من الطائفتين الاوس والخزرج فاصلحوا بينهما اي بالدعاء الى حكم كتاب الله والرضى بما فيه
لهما وعليهما فان بغت اي تعدت احداهما على الاخرى وابت الاجابة الى حكم كتاب الله فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء اي
ترجع الى امر الله اي الى كتابه الذي جعله حكما بين خلقه وقيل ترجع الى طاعته في الصلح الذي امر به فان فاءت اي رجعت
الى الحق اي الذي يحملها على الانصاف والرضى بحكم الله واقسطوا اي اعدلوا ان الله يحب المقسطين اي العادلين انما فاصلحوا بينهما بالعدل
المومنون اخوة اي في الدين والولاية وذلك ان الايمان قد عقد بين اهله من النسب والقرابة كعقد النسب
الملاصق وان بينهم ما بين الاخوة من النسب والاسلام لهم كالاب قال بعضهم ابي الاسلام لا اب لي سواه
اذا افتخروا بقيس او تميم فاصلحوا بين اخويكم اي اذا اختلفا واقتتلا واتقوا الله اي فلا تعصوه ولا تخالفوا
امره لعلكم ترحمون ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه
ومن كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها كربة من كرب يوم القيامة ومن
ستر مسلما ستره الله يوم القيامة

فصل في حكم قتال البغاة قال العلماء في هاتين الايتين دليل على ان
البغي لا يزيل اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مومنين مع انهم باغين ويدل عليه ما روي عن علي بن
ابي طالب وهو القدوة في قتال اهل البغي وقد سئل عن اهل الجمل وصفين فقيل امشركون هم فقال لا انهم
من الشرك فروا فقيل امنافقون هم فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا
علينا والباغي في الشرع هو الخارج على الامام العدل فاذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا
عن طاعة الامام العدل بتاويل محتمل ونصبوا لهم اماما فالحكم فيهم ان يبعث اليهم الامام ويدعوهم الى طاعته
فان اظهروا مظلمة ازالها عنهم وان لم يذكروا مظلمة واصروا على البغي قاتلهم الامام حتى يفيئوا الى الطاعة

ثم

ثم الحكم في قتالهم ان لا يتبع مدبرهم ولا يقتل اسيرهم ولا يذفف على جريحهم نادى منادي علي يوم الجمل الا لا يتبع مدبر ولا يقتل
اسير ولا يذفف على جريح وهو بالذال المعجمة وهو الاجهاز على الجريح وتحرير قتله وتتميمه واتي علي يوم صفين باسير
فقال لا اقتلك صبرا اني اخاف الله رب العالمين وما اتلفت احدى الطائفتين على الاخرى في حال القتال من نفس ومال
فلا ضمان عليهم قال ابن شهاب كانت في تلك الفتنة دماء يعرف في بعضها القاتل والمقتول واتلف فيها اموال ثم صار الناس
الى ان سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فما رايته اقتص من احد ولا اغرم مالا اما من لم يجتمع فيه هذه الشروط الثلاثة
بان كانوا جماعة قليلين لا منعة لهم او لم يكن لهم تاويل او لم ينصبوا اماما فلا يتعرض لهم ان لم ينصبوا قتالا او لم يتعرضوا للمسلمين
فان فعلوا ذلك فهم كقطاع الطريق في الحكم وروي ان عليا سمع رجلا يقول في ناحية المسجد لا حكم الا لله فقال علي كلمة حق اريد
بها باطل لكم علينا ثلاث لا نمنعكم مساجد الله ان تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفيء ما دامت ايديكم مع ايدينا ولا نبداكم بقتال
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم الاية نزلت في ثلاثة اسباب السبب الاول من اولها الى قوله خيرا منهم قال
ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك انه كان في اذنه وقر فكان اذا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
سبقوه بالمجلس اوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر
فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة اخذ اصحابه مجالسهم فضن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع احد لاحد وكان
الرجل اذا جاء فلم يجد مجلسا قام قائما كما هو فلما فرغ ثابت من الصلاة اقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب
الناس ثم يقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح
فقال له اصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا قال انا فلان
فقال له ثابت ابن فلانة وذكر اما له كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل راسه واستحيا فانزل الله هذه الاية وقال الضحاك
نزلت في وفد بني تميم الذين ذكرناهم وكانوا يستهزئون بفقراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال
وصهيب وسلمان وسالم مولى ابي حذيفة لما راوا من رثاثة حالهم فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم اي
لا يستهزئ غني بفقير ولا مستور عليه ذنبه بمن لم يستر ولا ذو حسب بلئيم واشباه ذلك مما ينتقصه به ولعله عند الله خير
منه وهو قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم السبب الثاني قوله تعالى ولا نساء من نساء اي ولا يستهزئ نساء من نساء عسى ان
يكن خيرا منهن وروي عن انس انها نزلت في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عيرن ام سلمة بالقصر وعن ابن عباس انها
نزلت في صفية بنت حيي قال لها بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم يهودية بنت يهوديين عن انس قال بلغ صفية ان حفصة
قالت بنت يهودي فبكت فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك قالت قالت لي حفصة اني
بنت يهودي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لابنة نبي وان عمك لنبي وانك لتحت نبي ففيم تفخر عليك ثم قال اتقي الله يا حفصة
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب السبب الثالث قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب
عن ابي جبيرة بن الضحاك وهو اخو ثابت بن الضحاك الانصاري قال فينا نزلت هذه الاية في بني سلمة قدم علينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وليس منا رجل الا وله اسمان او ثلاثة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا فلان فيقولون مه
يا رسول الله انه يغضب من هذا الاسم فانزل الله هذه الاية ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان
اخرجه ابو داود والترمذي قال كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة فيدعى ببعضها فعسى ان يكره قال فنزلت هذه الاية
ولا تنابزوا بالالقاب قال الترمذي حديث حسن قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم اي لا يعب بعضكم بعضا ولا يطعن
بعضكم على بعض والمراد بالانفس الاخوان هاهنا والمعنى لا تعيبوا اخوانكم من المسلمين لانهم كانفسكم فاذا عاب عائب لاحد
بعيب فكانه عاب نفسه وقيل لا يعب الواحد منكم غيره فاذا عاب غيره فيكون حاملا لذلك على عيبه فكانه هو العائب لنفسه ولا
تنابزوا بالالقاب اي لا يدعو الانسان بغير ما سمي به قال ابن عباس التنابز بالالقاب ان يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب

Copyright © King Saud University

نهي ان يعير بما سلف من عمله وقيل هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر وقيل كان الرجل اليهودي والنصراني
يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك وقيل هو ان تقول لاخيك يا كلب يا حمار يا خنزير قال العلماء
المراد بهذه الالقاب ما يكرهه المنادى به اما الالقاب التي صارت كالاعلام لاصحابها كالاعمش والاعرج وما اشبه ذلك
فلا باس به اذا لم يكرهه المدعو به واما الالقاب التي تكسب حمدا ومدحا وتكون حقا وصدقا فلا يكره كما قيل لابي بكر
عتيق ولعمر الفاروق ولعثمان ذي النورين ولعلي ابو تراب ولخالد سيف الله ونحو ذلك **بئس الاسم الفسوق بعد الايمان**
اي بئس الاسم ان تقول له يا يهودي ويا نصراني بعدما اسلم ويا فاسق بعدما تاب وقيل معناه ان فعل ما نهي
من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق وبئس الاسم الفسوق بعد الايمان فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق **ومن لم
يتب** اي عن ذلك كله **فاولئك هم الظالمون** الضارون لانفسهم بمعصيتهم ومخالفتهم وقيل اظلم من الذين قالوا لهم ذلك قوله
عز وجل **يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن** قيل نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا غزا او سافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين في بعض اسفاره فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فنام فلم يهيئ
لهما شيئا فلما قدما قالا له ما صنعت شيئا قال لا غلبتني عيناي قالا له انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب
لنا منه طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساله طعاما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
انطلق الى اسامة بن زيد وقل له ان كان عنده فضل طعام وادام فليعطيك وكان اسامة خازن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعلى رحله فاتاه فقال ما عندي شيء فرجع سلمان اليهما فاخبرهما فقالا كان عند اسامة ولكن بخل فبعثا
سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالوا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان
هل عند اسامة ما امر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما قالا والله يا رسول
الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتما تاكلان لحم سلمان واسامة فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا اجتنبوا
كثيرا من الظن يعني ان يظن باهل الخير سوءا فنهى الله المؤمن ان يظن باخيه المؤمن شرا وقيل ان يسمع من اخيه المسلم كلاما
لا يريد به سوءا او يدخل مدخلا لا يريد به سوءا فيراه اخوه المسلم فيظن به سوءا لان بعض الفعل قد يكون في الصورة قبيحا
وفي نفس الامر لا يكون كذلك لجواز ان يكون الرائي مخطئا فاما اهل السوء والفسق المجاهرين بذلك فلنا ان نظن
فيهم مثل الذي يظهر منهم **ان بعض الظن اثم** قال سفيان الثوري الظن ظنان احدهما اثم وهو ان يظن ويتكلم
به والاخر ليس باثم وهو ان يظن ولا يتكلم به وقيل الظن انواع فمنه واجب ومامور به وهو الظن الحسن
بالله عز وجل ومنه مندوب اليه وهو الظن الحسن بالاخ المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محظور وهو
سوء الظن بالله عز وجل وسوء الظن بالاخ المسلم **ولا تجسسوا** اي لا تبحثوا عن عيوب الناس نهى الله عن
البحث عن المستور من امور الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها (ق) عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تحاسدوا
ولا تنافسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا كما امركم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى
ههنا ويشير الى صدره بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه
وماله ان الله لا ينظر الى اجسادكم ولا الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم التجسس بالجيم التفتيش عن بواطن
الامور واكثر ما يقال في الشر ومنه الجاسوس وبالحاء هو الاستماع الى حديث الغير وقيل معناهما واحد وهو طلب
الاخبار قوله ولا تنافسوا اي لا ترغبوا فيما يرغب فيه الغير من اسباب الدنيا وحظوظها والحسد تمني زوال
النعمة عن صاحبها قوله ولا تدابروا اي لا يعطي كل واحد منكم اخاه دبره وقفاه فيعرض عنه ويهجره عن ابن
عمر قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع يا معشر من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان

الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن
يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله قال نافع ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما اعظمك واعظم حرمتك
والمؤمن اعظم حرمة عند الله منك اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن زيد بن وهب قال اتي
ابن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شيء ناخذ
به اخرجه ابو داود وله عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من راى عورة فسترها كان كمن احيا
موءودة (م) عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يستر عبد عبدا في الدنيا الا ستره الله يوم القيامة قوله
تعالى **ولا يغتب بعضكم بعضا** لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل افرايت ان كان في اخي
ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته اخرجه مسلم عن عائشة قالت قلت للنبي
صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعني قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته
قالت وحكيت له انسانا فقال ما احب اني حكيت انسانا وان لي كذا وكذا اخرجه ابو داود والترمذي وقال
حديث حسن صحيح قوله لمزجته اي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه او ريحه لشدة نتنها وقبحها وهذا الحديث
من ابلغ الزواجر عن الغيبة قوله تعالى **ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه** قال مجاهد لما قيل لهم ايحب احدكم
ان ياكل لحم اخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه اي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بسوء غائبا قال الزجاج تاويله ان ذكرك
لمن لم يحضرك بسوء بمنزلة اكل لحمه وهو ميت لانه لا يحس بذلك وفيه اشارة الى ان عرض الانسان كلحمه ودمه لان الانسان
يتالم قلبه اذا ذكر بسوء كما يتالم جسده اذا قطع لحمه والعرض اشرف من اللحم فاذا لم يحسن من العاقل اكل لحوم الناس
فترك اعراضهم اولى وقوله لحم اخيه اكد في المنع لان العدو قد يحمله الغضب على اكل لحم عدوه وقوله ميتا ابلغ في
الزجر عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم
ولحومهم وفي نسخة وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في
اعراضهم اخرجه ابو داود وقال ميمون بن سياه بينا انا نائم اذا بجيفة زنجي وقائل يقول كل قلت يا عبد الله وما اكل
قال بما اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال لا ولكنك استمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب
احدا ولا يدع احدا يغتاب احدا عنده قوله تعالى **واتقوا الله** في امر الغيبة واجتناب نواهيه **ان الله تواب رحيم**
قوله عز وجل **يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى** قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقوله في
الرجل الذي لم يتفسح له ابن فلانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة قال ثابت انا يا رسول الله
قال انظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رايت يا ثابت قال رايت ابيض واحمر واسود قال فانك
لا تفضلهم الا بالدين والتقوى فنزلت في ثابت هذه الاية ونزل في الذي لم يتفسح له يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم
تفسحوا في المجالس فافسحوا الاية وقيل لما كان يوم فتح مكة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر
الكعبة واذن فقال عتاب بن اسيد بن العيص الحمد لله الذي قبض ابي ولم ير هذا اليوم وقال الحرث بن هشام
اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال سهيل بن عمرو ان يرد الله شيئا يغيره وقال ابو سفيان اني لا اقول
شيئا اخاف ان يخبر به رب السماء فاتى جبريل فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا وسالهم عما قالوا فاقروا
فانزل الله هذه الاية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازراء بالفقراء فقال يا ايها الناس انا
خلقناكم من ذكر وانثى يعني ادم وحواء والمعنى انهم متساوون في النسب فلا تفاخر لبعض على بعض لكونكم ابناء رجل
واحد وامراة واحدة وقيل يحتمل ان يكون المعنى انا خلقنا كل واحد منكم ايها الموجودون من اب وام فان كل واحد منكم

Copyright © King Saud University

خلق كما خلق الاخر سوا فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب وجعلناكم شعوبا جمع شعب بفتح الشين وهي رؤس القبايل
من ربيعة ومضر والاوس والخزرج سموا شعوبا لتشعب القبايل منهم وقيل لتجمعهم وقبايل جمع قبيلة وهي دون الشعوب
كبكر من ربيعة وتميم من مضر ودون القبايل العماير واحدتها عمارة بفتح العين وهم كشيبان من بكر ودارم من تميم ودون
العماير البطون واحدها بطن وهم كبني غالب ولوي من قريش ودون البطون الافخاذ واحدها فخذ وهم كبني هاشم
وبني امية من لوي ودون الافخاذ الفصايل واحدها فصيلة بالصاد المهملة كبني العباس وبني هاشم ثم بعد ذلك العشاير
واحدها عشيرة وليس بعد العشيرة شي يوصف وقيل الشعوب من العجم والقبايل للعرب الذين ينتسبون الى ابايهم
لتعارفوا اي ليعرف بعضكم بعضا في قرب النسب وبعده لا للتفاخر ولا للانساب ثم بين الخصلة التي بها يفضل
الانسان على غيره ويكتسب بها الشرف عند الله تعالى فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم قيل اكرم الكرم التقوى والام
الالم الفجور وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنا وكرم الاخرة التقوى عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الحسب المال والكرم التقوى اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن ابي هريرة قال سيل رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي الناس اكرم قال اكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسالك قال فاكرم الناس يوسف
نبي الله بن نبي الله بن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسالك قال فعن معادن العرب تسالوني قالوا نعم قال فخيارهم
في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا افقهوا بضم القاف على المشهور وحكي كسرها ومعناه اذا تعلموا احكام الشرع
عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركان بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخا
فنزل على ايدي الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله واثنى عليه وقال الحمد لله الذي اذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها
يا ايها الناس رجلان بر تقي كريم على الله وكافر شقي هين على الله ثم تلا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ثم قال اقول
هذا واستغفر الله لي ولكم المحجن عصا محنية الراس كالصولجان وقوله عبية الجاهلية يعني كبرها وفخرها ان الله
عليم اي بظواهركم يعلم انسابكم خبير اي ببواطنكم لا يخفى عليه اسراركم فاجعلوا التقوى زادكم الى معادكم قيل
المتقي هو العالم بالله المواظب لبابه المتقرب الى جنابه وقيل حد التقوى ان يجتنب العبد المناهي ويأتي بالاوامر
والفضايل ولا يغتر ولا يامن فان اتفق ان يرتكب منهيا لا يامن ولا ييأس بل يتبعه بحسنة ويظهر توبته وندامته ومن
ارتكب منهيا ولم يجتنب في الحال والكل على المهلة وغره طول الامل فليس بمتقي لان المتقي لم يترك ما امر به ويترك ما نهي
عنه وهو مع ذلك خاشع لله خايف منه لا يشتغل بغير الله تعالى فان اتفق غفلة الى نفسه واهله ولا جعل
ذلك فينبه واستغفر منه وجدد توبة جعلنا الله واياكم من المتقين قوله تعالى قالت الاعراب امنا الاية في نفر من بني اسد
ابن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة مجدبة فاظهروا الاسلام ولم يكونوا مومنين في السر فافسدوا
طرق المدينة بالعذرات واغلوا اسعارها وكانوا يغدون ويروحون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون اتتك
العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجيناك بالاثقال والعيال والذراري ولم نقاتلك كما قاتلك بنو
فلان وبنو فلان يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويريدون الصدقة ويقولون اعطنا فانزل
الله فيهم هذه الاية وقيل هم الاعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا يقولون
امنا ليامنوا على انفسهم واموالهم فلما استنفروا الى الحديبية تخلفوا عنها فانزل الله عز وجل قالت الاعراب امنا اي
صدقنا قل لم تؤمنوا اي لم تصدقوا بقلوبكم ولكن قولوا اسلمنا اي استسلمنا وانقدنا مخافة القتل والسبي ولما
يدخل الايمان في قلوبكم اخبر ان حقيقة الايمان هو التصديق بالقلب وان الاقرار باللسان واظهار شرايعه بالابدان
لا يكون ايمانا بالتصديق بالقلب والاخلاص ق عن سعد بن ابي وقاص قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا
وانا جالس فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم هو اعجبهم الي فقمت فقلت ما لك عن فلان والله اني لاراه مومنا

فقال

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مسلما ذكر ذلك ثلثا وقال اني لاعطي الرجل وغيره احب الي منه خشية ان يكب في النار
على وجهه زاد في رواية قال الزهري فنرى ان الاسلام الكلمة والايمان العمل والايمان التام لفظ الحميدي اعلم ان الاسلام
هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة فمن الاسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والجنان لقوله
عز وجل لابراهيم عليه السلام اسلم قال اسلمت لرب العالمين ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله ولكن
قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وقيل الايمان هو التصديق بالقلب مع الثقة وطمانينة النفس عليه والاسلام هو الدخول
في السلم والخروج من ان يكون حربا للمسلمين مع اظهار الشهادتين **فان قلت** المومن والمسلم واحد عند
اهل السنة فكيف يفهم ذلك مع هذا القول **قلت** بين العام والخاص فرق فالايمان لا يحصل الا بالقلب وقد
يحصل باللسان فالاسلام اعم والايمان اخص لكن العام في صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون امرا غيره فالعام والخاص
مختلفان في العموم والخصوص متحدان في الوجود فكذلك المومن والمسلم قوله تعالى وان تطيعوا الله ورسوله اي ظاهرا وباطنا سرا
وعلانية وقال ابن عباس تخلصوا الايمان لا يلتكم اي لا ينقصكم من اعمالكم شيا اي من ثواب اعمالكم ان الله غفور رحيم
ثم بين حقيقة الايمان فقال تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا اي لم يشكوا في دينهم وجاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون اي في ايمانهم فلما نزلت هاتان الايتان اتت الاعراب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يحلفون انهم مومنون صادقون وعرف الله منهم غير ذلك فانزل الله تعالى قل اتعلمون الله بدينكم اي اتخبرون الله
بدينكم الذي انتم عليه والله يعلم ما في السموات وما في الارض اي لا يخفى عليه خافية والله بكل شي عليم اي لا يحتاج الى اخباركم يمنون
عليك ان اسلموا اي هو قولهم اسلمنا ولم نحاربك يمنون بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بين بذلك ان اسلامهم
لم يكن خالصا قل لا تمنوا علي اسلامكم اي لا تعتدوا علي باسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان اي بل الله عليكم ان ارشدكم
وامدكم بتوفيقه حيث هداكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم وهو قوله تعالى ان كنتم صادقين اي انكم مومنين ان الله يعلم
غيب السموات والارض اي انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شي في السموات والارض فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم سركم
وعلانيتكم والله بصير بما تعملون اي بجوارحكم الظاهرة والباطنة والله اعلم

تفسير سورة ق مكية وهي
خمس واربعون اية وثلثماية وسبع وخمسون كلمة والف واربعماية واربعة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل ق قال ابن عباس هو قسم وقيل اسم للسورة وقيل اسم من اسما الله وقيل هو مفتاح اسمه القدير
والقادر والقاهر والقريب والقابض والقدوس والقيوم وقيل معناه قضي الامر وقضي ما هو كاين
وقيل هو جبل محيط بالارض من زمردة خضرا متصلة عروقه بالصخرة التي عليها الارض والسما كهيئة
القبة وعليه كنفاها وخضرة السما منه والعالم داخله ولا يعلم ما وراه الا الله تعالى وقيل هو من ورا
الحجاب الذي تغيب الشمس من ورايه بمسيرة سنة والقران المجيد اي الشريف الكريم على الله الكثير الخير والبركة
واختلفوا في جواب القسم فقيل جوابه محذوف تقديره لتبعثن وقيل جوابه بل عجبوا وقيل ما يلفظ من قول وقيل
قد علمنا بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو انه يخوفهم رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم
وعدالته وامانته وصدقه فقال الكافرون هذا شي عجيب اي معجب غريب ائذا متنا وكنا ترابا اي حين نموت
ونبلى نبعث ترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه ذلك رجع بعيد اي بعيد ان نبعث بعد الموت قال الله تعالى
قد علمنا ما تنقص الارض منهم اي ما تاكل الارض من لحومهم ودمايهم وعظامهم لا يعزب عن علمنا شي وعندنا
كتاب حفيظ يعني محفوظ من التغيير والتبديل وقيل حفيظ بمعنى حافظ اي حافظ لعددهم
واسمايهم ولما تنقص الارض منهم وهو اللوح المحفوظ وقد اثبت فيه ما يكون بل كذبوا بالحق اي القران لما جاءهم قيل
معناه كذبوا به لما جاءهم وقيل كذبوا المنذر لما جاءهم فهم في امر مريج اي مختلط ملتبس قيل معنى اختلاط امرهم

Copyright © King Saud University

هو قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم مجنون ويقولون في القرآن مرة سحر ومرة رجز ومرة
مفترى فكان امرهم مختلطا ملتبسا عليهم وقيل في هذه الآية من ترك الحق مرج عليه امره والتبس عليه دينه وقيل ما ترك
قوم الحق الا مرج عليهم امرهم ثم دلهم على عظيم قدرته فقال تعالى افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها اى بغير
عمد وزيناها اى بالكواكب وما لها من فروج اى شقوق وصدوع والارض مددناها اي بسطناها على وجه الما
والقينا فيها رواسي اى جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج بهيج اى من كل صنف حسن كريم يبتهج بها اى يسر به تبصرة
اى جعلنا ذلك تبصرة وذكرى اى تذكرة لكل عبد منيب اى راجع الى الله تعالى والمعنى ليبتصر ويتذكر به من اناب ونزلنا
من السماء ماء مباركا اى كثير الخير والبركة فيه حياة كل شي وهو المطر فانبتنا به اى بذلك الماء جنات اى بساتين وحب
الحصيد يعني البر والشعير وسائر الحبوب التي تحصد والنخل باسقات اى طوالا وقيل مستويات لها طلع اى ثمر يطلع
ويظهر ويسمى طلعا قبل ان ينشق نضيد اى متراكب بعضه على بعض في اكمامه فاذا انشق وخرج من اكمامه فليس
بنضيد رزقا اى جعلنا ذلك رزقا للعباد واحيينا به اى بالمطر بلدة ميتا فانبتنا الكلا والعشب كذلك الخروج اى من
القبور احيا بعد الموت قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة
قيل كان لوط مرسلا الى طايفة من قوم ابراهيم فلذلك قال واخوان لوط وقوم تبع وهو ابو كرب تبع الحميري وقد تقدم قصص جميعهم
قيل ذم الله قوم تبع ولم يذمه وذم فرعون لانه هو المكذب المستحق لقومه فلهذا اختص بالذكر دون قومه كل كذب الرسل
فحق وعيد اى كل هولاء المذكورين كذبوا رسولهم فحق وعيدا اى وجب لهم عذابي وقيل فحق وعيد المرسل بالنصر
افعيينا بالخلق الاول هذا جواب لقولهم ذلك رجع بعيد والمعنى اعجزنا حين خلقناهم اولا فنعيا بالاعادة
ثانيا وذلك لانهم اعترفوا بالخلق الاول وانكروا البعث بل هم في لبس اى شك من خلق جديد وهو البعث قوله
عز وجل ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه اى ما يحدث به قلبه فلا يخفى علينا سرايره وضمايره
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد بيان لكمال علمنا اى نحن اعلم به منه والوريد العرق الذي يجري فيه الدم ويصل الى كل جزء من
اجزاء البدن وهو بين الحلقوم والعلباوين ومعنى الآية ان اجزاء الانسان وابعاضه يحجب بعضها بعضا ولا
يحجب عن علم الله شي وقيل يحتمل ان يكون المعنى ونحن اقرب اليه بنفوذ قدرتنا فيه ويجري فيه امرنا كما يجري الدم
في عروقه اذ يتلقى المتلقيان اى يتلقى الملكان الموكلان به وبعمله ومنطقه فيكتبانه ويحفظانه عليه عن اليمين
وعن الشمال يعني احدهما عن يمينه والاخر عن شماله فصاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات
قعيد اى قاعد لان كل واحد منهما قعيد فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر وقيل اراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح ما يلفظ
من قول اى ما يتكلم من كلام يخرج من فيه الا لديه رقيب اى حافظ عتيد اى حاضر اينما كان سوى وقت الغايط
وعند جماعة فانهما يتاخران عنه فلا يجوز لاحد ان يتكلم في هاتين الحالتين حتى لا يوذي الملايكة بدنوهما منه
وهو على تلك الحال حتى يكتبان ما يتكلم به قيل انهما يكتبان عليه كل شي يتكلم به حتى انينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا
ما له اجر وثواب وعليه وزر وعقاب وقيل ان مجلسهما تحت الشعر على الحنك وكان الحسن البصري يعجبه ان ينظف
عنفقته وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات امين
على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع
ساعات لعله يسبح او يستغفر قوله تعالى وجاءت سكرة الموت اى غمرته وشدته التي تغشى الانسان وتغلب
على عقله بالحق اى بحقيقة الموت وقيل بالحق من امر الاخرة حتى يتبينه الانسان ويراه بالعيان وقيل بما يوول اليه
امر الانسان من السعادة والشقاوة ذلك ما كنت منه تحيد اى يقال لمن جاءته سكرة الموت ذلك الذي كنت عنه
تميل وقيل تهرب وقال ابن عباس تكره ونفخ في الصور يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد اى ذلك اليوم الذي

وعد

وعد الله الكفار ان يعذبهم فيه وجاءت اى في ذلك اليوم كل نفس معها سائق اى يسوقها الى المحشر وشهيد اى يشهد عليها
بما عملت قال ابن عباس السائق من الملايكة والشاهد من انفسهم الايدي والارجل فيقول الله تعالى لصاحب تلك النفس
لقد كنت في غفلة من هذا اى من هذا اليوم في الدنيا فكشفنا عنك غطاءك اى الذي كان على سمعك وقلبك وبصرك في
الدنيا فبصرك اليوم حديد اى قوي نافذ تبصر ما كنت تتكلم به في الدنيا وقيل ترى ما كان محجوبا عنك وقيل نظرك
الى لو كل بك وقال قرينه هذا ما لدي اى عندي عتيد اى معد محضر وقيل يقول هذا الملك الذي وكلتني به من ابن ادم
قد احضرته واحضرت ديوان عمله القيا في جهنم اى يقول الله تعالى لقرينه وقيل هذا امر للسايق والشهيد كل كفار اى
شديد الكفر عنيد اى ظالم لا يقر بتوحيد الله مناع للخير معتد مريب اى شاك في التوحيد الذي جعل مع الله الها اخر
فالقياه في العذاب الشديد يعني النار قال قرينه يعني الشيطان الذي قيض لهذا الكافر ربنا ما اطغيته قيل
هذا جواب لكلام مقدر وهو ان الكافر حين يلقى في النار يقول ربنا اطغاني شيطاني فيقول الشيطان ربنا
ما اطغيته اى ما اضللته وما اغويته ولكن كان في ضلال بعيد اى عن الحق فيتبرا منه شيطانه وقال ابن عباس قرينه
يعني الملك يقول الكافر رب ان الملك زاد علي في الكتابة فيقول الملك ربنا ما اطغيته اى ما زدت عليه
وما كتبت الا ما قال وعمل ولكن كان في ضلال بعيد اى طويل لا يرجع عنه الى الحق فيقول الله تعالى لا تختصموا
لدي اى لا تعتذروا عندي بغير عذر وقيل خصامهم مع قرنائهم وقد قدمت اليكم بالوعيد اى على القرآن وانذرتكم
على السن الرسل وحذرتكم عذابي في الاخرة لمن كفر ما يبدل القول لدي اى لا تبديل لقولي وهو قوله عز وجل لاملان
جهنم وقضيت عليكم ما انا قاض فلا يغير قولي ولا يبدل وقيل معناه لا يكذب عندي ولا يغير القول عن وجهه
لاني علام الغيوب واعلم كيف ضلوا وهذا القول هو الاولى بدليل انه قال ما يبدل القول لدي ولم يقل ما يبدل
قولي وما انا بظلام للعبيد اى فاعاقبهم بغير جرم وقيل معناه فازيد على اساءة المسي وانقص من احسان المحسن
قوله عز وجل يوم نقول لجهنم هل امتلات بيان لما سبق لها من وعد الله تعالى اياها انه يملاها من الجنة والناس
وهذا السوال من الله تعالى لتصديق خبره وتحقيق وعده وتقول يعني جهنم هل من مزيد يعني تقول قد امتليت
ولم يبق في موضع لم يمتلي فهو استفهام انكاري وقيل هو بمعنى الاسترادة وهو رواية عن ابن عباس فعلى هذا يكون
السوال وهو قوله هل امتلات قبل دخول جميع اهلها فيها وروي عن ابن عباس ان الله تعالى سبقت كلمته لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين فلما سيق اعداء الله اليها لا يلقى فيها فوج الا ذهب فيها ولا يملاها شي فتقول الست قد
اقسمت لتملاني فيضع قدمه عليها فيقول هل امتلات فتقول قط قط قد امتلات وليس في من مزيد ق
عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة
وفي رواية رب العزة فيها قدمه فيزوي بعضها الى بعض وتقول قط قط بعزتك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشي الله
لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة ولابي هريرة نحوه ولا يظلم الله من خلقه احدا **فصل** هذا الحديث من مشاهير
احاديث الصفات والعلماء فيه وفي امثاله مذهبان احدهما وهو مذهب جمهور وطايفة من المتكلمين انه لا يتكلم
في تاويلها بل نومن بانها حق على ما اراد الله ورسوله ونجريها على ظاهرها وعلى معنى يليق بها وظاهرها غير مراد والمذهب
الثاني وهو قول جمهور المتكلمين انها تتاول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا في تاويل هذا الحديث فقيل
المراد بالقدم التقدم وهو شايع في اللغة والمعنى حتى يضع الله فيها من قدمه لها من اهل العذاب وقيل قدم بعض
المخلوقين فيعود الضمير في قدمه الى ذلك المخلوق المعلوم وقيل انه يحتمل ان في المخلوقات ما تسمى بهذه
التسمية وخلقها قال النضر بن شميل القدم هنا الكفار الذين سبق في علم الله انهم من اهل النار والمراد وضع الكفار وخلقها الا انه يحتمل انهم قوم استحقوها وخلقوا لها قال المتكلمون ولا بد من
صرفه عن ظاهره لقيام الدليل العقلي القطعي على استحالة الجارحة على الله تعالى والله اعلم قوله قط قط اي

Copyright © King Saud University

حسبي حسبي قط اكتفيت وفيها ثلاث لغات اسكان الطا وكسرها منونة وغير منونة وقوله ولا يظلم الله من خلقه
احدا يعني انه يستحيل الظلم في حق الله تعالى لمن عذبه بذنب او بغير ذنب فذلك عدل منه سبحانه وتعالى قوله تعالى
وازلفت الجنة اي قربت وادنيت للمتقين اي الذين اتقوا الشرك غير بعيد يعني انها جعلت من يمين العرش حيث
يراها اهل الموقف قبل ان يدخلوها هذا ما توعدون اي يقال لهم هذا الذي وعدتم به في الدنيا على السنة الانبيا لكل
اواب اي راجع عن المعصية الى الطاعة قال سعيد بن المسيب هو الذي يذكر ذنوبه في الخلا فيستغفر منها وقيل
هو التواب وقال ابن [illegible] هو المسبح وقيل هو المصلي حفيظ قال ابن عباس الحافظ لامر الله وعنه هو الذي يحفظ
ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل هو الحافظ على نفسه المتعهد لها المراقب وقيل هو المحافظ على الطاعات
والاوامر من خشي الرحمن بالغيب اي خاف الرحمن فاطاعه وان لم يره وقيل خافه في الخلوة بحيث لا يراه احد اذا القى الستر
واغلق الباب وجاء بقلب منيب اي مخلص مقبل على طاعة الله ادخلوها اي يقال لاهل هذه الصفة ادخلوا الجنة بسلام
اي بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام من الله وملايكته عليهم وقيل بسلامة من زوال النعم ذلك يوم الخلود اي
في الجنة لانه لا موت فيها لهم ما يشاؤون فيها وذلك انهم يسالون الله حتى تنتهي مسالتهم فيعطون ما سالوا ثم يزيدهم الله
من عنده ما لم يسالوا ولا خطر ببال بشر وهو قوله تعالى ولدينا مزيد وقيل المزيد هو النظر الى وجهه الكريم قيل يتجلى لهم الله
تبارك وتعالى في كل جمعة في دار كرامته فهذا هو المزيد قوله عز وجل وكم اهلكنا قبلهم اي من قبل كفار مكة من قرن
هم اشد منهم بطشا يعني سطوة والبطشة الاخذ بصولة وعنف فنقبوا في البلاد اي ساروا وتقلبوا في البلاد وسلكوا
كل طريق هل من محيص اي فلم يجدوا لهم محيصا من امر الله وقيل لا يجدون لهم مفرا من الموت فيصيرون الى عذاب الله
وفيه تخويف لاهل مكة لانهم على مثل سبيلهم ان في ذلك لذكرى اي فيما ذكر من اهلاك القرى تذكرة وموعظة لمن كان له قلب
قال ابن عباس اي عقل وقيل له قلب حاضر مع الله واع عن الله او القى السمع اي استمع القران واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه
بغيره وهو شهيد اي حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام وما مسنا من لغوب اي اعيا وتعب قال المفسرون نزلت في اليهود حيث قالوا خلق الله السموات والارض
في ستة ايام اولها الاحد واخرها الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فانزل الله
هذه الاية ردا عليهم وتكذيبا لهم في قولهم استراح يوم السبت بقوله تعالى وما مسنا من لغوب قال الامام فخر
الدين الرازي في تفسيره والظاهر ان المراد الرد على المشركين والاستدلال بخلق السموات والارض وما بينهما وقوله
وما مسنا من لغوب اي ما تعبنا بالخلق الاول حيث لا نقدر على الاعادة ثانيا كما قال الله تعالى افعيينا
بالخلق الاول الاية واما ما قاله اليهود ونقلوه من التوراة فهو ما حرفوه منهم او لم يعلموا تاويله وذلك ان الاحد
والاثنين ازمنة متميزة بعضها عن بعض فلو كان خلق السموات ابتدا يوم الاحد لكان الزمان قبل الاجسام والزمان
لا ينفك عن الاجسام فيكون قبل خلق الاجسام اجسام لان اليوم عبارة عن زمان سير الشمس من الطلوع الى الغروب
وقبل خلق السموات والارض لم يكن شمس ولا قمر لكن اليوم يطلق ويراد به الوقت والحين وقد يعبر به عن مدة
الزمان اي مدة كانت قوله عز وجل فاصبر على ما يقولون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي اصبر يا محمد على
ما يقولون من كذبهم فان الله لهم بالمرصاد وهذا قبل الامر بقتالهم وسبح بحمد ربك اي صل حمدا لله قبل طلوع الشمس
اي صلاة الصبح وقبل الغروب يعني صلاة المغرب وقال ابن عباس صلاة الظهر والعصر ومن الليل فسبحه يعني صلاة
المغرب والعشا وقيل يعني صلاة الليل اي وقت صلى وادبار السجود قال عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب
وغيرهما ادبار السجود الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر وهي رواية عن ابن
عباس ورويه مرفوعا ق عن عايشة قالت لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على شي من النوافل اشد تعاهدا

منه

منه على ركعتي الفجر م عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها تعني بذلك سنة الفجر
عن ابن مسعود قال ما احصي ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في الركعتين بعد المغرب والركعتين
قبل صلاة الفجر بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل في قوله وادبار
السجود التسبيح باللسان في ادبار الصلوات المكتوبات خ عن ابن عباس قال امره ان يسبح في ادبار الصلوات
كلها يعني قوله وادبار السجود م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح الله في دبر كل صلاة
ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فتلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر خ عنه
ان فقرا المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ذهب اهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم
فقال وما ذاك قالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وانفقوا من فضول اموالهم وليست لنا اموال قال افلا اخبركم
بامر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا ياتي احد بمثل ما جيتم به الا من جا بمثله تسبحون في دبر كل صلاة عشرا
وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا قوله تعالى واستمع يوم يناد المناد يعني استمع يا محمد حديث يوم ينادي المنادي وقيل
معناه انتظر صيحة القيامة والنشور وقال المفسرون المنادي هو اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي بالحشر
فيقول يا ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن
لفصل القضا وهو قوله تعالى من مكان قريب قيل ان صخرة بيت المقدس اقرب الارض الى السما بثمانية عشر ميلا وقيل هي
في وسط الارض يوم يسمعون الصيحة بالحق اي الصيحة الاخرة ذلك يوم الخروج اي من القبور انا نحن نحيي اي
في الدنيا ونميت يعني عند انقضا الاجل والينا المصير اي في الاخرة وقيل تقديره نميت في الدنيا ونحيي للبعث
والينا المصير بعد البعث يوم تشقق الارض عنهم سراعا اي يخرجون سراعا الى المحشر وهو قوله ذلك حشر علينا
يسير اي هين نحن اعلم بما يقولون يعني كفار مكة في تكذيبك وما انت عليهم بجبار اي بمسلط تجبرهم على الاسلام
انما بعثت مذكرا وذلك قبل ان يومر بقتالهم فذكر بالقران من يخاف وعيد اي ما اوعدت من عصاني من
العذاب قال ابن عباس قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقران من يخاف وعيد اي عظ بالقران
من يخاف وعيدي والله اعلم **تفسير سورة الذاريات** وهي مكية وهي ستون اية وثلثمائة وستون كلمة والف
ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والذاريات ذروا يعني الرياح التي تذر التراب
فالحاملات وقرا يعني السحاب يحمل ثقلا من الما فالجاريات يسرا يعني السفن تجري في الما جريا سهلا فالمقسمات امرا يعني
الملايكة يقسمون الامور بين الخلق على ما امروا به وقيل هم اربعة جبريل صاحب الوحي الى الانبيا الامين عليه
وصاحب الغلظة وميكائيل صاحب الرزق والرحمة واسرافيل صاحب الصور واللوح وعزرائيل صاحب قبض
الارواح وقيل هذه الاوصاف الاربعة في الرياح لانها تنشئ السحاب وتثيره ثم تحمله وتقله ثم تجري به جريا سهلا
ثم تقسم الامطار بتصريف السحاب فاقسم الله بهذه الاشيا لشرف ذواتها ولما فيها من الدلالة على عجيب صنعته وقدرته
والمعنى اقسم بالذاريات وبهذه الاشيا وقيل فيه مضمر تقديره ورب الذاريات ثم ذكر جواب القسم فقال تعالى
انما توعدون اي من الثواب والعقاب يوم القيامة لصادق اي لحق وان الدين اي الحساب والجزا لواقع
اي لكاين ثم ابتدا قسما اخر فقال تعالى والسما ذات الحبك قال ابن عباس ذات الخلق الحسن المستوي وقيل ذات
الزينة حبكت بالنجوم وقيل ذات البنيان المتقن وقيل ذات الطرايق كحبك الما اذا ضربته الريح وحبك الرمل
ولكنها لا ترى لبعدها من الناس وجواب القسم قوله انكم يعني يا اهل مكة لفي قول مختلف يعني في القران وفي
محمد صلى الله عليه وسلم يقولون في القران سحر وكهانة واساطير الاولين وفي محمد صلى الله عليه وسلم ساحر وشاعر

Copyright © King Saud University

وكاهن ومجنون وقيل لفي قول مختلف اي مصدق ومكذب يؤفك عنه من افك اي يصرف عن الايمان به من صرف
حتى يكذب به وهو من حرمه الله الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فيقولون انه ساحر وشاعر وكاهن ومجنون
فيصرفونه عن الايمان به قتل الخراصون يعني الكذابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا اعقاب مكة واقتسموا القول
في النبي صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن الاسلام وقيل هم الكهنة الذين هم في غمرة اي في غفلة وعماوجهالة ساهون
اي لاهون غافلون عن امر الاخرة والسهو الغفلة عن الشي وذهاب القلب عنه يسالون ايان يوم الدين اي يقولون
يا محمد متى يوم الجزا يعني القيامة تكذيبا واستهزا قال الله تعالى يوم هم اي يكون هذا في يوم هم على النار
يفتنون اي يدخلون ويعذبون بها ويقول لهم خزنة النار ذوقوا فتنتكم اي عذابكم هذا الذي كنتم به تستعجلون اي في
الدنيا تكذيبا قوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون يعني في خلال الجنات عيون جارية اخذين ما اتاهم اي
ما اعطاهم ربهم من الخير والكرامة انهم كانوا قبل ذلك محسنين اي قبل دخول الجنة كانوا محسنين في الدنيا ثم وصف
احسانهم فقال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون اي كانوا ينامون قليلا من الليل ويصلون اكثره وقال ابن عباس
كانوا اقل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيئا اما من اولها او من اوسطها وعن انس بن مالك في قوله كانوا قليلا يصلون
بين المغرب والعشا اخرجه ابو داود وقيل كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة وقيل قل ليلة اتت عليهم هجوعا كلها
ووقف بعضهم على قوله كانوا قليلا اي من الناس ثم ابتدا من الليل ما يهجعون اي لا ينامون بالليل البتة بل يقومون
الليل كله في الصلاة والعبادة وبالاسحار هم يستغفرون اي مدوا عبادتهم الى وقت السحر ثم اخذوا في الاستغفار
وقيل يستغفرون من تقصيرهم في العبادة وقيل يستغفرون من ذلك القدر القليل الذي كانوا ينامون من
الليل وقيل معناه يصلون بالاسحار لطلب المغفرة ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل
ربنا كل ليلة الى سما الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الاخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه من
يستغفرني فاغفر له ولمسلم قال فيقول انا الملك انا الملك وذكر الحديث وفيه حتى يضي الفجر وزاد في رواية من
يقرض غير عديم ولا ظلوم

فصل

هذا الحديث من احاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان
وهو مذهب السلف وغيرهم انه يمر كما جا من غير تاويل ولا تعطيل وترك الكلام فيه وفي امثاله مع الايمان به وتنزيه
الرب تبارك عن صفات الاجسام المذهب الثاني وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم ان الصعود والنزول من
صفات الاجسام والله تعالى يتقدس عن ذلك فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة والالطاف الالهية وقربها
من عباده والاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وتخصيصه بالثلث الاخر من الليل لان ذلك وقت التهجد
والدعاء وغفلة اكثر الناس وعن التعرض لنفحات الكرم الشامل رحمة الله تعالى وفي ذلك الوقت تكون النية خالصة
والرغبة الى الله متوفرة فهو مظنة لقبول الاجابة والله اعلم عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد انت قيم السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت ملك السموات والارض
ومن فيهن ولك الحمد انت الحق ووعدك الحق ولقاوك الحق وقولك الحق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد
حق والساعة حق اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت
وما اخرت وما اسررت وما اعلنت زاد في رواية وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت او
لا اله غيرك زاد النسائي ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم خ عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تعار
من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير الحمد لله وسبحان الله والله اكبر ولا حول ٤٠
ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي او قال دعا استجيب له فان توضا وصلى قبلت صلاته قوله تعار
من الليل يقال تعار الرجل من نومه اذا انتبه له صوت قوله عز وجل وفي اموالهم حق او نصيب قيل انه ما يصلون

به رحما او يقرون به ضيفا او يحملون به كلا او يعينون به محروما وليس بالزكاة قاله ابن عباس وقيل انه الزكاة المفروضة
للسائل اي الذي يسال الناس ويطلب منهم والمحروم قيل هو الذي ليس له في الغنايم سهم ولا يجري عليه من الفي شي قال ابن
عباس المحروم الذي ليس له في الاسلام سهم وقيل معناه الذي حرم الخير والعطا وقيل المحروم المتعفف الذي لا يسال وقيل هو
صاحب الحاجة الذي اصيب زرعه او ثمره او نسل ماشيته وقيل هو المحارف المحروم في الرزق والتجارة وقيل هو المملوك
وقيل هو المكاتب واظهر الاقوال انه المتعفف لانه قرنه بالسائل والمتعفف لا يسال ولا يكاد الناس يعطون
من لا يسال وانما يتفطن له متيقظ وفي الارض ايات اي عبر من البحار والجبال والاشجار وانواع النبات
للموقنين اي بالله الذي يعرفونه ويستدلون عليه بصنايعه وفي انفسكم ايات اذ كنتم نطفة
ثم علقة ثم مضغة ثم عظما الى ان نفخ فيه الروح وقال ابن عباس يريد اختلاف الالسنة
والصور والالوان والطبايع وقيل يريد سبيل الغايط والبول ياكل ويشرب من مدخل واحد
ويخرج من سبيلين وقيل يعني تقويم الادوات والسمع والبصر والنطق والعقل الى غير ذلك من العجايب
الموجودة في ابن ادم افلا تبصرون يعني كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث وفي السما رزقكم
قال ابن عباس هو المطر وهو سبب الارزاق وما توعدون يعني من الثواب والعقاب وقيل من
الخير والشر وقيل الجنة والنار ثم اقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال فورب السما والارض انه لحق اي ما ذكره
من الرزق وغيره مثل ما انكم تنطقون اي بلا اله الا الله وقيل شبه تحقق ما اخبر به عنه بتحقق نطق
الادمي معناه انه لحق كما انك تتكلم وقيل ان معناه في صدقه ووجوده كالذي يعرفه ضرورة وقال بعض الحكما معناه
كما ان كل انسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه ان ينطق بلسان غيره كذلك كل انسان ياكل رزق نفسه الذي قسم
له لا يقدر ان ياكل رزق غيره قوله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابراهيم يعني هل اتاك يا محمد حديث
الذين جاوا ابراهيم بالبشرى فاستمع نقصه عليك وقد تقدم ذكر عددهم وقصتهم في سورة هود
المكرمين قيل سماهم مكرمين لانهم كانوا ملايكة كراما عند الله وقيل لانهم كانوا ضيف ابراهيم
وهو اكرم الخلق على الله يوميذ وضيف الكريم مكرمون وقيل لان ابراهيم عليه السلام اكرمهم
بتعجيل قراهم وخدمته اياهم بنفسه وطلاقة وجهه لهم وقال ابن عباس سماهم مكرمين لانهم كانوا
غير مدعوين ق عن ابي شريح العدوي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم
الاخر فليكرم ضيفه اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون اي غربا لا نعرفكم قال ابن عباس
قال في نفسه هولا قوم لا نعرفهم وقيل انما انكرهم لانهم دخلوا بغير استيذان وقيل انكر سلامهم في ذلك
الزمان وفي تلك الارض فراغ اي عدل ومال الى اهله فجا بعجل سمين اي جيد وكان مشويا قيل
كان عامة مال ابراهيم البقر فجا بعجل فقربه اليهم هذا من اداب الضيف ان يقدم الطعام الى الضيف
ولا يحوجهم السعي اليه فلم ياكلوا قال الا تاكلون يعني انه حثهم على الاكل وقيل عرض عليهم الاكل من غير
ان يامرهم فاوجس اي فاضمر منهم خيفة لانهم لم يتحرموا بطعامه قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم اي
يبلغ ويعلم وقيل عليم اي نبي فاقبلت امراته قيل لم يكن ذلك اقبال من مكان الى مكان بل كانت في البيت
فهو كقولك اقبل يفعل كذا اذا اخذ فيه في صرة اي في صيحة والمعنى انها اخذت تولول وذلك من عادة النسا
اذا سمعن شيا فصكت وجهها قال ابن عباس لطمت وجهها وقيل جمعت اصابعها وضربت جبينها
تعجبا وذلك من عادة النسا ايضا اذا انكرن شيا وقالت عجوز عقيم معناه اتلد عجوز عقيم وذلك ان
سارة لم تلد قبل ذلك قالوا كذلك قال ربك اي كما قلنا لك قال ربك ستلدين غلاما انه هو الحكيم العليم

ربالقرآن وقيل معناه انهم كانوا يتلقون الرجل اذا اراد الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم

Copyright © ... University

قال اذا كان حكيما عليما لم يرسل الا بقدر ما يحتاج اليه والتبشير لا يحتاج الى هذا العدد

ثم ان ابراهيم عليه السلام لما علم حالهم وانهم من الملائكة قال فما خطبكم اى فما شانكم وما طلبكم ايها المرسلون قالوا
انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنى قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين قيل هو الاجر مسومة اى معلمة قيل على كل حجر
اسم من يهلك به وقيل معلمة بعلامة تدل على انها ليست من حجارة الدنيا عند ربك للمسرفين قال ابن عباس
يعنى المشركين لان الشرك اسرف الذنوب واعظمها فاخرجنا من كان فيها اى فى قرى قوم لوط من المؤمنين فما
وجدنا فيها غير بيت اى اهل بيت من المسلمين يعنى لوطا وابنتيه وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا لانه
ما من مؤمن الا وهو مسلم لان الاسلام اعم من الايمان واطلاق العام على الخاص لا مانع منه فاذا سمى المؤمن
مسلما لا يدل على اتحاد مفهومهما وتركنا فيها اى فى مدينة قوم لوط اية اى عبرة للذين يخافون العذاب الاليم والمعنى تركناها
فيها علامة للخائفين تدلهم على ان الله مهلكهم فيخافون مثل عذابهم قوله عز وجل وفى موسى اى وتركنا فى ارسال موسى
اية وعبرة اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين اى بحجة ظاهرة فتولى اى اعرض عن الايمان بركنه اى بجمعه وجنوده الذين
كانوا يتقوى بهم وقال ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم اى فاغرقناهم فى البحر وهو مليم اى اتى بما
يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل وفى عاد اى وفى اهلاك عاد ايضا اية وعبرة اذ ارسلنا عليهم
الريح العقيم يعنى التى لا خير فيها ولا بركة ولا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا ما تذر من شىء اتت عليه اى من انفسهم واموالهم
وانعامهم الا جعلته كالرميم اى كالشىء الهالك البالى وهو ما يبس وديس من نبات الارض كالشجر والتبن ونحوه
واصله من رم العظم اذا بلى وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين يعنى الى وقت انقضاء اجالهم وذكر انهم لما عقروا الناقة
قيل لهم تمتعوا ثلاثة ايام فعتوا عن امر ربهم اى تكبروا عن طاعة ربهم فاخذتهم الصاعقة اى بعد مضى الثلاثة
ايام من بعد عقر الناقة وهى الموت فى قول ابن عباس وقيل اخذهم العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك وهم
ينظرون اى يرون ذلك العذاب عيانا فما استطاعوا من قيام اى فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا
على نهوض من تلك الصرعة وما كانوا منتصرين اى منتقمين منا وقيل ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من امر الله
وقوم نوح قرئ بكسر الميم ومعناه وفى قوم نوح وقرئ بنصبها ومعناه واغرقنا قوم نوح من قبل اى من قبل
هولاء وهم عاد وثمود وقوم فرعون انهم كانوا قوما فاسقين اى خارجين عن الطاعة قوله تعالى والسماء بنيناها
بايد اى بقوة وقدرة وانا لموسعون قيل هو من السعة اى اوسعنا السماء بحيث صارت الارض وما يحيط بها
من الماء بالنسبة الى سعة السماء كالحلقة الملقاة فى الفلاة وقال ابن عباس معناه قادرون على بنائها كذلك
وعنه لموسعون الرزق على خلقنا وقيل معناه انا ذو السعة والغنى والارض فرشناها اى بسطناها ومددناها لكم فنعم
الماهدون اى نحن ومن كل شىء خلقنا زوجين اى صنفين ونوعين مختلفين السماء والارض والشمس والقمر والليل والنهار
والبر والبحر والسهل والجبل والصيف والشتاء والذكر والانثى والنور والظلمة والايمان والكفر والسعادة والشقاوة
والحق والباطل والحلو والحامض لعلكم تذكرون اى فتعلمون ان خالق الازواج فرد لا نظير له ولا شريك معه ففروا الى الله
اى قل يا محمد ففروا الى الله اى فاهربوا من عذابه الى ثوابه بالايمان والطاعة قال ابن عباس فروا منه واعملوا بطاعته قال
سهل بن عبد الله فروا مما سوى الله الى الله انى لكم منه نذير اى مخوف مبين اى بين الرسالة بالحجة الظاهرة والمعجزة الباهرة
والبرهان القاطع ولا تجعلوا مع الله الها اخر اى وحده لا تشركوا به شيا انى لكم منه نذير مبين قيل انما كرر قوله انى لكم منه نذير مبين
عند الامر بالطاعة والنهى عن الشرك ليعلم ان الايمان لا ينفع الا مع العمل كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يفوز عند الله الا
الجامع بينهما كذلك اى كما كذبك قومك وقالوا ساحر او مجنون كذلك ما اتى الذين من قبلهم اى من قبل كفار مكة والامم الخالية
من رسول يعنى يدعوهم الى الايمان والطاعة الا قالوا ساحر او مجنون قال الله تعالى اتواصوا به اى اوصى اولهم اخرهم وبعضهم
بعضا بالتكذيب وتواطوا عليه وفيه توبيخ لهم بل هم قوم طاغون اى لم يتواصوا بهذا القول لانهم لم يتلاقوا على زمان واحد بل

جمعهم

جمعهم على ذلك علة واحدة وهى الطغيان وهو الحامل لهم على ذلك القول فتول عنهم اى اعرض عنهم فما انت بملوم اى لا لوم
عليك فقد اديت الرسالة وبذلت المجهود وما قصرت فيما امرت قال المفسرون لما نزلت هذه الاية حزن رسول الله صلى
الله عليه وسلم واشتد على اصحابه وظنوا ان الوحى قد انقطع وان العذاب قد حضر اذ امر النبى صلى الله عليه وسلم ان
يتولى عنهم فانزل الله عز وجل وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فطابت نفوسهم بذلك والمعنى عظ بالقران كفار مكة
فان الذكرى تنفع من علم الله انه يؤمن منهم وقيل معناه عظ بالقران من امن من قومك فان الذكرى تنفعهم قوله عز وجل
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قيل هذا خاص لاهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن مسعود وابن عباس
وما خلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون وقيل معناه وما خلقت السعداء من الجن والانس الا لعبادتى والاشقياء
منهم الا لمعصيتى وهو ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة وقال على بن ابى طالب الا ليعبدون اى الا لامرهم ان يعبدونى
وادعوهم الى عبادتى وقيل معناه الا ليعرفونى وهذا حسن لانه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده وقيل معناه الا
ليخضعوا الى ويتذللوا لان معنى العبادة فى اللغة التذلل والانقياد وكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله متذلل
لمشيئته لا يملك احد لنفسه خروجا عما خلق له وقيل معناه الا ليوحدون فاما المؤمن فيوحده اختيارا فى الشدة والرخاء والكافر
يوحده فى الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء ما اريد منهم من رزق اى ما اريد ان يرزقوا احدا من خلقى ولا ان يرزقوا انفسهم لانى انا الرزاق المتكفل
لعبادى بالرزق القائم لكل نفس بما يقيمها من قوتها وما اريد ان يطعمون اى ان يطعموا احدا من خلقى وانما اسند الاطعام
الى نفسه لان الخلق كلهم عيال الله ومن اطعم عيال احد فقد اطعمه لما صح من حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن ادم مرضت فلم تعدنى قال يا رب كيف اعودك وانت رب العالمين قال
اما علمت ان عبدى فلانا مرض فلم تعده اما علمت انك لو عدته لوجدتنى عنده يا ابن ادم استطعمتك فلم تطعمنى قال يا رب
كيف اطعمك وانت رب العالمين قال اما علمت انه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك
عندى يا ابن ادم استسقيتك فلم تسقنى قال يا رب كيف اسقيك وانت رب العالمين قال استسقاك عبدى
فلان فلم تسقه اما انك لو سقيته لوجدت ذلك عندى اخرجه مسلم قوله لوجدتنى عنده اى لوجدت ثوابى وكرامتى عنده ثم قال تعالى ان الله هو الرزاق
اى لجميع خلقه ذو القوة المتين يعنى هو القوى الشديد المقتدر البليغ القوة الذى لا يبلغه فى افعاله مشقة فان للذين
ظلموا اى من اهل مكة ذنوبا اى نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم اى مثل نصيب اصحابهم الذين اهلكوا من قوم نوح
وعاد وثمود فلا يستعجلون اى بالعذاب لانهم اخروا الى يوم القيمة يدل عليه قوله عز وجل فويل للذين كفروا من يومهم
الذى يوعدون يعنى يوم القيامة وقيل يوم بدر والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب تفسير سورة الطور
مكية وهى تسع واربعون اية وثلثمائة واثنتى عشرة كلمة والف وخمسمائة حرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والطور
اراد به الجبل الذى كلم الله موسى عليه السلام عليه بالارض المقدسة وقيل بمدين وكتاب مسطور اى مكتوب فى رق يعنى الاديم
الذى يكتب فيه المصحف منشور اى مبسوط واختلفوا فى الكتاب فقيل هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة وموسى يسمع
صرير القلم وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو دواوين الحفظة يخرج اليهم يوم القيامة منشورا فاخذ بيمينه واخذ بشماله
وقيل هو القران والبيت المعمور يعنى بكثرة الغاشية والاهل وهو بيت فى السماء السابعة قدام العرش حيال الكعبة
يقال له الضراح حرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الارض وصح فى حديث المعراج من افراد مسلم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم راى البيت المعمور فى السماء السابعة قال فاذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه وفى رواية اخرى
قال فانتهيت الى بناء فقلت للملك ما هذا قال بناء بناه الله للملائكة يدخل فيه كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه
يسبحون الله ويقدسونه وفى افراد البخارى عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ان فى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون
الف ملك والسقف المرفوع يعنى السماء والبحر المسجور يعنى الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور وهذا قول ابن عباس لما روى

من انس

Copyright © King Saud University

ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزاد بها في نار جهنم وجاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يركبن رجل البحر الا غازيا او معتمرا او حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقيل المسجور المملوء وقيل هو اليابس
الذي ذهب ماوه ونضب وقيل هو المختلط العذب بالملح وروي عن علي انه قال في البحر المسجور هو بحر تحت العرش غمره كما بين
سبع سموات الى سبع ارضين فيه ما غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الاولى منه اربعين صباحا فينبتون
من قبورهم اقسم الله بهذه الاشيا لما فيها من عظيم قدرته وجواب القسم قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع يعني انه حق
وكاين ونازل بالمشركين في الاخرة ما له من دافع اي مانع قال جبير بن مطعم قدمت المدينة لاكلم رسول الله صلى الله عليه
وسلم في اسارى بدر فدفعت له وهو يصلي باصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرا والطور الى قوله ان عذاب
ربك لواقع ما له من دافع فكانما صدع قلبي حين سمعت ولم يكن اسلم يومئذ فاسلمت قال خوفا من نزول العذاب وما كنت
اظن ان اقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب ثم انه بين انه متى يقع فقال تعالى يوم تمور السما مورا اي تدور كدوران الرحا
وتتكفا باهلها تكفو السفينة وقيل تتحرك وتختلف اجزاوها بعضها من بعض وتضطرب وتسير الجبال سيرا اي تزول
عن اماكنها وتصير هباء منثورا والحكمة في مور السما وسير الجبال الانذار والاعلام بان لا رجوع ولا عود الى
الدنيا وذلك لان الارض والسما وما بينهما من الجبال والبحار وغير ذلك انما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بني ادم
بذلك فلما لم يبق لهم عود اليها ازال الله تعالى ذلك وذلك لخراب الدنيا وعمارة الاخرة فويل اي شدة
عذاب يومئذ للمكذبين اي يوم القيامة الذين هم في خوض اي يخوضون في الباطل يلعبون اي غافلين لاهين
عما يراد بهم يوم يدعون اي يدفعون الى نار جهنم دعا يعني دفعا بعنف وجفوة وذلك ان الخزنة يغلون ايدي
الكفار الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعون بهم دفعا الى النار على وجوههم وزجرا في اقفيتهم حتى يردوا
الى النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي في الدنيا افسحر هذا وذلك انهم كانوا
ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم الى السحر وانه يغطي على الابصار فوبخوا بذلك وقيل لهم افسحر هذا ام انتم لا تبصرون
اصلوها اي قاسوا شدتها فاصبروا اي على العذاب او لا تصبروا عليه سواء عليكم اي الصبر انما تجزون ما كنتم
تعملون اي من الكفر والتكذيب في الدنيا قوله تعالى ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين اي معجبين بذلك ناعمين
بما اتاهم ربهم اي من الخير والكرامة ووقاهم ربهم عذاب الجحيم اي يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا اي مامون العاقبة
من التخمة والسقم بما كنتم تعملون اي في الدنيا من الايمان والطاعة متكئين على سرر مصفوفة اي موضوعة بعضها
الى بعض وزوجناهم بحور عين والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان يعني اولادهم الصغار والكبار فالكبار بايمانهم
بانفسهم والصغار بايمان ابائهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا لاحد ابويه الحقنا بهم ذريتهم يعني المومنين
في الجنة بدرجات ابائهم وان لم يبلغوا باعمالهم درجات ابائهم تكرمة لابائهم لتقر بذلك اعينهم هذه رواية عن ابن عباس
وفي رواية اخرى عنهم ان معنى الاية والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم يعني البالغين بايمان الحقنا بهم ذرياتهم الصغار
الذين لم يبلغوا الايمان بايمان ابائهم اخبر الله تعالى انه يجمع لعبده المومن ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا ان يجتمعوا
اليه فيدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل ابيه من غير ان ينقص الاباء من اعمالهم شيا عن ابن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يرفع ذرية المومن في درجته وان كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرا
والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم الى اخر الاية عن علي قال سالت خديجة النبي صلى الله عليه
وسلم عن ولدين ماتا لها في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما في النار فلما راى الكراهة في وجهها قال لو
رايت مكانهما لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدي منك قال في الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المومنين
واولادهم في الجنة وان المشركين واولادهم في النار ثم قرا النبي صلى الله عليه وسلم والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان

الحقنا

الحقنا بهم ذرياتهم اخرج هذين الحديثين البغوي باسناد الثعلبي وما التناهم من عملهم من شي كل امري اي كل امري بما كسب
اي من عمل الشرك رهين اي مرتهن بعمله في النار والمومن لا يكون مرتهنا بعمله لقوله كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين
ثم ذكر ما وعدهم به من الخير والنعمة فقال تعالى وامددناهم بفاكهة اي زيادة على ما كان لهم ولحم مما يشتهون اي من انواع اللحوم
يتنازعون اي يتعاطون ويتناولون فيها اي في الجنة كاسا لا لغو فيها اي لا باطل فيها ولا رفث ولا تخاصم ولا تذهب
عقولهم فيلغوا او يرفثوا ولا تاثيم اي لا يكون منهم ما يوثمهم ولا يجري بينهم ما فيه لغو واثم كما يجري بين شربة الخمر في الدنيا وقيل
لا ياثمون في شربها ويطوف عليهم اي بالخدمة غلمان لهم كانهم اي في الحسن والبياض والصفا لولو مكنون اي مخزون مصون
لم تمسها الايدي قال عبد الله بن عمرو ما من احد من اهل الجنة الا يسعى عليه الف غلام كل واحد منهم على عمل غير عمل صاحبه وعن
قتادة قال ذكر لنا ان رجلا قال يا نبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على
ساير الكواكب قوله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يعني يسال بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس يتذاكرون
ما كانوا فيه من الخوف والتعب في الدنيا قالوا انا كنا قبل في اهلنا في الدنيا مشفقين اي خايفين من العذاب فمن الله علينا
بالمغفرة ووقانا عذاب السموم يعني عذاب النار وقيل هو اسم من اسما جهنم انا كنا من قبل اي في الدنيا ندعوه اي نخلص
الدعا والعبادة له انه هو البر قال ابن عباس اللطيف وقيل يعني الصادق فيما وعد وقيل البر اللطيف على عباده المحسن
اليهم الذي عم بره جميع خلقه الرحيم قوله عز وجل فذكر يعني فعظ يا محمد بالقران كفار مكة فما انت بنعمة ربك بكاهن
ولا مجنون وهو الذي ياتيه الجن فيخبره بالغيب ويخبر بها في غير وحي والمعنى انك لست كما يقول كفار مكة انه كاهن ومجنون
انما تنطق بالوحي نزلت في الذين اقتسموا عقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والشعر
والجنون ام يقولون يعني هولا المقتسمين شاعر اي هو شاعر نتربص به اي ننتظر به ريب المنون يعني حوادث الدهر
وصروفه فيموت ويهلك كما هلك من كان قبله من الشعرا ويتفرق عنه اصحابه وان اباه مات وهو شاب ونحن نرجو
ان يكون موته كموت ابيه والمنون اسم للموت وللدهر واصله القطع سميا بذلك لانهما يقطعان الاجل قل تربصوا
اي انتظروا بي الموت فاني معكم من المتربصين اي من المنتظرين حتى ياتي امر الله فيكم فعذبوا يوم بدر بالقتل والسبي ام
تامرهم احلامهم اي عقولهم بهذا وذلك ان عظما قريش كانوا يوصفون بالاحلام والعقول فازرى الله بعقولهم حتى لم
تتميز لهم معرفة الحق من الباطل ام هم قوم طاغون اي يتجاوزون الحد في الطغيان والكفر ام يقولون تقوله اي
اختلق القران من تلقا نفسه والتقول التكلف ولا يستعمل الا في الكذب والمعنى ليس الامر كما زعموا بل لا يومنون
اي بالقران استكبارا فالزمهم الحجة فقال فلياتوا بحديث مثله اي مثل القران في نظمه وحسنه وبيانه ان كانوا
صادقين يعني ان محمدا تقوله من قبل نفسه ام خلقوا من غير شي قال ابن عباس من غير رب خالق والمعنى خلقوا من غير شي
خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز ان يكون لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فان انكروا الخالق لم
يجز ان يوجدوا بلا خالق ام هم الخالقون اي لانفسهم وذلك في البطلان اشد لان ما لا وجود له كيف يخلق فاذا بطل
الوجهان قامت الحجة عليهم بان لهم خالقا فليومنوا به وليوحدوه وليعبدوه وقيل في معنى الاية اخلقوا باطلا
فلا يحاسبون ولا يومرون ولا ينهون ام هم الخالقون اي لانفسهم فلا يجب عليهم لله امر ام خلقوا السموات والارض
يعني ليس الامر كذلك بل لا يوقنون اي بالحق وهو توحيد الله تعالى وقدرته على البعث وان الله تعالى خالقهم
وخالق السموات والارض فليومنوا به وليوقنوا انه ربهم وخالقهم ام عندهم خزاين ربك يعني النبوة ومفاتيح الرسالة
فيضعونها حيث شاءوا وقيل خزاين المطر والرزق ام هم المسيطرون اي المسلطون الجبارون وقيل الارباب القاهرون
فلا يكونون تحت امر ولا نهي يفعلون ما يشاءون ام لهم سلم يعني مرقى ومصعد الى السما يستمعون فيه اي يستمعون
عليه الوحي من السما فيعلمون ان ما هم عليه حق فهم به مستمسكون فليات مستمعهم ان ادعى ذلك بسلطان مبين اي بحجة

بينتم لهم البنات ولكم البنون هذا انكار عليهم حين جعلوا لله ما يكرهون لانفسهم ام تسألهم اجرا اي جعلا على ما جئتهم به من النبوة ودعوتهم اليه من الدين فهم من مغرم مثقلون يعني اثقلهم ذلك المغرم الذي سألتهم فمنعهم من الاسلام ام عندهم الغيب اي علم الغيب وهو ما غاب عنهم حتى علموا ان ما يخبرهم الرسول من امر القيامة والبعث باطل وقيل هو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون والمعنى اعلموا ان محمدا يموت قبلهم فهم يكتبون اي يحكمون قال ابن عباس معناه ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس ام يريدون كيدا اي مكرا بك ليهلكوك فالذين كفروا هم المكيدون اي المجزيون بكيدهم والمعنى ان ضرر كيدهم يعود عليهم ويحيق مكرهم بهم وهو انهم مكروا به في دار الندوة ليقتلوه فقتلوا ببدر ام لهم اله غير الله يعني يرزقهم وينصرهم سبحان الله عما يشركون والمعنى انه نزه نفسه عما يقولون قوله تعالى وان يروا كسفا من السماء ساقطا هذا جواب لقولهم فاسقط علينا كسفا من السماء يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم يقولوا لمعاندتهم هذا سحاب مركوم اي بعضه على بعض يسقينا فذرهم حتى يلاقوا اي يعاينوا يومهم الذي فيه يصعقون اي يموتون ويهلكون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون اي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع وان للذين ظلموا اي كفروا عذابا دون ذلك اي عذابا في الدنيا قبل عذاب الاخرة قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقيل هو الجوع والقحط سبع سنين وقيل هو عذاب القبر ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ان العذاب نازل بهم قوله عز وجل واصبر لحكم ربك اي الى ان يقع بهم العذاب الذي حكمنا عليهم به فانك باعيننا اي بمرأى منا قال ابن عباس نرى ما يعمل بك وقيل معناه انا بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون اليك بمكروه وسبح بحمد ربك حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت بذلك احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عباس معناه حين تقوم من منامك وقيل هو ذكر الله باللسان من حين تقوم من الفراش الى ان تدخل في الصلاة عن عاصم قال سألت عائشة باي شيء كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقالت سألتني عن شيء ما سألني عنه احد قبلك كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله تعالى عشرا وسبح عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة اخرجه ابو داود والنسائي وقيل اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك يدل عليه ما روي عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا اله غيرك اخرجه الترمذي وابو داود وقال قد تكلم في آخر رواته وقوله تعالى ومن الليل فسبحه اي فصل له يعني صلاة المغرب والعشاء وادبار النجوم يعني الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم اي تغيب بضوء الصبح هذا قول اكثر المفسرين يدل عليه ما روي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ادبار النجوم الركعتان قبل الفجر وادبار السجود الركعتان بعد المغرب اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل ادبار النجوم هي فريضة صلاة الصبح عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة النجم وهي اثنتان وستون اية وثلثمائة وستون كلمة والف واربعمائة وخمسة احرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والنجم اذا هوى قال ابن عباس يعني الثريا اذا سقطت وغابت والعرب تسمي الثريا نجما ومنه قولهم اذا طلع النجم عشا ابتغى الراعي كسا وجاء في الحديث عن ابي هريرة مرفوعا ما طلع النجم قط وفي الارض من العاهة شيء الا رفع اراد بالنجم الثريا وقيل هي نجوم السماء كلها وهويها غروبها فعلى هذا لفظه واحد ومعناه الجمع وفيه روي عن ابن عباس ان الرجوم من النجوم وهي ما ترمى به الشياطين عند استراق السمع وقيل هي النجوم اذا انتثرت يوم القيامة وقيل اراد بالنجم القرآن سمي نجما لانه نزل نجوما متفرقة في عشرين سنة وهو قول ابن عباس ايضا وقيل النجم هو النبت الذي لا ساق له وهويه سقوطه اذا يبس على الارض وقيل النجم هو محمد صلى الله عليه وسلم وهويه سقوطه ليلة المعراج من السماء وجواب

القسم

القسم قوله تعالى ما ضل صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل عن طريق الهدى وما غوى اي ما جهل وقيل الفرق بين الضلال والغي ان الضلال هو ان لا يجد السالك الى مقصده طريقا اصلا والغواية ان لا يكون له طريق الى المقصد مستقيم وقيل ان الضلال اكثر استعمالا من الغواية وما ينطق عن الهوى اي بالهوى والمعنى لا يتكلم بالباطل وذلك انهم قالوا ان محمدا يقول القرآن من تلقاء نفسه ان هو اي ما هو يعني القرآن وقيل نطقه في الدين الا وحي من الله يوحى اليه علمه شديد القوى يعني جبريل علم محمدا صلى الله عليه وسلم ما اوحى اليه الله عز وجل وكونه شديد القوى انه اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه بالوحي على الانبياء اسرع من رجعة الطرف ذو مرة اي ذو قوة وشدة وقال ابن عباس ذو منظر حسن وقيل ذو خلق طويل فاستوى يعني جبريل عليه السلام وهو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى استوى جبريل ومحمد ليلة المعراج بالافق الاعلى عند مطلع الشمس وقيل فاستوى يعني جبريل وهو كناية عن جبريل ايضا اي قام في صورته التي خلقه الله فيها وهو بالافق الاعلى وذلك ان جبريل عليه السلام كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة الادميين كما كان يأتي الانبياء قبله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريه نفسه على صورته التي جبل عليها فاراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السماء فاما التي في الارض فبالافق الاعلى والمراد بالافق الاعلى جانب المشرق وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بحراء فطلع له جبريل عليه السلام من ناحية المشرق فسد الافق الى المغرب فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل عليه السلام في صورة الادميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله ثم دنا فتدلى واما التي في السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره احد من الانبياء على تلك الصورة التي خلق عليها الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى اختلف العلماء في معنى هذه الاية فروي عن مسروق ابن الاجدع قال قلت لعائشة فاين قوله ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى قالت ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل وانه اتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الافق اخرجاه في الصحيحين وعن زر بن حبيش في قوله ما كذب الفؤاد ما رأى وفي قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال فيهما كليهما ان ابن مسعود قال رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح زاد في رواية رأى جبريل في صورته اخرجه مسلم والبخاري في قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى فعلى هذا يكون معنى الاية ثم دنا جبريل بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان منه قاب قوسين او ادنى اي بل ادنى وبه قال ابن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل في الكلام تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى فدنا لان التدلي سبب الدنو وقال آخرون ثم دنا الرب عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى اي فقرب منه كان منه قاب قوسين او ادنى وقد ورد في الصحيحين من حديث المعراج من رواية شريك بن عبد الله بن ابي نمر عن انس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى وهذه رواية ابي سلمة عن ابن عباس والتدلي هو النزول الى النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر حديث انس من رواية شريك وقد زاد فيه زيادة مجهولة واتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة يعني عن انس فلم يأت احد منهم بما اتى في صحيحه وفي رواية شريك وقدم واخر وزاد ونقص فيحتمل ان هذا اللفظ من زيادة شريك في الحديث وقال الضحاك دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل فتدلى اي فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين او ادنى والقاب والقدر والقوس الذي يرمى به وهو رواية عن ابن عباس وقيل معناه حيث الوتر من القوس فاخبر انه كان بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University

مقدار قوسين وهذه اشارة الى تاكيد القرب واصله ان الحليفين من العرب كانا اذا ارادا عقد الصفا والعهد خرجا بقوسيهما
فالصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين
قدر ذراعين والقوس الذراع التي يقاس بها من قاس يقيس اخبر انه كان بالقرب فاوحى اي فاوحى الله الى عبده محمد ما اوحى
وعن ابن عباس رضي الله عنه قال اوحى جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اوحى اليه ربه عز وجل قال سعيد بن جبير
اوحى اليه الم يجدك يتيما فاوى الى قوله ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبيا حتى تدخلها انت وعلى الامم
حتى تدخلها امتك قوله عز وجل ما كذب الفواد قرئ بالتشديد ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم ما راى اي بعينه تلك
الليلة بل صدقه وحققه وقرئ بالتخفيف اي ما كذب فواد محمد الذي راه بل صدقه والمعنى ما كذب الفواد فيما راى واختلفوا
في الذي راه فقيل راى جبريل وهو قول ابن مسعود وعايشة وقيل هو الله عز وجل ثم اختلفوا في معنى الروية فقيل
جعل بصره في فواده وهو قول ابن عباس م عن ابن عباس ما كذب الفواد ما راى ولقد راه نزلة اخرى قال راه بفواده
مرتين وذهب جماعة الى انه راه بعينه حقيقة وهو قول انس بن مالك والحسن وعكرمة قالوا راى محمد ربه عز وجل
وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله عز وجل اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا بالروية
وقال كعب ان الله قسم رويته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين وراه محمد مرتين اخرجه الترمذي باطول من هذا
وكانت عايشة تقول لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الاية على روية جبريل عن مسروق قال قلت
لعايشة يا امتاه هل راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت اين انت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك
ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر ان
يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب ومن حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرات وما تدري نفس ماذا تكسب غدا
ومن حدثك انه كتم فقد كذب ثم قرات يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ولكنه راى جبريل في صورته مرتين اخرجاه
في الصحيحين م عن ابي ذر قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك قال نور انى اراه قوله عز وجل
افتمارونه على ما يرى يعني افتجادلونه على ما يرى وذلك انهم جادلوه حين اسري به فقالوا صف لنا بيت المقدس
واخبرنا عن عيرنا في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به والمعنى افتجادلونه جدالا ترومون به دفعه عما راه وعلمه
ولقد راه نزلة اخرى يعني راى جبريل في صورته التي خلق عليها نازلا من السما نزلة اخرى وذلك انه راه في
صورته مرتين مرة في الارض ومرة عند سدرة المنتهى م عن ابي هريرة ولقد راه نزلة اخرى قال راى
جبريل وعلى قول ابن عباس يعني نزلة اخرى هو انه كانت للنبي صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة عرجات
لمسيلة التخفيف من اعداد الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فراى ربه عز وجل في بعضها وروي عن
ابن عباس انه راى ربه بفواده مرتين وعنه انه راه بعينه عند سدرة المنتهى م عن ابن مسعود قال لما اسري
برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهي به الى سدرة المنتهى وهي في السما السادسة واليها ينتهي ما يعرج من
الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها وقال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال
فراش من ذهب وفي رواية الترمذي اليها ينتهي علم الخلايق لا علم لهم فوق ذلك وفي حديث المعراج المخرج
الصحيح ثم صعد بي الى السما السابعة ثم قال رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا
ورقها كاذان الفيلة قال فلما غشيها من نور الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان
ينعتها من حسنها وقال هلال بن يساف سال ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وانا حاضر فقال كعب انها
سدرة في اصل العرش على رؤس حملة العرش واليها ينتهي علم الخلايق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله عز وجل
وعن اسما بنت ابي بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر سدرة المنتهى فقال يسير الراكب في ظل

الفنن منها مائة سنة او قال يستظل بظلها مائة راكب فيها فراش الذهب كان ثمرها القلال اخرجه الترمذي وقال مقاتل
هي شجرة تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الالوان لو وضعت ورقة منها في الارض لاضاءت لاهل الارض وهي شجرة
طوبى التي ذكرها الله في سورة الرعد عندها جنة الماوى قال ابن عباس جنة الماوى ياوي اليها جبريل والملايكة وقيل
ياوي اليها ارواح الشهدا اذ يغشى السدرة ما يغشى قال ابن مسعود فراش من ذهب وقيل يغشاها ملايكة امثال الغربان
وقيل امثال الطيور حتى يقعن عليها وقيل غشيها نور الخلايق وغشيها الملايكة من حب الله تعالى امثال الغربان
حتى يقعن عليها وقيل هو نور رب العزة فاستنارت ويروى في الحديث قال رايت على كل ورقة منها ملكا قايما يسبح
الله عز وجل ما زاغ البصر وما طغى اي ما مال بصر النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام وفي تلك الحضرة المقدسة الرفيعة
يمينا وشمالا ولا جاوز ما راى وقيل ما امر به وهذا وصف ادبه صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام الشريف اذ لم يلتفت الى
شي سوى ما امر به وقيل في معنى الاية ان قلنا ان الذي يغشى السدرة فراش من ذهب فمعناه لم يلتفت اليه ولم يشتغل به وفيه
بيان ادبه صلى الله عليه وسلم اذ لم يقطع بصره عن المقصود وان قلنا الذي يغشى السدرة هو نور رب العزة ففيه وجهان
احدهما انه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت يمنة ولا يسرة ولم يشتغل بغير مطالعة ذلك النور الوجه الثاني ما زاغ البصر بصعقة
ولا غشية كما جرى لموسى بقوله وخر موسى صعقا وذلك انه لما تجلى رب العزة وظهر نوره على الجبل فانه قطع
نظره وغشي عليه ونبينا صلى الله عليه وسلم ثبت في ذلك المقام العظيم الذي تحار فيه العقول وتزل فيه الاقدام
وتميل فيه الابصار فوصف الله عز وجل قوة نبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام العظيم بقوله تعالى ما زاغ البصر
وما طغى وقوله تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى يعني راى رسول الله صلى الله عليه وسلم الايات العظام
وقيل اراد ما راى تلك الليلة في مسيره ورجوعه وقيل معناه راى من ايات ربه الكبرى م عن عبد الله بن مسعود قال لقد
راى من ايات ربه الكبرى قال راى جبريل في صورته له ستماية جناح خ عنه قال لقد راى من ايات ربه الكبرى قال
راى رفرفا اخضر عند سدرة المنتهى افق السما

فصل

من كلام الشيخ محيي الدين النواوي في معنى قوله
تعالى ولقد راه نزلة اخرى وهل راى النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ليلة الاسرا قال القاضي عياض اختلف السلف
والسلف هل راى نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسرى فانكرته عايشة كما وقع في صحيح مسلم وجا مثله عن ابي هريرة
وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود واليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين وروي عن ابن عباس انه راه بعينه ومثله عن ابي
ذر وكعب والحسن وكان يحلف على ذلك وحكي مثله عن ابن مسعود وابي هريرة واحمد بن حنبل وحكى اصحاب المقالات
عن ابي الحسن الاشعري وجميع اصحابه انه راه ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جايز
وروية الله عز وجل جايزة وسوال موسى اياها دليل على جوازها اذ لا يجهل نبي ما يجوز او يمتنع على ربه واختلفوا
في ان نبينا صلى الله عليه وسلم هل كلم ربه تعالى ليلة الاسرى بغير واسطة ام لا فحكي عن الاشعري وقوم من المتكلمين
انه كلمه وعزا بعضهم هذا القول الى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس وكذلك اختلفوا في قوله ثم دنى فتدلى
فالاكثر على ان هذا الدنو والتدلي منقسم بين جبريل والنبي محمد صلى الله عليه وسلم او مختص باحدهما من الاخر او من
سدرة المنتهى وذكر ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم انه دنو من النبي صلى الله عليه وسلم
الى ربه او من الله فعلى هذا القول يكون الدنو والتدلي متاولا ليس على وجهه بل كما قال جعفر بن محمد الدنو من
الله لا حد له ومن العباد بالحدود فيكون دنو النبي صلى الله عليه وسلم وقربه منه ظهور عظيم منزلته لديه وتراد
انوار معرفته عليه واطلاعه من غيبه واسرار ملكوته على ما لم يطلع سواه عليه والدنو من الله تعالى له
اظهار ذلك وعظيم بره وفضله العظيم لديه ويكون قوله تعالى قاب قوسين او ادنى هنا عبارة عن لطف
المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من نبينا صلى الله عليه وسلم ومن الله تعالى اجابة الرغبة وابانة

Copyright King Saud University

المنزلة هذا آخر كلام القاضي عياض قال الشيخ محيي الدين واما اصحاب التحرير فانما اجاز اثبات الرؤية قال والحجج في المسئلة
وان كانت كثيرة ولكنا لا نتمسك الا بالاقوى منها وهو حديث ابن عباس اتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى
والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين وعن عكرمة قال سئل ابن عباس هل راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه قال
نعم وقد ورد باسناد لا باس به عن شعبة عن قتادة عن انس قال راى محمد ربه وكان الحسن يحلف لقد راى محمد صلى الله
عليه وسلم ربه عز وجل والاصل في المسئلة حديث ابن عباس حبر هذه الامة والمرجوع اليه في المعضلات وقد
راجعه ابن عمر في هذه المسئلة وراسله هل راى محمد ربه عز وجل فاخبره انه راه ولا يقدح في هذا حديث عائشة
لان عائشة لم تخبر انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم ار ربي وانما ذكرت متاولة لقول الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه
الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا ولقوله لا تدركه الابصار والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة
واذا قد صحت الروايات عن ابن عباس في اثبات الرؤية وجب المصير الى اثباتها لانها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ
بالظن وانما يتلقى بالسمع ولا يستجيز احد ان يظن بابن عباس انه تكلم في هذه المسئلة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن
راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس ما نفاه غيره والمثبت مقدم على النافي هذا كلام صاحب التحرير وقال الشيخ محيي الدين
والحاصل ان الراجح عند اكثر العلماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ربه عز وجل بعيني راسه ليلة الاسرا لحديث ابن عباس
وغيره مما تقدم واثبات هذا لا ياخذونه الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مما لا ينبغي ان يتشكك فيه ثم ان عائشة
لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان معها حديث لذكرته وانما اعتمدت على الاستنباط من الايات
وسنوضح الجواب عنها اما احتجاج عائشة بقوله تعالى لا تدركه الابصار فجوابه ظاهر فان الادراك هو الاحاطة والله تعالى
لا يحاط به واذا ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير احاطة وهذا الجواب في نهاية الحسن مع اختصاره واما
احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الاية فالجواب عنه من اوجه احدها انه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام
حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام الثاني انه عام مخصوص بما تقدم من الادلة الثالث ما قاله بعض العلماء ان
المراد بالوحي الكلام من غير واسطة وهذا القول وان كان محتملا لكن الجمهور على ان المراد بالوحي هنا الالهام والرؤية في المنام وكلاهما
يسمى وحيا واما قوله تعالى او من وراء حجاب فقال الواحدي وغيره معناه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه من حيث
لا يرونه وليس المراد ان هناك حجابا يفصل موضعا عن موضع ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب حيث
لم ير المتكلم وقول عائشة في اول الحديث لقد قف شعري معناه قام شعري من الفزع لكوني سمعت ما لا ينبغي ان يقال تقول
العرب عند انكار الشيء قف شعري واقشعر جلدي واشمازت نفسي وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي ذر نور انى
اراه فهو بتنوين نور وبفتح الهمزة في انى وتشديد النون المفتوحة ومعناه حجابه نور فكيف اراه قال المازري الضمير
في اراه عائد على الله تعالى والمعنى ان النور يمنعني من الرؤية كما جرت العادة باغشاء النور الابصار ومنعها من ادراك
ما حالت بين الرائي والمرئي وفي رواية رايت نورا معناه النور والمراد غيره وفي رواية نور انى اراه معناه هو خالق النور
المانع من رؤيته فيكون من صفات الافعال ومن المستحيل ان يكون ذات الله نورا اذ النور من جملة الاجسام والله يتعالى عن ذلك
هذا مذهب جميع ائمة المسلمين والله اعلم قوله عز وجل افرايتم اللات والعزى هذه اسماء اصنام اتخذوها الهة يعبدونها
اشتقوا لها اسماء من اسماء الله عز وجل فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وقيل العزى تانيث الاعز والمعنى اخبرونا عن
هذه الالهة التي تعبدونها من دون الله هل لها من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة شيء وقيل كان اللات بالطائف
وقيل ببطن نخلة كانت قريش تعبده وقرئ اللات بالتشديد خ عن ابن عباس قال كان اللات رجلا يلت السويق للحاج
قيل فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان في راس جبل له غنيمة يسلا منها السمن وياخذ منها الاقط ويجمع رسلها
ثم يتخذ منها حيسا فيطعم الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات وقيل كان رجلا من ثقيف يقال له صرمة بن غنم

وكان

وكان يسلى السمن فيضعه على صخرة فتاتيه العرب فتلت به اسوقتهم فلما مات الرجل حولتها ثقيف الى منازلها
في الطائف على موضع اللات واما العزى فقيل هي شجرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
خالد بن الوليد فقطعها فجعل يضربها بالفاس ويقول يا عز كفرانك لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك فخرجت منها
شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على راسها ويقال ان خالدا رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال قد قطعتها فقال ما رايت قال ما رايت شيئا فقال ما قطعت فعاودها ومعه المعول فقطعها واجتث
اصلها فخرجت منها امراة عريانة فقتلها ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فقال تلك العزى ولن
تعبد ابدا وقيل هي صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني وقيل انه قدم مكة فراى الصفا والمروة
وراى اهل مكة يطوفون بينهما فرجع الى بطن نخلة فقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم اله
يعبدونه وليس لكم قالوا فما تامرنا قال انا اصنع لكم كذلك فاخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما الى نخلة
فوضع الذي اخذ من الصفا وقال هذا الصفا ثم وضع الذي اخذ من المروة وقال هذه المروة ثم اخذ ثلاثة احجار واسندها
الى شجرة وقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة الثلاث حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة
فامر برفع الحجارة وامر خالد بن الوليد الى العزى فقطعها وقيل هي بيت بالطائف كانت تعبده ثقيف وقوله ومناة قيل هي
لخزاعة كانت بقديد وقالت عائشة في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت حذو قديد وقيل بيت بالمشلل تعبده بنو كعب وقيل
مناة صنم لهذيل وخزاعة تعبدها اهل مكة وقيل اللات والعزى ومناة اصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها
الثالثة الاخرى نعت لمناة اي الثالثة للصنمين في الذكر فان العرب لا تقول الثالثة الاخرى هنا نعت
للثالثة قال الخليل فانما قال ذلك لوفاق رؤوس الاي كقوله مآرب اخرى ولم يقل اخر وقيل في الاية تقديم وتاخير تقديره افرايتم
اللات والعزى الاخرى ومناة الثالثة وقيل هي صفة ذم كانه تعالى قال ومناة الثالثة المتاخرة الذليلة فعلى هذا
فالاصنام ترتيب مراتب وذلك لان اللات كان على صورة ادمي والعزى شجرة فهو نبات ومناة صخرة فهي جماد وهي متاخرة
المراتب ومعنى الاية هل رايتم هذه الاصنام حق الرؤية فان رايتموها علمتم انها لا تصلح للعبادة لانها لا تضر ولا
تنفع وقيل افرايتم اي اخبروني ايها الزاعمون ان اللات والعزى ومناة بنات الله الكم الذكر وله الانثى وقيل كان
المشركون بمكة يقولون الاصنام والملائكة بنات الله كان الرجل منهم اذا بشر بالانثى كره ذلك فقال الله عز وجل
منكرا عليهم الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى قال ابن عباس اي قسمة جائرة جعلتم لربكم ما تكرهون لانفسكم
وقيل قسمة عوجاء غير معتدلة ان هي اي ما هذه الاصنام الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم والمعنى انكم سميتموها الهة
وليست بالهة حقيقة ولا معبودة حقيقة وقيل معناه قلتم لبعضها عزى ولا عزة لها فلا يكون لها مسمى
حقيقة ما انزل الله بها من سلطان اي حجة بما تقولون انها الهة ان يتبعون الا الظن اي في قولهم انها الهة وما تهوى
الانفس يعني وما زين لهم الشيطان من عبادة الاصنام وقيل وضعوا عبادتهم بمقتضى شهواتهم والذي ينبغي ان تكون
العبادة بمقتضى الشرع لا بمتابعة هوى النفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى اي البيان بالكتاب المنزل والنبي المرسل
ان الاصنام ليست بالهة وان العبادة لا تصلح الا لله الواحد القهار قوله تعالى ام للانسان ما تمنى معناه ايظن
الكافر ان له ما يتمنى ويشتهي من شفاعة الاصنام اي ليس الامر كما يظن ويتمنى فلله الاخرة والاولى اي لا يملك احد فيهما
شيئا الا باذنه وقيل معناه ان الانسان اذا اختار معبودا على ما تمناه واشتهاه فلله الاخرة والاولى يعاقبه
على فعله ذلك ان شاء في الدنيا او الاخرة وان شاء امهله الى الاخرة وكم من ملك في السموات اي ممن يعبده هؤلاء ويرجون
شفاعتهم عند الله لا تغني شفاعتهم شيئا يعني الملائكة مع علو منزلتهم لا تغني شفاعتهم شيئا فكيف تشفع الاصنام
مع حقارتهم ثم اخبر ان الشفاعة لا تكون الا باذنه فقال تعالى الا من بعد ان ياذن الله اي في الشفاعة لمن يشاء

Copyright © King Saud University

ويرضى اي من اهل التوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة الا لمن رضي الله عنه وقيل لا يشفعون الا باذن الله لمن يشاء من الملائكة
في الشفاعة لمن شا الشفاعة ان الذين لا يؤمنون بالاخرة يعني الكفار الذين انكروا البعث ليسمون الملائكة تسمية الانثى اي بتسمية الانثى
حيث انهم قالوا بنات الله **فان قلت** كيف قال بتسمية الانثى ولم يقل تسمية الاناث **قلت**
المراد منه بيان الجنس وهذا اللفظ اليق بهذا الموضع لمناسبة رؤوس الاي وقيل ان كل واحد من الملائكة يسمونه تسمية الانثى وذلك
لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى وما لهم به من علم اي بالله فيشركون به
ويجعلون له ولدا وقيل ما يستيقنون ان الملائكة اناث ان يتبعون الا الظن اي في تسمية الملائكة بالاناث وان
الظن لا يغني من الحق شيئا اي لا يقوم الظن مقام العلم الذي هو الحق وقيل معناه ان الحق الذي هو حقيقة
الشي بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم وقيل الحق هو الله تعالى والمعنى ان الاوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون
فاعرض عن من تولى عن ذكرنا يعني القران وقيل عن الايمان ولم يرد الا الحياة الدنيا يعني انهم لا يؤمنون بالاخرة
حتى يريدوها ويعملوا لها وفيه اشارة الى انكارهم الحشر ثم صغر رايهم فقال تعالى ذلك مبلغهم من العلم اي ذلك نهاية
علمهم وقلة عقولهم ان اثروا الدنيا على الاخرة وقيل معناه انهم لم يبلغوا من العلم الا ظنهم ان الملائكة بنات الله وانهم
يشفعون لهم فاعتمدوا على ذلك واعرضوا عن القران والايمان ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى
اي هو عالم بالفريقين فيجازيهم بالعالم ولله ما في السموات وما في الارض وهذه اشارة الى كمال قدرته وغناه
وهو معترض بين الاية الاولى وبين قوله ليجزي الذين اساوا بما عملوا والمعنى اذا كان اعلم بهم جازى كل
احد بما يستحقه فيجزي الذين اساوا بما عملوا اي اشركوا بما عملوا من الشرك ويجزي الذين احسنوا اي وحدوا ربهم
بالحسنى يعني الجنة وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسي اذا كان كثير الملك كامل القدرة فلذلك قال ولله ما في السموات
وما في الارض ثم وصف المحسنين فقال الذين يجتنبون كبائر الاثم قيل الاثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب
وقيل هو اسم للافعال المبطئة عن الثواب وقيل هو فعل ما لا يحل وقيل الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر وجمعه
اثام والكبيرة متعارفة في كل ذنب يعظم عقوبته وجمعه كبائر والفواحش جمع فاحشة وهي ما عظم قبحه من الافعال
والاقوال وقيل هي ما فحش من الكبائر الا اللمم اي الا ما قل وصغر من الذنوب وقيل هي مقاربة المعصية من
قولك الممت بكذا اذا قاربته من غير مواقعة واختلفوا في معنى الاية فقيل هذا استثناء صحيح واللمم من الكبائر والفواحش
ومعنى الاية الا ان يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب ويقع الوقعة ثم ينتهي وهو قول ابي هريرة ومجاهد والحسن
وفي رواية عن ابن عباس قال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك وقال ابو صالح سئلت عن قول الله عز وجل
الا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فذكرت ذلك لابن عباس فقال لقد اعانك عليها ملك كريم عن ابن
عباس في قوله عز وجل الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغفر
اللهم تغفر جما واي عبد لك لا الما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب فقيل اصل اللمم والالمام ما يعمله الانسان
الحين بعد الحين ولا يكون له اعادة ولا اقامة وقيل هو استثناء منقطع مجازه لكن اللمم ولم يجعلوا اللمم من الكبائر
والفواحش ثم اختلفوا في معناه فقيل هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم الله به في الاسلام وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين
انهم كانوا بالامس يعملون معنا فانزل الله عز وجل هذه الاية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن اسلم وقيل اللمم هو صغار
الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة ونحو ذلك مما هو دون الزنا وهو قول ابن مسعود وابي هريرة ومسروق والشعبي
والرواية الاخرى عن ابن عباس (خ) عن ابن عباس قال ما رايت شيا اشبه باللمم مما قال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الله عز وجل كتب على ابن ادم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس
تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك او يكذبه ولمسلم قال كتب على ابن ادم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة

العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا
والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه وقيل اللمم على وجهين احدهما انه كل ذنب لم يذكر الله تعالى
عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الاخرة فذلك الذي تكفره الصلوات الخمس ما لم يبلغ الكبائر والفواحش
والوجه الثاني هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه وقيل هو ما لم يخطر على القلب وقيل اللمم النظر
من غير عمد فهو مغفور فان عاد النظر فليس بلمم فهو ذنب **فصل** في بيان الكبيرة وحدها وتمييزها
عن الصغيرة قال العلماء اكبر الكبائر الشرك بالله وهو ظاهر لا خفاء به لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم ويليه القتل
بغير حق واما ما سواهما من الزنا واللواط وشرب الخمر وشهادة الزور واكل مال اليتيم بغير حق والسحر وقذف
المحصنات وعقوق الوالدين والفرار من الزحف واكل الربا وغير ذلك من الكبائر التي ورد بها النص فلها تفاصيل
واحكام يعرف بها مراتبها ويختلف امرها باختلاف الاحوال والمفاسد المترتبة عليها فعلى هذا يقال في كل واحدة
منها هي الكبائر بالنسبة الى ما دونها وقد جاء عن ابن عباس انه سئل عن الكبائر اسبع هي قال الى السبعين اقرب
وفي رواية الى سبعماية اقرب وقد اختلف العلماء في حد الكبيرة وتمييزها من الصغيرة فجا عن ابن عباس كل شي
نهى الله عنه فهو كبيرة وبهذا قال الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني وحكاه القاضي عياض عن المحققين
واحتج القائلون بهذا بان كل مخالفة فهي بالنسبة الى جلال الله كبيرة وذهب الجماهير من السلف والخلف من
جميع الطوائف الى انقسام المعاصي الى كبائر وصغائر وقد اختلف في ضبطها فروي عن ابن عباس انه قال الكبائر
كل ذنب ختمه الله تعالى بنار او غضب او لعنة او عذاب وعن الحسن نحو هذا وقيل هي ما اوعد الله عليه بنار
في الاخرة وحد في الدنيا قال الغزالي في البسيط الضابط الشامل في ضبط الكبيرة ان كل معصية يقدم عليها المرء
من غير استشعار خوف او استحداث ندم كالمتهاون في ارتكابها والمتجري عليها اعتيادا فما اشعر بهذا الاستخفاف
والتهاون فهو كبيرة وما يحمل على فلتات النفس وفترة مراقبة التقوى ولا ينفك عن تندم يمتزج به تنغيص
التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس بكبيرة وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في كتابه القواعد
اذا اردت معرفة الفرق بين الصغيرة والكبيرة فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها
فان نقصت عن اقل مفاسد الكبائر فهي من الصغائر وان ساوت ادنى مفاسد الكبائر او زادت عليه فهي
من الكبائر فمن امسك امراة محصنة لمن يزني بها او امسك مسلما لمن يقتله فلا شك ان مفسدة ذلك اعظم
من اكل مال اليتيم مع كونه من الكبائر وكذلك لو دل الكفار على عورة المسلمين مع علمه بانهم يستاصلونهم بدلالته
فان نسبته الى هذه المفسدة اعظم من توليه يوم الزحف بغير عذر مع كونه من الكبائر وكذلك لو كذب على انسان
كذبا يعلم انه ياخذ منه ثمرة بسبب كذبه من يكن ذلك من الكبائر قال الشيخ ابو عمرو بن الصلاح في فتاويه الكبيرة
كل ذنب كبر وعظم عظما يصح معه ان يطلق عليه اسم الكبيرة ووصف بكونه عظيما على الاطلاق فهذا حد الكبيرة
ولها امارات منها ايجاب الحد ومنها الايعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها ومنها وصف فاعلها بالفسق
وايضا فاعلها اللعن كلعن الله من غير منار الارض ونحو ذلك والله اعلم وقوله تعالى ان ربك واسع المغفرة
قال ابن عباس لمن فعل ذلك ثم تاب واناب وروي عن عمر بن الخطاب وابن عباس قالا لا كبيرة في الاسلام
اي لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار ومعناه ان الكبيرة ايضا تمحى بالتوبة والصغيرة
تصير كبيرة بالاصرار عليها وقيل في حد الاصرار هو ان تتكرر منه الصغيرة تكرارا يشعر بقلة مبالاته بذنبه
وتم الكلام على قوله ان ربك واسع المغفرة ثم ابتدا فقال هو اعلم بكم اي قبل ان يخلقكم وهو قوله اذ انشاكم
من الارض اي خلق اباكم ادم من التراب واذ انتم اجنة جمع جنين في بطون امهاتكم سمي جنينا لاستتاره في بطن امه

Copyright King Saud University

فلا تزكوا انفسكم قال ابن عباس لا تمدحوها وقال الحسن علم الله من كل نفس ما هي صانعة والى ما هي صائرة فلا
تزكوا انفسكم فلا تبروها من الاثام ولا تمدحوا ولخلفكم الى اخر يومكم فلا تزكوا انفسكم رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن لم تعرفوا
حقيقته انا خير منك وانا ازكى منك واتقى منك فان العلم عند الله وفيها اشارة الى وجوب خوف العاقبة فان الله يعلم
عاقبة من هو على التقوى وهو قوله تعالى هو اعلم بمن اتقى اى بمن بر واطاع واخلص العمل وقيل في معنى الاية فلا تزكوا
انفسكم اى فلا تنسبوها الى زكا العمل وزيادة الخير والطاعات وقيل لا تنسبوها الى الزكاة والطهارة من المعاصي
ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكي منكم والتقي اولا واخرا قبل ان يخرجكم من صلب ابيكم وقبل ان تخرجوا
من بطون امهاتكم قيل نزلت في ناس كانوا يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فانزل
الله فيهم هذه الاية قوله عز وجل افرايت الذي تولى نزلت في الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبي صلى الله عليه وسلم
على دينه فعيره بعض المشركين وقال اتركت دين الاشياخ وضللت قال اني خشيت عذاب الله فضمن له الذي
عاتبه ان اعطاه كذا من ماله ورجع الى الشرك ان يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد الى الشرك واعطى للذي وعده
بعض الذي ضمن له من المال ومنعه تمامه فانزل الله افرايت الذي تولى اى ادبر واعرض عن الايمان واعطى
لصاحبه الذي عيره قليلا واكدى اى بخل بالباقي وقيل اعطى قليلا اى من الخير بلسانه واكدى اى قطعه
وامسك ولم يتمم العطية وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك انه كان ربما يوافق النبي صلى الله عليه
وسلم في بعض الامور وقيل نزلت في ابي جهل وذلك انه قال يا محمد بمكارم الاخلاق فذلك قوله واعطى قليلا
واكدى اى لم يومن به ومعنى اكدى اى قطع واصله من الكدية وهي حجر تظهر في البئر تمنع من الحفر اعنده علم
الغيب فهو يرى اى ما غاب عنه ويعلم ان صاحبه يتحمل عنه عذابه ام لم ينبا اى يخبر بما في صحف
موسى يعني اسفار التورية وابراهيم اى وبما في صحف ابراهيم الذي وفى اى كمل وتمم ما امر به وبلغ
رسالات ربه الى خلقه وقيل وفى بما فرض عليه وقيل قام بذبح ولده وقيل استكمل الطاعة وقيل عمل في
سهام الاسلام وهو قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن والتوفية الاتمام وقيل وفى في شان المناسك
وروى البغوي بسنده عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابراهيم الذي وفى قال اربع ركعات اول
النهار وعن ابي الدرداء وابي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى انه قال ابن ادم اركع لي
اربع ركعات من اول النهار اكفك اخره اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن غريب ثم بين ما في صحفهما فقال
الا تزر وازرة وزر اخرى ان لا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى والمعنى لا تواخذ نفس باثم غيرها وفي هذا
ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة انه يحمل عنه الاثم وقال ابن عباس كانوا قبل ابراهيم ياخذون الرجل
بذنب غيره كان الرجل يقتل بقتل ابيه وابنه واخيه وامراته وعبده حتى كان ابراهيم عليه السلام فنهاهم
عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى الا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى اى عمل وهذا في صحف ابراهيم
وموسى ايضا قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله الحقنا بهم ذرياتهم فادخل الابنا الجنة بصلاح
الاباء وقيل كان ذلك لقوم ابراهيم وموسى فاما هذه الامة فلها ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روي عن ابن
عباس ان امراة رفعت صبيا لها فقالت يا رسول الله الهذا حج قال نعم ولك اجر اخرجه مسلم وعنه ان رجلا قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان امي توفيت اينفعها ان تصدقت عنها قال نعم وفي رواية ان سعد بن عبادة
اخا بني ساعدة وذكر نحوه اخرجه البخاري وعن عايشة رضي الله عنها قالت ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ان امي افتلتت نفسها واظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها اجر ان تصدقت عنها قال نعم اخرجاه
في الصحيحين وفي حديث ابن عباس دليل لمذهب الشافعي ومالك واحمد وجماهير العلماء ان حج الصبي منعقد صحيح

بثاب

بثاب عليه وان كان لا يجزيه عن حجة الاسلام بل يقع تطوعا وقال ابو حنيفة لا يصح حجه وان كان يكون
ذلك تمرينا للعبادة وفي الحديثين الاخيرين دليل على ان الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها
وهو اجماع العلماء وكذا اجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدين للنصوص الواردة في ذلك ويصح الحج عن الميت حجة
الاسلام وكذا لو وصى بحج تطوع عند الشافعي واختلف العلماء في الصوم اذا مات وعليه صوم فالراجح جوازه
عنه للاحاديث الصحيحة فيه والمشهور من مذهب الشافعي ان قراءة القران لا يصله ثوابها وقال جماعة
من اصحابه يصله ثوابها وبه قال احمد بن حنبل والجمهور وقال احمد يصله ثواب الجميع والله اعلم وقيل اراد بالانسان
الكافر والمعنى ليس له في الخير الا ما عمل هو فيثاب عليه في الدنيا بان يوسع عليه في رزقه ويعافى في بدنه حتى لا يبقى
له في الاخرة خير وروي عن عبد الله بن ابي ابن سلول قال اعطى العباس قميصا البسه اياه فلما مات ارسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم يبق له في الاخرة حسنة يثاب عليها وقيل ليس للانسان الا ما سعى
هو من باب العدل فاما من باب الفضل فجائز ان يزيده الله ما يشاء من فضله وكرمه وان سعيه سوف يرى
اى يرى في ميزانه يوم القيامة وفيه بشارة للمومن وذلك ان الله تعالى يريه اعماله الصالحة ليفرح بها ويحزن
الكافر باعماله الفاسدة فيزداد غما ثم يجزاه اى يجزى السعي الجزاء الاوفى اى الاتم الاكمل والمعنى ان الانسان يجزى جزاء
سعيه بالجزاء الاوفى قوله عز وجل وان الى ربك المنتهى اى اليه منتهى الخلق ومصيرهم اليه في الاخرة وهو مجازيهم
باعمالهم وفي الخطاب بهذا وجهان احدهما انه عام تقديره وان الى ربك ايها السامع او العاقل كاينا من كان
المنتهى فهو تهديد بليغ للمسيء وحث شديد للمحسن ليقلع المسيء عن اساءته ويزداد المحسن في احسانه الوجه
الثاني ان المخاطب بهذا هو النبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى
لا تحزن فان الى ربك المنتهى وقيل في معنى الاية منه ابتدا المنة واليه انتهاء الامال وروى البغوي باسناد
الثعلبي عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وان الى ربك المنتهى قال لا فكرة في الرب وهذا مثل
ما روي عن ابي هريرة مرفوعا تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فانه لا يحيط به الفكرة ومعناه لا فكرة في الرب
اى تنتهي الافكار اليه فهو اشارة الى وجوده ووحدانيته سبحانه وتعالى وانه هو اضحك وابكى اى هو القادر على ايجاد
الضدين في محل واحد الضحك والبكا ففيه دليل على ان جميع ما يعمله الانسان فبقضاء الله وقدره وخلقه حتى
الضحك والبكا قيل اضحك اهل الجنة في الجنة وابكى اهل النار في النار وقيل اضحك الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر
وقيل الفرح والحزن لان الفرح يجلب الضحك والخوف يجلب البكا عن جابر بن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم
اكثر من مائة مرة وكان اصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون اشياء من امر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم
معهم اذا ضحكوا يعني النبي صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عمر هل كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون
قال نعم والايمان في قلوبهم اعظم من الجبل عن انس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها
قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين
هو البكا المهجة اى بكا مع صوت يخرج من الانف وانه هو امات واحيى اى امات في الدنيا واحيى للبعث وقيل امات الاباء
واحيا الابنا وقيل امات الكافر بالنكرة واحيا المومن بالمعرفة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى اى من كل حيوان وهو ليس
من جملة المقادرات التي تتوارد على النطفة فيخلق بعضها ذكرا وبعضها انثى وهذا شي لا يصل اليه فهم العقلا
ولا يعلمونه وانما هو بقدرة الله تعالى وخلقه لا بفعل الطبيعة من نطفة اذا تمنى اى تصب في الرحم وقيل تقدر
وفي هذا تنبيه على كمال قدرته لان النطفة شي واحد يخلق الله منها اعضا مختلفة وطباعا متباينة وخلق
منها الذكر والانثى وهذا من عجيب صنعته وكمال قدرته ولهذا لم يوكله بقوله وانه هو خلق لا نعلم بديع

احد ايجاد نفسه ولا خلقها ولا خلق غيره كان يقدر احداث شي من خلق السموات والارض وان عليه النشاة الاخرى اي الخلق الثاني
بعد الموت للبعث يوم القيامة وانه هو اغنى واقنى اي اغنى الناس بالاموال واعطى القنية وهو اصول الاموال وما
يدخرونه بعد الكفاية وقيل اغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية وقيل اغنى بالذهب
والفضة وصنوف الاموال واقنى بالابل والبقر والغنم وقيل اقنى اخدم وقال ابن عباس اغنى واقنى اي اعطى
فارضى وقيل اغنى يعني دفع حاجته ولم يتركه محتاجا الى شي لان الغنى ضد الفقر واقنى اي زاد في الغنا وانه هو رب
الشعرى اي هو رب معبودهم وكانت خزاعة تعبد الشعرى واول من سن لهم ذلك رجل من اشرافهم يقال له ابو كبشة
عبدها وقال لان النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى تقطعها طولا فهي مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة فلما
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلاف العرب في الدين سموه ابن ابي كبشة تشبيها له بمخالفة اياهم كما خالفهم ابو
كبشة وعبد الشعرى وهو كوكب يضي خلف الجوزا ويسمى كلب الجبار ايضا وهما شعريان يمانية وشامية يقال لاحدهما
العبور والاخرى الغميصا سميت بذلك لانها اخفى من العبور والمجرة بينهما واراد بالشعرى هنا العبور وانه اهلك عادا
الاولى وهم قوم هود اهلكوا بريح صرصر وكان لهم عقب فكانوا عادا اخرى وقيل الاخرى ارم وقيل الاولى يعني اول الخلق
هلاكا بعد قوم نوح وثمود وهم قوم صالح اهلكهم الله بالصيحة فما ابقى يعني منهم احدا وقوم نوح من قبل يعني اهلك
قوم نوح من قبل عاد وثمود بالغرق انهم كانوا هم اظلم واطغى يعني لطول دعوة نوح اياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب
والموتفكة يعني قرى قوم لوط اهوى اي اسقط وذلك ان جبريل رفعها الى السماء ثم اهوى بها فغشاها اي البسها الله ما غشى
يعني الحجارة المنضودة المسومة فباي آلاء ربك تتمارى اي تشك ايها الانسان وقيل اراد الوليد بن المغيرة وقال ابن
عباس تتمارى اي تكذب هذا نذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من النذر الاولى اي رسول من الرسل المتقدمة ارسل اليكم
كما ارسلت الرسل الى قومهم وقيل انذر محمد كما انذر الرسل من قبله ازفت الآزفة اي قربت القيامة واقتربت الساعة
ليس لها من دون الله كاشفة اي مظهرة ومبينة متى تقوم وقيل معناه ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله
غير انه لا يكشفها وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره وقيل معناه ليس
لها راد يعني اذا غشيت الخلق اهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردها عنهم احد قوله تعالى افمن هذا الحديث
يعني القرآن تعجبون تنكرون وتضحكون اي استهزاء ولا تبكون اي مما فيه من الوعيد وانتم سامدون اي لاهون
غافلون قال ابن عباس وعنه ان السمود هو الغنا بلغة اهل اليمن وكانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا
واصل السمود في اللغة رفع الراس ماخوذ من سمد البعير اذا رفع راسه وجد في سيره والسامد اللاهي والمغني وقيل
معناه اشرون بطرون وقال مجاهد غضاب متبرطمون فقيل له ما البرطمة قال الاعراض فاسجدوا لله يعني ايها
المومنون شكرا على الهداية وقيل هذا محمول على سجود التلاوة وقيل على سجود الفرض في الصلاة واعبدوا اي
اعبدوا الله وانما قال فاعبدوا اما لكونه معلوما واما لكون لان العبادة في الحقيقة لا تكون الا لله تعالى ق
عن عبد الله بن مسعود قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا من قريش
اخذ كفا من حصبا او تراب فرفعه الى جبهته وقال يكفيني هذا قال عبد الله فلقد رايته بعد قتل كافرا زاد البخاري
في رواية له قال اول سورة نزلت فيها سجدة النجم وذكره وقال في آخره وهو امية بن خلف خ عن ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس ق عن زيد بن ثابت قال قرات على
رسول الله صلى الله عليه وسلم النجم فلم يسجد فيها فهذا الحديث دليل على ان سجود التلاوة غير واجب وهو قول
الشافعي واحمد وقال عمر بن الخطاب ان الله لم يكتبها علينا الا ان نشاء الله وذهب قوم الى وجوبها على القاري
والمستمع وهو قول سفيان واصحاب الراي والله اعلم تفسير سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون اية

وثلثمائة

وثلثمائة واثنتان واربعون كلمة والف واربعمائة وثلاثة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
اقتربت الساعة اي دنت القيامة وانشق القمر قيل فيه تقديم وتاخير تقديره انشق القمر واقتربت
الساعة وانشقاق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهرة ومعجزاته الباهرة يدل عليه
ما روي عن انس ان اهل مكة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فاراهم انشقاق القمر
مرتين اخرجه البخاري ومسلم وزاد الترمذي فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر يقول ذاهب
ولهما عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اشهدوا وفي رواية اخرى قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى اذ انفلق
القمر فلقتين فلقة فوق الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا ولهما
عن ابن عباس قال ان القمر انشق في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم م عن ابن عمر قال انشق القمر على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقتين فستر الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد وعن جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فصار فرقتين فقالت قريش سحر محمد اعيننا فقال بعضهم لئن كان سحرنا ما يستطيع ان يسحر
الناس كلهم اخرجه الترمذي وزاد غيره وكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم بانهم قد راوه فيكذبونهم قال
مقاتل انشق القمر ثم التام بعد ذلك وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن ابي كبشة فسالوا السفارة فقالوا نعم قد رايناه فانزل الله تعالى
اقتربت الساعة وانشق القمر فهذه الاحاديث الصحيحة قد وردت بهذه المعجزة العظيمة مع شهادة
القرآن المجيد بذلك فانه ادل دليل واقوى مثبت له وامكانه لا يشك فيه مومن وقد اخبر عنه الصادق
فيجب الايمان به واعتقاد وقوعه قال الشيخ محيي الدين في شرح صحيح مسلم قال الزجاج وقد انكرها بعض
المبتدعة المضاهين لمخالفي الملة وذلك لما اعمى الله قلبه ولا انكار للعقل فيها لان القمر مخلوق لله تعالى
يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره في آخر امره فاما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا لنقل متواترا واشترك
اهل الارض كلهم في رويته ومعرفته ولم يختص بها اهل مكة فاجاب العلماء عن هذا بان هذا الانشقاق حصل
في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والابواب مغلقة وهم مغطون بثيابهم فقل من يتفكر في السماء او ينظر اليها الا
الشاذ النادر ومما هو مشاهد معتاد ان كسوف القمر وغيره مما يحدث في السماء في الليل من العجائب والانوار الطوالع
والشهب العظام ونحو ذلك يقع ولا يتحدث به الا آحاد الناس ولا علم عند غيرهم بذلك لما ذكرناه من غفلة الناس
عنه وكان هذا الانشقاق آية عظيمة حصلت في الليل لقوم سالوها واقترحوا رويتها فلم يتاهب غيرهم لها قال
العلماء وقد يكون القمر حينئذ في بعض المجاري والمنازل التي تظهر لبعض اهل الآفاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم
غائبا عن قوم وكما يجد الكسوف اهل بلد دون بلد والله اعلم وقيل في معنى الآية ينشق القمر يوم القيامة وهذا قول
باطل لا يصح وشاذ لا يثبت لاجماع المفسرين على خلافه ولان الله ذكره بلفظ الماضي وحمل الماضي على المستقبل بعيد
يفتقر الى قرينة تنقله او دليل يدل عليه وفي قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا دليل على وجود هذه الآية العظيمة
وقد كان ذلك وقيل في معنى قوله تعالى وان يروا آية اي تدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد بالآية
هنا انشقاق القمر يعرضوا اي عن التصديق بها ويقولوا سحر مستمر اي دائم مطرد وكل شي دام حاله قيل فيه مستمر
وذلك لما راوا تتابع المعجزات وترادف الآيات قالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر اي ذاهب سوف يبطل ويذهب
ولا يبقى وانما قالوا ذلك تمنية لانفسهم وتعليلا وكذبوا يعني النبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله

Copyright © King Saud University

واتبعوا اهواءهم اى ما زين لهم الشيطان من الباطل وقيل هو قولهم انه سحر القمر وكل امر مستقر اى لكل امر حقيقة فما كان
منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة فسيعرف وقيل كل امر مستقر فالخير مستقر باهله في الجنة والشر مستقر باهله
في النار وقيل يستقر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب وقيل معناه لكل حديث منتهى
وقيل ما قدر فهو كائن وواقع لا محالة وقيل هو جواب قولهم سحر مستمر يعني ليس امره بذاهب كما زعمتم بل كل امر من امره مستقر
وان امر محمد صلى الله عليه وسلم سيظهر الى غاية يتبين فيها انه حق ولقد جاءهم يعني اهل مكة من الانباء اى من اخبار الامم الماضية
المكذبة في القرآن ما فيه مزدجر اى متناهى وموعظة حكمة بالغة يعني القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية فما تغني
النذر اذا خالفوهم وكذبوهم فتول عنهم اى اعرض عنهم نسختها اية القتال يوم يدع الداع اى اذكر يا محمد يوم يدع
الداع وهو اسرافيل ينفخ في الصور قائما على صخرة بيت المقدس الى شيء نكر اى منكر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما
خاشعا وقرئ خشعا ابصارهم اى ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب يخرجون من الاجداث اى من القبور كانهم جراد منتشر مثل
في كثرتهم وتموج بعضهم في بعض حيارى فزعين مهطعين مسرعين مادي اعناقهم مقبلين الى الداع اى الى صوت الداع وهو اسرافيل
وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بابصارهم يقول الكافرون هذا يوم عسر اى صعب شديد وفيه اشارة ان ذلك اليوم يوم
شديد على الكافرين لا على المؤمنين قوله تعالى كذبت قبلهم اى قبل اهل مكة قوم نوح فكذبوا عبدنا يعني
نوحا وقالوا مجنون وازدجر اى زجروه عن دعوته ومقالته بالشتم والوعيد بقولهم لئن لم تنته يا نوح لتكونن من
المرجومين فدعا يعني نوحا ربه وقال اني مغلوب اى مقهور فانتصر اى فانتقم لي منهم ففتحنا ابواب السماء قيل هو
على ظاهره وللسماء ابواب تفتح وتغلق ولا يستبعد ذلك لانه قد صح في الحديث ان للسماء ابوابا وقيل هو على الاستعارة
فان الظاهر ان يكون المطر من السحاب بماء منهمر اى منصب انصبابا شديدا لم ينقطع اربعين يوما وفجرنا الارض عيونا
اى وجعلنا الارض كلها عيونا تنبع بالماء فالتقى الماء يعني ماء السماء وماء الارض على امر قد قدر اى قضي عليهم في
ام الكتاب وقيل قدر الماءان يكونان سواء فكانا على قدر وحملناه يعني نوحا على ذات الواح اى سفينة ذات الواح واراد
بالالواح خشب السفينة العريضة ودسر اى مسامير التي يشد بها الالواح وقيل الدسر صدر السفينة وقيل عوارض
السفينة واضلاعها وقيل الالواح جانبا السفينة والدسر اصلها وطرفاها تجري يعني السفينة باعيننا اى بمرأى منا
وقيل بحفظنا وقيل بامرنا جزاء لمن كان كفر يعني فعلنا ذلك به وبهم من انجاء نوح واغراق قومه ثوابا لنوح لانه كان
كفر به وجحد قومه امره وقيل لمن بمعنى ما اى جزاء لما كان كفر من ايادي الله ونعمه عند الذين غرقهم وقيل جزاء لما صنع
بنوح واصحابه ولقد تركناها آية يعني الفعلة التي فعلنا بهم آية يعتبر بها وقيل الهاء للسفينة قال قتادة ابقاها الله
تعالى بباقردى من ارض الجزيرة عبرة حتى نظر اليها اوائل هذه الامة فهل من مدكر اى متذكر معتبر متعظ خائف مثل
عقوبتهم ق عن ابن مسعود قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مذكر فردها علي وفي رواية اخرى
سمعته يقول مدكر دالا فكيف كان عذابي ونذر اى انذاري ولقد يسرنا القرآن اى سهلنا القرآن للذكر اى ليتذكر ويعتبر
به قال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شيء من كتب الله تعالى يقرأ كله ظاهرا الا القرآن فهل من مدكر
اى متعظ بموعظة وفيه الحث على تعليم القرآن والاشتغال به لانه قد سهله الله ويسره على من يشاء من عباده بحيث يسهل
حفظه على الصغير والكبير والعربي والعجمي وغيرهم قوله عز وجل كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر اى انذاري لهم بالعذاب انا
ارسلنا عليهم ريحا صرصرا اى شديدة الهبوب في يوم نحس اى في يوم شؤم مستمر اى دائم الشؤم استمر عليهم بنحوسته
فلم يبق منهم احدا الا اهلكه فيه وقيل كان ذلك اليوم يوم الاربعاء في آخر الشهر تنزع الناس اى تقلعهم ثم ترمي بهم على
رؤسهم فتدق رقابهم [illegible] كانهم اعجاز نخل منقعر قال ابن عباس اصول النخل منقعر اى منقلع
من مكانه ساقط على الارض وقيل كانت الريح تقلع رؤسهم من اجسامهم فتبقى اجسامهم بلا رؤس كعجز النخلة الملقاة فكيف

كان

٦٢٥

كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر اى بالانذار الذي جاء به صالح
فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه يعني آدميا واحدا منا نتبعه اى ونحن جماعة كثيرة انا اذا لفي ضلال اى خطأ وذهاب عن الصواب وسعر
قال ابن عباس عذاب وقيل تعب وقيل عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته وقيل لفي جنون وقيل لفي بعد عن
الحق أألقي الذكر عليه يعني أأنزل عليه الوحي من بيننا بل هو كذاب أشر اى بطر متكبر يريد ان يتعظم علينا بادعائه النبوة
سيعلمون غدا اى حين ينزل بهم العذاب وقيل يعني يوم القيامة وانما ذكر الغد للتقريب من الكذاب الاشر اى صالح ام من
كذبه انا مرسلوا الناقة اى باعثوها ومخرجوها من الهضبة التي سألوا وذلك انهم تعنتوا على صالح فسألوه ان يخرج لهم
من صخرة ناقة عشراء فقال الله تعالى انا مرسلوا الناقة فتنة لهم اى محنة واختبارا لهم فارتقبهم اى فانتظر ما هم صانعون
واصطبر اى على اذاهم ونبئهم اى اخبرهم ان الماء قسمة بينهم اى بين الناقة وبينهم لها يوم ولهم يوم وانما قال
بينهم تغليبا للعقلاء كل شرب اى نصيب من الماء محتضر اى يحضره من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة حضرت شربها
واذا كان يومهم حضروا شربهم وقيل يعني يحضرون الماء اذا غابت الناقة فاذا جاءت حضروا اللبن فنادوا صاحبهم
يعني قدار بن سالف فتعاطى اى فتناول الناقة بسيفه فعقر يعني الناقة فكيف كان عذابي ونذر ثم بين عذابهم فقال تعالى
انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة يعني صيحة جبريل فكانوا كهشيم المحتظر قال ابن عباس هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة من الشجر والشوك
دون السباع فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم وقيل هو الشجر البالي الذي يهشم حين تذروه الريح والمعنى انهم صاروا
كيبس الشجر اذا بلي وتحطم وقيل كالعظام النخرة المحترقة وقيل هو التراب يتناثر من الحائط ولقد يسرنا القرآن للذكر
فهل من مدكر قوله عز وجل كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا يعني الحصباء وهي الحجارة التي دون ملء الكف وقد يكون الحاصب
الرامي فعلى هذا يكون المعنى انا ارسلنا عليهم عذابا يحصبهم اى يرميهم بالحجارة ثم استثنى فقال تعالى الا آل لوط
يعني لوطا وابنتيه نجيناهم يعني من العذاب بسحر نعمة من عندنا اى جعلناه نعمة منا عليهم حيث انجيناهم كذلك
نجزي اى كما انعمنا على آل لوط كذلك نجزي من شكر يعني من وحد الله لم يعذبه مع المشركين ولقد انذرهم اى لوط
بطشتنا يعني اخذنا اياهم بالعقوبة فتماروا بالنذر اى شكوا بالانذار ولم يصدقوا وكذبوا ولقد راودوه عن ضيفه اى
طلبوا منه ان يسلم اليهم اضيافه فطمسنا اعينهم وذلك انهم لما قصدوا دار لوط عالجوا الباب ليدخلوا عليهم فقالت الرسل
انا رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه فتركهم عميا باذن الله يترددون متحيرين لا يهتدون
الى الباب فاخرجهم لوط عميا لا يبصرون ومعنى فطمسنا اعينهم اى صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق وقيل
طمس الله ابصارهم فلم يروا الرسل فقالوا قد رأيناهم حين دخلوا فاين ذهبوا فلم يروهم فذوقوا عذابي ونذر يعني
ما انذركم به لوط من العذاب ولقد صبحهم بكرة اى جاءهم وقت الصبح عذاب مستقر اى دائم استقر بهم حتى افضى بهم الى عذاب
الآخرة فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قوله عز وجل ولقد جاء آل فرعون النذر
يعني موسى وهارون عليهما السلام وقيل النذر الآيات التي انذرهم بها موسى كذبوا بآياتنا كلها يعني الآيات
التسع فاخذناهم اى بالعذاب اخذ عزيز مقتدر اى غالب في انتقامه قادر على اهلاكهم لا يعجزه ما اراد ثم خوف كفار مكة
فقال اكفاركم خير من اولئكم يعني اقوى واشد من الذين احللت بهم نقمتي مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون
وهذا استفهام انكار اى ليسوا باقوى منهم ام لكم براءة يعني من العذاب في الزبر اى في الكتب انه لن يصيبكم ما اصاب الامم
الخالية ام يقولون يعني كفار مكة نحن جميع منتصر اى ننتصر من اعدائنا والمعنى نحن يد واحدة على من خالفنا ننتصر ممن
عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رؤوس الآي وقيل معناه نحن كل واحد منا منتصر كما يقال كلهم عالم اى كل
واحد منهم عالم قال الله تعالى سيهزم الجمع يعني كفار مكة ويولون الدبر اى الادبار فوحد لاجل رؤوس الآي وقيل فيه
الاشارة الى انهم في التولية والهزيمة كنفس واحدة فلا يتخلف احد عن الهزيمة ولا يثبت احد للزحف فهم في ذلك كرجل واحد

حاصبا

عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قبة يوم بدر اللهم اني انشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت
لم تعبد بعد اليوم ابدا فاخذ ابو بكر بيده فقال حسبك يا رسول الله فقد الححت على ربك فخرج وهو في الدرع وهو يقول سيهزم
الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب
يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رايت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في درعه
ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعلمت تاويلها بل الساعة موعدهم يعني جميعا والساعة ادهى اي اعظم داهية واشد
وامر من الاسر والقتل يوم بدر قوله عز وجل ان المجرمين يعني المشركين في ضلال وسعر قيل في بعد عن الحق وسعر اي نار تسعر
عليهم وقيل في ضلال في الدنيا ونار تسعر في الاخرة وقيل في ضلال اي عن طريق الجنة وعذاب الاخرة ثم بين عذابهم فقال
تعالى يوم يسحبون اي يجرون في النار على وجوههم ويقال لهم ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر اي مقدر ومكتوب في اللوح المحفوظ
وقيل معناه قدر الله لكل شيء من خلقه قدره الذي ينبغي له وقال ابن عباس كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك

فصل

في سبب نزول الاية وما ورد في القدر وما قيل فيه م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه على الماء عن
ابي هريرة قال جاء مشركوا قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الاية ان المجرمين في
ضلال وسعر الى قوله انا كل شيء خلقناه بقدر م عن طاوس قال ادركت ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون
كل شيء بقدر الله تعالى قال وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء بقدر حتى العجز والكيس
او الكيس والعجز عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يؤمن باربع يشهد ان لا اله
الا الله واني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر اخرجه الترمذي وله عن
جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم ان ما اصابه لم
يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وقال حديث غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الله بن ميمون وهو منكر الحديث
وفي حديث جبريل المتفق عليه وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت فتقدم ما للقدرية عن حذيفة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لكل امة مجوس ومجوس هذه الامة الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا
تعودوهم وهم شيعة الدجال وحق على الله ان يلحقهم بالدجال اخرجه ابو داود وله عن ابي هريرة مثله وزاد فلا تجالسوهم ولا تفاتحوهم
في الكلام وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من امتي ليس لهما في الاسلام نصيب المرجئة والقدرية
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وروى ابن الجوزي في تفسيره عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة امر مناديا فينادي نداء يسمعه الاولون والاخرون اين خصماء الله فتقوم
القدرية فيؤمر بهم الى النار يقول ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر قال ابن الجوزي وانما قيل خصماء الله لانهم يخاصمون
في انه لا يجوز ان يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها وروي عن الحسن قال والله لو ان قدريا صام حتى يصير
كالحبل وصلى حتى يصير كالوتر ثم اخذ ظلما حتى ذبح بين الركن والمقام لكبه الله على وجهه في سقر انا كل شيء خلقناه بقدر
قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله اعلم ان مذهب اهل الحق اثبات القدر ومعناه ان الله تعالى قدر الاشياء في القدم
وعلم سبحانه وتعالى على صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها الله تعالى وانكرت القدرية هذا وزعمت
انه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه بها وانها مستانفة العلم اي انما يعلمها سبحانه وتعالى بعد تقديرها
ولم يتقدم علمه بها وانها مستانفة العلم اي انما يعلمها سبحانه وتعالى بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى وجل
عن اقوالهم الباطلة علوا كبيرا وسميت هذه الفرقة قدرية لانكارهم القدر قال اصحاب المقالات من المتكلمين وقد انقرضت
القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل ولم يبق احد من اهل القبلة عليه وصارت القدرية في الازمان المتاخرة

تعتقد

تعتقد اثبات القدر ولكن تعتقد ان الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وحكى ابو محمد بن قتيبة في كتاب
غريب الحديث وابو المعالي امام الحرمين في كتابه الارشاد في اصول الدين ان بعض القدرية قال لسنا بقدرية بل انتم القدرية
قال ابن قتيبة وامام الحرمين هذا تمويه من هؤلاء الجهلة ومباهتة وتواقح فان اهل الحق يفوضون امورهم الى الله
تعالى ويضيفون القدر والافعال الى الله تعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونه الى انفسهم ومدعي الشيء لنفسه ومضيفه
اليها اولى بان ينسب اليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه قال امام الحرمين وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر في حكم الارادة كما قسمت المجوس فصرفت الخير
الى يزدان والشر الى اهرمن ولا خفاء باختصاص هذا الحديث بالقدرية وحديث القدرية مجوس هذه الامة رواه
ابو حازم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود في سننه والحاكم ابو عبد الله في المستدرك على
الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخين ان صح سماع ابي حازم من ابن عمر وقال الخطابي انما جعلهم صلى الله عليه وسلم مجوسا
لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالاصلين النور والظلمة يزعمون ان الخير الى الله والشر الى غيره والله سبحانه
وتعالى خالق الخير والشر جميعا لا يكون شيء منهما الا بمشيئته فهما مضافان اليه سبحانه وتعالى خلقا وايجادا والى الفاعلين
لهما من عباده فعلا واكتسابا قال الخطابي وقد يحسب كثير من الناس ان معنى القضاء والقدر اجبار الله العبد وقهره
على ما قدره وقضاه وليس الامر كما يتوهمونه وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من اكساب العباد
وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها قال والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر يقال قدرت
الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد والقضاء في هذا معناه الخلق كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات
اي خلقهن وقد تظاهرت الادلة القطعية من الكتاب والسنة واجماع الصحابة واهل العقد والحل من السلف
والخلف على اثبات قدر الله سبحانه وتعالى وقد قرر ذلك ائمة المتكلمين احسن تقرير بدلائلهم القطعية السمعية
والعقلية والله اعلم واما معاني الاحاديث المتقدمة فقوله جاء مشركوا قريش الى قوله انا كل شيء خلقناه بقدر
المراد بالقدر هنا القدر المعروف وهو ما قدره الله وقضاه وسبق به علمه وارادته فكل ذلك مقدر في الازل معلوم
لله تعالى مراد له وكذلك قوله كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وعرشه
على الماء المراد منه تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ او غيره لا اصل التقدير فان ذلك ازلي لا اول له وقوله
وعرشه على الماء اي قبل ان يخلق السموات والارض وقوله كل شيء بقدر حتى العجز والكيس او قال الكيس والعجز
العجز عدم القدرة وقيل هو ترك ما يجب فعله بالتسويف به وتاخيره عن وقته وقيل يحتمل العجز عن الطاعات
ويحتمل العموم في امور الدنيا والاخرة والكيس ضد العجز وهو النشاط والحذق بالامور ومعنى الحديث ان العاجز قدر
عجزه والكيس قدر كيسه قوله تعالى وما امرنا الا واحدة وقيل معناه وما امرنا للشيء اذا اردنا تكوينه الا كلمة واحدة
كن فيكون لا مراجعة فيه فالارادة قدرة لقوله قضاء وقوله واحدة ضبط ان انه لا حاجة الى تكرير القول
بل هو اشارة الى نفاذ الامر كلمح بالبصر قال ابن عباس ايضا معناه وما امرنا بمجيء الساعة في السرعة الا كطرف
البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اي اشباهكم ونظراءكم في الكفر من الامم السالفة فهل من مدكر اي متعظ ان ذلك
حق فيخاف ويعتبر وكل شيء فعلوه يعني الاشياع من خير وشر في الزبر اي في كتب الحفظة وقيل في اللوح
المحفوظ وكل صغير وكبير اي من الخلق واعمالهم واجالهم مستطر اي مكتوب قوله عز وجل ان المتقين في جنات
اي بساتين ونهر اي انهار وانما وحده لموافقة رؤوس الاي واراد انهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل
وقيل معناه في ضياء وسعة ومعناه النهار والمعنى لا ليل عندهم في مقعد صدق اي في مجلس حق لا لغو فيه
ولا تاثيم وقيل في مجلس حسن وقيل في مقعد لا كذب فيه لان الله صادق فمن وصل اليه امتنع عليه الكذب فهو في مقعد

٦٢٩
Copyright King Saud University

٦٢٧

صدق في عند مليك مقتدر اى قادر لا يعجزه شيء وقيل مقتدر بما امر في الملك والاقتدار اعظم شيء فلا شيء الا وهو
تحت ملكه وقدرته فاى منزلة اكرم من تلك المنزلة واجمع للغبطة كلها والسعادة باسرها قال جعفر
الصادق وصف الله تعالى المكان بالصدق فلا يقعد فيه الا اهل الصدق والله اعلم تفسير سورة
الرحمن عز وجل مكية وذكر ابن الجوزي انها مدنية في قول من احدى القولين عن ابن عباس وهي ثمان وسبعون
اية والف خمسون كلمة والف وستمائة وستة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الرحمن علم القران
قيل لما نزل اسجدوا للرحمن قال كفار مكة وما الرحمن انسجد وقالوا لا نعرف الرحمن فانزل الله الرحمن يعني الذي انكرتم
هو الذي علم القران وقيل هو جواب لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر فقال تعالى الرحمن علم القران يعني علم محمد القران
وقيل علم القران يسره للذكر ليحفظ ويتلى وذلك ان الله عز وجل عدد نعمه على عباده فقدم اعظمها نعمة واعلاها رتبة وهو القران
العزيز لانه اعظم وحي الله الى انبيائه واشرفه منزلة عند اوليائه واصفيائه واكثره ذكرا واحسنه في ابواب الدين اثرا وهو
سنام الكتب السماوية المنزل على افضل البرية خلق الانسان يعني ادم عليه السلام قاله ابن عباس علمه البيان يعني اسماء
كل شيء وقيل علمه اللغات كلها فكان ادم يتكلم بسبعمائة لغة افضلها العربية وقيل الانسان اسم جنس والمراد به جميع الناس
فعلى هذا يكون معنى علمه البيان اي النطق الذي يتميز به عن سائر الحيوان وقيل علمه الكتابة والفهم والافهام حتى عرف
ما يقول وما يقال له وقيل علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به وقيل اراد بالانسان محمدا صلى الله عليه وسلم علمه البيان
يعني بيان ما يكون وما كان لانه صلى الله عليه وسلم ينبئ عن خبر الاولين والاخرين وعن يوم الدين وقيل علمه بيان
الاحكام من الحلال والحرام والحدود والاحكام الشمس والقمر بحسبان قال ابن عباس يجريان بحسبان ومنازل لا يعدونها وقيل
يعني بهما يحسب الاوقات والاجال ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر احد كيف يحسب ما يريد وقيل الحسبان
من الفلك تشبيها بحسبان الرحا وهو ما يدور بالحديد ورانه والنجم والشجر يسجدان قيل النجم ما ليس له ساق من النبات
كالبقول والشجر ما له ساق يبقى في الشتاء وسجودهما سجود ظلهما وقيل النجم هو الكوكب وسجوده طلوعه والقول الاول
اظهر لانه ذكره مع الشجر في مقابلة الشمس والقمر ولانهما ارضيان في مقابلة سماويين والسماء رفعها اى فوق الارض
ووضع الميزان قيل اراد بالميزان العدل لانه الة العدل والمعنى انه امر بالعدل يدل عليه قوله الا تطغوا في الميزان
اى لا تجاوزوا العدل وقيل اراد به الالة التي يوزن بها ليتوصل بها الى الانصاف والانتصاف واصل الوزن التقدير
الا تطغوا في الميزان اى لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان واقيموا الوزن بالقسط اى بالعدل وقيل اقيموا لسان
الميزان بالعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب ولا تخسروا الميزان اى لا تنقصوا الميزان ولا تطففوا في الكيل والوزن
امر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان
تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه والارض وضعها اى خفضها مدحوة على الماء للانام اى للخلق
الذي بث فيها وهي كل ما ظهر عليها من دابة وقيل للانس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها فيها اى في الارض فاكهة
اى من انواع الفاكهة وقيل ما يتفكهون به من النعم التي لا تحصى والنخل ذات الاكمام يعني الاوعية التي يكون فيها الثمر لان ثمر النخل
يكون في غلاف وهو الطلع ما لم ينشق وكل شيء ستر شيئا فهو كم وقيل اكمامها ليفها وانما خص النخل من بين سائر الشجر لانها اعظمها
واكثرها بركة والحب يعني جميع الحبوب التي تقتات بها كالحنطة والشعير ونحوهما وانما اخر ذكر الحب على سبيل الارتقاء
الى الاعلى لان الحب انفع من النخل واعم وجودا في الاماكن ذو العصف قال ابن عباس يعني التبن وعنه انه ورق الزرع الاخضر
اذا قطع رؤوسه ويبس وقيل هو ورق الزرع وقيل العصف ورق كل شيء يخرج منه الحب يبدو صلاحه ورقا وهو العصف
ثم يكون سوقا ثم يحدث الله فيه اكماما ثم يحدث في الاكمام الحب والريحان يعني الرزق قال ابن عباس كل ريحان في القران
فهو رزق وقيل هو الريحان الذي يشم وقيل العصف التين والريحان ثمرته فذكر قوت الناس والانعام ثم خاطب الجن والانس

فقال

فقال تعالى فباي الاء ربكما تكذبان يعني ايها الثقلان يريد هذه الاشياء المذكورة وكرر هذه الاية في هذه السورة في احد وثلاثين موضعا تقريرا
للنعمة وتاكيدا في التذكير بها ثم عدد على الخلق الاءه وفصل بين كل نعمتين بما نبههم عليها ليفهمهم النعم ويقررهم بها كقول
الرجل لمن احسن اليه وتابع اليه بالايادي وهو ينكرها ويكفرها الم تكن فقيرا فاغنيتك افتنكر هذا الم تكن عريانا فكسوتك
افتنكر هذا الم تكن خاملا فعززتك افتنكر هذا ومثل هذا الكلام شائع في كلام العرب حسن تقريرا وذلك ان الله تعالى
ذكر في هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الانسان وتعليمه البيان ومن خلق الشمس والقمر والسماء والارض الى غير ذلك
مما انعم به على خلقه خاطب الانس والجن فقال فباي الاء ربكما تكذبان من الاشياء المذكورة لانها كلها منعم بها عليكم عن جابر
قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه فقرا عليهم سورة الرحمن من اولها الى اخرها فسكتوا فقال لقد قراتها
على الجن ليلة الجن فكانوا احسن مردودا منكم كنت كلما اتيت على قوله فباي الاء ربكما تكذبان قالوا لا بشيء من نعمك ربنا
نكذب فلك الحمد اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي رواية غيره كانوا احسن منكم ردا وفيه ولا بشيء قوله تعالى
خلق الانسان من صلصال يعني من طين يابس له صلصلة وهو الصوت منه اذا نقر كالفخار يعني الطين المطبوخ بالنار وهو
الخزف **فان قلت** قد اختلف العلماء في خلق صفة ادم فقال تعالى من تراب وقال من حما مسنون
وقال من طين لازب وقال من ماء مهين وقال هنا من صلصال كالفخار **قلت** ليس في هذه العبارات
اختلاف بل المعنى متفق وذلك ان الله تعالى خلقه اولا من تراب ثم جعله طينا لازبا لما اختلط بالماء ثم حما مسنونا
وهو الطين الاسود المنتن فلما يبس صار صلصالا كالفخار وخلق الجان وهو ابو الجن وقيل هو ابليس من مارج من نار
يعني الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه وقيل هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الاحمر والاصفر والاخضر الذي
يعلو النار اذا اوقدت فباي الاء ربكما تكذبان رب المشرقين يعني مشرق الصيف وهو غاية ارتفاع الشمس ومشرق الشتاء
وهو غاية انحطاط الشمس ورب المغربين يعني مغرب الصيف ومغرب الشتاء وقيل يعني مشرق الشمس ومغربها والقمر
فباي الاء ربكما تكذبان مرج البحرين يعني ارسل البحرين العذب والملح متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين لان من
شانهما الاختلاط وهو قوله يلتقيان لكن الله تعالى منعهما عما في طبعهما بالبرزخ وهو قوله بينهما برزخ اى حاجز
من قدرة الله لا يبغيان اى لا يبغي احدهما على صاحبه وقيل لا يختلطان ولا يتغيران وقيل لا يطغيان على الناس
بالغرق وقيل مرج البحرين بحر الروم وبحر الهند وانتم الحاجز بينهما وقيل بحر فارس والروم بينهما برزخ يعني
الجزائر وقيل بحر السماء وبحر الارض يلتقيان في كل عام فباي الاء ربكما تكذبان يخرج منهما انما يخرج من البحر
الملح دون العذب وهو كقوله وجعل القمر فيهن نورا وقيل انه يخرج من احدهما فحذف المضاف وقيل لما التقى
البحران صارا كالشيء الواحد جاز ان يقال يخرج منهما كما يقال يخرج من البحر ولا يخرج من جميع البحر ولكن من بعضه
وقيل يخرج من ماء السماء فتنعقد الاصداف في افواهها حيث ما وقعت قطرة صارت لؤلؤة على قدر القطرة وقوله تعالى
اللؤلؤ قيل هو ما عظم من الدر والمرجان صغاره وقيل بعكس ذلك وقيل المرجان هو الخرز الاحمر فباي الاء ربكما
تكذبان وله الجوار يعني السفن الكبار المنشات اى المرفوعات التي رفع خشبها بعضه على بعض وقيل هو ما
رفع قلعها في السفن اما ما لم يرفع قلعها فليس من المنشاة وقيل معنى المنشات المحدثات المخلوقات في البحر
في البحر كالاعلام اى كالجبال في البحر جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن في البحر بالجبال في البر فباي الاء ربكما
تكذبان قوله عز وجل كل من عليها اى على الارض وانما ذكرها لقصة تغليبا للعقلاء فان اى هالك لان وجود
الانتقال في الدنيا عوض فهو غير باق والباقي هو الله فضل لطفه على العباد تعرض لعرضه القلب على الطاعة
ويبقى وجه ربك يعني الله والوجه عبارة عن الجملة وفي المخاطب وجهان احدهما انه على كل واحد على العموم يعني
وجه ربك ايها الانسان السامع والوجه الثاني انه يحتمل ان يكون الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم ذو الجلال

Copyright © King Saud University

اى ذو العظمة والكبرياء ومعناه الذى يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه والاكرام اى المكرم لانبيائه واوليائه
وجميع خلقه بلطفه واحسانه اليهم مع جلاله وعظمته فباى آلاء ربكما تكذبان عن انس بن مالك قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الظوا بياذا الجلال والاكرام اخرجه الترمذى وقال الحاكم حديث صحيح الاسناد ومعنى الظوا الزموا
هذه الدعوة واكثروا منها يسئله من فى السموات والارض يعنى من ملك وانس وجن ولا يستغنى عن فضله اهل السموات
والارض قال ابن عباس فاهل السموات يسئلونه المغفرة واهل الارض يسئلونه الرزق والمغفرة وقيل كل احد يسئله له
الرحمة وما يحتاج اليه فى دينه او دنياه وفيه اشارة الى كمال قدرة الله تعالى وان كل مخلوق وان جل وعظم
فهو عاجز عن تحصيل ما يحتاج اليه مفتقر الى الله تعالى كل يوم هو فى شان قيل نزلت ردا على اليهود حيث قالوا ان
الله لا يقضى يوم السبت شيئا قال المفسرون انه من شانه انه يحيى ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفى مريضا
ويمرض صحيحا ويفك عانيا ويفرج مكروبا ويجيب داعيا ويعطى سائلا ويغفر ذنبا الى ما لا يحصى من افعاله واحداثه
فى خلقه ما يشاء سبحانه وتعالى وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال ان مما خلق الله عز وجل لوحا
من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق
ويحيى ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو فى شان قال سفيان بن عيينة الدهر كله عند
الله يومان احدهما مدة ايام الدنيا والاخر يوم القيامة والشان الذى هو فيه هو مدة ايام يوم الدنيا والاخر يوم
القيامة والشان الذى هو فيه فى اليوم الذى هو مدة الدنيا الاختبار بالامر والنهى والاحياء والاماتة والاعطاء
والمنع وشان يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب وقال الحسين بن الفضل هو سوق المقادير الى
المواقيت ومعناه ان الله عز وجل كتب ما يكون فى كل يوم وقدر ما هو كائن فاذا جاء ذلك الوقت تعلقت ارادته
بالفعل فيوجده فى ذلك الوقت وقال ابو سليمان الدارانى فى هذه الاية فى كل يوم الى العبد بر جديد وقيل شانه
تعالى انه يخرج فى كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من اصلاب الاباء الى ارحام الامهات وعسكرا من الارحام الى
الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم يرتحلون جميعا الى الله تعالى فباى آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم ايه الثقلان قيل هو وعيد
من الله تعالى للخلق بالمحاسبة وليس هو فراغ عن شغل لان الله تعالى لا يشغله شان عن شان فهو كقول القائل
لمن يريد تهديده لاتفرغن لك وما به شغل وهذا قول ابن عباس وانما حسن هذا الفراغ لسبق ذكر الشان وقيل
معناه سنقصدكم بعد الترك والامهال ونأخذ فى امركم فهو كقول القائل الذى لا شغل له قد فرغت لك وقيل معناه
ان الله وعد اهل التقوى واوعد اهل الفجور فقال سنفرغ لكم مما وعدناكم واخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم فننجز لكم
ما وعدناكم فنتم ذلك ونفرغ منه فهو على طريق المثل وانما سمى الثقلين الانس والجن سميا الثقلين لانهما ثقلا على الارض
احياء وامواتا وقيل كل شى له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم انى تارك فيكم
الثقلين كتاب الله وعترتى اعظاما لقدرهما وقال جعفر بن محمد الصادق سمى الانس والجن ثقلين لانهما مثقلان
بالذنوب فباى آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا اى تخرجوا من اقطار السموات والارض اى
جوانبها واطرافها فانفذوا اى فاخرجوا والمعنى ان استطعتم ان تخرجوا من اقطار السموات والارض فاهربوا
واخرجوا منها والمعنى انكم حيثما كنتم يدرككم الموت وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة والمعنى ان استطعتم ان تخرجوا من اقطار
السموات والارض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فاخرجوا وقيل معناه ان استطعتم ان تهربوا من قضائى فاخرجوا
من ملكى ومن سمائى وارضى فافعلوا وفى خطاب الجن والانس فى هذه الاية لانهما قد جمع الى النفوذ والهرب من الانس واقوى
على ذلك ثم قال تعالى لا تنفذون الا بسلطان يعنى لا تقدرون على النفوذ الا بقوة وغلبة وانى لكم ذلك لانكم حيث
ما توجهتم كنتم فى ملكى وسلطانى وقال ابن عباس معناه ان استطعتم ان تعلموا ما فى السموات والارض

فاعلموا

فاعلموه ولن تعلموه الا بسلطان اى بينة من الله تعالى فباى آلاء ربكما تكذبان وفى الخبر يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان
من نار ثم ينادى يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض الاية فذلك قوله تعالى يرسل
عليكما شواظ من نار قال اكثر المفسرين هو اللهب الذى لا دخان فيه وقيل هو اللهب الاخضر المنقطع من النار ونحاس قيل هو
الدخان وهو رواية عن ابن عباس وقيل هو الصفر المذاب يصب على رؤسهم وهو الرواية الثانية عن ابن عباس
وقال ابن مسعود النحاس المهل وقيل يرسل عليهما هذا مرة وهذا مرة وقيل يجوز ان يرسلا معا من غير ان يمزج احدهما
بالاخر فلا تنتصران اى فلا تمتنعان من الله ولا يكون لكم ناصر منه فباى آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء اى انفرجت فصارت
ابوابا لنزول الملائكة وقيل المراد منه خراب السماء وذلك لما قال كل من عليها فان اشارة الى اهل الارض ذكر فى هذه الاية
بيان حال سكان السماء وقيل فيه تهويل وتعظيم للامر لان فيه اشارة الى ما هو اعظم من ارسال الشواظ على الانس والجن
وهو تشقق السماء وذوبانها وهو قوله تعالى فكانت وردة كالدهان جمع دهن شبه تلون السماء عند انشقاقها بتلون
الفرس الورد وهو الابيض الذى يضرب الى الحمرة وقيل ان السماء تتلون يومئذ الوانا كالوان الفرس الورد يكون فى الربيع
اصفر وفى اول الشتاء احمر فاذا اشتد البرد صار اغبر فشبه السماء فى تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس فى تلونه وقيل
كالدهان اى كعصير الزيت وقيل لانه يتلون فى الساعة الوانا وقيل تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين
يصيبها حر جهنم وقيل كالدهان اى كالاديم الاحمر فباى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان
قيل لا يسئلون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم لان الله تعالى علمها منهم وكتبت الحفظة عليهم وهذه رواية عن ابن عباس ايضا
فالجمع بين هذه الاية وبين قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين وقيل لا يسالهم هل عملتم كذا وكذا لانه اعلم بذلك
منهم ولكنه يسألهم لم عملتم كذا وكذا وقيل ان مما مواطن فيسألون فى بعضها ولا يسألون فى بعضها وعن ابن عباس ايضا قال
لا يسألون سؤال شفقة ورحمة وانما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ وقيل لا يسال غير المجرم عن ذنب المجرم فباى آلاء ربكما
تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم يعنى بسواد وجوههم وزرقة عيونهم فيؤخذ بالنواصى والاقدام قيل تجعل الاقدام مضمومة
الى النواصى من خلف ظهورهم وقيل تجعل رؤسهم على ركبهم ونواصيهم واصابع ارجلهم مربوطة وقيل يسحب بعضهم بالنواصى وبعضهم
بالاقدام ثم يلقون فى النار فباى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يعنى المشركين يطوفون بينها
وبين حميم آن يعنى قد انتهى حرها والمعنى انهم يسعون بين الجحيم والحميم فاذا استغاثوا من النار جعل عذابهم الحميم الان الذى
صار كالمهل وقال كعب الاحبار آن واد من اودية جهنم يجمع فيه صديد اهل النار فيطلق بهم فى الاغلال فيغمسون فيه
حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منه وقد احدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون فى النار فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين
حميم آن فباى آلاء ربكما تكذبان **فان قلت** هذه الامور المذكورة فى هذه الايات من قوله كل من عليها فان
الى هنا ليست نعما فكيف قال عقب هذه الايات فباى آلاء ربكما تكذبان **قلت** المذكور فى هذه الايات مواعظ
وزواجر وتخويف وكل ذلك نعمة من الله تعالى لانها تزجر العبد عن المعاصى فصارت نعما فحسن ختم كل آية منها بقوله تعالى فباى
آلاء ربكما تكذبان ثم ذكر ما اعد لمن اتقاه وخافه من عباده المؤمنين فقال تعالى ولمن خاف مقام ربه يعنى مقامه بين يديه
للحساب فترك الشهوة والمعصية وقيل قيام ربه عليه بيانه اطلاعه عليه وهو الذى يهم بالمعصية فيذكر الله والاطلاع
عليه فيتركها من مخافة الله وقيل لمن راقب الله فى السر والعلانية بعلمه فاعرض عن محارم تركها من خشية الله وما عمل من
خير افضى به ولا يحب ان يطلع عليه احد قيل ان المؤمنين خافوا ذلك المقام فعملوا لله ودعوا الله بالليل والنهار
جنتان يعنى جنة عدن وجنة نعيم وقيل جنة بخوفه ربه وجنة بتركه شهوته عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة اخرجه الترمذى
قال ادلج الادلاج بتخفيف السير اول الليل وبتثقيلها السير اخر الليل والمراد من الادلاج التشمير والجد فى الاخرة لامر الله

Copyright © King Saud University

من سار اول الليل كان جديرا ببلوغ المنزل وروى البغوي بسنده عن ابي الدرداء انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقص على المنبر
وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنا وان سرق فقال الثانية ولمن خاف مقام ربه
جنتان فقلت الثانية وان زنا وان سرق يا رسول الله فقال الثالثة ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثالثة وان
زنا وان سرق يا رسول الله فقال وان زنا وان سرق على رغم انف ابي الدرداء فباي الاء ربكما تكذبان ثم وصف الجنتين فقال تعالى
ذواتا افنان اي اغصان واحدها فنن وهو الغصن المستقيم طولا وقيل ذواتا ظلال وهو ظل الاغصان على الحيطان
وقال ابن عباس ذواتا الوان يعني الوان الفواكه جمع عطاء بين القولين فقال كل غصن فنون من الفاكهة وقيل فنها فضل
وسعة على ما سواهما فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان قال ابن عباس بالكرامة والزيادة لاهل الجنة وقيل تجريان
بالماء الزلال احدهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احدهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين فباي الاء ربكما
تكذبان متكئين على فرش جمع فراش بطائنها جمع بطانة وهي التي تلي الارض من تحت الظهارة من استبرق وهي ما غلظ من الديباج
قال ابن مسعود وابو هريرة هذه البطائن فما ظنكم بالظهائر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظهائر قال
هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وعنه ايضا قال بطائنها من استبرق وظواهرها من نور جامد
وقال ابن عباس وصف البطائن وترك الظواهر لانه ليس في الارض احد يعرف ما الظواهر وقيل ظواهرها من سندس وهو
الديباج الرقيق الناعم وهذا يدل على نهاية شرف هذه الفرش لانه ذكر بطائنها من استبرق ولا بد ان تكون الظهائر
خيرا من البطائن فهو مما لا يعلمه البشر وجنى الجنتين دان يعني ان ثمرها قريب يناله القائم والقاعد والنائم وهذا خلاف
ثمار الدنيا فانها لا تنال الا بكد وتعب قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجنيها ولي الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وقيل لا يرد
ايديهم عنها بعد ولا شوك فباي الاء ربكما تكذبان **فان قلت** الضمير الى ماذا
يعود **قلت** الى الجنتين وانما جمع بقوله فيهن لاشتمال الجنتين على مساكن وقصور ومجالس
فيهن قاصرات الطرف اي غاضات الاعين قصرن طرفهن الا على ازواجهن فلا ينظرن الى غيرهم ولا يردن سواهم قيل تقول
الزوجة لزوجها وعزة ربي ما ارى في الجنة شيئا احسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجتك لم يطمثهن اي لم
يجامعهن ولم يفترعهن والطمث هو النكاح بالتدمية وقيل معناه لم يمسسهن ومنه قول الفرزدق • خرجن الي لم يطمثن قبلي •
وهن اصح من بيض النعام والمعنى لم يطاهن ولم يغشهن انس قبلهم اي قبل ازواجهن من اهل الجنة ولا جان وقيل انما
نفى الجن لان لهم ازواجا في الجنة منهم وفي الاية دليل على ان الجني يغشى كما يغشى الانسي وسئل ضمرة بن حبيب هل للجن
ثواب قال نعم وقرا هذه الاية ثم قال الانسيات للانس والجنيات للجن وقال مجاهد في هذه الاية اذا جامع ولم يسم
انطوى الجان على احليله فجامع معه وقد اختلف في هؤلاء الموافقات لم يطمثهن فقيل هن من الحور العين لانهن خلقن لم يمسهن
احد قبل ازواجهن وقيل انهن من نساء الدنيا انشئن خلقا آخر ابكارا ومعنى الاية المبالغة في نفي الطمث عنهن لان ذلك
اقر لاعين ازواجهن اذا لم يغشهن احد غيرهم فباي الاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان اراد صفاء الياقوت في
بياض المرجان وهو صغار اللؤلؤ مع حمرة الياقوت لان احسن الالوان البياض المشرب بحمرة والاصح انه شبههن
بالياقوت لصفائه قال عمرو بن ميمون ان المراة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء الحلل
كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء يدل على صحة ذلك ما روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
المراة من نساء اهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك بان الله تعالى يقول كانهن الياقوت
والمرجان فاما الياقوت فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرايته من ورائه اخرجه الترمذي قال وقد روي عن
ابن مسعود ولم يرفعه وهو اصح ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة تلج الجنة صورهم
على صورة القمر ليلة البدر زاد في رواية ثم الذين يلونهم على اشد كوكب دري في السماء اضاءة لا يبصقون ولا يمتخطون ولا

يتغوطون

يتغوطون آنيتهم الذهب والفضة وامشاطهم الذهب ومجامرهم الالوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما
من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله تعالى بكرة وعشية وللبخاري قلوبهم على
قلب رجل واحد وزاد فيه ولا يسقمون وقود مجامرهم الالوة يعني عود الطيب فباي الاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان
اي ما جزاء من احسن في الدنيا الا ان يحسن اليه في الآخرة وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا اله الا الله وعمل بما جاء به محمد صلى
الله عليه وسلم الا الجنة روى البغوي باسناد الثعلبي عن انس بن مالك قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء الاحسان
الا الاحسان ثم قال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول هل جزاء من انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة
وروى الواحدي بغير سند عن ابن عمر وابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الاية يقول الله عز وجل
هل جزاء من انعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا ان اسكنه جنتي وحظيرة قدسي برحمتي وقيل في معنى الاية هل جزاء من اتى
بالفعل الحسن الا ان نوفي في مقابلته بفعل حسن وفي الاية اشارة الى رفع التكليف في الآخرة لان الله وعد المؤمن بالجنة
وهو الجنة فلو بقي التكليف في الآخرة وتركه العبد لاستحق العذاب على ترك العمل والعقاب على ترك الاحسان اليه فلا تكليف
فباي الاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان اي ومن دون الجنتين الاوليين جنتان اخريان وقال ابن عباس من دونهما في الدرج
وقيل في الفضل وقال ابو موسى الاشعري جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جريج هي
اربع جنان جنتان للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لاصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة ونخل
ورمان ق عن ابي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وان ينظروا
الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وقال الكسائي ومن دونهما جنتان يعني امامهما وقبلهما يدل عليه قول الضحاك
الجنتان الاخريان من ياقوت وزبرجد وهما افضل من الاوليين فباي الاء ربكما تكذبان ثم وصف الجنتين فقال تعالى مدهامتان
اي ناعمتان سوداوان من ريهما وشدة خضرتهما لان الخضرة اذا اشتدت ضربت الى السواد فباي الاء ربكما تكذبان فيهما
عينان نضاختان اي فوارتان بالماء لا ينقطعان وقال ابن عباس تنضخان بالخير والبركة على اهل الجنة وقال ابن مسعود تنضخان
بالمسك والعنبر في دور اهل الجنة كنضح المطر فباي الاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان يعني فيهما من انواع الفواكه كلها
وانما فصل النخل والرمان بالذكر وان كانا من جملة الفواكه تنبيها على فضلهما على سائر الفواكه وعلى هذا القول عامة المفسرين
واهل اللغة قالوا انما فصلهما بالذكر للتخصيص والتفضيل كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال
تفضيلهما وان كانا من جملة الملائكة لشرفهما وفضلهما وقال بعضهم ليس النخل والرمان من الفواكه لان ثمرة النخل فاكهة
وطعام وثمرة الرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ولهذا قال ابو حنيفة اذا حلف لا ياكل الفاكهة فاكل رطبا او رمانا
لم يحنث وخالفه صاحباه وهذا القول خلاف اهل اللغة ولا حجة له في الاية وروى البغوي بسنده عن ابن عباس موقوفا
قال نخل الجنة جذوعها زمرد اخضر وكربها ذهب احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها امثال القلال والدلاء
اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل والين من الزبد ليس له عجم وروي ان الرمانة منها مثل جلد البعير المقتب
وقيل ان نخل اهل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما نزعت منها ثمرة عادت مكانها اخرى العنقود منها اثنا عشر ذراعا فباي الاء
ربكما تكذبان فيهن اي في الجنان الاربع خيرات حسان روي عن ام سلمة قالت قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني
عن خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه فباي الاء ربكما تكذبان حور مقصورات اي مخدرات مستورات
لا يخرجن لكرامتهن وشرفهن روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو ان امراة من نساء اهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ما بينهما
ولملات ما بينهما ريحا ولنصيفها على راسها خير من الدنيا وما فيها وقيل قصرن طرفهن وانفسهن على ازواجهن فلا يبغين بهم بدلا
في الخيام مثل هو في البيوت قال اهل اللغة الخيمة لا تكون الا من اربعة اعواد ثم تسقف بالثمام وقيل الخيمة فلان خيمة
اذا بناها من جريد النخل وخيم بها اذا اقام بها وقيل كل خباء من بيت ولو كان من زبرجد مجوف فالي

Copyright © King Saud University

الغفور في الجنة (ق) عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان للمومن في الجنة لخيمة من لولوة واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا للمومن فيها اهلون يطوف عليهم المومن فلا يرى بعضهم بعضا (فباي الاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) تقدم تفسيره (فباي الاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف) قيل الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة وروي هذا عن ابن عباس الرفرف فضول المحابس والبسط منه وقيل هي محابس خضر فوق الفرش وقيل هي المرافق وقيل كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف (خضر وعبقري حسان) قيل الزرابي والطنافس المخملة الى الرقة ما هي وقيل كل ثوب موشى عند العرب عبقري وقال الخليل كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم فهو عبقري عند العرب ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر فلم ار عبقريا يفري فريه واصل هذا فيما قيل انه نسب الى عبقر وهي ارض يسكنها الجن فصار مثلا لكل منسوب الى شيء رفيع عجيب ولما كان عبقر موضعا يسكنه الجن نسبوا اليها كل عجيب بديع (فباي الاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام) قيل لما ختم نعم الدنيا بقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وفيه اشارة الى ان الباقي هو الله تعالى وان الدنيا فانية ختم نعم الاخرة بهذه الاية وهو اشارة الى تحميده وتمجيده (م) عن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام اخرجه ابو داود والنسائي غير قوله لم يقعد الا مقدار ما يقول والله اعلم

تفسير سورة الواقعة

وهي تسع وتسعون اية وثلثمائة وثمان وسبعون كلمة والف وسبعمائة وثلاثة احرف روى البغوي بسنده عن ابي ظبية عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا وكان ابو ظبية لا يدعها ابدا واخرجه ابن الاثير في كتاب جامع الاصول ولم يعزه (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل (اذا وقعت الواقعة) اذا قامت القيمة وقيل اذا نزلت صيحة القيمة وهي النفخة الاخيرة وقيل الواقعة اسم للقيمة كالازفة (ليس لوقعتها كاذبة) اي لمجيئها كاذبة اي ليس لها كذب والمعنى انها تقع حقا وصدقا وقيل معناه ليس لوقعتها قضية كاذبة اي كل ما اخبر الله عنها وقص من خبرها قضية صادقة غير كاذبة اي ان كل خبر عن وقوعها صادق غير كاذب او لم تخبر نفس اخبرت وقوعها (خافضة رافعة) اي تخفض اقواما الى النار وترفع اقواما الى الجنة وقال ابن عباس تخفض اقواما كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع اقواما كانوا في الدنيا متضعين وقيل تخفض اقواما بالمعصية وترفع اقواما بالطاعة (اذا رجت الارض رجا) اي اذا حركت وزلزلت وذلك ان الله عز وجل اذا اوحى اليها اضطربت فرقا وخوفا قال المفسرون ترج كما يرج الصبي في المهد حتى ينهدم كل بناء عليها وينكسر كل ما فيها من جبال وغيرها وهو قوله تعالى (وبست الجبال بسا) اي فتتت فصارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول وقيل صارت كثيبا مهيلا بعد ان كانت شامخة وقيل معناه قلعت من اصلها وصيرت على وجه الارض حتى ذهبت (فكانت هباء منبثا) اي غبارا متفرقا كالذي يرى في شعاع الشمس اذا دخل الكوة وهو الهباء (وكنتم ازواجا) اي اصنافا (ثلاثة) ثم فسر الازواج فقال تعالى (فاصحاب الميمنة) يعني اصحاب اليمين والميمنة ناحية اليمين وهم الذين يوخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وقال ابن عباس هم الذين كانوا على يمين ادم حين اخرجت الذرية من صلبه وقال الله هولاء الى الجنة ولا ابالي وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا ميامين اي مباركين على انفسهم وكانت اعمالهم صالحة في طاعة الله وهم التابعون باحسان (ما اصحاب الميمنة) تعجيب من حالهم في السعادة والمعنى اي شيء هم (واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة) يعني اصحاب الشمال وهم الذين يوخذ بهم ذات الشمال الى النار وقال ابن عباس هم كانوا على شمال ادم حين اخراج الذرية فقال الله تعالى لهم هولاء الى النار ولا ابالي وقيل هم الذين يوتون كتبهم بشمائلهم وقيل هم المشائيم على انفسهم لان العرب تسمي اليد اليسرى الشومى (والسابقون السابقون) قال ابن عباس هم السابقون الى الهجرة هم السابقون في الاخرة وقيل هم الذين صلوا القبلتين من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل الى الجهاد وقيل هم

المسارعون

المسارعون الى التوبة والى ما دعا الله اليه من اعمال البر والخير وقيل هم اهل القران المتوجون يوم القيامة **فان قلت** لم اخر ذكر السابقين وكان بالاولى ان يقدمهم على اصحاب اليمين **قلت** فيه لطيفة وذلك ان الله تعالى ذكر في اول السورة من الاهوال ما يبلغ عنده قيام الساعة تخويفا لعباده فاما محسن فيزداد رغبة في الثواب واما مسيء فيرجع عن اساءته خوفا من العقاب فلذلك قدم اصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا ثم ذكر اصحاب الشمال ليرهبوا ثم ذكر السابقين وهم الذين لا يحزنهم الفزع الاكبر ليجتهد اصحاب اليمين في القرب من درجتهم ثم اثنى على السابقين فقال تعالى (اولئك المقربون) اي من الله في جواره في ظل عرشه ودار كرامته وهو قوله (في جنات النعيم) قوله تعالى (ثلة) اي جماعة غير محصورة العدد (من الاولين) اي من الامم الماضية من لدن ادم الى زمن نبينا (وقليل من الاخرين) يعني من هذه الامة وذلك لان الذين عاينوا جميع الانبياء وصدقوهم من الامم الماضية اكثر ممن عاين النبي صلى الله عليه وسلم وامن به وقيل ان الاولين هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقليل من الاخرين يعني التابعين لهم باحسان وقيل ان الاولين سابقو المهاجرين والانصار وقليل من الاخرين اي ممن جاء بعدهم من الصحابة (على سرر موضونة) منسوجة بالذهب والجواهر وقيل موضونة يعني موصوفة (متكئين عليها) اي على السرر (متقابلين) بحيث لا ينظر بعضهم في قفا بعض وصفوا بحسن العشرة والمجالسة وقيل لانهم صاروا ارواحا نورانية صافية ليس لهم ادبار وظهور (يطوف عليهم) اي للخدمة (ولدان) اي غلمان (مخلدون) لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون ولا ينتقلون من حالة الى حالة وقيل مخلدون مقرطون والخلد القرط وهو الحلقة تعلق في الاذن واختلفوا في هولاء الولدان فقيل هم اولاد المومنين الذين ماتوا اطفالا وفيه ضعف لان الله اخبر انه الحقهم باباءهم ولان من المومنين من لا ولد له فلو خدمه ولد غيره كان منقصة بابي الخادم وقيل هم صغار الكفار الذين ماتوا قبل التكليف وقيل هذا القول ضعيف لانه قد اختلف في اولاد المشركين على ثلاث مذاهب فقال الاكثر انهم في النار تبعا لابائهم وتوقف فيهم طائفة والمذهب الثالث وهو الصحيح الذي ذهب اليه المحققون انهم في الجنة ولكل مذهب دليل ليس هذا موضعه وقيل هم اطفال ماتوا ليس لهم حسنات فيثابوا ولا سيئات فيعاقبوا عليها ومن قال بهذه الاقوال يقول ان الجنة ليس فيها ولادة والقول الصحيح الذي لا معدل عنه ان الله انشاهم ولدانا خلقوا في الجنة لخدمة اهل الجنة كالحور ولم يولدوا ولم يحصلوا عن ولادة اطلق عليهم اسم الولدان لان العرب تسمي الغلام وليدا ما لم يحتلم والامة وليدة وان اسنت (باكواب) جمع كوب وهي الاقداح المستديرة الافواه لا اذان لها ولا عرى (واباريق) جمع ابريق وهي ذوات الخراطيم والعرى سميت اباريق لبريق لونها من الصفاء وقيل لانها يرى باطنها كما يرى ظاهرها (وكاس من معين) اي من خمر جارية (لا يصدعون عنها) اي لا تصدع رووسهم من شربها وعنها كناية عن الكاس وقيل لا يتفرقون عنها (ولا ينزفون) اي لا يغلب على عقولهم ولا يسكرون منها وقرئ بكسر الزاي ومعناه لا ينفد شرابهم (وفاكهة مما يتخيرون) اي ياخذون خيارها (ولحم طير مما يشتهون) قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيطير ممثلا بين يديه على ما اشتهى وقيل انه يقع على صحفة الرجل فياكل منه ما يشتهي ثم يطير **فان قلت** في تخصيص الفاكهة بالتخير واللحم بالاشتهاء بلاغة **قلت** نعم وكيف لا وفي كل حرف من حروف القران بلاغة وفصاحة والذي يظهر فيه ان اللحم والفاكهة اذا حضرا عند الجائع تميل نفسه الى اللحم واذا حضرا عند الشبعان تميل نفسه الى الفاكهة واهل الجنة انما ياكلون لا من جوع بل للتفكه فميلهم الى الفاكهة اكثر فيتخيرونها ولهذا ذكرت في مواضع كثيرة من القران بخلاف اللحم واذا اشتهاه حضر بين يديه على ما يشتهيه فتميل نفسه اليه ادنى ميل (وحور عين) اي ويطوف عليهم وقيل ولهم حور عين وجاء في تفسير حور بيض عين اي ضخام العيون (كامثال اللولو المكنون) اي المخزون في الصدف المصون الذي لم تمسه الايدي ولم تقع عليه الشمس والهوى فيكون في نهاية الصفاء وروي انه يسطع نور في الجنة فقيل ما هذا قيل ثغر حوراء ضحكت وروي ان الحوراء اذا مشت يسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت يضحك من نحرها وفي رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لولو يصران بالتسبيح (جزاء بما كانوا يعملون) اي فعلنا ذلك بهم جزاء بما كانوا يعملون في الدنيا من الطاعات (لا يسمعون فيها) اي في الجنة (لغوا) قيل اللغو

ما يعيب عنه من الكلام ويستحق ان يلغى وقيل هو القبيح من القول والمعنى ليس فيها لغو فيسمع ولا تأثيما قيل ان بعضهم لا يقول
لبعض أثمت لانهم لا يتكلمون بما فيه اثم كما يتكلم به اهل الدنيا وقيل معناه لا يأثمون بها اي ما هو سبب التأثيم
من قول وفعل قبيح الا قيلا معناه لكن يقولون قيلا ويسمعون قيلا سلاما سلاما يعني يسلم بعضهم على بعض وقيل
يسلم الملائكة عليهم او يرسل الرب بالسلام اليهم وقيل معناه ان قولهم يسلم من اللغو ثم ذكر اصحاب اليمين وعجب من شانهم
فقال تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين لما بين حال السابقين شرع في بيان حال اصحاب اليمين فقال تعالى في سدر
مخضود اي لا شوك فيه كانه خضد شوكه اي قطع ونزع منه وهذا قول ابن عباس وقيل هو الموقر حملا وقيل ثمرها
وهو النبق قيل لما نظر المسلمون الى وج وهو واد مخصب بالطائف فاعجبهم سدره فقالوا ليت لنا مثل هذا فانزل الله هذه الآية
وطلح قيل هو الموز عند اكثر المفسرين وقيل هو شجر له ظل بارد طيب وقيل هو شجر ام غيلان له شوك ونور طيب الرائحة فخوطبوا
ووعدوا بمثل ما يحبون ويعرفونه الا ان فضله على شجر الدنيا كفضل الجنة على الدنيا منضود اي متراكم قد نضد بالحمل من
اوله الى اخره ليست له سوق بارزة بل من عروقه الى اغصانه ثمر وليس شيء من ثمر الجنة في غلاف كثمر الدنيا مثل الباقلا والجوز ونحوهما
بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه وظل ممدود اي دائم لا ينسخه الشمس كظل اهل الدنيا وذلك لان الجنة ظلها
لا شمس فيها (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة واقرؤا
ان شئتم وظل ممدود وعن ابن عباس في قوله وظل ممدود قال شجرة في الجنة على ساق يخرج اليها اهل الجنة فيتحدثون في اصلها فيشتهي
بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عز وجل عليها ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا وماء مسكوب اي مصبوب يجري
دائما في غير اخدود ولا ينقطع وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة قال ابن عباس لا تنقطع اذا جنيت ولا تمتنع من احد اذا اراد اخذها
وقيل لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان كما تنقطع ثمار الدنيا في الشتاء ولا يوصل اليها الا بالثمن وقيل لا يحظر
عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وجاء في الحديث ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة الا ابدل الله عز وجل مكانها ضعفين وفرش مرفوعة
قال بعضهم عز على الاسرة وقيل بعضها فوق بعض فهي مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والارض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال الترمذي قال بعض اهل العلم معنى هذا الحديث ارتفاعها كما بين السماء والارض
يقول ارتفاع الفرش المرفوعة في الدرجات والدرجات ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقيل المراد بالفرش النساء والعرب
تسمي المراة فراشا ولباسا على الاستعارة فعلى هذا القول يكون معنى مرفوعة اي رفعن بالفضل والجمال على نساء الدنيا ويدل
على هذا التاويل قوله عقيبه انا انشأناهن انشاء اي خلقناهن خلقا جديدا قال ابن عباس يعني الادميات العجز
الشمط يقول خلقناهن بعد الهرم والكبر خلقا اخر فجعلناهن ابكارا يعني عذارى عن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا انشأناهن انشاء قال ان من المنشئات اللاتي كن في الدنيا عجائز عمشا رمصا اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب وضعفه بعض رواته وروى البغوي بسنده عن الحسن قال اتت عجوز النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول
الله ادع الله ان يدخلني الجنة فقال يا ام فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز قال فولت تبكي قال اخبروها انها لا تدخلها وهي
عجوز ان الله تعالى قال انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا هذا حديث مرسل وروى باسناد الثعلبي عن انس بن مالك عن
النبي صلى الله عليه وسلم في قوله انا انشأناهن انشاء قال عجائز كن في الدنيا عمشا رمصا فجعلناهن ابكارا قال المسيب
ابن شريك هن عجائز الدنيا انشأهن الله خلقا جديدا كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا وقيل النص فضلهن
على الحور العين بصلاتهن في الدنيا وقيل هن الحور العين انشأهن الله لم يقع عليهن ولادة فجعلناهن ابكارا عذارى
وليس هناك وجع عربا جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها قاله ابن عباس في رواية عنه وعنه انها الملقة وقيل
الغنجة وعن اسامة بن زيد عن ابيه عربا قال حسان الكلام اترابا يعني امثالا في الخلق وقيل مستويات في السن
على سن واحد بنات ثلاث وثلاثين عن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل اهل الجنة الجنة جردا

مردا

مردا مكحلين ابناء ثلاثين او قال ثلاث وثلاثين سنة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب لاصحاب اليمين يعني
انشأناهن لاصحاب اليمين وقيل هذا الذي ذكرنا لاصحاب اليمين ثلة من الاولين يعني من المؤمنين الذين هم قبل هذه الامة
يدل عليه ما روى البغوي باسناد الثعلبي عن عروة بن رويم قال لما انزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم
ثلة من الاولين وقليل من الاخرين بكى عمر فقال يا نبي الله امنا برسول الله وصدقناه ومن ينجو منا قليل فانزل الله عز وجل
ثلة من الاولين وثلة من الاخرين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد انزل الله تعالى فيما قلت فقال رضينا
عن ربنا وتصديق نبينا من ادم الينا ثلة ومنا الى يوم القيامة ثلة ولا يستتمها الا سودان من رعاة الابل ممن قال
لا اله الا الله (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت علي الامم فرايت النبي ومعه
الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه احد اذ رفع لي سواد عظيم فظننت انهم امتي فقيل لي هذا
موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لي هذه امتك ومعهم سبعون الفا يدخلون
الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في اولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب
فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الاسلام ولم يشركوا
بالله وذكروا اشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما الذي تخوضون فيه فاخبروه فقال هم الذين
لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال ادع الله ان يجعلني منهم
فقال اللهم اجعله منهم فقام رجل اخر فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة الرهيط
تصغير رهط وهم دون العشرة وقيل الى الاربعين عن عبد الله بن مسعود قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة
نحوا من اربعين فقال اترضون ان تكونوا ربع اهل الجنة قلنا نعم قال اترضون ان تكونوا ثلث اهل الجنة قلنا نعم قال والذي
نفس محمد بيده اني لارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة وذلك ان الجنة لا يدخلها الا نفس مسلمة وما انتم في اهل الشرك الا
كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاحمر وعن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون من
هذه الامة واربعون من سائر الامم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وذهب جماعة الى ان الثلتين جميعا من هذه الامة
وهو قول ابي العالية ومجاهد وعطاء بن ابي رباح والضحاك قالوا ثلة من الاولين من سابقي هذه الامة وثلة من الاخرين من هذه
الامة ايضا في اخر الزمان يدل على ذلك ما روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس في هذه الاية ثلة من الاولين وثلة
من الاخرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما جميعا من امتي وهذا القول هو اختيار الزجاج قال معناه جماعة ممن تبع
النبي صلى الله عليه وسلم وامن به وعاينه وجماعة ممن امن به وكان بعده ولم يعاينه **فان قلت**
كيف قال في الاية الاولى وقليل من الاخرين وقال في هذه الاية وثلة من الاخرين **قلت** الاية الاولى
في السابقين الاولين وقليل ممن يلحق بهم من الاخرين وهذه الاية في اصحاب اليمين وهم كثيرون في الاولين والاخرين وحكي عن بعضهم
ان هذه ناسخة للاولى واستدل بحديث عروة بن رويم ونحوه والقول بالنسخ لا يصح لان الكلام في الايتين خبر والخبر لا يدخله النسخ قوله تعالى
واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال قد تقدم انه بمعنى التعجب من حالهم وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ثم بين منقلبهم وما اعد لهم من
العذاب فقال تعالى في سموم اي حر النار وقيل في ريح شديدة الحرارة وحميم اي ماء حار يغلي وظل من يحموم يعني في ظل من دخان شديد
السواد وقيل ان النار سوداء واهلها سود وكل شيء فيها اسود وقيل اليحموم اسم من اسماء النار لا بارد ولا كريم يعني لا بارد المنزل ولا
كريم المنظر وذلك لان فائدة الظل ترجع الى امرين احدهما دفع الحر والثاني حسن المنظر وكون الانسان فيه مكرما وظل اهل النار
بخلاف هذا لانهم في ظل من دخان اسود حار ثم بين بما استحقوا ذلك فقال تعالى انهم كانوا قبل ذلك يعني في الدنيا مترفين يعني منعمين
وكانوا يصرون على الحنث العظيم يعني الذنب الكبير وهو الشرك وقيل الحنث العظيم اليمين الغموس وذلك انهم كانوا يحلفون انهم لا يبعثون
وكذبوا في ذلك يدل عليه سياق الاية وهو قوله تعالى وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون

Copyright © King Saud University

زواله تعالى عليهم بقوله قل ان الاولين والاخرين يعني الابا والابنا لمجموعون الى ميقات يوم معلوم يعني انهم يجمعون ويحشرون
ليوم الحساب ثم انكم ايها الضالون يعني عن الهدى المكذبون اي بالبعث والخطاب لكفار مكة وقيل انه عام مع كل ضال مكذب لاكلون
من شجر من زقوم تقدم تفسيره فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم يعني الابل العطاش قيل ان
الهيم دا يصيب الابل فلا تروى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك وقيل الهيم الارض ذات الرمل التي لا تروى بالما قيل يلقى اهل
النار العطش فيشربون من الحميم شرب الهيم فلا يروون هذا نزلهم يعني ما ذكر من الزقوم والحميم اي رزقهم وغداوهم يوم الدين يعني
يجازون باعمالهم ثم احتج عليهم بالبعث بقوله تعالى نحن خلقناكم ولم تكونوا شيا وانتم تعلمون ذلك فلولا اي فهلا تصدقون يعني
بالبعث قوله عز وجل افرايتم ما تمنون يعني ما تصبون في الارحام من النطف ءانتم تخلقونه اي انتم تخلقون ما تمنون بشرا ام نحن
الخالقون اي انه خلق النطفة وصورها واحياها فلم تصدقون بانه واحد قادر على ان يعيدكم كما انشاكم احتج عليهم بالبعث
بالقدرة على ابتدا الخلق نحن قدرنا بينكم الموت يعني الاجال فمنكم من يبلغ الكبر والهرم ومنكم من يموت صبيا وشابا وغير ذلك
من الاجال القريبة والبعيدة وقيل معناه انه جعل اهل السما واهل الارض فيه سوا شريفهم ووضيعهم فعلى هذا القول يكون معنى
قدرنا قضينا وما نحن بمسبوقين يعني لا يفوتني شي اريده ولا يمتنع مني احد وقيل معناه وما نحن بمغلوبين عاجزين عن اهلاككم
وابدالكم بامثالكم وهو قوله تعالى على ان نبدل امثالكم اي نأتي بخلق مثلكم بدلا منكم في اسرع حين وننشئكم اي نخلقكم فيما لا تعلمون اي
من الصور والمعنى نغير خلقكم الى ما شئنا من خلق شي وقيل نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم ان
اردنا ان نفعل ذلك بكم ما فاتنا وقال سعيد فيما لا تعلمون يعني في حواصل طيور سود كانها الخطاطيف تكون ببرهوت وهو واد
باليمن وهذه الاقوال كلها تدل على المسخ وعلى انه لو شا ان يبدلهم بامثالهم من بني ادم قدر ولو شا ان يمسخهم في غير صورهم قدر وقال
بعض اهل المعاني هذا يدل على النشاة الثانية يكونها الله تعالى في وقت لا يعلمه العباد ولا يعلمون كيفيته كما علموا الانشا الاول
من جهة التناسل ويكون التقدير على هذا وما نحن بمسبوقين على ان ننشئكم في وقت لا تعلمون يعني وقت البعث والقيمة
وفيه فايدة وهي الحث على العمل الصالح لان التبديل والانشا هو الموت والبعث اذا كان ذلك واقعا في الزمان لا يعلمه
احد فينبغي ان لا يتكل الانسان على طول المدة ولا يغفل عن اعداد العدة ولقد علمتم النشاة الاولى اي الخلقة الاولى ولم تكونوا شيا وفيه
تقرير للنشاة الثانية يوم القيمة فلولا تذكرون باني قادر على اعادتكم كما قدرت على ابدائكم او لم قوله تعالى افرايتم ما تحرثون
لما ذكر الله تعالى ابتدا الخلق وما فيه من دلايل الوحدانية ذكر بعده الرزق لان به البقا وذكر امورا ثلاثة الماكول والمشروب وما به
اصلاح الماكول والمشروب ورتبه ترتيبا حسنا فذكر الماكول اولا لانه هو الغذا واتبعه المشروب لانه به الاستمرا ثم النار التي بها
الاصلاح وذكر من انواع الماكول الحب لانه هو الاصل ومن المشروب الما لانه ايضا هو الاصل وذكر من المصلحات النار لان بها اصلاح
اكثر الاغذية فقوله افرايتم ما تحرثون اي تثيرون من الارض وتلقون فيها البذر ءانتم تزرعونه اي تنبتونه وتنشيونه
حتى يشتد ويقوم على سوقه ام نحن الزارعون معناه انتم تعلمون ذلك كما هو الله ولا شك في ايجاد الحب في السنبل ليس بفعل احد غير الله تعالى
وان كان القا البذر من فعل الناس لو نشا لجعلناه يعني ما تحرثون وتلقون فيه من البذر حطاما اي نبتا لا قمح فيه وقيل
هشيما لا ينتفع به في مطعم ولا غيره وقيل هو جواب لمعاند يقول نحن نحرثه وبنفسه يصير زرعا لا بفعلنا ولا بفعل غيرنا فرد
الله على هذا المعاند بقوله لو نشا لجعلناه حطاما فهل انتم تقدرون على حفظه وهو يدفع عن نفسه بنفسه تلك الافات
ليستبين لا باذن الله وحفظه فظلتم تفكهون اي تتعجبون بما نزل بكم في زرعكم وقيل تندمون على نفقاتكم وقيل تندمون على
ما سلف منكم من المعاصي التي اوجبت تلك العقوبة وقيل تتلاومون وقيل تحزنون وقيل هو تلهف على ما فات انا لمغرمون يعني حذف
القول ومعنى الغرم ذهاب المال بغير عوض وقيل معناه المولع بنا وقال ابن عباس لمعذبون يعني انهم عذبوا بذهاب اموالهم
بغير فايدة والمعنى انا غرمنا الحب الذي بذرناه فذهب بغير عوض بل نحن محرومون اي ممنوعون والمعنى حرمنا الذي كنا
نطلبه من الريع الحاصل في الزرع افرايتم الما الذي تشربون ءانتم انزلتموه من المزن يعني السحاب ذكر هنا الله تعالى نعمه بانزال

المطر

المطر الذي لا يقدر عليه الا الله عز وجل لو نشا جعلناه اجاجا قال ابن عباس شديد الملوحة وقيل مرا لا يمكن شربه فلولا اي فهلا
تشكرون يعني نعمه عليكم افرايتم النار التي تورون يعني تقدحون من الزند ءانتم انشاتم شجرتها يعني التي تقدح منها النار
وهي المرخ والعفار وهما شجرتان يقدح منهما النار وهما رطبان وقيل اراد جميع الشجر الذي يوقد به النار ام نحن
المنشئون نحن جعلناها يعني نار الدنيا تذكرة اي للنار الكبرى اذا راى الراي هذه النار ذكر بها نار جهنم فيخشى الله ويخاف
عقابه وقيل موعظة يتعظ بها المومن ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه التي توقدون
جز من سبعين جزا من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين
جزا كلها مثل حرها ومتاعا للمقوين يعني للمسافرين والمقوي النازل في الارض القوى وهو القفر الخالية البعيدة من
العمران والمعنى انه ينتفع بها اهل البوادي والاسفار فان منفعتهم اكثر من المقيم فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدي
بها الضال الى غير ذلك من المنافع هذا قول اكثر المفسرين وقيل للمقوين المستمتعين بها في الظلمة ويصطلون بها من البرد
وينتفعون بها في الطبخ والخبز الى غير ذلك من المنافع وقيل المقوي من الاضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال ويقال للغني
مقو لقوته على ما يريد والمعنى فيها متاعا ومنفعة للفقرا والاغنيا جميعا لا غنى لاحد عنها فسبح باسم ربك العظيم لما ذكر
ما يدل على وحدانيته وقدرته وانعامه على سائر الخلق خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون خطابا
لكل فرد من الناس فقال تعالى فسبح باسم ربك اي برئ الله ونزهه عما يقول المشركون في صفته والاسم يكون بمعنى الذات
والمعنى فسبح باسم ربك العظيم قوله عز وجل فلا اقسم قال اكثر المفسرين معناه فاقسم ولا صلة مؤكدة وقيل لا على
اصلها وفي معناها وجهان احدهما انها ترجع الى ما تقدم ومعناه النهي وتقديره ومعناه فلا تكذبوا ولا تجحدوا ما ذكرته
من النعم والحجج الوجه الثاني ان لا رد لما قاله الكفار في القران من انه سحر وشعر وكهانة والمعنى ليس الامر كما تقولون
ثم استانف القسم فقال اقسم والمعنى لا والله لا صحة لقول الكفار وقيل لان لا هنا معناها النفي فهي كقول القائل لا
لا تسال عما جرى وهو يريد تعظيم الامر لا النهي عن السوال بمواقع النجوم قال ابن عباس اراد نجوم القران فانه كان
ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقا وقيل اراد مغارب النجوم ومساقطها وقيل اراد منازلها وقيل
انكدارها وانتثارها يوم القيمة وقيل مواقعها في اتباع الشياطين عند الرجم وانه لقسم لو تعلمون عظيم قيل هذا
يدل على ان المراد بمواقع النجوم نزول القران والمعنى ان القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظمته
لانتفعتم بذلك وقيل معنى لو تعلمون فاعملوا عظمته وقيل انه اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى
فاقسم بمواقع النجوم انه لقران كريم على ان الكتاب الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم قران كريم
اي عزيز مكرم لانه كلام الله تعالى ووحيه الى نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل الكريم الذي من شانه ان يعطي
الكثير وسمي القران كريما لانه يفيد الدلايل التي تودي الى الحق في الدين وقيل الكريم اسم جامع لما يحمد والقران
كريم لما يحمد فيه من الهدى والنور والبيان والعلم والحكم فالفقيه يستدل به وياخذ منه والحكيم يستمد
منه ويحتج به والاديب يستفيد منه ويتقوى فكل عالم يطلب اصل علمه منه وقيل سمي كريما لان كل احد ينال
ويحفظه من كبير وصغير وذكي وبليد بخلاف غيره من الكتب وقيل ان الكلام اذا كرر مرارا يسامه السامعون ويهون
في الاعين وتمله الاذان والقران كريم عزيز لا يهون بكثرة التلاوة ولا يخلق بكثرة الرد ولا يمله السامعون ولا
يثقل على الالسنة بل هو غض طري يبقى ابد الدهر كذلك في كتاب مكنون اي مصون مستور عند الله تعالى في اللوح المحفوظ
من الشيطان من ان يناله بسوء وقيل المراد بالكتاب المصحف ومعنى مكنون مصون محفوظ من التبديل والتحريف والقول
الاول اصح لا يمسه اي ذلك الكتاب المكنون الا المطهرون وهم الملايكة الموصوفون بالطهارة من الشرك والذنوب والاحداث

Copyright © King Saud University

يروى هذا القول عن ابن عباس وانس وهو قول سعيد بن جبير وابو العالية وقتادة وابن زيد وقيل هم السفرة الكرام
البررة وعلى القول الثاني بان المراد بالكتاب المصحف فقيل معنى لا يمسه الا المطهرون من الشرك وكان ابن عباس ينهى
ان يمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن قال الفراء لا يجد طعمه ونفعه الا من امن به وقيل معناه لا يقرؤه الا الموحدون
وقال قوم معناه لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والجنابات وظاهر الاية نفي ومعناها نهي قالوا لا يجوز للجنب ولا للحائض
ولا المحدث حمل المصحف ولا مسه وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم واكثر اهل العلم وبه قال مالك والشافعي واكثر الفقهاء
يدل عليه ما روى مالك في الموطا عن عبد الله بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعمرو بن حزم الا تمس القرآن الا طاهر اخرجه مالك مرسلا وقد جاء موصولا عن ابي بكر بن عمرو بن حزم عن ابيه عن جده ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن بهذا والصحيح فيه الارسال وروى الدارقطني بسنده عن سالم عن ابيه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يمس القرآن الا طاهر والمراد بالقرآن المصحف سماه قرآنا على قرب الجوار والاتساع كما روي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم نهى ان يسافر بالقرآن الى ارض العدو واراد به المصحف وقال الحكم وحماد وابو حنيفة يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسه
بعلاقة **فان قلت** اذا كان الاصح ان المراد من الكتاب هو اللوح المحفوظ وان الضمير في لا يمسه الا المطهرون
هم الملائكة ولو كان المراد نفي الحدث لقال لا يمسه الا المتطهرون من التطهر فكيف يصح قول الشافعي لا يمس المحدث المصحف
قلت من قال ان الشافعي اخذه من صريح الاية حمله على التفسير الثاني وهو القول بان المراد من الكتاب هو المصحف
ومن قال انه اخذه من طريق الاستنباط قال ان نفي المس بغير طهر صفة دالة على التعظيم والمس بغير طهر نوع استهانة وهذا لا يليق بمباشر
المصحف الكريم والصحيح انه اخذه من السنة ودليله ما تقدم من الاحاديث والله اعلم قوله **تنزيل من رب العالمين** صفة للقرآن اي القرآن
منزل من عند رب العالمين سمي المنزل تنزيلا على اتساع اللغة يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق وفيه رد على من قال ان القرآن
سحر وكهانة فقال الله تعالى بل القرآن تنزيل من رب العالمين قوله عز وجل **افبهذا الحديث** يعني القرآن **انتم** اي يا اهل مكة
مدهنون قال ابن عباس مكذبون وقيل كافرون والمدهن الكذاب والمنافق وهو الذي يجري في الباطن على خلاف الظاهر هذا اصله
ثم قيل للمكذب والكافر مدهن وان صرح بالتكذيب والكفر **وتجعلون رزقكم** اي حظكم ونصيبكم من القرآن **انكم تكذبون** قال
الحسن في هذه الاية خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله الا التكذيب وقال جماعة من المفسرين معناه وتجعلون شكركم انكم تكذبون
اي بنعمة الله عليكم وهذا في الاستسقاء بالانواء وذلك انهم كانوا اذا امطروا يقولون مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك المطر من فضل
الله عليهم فقيل لهم اتجعلون رزقكم اي شكركم بما رزقكم التكذيب فمن نسب الانزال الى النجم فقد كذب برزق الله تعالى ونعمه
وكذب بما جاء به القرآن والمعنى تجعلون بدل الشكر التكذيب (ق) عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلاة الصبح بالحديبية في اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله
ورسوله اعلم قال قال اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر
بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب رواه مسلم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
زاد فنزلت هذه الاية فلا اقسم بمواقع النجوم الى قوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون (م) عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما انزل الله من السماء من بركة الا اصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله الغيث فيقولون الكوكب كذا وكذا وفي رواية بكوكب
وكذا عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون رزقكم انكم تكذبون قال شكركم تقولون مطرنا بنوء
كذا وكذا وبنجم كذا وكذا وفي رواية بكوكب وكذا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله على اثر سماء اي اثر مطر والنوء الكوكب
يقال ناء النجم ينوء نوءا اذا سقط وغاب وقيل ناء اذا نهض وطلع واختلف العلماء في معنى الحديث وكفر من قال مطرنا بنوء كذا على
قولين احدهما انه كفر بالله تعالى سالب لاصل الايمان مخرج عن ملة الاسلام وذلك فيمن قال ذلك معتقدا ان الكوكب فاعل مدبر
منشئ للمطر كما كان بعض الجاهلية يزعم فمن اعتقد هذا فلا شك في كفره وهذا القول هو الذي ذهب اليه جماهير العلماء منهم الشافعي

وهو

وهو ظاهر الحديث وعلى هذا لو قال مطرنا بنوء كذا وكذا وهو معتقد ان ايجاد المطر من الله ورحمته وان النوء ميقات له ومراده
انا مطرنا في وقت طلوع نجم كذا ولم يقصد الى فعل النجم كما جاء عن عمر انه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس كم بقي من نوء الثريا فقال ان
العلماء يزعمون انها تعترض في الافق سبعا بعد وقوعها فوالله ما مضت تلك السبع حتى غيث الناس وانما اراد عمر كم بقي من الوقت
الذي جرت العادة انه اذا تم اتى الله بالمطر فهذا جائز لا خلاف فيه واختلفوا في كراهيته والاظهر انها كراهية تنزيه لا اثم
فيه ولا تحريم وسبب هذه الكراهة انها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بقائلها ولانها من شعار الجاهلية ومن سلك
مسلكهم والقول الثاني في تاويل اصل الحديث ان المراد بالكفر كفر النعمة لله تعالى لاقتصاره على اضافة الغيث الى
الكوكب وهذا جار فيمن لا يعتقد تدبير الكوكب ويؤيد هذا التاويل حديث ابي هريرة ما انزل الله من السماء من بركة الا اصبح
فريق بها كافرين فقوله بها يدل على انه كفر بالنعمة والله اعلم قوله تعالى **فلولا** اي فهلا **اذا بلغت الحلقوم** اي النفس او الروح الى
الحلقوم عند الموت **وانتم** يعني يا اهل الميت **حينئذ تنظرون** يعني الى الميت متى تخرج نفسه وقيل تنظرون الى امري
وسلطاني لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئا **ونحن اقرب اليه منكم** اي بالعلم والقدرة والرؤية وقيل ورسلنا الذين
يقبضون روحه اقرب الى الميت **ولكن لا تبصرون** اي الذين حضروه من الملائكة لقبض روحه وقيل لا تبصرون اي لا تعلمون
ذلك **فلولا ان كنتم غير مدينين** اي مملوكين وقيل محاسبين ومجزيين **ترجعونها ان كنتم صادقين** اي تردون نفس هذا الميت
الى جسده بعد ما بلغت الحلقوم فاجاب عن قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وعن قوله فلولا ان كنتم غير مدينين بجواب واحد
وهو قوله ترجعونها والمعنى ان كان الامر كما تقولون انه لا بعث ولا حساب ولا اله يجازي فهلا تردون نفس من يعز عليكم
اذا بلغت الحلقوم واذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا ان الامر الى غيركم وهو الله تعالى فامنوا به ثم ذكر طبقات الخلق وبين درجاتهم
فقال تعالى **فاما ان كان من المقربين** يعني السابقين **فروح** اي فله روح وهو الراحة وقيل فله فرح وقيل رحمة **وريحان**
اي وله استراحة وقيل هو الريحان الذي يشم قال ابو العالية لا يفارق احد من المقربين الدنيا حتى يؤتى ببعض من
ريحان الجنة فيشمه فتقبض روحه **وجنة نعيم** اي وله جنة نعيم يفضي اليها في الاخرة قال ابو بكر الوراق الروح
النجاة من النار والريحان دار القرار **واما ان كان** يعني المتوفى **من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين** اي فسلامة
لك يا محمد والمعنى فلا تهتم بهم فانهم سلموا من عذاب الله او انك ترى فيهم ما تحب من السلامة وقيل هو ان الله يتجاوز عن سيئاتهم
ويقبل حسناتهم وقيل معناه انهم من اصحاب اليمين وقيل فسلام عليك من اصحاب اليمين **واما ان كان من المكذبين** اي بالبعث
الضالين اي عن الهدى وهم اصحاب الشمال **فنزل من حميم** اي الذي يعد لهم حميم جهنم **وتصلية جحيم** اي وادخال نار عظيمة
ان هذا يعني ما ذكر من قصة المحتضرين **لهو حق اليقين** اي لا شك فيه وقيل ان هذا الذي قصصناه عليك
في هذه السورة من الاقاصيص وما اعد الله لاوليائه من النعيم وما اعد الله لاعدائه من العذاب الاليم وما ذكر مما يدل على
وحدانيته يقين لا شك فيه **فسبح باسم ربك العظيم** اي فنزه ربك العظيم من كل سوء وقيل معناه فصل بذكر ربك العظيم
وبامره عن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم اخرجه ابو داود وعن حذيفة
انه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فكان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الاعلى وما اتى على
اية عذاب الا وقف وتعوذ اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال
سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة (م) عن ابي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك باحب
الكلام الى الله تعالى قال سبحان الله وبحمده (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان
على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم هذا الحديث اخرجه في صحيح البخاري
والله اعلم **تفسير سورة الحديد** مدنية وهي تسع وعشرون اية وخمسمائة واربع واربعون كلمة والفان واربعمائة وستة
وسبعون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **سبح لله ما في السموات والارض** يعني كل ذي روح وغيره يسبح تسبيحا

Copyright © King Saud University

تسبيح العقلاء تنزيه الله عز وجل عن كل سوء وعما لا يليق بجلاله وتسبيح غير العقلاء من ناطق وجماد فاختلفوا فيه فقيل تسبيحه
دلالته على صانعه فكأنه ناطق بتسبيحه وقيل تسبيحه بالقول يدل عليه قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم والحق
ان التسبيح هو القول الذي لا يصدر الا من العاقل العارف بالله تعالى وما سوى العاقل ففي تسبيحه وجهان احدهما انها
تدل على تعظيمه وتنزيهه والثاني ان جميع الموجودات باسرها منقادة له يتصرف فيها كيف يشا فان حملنا التسبيح المذكور
في الاية على القول كان المراد بقوله ما في السموات من في السموات وهم الملائكة ومسبحو الارض هم المومنون العارفون بالله
وان حملنا التسبيح على التسبيح المعنوي فجميع اجزا السموات وما فيها من جبال وبحار وشجر ودواب وغير ذلك كلها مسبحة خاشعة
خاضعة لجلال الله منقادة له يتصرف فيها كيف يشا **فان قلت** قد جا في بعض فواتح السور بلفظ
الماضي وفي بعضها بلفظ المضارع فما معناه **قلت** فيه اشارة الى كون جميع الاشيا فيه مسبحة لله ابدا غير
مختص بوقت دون وقت بل هي كانت مسبحة ابدا في الماضي وستكون مسبحة ابدا في المستقبل وهو العزيز اي الغالب
الكامل القدرة الذي لا ينازعه شي الحكيم اي الذي جميع افعاله على وفق الحكمة والصواب له ملك السموات والارض اي انه
الغني عن جميع خلقه وكلهم محتاجون اليه يحيي ويميت اي يحيي الاموات للبعث ويميت الاحيا في الدنيا وهو على كل
شي قدير قوله عز وجل هو الاول والاخر والظاهر والباطن يعني هو الاول قبل كل شي بلا ابتدا كان هو ولم يكن شي موجودا والاخر
بعد فنا كل احد بلا انتها يفنى الاشيا ويبقى هو والظاهر الغالب العالي على كل شي هذا معنى قول ابن عباس وقيل هو الاول
ليس قبله شي والاخر ليس بعده شي وقيل هو الاول بوجوده في الازل وقبل الابتدا والاخر بوجوده في الابد وبعد الانتها
والظاهر بالدلايل الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب عن العقول ان تكيفه وقيل هو الاول السابق وجوده كل موجود والاخر
الذي يبقى بعد كل مفقود وقال الامام ابو بكر الباقلاني معناه انه تعالى الباقي بصفاته من العلم والقدرة وغيرهما التي كان عليها
في الازل ويكون كذلك بعد موت الخلايق وذهاب علومهم وقدرهم وحواسهم وتفرق اجسامهم قال وتعلقت المعتزلة بهذا الاسم
فاحتجوا لمذهبهم في فنا الاجسام وذهابها بالكلية قالوا ومعناه انه الباقي بعد فنا خلقه ومذهب اهل الحق يعني اهل السنة
بخلاف ذلك وان المراد الاخر بصفاته بعد ذهاب صفاتهم كما يقال الاخر من بقي من بني فلان فلان يريد حياته ولا يراد فنا
اجسام موتاهم وذهابهم بالكلية هذا اخر كلام ابن الباقلاني وقيل هو الاول السابق للاشيا والاخر الباقي بعد فنا الاحيا
والظاهر الحكيم والباطن العليم وقيل هو الاول ببره اذ عرفك توحيده والاخر بجوده اذ عرفك طريق التوبة على ما جنيت
والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والظاهر بستره اذا عصيت يستر عليك وقال الجنيد هو الاول بشرح القلوب
والاخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب وسيل عمر كعبا عن هذه الاية فقال معناها
ان علمه بالاول كعلمه بالاخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن وهو بكل شي عليم م عن سهيل بن ابي صالح قال كان ابو صالح
يامرنا اذا اراد احدنا ان ينام ان يضطجع على شقه الايمن ثم يقول اللهم رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم
ربنا ورب كل شي فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والفرقان اعوذ بك من شر كل شي انت اخذ بناصيته وفي رواية
من شر كل دابة انت اخذ بناصيتها اللهم انت الاول فليس قبلك شي وانت الاخر فليس بعدك شي وانت الظاهر فليس
فوقك شي وانت الباطن فليس دونك شي اقض عنا الدين واغننا من الفقر وكان يروي ذلك عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم عن ابي هريرة قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس واصحابه اذ اتى عليهم سحاب فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا العنان هذه روايا الارض يسوقها الله تعالى الى قوم لا يشكرونه
ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل
تدرون ما بينكم وبينها قالوا الله ورسوله اعلم قال بينكم وبينها خمسماية سنة حتى عد سبع سموات ما بين كل سمايين
كما بين السما والارض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان فوق ذلك العرش وبينه وبين

بعد

بعد ما بين السمايين ثم قال هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الارض ثم قال هل تدرون ما تحت
ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان تحتها ارضا اخرى بينهما مسيرة خمسماية سنة حتى عد سبع ارضين بين كل ارضين مسيرة
خمسماية سنة ثم قال والذي نفس محمد بيده لو انكم دليتم بحبل الى الارض السابعة السفلى لهبط على الله ثم قرا هو الاول والاخر والظاهر
والباطن وهو بكل شي عليم اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال الترمذي قال بعض اهل العلم في تفسير هذا الحديث
انما اراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله في كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه العنان اسم
للسحاب ومعنى روايا الارض الحوامل والرقيع اسم للسما وقيل هو اسم لسما الدنيا قوله عز وجل هو الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج فيها تقدم
تفسيره وهو معكم اين ما كنتم اي بالعلم والقدرة فليس ينفك احد من تعليق علم الله تعالى وقدرته اينما كان من ارض او سما او بر او بحر
وقيل وهو معكم بالحفظ والحراسة وقوله والله بما تعملون بصير يدل على صحة القول الاول له ملك السموات والارض
والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور تقدم تفسيره قوله تعالى امنوا
بالله ورسوله لما ذكر انواعا من الدلايل الدالة على التوحيد والعلم والقدرة شرع يخاطب كفار قريش ويامرهم بترك الدنيا والاعراض
عنها والنفقة في جميع وجوه البر وهو قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه يعني المال الذي كان بيد غيركم فاهلكهم
واعطاكم اياه فكنتم في ذلك المال خلفا عمن مضى فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وما لكم لا تومنون بالله والرسول يدعوكم
لتومنوا بربكم يعني واي عذر لكم في ترك الايمان بالله والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبرهان
والحجج وقد اخذ ميثاقكم اي اخذ الله ميثاقكم حين اخرجكم من ظهر ادم عليه السلام بان الله ربكم لا اله لكم سواه وقيل اخذ ميثاقكم
حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة والبراهين والحجج التي تدعو الى متابعة الرسول ان كنتم مومنين اي يوما ما فالان
احرى الاوقات ان تومنوا لقيام الحجج والاعلام ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى هو الذي ينزل على عبده
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ايات بينات يعني القران ليخرجكم يعني الله بالقران وقيل الرسول بالدعوة من الظلمات
الى النور اي من ظلمات الشرك الى نور الايمان وان الله بكم لرءوف رحيم قوله تعالى وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث
السموات والارض يقول اي شي لكم في ترك الانفاق فيما يقرب من الله تعالى وانتم ميتون تاركون اموالكم لغيركم فالاولى
ان تنفقوها انتم فيما يقربكم الى الله وتستحقون به الثواب ثم بين فضل من سبق بالانفاق في سبيل الله وبالجهاد فقال تعالى
لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل يعني فتح مكة في قول اكثر المفسرين وقيل هو صلح الحديبية والمعنى
لا يستوي في الفضل من انفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة مع من انفق وقاتل بعد
الفتح اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا قال الكلبي ان هذه الاية نزلت في ابي بكر الصديق لانه اول من اسلم
واول من انفق ماله في سبيل الله وذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن مسعود اول من اظهر اسلامه سبع
منهم النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عمر قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعنده ابو بكر وعليه عباة قد خللها في صدره بخلال فنزل جبريل فقال ما لي ارى ابا بكر عليه عباة قد خللها في صدره بخلال
فقال انفق ماله علي قبل الفتح قال فان الله عز وجل يقول اقرا عليه السلام وقل له اراض انت عني في فقرك ام ساخط
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر ان الله يقرئك السلام ويقول لك اراض انت في فقرك هذا ام ساخط فقال
ابو بكر اسخط على ربي انا عن ربي راض وكلا وعد الله الحسنى يعني الجنة قال عطا درجات الجنة تتفاضل فالذين انفقوا
قبل الفتح في افضلها والله بما تعملون خبير من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا اي صادقا محتسبا بالصدقة طيبة
بها نفسه وسمى هذا الانفاق قرضا من حيث انه وعد به الجنة تشبيها بالقرض قال بعض العلما القرض لا يكون حسنا
حتى يجمع اوصافا عشرة وهو ان يكون المال من الحلال وان يكون من اجود المال وان تتصدق به وانت محتاج اليه وان تصرف

Copyright © King Saud University

صدقتك اى لا احوج اليها وان تكتم الصدقة ما امكنك وان لا تتبعها بالمن والاذى وان تقصد بها وجه الله ولا
ترائى بها الناس وان تستحقر ما تعطى وتتصدق به وان كان كثيرا وان يكون من احب اموالك اليك وان لا ترى عز نفسك
وذل الفقير فهذه عشر خصال اذا اجتمعت فى الصدقة كانت قرضا حسنا فيضاعفه له يعنى يعطيه اجره على ثمانية
مضاعفا وله اجر كريم يعنى وذلك الاجر كريم فى نفسه قوله عز وجل يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يعنى على الصراط يسعى نورهم بين
ايديهم وبايمانهم اى عن ايمانهم وقيل اراد جميع الجوانب فعبر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم الى الجنة وقال قتادة ذكر لنا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من المؤمنين من يضئ نوره الى عدن وصنعا ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضئ
نوره الا موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى
نوره كالرجل وادناهم نورا من نوره على ابهامه فيطفأ مرة ويتقد مرة وقيل فى معنى الاية يسعى نورهم بين ايديهم ويعطون
كتبهم بايمانهم وتقول لهم الملائكة بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم
يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا اى انتظرونا نقتبس من نوركم اى نستضئ من نوركم قيل يغشى الناس
ظلمة شديدة فيعطى الله المؤمنين نورا على قدر اعمالهم يمشون به على الصراط ويعطى المنافقين ايضا نورا خديعة لهم فبينما هم يمشون
اذ بعث ريحا وظلمة فاطفات نور المنافقين فذلك قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبى والذين امنوا معه نورهم يسعى بين
ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا مخافة ان يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين وقيل يستضيئون بنور
المؤمنين ولا يعطون النور فاذا سبقهم المؤمنون بقوا فى الظلمة فقالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم قيل
ارجعوا وراءكم قال ابن عباس يقول لهم المؤمنون وقيل يقول لهم الملائكة ارجعوا الى الدنيا فاعملوا فيها اعمالا
يجعلها الله لكم نورا وقيل معناه لا نور لكم عندنا فارجعوا وراءكم فالتمسوا اى اطلبوا لانفسكم هناك نورا اى لا سبيل
لكم الى الاقتباس من نورنا فيرجعون فى طلب النور فلا يجدون شيئا فينصرفون اليهم ليلقوهم فيميز بينهم وبين المؤمنين
فذلك قوله تعالى فضرب بينهم اى المؤمنين والمنافقين بسور وهو حائط بين الجنة والنار له اى لذلك السور
باب باطنه فيه الرحمة اى فى باطن ذلك السور الرحمة وهى الجنة وظاهره من قبله العذاب اى من قبل ذلك الظاهر
العذاب وهو النار روى عن عبد الله بن عمر قال ان السور الذى ذكر فى القران هو سور بيت المقدس الشرقى باطنه
فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب وادى جهنم وقال ابن شريح كان كعب يقول فى الباب الذى يسمى باب الرحمة فى بيت
المقدس انه الباب الذى قال الله تعالى له باب باطنه فيه الرحمة الاية ينادونهم يعنى المنافقون ينادون المؤمنين من فضرب بينهم بسور ٤
وراء ذلك السور حين حجز بينهم وبقوا فى الظلمة الم نكن معكم اى فى الدنيا نصلى ونصوم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم اى اهلكتموها
بالنفاق والكفر واستعملتموها فى المعاصى والشهوات وكلها فتنة وتربصتم اى بالايمان والتوبة وقيل تربصتم بمحمد صلى الله عليه وسلم
وقلتم يوشك ان يموت فنستريح منه وارتبتم اى شككتم فى نبوته وفيما اوعدكم به وغرتكم الامانى اى الاباطيل وذلك
ما كنتم تتمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين حتى جاء امر الله يعنى الموت وقيل هو القاؤهم فى النار وهو قوله تعالى وغركم
بالله الغرور يعنى الشيطان قال قتادة ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله فى النار فاليوم لا يؤخذ منكم فدية
اى عوض وبدل بان تفدوا انفسكم من العذاب وقيل لا يؤخذ منكم ايمان ولا توبة ولا من الذين كفروا يعنى المشركين وانما عطف الكفار
على المنافقين وان كان المنافق كافرا فى الحقيقة لان المنافق ابطن الكفر والكافر اظهره فصار غير المنافق فحسن عطفه على المنافق
ماواكم النار اى هى مصيركم هى مولاكم اى وليكم وقيل هى اولى بكم لما اسلفتم من الذنوب والمعنى هى التى تلى عليكم لانها
ملكت امركم واسلمتم اليها فهى اولى بكم من كل شئ وقيل معنى الاية لا مولى لكم ولا ناصر لان من كانت النار مولاه فلا مولى له وبئس
المصير قوله تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قيل نزلت فى المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك انهم قالوا
لسلمان الفارسى ذات يوم حدثنا عن التوراة فان فيها العجائب فنزلت نحن نقص عليك احسن القصص فاخبرهم ان

القران

القران احسن من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله ثم عادوا فسألوه مثل ذلك فنزلت هذه الاية فعلى هذا القول يكون
تاويل قوله الم يان للذين امنوا يعنى فى العلانية باللسان ولم يؤمنوا بالقلب وقيل نزلت فى المؤمنين وذلك انهم قدموا المدينة
اصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا ونزل فى ذلك الم يان للذين امنوا الاية قال ابن مسعود
ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الاية الا اربع سنين اخرجه مسلم وقال ابن عباس ان الله تعالى استبطا
قلوب المؤمنين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة سنة من نزول القران فقال الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم اى ترق وتلين
وتخضع قلوبهم لذكر الله اى لمواعظ الله وما نزل من الحق يعنى القران ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل يعنى اليهود والنصارى
فطال عليهم الامد اى الزمان الذى بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم قال ابن عباس مالوا الى الدنيا واعرضوا عن
مواعظ القران والمعنى ان الله نهى المؤمنين ان يكونوا فى صحبة القران كاليهود الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الامد
روى عن ابى موسى الاشعرى انه بعث الى قراء اهل البصرة وقال انتم قراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم كما قست
قلوب من كان قبلكم وكثير منهم فاسقون يعنى الذين تركوا الايمان بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل اعلموا
ان الله يحيى الارض اى بالمطر بعد موتها اى يخرج منها النبات بعد يبسها فكذلك يقدر على احياء الموتى وقال ابن عباس
يلين القلوب بعد قسوتها فيجعلها مخبتة منيبة يحيى القلوب الميتة بالعلم والحكمة والا فقد علم احياء الارض بالمطر
مشاهدة قد بينا لكم الايات اى الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات
واقرضوا الله قرضا حسنا اى بالنفقة والصدقة فى سبيل الله يضاعف لهم اى ذلك القرض ولهم اجر كريم اى ثواب
حسن وهو الجنة والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون اى الكثير الصدق قال مجاهد كل من امن
بالله ورسله فهو صديق وتلا هذه الاية فعلى هذا الاية عامة فى كل من امن بالله ورسله وقيل ان الاية خاصة
فى ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا اهل الارض فى زمانهم الى الاسلام وهم ابو بكر وعلى وزيد وعثمان وطلحة
والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب الحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته والشهداء عند ربهم قيل اراد بالشهداء
المؤمنين المخلصين قال مجاهد كل مؤمن صديق شهيد وتلا هذه الاية وقيل هم التسعة الذين تقدم ذكرهم وقيل تم
الكلام عند قوله هم الصديقون ثم ابتدا والشهداء عند ربهم وهم الانبياء الذين يشهدون على الامم يروى ذلك عن
ابن عباس وقيل هم الذين استشهدوا فى سبيل الله لهم اجرهم اى بما عملوا من العمل الصالح ونورهم يعنى على الصراط ثم
والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم لما ذكر حال المؤمنين اتبعه حال الكافرين قوله تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا اى هذه
الحياة فى هذه الدار الدنيا وانما صرف حياته فى غير طاعة الله فحياته مذمومة ومن صرف حياته فى طاعة الله فحياته
خير كلها ثم وصفها بقوله لعب اى باطل لا حاصل له كلعب الصبيان ولهو اى فرح ساعة ثم ينقضى عن قريب
وزينة اى منظر يتزينون به وتفاخر بينكم يعنى انكم تشتغلون فى حياتكم بما يفتخر به بعضكم على بعض
وتكاثر فى الاموال والاولاد اى مباهاة بكثرة الاموال والاولاد وقيل يجمع ما لا يحل فيتطاول بماله وخدمه
وولده على اولياء الله تعالى واهل طاعته ثم ضرب لهذه الحياة مثلا فقال تعالى كمثل غيث اعجب الكفار اى الزراع
انما سمى الزراع كفارا لسترهم الارض بالبذر نباته اى ما نبت بذلك الغيث ثم يهيج اى ييبس فتراه
مصفرا اى بعد خضرته ثم يكون حطاما اى يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى وفى الاخرة عذاب شديد لمن كانت حياته
بهذه الصفة قال اهل المعانى زهد الله بهذه الاية فى العمل للدنيا وهذه صفة حياة الكافر وحياة من يشتغل
باللعب واللهو ورغب فى العمل للاخرة بقوله ومغفرة من الله ورضوان اى لاوليائه واهل طاعته لان الاخرة اما
عذاب واما جنة وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور اى لمن عمل لها ولم يعمل للاخرة فمن اشتغل فى الدنيا بطلب الاخرة فهى له بلاغ
الى ما هو خير منه وقيل متاع الغرور لمن لم يشتغل فيها بطلب الاخرة قوله عز وجل سابقوا الى مغفرة من ربكم

Copyright King Saud University

معناه لكن مفاخرتكم ومكاثرتكم في غير ما انتم عليه بل احرصوا على ان تكون مسابقتكم في طلب الاخرة والمعنى سارعوا مسارعة
السابقين في الى المغفرة اى الى ما يوجب المغفرة وهي التوبة من الذنوب وقيل سابقوا الى المغفرة وهو التوبة من الذنوب
وقيل سابقوا الى ما كلفتم به من الاعمال فيدخل فيه التوبة وغيرها وجنة عرضها كعرض السماء والارض قيل ان السموات السبع
والارضين السبع لو جعلت صفائح والحق بعضها ببعض لكان عرض الجنة في قدرها جميعا وقال ابن عباس ان لكل واحد
من المطيعين جنة بهذه السعة وقيل ان الله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات والارضين ولا شك ان الطول
يكون ازيد من العرض فذكر العرض تنبيها على ان طولها اضعاف ذلك وقيل هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع في نفوسهم
وافكارهم واكثر ما يقع في نفوسهم مقدار السموات والارض فشبه عرض الجنة بعرض السموات والارض على ما يعرفه الناس
اعدت للذين امنوا بالله ورسله فيه اعظم رجاء واقوى امل لانه ذكر ان الجنة اعدت لمن امن بالله ورسله ولم يذكر مع الايمان
شيا اخر يدل عليه قوله في سياق الاية ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فبين انه لا يدخل احد الجنة الا بفضل الله تعالى لا بعمله والله ذو
الفضل العظيم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدا منكم عمله الجنة قالوا ولا انت
يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله بفضل ورحمة قد تقدم الكلام على معنى هذا الحديث والجمع بينه وبين
قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون في تفسير سورة النحل قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض يعني قحط المطر وقلة النبات
ونقص الثمار ولا في انفسكم يعني الامراض وفقد الاولاد الا في كتاب يعني اللوح المحفوظ من قبل ان نبراها اى من قبل
ان نخلق الارض والانفس وقال ابن عباس من قبل ان نبرا المصيبة ان ذلك على الله يسير اى اثبات ذلك على كثرته هين
على الله عز وجل لكيلا تاسوا اى تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا ولا تفرحوا اى تبطروا بما اتاكم اى اعطاكم قال عكرمة ليس احد
الا يفرح ويحزن لكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا وقال جعفر بن محمد الصادق يا ابن ادم ما لك تاسف على مفقود لا يرده
اليك الفوت وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت والله لا يحب كل مختال اى متكبر بما اوتي من الدنيا فخور اى به على
الناس الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل قيل هذه الاية متعلقة بما قبلها والمعنى والله لا يحب الذين
يبخلون يريد اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يبخلون به ولا ينفقونه في سبيل الله ووجوه
الخير ولا يكفيهم انهم بخلوا به حتى يامروا الناس بالبخل وقيل ان الاية كلام مستانف لا تعلق له بما قبله انها صفة
اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبخلوا ببيان نعته ومن يتول قال ابن عباس عن الايمان فان الله هو
الغني اى عن عباده الحميد الى اوليائه قوله عز وجل لقد ارسلنا رسلنا بالبينات اى بالدلالات والايات والحجج
وانزلنا معهم الكتاب اى المتضمن للاحكام وشرائع الدين والميزان يعني العدل اى وامرنا بالعدل وقيل المراد بالميزان
هو الالة التي يوزن بها وهو يرجع الى العدل ايضا وهو قوله ليقوم الناس بالقسط اى ليتعاملوا بينهم بالعدل
وانزلنا الحديد قيل ان الله تعالى انزل مع ادم عليه السلام لما اهبط الى الارض السندان والمطرقة والكلبتين
وروى عن ابن عمر يرفعه ان الله انزل اربع بركات من السما الى الارض الحديد والنار والما والملح وقيل انزلنا هنا
بمعنى انشانا واحدثنا الحديد وذلك ان الله تعالى اخرج الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه والهامه فيه
باس شديد اى قوة شديدة فمنه جنة وهو الة الدفع ومنه الة السلاح وهو الة الضرب ومنافع للناس اى ومنه
ما ينتفعون به في مصالحهم كالسكين والفاس والابرة ونحو ذلك اذ الحديد الة لكل صنعة فلا غنى لاحد عنه وليعلم
الله اى ارسلنا رسلنا وانزلنا معهم هذه الاشيا ليتعامل الناس بالحق والعدل وليرى الله من ينصره اى من ينصر دينه
ورسله بالغيب اى الذين لم يروا الله ولا الاخرة وانما يحمد ويثاب من اطاع بالغيب وقيل ينصرونه ولا يبصرونه
ان الله قوي اى في امره عزيز اى في ملكه ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب
معناه انه تعالى شرف نوحا وابراهيم بالرسالة وجعل في ذريتهما النبوة والكتاب فلا يوجد نبي الا من نسلهما فمنهم

اى

اى من الذرية مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا اى اتبعنا على اثارهم برسلنا والمعنى بعثنا رسولا بعد رسول الى ان
انتهت الرسالة الى عيسى بن مريم وهو قوله وقفينا بعيسى بن مريم واتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه
اى على دينه رافة ورحمة يعني انهم كانوا متوادين بعضهم لبعض ورهبانية ابتدعوها ليس هذا عطفا على ما قبله والمعنى
انهم جاؤا بها من قبل انفسهم وهي ترهبهم في الجبال والكهوف والغيران والديرة فارين من الفتنة وحملوا انفسهم المشاق
في العبادة الزائدة وترك النكاح واستعمال الخشن في المطعم والمشرب والملبس مع التقلل من ذلك ما كتبناها عليهم
اى ما فرضناها نحن عليهم الا ابتغاء رضوان الله اى لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها يعني انهم
لم يرعوا تلك الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها وضموا اليها التثليث والاتحاد وكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين
ملوكهم واقام اناس منهم على دين عيسى حتى ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فامنوا به فلذلك قوله فاتينا الذين
امنوا منهم اجرهم وهم الذين ثبتوا على الدين الصحيح وكثير منهم فاسقون وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى
صلى الله عليه وسلم وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن مسعود قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على ثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرهن فرقة وازت
الملوك وقاتلوهم على دين عيسى فاخذوهم وقتلوهم وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا ان
يقيموا بين ظهرانيهم يدعوهم الى دين الله ودين عيسى فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله عز وجل
فيهم ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من امن بي وصدقني واتبعني
فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فاولئك هم الهالكون وعنه قال كنت رديف رسول الله صلى
الله عليه وسلم على حمار فقال لي يا ابن ام عبد هل تدري من اين اتخذت بنو اسرائيل الرهبانية فقلت الله ورسوله اعلم
قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصي فغضب اهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم الا
القليل فقالوا ان ظهرنا لهؤلاء افنونا ولم يبق للدين احد يدعو اليه فتعالوا لنتفرق في الارض الى ان يبعث الله
النبي الذي وعدنا عيسى به يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا في غيران الجبال واحدثوا الرهبانية فمنهم
من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الاية ورهبانية ابتدعوها الى فاتينا الذين امنوا منهم اى من
الذين ثبتوا عليها اجرهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن ام عبد اتدري ما رهبانية امتي قلت الله ورسوله
اعلم قال الهجرة والصلاة والجهاد والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع وروي عن انس عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان لكل امة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل الله وعن ابن عباس قال كانت ملوك
بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والانجيل وفيهم جماعة مؤمنون ويدعوهم الى دين الله فقيل لملوكهم لو جمعتم
هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم او دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل او يتركوا قراءة التوراة
والانجيل الا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون الى ذلك دعونا نحن نكفيكم انفسنا فقالت طائفة منهم ابنوا
لنا اسطوانا ثم ارفعونا فيها ثم اعطونا شيا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وطائفة قالت
دعونا نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا في ارضكم فاقتلونا وقالت طائفة
ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر الابار ونحترث البقول ولا نرد عليكم ولا نمر عليكم وليس احد من القبائل
الا وله حميم فيهم قال ففعلوا ذلك فمضى اولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن غير الكتاب فجعل الرجل يقول
نكون في مكان فلان فنتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم
لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك قول الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها يعني ابتدعها الصالحون فما رعوها حق
رعايتها يعني الاخرين الذين جاؤا من بعدهم فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا القليل انحط رجل

Copyright © King Saud University

من صومعته وجاء سايح من سياحته وصاحب دير من ديره فامنوا به وصدقوه فقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله وامنوا برسوله يوتكم كفلين من رحمته اجرين بعيسى وبالتوراة والانجيل وبايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم
ويجعل لكم نورا تمشون به القران واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم قال لئلا يعلم اهل الكتاب الذين يتشبهون بكم
الا يقدرون على شيء من فضل الله الاية اخرجه النسائي موقوفا عن ابن عباس وقال قوم انقطع الكلام عند قوله ورحمة ثم
قال ورهبانية ابتدعوها وذلك انهم تركوا الوضوء والغسل من الجنابة والختان فادعوها يعني الملة والطاعة حق رعايتها
كناية من غير مذكور فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم وهم اهل الرافة والرحمة وكثير منهم فاسقون وهم الذين غيروا وبدلوا وابتدعوا
الرهبانية ويكون معنى قوله ابتغاء رضوان الله وابتغاء رضوان الله اتباع ما امر به دون التوصيل لانه لم يامر به قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله الخطاب لاهل الكتابين من اليهود والنصارى يعني يا ايها الذين امنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في محمد وامنوا به
وهو قوله وامنوا برسوله يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم يوتكم كفلين اي نصيبين من رحمته يعني يوتكم اجرين لايمانكم بعيسى والانجيل
وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقران وعن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم اجران رجل من
اهل الكتاب امن بنبيه وامن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا ادى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده امة يطاوها
فادبها فاحسن تاديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها فله اجران ويجعل لكم نورا تمشون به يعني على الصراط
وقال ابن عباس النور هو القران وقيل هو الهدى والبيان اي يجعل لكم سبيلا واضحا في الدين تهتدون به ويغفر لكم اي ما سلف من ذنوبكم
قبل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والله غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب قيل لما سمع من لم يومن من اهل الكتاب قوله اولئك يوتون
اجرهم مرتين قالوا للمسلمين اما من امن منا بكتابكم فله اجره مرتين لايمانه بكتابكم وكتابنا ومن لم يومن فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزل
لئلا يعلم اي ليعلم ولا صلة اهل الكتاب الذين لم يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وحسدوا المومنين ان لا يقدرون يعني انهم لا يقدرون
على شيء من فضل الله والمعنى جعلنا الاجرين لمن امن بمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم الذين لم يومنوا به انهم لا اجر لهم ولا نصيب
فضل الله وقيل لما نزل في مسلمي اهل الكتاب اولئك يوتون اجرهم مرتين افتخروا على المسلمين فنزل لئلا يعلم اهل الكتاب يعني
المومنين منهم انهم لا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يعني الذي خصكم به فان فضلكم على جميع الخلايق وقيل
يحتمل ان يكون الاجر الواحد اكثر من الاجرين وقيل قالت اليهود يوشك ان يخرج منا نبي يقطع الايدي والارجل فلما خرج من العرب
كفروا به فانزل الله هذه الاية يعني هذا يكون فضل الله النبوة يوتيه من يشاء يعني محمد صلى الله عليه وسلم وهو قوله وان
الفضل بيد الله اي في ملكه وتصرفه يوتيه من يشاء لانه قادر مختار والله ذو الفضل العظيم عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو قايم على المنبر يقول انما بقاوكم فيمن سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس اوتي اهل
التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتينا القران فعملنا الى غروب الشمس فاعطينا
قيراطين قيراطين فقال اهل الكتابين ربنا اعطيت هولاء قيراطين قيراطين واعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن اكثر عملا قال
الله تعالى هل ظلمتكم من اجركم شيئا قالوا لا قال فهو فضلي اوتيه من اشاء وفي رواية انما اجلكم في اجل من خلا من الامم كما بين
صلاة العصر الى غروب الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي الى نصف النهار على قيراط قيراط
فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى
من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر الى غروب الشمس على قيراطين قيراطين الا لكم الاجر مرتين فغضبت
اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل عطاء قال الله عز وجل وهل ظلمتكم من حقكم شيئا قالوا لا قال فانه فضلي
اعطيه من شيت عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المسلمين ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استاجر
قوما يعملون له الى الليل على اجر معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى اجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم
اعملوا بقية يومكم وخذوا اجركم كاملا فابوا وتركوا واستاجر اخرين بعدهم فقال اعملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لكم من الاجر

الى صلاة العصر

فعملوا

فعملوا حتى اذا كان حين صلاة العصر قالوا ما عملنا باطل ولك الاجر الذي جعلت لنا فيه فقال لهم اكملوا بقية عملكم فان
ما بقي من النهار شيء يسير فابوا فاستاجر قوما ان يعملوا بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا اجر
الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة المجادلة مدنية
قوله عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها نزلت في خولة بنت ثعلبة وقيل اسمها جميلة وزوجها اوس بن الصامت اخو
عبادة بن الصامت وكان به لمم وكانت حسنة الجسم فارادها فابت عليه فقال لها انت علي كظهر امي ثم ندم على ما قال
وكان الظهار والايلاء من الطلاق في اهل الجاهلية فقال ما اظنك الا قد حرمت علي فقالت والله ما ذاك طلاق واتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعايشة تغسل شق راسه فقالت يا رسول الله ان زوجي اوس بن الصامت تزوجني
وانا شابة غنية ذات اهل ومال حتى اذا اكل مالي وافنى شبابي وتفرق اهلي وكبر سني ظاهر مني وقد ندم فهل من شيء
يجمعني واياه تنعشني به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت يا رسول الله والذي انزل عليك الكتاب
ما ذكر الطلاق وانه ابو ولدي واحب الناس الي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت اشكو الى
الله فاقتي ووحدتي قد طالت له صحبتي ونفضت له بطني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد حرمت
عليه ولم اومر في شانك بشيء فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
حرمت عليه هتفت وقالت اشكو الى الله فاقتي وشدة حالي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي
جاعوا وجعلت ترفع راسها الى السماء وتقول اللهم اشكو اليك اللهم انزل على لسان نبيك فرجي وهذا كان اول ظهار في الاسلام
فقامت عايشة تغسل شق راسه الاخر فقالت انظر في امري جعلني الله فداك يا نبي الله فقالت عايشة اقصري حديثك
ومجادلتك اما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه اخذه مثل السبات فلما قضي الوحي قال ادعي لي
زوجك فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الاية وعن عايشة قالت
الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد جاءت المجادلة خولة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمته في جانب البيت
وما اسمع ما تقول فانزل الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله الاية واما تفسير الاية قد سمع الله قول التي تجادلك
في زوجها اي تخاورك وتخاصمك وتراجعك في امر زوجها وتشتكي الى الله اي شدة حالها وفاقتها ووحدتها والله يسمع
تحاوركما اي مراجعتكما الكلام ان الله سميع اي لمن يناجيه ويتضرع اليه بصير اي بمن يشكو اليه ثم ذم الظهار فقال
تعالى الذين يظهرون منكم من نسايهم يعني يقولون لهن انتن كظهور امهاتنا ما هن امهاتهم اي ما اللواتي يجعلونهن
من زوجاتهن كالامهات بامهات والمعنى ليس هن بامهاتهم ان امهاتهم اي ما امهاتهم الا اللاي ولدنهم يعني
المظاهرون وانهم ليقولون منكرا من القول يعني لا يعرف في شرع وزورا يعني كذبا وقيل انما وصفه بكونه منكرا من
القول وزورا لان الام محرمة تحريما موبدا فلا جرم صار منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور عفا الله
عنهم وغفر لهم بايجاب الكفارة عليهم

فصل في احكام الظهار وفيه ثلاث مسايل المسيلة الاولى في معناه
لغة انه مشتق من الظهر وهو العلو وليس هو من ظهر الانسان اذ ليس الظهر باولى من ظاهر الاعضاء التي هي مواضع التلذذ
والمباضعة فثبت بهذا انه ماخوذ من الظهر الذي هو العلو لان امراة الرجل مركبه وظهره يدل عليه قول العرب في الطلاق
نزلت عن امراتي اي طلقتها وفي قولهم انت علي كظهر امي حذف واضمار لان تاويله ظهرك علي اي ملكي اياك وعلوي عليك حرام
علوي وعلوها علي حرام المسيلة الثانية كان الظهار من اشد طلاق اهل الجاهلية لانه في التحريم اوكد ما يكون فان
كان ذلك الحكم مقررا بالشرع كانت الاية ناسخة له والا لم يعد نسخا لان النسخ انما يدخل في الشرايع لا في الاحكام
الجاهلية وعاداتهم المسيلة الثالثة في الالفاظ المستعملة بهذا المعنى في الشريعة وعرف الفقهاء الاصل في هذا قوله انت
علي كظهر امي وانت مني ومعي او عندي كظهر امي وكذا لو قال انت علي كبطن امي او كراس امي او كيد امي او قال بطنك او راسك

وهي اثنتان وعشرون اية واربعماية وثلاث
وسبعون كلمة والف وسبعماية واثنان وتسعون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

فقد سمع الله

Copyright © King Saud University

اويدك على كظهر امي وشبه عضوا منها بعضو من اعضا امه يكون ذلك ظهارا وقال ابو حنيفة ان شبهها ببطن امه
او بفرجها او بفخذها يكون ظهارا وان شبهها بعضو من هذه الاعضا لا يكون ظهارا ولو قال انت علي كامي او كروح
امي واراد به الاعزاز والاكرام لا يكون ظهارا حتى ينويه ويريده ولو شبهها بجدته فقال انت علي كظهر
جدتي يكون ظهارا وكذا لو شبهها بامراة محرمة عليه بالرضاع يكون ظهارا المسيلة الرابعة فيمن يصح ظهاره
قال الشافعي الضابط في هذا ان كل من صح طلاقه صح ظهاره فعلى هذا يصح ظهار الذمي وقال ابو حنيفة لا يصح
احتج الشافعي بعموم قوله والذين يظهرون من نسايهم واحتج ابو حنيفة بان هذا خطاب للمومنين واجيب
عنه بان هذا خطاب يتناول جميع الحاضرين فلم قلتم انه مختص بالمومنين قوله تعالى الذين يظهرون منكم من
نسايهم يعني يمتنعون بهذا اللفظ من جماعهن ثم يعودون لما قالوا اختلف العلما في معنى العود في قوله ثم يعودون
لما قالوا ولابد اولا من بيان اقوال اهل العربية ثم بيان اقوال الفقها فنقول قال الفرا لا فرق في اللغة بين
ان يقال يعودون لما قالوا وفيما قالوا وقال ابو علي الفارسي كلمة الى واللام يتعاقبان فبان ان يقال يعودون والى
ما قالوا وفيما قالوا وفيه وجهان احدهما انه لفظ الظهار والمعنى انهم يعودون الى ذلك اللفظ الثاني المراد بما قالوا
اي المقول فيه وهو الذي حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه وعلى هذا معنى قوله ثم
يعودون لما قالوا اي يعودون الى شي وذلك الشي هو الذي قالوا فيه وذلك المقول ثم اذا فسر هذا اللفظ بالوجه
الاول يجوز ان يكون المعنى عادوا لما فعل اي فعله مرة اخرى وعلى الوجه الثاني يجوز ان يقال عاد لما فعل وذلك اي من
فعل شيا ثم اراد ان يفعله ثانيا فقد عاد له وكذا من فعل شيا ثم اراد ابطاله فقد عاد اليه بالتصرف فيه فقد
ظهر بما تقدم ان قوله ثم يعودون لما قالوا يحتمل ان يكون المراد ثم يعودون اليه بان يفعلوا مثله مرة اخرى ويحتمل
ان يكون المراد ويحتمل ان يعودون له بالنقض والرفع والازالة والى هذا الاحتمال ذهب اكثر المجتهدين ثم
اختلف فيه على وجوه الاول وهو قول الشافعي ان معنى العود لما قالوا هو السكوت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه
ان يطلقها فيه وذلك لانه اذا ظاهر فقد قصد التحريم فان وصله بالطلاق فقد تمم ما شرع فيه من ايقاع
التحريم ولا كفارة عليه فاذا سكت عن الطلاق فذاك يدل على انه ندم على ما ابتدا به من التحريم فحينيذ يجب عليه
الكفارة وفسر ابن عباس العود بالندم فقال يندمون فيرجعون الى الالفة الوجه الثاني تفسير العود وهو قول
ابي حنيفة انه عبارة عن استباحة الوطي والملامسة والنظر اليها بالشهوة وذلك انه لما شبهها بالام وحرمة
هذه الاشيا ثم قصد استباحة ذلك كان مناقضا لقوله انت علي كظهر امي الوجه الثالث وهو قول مالك ان
العود انها عبارة عن العزم على وطيها وهو قريب من قول ابي حنيفة الوجه الرابع وهو قول الحسن وقتادة وطاووس
والزهري ان العود انها عبارة عن جماعها وقالوا لا كفارة عليه ما لم يطاها قال العلما والعود المذكور هنا انه
صالح للجماع او للعزم عليه او الاستباحة الا ان الذي قال الثالث فهو اقل ما ينطلق عليه الاسم فيجب
تعلق الحكم عليه انه هو الذي به يتحقق مسمى العود واما الباقي فزيادة لا دليل عليه واما الاحتمال
في قوله ثم يعودون اي يفعلون مثل ما فعلوه وعلى هذا الاحتمال في الاية وجوه ايضا الاول قال
مجاهد والثوري العود هو الاتيان بالظهار في الاسلام ويجب الكفارة بنفس الظهار في الاسلام على
خلاف حكمه عندهم ومعنى ثم يعودون لما قالوا اي الى الاسلام فيقولون في الاسلام مثل ما كانوا يقولون
في الجاهلية فكفارته كذا وكذا الوجه الثالث قال ابو العالية اذا كرر لفظ الظهار فقد عاد وان لم يكن عودا وهذا
قول اهل الظاهر واحتجوا عليه بان الظاهر قوله ثم يعودون لما قالوا يدل على اعادة ما فعلوه وهذا
لا يكون الا بالتكرير وان لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه وقوله تعالى فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا المراد بالتماس

المجامعة

المجامعة فلا يحل للمظاهر وطي امراته التي ظاهر منها ما لم يكفر ذلكم توعظون به يعني ان غلظ الكفارة وعظ لكم
حتى تتركوا الظهار ولا تعاودوه والله بما تعملون اي من التكفير وتركه خبير ثم ذكر حكم العاجز عن الرقبة فقال تعالى
فمن لم يجد اي الرقبة فصيام شهرين اي فكفارته وقيل فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم اي يستطع
الصيام فكفارته اطعام ستين مسكينا اي الفرض الذي وضعناه ذلك لتومنوا بالله ورسوله اي لتصدقوا قول الله فيما امر به
وتصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اخبر عن الله تعالى وتلك حدود الله يعني ما وصف من الكفارة في الظهار وللكافرين
اي لمن جحد هذا وكذب به عذاب اليم اي في نار جهنم يوم القيامة

فصل في احكام الظهار وما

يتعلق بالظهار وفيه مسايل المسيلة الاولى اختلفوا فيما يحرمه الظهار فللشافعي قولان احدهما انه يحرم الجماع
فقط القول الثاني وهو الاظهر انه يحرم جميع جهات الاستمتاع وهو قول ابي حنيفة المسيلة الثانية اختلفوا
فيمن ظاهر مرارا فقال الشافعي وابو حنيفة لكل ظهار كفارة الا ان يكونا في مجلس واحد واراد التكرار
للتاكيد فان عليه كفارة واحدة وقال مالك من ظاهر من امراته في مجالس متفرقة فليس عليه الا كفارة واحدة
المسيلة الثالثة الاية تدل على ايجاب الكفارة قبل المماسة سوا اراد التكفير بالاعتاق او بالصيام او بالطعام
وعند مالك ان اراد التكفير بالطعام يجوز له الوطي قبله لان الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس ولم يقيد
في الاطعام من قبل ان يتماسا فدل على ذلك وعند الاخرين الاطلاق في الاطعام محمول على المقيد في العتق والصيام
فان جامع قبل ان يكفر لم يجب عليه الا كفارة واحدة وهو قول اكثر اهل العلم كمالك وابي حنيفة والشافعي واحمد وسفيان
وقال بعضهم ان واقعها قبل ان يكفر فعليه كفارتان وهو قول عبد الرحمن بن مهدي المسيلة الرابعة كفارة الظهار
مرتبة فيجب عليه عتق رقبة مومنة وقال ابو حنيفة هذه الرقبة تجزي سوا كانت مومنة او كافرة لقوله تعالى فتحرير
رقبة من غير تقييد هذا اللفظ يفيد العموم في جميع الرقاب دليلنا على ان الرقبة في كفارة القتل مقيدة بالايمان فكذا هنا
حمل المطلق على المقيد اولى المسيلة الخامسة العموم فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فان افطر يوما
متعمدا او نسي النية يجب عليه استيناف الشهرين المسيلة السادسة فان عجز عن الصوم لمرض او كبر او فرط شهوة
بحيث لا يصبر عن الجماع يجب عليه اطعام ستين مسكينا لكل مسكين مد من الطعام الذي يقتات به اهل البلد
من حنطة او شعير او ارز او ذرة او تمر ونحو ذلك وقال ابو حنيفة يعطي لكل مسكين نصف صاع من بر او
دقيق او سويق او صاعا من شعير فلو اطعم مسكينا واحدا ستين جزءا لا يجوز عند الشافعي وقال ابو حنيفة
يجزيه حجة الشافعي ظاهر الاية هو ان الله تعالى اوجب طعام ستين مسكينا فوجب رعاية ظاهر الاية وحجة
ابي حنيفة ان المقصود دفع الحاجة وهو حاصل واجيب عنه بانه ادخال سرور في قلب مسكين واحد المسيلة السابعة
ان كانت له رقبة الا انه يحتاج الى الخدمة او له ثمن الرقبة لكنه محتاج اليه لنفقته ونفقة عياله فله ان ينتقل
الى الصوم وقال مالك والاوزاعي يلزمه الاعتاق اذا كان له الرقبة او ثمنها وان كان محتاجا اليه وقال ابو حنيفة
ان كان واجد العين الرقبة يجب عليه اعتاقها وان كان محتاجا اليها وان كان واجدا لثمن الرقبة لكنه محتاج
اليه فله ان يصوم المسيلة الثامنة قال اصحاب الشافعي الشبق المفرط والغلمة الهايجة عذر في الانتقال من
الصيام الى الاطعام والدليل عليه ما روي عن سلمة بن صخر البياضي قال كنت امرا اصيب من النسا ما لا يصيب غيري
فلما دخل شهر رمضان خفت ان اصيب من امراتي شيا يتابع بي حتى اصبح فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان
فبينما هي تحدثني ذات ليلة اذ تكشف لي منها شي فلم البث ان نزوت عليها فلما اصبحت خرجت الى قومي فاخبرتهم
الخبر فقلت امشوا معي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لا والله فانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انت بذاك يا رسول الله مرتين وانا صابر لامر الله فاحكم بما امرك الله به قال حرر رقبة قلت والذي بعثك

بالحق نبيا ما املك رقبة غيرها وضربت صفحة رقبتي قال فصم شهرين متتابعين قال وهل اصبت الذي اصبت
الا من الصيام قال فاطعم وسقا من تمر بين ستين مسكينا قلت والذي بعثك بالحق لقد بتنا وحشيين لا املك
لنا طعاما قال فانطلق الى صاحب صدقة بني زريق فليدفعها اليك فاطعم ستين مسكينا وسقا من تمر وكل
انت وعيالك بقيتها فرجعت الى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الراي ووجدت عند النبي صلى
الله عليه وسلم السعة وحسن الراي وقد امر لي بصدقتكم وبنو بياضة بطن من بني زريق اخرجه ابو داود قوله
نزوت عليها اي وثبت عليها واراد به الجماع وقوله تتابع بي التتابع الوقوع في الشر واللجاج فيه والوسق ستون
صاعا وقوله وحشيين يقال رجل وحشي اذا لم يكن له طعام واوحش الرجل اذا جاع وعن خولة بنت ملك بن ثعلبة
قالت ظاهر مني زوجي اوس بن الصامت فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكو اليه ورسول الله صلى الله عليه
وسلم يجادلني فيه ويقول اتقي الله فانه ابن عمك فما برحت حتى نزل القران قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها
الى الفرض قال يعتق رقبة قلت لا يجد قال فليصم شهرين متتابعين قالت يا رسول الله انه شيخ كبير ما به
من صيام قال فليطعم ستين مسكينا قلت ما عنده شي يتصدق به قال فاني ساعينه بعرق من تمر قلت يا رسول الله
واني اعينه بعرق اخر قال قد احسنت اذهبي فاطعمي بها عنه ستين مسكينا وارجعي الى ابن عمك اخرجه ابو داود وفي
رواية قالت ان اوسا ظاهر مني وذكرت ان به لمما وقالت والذي بعثك بالحق ما جئتك الا رحمة له في منافع
وذكرت نحوه العرق بفتح العين والرا المهملتين زنبيل يسع ثلاثين صاعا وقيل خمسة عشر صاعا وقولها ان به
لمما اللمم طرف من الجنون والخبل اذ لو كان به ذلك ثم ظاهر في تلك اللمم هنا لم يلزمه شي بل معنى اللمم هاهنا الالمام بالنسا
وشدة الحرص والتوق والله اعلم قوله عز وجل ان الذين يحادون الله ورسوله اي يعادون الله ورسوله ويشاقون ويخالفون
امرهما كبتوا اي ذلوا واخزوا واهلكوا كما كبت الذين من قبلهم اي كما اخزي من كان قبلهم من اهل الشرك وقد انزلنا ايات
بينات يعني فرائض واحكاما وللكافرين اي الذين لم يعملوا بها وجحدوها عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم
بما عملوا احصاه الله اي حفظ الله اعمالهم ونسوه اي نسوا ما كانوا يعملون في الدنيا والله على كل شي شهيد قوله تعالى
الم تر اي الم تعلم ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض يعني انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه
خافية في الارض ولا في السموات ثم اكد ذلك بقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة من سرار ثلاثة وهي المسارة والمنا
والمعنى ما من شي يناجي به الرجل صاحبه وقيل ما تكون من متناجين ثلاثة يسار بعضهم بعضا الا هو رابعهم
اي بالعلم يعني يعلم نجواهم كانه حاضر معهم وشاهدهم كما تكون نجواهم معلومة عند الرابع الذي يكون معهم ولا خمسة
الا هو سادسهم **فان قلت** لم خص الثلاثة والخمسة **قلت** قيل ما يكفي في المسارة
ثلاثة حتى يتم الغرض فيكون اثنان كالمتنازعين في النفي والاثبات والثالث كالمتوسط الحاكم بينهما فحينئذ تحمد تلك
المشاورة ويتم الغرض فلذلك وهكذا كل جمع يجتمع للمشاورة لا بد من واحد يكون حكما بينهم مقبول القول وقيل ان
العدد الفرد اشرف من الزوج فلهذا خص الله تعالى الثلاثة والخمسة قال تعالى ولا ادنى من ذلك ولا اكثر يعني ولا
اقل من ثلاثة وخمسة ولا اكثر من العدد الا هو معهم اين ما كانوا اي بالعلم والقدرة ثم ينبئهم بما عملوا اي
في يوم القيامة ان الله بكل شي عليم قوله عز وجل الم تر الى الذين نهوا عن النجوى نزلت في اليهود والمنافقين وذلك
انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المومنين ويتغامزون باعينهم ويوهمون المومنين انهم يتناجون بما يسوءهم
فيحزن المومنون لذلك ويقولون ما نراهم الا وقد بلغهم عن اخواننا الذين خرجوا في السرايا فيقع ذلك في قلوبهم
ويحزنهم فلما طال ذلك على المومنين وكثر شكواهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم ان لا يتناجوا دون المومنين
فلم ينتهوا فانزل الله تعالى الم تر الى الذين نهوا عن النجوى اي المناجاة فيما بينهم ثم يعودون لما نهوا عنه اي يرجعون الى المناجاة

التي

التي نهوا عنها ويتناجون بالاثم والعدوان يعني ذلك السر الذي كان بينهم لانه اما مكر وكيد بالمسلمين او شي يسوءهم
وكلاهما اثم وعدوان ومعصية الرسول وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه
وعادوا اليها وقيل معناه يوصي بعضهم بعضا بمعصية الرسول واذا جاءوك يعني اليهود حيوك بما لم يحيك به الله وذلك
ان اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون السام عليك والسام الموت ويوهمونه انهم يسلمون
عليه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرد فيقول عليكم ويقولون في انفسهم يعني اذا خرجوا من عنده لولا يعذبنا الله بما
نقول يريدون لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول من الاستخفاف قال الله تعالى حسبهم جهنم يصلونها فبئس
المصير المعنى ان تقديم العذاب انما يكون بحسب المشية والمصلحة فاذا لم تقتض المشية والمصلحة تقديم العذاب
فعذاب جهنم يوم القيامة كافيهم ق عن عائشة قالت دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا السام عليك قالت عائشة ففهمتها فقلت عليكم السام واللعنة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم مهلا يا عائشة ان الله يحب الرفق في الامر كله فقلت يا رسول الله الم تسمع ما قالوا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد قلت عليكم وللبخاري ان اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال وعليكم فقالت
عائشة السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق
واياك والعنف والفحش قالت اولم تسمع ما قالوا قال اولم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم
ولا يستجاب لهم في السام الموت قال الخطابي عامة المحدثين يروون اذا سلم عليكم اهل الكتاب فانما يقولون السام
عليكم فقولوا وعليكم الحديث يثبتون الواو في وعليكم وكان سفيان بن عيينة يرويه بغير واو وقال وهو الصواب
لانه اذا حذف الواو صار قولهم الذي قالوه مردودا عليهم بعينه واذا اثبت الواو وقع الاشتراك معهم لان الواو
تجمع بين الشيئين والعنف ضد الرفق واللين والفحش الردي من القول قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم
فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول في المخاطبين بهذه الاية قولان احدهما انه خطاب للمومنين
وذلك انه لما ذم اليهود والمنافقين على التناجي بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اتبعه بان نهى المومنين ان يسلكوا
مثل طريقتهم ويفعلوا كفعلهم فقال لا تتناجوا بالاثم وهو ما يقبح من القول والعدوان وهو ما يؤدي الى الظلم ومعصية
الرسول وهو ما يكون خلافا عليه والقول الثاني وهو الاصح انه خطاب للمنافقين والمعنى يا ايها الذين امنوا
بالسنتهم وقيل امنوا بزعمهم كانه قال لهم لا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى
اي بالطاعة وترك المعصية واتقوا الله الذي اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان اي من تزيين الشيطان وهو
ما يامرهم به من الاثم والعدوان ومعصية الرسول ليحزن الذين امنوا اي انما يزين ذلك ليحزن المومنين ق عن ابن
عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث زاد ابن مسعود
في رواية فان ذلك يحزنه هذه الزيادة ولابي داود وليس بضارهم شيئا يعني ذلك التناجي وقيل الشيطان بضارهم
شيئا الا باذن الله الا ما اراد الله تعالى وقيل الا باذن الله في الضر وعلى الله فليتوكل المومنون اي فليكل المومنون
امرهم الى الله تعالى ويستعيذون به من الشيطان فان من توكل على الله لا يخيب امله ولا يبطل سعيه قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا الاية قيل في نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكرم
اهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس منهم يوما وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم
فسلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم قاموا على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفسحوا لهم
فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله قم يا فلان وانت يا فلان فاقام من المجلس بقدر اولئك النفر
الذين قاموا بين يديه من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم

Copyright King Saud University

فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقد تقدمت القصة في سورة الحجرات وقيل
كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون القرب منه فكانوا اذا راوا من جاءهم مقبلا بمجلسهم
فامرهم الله ان يفسح بعضهم لبعض وقيل كان ذلك يوم الجمعة في الصفة والمكان ضيق والاظهر ان المراد مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحرصا على استماع كلامه فامر الله المؤمنين بالتواضع وان يفسحوا في المجلس لمن اراد الجلوس عند النبي صلى الله
عليه وسلم ليتساوى الناس في الاخذ بالحظ منه وقرئ في المجالس لان لكل واحد مجلسا ومعناه ليفسح كل رجل في مجلسه
فافسحوا اي فاوسعوا في المجالس لغيركم يفسح الله لكم اي يوسع الله لكم الجنة والمجالس ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا يقيمن احدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم م عن جابر بن عبد الله لا يقيمن
احدكم اخاه يوم الجمعة ثم يخالف الى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا ذكره الحميدي في افراد مسلم موقوفا عن جابر ورفعه
غير الحميدي وقال في معنى الاية ان هذا مجالس الحرب ومقاعد القتال كان الرجل ياتي القوم وهم في الصف فيقول توسعوا فيابون
عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم فامروا ان يوسعوا لاخوانهم لان الرجل الشديد الباس قد يكون متاخرا عن الصف
الاول والحاجة داعية الى تقدمه فلا بد من التفسح له ثم يقاس على ذلك ساير المجالس كمجالس العلم والقران والحديث
والذكر ونحو ذلك لان كل من وسع على عباد الله انواع الخير والراحة وسع الله خيري الدنيا والاخرة واذا قيل انشزوا فانشزوا
اي اذا قيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لاخوانكم فارتفعوا وقيل كان رجال يتثاقلون عن الصلاة في الجماعة اذا نودي
لها فانزل الله تعالى هذه الاية والمعنى اذا نودي الى الصلاة فانهضوا اليها او الى الجهاد او الى خير فانهضوا اليه ولا تقصروا
عنه يرفع الله الذين امنوا منكم اي بطاعتكم لله ولرسوله وامتثالا لامره وقيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لاخوانهم
والذين اوتوا العلم اي ويرفع الله الذين اوتوا العلم من المؤمنين بفضل علمهم وسابقتهم درجات اي على من سواهم في
الجنة وقيل يقال للمؤمن الذي ليس بعالم اذا انتهى الى باب الجنة ادخل ويقال للعالم قف واشفع في الناس واخبر الله عز
وجل ان رسوله صلى الله عليه وسلم مصيب فيما امر وان اولئك المؤمنون مثابون فيما ائتمروا وان النفر من اهل بدر
مستحقون لما عوملوا به من الاكرام والله بما تعملون خبير قال الحسن قرا ابن مسعود هذه الاية وقال ايها الناس افهموا
هذه الاية ولترغبنكم في العلم فان الله تعالى يقول يرفع المؤمن العالم فوق الذي ليس بعالم درجات وقيل ان العالم يحصل له بعلمه
من المنزلة والرفعة ما لا يحصل لغيره لانه يقتدى بالعالم في اقواله وافعاله كلها عن قيس بن كثير قال قدم رجل
من المدينة على ابي الدرداء وهو بدمشق فقال ما اقدمك يا اخي قال حديث بلغني انك تحدثه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اما جئت لحاجة غيره قال لا قال اما قدمت في تجارة قال لا قال ما جئت الا في طلب هذا
الحديث قال نعم قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله
به طريقا الى الجنة وان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض
حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على ساير الكواكب ان العلماء ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا
دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم فمن اخذه فقد اخذ بحظ وافر اخرجه الترمذي ولابي داود نحوه ق عن معاوية بن ابي
سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وعن ابن عباس مثله
اخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين
في مسجده احد المجلسين يدعون الى الله ويرغبون اليه والاخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال كلا المجلسين على خير
واحدهما افضل من صاحبه اما هولاء فيدعون الى الله ويرغبون اليه واما هولاء فيتعلمون الفقه
ويعلمون الجاهل وانما بعثت معلما ثم جلس فيهم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي

نجواكم

نجواكم صدقة يعني اذا اردتم مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الانسان اذا وجد الشيء بمشقة
استعظمه وان وجده بسهولة استحقره ونفع كثير من الفقراء بتلك الصدقة المقدمة قبل المناجاة قال ابن
عباس سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واكثروا حتى شقوا عليه فاراد الله تعالى ان يخفف على نبيه صلى
الله عليه وسلم ويثبطهم عن ذلك فامرهم ان يقدموا صدقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت
في الاغنياء وذلك انهم كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس
حتى كره رسول الله صلى الله عليه وسلم طول جلوسهم ومناجاتهم فلما امروا بالصدقة كفوا عن مناجاته فاما
الفقراء واهل العسرة فلم يجدوا شيئا واما الاغنياء واهل الميسرة فضنوا واشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزلت الرخصة قال مجاهد نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجه الا علي بن ابي طالب تصدق
بدينار وناجاه ثم نزلت الرخصة فكان علي يقول اية في كتاب الله لم يعمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي
وهي اية المناجاة وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا
بين يدي نجواكم صدقة قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى دينارا قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار
قلت لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك لزهيد قال فنزلت ااشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم
صدقات الاية قال فبي خفف الله عن هذه الامة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله قلت
شعيرة اي وزن شعيرة من ذهب وقوله انك لزهيد يعني قليل المال قدرت على حالك **فان قلت**
في هذه الاية منقبة عظيمة لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه اذ لم يعمل بها احد غيره **قلت** هو كما قلت
وليس فيها طعن على غيره من الصحابة ووجه ذلك ان الوقت لم يتسع ليعملوا بهذه الاية ولو اتسع الوقت لم
يتخلفوا عن العمل بها وعلى تقدير اتساع الوقت ولم يفعلوا ذلك انما هو مراعاة لقلوب الفقراء الذين لم يجدوا
ما يتصدقون به لو احتاجوا الى المناجاة فيكون ذلك سبب الحزن للفقراء اذ لم يجدوا ما يتصدقون به عند مناجاته
ووجه اخر وهو ان هذه المناجاة لم تكن من المفروضات ولا من الواجبات ولا من الطاعات المندوب اليها بل انما
كلفوا هذه الصدقة ليتركوا هذه المناجاة ولما كانت هذه المناجاة اولى بان تترك فلم يعملوا بها وليس فيها
طعن على احد منهم وقوله ذلك خير لكم يعني تقديم الصدقة على المناجاة لما فيه من طاعة الله ورسوله
واطهر اي لذنوبكم فان لم تجدوا يعني الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به فان الله غفور رحيم يعني انه تعالى عفى
عنهم في ذلك ااشفقتم قال ابن عباس ابخلتم والمعنى اخفتم العيلة والفاقة ان قدمتم وهو قوله
ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا اي ما امرتم به وتاب الله عليكم اي تجاوز عنكم ونسخ الصدقة
قال مقاتل بن حيان كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال الكلبي ما كانت الا ساعة من نهار ثم نسخ فاقيموا الصلوة
اي المفروضة واتوا الزكوة اي الواجبة واطيعوا الله ورسوله اي فيما امر ونهى والله خبير بما تعملون اي انه محيط باعمالكم ونياتكم قوله
عز وجل الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم نزلت في المنافقين وذلك انهم تولوا اليهود وناصحوهم ونقلوا اسرار المؤمنين
اليهم واراد بقوله غضب الله عليهم اليهود ما هم يعني المنافقين منكم اي من المؤمنين في الدين والولاء ولا منهم يعني ولا من
اليهود ويحلفون على الكذب وهم يعلمون اي انهم كذبة نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق وكان يجالس رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم اليوم رجل
قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان ازرق العينين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام
تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل وجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فانزل الله هذه الاية اعد الله لهم عذابا
شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا ايمانهم يعني الكاذبة اي يستترون بها من القتل ويدفعون بها عن انفسهم واموالهم

Copyright © King Saud University

فصدوا عن سبيل الله يعني انهم صدوا المومنين عن جهادهم بالقتل واخذ اموالهم بسبب ايمانهم وقيل معناه صدوا الناس عن دين الله الذي هو الاسلام فلهم عذاب مهين يعني في الاخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم يوم القيامة من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له يعني كاذبين انهم كانوا مشركين كما يحلفون لكم اي في الدنيا وقيل كان الحلف جنة لهم في الدنيا فظنوا انها تنفع في الاخرة ايضا ويحسبون انهم على شيء يعني مع ايمانهم الا انهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان اي غلب واستولى عليهم وملكهم فانساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين يعني في جملة من يلحقهم الذل في الدنيا والاخرة لان ذل احد الخصمين على حسب عز الخصم الثاني ولما كانت عزة الله غير متناهية كانت ذلة من يحاده غير متناهية كتب الله لاغلبن انا ورسلي اي قضى الله ذلك قضاء ثابتا في الحرب فهو غالب في الحرب ومن لم يومر بالحرب فهو غالب بالحجة ان الله قوي اي على نصر رسله واوليائه عزيز اي غالب على اعدائه قوله تعالى لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله اخبر الله تعالى ان ايمان المومنين يفسد بموادة الكافرين وان من كان مومنا لا يوالي من كفر لان من احب احدا امتنع ان يحب عدوه

فان قلت اجمعت الامة على انه يجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه المودة المحظورة

قلت المودة المحظورة هي مناصحتهم وارادة الخير لهم دينا ودنيا مع كفرهم فاما سوى ذلك فلا حظر فيه ثم انه تعالى بالغ في الزجر عن موادتهم بقوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم يعني ان الميل الى هولاء من اعظم انواع الميل ومع هذا فيجب ان يطرح الميل الى هولاء والمودة لهم بسبب الدين قيل نزلت هذه الاية في حاطب ابن ابي بلتعة حين كتب الى اهل مكة وستاتي قصته في سورة الممتحنة وروي عن عبد الله بن مسعود في هذه الاية قال لو كانوا اباءهم يعني ابا عبيدة بن الجراح قتل اباه الجراح يوم احد او ابناءهم يعني ابا بكر الصديق دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال يا رسول الله دعني اكن في الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا ابا بكر او اخوانهم يعني مصعب بن عمير قتل اخاه عبد الله بن عمير وعشيرتهم يعني عمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلي بن ابي طالب وحمزة وابو عبيدة قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي اثبت التصديق في قلوبهم فهي مومنة موقنة مخلصة وقيل حكم لهم بالايمان وانما ذكر القلوب لانها موضعه وايدهم بروح منه اي قواهم بنصره وانما سمى نصره اياهم روحا لانه به يحيا امرهم وقيل بالايمان وقيل بالقران وقيل بجبريل وقيل برحمته ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه انما ذكر رضوانه عليهم بعد دخولهم الجنة لانه اعظم النعم واجل المراتب ثم لما ذكر هذه النعم اتبعه بما يوجب ترك المودة لاعداء الله سبحانه وتعالى فقال اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون والله اعلم

تفسير سورة الحشر

قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر فقال قل سورة النضير وهي مدنية وهي اربع وعشرون اية واربعمائة وخمس واربعون كلمة والف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم قال المفسرون نزلت هذه السورة في بني النضير وهم طائفة من اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير ان لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر على المشركين قالت بنو النضير والله انه النبي الامي الذي نجد نعته في التوراة لا ترد له راية فلما غزا احدا وهزم المسلمون ارتابوا واظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمومنين ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب بن الاشرف في اربعين راكبا من اليهود الى مكة فاتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم

على

على ان تكون كلمتهم واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ودخل ابو سفيان في اربعين من قريش وكعب بن الاشرف في اربعين من اليهود المسجد الحرام واخذ بعضهم على بعض الميثاق بين استار الكعبة ثم رجع كعب واصحابه الى المدينة ونزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما عاقد عليه كعب وابو سفيان وامره بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد بن مسلمة وقد تقدمت القصة في سورة ال عمران وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اطلع على خيانتهم حين اتاهم يستعينهم في دية الرجلين المسلمين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري في منصرفه من بير معونة فهموا بطرح حجر على النبي صلى الله عليه وسلم من الحصن فعصمه الله منهم واخبره بذلك وقد تقدمت القصة في سورة المائدة فلما قتل كعب بن الاشرف اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر الناس بالمسير الى بني النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون على كعب بن الاشرف فقالوا يا محمد داعية على اثر داعية وباكية على اثر باكية قال نعم فقالوا ذرنا نبكي شجونا ثم ائتمر امرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت اقرب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب واذنوا بالقتال ودس المنافقون عبد الله بن ابي واصحابه اليهم ان لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن اخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها ثم انهم اجمعوا الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلوا اليه ان اخرج في ثلاثين رجلا من اصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعوا منك فان صدقوك وامنوا بك امنا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثين من اصحابه وخرج اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى كانوا في براز من الارض قال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون رجلا من اصحابه كلهم يحب الموت قبله ولكن ارسلوا اليه كيف نفهم ونحن ستون اخرج في ثلاثة من اصحابك ويخرج اليك ثلاثة من علمائنا فيسمعون منك فان امنوا بك امنا بك وصدقناك فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة من اصحابه وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر وارادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلت امراة ناصحة من بني النضير الى اخيها وهو رجل مسلم من الانصار فاخبرته بما اراد بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فاسرع اليه فساره بخبرهم قبل ان يصل اليهم فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فابى عليهم الا ان يخرجوا من المدينة على ما يامرهم به فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى ان لهم ما اقلت الابل من اموالهم الا الحلقة وهي السلاح وعلى ان يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر اموالهم وقال ابن عباس على ان يحمل كل اهل بيت على بعير ما شاؤوا من متاعهم وللنبي صلى الله عليه وسلم ما بقي وقيل اعطى كل ثلاثة نفر بعيرا وسقاية ففعلوا ذلك وخرجوا من ديارهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام الا اهل بيتين منهم ال ابي الحقيق وال حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فذلك قوله عز وجل هو الذي اخرج الذين كفروا يعني بني النضير من ديارهم يعني التي كانت بالمدينة قال ابن اسحاق كان اجلاء بني النضير مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من احد وفتح قريظة مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان لاول الحشر قال الزهري كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى وكان الله قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا وقال ابن عباس من شك ان المحشر بالشام فليقرا هذه الاية فكان هذا اول حشر الى الشام قال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر ثم يحشر الخلق يوم القيامة الى الشام وقيل انما قال لاول الحشر لانهم كانوا اول من اجلي من اهل الكتاب من جزيرة العرب ثم اجلى اخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل كان هذا اول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب الى اذرعات واريحا من ارض الشام

Copyright ... University

فى ايام عمر وقيل كان هذا اول الحشر والحشر الثانى من خيبر وجميع جزيرة العرب اذ يحشرهم يوم القيامة من المشرق
الى المغرب بتبييت منهم حيث بانوا او تنقتل منهم حيث قالوا ما ظننتم يعنى ايها المومنون ان يخرجوا اى من المدينة
لعزهم ومنعتهم وذلك انهم كانوا اهل حصون وعقار ونخل كثير وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اى ظن بنو النضير ان حصونهم
تمنعهم من سلطان الله فاتاهم الله اى اتاهم امر الله وعذابه من حيث لم يحتسبوا وهو ان الله امر نبيه صلى الله عليه وسلم
بقتالهم واجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك وقذف فى قلوبهم الرعب اى الخوف الشديد بقتل كعب بن الاشرف يخربون بيوتهم
بايديهم وايدى المومنين قال الزهرى وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما صالحهم على ان لهم ما اقلت الابل كانوا ينظرون الى الخشب
فى منازلهم فيهدمونها وينزعون ما استحسنوه منها فيحملونه على ابلهم ويخرب المومنون باقيها وقيل كانوا يقلعون العمد
وينقضون السقوف وينقبون الجدران لئلا يسكنها المومنون حسدا منهم وبغضا وقيل كان المسلمون يخربون
ما يليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها وقال ابن عباس كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها ليتسع لهم المقاتل
وجعل اعداء الله ينقبون دورهم فى ادبارهم فيخرجون الى التى بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم ويرمون
بالتى خرجوا منها اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فاعتبروا اى فاتعظوا وانظروا ما نزل بهم يا اولى الابصار اى ذوى العقول
والبصائر ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء يعنى الخروج من الوطن لعذبهم فى الدنيا يعنى بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة ولهم فى الاخرة
عذاب النار ذلك اى الذى لحقهم ونزل بهم بانهم شاقوا الله ورسوله اى خالفوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد
العقاب قوله تعالى ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله الاية وذلك ان النبى صلى الله عليه
وسلم لما نزل ببنى النضير وتحصنوا بحصونهم امر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع اعداء الله عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت انك
تريد الصلاح افمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت انه انزل عليك الفساد فى الارض فوجد المسلمون
فى انفسهم من قولهم وخشوا ان يكون ذلك فسادا واختلفوا فى ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما افاء الله علينا وقال
بعضهم بل نغيظهم بقطعه فانزل الله هذه الاية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وان ذلك كان
باذن الله تعالى (ق) عن ابن عمر قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة فنزلت ما
قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين البويرة اسم موضع لبنى النضير وفى ذلك
يقول حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه ۔ وهان على سراة بنى لوى ۔ حريق بالبويرة مستطير ۔ قال ابن عباس اللينة النخل
كلها سوى العجوة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقطع نخلهم الا العجوة والبرنى وقيل اللينة النخلة كلها من غرسها
وقال ابن عباس فى رواية اخرى عنه هى لون من النخل وقيل كرام النخل وقيل هى ضرب من النخل يقال لثمرها اللون وهو شديد
الصفرة ويرى نواه من خارج يغيب فيه الضرس فكان من اجود ثمرهم واعجبها اليهم وكانت النخلة الواحدة منها ثمن وصيف
فلما راوهم يقطعونها شق عليهم ذلك وقالوا للمومنين انكم تكرهون الفساد وانتم تفسدون دعوا هذا النخل قائما هو لمن
غلب عليها فاخبر الله ان قطعها كان باذنه وليخزى الفاسقين يعنى اليهود والمعنى ولاجل اخزاء اليهود اذن الله فى قطعها
احتج العلماء بهذه الاية على ان حصون الكفار وديارهم لا باس ان تحرق وتهدم وترمى بالمناجيق وكذلك قطع اشجارهم
ونحوها قوله عز وجل وما افاء الله على رسوله اى ما رد الله على رسوله منهم اى من يهود بنى النضير فما اوجفتم عليه يعنى اوضعتم
وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب يعنى الابل التى تحمل القوم وذلك ان بنى النضير لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يقسمها بينهم كما فعل بغنائم خيبر فبين الله تعالى فى هذه الاية انها لم يوجف المسلمون عليها
خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا اليها شقة ولا نالوا مشقة وانما كانوا يعنى بنى النضير على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا ولم يركب
الا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على جمل ولكن الله يسلط رسله على من يشاء من اعدائه والله على كل شئ قدير اى فهى له خاصة
يضعها كيف شاء فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئا الا ثلاثة نفر كانت

بهم حاجة وهو ابو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة (ق) عن مالك بن اوس بن الحدثان النصرى
ان عمر دعاه اذ جاءه حاجبه يرفا فقال هل لك يا امير المومنين فى عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد يستاذنون
قال نعم فادخلهم فلبث قليلا ثم جاء فقال هل لك فى عباس وعلى يستاذنان فقال نعم فاذن لهما فلما دخلا قال العباس
يا امير المومنين اقض بينى وبين هذا فقال القوم اجل يا امير المومنين اقض بينهما وارح احدهما من الاخر قال مالك بن
اوس يخيل الى انهم قد كانوا قدموهم لذلك قال عمر بن الخطاب اتئدوا انشدكم بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض هل
تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة يريد بذلك نفسه قالوا نعم ثم اقبل عمر على العباس
وعلى فقال انشدكما بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض اتعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا
صدقة قالا نعم قال عمر ان الله خص نبيه صلى الله عليه وسلم بخاصة لم يخصص بها غيره فقال وما افاء الله على رسوله
منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم اموال بنى النضير فوالله ما استاثرها
عليكم ولا اخذها دونكم حتى اعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقى هذا المال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذ منه
نفقة سنة ثم ما بقى فيجعله مجعل مال الله فعمل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته ثم انشدكم الله الذى باذنه
تقوم السماء والارض تعلمون ذلك قالوا نعم قال ثم انشد عباسا وعليا بمثل ما انشد القوم اتعلمان ذلك قالا نعم
قال فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر انا ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضه ابو بكر فعمل فيه
بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتم حينئذ واقبل على على وعباس تذكران ان ابا بكر كما فيه تقولان والله
يعلم انه فيه لصادق بار راشد تابع للحق ثم توفى الله ابا بكر فقلت انا ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى
بكر فقبضته سنتين من امارتى اعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر والله يعلم انى لصادق بار راشد
تابع للحق ثم جئتمانى كلاكما وكلمتكما واحدة وامركما جميع فقلت لكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث
ما تركنا صدقة فلما بدا لى ان ادفعها اليكما قلت ان شئتما دفعته اليكما على ان عليكما عهد الله وميثاقه
لتعملان فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وما عملت فيه منذ وليت والا فلا تكلمانى فقلتما
ادفعه الينا بذلك فدفعته اليكما افتلتمسان منى قضاء غير ذلك فوالله الذى باذنه تقوم السماء والارض لا اقضى فيه بقضاء
غير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتما عنه فادفعاه الى فانا اكفيكماه قوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى يعنى من
اموال كفار اهل القرى قال ابن عباس هى قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة فلله وللرسول ولذى القربى
يعنى بنى هاشم وبنى عبد المطلب واليتامى والمساكين وابن السبيل قد تقدم تفسيره فى سورة الانفال حكم الغنيمة وقسمها
واما حكم الفئ فانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته يضعه حيث يشاء فكان ينفق على اهله نفقة سنتهم
ويجعل ما بقى مجعل مال الله فى الكراع والسلاح عدة فى سبيل الله واختلف العلماء فى مصرف الفئ بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال قوم هو للائمة بعده وللشافعى فيه قولان احدهما انه للمقاتلة والثانى هو لمصالح المسلمين ويبدا
بالمقاتلة ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلفوا فى تخميس مال الفئ فذهب قوم الى انه يخمس فخمسه لاهل خمس الغنيمة
واربعة اخماسه للمقاتلة وللمصالح وذهب الاكثرون الى انه لا يخمس بل يصرف جميعه واحد ولجميع المسلمين فيه
حق قرا عمر بن الخطاب ما افاء الله على رسوله من اهل القرى حتى بلغ للفقراء المهاجرين الى قوله والذين جاؤا من
بعدهم ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة قال وما على الارض مسلم الا وله فى هذا الفئ حق الا ما ملكت ايمانكم
كى لا يكون الفئ دولة والدولة اسم الشئ الذى يتداوله القوم بينهم بين الاغنياء منكم يعنى بين الرؤساء والاقوياء
فيغلبوا عليه الضعفاء والفقراء والضعفاء وذلك ان اهل الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة اخذ الرئيس
ربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصطفى بعد المرباع منه ما شاء فجعله الله لرسوله صلى الله عليه وسلم يقسمه

Copyright © King Saud University

فيما امر به وما اتاكم الرسول فخذوه اي من مال الفي والغنيمة وما نهاكم عنه اي من الغلول وغيره فانتهوا وهذا نازل في اموال
الفي وهو عام في كل ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم او نهى عنه من قول او عمل من واجب او مندوب او مستحب او نهى
عن محرم فيدخل فيه الفي والغنيمة وغيرهما ق عن عبد الله بن مسعود انه قال لعن الله الواشمات والمستوشمات
والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امرأة من بني اسد يقال لها ام يعقوب وكانت
تقرأ القران فاتته فقالت ما حديث بلغني عنك انك قلت كذا وكذا وذكرته فقال عبد الله وما لي لا العن
من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله تعالى فقالت المرأة لقد قرات لوحي المصحف فما وجدته فقال ان
كنت قرأتيه لقد وجدتيه قال الله عز وجل وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الوشم هو غرز العضو
من الانسان بالابرة ثم حشي بكحل والمستوشمة التي تطلب ان يفعل بها ذلك والنامصة التي تنتف الشعر من الوجه والمتفلجة
هي التي تتكلف تفريج ما بين اسنانها بصناعة وقيل هي التي تتفلج في مشيتها فكل ذلك منهي عنه ق عن عايشة قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد
عن ابي رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه امر مما امرت به او نهيت
عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن الاريكة كل ما
علي من سرير او فراش وخشبة او نحو ذلك واتقوا الله اي في امر الفي ان الله شديد العقاب اي على ترككم ما امركم به رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونهاكم عنه ثم بين من له الحق في الفي فقال عز وجل للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يعني
اخرجوهم الى الخروج يبتغون فضلا من الله اي رزقا وقيل ثوابا من الله ورضوانا اي خرجوا من ديارهم طلبا لرضى الله عز وجل
وينصرون الله ورسوله اي باموالهم وانفسهم والمراد بنصر الله نصر دينه واعلاء كلمته اولئك هم الصادقون اي في ايمانهم قال قتادة
هم المهاجرون الذين تركوا الدنيا والاموال والعشاير وخرجوا حبا لله ولرسوله واختاروا الاسلام على ما كانوا فيه
من شدة حتى ذكر لنا ان الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ما له دثار غيرها
عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فقراء المهاجرين يسبقون
الاغنياء يوم القيامة الى الجنة باربعين خريفا عن ابي سعيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا معاشر صعاليك
المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسماية سنة اخرجه ابو داود
قوله عز وجل والذين تبوءوا الدار والايمان يعني الانصار توطنوا الدار وهي المدينة واتخذوها سكنا من قبلهم يعني انهم اسلموا في
ديارهم واثروا الايمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين والمعنى والذين تبوءوا الدار
من قبل المهاجرين وقد امنوا لان الايمان ليس بمكان يتبوأ يحبون من هاجر اليهم وذلك انهم انزلوا المهاجرين في منازلهم
واشركوهم في اموالهم ولا يجدون في صدورهم حاجة اي حزازة وغيظا وحسدا مما اوتوا اي اعطوا المهاجرين من الفي وغيره
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم اموال بني النضير بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيا الا ثلاثة
فطابت انفس الانصار بذلك ويؤثرون على انفسهم اي ويؤثر الانصار المهاجرين باموالهم ومنازلهم على انفسهم ولو كان
بهم خصاصة اي فاقة وحاجة الى ما يؤثرون به ق عن ابي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني مجهود فارسل الى بعض نسائه فقالت مثل ذلك وقالت كلهن مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من يضيفه يرحمه الله فقام رجل من الانصار يقال له ابو طلحة فقال انا يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال
لامرأته هل عندك شيء قالت لا الا قوت صبياني قال فعلليهم بشيء ونوميهم فاذا دخل ضيفنا فاريه انا ناكل فاذا
اهوى بيده ليأكل فقومي الى السراج كي تطفيه فاطفيه ففعلت فقعدوا واكل الضيف وباتا طاويين فلما اصبح غدا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله او ضحك الله من فلان وفلانة

زاد في رواية فانزل الله ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة خ عن ابي هريرة قال قالت الانصار للنبي صلى
الله عليه وسلم اقسم بيننا وبين اخواننا النخل قال لا فقالوا تكفونا المؤنة ونشرككم في الثمر قالوا سمعنا واطعنا عن
انس بن مالك قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار الى ان يقطع لهم البحرين فقالوا لا الا ان تقطع لاخواننا
من المهاجرين مثلها قال اما لا فاصبروا حتى تلقوني على الحوض فانه سيصيبكم اثرة بعدي وفي رواية ستلقون
بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض الاثرة بفتح الهمزة والثاء والراء وضبطه بعضهم بضم الهمزة
واسكان الثاء والاول اشهر ومعناه الاستيثار وهو ان يستاثر عليكم بامور الدنيا ويفضل غيركم عليكم ولا يجعل
لكم في الامر نصيب وقيل هو من اذا اعطى زادته يستاثر عليكم غيركم فيفضل في نصيبه من الفي والاستيثار
الانفراد بالشي وقيل الاثرة الشدة والاول اظهر وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم النضير للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من دياركم واموالكم وتشاركوهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت
لكم دياركم واموالكم ولم نقسم لكم شيا من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة
ولا نشاركهم فيها فانزل الله عز وجل ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم
المفلحون والشح في كلام العرب البخل مع الحرص وقد فرق بعض العلماء بين الشح والبخل فقال البخل نفس المنع والشح
هو الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع ولما كان الشح من صفات النفس لا جرم قال الله تعالى ومن يوق
شح نفسه فاولئك هم المفلحون اي الفايزون بما ارادوا وروي ان رجلا قال لابن مسعود اني اخاف ان اكون قد
هلكت قال وما ذاك قال اسمع الله يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وانا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي
شي فقال عبد الله ليس ذلك بالشح الذي ذكره الله في القران ولكن الشح ان تاكل مال اخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبيس
الشي البخل وقال ابن عمر ليس الشح ان يمنع الرجل ماله انما الشح ان تطمح عين الرجل فيما ليس له وقيل الشح هو الحرص
الشديد الذي يحمل صاحبه على ارتكاب المحارم وقيل من لم ياخذ شيا نهاه الله عن اخذه ولم يمنع شيا امره الله باعطائه فقد
وقاه الله شح نفسه م عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا
الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع اخرجه ابو داود الهلع اشد الجزع والمراد منه ان الشحيح يجزع جزعا شديدا
ويحزن على شي يفوته ويجزع من بيع والخالع الذي يخلع فواده لشدة خوفه وفزعه عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف رجل ابدا ولا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد ابدا
اخرجه النسائي قوله تعالى والذين جاءوا من بعدهم يعني من بعد المهاجرين والانصار وهم التابعون لهم الى يوم القيامة
يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اخبر انهم يدعون لانفسهم بالمغفرة ولاخوانهم الذين سبقوهم
بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا اي غشا وحسدا وبغضا للذين امنوا ربنا انك رءوف رحيم فكل من كان في قلبه غل او بغض لاحد
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترحم على جميعهم فانه ليس ممن عناه الله بهذه الاية لان الله
تعالى رتب المؤمنين على ثلاث منازل المهاجرين ثم من بعدهم الانصار ثم من بعدهم التابعين الموصوفين
بما ذكر فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا عن اقسام المؤمنين وليس له في المسلمين نصيب وقال
ابن ابي ليلى الناس على ثلاث منازل الفقراء المهاجرون والذين تبوءوا الدار والايمان والذين جاءوا من بعدهم
فاجتهد ان لا تكون خارجا من هذه الثلاث منازل ق عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه م عن عروة بن الزبير قال
قالت عائشة يا ابن اختي امروا ان يستغفروا لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسبوهم عن عبد الله بن مغفل

Copyright © King Saud University

قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم
ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه
اخرجه الترمذي وقال مالك بن انس من ينتقص احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم او كان في
قلبه غل عليهم فليس له حق في المسلمين ثم تلا هذه الاية ما افاء الله على رسوله من اهل القرى الى والذين جاءوا
من بعدهم الى رؤف رحيم وقال مالك بن مغول قال الشعبي يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة
بخصلة فضلة سيلت اليهود من خير اهل ملتكم قالوا اصحاب موسى وسيلت النصارى من خير اهل ملتكم قالوا حواري
عيسى وسيلت الرافضة من شر اهل ملتكم فقالوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم امروا ان يستغفروا لهم
فسبوهم والسيف مسلول عليهم الى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا يجتمع لهم كلمة كلما
اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله بسفك دماهم وتفريق شملهم وادحاض حجتهم اعاذنا الله واياكم من الاهوا المضلة
وروي عن جابر قال قيل لعائشة ان ناسا يتناولون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ابا بكر وعمر
فقالت وما تعجبون من هذا انقطع عنهم العمل واحب الله ان لا ينقطع عنهم الاجر وروي ان ابن عباس سمع
رجلا ينال من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له امن المهاجرين الاولين انت قال لا قال فمن
الانصار انت قال لا قال فانا اشهد بانك لست من التابعين لهم باحسان قوله عز وجل الم تر الى الذين
نافقوا يعني اظهروا خلاف ما اضمروا وهو عبد الله بن ابي بن سلول واصحابه يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب يعني
اليهود من بني قريظة والنضير وانما جعل المنافقين اخوانهم لانهم كفار مثلهم لئن اخرجتم اي من المدينة لنخرجن
معكم اي منها ولا نطيع فيكم احدا ابدا يعني ان سالنا احد خلافكم وخذلانه فلا نطيعه فيكم وان قوتلتم لننصرنكم
اي لنعيننكم ولنقاتلن معكم والله يشهد انهم يعني المنافقين لكاذبون اي فيما قالوا ووعدوا ثم اخبر الله عن
حال المنافقين فقال تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان الامر كذلك فانهم اخرجوا ولم يخرج
المنافقون معهم وقوتلوا فلم ينصروهم ولئن نصروهم ليولن الادبار يعني لو قدروا ووجدوا نصرهم ولو قصدوا
نصر اليهود لولوا الادبار منهزمين ثم لا ينصرون يعني بني النضير لا يصيرون منصورين اذا انهزم ناصرهم لانتم
يعني يا معشر المسلمين اشد رهبة في صدورهم من الله مثل الرهبة والرهب الخوف الشديد مع حزن واضطراب والمعنى
انهم يرهبونكم ويخافون منكم اشد من رهبتهم من الله ذلك اي الخوف منكم بانهم قوم لا يفقهون يعني عظمة الله
تعالى لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة اي لا يبرزون لقتالكم انما يقاتلونكم متحصنين بالقرى والجدران وهو
قوله تعالى او من وراء جدر باسهم بينهم شديد اي بعضهم فظ على بعض وعداوة بعضهم بعضا شديدة وقيل باسهم
فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد فاذا خرجوا اليكم فهم اجبن خلق الله تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى اي متفرقة
مختلفة قال قتادة اهل الباطل مختلفة اهواهم مختلفة اعمالهم شهاداتهم وهم مجتمعون في عداوة
اهل الحق وقيل اراد ان دين المنافقين واراءهم يخالف دين اليهود ذلك بانهم قوم لا يعقلون ثم ضرب لليهود مثلا فقال
تعالى كمثل الذين من قبلهم قريبا يعني مشركي مكة ذاقوا وبال امرهم يعني القتل ببدر وكان ذلك قبل غزوة بني النضير
وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعني بني قينقاع وقيل مثل قريظة كمثل بني النضير وكان بينهما سنتان
ولهم عذاب اليم اي في الاخرة ثم ضرب مثلا اخر للمنافقين واليهود جميعا في تخاذلهم وتخلي بعضهم عن بعض
فقال تعالى كمثل الشيطان اي مثل المنافقين في غزوة بني النضير وخذلانهم اياهم كمثل الشيطان اذ قال
للانسان اكفر وذلك ما روي عن عطا وغيره عن ابن عباس قال كان راهب في الفترة يقال له برصيصا تعبد
في صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وان ابليس اعياه في امره الحيل فجمع ذات يوم مردة

الشياطين

الشياطين وقال الا احد منكم يكفينا امر برصيصا فقال الابيض وهو صاحب الانبيا وهو الذي
تصدى للنبي صلى الله عليه وسلم وجاه في صورة جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحي فلحقه جبريل
عليه السلام فلحقه الى اقصى الهند فقال الابيض لابليس انا اكفيك امره فانطلق فتزين
بزينة الرهبان وحلق وسط راسه واتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل
عن صلاته الا في كل عشرة ايام مرة فلما راى الابيض انه لا يجيبه اقبل على العبادة في اصل الصومعة
فلما انفتل برصيصا من صلاته اطلع من صومعته فراى الابيض يصلي قايما في هيية حسنة
على هيية الرهبان فلما راى ذلك من حاله ندم في نفسه اي لام نفسه حين لم يجبه فقال له
انك ناديتني وكنت مشتغلا عنك فما حاجتك قال الابيض حاجتي اني احببت ان اكون معك
فاتادب بادبك واقتبس من علمك ونجتمع على العبادة قال برصيصا اني لفي شغل عنك فان كنت
مومنا فان الله سيجعل لك فيما للمومنين نصيبا ان استجاب لي ثم اقبل على صلاته وترك الابيض
واقبل الابيض يصلي فلم يلتفت اليه برصيصا اربعين يوما فلما انفتل بعدها راه قايما يصلي
فلما راى برصيصا شدة اجتهاده الابيض قال له ما حاجتك قال حاجتي ان تاذن لي فارتفع اليك
فاذن له فارتفع اليه في صومعته فاقام حولا يتعبد لا يفطر الا في كل اربعين يوما مرة ولا ينفتل عن
صلاته الا كذلك وربما مد الى الثمانين فلما راى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه واعجبه شان
الابيض فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا اني منطلق فان لي صاحبا غيرك ظننت انك اشد اجتهادا
مما ارى وكان يبلغنا عنك غير الذي رايت فدخل من ذلك على برصيصا امر شديد وكره مفارقته لما
راى من كثرة اجتهاده فلما ودعه الابيض قال له ان عندي دعوات اعلمكها تدعو بهن فهو خير
لك مما انت فيه يشفي الله بها السقيم ويعافي بها المبتلى والمجنون قال برصيصا انا اكره هذه
المنزلة لان لي في نفسي شغلا واني اخاف ان علم الناس شغلوني عن العبادة فلم يزل به الابيض حتى
علمه ثم انطلق حتى اتى ابليس فقال قد والله اهلكت الرجل قال فانطلق الابيض فتعرض لرجل فخنقه
ثم جاء في صورة رجل متطبب فقال لاهله ان بصاحبكم جنونا افاعالجه قالوا نعم فعالجه فلم يقدر
فقال لهم اني لا اقوى على جنيته ولكن سارشدكم الى من يدعو الله فيعافيه انطلقوا الى برصيصا
فان عنده الاسم الذي اذا دعي به اجيب قال فانطلقوا اليه فسالوه ذلك فدعا بتلك الكلمات
فذهب عنه الشيطان فكان الابيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو لهم فيعافون
فانطلق الابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بني اسرائيل وكان لها ثلاثة اخوة وكان ابوهم هو الملك
فلما مات استخلف اخاه فكان عم تلك الجارية ملك بني اسرائيل فخنقها وعذبها ثم جا اليهم كما كان ياتي الناس في صورة
متطبب فقال لهم اعالجها قالوا نعم فقال ان الذي عرض لها مارد لا يطاق ولكن سارشدكم الى من تثقون به
تدعونها عنده فاذا جا شيطانها دعا لها فاذا علمتم انها قد عوفيت تردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا
قالوا وكيف لنا ان يجيبنا الى هذا وهو اعظم شانا من ذلك قال فانطلقوا فابنوا صومعة الى جنب صومعته
حتى تشرف عليه فان قبلها والا فضعوها في صومعتها وقولوا له هذه امانة عندك فاحتسب امانتك قال
فانطلقوا فسالوه ذلك فابى عليهم فبنوا صومعة على ما امرهم الابيض ثم انطلقوا فوضعوا الجارية في صومعتها
وقالوا يا برصيصا هذه اختنا امانة عندك فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا عن صلاته نظر الى
عاين الجارية وما هي عليه من الجمال فوقعت في قلبه ودخل عليه امر عظيم فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا

Copyright © King Saud University

تلك الدعوات فذهب الشيطان عنها ثم اقبل برصيصا على صلاته فجا الشيطان فخنقها فكانت تكشف
عن نفسها وتتعرض لبرصيصا فجاءه الشيطان وقال له ويحك واقعها فلن تجد مثلها وستتوب بعد ذلك
فتدرك ما تريد من الامر فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل كذلك ياتيها حتى حملت وظهر حملها فقال له الشيطان
ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل لك ان تقتلها وتتوب فان سالوك فقل ذهب بها شيطانها
فلم اقدر عليه فقتلها ثم انطلق بها فدفنها الى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها بالليل فاخذ بطرف ازارها
فبقي خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته واقبل على صلاته اذ جا اخوتها يتعاهدون اختهم وكانوا
يجيئون في بعض الايام يسالون عنها ويوصونه بها فقالوا يا برصيصا ما فعلت اختنا قال جا شيطانها فذهب
بها ولم اطقه فصدقوه وانصرفوا فلما امسوا وهم مكروبون جا الشيطان الى اكبرهم في منامه فقال ويحك ان
برصيصا فعل باختك كذا وكذا وانه دفنها في موضع كذا وكذا فقال هذا حلم وهو من الشيطان برصيصا خير من
ذلك فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث فانطلق الى الاخ الاوسط بمثل ذلك فقال الاوسط مثل ما قال
الاكبر ولم يخبر به احدا فانطلق الى اصغرهم بمثل ذلك فقال الاصغر لاخويه والله لقد رايت كذا وكذا فقال الاوسط انا
والله قد رايت مثله فانطلقوا الى برصيصا فقالوا يا برصيصا ما فعلت اختنا قال اليس قد اعلمتكم بحالها فانكم
قد اتهمتموني فقالوا لا والله ما نتهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان وقال ويحكم انها لمدفونة
في موضع كذا وكذا وان طرف ازارها خارج من التراب فانطلقوا فراوا اختهم على ما راوا في النوم فمشوا اليهم
وغلمانهم معهم الفؤوس والمساحي فهدموا صومعة برصيصا وانزلوه منها وكتفوه ثم انطلقوا به الى الملك فاقر على
نفسه وذلك ان الشيطان اتاه فوسوس له فقال له تقتلها ثم تكابر يجتمع عليك امران قتل ومكابرة اعترف
فلما اعترف امر بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب اتاه الابيض فقال يا برصيصا اتعرفني فقال لا قال انا
صاحبك الذي علمتك الدعوات فاستجيب لك ويحك ما اتقيت الله في امانتك خنت اهلها وانك زعمت انك
اعبد بني اسرائيل اما استحييت فلم يزل يعيره ويعنفه حتى قال في اخر ذلك الم يكفك ما صنعت حتى اقررت على
نفسك وفضحت اشباهك من الناس وفضحت نفسك فان مت على هذه الحالة لن تفلح ابدا ولم يفلح احد من
نظرايك قال فكيف اصنع قال تطيعني في خصلة واحدة حتى انجيك مما انت فيه فاخذ باعينهم واخرجك من
مكانك قال وما هي قال تسجد لي قال افعل فسجد له برصيصا فقال يا برصيصا هذا الذي اردت منك صارت
عاقبة امرك الى ان كفرت بربك فلما كفر قال اني بري منك اني اخاف الله رب العالمين قال الله تعالى فكان عاقبتهما يعني
الشيطان وذلك الانسان انهما في النار خالدين فيها وذلك جزا الظالمين قال ابن عباس ضرب الله هذا المثل ليهود
بني النضير والمنافقين من اهل المدينة وذلك ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم باجلا بني النضير
فدس المنافقون الى اليهود وقالوا لا تجيبوا محمدا الى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم فانا معكم وان
اخرجكم خرجنا معكم فاجابوهم ودربوا على حصونهم وتحصنوا في ديارهم رجا نصر المنافقين فخذلوهم وتبروا منهم
كما تبرا الشيطان من برصيصا وخذله فكان عاقبة الفريقين النار قال ابن عباس فكان الرهبان بعد ذلك
لا يمشون في بني اسرائيل الا بالتقية والكتمان وطمع اهل الفسوق في الاحبار والرهبان ورموهم بالبهتان حتى كان
من امر جريج الراهب ما كان فلما براه الله مما رموه به انبسطت الرهبان بعد وظهروا للناس وكانت قصة
جريج على ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى
ابن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلا صالحا عابدا فاتخذ صومعة وكان فيها فاتته امه فقالت يا جريج
فقال يا رب امي وصلاتي فاقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد اتته فقالت يا جريج فقال يا رب

امي

امي وصلاتي فاقبل على صلاته فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر في وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرائيل جريجا
وعبادته وكانت امراة بغي يتمثل بحسنها فقالت ان شئتم لافتننه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت اليها فاتت
راعيا كان ياوي الى صومعته فامكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فاتوه فاستنزلوه
وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شانكم قالوا زنيت بهذه البغي فولدت منك فقال اين الصبي
فجاوا به فقال دعوني حتى اصلي فصلى فلما انصرف اتى الصبي فطعن في بطنه وقال يا غلام من ابوك قال فلان
الراعي فاقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا نبني لك صومعتك من ذهب قال اعيدوها من طين
كما كانت وبينا صبي يرضع من امه فمر رجل راكب على دابة فارهة وذو شارة حسنة فقالت امه اللهم اجعل ابني
مثل هذا ثم اقبل على ثديه فجعل يرضع قال فكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكي ارتضاعه باصبعه

فترك الرضاع ونظر اليه فقال اللهم لا تجعلني مثله

السبابة في فيه قال ومر بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت وهي تقول حسبي الله ونعم الوكيل فقالت
امه اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاع ونظر اليها فقال اللهم اجعلني مثلها فهناك تراجعا الحديث فقالت مر رجل
حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابني مثله فقلت اللهم لا تجعلني مثله ومروا بهذه الجارية وهم يضربونها وهم
يقولون زنيت وسرقت فقلت اللهم لا تجعل ابني مثلها فقلت اللهم اجعلني مثلها فقال ان ذلك الرجل كان جبارا
فقلت اللهم لا تجعلني مثله وان هذه يقولون لها زنيت ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت اللهم اجعلني مثلها
اخرجه مسلم بتمامه وهذا لفظه واخرجه البخاري متفرقا حديث جريج تعليقا وحديث المراة وابنها خاصة
المومسات الزواني جمع مومسة وهي المراة الفاجرة والبغي الزانية ايضا وقوله يتمثل بحسنها اي يتعجب ويضرب به
المثل وقوله ذو شارة حسنة اي صاحب جمال ظاهر في الهيئة والملبس والمركب ونحو ذلك والجبار العاتي المتكبر القاهر
للناس قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد اي لينظر احدكم اي شي قدم لنفسه من الاعمال اعملا صالحا ينجيه
ام سيئا يوبقه والغد يوم القيامة يأتي غدا وكل ما هو ات فهو قريب واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون قيل كرر الامر
بالتقوى تاكيدا وقيل معنى الاول واتقوا الله في ادا الواجبات ومعنى الثاني اتقوا الله في ترك المنهيات
ولا تكونوا كالذين نسوا الله اي تركوا امر الله فانساهم انفسهم اي انساهم حظ انفسهم حتى لم يقدموا لها خيرا ينفعهم عنده
اولئك هم الفاسقون لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون لما ارشد المومنين الى ما
يصلحهم بقوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهدد الكافرين بقوله نسوا الله فانساهم انفسهم بين الفرق بين
الفريقين بقوله لا يستوي اصحاب النار يعني الذين هم في العذاب الدايم واصحاب الجنة يعني الذين هم في النعيم المقيم
ثم اتبعه بقوله اصحاب الجنة هم الفائزون ومعلوم ان من جعل له النعيم المقيم فقد فاز فوزا عظيما قوله تعالى لو انزلنا
هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله قيل معناه انه لو جعل في الجبل تمييزا وعقلا كما جعل فيكم وانزل
عليه القران لخشع اي لتطامن وخضع وتشقق وتصدع من خشية الله والمعنى ان الجبل مع رزانته وصلابته
مشفق من خشية الله وحذر من ان لا يودي حق الله تعالى في تعظيم القران والكافر مستخف بحقه معرض عما
فيه من العبر والحكم كان لم يسمعها ووصفه بقساوة القلب فهو غافل عما تضمنه القران من المواعظ والامثال
والوعد والوعيد وتمييز الحق من الباطل والواجب مما لا يجب باحسن بيان واوضح برهان ومن وقف على هذا وفهمه
اوجب له الخشوع والخشية الا ان يخلق الله له تمييزا وعقلا ليدل على انه تمثيل قوله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم
يتفكرون اي الغرض من هذا التمثيل التنبيه على فساد قلوب هولا الكفار وقساوتها وغلظ طباعهم ولما وصف
القران بالعظم اتبعه بوصف عظمته فقال تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة يعني انه تعالى عالم ما غاب
عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه وعالم ما شاهدوه وما علموه وقيل استوى في علمه تعالى السر والعلانية والموجود

Copyright © King Saud University

والشهود وقيل عالم حال الدنيا والآخرة هو الرحمن الرحيم اسمان مشتقان اشتقاقهما من الرحمة وهما صفتان لله
تعالى ومعناهما ذو الرحمة ورحمة الله ارادته الخير والنعمة والاحسان الى خلقه وقيل ان الرحمن اشد مبالغة من الرحيم
ولهذا قيل رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لان احسانه تعالى في الدنيا يعم المؤمن والكافر وفي الآخرة يختص احسانه وانعامه
بالمؤمنين هو الله الذي لا اله الا هو الملك اي المتصرف في الامر والنهي في جميع خلقه المالك لهم فهم تحت ملكه وقهره وارادته
القدوس اي الطاهر عن كل عيب المنزه عما لا يليق به وقيل هو الذي كثرت بركته السلام اي الذي سلم من النقائص وكل
آفة تلحق الخلق • فان قلت على هذا التفسير لا يبقى بين القدوس والسلام فرق فيكون كالتكرار
وذلك لا يليق بفصاحة القرآن قلت الفرق بينهما ان كونه قدوسا فيه اشارة الى براءته من جميع العيوب
والنقائص في المستقبل فان الذي يطرأ عليه شيء من ذلك فانه تزول سلامته ولا يبقى سليما وقيل السلام اي سلم خلقه
من ظلمه المؤمن قال ابن عباس هو الذي امن الناس من ظلمه وامن من آمن به من عذابه وقيل هو المصدق لرسله باظهار
المعجزات لهم والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب وبما وعد الكافرين من العذاب المهيمن قال ابن عباس اي الشهيد
على عباده باعمالهم الذي لا يغيب عنه شيء وقيل هو القائم على خلقه برزقه وانشد في معناه • الا ان خير الناس بعد نبيه
مهيمنه التاليه في العرف والنكر • اي القائم على الناس بعده وقيل هو الرقيب الحافظ وقيل هو المصدق وقيل هو
القاضي وقيل هو بمعنى الامين والمؤتمن وقيل بمعنى العلي ومنه قول العباس يمدح النبي صلى الله عليه وسلم في ابيات
منها • حتى احتوى بيتك المهيمن من • خندف علياء تحتها النطق • وقيل المهيمن اسم من اسماء الله تعالى هو اعلم
بتأويله وانشد • جل المهيمن عن صفات عبيده • ولقد تعالى عن عقول اولي النهى • راموا بزعمهم صفات مليكهم •
والوصف يعجز عن مليك لا يرى • العزيز اي الذي لا يوجد له نظير وقيل الغالب القاهر الجبار قال ابن عباس جبروت
الله عظمته فعلى هذا هو صفة ذات وقيل هو من الجبر بمعنى الذي يغني الفقير ويجبر الكسير فعلى هذا هو صفة فعل وهو سبحانه
وتعالى كذلك يجبر كل كسير ويغني كل فقير وقيل هو الذي يجبر الخلق ويقهرهم على ما اراد وسئل بعضهم عن معنى الجبار
فقال هو القهار الذي اذا اراد امرا فعله لا يحجزه عنه حاجز وقيل الجبار هو الذي لا ينال ولا يداني والجبار في صفة
الله تعالى صفة مدح وفي صفة الناس صفة ذم وكذلك المتكبر في صفة الناس لانه ذم وذلك نقص في حقه لانه ليس
له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا اظهر الكبر كان كاذبا في فعله فكان مذموما في حق الناس واما المتكبر في صفة
الله تعالى فهو صفة مدح لان له جميع صفات العلو والعظمة ولهذا قال في آخر الآية سبحان الله عما يشركون كانه
قيل ان بعض الخلق يتكبر فيكون ذلك نقصا في حقه اما الله تعالى فله العلو والعظمة والعزة والكبرياء فان اظهر ذلك
كان ضم كمال الى كمال قال ابن عباس المتكبر الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله وقيل هو الذي تكبر عن كل سوء وقيل هو المتعظم
عما لا يليق بجماله وجلاله وقيل هو المتكبر عن ظلم عباده وقيل الكبر والكبرياء الامتناع وقيل هو ذو الكبرياء وهو الملك سبحان الله
عما يشركون اي من ادعاء الكبر لانفسهم هو الله الخالق اي المقدر لما يوجده ومعناه انه يقدر افعاله على وجوه مخصوصة فهو
راجع الى الارادة وقيل معناه المقدر لما يوجده وقيل المقدر المقلب للشيء بالتدبير الى غيره البارئ اي المخترع المنشئ
للاعيان من العدم الى الوجود المصور الذي يخلق صورة الخلق على ما يريد الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز
بعضها عن بعض وقيل الخالق المبتدئ للخلق المخترع له على غير مثال سبق والبارئ المنشئ لما يريد خلقه فيظهره من العدم
الى الوجود المصور لما خلقه وانشأه على صور مختلفة واشكال متباينة وقيل معنى التصوير التخطيط والتشكيل فاول
يكون خلقا ثم برءا ثم تصويرا وانما قدم الخالق على البارئ لان ترجيح الارادة على تأثير القدرة وقدم البارئ على
المصور لان ايجاد الذات مقدم على ايجاد الصفات له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز
الحكيم عن معقل بن يسار رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله

السميع

السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى
يمسي فان مات ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان كذلك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب والله تعالى
اعلم

تفسير سورة الممتحنة

مدنية وهي ثلاث عشرة آية وثلثمائة وثمان واربعون كلمة والف وخمسمائة وعشرة احرف
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الآية ق عن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ
فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى اتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة
فقلنا اخرجي الكتاب فقالت ما معي من كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لتلقين الثياب فاخرجته من عقاصها
فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى ناس من المشركين من اهل مكة يخبرهم ببعض امر
النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا فقال يا رسول الله لا تعجل علي اني
كنت امرأ ملصقا في قريش ولم اكن من انفسهم وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها اهليهم واموالهم
بمكة فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلته كفرا ولا ارتدادا عن ديني
ولا رضى بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صدقكم فقال عمر دعني اضرب يا رسول الله
عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل
بدر فقال اعملوا ما شئتم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الى قوله سواء السبيل
روضة خاخ بقرب حمراء الاسد من المدينة • وقيل انه موضع قريب من مكة والاول اصح والظعينة المرأة المسافرة
سميت بذلك لملازمتها الهودج والعقاص الشعر المضفور قال المفسرون نزلت هذه الآية في حاطب بن ابي
بلتعة كما جاء في الحديث وذلك ان سارة مولاة عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف اتت المدينة من مكة ورسول
الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم امسلمة جئت قالت لا قال
امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والعشيرة والموالي وقد ذهبت موالي وقد احتجت
حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني فقال لها واين انت من شباب مكة وكانت مغنية
نائحة قالت ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر فحث عليها بني عبد المطلب فاعطوها نفقة وكسوها وحملوها
فاتاها حاطب بن ابي بلتعة حليف بني اسد بن عبد العزى فكتب معها الى اهل مكة واعطاها عشرة دنانير وكساها
بردا على ان توصل الكتاب الى اهل مكة وكتب في الكتاب من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما
فعل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد بن الاسود وابا مرثد فرسانا
فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن ابي بلتعة الى المشركين فخذوه
منها وخلوا سبيلها وان لم تدفعه لكم فاضربوا عنقها فخرجوا حتى ادركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا لها اين الكتاب فحلفت بالله ما معها من كتاب فبحثوا وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها
كتابا فهموا بالرجوع فقال علي ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل السيف وقال اخرجي الكتاب
والا لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رأت الجد اخرجته من ذوائبها وكانت قد خبأته في شعرها فخلوا سبيلها
ولم يتعرضوا لها ولا لما معها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى حاطب فاتاه فقال له هل تعرف الكتاب فقال نعم قال فما حملك على ما صنعت فقال والله ما كفرت منذ اسلمت
ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن احد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع

Copyright © King Saud University

عشيرته وكنت غريبا فيهم وكان اهلي بين ظهرانيهم فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله تعالى
ينزل بهم باسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره فقام عمر بن الخطاب فقال
يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع
على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله في شان حاطب بن ابي بلتعة يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
عدوي وعدوكم اولياء يعني اصدقاء وانصارا تلقون اليهم بالمودة اي باسباب المحبة وقيل معناه تلقون اليهم اخبار النبي
صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة التي بينكم وبينهم وقد كفروا اي وحالهم انهم كفروا بما جاءكم من الحق يعني القرآن يخرجون
الرسول واياكم يعني من مكة ان تؤمنوا اي لان امنتم كانه قال يفعلون ذلك لايمانكم بالله ربكم ان كنتم خرجتم هذا شرط
جوابه متقدم والمعنى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء قوله تسرون اليهم بالمودة
اي بالنصيحة وانا اعلم بما اخفيتم اي من المودة للكفار وما اعلنتم اي اظهرتم بالسنتكم منها ومن يفعله منكم اي الاسرار والقاء
المودة اليهم فقد ضل سواء السبيل اي اخطأ طريق الهدى ثم اخبر عن عداوة الكفار فقال تعالى ان يثقفوكم اي يظفروا بكم
ويروكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء اي بالقتل والضرب والشتم والسب وودوا اي تمنوا
لو تكفرون اي ترجعون الى دينهم كما كفروا والمعنى ان اعداء الله لا يخلصون المودة لاولياء الله ولا يناصحونهم لما بينهم
من الخلاف فلا تناصحوهم ولا توادوهم لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم اي لا يدعونكم ولا يحملنكم ذوو ارحامكم وقراباتكم واولادكم
الذين بمكة الى خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وترك مناصحتهم ونقل اخبارهم وموالاة
اعدائهم فانه لا ينفعكم ارحامكم ولا اولادكم الذين عصيتم الله لاجلهم يوم القيامة يفصل بينكم اي فيدخل اهل
طاعته الجنة واهل معصيته النار والله بما تعملون بصير قوله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم يخاطب حاطبا وابراهيم
ويامرهم بالاقتداء بابراهيم عليه الصلاة والسلام والذين معه اي من اهل الايمان اذ قالوا لقومهم يعني المشركين
انا برآء منكم جمع بريء ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم اي جحدناكم وانكرنا دينكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء
ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده والمعنى ان ابراهيم واصحابه تبرؤوا من قومهم وعادوهم لكفرهم فامر حاطبا والمؤمنين
ان يتاسوا بهم الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك يعني لكم ان تتاسوا بابراهيم في جميع اموره الا في الاستغفار لابيه
المشرك فلا تتاسوا به فان ابراهيم كان قد قال لابيه لاستغفرن لك فلما تبين له انه مقيم على الكفر
تبرأ منه وما املك لك من الله من شيء هذا من قول ابراهيم لابيه يعني ما اغني عنك ولا ادفع عنك عذاب الله ان
عصيته واشركت به وانما وعده بالاستغفار رجاء اسلامه وكان من دعاء ابراهيم ومن معه من المؤمنين
ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا اي لا تظهرهم علينا فيظنوا انهم
على الحق وقيل معناه لا تعذبنا بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولون لو كان هؤلاء على الحق ما اصابهم ذلك
واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم يعني في ابراهيم ومن معه اسوة حسنة اي قدوة حسنة
لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اي ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة ومن يتول اي يعرض عن الايمان
ويتول الكفار فان الله هو الغني اي عن خلقه الحميد اي الى اهل طاعته واوليائه فلما امر الله المؤمنين بعداوة
الكفار عادى المؤمنون اقرباءهم المشركين واظهروا لهم العداوة والبراءة وعلم الله وجد المؤمنين بذلك انزل
الله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم اي من كفار مكة مودة ففعل الله تعالى ذلك بان اسلم كثير منهم
فصاروا لهم اولياء واخوانا وخالطوهم وناكحوهم وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي سفيان
ولان لهم ابو سفيان والله قدير اي على جعل المودة والله غفور رحيم اي لمن تاب منهم واسلم ثم رخص في صلة
الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم

من

من دياركم ان تبروهم اي لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين وتقسطوا اليهم اي تعدلوا فيهم بالاحسان اليهم
وبرهم ان الله يحب المقسطين اي العادلين قال ابن عباس نزلت في خزاعة وذلك انهم صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه احدا فرخص الله في برهم وقال عبد الله بن الزبير نزلت في اسماء بنت ابي بكر وذلك ان
امها قتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بهدايا ضبابا واقطا وسمنا وهي مشركة فقالت اسماء لا اقبل
منك هدية ولا تدخلي علي بيتي حتى استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته فانزل الله تعالى هذه الاية
فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها منزلها وان تقبل هديتها وتكرمها وتحسن اليها ق عن اسماء بنت
ابي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت قدمت علي امي وهي مشركة في عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومدتهم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي راغبة افاصلها
قال نعم صليها زاد في رواية قال ابن عيينة فانزل الله فيها لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ثم ذكر الذين نهى
الله تعالى عن صلتهم وبرهم فقال تعالى انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم
وهم مشركو مكة ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الاية خ
فامتحنوهن
عن عروة بن الزبير انه سمع مروان والمسور بن مخرمة يخبران عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كاتب
سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو انه لا ياتيك احد وان كان على دينك الا رددته الينا وخليت بيننا
وبينه وكره المؤمنون ذلك وابى سهيل الا ذلك فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد يومئذ ابا جندل الى ابيه
سهيل بن عمرو ولم ياته احد من الرجال الا رده في تلك المدة وان كان مسلما وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت ام كلثوم
بنت عقبة بن ابي معيط ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وهي عاتق فجاء اهلها يسالون النبي صلى
الله عليه وسلم ان يرجعها اليهم فلم يرجعها حتى انزل الله فيهن اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن
الى ولا هم يحلون لهن قال عروة فاخبرتني عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحنهن بهذه الاية يا ايها النبي
اذا جاءك المؤمنات الى قوله غفور رحيم قال عروة قالت عائشة فمن اقر بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما يكلمها والله ما مست يده يد امراة قط في المبايعة وما بايعهن الا بقوله وقال
ابن عباس اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا حتى اذا كان بالحديبية صالحه مشركو مكة على ان من اتاه من
اهل مكة رده اليهم ومن اتى مكة من اصحابه لم يردوه اليه وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت
الحارث الاسلمية مسلمة بعد فراغ الكتاب واقبل زوجها مسافر من بني مخزوم وقيل هو صيفي بن الراهب في طلبها
فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طية الكتاب لم تجف بعد فانزل الله
يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات اي من دار الكفر الى دار الاسلام فامتحنوهن قال ابن عباس امتحانها ان
تستحلف ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن ارض الى ارض ولا لحدث احدثته ولا التماس دنيا وما خرجت الا محبة
في الاسلام وحبا لله ولرسوله فاذا حلفت على ذلك لم يردها فاستحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيعة فحلفت
فلم يردها واعطى زوجها مهرها وما انفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب قال المفسرون المراد بقوله يا ايها الذين امنوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه هو الذي تولى امتحانهن بنفسه وكان عليه من جاءه من النساء بعد الامتحان ويعطي
ازواجهن مهورهن ويرد من جاء من الرجال فاختلف العلماء هل دخل النساء في عقد الهدنة لفظا او عموما فقيل قد كان شرط
ردهن في عقد الهدنة لفظا صريحا فنسخ الله تعالى ردهن من العقد ومنع منه وابقاه في الرجال على ما كان في العقد
وقيل لم يشترط ردهن بلفظ صريح وانما اطلق اللفظ وكان ظاهر العموم لاشتماله على النساء وعلى الرجال فبين
الله تعالى خروجهن من عموم العقد وفرق بينهن وبين الرجال في الحكم الله اعلم بايمانهن اي هذا الامتحان لكم والله

Copyright © King Saud University

اعلم بايمانهن فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن اي ما دام فرقت بالايمان فلا
ترجعوهن الى الكفار لان الله لم يبح مومنة لكافر **وآتوهم** يعني ازواجهن **ما انفقوا** عليهن اي من المهر الذي دفعوه اليهن **ولا
جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن** اي مهورهن ابلح الله للمسلمين نكاح المهاجرات من دار الحرب الى دار الاسلام
وان كان لهن ازواج كفار في دار الحرب لان الاسلام فرق بينهن وبين ازواجهن ووقعت الفرقة على انقضاء عدتها
فان اسلم الزوج قبل انقضاء عدتها فهي زوجته وبه قال الاوزاعي والليث بن سعد ومالك والشافعي واحمد وقال
ابو حنيفة تقع الفرقة باختلاف الدارين **ولا تمسكوا بعصم الكوافر** جمع عصمة وهي ما اعتصم به من العقد والنسب
نهى الله تعالى المومنين عن المقام على نكاح المشركات بقوله تعالى وان كانت امراة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد
انقطعت عصمة الزوجية بينهما قال الزهري لما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب امراتين كانتا بمكة مشركتين
قريبة بنت امية بن المغيرة فتزوجها معاوية بن ابي سفيان وهما على شركهما بمكة والاخرى ام كلثوم بنت عمرو
ابن جرول الخزاعية وهي ام ابنه عبيد الله فتزوجها ابو جهم بن حذافة بن غانم وهما على شركهما وكانت اروى بنت
ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب تحت طلحة بن عبيد الله فهاجر طلحة وبقيت هي على دين قومها ففرق الاسلام بينهما
فتزوجها بعده في الاسلام خالد بن سعيد بن العاصي بن امية قال الشعبي وكانت زينب بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم امراة ابي العاص بن الربيع فاسلمت وهاجرت ولحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم واقام ابو العاص بمكة
مشركا ثم اتى المدينة واسلم وردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم **واسألوا** ايها المومنون **ما انفقتم** يعني ان
لحقت امراة منكم بالمشركين مرتدة فاطلبوا ما انفقتم من المهر اذا منعوها ممن تزوجها منهم **وليسألوا** يعني المشركين الذين
لحقت ازواجهم بكم **ما انفقوا** اي من المهر ممن تزوجها منكم **ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم** قال الزهري ولولا الهدنة والعهد
الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش لامسك النسا ولم يرد الصداق وكذلك يصنع بمن جاء من المسلمات
قبل العهد فلما نزلت هذه الآية اقر المومنون بحكم الله تعالى وادوا ما امروا به من اداء نفقات المشركين على نسائهم
وابى المشركون ان يقروا بحكم الله فيما امر من نفقات المسلمين فانزل الله عز وجل **وان فاتكم** ايها المومنون **شيء من
ازواجكم الى الكفار** اي فلحقن بهم مرتدة **فعاقبتم** معناه غزوتم فغنمتم واصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة وقيل
معناه ظهرتم وكانت العاقبة لكم **فآتوا الذين ذهبت ازواجهم** اي الى الكفار **مثل ما انفقوا** معناه اعطوا الذين ذهبت
ازواجهم منكم الى الكفار مرتدة مثل ما انفقوا عليها من الغنايم التي صارت في ايديكم من اموال الكفار قال ابن عباس لحق
بالمشركين من نسا المومنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان وكانت تحت عياض بن شداد الفهري
وفاطمة بنت ابي امية بن المغيرة اخت ام سلمة وكانت تحت عمر بن الخطاب فلما اراد عمر ان يهاجر ابت وارتدت وبروع
بنت عقبة وكانت تحت شماس بن عثمان وعزة بنت عبد العزى بن نضلة وتزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت
ابي جهل بن هشام وكانت تحت هشام بن العاص بن وايل وام كلثوم وكانت تحت عمر فكلهن رجعن عن الاسلام فاعطى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ازواجهن مهور نسايهم من الغنيمة واختلف القول في ان رد مهر من اسلمت من النسا الى ازواجهن
هل كان واجبا او مندوبا واصل هذه المسئلة ان الصلح هل كان وقع على رد النسا ام لا فيه قولان احدهما انه وقع على
رد الرجال والنسا جميعا لما روي انه لا ياتيك منا احد الا رددته وذلك لان الرجل لا يخشى عليه من الفتنة في الرد ما يخشى
على المراة من اصابة المشرك اياها وانه لا يومن عليها الردة اذا خوفت واكرهت لضعف قلبها وقلة هدايتها الى المخرج منه باظهار
كلمة الكفر مع التورية واظهار كلمة الايمان وطمانينة القلب عليه ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته فعلى هذا كان المهر
مندوبا واختلفوا في انه هل العمل به اليوم من رد المال اذا شرط في معاقدة الكفار فقال قوم لا يجب وزعموا ان الآية منسوخة
وبرد عليهم ما انفقوا قوله تعالى **يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك** الآية نزلت قال المفسرون لما فتح رسول الله صلى الله

عليه وسلم

Copyright © King Saud University

يبايعهن عنه بامره ويبلغهن عنه مبارك

عليه وسلم مكة وفرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا اتته النسا يبايعنه وعمر بن الخطاب اسفل منه يبايعهن عنه وهند بنت عتبة
امراة ابي سفيان متنقبة متنكرة مع النسا خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابايعكن **على ان لا يشركن بالله شيا** فرفعت هند راسها وقالت والله انك لتاخذ علينا امرا ما رايناك اخذته على الرجال وكان قد
بايع الرجال يوميذ على الاسلام والجهاد فقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم **ولا يسرقن** فقالت هند ان ابا سفيان رجل
شحيح واني اصبت من ماله هنات فلا ادري ايحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شي فيما مضى وفيما غبر فهو حلال
فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها انك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفى الله عنك فقال **ولا
يزنين** فقالت هند وتزني الحرة فقال **ولا يقتلن اولادهن** فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فانتم وهم
اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم **ولا
ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن** فقالت هند والله ان البهتان لقبيح وما تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق
ولا يعصينك في معروف فقالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شي فاقر النسوة بما اخذ عليهن من البيعة
قال ابن الجوزي وجملة من احصي من المبايعات اربعماية وسبعة وخمسون امراة ولم يصافح في البيعة امراة وانما بايعهن بالكلام
ق عن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع النسا بالكلام بهذه الآية لا يشركن بالله شيا وما مست
يد رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة لا يملكها واما تفسير الآية قوله تعالى ولا يقتلن اولادهن اراد به وأد البنات الذي كان
يفعله اهل الجاهلية ثم هو عام في كل نوع من قتل الولد ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن يعني لا يلحق
المراة بزوجها غير ولده وذلك ان المراة كانت تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك فهذا هو البهتان المفترى وليس
المراد نهيهن عن الزنا لان النهي عنه قد تقدم ذكره ومعنى بين ايديهن وارجلهن ان الولد اذا وضعته الام سقط بين يديها
ورجليها ولا يعصينك في معروف اي في كل ما تامرهن به او تنهاهن عنه وقيل في كل امر وافق طاعة الله وكل امر فيه
رشد وقيل هو النهي عن النوح والدعا بالويل وتمزيق الثياب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجوه وان لا تحدث المراة الرجال
الاجانب ولا تخلو برجل غير ذي محرم ولا تسافر مع غير ذي محرم قال ابن عباس في قوله ولا يعصينك في معروف انما هو شرط
شرطه الله على النسا اخرجه البخاري ق عن ام عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا ان لا يشركن
بالله شيا ونهانا عن النياحة فقبضت امراة منا يدها فقالت فلانة اسعدتني فانا اريد ان اجزيها فما قال لها النبي
صلى الله عليه وسلم شيا فانطلقت ثم رجعت فبايعها ق عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية عن اسيد بن اسيد عن امراة من المبايعات
قالت كان فيما اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعروف الذي اخذ علينا ان لا نعصيه فيه ان لا نخمش وجها
ولا نشق جيبا ولا ننشر شعرا اخرجه ابو داود عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ على النساء حين
بايعهن ان لا ينحن فقلن يا رسول الله ان نسا اسعدتنا في الجاهلية افنسعدهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا اسعاد في الاسلام اخرجه النساى عن ابي مالك الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
النايحة ما لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النايحة والمستمعة اخرجه ابو داود وقوله تعالى **فبايعهن** يعني اذا بايعنك على هذه
الشروط فبايعهن **واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم** عن اميمة بنت رقيقة قالت بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
في نسوة فقال لنا فيما استطعتن واطقتن قلت الله ورسوله ارحم بنا منا بانفسنا قلت يا رسول الله بايعنا قال سفيان يعني
صافحنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قولي لماية امراة كقولي لامراة واحدة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
صحيح قوله تعالى **يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم** يعني من اليهود وذلك ان ناسا من فقرا المسلمين كانوا يتوصلون اليهم بذلك

فيصيبون من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك قد يئسوا من الآخرة يعني اليهود وذلك انهم عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم
فكذبوه فيئسوا من ان يكون لهم ثوابا وخير في الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور يعني كما يئس الذين ماتوا على الكفر
وصاروا في القبور من ان يكون لهم ثواب في الآخرة وذلك ان الكفار اذا دخلوا قبورهم ايسوا من رحمة الله تعالى
وقيل معناه كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والمعنى ان اليهود الذين عاينوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم يومنوا به قد يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والله تعالى اعلم بمراده
واسرار كتابه تفسير سورة الصف وفيها قولان احدهما انها مدنية وهو قول ابن عباس والجمهور والثاني انها مكية
وهي اربع عشرة اية ومايتان واحدى وعشرون كلمة وتسعمائة حرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون قيل سبب نزولها ما روي عن
عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال قعدنا نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم
اي الاعمال احب الى الله لعملنا فانزل الله سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا
لم تقولون ما لا تفعلون قال عبد الله بن سلام فقراها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي
قال المفسرون ان المومنين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله لعملناه ولبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل الله عز وجل
ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وانزل هل ادلكم على تجارة الاية فابتلوا بذلك يوم احد فتولوا مدبرين وكرهوا
الموت واحبوا الحياة فانزل الله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وقيل لما اخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بثواب اهل
بدر قالت الصحابة لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فعيرهم الله بهذه الاية وقيل نزلت في
المنافقين وذلك انهم كانوا يعدون النصر للمومنين وهم كاذبون كبر مقتا عند الله اي عظم بغضا عند الله ان تقولوا
ما لا تفعلون معناه ان يعد واحد نفسه ثم لم يف به ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا اي يصفون انفسهم
عند القتال صفا ولا يزولون عن اماكنهم كانهم بنيان مرصوص اي قد رص بعضه ببعض والزق بعضه الى بعض واحكم فليس
فيه فرجة ولا خلل ومنه الحديث ومعنى ان الله يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص
قوله تعالى واذ قال موسى لقومه اي واذكر يا محمد اذ قال موسى لقومه بني اسرائيل يا قوم لم توذونني وقيل انهم كانوا يوذونه
بانواع الاذى والتعنت منها قولهم ارنا الله جهرة وقولهم لن نصبر على طعام واحد ومنها انهم رموه بالادرة وقد تعلمون اني
رسول الله اليكم يعني تؤذونني وانتم عالمون علما قطعيا اني رسول الله والرسول يعظم ويوقر ويحترم ولا يوذى فلما
زاغوا اي عدلوا ومالوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم اي امالها عن الحق الى غيره والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهدي من
سبق في علمه انه فاسق خارج عن طاعته وهدايته على عظيم ايذاء الرسل حتى انه اذا هم يودعا الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى
واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول ياتي من بعدي اي
تصديق بالتوراة على مثل تصديق نبي فكانه قيل له ما اسمه فقال اسمه احمد عن ابي موسى قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه
ان ياتوا النجاشي وذكر الحديث وفيه قال سمعت النجاشي يقول اشهد انه محمد رسول الله وانه الذي بشر به عيسى ولولا ما انا
فيه من الملك وما تحملت من امر الناس لاتيته حتى احمل نعليه اخرجه ابو داود وعن عبد الله بن سلام قال مكتوب في التوراة صفة
محمد وعيسى ابن مريم يدفن معه فقال ابو داود المدني قد بقي في البيت موضع قبر اخرجه الترمذي وعن كعب الاحبار ان الحواريين
قالوا لعيسى صلى الله عليه وسلم يا روح الله هل بعدنا من امة قال نعم امة احمد حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم من الفقه انبياء
يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل خ عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي يوم القيامة وانا
العاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله تعالى رؤوفا رحيما واحمد يحتمل معنيين احدهما انه مبالغة من الفاعل ومعناه ان الانبيا

كلهم

كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو اكثر مبالغة واجمع للفضائل والمحاسن والاخلاق التي يحمد بها من غيره فلما جاءهم
بالبينات قيل هو عيسى عليه السلام وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم قالوا هذا سحر مبين اي ظاهر ومن اظلم ممن افترى على الله
الكذب اي ومن اكثر ظلما ممن بلغ افتراوه ان يكذب على الله وذلك انهم علموا انما نالوه من نعمة الله ثم كفروا به وهو يدعى الى الاسلام
معنى الاية ان الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام الذي فيه سعادة الدارين
فيجعل مكان اجابته افتراء الكذب على الله بقوله هذا سحر مبين والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يوفقهم للهداية لما علم حالهم
عقوبة لهم يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم يعني ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القران هذا سحر والله متم نوره يعني متم
الحق ومظهره ومبلغه غايته وقال ابن عباس مظهر دينه ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله اي ليعليه على الاديان المخالفة له ولقد فعل ذلك فلم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب ومقهور بدين
الاسلام ولو كره المشركون قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم نزلت هذه الاية حين قالوا
لو نعلم اي الاعمال احب الى الله لعملناه وانما سماه تجارة لانهم يربحون فيها رضى الله عز وجل وقيل جنته والنجاة من النار ثم بين تلك
التجارة فقال تعالى تومنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم اي الذي امرتكم به من الايمان
والجهاد في سبيله ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم هذا جواب قوله تومنون بالله ورسوله وتجاهدون لان معناه معنى الامر
المعنى امنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله اي اذا فعلتم يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة
في جنات عدن ذلك الفوز العظيم يعني هذا الجزاء الذي ذكره هو الفوز العظيم واخرى تحبونها اي ولكم تجارة اخرى وقيل
ولكم خصلة اخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الاخرة وتلك الخصلة نصر من الله وفتح قريب قيل هو النصر على قريش وفتح
مكة وقيل هو فتح فارس والروم وبشر المومنين اي يا محمد بالنصر في الدنيا والجنة في الاخرة ثم حضهم على نصر الدين
وجهاد المخالفين قال تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله
اي مع الله والمعنى انصروا دين الله كما نصر الحواريون دين الله لما قال لهم عيسى من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار
الله وكانوا اثني عشر رجلا اول من امن بعيسى عليه السلام وحواري الرجل صفيه وخلاصته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
حواري الزبير فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة قال ابن عباس في زمن عيسى عليه السلام وذلك لما رفع تفرق
قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه
وهم المومنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المومنين حتى بعث الله محمدا
صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المومنة على الكافرة فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين اي غالبين وقيل
معناه فاصبحت حجة من امن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ان عيسى روح الله وكلمته والله اعلم

تفسير سورة الجمعة

مدنية وهي احدى عشرة اية ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة وعشرون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي
بعث في الاميين يعني العرب وكانت العرب امة امية لا تكتب ولا تقرا حتى بعث فيهم نبي الله وقيل الامي هو الذي على خلقته
عليه كانه منسوب الى امه رسولا منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يعلمون نسبه وهو من جنسهم وقيل اميا مثلهم وانما
كان اميا لان نعته في كتب الانبياء النبي الامي وكونه بهذه الصفة ابعد من توهم الاستعانة بالكتابة على ما اتى به
من الوحي والحكمة وليكون حاله مشاكلة لحال امة الذي بعث فيهم وذلك اقرب الى صدقه يتلو عليهم اياته اي القران يبين
رسالته وقيل اياته التي يتبين بها الحلال من الحرام والحق من الباطل ويزكيهم اي يطهرهم من دنس الشرك ويعلمهم الكتاب
اي القران وقيل الفرائض والحكمة وقيل هي السنة وان كانوا من قبل اي من قبل ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم لفي ضلال
مبين واخرين منهم اي من المومنين الذين يدينون بدينهم لانهم اذا اسلموا صاروا منهم فان المسلمين كلهم امة واحدة وقيل

Copyright King Saud University

اراد بالاخرين العجم وهو قول ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية عن مجاهد يدل عليه ما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كنا
جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ نزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ واخرين منهم لما يلحقوا بهم قال له رجل يا رسول الله
من هولاء الذين لم يلحقوا بنا فلم يكلمه حتى سأله ثلاثا قال وسلمان الفارسي فينا فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان
وقال والذي نفسي بيده لو كان الايمان بالثريا لناله رجال من هولاء اخرجاه في الصحيحين وقيل هم التابعون وقيل هم جميع من دخل
في الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم القيمة لما يلحقوا بهم لم يدركوهم ولكنهم يجيون بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم في الفضل
والسابقة لان التابعين لا يدركون شأو الصحابة وهو العزيز اي الغالب الذي قهر الجبابرة الحكيم اي الذي جعل
كل مخلوق يشهد بوحدانيته ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء يعني الاسلام وقيل النبوة خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم والله ذو
الفضل العظيم اي على خلقه حيث ارسل فيهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم قوله تعالى مثل الذين حملوا التورية يعني اليهود حيث
كلفوا القيام بها والعمل بما فيها الحمل هو الحمل على الظهر وانما هو من الحمالة والحميل هو الكفيل ثم لم يحملوها اي لم يعملوا بما فيها ولم
يؤدوا حقها كمثل الحمار يحمل اسفارا جمع سفر وهو الكتب العظام من العلم سمي سفرا لانه يسفر عما فيه من المعنى وهذا المثل ضربه الله
تعالى لليهود الذين اعرضوا عن العمل بالتورية وبالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بالحمار الذي يحمل الكتب ولا يدري ما فيها
ولا ينتفع بها كذلك اليهود الذين يقرءون التورية ولا ينتفعون بها لانهم خالفوا ما فيها وهذا المثل يلحق من لم
يفهم معاني القران ولم يعمل بما فيه واعرض عنه اعراض من لا يحتاج اليه ولهذا قال ميمون بن مهران يا اهل القران
اتبعوا القران قبل ان يتبعكم ثم تلا هذه الاية ثم ذم هذا المثل والمراد منه ذمهم فقال تعالى بئس مثل القوم
اي بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بايات الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما اتى من ايات القران وقيل المراد من الايات
ايات التورية لانهم كذبوا بها حين تركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يهدي من سبق في
علمه انه يكون ظالما وقيل يعني الذين ظلموا انفسهم بتكذيب ايات الله وانبيائه قل اي يا محمد يا ايها الذين هادوا ان زعمتم
انكم اولياء لله من دون الناس اي من دون محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه فتمنوا الموت اي ادعوا على انفسكم بالموت ان كنتم صادقين
يعني فيما زعمتم انكم ابناء الله واحباؤه فان الموت هو الذي يوصلكم اليه لان الاخرة خير لاولياء الله من الدنيا ولا يتمنونه ابدا بما قدمت
ايديهم اي بسبب ما قدموا من الكفر والتكذيب والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم اي
لا ينفعكم الفرار منه ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون فيه وعيد وتهديد قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة اي لوقت الصلاة من يوم الجمعة اي في يوم الجمعة واراد بهذا النداء الاذان عند قعود
الامام على المنبر للخطبة لانه لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه كان اذا جلس صلى الله عليه وسلم
على المنبر اذن بلال خ عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء زاد في رواية فثبت الامر على ذلك
ولابي داود قال كان يؤذن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر يوم الجمعة على باب المسجد وذكر نحوه الزوراء
موضع عند سوق المدينة قريب المسجد وقيل كان مرتفعا كالمنارة واختلفوا في تسمية هذا اليوم جمعة فقيل لان الله
تعالى جمع فيه بين خلق ادم وقيل لان فرغ من خلق الاشياء فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لاجتماع الجماعات فيه
للصلاة وقيل اول من سمى هذا اليوم جمعة كعب بن لوي قال ابو سلمة اول من قال اما بعد كعب بن لوي وكان اول من
سمى الجمعة جمعة وكان يقال له يوم العروبة عن ابن سيرين قال جمع اهل المدينة قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
وقبل ان تنزل الجمعة وهم الذين سموها الجمعة وقالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى يوم مثله فلنجعل يوما نجتمع فيه
فنذكر اسم الله تعالى ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة ثم انزل الله تعالى في ذلك
عن كعب بن مالك انه كان اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لاسعد بن زرارة قال لانه اول من جمع بنا في هزم النبيت من حرة

بني

بني بياضة في نقيع يقال له نقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ قال اربعون اخرجه ابو داود واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله
عليه وسلم باصحابه على ما ذكره اصحاب السير ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل قدم المدينة مهاجرا نزل قبا على بني
عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الاول حين اشتد الضحى فاقام بقبا يوم الاثنين والثلاثا والاربعا
ويوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج من بين اظهرهم يوم الجمعة عامدا الى المدينة فادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن
واد لهم قد اتخذ في ذلك الموضع مسجدا فجمع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب وقوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله اي فامضوا
اليه واعملوا له وليس المراد من السعي الاسراع في المشي وانما المراد منه العمل وكان عمر بن الخطاب يقرا فامضوا الى ذكر الله وقال
الحسن اما والله ما هو بالسعي على الاقدام ولكن نهوا ان ياتوا الى الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع
وعن قتادة في هذه الاية فاسعوا الى ذكر الله قال السعي ان تسعى بقلبك وعملك وهو المشي اليها وكان يتاول قوله فلما بلغ معه
السعي يقول فلما مشى معه ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الاقامة فامشوا الى
الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا وفي رواية فاذا اقيمت الصلاة فلا تاتوها
تسعون واتوها تمشون وعليكم السكينة زاد مسلم فان كان احدكم يعمد الى الصلاة وهو في صلاة والمراد بقوله فاسعوا
الى ذكر الله الصلاة وقال سعيد بن المسيب هو موعظة الامام وذروا البيع يعني البيع والشرا لان البيع يتناولهما
جميعا وهو من لوازمه وانما يحرم البيع والشرا عند الاذان الثاني وقال الزهري عند خروج الامام وقال الضحاك
اذا زالت الشمس حرم البيع والشرا ذلكم اي الذي ذكرت من حضور الجمعة وترك البيع خير لكم اي من المبايعة في ذلك
الوقت ان كنتم تعلمون اي مصالح انفسكم

فصل في فضل الجمعة واحكامها واثر ثارها وفيه مسايل المسئلة الاولى

في فضلها م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم
وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج من الجنة زاد في رواية ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسال الله فيها شيا الا اعطاه اياه واشار بيده يقللها
ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكانما قرب بدنة ومن راح
في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح في الساعة الرابعة
فكانما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملايكة يستمعون
الذكر وفي رواية اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب المسجد ملايكة يكتبون الاول فالاول فاذا جلس
الامام طووا الصحف وجاوا يستمعون الذكر قوله من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة معناه غسلا كغسل الجنابة
م عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضا فاحسن الوضوء ثم اتى الجمعة فاستمع وانصت غفر له ما بينه
وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام ومن مس ومن مس الحصى فقد لغى قوله ومن مس الحصى فقد لغى معناه انه
يشغله عن سماع الخطبة كما يشغله الكلام فجعله كاللغو خ عن عباية قال ادركني ابو عيسى وانا ذاهب الى الجمعة فقال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار عن ابي هريرة قال خرجت الى
الطور فلقيت كعب الاحبار فجلست معه فحدثني عن التورية وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
فيما حدثته ان قلت له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم
وفيه اهبط وفيه مات وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة وما من دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة حين تصبح
حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة الا الجن والانس وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسال الله شيا
الا اعطاه اياه قال كعب ذلك في كل سنة يوم فقلت بل في كل جمعة فقرا كعب التورية فقال صدق رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ابو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الاحبار وما حدثته في يوم الجمعة فقال

Copyright © King Saud University

عبد الله بن سلام قد علمت اي ساعة هي فقال ابو هريرة فقلت اخبرني بها ولا تضن علي وفي رواية تضنن علي فقال هي
اخر ساعة في يوم الجمعة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم يصلي وتلك الساعة لا يصلى فيها فقال عبد
الله بن سلام الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصليها قال ابو هريرة
فقلت بلى قال فهو ذلك اخرجه مالك في الموطا والنسائي م عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل
رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من الطهور ويدهن من دهنه ويمس من طيب بيته ثم خرج فلم يفرق بين اثنين ثم
ماكتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الا غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى عن اوس بن اوس الثقفي قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من غسل واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنى من الامام ولم يلغ واستمع كان له بكل
خطوة اجر عمل سنة صيامها وقيامها اخرجه ابو داود والنسائي قال ابو داود وسيل مكحول عن غسل واغتسل قال
غسل راسه وجسده المسيلة الثانية في اثم تاركها م عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابي هريرة انهما سمعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم على منبره لينتهين اقوام عن ودعهم الجمعات او ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين عن الجعد
الضمري وكانت له صحبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه اخرجه
ابو داود وللنسائي وللترمذي نحوه م عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن
الجمعة همت ان امر رجلا ان يصلي بالناس ثم احرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم المسيلة الثالثة في تاكيد
وجوبها قال العلما صلاة الجمعة هي من فروض الاعيان فيجب على كل مسلم بالغ عاقل حر مقيم اذا لم يكن له عذر في تركها
من غير عذر استحق الوعيد اما الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما لانهما ليسا من اهل الفرض ولا جمعة على النسا بالاتفاق
يدل عليه ما روي عن طارق بن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة
الا على اربعة عبد مملوك وامراة وصبي ومريض اخرجه ابو داود وقال طارق راى النبي صلى الله عليه وسلم وبعض
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيا عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الجمعة على من سمع النداء اخرجه ابو داود وقال رواه جماعة ولم يرفعوه وانما اسنده قبيصة عن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من اواه الليل الى اهله اخرجه الترمذي ولا تجب الجمعة على العبيد وقال
الحسن وقتادة والاوزاعي وليس على العبد المكاتب وعن احمد في العبيد روايتان وتجب الجمعة على اهل القرى والبوادي
اذا سمعوا النداء من موضع تقام فيه الجمعة فيلزمهم الحضور وان لم يسمعوا فلا جمعة عليهم وبه قال الشافعي واحمد واسحق
والشرط ان يبلغهم نداء موذن جهوري الصوت يوذن في وقت تكون الاصوات هادية والرياح ساكنة فكل قرية
تكون من موضع الجمعة في القرب على هذا القدر يجب على اهلها حضور الجمعة وقال سعيد بن المسيب تجب الجمعة على من
اواه المبيت وقال الزهري تجب على من كان على ستة اميال وقال ربيعة على اربعة اميال وقال مالك والليث
على ثلاثة اميال وقال ابو حنيفة لا جمعة على اهل السواد سوا كانت القرية قريبة او بعيدة دليل الشافعي ومن
وافقه ما روي في البخاري عن ابن عباس قال ان اول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مسجد عبد القيس بجواثا من البحرين ولابي داود نحوه وفيه بجواثا قرية من قرى البحرين المسيلة الرابعة
في تركها لعذر المطر والوحل يدل على ذلك ما روي عن ابن عباس انه خطب في يوم ذي ردغ فامر الموذن فلما بلغ حي على
الصلاة قال قل الصلاة في الرحال فنظر بعضهم الى بعض كانهم انكروا ذلك فقال كانكم انكرتم هذا ان هذا فعله
من هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم وانها عزمة واني كرهت ان اخرجكم زاد في رواية فتمشون على الطين
والدحض والزلق اخرجه البخاري ومسلم وكل من لا تجب عليه الجمعة فاذا حضر وصلى مع الامام الجمعة سقط عنه
فرض الظهر ولكن لا يكمل به عدد الجمعة الا صاحب العذر فانه اذا حضر يكمل به العدد المسيلة الخامسة في العدد

الذي

الذي ينعقد به الجمعة اختلف اهل العلم في العدد الذي ينعقد بهم الجمعة فقيل لا تنعقد باقل من اربعين رجلا من اهل الكمال وذلك بان يكونوا
احرارا بالغين عاقلين مقيمين في موضع لا يظعنون عنه شتا ولا صيفا الا ظعن حاجة وشرط عمر بن عبد العزيز ان يكون فيهم والي
والوالي غير شرط عند الشافعي وقال علي بن ابي طالب لا جمعة الا في مصر جامع وهو قول اصحاب الراي ثم عند ابي حنيفة تنعقد باربعة
والوالي شرط عنده وقال الاوزاعي وابو يوسف تنعقد بثلاثة اذا كان فيهم والي وقال الحسن تنعقد باثنين كسائر الصلوات
وقال ربيعة تنعقد باثني عشر رجلا ولا يكمل العدد بمن لا تجب عليه الجمعة في العبد والمراة والمسافر والصبي ولا تنعقد الا في
موضع واحد من البلد وبه قال الشافعي ومالك وابو يوسف وقال احمد تصح في موضعين اذا كثر الناس وضاق الجامع
المسيلة السادسة لا يجوز ان يسافر الرجل يوم الجمعة بعد الزوال قبل ان يصلي الجمعة وجوز اصحاب الراي ان يسافر بعد الزوال
اذا كان يفارق البلد قبل خروج الوقت اما اذا سافر قبل الزوال وبعد طلوع الفجر فانه يجوز غير انه يكره الا ان يكون سفره سفر
طاعة كحج او غزو وذهب بعضهم الى انه اذا اصبح يوم الجمعة مقيما فلا يسافر حتى يصلي الجمعة يدل على جوازه ما روي عن ابن
عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فغدا اصحابه وقال ا
تخلف فاصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الحقهم فلما صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم راه فقال اردت ان اصلي
معك ثم الحقهم فقال لو انفقت ما في الارض جميعا ما ادركت فضل غدوتهم اخرجه الترمذي وروي ان عمر راى
رجلا عليه اهبة السفر سمعه يقول لولا ان اليوم يوم الجمعة لخرجت فقال عمر اخرج فان الجمعة لا تحبس
عن سفر وللجمعة شرايط وسنن واداب مذكورة في كتب الفقه وفي هذا القدر كفاية والله اعلم قوله
عز وجل فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض اي اذا فرغ من صلاة الجمعة فانتشروا في الارض للتجارة والتصرف في
حوايجكم وابتغوا من فضل الله يعني الرزق وهذا امر اباحة قال ابن عباس ان شيت فاخرج وان
شيت فاقعد وان شيت فصل الى العصر وقيل فانتشروا في الارض ليس لطلب دنيا ولكن لعيادة
مريض وحضور جنازة وزيارة اخ في الله وقيل وابتغوا من فضل الله هو طلب العلم وعن عراك بن
مالك انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم اجبت دعوتك وصليت
فريضتك وانتشرت كما امرتني فارزقني من فضلك وانت خير الرازقين واذكروا الله كثيرا اي اذا فرغتم
من الصلاة ورجعتم الى التجارة والبيع والشرا فاذكروا الله كثيرا قيل باللسان وقيل بالطاعة وقيل
لا تكونن من الذاكرين الله كثيرا حتى تذكره قايما وقاعدا ومضطجعا لعلكم تفلحون قوله تعالى واذا راوا تجارة
او لهوا انفضوا اليها وتركوك قايما عن جابر قال بينما نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اقبلت
عير تحمل طعاما فالتفتوا اليها حتى ما بقي مع النبي صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا فنزلت
هذه الاية واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قايما وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يخطب قايما فجاءت عير من الشام وذكر نحوه وفيه الا اثنا عشر رجلا فيهم ابو بكر وعمر ولمسلم كان مع
النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقدمت سويقة قال فخرج الناس اليها فلم يبق الا اثنا عشر رجلا
انا فيهم وذكر في الحديث حجة لمن يرى صحة الجمعة باثني عشر رجلا واجيب عنه بانه ليس فيه بيان
انه اقام بهم الجمعة حتى يكون الحديث حجة لاشتراط هذا العدد قال ابن عباس في رواية عطية لم يبق في
المسجد الا ثمانية رهط قال الحسن وابو مالك اصاب اهل المدينة جوع وغلا سعر فقدم دحية بن خليفة
الكلبي بتجارة زيت وطعام من الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فلما راوه بالبقيع قاموا اليه خشية
ان يسبقوا اليه فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا رهط فيهم ابو بكر فنزلت هذه الاية وقال
النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى منكم احد لسال بكم الوادي نارا وقال

Copyright © King Saud University

فقال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بالتجارة وكان
اذا قدم لم يبق عاتق بالمدينة الا اتته وكان يقدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق وبر وزبيب وغيره وينزل عند احجار
الزيت وهو مكان المدينة ثم يضرب بالطبل ليوذن الناس بقدومه فيخرج اليه الناس ليبتاعوا منه فقدم ذات
يوم جمعة وذلك قبل ان يسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب فخرج اليه الناس ولم يبق
في المسجد الا اثنى عشر رجلا وامراة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم بقي في المسجد فقالوا اثنى عشر رجلا وامراة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هولا لسومت لهم الحجارة من السما فانزل الله هذه الاية واراد باللهو الطبل
والتصفيق وقوله تعالى انفضوا اي تفرقوا وذهبوا اليها والضمير في اليها راجع الى التجارة لانها اهم اليهم
وتركوك قائما اي اتفقوا على ان هذا القيام كان في الخطبة للجمعة قال علقمة سيل ابن مسعود اكان النبي صلى الله
عليه وسلم يخطب قائما او قاعدا قال اما تقرا وتركوك قائما قال العلما الخطبة فريضة في صلاة الجمعة وقال
داود الظاهري هي مستحبة ويجب ان يخطب الامام قائما خطبتين يفصل بينهما بجلوس وقال ابو حنيفة واحمد
لا يشترط القيام ولا القعود ويشترط الطهارة في الخطبة عند الشافعي في احد القولين واقل ما يقع عليه اسم
الخطبة ان يحمد الله ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله هذه الثلاث شروط في الخطبتين جميعا ويجب
ان يقرا في الاولى اية من القران ويدعو للمومنين في الثانية ولو ترك واحدة من هذه الخمسة لا تصح جمعة عند
الشافعي وذهب ابو حنيفة الى انه لو اتى بتسبيحة او تحميدة او تكبيرة اجزاه وهذا القدر لا يقع عليه اسم الخطبة
وهو مامور بالخطبة والسنة للامام اذا صعد المنبر ان يستقبل الناس وان يسلم عليهم خلافا لابي حنيفة
ومالك وهل يحرم الكلام في حال الخطبة فيه خلاف بين العلما والاصح انه يحرم على المستمع دون الخاطب ويستحب ان
يصلي تحية المسجد اذا دخل والامام يخطب خلافا لابي حنيفة ومالك **ذكر** الاحاديث الواردة الدالة على هذه الاحكام
ق عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب خطبتين يقعد بينهما وفي رواية اخرى كان يخطب
يوم الجمعة قائما ثم يجلس ثم يقوم فيتم كما يفعلون الان م عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال كان للنبي صلى الله
عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرا القران ويذكر الناس زاد في رواية فمن حدثك انه كان يخطب جالسا فقد كذب
م عن كعب بن عجرة رضي الله عنه انه دخل المسجد وعبد الرحمن بن الحكم يخطب جالسا فقال انظروا الى هذا الخبيث يخطب
قاعدا وقال الله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما م عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال كنت اصلي
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا زاد ابو داود يقرا ايات من
القران ويذكر الناس عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل خطبة ليس فيها تشهد
فهي كاليد الجذما اخرجه ابو داود والترمذي ولابي داود عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل كلام لا يبدا
فيه بالحمد لله فهو اجذم عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تشهد قال الحمد لله نستعينه
ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما
فانه لا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيا وفي رواية ان يونس سال ابن شهاب عن تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة
فذكر نحوه وقال ومن يعصهما فقد غوى ونسال الله ربنا ان يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه
انما نحن به وله اخرجه ابو داود م عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كانت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه بما هو اهله ثم يقول على اثر ذلك وقد علا صوته واشتد غضبه حتى كانه منذر جيش
يقول صبحكم ومساكم بعثت انا والساعة كهاتين ويفرق بين اصبعيه السبابة والوسطى ويقول اما بعد فان خير

الحديث كتاب الله وخير الهدى هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول انا اولى بكل مومن من نفسه
من ترك مالا فلاهله ومن ترك دينا او ضياعا فالي وعلي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا اخرجه الترمذي ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام يخطب فقد لغوت عن نافع ان ابن عمر راى رجلين
يتحدثان والامام يخطب يوم الجمعة فحصبهما ان اصمتا اخرجه مالك في الموطا قال ابن شهاب خروج الامام يقطع
الصلاة وكلامه يقطع الكلام فاما صفة صلاة الجمعة فركعتان يجهر فيهما بالقراءة ولجواز الجمعة خمس شرائط
الوقت وهو وقت الظهر ما بين زوال الشمس الى دخول وقت العصر والعدد والامام والخطبة ودار الاقامة فان
فقد شرط من هذه الشرائط الخمس يجب ان يصلي ظهرا ولا يجوز للامام ان يبتدي الخطبة قبل تمام العدد وهو عدد
اربعين عند الشافعي فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم انفضوا قبل افتتاح الصلاة او انتقص واحد من العدد لا يجوز ان
يصلي بهم الجمعة بل يصلي الظهر ولو افتتح بهم الصلاة ثم انفضوا فاصح اقوال الشافعي ان بقا الاربعين شرط الى اخر الصلاة
كما ان بقا الوقت شرطا الى اخر الصلاة فلو نقص واحد قبل ان يسلم الامام يجب على الباقين ان يصلوها ظهرا وفيه قول
اخر وهو ان بقي معه اثنان اتمها جمعة وعند المزني ان انفضوا بعد ما صلى بهم الامام ركعة اتمها جمعة وان بقي وحده
وان كان في الركعة الاولى يتمها اربعا وان انتقص من العدد واحد وبه قال ابو حنيفة لكن في العدد الذي يشترط
كالمسبوق فاذا ادركها قبل ان يركعها اتمها اربعا خ عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الجمعة حين تميل
الشمس م عن عبيد الله بن ابي رافع قال استخلف مروان ابا هريرة على المدينة وخرج الى مكة فصلى بنا ابو هريرة الجمعة
فقرا بعد الجمعة سورة الجمعة في الاولى واذا جاك المنافقون في الثانية قال فادركت ابا هريرة حين انصرف
فقلت له انك قرات بسورتين كان علي بن ابي طالب يقرا بهما في الكوفة قال ابو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقرا بهما م عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في العيدين وفي
الجمعة سبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية وقال واذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرا بهما في
الصلاتين عن سمرة بن جندب رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرا في الجمعة بسبح اسم ربك
الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية اخرجه ابو داود والنسائي قوله تعالى قل ما عند الله يعني ما عند الله من الثواب
والاجر على الصلاة والثبات مع النبي صلى الله عليه وسلم خير من اللهو ومن التجارة الذي جا بها دحية والله خير الرازقين
يعني الله تعالى موجد الارزاق وما صلها منه فاياه فاسالوا ومنه فاطلبوا والله تعالى اعلم **تفسير سورة المنافقين**
مدنية وهي احدى عشر اية ومائة وثمانون كلمة وتسعمائة وستة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
اذا جاءك المنافقون يعني عبد الله بن ابي بن سلول واصحابه قالوا نشهد انك لرسول الله وتم الخبر عنهم ثم ابتدا فقال تعالى
والله يعلم انك لرسوله اي هو الذي ارسلك فهو عالم بك والله يشهد ان المنافقين لكاذبون يعني في قولهم نشهد انك لرسول الله
لانهم اضمروا خلاف ما اظهروا وذلك لان حقيقة الايمان ان يواطئ اللسان فيه القلب وكذلك الكلام فمن اخبر عن شي واعتقد
خلافه او اضمر خلاف ما اظهر فهو كاذب الا ترى انهم كانوا يقولون بالسنتهم نشهد انك لرسول الله وسماه كذبا لان قولهم
خالف اعتقادهم اتخذوا ايمانهم جنة اي سترا يستترون بها من القتل ومعنى ايمانهم ما اخبر الله عنهم من حلفهم انهم لمنكم
وقوله نشهد انك لرسول الله فصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا بانفسهم عن طاعة الله وطاعة رسوله وقيل منعوا الناس
عن الجهاد وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم انهم سا ما كانوا يعملون يعني حيث انهم اثروا الكفر عن الايمان ذلك بانهم امنوا
اي في الظاهر وذلك اذا راوا المومنين اقروا بالايمان ثم كفروا اي في السر وذلك اذا خلوا مع المشركين وفيه تاكيد لقوله
والله يشهد انهم لكاذبون فطبع على قلوبهم اي بالكفر فهم لا يفقهون اي الايمان وقيل لا يتدبرون القران واذا رايتهم يعني

المنافقين مثل عبد الله بن ابي بن سلول تعجبك اجسامهم يعني ان لهم اجساما ومناظر حسنة وان يقولوا تسمع لقولهم اي فتحسب
انه صدق قال ابن عباس كان عبد الله بن ابي بن سلول جسيما فصيحا ذلق اللسان فاذا سمع النبي صلى الله عليه وسلم كانهم خشب
مسندة اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام وشبههم بالخشب المسندة الى الجدار ولبستها باشجار مثمرة ينتفع بها
يحسبون كل صيحة عليهم يعني انهم لا يسمعون صياحا في العسكر بان ينادي مناد او انفلتت دابة او انشدت ضالة الا
ظنوا من جبنهم وسوء ظنهم انهم يرادون بذلك وظنوا انهم قد اتوا لما في قلوبهم من الرعب وقيل انهم على خوف ووجل من
ان ينزل فيهم امر يهتك استارهم ويبيح دماءهم ثم تم الكلام على قوله عليهم ثم ابتدا فقال تعالى هم العدو فاحذرهم ولا
تامنهم يعني انهم وان كانوا معك يظهرون تصديقك اعداء لك فاحذرهم ولا تامنهم على سرك لانهم عيون لاعدائك من الكفار
ينقلون اليهم اسرارك قاتلهم الله اي لعنهم الله انى يؤفكون اي يصرفون عن الحق قوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم
رسول الله لووا رؤسهم اي اما لوها واعرضوا بوجوههم رغبة عن الاستغفار ورايتهم يصدون اي يعرضون عما دعوا
اليه وهم مستكبرون اي عن استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم سواء عليهم استغفرت لهم اي يا محمد ام لم
تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين **ذكر القصة** في سبب نزول
هذه الاية قال محمد بن اسحاق وغيره من اصحاب السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان بني المصطلق
يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن ابي ضرار وهو ابو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية
قديد الى الساحل فتزاحم الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وامكن منهم ونفل رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابناءهم ونساءهم واموالهم فافاءها عليهم فبينا الناس على ذلك الماء اذ وردت واردة الناس ومع عمر
ابن الخطاب اجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن سعيد الغفاري يقود له فرسه فازدحم جهجاه بن وبر الجهني
حليف بني عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الانصار وصرخ الغفاري يا معشر المهاجرين
واعان جهجاه رجل من المهاجرين يقال له جعال فقال له عبد الله بن ابي جعال وانك لهناك فقال جعال
وما يمنعني ان افعل ذلك فغضب عبد الله بن ابي وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن ارقم وهو غلام حديث
السن فقال عبد الله افعلوها قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القائل سمن
كلبك ياكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم اقبل على من حضر من قومه فقال هذا
ما فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال ودونه فضل الطعام
لم يركبوا رقابكم ولتحولوا الى غير بلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن ارقم انت والله
الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم في عز من الرحمن ومودة من المسلمين فقال عبد الله
ابن ابي اسكت فانما كنت العب فمشى زيد بن ارقم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد فراغه من الغزو فاخبره
الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال دعني اضرب عنقه يا رسول الله قال كيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه ولكن
اذن بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس وارسل رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى عبد الله بن ابي فاتاه فقال له انت صاحب هذا الكلام الذي بلغني فقال عبد الله والذي انزل
عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وان زيدا لكاذب وكان عبد الله في قومه شريفا عظيما فقال من حضر
من الانصار من اصحابه يا رسول الله عسى ان يكون الغلام قد اوهم في حديثه ولم يحفظ ما قاله فعذره النبي صلى الله عليه
وسلم وفشت الملامة لزيد في الانصار وكذبوه وقال له عمه وكان زيد معه ما اردت الا ان كذبك رسول الله صلى الله
عليه وسلم والناس ومقتوك وكان زيد يساير النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيا بعد ذلك ان يدنو من النبي صلى الله

عليه

عليه وسلم فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه اسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال
يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
او ما بلغك ما قال صاحبك عبد الله بن ابي فقال اسيد وما قال قال زعم انه ان رجع الى المدينة اخرج الاعز منها
الاذل فقال اسيد فانت والله يا رسول الله تخرجه ان شئت هو والله الذليل وانت العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به
فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى انك قد سلبته ملكا وبلغ عبد الله بن عبد الله
ابن ابي ما كان من ابيه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه بلغني انك تريد قتل ابي عبد الله بن
ابي لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني به فانا احمل اليك راسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل ابر بوالديه
مني واني اخشى ان تامر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي ان انظر الى قاتل عبد الله بن ابي يمشي على الارض حتى اقتله
فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا قالوا وسار
رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه ذلك حتى امسى وليلته حتى اصبح وصدر يومه حتى اذته الشمس ثم نزل بالناس
فلم يكن الا ان وجدوا مس الارض وقعوا نياما وانما فعل ذلك ليشغل الناس عن حديث عبد الله بن ابي الذي كان منه بالامس
ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال له نقعاء فهاجت ريح شديدة اذتهم وتخوفوها وضلت
ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بالليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخافوا فانما هبت لموت
عظيم من عظماء الكفار توفي بالمدينة قيل من هو قال رفاعة بن زيد بن التابوت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم
انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته الا يخبره الذي ياتيه بالوحي فاتاه جبريل عليه السلام فاخبره بقول المنافقين
وبمكان ناقته فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال ما ازعم اني اعلم الغيب وما اعلمه ولكن الله اخبرني
بقول المنافقين وبمكان ناقتي بالشعب قد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فاذا هي كما قال فجاؤوا
بها فامن ذلك المنافق وحسن ايمانه فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن التابوت قد مات في ذلك اليوم
وكان من عظماء اليهود وكهفا للمنافقين فلما وافى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال زيد بن ارقم جلست في البيت
لما بي من الهم والحياء فانزل الله عز وجل سورة المنافقين في تصديق زيد بن ارقم وتكذيب عبد الله بن ابي فلما نزلت اخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن زيد وقال يا زيد ان الله قد صدقك واوفى باذنك خ عن زيد بن ارقم قال خرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر اصاب الناس فيه شدة فقال عبد الله بن ابي لا تنفقوا على من عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال فاتيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخبرته بذلك فارسل الى عبد الله بن ابي فسأله فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا كذب زيد رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فوقع في نفسي مما قالوا شدة حتى انزل الله تصديقي اذا جاءك المنافقون ثم قال دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر
لهم قال فلووا رؤسهم وقوله كانهم خشب مسندة قيل كانوا رجالا اجمل شيء ق عن جابر قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع انصاريا فغضب الانصاري غضبا
شديدا حتى تداعوا وقال الانصاري يا للانصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما بال دعوى الجاهلية ثم قال ما شانهم فاخبر بكسعة المهاجري الانصاري فقال دعوها فانها خبيثة وقال عبد
الله بن ابي بن سلول اقد تداعوا علينا لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال عمر الا نقتل يا نبي الله هذا
الخبيث لعبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الناس انه كان يقتل اصحابه ولمسلم رواية نحوها فقال
لا باس ولينصر الرجل اخاه ظالما كان او مظلوما ان كان ظالما فلينهه فانه له نصر وان كان مظلوما فلينصره وزاد
الترمذي فيه فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله لا تنقلب حتى تقر انك الذليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University

العزيز فضل قال اصحاب السير وكان عبد الله بن ابي بقرب المدينة فلما اراد ان يدخلها جاءه ابنه عبد الله حتى اناخ على
مجامع طرق المدينة فلما جاء عبد الله بن ابي قال له ابنه وراءك قال ويلك ما لك قال لا والله لا تدخلها ابدا حتى ياذن لا
ان ياذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتعلم اليوم من الاعز من الاذل فشكى عبد الله بن ابي الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان خل عنه يدخل فقال عبد الله اما اذا جاء امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعم فدخل قال فلما نزلت هذه السورة
وبان كذب عبد الله بن ابي قيل يا ابا حباب انه قد نزل فيك اي شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك
فلوى راسه وقال امرتموني ان امن فامنت وامرتموني ان اعطي زكاة مالي فقد اعطيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد صلى الله
عليه وسلم فانزل الله واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم الاية ونزل هم الذين يقولون لا تنفقوا على
من عند رسول الله حتى ينفضوا اي يتفرقوا عنه ولله خزائن السموات والارض يعني بيده مفاتيح الرزق فلا يعطي احدا شيا
الا باذنه ولا يمنعه الا بمشيته ولكن المنافقين لا يفقهون يعني ان امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون يقولون لئن
رجعنا الى المدينة يعني من غزوة بني المصطلق ليخرجن الاعز منها الاذل فرد الله عليهم بقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
فعزة الله تعالى قهره وغلبته على من دونه وعزة رسوله صلى الله عليه وسلم اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين
نصر الله اياهم على اعدائهم ولكن المنافقين لا يعلمون اي ذلك ولو علموا ما قالوا هذه المقالة قال اصحاب السير فلما نزلت هذه
الاية في عبد الله بن ابي بن سلول لم يلبث الا اياما قلايل حتى اشتكى ومات على نفاقه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اي
لا تشغلكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله يعني عن الصلوات الخمس والمعنى لا تشغلكم اموالكم ولا اولادكم كما شغلت المنافقين
عن ذكر الله ومن يفعل ذلك اي ومن شغله ماله وولده عن ذكر الله فاولئك هم الخاسرون اي في تجارتهم حيث اشتروا الفاني على الباقي
وانفقوا مما رزقناكم قال ابن عباس يريد زكوة الاموال من قبل ان ياتي احدكم الموت اي دلايل الموت ومقدماته وعلاماته
فيسل الرجعة فيقول رب لولا اخرتني اي هلا امهلتني وقيل لو اخرت اجلي الى اجل قريب فاصدق اي فازكي مالي واكن وقري واكون من
الصالحين اي المؤمنين وقيل هذه الاية نزلت في المنافقين وبين على هذا ان المومن لا يسال الرجعة وقيل الاية نزلت في المومنين
والمراد بالصلاح هنا الحج قال ما من احد يموت وكان له مال ولم يود زكاته او اطاق الحج ولم يحج الا سيل الرجعة عند الموت وقرا هذه
الاية واكن من الصالحين اي احج وازكي ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها يعني انه تعالى لا يؤخر من حضر اجله وانقضت مدته والله خبير بما تعملون
اي انه لو رد الى الدنيا لم يجب الى ما سال مالح ومازكى وقيل هو خطاب شايع لكل عامل عامل من خير او شر والله اعلم تفسير سورة
التغابن مدنية في قول الاكثرين وقيل هي مكية الا ثلاث ايات من قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم الى اخر ثلاث
ايات وهي ثمان عشرة اية ومايتان واحد واربعون كلمة والف وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يسبح لله ما في
السموات وما في الارض له الملك وله الحمد يعني انه تعالى متصرف في ملكه حيث شا تصرف واختصاص لا شريك له غيره وله الحمد لان
اصول النعم كلها منه وهو الذي يحمد على كل حال فلا يحمد في جميع الاحوال الا هو وهو على كل شي قدير يعني انه سبحانه وتعالى يفعل ما يشا
كما يشا بلا ممانع ولا مدافع هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن قال ابن عباس ان الله تعالى خلق بني ادم مومنا وكافرا ثم يعيدهم
يوم القيامة كما خلقهم مومنا وكافرا عن عايشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان للجنة اهلا
خلقهم لها وهم في اصلاب ابايهم وخلق للنار اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابايهم ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
وكل الله بالرحم ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب مضغة فاذا اراد ان يقضي خلقها قال يا رب اذكر ام
انثى اشقي ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك في بطن امه وقال جماعة في معنى الاية ان الله تعالى خلق الخلق ثم كفروا
وامنوا لان الله خلق الخلق ثم وصفهم بفعلهم فقال فمنكم كافر ومنكم مومن ثم اختلفوا في تاويلها فروي عن ابي سعيد الخدري انه
قال فمنكم كافر في حياته ومنكم مومن في العاقبة وقال عطاء بن ابي رباح فمنكم مومن بالله كافر بالكواكب وقيل فمنكم كافر بان الله خلقه
وهم الدهرية واصحاب الطبايع ومنكم مومن اي بان الله خلقه وجملة القول فيه ان الله خلق الكافر وكفره فعلا له وكسبا واختيارا

بتقدير

بتقدير الله ومشيته فالمومن بعد خلق الله اياه يختار الايمان لان الله اراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر
بعد خلق الله اياه يختار الكفر لان الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه وطريق اهل السنة في هذا ان سلك هذا اصاب الحق وسلم من
مذهب الجبر والقدر والله بما تعملون بصير اي انه عالم بكفر الكافر وايمان المومن خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم
اي انه اتقن واحكم صوركم على وجه لا يوجد مثله في الحسن والمنظر من حسن القامة والتناسب في الاعضاء وقد علم ان صورة الانسان
احسن صورة واكملها واليه المصير اي المرجع في القيامة يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات
الصدور معناه انه لا يخفى عليه خافية فاستوى في علمه الظاهر والباطن وهو بكل شي عليم قوله تعالى الم ياتكم يخاطب كفار مكة
نبا الذين كفروا من قبل يعني خبر الامم الخالية فذاقوا وبال امرهم اي جزا اعمالهم وهو ما لحقهم من العذاب في الدنيا ولهم عذاب اليم
في الاخرة ذلك اي الذي نزل بهم من العذاب بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا معناه انهم انكروا ان
يكون الرسول بشرا وذلك لقلة عقولهم وسخافة احلامهم ولم ينكروا ان يكون معبودهم حجرا فكفروا اي جحدوا وانكروا وتولوا اي اعرضوا
واستغنى الله اي عن ايمانهم وعبادتهم والله غني اي عن خلقه حميد اي في افعاله ثم اخبر الله تعالى عن انكارهم البعث فقال
زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل اي قل لهم يا محمد بلى وربي لتبعثن يوم القيمة ثم لتنبؤن اي لتخبرن بما عملتم وذلك على
الله يسير اي في امر البعث والحساب يوم القيامة فامنوا بالله ورسوله لما ذكر حال الامم الماضية المكذبة وما نزل
بهم من العقاب قال فامنوا انتم بالله ورسوله لئلا ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة والنور الذي انزلنا يعني القران
سماه نورا لانه يهتدى به في ظلمات الضلال كما يهتدى بالنور في الظلمة والله بما تعملون خبير يعني انه مطلع عليكم
عالم باحوالكم جميعا فراقبوه وخافوه قوله عز وجل يوم يجمعكم ليوم الجمع يعني يوم القيامة يجمع الله فيه الاولين
والاخرين واهل السموات واهل الارضين ذلك يوم التغابن من الغبن وهو فوت الحظ المراد في المجازاة والتجارة
وذلك انه اذا اخذ الشي بدون قيمته فقد غبن والمغبون من غبن اهله ومنازله في الجنة وذلك لان لكل كافر له
اهل ومنزل في الجنة لو اسلم فيظهر يومئذ غبن كل كافر بترك الايمان ويظهر غبن كل مومن بتركه بتقصيره في الاحسان
وقيل ان قوما في النار يعذبون وقوما في الجنة ينعمون فلا غبن اعظم من هذا وقيل هو غبن المظلوم للظالم
لان المظلوم مغبون في الدنيا فصار في الاخرة غابنا للظالم واصل الغبن في البيع والشرا وقد ذكره في حق
الكافرين انهم خسروا وغبنوا في شرايهم فقال تعالى اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال في حق
المومنين هل ادلكم على تجارة وقال ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فخسرت صفقة الكافرين
وربحت صفقة المومنين ومن يومن بالله اي على ما جات به الرسل من الايمان بالبعث والجنة والنار ويعمل صالحا
اي في ما بقي ان يموت على ذلك يكفر عنه سياته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك
الفوز العظيم والذين كفروا اي بوحدانية الله وقدرته وكذبوا باياتنا اي الدالة على البعث اولئك اصحاب النار
خالدين فيها وبيس المصير ما اصاب من مصيبة الا باذن الله اي بقضا الله وقدره وارادته ومن يومن بالله اي
يصدق انه لا يصيبه مصيبة من موت ومرض وذهاب مال ونحو ذلك الا بقضا الله وقدره واذنه يهد
قلبه اي يوفقه لليقين حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضا الله وقدره
وقيل يهد قلبه للشكر عند الرخا والصبر عند البلا والله بكل شي عليم واطيعوا الله اي فيما امر واطيعوا الرسول
اي فيما جا به عن الله وما امركم به فان توليتم اي عن اجابة الرسول فيما دعاكم اليه فانما على رسولنا البلاغ المبين الله
لا اله الا هو اي لا معبود ولا مقصود الا هو وعلى الله فليتوكل المومنون قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم فاحذروهم عن ابن عباس قال هولا رجال اسلموا من اهل مكة وارادوا ان ياتوا النبي صلى الله عليه
وسلم فابى ازواجهم واولادهم ان يدعوهم ان ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم فلما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم راوا

Copyright © King Saud University

الناس قد فقهوا في الدين هموا ان يعاقبوهم فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعنه قالوا لهم صبرنا على اسلامكم فلا صبر لنا على فراقكم فاطاعوهم وتركوا الهجرة فقال الله تعالى فاحذروهم ان تطيعوهم وتدعوا الهجرة وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا هذا فيمن اقام على الاهل والولد ولم يهاجر ثم هاجر فراى الذين قد سبقوه بالهجرة قد فقهوا في الدين فهم ان يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه ومنعوه عن الهجرة لما لحقوا به ولم ينفق عليهم ولم يصبهم بخير فامره الله بالعفو والصفح عنهم وقال عطاء بن يسار نزلت في عوف بن مالك الاشجعي وكان ذا اهل وولد فاذا اراد ان يغزو بكوا عليه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فيرق عليهم فيقيم فانزل الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم بحملهم اياكم على ترك طاعة الله فاحذروهم اي ان تقبلوا منهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا اي فلا تعاقبوهم على خلافكم فان الله غفور رحيم انما اموالكم واولادكم فتنة اي بلاء واختبار وشغل عن الاخرة وقد يقع الانسان بسببهم في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام وغصب مال الغير ونحو ذلك والله عنده اجر عظيم يعني الجنة والمعنى لا تباشروا المعاصي بسبب اولادكم ولا تؤثروهم على ما عند الله من الاجر العظيم قال بعضهم لما ذكر الله العداوة ادخل من للتبعيض فقال ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم لانهم كلهم ليسوا باعداء ولم يذكر من في قوله انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم لا يخلو عن الفتنة واشتغال القلب بهم وكان عبد الله بن مسعود يقول لا يقولن احدكم اللهم اني اعوذ بك من الفتنة فانه ليس منكم احد يرجع الى اهل ومال وولد الا مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم اني اعوذ بك من مضلات الفتن عن بريدة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقوله فاتقوا الله ما استطعتم اي ما اطقتم وهذه الاية ناسخة لقوله اتقوا الله حق تقاته واسمعوا واطيعوا اي لله ولرسوله فيما يامركم به وينهاكم عنه وانفقوا اي من حق الله الذي امركم به خيرا لانفسكم اي ما انفقتم في طاعة الله ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون تقدم تفسيره ان تقرضوا الله قرضا حسنا القرض الحسن هو التصدق من الحلال مع طيبة نفس يعني ان تقرضوا اي تنفقوا في طاعة الله متقربين اليه بالانفاق يضاعفه لكم اي يجزكم بالضعف الى سبعمائة الى ما شاء من الزيادة ويغفر لكم والله شكور يعني يحب المتقربين اليه حليم اي لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم والله اعلم

تفسير سورة الطلاق

مدنية وهي ثنتا عشرة اية ومائتان وتسع واربعون كلمة والف وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها النبي اذا طلقتم النساء نادى النبي صلى الله عليه وسلم ثم خاطب امته لانه المقدم عليهم فاذا خوطب خطاب الجمع كانت امته داخلة في ذلك الخطاب وقيل معناه يا ايها النبي قل لامتك فاضمر القول اذا طلقتم النساء اي اردتم تطليقهن فطلقوهن لعدتهن اي لزمان عدتهن وهو الطهر لانها تعتد بذلك الطهر من عدتها وتحصل في العدة عقيب الطلاق فلا يطول عليها زمان العدة وكان ابن عباس وابن عمر يقرءان فطلقوهن من قبل عدتهن وهذا في المدخول بها لان غير المدخول بها لا عدة عليها نزلت هذه الاية في عبد الله بن عمر كان قد طلق امراته في حال الحيض ق عن ابن عمر رضي الله عنهما انه طلق امراته وهي حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان بدا له ان يطلقها فليطلقها قبل ان يمسها فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النساء زاد في رواية كان عبد الله طلقها تطليقة فحسبت من طلاقها وراجعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لمسلم انه طلق امراته وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهرا او حاملا ولمسلم من حديث ابي الزبير انه سمع عبد

الرحمن

الرحمن بن مولى عروة يسال ابن عمر وابو الزبير يسمع كيف ترى في رجل طلق امراته حائضا فقال طلق ابن عمر امراته وهي حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليراجعها فردها وقال اذا طهرت فليطلق او ليمسك قال ابن عمر وقرا النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن

فصل اعلم ان الطلاق في حال الحيض والنفاس بدعة وكذلك في الطهر الذي جامعها فيه لقول النبي صلى الله عليه وسلم وان شاء طلق قبل ان يمس والطلاق السني ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه وهذا في حق امراة تلزمها العدة بالاقراء فاما اذا طلق غير المدخول بها في حال الحيض او طلق الصغيرة التي لم تحض او الايسة بعد ما جامعها او طلق الحامل بعد ما جامعها او في حال رؤية الدم لا يكون بدعيا ولا سنة ولا بدعة في طلاق هؤلاء لان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لثابت بن قيس في مخالعة زوجته قبل ان يعرف حالها ولولا جوازه في جميع الاحوال لاشبه ان يتعرف الحال ولو طلق امراته في حال الحيض او في طهر جامعها فيه قصدا عصى الله تعالى ووقع الطلاق لان النبي صلى الله عليه وسلم امر ابن عمر بالمراجعة فلولا وقوع الطلاق لم يامره بالمراجعة واذا راجعها في حال الحيض يجوز ان يطلقها في حال الطهر الذي يعقب تلك الحيضة قبل المسيس كما رواه يونس بن جبير وانس وابن سيرين عن ابن عمر ولم يقولوا ثم تحيض ثم تطهر وما رواه نافع عن ابن عمر ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فامر استحباب استحب تاخير الطلاق الى الطهر الثاني حتى لا تكون مراجعته اياها للطلاق كما انه يكره النكاح للطلاق ولا بدعة في الجمع بين الطلقات الثلاث عند بعض اهل العلم كما لو طلق امراته في حال الطهر ثلاثا لا يكون بدعيا وهو قول الشافعي واحمد وذهب بعضهم الى انه بدعة وهو قول مالك واصحاب الراي قوله تعالى واحصوا العدة اي عدد اقرائها فاحفظوها قيل امر باحصاء العدة لتفريق الطلاق على الاقراء اذا اراد ان يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة النفقة والسكنى واتقوا الله ربكم اي واخشوا الله ولا تعصوه فيما امركم به لا تخرجوهن من بيوتهن يعني اذا كان المسكن الذي طلقها فيه للزوج للزوجة بملك او كراء وان كان عارية فارتجعت كان على الزوج ان يكري لها منزلا غيره ولا يجوز للزوج ان يخرج المراة من المسكن الذي طلقها فيه ولا يخرجن يعني ولا يجوز للمراة ان تخرج ما لم تنقض عدتها فان خرجت لغير ضرورة او حاجة فان وقعت ضرورة بان خافت هدما او غرقا جاز لها ان تخرج الى منزل اخر وكذلك اذا كان لها حاجة ضرورية من بيع غزل او شراء قطن جاز لها الخروج نهارا ولا يجوز ليلا يدل على ذلك ان رجالا استشهدوا باحد فقالت نساؤهم نستوحش في بيوتنا فاذن لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتحدثن عند احداهن فاذا كان وقت النوم تاوي كل امراة الى بيتها واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالة جابر طلقها زوجها ان تخرج لجذاذ نخلها فاذا لزمتها العدة في السفر تعتد ذاهبة وراجعة والبدوية تتبوأ حيث يتبوأ اهلها في العدة لان الانتقال في حقهم كالاقامة في حق المقيم وقوله تعالى الا ان ياتين بفاحشة مبينة قال ابن عباس الفاحشة المبينة ان تبذو على اهل زوجها فيحل اخراجها وقيل اراد بالفاحشة ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها يروى ذلك عن ابن مسعود وقيل معناه الا ان يطلقها على نشوزها فلها ان تتحول من بيت زوجها والفاحشة النشوز وقيل خروجها قبل انقضاء عدتها فاحشة وتلك حدود الله يعني ما ذكر من سنة الطلاق وما بعده من الاحكام ومن يتعد حدود الله اي يطلق لغير السنة او تجاوز هذه الاحكام فقد ظلم نفسه اي ضر نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا اي يوقع في قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين وهذا يدل على ان المستحب ان تفرق الطلقات ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة حتى اذا ندم امكنه المراجعة عن محارب بن دثار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما احل الله شيئا ابغض اليه من الطلاق اخرجه ابو داود مرسلا وله في رواية عنه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابغض الحلال الى الله الطلاق عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما امراة سالت زوجها الطلاق في غير ما باس فحرام عليها رائحة الجنة اخرجه ابو داود والترمذي

Copyright © King Saud University

قوله تعالى فاذا بلغن اجلهن اي اذا قربن من انقضاء عدتهن فامسكوهن اي راجعوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فتبين منكم واشهدوا ذوي عدل منكم اي على الرجعة او الفراق امر بالاشهاد على الرجعة وعلى الطلاق عن عمران ابن حصين رضي الله عنه سئل عن رجل يطلق امراته ثم يقع عليها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال طلقت لغير سنة وراجعت لغير سنة اشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد اخرجه ابو داود وهذا الاشهاد مندوب في الفرقة وفائدة هذا الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها وان لا يموت احد الزوجين فيدعي الآخر ثبوت الزوجية ليرث وقيل امر بالاشهاد للاحتياط مخافة ان تنكر الزوجة المراجعة فتنقضي العدة فتنكح زوجا غيره واقيموا الشهادة لله يعني ايها الشهود لله اي طلبا لمرضات الله وقياما بوصيته والمعنى اشهدوا بالحق وادوها على الصحة ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا قيل معناه ومن يتق الله فيطلق للسنة يجعل له مخرجا الى الرجعة وقال اكثر المفسرين نزلت في عوف بن مالك اسر ابنا له يسمى مالكا فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اسر العدو ابني وشكى اليه ايضا الفاقة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل الرجل ذلك فبينما هو الرجل في بيته اذ اتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فاصاب منهم ابلا وجاء بها الى ابيه وعن ابن عباس قال غفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها الى ابيه وهي اربعة آلاف شاة فنزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجا اي في ابنه ويرزقه من حيث لا يحتسب يعني ما ساق من الغنم وقيل اصاب غنما ومتاعا ثم رجع به الى ابيه فانطلق ابوه الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر وساله ايحل له ان ياكل ما اتى به ابنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نعم ونزلت الآية وقال ابن مسعود ومن يتق الله يجعل له مخرجا من كل شيء هو ان يعلم انه من قبل الله وان الله رازقه وقال الربيع بن خثيم يجعل له مخرجا من كل شيء ضاق على الناس وقيل مخرجا من كل شدة وقيل مخرجا مما نهاه الله عنه ومن يتوكل على الله فهو حسبه يعني من يتق الله فيما نابه كفاه ما اهمه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ان الله بالغ امره اي منفذ امره وممضي في خلقه ما قضاه قد جعل الله لكل شيء قدرا اي جعل لكل شيء من شدة او رخاء اجلا ينتهي اليه وقال مسروق في هذه الآية ان الله بالغ امره توكل عليه ام لم يتوكل عليه غير ان المتوكل يكفر له سيئاته ويعظم له اجرا قوله عز وجل واللائي يئسن من المحيض من نسائكم قيل لما نزلت والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن النعمان ابن قيس الانصاري يا رسول الله فما عدة من لا تحيض والتي لم تحض وعدة الحبلى فانزل الله عز وجل واللائي يئسن من المحيض من نسائكم يعني القواعد اللاتي قعدن عن الحيض فلا يرجون ان يحضن وهن العجائز الآيسات من الحيض ان ارتبتم اي شككتم في حكمهن فلم تدروا ما عدتهن فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن يعني الصغائر اللائي لم يحضن بعد فعدتهن ايضا ثلاثة اشهر اما الشابة التي كانت تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغ سن الآيسات فذهب اكثر اهل العلم الى ان عدتها لا تنقضي حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة اقراء او تبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة اشهر وهذا قول عثمان وعلي وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعي واصحاب الرأي وحكي عن عمر انها تتربص تسعة اشهر فان لم تحض فتعتد بثلاثة اشهر وهو قول مالك وقال الحسن تتربص سنة فان لم تحض فتعتد بثلاثة اشهر وهذا كله في عدة الطلاق فاما المتوفى عنها زوجها فعدتها اربعة اشهر وعشر سواء كانت ممن تحيض او لا تحيض واما الحامل فعدتها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها او مات عنها وهو قوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن (ق) عن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها ابو السنابل بن بعكك رجل من بني عبد الدار فقال لها ما لي اراك متجملة لعلك ترجين النكاح انك والله ما انت بناكح حتى تمر عليك اربعة اشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين امسيت واتيت رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فافتاني باني قد حللت حين وضعت حملي وامرني بالتزوج ان بدا لي لفظ البخاري ومسلم نحوه وزاد قال ابن شهاب ولا ارى باسا ان تتزوج حين وضعت وان كانت في دمها غير انه لا يقربها زوجها حتى تطهر ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا اي يسهل عليه امر الدنيا والآخرة ذلك اي ذلك الذي ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم اي لتعملوا به ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا قوله تعالى اسكنوهن يعني مطلقات نسائكم من حيث سكنتم من وجدكم اي من سعتكم وطاقتكم فان كان موسرا يوسع عليها في المسكن والنفقة وان كان فقيرا فعلى قدر الطاقة ولا تضاروهن اي لا تؤذوهن لتضيقوا عليهن يعني مساكنهن فيخرجن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن اي فيخرجن من عدتهن

فصل في حكم الآية اعلم ان المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى ما دامت في العدة ونعني بالسكنى مؤنة السكنى فان كانت الدار التي طلقها الزوج فيها ملكا للزوج يجب على الزوج ان يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها وان كانت باجارة فعلى الزوج الاجرة وان كانت عارية فرجع المعير فعليه ان يكتري لها دارا تسكنها واما المعتدة البائنة بالخلع وبالطلاق الثلاث او باللعان فلها السكنى حاملا كانت او غير حامل عند اكثر اهل العلم وروي عن ابن عباس انه قال لا سكنى لها الا ان تكون حاملا وهو قول الحسن والشعبي وبه قال الشافعي واحمد ومنهم من اوجبها بكل حال يروى ذلك عن ابن مسعود وهو قول ابراهيم النخعي وبه قال الثوري واصحاب الرأي فظاهر القرآن يدل على انها لا تستحق الا ان تكون حاملا لقوله تعالى وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن واما الدليل على ذلك من السنة فما روي عن فاطمة بنت قيس ان ابا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب فارسل اليها وكيله بشعير فسخطته فقال والله ما لك علينا من شيء فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال لها ليس لك عليه نفقة فامرها ان تعتد في بيت ام شريك ثم قال تلك المرأة يغشاها اصحابي فاعتدي عند ابن ام مكتوم فانه رجل اعمى تضعين ثيابك فاذا حللت فآذنيني قالت فلما حللت ذكرت له ان معاوية بن ابي سفيان وابا جهم خطباني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه واما معاوية فصعلوك لا مال له انكحي اسامة بن زيد فنكحته فجعل الله فيه خيرا واغتبطت اخرجه مسلم واحتج بهذا الحديث من لم يجعل لها سكنى وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم امرها ان تعتد في بيت عمرو بن ام مكتوم ولا حجة له فيه لما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت كانت فاطمة في مكان وحش فخيف على ناحيتها وقال سعيد ابن المسيب انما نقلت فاطمة لطول لسانها على احمائها وكان في لسانها ذرابة واما المعتدة عن وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب وخيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان كانت حاملا واما المعتدة عن وفاة الزوج فلا نفقة لها عند اكثر اهل العلم وروي عن علي ان لها النفقة ان كانت حاملا من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبي والنخعي والثوري واختلفوا في سكناها وللشافعي فيه قولان احدهما انه لا سكنى لها بل تعتد حيث تشاء وهو قول علي وابن عباس وعائشة وبه قال عطاء والحسن وهو قول ابي حنيفة والثاني ان لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وبه قال مالك والثوري واحمد واسحاق واحتج من اوجب لها السكنى بما روي عن الفريعة بنت مالك بن سنان وهي اخت ابي سعيد الخدري انها جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته ان ترجع الى اهلها في بني خدرة فان زوجها خرج في طلب اعبد له ابقوا حتى كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارجع الى اهلي في بني خدرة فان زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت فانصرفت حتى كنت في الحجرة ناداني فدعيت فقال كيف قلت فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله قالت فاعتددت فيه اربعة اشهر وعشرا قالت فلما كان عثمان ارسل الي فسألني عن ذلك فاخبرته فاتبعه وقضى

Copyright © King Saud University

اخرجه ابو داود والترمذي فمن قال بهذا القول قال لا ذنه للترجعة اولا بالرجوع حتى صار منسوخا بقوله لجزا
امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله ومنهم يوجب السكنى فالامر بها بالمكث في بيتها اخرا سقطنا الا وجوبا قوله
عز وجل فان ارضعن لكم يعني اولادكم فاتوهن اجورهن يعني على ارضاعهن وفيه دليل على ان اللبن وان كان قد
خلق لمكان الولد فهو ملك للام والا لم يكن لها ان تاخذ عليه اجرا وفيه على ان حق الرضاع والنفقة على الازواج
في حق الاولاد وأتمروا بينكم بمعروف اي ليقبل بعضكم من بعضكم اذا امره بالمعروف وقيل يتراضى الاب والام على اجر مسمى
والخطاب للزوجين جميعا يامرهم ان ياتوا بالمعروف وما هو الاحسن ولا يقصد الضرار وقيل المعروف هنا ان لا ينقص
الرجل في حق المراة ونفقتها ولا المراة في حق الولد ورضاعه وان تعاسرتم اي في حق الولد واجرة الرضاع فابى الزوج ان
يعطي المراة اجرة رضاعها وابت الام ان ترضعه فليس له اكراهها على ارضاعه بل يستاجر للصبي مرضعا غير امه وذلك
قوله فسترضع له اخرى لينفق اي على قدر غناه ومن قدر اي ضيق عليه رزقه فكان بمقدار القوت فلينفق مما آتاه الله ذو سعة من سعته
اي على قدر ما آتاه الله من المال لا يكلف الله نفسا اي في النفقة الا ما آتاها يعني من المال والمعنى لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني
في النفقة سيجعل الله بعد عسر يسرا اي بعد ضيق وشدة غنى وسعة قوله تعالى وكاين من قرية عتت اي عصت وطغت
والمراد اهل القرية عن امر ربها ورسله اي وامر رسله فحاسبناها حسابا شديدا اي بالمناقشة والاستقصا وقيل حاسبناها
بعملها في الكفر فجازاها النار وهو قوله وعذبناها عذابا نكرا اي منكرا فظيعا وفيه تقديم وتاخير مجازها فعذبناها في
الدنيا بالجوع والقحط والسيف وسائر انواع البلاء وحاسبناها في الاخرة حسابا شديدا فذاقت وبال امرها اي شدة
امرها وجزا كفرها وكان عاقبة امرها خسرا اي خسرانا في الدنيا والاخرة اعد الله لهم عذابا شديدا يخوف كفار مكة ان ينزل
بهم ما نزل بالامم الماضية فاتقوا الله يا اولي الالباب اي يا ذوي العقول ثم نعتهم فقال الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا يعني القرآن
رسولا اي وارسل اليكم رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات قرئ مبينات بالخفض اي يتبين الحلال من الحرام والامر والنهي
وقرئ بالنصب ومعناه انها واضحات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور اي من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن ظلمة
الجهل الى نور العلم ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا
يعني الجنة التي لا ينقطع نعيمها وقيل يرزقه الله طاعة في الدنيا وثوابا في الاخرة الله الذي خلق سبع سموات يعني بعضها
فوق بعض ومن الارض مثلهن اي في العدد يتنزل الامر بينهن اي الوحي الذي خلقهن من السما العليا الى الارض السفلى
وقيل هو ما يدبر فيهن من عجايب تدبيره ينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار وبالصيف وبالشتا ويخلق
الحيوان على اختلاف هيأتها وينقلها من حال الى حال فيحكم بحياة بعض وموت بعض وسلامة هذا وهلاك هذا وقيل
في كل سما من سماياته وارض من ارضه خلق من خلقه وامر من امره وقضا من قضايه لتعلموا ان الله على كل شي قدير وان
الله قد احاط بكل شي علما يعني انه سبحانه وتعالى عالم بكل شي لا يخفى عليه خافية وانه قادر على الانشا بعد الافنا وكل الكاينات
تحت قدرته داخلة في علمه والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة التحريم مدنية وهي ثنتا عشرة اية
وماتيان وسبع واربعون كلمة والف وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها النبي لم تحرم ما احل
الله لك تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم ذكر سبب نزولها عن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحب العسل والحلوى وكان اذا انصرف من العصر دخل على نسايه فيدنو من احداهن فدخل على حفصة بنت
عمر فاحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس فغرت فسالت عن ذلك فقيل لي اهدت لها امراة من قومها عكة من عسل
فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت اما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة اذا دخل عليك فانه
سيدنو منك فقولي له يا رسول الله اكلت مغافير فانه سيقول لا فقولي له ما هذه الريح التي اجد وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يشتد عليه ان يوجد منه الريح فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي جرست نحلة

العرفط

العرفط وسأقول ذلك وقولي انت يا صفية ذلك فلما دخل على سودة قالت تقول سودة والله الذي لا اله الا هو لقد
كدت ان ابادئه بالذي قلت وانه لعلى الباب فرقا منك فلما دنا منها قالت له سودة يا رسول الله اكلت مغافير قال لا قالت
فما هذه الريح التي اجد منك قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحلة العرفط فلما دخل علي قلت له مثل ذلك
فلما دخل على حفصة قالت له يا رسول الله الا اسقيك منه قال لا حاجة لي فيه قالت تقول سودة سبحان الله لقد
حرمناه قال قلت لها اسكتي ق عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش
فيشرب عندها عسلا فتواطيت انا وحفصة ان ايتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل اني اجد منك ريح مغافير
اكلت مغافير فدخل على احديهما فقالت له ذلك فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن اعود فنزلت يا ايها النبي
لم تحرم ما احل الله لك الى قوله ان تتوبا الى الله لعايشة وحفصة واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا لقوله بل شربت
عسلا ولن اعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك احدا زاد في رواية تبتغي مرضات ازواجك شرح غريب الفاظ الحديثين
وما يتعلق بهما قولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوا والعسل الحلوا بالمد وهو كل شي حلو وذكر العسل
بعدها وان كان داخلا في جملة الحلوا تنبيها على شرفه ومرتبته وهو من باب ذكر الخاص بعد العام قولها في الحديث الثاني
فتواطيت انا وحفصة هكذا وقع في الرواية واصله فتواطات بالهمز اي اتفقت انا وحفصة قولها اني لاجد منك ريح
مغافير وهو بغين معجمة وفا بعدها يا وواو وهو صمغ حلو كالناطف وله رايحة كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط بضم
العين المهملة والفا يكون بالحجاز وقيل العرفط نبات له ورق عريض يفترش على الارض له شوكة وثمرة خبيثة الرايحة
وقال اهل اللغة العرفط من شجر العضاه وهو كل شجر له شوك وقيل رايحته كرايحة النبيذ وكان النبي صلى الله عليه
وسلم يكره ان يوجد منه رايحة كريهة قولها جرست نحلة العرفط فصار منه العسل قولها في الحديث الثاني
فقال شربت عسلا عند زينب بنت جحش وفي الحديث الاول ان الشرب كان عند حفصة بنت عمر بن الخطاب وان
عايشة وسودة وصفية هن اللواتي تظاهرن عليه قال القاضي عياض والصحيح الاول قال النسائي اسناد حديث
حجاج بن محمد عن ابن جريج صحيح جيد غاية وقال الاصيلي حديث حجاج اصح وهو اولى بظاهر كتاب الله واكمل فايدة يريد قوله
تعالى وان تظاهرا عليه فهما ثنتان لا ثلاثة وانهما عايشة وحفصة كما اعترف به عمر في حديث ابن عباس وسياتي الحديث
قال وقد انقلبت الاسما على الراوي في الرواية الاخرى يعني الحديث الاول الذي فيه الشرب كان عند حفصة قال القاضي
عياض والصواب ان شرب العسل كان عند زينب بنت جحش ذكره الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم وكذا ذكره القرطبي
ايضا وقال المفسرون في سبب النزول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسايه فلما كان يوم حفصة استاذنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في زيارة ابيها فاذن لها فلما خرجت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جاريته
مارية القبطية فادخلها بيت حفصة وخلا بها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال ما يبكيك قالت انما اذنت لي من اجل
هذا ادخلت امتك بيتي ووقعت عليها في يومي على فراشي اما رايت لي حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامراة منهن فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس هي جاريتي احلها الله لي اسكتي فهي علي حرام التمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امراة
منهن فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عايشة فقالت الا ابشرك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه امته مارية وقد اراحنا الله منها واخبرت عايشة بما رات وكانتا متصافيتين متظاهرتين
على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فغضبت عايشة فلم يزل نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف ان لا يقربها عن انس بن
مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له امة يطاها فلم تزل به عايشة وحفصة حتى حرمها على نفسه
فانزل الله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الى آخر الآية اخرجه النسائي قال العلما الصحيح غير صحيح قال النسائي اسناد عايشة

Copyright © King Saud University

في العسل جيد صحيح غاية واما التفسير فقوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك اي من العسل او ملك اليمين على اختلاف الرواية فيه وهذا التحريم تحريم امتناع عن الانتفاع بها او بالعسل لا تحريم اعتقاد بكونه حراما بعد ما احله الله فالنبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن الانتفاع بذلك مع اعتقاده ان ذلك حلال تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم اي تطلب رضاهن بترك ما احل الله لك والله غفور رحيم اي غفر لك التحريم قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اي بين واوجب لكم تحليل ايمانكم بالكفارة وهو ما ذكر في سورة المائدة فامر الله ان يكفر عن يمينه ويراجع امته فاعتق رقبة والله مولاكم اي وليكم وناصركم وهو العليم اي بخلقه الحكيم اي فيما فرض من حكمه

فصل اختلف العلماء في لفظ التحريم فقيل ليس هو بيمين فان قال لزوجته انت علي حرام او قال حرمتك فان نوى طلاقا فهو طلاق وان نوى ظهارا فظهار وان نوى تحريم ذاتها او اطلق فعليه كفارة اليمين وان قال ذلك لطعام حرمته على نفسي فلا شيء عليه وهذا قول ابي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة والتابعين واليه ذهب الشافعي وان لم ينو شيئا ففيه قولان للشافعي احدهما انه يلزمه كفارة يمين والثاني لا شيء عليه وانه لغو لا يترتب عليه شيء من الاحكام وذهب جماعة الى انه يمين فان قال ذلك لزوجته او جاريته فلا يجب عليه الكفارة ما لم يقربها كما لو حلف ان لا يطأها وان حرم طعاما فهو كما لو حلف ان لا ياكله فلا كفارة عليه ما لم ياكله واليه ذهب ابو حنيفة واصحابه ق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا حرم الرجل امراته فهي يمين يكفرها وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وفي رواية اذا حرم امراته ليس بشيء وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لفظ الحميدي قوله تعالى واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا يعني ما اسر الى حفصة من تحريم مارية على نفسه واستكتمها ذلك وهو قوله لا تخبري بذلك وقال ابن عباس اسر امر الخلافة بعده فحدثت به حفصة قال الكلبي اسر اليها ان اباك وابا عائشة يكونان خليفتين على امتي من بعدي وقيل لما راى الغيرة في وجه حفصة اراد ان يترضاها فاسر اليها بشيئين بتحريم مارية على نفسه وان الخلافة بعده في ابي بكر وابيها عمر فلما نبات به اي اخبرت بذلك حفصة عائشة واظهره الله عليه اي اطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على قول حفصة لعائشة عرف بعضه قرئ بتخفيف الراء اي عرف بعض الذي فعلته حفصة فغضب بافشاء سره وجازاها عليه بان طلقها فلما بلغ عمر ذلك قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء جبريل عليه السلام وامره بمراجعتها وقيل لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة وانما هم بطلاقها فاتاه جبريل فقال لا تطلقها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك في الجنة وقرئ عرف بالتشديد ومعناه عرف حفصة بعض الحديث واخبرها ببعض ما كان منها واعرض عن بعض اي لم يعرفها اياه ولم يخبرها به قال الحسن ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض والمعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر حفصة ببعض ما اخبرت به عائشة وهو تحريم الامة واعرض عن ذكر الخلافة لانه صلى الله عليه وسلم كره ان ينتشر ذلك في الناس فلما نباها به اي اخبر حفصة بما اظهره الله عليه قالت يعني حفصة من انباك هذا اي من اخبرك باني افشيت السر قال نباني العليم اي بما تكنه الضمائر الخبير بخفيات الامور قوله عز وجل ان تتوبا الى الله يخاطب عائشة وحفصة اي من التعاون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والايذاء له فقد صغت قلوبكما اي زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما ان تتوبا وذلك بان سرهما ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اجتناب مارية ق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لم ازل حريصا على ان اسال عمر بن الخطاب عن المراتين من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم عن المراتين اللتين قال الله عز وجل ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما حتى حج عمر وحججت معه فلما كان عمر ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة فتبرز ثم اتى فسكبت على يديه فتوضا فقلت يا امير المؤمنين من المراتان من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فقال عمر واعجبا لك يا ابن العباس قال الزهري كره والله ما ساله عنه ولم يكتمه قال هما عائشة وحفصة ثم اخذ يسوق الحديث قال كنا معشر قريش قوما نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا

يتعلمن

يتعلمن من نسائهم قال وكان منزلي في بني امية بن زيد بالعوالي فغضبت يوما على امراتي فاذا هي تراجعني فانكرت ان تراجعني فقالت ما تنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت اتراجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم فقلت اتهجره احداكن اليوم الى الليل قالت نعم قلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسرت افتامن احداكن ان يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيئا واسأليني ما بدا لك ولا يغرنك ان كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يريد عائشة وكان لي جار من الانصار فكنا نتناوب النزول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فينزل يوما وانزل يوما فياتيني بخبر الوحي واتيه بمثل ذلك وكنا نتحدث ان غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي الانصاري يوما من نوبته ثم اتاني عشاء فضرب بابي ثم نادى فخرجت اليه فقال حدث امر عظيم قلت ماذا اجاءت غسان قال لا بل اعظم منه واهول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه قلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت اظن هذا يوشك ان يكون حتى اذا صليت الصبح شددت علي ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت اطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا ادري ها هو ذا معتزل في هذه المشربة فاتيت غلاما له اسود فقلت استاذن لعمر فدخل ثم خرج الي فقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى اتيت المنبر فاذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست قليلا ثم غلبني ما اجد فاتيت الغلام فقلت استاذن لعمر فدخل ثم خرج الي فقال قد ذكرتك له فصمت فوليت مدبرا فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل فقد اذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد اثر في جنبه فقلت اطلقت يا رسول الله نساءك فرفع راسه الي فقال لا فقلت الله اكبر لقد رايتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فغضبت على امراتي يوما فاذا هي تراجعني فانكرت ان تراجعني فقالت ما تنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر افتامن احداهن ان يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد دخلت على حفصة فقلت لا يغرنك ان كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فتبسم اخرى فقلت استانس يا رسول الله قال نعم فجلست فرفعت راسي في البيت فوالله ما رايت فيه شيئا يرد البصر الا اهبة ثلاثة فقلت يا رسول الله وكان اقسم ان لا يدخل عليهن شهرا من اجل ذلك الحديث حين افشته حفصة الى عائشة من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله تعالى قال الزهري فاخبرني عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا بي فقلت يا رسول الله انك اقسمت ان لا تدخل علينا شهرا وانك دخلت في تسع وعشرين ليلة اعدهن وفي رواية وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة ثم قال يا عائشة اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان لا تعجلي حتى تستامري ابويك ثم قال يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها حتى بلغ الى قوله عظيما قالت عائشة قد علم والله ان ابوي لم يكونا ليامراني بفراقه فقلت افي هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الآخرة زاد في رواية ان عائشة قالت لا تخبر نساءك اني اخترتك فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ارسلني مبلغا ولم يرسلني متعنتا ولمسلم عن ابن عباس عن عمر نحوه وفيه قال دخلت عليه فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من شان النساء فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وابو بكر والمؤمنون معك وقل ما تكلمت واحمد الله بكلام الا رجوت ان يكون الله يصدق قولي الذي اقول ونزلت هذه الآية عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير وفيه انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخبر الناس انه لم

Copyright © King Saud University

يطلق نساءه فاذن له وانه قام على باب المسجد فنادى باعلى صوته لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه شرح بعض
الفاظه قوله فعدلت معه بالاداوة فمكث معه بالركوة فتبرز اى الى البراز وهو الفضاء من الارض لقضاء الحاجة
العوالي جمع عالية وهي اماكن باعلى اراضي المدينة قوله ولا يغرنك ان كانت جارتك يريد بها الضرة وهي عائشة اوسم
منك اى اكثر حسنا وجمالا منك قوله وكنا نتناوب النزول هو ان يفعله الانسان مرة ويفعله الاخر بعد المشربة
بضم الراء وفتحها الغرفة قوله فاذا هو متكي على رمال حصير يقال رملت الحصير اذا ظفرته ونسجته والمراد به انه لم
يكن على السرير وطاء سوى الحصير قوله ما رايت فيه ما يرد البصر الا اهبة ثلاث الاهبة والاهب جمع اهاب وهو
الجلد قوله تعالى وان تظاهرا عليه اى تتعاونا على ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم فان الله هو مولاه اى وليه وناصره
وجبريل اى وجبريل وليه وناصره ايضا وانما افرده وان كان داخلا في جملة الملائكة تعظيما له وتنبيها على علو منزلته
ومكانته وصالح المؤمنين روى عن ابن مسعود وابي بن كعب صالح المؤمنين ابو بكر وعمر وقيل هم المخلصون من المؤمنين
الذين ليسوا بمنافقين وقيل هم الانبياء والملائكة بعد ذلك اى بعد نصر الله وجبريل وصالح المؤمنين ظهير اى اعوان للنبي
صلى الله عليه وسلم ينصرونه عسى ربه اى واجب من الله ان طلقكن يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبدله ازواجا
خيرا منكن ثم وصف الازواج اللواتي كان يزوجه بهن فقال مسلمات اى خاضعات لله بالطاعة مؤمنات اى مصدقات
بتوحيد الله تعالى تائبات اى تاركات الذنوب لغيرها عابدات اى كثيرات العبادة سائحات اى صائمات وقيل
مهاجرات وقيل يسحن معه حيث ساح ثيبات جمع ثيب وهي التي تزوجت ثم بانت بوجه من الوجوه وابكارا اى عذارى
جمع بكر وهذا من باب الاخبار عن القدرة لا عن الكون لانه قال ان طلقكن وقد علم انه لا يطلقهن فاخبر عن قدرته
انه ان طلقهن ابدله خيرا منهن تخويفا لهن قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم قال ابن عباس بالانتهاء عما
نهاكم الله عنه والعمل بطاعته واهليكم نارا يعني مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وادبوهم تقوهم بذلك وقودها
الناس والحجارة يعني الكبريت لانها اشد الاشياء حرا واسرع ايقادا عليها ملائكة يعني خزنة النار يعني الزبانية
غلاظ اى فظاظ على اهل النار شداد يعني اقوياء يدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين الفا في النار لم يخلق الله الرحمة
فيهم لا يعصون الله ما امرهم اى لا يخالفون الله فيما امرهم به ونهاهم عنه ويفعلون ما يؤمرون اى لا تاخذهم رافة
في تنفيذ اوامره والانتقام من اعداء الله يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم اى يقال لهم لا تعتذروا اليوم وذلك حين
يعاينوا النار وشدتها لانه قد قدم اليهم الانذار في الاعذار فلا ينفعهم الاعتذار لانه غير مقبول بعد دخول النار
انما تجزون ما كنتم تعملون يعني انا عملكم السيئة الزمتكم العذاب قوله تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا
ذات نصح اى تنصح صاحبها بترك العود من الذنب الذي تاب منه قال عمر بن الخطاب وابي بن كعب ومعاذ
التوبة النصوح ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع وقال الحسن هي ان يكون العبد
نادما على ما مضى مجمعا على ان لا يعود اليه وقال الكلبي ان يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك
بالبدن وقال سعيد بن المسيب معناه توبة تنصحون بها انفسكم وقال محمد بن كعب القرظي التوبة
النصوح يجمعها اربعة اشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان والاضمار بترك العود بالجنان
ومهاجرة سيء الاخوان

فصل قالت العلماء التوبة واجبة من كل ذنب على الفور ولا يجوز تاخيرها
سواء كانت المعصية صغيرة او كبيرة فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا يتعلق بحق ادمي فلها
ثلاثة شروط ان يقلع عن المعصية والثاني ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم على ان لا يعود اليها فاذا
اجتمعت هذه الشروط في التوبة كانت نصوحا وان فقد شرط منها لم تصح توبته فان كانت المعصية تتعلق
بحق ادمي فشروطها اربعة هذه الثلاثة المتقدمة والرابع ان يبرا من حق صاحبها فان كانت المعصية مالا

ويخرج

ويخرج رده الى صاحبه وان كان حد قذف ونحوه مكنه من نفسه او طلب عفوه وان كانت غيبة استحله منها
ويجب ان يتوب العبد من جميع الذنوب فان تاب من بعضها صحت توبته من ذلك الذنب وبقي عليه ما لم يتب منه
هذا مذهب اهل السنة وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة م عن الاغر
ابن يسار المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب في اليوم مائة مرة
خ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله واتوب اليه
في اليوم اكثر من سبعين مرة ق عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله افرح بتوبة
عبده من احدكم سقط على بعيره وقد اضله في ارض فلاة الحديث م عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع
الشمس من مغربها عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد
ما لم يغرغر اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم هذا اطماع من الله تعالى
لعباده في قبول التوبة وذلك تفضلا وتكرما لا وجوبا عليه ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي
والذين امنوا معه اى لا يعذبهم بدخول النار نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يعني على الصراط يقولون ربنا يعني اذا طفئ
نور المنافقين اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم
جهنم وبئس المصير تقدم تفسيره قوله تعالى ضرب الله مثلا اى بين شبه وحال للذين كفروا امراة نوح واسمها واعلة
وامراة لوط واسمها واهلة وقيل اسمها والعة وواهلة كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين وهما نوح ولوط عليهما
السلام وقوله من عبادنا اضافة تشريف وتعظيم فخانتاهما قال ابن عباس ما بغت امراة نبي قط وانما كانت خيانتهما
انهما كانتا على غير دينهما وكانت امراة نوح تقول للناس انه مجنون واذا امن به احد اخبرت به الجبابرة من قوم نوح
واما امراة لوط كانت تدل قومها على اضيافه فاذا نزل به ضيف بالليل اوقدت النار واذا نزل به بالنهار دخنت لتعلم
قومها انه قد نزل به ضيف وقيل انهما اسرتا النفاق واظهرتا الايمان فلم يغنيا عنهما من الله شيئا اى لم يدفعا عن امراتيهما
مع نبوتهما عذاب الله وقيل ادخلا النار مع الداخلين وهذا مثل ضربه الله تعالى للصالحين والصالحات من النساء وانه لا ينفع
العاصي طاعة غيره ولا يضر المطيع معصية غيره وان كانت القرابة متصلة بينهم وان القريب كالاجانب بل ابعد وان
كان القريب الذي يتصل به الكافر نبيا كامراة نوح وامراة لوط لما خانتاهما لم يغن هذان الرسولان عن امراتيهما شيئا
فقطع بهذه الاية طمع من يرتكب المعصية وانه ينفعه صلاح غيره وفي هذا المثل تعريض بامي المؤمنين عائشة وحفصة
وما فرط منهما وتحذير لهما على اغلظ وجه واشده ثم ضرب مثلا اخر يتضمن ان معصية الغير لا تضر اذا كان مطيعا وان
وصلة الكافر لا تضر فقال تعالى وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون يعني اسية بنت مزاحم قال المفسرون لما غلب موسى السحرة
امنت به فلما تبين لفرعون اسلامها اوتد يديها ورجليها باربعة اوتاد والقاها في الشمس فاذا انصرفوا عنها اظلتها الملائكة
اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فكشف الله لها عن بيتها في الجنة وقيل ان فرعون امر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما اتوها
بالصخرة قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة من درة بيضاء وانتزع روحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح
فيه ولم تجد الما وقيل رفع الله امراة فرعون الى الجنة فهي تاكل وتشرب فيها ونجني من فرعون وعمله يعني وشركه وقال ابن
عباس عمله يعني جماعه ونجني من القوم الظالمين يعني الكافرين ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها اى عن الفواحش
المحصنة العفيفة فنفخنا فيه اى في جيب درعها ولذلك ذكر الكناية من روحنا اضافة تمليك وتشريف كبيت الله
وناقة الله وصدقت بكلمات ربها يعني الشرائع التي شرعها الله لعباده بكلماته المنزلة على انبيائه وكتبه يعني الكتب
المنزلة على ابراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم السلام وكانت من القانتين يعني كانت من القوم القانتين اى المطيعين

Copyright © King Saud University

وهم رهط بها عشيرتها لانهم كانوا اهل بيت صلاح وطاعة الله عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسية امراة
فرعون اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه **تفسير تبارك الذي بيده الملك**
وهي مكية وهي ثلثون اية وثلثمائة وثلاثون كلمة والف وثلثمائة وثلاثة عشر حرفا عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان من القران سورة ثلاثون اية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن ولابي داود نحوه وفيه تشفع لصاحبها عن انس قال ضرب بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو
لا يحسب انه قبر فاذا هو قبر انسان يقرا سورة تبارك حتى ختمها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائي
على قبر انسان وانا لا احسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرا سورة تبارك حتى ختمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي
المنجية تنجيه من عذاب القبر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **تبارك الذي بيده الملك**
اي له الامر والنهي والسلطان فيعز من يشاء ويذل من يشاء **وهو على كل شيء قدير** اي من الممكنات **الذي خلق الموت والحياة** قيل اراد موت
الانسان وحياته في الدنيا جعل الله الدنيا دار حياة وفناء وجعل الاخرة دار جزاء وبقاء وانما قدم الموت لانه اقرب الى قهر الانسان
وقيل قدمه لانه اقدم وذلك لان الاشياء كانت في الابتداء في حكم الموت كالتراب والنطفة والعلقة ونحو ذلك ثم اعترضت عليها
الحياة وقال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش املح لا يمر بشيء ولا يجد ريحه شيء الا مات وخلقت الحياة على صورة فرس بلقاء
وهي التي كان جبريل والانبياء يركبونها لا تمر بشيء ولا يجد ريحها شيء الا حيي وهي التي اخذ السامري قبضة من اثرها فالقاها في العجل
فخار وحيي وقيل ان الموت صفة وجودية مضادة للحياة وقيل الموت عبارة عن زوال القوة الحيوانية وابانة الروح عن
الجسد وضد الحياة وهي القوة الحساسة مع وجود الروح في الجسد وبه سمي الحيوان حيوانا وقيل ان الموت نعمة لانه الفاصل
بين حال التكليف في هذه الدار وحال المجازاة في دار القرار والحياة ايضا نعمة اذ لولاها لم يتنعم احد في الدنيا ولم يصل الى الثواب
في الاخرة **ليبلوكم** اي فيختبركم فيما بين الحياة الى الموت **ايكم احسن عملا** روي عن ابن عمر مرفوعا احسن عملا احسن عقلا واورع عن محارم
الله واسرع في طاعته وقال الفضيل بن عياض احسن عملا اخلصه واصوبه وقال ايضا العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا
فالخالص اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة وقيل ايكم ازهد في الدنيا **وهو العزيز** اي الغالب المنتقم ممن عصاه **الغفور** اي
لمن تاب عليه ورجع عن اساءته قوله تعالى **الذي خلق سبع سموات طباقا** اي طبقا على طبق بعضها فوق بعض كل سماء مقببة على الاخرى
وسماء الدنيا كالقبة على الارض قال كعب الاحبار سماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة
صفر وقيل نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وما بين السماء الى الحجب السبعة صحارى من
نور **ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت** اي ما ترى يا ابن ادم فيما خلق الرحمن من اعوجاج واختلاف وتناقض بل خلقهن مستقيمة
مستوية **فارجع البصر** اي كرر النظر **هل ترى من فطور** اي شقوق وصدوع **ثم ارجع البصر كرتين** قال ابن عباس مرة بعد مرة
ينقلب اي ينصرف **اليك البصر خاسئا** اي صاغرا ذليلا مبعدا لم ير ما يهوى **وهو حسير** اي كليل منقطع لم يدرك **ولقد**
زينا السماء الدنيا اي الدنيا من الارض وهي التي يراها الناس **بمصابيح** اي بكواكب كالمصابيح في الاضاءة وهي اعلام الكواكب وقال
ابن عباس بنجوم لها نور وقيل خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ورجوما للشياطين
وهو قوله تعالى **وجعلناها رجوما للشياطين** قال ابن عباس يرجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع **فان قلت**
جعل الكواكب زينة للسماء يقتضي بقاءها وجعلها رجوما للشياطين يقتضي زوالها فكيف الجمع بين هاتين الحالتين
قلت قالوا انه ليس المراد انهم يرمون باجرام الكواكب بل يجوز ان ينفصل من الكواكب شعل نور يرمى بها الشياطين
تلك الشعلة وهي الشهب ومثله كمثل قبس يؤخذ من النار وهي على حالها **واعتدنا لهم** اي واعتدنا للشياطين بعد
الاحراق في الدنيا **عذاب السعير** اي في الاخرة وهي النار الموقدة **وللذين كفروا بربهم** اي ليس ذلك العذاب مختصا بالشياطين

بل

بل لكل من كفر بالله من انس وجن **عذاب جهنم وبئس المصير** وصفهم فقال تعالى **اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا** هو اول صوت نهيق
الحمار وذلك اقبح الاصوات **وهي تفور** اي تغلي بهم كغلي المرجل وقيل تفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحب القليل **تكاد تميز** اي تتقطع
من الغيظ اي من تغيظها عليهم **كلما القي فيها فوج** اي جماعة **سالهم خزنتها** يعني سؤال توبيخ وتقريع **الم ياتكم نذير** اي رسول
ينذركم **قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا** يعني للرسول **ما نزل الله من شيء** وهذا اعتراف منهم بان الله ازاح عللهم ببعثة الرسل
ولكنهم كذبوا وقالوا ما نزل الله من شيء **ان انتم الا في ضلال كبير** فيه وجهان احدهما ومعناه الظاهر انه من جملة قول الكفار للرسل
والثاني يحتمل ان يكون من كلام الخزنة للكفار والمعنى لقد كنتم في الدنيا في ضلال كبير **وقالوا لو كنا نسمع** اي من الرسل ما جاؤوا
به **او نعقل** اي نفهم منهم قال ابن عباس لو كنا نسمع الهدى ونعقله فنعمل به **ما كنا في اصحاب السعير** وقيل معناه لو كنا نسمع
سمع من يعي ونعقل عقل من يميز وينظر ونتفكر ما كنا في اصحاب السعير **فاعترفوا بذنبهم** هو في معنى الجمع اي بتكذيبهم
الرسل وقولهم ما نزل الله من شيء **فسحقا** اي فبعدا **لاصحاب السعير** قوله عز وجل **ان الذين يخشون ربهم بالغيب** اي يخافون ربهم
ولم يروه فيؤمنوا به خوفا من عذابه **لهم مغفرة** اي لذنوبهم **واجر كبير** يعني جزاء اعمالهم الصالحة **واسروا قولكم او اجهروا به** قال
ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوا فقال بعضهم لبعض
اسروا قولكم كي لا يسمع اله محمد فاخبره الله انه لا يخفى عليه خافية فقال تعالى **انه عليم بذات الصدور** ثم اكد ذلك بقوله تعالى
الا يعلم من خلق يعني الا يعلم من خلق مخلوقه وقيل الا يعلم الله من خلق والمعنى الا يعلم ما في صدور من خلق **وهو**
اللطيف اي باستخراج ما في الصدور **الخبير** بما فيها من السر والوسوسة قوله تعالى **هو الذي جعل لكم الارض ذلولا** الذلول المنقاد
من كل شيء والمعنى جعلها لكم سهلة لا يمتنع المشي فيها بحزونتها وغلظها **فامشوا في مناكبها** اي امر اباحة وكذا قوله **وكلوا من رزقه**
ومناكبها جوانبها واطرافها ونواحيها وقيل طرقها وفجاجها وقال ابن عباس جبالها والمعنى هو الذي سهل لكم السلوك في
جبالها وهو ابلغ التذليل وكلوا من رزقه اي مما خلقه الله لكم في الارض **واليه النشور** اي واليه تبعثون من قبوركم ثم خوف
كفار مكة فقال تعالى **اامنتم من في السماء** قال ابن عباس يعني عقاب من في السماء ان عصيتموه **ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور** اي
تتحرك باهلها وقيل تهوي بهم والمعنى ان الله تعالى يحرك الارض عند الخسف بهم حتى يقلبهم الى اسفل ويعلو الارض
عليهم وتمور فوقهم اي تجيء وتذهب **ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا** يعني ريحا ذات حجارة كما فعل بقوم لوط **فستعلمون**
اي عند الموت في الاخرة **كيف نذير** اي انذاري اذا عاينتم العذاب **ولقد كذب الذين من قبلهم** اي من قبل كفار مكة وهم الامم
الخالية **فكيف كان نكير** اي انكاري عليهم اليس وجدوا العذاب حقا قوله عز وجل **اولم يروا الى الطير فوقهم صافات** اي باسطات
اجنحتهم في الجو عند طيرانها **ويقبضن** اي ويضممن اجنحتهن اذا ضربن بها جنوبهن عند البسط **ما يمسكهن** اي حال القبض
والبسط **الا الرحمن** والمعنى ان الطير مع ثقلها وضخامة جسمها لم يكن بقاؤها وثبوتها في الجو الا بامساك الله اياها
وحفظه لها **انه بكل شيء بصير** يعني انه تعالى لا يخفى عليه خافية **امن هذا الذي هو جند لكم** استفهام انكار اي لا جند
لكم **ينصركم** اي يمنعكم **من دون الرحمن** اي من عذاب الله قال ابن عباس اي ينصركم مني ان اردت عذابكم **ان الكافرون الا**
في غرور من الشيطان يغرهم بان العذاب لا ينزل بهم **امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه** يعني من ذا الذي يرزقكم المطر ان
امسكه الله عنكم **بل لجوا** اي تمادوا **في عتو** اي تعتو وتكبر **ونفور** اي تباعد عن الحق ثم ضرب مثلا للمؤمن والكافر فقال تعالى
افمن يمشي مكبا على وجهه اي راكبا راسه في الضلالة والجهالة اعمى القلب والعين لا يبصر يمينا ولا شمالا وهو الكافر اكب على الكفر
والمعاصي في الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيامة **اهدى** اي هو اهدى **امن يمشي سويا** اي قائما معتدلا يبصر الطريق
على صراط مستقيم يعني المؤمن يمشي يوم القيامة سويا **قل هو الذي انشاكم** اي خلقكم **وجعل لكم السمع والابصار والافئدة** يعني انه تعالى
ركب فيكم هذه القوى لكنكم ضيعتموها فلم تقبلوا ما سمعتموه ولا اعتبرتم بما ابصرتموه ولا تاملتم ما عقلتموه فكانكم
ضيعتم هذه النعم فاستعملتموها في غير ما خلقتم له فلهذا قال **قليلا ما تشكرون** وذلك لان شكر نعم الله صرفها في وجه مرضاته

فكانكم ما تشكرون رب هذه النعم الواهب لها قل هو الذي ذرأكم اي خلقكم وبثكم في الارض واليه تحشرون اي يوم القيامة
والمعنى ان القادر على الابتداء قادر على الاعادة ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين هذا سوال يحتمل وجهين احدهما انه
سوال عن نزول العذاب بهم والثاني انه سوال عن يوم القيمة فاجاب الله عن ذلك بقوله قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين امره
باضافة العلم الى الله تعالى وتبليغ ما اوحي اليه فلما راوه يعني العذاب في الاخرة على قول اكثر المفسرين وقيل يعني العذاب
ببدر زلفة اي قريبا سيئت وجوه الذين كفروا اي اسودت وعلاها الكابة والمعنى قبحت وجوههم بالسواد وقيل لهم
اي وقالت لهم الخزنة هذا الذي كنتم به تدعون من الدعاء اي تتمنون وتطلبون ان يعجله لكم وقيل من الدعوى اي تدعون
انه باطل قل يا محمد لمشركي مكة الذين يتمنون هلاكك قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي اي من المومنين او رحمنا اي ابقانا واخر
اجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اي انه واقع بهم لا محالة وقيل في معنى الاية قل ارايتم ان اهلكني الله اي فعذبني ومن
معي او رحمنا اي فغفر لنا فنحن مع ايماننا خائفون وان يهلكنا بذنوبنا الا ان حكمه نافذ فينا فمن يجيركم ويمنعكم من عذاب اليم
وانتم كافرون وهذا قول ابن عباس قل اي قل لهم في انكارك عليهم وتوبيخك لهم هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا اي نحن امنا به وعبدناه
وانتم كفرتم به فستعلمون اي عند معاينة العذاب من هو في ضلال مبين اي نحن ام انتم وهذا تهديد لهم ثم ذكرهم ببعض نعمه عليهم
على طريق الاحتجاج فقال تعالى قل ارايتم ان اصبح ماوكم قيل يريد زمزم وقيل غيرها من المياه غورا اي غائرا ذاهبا في الارض
لا تناله الايدي ولا الدلاء فمن ياتيكم بماء معين اي ظاهر تراه العيون وتناله الايدي والدلاء وقال ابن عباس معين اي جار
والمقصود من الاية ان يجعلهم مقرين ببعض نعمه عليهم ويريهم قبح ما هم عليه من الكفر والمعنى اخبروني ان صار ماوكم
ذاهبا في الارض فمن ياتيكم بماء معين فلا بد ان يقولوا هو الله تعالى فيقال لهم حينئذ فلم تجعلون له من لا يقدر على
شيء اصلا شريكا له في العبودية فهذا محال تفسير سورة ن والقلم مكية وهي اثنان وخمسون اية وثلثمائة كلمة
والف ومائتان وستة وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ن قال ابن عباس هو الحوت الذي على
ظهره الارض وعنه ان اول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيمة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك
النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال فان الجبال لتفخر على الارض ثم قرا ن والقلم وما يسطرون قيل اسم النون يهموت
وقيل ليوثا وعن علي بلهوت قال اصحاب السير والاخبار لما خلق الله الارض وفتقها سبع ارضين بعث من تحت العرش ملكا
فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله تعالى من الفردوس ثورا
له اربعون الف قرن واربعون الف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فاخذ الله ياقوتة خضراء
من اعلى درج الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة سنة فوضعها بين سنام الثور الى اذنه فاستقرت عليها قدما الملك وقرون
ذلك الثور خارجة من اقطار الارض ومنخاره في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه
جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور قرار فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع ارضين فاستقرت قوائم الثور
عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه فتكن في صخرة فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم
فوضع الصخرة على ظهره وساير جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة فثقل الدنيا بما عليها
حرفان قال لها الجبار سبحانه وتعالى ونزه وتقدس كوني فكانت قال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذي على
ظهره الارض فوسوس اليه فقال له اتدري ما على ظهرك يا لوثيا من الامم والدواب والشجر والدواب لو نفضتهم لالقيتهم
عن ظهرك فهم لوثيا ان يفعل ذلك فبعث الله دابة فدخلت منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله منها فاذن لها فخرجت
قال كعب الاحبار والذي نفسي بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشيء من ذلك عادت كما كانت وعن ابن عباس ايضا ان
نون هو الدواة ومنه قول الشاعر • اذا ما الشوق برح بي اليهم • القت النون بالدمع السجام • اراد بالنون الدواة وعن
ابن عباس ايضا ان نون حرف من حروف الرحمن وقيل هو مفتاح اسمه نصير وناصر وقيل هو اسم للسورة

والقلم

والقلم هو القلم الذي كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والارض ويقال اول ما خلق الله القلم نظر اليه فانشق نصفين
ثم قال اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وانما يجري الناس على امر قد فرغ منه وما يسطرون اي وما يكتب
الحفظة من اعمال بني ادم وقيل ان حملنا القلم على ذلك القلم المعين فيحتمل ان يكون المراد وما يسطرون به في اللوح المحفوظ ويكون الجمع
وما يسطرون للتعظيم لا للجمع ما انت يا محمد بنعمة ربك هذا جواب القسم اقسم بنون والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة
ربك بمجنون وهو رد لقولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون والمعنى انك لا تكون مجنونا وقد انعم الله عليك بالنبوة
والحكمة فنفى عنه الجنون وقيل ما انت بمجنون والنعمة لربك وهو كما يقال ما انت بمجنون والحمد لله وقيل ان نعمة الله كانت ظاهرة
عليه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والاخلاق الحميدة والبراءة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة
واذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة ووجودها ينافي حصول الجنون فنبه الله تعالى بهذه الاية على كونهم كاذبين في
قولهم انك لمجنون وان لك لاجرا غير ممنون اي غير منقوص ولا مقطوع ومنه قول لبيد • عبس كواسب ما يمن طعامها • اي
ما ينقطع يصف بذلك كلابا ضارية وقيل في معنى الاية انه غير مكدر عليك بسبب المنة والقول هو الاول ومعناه
انك على احتمالك الطعن وصبرك على هذا القول القبيح وافترائهم عليك اجرا عظيما دائما لا ينقطع وقيل ان لك على
اظهار النبوة وتبليغ الرسالة ودعاء الخلق الى الله تعالى والصبر على ذلك وبيان الشرايع لهم اجرا عظيما فلا يمنعهم نسبتهم
اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا الامر العظيم الذي قد حملته ثم وصفه بما يخالف حال المجنون فقال تعالى وانك لعلى خلق
عظيم وهذا كالتفسير لقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون لان الاخلاق الحميدة والافعال المرضية كانت ظاهرة عليه ومن
كان كذلك لم يجز اضافة الجنون اليه ولما كانت اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملة وافعاله الجميلة وافرة وصفها
الله تعالى بانها عظيمة وحقيقة الخلق قوى نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة والاداب المرضية
فيصير ذلك كالخلقة في صاحبه ويدخل في حسن الخلق التحرز من الشح والبخل والتشديد في المعاملات ويستعمل في حسن
الخلق التحبب الى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الادب والمعاشرة بالمعروف مع الاقارب والاجانب والتساهل
في جميع الامور والتسامح بما يلزم من الحقوق وترك التقاطع والتهاجر واحتمال الاذى من الاعلى والادنى مع طلاقة الوجه
وادامة البشر فهذه الخصال تجمع جميع محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ولقد كان جميع ذلك في رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولهذا وصفه الله تعالى بقوله وانك لعلى خلق عظيم وقال ابن عباس معناه على دين عظيم لا دين احب الي ولا ارضى
عندي منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو اداب القران سيلت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
كان خلقه القران وقال قتادة هو ما كان ياتمر به من امر الله وينتهي عنه من نهي الله تعالى والمعنى وانك لعلى الخلق الذي
امرك الله به في القران وقيل سمى الله خلقه عظيما لانه امتثل تاديب الله اياه بقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين **فصل** في فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك
روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال عن النواس
ابن سمعان قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المومن ليدرك بحسن خلقه درجة القائم اخرجه ابو
داود وعنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اكمل الناس ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن عن ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من شيء اثقل
في ميزان المومن يوم القيامة من خلق حسن وان الله تعالى يبغض الفاحش البذي اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح وله عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من احبكم الي واقربكم

Copyright © King Saud University

من مجلسا يوم القيامة احسنكم اخلاقا ق عن البراء رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس اخلاقا
واحسنهم خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول خياركم احسنكم اخلاقا ق عن انس رضي الله عنه قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم
عشر سنين والله ما قال لي اف قط ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا زاد الترمذي وكان من احسن الناس خلقا
وما مسست خزا ولا حريرا ولا شيا كان الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان
اطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم خ عنه قال كانت الامة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتنطلق به حيث شاءت زاد في رواية وتجيبه اذا دعي وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقبله
الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو يصرفه ولم ير مقدما
ركبتيه بين يدي جليس له اخرجه الترمذي ق عن عايشة رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه
في شيء قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم زاد مسلم عنها ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا قط بيده ولا امراة ولا
خادما الا ان يجاهد في سبيل الله تعالى ق عن انس قال كنت امشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ
الحاشية فادركه اعرابي فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اثرت بها حاشية البرد من
شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك وامر له بعطا
ق عنه رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها وخلقا وكان لي اخ يقال له ابا عمير
وكان فطيم كان اذا جاءنا قال يا ابا عمير ما فعل النغير لنغير كان يلعب به النغير طاير صغير يشبه العصفور الا انه احمر
المنقار م عن الاسود قال سيلت عايشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل في بيته قالت كان يكون في مهنة
اهله فاذا حضرت الصلاة يتوضا ويخرج الى الصلاة المهنة الخدمة عن عبد الله بن الحرث بن جزء قال ما رايت اكثر
تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي قوله تعالى فستبصر يا محمد ويبصرون يعني اهل مكة اذا نزل بهم
العذاب بايكم المفتون قال ابن عباس بايكم المجنون في فريقك او في فريقهم وقيل المفتون الذي هو الشيطان الذي فتن بالجنون
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين معناه انهم رموه بالجنون والضلال ووصفوا انفسهم بالعقل والهدى
فاعلم الله تعالى انه العالم بالفريقين الضال والمهتدي والمجنون والعاقل فلا تطع المكذبين يعني مشركي مكة وذلك انهم دعوه
الى دين ابايه فنهاه الله ان يطيعهم ودوا لو تدهن فيدهنون اصل الادهان اللين والمقاربة والمصانعة في الكلام وقيل
ادهن الرجل في دينه وداهن في امره اذا خان فيه واظهر خلاف ما ابطن ومعنى الاية انهم تمنوا لو تترك بعض ما انت عليه
مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض ما لا ترضى به فتلين لهم ويلينون لك وقيل معناه ودوا
لو تكفر فيكفرون وهو ان تعبد الهتهم مدة ويعبدون الله مدة ولا تطع كل حلاف اي كثير الحلف بالباطل مهين اي ضعيف
حقير وقيل هو من المهانة وهو قلة الراي والتمييز وقال ابن عباس كذاب وهو قريب من الاول لان الانسان انما يكذب
لمهانة نفسه عليه قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو الاسود بن عبد يغوث وقيل هو الاخنس بن شريق هماز اي مغتاب
ياكل لحوم الناس بالطعن وقيل هو الذي يغمز باخيه في المجلس مشاء بنميم اي قتات يسعى بالنميمة ليفسد بين الناس مناع
للخير اي بخيل بالمال وقال ابن عباس مناع للخير اي يمنع ولده وعشيرته عن الاسلام يقول لين دخل واحد منكم في دين محمد
لا انفعه بشيء ابدا معتد اي ظلوم يتعدى الحق اثيم اي فاجر يتعاطى الاثم عتل اي غليظ جاف وقيل هو الفاحش السيء الخلق
وقيل هو الشديد في الخصومة بالباطل وقيل هو الشديد وكزه وقيل العتل الاكول الشروب القوي الشديد لا يزن في
الميزان شعيرة يدفع الملك من اولئك سبعون الفا في النار دفعة واحدة بعد ذلك زنيم اي مع ما وصفناه به من الصفات المذمومة

رسول الله صلى الله عليه وسلم

زنيم

زنيم وهو الدعي الملصق في القوم وليس منهم قيل انما ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة وقيل الزنيم هو الذي له زنمة كزنمة الشاة
وقال ابن عباس في هذه الاية نعت من لا يعرف حتى قيل زنيم فعرف وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها وعنه ايضا قال يعرف
بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها قال ابن قتيبة لا نعرف ان الله وصف احدا ولا ذكر من عيوبه مثل ما ذكر من عيوب الوليد
ابن المغيرة فالحق به عارا لا يفارقه في الدنيا ولا في الاخرة ان كان ذا مال وبنين قرئ على الخبر ومعناه فلا تطع كل حلاف
مهين لان كان ذا المال وبنين اي لا تطعه لماله وبنيه وقرئ ان كان ذا مال وبنين بالاستفهام الا ان
كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين اي جعل مجازاة النعم التي خولها من المال والبنين الكفر باياتنا وقيل
لان كان ذا مال وبنين تطيعه ثم اوعده فقال تعالى سنسمه على الخرطوم اي على الانف والمعنى نسود وجهه
فنجعل له علما في الاخرة وهو سواد الوجه فعبر بالانف عن الوجه وقال ابن عباس سنسمه بالسيف وفعل ذلك
به يوم بدر وقيل معناه سنلحق به شينا لا يفارقه اي سنسمه ميسم سوء يريد نلصق به عارا لا يفارقه
كما ان السمة لا تمحى ولا تنتفي اثرها وقد الحق الله به ما ذكر من عيوبه عارا لا يفارقه في الدنيا والاخرة كالوسم على
الخرطوم الذي لا يخفى قط وقيل معناه سنكويه على وجهه قوله تعالى انا بلوناهم اي اختبرنا اهل مكة بالقحط
والجوع كما بلونا اصحاب الجنة روي عن ابن عباس في قوله تعالى انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة قال بستان باليمن يقال
له الضروان دون صنعاء بفرسخين يطاه اهل الطريق وكان غرسه قوم من اهل الصلاة وكان لرجل فمات فورثه
ثلاث بنين له وكان يكون للمساكين اذا صرموا نخلهم كل شيء تعداه المنجل فلم يجزه اذا طرح من فوق النخل الى البساط
فكل شيء يخرج من المنجل الى البساط فهو ايضا للمساكين واذا حصد وازرعهم فكل شيء تعداه المنجل فهو للمساكين واذا
داسوه كان لهم كل شيء ينتثر ايضا فلما مات الاب وورثه بنوه هذه الاخوة الثلاثة قالوا والله ان المال لقليل
وان العيال لكثير وانما كان هذا الامر يفعل لما كان المال كثيرا والعيال قليلا فاما اذا قل المال وكثر العيال
فانا لا نستطيع ان نفعل فتحالفوا بينهم يوما ليغدون غدوة قبل خروج الناس فليصرمن نخلهم فذلك قوله
تعالى اذ اقسموا اي حلفوا ليصرمنها اي ليقطعن ثمرها مصبحين اي اذا اصبحوا قبل ان يخرج اليهم المساكين وقبل ان
يعلم بها المساكين ولا يستثنون شيا للمساكين من ثمر جنتهم فطاف عليها طايف من ربك اي عذاب من ربك ولا يكون الطايف
الا بالليل وهو قوله تعالى وهم نايمون وكان ذلك الطايف نارا نزلت من السما فاحرقتها وهو قوله تعالى فاصبحت
كالصريم اي كالليل الاسود المظلم وقيل اي صرم منها الخير فليس فيها شيء ينتفع به وقال ابن عباس كالرماد الاسود
وهو بلغة خزيمة فتنادوا اي فنادى بعضهم بعضا مصبحين يعني لما اصبحوا ان اغدوا على حرثكم يعني الثمار والزرع
والاعناب ان كنتم صارمين اي قاطعين ثماركم فانطلقوا اي مشوا اليها وهم يتخافتون اي يتسارون يقول بعضهم لبعض سرا
ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد اي على قصد ومنع وغضب وقيل معناه على جد وجهد وقيل على امر
مجتمع قد اسسوه بينهم وقيل على حنق وغضب وقيل معناه من المساكين وقال ابن عباس على قدرة قادرين اي عند
انفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول بينهم وبينها احد فلما راوها اي راوا الجنة محترقة قالوا انا لضالون اي لمخطئون
الطريق اضللنا عن مكان جنتنا وليس هذه بجنتنا بل نحن محرومون اي قال بعضهم قد حرمنا خيرها ونفعها بمنعنا
المساكين وتركنا الاستثنا قال اوسطهم اي اعدلهم واعقلهم وافضلهم الم اقل لكم لولا تسبحون اي هلا تستثنون
انكر عليهم ترك الاستثنا في قولهم ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون سماه تسبيحا لانه تعظيم لله واقرار بانه لا يقدر
احد على شيء الا بمشيته وعلى التفسير الثاني ان الاستثنا بمعنى لا يتركون شيا للمساكين من ثمر جنتهم يكون معنى
لولا تسبحون اي تتوبون وتستغفرون الله من ذنوبكم وتفريطكم ومنعكم حق المساكين وقيل كان استثناوهم
سبحان الله وقيل هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما اعطاكم من نعمه قالوا سبحان ربنا معناه انهم نزهوه عن

Copyright © King Saud University

عن الظلم فيما فعلوا واقروا على انفسهم بالظلم فقالوا انا كنا ظالمين اي بمنعنا المساكين حقوقهم فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون
اي يلوم بعضهم بعضا قالوا يا ويلنا دعوا على انفسهم بالويل انا كنا طاغين اي في منعنا حق الفقراء والمساكين وقيل
معناه طغينا نعم الله فلم نشكرها ولم نصنع ما كان يصنع اباؤنا من قبل ثم رجعوا الى انفسهم فقالوا عسى ربنا ان يبدلنا
خيرا منها انا الى ربنا راغبون قال ابن مسعود بلغني ان القوم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها
الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا قال الله تعالى كذلك العذاب اي كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا
وخالف امرنا يخوف بذلك كفار مكة ثم قال الله تعالى ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون ثم اخبر بما اعد الله للمتقين فقال تعالى
ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم اي عند ربهم في الاخرة ولما نزلت هذه الاية قال المشركون انا نعطى في الاخرة افضل مما تعطون
فقال الله تعالى تكذيبا للمشركين افنجعل المسلمين كالمجرمين يعني ان التسوية بين المسلم والمجرم غير جائز فكيف يكونوا افضل
او يعطى افضل منه ولما قال تعالى ذلك على سبيل الاستبعاد والانكار قال لهم على طريق الالتفات ما لكم كيف تحكمون يعني
هذا الحكم المعوج ام لكم كتاب اي نزل من عند الله فيه اي في ذلك الكتاب تدرسون اي تقرؤون ان لكم فيه اي في ذلك الكتاب
لما تخيرون اي تختارون وتشتهون ام لكم ايمان علينا بالغة معناه الكم عهود ومواثيق موكدة عاهدناكم عليها فاستوثقتم
بها منا الى يوم القيامة اي لا ينقطع تلك الايمان والعهود الى يوم القيامة ان لكم اي في ذلك العهد لما تحكمون اي لانفسكم
من الخير والكرامة عند الله ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم سلهم ايهم بذلك زعيم اي ايهم كفيل لهم بان لهم في الاخرة
ما للمسلمين ام لهم شركاء اي بل لهم شركاء يعني ما كانوا يجعلون لله شركاء وانما اضاف الشركاء اليهم لانهم هم جعلوها شركاء لله وقيل
معنى شركاء شهداء يشهدون لهم بصدق ما دعوه فلياتوا بشركائهم ان كانوا صادقين اي ودعواهم يوم اي فلياتوا بشركائهم في ذلك
لتنفعهم وتشفع لهم يوم يكشف عن ساق اي عن امر فظيع شديد قال ابن عباس هو اشد ساعة في القيامة تقول العرب للرجل اذا
وقع في امر عظيم فظيع يحتاج فيه الى الجد ومقاساة الشدة شمر عن ساقك اذا قام في ذلك الامر ويقال اذا اشتد الامر في الحرب
كشفت الحرب عن ساق وسئل ابن عباس عن هذه الاية فقال اذا خفي عليكم شيء من القران فابتغوه في الشعر فانه ديوان العرب
اما سمعتم قول الشاعر • سن لنا قومك ضرب الاعناق • وقامت الحرب على ساق • ثم قال ابن عباس هو يوم كرب
وشدة وانشد اهل اللغة ابياتا في هذا المعنى فمنها ما انشده ابو عبيدة لقيس بن زهير اذا شمرت عن ساقها حربها
وبيع فلا انشام ومنها قول جرير الا رب ساه الطرف من ال مازن • اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا • وقد كثر مثل
هذا في كلام العرب حتى صار كالمثل للامر العظيم الشديد ق عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان ناسا في زمن النبي صلى الله عليه
وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة
صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون
في رؤية الله يوم القيامة الا كما تضارون في رؤية احدهما اذا كان يوم القيامة اذن موذن لتتبع كل امة ما كانت
تعبد فلا يبقى احد كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد
الله من بر وفاجر وغبر اهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال
كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى
النار كانها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار ثم يدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد
المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا
فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى جهنم كانها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من
كان يعبد الله من بر وفاجر اتاهم الله في ادنى صورة من التي راوه فيها قال فماذا تنتظرون تتبع كل امة ما كانت تعبد قالوا
يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا افقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله لا نشرك بالله شيئا

مرتين

مرتين او ثلاثا حتى ان بعضهم ليكاد ان ينقلب فيقول هل بينكم وبينه اية تعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن
ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا اذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره
طبقة واحدة كلما اراد ان يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي راوه فيها اول مرة فقال انا ربكم
فيقولون انت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قالوا يا رسول الله وما الجسر قال دحض
مزلة فيها خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المومنون كطرف العين وكالبرق
وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس في نار جهنم حتى اذا خلص المومنون
من النار فوالذي نفسي بيده ما من احد منكم باشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المومنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين
في النار فيقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون
خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا فيقال ارجعوا فمن وجدتم
في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن امرتنا احدا ثم يقال ارجعوا فمن
وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا وكان ابو سعيد يقول ان لم
تصدقوني بهذا الحديث فاقروا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما
فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المومنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار
فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة
في حميل السيل الا ترونها ما يكون الى الحجر او الى الشجر ما يكون الى الشمس اصيفر واخيضر وما يكون منها الى الظل يكون ابيض
قال فيخرجون كاللولو في رقابهم الخواتيم يعرفهم اهل الجنة هولاء عتقاء الله الذين ادخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه
ثم يقول ادخلوا الجنة فما رايتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول لكم عندي افضل من هذا فيقولون
ربنا اي شيء افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم ابدا لفظ مسلم وللبخاري نحوه بمعناه **فصل** في شرح غريب
الفاظ الحديث وما يتعلق به اما الروية وما يتعلق بها فسياتي الكلام عليها في موضعها ان شاء الله تعالى قوله لم يبق الا من
كان يعبد الله من بر وفاجر اتاهم الله في ادنى صورة راوه فيها وفي رواية فياتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول
انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فياتيهم في صورته التي يعرفون فيقول
انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله وغيره اعلم ان هذا الحديث من اكبر احاديث
الصفات واعظمها وللعلماء فيه وفي امثاله قولان احدهما وهو معظم السلف او كلهم انه لا يتكلم في معناها بل يقولون يجب
علينا ان نومن بها ونعتقد ان لها معنى يليق بجلال الله تعالى مع اعتقادنا الجازم ان الله تعالى ليس كمثله شيء وانه منزه
عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوق وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين واختاره
جماعة من محققيهم وهو اسلم وقال الخطابي هذا الحديث تهيب القول فيه شيوخنا فاجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا
عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقف عن تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب والقول الثاني وهو معظم
مذهب المتكلمين انها تاول على ما يليق بها على حسب موقعها وانما يسوغ تاويلها لمن كان من اهله فعلى هذا المذهب يقال
في قوله صلى الله عليه وسلم فياتيهم الله ان الاتيان عبارة عن رويتهم اياه لان العادة ان من غاب عن غيره لا يمكنه رويته
الا بالاتيان فعبر بالاتيان والمجيء هنا عن الروية مجازا وقيل الاتيان فعل من افعال الله تعالى سماه اتيانا وقيل
ياتيهم الله في بعض ملائكته قال القاضي عياض وهذا الوجه اشبه عندي بالحديث قال ويكون هذا الملك هو الذي جاءهم
في الصورة التي انكروها من سمات الحدث الظاهرة على الملك والمخلوق قال او يكون معناه ياتيهم الله في صورة اي
بصورة ويظهر لهم من صور ملائكته ومخلوقاته التي لا تشبه صفات الاله ليختبرهم وهذا اخر امتحان المومنين فاذا

Copyright © King Saud University

قال لهم هذا الملك او هذه الصورة انا ربكم رأوا عليه علامة من علامات المخلوقات مما ينكرونه ويعلمون انه ليس
ربهم فيستعيذون بالله منه واما قوله صلى الله عليه وسلم فياتيهم الله في صورته التي يعرفون فالمراد بالصورة هنا
الصفة ومعناه فيتجلى الله تعالى لهم في الصفة التي يعلمونها ويعرفونه بها وانما عرفوه بصفته وان لم يكن تقدمت لهم رؤية
له سبحانه وتعالى لانهم على الصفة يرونه لا يشبه شيا من مخلوقاته فيعلمون بذلك انه ربهم فيقولون انت ربنا
وانما عبر عن الصفة بالصورة لمشابهتها اياه وللمجانسة الكلام فانه تقدم ذكر الصورة وقوله في حديث ابي سعيد
اتاهم الله في ادنى صورة من التي رأوه فيها معنى رأوه فيها اي علموه وهي صفته المعلومة للمومنين وهو انه لا يشبهه
شي وقوله نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيا استعاذوا منه لما قلناه من كونهم رأوا سمات المخلوقين قوله
فيكشف عن ساق وفي رواية للبخاري يكشف ربنا عن ساقه ذكر هذه الرواية البيهقي في كتاب الاسما والصفات
قال ابو سليمان الخطابي يحتمل ان يكون معنى قوله يكشف ربنا عن ساقه اي عن قدرته التي تكشف عن الشدة وضبط
يكشف بفتح اليا وضمها وقد تقدم تفسير كشف الساق وقيل المراد بالساق في هذا الحديث نور عظيم وورد ذلك
في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما روي عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه في قوله يوم يكشف عن ساق
قال نور عظيم يخرون له سجدا انفرد به بن جناح عن مولى عمر بن عبد العزيز وهو شامي ياتي باحاديث منكرة لا يتابع روح
عليها ومولى عمر بن عبد العزيز كثيرون ففي اسناده مجهول ايضا وقال ابن فورك ومعنى ذلك هو ما يتجدد للمومنين
عند رؤية الله تعالى من الفوايد والالطاف قال القاضي وقيل يكون الساق علامة بينه وبين المومنين من
ظهور جماعة من الملايكة على خلقة عظيمة وقد يكون ساقا مخلوقة جعلها الله علامة للمومنين خارجة عن الساق
المعتادة وقيل معناه كشف الحزن وازالة الرعب عنهم وما كان غلب على عقولهم من الاهوال فتطمين حينيذ نفوسهم
عند ذلك ويتجلى لهم فيخرون سجدا قال الخطابي وهذه الروية في هذا المقام يوم القيامة غير الروية التي هي في الجنة
لكرامة اوليا الله وانما هذه الروية امتحان لعباده وقوله فلا يبقى من كان يسجد لله تعالى من تلقا نفسه الا
اذن له في السجود وقوله ولا يبقى من كان يسجد اتقاء وريا الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كالصفيحة اي فقارة
واحدة كالصفيحة فلا يقدر على السجود وقوله ثم يرفعون روسهم وقد زال المانع لهم فيقولون انت ربنا وقوله
ثم يضرب الجسر على جهنم بفتح الجيم وكسرها لغتان وهو الصراط وتحل الشفاعة بكسر الحا وقيل بضمها اي تحل ومعناه
وتقع الشفاعة ويوذن فيها قوله دحض مزلة اي تزلق فيه الاقدام ولا تثبت قوله فيه خطاطيف جمع خطاف وهو
الذي يخطف الشي وكلاليب جمع كلوب وهو الحديدة التي يتعلق بها اللحم والحسك الذي يقال له السعدان نبت له شوك عظيم لسر
من كل جانب قوله فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس في نار جهنم معناه انهم ثلاثة اقسام قسم يسلم فلا يناله شي اصلا
وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص وقسم يكردس اي يلقى ويسقط في جهنم وهذا اثبات الصراط وهو مذهب اهل السنة واهل الحق
وهو جسر جعل على متن جهنم وهو ادق من الشعر واحد من السيف فيمر عليه الناس كلهم فالمومنون ينجون على حسب منازلهم
واعمالهم والاخرون يسقطون في جهنم اعاذنا الله منها ومعنى مناشدة المومنين الله يوم القيمة في الشفاعة لاخوانهم
الذين في النار وقوله فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير ومثقال نصف دينار من خير ومثقال ذرة قال القاضي
عياض قيل معنى الخير اليقين قال والصحيح ان معناه شي زايد على مجرد الايمان لان الايمان الذي هو التصديق لا يتجزى
وانما يكون هذا التجزي لشي زايد عليه من عمل صالح او ذكر خفي او عمل من اعمال القلب من شفقة على مسكين او خوف من الله تعالى
او نية صادقة ومثقال الذرة مثل لاقل الخير لان ذلك اقل المقادير وقول المومنين لم نذر فيها خيرا اي صاحب
خير وقوله تعالى شفعت الملايكة بفتح الفا وشفع النبيون وشفع المومنون ولم يبق الا ارحم الراحمين
فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط هولاهم الذين معهم مجرد الايمان فقط

ولم

ولم يعملوا خيرا قط وتفرد الله بعلم ما تكنه القلوب فالرحمة لمن ليس عنده الا مجرد الايمان فقط ومعنى قبض
قبضة اي جمع جماعة قوله قد عادوا حمما اي صاروا فحما قوله فيلقيهم في نهر من افواه الجنة جمع فوهة وهي
اول النهر قوله فيخرجون كاللولو اي من الصفا في رقابهم الخواتيم قيل معناه ان يعلق في رقابهم اشيا من
ذهب او غير ذلك مما يعرفون بها والله اعلم قوله تعالى **ويدعون الى السجود فلا يستطيعون** السجود يعني الكفار
والمنافقين تصير اصلابهم كصياصي البقر او كصفيحة نحاس فلا يستطيعون السجود **خاشعة ابصارهم ترهقهم**
ذلة وذلك ان المومنين يرفعون روسهم من السجود ووجوههم اشد بياضا من الثلج وقد علاها النور والبها وتسود
وجوه الكفار والمنافقين ويغشاهم ذل وخسران وندامة **وقد كانوا يدعون الى السجود** يعني في دار الدنيا كانوا يدعون
الى الصلاة المكتوبة بالاذان والاقامة وذلك انهم كانوا يسمعون حي على الصلاة حي على الفلاح فلا يجيبون **وهم**
سالمون يعني انهم كانوا يدعون الى الصلاة وهم اصحا فلا ياتونها قال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الاية الا في الذين
يتخلفون عن الجماعة قوله عز وجل **فذرني ومن يكذب بهذا الحديث** اي دعني والمكذبين بالقران وخل بيني وبينهم
ولا تشغل قلبك بهم وكلهم الي فاني اكفيك امرهم **سنستدرجهم** اي سناخذهم بالعذاب **من حيث لا يعلمون** فعذبوا
يوم بدر بالقتل والاسر وقيل معنى الاية كلما اذنبوا ذنبا جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار والتوبة وهذا هو
الاستدراج لانهم يحسبونه تفضيلا لهم على المومنين وهي في الحقيقة سبب هلاكهم فعلى العبد المسلم قوله
اذا تجددت عنده نعمة ان يقابلها بالشكر واذا اذنب ذنبا ان يعالجه بالاستغفار والتوبة **واملي لهم** اي امهلهم
واطيل لهم المدة وقيل معناه امهلهم الى الموت فلا اعاجلهم **ان كيدي متين** اي عذابي شديد وقيل الكيد
ضرب من الاحتيال فيكون بمعنى الاستدراج المودي الى العذاب **ام تسالهم اجرا** اي على تبليغ الرسالة
فهم من مغرم مثقلون المغرم الغرامة والمعنى اطلب منهم اجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في اموالهم فيثبطهم
ذلك عن الايمان **ام عندهم الغيب فهم يكتبون** اي عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه **ولا تكن** في الضجر
والعجلة **كصاحب الحوت** يعني يونس بن متى **اذ نادى** ربه اي في بطن الحوت **وهو مكظوم** اي مملوء غما
لولا ان تداركه نعمة من ربه اي حين رحمه وتاب عليه **لنبذ بالعرا** اي لطرح بالفضا من بطن الحوت على الارض
وهو مذموم اي يذم ويلام بالذنب وقيل في معنى الاية لولا نعمة ربه لبقي في بطن الحوت الى يوم القيامة
يوم نبذ بالعرا الفيحة اي بارضها وفضايها **فان قلت** هل يدل قوله وهو مذموم على كونه
كان فاعلا للذنب **قلت** الجواب عنه من ثلاثة اوجه احدها ان كلمة لولا دلت على انه لم
يحصل منه ما يوجب الذم الثاني لعل المراد منه ترك الافضل فان حسنات الابرار سيات المقربين
الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة يدل عليه قوله تعالى **فاجتباه ربه** والفا للتعقيب اي اصطفاه
ورد عليه الوحي وشفعه في قومه **فجعله من الصالحين** اي من النبيين قوله تعالى **وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم**
وذلك ان الكفار ارادوا ان يصيبوا النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فنظرت قريش اليه وقالوا ما راينا مثله ولا
مثل حججه وقيل كانت العين في بني اسد حتى اذا كانت الناقة والبقرة لتمر باحدهم فيعاينها ثم يقول يا جارية
خذي المكتل والدرهم فاتينا بلحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر وقيل كان رجل من العرب يمكث
لا ياكل يومين او ثلاثة ثم يرفع جانب خبايه فتمر به الابل فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من
هذه فما تذهب الا قليلا حتى يسقط منها عدة فسال الكفار هذا الرجل ان يصيب رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالعين ويفعل به مثل ذلك فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وانزل وان يكاد الذين كفروا
ليزلقونك بابصارهم قال ابن عباس معناه ينفذونك وقيل يصيبونك بعيونهم كما يصيب العاين بعينه

ضد ما يحكمون به وهو استفهام على سبيل
الانكار **واصبر لحكم ربك** اي اصبر على
اذاهم لقضا ربك فقيل انه منسوخ
باية السيف ح

Copyright © King Saud University

مايجيه وقيل يصرعونك وقيل يصرفونك عما انت عليه من تبليغ الرسالة وانما اراد انهم ينظرون اليك اذا قرات
القران نظرا شديدا بالعداوة والبغضا يكاد يسقط ومنه قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني ويكاد ياكلني
يدل على صحة هذا المعنى انه قرن هذا النظر بسماع القران وهو قوله لما سمعوا الذكر لانهم كانوا يكرهون
ذلك اشد الكراهية يحدون النظر اليه بالبغضا ويقولون انه لمجنون اي ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه
يقرا القران قال الله تعالى ردا عليهم وما هو يعني القران الا ذكر للعالمين قال ابن عباس موعظة للمومنين
قال الحسن دوا من اصابة العين ان يقرا الانسان هذه الاية ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ونهى عن الوشم م عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
العين حق ولو كان شي سابق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغتسلوا عن عبيد الله بن رفاعة الزرقي
ان اسما بنت عميس قالت يا رسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين افاسترقي لهم قال نعم ولو كان شي سابق القدر
لسبقته العين اخرجه الترمذي قوله العين حق اخذ بظاهر هذا الحديث جماهير العلما وقالوا العين حق
وانكره طوايف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس مخالفا في نفسه ولا يودي الى قلب حقيقة
ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول واذا اخبر الشارع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه ومذهب
اهل السنة ان العين انما تفسد عند مقابلة هذا الشخص الذي هو العاين لشخص اخر فيوثر فيه بقدرة الله تعالى
وسبق بها علمه ولا يقع ضرر العين وغيره من الخير والشر الا بقدرة الله وفيه صحة اثر العين وانها قوية الضرر اذا
وافقها القدر والله سبحانه وتعالى اعلم تفسير سورة الحاقة مكية وهي اثنتان وخمسون اية
ومايتان وست وخمسون كلمة والف واربعة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحاقة يعني القيمة
سميت حاقة من الحق الثابت يعني انها ثابتة الوقوع لا ريب فيها وقيل لان فيها تحق الامور فتعرف على الحقيقة
وفيها يحق الجزا على الاعمال اي يجب وقيل الحاقة النازلة التي حقت ولا كاذبة لها وقيل الحاقة هي التي تحق على القوم
اي تقع بهم ما الحاقة استفهام ومعناه التفخيم لشانها وتهويل لها والمعنى اي شي هي الحاقة وما ادراك ما الحاقة
اي انك لا تعلمها اذ لم تعاينها وترى ما فيها من الاهوال على انه من العظم والشدة امر لا يبلغه دراية احد ولا فكره وكيف
قدرت حالها فهي اعظم من ذلك كذبت ثمود وعاد بالقارعة قال ابن عباس بالقيامة سميت قارعة لانها تقرع
قلوب العباد بالمخافة وقيل كذبت بالعذاب الذي اوعدهم نبيهم حتى نزل بهم فقرع قلوبهم فاما ثمود فاهلكوا
بالطاغية اي بطغيانهم وكفرهم وقيل الطاغية الصيحة الشديدة المجاوزة الحد في القوة وقيل الطاغية الفرقة
التي عقروا الناقة فاهلكت ثمود بسببهم واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية اي عتت على خزانها فلم
تطعهم ولم يكن لهم عليها سبيل وجاوزت الحد والمقدار فلم يعرفوا لها ما خرج منها وقيل عتت على عاد فلم يقدروا
على دفعها عنهم بقوة ولا حيلة سخرها عليهم اي ارسلها وسلطها عليهم وفيه رد على من قال ان كان سبب
ذلك اتصال الكواكب فنفى هذا المذهب بقوله سخرها عليهم فبين الله تعالى ان ذلك بقضايه وقدره ومشيته
لا لاتصال الكواكب سبع ليال وثمانية ايام قال وهب هي الايام التي تسميها العرب ايام العجوز لانها ايام ذات برد
ورياح شديدة وسميت عجوزا لانها تاتي في عجز الشتا وقيل لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فتبعتها الريح حتى
قتلتها حسوما اي متتابعة دايمة ليس فيها فتور وذلك ان الريح المهلكة تتابعت عليهم في هذه الايام
فلم يكن لها فتور ولا انقطاع حتى اهلكتهم وقيل حسوما شوما وقيل لهذه الايام حسوما لانها تحسم الخير عن اهلها
وقيل الحسم القطع والمعنى انها حسمتهم بعذاب الاستيصال فلم يبق منهم احد فترى القوم فيها اي في تلك الايام
والليالي صرعى اي هلكى جمع صريع قد صرعهم الموت كانهم اعجاز نخل خاوية اي ساقطة وقيل خالية الاجواف شبههم

بجذوع

بجذوع نخل ساقطة ليس لها رؤوس فهل ترى لهم من باقية اي من نفس باقية قيل انهم لما اصبحوا موتى في اليوم
الثامن كما وصفهم الله تعالى اعجاز نخل خاوية حملتهم الريح فالقتهم في البحر فلم يبق منهم احد قوله تعالى وجاء فرعون
ومن قبله قرئ بكسر القاف وفتح الباء اي ومن معه من جنوده واتباعه وقرئ بفتح القاف وسكون الباء اي ومن قبله
من الامم الكافرة والموتفكات يعني قرى قوم لوط والمراد اهل الموتفكات وقيل يريد الامم الذين ايتفكوا بخطيئتهم
وهو قوله بالخاطية اي بالخطيئة والمعصية وهو الشرك فعصوا رسول ربهم قيل يعني موسى بن عمران وقيل
لوطا والاولى ان يقال المراد بالرسول كلاهما لتقدم الخبر عن ذكر الامتين جميعا فاخذهم اخذة رابية يعني نامية
وقال ابن عباس شديدة وقيل زايدة على عذاب الامم انا لما طغى الما اي طغا وعتا وجاوز حده حتى علا على كل شي
وارتفع فوقه وذلك في زمن نوح عليه السلام وهو الطوفان حملناكم في الجارية يعني حملنا اباكم وانتم في اصلابهم
فخاطب الحاضرين في الجارية يعني السفينة التي تجري لنجعلها اي لنجعل تلك الفعلة التي فعلنا من اغراق
قوم نوح ونجاة من حملنا معه لكم تذكرة اي عبرة وموعظة وتعيها اي تحفظها اذن واعية اي حافظة لما جاء من
عند الله وقيل اذن سمعت وعقلت ما سمعت ووعت وقيل لتحفظها كل اذن فتكون عظة وعبرة لمن ياتي
بعد والمراد صاحب الاذن والمعنى ليعتبر ويعمل بالمواعظ قوله عز وجل فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة
يعني النفخة الاولى وحملت الارض والجبال اي رفعت من اماكنها فدكتا دكة واحدة اي كسرتا وفتتا
حتى صارتا هبا منبثا والضمير عايد الى الارض والجبال فعبر عنهما بلفظ الاثنين فيومئذ وقعت
الواقعة اي قامت القيامة وانشقت السما فهي يومئذ واهية اي ضعيفة لتشققها والملك يعني الملايكة
على ارجايها يعني نواحيها واقطارها وهو الذي لم ينشق منها قال الضحاك تكون الملايكة على حافتها حتى يامرهم
الرب فينزلون فيحيطون بالارض ومن عليها ويحمل عرش ربك فوقهم اي فوق رؤسهم يعني الحملة يومئذ اي
يوم القيامة ثمانية يعني ثمانية املاك جا في الحديث انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله
باربعة اخرى فكانوا ثمانية على صورة الاوعال بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سما الى سما الاوعال تيوس الجبل
وروى السدي عن ابي مالك قال ان الصخرة التي تحت الارض السابعة ومنتهى الخلايق على ارجايها يحملها
اربعة من الملايكة لكل واحد منهم اربعة وجوه وجه انسان ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر قيام عليها قد
احاطوا بالسموات ورؤسهم تحت العرش وعن عروة بن الزبير قال حملة العرش منهم من صورته على صورة الانسان
ومنهم من صورته على صورة الاسد وعن ابن عباس قال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن امية
ابن ابي الصلت في شي من الشعر فقال رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للاخرى وليث مرصد فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم صدق عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذن لي ان احدث عن ملايكة الله
من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعماية عام اخرجه ابو داود باسناد صحيح غريب عن العباس
ابن عبد المطلب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنا جلوسا في البطحا في عصابة ورسول الله صلى
الله عليه وسلم فيهم اذ مرت سحابة فنظر اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما اسم هذا قلنا
نعم هذا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعنان قالوا والعنان
ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون كم بعد ما بين السما والارض فقالوا لا والله ما ندري قال
ان بعد ما بينهما اما قال واحدة واما اثنتان واما ثلاث وسبعون سنة وبعد التي فوقها كذلك
وكذلك حتى عدهن سبع سموات كذلك ثم فوق السما السابعة بحر اعلاه واسفله كما بين سما الى سما والله عز
وجل فوق ذلك اخرجه الترمذي وابو داود وزاد في رواية وليس يخفى عليه من اعمال بني ادم شي عن ابن مسعود

Copyright © King Saud University

مابين السماء والارض مسيرة خمس ماية عام وما بين الكرسي والما مسيرة خمس ماية عام والعرش على الما والله على العرش
لا يخفى عليه شي من اعمالكم اخرجه ابو سعيد الدارمي وابن خزيمة وغيرهما موقوفا على ابن مسعود قال ابن خزيمة الخلاف
خبر العباس وابن مسعود في قدر المسافة على اختلاف سير الدواب وعن ابن عباس قال حملة العرش ما بين اخمص
احدهم الى كعبه مسيرة خمس ماية عام ومن ترقوته الى موضع القرط مسيرة خمس ماية عام وعن عبد الله بن عمر قال والذين
يحملون العرش ما بين موق احدهم الى موخر عينيه مسيرة خمس ماية عام وعن شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية
فاربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك
بعد قدرتك وروي عن ابن عباس في قوله يومئذ ثمانية قال ثمانية صفوف من الملايكة لا يعلم عدتهم الا الله عز وجل
يومئذ تعرضون اي على الله تعالى للحساب **لا تخفى منكم خافية** اي فعلة خافية والمعنى انه تعالى عالم باحوالكم
لا يخفى عليه شي منها وانما عرضكم يوم القيامة عليه فعلى سبيل المبالغة في التهديد وقيل معناه لا يخفى منكم يوم القيامة ما كان
مخفيا في الدنيا فانه يظهر احوال الخلايق فالمحسنون يسرون باحسانهم والمسيئون يحزنون باساتهم عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الناس يوم القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال
ومعاذير واما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فاخذ بيمينه واخذ بشماله اخرجه الترمذي وقال
ولا يصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من ابي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن ابي موسى عن النبي
صلى الله عليه وسلم قوله تعالى **فاما من اوتي** اي اعطي **كتابه بيمينه فيقول هاوم** اي تعالوا **اقروا كتابيه** والمعنى
انه لما بلغ الغاية في السرور وعلم انه من الناجين باعطا كتابه بيمينه احب ان يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا له وقيل
يقول ذلك لاهله واقربايه **اني ظننت** اي علمت وايقنت وانما اجري الظن مجرى العلم لان الظن في الغالب يقوم
مقام العلم في العادات والاحكام **اني ملاق حسابيه** اي في الاخرة والمعنى اني كنت في الدنيا استيقن اني احاسب
في الاخرة **فهو في عيشة راضية** اي في حالة من العيش مرضية وذلك بانه لقي الثواب وامن من العقاب **في جنة عالية** رفيعة
قطوفها دانية اي ثمارها قريبة لمن يتناولها ينالها قايما وقاعدا ومضطجعا يقطعونها كيف شاوا **كلوا** اي يقال
لهم كلوا **واشربوا هنيا بما اسلفتم** اي بما قدمتم لاخرتكم من الاعمال الصالحة **في الايام الخالية** اي الماضية يريد ايام الدنيا
واما من اوتي كتابه بشماله قيل تلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها **فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه**
وذلك لما نظر في كتابه وراى قبايح اعماله مثبتة عليه تمنى انه لم يوت كتابه لما حصل له من الخجل والافتضاح **ولم ادر**
ما حسابيه اي لم ادر اي شي حسابي لانه لا طايل ولا حاصل له وانما كله عليه لا له **يا ليتها كانت القاضية** تمنى انه لم يبعث
للحساب والمعنى يا ليت الموتة التي متها في الدنيا كانت القاضية من كل ما بعدها والقاطعة للحياة اي ما احيا بعدها
قال قتادة تمنى الموت ولم يكن عنده شي اكره اليه منه اي من الموت في الدنيا لانه راى تلك الحالة ابشع وامر مما ذاقه من
الموت **ما اغنى عني ماليه** اي لم يدفع عني يساري ومالي من العذاب شيا **هلك عني سلطانيه** اي ضلت عني حجتي التي
كنت احتج بها في الدنيا وقيل ضلت عنه حجته حتى شهدت عليه الجوارح بالشرك وقيل معناه زال عني ملكي وقوتي وتسلطي
على الناس وبقيت ذليلا حقيرا فقيرا **خذوه** اي يقول الله تعالى لخزنة جهنم خذوه **فغلوه** اي اجمعوا يديه الى عنقه **ثم الجحيم**
صلوه اي ادخلوه معظم النار لانه كان يتعاظم في الدنيا **ثم في سلسلة** وهي حلق منتظمة كل حلقة منها في حلقة **ذرعها**
اي مقدارها والذرع التقدير بالذراع من اليد وغيرها **سبعون ذراعا** قال ابن عباس بذراع الملك وقال نوف البكالي
سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع ابعد مما بينك وبين مكة وكان في رحبة الكوفة وقال سفيان كل
ذراع سبعون ذراعا وقال الحسن الله اعلم اي ذراع هو وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو ان رصاصة مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة ارسلت من السما الى الارض وهي مسيرة خمسماية

لبلغت

لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت في راس السلسلة لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ قعرها
او اصلها اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن الرصاصة الحصاة الصغار وقوله مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة الجمجمة
قدح من خشب وجمعه جماجم والجمجمة الراس وهو اشرف الاعضا وقال وهب لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها وقوله
تعالى **فاسلكوه** اي ادخلوه فيها قال ابن عباس تدخل في حلقه وتخرج من دبره **انه كان لا يومن بالله العظيم** اي لا يصدق
بوحدانية الله وعظمته **ولا يحض على طعام المسكين** اي ولا يحث نفسه على اطعام المسكين ولا يامر اهله بذلك وفيه
دليل على تعظيم الجرم في حرمان المساكين لان الله تعالى عطفه على الكفر وجعله قرينه قال الحسن هذه الاية
ادركت اقواما يعزمون على اهليهم ان لا يردوا سايلا وعن بعضهم انه كان يامر اهله بتكثير المرقة لاجل المساكين
ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع النصف الثاني بالاطعام **فليس له اليوم هاهنا حميم** اي ليس
له في الاخرة قريب ينفعه او يشفع له **ولا طعام الا من غسلين** يعني صديد اهل النار ماخوذ من الغسل كانه غسالة
جروحهم وقروحهم وقيل هو شجر ياكله اهل النار **لا ياكله الا الخاطيون** اي الكافرون قوله عز وجل **فلا اقسم** قيل لا صلة
والمعنى اقسم وقيل لا رد لكلام المشركين كانه قال ليس الامر كما يقول المشركون ثم قال تعالى اقسم وقيل لا هاهنا
نافية للقسم على معنى انه لا يحتاج اليه لوضوح الحق فيه كانه قال لا اقسم على ان القران قول رسول كريم
فكانه لوضوحه استغنى عن القسم وقوله **بما تبصرون وما لا تبصرون** يعني بما ترون وتشاهدون وبما لا ترون
وما لا تشاهدون اقسم بالاشيا كلها فيدخل فيه جميع المكونات والموجودات وقيل اقسم بالدنيا والاخرة
وقيل بما تبصرون يعني على ظهر الارض وما لا تبصرون اي ما في بطنها وقيل ما تبصرون يعني الاجسام وما لا
تبصرون يعني الارواح وقيل ما تبصرون يعني الانس وما لا تبصرون يعني الجن وقيل النعم الظاهرة والباطنة وقيل ما تبصرون مما اظهره
الله من مكنون غيبه للملايكة واللوح والقلم وجميع خلقه وما لا تبصرون هو ما استاثر الله بعلمه فلم يطلع عليه
احدا من خلقه ثم ذكر المقسم عليه فقال تعالى **انه** يعني القران **لقول رسول كريم** وهو محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل الرسول هو جبريل عليه السلام فعلى هذا يكون المعنى انه لرسالة رسول كريم والقول الاول اصح لانهم لم
يصفوا جبريل بالشعر والكهانة وانما وصفوا بهما محمدا صلى الله عليه وسلم **فان قلت**
قد توجه هاهنا سوال وهو ان جمهور الامة وهم اهل السنة مجمعون على ان القران كلام الله فكيف يصح اضافته الى
الرسول **قلت** اما اضافته الى الله تعالى لانه هو المتكلم به واما اضافته الى الرسول لانه
هو المبلغ عن الله تعالى ما اوحى اليه ولهذا اكده بقوله تنزيل من رب العالمين لزوال هذا الاشكال قال ابن قتيبة
لم يرد انه قول للرسول المبلغ عن الله تعالى **وما هو بقول شاعر** يعني هذا القران ليس بقول رجل شاعر ولا هو
من ضروب الشعر ولا تركيبه **قليلا ما تومنون** اراد بالقليل ايمانهم اصلا والمعنى انكم لا تصدقون بان
القران من عند الله تعالى **ولا بقول كاهن** اي وليس هو بقول رجل كاهن ولا هو من جنس الكهانة **قليلا ما**
تذكرون يعني لا تتذكرون البتة **تنزيل** اي هو تنزيل يعني القران **من رب العالمين** وذلك انه لما قال انه لقول
رسول كريم اتبعه بقوله تنزيل من رب العالمين لزوال هذا الاشكال قوله تعالى **ولو تقول علينا** اي اختلق
علينا محمد **بعض الاقاويل** يعني واتى بشي من عند نفسه لم نقله نحن ولم نوحه اليه **لاخذنا منه باليمين** اي لاخذناه
وانتقمنا منه باليمين اي بالحق وقال ابن عباس لاخذناه بالقوة والقدرة وقال الشماخ يمدح عرابة • اذا ما راية رفعت
لمجد تلقاها عرابة باليمين • اي بالقوة فعبر عن القوة باليمين لان قوة كل شي في ميامنه والمعنى لاخذنا منه اليمين
اي سلبناه القوة فعلى هذا المعنى الباء زايدة وقيل معنى الاية لاذللناه واهناه كفعل السلطان بمن يريد ان
يهينه يقول لبعض اعوانه خذ بيده فاقمه وانما خص اليمين بالذكر لانه اشرف العضوين **ثم لقطعنا منه**

Copyright © King Saud University

الوتين قال ابن عباس يعني نياط القلب وقيل هو حبل الظهر وقيل هو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه وقيل هو عرق يتصل من القلب بالراس قال ابن قتيبة لم يرد انا نقطعه بعينه بل المراد منه لو كذب علينا لامتناه فكان كمن قطع وتينه والمعنى انه لو كذب علينا وتقول علينا قولا لم نقله لمنعناه من ذلك اما بواسطة اقامة الحجة عليه بان نقيض له من يعارضه ويظهر للناس كذبه فيكون ذلك ابطالا لدعواه واما ان نسلب عنه قوة التكلم بذلك القول الكذب حتى لا يشتبه الصادق بالكاذب واما ان نميته فما منكم من احد عنه حاجزين اى مانعين يحجزنا عن عقوبته والمعنى ان محمدا لا يتكلم الكذب علينا لاجلكم مع علمه انه لو تكلم لعاقبناه ولا يقدر احد على دفع عقوبتنا عنه وانما قال حاجزين بلفظ الجمع وهو فعل واحد ردا على معناه وانه يعني القران وذلك انه لما وصفه انه تنزيل من رب العالمين بواسطة جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم بين ما هو فقال لتذكرة اى لعظة للمتقين اى لمن اتقى عقاب الله وانا لنعلم ان منكم مكذبين فيه وعيد لمن كذب بالقران وانه يعني القران لحسرة على الكافرين يعني يوم القيامة والمعنى انهم يندمون على ترك الايمان به لما يرون من ثواب من امن به وانه لحق اليقين معناه انه حق معين لا بطلان فيه ويقين لا شك ولا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم اى نزه ربك العظيم واشكره على ان جعلك اهلا لايحائه اليك والله اعلم

تفسير سورة المعارج

مكية وهي ثمان واربعون اية ومائتان واربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل سال سايل قرئ بغير همزة وفيه وجهان الاول انه لغة في السؤال والثاني انه من السيل ومعناه اندفع عليهم واد بعذاب وقيل سال واد من اودية جهنم وقرئ سال سايل بالهمز من السوال بعذاب قيل الباء بمعنى عن عذاب واقع اى نازل وكاين وعلى من ينزل ولمن ذلك العذاب فقال الله تعالى مجيبا لذلك السوال للكافرين وذلك ان اهل مكة لما خوفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال بعضهم لبعض من اهل هذا العذاب ولمن هو سلوا عنه محمدا صلى الله عليه وسلم فسالوه فانزل الله تعالى سال سايل بعذاب واقع للكافرين اى هو للكافرين والباء صلة ومعنى الاية وطلب طالب عذابا واقعا للكافرين وهذا السايل هو النضر بن الحرث حيث دعا على نفسه وسال العذاب فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فنزل به ما سال فقتل يوم بدر صبرا وهذا قول ابن عباس ليس له دافع اى ان العذاب واقع بهم لا محالة سوا طلبوه او لم يطلبوه اما في الدنيا بالقتل واما في الاخرة لان العذاب واقع بهم في الاخرة لا يدفعه عنهم دافع من الله اى بعذاب من الله والمعنى ليس لذلك العذاب الصادر من الله للكافرين دافع يدفعه عنهم ذي المعارج قال ابن عباس ذي السموات سماها معارج لان الملائكة تعرج فيها وقيل ذي الدرجات وهي المصاعد التي تعرج الملائكة وقيل ذي الفواضل والنعم وذلك لان افضاله وانعامه مراتب وهي تصل الى الخلق على مراتب مختلفة تعرج الملائكة والروح يعني جبريل عليه السلام وانما افرده بالذكر وان كان من جملة الملائكة لشرفه وفضل منزلته وقيل ان الله تعالى اذا ذكر الملائكة في معرض التخويف والتهويل افرد الروح بالذكر وهذا يقتضي ان الروح اعظم الملائكة اليه اى الى الله عز وجل في يوم كان مقداره خمسين الف سنة اى من سني الدنيا والمعنى انه لو صعد غير الملك من بني ادم من منتهى امر الله تعالى من اسفل الارض السابعة الى منتهى امر الله تعالى من فوق السماء السابعة لما صعد في اقل من خمسين الف سنة والملك يقطع ذلك كله في ساعة واحدة او اقل من ذلك وذكر ان مقدار ما بين الارض السابعة السفلى الى منتهى العرش مسافة خمسين الف سنة وقيل ان هذا اليوم هو يوم القيمة واراد موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس في مقدار خمسين الف سنة من سني الدنيا وليس معناه ان مقدار طول ذلك اليوم خمسين الف سنة دون غيره من الايام

لان

لان يوم القيامة له اول وليس له اخر لانه يوم ممدود لا اخر له ولو كان له اخر كان منقطعا وهذا الطول في حق الكفار دون المومنين قال ابن عباس يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين الف سنة وروى البغوي بسنده عن ابي سعيد الخدري قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كان مقداره خمسين الف سنة فما اطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخفف على المومن حتى يكون عليه اخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا وقال ابن عباس معناه لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه في خمسين الف سنة وقال عطا ويفرغ الله تعالى في مقدار نصف يوم من ايام الدنيا وقال الكلبي يقول الله تعالى لو وليت حساب ذلك اليوم الملائكة والجن والانس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه في مقدار خمسين الف سنة وانا افرغ منه في ساعة من نهار وقال يمان هو يوم القيامة فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة ليس له دافع من الله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وفيه تقديم وتاخير فاصبر اى يا محمد على تكذيبهم اياك صبرا جميلا اى لا جزع فيه وهذا قبل ان يومر بالقتال ثم نسخ باية السيف انهم يرونه اى العذاب بعيدا اى غير كاين ونراه قريبا اى كاينا لا محالة لان كل ما هو ات قريب وقيل الضمير في يرونه يعني البعث يعود الى يوم كان مقداره خمسين الف سنة والمعنى انهم يستبعدونه على جهة الانكار والاحالة ونحن نراه قريبا في قدرتنا غير بعيد علينا فلا يتعذر علينا امكانه يوم تكون السما كالمهل اى كعكر الزيت وقال الحسن كالفضة المذابة وتكون الجبال كالعهن اى الصوف المصبوغ وانما شبه الجبال بالمصبوغ من الصوف لانها ذات الوان احمر واسود وغرابيب سود وحمر ذلك فاذا بست الجبال وسيرت اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح وقيل العهن الصوف الاحمر وهذا اضعف الصوف واول ما يتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم تصير هباء منثورا ولا يسال حميم حميما اى لا يسال قريب قريبه لشغله بشان نفسه والمعنى لا يسال الحميم حميمه كيف حالك ولا يكلمه لهول ذلك اليوم وشدته وقيل لا يساله الاحسان اليه ولا الرفق به كما كان يساله في الدنيا وذلك لشدة الامر وهول يوم القيمة يبصرونهم اى يرونهم وليس في القيامة مخلوق من جن وانس الا وهو نصب عين صاحبه فيبصر الرجل اباه واخاه وقرابته فلا يساله ويبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه وقال ابن عباس يتعارفون ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعد ذلك وقيل يعرف الحميم حميمه ومع ذلك لا يساله عن حاله لشغله بنفسه وقيل يبصرونهم اى يعرفونهم اما المومن فيعرف ببياض وجهه واما الكافر فيعرف بسواد وجهه يود المجرم اى يتمنى المشرك لو يفتدي من عذاب يوميذ اى عذاب يوم القيامة ببنيه وصاحبته اى زوجته واخيه وفصيلته اى عشيرته وقيل قبيلته وقيل اقرباؤه الاقربين التي تؤويه اى تضمه وياوي اليها ومن في الارض جميعا يعني انه يتمنى لو ملك هولاء كلهم لو كانت بيده ثم انه يفتدي بهم جميعا ثم ينجيه اى ذلك الفدا من الله تعالى كلا اى لا ينجيه من عذاب الله شي ثم ابتدا فقال تعالى انها لظى يعني النار ولظى اسم من اسمايها وقيل الدركة الثانية من النار سميت لظى لانها تتلظى اى تتلهب نزاعة للشوى يعني الاطراف كاليدين والرجلين مما ليس بمقتل والمعنى ان النار تنزع الاطراف فلا تترك لحما ولا جلدا وقال ابن عباس تنزع العصب والعقب وقيل تنزع اللحم دون العظام وقيل تاكل الدماغ كله ثم يعود كما كان ثم تاكله فذلك دابها وقيل لمكارم خلقته ومحاسن وجهه واطرافه تدعو يعني النار الى نفسها من ادبر عن الايمان وتولى اى عن الحق فتقول الي يا مشرك الي يا منافق قال ابن عباس تدعو الكافر والمنافق باسمايهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وقيل تدعو اى تعذب قال العرب لاحد دعاك الله اى عذبك الله وجمع فاوعى يعني وتدعو من جمع المال فاوعاه لم يود حق الله منه ان الانسان خلق هلوعا قال ابن عباس الهلوع الحريص على ما لا يحل وقيل شحيحا بخيلا وقيل ضجورا وقيل جزوعا وقيل ضيق القلب والهلع شدة الحرص وقلة الصبر وقال ابن عباس تفسيره ما بعده وهو قوله تعالى اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا يعني اذا اصابه الفقر لم يصبر واذا اصابه المال لم

يتبق وقال ابن كيسان خلق الله الانسان يحب ما يسره ويهرب مما يكره ثم تعبد بانفاق ما يحب والصبر على ما يكره قيل المراد بالانسان هنا الكافر وقيل هو على عمومه ثم استثنى الله عز وجل فقال تعالى **الا المصلين** وهذا استثنا الجمع من الواحد لان الانسان واحد وفيه معنى الجمع **الذين هم على صلاتهم دايمون** يعني يقيمونها في اوقاتها وهي الفرايض **فان قلت** كيف قال على صلاتهم دايمون ثم قال بعد على صلاتهم يحافظون **قلت** معنى دوامهم عليها ان يواظبوا على ادايها وان لا يتركوها في شي من الاوقات وان لا يشتغلوا عنها بغيرها اذا دخل وقتها والمحافظة عليها يرجع الى الاهتمام بحالها وهو ان ياتي بها العبد على اكمل الوجوه وهذا انما يحصل بامور ثلاثة منها ما هو سابق للصلاة كاشتغاله بالوضوء وستر العورة وارصاد المكان الطاهر للصلاة وقصد الجماعة وتعلق القلب بدخول وقتها وتفريغه عن الوسواس والالتفات الى ما سوى الله عز وجل واما الامور المقارنة للصلاة فهو ان لا يلتفت في الصلاة يمينا ولا شمالا وان يكون حاضر القلب فيجيبها بالخشوع والخوف واتمام ركوعها وسجودها واما الامور الخارجة عن الصلاة فهو ان يحترز عن الريا والسمعة وخوف ان لا يتقبل منه مع الابتهال والتضرع الى الله تعالى في سوال قبولها وطلب الثواب فالمداومة على الصلاة ترجع الى نفسها والمحافظة عليها ترجع الى احوالها وهيآتها وروى البغوي بسنده عن ابي الخير قال سالنا عقبة بن عامر عن قوله عز وجل الذين هم على صلاتهم دايمون اهم الذين يصلون ابدا قال لا ولكنه اذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه **والذين في اموالهم حق معلوم** يعني الزكاة المفروضة لانها مقدرة معلومة وقيل هو صدقة التطوع وذلك بان يوظف الرجل على نفسه شيا من الصدقة يخرجه على سبيل الندب في اوقات معلومة **للسايل** يعني الذي يسال الناس **والمحروم** يعني المتعفف المتعفف عن السوال فيحسب غنيا فيحرم **والذين يصدقون بيوم الدين** اي يومنون بالبعث بعد الموت والحشر والنشر والجزا يوم القيامة **والذين هم من عذاب ربهم مشفقون** اي خايفون ثم اكد ذلك الخوف فقال تعالى **ان عذاب ربهم غير مامون** يعني ان الانسان لا يمكنه القطع بانه ادى الواجبات كما ينبغي ولا اجتنب المحظورات بالكلية كما ينبغي بل قد يكون وقع منه تقصير من الجانبين فلا جرم ينبغي ان يكون العبد بين الخوف والرجا قوله تعالى **والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى ورا ذلك فاوليك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون** تقدم تفسيره في سورة المومنون قوله **والذين هم بشهاداتهم قايمون** اي يقيمون فيها عند الحكام ولا يكتمونها ولا يغيرونها وهذه الشهادة من جملة الامانات الا انه خصها بالذكر لفضلها لان بها تحيى الحقوق وتظهر وفي تركها تموت وتضيع وقيل اراد الشهادة بان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولهذا اعطف عليها **والذين هم على صلاتهم يحافظون** ثم ذكر ما اعده لهم فقال تعالى **اوليك** يعني من هذه صفتهم **في جنات مكرمون** قوله تعالى **فما للذين كفروا** اي فما بالهم **قبلك مهطعين** اي مسرعين مقبلين اليك مادي اعناقهم ومديمي النظر اليك متطلعين نحوك نزلت في جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يسمعون كلامه ويستهزون به ويكذبونه فقال تعالى ما لهم ينظرون اليك ويجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يسمعون منك **عن اليمين وعن الشمال عزين** يعني انهم كانوا عن يمينه وعن شماله مجتمعين حلقا وفرقا والعزين جماعات في تفرقة **ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم** قال ابن عباس معناه ايطمع كل رجل منهم ان يدخل جنة النعيم كما يدخلها المسلمون ويتنعمون وقد كذب نبيي **كلا** اي لا يدخلونها ابدا ثم قال **انا خلقناهم مما يعلمون** اي من الاشيا المستقذرة من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة نبه الله الناس على انهم خلقوا من اصل واحد وشي واحد وانما يتفاضلون بالمعرفة ويستوجبون الجنة بالايمان والطاعة روى البغوي باسناد الثعلبي عن بشر بن جحاش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصق يوما في كفه ووضع عليها اصبعه

فقال يقول الله عز وجل يا ابن ادم انى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق وانى اوان الصدقة اخرجه ابن الجوزي في تفسيره بلا اسناد وقيل في معنى الاية انا خلقناهم من اجل ما يعلمون وهو الامر والنهي والثواب والعقاب وقيل معناه انا خلقناهم ممن يعلمون ويعقلون ولا نخلقهم كالبهايم بلا علم ولا عقل **فلا اقسم** يعني واقسم وقد تقدم بيانه **برب المشارق والمغارب** يعني مشرق كل يوم من السنة ومغربه وقيل يعني مشرق كل نجم ومغربه **انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم** معناه انا لقادرون على اهلاكهم وعلى ان نخلق امثل منهم واطوع لله **وما نحن بمسبوقين** اي بمغلوبين عاجزين عن اهلاكم وابدالكم بمن هو خير منكم **فذرهم يخوضوا** اي في باطلهم **ويلعبوا** في دنياهم **حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون** نسختها اية القتال ثم فسر ذلك اليوم فقال تعالى **يوم يخرجون من الاجداث** يعني القبور **سراعا** اي الى اجابة الداعي **كانهم الى نصب** يعني الى شي منصوب كالعلم والراية ونحوه وقرى بضم النون والصاد وهي الاصنام التي كانوا يعبدونها **يوفضون** اي يسرعون ومعنى الاية انهم يخرجون من الاجداث يسرعون الى الداعي مستبقين اليه كما كانوا يستبقون الى انصابهم ليستلموها **خاشعة ابصارهم** اي ذليلة خاضعة **ترهقهم ذلة** اي يغشاهم هوان **ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون** يعني يوم القيامة الذي كانوا يوعدون به في الدنيا والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة نوح عليه السلام مكية وهي ثمان وعشرون اية ومايتان واربعة وعشرون كلمة وتسع ماية وتسعة وتسعون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك** اي بان خوف قومك وحذرهم **من قبل ان ياتيهم عذاب اليم** يعني الغرق بالطوفان والمعنى انا ارسلناه لينذرهم بالعذاب ان لم يومنوا **قال يا قوم اني لكم نذير مبين** اي انذركم وابين لكم **ان اعبدوا الله** اي وحده ولا تشركوا به شيا **واتقوه** اي وخافوه بان تحفظوا انفسكم مما يوثمكم **واطيعون** اي فيما امركم به من عبادة الله وتقواه **يغفر لكم من ذنوبكم** اي يغفر لكم ذنوبكم ومن صلة وقيل يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم الى وقت الايمان وذلك بعض الذنوب **ويوخركم الى اجل مسمى** اي الى منتهى اجالكم فلا يعاقبكم **ان اجل الله اذا جا لا يوخر لو كنتم تعلمون** معناه يقول امنوا قبل الموت تسلموا من العذاب فان اجل الله اذا جا وهو الموت اذا جا لا يوخر عنكم ولا يمكنكم الايمان **قال** يعني نوح عليه السلام **رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاي الا فرارا** اي نفارا وادبارا عن الايمان **واني كلما دعوتهم لتغفر لهم** اي ليومنوا لك فتغفر لهم **جعلوا اصابعهم في اذانهم** لئلا يسمعوا دعوتي **واستغشوا ثيابهم** اي غطوا وجوههم بثيابهم لئلا يروني **واصروا** على كفرهم **واستكبروا** عن الايمان بك **استكبارا** اي تكبرا عظيما **ثم اني دعوتهم جهارا** اي معلنا قال ابن عباس باعلى صوتي **ثم اني اعلنت لهم** اي كررت لهم الدعا معلنا **واسررت لهم اسرارا** قال ابن عباس يريد الرجل بعد الرجل اكلمه سرا بيني وبينه ادعوه الى عبادتك وتوحيدك **فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا** وذلك ان قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسايهم اربعين سنة فهلكت اموالهم ومواشيهم فقال لهم استغفروا ربكم اي من الشرك واطلبوا المغفرة بالتوحيد حتى يفتح عليكم ابواب نعمه وذلك لان الاشتغال بالطاعة سببا لانساع الخير والرزق وان الكفر سبب لهلاك الدنيا فاذا اشتغلوا بالايمان والطاعة حصل لهم ما يحتاجون اليه في الدنيا وروى الشعبي ان عمر بن الخطاب خرج يستسقي بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فقيل له ما سمعناك استسقيت فقال طلبت الغيث بمجاديح السما التي يستنزل بها القطر ثم قرا استغفروا ربكم انه كان غفارا الاية قوله مجاديح السما واحدها مجدح وهو نجم من النجوم وقيل هو الدبران وقيل هي ثلاثة كواكب كالاثافي شبهها بالمجدح الذي له شعب وهو عند العرب من الانوا الدالة على المطر فجعل عمر الاستغفار مشبها بالانوا مخاطبة لهم بما يعرفون وكانوا

Copyright © King Saud University

يزعمون من شانها المطر لانه يقول بالانوا وعن بكر بن عبد الله ان اكثر الناس ذنوبا اقلهم استغفارا واكثرهم استغفارا اقلهم ذنوبا وعن الحسن ان رجلا شكى الجدب فقال استغفر الله وشكى اخر اليه الفقر وقلة النسل واخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلى هذه الاية وقوله يرسل السما عليكم اى يرسل ماء السما وذلك لان ما المطر ينزل من السما الى السحاب ثم ينزل من السما الى الارض وقيل اراد بالسما المطر من قول الشاعر اذا نزل السما بارض قوم • رعيناه وان كانوا غضابا • مدرارا يعنى المطر مدرارا اى كثير الدر وهو حلب لشاة حالا بعد حال وقيل مدرارا اى متتابعا ويمددكم باموال وبنين اى يكثر اموالكم واولادكم ويجعل لكم جنات اى البساتين ويجعل لكم انهارا وهذا كله مما يميل طبع البشرية اليه ما لكم لا ترجون لله وقارا قال ابن عباس لا ترون لله عظمة معناه لا تخافون عظمة الله فالرجا بمعنى الخوف والوقار والعظمة من التوقير وهو التعظيم وقيل معناه ما لكم لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة وقيل معناه ما لكم لا ترجون فى عبادة الله ان يثيبكم على توقيركم اياه خيرا وقد خلقكم اطوارا يعنى تارة حالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة الى تمام الخلق وقيل معناه خلقكم اصنافا مختلفين لا يشبه بعضكم بعضا وهذا مما يدل على وحدانية الله وسعة قدرته الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا اى بعضها فوق بعض وجعل القمر فيهن نورا يعنى فى السما الدنيا وقوله فيهن هو كما يقال اتيت بنى تميم وانما اتى رجلا منهم وجعل الشمس سراجا يعنى مصباحا مضيئا قال عبد الله بن عمر ان الشمس والقمر وجوههما الى السموات وضوء الشمس والقمر واقفيتهما الى الارض ويروى هذا عن ابن عباس ايضا والله انبتكم من الارض نباتا يعنى انه اراد مبتدا خلق ادم واصل خلقه من الارض والناس كلهم من ولده وقوله نباتا اسم جعل موضع المصدر اى انباتا وقيل تقديره انبتكم فنبتم نباتا وفيه دقيقة لطيفة وهو انه لو كان انبتكم فنبتم نباتا كان المعنى انبتكم انباتا عجيبا وهذا الثانى اولى لان الانبات صفة الله تعالى وصفة الله غير محسوسة فلا يعرف ان ذلك الانبات انبات عجيب كامل الا بواسطة احيا الله تعالى وهذا المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى فكان هذا موافقا لهذا المقام فظهر ان هذا العدول عن تلك الحقيقة الى هذا المجاز كان لهذا السر اللطيف ثم يعيدكم فيها اى فى الارض بعد الموت ويخرجكم منها يوم البعث اخراجا يعنى اخراجا حقا لا محالة والله جعل لكم الارض بساطا اى فرشها لكم مبسوطة تتقلبون فيها كما يتقلب الرجل على بساطه لتسلكوا منها سبلا فجاجا اى طرقا واسعة قوله تعالى قال نوح رب انهم عصونى اى لم يجيبوا دعوتى واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا يعنى اتبع السفلة والفقرا القادة والروسا الذين لم يزدهم كثرة المال والولد الا ضلالا فى الدنيا وعقوبة فى الاخرة ومكروا مكرا كبارا يعنى كبيرا عظيما يقال كبيرا وكبارا بالتشديد اشد واعظم فى المبالغة والماكرون هم الروسا والقادة ومكرهم احتيالهم فى الدين وكيدهم لنوح عليه السلام وتحريش السفلة على اذاه وصد الناس عن الايمان والميل اليه والاستماع منه وقيل مكرهم قالوا قولا عظيما وقيل افتروا على الله الكذب وكذبوا رسله وقالوا يعنى القادة للاتباع لا تذرن الهتكم لا تتركن عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا هذه اسما الهتهم وانما افردها بالذكر وان كانت داخلة فى جملة قوله ولا تذرن الهتكم لانهم كانت لهم اصنام هذه الخمسة المذكورة وهى اعظمها عندهم قال محمد بن كعب هذه اسما قوم صالحين كانوا بين ادم ونوح فلما ماتوا كان اتباع هولا يقتدون بهم ياخذون بعدهم باخذهم بالعبادة فجاءهم ابليس وقال لهم لو صورتم صورهم كان ذلك انشط لكم واشوق الى العبادة ففعلوا ذلك ثم نشا قوم بعدهم فقال لهم ابليس ان الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فابتدا عبادة الاوثان كان من ذلك وسميت تلك الصورة بهذه الاسما لانهم

صوروها

صوروها على صورة اولئك القوم الصالحين من المسلمين خ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال صارت الاوثان التى كانت تعبد قوم نوح فى العرب بعد اما ود فكانت لكلب بدومة الجندل واما سواع فكانت لهذيل واما يغوث فكانت لمراد ثم صارت لبنى غطيف بالجرف عند سبا واما يعوق فكانت لهمدان واما نسر فكانت لحمير لال ذى الكلاع اسما رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى هلك اولئك ونسخ العلم عبدت الاوثان وروى عن ابن عباس ان تلك الاوثان دفنها الطوفان وطمها التراب فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركى العرب وكانت للعرب اصنام اخر فاللات كانت لثقيف والعزى لسليم وغطفان وجشم ومناة كانت لخزاعة بقديد واساف ونائلة وهبل كانوا لاهل مكة ولذلك سمت العرب انفسهم بعبد ود وعبد يغوث وعبد العزى ونحو ذلك من الاسما وقد اضلوا كثيرا اى ضل بسببها لاصنام كثير من الناس وقيل اضل كبرا قوم نوح كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين الا ضلالا يعنى ولا تزد المشركين بعبادتهم الاصنام الا ضلالا وهذا دعا عليهم وذلك ان نوحا عليه السلام كان قد امتلا قلبه غضبا وغيظا عليهم فدعا عليهم

فان قلت

كيف يليق بمنصب النبوة ان يدعو بزيادة الضلال وانما بعث ليصرفهم عنه

قلت

انما دعا عليهم بعد ان اعلمه الله انهم لا يومنون وهو قوله تعالى انه لن يومن من قومك الا من قد امن وقيل انما اراد بالضلال امر الدنيا وما يتعلق بها لا فى امر الاخرة مما خطاياهم اغرقوا اى بالطوفان فادخلوا نارا اى فى حالة واحدة وذلك فى الدنيا كانوا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب واستدل بعضهم بهذه الاية على صحة عذاب القبر وذلك لان الفا تقتضى التعقيب فى قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وهذا يدل على انه انما حصل دخول النار عقيب الاغراق ولا يمكن حمله على عذاب الاخرة لانه يبطل دلالة الفا وقيل معناه انهم سيدخلون نارا فى الاخرة فعبر عن المستقبل بلفظ الماضى لصدق الوعد فى ذلك والاول اصح فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا يعنى ينصرهم ويمنعهم من عذاب الله الذى نزل بهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا يعنى احدا يدور فى الارض فيذهب ويجى من الدوران وقيل اصله من الدار اى نازل دار انك ان تذرهم يضلوا عبادك قال ابن عباس وغيره كان الرجل ينطلق بابنه الى نوح فيقول له احذر هذا فانه كذاب وان ابى حذرنيه فيموت الكبير وينشا الصغير على ذلك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا انما قال نوح هذا حين اخرج الله كل مومن من اصلابهم وارحام نسائهم واعقم بعد ذلك ارحام النسا وايبس اصلاب الرجال وذلك قبل نزول العذاب باربعين سنة وقيل بسبعين سنة واخبر الله نوحا انهم لا يومنون ولا يلدون مومنا فحينئذ دعا عليهم فاجاب الله دعوته فاهلكهم جميعا ولم يكن معهم صبى وقت العذاب لان الله تعالى اعقمهم قبل العذاب رب اغفر لى وذلك انه لما دعا على الكفار قال رب اغفر لى يعنى ما صدر منى من ترك الافضل وقيل يحتمل انه حين دعا على الكفار انه انما دعا عليهم بسبب تاذيه فكان ذلك الدعا عليهم كالانتقام منهم فاستغفر من ذلك لما فيه من طلب حظ النفس ولانه ترك الاحتمال ولوالدى وكان اسم ابيه لمك بن متوشلخ واسم امه سمحى بنت انوش وكانا مومنين وقيل لم يكن بين ادم ونوح عليهما السلام من ابائه كافر وكان بينهما عشرة ابا ولمن دخل بيتى مومنا اى دارى وقيل مسجدى وقيل سفينتى وللمومنين والمومنات وهذا عام فى كل مومن امن بالله وصدق الرسل وانما بدا بنفسه لانها اولى بالتخصيص والتقديم ثم ثنى بالمتصلين به لانهم احق بدعائه من غيرهم ثم عمم جميع المومنين والمومنات ليكون ذلك ابلغ فى الدعا ولا تزد الظالمين الا تبارا اى هلاكا ودمارا فاستجاب الله تعالى دعاه فاهلكهم جميعا والله اعلم تفسير سورة الجن

Copyright King Saud University

مكية وهي ثمان وعشرون اية ومايتان وخمس وثمانون كلمة وثمان ماية وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن اختلف الناس قديما وحديثا في ثبوت الجن فانكر وجودهم معظم الفلاسفة
واعترف بوجودهم جمع منهم وسموهم بالارواح السفلية وزعموا انهم اسرع اجابة من الارواح الفلكية
الا انهم اضعف واما جمهور ارباب الملل وهم اتباع الرسل والشرايع فقد اعترفوا بوجود الجن لكن اختلفوا
في ماهيتهم فقيل الجن حيوان هوايي يتشكل باشكال مختلفة وقيل انها جواهر وليست باجسام ولا
اعراض ثم هذه الجواهر انواع مختلفة بالماهية فبعضها خيرة كريمة محبة للخيرات وبعضها دنية
خسيسة شديدة محبة للشرور والافات ولا يعلم عدة انواعهم الا الله تعالى وقيل انهم اجسام
مختلفة الماهية لكن يجمعهم صفة واحدة وهي كونهم حاصلة في الحيز موصوفة بالطول والعرض والعمق
وينقسمون الى لطيف وكثيف وعلوي وسفلي ولا يمتنع في بعض الاجسام اللطيفة الهوايية ان تكون
مخالفة لساير انواع الاجسام الماهية وان يكون لها علما مخصوصا وقدرة مخصوصة على افعال عجيبة
او شاقة يعجز البشر عن ذلك وقد يتشكلون باشكال مختلفة وذلك باقدار الله تعالى اياهم على ذلك وقيل
ان الاجسام متساوية في تمام الماهية وليست البنية شرط الحياة وهذا قول الاشعري وجمهور اتباعه
وشذة تاويل المعتزلة من هذه الاية فانكروا وجود الجن وقالوا البنية شرط الحياة وانه لا بد من صلابة
البنية حتى يكون قادرا على الافعال الشاقة وهذا قول منكر وصاحب هذا القول ينكر خرق العادات
ورد ما ثبت وجوده بنص الكتاب والسنة **فصل** واختلفت الرواية هل راى النبي صلى الله عليه
وسلم الجن فاثبتها ابن مسعود فيما رواه عنه مسلم وقد تقدم تفسيره في سورة الاحقاف عند قوله
تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وانكرها ابن عباس فيما رواه عنه البخاري ومسلم قال ابن عباس ما قرا رسول
الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا راهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه عامدين الى سوق عكاظ
وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السما وارسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم فقيل
حيل بيننا وبين خبر السما وارسلت علينا الشهب قالوا وما ذاك الا من شي قد حدث فاضربوا مشارق الارض
ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السما فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها
فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلي
باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القران استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السما فرجعوا الى قومهم
فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله على نبيه قل اوحي
الي انه استمع نفر من الجن زاد في رواية وانما اوحي اليه قول الجن اخرجاه في الصحيحين قال القرطبي في شرح مسلم وحديث
ابن عباس هذا معناه انه لم يقصدهم بالقراءة بل لما تفرقوا يطلبون الخبر الذي حال بينهم وبين استراق السمع
صادف هولا النفر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي باصحابه وعلى هذا فهو صلى الله عليه وسلم لم يعلم
باستماعهم ولا كلمهم انما اعلمه الله عز وجل بما اوحى اليه من قوله قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن واما حديث ابن
مسعود فقضية اخرى وجن اخرون والحاصل من الكتاب والسنة العلم القطعي بان الجن والشياطين موجودون
متعبدون بالاحكام الشرعية على النحو الذي يليق بخلقتهم وبحالهم وان نبينا صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الانس
والجن فمن دخل في دينه فهو من المومنين ومعهم في الدنيا والاخرة والجنة ومن كذبه فهو من الشياطين المبعدين عن المومنين فيها
والنار مستقره وهذا الحديث يقتضي ان الرجم بالنجوم لم يكن قبل البعث وذهب قوم الى انه كان قبل مبعثه
واخرون الى انه كان لكن زاد بهذا المبعث وبهذا القول يرتفع التعارض بين الحديثين هذا اخر كلام القرطبي

والله

والله اعلم عكاظ سوقية معروفة بقرب مكة كان العرب يقصدونها في كل سنة مرة في الجاهلية واول الاسلام وتهامة
معدوده ونخله واد من ودية مكة قريب منها واما التفسير فقوله سبحانه وتعالى قل اوحي الي امر الله نبيه
صلى الله عليه وسلم ان يظهر لاصحابه واقعة الجن وكما انه مبعوث الى الانس فهو ايضا مبعوث الى الجن ويعلم
قريش ان الجن مع تمردهم لما سمعوا القران عرفوا اعجازه فامنوا به استمع نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة الى
العشرة وقيل كانوا تسعة من جن نصيبين وقيل سبعة سمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اي لما
رجعوا الى قومهم انا سمعنا قرانا عجبا قال ابن عباس رضي الله عنهما بليغا اي عجيبا يتعجب منه لبلاغته وفصاحته
يهدي الى الرشد اي يدعو الى الصواب يعني التوحيد والايمان فامنا به اي بالقران ولن نشرك بربنا احدا اي
ولن نعود الى ما كنا عليه من الشرك وفيه دليل على ان اوليك النفر كانوا مشركين قيل كانوا يهودا وقيل كانوا نصارى
وقيل مجوسا ومشركين وانه تعالى جد ربنا اي جلال ربنا وعظمته ومنه قول انس كان الرجل اذا قرا البقرة
وال عمران جد فينا اي عظم قدره وقيل الجد الغنى ومنه الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفع ذا الغنى غناه
وقال ابن عباس عظمت قدرة ربنا وقيل امر ربنا وقيل فعله وقيل الاوه ونعماوه على خلقه وقيل علا
ملك ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا اي انه تعالى جلال ربنا وعظمته ان يتخذ صاحبة وولدا لان الصاحبة
تتخذ للحاجة والولد للاستيناس به والله تعالى منزه عن كل نقص وانه كان يقول سفيهنا يعني جاهلنا قيل هو
ابليس على الله شططا اي كذبا وعدوانا وهو وصفه تعالى بالشريك والولد والشطط هو مجاوزة الحد
في كل شي وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن اي كنا نظن ان الانس والجن صادقين في قولهم ان لله صاحبة وولدا (الله كذبا)
وانهم لا يكذبون على الله في ذلك فلما سمعنا القران علمنا انهم قد كذبوا على الله فقوله تعالى وانه كان رجال من الانس
يعوذون برجال من الجن وذلك ان الرجل من العرب في الجاهلية كان اذا سافر فامسى في ارض قفر قال اعوذ بسيد هذا
الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في امن وجوار منهم حتى يصبح روى البغوي باسناد الثعلبي عن كردم بن ابي السايب
الانصاري قال خرجت مع ابي الى المدينة في حاجة وذلك اول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فاوانا
المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جا ذيب فاخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال يا عامر الوادي جارك فنادى
مناد لا نراه يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمة فانزل الله على رسوله صلى الله عليه
وسلم بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا وذكر ابن الجوزي في تفسيره بغير سند
ومعنى الاية زاد الانس الجن باستعاذتهم بقادتهم رهقا قال ابن عباس اثما وقيل طغيانا وقيل غيا وقيل
شرا وقيل عظمة وذلك انهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانا وعظمة ويقولون يعني عظماء الجن سدنا الجن
والانس والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم وانهم ظنوا يعني الجن كما ظننتم اي يا معشر الكفار من
الانس ان لن يبعث الله احدا يعني بعد الموت وانا يعني تقول الجن لمسنا السما اي طلبنا بلوغ السما الدنيا واستماع
كلام اهلها فوجدناها ملئت حرسا يعني من الملايكة شديدا وشهبا اي من النجوم وانا كنا نقعد منها اي من
السما مقاعد للسمع يعني كنا نجد فيها بعض المقاعد خاليا من الحرس والشهب والان قد مليت المقاعد
كلها فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا اي ارصد له ليرمى به وقيل شهابا من الكواكب ورصدا من الملايكة عن ابن عباس
قال كان الجن يصعدون الى السما يستمعون الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا عليها تسعا فاما الكلمة فتكون حقا
واما ما زادوا فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم
يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ما هذا الا من امر قد حدث في الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم قائما يصلي بين جبلين اراه قال بمكة فاخبروه فقال هذا الحدث في الارض اخرجه الترمذي وقال حديث

Copyright © King Saud University

حسن صحيح وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة
الحراسة وكانوا يسترقون في بعض الاحوال فلما بعث منعوا من ذلك اصلا فعلى هذا القول يكون حمل الجن على الضرب في الارض وطلب
السبب انما كان لكثرة الرجم ومنعهم من الاستراق بالكلية وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض اي برمي الشهب ام
اراد بهم ربهم رشدا ومعنى الاية لا ندري هل المقصود من المنع من الاستراق هو شر اريد باهل الارض ام اريد بهم صلاح
وخير وانا منا الصالحون اي المؤمنون المخلصون ومنا دون ذلك اي دون الصالحين مرتبة قيل المراد بهم غير الكاملين
في الصلاح وهم المقتصدون فيدخل فيهم الكافر وغيره كنا طرائق قددا اي جماعات متفرقين واصنافا مختلفة والقدة
القطعة من الشيء قال مجاهد يعنون مسلمين وكافرين وقيل اهواء مختلفة وشيعا متفرقة لكل فرقة اهوا كاهواء الناس
وذلك ان الجن فيهم القدرية والمرجئة والرافضة والخوارج وغير ذلك من اهل الاهواء فعلى هذا التفسير يكون معنى
طرائق قددا سنصير طرائق قددا وهو بيان للقسمة المذكورة اي كنا ذوي مذاهب مختلفة متفرقة وقيل معناه
وكنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة وانا ظننا الظن هنا بمعنى العلم واليقين اي علمنا وايقنا ان لن
نعجز الله في الارض اي ان لن نفوته ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا اي ان طلبنا وقلنا نعجزه اين ما كنا وانا لما سمعنا الهدى
امنا به اي لما سمعنا القران امنا به وبمحمد صلى الله عليه وسلم فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا اي نقصانا من عمله وثوابه
ولا رهقا يعني ظلما وقيل مكروها يغشاه وانا منا المسلمون وهم الذين امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنا القاسطون
اي الجائرون العادلون عن الحق قال ابن عباس هم الذين جعلوا لله ندا فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا اي قصدوا طريق الحق
وتوخوه واما القاسطون يعني الذين كفروا فكانوا لجهنم حطبا يعني وقودا للنار يوم القيمة **فان قلت**
قد يتمسك بظاهر هذه الاية من لا يرى لمؤمني الجن ثوابا وذلك لان الله تعالى ذكر عقاب الكافرين منهم ولم يذكر ثواب
المؤمنين منهم **قلت** ليس فيه تمسك له وكفى بقوله فاولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب والله اعلم
واكرم من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد **فان قلت** كيف يعذب الجن بالنار وقد خلقوا منها
قلت انهم خلقوا من النار ثم تغيروا عن تلك الهيئة وصاروا خلقا اخر والله تعالى قادر ان
يعذب النار بالنار قوله عز وجل وان لو استقاموا على الطريقة اختلفوا فيمن يرجع الضمير اليه فقيل هو راجع الى
الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم والمعنى لو استقام الجن على الطريقة المثلى الحسنة لانعمنا عليهم وانما ذكر الماء
كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع وقيل معناه لو ثبت الجن الذين سمعوا القران على الطريقة التي كانوا عليها
قبل استماع القران ولم يسلموا لاسقيناهم ماء غدقا اي لوسعنا الرزق عليهم لنفتنهم فيه وقيل الضمير راجع
الى الانس وتم الخبر عن الجن ثم رجع الى الخطاب للانس فقال تعالى وان لو استقاموا على الطريقة يعني كفار مكة اي الحق
والايمان والهدى فكانوا مؤمنين مطيعين لاسقيناهم ماء غدقا يعني كثيرا وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين
والمعنى لو امنوا لوسعنا عليهم في الدنيا ولاعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا وانما ذكر الماء الغدق مثلا لان الخير
والرزق كله اصله من المطر قوله لنفتنهم فيه اي لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا فيه وقيل في معنى الاية لو استقاموا
اي ثبتوا على طريقة الكفر والضلالة لاعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجا
لهم حتى يفتتنوا بها فنعذبهم والقول الاول اصح لان الطريقة معروفة بالالف واللام وهي طريقة الهدى والقول
بان الاية في الانس اولى لان الانس هم الذين ينتفعون بالمطر ومن يعرض عن ذكر ربه اي عن عبادة ربه نسلكه
اي ندخله عذابا صعدا قال ابن عباس شاقا وقيل عذابا لا راحة فيه وقيل لا يزداد الا شدة قوله تعالى
وان المساجد لله يعني المواضع التي بنيت للصلاة والعبادة وذكر الله تعالى فيدخل فيه مساجد المسلمين
والكنائس والبيع التي لليهود والنصارى فلا تدعوا مع الله احدا قال قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا

كنائسهم

كنائسهم وبيعهم اشركوا بالله فيها فامر الله عز وجل المؤمنين ان يخلصوا الدعوة لله اذا دخلوا المساجد كلها وقيل اراد بالمساجد بقاع
الارض كلها لان الارض كلها جعلت مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المعنى فلا تسجدوا على الارض لغير الله تعالى
قال سعيد بن جبير قالت الجن للنبي صلى الله عليه وسلم كيف لنا ان نشهد معك الصلاة ونحن ناءون عنك فنزلت وان
المساجد لله وروي عنه ايضا ان المراد بالمساجد الاعضاء التي يسجد عليها الانسان وهي سبعة الجبهة واليدان
والركبتان والقدمان والمعنى ان هذه الاعضاء التي يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره م عن
العباس بن عبد المطلب انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سجد العبد سجد معه سبعة اراب وجهه وكفاه
وركبتاه وقدماه الاراب الاعضاء ق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال امرنا النبي صلى الله عليه وسلم ان نسجد
على سبعة اعضاء وان لا نكف شعرا ولا ثوبا الجبهة واليدين والركبتين والقدمين وفي رواية ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال امرت ان اسجد على سبعة اعظم على الجبهة واشار بيده الى انفه واليدين والركبتين واطراف القدمين
ولا نكفت الثياب ولا الشعر كف الشعر عقصه وعقد طرفه في اعلى الظفيرة وقد نهي عن ذلك قوله عز وجل وانه لما قام
عبد الله يعني النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه يعني يعبد الله ويقرا القران وذلك حين كان يصلي الفجر ببطن
نخلة كادوا يعني الجن يكونون عليه لبدا يعني يركب بعضهم بعضا ويزدحمون عليه حرصا على استماع القران قاله ابن
عباس وعنه ايضا انه من قول النفر من الجن الذين رجعوا الى قومهم فاخبروهم بما راوا من طاعة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
له واقتدائهم به في الصلاة وقيل في معنى الاية لما قام عبد الله بالدعوة تلبدت الانس والجن وتظاهروا عليه
ليبطلوا الحق الذي جاءهم به ويطفئوا نور الله فابى الله الا ان يتم نوره ويظهر هذا الامر وينصره على من ناواه وعاداه
واصل اللبد الجماعة بعضهم فوق بعض قال يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ قل على الامر انما ادعو ربي وذلك ان
كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لقد جئت بامر عظيم فارجع عنه فنحن نجيرك فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم
انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اي لا اقدر على ان ادفع عنكم ضرا ولا اسوق اليكم رشدا
وانما الضار والنافع والمرشد والمغوي هو الله تعالى قل اني لن يجيرني من الله احد اي لن يمنعني منه احد ان عصيته
ولن اجد من دونه ملتحدا اي ملجا الجا اليه وقيل حرزا احترز به وقيل مدخلا في الارض مثل السرب ادخل فيه الا بلاغا من الله ور
سالاته اي ففيه الجوار والامن والنجاة وقيل معناه ذلك الذي يجيرني من عذاب الله يعني التبليغ وقيل الا بلاغا من الله فذلك الذي
املكه بعون الله وتوفيقه وقيل معناه لا املك لكم ضرا ولا رشدا لكن ابلغ بلاغا عن الله تعالى فانما انا مرسل لا املك الا
ما ملكت ومن يعص الله ورسوله يعني ولم يؤمن فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا حتى اذا راوا ما يوعدون يعني العذاب
يوم القيامة فسيعلمون اي عند نزول العذاب من اضعف ناصرا واقل عددا اهم ام المؤمنون قل ان ادري اي ما ادري
اقريب ما توعدون يعني العذاب وقيل يوم القيامة ام يجعل له ربي امدا اي اجلا وغاية تطول مدتها عالم
الغيب اي هو والمعنى ما غاب عن العباد فلا يظهر اي فلا يطلع على غيبه احدا اي الغيب الذي يعلمه وانفرد به
احدا اي من الناس ثم استثنى فقال الا من ارتضى من رسول يعني الا من يصطفيه لرسالته ونبوته فيظهره على ما يشا
من الغيب حتى يستدل على نبوته بما يخبر عن المغيبات فيكون ذلك معجزة له واية دالة على نبوته قال الزمخشري
وفي هذا ابطال الكرامات لان الذين تضاف اليهم الكرامات وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله
الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيها ايضا ابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد شيء من الرضى وادخله
في السخط قال الواحدي وفي هذا دليل على ان من ادعى ان النجوم تدله على ما يكون من حياة او موت وغير ذلك فقد كفر
بما في القران فاما الزمخشري فانكر كرامات الاولياء جريا على قاعدة مذهبه في الاعتزال ووافق الواحدي وغيره
من المفسرين في ابطال الكهانة والتنجيم قال فخر الدين والسنة الاية الى الصورتين واحدة فان جعل الله الاية

Copyright © King Saud University

دالة على المنع من جهة ان النجوم فينبغى ان تكون دالة على المنع من الكرامات قال وعندى ان الاية لا دلالة فيها على شى من ذلك
والذى يدل عليه ان قوله فلا يظهر على غيبه احدا ليس فيه صيغة عموم فيكفى فى العمل بمقتضاه ان لا يظهر الله تعالى خلقه على غيب
واحد من غيوبه فنحمله على وقت وقوع القيامة فيكون المراد من الاية انه تعالى لا يظهر هذا الغيب لاحد فلا يبقى فى الاية
دلالة على انه لا يظهر شيئا من الغيوب لاحد ثم ذكر انه يجوز ان يطلع الله على شى من المغيبات غير الرسل كالكهانة وغيرهم
وذكر ما يدل على صحة قوله والذى ينبغى ان مذهب اهل السنة اثبات كرامات الاوليا خلافا للمعتزلة وانه يجوز
ان يلهم الله بعض اوليائه وقوع بعض الوقائع فى المستقبل فيخبر به وهو من اطلاع الله اياه على ذلك ويدل على صحة ذلك
ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيمن كان قبلكم من الامم ناس محدثون
من غير ان يكونوا انبيا وان يكن فى امتى احد فانه عمر اخرجه البخارى قال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون ولمسلم
عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول قد كان يكون فى الامم قبلكم محدثون فان
يكن فى امتى احد فان عمر بن الخطاب منهم ففى هذا اثبات كرامات الاوليا ولا ينافى اظهار الكرامة للولى لما تميزت
معجزة النبى صلى الله عليه وسلم عن غيرها ولا انسد الطريق الى معرفة الرسول من غيره فنقول الفرق بين معجزة النبى
وكرامة الولى ان المعجزة امر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقرون بالتحدى ولا يجوز للولى ان يدعى خرق
العادة مع التحدى اذ لو ادعاه الولى لكفر من ساعته فبان الفرق بين المعجزة والكرامة وقد يظهر على يد الولى
امر خارق للعادة من غير دعواه وهذا ايضا يدل على ثبوت نبوة النبى لان الكرامة انما تظهر على يد من هو معتقد
للرسول متابع له فلو لم تكن نبوته حقا لما ظهر الخارق على يد متابعه واما الكاهن فليس بمتبع للرسول وقد انسد
باب الكهانة بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم فمن ادعى منهم اطلاعا على غيب فقد كفر بما جاء به القران وكذلك حكم المنجم والله
تعالى اعلم وقوله تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه اى من بين يدى الرسول ومن خلفه وذكر البعض دال على جميع
الجهات رصدا اى حفظة من الملائكة يحفظونه من الشيطان ان يسترقوا السمع من الملائكة ويحفظونه من الجن ان
يسمعوا الوحى فيلقوه الى الكهانة فيخبروا به قبل الرسول وقيل ان الله تعالى كان اذا بعث رسولا اتاه ابليس فى صورة
ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشيطان عنه فاذا جا شيطان
فى صورة ملك اخبروه بانه شيطان فاحذره وان جاء ملك قالوا هذا رسول ربك ليعلم اى ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم
ان اى ان جبريل بلغ رسالات ربه وقيل معناه ليعلم محمد ان الرسل قبله قد ابلغوا رسالات ربهم وان الله قد
حفظهم ودفع عنهم وقيل معناه ليعلم الله ان الرسل قد ابلغوا رسالات ربهم فيعلم الله ذلك ظاهرا موجودا يجب فيه
الثواب واحاط بما لديهم اى علم الله ما عند الرسل فلم يخف عليه شى من امورهم واحصى كل شى عددا قال ابن عباس احصى
ما خلق وعرف ما خلق لم يفته شى حتى مثاقيل الذر والخردل والله سبحانه وتعالى اعلم تفسير سورة المزمل مكية
قيل غير آيتين منها وهما قوله واصبر على ما يقولون وقيل غير ذلك وهى ان ربك يعلم انك تقوم وهى عشرون آية ومائتا
وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها المزمل هذا خطاب للنبى
صلى الله عليه وسلم واصله المتزمل وهو الذى تزمل فى ثيابه اى تلفف قال المفسرون كان النبى صلى الله عليه وسلم
يتزمل فى ثيابه اول ما جاءه جبريل فرقا منه فكان يقول زملونى زملونى حتى انس به وقيل خرج يوما من البيت وقد
لبس ثيابه فناداه جبريل يا ايها المزمل وقيل معناه متزمل النبوة حاملها والمعنى زملنا هذا الامر فقم به واحمله فانه امر
عظيم وانما لم يخاطب بالرسول والنبى لانه كان فى اول الامر ومبداه ثم خوطب بالنبى والرسول بعد ذلك وقيل كان
صلى الله عليه وسلم قد نام وهو متزمل فى ثوبه فنودى يا ايها المزمل قم الليل اى للصلاة والعبادة واهجر هذه
الحالة واشتغل بالصلاة والعبودية وكان قيام الليل فريضة فى ابتدا الاسلام الا قليلا اى صل الليل الا قليلا

تنام

تنام فيه وهو الثلث ثم بين قدر القيام فقال تعالى نصفه اى نم نصف الليل او انقص منه قليلا اى الى الثلث
او زد عليه اى على النصف الى الثلثين خيره بين هذه المنازل وكان النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه يقومون
على هذه المقادير وكان الرجل منهم لا يدرى متى ثلث الليل ومتى نصفه او متى ثلثاه فكان يقوم كل الليل مخافة
ان لا يحفظ القدر الواجب واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت اقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها بقوله فاقرؤا
ما تيسر منه قيل ليس فى القران سورة نسخ اولها آخرها الا هذه السورة وكان بين نزول اولها ونزول آخرها سنة وقيل
ستة عشر شهرا وكان قيام الليل فرضا ثم نسخ بعد ذلك فى حق الامة بالصلوات الخمس وثبتت فرضيته على النبى صلى الله
عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك م عن سعيد بن هشام قال انطلقت الى عائشة فقلت يا ام
المؤمنين انبئينى عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الست تقرأ القران قلت بلى قالت فان الله
افترض القيام فى اول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا حتى انتفخت اقدامهم
وامسك الله خاتمتها اثنى عشر شهرا فى السما ثم انزل التخفيف فى آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة
وقوله تعالى ورتل القران ترتيلا قال ابن عباس بينه بيانا وعنه ايضا اقرأه على هينتك ثلاث آيات او اربعا
او خمسا وقيل الترتيل التوقف والترسل والتمهل والافهام وتبيين القراءة حرفا حرفا اثره فى امر بعض بالمد والاشباع
والتخفيف وترتيلا تاكيدا فى الامر به وانه لا بد للقارى منه وقيل ان الله تعالى لما امر بقيام الليل اتبعه بترتيل
القراءة حتى يتمكن المصلى من حضور القلب والتاويل والفكر فى حقائق الايات ومعانيها فعند الوصول الى ذكر الله
يستشعر بقلبه عظمة المذكور وجلاله وعند ذكر الوعد والوعيد يحصل الرجا والخوف وعند ذكر القصص والامثال
يحصل الاعتبار فيستنير القلب عند ذلك بنور المعرفة والاسراع فى القراءة ولا يحصل فيها ذلك فظهر بذلك
ان المقصود من الترتيل انما هو حضور القلب عند القراءة **فصل** خ عن قتادة قال سئل انس
كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد ببسم الله
ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم عن ام سلمة رضى الله عنها وقد سئلها يعلى بن مالك عن قراءة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وصلاته فقالت ما لكم وصلاته ثم نعتت قراءته فاذا هى نعتت قراءة مفسرة حرفا حرفا اخرجه
النسائى وللترمذى قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم
يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وكان يقول مالك يوم الدين ثم يقف وفى رواية ابى داود قالت قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين يقطع قراءته آية آية
ق عن عبد الله بن مغفل قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة
الفتح فى قراءته ق عن ابى وائل شقيق بن سلمة قال جاء رجل الى ابن مسعود فقال انى لاقرأ المفصل فى ركعة فقال
عبد الله هذا كهذ الشعر ان اقواما يقرؤن القران لا يجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع فى القلب فرسخ نفع
ان افضل الصلاة الركوع والسجود انى لاعرف النظائر التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن
سورتين فى كل ركعة وفى رواية فذكر عشرين سورة من المفصل الهذ سرعة القطع والمراد به هنا سرعة القراءة
والعجلة فيها وقوله لا يجاوز تراقيهم التراقى جمع ترقوة وهى العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق وعند
مخرج الصوت والنظائر جمع نظير وهى الشبه والمثل عن عائشة رضى الله عنها قالت قام النبى صلى الله عليه
وسلم باية من القران اخرجه الترمذى وللنسائى عن ابى ذر نحوه وزاد والاية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر
لهم فانك انت العزيز الحكيم عن سهل بن سعد قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ فقال الحمد لله
كتاب الله واحد وفيكم الاحمر وفيكم الابيض وفيكم الاسود اقرؤا قبل ان يقرأه اقوام يقيمونه كما يقام السهم يتعجل

Copyright © King Saud University

لقرانه ولا يتاجله اخرجه ابو داود زاد غيره في رواية لا يتجاوز تراقيهم عن جابر رضي الله عنه قال خرج علينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القران وفينا العربي والعجمي فقال اقرؤا وكل حسن وسيجي اقوام يقيمونه كما يقام
القدح يتعجلونه ولا يتاجلونه اخرجه ابو داود وعن ابن مسعود قال لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر
قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم احدكم اخر السورة قوله تعالى **انا سنلقي عليك قولا ثقيلا**
قال ابن عباس شديدا وقيل ثقيلا يعني كلاما عظيما جليلا ذا خطر وعظمة لانه كلام رب العالمين وكل شي له خطر
ومقدار فهو ثقيل والمعنى نضيء نفسك مستعدة لقبول هذا القول العظيم لثقله الشاق وقيل سماه ثقيلا
لما فيه من الاوامر والنواهي فان فيه مشقة وكلفة على الانفس وقيل ثقيلا لما فيه من الوعد والوعيد والحلال
والحرام والحدود والفرائض والاحكام وقيل ثقيل على المنافقين لانه يبين عيوبهم ويظهر نفاقهم وقيل هو خفيف
على اللسان بالتلاوة ثقيل في الميزان بالثواب يوم القيمة وقيل ثقيلا اي ليس بالخفيف ولا السفساف لانه
كلام ربنا تبارك وتعالى وقيل معناه انه قول مبين في صحته وبيانه ونفعه كما تقول هذا كلام رصين وهذا
قول له وزن اذا استجدته وعلمت انه صادق الحكمة والبيان وقيل سماه ثقيلا لما فيه من المحكم والمتشابه
والناسخ والمنسوخ وقيل ثقيلا في الوحي وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه القران والوحي يجد
له مشقة (ق) عن عائشة رضي الله عنها ان الحرث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي
فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول قالت عائشة ولقد
رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا (م) عن عبادة بن الصامت
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه كرب لذلك وتربد له وجهه وفي رواية كان اذا نزل عليه
الوحي عرفنا ذلك في فيه وغمض عينيه وتربد وجهه مثل صلصلة الجرس الصلصلة الصوت الشديد
الصلب اليابس من الاشيا الصلبة كالجرس ونحوه قوله فيفصم عني ويفارقني وقد وعيت ما قال اي حفظته
وفهمته ليتفصد عرقا اي يجري عرقه كما يجري الدم من الفاصد قوله تربد وجهه الربدة في الالوان غبرة مع سواد
وقوله تعالى **ان ناشئة الليل** اي ساعاته كلها وكل ساعة منه ناشئة لانها تنشأ عن التي قبلها وقال ابن ابي
مليكة سألت ابن عباس وابن الزبير عنها فقالا الليل كله ناشئة وهو عبارة عن الامور التي تحدث وتنشأ في
الليل وقالت عائشة الناشئة القيام بعد النوم وقيل هو قيام اخر الليل وقيل اوله وقيل اي ساعة قام
الانسان من الليل فقد نشأ وروي عن زين العابدين علي بن الحسين انه كان يصلي بين المغرب والعشا
ويقول هذا ناشئة من الليل وقيل كل صلاة بعد عشا الاخرة فهي ناشئة من الليل وقيل ناشئة الليل **هي
اشد وطأ** قرئ بكسر الواو ومع المد بمعنى المواطاة والموافقة وذلك لان مواطاة القلب واللسان والسمع
والبصر يكون بالليل اكثر مما يكون بالنهار وقرئ وطأ بفتح الواو وسكون الطاء اي اشد على المصلي واثقل
من صلاة النهار لان الليل جعل للنوم والراحة فكان قيامه على النفس اشد واثقل وقال ابن عباس كانت
صلاتهم اول الليل اشد وطأ يقول هو اجدر ان يحصوا ما فرض الله عليهم من القيام وذلك ان الانسان اذا نام
لا يدري متى يستيقظ وقيل اثبت في الخير واحفظ للقراءة من النهار وقيل هو اوطأ للقيام واسهل على المصلي
من ساعات النهار لانه خلق لتفرق العباد والليل للعبادة والخلوة برب العباد ولان الليل فرغ للقلب
من النهار ولا يعرض له في الليل حوائج وموانع مثل النهار وامنع من الشيطان وابعد من الريا وهو قوله تعالى
واقوم قيلا اي اصوب قراءة واصح قولا من النهار لهدأة الناس وسكون الاصوات وقيل معناه ابين قولا

بالقران

بالقران والحاصل ان عبادة الليل اشد نشاطا واتم اخلاصا وابعد عن الريا واكثر بركة وابلغ في الثواب وادخل
في القبول **ان لك في النهار سبحا طويلا** اي تصرفا وتقلبا واقبالا وادبارا في حوائجك واشتغالك وقيل فراغا وسعة
لنومك وتصرفك في حوائجك فصل من الليل **واذكر اسم ربك** اي بالتوحيد والتعظيم والتقديس **وتبتل اليه
تبتيلا** قال ابن عباس اخلص اليه اخلاصا وقيل تفرغ لعبادته وانقطع اليه انقطاعا والمعنى تبتل نفسك
واقطعها عن كل شي سواه وقيل التبتل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله وقيل معناه وتوكل
عليه توكلا واجتهد في العبادة وقيل يقال للعابد اذا ترك كل شي واقبل على العبادة قد تبتل اي انقطع عن كل
شي الا من عبادة الله وطاعته **فان قلت** كيف قال تبتيلا مكان تبتلا ولم يجي على
مصدره **قلت** جا تبتيلا على تبتل نفسك اليه تبتيلا فوقع المصدر موقع مقارنه في المعنى
ويكون التقدير وتبتل نفسك اليه تبتيلا وهو كقوله انبتكم من الارض نباتا وقيل لان معنى تبتل تبتل
نفسك فجي به على معناه مراعاة لحق الفواصل وقيل الامر في تبتل ان يقال تبتلت تبتيلا وتبتلت
تبتيلا فتبتيلا محمول على معنى تبتل اليه تبتيلا وقيل بما عدل عن هذه العبارة لدقيقة لطيفة
وهي ان المقصود انما هو التبتل فاما التبتل فهو تصرف والمشتغل بالتصرف لا يكون متبتلا الى الله
تعالى لان المشتغل بغير الله لا يكون منقطعا اليه الا انه لا بد من التبتيل لانه المقصود وذكر التبتيل
ثانيا اشعارا بانه لا بد منه **رب المشرق والمغرب** يعني ان التبتل والانقطاع لا ينبغي الا الى الله تعالى
الذي هو رب المشرق والمغرب **لا اله الا هو فاتخذه وكيلا** اي فوض امرك اليه وتوكل عليه وقيل معناه
اتخذه يا محمد كفيلا بما وعدك من النصر على الاعدا **واصبر على ما يقولون** اي من التكذيب لك والاذى **واهجرهم
هجرا جميلا** اي واعتزلهم اعتزالا حسنا لا جزع فيه وهذه الاية منسوخة باية القتال **وذرني والمكذبين**
اي دعني ومن كذبك لا تهتم به فانا اكفيك هو **اولي النعمة** اي اصحاب النعم والترفه نزلت في صناديد قريش
المستهزئين وقيل نزلت في المطعمين ببدر **ومهلهم قليلا** يعني الى يوم بدر فلم يكن الا يسيرا حتى قتلوا ببدر
وقيل اراد بالقليل ايام الدنيا ثم وصف عذابهم فقال تعالى **ان لدينا** اي عندنا في الاخرة **انكالا** يعني قيودا
عظاما ثقالا لا تنفك ابدا وقيل اغلالا من حديد **وجحيما وطعاما ذا غصة** اي غير سائغ في الحلق لا ينزل ولا يخرج
وهو الزقوم والضريع **وعذابا اليما** اي وجيعا **يوم ترجف الارض والجبال** اي تتزلزل وتتحرك وهو يوم القيامة
وكانت الجبال كثيبا مهيلا يعني رملا سائلا وهو الذي اذا اخذت منه شيئا يتبعك ما بعده **انا ارسلنا اليكم** يعني
يا اهل مكة **رسولا** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **شاهدا عليكم** اي بالتبليغ وايمان من امن منكم وكفر من كفر **كما ارسلنا
الى فرعون رسولا** يعني موسى بن عمران عليه السلام قيل انما خص فرعون وموسى بالذكر من بين سائر الامم والرسل لان
محمدا صلى الله عليه وسلم اذوه اهل مكة واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازدرى بموسى واذاه لانه رباه **فعصى
فرعون الرسول فاخذناه** يعني فرعون **اخذا وبيلا** اي شديدا ثقيلا يعني عاقبناه عقوبة غليظة يخوف
بذلك كفار مكة ثم خوف كفار مكة بيوم القيمة فقال تعالى **فكيف تتقون ان كفرتم** اي كيف لكم بالتقوى يوم القيمة
اي في الدنيا المعنى لا سبيل لكم الى التقوى اذا وافيتم القيامة وقيل معناه فكيف تتقون العذاب يوم القيامة
وباي شي تتحصنون من عذاب ذلك اليوم وكيف تنجون منه اذا كفرتم في الدنيا **يوما يجعل الولدان شيبا** يعني شيوخا
شمطا من هول ذلك اليوم وشدته وذلك حين يقال لادم قم فابعث الى النار من ذريتك (ق) عن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة يا ادم فيقول
لبيك وسعديك زاد في رواية والخير بيديك فينادى بصوت ان الله يامرك ان تخرج من ذريتك بعثا

Copyright © King Saud University

النار قال يا رب وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد
وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قالوا يا رسول
الله اينا ذلك الرجل فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم ابشروا فان من ياجوج وماجوج تسعمائة وتسعة وتسعون
ومنكم واحد ثم قال انتم في الناس كالشعرة السودا في جنب الثور الابيض وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار واني لارجوا
ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث اهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر اهل الجنة فكبرنا اما ما يتعلق بمعنى الحديث
فقوله ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار يعني ناسا مبعوثين من اهل الجنة من اهل النار واما الرقمة بفتح الراء واسكان القاف
فهي الاثر في باطن عضد الحمار وقوله اني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة وشطر اهل الجنة ففيه البشارة العظيمة
لهذه الامة اولا ثم الثلث ثم الشطر فلفايدة حسنة وهي ان ذلك اوقع في نفوسهم وابلغ في اكرامهم فان اعطا
الانسان مرة بعد مرة دليل على الاعتنا به ودوام ملاحظته وفيه تكرير البشارة مرة بعد اخرى وفيها بيان حملهم
على شكر الله وحمده على انعامه عليهم وهو تكبيرهم لهذه البشارة العظيمة وسرورهم بها اما ما يتعلق بمعنى الاية
الكريمة والحديث في قوله تعالى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا وقوله صلى الله عليه وسلم ويشيب الوليد
ففيه وجهان الاول عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا فعلى هذا هو على ظاهره الثاني انه في القيامة فعلى هذا
يكون ذكر الشيب مجازا لان القيامة ليس فيها شيب وانما هو مثل في شدة الامر وهوله يقال في اليوم الشديد يوم تشيب فيه
نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تعاقبت على الانسان اسرع فيه الشيب قال المتنبي
• والهم يخترم الجسيم نحافة • ويشيب ناصية الصبي ويهرم • فلما كان الشيب من لوازم كثرة الهموم والاحزان
جعلوا الشيب كناية عن الشدة والهول وليس المراد ان هول ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا حقيقة لان الطفل
لا تمييز له وقيل يحتمل ان يكون المراد وصف ذلك اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون من الشيخوخة والشيب
السما منفطر به وصف اليوم بالشدة ايضا وان السما مع عظمها تنفطر وتنشق فما ظنك بغيرها من الخلايق
وقيل تنشق لنزول الملائكة وقيل به اي بذلك المكان وقيل الهاء ترجع الى الرب سبحانه وتعالى اي بامره وهيبته
كان وعده مفعولا اي كاينا لا محالة فيه ولا خلف ان هذه اي ايات القران تذكرة اي مواعظ يذكر بها فمن
شاء اتخذ الى ربه سبيلا بالايمان والطاعة قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل اي اقل من
ثلثي الليل ونصفه وثلثه اي وتقوم نصفه وثلثه وطائفة من الذين معك يعني المومنين وكانوا يقومون معه الليل
والله يقدر الليل والنهار يعني العالم بمقادير الليل والنهار واجزائهما وساعاتهما هو الله تعالى لا يفوته علم ما يفعلون فيعلم
القدر الذي تقومون من الليل والذي تنامون منه علم ان لن تحصوه يعني ان لن تطيقوا معرفته على الحقيقة قيل قاموا
حتى انتفخت اقدامهم فنزل عليهم ان لن تحصوه اي لن تطيقوه وقيل كان الرجل يصلي الليل كله مخافة ان لا يصيب ما امر
الله به من القيام فقال تعالى علم ان لن تحصوه اي لن تطيقوا معرفة ذلك فتاب عليكم اي فعاد عليكم بالعفو والتخفيف
والمعنى عفا عنكم ما لم تحيطوا بعلمه ورفع المشقة عنكم فاقرءوا ما تيسر من القران فيه قولان احدهما ان المراد بهذه القراة
في الصلاة وذلك لان القراة احد اجزا الصلاة فاطلق اسم الجزء على الكل والمعنى فصلوا ما تيسر عليكم وقال الحسن
يعني في صلاة المغرب والعشا قال قيس بن ابي حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرا في اول ركعة الحمد
واول اية من البقرة ثم قام في الثانية فقرا الحمد والاية الثانية من البقرة ثم ركع فلما انصرف اقبل علينا بوجهه
فقال ان الله تعالى يقول فاقرءوا ما تيسر منه وقيل نسخ ذلك التهجد واكتفى بما تيسر ثم نسخ ذلك ايضا بالصلوات الخمس
وذلك في حق الامة وثبت قيام الليل في حقه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك
القول الثاني ان المراد بقوله فاقرءوا ما تيسر من القران دراسته وتحصيل حفظه وان لا يعرضه للنسيان فقيل

اوكالشعرة البيضا في جنب الثور الاسود

وثلثا اهل الجنة

وجعلهم ربع اهل الجنة

يقرا

يقرا ما تيسر ولو اية ونحوها وقيل بل قراة السورة القصيرة كافية وروى البغوي باسناده عن انس انه سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من قرا خمسين اية في يوم او ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرا مائة اية كتب من القانتين ومن
قرا مائتي اية لم يحاجه القران يوم القيامة ومن قرا خمسمائة اية كتب له قنطار من الاجر ذكره الشيخ شمس الدين في كتابه
الاذكار ولم يضعفه وقال في رواية من قرا اربعين بدل خمسين وفي رواية عشرين وفي رواية عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا عشر ايات لم يكتب من الغافلين ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم اخبر انك تصوم الدهر وتقرا القران كل ليلة قلت بلى يا رسول الله ولم
ارد بذلك الا الخير قال فصم صوم داود وكان اعبد الناس واقرا القران في كل شهر قال قلت اني اطيق افضل من ذلك
قال فاقراه في عشر قال قلت يا نبي الله اني اطيق افضل من ذلك قال فاقراه في سبع ليال ولا تزد على ذلك ثم ذكر الله سبحانه
وتعالى حكمة النسخ والتخفيف فقال علم ان سيكون منكم مرضى يعني ان المريض يضعف عن التهجد بالليل فخفف عنه لاجل
ضعفه وعجزه عنه واخرون يضربون في الارض يعني المسافرين للتجارة يبتغون من فضل الله اي يطلبون من رزق الله وهو
الربح في التجارة يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله يعني الغزاة والمهاجرين وذلك لان المسافر والمجاهد
مشتغل في النهار بالاعمال الشاقة فلو لم ينم بالليل لتوالت عليه اسباب المشقة عليه فخفف عنه لاجل ضعفه
ذلك روي عن ابن مسعود قال ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا فباعه
بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهدا ثم قرا عبد الله واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل
الله واخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه اي من القران وانما اعاده للتاكيد واقيموا الصلاة
يعني المفروضة واتوا الزكاة اي الواجبة واقرضوا الله قرضا حسنا قال ابن عباس يريد سوى الزكاة من صلة
الرحم وقرى الضيف وقيل يريد سائر الصدقات وذلك بان يخرجها في احسن وجه من كسب طيب ومن
اكثر الاموال نفعا للفقرا ومراعاة النية والاخلاص وابتغاء مرضات الله سبحانه وتعالى بما يخرج والصرف
الى المستحق وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله اي ثوابه واجره هو خيرا واعظم اجرا يعني الذي قدمتم لانفسكم خير
من الذي اخرتموه ولم تقدموه روى البغوي بسنده عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايكم ماله احب اليه من مال وارثه قال اعلموا ما تقولون قالوا ما نعلم الا ذلك يا رسول الله قال ما منكم
رجل الا مال وارثه احب اليه من ماله قالوا كيف يا رسول الله قال انما مال احدكم ما قدم ومال وارثه
ما اخر واستغفروا الله اي لذنوبكم وتقصيركم في قيام الليل ان الله غفور رحيم اي لجميع الذنوب والله اعلم
تفسير سورة المدثر مكية قيل غير اية من اخرها وهي ست وخمسون اية ومايتان وخمس وخمسون كلمة
والف وعشرة احرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها المدثر ق عن يحيى بن كثير قال سالت ابا سلمة
ابن عبد الرحمن عن اول ما نزل من القران قال يا ايها المدثر قلت يقولون اقرا باسم ربك قال ابو سلمة
سالت جابرا عن ذلك وقلت مثل الذي قلت فقال لي جابر لا احدثك الا ما حدثنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال جاورت بحرا شهرا فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم ار شيئا
ونظرت عن شمالي فلم ار شيئا ونظرت خلفي فلم ار شيئا فرفعت راسي فرايت شيئا فاتيت خديجة فقلت
دثروني فدثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز
فاهجر وذلك قبل ان تفرض الصلاة وفي رواية فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي
وذكر نحوه وفيه فاذا هو قاعد على عرش بين السماء والارض يعني جبريل فاخذتني رجفة شديدة ق عن جابر من رواية
الزهري عن ابي سلمة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي فقال لي في حديثه الى

Copyright © King Saud University

فبينا انا امشي سمعت صوتا من السماء فرفعت راسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض فجئثت منه رعبا فقلت زملوني زملوني فانزل الله عز وجل يا ايها المدثر الى والرجز فاهجر وفي رواية فجئثت منه حتى هويت الى الارض فجئت الى اهلي وفيه قال ابو سلمة والرجز الاوثان قال ثم حمي الوحي وتتابع **فان قلت** دل هذا الحديث على ان سورة المدثر اول ما نزل من القران ويعارضه حديث عائشة المخرج في الصحيحين ايضا في بدء الوحي وسياتي في موضعه ان شاء الله تعالى وفيه فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فواده الحديث **قلت** الصواب الذي عليه جمهور العلماء ان اول ما نزل من القران على الاطلاق اقرا باسم ربك الذي خلق كما صرح به في حديث عائشة ومن قال ان سورة المدثر اول ما نزل من القران فضعيف لا يعتد به وانما كان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن ابي سلمة عن جابر ويدل عليه ايضا قوله في الحديث وهو يحدث عن فترة الوحي الى ان قال فانزل الله تعالى يا ايها المدثر ويدل عليه ايضا قوله فاذا الملك الذي جاءني بحراء ثم قال فانزل الله تعالى يا ايها المدثر وايضا قوله ثم حمي الوحي وتتابع والصواب ان اول ما نزل من القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرا باسم ربك الذي خلق وان اول ما نزل بعد فترة الوحي سورة المدثر فحصل بهذا الذي بيناه الجمع بين الحديثين والله اعلم قوله فاذا هو قاعد على عرش بين السماء والارض يريد به السرير الذي يجلس عليه وقوله يحدث عن فترة الوحي عن احتباسه وعدم تتابعه وتواليه في النزول قوله فجئثت منه روي بجيم مضمومة ثم همزة مكسورة ثم ثاء مثلثة ساكنة ثم تاء الضمير وروي بثائين مثلثتين بعد الجيم ومعناهما فرعبت منه وفزعت وقوله وحمي الوحي وتتابع اي كثر نزوله وازداد بعد فترته من قولهم حميت الشمس والنهار اذا زاد حرهما وقوله فصبوا علي الماء فيه انه ينبغي لمن فزع ان يصب عليه الماء ليسكن فزعه واما التفسير فقوله عز وجل يا ايها المدثر اصله المتدثر وهو الذي يتدثر في ثيابه ليستدفي بها واجمعوا على انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما سماه مدثرا لقوله صلى الله عليه وسلم دثروني وقيل يا ايها المدثر بدثار النبوة والرسالة من قولهم البسه الله لباس التقوى فجعل النبوة كالدثار واللباس مجازا **قم فانذر** اي حذرهم من عذاب ربك ان لم يومنوا والمعنى قم من مضجعك ودثارك وقيل قم قيام عزم واشتغل بالانذار الذي تحملته **وربك فكبر** اي عظم ربك مما يقول عبدة الاوثان **وثيابك فطهر** فيه اربعة اوجه احدها ان يترك لفظ الثياب والتطهير على حقيقته والثاني ان يترك لفظ الثياب على الحقيقة والتطهير على المجاز والثالث ان يترك لفظ الثياب على المجاز والتطهير على الحقيقة والرابع ان يترك لفظ الثياب والتطهير على المجاز اما الوجه الاول فمعناه وثيابك فطهر من النجاسات والمستقذرات وذلك ان المشركين لم يكونوا يتحرزون عنها فامر صلى الله عليه وسلم بصون ثيابه من النجاسة وغيرها الوجه الثاني معناه وثيابك فقصر وذلك لان المشركين كانوا يطولون ثيابهم ويجرون اذيالهم على النجاسة وفي الثوب الطويل الخيلاء والكبر والفخر واليس في الثوب القصير فنهي عن تطويل الثوب وامر بتقصيره لذلك وقيل معناه وثيابك فطهر عن ان تكون مغصوبة او محرمة بل تكون من وجه حلال وكسب طيب الوجه الثالث معناه حمل الثوب على النفس قال عنترة ⁕ وشككت بالرمح الاصم ثيابه ⁕ ليس الكريم على القنا بمحرم ⁕ يريد نفسه فالمعنى ونفسك فطهر عن الذنوب والريب وغيرها وكنى بالثياب عن الجسد لانها تشتمل عليه الوجه الرابع وهو حمل الثياب والتطهير على المجاز فقيل معناه وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة وقيل معناه وخلقك فحسن وسئل ابن عباس عن قوله وثيابك فطهر قال لا تلبسها على معصية ولا غدر اما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي ⁕ واني بحمد الله لا ثوب فاجر ⁕ لبست ولا من غدرة اتقنع ⁕ والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفاء طاهر الثياب وتقول لمن غدر انه لدنس الثوب والسبب في ذلك ان الثوب كالشيء الملازم للانسان فلهذا جعلوه كناية عن الانسان كما يقال الكرم في ثوبه والعفة في ازاره

وقيل

وقيل من طهر باطنه طهر ظاهره وقوله تعالى **والرجز فاهجر** يعني اترك الاوثان ولا تقربها وقال ابن عباس اترك المآثم وقيل الشرك وقيل اترك كل ما اوجب لك العذاب من الاعمال والاقوال **ولا تمنن تستكثر** يعني لا تعط مالك مصانعة لتعطى اكثر منه هذا قول اكثر المفسرين وهذا النهي مختص بالنبي صلى الله عليه وسلم وانما نهي عن ذلك تنزيها لمنصب النبوة لان من اعطى شيئا لغيره يطلب منه الزيادة عليه لا بد وان يتواضع لذلك الذي اعطاه ومنصب النبوة يجل عن ذلك وهذا غير موجود في حق الامة فيجوز لغيره من الامة ذلك كما قال هما رباءان حلال وحرام فالحلال الهدية يهديها الرجل الغير ليعطيه اكثر منها واما الحرام فالربا المحرم بنص الشرع وقيل معناه لا تعط شيئا لمجازاة الدنيا اعط لله وارد به وجه الله وقيل معناه لا تمنن على الله بعملك فتستكثره ولا يكثر عملك في عينك فانه فيما انعم الله به عليك واعطاك قليل وقيل معناه لا تمنن على اصحابك بما تعلمهم من امر الدين وتبلغهم من امر الوحي كالمستكثر بذلك عليهم وقيل لا تمنن عليهم بنبوتك فتاخذ منهم على ذلك اجرا تستكثر به وقيل معناه لا تمنن لا تضعف عن الخير ان تستكثر منه وقيل معناه لا تمنن على الناس بما تنعم عليهم وتعطيهم استكثارا منك لتلك العطية فان المن يحبط العمل **ولربك فاصبر** اي على طاعته واوامره ونواهيه لاجل ثواب الله وقيل معناه فاصبر لله على ما اوذيت فيه وقيل معناه انك حملت امرا عظيما فيه محاربة العرب والعجم فاصبر على ذلك لله عز وجل وقيل معناه فاصبر تحت موارد القضاء لاجل الله **فاذا نقر في الناقور** اي نفخ في الصور وهو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل وهي النفخة الاولى وقيل الثانية وهو الاصح **فذلك يومئذ** يعني يوم النفخة وهو يوم القيامة **يوم عسير** اي شديد على الكافرين يعني يعسر عليهم في ذلك اليوم الامر فيعطون كتبهم بشمائلهم وتسود وجوههم **غير يسير** اي هين **فان قلت** ما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه **قلت** فائدة التكرار للتاكيد كقولك انا محب لك غير مبغض وقيل لما كان على الكافرين غير يسير دل على انه يهون على المومنين بخلاف الكفار فانه عليهم عسير لا يسر فيه ليزداد غيظ الكافرين وبشارة رة
المومنين قوله تعالى **ذرني ومن خلقت وحيدا** اي خلقته في بطن امه وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل معناه خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد والمعنى دعني واياه فانا اكفيكه وهو نزلت هذه الاية في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يسمى الوحيد في قومه **وجعلت له مالا ممدودا** اي كثيرا يمد بعضه بعضا دائما غير منقطع وقيل ما يمد بالنماء كالزرع والضرع والتجارة واختلفوا في مبلغه فقيل كان الف دينار وقيل اربعة الاف درهم وقيل الف الف وقال ابن عباس تسعة الاف مثقال فضة وعنه كان له بين مكة والطائف ابل وقيل ونعم وكان له غنم كثيرة وعبيد وجواري وقيل كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره شتاء ولا صيفا وقيل كان له بستان بالطائف غلته شهر بشهر **وبنين شهودا** اي حضورا بمكة لا يغيبون عنه لانهم كانوا اغنياء غير محتاجين الى الغيبة لطلب الكسب وقيل معنى شهودا يشهدون معه المحافل والمجامع قيل كانوا عشرة وقيل سبعة وهم الوليد بن المغيرة وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس وخالد اسلم منهم ثلاثة نفر خالد وهشام وعمارة **ومهدت له تمهيدا** اي بسطت له في العيش وطول العمر بسطا مع الجاه العريض والرياسة في قومه وكان الوليد من اكابر قريش وكان يدعى ريحانة قريش **ثم يطمع** اي يرجو **ان ازيد** اي ازيده مالا وولدا وتمهيدا **كلا** اي لا افعل ولا ازيده قالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الاية في نقصان من ماله وولده حتى هلك **انه كان لاياتنا عنيدا** اي معاندا والمعنى انه كان معاندا في جميع دلائل التوحيد والقدرة والبعث والنبوة وكان منازعا منكرا للكل وقيل كان كفره كفر عناد وهو انه كان يعرف هذا بقلبه وينكره بلسانه وهو اقبح الكفر واخبثه **سارهقه صعودا** يعني ساكلفه مشقة من العذاب لا راحة له فيها وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصعود عقبة من النار يتصعد

Copyright © King Saud University

بها الكافر سبعين خريفا ثم يهوى فيها سبعين خريفا فهو كذلك ابدا اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وروى
البغوي باسناد الثعلبي عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله سارهقه صعودا قال هو جبل من نار
يكلف ان يصعده فاذا وضع يده ذابت فاذا رفعها عادت قال الكلبي الصعود صخرة ملسا
في النار يكلف الكافر ان يصعدها يجذب من امامه ويضرب من خلفه فذلك دابه ابدا قوله عز وجل انه فكر وقدر اي
تفكر في الامر الذي يريده ونظر فيه وتدبره ورتب في قلبه كلاما وهياه لذلك الامر وهو المراد بقوله وقدر اي وقدر
ذلك الكلام في قلبه وذلك ان الله تعالى لما انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم
الى قوله المصير قام النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد يصلي والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي
صلى الله عليه وسلم لاستماعه اعاد قراءة الاية فانطلق الوليد حتى اتى مجلس قومه من بني مخزوم فقال والله لقد
سمعت محمدا انفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر
وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبا والله الوليد ولتصبون قريش كلهم
فقال ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق حتى جلس الى جنب الوليد حزينا فقال له الوليد ما لي اراك حزينا يا ابن اخي
فقال وما يمنعني ان لا احزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون انك زينت كلام
محمد وانك تدخل على ابن ابي كبشة وابن ابي قحافة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال الم تعلم قريش
اني من اكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد واصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل طعام ثم قام مع ابي جهل حتى اتى
مجلس قومه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق قط فقالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم
عليه شيئا من الكذب قالوا لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة لصدقه فقالت قريش
للوليد فما هو فتفكر في نفسه ثم قال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه فهو
ساحر وما يقوله سحر يؤثر فذلك قوله عز وجل انه فكر اي في امر محمد والقران وقدر في نفسه ماذا يمكنه ان يقول
في محمد والقران فقتل كيف قدر اي عذب وقيل لعن كيف قدر وهو على طريق التعجب والانكار والتوبيخ ثم قتل
كيف قدر كرره للتاكيد وقيل معناه لعن على اي حال قدر من الكلام ثم نظر اي في طلب ما يدفع به القران ويرده
ثم عبس وبسر اي كلح وكره وجهه كالمهتم المتفكر في شيء يريده ثم ادبر اي عن الايمان واستكبر اي حين دعي اليه فقال
ان هذا اي الذي يقوله محمد ويقرؤه الا سحر يؤثر يروى ويحكى عن السحرة ان هذا الا قول البشر يعني يسارا وجبرا فهو يؤثره
عنهما قال الله تعالى ساصليه اي ساذخله سقر وهو اسم من اسماء جهنم وقيل الدرك الثاني وما ادراك ما سقر وما اعلمك
اي شيء هي سقر واعاد ذكرها على سبيل التهويل والتعظيم لامرها لا تبقي ولا تذر قيل هما بمعنى كما تقول صد عني واعرض
عني وقيل لا بد من الفرق والا لزم التكرار فقيل معناه لا يبقى احد من المستحقين العذاب الا اخذته ثم لا تذر
من لحومهم او لحمهم شيئا الا اكلته واهلكته وقيل لا يموتون فيها ولا يحيون اي لا يبقى من فيها حيا ولا تذر من فيها ميتا كلما
احترقوا جددوا واعيدوا وقيل لا تبقي لهم لحما ولا تذر منهم عظما وقيل لكل شيء ملال وفترة الا جهنم ليس لها ملال
ولا فترة فهي لا تبقي عليهم ولا تذرهم لواحة للبشر جمع بشرة اي مغيرة للجلد حتى تجعله اسود قال مجاهد تلفح الجلد حتى تدعه
اشد سوادا من الليل وقال ابن عباس محرقة للجلد وقيل تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا عليها تسعة عشر اي على النار
تسعة عشر من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر جاء في الاثر اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصي
يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبي احدهم مسيرة سنة قد نزعت منهم الرحمة يدفع احدهم سبعين الفا فيرميهم
حيث اراد من جهنم وقال عمرو بن دينار ان احدهم يدفع بالدفعة الواحدة اكثر من ربيعة ومضر وقال ابن عباس لما نزلت
هذه الاية قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبر ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم يعني

كاهن فهل رايتموه قط تكهن قالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر فهل رايتموه ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه حر

الشجعان افيعجز كل عشرة منكم ان يبطش بواحد منهم يعني خزنة جهنم فقال ابو الاسود بن الاسود كلدة بن خلف الجمحي
انا اكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني واكفوني انتم اثنين ويروى عنه انه قال انا امشي
بين ايديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبي الايمن وتسعة بمنكبي الايسر في النار ونمضي فندخل الجنة فانزل الله تعالى
وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة يعني لا رجالا ادميين فمن ذا يغلب الملائكة وانما جعلهم ملائكة ليكونوا من جنس
المعذبين واشد منهم لان الجنسية مظنة الرافة والرحمة وما جعلنا عدتهم اي عددهم في القلة الا فتنة
للذين كفروا اي ضلالة لهم حين قالوا ما قالوا وقيل فتنتهم هو قولهم لم يكونوا عشرين وما الحكم في تخصيص هذا
العدد وقيل فتنتهم قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع من في النار واجيب عن قولهم
لم لم يكونوا عشرين بان افعال الله تعالى لا تعلل ولا يقال فيها لم وتخصيص الزبانية بهذا العدد لامر اقتضته
الحكمة وقيل وجه الحكم في كونهم تسعة عشر ان العدد يجمع اكثر القليل واقل الكثير ووجه ذلك ان اقل الاعداد
واكثرها تسعة واقل الكثير عشرة فوقع الاقتصار على عدد يجمع اقل الكثير واكثر القليل لاكثر الحكمة وما سوى ذلك
من الاعداد فكثير لا يدخل تحت الحصر واجيب عن قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع اهل النار وذلك
بان الله جل جلاله يعطي هذا القليل من القوة والقدرة ما يقدرون على ذلك فمن اعترف بكمال قدرة الله وانه على كل
شيء قدير وان احوال القيامة على خلاف احوال الدنيا زال عن قلبه هذا الاستبعاد بالكلية ليستيقن الذين اوتوا الكتاب
يعني ان هذا العدد مكتوب في التوراة والانجيل وانهم تسعة عشر ويزداد الذين امنوا ايمانا يعني من امن من اهل
الكتاب يزدادون تصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان العدد كان موجودا في كتابهم واخبر به النبي صلى
الله عليه وسلم على وفق ما عندهم من غير سابقة دراسة وتعلم علم انما حصل له ذلك الا بالوحي السماوي فازداد
بذلك ايمانا وتصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يرتاب اي ولا يشك الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون يعني
في عددهم وانما قال ولا يرتاب وان كان الاستيقان يدل على نفي الارتياب ليجمع لهم بين اثبات اليقين ونفي
الشك وذلك ابلغ واكد لان فيه تعريضا بحال غيرهم كانه قال وليخالفهم حال الناس المرتابين من اهل الكفر
والنفاق وليقول الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق والكافرون اي مشركو مكة فان قلت
لم يكن بمكة نفاق فكيف قال وليقول الذين في قلوبهم وهم المنافقون وهذه السورة مكية قلت
لانه كان في علم الله تعالى ان النفاق سيحدث فاخبر عما سيكون وهو كسائر الاخبار بالغيوب فعلى هذا
تصير الاية معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبار عن غيب سيقع وقد وقع على وفق الخبر وقيل يحتمل
ان يراد بالذين في قلوبهم مرض اهل مكة لان فيهم من هو شاك وفيهم من هو قاطع بالكذب ماذا اراد الله بهذا
مثلا يعني اي شيء اراد الله بهذا المثل العجيب وانما سموه مثلا لانه استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من
الكلام وبدع استغرابا منهم بهذا العدد واستبعادا له والمعنى اي غرض قصد في جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين
ومرادهم انكار هذا من اصله وانه ليس من عند الله فلهذا سموه مثلا كذلك اي كما اضل من انكر عدد الخزنة وهدى من
صدق به كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء لان الله تعالى اليه الهداية والاضلال وما يعلم جنود
ربك الا هو هذا جواب لابي جهل حين قال اما لمحمد اعوان الا تسعة عشر والمعنى ان الخزنة تسعة عشر ولهم اعوان
وجنود من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى خلقوا لتعذيب اهل النار وقيل كما ان مقدورات الله تعالى
غير متناهية فكذلك جنوده غير متناهية وما هي يعني النار الا ذكرى للبشر اي الا تذكرة وموعظة
للناس يتعظون بها كلا اي لا يتعظون ولا يتذكرون وقيل معناه ليس الامر كما يقول من زعم انه يكفي اصحابه
خزنة النار وقيل كلا هنا بمعنى حقا والقمر والليل اذ ادبر اي ولى ذاهبا وقيل دبر بمعنى اقبل تقول العرب

[illegible]

Copyright © King Saud University

دبر لما خلا اي جا خلفه فالليل ياتي خلف النهار والصبح اذا اسفر اي اضاء وتبين وهذا قسم جوابه انها لاحدى
الكبر يعني ان سقر لاحدى الامور العظام وقيل اراد بالكبر دركات النار وهي سبعة جهنم ولظى والحطمة
والسعير وسقر والجحيم والهاوية نذيرا للبشر قيل يجعل ان يكون نذيرا صفة للنار والمعنى ان النار
نذير للبشر قال الحسن والله ما انذر شيء ادهى من النار وقيل يجوز ان يكون نذيرا صفة لله تعالى والمعنى
انا لكم منها نذير فاتقوها وقيل هو صفة للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه يا ايها المدثر قم نذيرا للبشر
فانذر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر اي يتقدم في الخير والطاعة او يتاخر عنها فيقع في الشر والمعصية والمعنى
ان الانذار قد حصل لكل واحد من امن او كفر وقد تمسك بهذه الاية من يرى ان العبد غير مجبور على الفعل وانه
متمكن من فعل نفسه واجيب عنه بان مشيته تابعة لمشية الله وقيل اضافة المشية الى المخاطبين على سبيل
التهديد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل هذه المشية لله تعالى والمعنى لمن شاء الله منكم ان يتقدم او يتاخر قوله تعالى كل نفس بما
كسبت رهينة اي مرتهنة في النار بكسبها وماخوذة بعملها الا اصحاب اليمين فانهم غير مرتهنين بذنوبهم في النار ولكن
الله يغفرها لهم قيل معناه فكوا رقاب انفسهم باعمالهم الحسنة كما يفك الراهن رهنه باداء الحق الذي عليه واختلفوا
في اصحاب اليمين من هم فقيل هم المومنون المخلصون وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا على
يمين ادم يوم اخذ الميثاق وحين قال لهم الله تعالى هولاء في الجنة ولا ابالي وقيل هم الذين كانوا ميامين اي
مباركين على انفسهم وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انهم اطفال المسلمين وهو اشبه بالصواب لان الاطفال لم يكتسبوا
اثما يرتهنون به وعن ابن عباس قال هم الملائكة في جنات اي هم في جنات يتساءلون عن المجرمين اي يتساءلون عن المجرمين
وعن صلة فيقولون لهم ما سلككم في سقر وقيل هذا يقوي قول من قال ان اصحاب اليمين هم الاطفال لانهم لم يعرفوا
الذنوب التي توجب النار وقيل معناه يسال بعضهم بعضا عن المجرمين فعلى هذا التفسير يكون معنى ما سلككم
يقول المسئولون للسائلين قلنا للمجرمين ما سلككم اي ادخلكم وقيل ما حبسكم في سقر وهذا سوال توبيخ
وتقريع فقالوا مجيبين لهم لم نك من المصلين اي لله في الدنيا ولم نك نطعم المسكين اي لم نتصدق عليه وكنا نخوض مع
الخائضين اي في الباطل وكنا نكذب بيوم الدين اي بيوم الجزاء على الاعمال وهو يوم القيامة حتى اتانا اليقين يعني الموت
قال الله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال ابن مسعود تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع
المومنين فلا يبقى في النار الا اربعة ثم تلا قالوا لم نك من المصلين الاية وقال عمران بن الحصين الشفاعة نافعة
لكل احد دون هولاء الذين يسمعون روى البغوي بسنده عن انس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصف اهل النار فيعذبون قال فيمر بهم الرجل من اهل الجنة فيقول الرجل منهم يا فلان ما تريد فيقول اما تذكر
رجلا سقاك شربة يوم كذا قال فيقول وانت لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه فما لهم عن التذكرة معرضين
اي عن مواعظ القران كانهم حمر جمع حمار مستنفرة قرئ بالكسر اي نافرة وقرئ بالفتح اي منفرة مذعورة مجمولة
على النفار فرت من قسورة قيل القسورة جماعة الرماة لا واحد لها من لفظه وهو رواية عن ابن عباس وعنه انها
القناص وعنه قال هي حبال الصيادين وقيل معناه فرت من رجال اقويا وكل ضخم شديد عند العرب قسورة
وقسور وقيل القسورة لغط القوم واصواتهم وقيل القسورة شدة سواد ظلمة الليل وقال ابو هريرة هي
الاسد وذلك لان الحمر الوحشية اذا عاينت الاسد هربت فكذلك هولاء المشركين اذا سمعوا النبي صلى الله عليه
وسلم يقرا القران هربوا منه شبههم بالحمر في البلادة والبله وذلك انه لا يرى مثل نفار حمر الوحش اذا خافت من شيء بل يريد
كل امرئ منهم ان يوتى صحفا منشرة قال المفسرون ان كفار قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليصبح عند راس
كل رجل منا كتاب منشور من الله انك رسوله نومر فيه باتباعك وقيل ان المشركين قالوا يا محمد بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل

كان

كان يصبح وعند راسه ذنبه وكفارته فاتنا بمثل ذلك كلا اي لا يوتون الصحف وهو ردع لهم عن هذه الاقتراحات
بل لا يخافون الاخرة اي لا يخافون عذاب الاخرة والمعنى انهم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الاية بعد قيام الادلة
لانها لما حصلت المعجزات الكثيرة كفت في الدلالة على صحة النبوة فطلب الزيادة يكون من باب التعنت كلا اي
حقا انه تذكرة يعني انه عظة عظيمة فمن شاء ذكره اي اتعظ به فانما يعود نفع ذلك عليه وما يذكرون الا ان يشاء الله
اي الا ان يشاء الله لهم الهدى فيتذكروا ويتعظوا هو اهل التقوى واهل المغفرة اي هو حقيق بان يتقيه
عباده ويخافوا عقابه فيومنوا به ويطيعوه وهو حقيق بان يغفر لهم ما سلف من كفرهم وذنوبهم وقيل هو اهل ان
يتقى محارمه واهل ان يغفر لمن اتقاه عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الاية
هو اهل التقوى واهل المغفرة قال الله تبارك وتعالى انا اهل ان اتقى فمن اتقاني فلم يجعل معي الها فانا اهل
ان اغفر له اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده سهل بن القطعي وليس بالقوي في الحديث وقد
تفرد به ثابت بن انس والله اعلم تفسير سورة القيامة مكية وهي اربعون اية ومائة وتسع وتسعون
كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل لا اقسم بيوم القيمة اتفقوا
على ان المعنى اقسم واختلفوا في لفظ لا فقيل ادخال لفظ لا على القسم مستفيض في كلام العرب واشعارهم
قال امرؤ القيس • لا وابيك ابنة العامري • لا يدعي القوم اني افر • قالوا وفائدتها تاكيد القسم
كقولك لا والله ما ذاك كما يقول يريد والله فيجوز حذفها لكنه ابلغ في الرد مع اثباتها وقيل انها صلة كقوله
الله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وفيه ضعف لانها لا تزاد الا في وسط الكلام لا في اوله واجيب عنه
بان القران في حكم السورة الواحدة بعضه متصل ببعض يدل عليه انه قد يجي ذكر الشي في سورة ويذكر
جوابه في سورة اخرى كقوله يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وجوابه في سورة ن ما انت بنعمة ربك
بمجنون واذا كان كذلك كان اول هذه السورة جاريا مجرى الوسط وفيه ضعف ايضا لان القران في حكم
السورة الواحدة في عدم التناقض لا ان تقرن سورة بما بعدها فقيل غير جائز وقيل لا رد لكلام المشركين المنكرين
للبعث الذي هذا الامر كما زعموا ثم ابتدا فقال اقسم بيوم القيامة واقسم بالنفس اللوامة وقيل الوجه فيه ان
يقال ان لا هي للنفي والمعنى في ذلك كانه لا اقسم بذلك اليوم ولا بتلك النفس الا اعظاما له فيكون الغرض
تعظيم المقسم به وتفخيم شانه وقيل معناه لا اقسم بهذه الاشياء على اثبات هذا المطلوب فان اثباته اظهر من ان
يقسم عليه وروى البغوي في تفسير القيامة عن المغيرة بن شعبة قال يقولون القيامة وقيامة احدهم
موته وشهد علقمة جنازة فلما دفن قال اما هذا فقد قامت قيامته وفيه ضعف لاتفاق المفسرين
على ان المراد به القيامة الكبرى لسياق الايات في ذلك وقوله ولا اقسم بالنفس اللوامة قيل هي التي تلوم على
الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء وقيل اللوامة هي التي تندم على ما فات فتقول لم فعلت ولو لم تفعل وقيل
ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهي تلوم نفسها ان كانت عملت خيرا تقول هلا ازددت وان عملت شرا تقول يا ليتني
لم افعل وقال الحسن هي نفس المومن ان المومن ما تراه الا يلوم نفسه ما اردت بكلامي ما اردت باكلي وان الكافر يمضي
قدما لا يحاسب نفسه ولا يعاتبها وقيل هي النفس الشريفة التي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعة وقيل هي
النفس الشقية تلوم النفوس العاصية يوم القيمة بسبب ترك التقوى وقيل هي النفس الشريفة التي لا تزال تلوم نفسها
وان اجتهدت في الطاعة وقيل هي النفس الشقية التي تلوم نفسها حين تعاين اهوال يوم القيامة فتقول
واحسرتا على ما فرطت في جنب الله **فان قلت** اي مناسبة بين يوم القيامة تظهر احوال النفوس
اللوامة حتى جمع بينهما في القسم **قلت** وجه المناسبة ان في يوم القيامة يظهر احوال النفوس اللوامة

Copyright © King Saud University

من الشقاوة والسعادة فلهذا احسن الجمع بينهما في القسم وقيل لما وقع في القسم بالنفس اللوامة على معنى التعظيم لها من حيث انها ابدا تستحقر فعلها واجتهادها في طاعة الله تعالى وقيل ان الله تعالى اقسم بيوم القيامة تعظيما لها ولا اقسم بالنفس اللوامة تحقيرا لها لان النفس الكافرة او الفاجرة لا يقسم بها **فان قلت** المقسم به هو يوم القيمة والمقسم عليه هو يوم القيمة فيصير حاصله انه اقسم بيوم القيامة على وقوع القيامة وفيه اشكال **قلت** ان المحققين قالوا القسم بهذه الاشيا قسم بربها في الحقيقة فكانه قال اقسم برب القيامة وقيل لله تعالى ان يقسم بما يشا من خلقه وجواب القسم محذوف تقديره ليبعثن ثم ليحاسبن يدل عليه قوله تعالى ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وقيل جواب القسم قوله بلى قادرين على ان نسوي بنانه ومعنى ايحسب الانسان ايظن هذا الكافر ان العظام بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطة بالتراب وبعد ما سفتها الرياح فطيرتها في اباعد الارض ان لن نجمع عظامه اي لا يمكننا جمعها مرة اخرى وكيف خطر بباله هذا الخاطر الفاسد وما علم ان القادر على الابتدا قادر على الاعادة نزلت هذه الاية في عدي بن ربيعة حليف بني زهرة وهو ختن الاخنس بن شريق الثقفي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفني جاري السوء عديا والاخنس وذلك ان عديا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد حدثني متى تكون القيامة وكيف امرها وحالها فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم فقال عدي بن ربيعة لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك ولم اومن به او يجمع الله العظام فانزل الله عز وجل ايحسب الانسان يعني هذا الكافر ان لن نجمع عظامه يعني بعد التفرق والبلا فنحييه كما كان اول مرة وقيل ذكر العظام واراد بها نفسه جميعها لان العظام قالب النفس ولا يستوي الخلق الا باستوائها وقيل انما خرج على وفق قول هذا المنكر ايجمع الله العظام بلى قادرين على جمع عظامه وتاليفها واعادتها الى التركيب الاول والحالة والهيئة الاولى وعلى ما هو اعظم من ذلك وهو ان نسوي بنانه يعني انامله فنجعل اصابع يديه ورجليه شيا واحدا كخف البعير او كحافر الحمار فلا يقدر ان يرتفق بها بالقبض والبسط والاعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرها وقيل معناه ظن الكافر ان لن نقدر على جمع عظامه بل نقدر على جمع عظامه حتى نعيد السلاميات على صغرها الى اماكنها ونؤلف بينها حتى يستوي البنان فمن يقدر على جمع العظام الصغار فهو على جمع كبارها اقدر وهذا القول اقرب الى الصواب وقيل انما خص البنان بالذكر لانه اخر ما يتم به الخلق بل يريد الانسان ليفجر امامه اي ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان لا ينزع عن المعاصي ولا يتوب قال سعيد بن جبير يقدم الذنب ويوخر التوبة ويقول سوف اتوب سوف اعمل حتى ياتيه الموت وهو على اسوء حالة وشر اعماله وقيل هو طول الامل يقول اعيش فاصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس يكذب بما امامه من البعث والحساب واصل الفجور الميل وسمي الكافر والفاسق فاجرا لميله عن الحق يسال ايان يوم القيمة اي متى يكون يوم القيامة والمعنى ان الكافر يسال سوال متعنت مستبعد لقيام الساعة قال الله تعالى فاذا برق البصر اي اذا شخص البصر عند الموت فلا يطرف مما راى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا وقيل تبرق ابصار الكفار عند رؤية جهنم وقيل برق اي شق عينه وفتحها من البرق وهو التلالؤ وخسف القمر اي اظلم وذهب ضوءه وجمع الشمس والقمر يعني اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران وقيل يجمع بينهما في ذهاب الضوء وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى يقول الانسان يعني الكافر المكذب يومئذ اين المفر اي المهرب وهو موضع الفرار كلا اي لا ملجا لهم يفرون اليه وهو قوله لا وزر اي لا حرز ولا ملجا ولا جبل وكانوا اذا فزعوا لجاوا الى الجبل فتحصنوا به فقيل لهم ما جبل لكم يومئذ تتحصنون به واصل الوزر الجبل المنيع وكلما التجات اليه وتحصنت به فهو وزر ومنه قول كعب بن مالك ● الناس الب علينا فيك ليس لنا ● الا السيوف واطراف القنا وزر ●

ومعنى

ومعنى الاية انه لا شي يعصمهم من امر الله تعالى لا حصن ولا جبل يوم القيامة يستترون اليه من النار الى ربك يومئذ المستقر يعني مستقر الخلق وقال عبد الله بن مسعود اليه المصير والمرجع وهو بمعنى الاستقرار اي موضع قرارهم من جنة او نار وذلك مفوض الى مشيته فمن شا ادخله الجنة برحمته ومن شا ادخله النار بعدله ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم واخر قال ابن مسعود وابن عباس بما قدم قبل موته من عمل صالح او سي وما اخر بعد موته من سنة حسنة او سيئة يعمل بها وعن ابن عباس ايضا بما قدم من المعصية واخر من الطاعة وقيل بما قدم من حق الله فضيعه وقيل باول عمله واخره وهو ما عمله في اول عمره وفي اخره وقيل بما قدم من طاعة الله واخر من ماله لورثته بل الانسان على نفسه بصيرة اي بل الانسان على نفسه من نفسه رقبا يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهي سمعه وبصره وجوارحه وانما دخلت الها في البصيرة لان المراد من الانسان جوارحه وقيل معناه بل الانسان على نفسه عين بصيرة وفي رواية عن ابن عباس بل الانسان على نفسه شاهد فتكون الها للمبالغة كعلامة ولو القى معاذيره يعني ولو اعتذر بكل عذر وجادل عن نفسه فانه لا ينفعه لانه قد شهد عليه شاهد من نفسه وقيل معناه ولو اعتذر فعليه من نفسه من يكذب عذره وقيل ان اهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه معاذير فعلى هذا يكون معناه ولو ارخى الستور واغلق الابواب ليخفي ما يعمل فان نفسه شاهدة عليه وهذا في حق الكافر لانه ينكر يوم القيامة فتشهد عليه جوارحه بما عمل في الدنيا لا تحرك به لسانك لتعجل به قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه فقال ابن عباس انا احركهما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرك شفتيه فانزل الله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه قال جمعه في صدرك ثم تقراه فاذا قراناه فاتبع قرانه قال فاستمع وانصت ثم ان علينا ان تقراه قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه جبريل بعد ذلك استمع فاذا انطلق جبريل قراه النبي صلى الله عليه وسلم كما اقراه وفي رواية كما وعده الله تعالى وفي رواية لفظ الحميدي ورواه البغوي من طريق البخاري وقال فيه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل بالوحي كان مما يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فانزل الله عز وجل الاية التي في لا اقسم بيوم القيامة لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه قال ان علينا ان نجمعه في صدرك ونقراه فاذا قراناه فاتبع قرانه فاذا انزلناه فاستمع ثم ان علينا بيانه ان علينا ان نبينه بلسانك قال فكان اذا اتاه جبريل اطرق فاذا ذهب قراه كما وعده الله تعالى وفي رواية كان يحرك شفتيه اذا نزل عليه يخشى ان ينفلت منه فقيل له لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه اي نجمعه في صدرك وقرانه اي نقراه ومعنى الاية لا تحرك بالقران لسانك وانما جاز هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه لتعجل به اي باخذه ان علينا جمعه وقرانه اي قراته عليك والمعنى سنقريك يا محمد بحيث تصير لا تنساه فاذا قراناه فاتبع قرانه اي اذا قراه جبريل عليك فلا تكن قراتك مقارنة لقراة جبريل بل اسكت حتى يتم جبريل ما يوحي اليك فاذا فرغ جبريل من القراءة فخذ انت فيها وجعل قراءة جبريل قراءته لانه بامره نزل بالوحي ونظيره ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل معناه فاعمل به واتبع حلاله وحرامه والقول الاول اولى لان هذا ليس موضع الامر باتباع حلاله وحرامه وانما هو موضع امر بالاستماع حتى يفرغ جبريل من قراته فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا نزل عليه جبريل بالوحي اصغى اليه فاذا فرغ من قراته وعاه النبي صلى الله عليه وسلم وحفظه ثم ان علينا بيانه اي نبينه بلسانك فتقراه كما اقراك جبريل وقيل اذا اشكل شي من معانيه فنحن نبينه لك وعلينا بيان ما فيه من الاحكام والحلال والحرام وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اشكل عليه شي سال جبريل عن معانيه لغاية حرصه على العلم فقيل له نحن نبينه لكم قوله تعالى كلا اي حقا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة اي تختارون الدنيا على العقبى وتعملون لها

Copyright © King Saud University

يخاطب اهل مكة وجوه يومئذ يعني يوم القيامة ناضرة من النضارة وهي الحسن قال ابن عباس حسنة وقيل مسرورة بالنعيم وقيل ناعمة وقيل مسفرة مضيئة وقيل بيض يعلوها النور وبها وقيل مشرقة بالنعيم الى ربها ناظرة قال ابن عباس واكثر المفسرين تنظر الى ربها عيانا بلا حجاب قال الحسن حق لها ان تنضر وهي تنظر الى الخالق سبحانه وتعالى وروي عن مجاهد وابي صالح انهما فسرا النظر في هذه الاية بالانتظار قال مجاهد تنتظر من ربها ما امر لها به وقال ابو صالح تنتظر الثواب من ربها قال الازهري ومن قال ان معنى قوله الى ربها ناظرة بمعنى منتظرة فقد اخطا لان العرب لا تقول نظرت الى الشي بمعنى انتظرته انما تقول نظرت فلانا اي انتظرته ومنه قول الحطيئة وقد نظرتكم ابناء صادرة للورد طال بها حوزي وتنساسي فاذا قلت نظرت اليه لم يكن الا بالعين واذا قلت نظرت في الامر احتمل ان يكون تفكرا فيه وتدبرا بالقلب وهذا اخر كلامه ويشهد لصحة هذا ان النظر الوارد في التنزيل بمعنى الانتظار كثير ولم يوصل في موضع بالى كقوله انظرونا نقتبس من نوركم وقوله هل ينظرون الا تاويله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله والوجه اذا وصف بالنظر وعدي بالى لم يحتمل غير الروية واما قوله انظر الى الله ثم اليك على معنى التوقع لفضل الله ثم فضلك فيكون النظر الى الوجه يحتمل نظرا بمعنى نظر القلب مما يجوز هنا اذا لم يسند الى الوجه وانا اسند النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب ولا انتظار [illegible] المعنيان لم يبق الا الروية كلام [illegible] ذلك عليه والاحاديث الصحيحة تعضد قول من فسر النظر في هذه الاية بالروية وسنذكرها ان شاء الله سبحانه وتعالى قال علما اهل السنة روية

فصل في اثبات روية المومنين ربهم سبحانه وتعالى في الاخرة

وان المومنين يرون الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا فاجمعوا على وقوعها في الاخرة وان المومنين يرون الله سبحانه وتعالى دون الكافرين بدليل قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وزعمت طوايف من اهل البدع كالمعتزلة والخوارج وبعض المرجية ان الله تعالى لا يراه احد من خلقه وان رويته مستحيلة عقلا وهذا الذي قالوه خطا صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الامة على اثبات روية الله تعالى في الاخرة للمومنين ورواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وايات القران فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة لها اجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من اهل السنة وكذلك باقي شبههم واجوبتها مستفاضة في كتب الكلام وليس هذا موضع ذكرها ثم مذهب اهل الحق ان الروية قوة يجعلها الله في خلقه ولا يشترط فيها اتصال الاشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك واما الاحاديث الواردة في اثبات الروية فمنها ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال وقد روي عن ابن عمر ولم يرفعه ق عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رويته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قوله لا تضامون بضم التاء وتشديد الميم وقد تفتح التاء التشديد ايضا ومعناه لا ينضم بعضكم الى بعض ولا تزدحمون وقت النظر اليه وروي بتخفيف الميم ومعناه لا ينالكم ضيم في رويته فيراه بعضكم دون بعض والضيم الظلم وقوله انكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر معناه تشبيه الروية بالروية في الوضوح وزوال الشك والمشقة لا تشبيه المرئي بالمرئي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون

فالشمس

في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم سترونه كذلك اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي وليس عنده في اوله ان ناسا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قوله ليس دونها سحاب قال الترمذي وقد روي مثل هذا الحديث عن ابي سعيد وهو صحيح وهذا الحديث طرف من حديث طويل قد اخرجه البخاري ومسلم ومعنى تضارون وتضامون واحد عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله اكلنا يرى ربه مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت وما اية ذلك في خلقه قال يا ابا رزين اليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله اعظم انما هو خلق من خلق الله يعني القمر فالله اجل واعظم اخرجه ابو داود م عن صهيب رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيا احب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى والاحاديث في الباب كثيرة وهذا القدر كاف والله اعلم قوله عز وجل ووجوه يومئذ باسرة اي عابسة كالحة متغيرة مسودة قد اظلمت الوانها وعدمت اثار النعمة والسرور منها لما ادركها من الياس من رحمة الله تعالى وذلك حين تميز اهل الجنة والنار تظن اي تستيقن والظن هنا بمعنى اليقين ان يفعل بها فاقرة اي يفعل بها امر عظيم من العذاب والفاقرة الداهية العظيمة والامر الشديد الذي يكسر فقار الظهر ويقصمه وقيل الفاقرة دخول النار وقيل هي ان تحجب تلك الوجوه عن روية الله تعالى كلا اي حقا اذا بلغت يعني النفس كناية عن غير مذكور التراقي جمع ترقوة وهي العظام بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الاشراف على الموت ومنه قول دريد بن الصمة ورب عظيمة دافعت عنها وقد بلغت نفوسهم التراقي وقيل يعني من حضره من راق اي هل من طبيب يرقيه ويداويه مما نزل به ويشفيه ويخلصه من ذلك برقيته ودوايه وقيل لما نزل قضا الله به في امر الله تعالى بما نزل التمسوا له الاطبا فلم يغنوا عنه من قضا الله شيا وقيل هذا من قول الملايكة الذين يحضرونه عند الموت يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه اذا خرجت فيصعد بها ملايكة الرحمة او ملايكة العذاب وظن اي تيقن الذي بلغت روحه التراقي انه الفراق اي الخروج من الدنيا وفراق المال والاهل والولد والتفت الساق بالساق اي اجتمعت الشدة بالشدة يعني شدة مفارقة الدنيا مع شدة الموت وكربه وقيل شدة الموت بشدة الاخرة وقيل تتابعت عليه الشدايد لا يخرج من كرب الا جاءه ما هو اشد منه وقال ابن عباس امر الدنيا بامر الاخرة فكان في اخر يوم من ايام الدنيا واول يوم من ايام الاخرة وقيل الناس يجهزون جسده والملايكة يجهزون روحه وقيل هما ساقاه اذا التفتا في الكفن وقيل هما ساقاه عند الموت الا تراه كيف يضرب باحدى رجليه على الاخرى عند النزع وقيل اذا مات يبست ساقاه فالتفت احداهما بالاخرى الى ربك يومئذ المساق اي مرجع العباد الى الله تعالى يساقون اليه يوم القيامة ليفصل بينهم قوله تعالى فلا صدق ولا صلى يعني ابا جهل لم يصدق بالقران ولم يصل لله تعالى ولكن كذب وتولى اي اعرض عن الايمان والتصديق ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر ويختال في مشيته وقيل اصله يتمطط اي يتمدد من المطي اولى لك فاولى هذا وعيد على وعيد من الله تعالى لابي جهل وهي كلمة موضوعة للتهديد والوعيد ومعناه ويل لك مرة بعد مرة وهو دعا عليه بان يليه ما يكرهه وقيل معناه انك اجدر بهذا العذاب واحق واولى يقال ذلك لمن يصيبه مكروه يستوجبه قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية اخذ بمجامع ثوب ابي جهل بالبطحاء وقال له اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى فقال ابو جهل اتوعدني يا محمد والله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيا واني لاعز من مشى بين جبليها

Copyright © King Saud University

فلما كان يوم بدر صرعه الله شر صرعة وقتله اشر قتلة وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل امة فرعونا
وان فرعون هذه الامة ابوجهل ايحسب الانسان ان يترك سدى اى مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يكلف فى الدنيا ولا
يحاسب فى الاخرة الم يك نطفة اى ماء قليلا من منى يمنى اى يصب فى الرحم والمعنى كيف يليق بمن خلق من شئ
قذر مستقذر ان يتكبر ويتمرد عن الطاعة ثم كان علقة اى صار الانسان علقة بعد النطفة فخلق فسوى
اى فقدر خلقه وسواه وعدله وقيل نفخ فيه الروح وكمل اعضاءه فجعل منه اى من الانسان الزوجين
اى الصنفين ثم فسرهما فقال الذكر والانثى اى خلق من مائه اولادا ذكورا واناثا اليس ذلك اى الذى فعل
هذا وانشأ الاشيا بقادر على ان يحيى الموتى اى على اعادتهم بعد الموت عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا منكم والتين والزيتون فانتهى الى اخرها اليس الله باحكم الحاكمين فليقل
بلى وانا على ذلك من الشاهدين ومن قرا لا اقسم بيوم القيامة فانتهى الى اليس ذلك بقادر على ان يحيى
الموتى فليقل بلى ومن قرا المرسلات فبلغ فباى حديث بعده يؤمنون فليقل امنا بالله اخرجه ابو داود
وله عن ابى موسى بن ابى عائشة قال كان رجل يصلى فوق بيته فكان اذا قرا اليس ذلك بقادر على ان يحيى
الموتى قال سبحانه بلى فسالوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ تفسير

سورة الانسان مدنية قال مجاهد وقتادة والجمهور وقيل مكية يحكى ذلك عن ابن عباس وعطا بن يسار
ومقاتل وقيل فيها مكى ومدنى فالمكى منها قوله ولا تطع منهم اثما او كفورا وباقيها مدنى قاله الحسن وعكرمة
وقيل ان المدنى منها اولها الى قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا ومن هذه الاية الى اخرها مكى حكاه
الماوردى وهى احدى وثلاثون اية ومايتان واربعون كلمة والف واربعة وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل هل اتى قد اتى على الانسان يعنى ادم عليه السلام حين من الدهر يعنى مدة اربعين سنة وقيل
وهو من طين ملقى م عن انس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله ادم فى الجنة
تركه ما شا الله ان يتركه فجعل ابليس يطوف به وينظر اليه فلما راه اجوف علم انه خلق لا يتمالك قوله يطوف
به يدور حوله فلما راه اجوف اى صاحب جوف وقيل هو الذى داخله خال وقوله عرف انه خلق لا يتمالك
اى لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات وقيل لا يملك دفع الوسواس عنه وقيل لا يملك نفسه عند الغضب
ويروى فى تفسير الاية ان ادم بقى اربعين سنة طينا واربعين سنة حما مسنونا واربعين صلصالا كالفخار
فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة لم يكن شيئا مذكورا اى لا يذكر ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد
به وذلك قبل ان ينفخ فيه الروح كان شيئا ولم يكن شيئا يذكر روى عن عمر انه سمع رجلا يقرا هذه الاية لم يكن شيئا
مذكورا فقال عمر ليتها تمت يعنى ليته بقى على ما كان عليه ويروى نحوه عن ابى بكر وابن مسعود وقيل
المراد بالانسان جنس الانسان وهو بنو ادم بدليل قوله انا خلقنا الانسان فالانسان فى الموضعين واحد
فعلى هذا يكون معنى قوله حين من الدهر طائفة من الدهر مقدرة لم يكن شيئا مذكورا يعنى انهم كانوا نطفا
فى الاصلاب ثم علقا ومضغا فى الارحام لم يذكروا بشئ انا خلقنا الانسان يعنى ولد ادم من نطفة اى من
منى الرجل ومنى المرأة امشاج اى اخلاط قال ابن عباس وغيره يعنى ماء الرجل وماء المرأة يختلطان فى الرحم
فيكون منهما الولد فماء الرجل ابيض غليظ وماء المرأة اصفر رقيق فايهما علا صاحبه كان الشبه له فما كان
من عصب وعظم فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة وقيل الامشاج اختلاط الوان
النطفة فنطفة الرجل بيضا ونطفة المرأة صفرا وكل لونين اختلطا فهو امشاج وقال ابن مسعود هى العروق
التى تكون فى النطفة وقيل هى نطفة مشجت اى خلطت بدم وهو دم الحيض فاذا حبلت المرأة ارتفع دم

الحيض

الحيض وقيل الامشاج اطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم تكسى لحما ثم ننشئه خلقا اخر وقيل ان
الله تعالى جعل فى النطفة اختلاطا من الطبايع التى تكون فى الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة
فعلى هذا يكون التقدير من نطفة ذات امشاج نبتليه اى نختبره بالامر والنهى فجعلناه سميعا بصيرا قيل
لنبتليه لان الابتلا لا يقع الا بعد تمام الخلقة وقيل معناه انا خلقنا الانسان من هذه الامشاج للابتلا
والامتحان ثم ذكر انه اعطاه ما يصح معه الابتلا وهو السمع والبصر وهما كنايتان عن الفهم والتمييز وقيل المراد
بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان وانما خصهما بالذكر لانهما اعظم الحواس واشرفها انا هديناه السبيل اى بينا له
سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة وعرفناه طريق الخير والشر وقيل ارشدناه الى الهدى لانه لا يطلق اسم السبيل
الا عليه والمراد من هداية السبيل نصب الدلايل وبعثة الرسل وانزال الكتب اما شاكرا واما كفورا يعنى اما موحدا طائعا
واما مشركا بالله فى علم الله وذلك ان الله تعالى بين سبيل التوحيد ليتبين شكر الانسان من كفره وطاعته من معصيته
وقيل فى معنى الاية اما مؤمنا سعيدا واما كافرا شقيا وقيل معناه الخبر اى بيناه له الطريق ان شكر او كفر وقيل
المراد من الشاكر الذى يكون مقرا معترفا بوجوب شكر خالقه سبحانه وتعالى عليه والمراد من الكفور الذى لا يقر
بوجوب الشكر عليه ثم بين ما للفريقين فوعد الشاكر واوعد الكافر فقال تعالى انا اعتدنا للكافرين اى هيأنا
فى جهنم الكافرين سلاسل اى يشدون بها واغلالا اى فى ايديهم تغل بها الى اعناقهم وسعيرا يعنى وقودا
لا يوصف شدته وهذا من اعظم انواع الترهيب والتخويف ثم ذكر ما اعد للشاكرين الموحدين فقال تعالى
ان الابرار يعنى المؤمنين الصادقين فى ايمانهم المطيعين لربهم واحدهم بار وبر واصله التوسع فمعنى البر
المتوسع فى الطاعة يشربون من كاس يعنى فيه شراب كان مزاجها كافورا وقيل يمزج لهم شرابهم بالكافور ويختم
بالمسك

فان قلت الكافور غير لذيذ وشربه مضر فما وجه مزج شرابهم به

قلت قال اهل المعانى اراد بالكافور فى بياضه وطيب ريحه وبرده لان الكافور لا يشرب
وقال ابن عباس هو اسم عين فى الجنة والمعنى ان ذلك الشراب يمازجه ماء هذه العين التى تسمى كافورا
ولا يكون فى ذلك ضرر لان اهل الجنة لا يمسهم ضرر فيما ياكلون ويشربون وقيل هو كافور لذيذ طيب وليس
ككافور الدنيا ولكن الله سمى ما عنده بما عندكم يمزج شرابهم بذلك الكافور والمسك والزنجبيل عينا بدل من الكافور
اى تقودونها الى حيث شاؤوا من منازلهم وقصورهم تجرى سهلا لا يمتنع عليهم قوله تعالى يوفون بالنذر لما وصف
الله تعالى ثواب الابرار فى الاخرة وصف اعمالهم فى الدنيا حتى يستوجبوا هذا الثواب والمعنى كانوا فى الدنيا يوفون
بالنذر والنذر الايجاب والمعنى يوفون بما فرض الله عليهم فيدخل فيه جميع الطاعات من الايمان والصلاة
والزكاة والصوم والحج والعمرة وغير ذلك من الواجبات وقيل النذر من عرف الشرع واللغة ان يوجب الرجل
على نفسه شيا ليس بواجب عليه وذلك بان يقول لله على كذا وكذا من صدقة او صلاة او صوم او حج او
عمرة او يعلق ذلك بامر يلتمسه من الله وذلك بان يقول ان شفى الله مريضى او قدم غايبى كان لله على كذا ولو
نذر فى معصية لا يجب الوفا به خ عن عايشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من نذر ان يطيع الله فليف بنذره ومن نذر ان يعصى الله فلا يف به وفى رواية فليطعه ولا يعصه
وعنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نذر فى معصية وكفارته كفارة يمين اخرجه الترمذى
وابو داود والنسائى ق عن ابن عباس قال استفتى سعد بن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى نذر كان على امه فتوفيت قبل ان تقضيه فامره ان يقضيه عنها اخرجه الجماعة وفى الاية دليل على وجوب
الوفا بالنذر وهذا مبالغة فى وصفهم على اداء الواجبات لان من وفى بما وجبه على نفسه كان لما اوجبه الله

وقيل العين عينا يشرب بها اى يشرب منها
قال ابن عباس واوليا الله
عباد الله يفجرونها تفجيرا

عليه اوفى ويخافون يوما كان شره مستطيرا اى منتشرا فاشيا ممتدا وقيل استطار خوفه فى اهل السموات واهل الارض
وفى اولياء الله واعدايه وقيل فشا شره فى السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وفزعت الملايكة وكورت
الشمس والقمر وفى الارض فنشققت الجبال وغارت المياه وكسر كل شى على الارض من جبل وبنا والمعنى انهم
يوفون بالنذر وهم خايفون من شر ذلك اليوم وهوله وشدته قوله عز وجل ويطعمون الطعام على حبه
اى حب الطعام وقلته وشهوتهم له والحاجة اليه فوصفهم الله تعالى بانهم يوثرون غيرهم على انفسهم بالطعام
ويواسون به اهل الحاجة وذلك لان اشرف انواع الاحسان والبر اطعام الطعام لانه به قوام الابدان وقيل
على حب الله عز وجل اى لحب الله مسكينا يعنى فقيرا وهو الذى لا مال له ولا يقدر على الكسب ويتيما اى صغيرا وهو
الذى لا اب له يكتسب له وينفق عليه واسيرا قيل هو المسجون من اهل القبلة يعنى من المسلمين وقيل الاسير
هو من اهل الشرك امر الله بالاسرا ان يحسن اليهم وان اسراهم يومئذ اهل الشرك فعلى هذا الوجه يجوز اطعام الاسرا
وان كانوا على غير ديننا وانه يرجى ثوابه ولا يجوز ان يعطى من الصدقة الواجبة كالزكاة والكفارة وقيل الاسير المملوك
وقيل الاسير المراة لقول النبى صلى الله عليه وسلم اتقوا الله فى النسا فانهن عندكم عوان يعنى اسرا وقيل غريمك اسيرك
فاحسن الى اسيرك واختلفوا فى سبب نزول الاية فقيل نزلت فى رجل من الانصار يقال له ابو الدحداح صام يوما
فلما كان وقت الافطار جاه مسكين ويتيم واسير فاطعمهم ثلاثة ارغفة وبقى له ولاهله عشى واحد فنزلت هذه
فيه وروى عن ابن عباس انها نزلت فى على بن ابى طالب رضى الله عنه وذلك انه عمل ليهودى بشى من شعير
فقبض ذلك الشعير فطحن منه ثلثه واصلحوا منه شيا ياكلونه فلما فرغ اتى مسكين فسال فاعطوه ذلك
ثم عمل الثلث الثانى فلما فرغ اتى يتيم فسال فاعطوه ذلك ثم عمل الثلث الباقى فلما تم نضجه اتى اسير
من المشركين فسال فاعطوه ذلك وطووا يومهم وليلتهم فنزلت هذه الاية وقيل الاية عامة فى كل من اطعم
المسكين واليتيم والاسير لله تعالى واثر على نفسه انما نطعمكم لوجه الله اى لاجل وجه الله لا نريد منكم
جزاء ولا شكورا قيل انهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم فاثنى به عليهم وقيل قالوا ذلك منعا للمحتاجين
من المكافاة وقيل قالوا ذلك ليقتدى بهم غيرهم فى ذلك وذلك لان الاحسان الى الغير تارة يكون لاجل الله
تعالى لا يريد به غيره فهذا هو الاخلاص وتارة يكون لطلب المكافاة او لطلب الحمد من الناس اولهما وهذان القسمان
مردودان لا يقبلهما الله تعالى لان فيهما شركا وريا فنفوا ذلك عنهم لقولهم انما نطعمكم لوجه الله لا نريد
منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما يعنى ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لطلب مكافاتكم
عبوسا وصف اليوم بالعبوس مجازا كما يقال نهاره صايم والمراد اهله والمعنى تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته
وقيل وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة قمطريرا يعنى شديدا كريها يقبض الوجوه والجباه بالتعبيس وقيل
العبوس الذى لا انبساط فيه والقمطرير الشديد وقيل هو اشد ما يكون من الايام واطوله فى البلا فوقاهم الله شر
ذلك اليوم اى الذى يخافونه ولقاهم نضرة اى حسنا فى وجوههم وسرورا اى فى قلوبهم وجزاهم بما صبروا اى على
طاعة الله واجتناب معصيته وقيل على الفقر والجوع مع الوفا بالنذر والايثار جنة وحريرا اى ادخلهم الجنة والبسهم
الحرير متكئين فيها اى فى الجنة على الارايك جمع اريكة وهى السرر فى الحجال ولا تسمى اريكة الا اذا اجتمعا لا يرون
فيها شمسا ولا زمهريرا يعنى لا يوذيهم حر الشمس ولا برد الزمهرير كما كان يوذيهم فى الدنيا والزمهرير اشد البرد
وحكى الزمخشرى قولا ان الزمهرير هو القمر وعن ثعلب انه فى لغة طى وانشد * وليلة ظلامها قد اعتكر *
قطعتها والزمهرير ما زهر * والمعنى ان الجنة ضيا لا يحتاج فيها الى شمس وقمر ودانية عليهم ظلالها اى قريبة
منهم ظلال اشجارها وذللت اى سخرت وقربت قطوفها اى ثمارها تذليلا اى ياكلون من ثمارها قياما

وقعودا

وقعودا ومضطجعين وبنا ولو يتناولون حيث شاوا على اى حال ارادوا ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب قيل هى الكيزان
التى لا عرى لها كالقدح ونحوه كانت قواريرا قوارير من فضة قال اهل التفسير اراد بياض الفضة فى صفا القوارير
وهو الزجاج والمعنى انية اهل الجنة من فضة بيضا فى صفا الزجاج والمعنى يرى ما فى باطنها من ظاهرها قال
الكلبى ان الله تبارك وتعالى جعل قوارير كل قوم من تراب ارضهم وان ارض الجنة من فضة فجعل منها قوارير يشربون
فيها وقيل ان القوارير التى فى الدنيا من الرمل والقوارير التى فى الجنة من الفضة ولكنها اصفى من الزجاج قدروها
تقديرا اى قدروا الكوس على قدر ريهم وكفايتهم لا تزيد ولا تنقص والمعنى ان السقاة والخدم الذين يطوفون
عليهم يقدرونها لهم ثم يسقونهم ويسقون فيها اى فى الجنة كاسا كان مزاجها زنجبيلا قيل ان الزنجبيل هو اسم
للعين التى يشرب منها الابرار يوجد منها طعم الزنجبيل يشرب بها المقربون صرفا وتمزج لاهل الجنة جميعهم وقيل
هو النبت المعروف والعرب كانوا يجعلون الزنجبيل فى شرابهم لانه يحصل فيه ضرب من اللذع الا ترى ان العسل والما
المستخرج من بيوت النحل وقال المسيب معناه فكان طعم الزنجبيل به اذا ذاقه وشابه الخمر فلما كان الزنجبيل
مستطابا عند العرب وصف الله تعالى شراب اهل الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك قال ابن
عباس كلما ذكر الله تعالى فى القران مما فى الجنة وسماه ليس له مثل فى الدنيا وذلك لان زنجبيل الجنة لا يشبه زنجبيل
الدنيا عينا فيها تسمى سلسبيلا اى سلسة منقادة لهم يصرفونها حيث شاوا وقيل حديدة الجرية سميت سلسبيلا
لانها تسيل عليهم فى طرقهم ومنازلهم تنبع من اصل العرش من جنة عدن الى ساير الجنان وقيل سميت بذلك لانها
فى غاية السلامة تتسلسل فى الحلق ومعنى تسمى اى توصف لان اكثر العلما على ان سلسبيل صفة لا اسم
ويطوف عليهم ولدان مخلدون اى فى الخدمة وقيل مخلدون اى مقرطون اذا رايتهم حسبتهم لولوا منثورا يعنى فى بياض اللولو
الرطب وحسنه وصفايه واللولو اذا انتثر على البساط كان اصفى منه منظوما وقيل انما شبهوا بالمنثور
لانتشارهم فى الخدمة * قوله عز وجل واذا رايت قيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل لكل واحد ممن يدخل
الجنة والمعنى اذا رايت ببصرك ونظرت به ثم يعنى الى الجنة رايت نعيما اى لا يوصف عظمه وملكا
كبيرا قيل هو ان ادناهم منزلة من ينظر فى ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل ان رسول
العزة من الملايكة لا يدخل عليه الا باذنه وهو استيذان الملايكة عليهم وقيل معناه ملكا لا زوال له
ولا انتقال عاليهم اى فوقهم ثياب سندس خضر وهو ما رق من الديباج واستبرق وهو ما غلظ منه وكلاهما
داخل فى اسم الحرير وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا يعنى طاهرا من الاقذار والادران
لم تمسه الايدى ولم تدنسه الارجل كخمر الدنيا وقيل انه لا يستحيل بولا ولكنه يستحيل رشحا فى ابدانهم كريح المسك
وذلك انهم يوتون بالطعام ثم من بعده يوتون بالشراب الطهور فيشربون منه فتطهر بطونهم ويصير
ما اكلوه رشحا يخرج من جلودهم اطيب من المسك الاذفر وتضمر بطونهم وتعود شهوتهم وقيل الشراب هو
الشراب الطهور هو عين على باب الجنة من شرب منه نزع الله ما كان فى قلبه من غل وغش وحسد ان هذا
كان لكم جزاء اى يقال لاهل الجنة بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم نعيمها ان هذا كان لكم جزاء قد اعده الله لكم الى هذا
الوقت فهو لكم باعمالكم وقيل الخبار من الله تعالى لعباده المومنين انه قد اعده لهم فى الاخرة وكان سعيكم مشكورا
اى شكرتكم عليه واثبتكم افضل منه الثواب وقيل شكر الله لعباده وهو رضاه عنهم بالقليل من الطاعة
واعطاه اياهم الكثير من الخيرات قوله عز وجل انا نحن نزلنا عليك اى يا محمد القران تنزيلا قال ابن عباس متفرقا
اية بعد اية ولم ينزل جملة واحدة والمعنى انزلنا عليك القران متفرقا فالحكمة بالغة تقتضى تخصيص كل شى بوقت
معين والمقصود من ذلك تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرح صدره وان الذى انزله اليه وحى

Copyright © King Saud University

يهانة ولاشى لتزول تلك الوحشة التى حصلت له من قول الكفار انه ساحر او كاهن فاصبر لحكم ربك فى
تاخير الاذن فى القتال وقيل هو عام فى جميع التكاليف اى فاصبر لحكم ربك فى كل ما حكم الله به سوا كان تكليفا خاصا
كالعبادات والطاعات او عاما متعلقا بالغير كالتبليغ واما الرسالة وتحمل المشاق وغير ذلك ولا تطع منهم اثما
او كفورا يعنى وكفورا وقيل اراد به ابا جهل وذلك انه لما فرضت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم نهاه ابو جهل
عنها فقال لان رايت محمدا يصلى لاطان عنقه وقيل اراد بالاثم عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة
وذلك انهما قالا للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت صنعت ما صنعت لاجل النسا والمال فارجع
عن هذا الامر وقال عتبة انا ازوجك ابنتى واسوقها اليك بغير مهر وقال الوليد انا اعطيك من
المال حتى ترضى وارجع عن هذا الامر فانزل الله تعالى هذه الاية **فان قلت** هل من
فرق بين الاثم والكفور **قلت** الاثم هو المقدم على المعاصى اى معصية كانت
والكفور هو الجاحد فكل كفور اثم ولا ينعكس لان من عبد غير الله فقد اجتمع فى حقه هذان الوصفان
لانه لما عبد غير الله فقد عصاه وجحد نعمه عليه واذكر اسم ربك بكرة واصيلا قيل المراد من الذكر الصلاة
والمعنى وصل لربك بكرة يعنى صلاة الصبح واصيلا يعنى صلاة الظهر والعصر ومن الليل فاسجد له يعنى
صلاة المغرب والعشا فعلى هذا تكون الاية جامعة لمواقيت الصلوات الخمس وسبحه ليلا طويلا يعنى
صلاة التطوع بعد المكتوبة وهو التهجد بالليل وقيل المراد من الاية هو الذكر باللسان والمقصود ان
يكون ذكر الله تعالى فى جميع الاوقات فى الليل والنهار بقلبه وبلسانه قوله عز وجل ان هؤلا يعنى كفار
مكة يحبون العاجلة يعنى الدار العاجلة وهى الدنيا ويذرون وراءهم يعنى امامهم يوما ثقيلا يعنى شديدا
وهو يوم القيمة والمعنى انهم يتركون فلا يؤمنون به ولا يعملون له نحن خلقناهم وشددنا اى قوينا ولو شئنا
اهلكناهم واحكمنا اسرهم اى خلقهم وقيل اوصالهم شددنا بعضها الى بعض بالعروق والاعصاب وقيل
الاسر مجرى البول والغائط وذلك انه اذا خرج الاذا انقبضتا واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا اى اذا شئنا
اهلكناهم واتينا باشباههم فجعلناهم بدلا منهم ان هذه السورة تذكرة اى تذكير وعظة فمن شاء اتخذ لنفسه
فى الدنيا الى ربه سبيلا اى وسيلة بالطاعة والتقرب لديه وهذه مما يتمسك بها القدرية ويقولون
اتخاذ السبيل هو عبارة عن التقرب الى الله تعالى وهو الى اختيار العبد ومشيته قال اهل السنة ويرد
عليهم قوله عز وجل فى سياق الاية وهو قوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشا الله اى لستم تشاؤن الا بمشية
الله تعالى لان الامر اليه ومشية الله مستلزمة لفعل العبد فجميع ما يصدر عن العبد بمشية الله
جل جلاله وتعالى عطاؤه وشانه ان الله كان عليما اى باحوال خلقه وما يكون منهم حكيما اى حيث خلقهم
مع علمه بهم يدخل من يشا فى رحمته اى فى دينه وفى جنته فان فسرت الرحمة بالدين كان ذلك من الله تعالى
وان فسرت بالجنة لان دخول الجنة بسبب مشية الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه وفضله واحسانه
لا بسبب الاستحقاق والظالمين يعنى المشركين اعد لهم عذابا اليما والله اعلم **تفسير سورة والمرسلات** مكية
وهى خمسون اية ومائة وثمانون كلمة بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والمرسلات عرفا فالعاصفات
عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا اعلم ان المفسرين ذكروا
فى هذه الكلمات الخمس وجوها الاول ان المراد بنشرها الرياح ومعنى المرسلات عرفا الرياح ارسلت متتابعة
كعرف الفرس وقيل عرفا اى كثيرا فالعاصفات عصفا يعنى الرياح الشديدة الهبوب والناشرات يعنى
الرياح اللينة وقيل الرياح التى ارسلها نشرا بين يدى رحمته وقيل هى الرياح تنشر السحاب وتاتى بالمطر فالفارقات

فرقا

فرقا يعنى الرياح التى تفرق السحاب وتبدده فالملقيات ذكرا يعنى ان الرياح اذا ارسلت عاصفة شديدة
قلعت الاشجار وخربت الديار وغيرت الاثار فيحصل بذلك خوف العباد فى القلوب فيلجؤا الى الله تعالى ويذكروه
فصارت تلك الرياح كانها القت الذكر والمعرفة فى القلوب عند حدوث هبوبها الوجه الثانى ان المراد
بنشرها الملائكة الذين ارسلهم الله تعالى ومعنى والمرسلات عرفا هم الملائكة الذين ارسلوا بالمعروف من امر
الله ونهيه وهذا القول رواية عن ابن مسعود فالعاصفات عصفا يعنى الملائكة تعصف فى طيرانها ونزولها
كعصف الرياح فى السرعة والناشرات نشرا يعنى انهم اذا نزلوا الى الارض نشروا اجنحتهم وقيل هم الذين ينشرون
الكتب ودواوين الاعمال يوم القيامة فالفارقات فرقا قال ابن عباس يعنى الملائكة تاتى بما يفرق بين
الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعنى الملائكة تلقى الذكر الى الانبيا وقيل يجوز ان يكون المراد من الذكر هو القران
خاصة فعلى هذا يكون الملقى جبريل وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم الوجه الثالث ان المراد
بنشرها ايات القران ومعنى والمرسلات عرفا ايات القران المتتابعة فى النزول على محمد صلى الله عليه
وسلم بكل عرف وخير فالعاصفات عصفا يعنى ايات القران تعصف القلوب بذكر الوعيد حتى تجعلها
كالعصف وهو النبت المتكسر والناشرات نشرا يعنى ايات القران تنشر انوار الهداية والمعرفة فى قلوب
المؤمنين فالفارقات فرقا يعنى ايات القران تفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعنى ايات القران
هى الذكر الحكيم التى تلقى القران والنور فى قلوب المؤمنين الوجه الرابع ان ليس المراد من هذه الكلمات الخمس
شيا واحدا بعينه فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات
نشرا الرياح ويكون المراد بقوله فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا الملائكة **فان قلت**
وما المجانسة بين الرياح والملائكة حتى جمع بينهما فى القسم **قلت** الملائكة روحانيون فهم
بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم شابهوا الرياح فحصلت المجانسة بينهم من هذا الوجه فحسن الجمع بينهم فى القسم
عذرا او نذرا الاعذار والانذار وقيل عذرا من الله ونذرا منه الى خلقه وهذه كلها اقسام وجواب القسم قوله تعالى
انما توعدون اى من امر الساعة ومجيها لواقع لكاين نازل لا محالة وقيل انما توعدون به من الخير والشر لواقع بكم
ثم ذكر متى تقع فقال تعالى فاذا النجوم طمست اى محى نورها وقيل محقت واذا السماء فرجت اى شقت وقيل
فتحت واذا الجبال نسفت اى قلعت من اماكنها واذا الرسل اقتت وقرى وقتت بالواو ومعنى ذلك واحد
اى جمعت لميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة ليشهدوا على الامم لاى يوم اجلت اى اخرت وضرب
الاجل لجمعهم كانه تعالى تعجب العباد من تعظيم ذلك اليوم والمعنى جمعت الرسل فى ذلك اليوم فقال تعالى
ليوم الفصل قال ابن عباس يوم يفصل الرحمن بين الخلايق ثم اتبع ذلك تعظيما وتهويلا فقال تعالى وما ادراك
ما يوم الفصل اى وما اعلمك بيوم الفصل وهوله وشدته ويل يومئذ للمكذبين اى بالتوحيد والنبوة والمعاد
والبعث والحساب وقوله تعالى الم نهلك الاولين يعنى الامم الماضية بالعذاب فى الدنيا حين كذبوا رسلهم ثم
نتبعهم الاخرين يعنى السالكين سبيلهم فى الكفر والتكذيب وهم كفار قريش نهلكهم بتكذيبهم محمدا صلى الله عليه
وسلم كذلك نفعل بالمجرمين اى انا نفعل بهم ذلك لكونهم مجرمين ويل يومئذ للمكذبين الم نخلقكم من ماء مهين يعنى النطفة
فجعلناه فى قرار مكين يعنى الرحم الى قدر معلوم هو الله تعالى لا يعلم ذلك غيره فقدرنا قرى بالتشديد من التقدير
اى قدرنا ذلك تقديرا فنعم القادرون اى المقدرون له وقرى بالتخفيف من القدرة اى قدرنا على خلقه
وتصويره كيف شينا فنعم القادرون حيث خلقناه فى احسن صورة وهيئة ويل يومئذ للمكذبين اى المنكرين
للبعث لان القادر على الابتدا قادر على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا يعنى وعاء واصله الضم والجمع احياء

وامواتا يعني تكفتهم على ظهرها بعضهم في دورهم ومنازلهم وتكفتهم امواتا في بطنها في قبورهم ولذلك تسمى الارض اما لانها
تضم الناس كالام تضم ولدها وجعلنا فيها اي في الارض رواسي شامخات يعني جبالا عاليات واسقيناكم ماء فراتا يعني عذبا
ويل يومئذ للمكذبين يعني ان هذا كله اعجب من البعث فالقادر عليه قادر على البعث قوله عز وجل انطلقوا الى ما كنتم به
تكذبون اي يقال للمكذبين يوم القيامة في الدنيا انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون وهو العذاب ثم فسره بقوله انطلقوا
الى ظل ذي ثلاث شعب يعني دخان جهنم اذا سطع وارتفع الشعب وانفرق ثلاث فرق وكذلك شان الدخان العظيم
فيقال لهم كونوا فيه الى ان يفرغ من الحساب كما يكون اولياء الله تعالى في ظل عرشه وقيل يخرج عنق من النار فيتشعب
ثلاث شعب على رؤسهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم لا ظليل اي ذلك لا يظل من حر ولا يغني من اللهب اي يرد عنهم لهب
جهنم انهم اذا استظلوا بذلك الظل لا يدفع عنهم حر اللهب انها يعني جهنم ترمي بشرر جمع شرارة وهو ما تطاير من النار
كالقصر اي كالبناء العظيم ونحوه وقيل هو اصول الشجر والنخل العظيم واحدتها قصرة وسئل ابن عباس عن قوله ترمي بشرر
كالقصر فقال هي الخشب العظام المقطعة وكنا نعمد الى الخشبة فنقطعها ثلاثة اذرع وفوق ذلك ودونه وندخرها
للشتاء وكنا نسميها القصر كانه يعني الشرر جمالات جمع الجمال قال ابن عباس هي حبال السفن يجمع بعضها الى بعض حتى تكون
كاوساط الجبال صفر جمع اصفر يعني انه نور تلك الشرار وانشد بعضهم • دعتهم باعلى صوتها ورمتهم •
• بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى • وقيل الصفر هنا معناه الاسود لانه جاء في الحديث شرر نار جهنم اسود كالقير
والعرب تسمي سواد الغراب صفرا لانه يشرب سوادها شيء من الصفرة وقيل هي قطع النحاس والمعنى ان هذا
الشرر يرتفع كانه شيء مجموع غليظ اصفر ويل يومئذ للمكذبين قوله عز وجل هذا يوم لا ينطقون يعني بحجة تنفعهم
وقيل هذا في بعض مواطن القيامة ومواقفها وذلك لان في بعضها يتكلمون وفي بعضها يختصمون وفي بعضها يختم على
افواههم فلا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على يؤذن واختير ذلك لان رؤس الاي بالنون فلو قال
فيعتذروا لم يوافق الايات والعرب تستحب وفاق الفواصل والمعنى لا يكون اذن فاعتذار قال الجنيد اي
عذر لمن اعرض عن منعمه **فان قلت** قد توهم ان لهم عذرا ولكن قد منعوا من ذكره
قلت ليس لهم عذر في الحقيقة لانه قد تقدم الاعذار والانذار في الدنيا فلم يبق لهم عذر
في الاخرة ولكن ربما يخيلوا خيالا فاسدا ان لهم عذرا فلم يؤذن لهم في ذلك العذر الفاسد ويل يومئذ للمكذبين يعني انه لما
تبين انه لا عذر لهم ولا حجة فيما اتوا به من الاعمال السيئة ولا قدرة لهم على دفع العذاب عنهم لا جرم قال في حقهم
ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل يعني بين اهل الجنة واهل النار وقيل هو الفصل بين العباد في الحقوق والمحاكمات
جمعناكم والاولين يعني مكذبي هذه الامة والذين كذبوا انبياءهم من الامم الماضية فان كان لكم كيد فكيدون اي ان
كانت لكم حيلة تحتالون بها لانفسكم فاحتالوا ان الحيل يومئذ منقطعة لا تنفع وهذا في نهاية التوبيخ والتقريع
فلهذا عقبه بقوله ويل يومئذ للمكذبين قوله عز وجل ان المتقين اي الذين اتقوا الشرك في ظلال جمع ظل وهو ظل
الاشجار وعيون اي في ظلهم عيون ماء وفواكه مما يشتهون اي يتلذذون بها كلوا واشربوا اي ويقال لهم كلوا واشربوا
وهذا القول يحتمل ان يكون من جهة الله تعالى بلا واسطة وما اعظمها من نعمة ويكون من جهة الملائكة على سبيل الاكرام
هنيئا اي خالص اللذة لا يشوبه تنغيص بما كنتم اي تعملون في الدنيا من الطاعات انا كذلك نجزي المحسنين
قيل المقصود منه تذكير الكفار ما فاتهم من النعم العظيمة ليعلموا انهم لو كانوا من المتقين المحسنين لفازوا بمثل ذلك الخير
العظيم فلما لم يفعلوا ذلك وقعوا في قوله ويل يومئذ للمكذبين قوله عز وجل كلوا وتمتعوا قليلا اي يقول لكفار مكة
كلوا وتمتعوا قليلا في الدنيا الى منتهى اجالكم وهذا وان كان في ظاهر اللفظ امرا الا انه في المعنى نهي بليغ وزجر عظيم انكم
مجرمون اي مشركون بالله مستحقون للعقاب لا جرم اتبعه بقوله ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون اي صلوا

قيل

قيل لهم صلوا مع محمد واصحابه لا يصلون فعبر عن الصلاة بلفظ الركوع لانه ركن من اركانها وقال ابن عباس انما يقال لهم هذا
يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث بعده يؤمنون اي بعد نزول
القران اذا لم يؤمنوا به فباي شيء يؤمنون والله اعلم

تفسير سورة النبأ وتسمى سورة عم والتساؤل

مكية وهي اربعون اية ومائة وثلاثة وسبعون كلمة وتسعمائة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل عم اصله عن ما
يتساءلون اي عن اي شيء يتساءل هؤلاء المشركين ولفظه استفهام ومعناه التفخيم كقولك اي شيء زيد اذا عظمت شانه وذلك ان النبي يعني
صلى الله عليه وسلم لما دعاهم الى التوحيد واخبرهم بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القران جعلوا يتساءلون بينهم
فيقول بعضهم لبعض ماذا جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر عن ماذا تساءلوا فقال تعالى عن النبأ العظيم اي
الخبر العظيم الشان قال الاكثرون هو القران وقيل هو البعث وقيل هو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما
جاء به الذي هم فيه مختلفون فمن فسر النبأ العظيم بالقران قال اختلافهم فيه هو قولهم انه سحر او كهانة او نحو ذلك مما قالوا
في القران ومن فسر النبأ العظيم بالبعث قال اختلافهم فيه فمنهم مصدق به وهم المؤمنون ومنهم مكذب به وهم الكافرون
ومن فسره بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال اختلافهم فيه كاختلافهم في القران كلا هي ردع وزجر وقيل بل نفي لاختلافهم
والمعنى ليس الامر كما قالوا سيعلمون اي عاقبة تكذيبهم حين ينكشف الامر يعني في القيامة ثم كلا سيعلمون وعيد على
اثر وعيد وقيل معناه كلا سيعلمون يعني المؤمنين عاقبة تصديقهم وايمانهم ثم ذكر اشياء من عجائب صنائعه ليستدلوا
بذلك على توحيده ويعلمون انه قادر على ايجاد العالم وفنائه قادر على ايجاده مرة اخرى للبعث والحساب والثواب والعقاب
فقال تعالى الم نجعل الارض مهادا اي فراشا وبساطا لتستقر عليها الاقدام والجبال اوتادا يعني للارض حتى لا تميد وخلقناكم
ازواجا يعني اصنافا ذكورا واناثا وجعلنا نومكم سباتا اي راحة لابدانكم وليس الغرض ان السبات الراحة بل المقصود
ان النوم يقطع التعب ويزيله ومع ذلك تحصل الراحة واصل السبت القطع ومعناه ان النوم يقطع من الحركة والتعب
في الاعمال وجعلنا الليل لباسا اي غطاء وغشاء يستر كل شيء بظلمة الليل عن العيون اذا اراد هربا من عدو ونحو ذلك وجعلنا
النهار معاشا اي سببا للمعاش والتصرف في المصالح وقال ابن عباس يبتغون من فضل الله وما قسم لكم من رزقه وبنينا
فوقكم سبعا شدادا يعني سبع سموات محكمة ليس يتطرق عليها شقوق ولا فطور على مر الزمان الى ان يأتي امر الله تعالى
وجعلنا سراجا وهاجا يعني الشمس مضيئة منيرة وقيل الوهاج الوقاد وقيل جعل في الشمس حرارة ونورا والوهج يجمع
النور والحرارة وانزلنا من المعصرات يعني الرياح التي تعصر السحاب وهي رواية عن ابن عباس وقيل هي الرياح ذوات الاعاصير
وعلى هذا المعنى يكون من بمعنى الباء اي وانزلنا بالمعصرات وذلك ان الريح يستدر بالمطر وقيل هي السحاب
وفي الرواية الاخرى عن ابن عباس قيل المعصرات السحائب التي تتحلب بالمطر ولا تمطر وقيل المعصرات المغيثات والعاصر
هو المغيث وقيل المعصرات السموات وذلك ان المطر ينزل من السماء الى الارض السحاب ماء ثجاجا اي صبابا مدرارا
متتابعا يتلو بعضه بعضا ومنه الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي
لنخرج به اي بذلك الماء حبا اي مما ياكله الناس كالحنطة ونحوها ونباتا اي ما ينبت في الارض من الحشيش مما
ياكل منه الانعام وجنات الفافا اي ملتفة بالشجر ليس بينها خلال فدل على البعث بهذا الخلق ثم اخبر عنه بقوله
تعالى ان يوم الفصل اي الحساب كان ميقاتا اي لما وعد الله من الثواب والعقاب وقيل ميقاتا يجتمع فيه
الخلائق ليقضي بينهم يوم ينفخ في الصور يعني النفخة الاخيرة فتاتون افواجا يعني زمرا من كل مكان للحساب
وفتحت السماء فكانت ابوابا يعني فكانت ذات ابواب لنزول الملائكة وقيل تنحل وتتناثر حتى يصير فيها ابوابا وطرقا
وسيرت الجبال اي عن وجه الارض فكانت سرابا اي هباء منبثا كالسراب في عين الناظر ان جهنم كانت مرصادا اي طريقا
وممرا فلا سبيل لاحد الى الجنة حتى يقطع النار وروي عن ابن عباس ان على جسر جهنم سبعة محابس يسئل العبد عند

Copyright © King Saud University

اولها عن شهادة ان لا اله الا الله فان جاء بها تامة جاز الى الثانى فيسئل عن الصلوات فان جاء بها تامة جاز الى الثالث
فيسئل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسئل عن الصوم فان جاء بها تامة جاز الى الخامس فيسئل عن الحج فان جاء به
تاما جاز الى السادس فيسئل عن العمرة فان جاء بها تامة جاز الى السابع فيسئل عن المظالم فان خرج منها والا يقال انظروا فان
كان له تطوع اكمل به اعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة وقيل كانت مرصادا اى معدة لهم وقيل هو من رصدت
الشئ ارصده اذا ترقبته والمرصاد المكان الذى يرصد فيه الراصد العدو والمعنى ان جهنم ترصد الكفار
اى تنتظرهم للطاغين اى الكافرين مآبا اى مرجعا يرجعون اليها لابثين فيها اى فى جهنم احقابا جمع حقب
وهو ثمانون سنة كل سنة اثنى عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم الف سنة يروى ذلك عن على بن
ابى طالب وقيل الحقب الواحد سبعة الاف سنة **فان قلت** الاحقاب وان طالت
فهى متناهية وعذاب الكفار فى جهنم غير متناه فما معنى قوله احقابا **قلت** ذكروا فيه
وجوها احدها ما روى عن الحسن قال ان الله تعالى لم يجعل لاهل النار مدة بل قال لابثين فيها احقابا
فوالله ما هو الا انه اذا مضى حقب دخل الى الابد فليس للاحقاب عدة الا الخلود وروى عن عبد الله
ابن مسعود قال لو علم اهل النار انهم يلبثون فى النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم اهل الجنة
انهم يلبثون فى الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا الوجه الثانى ان لفظ الاحقاب لا يدل على نهاية والحقب
الواحد متناهى والمعنى انهم يلبثون فيها احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا
فهذا توقيت لانواع العذاب ولا توقيت للبثهم فيها الوجه الثالث ان الاية منسوخة
بقوله فلن نزيدكم الا عذابا يعنى ان العدد قد ارتفع والخلود قد حصل لا يذوقون فيها بردا قال ابن
عباس البرد النوم وقيل بردا اى روحا وراحة وقيل لا يذوقون بردا ينفعهم ولا شرابا اى يغنيهم
عن عطش الا حميما وغساقا اى لكن يذوقون حميما وغساقا قيل هو الصديد المذاب وقيل هو الذى انتهى
حره وغساقا قال ابن عباس الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده وقيل هو صديد اهل النار جزاء وفاقا
اى جازيناهم جزاء وافق اعمالهم وقيل وافق العذاب الذنب فلا ذنب اعظم من الشرك ولا عذاب اعظم
من النار انهم كانوا لا يرجون حسابا اى لا يخافون ان يحاسبوا والمعنى كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بانهم
يحاسبون وكذبوا باياتنا كذابا اى التى جاءت بها الانبياء وقيل كذبوا بما دل على التوحيد والنبوة والبعث
والحساب كذابا اى تكذيبا قال الفراء هى لغة يمانية فصيحة يقولون فى مصدر التفعيل فعال وقد
قال لى اعرابى منهم يستفتينى الحلق احب اليك ام القصار يريد التقصير وكل شئ من الاعمال احصيناه اى
اثبتناه كتابا فى كتاب وهو اللوح المحفوظ وقيل معناه وكل شئ علمناه علما لا يزول ولا يتغير ولا يتبدل
والمعنى انا عالم بجميع ما فعلوه من خير او شر وانا اجازيهم على قدر اعمالهم جزاء وفاقا فذوقوا اى يقال
لهم ذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا قيل هذه الاية اشد اية فى القران على اهل النار كلما استغاثوا من
نوع من العذاب اغيثوا باشد منه قوله عز وجل ان للمتقين مفازا اى فوزا ونجاة من العذاب وقيل فوزا
بالمطلوب من نعيم الجنة ويحتمل ان يفسر الفوز بالامرين جميعا لانهم فازوا بمعنى نجوا من العذاب وفازوا بما
حصل لهم من النعيم ثم فسر فقال حدائق جمع حديقة وهى البستان المحوط فيه كل ما يشتهون واعنابا
يدل على تعظيم ذلك العنب وكواعب جمع كاعب يعنى جوارى نواهد قد تكعبت ثديهن اترابا يعنى
مستويات فى السن وكاسا دهاقا يعنى قال ابن عباس مملوءة مترعة وقيل متتابعة وقيل صافية
لا يسمعون فيها اى فى الجنة وقيل فى حالة شربهم لان اهل الدنيا يتكلمون بالباطل فى حالة شربهم

لغوا

لغوا اى باطلا من الكلام ولا كذابا اى تكذيبا والمعنى انه لا يكذب بعضهم بعضا ولا ينطقون جزاء من ربك عطاء حسابا
اى جازاهم جزاء واعطاهم عطاء حسابا اى كافيا وافيا وقيل حسابا يعنى كثيرا وقيل جزاء بقدر اعمالهم رب السموات والارض
وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا اى لا يقدر الخلق ان يكلموا الرب الا باذنه وقيل لا يملكون منه خطابا لا يملكون
شفاعة الا باذنه فى ذلك اليوم يوم يقوم الروح والملائكة صفا قيل هو جبريل عليه السلام وقال ابن عباس الروح ملك من الملائكة
ما خلق الله مخلوقا اعظم منه فاذا كان يوم القيامة قام وحده صفا وقامت الملائكة كلهم صفا واحدا فيكون من عظم
خلقه مثلهم وقال ابن مسعود الروح ملك اعظم من الملائكة عظيم اعظم من فى السموات والارض والجبال
وهو فى السماء الرابعة يسبح الله كل يوم اثنى عشر الف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يجى يوم القيامة
صفا وحده وقيل الروح خلق على صورة بنى ادم وليسوا بناس يقومون صفا والملائكة صفا هؤلاء جند
وهؤلاء جند وقال ابن عباس الروح على صورة بنى ادم وما ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد منهم
وعنه انهم بنو ادم يقومون صفا والملائكة صفا وقيل يقومون سماطان سماط من الروح وسماط من
الملائكة لا يتكلمون يعنى الخلق كلهم اجلالا لعظمة الله تعالى جل جلاله وتعالى عطاؤه وشانه من هول ذلك
اليوم الا من اذن له الرحمن اى فى الكلام وقال صوابا اى حقا فى الدنيا وعمل به وقيل قال لا اله الا الله وقيل
الاستثناء يرجع الى الروح والملائكة ومعنى الاية لا يشفعون الا فى شخص اذن الرحمن له فى الشفاعة
وذلك الشخص ممن كان يقول صوابا فى الدنيا وهو لا اله الا الله ذلك اليوم الحق اى الكائن الواقع لا محالة
وهو يوم القيامة فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا اى سبيلا يرجع اليه وهو طاعة الله وما يتقرب به اليه انا
انذرناكم اى خوفناكم فى الدنيا عذابا قريبا اى فى الاخرة وكل ما هو ات قريب يوم ينظر المرء ما قدمت
يداه من خير او شر مثبتا فى صحيفته ينظر الى يوم القيامة ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا قال عبد الله
ابن عمر اذا كان يوم القيامة مدت الارض مد الاديم وحشر الدواب والبهائم والوحش ثم يجعل القصاص
بين البهائم حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها فاذا فرغ من القصاص قيل لها كونى ترابا
فعند ذلك يقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا وقيل يقول الله عز وجل للبهائم بعد القصاص انا خلقناكم
وسخرناكم لبنى ادم وكنتم مطيعين فارجعوا الى ما كنتم عليه كونوا ترابا فاذا راى الكافر ذلك تمنى وقال
يا ليتنى كنت ترابا فى الدنيا فى صورة بعض هذه البهائم وكنت اليوم ترابا وقيل اذا قضى الله بين الناس
وامر اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار وقيل لسائر الامم سوى الناس ومؤمنى الجن عودوا ترابا
فيعودون ترابا فحينئذ يقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا وقيل معناه ان الكافر اذا راى ما انعم الله
به على المؤمن من الخير والرحمة قال يا ليتنى كنت ترابا يعنى متواضعا فى طاعة الله فى الدنيا ولم اكن
جبارا متكبرا وقيل ان الكافر هنا هو ابليس وذلك انه عاب ادم كونه خلق من تراب وافتخر عليه
بانه خلق من نار قال يا ليتنى كنت ترابا قال ابو هريرة يقول التراب لا ولا كرامة لك من جعلك
مثلى والله سبحانه وتعالى اعلم تفسير سورة النازعات مكية وهى ست وقيل خمس واربعون
اية ومائة وسبعة وتسعون كلمة وسبعمائة وثلاثة وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا اختلفت
عبارات المفسرين فى هذه الكلمات هل هى صفات شئ واحد ام لاشياء مختلفة على اوجه واتفقوا على
ان المراد بقوله فالمدبرات امرا وصف لشئ واحد وهم الملائكة الوجه الاول فى قوله تعالى والنازعات
غرقا يعنى الملائكة تنزع ارواح الكفار من اقاصى اجسادهم كما يغرق النازع فى القوس فيبلغ بها غاية

Copyright © King Saud University

المد والغرق من الاغراق اى فالنازعات اغراقا وقال ابن مسعود ان ملك الموت واعوانه ينزعون
روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فتخرج نفس الكافر كالغريق فى الماء والناشطات
نشطا الملائكة تنشط نفس المومن اى تحلها حلا رفيقا فيقبضها كما ينشط العقال من يد البعير وانما
خص النزع بنفس الكافر والنشط بنفس المومن لان بينهما فرقا فالنزع جذب بشدة والنشط جذب
برفق والسابحات سبحا يعنى الملائكة يقبضون ارواح المومنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها
حتى يستريح ثم يستخرجها كالسابح فى الماء يتحرك فيه برفق ولطافة وقيل هم الملائكة ينزلون من
السماء مسرعين كالفرس الجواد اذا اسرع فى جريه يقال له سابح فالسابقات سبقا يعنى الملائكة سبقت
ابن ادم بالخير والعمل الصالح وقيل هم الملائكة تسبق بارواح المومنين الى الجنة الوجه الثانى فى قوله
والنازعات غرقا يعنى النفس حين تنزع من الجسد فتغرق فى الصدر ثم تخرج والناشطات نشطا
قال ابن عباس هى نفوس المومنين تنشط للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة وذلك لانه يعرض عليه
مقعده فى الجنة قبل ان يموت وقال على بن ابى طالب هى ارواح الكفار تنشط بين الجلد والاظفار
حتى تخرج من افواههم بالكرب والغم والسابحات سبحا يعنى ارواح المومنين حين تسبح فى الملكوت
فالسابقات سبقا يعنى استباقها الى الحضرة المقدسة . الوجه الثالث فى قوله تعالى والنازعات
غرقا يعنى النجوم تنشط من افق الى افق ثم تطلع ثم تغيب والناشطات نشطا يعنى النجوم تنشط
من افق الى افق اى تذهب والسابحات سبحا يعنى النجوم والشمس والقمر يسبحون فى الفلك فالسابقات
سبقا يعنى النجوم يسبق بعضها بعضا فى السير . الوجه الرابع فى قوله تعالى والنازعات غرقا يعنى
خيل الغزاة تنزع من اعنتها وتغرق فى عرقها وهى الناشطات نشطا لانها تخرج بسرعة الى ميدانها وهى
السابحات فى جريها وهى السابقات سبقا فاستباقها الى الغاية . الوجه الخامس فى قوله والنازعات
يعنى الغزاة حين تنزع فى قسيها فى الرمى فتبلغ غاية المد وهو قوله غرقا والناشطات نشطا اى السهام
فى الرمى والسابحات سبحا فالسابقات سبقا يعنى الخيل والابل حين يخرجونها اصحابها الى الغزو والوجه
السادس ليس المراد بهذه الكلمات شيئا واحدا فقوله والنازعات يعنى ملك الموت ينزع النفوس غرقا
حين يبلغ بها الغاية والناشطات نشطا يعنى النفس تنشط من القدمين بمعنى تجذب والسابحات
سبحا يعنى السفن والسابقات سبقا يعنى سابقة نفوس المومنين الى الخيرات والطاعات اما قوله
فالمدبرات امرا فاجمعوا على انهم الملائكة قال ابن عباس هم الملائكة وكلوا بامور عرفهم الله عز وجل العمل
بها وقال عبد الرحمن بن سابط يدبر الامر فى الدنيا اربعة جبرائيل واسرافيل وميكائيل وملك الموت
واسمه عزرائيل فاما جبريل فوكل بالرياح والجنود واما ميكائيل فوكل بالقطر والنبات واما ملك الموت
فوكل بقبض الانفس واما اسرافيل فهو ينزل عليهم بالامر من الله تعالى وهذا قسم اقسم الله بهذه الاشيا
لشرفها ولله ان يقسم بما يشا من خلقه او يكون التقدير ورب هذه الاشيا وجواب القسم محذوف
على تقدير لتبعثن ولتحاسبن وقيل جوابه ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى وقيل هو قوله قلوب يومئذ
واجفة يوم ترجف الراجفة يعنى النفخة الاولى يتزلزل ويتحرك لها كل شى ويموت منها جميع الخلق
تتبعها الرادفة يعنى النفخة الثانية ردفت الاولى وبينهما اربعون سنة قال قتادة هما صيحتان
فالاولى تميت كل شى والاخرى تحيى كل شى باذن الله عز وجل وقيل الراجفة القيامة والرادفة
البعث يوم القيامة روى البغوى بسند الثعلبى عن ابى بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم اذا ذهب ربع الليل قام وقال ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه
قوله عز وجل قلوب يومئذ واجفة اى خائفة قلقة مضطربة وقيل وجلة وقيل زائلة عن اماكنها ابصارها
خاشعة اى ابصار اهلها خاشعة ذليلة والمراد بها الكفار بدليل قوله تعالى يقولون يعنى المنكرين للبعث
اذا قيل لهم انكم مبعوثون بعد الموت ائنا لمردودون فى الحافرة يعنى نرد الى اول الحال وابتدا الامر فنصير
احيا بعد الموت كما كنا اول مرة والعرب تقول رجع فلان الى حافرته اى رجع من حيث جا والحافرة
عندهم لابتدا الشى اول الشى وقيل يقال رجع فلان الى الحافرة اى فى طريقه التى جا فيها بحفرها
بمشيه فحصل بها اثر فيه حفر فهى محفورة فى الحقيقة وقيل الحافرة الارض التى تحفر فيها قبورهم
سميت حافرة لانها يستقر عليها الحافر والمعنى ائنا لمردودون الى الارض فنبعث خلقا جديدا
نمشى عليها وقيل الحافرة النار ائذا كنا عظاما نخرة اى بالية وقرى ناخرة وهما بمعنى وقيل الناخرة
المجوفة التى تمر فيها الريح فتنخر اى تصوت قالوا يعنى المنكرين للبعث اذا عاينوا اهوال القيمة تلك
اذا كرة خاسرة اى راجعة خائبة يعنى ان رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت فانما
هى يعنى النفخة الاخيرة زجرة واحدة اى صيحة واحدة يجمعونها جميعا فاذا هم بالساهرة يعنى وجه
الارض سميت ساهرة لان عليها نوم الحيوان وسهرهم وقيل هى التى كثر الوطى عليها كانها سهرت
والمعنى انهم كانوا فى بطن الارض فلما سمعوا الصيحة صاروا على وجهها وقيل هى ارض الشام وقيل
ارض القيامة وقيل هى ارض جهنم قوله عز وجل هل اتاك حديث موسى يعنى قد اتاك حديث موسى
يا محمد وذلك انه صلى الله عليه وسلم شق عليه حين كذبه قومه فذكر له قصة موسى عليه السلام
وانه كان يتحمل المشاق من قومه ليتاسى به اذ ناداه ربه بالواد المقدس اى المطهر طوى هو اسم
واد بالشام عند الطور اذهب الى فرعون انه طغى اى علا وتكبر وكفر بالله فقل هل لك الى ان تزكى اى تطهر
من الشرك والكفر وقيل معناه تسلم وتصلح العمل وقال ابن عباس تشهد ان لا اله الا الله واهديك الى
ربك اى ادعوك الى عبادة ربك وتوحيده فتخشى يعنى عقابه وانما خص فرعون بالذكر وان كان دعوة
موسى شاملة لجميع قومه لان فرعون كان اعظمهم فكانت دعوته دعوة لجميع قومه فاراه اى موسى
لفرعون الاية الكبرى يعنى اليد البيضا والعصى فكذب يعنى فرعون بانها من الله وعصى اى تمرد واظهر
التجبر ثم ادبر اى اعرض عن الايمان يسعى بعمل الفساد فى الارض فحشر اى جمع قومه وجنوده فنادى اى
لما اجتمعوا فقال يعنى فرعون لقومه انا ربكم الاعلى اى لا رب فوقى وقيل اراد ان الاصنام ارباب وهو
ربها وربهم فاخذه الله نكال الاخرة والاولى اى عاقبه فجعله عبرة لغيره بان اغرقه فى الدنيا ويدخله
النار فى الاخرة وقيل اراد بالاخرة والاولى كلمتى فرعون وهو قوله ما علمت لكم من اله غيرى وقوله انا ربكم
الاعلى وكان بينهما اربعون سنة ان فى ذلك اى فى الذى فعل بفرعون حين كذب وعصى لعبرة اى عظة
لمن يخشى اى يخاف الله عز وجل ثم عاتب منكرى البعث فقال تعالى ءانتم اشد خلقا ام السما بناها معناه
اخلقكم بعد الموت اشد ام خلق السما عندكم فى تقديركم فان كلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله واحد لان
خلقة الانسان على صغره وضعفه اذا اضيف الى خلق السما مع عظمها وعظم احوالها كان يسيرا فبين تعالى
ان خلق السما اعظم واذا كان كذلك كان خلقكم بعد الموت اهون على الله تعالى فكيف تنكرون ذلك مع علمكم
بان خلق السموات والارض ولا تنكرون ذلك ثم انه تعالى ذكر كيفية خلق السما والارض فقال تعالى
رفع سمكها يعنى علو سمتها وقيل رفعها بغير عمد فسواها اى تقن بناها فليس فيها شقوق ولا واغطش ليلها

Copyright © King Saud University

اى اظلم ليلها والغطش الظلمة واخرج اى واظهر وابرز ضحاها اى نهارها وانما عبر بالنهار فى النور والضوء وانما
اضاف الليل والنهار الى السما لانهما يجريان بسبب غروب الشمس وطلوعها وهى فى السما بدليل قوله
بعد ذلك وقد قال تعالى فى حم السجدة ثم استوى الى السما ثم وصف كيفية خلق الارض فقال تعالى والارض
بعد ذلك دحاها اى بسطها ومدها قال امية بن ابى الصلت • دحيت البلاد فسويتها • وانت على طيها قادر •

فان قلت ظاهر الاية يقتضى ان الارض خلقت بعد السما فكيف الجمع بين الايتين

قلت وما معناهما خلق الله الارض اولا ثم سمك السما ثانيا ثم دحى الارض بمعنى
مدها وبسطها ثالثا فحصل التفسير الجمع بين الايتين وزال الاشكال قال ابن عباس خلق الله الارض
باقواتها من غير ان يدحوها قبل السما ثم استوى الى السما فسواهن سبع سموات ثم دحى الارض بعد ذلك
وقيل معناه والارض مع ذلك دحاها كقوله عتل بعد ذلك زنيم اى مع ذلك اخرج منها ماءها ومرعاها اى
فجر من الارض عيونها ومرعاها اى رعيها وهو ما ياكله الناس والانعام واستعير الرعى للانسان على سبيل
التجوز والجبال ارساها اى اثبتها متاعا لكم ولانعامكم اى الذى اخرج من الارض هو بلغة لكم ولانعامكم قوله
عز وجل فاذا جاءت الطامة الكبرى يعنى النفخة الثانية التى فيها البعث وقيل الطامة القيمة سميت بذلك
لانها تطم على كل شى فتعلوا عليه والطامة عند العرب الداهية التى لا تستطاع يوم يتذكر الانسان
ما سعى اى ما عمل فى الدنيا من خير او شر وبرزت الجحيم لمن يرى يعنى انه يكشف عنها الغطا فينظر اليها الخلق
فاما من طغى اى كفر واثر الحياة الدنيا اى على الاخرة فان الجحيم هى الماوى اى لمن هذه صفته واما من خاف
مقام ربه ونهى النفس عن الهوى اى المحارم التى يشتهيها وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه
بين يدى ربه فيتركها فان الجنة هى الماوى اى لمن هذه صفته قوله عز وجل يسالونك اى يا محمد عن
الساعة ايان مرساها اى متى ظهورها وقيامها فيم انت من ذكراها اى لست فى شى علمها وذكراها حتى
تهتم لها وتذكر وقتها الى ربك منتهاها اى منتهى علمها لا يعلم متى تقوم الساعة الا هو وقيل معناه فيم
انكار لسوالهم اى فيم هذا السوال ثم قال انت يا محمد من ذكراها اى من علاماتها لانك اخر الرسل وخاتم الانبيا
فكفاهم ذلك دليلا على دنوها ووجوب الاستعداد لها انما انت منذر من يخشاها اى انما ينفع انذارك من يخافها
كانهم يعنى الكفار يوم يرونها اى يعاينوا يوم القيامة لم يلبثوا اى فى الدنيا وقيل فى قبورهم الا
عشية او ضحاها

فان قلت العشية ليس لها ضحى فما معنى قوله او ضحاها

قلت قيل ان الها والالف صلة والمعنى لم يلبثوا الا عشية او ضحى وقيل الضافه
الى اليوم كانه قال الا عشية او ضحى يومها والله اعلم

تفسير سورة الاعمى

مكية وهى احدى
واربعون اية ومائة وثلاثون كلمة وخمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله
عز وجل عبس وتولى اى كلح وقطب وجهه وتولى اى اعرض بوجهه ان جاءه الاعمى يعنى ابن ام مكتوم واسمه
عمرو وقيل عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة وقيل عمرو بن قيس بن زائدة بن الاصم بن زهرة
ابن رواحة القرشى الفهرى من بنى عامر بن لوى واسم امه عاتكة بنت عبد الله المخزومية وهو ابن
خالة خديجة بنت خويلد اسلم قديما بمكة وذلك انه اتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يناجى عتبة
ابن ربيعة وابا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وابى بن خلف واخاه امية بن خلف وهو
يدعوهم الى الله يرجو اسلامهم فقال ابن ام مكتوم يا رسول الله اقرئنى وعلمنى مما علمك الله وجعل
يناديه ويكرر النداء وهو لا يدرى انه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم

لقطعه كلامه وقال فى نفسه يقول هولاء الصناديد انما اتبعه الصبيان والعبيد والسفلة فعبس وجهه
واعرض عنه واقبل على القوم الذين كان يكلمهم فانزل الله هذه الايات معاتبة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه اذا راه ويقول مرحبا بمن عاتبنى الله فيه
ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة ثلاث عشرة فى غزواته وكان من المهاجرين الاولين
وقيل قتل شهيدا بالقادسية قال انس رايته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سودا عن عايشة
قالت انزلت عبس وتولى فى ابن ام مكتوم الاعمى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا رسول
الله ارشدنى وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظما قريش من المشركين فجعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الاخرين ويقول اترى بما اقول باسا فيقول لا ففى هذا انزل
اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وما يدريك اى شى يجعلك داريا لعله يزكى اى يتطهر
من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك او يذكر اى يتعظ فتنفعه الذكرى اى الموعظة اما من
استغنى قال ابن عباس عن الله وعن الايمان بما له من المال فانت له تصدى اى تتعرض له وتقبل
عليه وتصغى الى كلامه وما عليك الا يزكى اى لا يؤمن ولا يهتدى وانما عليك البلاغ واما من جاءك
يسعى يعنى يمشى يعنى ابن ام مكتوم وهو يخشى الله عز وجل فانت عنه تلهى اى تتشاغل وتعرض عنه
كلا اى لا تفعل بعدها مثلها انها يعنى الموعظة وقيل ايات القران تذكرة اى موعظة للخلق فمن شاء
اى من عباد الله ذكره اى اتعظ به يعنى القران ثم ذكر جلالة القران ومحله عنده فقال عز وجل فى صحف
مكرمة يعنى القران فى اللوح المحفوظ مرفوعة اى رفيعة القدر عند الله وقيل مرفوعة فى السما مطهرة
يعنى الصحف لا يمسها الا المطهرون وهم الملائكة بايدى سفرة قال ابن عباس يعنى كتبة وهم الملائكة
الكرام الكاتبون واحدهم سافر ومنه قيل للكتاب سفر وقيل هم الرسل من الملائكة الى الانبيا واحدهم
سفير ثم اثنى عليهم بقوله كرام اى هم كرام على الله بررة اى مطيعين له جمع بار قوله عز وجل قتل
الانسان اى لعن الكافر وطرد ما اكفره اى ما اشد كفره بالله مع كثرة احسانه اليه واياديه عنده وهذا
على سبيل التعجب اى اعجبوا من كفره وقيل معناه اى شى حمله على الكفر نزلت هذه الاية فى عتبة بن ابى
لهب وقيل فى امية بن خلف وقيل فى الذين قتلوا يوم بدر وقيل الاية عامة فى كل كافر ثم بين
من امره ما كان ينبغى منه ان يعلم ان الله تعالى خالقه فقال تعالى من اى شى خلقه من نطفة خلقه
فقدره يعنى خلقه اطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة الى اخر خلقه وقيل قدره يعنى خلق راسه وعينيه
ويديه ورجليه على قدر ما اراده ثم السبيل يسره اى سهل له طريق خروجه من بطن امه وقيل سهل له العلم
بطريق الحق والباطل وقيل السبيل على احد ما خلق له وقدر عليه ثم اماته فاقبره اى جعل له قبرا يوارى فيه
وقيل جعله مقبورا ولم يجعله ملقى للسباع والوحوش والطيور وافبره معناه ستره الله بحيث يقبر وجعله
ذا قبر يدفن فيه وهذه تكرمة لبنى ادم على ساير الحيوانات ثم قال تعالى ثم اذا شاء انشره اى احياه
بعد موته للبعث والحساب لان وقت البعث غير معلوم لاحد فهو الى مشية الله تعالى متى شا
ان يحيى الخلق احياهم كلا ردع وزجر للانسان عن تكبره وتجبره وترفعه وعن كفره واصراره على انكار
التوحيد وانكار البعث والحساب لما يقض ما امره اى لم يفعل ما امره به ربه ولم يود ما فرض عليه
ولما ذكر خلق ادم ذكر رزقه ليعتبر فانه موضع الاعتبار فقال تعالى فلينظر الانسان الى طعامه
اى قدرة ربه وما دبره وجعله سببا لحياته وقيل مدخل طعامه ومخرجه ثم بين ذلك فقال تعالى

Copyright © King Saud University

انا صببنا الماء صبا يعني المطر ثم شققنا الارض شقا اي بالنبات فانبتنا فيها اي بذلك الماء حبا يعني الحبوب الذي
يتغذى بها الانسان وعنبا يعني انه غذاء من وجه وفاكهة من وجه فلهذا اتبعه الحب وقضبا يعني القتة
وهو الرطب سمي بذلك لانه يقتضب اي يقطع في كل الايام وقيل القضب هو العلف كله الذي يعلف به
الدواب وزيتونا وهو ما يعصر منه الزيت ونخلا وحدائق جمع حديقة غلبا يعني غلاظ الاشجار وقيل
الغلب الشجر الملتف بعضه في بعض وقال ابن عباس طوالا وفاكهة يعني جمع الوان الفاكهة وابا يعني الكلا
والمرعى الذي لم يزرعه الناس مما ياكله الدواب وقال ابن عباس ما انبتت الارض مما ياكل الناس والانعام
روى ابراهيم التيمي ان ابا بكر سئل عن قوله وفاكهة وابا فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في
كتاب الله ما لا اعلم خ عن انس ان عمر قرا وفاكهة وابا قال فما الاب ثم قال ما كلفنا او قال ما امرنا بهذا
اللفظ البخاري قال ثم اتبعوا ما بين لكم هذا الكتاب متاعا لكم يعني الفواكه والحب والعشب منفعة
لكم ولانعامكم ثم ذكر احوال القيمة فقال تعالى فاذا جاءت الصاخة يعني صيحة القيامة سميت صاخة
لانها تصخ اسماع الخلق اي تبالغ في اسماعهم حتى تكاد تصمها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته
وبنيه اي انه لا يلتفت الى واحد من هولا لشغله بنفسه والمراد من الفرار التباعد والسبب في ذلك الاحتراز
عن المطالعة بالحقوق فالاخ يقول ما لك والابوان يقولان قصرت في برنا والصاحبة تقول لم توفني
حقي والبنون يقولون ما علمتنا وما ارشدتنا وقيل اول من يفر هابيل من اخيه قابيل والنبي صلى الله
عليه وسلم من امه وابراهيم عليه السلام من ابيه ولوط من صاحبته ونوح من ابنه وقيل يفر المؤمن من
موالاة هولاء ونصرتهم والمعنى ان هولاء الذين كانوا يفرون بعضهم في الدنيا ويتقوون بهم ويتعززون
فانه يفر منهم في الدار الاخرة وفائدة الترتيب كانه قيل يوم يفر المرء من اخيه بل من ابويه لانهما
اقرب من الاخوة بل من الصاحبة والولد لان تعلقه بهم اشد من تعلقه بالابوين لكل امرئ منهم
يومئذ شان يغنيه اي يشغله شانه نفسه عن شان غيره عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال تحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امراة ايبصر احدنا او يرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانة
لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ولما ذكر الله تعالى
حال القيامة واحوالها بين حال المكلفين وانهم على قسمين منهم السعدا والاشقيا فوصف السعدا
بقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة اي مشرقة مضيئة من اسفر الصبح اذا اضاء وقيل مسفرة من قيام
الليل وقيل من اثار الوضوء وقيل من الغبار في سبيل الله ضاحكة اي عند الفراغ من الحساب مستبشرة
اي بالسرور وفرحة بما تنال من كرامة الله ورضوانه ثم وصف الاشقيا فقال ووجوه يومئذ عليها
غبرة اي سواد وكآبة للهم الذي نزل بهم ترهقها قترة اي يعلوها ويغشاها ظلمة وكسوف وقال ابن
عباس يغشاها ذلة والفرق بين الغبرة والقترة ان الغبرة ما كان اسفل في الارض والقترة ما ارتفع
من الغبار فلحق بالسماء اولئك اي الذين صنع بهم هذا هم الكفرة الفجرة جمع كافر وفاجر والله اعلم

تفسير سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون اية ومائة واربع كلمات وخمسماية وثلاثون
حرفا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيامة كانه راي
العين فليقرا اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت اخرجه الترمذي بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل اذا الشمس كورت قال ابن عباس اظلمت وغورت وقيل اضمحلت وقيل لفت كما تلف
العمامة واصل التكوير جمع بعض الشيء الى بعض فمعناه ان الشمس يجمع بعضها الى بعض ثم تلف فاذا فعل

بها ذلك ذهب ضوءها قال ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ثم يبعث عليها
ريحا دبورا فتضرمها فتصير نارا خ عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر يكوران يوم القيامة
قيل ان الشمس والقمر جمادان فالقاؤهما في النار يكون سببا لازدياد الحر في جهنم واذا النجوم انكدرت اي تناثرت
من السماء وسقطت على الارض قال الكلبي وعطاء تمطر السماء يومئذ نجوما فلا يبقى نجم الا وقع واذا الجبال
سيرت اي عن وجه الارض فطيرت فصارت هباء منثورا واذا العشار عطلت يعني النوق الحوامل
التي اتى عليها عشرة اشهر من حملها واحدتها عشراء ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة وهي انفس
مال عند العرب فاذا كان ذلك اليوم عطلت وتركت هملا بلا راع اهملها اهلها وقد كانوا لازمين لاذنابها
ولم يكن مال اعجب اليهم منها لما جاءهم من اهوال يوم القيامة واذا الوحوش يعني دواب البر حشرت اي جمعت
يوم القيامة ليقتص بعضها من بعض وقال ابن عباس حشرها موتها قال وحشر كل شيء موته غير الجن
والانس فانهما يوقفان يوم القيامة واذا البحار سجرت قال ابن عباس اوقدت فصارت نارا
تضطرم وقيل فجر بعضها في بعض العذب والملح حتى صارت البحار كلها بحرا واحدا وقيل صارت
مياهها من حميم لاهل النار وقيل سجرت اي يبست وذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة قال ابي
ابن كعب ست ايات قبل يوم القيامة بينا الناس في اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس بينا هم كذلك اذ
وقعت الجبال على الارض بينا هم كذلك اذ تناثرت النجوم فتحركت واضطربت وفزعت الجن والانس
واختلطت الدواب والطير والوحش وماج بعضهم في بعض فذلك قوله تعالى اذا الشمس كورت واذا
النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت
فحينئذ تقول الجن والانس نحن ناتيكم بالخبر فينطلقون الى البحر فاذا هي نار تاجج فبينما هم كذلك
اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا
اذ جاءتهم ريح فاماتتهم وعن ابن عباس قال هي اثنتا عشرة خصلة ستة في الدنيا وستة في الاخرة
وهي ما ذكر بعد هذه وهو قوله تعالى واذا النفوس زوجت روى النعمان بن بشير عن عمر بن
الخطاب انه سئل عن هذه الاية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة ويقرن
بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار وقيل الحق كل امرئ بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى
وقيل يحشر الرجل مع صاحب عمله وقيل زوجت النفوس باعمالها وقيل زوجت نفوس المؤمنين
بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين وقيل معنى زوجت ردت الارواح الى الاجساد
واذا الموءودة سئلت يعني الجارية التي دفنت حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيردها
اي يثقلها حتى تموت وكانت العرب تفعل بذلك في الجاهلية تدفن البنات حية
وروي عن ابن عباس قال كانت المراة في الجاهلية اذا حملت وكان اوان ولادتها حفرت حفرة
فتمخضت على راس الحفرة فان ولدت جارية رمت بها الحفرة واذا ولدت غلاما حبسته وقيل كان
الرجل في الجاهلية اذا ولدت له بنت واراد بقاءها البسها جبة صوف او شعر وتركها ترعى
الابل والغنم في البادية فاذا اراد قتلها تركها حتى تشب فاذا بلغت قال لامها طيبيها
وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها
فاذا نظرت دفعها من ورائها ويهيل عليها التراب حتى يستوي بالارض عن ابن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموءودة في النار اخرجه ابو داود وكان صعصعة بن

Copyright King Saud University

ابن ناجية ممن منع الموءودة ولم يويد فافتخر بها الفرزدق في شعره باي ذنب قتلت معناه قال الموءودة
فيقال لها باي ذنب قتلت ومعنى سوالها توبيخ قاتلها لانها قتلت بغير ذنب واذا الصحف نشرت
يعني صحايف الاعمال تنشر للحساب واذا السما كشطت اي نزعت وطويت وقيل قلعت كما يقلع السقف
وقيل كشفت وازيلت عمن فيها واذا الجحيم سعرت اي اوقدت لاعدا الله تعالى واذا الجنة ازلفت اي
قربت لاوليا الله علمت نفس ما احضرت يعني عند ذلك تعلم كل نفس ما احضرت من خير او شر وهذا جواب
لقوله اذا الشمس كورت الى هنا قوله عز وجل فلا اقسم لا زايدة والمعنى اقسم وقد تقدم ذلك في قوله
لا اقسم بيوم القيامة بالخنس الجوار الكنس يعني النجوم تبدا بالليل فتظهر وتخنس بالنهار تحت نور الشمس
ونحو هذا المعنى وروي عن علي بن ابي طالب وقيل هي النجوم الخمسة زحل والمشتري والمريخ
والزهرة وعطارد وتخنس في مجاريها اي ترجع وراها في الفلك وتكنس اي وقت تستتر وقت
اختفايها وقيل انها تخنس اي تتاخر عن مطالعها في كل عام تتاخر تاخرا عن تعجيل ذلك الطلوع
تخنس عنه والكنس معناه انها لا ترى بالنهار وقيل هي الظبا وهي رواية عن ابن عباس وقيل الخنوس
الرجوع الى ورا والكنوس هو ان تاوي الى كناسها وهو الموضع الذي ياوي اليه الوحش والليل اذا
عسعس اي اقبل بظلامه وقيل ادبر والعسعسة رقة الظلام وذلك يكون في طرف الليل
والصبح اذا تنفس اي اقبل وبدا اوله وقيل اسفر وفي تنفسه قولان احدهما ان في اقبال الصبح
روح ونسيم فجعل ذلك نفسا على المجاز الثاني انه شبه الليل بالمكروب المحزون فاذا جعل له التنفس
وجد راحة فكانه تخلص منه فعبر عنه بالنفس فهو استعارة لطيفة ولما ذكر القسم به اتبعه
بالمقسم عليه فقال تعالى انه يعني القران لقول رسول كريم يعني جبريل عليه السلام والمعنى ان جبريل
نزل به عن الله ذي قوة وكان من قوته انه اقتلع قوم لوط الاربع من الما الاسود وحملها على جناحه
فرفعها الى السما ثم قلبها وانه ابصر ابليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الارض المقدسة
فنفحه بجناحه نفحة القاه الى اقصى جبل بالهند وانه صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وانه
يهبط من السما الى الارض ثم يصعد في اسرع من الطرف عند ذي العرش مكين اي في المنزلة والجاه مطاع
ثم اي في السموات تطيعه الملايكة ومن طاعة الملايكة له انهم فتحوا ابواب السموات ليلة المعراج
بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح خزنة الجنة ابوابها بقوله امين يعني على وحي الله تعالى
الى انبيايه وما صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يخاطب كفار مكة بمجنون وهذا ايضا من جواب
القسم اقسم على ان القران نزل به جبريل وان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون كما يقوله اهل مكة
وذلك انهم قالوا انه مجنون وانما يقوله من عند نفسه فنفى الله عنه الجنون ولقد راه يعني
راى النبي صلى الله عليه وسلم يعني جبريل عليه السلام في صورته التي خلق فيها بالافق المبين يعني بالافق
الاعلى من ناحية المشرق حيث تطلع الشمس وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام اني احب ان اراك في صورتك التي تكون فيها في السما
قال لن تقوى على ذلك قال بلى قال فاين تشا ان اتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعني ذلك قال فبمنى
قال لا يسعني ذلك قال فبعرفات قال لا يسعني ذلك قال فبحرا ان يسعني فواعده فخرج النبي
صلى الله عليه وسلم للوقت فاذا هو بجبريل قد اقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملا ما بين
المشرق والمغرب وراسه في السما ورجلاه في الارض فلما راه النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه

فتحول

فتحول جبريل على صورته فضمه الى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لو رايت اسرافيل وراسه تحت
العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاءل احيانا من مخافة الله جل
جلاله وعلا علاوه وشانه حتى يصير كالعصفور يعني العصفور حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته وما
هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم على الغيب اي الوحي وخبر السما وما اطلع عليه مما كان غايبا عن علمه من
القصص والانبا بظنين قرئ بالظا ومعناه بمتهم والظنة التهمة وقرئ بضنين بالضاد ومعناه ببخيل
يقول انه ياتيه علم الغيب ولا يبخل به عليكم ويخبركم به ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى ياخذ
عليه حلوانا وهو اجرة الكاهن وقراءة الظا اولى لانهم لم يبخلوه وانما اتهموه فنفى الله عنه تلك التهمة
ولو اراد البخل لقال وما هو بالغيب وما هو يعني القران بقول شيطان رجيم يعني ان القران ليس
بشعر ولا كهانة كما قالت قريش وقيل كانوا يقولون انه شيطان يلقيه على لسانه فنفى الله عنه ذلك
فاين تذهبون اي فاين تعدلون عن القران وفيه الشفا والهدى والبيان وقيل معناه اي طريق تسلكون
ابين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم ان هو يعني ما هو القران الا ذكر للعالمين اي موعظة للخلق
اجمعين لمن شا منكم ان يستقيم اي يتبع الحق ويقيم عليه وينتفع به ثم بين ان مشية العبد موقوفة
بمشية فقال تعالى وما تشاءون الا ان يشا الله رب العالمين اعلمهم الله تعالى ان المشية في التوفيق للاستقامة
اليه وانهم لا يقدرون على ذلك الا بمشية الله وتوفيقه وفيه اعلام ان احدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله
تعالى ولا شرا الا بخذلانه ومشيته والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة اذا السما انفطرت
مكية وهي تسع عشرة اية وثمانون كلمة وثلثماية وسبعة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
اذا السما انفطرت اي انشقت واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت واذا البحار فجرت اي فجر بعضها في بعض
واختلط العذب بالملح فصار بحرا واحدا وقيل معنى فجرت فاضت واذا القبور بعثرت اي بحثت
وقلبت ترابها وبعث من فيها من الموتى احيا علمت نفس ما قدمت واخرت يعني علمت في ذلك اليوم ما قدمت
من عمل صالح او سي واخرت بعدها من حسنة او سيئة وقيل ما قدمت من الصدقات واخرت من
الزكوات وهو احوال يوم القيامة قوله عز وجل يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي ما خدعك وسولك
بالباطل حتى صنعت ما صنعت وضيعت ما وجب عليك والمعنى ماذا امنك من عقابه نزلت في الوليد بن
المغيرة وقيل في ابي الاشد واسمه اسيد بن كلدة وقيل كلدة بن خلف ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه
الله وانزل هذه الاية وقيل الاية عامة في كل كافر وعاص فيقول ما الذي غرك وقيل غره حمقه وجهله
وقيل تسويل الشيطان له وقيل غره عفو الله عنه حين لم يعاجله بالعقوبة في اول مرة بربك الكريم
اي المتجاوز عنك فهو بكرمه لك لم يعاجلك بعقوبة بل بسط لك المدة لرجا التوبة قال ابن مسعود
ما منكم من احد الا سيخلو الله عز وجل به يوم القيامة فيقول يا ابن ادم ما غرك بربك الكريم ما غرك بي
يا ابن ادم ماذا عملت يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين وقيل للفضيل بن عياض لو اقامك الله يوم القيمة
فيقول لك يا ابن ادم ما غرك بربك الكريم ماذا كنت تقول قال اقول غرني ستورك المرخاة وقال يحيى بن
معاذ لو اقامني بين يديه وقال ما غرك بي اقول غرني برك بي سالفا وانفا وقال ابو بكر الوراق لو قال
ما غرك بي قلت غرني بك انت اكرم الاكرمين وقال بعض اهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون ساير
اسمايه وصفاته كانه لقنه حجته في الاجابة حتى يقول غرني كرم الكريم الذي خلقك اي اوجدك من
العدم الى الوجود فسواك اي جعلك سويا سالم الاعضا تسمع وتبصر فعدلك اي عدل خلقك في مناسبة

Copyright © King Saud University

الاعضا فلم يجعل بعضها اطول من بعض وقيل معناه جعلك قايما معتدلا احسن الصورة ولم يجعلك
كالبهيمة في اي صورة ما شاء ركبك اي في اي شبه من اب او ام او خال او عم وجا في الحديث ان النطفة اذا استقرت
في الرحم احضر كل عرق بينه وبين ادم ثم قرا في اي صورة ما شاء ركبك من الصور المختلفة بحسب الطول
والقصر والحسن والقبح والذكورة والانوثة وفي هذه دلالة على قدرة الصانع المختار القادر
وذلك انه لما اختلفت الهيئات والصفات دل ذلك على كمال القدرة واتساع الصنعة
وان المدبر المختار هو الله تعالى قوله عز وجل كلا بل تكذبون بالدين اي بيوم الحساب والجزا وان
عليكم لحافظين يعني رقبا من الملائكة يحفظون عليكم اعمالكم كراما اي على الله كاتبين اي يكتبون
اقوالكم واعمالكم يعلمون ما تفعلون يعني من خير او شر قوله عز وجل ان الابرار لفي نعيم يعني
الذين بروا وصدقوا في ايمانهم باداء ما افترض الله عليهم واجتناب معاصيه لفي نعيم يعني نعيم
الجنة وان الفجار لفي جحيم روي ان سليمان بن عبد الملك قال لابي حازم المدني ليت شعري
ما لنا عند الله فقال له اعرض عملك على كتاب الله فانك تعلم ما لك عند الله قال اين
اجد ذلك في كتاب الله قال عند قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سليمان فاين
رحمة الله قال قريب من المحسنين يصلونها يوم الدين يعني يوم القيامة لانه يوم الجزا وما هم
عنها بغايبين اي عن النار ثم عظم ذلك اليوم فقال تعالى وما ادراك ما يوم الدين قيل المخاطب
بذلك هو الكافر وهو على وجه، وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى اي شي اعلمك به
لو لم نعرفك احواله ثم ما ادراك ما يوم الدين التكرار للتعظيم في ذلك اليوم وتفخيم شانه يوم لا تملك
نفس لنفس شيا اي لا تملك نفس لنفس كافرة شيا من المنفعة والامر يومئذ لله يعني انه لم يملك
الله تعالى في ذلك احدا شيا كما ملكهم في الدنيا والله اعلم

تفسير سورة المطففين مدنية
في قول ومكية في قول وقيل فيها ثمان ايات مكية وهي من قوله ان الذين اجرموا الى اخرها
وقيل فيها اية مكية وهي قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا قال اساطير الاولين وقيل انها نزلت
بين مكة والمدينة من الهجرة وهي ست وثلاثون اية وتسعة وستون كلمة وسبعماية وثلاثون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ويل اي قبح وهي كلمة تذكر عند وقوع البلا يقال ويل
له وويل عليه وقيل ويل اسم واد في جهنم للمطففين يعني الذين ينقصون المكيال والميزان
لانه لا يكاد المطفف يسرق في المكيال والوزن الا الشي اليسير الطفيف قال ابن عباس لما قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله عز وجل ويل للمطففين
فاحسنوا الكيل وقيل لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له ابو جهينة
ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر فانزل الله هذه الاية وجعل الويل للمطففين
ثم بين من هم فقال تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون يعني اذا اكتالوا من الناس
اي اشتروا شيا استوفوا عليهم واذا كالوهم او وزنوهم يعني الناس كما تقول نصحتك ونصحت لك يخسرون
اي ينقصون الكيل والوزن وهذا الوعيد يلحق من ياخذ لنفسه زايدا ويدفع الى غيره ناقصا ويتناول
الوعيد القليل والكثير لكن اذا لم يتب منه فان تاب منه ورد الحقوق الى اهلها قبلت توبته
ومن فعل ذلك واصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكباير وذلك لان عامة الخلق يحتاجون الى
المعاملات وهي مبنية على امر الكيل والوزن والزرع فلهذا السبب عظم الله امر الكيل والوزن

قال

حديث خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا المكيال الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر

قال نافع كان ابن عمر يمر بالبايع فيقول اتق الله واوف الكيل والوزن فان المطففين يوقفون يوم القيامة
حتى يلجمهم العرق وقال قتادة اوف يا ابن ادم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك
وقال الفضيل بخس الميزان سواد يوم القيامة الا يظن اي الا يعلم ويستيقن اوليك الذين يفعلون هذا
الفعل وهم المطففون انهم مبعوثون ليوم عظيم يعني يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين
قال يقوم احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه وروي مرفوعا م عن المقداد قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول تدنو الشمس من رووس الخلايق يوم القيامة حتى تكون منهم كمقدار ميل
زاد الترمذي او اثنين قال سليم بن عامر والله ما ادري ما يعني بالميل مسافة الارض او الميل الذي تكتحل
به العين قال فيكون الناس على قدر اعمالهم في العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى
ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما واشار رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيده الى فيه قوله عز وجل كلا قيل انه ردع وتنبيه اي ليس الامر على ما هم عليه من بخس
الكيل والميزان فليرتدعوا عنه فعلى هذا تم الكلام هنا وقيل كلا ابتدا يتصل بما بعده على معنى حقا
ان كتاب الفجار اي الذي كتب فيه اعمالهم لفي سجين قال ابن عمر هي الارض السابعة السفلى وفيها
ارواح الكفار وروى البغوي باسناد الثعلبي عن البرا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سجين اسفل سبع ارضين وعليين في السما السابعة تحت العرش وقال شمر بن عطية جا ابن عباس
الى كعب الاحبار فقال اخبرني عن قول الله عز وجل ان كتاب الفجار لفي سجين قال ان روح الفاجر يصعد
بها الى السما السابعة فتابى السما ان تقبلها ثم يهبط بها الى الارض فتابى ان تقبلها فتدخل تحت
سبع ارضين حتى ينتهي بها الى سجين وهو موضع جند ابليس فيخرج لها من سجين رق فيرقم
ويختم ويوضع تحت جند ابليس لحساب يوم القيامة وقيل هي صخرة تحت الارض السابعة
السفلى خضرا خضرة السما منها ويجعل كتاب الفجار تحتها قال وهب هي اخر سلطان ابليس وجا في الحديث
الفلق جب في جهنم مغطى وسجين جب في جهنم مفتوح وقيل معناه لفي سجين لفي خسار وضلال
وقيل انه مشتق من السجن ومعناه لفي حبس وضيق شديد وما ادراك ما سجين اي ذلك مما
كنت تعلمه انت ولا قومك وقيل انما ذلك تعظيما لامر سجين كتاب مرقوم ليس هذا تفسيرا لسجين
وانما هو بيان للكتاب المذكور في قوله ان كتاب الفجار والمعنى ان كتاب الفجار مرقوم اي مكتوب فيه اعمالهم
عليهم كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحى حتى يحاسبوا به ويجازوا عليه وقيل مرقوم رقم عليهم بشر
كانه علم بعلامة يعرف بها انه كافر وقيل مرقوم اي مختوم وهو لغة حمير ويل يومئذ للمكذبين
وقيل انه متصل بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين ويل لمن كذب بهذا اليوم وقيل مرقوم
معناه رقم على الشقاوة ثم قال ويل يومئذ للمكذبين ان في ذلك من ذلك الكتاب المرقوم عليهم
من الشقاوة الذين يكذبون بيوم الدين اي بيوم القيامة لانه يوم الجزا وما يكذب به اي بيوم
القيامة الا كل معتد اثيم هو مبالغة في الاثم وهو مرتكب الاثم والمعاصي اذا تتلى عليه اياتنا قال
اساطير الاولين اي اكاذيب الاولين قوله عز وجل كلا اي لا يومنون ثم استانف فقال بل ران على
قلوبهم ما كانوا يكسبون عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اخطا خطيية
نكتت في قلبه نكتة فاذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو
الران الذي قال الله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح

فان من ظن ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبايح فكيف بمن تيقنه وفيه انكار وتعجيب من حالهم

Copyright @ King Saud University

واصل الرين الغلبة ومعنى الاية ان الذنوب والمعاصي غلبت على قلوبهم واحاطت بها وقيل هو الذنب على
الذنب حتى يموت القلب قال ابن عباس ران على قلوبهم طبع عليها وقيل الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع
ان يطبع الله على القلب وهو اشد من الرين والاقفال اشد من الطبع وقيل الرين التغطية والمعنى انه يغشى
القلب شيء كالصدا فيغطيه فعند ذلك يموت القلب كلا قال ابن عباس يريد لا يصدقون وقيل معناه
ليس الامر كما يقولون لان لهم في الارض ثم استانف فقال تعالى انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قيل
عن كرامته ورحمته ممنوعون وقيل ان الله لا ينظر اليهم ولا يزكيهم وهذا التفسير فيه ضعف اما حمله على
منع الكرامة والرحمة فهو عدول عن الظاهر بغير دليل وكذا الوجه الثاني فانه من حجب عن الله فان
الله لا ينظر اليه نظر رحمة ولا يزكيه والذي ذهب اليه اكثر المفسرين انهم محجوبون عن روية الله وهذا هو
الصحيح واحتج بهذه الاية من اثبت الروية للمومنين قالوا لولا ذلك لم يكن للتخصيص فايدة ووجه اخر وهو
انه تعالى ذكر الحجاب في معرض الوعيد والتهديد للكفار لا يجوز حصوله في حق المومنين فوجب ان لا يحصل
هذا الحجاب في حق المومنين قال الحسن لو علم الزاهدون والعابدون انهم لا يرون ربهم في المعاد
لزهقت انفسهم في الدنيا وقيل كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الاخرة عن رويته وسيل
مالك عن هذه الاية فقال لما حجب اعداءه لم يروه تجلى لاوليايه حتى راوه وقال الشافعي في قوله
كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على ان اولياء الله يرون الله جل جلاله وعنه لما حجب قوما بالسخط
دل على ان قوما يرونه بالرضى ثم اخبر ان الكفار بعد كونهم محجوبين عن الله بدخول النار فقال
عز من قايل ثم انهم لصالوا الجحيم اي لداخلوا النار ثم يقال اي تقول لهم الخزنة هذا اي هذا العذاب الذي
كنتم به تكذبون يعني في الدنيا كلا اي ليس الامر كما يتوهمه الفجار من انكار البعث وقيل كلا اي لا يومن
بالعذاب الذي يصلاه ثم بين محل كتاب الابرار فقال تعالى ان كتاب الابرار لفي عليين جمع علي من
العلو وقيل هو موضع على صفة الجمع لا واحد له من لفظه وتقدم من حديث البراء المرفوع ان عليين في
السماء السابعة تحت العرش وقال ابن عباس لوح من زبرجد خضراء معلقة تحت العرش اعمالهم مكتوبة
فيه وقيل هو قايمة العرش اليمنى وقال ابن عباس في رواية عنه هي الجنة وقيل سدرة المنتهى
وقيل معناه علو بعد علو وشرف بعد شرف وقيل هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة قد عظمها الله واعلاها
وما ادراك ما عليون تنبيها له على عظم شانه كتاب مرقوم ليس تفسير لعليين والمعنى ان كتاب الابرار
لفي عليين كتاب مرقوم قيل لهم فيه بخير واعدوهم بما اعد الله لهم من الكرامة وقيل مكتوب فيه اعمالهم وعليين
محل الملايكة ومضاد سجين وهو محل ابليس وجنوده يشهده المقربون يعني الملايكة الذين هم في عليين
يشهدون اي يحضرون ذلك المكتوب ومن قال انه كتاب الاعمال قال يشهد ذلك الكتاب اذا صعد به
الى عليين المقربون من الملايكة لكرامة المومن قال تعالى ان الابرار يعني المطيعين لله لفي نعيم يعني نعيم
الجنة على الارايك جمع اريكة وهي الاسرة في الحجال ينظرون الى اعدايهم كيف يعذبون في النار وقيل ينظرون
الى ربهم تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم يعني انك اذا رايتهم تعرف انهم من اهل النعمة لما ترى على
وجوههم من النور والحسن والبياض وقيل النضرة في الوجه والسرور في القلب يسقون من رحيق
يعني الخمر الصافية الطيبة البيضا مختوم يعني ختم ذلك الشراب ومنع من ان تمسه الايدي الى ان يفك
ختمه الابرار **فان قلت** قد قال في سورة محمد صلى الله عليه وسلم وانهار من
خمر والنهر لا يختم فكيف طريق الجمع بين الايتين **قلت** يحتمل ان يكون المذكور

في هذه

في هذه الاية في اواني مختوم عليها وهي غير تلك الخمر التي في الانهار وانما ختم عليها لشرفها ونفاستها ختامه
مسك اي طينته التي ختم عليه مسك بخلاف خمر الدنيا فان ختامها طين وقال ابن مسعود مختوم اي
ممزوج ختامه اي اخر طعمه وعاقبته مسك وقيل يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك وفي ذلك
فليتنافس المتنافسون اي فليرغب الراغبون بالمبادرة الى الله عز وجل ليحصل لهم هذا الشراب المختوم
بالمسك وقيل اصله من الشيء النفيس الذي يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس به
على غيره اي ويبخل وينفس ومزاجه من تسنيم اي شراب ينصب عليهم من غرفهم ومنازلهم وقيل
يجري في الهوى متسنما فينصب في اواني اهل الجنة على قدر ملئها فاذا امتلات امسك واصل هذه
الكلمة من العلو ومنه سنام البعير لانه اعلاه وقيل شراب سمي تسنيم وهو من اشرف شراب اهل
الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس هو خالص للمقربين يشربونها صرفا وتمزج لساير اهل الجنة
وسيل ابن عباس عن قوله من تسنيم فقال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة
اعين عينا يشرب بها اي منها وقيل يشربها المقربون صرفا قوله عز وجل ان الذين اجرموا اي اشركوا
يعني كفار قريش ابا جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وايل واصحابهم من اهل مكة كانوا من الذين
امنوا اي من عمار وخباب وصهيب وبلال واصحابهم من فقراء المومنين يضحكون اي منهم ويستهزءون
بهم واذا مروا بهم يعني مر المومنون الفقراء بالكفار الاغنياء يتغامزون يعني يتغامز الكفار والغمز الاشارة
بالجفن والحاجب اي يشيرون اليهم بالاعين استهزاء بهم واذا انقلبوا الى اهلهم يعني الكفار انقلبوا فكهين
اي معجبين بما هم فيه وقيل يتفكهون بذكرهم كانهم يتفكهون بحديثهم واذا راوهم يعني راوا اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم قالوا ان هولاء لضالون اي هم في ضلال ياتون محمدا صلى الله عليه وسلم
ويرون انهم على شيء قال الله عز وجل وما ارسلوا يعني المشركين عليهم يعني المومنين حافظين اي لاعمالهم
والمعنى انهم لم يوكلوا بحفظ اعمالهم قوله عز وجل فاليوم يعني في الاخرة الذين امنوا من الكفار يضحكون
وسبب هذا الضحك ان الكفار لما كانوا في الدنيا يضحكون من المومنين لما هم فيه من الشدة والبلا فلما افضوا
الى الاخرة انعكس ذلك الامر فصار المومنون في السرور والنعيم وصار الكفار في العذاب والبلا فضحك
المومنون على الكافرين لما راوا حالهم وقال ابو صالح يفتح للكفار ابواب النار وهم فيها ويقال لهم اخرجوا
فاذا جاءوا اليها اغلقت دونهم فيفعل ذلك بهم مرارا والمومنون ينظرون اليهم ويضحكون منهم وقال كعب
الاحبار بين الجنة والنار كوى فاذا اراد المومن ان ينظر الى عدو له من الكفار كان في الدنيا اطلع عليه من
تلك الكوة وهو يعذب ضحك منه فذلك فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارايك
جمع اريكة وهو السرر ويتخذ منها الحجلة وهي تزين بها البيت والارايك الجنة من الدر والياقوت
ينظرون يعني اليهم وهم في النار يعذبون قال الله تعالى هل ثوب الكفار اي جوزي الكفار ما كانوا
يفعلون اي بالمومنين من الاستهزاء والضحك وهذا الاستفهام بمعنى التقرير وثوب واثاب
واثيب بمعنى قال الشاعر سيجزيك او يجزيك عني مثوب وحسبك ان تثني عليك وتحمد والله اعلم بمراده
واسرار كتابه **تفسير سورة الانشقاق** مكية وهي خمس وعشرون اية ومائة وسبع
كلمات واربعمائة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اذا السماء انشقت يعني
عند قيام الساعة وهو من علاماتها واذنت لربها وحقت اي سمعت امر ربها بالانشقاق
وطاعته من الاذن وهو الاستماع وحقت اي حق لها ان تطيع امر ربها واذا الارض مدت يعني مد

Copyright © King Saud University

الادبر العكاظي وزيد في سعتها وقيل سويت فلا يبقى فيها بناء ولا جبل **والقت ما فيها** اي اخرجت ما في
بطنها من الموتى والكنوز **وتخلت** اي من ذلك الذي كان في بطنها **واذنت لربها وحقت** واختلفوا في جواب
اذا فقيل جوابه محذوف تقديره اذا كانت هذه الاشيا يرى الانسان الثواب والعقاب وقيل جوابه
يا ايها الانسان انك كادح والمعنى اذا انشقت السما لقي كل كادح ما عمله وقيل جوابه واذنت وحينئذ
تكون الواو زايدة يا ايها الانسان انك كادح اي ساع اليه في عملك سعيا والكدح عمل الانسان وجهده
في الامر من الخير والشر وقيل معناه عامل لربك عملا وقيل معناه انك كادح في لقاء ربك وهو الموت
والمعنى ان هذا الكدح يستمر بك الى الموت وقيل معناه انك كدوح في دنياك كدحا تصير به **الى**
ربك كدحا فملاقيه اي فلا تجزي عملك خيرا كان او شرا وقيل فملاق ربك **فاما من اوتي كتابه بيمينه**
يعني ديوان عمله **فسوف يحاسب حسابا يسيرا** سوف من الله واجب والحساب اليسير هو ان تعرض
عليه اعماله فيعرف بالطاعة والمعصية ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو
الحساب اليسير لانه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب
بالعذر فيه ولا الحجة عليه فانه من طولب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح ق عن ابي مليكة
ان عايشة كانت لا تسمع شيا لا تعرفه الا راجعت فيه حتى تعرفه وان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من حوسب عذب قالت فاما قال ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب **وينقلب الى**
اهله يعني في الجنة من الحور العين والادميات **مسرورا** اي بما اوتي من الخير والكرامة **واما من اوتي**
كتابه وراء ظهره يعني انه تغل يده اليمنى الى عنقه وتجعل يده اليسرى وراء ظهره فيعطى كتابه بشماله
من وراء ظهره وقيل تخلع يده الشمال فتخرج من وراء ظهره فيعطى بها كتابه **فسوف يدعو ثبورا** يعني
عند عطايه كتابه بشماله من وراء ظهره يعلم انه من اهل النار فيدعو بالويل والهلاك فيقول يا ويلاه
يا ثبوراه **ويصلى سعيرا** اي ويقاسي التهاب النار وحرها **انه كان في اهله** يعني في الدنيا **مسرورا** يعني باتباع
هواه وركوب شهواته **انه ظن ان لن يحور** اي لن يرجع الينا ولن يبعث والحور الرجوع **بلى** اي ليس الامر
كما ظن بلى يحور الينا ويبعث ويحاسب **ان ربه كان به بصيرا** اي من يوم خلقه الى ان بعثه قوله عز
وجل **فلا اقسم بالشفق** تقدم الكلام في تفسير لا اقسم بيوم القيامة واما الشفق فقال مجاهد
هو النهار كله وحجته في ذلك انه عطف عليه الليل فيجب ان يكون المذكور اولا هو النهار فعلى هذا
الوجه يكون القسم بالليل والنهار الذين فيهما معاش العالم وسكونه وقيل هو ما بقي من النهار
وقال ابن عباس واكثر المفسرين هي الحمرة التي تبقى في الافق بعد غروب الشمس وهو مذهب
عامة العلما وقيل هو البياض الذي يعقب تلك الحمرة وهو مذهب ابي حنيفة **والليل وما وسق**
اي جمع وضم ما كان منتشرا بالنهار من الخلق والدواب والهوام وذلك ان الليل اذا اقبل اوى كل شي
الى ماواه وقيل ما عمل فيه ويحتمل ان يكون ذلك تهجد العباد فيجوز ان يقسم بهم **والقمر اذا اتسق**
اي اجتمع وتم نوره وذلك في ايام البيض وقيل استدار واستوى ولما ذكر المقسم به اتبعه بالمقسم
عليه فقال تعالى **لتركبن** قري بفتح البا وهو خطاب للواحد والمعنى لتركبن يا محمد **طبقا عن طبق**
يعني سما بعد سما وقد فعل الله به ذلك ليلة اسري به فاصعده سما بعد سما وقيل درجة بعد
درجة وقيل رتبة بعد رتبة في القربة من الله تعالى وقيل معناه لتركبن حالا بعد حال خ عن
ابن عباس قال لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم ومعنى

هذا

٦٩٢

هذا يكون لك الظفر والغلبة على المشركين حتى يختم لك بجميل العاقبة فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم
وكفرهم وقري لتركبن بضم البا وهو الاشبه ويكون خطابا للجمع والمعنى لتركبن ايها الناس
حالا بعد حال وامرا بعد امر وذلك في موقف القيامة فتتقلب بهم الاحوال فيصيرون في الاخرة
على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا وقال ابن عباس يعني الشدائد ثم اهوال الموت ثم البعث
ثم العرض وقيل حال الانسان حالا بعد حال رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم كهل
ثم شيخ وقيل معناه لتركبن سنن من كان قبلكم واحوالهم ق عن ابي سعيد الخدري ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم واحوالهم شبرا بشبر وذراعا بذراع
حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقيل في معنى
الاية انه اراد به السما تتغير لونا بعد لون فتتغير تارة وردة كالدهان وتارة كالمهل وتنشق
مرة وتطوى اخرى **فما لهم لا يومنون** يعني بالبعث والحساب وهو استفهام انكار **واذا قري عليهم القران**
لا يسجدون يعني لا يصلون فعبر بالسجود عن الصلاة لانه جزء منها وقيل اراد سجود التلاوة وهذه
السجدة اخر سجدات القران عند الشافعي ومن وافقه ق عن رافع قال صليت مع ابي هريرة العتمة
فقرا اذا السما انشقت فسجد فقلت هذه قال سجدت بها خلف ابي القاسم صلى الله عليه وسلم فلا ازال
اسجد فيها حتى القاه ولمسلم عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرا باسم ربك واذا
السما انشقت **بل الذين كفروا يكذبون** يعني بالقران والبعث **والله اعلم بما يوعون** يعني يجمعون في صدورهم
من التكذيب **فبشرهم بعذاب اليم** يعني على عنادهم وكفرهم **الا الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون** يعني غير
مقطوع ولا منقوص في الاخرة والله اعلم **تفسير سورة البروج** مكية وهي اثنان وعشرون اية
ومايه وتسع كلمات واربعمايه وخمس وستون حرفا ان صح العدد **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل
والسما ذات البروج يعني البروج الاثني عشر وانما حسن القسم بها لما فيها من عجيب حكمة الباري جل جلاله وهو
سير الشمس والقمر والكواكب فيها على قدر معلوم لا يختلف وقيل البروج الكواكب العظام سميت بذلك
بروجا لظهورها **واليوم الموعود** يعني يوم القيامة **وشاهد ومشهود** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة والمشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ما طلعت الشمس
ولا غربت على يوم افضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مومن يدعو الله بخير الا استجاب الله
له ولا يستعيذ من شر الا اعاذه الله منه اخرجه الترمذي وضعف احد رواته من قبل حفظه وهو هذا
قال ابن عباس والاكثرون ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وقيل الشاهد يوم الجمعة
والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة انما حسن القسم بهذه الايام
لعظمها وشرفها واجتماع المسلمين فيها وقيل الشاهد هو الله تعالى والمشهود يوم القيامة وقيل الشاهد
هم الانبيا والمشهود عليهم هم الامم وقيل الشاهد هو الملك والمشهود عليه هو ادم وذريته
وقيل الشاهد هذه الامة ونبيها والمشهود عليهم هم الامم المتقدمة وقيل الشاهد الانبيا والمشهود
له هو محمد صلى الله عليه وسلم لان الانبيا قبله شهدوا له بالنبوة وقوله والسما ذات البروج واليوم
الموعود وشاهد ومشهود اقسام اقسم الله تعالى بها لشرفها وعظمها وجواب القسم **قتل اصحاب الاخدود**
اي لعن وقتل وقيل جوابه ان بطش ربك لشديد والاخدود الشق المستطيل في الارض اختلفوا فيهم
فروي عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له ساحر فلما كبر الساحر

Copyright © King Saud University

قال للملك انى كبرت فابعث الى غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه وكان فى طريقه اذا سلك اليه
راهب فقعد اليه وسمع كلامه فاعجبه فكان اذا اتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه فاذا اتى الساحر ضربه
واذا رجع من الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا اتى اهله ضربوه فشكى الى الراهب فقال اذا
خشيت الساحر فقل حبسنى اهلى واذا خشيت اهلك فقل حبسنى الساحر فبينما هو كذلك اذ اتى على دابة
عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم اعلم الراهب افضل ام الساحر فاخذ حجرا ثم قال اللهم ان كان
امر الراهب احب اليك من امر الساحر فاقتل هذه حتى يمضى الناس فرماها فقتلها فمضى الناس فاتى
الراهب فاخبره فقال له الراهب اى بنى انت اليوم افضل منى قد بلغ من امرك ما ارى وانك ستبتلى
فان ابتليت فلا تدل على فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوى الناس من سائر الادواء فسمع
جليس للملك كان قد عمى فاتاه بهدايا كثيرة فقال ما ههنا لك اجمع ان انت شفيتنى قال انى
لا اشفى احدا انما يشفى الله عز وجل فان امنت دعوت الله عز وجل فشفاك فامن به فشفاه الله عز
وجل فاتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك فقال ربى قال ولك
رب غيرى قال الله ربى وربك فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجئ بالغلام فقال له الملك
اى بنى انه قد بلغ من سحرك ما تبرئ الاكمه والابرص وتفعل وتفعل فقال انى لا اشفى احدا انما
يشفى الله عز وجل فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجئ بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فابى
فدعا بالمنشار فوضع فى مفرق راسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جئ بالغلام فقيل له ارجع عن دينك
فابى فدفعه الى نفر من اصحابه فقال لهم اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الى الجبل فاذا بلغتم
ذروته فان رجع والا فاطرحوه فذهبوا فصعدوا به الجبل فقال اللهم يا رب العالمين اكفنيهم
بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك قال كفانيهم
الله بقدرته فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا فاحملوه فى قرقورة وتوسطوا به البحر فان
رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة
فغرقوا وجاء يمشى الى الملك فقال له ما فعل اصحابك قال كفانيهم الله تعالى فقال للملك انك
لست بقاتلى حتى تفعل ما امرك به فقال وما هو قال تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبنى
على جذع نخل ثم تاخذ سهما من كنانتى ثم ضع السهم فى كبد القوس ثم قل بسم الله رب هذا
الغلام ثم ارمنى به فانك ان فعلت ذلك قتلتنى فجمع الناس فى صعيد واحد وصلبه على جذع
ثم اخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم فى كبد القوس ثم قال بسم الله رب هذا الغلام ثم رماه
فوقع السهم فى صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات فقال الناس امنا برب الغلام
ثلاثا فاتى الملك فقيل له ارايت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد امن الناس فامر بالاخدود
فخدت بافواه السكك واضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه او قال فاقحموه او قيل له
اقتحم ففعلوا ذلك حتى جاءت امراة معها صبى لها فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الغلام يا اماه اصبرى
ولا تقاعسى فانك على الحق هذا حديث صحيح اخرجه مسلم وفى هذا الحديث اثبات كرامات الاولياء
وفيه جواز الكذب فى مصلحة ترجع الى الدين وفيه انقاذ احد من الهلاك والاكمه هو الذى خلق
اعمى والمنشار بالياء وتخفيف الهمزة وروى بالنون وذروة الجبل بالضم والكسر اعلاه ورجف
تحرك واضطرب والقرقور بضم القافين الاولى السفينة الصغيرة وانكفأت اى انقلبت

والصعيد

والصعيد هنا الارض البارزة والسكك الطرق وافواهها والاخدود الشق العظيم فى الارض والقحوه
اى رموه فيها وتقاعست اى تاخرت وكرهت الدخول فى النار قال ابن عباس كان بنجران ملك من
ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل فى الفترة قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين
سنة وكان فى بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان ابوه يسلمه الى معلم يعلمه السحر فكره الغلام
ولم يجد بدا من طاعة ابيه فجعل يختلف الى المعلم وكان فى طريقه راهب حسن الصوت فاعجبه ذلك
وذكر نحو حديث صهيب وقال وهب بن منبه ان رجلا كان بقى على دين عيسى فوقع الى نجران
فاجابوه فسار اليه ذو نواس اليهودى بجنوده من حمير وخيرهم بين النار واليهودية فابوا عليه
فخد الاخدود وحرق اثنى عشر الفا وغلب ارياط على اليمن فخرج ذو نواس هاربا فاقتحم البحر
بفرسه فغرق وقال محمد بن اسحاق عن عبد الله بن ابى بكر ان خربة احترقت فى زمن عمر بن
الخطاب فوجد عبد الله بن تامر واضعا يده على ضربة فى راسه اذا اميطت يده عنها
انبعث دما واذا تركت ارتدت مكانها وفى يده خاتم من حديد فيه ربى الله فبلغ ذلك عمر
فقال اعيدوا عليه الذى وجد ثم وقال سعيد بن جبير عن ابن ابزى لما انهزم اهل اسفيدهار
قال عمر بن الخطاب اى شئ يجرى على المجوس من الاحكام فانهم ليسوا باهل كتاب وكانت الخمر قد
احلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فوقع على اخته فلما ذهب عنه السكر ندم
وقال لها ويحك ما الذى اتيت وما المخرج منه قالت المخرج منه انك تخطب الناس وتقول ان
الله قد احل نكاح الاخوات لكم فقال الناس باجمعهم معاذ الله ان نؤمن بهذا او نقر به ما جاءنا
به من نبى ولا انزل علينا فى كتاب فبسط فيهم السوط فابوا ان يقروا فجرد فيهم السيف فابوا
ان يقروا به فخد لهم الاخدود واوقد فيها النيران وعرضهم عليها فمن ابى قذفه فى النار ومن
اجاب سبيله وروى عن على قال كان اصحاب الاخدود نبيهم حبشى بعث من الحبشة الى قومه
ثم قرا على ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك الاية فدعاهم فتابعه اناس
فقاتلهم الكفار فقتل اصحابه واخذ من انفلت منهم فاوثقوه ثم خدوا لهم اخدودا فملؤها نارا
فمن اتبع ذلك النبى رمى به فى النار ومن تابعهم تركوه فجاؤا بامراة معها صبى رضيع فجزعت فقال
الصبى يا اماه قعى ولا تقاعسى وقيل كانت الاخدود ثلاثة واحدة بنجران باليمن والاخرى
بالشام والاخرى بفارس حرقوا بالنار فاما التى بالشام فطياخوس الرومى واما التى بفارس
فبخت نصر ويزعمون انهم اصحاب دانيال واما التى باليمن فذو نواس واما التى بالشام وفارس
فلم ينزل الله فيهم قرانا وانزل فى التى بنجران اليمن وذلك ان القصة كانت مشهورة عند اهل
مكة فذكر الله تعالى ذلك لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملهم بذلك على الصبر وتحمل المكاره
فى الدين وقوله تعالى النار ذات الوقود وهو تعظيم لامر تلك النار قال الربيع بن انس نجى الله
المؤمنين الذين القوا فى النار بقبض ارواحهم قبل ان تمسهم النار وخرجت النار الى من على شفير
الاخدود من الكفار فاحرقتهم اذ هم عليها قعود اى جلوس عند الاخدود وهم يعنى الملك
الاخدود واصحابه على ما يفعلون بالمؤمنين اى من عرض على النار واراد منهم ان يرجعوا الى دينهم
شهود اى حضور وقيل يشهدون ان المؤمنين ضلال حين تركوا عبادة الصنم وما نقموا منهم الا
ان يؤمنوا بالله وقيل ما عابوا ولا علموا فيهم عيبا الا ايمانهم بالله العزيز الحميد يعنى ان الذى يستحق العبادة

Copyright © King Saud University

٦٩٢

هو العزيز اى الغالب القاهر الذي لا يغالب ولا يدافع الحميد يعنى الذي يستحق ان يحمد ويثنى عليه وهو اهل لذلك وهو الله جل جلاله الذي له ملك السموات والارض اى هو المعبود والله على كل شيء من افعالهم بالمومنين شهيد وفيه وعد عظيم للمومنين ووعيد عظيم للكافرين قوله عز وجل ان الذين فتنوا المومنين والمومنات بالنار ثم لم يتوبوا اى لم يرجعوا عما هم عليه من الكفر وفيه دليل على انهم اذا تابوا وامنوا يقبل منهم وخرجوا من هذا الوعيد وان الله تعالى يقبل منهم التوبة وان توبة القاتل مقبولة وانهم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق قيل لهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق بما احرقوا المومنين وقيل لهم عذاب الحريق في الوقت وذلك ان الله احرقهم بالنار التي احرقوا بها المومنين ارتفعت اليهم من الاخدود فاحرقتهم ولهم عذاب جهنم في الاخرة ثم ذكر ما اعد للمومنين فقال تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير قوله عز وجل ان بطش ربك لشديد قال ابن عباس ان اخذه بالعذاب اذا اخذ الظلمة لشديد انه هو يبدي ويعيد اى يخلقهم اولا في الدنيا ثم يعيدهم احيا بعد الموت ليجازيهم باعمالهم في القيامة وهو الغفور يعنى لذنوب المومنين الودود اى المحب لهم وقيل المحبوب اى يوده اولياوه ويحبونه وقيل يغفر ويود ان يغفر وقيل هو المتودد الى اوليايه بالمغفرة ذو العرش اى خالقه ومالكه المجيد قرى بالرفع على انه صفة لله تعالى لان المجيد من صفات التعالى والجلال وذلك لا ينبغي الا لله تعالى وقرئ المجيد بالكسر على انه صفة للعرش اى العرش العظيم اذ لا يعلم صفة العرش وعظمته الا الله تعالى وقيل اراد حسنه فوصف بالمجيد فقد قيل ان العرش احسن الاجسام فعال لما يريد انه لا يعجزه شي ولا يمتنع منه شي طلبه وقيل فعال لما يريد لا يعترض عليه معترض ولا يغلبه غالب فهو يدخل اولياءه الجنة برحمته لا يمنعه من ذلك مانع ويدخل اعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر هل اتاك اى قد اتاك حديث الجنود اى خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا على الانبياء ثم بين من هم فقال تعالى فرعون يعني وقومه وثمود كانت قصتهم عند اهل مكة مشهورة بل الذين كفروا من قومك يا محمد في تكذيب يعني لك وللقران كما كذب من كان قبلهم من الامم ولم يعتبروا بمن اهلكنا منهم والله من ورائهم محيط اى عالم بهم لا يخفى عليه شي من اعمالهم يقدر ان ينزل بهم ما انزل بمن قبلهم بل هو قران مجيد اى كريم شريف كثير النفع والخير ليس هو كما زعم المشركون انه شعر وكهانة في لوح محفوظ قرى بالرفع على انه نعت للقران يعنى ان القران محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف وقرى محفوظ بالكسر على انه نعت اللوح لانه يعرف باللوح المحفوظ وهو ام الكتاب ومنه نسخ الكتب وسمي محفوظا لانه حفظ من الشياطين ومن الزيادة والنقص وهو عن يمين العرش وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال ان في صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن امن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله ادخله الجنة وقال واللوح لوح من درة بيضا طوله ما بين السما والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمرا وقلمه من نور وكلامه سر ومعقود بالعرش واصله في حجر ملك والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة اية واحدى وستون كلمة ومايتان وتسع وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والسما والطارق قيل نزلت في ابي طالب وذلك انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس ياكل اذ انحط نجم فامتلا ما ثم نارا ففزع ابو طالب وقال اي شي هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمي به وهو اية من ايات الله فعجب ابو طالب فانزل الله والسما والطارق يعني النجم يظهر بالليل وكل ما اتاك بالليل فهو طارق

ولا

ولا يسمى ذلك بالنهار وسمي النجم طارقا لانه يطلع بالليل قالت هند * نحن بنات طارق * نمشي على النمارق * تريد ان اباها نجم في علوه وشرفه وما ادراك ما الطارق قيل لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يعرفه حتى بينه له بقوله النجم الثاقب اى المضي المنير وقيل المتوهج وقيل هو المرتفع العالي وقيل هو الذي يرمى به الشياطين فيثقبه اى ينفذه والنجم الثاقب قيل هو الثريا لان العرب تسميها النجم وقيل هو زحل سمي بذلك لارتفاعه وقيل هو كل نجم يرمى الشياطين لانه يثقبه فينفذه وهذه اقسام اقسم الله بها وقيل تقديره ورب هذه الاشيا وجواب القسم قوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ يعنى ان كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير او شر قال ابن عباس هم الحفظة من الملايكة وقيل حافظ من الله تعالى يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتى يدفعها ويسلمها الى المقادير ثم يخلي عنها وقيل يحفظها من المهالك والمعاطب الا ما قدر لها قوله عز وجل فلينظر الانسان يعنى نظر تفكر واعتبار مم خلق اى من اى شي خلقه ربه ثم بين ذلك فقال تعالى خلق من ما دافق يعنى ما قوي مدفوق مصبوب في الرحم واراد به ما الرجل وما المراة لان الولد مخلوق منهما وانما جعله واحدا لامتزاجهما يخرج يعنى ذلك الما وهو المني من بين الصلب والترايب يعنى صلب الرجل وترايب المراة وهي عظام الصدر والنحر قال ابن عباس هو موضع القلادة من الصدر وعنه انه بين ثديي المراة وقيل ان المني يخرج من جميع اعضا الانسان واكثره يخرج من الدماغ في عرق في ظهر الرجل وينزل في عروق كثيرة من مقدم بدن المراة وهي الترايب فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر انه على رجعه لقادر يعني ان الله تعالى قادر على ان يرد النطفة في الاحليل وقيل قادر على رد الما في الصلب الذي خرج منه وقيل قادر على رد الانسان كما كان من قبل وقيل معناه ان شيت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبا ومن الصبا الى النطفة وقيل انه قادر على حبس ذلك الما حتى لا يخرج وقيل معناه ان الذي قدر على خلق الانسان ابتدا قادر على اعادته حيا بعد موته وهو اهون عليه وهذا القول هو الاصح واللايق والاولى بمعنى الاية لقوله تعالى بعده يوم تبلى السراير وذلك يوم القيامة وقيل معناه تظهر الخبايا ومعنى تبلى تختبر وقيل السراير هي فرايض الاعمال كالصوم والصلاة والوضوء والغسل من الجنابة فكل هذه سراير بين العبد وبين ربه عز وجل وذلك لان العبد قد يقول صليت ولم يصل وصمت ولم يصم واغتسلت ولم يغتسل فاذا كان يوم القيامة تختبر حتى يظهر من اداها ومن ضيعها قال عبد الله بن عمر يبدي الله يوم القيامة كل سر فيكون زينا في وجوه وشينا في وجوه يعني من ادى الفرايض كاملا كان وجهه مشرقا مستبشرا يوم القيامة ومن ضيعها او انتقص منها كان وجهه اغبر فما له اى لهذا الانسان المنكر البعث من قوة اى يمتنع بها من عذاب الله ولا ناصر اى ينصره من الله ثم ذكر قسما فقال تعالى والسما ذات الرجع اى ذات المطر سمي به لانه يجي ويرجع ويتكرر والارض ذات الصدع اى تتصدع وتنشق عن النبات والشجر وجواب القسم قوله تعالى انه يعنى القران لقول فصل اى انه حق وجد يفصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل اى باللعب والباطل انهم يعنى مشركي مكة يكيدون كيدا يعنى يحتالون في المكر بالنبي صلى الله عليه وسلم حين اجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا فيه واكيد كيدا يعنى اجازيهم على كيدهم بان استدرجهم من حيث لا يعلمون فانتقم منهم في الدنيا بالسيف وفي الاخرة بالنار فمهل الكافرين اى لا تستعجل ولا تدع بهلاكهم وقال ابن عباس هذا وعيد لهم من الله عز وجل ثم لما امره بامهالهم بين ان ذلك الامهال قليل فقال امهلهم رويدا يعني قليلا فاخذهم الله يوم بدر

Copyright © King Saud University

ونسخ الامهال بآية السيف والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة سبح اسم ربك الاعلى مكية وهي
تسعة عشر اية واثنان وسبعون كلمة ومائتان واحدى وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل سبح اسم ربك الاعلى اي قل سبحان ربي الاعلى وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين
يدل عليه ما روي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سبح اسم ربك فقال سبحان ربي الاعلى
ذكره البغوي باسناد الثعلبي وقيل معناه نزه ربك الاعلى عما يصفه الملحدون فعلى هذا يكون الاسم
صلة وقيل معناه نزه تسمية ربك الاعلى بان تذكره وانت له معظم ولذكره محترم وقال ابن عباس
سبح اي صل بامر ربك الاعلى عن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال النبي صلى
الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم اخرجه ابو
داود الذي خلق فسوى اي خلق كل ذي روح فسوى اليدين والرجلين والعينين وقيل خلق الانسان
مستويا معتدلا القامة والذي قدر فهدى اي قدر الارزاق وهدى لاكتسابها وقيل قدر لكل
شيء شكله فهدى اي فعرف كيف ياتي الذكر والانثى وقيل قدر مدة الجنين في الرحم وهداه الى الخروج
منه وقيل قدر السعادة لاقوام والشقاء لاقوام ثم هدى كل فريق من الطائفتين سلوك سبيل ما قدر
له عليه وقيل قدر الخير والشر وهدى اليهما وقدر اي اعطى كل حيوان ما يحتاج اليه وهدى الانعام وساير
الحيوانات لمراعيها وهو قوله تعالى والذي اخرج المرعى اي انبت العشب وما ترعاه الانعام من اخضر
واصفر واحمر وابيض وغيره لكن فجعله بعد الخضرة غثاء اي هشيما يابسا باليا كالغثاء الذي
تراه السيل احوى اي اسود بعد الخضرة وذلك ان الكلا اذا جف ويبس اسود قوله عز وجل سنقرئك
اي نعلمك القرآن بقراءة جبريل عليك فلا تنسى يعني ما يقرأ عليك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا نزل جبريل بالوحي لم يفرغ من اخر الاية حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم باولها مخافة ان
ينساها فانزل الله تعالى سنقرئك فلا تنسى شيئا بعد ذلك الا ما شاء الله يعني ان تنساه وهو ما نسخ الله
تعالى تلاوته من القرآن ورفعه من الصدور وقيل معناه الا ما شاء الله ان تنساه ثم تذكره بعد
ذلك كما صح من حديث عائشة قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ فقال يرحمه
الله لقد اذكرني كذا اية كنت انسيتها من سورة كذا وكذا وفي رواية كنت اسقطتهن من
سورة كذا اخرجاه في الصحيحين وقيل هذا الاستثناء لم يقع ولم يشأ الله ان ينسيه شيئا انه يعلم
الجهر يعني من القول والفعل وما يخفى يعني منهما والمعنى انه يعلم السر والعلانية ونيسرك
لليسرى اي نهون عليك لان تعمل خيرا ونسهله عليك حتى تعمله وقيل نوفقك للشريعة اليسرى
وهي الحنيفية السمحة وقيل هو متصل بالكلام الاول والمعنى انه يعلم الجهر مما تقرؤه على جبريل
اذا فرغ من التلاوة وما يخفى مما تقرؤه في نفسك مخافة النسيان ثم وعده فقال ونيسرك لليسرى
اي نهون عليك الوحي حتى تحفظه ولا تنساه فذكر اي عظ بالقرآن ان نفعت الذكرى اي مدة
نفعت الموعظة والتذكير والمعنى عظ انت وذكر ان نفعت او لم تنفع انما عليك البلاغ سيذكر
من يخشى اي سيتعظ من يخشى الله تعالى ويتجنبها اي الذكرى ويتباعد عنها الاشقى اي في علم
الله تعالى الذي يصلى النار الكبرى اي هي نار الاخرة والنار الصغرى هي نار الدنيا ثم لا يموت اي في
النار فيستريح فيها ولا يحيى اي حياة طيبة تنفعه قوله عز وجل قد افلح من تزكى اي تطهر من الشرك
وقال لا اله الا الله قاله ابن عباس وقيل قد افلح من كان عمله زاكيا وقيل هو صدقة الفطر وذكر

اسم ربه فصلى قال خرج الى العيد فصلى وكان ابن مسعود يقول رحم الله امرأ تصدق ثم صلى ثم يقرأ
هذه الاية وقال نافع كان ابن عمر اذا صلى الغداة يعني يوم العيد قال يا نافع اخرجت الصدقة فان قال
قلت نعم مضى الى المصلى وان قلت لا قال فالان فاخرج فانما هذه الاية في هذا قد افلح من تزكى وذكر اسم
ربه فصلى **فان قلت** فما وجه هذا التاويل وهذه السورة مكية ولم يكن بمكة
عيد ولا زكاة فطر **قلت** يجوز ان يكون النزول سابقا على الحكم كما قال وانت حل
بهذا البلد وهذه السورة مكية وظهر اثر الحل يوم الفتح وكذا نزل بمكة سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان
ذلك يوم بدر قال عمر بن الخطاب كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رايت النبي صلى الله عليه
وسلم يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ووجه اخر انه كان في علم الله تعالى انه سيكون
ذلك فاخبر عنه وذكر اسم ربه فصلى اي ذكر اسم ربه فصلى يعني الصلوات الخمس وقيل اراد بالذكر تكبيرات
العيد وبالصلاة صلاة العيد قوله عز وجل بل تؤثرون الحياة الدنيا والاخرة خير وابقى يعني
ان الدنيا فانية والاخرة باقية والباقي خير من الفاني وانتم تؤثرون الفاني على الباقي قال عرفجة
الاشجعي كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الاية فقال اتدرون لم اثرنا الحياة الدنيا على الاخرة قلنا لا
قال لان الدنيا احضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها وان الاخرة نعتت
وزويت عنا فاحببنا العاجل وتركنا الاجل وقيل ان اريد بذلك الكافر فالمعنى انهم يؤثرون
الدنيا على الاخرة لانهم لا يؤمنون بالاخرة وان اريد بذلك المسلمين فالمعنى يؤثرون الاستكثار
من الدنيا على الثواب الذي يحصل في الاخرة وهو خير وابقى ان هذا الذي ذكر من قوله قد افلح من تزكى
الى هنا اربع ايات لفي الصحف الاولى اي الكتب المتقدمة التي نزلت قبل القرآن ذكر في تلك الصحف
افلاح من تزكى والمصلي وايثار الدنيا وان الاخرة خير وابقى ثم بين ذلك فقال صحف ابراهيم وموسى
يعني ان هذا القدر المذكور في صحف ابراهيم وموسى وقيل انه مذكور في صحف جميع الانبياء التي منها صحف ابراهيم
وموسى لان هذا القدر المذكور في هذه الايات لا يختلف في شريعة بل جميع الشرائع متفقة عليه عن ابي ذر
قال دخلت المسجد فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمسجد تحية قلت وما تحيته يا رسول الله
قال ركعتان تركعهما قلت يا رسول الله هل انزل الله عليك شيء مما كان في صحف ابراهيم وموسى قال
يا ابا ذر اقرأ قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والاخرة خير وابقى ان هذا
لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى قال عبر كلها
عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبت لمن راى الدنيا وتقلبها
باهلها كيف يطمئن اليها عجبت لمن ايقن بالقدر ثم ينصب عجبت لمن ايقن بالحساب ثم لا يعمل اخرج هذا
الحديث رزين في كتابه وذكره ابن الاثير في كتابه جامع الاصول ولم يعلم عليه شيئا عن ابن عباس
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وقل هو
الله احد في ركعة ركعة اخرجه الترمذي والنسائي وعن عبد الرحمن بن جريج قال سالنا عائشة باي شيء
كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يقرأ في الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية
بقل يا ايها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله احد والمعوذتين اخرجه ابو داود والنسائي والترمذي
وقال حديث حسن غريب والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة
الغاشية مكية وهي ست وعشرون اية واثنان وتسعون كلمة وثلاثمائة واحدى وتسعون حرفا

Copyright © King Saud University

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل هل اتاك قد اتاك يا محمد حديث الغاشية يعني القيامة سميت
غاشية لانها تغشى كل شيء باهوالها وقيل الغاشية النار سميت بذلك لانها تغشى وجوه الكفار وجوه
يومئذ يعني يوم القيامة خاشعة يعني ذليلة والمراد بالوجوه اصحابها فعبر بالجزء عن الكل ولان الوجه
اشرف اعضاء الانسان فعبر به عنه عاملة ناصبة قال ابن عباس يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا
على غير دين الاسلام ومن عبدة الاوثان وكفار اهل الكتاب مثل الرهبان واصحاب الصوامع
لا يقبل الله منهم اجتهادا في ضلالة بل يدخلون النار يوم القيامة ومعنى النصب التدرب في العمل بالتعب
ق عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث في امرنا هذا ما ليس فيه فهو
رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد اما الرواية الاولى فانها تختص بمن احدث في دين
الاسلام شيئا ابتدعه من عنده فهو رد مردود عليه لا يقبل منه واما الرواية الثانية فانها تشتمل
على كل عامل في دين الاسلام وغير دين الاسلام فانه مردود عليه اذا لم يكن تابعا لنبينا صلى الله
عليه وسلم وقيل في الاية عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في الاخرة في النار وقيل عاملة ناصبة
في النار لانها لم تعمل لله في الدنيا فاعملها وانصبها في النار بمعالجة السلاسل والاغلال وهي رواية عن
ابن عباس قال ابن عباس تخوض في النار كما تخوض الابل في الوحل وقيل يجرون على وجوههم في النار
وقيل يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار وهو قوله تصلى نارا حامية قال ابن عباس قد حميت فهي
تتلظى على اعداء الله عز وجل تسقى من عين آنية اي متناهية في الحرارة قد اوقدت عليها جهنم مذ خلقت
لو وقع منها قطرة على جبال الدنيا لذابت فيدفعون اليها وردا عطاشا هذا شرابهم ثم ذكر طعامهم
فقال تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع قيل هو نبت ذو شوك لاطئ بالارض تسميه قريش الشبرق
فاذا هاج سموه الضريع وهو اخبث طعام وابشعه وهي رواية عن ابن عباس فاذا يبس لا يقربه
دابة وقيل الضريع في الدنيا هو الشوك اليابس الذي ليس له ورق وهو في الاخرة شوك من نار وجاء
في الحديث عن ابن عباس يرفعه الضريع شيء في النار يشبه الشوك امر من الصبر وانتن من الجيفة
واشد حرا من النار قال ابو الدرداء ان الله يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه
من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة
فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم الف سنة ثم
يسقون من عين آنية شربة لا هنية ولا مرية فاذا ادنوه من وجوههم سلخ جلدة وجوههم
وشواها فاذا وصل الى بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم
قال المفسرون فلما نزلت هذه الاية قال المشركون ان ابلنا لتسمن على الضريع وكذبوا في ذلك فان
الابل انما ترعاه رطبا فاذا يبس لا تاكله فانزل الله تعالى لا يسمن ولا يغني من جوع يعني ان هذا الطعام
لا تقدر البهائم على اكله فهو اذا لا يسمن ولا يغني من جوع **فان قلت**
قد ذكر الله تعالى في هذه الاية لا طعام لهم الا من ضريع وذكر في موضع اخر ولا طعام الا من غسلين
فكيف الجمع بينهما **قلت** ان النار دركات فعلى قدر الذنوب تقع العقوبات فمنهم طعامه
الزقوم ومنهم طعامه الغسلين ثم وصف اهل الجنة فقال وجوه يومئذ ناعمة اي متنعمة ذات
بهجة وحسن في نعمة وكرامة لسعيها راضية اي لسعيها في الدنيا راضية في الاخرة حين اعطيت الجنة
بعملها في جنة عالية قيل هو من العلو الذي هو الشرف وقيل من العلو في المكان وذلك لان الجنة درجات

بعضها

بعضها اعلى من بعض كل درجة كما بين السماء والارض لا تسمع فيها لاغية اي ليس فيها لغو ولا باطل
فيها عين جارية من وجه الارض في غير اخدود وقيل تجري حيث شاءوا من منازلهم وقصورهم
فيها سرر مرفوعة قال ابن عباس الواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والياقوت مرتفعة ما لم
يجئ اهلها فاذا اراد اهلها الجلوس عليها تواضعت لهم حتى يجلس عليها ثم ترتفع الى موضعها واكواب
يعني الكيزان التي لا عرى لها موضوعة يعني عندهم بين ايديهم وقيل موضوعة على حافة
العين الجارية كلما ارادوا الشرب منها وجدوها مملوءة ونمارق مصفوفة يعني وسائد ومرافق
مصفوفة بعضها بجنب بعض اينما اراد ان يجلس ولي الله جلس على واحدة واستند الى الاخرى
وزرابي يعني البسط العريضة قال ابن عباس هي الطنافس التي لها خمل واحدتها زربية
مبثوثة اي مبسوطة وقيل متفرقة في المجالس قوله عز وجل افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت
قال ابن عباس قال اهل التفسير لما نعت الله عز وجل ما في هذه السورة مما في الجنة عجب من
ذلك اهل الكفر وكذبوه فذكرهم الله صنعه فقال افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وانما بدأ بالابل
لانها من انفس اموال العرب لهم فيها منافع كثيرة والمعنى ان الذي صنع لهم هذا في الدنيا هو الذي
صنع لاهل الجنة ما صنع وتكلمت علماء التفسير في وجه تخصيص الابل بالذكر من بين سائر الحيوانات
فقال مقاتل لان العرب لم يروا بهيمة قط اعظم منها ولم يشاهدوا الفيل الا الشاذ منهم
وقال الكلبي لانها تنهض بحملها وهي باركة وقال قتادة لما ذكر الله تعالى ارتفاع سرر الجنة
وفرشها قالوا كيف نصعدها فانزل الله تعالى هذه الاية وسئل الحسن عن هذه الاية وقيل له
الفيل اعظم في الاعجوبة فقال اما الفيل فان العرب بعيدة العهد به ثم هو لا خير فيه لانه لا يركب
على ظهره ولا يؤكل لحمه ولا يحلب دره والابل اعز مال للعرب وانفسه تاكل النوى وغيره وتخرج
اللبن ومن منافع الابل انها مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف حتى ان
الصبي الصغير ياخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء ومنها انها فضلت على سائر الحيوانات باشياء
وذلك ان جميع الحيوانات انما تقتنى اما للزينة او للركوب او للحمل او للبن او للحم ولا يوجد
جميع هذه الخصال الا في الابل فانها زينة وتركب فيقطع عليها المفاوز البعيدة وقال شريح
اخرجوا بنا الى الكناسة عنة وتحمل الثقيل وتحلب الكثير ويؤكل من لحمها الجم الغفير وتصبر على العطش مدة
ايام ومنها انه يحمل عليها وهي باركة ثم تنهض بحملها بخلاف سائر الحيوانات ومنها انها ترعى كل نبات
في البراري مما لا ترعاه غيرها من الحيوانات وهي سفينة البر يحمل عليها الثقيل وتقطع عليها المفاوز
البعيدة وكان شريح يقول اخرجوا بنا الى الكناسة حتى ننظر الى الابل كيف خلقت
فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والارض والجبال **قلت**
لان المراد ذكر الدلائل الدالة على توحيده وقدرته وانه هو الخالق لهذه الاشياء جميعا وكانت
الابل من اعظم شيء عند العرب ينظرون اليها ليلا ونهارا ويصاحبونها ظعنا واسفارا
ذكرهم عظيم نعمته عليهم فيها ولهذا ابتدأ بها ولانها من اعظم الحيوانات عندهم والى السماء كيف
رفعت يعني فوق الارض بغير عمد ولا ينالها شيء والى الجبال كيف نصبت على الارض نصبا
اي ثابتا راسخا لا تزول والى الارض كيف سطحت اي بسطت ومهدت بحيث يستقر على ظهرها
كل شيء قال ابن عباس المعنى هل يقدر احد ان يخلق مثل الابل او يرفع مثل السماء او ينصب

Copyright © King Saud University

مثل الجبال وبسط مثل الارض عرف انه القادر على كل شي ولما ذكر الله تعالى دلايل التوحيد ولم يعتبروا ولم يتفكروا فيها خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى **فذكر انما انت مذكر** اي فعظ انما انت واعظ **لست عليهم بمسيطر** اي بمسلط فتقتلهم وتكرههم على الايمان وهذه الاية منسوخة نسختها اية القتال **الا من تولى وكفر** استثنا منقطع عما قبله معناه لكن من تولى وكفر بعد التذكير **فيعذبه الله العذاب الاكبر** وهو ان يدخله النار وانما قال الاكبر لانهم عذبوا في الدنيا بانواع من العذاب مثل الجوع والقحط والقتل والاسر فكانت النار اكبر من هذا كله **ان الينا ايابهم** اي رجوعهم بعد العذاب **ثم ان علينا حسابهم** فنجزيهم بعد الرجوع على الله والله اعلم

تفسير سورة والفجر

مكية وهي تسع وعشرون اية وقيل ثلاثون اية ومائة وثلاثون كلمة وخمسماية وسبعة وتسعون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **والفجر** اقسم الله بالفجر وما بعده لشرفها وما فيها من الفوايد الدينية وهي انها دلايل باهرة وبراهين قاطعة على التوحيد وفيها من الفوايد الدنيوية انها تبعث على الشكر واختلفوا في معنى هذه الالفاظ فروي عن ابن عباس انه قال الفجر هو انفجار الصبح في كل يوم اقسم الله تعالى به لما يحصل فيه من انقضا الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات في طلب الارزاق وذلك يشبه نشر الموتى من قبورهم للبعث وعن ابن عباس ايضا انه صلاة الفجر والمعنى انه اقسم بصلاة الفجر لانها مفتتح النهار ولانها مشهودة يشهدها ملايكة الليل وملايكة النهار قيل انه فجر معين واختلفوا فيه فقيل هو فجر اول يوم من المحرم لان منه تتفجر السنة وقيل هو فجر ذي الحجة لانه قرن به الليالي العشرة وقيل هو فجر يوم النحر لان فيه اكثر مناسك الحج وفيه القربان **وليال عشر** قيل انما نكرها لما فيها من الفضل والشرف الذي لا يحصل في غيرها روي عن ابن عباس انها العشر الاول من ذي الحجة لانها ايام الاشتغال باعمال الحج واخرج الترمذي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من ايام العمل فيهن احب الى الله من هذه الايام العشر وذكر الحديث قال العشر الاواخر من رمضان لان فيها ليلة القدر ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاخير من رمضان شد الميزر وايقظ اهله يعني للعبادة وقيل هي العشر الاول من المحرم وهو تنبيه على شرفه ولان فيه يوم عاشورا **والشفع والوتر** قيل الشفع هو الخلق والوتر هو الله تعالى يروى ذلك عن ابي سعيد الخدري وقيل الشفع الخلق كله بالايمان والهدى والضلالة والسعادة والشقاوة والليل والنهار والارض والسما والشمس والقمر والبر والبحر والنور والظلمة والجن والانس والوتر هو الله تعالى وقيل الخلق كله منه شفع ومنه وتر وقيل هما الصلوة منها شفع ومنها وتر عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عن الشفع والوتر قال هي الصلوة بعضها شفع وبعضها وتر اخرجه الترمذي وقال الحديث غريب وعن ابن عباس قال الشفع صلاة الغداه والوتر صلاة المغرب وعن عبد الله بن الزبير قال الشفع النفر الاول والوتر النفر الاخر وروي ان رجلا سيل عن الشفع والوتر والليالي العشر فقال الشفع والوتر قول الله عز وجل فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه فهما الشفع والوتر واما الليالي العشر فالثمان وعرفة والنحر وقيل الشفع الايام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليلة معه وهو يوم القيامة وهو يوم القيامة وقيل الشفع درجات الجنة لانها ثمان والوتر دركات النار لانها سبع فكانه

اقسم

اقسم بالجنة والنار وقيل الشفع اوصاف المخلوقين المتضادة مثل العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والغنى والفقر والعلم والجهل والبصر والعمى والموت والحياة والوتر صفات الله تعالى التي تفرد بها عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وغنا بلا فقر وعلم بلا جهل وحياة بلا موت **والليل اذا يسر** اي اذا سار وذهب وقيل اذا جا واقبل واراد به كل ليلة وقيل هي ليلة المزدلفة وهي ليلة النحر التي يسار فيها من عرفات الى المزدلفة فعلى هذا يكون المعنى والليل الذي يسار فيه **هل في ذلك** اي فيما ذكرت **قسم** مقنع ومكتفى في القسم فهو استفهام بمعنى التاكيد **لذي حجر** اي لذي عقل سمي بذلك لانه يحجر صاحبه عما لا يحل له ولا ينبغي ولا يجمل كما سمي عقلا لانه يعقل صاحبه عن القبايح وسمي نهى لانه ينهى عما لا يجمل ولا ينبغي واصل الحجر المنع ولا يقال لذي حجر الا لمن هو قاهر لنفسه ضابط لها عما لا ينبغي كانه حجر عن نفسه ومنعها ما تريد والمعنى ان من كان ذا لب وعقل علم انما اقسم الله عز وجل به من هذه الاشيا فيه عجايب ودلايل تدل على توحيده وربوبيته فهو حقيق بان يقسم به لدلالته على خالقه قيل جواب القسم قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد اعترض بين القسم وجوابه قوله تعالى **الم تر كيف فعل ربك بعاد** وقيل جواب القسم محذوف وتقديره ورب هذه الاشيا ليعذبن الكافر ويدل عليه قوله الم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب وقوله عز وجل الم تر كيف فعل ربك الم تعلم وانما اطلق لفظ الرؤية على العلم لان اخبار عاد وثمود وفرعون كانت معلومة عندهم وقوله الم تعلم خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكنه عام لكل احد كيف فعل ربك بعاد **ارم ذات العماد** يعني ان المقصود من ذلك تخويف اهل مكة وكيف اهلكهم وهم كانوا اطول اعمارا واشد قوة من هولا فاما عاد فهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح ومنهم من يجعل عادا اسما للقبيلة لقوله تعالى وانه اهلك عادا الاولى وارم هو جد عاد على ما ذكر في نسبة عاد وقيل ان المتقدمين على قوم عاد كانوا يسمون ارم باسم جدهم وقيل ارم قبيلة من عاد وكان فيهم الملك وكانوا بمهرة موضع باليمن وكان عاد اباهم فنسبوا اليه وهو ارم بن عاد بن سيم بن سام بن نوح وقال الكلبي هو الذي يجمع اليه نسب عاد وثمود واهل السواد واهل الجزيرة وكان يقال عاد ارم وثمود ارم فاهلك عادا وثمودا وابقى اهل السواد واهل الجزيرة وقال سعيد بن المسيب ارم ذات العماد دمشق وقيل الاسكندرية وفيه ضعف لان منازل عاد كانت من عمان الى حضرموت وهي بلاد الرمال والاحقاف وقيل ان عادا كانوا اهل عمد وخيام وماشية سيارة في الربيع فاذا هاج العود ويبس رجعوا الى منازلهم وكانوا اهل جنان وزروع ومنازلهم بوادي القرى وهي قال الله **التي لم يخلق مثلها في البلاد** وسموا ذات العماد لطول قامتهم مثل العماد في الشبه قال مقاتل كان طول احدهم اثني عشر ذراعا وقوله التي لم يخلق مثلها في البلاد يعني لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة وهم الذين قالوا من اشد منا قوة وقيل سموا ذات العماد لبنا بناه بعضهم فشيد عمده ورفع بناه قيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا بعده وقهرا البلاد والعباد فمات شديد وخلص الملك لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها وكان يحب قراة الكتب القديمة فسمع بذكر الجنة وصفتها دعته نفسه الى بنا مثلها عتوا على الله وتجبرا قروي وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له شردت فبينا هو يسير في صحارى عدن وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنا وظن ان فيها احدا يسأله عن ابله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب المدينة فاذا هو ببابين عظيمين وهما مرصعين بالياقوت الاحمر فلما راى ذلك دهش ففتح الباب ودخل

Copyright © King Saud University

فاذا هو بمدينة لم ير احد مثلها واذا فيها قصور في كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب
والفضة واحجار اللولو والياقوت واذا ابواب تلك القصور مثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها
بعضا وهي مفروشة كلها باللولو وبنادق المسك والزعفران قال ابن عباس فلما عاين ذلك
ولم ير احدا هاله ذلك ثم نظر الى الازقة فاذا في تلك الازقة اشجار مثمرة وتحت تلك الاشجار
انهار مطردة تجري ماوها في قنوات من فضة فقال الرجل في نفسه هذه الجنة وحمل معه
من لولوها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع الى اليمن واظهر ما كان معه وحدث بما
راى فبلغ ذلك معاوية فارسل اليه فقدم عليه فسأله عن ذلك فقص عليه ما راى فارسل
معاوية الى كعب الاحبار فلما اتاه قال له يا ابا اسحاق هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة
قال نعم هي ارم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال فحدثني حديثها فقال لما اراد شداد بن
عاد عملها امر عليها مائة قهرمان مع كل قهرمان الف من الاعوان وكتب الى ملوك الارض
ان يمدوهم بما في بلادهم من الجواهر فخرجت القهارمة يسيرون في الارض ليجدوا ارضا موافقة
فوقفوا على صخرة نقية من التلال واذا فيها عيون ماء وموج فقالوا هذه الارض التي
امر الملك ان تبنى فيها فوضعوا اساسها من الجزع اليماني واقاموا في بنائها ثلاث مائة
سنة فلما انتهى وقد فرغوا منها قالوا انطلقوا فاجعلوا احصنا يعني سورا واجعلوا حوله
الف قصر وعند كل قصر علم ليكون في كل قصر وزير من وزرائه ففعلوا وامر الملك وزرائه
وهم الف وزير وتهيوا للنقلة الى ارم ذات العماد وكان الملك واهله في جهازهم
عشر سنين ثم ساروا اليها فلما كانوا من على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من
كان معه صيحة من السما فاهلكتهم جميعا ولم يبق منهم احد ثم قال كعب الاحبار وسيدخلها
رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب
ابل له ثم التفت فابصر عبد الله بن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل قوله عز وجل وثمود
اي فعل بثمود مثل ما فعل بعاد الذين جابوا اي قطعوا الصخر بالواد يعني بوادي القرى
وكانت ثمود اول من قطع الصخر ونحته واتخذوا مساكن في الجبال وبيوتا وفرعون ذي
الاوتاد وسمي بذلك لكثرة جنوده وكثرة مضاربهم وخيامهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا
وقيل معناه ذي الملك كما قيل • في ظل ملك راسخ الاوتاد • وقيل سمي بذلك لانه كان يعذب
الناس بالاوتاد • روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس ان فرعون انما سمي ذي الاوتاد
لانه كانت امراة وهي امراة خازنه حزقيل وكان مومنا كتم ايمانه مائة سنة وكانت
امراته ماشطة بنت فرعون فبينما هي ذات يوم تمشط راس بنت فرعون اذ سقط
المشط فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل لك من اله غير ابي فقالت
الهي واله ابيك واله السموات والارض واحد لا شريك له فارسل اليها فسالها عن ذلك
فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفري بالهك قالت لا افعل فمدها بين اربعة
اوتاد ثم ارسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفري بالله والا عذبتك بهذا العذاب
شهرين فقالت لو عذبتني سبعين شهرا ما كفرت بالله وكان لها ابنتان فجا بابنتها
الكبرى فذبحها على فيها ثم قال اكفري بالله والا ذبحت الصغرى على فيك وكان رضيعا فقالت

لو

لو ذبحت من في الارض على في ما كفرت بالله عز وجل فاتى بابنتها فلما اضجعت على جسدها وارادوا
ذبحها جزعت المراة فاطلق لسان ابنتها فتكلمت وهي من الاربعة الذين تكلموا في المهد صغارا اطفالا
وقالت يا اماه لا تجزعي فان الله قد بنى لك بيتا في الجنة فاصبري فانك تفضين الى رحمة الله
وكرامته فذبحت فلم تلبث الام الا اياما الى ان ماتت في موضع كذا فاسكنها الله الجنة وبعث
في طلب زوجها حزقيل فلم يقدروا عليه فقيل لفرعون انه قد روي في جبل كذا في موضع كذا
فبعث رجلين في طلبه فانتهيا اليه الرجلان وهو يصلي وثلاث صفوف من الوحوش خلفه يصلون
فلما راوا ذلك انصرفوا فقال حزقيل اللهم انك تعلم اني كتمت ايماني مائة سنة ولم يظهر علي احد
فايما هذين الرجلين كتم علي فاهده الى دينك واعطه في الدنيا سوله وايما هذين الرجلين اظهر
علي فعجل عقوبته في الدنيا واجعل مصيره في الاخرة الى النار فانصرف الرجلان الى فرعون فاما
احدهما فاعتبر وامن واما الاخر فاخبر فرعون بالقصة على روس الملا فقال له فرعون وهل
معك غيرك قال نعم فلان فدعي به فقال احق ما يقول هذا قال ما رايت مما يقول شيا فاعطاه
فرعون فاجزل واما الاخر فقتله ثم صلبه قال وكان فرعون قد تزوج امراة من اجمل نسا
بني اسرائيل يقال لها اسية بنت مزاحم فرات ما صنع فرعون بالماشطة فقالت وكيف
يسعني ان اصبر على ما يأتي فرعون وانا مسلمة وفرعون كافر فبينما هي كذلك تومر نفسها اذ دخل
عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت لفرعون انت شر الخلق واخبثهم عمدت الى الماشطة
فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذي كان بها قالت ما بي من جنون وان الهها والهك
والهي واله السموات والارض واحد لا شريك له فشق عليها وضربها وارسل الى ابيها وامها
فدعاهما وقال لهما ان الجنون الذي كان بالماشطة اصابها قالت اعوذ بالله من ذلك اني
اشهد ان ربي وربك ورب السموات والارض واحد لا شريك له فقال ابوها يا اسية الست
من خير نسا العالمين وزوجك من العماليق قالت اعوذ بالله من ذلك ان كان ما يقول حقا
فقولا له ان يتوجني تاجا يكون الشمس امامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لهما فرعون
اخرجا عني ثم مدها بين اربعة اوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا الى الجنة ليهون عليها ما يصنع
فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لي بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله فقبض الله روحها
وادخلها الجنة قوله عز وجل الذين طغوا في البلاد يعني عادا وثمودا وفرعون عملوا بالمعاصي
وتجبروا ثم فسر ذلك الطغيان بقوله فاكثروا فيها الفساد يعني القتل والفساد ضد الصلاح
فكما ان الصلاح يتناول جميع اقسام البر كذلك الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب يعني لونا
من العذاب صبه عليهم وقيل هو تشبيه بما يكون في الدنيا من العذاب بالسوط وقيل هو اشارة
الى ما خلط لهم من العذاب لان حد السوط خلط الشي بعضه ببعض وقيل هذا على الاستعارة
لان السوط غاية العذاب فجرى ذلك لكل نوع منه وقيل جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب
وكان الحسن اذا اتى هذه الاية يقول ان عند الله تعالى اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها
ان ربك لبالمرصاد قال ابن عباس يعني بحيث يرى ويسمع وقيل عليه طريق العباد لا يفوته احد
وقيل عليه ممر الناس لان الرصد والمرصاد الطريق وقيل يرجع الخلق اليه حكمه وامره واليه
مصيرهم وقيل يرصد اعمال العباد كما لا يفوت من بالمرصاد وقيل رصد الناس على طرقهم

Copyright © King Saud University

حتى يهلكهم قوله عز وجل فاما الانسان اذا ما ابتلاه اى امتحنه ربه بالنعمة فاكرمه اى بالمال ونعمه اى بما وسع عليه فيقول ربي اكرمن اى بما اعطانى من المال والنعمة واما اذا ما ابتلاه يعنى بالفقر فقدر عليه اى فضيق عليه وقيل قتر رزقه اى وقد اعطاه ما يكفيه فيقول ربي اهانن اى اذلنى بالفقر قيل نزل فى امية بن خلف الجمحى الكافر وقيل ليس المراد به واحد بعينه بل المراد جنس الكافر وهو الذى تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ فى الدنيا وقلته فرد الله تعالى على من ظن ان سعة الرزق اكرام وان الفقر اهانة فقال تعالى كلا اى ليس الامر كذلك لم ابتله بالغنى لكرامته ولم ابتله بالفقر لاهانته فاخبر ان الاكرام والاهانة لا تدور على المال وسعة الرزق وقلته ولكن الغنى والفقر بتقديره جل جلاله وحكمته فقد يوسع على الانسان من اصناف المال ليختبره ايشكر ام يكفر ويضيق عليه ليختبره ليصبر ام يضجر ويقلق بل لا تكرمون اليتيم اى لا تعطونه حقه الثابت له فى الميراث قال مقاتل كان قدامة بن مظعون تحت حجر امية بن خلف وكان يدفعه عن حقه ولا تحضون على طعام المسكين اى لا تطعمون مسكينا ولا تامرون باطعامه ولا تحاضون ومعناه ولا يحض بعضكم بعضا على ذلك وتاكلون التراث اى الميراث اكلا لما اى شديدا والمعنى انه ياكل نصيبه ونصيب غيره وذلك انهم كانوا فى الجاهلية لا يورثون النساء والصبيان وياكلون نصيبهم وقيل الاكل اللم الذى ياكل كل شيء يجده لا يسال احلال ام حرام وياكل الذى له ولغيره وتحبون المال حبا جما اى كثيرا والمعنى تحبون جمع المال وتولعون به وتحبه كلا اى ما ينبغى ان يكون الامر هكذا من الحرص على جمع المال وحبه وقيل معناه لا يفعلون ما امروا به من اكرام اليتيم وغيره من المسلمين ثم اخبر عن تلهفهم على ما سلف منهم وذلك حين لا ينفعهم الندم فقال تعالى اذا دكت الارض دكا دكا اى دقت وكسرت مرة بعد مرة وكسر كل شيء عليها من جبل وبناء وغيره حتى لا يبقى على ظهرها شيء وجاء ربك اعلم ان هذه الاية من ايات الصفات التى سكت عنها وعن مثلها عامة السلف وبعض الخلف فلم يتكلموا فيها واجروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تاويل وقالوا يلزمنا الايمان بها واجراؤها على ظاهرها وتاولها بعض المتاخرين وغالب المتكلمين وقال ثبت بالدليل العقلى ان الحركة على الله محال فلا بد من تاويل الاية فقيل فى تاويلها وجاء امر ربك وقضاؤه وقيل وجاءت دلائل فجعل مجيئها مجيئا له تفخيما لتلك الايات والملك صفا صفا اى تنزل ملائكة كل سماء صفا صفا على حدة فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس فيكونون سبع صفوف وجيء يومئذ يعنى يوم القيامة بجهنم قال ابن مسعود فى الاية ان تقاد جهنم بسبعين الف زمام بيد سبعين الف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب على يسار العرش يومئذ يعنى يوم يجاء بجهنم يتذكر الانسان اى يتعظ الكافر ويتوب وانى له الذكرى يعنى انه يظهر التوبة ومن اين له التوبة يقول يا ليتنى قدمت لحياتى اى قدمت الخير والعمل الصالح لحياتى فى الاخرة التى لا موت فيها فيومئذ لا يعذب عذابه احد اى لا يعذب احد فى الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ ولا يوثق وثاقه احد يعنى لا يبلغ احد من الخلق كبلاغ الله فى العذاب والوثاق وهو الاسار فى السلاسل والاغلال وقرئ ولا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء ومعناه ولا يعذب عذاب هذا الكافر احد ولا يوثق وثاقه احد وهو امية بن خلف وذلك لشدة كفره وعتوه قوله عز وجل يا ايتها النفس المطمئنة اى الثابتة على الايمان والايقان المصدقة بما قال الله الموقنة التى قد ايقنت بالله تعالى وبان الله ربها

لكن بهذا المعنى كان ملتفتا الى غيره انه غير مطمئن بما بعده واما المطمئن بالله فلا يبالى لا بدكاك الارض ولا لرؤية الملائكة ولا لجهنم بل يقال له يا ايتها النفس الخ

وخضعت لامره وطاعته وقيل المطمئنة المؤمنة الموقنة وقيل هى الراضية بقضاء الله وقيل هى الامنة من عذاب الله وقيل هى المطمئنة بذكر الله قيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب حين استشهد باحد وقيل فى خبيب بن عدى الانصارى وقيل فى عثمان حين اشترى بئر رومة وسبلها وقيل فى ابى بكر الصديق والاصح ان الاية عامة فى كل نفس مؤمن مطمئنة لان هذه السورة مكية ارجعى الى ربك اى الى ما وعد ربك من الجزاء والثواب قيل يقال لها عند خروجها من الدنيا قال عبد الله ابن عمر اذا توفى العبد المؤمن ارسل الله عز وجل اليه ملكين وارسل اليه بتحفة من الجنة فيقولان اخرجى ايتها النفس المطمئنة اخرجى الى روح وريحان وربك عليك راض فتخرج كاطيب ريح مسك وجده احد فى انفه والملائكة على ارجاء السماء يقولون قد جاء من الارض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب الا فتح لها ولا بملك الا صلى عليها حتى يؤتى بها الرحمن جل جلاله فتسجد له ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه النفس فاجعلها مع انفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله وينبذ له فيه الروح فان كان معه شيء من القران كفاه نوره وان لم يكن جعل له فيه نورا مثل الشمس فى قبره ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه الا احب اهله اليه فاذا توفى الكافر ارسل الله اليه ملكين وارسل قطعة من بجاد انتن من كل نتن واخشن من كل خشن فيقال ايتها النفس الخبيثة اخرجى الى جهنم وعذاب اليم وربك عليك غضبان وقيل فى معنى قولها ارجعى الى ربك اى الى صاحبك وهو الجسد وانما يقال لها عند البعث فيامر الله الارواح ان ترجع الى اجسادها وهو قول عكرمة وعطاء والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل ارجعى الى ثواب ربك وكرامته راضية عن الله بما اعد الله لك مرضية اى رضى الله عنها وقيل لها فى الدنيا ارجعى الى ربك راضية مرضية فاذا كان يوم القيامة قيل لها فادخلى فى عبادى اى فى جملة عبادى الصالحين المصطفين وادخلى جنتى قال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته فجاء طائر لم ير على خلقته فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الاية على شفير القبر لا يدرى من تلاها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى قال بعض اهل الاشارة فى تفسير هذه الاية يا ايتها النفس المطمئنة الى الدنيا ارجعى الى ربك بتركها والرجوع اليه هو سلوك سبيل الاخرة والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة البلد

مكية وهى عشرون اية واثنان وثمانون كلمة وثلثمائة وثمانون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل لا اقسم بهذا البلد تقدم الكلام على قوله لا اقسم فى اول سورة القيامة والبلد هو مكة فى قول جميع المفسرين وانت حل بهذا البلد اى مقيم به نازل فيه فكانه عظم حرمة مكة من اجل انه صلى الله عليه وسلم مقيم بها وقيل حل اى حلال والمعنى احلت لك اى تصنع فيها ما تريد من القتل والاسر ليس عليك ما على الناس من الاثم فى استحلاله احل الله عز وجل مكة يوم الفتح حتى قاتل وقتل وامر بقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس ابن صبابة وغيرهما فاحل دماء قوم وحرم دماء قوم اخرين فقال من دخل دار ابى سفيان فهو امن ومن اغلق بابه فهو امن ومن دخل المسجد فهو امن ثم قال بعد ذلك ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فلم تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد بعدى وانما احلت لى ساعة من نهار فهى حرام بحرمة الله الى يوم القيامة والمعنى ان الله تعالى اقسم بمكة دل ذلك على عظم قدرها وشرفها وحرمتها

Copyright © King Saud University

ومع ذلك فوعد نبيه صلى الله عليه وسلم انه يحلها له حتى يقاتل فيها وان يفتحها على يديه فهذا
وعد من الله تعالى في الماضي وهو مقيم بمكة ان يفتحها عليه في المستقبل بعد الهجرة وخروجه
منها فكان كما وعده وقيل في معناه قوله وانت حل بهذا البلد فالمجرمون ان يقتلوا به صيدا
ويستحلون قتلك فيه واخراجك منه **ووالد وما ولد** يعني ادم وذريته اقسم الله تعالى بمكة
لشرفها وحرمتها وبادم وبالانبيا والصالحين من ذريته لان الكافر وان كان من ذريته فلا حرمة
له حتى يقسم به وجواب القسم قوله تعالى **لقد خلقنا الانسان في كبد** قال ابن عباس في نصب وقيل
يكابد مصائب الدنيا وشدايد الاخرة وعنه ايضا قال في شدة خلقه وحمله وولادته ورضاعه
وفطامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته واصل الكبد الشدة وقيل لم يخلق الله خلقا يكابد
ما يكابد ابن ادم وهو مع ذلك اضعف الخلق وعن ابن عباس ايضا قال الكبد الاستوا والاستقامة
فعلى هذا يكون المعنى خلقنا الانسان منتصبا معتدل القامة وكل شي من الحيوان يمشي منكبا وقيل
منتصبا راسه في بطن امه فاذا اذن الله في خروجه انقلب راسه الى اسفل وقيل في كبد اي في قوة
نزلت في ابي الاسد اسيد بن كلدة بن جمح وكان شديدا قويا يضع الاديم العكاظي تحت قدميه ويقول
من ازالني عنه فله كذا وكذا فلا يطيق ان ينزع من تحت قدميه الا قطعا ويبقى موضع ذلك الاديم بقدر
موضع قدميه **ايحسب** يعني ابا الاسد من قوته **ان لن يقدر عليه احد** يعني لشدته في نفسه انه لا يقدر
عليه الله وقيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي **يقول** يعني هذا الكافر **اهلكت** اي انفقت **مالا لبدا** اي
كثيرا من التلبيد الذي يكون بعضه فوق بعض يعني في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم **ايحسب ان لم يره
احد** يعني ايظن ان الله لم يره ولا يسأله عن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وقيل كان كاذبا في قوله
انه انفق ولم ينفق جميع ما قال والمعنى ايظن ان الله لم ير ذلك منه فيعلم مقدار نفقته ثم ذكر
نعمه عليه ليعتبر فقال تعالى **الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين** يعني ان نعم الله على عبده متظاهرة
بها كما يشكره وجا في الحديث ان الله عز وجل يقول ابن ادم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد
اعنتك عليه بطبقتين فاطبق عليه **وهديناه النجدين** قال اكثر المفسرين طريق الخير والشر والحق والباطل
والهدى والضلالة وقال ابن عباس الثديين **فلا اقتحم العقبة** اي فهلا انفق ماله فيما يجوز به
العقبة من فك الرقاب واطعام السغبان فيكون ذلك خيرا له من عداوة من ارسله الله وهو محمد
صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لم يقتحمها ويجاوزها والاقتحام الدخول في الامر الشديد وذكر
العقبة مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في اعمال الخير والبر فجعله كالذي
يتكلف صعود العقبة يقول الله عز وجل لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والاطعام وقيل
انه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بعقبة فاذا اعتق رقبة واطعم المساكين كان كمن اقتحم
العقبة وجاوزها وروي عن ابن عمر ان هذه العقبة جبل في جهنم وقيل هي عقبة شديدة في
النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله ومجاهدة النفس وقيل هي الصراط يضرب على متن
جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة الاف سنة سهلا وصعودا وهبوطا وان بجنبيه كلاليب
وخطاطيف كانها شوك السعدان فناج مسلم وناج مخدوش ومكردس في النار منكوس فمن الناس
من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالفارس ومنهم من يمر كالرجل يعدو ومنهم من
يمر كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفا ومنهم الزالون ومنهم من يكردس في النار وقيل معنى الاية فهلا

طريق

طريق النجاة ثم بين ما هي فقال تعالى **وما ادراك ما العقبة** اي وما ادراك ما اقتحام العقبة **فك رقبة**
يعني عتق رقبة وهو ايجاب الحرية لها وابطال الرق من العبودية عنها وذلك بان يعتق الرجل الرقبة
التي في ملكه او يعطي مكاتبا ما يصرفه في فكاك رقبته ومن اعتق رقبة كانت فداه من النار عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعتق رقبة مسلمة اعتق الله بكل عضو منه
عضوا من النار حتى فرجه بفرجه وروى البغوي بسنده عن البرا بن عازب قال جا اعرابي
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة قال لئن كنت
اقصرت الخطبة لقد اعرضت المسئلة اعتق النسمة وفك الرقبة قال اوليسا واحد قال لا
اعتق الرقبة ان تنفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين في ثمنها والمنحة الوكوف والفي على ذي
الرحم الظالم فان لم تطق ذلك فاطعم الجائع واسق الظمآن وامر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك
فكف لسانك الا من خير وقيل في معنى الاية فك رقبته من رق الذنوب بالتوبة وبما يتكلفه من
العبادات والطاعات حتى يصير بها الى رضوان الله والجنة فهي الحرية الكبرى ويتخلص بها من النار
او اطعم في يوم ذي مسغبة اي ذي مجاعة والسغب الجوع **يتيما ذا مقربة** اي ذا قرابة يريد يطعم يتيما بينك
وبينه قرابة **او مسكينا ذا متربة** يعني قد لصق بالتراب من فقره وضره وقال ابن عباس هو المطروح
في التراب لا يقيه شي والمتربة الفقر ثم بين ان هذه القرب لا تنفع الا مع الايمان بقوله تعالى
ثم كان من الذين امنوا والمعنى انه كان مؤمنا تنفعه هذه القرب والا لم يقتحم العقبة **وتواصوا بالصبر** يعني
وصى بعضهم بعضا على الصبر على اداء الفرائض وجميع اوامر الله ونواهيه **وتواصوا بالمرحمة** اي برحمة
الناس وفيه الاشارة الى تعظيم امر الله والشفقة على خلق الله **اولئك** يعني اهل هذه الخصال اصحاب
الميمنة والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشامة عليهم نار مؤصدة يعني مطبقة عليهم ابوابها
لا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غم والله سبحانه وتعالى اعلم **تفسير سورة والشمس** مكية
وهي خمس عشرة اية واربع وخمسون كلمة ومايتان وسبع واربعون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم**
قوله عز وجل **والشمس وضحاها** اي ضوؤها والضحى حين ترتفع الشمس ويصفو ضوؤها وقيل الضحى هو
حر الشمس لان حرها ونورها متلازمان فاذا اشتد نورها قوي حرها وهذا اضعف الاقوال
والقمر اذا تلاها اي تبعها وذلك في النصف الاول من الشهر اذا غربت الشمس تلاها القمر في الاضاءة
وخلفها في النور وقيل تلاها في الاستدارة وذلك حين يكمل ضوؤه ويستدير وذلك في الليالي البيض
وقيل تلاها تبعها في الطلوع وذلك في اول ليلة من الشهر اذا غربت الشمس ظهر الهلال فكانه
تبعها **والنهار اذا جلاها** يعني جلا ظلمة الليل يضيء به وكشفها بنوره وهو كناية عن غير مذكور
لكونه معروفا **والليل اذا يغشاها** يعني يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الافاق قيل هذه الاسامي
الاربعة ترجع الى الشمس في الحقيقة لان بوجودها يكون النهار ويشتد الضحى وبغروبها
يكون الليل ويتبعها القمر **والسماء وما بناها** اي ومن بناها وقيل والذي بناها فعلى هذا كانه اقسم
له وباعظم مخلوقاته ومعنى بناها خلقها وقيل ما بمعنى المصدر اي والسما وبنائها
والارض وما طحاها اي بسطها وسطحها على الما **ونفس وما سواها** اي عدل خلقها وسوى اعضاءها هذا ان
اريد بالنفس الجسد وان اريد بها المعنى القايم بالجسد فيكون معنى سواها اعطاها القوى
الكثيرة كالقوة الناطقة والسامعة والباصرة والفكر والمخيلة وغير ذلك من العلم والفهم

Copyright © King Saud University

وقيل انما نكرها لانه اراد بها النفس الشريفة المكلفة التي تفهم عنه خطابه وهي نفس جميع من برئ
الانس والجن فالهمها فجورها وتقواها قال ابن عباس بين لها الخير والشر وعنه علمها الطاعة والمعصية وعنه
عرفها ما تاتي وما تتقي وقيل الزمها فجورها وتقواها وقيل جعل فيها ذلك بتوفيقه اياها
للتقوى وخذلانه اياها للفجور وذلك لان الله تعالى خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور م عن ابي
الاسود الديلي قال قال لي عمران بن حصين ارايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشيء قضي عليهم ومضى
عليهم من قدر قد سبق او فيما يستقبلون به مما اتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم
فقلت بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم قال افلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شيء
خلق الله وملك يده فلا يسئل عما يفعل وهم يسألون فقال لي يرحمك الله اني لم ارد بما سألتك الا لاحزر
عقلك ان رجلين من مزينة اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ارايت
ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق او فيما يستقبلون به
مما اتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقال لا بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم
وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها م عن جابر
قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كانا خلقنا الان فيم العمل
اليوم قال فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له

او فيما يستقبل قال لا بل
فيما جفت به الاقلام وجرت
به المقادير قال ففيم العمل
م

وهذه اقسام اقسم بالشمس وضحاها وما بعدها لشرفها ومصالح العالم بها وقيل فيه اضمار تقديره
ورب الشمس وما يليها بعدها او ورد على القول بانه تدخل في جملة هذا القسم قوله والسماء وما
بناها وذلك قوله تعالى فيكون التقدير ورب السماء ورب من بناها وهذا خطا لا يجوز واجيب
عنه بان ما ان فسرت بالمصدرية فلا اشكال وان فسرت بمعنى من فيكون التقدير ورب السما
الذي بناها وجواب القسم قوله تعالى قد افلح من زكاها اي فازت نفس وسعدت زكاها الله اي
اصلحها الله وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة وقد خاب من دساها اي خابت وخسرت نفس اضلها
الله تعالى وافسدها واصله من دس الشيء اذا اخفاه فكانه سبحانه وتعالى اقسم باشرف مخلوقاته
على فلاح من طهره وزكاه وخسار من خذله واضله حتى لا يظن احد انه يتولى تطهير نفسه او هلاكها
بالمعصية من غير قدر سبق منه وقضاء سابق وعن زيد بن ارقم قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم ات
نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ومن
قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها قوله عز وجل كذبت ثمود وهم قوم
صالح عليه السلام بطغواها اي بطغيانها وعدوانها والمعنى ان الطغيان حملهم على التكذيب
حتى كذبوا اذ انبعث اشقاها اي قام واسرع وذلك انهم لما كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا انبعث اشقى
القوم وهو قدار بن سالف وكان رجلا اشقر ازرق قصيرا فقام بعقر الناقة ق عن عبد الله بن
زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انبعث اشقاها انبعث اشقاها (اشقاها) رجل عزيز عارم منيع في اهله مثل ابي زمعة
لفظ البخاري قوله عارم اي شديد ممتنع قوله تعالى فقال لهم رسول الله يعني صالحا عليه السلام
ناقة الله وانما قال لهم ذلك لما عرف منهم انهم قد عزموا على عقرها وانما اضافها الى الله تعالى

لشرفها

لشرفها كبيت الله وسقياها اي وشربها اي وذروا شربها ولا تتعرضوا للماء يوم شربها فكذبوه يعني
صالحا فعقروها يعني الناقة فدمدم عليهم ربهم اي فاطبق عليهم ربهم واهلكهم والدمدمة هلاك
استيصال وقيل دمدم اي اطبق عليهم العذاب طبقا حتى لم يتفلت منهم احد بذنبهم اي فعلنا
ذلك بهم لسبب ذنبهم وهو تكذيبهم صالحا عليه السلام وعقرهم الناقة فسواها اي فسوى
الدمدمة عليهم جميعا وعمهم بها وقيل معناه فسوى بينهم الامة وانزل بصغيرهم وكبيرهم وغنيهم
وفقيرهم العذاب ولا يخاف عقباها اي لا يخاف الله تبعة من احد في هلاكهم قال ابن عباس وقيل هو راجع
الى العاقر والمعنى لا يخاف العاقر عقبى ما قدم عليه من عقر الناقة وقيل هو راجع الى صالح عليه السلام
والمعنى لا يخاف صالح عاقبة ما انزل من العذاب ان يؤذيه احد بسبب ذلك والله سبحانه وتعالى اعلم
بمراده واسرار كتابه تفسير سورة والليل اذا يغشى مكية وهي احدى وعشرون اية واحدى
وسبعون كلمة وثلثمائة وعشرة احرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والليل اذا يغشى
اي يغشى النهار بظلمته فيذهب بضوئه اقسم الله تعالى بالليل لانه سكن لطائف الخلق يأوي
فيه كل حيوان الى ماواه ويسكن عن الاضطراب والحركة ثم اقسم بالنهار بقوله والنهار اذا تجلى بان
وظهر بتجلي الظلمة لان فيه حركة الخلق في طلب الرزق وما خلق الذكر والانثى اي ومن خلق فعلى هذا
يكون اقسم بنفسه تعالى والمعنى والقادر العظيم الذي قدر على خلق الذكر والانثى من ما
واحد ان اريد به جنس الذكر والانثى وقيل هما ادم وحوى وانما اقسم بهما لانه تعالى ابتدع
خلق ادم من طين وخلق منه حوى من غير ام وجواب القسم قوله تعالى ان سعيكم لشتى اي
ان اعمالكم لمختلفة فساع في فكاك نفسه وساع في عطبها روى ابو مالك الاشعري عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها قوله موبقها
اي مهلكها قوله تعالى فاما من اعطى اي انفق ماله في سبيل الله عز وجل واتقى اي ربه
وفيه اشارة الى الاحتراز عن كل ما لا ينبغي وصدق بالحسنى قال ابن عباس صدق بقول لا اله
الا الله وعنه صدق بالخلف اي ايقن ان الله سيخلفه عليه ما انفقه في طاعته وقيل صدق بالجنة
وقيل صدق بموعود الله عز وجل الذي وعده ان يثيبه فسنيسره اي فسنهيئه في الدنيا
لليسرى اي للخلة والطريقة اليسرى وهو العمل بما يرضاه الله قوله عز وجل واما من بخل اي بالنفقة
في الخير والطاعة واستغنى اي عن ثواب الله عز وجل تعالى فلم يرغب فيه وكذب بالحسنى اي بلا اله الا
الله او كذب بما وعد الله من الجنة والثواب فسنيسره للعسرى اي فسنهيئه للشر بان
يجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضي الله تعالى فيستوجب بذلك النار وقيل نعسر عليه ان يأتي
خيرا وفي الاية دليل لاهل السنة وصحة قولهم في القدر وان التوفيق والخذلان والسعادة
والشقاوة بيد الله تعالى ووجوب العمل بما سبق في الازل ق عن علي بن ابي طالب قال
كنا في جنازة في بقيع الغرقد فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه
مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده
من الجنة ما من نفس منفوسة الا وقد كتبت شقية او سعيدة فقالوا يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا
وندع العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فيصير لعمل اهل السعادة
واما من كان من اهل الشقاوة فيصير لعمل اهل الشقاوة ثم قرا فاما من اعطى واتقى وصدق

Copyright King Saud University

بالحسنى فسنيسره لليسرى المحضرة بكسر الميم كالسوط والعصى ونحو ذلك مما يمسكه بيده والنكت
بالشئ المثناة فوق ضرب الارض بذلك ونحو ذلك مما يؤثر فيها الضرب وهذه الاية نزلت في ابي بكر الصديق
وذلك انه اشترى بلالا من امية بن خلف ببردة وعشرة اواق فاعتقه فانزل الله تعالى والليل
اذا يغشى الى قوله ان سعيكم لشتى يعني سعي ابي بكر وامية بن خلف وقيل كان لرجل من الانصار نخلة
وفرعها في دار رجل فقير وله عيال فكان صاحب النخل اذا طلع نخلته لياخذ منها الثمر فربما سقطت
الثمرة فياخذها صبيان ذلك الفقير فينزل الرجل عن نخلته حتى ياخذ الثمرة من ايديهم وان
وجدها في فم احدهم ادخل اصبعه في فيه حتى يخرجها فشكى ذلك الرجل الفقير الى النبي صلى الله عليه
وسلم فلقي النبي صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال له تعطيني نخلتك التي فرعها في دار فلان
ولك بها نخلة في الجنة فقال له الرجل ان لي نخلا وما اعجب الي منها ثم ذهب فسمع بذلك ابو الدحداح
رجل من الانصار فقال لصاحب النخلة هل لك ان تبيعها بحش يعني حايطا له فيه نخل فقال
هي لك فاتى ابو الدحداح النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اشتريتها مني بنخلة في
الجنة فقال نعم فقال هي لك فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الفقير جار الانصاري
صاحب النخلة قال خذها لك ولعيالك فانزل الله هذه الاية وهذا القول فيه ضعف لان
هذه السورة مكية وهذه القصة كانت بالمدينة فان كانت القصة صحيحة تكون هذه السورة
قد نزلت بالمدينة وبمكة وظهر حكمها بالمدينة والصحيح انها نزلت في ابي بكر الصديق وامية بن
خلف لان سياق الايات يقتضي ذلك قوله عز وجل **وما يغني عنه ماله** اي الذي بخل به **اذا
تردى** اي اذا مات وقيل هوى في جهنم **ان علينا للهدى** اي علينا ان نبين طريق الهدى من
طريق الضلالة وذلك انه عرفهم ما للمحسن من اليسرى وما للمسيء من العسرى اخبرهم ان بيان
الارشاد والهداية وعليه تبيين طريقها وقيل معناه ان علينا للهدى والاضلال فاكتفى بذكر
احدهما والمعنى ارشد اوليائي الى العمل بطاعتي واصرف اعدائي عن العمل بطاعتي وقيل معناه
من سلك سبيل الهدى فعلى الله سبيله **وان لنا للاخرة والاولى** لنا ما في الدنيا فمن طلبهما من غيرنا لكنما
فقد اخطا الطريق **فانذرتكم** اي يا اهل مكة **نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب** يعني الرجل
وتولى اي عن الايمان **وسيجنبها الاتقى** يعني التقي **الذي يؤتي** اي يعطي **ماله يتزكى** اي يطلب عند
الله ان يكون زاكيا لا يطلب مما ينفقه رياء ولا سمعة وهو ابو بكر الصديق في قول جميع المفسرين
قال ابن الزبير كان يبتاع الضعفة فيعتقهم فقال له ابوه اي بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك قال منع
ظهري اريد فانزل الله وسيجنبها الاتقى الى اخر السورة وذكر محمد بن اسحاق قال كان بلال لبعض بني جمح وهو
بلال بن رباح واسم امه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان امية بن خلف يخرجه اذا حميت
الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يامر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول لا تزال
هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد فيقول وهو في ذلك احد احد قال محمد بن اسحاق عن هشام بن عروة
عن ابيه قال مر به ابو بكر يوما وهم يصنعون به ذلك وكانت دار ابي بكر في بني جمح فقال لامية
الا تتقي الله في هذا المسكين قال انت افسدته فانقذه مما ترى فقال ابو بكر افعل عندي
غلام اسود اجلد منه واقوى وهو على دينك اعطيكه به قال قد فعلت فاعطاه ابو بكر غلامه
واخذ بلالا فاعتقه وكان قد اعتق ست رقاب على الاسلام قبل ان يهاجر بلال سابعهم وهم

عامر

عامر بن فهيرة شهد بدرا واحدا وقتل يوم بير معونة شهيدا وام عميس وزهرة فاصيب
بصرها حين اعتقها ابو بكر فقالت قريش ما اذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذب
ورب البيت ما تضر اللات والعزى وما ينفعان فرد الله تعالى عليها بصرها واعتق
النهدية وابنتها وكانتا لامراة من بني عبد الدار فمر بهما ابو بكر وقد بعثتهما سيدتهما
بحطيبان لها وهي تقول والله لا اعتقكما ابدا فقال ابو بكر كلا يا ام فلان فقالت كلا انت
افسدتهما فاعتقهما قال فبكم قالت بكذا وكذا قال قد اخذتهما وهما حرتان ومر بجارية من
بني المؤمل وهي تعذب فابتاعها واعتقها فقال عمار بن ياسر يذكر بلالا واصحابه وما كانوا فيه من
البلاء واعتاق ابي بكر اياهم وكان اسم ابي بكر عتيقا فقال في ذلك

جزى الله خيرا عن بلال وصحبه • عتيقا واخزى فاكها وابا جهل •
عشية هما في بلال بسوءة • ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل •
بتوحيده رب الانام وقوله • شهدت بان الله ربي على مهل •
فان تقتلوني تقتلوني ولم اكن • لاشرك بالرحمن من خيفة القتل •
فيا رب ابراهيم والعبد يونس • وعيسى وموسى نجني ثم لا تمل •
لمن ظل يهوى الغي من ال غالب • على غير حق كان منه ولا عدل •

قال سعيد بن المسيب بلغني ان امية بن خلف قال لابي بكر في بلال حين قال له اتبيعه قال
نعم ابيعه بنسطاس عبد لابي بكر وكان نسطاس صاحب عشرة الاف دينار وغلمان وجواري ومواشي
وكان مشركا حمله ابو بكر على الاسلام على ان يكون ماله له فابى فابغضه ابو بكر فلما قال امية
ابيعه بغلامك نسطاس اغتنمه ابو بكر وباعه به فقال المشركون ما فعل ذلك ابو بكر ببلال الا
ليد كانت لبلال عنده فانزل الله عز وجل **وما لاحد عنده من نعمة تجزى** اي عند ابي بكر من نعمة تجزى اي
من يد يكافيه عليها **الا ابتغاء وجه ربه الاعلى** اي لم يفعل ذلك مجازاة لاحد ولا ليد كانت له عنده
لكن فعله ابتغاء وجه الله الاعلى وطلب رضاه **ولسوف يرضى** اي بما يعطيه الله عز وجل في الاخرة من
الجنة والخير والكرامة جزاء على ما فعل والله اعلم بمراده واسرار كتابه **تفسير سورة والضحى**
مكية وهي احدى عشرة اية واربعون كلمة ومائة واثنان وسبعون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم**
قوله عز وجل **والضحى** اختلفوا في سبب نزول هذه السورة على ثلاثة اقوال القول الاول
ق عن جندب بن سفيان البجلي قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين او ثلاث
فجاءت امراة فقالت يا محمد اني لارجو ان يكون شيطانك قد تركك لم اره قربك ليلتين او ثلاثا
فانزل الله عز وجل والضحى **والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى** واخرجه الترمذي عن جندب قال
كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار فدميت اصبعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم •••
• هل انت الا اصبع دميت • وفي سبيل الله ما لقيت • قال فابطا عليه جبريل فقال المشركون قد
ودع محمد ربه فانزل الله عز وجل ما ودعك ربك وما قلى وقيل ان المراة المذكورة في الحديث المتفق
عليه هي ام جميل امراة ابي لهب القول الثاني قال المفسرون سالت اليهود رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الروح وعن ذي القرنين واصحاب الكهف فقال ساخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله
فاحتبس الوحي عليه القول الثالث قال زيد بن اسلم كان سبب احتباس الوحي عن جبريل ان

Copyright © King Saud University

جروا كان في بيته فلما نزل عليه عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابطائه فقال انا لا ندخل
بيتا فيه كلب ولا صورة واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه فقيل اثنى عشر يوما وقال ابن عباس
خمسة عشر يوما وقيل اربعين يوما فلما نزل جبريل عليه السلام عليه فقال النبي صلى الله عليه
وسلم يا جبريل ما جيت حتى اشتقت اليك فقال جبريل اني كنت اليك اشد شوقا ولكني عبد مامور
ونزل وما نتنزل الا بامر ربك وانزل الله هذه السورة قوله عز وجل والضحى قيل اراد به النهار كله
بدليل انه قابله بالليل كله في قوله والليل اذا سجى وقيل وقت الضحى وهي الساعة التي فيها ارتفاع
الشمس واعتدال النهار في الحر والبرد في الصيف والشتاء والليل اذا سجى قال ابن عباس اقبل ظلامه
وقيل معناه سكن واستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك وهذا قسم اقسم الله بالضحى والليل اذا سجى
وجواب القسم قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى اي ما تركك ربك منذ اختارك ولا ابغضك
منذ احبك وهذا قال قلى ولم يقل قلاك لموافقة رؤس الاي وقيل معناه وما قلى احدا من اصحابك
ومن هو على دينك الى يوم القيمة **وللاخرة خير لك من الاولى** اي الذي اعطاك ربك في الاخرة خير لك واعظم
من الذي اعطاك في الدنيا وروى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا اهل البيت اختار الله لنا الاخرة على الدنيا **ولسوف يعطيك ربك فترضى** قال ابن عباس هي
الشفاعة في امته حتى يرضى م عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه
وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد وكسله ما يبكيك وهو يعلم فاتى جبريل
وسئله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو اعلم فقال يا جبريل اذهب الى محمد وقل
له انا سنرضيك في امتك ولا نسوئك ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة
مستجابة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبات دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة فهي نايلة ان
شا الله تعالى من مات من امتي لا يشرك بالله شيا عن عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اتاني ات من عند ربي فخيرني بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت
الشفاعة فهي نايلة ان شا الله تعالى من مات من امتي لا يشرك بالله شيا اخرجه الترمذي قال
حرب بن شريح سمعت جعفر بن محمد بن علي يقول انكم يا معشر اهل العراق تقولون ارجى اية في القران
قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وانا اهل البيت نقول ارجى اية في كتاب
الله ولسوف يعطيك ربك فترضى يعطيك ربك من الثواب فترضى وقيل من النصر والتمكين وكثرة
المومنين فترضى وقيل حمل الاية على ظاهرها اجرى الدنيا والاخرة معا اولى وذلك ان الله تعالى
اعطاه في الدنيا من النصر والظفر على الاعدا وكثرة الاتباع والفتوح في زمنه وبعده الى يوم القيمة
واعلا دينه وان امته خير الامم واعطاه في الاخرة الشفاعة والخاصة والمقام المحمود وغير ذلك مما
اعطاه في الدنيا والاخرة ثم اخبر عن حاله صغيرا وكبيرا وقيل الوحي وذكر نعمه عليه واحسانه اليه
فقال عز وجل **الم يجدك يتيما** صغيرا **فاوى** اي الم يعلمك الله يتيما من الوجود الذي هو بمعنى العلم
والمعنى الم يجدك يتيما صغيرا حين مات ابوك ولم يخلف لك مالا ولا ماوى فجعل لك ماوى تاوي
اليه وضمك الى عمك ابي طالب حتى احسن تربيتك وكفاك المونة وذلك ان عبد الله مات
ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل فكفله جده عبد المطلب فلما مات جده عبد المطلب كفله
عمه ابو طالب الى ان قوي واشتد وتزوج خديجه وقيل هو من قولهم درة يتيمة والمعنى الم يجدك

واحدا

يعني عن علم الاحكام ماجد فهداك بالوحي والالهام والتوفيق للنظر فعرفك الشرايع والقران مدارك

واحدا من قريش عديم النظير فاواك اليه وايدك وشرفك بنبوته واصطفاك برسالته **ووجدك
ضالا** اي عما انت عليه اليوم **فهدى** اي فهداك الى توحيده ونبوته وقيل وجدك ضالا عن علم
النبوة واحكام الشريعة فهداك اليها وقال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضل في
شعاب مكة وهو صبي صغير فراه ابو جهل منصرفا من اغنامه فرده الى جده عبد المطلب وقال سعيد
ابن المسيب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ابي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما
هو راكب ذات ليلة مظلمة جا ابليس فاخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجا جبريل عليه السلام
فنفخ على ابليس نفخة وقع منها الى الحبشة ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القافلة فمن الله
بذلك وقيل ووجدك من اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك الى الايمان والى ارشادهم وقيل
الضلال هنا بمعنى الحيرة وذلك لانه كان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حرا في طلب ما يتوجه به حتى
هداه الله لدينه وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه فهذا ما قيل في هذه
الاية ولا يلتفت الى قول من قال انه صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة على ملة قومه فهداه الله
الى الاسلام لان نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك الانبيا قبله منذ ولدوا ونشاوا على التوحيد والايمان
قبل النبوة وبعدها وانهم معصومون قبل النبوة من الجهل بصفات الله تعالى وتوحيده ويدل
على ذلك ان قريشا عابوا النبي صلى الله عليه وسلم ورموه بكل عيب سوى الشرك وامر الجاهلية
فانهم لم يجدوا لهم عليه سبيلا اذ لو كان فيه لما سكتوا عنه لنقل ذلك فبراه الله تعالى من جميع ما قالوه
فيه وعيروه به ويوكد هذا ما روي في قصة بحيرا الراهب حتى استحلف النبي صلى الله عليه وسلم
باللات والعزى وذلك حين سافر مع عمه ابي طالب الى الشام فراى بحيرا علامات النبوة فيه وهو
صبي فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسئلني بهما فوالله ما ابغضت شيا بغضهما
ويوكد هذا ايضا شق صدره صلى الله عليه وسلم في حال الصغر واستخراج العلقة منه وقال هذا
حظ الشيطان منك وملاه حكمة وايمانا وقوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى وقال الزمخشري
ومن قال كان على امر قومه اربعين سنة فان اراد انه على خلوهم من العلوم السمعية فنعم وان اراد انه
كان على دين قومه فمعاذ الله والانبيا يجب ان يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكباير
والصغاير الشاينة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شي والله اعلم قوله عز
وجل **ووجدك عايلا فاغنى** يعني فقيرا فاغناك بمال خديجة ثم بالغنايم وقيل ارضاك بما اعطاك من
الرزق وهذه حقيقة المعنى ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى
عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس العرض بفتح العين والرا المال م عن عبد الله بن عمرو بن العاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما اتاه وروى البغوي
باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سالت ربي عز وجل مسيلة
وددت اني لم اكن سالته قلت يا رب اتيت سليمان بن داود ملكا عظيما واتيت فلانا كذا وفلانا
كذا قال يا محمد الم اجدك يتيما فاويتك قلت بلى يا رب قال الم اجدك ضالا فهديتك قلت
بلى يا رب قال الم اجدك عايلا فاغنيتك قلت بلى يا رب زاد في رواية الم اشرح لك صدرك
ووضعت عنك وزرك قلت بلى اي رب **فان قلت** كيف يحسن بالجواد الكريم
ان يمن بانعامه على عبده والمن مذموم من صفة المخلوق فكيف يحسن بالخالق تبارك وتعالى **قلت**

انما حسن ذلك لانه سبحانه قصد بذلك ليقوى قلبه ويجدد بذلك امر نعمته عليه فظهر الفرق بين امتنان الله تعالى
الممدوح وبين امتنان المخلوق المذموم لان امتنان الله تعالى زيادة انعامه كانه قال مالك لا تقطع
رجاك عني الست الذي ربيتك واويتك وانت يتيما صغيرا اتظنني تاركك ومضيعك كبيرا بل لا بد
وان اتم نعمتي عليك فقد حصل الفرق بين امتنان الخالق وامتنان المخلوق ثم اوصاه باليتامى والمساكين
والفقرا فقال عز وجل **فاما اليتيم فلا تقهر** اي لا تحتقر اليتيم فقد كنت يتيما وقيل لا تقهره على ماله فتذهب
به لضعفه وكذا كانت العرب في الجاهلية تفعل في امر اليتامى ياخذون اموالهم ويظلمونهم حقوقهم روى
البغوي بسنده عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه
وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يسا اليه ثم قال انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ويشير باصبعيه
خ عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا واشار
بالسبابة والوسطى وفرج بينهما **واما السائل فلا تنهر** يعني السائل عن الباب يقول لا ترد وجهه اذا
سالك فقد كنت فقيرا فاما ان تطعمه واما ان ترده ردا لينا برفق ولا تقابل بوجهك في وجهه قال
ابراهيم بن ادهم نعم القوم السوال يحملون زادنا الى الاخرة وقال ابراهيم السائل بريد الاخرة يجي الى
باب احدكم فيقول توجهون الى اهليكم بشي وقيل السائل هو طالب العلم فيجب اكرامه وانصافه بمطلوبه
ولا تعبس في وجهه ولا تنهره ولا يلقي بمكروه **واما بنعمة ربك فحدث** قيل اراد بالنعمة النبوة اي بلغ ما ارسلت
به وحدث بالنبوة التي اتاك الله وقيل النعمة هي القران امره ان يقرأه ويقرئ غيره وقيل اشكره
لما ذكر نعمه عليك في هذه السورة من جبر اليتيم والهدى بعد الضلالة والغنى بعد العيلة والفقر
امره ان يشكره على انعامه عليه والتحدث بنعمة الله تعالى شكرها عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم من اعطي عطا فليجز به ان وجد فان لم يجد فليثن عليه فان من اثنى عليه فقد
شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور اخرجه الترمذي وله عن ابي
سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لا يشكر الناس لا يشكر الله وله عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروى البغوي باسناد الثعلبي
عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول من لم يشكر القليل
لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة
عذاب والسنة في قراءة اهل مكة ان يكبر من اول سورة الضحى على راس كل سورة حتى يختم القران فيقول
الله اكبر وسبب ذلك ان الوحي لما احتبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المشركون هجره شيطانه
وودعه فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك فلما نزل والضحى كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا
بنزول الوحي فاتخذوه سنة والله سبحانه وتعالى اعلم **تفسير سورة الم نشرح** مكية وهي ثمان ايات وسبع
وعشرون كلمة ومائة وثلاثة احرف **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **الم نشرح لك صدرك** استفهام
بمعنى التقرير اي قد فعلنا ذلك ومعنى الشرح الفتح بما يصد عن الادراك والله تعالى فتح صدر نبيه
صلى الله عليه وسلم للهدى والمعرفة باذهاب الشواغل التي تصد عن ادراك الحق وقيل معناه الم
نفتح عليك ونوسعه ونلينه بالايمان والموعظة والعلم والنبوة والحكمة وقيل هو شرح صدره في صغره
م عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه فشق عن قلبه
فاستخرجه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست بما زمزم ثم لامه

ثم

ثم اعاده الى مكانه وجا الغلمان يسعون الى امه يعني ظئره فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو
منتقع اللون قال انس وقد كنت ارى اثر المخيط في صدره **ووضعنا عنك وزرك** الذي سلف منك
في الجاهلية فهو كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل الخطا والسهو وقيل ذنوب
امتك فاضافها اليه لاشتغال قلبه بها وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعبا الرسالة حتى يبلغها
لان الوزر في اللغة الثقل تشبيها بوزر الحمل وقيل معناه عصمناك من الوزر الذي ينقض
ظهرك لو كان ذلك الوزر حاصلا فسمى العصمة وضعا مجازا واعلم ان القول في عصمة الانبيا قد
تقدم مستوفى في سورة طه عند قوله وعصى ادم ربه فغوى وعند قوله ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر **الذي انقض ظهرك** اي اثقله واوهنه حتى سمع له نقيض وهو الصوت الخفي
الذي يسمع من المحمل والرحل فوق البعير فمن حمل الوزر عليه شرع بتحريمها فلما حرمت عليه بعد النبوة
عدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها فوضعها الله عنه وغفرها له ومن حمل ذلك على ما بعد
النبوة قال هو ترك الافضل لان حسنات الابرار سيئات المقربين وهو قوله عز وجل
ورفعنا لك ذكرك روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي سعيد باسناد الثعلبي عن ابي سعيد الخدري
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عن هذه الاية ورفعنا لك ذكرك قال قال الله
صلى الله عليه وسلم الله اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عباس يريد الاذان والاقامة والتشهد
والخطبة على المنابر فلو ان عبدا عبد الله وصدقه في كل شي ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم
ينتفع من ذلك بشي وكان كافرا وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب
ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا ينادي اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقال
الضحاك لا تقبل صلاة الا به ولا تجوز خطبة الا به وقال مجاهد يعني التاذين وفيه قول حسان
اغر عليه للنبوة خاتم • من الله مشهود يلوح ويشهد • وضم الاله اسم النبي مع اسمه • اذا قال المؤذن
اشهد • وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد • وقيل رفع ذكره باخذ ميثاقه على النبيين
والزامهم الايمان به والاقرار بفضله وقيل رفع ذكره بان قرن اسمه باسمه محمد رسول الله ونحو
الله وفرض طاعته على الامة بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله ونحو
ذلك مما جا في القران وغيره من كتب الانبيا ثم وعده اليسر والرخا بعد الشدة والعنا وذلك انه
كان في شدة بمكة فقال تعالى **فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا** اي مع الشدة التي انت فيها من جهاد
المشركين يسرا ورخا بان يظهرك عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جئتهم به وانما كرره لتاكيد الوعد وتعظيم
الرجا قال الحسن لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا فقد جاكم اليسر
لن يغلب عسر يسرين قال ابن مسعود لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه انه لن
يغلب عسر يسرين قال المفسرون في قوله لن يغلب عسر يسرين يعني ان الله تعالى كرر لفظ العسر
وذكره بلفظ المعرفة وذكر اليسر بلفظ النكرة ومن عادات العرب اذا ذكرت اسما معرفا ثم اعادته
كان الثاني هو الاول واذا ذكرت اسما نكرة كان الثاني غير الاول كقولك كسبت درهما فانفقت درهما
فالثاني غير الاول واذا كسبت درهما فانفقت الدرهم فالثاني هو الاول فالعسر في الاية
مكرر بلفظ التعريف فكان عسرا واحدا واليسر مكرر بلفظ النكرة فكانا يسرين فكانه قال فان مع
العسر يسرا ان مع العسر يسرا وزيف ابو علي الحسن بن يحيى الجرجاني صاحب النظم هذا القول وقال قد

في الخمس

Copyright King Saud University

تكلم الناس في هذه قوله لن يغلب عسر يسرين ثم لم يحصل منه غير قولهم ان العسر معرفة واليسر نكرة فوجب
ان يكون عسرا واحدا ويسران وهذا قول مدخول فيه اذا قال الرجل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس
سيفا فهذا لا يوجب ان يكون الفارس واحدا والسيف اثنين فمجاز قوله لن يغلب عسر يسرين
ان الله عز وجل بعث نبيه صلى الله عليه وسلم وهو مقل مخف فكانت قريش تعيره بذلك حتى قالوا ان كان
طلبك الغنى جمعنا لك مالا حتى تكون ايسر اهل مكة فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وظن ان قومه
انما كذبوه لفقره فعدد الله نعمه عليه في هذه السورة ووعده الغنى ليسليه بذلك عما خامره من الغم
فقال تعالى ان مع العسر يسرا اي الذي في الدنيا عاجلا ثم انجزها وعده وفتح عليه القرى العربية
ووسع ذات يده حتى كان يعطي المائتين من الابل ويهب الهبة السنية ثم ابتدا فضلا اخر من
امر الاخرة فقال تعالى ان مع العسر يسرا والدليل على ابتدائه تعريه من الفاء والواو وهذا وعد
لجميع المومنين والمعنى ان العسر الذي في الدنيا للمومنين يسرا في الاخرة وربما اجتمع له اليسران
يسر الدنيا ويسر الاخرة فيسر الدنيا وهو ما ذكره في الاية الاولى ويسر الاخرة وهو ما ذكره في الاية
الثانية فقوله لن يغلب عسر يسرين اي ان عسر الدنيا اليسر الذي وعده الله المومنين في الدنيا
واليسر الذي وعدهم في الاخرة انما يغلب احدهما وهو يسر الدنيا واما يسر الاخرة فدايم ابدا
غير زايل لا يجتمعان في الغلبة وهو كقوله صلى الله عليه وسلم شهرا عيد لا ينقصان اي لا يجتمعان
في النقص قال القشيري كنت يوما بالبادية بحالة من الغم فالقي في روعي بيت شعر فقلت

ارى الموت لمن اصبح مغموما له اروح • فلما جن الليل سمعت هاتفا يهتف في الهوى • الا يا ايها المرء الذي
الهم به برح • وقد انشد بيتا لم يزل في فكره يسنح • اذا اشتد بك العسر ففكر في الم نشرح • فعسر بين يسرين
اذا ابصرته فافرح • قال فحفظت الابيات ففرج الله عني وقال اسحاق بن بهلول القاضي

• فلا تيئس اذا اعسرت يوما • فقد ايسرت في دهر طويل •
• فلا تظنن بربك ظن سوء • فان الله اولى بالجميل •
• فان العسر يتبعه يسار • وقول الله اصدق كل قيل • وقال احمد بن سليمان في المعنى وقيل غيره
• وكل الحادثات اذا تناهت • يكون وراها فرج قريب •

قوله عز وجل **فاذا فرغت فانصب** لما عدد الله على نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه السالفة حثه على الشكر
وعلى الاجتهاد في العبادة والنصب فيها وان لا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة اتبعها باخرى
والنصب التعب قال ابن عباس اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك في الدعا وارغب اليه في المسالة
وقال ابن مسعود واذا فرغت من الفرايض فانصب في قيام الليل وقيل اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك
واخرتك وقيل اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك وقيل اذا فرغت من تبليغ الرسالة
فانصب في الاستغفار لك وللمومنين قال عمر بن الخطاب اني لاكره ان ارى احدكم فارغا سهللا لا في عمل
دنياه ولا في عمل اخرته السهلل الذي لا شي معه وقيل السهلل الباطل **والى ربك فارغب** اي تضرع اليه
راغبا في الجنة راهبا من النار وقيل اجعل رغبتك الى الله في جميع احوالك لا الى احد سواه والله اعلم بمراده
واسرار كتابه **تفسير سورة والتين** مكية وهي ثمان ايات واربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **والتين والزيتون** قال ابن عباس هو تينكم الذي تاكلونه وزيتونكم
الذي تعصرون منه الزيت قيل انما خص التين بالقسم لانه فاكهة مخلصة من شوايب التنغيص وفيه انه

يشبه

يشبه فواكه الجنة بلا عجم ومن خواصه انه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث في المعدة ويخرج بطريق الرشح ويلين
الطبيعة ويقلل البلغم واما الزيتون فانه من شجرة مباركة فيه ادام ودهن يوكل ويستصبح به وشجره في
اغلب البلاد ولا يحتاج الى خدمة وتربية وينبت في الجبال التي ليست فيها دهنية ويمكث في الارض الوفا
من السنين فلما كان فيهما من المنافع والمصالح الدالة على قدرة خالقهما لا جرم اقسم الله بهما وقيل هما
جبلان فالتين عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس واسمهما بالسريانية طور
سينا وطور زيتا لانهما ينبتان التين والزيتون وقيل هما مسجدان فالتين مسجد دمشق
والزيتون مسجد بيت المقدس وانما حسن القسم بهما لانهما موضع الطاعة وقيل التين مسجد اصحاب
الكهف والزيتون مسجد ايليا وقيل التين مسجد نوح الذي بناه على الجودي والزيتون مسجد بيت
المقدس **وطور سينين** يعني الجبل الذي كلم الله موسى عليه السلام وسينين اسم المكان الذي فيه الجبل
سمي سينين وسينا الحسنه ولكونه مباركا وكل جبل فيه اشجار مثمرة يسمى سينين وسينا **وهذا البلد
الامين** وهو مكة حرمها الله تعالى لانه الحرم الذي يامن فيه الناس في الجاهلية والاسلام لا ينفر صيده
ولا يعضد شجره ولا يلتقط لقطته الا لمنشد وهذه اقسام اقسم الله بها لما فيها من المنافع والبركة وجواب
القسم قوله تعالى **لقد خلقنا الانسان في احسن** يعني في اعدل قامة واحسن صورة وذلك انه تعالى خلق كل حيوان
منكبا على وجهه ياكل بفيه الا الانسان فانه خلقه مديد القامة حسن الصورة يتناول ماكوله بيده
مزينا بالعلم والفهم والعقل والتمييز والمنطق **ثم رددناه اسفل سافلين** يعني الهرم وارذل العمر فيضعف بدنه
وينقص عقله والسافلون هم الصغار والزمنى والاطفال فالشيخ الكبير اسفل من هولاء جميعا لانه لا يستطيع
حيلة ولا يهتدي سبيلا لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله وقيل ثم رددناه الى النار لانها دركات
بعضها اسفل من بعض ثم استثنى فقال تعالى **الا الذين امنوا وعملوا الصالحات** فانهم لا يردون الى النار او الى
اسفل سافلين وعلى القول الاول يكون الاستثنا منقطعا والمعنى ثم رددناه اسفل سافلين فزال عقله
وانقطع عمله فلا يكتب له حسنة لكن الذين امنوا وعملوا الصالحات ولازموا عليها الى ايام الشيخوخة
والهرم والضعف فانه يكتب لهم بعد الهرم والخرف مثل الذي كان يعمل في حال الشباب والصحة وقال
ابن عباس هم نفر ردوا الى ارذل العمر على زمن النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عذرهم واخبرهم ان لهم
اجرهم الذين امنوا وعملوا قبل ان تذهب عقولهم فعلى هذا القول السبب خاص وحكمه عام قال عكرمة ما يضر
هذا الشيخ كبره اذا ختم الله له باحسن ما يعمل وروي عن ابن عباس قال الا الذين قروا القران من قرا القران
لم يرد الى ارذل العمر **فلهم اجر غير ممنون** يعني غير مقطوع لانه يكتب له صالح ما كان يعمل قال الضحاك اجر بغير عمل
ثم قال الزاما للحجة **فما يكذبك** يعني ايها الانسان وهو خطاب على طريقة الالتفات **بعد بالدين** اي
بعد هذا الكذب لا تتفكر في صورتك وشبابك ومبدا خلقك وهرمك فتعتبر وتقول ان الذي فعل ذلك
قادر على ان يبعثني ويحاسبني فما الذي يكذبك بالمجازاة وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمعنى فمن يكذبك ايها الرسول بعد ظهور هذه الدلايل والبراهين **اليس الله باحكم الحاكمين** فيقول بلى
وانا على ذلك من الشاهدين اخرجه الترمذي وعن البراء ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر
فصلى العشاء الاخرة فقرا في احدى الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت احدا احسن منه صوتا او قراءة
منه صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه **تفسير سورة اقرا باسم ربك**
مكية وهي تسع عشرة اية واثنان وتسعون كلمة ومائتان وثمانون حرفا قال اكثر المفسرين هذه

تقويم

Copyright © King Saud University

السورة اول سورة نزلت من القران واول ما نزل خمس ايات من اولها الى قوله ما لم يعلم ق عن عائشة ام
المومنين انها قالت اول ما بدا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا الصالحة وفي مسلم الصادقة
في النوم وكان لا يرى رويا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حرا فيتحنث فيه وهو
التعبد الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع الى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه
الحق وفي رواية حتى فجاه الحق وهو في غار حرا فجاءه الملك فقال اقرا فقلت ما انا بقاري فاخذني فغطني
حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقاري فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد
ثم ارسلني فقال اقرا قلت ما انا بقاري فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا
باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى
الله عليه وسلم يرجف فواده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه
الروع فقال لخديجة واخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت له خديجة كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا
انك لتصل الرحم وتصدق في الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت
خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة وكان امرا تنصر
في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا
قد عمي فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال له يا ابن اخي ما ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه
وسلم خبر ما راى فقال له ورقة هذا الناموس الذي انزل الله على موسى يا ليتني كنت فيها جذعا ليتني كنت حيا
اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم قال نعم لم يات رجل قط بمثل ما
جئت به الا عودي وان يدركني يومك حيا انصرك نصرا موزرا ثم لم يلبث ورقة ان توفي وفتر الوحي زاد البخاري
قال وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال
فلما اوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه
وتقر عينه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة الجبل لكي يلقي نفسه منه
تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك **فصل** في هذا الحديث دليل صريح على ان سورة اقرا اول ما نزل
من القران وفيه رد على من قال ان المدثر اول ما نزل وقد تقدم الكلام على ذلك والجمع بين القولين في اول سورة
المدثر وهذا الحديث من مراسيل الصحابة لان عائشة لم تدرك هذه القصة فتحتمل انها سمعتها من النبي صلى الله
عليه وسلم او من غيره من الصحابة ومرسل الصحابي حجة عند جميع العلما الا ما انفرد به الاستاذ ابو اسحاق
الاسفرايني وانما ابتدى صلى الله عليه وسلم بالرويا لئلا يفجاه الملك فياتيه بصريح النبوة بغتة فلا يحتملها القوى
البشرية فبدا باوايل علامات النبوة توطية للوحي واما التحنث فمن الحنث وهو الاثم والمعنى انه فعل فعلا
يخرج به من الاثم قولها فجيه الحق اي جاءه الحق بالوحي بغتة قوله فغطني بالغين المعجمة والطا المهملة
اي عصرني وضمني ضما شديدا حتى بلغ مني الجهد قال العلما والحكمة في الغط شغله عن الالتفات
الى غيره والمبالغة في صفا قلبه ولهذا كرره ثلاثا قوله زملوني زملوني كذا هو في الروايات مكرر مرتين
ومعناه غطوني بالثياب وقولها حتى ذهب عنه الروع اي الفزع قولها كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله
يروى بضم اليا وبالخا المعجمة من الخزي اي لا يفضحك الله ولا يكسرك ولا يهينك ولا يذلك وروي يحزنك بفتح
اليا وبالحاء المهملة والنون لا يحزنك من الحزن الذي هو ضد الفرح وقولها وتحمل الكل اي الثقل والحوائج المهمة وتكسب
المعدوم اي تعطي المال لمن هو معدم عنده ومعنى كلام خديجة انك لا يصيبك مكروه لما جعل فيك من

مكارم

مكارم الاخلاق وجميل الفعال وخصال الخير وذلك سبب السلامة من مصارع السوء قولها وكان
يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله تعالى ان يكتب ومعناه صحيح وحاصله انه
تمكن من دين النصرانية بحيث صار يتصرف في الانجيل فيكتب اي موضع شاء منه بالعبرانية ان اراد و
بالعربية ان اراد ذلك قوله هذا الناموس الذي نزل على موسى وهو بالنون والسين المهملة يعني
جبريل عليه الصلاة والسلام قوله يا ليتني فيها اي في ايام النبوة واظهار الرسالة جذعا اي شابا قويا
حتى ابالغ في نصرتك وهو قوله وان يدركني يومك انصرك نصرا موزرا اي قويا بالغا قولها فلم ينشب
ورقة ان توفي اي لم يلبث ان مات قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم قوله حتى يتردى اي التردي الوقوع من
علو وذروة الجبل اعلاه تبدى له اي ظهر له قوله فيسكن لذلك جاشه اي قلبه وقيل الجاش هو ثبوت
القلب عند الامر العظيم وقيل الجاش هو ما ثار من فزعه وهاج من حزنه والله اعلم بمراده واسرار كتابه
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اقرا باسم ربك قيل الباء زائدة مجازه اقرا اسم ربك والمعنى اذكر اسم
ربك امر ان يبتدي القراءة باسم الله تاديبا وقيل الباء على اصلها والمعنى اقرا القران مفتتحا باسم ربك
اي قل باسم الله ثم اقرا فعلى هذا يكون في الاية دلالة على استحباب البداية بالتسمية في اول القراءة وقيل
معناه اقرا القران مستعينا باسم ربك على ما يتحمله من النبوة واعبا الرسالة الذي خلق يعني جميع
الخلايق وقيل هو حصل منه الخلق واستاثر لا خالق سواه وقيل هو الذي خلق كل شي خلق الانسان
يعني ذرية ادم وانما خص الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لانه اشرفها واحسنها خلقة من علق
جمع علقة ولما كان الانسان اسم جنس في معنى الجمع جمع العلق ولمشاكلة رؤوس الاي ايضا اقرا كرره تاكيدا
وقيل الاولى اقرا في نفسك والثاني اقرا للتبليغ وتعلم امتك ثم استانف فقال تعالى وربك الاكرم يعني
هو الذي لا يوازيه كريم ولا يعادله في الكرم نظير وقيل يكون الاكرم بمعنى الكريم كما جا الاعز بمعنى العزيز
وغاية الكريم اعطاء الشي من غير طلب العوض فمن طلب العوض فليس بكريم وليس المراد ان يكون العوض
عينا بل المدح والثواب عوض والله سبحانه وجل جلاله وتعالى علاوه وشانه يتعالى عن طلب العوض
ويستحيل ذلك في وصفه لانه اكرم الاكرمين وقيل الاكرم الذي له الابتدا في كل كرم واحسان
وقيل هو الحليم عن جهل العباد فلا يعجل عليهم بالعقوبة وقيل يحتمل ان يكون هذا حثا على القراءة والمعنى
اقرا وربك الاكرم لانه يجزي بكل حرف عشرا الذي علم بالقلم اي الخط والكتابة التي بها تعرف الامور الغائبة
وفيه تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لان بالكتابة ضبطت العلوم ودونت الحكم
وبها عرفت اخبار الماضين واحوالهم وسيرهم ومقالاتهم ولولا الكتابة ما استقام امر الدين والدنيا
قال قتادة القلم نعمة من الله عظيمة لولا القلم لم يقم دين ولم يصلح عيش وسيل بعضهم عن الكلام فقال ريح
لا يبقى قيل له فما قيده قال الكتابة لان القلم ينوب عن اللسان ولا ينوب اللسان عنه علم الانسان
ما لم يعلم قيل يحتمل ان يكون المراد علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فيكون المراد من ذلك معنى واحدا وقيل
علمه وقيل علمه من انواع العلم والهداية والبيان ما لم يكن يعلم وقيل علم لادم الاسما كلها وقيل المراد
بالانسان هنا محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل كلا ان الانسان ليطغى اي يتجاوز الحد ويستكبر
على ربه ان اي لان راه استغنى اي راى نفسه غنيا وقيل يرتفع عن منزلته الى منزلة اخرى في اللباس
والطعام وغير ذلك نزلت في ابي جهل وكان قد اصاب مالا ازداد في ثيابه ومركبه وطعامه فذلك
طغيانه ان الى ربك الرجعى اي المرجع في الاخرة وفيه تحذير وتهديد لهذا الانسان من عاقبة الطغيان

Copyright © King Saud University

ثم هو عام لكل طاغ فتكبر (أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى) نزلت في أبي جهل وذلك أنه نهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن الصلاة (م) عن أبي هريرة قال قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم فقيل نعم فقال واللات
والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب قال فأتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ على رقبته قال فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه
فقيل له ما لك قال إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا فأنزل الله لا ندري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه كلا إن
الإنسان ليطغى إلى قوله كلا لا تطعه قال فأمره بما أمره به زاد في رواية فليدع يعني قومه
(خ) عن ابن عباس قال قال أبو جهل لئن رأيت محمدا يصلي عند البيت لأطأن على عنقه فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو فعله لأخذته الملائكة زاد الترمذي عيانا ومعنى
أرأيت تعجيب المخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وفائدة التنكير في قوله عبدا يدل
على أنه كامل العبودية والمعنى أرأيت الذي ينهى أشد الخلق عبودية في العبودية وهذا دأبه
وعادته وقيل هذا الوعيد يلزم لكل من ينهى عن الصلاة وعن طاعة الله تعالى ولا يلزم منه
المنع من الصلاة في الدار المغصوبة وفي الأوقات المكروهة لأنه قد ورد النهي عن ذلك في الأحاديث
الصحيحة ولا يلزم من ذلك منع المولى عبده والرجل زوجته عن قيام الليل وصوم التطوع والاعتكاف
لأن ذلك استيفاء مصلحة إلا أن يأذن فيه المولى والزوج (أرأيت إن كان على الهدى) يعني العبد المنهي وهو النبي
صلى الله عليه وسلم (أو أمر بالتقوى) يعني بالإخلاص والتوحيد (أرأيت إن كذب) يعني أبا جهل (وتولى)
أي عن الإيمان وتقدير نظم الآية أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى وهو على الهدى آمر بالتقوى والناهي
مكذب متول عن الإيمان أي فما أعجب من هذا (ألم يعلم) يعني أبا جهل (بأن الله يرى) يعني يرى ذلك الفعل
فيجازيه به وفيه وعيد شديد وتهديد عظيم (كلا) أي لا يعلم ذلك أبو جهل (لئن لم ينته) يعني عن إيذاء
محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه (لنسفعا بالناصية) أي لنأخذن بناصيته ولنجرنه إلى النار
يقال سفعت بالشيء إذا أخذته وجذبته جذبا شديدا والناصية شعر مقدم الرأس والسفع
الضرب أي لنضربن وجهه في النار ولنسودن وجهه ولنذلنه ثم قال على البدل (ناصية كاذبة
خاطئة) أي صاحبها كاذب خاطئ قال ابن عباس لما نهى أبو جهل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الصلاة انتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو جهل أتنهرني فوالله لأملأن عليك هذا
الوادي إن شئت خيلا جردا ورجالا مردا وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي فجاء أبو جهل فقال ألم أنهك عن هذا فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فزبره فقال أبو جهل
إنك لتعلم أن ما بها ناد أكثر مني فأنزل الله تعالى (فليدع ناديه سندع الزبانية) قال ابن عباس
والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح معنى
فليدع ناديه أي عشيرته وقومه فليستنصر بهم وأصل النادي المجلس الذي يجمع الناس ولا
يسمى ناديا ما لم يكن فيه أهله سندع الزبانية يعني الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس
يريد زبانية جهنم سموا بذلك لأنهم يدفعون أهل النار إليها مأخوذ من الزبن وهو الدفع
(كلا) ليس الأمر على ما عليه أبو جهل (لا تطعه) أي في ترك الصلاة (واسجد) أي صل لله (واقترب) أي من الله
(م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا

من

من الدعاء وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة عند الشافعي فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد
عند قراءتها يدل عليه ما روي عن أبي هريرة قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في اقرأ باسم ربك وإذا السماء انشقت أخرجه مسلم والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة القدر

مدنية وقيل إنها مكية والأول هو الصحيح وهو قول الأكثرين وقيل
إنها أول ما نزل في المدينة وهي خمس آيات وثلاثون كلمة ومائة واثنا عشر حرفا (بسم الله الرحمن
الرحيم) قوله عز وجل (إنا أنزلناه) يعني القرآن كناية عن غير مذكور (في ليلة القدر) وذلك
أن الله تعالى أنزل القرآن العظيم جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ليلة القدر
فوضعه في بيت العزة ثم نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما متفرقة في مدة
عشرين سنة فكان ينزل بحسب الوقائع والحاجة إليه وقيل إنه أنزل إلى السماء الدنيا لشرف
الملائكة بذلك ولأنها كالمشترك بيننا وبين الملائكة فهي لهم سكن ولنا سقف وزينة وسميت
ليلة القدر لأن فيها تقدير الأمور والأحكام والأرزاق والآجال وما يكون في
تلك السنة إلى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة يقدر الله ذلك في بلاده وعباده ومعنى هذا
أن الله تعالى يظهر ذلك لملائكته ويأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم بأن يكتب لهم ما قدره في
تلك السنة ويعرفهم إياه وليس المراد منه أنه يحدثه في تلك الليلة لأن الله تعالى قدر المقادير قبل
أن يخلق السموات والأرض في الأزل قيل للحسين بن الفضل أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق
السموات والأرض قال نعم قيل فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير إلى المواقيت وتنفيذ القضاء
المقدر وقيل سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها على الليالي من قولهم لفلان قدر عند الأمير
أي منزلة وجاه وقيل سميت بذلك لأن العمل الصالح يكون فيها ذا قدر عند الله لكونه مقبولا وقيل
سميت بذلك لأن الأرض تضيق بالملائكة فيها

فصل في فضل ليلة القدر وما ورد فيها

(ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له
ما تقدم من ذنبه واختلف العلماء في وقتها فقال بعضهم إنها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم رفعت لقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحى الرجلان إني خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان
وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم وهذا غلط ممن قال بهذا القول لأن آخر الحديث يرد عليهم فإنه
صلى الله عليه وسلم قال في آخره فالتمسوها في العشر الأواخر في التاسعة والسابعة والخامسة فلو كان
المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها وعامة الصحابة والعلماء على أنها باقية إلى يوم القيامة
روي عن عبد الله بن يحنس مولى معاوية قال قلت لأبي هريرة زعموا أن ليلة القدر رفعت قال
كذب من قال ذلك قلت هي في شهر رمضان أستقبله قال نعم ومن قال ببقائها ووجودها اختلفوا في
محلها فقيل هي متنقلة تكون في سنة في ليلة وفي سنة أخرى في ليلة أخرى هكذا أبدا قالوا وبهذا يجمع
بين الأحاديث الواردة في أوقاتها المختلفة وقال مالك والثوري وأحمد وإسحاق وأبو ثور إنها تنتقل
في العشر الأواخر من رمضان وقيل بل تنتقل في رمضان كله وقيل إنها في ليلة معينة لا تنتقل عنها أبدا
في جميع السنين ولا تفارقها فعلى هذا هي في ليلة من السنة كلها وهو قول ابن مسعود وأبو حنيفة وصاحبيه
وروي عن ابن مسعود أنه قال من يقم الحول يصبها فبلغ عبد الله بن عمر فقال يرحم الله أبا عبد الرحمن أما علم أنها
في شهر رمضان ولكن أراد أن لا يتكل الناس وقال جمهور العلماء إنها في شهر رمضان واختلفوا في تلك السنة

Copyright © King Saud University

فقال ابو رزين العقيلي هي اول ليلة من شهر رمضان وقيل هي ليلة سبعة عشرة وهي التي كانت صبيحتها
وقعة بدر يحكى هذا عن زيد بن ارقم وابن مسعود ايضا والحسن والصحيح الذي عليه الاكثرون انها
في العشر الاواخر من رمضان **ذكر** الاحاديث الواردة في ذلك ق عن عائشة قالت كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يجاور العشر الاواخر من رمضان ويقول تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان
م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم ايقظني بعض اهلي فنسيتها
فالتمسوها في العشر الاواخر من رمضان وذهب الشافعي الى انها ليلة احدى وعشرين ق عن ابي
سعيد قال اعتكفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر الاوسط فلما كان صبيحة عشرين
نقلنا متاعنا فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من كان اعتكف فليرجع الى معتكفه واني
اريت هذه الليلة ورايتني اسجد في ماء وطين فلما رجع الى معتكفه هاجت السماء فمطرنا فوالذي بعثه
بالحق لقد هاجت السماء من اخر ذلك اليوم وكان المسجد على عريش فلقد رايت على انفه وارنبته اثر الماء
والطين وفي رواية نحوه الا انه قال حتى اذا كان ليلة احدى وعشرين وهي الليلة يخرج من صبيحتها من
اعتكافه قال من اعتكف معي فليعتكف العشر الاواخر وورد في ليلة القدر اثنين وعشرين حديثا عن عبد
الله بن انيس قال كنت في مجلس بني سلمة وانا اصغرهم فقالوا من يسال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ليلة القدر وذلك في صبيحة احدى وعشرين من رمضان فخرجت فوافيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت ارسلني اليك رهط من بني سلمة يسالونك عن ليلة القدر فقال كم الليلة فقلت اثنان
وعشرون فقال هي الليلة ثم رجع فقال او القابلة يريد ثلاث وعشرين اخرجه ابو داود وذهب جماعة
من الصحابة وغيرهم ان ليلة القدر ثلاث وعشرين وممن قال به الشافعي ايضا خ عن الصنابحي انه سال
بلالا هل سمعت في ليلة القدر شيئا قال اخبرني بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها في اول
السبع من العشر الاواخر وهذا اللفظ مختصر عن عبد الله بن انيس قال قلت يا رسول الله ان لي
بادية اكون فيها وانا اصلي فيها بحمد الله فمرني بليلة انزلها الى هذا المسجد فقال انزل ليلة ثلاث
وعشرين قيل لابنه كيف كان ابوك يصنع قال كان يدخل المسجد اذا صلى العصر فلا يخرج الا لحاجة
حتى يصلي الصبح فاذا صلى الصبح وجد دابته على باب المسجد فجلس عليها ولحق بباديته اخرجه
ابو داود ولمسلم عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم انسيتها واراني
اسجد في صبيحتها في ماء وطين قال فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانصرف وان اثر الماء والطين على جبهته وانفه ويحكى عن بلال وابن عباس
والحسن انها ليلة اربع وعشرين عن ابن عباس قال التمسوها في اربع وعشرين وقيل هي في
ليلة خمس وعشرين يحكى ذلك عن جماعة من الصحابة منهم ابي بن كعب وابن عباس واليه ذهب
وعن زر بن حبيش قال سمعت ابي بن كعب يقول وقيل له ان عبد الله بن مسعود يقول من قام السنة
اصاب ليلة القدر فقال ابي والله الذي لا اله الا هو انها لفي رمضان يحلف لا يستثني والله اني
لاعلم اي ليلة هي الليلة التي امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها وهي ليلة سبع وعشرين
وامارتها ان تطلع الشمس من صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها عن معاوية عن النبي صلى الله عليه
وسلم في ليلة القدر قال ليلة سبع وعشرين اخرجه ابو داود وقيل هي ليلة تسع وعشرين
وليلة تحروا ليلة القدر وقيل هي ليلة اخر الشهر عن ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن ليلة القدر وانا اسمع فقال هي في كل رمضان اخرجه ابو داود وقال وروي موقوفا عليه ذكر ليالي
مشتركة عن ابن مسعود قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر اطلبوها ليلة سبع عشرة
من رمضان وليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين ثم سكت اخرجه ابو داود وعن عيينة بن عبد الرحمن
قال حدثني ابي قال ذكرت ليلة القدر عند ابي بكرة فقال ما انا بملتمسها لشيء سمعته من رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا في العشر الاواخر فاني سمعته يقول التمسوها في تسع يبقين او في سبع يبقين او في
خمس يبقين او في ثلاث يبقين او اخر الشهر قال وكان ابو بكرة يصلي في العشرين من رمضان كصلاته
في سائر السنة فاذا دخل العشر اجتهد اخرجه الترمذي خ عن عبادة بن الصامت قال خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليخبر بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني خرجت
لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة
والخامسة قوله فتلاحى رجلان اي تخاصم رجلان وقوله فرفعت لم يرد رفع عينها وانما اراد رفع بيان
وقتها ولو كان المراد رفع وجودها لم يامر بالتماسها خ عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هي في العشر في سبع يمضين او سبع يبقين يعني ليلة القدر وفي رواية في تاسعة تبقى في
سابعة تبقى في خامسة قال ابو عيسى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر انها ليلة
احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وسبع وعشرين وتسع وعشرين واخر ليلة من رمضان
قال الشافعي كان هذا عندي والله اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجيب على نحو ما يسال عنه
فيقال له نلتمسها في كذا فيقول التمسوها في ليلة كذا واقوى الروايات عندي فيها ليلة احدى
وعشرين قال البغوي وفي الجملة ابهم الله هذه الليلة على الامة ليجتهدوا في العبادة ليالي شهر رمضان
طمعا في ادراكها كما اخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة واخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس واسمه الاعظم
في القران في اسمائه ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها واخفى
قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات حذرا من قيامها ومن علاماتها ما روي عن الحسن رفعه انها ليلة
بلجة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس من صبيحتها بيضاء لا شعاع لها ق عن عائشة قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر احيا الليل وايقظ اهله وجد وشد المئزر ولمسلم
عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الاواخر ما لا يجتهد في غيره ق عنها
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم
اعتكف ازواجه من بعده ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر
من رمضان عن عائشة قالت قلت يا رسول الله ان علمت ليلة القدر ما اقول فيها قال قولي اللهم
انك عفو تحب العفو فاعف عنا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح واخرجه النسائي وابن
ماجه قوله عز وجل **وما ادراك ما ليلة القدر** اي اي شيء يبلغ درايتك قدرها ومبلغ فضلها وهذا على
سبيل التعظيم لها والتشويق الى خبرها ثم ذكر فضلها من ثلاثة اوجه فقال تعالى **ليلة القدر خير
من الف شهر** قال ابن عباس ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني اسرائيل حمل السلاح على
عاتقه في سبيل الله الف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لامته فقال
يا رب جعلت امتي اقصر الامم اعمارا واقلها اعمالا فاعطاه ليلة القدر خير من الف شهر التي حمل الاسرائيلي
السلاح في سبيل الله لك ولامتك الى يوم القيامة وعن مالك انه سمع من يثق به من اهل

Copyright King Saud University

العلم ان النبي صلى الله عليه وسلم ارى اعمار الناس قبله اوما شاء الله من ذلك فكانه تقاصر اعمار امته ان لا يبلغون
من العمل مثل الذي بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله تعالى ليلة القدر خير من الف شهر اخرجه مالك في الموطا
قال المفسرون معناه العمل الصالح في ليلة القدر خير من العمل في الف شهر ليس فيها ليلة القدر وانما كان كذلك لما
يريد الله تعالى فيها من المنافع والارزاق وانواع الخير والبركة الوجه الثاني من فضلها قوله عز وجل **تنزل**
الملايكة يعني الى الارض وسبب هذا انهم لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وظهر ان الامر بخلاف ما قالوه وتبين
حال المومنين وما هم عليه من الطاعة والعبادة والجد والاجتهاد نزلوا اليهم ليسلموا عليهم ويعتذروا
عما قالوه ويعتذرون ويستغفرون لهم لما يرون من تقصير قد يقع في بعضهم **والروح** يعني جبريل عليه
السلام قال اكثر المفسرين وفي حديث انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان ليلة القدر
نزل جبريل في كبكبة من الملايكة يصلون ويسلمون على كل عبد قايم او قاعد يذكر الله عز وجل ذكره ابن
الجوزي وقيل ان الروح طايفة من الملايكة لا تراهم الملايكة الا في تلك الليلة ينزلون من لدن غروب
الشمس الى طلوع الفجر وقيل ان الروح ملك عظيم ينزل مع الملايكة تلك الليلة **فيها** اي في ليلة القدر
باذن ربهم اي بامر ربهم **من كل امر** اي بكل امر من الخير والبركة وقيل بكل ما امر به وقضاه من كل امر الوجه
الثالث من فضلها قوله تعالى **سلام** اي سلام على اولياء الله واهل طاعته قال الشعبي هو تسليم الملايكة
في ليلة القدر على اهل المساجد من حين تغيب الشمس الى ان يطلع الفجر وقيل الملايكة ينزلون فيها
كلما لقوا مومنا او مومنة يسلموا عليه من ربه وقيل تم الكلام عند قوله من كل امر ثم ابتدا فقال سلام
هي يعني ليلة القدر سلامة وخير ليس فيها شر وقيل لا يقدر الله في تلك الليلة ولا يقضي الا السلامة
وقيل ان ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان ان يعمل فيها سو ولا يحدث فيها اذى اي ان ذلك السلام
والسلامة تدوم الى **حتى مطلع الفجر** والله اعلم **تفسير سورة لم يكن وتسمى البينة** مدنية قاله
الجمهور وفي رواية عن ابن عباس انها مكية وهي ثمان ايات واربع وتسعون كلمة وثلثماية وتسعة
وتسعون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب** يعني اليهود والنصارى
والمشركين اي ومن المشركين وهم عبدة الاوثان وذلك ان الكفار كانوا جنسين احدهما اهل كتاب
وسبب كفرهم ما احدثوه في دينهم اما اليهود فقولهم عزير ابن الله وتشبيههم لله بخلقه واما النصارى
فقولهم المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وغير ذلك والثاني المشركون اهل الاوثان الذين لا ينتسبون الى
كتاب فذكر الله الجنسين في قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين **منفكين** اي منتهين عن
كفرهم وشركهم وقيل معناه زايلين **حتى تاتيهم** لفظه مضارع ومعناه الماضي **البينة** الحجة الواضحة
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اتاهم بالقران فبين لهم ضلالتهم وشركهم وما كانوا عليه من الجاهلية
ودعاهم الى الايمان فامنوا فانقذهم الله من الجهل والضلالة ولم يكونوا منفصلين عن كفرهم قبل بعثه
اليهم بالاية فيهم من امن من الفريقين قال الواحدي في البسيط وهذه الاية اصعب ما في القران
نظما وتفسيرا وقد تخبط فيها الكبار من العلما قال الامام فخر الدين في تفسيره انه لم يلخص كيفية الاشكال
فيها وانا اقول وجه الاشكال ان تقدير الاية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تاتيهم البينة
التي هي الرسول ثم ان كلمة حتى لانتها الغاية فهذه تقتضي انهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان
الرسول ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاتهم البينة وهذا يقتضي ان كفرهم
قد ازداد عند مجي الرسول فحينيذ يحصل بين الاية الاولى والثانية مناقضة في الظاهر وهذا منتهى

الاشكال

الاشكال في ظني قال والجواب عنه من وجوه اولها واحسنها الوجه الذي لخصه صاحب الكشاف وهو ان
الكفار من الفريقين اهل الكتاب وعبدة الاصنام كانوا يقولون قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم لا ننفك
عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والانجيل وهو
محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى فيهم ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
اي انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة على الحق والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا
اقرهم على الكفر الا مجي الرسول ونظيره في الكلام ان يقول الفاسق الفقير لمن يعظه لست بمنفك عما انا
فيه حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق
حتى توسر وما غمست راسك في الفسق الا بعد اليسار فيذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما قال الامام
فخر الدين وحاصل هذا الجواب يرجع الى حرف واحد وهو ان قوله لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى
تاتيهم البينة مذكور حكاية عن حالهم وهو قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب اخبار عن الواقع والمعنى
ان الذي وقع خلاف ما ادعوا وثانيها ان تقدير الاية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم وان جاتهم
البينة وعلى هذا التقدير يزول الاشكال الا ان تفسير لفظة حتى بهذا ليس من اللغة وذكر وجوها
اخر قال والمختار هو الاول ثم فسر البينة فقال تعالى **رسول من الله** اي تلك البينة رسول من الله
يتلوا اي يقرا الرسول صلى الله عليه وسلم **صحفا** اي كتبا يريد ما تضمنه المصحف من المكتوب فيه وهو
القران لانه كان صلى الله عليه وسلم يقراه عن ظهر قلب لا عن كتاب **مطهرة** يعني من الباطل والكذب والزور
والمعنى انها مطهرة من القبيح وقيل مطهرة معظمة اي لا ينبغي ان يمسها الا المطهرون **فيها** اي في الصحف
كتب اي الايات المكتوبة وقيل الكتب بمعنى الحكم **قيمة** اي عادلة مستقيمة غير ذات عوج وقيل قيمة
بمعنى قايمة مستقلة بالحجة من قولهم قام بالامر اذا اجراه على وجهه ثم ذكر من لم يومن من اهل الكتاب
فقال تعالى **وما تفرق الذين اوتوا الكتاب** يعني في امر محمد صلى الله عليه وسلم **الا من بعد ما جاتهم البينة** يعني جاءتهم
البينات في كتبهم انه نبي مرسل قال المفسرون لم يزل اهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد صلى الله عليه
وسلم بعثه الله تعالى فلما بعث تفرقوا في امره واختلفوا فيه فامن به بعضهم وكفر به اخرون ثم ذكر
ما امروا به في كتبهم فقال تعالى **وما امروا** يعني هولاء الكفار **الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين** الاخلاص
عبارة عن النية الخالصة وتجريدها عن شوايب الريا وهو تنبيه على ما يجب من تحصيل الاخلاص
في ابتدا الفعل الى انتهايه والمخلص هو الذي ياتي بالحسنة والواجب لوجوبه والنية الخالصة
لما كانت معتبرة كانت النية معتبرة فقد دلت الاية على ان كل مامور به فلا بد وان يكون منويا
فلا بد من اعتبار النية في جميع المامورات قال اصحاب الشافعي الوضو مامور به ودلت هذه الاية على
ان كل مامور به يجب ان يكون منويا فتجب النية في الوضو وقيل الاخلاص محله القلب وهو ان ياتي
بالفعل لوجه الله تعالى مخلصا له لا يريد بذلك ريا ولا سمعة ولا غرضا اخر حتى قالوا في ذلك لا يجعل
طالب الجنة مقصودا ولا النجاة من النار مطلوبا وان كان ولا بد من ذلك بل يجعل العبد عبادته لمحض
العبودية واعترافا لربه عز وجل بالربوبية وقيل في معنى مخلصين له الدين مقرين له بالعبودية
وقيل قاصدين بقلوبهم رضا الله تعالى بالعبادة م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى اجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم **حنفا** اي مايلين عن الاديان
كلها الى دين الاسلام وقيل متبعين ملة ابراهيم عليه السلام وقيل حنفا اي حجاجا وقيل مقبلين على الصلاة

Copyright © King Saud University

والزكاة لان فيه صلاة وانفاق مال وقيل حنفاء مختونين محرمين كالحاج المحرم وقيل الحنيف الذى امن
بجميع الانبيا والرسل ولا يفرق بين احد منهم فمن لم يومن باشرف الانبيا وهو محمد صلى الله عليه وسلم
فليس بحنيف **ويقيموا الصلاة** اى المكتوبة فى اوقاتها **ويوتوا الزكاة** اى المفروضة عند محلها **وذلك** اى الذى
امروا به **دين القيمة** اى الملة المستقيمة والشريعة المتنوعة وانما اضاف الدين الى القيمة وهو نعت
لاختلاف اللفظين والقيمة نعت الملة وقيل الهاء فى القيمة للمبالغة كعلامة وقيل القيمة الكتب
التى جرى ذكرها اى وذلك دين اصحاب الكتب القيمة وقيل القيمة جمع القيم والقيمة والقايم واحد والمعنى
وذلك دين القايمين لله بالتوحيد واستدل بهذه الاية من يقول ان الايمان قول وعمل لان الله
تعالى ذكر الاعتقاد اولا واتبعه بالعمل ثانيا ثم قال وذلك دين القيمة والدين هو الاسلام والاسلام
هو الايمان بدليل قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
ثم ذكر ما للفريقين فقال تعالى **ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين** **فان قلت** لم قدم
اهل الكتاب على المشركين **قلت** لان جنايتهم اعظم فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذلك انهم كانوا يستفتحون به قبل بعثته ويقولون بنبوته فلما بعث انكروه وكذبوه وصدوه مع
العلم به فكانت جنايتهم اعظم من المشركين فلهذا قدمهم عليهم **فان قلت**
ان المشركين اعظم جناية من اهل الكتاب لان المشركين انكروا الصانع والنبوة والقيمة واهل الكتاب
اعترفوا بذلك بل لكن غير انهم انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واذا كان كذلك كان كفرهم اخف فلم سوى
بين الفريقين فى العذاب **قلت** لما اراد اهل الكتاب لرفعة فى الدنيا بانكارهم نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم اذلهم الله فى الدنيا وادخلهم سافلين فى الاخرة ولا يمنع من دخولهم النار مع
مع المشركين ان تتفاوت مراتبهم فى العذاب **فى نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية** اى هم شر الخلق والمعنى انهم لما
استحقوا النار بسبب كفرهم قالوا فهل الى خروج من سبيل قال بل تبقون خالدين فيها فكانهم قالوا
لم ذلك قال لانكم شر البرية **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية** يعنى انهم بسبب اعمالهم الصالحة واجتنابهم
الشرك استحقوا هذا الاسم **جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله
عنهم ورضوا عنه** قيل الرضى ينقسم قسمين رضى به ورضى عنه فالرضى به ان يكون ربا ومدبرا والرضى
عنه بما يقضى ويدبر قال السدى اذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسال الرضى عنك وقيل رضى اعمالهم
ورضوا عنه بما اعطاهم من الخير والكرامة **ذلك** اى هذا الخير والرضى عنه **لمن خشى ربه** اى لمن خاف ربه فى الدنيا
وانتهى عن المعاصى **ق** عن انس بن مالك قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى ان الله امرنى ان اقرا عليك
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب قال وسمانى قال نعم فبكى وفى رواية البخارى ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال لابى بن كعب ان الله امرنى ان اقرئك القران قال الله سمانى لك قال نعم قال قد ذكرت عند
رب العالمين قال نعم فذرفت عيناه **شرح الحديث** اما بكا ابى فانه بكى سرورا
واستصغارا لنفسه عن تاهله لهذه النعمة العظيمة واعطايها المنزلة الكريمة والنعمة عليه فيها من
وجهين احدهما كونه منصوصا عليه بعينه والثانى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فانها منقبة
عظيمة لم يشاركه فيها احد من الصحابة وقيل انما بكى خوفا من تقصيره فى شكر هذه النعمة واما تخصيص
هذه السورة بالقراءة فانها مع وجازتها جامعة لاصول وقواعد مهمات عظيمة وكان الحال
يقتضى الاختصار واما الحكمة فى امر النبى صلى الله عليه وسلم بالقراءة على ابى فهى ان يتعلم ابى القراءة من

الناظر

الناظر صلى الله عليه وسلم اسلوب الوزن المشروع وقدره بخلاف ما سواه من النغم المستعملة فى غيره فكانت
قراءته على ابى ليعلم ابى منه لا ليتعلم هو من ابى وقيل انما قرا على ابى ليتعلم غيره التواضع والادب وان لا يستنكف
الشريف وصاحب المرتبة العالية ان يتعلم القران ممن هو دونه وفيه تنبيه على فضيلة ابى وحث على
الاخذ عنه وتقديمه فى ذلك فكان كذلك بعد النبى صلى الله عليه وسلم راسا واماما فى القراءة وغيرها وكان
احد علما الصحابة رضى الله عنهم والله اعلم **تفسير سورة الزلزلة** مكية وقيل مدنية وهى ثمان ايات
وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسعة واربعون حرفا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا زلزلت تعدل نصف القران وقل هو الله احد تعدل ثلث القران وقل يا ايها الكافرون تعدل ربع
القران اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وله عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا اذا زلزلت عدلت له نصف القران ومن قرا قل يا ايها الكافرون عدلت له ربع القران ومن قرا
قل هو الله احد عدلت له ثلث القران وقال حديث غريب **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **اذا زلزلت
الارض زلزالها** اى حركت حركة شديدة واضطربت وذلك عند قيام الساعة قيل تزلزل فى شدة
صوت اسرافيل حتى ينكسر كل ما عليها من شدة الزلزلة ولا تسكن حتى تلقى ما عليها على ظهرها من جبل
وشجر وبناء وفى وقت هذه الزلزلة قولان احدهما وهو قول الاكثرين انها فى الدنيا وهى من اشراط الساعة والثانى
انها زلزلة يوم القيامة **واخرجت الارض اثقالها** قال اثقالها كنوزها وما فى بطنها من الدفاين والاموات
فتلقيها على ظهرها يدل على صحة هذا القول ما روى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم تقى الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجى القاتل فيقول فى هذا
قتلت ويجى القاطع فيقول فى هذا قطعت رحمى ويجى السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه
فلا ياخذون منه شيا اخرجه مسلم الافلاذ جمع فلذة وهى القطعة المقطوعة المستطيلة شبه ما يخرج
من باطنها باقطاع كبدها لان الكبد مستور فى الجوف وانما خص الكبد لانها من اطيب ما يشوى
عند العرب من الجزور واستعار القى للاخراج ومن قال بان الزلزلة تكون يوم القيامة قال اثقالها
الموتى فتخرجهم الى ظهرها وقيل ان الميت اذا كان فى بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل
عليها ومنه سمى الانس والجن بالثقلين لان الارض تثقل بهم احيا وامواتا **وقال الانسان ما لها** اى
ما لها زلزلت هذه الزلزلة العظيمة ولفظت ما فى بطنها وفى الانسان وجهان احدهما انه اسم جنس
يعم المومن والكافر وهذا على قول من جعل الزلزلة من اشراط الساعة والمعنى انها حين وقعت
لم يعلم الكل انها من اشراط الساعة فيسال بعضهم بعضا عن ذلك والثانى انه اسم الكافر خاصة وهذا على
قول من جعلها زلزلة القيمة لان المومن عارف بها والكافر جاحد لها فاذا وقعت سال عنها وقيل
مجاز الاية **يومئذ تحدث اخبارها** فيقول الانسان ما لها والمعنى ان الارض تحدث بكل ما عمل عليها
وعلى ظهرها من خير او شر فتشكو العاصى وتشهد عليه وتشكر الطايع وتشهد له عن ابى هريرة
قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها
قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على عبد وامة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا وكذا
فهذه اخبارها اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح **بان ربك اوحى لها** بالكلام واذن لها ان تخبر
بما عمل عليها قال ابن عباس اوحى اليها وقيل ان الله تعالى يخلق فى الارض الحياة والعقل والنطق
حتى تخبر بما امرها الله به وهذا مذهب اهل السنة قوله تعالى **يومئذ يصدر الناس اشتاتا** اى من موقف الحساب

Copyright King Saud University

الحساب تعبا للعرض اشتاتا اى متفرقين فاخذ ذات اليمين الى الجنة واخذ ذات الشمال الى النار
ليروا اعمالهم قال ابن عباس ليروا جزاء اعمالهم وقيل معناه ليروا صحائف اعمالهم التى فيها الخير والشر وهو
قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة اى وزن نملة صغيرة وقيل هو ما لصق من التراب باليد خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره قال ابن عباس ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا فى الدنيا الا اراه الله يوم القيامة فاما
المومن فيرى حسناته وسيئاته قال محمد بن كعب القرظى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من كافر يرى ثوابه
فى الدنيا فى نفسه وولده واهله وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير قيل نزلت هذه الاية فى
رجلين وذلك انه لما نزل ويطعمون الطعام على حبه وكان احدهما ياتيه السائل فيستقل ان يطعمه
التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك ويقول هذا ليس بشئ يوجر عليه انما يوجر على ما يعطى ونحن نحبه
وكان الاخر يتهاون بالذنب الصغير مثل الكذبة والنظرة والغيبة واشباه ذلك ويقول انما وعد الله
النار على الكبائر وليس فى هذا اثم فانزل الله هذه الاية يرغبهم فى القليل من الخير ان يعطوه فانه يوشك ان
يكثر ويحذرهم من اليسير من الذنب فانه يوشك ان يكثر وان الاثم الصغير فى عين صاحبه فانه يصير
مثل الجبل العظيم يوم القيامة قال ابن مسعود احكم اية فى القران فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية الجامعة الفاذة حتى سئل عن زكوة
الحمر فقال ما انزل الله فيها شئ الا هذه الاية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره وتصدق عمر بن الخطاب وعايشة كل واحد منهما بحبة عنب وقالا فيها
مثاقيل كثيرة قلت انما كان غرضهما تعليم الغير ولانهما من كرما الصحابة رضى الله عنهم وقال الربيع
ابن خثيم مر رجل بالحسن وهو يقرا هذه السورة فلما بلغ اخرها قال حسبى الله قد انتهت الموعظة
والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه **تفسير سورة والعاديات** مكية فى قول ابن
مسعود وغيره مدنية فى قول ابن عباس وهى احدى عشرة اية واربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون
حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **والعاديات ضبحا** فيه قولان احدهما انه الابل فى الحج قاله على كرم
الله وجهه هى الابل تعدو من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى قال كانت اول غزاة فى الاسلام
بدرا وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الاسود فكيف تكون العاديات
فعلى هذا القول يكون معنى ضبحا ضبعا وهو مد اعناقها فى السير واصله من حركة النار فى
العود **فالموريات قدحا** يعنى اخفاف الابل ترمى بالحجارة من شدة عدوها فيضرب الحجر الحجر فيخرج
فيورى النار وقيل هى النيران بجمع **فالمغيرات صبحا** يعنى الابل ترفع بركبانها يوم النحر من جمع
الى منى والسنة ان لا يدفع حتى يصبح والاغارة سرعة السير ومنه قولهم اشرق ثبير
كيما نغير **فاثرن به نقعا** اى هيجن بمكان سيرها غبارا **فوسطن به جمعا** اى وسطن بالنقع جمعا وهو
مزدلفة فوجه القسم على هذا ان الله تعالى اقسم بالابل لما فيها من المنافع الكثيرة وتعرضه بالحج
الترغيب فيه وفيه تفريع من يحج القدرة عليه فان الكنود هو الكفور ومن لم يحج بعد الوجوب
موصوف بذلك بدليل القول الثانى فى تفسير والعاديات قال ابن عباس وجماعة هى الخيل
العادية فى سبيل الله والضبح صوت اجوافها اذا عدت قال ابن عباس وليس شئ من الحيوان
يضبح سوى الفرس والكلب والثعلب وانما تضبح هذه الحيوانات اذا تغير حالها من تعب او فزع
من قول العرب ضبحته النار اذا غيرت لونه فالموريات قدحا يعنى تقدح النار بحوافرها

سارت

اذا سارت فى الحجارة وقيل هى الخيل تهيج الحرب ونار العداوة بين فرسانها وقال ابن عباس هى الخيل
تغدو فى سبيل الله ثم تاوى بالليل فيورون اصحابها نارا ويصنعون طعامهم وقيل هو مكر الرجال
فى الحرب تقول اذا اراد الرجل ان يمكر بصاحبه اما والله لاقدحن لك ثم لاورين لك فالمغيرات
صبحا يعنى الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح لان الناس فى غفلة فى ذلك الوقت
عن الاستعداد فاثرن به اى بالمكان نقعا اى غبارا فوسطن به جمعا اى دخلن به اى بذلك النقع
وهو الغبار وقيل صرن بعدوهن وسط جمع العدو وهم الكتيبة وهذا القول فى تفسير هذه
الايات اولى بالصحة واشبه بالمعنى لان الضبح من صفة الخيل وكذا ايراء النار بحوافرها
واثارة الغبار ايضا وانما اقسم الله بالخيل الغزاة لما فيها من المنافع الدينية والدنيوية والاجر
والغنيمة وتنبيها على فضلها وفضل رباطها فى سبيل الله ولما ذكر الله تعالى المقسم به ذكر المقسم عليه
فقال تعالى **ان الانسان لربه لكنود** لكفور وهو جواب القسم قال ابن عباس الكنود الكفور الجحود لنعم
الله تعالى وقيل الكنود هو العاصى وقيل هو الذى يعد المصائب وينسى النعم وقيل هو قليل الخير
ماخوذ من الارض الكنود وهى التى لا تنبت شيئا وقال الفضيل بن عياض الكنود الذى انسته
الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان وضده الشكور الذى انسته
الخصلة الواحدة من الاحسان الخصال الكثيرة من الاساءة **وانه على ذلك لشهيد** قال اكثر المفسرين
وان الله على كونه كنودا لشاهد وقيل الهاء راجعة الى الانسان والمعنى انه شاهد على نفسه بما
صنع **وانه** يعنى الانسان **لحب الخير** اى المال **لشديد** اى لبخيل والمعنى انه من اجل حب المال لبخيل
وقيل معناه وانه لحب المال وايثار الدنيا لقوى شديد **افلا يعلم** يعنى الانسان **اذا بعثر** اى
اثير واخرج **ما فى القبور** يعنى من الموتى **وحصل ما فى الصدور** اى ميز وابرز ما فيها من خير او شر **ان
ربهم بهم يومئذ لخبير** اى عالم فالله تعالى خبير بهم فى ذلك اليوم وفى غيره ولكن المعنى انه يجازيهم فى ذلك
اليوم على كفرهم وانما خص اعمال القلوب بالذكر فى قوله وحصل ما فى الصدور لان اعمال الجوارح
تابعة لاعمال القلوب فانه لولا البواعث والارادات فى القلوب لما حصلت اعمال الجوارح والله
سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه **تفسير سورة القارعة** مكية وهى ثمان ايات وست
وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **القارعة**
اصل القرع الصوت الشديد ومنه قوارع الدهر اى شدائده والقارعة من اسماء القيمة
سميت بذلك لانها تقرع القلوب بالفزع والشدائد وقيل سميت قارعة بصوت اسرافيل
لانه اذا نفخ فى الصور مات جميع الخلائق من شدة صوت نفخته **ما القارعة** تهويل وتعظيم والمعنى
انها فاقت فى الهول والشدة **وما ادراك ما القارعة** معناه لا علم لك بكنهها لانها فى الشدة بحيث
لا يبلغها فهم احد وكيف ما قدرته امرها فهى اعظم من ذلك **يوم يكون الناس كالفراش المبثوث** الفراش
هذه الطير التى تراها تتهافت فى النار سميت بذلك لفرشها وانتشارها وانما شبه الخلق عند
البعث بالفراش لان الفراش اذا ثار لم يتجه لجهة واحدة بل تذهب كل واحدة الى غير جهة الاخرى فدل
بهذا التشبيه على ان الخلق فى البعث يفزعون فيذهب كل واحد الى غير جهة الاخر والمبثوث
المتفرق وشبههم ايضا بالجراد فقال كانهم جراد منتشر وانما شبههم بالجراد لكثرتهم قال
الفراء كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا فشبه الناس عند البعث بالجراد لكثرتهم يموج بعضهم

Copyright © King Saud University

في بعض ويركب بعضهم بعضا من شدة الهول وتكون الجبال كالعهن المنفوش وذلك انه تتفرق اجزاؤها
في ذلك اليوم حتى تصير كالصوف المتطاير عند الندف وانما ضم بين حال الناس وحال الجبال كانه
تعالى نبه على ان تاثير تلك القارعة في الجبال العظيمة الصلدة الصلبة حتى تصير كالعهن
المنفوش فكيف حال الانسان الضعيف عند سماع صوت القارعة ثم لما ذكر حال القيامة قسم
الخلق على قسمين فقال تعالى فاما من ثقلت موازينه يعني رجحت موازين حسناته قيل هو جمع
موزون وهو العمل الذي له قدر وخطر عند الله تعالى وقيل هو جمع ميزان وهو الذي له
لسان وكفتان توزن فيه الاعمال فيوتى بحسنات المومن في احسن صورة فتوضع في
كفة الميزان فان رجحت فالجنة له ويوتى بسيئات الكافر في اقبح صورة فتخف في ميزانه
فيدخل النار وقيل انما توزن اعمال المومنين فمن ثقلت موازين حسناته على سيئاته دخل
الجنة ومن ثقلت سيئاته على حسناته دخل النار فيقتص منه على قدرها ثم يخرج منها فيدخل
الجنة او يعفو عنه الله بكرمه فيدخل الجنة بفضل الله وكرمه ورحمته واما الكافرون فقد قال
في حقهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال وانما
ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم
وحق لميزان ان يوضع فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت موازينهم يوم القيامة باتباعهم
الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا قوله تعالى
فهو في عيشة راضية اي مرضية في الجنة وقيل في عيشة ذات رضا يرضاها صاحبها واما من خفت
موازينه اي رجحت سيئاته على حسناته فامه هاوية اي مسكنه النار سمي المسكن اما لان الاصل
في السكون الى الامهات وقيل معناه فام راسه هاوية في النار والهاوية اسم من اسماء النار
وهي المهواة التي لا يدرك قعرها فيهوون فيها على رؤوسهم وقيل كان الرجل اذا وقع في امر شديد
يقال هوت امه اي هلكت خوفا وثكلا وما ادراك ما هيه يعني الهاوية ثم فسرها فقال
نار حامية اي حارة قد انتهى حرها نعوذ بالله وعظمته منها والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده
واسرار كتابه تفسير سورة التكاثر مكية وهي ثمان ايات وثمان وعشرون كلمة ومائة وعشرون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الهاكم التكاثر اي شغلكم المفاخرة والمباهاة
والمكاثرة بكثرة المال والعدد والمناقب عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه ومعلوم ان من
اشتغل بشيء اعرض عن غيره فينبغي للمومن العاقل ان يكون سعيه وشغله في تقديم الاهم وهو
ما يقربه من ربه عز وجل فالتفاخر بالمال والجاه والاعوان والاقرباء تفاخر باخس المراتب
والاشتغال به يمنع الانسان من الاشتغال بتحصيل السعادة الاخروية التي هي سعادة
الابد ويدل على ان المكاثرة والمفاخرة بالمال مذموم ما روي عن مطرف بن عبد الله بن الشخير
عن ابيه قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرا هذه الاية الهاكم التكاثر
فقال يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت وما اكلت فافنيت
وما لبست فابليت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح م عن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه ماله واهله
وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى عمله حتى زرتم المقابر اي حتى متم ودفنتم في المقابر يقال لمن

مات

مات زار قبره وزار رمسه فيكون معنى الاية الهاكم حرصكم على تكثير اموالكم عن طاعة ربكم حتى اتاكم الموت
وانتم على ذلك وقيل نزلت هذه الاية في اليهود قالوا نحن اكثر من بني فلان وبنو فلان اكثر من بني فلان
شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وقيل نزلت في حيين من قريش وهما بنو عبد مناف وبنو سهم بن عمرو
فكان بينهم تفاخر فتعاد السادة والاشراف ايهم اكثر فقال بنو عبد مناف نحن اكثر سيدا واعز
عزيزا واعظم نفرا واكثر عددا وقال بنو سهم مثل ذلك فكثرهم بنو عبد مناف ثم قالوا
نعد موتانا فعدوا الموتى حتى زاروا القبور فعدوهم فقالوا هذا قبر فلان وهذا قبر فلان
فكثرهم بنو سهم بثلاثة ابيات لانهم كانوا في الجاهلية اكثر عددا فانزل الله هذه الاية وهذا
القول اشبه بظاهر القران لان قوله حتى زرتم المقابر يدل على امر مضى فكانه تعالى يعجبهم
من انفسهم ويقول مجيبا انكم اكثرتم عددا فماذا ينفع ثم رد الله تعالى عليهم فقال كلا اي ليس
الامر كما يتوهمه هولاء بالتكاثر والتفاخر وقيل المعنى حقا سوف تعلمون وعيد لهم ثم كلا سوف تعلمون
كرره تاكيدا والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم اذا نزل بكم الموت فهو وعيد بعد
وعيد وقيل معناه كلا سوف تعلمون يعني الكافرين ثم كلا سوف تعلمون يعني المومنين وصاحب
هذا القول كان يقرا الاولى بالياء والثانية بالتاء كلا لو تعلمون علم اليقين اي علما يقينا وجواب لو
محذوف والمعنى لو تعلمون علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر قال قتادة كنا
نحدث ان علم اليقين ان يعلم ان الله باعثه بعد الموت لترون الجحيم اللام تدل على انه جواب قسم
محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما اوعدوا به لا يدخله شك ولا ريب والمعنى انكم ترون
الجحيم بابصاركم بعد الموت ثم لترونها يعني مشاهدة عين اليقين وقيل انما كرره للوعيد ثم
لتسالن يومئذ عن النعيم كفار مكة في الدنيا في الخير والنعمة فيسالون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه لانهم
لم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره ثم يعذبون على ترك الشكر وذلك لان الكفار لما الهاهم
التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله والاشتغال بشكره فيسالهم عن ذلك وقيل ان
هذا السؤال يعم الكافر والمومن وهو الاولى لكن سؤال الكافر سؤال توبيخ وتقريع لانه ترك شكر
ما انعم الله به عليه والمومن يسال سؤال تشريف وتكريم لانه شكر ما انعم به عليه واطاع ربه فيكون
السؤال في حقه تذكير انعم الله عليه يدل على ذلك ما روي عن الزبير قال لما نزلت ثم لتسالن يومئذ
عن النعيم قال الزبير يا رسول الله واي نعيم نسال عنه وانما هما الاسودان التمر والماء قال اما انه
سيكون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن واختلفوا في النعيم الذي يسال العبد عنه فروي عن
ابن مسعود رفعه قال لتسالن يومئذ عن النعيم فيقال له الم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب م عن ابي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم او ليلة فاذا هو بابي بكر وعمر قال ما اخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يا رسول
الله قال وانا والذي نفسي بيده لاخرجني الذي اخرجكما قوموا فقاموا معه فاتى رجلا من الانصار
فاذا هو ليس في بيته فلما راته المراة قالت مرحبا واهلا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اين فلان
قالت ذهب يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصاري فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال الحمد
لله ما احد اليوم اكرم اضيافا مني قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا واخذ المدية
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم شاة فاكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا

Copyright © King Saud University

فشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر والذى نفسي بيده لتسألن
عن هذا النعيم يوم القيامة اخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى اصابكم هذا النعيم واخرجه الترمذي
باطول من هذا وفيه ظل بارد ورطب طيب وماء بارد وروى عن ابن عباس قال النعيم صحة الابدان
والاسماع والابصار يسال الله العبيد يوم القيامة فيما استعملوها وهو اعلم بذلك منهم وقيل يسال
عن الصحة والفراغ والمال عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون
فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقيل الذى يسال العبد عنه هو القدر الزائد على ما يحتاج اليه
فانه لابد لكل احد من مطعم ومشرب وملبس ومسكن وقيل يسال عن تخفيف الشرائع وتيسير
القران وقيل عن الاسلام فانه اكبر النعم وقيل يسال عما انزل به عليكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم
انقذكم به من الضلال الى الهدى والنور وامتن به عليكم والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار
كتابه تفسير سورة العصر مكية قاله ابن عباس والجمهور وقيل مدنية وهي ثلاث ايات واربع عشر
كلمة وثمان وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والعصر قال ابن عباس هو
الدهر قيل اقسم الله به لما فيه من العبر والعجائب للناظر وقد ورد في الحديث لا تسبوا الدهر فان
الله هو الدهر وذلك لانهم يضيفون النوائب والنوازل الى الدهر فاقسم به تنبيها على شرفه
وان الله تعالى هو المؤثر فيه فما حصل من النوائب والنوازل كان بقضاء الله وقدره وقيل
تقديره ورب العصر وقيل اراد بالعصر الليل والنهار لانهما يقال لهما العصران فنبه على شرف
الليل والنهار لانهما خزانتان لاعمال العباد وقيل اراد بالعصر احد طرفي النهار اقسم بالعشي
كما اقسم بالضحى وقيل اراد صلاة العصر اقسم بها لشرفها ولانها الصلاة الوسطى بدليل
قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى قيل هي صلاة العصر والذي هو في مصحف
عائشة رضي الله تعالى عنها وحفصة والصلاة الوسطى صلاة العصر وفي الصحيحين شغلونا
عن صلاة الوسطى صلاة العصر وقال صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكانما وتر
اهله وماله وقيل اراد بالعصر زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقسم بزمانه كما اقسم بمكانه
في قوله لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد نبه بذلك على ان زمانه افضل الازمان واشرفها
وجواب القسم قوله تعالى ان الانسان لفي خسر اى لفي خسران ونقصان قيل اراد بالانسان جنس
الانسان بدليل قولهم كثر الدرهم في ايدي الناس اى الدراهم وذلك لان الانسان لا ينفك
عن خسران لان الخسران هو تضييع عمره وذلك لان كل ساعة تمر في عمر الانسان اما ان تكون
تلك الساعة في طاعة او معصية فان كانت في معصية فهو الخسران المبين الظاهر وان كانت
في طاعة فلعل غيرها افضل وهو قادر على الاتيان بها فكان فعل غير الافضل تضييع وخسران
فبان بذلك انه لا ينفك احد من خسران وقيل ان سعادة الانسان في طلب الاخرة وحبها والاعراض
عن الدنيا ثم ان الاسباب الداعية الى حب الاخرة خفية والاسباب الداعية الى حب الدنيا
ظاهرة فلهذا السبب كان اكثر الناس مشتغلين بحب الدنيا مستغرقين في طلبها فكانوا
في خسار وبوار قد اهلكوا انفسهم بتضييع اعمارهم وقيل اراد بالانسان الكافر بدليل انه
استثنى المؤمنين فقال تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات يعني فانهم ليسوا في خسر والمعنى
ان كل ما مر من عمر الانسان في طاعة الله تعالى فهو في صلاح وخير وما كان بضده فهو في خسر

وفساد

وفساد وهلاك وتواصوا اى اوصى بعض المؤمنين بعضا بالحق يعني بالقران والعمل بما فيه وقيل
بالايمان والتوحيد وتواصوا بالصبر اى على اداء الفرائض واقامة امر الله وحدوده وقيل اراد ان الانسان
اذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع الا الذين امنوا فانه يكتب اجورهم ومحاسن اعمالهم التي كانوا يعملونها
في شبابهم وصحتهم وهي مثل قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون والله سبحانه وتعالى اعلم تفسير سورة
الهمزة مكية وهي تسع ايات وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل ويل اى قبوح وقيل هو اسم واد في جهنم لكل همزة لمزة قال ابن عباس المشاؤون
بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وقيل معناهما واحد وهو العياب والمغتاب
للناس في بعضهم قال الشاعر ❊ اذا لقيتك عن كره تكاشرني ❊ وان تغيبت كنت الهامز اللمزة ❊
وقيل بل يختلف معناهما فقيل الهمزة الذى يعيبك في الغيب واللمزة الذى يعيبك في الوجه
وقيل هو على ضده وقيل الهمزة الذى يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذى يلمزهم بلسانه
ويعيبهم وقيل هو الذى يهمز بلسانه ويلمز بعينه وقيل اللمز الذى يؤذي جليسه بسوء اللفظ واللمز الذى
يومض بعينه ويشير براسه ويرمز بحاجبه وقيل الهمزة الطعان على الناس واللمزة الطعان في انسابهم
وحاصل هذه الاقاويل يرجع الى الاصل الواحد وهو الطعن واظهار العيب واصل الهمز الكسر
والقبض على الشيء بالعنف والمراد منه هنا الكسر من اعراض الناس والغض منهم والطعن فيهم
ويدخل فيه من يحاكي الناس باقوالهم وافعالهم واصواتهم ليضحكوا منهم وهما نعتان للفاعل نحو
سخرة وضحكة للذى يسخر ويضحك من الناس واختلفوا فيمن نزلت هذه الاية فقيل نزلت في الاخنس بن
شريق بن وهب كان يقع في الناس ويغتابهم وقال محمد بن اسحاق ما زلنا نسمع ان سورة الهمزة نزلت
في امية بن خلف الجمحي وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم ويطعن
عليه في وجهه وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وقيل هي عامة في كل من هذه صفته كائنا من
كان وذلك لان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ والحكم ومن قال انها في اناس معينين
قال ان يكون اللفظ عاما لا ينافي ان يكون المراد منه شخصا معينا وهو تخصيص العام بقرينة العرف
والاولى ان يحمل على العموم في كل من هذه صفته ثم وصفه فقال تعالى الذى جمع مالا وانما وصفه
بهذا الوصف لانه يجري مجرى السبب والعلة في الهمز واللمز يعني وهو اعجابه بما جمع من المال
يستصغر الناس ويسخر منهم وانما نكر مالا لانه بالنسبة الى المال هو اكثر منه كالشيء الحقير وان
كان عظيما عند صاحبه فكيف يليق بالعاقل ان يفتخر بالشيء الحقير وعدده اى احصاه من العدد
وقيل هو من العدة اى استعده وجمله وخيره وعناه يحسب ان ماله اخلده اى يظن انه يخلد في
الدنيا ولا يموت ليساره وغناه قال الحسن ما رايت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه
من الموت ومعناه ان الناس لا يشكون في الموت مع انهم يعملون عمل من يظن انه يخلد في الدنيا
ولا يموت كلا رد عليه اى لا يخلده ماله بل يخلده ذكره والعمل الصالح ومنه قول علي مات خزان
المال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر وقيل معناه لينبذن واللام في لينبذن جواب القسم
تدل ذلك على حصول معنى القسم ومعنى لينبذن ليطرحن في الحطمة اى في النار وهو اسم من اسمائها
مثل سقر ولظى وقيل هو اسم الدركة الثانية منها وسميت حطمة لانها تحطم العظام وتكسرها

من ورائهم

Copyright © King Saud University

والمعنى يا ايها الهمزة اللمزة الذي ياكل لحوم الناس ويكسر من اعراضهم ان وراءك الحطمة التي تاكل اللحوم
وتكسر العظام وما ادراك ما الحطمة اي انك لا تعرف كنهها نار الله الموقدة انما اضافها اليه على سبيل
التفخيم والتعظيم لامرها اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت
ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة اخرجه الترمذي قال ويروى عن ابي هريرة
موقوفا وهو اصح التي تطلع على الافئدة المها ووجعها على القلوب والمعنى انها تاكل كل شيء حتى تنتهي
الى الفؤاد وانما خص الفؤاد بالذكر لانه الطف شيء في بدن الانسان وانه يتالم بادنى شيء فكيف
اذا اطلعت عليه واستولت به ثم انه مع لطافته لا يحترق اذ لو احترق لمات صاحبه
وليس في النار موت وقيل انما خصه بالذكر لان القلب موطن الكفر والعقائد والنيات الفاسدة
انها عليهم مؤصدة اي مطبقة مغلقة في عمد ممددة قال ابن عباس ادخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد
في اعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الابواب وقال قتادة بلغنا انها عمد يعذبون بها في النار
وقيل هي اوتاد الاطباق التي تطبق على اهل النار والمعنى انها مطبقة عليهم باوتاد ممدودة وقيل
اذا اطبقت الاوتاد عليهم ثم سدت باوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا يفتح
عليهم باب ولا يدخل عليهم روح والممددة من صفة العمد اي مطولة فتكون ارسخ من القصيرة
نعوذ بالله من النار وحرها والله اعلم تفسير سورة الفيل مكية وهي خمس ايات وعشرون
كلمة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل وكانت
قصة الفيل على ما ذكره محمد بن اسحاق عن بعض اهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن
ابن عباس وذكره الواقدي ان النجاشي ملك الحبشة كان بعث ارياط الى اليمن فغلب عليها فقام رجل
من الحبشة يقال له ابرهة بن الصباح بن يكسوم فساخط ارياط في امر الحبشة حتى انصدعوا صدعين
فكانت طائفة مع ارياط وطائفة مع ابرهة فتزاحفا فقتل ابرهة ارياط واجتمعت الحبشة لابرهة
وغلب على اليمن واقره النجاشي على عمله ثم ان ابرهة راى الناس يتجهزون ايام الموسم الى مكة لحج بيت
الله عز وجل فبنى كنيسة بصنعاء وكتب الى النجاشي اني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن لملك مثلها
ولست منتهيا حتى اصرف اليها حاج العرب فسمع به مالك بن كنانة فخرج اليها فدخلها فقعد فيها
ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترأ علي فقيل صنع ذلك رجل من العرب من اهل ذلك
البيت غضب بالذي قلت فحلف ابرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة ثم يهدمها فكتب الى النجاشي يخبره
بذلك وسأله ان يبعث اليه بفيله وكان فيلا يقال له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة
فبعث اليه فخرج ابرهة في الحبشة سائرا الى مكة وخرج معه بالفيل فسمعت العرب بذلك فعظموه
ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بمن اطاعه من قومه فقاتله
فهزمه ابرهة واخذ ذا نفر فقال يا ايها الملك استبقني فان بقائي خير لك من قتلي فاستحياه
واوثقه وكان ابرهة رجلا حليما ثم سار حتى اذا دنا من بلاد خثعم خرج اليه نفيل بن حبيب
الخثعمي في خثعم ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن فهزمهم واخذ نفيلا فقال نفيل اني دليل بارض
العرب وهاتان يداي على قومي بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا مر
بالطائف خرج اليه مسعود بن معتب في رجال من ثقيف فقال ايها الملك نحن عبيدك ليس عندنا
خلاف لك انما تريد البيت الذي بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا معه ابا رغال

مولى

مولى لهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس مات ابو رغال وهو الذي يرجم قبره وبعث ابرهة رجلا من الحبشة
يقال له الاسود بن مسعود مقدمة على خيله وامره بالغارة على نعم الناس فجمع الاسود اليه اموال
اهل الحرم واصاب لعبد المطلب مائتي بعير ثم ان ابرهة ارسل حناطة الحميري الى اهل مكة وقال
له سل عن شريفها ثم ابلغه ما ارسلك به اليه اخبره اني لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت
فانطلق حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب بن هاشم فقال ان الملك ارسلني اليك لاخبرك انه لم
يات لقتال الا ان تقاتلوه انما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب
ما له عندنا قتال ولا لنا به يد انا نخلي بينه وبين ما جاء له فان هذا بيت الله الحرام وبيت ابراهيم
خليله عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبين ذلك فوالله ما لنا به قوة
قال فانطلق معي الى الملك فزعم بعض العلماء انه اردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه
حتى قدم العسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال يا ذا نفر هل عندك من غناء
فيما نزل بنا فقال وما غناء رجل اسير لا يامن ان يقتل بكرة وعشية ولكن سابعث الى انيس سائس
الفيل فانه لي صديق فاسأله ان يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك
عنده قال فارسل الى انيس فاتاه فقال له ان هذا سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس في السهل
والوحوش في رؤوس الجبال وقد اصاب الملك له مائتي بعير فان استطعت ان تنفعه عنده فانفعه
فانه صديق لي احب ما وصل اليه من الخير فدخل انيس على ابرهة فقال ايها الملك هذا سيد قريش
وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال يستاذن عليك وانا احب
ان تاذن له فيكلمك فقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فاذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما
وسيما فلما راه ابرهة عظمه واكرمه ان يجلس معه على السرير وان يجلس تحته فهبط الى البساط
فجلس عليه ثم دعاه فاجلسه معه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك الى الملك فقال له الترجمان
ذلك فقال له عبد المطلب حاجتي الى الملك ان يرد علي مائتي بعير اصابها لي فقال ابرهة لترجمانه
قل له قد كنت اعجبتني حين رايتك ولقد زهدت الآن فيك قال لم قال جئت الى بيت هو
دينك ودين ابائك وهو شرفكم وعصمتكم لاهدمه لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير اصبتها لك
قال عبد المطلب انا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنعه مني
قال فانت وذاك فامر بابله فردت عليه فلما ردت الابل الى عبد المطلب خرج فاخبر قريشا الخبر
وامرهم ان يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا في رؤوس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش ففعلوا واتى
عبد المطلب الكعبة واخذ حلقة الباب وجعل يقول ٭ يا رب لا ارجو لهم سواكا ٭
يا رب فامنع منهم حماكا ٭ ان عدو البيت من عاداكا ٭ امنعهم ان يخربوا قراكا ٭
وقال ايضا ٭ لاهم ان العبد يمنع رحله ٭ وحلاله فامنع حلالك ٭ لا يغلبن صليبهم ٭
ومحالهم عدوا محالك ٭ جروا جميع بلادهم ٭ والفيل كي يسبوا عيالك ٭ عمدوا حماك بكيدهم ٭
جهلا وما رقبوا جلالك ٭ ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك ٭ ثم ترك عبد المطلب
الحلقة وتوجه في بعض الوجوه مع قومه واصبح ابرهة بالمغمس وقد تهيأ للدخول وعبأ
جيشه وهيأ فيله وكان فيلا لم ير مثله في العظم والقوة ويقال كانت اثنى عشر فيلا فاقبل نفيل الى الفيل
الاعظم ثم اخذ باذنه وقال له ابرك محمودا وارجع راشدا فانك ببلد الله الحرام فبرك [illegible] فالى

Copyright King Saud University

فابى فضربوه بالمعول فى راسه فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه فنزعوه ليقوم فابى فوجهوه راجعا
الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك
فصرفوه الى الحرم فبرك وابى ان يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل وارسل الله عز وجل طيرا
من البحر امثال الخطاطيف مع كل طاير منها ثلاثة احجار حجرا فى رجليه وحجر فى منقاره امثال
الحمص والعدس فلما غشين القوم ارسلتها عليهم فلم تصب تلك الحجارة احدا الا هلك وليس كل القوم
اصابت وخرجوا هاربين لا يهتدون الى الطريق الذى جاوا منه ويتساءلون عن نفيل بن حبيب
ليدلهم على الطريق الى اليمن ونفيل ينظر اليهم من بعض الجبال وفى ذلك يقول نفيل
الا ردى ركابنا ردينا * نعمناكم على الهجران عينا * فانك لو رايت ولن تريه * لدى جنب المحصب ما راينا
حمدت الله اذ ابصرت طيرا * وخفت حجارة تلقى علينا * وكلهم يسايل عن نفيل * كان على الحبشان دينا
وخرج القوم وهاج بعضهم فى بعض يتساقطون بطريق مكة ويهلكون فى كل منهل وبعث الله على ابرهة
داء فى جسده فجعل يتساقط انامله كلما سقطت انملة اتبعتها مدة قيح فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ
الطير فيمن بقى من اصحابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك قال الواقدى واما محمود فيل
ولم يشجع على الحرم فنجى والفيل الاخر شجعوا فحصبوا اى رموا بالحصى وقال بعضهم انما هو كسوم
وزير ابرهة وتبعه طير فحلق فوق راسه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما انهاها وقع عليه حجر
من ذلك الطير فخر ميتا بين يدى النجاشى وفى ذلك يقول امية بن ابى الصلت * ان ايات ربنا ساطعات
ما يمارى فيهن الا الكفور * حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كانه معقور * روى عن عايشة
رضى الله عنها قالت رايت قايد الفيل وسايسه بمكة اعميين مقعدين يستطعمان وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب
الذى جر اصحاب الفيل ان فتية من قريش خرجوا تجارا حتى خرجوا الى ارض النجاشى فدنوا من ساحل البحر وثم
بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل فنزلوا فاججوا النار واشتووا فلما ارتحلوا تركوا النار كما هى فى يوم عاصف
فهاجت الريح فاضطرم الهيكل نارا فانطلق الصريخ الى النجاشى فاسف غضبا للبيعة فبعث ابرهة لهدم
الكعبة وقال فيه ان كان ابو مسعود الثقفى وكان مكفوف البصر يصيف بالطايف ويشتو بمكة
وكان رجلا نبيها نبيلا تستقيم الامور برايه وكان خليلا لعبد المطلب فقال له عبد المطلب ماذا
عندك هذا يوم لا يستغنى فيه عن رايك فقال ابو مسعود لعبد المطلب اعمد الى ماية من الابل فقلدها
نعلا وجللها ثم ابثثها فى الحرم فلعل بعض السودان يعقر منها شيا فيغضب رب هذا البيت فياخذهم
ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو
فقال ابو مسعود ان لهذا البيت ربا يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن صحن هذا البيت واراد هدمه
فمنعه الله وابتلاه واظلم عليه ثلاثة ايام فلما راى تبع ذلك كساه القباطى البيض وعظمه ونحر له
جزورا فانظر نحو البحر فنظر عبد المطلب فقال ارى طيرا بيضا نشات من شاطى البحر فقال ارمقها
ببصرك اين قرارها قال اراها قد دارت على رؤوسنا ثم قال هل تعرفها قال والله ما اعرفها
ما هى بنجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية قال ما قدرها قال اشباه اليعاسيب وفى مناقيرها
حصا كانها حصى الخذف قد اقبلت كالليل يكسع بعضها بعضا امام كل رفقة طير يقودها احمر
المنقار اسود الراس طويل العنق فجاءت حتى حاذت عسكر القوم ركدت فوق رؤوسهم فلما
توافت الرجال كلهم اهالت الطير ما فى مناقيرها منها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها

الضاغن

الضاغن راجعة من حيث جاءت فلما اصبحا انحطا من ذروة الجبل فمشيا حتى صعدا ربوة فلم يونسا
احدا ثم دنوا فلم يسمعا حسا فقالا بات القوم سامدين فاصبحوا نياما فلما دنيا من عسكر القوم
فاذا هم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة احدهم فيخرقها حتى يقع فى دماغه ويخرق الفيل والدابة
ويغيب الحجر فى الارض من شدة وقعه فعمد عبد المطلب فاخذ فاسا من فؤوسهم فحفر حتى عمق فى الارض
فملاه من الذهب الاحمر والجواهر وحفر لصاحبه مثله فملاه ثم قال لابى مسعود هات فاختر ان
شئت حفرتى وان شئت حفرتك وان شئت فهما لك معا فقال ابو مسعود فاختر لى على نفسك فقال
عبد المطلب انى لم ارى اجعل المتاع فى حفرتى فهو لك وجلس كل واحد منهما على حفرته ونادى عبد
المطلب فى الناس فتراجعوا واصابوا من فضلها حتى ضاقوا به وساد عبد المطلب بذلك قريشا واعطته
القادة فلم يزل عبد المطلب وابو مسعود فى اهليهما فى غنى من ذلك المال ودفع الله عز وجل
عن كعبته واختلفوا فى تاريخ الفيل فقيل كان قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم باربعين سنة
وقيل بثلاث وعشرين سنة والاصح الذى عليه الاكثرون من علماء السير والتواريخ واهل التفسير
انه كان فى العام الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم يقولون ولد عام الفيل وجعلوه
تاريخا لمولده صلى الله عليه وسلم واما التفسير فقوله عز وجل الم تر اى الم تعلم وذلك لان هذه
الواقعة كانت قبل مبعثه بزمان طويل لان العلم بها كان حاصلا عنده لان الخبر بها كان
مستفيضا معروفا بمكة واذا كان كذلك وكانه صلى الله عليه وسلم علمه وشاهده يقينا فلهذا قال
له الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل قيل لانه كان معهم فيل واحد وقيل كانوا ثمانية وقيل اثنى
عشر واحدا وحده لانه نسبهم الى الفيل الاعظم الذى كان يقال له محمود وقيل لما وحده لوفاق الاى
وفى قصة اصحاب الفيل دلالة عظيمة على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ويستدل فى العقل ان
طيرا اتى من قبل البحر تحمل حجارة ترمى بها اناسا مخصوصين وفيها دلالة عظيمة على شرف محمد صلى
الله عليه وسلم ومعجزة ظاهرة لمولده لكن ان الله تعالى انما فعل ذلك لبعض من ارضاه وهو محمد صلى
الله عليه وسلم الداعى الى نفى حده واهلاك من تخطه عليه وليبين لكم ليعتبر قريش فانهم كانوا كفارا
لا كتاب لهم والحبشة لهم كتاب فلا يخفى على عاقل ان المراد بذلك النصر محمد صلى الله عليه وسلم
وكانه تعالى قال انا الذى فعلت ما فعلت باصحاب الفيل تعظيما لك وتشريفا لقدومك كيف
تركك بعد ظهورك **الم يجعل كيدهم** يعنى مكرهم وسعيهم فى تخريب الكعبة **فى تضليل** اى تضييع
وخسار وابطال ما ارادوا واضل كيدهم فلم يصلوا الى ما ارادوا من تخريب البيت بل رجع كيدهم
عليهم بخربت كنيستهم واحترقت وهلكوا وهو قوله تعالى **وارسل عليهم طيرا ابابيل** يعنى طيرا كثيرة
متفرقة يتبع بعضها بعضا وقيل ابابيل جماعات فى تفرقة قيل لا واحد لها من لفظه وقيل
واحدها ابالة وقيل ابيل وقيل ابول مثل عجول قال ابن عباس كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير
واكف كاكف الكلاب وقيل لها رؤوس كرؤوس السباع وقيل لها انياب كانياب السباع وقيل طير خضر
لها مناقير صفر وقيل طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع كل طاير ثلاثة احجار حجران فى رجليه
وحجر فى منقاره لا يصيب شيا الا هشمه ووجه الجمع بين هذه الاقاويل فى اختلاف اجناس هذه
الطير انه كان فى هذه الصفات كلها فبعضها على ما حكاه ابن عباس وبعضها على ما حكاه غيره فاخبر كل
واحد بالبعض صفاتها والله اعلم قوله عز وجل **ترميهم بحجارة** قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم

Copyright © King Saud University

بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت بالحجارة فزادتها شدة فما وقع حجر منها على رجل الا خرج من الجانب
الآخر وان وقع على رأسه خرج من دبره من سجيل قيل السجيل اسم علم للديوان الذي كتب فيه عذاب
الكفار واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال والمعنى ترميهم بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون
بما كتب الله في ذلك الكتاب وقيل معناه من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل سجيل حجر وطين مختلط
واصله سنك وكيل وكل فارسي معرب وقيل السجيل الشديد فجعلهم كعصف مأكول يعني كزرع
وتبن اكلته الدواب ثم راثته فيبس وتفرقت اجزاؤه شبه تقطع اوصالهم وتفرقها بتفريق
اجزاء الروث وقيل العصف ورق الحنطة وقيل كالحب اذا اكل فصار اجوف وقال ابن عباس هو القشر
الخارج الذي يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف والله سبحانه وتعالى اعلم تفسير سورة قريش
مكية وقيل مدنية والاول اصح واكثر وهي اربع آيات وسبع عشرة كلمة وثلاثة وسبعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل لايلاف قريش اختلفوا في هذه اللام فقيل هي متعلقة بما
قبلها وذلك ان الله تعالى ذكر اهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة فقال فجعلهم كعصف
مأكول لايلاف قريش اي اهلك اصحاب الفيل لتبقى قريش وما الفوا من رحلة الشتاء والصيف ولهذا
جعل ابي بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما في مصحفه ببسم الله الرحمن الرحيم
والذي عليه الجمهور من الصحابة وغيرهم وهو المستفيض المشهور ان هذه السورة منفصلة عن سورة
الفيل وانه لا تعلق بينهما واجيب عن مذهب ابي بن كعب في جعل هذه السورة والسورة التي
قبلها سورة واحدة بان القرآن كالسورة الواحدة يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه معنى بعض
وهو معارض باطباق الصحابة وغيرهم على الفصل بينهما وانهما سورتان فعلى هذا القول
اختلفوا في العلة الجالبة للام في قوله تعالى لايلاف فقيل هي لام التعجب اي اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء
والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم امرهم بعبادته فهو كقولك على وجه التعجب اعجبوا لذلك
وقيل متعلقة بما بعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لايلافهم رحلة الشتاء والصيف
اي ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة والايلاف من الفت الشيء الفا وهو بمعنى الايتلاف فيكون
المعنى لايلاف قريش هاتين الرحلتين فتتصلا ولا تنقطعا وقيل هو من لغة كذا اي لزمته والفته
اعتيادا لزمه الله وقريش هم ولد النضر بن كنانة فكل من ولده النضر فهو قرشي ومن لم يلده النضر
فليس بقرشي عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى
كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم
عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش في الخير والشر عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم عن
سعيد بن زهير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد هوان قريش اهانه الله اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اذقت اول قريش نكالا
فاذق آخرهم نوالا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب النكال العذاب والمشقة
والنوال العطاء والخير وسموا قريشا من القرش والتقرش وهو الجمع والتكسب يقال تقرش فلان اذا
ويقترش بمعنى يكتسب وذلك لان قريشا كانوا اهل تجارة وعلى جمع المال والافضال حرصا وقال
ابو ريحانة سأل معاوية عبد الله بن عباس لم سميت قريش قال لدابة تكون في البحر هي من اعظم دوابه

يقال

يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين الا اكلته وهي تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى قال وهل تعرف
العرب ذلك في اشعارها قال نعم وانشد سعد الجمحي * وقريش هي التي تسكن البحر * بها سميت قريش قريشا *
سلطت بالعلو في لجة البحر * على سائر البحور جيوشا * تأكل الغث والسمين ولا * تترك فيه لذي الجناحين ريشا *
هكذا في الكتاب حي قريش * يأكلون البلاد اكلا كميشا * ولهم آخر الزمان نبي * يكثر القتل فيهم والخموشا *
يملأ الارض خيله ورجالا * يحشرون المطي حشرا كميشا * وقيل ان قريشا كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم
قصي بن كلاب وانزلهم الحرم فاتخذوه مسكنا فسموا قريشا لتجمعهم والتقرش التجمع يقال تقرش القوم
اذا اجتمعوا وسمي قصي مجمعا لذلك قال الشاعر * ابوكم قصي كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر *
وقوله تعالى ايلافهم بدل من الاول وتفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظيم المنة فيه رحلة الشتاء والصيف
قال ابن عباس كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف فامرهم الله تعالى ان يقيموا بالحرم ويعبدوا رب هذا
البيت وقال الاكثرون كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة رحلة في الشتاء الى اليمن لانها ادفأ ورحلة
في الصيف الى الشام وكان الحرم واديا جدبا لا زرع فيه ولا ضرع وكانت قريش تعيش بتجاراتهم ورحلتهم
وكانوا لا يتعرض لهم احد بسوء وكانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولاة بيته وكانت العرب تكرمهم
وتعظمهم لذلك فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام ولولا الامن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف فشق
عليهم الاختلاف الى اليمن والشام فاخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة اهل الساحل
حملوا طعامهم في البحر على السفن الى مكة واهل البر حملوا على الابل والحمير فالقى اهل الساحل الى جدة واهل
البر بالمحصب واخصب الشام فحملوا الطعام الى مكة فالقوا بالابطح فامتار اهل مكة من قريب وكفاهم الله
مؤنة الرحلتين جميعا وقال ابن عباس كانوا في ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين فكانوا يقسمون
ربحهم بين الغني والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم وقال الكلبي وكان اول من حمل السمراء من الشام
ورحل اليها الابل هاشم بن عبد مناف وفيه يقول الشاعر * قل للذي طلب السماحة والندا *
هلا مررت بآل عبد مناف * هلا مررت بهم تريد قراهم * منعوك من ضر ومن اكفاف * الرائشين وليس يوجد رائش
والقائلين هلم للاضياف * والخالطين غنيهم بفقيرهم * حتى يكون فقيرهم كالكافي *
والتابعين بكل وعد صادق * والراحلين برحلة الايلاف * عمرو العلا هشم الثريد لقومه *
ورجال مكة مسنتون عجاف * سفرين سنهما له ولقومه * سفر الشتاء ورحلة الاصياف * وقوله تعالى
فليعبدوا رب هذا البيت يعني الكعبة وذلك ان الانعام على قسمين احدهما دفع ضر وهو ما ذكره في سورة الفيل
والثاني جلب نفع وهو ما ذكره في هذه السورة ولولا دفع عنهم الضر وجلب لهم النفع وهما نعمتان عظيمتان
امرهم بالعبودية واداء الشكر وقيل انه تعالى لما كفاهم امر الرحلتين امرهم ان يشتغلوا بعبادة رب
هذا البيت فانه هو الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ومعنى الآية الذي اطعمهم من جوع اي من بعد جوع
بحمل الميرة اليهم من البلاد في البر والبحر وقيل في الآية انهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال
اللهم اجعلها سنينا كسني يوسف فاشتد عليهم القحط واصابهم الجوع والجهد فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا
مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخصبت البلاد واخصب اهل مكة بعد القحط والجهد
فذلك قوله تعالى الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف اي بالحرم وكونهم من اهل مكة حتى لم يتعرض لهم
احد في رحلتهم وقيل آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام وقيل آمنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
وبالاسلام والله سبحانه وتعالى اعلم تفسير سورة أرأيت الذي مكية وقيل نزل بعضها بمكة في العاص بن

Copyright King Saud University

وايل وفي النصف الثاني بالمدينة في ابي بن سلول المنافق وهي سبع آيات وخمس وعشرون كلمة ومائة وخمسة وعشرون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ارأيت الذي يكذب بالدين قيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وقيل في الوليد بن
المغيرة وقيل في عمرو بن عائذ المخزومي وحكى رواية عن ابن عباس انها في رجل من المنافقين ومعنى الآية هل عرفت الذي
يكذب بيوم الجزاء والحساب فان لم تعرفه فذلك الذي يدع اليتيم ولفظ ارأيت استفهام والمراد به المبالغة في التعجب من حال
هذا المكذب بالدين وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل احد والمعنى ارأيت ايها الانسان
او ايها العاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلائله ووضوح بيانه فكيف يليق به ذلك فذلك الذي يدع
اليتيم اي يقهره ويدفعه عن حقه والدع الدفع بعنف وجفوة والمعنى انه يدفعه عن حقه وماله بالظلم وقيل
يترك المواساة له وان لم تكن المواساة واجبة وقيل يزجره ويضربه ويستخف به وقرئ يدع بالتخفيف اي يدعوه
ويستخدمه قهرا واستطالة ولا يحض على طعام المسكين اي لا يطعمه ولا يأمر باطعامه لانه يكذب بالجزاء وهذا
غاية البخل لانه يبخل بماله وبمال غيره فلا يأمر غيره بالاطعام قوله تعالى فويل للمصلين يعني المنافقين ثم نعتهم
فقال تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون روى البغوي بسنده عن سعد قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال اضاعة الوقت قال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا
عن الناس ويصلونها في العلانية اذا حضروا معهم لقوله تعالى الذين هم يراءون وقال تعالى في وصف المنافقين
واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس وقيل ساهون عنها لا يبالي صلى او لم يصل وقيل لا يرجون لها ثوابا
ان صلوا ولا يخافون عليها عقابا ان تركوا وقيل غافلون عنها يتهاونون بها وقيل هم الذين لا يصلونها
لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها وقيل لما قال تعالى عن صلاتهم ساهون بلفظة عن علم انها في
المنافقين والمؤمن اذا سهى عن صلاته تداركها فقد يسهو في صلاته والفرق بين السهوين ان سهو المنافق
هو ان لا يتذكرها ويكون فارغا عنها والمؤمن اذا سهى عن صلاته تداركه في الحال وجبره بسجود السهو فظهر
الفرق بين السهوين وقيل السهو عن الصلاة هو ان يبقى ناسيا لذكر الله في جميع اجزاء الصلاة وهذا لا يصدر
الا من المنافق الذي يعتقد انه لا فائدة في الصلاة فاما المؤمن الذي يعتقد فائدة صلاته وانها عبادة و
ويرجو الثواب على فعلها ويخاف العقاب على تركها فقد يحصل له سهو في الصلاة يعني انه يصير ساهيا في
بعض اجزاء الصلاة بسبب وارد يرد عليه بوسوسة الشيطان او حديث النفس وذلك لا يكاد يخلو منه
احد ثم يذهب ذلك الوارد عنه فثبت بهذا الفرق ان السهو عن الصلاة من افعال المنافق والسهو في
الصلاة من افعال المؤمن الذين هم يراءون يتركون الصلاة في السر ويصلونها في العلانية والفرق بين
المنافق والمرائي ان المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الاسلام بلسان والمرائي يظهر الاعمال مع زيادة الخشوع
ليعتقد فيه من يراه انه من اهل الدين والصلاح اما من يظهر النوافل ليقتدى به ويامن على نفسه
الرياء فلا باس بذلك وليس بمراء ثم وصفهم بالبخل فقال تعالى ويمنعون الماعون روي عن علي انه قال
هي الزكاة وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة والضحاك ووجهه لكون الله تعالى ذكرها بعد الصلاة
فذمهم عليه بترك الصلاة ومنع الزكاة وقال ابن عباس الماعون الفاس والدلو والقدر واشباه ذلك وهي
رواية عن ابن عباس ويدل عليه ما روي عنه قال كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم عارية الدلو والقدر اخرجه ابو داود وقال مجاهد الماعون العارية وقال عكرمة الماعون اعلاها
الزكاة المفروضة وادناها عارية المتاع وقال محمد بن كعب القرظي الماعون المعروف كله الذي يتعاطاه
الناس فيما بينهم وقيل اصل الماعون من القلة فسمى الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لانه قليل من

كثير

كثير وقيل الماعون ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار ويلتحق بذلك البئر والتنور في البيت فلا يمنع
جيرانه من الانتفاع به ومعنى الآية الزجر عن البخل بهذه الاشياء القليلة الحقيرة فان البخل بها في
غاية البخل قال العلماء ويستحب ان يستكثر الرجل في بيته مما يحتاج اليه الجيران فيعيرهم ويتفضل عليهم
ولا يقتصر على الواجب والله اعلم بالصواب وما ارسل كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تفسير سورة الكوثر مكية قاله ابن عباس والجمهور وقيل انها مدنية قاله الحسن وعكرمة
وقتادة وهي ثلاث آيات وعشر كلمات واثنان واربعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
انا اعطيناك الكوثر نهر في الجنة اعطاه الله محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل الكوثر القرآن العظيم وقيل هو النبوة
والكتاب والحكمة وقيل هو كثرة اتباعه وامته وقيل الكوثر الخير الكثير كما قال ابو بشر قلت لسعيد بن
جبير ان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة قال سعيد النهر في الجنة من الخير الذي اعطاه الله اياه واصل
الكوثر فوعل من الكثرة والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد وكثير القدر والخطر كوثرا وقيل الكوثر
الفضائل الكثيرة التي فضل بها على جميع الخلق فجميع ما جاء في تفسير الكوثر فقد اعطيه النبي
صلى الله عليه وسلم اعطي النبوة والكتاب والحكمة والعلم والشفاعة والحوض المورود والمقام
المحمود وكثرة الاتباع والاسلام واظهاره على الاديان كلها والنصر على الاعداء وكثرة الفتوح في
زمنه وبعده الى يوم القيامة واولى الاقاويل في الكوثر والذي عليه جمهور العلماء انه نهر في الجنة
كما جاء مبينا في الحديث ق عن انس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين
اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلت ما اضحكك يا رسول الله قال انزلت علي
آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر
ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر في الجنة وعدنيه ربي عز وجل هو
حوض ترد عليه امتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من
امتي فيقول ما تدري ما احدث بعدك لفظ مسلم وللبخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما عرج بي الى السماء اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر
الذي اعطاك ربك فاذا طينه مسك اذفر وطينته شك الراوي عن انس قال سئل النبي صلى الله
عليه وسلم ما الكوثر قال ذاك نهر اعطانيه الله يعني في الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من
العسل فيه طير اعناقها كاعناق الجزور قال عمر ان هذه لناعمة فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اكلتها انعم منها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك
وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن عامر بن عبد
الله بن مسعود قال سألت عائشة عن قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فقالت الكوثر نهر اعطيه
نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه در مجوف آنيته كعدد نجوم السماء خ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه
كنجوم السماء من شرب منها لا يظمأ ابدا زاد في رواية وزواياه سواء م عن ابن عمر قال امامكم حوضي ما بين
جنبيه كما بين جرباء واذرح قال بعض الرواة هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة ايام وفي رواية
فيها اباريق كنجوم السماء من ورده فشرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابدا ق عن انس ان رسول الله صلى الله

Copyright King Saud University

عليه وسلم قال ما ناحيتي وفي رواية لابي حوضي كما بين صنعاء والمدينة وفي رواية مثل ما بين المدينة
وعمان وفي رواية قال ان قدر حوضي كما بين ايلة وصنعاء اليمن وان فيه من الاباريق كعدد نجوم السماء م
عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لعند حوضي اذود الناس لاهل اليمن اضرب بعصاي حتى
يرفض عليهم فسئل عن عرضه فقال من مقامي الى عمان وسئل عن شرابه فقال اشد بياضا من اللبن واحلى من
العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة احدهما من ذهب والاخر من الورق ق عن ابن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وليرفعن الي رجال منكم حتى اذا هويت اليهم لاناولهم
اختلجوا دوني فاقول اي رب اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك ق عن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ليردن علي يوم القيامة رهط من اصحابي وقال من امتي عن الحوض فاقول يا رب
اصحابي فيقول انه لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى ولمسلم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ترد على امتي الحوض وانا اذود الناس عنه كما يذود الرجل ابل الرجل عن ابله قالوا يا نبي
الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون علي غرا محجلين من اثار الوضوء وليصدن عني طائفة منكم
فلا يصلون فاقول يا رب هولاء من اصحابي فيجيبني ملك فيقول وهل تدري ما احدثوا بعدك م عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاذودن رجالا عن حوضي كما تذاد
الغريبة من الابل عن الحوض م عن حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان حوضي لابعد
من ايلة الى عدن والذي نفسي بيده لاذودن عنه الرجال كما يذود الرجل الابل الغريبة عن ابله قالوا
يا رسول الله وتعرفنا قال نعم تردون علي غرا محجلين من اثار الوضوء ليست لاحد غيركم عن زيد بن ارقم
قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلا فقال ما انتم جزء من مائة الف جزء ممن يرد علي الحوض
قيل كم كنتم يومئذ قال سبعمائة او ثمانمائة اخرجه ابو داود **فصل** في شرح هذه الاحاديث
وذكر ما يتعلق بالحوض قال الشيخ محيي الدين النووي قال القاضي عياض احاديث الحوض صحيحة والايمان
به فرض والتصديق به من الايمان وهو على ظاهره عند اهل السنة والجماعة لا يتاول ولا يختلف فيه وحديثه
متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة فذكر مسلم من رواية ابن عمر وعائشة وام سلمة وعقبة بن
عامر وابن مسعود وحذيفة وحارثة بن وهب والمستورد وابي ذر وجابر والبخاري ومسلم من رواية ابي
بكر الصديق وزيد بن ارقم وابي امامة وعبد الله بن زيد وسويد بن غفلة وعبد الله بن الصنابحي
والبراء بن عازب واسماء بنت ابي بكر الصديق وخولة بنت قيس وغيرهم قال محيي الدين ورواه البخاري
ومسلم ايضا من رواية ابي هريرة ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطاب وعائذ بن عمرو واخرين وقد
جمع ذلك كله الامام الحافظ ابو بكر البيهقي في كتاب البعث والنشور باسانيده وطرقه المتكاثرة
فان قلت قد اتفقا على اخراج حديث الحوض عن جماعة ممن تقدم ذكرهم من
الصحابة على ما سبق ذكره في الحديث وفيه بيان ما اتفقا عليه وانفرد به كل واحد منهما واخرجا ايضا
حديث الحوض عن اسماء بنت ابي بكر الصديق وذكرها القاضي عياض فيمن خرج له من الصحيحين قال
القاضي عياض وفي بعض هذا ما يقتضي الحديث متواترا واما صفة الحوض ومقداره فقد قال في رواية
حوضي مسيرة شهر وفي رواية ما بين جنبيه كما بين جربا واذرح وفي رواية كما بين ايلة وصنعاء اليمن وفي رواية
عرضه مثل طوله ما بين عمان الى ايلة وفي رواية ان حوضي لابعد من ايلة الى عدن فهذا الاختلاف
في هذه الروايات في قدر الحوض ليس موجبا للاضطراب فيها لانه لم يات في حديث واحد بل احاديث مختلفة

الرواة

الرواة عن جماعات من الصحابة سمعوها من النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن مختلفة ضربها النبي صلى
الله عليه وسلم مثلا لبعد اقطار الحوض وسعته وقرب ذلك على اذهان السامعين لبعد
ما بين هذه البلاد المذكورة لا على التقدير الموضوع للتحديد بل لاعلام السامعين عظم بعد المسافة
وسعة الحوض وليس في ذكر القليل من هذه المسافة منع من الكثير فان الكثير ثابت على ظاهره
وصحة الرواية به والقليل داخل فيه فلا معارضة ولا منافاة بينهما وكذلك القول في انية الحوض
ان العدد المذكور في الاحاديث على ظاهره وانها اكثر عددا من نجوم السماء ولا مانع من ذلك اذ قد وردت
الاحاديث الصحيحة الثابتة بذلك وكذلك القول في الواردين الى الحوض الشاربين منه وكثرتهم وقوله
صلى الله عليه وسلم ما انتم جزء من مائة الف جزء ممن يرد علي الحوض لم يرد به الحصر بهذا العدد المذكور
وانما ضربه مثلا لاكثر العدد والمرور للسامعين ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم من ورد
شرب فهذا صريح في ان جميع الواردين يشربون وانما يمنع منه الذين يذادون ويمنعون الورود
لارتدادهم وتبديلهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم فيختلج العبد منهم فاقول رب من امتي فيقول
ما تدري ما احدث بعدك وفي رواية وليرفعن الي رجال منكم حتى اذا هويت لاناولهم اختلجوا
دوني فاقول اي رب اصحابي فيقول انك لا تدري ما احدثوا بعدك ونحو هذا من الروايات
المذكورة في الاحاديث السابقة وهذا مما اختلف العلماء في معناه والمراد بهم من هم فقيل المراد بهم
المنافقون والمرتدون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل انهم اذا حشروا عرفهم النبي صلى الله عليه
وسلم للسيما التي عليهم فيناديهم فيقال له ليس هولاء ممن وعدت بهم انهم قد بدلوا بعدك اي
لم يكونوا على ما ظهر من اسلامهم وقيل المراد بهم من اسلم ثم ارتد بعده في زمن ابي بكر الصديق وهم
الذين قاتلهم على الردة وهم اصحاب مسيلمة الكذاب فيناديهم النبي صلى الله عليه وسلم لما كان
يعرف من ايمانهم في حياته فيقال له قد ارتدوا بعدك وقيل المراد بهم اصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم
عن الاسلام واصحاب المعاصي الكبائر الذين ماتوا على التوحيد ولم يتوبوا من بدعتهم ومعاصيهم
فعلى هذا القول لا يقطع لهولاء المطرودين عن الحوض بالنار بل يجوز ان يذودوا عنه عقوبة
لهم ثم يرحمهم الله فيدخلهم الجنة من غير عذاب وقال ابو عمر بن عبد البر كل من احدث في الدين كالروافض
والخوارج وسائر اصحاب الاهواء فهو من المطرودين عن الحوض قال وكذلك الظلمة المترفون في الجور
والمعلنون بالكبائر فكل هولاء يخاف ان يكونوا ممن عني بهذا الحديث وقوله من شرب منه لم يظما ابدا قال
القاضي عياض ظاهر هذا الحديث ان الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار ويحتمل ان من شرب
منه من هذه الامة وقدر عليه دخول النار لا يعذب فيها بالظما بل يكون عذابه بغير ذلك لان ظاهر
الحديث ان جميع الامة تشرب منه الا من ارتد وصار كافرا وقيل ان جميع المومنين ياخذون كتبهم
بايمانهم ثم يعذب الله من شاء من عصاتهم وقيل انما ياخذ بيمينه الناجون منهم خاصة والشرب
من الحوض خاصة **شرح غريب** الفاظ الاحاديث قوله فيختلج العبد منهم اي ينتزع
ويجذب قوله ما بين جنبيه كجربا واذرح فبجيم ثم راء ساكنة ثم باء موحدة ثم الف مقصورة
ووقع في بعض رواة البخاري فيها بالمد والقصر اولى وهي قرية من الشام واما اذرح فبهمزة ثم
ذال معجمة ثم راء ثم حاء مهملة وهي مدينة في طرف الشام قريب من الشوبك واما عمان فبفتح العين
وتشديد الميم بليدة بالبلقاء من ارض الشام واما ايلة فبفتح الهمزة واسكان الياء المثناة تحت

Copyright © King Saud University

وفتح اللام مدينة معروفة في طريق الشام على ساحل البحر متوسطة بين دمشق ومصر والمدينة بينها
وبينها وبين المدينة خمسة عشر مرحلة وبينها وبين مصر ثمان مراحل والى دمشق اثنى عشر مرحلة وهي
اخر الحجاز واول الشام واما صنعا فهي قاعدة اليمن واكبر مدنه وانما قيده باليمن في الحديث لان بدمشق
موضع يعرف بصنعا دمشق وقد تقدم الكلام على اختلاف هذه المسافات والجمع بين رواياتها قوله
يشخب منه ميزابان وهو بفتح اليا المثناة تحت وبالشين والخا المعجمتين اى يسيل فيه وفي الحديث الاخر
يغت بفتح اليا وبالغين المعجمة وكسرها وتشديد التا المثناة فوق اى يدفق منه ميزابان تدفقا شديدا
متتابعا قوله اني لبعقر حوضي وهو بضم العين المهملة واسكان القاف وهو موقف الابل من الحوض
اذا وردته للشرب وقيل هو مؤخر الحوض قوله اذود الناس اى اضرب الناس لاهل اليمن بعصاى
حتى يرفض عليهم وفيه منقبة عظيمة لاهل اليمن قوله انا فرطكم على الحوض الفرط بفتح الفا والرا
هو الذي يتقدم على ليصلح لهم الحياض والدلا ونحوها من الة الاستقا والمعنى انا سابقكم على
الحوض كالمهيء له قوله فاقول سحقا اى بعدا وفيه دليل لمن قال انهم اهل الردة اذ لا يقال لاهل
الحوض سحقا بل يشفع قلت في حديث انس الاول دليل لمن يقول ان سورة الكوثر مدنية وهو
الاظهر لقوله بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ظهرنا اذ اغفا اغفاة يعني نام نومة ثم رفع
راسه متبسما والله اعلم قوله تعالى **فصل لربك وانحر** معناه ان ناسا كانوا يصلون لغير الله وينحرون
لغير الله فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي له وينحر له متقربا الى ربه بذلك وقيل معناه
فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك وقيل معناه فصل الصلاة المفروضة بجمع وانحر
البدن بمنى وقال ابن عباس فصل لربك وانحر اى ضع يدك اليمنى على اليسرى في الصلاة عند
النحر وقيل هو رفع اليدين مع التكبير الى النحر حكاه ابن الجوزي ومعنى الاية انا اعطيناك ما لا
نهاية لكثرته من خير الدارين وخصصتك بما لم اخص به احدا غيرك فاعبد ربك الذي اعطاك
هذا العطا الجزيل والخير الكثير واعزك وشرفك على كافة الخلق ورفع منزلتك فوقهم فصل له
واشكره على انعامه عليك وانحر البدن متقربا اليه **ان شانئك** يعني عدوك ومبغضك **هو
الابتر** يعني هو الاذل الاقل المنقطع دابره نزلت في العاص بن وايل السهمي وذلك انه راى النبي
صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا واناس من
صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا له من الذي كنت تتحدث معه فقال ذلك
الابتر يعني به النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد توفي ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة
وقيل ان العاص بن وايل كان اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانه رجل ابتر
لا عقب له فاذا هلك انقطع ذكره فانزل الله تعالى هذه السورة وقال ابن عباس نزلت في كعب
ابن الاشرف وجماعة من قريش وذلك انه لما قدم كعب بن الاشرف مكة قالت له قريش نحن
اهل السقاية والسدانة وانت سيد اهل المدينة فنحن خير ام هذا الصنبور المنبتر
فقال انتم خير فنزلت فيه الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ونزلت
في الذين قالوا انه ابتر ان شانئك هو الابتر اى المنقطع من كل خير قوله في النبي صلى الله عليه وسلم
هذا الصنبور ارادوا انه رجل ليس له ولد فاذا مات انقطع ذكره شبهوه بالنخلة المفردة يدق
اسفلها وتسمى الصنبور وقيل هي النخلة التي تخرج في اصل اخرى لم تغرس وقيل الصنابير سعفات

تنبت

تنبت من جذع النخلة فكذا محمد اذا مات انقطع ذكره وقيل الصنبور الوحيد الضعيف الذي لا ولد
له ولا عشيرة ولا ناصر من قريب ولا غريب فاكذبهم الله تعالى في ذلك ورد عليهم اشنع رد فقال ان
شانئك يا محمد هو الابتر الضعيف الوحيد الحقير وانت الاعز الاشرف الاعظم والله اعلم بمراده
واسرار كتابه **تفسير سورة قل يا ايها الكافرون** مكية وهي ست ايات وست وعشرون كلمة
واربع وتسعون حرفا عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت عدلت
نصف القران ومن قرا قل يا ايها الكافرون عدلت ربع القران ومن قرا قل هو الله احد عدلت ثلث
القران اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وله عن ابن عباس نحوه وقال فيه غريب ووجه
كون هذه السورة تعدل ربع القران ان القران مشتمل على الامر والنهي وكل واحد منهما ينقسم
الى ما يتعلق بعمل القلوب والى ما يتعلق بعمل الجوارح فحصل من ذلك اربعة اقسام وهذه السورة
مشتملة على النهي عن عبادة غير الله تعالى وهي من الاعتقاد وذلك من افعال القلوب فكانت هذه
السورة ربع القران على هذا التقسيم والله سبحانه وتعالى اعلم **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل
قل يا ايها الكافرون الى اخر السورة نزلت في رهط من قريش منهم الحرث بن قيس السهمي والعاص بن
وايل والوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب بن اسد وامية بن خلف قالوا
يا محمد هلم واتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك في امرنا كله نعبد الهك سنة وتعبد الهتنا سنة فان كان
الذي جئت به خيرا كنا قد شركناك فيه واخذنا حظنا منه وان كان الذي بايدينا خيرا كنت قد شركتنا
في امرنا واخذت بحظك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله ان اشرك به غيره
قالوا فاستلم بعض الهتنا نصدقك ونعبد الهك فقال حتى انظر ما ياتي من ربي فانزل الله قل
يا ايها الكافرون الى اخر السورة فغدا رسول الله الى المسجد الحرام وفيه الملا من قريش فقام على
رؤوسهم ثم قرا عليهم حتى فرغ من السورة فايسوا منه عند ذلك واذوه واصحابه وقيل لما عرضوا عليه
قالوا يا ابا الفضل لو ان ابن اخيك استلم بعض الهتنا لصدقناه فيما يقول ولامنا بالهه فاتاه العباس
فاخبره بقولهم فنزلت هذه السورة وقيل نزلت في ابي جهل والمستهزئين ومن لم يؤمن منهم ومعنى ذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مامورا بتبليغ الرسالة بجميع ما اوحي اليه فلما قال الله تعالى قل يا ايها
الكافرون اداه النبي صلى الله عليه وسلم كما سمعه من جبريل عليه السلام فكانه صلى الله عليه وسلم قال
امرت بجميع ما انزل الله علي وكان فيما انزل عليه قل يا ايها الكافرون وقيل ان المخاطبين في سماع الكلام
الغليظ الشنيع من النظر ولا اشنع ولا اغلظ من المخاطبة بالكفر وكانه صلى الله عليه وسلم قال ليس
هذا من عندي انما هو من عند الله عز وجل وقد انزل الله قل يا ايها الكافرون والمخاطبون بقوله يا ايها
الكافرون كفرة مخصوصون قد سبق في علم الله انهم لا يؤمنون **لا اعبد ما تعبدون** في معنى الاية قولان
احدهما انه لا تكرار فيها فيكون المعنى لا اعبد ما تعبدون لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة
الهتكم **ولا انتم عابدون ما اعبد** ولا انتم فاعلون في المستقبل ما اطلبه منكم من عبادة الهي ثم قال **ولا
انا عابد ما عبدتم** اي ولست في الحال بعابد معبودكم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ولا انتم في الحال بعابدين معبودي
وقيل يحتمل ان يكون الاول للحال والثاني للاستقبال وقيل يصح ان يكون الحال للاستقبال ولكن
تحقيق احدهما بالحال والثاني بالاستقبال لانه اخبر ولا على الحال ثم اخبر ثانيا عن الاستقبال فيكون
المعنى لا اعبد ما تعبدون في الحال **ولا انتم عابدون ما اعبد** في الاستقبال وكما عنى من اي من تعبدون

Copyright King Saud University

ويحتمل ان يكون بمعنى الذي اي الذي تعبدون القول الثاني حصول التكرار في الاية فعلى هذا القول ان التكرار يفيد التوكيد وكلما كانت الحاجة الى التوكيد اشد كان التكرار احسن ولا موضع احوج الى التوكيد من هذا الموضع لان الكفار راجعوا النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى مرارا فحسن التوكيد والتكرار في هذا الموضع لان القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجاري خطابهم ومن مذاهبهم التكرار ارادة التوكيد والافهام كما ان من مذاهبهم الاختصار لارادة التخفيف والايجاز وقيل تكرار الكلام لتكرار الوقت وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان سرك ان ندخل في دينك عاما فادخل في ديننا عاما فنزلت هذه السورة جوابا لهم على قولهم لكم دينكم ولي دين اي لكم كفركم ولي الاخلاص والتوحيد والمقصود منه التهديد فهو كقوله اعملوا ما شئتم وهذه الاية منسوخة باية القتال والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة النصر مدنية وهي ثلاث ايات وسبع عشرة كلمة وسبع وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **اذا جاء نصر الله والفتح** يعني فتح مكة وكانت قصة الفتح على ما ذكره محمد بن اسحاق واصحاب الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا عام الحديبية اصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشر سنين وقيل عشر سنين يامن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وانه من احب ان يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده دخل ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فدخلت بنو بكر في عهد قريش ودخلت خزاعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكان بينهما شر قديم ثم ان بني بكر عدت على خزاعة وهم على ماء لهم باسفل مكة يقال له الوتير فخرج نوفل بن معاوية الديلي في بني الديل من بني بكر حتى بيت خزاعة على الوتير فاصابوا منهم رجلا وتحاوزوا واقتتلوا ورفدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل مستخفيا حتى حازوا خزاعة الى الحرم وكان ممن اعان بني بكر من قريش على خزاعة ليلتئذ بانفسهم متنكرين صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو مع عبيدهم فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل انا قد دخلنا الحرم الهك الهك فقال كلمة عظيمة انه لا اله اليوم يا بني بكر اصيبوا ثاركم فلعمري انكم لتسرقون في الحرم افلا تصيبون ثاركم قال فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة واصابوا منهم ما اصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكانوا في عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد جالسا بين ظهراني الناس فقال

يا رب اني ناشد محمدا * حلف ابينا وابيه الاتلدا
قد كنتم ولدا وكنا والدا * ثمت اسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا اعتدا * وادع عباد الله ياتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا * ان سيم خسفا وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا * ان قريشا اخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا * وجعلوا لي في كداء رصدا
وزعموا ان لست ادعو احدا * وهم اذل واقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا

فانصر هداك الله نصرا ابدا • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نصرت يا عمرو بن سالم

ثم

ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان من السماء فقال ان هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب وهم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاخبروه بما اصيب منهم وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس كانكم بابي سفيان قد جاء ليشد في العقد ويزيد في المدة ومضى بديل بن ورقاء واصحابه حتى لقوا ابا سفيان قد بعثته قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشد في العقد ويزيد في المدة وقد رهبوا بما صنعوا فلما لقي ابو سفيان بديلا قال من اين اقبلت يا بديل وظن انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سرت في خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال وما اتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة قال ابو سفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف منها النوى فقال احلف بالله لقد جاء بديل محمدا ثم خرج ابو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل على ابنته ام حبيبة بنت ابي سفيان فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال يا بنية ارغبت بي عن هذا الفراش ام رغبت به عني فقالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت رجل مشرك نجس لم احب ان تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لقد اصابك يا بنية بعدي شر ثم خرج حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيئا ثم ذهب الى ابي بكر فكلمه ان يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما انا بفاعل ثم اتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال انا اشفع لكم الى النبي صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم اجد الا الذر لجاهدتكم به ثم خرج فدخل على علي بن ابي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها الحسن بن علي غلام يدب بين يديها فقال يا علي انك امس القوم رحما واقربهم مني قرابة فلا ارجعن كما جئت خائبا اشفع لي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك يا ابا سفيان لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر ما نستطيع ان نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة فقال يا بنت محمد هل لك ان تامري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى اخر الدهر قالت والله ما يبلغ بني ان يجير بين الناس وما يجير احد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا الحسن اني ارى الامور قد اشتدت علي فانصحني قال والله لا اعلم شيئا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فاجر بين الناس ثم الحق بارضك قال وترى ذلك مغنيا عني شيئا قال لا والله ما اظنه ولكن لا اجد لك غير ذلك فقام ابو سفيان في المسجد فقال ايها الناس اني قد اجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك قال جئت محمدا صلى الله عليه وسلم فكلمته فوالله ما رد علي شيئا ثم جئت ابن ابي قحافة فلم اجد عنده خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته اعدى القوم ثم اتيت علي بن ابي طالب فوجدته الين القوم وقد اشار علي بشيء صنعته فوالله ما ادري هل يغني لك شيئا ام لا قالوا وماذا امرك قال امرني ان اجير بين الناس ففعلت قالوا فهل اجاز ذلك محمد قال لا قالوا والله ما زاد علي ان لعب بك فما يغني عنك ما قلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك قال وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وامر اهله ان يجهزوه فدخل ابو بكر على ابنته عائشة وهي تصلح بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي بنية اامركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تجهزوه قالت نعم فتجهز قال فاين ترينه يريد قالت لا والله ما ادري ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم الناس انه سائر الى مكة وامرهم بالجد والتهيؤ وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها فتجهز الناس وكتب حاطب بن ابي بلتعة كتابا

بحرمهم بالذى احمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدمت قصته فى تفسير سورة الممتحنة
ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف على المدينة ابا رهم كلثوم بن حصين
ابن عتبة بن خلف الغفارى وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدا الى مكة لعشر مضين من
رمضان سنة ثمان من الهجرة فصام النبى صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه حتى اذا كان بالكديد
بين عسفان وامج افطر ثم مضى حتى نزل مر الظهران فى عشرة الاف من المسلمين ولم يتخلف من الانصار
والمهاجرين احد فلما نزل مر الظهران وقد عميت الاخبار عن قريش ولا ياتيهم خبر عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا يدرون ما هو فاعل وخرج فى تلك الليالى ابو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام
وبديل بن ورقا يتحسسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبرا او يسمعون به وقد كان العباس
ابن عبد المطلب لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق قال ابن هشام لقيه بالجحفة مهاجرا
بعياله وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض فلما
نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران قال العباس بن عبد المطلب ليلتئذ واصباح قريش والله
لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل ان يامنوه فيستامنوه انه لهلاك قريش الى
اخر الدهر قال فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضا فخرجت عليها حتى جيت
الاراك لعلى اجد حطابا او صاحب لبن او ذا حاجة ياتى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستامنوه فبينا انا اسير اذ سمعت كلام ابى سفيان وبديل بن ورقا وهما يتراجعان
وابو سفيان يقول ما رايت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا قال يقول بديل هذه والله نيران خزاعة حمشتها
الحرب فقال ابو سفيان خزاعة اذل واقل من ان تكون هذه نيرانها وعسكرها قال فعرفت صوته فقلت يا ابا
حنظلة فعرف صوتى فقال يا ابا الفضل فقلت نعم قال ما لك فداك ابى وامى قلت ويحك يا ابا
سفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جا بما لا قبل لكم به بعشرة الاف من المسلمين قال وما الحيلة
قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى اتى بك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاستامنه لك فردفنى ورجع صاحباه فخرجت به كلما مررت به على نار من نيران المسلمين
وقالوا من هذا فاذا راوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا وقام الى فلما راى ابا سفيان على عجز البغلة قال ابو سفيان
عدو الله الحمد لله الذى امكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه
وسلم وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطية الرجل البطى قال فاقتحمت عن البغلة سريعا
فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال يا رسول الله هذا ابو سفيان عدو الله
عدو الله ابو سفيان قد امكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعنى اضرب عنقه قال فقلت يا رسول الله
انى قد اجرته ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت براسه وقلت والله لا يناجيه احد
الليلة دونى فلما اكثر عمر فى شانه قلت مهلا يا عمر فوالله ما تصنع هذا الا انه رجل من بنى عبد مناف
ولو كان من بنى عدى بن كعب ما قلت هذا فقال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم اسلمت كان احب
من اسلام الخطاب لو اسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا اصبحت
فاتنى به قال فذهبت الى رحلى فبات عندى فلما اصبح غدوت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما راه قال ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله قال بابى انت وامى
ما احلمك واكرمك واوصلك والله لقد ظننت ان لو كان مع الله غيره لقد اغنى شيا بعد قال ويحك يا ابا

سفيان

سفيان الم يان لك ان تعلم انى رسول الله قال بابى انت وامى ما احلمك واكرمك واوصلك اما هذه فان
النفس منها حتى الان شيا فقال العباس ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان
يضرب عنقك فشهد شهادة الحق واسلم قال العباس فقلت يا رسول الله ان ابا سفيان هذا رجل يحب
الفخر فاجعل له شيا قال نعم من دخل دار ابى سفيان فهو امن ومن اغلق عليه بابه فهو امن ومن دخل المسجد
فهو امن فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل
حتى يمر به جنود الله فيراها قال فخرجت به حيث امرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احبسه قال
ومرت به القبايل على راياتها كلما مرت قبيلة قال من هولا فاقول سليم فيقول ما لى ولسليم حتى
تعدت القبايل لا تمر قبيلة الا سالنى عنها فاذا اخبرته فيقول ما لى ولفلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى كتيبته الخضرا وانما قيل لها الخضرا لكثرة الحديد وظهوره فيها وفيها المهاجرون والانصار لا يرى
منهم الا الحدق من الحديد فقال سبحان الله من هولا يا عباس قلت هذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى المهاجرين والانصار قال ما لاحد بهولا من قبل ولا طاقة والله يا ابا الفضل لقد اصبح
ملك ابن اخيك عظيما قلت ويحك انها النبوة قال فنعم اذن فقلت الحق الان بقومك فحذرهم فخرج
حتى جاءهم الى مكة فصرخ فى المسجد باعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به قالوا
فمه قال من دخل دار ابى سفيان فهو امن قالوا ويحك وما تغنى عنا دارك قال ومن دخل المسجد فهو
امن ومن اغلق عليه بابه فهو امن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد قال وجا حكيم بن حزام
وبديل بن ورقا الخزاعى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه الى قريش يدعونهم الى الاسلام
ولما خرج حكيم بن حزام وبديل بن ورقا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدين الى مكة بعث
فى اثرهما الزبير واعطاه رايته وامره على خيل المهاجرين والانصار وامره ان يركز رايته باعلى مكة
بالحجون وقال لا تبرح حتى اتيك ان تركز رايتى حتى اتيك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما انتهى الى ذى طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة برد حبرة وان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليضع راسه تواضعا لله عز وجل حين راى ما اكرمه به من الفتح حتى ان راسه ليكاد يمس واسطة
الرحل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وضرب قبته باعلى مكة وامر خالد بن الوليد
فيمن اسلم من قضاعة وبنى سليم ان يدخل من اسفل مكة وبها بنو بكر وقد استنفرتهم قريش وبنو
الحرث بن عبد مناف ومن كان من الاحابيش امرتهم قريش ان يكونوا باسفل مكة وان صفوان بن
امية وعكرمة بن ابى جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد اجتمعوا مع اناس بالخندمة ليقاتلوا وقال
النبى صلى الله عليه وسلم لخالد والزبير حين بعثهما لا تقاتلا الا من قاتلكم وامر سعد بن عبادة
ان يدخل فى بعض الناس من كدى فقال سعد حين توجه داخلا اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة
فسمعها رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمع ما قال
سعد بن عبادة وما نامن ان يكون له فى قريش صولة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعلى بن ابى
طالب ادركه فخذ الراية فكن انت الذى تدخل بها فلم يكن باعلى مكة من قتال واما خالد بن
الوليد فقدم على قريش وبنى بكر والاحابيش باسفل مكة فقاتلوهم فهزمهم الله ولم يكن بمكة قتال
غير ذلك وقتل من المشركين اثنا عشر او ثلاثة عشر رجلا ولم يقتل من المسلمين الا رجل من جهينة
يقال له سلمة بن الميلا من خيل خالد ورجلان يقال لهما كرز بن جابر وخنيس بن خالد بن الوليد

Copyright King Saud University

فتسدوا وملك طريقا غير طريقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى امرائه من المسلمين حين
امرهم ان يدخلوا مكة ان لا يقاتلوا الا من قاتلهم الا انه قد عهد في نفر سماهم امر بقتلهم وان وجدوا تحت استار
الكعبة عبد الله بن سعد بن ابي سرح وانما امر بقتله لانه كان قد اسلم فارتد مشركا ففر الى عثمان
وكان اخاه من الرضاعة فغيبه حتى اتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اطمان اهل مكة
فاستامن له وعبد الله بن خطل رجل من بني تيم بن غالب وانما امر بقتله لانه كان مسلما فبعثه
رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا وكان له مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وامر المولى ان
يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئا فعدا عليه فقتله ثم ارتد
مشركا وكانت له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بقتلهما والحويرث
ابن نقيذ بن وهب وكان ممن يؤذيه ومقيس بن صبابة وانما امر بقتله لقتله الانصاري الذي
قتل اخاه خطا ورجوعه الى قريش مرتدا وسارة مولاة لبني عبد المطلب وكانت ممن تؤذيه بمكة
وعكرمة بن ابي جهل فاما عكرمة فهرب الى اليمن واسلمت امراته ام حكيم بنت الحرث بن هشام
فاستامنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنه فخرجت في طلبه حتى اتت به رسول الله
صلى الله عليه وسلم واما عبد الله بن خطل فقتله سعيد بن حريث المخزومي وابو برزة الاسلمي
اشتركا في دمه واما مقيس بن صبابة فقتله نميلة بن عبد الله رجل من قومه واما قينتا ابن
خطل فقتلت احداهما وهربت الاخرى حتى استامن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنها
فعاشت حتى اوطاها رجل من الناس فرسا له في زمن عمر بن الخطاب بالابطح فقتلها واما الحويرث
ابن نقيذ فقتله علي بن ابي طالب قالت ام هانئ بنت ابي طالب لما نزل رسول الله صلى الله عليه
وسلم باعلى مكة فر الي رجلان من احمائي من بني مخزوم وكانت عند هبيرة بن ابي وهب المخزومي
قالت فدخل علي علي بن ابي طالب رضي الله عنه اخي فقال والله لاقتلنهما فاغلقت عليهما
باب بيتي ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة
ان فيها لاثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوبه فلما اغتسل اخذ ثوبه فتوشح به ثم
صلى ثماني ركعات الضحى ثم انصرف الي فقال مرحبا واهلا يا ام هانئ ما جاء بك فاخبرته خبر الرجلين
وخبر علي بن ابي طالب فقال قد اجرنا من اجرت وامنا من امنت فلا يقتلهما ثم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم خرج لما اطمان الناس حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته
يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة واخذ منه مفتاح الكعبة
ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب
الكعبة وقد استكف له الناس في المسجد فقال لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر
عبده وهزم الاحزاب وحده الا كل مأثرة او دم او مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين
الا سدانة البيت وسقاية الحاج الا وقتل الخطا شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية
مغلظة مائة من الابل في بطونها اولادها يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة
الجاهلية وتعظمها بالاباء الناس من ادم وادم من تراب ثم تلا هذه الاية يا ايها الناس انا
خلقناكم من ذكر وانثى الاية ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني فاعل فيكم قالوا خيرا اخ كريم
قال فاذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله امكنه

منهم عنوة فبذلك سموا اهل مكة الطلقاء ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فقام اليه
علي بن ابي طالب ومفتاح الكعبة بيده فقال يا رسول الله اجمع لنا بين الحجابة والسقاية فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اين عثمان بن طلحة فدعا له فقال هاك مفتاحك يا عثمان
اليوم يوم بر ووفاء قال واجتمع الناس للبيعة فجلس لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا
وعمر بن الخطاب اسفل منه ياخذ على الناس فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا فلما
فرغ من بيعة الرجال بايع النساء قال عروة بن الزبير خرج صفوان يريد جدة ليركب منها الى اليمن
فقال عمير بن وهب الجمحي يا رسول الله ان صفوان بن امية سيد قومي قد خرج هاربا منك ليقذف
بنفسه في البحر فامنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو امن قال يا رسول الله اعطني
شيئا يعرف به امانك فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل بها عمير حتى ادركه بجدة
وهو يريد ان يركب البحر فقال يا صفوان فداك ابي وامي افضل الناس وابر الناس واحلم الناس وخير
الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال اني اخافه على نفسي قال هو احلم من ذلك واكرم
فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان ان هذا يزعم انك امنتني
قال صدق قال فاجعلني في ذلك بالخيار شهرين قال انت بالخيار اربعة اشهر قال ابن هشام وبلغني ان
النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة وملكها قام على الصفا يدعو وقد احدقت به الانصار فقالوا
فيما بينهم اترون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فتح مكة ارضه وبلده يقيم بها فلما فرغ من
دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شيء يا رسول الله فلم يزل بهم حتى اخبروه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم قال ابن اسحاق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة الاف
وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد
فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم خرج الى هوازن وثقيف وقد نزلوا حنينا ق عن ابي هريرة ان
خزاعة قتلوا رجلا من بني ليث عام الفتح بقتيل لهم في الجاهلية فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس
فحمد الله واثنى عليه وقال ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمومنين الا وانها لم تحل
لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي الا وانما احلت لي ساعة من نهار الا وانها ساعتي هذه لا ينفر صيدها
ولا يختلى شوكها ولا تحل ساقطتها الا لمنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين اما ان يفتدى واما
ان يقيد فقال العباس الا الاذخر فانا نجعله لقبورنا وبيوتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا الاذخر فقام ابو شاه رجل من اهل اليمن فقال اكتبوا لي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اكتبوا لابي شاه قال الاوزاعي يعني الخطبة التي سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم واما التفسير
فقوله تعالى اذا جاء نصر الله يعني اذا جاءك يا محمد نصر الله ومعونته على من عاداك وهم قريش ومعنى مجيء النصر ان
جميع الامور مرتبطة باوقاتها يستحيل تقدمها عن وقتها وتاخرها عنه فاذا جاء ذلك الوقت المعين حضر
معه ذلك الامر المقدر فلهذا المعنى قال اذا جاء نصر الله والفتح يعني فتح مكة في قول جمهور المفسرين وقيل هو
جنس نصر الله المومنين وفتح بلاد الشرك عليهم على الاطلاق والفرق بين النصر والفتح ان النصر هو الاعانة
والاظهار على الاعداء وهو تحصيل المطلوب وهو كالسبب للفتح فلهذا بدا بذكر النصر وعطف عليه بالفتح
وقيل النصر هو كمال الدين واظهاره والفتح هو الاقبال الذي هو تمام النعمة ورايت الناس يدخلون في دين الله
افواجا يعني زمرا وارسالا القبيلة باسرها والقوم باجمعهم من غير قتال قال الحسن لما فتح الله على رسوله

صلى الله عليه وسلم مكة قالت العرب بعضها لبعض اذا ظفر الله محمدا باهل الحرم وكان قد اجارهم من اصحاب
الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون في دين الله افواجا بعد ان كانوا يدخلون واحدا واحدا واثنين اثنين
وقيل اراد بالناس اهل اليمن (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتاكم اهل اليمن هم اضعف
قلوبا وارق افئدة الايمان يمان والحكمة يمانية ودين الله هو الاسلام واضافه اليه تشريفا وتعظيما كبيت
الله وناقة الله قوله عز وجل **فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا** يعني فانك حينئذ لاحق به عن ابن عباس قال كان عمر
يدخلني مع اشياخ بدر فقال بعضهم لم يدخل هذا الفتى معنا ولنا ابناء مثله فقال انه ممن قد علمتم قال فدعاهم
ذات يوم ودعاني معهم قال وما رايته انه كان دعاني يومئذ الا ليريهم قال ما تقولون في قول الله تعالى
اذا جاء نصر الله والفتح حتى ختم السورة فقال بعضهم امرنا ان نحمد الله ونستغفره اذا جاء نصر الله وفتح علينا
وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لي كذلك تقول يا ابن عباس قلت لا قال فما هو قلت اجل رسول الله صلى
الله عليه وسلم اعلمه فقال اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة اجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان
توابا قال عمر ما اعلم منها الا ما تعلم (ق) عن عائشة قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة
بعد ان نزلت عليه اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي وفي رواية
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم
اغفر لي يتاول القرآن وفي رواية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قول سبحان الله وبحمده
استغفر الله واتوب اليه وقال اخبرني ربي انه سارى علامة في امتي فاذا رايتها اكثرت من قول سبحان الله
وبحمده استغفر الله واتوب اليه فقد رايتها اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورايت الناس يدخلون في دين
الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة علم النبي صلى الله
عليه وسلم انه نعيت اليه نفسه وقال الحسن اعلم انه قد اقترب اجله فامر بالتسبيح والتوبة ليختم
بالزيادة في العمل الصالح قيل عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وقيل في معنى
سورة اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فاشتغل انت بالتسبيح والتحميد
والاستغفار فان الاشتغال بهذه الطاعات يصير سببا لمزيد درجاتك في الدنيا والآخرة وفي معنى
التسبيح وجهان احدهما نزه ربك عما لا يليق بجلاله ثم احمده والثاني فصل لربك لان التسبيح جزء من
اجزاء الصلاة ثم قيل عني به صلاة الشكر وهو ما صلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة
ثمان ركعات وقيل هي صلاة الضحى وفي الآية دليل على فضيلة التسبيح والتحميد حيث جعل ذلك كافيا
في اداء ما وجب عليه من شكر نعمة النصر والفتح **فان قلت** ما معنى هذا الاستغفار
وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر **قلت** انه تعبده الله بذلك ليقتدي به غيره اذ لا يامن
كل واحد من تقصير يقع في عبادته واجتهاده ففيه تنبيه على ان النبي صلى الله عليه وسلم مع عصمته وشدة
اجتهاده ما كان يستغني عن الاستغفار فكيف بمن دونه وقيل هو من ترك الافضل والاولى لا عن
ذنب صدر صلى الله عليه وسلم وعلى قول من جوز الصغائر على الانبياء يكون المعنى واستغفره لما عسى
ان يكون قد وقع من تلك الامور منه وقيل المراد منه الاستغفار لامته وهذا ظاهر لان الله تعالى امره
بذلك في قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله اعلم

تفسير سورة تبت مكية

وهي خمس آيات وعشرون كلمة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **تبت يدا
ابي لهب** (ق) عن ابن عباس قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على

الصفا

الصفا ونادى يا بني فهر يا بني عدي لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر
ما هو فجاء ابو لهب وقريش فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي قالوا
نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال له ابو لهب تبا لك سائر
اليوم الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب **وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب** وفي رواية ان النبي صلى الله
عليه وسلم خرج الى البطحاء فصعد الجبل فنادى يا صباحاه فاجتمعت عليه قريش الحديث وذكر نحوه ومعنى
تبت خابت وخسرت والتباب هو الخسار المفضي الى الهلاك والمراد من اليد صاحبها وجملة بدنه وذلك
على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله وجميعه وقيل رمى النبي صلى الله عليه وسلم بحجر فادمى عقبه
فلهذا ذكرت اليد وان كان المراد جملة البدن فهو كقولهم خسرت يده وكسبت يده فاضيفت الافعال
الى اليد وابو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي صلى الله عليه وسلم وكني بابي لهب
لحسنه واشراق وجهه **فان قلت** لم كناه وفي الكنية تشريف وتكرمة
قلت فيه وجوه احدها انه كان مشتهرا بالكنية دون الاسم فلو ذكره باسمه لم
يعرف الثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنها الى الكنية لما فيه من الشرك الثالث انه كان
من اهل النار ومآله الى نار ذات لهب فوافقت حاله كنيته وكان جديرا بان يذكر بها وتب قيل
الاول اخرج مخرج الدعاء عليه والثاني اخرج مخرج الخبر كما يقال اهلكه الله وقد هلك وقيل
تبت يدا ابي لهب يعني ماله وملكه كما يقال فلان قليل ذات اليد يعنون به المال وتب يعني
نفسه ما اغنى عنه ماله وما كسب قال ابن مسعود لما دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرباءه
الى الله تعالى قال ابو لهب ان كان ما تقول يا ابن اخي حقا فاني افتدي نفسي بمالي وولدي
فانزل الله تعالى ما اغنى عنه ماله وما كسب يعني صاحب مواشي وما كسب اي ربح بعد راس
ماله وقيل وما كسب ولده لان ولد الانسان من كسبه كما جاء في الحديث ان اطيب ما اكلتم من
كسبكم اخرجه الترمذي ثم اوعده بالنار فقال تعالى **سيصلى نارا ذات لهب** اي نار تلتهب
عليه **وامراته** يعني ام جميل بنت حرب بن امية اخت ابي سفيان بن حرب وكانت في نهاية
العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم **حمالة الحطب** قيل كانت تحمل الشوك والحسك والعضاه
بالليل فتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه لتؤذيهم بذلك وهي رواية
عن ابن عباس **فان قلت** انها كانت من بيت العز والشرف فكيف يليق بها
حمل الحطب **قلت** يحتمل انها مع كثرة مالها وشرفها كانت في نهاية البخل والخسة
فكان يحملها بخلها على حمل الحطب بنفسها ويحتمل انها كانت تفعل ذلك لشدة عداوتها لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا ترى انها تستعين في ذلك باحد بل تفعله هي بنفسها وقيل كانت تمشي بالنميمة
وتنقل الحديث وتلقي العداوة بين الناس وتوقد نارها كما توقد النار الحطب يقال فلان يحطب
على فلان اذا كان يغري به وقيل حمالة الخطايا والآثام التي حملتها في عداوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم لانها كانت كالحطب في مصيرها الى النار **في جيدها** اي في عنقها **حبل من مسد** قال ابن عباس
سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها فيكون سائرها في عنقها فتلت
من حديد فتلا محكما وقيل هو حبل من ليف وذلك الحبل الذي كانت تحتطب به فبينما هي يوما حاملة
للحزمة اعيت فقعدت على حجر تستريح اتاها ملك فجذبها من خلفها فاهلكها وقيل هو حبل من شجر ينبت

Copyright © King Saud University

باليمن يقال له المسد وقيل قلادة من ودع وقيل كانت خرزات في عنقها وقيل كانت لها قلادة
فاخرة قالت لانفقنها في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم [illegible]
سورة الاخلاص مكية وقيل مدنية وقيل اربع ايات وخمس عشرة كلمة وسبعة واربعون
حرفا **فصل** في فضلها خ عن ابي سعيد الخدري ان رجلا سمع رجلا يقرا قل هو الله احد
يرددها فلما اصبح جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك وكان الرجل يتقالها فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القران وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قليلا وينظر اليها بنظر القلة لاصحابه ايعجز احدكم ان يقرا ثلث القران في كل ليلة فشق ذلك عليهم
فقالوا اينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال قل هو الله احد الله الصمد ثلث القران م عن ابي الدردا ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان الله جزا القران ثلاثة اجزا فجعل قل هو الله احد جزا من القران م عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سأقرا عليكم ثلث القران فقرا قل هو الله احد الله الصمد
حتى ختمها وقد ذكر العلما رضي الله عنهم في كونه صلى الله عليه وسلم جعل سورة الاخلاص تعدل ثلث القران
اقوالا متقاربة فقيل ان القران العزيز لا يعدو ثلاثة اقسام وهي الارشاد الى معرفة
ذات الله تعالى وتقديسه او صفاته واسمائه ومعرفة احواله وسننه مع عباده ولما اشتملت سورة
الاخلاص على احد هذه الاقسام الثلاثة وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بثلث القران لانه منتهى التقديس في ان يكون واحدا في ثلاثة امور لا يكون حاصلا منه من هو
من نوعه وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولا يكون هو حاصلا من نظيره وشبهه ودل عليه قوله
لم يولد ولم يكن له كفوا احد ويجمع ذلك كله قوله قل هو الله احد وجملته وتفصيله هو قوله لا اله الا الله
فهذا سر من اسرار القران المجيد الذي لا يتناهى اسراره ولا تنقضي عجائبه وقال الامام فخر الدين
لعل الغرض منه ان المقصود الاشرف في جميع الشرائع والعبادات معرفة ذات الله جل جلاله وتعالى
علاوه وثناؤه ومعرفة صفاته ومعرفة افعاله وهذه السورة مشتملة على معرفة ذات الله تعالى
فلهذا كانت هذه السورة معادلة لثلث القران وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله قيل معناه
ان القران على ثلاثة انحا قصص واحكام وصفات الله تعالى وقل هو الله احد متمحضة للصفات
فهي جزء القران من ثلاثة اجزا وقيل معناه ان ثواب قراتها مرة يتضاعف بقدر ثواب قراة ثلث
القران بغير تضعيف قوله يتقالها يقال استقللت الشي وتقاللته اذا عددته قليلا
في بابه وتطرقت اليه نسبة القلة قيل سميت قل هو الله احد سورة الاخلاص لانها خالصة
لله تعالى في صفته او لان قارئها قد اخلص لله التوحيد ومن فوائد هذه السورة ان الاشتغال
بقراتها يفيد الاشتغال بالله وملازمة الاعراض عما سوى الله تعالى وهي متضمنة تنزيه الله
تعالى وبراءته من كل ما لا يليق به لانها مع قصرها جامعة لصفات الاحدية وصفات الصمدانية
والفردانية وعدم النظير عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا كل يوم مائتي مرة قل هو
الله احد محي عنه ذنوب خمسين سنة الا ان يكون عليه دين وفي رواية عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من اراد ان ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرا قل هو الله احد مائة مرة فاذا كان يوم القيامة
يقول له الرب جل جلاله يا عبدي ادخل عن يمينك الجنة اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعنه ان
رجلا قال يا رسول الله اني احب هذه السورة قل هو الله احد قال حبك اياها ادخلك الجنة اخرجه

الترمذي

الترمذي عن ابي هريرة قال اقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرا قل هو الله احد
الله الصمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت قيل وما وجبت قال الجنة اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب صحيح **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **قل هو الله احد** عن ابي بن كعب
ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فانزل الله قل هو الله احد الله الصمد
والصمد الذي لم يلد ولم يولد لانه ليس شي يولد الا سيموت وليس شي يموت الا سيورث وان الله
لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا احد قال لم يكن له شبيه ولا عديل وليس كمثله شي اخرجه الترمذي
وقال قد روي عن ابي العالية ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر آلهتهم فقالوا انسب لنا ربك فاتاه
جبريل بهذه السورة قل هو الله احد وذكر نحوه ولم يذكر فيه عن ابي بن كعب وهذا اصح وقال ابن عباس
ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر الى ما تدعونا يا محمد
قال الى الله قال صفه لنا امن ذهب هو ام من فضة ام من حديد ام من خشب فنزلت هذه السورة واهلك
الله اربد بالصاعقة وعامر بالطاعون وقد تقدم ذكرهما في سورة الرعد وقيل جاء ناس من احبار اليهود
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فان الله انزل نعته في التوراة
فاخبرنا من اي شي هو وهل ياكل ويشرب وممن ورث الربوبية ولمن يورثها فانزل الله هذه السورة
قل هو الله احد يعني الذي سالتموني عنه هو الله الواحد في الالوهية والربوبية الموصوف بصفات
الكمال والعظمة المنفرد عن الشبه والمثل والنظير وقيل لا يوصف احد بالاحدية غير الله تعالى
فلا يقال رجل احد ودرهم احد بل احد صفة من صفات الله تعالى استاثر بها فلا يشركه فيها احد
والفرق بين الواحد والاحد ان الواحد يدخل في الاحد ولا ينعكس وقيل ان الواحد يستعمل
في الاثبات والاحد في النفي تقول في الاثبات رايت رجلا واحدا وفي النفي ما رايت احدا فتفيد
العموم وقيل الواحد هو المنفرد بالذات فلا يضاهيه احد والاحد هو المنفرد بالمعنى فلا يشاركه
فيه احد **الله الصمد** قال ابن عباس الصمد الذي لا جوف له وبه قال جماعة من المفسرين ووجه ذلك
من حيث اللغة ان الصمد الشي المصمت الصلب الذي ليس فيه رطوبة ولا رخاوة ومنه يقال لسداد
القارورة الصماد فان فسر الصمد بهذا كان من صفات الاجسام ويتعالى الله جل عن صفات الجسمية
وقيل وجه هذا القول ان الصمد الذي ليس باجوف معناه هو الذي لا ياكل ولا يشرب وهو الغني عن
كل شي فعلى هذا الاعتبار هو صفة كمال والقصد بقوله الله الصمد التنبيه انه تعالى بخلاف
من اثبتوا له الالهية واليه الاشارة بقوله ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل
وامه صديقة كانا ياكلان الطعام وقيل الصمد الذي ليس باجوف وهو شيان احدهما دون الانسان
وهو سائر الجمادات الصلبة والثاني اشرف من الانسان واعلى منه وهو الباري جل وعز وقال
ابي بن كعب الصمد الذي لم يلد ولم يولد لان من يولد سيموت ومن يموت يورث عنه وروى
عن ابي وائل شقيق بن سلمة قال الصمد هو السيد الذي انتهى سودده وهي رواية عن ابن
عباس ايضا قال هو السيد الذي كمل فيه جميع اوصاف السودد وقيل هو السيد المقصود في
جميع الحوائج المرغوب اليه في الرغائب المستعان به عند المصائب وتفريج
الكرب وقيل هو الكامل في جميع صفاته وافعاله وتلك كلها تدل على انه المتناهي في السودد والشرف
والعلو والعظمة والكمال والكرم والاحسان وقيل الصمد الدائم الباقي بعد فنا خلقه وقيل

Copyright © King Saud University

وقيل الصمد الذي ليس فوقه احد وهو قول علي وقيل هو الذي لا تعتريه الافات ولا تغيره الاوقات وقيل
هو الذي لا عيب فيه وقيل الصمد هو الاول الذي ليس له زوال والاخر الذي ليس لملكه انتقال والاولى
ان يحمل لفظ الصمد على ما قيل فيه لانه يحتمله فعلى هذا يقتضي ان لا يكون في الوجود صمد سوى الله
العظيم القادر على كل شي وانه اسم خاص به تعالى يدل له الاسما الحسنى والصفات العلى ليس كمثله شي
وهو السميع البصير قوله عز وجل **لم يلد ولم يولد** وذلك ان مشركي العرب قالوا الملائكة بنات الله وقالت
اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فكذبهم الله عز وجل ونفى عن نفسه ما قالوا فقوله لم
يلد معناه ان من ولد كان له والد فنفى عنه احاطة الولد من جميع الجهات فهو الاول الذي لا يتقدمه
والد كان عنه وهو الاخر الذي لم يتاخر عنه ولد يكون عنه ومن كان كذلك فهو الذي لم يكن له كفوا احد
اي ليس له من خلقه مثل ولا نظير ولا شبيه فنفى عنه بقوله **ولم يكن له كفوا احد** العديل والنظير
والصاحبة والولد عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن
ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بداني وليس اول
الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفوا احد والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه **تفسير سورة الفلق** مدنية
وقيل مكية والاول اصح وهي خمس ايات وثلاث وعشرون كلمة واربع وسبعون حرفا **م** عن عقبة بن عامر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الم تر ايات نزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط قل اعوذ برب
الفلق وقل اعوذ برب الناس فيه بيان عظم فضل هاتين السورتين وفيه دليل واضح على كونهما من
القران وفيه رد على من نسب الى ابن مسعود خلاف هذا وفيه بيان ان لفظة قل من القران ايضا وانه
من اول السورتين بعد البسملة وقد اجمعت الامة على هذا كله بعد خلاف ذكر فيه **خ** عن زر بن حبيش
قال سالت ابي بن كعب عن المعوذتين فقلت يا ابا المنذر ان اخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال سالت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال قيل لي فقلت فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية
مثلها ولم يذكر ابن مسعود عن عبد الله بن خبيب قال اصابنا طش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم الطش والطشيش المطر الضعيف وهو فوق الرذاذ ليصلي بنا فخرج فقال قل فقلت ما اقول
قال قل هو الله احد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح تكفيك كل شي وفي رواية قال كنت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بطريق مكة فاصبت خلوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنوت منه فقال قل
فقلت ما اقول قال قل اعوذ برب الفلق حتى ختمها ثم قل اعوذ برب الناس حتى ختمها ثم قال ما تعوذ الناس
بافضل منهما اخرجه النسائي عن جابر بمثله ومعناه **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **قل اعوذ
برب الفلق** قال ابن عباس وعائشة كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فدبت اليه اليهود
فلم يزالوا به حتى اخذ من مشاطة راس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة من اسنان مشطه واعطاها
اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن الاعصم رجل من اليهود فنزلت السورتان **ق** عن عائشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشي ولم يصنعه وفي رواية انه يخيل
اليه فعل الشي وما فعله حتى اذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال اشعرت يا عائشة
ان الله قد افتاني فيما استفتيته فيه قلت وما ذاك يا رسول الله قال جاءني رجلان فجلس احدهما
عند راسي والاخر عند رجلي ثم قال احدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال مطبوب قال ومن طبه

قال

قال لبيد بن الاعصم اليهودي من بني زريق قال فيما ذا قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فاين
هو قال في بير ذروان وفي رواية ذي اروان قال في بير بني زريق فذهب النبي صلى الله عليه وسلم في اناس من اصحابه الى
البير فنظر اليها وعليها نخل ثم رجع الى عائشة فقال والله لكان ماوها نقاعة الحنا ولكان نخلها رووس الشياطين
قلت يا رسول الله فاخرجه قال اما انا فقد عافاني الله وشفاني وخفت ان اثور على الناس منه شرا
وفي رواية للبخاري كان يرى انه ياتي النسا ولا ياتيهن قال سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر
اذا كان كذلك عن زيد بن ارقم قال سحر رجل من اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فاشتكى لذلك اياما
فاتاه جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا في بير كذا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليا فاستخرجها فجا بها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكانما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي ولا راه في وجهه قط اخرجه النسائي وروي انه كان تحت صخرة
في البير فرفعوا الصخرة واخرجوا جف الطلعة فاذا فيه مشاطة من راسه صلى الله عليه وسلم واسنان مشطه وقيل كان
في وتر عقد عليه احدى عشرة عقدة وقيل كان مغروزا بالابر فانزل الله هاتين السورتين وهما احدى عشرة اية
سورة الفلق خمس ايات وسورة الناس ست ايات فكان كلما قرا اية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها
فقام النبي صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال وروي انه لبث ستة اشهر واشتد عليه ذلك
ثلاث ليال فنزلت المعوذتان **م** عن ابي سعيد الخدري ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا محمد اشتكيت قال نعم قال بسم الله ارقيك من كل شي يوذيك ومن شر كل نفس او عين حاسد الله يشفيك
بسم الله ارقيك **فصل** وقبل الشروع في التفسير نذكر معنى الحديث وما قيل فيه وما قيل
في السحر وما قيل في الرقى قولها في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشي
ولم يصنعه قال الامام المازري مذهب اهل السنة وجمهور علما الامة على اثبات السحر وان له حقيقة
كحقيقة غيره من الاشيا الثابتة خلافا لمن انكر ذلك ونفى حقيقته واضاف ما يقع منه الى خيالات
باطلة لا حقايق لها وقد ذكره الله في كتابه وذكر انه مما يتعلم وذكر فيها اشارة انه مما يكفر به وانه يفرق
بين المرء وزوجه وهذا كله لا يمكن ان يكون مما لا حقيقة له وهذا الحديث الصحيح مصرح باثباته
ولا يستنكر في العقل ان الله تعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق او تركيب اجسام او المزج
بين قوى لا يعرفها الا الساحر وانه لا فاعل الا الله تعالى وما يقع من ذلك فهو عادة اجراها الله
تعالى على يد من يشا من عباده **فان قلت** المستعاذ منه هو بقضا الله وقدره
ام لا فان كان بقضا الله وقدره فكيف يامر بالاستعاذة مع ان ما قدر لا بد واقع وان لم يكن بقضا الله
وقدره فما وجهه **قلت** هو بقضا الله وقدره يدل على صحة ذلك ما روى الترمذي عن ابي
خزامة عن ابيه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ارايت رقى نسترقي بها ودوا
نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيا قال هي من قدر الله تعالى قال الترمذي هذا حديث حسن
وقول عمر من قدر الله تعالى **فصل** وقد انكر بعض المبتدعة حديث عائشة المتفق عليه
وزعم انه يحط منصب النبوة ويشكك فيها وان تجويزه يمنع الثقة بالشرع ورد على هذا المبتدع بان الذي
ادعاه باطل لان الدلائل القطعية قد قامت على صدقه صلى الله عليه وسلم وعصمته
فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل واما ما يتعلق ببعض
امور الدنيا وهو مما يعرض للبشر غير بعيد ان يخيل اليه من امور الدنيا ما لا حقيقة له وقد قيل انه

Copyright King Saud University

كان يخيل إليه أنه وطئ زوجاته وليس بواطئ وهذا مثل ما يتخيله الإنسان في المنام فلا يبعد أن يتخيله في اليقظة ولا حقيقة له وقيل يخيل إليه أنه فعله وما فعله ولكن لا يعتقد صحة ما يتخيله فتكون اعتقاداته على السداد قال القاضي عياض وقد جاءت بعض روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما تسلط على بدنه وظواهر جوارحه لا على قلبه وعقله واعتقاده وليس في ذلك ما يوجب لبسا على الرسالة ولا طعنا لأهل الزيغ والضلالة وقوله ما وجع الرجل قال مطبوب أي مسحور وجف طلعة ذكر يروى بالباء وبالفاء وهو وعاء طلع النخل وأما الرقى والتعويذ فقد اتفق الإجماع على جوازه إذا كان بآيات من القرآن أو الأذكار التي وردت في الحديث ويدل على صحة هذه الأحاديث الواردة في ذلك منها حديث أبي سعيد المتقدم أن جبريل رقى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ما روي عن عبيد بن رفاعة الزرقي أن أسماء بنت عميس قالت يا رسول الله إن ولد جعفر تسرع إليهم العين أفأسترقي لهم قال نعم فإنه لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ ويقول أعوذ بالله من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان فأخذ بهما وترك ما سواهما أخرجه الترمذي وقال حديث غريب فهذه الأحاديث تدل على جواز الرقية وإنما المنهي عنه منها ما كان فيه كفر أو شرك وما لا يعرف معناه مما ليس بعربي لجواز أن يكون فيه كفر والله أعلم وأما التفسير فقوله عز وجل **قل أعوذ برب الفلق** أراد بالفلق الصبح وهو قول الأكثرين ورواية عن ابن عباس لأن الليل ينفلق عن الصبح وسبب تخصيصه في التعوذات أن القادر على إزالة هذه الظلمة عن العالم قادر على أن يدفع عن المستعيذ ما يخافه ويخشاه وقيل أن طلوع الصبح كالمثال لمجيء الفرج كما أن الإنسان ينتظر طلوع الصباح كذلك الخائف يترقب مجيء النجاح وقيل إن تخصيص الصبح بالذكر في هذا الموضع لأنه وقت دعاء المضطرين وإجابة الملهوفين فكأنه يقول قل أعوذ برب الوقت الذي يفرج فيه هم المهمومين والمغمومين وروي عن ابن عباس أن الفلق سجن في جهنم وقيل هو واد في جهنم إذا فتح استغاث أهل النار من حره ووجهه أن المستعيذ قال أعوذ برب هذا العذاب القادر عليه من شر عذابه وغيره وروي عن ابن عباس أيضا أن الفلق الخلق ووجه هذا التأويل أن الله تعالى فلق ظلمات بحر العدم بإيجاد الأنوار وخلق منه الخلق فكأنه قال قل أعوذ برب جميع الممكنات ومكون جميع المحدثات **من شر ما خلق** قيل يريد إبليس خاصة لأنه لم يخلق الله خلقا هو شر منه ولأن السحر لا يتم إلا به وبأعوانه وجنوده وقيل من شر كل ذي شر وقيل من شر ما خلق من الجن والإنس **ومن شر غاسق إذا وقب** عن عائشة قالت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى القمر فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا هو الغاسق إذا وقب أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح فعلى هذا الحديث المراد به القمر إذا خسف فاسود ومعنى وقب دخل في الخسوف وأخذ في الغيبوبة وقيل سمي به لأنه إذا خسف اسود وذهب ضوؤه وقيل إذا وقب دخل في المحاق وهو آخر الشهر وفي ذلك الوقت يتم السحر المورث للتمريض وهذا مناسب لسبب نزول هذه السورة وقال ابن عباس الغاسق الليل إذا وقب أي أقبل بظلمته من المشرق وقيل سمي الليل غاسقا لأنه أبرد من النهار والغسق البرد وإنما أمر بالتعوذ من الليل لأن فيه الآفات ويقل فيه وقيل يتم السحر وقيل الغاسق الثريا إذا سقطت وغابت وقيل إن الأسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها فلهذا أمر بالتعوذ من الثريا عند سقوطها **ومن شر النفاثات في العقد** يعني السواحر التي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها وقيل المراد بالنفاثات بنات لبيد بن الأعصم الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم والنفث النفخ

Copyright © King Saud University